المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية
علمية محكمة



العدد الأول

محرم ١٤٢٩هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية
علمية محكمة

العدد الأول

محرم ١٤٢٩هـ

ردمد: ٣٨٨٤ - ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغة العربية بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4) .

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Microsoft Word) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، أو إرساله عبر البريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ -الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١- ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

الفهـــــرس

المقدمــة ٩

أ. د. سليمان بن قاسم العيد

سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية ١٢

د. سليمان بن عبدالله الحبس

مكانة الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى ١٠٠

أ. د. خالد بن عبدالرحمن القريشي

دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها ١٣٢

د. علي بن أحمد الأحمد

المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم ٢٤٠

د. عبدالله بن محمد المجلي

المؤسسات الوقفية الخاصة وأثرها في دعم البرامج الدعوية ٢٧٩

د. عبدالله بن محمد المطوع

علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضبط الحريات ٢٣٤

د. خالد بن حسن العبري

الدعوة بين الأخـوة ٤٠٠

د. الجوهرة بنت محمد العمراني

قواعـد النشـر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٢- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٣- أن تتحقق له السلامة اللغوية.

٤- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٥- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٦- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٧- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً

المقـــــــــدمة

رئيس التحرير

أ. د. سليمان بن قاسم العيـــد

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (1). وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ... **أما بعد:**

فإنه من توفيق الله سبحانه وتعالى أن يسر للجمعية السعودية للدراسات الدعوية إصدار العدد الأول من مجلة **(الدراسات الدعوية)** هذه المجلة العلمية المحكمة والتي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها نبراساً في طريق الدعوة إلى الله تعالى، لما ينشر فيها من الأبحاث والدراسات العلمية من نتاج المتخصصين في الدعوة والمهتمين بها.

وهذه المجلة إحدى أنشطة الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، وتعنى بالأبحاث المتخصصة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك من أجل السير بهذه المهمة الشريفة (الدعوة إلى الله) وفق المنهج القويم اقتداءً برسول الله ﷺ الذي أمره ربه سبحانه ببيان منهجه في الدعوة إلى الله بقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(2).

ولا شك أن الدعوة إلى الله وبخاصة في هذا الزمان بحاجة إلى الدراسات العلمية الجادة التي تبين المنهج الصحيح والوسائل والأساليب المناسبة في وقت تغير فيه الكثير من وسائل الحياة بدخول التقنيات

---

(1) سورة النحل ، الآية ١٢٥.

(2) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

المعاصرة في أمور كثيرة من حياة البشر.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه المجلة الفتيّة داعماً قوياً في مسيرة الدعوة إلى الله مع تلك الجهود المبذولة في الرقي بهذه المهنة الشريفة ورفعة أهلها الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [1]. وقال رسول الله ﷺ عن أجر عملهم: (**لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**) رواه البخاري.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رئيس التحرير

أ. د. سليمان بن قاسم العيد

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٣.

البحث رقم ١

سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية

إعداد

د. سليمان بن عبدالله الحبس

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

سلامة الصدر ، وطهارة القلب ، من الغل ، و الحقد ، و الحسد صفة عظيمة ، وخلق كريم ، أثنى الله تبارك و تعالى في كتابه الكريم على من اتصف بها ، و لهذا كان النبي صلى الله عليه و سلم كثيراً ما يدعو ربه عز وجل ويسأله أن يسلل الحقد من قلبه ونفسه.

إذا فحري بكل مسلم فضلاً عن الداعية إلى الله تعالى من أن يحرص على التحلي بسلامة الصدر ، و طهارة القلب ، لينعم بعظيم الأجر وجزيل الثواب في الدنيا و الآخرة.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث و خاتمة.

تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم سلامة الصدر وفضلها في مطلبين اثنين.

أما المبحث الثاني فقد خصصته للحديث عن أبرز الأسباب المعينة على سلامة الصدر كحسن الصلة بالله تعالى ، ثم حسن التعامل مع الآخرين ، وإحسان الظن بالمسلمين و العفو و الصفح عن الناس ، و الدعاء لهم إضافة إلى تعاهد القلب و إصلاحه من الآفات المهلكة و جاء كل ذلك من خلال ستة مطالب.

وفي المبحث الثالث تطرقت إلى الحديث عن أثر سلامة الصدر في حياة الداعية ، و اشتمل المطلب الأول على الحديث عن ابرز الآثار النفسية و الاجتماعية الحسنة التي يحظى بها الداعية إذا ما كان سليم الصدر.

أما المطلب الثاني فاشتمل على الحديث عن أهم الآثار الدعوية البناءة التي تنعكس على الدعوة و الداعية متى ما كان الداعية سليم الصدر.

وفي الخاتمة حاولت إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ثم تطرقت إلى الحديث عن عدد من التوصيات و المقترحات التي من شأنها نشر هذه الصفة الحسنة والإفادة منها بما يعود بالخير العميم والنفع العظيم على الدعوة و الدعاة بإذن الله ومنّه و كرمه.

المقدمـــة

الحمـد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، واستنّ بسنته واهتدى بهداه... أما بعد:

فقد أثنى الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم على من اتصف بسلامة الصدر، وطهارة القلب، وكان من أبرز هؤلاء نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث وصفه الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾[1].

وكان من دعاء عباد الله المؤمنين أن يُسلِّم الله قلوبهم من الغلّ والحقد والحسد لإخوانهم المؤمنين، وأثنى عليهم ربهم عزَّ وجلَّ بقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه ويسأله عز وجل بقوله: «واسلل سخيمة[3] قلبي»[4].

(١) سورة الصافات الآيتان: ٨٣–٨٤.

(٢) سورة الحشر الآية: ١٠.

(٣) السخيمة: الحقد في القلب والنفس. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٢/٣٥١، مادة (سخم).

(٤) سنن أبي داود: كتاب الوتر، باب ما يقول إذا سلّم، ص٢٢٣، رقم الحديث «١٥١٠». وصححه =

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأيُّ لذة في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الربِّ تبارك وتعالى ومحبته، والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم»[1].

إذاً فسلامة الصدر، وطهارة القلب، من الصفات الحسنة التي ينبغي لكل مسلم الحرص عليها، والتخلُّقُ بها.

ويمكن أن تتضح أهمية هذا الموضوع، والأسباب الداعية إلى الحديث عنه -إضافة إلى ما تقدم- من خلال الأمور التالية:

١- فضل سلامة الصدر وعظم أجرها وثوابها، فسليم الصدر في الدنيا من خير الناس، وأفضلهم عملاً، ومن الآخرة هو من أهل الجنة - بإذن الله ورحمته - كما دلَّت على ذلك الآيات الكريمة، والأحاديث الصحيحة الصريحة.

٢- التعرف على أهم الأسباب المعينة على سلامة الصدر، سواء ما يتعلَّق منها بأعمال القلوب وأحوالها، أو الأمور المتعلقة بالسلوك والجوارح.

٣- وقوع عدد من المسلمين - فضلاً عن بعض طلبة العلم والدعاة - في أعراض بعضهم ببعض، وانتقاص كل منهم الآخر إمَّا بسبب خلاف في مسائل علمية، أو دعوية، أو تنافس على عرض من أعراض الدنيا الزائلة، ولو سَلِمَتِ الصدور، وطهرت القلوب ما بلغوا هذا الحدّ من القطيعة والتنافر فيما بينهم.

=

الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٤١٤/١.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم: ص٨٤.

٤- أنّ لسلامة صدر المسلم بشكل عام والداعية بشكل خاص، العديد من الفوائد والثمرات التي تعود بالنفع العظيم، والخير الكثير على الدعوة والدعاة، الأمر الذي يؤدي -بإذن الله تعالى- إلى نهوض الدعوة، والإعلاء من شأنها داخل المجتمع الإسلامي وخارجه.

لذلك كله رَغِبْتُ في بحث هذا الموضوع والحديث عنه تحت عنوان:

«سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية»

وقد قسّمْتُ هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وهي على النحو التالي:

- المقدمة : وتضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث التفصيلية.
- المبحث الأول:سلامة الصدر مفهومها وفضلها، واشتمل على مطلبين:
  - المطلب الأول: مفهوم سلامة الصدر.
  - المطلب الثاني: فضل سلامة الصدر.
- المبحث الثاني: أسباب سلامة الصدر، واشتمل على ستة مطالب:
  - المطلب الأول: حسن الصلة بالله تعالى.
  - المطلب الثاني: حسن التعامل مع الآخرين.
  - المطلب الثالث: إحسان الظن بالمسلمين.
  - المطلب الرابع: العفو والصفح عن الناس.
  - المطلب الخامس: الدعاء.
  - المطلب السادس: تعاهد القلب وإصلاحه من الآفات المهلكة.

- المبحث الثالث: أثر سلامة الصدر في حياة الداعية، واشتمل على مطلبين:
  - المطلب الأول: الأثر النفسي والاجتماعي لسلامة صدر الداعية.
  - المطلب الثاني: الأثر الدعوي لسلامة صدر الداعية.
- الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث ، وأهم توصيات الباحث ومقترحاته.

هذا وقد بَذلْتُ وسعي وجهدي في جميع مراحل البحث لكي يخرج هذا العمل المتواضع على أكمل وجه وأحسن حال، فإن وُفِّقتُ وأدركْتُ الصواب فذلك من توفيق الله عز وجل لعبده الضعيف، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان راجياً من العلي الرحمن والكريم المنان العفو والصفح والغفران.

المؤلف

المبحث الأول

« سلامة الصدر : مفهومها وفضلها »

كثيراً ما يسمع المرء أن فلاناً من الناس سليم الصدر، وحينما يقرأ أيضاً في الكتب ولاسيما للمتقدمين يجدهم يذكرون في فضائل فلان أنه كان يتصف بسلامة الصدر.

فما المراد بسلامة الصدر؟ وما حقيقتها؟ وهل هي من الأمور والصفات الوهبية التي فطر الله الناس عليها؟ أم أنها صفة يمكن للإنسان أن يكتسبها ويتحلّى بها من خلال مجاهدته لنفسه؟ ولاسيما إذا أدرك فضلها، وعظم ثوابها، وتعددت ثمراتها.

وفي هذا المبحث سأتحدث – بعون الله تعالى – عن هذا الأمر من خلال المطلبين التاليين:

- **المطلب الأول : مفهوم سلامة الصدر.**
- **المطلب الثاني : فضل سلامة الصدر.**

المطلب الأول

«مفهوم سلامة الصدر»

للوقوف على مفهوم سلامة الصدر، وبيان المراد منها يحسن أن نُعرِّفَ بالكلمتين التاليتين:

١- سلامة.

٢- الصدر.

١- سلامة:

السَّلامة في اللغة:

يقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلَاماً وسَلَامَةً، ومنه قيل للجنة: ﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[١]؛ لأنها دار السلامة من الآفات، والسلام والسلامة: البراءة.

وتَسلّمَ منه: تبرأ. وقال ابن الأعرابي: السلامة العافية. ورجل سليم: سالم والجمع سُلَماءُ. وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[٢] أي: سليم من الكفر. وسَلَّمه الله من الأمر: وقاه إيَّاه. والسليم: اللديغ كأنَّهم تفاءلوا له بالسلامة. وقيل: لأنه أُسلم لما به[٣].

---

(١) الأنعام، جزء من الآية: ١٢٧، يونس، جزء من الآية: ٢٥.

(٢) الشعراء، الآية: ٨٩.

(٣) مختار الصحاح للرازي: ص٣١١، ولسان العرب لابن منظور: ١٢/٢٨٩-٢٩٢، مادة (سلم).

السلامة في الاصطلاح:

هي التخلص والتعرِّي من الآفات الظاهرة والباطنة.

قال العلاَّمة الراغب الأصفهاني رحمه الله:﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1] أي: متعرٍّ من الدَّغَل[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: « والقلب السليم هو ا لذي سلم من الشرك والغلِّ والحسد والشُّحِّ والكبر، وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل قاطع يقطع عن الله »[3].

وقال العلاَّمة القاسمي رحمه الله وهو يتحدث عن القلب السليم: أي أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب، باق على الفطرة، سليم عن النقائص والآفات»[4].

٢- الصَّــدْر:

الصَّدر في اللغة:

قال ابن منظور: الصَّدر أعلى مقدَّم كل شيء وأوّله حتى إنّهم يقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف.

وصَدْر الأمر: أوَّله. وصَدْر كل شيء: أوّله. وكل ما واجهك: صَدْر.

---

(١) الصافات، جزء من الآية: ٨٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ص٢٣٩، والدَّغل: هو من قولهم: أدغلتُ في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يفسده. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١٢٣/٢ مادة (دغل).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم: ص١٨١.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي: ٥٠٤٥/١٤.

وصَدْر الإنسان منه مذكر وجمعه صدور.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1]، والقلب لا يكون إلاّ في الصَّدر إنما جرى هذا على التوكيد.

ورجل أصْدَر: عظيم الصَّدْر. ومُصدَّر: قوي الصّدر شديده[2].

وقال الجرجاني: الصَّدر: هو أوَّل جزء من المصراع الأول في البيت[3].

الصَّدر في الاصطلاح:

الصدر في الاصطلاح يطلق على القلب والفؤاد فإذا قيل: فلان سليم الصدر أي: سليم القلب.

قال عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[4] أي: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به»[5].

وقال العلامة العظيم آبادي رحمه الله في عون المعبود عند شرح لفظة «سليم الصدر» في قول النبي ﷺ: « لا يُبْلِغْني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أُحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[6]. قال ابن المالك:

---

(١) الحج جزء من الآية: ٤٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٤/٤٤٥–٤٤٧ مادة (صدر).

(٣) التعريفات للجرجاني: ص١٧٣.

(٤) الأنعام جزء من الآية: ١٢٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/١٧٤.

(٦) مسند الإمام أحمد: ١/٣٩٦، وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٣٧٥٩)، وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، ص٦٨٦، رقم الحديث «٤٨٦٠».

والمعنى أنه ﷺ يتمنى أن يخرج من الدنيا وقلبه راضٍ عن أصحابه من غير سخط على أحد منهم»[١].

ويرى بعض العلماء أنّه يمكن أن يطلق على صاحب الصدر السليم: الأبْله. قال العلامة البهوتي رحمه الله: « ويقال الأبله أيضاً لمن غلبت عليه سلامة الصدر. وفي الحديث «أكثر أهل الجنة البُلْه»[٢]. قال الجوهري: يعني البُلْه في أمر الدنيا لقلّة اهتمامهم بها وهم أكياس في أمر الآخرة»[٣].

وقال العلامة المناوي رحمه الله: «البُلْه بضم فسكون أي: الغافلون عن الشر المطبوعون على الخير الذين خلوا عن الدهماء والمكر وغلبت عليهم سلامة الصدر وهم عقلاء»[٤].

أما الإمام ابن القيم رحمه الله فيرى أن هناك فرقاً بين سلامة الصدر والبُلْه حيث يقول: «والفرق بين سلامة القلب والبُلْه والتَّغفل هو أنَّ سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعلم به، وهذا بخلاف البله والغفلة فإنها جهل وقلّة معرفة وهذا لا يُحمد ؛ إذ هو نقص وإنما يَحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه والكمال أن يكون القلب عارفاً بتفاصيل الشر سليماً من إرادته. قال عمر بن الخطاب ﷺ: لست بِخَبٍّ ولا يخدعني الخَبُّ. وكان

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي: ١٤٢/١٣.
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ٧٩/٨ وقال رحمه الله: «رواه البزار وفيه سلامة بن روح وثقة ابن حبان وضعفه غير واحد».
(٣) كشاف القناع للبهوتي: ٢٢٤/١.
(٤) فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي: ٧٩/٢.

عمر أعقل من أن يُخدع وأورع من أن يَخدع»[1].

فسلامة الصدر إذاً خصلة حميدة، وصفة جليلة ينبغي لكل مسلم الحرص على التحلّي والتخلُّقِ بها إذ هي من الصفات التي يمكن اكتسابها من خلال مجاهدة النفس ومكابدتها. وقد قال ﷺ موضحاً إمكانية اكتساب المرء الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة حتى ولو لم يكن قد فُطر عليها ووهب إياها منذ ولادته. «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتق الشر يُوقه»[2].

فكما يمكن للمرء اكتساب العلم والحلم كذلك يمكنه اكتساب سلامة الصدر وطهارة القلب ونقائه.

---

(١) الروح لابن القيم: ص٢٤٣– ص٢٤٤.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: ١١٨/٣، رقم الحديث «٢٦٦٣» وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٤٦١/١، رقم الحديث «٢٣٢٨».

المطلب الثاني

« فضل سلامة الصدر »

سلامة الصدر نعمة عظيمة يمنُّ الله عز وجل بها على من يشاء من عباده؛ لينعموا بها في الدنيا، ويسعدوا بها في الآخرة إذ أن من صفات أهل الجنة – حين يدخلونها – سلامة الصدر وخلوها من الأحقاد والأضغان كما قال جل وعلا: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

وقال ﷺ: في صفة أول زمرة تدخل الجنة: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد»[2].

وفي رواية عند الإمام البخاري رحمه الله: «قلوبهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد»[3].

ولكي ينال المسلم هذا الفضل العظيم، والثواب الجزيل جاء الإسلام بالترغيب في سلامة الصدر والحث عليه.

(١) الحجر، الآية: ٤٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب في صفات الجنة وأهلها، ص١٢٣٢، رقم الحديث «٧١٥١».

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ص٥٤٢، رقم الحديث «٣٢٥٤».

وفي هذا المطلب سأتحدث - إن شاء الله تعالى - عن هذا الأمر من خلال النقاط التالية:

أولاً: الحث على سلامة الصدر.

ثانياً: عظم ثواب صاحب الصدر السليم.

ثالثاً: سلامة صدر النبي ﷺ.

رابعاً: سلامة صدور الصحابة ﷺ.

أولاً: الحث على سلامة الصدر:

الإسلام دين المحبة والألفة والإخاء والمودة؛ ولهذا كثيراً ما نقرأ في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ما يحث على ذلك ويرغب فيه، كقول الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(1). قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فإذا كان المؤمنون إخوة أمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف القلوب واجتماعها، ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها وهذا من ذلك، وأيضاً فإن الأخ من شأنه أن يوصل لأخيه النفع ويكفَّ عنه الضرر وهذا من أعظم الضرر الذي يجب كفه عن الأخ المسلم»(2).

ومما يرغب في الأخوة والمودة قوله تعالى:﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا

(1) الحجرات جزء من الآية: ١٠.

(2) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٩١.

مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾[1].

ويقول النبي ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: «السلام أوَّل التألُّف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن أُلفة المسلمين بعضهم لبعض»[3].

وروى الإمام أبو داود رحمه الله في سننه عن قتادة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم – أو ضمضم، شك الراوي، كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»[4].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث: «وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه»[5].

ولإدراك الصحابة ﷺ وتأثرهم بما جاء في الكتاب والسُّنَّةِ من الحث على سلامة الصدر والترغيب فيه نجدهم يحبون من يتصف بهذه الصفة ويجلُّونه فقد قال عنهم إياس ابن معاوية رحمة الله: «كان أفضلهم عندهم

(١) سورة الإسراء الآية: ٥٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، ص٤٤، رقم الحديث «١٩٤».

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: ٣٧/١.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في الرجل يحل الرجل قد اغتابه، ص٦٨٩، رقم الحديث (٤٨٨٦)، وقال عنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ١٩٩/٣: (صحيح مقطوع).

(٥) مدارج السالكين لابن القيم: ٢٩٥/٢.

أسلمهم صدراً وأقلهم غيبة»[1].

وقال السقطي رحمه الله: «من أجلِّ أخلاق الأبرار سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم»[2].

ثانياً: عظم ثواب صاحب الصدر السليم:

لحسن فعل صاحب الصدر السليم، ونبل خلقه كان جزاؤه عند الله عظيماً، فهو في الإسلام يُعدّ من خير الناس وأفضلهم في الحياة الدنيا.

أما في الآخرة فهو من المبشرين بالجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومما يدلّ على ذلك ما رواه الإمام ابن ماجة – رحمه الله – عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه قال: «قيل لرسول ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب[3]، صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ[4] ولا حسد»[5].

فمتى ما كان قلب المرء خالياً ونظيفاً من هذه الآفات التي تكدِّره نال الشرف والخيرية؛ فأصبح أفضل الناس كما ثبت ذلك في قول الصادق

---

(١) مكارم الأخلاق للطبراني: ٨٤/١.

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي: ص١٤.

(٣) مخموم القلب: قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: ٨١/٢، مادة (خمم): هو من خممت البيت إذا كنسته، والمراد نظيف القلب.

(٤) غلّ: الغلُّ هو الحقد والشحناء والمعنى: أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٨١/٣ مادة (غلل).

(٥) سنن ابن ماجة: أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، ص٦١٤، رقم الحديث (٤٢١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٣٧٣/٣.

المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

أمّا في الآخرة دار الجزاء فقد بشرَّه الحبيب ﷺ بدار السلام والنعيم الذي لا يزول حيث روى الإمام أحمد – رحمه الله – عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيتهُ من وضوئه، قد تعلَّق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغدُ، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرَّة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلمّا قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لا حَيْتُ أبي، فأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني حتى تمضي، فعلتُ. قال: نعم. قال أنس: وكان عبدالله يُحدِّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقومُ من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارّ[1] وتقلَّب على فراشه ذكر الله عز وجل، وكبَّر، حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبدالله: غير أنِّي لم أسمعه يقولُ إلاّ خيراً، فلما مضت الثلاث ليال، وكِدتُ أن أحقِرَ عمله، قلت: يا عبدالله، إني لم يكُنْ بيني وبين أبي غضب ولا هجرٌ ثَمَّ، ولكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرارٍ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مِرارٍ، فأردت أنْ آوي إليك، لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرَكَ تعملُ كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلاّ ما رأيت.

(١) تعارّ: أي هبَّ من نومه واستيقظ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/١٩٠ مادة (تعر).

قال: فلمَّا وَلَّيْتُ دعاني، فقال: ما هو إلاّ ما رأيتَ غير أنيِّ لا أجدُ في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسدُ أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا نُطيق»[1].

فهذا الصحابي الجليل ﷺ لم يتميَّز عن غيره بكثرة صلاة أو صيام، بل الذي بلغ به ما بلغ سلامةُ صدْرِه، وطهارة قَلْبه ونقاؤه من الغش والحقد والحسد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقول عبدالله بن عمرو له هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق يشير إلى خلوه وسلامته من جميع أنواع الحسد»[2].

فسلامة الصدر للمسلمين عمل جليل، وباب عظيم، موصل إلى الجنة بإذن الله تعالى. قال الشيخ قاسم الجوعي رحمه الله:

«أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر»[3].

ثالثاً: سلامة صدر النبي ﷺ:

رسـول الله ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم عند الله عز وجل ومع ذلك كان ﷺ يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، هيناً ليِّناً، سهلاً سمحاً كيف لا، وهو ﷺ يحث على الاتصاف بهذه الأخلاق كما في قوله

---

(١) مسند الإمام أحمد: ١٢٤/٢٠ وقاله عنه المحققون: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧٩/٨: «رجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١١٩/١٠.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢٣٦/٤.

عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «حُرِّم على النار كُلُّ هيِّن ليِّن سهل قريب من الناس»[1].

والشواهد والأمثلة التي تدل على سلامة صدر النبي ﷺ ونقاء قلبه كثيرة ومتنوعة، مع القريب والبعيد، ومع العدو والصديق، وغيرهم من أنواع الناس وأصنافهم، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- ما رواه الشيخان عن عائشة – رضي الله عنها – في الحديث الطويل الذي بيَّن فيه ﷺ ما لقي من أذى ومشقة وتكذيب من أهل الطائف لمّا ذهب إليهم ليدعوهم إلى الإسلام فناداه ملك الجبال وقال له: يا محمد إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت إن شئت أطبقتُ عليهم الأخشبين[2].

فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً»[3].

فلسلامة صدر النبي ﷺ وحسن خلقه لم يشأ أن ينتقم من هؤلاء الذي نَكَّلُوا به أشد التنكيل وأقساه.

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٤١٥/١، وقال عنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٦٠٠/١ «صحيح» رقم الحديث «٣١٣٥».

(٢) الأخشبين: قال ابن منظور " جبل أخشب: خشن عظيم. والأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، والأخشب: كل جبل خشن غليظ. (لسان العرب لابن منظور: ٣٥٤/١، (مادة) (خشب).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، ص٥٣٩، رقم الحديث «٣٢٣١» صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين، ص٨٠٠، رقم الحديث «٤٦٥٣».

٢- وفي غزوةٍ أُحد لما شُج وجه الرسول ﷺ، وكُسرت رباعيته، وسال الدم على وجهه الشريف، لم يفقد ﷺ سلامة الصدر تجاه من آذاه ونال منه؛ بل كان يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله عن هذا الحديث: «كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل إساءتهم العظيمة إليه. أحدها: عفوه عنهم، الثاني: استغفاره لهم، الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: اغفر لقومي. كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي فهبه لي»[٢].

٣- وفي فتح مكة لمّا ظفر النبي ﷺ بقريش الذين - أخرجوه من مكة وآذوه بكل أنواع الإيذاء، وحاولوا قتله، في هذا اليوم - خاطبهم ﷺ وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكمه فقال: «يا معشر قريش ما ترون أنيِّ فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[٣] اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٤].

---

(١) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ١١٧/٦، باب غزوة أحد، وقال عنه الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم: ٤٦٨/٢.

(٣) يوسف جزء من الآية: ٩٢.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤١/٤، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: ٤٠٨/٣.

فلم ينتقم منهم ﷺ حينما حانت له الفرصة بل أمّنهم ودعا لهم، على الرغم من أن الله - عز وجل- أنزل عليه يوم الفتح: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1] فقال عليه الصلاة والسلام: «نصبر ولا نعاقب»[2].

فاختار ﷺ خَيْرَ الأَمْرينِ وهو الصبر والصفح عنهم وعدم العقوبة مما يدل على سلامة صدره ﷺ.

٤- ولما غزا رسول ﷺ الطائف وحاصرها فاستعصت عليه، وألحقت ثقيفُ الأذى بالنبي ﷺ وأصحابه حتى إنهم قالوا: يا رسول الله أَحْرَقَتْنا نبالُ ثقيف فادع الله عليهم. فقال ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً»[3].

فإذا كان هذا هَدْيَه ﷺ مع أعدائه الكفار من الصفح والحِلْمِ والدعاء لهم بالهداية التي تدلُّ كلها على سلامة صدره ونقاء قلبه، فكيف سيكون حاله إذاً مع إخوانه وأصحابه المؤمنين!!.

رابعاً: سلامة صدور الصحابة ﷺ:

وصف الله - عز وجل - أصحاب النبي ﷺ بالشدة على الكفار، وبالرحمة على المؤمنين فقال جل وعلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ

(١) النحل: الآية ١٢٦.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٥٣/٣٥، وقال عنه المحققون: «إسناده حسن».

(٣) جامع الترمذي: كتاب المناقب، باب في ثقيف وبني حنيفة، ص٨٨٦، رقم الحديث «٣٩٤٢»، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٩٨/٤.

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]، ولاشك أن هذه الرحمة لا تكون إلاّ من صدر واسع سليم. قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «رحماء بينهم: أي متحابون مُتراحمون متعاطفون كالجسد الواحد، يُحِبُّ أَحدُهم لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

وأثنى الله – تبارك وتعالى – على الأنصار؛ لحبهم لإخوانهم المهاجرين، وسلامة صدورهم تجاههم فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فَضَّلَهُم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة. قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ يعني الحسد ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ قال قتادة: يعني فيما أعطي إخوانهم»[4].

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «أي لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغِلِّ والحقد والحسد عنها»[5].

---

(١) الفتح جزء من الآية: ٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٧٩٥.

(٣) الحشر جزء من الآية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٣٣٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٨٥١.

هذه تزكية على وجه العموم من الله عز وجل لهؤلاء الصحابة الأبرار تدل على سلامة صدورهم، وكفى بها فخراً وعزة وكرامة لهم في الدنيا والآخرة، أمّا على وجه الخصوص فهناك العديد من الأمثلة والشواهد التي تدل على سلامة صدور الصحابة ﷺ **أذكر نماذج منها فقط حرصاً على عدم الإطالة:**

١- ما رواه الإمام مسلم -رحمه الله- أن أبا سفيان بن حرب أتى -قبل إسلامه- على سلمان وصهيب وبلال ﷺ في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر ﷺ: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخيّ»[1].

فلسلامة صدر أبي بكر ﷺ رجع إليهم ليعتذر منهم إنْ بدر منه قول يغضبهم، على الرغم من أنَّهم كانوا أَرِقّاء وهو سيِّد من سادات قريش، وله منزلته ومكانته الخاصة عند النبي ﷺ.

ولسلامة صدر سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال بن رباح ﷺ حملوا قول أبي بكر ﷺ على أحسن المحامل فلم يُوغِروا صدورهم عليه؛ بل قاموا بالدعاء له، وإظهار روح المودة والإخاء بينهم وبينه.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب ﷺ، ص١١٠٢، رقم الحديث «٦٤١٢».

٢- قال زيد بن أسلم رحمه الله: دُخل على أبي دجانة الأنصاري[١] ﷺ وهو مريض، وكان وجهه يتهلّل فقيل له: ما لوجهك يتهلّل[٢]؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنتُ لا أتكلّم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً»[٣].

فأشار أبو دجانة ﷺ إلى أن من أفضل الأعمال التي كان يرجو ثوابها وبرها سلامة الصدر للمسلمين حتى إنه اعتقد أنَّ ما حصل له من وضاءة وحسن في الوجه كانت سلامة صدره من أحد أسباب ذلك.

٣- شتم رجل الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- فقال له ابن عباس: «إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حُكَّام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلّي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي من سائمة»[٤].

فلسلامة صدر ابن عباس - رضي الله عنهما - لم يقابل الإساءة بالإساءة بل بيَّن لهذا الرجل أن فيه العديد من الخصال الحميدة التي تدل

---

(١) اسمه سماك بن خرشة بن لوذان الساعدي الأنصاري ثبت يوم أحد وبايعه على الموت. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/٢٤٣.

(٢) تهلّل وجهه: أي استنار وظهرت عليه أمارات السرور. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٥/٢٧٢، مادة (هلل).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/٢٤٣.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ١٠/٢٦٦، رقم الحديث (١٠٦٢١)، صفة الصفوة لابن الجوزي: ١/٧٥٣.

على سلامة صدره، وحبه الخير للمسلمين، حتى ولو لم يعد عليه بنفع أو فائدة شخصية.

فهو ﷺ حَبْر الأمة وترجمان القرآن ومع ذلك يودُّ لو أنَّ كُلَّ مسلم كان مثله في العلم والفهم وبخاصة ما يتعلّق بدستور المسلمين والمصدر الأول من مصادر التشريع لديهم، ويفرح إذا سمع بوجود قاضٍ عادلٍ يحكم بين المسلمين حتى ولو لم يجلس بين يديه للمقاضاة. ويفرح كذلك بأن يصيب بلاد المسلمين مطر ينبت الله به العشب لترعى منه ما شيتهم حتى ولو لم يكن له ماشية تستفيد من هذا المطر والعشب.

فهؤلاء هم أصحاب محمد ﷺ ولا عجب أن تكون هذه أخلاقهم فهم جيل تربيَّ في مدرسة النبوة التي تحث على الاتصاف بسلامة الصدر ونقائه.

قال سفيان بن دينار لأبي بشر رحمهما الله تعالى – وكان أبو بشر من أصحاب علي بن أبي طالب ﷺ– قال له: أخبرني عن أعمال من قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً. قال سفيان: ولم ذاك؟ قال أبو بشر: لسلامة صدورهم[1].

---

(١) الزهد لهناد بن السري الكوفي: ٢/٦٠٠.

المبحث الثاني

« أسباب سلامة الصدر »

تبيّن لنا في المبحث السابق فضل سلامة الصدر وعظم ثمرتها وثوابها في الدنيا والآخرة.

وحيث إن سلامة الصدر من الصفات التي يمكن للمرء اكتسابها والتحلي بها فلابد أن يكون هناك أسباب تعين المرء – بعد توفيق الله عزَّ وجلَّ له – ليكونَ سليم الصدر نقي القلب.

وفي هذا المبحث سأحاول – بعون الله وتوفيقه – الوقوف على أهم الأسباب المعينة على سلامة الصدر من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: حُسْنُ الصلة بالله تعالى.
- المطلب الثاني: حُسْنُ التعامل مع الآخرين.
- المطلب الثالث: إحسان الظن بالمسلمين.
- المطلب الرابع: العفو والصفح عن الناس.
- المطلب الخامس: الدعاء.
- المطلب السادس: تعاهد القلب وإصلاحه من الآفات المهلكة.

المطلب الأول
« حُسْنُ الصلة بالله تعالى »

من أهم أسباب سلامة الصدر أن يكون المرء حَسَنَ الصلة بالله تعالى؛ ليستمد منه العون والتوفيق. ولحُسْنِ الصلة بالله عز وجل عدة مظاهر من أبرزها:

١- إخلاص النية لله تعالى في كل عمل يتقرَّب إلى الله عز وجل من خلاله:

فلا يرجو من وراء هذه الأعمال إلاّ رضاه، ولا يتطلَّع من خلالها إلى مكاسب شخصية، أو منافع دنيوية.

ولاشك أن هذا الإخلاص مما يعين المسلم على سلامة صدره ونقاء قلبه فقد قال ﷺ: «ثلاث لا يُغلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تُحيط من ورائهم»(١).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فأخبر ﷺ أنَّ هذه الثلاث الخصال تنفي الغِلَّ عن قلب المسلم»(٢).

وعدَّد الإمام ابن القيم – رحمه الله – شروط سلامة القلب فقال: «ولا تتم له سلامته مطلقاً حتى يَسْلَمَ من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض

---

(١) جامع الترمذي: أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ص٦٠٣، رقم الحديث «٢٦٥٨»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٦١/٣.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٨.

الذِّكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص»[1].

فلابد للمسلم -كي يسلم قلبه- من الإخلاص وعدم اتباع الهوى. قال الإمام عبدالرحمن بن مهدي البصري رحمه الله: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[2].

ولإخلاص الإمام الشافعي وعدم اهتمامه بثناء الناس عليه وإعجابهم به يقول رحمه الله: «وددتُ أن الناس تعلَّموا هذا الدين ولم يُنْسَبْ إليَّ شيء منه»[3]. فالمهم لديه أن يتعلم الناس أمور دينهم وليس أن يُشار إليه شخصياً بالبنان إعجاباً وإطراءً.

٢- رضا العبد عن ربه تبارك وتعالى:

ومن أبرز مظاهر حسن صلة المرء بالله تعالى أن يكون المرء راضياً عن كل أَمْرٍ أراده الله - عز وجل - وقدَّره سواء كان هذا الأمر متعلقا به أو بغيره من الناس، ولاشك أن اتصاف المرء بهذا الخصلة سبب من أسباب سلامة الصدر وطهارته.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن الرضا: «إنه يفتح للعبد باب السلامة فيجعل قلبه نقياً من الغش والدغل والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلاّ من أتى الله بقلب سليم، كذلك تستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضا، وكلما كان العبد أشد رضاً كان قلبه أسلم، فالخبث والدَّغَل والغش؛ قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه: قرين الرضا،

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم: ص١٨١.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: ص٥٩.
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص١٠٦.

وكذلك الحسد لهو من ثمرات السخط، وسلامة القلب منه من ثمرات الرضا»[1].

فلا يجتمع إذاً في قلب العبد رضاً عن الله عز وجل وسخط وحقد وحسد لغيره من المسلمين. قال بعض الحكماء: «من رضي بقضاء الله تعالى لن يُسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد»[2].

ورضا العبد عن ربه – عزَّ وجل – هو في الحقيقة حب وتسليم وانقياد لقضاء الله وقدره. وعدم رضا العبد عن ربه يجعل المرء ضمن دائرة المعادين لله عز وجل المعترضين على قضائه وقدره.

يقوم الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله، فإنه يَكْرَهُ نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، وأحب زوالها عنه والله يكره ذلك فهو مضاد لله في قضائه وقدره، ومحبته وكراهته، ولذلك كان إبليس عدوه حقيقة؛ لأن ذنبه كان عن كِبْرٍ وحسد»[3].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٢٠٧/٢.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٣٨١.

(٣) الفوائد لابن القيم: ص١٥٨.

المطلب الثاني

« حُسْنُ التعامل مع الآخرين »

من أسباب سلامة الصدر وصفائه أن يحسن المرء التعامل مع غيره من الناس. وصور إحسان التعامل متعددة ومتنوعة تشمل ما يلي:

١- الحرص على كسب ودِّ الآخرين ومحبتهم من خلال عدد من الوسائل والسبل المشروعة كالمبادرة بالسلام عليهم، وإهدائهم، والتصدق على المحتاج منهم ونحو ذلك.

وبخاصة أن الإسلام قد حث على هذه الأخلاق ورغَّب فيها كقول النبي ﷺ: «أوَلاَ أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

وقد قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «المصافحة تزيد في المودَّة»[٢].

وكقوله عليه الصلاة والسلام في الترغيب في الهدية: «تهادوا تحابوا»[٣]، وكقوله أيضاً ﷺ:« تهادوا، فإن الهدية تُذهب

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون، ص٤٤، رقم الحديث (١٩٤).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٩١.

(٣) الأدب المفرد للبخاري: ٢٠٨/١، رقم الحديث (٥٩٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ٥٧٧/١، رقم الحديث (٣٠٠٤).

وَغَـر[1] الصـدر»[2].

أما ما يتعلَّق بالصدقة على المحتاج من المسلمين – وكونها صورة من صور حسن التعامل مع الآخرين التي تعين على سلامة الصدر وخلوه من الأحقاد والضغائن – فقد جاء ما يُرغِّبُ فيها كقوله ﷺ: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح[3]»[4].

فالنبي ﷺ يحث في هذا الحديث على الصدقة على الشخص القريب الذي يضمر العداوة والبغضاء؛ لأنها وسيلة فاعلة لإذهاب ما يجد في صدره من الحقد والعداوة.

٢- البعد عن غيبتهم والنميمة في حقهم؛ لأن هذين الخلقين الذميمين يساعدان في إيغار الصدور وملئها بالحقد والشحناء، فإذا ما تَمَكَّنَ المرء من التخلص منهما، والبعد عنهما كان ذلك سبباً بعون الله تعالى على سلامة صدره وصفاء قلبه.

---

(١) وَغَر: الوَغَرُ: الغلُّ والحرارةُ وأصله من الوغرة: شدَّة الحر. وقيل: الوَغَرُ: تجرُّع الغيظ والحقد. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٠٨/٥، مادة (وغر).

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٤١/١٥، رقم الحديث (٩٢٥٠) وقال عنه المحققون: (حديث حسن).

(٣) الكاشح: العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها باطنه (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١٧٥/٤، مادة (كشح).

(٤) مسند الإمام أحمد: ٣٦/٢٤، وقال عنه المحققون: «حديث صحيح» والمعجم الكبير للطبراني: ١٣٨/٤، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٦/٣، «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح».

وقد كان النبي ﷺ يحرص على أن لا يبلغه شيء عن الآخرين فيكون سبباً في عدم سلامة صدره تجاههم فقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يُبَلِّغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»(1).

وقال ﷺ مُرَهِّباً من الغيبة: «وإنَّ أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»(2). وبيَّن ﷺ عقاب من يمشي بالنميمة بين الناس حيث قال: «لا يدخل الجنة نمَّام»(3).

وكتب رجل إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن اكتب إليَّ بالعلم كله. فكتب إليه: «إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم فافعل»(4).

وعن عثمان بن الأسود رحمه الله قال: قلت لعطاء بن أبي رباح رحمه الله: «الرجل يَمُرُّ بالقوم فيقذفه بعضهم أيخبره؟ قال: لا. المجالس بالأمانة»(5).

---

(1) مسند الإمام أحمد: ٣٩٦/١، وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٣٧٥٩)، وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب رفع الحديث من المجلس، ص٦٨٦، رقم الحديث (٤٨٦٠).

(2) المعجم الأوسط للطبراني: ٤٣١/١٥، رقم الحديث (٧٣٥٥) وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣٧٠/٤، برقم الحديث (١٨٧١).

(3) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، ص٥٩، رقم الحديث (٢٩٠).

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٢٢/٣.

(5) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢١٤/٢.

وقال الأحنف بن قيس التميمي رحمه الله: «ثلاث فيَّ ما أذكرهن إلا لمعتبر وذكر منها: وما أَذْكُرُ أحداً بعد أن يقوم من عندي إلاّ بخير»[1].

أمَّا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله – فقد كان يقول: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً»[2].

وقال أيضاً رحمه الله: «ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها»[3].

فكل ما سبق من شواهد وأمثلة تدل على حرص السلف الصالح رحمهم الله على سلامة الصدر من خلال البعد عن الوقوع في أعراض الناس بالغيبة أو النميمة ونحوهما.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩٢/٤.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٣٩/١٢.
(٣) المرجع السابق: ٤٤١/١٢.

المطلب الثالث

« إحسان الظن بالمسلمين »

من الأمور المعينة للمرء على سلامة صدره وطهارة قلبه أن يكون حَسَنَ الظن بإخوانه المسلمين بأن يحمل أقوالهم وأفعالهم على أحسن المحامل وأصلحها. وقد أمر الله – عز وجل – عباده المؤمنين باجتناب الظن وبيَّن أنه إثم وزورٌ فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾[1]، وقال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[2].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: «ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالباً، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلّف به»[3].

فالإسلام جاء بكل ما يقطع دابر إساءة الظن، ويغلق كل مدخل من المداخل التي يمكن للشيطان أن ينفذ من خلالها لما لكل ذلك من آثار سلبية على سلامة الصدور.

---

(١) الحجرات جزء من الآية: ١٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، ص١٠٥٩، رقم الحديث (٦٠٦٦)، صحيح مسلم: كتاب الأدب، باب تحريم الظن والتجسس، ص١١٢٣، رقم الحديث (٦٥٣٦).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ٤٨١/١٠.

قال العلامة الزمخشري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾[١]: أي الرجوع أطيب لكم وأطهر، لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة»[٢].

فالله عز وجل يوجه المؤمنين – حتى في أدق الأمور – إلى ما فيه الخير لهم وأسلم لصدورهم، فإذا ما علم المسلم بهذا التوجيه وأدركه رجع ونفسه راضية عن أخيه المسلم.

فلابد للمسلم أن يُغلِّب جانب إحسان الظن بإخوانه ويلتمس لهم الأعذار لما قد يبدر منهم، فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه، ولا تظن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[٣].

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «ما بلغني عن أخ مكروه قط إلاّ أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفتُ له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة»[٤].

ولما قالت زوجة طلحة بن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما: «ما رأيت قوماً ألْأَم من إخوانك. قال: مَهْ ولم ذاك؟ قالت: أراهم إذا أيْسَرْتَ

---

(١) سورة النور جزء من الآية: ٢٨.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٣/٧٠.

(٣) طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الأندلسي: ص٢٤٤، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٢١٢.

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي: ١/٧٥٤.

لزموك، وإذا عسرت تركوك. قال: هذا والله من كرمهم: يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم».

ثم علّق الإمام الماوردي على هذا الموقف بقوله رحمه الله:

«وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم»(١).

فطلحة هنا التمس العذر لإخوانه، وحمل فعلهم على أحسن المحامل دفاعاً عنهم وذباً عن أعراضهم.

ورحم الله الإمام أبا قلابة عبدالله بن زيد الجرمي حيث كان يوصي بعض جلسائه بقوله: «إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جُهْدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعلَّ لأخي عُذْراً لا أعلمه»(٢).

وكان الإمام الشافعي – رحمه الله – يرغب في إحسان الظن لإدراكه لنتائج ذلك وثمراته الطيبة حيث كان يقول: «من أراد أن يقضي الله تعالى له بالخير فليحسن الظن بالناس»(٣).

وها هو رحمه الله يعمل بهذا الترغيب ويطبقه على نفسه فقد مرض رحمه الله فعاده أحد إخوانه فقال له: يا أبا عبدالله قوّى الله ضعفك. فقال يا أبا محمد: لو قوّى الله ضعفي على قوتي أهلكني. فقال أبو محمد: يا أبا عبدالله ما أردت إلاّ الخير. فقال له الإمام الشافعي: لو دعوت الله عليَّ لعلمتُ أنك لم ترد إلاّ الخير»(٤).

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٢٦٧.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢٣٨/٣.

(٣) بستان العارفين لابن شرف النووي: ص٣٢.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: ١٢٠/٩.

ومن إحسان الظن بالمسلم إقالة عثرته واغتفار زلته، وهذا بلا شك مما يعين على سلامة الصدر وصفائه ولهذا حَثَّ النبي ﷺ على ذلك بقوله: «من أقال مسلماً عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة»(١). وقال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «الفتوَّة الصفح عن عثرات الإخوان»(٢).

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٠١/١٢، وقال عنه المحققون: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، صحيح ابن حبان: ٤٠٥/١١.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم: ٣٤١/٢ وبيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله معنى الفتوَّة فقال: إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخَلْق.

المطلب الرابع

« العفو والصفح عن الناس »

ومن أسباب سلامة الصدر ونقاء القلب وخلوه من الحسد والحقد والبغضاء، أن يتحلّى المرء بصفة العفو والصفح عن الناس، فإذا ما عفا المرء عن الناس بمحض إرادته واختياره انشرح صدره، وزال عنه غمه وهمه، وبالتالي فإنه لا يظهر منه للناس إلاّ حب الخير لهم، والمودة إليهم، مما يكون سبباً في سلامة صدره.

ولنشر هذه الفضيلة بين المسلمين جعلها الله – عز وجل – من صفات عباده المتقين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «العفو عن الناس أَجَلُّ ضروب فعل الخير»[2].

والعفو عن الناس إحسان بالغ إليهم، ولاشك أن هذا الإحسان سينعكس إيجاباً على من قام بالعفو. قال الحافظ بن كثير رحمه الله عند

(١) سورة آل عمران الآيتان: ١٣٣ –١٣٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٤/٢٠٧.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1] قال: «أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك، ومحبتك، والحنو عليك حتى يصير كأنه وليٌّ لك»[2].

ولهذا كان ﷺ يُرَغِّب في العفو والصفح عن الناس بفعله وقوله. فقد روى الإمام أحمد رحمه الله وغيره. عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح»[3].

وروى الإمام مسلم – رحمه الله – عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزاً، وما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله»[4].

ومن نماذج عفوه ﷺ عن من أساء إليه ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن عبدالله ابن مسعود ﷺ أنه قال: «قسم رسول الله ﷺ قسمة، فقال رجل من الأنصار: «والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته فتمعّر وجهه وقال: «رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من

---

(١) سورة فصلت الآية: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٠١/٤.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٢٥٦/٤٢. وقال عنه المحققون: «إسناده صحيح»، والترمذي أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، ص٤٦٥، رقم الحديث (٢٠١٦)، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٤) صحيح مسلم: كتاب الأدب، باب استحباب العفو والتواضع، ص١١٣١، رقم الحديث «٦٥٩٢».

هـذا فصبر»[1].

فلم يعنِّف النبي ﷺ هـذا الرجل ولم ينتصر لنفسه منه؛ بل عفا عنه ووكل أمره إلى الله عز وجل.

وروى الإمام البخاري – رحمه الله – أن أبا بكر الصديق ﷺ لما أنزل الله براءة عائشة – رضي الله عنها – من حادثة الإفك وكان ممن خاض في عرضها مسطح بن أثاثة ﷺ، وكان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق عليه لقرابته منه فقال الصديق: «والله لا أُنفق على مسطح بشيءٍ أبداً بعدما قال لعائشة» فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]. فقال أبو بكر الصديق ﷺ: «بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرَجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه»[3].

فالصديق هنا عفا وصفح عن مسطح – رضي الله عنهما – على الرغم من أنه كان قد حلف ألا ينفق عليه أبداً. وفي هذا دلالة على سلامة صدر الصديق ﷺ، وخُلوِّه من الحقد والبغض، والانتصار للذات.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، ص١٠٥٨، رقم الحديث «٦٠٥٩».

(٢) سورة النور الآية: ٢٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، ص٤٣٣، رقم الحديث «٢٦٦١».

وهكذا كان السلف الصالح – رحمهم الله تعالى – يحرصون على كل ما يكون سبباً في سلامة صدورهم وطهارتها، فهم لا يتوانون في العفو والصفح عن الذي يخطئ عليهم ويظلمهم بأيٍّ نوع من أنواع الظلم؛ بل وكان بعضهم لا يقف عند العفو والصفح؛ بل يتجاوزون ذلك إلى الإحسان إلى من ظلمهم أو أساء إليهم.

فقد قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «وقد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن شخصاً اغتابهم أهدوا إليه هدية»[1].

وقد أوذي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إيذاء بالغاً في فتنة خلق القرآن، بالضرب والسجن، ونحو ذلك من أنواع الإيذاء إلاّ أنه رحمه الله كان يحث على العفو والصفح، وبعد وفاة الخليفة المعتصم بالله – وكان ممن أمر بضرب الإمام أحمد وسجنه – أُخِذَ الإمام أحمد للعلاج فلمَّا أحس بالألم قال رحمه الله: «أُحلل المعتصم من ضربي»[2].

بل إنه – رحمه الله – جعل كل من آذاه في حِلٍّ إلاّ أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ..... الآية ﴾[3]، ويقول: ماذا ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك؟ وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[4].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي: ص٢٣٦.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/٢٥٧، ٢٦٥.

(٣) سورة النور الآية: ٢٢.

(٤) سورة الشورى جزء من الآية: ٤٠، وانظر البداية والنهاية لابن كثير: ١٠/٣٣٥.

وقال الإمام الذهبي – رحمه الله – وهو يترجم للشيخ عبدالرحمن ابن قدامة رحمه الله: وكان رقيق القلب، غزير الدمعة، سليم القلب كريم.... وكان يبلغه الأذى من جماعة فما أعرفُ أنه انتصر لنفسه .... وقد أوقع الله محبته في قلوب الخلق[1].

وهكذا فإنَّ تحلِّي المرء بالعفو والصفح عن الآخرين يكون بإذن الله تعالى سبباً من الأسباب المعينة له على سلامة صدره وصفاء قلبه.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ١٣/٦١-٦٣.

المطلب الخامس

الدعـــاء

ومن الأسباب المعينة – بإذن الله تعالى – على سلامة الصدر حرص المرء على الدعاء بالخير والمغفرة لإخوانه المسلمين عموماً ولكل من بدر منه خطأ أو إساءة في حقه على وجه الخصوص.

ومما لاشك فيه أن المرء لا يصل إلى هذه المرحلة إلاّ من خلال الاستعانة بالله عز وجل ثم بمجاهدته لنفسه وحملها على هذا الأمر حملاً. ولعظم هذه الصفة وأهميتها للمؤمن نجد أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ بدعاء الله عز وجل وطلب المغفرة للمؤمنين كقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[1]. ومن أنواع الاستعانة بالله تعالى اللجوء إليه سبحانه بالدعاء للتخلص من كل ما يسبب إيغار الصدور وغِلّها على المسلمين.

ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: «واسلل سخيمة[2] قلبي»[3]، وقد امتدح سبحانه وتعالى من دعا لإخوانه المؤمنين وسأل الله – عز وجل – أن يُخلّص قلبه من كل بغض وحسد للمؤمنين فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ

(١) سورة محمد جزء من الآية: ١٩.

(٢) سخيمة: السخيمة تقدم شرحها في ص أ.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلّم، ص٢٢٣، رقم الحديث «١٥١٠»، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٤١٤/١.

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

يقول العلامّة السعدي رحمه الله: « وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضاً. ولهذا ذكر الله في الدعاء نَفْيَ الغِلِّ عن القلب، الشامل لقليل الغِلِّ وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين»[2].

ولحرص أبي الدرداء ﷺ على سلامة صدره كان يدعو لسبعين من أصحابه، فقد روي عنه أنه قال ﷺ: «إني لأستغفر الله لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسماء آبائهم»[3].

كان السلف الصالح – رحمهم الله – يحرصون على الدعاء لغيرهم من المسلمين حتى وإن اعتدوا عليهم أو أساءوا إليهم بأيِّ نوع من أنواع الإساءة.

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٨٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/٥٥.

وها هي بعض النماذج التي تدل على ذلك وتوضحه:

١- سُرِقَ لعبدالله بن مسعود ﷺ مال فجعل أصحابه يدعون على السارق فقال ﷺ: «اللهم إن كان حَمَلَتْهُ على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه»(١).

٢- صَفَعَ رجل الإمام إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - على وجهه ولم يعرفه، فلما قيل له هذا إبراهيم بن أدهم رجع إليه معتذراً أشد الاعتذار، وقال له: يا سيِّدي ما عرفتك. فقال له إبراهيم بن أدهم: والله ما ارتفعت يدك عني حتى سألت الله تعالى لك المغفرة. فقال الرجل: وما حملك على ذلك؟ فقال: لأنك لمّا صفعتني علمت أن الله يثيبني على ذلك وما كنت بالذي توصل إليّ خيراً فأوصل إليك شراً»(٢).

٣- كان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إذا شعر بألم من آثار الضرب الذي كان الخليفة العباس المعتصم بالله أمر به، كان رحمه الله يدعو للخليفة قائلاً: «اللهم اغفر للمعتصم»(٣).

٤- قال الإمام ابن القيم رحمه الله واصفاً شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما رأيته يدعو على أحد من خصومه قط، بل كان يدعو لهم»(٤).

فمن جميع النماذج السابقة يتبيّن لنا أن دعاء المرءِ لإخوانه المؤمنين مما

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لجمال الدين القاسمي: ص٢٣٩.

(٢) المدخل لمحمد العبدري الشهير بابن الحاج: ٢٠١/١.

(٣) انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي: ص٢٢١-٢٢٢.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم: ٣٤٥/٢.

يعينه على سلامة صدره وطهارة قلبه ونقائه، وأن يحبَّ الخير والفلاح لهم في أمور دينهم ودنياهم.

وما العفو عن من ظلمهم، والإحسان إلى من أساء إليهم، والحلم على من جهل عليهم، إلا دليل على تأصل هذه الصفة في قلوبهم، حتى أصبحت سجية من سجاياهم التي لا يمكن لهم الاستغناء عنها، أو الانفكاك منها.

المطلب السادس

تعاهد القلب وإصلاحه من الآفات المهلكة

ومن الأسباب المهمة التي تعين المرء على سلامة صدره وخُلُوِّه من كل ما يكدِّره، أن يحرص على تعاهد قلبه مرة تلو أخرى، وتخليصه من كل ما قد يكون سبباً في مرضه أو هلاكه من الآفات والتي من أبرزها ما يلي:

١- الحسد:

وهو أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دُونَه(١). والحسد خلق ذميم، وداء عظيم، له أضراره البالغة على الحاسد والمحسود؛ ولهذا جاء الإسلام بذمه والتحذير منه، فقد وبَّخ الله عز وجل بني إسرائيل على حسدهم للنبي ﷺ لما آتاه الله من النبوة فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(٢). وقال ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام»(٣).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٨٣/١، مادة (حسد).

(٢) سورة النساء جزء من الآية: ٥٤، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥١٣/١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ص١٠٥٩، رقم الحديث (٦٠٦٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»[1].

وقال ﷺ مُرَهِّباً منه، ومُحَذِّراً الأمة من خطره: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»[2].

وكان السلف الصالح -رحمهم الله- يُحذِّرون من الحسد والوقوع فيه فقد قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: «ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود»[3].

وعن فتح بن شخرف - رحمه الله - أن عبدالله الأنطاكي رحمه الله قال له: يا خراساني: إنما هي أربع لا غير: عينك ولسانك وقلبك وهواك، فانظر عينك لا تنظربها إلى ما لا يحل، وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكون منه غِلٌّ ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا يهوى شيئاً من الشر، فإذا لم يكن فيك هذه الأربع خصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت»[4].

لذا يجب على المسلم أن يحرص على ألاّ يقع في هذا الداء، أمَّا إن كان قد وقع فيه فلابدّ من التخلص منه؛ ليسلم صدره، ويطهر قلبه مستحضراً في ذلك قول النبي ﷺ: «فمن أحبَّ أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة،

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣٦٠/٧، رقم الحديث (٨٠٨٣)، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٨/٨: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٢) جامع الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في فضل صلاح ذات البين، ص٥٧٠، رقم الحديث (٢٥١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي: ٦٠٧/٢.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٣٨٢.

(٤) الزهد الكبير للبيهقي: ص١٧٤.

فلتأته منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه»[1].

ولاشك أن الحاسد إذا عمل بهذا الحديث، وجعله نصب عينه لم يتمادَ في حسده. قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «ليس من ولد آدم إلاّ وقد خُلق معه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا فعل لم يتبعه شيء»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلاّ قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه. وقد قيل للحسن البصري: (أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك! لكن عمِّه في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولساناً). فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه»[3].

وقال الحافظ بن رجب رحمه الله: « وحديث أنس[4] الذي نتكلَّم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسرُّه ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، ص٨٢٨، رقم الحديث (٤٧٧٦).

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي: ص٤٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٠/١٢٤-١٢٥.

(٤) يعني قول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقد رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص٥، رقم الحديث (١٣)، والإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ص٤١، رقم الحديث (١٧٠).

الصدر من الغش والغلّ والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم. والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء»[1].

وقال أيضاً رحمه الله: «وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد سعى في إزالته وفي الإحسان إلى المحسود بإبداء الإحسان إليه والدعاء له ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يُبَدِّله بمحبته أن يكون المسلم خيراً منه وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

فإذا ما جاهد المسلم نفسه على التخلص من هذا الداء العضال وأخلص نيته في ذلك فإنّ الله - عز وجل - سيعينه على ذلك كما وعد سبحانه حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3].

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص١٠٤.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٨٧.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

٢- حب الشهرة والرياسة:

ومن الآفات التي تصيب الصدر وتمرض القلب، أن يحب المرء الشهرة والرياسة، ويحرص عليها حرصاً شديداً بحيث يلجأ إلى كل سبيل للحصول عليهما، وفي المقابل يحزن أشد الحزن لفقدهما، ويحقد ويعادي كل من سلب منه هذا الأمر أو تسبَّب فيه.

ولاشك أن حب الشهرة والرياسة مرض خطير، وآفة مهلكة للمرء في حياته وبعد مماته؛ لذا فقد رَهَّبَ منها الرسول ﷺ ترهيباً شديداً حيث قال: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة»[١].

فإذا كان هذا الوعيد في مجرد لبس الثوب فكيف بغيره من الأمور التي هي أعظم، وأكبر منه، مما يقع فيه المرء من أمور الشهرة؟.

ولهذا فقد كان السلف الصالح - رحمهم الله - يخافون من الوقوع في هذا الأمر، ويحذرون إخوانهم من الوقوع فيه.

فقد كان الإمام إبراهيم النخعي - رحمه الله - يتوقي الشهرة فقد كان لا يجلس إلى اسطوانة[٢]، وكان يجلس مع القوم فيجيء الرجل فيوسع له، فإذا اضطره المجلس إلى اسطوانة قام[٣].

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب، ص٥١٩، رقم الحديث (٣٦٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٣/٢٠٠.

(٢) اسطوانة: الاسطوانة العمود والسارية في المجلس أو في المسجد وهي مكان يجلس فيه العالم لإلقاء دروسه. (انظر لسان العرب لابن منظور: ١٣/٢٠٨، مادة (سطن).

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٣/٨٨.

وقال صفوان بن عمرو رحمه الله كان خالد بن معدان الكلاعي إذا عظمت حلقته قام فانصرف، فقيل لصفوان: ولم كان يقوم؟ قال: كان يكره الشهرة[1].

أمّا الإمام إبراهيم بن أدهم رحمه الله فقد كان يقول: «ما صدق الله عبد أحبّ الشهرة»[2].

وكان الإمام بشر بن الحارث الحافي – رحمه الله – يقول: «ما اتقى الله من أحبّ الشهرة»[3].

وكما رهَّبوا من الوقوع في الشهرة وحذروا منها، نجدهم كذلك يُرَهِّبون من حرص المرء على طلب الرياسة، والسعي إليها؛ لأضرارها المتعددة على الفرد والمجتمع.

فقد قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما من أحد أحبّ الرياسة إلاّ حسد، وبغى، وتتبَّع عيوب الناس، وكره أن يَذكر أحداً بخير»[4].

فطالب الرياسة إذا لم تحصل له لوحده وقع في عدد من الأمور التي تسبِّب الحقد، والبغضاء، كالحسد، وتتبع عيوب الناس وإبرازها، ويكره أن يَذكر أحداً بخير مهما كان له من الفضل والمكانة.

---

(١) المرجع السابق: ٢١٥/٤.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح: ٣٤٤/٢.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٣٢٥/٢.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر: ص٢٢٧.

وحبّ الرياسة ليس هو فقط في أمور الخلافة والإمارة؛ بل وللأسف أنّه قد يدخل حتى في أمور العلم ولهذا قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل في ذل ما بقي»[(1)].

أمّا الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – فقد بيَّن أن حب الرياسة، وطلبها بالنسبة للمرء قد يفوق كل شيء من أمور الدنيا، حتى المال فقد قال رحمه الله: «حب الرياسة أعجب إلى الرجل من الذهب والفضة، ومن أحب الرياسة طلب عيوب الناس»[(2)].

ولعظم مكانة الرياسة لدى البعض، وحرصهم على نيلها نجد أنهم لا يفرقون بين الحق والباطل؛ بل المهم لديهم تحصيلها بأيٍّ وسيلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وطالب الرياسة –ولو بالباطل– ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمُّه وإن كانت حقاً»[(3)].

فمن خلال ما سبق تبيَّن لنا عظم وخطورة حب الشهرة وطلب الرياسة. فالواجب على المسلم أن يحرص على الابتعاد عن ذلك، والحذر منه، ويوقن تمام الإيقان، أن الحرص عليهما يفسد على المرء دينه ودنياه.

ومما يعين المرء على التخلص منهما، استحضار أهمية إخلاص العمل لله عز وجل، وأنه شرط للقبول عند الله عز وجل.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح: ١١٢/٢.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح: ٣٤١/٢.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٥٩٩/١٠.

وقد أثنى النبي ﷺ على المرء الذي لا يأبه بجاه، ولا منصب، ولا مكانة، بل الهم الوحيد لديه أن يعمل عملاً ينفع الله به الإسلام والمسلمين حيث قال ﷺ: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبّرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفّع»[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع»[2].

وقال الحافظ بن رجب رحمه الله: «فمن أخرج من قلبه حب الرياسة في الدنيا والترفع فيها على الناس فهو الزاهد حقاً»[3].

وإن كان المرء زاهداً زهداً حقيقياً فإنه سيصبح سليم الصدر، طاهر القلب لكل مسلم.

٣- التنافس على الدنيا:

ومن الآفات التي تمنع من سلامة الصدر ونقاء القلب التنافس على أمور الدنيا والتفاني في الحصول عليها والغفلة والإعراض عن أمور الآخرة.

وقد حذّر الله – تبارك وتعالى – من ذلك في كتابه العزيز فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ص ٤٧٧، رقم الحديث (٢٨٨٧).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر: ٦/٨٣.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٥٥.

بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝﴾[1].

وقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وقال ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[3].

وبيَّن عليه الصلاة والسلام أن هذا الداء سيصيب أمته كما أصاب غيرها من الأمم فقال: «سيصيب أمتي داء الأمم: الأشر، والبطر، والتكاثر، والتشاحن في الدنيا، والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغي»[4].

وضرب ﷺ لأمته مثلاً يوضح فيه خطورة حرص المرء على الدنيا والتنافس فيها فقال: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[5].

---

(١) سورة فاطر الآية: ٥.

(٢) سورة الأنفال جزء من الآية: ٦٧.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، ص١١٨٧، رقم الحديث (٦٩٤٨).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ١٨٥/٤، رقم الحديث (٧٤١٩)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٦٨٢/١، رقم الحديث (٣٦٥٨).

(٥) جامع الترمذي: أبواب الزهد، باب حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، ص٥٤١، رقم الحديث (٢٣٧٦)، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٩٨٣/٢، رقم الحديث (٥٦٢٠).

قال العلامة المباركفوري – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: «ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفساداً لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها»(١).

وأوضح ﷺ عقوبة من جعل الدنيا همَّه الوحيد ونسي أمر الآخرة حيث قال: «من كانت الدنيا همّه، فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلاّ ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيَّته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة»(٢).

ولأجل كل ذلك كان السلف الصالح – رحمهم الله – أبعد الناس عن التنافس على الدنيا بأفعالهم وأقوالهم.

فقد أعطى عمر بن الخطاب ﷺ غلاماً عنده أربعمائة دينار من بيت المال وقال له: «اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: خذ هذه، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر، وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل. فأرسله بها إليه، فقال معاذ: وصله الله: يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، ولبيت فلان بكذا. فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين، فأعطنا، ولم يبق في

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري: ٩٢/٧.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب أبواب الزهد، باب الهم بالدنيا، ص٥٩٩، رقم الحديث(٤١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٣٤٦/٣، رقم الحديث (٣٣٢٩).

الخرقة إلاّ ديناران، فدحا بهما إليها. ورجع الغلام، فأخبر عمر فسرَّ بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض»[1].

وبعث ابن عمر –رضي الله عنهما– إلى محمد بن المنكدر –رحمه الله – بمال فبكى واشتد بكاؤه وقال: خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذلك الذي منه أبكاني، ثم أمر به فتُصدِّق به على فقراء أهل المدينة[2].

وقد كان عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – قبل أن يلي الخلافة من أعطر الناس، وألبس الناس، حتى قال عن نفسه: «لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لي عن كسوتي، وما لبست ثوباً قط فرآه الناس عليَّ إلاّ خيِّل لي أنه قد بلي»[3].

فلما استخلف – رحمه الله – خرج من ذلك كله، حتى قوَّموا ثيابه باثني عشر درهما[4].

وباع رحمه الله كل ما كان يملكه من الفضول، من عبد، ولباس، وعطر، وكل ما يستغنى عنه فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار فجعله في السبيل[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٥٦/١.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٦٢.

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي: ص١٧٣.

(٤) الزهد للإمام أحمد بن حنبل: ص٣٠١، وحلية الأولياء للأصبهاني: ٣٢٣/٥.

(٥) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم: ص٣٨.

وقال الإمام مالك بن دينار رحمه الله: «يقولون مالك زاهد، أيُّ زهد عندي إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة»[1].

فالتنافس على الدنيا والتهافت عليها آفة مهلكة للقلب والبدن؟ لما يترتب عليها من الأحقاد والكراهية بين المتنافسين بسبب عرض من الدنيا، كمال، أو منصب، أو نحو ذلك.

وإن مما يعين المرء على التخلص من هذه الآفة والسلامة منها تذكر حال قدوة الخلق وسيدهم، وأكرمهم على الله تعالى، محمد ﷺ الذي خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً ، أو يكون ملكاً نبياً فاختار أن يكون عبداً نبياً[2].

ولهذا كان عليه الصلاة والسلام هو أزهد الناس كما أخبر بذلك الصحابي الجليل عمرو بن العاص حيث قال ﷺ: «أمّا هو – يعني النبي ﷺ– فأزهد الناس في الدنيا»[3].

ولمّا نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثّر في جنبه فقال له الصحابة: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «مالي وللدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[4].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٢٠٢/٩.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لا بن كثير: ٣٩/٤، وفتح الباري لابن حجر: ٣٥٨/٩.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٣٥١/٢٩، رقم الحديث (١٧٨١٥) وقال عنه المحققون: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٤) جامع الترمذي: كتاب الزهد، باب حديث «ما الدنيا إلا كراكب استظل» ص٥٤١، رقم الحديث (٢٣٧٧) وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح

=

ومما يعين المرء كذلك على التخلص من التنافس على الدنيا أن يدرك أن ا لزهد في الدنيا ممّا يحببه إلى خالقه – تبارك وتعالى – ثم إلى الناس. فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: دلّني على عمل إذا عملته، أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك»[1].

فمن زهد فيما في أيدي الناس وعَفَّ عنهم فإنهم يحبونه، ويكرمونه لذلك ويسود به عليهم، كما قال أعرابي لأهل البصرة مَنْ سيِّدُ أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن البصري. قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم[2].

ومن الأمور المعينة على التخلص من هذا الداء أن يعلم المرء أن التنافس على الدنيا سبب من أسباب التشاحن والتحاسد، كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «تأملت التحاسد بين العلماء فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإنَّ علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون»[3].

فالذي يطلب السعادة والراحة وسلامة القلب يحرص على الزهد في الدنيا، والتقلل منها، كما قال الحسن البصري: «والزهد في الدنيا يريح

=

الترمذي: ٥٤٤/٢.

(١) سنن ابن ماجة: أبواب الزهد، باب الزهد في الدنيا، ص٥٩٨، رقم الحديث (٤١٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: ٣٤٤/٣.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ٢٦٥.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي: ص٢١.

القلب والبدن»[1].

وبعد فقد تبين لنا – بحمد الله تعالى – أن تلك الآفات التي تقدم الحديث عنها وكان من أبرزها: الحسد، وحب الشهرة والرياسة، والتنافس على الدنيا، أنها آفات، وأمراض تُوغِرُ الصدور، وتُورِثُ الغِلَّ، والحقد بين المسلمين فلابد للمسلم أن يداوم على علاج قلبه، ويحرص على سلامة صدره منها أيّما حرص.

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٦١.

المبحث الثالث

أثر سلامة الصدر في حياة الداعية

بعد التعرف على فضل سلامة الصدر وعظم ثوابها، والأسباب المعينة على اتصاف المرء بها، يحسن الحديث عن الآثار الحسنة التي تنعكس على الداعية إذا ما تحلّى بهذه الصفة، وحرص عليها.

وفي هذا المبحث سأتحدث – بعون الله تعالى – عن أبرز آثار سلامة الصدر في حياة الداعية، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

- **المطلب الأول: الأثر النفسي والاجتماعي لسلامة صدر الداعية.**
- **المطلب الثاني: الأثر الدعوي لسلامة صدر الداعية.**

المطلب الأول

الأثر النفسي والاجتماعي لسلامة صدر الداعية

مما لا شك فيه أن الداعية إلى الله إذا كان سليم الصدر، نقي القلب، سيكون بإذن الله أوَّل المستفيدين من هذه الخصلة الكريمة من خلال انعكاس عدد من الآثار الحسنة على حياته النفسية والاجتماعية.

وفي هذا المطلب سأحاول – بعون الله تعالى – الوقوف على أهم تلك الآثار النفسية والاجتماعية من خلال النقاط التالية:

١- اطمئنان نفس الداعية وإراحتها وإبعادها عن الهموم والغموم.

٢- حب الداعية الخير للناس والحرص على نفعهم وقضاء حوائجهم.

٣- حصول المودة والألفة بين الداعية، وغيره من الناس.

١- اطمئنان نفس الداعية وإراحتها وإبعادها عن الهموم والغموم:

إذا كان الداعية سليم الصدر، فلم يحمل في قلبه حقداً، ولا حسداً، على أحد اطمأنت نفسه، ونعمت بالراحة، والاستقرار، فلا يهمه تتبع عيوب الناس والوقف على زلاتهم وعثراتهم.

يقول الإمام أبو حاتم بن حبان البستي رحمه الله:

«الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإنَّ من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يُتعب قلبه، فكلّما اطّلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى

مثله من أخيه، وإنَّ من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه»[1].

فالداعية سليم الصدر إذا لم يشغل باله بتتبع عيوب الناس، ورصد زلاّتهم وعثراتهم، أراح بدنه ونفسه عن كل ما يجلب لها الهمَّ والغمَّ.

يقول الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله: « رأيت أكثر الناس – إلاّ من عصم الله وقليل ما هم – يتعجلون الشقاء والهم، والتعب لأنفسهم في الدنيا، ويحتقبون عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة بما لا يحظون معه بنفع أصلاً، من نيات خبيثة يضبون عليها من تمني الغلاء المهلك للناس وللصغار، ومن لا ذنب له، وتمني أشد البلاء لمن يكرهونه، وقد علموا يقيناً أن تلك النيات الفاسدة لا تعجل لهم شيئاً مما يتمنونه أو يوجب كونه وأنهم لو صفّوا نياتهم وحسنوها لتعجلوا الراحة لأنفسهم وتفرغوا بذلك لمصالح أمورهم، ولا قتنوا بذلك عظيم الأجر في المعاد من غير أن يؤخر ذلك شيئاً مما يريدونه أو يمنع كونه، فأي غبن أعظم من هذه الحال التي نبهنا عليها؟ وأي سعد أعظم من الحال التي دعونا إليها؟»[2].

ففي صفاء النية، وسلامة الصدر إراحة للنفس والبدن، وتفرغ لما فيه صلاح للمرء في دنياه وأخراه.

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان البستي: ص١٢٥.

(٢) مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق، لابن حزم: ص٤٥.

كان ابن عياش المنتوف يقع في الإمام الزاهد عمر بن ذرّ الهمداني رحمه الله ويشتمه فلقيه عمر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا، وابق للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[1].

وقد كان الإمام الشافعي – رحمه الله – يؤكد أن المرء إذا كان سليم الصدر ولم يحقد على الناس، ارتاحت نفسه، واطمأن قلبه، ومما روي عنه في ذلك قوله رحمه الله:

لما عفوتُ ولم أحقدْ على أحدٍ أرحتُ نفسي مِنْ هَمِّ العداواتِ
إنّي أُحيِّي عَدوِّي عنـدَ رؤيتِهِ لأدفَعَ الشرَّ عنِّي بالتحيَّاتِ
وَأُظهِرُ البشْرَ للإنسانِ أُبغضهُ كما أنْ قد حَشا قَلبي محبَّاتِ[2]

وجاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – فقال له: «نكتبُ عن محمد بن منصور الطوسي؟ فقال: إذا لم نكتب عن محمد بن منصور فممَّن يكون ذلك – وكرَّر ذلك مراراً – فقال: إنه يتكلَّم فيك. فقال الإمام أحمد: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل»[3].

ولسلامة صدر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم يهتم ولم يغتم حينما حرَّض عليه مجموعة من الأشخاص –وكان منهم علماء وقضاة– واتهموه بالضلال وكان من أبرز هؤلاء علي بن مخلوف النويري المالكي؛ بل كان ابن تيمية رحمه الله مطمئن النفس، مرتاح

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/٣٨٩.
(٢) ديوان الإمام الشافعي: ص٣٤.
(٣) طبقات الحنابلة لأبي الحسين أبي يعلى الفراء: ١/١٩٥.

البـال ويقـول: « وابـن مخلـوف لـو عمـل مهمـا عمـل والله ما أقدر علـى خـير إلاّ وأعملـه معـه، ولا أعـين عليـه عـدوه قـط ولا حـول ولا قـوة إلاّ بالله»[1].

فأثّر هذا الموقف العظيم من ابن تيمية – رحمه الله – في ابن مخلوف فأصبح يثني على ابن تيمية ويقول: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنّا، وحاجج عنّا»[2].

٢– حب الداعية الخير للناس والحرص على نفعهم وقضاء حوائجهم:

من أبرز آثار سلامة صدر الداعية أن يحب الخير للناس ولو لم يرج منهم مصلحة دنيوية؛ بل يكون همُّه النظر في مصلحته الأخروية يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

ولهـذا نجـد أن الرسـول ﷺ قـد أثنـى علـى مـن كانـت هـذه حالـه في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– أنَّ النبي ﷺ قال: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهراً .... »[3].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٧١/٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٥٤/١٤.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ٨٤/١١ رقم الحديث «١٣٤٦٩» وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٨٠/٢ رقم الحديث «٩٠٦».

فالداعية سليم الصدر يحب الخير للناس، ولا يحب أو يفرح بزوال النعم عنهم. يقول الإمام الآجري رحمه الله مؤكداً ذلك: «سليم القلب للعباد من الغِلِّ والحسد يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد»[1].

وقال الإمام محمد بن أحمد الغرناطي رحمه الله: «سلامة الصدر للمسلمين وهو يثمر طيب النفس، وسماحة الوجه، وإرادة الخير لكل أحد، والشفقة، والمودة، وحسن الظن، ويذهب الشحناء، والبغضاء، والحقد، والحسد؛ ولذلك ينال بهذه الخصلة ما يُنال بالصيام والقيام»[2].

ولسلامة صدر قيس بن سعد بن عبادة – رضي الله عنهما – كان كريماً جواداً محباً للخير للناس حريصاً على قضاء حوائجهم، وإقراضهم من المال ما يحتاجون إليه. فلما مرض لم يعده أحد خشية أن يطالبهم بديونه فأمر منادياً ينادي: «من كان لقيس عليه مال فهو في حل» فما أمسى حتى كُسِرت عتبة بابه لكثرة من عاده[3].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حريصاً على نفع الناس وقضاء حوائجهم حتى ولو كانوا من أعدائه فقد قال عنه الإمام ابن القيم رحمه الله: «وجئته يوماً مبشراً بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة، وأذى له، فنهرني وتنكّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزَّاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلاّ

---

(١) أخلاق العلماء للآجري: ص٥٤.

(٢) القوانين الفقهية لابن جزي الغرناطي: ص٢٨٥.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم: ٢/٢٩٥-٢٩٧.

وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام فسرُّوا به ودعوا له وعظَّموا هذه الحال منه»[1].

فلسلامة صدر ابن تيمية رحمه الله لم يتشفَّ من هذا الرجل، أو يفرح بموته؛ بل بادر إلى التعزية، وبذل المعروف لأهله وذويه.

٣- حصول المودة والألفة بين الداعية وغيره من الناس:

ومن الآثار النفسية والاجتماعية لسلامة صدر الداعية ما يحصل بينه وبين غيره من إخوانه المسلمين من مودَّة وألفة حيث إن سلامة صدر الداعية جعلته لا يحمل أيَّ غِلٍّ، ولا حقد؛ بل استُلت سخيمة صدره، وضغينة قلبه، مما أدَّى إلى ألف الناس له ومحبتهم إيَّاه.

وقد أثنى النبي ﷺ على من يألفه الناس ويحبونه، حيث روى الإمام أحمد - رحمه الله - عن سهل بن سعد ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألَف ولا يُؤْلف»[2].

فسلامة صدر الداعية تجعله يصفح عمن أساء إليه بقصد أو بغير قصد. فقد جاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ وهو جالس مع أصحابه في المسجد فأساء إليه بالقول حتى إنه ما ترك شيئاً إلاّ قاله له. وكان علي ساكتاً حتى انصرف حسن وخرج من المسجد. فلماّ كان في الليل ذهب علي إلى حسن في منزله وقال له: يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك،

(١) المرجع السابق: ٣٤٥/٢.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٣٣٥/٥ وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤٠٧/٣ «رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح».

السلام عليكم.

فلمّا ولّى علي راجعاً تبعه حسن فالتزمه وبكى وقال: لا عدتُ في أمر تكرهه.

فقال له علي: وأنت في حلٍ مما قلت لي[1].

فسليم الصدر يحبه الناس ويألفونه ويحظى بمنزلة عالية في قلوبهم، فقد قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة»[2].

وسلامة الصدر تورث المودة والأخوة بين الداعية وغيره حتى وإن كان بينهم من الاختلاف في الرأي ووجهات النظر ما بينهم، فقد قال يونس الصدفي رحمه الله: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة»[3].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق – يعني ابن راهوية – وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»[4].

---

(١) انظر صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/ ٩٤.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: ٧/ ٤٣٩، جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠/ ١٦.

(٤) المرجع السابق: ١١/ ٣٧١.

فلسلامة صدور هؤلاء الأئمة – رحمهم الله – لم يجعلوا من الاختلاف بينهم في وجهات النظر سبباً في العداوة والبغضاء؛ بل جعلوا صدورهم تتسع لسماع المخالف وتقدير جهوده وحسن الظن به والإشادة بفضله وإن لم يروا أن الحق معه والصواب حليفه.

المطلب الثاني

الأثر الدعوي لسلامة صدر الداعية

إن الداعية إلى الله تعالى إذا كان سليم الصدر، طاهر القلب، نقي السريرة، سيكون له بإذن الله تعالى العديد من الآثار الدعوية التي يمكن أن تؤثر في المدعوين على اختلاف أصنافهم وأجناسهم. إضافة إلى عدد من الآثار الحسنة التي تعود على الداعية نفسه بشكل خاص والدعوة بشكل عام.

وفي هذا المطلب سأتحدث – بمشيئة الله تعالى – عن أبرز تلك الآثار الدعوية من خلال النقاط التالية:

١– استماع المدعوين للداعية.

٢– إشغال الداعية وقته بما يفيد الدعوة وينهض بها.

٣– تفويت الفرصة على أعداء الدعوة.

١– استماع المدعوين للداعية:

من أبرز الآثار الدعوية لسلامة صدر الداعية إزالة العوائق والعقبات التي قد تحول بينه وبين غيره من المدعوين، وبخاصة أن بعض المدعوين لديهم نفرة وصدود عن مجرد السماع من الدعاة، فضلاً عن الجلوس معهم، والالتقاء بهم، وقبول ما لديهم؛ لاعتقادهم بتنافر الطباع والأمزجة، وغير ذلك من الأسباب الواهية التي ربما يصورها الشيطان ويلبس بها عليهم.

فإذا كان الداعية سليم الصدر أَحْسَنَ التعامل مع هؤلاء وأمثالهم مما يجعلهم يقبلون على سماع ما لديه، الأمر الذي يجعل فُرَصَ قبولهم لدعوته وتقبلها كثيرة جداً.

ولسلامة صدر النبي ﷺ ونقائه وطهارته كان أحسن الناس تعاملاً مع جميع أصناف المدعوين، مسلمهم وكافرهم، ذكرهم وأنثاهم، شريفهم ووضيعهم، صغيرهم وكبيرهم.

فكان عليه الصلاة والسلام كثير التبسم في وجه كل من لقيه حتى اشتهر عنه ذلك، حيث قال عبدالله بن الحارث رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ»[(١)].

بل إنه عليه الصلاة والسلام لا يترك التبسم والضحك حتى في وجه من أساء التعامل معه واعتدى عليه. فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ، قد أَثَّرتْ به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء»[(٢)].

---

(١) جامع الترمذي: أبواب المناقب، باب قول ابن جزء: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً...»، ص٨٣٠، رقم الحديث «٣٦٤١» وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٤٩٥/٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة وغيرهم من الخمس ونحوه، ص٥٢٣، رقم الحديث «٣١٤٩»، صحيح مسلم: كتاب الزكاة باب إعطاء من يسأل بغلظة، ص٤٢٤، رقم الحديث «٢٤٢٩».

فسلامة صدر الداعية، وحسن تعامله مع المدعو تَتْركُ آثاراً حسنة عليه بإذن الله تعالى، فهو إن لم يستجب للداعية فإنه على الأقل سيحْمل عنه في نفسه صورة حسنة، وكذلك عن الدعوة التي يدعو الناس إليها.

٢- إشغال الداعية وقته بما يفيد الدعوة وينهض بها:

ومن الآثار الدعوية لسلامة صدر الداعية حرص الداعية على أن يشغل وقته بما يعود على الدعوة بالنفع العظيم، والخير الكثير، فيتعلَّم العلم، ويعلمه، ويدعو الناس إلى العمل به، والإفادة منه، فيكون بذلك قد تفرَّغ تماماً للدعوة إلى الله تعالى، مما سيكون سبباً في نهوضها والرفع من شأنها بإذن الله تعالى.

أما إذا لم يكن الداعية سليم الصدر- وبخاصة إذا تعرَّض للنقد والاعتراض- فسيرد على هذا، وينتقد ذاك، وينقص من شأن ثالث وهكذا ينشغل بهذه الأمور عن الدعوة والبناء بالردود والأمور التي لا تفيد الدعوة شيئاً بل قد تضر بها، وتعيق مضيها وتقدمها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه»[1].

ويقول الشيخ عبدالمحسن العباد البدر حفظه الله موجهاً طلبة العلم والدعاة إلى الله للإفادة من أوقاتهم: «أن يشغل نفسه - بدلاً من التجريح والتحذير - بتحصيل العلم النافع، والجد والاجتهاد فيه ليستفيد ويفيد، وينتفع وينفع، فمن الخير للإنسان أن يشتغل بالعلم تعلُّماً وتعليماً ودعوة

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٢/ ٣٢٠.

وتأليفاً، إذا تمكن من ذلك ليكون من أهل البناء، وألاّ يشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم من أهل السنَّة، وقطع الطريق الموصلة إلى الاستفادة منهم، فيكون من أهل الهدم، ومِثْلُ هذا المشتغل بالتجريح لا يخلّف بعده – إذا مات – علماً يُنتفع به، ولا يفْقدُ الناس بموته عالماً ينفعهم، بل بموته يسلمون من شره»[1].

فإذا ما التزم الداعية بهذا وأخذ به فإنه سيجد الوقت الذي يتفرّغ فيه لإصلاح عيوب نفسه بدلاً من تصيُّد عيوب الآخرين كي لا يقع فيما حذَّر منه النبي ﷺ حين قال: «يبصر أحدكم القذاة[2] في عين أخيه وينسى الجِذْع[3] في عينه»[4].

فسلامة صدر الداعية إذاً تعينه على العناية بوقته والحرص عليه، والاقتداء بسلف الأمة في ذلك، فقد قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «أدركت أقواماً كان أحدهم أَشَحَّ على عمره منه على درهمه»[5].

---

(١) رفقاً أهل السنة بأهل السنة، لعبدالمحسن البدر: ص٥٣.

(٢) القذاة: الوسخ ونحوه مما يقع في العين والماء والشراب والمراد العيب والنقيصة. (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٠/٤ مادة (قذا).

(٣) الجِذْع: ساق النخلة والمراد الشيء الكبير وهو مثل لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلى القذاة. انظر: المرجع السابق: ٢٥٠/١. مادة (جذع) و ٣٠/٤ مادة (قذا).

(٤) صحيح ابن حبان: ٧٣/١٣، رقم الحديث «٥٧٦» وصححه السيوطي في الجامع الصغير: ١٣٢٨/٢، رقم الحديث (٨٠١٣).

(٥) شرح السنة للبغوي: ٢٢٥/١٤.

ورحم الله الفقيه يحيى بن محمد بن هبيرة حين قال:

والوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه ... وأراهُ أسْهلُ ما عليكَ يضيعُ[1]

٣- تفويت الفرصة على أعداء الدعوة:

ومن الآثار الدعوية لسلامة صدر الداعية تفويته للفرص التي قد يقتنصها ويستفيد منها عدد من أعداء الدعوة الذين يحرصون على إضعاف شوكة الدعاة والمصلحين من خلال تذكية روح الاختلاف والتنازع، والشحناء فيما بينهم.

وقد أخبرنا الله – عز وجل – في كتابه الكريم عن الموقف الرائع لسلامة صدر نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام حين قال لإخوته وقد آذوه وألقوه في الجب فقال لهم بعد ما تمكن منهم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[2].

وحرص عليه الصلاة والسلام أن يسدَّ أيَّ ثغرة يمكن أن يدخل من خلالها الشيطان بينه وبين إخوته حيث قال: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ﴾[3]. فأضاف ما جرى بينه وبين إخوته إلى السبب وهو الشيطان ولم

(١) ذيل طبقات الحنابلة لزين الدين أبي الفرج الحنبلي: ١/٢٨١.

(٢) سورة يوسف الآية: ٩٢.

(٣) سورة يوسف الآية: ١٠٠.

يضفه إلى إخوته كي لا يثرِّب عليهم بعد أن عفى عنهم[1].

وأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بعدم التنازع والتفرق فقال عز وجل: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

يقول الشيخ ابن عاشور رحمه الله: «وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم»[3].

فالله عز وجل أمر المؤمنين بعدم التنازع تفويتاً للفرصة على الأعداء من إذكاء هذه الخصلة الذميمة ، وإشاعتها بين المؤمنين.

بل إن الإسلام حرص على عدم التشاحن حتى بين الشخصين فضلاً عن جماعة المسلمين. فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « تُعْرَضُ الأعمال في كل يوم خميس واثنين، فيغفر الله – عز وجل – في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلاّ امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا هذين حتى يصطلحا ،

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٤٠٥.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٤٦.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٥٢/١٠.

اتركوا هذين حتى يصطلحا»[1].

ولاشكّ أنّ تعليق المغفرة بذهاب المشاحنة ، والصلح بين الشخصين دليل على اهتمام الإسلام بسلامة الصدر ودرء كل ما يحول بينها؛ لأن المسلم إذا سلم صدره، وطهر قلبه، والى إخوانه المسلمين وأحبهم، وكره أعداء الدين وحرص على تفويت أيٍّ فرصة يمكن أن يدخلوا من خلالها للنيل من الإسلام والمسلمين.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الشحناء، ص١١٢٤، رقم الحديث «٦٥٤٦».

الخاتمــة

أحمــد الله تعالـــى وأشكـــره حمـــداً يليـق بجـلال وجهـه وعظـيم سلطانه، على ما يسر وأعان من إتمام هذا البحث عن «سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية» والذي تضمن مقدمة وثلاثة مباحث تحدثت في المبحث الأول عن سلامة الصدر مفهومها وفضلها واشتمل على مطلبين، وفي المبحث الثاني تطرَّقت إلى أسباب سلامة الصدر وأوضحت أهم تلك الأسباب من خلال ستة مطالب. أما المبحث الثالث فقد خصصته للحديث عن بيان أثر سلامة الصدر في حياة الداعية وتحدثت عن أبرز تلك الآثار من خلال مطلبين.

ويحسن هنا أن أذكر أهم النتائج التي تَوَصَّلْتُ إليها من خلال هذا البحث ثم أُعرِّج إلى ما ظهر لي مناسبته من توصيات ومقترحات تتعلَّق بموضوع البحث ومجاله وذلك على النحو التالي:

أولاً: نتائج البحث:

١- إنَّ الإسلام حث على سلامة الصدر، ورغّب فيها، ورتَّب عليها الفضل العظيم، والثواب الجزيل؛ مما يدلُّ على كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاج الناس إليه في أمور دينهم ودنياهم.

٢- إنَّ سلامة الصدر صفة حميدة، وخصلة كريمة، وأنها من صفة أهل الجنة في دار الخلد والكرامة.

٣- إنَّ النبي ﷺ كان أسلم الناس صدراً، وأنقاهم قلباً، وأحسنهم سريرة وعلانية.

٤- إنَّ سلامة الصدر من الصفات المكْتَسبة التي يمكن للمرء التخلق بها، من خلال مجاهدة النفس وأطّرَها على ذلك.

٥- أهمية اتصاف الداعية إلى الله تعالى بسلامة الصدر؛ ليكون قدوة حسنة لغيره، ودعوة صامتة تؤثر أبلغ الأثر وأحسنه في الآخرين، حتى وإن كانوا من أكبر أعداء الداعية ومناوئيه.

٦- إنَّ الدعاة إلى الله – عز وجل – في هذا الزمان أحوج ما يكونون إلى الاتصاف بسلامة الصدر؛ لتعدد سبل ودواعي ما يُوغِرُ الصدور، ويُورِثُ الضغائن والأحقاد من التنافس على لُعَاعَةٍ من الدنيا والتهافت عليها من قبل الخاصة والعامة.

٧- إنَّ فساد ذات البين بين العلماء والدعاة من أبرز العوائق والعقبات التي تقف في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وتحدُّ من انتشارها وتأثيرها.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١- أُوصي نفسي وإخواني الدعاة إلى الله تعالى بتقوى الله عز وجل، والعناية بكل ما يُعْلي من شأن الدعوة إلى الله تعالى وينهض بها.

٢- أن يحرص الدعاة إلى الله – عز وجل – على الاتصاف بسلامة الصدر للناس كافة، ولإخوانهم الدعاة خاصة الذين يشتركون معهم في همٍّ حمل الدعوة وتبليغها.

٣- ضرورة تعاون الدعاة إلى الله تعالى فيما بينهم على ما اتفقوا عليه، وأن يناصح بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه، وألاّ تكون تلك المناصحة سبباً في العداوة والبغضاء فيما بينهم؛ مما يجعلهم يشغلون أوقاتهم بالردود على بعضهم البعض انتصاراً لذواتهم، وتعظيماً لأنفسهم، بينما أعداء الدعوة والمتربصون بها يعيثون في الأرض فساداً وتغريباً.

٤- العناية بدراسة سيرة الرسول ﷺ، والإفادة من مواقفه العظيمة التي تدلُّ على سلامة صدره، وحبه الخير للناس كافة؛ للاقتداء به عليه الصلاة والسلام، كما ينبغي على الدعاة وطلبة العلم الاطلاع على سِيَرِ العلماء والدعاة الذين أكرمهم الله - عز وجل - بسلامة الصدر؛ ليفيدوا منها في حياتهم العلمية والعملية.

٥- أن تتبنى الجهات التي لها علاقة بالدعوة والدعاة - سواء كانت رسمية، أو خيرية، أو تعليمية- إقامة محاضرات، وندوات، ولقاءات، حول سلامة الصدر، وضرورة تَحَلّي كل مسلم بها فضلاً عن العلماء والدعاة إلى الله تعالى.

٦- أن تنظم الجمعيات الدعوية، والمعاهد، والمراكز التدريبية المتخصصة دورات عن كيفية اكتساب المسلم لسلامة الصدر، ويكون ذلك ضمن مجال العناية بفن التعامل مع الناس؛ لعظم نفع هذه الصفة، وتعدّد ثمراتها على المسلم والمجتمع على حدٍّ سواء.

هـــذا وأســـأل الله – عـــز وجـــل – أن يجعـــل أعمالنـــا جميعـــاً خالـصـة لوجهــــه الـكـريــــم، وأن ينفعنـــا بمـــا علمنـــا، وأن يزيـدنا علمـاً وعمـــلاً، وأن يستعملنا في طاعتـه ومرضاتـــه، إنـــه خـيـر مأمـــول، وأعظـم مسؤول.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين..

فهرس المصادر والمراجع

- «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لأبي عبدالله بن مفلح المقدسي (ط. بدون، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩١هـ).
- «آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة» لأبي البركات الغزي (ط. بدون مطبعة العاني، بغداد، بدون سنة طبع).
- «أخلاق العلماء» للآجري (ط. بدون، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنة طبع).
- «أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن الماوردي (ط. الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: مصطفى السقا).
- «الأدب المفرد» للإمام البخاري (ط. الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ط. الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٤هـ).
- «بدائع الفوائد»لابن القيم (ط. الأولى، دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ).
- «البداية والنهاية» لابن كثير (ط. الخامسة، مكتبة المعارف بيروت، ١٤٠٣هـ).
- «بستان العارفين» لابن شرف النووي (ط. الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).

- «تاريخ الإسلام» لشمس الدين الذهبي (ط. الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١١هـ) تحقيق: د/ عمر عبدالسلام تدمري.
- «التحرير والتنوير » محمد الطاهر بن عاشور (ط. بدون، الدار التونسية، ١٩٧٢م).
- «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (ط. الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ).
- «التعريفات» للجرجاني (ط. الأولى، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ) تحقيق: د/عبدالرحمن عميرة).
- «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (ط. بدون، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون سنة طبع).
- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» لابن سعدي. (ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ).
- «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (ط. الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري).
- «جامع الترمذي» للإمام أبي عيسى الترمذي (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ).
- «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ط. بدون، دار الفكر، بيروت، بدون سنة طبع).

- «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (ط. بدون، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ).
- «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة طبع).
- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني، (ط. الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- «ديوان الإمام الشافعي» إعداد رحاب عكاوي (ط. الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م).
- «ذيل طبقات الحنابلة» لزين الدين أبي الفرج بن رجب الحنبلي (ط. بدون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ).
- «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» لعبدالمحسن العباد البدر (ط. الثانية، دار المغني، الرياض، ١٤٢٦هـ).
- «روضة العقلاء» لابن حبان البستي (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد).
- «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم (ط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزميله).
- «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ).
- «الزهد» لهناد بن السري الكوفي (ط. الأولى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ، تحقيق: عبدالرحمن الفريوائي).

- «الزهد الكبير» لأبي بكر أحمد البيهقي (ط. الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: عامر حيدر).
- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» للألباني (ط. الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ).
- «سنن ابن ماجة» للإمام أبي عبدالله بن ماجة (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ).
- «سنن أبي داود» للإمام سليمان السجستاني (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ).
- «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي (ط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ).
- «السيرة النبوية» لأبي محمد عبدالملك بن هشام (ط. بدون ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة بدون سنة طبع).
- «شرح السنة» للحسين بن مسعود البغوي (ط. الثانية، بيروت، ١٤٠٣هـ، تحقيق: زهير الشاويش وزميله).
- «شرح صحيح مسلم» للنووي (ط. الأولى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ).
- «شعب الإيمان» لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد بسيوني).
- «صحيح البخاري» للإمام أبي عبدالله البخاري (ط. الثانية، دار السلام الرياض، ١٤١٩هـ).

- «صحيح ابن حبان» لأبي حاتم بن حبان البستي (ط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط).
- «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني (ط. الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ).
- «صحيح سنن ابن ماجة» للألباني (ط. الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ).
- «صحيح سنن أبي داود» للألباني (ط. الثانية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢١هـ).
- «صحيح مسلم» للإمام مسلم القشيري (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ).
- «صفة الصفوة» لابن الجوزي (ط. الثالثة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمود فاخوري).
- «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة طبع).
- «طوق الحمامة في الألفة والألاَّف» لابن حزم الأندلسي (ط. بدون، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٣هـ).
- «عون المعبود شرح سنن أبي داود » لمحمد العظيم آبادي (ط. الثانية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ).
- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني (ط. بدون، دار المعرفة، بيروت، بدون سنة طبع).

- «الفوائد لابن القيم» (ط. الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ).
- «فيض القدير» لعبدالرؤوف المناوي (ط. الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ).
- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للزمخشري (ط. الأولى، دار الفكر، بيروت ١٣٩٧هـ).
- «كشاف القناع عن متن الإقناع» لمنصور البهوتي (ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).
- «لسان العرب» لابن منظور (ط. بدون، دار صادر، بيروت، بدون سنة طبع).
- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» لأبي بكر الهيثمي (ط. بدون، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ).
- «مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية» جمع وترتيب ابن قاسم، (ط. بدون، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ).
- «محاسن التأويل» محمد جمال الدين القاسمي (ط. الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ).
- «مختار الصحاح» للرازي (ط. بدون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ).
- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن القيم (ط. الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ، تحقيق: محمد لطفي).

- «مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق» لأبي محمد بن حزم (ط. بدون، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م).
- «المدخل» لمحمد العبدري الشهير بابن الحاج (ط. بدون، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠١هـ).
- «المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسابوري (ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا).
- «مسند الإمام أحمد» لأبي عبدالله أحمد بن حنبل (ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط).
- «المعجم الأوسط» لسليمان بن أحمد الطبراني (ط. بدون، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض وزميله).
- «المعجم الكبير» لسليمان بن أحمد الطبراني (ط. الثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، تحقيق: حمدي السلفي).
- «المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني (ط. بدون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ).
- «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ط، الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩هـ، تحقيق: د. عبدالله التركي).
- «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» لمحمد جمال الدين القاسمي (ط. بدون، دار المعرفة، بيروت، بدون سنة طبع).
- «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (ط. بدون، الناشر أنصار السنة المحمدية، تحقيق: محمود الطناحي وزميله).

البحث رقم ٢

مكانة الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

أ. د. خالد بن عبدالرحمن القريشي

الأستاذ بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

(مكانة الإفتاء في الدعوة إلى الله)

هذا المشروع الأول، يتحدث عن الآتي :

بيان مفهوم الإفتاء، وعلاقته بالدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم ذكر أهميته في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النصوص الشرعية، والواقع المعاصر، وذلك كله ليهتم العلماء والمصلحون بهذا الأسلوب لكي يؤثر في المدعوين الذين يستفتونه، ويتحقق الإقناع بما يقول، ويحدث التغيّر في سلوكهم وأخلاقهم إلى ما يراه موافقاً لشرع الله ﷻ، وهدي رسوله ﷺ .

وقد اعتَمد الباحث في ذلك على ما جاء في كتاب الله ﷻ، خير البيان، والحجة والبرهان، ثم على سنة رسول الله ﷺ، وذلك لأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعا إلى الله ﷻ، خير دعوة، فلم يسمع الناس بعد القرآن الكريم كلاماً قط، أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أكثر تأثيراً، من أحاديثه وفتاويه ﷺ، التي قلت حروفها، وكثرت معانيها، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى .

واعتمد الباحث كذلك على ما جاء عن سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان، والعلماء الكبار ذوي الأفهام .

إذن فمن أساليب الدعوة إلى الله تعالى المهمة والمؤثرة، التي سلكها الأنبياء والمرسلون والدعاة المخلصون : أسلوب الإفتاء، وهذه الأهمية والمكانة ظهرت من خلال تقسيم هذا البحث وفق الفقرات الآتية :

- المقدمة : وتتضمن أهمية الموضوع، وتقسيم الدراسة.

- المبحث الأول : تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما .
- المبحث الثاني : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص السنة النبوية.
- المبحث الرابع : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في أقوال العلماء
- المبحث الخامس : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة .
- ثم الخاتمة، وقائمة بالمراجع، والفهارس .

المقدمــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسلِمُونَ ﴾ (1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيباً ﴾ (2).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً ﴾ يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً ﴾ (3) (4).

أما بعد: فقد حرص سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، ومن يقتفي أثرهم بإحسان إلى يوم الدين، على الدعوة إلى الله بكل أسلوب ووسيلة مشروعة لنشر الإسلام بين الناس، وتبليغ دين الله وإقامة الحجة على الناس، فمثلاً : من الصحابة ﷺ، من كان يدعو إلى الله بالإنفاق من ماله: كتجهيز الجيوش، وتأليف القلوب، وإطعام الفقراء...

---

(1) سورة آل عمران، آية : ١٠٢ .

(2) سورة النساء، آية : ١ .

(3) سورة الأحزاب آية : ٧٠، ٧١ .

(4) تسمى هذه الخطبة عند العلماء بـ (خطبة الحاجة)، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ٣/١ . الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ . طبع المكتب الإسلامي، بيروت .

ومنهم من كان يدعو إلى الله ببدنه : كالجهاد في سبيل الله، ومساعدة الآخرين ... ومنهم من كان يشارك بعلمه وفكره وجهده العقلي : كالمشاركة بإقامة الدروس، والخطابة، والإفتاء .. .

وكان رسول الله ﷺ -في كل مجال من مجالات العمل الدعوي السابقة- القدوة والمثل الأعلى للصحابة الكرام- والتابعين لهم بإحسان.

ومما ذكر من المجالات السابقة كانت الفتوى أساساً لرسول الله ﷺ، في نشاطه الدعوي العلمي . وكان عليه الصلاة و السلام، لا يكتفي بالإجابة على السؤال فقط، بل يحرص – من خلال الإجابة – على التوجيه والتأثير في المستفتي والسامع، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، منها : عندما جاء بلال بن رباح ﷺ، يستفتي رسول الله ﷺ، في شراء صاع من التمر الجيد بصاعين من الرديء، نهاه عن ذلك ثم دله على الطريق الصحيح فقال: « بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيباً [(١)] » [(٢)]، فأفتاه رسول الله ﷺ، في مسألته وحذره ونهاه، ولو اكتفى رسول الله ﷺ، بذلك فقط لكانت الإجابة كاملة وكافية في بيان الحكم الشرعي، ولكن لأن رسول الله ﷺ، المفتي الداعية – بعد أن بين له الحكم – دله على الطريق الصحيح، وفتح له باباً من الحلال مع إغلاق باب الحرام، ليكون ذلك أدعى للاستجابة والتأثير .

ومثال هذا : الطبيب الناصح، يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما

---

(١) الجنيب : نوع من التمر، جيد معروف . (النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير، ٣٠٤/١) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، ١٦٠/٣، برقم ١٤٥.

ينفعه، وهذا هو شأن أطباء الأديان والأبدان [1] .

هذا وقد كَثُر في هذا الزمان الذين يفتون الناس، فمنهم من يفتي بعلم، وهو أهل لذلك، فيكون داعية هدى وخير، ومنهم الجاهل المتطفل الجريء، فيكون داعية ضلالة وشر، وهذا يستدعي منّا البحث والدراسة لهذا الأسلوب الدعوي المهم، والخطير أيضاً، الذي تتسابق على تقديمه للجمهور، كثير من وسائل الإعلام، كالصحف والمجلات، والإذاعات، والقنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت ..، وذلك لما يرون من إقبال الناس عليه، واهتمامهم بمتابعته، والاطلاع على ما يقدم فيه .

ومما يستدعي الكتابة عن هذا الموضوع : ظن كثير من الناس أن الحديث عن الفتوى والإفتاء، خاص بالفقهاء والحديث عنه لا يكون إلا في جانب الأحكام والأصول والقواعد الفقهية .

وهذا – بلا شك – خطأ في التصور، وتقصير من الدعاة في بيان هذا الأسلوب، وكيفية الاستفادة منه في الدعوة إلى الله تعالى، وتوظيفه في خدمة الإصلاح والتصحيح، والتوجيه والإرشاد .

وأول خطوات هذا المشروع الدعوي – الذي أنا بصدد الكتابة فيه، تجاه أسلوب الإفتاء – هو بيان مكانته في الدعوة إلى الله تعالى كأسلوب من أساليبها، وسيتلوه – بإذن الله تعالى – مجموعة من المشاريع البحثية كالحديث عن ضوابط الإفتاء الدعوي، وآداب وأساليب الإفتاء الدعوي، ووسائله القديمة والحديثة، ومزالق الفتوى والاحتساب عليها .

فلذا أقول: بعون الله وتوفيقه سيكون هذا المشروع الأول، يتحدث

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ١٥٩/٤ .

عن الآتي :

بيان مفهوم الإفتاء، وعلاقته بالدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم ذكر أهميته في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النصوص الشرعية، والواقع المعاصر، وذلك كله ليهتم العلماء والمصلحون بهذا الأسلوب لكي يؤثر في المدعوين الذين يستفتونه، ويتحقق الإقناع بما يقول، ويحدث التغيّر في سلوكهم وأخلاقهم إلى ما يراه موافقاً لشرع الله ﷻ، وهدي رسوله ﷺ .

وقد اعْتَمَدْتُ في ذلك على ما جاء في كتاب الله ﷻ، خير البيان، والحجة والبرهان، ثم على سنة رسول الله ﷺ، وذلك لأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعا إلى الله ﷻ، خير دعوة، فلم يسمع الناس بعد القرآن الكريم كلاماً قط، أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أكثر تأثيراً، من أحاديثه وفتاويه ﷺ، التي قلت حروفها، وكثرت معانيها، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى .

واعتمدت كذلك عن ما جاء عن سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان، والعلماء الكبار ذوي الأفهام .

إذن فمن أساليب الدعوة إلى الله تعالى المهمة والمؤثرة، التي سلكها الأنبياء والمرسلون والدعاة المخلصون : أسلوب الإفتاء، وهذه الأهمية والمكانة أبينها من خلال تقسيم هذا البحث وفق الفقرات الآتية :

- المقدمة : وتتضمن أهمية الموضوع، وتقسيم الدراسة.
- المبحث الأول : تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما .
- المبحث الثاني : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص

السنة النبوية.

- المبحث الرابع : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في أقوال العلماء
- المبحث الخامس : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة .
- ثم الخاتمة، وقائمة بالمراجع، والفهارس .

وبعد: لا أزعم الكمال في هذا البحث، إذ لا طاقة لي به، ولكن حسبي أن أحاول، وأن أبدأ السير متوكلاً على الله ﷻ، مستعيناً بحوله وقوته، متبرئاً من حولي وقوتي، راجياً منه القبول، سائلاً إياه التوفيق والسداد.

المبحث الأول

تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما

١- تعريف الإفتاء :

إن تعريف الإفتاء وما يتعلق به من مصطلحات، ثم تعريف كلمة الدعوة وبيان المقصود بها، يكشف لنا مدى العلاقة بينهما، والنقاط التي يتفق فيها الإفتاء مع الدعوة، ومن هنا نبدأ :

بتعريف الإفتاء لغة : فأفتاه في الأمر : أبانه له. وأفتى الرجل في المسألة، واستفْتَيْتهُ فيها فأفتاني إفتاءً. واستفتاه: سأله رأيه في المسألة. والفتوى: بالواو وبفتح الفاء، وبالياء فتضم (الفتيا)، هي: اسم من (أفتى) العالم، إذا بين الحكم. و(استفيته) سألته يفتي. والفتيا والفَتوى والفُتوى : ما أفتى به الفقيه. يقال : أفتاه في المسألة، يفتيه، إذا أجابه [١] .

وأما الإفتاء اصطلاحاً هو : (إخبار عن حكم الله) [٢]. وقيل: (بيان الحكم) [٣] .

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، طاهر الزاوي، ٤١١/٣، طبعة ١٣٩٩هـ، طبع المكتبة العلمية، بيروت. ولسان العرب، لابن منظور، مادة (فتا)، ٣٣٤٨/٦ ، ط دار المعارف. والمعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مادة (فتاه)، ٦٧٣/٢، ط دار الدعوة، تركيا. والمصباح المنير، للفيومي، مادة (الفتي)، ٤٦٢/٢، ط المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) أصول الدعوة، د/ عبد الكريم زيدان، ص١٥١، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) صلاح العالَم بإفتاء العالِم، حامدبن علي العمادي، تحقيق / علي حسن علي عبد الحميد، ص٤، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، طبع دار عمار، الأردن.

والمفتي: هو (المخبر بحكم الله تعالى لمعرفته بدليله) (1) . وقيل : المفتي هو : من يقوم بالإفتاء ويتصدى لها بين الناس (2).

والفتوى والفتيا : ذكر الحكم المسؤول عنه للسائل (3) .

ويقول الإمام ابن بطة – رحمه الله تعالى – : (إن الفتوى عند أهل العلم، تعليم الحق والدلالة عليه، قال الله ﷻ : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾(4)، يقول : يستعلمونك قال الله : يعلمكم الحق، ويدلكم عليه. وقول الله ﷻ: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾(5)، فالفتوى هي تعليم الحق، والدلالة عليه) (6).

إذن فالفتوى : هي بيان الحق والدلالة عليه، في قضية من القضايا، جواباً عن سؤال سائل معين ، أو مبهم ، أو فرد ، أو جماعة(7).

---

(١) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي، تحقيق/محمد ناصر الدين الألباني، ص٤، الطبعة الثالثة١٣٩٧ هت، ط المكتب الإسلامي، بيروت .

(٢) انظر : المعجم الوسيط، ، مجموعة من العلماء، مادة (فتاه)، ٦٧٤/٢، . وأصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص١٥١.

(٣) التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق/ محمد رضوان الداية، ٥٥٠/١، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، طبع دار الفكر، بيروت .

(٤) النساء : من الآية ١٧٦ .

(٥) يوسف: من الآية ٤٦ .

(٦) إبطال الحيل، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق زهير الشاويش، ٣١/١، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، طبع المكتب الإسلامي، بيروت .

(٧) انظر : الفتوى بين الانضباط والتسيب، يوسف القرضاوي، ص١١، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، ط دار الصحوة للنشر، القاهرة .

٢ – وبعد تعريف الإفتاء، ننتقل إلى تعريف الدعوة، وذلك للوصول إلى العلاقة والرابط الذي بينهما، فنقول:

الدعوة لغة: من دعا بالشيء، دعواً، ودعوة، ودعاءً، ودعوى: طلب إحضاره. ودعوت الله : أدعوه، دعاءً، ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير. ودعوت زيداً : ناديته، وطلبت إقباله. ودعوت الولد زيداً، أو بزيدٍ، إذا سميته بهذا الاسم. وادعيت الشيء : تمنيته. وتداعى الناس على فلان : تألبوا عليه. وتداعى البنيان : تصدع من جوانبه، وآذن بالسقوط. وتداعوا بالألقاب، دعا بعضهم بعضاً بذلك[1].

والدعوة في الاصطلاح لها عدة تعريفات، منها :

أولاً: قيل هي: (مجموعة القواعد والأصول، التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه وتطبيقه)[2].

ثانياً: وقيل الدعوة هي : (البيان والتبليغ لهذا الدين، أصولاً، وأركاناً، وتكاليف، والحث عليه، والترغيب فيه)[3].

ثالثاً: وقيل الدعوة : إنها (العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة، الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، مما حوى، عقيدةً،

---

(١) انظر : لسان العرب، لابن منظور، مادة (دعا)، ٣/١٣٨٥- ١٣٨٨. والمعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مادة (دعا)، ١ /٢٨٦، والمصباح المنير، للفيومي، مادة (دعا)، ١٩٦/١ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البيانوني، ص١٤، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط دار الرسالة، بيروت .

(٣) فصول في الدعوة الإسلامية، حسن عيسى عبد الظاهر، ص٢٦، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ط دار الثقافة، قطر، الدوحة .

وشريعة، وأخلاقاً)[1] .

ومن هنا تظهر العلاقة بين تعريف الإفتاء وتعريف الدعوة:

في أن الإفتاء الذي هو إخبار بحكم الله تعالى، وتبليغ عن الله ﷻ، يشترك مع تعريف الدعوة في أنه نوع من أنواع الإخبار، والتبليغ لدين الله، والنشر لأحكامه، وفي أنه أحد فنون الدعوة وأساليبها المتعددة، كالحوار، أو الخطابة، أو الندوة، أو المحاضرة، أو الدرس، وغيرها من الأساليب الدعوية، ولذا قيل عن الإفتاء: إنه (قيام المفتي بجواب المستفتي ، وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى، وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام)[2]، أي : أنه دعوة وتبليغ للدين، وسعي من المفتي – الداعية إلى الله تعالى – من خلال هذا الأسلوب المهم في نشر الإسلام، وتعليم الجاهلين أمور دينهم، وحثهم على العمل به .

---

(١) الدعوة الإسلامية : أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، ص١٠، طبعة ١٣٩٩هـ، ط دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة بيروت .

(٢) أصول الدعوة، د/ عبد الكريم زيدان، ص١٦٠ .

المبحث الثاني
المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم

إن المتأمل في نصوص القرآن الكريم، يجد فيها إبرازاً لمكانة الفتوى في الدعوة إلى الله، كأسلوب له تأثيره، وأهميته في نشر العقيدة والفقه والأخلاق، وأنه باب طرقه الأنبياء والعلماء، كان له التأثير الكبير، وذلك كله يظهر من خلال الآتي :

أولاً – أن الله ﷻ، هو الذي يفتي عباده فيما يحتاجون إليه :

إن أعظم ما يبين مكانة الإفتاء كأسلوب دعوي، أن الله ﷻ، تولى بنفسه – في بعض نصوص كتابه الكريم – إفتاء الناس في بعض المسائل والقضايا التي وقعت لهم، ومن ذلك :

١ – قوله ﷻ، لمن سأل عن الأهلة ؟ : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ البقرة (١٨٩).

٢ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الأحق بالصدقة ؟ : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة ٢١٥)

٣ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن القتال في الأشهر الحرم ؟ : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ (البقرة ٢١٧).

٤ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن حكم الخمر والميسر، قبل تحريمهما

القطعي ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة ٢١٩).

٥ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن اليتامى ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٢٠).

٦ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن إتيان المرأة وهي حائض ؟ : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة ٢٢٢).

٧ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الميت الذي ليس له ولد ولا والد ؟ : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ ... ﴾ (النساء ١٧٦).

٨ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الحلال من الأطعمة ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (المائدة ٤).

٩ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن موعد قيام القيامة ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ١٨٧)، وقوله ﷻ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ ﴾ (النازعات ٤٢).

١٠ – وقوله ﷻ ـ لمن سأل عن غنائم الحرب ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الانفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال ١).

١١ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الوعيد حق ؟ أو هل الشرع والدين حق ؟ ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (يونس ٥٣) .

١٢ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الرجل الصالح ذي القرنين: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الأَرْضِ ﴾ (الكهف ٨٣).

١٣ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن حقيقة الروح: ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء ٨٥)

١٤ – وقوله ﷻ، عن حال الجبال يوم القيامة ؟: ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاَّ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَأَمْتاً﴾ (طه ١٠٥).

فهذه آيات بيّنات يفتي فيها ملك الملوك العليم الخبير، في مسائل متعددة، وقضايا مختلفة، تأكيداً على هذا الأسلوب العظيم، وتعظيماً لأهميته، وأنه شديد التأثير والتغيير في نفوس السائلين .

يقول العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى – عند تفسير آيات سورة النساء السابقة : (الاستفتاء طلب السائل من المسؤول : ببيان الحكم الشرعي في ذلك المسؤول عنه، فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول ﷺ في حكم النساء المتعلق بهم، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه، فقال : (قل الله يفتيكم فيهن) فاعملوا على ما أفتاكم به ...) [(١)].

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – في بيان هذا الشرف والمكانة العظيمة لأسلوب الإفتاء الذي تولاه الله ﷻ بنفسه : (فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب ؛ أن يعدّ له عدّته، وأن يتأهّب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٢٠٦/١ .

الحقّ، والصّدع به، فإن اللّه ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولّاه بنفسه ربّ الأرباب، فقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وما يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾، وكفى بما تولّاه اللّه تعالى بنفسِهِ شرفاً وجلالة، إذ يقول في كِتابِهِ: ﴿يستفتونك قل اللّه يفتيكم في الكلالةِ ﴾، ولِيعلم المفتِي عمّن ينوب في فتواه، ولِيوقِن أنّه مسؤول غداً وموقوفٌ بين يدي اللّهِ)[1].

ثانياً – استخدام الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لأسلوب الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى :

فمما يبين هذه المكانة الدعوية للإفتاء أن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – تولوا بأنفسهم الإفتاء للناس والإجابة عن أسئلتهم، مهما تعددت، وتنوعت، فمثلاً ذكر الله في كتابه العزيز أن نبي الله يوسف – عليه السلام – عندما جاءه من يستفتيه وهو في السجن، أنه استغل الفرصة للدعوة إلى الله ﷻ، إذ يقول الله ﷻ، في ذكر قصته: ﴿ وَدَخَلَ مَعَه السِّجنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدهمَا إِنِّي أَرَانِي أَعصِر خَمراً وَقَالَ الآخَر إِنِّي أَرَانِي أَحمِل فَوقَ رَأسِي خبزاً تَأكل الطَّير مِنه نَبِّئنَا بِتَأوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحسِنِينَ ◆ قَالَ لا يَأتِيكمَا طَعَامٌ ترزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأتكمَا بِتَأوِيلِهِ قَبلَ أَن يَأتِيَكمَا ذَلِكمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكت مِلَّةَ قَومٍ لا يؤمِنونَ بِاللَّهِ وَهم بِالآخِرَةِ هم كَافِرونَ ◆ قَالَ لا يَأتِيكمَا طَعَامٌ ترزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأتكمَا بِتَأوِيلِهِ قَبلَ أَن يَأتِيَكمَا ذَلِكمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكت مِلَّةَ قَومٍ لا يؤمِنونَ بِاللَّهِ وَهم بِالآخِرَةِ هم كَافِرونَ...﴾[2].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١١/١ .

(٢) سورة يوسف، الآيات : ٣٦ إلى ٤١ .

ثالثاً – الوعيد الشديد لمن كتم العلم ولم يجب السائل:

إن من النصوص التي عَظَّمَت الإجابة عن أسئلة السائلين، وأنه لا مناص من الإجابة عند السؤال لمن عنده علم بالجواب، قول الله ﷻ: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعده ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ (سورة البقرة ١٥٩، ١٦٠)، وقوله ﷻ: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ (البقرة ١٧٤)، وقال تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ﴾، (آل عمران ١٨٧).

يقول العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى –: هذه الآيات وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ، وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق، المظهرات له، والهدى، وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما مَنَّ الله به عليهم من علم الكتاب، ولا يكتمونه، فمن نبذ ذلك، وجمع بين المفسدتين، كَتْم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك يلعنهم الله، أي يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته[1].

فأسلوب هذا حكمه: الإجابة فيه عن الأسئلة من العلماء حتماً، ولا

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ١/٧٧.

مفرّ منها، بل : وفي حال الامتناع مع العلم، وزوال الموانع، يترتب على ذلك العقاب، والوعيد الشديد من الله تعالى ؛ لاشك أنه يعطي الصورة الكبيرة في بيان ما له من مكانة دعوية، وأهمية عظيمة في كتاب الله ﷻ، وهذا لشدة حاجة الناس إليه، وعظم تأثيره على دينهم وحياتهم .

المبحث الثالث
المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص السنة النبوية

إن الناظر في سنة رسول الله ﷺ، يجد فيها نصوصاً كثيرة، ومواقف متعددة، يظهر منها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة، وأهمية واضحة، كأسلوب من أساليب الدعوة والإرشاد، وتصحيح أخطاء الناس، والأخذ بأيديهم إلى جادة الحق والصواب، فلذا كان هذا المبحث – الذي يظهر هذه المكانة – وفق الجوانب الآتية :

أولاً : الفتوى قد تكون سبباً في قتل المفتي (الداعية) :

إن أهمية الفتوى في الدعوة إلى الله، وقوة تأثيرها، تظهر من خلال أنها قد تكون سبباً في قتل المفتي، فما حدث للراهب – غير العالم – الذي أفتى لقاتل التسعة و التسعين نفساً أن ليس له توبة، فأكمل به المائة، يظهر منه مدى أثر الفتوى الكبير، وعظم أهميتها، وخطورتها على المفتي والمستفتي، وعندما أفتى العالم بأن له توبة، وأرشده إليها، تاب وتاب الله عليه، يقول رسول الله ﷺ: «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً . فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب . فأتاه فقال : إنه قتل تسعة و تسعين نفساً، فهل له توبة ؟ فقال : لا . فقتله . فكمل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم . فقال : إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال : نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا . فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت،

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم . فقال : قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما أدنى فهو له، فقاسوها فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1] .

ثانياً – الفتوى قد تكون سبباً في قتل المستفتي :

فكما أن أهمية الفتوى كأسلوب دعوي، ومكانة كبيرة في حياة الناس، ظهرت في المثال السابق بأنها قد تكون سبباً في قتل المفتي، فهي كذلك قد تكون سبباً في قتل المستفتي كذلك، وهذا يشهد له حديث جابر ﷺ، عندما قال : خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات . فلما قدمنا على النبي ﷺ، أخبر بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر – أو يعصب – على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده »[2].

فكم تسببت فتوى في غير مكانها : من قتلٍ وهَدْرٍ للأرواح، على مَرِّ التاريخ، فحالات كثيرة قد يستعجل فيها طالب العلم فيفتي بغير علم، فيقتل ويتسبب في موت المستفتي، أما الجهال الذي يفتون، والجهال الذين يستفتون من ليس لديه علم، فحدث ولا حرج، فهم كثير جداً .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، ٢١١٨/٢، برقم ٢٧٦٦ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتميم، ٩٣/١، برقم ٣٣٦ . وقال عنه الألباني : صحيح . (انظر : صحيح سنن أبي داود، ٦٨/١) .

ومن الصور والحالات التي تكون فيها الفتوى سبباً في قتل المستفتي، إفتاء بعض العوام بعضهم لبعض عند اشتداد الزحام حول الجمرات بضرورة الرمي ودخول الزحام، وإلزام المرأة والصغير والضعيف والمريض بذلك، فيتسببون في شر كبير، وظلم عظيم.

ثالثاً – نصوص عامة تبين أهمية الفتوى في التأثير في الناس :

هذا وقد جاءت نصوص كثيرة تبين أهمية الفتوى وخطورتها في التأثير على الناس، يقول ﷺ : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار »[1] .

فهذا الوعيد والتحذير الشديد من الجرأة على الفتيا لخطورتها، وأهميتها في التأثير على الناس، فالرسول ﷺ، يحذر منها حتى لا تكون إلا بعلم، وعلى نور وبصيرة، لا على جهلٍ وضلال، فيعم الجهل والضلال بين الناس.

ويوضح ذلك قوله ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهلاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا »[2] .

وبالمقابل لهذا الوعيد والنهي عن الفتوى بغير علم، وبتسرع وعجلة، يأتي النهي عن كتم العلم، وعدم الإجابة على السائل، يقول ﷺ : «من سئل عن علم يعلمه فكتمه، أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار »[3] .

---

(١) سنن الدارمي، باب الفتيا وما جاء فيها من شدة، ١/ ٥٧ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ١/ ٦٠ .

(٣) سنن ابن ماجه، باب من سئل عن علم فكتمه، ١/ ٩٨، برقم ٢٦٦ . (وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/ ٤٩) .

المبحث الرابع
المكانة الدعوية للإفتاء
من خلال النظر في أقوال العلماء

توجد أقوال كثيرة للصحابة الكرام ﷺ، والأئمة الأعلام، مبثوثة في كتب التفسير، والسنة وشروحها، وغيرهما من الفنون، يتبين من خلالها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى، بنشر الدين، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وما يحتاجون فيهما من معلومات، وتوجيهات .

ولكثرة هذه الأقوال، وتنوعها، سأختار منها عينة تصور حقيقة هذه المكانة الدعوية لأسلوب الإفتاء، وألخصها تحت العناوين الآتية :

١- حثّ من كان عالماً على التصدر لإفتاء، ونهي غيرهم عنه :

ورد عن الصحابة الكرام، والأئمة الأعلام : في أن العلماء هم الذين ينبغي لهم التصدر للإفتاء، وأن لا يفتي إلا العالم ؛ وذلك لخطورة الفتوى، ومكانتها الكبيرة في التأثير على الآخرين سلباً، أو إيجاباً .

فعَن زِيَادِ بنِ حدَيرٍ قَالَ : قَالَ لِي عمَر ﷺ : هَل تَعرِف مَا يَهدِم الإِسلَامَ ؟ قَالَ: قلت : لا ! قَالَ : يَهدِمه زَلَّة العَالِمِ، وَجِدَال المنَافِقِ بِالكِتَابِ، وَحكم الأَئِمَّةِ المضِلِّينَ [١] .

ومن هذا الباب : قول الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى -: (لا يجوز الإفتاء : إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة - وقال في رواية حنبل -

(١) الدارمي، المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي، برقم ٢١٦ .

ينبغي لمن أفتى أن يكون عالماً بقول من تقدم، وإلا فلا يفتي)[1].

وذُكر عن الإمام مالك – رحمه الله تعالى – أنه قال: (أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة، فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ وارتاع لبكائه، فقال: لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم. قال ربيعة: ولبعض من يفتي ههنا، أحق بالحبس من السراق)[2].

وهذا التشديد من العلماء – رحمهم الله تعالى – هو من باب بيان مكانة الإفتاء، وعظم شأنه، يقول القاضي أبو يعلى – رحمه الله تعالى –: (وهذا محمول على الاحتياط، والتغليظ في الفتوى)[3].

٢– اشتراط مجموعة من الصفات المهمة لمن يتصدى للإفتاء:

يذكر العلماء – رحمهم الله تعالى – مجموعة من الصفات، والخصال العظيمة التي ينبغي توافرها لمن يتصدى للفتوى، وذلك لأهميتها في تحقيق التأثير على المستفتين، وحثهم على الاستجابة لجواب المفتين، ومن ذلك اشتراطهم خمس خصال[4]، وهي:

إحداها: أن تكون له نية، أي أن يخلص في ذلك لله تعالى ولا يقصد رياسة ولا نحوها، فإن لم يكن له نية؛لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور. وذلك استدلالاً بقوله ﷺ: " إنما الأعمال بالنيات ولكل

(١) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ١٥٧.

(٢) بدائع الفوائد، ٣/٧٩٤.

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/١٥٧.

(٣) انظر: كشاف القناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق/ هلال مصيلحي، ٦/٢٩٩، طبعة ١٤٠٢هـ، دار الفكر، بيروت.

امرىء ما نوى "[1] .

الثانية: أن يكون له حلم، ووقار، وسكينة، وإلا لا يتمكن من فعل ما تصدى له من بيان الأحكام الشرعية، بسبب ما قد يتعرض له من استفزاز من المستفتين، وكذلك لتاثير هذه الصفات فيهم .

الثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه، وعلى معرفته، وإلا فقد عرض نفسه لعظيم .

الرابعة: الكفاية وعدم النظر إلى ما في أيدي المستفتين، وإلا أبغضه الناس، فإنه إذا لم تكن له كفاية، احتاج إلى الناس، وإلى الأخذ مما في أيديهم، فيتضررون منه، ولا يستجيبون له .

الخامسة: معرفة الناس، أي ينبغي للمفتي أن يكون بصيراً بمكر الناس، وخداعهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذراً فطناً مما يصورونه في أسئلتهم، لئلا يوقعوه في المكروه، ويؤيده قول مطرف بن عبد الله – رحمه الله تعالى – ويؤيده قول النبي ﷺ : " احترسوا من الناس بسوء الظن "[2] .

٣ – تهيب السلف الصالح – رحمهم الله – من الفتوى :

فالفتوى وإن كانت تبليغاً لشرع الله، وقياماً بواجب ديني، إلا أن صاحبها معرض للخطأ، وهنا كان السلف الصالح يتهيبون من الفتوى، مع صلاحيتهم لها، ويود كل واحد منهم أن يقوم غيره بها .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، برقم١ وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، برقم١٩٠٧ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى، برقم٢٠٢٠٣، ١٠/١٢٠ . وقال عنه الهيثمي : (رواه الطبراني في الأوسط وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وبقية رجاله ثقات) مجمع الزوائد، ٨٩/٨ .

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى – رحمه الله تعالى – قال : (أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، يسأل أحدهم عن مسألة، فيردها هذا وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول) [1] .

٤- طلب العلماء من الولاة الاحتساب على من هو غير مؤهل للفتيا :

الاحتساب له مجالات كثيرة، ومتنوعة بتنوع الحياة وأشكالها، ومن ذلك حرص العلماء على التأكيد على الولاة، والأمراء، وأصحاب السلطان، أن يكون من مجالات احتسابهم، منع من يتطفل على العلم، والعلماء من الإفتاء، يقول الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – : (وينبغي للإمام أن يتصفح أحوال المفتين، فمن صلح للفتيا: أقره، ومن لا يصلح منعه، ونهاه أن يعود، وتواعده بالعقوبة إن عاد)[2] .

قال أبو الفرج ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – عن المتطفلين على الفتوى : (ويلزم ولي الأمر منعهم كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب، وهو يُطَبِّبُ الناس، بل هو أسوأ حالاً من هؤلاء كلهم، وإذا تعين على ولي الأمر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة !! ولم يتفقه في الدين !) [3].

---

(١) أدب الفتيا، جلال الدين السيوطي، ص٤٢، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٢٥٦/٤ .

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٢١٧/٤ .

ويذكر ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – أنه كان شديداً على المفتين الجهلة، وأنه يحتسب عليهم، فقال : و (كان شيخنا – رضي الله عنه– شديد الإنكار على هؤلاء فسمعته يقول : قال لي بعض هؤلاء : أجعلت محتسباً على الفتوى ؟ ! فقلت له : يكون على الخبازين والطباخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب) [(١)] .

وأما الطريقة التي يعرف بها المحتسب – الذي قد يكون من العوام– المؤهل للفتيا وغير المؤهل فقد أشار العلماء إلى ذلك بقولهم : (وطريق الإمام إلى معرفة من يصلح للفتوى : أن يسأل علماء وقته، ويعتمد أخبار الموثقين بهم) [(٢)] .

فهذا الإمام مالك – رحمه الله تعالى – مع جلالته وعلو مكانته يقول : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك – وفي رواية – ما أفتيت حتى سألت من هو أعلم مني، هل تراني موضعاً لذلك ؟ و قال الإمام مالك ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه [(٣)] .

٥ – تأكيد العلماء على أهمية قول المفتي : لا أدري، إذا لم يعرف الجواب :

إن مما ينبغي العلم به : أن كل عالم لا يستطيع الإفتاء والإجابة عن كل سؤال يرد عليه، فلذا جاء التأكيد من العلم على أن قول : لا أدري، نصف العلم، وأن هذه الكلمة مما ينبغي لكل عالم تعلمها، واللجوء إليها، قال الإمام أبو داود – رحمه الله تعالى – : ماأحصي ما سمعت الإمام

(١) المرجع السابق، ٢١٧/٤ .
(٢) المرجع السابق، ٢٥٦/٤ .
(٣) المرجع السابق، ٢٥٦/٤ .

أحمد سئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم ؟ فيقول : لا أدري . قال : وسمعته يقول : ما رأيت مثل ابن عيينة في الفتوى ! أحسن فتيا منه، كان أهون عليه أن يقول : لا أدري [(١)] .

ومن القصص المشهورة في هذا الباب، قصة الإمام مالك – رحمه الله تعالى – مع الرجل الذي جاء من الغرب، ليسأله عن مسألة ؟ فقال له : لا أدري ! فقال : يا أبا عبد الله، تقول : لا أدري، قال : نعم، فأبلغ من وراءك أني لا أدري [(٢)] .

وكان السلف من الصحابة ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، يكرهون التسرع في الفتوى ، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة، أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى [(٣)] .

---

(١) انظر : المدخل، عبد القادر بدران الدمشقي، تحقيق د/ عبدالله التركي، ١٢٠/١، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢) انظر : إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٢٥٦/٤ .

(٣) المرجع السابق، ٢٥٦/٤ .

المبحث الخامس

مكانة أسلوب الإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة

إن الناظر في حال الناس في العصر الحاضر مع الفتوى والإفتاء، لابد وأن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة المهمة، منها: لما ينال بعض برامج الفتوى، متابعة الجمهور الكبير من الناس، ويشتهر بينهم؟

والآخر من البرامج: يقل المتابع له، بل ينفرون منه، ومما يقدم فيه؟

- هل هذا بسبب نوعية الوسيلة التي يقدم فيها البرنامج – قناة فضائية، إذاعة، إنترنت .. ؟
- أم أنه بسبب شخصية المفتي وشهرته، ومراعاته لآداب الإفتاء وضوابطه؟
- أم أنه بسبب طريقة الإفتاء وأساليبه ؟

لا شك أن هذا يعود إلى أسباب كثيرة: منها ما يتعلق بالمفتي، ومنها ما يتعلق بالأسلوب، ومنها ما يتعلق بالوسيلة، إلى غير ذلك من الأمور التي يترتب عليها النجاح، والإقبال، والاستجابة من الناس، بل والعمل بها، أو عدمه، والنفور منها.

إن الناظر في واقع الناس اليوم، يخرج بنتيجة مفادها أن حال الفتوى وواقعها، يشهد بقيمتها العظيمة، وأثرها الكبير في حياة الناس، فمثلاً: برامج الفتوى (الإذاعية، أو التلفزيونية)، أصبحت محل اهتمام القائمين على هذه الأجهزة الإعلامية، وذلك لما يرون من الإقبال الكبير عليها من جمهور الناس، خاصة وأن الكثير منهم يبحث عن أكبر قاعدة جماهيرية

لجهازه الإعلامي ؛ لتحقيق الربح الكبير، لأن شركات ومؤسسات الدعاية والإعلان تبحث عن الجهاز الإعلامي – في الغالب – الأكثر مشاهدين، ومستمعين، وكذلك قيمة الإعلان ترتفع، وتنخفض بحسب عدد الجمهور والمتابعين، وهذا هو السبب الرئيس في حرص كثير من مواقع الإنترنت على تسجيل عدد الزائرين يومياً، فكلما ارتفع العدد ؛ زاد عدد الإعلانات، وارتفع أجرها .

وهذا ما دفع بعض المؤسسات الإعلامية أن تجعل برامج الإفتاء في أفضل، وأهم أوقات اليوم، (مثلاً : من بعد العصر إلى المغرب في رمضان)، وبعد الظهر في يوم الجمعة من الأسبوع، وبعد العشاء في سائر الأيام .

وكذلك يجد المتأمل أن الصحف اليومية أصبحت لا تخلو من ركن، أو صفحة – في كل عدد يصدر لها – خصصتها للإجابة عن أسئلة المستفتين .

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء من خلال النظر في حياة الناس وواقعهم، ما نشاهده من تسابق الناس على العلماء وطلبة العلم بطرح الأسئلة عليهم واستفتائهم .

فمثلاً : إذا كانت وليمة وحضرها عالم ما ؛ انصرف الناس عن حديثهم إلى طرح الأسئلة ، والإنصات من الجميع حينما يطرح من جواب.

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النظر إلى واقع الناس، ما نشاهده من إقبال جميع الناس عليه بجميع فئاتهم وأصنافهم وأعمارهم وأحوالهم، فالصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير ..، كلهم بغير استثناء يقبل على السؤال والإجابة عنه، لأن هذا الأسلوب يثير فيهم التشويق، وحب المعرفة للمجهول عند طرحه عليهم .

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء : هذا الحرص من أصحاب السلطان على تأييد أفعالهم وأقوالهم بالفتاوى :

ومما يبين أهمية الفتوى في التأثير والتوجيه، ما نراه من القادة والحكام –مع جبروت وتسلط بعضهم– منذ القدم على تأييد أقوالهم، وأفعالهم، وما يريدونه من الناس، بالفتاوى من العلماء، ليأخذ صبغة شرعية أقوى، وليكون العمل، والالتزام به أكبر وأشد .

وكذلك أيضاً مما يزيد أسلوب الفتوى خصيصة وأهمية أن السائل هو الذي يأتي، ويسأل ليعرف حكماً، أو علماً، ويرفع جهلاً . إذن روح الاستعداد الاستجابة موجودة، لا تحتاج إلا الجهد يسير وفق ضوابط وآداب معينة، ذكرها العلماء وبينوها في كتبهم [1] .

(١) من أفضل ما اطلع عليه الباحث في هذا الباب، ما كتبه العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه النفيس، إعلام الموقعين عن رب العالمين، وخاصة الجزء الرابع منه .

الخاتمـــة

الحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشكره ﷻ، على توفيقه، وتيسيره لي في كتابة هذا البحث، وإتمامه على الوجه الذي لا أدعي فيه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدي وفكري، وأفرغت فيه الوسع، مع اعترافي بالعجز والتقصير، ويقيني أن ما لا يدرك كله ؛ لا يترك كله .

ثم إني أناشد كل ناظر عن علم في بحثي هذا ، أن يغض الطرف عما نب به القلم، أو زلّ به العقل، وأن يمحو سيئات هذا البحث بحسناته، وأن ينبهني مشكوراً إلى ما وقعت فيه من الخطأ ، وأن يدعو لي ولوالدي وجميع المسلمين بالعفو والغفران .

هذا وقد تجلى في هذا البحث عدة أمور، منها :

١ – إِنّ الإفتاء – الذي هو إخبار بحكم الله تعالى، وتبليغ عن الله ﷻ – يشترك مع تعريف الدعوة في أنه نوع من أنواع الإخبار والتبليغ لدين الله، والنشر لأحكامه، وفي أنه أحد فنون الدعوة وأساليبها المتعددة، كالحوار، أو الخطابة، أو الندوة، أو المحاضرة، أو الدرس، وغيرها من الأساليب الدعوية.

٢ – إِنّ المتأمل في نصوص القرآن الكريم، يجد فيها إبرازاً لمكانة الفتوى في الدعوة إلى الله كأسلوب له تأثيره وأهميته، وذلك من خلال مجموعة من النقاط :

- إِنّ الله ﷻ، هو الذي يفتي عباده فيما يحتاجون إليه .
- استخدام الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لأسلوب الإفتاء في

الدعوة إلى الله تعالى .

- الوعيد الشديد لمن كتم العلم ولم يجب السائل .

٣ – إنّ الناظر في سنة رسول الله ﷺ، يجد فيها نصوصاً كثيرة، ومواقف متعددة، يظهر منها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة، وأهمية واضحة، كأسلوب من أساليب الدعوة والإرشاد، وتصحيح أخطاء الناس، والأخذ بأيديهم إلى جادة الحق والصواب .

٤ – كثرة أقوال الصحابة الكرام ﷺ، والأئمة الأعلام، المبثوثة في كتب التفسير، والسنة وشروحها، وغيرهما من الفنون، التي يتبين من خلالها المكانة الكبيرة لأسلوب الاستفتاء في الدعوة إلى الله تعالى، بنشر الدين، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وما يحتاجون فيهما من معلومات وتوجيهات .

٥ – إنّ الناظر في واقع الناس اليوم، يخرج بنتيجة مفادها أن حال الفتوى وواقعها، يشهد بقيمتها العظيمة، وأثرها الكبير في حياة الناس، وذلك من خلال اهتمام وسائل الإعلام ببرامج الإفتاء، وحرص الأمراء والقادة واهتمامهم بها، وكذلك مما يبين أهمية هذا الأسلوب ما نشاهده من تسابق الناس على العلماء وطلبة العلم بطرح الأسئلة عليهم واستفتائهم .

هذا والله أعلم وأحكم،
وصلى الله على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

البحث رقم ٣

دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها

إعداد

د. علي بن أحمد الأحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث "دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها"

رصدت الدراسة عدداً من رجالات النصارى الذين قدم النبي ﷺ لهم الدعوة ممن عاصروه بأصنافهم المتنوعة مع إبراز معالم دعوته لهم ، مقرونة بنكات علمية وإشارات مهمة للعلماء في عموم مجال الدعوة إلى الله تسهم في إنارة الطريق للدعاة في العصر الحاضر .

والموضوع استمد أهميته من خلال ما يلي:

١- أن طرق هذا المجال إسهام جلي في الذب عن المصطفى ﷺ ونصرة له أمام المنصفين من النصارى في ظل التطاول المتتالي على مقامه الكريم من قبل بعض المغرضين .

٢- أن إبراز قيام النبي ﷺ بدعوة نصارى زمنه ، وحرصه على هدايتهم ؛ تأكيد على شفقته ورحمته بالنصارى وهى إحدى أوصافه الكريمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم .

٣- أن دعوته ﷺ للنصارى تتضمن معالم مهمة لها فائدتها في حقل دعوة النصارى التي من خلالها يستلهم الدعاة ما يسهم في نجاح دعوتهم المقدمة للنصارى في العصر الحاضر .

وجاءت الدراسة في ثلاثة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول: اشتمل على مبحثين الأول : عالمية الدعوة ، والثاني : حرص النبي ﷺ على هداية النصارى.

والفصل الثاني : دعوة النبي ﷺ للنصارى ومعالمها ، تناوله الباحث من خلال مبحثين : الأول بعنوان : دعوته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها والثاني : دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى ومعالمها.

أما الفصل الثالث : ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى فجاء في مبحثين هما : تحقق مقاصد الدعوة الكبرى ، ثم بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة .

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من المعلوم أن حاجة البشرية إلى الدعوة أعظم من حاجتها إلى أي أمر

(١) سورة : آل عمران، آية: ١٠.

(٢) سورة : النساء، آية: ١.

(٣) سورة : الأحزاب، آية ٧٠ – ٧١.

آخر، ولذا بعث الله الأنبياء وأنزل الكتب، فكان كل نبي يدعو قومه إلى دين الله، وبعث الله محمداً ﷺ بالإسلام إلى الناس كافة، وجعل دعوته ناسخة لكل الديانات السابقة كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]، فتحتم على كل من سمع دعوته ﷺ من أهل الكتاب أو من غيرهم الدخول في دين الإسلام.

ومن أهل الكتاب النصارى أمة عيسى عليه السلام دينهم النصرانية، وكتابهم الإنجيل الذي من خلاله بشّر عيسى عموم النصارى بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد، فعلموا اسمه وأدركوا صفته، ولما بُعث ﷺ ساق لهم الدعوة بطابع خاص ورونق جميل أثر في أولئك المدعوين أيما تأثير، وفي هذه الدراسة سنتناول دعوته ﷺ تلك للنصارى تحديداً ومعالمها وما أدت إليه من ثمار.

أهميـــة الموضـــوع:

يمكن إيضاح أهمية الموضوع من خلال ما يلي:

١- إنَّ إبراز قيام النبي ﷺ بدعوة نصارى زمنه، وحرصه على هدايتهم؛ تأكيد على شفقته، ورحمته بالنصارى، وهي إحدى أوصافه الكريمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

(١) سورة : آل عمران، آية: ٨٥.

(٢) سورة : الأنبياء ، آية ١٠٧ .

٢- إنَّ دعوته ﷺ للنصارى تتضمن معالم مهمة لها فائدتها في حقل دعوة النصارى التي من خلالها يستلهم الدعاة ما يسهم في نجاح دعوتهم المقدمة للنصارى في العصر الحاضر.

٣- إنها رد بالحقائق العلمية، والوقائع الثابتة على بعض المؤرخين المستشرقين الذين ما زالوا ينكرون عالمية دعوة نبينا محمد ﷺ، وأن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد.

٤- إن طرق هذا المجال إسهام في الذب عن المصطفى ﷺ ونصرة له في ظل التطاول المتتالي على مقامه الكريم من قبل بعض المغرضين.

ومما سبق رأيت من المناسب دراسة هذا الموضوع وتجليته تحت عنوان:

"دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها".

التعريف بمفردات الدراسة:

أولاً: تعريف الدعوة:

الدعوة في اللغة:

الدعوة في اللغة لها عدة معان منها: الدعاء إلى الشيء، فيقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب:أي حثه على اعتقاده وساقه إليه[1].

الدعوة في الاصطلاح:

عرفت الدعوة عدة تعريفات ومن أجمعها في رأيي تعريف شيخ الإسلام

---

(١) المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية، ط الثانية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/ ٢.

ابن تيمية – رحمه الله –[1] حيث قال: "إن الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه"[2].

كما عرفها سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – بأنها: "دلالة الناس إلى الصراط المستقيم، وهو الإسلام الذي هو دين الله الحق، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[3]، فسبيل الله هو الإسلام، وهو الصراط المستقيم"[4].

ثانياً: تعريف النصارى:

النصارى هم الذين يدينون بالنصرانية، والنصرانية هي: "الديانة المسيحية التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم.. لكنها سرعان ما فقدت

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني المفسر الفقيه الحافظ المحدث، الملقب شيخ الإسلام، ولد بحران، سنة: إحدى وستين، وتوفي سنة: ثمان وعشرين وسبعمائة، انظر: فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، ، ط: لعام: ١٩٧٣م، الناشر: دار صادر، – بيروت]، ٧٤/١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع عبد الرحمن ابن قاسم ١٥٧/١٥ – ١٥٨.

(٣) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٤) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ط1، عام:١٤١٥هـ ، الناشر : مكتبة السفير– الرياض]، ص٢٩.

أصولها واختلطت بمعتقدات محرفة وفلسفات وثنية" [1].

سبب التسمية:

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عن سبب تسمية النصارى بهذا الاسم: "وسُموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم أنصار كما قال عيسى عليه السلام: "من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله".

وقيل إنهم سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها: ناصرة[2].

ثالثاً: تعريف المعالم:

المعالم: جمع معلم قال ابن منظور في اللسان: " والمعلم ما جعل علامة، وعلماً للطرق والحدود، مثل أعلام الحرم، ومعالمه المضروبة عليه " [3].

والمراد بمعالم دعوته للنصارى: استخراج ما ظهر للباحث من منارات وبصائر في مجال الدعوة إلى الله تنير الطريق للدعاة في كل زمان لتقديم الدعوة للنصارى بالأساليب المناسبة، والطرق الحكيمة.

تقسيمات الدراسة:

قسمت الدراسة وفق الفِقْر الآتية:

الفصل الأول:

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: عالمية الدعوة.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط[الثانية، عام: ١٤٠٩هـ]، ص٤٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ط [الأولى، عام: ١٤٠٥هـ، الناشر: عالم الكتب، بيروت – لبنان] ١/ ١٠٤.

(٣) لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، ط [الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار صادر – بيروت] ١٢/ ٤١٩.

المبحث الثاني: حرص النبي ﷺ على هداية النصارى.

الفصل الثاني: دعوة النبي ﷺ للنصارى ومعالمها.

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: دعوته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها.

المبحث الثاني: دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى ومعالمها.

الفصل الثالث: ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى:

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: تحقق مقاصد الدعوة.

المبحث الثاني: بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة

الخاتمة: وتشمل أبرز النتائج والتوصيات.

الفصل الأول
عالمية دعوة النبي ﷺ

ويشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول : عالمية الدعوة.

المبحث الثاني: حرص النبي ﷺ على هداية النصارى.

المبحث الأول
عالمية الدعوة النبوية

لم تكن دعوة النبي ﷺ محصورة بوقت زمني، أو حد مكاني، بل هي دعوة عالمية، عالمية في الزمان والمكان.

وقد استفاضت بذلك نصوص الكتاب والسنة، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢).

ومن السنة النبوية قوله ﷺ: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون) (٣).

---

(١) سورة سبأ، جزء من الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا حديث: ٢٥٧.

ولما كانت دعوته ﷺ عالمية، كان عليه واجب إبلاغ الدعوة إلى كل أحد من العالم، أياً كان دينهم، ومهما كان جنسهم، وأينما كان نزلهم في سبيل نشر الإسلام في آفاق الدنيا لتحقيق مراد الله عزوجل.

ومن هذا المنطلق فقد وجه ﷺ الدعوة إلى الإسلام لأصحاب الديانات المتنوعة، والأمم الأخرى مع بداية أمر الدعوة بل تم ذلك حينما لم يعرف أهل مكة الإسلام معرفة تامة.. ومن جملة المدعوين؛ أصحاب الدين النصراني بمختلف أصنافهم، حيث قدم لهم الدعوة بنفسه، وأرسل الكتب والرسائل، وبعث لهم الدعاة[(١)]، ويعد بلال وصهيب وسلمان وعداس ثماراً أولية للدعوة من قبل الحبشة واليونان وإيران ووسط آسيا [(٢)].

بل إن قدوم الوفود عليه ﷺ من كل ناحية بأجناسهم، وأديانهم المختلفة يعد دليلاً قوياً على عالمية الدعوة الإسلامية.

وتأتي هذه الدراسة بما تضمنته من تطبيقات عملية لدعوة النبي ﷺ لنصارى عصره مؤكدة جانب العالمية في دعوته مضافاً ذلك إلى نصوص الكتاب، والسنة التي سبق ذكر بعضها.

---

(١) وهذا المبحث أعني "عالمية الدعوة" وما سيتبعه من إثبات ممارسة النبي ﷺ دعوة النصارى عملياً ؛ فيه رد على بعض المؤرخين المستشرقين الذين ينكرون عالمية دعوة نبينا محمد ﷺ ، وأن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد، وأنه لم يوجه دعوته منذ أن بعث إلى أن مات إلا للعرب..
انظر: الدعوة إلى الإسلام، سير توماس. وأرنولد. ط[الثالثة، عام ١٩٧٠م، نشر: مكتبة النهضة المصرية]، ص: ٥٠، مترجم، حيث ذكر المؤلف هذا القول منكرا مثل هذا الرأي.
وانظر : الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية – د. إبراهيم بن عبدالله السماري، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤١٦هـ

(٢) انظر : رحمة للعالمين – للقاضي محمد بن سليمان المنصورفوري ، ط [الأولى ، عام : ١٤١٠هـ ، الناشر : الدار السلفية – الهند]١/ ١٧٣

المبحث الثاني

حرص النبي ﷺ على هداية النصارى

نجد من خلال شواهد القرآن الكريم أن النصارى أقرب مودة للذين آمنوا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله: أي إن الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح، وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً.. ﴾[2]، وفي كتابهم: " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر "[3]، وفي هذا السياق يبرز القرآن الكريم أنهم كانوا يتأثرون، ويعتبرون حين سماعهم الآيات التي تتنزل على الرسول ﷺ بدموع غزار متدفقة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ

---

(١) سورة : المائدة ، جزء من آية رقم :٨٢ .

(٢) سورة ، الآية: .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٨٦.

وفي كلمة :" لتجدنّ" تأكيدان : لام القسم ، ونون التوكيد ، وفي المخاطب بها وجهان : أحدهما أنه للنبي ﷺ وثانيهما أنه لكل من يوجه إليه الكلام ، وفي "الناس" الذي نزل فيهم التفصيل قولان : أحدهما أنهم يهود الحجاز ، ومشركوا العرب ، ونصارى الحبشة ، والثاني أنه عامّ . انظر : تفسير القرآن العظيم (المنار) – للشيخ محمد رشيد رضا ، ط [الأولى ، ١٤٢٣هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت] ٧/ ٥ .

مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [1].

ولهذا تضمنت السيرة النبوية إشارات متنوعة تشي بهذا القرب وهذه المكانة للنصارى كثنائه ﷺ على القسيسين والرهبان، وإرساله أصحابه ليكونوا في جوار أحد ملوك النصارى في الحبشة، وسروره بانتصار الروم الذي أسفر عن عدم هدم كنائس النصارى وبيعهم، وأنه كان يحب متابعتهم فيما لم يؤمر فيه بشيء بادئ الأمر [2]

ولذا حينما حمل حاطب بن أبي بلتعة[3] رضي الله عنه كتاب النبي ﷺ للمقوقس ملك مصر والإسكندرية قال له من ضمن ما قال: " إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليهم قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى" [4].

وبتأمل الممارسة النبوية للدعوة نجد أنه كان يرغّب أمة النصارى – أهل الكتاب– من بين عموم الخلق بمزايا حرصاً على هدايتهم فمن أسلم منهم فله أجر يفوق من سواهم، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين) وذكر منهم: (ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي ﷺ، فله أجران..) [5] وقال ﷺ: (.. وإذا آمن

---

(١) انظر: دراسة في السيرة د. عماد الدين خليل [ط: ١٤١٢، دار النفائس] ص/٢٧٨.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ط[الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض]، باب/ صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٥٤٢، ص/٧٣٠.

(٣) وهو من مشاهير المهاجرين، شهد بدرا وبقية المشاهد، وكان رسول الله ﷺ للمقوقس، وكان تاجرا في الطعام، ومن الرماة الموصوفين، وتوفي سنة ثلاثين للهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، ٤٣/٢.

(٤) انظر: زاد المعاد ٦٩١/٣ وتاريخ الإسلام، ١٥٨/١ والبداية والنهاية، ٢٧١/٢.

(٥) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، ص: =

بعيسى ثم آمن بي فله أجران..)[1].

قال القرطبي[2]: "قال علماؤنا لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبا بأمرين من جهتين استحق كل واحد منهم أجرين؛ فالكتابي كان مخاطبا من جهة نبيه، ثم أنه خوطب من جهة نبينا فأجابه واتبعه، فله أجر الملتين"[3]، ولا ريب أن هذا فيه زيادة ترغيب من النبي ﷺ لهم في الإسلام.

كما يتضح الحرص على هدايتهم من خلال استعراض الجوانب العملية لدعوتهم، وهذا ما تشير إليه الدراسة في الصفحات القادمة.

=

٦١٠، رقم الحديث: ٣٠١١.

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ص: ٧٠٩، رقم الحديث: ٣٤٤٦.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصار الخزرجي الأندلسي القرطبي، المفسر، صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، وله عدة تصانيف، توفي سنة: ٦٧١هـ، انظر: مقدمة الجامع لأحكام القرآن، ط [الثانية، عام: ١٣٧٢هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت] ١/٥.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ط [كتاب الشعب]، ٧/ ٥٠١٣.

الفصل الثاني

دعوة النبي ﷺ للنصارى ومعالمها

وتشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول : دعوته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها.

المبحث الثاني : دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى ومعالمها.

المبحث الأول

دعوته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: دعوة النبي ﷺ لأفراد من النصارى ومعالمها.

المطلب الثاني: دعوة النبي ﷺ لجماعات من النصارى ومعالمها.

المطلب الأول

دعوته ﷺ لأفراد من النصارى ومعالمها

ويمكن استعراض ملامح هذا المطلب من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: دعوته عدي بن حاتم رضي الله عنه ومعالمها.

الفرع الثاني: دعوته سلمان الفارسي رضي الله عنه ومعالمها.

الفرع الثالث: دعوته رسول قيصر ومعالمها.

الفرع الرابع: دعوته يحنة بن رؤية ومعالمها.

الفرع الخامس: دعوته عداس ومعالمها.

وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول: دعوته ﷺ عدي بن حاتم رضي الله عنه ومعالمها:

أولاً: دعوته عدي:

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله حين سمع به مني، أما أنا فكنت أمرءا شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي.. فلما سمعت برسول الله ﷺ؛ كرهته؛ ! فقلت لغلام كان لي راعيا لإبلي: لا أبا لك أعدد لي من أبلي أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا مني فإذا سمعت بجيش لمحمد وقد وطئ هذه البلاد فآذاني. ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: قلت: فقرب إلى أجمالي. فقربها فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألْحَقُ بأهل ديني من النصارى بالشام، وخلفت بنتا لحاتم، فلما قدمت الشام أقمت بها فتخالفتني خيل رسول الله ﷺ،

فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء، وقد بلغ رسول الله ﷺ إلى الشام. فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس بها فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه وكانت امرأة جزلة. فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال الفار من الله ورسوله. قالت ثم مضى، وتركني حتى إذا كان الغد مر بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست، فأشار إلي رجل خلفه أن قومي فكلميه. قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك.

فقال ﷺ: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني، قالت: فقمت حتى قدم من بلى أو قضاعة، وإنما أريد أن آتي أخي بالشام فجئت، فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالت: فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام..

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي فنظرت إلى ظعينة تصوب إلى قومنا قال فقلت ابنة حاتم قال فإذا هي هي فلما وقفت علي استحلت تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدت وتركت بقية والدك عورتك؟

فقلت: أي أخية، لا تقولي إلا خيرا، فوالله مالي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه

فضله وإن يكن ملكا فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت !

قلت: والله إن هذا الرأي قال: فخرجْتُ حتى أقدم على رسول الله، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟

فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا، تكلمه في حاجتها، قلت في نفسي: والله ما هذا بملك. ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقذفها إلي فقال: "اجلس على هذه" قلت: بل أنت فاجلس عليها. قال: "بل أنت" فجلست وجلس رسول الله بالأرض، قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: "إيه يا عدي بن حاتم ألم تكن ركوسيا [(1)]؟ قلت: بلى! قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع"[(2)] قلت: بلى! قال: "فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك". قلت: أجل! والله، ثم قال: "لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين؛ ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه؛ ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشك أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية [(3)] على بعيرها، حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك

---

(١) الركوسية: هم قوم لهم دين بين النصاري والصابئين . انظر : لسان العرب – لابن منظور ، ١٠١/٦ مادة : ركس .

(٢) المرباع: ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة . انظر : لسان العرب – لابن منظور ، ١٠١/٨ مادة : ربع.

(٣) القادسية: في العراق، قيل سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام دعا لها فقال: قدست من أرض، وبهذا الموضع كانت وقعة القادسية المشهورة، انظر معجم البلدان الحموي، ت: ٦٢٦هـ، ج٤، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان–]، ص٨.

من دخول فيه؛ أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشك أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم". قال عدي رضي الله عنه: فأسلمت.

فكان رضي الله عنه يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن!، وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج البيت، وأيم الله! لتكونن الثالثة؛ ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه [1]. وفي رواية من طريق الإمام أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال: يا عدي بن حاتم ما أفرك؟ أفرك أن يقال لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله، ما أفرك؟ أفرك أن يقال الله أكبر فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟

قال عدي: فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال: "إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى " [2].

ثانياً: معالم دعوته لعدي بن حاتم رضي الله عنه:

في هذه القصة معالم بارزة، من صفات حميدة ومعاملة رائعة، قدمها النبي ﷺ بين يدي دعوته، مما مكن لدعوته أن تنفذ إلى قلب المخاطب، وهو عدي بن حاتم رضي الله عنه، ومن أهم هذه المعالم:

---

(١) قال: ابن كثير رحمه الله: "هكذا أورد ابن إسحاق هذا السياق بل إسناد وله شواهد من وجوه أخر". البداية والنهاية للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير، ت: ٧٧٤هـ، ، ط [الأولى، عام: ١٤٠٨هـ، دار الريان]، ٣/ ٥٩. وانظر سير أعلام النبلاء – للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط [السابعة، عام ١٤١٠هـ الناشر: مؤسسة الرسالة]، ١٦٤/٣حيث أورد القصة مختصرة بإسناد قوي.

(٢) قال ابن كثير: "وقد رواه الترمذي من حديث شعبة وعمرو بن أبي قيس كلاهما عن سماك ثم قال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك". البداية والنهاية ٥٩/٣ .

أولاً: الاتصاف باحترام الآخرين وتقديرهم:

سياق القصة يوضح أن النبي ﷺ بادر عدي بن حاتم رضي الله عنه بالاحترام والتقدير، وإنزاله منزلته، لأنه الرئيس المطاع في قومه، ويمكن أن نأخذ احترام النبي ﷺ له من خلال المشاهد التالية:

أ- القيام إليه:

فقد وردت رواية بأن عدي رضي الله عنه قال: ".. فدخلت عليه – أي النبي ﷺ – وهو في مسجده، فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ ".

وهذا القيام للتقدير ولتلقي القادم، وقد كان له وقعه في نفوس الصحابة – رضي الله عنهم – ولذا في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، لما أذن الله بالتوبة عليهم، قال كعب بن مالك رضي الله عنه – وكان أحدهم –: فتلقاني الناس يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله ﷺ حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنّاني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، لا أنساها لطلحة[1].

ب- اصطحابه إلى بيت النبي ﷺ:

ففي سياق القصة أن عدي رضي الله عنه قال: "وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لعامد بي إليه..".

حينما نتأمل اصطحاب النبي ﷺ عدي إلى بيته يتضح لنا أن هذا الأمر فيه مزيّة لعدي، وعناية بدعوته، ولا ريب أن ذلك في محله فعدي رجل له

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، رقم: ٤٠٦٦.

منزلة في قومه، ورجل هرب من الدعوة إلى الشام، وهذا من التأليف له، ولقد كان لذلك تأثيره في استمالة قلب عدي ﷺ إلى الإسلام، ومما يشير إلى ذلك أنه على رغم البعد الزمني للحدث، وأنه من نافلة القول؛ إلا أن عدي يسوقه بتفاصيله مما يدل على أنه تمكن من نفسه، ونفذ إلى قلبه آنذاك.

ثانياً: كرم النبي ﷺ وتواضعه:

حينما كان النبي ﷺ ومعه عدي ﷺ في طريقهما إلى البيت حدث أمر مهم تنبه له عدي ﷺ حيث قال: ".. فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها قال: "فقلت لنفسي والله ما هذا بملك". فعدي ﷺ تأمل الموقف وفكره ما يزال متردداً.. وكون امرأة ضعيفة وكبيرة تستوقفه يدل على أنه ليس بملك، فلم يبق إلا أنه نبي.

ولا شك أن للنبوة مهابة! ولذا ألقى له النبي ﷺ وسادة من أدم محشوة ليفاً، وهذا من الإكرام العفوي الذي يطرد الرهبة من نفسه ويجلب الطمأنينة، ثم قال النبي ﷺ له: "اجلس على هذه" زيادة في الإكرام، ولكن لم يبادر عدي ﷺ بالجلوس، فقال: بل أنت فاجلس عليها، ومع هذا كرر النبي ﷺ دعوته، فقال: "بل أنت" وهذا من أدب الضيافة فالمرء لا يكرم في داره. قال: فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض "وهذا تواضع من النبي ﷺ، وقال عدي في نفسه: "والله ما هذا بأمر ملك"، وانزاح الشك من قلبه.

إن النبي ﷺ قد قدم بين يدي دعوته مكارم الأخلاق من خلال احترام عدي وإكرامه، والتواضع له، مما جعل الجو مهيأ لدعوته إلى الإسلام،

ولو شاء النبي ﷺ دعوته أول ما لقيه لفعل، ولكن مما لا شك فيه أن هذه المقدمات قد أثرت في عدي تأثيرا بالغا! فعلى حين أنه قد علم أن هذا الرجل ليس بملك بل نبي مرسل، فقد رأى بأم عينيه وقوفه طويلا مع امرأة ضعيفة، ورأى جلوسه على الأرض، ورأى احترام النبي عليه السلام له وتقديره، ثم إكرامه بكل حفاوة وإدناء.

ومما يدل على أن هذا الإكرام والاحترام من أبرز المعالم في هذه القصة؛ إن الإمام الذهبي – رحمه الله – لما ترجم لعدي قال: "وفد عدي على النبي ﷺ في وسط سنة سبع فأكرمه واحترمه"[(1)] فجعل صفتي الإكرام والاحترام من الصفات البارزة التي تضمنتها سيرته.

ثالثاً: علم النبي ﷺ بحال المخاطب:

لما دخل عدي رضي الله عنه على المصطفى الكريم ﷺ قال له: "يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، ثلاثا. فقال عدي: إني على دين، فقال له: أنا أعلم بدينك منك. فأجاب عدي بقوله: أنت أعلم بديني مني؟.

قال: نعم " ثم أخذ يعدد عليه بعض مبادئ دينه فقال: ألست من (الركوسية) وأنت تأكل (مرباع) قومك. قلت: بلى، قال: هذا لا يحل لك في دينك "

وهذا العلم بحال المخاطب، ومعرفة الداعية لتفاصيل دين المدعو يجعل المدعو في دهشة، ويسلم بأهلية الداعية ولذا قال عدي في نهاية الحوار " "فلم يعد أن قالها فتواضعت لها ".

(1) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، ٣/١٦٣.

رابعاً: كشف الشبهات:

حيث قال النبي ﷺ له: " أما إني أعلم الذي يمنعك عن الإسلام تقول: (إنما اتبعه ضعفة الناس)، (ومن لا قوة لهم)، و(قد رمتهم العرب) هذه شبه كانت تحجب عدي ﷺ عن الإسلام فشرع النبي ﷺ بكشفها حتى إذا آمن يكون راسخا في إيمانه لا تنتابه شكوك، ولا تعتريه شبه، فقال له: " أتعرف الحيرة؟ " قلت: نعم، لم أرها وقد سمعت بها، قال: "فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة – وهي المرأة في الهودج – من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد.

"وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز" وكسرى هو علم على من ملك الفرس، لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز ولذلك استفهم عدي ﷺ وإنما قال ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك ثم قال ﷺ: "وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد. "وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال له: "يا عدي بن حاتم ما أفرك؟ أفرك أن يقال لا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله. ما أفرك؟ أفرك أن يقال الله أكبر، فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟".

خامساً: الاستبشار باستجابة المدعو:

قال عدي ﷺ: فأسلمت فرأيت وجهه – أي النبي ﷺ – استبشر. ولذا الداعي إلى الله ينبغي له أن يكون فرحاً مستبشرا حين يرى نفسا كافرة عتقت من النار بإيمانها بالله سبحانه وتعالى.

سادساً: الدعاء بالهداية لمن يرجى إسلامه:

قال: الحافظ بن حجر: "إن النبي ﷺ كان يرجو الله قبل إسلام عدي أن يجعل الله يد عدي في يد النبي ﷺ "[1].

وكان هذا شأن النبي ﷺ كما دعا الله أن يهدي أم أبي هريرة رضي الله عنهما [2].

بل يطلب أحدهم منه ﷺ أن يدعو على قومه، فيدعو لهم، كما روى الإمام البخاري –رحمه الله– أن طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه قدموا على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن دوسا عَصَتْ وأَبَتْ، فادع الله عليهم، فقيل: هلكت دوساً. قال:"اللهم اهد دوسا وائت بهم"[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط [الأولى، عام ١٤٠٧هـ، الناشر: دار الريان]، ٧/٧٠٦.

(٢) قال الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الأدب المفرد: باب عرض الإسلام =

= على الأم النصرانية، وذكر تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو قول أبي هريرة: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني، إن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى، فقلت لها: فأبت، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لها، فدعى، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب، فقالت: يا أبا هريرة إني أسلمت، فأخبرت النبي ﷺ ، فقلت: ادعي الله لي ولأمي، فقال: "اللهم عبدك أبو هريرة وأمه، أحبهما إلى الناس". الأدب المفرد، ص٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين ليتألفهم، ص٥٩٥، رقم الحديث: ٢٩٣٧.

الفرع الثاني: دعوته ﷺ سلمان الفارسي ومعالمها:

أولاً: دعوة النبي سلمان الفارسي رضي الله عنه:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها جي [1] وكنت أحب خلق الله إلي والدي، فلم يزل بي حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، فاجتهدت في المجوسية [2] حتى كنت قاطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فشغل في بنيان له يوما، فقال لي: يا بني! إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها، وأمرني ببعض ما يريد. فخرجت، ثم قال: لا تحتبس علي، فإنك إن احتبست علي كنت أهم إلي من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري. فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس بحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت إليهم انظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلواتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني! أين كنت؟.. قلت: يا أبه! مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم

---

(١) بالفتح وبالتشديد، مدينة ناحية أصبهان ، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ١٠٥/٣.

(٢) قال عنهم ابن القيم رحمه الله: المجوس من أخبث الأمم دينا ومذهباً، ولا ينتمون إلى ملة، ولا يثبت لهم كتاب.. انظر: أحكام أهل الذمة، لابن القيم الجوزية، ٩٩/١، ت: د. صبحي الصالح.

حتى غربت الشمس. قال أي بني: ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قلت: كلا والله! إنه لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجلي قيدا، ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى، فاخبروني بهم. فقدم عليهم ركب من الشام. قال: فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة، فأخبروني. قال: ففعلوا. فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئا، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع. ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها فإذا جئتم بها كنزها لنفسه، ولم يعط المساكين، وأريتهم موضع كنزه سبع قلال مملوءة، فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبداً. فصلبوه ثم رموه بالحجارة. ثم جاؤوا برجل جعلوه مكانه، فما رأيت رجلا أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدب ليلا ولا نهارا، ما أعلمني أحببت شيئا قط قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان! قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئا قط حبك، فماذا تأمرني وإلى من توصيني؟

قال لي: يا بني والله ما أعلمه إلا رجلا بالموصل [1]، فائته، فإنك ستجده على مثل حالي. فلما مات وغيب، لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدت على مثل حاله من الاجتهاد والزهد فقلت له إن فلانا أوصاني إليك أن آتيك، وأكون معك.

قال فأقم أي بني. قال فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة. فقلت له: إن فلانا أوصى بي إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني به؟ قال: والله ما أعلم، أي بني، إلا رجلا بنصيبين.

فلما دفناه، لحقت بالآخر، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره الموت، فأوصى بي إلى رجل من أهل عمورية [2] بالروم فأتيته فوجدته على مثل حالهم واكتسبت حتى كان لي غنيمة وبقيرات. ثم احتضر فكلمته إلى من يوصي بي؟ قال: أي بني! والله ما أعلمه بقي أَحَدٌ على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فإنه قد أظلك زمانه. فلما واريناه، أقمت حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتي وبقراتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى، ظلموني فباعوني عبداً من رجل يهودي

(١) بالفتح وكسر الصاد المدينة المشهورة وتقع بالعراق، وهي مدينة قديمة الأس على طرف دجلة معجم البلدان، ٤/٣٤٠.

(٢) بفتح أوله وتشديد ثانيه بلدة في الروم، فتحها المعتصم عام ٢٢٣هـ، انظر معجم البلدان، ٣/٣٥٥.

بوادي القرى. فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي.. حتى قدم رجل من بني قريظة وادي القرى، فابتاعني من صاحبي، فخرج بي حتى قدمنا المدينة. فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتها.

فأقمت في رقي، وبعث الله نبيه ﷺ، بمكة لا يذكر لي شيء من أمره مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله ﷺ قباء، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له، فوالله إني لفيها إذ جاءه ابن عم له، فقال يا فلان! قاتل الله بني قيلة (1)، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي. فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء – يقول الرعدة – حتى ظننت لأسقطن على صاحبي. ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة، وقال: مالك ولهذا، أقبل على عملك. فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبرا، فأحببت أن أعلمه.

فلما أمسيت، وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحابا لك غرباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتك أحق من بهذه البلاد، فهاك هذا، فكل منه.

قال: فأمسك، وقال لأصحابه: كلوا. فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي.

ثم رجعت، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئا كان عندي ثم جئت به فقلت: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية. فأكل

(1) أي الأنصار. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ١/٥١٢.

رسول الله ﷺ وأكل أصحابه، فقلت: هاتان خلتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة، فاستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف. فلما رآني استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي! فقال لي: تحول. فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان في الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر [(١)] وأحد [(٢)].

ثم قال رسول الله: كاتب يا سلمان [(٣)]. فكاتبت صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: "أعينوا أخاكم"، فأعانوني بالنخل.. فقال: "اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي" ففقرت لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها، وأخبرته، فخرج معي إليها نقرب له الودي [(٤)]، ويضعه بيده.

فو الذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة. فأديت النخل،

---

(١) بدر: أي غزوة بدر، وكانت في السابع من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة، فتح الله على نبيه ﷺ فيها بالظفر على من أشرك بالله. انظر: البداية والنهاية ٢٥٥/٣.

(٢) أحد: أي غزوة أحد، وكانت في شوال سنة ثلاث للهجرة، وفيها انكشف المسلمون، وأصاب العدو منهم، حتى كسرت رباعية النبي ﷺ وشج وجهه، وكان يوم بلاء وتمحيص. انظر: البداية والنهاية، ١٠/٤.

(٣) المكاتبة: وهي أن يكتب السيد على نفسه لعبده العتق إذا أدى إليه المال منجما، ويكتب العبد على نفسه لسيده أن يؤدي إليه المال، فإذا أدى جمع ما عليه عتق. انظر لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، ج١، ط١ الثانية، عام ١٤١٢هـ، دار صادر – بيروت لص٧٠٠. مادة: كتب

(٤) الودية: جمع ودي: وهي صغار الفسيل. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٥١٢/١.

وبقي علي المال. فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة دجاجة من ذهب من بعض المغازي. فقال: "ما فعل الفارسي المكاتب"؟ فدعيت له، فقال: "خذها فأد بها ما عليك" قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك. فأخذتها فوزنت لهم منها أربعين أوقية، وأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حراً، ثم لم يفتني معه مشهد [1].

ثانياً: معالم دعوته سلمان الفارسي رضي الله عنه:

يتبين من قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه عَدَدٌ من المعالم منها:

أولاً: هداية التوفيق والإلهام:

إن طالب الحق المتجرد عن الهوى حتما سيجده طال الزمان أو قصر، ومن اجتهد للوصول إلى الحق فالله سيهديه إلى السبيل القويم، لقد بذل سلمان من نفسه الكثير كما اتضح من القصة في سبيل الوصول إلى المنعوت والتحقق من ذلك بنفسه فهداه الله تعالى، وساقه إلى الحق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

قال ابن قيم الجوزية: فهذا دليل التوفيق عرج بسلمان من تأجيج نار المجوسية إلى مناظرة أبيه في الوثنية، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب إلا القيد، فنزل به ضيف "ولنبلونكم" فنال بإكرامه مرتبة "سلمان منا آل

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠٥/١، وقال محقق الكتاب: رجاله ثقات، وإسناده قوي، فقر صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد وابن هشام وابن سعد، وأخرجه الإمام أحمد ٤٤١/٥.

(٢) سورة : العنكبوت . آية رقم : ٦٩ .

البيت" فسمع ركبا إلى الشام فركب راحلة العزم يرجو إدراك السعادة، فوقف نفسه على خدمة الأدلاء، فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم سلموا إليه أعلام الأعلام على نبوة نبينا، وقالوا: إن زمانه قد ظل فاحذر أن تضل، فرحل مع رفقة لم يرفقوا به" وشروه بثمن بخس دراهم معدودة" فابتاعه يهودي بالمدينة.

فلما رأى الحرة حداه الشوق، وبينما هو يكابد ساعات الانتظار؛ قدم البشير بقدوم البشير، وسلمان في رأس النخلة وكاد القلق أن يلقيه لولا أن الحزم مسكه، فعجل النزول لتلقي ركب البشارة، فلكمه سيده وصاح به: انصرف إلى شغلك.

فقال: كيف انصرافي ولي في داركم شغل؟

فلما لقي الرسول عارض نسخة الرهبان بكتاب الأصل فوافقه. فسلمان غاص في بحر البحث ليقع بدرة الوجود[1] وذلك من توفيق الله له فرضي الله عنه وأرضاه.

ثانياً: الدعوة بالفعل:

من سياق القصة يتضح أن النبي ﷺ دعا سلمان بعدد من الأفعال والسلوكيات التي أسهمت في تعريفه بحقيقة النبي ﷺ، ومن ثم تأثره وقبوله للدعوة فالصدقة أمسك عنها نظراً لأن هذه سنته، وأمر أصحابه أن يأكلوا، والهدية أكلها وهي من سنته، وأكل معه أصحابه رضي الله عنهم، وبهذا تحققت خلتان كان سلمان رضي الله عنه يعلم أنها من خلاله وسننه عبر ما كان يجد في كتب النصارى، وبقيت الثالثة وهي خاتم النبوة فساهم

(١) انظر: كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية، ط الرابعة: عام: ١٤٠٧هـ ص٤٦ – ٤٧.

النبي ﷺ في تحقيق مطلبه حينما ألقى رداءه عن ظهره في الجنازة كما سبق بيانه.

وليست الدعوة بالفعل بأقل بلاغاً من الدعوة بالقول، بل أحيانا تكون أبلغ وأكثر تأثيراً، ولذا ترك النبي ﷺ الدعوة باللسان لعلمه أن سلمان رضي الله عنه يبحث بنفسه عن حق علمه، فاهتدى إليه.

ثالثاً: متابعة المسلم الجديد:

ويستفاد أيضا من القصة متابعة من أسلم، والتعرف على حاله وإعانته في سبيل تحريره من كل علائق الكفر، كما فعل المصطفى ﷺ مع سلمان رضي الله عنه.

الفرع الثالث: دعوته ﷺ رسول قيصر ومعالمها:

أولاً: دعوته رسول قيصر:

روى الإمام أحمد – رحمه الله – بإسناده عن سعيد بن أبي راشد أنه قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله بحمص [(١)] – وفي بعض النسخ بمصر – وكان جارا لي شيخا كبيرا قد بلغ العقد أو أقرب. فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله، ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟

قال بلى: قدم رسول الله تبوك [(٢)] فبعث دحية الكلبي [(٣)] إلى هرقل فلما

---

(١) بلد مشهور قديم بين حلب ودمشق، انظر معجم البلدان، ١٢٨/٢.

(٢) تبوك موضع بين وادي القرى والشام انظر المرجع السابق، ٤٣١/١. قلت: هي إحدى مناطق المملكة العربية السعودية، وتقع منها في شمال غرب.

(٣) هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صاحب رسول الله ﷺ، أسلم قبل بدر، وكان يشبه جبريل عليه السلام، وكان من أجمل الناس، بقي إلى زمن معاوية. انظر سير أعلام =

أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم [1] وبطارقتها [2] ثم أغلق عليه وعليهم الدار، فقال: "قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم؟ وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال؟ يدعوني أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقى إليه الحرب. والله لقد عرفت فيما تقرؤون من الكتب لتأخذن فهلم فلنتبعه على دينه، أو نعطيه ما لنا على أرضنا" فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز. فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم؛ قال: إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم، ثم دعا رجلا من العرب كان على نصارى العرب، قال ادع لي رجلا حافظا للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاء بي فدفع إلى هرقل كتابا فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال؛ انظر هل يذكر صحيفته إليَّ التي كتب بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل، وانظر في ظهره هل به شيء يريبك.

قال: فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكا، فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟

=

النبلاء ٢/ ٥٥٠.

(١) القسيس: لفظة سريانية، وهي درجة في الديانة النصرانية، ووظيفته: تقديس القرابين، وعماد المعتمدين، وتزويج المتزوجين، وتأدية خدمة الأسرار، وتوزيعها على الشعب، وتعليهم ووعظهم. انظر: قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ، ط [الأولى، عام: ١٤١٤هـ، دار العاصمة] ١/ ٢٨٣.

(٢) إمام كبير عندهم انظر: قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ١/ ٢٨٣.

قيل ها هو ذا، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: "ممن أنت"؟ فقلت: أنا أخو تنوخ.

قال: "هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيكم إبراهيم؟

قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم فضحك وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى، والله ممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها، والله مخرقه، ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير".

قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي، فأخذت سهما من جعبتي فكتبته في جنب سيفي، ثم إنه ناول الصحيفة رجلا عن يساره. قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية، فإذا في كتاب صاحبي: "تدعوني إلى جنة السموات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟".

فقال رسول الله: "سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار"؟!

قال: فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال: "إن لك حقاً، وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها، إنا سفر مرملون" قال: فناداه رجل من طائفة الناس، قال: أنا أجوزه، ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجري.

قلت: من صاحب الجائزة؟ قيل لي: عثمان، ثم قال رسول الله: "أيكم

(١) سورة القصص، آية ٥٦.

ينزل الرجل؟ فقال فتى من الأنصار: أنا، فقام الأنصاري، وقمت معه، حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله، فقال: "تعالى يا أخا تنوخ" فأقبلت أهوي حتى كنت قائما في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حَبْوَتَهُ عن ظهره وقال: "ها هنا امض لما ضمرت به ! فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل الحمحمة (1) الضخمة (2).

ثانياً: معالم دعوته رسول قيصر:

في قصة رسول قيصر ودعوة النبي ﷺ له معالم منها:

أولاً: تأليف قلب المدعو:

وهذا يمكن معرفته من خلال ما يلي:

أ- حسن الاستقبال:

فرسول قيصر جاء بالكتاب المرسل إلى النبي ﷺ وناوله إياه، فوضعه النبي ﷺ في حجره ثم قال للرسول: "ممن أنت"؟

إن وضع النبي ﷺ للكتاب، وإقباله على الرسول وسؤاله من أين هو؛ ليدل على حسن استقبال من النبي ﷺ لهذا الرسول، وعنايته به.

ب- نداؤه باسمه:

فبعد أن أخبر الرسول ﷺ أنه أخو تنوخ؛ ناداه النبي ﷺ بما أخبره به، ولم يأنف من ذلك، ومناداة المرء بأحب الأسماء إليه؛ من الأشياء التي تجلب وُدَّ المنادَى للمنادِي، وهذا من حسن الاستقبال الذي يؤلف القلب، ويهيؤه لقبول الحق.

---

(1) أي معلق به كما يفهم من غريب النهاية. انظر : البداية والنهاية لابن كثير، ٣، ١٤.

(2) قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد. انظر: البداية والنهاية ١٤/٣.

جـ- الإكرام بالموجود:

قال رسول قيصر: فلما أن فرغ – أي النبي ﷺ – من قراءة كتابي قال: "إن لك حقا، وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها، إنا سفر مرملون".

وبعد أن جوزه عثمان بن عفان رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "أيكم ينزل هذا الرجل؟"، وهذا ينطوي على قدر عال من الإكرام والحفاوة. فضافه فتى من الأنصار.

د- إعانته على أداء مهمته:

لما قام المدعو النصراني مع فتى الأنصار قال التنوخي: ناداني رسول الله فقال: "تعال يا أخا تنوخ" قال: فأقبلت أهوي حتى كنت قائما في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حَبْوَتَهُ عن ظهره وقال: "هاهنا امض لما ضمرت به". قال: فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل الحمحمة الضخمة.

فالنبي ﷺ أعان رسول قيصر في أداء المهمة الثالثة، وهي النظر في ظهر النبي ﷺ، وما كان له أن يفعل لولا أن مكّنه النبي ﷺ من ذلك، والناس قد جبلوا على محبة من أن أحسن إليهم، وكما قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما استعبد الإحسان إنسان

ثانياً: الدعوة بالحسنى:

ومن معالم دعوته ﷺ للتنوخي بذل الدعوة له بالحسنى فنجد المصطفى ﷺ حين دعاه دعاه بالحسنى امتثالا لقوله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [1].

ومن هذا الحسن أن قال له النبي ﷺ "هل لك إلى الإسلام" وهذه الصيغة تحوي ألطف أنواع الطلب، وقال له: "ملة أبيكم إبراهيم" فعبر "بأبيكم" كي يشحذ همته لما هو منسوب لأبيه، وليكون أرغب له.

ولما لم يستجب لم يزد النبي ﷺ على أن ضحك وتلا قوله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [2].

ثالثاً: كشف الشبهات:

ومن المعالم كذلك ما يتعلق بكشف الشبهات ففي كتاب قيصر الذي أرسله مع رسوله؛ شبهة مضللة، فما كان من النبي ﷺ إلا أن كشفها بمسمع من رسول قيصر، لأنه ربما كانت هذه الشبهة قد أشربها قلبه، أو علقت في ذهنه فمنعته من قبول الحق.وهذه الشبهة هي قول قيصر: "تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين فأين النار؟"

فجلى الشبهة بجواب سديد خالٍ من التكلف والتعقيد حيث قال ﷺ: "سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار".

وحيث إن الخطاب موجه إلى كافر فلا يناسب أن يحتج عليه بقرآن أو سنة، ولذا كان الجواب عقليا تدل عليه الفطرة السليمة، والواقع المحسوس.

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٢) سورة القصص: آية ٥٦.

الفرع الرابع: دعوته ﷺ (يحنة بن رؤبة) ومعالمها:

أولاً: دعوته (يحنة بن رؤبة) بعد منصرفه من تبوك:

لما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك تلقاه يحنة بن رؤبة صاحب إيلة، أحد عظماء النصارى – كما جاء وصفه – فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبى ورضي بدفع الجزية، فكتب له ﷺ كتابا يؤمنه هو وقومه، ويؤمن فيه أهل جرباء [1] وأذرح [2]، ونص الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا؛ فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماءً يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر [3]".

ثانياً: معالم دعوته يحنة بن رؤبة:

إن عقد النبي ﷺ الصلح مع يحنة، وأهل جرباء وأذرح، كل ذلك دعوة ضمنية إلى الله، فإن في عقد الصلح مع الروم والعرب، ودفعهم الجزية للمسلمين في ذلك إظهار الولاء للمسلمين، وإظهار قوة الإسلام، ولما زحف المسلمون، ووصلوا أطراف الشام أظهر الكثير من أهل البلاد الولاء للمسلمين، وأقروا لهم بالجزية، وبذلك يقع التلاحم بين أهل الكتاب،

---

(١) هي موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز، انظر معجم البلدان، ٤١/٢.

(٢) بالفتح ثم السكون وضم الراء: بلدة في أطراف الشام، بينها وبين جرباء ميل. انظر معجم البلدان، ١١٠/١.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ١٥/٥.

وأهل الإسلام حيث تستحكم العلاقات والمعاملات بين الجانبين، وأثناء ذلك يَطَّلعون على حقيقة الإسلام وسماحته، وعدله، ونهيه عن الجور حتى على الكافر الذي لا يقر بالإسلام، فإذا قارن أهل الكتاب بين دين الإسلام وما لديهم علموا أن الإسلام دين الرحمة والمساواة والحرية غير المزعومة.

الفرع الخامس: دعوته ﷺ عداساً ومعالمها

أولاً: دعوته ﷺ لعداس:

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما سار إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف، وأشرافهم، وهم أخوة ثلاثة: عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس اليهم فدعاهم إلى الله، وكلمهم لما جاءهم وطلب نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً أرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم: إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ، وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه فيجرئهم ذلك عليه، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه، ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وألجأُوه لحائط عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد الى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويران ما يلقى من سفهاء أهل

الطائف، فتحركت له رحمهما فدعوا غلاماً نصرانياً يقال له عدَّاس وقالا له خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ﷺ، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل فلمَّا وضع رسول الله يده فيه قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عدَّاس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد! فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي بلاد أنت؟ وما دينك؟» قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»؟! فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟! فقال رسول الله: «ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي»، فأكب عدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عدَّاس قالا له: ويلك يا عدَّاس! مالك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟!

قال يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عدَّاس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه[1].

---

(1) انظر: السيرة النبوية – لابن هشام، ٢ / ٤٢٤ . و تاريخ الأمم والملوك – للإمام ابن جرير، ١ / ٥٥٤ والسيرة النبوية – للحافظ بن كثير، ط [الأولى، عام: ب.ت، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت] ٢ / ١٥٠ . والبداية والنهاية – لابن كثير، ٤/ ٣٣٧. والسيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق – د.سليمان بن حمد العودة ص/ ٣٠٣. وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أخرج هذه القصة ابن إسحاق بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً . انظر: حاشية فقه السيرة – للشيخ الغزالي ص/ ١٣٢.

ثانياً: معالم دعوته لعداس:

مما يستفاد من دعوته ﷺ لعداس أمور منها:

أ- جواز قبول هدية الكافر واستعمالها.

ب- إنَّ الرسول ﷺ لا يحتقر أحداً في تبليغه رسالة ربه، فقد دعا الغلام النصراني عداس المزارع وحاوره حتى أسلم، كما يظهر من أسلوب الحوار الذي أوردته بعض كتب السير[1].

ت- تأثير الدعوة بالفعل حيث إن الحوار كان أساسه قيام النبي ﷺ بالتسمية عند الأكل من العنب الذي قدمه له عداس.

ث- التعرف على المدعو وهذا يفاد من سؤاله ﷺ «ومن أهل أي بلاد أنت؟ وما دينك؟» فبادأه بالتعرف على بلاده ودينه، وهو ما كان نقطة البداية في تحول عداس من دينه إلى الإسلام

ج- العناية بالأمور المشتركة مع المدعو، فعندما قال عداس: وأنا رجل من أهل نينوى. قال له رسول الله: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»؟! فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟! فقال رسول الله: «ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي ».

---

(1) انظر: الإصابة لابن حجر ٢٢٧/٤ ، فقد نقل عن التيمي في السيرة أنه قال للنبي ﷺ أشهد أنك عبدالله ورسوله وذكر القسطلاني في المواهب اللدنية ٢٦٩/١ أنه : أكب على يدي رسول الله ﷺ ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم".

المطلب الثاني
دعوة النبي ﷺ لجماعات من النصارى ومعالمها

إن حرص النبي ﷺ على هداية النصارى جعله لا يقتصر على الدعوة الفردية، بل كان يقوم بدعوة الجماعات والوفود وفق أسلوب في غاية الحسن والتنسيق، ويتضح هذا المطلب ذلك من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: دعوته وفد نجران.

الفرع الثاني: دعوته الجارود في وفد عبد القيس.

الفرع الثالث: دعوته وفد بني تغلب.

الفرع الرابع: دعوته وفد طيء.

الفرع الخامس: معالم دعوته ﷺ لجماعات من النصارى.

وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول: دعوته ﷺ وفد نجران[1]:

كتب رسول الله ﷺ إلى الأسقف: "أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم، فقد آذنتكم بحرب، والسلام".

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه، ذعر به ذعراً شديداً، فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة، فدفع الأسقف كتاب

(١) نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون، وهي في عدة مواضع ومنها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة، ولديانتهم بالنصرانية سبب ذكره ياقوت الحموي، انظر معجم البلدان، ٣٢٧/٤.

رسول الله ﷺ فقرأه.

فقال الأسقف: يا أبا مريم! ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذلك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمرا من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه فبعث إلى رجل من أهل نجران فأقرأه الكتاب، فسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل ثم بعث الأسقف إلى رجل آخر أيضا فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل. فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالناقوس، فضرب به، ورفعت المسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، فاجتمع أهل الوادي أعلاه وأسفله، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع رأي أهل الوادي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبدالله بن شرحبيل، وجبار بن فيض الحارثي، — وهما الرجلان اللذان شاورهما الأسقف فوافق رأيهما رأي شرحبيل — فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فقال: علي رضي الله عنه: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه؛ فرد سلامهم ثم سألهم وسألوه، فلم تزل بهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى عليه السلام؟ فإنا نرجع إلى قومنا، ونحن

نصارى، فيسرنا إن كنت نبياً أن نعلم ما تقول فيه؟

فقال رسول الله ﷺ: "ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى عليه السلام"، فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر؛ أقبل مشتملا على الحسن والحسين – رضي الله عنهما – في خميل له، وفاطمة – رضي الله عنها – تمشي عند ظهره للمباهلة[2]، وله يومئذ عدة نسوة.

فقال شرحبيل لصاحبه: يا عبد الله بن شرحبيل، ويا جبار بن فيض: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا، ولم يصدروا إلا عن رأي وإني والله أرى أمراً مقبلاً، وأرى والله إن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً، فكنا أول العرب طعن في عينه، ورد عليه أمره لا يذهب لنا في صدره، ولا من صدور قومه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا أدنى العرب منهم جوارا، وإن كان هذا الرجل نبيا مرسلا، فلاعناه، فلا يبقى على وجه

---

(١) سورة : آل عمران: آية ٥٩ – ٦١.

(٢) المباهلة: هي الملاعنة: يقال: باهلت فلانا أي لاعنته، وكيفيتها بأن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولون: لعنة الله على الظالم منا.. انظر لسان العرب ١١/ ٧٢ ، مادة: بهل.

الأرض شعرة ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحباه: فما الرأي فقد وضعتك الأمور على ذراع فهات رأيك؟

فقال: رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلا لا يحكم شططاً أبداً. فقالا له: أنت وذاك فلقي شرحبيل رسول الله ﷺ، فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك" فقال: وما هو؟ قال شرحبيل: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمت فينا، فهو جائز. فقال رسول الله ﷺ: "لعل وراءك أحداً يثرب عليك" فقال له شرحبيل: سل صاحبي، فسألهما، فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل. فقال رسول الله ﷺ: "كافر"، أو قال "جاحد موفق".

فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم كتابا مشهورا يذكر فيه شرائع الدين، فلما قبضوا كتابهم، انصرفوا إلى نجران، فتلقاهم الأسقف، ووجوه نجران على مسيرة ليلة، ومع الأسقف أخ له من أمه، وهو ابن عمه من النسب، يقال له: بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف. فبينا هو يقرؤه، وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كَبَتْ ببشر ناقته؟ فتعس بشر، غير أنه لا يكني عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد تعست نبيا مرسلا، فقال بشر: لا جرم والله لا أحل عنها عقدا حتى آتيه فضرب وجه ناقته نحو المدينة، وثنى الأسقف ناقته عليه فقال له: افهم عني إنما قلت هذا لتبلغ عني العرب مخافة أن يقولوا: إنا أخذنا حمقة أو خنعنا لهذا الرجل بما لم تخنع به العرب، ونحن أعزهم وأجمعهم دارا، فقال له بشر: لا والله لا أقيلك ما خرج من رأسك أبدا، فضرب بشر ناقته؟ وهو مول ظهره للأسقف وهو يقول:

إليك تغدو قلقا وضينها معترضا في بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

حتى أتى النبي ﷺ ولم يزل معه حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك، ودخل الوفد نجران، فأتى الراهب ابن أبي شمر الزبيدي، وهو في رأس صومعة له، فقال له: إن نبيا قد بعث بتهامة، وإنه كتب إلى الأسقف، فأجمع أهل الوادي أن يسيروا إليه شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض، فيأتونهم بخيره، فساروا حتى أتوه، فدعاهما إلى المباهلة، فكرهوا ملاعنته، وحكمه شرحبيل؛ فحكم عليهم حكما، وكتب لهم كتابا ثم أقبل الوفد بالكتاب حتى دفعوه إلى الأسقف، فبينا الأسقف يقرؤه، وبشر معه حتى كبت ببشر ناقته فتعسه، فشهد الأسقف أنه نبي مرسل، فانصرف أبو علقمه نحوه يريد الإسلام، فقال الراهب: أنزلوني وإلا رميت بنفسي من هذه الصومعة، فأنزلوه، فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله ﷺ منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء والقعب والعصا، وأقام الراهب بعد ذلك يسمع كيف ينزل الوحي، والسنن، والفرائض، والحدود، وأبى الله للراهب الإسلام، فلم يسلم، واستأذن رسول الله ﷺ في الرجعة إلى قومه؟ وقال: إن لي حاجة ومعاداً إن شاء الله تعالى، فرجع إلى قومه فلم يعد حتى قبض رسول الله ﷺ. وإن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب، ووجوه قومه، وأقاموا عنده يستمعون ما ينتزل الله عليه فكتب للأسقف الكتاب وللأساقفة بنجران بعده كتابا، فلما قبض الأسقف الكتاب، استأذن في

الانصراف إلى قومه ومن معه، فأذن لهم، فانصرفوا [1].

وورد في سبب نزول أول سورة آل عمران ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ [2] "أنهم خاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، فقال لهم النبي ﷺ، " ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه "؟! قالوا: نعم، قال: "ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ "قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟". قالوا: بلى، قال: "فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟" قالوا: لا، قال. "ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟!" قالوا: بلى، قال: "فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟ "قالوا: لا قال: "فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء". قال: "ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب، ولا يحدث الحدث" ؟، قالوا: بلى قال: "ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يتغذى الصبي، ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويحدث الحدث"؟! قالوا: بلى. قال: "فكيف يكون هذا كما زعمتم؟" قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ الآية [3].

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة سلمة بن يسوع فما فوقه . انظر حاشية زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، ط [الخامسة، عام: ١٤٠٧ مؤسسة الرسالة] ٦٣٧/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية ١ – ٢.

(٣) أورده الواحدي في أسباب نزول أول سورة آل عمران انظر ط[الأولى، عام: ١٩٨٣م، مكتبة الهلال – بيروت –] ص٦٨، وانظر العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط [الأولى، عام: ١٤١٨هـ، الناشر: دار ابن الجوزي] ٦٥٧/٢.

وروى البيهقي بإسناد صحيح إلى ابن مسعود، أن السيد والعاقب[1] أتيا رسول الله ﷺ فأرادا أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه فوالله إن كان نبياً فلاعنته لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا، قالوا له: نعطيك ما سألت، فابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال:

"لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقاً أميناً"، فاستشرف لها أصحابه، فقال: "قم يا أبا عبيدة بن الجراح"[2]. وفي صحيح مسلم "من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا ومما قالوا: أرأيت ما يقرؤون" يا أخت هارون"، وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم"[3][4].

الفرع الثاني: دعوته ﷺ الجارود في وفد عبد القيس:

وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش وكان نصرانياً[5] فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه فعرض عليه الإسلام، ودعاه إليه،

---

(١) وذكر ابن سعد أن العاقب والسيد أسلما، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط لدار العاصمة] ٢١٩/١.
وانظر: الرحيق المختوم للمباركفوري ط [الأولى، عام: ١٤٠٦هـ، دار القلم – بيروت] ص٤٣٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب/ مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ص٧٦٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، انظر مختصر صحيح الإمام مسلم، للمنذري، ط [السادسة، عام ١٤٠٧هـ – المكتب الإسلامي] برقم: ١٤٠٢.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ٣/ ٦٢٩ – ٦٣٧.
البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٤٨. الرحيق المختوم، ص٤٣٣.

(٥) هو الجارود بن بشر بن المعلى في وفد عبد القيس، وكان نصرانيا، انظر البداية والنهاية ٤٤/٣.

ورغبه فيه، فقال: يا محمد إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي ديني؟

فقال رسول الله ﷺ: "نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه". فأسْلَمَ وأسْلَمَ أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان فقال: "والله ما عندي ما أحملكم عليه". قال يا رسول الله: إن بيننا وبين بلادنا ضوالا من ضوال الناس أفنتبلغ عليها إلى بلادنا، قال: لا، إياك وإياها فإنما تلك حرق النار. قال: فخرج الجارود راجعا إلى قومه وكان حسن الإسلام صلبا على دينه حتى مات(١).

الفرع الثالث: دعوته ﷺ وفد بني تغلب(٢):

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن لا يضيعوا أولادهم في النصرانية، وأجار المسلمين منهم(٣).

الفرع الرابع: دعوته ﷺ وفد طئ مع زيد الخير رضي الله عنه:

وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيئ وفيهم زيد الخيل(٤)، وهو سيدهم

---

(١) المرجع السابق، ٤٤/٣.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: هم "بنو تغلب بن وائل بن ربيعة بن نزار، من صميم العرب، انتقلوا في الجاهلية إلى النصرانية، وكانوا قبيلة عظيمة لهم شوكة قوية.." أحكام أهل الذمة، ٧٥/١.

(٣) المرجع السابق ٨٣/٣.

(٤) هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد الرضا بن أفصى بن المختلس ويرجع نسبه إلى طيء، وفد سنة تسع، وسماه النبي ﷺ زيد الخير، وكان شاعرا خطيبا شجاعا كريما، يكنى أبا مكنف، قيل مات بعد منصرفه من رسول الله ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط [الأولى، عام: ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان] ٥١٤/٢.

فلما انتهوا إليه وكلموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام؛ فأسلموا، وحسن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ: "ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني؛ إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل؛ فإنه لم يبلغ الذي فيه، ثم سماه رسول الله ﷺ: زيد الخير، وقطع له فيد وأرضين معه، وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا إلى قومه [(١)].

الفرع الخامس: معالم دعوته ﷺ لجماعات من النصارى:

يمكن إبراز معالم دعوته ﷺ لجماعات من النصارى من خلال الآتي:

أولاً: معالم الدعوة المتعلقة بميدان الدعوة:

جواز دخول المدعوين من النصارى مساجد المسلمين إذا كان لمصلحة، ويسهم في اطلاعهم على محاسن الإسلام [(٢)]، بل يجوز أن نأذن لهم في زيارة بيوتنا مع الأمن من الفتنة، والمحافظة على الحرمات إذا كان ذلك فيه تأليف لقلوبهم [(٣)].

ثانياً: معالم الدعوة المتعلقة بالأساليب:

١) جواز مجادلة المدعوين من النصارى ومناظرتهم بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذ ظهرت مصلحته مِنْ إسلام مَنْ يرجى إسلامه منهم [(٤)]

٢) إنَّ السنة في مجادلة النصارى– وغيرهم إذا قامت عليهم حجة الله، ولم

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٥٧/٣. وزاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١٦/٣.

(٢) انظر: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام – د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط الأولى، عام ١٤٢٠هـ الناشر :ب. ذ] ص/ ١٧٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص/ ١٨٠.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٣٨/٣ – ٦٤٤.

يرجعوا، بل أصروا على العناد- أن يدعون إلى المباهلة.

٣) أهمية كشف الشبهات، ونقدها للوصل إلى قناعة المدعو، ويقينه بأن الإسلام لا مرية فيه على الإطلاق.

٤) إنَّ المباهلة دليل محسوس يفضي بالمدعو إلى الإذعان، ويبهته في بعض الأحيان، وكذا سائر الأدلة المحسوسة إذا أحسن الداعي استخدامها.

ثالثاً: معالم الدعوة المتعلقة بالداعية:

١) أهمية بعث الإمام أو من ينيبه الرجل العالم إلى المدعوين لما فيه مصلحة الإسلام، وأنه ينبغي أن يتصف بكونه أمينا، وهو الذي لا غرض له ولا هوى، وإنما مراده مجرد مرضاة الله ورسوله، كحال أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

٢) جواز ترك الداعية دعوة النصارى إذا ظهر منهم التعاظم والتكبر وإشعارهم بذلك إلى حين زوال ذلك الحال، فإن رسول الله ﷺ لم يكلم رسل القوم، ولم يرد السلام عليهم حتى لبسوا ثياب سفرهم، وخلعوا الحلل التي كانوا يجرونها، وخواتيم الذهب التي كانوا يلبسونها.

٣) على الداعية إعداد نفسه للمناظرة إذا تطلبت الدعوة ذلك، فإن أشكل عليه أمر ينبغي أن يسأل من هو أعلم منه فرسول الله ﷺ لما سأله وفد نجران: ما تقول في عيسى عليه السلام؟ ولم يكن لديه الجواب قال: "ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى عليه السلام"، فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

٤) على الداعية استشراف مستقبل الدعوة في الموقف الذي هو فيه، فإذا إذا لم يتمكن من إصلاح المدعو فعليه أن يبذر بذرة الخير، التي قد تنمو في المستقبل، فالنبي ﷺ لما لم يقبل وفد بني تغلب الإسلام، صالحهم على أن لا يضعوا أولادهم في النصرانية.

رابعاً: معالم الدعوة المتعلقة بالمدعو:

أ- إن من معالم الدعوة المتعلقة بالمدعوين قيام النبي ﷺ بدعوة النصارى الجماعية كما قام بدعوة أفرادهم.

ب- من حسن السياسة، وأدب الإسلام وأخلاقه؛ احترام ممثلي الشعوب أو ممثلي القبائل، وإكرامهم، وإنزالهم منازلهم، وذلك بدليل ما كان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من الضيافة، وحسن الاستقبال، وإجزال العطاء. فقد عُلم أن النبي ﷺ كان يستقبل جميع الوفود بأحسن استقبال، ومنهم وفد نجران[2].

---

(١) سورة: آل عمران: آية ٥٩ - ٦١.

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - د. مهدي رزق الله أحمد، ط الأولى، عام ١٤١٢هـ الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض ص/ ٦٧٣.
وانظر تعليق الإمام ابن قيم الجوزية على ذلك في كتابه أحكام أهل الذمة ١/ ١٩١.

ج- إنَّ أحكام الإسلام تقدم للمدعو الذي أسلم بوضوح، وصدق فالجارود لما قال إن بيننا وبين بلادنا ضوالاً من ضوال الناس، أفنتبلغ عليها إلى بلادنا، قال له المصطفى ﷺ: لا، إياك وإياها فإنما تلك حرق النار.

المبحث الثاني

دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى

ويشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة ومعالمها.

المطلب الثاني: دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل ومعالمها.

المطلب الثالث: دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق القتال ومعالمها.

المطلب الأول

دعوته ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة ومعالمها

بعد أن ذكرت دعوته ﷺ للنصارى المباشرة أفرادا وجماعات وهم ممن استقبلهم النبي ﷺ وقدم لهم الدعوة المناسبة؛ فإنه من المهم هنا عرض دعوة النبي ﷺ للنصارى غير المباشرة وذلك من خلال الفرعين التاليين.

الفرع الأول: دعوة النبي ﷺ لنصارى اليمن ببعث معاذ رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذا [1] رضي الله عنه إلى اليمن فقال له: "إنك تأتي قوما أهل كتاب [2] فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم: أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[3].

الفرع الثاني: معالم دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة:

يمكن إبراز معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة من خلال الآتي:

أ- على ولاة المسلمين، أو نوابهم تحسس حاجة الناس للدعوة ثم بعث الدعاة الأَكْفِياء إليهم في أقطارهم.

---

(١) السيد الإمام، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري، شهد العقبة شابا أمردا، أسلم وله ثمان عشرة سنة، وكان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وشهد له النبي ﷺ بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، توفي: سنة ثمان عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة رضي الله عنه، انظر سير أعلام النبلاء، ٤٤٣/١.

(٢) قال الإمام القرطبي: "يعني به اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب". انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ط لمؤسسة قرطبة]، ص١١٣.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا. ص٢٩٨، رقم الحديث: ١٤٩٦.وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، مختصر المنذري، رقم الحديث: ٥٠١.

ب- ينبغي للإمام أو من ينيبه أن يعظ دعاته، ويرشدهم إلى الطريقة المثلى للدعوة، وهذا يتمثل اليوم بعقد الدورات التي تسهم في تأهيل الدعاة، وتكسبهم الخبرات والقدرات على ممارسة الدعوة بصورة أفضل.

ت- على الداعي التدرج في الدعوة والبدء بالأهم فالأهم عند تقديم الدعوة، ولهذا فالسنة أن أهل الكتاب يدعون إلى توحيد الله، والإيمان برسالة محمد ﷺ قبل الدخول في تفاصيل ودقائق وهذا التدرج من التلطف في الخطاب، لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة [1].

ث- على الداعي مراعاة أحوال المدعوين، وما هم عليه من عقيدة ومذهب، حتى يعرف حالهم.. فيستعد لهم، ويقدم لهم ما يناسبهم، وما يصلحهم ببرنامج عملي مرتب.

ج- اختيار الداعية المناسب في الموقع الدعوي الملائم، فكما هو معلوم أن أهل اليمن أهل حكمة، والحكمة يمانية، فلذا بعث النبي ﷺ أعلم أمته، وأفقهها إليهم، وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٣/ ٤١٩.

المطلب الثاني

دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل ومعالمها

في أواخر السنة السادسة من الهجرة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية[1]؛ أرسل رسله بكتبه إلى ملوك الأقاليم يدعوهم إلى الإسلام[2].

وخطوة النبي ﷺ هذه لايوجد لها نظير في تاريخ الديانات السابقة، فإن أحداً من أتباعهم لم يقف هذا الموقف [3] ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك، والزعماء قيل له: إنهم لا يقبلون الكتاب إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضة نقشه: محمد رسول الله، وكان هذا النقش ثلاثة أسطر:

محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، هكذا:

الله

رسول

محمد

وسوف نتناول هذا المطلب من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: دعوته ﷺ للنجاشي.

الفرع الثاني: دعوته ﷺ المقوقس.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه؟، ص٥٩٥، رقم الحديث: ٢٩٣٨.

(٢) انظر : حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد بن بحرق الحضرمي الشافعي ط [الأولى ، عام:١٤٢١هـ ، الناشر: دار المنهاج – بيروت] ص/ ٣٣١.

(٣) انظر : رحمة للعالمين – للقاضي محمد بن سليمان المنصورفوري ١٧٤/١ .

الفرع الثالث: دعوته ﷺ هرقل.

الفرع الرابع: دعوته ﷺ الحارث بن أبي شمر.

الفرع الخامس: دعوته ﷺ أبناء الجلندي.

الفرع السادس: دعوته ﷺ جبلة بن الأيهم.

الفرع السابع: دعوته ﷺ هوذة بن علي الحنفي.

الفرع الثامن: دعوته ﷺ فروة بن عمرو الجذامي.

الفرع التاسع: معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول: النجاشي (ملك الحبشة):

وهذا النجاشي اسمه أصحمة بن الأبجر بعث النبي ﷺ إليه بكتاب سنة ست من الهجرة يدعوه فيه إلى الإسلام، وحمل الكتاب عمرو بن أمية الضمري ونص الكتاب:

((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة؛ فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق الله آدم بيده، وإني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، والمولاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ﷺ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله – عز وجل – وقد بلغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)).

ولما بلغ عمرو بن أمية الضمري [1] كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي، أخذه النجاشي، ووضعه على عينه، ونزل عن سريره على الأرض، وأسلم وكتب بذلك إلى النبي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:" فقد بلغني كتابك يا رسول فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا [2] ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين"[3].

الفرع الثاني: المقوقس (ملك مصر):

واختلف في اسمه فقيل هو: جريج بن متى، وقيل: اسمه بنيامين [4] وهو الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية:

فكتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وحمل الكتاب حاطب بن أبي بلتعة[5] رضي الله عنه، ونص الكتاب:

---

(١) صحابي مشهور، أسلم حين انصرف المشركون من أحد، اتسم بالشجاعة عاش إلى خلافة معاوية، مات بالمدينة. انظر: الإصابة لابن حجر، ٤/٤٩٦.

(٢) أي أضفناه. تقول: قريت الضيف، إذا أحسنت إليه، وتقول لمن هذه صفته: إنه لمقراء للضيف، وقري للضيف، انظر لسان العرب، ١/ ١٧٩.

(٣) انظر: الرحيق المختوم، ص٣٩٢ وزاد المعاد، ٣/٦٨٩. وتاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ط [السابعة، عام: ١٩٦٤]، ص١٥٩.

(٤) انظر الرحيق المختوم، ص٣٩٥.

(٥) وهو من مشاهير المهاجرين، شهد بدرا وبقية المشاهد، وكان رسول الله ﷺ للمقوقس، وكان تاجرا في الطعام، ومن الرماة الموصوفين، وتوفي سنة ثلاثين للهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، =

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[(1)].

فلما دخل حاطب على المقوقس. قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه. فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك. فقال المقوقس: إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليهم قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل فكل نبي أدرك قوما فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي؛ فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا

=

٤٣/٢.

(١) سورة آل عمران، آية ٦٤.

الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخرج الخبء [1] والإخبار بالنجوى وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفع إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ:

"بسم الله الرحمن الرحيم" لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط.

سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك". ولم يزد على هذا، ولم يسلم[2].

الفرع الثالث: هرقل (ملك الروم):

وبعث إلى هرقل بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، وحمل الكتاب دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، ونص الكتاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين [3]، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ

---

(١) الغائب المستور، ويشير إلى إخباره بالمغيبات التي اطلعه الله عليها.

(٢) انظر: زاد المعاد ٦٩١/٣ وتاريخ الإسلام، ١٥٨/١ والبداية والنهاية، ٢٧١/٢.

(٣) الإرسيين: هم الفلاحون والزراعون، ونبه عليهم لأنهم الأغلب والأسرع في الانقياد. انظر شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٢، ط [الأولى، عام: ١٤٠٧هـ، دار القلم – بيروت]، ص٣٥٢.

﴿...كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [1] [2].

الفرع الرابع: الحارث بن أبي شمر[3] (أمير دمشق):

وهو الحارث بن أبي شمر الغساني وكان أميرا بدمشق، كتب إليه النبي ﷺ كتابا مع شجاع بن وهب[4] رضي الله عنه يقول فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك"

ولما بلغه الكتاب قال: ومن ينزع ملكي مني؟ أنا سائر إليه. ولم يسلم[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية ٦٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله. ص٥٩٥، رقم الحديث: ٢٩٤ ومسلم، كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، مختصر المنذري، رقم: ١١٢١.
وانظر: البداية والنهاية، ٢٦٥/٢ ، وتاريخ الإسلام، ١/ ١٥٩.

(٣) ذكر الواقدي القصة بدون إسناد حكاه الألباني، انظر: تحقيقه فقه السيرة للغزالي /ط: السابعة، عام: ١٩٧٦م/، ص٣٨٦.

(٤) ويقال ابن أبي وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك الأسدي، كان من السابقين الأولين، وشهد بدرا، واستشهد باليمامة، انظر: الإصابة لابن حجر، ٢٥٦/٣.

(٥) انظر زاد المعاد، ٦٩٧/٣، والرحيق المختوم، ص٣٤٥.

الفرع الخامس: ابنا الجُلَنْدي (ملك عُمَان):

وكتب النبي ﷺ كتابا إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد أبناء الجلندي، وحمل الكتاب عمرو بن العاص[1] رضي الله عنه، ونصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد. فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإني رسول الله ﷺ إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين. فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام؛ فإن ملككما زائل، وخيل تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما)).

قال عمرو رضي الله عنه: فخرجت حتى انتهيت إلى عُمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد – وكان أحلم الرجلين، وأسهلهما خلقا – فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك، فإن لنا فيه قدوة؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ. وودت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريبا. فسألني؛ أين كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال: وكيف صنع قومه بملكه؟ فقلت أقروه واتبعوه. قال:

---

(١) أسلم قبل الفتح على يد النجاشي وهو بأرض الحبشة، وكان من دهاة العرب، وكان يدنيه ﷺ لمعرفته وشجاعته، وله شأن، عاش بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشرين سنة. انظر: الإصابة لابن حجر، ٤/٥٤٠.

والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم، انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت وما نستحله في ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت: بلى، قال: فبأي شيء علمت ذلك؟

قلت: كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم – وصدق بمحمد ﷺ، قال: لا والله؟ لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله؛ فقال له النياق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين بدين غيرك دينا محدثا؟

قال هرقل: رجل رغب في دين، فاختاره لنفسه، ما أصنع به؟ والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال: أنظر ما تقول يا عمرو، قلت: والله صدقتك. قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله – عز وجل – وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا.

قلت: إنه إن أسلم؛ ملكه رسول الله ﷺ على قومه. فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم، قال: إن هذا خلق، حسن. وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل. قال يا عمرو: تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا. قال: فمكثت ببابه أيام. وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوما فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي، فقال: دعوه، فأرسلت

فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوما، ففض خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قرأته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه. إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحدا بقى غيرك في هذه الخرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتبعته توطئك الخيل، وتبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال: دعني يومي هذا، وارجع إلي غدا.

فرجعت إلى أخيه فقال: يا عمرو، إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي. فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه. فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله هاهنا، وإن بلغت خيله لقت قتالا ليس كقتال من لاقى. فقلت: أنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فقال: ما نحن فيما ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه.

فلما أصبح أرسل إلي، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني[1].

(١) انظر: زاد المعاد، ٣/٦٩٣.

الفرع السادس: هوذة بن علي الحنفي (أمير اليمامة)[1]:

وكتب إلى هوذة بن علي الحنفي، وكان أميرا على اليمامة، بكتاب أرسله مع سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه [2] يقول فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي؟ سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك"، فلما قدم عليه سليط رضي الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ مختوما؛ أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب، فرد ردا ذا وجهين، فقد كتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على رسول الله ﷺ فأخبره وقرأ ﷺ كتابه فقال: لو سألني سيابة [3] من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يده. فلما انصرف ﷺ من الفتح، جاءه جبريل عليه السلام فأخبره بأن هوذة مات، فقال ﷺ: "أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بها بعدي، فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال له رسول الله ﷺ "أنت

---

(١) اليمامة: معدودة من نجد، فتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة ثم صولحوا.. انظر: معجم البلدان، ٤/٥٠٥.

(٢) هو: سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، أسلم قديما، قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأرسله النبي ﷺ إلى هوذة رئيس اليمامة، واستشهد باليمامة فرضي الله عنه وأرضاه، انظر الإصابة، ٣/١٣٦.

(٣) السيابة: "بفتح السين والتخفيف: البلحة، وجمعها سياب"، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ت: ٦٠٦هـ، ط: الثانية، عام: ١٣٩٩هـ، الناشر: دار الفكر، لبنان – بيروت، ٢/٤٣٢.

وأصحابك، فكان كذلك"[1].

الفرع السابع: جبلة بن الأيهم (ملك غسان):

وكتب النبي ﷺ إلى جبلة بن الأيهم وكان ملكا على غسان وهو نصراني فكتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما جاءه الكتاب أسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية ولم يزل على إسلامه حتى كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فارتد عن الإسلام [2] [3].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٦٩٦. والبداية والنهاية، ١٨٣/٤.

(٢) بسبب أنه لطم عين رجل من مزينة في زمن عمر بن الخطاب فقضى بالقصاص فأنف وقال عيني وهينه سواء! ولحق بعمورية ثم ارتد ومات بها كافراً =

= وقال يوماً لجواريه: ابكيتني، فوضعن عيدانهن ونسكن رؤوسهن وقلن

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها اللجاج ونخوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة ... وقد يصبر العود الكبير على الدبر

فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه. انظر: البداية والنهاية، ٦٦/٨. والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقي – للمناوي ط، الأولى عام: ١٤٢٧هـ، دار أطلس الخضراء– الرياض ص/ ٤٨١

(٣) فروة بن عمرو بن النافرة، من بني نفاثة، من جذام، كان عاملاً للروم على قومه بني النافرة (بين خليج العقبة وينبع). انظر الأعلام للزركلي ٥/ ١٤٣.

الفرع الثامن: فروة بن عمرو الجذامي[1]، وكان عاملا للروم (على معان)[2]:

وكتب إلى فروة بن عمرو الجذامي، وقد كان عاملا للروم على معان، فأسلم، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، ولما بلغ ملك الروم إسلامه دعاه، وقال له: ارجع عن هذا الدين نملكك، قال: لا أفارق دين محمد، وإنك لتعلم أن عيسى قد بشر به ولكنك تضن بملكك، فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه على ماء يقال عفراء، بفلسطين فلما قدموه قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء، رحمه الله[3].

الفرع التاسع: معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق الكتب:

يمكن إبراز معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل من خلال الآتي:

أولاً: معالم الدعوة المتعلقة بموضوع الدعوة:

١) التأكيد الدائم على كلمة التوحيد في الدعوة إلى الله.

٢) ذكر العاقبة والثمرة حين قبول الإسلام، وتمنيتهم بالخير في الدنيا والآخرة" أسلم تسلم، ويؤتك الله أجرين".

٣) الإبانة عن الاعتقاد الصحيح في عيسى بن مريم عليه السلام، حيث كان النبي ﷺ يورد ما يدل على هذا المسلك.

---

(١) فروة بن عمرو بن النافرة، من بني نفاثة، من جذام، كان عاملاً للروم على قومه بني النافرة (بين خليج العقبة وينبع). انظر الأعلام للزركلي ٥/ ١٤٣.

(٢) بالفتح: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البقاء، انظر: معجم البلدان، ٢٨٥/٤.

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٤٦/٣ والبداية والنهاية، ٧٧/٥.

٤) عرض جوانب الاتفاق الديني بين الإسلام والنصرانية تمهيداً للدعوة.

٥) إخبار المسلمين بأن هذا الدين سينتصر، وأن الغلبة لأتباعه، والتحذير من زوال ملك من لا يؤمن به، فالملك يبقى بالدين.

٦) بشارة المسلمين بأن ملكهم ودينهم سيبلغ آفاق الدنيا.

ثانياً: معالم الدعوة المتعلقة بالداعية:

١) بذل الوسع في تبليغ الدعوة لنصارى العالم، فإما قبول ودخول في دين الله، وكرامة وعزة، وإما إقامة حجة عليهم، وإعذار أمام الله عز وجل.

٢) إنَّ على ولي أمر المسلمين أو من ينيبه؛ أن يتولى دعوة حكام العالم ورؤساء الناس إلى الإسلام الحنيف بالأسلوب المناسب.

ثالثاً: معالم الدعوة المتعلقة بالوسائل والأساليب:

١) الاستفادة من الوسائل المتاحة في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٢) مشروعية موافقة الأعمال التي تعارف عليها عموم البشر، وإن كانوا كفاراً، وذلك لمصلحة الدعوة إذا كان في دائرة المباح، كما اتخذ النبي ﷺ الخاتم حين علم أن الملوك لا تقبل الكتب إلا مختومة.

٣) جواز تلقيب الكفار بألقابهم المخلوعة عليهم، تأليفا لقلوبهم – إذا لم تكن محظورة شرعا –.

٤) مناسبة الدعوة الصريحة إلى الإسلام بكلمة "أسلم" حينما يرى الداعية أنه سيكون لها تأثير على المدعو

٥) أهمية الجمع في الكتاب المرسل بين الترغيب والترهيب.

٦) كانت تلك الرسائل بأسلوب بليغ حيث اشتملت على الأمر بقوله

"أسلم"، والترغيب بقوله "تسلم ويؤتك"، والزجر بقوله "فإن توليت"، والترهيب بقوله "فإن عليك"، والدلالة بقوله "يا أهل الكتاب"[1]، ولا يخفى على العاقل ما للبلاغة من تأثير.

رابعاً: معالم الدعوة المتعلقة بالمدعو:

١) تنوع صيغة الكتاب إلى النصارى، وذلك بحسب حال قوة المسلمين، وحال المخاطب.

٢) كان لتلك الكتب على المدعوين من النصارى آثار عظيمة منها:

- بلوغ الدعوة ملوك النصارى، وإقامة الحجة، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.
- استجابة ملك الحبشة (النجاشي).
- استجابة ملك عمان (أبناء الجلندي).
- استجابة فروة بن عمرو الجذامي.
- استجابة جبلة بن الأيهم، لكنه ارتد في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- من كفر من ملوك النصارى تأدبوا مع النبي ﷺ وخضعوا له، واعترفوا بنبوته، وأنه الرسول المنتظر[2].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري – للحافظ ابن حجر، ١/٥٨.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ١/٢٣٠.
ومما يؤكد هذا ما نقله ابن حجر في الفتح عن السهيلي أنه بلغه أن هرقل وضع كتاب الرسول ﷺ في قصبة من ذهب تعظيماً له وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة ثم كان عند سبطه. قال السهيلي: فحدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب فلما رآه استعبر وسأل أن يمكنه من تقبيله فامتنع. انظر فتح الباري – للحافظ ابن حجر ١/٤٤.

- تعريف النصارى والعالم باسم النبي ﷺ ودينه الجديد حيث كانت تلك المكاتبات بمثابة حملة إعلامية على نطاق واسع في مصطلح العصر.
- فتحت تلك المكاتبات قناة للدعاة لتقديم الدعوة المباشرة للمدعوين، وذلك حين حمل الصحابة تلك الكتب إلى الملوك.

المطلب الثالث

دعوته ﷺ للنصارى عن طريق القتال وآثارها

تمهيد:

إن الجهاد الذي امتثله رسول الله ﷺ وصحبه الكرام بنوعيه الدفاعي والهجومي(1) كان مكيفاً لإيصال الدعوة إلى الناس، وإزالة العقبات التي تعترض مسيرها وهو ما يطلق عليه "الجهاد الدعوي".

فقد أوضح النبي ﷺ للناس عامة الهدف من الجهاد بقوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي

---

(1) جهاد الرسول ﷺ هل هو هجومي أو دفاعي ؟ وهل الدفاعي بمعناه الضيق أم بمعناه الشامل الذي يشمل إزاحة العوائق التي تواجه طريق الدعوة ؟ أم هو لقيام فريضة الجهاد بصرف النظر عن كونه هجوماً أو دفاعاً ؟.

والجواب أنه قد يسمى دفاعاً ضد عدوان على المسلمين ، وقد يسمى إزاحة عقبة مادية في طريق الدعوة الإسلامية ، وقد يسمى هجوماً وتوسعاً ، باعتبار أن الهجوم على الكفار في عقر دارهم – بعد دعوتهم وتخييرهم – يسهم في إضعاف سلطانهم في تلك المناطق التي يسيطرون على أهلها ، وذلك تمهيداً لإسقاط ذلك السلطان في النهاية، ونشر الإسلام فيها ، ومن ثم ضمها إلى الدولةالإسلامية الوليدة التي تأخذ في التوسع في أرض الله ، ولكن على اختلاف هذه التسميات، فهي كلها تصب في هدف دعوي واحد واضح وهو نشر الدعوة الإسلامية .

وللتوسع والاطلاع على أقوال العلماء من المتقدمين والمتأخرين حول هذا ينظر : الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (رسالة دكتوراة عن الجهاد في صدر الإسلام وفقه الإسلام والعصر الحديث) – د. محمد خير هيكل ، ط [الثانية، عام : ١٤١٧هـ ، الناشر: دار البيارق – بيروت] ، ١ / ٥٠٦–٥٢٤ .

وبحث نفيس لمعالي الشيخ صالح الحصين حول هذا الموضوع انتظم كتاب شركاء لا أوصياء للدكتور حامد الرفاعي ط [الثانية، عام : ١٤٢٧هـ ، الناشر: المنتدى الإسلامي العالمي للحوار] ص/ ١٨٩.

نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ »[1]، فالهدف إذاً واضح للأمراء والجند، حيث وضعوه نصب أعينهم، وهو إنقاذ الناس من الضلالة، ودلالتهم على طريق الهداية، ويؤكد هذا ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي ﷺ: كان إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...»[2]، ولهذا كان يأمر أمير سريته أن يقوم بدعوة عدوه قبل القتال، وأن يخير المقاتلين بين إحدى ثلاث ففي الحديث نفسه: « وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ»[3] وهي إما إلى الإسلام، وإما إلى بذل الجزية[4]، وإلا فالقتال.

فالقتال إذاً خيار أخير للدعوة كما هو بيِّن، وليس هو الهدف لخروج جيش الدعوة[5] كما هو الحال في الحروب الأخرى[6].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، ص/٢٧٧، رقم الحديث: ١٣٩٩. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالقتال حتى يقولوا لا إله إلا الله، ص/ ٣٢، رقم الحديث: ١٢٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم آداب الغزو وغيرها، ص/ ٧٦٨، رقم الحديث: ٤٥٢٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، ص/ ٧٦٨، رقم الحديث: ٤٥٢٢.

(٤) للتوسع في موضوع الجزية وحكمتها ودلالاتها ينظر: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية – محمد الراوي، ط [الأولى، عام: ١٤١٥هـ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض] ص/ ٥٠٩.

(٥) انظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– بحث بعنوان: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ – د. عبد الرحمن بن سليمان الخليفي، عدد: ٢١، محرم، عام: ١٤١٩هـ، ص/٢٦٠.

(٦) كحروب الجاهلية والتي كان من أبرز أهدافها الحصول على الحاجة المعاشية والطمع =

وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باباً بقوله: "دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه، وماكتب النبي إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال "، ثم ساق الشواهد (١).

قال الشيخ محمد أبو زهرة (٢): " ولقد كان تسمية الحرب في الإسلام بالجهاد فيه إيحاء إلى أنها ليست حرب قتل وغَلَب، ولكن دعوة للحق وحماية له من أن يعتدى عليه، وفتح الطريق لتصل الدعوة إلى النفوس، وإزالة الحواجز المانعة.

ولذلك كان على القائد الذي يقود جيش الإسلام إلى الجهاد أن يدعو إلى الإسلام، فإن أسلم من يدعوهم فهم مثلنا، علينا حمايتهم ولهم أخوّتنا، وإن لم يسلموا عرض عليهم العهد على سبيل من إقامة الحق، وفتح الطريق

=

والاستكثار والثأر والانتقام والإرهاب والحصول على الإماء وضرب الرق على المغلوبين وفرض السيطرة على الآخرين بالقوة والصراع لأجل السلطة ، ومنها ما يكون ناشئاً عن بعض المفاهيم الجاهلية المحرضة على القتال كما أن أهداف الحروب في العصر الحاضر بين الدول لاتبعد كثيراً عن تلك ، والفرق إنما هو في تحسين المسميات ، وتزويقها كالحرب التي تشتعل نارها بهدف حماية المصالح الخارجية .والذي يجمع أهداف الحروب القديمة والحديثة أمران :

١- الجري وراء المنافع المادية ، والأطماع الدنيوية ..

٢- حب السيادة سواء كانت سيادة الأمة ، أو سيادة المبدأ . بخلاف هدف الجهاد الإسلامي الذي يعلو على هذا كله ..

ينظر للتوسع : الجهاد والقتال في السياسة الشرعية – د. محمد خير هيكل ، ١/ ١٤-٣٠.

(١) صحيح الإمام البخاري ص/٥٩٥.

(٢) هو محمد بن أحمد أبو زهرة ينتهي نسبه إلى الأشراف ، ولد عام ١٣١٦هـ في المحلة الكبرى إحدى محافظات مصر ، وهو يعد أكبر علماء الشريعة في عصره وترقى في السلم الأكاديمي إلى درجة الأستاذ ومؤلفاته أكثر من أربعين كتاباً منها الخطابة ، تاريخ الجدل في الإسلام ، وأصول الفقه وغيرها وقد توفي عام ١٣٩٤هـ. انظر : الأعلام – للزركلي ٦/ ٢٦.

للدعوة الإسلامية، فمن يجيب ويهتدي دخل الإسلام، ومن لم يستجب فهو حر في معتقده "[1].

إن (الدعوة) و(الجهاد) يكملان بعضهما في عملية نشر الإسلام وتبليغه؛ فكان الجنود المسلمون يفتحون البلد فيعقبهم الدعاة بالفقه والتشريع والحديث والتفسير يشرحون الإسلام ويعلمون الناس قضاياه، وقد تفرق هؤلاء في جميع أنحاء المملكة الإسلامية، فهذا يرحل إلى مصر، وذاك إلى الكوفة، وثالث إلى الشام ورابع إلى إفريقية.. وهكذا فنتج عن ذلك حركة علمية في كل بلد نزلوا فيها[2].

وعلى الرغم من أهمية الجهاد الدعوي إلا أن له شروطاً تجب مراعاتها، وأحكاماً يجب معرفتها، وأحوالاً ينبغي إدراكها ولذا قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى: " ولكن في وقتنا هذا لما تغيّر المسلمون، وتفرقوا وصارت القوة و السلاح عند عدونا، وصار المسلمون الآن – إلا من شاء الله – لا يهتمون إلا بمناصبهم، وشهواتهم العاجلة، وحظهم العاجل، ضعف أمر الجهاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلم يبق في هذه العصور إلا الدعوة إلى الله ﷻ والتوجيه إليه "[3]. ونستعرض هذا المبحث من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: دعوته ﷺ عن طريق القتال.

الفرع الثاني: آثار دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق القتال.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام – الإمام محمد أبو زهرة، ط [ب.ر، عام: ١٩٩٢م، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة]، ص/ ٤٧.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة – جمعه الخولي، ج/٢، ص/ ١٢١.

(٣) انظر: من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز عبدالله بن باز ص/ ١٨ .

الفرع الأول: دعوته عن طريق القتال:

١) مؤته [١]: وكانت (سنة ثمان للهجرة):

بعد أن أرسل النبي ﷺ الكتب إلى الملوك النصارى بعث جيشاً جهة أرض الشام لغزوهم يقيادة زيد بن حارثة ﷺ فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ﷺ فإن قتل فعبد الله بن رواحة ﷺ فالتقى الجمعان في مؤتة، وأخبر ﷺ أن الثلاثة رضي الله عنهم قتلوا، وأخبر أنه أخذ الراية خالد بن الوليد ﷺ ففتح الله على يديه [٢].

٢) تبوك [٣] وكانت (سنة تسع للهجرة):

ثم إنه بعد ذلك غزا النصارى بنفسه، وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغزاة، ولم يأذن في التخلف عنه لأحد، فقدم تبوك، وأقام بها عشرين ليلة ليغزوا النصارى عربهم ورومهم، وأقام ينتظر ليقاتلهم، فسمعوا به وأحجموا عن قتاله، ولم يقدموا عليه [٤].

٣) دومة الجندل [٥] (وكانت سنة تسع للهجرة):

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد [٦] إلى أُكيدر بن عبدالملك [١] كان

---

(١) مؤتة: بضم الميم، وهمز الواو قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. انظر معجم البلدان، ٣٣٦/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، ، رقم: ٤٢٦٢.

(٣) سبق التعريف بهذا المكان .

(٤) صحيح البخاري، ص٩٠٨، رقم: ٤٤١٥.

(٥) دومة الجندل: بضم دومة وفتحها تقع بين المدينة ودمشق، وعليها سور يتحصن به وفي داخله حصن منيع يقال له مارد انظر معجم البلدان ٣٢٥/١. وهي الآن محافظة في منطقة الجوف، شمال المملكة العربية السعودية، ولا زالت آثار ذلك الحصن باقية إلى اليوم.

(٦) ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف الله، وفارس الإسلام، وليث المشاهد السيد الإمام الكبير الأمير، شهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه =

ملكا عليها وكان نصرانيا، وقال رسول الله ﷺ لخالد "إنك ستجده يصيد البقر" فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة، وهو على سطح له ومعه امرأته. وباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، فنزل فأمر بفرسه فاسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته. فلما خرجوا تلقتهم خيل النبي ﷺ فأخذته وقتلوا أخاه وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه.

ولما قدم خالد بن الوليد بأكيدر على رسول الله ﷺ؛ دعاه إلى الإسلام فأبى فصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله وحقن دمه وكتب له كتاباً بالأمان فرجع إلى بلدته [(٢)].

الفرع الثاني: آثار دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق القتال:

المعارك الثلاث: مؤتة، وتبوك، ودومة الجندل كان لها تأثير واضح في مسيرة الدعوة عموماً ومن ذلك:

١. أنها أثارت دهشة العرب، ولفتت أنظارهم إلى المسلمين، فالرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تهابها، ومجرد

=

طابع الشهداء، عاش ستين سنة، توفي سنة إحدى وعشرين بحمص، وقيل بالمدينة، وهو الأقرب. انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٦/١.

(١) هو أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجندل في الجاهلية، كان شجاعا، له حصن وثيق. انظر الأعلام للزركلي، ط الثامنة، عام: ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، ١٢/٦ .

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٣٩/٣. والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقي – للمناوي، ص٤٦٨ .

اللقاء بهم معناه: القضاء على النفس، وطلب الحتف [1].

٢. كان لقاء جيش المسلمين الصغير في مؤتة الذي قوامه ثلاثة آلاف مقاتل مع جيش الروم الذي بلغ مائة ألف مقاتل ثم الرجوع من غير أن تلحق به خسارة تذكر – سوى استشهاد ثمانية منهم الأمراء الثلاثة– ليعد من عجائب الدهر وهو ما أكد أن المسلمين مؤيدون، ومنصورون من عند الله، وأن صاحبهم رسول الله ﷺ حقاً.

٣. أثرت هذه الغزوة في قلوب كثير من القبائل التي كانت ترى عظمة الروم، فرأت هذه القوة الناشئة التي طالت أعظم قوة بكل ثبات وإقدام وشجاعة، لذلك وفدت تلك القبائل المعادية للمسلمين إلى الإسلام، فأسلمت مثلا بنو سليم، وأشجع وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها[2].

٤. كان لهذه الغزوات أيضاً أعظم أثر في تقوية نفوذ المسلمين على جزيرة العرب، بل وتمهيداً لفتوح البلدان الرومانية، فقد تبين للناس أنه ليس لأي قوة من القوات أن تجابه قوة الإسلام [3].

٥. كان لاستجابة الرسول ﷺ تحدي الروم، وتقدمه لقتالهم، وانتظاره إياهم قرابة عشرين يوما دون أن يحركوا ساكنا؛ ضربة قاصمة للسيادة الرومانية في بلاد الشام، وإضعافا لسطوتها على البلاد العربية[4].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص٣٧٧.

(٢) انظر: زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، ج٣، ص٦٠٢.

(٣) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص٣٧٨، ٤٢١.

(٤) انظر: دراسة في السيرة. عماد الدين خليل، ط[الأولى، ١٤٠٦هـ، دار النفائس – الرياض] ص٣٠٢.

٦. كان أيضا من آثار تلك المعارك أن أعلنت الدعوة أن لها وسائل حماية، وصد أي عدوان كان، حتى لو كان من قوة الروم، وهو انتصار نفسي حاسم.

٧. تجدر الإشارة إلى أن الرسول ﷺ لم يكن يكره أحداً على اعتناق الإسلام، أو يهدد بقوة السلاح بل تنتهي مهمته عند بلوغ الدعوة للمدعو يقول أحد المستشرقين: " إن القوة لم تكن عاملاً في نشر القرآن، وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم..و الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، و لا ديناً سمحاً مثل دينهم "(١).

ويقول توماس أرنولد في هذا الصدد: " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، و نستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار، وإرادة حرة، و أن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح " (٢).

---

(١) انظر: حضارة العرب ، غوستان لوبون ترجمة عادل زعيتر، ط ١٩٥٤م دار إحياء الكتب العربية ص/ ٧٢.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ، السير توماس أرنولد ص/ ٤٥ .

الفصل الثالث

ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تحقق مقاصد الدعوة .

المبحث الثاني: بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة.

المبحث الأول

تحقق مقاصد الدعوة بالنسبة لغير المسلمين

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: مقصد الهداية، والرحمة للنصارى.

المطلب الثاني: مقصد تبليغ الرسالة للنصارى.

المطلب الأول

مقصد الهداية والرحمة للنصارى

إن دعوة النبي ﷺ جاءت لمقصد عظيم للغاية وهو الرحمة والهداية للإنسانية كلها، كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (1) ولقد تحقق هذا المقصد من خلال بلوغ الدعوة للنصارى الذين قدم النبي ﷺ لهم الدعوة كما سبق بيانه واستجاب أكثرهم طوعاً واختياراً، ونالتهم الرحمة والهداية. قال ابن قيم الجوزية(2) رحمه الله: "ولم يتخلف عن متابعته إلا الأقلون"(3) بل لقد امتد أثر تلك الدعوة المباركة بتتابع دخول النصارى للإسلام فيما بعد، ولهذا قال ابن قيم: ".. وأما النصارى فكانوا طبق الأرض: فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة (4) والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد" (5). وقال: "فهؤلاء نصارى الشام كانوا ملء الشام، ثم صاروا مسلمين إلا النادر، فصاروا في المسلمين، كالشعرة السوداء في الثور الأبيض"(6).

---

(1) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(2) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن ححريز بن مكي بن زين الدين الزرعي، اشتهر بابن القيم الجوزية لأن والده كان قيماً على مدرسة تسمى الجوزية، ولد سنة: ٦٩١هـ، وكانت وفاته: سنة ٧٥١هـ، انظر: البداية والنهاية، ١٤ /٢٠٢. ومقدمة كتاب أحكام أهل الذمة ١/ ٦٧.

(3) هداية الحيارى لابن القيم الجوزية، ص١٦.

(4) النوبة: بضم النون، وسكون الواو: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر، وهم نصارى أول بلادهم بعد أسوان، والنوبة عدة مواضع منها التي ذكر، انظر معجم البلدان، ٤٠٥/٤.

(5) هداية الحيارى لابن القيم الجوزية ، ط [الأولى، عام: ١٩٩١م، دار الفكر اللبناني]، ص١٦.

(6) هداية الحيارى لابن القيم الجوزية، ص١٨.

المطلب الثاني

مقصد تبليغ الرسالة للنصارى

إن النبي ﷺ مأمور بأن يبلغ رسالة ربه كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١) وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ (٢)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة (٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن مهمة الداعية لا تقف عند حد التبليغ فحسب بل ثمة أمور تتصل بكيفية إقناع المدعو، وبذل أسباب نجاح الدعوة لبلوغ الهدف الأسنى، وهو القبول والاستجابة مع التسليم بأن الداعية يكون قد أدى ما عليه بالبلاغ المبين، الذي يعد مقصداً من المقاصد للإعذار أمام الله، وإقامة الحجة على الخلق يوم الحساب.

ولا مناص هنا من القول بأن البلاغ يستلزم فهم المدعو لرسالة الداعية، ووضوحها لديه ونقائها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا

---

(١) سورة: المائدة آية رقم: ٦٧.

(٢) سورة: القصص، آية رقم: ٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم – للحافظ بن كثير، ١١٠/٣.

يَعْلَمُونَ ﴾ [1] قال أبو السعود: أي يسمع القرآن ويتدبره، ويطلع على حقيقة ما يدعو إليه، وأما الاقتصار على ذكر السماع فلعدم الحاجة إلى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل اللسن والفصاحة [2]. قال الثعالبي: "والمعنى يفهم أحكامه " و قال الحسن: "وهذه آية محكمة، وذلك سنة إلى يوم القيامة" [3] ولأجل هذا الوضوح جاءت استجابة غالبية المدعوين من النصارى، وأما مَنْ لم يستجب منهم فقد تلطف في الخطاب قال شيخ الإسلام: " من كفر من ملوك النصارى تأدبوا مع النبي ﷺ وخضعوا له، واعترفوا بنبوته، وأنه الرسول المنتظر " [4].

وبهذا يعلم أن من جملة ثمار دعوة ﷺ للنصارى تحقق مقاصد الدعوة الكبرى.

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٦ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٤/٤٤ .

(٣) تفسير الثعالبي ٢/١١٧ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ١/٢٣٠ .

المبحث الثاني
بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: معرفة الدعاة لمعالم دعوة النبي ﷺ للنصارى.

المطلب الثاني: معرفة الدعاة لدوافع وموانع استجابة النصارى.

المطلب الأول
معرفة الدعاة لمعالم دعوة النبي ﷺ للنصارى

من ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى وضوح المسلك الدعوي المبني على البصيرة ليكون بادياً وظاهراً للمتبعين لسَنَنه، ويمكن استعراض هذا الجانب من خلال الفروع التالية :

الفرع الأول: معالم الدعوة المتعلقة بميدان الدعوة:

من أبرز المعالم المتعلقة بميدان الدعوة هو التنوع فلم يقصر النبي ﷺ دعوة النصارى في ميدان خاص بل إنه قدم الدعوة لهم في شتى ميادين الحياة بحسب طبيعة الموقف، فنجده داعياً للنصارى في بيته كما وقع مع عدي، وفي مسجده كما وقع مع وفد نجران [1]، وفي البستان كما وقع مع

(١) تجدر الإشارة إلى أنه يمنع دخول غير المسلمين للمسجد الحرام لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا..) الآية، أما بقية المساجد فقال بعض الفقهاء يجوز لعدم وجود ما يدل على منعه ، وقال بعضهم لا يجوز قياسا على المسجد الحرام ، والصواب =

=

عداس، وأينما اتفق وجود مدعو ولهذا يمكن القول بأن ميدان دعوة النصارى هو كل ميادين الحياة.

الفرع الثاني: معالم الدعوة المتعلقة بالداعية:

١) أهمية أن يتصف الداعية الذي يدعو النصارى بصفات منها: الأمانة، واحترام الآخرين وتقديرهم، والبِشْر، والتواضع، ومعرفة حالهم.

٢) أهمية إرشاد الدعاة، وتوجيههم إلى الطريقة المثلى للدعوة قبل قيامهم بذلك من قبل مَنْ هم أعلم وأكثر خبرة.

٣) تبليغ الرسالة لكل أحد مهما تواضعت منزلته، ودنت رتبته فالرسول ﷺ دعا الغلام النصراني (عداس) الذي كان عاملاً في البستان، وجرى بينهما الحوار الذي انتهى بإسلامه رضي الله عنه.

٤) على الداعية إعداد نفسه للمناظرة ليكون قادراً على كشف الشبهات إذا أثارها المدعو والتزود بالعلم، فإن أشكل عليه أمر ينبغي أن يسأل من هو أعلم منه.

=

= جوازه لمصلحة شرعية ولحاجة تدعو إلى ذلك كسماع ما قد يدعوه للدخول في الإسلام .. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء – جمع الشيخ أحمد الدويش، ٢/ ٧٧.
وقد أجاب سماحة عبدالعزيز ابن باز رحمه الله على سؤال مفاده هل يجوز السماح للنصارى أو اليهود أو غيرهم من الكفار دخول المساجد لزيارتها؟ فأجاب رحمه الله بقوله: " لا حرج في دخول الكافر المسجد إذا كان لغرض شرعي وأمر مباح؛ كأن يسمع الموعظة، أو يشرب من الماء، أو نحو ذلك. لأن النبي ﷺ أنزل بعض الوفود الكافرة في مسجده ﷺ؛ ليشاهدوا المصلين، ويسمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم وخطبة، وليدعوهم إلى الله من قريب، ولأنه ﷺ ربط ثمامة بن أثال الحنفي في المسجد لما أتي به إليه أسيرا، فهداه الله وأسلم" مجموع فتاوى ومقالات لابن باز ٨ / ٢٠.

٥) على الداعية استشراف مستقبل الدعوة في الموقف الذي هو فيه، فإذا لم يتمكن من إصلاح المدعو فلا أقل من بذر بذرة الخير، التي قد يهيئ الله من يرعاها في المستقبل.

٦) جواز ترك الداعية دعوة النصارى إذا ظهر منهم التعاظم والتكبر، وإشعارهم بذلك إلى حين زوال ذلك الحال.

٧) أهمية التوثيق لعمل الدعوة حيث كان النبي ﷺ يراسل النصارى ويعاقدهم، ويعطيهم جواره بمواثيق مكتوبة، ومقيدة، وهذا معلم من معالم الدعوة هنا

الفرع الثالث: معالم الدعوة المتعلقة بالوسائل والأساليب:

- **الوسائل:**

١) الاستفادة من وسائل العصر المتاحة في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٢) العناية بالدعوة من خلال الأفعال الحسنة لعظم تأثيرها.

٣) مشروعية موافقة الأفعال التي تعارف عليها البشر إذا كانت في دائرة المباح ولمصلحة الدعوة، كما اتخذ النبي ﷺ الخاتم حين علم أن الملوك لا تقبل الكتب إلا مختومة، ومن ذلك بعض الآداب العامة في اللقاءات الرسمية، وتبادل بطاقات التعارف، ونحو ذلك مما يتطلب معرفته.

٤) التبسط مع المدعوين؛ لتأليف قلوبهم، وإزالة الرهبة من نفوسهم.

٥) مناسبة تلقيب المدعوين بألقابهم الرسمية – إذا لم تكن محظورة شرعا – وقبول هداياهم.

٦) بذل الدعاء في السر والعلن لهداية المدعو.

٧) الجهاد كان أحد وسائل الدعوة التي تم من خلالها إيصال الرسالة

للناس، ووجوده مرهون بظروف وأحوال خاصة يبينها العلماء الراسخون في العلم.

٨) التعريف بالإسلام عن طريق وسائل الإعلام، وتمثل ذلك في مكاتبات النبي ﷺ إذ تعد بمثابة حملة إعلامية على نطاق واسع في ذاك الزمن.

- **الأساليب:**

١) تنوع أساليب دعوة النبي ﷺ للنصارى.

٢) مناسبة أسلوب الدعوة الصريحة إلى الإسلام بكلمة "أسلم" في بعض المواقف.

٣) أهمية الجمع في الكتاب المرسل بين أسلوبي الترغيب والترهيب.

٤) تأثير البلاغة على المدعوين النصارى فقد كانت الرسائل بأسلوب بليغ حيث اشتملت على الأمر بقوله "أسلم"، والترغيب بقوله "تسلم ويؤتك"، والزجر بقوله "فإن توليت"، والترهيب بقوله "فإن عليك"، والدلالة بقوله "يا أهل الكتاب"(١).

٥) أتخذ ﷺ أسلوب الحوار مع النصارى أثناء الدعوة المباشرة سواء كانوا أفراداً أم جماعات.

٦) مشروعية مجادلة المدعوين من النصارى، ومناظرتهم بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذ ظهرت مصلحته من إسلام مَنْ يرجى إسلامه.

٧) السنة في مجادلة النصارى وغيرهم إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد؛ أن يدعون إلى المباهلة إذا ظهرت

---

(١) انظر : فتح الباري – للحافظ ابن حجر العسقلاني ١ / ٣٩ .

مصلحة في ذلك.

الفرع الرابع: معالم الدعوة المتعلقة بالمدعو:

١) أهمية تحسس حاجة الناس في الأقطار للدعوة ثم بعث الدعاة الأكفياء إليهم، كما فعل النبي ﷺ حينما بعث معاذاً إلى اليمن لتقديم الدعوة.

٢) بذل الوسع في تبليغ الدعوة لنصارى العالم بكل أصنافهم قادة، وعامة بما يناسبهم.

٣) تنوع صيغة الكتاب إلى النصارى، وذلك بحسب حال قوة المسلمين، وحال المخاطبين.

٤) التعرف على المدعو لما في ذلك من إتاحة الفرصة للكشف عن خصائص المدعو وعرفه وطباعه وكيفية الوصول إلى إقناعه(١).

٥) تدرج الداعية مع المدعوين النصارى والبدء بالأهم فالأهم.

٦) مراعاة أحوال المدعوين، وما هم عليه من عقيدة ومذهب واتجاه.

٧) اختيار الداعية المناسب في الموقع الدعوي الملائم، فكما هو معلوم أن أهل اليمن أهل حكمة، والحكمة يمانية، فلذا بعث النبي ﷺ أعلم أمته وأفقهها إليهم، وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٨) مشروعية الدعوة الجماعية للنصارى كما فعل النبي ﷺ حينما قام بدعوة الأفراد والجماعات كذلك.

٩) حسن الدعوة وأدب الإسلام يستلزمان احترام ممثلي الشعوب، أو

---

(١) انظر: التدرج في الدعوة – د. إبراهيم بن عبدالله المطلق ط١ الأولى، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ص/ ٨٥.

ممثلي الديانات وإكرامهم وإنزالهم منازلهم، وذلك بدليل ما كان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من الضيافة، وحسن الاستقبال وإجزال العطاء. فقد عُلم أن النبي ﷺ كان يستقبل جميع الوفود بأحسن استقبال وفق تنظيم مناسب.

١٠) استبشار النبي ﷺ وظهور علامات السرور على محياه الكريم عند استجابة المدعو.

١١) متابعته ﷺ حال المسلم الجديد في جوانب حياته الخاصة، ودعمه مادياً ومعنوياً وهو ما تحصل لسلمان الفارسي رضي الله عنه حينما أسلم.

١٢) بذل أحكام الإسلام لمن أسلم بكل وضوح وصدق ، فالجارود رضي الله عنه لما أسلم سأل المصطفى ﷺ: إن بيننا وبين بلادنا ضوالاً من ضوال الناس، أفنتبلغ عليها إلى بلادنا ؟ فجاء الجواب الصريح: لا ، إياك وإياها فإنما تلك حرق النار " وإذ تشير الروايات إلى أن الجارود لما خرج راجعا إلى قومه بأنه كان حسن الإسلام صلباً على دينه حتى مات [1]؛ فلربما كان لنصوع الحق في جوابه ﷺ لسؤاله أحد العوامل التي أسهمت في متانة ديانته وصلابته على الحق.

الفرع الخامس: معالم الدعوة المتعلقة بموضوع الدعوة:

١) التأكيد الدائم على التوحيد في دعوة النصارى وأنه هو الأصل .

٢) الإبانة عن الاعتقاد الصحيح في عيسى بن مريم عليه السلام، حيث كان النبي ﷺ يورد ما يدل على هذا من خلال الآيات التي يسوقها.

٣) عرض جوانب الاتفاق، والقضايا المشتركة بين الإسلام والنصرانية

---

(١) المرجع السابق، ٣/٤٤.

وبين الداعية والمدعو تمهيداً لعرض الدعوة.

٤) إبراز الأجر والثمرة حين قبول النصارى للإسلام، وتمنيتهم بالخير في الدنيا والآخرة" بأن الله يؤتيهم أجرين كما في الحديث.

٥) قد يتطرق الداعية مع المدعو النصراني لموضوع ليس له صلة مباشرة بالدعوة بهدف تأليف قلبه كما فعل مع عداس رضي الله عنه.

المطلب الثاني

معرفة الدعاة لدوافع وموانع استجابة النصارى

من خلال ما سبق اتضح أن النبي ﷺ كان يعرض الإسلام على المدعوين بأحسن عرض وأجمله، ويعطي كلا على قدره، مما يجعل المدعو يتطلع إلى الدخول في الدين، بدوافع شتى ورغبات مختلفة.. إلا أنه ثمة أقوام لم يستجيبوا لأمور عدة، قد تنفرد في شخص وقد تجتمع، وكلما اجتمعت وانضافت في شخص قوي الحجاب، واستحكم العائق.

ولهذا من ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى أن يستلهم الدعاة تلك الدوافع والموانع؛ لتكون ماثلة أمام أعينهم، وهم يقومون بهذه المهمة العظيمة وهي كما يلي:

الفرع الأول: دوافع الاستجابة:

من أبرز دوافع الاستجابة – على ضوء دعوته ﷺ للنصارى ما يلي:

أولاً : الدافع الأخروي:

اتباع الحق:

إن أكثر النصارى الذين اعتنقوا الإسلام بدعوة النبي ﷺ كان الحق مطلبهم، ويصعب حصرهم، ولكن من أمثلة ذلك؛ عدي بن حاتم رضي الله عنه "فقد كان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الإسلام لما تبين له الحق"[(١)]، وهكذا أيضاً سلمان الفارسي رضي الله عنه فإنه غاص في بحر البحث ليقع على الحق اليقين، وعداس الذي قال لصاحبه: " يا سيدي ما في الأرض شيء

(١) هداية الحيارى ص٣٥.

خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي " ، وهكذا الوفد الذين فاضت أعينهم من الدمع ، مما عرفوا من الحق.. والنجاشي ملك الحبشة ، وكان لهذا الدافع أثره مع فروة بن عمرو الجذامي فإنه لما أسلم دُعي إلى ترك الإسلام مقابل التمليك فقال: لا أفارق دين محمد ، وإنك – يعني من خاطبه – لتعلم أن عيسى بشّر به". فما دام أن عيسى ﷺ بشر به إذا هو الحق، فكان اتباع الحق دافعا لفروة إلى الإسلام، ولهذا ينبغي على الداعي حين يدعو نصرانيا؛ أن يغرس في قلبه هذا الدافع، فهو مما يعين – بعد الله – على قبول الإسلام.

ثانياً: الدافع الدنيوي:

بقاء الملك والمنصب:

ويستفاد هذا من الكتاب المرسل إلى ملك عمان، وهما ابنا الجلندي، حيث إن بقاء الملك كان من جملة ما رغبهما بالإسلام وهو قوله ﷺ:".. فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وأن أبيتم أن تقرأ بالإسلام فإن ملككما زائل فكان هذا دافعا من الدوافع التي أوصلتهما بالإسلام.

التطلع للعدل:

كان لحكم النبي ﷺ أثره في قبول الإسلام لمن دعاه، إذ أن بعض النفوس تطمح إلى معرفة الشخص باختبار حكمه فيما حكم فيه، وهذا الذي فعله شرحبيل – وكان ذا رأي وعقل – عندما طلب الأسقف منه أن يرى في كتاب الرسول عليه السلام رأيه، حيث قال: "رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا".

فالتجرد من المصالح الشخصية، ونبذ الهوى، والحكم بميزان العدل صفات إذا تحلى بها الداعية، ولاحت أمام المدعو فإن قلبه سيتعلق بهذا

الداعية بإذن الله.

طلب الأمان:

ونجد أيضا أن طلب الأمان، من الدوافع التي جعلت البعض يسلم لرب العالمين، ولذا رهب النبي ﷺ بعض من كاتبه بسلب الأمن من أرضهم واستباحة بيضتهم، كما قال لابني الجلندي: "وأن أبيتم أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيل تحل بساحتكما"، وهذا ترهيب قد سبق ترغيب، ولقد أثر هذا الأسلوب كثيرا في جذبهم للإسلام بعد تردد أحدهما، فإن النبي ﷺ قد اشتهر أمره، وأنه قد دوخ البلاد بسنابك خيله، فما كان من الملك المتردد إلا أن تسهل وحسم المسألة بإعلان الإسلام.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن سلب الأمن والأمان دافع من الدوافع للنصراني الحربي – أي الذي بينه وبين المسلمين حرب– أما أهل الذمة منهم فلا يقال إن سلبهم الأمان من هذا القبيل، ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)، وعند النسائي "من أهل الذمة" قال ابن حجر: وهو بالمعنى "[1].

وما ورد في الأحاديث من التضييق عليهم في الطرقات، وعدم بداءتهم بالسلام[2] وردنا عليهم إذا سلموا بقول: وعليكم[1]، فسمطها الحاوي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، ص٦٤٦، رقم الحديث: ٣١٦٦.

(٢) صحيح الإمام مسلم، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم الحديث: ٢١٦٧ قال النووي "..وليكن التضييق بحيث لا يقع في وهدة، ولا يصدمه جدار ونحوه، والله أعلم". انظر: شرحه لصحيح الإمام مسلم ٣٨٩/١٤ .

الحقر بلا ظلم، فالله جل جلاله أمر بالعدل والإحسان في كل شيء، وإنما المراد بهذا الحقر إظهار عزة المسلمين، وأن الغلبة لهم لأنهم أصحاب حق، وفي هذا دعوة لهم أيضا، إذ النفوس جبلت على التعلق بمن عنده عزة وغلبة، وكما قيل: المغلوب مولع بالغالب وهذا يكون في المجتمع المسلم.

الفرع الثاني: موانع الاستجابة:

تقدم القول فيما سبق بأن الممتنعين من الدخول في الإسلام من النصارى جزء يسير جدا بالنسبة إلى الداخلين فيه منهم، وكما قال ابن القيم رحمه الله: "ولم يتخلف عن متابعته إلا الأقلون"، ومع قلتهم إلا أن الأسباب المانعة كثيرة، فمن هذه الموانع ما يلي:

=

(١) صحيح الإمام مسلم، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم: ٢١٦٣.
قال ابن القيم رحمه الله:هذا كله إذا تحقق أنه قال: السام عليكم، أوشك فيما قال ذلك، فلو تحقق للسامع أن الذمي قال له: سلام عليكم، لاشك فيه، فالذي تقتضيه الأدلة الشريعة وقواعدها أن يقال له: وعليكم السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ سورة النساء: جزء من آية ٨٦ فندب إلى الفضل وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ﷺ إنما أمر بالاقتصار على قول الراد "وعليكم" بناء على السبب الا وهو قولهم: "السام عليكم" فإذا زال السبب فالعدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه. انظر أحكام أهل الذمة، لابن القيم الجوزية، ١٩٩/١ ت: د. صبحي الصالح .
ومعلوم عند أهل الذوق السليم والأدب الجم أن حسن المعاملة والخلق الحميد – ما دام متظللاً بالشرع – ينبئ عن أصحاب دين عظيم وشريعة سمحة، وقد تكون تلك المعاملة الطيبة سبباً في جذب المدعوين من نصارى وغيرهم إلى الدخول في دين الله كما وقع ويقع.. بخلاف الغلظة والفظاظة. ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران، جزء من آية: ١٥٩.

أولاً: الجهل:

إن الجهل هو السبب هو الغالب على أكثر النفوس النافرة عن الدين، فإن من جهل شيئا عاداه وعادى أهله [1]. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝ ﴾ [2]، قال ابن عباس رضي الله عنه: "يعني الكفار، يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال" [3]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم؛ فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون.." [4] وهذا الجهل تحقق في عدد من النصارى الذين دعاهم النبي ﷺ ولم يستجيبوا.

ثانياً: الحسد:

وهو داء كامن في النفس يرى الحاسد أنه أفضل من المحسود، فلا يدعه الحسد أن ينقاد للحق ليكون من أتباعه [5] كما حصل من وفد نجران حيث نكصوا عن قبول المباهلة خوفا من نزول العذاب بهم، ومع هذا حجبهم عن الإيمان عدة حجب منها الحسد [6] كما مرَ.

---

(١) هداية الحيارى، ص٢١.

(٢) سورة الروم، آية ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، ٤٢٧/٣.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط [الخامسة، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض] ٦٧/١ ت: د. ناصر العقل.

(٥) هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص/ ٢٢.

(٦) انظر قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ط [الأولى، عام ١٤١٤هـ، دار العاصمة– الرياض] ١٦٩/١.

ثالثاً: الرئاسة والملك:

اتضح من خلال ما سبق أن الرئاسة والملك منعت بعض أربابها من اتباع الحق، كملك مصر المقوقس، ولذا قال النبي ﷺ بعد أن جاءه الرد على كتابه: "ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه".

وكذا الحارث بن علقمة، وكان رجلا من العرب تنصر، فعظمته الروم وملوكها.. لما يعلمون من صلابته في دينهم، ولكن حمله على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه وجاهه عند أهلها [(1)].

وكذا الحارث صاحب دمشق، فإنه لما دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام وجعله يتطلع ببقاء الملك إن أسلم؛ حجبه: "ومن ينزع ملكي مني؟".

وكذا هوذة بن علي لما لم يجعل له النبي ﷺ الأمر من بعده رفض الإسلام، ولم يقبله، وقال لعظيم النصارى حين سأله عن السبب في عدم قبوله للإسلام قال: أنا ملك قومي، وان اتبعته لم أملك. فكانت الرياسة والملك مانعاً لهوذة من الاستجابة.

أما هرقل فقد قال صاحب حدائق الأنوار: " لا تخفى حسن سياسة هرقل، وقوة إداركه، وثقوب فهمه بما استدل به على صحة نبوة محمد ﷺ وصدقه من البراهين الإقناعية لو ساعده التوفيق، ولكن غلب عليه حب الرئاسة وهو الداء العضال "[(2)].

رابعاً: التقليد الأعمى:

بعض الممتنعين من قبول الدعوة "هم بمنزلة الدواب السائمة مقلدون

---

(١) تفسير القرآن العظيم – للحافظ بن كثير، ٣٦٩/١.

(٢) انظر: حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد بن بحرق الحضرمي الشافعي ص/ ٣٣٦.

لرؤسائهم وكبرائهم"[١]، كما فعل رسول قيصر فإنه قال بعد أن جاء الهدى: إني رسول قوم، وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم". وعلى الداعي حين يلمس هذا المانع فيمن يدعوه فعليه بذل أسباب العلاج، وسوق موقف المتِّبع من المُتَّبع يوم القيامة.

خامساً: الاستكبار:

إن من المدعويين من يستكبر على قبول الدعوة لأنها من عنصر عربي، حيث يرى البعض أن العنصر العربي تابع له فيستكبر أن يتبع من كان متبوعاً، حتى وإن كان أحق أن يتبع، ومن هؤلاء: الروم، فإنهم رفضوا دين الإسلام حين عرض عليهم، ومن أهم الأسباب؛ "أنه دين قادم من العرب وهم كانوا يستصغرون شأنهم"[٢] حيث قالوا: نكون عبيدا لأعرابي جاء من الحجاز.. وهذا أيضا كان أحد الموانع التي منعت وفد نجران من قبول الدعوة [٣] قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ﴾[٤] الآية.

سادساً: الخوف من الأصحاب والعشيرة:

كما أن من الموانع الخوف من الأصحاب والعشيرة، وهو ما وقع لهرقل فإنه عرف الحق، ويبدو للمتأمل أنه أراد الدخول في الإسلام وانساقت له

---

(١) هداية الحيارى، ص٢٩.

(٢) تاريخ الإسلام، ص١٦٣.

(٣) انظر: قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ١٦٩/١.

(٤) سورة: الأعراف، جزء من آية: ١٦٤.

فطرته فلما لم يطاوعه قومه، وخافهم على نفسه وعلى ملكه اختار الكفر على الإسلام، ولو وفّقه الله للهداية كما وفّق النجاشي لتلطف قومه في ظاهره، وآمن بقلبه، وأحسن إلى المسلمين بيده ولسانه فجمع بين ملك الدنيا والآخرة [1].

سابعاً: الشبهات:

تعترض المدعو أفكار ومعتقدات تحول بينه وبين قبول الدعوة ومن أمثلة ذلك ما حصل لعدي ﷺ وكذا حصل لجماعة من وفد نجران حين خاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، فقال لهم النبي ﷺ، ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟! قالوا: نعم، قال: "ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟" قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه، ويحفظه، ويرزقه؟". قالوا: بلى، قال: "فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ "قالوا: لا، قال. "ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء؟!" قالوا: بلى، قال: "فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟" قالوا: لا قال: "فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء". قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويحدث الحدث ؟!" قالوا: بلى. قال:

---

(١) انظر: حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد بن بحرق الحضرمي الشافعي ص ٣٣٦.

"فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟"[1].

والشبه قد تكون صادرة عن حسن نية، وهذا النوع يدلّ عليه حال المخاطب بعد كشف الشبهة، كما وقع لعدي بن حاتم ﷺ من القبول والتسليم حينما بين له الرسول جواب الشبهة .

وقد تصدر الشبهة عن سوء قصد، ويدل عليه حال المخاطب بعد كشف الشبهة من بقاء على كفر، وإصرار على عناد، كما وقع لقيصر' فإن شبهته كشفها النبي ﷺ وقيدها رسوله، ومع هذا بقي على حالته.

إن أمر الشبهات في هذا العصر من أكثر الموانع انتشاراً حيث إن إثارتها وترويجها عبر الوسائل المتنوعة المكتوبة، والمرئية، والمسموعة أصبحت إحدى المسئوليات التي تعنى بها مراكز الدراسات النصرانية بأساليب مختلفة، ومن أبرز الموضوعات العامة التي تثار حولها الشبه ما يلي:

١- مصدرية الإسلام.
٢- شخصية النبي ﷺ .
٣- القرآن الكريم.
٤- سنة النبي ﷺ.
٥- تاريخ الإسلام على مر العصور.
٦- الزعم بأن القرآن قد حوى بين دفتيه ما يؤيد المعتقدات، والكتب النصرانية.
٧- المرأة في المجتمع المسلم من جوانب مختلفة.

---

(١) وانظر: تفسير ابن كثير، ٣٦٨/١، ففيه رد النبي ﷺ على بعض الشبه عند النصارى.

ولا ريب أن جهود علمائنا ودعاتنا في العالم الإسلامي على مر الأزمان إزاء هذا الإضلال، والتضليل مباركة مشكورة، غير أننا نحتاج في هذا العصر تحديداً إلى بذل المزيد من التصدي للشبه وكشفها بالأساليب المناسبة لحال المخاطب، والعمل على ذلك وفق خطط مدروسة.

وقد عُلم أن في القرآن الكريم والسنة النبوية جواباً لكل شبهة وتفنيداً لكل باطل قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1] والمثل هنا الشبهة، والحق في مقابلها الجواب السديد[2].

---

(١) سورة الفرقان. آية رقم ٣٣.

(٢) قال البيضاوي في التفسير " وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ " اي : "سؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك" أي النبي ﷺ. وقوله : " إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ " اي : الدامغ له في جوابه. وهذا يعم كل شبهة قال ابن عاشور : إشارة إلى أن ما يأتون به من باطل. انظر تفسير المنار ٢٩٦٣/١ و قال ابن زيد في قوله " وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا " : اي ينقض عليهم ما يأتون به. انظر : تفسير الطبري ١٦١/٨.

الخاتمــــة

أحمد الله الذي يسر لي وأعانني على إكمال هذه الدراسة، وفيما يلي أبرز النتائج والتوصيات:

النتائج:

١- ممارسة النبي ﷺ للدعوة العالمية بنفسه، ومنها دعوة النصارى محلياً وعالمياً.

٢- الذين دعاهم النبي ﷺ من النصارى فاستجابوا: عدي بن حاتم، وسلمان الفارسي، وعداس، ووفد من نجران منهم السيد والعاقب، وزيد الخير من وفد طيء، ووفد عبد القيس ومنهم الجارود، والنجاشي أصحمة (ملك الحبشة)، وأبناء الجلندي (ملك عمان)، وفروة بن عمرو الجذامي (عامل الروم على معان) -رضي الله عنهم- أجمعين وجبلة بن الأيهم (ملك غسان) إلا أنه ارتد فيما بعد كما سبق بيانه.

٣- وأما من لم يستجب من النصارى فهم: قيصر (ملك الروم)، والمقوقس (ملك مصر)، والحارث بن أبي شمر(أمير دمشق)، وأكيدر (ملك دومة الجندل)، وهوذة بن علي الحنفي (أمير اليمامة)، وراهب نجران، ووفد بني تغلب، ويحنة بن رؤبة، ، ورسول قيصر.

٤- ملوك النصارى الذين دعاهم النبي ﷺ للإسلام قد تلطفوا معه في الخطاب قال شيخ الإسلام: " من كفر من ملوك النصارى تأدبوا مع

النبي ﷺ وخضعوا له، واعترفوا بنبوته، وأنه الرسول المنتظر"(١)، وبهذا يتبين أن سادة وملوك النصارى المتقدمين أكثر أدباً، وأعظم توقيراً لنبينا ﷺ من بابا الفاتيكان الزعيم الديني للنصارى اليوم الذي تطاول على النبي الكريم ﷺ بما ينبئ عن جهل في التاريخ لمواقف أسياده، ووهن في مسالك السياسة إذ موقفه لا يحقق له أي مصالح سياسية أو دينية، ولكن الحمدلله الذي له الحكمة البالغة في كل أمر.

٥- أبرزت الدراسة معالم دعوته للنصارى، وهي منها ما يتصل بميدان الدعوة، ومنها ما يتصل بأركان الدعوة (الموضوع – الداعية –المدعو – الوسائل والأساليب) ولكلٍ تفصيل جاء في محله من هذه الدراسة.

٦- بذل النبي ﷺ وسعه وجهده وطاقته في دعوة عموم النصارى إلى الإسلام مع إنزال المدعوين منازلهم.

٧- استخدم النبي ﷺ الوسائل التي أتيحت له في عصره، في سبيل نشر، وتبليغ الدعوة إلى عامة النصارى.

٨- كان جهاد النبي ﷺ أحد وسائل إيصال الدعوة، وقد حقق أهدافاً عديدة من بينها الإعلان للعالم أن الدعوة لها وسائل حماية وصد لأي عدوان سواء أكان عربياً أم فارسياً أم رومياً.

٩- حققت دعوة النبي ﷺ ثماراً عديدة منها ما يعود للمدعوين، وهي تحقق مقاصد الدعوة الكبرى، ومنها ما يعود للدعاة وهي بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة.

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ١/ ٢٣٠ .

١٠- كشفت الدراسة عن عدد من موانع، ودوافع الاستجابة لدى من دعاهم النبي ﷺ من النصارى.

التوصيـات:

في ضوء ما أسفرت عنه الدراسة برزت عدة مقترحات وهي:

أ- أهمية دراسة دعوة أمة النصارى بصفة عامة، ودعوة النبي ﷺ لهم بصفة خاصة، وذلك من وجوه البحث المتعددة سواء ما يتصل بالجانب التأصيلي والنظري، أو الجانب الميداني والتطبيقي، لإيجاد قاعدة علمية تسهم في تسهيل عمل الدعاة إلى الله في عصر اتسم بالعناية الفائقة بالمعلومة، وسرعة الحصول عليها.

ب- يوصي الباحث الدعاة إلى الله بممارسة دعوة النصارى عملياً والعناية بذلك قدر الوسع تأسياً برسولنا ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1] سواء في بلاد الغرب أو في بلاد المسلمين لا سيما وقد وفد عدد كبير منهم إلى بلاد المسلمين لأغراضهم المختلفة.

ج- كما يوصي الباحث الدعاة إلى الله أثناء قيامهم بالدعوة بتحري سيرة النبي ﷺ، وطريقته، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2].

(١) سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٢) سورة يوسف، آية ١٠٨.

ولعل ما جاء في صفحات هذه الدراسة من معالم دعوته ﷺ يكون معيناً لهم في تقديم الدعوة للنصارى بالصورة المناسبة.

د- يوصي الباحث الجهات المعنية في العالم الإسلامي بترجمة المزيد من الكتب التي تناولت السيرة النبوية إلى لغات العالم الحية، ومنها ما له صلة بمواقفه ﷺ من النصارى في الجوانب المختلفة.

د- كثير من المسلمين يعلقون الآمال على ولاة أمورهم في أن تكون لهم دعواتهم الخاصة لحكام العالم، ورؤساء الناس إلى دين الإسلام من خلال المكاتبات، والملتقيات والمؤتمرات، وفق المسلك الذي يرونه مناسباً ضمن الإطار الشرعي، وهذا المأمول والمتوقع.

وإنني في الختام أسأل الله ﷻ أن يكتب لهذا البحث القبول، وأن يعم النفع به.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع

١- الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، للشيخ بكر أبو زيد، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار العاصمة].

٢- أسباب النزول، الواحدي، ط [الأولى، ١٩٨٣م – مكتبة الهلال – بيروت].

٣- أحكام أهل الذمة للإمام ابن قيم الجوزية، ت: د. صبحي الصالح.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني، ط [الأولى، عام: ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –].

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط [الخامسة، عام: ١٤١٧هـ، مكتبة الرشد – الرياض –] ت: د. ناصر العقل.

٦- الأدب المفرد للإمام البخاري، ط [الثانية، عام ١٤٠٥هـ] ت: الشيخ الألباني قسم الصحيح.

٧- الأعلام للزركلي، ط [الثامنة، عام: ١٩٨٩م، دار العلم للملايين].

٨- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط [الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الريان].

٩- التدرج في الدعوة، د. إبراهيم بن عبدالله المطلق ط، مركز البحوث والدراسات الإسلامية

١٠- تاريخ الإسلام، لحسن إبراهيم حسن، ط [السابعة، عام: ١٩٦٤].

١١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ط: [١٤٠٥ عالم الكتب

– بيروت –].

١٢- تفسير القرآن العظيم (المنار) – للشيخ محمد رشيد رضا ، ط [الأولى، ١٤٢٣هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت]

١٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ط: [الأولى، عام: ١٤١٤هـ – دار العاصمة].

١٤- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية – د. محمد خير هيكل ط [الثانية، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار البيارق – بيروت].

١٥- حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد ابن بحرق الشافعي ط [الأولى، عام:١٤٢١هـ، الناشر: دار المنهاج بيروت]

١٦- دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، ط [١٤١٢، دار النفائس].

١٧- الدعوة إلى الإسلام – الإمام محمد أبو زهرة، ط [ب.ر، عام: ١٩٩٢م، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة].

١٨- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية – محمد الراوي، ط [الأولى، عام: ١٤١٥هـ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض]

١٩- الرحيق المختوم، المباركفوري، ط [الأولى، ١٤٠٦هـ، دار القلم – بيروت].

٢٠- رحمة للعالمين – للقاضي محمد بن سليمان المنصورفوري، ط [الأولى، عام: ١٤١٠هـ، الناشر: الدار السلفية – الهند]

٢١- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، لابن باز، ط [الرياض: عام ١٤١٥].

٢٢- الدعوة إلى الإسلام، سير توماس. وأرنولد، ط [الثالثة، عام ١٩٧٠م، نشر: مكتبة النهضة المصرية].

٢٣- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ط [السابعة، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة– بيروت].

٢٤- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ط: [الأولى، عام: ١٤٠٧هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت –].

٢٥- العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، ط [الأولى، عام: ١٤١٨هـ، الناشر: دار ابن الجوزي– الدمام].

٢٦- العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقي – للمناوي ط، [الأولى، عام: ١٤٢٧هـ، دار أطلس الخضراء– الرياض]ت: عمر الأحمد.

٢٧- شركاء لا أوصياء، د. حامد الرفاعي ط [الثانية، عام: ١٤٢٧هـ، الناشر: المنتدى الإسلامي العالمي للحوار – جدة].

٢٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ط [الأولى، عام ١٤٠٧، دار الريان– مصر].

٢٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ط [مؤسسة قرطبة].

٣٠- الفوائد لابن القيم، ط [الرابعة، عام: ١٤٠٧هـ].

٣١- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، ط [عام: ١٩٧٣م، الناشر: دار صادر، لبنان – بيروت].

٣٢- فقه السيرة للغزالي، ط [السابعة، ١٩٧٦م، دار إحياء التراث العربي] ت: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٣٣- كيف ندعو غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبد الله المطلق، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، نشر: دار الفضيلة- الرياض].

٣٤- لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، ط [الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار صادر - بيروت].

٣٥- مختصر صحيح الإمام مسلم، للمنذري، ط [السادسة، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي] ت: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٣٦- معجم البلدان لياقوت الحموي، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان].

٣٧- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية، ط [الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت].

٣٨- مجموع الفتاوى لابن تيمية جمع عبد الرحمن ابن قاسم، ط [الأولى، عام: ١٣٨٦هـ].

٣٩- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، ط [مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه] ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٤٠- منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، د. محمد بن سيدي الشنقيطي، ط [الأولى، عام: ١٤١٣هـ، الناشر: مكتبة أمين محمد - المدينة النبوية].

٤١- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بحث بعنوان: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ - د. عبد الرحمن بن سليمان الخليفي، عدد: ٢١ محرم، عام: ١٤١٩هـ.

٤٢- من أقوال الشيخ عبدالعزيز بن باز في الدعوة إلى الله - إعداد زياد السعدون، ط [الأولى، عام:١٤١٣هـ، الناشر: دار الوطن - الرياض].

٤٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب - الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط [الثانية، عام: ١٤٠٩هـ].

٤٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير، ط [الثانية، عام: ١٣٩٩هـ، الناشر: دار الفكر، لبنان - بيروت -].

البحث رقم ٤

المصطلحات الدعوية
تعريفات ومفاهيم

إعداد

د. عبدالله بن محمد المجلي

عميد كلية الدعوة والإعلام

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

المصطلحات الدعوية : تعريفها ومفاهيمها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، ونهج نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد :

فإن تحديد مصطلحات العلوم ومعرفتها من فواتح العلم ومداخله، ولا يستطيع الباحث في أي فرع من فروع المعرفة أن يتعامل بصورة مثلى مع ذلك الفرع ما لم تكن لديه الدراية الكافية بمصطلحاته .

ولما كان علم الدعوة أحد التخصصات العلمية الجديدة التي لها علاقة وثيقة بعدد من العلوم الشرعية والإنسانية كان لزاما على الباحثين فيه أن يعتنوا بمصطلحاته العلمية، وتعريفاته التخصصية .

وبناءً على ذلك جاء هذا البحث الذي عنوانه : (**المصطلحات الدعوية : تعريفها ومفاهيمها**) ليسهم في معالجة : مشكلة تداخل بعض المصطلحات العلمية الدعوية عند بعض الباحثين والدارسين، ومحاولة تحديدها تحديدا دقيقا .

فهو جهد علمي يهدف للوقوف على تعريفات محددة واضحة لبعض المصطلحات الدعوية، وربطها بالعلم الذي تنتمي إليه ربطا مباشراً، كما يسعى لتقريب وجهات النظر المختلفة حول بعض المصلحات، وفتح آفاق جديدة للمزيد من دراستها وتأصيلها .

وعلى حد علم الباحث فإنه لا توجد دراسة متخصصة مستقلة تعنى بتعريف المصطلحات الدعوية، وتحديد مفهومها، ولم يفرد موضوعه ببحث

علمي خاص به، رغم اختلاف عدد من الباحثين في تحديد ماهية بعض المصطلحات، وتعدد مرئياتهم حولها .

ويتكون البحث من مباحث ثلاثة أولها : تعريف المصطلحات الأساسية لعلم الدعوة، وهي : الدعوة مع شرح تعريفها، ومصادر الدعوة، وأركانها، والمنهج الدعوي، وركائزه، ومظاهره، والحكمة الدعوية، والأساليب الدعوية، ووسائل الدعوة، وميادينها، والدعوة والاتصال .

وثانيها : تعريف المصطلحات ذات العلاقة المباشرة بعلم الدعوة، وهي : الإصلاح، والتجديد، والإرشاد، والتبليغ، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسبة، والسلف الصالح، والدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية .

وثالثها : تعريف مصطلحات الأساليب والوسائل وهي : الخطبة، والوعظ، والجدل، والمناظرة، والمحاورة، والمباهلة، والمداراة، والقدوة الحسنة، والهجر، والجهاد .

ويقوم البحث في منهجه العلمي على تتبع المصطلحات الدعوية الأكثر استخداما باستقرائها في مضانها العلمية، ثم محاولة وضع مفاهيم أو تعريفات جديدة لها بالاستفادة من الجهود العلمية السابقة للباحثين في هذا المجال، أو اختيار وترجيح ما يحقق هدف البحث وغايته من التعريفات والمفاهيم القائمة .

ولقد بذل الباحث جهده في تتبع المصطلحات الدعوية المهمة، وحاول أن يقدم تعريفات علمية لها مستعينا بالله تعالى، ثم مستفيدا من آثار العلماء السابقين وجهود الباحثين المتخصصين في علم الدعوة رحم الله الأموات ووفق الأحياء للهدى والصواب .

ويرى الباحث أن الحاجة ماسة للمزيد من البحث والاستقصاء في هذا المجال، وأن من المهم أن يجتهد المتخصصون في علم الدعوة من أجل الوصول إلى مفاهيم علمية مشتركة للمصطلحات الدعوية تساعد على ترسيخ مكانة العلم وتنميته وتطويره، لاسيما وأن هناك تفاوتا ظاهرا في فهم بعض المصطلحات، وتحديدها عند كثير من الباحثين والدارسين .

والله المسؤول أن يجعل هذا العمل خالصا صوابا متقبلا، وأن ينفع به الجميع .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، ونهج نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين... **أما بعد:**

فإن تحديد مصطلحات العلوم ومعرفتها من فواتح العلم ومداخله، ولا يستطيع الباحث في أي فرع من فروع المعرفة أن يتعامل بصورة مثلى مع ذلك الفرع ما لم تكن لديه الدراية الكافية بمصطلحاته.

ولما كان علم الدعوة أحد التخصصات العلمية الجديدة التي لها علاقة وثيقة بعدد من العلوم الشرعية والإنسانية كان لزاما على الباحثين فيه أن يعتنوا بمصطلحاته العلمية، وتعريفاته التخصصية.

وبناءً على ذلك جاء هذا البحث الذي عنوانه:

(المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم)

ليسهم في معالجة: مشكلة تداخل بعض المصطلحات العلمية الدعوية عند بعض الباحثين والدارسين، ومحاولة تحديدها تحديدا دقيقا.

فهو جهد علمي يهدف للوقوف على تعريفات محددة واضحة لبعض المصطلحات الدعوية، وربطها بالعلم الذي تنتمي إليه ربطا مباشراً، كما يسعى لتقريب وجهات النظر المختلفة حول بعض المصلحات، وفتح آفاق جديدة للمزيد من دراستها وتأصيلها.

وعلى حد علم الباحث فإنه لا توجد دراسة متخصصة مستقلة تعنى بتعريف المصطلحات الدعوية، وتحديد مفهومها، ولم يفرد موضوعه ببحث علمي خاص به، رغم اختلاف عدد من الباحثين في تحديد ماهية بعض المصطلحات، وتعدد مرئياتهم حولها.

ويتكون البحث من مباحث ثلاثة:

أولها: تعريف المصطلحات الأساسية لعلم الدعوة، وهي: الدعوة مع شرح تعريفها، ومصادر الدعوة، وأركانها، والمنهج الدعوي، وركائزه، ومظاهره، والحكمة الدعوية، والأساليب الدعوية، ووسائل الدعوة، وميادينها، والدعوة والاتصال.

وثانيها: تعريف المصطلحات ذات العلاقة المباشرة بعلم الدعوة، وهي: الإصلاح، والتجديد، والإرشاد، والتبليغ، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسبة، والسلف الصالح، والدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية.

وثالثها: تعريف مصطلحات الأساليب والوسائل وهي: الخطبة، والوعظ، والجدل، والمناظرة، والمحاورة، والمباهلة، والمداراة، والقدوة الحسنة، والهجر، والجهاد.

ويقوم البحث في منهجه العلمي على تتبع المصطلحات الدعوية الأكثر استخداما باستقرائها في مَضَانِّها العلمية، ثم محاولة وضع مفاهيم أو تعريفات جديدة لها بالاستفادة من الجهود العلمية السابقة للباحثين في هذا المجال، أو اختيار وترجيح ما يحقق هدف البحث وغايته من التعريفات، والمفاهيم القائمة.

والله تعالى الموفق والمسدد، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

المصطلحات الأساسية

١- تعريف الدعوة:

في اللغة: أصلها (دعو)، ولها معان كثيرة منها: الحث والحض والطلب والنداء والصياح والدعاء والابتهال والرجاء والرغبة [١].

أما في الاصطلاح: فإن الدعوة كغيرها من المصطلحات العلمية تعددت عبارات المتخصصين في تعريفها، وبيان معناها، وتنوعت أساليبهم في ذلك، ومن تعريفات الدعوة:

١. الدعوة هي: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق [٢].

٢. الدعوة هي: قيام من عنده أهلية النصح الرشيد والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة [٣].

٣. الدعوة هي: قيام العلماء والمستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة [٤].

٤. الدعوة هي: فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي يجذب بها

---

(١) انظر: لسان العرب/ابن منظور : ٢٥٧/١٤ ، والقاموس المحيط/الفيروزآبادي: ١٦٥٥

(٢) الدعوة الإسلامية / د.أحمد غلوش: ١٠

(٣) الدعوة إلى الله : خصائصها ومقدماتها ومناهجها / د.أبو المجد السيد نوفل : ٨

(٤) الدعوة إلى الإسلام / د.أبو بكر زكري : ٩

الآخرون إلى الإسلام، أو يحافظ على دين المسلمين بواسطتها [1] .

٥. الدعوة هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة [2] .

والتعريفات السابقة وغيرها من التعريفات الاصطلاحية الأخرى تدور حول عملية نشر الإسلام وتبليغه وإيصاله للناس.

ويلاحظ على كثير من التعريفات عدم إشارتها إلى أركان الدعوة كلها.

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الدعوة بأنها :

(جهود المكلفين لتبليغ الإسلام للناس وإقامته بينهم بطرق مشروعة).

شرح مفردات التعريف:

الجهود : جمع جهد وهو هنا كل قول أو عمل يبذل فيه الشخص شيئا من الوسع والطاقة [3] مصحوبا بنية.

المكلف: المطالب شرعا بالدعوة، وهو المسلم البالغ العاقل من الرجال والنساء والإنس والجن وسائر فئات الناس ممن تتوفر لديهم القدرة العلمية والعملية على اختلاف درجاتها ومستوياتها كل بحسب علمه وقدرته وإمكاناته، سواء كان متطوعا أو رسميا.

التبليغ: يشمل القولي والفعلي، فالقولي أنواع وأشكال كالموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن والخطبة والمحاضرة والمقالة ونحو ذلك، والفعلي: كالجهاد وتغيير المنكر باليد لمن يقدر عليه، والقدوة

---

(١) الدعوة والإنسان /د.عبدالله الشاذلي :٣٩ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة /د.البيانوني : ١٠٧ .

(٣) انظر المصباح المنير / الفيومي : ٦٢

الحسنة ونحو ذلك.

الإسلام: المقصود أصوله وشرائعه وأحكامه وتعليماته وتوجيهاته كلها أو بعضها، والتي هي مضمون الدعوة.

الناس: هم كافة المدعوين أفرادا وجماعات بجميع أصنافهم وفئاتهم وأعراقهم ودياناتهم، ومن أصناف المدعوين الذين تشملهم الكلمة؛ الجن والأنس [1]: مؤمنهم وكافرهم، ذكورهم وإناثهم، صغارهم وكبارهم، عامتهم وخاصتهم، الكل يدعى بحسب حاله.

الطرق المشروعة: تشير إلى كيفية الدعوة ويدخل فيها كل من: منهج الدعوة، والوسائل والأساليب التي لا تخالف الشرع المطهر، ولا تتعارض مع قواعده وأحكامه وآدابه.

والدعوة بهذا المعنى هي الدعوة إلى الله، وهي الدعوة إلى الخير، والدعوة إلى الجنة، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، وسلف الأمة الصالحين، وأئمتها المعتبرين، وضدها الدعوة إلى الشر والفساد والدعوة إلى النار التي هي مهمة إبليس وأتباعه وأعوانه من شياطين الجن والأنس الذين يدعون إلى البدع والضلال والفساد والانحراف والفجور.

٢- مصادر الدعوة:

هي: ما يستقي منها الدعاة دعوتهم، والمنطلقات التي ينطلقون منها في عملهم، ويسيرون على ضوئها، وهي:

١- القرآن الكريم الذي هو: كلام الله تعالى، المعجز، الذي نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، المنقول

(١) انظر: في معنى كلمة الناس: لسان العرب / ابن منظور ٦/ ٢٥٤

إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس [١].

٢- السنة المطهرة وهي: كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف [٢].

٣- السيرة النبوية وهي: الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من ولادته إلى وفاته [٣].

٤- سنة الخلفاء الراشدين: وهي طريقة الخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم - الذين أمرنا النبي الكريم بالأخذ عنهم في قوله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ..) الحديث [٤].

٥- آثار السلف الصالحين: من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين والعلماء الراسخين ؛ الذين هم أقدر الناس على فهم نصوص الوحيين وبيان دلائل المصدرين.

---

(١) انظر : مناهل العرفان / الزرقاني : ١/ ١٥ ، والبحر المحيط في أصول الفقه : ١/ ٣٥٧ ، وأصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحيلي : ١ / ٤٢٠

(٢) انظر : الواضح في أصول الفقه / أبو الوفاء علي بن عقيل : ١/ ٣٨ ، ومصطلح الحديث / محمد بن عثيمين : ٥ ، وأصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحيلي : ١/ ٤٤٩ ، والحديث النبوي / محمد الصباغ : ١٢٠

(٣) انظر في تعريف السيرة : القاموس المحيط / ابن منظور: ٤/ ٣٩٠ ، والمعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون:٢/ ٤٦٧

(٤) سنن الترمذي/كتاب العلم باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة/٢٦٠٠ وسنن أبي داود/كتاب السنة باب في لزوم السنة/ ٣٩٩١ (صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي:٢١٥

٣- أركان الدعوة:

جمع ركن وهي الجوانب التي يعتمد عليها الشيء، وهي أربعة:

١- الداعي وهو: القائم بالدعوة، والمباشر لأدائها، والمزاول لمهامها سواء كان متطوعا أو رسميا فردا كان أو جماعة.

٢- المدعو وهو: المتلقي للدعوة، والمستهدف بها فردا كان أو جماعة ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا.

٣- المضمون وهو: مادة الدعوة المعروضة، وموضوعها المطروح.

٤- الطريقة وهي: الكيفية التي تؤدى بها الدعوة وتقدم ؛ بما تحويه من: منهج، ووسيلة، وأسلوب.

وهذه الأركان الأربعة لابد من وجودها في أي عملية دعوية على مستوى الأفراد أو الجماعات. ولكل منها خصائصها وسماتها.

٤- المنهج الدعوي:

المنهج في اللغة: كالنهج وهو الطريق البين الواضح [١]، ويمكن تعريفه في الاصطلاح الدعوي بأنه: مجموعة القواعد والأصول الدعوية الثابتة التي لا تتغير بتغير الظروف والأحوال [٢].

٥- ركائز المنهج الدعوي:

الركيزة ما يرتكز عليه الشيء حتى يكون ثابتا مستقرا [٣]، ونعني بها هنا: القواعد التي يقوم عليها العمل الدعوي وتحكمه وتضبطه حتى

---

(١) انظر: القاموس المحيط/الفيروزآبادي : ٢٦٦ .

(٢) هذا التعريف الذي يرى الباحث أنه يميز المنهج عن الأسلوب ويختلف به عنه وعن غيره ، وانظر تعريفا للمنهج في المدخل إلى علم الدعوة / البيانوني : ١٩٥ .

(٣) انظر: لسان العرب/ابن منظور : ٣٥٦/٥ .

يكون سديدا رشيدا وهي بالاستقراء خمسة: العلم، والاستقامة، والحكمة، وسلامة الطريقة، والصبر. ويلاحظ أن كل واحدة منها لها ارتباط بركن أو أكثر من أركان الدعوة.

٦- مظاهر المنهج الدعوي:

وهي العلامات البارزة، والتطبيقات الظاهرة للمنهج الدعوي وهي كثيرة لا يمكن إغفالها في جميع مراحل الدعوة ومنها: انزال الناس منازلهم، واختيار التوقيت المناسب لعرض الدعوة، واستغلال الفرص لتبليغ الدعوة.

٧- الحكمة الدعوية:

أصل الحكمة في اللغة: المنع يقال (حكمت) عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك، و (الحَكَمَة) -بالفتح- للدابة ما أحاط بحنكيها من حبل ونحوه سميت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه، ومنه اشتقاق (الحكمة) لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال [(١)]، (ورجل حكيم إذا كان ذا حجى ولب وإصابة رأي) [(٢)].

وتأتي الحكمة بمعنى العدل والعلم والحلم والإتقان و الضبط، ومن معانيها في القرآن الكريم: النبوة والقرآن والسنة [(٣)].

وتعرف في الإصطلاح بأنها (إصابة الحق بالعلم والعقل) وكذلك بأنها (الإصابة في القول والفعل) وكذلك بأنها (معرفة الحق والعمل به) وبأنها

---

(١) انظر: المصباح المنير/أحمد الفيومي : ٧٩

(٢) التفسير الكبير/الرازي : ٥٩/٣

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن : ١٢٦ ، والنهاية في غريب الحديث : ٤١٨/١ ، والقاموس المحيط / الفيروز آبادي : ١٤١٥

(وضع الشيء في موضعه) وبأنها (فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي)[1].

وكلها معان متقاربة فالحكمة محورها على الفكر القويم، والقول الرشيد، والعمل السديد قال النووي: (وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك)[2].

والحكمة نوعان [3]:

الأولى: الحكمة العلمية النظرية وهذه مرجعها إلى العلم والإدراك والفهم وهي العلم النافع.

الثانية: الحكمة العملية وهذه مرجعها إلى فعل الحق والعدل والصواب وهي العمل الصالح.

قال الفخر الرازي رحمه الله: (.. واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع بالأول: إلى العلم والإدراك المطابق، وبالثاني: إلى فعل العدل والصواب)[4].

---

(١) انظر: جامع البيان/الطبري : ٨٩/٣ ، ومدارج السالكين / ابن القيم : ٢/ ٤٨٨

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٨/٢

(٣) انظر: التفسير الكبير /الرازي : ٥٨/٣ ، ومدارج السالكين/ ابن القيم : ٤٩٧/٢ .

(٤) التفسير الكبير/الرازي : ٥٨/٣ .

وكذلك ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله – أن: الحكمة حكمتان: علمية وعملية فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقا وأمرا قدرا وشرعا.

والعملية: وهي وضع الشيء في موضعه، وأن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه

وكل نظام الوجود مرتبط بالحكمة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثا..(١).

ويمكن اعتبار الحكمة الضابط العملي للدعوة، كما يمكن اعتبار العلم الضابط العلمي لها.

٨– الأساليب الدعوية:

الأسلوب في اللغة الطريق والفن (٢):

ويمكن تعريفه في الاصطلاح بأنه: مجموعة الممارسات والتطبيقات الدعوية المتنوعة والمتغيرة بتغير الظروف والأحوال (٣).

والفرق بين المنهج الدعوي، والأسلوب الدعوي هو أن المنهج الدعوي: أصول ثابتة، وقواعد مستقرة لا مجال للاجتهاد فيه، وهو واحد لا يتعدد، ولا يتغير إذا كان صحيحا سليما.

أما الأسلوب الدعوي: فممارسات وتطبيقات معنوية أو حسية يمكن

---

(١) انظر : مدارج السالكين/ابن القيم : ٤٩٩/٢ .

(٢) المصباح المنير/الفيومي: ١٤٨

(٣) هذا التعريف الذي يرى الباحث أنه يميز الأسلوب عن المنهج ويختلف به عنه وعن غيره ، وانظر تعريفا للأسلوب في : فقه الدعوة إلى الله / علي عبدالحليم محمود: ٢١٥/١ .

الاجتهاد فيه، وهو يتنوع، ويتعدد بحسب الظروف والأحوال، لكن بشرط عدم الخروج على القواعد الشرعية.

والأساليب منها ما هو كلي أو جزئي، أو عام و خاص ؛ فأسلوب الخطبة - مثلا - أسلوب دعوي عام يحتوي بداخله على عدد من الأساليب الخاصة به، والجزئية التي يتركب منها، وتجعل منه أسلوبا مُؤثراً ونافعاً.

٩- الوسائل الدعوية:

الوسيلة ما يتقرب به إلى الشيء (١).

ويمكن تعريفها في الاصطلاح بأنها: الأداة الناقلة للمضمون والأسلوب.(٢) .

وهناك علاقة وثيقة بين الوسيلة والأسلوب، وارتباط بينهما ؛ من حيث المفهوم والتطبيق.

مما جعل ببعض الباحثين يراهما بمعنى واحد.

ولكل من الوسائل والأساليب أهمية بالغة في الدعوة إلى الله ؛ لأنها الطريق الذي تنقل به المضامين الدعوية، ويتوصل بها إلى المدعو بل لا يمكن القيام بالدعوة إلا عن طريقها.

١٠- ميادين الدعوة:

هي الأزمنة والأمكنة التي تمارس فيها الدعوة، وتزاول، وتقام فيها برامجها، وتقدم أنشطتها ؛ كالمساجد والمدارس والأسواق والمناسبات

(١) انظر: المعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون:٢/ ١٠٣٢

(٢) يرى الباحث أن هذا التعريف يميز الوسيلة عن الأسلوب وغيره وتختلف به عنه ، وانظر تعريفا للوسيلة في : فقه الدعوة إلى الله / علي عبدالحليم محمود : ٢١٥/١.

العامة والخاصة.

١١- الدعوة والاتصال:

يعرف الاتصال بأنه: العملية التي تتم بها تبادل المعلومات، والمعاني، والأفكار من شخص لآخر، أو آخرين بصورة تحقق الأهداف المرجوة للأطراف المعنية [١].

وهو نشاط إنساني عام يرتبط علميا بالعديد من التخصصات الإنسانية وفي مقدمتها الإعلام.

والدعوة نشاط اتصالي بالمعنى العام، إلا أن له خصوصيته التي تميزه عن غيره من الأنشطة الاتصالية الأخرى، وذلك لأن الدعوة:

١- عمل تعبدي يطالب المسلم بالقيام به امتثالا لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، فهي مقصودة لذاتها ولغيرها.

٢- لا بد في أدائها من ضوابط شرعية معينة، وشروط محددة.

٣- هدفها يجب أن يكون واضحا جليا نقيا صافيا لا غموض فيه، ولا لبس ولا التواء.

٤- طبيعتها ووظيفتها علمية وعملية.

٥- خصوصية مضمونها ومنهجها، وكفاءة وقدرة القائم بها.

٦- تستفيد الدعوة من وسائل الاتصال الجماهيري، وتستخدمها في تحقيق رسالتها وفق الضوابط الشرعية.

---

(١) انظر: علم الاتصال المعاصر / د. عبدالله الطويرقي: ٣٣، مقدمة في وسائل الاتصال / د. راكان حبيب وآخرون: ٢٠

المبحث الثاني

المصطلحات ذات العلاقة بالدعوة

١- الإصلاح:

ترجع هذه الكلمة في اللغة إلى مادة صلح، وهي ضد فسد ؛ فالصلاح ضد الفساد، والإصلاح ضد الإفساد، وصلح الشيء: إذا كان نافعاً، ومفيدا، ومناسباً، ومستقيماً سليماً من العيب والعطب، وأصلح الشيء أزال عنه الفساد الذي علق به ولحقه [1]، ومن المعنى اللغوي يتضح ارتباط الإصلاح بوجود فساد فيكون الإصلاح: هو الجهد المشروع الذي يقوم به الداعية لإزالة مظاهر الفساد، والانحراف لدى الفرد أو المجتمع.

وبين مصطلح: الدعوة، ومصطلح: الإصلاح علاقة وثيقة من حيث المفهوم تتمثل في العموم، والخصوص إذ الدعوة عامة في كل وقت و حين، أما الإصلاح ففيه خصوص حيث هو مرتبط بوجود فساد، لكنه بكل حال يقع ضمن دائرة الدعوة، وفي محيطها من حيث المفهوم والعمل.

ولا يوسم شخص بالإصلاح الشرعي إلا بعد النظر إليه من خلال أمور أربعة هي:

١- صلاح حاله العلمية والعملية، واستقامتها.

٢- طبيعة الإصلاح الذي يدعو إليه، ومدى موافقته للشرع المطهر.

٣- الأساليب والوسائل التي يستخدمها في عملية الإصلاح، ومدى سلامتها، وعدم مخالفتها للشرع.

---

(١) انظر القاموس المحيط / الفيروز آبادي : ٢٩٣

٤- الأهداف التي يسعى لتحقيقها سواء ما كان منها معلنا منه، أو مستنبطا من خلال ما يقدم من رؤى، ويطرح من برامج، ويستخدم من وسائل، ويسلك من طُرُق.

٢- التجديد:

من معانيه اللغوية: ضد القديم والبالي، وجدد الأمر أحدثه أي جعله حديثا مجددا [١] ويعرف التجديد في الاصطلاح بأنه: إحياء ما اندرس من أمور الدين في زمن مخصوص من شخص مخصوص [٢].

وهو أخص من الإصلاح في المفهوم الدعوي فالتجديد يكون من شخص معين له شروطه وصفاته، في وقت معين، وهو رأس القرن كما دل عليه قول النبي ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) [٣].

ولا يوصف أحد بأنه مجدد إلا إذا توفرت فيه شروط خمسة هي:

١. أن يكون من أهل السنة والجماعة.
٢. أن يكون عالماً بالكتاب والسنة.
٣. أن يكون من أهل الصلاح والاستقامة.
٤. أن يكون من أهل الدعوة والإصلاح.

---

(١) انظر: المصباح المنير / الفيومي: ٥٢ والمعجم الوسيط / إبراهيم أنيس وآخرون: ١/ ١٠٩.

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٦ / ٢٦٠، ومفهوم تديد الدين / بسطامي محمد سعيد :٣٢، والتجديد في الإسلام /كتاب المنتدى الإسلامي: ٤٥.

(٣) سنن أبي داود/كتاب الملاحم: باب ما يذكر في قرن المائة: ٢٩١. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة / الألباني: المكتب الإسلامي :١٥٠/٢ : ٥٩٩.

٥. أن يكون على رأس المائة سنة [١].

وبهذه الشروط تضيق دائرة التجديد، فلا يدخل فيها إلا عدد محدود من علماء الأمة وأئمتها، أما دائرة الإصلاح فهي أوسع وأشمل ودائرة الدعوة هي الدائرة الكبرى التي يدخل فيها جميع المسلمين العاملين للإسلام.

٣- الإرشاد:

الرشاد ضد السفه، والإرشاد: الهداية والدلالة [2]، وهو دلالة المدعو إلى ما فيه صلاح حاله الدينية والدنيوية.

٤- التبليغ:

له معان لغوية كثيرة منها: الإيصال بوعي وإدراك واجتهاد وبيان ووضوح [٣].

وهو في الاصطلاح: إيصال المضمون الدعوي على وجه حريّ بأن يقبله المدعو لوضوحه وبيانه [٤].

٥- النصيحة:

نصح: نصح الشيء: خلص. والناصح: الخالص من العسل وغيره. وكل شيء خلص، فقد نصح. والنصح: نقيض الغش وكل ماخلا من الشوائب[٥].

ويقال نصح لفلان الود، ونصح له المشورة وأرشده إلى ما فيه صلاحه

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٦ / ٢٦٣، والتجديد في الإسلام / كتاب المنتدى الإسلامي: ٥٦.

(٢) لسان العرب / ابن منظور: ٣/ ١٧٦

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير:١ / ١٥٣ والقاموس المحيط / الفيروز آبادي: ١٠٠٧

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن/ الأصفهاني: ٦١.

(٥) انظر: لسان العرب / ابن منظور: ٢/ ٦١٦ – ٦١٨

و(النصح) إخلاص المشورة [1].

ومن تعريفاتها الاصطلاحية:

أنها: إِرادةُ الخَيْرِ للغَيرِ وإرشاده له.

وأنها: كلمةٌ يُعبَّر بها عن جُملة: إرادة الخيرِ للمَنصوح له، وليس يُمْكن أَن يُعبَّر عَن هذا المعنَى بكلمةٍ واحدة تَجمَع مَعناه غيرها [2].

ومن تعريفاتها أنها: الإرشادُ إلى ما فيه صَلاحُ المنصوحِ له، ولا يكون إلاّ قَولاً، فإن استُعْمِل في غَير القَول كان مجازاً، وهي: بَذْلُ الاجتهادِ في المَشُورةِ. [3]

ومن تعريفاتها أنها: الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد [4].

وأنها: قول أو عمل يريد صاحبه صلاح المعمول لأجله. وأكثر ما يطلق على الأقوال النافعة المنقذة من الأضرار. ويكون بالعمل كقوله تعالى: (إذا نصحوا لله ورسوله) (التوبة: ٩١). [5]

وحقيقة النصح الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه. [6]

ومما سبق يمكن تعريفها بأنها: مبادرة المدعو بالرأي الصائب، والفكر السديد، والفهم الرشيد بإخلاص وصدق، مع إظهار الشفقة

---

(١) انظر: المعجم الوسيط / إبراهيم أنيس وآخرون: ٢/ ٩٥٢.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير: ٥/ ٦٣.

(٣) انظر: تاج العروس / الزبيدي: ٧ / ١٧٥– ١٨٠

(٤) انظر: التعريفات / الجرجاني: ١/ ٣١٠

(٥) انظر التحرير والتنوير / ابن عاشور: ٦١/١٢

(٦) انظر: التفسير الكبير / الرازي: ١٤/ ١٢٣

عليه، ومحبة الخير له.

فلا بد فيها من:

- مبادرة المنصوح بالنصيحة حتى لو لم يطلبها.
- الصدق والإخلاص في طلب الخير له.
- إظهار الشفقة على المدعو، وإشعاره بمحبة الخير له.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو يتضمن معنى الإلزام للمأمور والمنهي بدلالة كلمة (أمر) وكلمة (نهي) وهي مرتبة أخص من معاني البيان والتوضيح والحث والحظ والرغبة والرجاء التي هي من معاني الدعوة.

ويمكن تعريفه بأنه: (حمل الناس بالقول أو الفعل على عمل الخير والبر، وترك الشر والإثم). [١]

وهو بكل حال داخل في المعنى العام للدعوة.

٧- الحِسبة:

الحسبة بكسر الحاء، ولها في اللغة معان كثيرة منها: الاختبار والظن والاعتداد والاكتفاء، والإنكار وطلب الأجر [٢].

وهي في الاصطلاح: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) [٣].

فلا بد فيها من ظهور ترك المعروف، وظهور فعل المنكر بخلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يستعمل في حالة الظهور والاختفاء، فهي

---

(١) انظر: التعريفات / الجرجاني: ١ / ٥٤

(٢) انظر: لسان العرب / ابن منظور: ١ / ٣١٠

(٣) الأحكام السلطانية /الماوردي: ٣١٥.

مرتبة أخص من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهي تندرج ضمن المفهوم العام للدعوة وفي إطارها.

والتعريف المذكور يشمل الحسبة بفرعيها: التطوعي والرسمي.

٨- السلف الصالح:

السلف في اللغة: كل من سبق في الزمان وتقدم وانقضى [١]. وفي الاصطلاح: هم أصحاب النبي ﷺ، والتابعون وأتباع التابعين، ومن جاء بعدهم من أئمة الدين، وأعلام الملة الذين ساروا على منهج النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل [٢].

وهؤلاء هم السلف الصالح، وأهل السنة والجماعة، وهم الجماعة، وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم أهل الحديث، وأهل الأثر، وهم أهل السنة، وهم الغرباء إلى غير ذلك من أوصافهم التي جاءت نصوص السنة بكثير منها، ومن ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام: (لايزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث الافتراق (والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يارسول الله من هم قال الجماعة)[٤] ، وقوله عليه الصلاة والسلام (بدأ

---

(١) انظر: القاموس المحيط/ابن منظور: ١٠٦٠ ، والمعجم الوسيط/ابراهيم انيس وآخرون : ٣٦٩/١

(٢) انظر: شرح الطحاوية /علي الحنفي : ٥٠٣ ، وشرح العقيدة الواسطية/محمدبن عثيمين : ٣٧-٤٠ و ٦٨٤ ، ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة/ناصر العقل ١٣-١٦ ، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/عثمان ضميرية : ١٤٧-١٥٠

(٣) صحيح البخاري/كتاب الاعتصام بالسنة:باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي/ ٦٦٧ ، وصحيح مسلم/كتاب الإمارة:باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي / ٣٥٤٤

(٤) سنن ابن ماجة/كتاب الفتن:باب افتراق الأمم/ ٣٩٨٢ ، وسنن أبي داود/كتاب السنة:باب شرح =

الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله من هم قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس أو يصلحون ما أفسد الناس)[1] .

٩- الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية:

هي الجهود التي بذلها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بدعم ومؤازرة من الإمام محمد بن سعود رحمه الله في القرن الثاني عشر لإزالة مظاهر الفساد، والانحراف العقدي والسلوكي في الجزيرة العربية، واستمرت هذه الجهود على يد الأئمة من علماء الدعوة، وحكام الدولة السعودية إلى وقتنا الحاضر.

=

السنة/ ٣٩٨١ (صححه الألباني:صحيح سنن ابن ماجه:٣٢٢٦)

(١) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان:باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا/ ٢٠٩ ، ومسند الإمام أحمد/أول مسند المدنيين: حديث عبدالرحمن بن سنة/ ١٦٠٩٤ وهذا لفظه

المبحث الثالث

مصطلحات الأساليب الدعوية

يمكن تقسيم الأساليب الدعوية من حيث طبيعتها إلى قسمين:

١- أساليب قولية: كالخطابة، والوعظ، والجدل، والمناظرة، والمحاورة، والمباهلة ونحو ذلك.

٢- أساليب فعلية: كالقدوة الحسنة، والهجر، وتغيير المنكر باليد، والجهاد ونحو ذلك.

كما يمكن تقسيمها من حيث وقت استخدامها إلى قسمين أيضاً:

١- الأساليب المتقدمة وهي التي تلازم الدعوة من بدايتها: كأسلوب الموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والقدوة الحسنة، والمداراة.

٢- الأساليب المتأخرة: وهي التي يستخدمها الداعي في مراحل متأخرة من دعوته بعد استنفاد الأساليب المتقدمة، وثبوت عدم جدواها مع المدعو ومن أمثلتها: أسلوب الهجر، والمباهلة، والجهاد ونحو ذلك.

كما يمكن تقسيمها تبعا لما تتوجه إليه من ركائز الفطرة الإنسانية إلى أقسام ثلاثة:

١- الأساليب العاطفية.

٢- الأساليب العقلية والعلمية.

٣- الأساليب الحسية.

ويلاحظ أن بعض الأساليب يمكن أن تصنف في أكثر من نوع من الأنواع الثلاثة السابقة.

وفيما يلي تعريف بأهم الأساليب القولية والفعلية للدعوة:

١- الخطبة:

هي: الكلام المنثور الذي يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم [١].

ومن تعريفاتها الإصلاحية أنها: الكلام المؤلف الذي يتضمن وعظا وإبلاغا على صفة مخصوصة [٢].

وأنها: كلام منثور ؛ مسجوع، أومرسل، أو مزدوج بينهما غايته التأثير والإقناع [٣].

٢- الوعظ:

أسلوب قولي مهم من أساليب الدعوة إلى الله، وله تعريفات كثيرة متشابهة منها:

أنه: الكلام الذي تلين له القلوب. [٤]

وأنه: إهزاز النفس بموعود الجزاء ووعيده [٥].

وأنه: التذكير بالخير فيما يرق له القلب.

وأنه: زجر مقترن بتخويف [٦]

وأنه: نصح بإرشاد مشوب بتحذير من لحاق ضر في العاقبة، أو

---

(١) المعجم الوسيط/ ابراهيم أنيس وآخرون : ١/ ٢٤٣

(٢) الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف الكويتية : ١٩/ ١٧٦ .

(٣) توجيهات وذكرى / صالح بن حميد : ٨/١ .

(٤) أضواء البيان / الشنقيطي : ٣ /٤٣٧

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف/المناوي : ٨٢٨/١

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن /الأصفهاني: ٥٢٧ ، والتعريفات / الجرجاني : ١/ ٣٢٧

بتحريض على جلب نفع، مغفول عنه [١].

وأنه: ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب [٢].

وأنه: النصح والتذكير بالعواقب [٣].

وأنه: تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب. [٤]

ويمكن تعريفه من خلال ما سبق بأنه: (الكلام المرغب أو المرهب الذي يرقق القلوب ويلينها).

فائدة: قال الشنقيطي رحمه الله:

(تنبيه: فإن قيل: يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي. كقوله... ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾، وكقوله في سورة البقرة بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾، وقوله في الطلاق في نحو ذلك أيضاً: ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾. وقوله في النهي عن مثل قذف عائشة: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً ﴾. مع أن المعروف عند الناس: أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك، لا بالأمر والنهي.

فالجواب أن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم

---

(١) التحرير والتنوير / ابن عاشور : ٩/ ٩٨

(٢) تفسير السعدي ١/ ٨٤٤

(٣) لسان العرب / ابن منظور : ٧/ ٤٦٦

(٤) لسان العرب / ابن منظور : ٧/ ٤٦٦

ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه. فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله. وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه. فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً. [1]

٣- الجدل:

هو أحد أساليب الإقناع القولية، وهو أسلوب مهم من أساليب الدعوة إلى الله بشروطه، وضوابطه كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل ١٢٥)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (العنكبوت ٤٦)

ويعرف الجدل بأنه: المبالغة في المناظرة والخصومة، وهو مأخوذ من الجدل: وهو شدة الفتل. ويقال للصقر أجدل لأنه أشد الطير. وكل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلا. [2]

ويعرف بأنه: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها.. ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام. و جادله أي خاصمه مجادلة و جدالا، والاسم الجدل،

(١) أضواء البيان / الشنقيطي: ٢/ ٤٨٢

(٢) انظر: كشف المشكل / ابن الجوزي: ١/ ١٧٧

وهو شدة الخصومة .. [1]

ويعرف بأنه: القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهو: منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، ومنه سمّي علم قواعد المناظرة والاحتجاج عِلْمَ الجدل.[2]

والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة، والمغالبة لإلزام الخصم [3]

وتعرف المجادلة بأنها: المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم [4]

وتعرف بأنها: تعارض يجري بين متنازعين فصاعدا إما لتحقيق حق، أو تغليب ظن، أو إبطال باطل. [5]

وعِلْمُ الجدلِ: صناعة نظرية يستفاد منها كيفية المناظرة وشرائطها صيانة عن الخبط في البحث، وإلزاما للخصم وإفحامه، وقيل: قانون يفيد عرفان القدر الكافي من الهيئات، وأقسام الاعتراضات، والجوابات الموجهات منها وغير الموجهات. [6]

ويمكن تعريفه من خلال ما سبق بأنه: (المنازعة بالقول لإقناع الغير بالرأي وإلزامه به).

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ١/ ٢٨٤ ، ولسان العرب / : ١١/ ٤٦٥

(٢) انظر : التحرير والتنوير / ابن عاشور : ٥ /١٩٤ .

(٣) الجدل في القرآن الكريم/د.الألمعي : ٢٤ .

(٤) انظر: آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي : ٨٩ ، والمعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون : ١٢١/١

(٥) انظر : معجم مقاليد العلوم / السيوطي : ١/ ٧٦

(٦) انظر : معجم مقاليد العلوم / السيوطي : ٧٦/١

٤- المناظـرة:

لغة من النظير أو من النظر بالبصر، واصطلاحا النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب [١].

ويرى الأصفهاني: أن المناظرة من النظر وهو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية.. والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته [٢].

ويرى الشنقيطي أن المناظرة في اللغة: المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر هو المؤدي إلى علم أو غلبة ظن، وهي في الاصطلاح: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم، أو غلبة ظن ليظهر الصواب.. والمتناظران كل منهما يفحص ويفتش عما يصحح به حجته، ويبطل به حجة خصمه [٣].

والفرق بين المناظرة والجدل أن الغرض في المناظرة إظهار الصواب، والغرض من الجدل والخلاف الإلزام [٤].

---

(١) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف / المناوي : ١/ ٦٨٧ ، ومعجم مقاليد الغلوم/السيوطي ٧٦/١:

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني : ٤٩٧ .

(٣) انظر: آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي : ٣/٢

(٤) ابجد العلوم / صديق خان : ١ / ٥٩ .

قال الشاطبي: (ومقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق فلا بد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل) [(١)].

ومن خلال ما سبق يمكن التفريق بين الجدل والمناظرة في الآتي:

من حيث الهدف فالجدل إفحام الخصم وإلزامه، أما المناظرة فهي البحث مع المناظر عن الحق وإظهاره.

من حيث الطريقة فالجدل يعتمد على العاطفة، ويقوم على المنازعة والمغالبة أما المناظرة فتعتمد في الغالب على العلم، والمباحثة العميقة الخاصة

من حيث القائم بهما فالجدل لا يشترط في طرفيه المكافأة والنِّدِّية في المستوى أما المناظرة فلابد أن يكون طرفاها على مستوى ذهني متقارب وبينهما قواسم مشتركة في الفهم.

وهناك من الباحثين من يراهما بمعنى واحد.

٥- الحـــوار:

الأخذ والرد في الحديث، وهو المرادة في الكلام، وتدويره بين اثنين فأكثر لا على سبيل المنازعة والمخاصمة والمباحثة الخاصة. [(٢)]

فهو نقاش هادئ من أجل الوصول إلى رأي موحد، أو متقارب حول موضوع معين.

تنبيه: ومما تنبغي الإشارة إليه: أنه يمكن للداعية في موقف واحد أن يجمع بين هذه الأساليب الثلاثة فتتداخل فيما بينها بحسب الظرف الدعوي.

---

(١) الموافقات / الشاطبي : ٤ / ٣٣٥

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني : ١٣٥

٦- المباهلة:

المباهلة: مفاعلة من البهلة وهي اللعنة، ومأخذها من الإبهال وهو الإهمال والتخلية لأن اللعن والطرد والإهمال من واد واحد، وأصل الابتهال الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره يقال بهله الله أي لعنه، والبهل اللعن، ويطلق على الاجتهاد في الهلاك، وابتهل في الدعاء إذا اجتهد. ومبتهلا أي مجتهدا في الدعاء. والابتهال: التضرع. والابتهال: الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه لله عز وجل، والمباهلة الملاعنة [١].

ويستعمل الابتهال في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا [٢].

وتعريف المباهلة اصطلاحا: (أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون لعنة الله على الظالم منا أو المبطل منا) [٣].

٧- المداراة:

المداراة: الملاطفة والملاينة والرفق والاتقاء [٤].

ومن تعريفاتها الاصلاحية أنها: الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه [٥].

فهي: (حسن صحبة المدعو، والتلطف معه، واحتماله حتى يألف

---

(١) انظر : لسان العرب / ابن منظور : ١١/ ٧٢

(٢) انظر : فتح القدير / الشوكاني : ١/ ٣٤٧

(٣) انظر : انظر عمدة القارئ : ١٨/ ٢٧ ، والفائق/ الزمخشري : ١/ ١٤٠ ، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية / النسفي : ١ / ١٤٨ ، قواعد الفقه / المجددي: ١/ ٤٦١

(٤) المعجم الوسيط /ابراهيم أنيس وآخرون : ١/ ٢٨٢

(٥) انظر : فتح الباري / ابن حجر : ٥٢٨/١٠ .

الداعي ويستجيب له)[1].

وتعد من مظاهر الرفق واللين، إذ الرفق: ضد العنف وضد الخرق، واللين ضد الخشونة والغلظة والقسوة والشدة والجفاء. ويتضمنان معاني اللطف والسماحة والسهولة واليسر وحسن الصنيع [2]

٨- القدوة الحسنة:

القدوة في اللغة: الذي يفعل الناس مثل فعله تشبها به وإعجابا به [3].

وفي الاصطلاح هي: السيرة الحميدة، والأفعال الكريمة، والصفات العالية، والأخلاق الزكية للداعي التي تجعله محل إعجاب المدعوين ومثالهم المحتذى.

٩- الهجر:

الهجر ضد الوصل وقد هجره هجرا وهجرانا.. وهو المفارقة والترك والإعراض والإغفال والمقاطعة والاعتزال [4].

الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب [5].

ويمكن تعريفه بأنه: (مقاطعة الداعي للمدعو في القول والتعامل في ظروف شرعية خاصة) [6].

---

(٦) انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ٢/ ١١٥ .

(١) انظر : القاموس المحيط / الفيروز آبادي : ١١٤٥

(٢) انظر : المعجم الوسيط / ابراهيم أنيس وآخرون : ٢/٧٢٠ .

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ٥/ ٢٤٦ ، والقاموس المحيط / الفيروز آبادي : ١/ ٦٤٨ ، التوقيف على مهمات التعاريف /المناوي : ١/ ٢٣٨

(٤) انظر : المفردات في غريب القرآن/ الاصفهاني : ٥٣٦ .

(٥) هذا التعريف الذي يراه الباحث ، وانظر في ذلك : المفردات في غريب القرآن/ الاصفهاني : ٥٣٦ ، والنهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ٥/ ٢٤٦ ، التوقيف على مهمات التعاريف /المناوي : ١/

=

أما الهجر الجميل فهو الذي لا فحش فيه، وقيل هو السلام عليهم وبالجملة فهو مجرد الإعراض [(١)] .

١٠- الجهــاد:

في اللغة بذل الوسع، واستفراغ الطاقة من قول أو فعل [(٢)].

وفي الاصطلاح: بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار والبغاة والمرتدين، ونحوهم بالطريقة الشرعية [(٣)] .

والمفهوم العام للجهاد يتسع ليعم القتال وغيره من أنواع الجهاد باللسان والمال وجهاد النفس، ونحو ذلك مما تدل عليه النصوص الشرعية [(٤)] .

=

٢٣٨ ، والقاموس المحيط /الفيروز آبادي : ١/ ٦٤٨

(١) انظر : احكام القرآن /ابن العربي : ٤/ ٢٥٥

(٢) انظر : المصباح المنير/الفيومي: ٦٢

(٣) انظر : الجهاد في سبيل الله / القادري : ١/ ٤٩

(٤) انظر : أهمية الجهاد /العلياني : ١١٦

الخـاتمة

لقد بذل الباحث جهده في تتبع المصطلحات الدعوية المهمة، وحاول أن يقدم تعريفات علمية لها مستعينا بالله تعالى، ثم مستفيدا من آثار العلماء السابقين، وجهود الباحثين المتخصصين في علم الدعوة رحم الله الأموات، ووفق الأحياء للهدى والصواب.

ويرى الباحث أن الحاجة ماسة للمزيد من البحث والاستقصاء في هذا المجال، وأن يجتهد المتخصصون في علم الدعوة للوصول إلى مفاهيم علمية مشتركة للمصطلحات الدعوية تساعد على ترسيخ مكانة العلم وتطويره، لاسيما وأن هناك تفاوتا ظاهرا في فهم بعض المصطلحات، وتحديدها عند كثير من الباحثين والدارسين.

ومما يوصي به الباحث: أن تعمل الجهات العلمية الدعوية على إعداد معجم خاص بالمصطلحات الدعوية ينفع الباحثين والدارسين ويفيدهم.

والله تعالى الموفق والمسدد، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١- أبجد العلوم / صديق بن حسن القنوجي (بيروت: دارالكتب العلمية: ١٩٧٨م تحقيق: عبد الجبار زكار).

٢- الأحكام السلطانية /الماوردي / ط١: (دار ابن قتيبة: الكويت: ١٤٠٩).

٣- أحكام القرآن/ أبو بكر محمد بن العربي (بيروت: دار الفكر: تحقيق: محمد عبد القادر عطا).

٤- آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي /(القاهرة مكتبة ابن تيمية د ت).

٥- أصول الدعوة/عبدالكريم زيدان / ط٣: (بيروت:مكتبة الرسالة: ١٤٠٩) .

٦- أصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحيلي: ط١: (دمشق: دار الفكر: ١٤٠٦).

٧- أضواء البيان / الشنقيطي (بيروت:عالم الكتب: د٠ت)

٨- أهمية الجهاد /العلياني / ط٢ (الرياض:دارطيبة: ١٤١٦).

٩- البحر المحيط في أصول الفقه/بدر الدين محمد الزركشي / ط: ١: لبنان: دار الكتب العلمية: ١٤٢١ ، تحقيق: د. محمد محمد تامر

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (القاهرة: دار الهداية: تحقيق: مجموعة من المحققين).

١١- التجديد في الإسلام /كتاب المنتدى الإسلامي: / ط٣ (لندن).

١٢- التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور (تونس: دار سحنون

للنشر والتوزيع: ١٩٩٧م).

١٣- التعريفات /علي بن محمد الجرجاني (بيروت: دار الكتاب العربي: ط١: تحقيق: إبراهيم الأبياري).

١٤- التفسير الكبير/الفخرالرازي(بيروت:دار إحياء التراث العربي:ط١: ١٤١٥).

١٥- توجيهات وذكرى / صالح بن حميد: (مكة المكرمة: دار التربية والتراث: ط٣: ١٤١٩)

١٦- التوقيف على مهمات التعاريف/ محمد عبد الرؤوف المناوي (بيروت: دار الفكر المعاصر: ١٤١٠: ط١: تحقيق: د. محمد رضوان الداية).

١٧- تيسير الكريم الرحمن/السعدي(بيروت:مؤسسة الرسالة:ط١: ١٤١٦)

١٨- جامع البيان/ابن جريرالطبري (بيروت:دار الكتب العلمية:ط١: ١٤١٢).

١٩- الجهاد في سبيل الله / القادري (جدة دار المنارة:١٤٢٣: ط٢).

٢٠- الحديث النبوي / محمد لطفي الصباغ:ط٥: بيروت: المكتب الإسلامي: ١٤٠٧ هـ.

٢١- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها/أحمد غلوش(القاهرة: دار الكتاب المصري:١٤٠٧).

٢٢- الدعوة إلى الله: خصائصها ومقدماتها ومناهجها / د.أبو المجد السيد نوفل: (القاهرة: مطبعة الحضارة العربية:ط١: ١٣٩٧).

٢٣- الدعوة والإنسان /د.عبدالله الشاذلي: (مصر:المكتبة القومية: ط١)

٢٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة / الألباني: المكتب الإسلامي:

٢٥- سنن ابن ماجة/ ابن ماجه (بيروت:دار الفكر:د٠ت)

٢٦- سنن أبي داود/ أبو داود (بيروت: دار الفكر:د٠ت)
٢٧- سنن الترمذي/ الترمذي (بيروت: دار إحياء التراث العربي:د٠ت)
٢٨- شرح العقيدة الطحاوية /علي الحنفي(الرياض:وزارة الشؤون الإسلامية:١٤١٨)
٢٩- شرح العقيدة الواسطية/محمدبن عثيمين(الرياض:دار الثريا:١٤١٩)
٣٠- صحيح البخاري/ البخاري (بيروت: دار ابن كثير: ط٣: ١٤٠٧)
٣١- صحيح سنن ابن ماجه/ الألباني (بيروت المكتب الإسلامي: ط١: ١٤٠٨)
٣٢- صحيح سنن الترمذي/ الألباني (بيروت المكتب الإسلامي: ط١: ١٤٠٨)
٣٣- صحيح مسلم بشرح النووي (مؤسسة قرطبة:١٤١٢)
٣٤- صحيح مسلم/ مسلم (بيروت: دار الفكر: د٠ت)
٣٥- طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية / عمر بن محمد النسفي (عمان: دار النفائس: ١٤١٦: تحقيق: خالد عبد الرحمن العك).
٣٦- علم الاتصال المعاصر/د.عبدالله الطويرقي: ط٢ (الرياض مكتبة العبيكان: ١٤١٧)
٣٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري / محمود بن أحمد العيني (بيروت: دار إحياء التراث العربي – بيروت).
٣٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود (بيروت: دار الكتب العلمية: ط١: ١٤١٠).
٣٩- الفائق في غريب الحديث / محمود بن عمر الزمخشري (لبنان: دار المعرفة: ط٢: تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل

إبراهيم).

٤٠- فتح الباري / ابن حجر (الرياض: دار البحوث العلمية والافتاء:د.ت)

٤١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي الشوكاني (بيروت: دار الفكر)

٤٢- فقه الدعوة إلى الله / علي عبد الحليم محمود :ط١ (مصر: دار الوفاء: ١٤١٠)

٤٣- القاموس المحيط/الفيروزآبادي(بيروت:مؤسسة الرسالة :ط٢ : ١٤٠٧)

٤٤- قواعد الفقه /محمد المجددي (كراتشي: الصدف ببلشرز: ١٤٠٧ :ط١).

٤٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين / عبد الرحمن بن الجوزي (الرياض: دار الوطن: ١٤١٨ : تحقيق: علي حسين البواب).

٤٦- لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور (بيروت: دار صادر: ط١).

٤٧- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة/ناصر العقل(الرياض:دار الوطن:ط١)

٤٨- مدارج السالكين/ابن القيم(مصر: دار الحديث: د٠ت).

٤٩- المدخل إلى علم الدعوة /د.البيانوني (بيروت:مؤسسة الرسالة:١٤١٢).

٥٠- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/عثمان ضميرية(جدة:مكتبة السوادي:ط٢)

٥١- المصباح المنير/أحمد الفيومي (بيروت المكتبة العصرية:ط٢ : ١٤١٨).

٥٢- المعجم الوسيط / إبراهيم أنيس / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار (مصر: مجمع اللغة العربية).

٥٣- معجم مقاليد العلوم / عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (القاهرة:

مكتبة الآداب: ١٤٢٤: ط ١: تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة).

٥٤- المفـــردات في غريـــب القـــرآن/الراغـــب الإصـــفهاني (بـــيروت:دار المعرفة:د٠ت)

٥٥- مفهوم تجديد الدين / بسطامي محمد سعيد: ط١:(الكويت: دار الدعوة:١٤٠٥)

٥٦- مقدمة في وسائل الاتصال/د.راكان حبيب وآخرون: ط٢ (جدة: دار زهران:١٤٢٢)

٥٧- مناهل العرفان في علوم القرآن /محمد عبد العظيم الزرقاني لبنان / ط: ١: دار الفكر:١٤١٦هـ

٥٨- الموافقات في أصول الفقه / إبراهيم بن موسى الشاطبي (بيروت: دار المعرفة: تحقيق: عبد الله دراز).

٥٩- النهاية في غريب الحديث والأثر /ابن الأثيرالجزري (بيروت: المكتبة العلميـة: ١٣٩٩: تحقيـق: طـاهر أحمـد الـزاوى – محمـود محمـد الطناحي).

البحث رقم ٥

المؤسسات الوقفية الخاصة وأثرها في دعم البرامج الدعوية

إدارة أوقاف صالح الراجحي أنموذجاً

إعداد

د. عبدالله بن محمد المطوع

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

دراسة المؤسسات الوقفية الخاصة ودورها في دعم البرامج الدعوية

أوقاف صالح الراجحي أنموذجاً

اهتم عدد من الموسرين في بلادنا المباركة في السنوات الأخيرة الماضية بتخصيص جزء من ممتلكاتهم وثرواتهم لتكون أوقافاً تصرف عوائدها على البرامج الخيرية الدعوية والاجتماعية والصحية في المجتمعات المسلمة، تجديداً لما كان عليه المسلمون الأقدمون في الاهتمام بالوقف.

وقد أقام هؤلاء الموسرين على أوقافهم رجالاً أكفاء يتولون مهمة النظارة عليها والتحقق من وصولها إلى مستحقيها وفق وصاياهم المحددة لذلك، ونتيجة للرغبة في ضبط هذه الأعمال الوقفية ومصارفها فقد اجتهد بعض نظار هذه الأوقاف إلى تحويل عملهم من العمل الفردي إلى العمل المؤسسي، فأقاموا مؤسسات وقفية خاصة تعنى بالنظر في شؤون هذه الأوقاف وتنميتها والمحافظة عليها وضبط آليات صرف عوائدها على المستحقين، وتنظيم أعمالها وفق نظم ولوائح إدارية ومالية علمية دقيقة.

وعنيت هذه الدراسة التعريف بالبرامج الدعوية التي يمكن لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة دعمها والإنفاق عليها خدمة للدين والدعوة إليه في أوساط المسلمين وغيرهم، و تخصصت هذه الدراسة بالإشارة إلى دور أوقاف صالح الراجحي كأنموذج حي لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة ودورها في دعم البرامج الدعوية وتبان لجهودها في ذلك.

- وسعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١- التأكيد على الموسرين من المسلمين بتخصيص جزء من عوائد أوقافهم الخيرية لخدمة الدعوة وبرامجها المتنوعة، وبيان فضل ذلك .

٢- التأكيد على القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة ونظارها بشمول الدعوة وبرامجها المتنوعة لأعمال مؤسساتهم الخيرية .

٣- الإفادة من برامج إحدى المؤسسات الوقفية الخاصة في الدعوة إلى الله لتكون أنموذجاً يحتذي لكل أهل الخير والإحسان والعاملين معهم.

نسأل الله أن ينفع بهذه الدراسة كاتبها وقارئها
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

مقدمة الدراسة

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد بن عبدالله، وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد امتن ربنا – سبحانه وتعالى – على أتباع دينه بخصائص جليلة خصهم بها عن غيرهم من أتباع الأديان والشرائع الباطلة الأخرى، ومن أبرز هذه الخصائص تشريعه للوقف[1]؛ ليضفي على المجتمع المسلم أواصر الترابط والتكافل بين المقتدرين والمعوزين.

والوقف عبارة عن صدقة دائمة مستمرة في الأجر والثواب للمُوقفِ ما دامت العين الموقوفة نافعة ويستفاد منها، بل قد يتضاعف هذا الأجر والثواب إذا ازداد نفع العين الموقوفة وعظم أثرها، إن أحسن نظار الوقف المحافظة عليها وإدارتها وتنميتها.

وفي الوقت نفسه هو نفع دائم ومتواصل للمستفيدين منه؛ والمستقرئ للدور الذي نتج عن الأوقاف – عبر التاريخ الإسلامي – يجد أن نفعها لم يقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة الإنسانية؛ بل شملت مختلف الجوانب، سواء كانت شرعية أم اجتماعية أم اقتصادية، أم صحية؛ وصارت هذه الأوقاف دعماً للمجتمع المسلم ونفعاً لأفراده، وحامية لبرامج البر والإحسان والدعوة في المجتمع من التوقف، أو الفشل بسبب انقطاع، أو تعثر مصادر تمويلها.

(١) سيأتي بيان ذلك في المبحث الأول من هذه الدراسة.

إن الوقف من الأنظمة التشريعية الجليلة التي جاءت بها شريعتنا الإسلامية الخالدة؛ وأكدت نصوصها على فضل القيام به، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة:١١٠]، وقوله سبحانه: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:٩٢].

وفي ضوء ذلك تأتي هذه الدراسة التي تنطلق من بيان أهمية أثر المؤسسات الوقفية الخاصة في دعم البرامج الدعوية؛ لأهميتها الكبرى في التعريف بالدين الإسلامي العظيم، وبيان أحكامه، والنهوض بالأمة وتوجيه مكتسباتها ؛ لتبادل المنافع فيما بين المسلمين، وتحقيق أكبر قدر من المصالح لهم، وستعنى هذه الدراسة بتقديم أنموذج مُؤَسَّسيٍّ رائد في الوقف الخيري يتمثل في إدارة أوقاف صالح بن عبدالعزيز الراجحي وبيان إسهاماتها الدعوية في المملكة وخارجها.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تحديد مفهوم الوقف ، وبيان أهم أحكامه.
- بيان أثر دور المؤسسات الوقفية الخاصة في دعم البرامج الدعوية.
- التأكيد على الموسرين من المسلمين بتخصيص جزء من عوائد أوقافهم الخيرية لخدمة الدعوة وبرامجها المتنوعة، وبيان فضل ذلك.
- التأكيد على القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة ونُظّارِها بشمول الدعوة وبرامجها المتنوعة لأعمال مؤسساتهم الخيرية.

- الإفادة من برامج إحدى المؤسسات الوقفية الخاصة في الدعوة إلى الله لتكون أنموذجاً يحتذى لكل أهل الخير والإحسان والعاملين معهم.

التعريف بأبرز مصطلحات الدراسة :

المؤسسات الوقفية الخاصة :

المراد بالمؤسسات الوقفية الخاصة في اصطلاح هذه الدراسة : (الهيئات أو المنظمات التي تتولى النظارة على الممتلكات والأموال التي أوقفها الواقف - أو الموقف - للإنفاق من ريعها على وجوه البر المتنوعة).

وقد أُنشِئَتْ في بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية عدة مؤسسات وقفية خاصة [1]، ويتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة (مؤسسة) على هيئة معينة أن ما يجري فيها من أعمال لا بد أن تتوافر فيه: القيادة، والتخصص ، والأهداف، والتنظيم، والتخطيط، والبرامج، والعاملون، ونحو ذلك، ولا شك بأن هذه الأمور ركائز مهمة في العمل المؤسسي الناجح.[2]

وتُعرّف المادة (٦٢) من مواد القواعد التنفيذية للائحة الجمعيات

(١) من هذه المؤسسات الوقفية الخاصة التي قامت على أصول وقفية وفق ما اطلع عليه الباحث: (مرتبة هجائياً)

١. مؤسسة آل الجميح الخيرية.
٢. مؤسسة حمد بن عبدالرحمن الحصيني الخيرية.
٣. مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية.
٤. مؤسسة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحمدان الخيرية
٥. مؤسسة عبدالعزيز بن علي الشويعر الخيرية.
٦. مؤسسة محمد وعبدالله أبناء إبراهيم السبيعي الخيرية.

(٢) انظر: الجهود الدعوية للمؤسسات الخيرية في المملكة، المطوع، ص ١٢٢.

والمؤسسات الخيرية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية [١] المؤسسة الخيرية بأنها هي: (كل منشأة خيرية يكون غرضها الأساسي تقديم خدمة اجتماعية خيرية لأفراد، أو جهات معينة، دون أن تستهدف تحقيق الربح المادي، أو تحقيق أغراض أخرى تتعارض مع أحكام اللائحة، أو القواعد التنفيذية، أو التعليمات الصادرة بمقتضاها). [٢]

والمؤسسات الوقفية الخاصة مؤسسات مستقلة لا تتولى الإشراف عليها أي جهة حكومية ما دامت تقوم بأعمالها وفق النظم والأصول النظامية المعتادة في الضبط والأمانة وفق ما حدده الواقف، وقد نص نظام مجلس الأوقاف الأعلى على ذلك في لائحة الأوقاف الخيرية في الفقرتين (٣، ٤) على الآتي: (تبقى الأوقاف الخيرية الخاصة تحت أيدي نظارها الشرعيين المحددين في شرط الواقف، أو الذين صدر الأمر من المحاكم الشرعية بتعيينهم، ولكن يمكن أن يكون لدوائر الأوقاف الحق في الإشراف والمراقبة العامة على الأوقاف الخيرية الخاصة وذلك من أجْل حفظ الوقف، والمساعدة في تنفيذ شرط الواقف، ووضع اليد على الوقف بعد موافقة الحاكم الشرعي، وذلك حين انقراض المستحقين فيه، ومآله الشرعي إلى جهات خيرية عامة، وعليها أن تضع في سجلاتها المعلومات اللازمة لضمان

---

(١) المؤسسات الخيرية التي تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية، وتتولى الإشراف عليها هي: (المؤسسات الخيرية الخاصة بفرد أو مجموعة من الأفراد الذين ينشؤونها لغرض خيري في مجالات الخير المختلفة، وهذه المؤسسات لا ينبغي لها جمع التبرعات ولا تستفيد من الإعانات التي تقدمها الوزارة، ويجوز لها قبول الهبات والوصايا)، انظر: لائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية والقواعد التنفيذية للائحة، ص ٢٥-٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

تحقيق ذلك).[1]

البرامج الدعوية:

المراد بالبرامج الدعوية في اصطلاح هذه الدراسة: هي (البرامج والأنشطة المتنوعة التي تقوم بها المؤسسات الوقفية الخاصة؛ خدمةً للدين، ونشر تعاليمه والدعوة إليه بين المسلمين وغيرهم).

وستتخصص هذه الدراسة بتناول البرامج التي تخدم الدعوة الإسلامية بشكل مباشر فقط؛ كالبرامج الدعوية والتعليمية، دون الحديث عن البرامج التي قد يكون دورها غير مباشر على الدعوة؛ كالإحسان إلى الفقراء والمحتاجين بالمأكل والمشرب والملبس، أو العناية بالمجال الصحي، أو ما يتعلق بالخدمات العامة للناس كشق الطرقات وتوفير المأوى، ونحو ذلك.

أوقاف صالح الراجحي:

هي المؤسسة الوقفية الخاصة التي أنشأها الشيخ صالح بن عبدالعزيز الراجحي[2] - رزقنا الله وإياه حسن الختام - عام ١٤١٧هـ لتتولى النظر

---

(١) انظر: نظام مجلس الأوقاف الأعلى، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ، ص ٧.

(٢) هو رجل الأعمال المعروف صالح بن عبد العزيز بن صالح الراجحي، من بني زيد، ولد عام ١٣٤٤هـ في محافظة البكيرية بالقصيم، بدأ حياته بطلب العلم على يد من العلماء في الرياض، ثم بدأ == ==بطلب الرزق والتجارة، وتخصص في الصرافة والتجارة وأسس أول مصرف في الرياض، وبنى لنفسه تجارة كبيرة استطاع معها - بعد توفيق الله له - أن يؤسس أول مصرفية إسلامية استمرت حتى تحولت إلى "مصرف الراجحي"، كما أسس عدداً من الشركات الكبرى في المملكة، عرف ببذل الصدقة، والإسهام بالأعمال الخيرية الكثيرة داخل المملكة وخارجها، واتصف بالخلق الحسن والتواضع التي يشهد بها كل من عايشه، انظر: تقرير الأعمال الخيرية لإدارة أوقاف صالح الراجحي، ص١٠.

والرعاية والإشراف على الأوقاف (العقارات والمزارع) التي أوقفها الشيخ الراجحي، وصرف عوائدها الربحية والاستثمارية والانتاجية في المصارف الخيرية التي حددها الواقف في صك الوقفية، وتزيد قيمة أصول هذه الأوقاف (التقديرية) حالياً عن عدة مليارات ريال.

ومدينة الرياض هي المقر الرئيس لهذه المؤسسة، ولها فروع أخرى في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والقصيم.

وقد حدد الشيخ صالح الراجحي في الصك الشرعي الصادر آنذاك من المحكمة الكبرى بالرياض برقم ٢٠/١٨٢ وتاريخ ١٢/٥/ ١٤١٧هـ المصارف التي يجب أن تصرف فيها أمواله، وتشتمل على أحد عشر مصرفاً، وقد وردت في الصك وفق النص الآتي:

- **المصرف الأول:** يصرف على الأيتام والأرامل والفقراء ويقدم أهل الديانة والصلاح على غيرهم.
- **المصرف الثاني:** يصرف على المنكوبين بحوادث السيارات والهدم والحرائق وغيرها إذا احتاجوا؛ على أن يكونوا من أهل السنة والجماعة.
- **المصرف الثالث:** ييسر منها على المعسرين وتُقْضَى منها جزء من ديونهم شريطة أن لا يكونوا ممن يتلاعب بأموال المسلمين وحقوقهم ويقدم في ذلك أهل الديانة والصلاح.
- **المصرف الرابع:** نشر القرآن الكريم ودعم حلقاته ودور تحفيظ القرآن الكريم وتشجيع حافظيه ومعلميه.
- **المصرف الخامس:** الدعوة إلى الله عز وجل إذا تحققت سلامة الهدف وصحة العقيدة.

- **المصرف السادس:** الإنفاق على طلبة العلوم الشرعية وعلى أهل العلم القائمين بنشر العلم والدعوة إليه ويقدم في ذلك المعوز على غيره.
- **المصرف السابع:** بناء المساجد وفرشها وتكييفها وصيانتها وتوفير الخدمات المتعلقة بها.
- **المصرف الثامن:** طباعة الكتب الإسلامية النافعة ونحوها من كتب العقيدة السلفية أو كتب الفقه والحديث وغيرها مما يخدم العقيدة السلفية والمنهج الإسلامي الصحيح وتوزيعها، وشراء شيء مما طبع منها وتوزيعه، ويستشار في النافع منها أهل العلم الموثوقين، ولا يطبع أو يشترى إلا ما كان نافعاً للمسلمين في دنياهم وأخراهم.
- **المصرف التاسع:** إنشاء ودعم المدارس الإسلامية وتعليم أولاد المسلمين ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا.
- **المصرف العاشر:** توزيع المياه والتمور والأطعمة وتفطير الصائمين وخصوصاً في شهر رمضان ومواسم الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها من بلاد المسلمين.
- **المصرف الحادي عشر:** يُضَحَّي عن الواقف وعن والديه ووالديهم وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وإخوانه وأخواته.

ويتضح للمطّلع على هذه المصارف حرص الواقف - تقبل الله منا ومنه - على تنوعها لتشمل مختلف وجوه الخير والبرِّ والإحسان للمستفيدين منها، سواء الاجتماعية أو الدعوية أو التنموية، وقد بلغ مجموع الأموال التي أُنْفِقَتْ من خلال ريع هذه الأوقاف وعوائدها خلال الأعوام (١٤١٨-

١٤٢٧هـ) أكثر من (٢٣٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون ريال)[1]، وستناول هذه الدراسة ما يتعلق منها بالبرامج الدعوية.

وقد رأى الباحث اختيار هذه المؤسسة الخيرية ؛ لتكون أنموذجاً للمؤسسات الوقفية الخاصة ، وبيان أدوارها في دعم البرامج الدعوية لعدة مبررات:

١- لكونها أكبر هذه المؤسسات الوقفية أصولاً ثابتة (عينية ومالية واستثمارية)، بعد سؤاله لعدة مؤسسات وقفية خاصة عن الحجم التقريبي لأصولها.

٢- ولكونها تعتمد على موارد هذه الأوقاف فقط ، وتنفق على أعمالها الخيرية من إيراداتها الخاصة، بعكس بعض المؤسسات الخيرية الخاصة فيغلب عليها الاعتماد على التمويل الذاتي لأصحابها من صدقاتهم، أو زكواتهم الخاصة.

٣- كما أنها من أكثر المؤسسات الوقفية الخاصة إنفاقاً على البرامج الدعوية المتنوعة؛ حيث تبلغ نسبة إنفاقها على هذه الأعمال أكثر من ٥٠٪ من إجمالي مصروفاتها منذ بداية نشاطاتها الخيرية والدعوية عام ١٤١٨هـ وحتى عام ١٤٢٧هـ، كما سيأتي بيانه.

الدراسات السابقة:

قدمت في السنوات الأخيرة دراسات عديدة ومتنوعة عن الوقف

---

(١) انظر: تقرير إدارة الأعمال الخيرية، ص ٨، كما أفاد الباحث ببعض المعلومات من لقائه بالأستاذ عبدالسلام بن صالح الراجحي (الأمين العام لإدارة أوقاف صالح الراجحي) يوم الثلاثاء ١٤٢٧/١١/٢١هـ، وللاستزادة حول هذه المؤسسة انظر موقعها في شبكة الإنترنت: www.awqafalrajhi.com.

وأحكامه ونشأته وتاريخه ونماذج لأوقاف المسلمين على مَرِّ التاريخ الإسلامي؛ مما يصعب حصره أو تناوله في دراسة متخصصة موجزة كهذه الدراسة.

ولعل من المحاسن الجميلة أنه برز في الآونة الأخيرة تبني بعض الجهات الرسمية والعلمية في عدد من الدول الإسلامية عقد مؤتمرات وندوات عن الوقف رغبة في إحيائه بين المسلمين بعد أن غفلوا عنه ـ إلا من رحم الله ـ؛ ليكون رافداً وموردا معيناً في نشر الدين ونفع أتباعه على مر الأيام؛ لذا فقد اتجهت الأنظار مرة أخرى إلى الوقف، وتنبه الناس إلى أهميته[1]، ولعلنا نستعرض من الدراسات العلمية السابقة ما له علاقة مباشرة بهذه الدراسة، ومن ذلك:

---

(١) من هذه المؤتمرات والندوات (حسب زمن انعقادها):

١. ندوة نحو إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية –بورسعيد– ، مصر، ١٤١٨هـ.
٢. ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مكة المكرمة في شوال ١٤٢٠هـ.
٣. ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٢١هـ.
٤. مؤتمر الأوقاف الأول بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، في ذي القعدة ١٤٢٢هـ.
٥. المؤتمر الدولي في الجامعة الأردنية (الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين)، عمان، في شعبان ١٤٢٧هـ.
٦. المؤتمر الثاني للأوقاف تحت شعار (الصيّغ التنموية والرؤى المستقبلية)، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، في ذي القعدة ١٤٢٧هـ .
٧. الندوة الدولية: توظيف مصادر التمويل الإسلامية في اقتصاديات التعليم ـ الأوقاف نموذجا، تنظيم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، الكويت، في ذي القعدة ١٤٢٦هـ.
٨. ندوة " الوقف والقضاء "، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض، في صفر ١٤٢٦هـ.

أهمية الوقف في دعم المؤسسات الدعوية [1]:

جاء ت هذه الدراسة في اثنتين وأربعين صفحة، وتناولت الدراسة: تعريف الوقف، وأهم أحكامه، ومشروعيته ومقاصده وثمراته الإيمانية، ثم تحدثت الدراسة عن أهمية الوقف الإسلامي في دعم المؤسسات الدعوية ووسائلها.

دور الوقف في دعم المؤسسات الدعوية ووسائلها [2]:

وبلغت صفحات هذه الدراسة إحدى وأربعين صفحة، واشتملت على: التعريف بالوقف، وأنواعه، ومشروعيته، وحكمة مشروعيته، وشروط صحة الوقف، ومصارفه، ثم تناولت الدراسة التعريف بالدعوة، والحاجة إليها، والدعوة عند الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومضمون الدعوة، والتعريف بوسائل الدعوة، والتعريف بالمؤسسات الدعوية.

الوقف وأثره في نشر الدعوة، وجهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال: [3]

وقد بلغت صفحات هذه الدراسة ثلاثاً وخمسين صفحة، واشتملت على: تعريف الوقف ومشروعيته وحكمه وأنواعه وأركانه وشروطه ومقاصده، ثم تحدثت عن دور الوقف في نشر الدعوة مع إبراز جهود المملكة العربية السعودية.

---

(١) دراسة علمية قدمها د.شرف بن علي الشريف في ندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية"، مكة المكرمة، شوال ١٤٢٠ هـ، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٢) دراسة علمية قدمها أ.د.حمد بن ناصر العمار في ندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية"، مكة المكرمة، شوال ١٤٢٠ هـ، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٣) قدم أ.د.عبد الرحيم بن محمد المغذوي هذه الدراسة إلى مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله تعالى (مقارنة بين الماضي والحاضر) : [1]

جاءت هذه الدراسة في ثلاث وعشرين صفحة، واشتملت على: التعريف بالوقف، والتعريف بالدعوة، والعلاقة بينهما في الماضي والحاضر، ثم ذكرت صوراً للوقف على الدعوة في الماضي والحاضر.

أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى[2]:

بلغت صفحات هذه الدراسة خمسمائة صفحة، وتناولت: مشروعية الوقف ، وحكمه ، وأركانه، وأثره على الدعاة، وأهميته للدعوة، وأثره على المدعو، وأثره على وسائل الدعوة وأساليبها، ومعوقات الوقف على الدعوة وسبل العلاج.

علاقة الدراسات السابقة بالدراسة المقدمة :

إنّ الدراسات القيمة السابقة – حتى وإن كانت عن الوقف والدعوة في مجملها – تختلف عن الدراسة المقدمة؛ لكونها تتخصص ببيان أثر المؤسسات الوقفية الخاصة في دعم البرامج الدعوية، مع ذكر أُنموذج من هذه المؤسسات، وبيان لبرامجها الدعوية المتنوعة.

---

(١) قام بهذه الدراسة د.خالد بن عبد الرحمن القريشي، في مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

(٢) قام بهذه الدراسة خالد بن هدوب المهيدب، وأصلها رسالة ماجستير، قسم الدعوة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ.

إجراءات الدراسة وتقسيماتها:

مشكلة الدراسة:

اهتم عدد من الموسرين في بلادنا المباركة – في السنوات الأخيرة الماضية – بتخصيص جزء من ممتلكاتهم وثرواتهم لتكون أوقافاً تصرف عوائدها على البرامج الخيرية والدعوية والاجتماعية والصحية في المجتمعات المسلمة؛ تجديداً لما كان عليه المسلمون الأقدمون في الاهتمام بالوقف كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني..

وقد أقام هؤلاء الموسرون على أوقافهم رجالاً أكْفِياءً يتولون مهمة النظارة عليها والتحقق من وصولها إلى مستحقيها وفق وصاياهم المحددة لذلك، ونتيجة للرغبة في ضبط هذه الأعمال الوقفية ومصارفها فقد اجتهد بعض نُظَّار هذه الأوقاف إلى تحويل عملهم من العمل الفردي إلى العمل المؤسسي؛ فأقاموا مؤسسات وقفية خاصة تُعنى بالنظر في شؤون هذه الأوقاف وتنميتها والمحافظة عليها وضبط آليات صرف عوائدها على المستحقين، وتنظيم أعمالها وفق نظم ولوائح إدارية ومالية علمية دقيقة.

وتُعْنَى هذه الدراسة بالتعريف بالبرامج الدعوية التي يمكن لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة دعمها والإنفاق عليها؛ خدمة للدين والدعوة إليه في أوساط المسلمين وغيرهم، وستخصص هذه الدراسة لتتناول دور أوقاف صالح الراجحي كأنموذج حي لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة ودورها في دعم البرامج الدعوية.

تساؤلات الدراسة:

على ضوء المشكلة البحثية المذكورة سابقاً يمكن تحديد التساؤلات التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها وفق الآتي:

- ما مفهوم الوقف؟ وما أبرز أحكامه ؟
- ما أثر الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي؟
- ما أبرز جهود أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي في دعم البرامج الدعوية؟

منهج الدراسة :

تعد هذه الدراسة من الدراسات الكيفية التي تهدف الوصول إلى نتائج دقيقة حول موضوعها، وتعتمد المنهج الوثائقي: الذي يتضمن بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق مع بعضها بصفة منطقية، والاعتماد عليها في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة، أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية أو الحاضرة، أو عن الدوافع والصفات والأفكار الإنسانية[1]، وقد بذل الباحث وسعه من خلال استخدام هذا النوع من أنواع البحوث الكيفية لتعريف مفهوم الوقف وبيان أبرز أحكامه، ثم بيان دور الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي، ثم استعراضٍ لأبرز مناشط إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي في الدعوة كنموذج للمؤسسات الوقفية الخاصة في المملكة العربية السعودية في دعم البرامج الدعوية، واستخدم الباحث عدداً من المصادر والمراجع الأولية والثانوية لتحقيق أهداف الدراسة.

---

(١) انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، ص٢٣٥-٢٣٦، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.العساف، ص ٢٠٣.

تقسيمات الدراسة:

- المقدمة: وتحتوي على: (التمهيد، أهداف الدراسة، مصطلحاتها، إجراءات الدراسة، وتقسيماتها).
- المبحث الأول: مفهوم الوقف وأبرز أحكامه.
- المبحث الثاني: أثر الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي.
- المبحث الثالث: أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي كنموذج للمؤسسات الوقفية الخاصة في المملكة العربية السعودية.
- الخاتمة، وفيها أبرز نتائج الدراسة، وتوصياتها.

المبحث الأول
مفهوم الوقف وأبرز أحكامه

أولاً: مفهوم الوقف:

التعريف اللغوي:

الوقف في اللغة: الحبس والمنع، يقال: وقفت الدار وقفاً إذا حبستها في سبيل الله، موقوف، أي: محبوس، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤]، أي: احبسوهم ، ويقال: أوقفت الرجل عن الشيء وقفاً، أي: منعته عنه، والجمع أوقاف.[١]

التعريف الاصطلاحي:

أغلب تعريفات الفقهاء للوقف تدور حول: تحبيس أصل العين ، ومنع التصرف فيها، وتسبيل المنفعة والثمرة، ومن هذه التعريفات:

الوقف، هو: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة.[٢]

الوقف، هو: حبس العين على مالك الواقف، والتصرف بالمنفعة.[٣]

الوقف، هو: حبس الأصل وتسبيل الثمرة، أي: حبس المال، وصرف منافعه في سبيل الله.[٤]

---

(١) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص ٧٣٣، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة المقري، ٦٦٩/٢، مادة وقف.

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ٤٤٨/٢.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ص ٣٢٨.

(٤) فقه السنة، سيد سابق، ٥١٥/٣.

فالمفهوم العام للوقف يفيد معنى: حبس المال الموقوف عن الامتلاك والتداول، في سبيل المقاصد والمصارف التي حددها الواقف - أو الواقف - الشرعية أو العلمية أو الخيرية؛ لكون هذه المصالح تحتاج إلى أماكن تُهَيّأ لها، ونفقة دائمة، وهذا يستدعي وجود مورد مالي مستمر، يدر عليها المال اللازم لحاجتها، ومن ثم يتولى القائمون على إدارة هذا المال إنفاقه في تلك المصالح.[1]

وكان الوقف في أول عهده يسمى (صدقة) و (حبساً) و (حبيساً)، ثم استعمل اسم (الوقف) وانتشر بهذا الاسم إلى يومنا الحاضر، ولا تزال الأوقاف تسمى إلى اليوم في بلاد المغرب (أحباساً).[2]

ثانياً: أبرز أحكام الوقف.

اجتهد الفقهاء – قديماً وحديثاً – في بيان أحكام الوقف وقواعده وشروطه وأنواعه وتناولوا ذلك في كتبهم بالتفصيل والبيان، ولعلنا نذكر فيما يأتي أبرز أحكامه وفق النقاط الآتية:

مشروعية الوقف:

الأصل في مشروعية الوقف في الإسلام الكتاب الكريم والسنة المطهرة والإجماع، ومن النصوص الدالة على مشروعيته والحث عليه:

أ) من القرآن الكريم :

جاءت نصوص عديدة في القرآن الكريم تحث على فعل الخير والإحسان إلى الناس، وبذل الصدقة والنفع لهم - وهو ما يرمي إليه الوقف -،

---

(١) انظر: أحكام الأوقاف، الزرقا، ص ١٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٠.

ومن تلك الآيات: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله سبحانه: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:٩٢]، ولما نزلت هذه الآية الكريمة جاء أبو طلحة – رضي الله عنه – إلى النبي ﷺ وقال له: إن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال عليه الصلاة والسلام: (بخ بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين)، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.(١)

وقد استدل الفقهاء على مشروعية الوقف بالنصوص العامة الداعية إلى الإنفاق والتطوع ورعاية حقوق الفقراء، والصرف على المحرومين، وبذل الأموال في العناية بمصالح المجتمع الإسلامي.(٢)

ب) من السنة النبوية :

ورد العديد من النصوص الكريمة القولية والفعلية التي يتبين منها مشروعية الوقف، ومن تلك النصوص : حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – الذي يقول فيه: أصاب عمر بخيبر أرضاً، فأتى النبي ﷺ ، فقال: أصبت أرضاً لم أصب ما لاً قط أنفس منه، فما تأمرني به؟، قال ﷺ: (إن شئت

---

(١) انظر: قصة وقف هذه الأرض في صحيح الإمام البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا أوقف أرضاً ولم يبين الحدود، رقم ٢٥٦٢، وصحيح الإمام مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الأقربين..، رقم ١٦٦٤.

(٢) أثر الوقف في تنمية المجتمع، د.نعمت مشهور، ص ١٧.

حبست أصلها وتصدقت بها)، فتصدق بها عمر: أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء، والقربى، والرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم صديقاً غير متمول فيه[1]).[2]

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله (ت ٨٥٢هـ): (وحديث عمر هذا أصل في مشروعية الوقف).[3]

ومما يدل على مشروعية الوقف حديث الرسول ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [4]، يقول الحافظ النووي (ت ٦٧٦هـ) رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (الصدقة الجارية هي الوقف،.. وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه).[5]

ج) من الإجماع:

وقد تتابع الصحابة – رضوان الله عليهم – بالحرص على الوقف، يقول جابر رضي الله عنه: (لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذا مقدرة إلا وقف)[6]، وقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رحمه الله: (بلغني أن ثمانين

---

(١) غير متمول: غير متخذ منها مالاً، أي ملكاً، والمراد أنه لا يمتلك شيئاً من رقابها، انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٢٩١/٥.

(٢) رواه البخاري، الصحيح، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب؟، رقم ٢٧٧٢، ورواه مسلم بلفظ قريب، كتاب الوصية، باب الوقف، رقم ٤٢٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٩٢/٥.

(٤) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ٤١٩٩.

(٥) شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج)، النووي، ٨٨/١١.

(٦) انظر: أحكام الأوقاف، أبوبكر الشيباني، ص١٥.

صحابياً من الأنصار تصدقوا بصدقات محرمات).[١]

وهذا إجماع منهم على مشروعية الوقف وفضله، فإن الذي قدر منهم على الوقف وقف، واشتهر ذلك فلم ينكره أحد فكان إجماعاً.[٢]

حكم الوقف:

يرى جمهور أهل العلم أن حكمه جائز، ومندوب إليه؛ لأنه أحسن ما تُقرِّب به إلى الله تعالى[٣]، يقول ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) رحمه الله: (وأكثر أهل العلم من السلف على القول بصحة الوقف)[٤]، وقيل حكمه: مستحب[٥]، وقال الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) رحمه الله: (اعلم أن ثبوت الوقف في هذه الشريعة، وثبوت كونه قُربة أظهر من شمس النهار).[٦]

أركان الوقف:

وللوقف أركان يقوم عليها كسائر الالتزامات التي يبرمها الإنسان، وقد أكَّدَ الفقهاء على هذه الأركان عند حديثهم عن الوقف، والأركان التي ذكروها:

١- الواقف – أو الواقف –، وهو المتبرع بماله، وقال الفقهاء بصحة وقفه إذا توفرت فيه الشروط الآتية: العقل، البلوغ، الأهلية، الاختيار وعدم الإكراه، الحرية.

(١) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، الشربيني، ٣٧٦/٢.

(٢) انظر: أحكام الأوقاف، أبوبكر الشيباني، ص ١٥-١٧.

(٣) انظر: الفواكه الدواني، النقراوي، ٢٢٤/٢.

(٤) المغني، ابن قدامة، ١٨٥/٨.

(٥) انظر: منار السبيل في شرح الدليل، ابن ضويان، ٣/٢.

(٦) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، ٣١٢/٣.

٢- الموقوف، وهو محل الوقف، واشترط الفقهاء عدة شروط حتى يكون صالحاً للعقد، وهي: أن يكون مملوكاً للواقف، أن يكون مالاً متقوماً يمكن الانتفاع به، أن يكون قابلاً للوقف بطبيعته، أن يكون معلوماً علماً تاماً.

٣- الموقوف عليه، وهو المستحق للانتفاع بالعين الموقوفة وفق وصية الواقف.

٤- الصيغة، وقد تكون لفظاً، أو فعلاً من الواقف عند تحديده للوقف، موضحاً فيها رغبته المنجزة والجازمة والمؤبدة للوقف، وكيفية الانتفاع منه.[١]

---

(١) انظر: أثر الوقف في الدعوة، المهيدب، ص٣٣، أحكام الوقف، الزرقا، ص٢٨، أحكام الوقف، الكبيسي، ٣٢٩/١، محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٩٨.

المبحث الثاني
أثر الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي

جاء الأمر الإلهي الكريم صريحاً لكل مسلم ومسلمة بالقيام بالدعوة إلى الدين كل وفق قدرته وطاقته، يقول المولى جلت قدرته: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال جل شأنه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقد رتب الله – عز وجل – لمن قام بذلك أجوراً عظيمة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣]، وبينّ فضل ذلك النبي ﷺ بقوله: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[١]، وقال النبي ﷺ موضحاً عظم المال وفضله في نفع الدين وأثره في نشره: (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله فقد غزا)[٢]، قال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) رحمه الله: (معناه أنه مثله في الأجر، وإن لم يغز حقيقة)[٣]، وقال عليه الصلاة

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم ٤٨٧٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، رقم٢٨٤٣.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٧٥/٤.

والسلام: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...)[1] ، يقول الحافظ النووي (ت ٦٧٦هـ) رحمه الله في شرحه للحديث النبوي الأخير: (فإن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور تابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم، أو عبادة، أو أدب، أو غير ذلك..)[2] ، فالنصوص الكريمة السابقة ، والأقوال الموضحة لها تُبيِّنُ عظم الجزاء لمن قام بالدعوة إلى الله وبلّغها للناس، سواء قام بذلك بنفسه مباشرة، أو يسَّر القيام بهذه المهمة على أي وجه كان.

وإن من أبرز من يحافظ على الهوية الإسلامية حتى تتابع مسيرتها في هذه الحياة ـ بعد توفيق الله تعالى ـ الدعاة إلى الله؛ لكونهم يسهمون في نشر التعاليم الإسلامية بين المسلمين وغيرهم، وقد كان للوقف دوره الكبير في المحافظة على الإسلام، وتوفير السبل المناسبة للدعوة إليه؛ فقد ارتبطت الأوقاف على مر العصور المسلمة بإنشاء المساجد وتعميرها، وأدى ازدهار تلك الأوقاف إلى تقوية الشعور الديني، واستمرار تدفق المشاعر الدينية، مما جعل كثيراً من المسلمين في تلك الأزمنة يخصصون أوقافهم وأحباسهم على المساجد والإنفاق عليها؛ لكون المسجد يمثل للمسلمين – قديماً وحديثاً – مصدر إشعاع رئيس للقيم والمبادئ الإسلامية، وهو السبيل إلى تحقيق التنمية الدينية والاجتماعية لجميع أفراد المجتمع المسلم،

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم ٢٣٤٨.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج)، ٣٤٦/١٥.

وتأكيد هويتهم الإسلامية والمحافظة عليها، وهو المدرسة التي يتم من خلالها تنمية الحياة الثقافية والتعليمية وإعداد الدعاة والمعلمين، وهو ملتقى المسلمين في أعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية[1]؛ لذلك فهو يمثل لهم رمزاً مُهِمَّاً لكل مسلم في جوانب شتى، بالإضافة إلى أنه قد جاءت النصوص الكريمة الموضحة لفضل بنيانه وتعاهده، ومنها قول النبي ﷺ: (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة)[2]، وبيَّن عليه الصلاة والسلام أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: (ورجل معلق قلبه في المساجد..).[3]

وكان المسجد أهم الأوقاف التي اعتني بها المسلمون، بل هو أول وقف في الإسلام، كما هو معلوم في قصة بناء مسجد قباء، أول مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة[4]، ولعل من أبرز شواهد اهتمام المسلمين بذلك الجانب في الوقف، الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها من المساجد الكبرى في العالم الإسلامي؛ حيث كان المسلمون الأوائل يجعلون في مقدمة مصارف أوقافهم الإنفاق على المساجد والعناية بها، وكانت المساجد - كما سبق ذكره - بالإضافة إلى أنها أماكن لأداء الشعائر الدينية، فقد كانت محاضن تربوية وتعليمية لأبناء الأمة، ولقد بلغ

---

(١) انظر: أثر الوقف في تنمية المجتمع، د.مشهور، ص ٧٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً ،رقم ٤٥٠، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل المساجد والحث على عليها، رقم ١١٨٩.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم ٦٦٠، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم ٢٣٧٧.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٤/٢، صحيح السيرة النبوية، العلي، ص١٦٨.

من كثرة الأوقاف في عهد المماليك مثلاً أن جعل لها ثلاثة دواوين: ديوان لأوقاف المساجد، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر المختلفة، وديوان للأوقاف الأهلية.[1]

ثم تأتي بعد ذلك المدارس في المرتبة الثانية من حيث الكثرة العددية، والأهمية النوعية في الأوقاف في حياة المسلمين، فلقد بلغت الآلاف منها على امتداد العالم الإسلامي، وكان لها أثرها الواضح في نشر العلم، ورفع مستوى المعرفة بين المسلمين، وقد أدى توافد طلاب العلم على بعض المدارس المشهورة من جميع البلدان إلى إنشاء الخانات والأربطة والدور الوقفية؛ لإيواء الطلاب الغرباء وتهيئة الجو المناسب لهم، بالإضافة إلى الصرف على من يحتاج منهم ليتفرغوا لطلب العلم وتحصيله [2]، فكانت هذه الأوقاف تُؤمن صرف مرتبات العاملين فيها، وتوفير المساكن لطلبة العلم، وتقديم الطعام لهم، ومعالجتهم طبياً، وشملت الأوقاف أيضاً متابعة المدارس وصيانتها وتجهيزها، ويذكر أن أبو يوسف المريني (ت ٦٨٥هـ) رحمه الله قد بنى عدة مدارس، ورتب لها الأوقاف، وأجرى المرتبات للأساتذة والطلبة في كل شهر[3]، ومن خلال استعراض التاريخ الإسلامي نجد أن من أبرز المدارس الوقفية:

- المدرسة الصالحيّة بمصر أنشأها عام ٦٤١هـ الملك نجم الدين أيوب (ت ٦٤٨هـ) رحمه الله.
- المدرسة الظاهرية بالقاهرة، أنشأها عام ٦٢٦هـ الظاهر بيبرس (ت

(١) انظر: محاضرات في الوقف، أبو زهرة، ص ١٤.

(٢) انظر: الآثار الاجتماعية للأوقاف، د.السدحان، ص٢٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢.

٦٧٦هـ) رحمه الله.

- المدرسة المنصورية بالقاهرة، أنشأها عام ٦٨٣هـ المنصور قلاوون (ت ٦٨٩هـ) رحمه الله.
- المدرسة الغياثية بمكة، بناها عام ٨١٣هـ المنصور غياث الدين (ت ٨٥٢هـ) رحمه الله.
- المدارس الأربع بمكة، بناها عام ٩٢٧هـ السلطان سليمان القانوني (ت ٩٧٤هـ)رحمه الله.

وقد أشار ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) رحمه الله في رحلاته بأن مصر والعراق وسوريا كانت عامرة بالمعاهد العلمية الموقوفة(١)، كما تحدث أبو القاسم البلخي (ت ٣٨٢هـ) رحمه الله عن مدرسة في بلاد ما وراء النهر وذكر أنها كانت تتسع لثلاثة آلاف طالب ينفق عليهم، وعلى الدراسة من أموال موقوفة لهذا الغرض.(٢)

وجميع ما جاء حول هذه المدارس يدل دلالة واضحة على اهتمام الواقفين بالتعليم والعلماء والمتعلمين، وذلك من خلال توفير ما يلزم الأطراف الثلاثة لتحقيق أقصى قدر من النجاح والوصول إلى درجة عالية من العلم النافع، فالواقفون يوفرون المال والمكان والطعام والملبس والحبر والورق من خلال أوقافهم، والمطلوب من الأستاذ والطالب أن يتفرغا للعلم والعمل به في المجتمع.(٣)

---

(١) انظر: أثر الوقف على الدعوة إلى الله، المهيدب، ص١٣٢، دور الوقف في العملية التعليمية، د.المعيلي، ص١٧-١٨

(٢) انظر: الوقف في الشريعة الإسلامية، د.الصالح، ص ٢٦.

(٣) انظر: الوقف والمجتمع ، د.الساعاتي، ص ٣٦.

كما اهتم الواقفون السابقون بتوفير الكتب والمكتبات العامة والخاصة؛ لكونها تعد مصدراً من مصادر الدعوة، ورافداً مهماً لنشرها بين الناس، مما أسهم في توفير الكتب ، وتيسير وصولها للعلماء ، وطلبة العلم، وقد وانتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الهجري الرابع، وأصبحت تلك المكتبات قبلة لطلاب العلم.(١)

وبعد مضي عدة قرون من عمر الأمة الإسلامية، طرأت بعض التغيرات على المجتمعات المسلمة، فجوّز الفقهاء أخذ الأجور على القيام بالواجبات والشعائر الدينية العامة، من تعليم القرآن والعلم والقيام بالإمامة والخطابة والآذان؛ لضرورة إحيائها خوفاً من تقاصر الهمم عنها؛ لكون طلب العلم وتعليمه لم يكن عملاً مستقلاً في العصور السابقة، وإنما كان العلماء من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – ومن جاء بعدهم من أئمة السلف الصالح – رحمهم الله –يَجْمعون بين التعليم والاكتساب بأنفسهم، ونتيجة لذلك فقد ظهر اتجاه جديد في الأموال الموقوفة ومصارفها من خلال الصرف على القائمين بالتعليم والإمامة والخطابة والوعظ في المجتمعات المسلمة.(٢)

ولقد كان الوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية ، والفكرية على مدار القرون؛ حيث أسهم الواقفون في مساندة المسيرة التعليمية، وذلك عن طريق تشييد المدارس والإنفاق عليها ، والإفادة من المساجد في التعليم، والعناية بتوفير مصادر المعلومات عن طريق وقف الكتب على المدارس وجهات

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) انظر: الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، د.الضحيان، ص٢٨.

التعليم المختلفة.[1]

واستمرت هذه الميادين والوسائل الدعوية الرئيسة:

- المساجد.
- المدارس والكتاتيب.
- المكتبات والكتب.
- القائمون بالدعوة والتعليم والخطابة والإمامة.

استمرت تؤدي دورها لفترات زمنية طويلة في حياة المسلمين، واستفاد منها خلق كثير على مدى أجيال متعاقبة، وقد تحقق لها ذلك بفضل الله تعالى، ثم بفضل نظام الوقف الذي ازدهر في تصاعد مستمر مع ازدهار الحضارة الإسلامية، وكان يخدم مجالاتها الواسعة النافعة للناس، ولم يكن قاصراً على وسائل تقليدية محددة، بل كان يتعايش مع حاضره ، وواقعه الاجتماعي، ويدور مع مصالح الإسلام والمسلمين، مما مكن الدعاة إلى الله ـ بعد فضل الله تعالى ـ من مواصلة أداء دورهم في المجتمعات المسلمة، وإيصال الدعوة ونشرها بين الناس من خلال وسائل متنوعة.

وفي هذا إشارة مهمة ذات فائدة كبرى لكل القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة بأن يسعوا من خلال مؤسساتهم إلى تحقيق أفضل السبل المعينة لوصول الدعوة ببرامجها المختلفة إلى الناس كافة، وعليهم أن يسيروا في نشاطات مؤسساتهم لتحقيق هذه الغاية الكبرى وفق أهداف ووسائل وأساليب دعوية مشروعة أو مباحة، وأن يجتهدوا في سبيل ذلك بكل وسيلة (قديمة أو جديدة) لا تتعارض مع أحكام الإسلام وأوامره، إذ

(١) انظر: أثر الوقف في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، د.الخطراوي، ص٤٧.

إن مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) مبدأ مرفوض عندهم؛ لكونهم يسلكون من الوسائل والأساليب ما أباحه الشرع وأجازه، لا ما حرمه ونهى عنه، وديننا الحنيف لا يقف حجر عثرة أمام الإفادة مما هو مباح من الوسائل المعاصرة التي توصل صورة الإسلام الصحيحة للناس، أو تكشف عوار الشبهات المضللة عنه.[1]

(١) للاستزادة حول ضوابط الوسائل انظر: الغاية لاتبرر الوسيلة، الخياط، ص ١٣، المدخل إلى علم الدعوة، د.البيانوني، ص٢٨٥–٣٠٠، وسائل الدعوة، د.المغذوي، ص١٧–٢١.

المبحث الثالث

أوقاف صالح بن عبدالعزيز الراجحي كنموذج للمؤسسات الوقفية المعاصرة في المملكة العربية السعودية [1]

تعد أوقاف الشيخ صالح الراجحي – بحمد الله – أنموذجاً مشرفاً لتلك الأوقاف التي شاعت في أمتنا ، واستمراراً لمنهجها القويم ، وانسياقاً مع أهدافها السامية.

والمطلع على البرامج ، والأعمال الخيرية التي قامت بها هذه المؤسسة المباركة خلال عمرها الزمني القصير ليحمد الله تعالى على أن أوجد من أثرياء المسلمين من يوقف هذه الأوقاف الضخمة التي يعود ريعها للصرف على المحتاجين والمعوزين، وإلى خدمة الدين ونشر أحكامه في المجتمعات المسلمة، وسنقتصر في هذه الدراسة على تناول البرامج الدعوية التي قامت بها إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي منذ إنشائها عام ١٤١٧هـ [2] وحتى نهاية عام ١٤٢٦هـ وفق المصارف التي حددها الواقف - أجزل الله له الثواب - ، وذلك وفق الآتي:

---

(١) استقى الباحث معلومات هذا المبحث من تقرير الأعمال الخيرية لإدارة أوقاف صالح الراجحي (عشر سنوات من العطاء)، ومن المقابلة مع أمين عام إدارة أوقاف صالح الراجحي الأستاذ عبدالسلام الراجحي يوم الثلاثاء ١٤٢٧/١١/٢١هـ، ومن المقابلة مع الأستاذ تركي الوهبي مسؤول الأعمال الخيرية بإدارة الأوقاف يوم الأربعاء ١٤٢٧/١١/٨هـ، الذي أيضاً زوده ببعض المطبوعات والتقارير المتنوعة للأعمال المنفذة خلال السنوات الماضية، بالإضافة إلى موقع إدارة الأوقاف في شبكة الإنترنت: www.awqafalrajhi.com.

(٢) بدأت إدارة الأوقاف أعمالها الخيرية المتنوعة فعلياً عام ١٤١٨هـ.

مصرف: نشر القرآن الكريم ودعم حلقاته.

يقدم هذا المصرف الدعم لنشر القرآن الكريم بصور النشر والرعاية المختلفة، وقد خصصت إدارة أوقاف صالح الراجحي مبالغ مقدرة بميزانياتها السنوية في دعم هذا المصرف، كما قامت بتنفيذ العديد من المشروعات التي تندرج تحته، ويأتي هذا الاهتمام منها عملاً بقول الرسول ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).[1]

وتقوم إدارة الأوقاف بهذا المصرف طلباً في تحقيق الأهداف الآتية:

١- مساندة الجهود التي تقوم بها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تعليم كتاب الله عز وجل و نشره.

٢- مساعدة الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بدعم بنود رواتب المدرسين والمدرسات.

٣- التأكيد على دور إدارة الأوقاف في خدمة كتاب الله عز وجل.

وتنفذ إدارة الأوقاف هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

١. التنسيق مع الأمانة العامة للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بشأن دعم رواتب المدرسين والمدرسات بالجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

٢. تقديم الدعم المادي لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم.

٣. إنشاء المجمعات التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم.

٤. إقامة الدورات التدريبية لحفظة كتاب الله – عز وجل – ومعلميه.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم ٥٠٢٧.

٥. تبني مسابقات تحفيظ القرآن الكريم بالجمعيات الخيرية للتحفيظ.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طريقتين رئيستين:

أولهما: برامج دعم الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم من خلال تخصيص مبالغ مقطوعة لكل جمعية لتسيير أعمال الجمعية دون تحديد لأوجه صرف هذا الدعم.

الأخرى: برامج دعم رواتب المدرسين والمدرسات بالجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (٤٥,٩٤١,٩٠٢) فقط خمسة وأربعين مليوناً وتسعمائة وواحد وأربعين ألفاً وتسعمائة وريالين.

مصرف: الدعوة إلى الله عز وجل:

يعنى هذا المصرف الدعم بالعمل الدعوي في مختلف وسائله وطرقه، وقد أولت إدارة الأوقاف اهتماماً بهذا المصرف؛ لفضله وأهميته وآثاره التي لا تخفى على كل مسلم.

وتقوم إدارة الأوقاف بهذا المصرف رغبة في تحقيق الأهداف الآتية:

١- المساهمة في نشر العلم الشرعي من خلال طباعة الكتب الإسلامية، والرسائل التوجيهية النافعة الموجهة لمختلف فئات المجتمع.

٢- المساهمة في دعم المؤسسات العاملة في المجال الدعوي كالرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمكاتب التعاونية للدعوة وتوعية الجاليات وغيرها.

٣- المساهمة في دعوة غير المسلمين للدخول في الدين الإسلامي الحنيف.

٤- توعية المقيمين من المسلمين غير الناطقين باللغة العربية، وتبصيرهم بأمور دينهم، وحثهم على التمسك بالعقيدة الصحيحة.

٥- التأكيد على دور إدارة الأوقاف في دعم ونشر الدعوة إلى الله عز وجل.

وتقوم إدارة الأوقاف بتنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- دعم الخطط التوعوية، والتوجيهية الموجهة لأفراد المجتمع من قبل الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- دعم برامج المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات.
- التنسيق مع المؤسسات العاملة في المجال الدعوي لتنفيذ البرامج والأنشطة الدعوية المختلفة.
- دعم الدورات والبرامج التدريبية للعاملين في حقل الدعوة إلى الله.
- طباعة الكتب والكتيبات والرسائل والمطويات الدعوية بمختلف اللغات.
- طباعة الأشرطة الإسلامية الدعوية الموجهة لمختلف فئات المجتمع.

وقامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طرق متعددة منها:

أولاً: برنامج دعم المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد، وتوعية الجاليات المنتشرة في جميع مناطق المملكة العربية السعودية للأعوام ١٤١٨هـ و ١٤٢٤هـ و ١٤٢٦هـ، بتكلفة إجمالية بلغت (٤,٣٤٩,٩٧٠) أربعة ملايين وثلاثمائة وتسعة وأربعين ألفا وتسعمائة وسبعين ريالاً، من خلال طباعة الكتب والأشرطة الإسلامية باللغات المختلفة، أو تبني البرامج الدعوية المختلفة لهذه المكاتب.

ثانياً: برنامج دعم الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأعوام ١٤٢١هـ و ١٤٢٣هـ و ١٤٢٦هـ، من خلال تبني خطط الإدارة العامة للتوعية والتوجيه في المجتمع، وقد شملت هذه الخطط طباعة الكتب العلمية، والكتيبات التوجيهية، والرسائل والمطويات، والأشرطة الإسلامية، والرسائل التوجيهية باللغات الأجنبية بالإضافة إلى برامج إجازة الربيع والصيف، ومكتبة المحتسب واللوحات الإرشادية في الطرقات في عدة مدن بالمملكة، وقد أنفقت إدارة الأوقاف على الخطط المشار إليها مبلغ (٤,٢٥٩,٤٠٠) أربعة ملايين ومائتين وتسعة وخمسين ألفاً وأربعمائة ريال.

ثالثاً: مشروع رعاية المسابقة العلمية لطالبات المرحلة الثانوية على مستوى المملكة بالتعاون مع تعليم البنات في وزارة التربية والتعليم، وقد بلغت التكلفة الكلية لتنفيذ هذه المسابقة مبلغ (١,٢٥٠,١١٠) مليون ومائتين وخمسين ألفا ومائة وعشرة ريالات.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (١١,٤٠٨,٥٦٤) فقط أحد عشر مليوناً وأربعمائة وثمانية آلاف وخمسمائة وأربعة وستين ريالاً.

مصرف: الإنفاق على طلبة العلوم الشرعية والدعاة:

يُعْنى هذا المصرف بالإنفاق على طلبة العلوم الشرعية وعلى أهل العلم القائمين بنشر العلم والدعوة إلى الله، وذلك لأهمية أمثال هؤلاء في الأمة، وأثرهم الإيجابي في بنائها.

وتقوم إدارة الأوقاف بهذا المصرف طلباً في تحقيق الأهداف الآتية:

١- تأهيل أبناء المسلمين المحتاجين تأهيلاً علمياً لينهلوا من ينابيع العلم الشرعي.

٢- تيسير السبل لتحصيل أبناء المسلمين للعلوم النافعة.

٣- نشر العلوم الشرعية.

٤- الإسهام في رفع قدرات المعلمين ، وزيادة تأهيلهم ، وتمكين البارزين منهم ، والكفاءات العلمية الشرعية المؤهلة من القيام بالعملية التعليمية والتربوية الصحيحة.

وتحرص إدارة الأوقاف على تنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- توفير المنح الطلابية في العلوم الشرعية ، واللغة العربية.
- التنسيق مع الجامعات السعودية لاستيعاب الطلاب من الدول الإسلامية لدراسة العلوم الشرعية ، وتأهيلهم تأهيلاً علمياً مناسباً ليصبحوا دعاة في بلدانهم بعد ذلك.
- إقامة دورات لتأهيل الأئمة ، والدعاة بالتنسيق مع المؤسسات الخيرية السعودية.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طريقين رئيسين:

أولاً: مشروع الصرف على طلبة العلم لعامي ١٤١٨هـ و ١٤١٩هـ، بالتنسيق مع المؤسسات الخيرية السعودية لكفالة عدد من طلاب العلم في دول مختلفة من بلدان المسلمين.

ثانياً: مشروع صندوق إدارة أوقاف صالح عبد العزيز الراجحي للمنح

الدراسية، ويعد هذا الصندوق من أول المشاريع الخيرية المنظمة لمناشط إلحاق طلبة العلم الشرعي بالجامعات السعودية، وقد جاءت فكرته من الحاجة الماسة للدول الإسلامية لدعاة يتم إعدادهم علميا وعملياً من منابع علمية صافية، وهو ما تمتاز به جامعاتنا السعودية ولله الحمد والمنة، وقد قامت إدارة الأوقاف بإعداد هذا الصندوق وتنفيذه مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً بتكلفة بلغت (٦,٤٠٠,٠٠٠) ستة ملايين وأربعمائة ألف ريال لكفالة أربعين طالباً من طلاب المنح كفالة شاملة.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (١١,٤٠١,٣١٥) فقط أحد عشر مليوناً وأربعمائة وألف وواحداً وثلاثمائة وخمسة عشر ريالاً.

مصرف: بناء المساجد وصيانتها وتوفير الخدمات المتعلقة بها.

ارتبط هذا المصرف بعناية إدارة الأوقاف ببناء المساجد وفرشها وتكييفها، وصيانتها، وتوفير الخدمات المتعلقة بها، وتهدف من قيامها بهذا المصرف تحقيق الأهداف الآتية:

١- العمل على رفع راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في مختلف بقاع الأرض.

٢- بناء المساجد طلباً للأجر والثواب المتمثل بقول النبي ﷺ: (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة).[1]

٣- مساعدة الأئمة والمؤذنين على طلب العلم الشرعي؛ حتى يفيدوا في

(١) سبق تخريجه.

مساجدهم بعد ذلك.

٤- مساعدة الأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لمجمعات إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي العقارية في أداء مهامهم بتوفير السكن المناسب من حيث الموقع والمساحة.

وتحرص إدارة الأوقاف على تنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- التنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وفروعها في المملكة بشأن بناء المساجد الجديدة ، وإعادة إعمار القديم منها..
- التنسيق مع المؤسسات الخيرية السعودية لإعمار المساجد خارج المملكة.
- تأمين السكن للأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لمجمعات إدارة الأوقاف.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طريقين رئيسيين:

الأول: مشروع بناء المساجد وصيانتها: قامت إدارة الأوقاف بالمساهمة في بناء عدد من المساجد وفرشها وتكييفها وصيانتها وتقديم الخدمات المتعلقة بها.

الثاني: مشروع سُكْنى الأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لإدارة أوقاف صالح عبد العزيز الراجحي: قامت إدارة الأوقاف بتأمين السكن للأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لمجمعاتها العقارية، بتكلفة سنوية بلغت (٢٤٠,٠٠٠) مائتين وأربعين ألف ريال، وقد بلغت التكلفة الإجمالية لهذا المشروع حتى العام ١٤٢٧هـ مبلغ (٢,١٦٠,٠٠٠) مليونين ومائة وستين ألف ريال.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (٨,١٧٠,٦١٨) فقط ثمانية ملايين ومائة وسبعين ألفاً وستمائة وثمانية عشر ريالاً.

مصرف: طباعة الكتب الإسلامية النافعة.

تقوم إدارة الأوقاف من خلال هذا المصرف بتنفيذ ما أوصى به الواقف؛ حيث حدد في صك الوقفية بأنه يُعْنى بـ: (طباعة الكتب الإسلامية النافعة، ونحوها من كتب العقيدة السلفية ، أو كتب الفقه والحديث وغيرها مما يخدم العقيدة السلفية ، والمنهج الإسلامي الصحيح وتوزيعها، وشراء شيء مما طبع منها وتوزيعه، ويستشار في النافع منها أهل العلم الثِّقات، ولا يطبع أو يشترى إلا ما كان نافعاً للمسلمين في دنياهم وأخراهم).

وتسعى إدارة الأوقاف من خلال هذا المصرف تحقيق الأهداف الآتية:

١- تزويد المكتبات العلمية داخل المساجد – بالتنسيق مع الجهات الرسمية – بمجموعة من كتب السلف المعتمدة.

٢- تلبية حاجة المكتبات الإسلامية لكتب اللغة الإنجليزية في العلوم الشرعية المختلفة.

٣- المساهمة في نشر العلوم الشرعية بين مختلف شرائح المجتمع الإسلامي وبلغات مختلفة.

٤- الإسهام في النشر العلمي الإلكتروني بالوسائل الحديثة.

وتتخذ إدارة الأوقاف من الوسائل الآتية عوناً لها ـ بعد الله ـ في تنفيذ هذا المصرف:

- طباعة الكتب الإسلامية النافعة، وتوزيعها على طلبة العلم الشرعي.
- طباعة كتب العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتوزيعها على المراكز

الدعوية بالدول الإسلامية.

- ترجمة وطباعة الكتب الإسلامية النافعة وتوزيعها على المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال الطرق الآتية:

١) مشروع طباعة الكتب الإسلامية:

مشروع حقيبة طالب العلم :

قامت إدارة الأوقاف بطباعة عدد من أمهات الكتب الإسلامية وحقائب طلبة العلم لتوزيعها على طلبة العلوم الشرعية ، والأئمة والدعاة داخل المملكة وخارجها ، وقد طبع من هذه الحقائب العلمية أكثر من أربعة آلاف حقيبة ، وقد تم تنفيذ هذه الحقائب على مرحلتين، وذلك وفق الآتي:

المرحلة الأولى: (حقيبة طالب العلم الأولى)

الجدول رقم (١):

عنوان الكتاب	المؤلف
تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير
بلوغ المرام من أدلة الأحكام	الحافظ ابن حجر
رياض الصالحين	الحافظ النووي
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ
الرحيق المختوم	الشيخ صفي الرحمن المباركفوي

المرحلة الثانية: (حقيبة طالب العلم الثانية)

الجدول رقم (٢):

عنوان الكتاب	المؤلــف
زبدة التفسير من فتح القدير	الشيخ محمد الأشقر
اللؤلؤ والمرجان لما اتفق عليه الشيخان	الشيخ محمد عبدالباقي
تيسير العلام بشرح عمدة الأحكام	الشيخ عبدالله ابن بسام
شرح العقيدة الواسطية	الشيخ د.صالح الفوزان
مختصر سيرة الرسول ﷺ	للشيخ محمد بن عبدالوهاب
التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية	الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد
الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث	الشيخ أحمد شاكر

٢) طباعة الكتب الإسلامية:

قامت إدارة الأوقاف وضمن برنامج دعم الطلبات بالدول الإسلامية بطباعة مائة ألفٍ من كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ووزع في عدة دُول إسلامية.

كما قامت إدارة الأوقاف بطباعة عدد مائتين وخمسين ألف نسخة من كتاب (حراسة الفضيلة) لمؤلفه الشيخ الدكتور بكر أبو زيد، وقد وزع مجاناً على طالبات المرحلة الجامعية في الجامعات والكليات في عدة مناطق بالمملكة.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا

المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (١٠,٨٨١,١٧٩) فقط عشرة ملايين وثمانمائة وواحد وثمانين ألفاً ومائة وتسعة وسبعين ريالاً.

مصرف: إنشاء المدارس الإسلامية ودعمها.

يقدم هذا المصرف الدعم والمساندة في إنشاء المدارس الإسلامية التي تقوم مناهجها على العقيدة السلفية الصحيحة.

وتحرص إدارة الأوقاف من خلال هذا المصرف تحقيق الأهداف الآتية:

١- إتاحة الفرصة للطلاب الفقراء في الحصول على فرص التعليم النافع.
٢- غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الطلاب وتنشئتهم تنشئة صالحة.
٣- التركيز على تحفيظ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.
٤- إكساب الطلاب المهارات العلمية المختلفة.

وتقوم إدارة الأوقاف في تنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- إنشاء المجمعات التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم بمختلف مناطق المملكة العربية السعودية بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم.
- إنشاء المدارس الإسلامية ، ودعم ميزانيات القائم منها.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال الآتي:

أولاً: مشروع بناء المجمعات التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم في المملكة، ويضم كل مجمع من المجمعات الثلاثة جميع المراحل الدراسية (ابتدائي، متوسط، وثانوي) بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية الأخرى، وتتضح هذه المشروعات وفق الجدول الآتي:

جدول رقم (٣):

المشـــروع	المساحة	عدد الطلاب	التكلفة
مجمع الشيخ صالح الراجحي التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم للبنين بمدينة الرياض	١٠٠٠٠م	١٤٤٠	٩,٢٧٢,٦٧٥
مجمع الشيخ صالح الراجحي التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم للبنات بمكة	٥٠٠٠م	١٢٠٠	٦,٦١٦,٦٤٠
مجمع الشيخ صالح الراجحي التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة البكيرية بمنطقة القصيم	١١٠٦٣م	١٤٤٠	١١,٢٧٢,٠٠٣
الإجمـالي	- -	٤,٠٨٠	٢٧,١٦١,٣١٨

ثانياً: مشروع دعم المدارس الإسلامية:

قامت إدارة الأوقاف بدعم العديد من المدارس الإسلامية داخل المملكة وخارجها، وقد بلغ إجمالي الدعم المقدم لهذه المدارس مبلغ (١٠,٥٥٦,٢٢٨) عشرة ملايين وخمسمائة وستة وخمسين ألفا ومائتين وثمانية وعشرين ريالاً.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (٣٧,٧١٧,٥٤٦) فقط سبعة وثلاثين مليوناً وسبعمائة وسبعة عشر ألفاً وخمسمائة وستة وأربعين ريالاً.

الجدول التالي يوضح إجمالي المنصرف على البرامج الدعوية حسب المصارف المذكورة سابقاً لدى إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (١٤١٨- ١٤٢٧هـ)

جدول رقم (٤)

م	المصـرف	المبلغ المنصرف على المصرف
١	نشر القرآن الكريم ودعم حلقاته	٤٥,٩٤١,٩٠٢
٢	الدعوة إلى الله عز وجل	١١,٤٠٨,٥٦٤
٣	الإنفاق على طلبة العلوم الشرعية	١١,٤٠١,٣١٥
٤	بناء المساجد وصيانتها	٨,١٧٠,٦١٧
٥	طباعة الكتب الإسلامية النافعة	١٠,٨٨١,١٧٩
٦	إنشاء ودعم المدارس الإسلامية	٣٧,٧١٧,٥٤٦
	الإجمـالي	١٢٥,٥٢١,١٢٣
	مائة وخمسة وعشرون مليوناً وخمسمائة وواحد وعشرون ألفاً ومائة وثلاثة وعشرون ريالاً	

وقد خرج الباحث بعد اطّلاعه على جهود إدارة أوقاف صالح بن عبدالعزيز الراجحي في البرامج الدعوية ببعض النقاط التي يرغب الإشارة إليها:

- بلغت نسبة البرامج الدعوية المنفذة لدى إدارة الأوقاف أكثر من (٥٠٪) من إجمالي أعمالها الخيرية المتنوعة، كما توضح ذلك الأرقام السابقة.
- اتضح للباحث أن القائمين على إدارة الأوقاف يحرصون أن لا يباشروا تنفيذ هذه الأعمال بأنفسهم، بل يقوموا بذلك من خلال التعامل مع

الجهات الرسمية سواء الحكومية، أو الخيرية، كما يتبين ذلك في تعاون إدارة الأوقاف في تنفيذها لهذه المناشط مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، أو وزارة التربية والتعليم، أو الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو جامعة الإمام، أو بعض المؤسسات الخيرية الرسمية داخل المملكة أو خارجها، ولم يسبق أن قامت إدارة الأوقاف بمباشرة الأعمال الدعوية بنفسها، بل تعقد الاتفاقيات مع هذه الجهات الرسمية لتقوم بالبرنامج الدعوي المحدد، وهي تتولى تمويله، حرصاً منها على الوصول به إلى أكبر قدر من الإتقان والفاعلية.

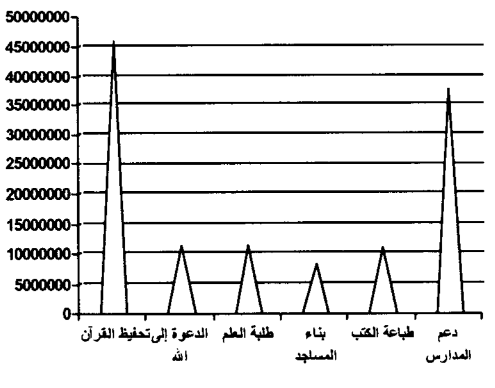
- تحرص إدارة الأوقاف على الأعمال التي لها صفة الاستمرار والانتفاع بصورة طويلة، كما يتضح ذلك في أعمالها بإنشاء المجمعات التعليمية، أو طباعة الكتب، أو كفالة طلبة العلم من دول مختلفة.
- اهتمت إدارة الأوقاف بتكوين قواعد معلومات عن الجهات المستفيدة من خدماتها في داخل المملكة، أو خارجها.

الجدول رقم (٥) يوضح إجمالي المنصرف على المصارف العامة في أوقاف صالح الراجحي من عام (١٤١٨هـ) وحتى نهاية عام (١٤٢٧هـ).

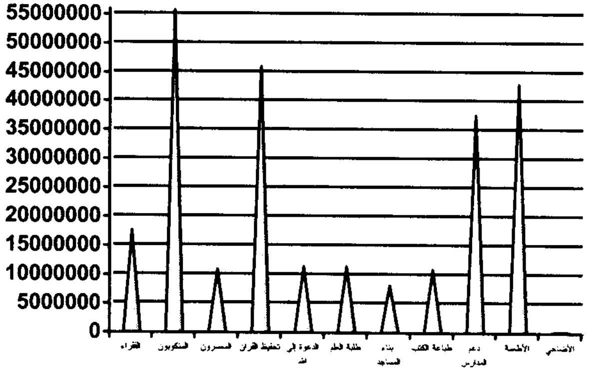
جدول رقم (٥)

م	المصـــرف	المبلغ المنصرف على المصرف	النسبة المئوية
١	الصرف على الأيتام والأرامل والفقراء	١٧,٦١٤,٨٥٩	٧,٦٣٪
٢	الصرف على المنكوبين	٥٥,٦٧٨,٥١٠	٢٤,١٣٪
٣	التيسير على المعسرين	١٠,٩١٤,٤٦١	٤,٧٣٪
٤	دعم نشر وتحفيظ القرآن الكريم	٤٥,٩٤١,٩٠٢	١٩,٩٣٪
٥	الدعوة إلى الله	١١,٤٠٨,٥٦٤	٤,٩٥ ٪
٦	الإنفاق على طلبة العلم	١١,٤٠١,٣١٥	٤,٩٤ ٪
٧	بناء المساجد	٨,١٧٠,٦١٧	٣,٥٤٪
٨	طباعة الكتب الإسلامية النافعة	١٠,٨٨١,١٧٩	٤,٧١٪
٩	دعم المدارس الإسلامية وإنشائها	٣٧,٧١٧,٥٤٦	١٤,٨١٪
١٠	المياه والتمور وتوزيع الأطعمة	٤٢,٩٠٤,٨٨٠	١٨,٥٩٪
١١	الأضاحي	١٠٥,٧٩٣	٠,٠٤٪
	الإجمـالـي	٢٣٠,٧٣٦,٠٠٠	١٠٠,٠٪
	مائتان وثلاثون مليوناً وسبعمائة وستة وثلاثون ألف ريال		

رسوم بيانية لمصارف أوقاف صالح الراجحي (داخل المملكة وخارجها):



الرسم البياني أعلاه يوضح المصارف الدعوية لدى إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (١٤١٨- ١٤٢٧هـ) .



الرسم البياني أعلاه يوضح جميع المصارف لدى إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (١٤١٨- ١٤٢٧هـ) .

الخاتمــة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ففي نهاية المطاف مع هذه الدراسة الموجزة يجد الباحث أنه لزاماً عليه أن يُذَكِّرَ ببعض **نتائجها**:

- أهمية الوقف وفضله في شريعتنا الإسلامية السمحة.
- كان للوقف دور كبير على حياة المسلمين ، وذلك بتقديم الخدمة لمجتمعاتهم ، وخصوصاً فيما يتعلق بالدعوة إلى الله ، والإنفاق على وسائلها ، وميادينها المتنوعة.
- لم يقتصر الوقف في مراحل متعددة من تاريخنا الإسلامي على نوع معين من المصارف، بل كان يدور مع حاجات المسلمين ، ويتوافق مع متطلبات واقعهم المعاصر.
- استمر الوقف في زمننا المعاصر في القيام بدوره الرائد في خدمة الإسلام ، والمسلمين من خلال أوقاف العديد من المسلمين الموسرين الذين جعلوا من مصارف أوقافهم تقديم النفع للناس ، وتقديم الخير والإحسان إليهم من المصارف الرئيسة في أوقافهم.
- الدور الرائد الذي تقوم به إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي كنموذج حي مبارك للمؤسسات الوقفية الخاصة في تقديم البرامج الخيرية المتعددة للآخرين، وفي مقدمتها الدعوة إلى الله بمختلف الأنواع النافعة لهم بإذن الله.

وأما أبرز توصيات هذه الدراسة فهي:

- التأكيد على الموسرين من المسلمين بتخصيص جزء من عوائد أوقافهم الخيرية لخدمة الدعوة وبرامجها المتنوعة، وبيان فضل ذلك.
- التأكيد على القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة ونظارها بشمول الدعوة وبرامجها المتنوعة لأعمال مؤسساتهم الخيرية.
- التأكيد على الدارسين والباحثين أن يبذلوا المزيد من الاعتناء والاهتمام والدراسة بهذه المؤسسات الخيرية الخاصة (الوقفية أو العامة)، وأن يظهروا إسهاماتها الخيرية في المجتمع؛ حتى يسهموا في بث الوعي لدى كافة الموسرين ليقتدوا بمن سبقهم في هذه المجالات النافعة، ولكي يسهموا كذلك في الثناء على هذه الجهود الجليلة ويبرزوا فضائل أهل الخير والإحسان، ولا ريب أن هذا من حقهم على المجتمع وأفراده.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الخير والإحسان والدالين عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الآثار الاجتماعية للأوقاف، د.عبدالله السدحان، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ .

٣- أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى، خالد المهيدب، الرياض، دار الوراق، ١٤٢٥هـ.

٤- أثر الوقف في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، د.محمد العيد الخطراوي، المدينة المنورة، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة، العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥- أثر الوقف في تنمية المجتمع، د.نعمت مشهور، القاهرة، جامعة الأزهر، ١٩٩٧م.

٦- أحكام الأوقاف، أبوبكر الشيباني (الخصاف)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون سنة طبع.

٧- أحكام الأوقاف، مصطفى الزرقا، عمان، دار البيارق، ١٤١٩هـ.

٨- أحكام الوقف، محمد الكبيسي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م.

٩- أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٤م.

١٠- أهمية الوقف في دعم المؤسسات الدعوية، د.شرف بن علي الشريف، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ.

١١- الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري ، د.عبدالرحمن الضحيان،

المدينة المنورة ، دار المآثر ، ١٤٢١هـ.

١٢- التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العرب ي، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٣- تقرير الأعمال الخيرية، إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (عشر سنوات من العطاء ١٤١٧- ١٤٢٦هـ)، مركز زد للإعلان، الرياض، ١٤٢٧هـ.

١٤- الجهود الدعوية للمؤسسات الخيرية في المملكة، عبدالله المطوع، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الدعوة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ.

١٥- دور الوقف في العملية التعليمية، د.عبدالله المعيلي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ.

١٦- دور الوقف في دعم المؤسسات الدعوية ووسائلها، أ.د.حمد بن ناصر العمار ، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ.

١٧- السيرة النبوية ، ابن هشام، القاهرة، دار الريان، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق عمر تدمري.

١٨- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشيخ محمد الشوكاني، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ طبع.

١٩- شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج)، الحافظ

النووي، بيروت، دار المعرفة ،ط٤، ١٤١٨هـ، تحقيق خليل شيحا.
٢٠- صحيح الإمام البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، الرياض، مكتبة الرياض، ودار الفكر، بدون سنة طبع، رقّم أبوابه الشيخ محمد عبد الباقي، وقرأ أصله الشيخ عبدالعزيز بن باز.
٢١- صحيح الإمام مسلم المطبوع مع شرح النووي (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، بيروت، دار المعرفة ،ط٤، ١٤١٨هـ، تحقيق خليل شيحا.
٢٢- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، الأردن، دار النفائس، ط٤، ١٤١٩هـ.
٢٣- صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله تعالى (مقارنة بين الماضي والحاضر)، د.خالد القريشي، مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.
٢٤- الغاية لا تبرر الوسيلة، محمد الخياط، بيروت، دار المعالي، ط١، ١٤١٥هـ
٢٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ودار الفكر، بدون سنة طبع.
٢٦- فقه السنة، سيد سابق، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٣٩٧هـ.
٢٧- الفواكه الدواني، أحمد غنيم النقراوي المالكي، القاهرة، مكتبة الحلبي، ط٣، ١٣٧٤هـ.
٢٨- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ.
٢٩- لائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية الصادرة بقرار مجلس الوزراء

رقم ١٠٧ وتاريخ ١٤١٠/٦/٢٥هـ والقواعد التنفيذية للائحة الصادرة بقرار معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية رقم ٧٦٠ وتاريخ١٤١٢/١/٣٠هـ، من مطبوعات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وكالة الوزارة للشؤون الاجتماعية، الإدارة العامة للمؤسسات والجمعيات الخيرية.

٣٠- محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧١م.

٣١- مختار الصحاح، الرازي، بيروت، دار لبنان، ١٩٨٦م.

٣٢- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.صالح العساف، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١ ،١٤٢٦هـ.

٣٣- المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد البيانوني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٥هـ.

٣٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة المقري، القاهرة، طبع وزارة المعارف المصرية، ط٢، ١٣٢٤هـ.

٣٥- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، محمد الشربيني الشافعي، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ الطبع.

٣٦- المغني، ابن قدامة المقدسي، دمشق، هجر للطباعة، ط١، ١٤٠٩هـ، تحقيق د.عبدالله التركي ود.عبدالفتاح الحلو.

٣٧- منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، إبراهيم بن ضويان، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤١٠هـ.

٣٨- موقع إدارة أوقاف صالح الراجحي في شبكة الإنترنت: www.awqafalrajhi.com.

٣٩- نظام مجلس الأوقاف الأعلى، الرياض، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ.

٤٠- وسائل الدعوة، أ.د.عبد الرحيم المغذوي، الرياض، دار إشبيليا، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤١- الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره على المجتمع، د.محمد الصالح، مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

٤٢- الوقف وأثره في نشر الدعوة، وجهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال، أ.د.عبد الرحيم المغذوي، مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

٤٣- الوقف والمجتمع نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، د.يحيى جنيد الساعاتي، كتاب صحيفة الرياض العدد (٣٩)، الرياض، ١٤١٦هـ.

البحث رقم ٦

علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضبط الحريات

إعداد

د. خالد بن حسن العبري

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

ملخص بحث

علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضبط الحريات

للدكتور خالد بن حسن العبري

موضوع الحرية موضوع شائك وشائق في الوقت ذاته، ووفير ومثير، ومتشعب ومتصعب، وفي بداية التفكير في هذا البحث وجدت نوعاً من الصعوبة، ثم وجدتني بعد ذلك مولعاً به، ومنهوماً بالكتابة فيه، وشغوفاً بإعادة النظر فيه مرة بعد مرة.

ولا أحب هاهنا أن أعيد ما كتبته في البحث فهو موجود، ولكني محتاج إلى اختصار فيه شيء من الإجمال.

أقول: قد انحرف كثيرون في فهم حقيقة الحرية وعلاقتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فأردت البيان.

البحث جعلته في فصلين: الأول: مفاهيم وتعريفات، وفيه أربعة مباحث: المبحث الأول: مفهوم الحرية، المبحث الثاني: من أروع التعريفات العملية لمفهوم الحرية، المبحث الثالث: من يملك وضع قيود الحرية؟ والمبحث الرابع: من صور الحرية في الإسلام.

والفصل الثاني: حول دفع التعارض، وفيه مباحث: المبحث الأول: هل يتعارض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحريات الشخصية؟ وتناولت فيه الموضوعات التالية: حث الإسلام على ترك التدخل فيما لا يعني، تحريم إنكار المنكر على من أغلق بابه، حديث السفينة يردُّ على من يتذرع بالحرية الشخصية، التأمل في الأسباب الدافعة لإنكار المنكر، وأسئلة

موجهة لمن يعارض الأمر بالمعروف بحجة الحرية. وفي المبحث الثاني ذكرت بعض التجارب الغربية في ضبط الحرية.

واشتمل البحث في المبحث الثالث على دراسة ميدانية تطبيقية حول الحرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد عملت في هذه الاستبانة على إعداد مجموعتين من الأسئلة، كل مجموعة تحوي عشرة أسئلة متقابلة. وتلك الأسئلة لها علاقة مباشرة بالحرية والتصرفات الشخصية، كالتصرف في المال، أو حرية الملبس، أو حرية الكلام، أو غير ذلك. والأسئلة العشرة متقاربة من حيث المؤدَّى، والفرق بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية يبرز في طريقة الإعداد، وأسلوب الصياغة فقط، ولكن حقيقة السؤال بين المجموعتين لا تختلف كثيراً، ثم عرضت النتائج وحللتها وفسرتها. وهذه الدراسة جديدة الطريقة نوعاً ما، ولكني أحسب أنها قدمت نتائج ذات مغزى. والعلم عند الله تعالى.

د. خالد بن حسن العبري.

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، أما بعد:

إن الحرية كلمة ذات مدلولات واسعة، فكثيراً ما تغنى الناس بكلمة الحرية، واستهوتها قلوبهم، وافتتنوا بها، وتنادوا بها في كل وادٍ، بل إن بعض الناس رفعوها شعاراً لبعض الثورات. وإن النظرة إلى مفهوم الحرية، ومقاييسها تختلف من مجتمع لآخر، وإن اتفقوا على أهميتها؛ ولا شك أن الحرية من الأهمية بمكان، حيث تبرز أهميتها حين ندرك مدى الحاجة إليها، إضافة إلى ارتباط قضايا كثيرة في حياة الإنسان بها، أو ارتباطها بقضايا أخرى كثيرة. فهي ترتبط بمعانٍ عظيمة فكراً وتصوراً وتطبيقاً، كمفهوم العدالة والمساواة والأمن والإخاء. وقد جعل الإسلام الحرية حقاً من الحقوق الطبيعية فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية.

وعلى الرغم من أهمية الحرية إلا أنه لا ينبغي امتطاء مفهوم الحرية الشخصية للتطاول على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الاعتراض عليه.

ولذلك تأتي أهمية البحث في مسائل هذا الموضوع من حيث:

- هل تتعارض المبادئ، والنظم الإسلامية مع الحرية؟ أم أن الإسلام يقر الحرية، ويدعو إليها؟!
- وإن كان الإسلام يقرها فما حدود المسموح منها، والممنوع؟ ومن الذي يضع تلك الحدود؟

- ما الجواب على من امتطى مفهوم الحرية الشخصية في التطاول على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ومن قال إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعارض مع الحريات الشخصية؟ وهل تثبت هذه الفرضية عند الدراسة والتحقيق؟
- هل يسمح لكل أحد بقول كل شيء، بما في ذلك القدح في الذات الإلهية، والطعن في الأنبياء، والنيل من الصحابة، والسخرية من أحكام الشريعة، وشتم الصالحين، والاستهزاء بهم؟ أو الكلام في الناس بما شاء من القول؟ أو قذف الآخرين في أعراضهم رجالاً كانوا أم نساءً؟ وهل يسوغ لي أن أُنكر على صاحب المعصية لأن معصيته تضرني كما تضره؟

هذا البحث محاولة لتجلية هذه الأسئلة، ومعالجتها مع إضافة بيانٍ إن شاء الله تعالى. وأسأل الله ﷻ أن يبلغني أعلى من مقاصدي، وفوق إرادتي.

الفصل الأول

مفاهيم وتعريفات

المبحث الأول

مفهوم الحرية

الحرية كلمة ذات مدلول واسع، وذات مفهوم له عدة احتمالات. فقد أُستخدم مصطلح الحرية في العالم الغربي للدلالة على رفض الأنظمة العبودية والإقطاعية في العصور الوسطى. حتى ظن بعض الناس في زماننا هذا أن كلمة الحرية تعني التحرر من كل قيد، والتحلل من أي سلطان. ولا جرم أن هذا الفهم يعدُّ نوعاً من التلاعب، والابتزاز لهذا المصطلح.

فهل كلمة الحرية تعني الخلاص من القيود مطلقاً؟ ولمعرفة حقيقة الحرية فإن من أهم الخطوات الرجوع إلى قواميس اللغة للنظر في تعريف الكلمة؛ فالقواميس هي المرجع لا ما تعارف عليه الناس، وإن شاع.

فمن إطلاقات الكلمة عند العرب ما يلي[1]:

- الحُرُّ: كلُّ شيء فاخِرٍ من شِعْرٍ أو غيره.
- الحُرُّ من الناس: أَخيارهم وأَفاضلهم.
- والحُرِّيَّةُ من العرب: أَشرافهم.
- والحُرَّةُ من النساء: الكريمة.
- والحُرُّ من الفاكهةِ: خِيارُها.

---

(١) ينظر في هذا لسان العرب ١٨٢/٤، والقاموس المحيط ص: ٤٧٨، ومختار الصحاح ص: ١٢٩، كلهم في مادة (حرر).

- والحُرُّ من الأَرض: وسَطُها وأَطيبها.
- والحُرَّةُ والحُرُّ: الطين الطيِّبُ.
- وحُرُّ الدار: وسطها وخيرها.
- والحُرَّة من السحاب: كثيرة المطر.
- والحُرُّ من الأفعال: أحسنها.

فالحرية إذن لا تعني مجرد التحرر، والفكاك من القيود؛ إلا من وجه واحد وهو: التحرر من سلطة الهوى، والنفس الأمارة بالسوء.

والمقصود من ذلك أن مفهوم الحرية يحصل بتحقيق العبودية لله تعالى. قال الشاعر:

أطعت مطامعي فاستعبدتني   ولو أني قنعت لَكُنْتُ حراً[1].

ولا شك أن نتيجة ذلك التحرر من الهوى والشهوات، تحقق المعنى اللغوي الذي أُشير إليه آنفاً. قال ابن القيم في النونية:

هربوا من الرق الذي خلقوا له   فبلوا برق النفس والشيطان[2].

فحقيقة الحرية هي تعبيد القلب لله وحده لا لغيره، وأن يكون همه إرضاء الله تعالى ولو كان شيئاً مخالفاً لهوى النفس، وقد قال سبحانه وتعالى في الناجين يوم الدين ﴿ **إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[3] فالقلب السليم: سليم من الشرك والشك، ومحبة الأشرار، والإصرار على البدعة والذنوب.

---

(١) منسوب للحلاج، قاله لما أخرج ليقتل. انظر: تاريخ بغداد ٨/١٣٠، والأنساب ٢/٢٩٤، والبداية والنهاية ١١/١٤٢.

(٢) النونية ٢/٤٦٦.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٨٩.

فكمال الحرية يتحقق بكمال العبودية لله.

والرقيق حقاً من كان عبداً لغير الله ﷻ، ومن عبد شهوته، وعبد بطنه، وعبد ماله، وعبد منصبه. قال الرسول ﷺ: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي وإن لم يعط لم يرض"(1). والملحظ هنا أن النبي ﷺ لم يقل: تعس مالك الدينار؟ أو جامع الدينار؟ لأن جمع المال وملكه ليس مذموماً في ذاته إذا كان على قدر الحاجة. لكن عندما يتعلق الأمر بالهلع والحرص والتعنت والشغف، بحيث يجعل رضاه وسخطه من أجل الدرهم، والدينار فعند ذلك يكون عبداً له. ونبَّه النبي ﷺ بالقليل وهو: الخميصة، للإشارة إلى ما هو أعلى منها. وقوله ﷺ: "إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط"، يبين حال الإنسان في رقه وعبوديته للدنيا، وأن من صفاته إذا أعطي من الدنيا رضي وإذا منع سخط على الله وعلى المخلوقين، فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله. وهكذا حال من كان متعلقًا برئاسة أو بصورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذاً الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته.

تعريف الحرية:

بعد هذا العرض خرجت بتعريفٍ للحرية بأنها: هيئة راسخة تطلق الإنسان من قيود العبودية إلا لله، تمكّنه من التصرف لأداء الواجب واستيفاء الحق دون ضرر، ولا ضرار. والعلم عند الله تعالى.

---

(1) أخرجه البخاري وغيره واللفظ له، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، الفتح ٨١/٦، ح(٢٨٨٦).

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية لمفهوم الحرية عند الصحابة

إن تاريخ سلفنا الصالح – من حكام ومحكومين – مليء بالنماذج المبهرة في تطبيق مفهوم الحرية. ولكن لعلي أنتقي هذا النموذج الذي أفخر به وأفاخر:

فقد فسر ربعي بن عامر ﷺ الحرية حين دخل على "رستم" قائد الفرس في القادسية، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت، واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم؛ وإنما جئتكم حين دعوتموني، فان تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1].

فهذا التعريف البسيط في عبارته والواضح في دلالته، يُبَيّن أن الحرية التي جاء بها الإسلام هدفها تحرير الإنسان من عبودية ما سوى الله ﷻ، سواءً كان نبياً، أو شيخاً، أو ملكاً، أو مالاً، أو النفس، أو الهوى، أو الجنس، أو النساء، أو غير ذلك من المعبودات.

---

(١) البداية والنهاية ٣٩/٧.

وأما عمر بن الخطاب ﷺ فقد بيَّن مفهوم الحرية حينما أتى إليه القبطي شاكياً وهو يقول: سابقت ابن عمرو بن العاص؛ فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين!. فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، ويقدم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الأليمين، فقال عمر لعمرو: مذْ كمْ تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال عمرو: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني[1].

ما مقياس الحرية المنشودة في الإسلام وما ضوابطها؟

إن من أهم المبادئ التي خلق الله السموات والأرض لأجلها إقامة الحق، قال ﷻ: ﴿ **مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾[2]، وقال: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** ﴾[3]. فالحرية المطلوبة هي الحرية التي تتقيد بقول الحق، وعمل الحق، وتأييده، ودعم أهله، ونصرة القائمين عليه. فالأصل أنه ليس في الحرية ما يؤدي إلى الباطل بأنواعه، وتعدياته، وليس في الحرية ما يسبب الضرر والهلاك للنفس أو الغير. ولعلي أذكر ههنا أهم ضوابط الحرية كما يلي:

- ألا تؤدي حريته إلى الإضرار بنفسه.
- ألا تؤدي حريته إلى الإضرار بالآخرين.

---

(١) فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٩١.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٣.

(٣) سورة ص، الآية ٢٧.

- ألا تنتهك حريته الصالح العام.

المبحث الثالث

قيود الحرية عند المسلمين

حينما منح الإسلام للعبد الحرية لم يتركها مطلقة؛ بل حددها ببعض الضوابط. ولا جرم أن هذا التقييد لا يملك وضعه ورفعه إلاّ خالق الخلق. فهو الذي له الخلق والأمر. فلا ينبغي لأحدٍ أن يعترض على أمر الله ونهيه؛ بل على المسلم إذا أراد النجاة في الدنيا والآخرة أن يسلّم ويذعن للأحكام التي تنضبط بها حياته، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون.

قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[(1)]، قال ابن القيم: (فأقسم سبحانه بنفسه: أنا لا نؤمن حتى نحكم رسوله في جميع ما شجر بيننا، وتتسع صدورنا بحكمه؛ فلا يبقى منها حرج، ونسلم لحكمه تسليماً فلا نعارضه بعقل، ولا رأي ولا هوى ولا غيره، فقد أقسم الرب سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه وقال تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾[(2)]، وهذا نصٌ صريح في أن حكم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده، وهو الحاكم فيه على لسان رسوله، فلو قدم حكم العقل على حكمه لم يكن هو

(1) سورة النساء، الآية ٦٥.

(2) سورة الشورى، الآية ١٠.

الحاكم بوحيه وكتابه، وقال تعالى: ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾[1])[2].

وقال في موضع آخر: (فأكد ذلك بضروب من التأكيد:

أحدها: تصدير الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسم عليه وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بإن.

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: إِنّهُ أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكموك.

الرابع: إِنّهُ أتى في الغاية بحتى دون إِلاَّ المشْعِرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم لأن ما بعد حتى يدخل فيما قبلها.

الخامس: إِنّهُ أتى المحكم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم وهو قوله فيما شجر بينهم أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

السادس: إِنّهُ ضم إلى ذلك انتفاء الحرج وهو الضيق من حكمه.

السابع: إِنّهُ أتى به نكرة في سياق النفي أي لا يجدون نوعاً من أنواع الحرج البتة.

الثامن: إِنّهُ أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم فإنها إما مصدرية أي من قضائك أو موصولة أي من الذي قضيته وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

التاسع: إِنّهُ لم يكتف منهم بذلك حتى يضيفوا إليه التسليم وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج فما كل من حكم انتفى عنه الحرج ولا

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣.

(٢) الصواعق المرسلة ٣/٨٢٨.

كل من انتفى عنه الحرج يكون مسلماً منقاداً فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: إِنَّهُ أكد فعل التسليم بالمصدر المؤكد)[1].

فالله وحده هو من يقوم بتحديد الحرية في الإسلام، وتحديد المسموح منها من الممنوع؛ لأنه خالق الإنسان، والمنَزَّه عن صفات النقص، أو الضعف والعجز، وهو العالم بأحوال عباده، وما يُناسبهم وما يحتاجون إليه، وبالتالي فالحرية في الإسلام تمتاز بالثبات والاستقرار، فالذي يجوز من الحرية للإنسان قبل أربعة عشر قرناً يجوز له في يومنا هذا، فكل امرئٍ يعرف ما له وما عليه، والمساحة التي يمكن أن يتحرك بها. وهذا يميز الحرية بالحق والعدالة والثبات والاستقامة؛ لأنها صادرة عن الله سبحانه، وهذا بخلاف الحرية في تشريع البشر الذي يحتمل الوقوع في الظلم والخطأ، والقصور والنقص.

والحق أن الحرية عندما تكون غير منضبطة بدين الله، فإن تقييد إطلاقها سيكون خاضعاً لعقول البشر وأهوائهم، على أنه مقرر بأن كل حق مقطوع به نقلاً أو عقلاً في باب الحرية فهو مشروع، وإن صدر من غير المسلمين، ولكن المراد هنا بيان التفاوت في فهم الحرية إن كان الفهم مجرداً عن ضابط الشرع المطهر. ومن ثم ستختلف معاني الحرية بحسب ذلك، فمفهوم الحرية في النظام الاشتراكي يغاير مفهومها في النظام الرأسمالي. وعند الاشتراكيين: فإن مفهومها في الصين مثلاً قد تراه مغايراً لمفهومها في كوبا، ومثل ذلك يقال في إطار النظام الرأسمالي، فإن مفهوم

---

(١) الصواعق المرسلة ٤/١٥٢٠-١٥٢١.

الحرية في فرنسا مثلاً قد تراه مغايراً لمفهومها لدى ألمانيا وهكذا.

المبحث الرابع

صور الحرية في الإسلام

كرم الإسلام الإنسان، وظهر التكريم جلياً في عدة آيات ومناسبات، فمن مظاهر التكريم: أن الله فضل الإنسان على كثير ممن خلق. ومنها: أن الله ﷻ جعل الإنسان خليفة في الأرض يستعمرها وسخر له ما في الأرض جميعاً. ومن مظاهر التكريم: أن الله ﷻ خلق آدم بيديه، وكلَّف الملائكة بالسجود له. ومن ذلك: أن الله ﷻ جعل الإنسان حراً، ومنحه السلطة في التصرفات والأفعال، بحيث يختار أفعاله دون إجبار أو إكراه، إما إقداماً أو إحجاماً.

والحقُّ أن هذا المظهر الأخير وهو: الحرية: يُعدُّ حقاً طبيعياً من حقوق الإنسان في الإسلام، ولا يقلُّ قدراً عن حق الحياة والكرامة. وهذا الحق له صور كثيرة مختلفة لا يمكن الإحاطة بها في هذا البحث، ولكن أذكر منها ما يلي:

حرية الاعتقاد:

إذ نهى الإسلام أن يكره أحد على اعتناقه. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[2]. وسبب نزول

(١) سورة يونس، الآية ٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

هذه الآية يبين اهتمام الإسلام بالحريات، فقد صحَّ الخبر أنها نزلت في قوم من الأنصار أو في رجل منهم، كان لهم أولاد قد هودوهم، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك حتى يكون دخولهم في الإسلام باختيارهم[1]. فبالرغم من الظروف التي دخلوا فيها اليهودية[2]، ورغم العداوة التي بين المسلمين واليهود، لم يبح الإسلام إكراه أحد على الخروج من دينه، وعلى الدخول في دين آخر، ولو كان هو الإسلام.

حرية التعبير:

للإنسان الحق أن يعبِّر عن وجهة نظره وعن رأيه، ويجادل ويناقش حول أي موضوع يريد، حتى وإن لم يكن من أهل الإسلام، فلم يطلب الله من المسلمين أن يكبتوا غير المسلمين، أو أن يحولوا بينهم وبين التعبير عن أفكارهم وآرائهم. بل طلب منهم أن يحاجوا غير المسلمين، وأن يقدموا البراهين والأدلة على صحة ما يقولون، ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾. فالمسؤولية تقع على المسلمين في إقناع غير المسلمين بالبرهان والحجة، قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[3]، وقال: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً**

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/٣. والصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي، ص ٢٠.

(٢) ورد في بعض الروايات عن ابن عباس ﷺ وغيره قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً لا يعيش لها ولد فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. الطبري ١٥/٣.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.

أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

هذا في جانب التعامل مع غير المسلمين، أما في العموم فمن الشواهد الدالة على حرية الرأي: إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والنصح لكل مسلم، ومشروعية الشورى، وغير ذلك.

بل إن الخلفاء في الصدر الأول كانوا يطلبون من الناس إبداء الرأي بلا حرج، ويلتمسون منهم النصح والتوجيه، وكانوا يفسحون صدورهم للنقد والرأي. ولما بايع الناس أبا بكر الصديق ﷺ قام خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: "أما بعد: أيها الناس فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق إن شاء الله .... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[2].

فالمقرر في الشرع أن الله ﷻ أعطى لكل مسلم حق إنكار المنكر، سواء صدر المنكر من عامة الناس أو خاصتهم. وهذا تأكيدٌ لحرية الرأي ولا شك، ولكن إنكار المنكر على الحاكم المسلم الذي يحكم بشرع الله له ضوابط، ومنهجٌ عند أهل السنة والجماعة، فالاحتساب عليه ليس كالاحتساب على غيره ممن ليس له ولاية فهم لا يرون التشهير به على المنابر وفي المجامع العامة؛ لأن ما ينتج عنه من الفتنة والفساد أعظم مما يحصل من الخير المقصود.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢٣٨/٢، والبداية والنهاية ٢٤٨/٥، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح.

ولذا فإن منهج أهل السنة في الاحتساب على الولاة وسطٌ بين طائفتين:

إحداهما: الخوارج والمعتزلة الذين يرون الخروج على السلطان إذا ارتكب المنكر، بل إن من أصول المعتزلة الخمسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحقيقته عندهم الخروج على الولاة.

وثانيهما: الروافض الذين يعتقدون في حكامهم، وأئمتهم قداسة بلغوا بها مرتبة العصمة.

قال ابن مفلح: (ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظاً له وتخويفاً، أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة؛ فإنه يجب، ويحرم بغير ذلك ... والمراد: ولم يخف منه بالتخويف والتحذير وإلا سقط، وكان حكم ذلك كغيره، قال ابن الجوزي: الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين: التعريف والوعظ، فأما تخشين القول؛ نحو: يا ظالم يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرِّك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء، قال: والذي أراه المنع من ذلك)[1].

وقد قيل لأسامة بن زيد رضي الله عنه: لو أتيت فلاناً –أي عثمان– فكلمته، فقال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه[2].

قال القاضي عياض: (مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به، وينصحه سراً فذلك

---

(١) الآداب الشرعية: ١/١٩٥–١٩٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٦٧). الفتح: ٦/٣٣١، وكتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، برقم: (٧٠٩٨) الفتح: ١٣/٤٨.

أجدر بالقبول)[1].

ودليل هذا قوله ﷺ من حديث عياض بن غنم رضي الله عنه: "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدَّى الذي عليه"[2]. وهذا أيضاً ما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ، فعن زياد بن كُسيب العدوي، قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب، وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله"[3]. وعن سعيد بن جهمان قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جهمان، قال: ما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار، قال: قلت: الأزارقة، وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بلى، الخوارج كلها.

قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم، قال: فتناول يدي، فغمزها بيده غمزة شديدة ثم قال: "ويحك يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك؛ فأته في

---

(١) نقله الحافظ في الفتح: ٥٢/١٣.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، باب كيف نصيحة الرعية للولاة، برقم (١٠٩٦) وأحمد في مسنده: ٤٠٣/٣، وصحح إسناده الشيخ ناصر الدين الألباني في كتاب السنة: ٥٠٧/٢-٥٠٨.

(٣) رواه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الخلفاء، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن برقم (١٨١٢).

بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه"[1].

قال النووي عند كلامه على أثر أسامة المتقدم في قوله: "دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه": (يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه، وفي الأدب مع الأمراء، واللطف بهم، ووعظهم سراً، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه، وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن لم يمكن الوعظ سراً والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق)[2].

وقال الغزالي في باب أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر: (قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله: التعريف، وثانيه: الوعظ، وثالثه: التخشين في القول، ورابعه: المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة.

والجائز من جملة ذلك مع السلطان الرتبتان الأوليان وهما: التعريف والوعظ، وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرّك الفتنة، ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر.

وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم، يا من لا يخاف الله ... وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه، فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار، والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٨٢/٤. وحسنه الشيخ الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم: ٥٠٩/٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١١٨/١٨.

"خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك" وقال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"...)[1].

قلت: لا بد من التعليق على كلام الغزالي رحمه الله؛ لأن الإغلاظ والتخشين في القول يختلف من حيث قبوله باختلاف من يصدر منه، وباختلاف الأمراء، وباختلاف الحاجة إلى الإغلاظ، ومدى فائدته المرجوة، ويختلف أيضاً باختلاف مادة الإغلاظ والتخشين.

فأما اختلافه باختلاف من يصدر منه فإن من المعلوم أن الإنكار على الولاة والأمراء بالشدة والإغلاظ لو صدر من عالم مطاع ذي هيبة في القلوب ووقار وسمت، لن يكون قبوله كما لو صدر من رجل عامّي لا يتصف بشيء من تلك الأوصاف، وبخاصة أن القدر الأكبر من المسؤولية في صلاح الأمراء تقع على عاتق العلماء؛ لأنهم إذا أخلصوا النية أثّر كلامهم فيه، قال الغزالي – رحمه الله – عن بعض علماء عصره: (وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر؟ والله المستعان على كل حال)[2].

وأما اختلاف الإغلاظ والتخشين باختلاف الولاة فظاهر؛ لأن السلف –

---

(١) إحياء علوم الدين: ٢٤٣/٢.

(٢) إحياء علوم الدين: ٣٥٧/٢.

رحمهم الله – ما كانوا يغلظون ويصرحون بالإنكار على الولاة إلا حيث كان الأمراء يقبلون منهم، ومع هذا فلم يكن من عادتهم الإنكار عليهم بالشدة والإغلاظ والتخشين في القول، وإنما كانت عادتهم الإنكار عليهم بالتلطف واللين، مراعين في ذلك هيبة السلطان، وجلال الحكم ليكون ذلك أدعى للقبول والاستجابة؛ ولأن عدم مراعاة ذلك قد يتسبب في الجرأة على السلطان من العوام، ومن أصحاب المقاصد الدنيئة.

وأما اختلاف الإغلاظ باختلاف مادة الإغلاط والتخشين فهو أمر تجب ملاحظته؛ لأن التخشين في القول إن كان مشتملاً على السِّباب والفحش والتعيير فهو ليس بمطلوب ولا مندوب إليه، ولا هو من الفطنة ولا من الحكمة؛ لأن السلطان لا ينزجر بذلك، بل إن ذلك يثير غضبه، ويضاعف شرّه، وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه –، قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب[1].

حرية العمل والتملك:

للإنسان الحق أن يختار من الوظائف والأعمال ما شاء، وليس هناك حدٌّ أعلى للتملك في الإسلام. وهذه الحرية مقررة شرعاً، سواءً عمل الإنسان لنفسه، أو عمل لغيره بناءً واعتماداً على العقد بينهما.

ولكن الحرية في النشاط الاقتصادي التي منحها الإسلام للإنسان من العمل والكسب والتملك، والتمتع برزق الله، لم يتركها مطلقة، بل

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وقال الشيخ الألباني "إسناده جيد، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر"، ص ٤٧٤.

قيدها بقيدين أساسيين:

أولهما: أن يكون هذا النشاط غير مضر بمصلحة خاصة أو عامة.

ثانيهما: أن يكون مشروعاً.

أما القيد الأول، فلأن الإضرار بالآخرين محرم، بناء على القاعدة الفقهية العامة: "لا ضرر ولا ضرار"[1]، وذلك مبني على قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[2]، فإذا وقع التعدي والإضرار بالآخرين وَجَبَ على ولي الأمر أن يتدخل ليعيد الأمور إلى نصابها، ويُرْجِع الحق إلى صاحبه.

وأما القيد الثاني، فإن الأصل أن كل نشاط اقتصادي مشروع في ظل الإسلام، إلا ما ورد النص بتحريمه، وذلك تطبيقاً لقاعدة:

الأصل في المعاملات الإباحة- وبذلك يكون الإسلام قد فتح آفاقاً واسعة للنشاط الاقتصادي، ولكنها محدودة ومقيدة بالنصوص المحرمة لبعض النشاطات المضرة.

فقد حرّم الإسلام إنتاج المحرمات كالخمور، وحرم التعامل بالربا، ومنع الإسلامُ الاحتكارَ، كما حرّم الإسلامُ كسبَ المال عن طريق التطفيف في الكيل والميزان، والغش فيه، وحذّر الله ﷻ من أكل أموال الناس بالباطل بجميع أشكاله، ويدخل في الباطل: جميع بيوع الغرر التي نهى عنها النبي ﷺ، والتي فيها جهالة وغش وخداع. ويدخل في الباطل:

---

(١) أصل هذه القاعدة حديث رواه الحاكم وصححه، وأحمد في المسند، وابن ماجه في السنن، والبيهقي في السنن الكبرى، عن عدد من الصحابة، وصححه الألباني.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

القمار واليانصيب، فإن فيه من الغرر المفضي إلى التلف، والفائز فيه إنما يأكل أموال الناس بالباطل. ويدخل فيه: الغصب، والسرقة، وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، وكذلك استغلال النفوذ والسلطة للحصول على المال.

الحرية ينتج عنها حرية:

ما ذُكر من أنواع الحريات يستلزم حصول حريات أخرى بداهة، مثل حرية التفكير، وحرية التصرف، وحرية التنقل، وحرية السكن، وحرية الطعام، وحرية النظر، وحرية التعلم، وحرية القرار، وغيرها.

الفصـــل الثانـــي
دفـع التعــارض

المبحث الأول
هل يتعارض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحريات الشخصية؟

عرض الشبهة:

قد يعارض بعض الناس القائمين بفريضة الأمر المعروف والنهي عن المنكر، وقد يتوقف بعضهم عن القيام بهذه الفريضة بحجة أنها تتعارض مع الحريات الشخصية، وأنه يجب علينا أن نترك الناس وشأنهم فيما يتعلق بأقوالهم وأفعالهم.

يظهر الجواب من خلال النقاط التالية:

حث الإسلام على ترك التدخل فيما لا يعني:

فقد جاء الترغيب في ترك الفضول من الأقوال والأفعال، وترك فضول النظر، والخوض فيما لا يعني. وقد أكدَّ النبي ﷺ على هذا الأمر بقوله: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". وهذا الحديث من (كلام النبوة وحكمتها وهو جامع لمعان جمة من الخير)[1]، وقد عدَّه أهل العلم واحداً من أصول الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال أبو داود: (نظرت في الحديث المسند فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظرت فإذا مدار أربعة آلاف

(١) الاستذكار ٨/٢٧٦.

الحديث على أربعة أحاديث: حديث النعمان بن بشير الحلال بيّن والحرام بيّن، وحديث عمر إنما الأعمال بالنيات، وحديث أبي هريرة إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث، وحديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1].

وقال الناظم:

عمدة الدين عندنا كلمات   أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما   ليس يعنيك واعملن بنية[2].

قال ابن عبد البر: (وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى، وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام. ولهذا جعله من حسن الإسلام؛ فإذا حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال؛ فإن الإسلام يقتضي فعل الواجبات – كما سبق ذكره في شرح حديث جبريل عليه السلام – وإن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات كما قال النبي ﷺ: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[3]. قلت: وإن حُسن الإسلام يقتضي القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما التفحص والسؤال عن خاصة الإنسان في أهله وماله وملبسه ومأكله ومركبه ووظيفته، فهذا ليس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شيء، وليس هو من وظائف الدعاة.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٩/١.

(٢) عمدة القاري ٢٢/١.

(٣) جامع العلوم والحكم ١١٤/١.

الحفاظ على الحقوق الخاصة عند وجود المنكر:

وهذا من المجالات البديعة في إفساح الحريات، وقد يجهل هذا الأمر كثير ممن يحتج بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضيق على الحريات. وهم لا يعلمون أن الإسلام اشترط شروطاً للمنكر الموجب للحسبة، ومن هذه الشروط: أن يكون المنكر ظاهراً يُعلم بغير تجسس.

وأدلة هذا الشرط قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه "من رأى منكم منكراً ..." حيث علق وجوب الإنكار برؤية المنكر، فليس للآمر والناهي أن يتجسس كي يحتسب لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾[(١)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً"[(٢)]. وعن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال: "يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله"[(٣)].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنك إن اتبعت عورات

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، رقم الحديث (٦٠٦٦) الفتح: ٤٨٤/١٠.

(٣) رواه الترمذي أبواب البر والصلة باب ماجاء في تعظيم المؤمن، وهو في صحيح سنن الترمذي: ٢٠٠/٢، برقم (١٦٥٥).

الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم"[١]. وقد دلت النصوص على فضل ستر المسلم، كما جاء في حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"[٢]، وقال ﷺ: "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألَمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله، فإنه من يُبد لنا صفحته نُقم عليه كتاب الله"[٣].

ولا يجوز الاطّلاع على دار الغير بغير إذن لحرمة البيوت، فعن سهل ابن سعيد قال: اطّلع رجل من جُحْرٍ في حُجَر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرَى[٤] يحك به رأسه فقال: "لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"[٥]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه"[٦]،

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٩٢٤/٣ برقم (٤٠٨٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث (٢٤٤٢)، الفتح: ٩٧/٥.

(٣) حديث صحيح عن ابن عمر، أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التوبة والإنابة، برقم (٧٦١٥)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرك ٢٧٢/٤. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٤٩)، وخرجه في السلسلة الصحيحة (٦٦٣).

(٤) المِدْرَى: هي حديدة يسوى بها شعر الرأس، وقيل: هو شبه المشط، وقيل: هي أعواد تحدد تجعل شبه المشط، وقيل: هو عود تسوي به المرأة شعرها (شرح مسلم: ١٣٧/١٤).

(٥) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم الحديث (٦٢٤١)، الفتح: ٢٤/١١.

(٦) الحديثان رواهما مسلم في كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت الغير، شرح النووي: =

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: "لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح"[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبيناهم يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمُّونه، حتى إذا دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن: أتدري من هذا؟ قال: قلت: لا، قال: هو ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب، فما ترى؟ قال عبد الرحمن: أرى قد أتينا ما نهانا الله عنه، نهانا الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فقد تجسسنا، فانصرف عنهم عمر وتركهم[2].

وعن زيد بن وهب قال: أتي عبد الله بن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال عبد الله: "إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذْ به"[3].

وسئل الإمام أحمد – رحمه الله – عن الرجل يسمع حسَّ الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه، فقال: وما عليك؟ وقال: ما غاب عنك فلا تفتش[4] وسئل

=

١٣٨/١٤.

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (١٨٩٤٣)، وورد مثل هذه المرويات عن عمر أيضاً في (١٨٩٤٢)، (١٨٩٤٤).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٩٢٥/٣ برقم (٤٠٩٠).

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال، ص ٩٨.

عن الخمر إذا كان مغطًّى، فقال: لا تتعرض له إذا كان مغطى[1]. وسئل عن الرجل يرى القنينة يرى أن فيها مسكراً، قال: دعه، يعني لا تفتش[2].

قال النووي: (وليس للآمر بالمعروف التنقير والتجسس واقتحام الدور بالظنون بل إن عثر على منكر غيَّره جهده، هذا من كلام إمام الحرمين)[3]، وقال الغزالي: (فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى اللّه تعالى عنه)[4]، وقال ابن النحاس:(اعلم أن التجسس حرام، فليس للإنسان أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع أصوات الملاهي، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوب إنسان ليعرف هل الذي داخله منكر أم لا؟ ولا أن يستخبر من جيران ليخبروه بما يجري في بيت جاره)[5].

وربما أن بعض المنكرات تستثنى من هذا الشرط، كالمنكرات التي لا تحتمل التأخير كمن اختلى بامرأة لينتهك عرضها، أو المنكرات التي يتعدى ضررها على الآخرين؛ فإن كان المنكر ذا ضرر وفساد متعدٍ للمسلمين، كأن يعلم المحتسب أن شخصاً أو أشخاصاً يجتمعون في بيت لصنع الخمر، والتخطيط لترويجه، فمثل هؤلاء لا حرمة لهم في هذا الجانب ؛ لأن ضررهم متعدٍ، وعملهم هذا فيه إفساد لغيرهم من المسلمين، وقد ذكر السُّنامي باباً فيه جواز الهجوم على المفسدين، والدخول في بيتهم من

(١) المرجع السابق، ص ١١٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢١.
(٣) شرح مسلم: ٢/٢٦.
(٤) إحياء علوم الدين : ٢/٣٢٥.
(٥) تنبيه الغافلين، ص ٣٢.

غير استئذان[1]، ولعل استعماله كلمة "المفسدين" دون "الفاسدين" له معنى في هذا الباب.

تأكد الأمر والنهي عندما تكون الحرية الشخصية تهديداً للمجتمع:

في حديث النعمان بن بشير ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مثل القائم على حدود الله، والمداهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين أسفلها يصعدون فيستقون الماء، فيصيبون على الذين في أعلاها، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: فإنا ننقبها في أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم غرقوا جميعاً"[2].

ذكر ابن النحاس بعضاً من فوائد هذا الحديث فقال: (منها: أنه كما لا ينجي الشركاء من الهلاك قول المفسد: إنما أفسد فيما يخصني، كذلك لا ينجي المسلمين من الإثم والعقوبة قول مرتكب المنكر إنما أجني على ديني لا على دينكم...

ومنها: أنه إذا أنكر مُنْكِرٌ من أهل السفينة على الشريك الذي أراد خرقها، فاعترض عليه معترض منهم، نسب ذلك المعترض إلى الحمق وقلة العقل والجهل بعواقب هذا الفعل، إذْ المنكِر ساع في نجاة المعترض وغيره.

---

(١) نصاب الاحتساب، ص ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري بنحوه كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ والاستهام فيه. برقم(٢٤٩٣) الفتح: ١٣٢/٥، وفي كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات برقم (٢٦٨٦)، الفتح: ٢٩٢/٥–٢٩٣، والترمذي، في كتاب الفتن، باب منه، واللفظ له، وهو في صحيح سنن الترمذي برقم(١٧٦٥)، ٢/ ٢٣٣، ورواه وأحمد في المسند: ٤/ ٢٦٨.

كذلك لا يعترض على من ينكر المنكر إلا من عظم حمقه، وقلّ عقله، وجهل عواقب المعصية وشؤمها، إذْ المنكِر قائم بإسقاط الفرض الواجب على المعترض وغيره، وساع في نجاتهم وخلاصهم من الإثم والحرج...)[1].

ويقول الدكتور محمود توفيق محمد سعد: (يشبه الرسول ﷺ القائم على حدود الله تعالى المراقب له، الواقف عند حماه في جميع شأنه، والواقع فيها الراتع المنهمك المستمر في انتهاكها، فلا يرعوي.

يشبه هذين الصنفين -وفي رواية لأحمد[2] يضيف إليهم المداهن في حدود الله المصانع المنافق، المزين لانتهاك الحرمات، الساكت عن ذلك الانتهاك تحت ستار الحرية - يشبه هذه الأصناف الثلاثة وعلائقهم ببعضهم على ظهر هذه الأرض، بقوم شاؤوا السفر في سفينة تمخر عباب البحر، فكان بينهم استهام المنازل واقتسامها، فكان لبعضهم أعلاها

(١) تنبيه الغافلين، ص ٦٤-٦٥، وراجعه لمزيد من الفوائد المستنبطة من الحديث.

(٢) المسند، وصحح شعيب الأرنؤوط إسناده، برقم (١٨٣٧٩) ٣٠/٣٢٩-٣٣٠.

أقول: وفي رواية البخاري أيضاً كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات رقم الحديث (٢٦٨٦) لفظه: "مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها...".

وهل هم صنفان أم ثلاثة؟

قال ابن حجر: (وقع عند الإسماعيلي في الشركة: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها" وهذا يشمل الفرق الثلاث وهو: الناهي عن المعصية، والواقع فيها، والمرائي في ذلك، ووقع عند الإسماعيلي أيضاً هنا "مثل القائم الواقع في حدود الله تعالى والناهي عنها" وهو المطابق للمثل المضروب، فإنه لم يقع فيه إلا ذكر فرقتين فقط لكن إذا كان المداهن مشتركاً في الذم مع الواقع صارا بمنزلة فرقة واحدة، وبيان وجود الفرق الثلاث في المثل المضروب أن الذين أراود خرق السفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، ثم من عداهم إما منكر وهو القائم، وإما ساكت وهو المدهن) الفتح ٥/٢٩٥.

وكان لبعضهم أسفلها، وهو أوعرها وشرها كما في رواية لأحمد[1] – وكذلك منازل الناس في الحياة على هذه الأرض– وكان الذين في أسفلها في حاجة إلى أن يستقوا ماءً، فإذا استقوا مروا على من فوقهم، النازلين اقتراعا أعلى السفينة، فكان ضرورة أن يَصُبَّ الأسفلون عند مرورهم على الأعلين، فتأذى الأعلون، وفي رواية للترمذي وأحمد[2] "فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا" فثقل ذلك على الأسفلين: كما في رواية لأحمد[3] فقال الأسفلون: "لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً فاستقينا منه، ولم نمر على أصحابنا فنؤذيهم"، وفي رواية للبخاري[4]: "فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: مالك؟ فقال: تأذيتم بي ولا بدَّ لي من الماء" وهنا برز صنيع المداهنين المصانعين، الذين يبغون الفتنة في الأرض تحت شعار الحرية الشخصية، فقال بعضهم كما في رواية للإمام أحمد[5]: "إنما يخرق في نصيبه" وقال الآخرون: لا، فإن أخذوا على يدي ذلك الخارق، ولم ينخدعوا بمقالة المداهن، الرافع شعار "الحرية الشخصية" نجا

(١) المسند، وصحح شعيب الأرنؤوط إسناده، برقم (١٨٣٧٠) ٣٢٢/٣٠.

(٢) هي الرواية التي ذكرت لفظها عند الترمذي. وهي عند أحمد برقم (١٨٣٦١) وصححها شعيب.

(٣) المسند: رقم(١٨٣٧٩)، وفي هذا إشارة إلى أن طيب المقاصد وحسن النوايا لا ينجي من العذاب، ولا يعد حجة حيث قالوا: (ولم نؤذ من فوقنا).

(٤) انظر: الفتح: ٢٩٣/٥. في هذا إشارة من النبي ﷺ إلى أن بعض المعاصي والمنكرات يكون سببها منع الحقوق الواجبة من قبل الأعلين فحين يمنع الغني الزكاة، يحمل بعض الفقراء على خرق السفينة بالسرقة ، أو الاحتيال أو غيرها.

(٥) المسند: رقم(١٨٤١١) وصححها شعيب الأرنؤوط. وفي هذا إشارة إلى الشعار الذي يرفعه المضللون المثبطون على مرّ العصور، وهو من التلبيس الذي يلبّسون به على عوام الناس، فمن مصدق، ومن متردد، ومن متوقف.

الجميع، وإن تركوه يخرق في نصيبه خرقاً هلكوا جميعاً.

هذا التفصيل لوقائع الأحداث في المشبه به (أصحاب السفينة) يشير إلى وقائع مثلها في حياة الناس، في هذه الأرض، والرسول ﷺ اختار موقع أحداث المشبه به سفينة، وهو مكان دال على عظيم تعرضه للمخاطر الجسام، التي لا تخفى، ليهدي الناس إلى أن هذه الأرض، وما عليها، لا تقل تعرضاً للمخاطر الجسام عما تتعرض له السفينة في بحر لجّي، قد تكون خطايا بعض ساكنيها سبباً لهلاك جميعهم حين لا يأخذون على أيديهم)[1].

التأمل في الأسباب الدافعة لإنكار المنكر:

المتأمل في الدوافع التي تجعل المسلم حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجد أن المراد منها كبت الحريات الشخصية والتضييق على الناس، ولكن هناك دوافع يقصد من ورائها مصلحة ثلاثة أطراف: أولها: الآمر والناهي. ثانيها: المأمور والمنهي. ثالثها: المجتمع عامة.

فيُعلم أن ترك القيام بهذا الواجب يؤدي إلى الضرر، والمطلوب إزالة الضرر وبخاصة إذا كان عاماً أو متعدياً. وليتأمل المرء مثلاً ما ينتج عن المنكرات من العقوبات الإلهية لكان حرياً به أن يقف في وجهها مهما اعترض المفسدون. فعن زينب بنت جحش – رضي الله عنها – أن النبي – ﷺ – دخل عليها فزعاً يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها" قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال:

(١) فقه تغيير المنكر، ص ٣٨–٤٠.

"نعم إذا كثر الخبث"[1]. كثرة الخبث تؤذن بالعذاب الإلهي العام، والهلاك الشامل، وهذه سنة الله سبحانه في كل أمة يحق عليها العذاب فإن لم يكن في الأمة من ينهي عن السوء والفساد، فلا نجاة لأحد منها: ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[2].

فليست وظيفة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تعطيل الحريات، بل هو صمام الأمان للأمة، وسبب نجاتها من الإهلاك العام، فإن فُقِد هذا الصنف من الناس؛ فإنّ الأمة – وإن كان فيها صالحون – يحل عليها عذاب الله كلها؛ صالحها وفاسدها؛ لأن الفئة الصالحة سكتت عن إنكار الخبث، وعطلت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستحقت أن تشملها العقوبة. وجاء من حديث جرير – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا"[3]. فمن حق كل مسلم أن يدفع الضرر عن نفسه مما سيلحق به من آثار المعاصي، وإن ادَّعى أحد أن في ذلك كبتاً للحرية فقد جهل النتائج.

قلت: إن من يعترض على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة الحرية عليه أن يطمئن؛ لأن الحرية بمفهومها الصحيح مطلب نحن أول من يطالب به.

---

(١) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج. برقم (٣٣٤٦) الفتح: ٣٨١/٦.

(٢) سورة هود، الآية ١١٦.

(٣) رواه أبو داوود كتاب أحاديث الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم(٤٣٣٩) وحسنه الألباني.

أسئلة موجهة لمن يعارض الأمر بالمعروف بحجة الحرية:

من الضروري أن أسأل هذه الأسئلة:

- ماذا يقال فيما ثبت من عشرات النصوص المتضافرة في الكتاب والسنة التي توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- ما الجواب على ما ورد عن النبي ﷺ من مواقف في إنكار المنكر، سواء أكان على الكفار أم المسلمين، وفي جوانب الحياة المختلفة: العقدية والعبادية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية؟
- ما القول في العقوبات المفروضة، التعزيرات منها، والحدود التي شرعت لردع المجرمين والمفسدين؟
- ما الرأي في آلاف الآثار الثابتة عن سلف الأمة، من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- هل اعتراض من يعترض على الأمر بالمعروف معارضة للمبدأ ذاته؟ أم اعتراض على الأسلوب الذي يستعمله الآمر؟ فإن كانت الأولى فأنت على خطر، وإن كانت الثانية فالأمر هين. وذلك بتقويم الخطأ لا بقطع الأمر.

وأخيراً أسأل القارئ: من أكثر الناس اعتراضاً على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يبحث عن مثالب الآمرين بالمعروف ويستقصي عيوبهم، ويحصي أخطاءهم؟ أليس هو غالباً ممن وقف أولئك المصلحون في وجهه في مرات عدة، وقد عارضوا محبوباته وشهواته، وربما حصل له موقف معهم بهذا الصدد، فكشفوا فساده وعواره وسوء عمله، فتسبب ذلك بحنقه عليهم. والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني
تجارب غربية في ضبط الحرية

لا يمكن الزعم بأن الحرية الشخصية موجودة على إطلاقها. ومن ادعى وجودها فقد أَخطأ. فكل تجمع بشري لا بد له من وضع ضوابط تنظم سير حياتهم. وهذه الضوابط البشرية قد تصيب وقد تخطئ.

فهل يستطيع أحدٌ في المجتمعات الغربية أن يقطع إشارة المرور من غير أن يجد محاسبة؟ وهل يتعارض هذا مع الحرية الشخصية؟

ولو امتلك رجلٌ سيارة فإنه يحق له التصرف بها في حدود معينة، ولا يسمح له بقيادتها بغير رخصة؛ أو دون السن القانونية. فهل يتعارض هذا مع الحرية الشخصية؟

وهل يقدر إنسان في الغرب أن يتصرف في أرض يملكها بحُرِّ ماله كما شاء وكيفما أراد، كأن يبني بيتاً على الوجه الذي يريد. دون أن يأخذ في الاعتبار الضوابط التي تضعها البلدية أو غيرها؟ فهل يتعارض هذا مع الحرية الشخصية؟

والأمثلة على هذا الأمر كثيرة، والأهم من ذلك هو تجلية الصورة، فلعل الفكرة التي أريد أن أوصلها اتضحت. وهذا التقييد والتقنين موجود في كل تجمع بشري سواء أكان في الشرق أم الغرب، وسواء أكان المجتمع مسلماً أم لا.

ولا تتوقف هذه القيود عند الأمور الحسية فحسب؛ بل تتجاوزها إلى النواحي الأخلاقية والدينية، فلا أدري ما الضابط حقيقة في الأنظمة الغربية؟ وإني لأعجب حين ينتقد الإسلام وحده في تقنينه للحرية الشخصية.

(ففي بريطانيا تم إنتاج شريط فيديو قصير عن المسيح عليه السلام تحت عنوان «مشاهد صوفية»، إلا أن جهاز الرقابة على الأفلام في بريطانيا رأى أن الفيلم يمثل إساءة إلى المسيحية، وأنه ينطوي على التحريف، وإساءة الأدب في حق المسيح، فقررت الرقابة حظر عرض الشريط على الجمهور، الأمر الذي احتج عليه بشدة مؤلف الفيلم، ومخرجه على السواء، ورفعا القضية إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في «ستراسبورغ»، إلا أن المفاجأة كانت في رفض المحكمة لاعتراض الكاتب والمخرج، وتأييدها لقرار جهاز الرقابة البريطاني، وتأكيدها أن الفيلم انطوى على إساءة الأدب، وقدر غير قليل من التحريف والإساءة إلى المسيحية)[1].

وفي مجال مراقبة الإنترنت لم يكن الاهتمام بضبط استخدام الإنترنت قاصراً على المجتمعات المحافظة فقط، فَثَمَّةَ جهات كثيرة عالمية وضعت ضوابط لاستخدام الإنترنت؛ ففي الولايات المتحدة الأمريكية اعتمدت إحدى عشرة ولاية "تشريع أكسون" القاضي بتقييد استعمال الإنترنت وحَصره لتأمين "الحشمة" وكان الكونجرس أقره، ووقّع عليه الرئيس السابق كلنتون سنة ١٩٩٥م، لكن لم يلبث أن أُلغي من محاكم عدة على اعتبار أنه منافٍ للحريات، ويخالف المادة الأولى من الدستور الأمريكي التي تنص على حرية التعبير، وقامت جامعتا كارنيغي ميلون وأكسفورد بوضع ضوابط لاستخدام الإنترنت، ومنعت الأخيرة مجموعات إخبارية إباحية، وكذلك قامت شركة الهاتف الألمانية بقطع الخطوط الهاتفية

---

(١) مقال: مصطلح «الحرية» بات مشبوهًا، وغدا هاجسًا يقلق المجتمع، لجمال سلطان، جريدة المحايد، العدد: ٨٦، ١/ربيع الأول/١٤٢٥هـ.

الخاصة بمقدم خدمة أمريكي لحمله مواد دعائية للنازية، وقد دعا البرلمان الأوربي إلى تحرك عالمي لضبط تبادل المواد الإباحية، والعنصرية على الإنترنت، وكان مما دعا إليه تكوين "شرطة إنترنتية"، ووضع اتفاقيات دولية لمحاكمة من يسيئون استخدام الإنترنت، وأكد على ضرورة تحديد معايير محددة للمواد غير المرغوب بها. يُذكر أن ألمانيا كانت الدولة الأوربية الأولى التي تراقب الإنترنت تحت مسمى "المراقبة الإيجابية"(١).

تلك النماذج الغربية مهما سمت فهي معرضة للخطأ؛ لأنها نابعة من العقل البشري المتصف بالقصور الزماني والمكاني(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فكل بشر على وجه الأرض فلا بد من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها إما بمعروف وإما بمنكر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾(٣) .... وإذا كان الأمر والنهي من لوازم بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به رسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله وإلا فلا بد أن يَأْمر وينهى،

---

(١) مقال كتبه معتز الخطيب، على الشبكة الإسلامية، بتاريخ ٢٠٠٢/١١/٢٤.

(٢) لا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا التجربة الفاشلة التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية حينما أصدرت قانون منع بيع الخمور وشربها عام ١٩١٩م ولكنها اضطرت إلى إلغائه في عام ١٩٣٣م بعد خسائر فادحة، والسبب انتفاء الإيمان الذي هو أساس تغيير السلوك والعادات. فعلى سبيل المثال: يقدر ما أنفقته الحكومة الأمريكية في الدعاية ضد الخمر ما يزيد على ستين مليون دولاراً، وما أصدر من الكتب والنشرات يبلغ عشرة بلايين صفحة، وغيرها كثير. انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٨٠. قلت: هذا يبين الآثار المترتبة على انفتاح الحريات وعدم ضبطها. بينما في المجتمع الإسلامي في الصدر الأول فعلت آية واحدة (فهل أنتم منتهون) ما لم تفعله ملايين الدولارات! فهل أنتم تعقلون وتدركون؟.

(٣) سورة يوسف، الآية ٥٣.

ويُؤْمر ويُنهى، إما بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزله الله. وإذا اتخذ ذلك ديناً كان ديناً مبتدعاً)[1].

ونتيجة ذلك أن ضرورة التجمع البشري تقتضي وجود أنظمة شرعية تعالج الآثار المترتبة على هذا التجمع من التزاحم والتنافس والتخاصم، الذي يقتضي وجود سلطة تأمر وتنهى وتزجر وتحاسب وتعاقب، تملك قوة التنفيذ والفصل. وربما يفهم بعض الناس أن وجود هذه الأنظمة يعدُّ تقييداً للحريات.

والحق أنه قد أثبت الدليل العقلي القطعي وجوب إيجاد مثل هذه الضوابط، وأثبت الدليل العقلي كذلك أن الحرية لها حدود، سواء أكان ذلك في الشرق أو في الغرب. ولنضرب على هذا مثالاً حسياً يوضح المراد إذا ما قورن بالوضع المعنوي: فلو ذهبت إلى مكان جميل رحب نظيف، فجاء شخص يزعجك بقذف قاذوراته أمامك، وأمام الآخرين. فهل يجب عليك أن تسكت عن ذلك بحجة أن هذا الشخص حرٌّ في الاستمتاع بالمكان بطريقته؟ وهل يجب عليك أن تسكت عمن ملأ جو المكان النقي بروائح عفنة، وغازات ضارة؟

---

(١) الحسبة في الإسلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٩٣-٩٤.

المبحث الثالث
دراسة ميدانية تطبيقية حول الحرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

منهج الدراسة:

هي دراسة ذات منهج وصفي، واستخدمت بالتحديد الدراسة المسحية التي تتطلبها طبيعة هذا البحث، التي تهتم بدراسة الحاضر وتتسم بالسعة، وتزود الباحث بمعلومات تمكنه من التعليل، والتفسير والكشف عن العلاقات. واستخدمت استبانة مكونة من مجموعة أسئلة.

وراعيت في الاستبانة ارتباط أسئلتها بالبحث، وتحقيق أهدافه المنشودة، وراعيت فيها التنوع، والشمول لجوانب الموضوع، كما راعيت فيها اليسر والوضوح في العبارة.

وأجريت اختباراً مبدئياً للاستبانة قبل البدء بالمسح الرئيس، لكي أكتشف بعض المشكلات، وأسعى في حلها.

وقدمتُ الاستبانة عن طريق الاتصال المباشر؛ لأني أعتقد أن الاتصال المباشر أكثر دقة؛ لأنه يمكّن الباحث من توضيح ما يثار من تساؤلات.

مجتمع الدراسة، والعينة:

الحقيقة أن جمهور الدراسة في مثل هذه الموضوعات واسع النطاق. فالرجل والمرأة والصغير والكبير والطالب والمدرس والموظف والعامل والبائع وغيرهم من طبقات المجتمع المختلفة كل أولئك لهم شأن في الموضوع. وجمهور بهذا الانتشار يصعب حصره فضلاً عن دراسته. ولكن حسبي أنموذج من هذا الجمهور، عيّنةً واحدة لعلها تُظهر الصورة. وهذه العينة

عبارة عن طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

وستقتصر عينة الدراسة على طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن؛ ولأن قلة العدد في العينة يؤثر في النتائج سأحرص على اختيار عدد كبير نسبياً لضمان الصدق في النتائج؛ (ولعل سبب ذلك هو أن أي سمة من السمات الإنسانية موزعة بين الناس بدرجات متفاوتة، وكلما كانت العينة أكثر تمثيلاً لأفراد المجموعة كانت النتائج أكثر دقة)(١).

وقد حصرت أعداد الطلاب المبحوثين في الجامعة، ولأنه يصعب تحديد العينة بحسب القسم في هذه الجامعة فقد حددت مجتمع الدراسة بالطريقة العشوائية وفقاً لأعداد الشعب الدراسية. واستخدمت أسلوب العينة العشوائية المنتظمة (systematic)؛ لأني وجدته الأنسب لطريقة بحثي، ولأن أفراد المجتمع الأصلي للدراسة كلهم معرفون تماماً ومسجلون في قوائم ومتجانسون أيضاً، وبالتالي فإن هذا الحصر يُتيح اختيار عينة تمثلهم.

وقد عمدت إلى اختيار الرقم (٣) عشوائياً، واخترت مسافة ثابتة منتظمة بين كل رقم والرقم الذي يليه وهي عشرة أرقام، فصار الترتيب كالتالي: ٣، ١٣، ٢٣، ٣٣.....وهكذا، كل شعبة على حدة.

وبهذا صار عدد من ستكون عليهم الدراسة (٥٧) طالباً، وقد أجاب جميع الطلاب الـ (٥٧) على جميع الأسئلة، مع أني أخذت الحيطة فزدت من الاستبانات تحسباً لضياع أو ترك الإجابة عنها. وأما العدد الإجمالي لمن شملتهم الدراسة وتفاصيل ذلك فهو بالنظر إلى أن عدد الشعب في مادة الإيمان (١٤) شعبة، وعدد الطلاب (٥٥٦) طالباً على النحو التالي:

---

(١) المرشد في كتابة الأبحاث، الدكتور حلمي فودة والدكتور عبدالرحمن صالح عبدالله، ص ٣٦.

(جدول ١)

الشعبة	عدد طلابها	عدد المبحوثين
١	٤٢	٤
٢	٤٣	٥
٣	٣٩	٤
٤	٣٩	٤
٥	٤٢	٤
٦	٤٢	٤
٧	٤١	٤
٧	٤٣	٥
٩	٤٣	٥
١٠	٤٠	٤
١١	٤٣	٥
١٢	٤٢	٤
١٣	٢٠	٢
١٤	٣٧	٣
المجموع	٥٥٦	٥٧

وتمَّ هذا الاختيار العشوائي وفق شرط محدد –كما رأيت– لا وفق الصدفة، فقد توفر لكل فرد من أفراد المجتمع الأصلي للدراسة الفرصة المكافئة لكل فرد آخر، دون تحيز أو تدخل من الباحث[1]. والله تعالى أعلم.

---

(١) البحث العلمي. مفهومه. أدواته. أساليبه، الدكتور ذوقان عبيدات والدكتور عبدالرحمن عدس والدكتور كايد عبدالحق، ص ١٠٩–١١١.

تحكيم الاستبانة:

تمَّ إجراء اختبار الصدق (validity) وذلك بتحكيم الاستبانة عن طريق مجموعة أساتذة من مختلف التخصصات بعد أن عُرضت عليهم الاستبانة وأهدافها، ثمَّ عُملت التعديلات المقترحة حذفاً وإضافة على ضوء رأي المحكمين، فلهم مني جزيل الشكر على تعاونهم، وهم: الدكتور/ عبدالكريم بن صالح الزهراني، والدكتور/ عبدالله بن عمر الحاج، والدكتور/ عبدالرزاق حسين، والأستاذ/ محمد بن عبدالرحمن الزامل، وجميعهم أساتذة في قسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

أهداف الدراسة:

هناك هدف قريب وآخر بعيد، أما البعيد فيظهر في عرض صورة حية صادقة -قدر الإمكان- عن واقع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلاقته بالحرية. على أن تكون هذه الصورة من رسم من يتعامل مع هذا الواقع، وهم أفراد المجتمع متمثلاً في طلاب المرحلة الجامعية.

وأما الهدف القريب فهو محاولة لإظهار الحقيقة، وتصحيح المفاهيم حول علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحرية الشخصية.

إجراءات البحث:

- الذي عملته في هذه الاستبانة هو إعداد مجموعتين من الأسئلة، كل مجموعة تحوي عشرة أسئلة متقابلة. وتلك الأسئلة لها علاقة مباشرة بالحرية، والتصرفات الشخصية، كالتصرف في المال، أو حرية الملبس، أو حرية الكلام، أو غير ذلك.

- الأسئلة العشرة متقاربة من حيث المؤدَّى، والفرق بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية يبرز في طريقة الإعداد، وأسلوب الصياغة فقط، ولكن حقيقة السؤال بين المجموعتين لا تختلف كثيراً.
- حاولت أولاً أن أحصر المجالات والتصرفات التي تدخل في حدود الحرية، ويعتبرها الناس حرية شخصية؛ فوجدت أن غالبها يتعلق بالكلام والسماع واللباس والعلاقات الاجتماعية والتصرفات المالية والمطعومات والاتجاه الثقافي، وهناك مجالات أخرى داخلة في نطاق الحرية، ولكني اكتفيت بما ستراه في الاستبانة؛ لأنه يكفي في تحقيق الهدف من البحث.
- تمَّ توزيع المجموعة الأولى من الاستبانة على عينة من الطلاب، ثمَّ بعد ذلك أُعطي هؤلاء الطلاب أنفسهم المجموعة الثانية من الاستبانة.
- أستطيع القول بأن المجموعة الثانية من الأسئلة عبارة عن الأعمال التي يقوم بها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر سواء أكانوا متطوعين أم رسميين. أما المجموعة الأولى من الأسئلة ففيها عموم ظاهر، وقد يستعمل بعض الناس هذا العموم في وصف عمل هيئة الأمر بالمعروف، فينتج عنه تغطية الصورة الحقيقية، وبالتالي يتهمون بأنهم يقيدون الحريات بل وينتهكونها.
- ثم بعد ذلك سوف يتم عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها من خلال الأجوبة التي حصلت عليها في الاستبانة.
- أردت أن يكون هذا البحث دليلاً عملياً صادقاً في بيان هذا الموضوع، ومع هذا فإني أقول: إني موقنٌ تمام اليقين بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتعارض مع الحريات، والسبب في ذلك عندي ظاهر

جداً، وهو: لأن الله سبحانه هو الذي شرعه. ولكن من باب تأكيد هذه المسألة، ودفع الشكوك والشبهات التي يوردها بعض الناس. والعلم عند الله تعالى.

عرض نموذج الاستبانة:

المجموعة الأولى

أخي الكريم: الرجاء التكرم بتعبئة الاستبانة بما يعبر عن رأيك الصريح.

ملاحظة: هذه الأسئلة تستخدم في مجال البحث العلمي فقط.

س١: هل تتضايق حينما يتدخل شخص ما في أسلوب حياتك، كتدخله في خصوصيات بيتك، وخصوصية أهلك وأولادك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٢: هل تتضايق حينما يتدخل أحدٌ من الناس في نوع وطريقة لباسك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٣: هل تتضايق حينما يطلب منك شخص ما السكوت أثناء كلامك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٤: هل تتضايق إذا تدخل أحد في نوع أكلك أو طريقة أكلك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٥: هل تتضايق إذا تدخل أحد فيما تسمعه؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٦: هل تتضايق إذا تدخل أحد في طريقة تصرفك في أموالك، أو أن تفعل بها ما تشاء؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٧: هل تتضايق إذا حدد لك شخص ما مع من تتكلم أو من تصاحب؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٨: هل تتضايق إذا حدد لك شخص مصدر ثقافتك كنوع القراءة مثلاً؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٩: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحح الخطأ بقسوة وجفاء؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س١٠: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

المجموعة الثانية

أخي الكريم: الرجاء التكرم بتعبئة الاستبانة بما يعبر عن رأيك الصريح.

ملاحظة: هذه الأسئلة تستخدم في مجال البحث العلمي فقط.

س١: لو رأى شخص ابنك وهو يخطئ فنصحه بطريقة حسنة، فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٢: إذا لبست لباساً فيه نوع من المخالفة الشرعية فكلمك شخص ما عن ذلك بأسلوب مهذب. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٣: لو اغتبت شخصاً أو تكلمت بفحش أو سب، فنصحك شخص ما بطريقة لبقة مهذبة. هل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٤: لو أكلت بشمالك، أو أكلت لحم خنزير وأنت لا تدري. هل تتضايق إذا نصحك شخص ما بطريقة مؤدبة؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٥: لو كنت ممن يسمع الأغاني، فطلب منك شخص ما أن تخفض صوت الأغاني. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٦: لو تعاملت بالربا فحذرك منه شخص ما بطريقة مهذبة. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٧: لو أن رجلاً عرف أن من تمشي معهم هم من أصحاب المنكرات والفواحش. فنصحك بألا تمشي معهم. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٨: لو أرشدك إنسان ما إلى كتاب نافع كي تقرأه. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٩: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحح الخطأ بأسلوب ليّن وبرفق تام؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س١٠: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

عرض النتائج

رأي المبحوثين في السؤال الأول:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق حينما يتدخل شخص ما في أسلوب حياتك، كتدخله في خصوصيات بيتك، وخصوصية أهلك وأولادك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١/أ)

السؤال الأول في المجموعة الأولى	النسبة المئوية
نعم	56
لا	4
غالباً	30
نادراً	·1

وكان السؤال الأول في المجموعة الثانية هو: لو رأى شخص ابنك وهو يخطئ فنصحه بطريقة حسنة، فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١/ب)

السؤال الأول في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	88
غالباً	4
نادراً	8

رأي المبحوثين في السؤال الثاني:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق حينما يتدخل أحدٌ من الناس في نوع وطريقة لباسك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٢/أ)

السؤال الثاني في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	39
لا	18
غالباً	26
نادراً	17

وكان السؤال الثاني في المجموعة الثانية هو: إذا لبست لباساً فيه نوع من المخالفة الشرعية فكلمك شخص ما عن ذلك بأسلوب مهذب. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٢/ب)

السؤال الثاني في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	2
لا	82
غالباً	4
نادراً	12

رأي المبحوثين في السؤال الثالث:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق حينما يطلب منك شخص ما السكوت أثناء كلامك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٣/أ)

السؤال الثالث في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	60
لا	9
غالباً	21
نادراً	10

وكان السؤال الثالث في المجموعة الثانية هو: لو اغتبت شخصاً أو تكلمت بفحش أو سب، فنصحك شخص ما بطريقة لبقة مهذبة. هل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٣/ب)

السؤال الثالث في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	88
غالباً	3
نادراً	9

رأي المبحوثين في السؤال الرابع:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا تدخل أحد في نوع أكلك أو طريقة أكلك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٤/أ)

السؤال الرابع في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	44
لا	21
غالباً	23
نادراً	12

وكان السؤال الرابع في المجموعة الثانية هو: لو أكلت بشمالك، أو أكلت لحم خنزير، وأنت لا تدري. هل تتضايق إذا نصحك شخص ما بطريقة مؤدبة؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٤/ب)

السؤال الرابع في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	5
لا	90
غالباً	0
نادراً	5

رأي المبحوثين في السؤال الخامس:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا تدخل أحد فيما تسمعه؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٥/أ)

السؤال الخامس في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	21
لا	28
غالباً	25
نادراً	26

وكان السؤال الخامس في المجموعة الثانية هو: كنت ممن يسمع الأغاني، فطلب منك شخص ما أن تخفض صوت الأغاني. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٥/ب)

السؤال الخامس في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	84
غالباً	5
نادراً	11

رأي المبحوثين في السؤال السادس:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا تدخل أحد في طريقة تصرفك في أموالك، أو أن تفعل بها ما تشاء؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٦/أ)

السؤال السادس في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	30
لا	19
غالباً	28
نادراً	23

وكان السؤال السادس في المجموعة الثانية هو: لو تعاملت بالربا فحذَّرك منه شخص ما بطريقة مهذبة. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٦/ب)

السؤال السادس في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	98
غالباً	0
نادراً	2

رأي المبحوثين في السؤال السابع:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا حدَّد لك شخص ما مع من تتكلم أو من تصاحب؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٧/أ)

السؤال السابع في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	60
لا	8
غالباً	25
نادراً	7

وكان السؤال السابع في المجموعة الثانية هو: لو أن رجلاً عرف أن من تمشي معهم هم من أصحاب المنكرات والفواحش. فنصحك بألا تمشي معهم. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٧/ب)

السؤال السابع في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	2
لا	68
غالباً	12
نادراً	18

رأي المبحوثين في السؤال الثامن:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا حدد لك شخص مصدر ثقافتك كنوع القراءة مثلاً؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٨/أ)

السؤال الثامن في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	44
لا	25
غالباً	19
نادراً	12

وكان السؤال الثامن في المجموعة الثانية هو: لو أرشدك إنسان ما إلى كتاب نافع كي تقرأه. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٨/ب)

السؤال الثامن في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	1
لا	93
غالباً	2
نادراً	4

رأي المبحوثين في السؤال التاسع:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحح الخطأ بقسوة وجفاء؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٩/أ)

السؤال التاسع في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	58
لا	9
غالباً	26
نادراً	7

وكان السؤال التاسع في المجموعة الثانية هو: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحّح الخطأ بأسلوب ليّن وبرفق تام؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٩/ب)

السؤال التاسع في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	2
لا	88
غالباً	0
نادراً	10

رأي المبحوثين في السؤال العاشر:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١٠/أ)

السؤال العاشر في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	39
لا	19
غالباً	30
نادراً	12

وكان السؤال العاشر في المجموعة الثانية هو نفسه لم يتغير: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١٠/ب)

السؤال العاشر في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	84
غالباً	7
نادراً	9

تحليل النتائج وتفسيرها

أسلوب الصياغة:

يظهر من النتائج السابقة أن أسلوب صياغة الأسئلة، وطريقة عرضها له تأثير كبير في النتيجة، حيث كانت نسبة الذين أجابوا بـ: (نعم) و (غالباً) في المجموعة الأولى من الأسئلة ظاهرة الارتفاع. أما وهم أنفسهم لما سُئلوا السؤال نفسه ولكن بطريقة مختلفة وأسلوب مغاير كما في المجموعة الثانية كانت نسبة الذين أجابوا بـ: (نعم) و (غالباً) قليلة جداً.

العكس صحيح عند الكلام عن نسبة الذين أجابوا بـ: (لا) و (نادراً) في المجموعة الأولى حيث كانت قليلة جداً. أما وهم أنفسهم لما سُئلوا السؤال نفسه بطريقة مختلفة كما في المجموعة الثانية كانت نسبة الذين أجابوا بـ: (لا) و (نادراً) مرتفعة جداً.

سؤال فيصل:

لفت نظري السؤال العاشر -وقد كان موحداً بين المجموعتين- وهو: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟ إن نسبة الذين أجابوا بالإيجاب في المجموعة الثانية من الأسئلة لا يمثلون شيئاً في النسبة حيث كانت نسبتهم (٠٪). وإني لأرجو من قارئ هذه

الورقات أن يعيد النظر في الأسئلة التي كتبتها في المجموعة الثانية، كما أرجو أن يتأملها جيداً.

إظهار الحقيقة:

المجموعة الثانية من الأسئلة تمثِّل عمل الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر في الغالب. على أن هناك من يصور الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأنهم يقومون بتوجيه الناس بالطريقة المشار إليها في المجموعة الأولى من الأسئلة، وهذا من المغالطة في إظهار الواقع على خلاف ما هو عليه.

قلب الحقائق:

يستطيع المتحدث عن الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقلب الحقيقة، بحيث يُخبر عن عملهم بما لا يتناسب مع الواقع.

فمثلاً: حين يقول لك إنسان: هل تتضايق حينما يطلب منك شخص ما السكوت أثناء كلامك؟ أو هل تتضايق إذا تدخل أحد في نوع أكلك أو طريقة أكلك؟

قلت: لا شك أنه حين يتمُّ عرض الموضوع بهذا الشكل؛ فإن الكثيرين سيعدونه من التدخل في الحريات الشخصية. ولكن هنا سؤال منطقي وهو:

هل هذا هو أسلوب الدعاة حين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ هل هم ممن يتدخلون مطلقاً في أفعال الناس؟ هل هم ممن يتدخل مطلقاً في أكل الناس؟ أو يتدخلون مطلقاً في سماع الناس أو كلامهم؟

إن هذا التدخل بالصورة المذكورة آنفاً لم أره في عملهم، ولم يقل به المنصفون من الناس. فما شهدنا إلا بما علمنا، وإذا كان الأمر كذلك فقد ثبت من خلال هذا البحث وبشهادة من شملتهم الدراسة أن عمل الآمرين

بالمعروف والناهين عن المنكر إذا كان وفق ما جاء في قائمة المجموعة الثانية من الأسئلة فإنه لا يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية. والمنصف حينما يتأمل عمل الدعاة إلى الخير يجد بلا ريب أنه ينطبق على المجموعة الثانية من الأسئلة.

إذاً لعل هناك مشكلة في تزوير الحقائق، وتسمية الأشياء بغير اسمها، وذلك حينما يُعرض فعل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأنه تدخل في الحريات، كما تمَّ تصويره في المجموعة الأولى من الأسئلة، فأقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وكذب قديم، فقد اعتبر بعض الناس الربا تطوراً اقتصادياً، والزنا وشرب الخمر حرية شخصية، كما اعتبروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حدًّا من الحريات وتدخلاً في شؤون الآخرين، فالتبس الحق بالباطل، واستبدل الهوى بالهدى.

نقد الأسلوب أم انتقاد المبدأ؟

ربما كانت المشكلة في الأسلوب والطريقة التي ينتهجها بعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وهذا أمرٌ لا أنكره لأنهم بشرٌ يصيبون ويخطئون كما يخطئ غيرهم، وإذا كان ذلك كذلك فليس الحل هو تزييف الحقائق، وإلباسهم ثياباً لم يرتدوها. وكذلك أقول: إنه لمن الظلم والتعدي تعميم هذا الخطأ على جميع العاملين في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم أقول: إنه لحري بالمخلصين أن يسددوا عمل أهل الحسبة، وأن يكملوا نقصهم، وأن يعينوهم على أداء هذا الواجب.

تشابهٌ مقصود:

- لا شك أن المجموعتين من الأسئلة لا يتطابقان من جميع الوجوه، وقد قصدت هذا؛ لأني قلت إن التشابه حاصل في نتيجة كل سؤال، وهذا

هو الهدف من الاستبانة والبحث. فلا يضير الاختلاف في الأسلوب والصياغة ما دامت النتيجة واحدة.

- تكلمت بلغة معروفة، وهي لغة الأرقام التي لا تجامل أحداً، ولا تتأثر بعاطفة، وإنما تعطي الصورة الأقرب للحقيقية، والله تعالى أعلم.
- كراهة التدخل في الخصوصيات، وعدم ممانعة التدخل المنضبط.
- ظهر جلياً من خلال النتائج أن الناس لا يعترضون على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يعدونه من التدخل في الحريات الشخصية، ولا من التطاول عليها.
- من طبع الإنسان أنه لا يحب أن يتدخل أحد في شؤونه وخصوصياته – كما هو نتيجة المجموعة الأولى– لكن هذا الإنسان نفسه لا يمانع عندما يكون هذا التدخل يحقق مصلحة له ومنفعة. وإنما يعترض الجهال، أو المغيبون لعقولهم، أو غير المدركين لمصالحهم، وهذا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياقه الشرعي، وهذا التدخل المنضبط وارد من الأطباء في المسائل الصحية، أو من المؤسسات الاجتماعية المنظمة لحياة المجتمع في مسائل المرور والغش والأمن وغيرها.

فالعقلاء إذاً يرحبون بكل ما فيه مصلحتهم حتى لو عده البعض قيداً أو تدخلاً أو غير ذلك.

- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأعمال الجليلة التي لها آثار ومصالح عديدة، سواء أكانت تلك الآثار عائدة إلى الآمر أو المأمور أو عامة، وهذا أمر لا ينكره أحد. فلا ينبغي أن يصار إلى القول زوراً بأنه تدخل في الحريات.

- إن الحريـة الشخـصية تُعـدُّ في الإسـلام مـن الأمـور الـتي يجـب صـيانتها ورعايتها ، فهـي مـن المعـروف الـذي يسعى الإسـلام لتحقيقـه وتأكـيده، ولكن بضوابط وقيود ، ولا يخلو قانون من ضوابط.

ثبت المراجـــع

١- أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، (الكويت: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية).

٢- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر).

٣- أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، (الرياض: مكتبة الحرمين، ١٤٠٦هـ) ط: الثانية.

٤- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، (إستانبول: طبعة دار الدعوة تركيا، ١٤٠١هـ).

٥- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الحسبة في الإسلام، (الكويت: مكتبة دار الأرقم، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ).

٦- أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ت: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ) ط: الأولى.

٧- أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٨- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة).

٩- أحمد بن محمد بن هارون الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ت: مشهور حسن محمود سلمان وهشام بن إسماعيل السقا، (المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ) ط: الأولى.

١٠- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٠م) ط: الثالثة.

١١- بدر الدين العيني، عمدة القارئ، (بيروت: دار إحياء التراث).

١٢- جريدة المحايد، العدد: ٨٦، ١/ربيع الأول/١٤٢٥هـ.

١٣- حلمي فودة والدكتور عبدالرحمن صالح عبدالله المرشد في كتابة الأبحاث، (جدة: دار الشروق، ١٩٨٣م) ط: السادسة.

١٤- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ت: محمود الطحان، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ).

١٥- ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي مفهومه أدواته أساليبه، (عمان: دار مجدلاوي).

١٦- زين الدين بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (دار الدعوة، طبعة الحلبي، ١٣٨٢هـ).

١٧- الضحاك بن مخلد بن أبي عاصم، كتاب السنة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ) ط: الثانية.

١٨- عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ) ط: الثانية.

١٩- عبدالرحمن بن أعين القرشي، فتوح مصر وأخبارها، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ) ط: الأولى

٢٠- عبدالكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م) ط: الأولى.

٢١- عمر بن محمد بن عوض السنامي، نصاب الاحتساب، تحقيق ودراسة، د. مريزن سعيد مريزن عسيري، (مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦هـ) ط: الأولى.

٢٢- عمر بن محمد بن عوض السنامي، نصاب الاحتساب، تحقيق

ودراسة، د. موئل يوسف عز الدين، (الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ) ط: الأولى.

٢٣- محمد بن أبي بكر بن القيم الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ) ط: الأولى.

٢٤- محمد بن أبي بكر بن القيم، القصيدة النونية، المسماة: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرح وتحقيق محمد خليل هراس، (مصر: دار الفاروق الحديثة).

٢٥- محمد بن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ).

٢٦- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٢٧- محمد بن مفلح بن محمد، الآداب الشرعية، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٧٧م).

٢٨- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر).

٢٩- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ) ط: الأولى.

٣٠- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

٣١- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ) ط: الثالثة.

٣٢- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ) ط: الأولى.

٣٣- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ) ط. الأولى.

٣٤- محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ) ط: الثالثة.

٣٥- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

٣٦- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ) ط. الأولى.

٣٧- محمود توفيق محمد سعد، فقه تغيير المنكر، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٥هـ) ط: الأولى.

٣٨- محيي الدين أبو زكريا يحيى النووي صحيح مسلم، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩- مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، (القاهرة: المكتب السلفي، ١٤٠١هـ) ط: الثانية.

٤٠- يوسف بن عبدالله أبو عمر بن عبد البر، الاستذكار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ط: الأولى.

البحـث رقـم ٧

الدعــوة بــين الأخــوة

إعداد

د. الجوهرة بنت محمد العمراني

عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

الدعـوة بـين الأخـوة

الأخ له حق الإصلاح والرعاية على أخيه فهو من أهله وذويه ومحبته، والإحسان إليه، والرغبة في إصلاحه من مقتضيات الإيمان بالله تعالى كما ذكر النبي ﷺ فيما روى عنه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".-وإذا كان هذا في حق الأخ المسلم فأخ النسب أولى – فلا يبلغ المؤمن درجة الإيمان الكامل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

والأخوة لا يمكن أن تتحقق بصدق، وتؤتي ثمارها إن لم يكن الأخ محباً لأخيه ملتزماً بما يأمره به من خير ، فيحرص الأخ على أخيه، ويعينه على الخير والعمل الصالح حرصاً على مرضاة الله عز وجل قال ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

وإعانة الأخ لأخيه تتمثل في إرشاده وتوجيهه لطريق الصواب دون تزييف أو تدليس فالمؤمن كما قال ﷺ (المؤمن مرآة لأخيه) يعكس له الصورة الحقيقية فيرى فيه من عيوب نفسه ما لا يراه من نفسه هو. بل إن عليه أن يمنعه عن ارتكاب الباطل إن رآه عليه؛ حيث جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال: تأخذ فوق يديه).

فالأخ عليه واجب الأخذ على يد أخيه، ونهيه عن ظلم نفسه حساً ومعنى مع الاهتمام بإعانته على الحق، وإلزامه به كي تستمر رابطة الأخوة التي أساسها الحق والإيمان الذي يجب على المسلم العمل بمقتضاه قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ففي هذه الآية دلالة صريحة على أن على المرء أن يوالي من قام بالحق، وأن يعادي من لم يقم به وإنْ كانوا من أقرب الناس إليه كالآباء والإخوة مما يؤكد أهمية الدعوة بين المرء وإخوانه فلا تنفع رابطة القرابة مهما قربت إذا انتفت رابطة الإيمان ومن هنا كانت فكرة البحث في موضوع (الدعوة بين الأخوة) ، ومما يؤكد ذلك :

- أن من مقتضيات البر والإحسان للإخوة دعوتهم إلى إصلاح نفوسهم وتقويم أخلاقهم،
- أن للدعوة بين الإخوة أهميتها في قوة بناء البيت المسلم وحصانته.
- أن في الإخوة معانياً كبيرة وكثيرة قد أشارت إليها النصوص القرآنية الشريفة كرفع الهم، وشد العضد، وزيادة القوة ومن هذه النصوص قوله تعالى لموسى (عليه الصلاة السلام): ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ .
- من خلال الدعوة بين الإخوة يتحد الصف داخل البيت، ويعم الأمن والاستقرار النفسي غالبا؛ مما يؤكد أهمية تفعيل الدعوة بين الإخوة.

وصلي اللهم على نبينا محمد
وعلى اله وصحبه أجمعين

مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد،..:

فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١)،

ذكر الإمام القرطبي (٢) رحمه الله في تفسيره لهذه الآية أن فيها مسألة واحدة وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار؛ فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية. (٣)

والأخ له حق الإصلاح والرعاية على أخيه فهو من أهله وذويه ومحبته، والإحسان إليه، والرغبة في إصلاحه من مقتضيات الإيمان بالله تعالى كما ذكر النبي ﷺ فيما روى عنه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا يؤمن

---

(١) سورة التحريم، الآية (٦).

(٢) القرطبي، هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي، من مؤلفاته كتاب التذكرة بأمور الآخرة، والجامع لأحكام القرآن، توفي رحمه الله سنة (٦٧١هـ)، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد(٣٣٥/٥)، ش: دار ابن كثير، بيروت، ط: الأولى، والوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل الصفدي، ش: فرانز شتاير، ط: ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٩: ١٩٤- ١٩٥)، الناشر: دار عالم الكتب.

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[١].-وإذا كان هذا في حق الأخ المسلم فأخ النسب أولى – فلا يبلغ المؤمن درجة الإيمان الكامل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

والأخوة لا يمكن أن تتحقق بصدق، وتؤتي ثمارها إن لم يكن الأخ محباً لأخيه ملتزماً بما يأمره به من خير [٢]،

فيحرص الأخ على أخيه، ويعينه على الخير والعمل الصالح حرصاً على مرضاة الله ﷻ قال ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[٣].

وإعانة الأخ لأخيه تتمثل في إرشاده وتوجيهه لطريق الصواب دون تزييف أو تدليس فالمؤمن كما قال ﷺ (المؤمن مرآة لأخيه) [٤] يعكس له الصورة الحقيقية فيرى فيه من عيوب نفسه ما لا يراه من نفسه هو [٥]. بل إن عليه أن يمنعه عن ارتكاب الباطل إن رآه عليه؛ حيث جاء عن أنس [٦] ﷺ قال:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (٧) من الإيمان أن يجب لأخيه ما يحب لنفسه (٩/١) وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١) كتاب الإيمان من (١٧) باب =الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (٧١) ح (٤٥) (٦٧/١).

(٢) انظر: شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم (١٦/٢) .

(٣) انظر: معاني الأخوة ومقاصدها للدكتور محمود محمد بابلي، ص (٤٠) . والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحة: كتاب الذكر باب.فضل الاجتماع على تلاوة القران والذكر (٣٨) ح (٢٦٩٩)، (٢٠٧٤/٣)

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في النصيحة ح: ٤٩١٨(٢١٧/٥).

(٥) انظر: فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، ص ٩٢.

(٦) أنس هو الإمام المفتي أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن عدي بن النجار، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين وروى عنه علماً كثيراً توفي سنة ثلاث وتسعين للهجرة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧١/١)، ش: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، وأسد =

قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال: تأخذ فوق يديه)[1].

فالأخ عليه واجب الأخذ على يد أخيه، ونهيه عن ظلم نفسه حساً ومعنى[2] مع الاهتمام بإعانته على الحق، وإلزامه به كي تستمر رابطة الأخوة التي أساسها الحق والإيمان الذي يجب على المسلم العمل بمقتضاه قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[3]،

ففي هذه الآية دلالة صريحة على أن على المرء أن يوالي من قام بالحق، وأن يعادي من لم يقم به وإنْ كانوا من أقرب الناس إليه كالآباء والإخوة [4] مما يؤكد أهمية الدعوة بين المرء وإخوانه فلا تنفع رابطة القرابة مهما قربت إذا انتفت رابطة الإيمان ومن هنا كانت فكرة البحث في موضوع (الدعوة بين الأخوة) لاسيما وأنني لم أجد من أفرد الدعوة بين الأخوة بمؤلف، أو بحث مستقل رغم أهميتها ضمناً في بعض الدراسات

=

الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (١/١٢٧)، ش: دار إحياء التراث العربي.

انظر: فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، ص ٩٢.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة (٥/١١٨) كتاب الظالم باب "اعن أخاك ظالماً أو مظلوماً" ح (٢٤٤٤) . أخرجه الإمام البخاري في صحيحة (٥/١١٨) كتاب الظالم باب "اعن أخاك ظالماً أو مظلوماً" ح (٢٤٤٤).

(٢). انظر: فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، ص ٩٢.

(٣). سورة التوبة، الآية (٢٣) .

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي (٣/٢١٢-٢١٣)، الناشر، مركز صالح الثقافي بعنيزه، عام ١٤١٢هـ.

المتعلقـة بالـدعوة بـين الأقـارب، أو دعـوة الأهـل، أو الـدعوة داخـل البيـت ونحوها مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع لأهميته وضرورته.

وقد قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى مباحث على النحو التالي:

- المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث.
- المبحث الثاني: أهمية الدعوة بين الأخوة.
- المبحث الثالث: نماذج للدعوة بين الأخوة.
- المبحث الرابع: ضرورة التعاون بين الأخوة لنشر الدعوة.
- المبحث الخامس: ثمار الدعوة بين الأخوة.
- الخاتمة.

المبحث الأول
التعـريف بالأخـوة

التعريف في اللغة:

الأخ أصله أخو بفتح الخاء ؛ لأنه جمع على أخاء مثل: آباء، فيقال في التثنية (أخوان) وفي الجمع يقال: إخوان، أيضاً و (إخوة) بكسر الهمزة، وضمها لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [1].

والأخت للأنثى والجمع أخوات [2].

والأخ من جمعك وإياه صلب أو بطن أو إياهما معاً، [3]

و أخا فلاناً يأخوه أُخوة، وإخاءة: اتخذه أخاً.

وأخّى فلاناً: قال له: يا أخي، وتأخيا: صاروا كالأخوين.

والآخيّة: الحرمة والذمة. [4]

التعريف في الاصطلاح:

مدلول الأخوة هو مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين (الأب والأم) أو من أحدهما (الأب أو الأم)، أو من الرضاع، وهذا الإخاء هو الأخوة في النسب وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ

---

(١) سورة النساء، الآية (١١) .

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (ا خ و) (٢٩٢/٤) .

(٣) انظر: المعجم الوسيط مادة (ا خ و) ص ٩.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي (٢١٢/٣-٢١٣)، الناشر، مركز صالح الثقافي بعنيزه، عام ١٤١٢هـ .

السُّدُسُ﴾[1]،و (أخ: الأصل أخو، وهو المشارك للآخر في الولادة في الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع)[2].

وتأتي الأخوة بمعنى الأخوة في الدين أو القبيلة أو في صنعة أو معاملة أو في مودة أو في غير ذلك.[3] قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**[4].

ذكر الإمام ابن حجر [5] – يرحمه الله – أن معنى الأخوة في هذه الآية " التوادد وشمول الدعوة "[6].

ونظرا لكثرة معاني الإخوة فقد ارتأيت أن يكون المعنى المقصود في هذا البحث الإخوة في النسب ذكوراً وإناثاً على حد سواء.

وأعني بهم ما كان يربطهم رابطة النسب كالاجتماع في الصلب أو البطن وهم الإخوة من أب وأم، وكذلك الإخوة لأب أو الإخوة لأم، فيقال: نسبه في بني فلان. هو منهم، والنسبة الصلة والقرابة [7]. وأعني بالدعوة هنا مفهومها الواسع بما في ذلك الاحتساب بدرجاته المختلفة.

---

(١) سورة النساء، الآية (١١).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص (١٣) .

(٣) انظر المرجع السابق، ص (١٣) .

(٤) سورة الحجرات، الآية (١٠) .

(٥) ابن حجر هو: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني الأصل المصري المولد. تفرد رحمه الله من بين أهل عصره في علم الحديث، وشهد له بالحفظ والإتقان . من أشهر مؤلفاته فتح الباري شرح صحيح البخاري والإصابة في تمييز الصحابة وتهذيب التهذيب وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٨٥٢هـ، انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، ص (٥٤٧) ش: مكتبة وهبة، ط: الأولى، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني (٧/١)، ش: مطبعة السعادة، ط: الأولى.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣١٧/٧) .

(٧) انظر: المعجم الوسيط، مادة (ن س ب)، ص (٩٥٣).

المبحث الثاني
أهمية الدعوة بين الأخْوة

الإخْـوة ثمـرات الوالـدين، وهـم أقـرب الأرحـام، وألـصقهم بـالنفس، وأحـبهم إلى القلـب، وهـم الـذين يقـضي معهـم الإنـسان صـدر حياتـه، أيـام الطفولـة والنمـاء، والـبراءة والنقـاء جنبـا إلى جنـب في البيـت والمدرسـة وعلـى الطعـام والـشراب، وأثنـاء الليـل والنهـار.. لـذلك أكـد النبـي ﷺ علـى أهميـة الإحـسان للإخـوة فيمـا رواه كلـيب بـن منفعـة عـن جـده[1] أنـه أتـى النـبي ﷺ فقـال:" يـا رسـول الله مـن أبـر؟ قـال: أمـك وأبـاك، وأختـك وأخـاك، ومـولاك الـذي يلـي ذلـك حـق واجـب ورحـم موصـولة " [2].ومـن مقتـضيات الـبر بـالأخ والأخـت الحـرص علـى وقايتهمـا مـن عـذاب الله تعـالى بأمرهمـا بـالمعروف ونهيهمـا عـن المنكـر.قال تعـالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وأهليكم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا**

---

(١) كليب بن منفعة هو: ابن منفعة الحنفي، روى عن أبيه عن جده ولم يذكر اسم جده هنا، قال ابن أبي خيثمة: لا يعرف اسمه، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٧/٣).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأدب (١١٩-١٢٠) باب في بر الوالدين ح(٥١٤٠)، (٣٥١/٥) وأخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب البر باب في بر الوالدين ح: ١٨٩٨ وقال: حديث حسن، وقال الألباني " حديث حسن انظر تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام،للشيخ محمد بن ناصر الألباني ص: ٣٠الناشر المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، وذكره الإمام البخاري في تاريخه الكبير تعليقاً انظر التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٣٠/٧) الناشر: دار الفكر.

يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

والوقاية تكون بأمرهم بطاعة الله، ونهيهم عن معصيته[2] وحينما يجتهد أفراد الأسرة بدعوة بعضهم البعض فان البيت المسلم سينعم ببناء قوي أساسه تقوى الله، فحينما يقوم الراعي داخل البيت بواجب الرعاية التي وجه إليها النبي ﷺ بقوله (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) [3] ينمو لدى الأسرة الشعور بأهمية الاجتماع والتعاون فيما بينهم، ويحرص كل فرد منهم – غالباً – على إعانة الآخر والأخذ بيده بما في ذلك الأخوة بعضهم مع بعض إذ يجدر بهم التعاون على الخير والتواصي به، ويحظى الأخ الأكبر غالبا بالمكانة العظيمة في أسرته لتحمله أعباء الأسرة.

فيكون بمنزلة الأب من حيث الرعاية لأخوته، والإحسان إليهم، وإعانتهم على الخير، وإذا غرس الوالدان في نفس الابن الأكبر العطف والحنان على إخوته الصغار والرعاية لهم، وفي نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير ؛ فإن الأسرة ستسير سيرا متوازناً يعرف كل فرد منها واجبه نحو الآخر قبل أن يبحث عن حقه عليه [4]. وسيكون – تبعا

---

(١) سورة التحريم الآية(٦) .

(٢) انظر جامع البيان في تفسير القران لأبي جعفر الطبري ١٠٧/١٢

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة كتاب الجمعة، باب (١١) الجمعة في القرى والمدن (٢١٥/١) وكتاب الاستقراض باب (٢٠) العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه (٨٨/٣) وكتاب العتق باب (١٧) كراهية التطاول على الرقيق (١٢٥/٣) وباب (١٩) العبد راع في مال سيده (١٢٥/٣) وغيره.

(١) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور بن عبد الحفيظ سويد، ص (١٦٦) الناشر: مكتبة دار المنار الإسلامية، دار طيبة.

لذلك – لديه شعور بالمسؤولية في القيام بدعوتهم إلى الصراط المستقيم، ومحاولة إعانتهم على التعاون على القيام بأعباء الدعوة، وحثَّ الإسلام على رعاية الإخوة والعناية بتقويمهم بما في ذلك الأخوات،

فقدبيَّن النبي ﷺ فضل رعاية الأخوات والإحسان إليهن بقوله: (من عال ابنتين، أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات حتى يمتن أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين)أشار بإصبعية السبابة والوسطى.[1] ومن أعظم أنواع الرعاية دعوتهن إلى الخير، والعمل على استقامة سلوكهن، وفقه صحابة النبي الكريم ﷺ أهمية الإحسان إلى الإخوة والعناية بهم، وإرشادهم إلى الصواب.

فعن جابر بن عبد الله [2]– رضي الله عنهما – قال: هلك أبي وترك سبع بنات فتزوجت امرأة ثيباً فقال لي رسول الله ﷺ تزوجت يا جابر، فقلت: نعم، فقال: (بكراً أم ثيباً). قلت: بل ثيباً قال: (فهلا جارية تُلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك قال: فقلت له: إن عبد الله[3] هلك وترك بنات وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحِهن فقال: (بارك الله لك) أو خيراً [4] .

---

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/١٤٧–١٤٨) والإمام ابن حبان ح(٢٠٤٥) بإسناد صحيح على شرط الشيخين. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (٢٩٦) (٥٢٩/١).

(٣) هو أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن جابر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي السلمي من الصحابة المكثرين من رواية الأحاديث توفي سنة ٧٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٩/٣) .

(٣) عبد الله: يعني والده والد جابر ﷺ . اسمه عبد الله بن ثعلبة بن حرام صحابي جليل أحد النقباء ليلة العقبة ﷺ، انظر المرجع السابق (٣٢٤/١) .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع، باب (٣٤) شراء الدواب والحمير (٣، ١٥)، وكتاب الاستقراض باب (١٨) الشفاعة في وضع الدين (٨٦/٣).

=

فجــابر ﷺ اختــار أن يتــزوج مــن الثيــب لتعينــه علــى تربيــة أخواتــه وتصلحهن[1] فأقر النبي ﷺ فعله ودعا له بقوله ﷺ: (بارك الله لك) وفي رواية أنه ﷺ قال له: (أصبت) [2] وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أهمية الاعتناء بالأخوات وتقويمهن وإرشادهن إلى الطريق السوي.

مما يؤكد أهمية الدعوة بين الأخوة ومشروعيتها، جاء عن عقبة ابن عامر الجهني [3] ﷺ قال: نَذَرتْ أختي أن تمشي حافية إلى البيت غير مختمرة فسألت النبي ﷺ فقال: (مُرْ أختك أن تختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام) [4] وفي رواية أنه ﷺ قال: (اذهب إلى أختك فقل لها تركب وتتقنع)[5].

يؤكد النبي ﷺ من خلال هذا الحديث على أهمية الدعوة بين الأخوة فجاء في الرواية الأولى (مُر أختك) وفي الثانية (اذهب إلى أختك) فعلى الأخوة القيام بهذا الأمر العظيم بينهم، وعدم إغفاله ونحن في هذا العصر نحتاج إلى إحياء هذا الجانب في نفس الأخوة بعضهم مع بعض لا سيما وأنه يلحظ في بعض البيوت إغفال دور الأخ أو تجاهله من حيث الإصلاح والتقويم لما يراه من خلل أو قصور على إخوته ذكوراً وإناثاً. فبعض الدعاة،

=

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧) كتاب الرضاع (١٥) باب استحباب نكاح ذات الدين (٥٤) ح (٧١٥) ٢/ (١٠٨٧) .

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري (٢٥/٩) .

(٢) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (١٨)، (٣١/٥).

(٣) هو ابن عبس بن عمرو بن عدي الجهني، له صحبة روى عن النبي ﷺ كثيراً . مات ﷺ في خلافة معاوية انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٩/٢) .

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٨) كتاب النذور والإيمان باب(١٧) ح (١٥٤٤) (١١٦/٤) قال أبو عيسى حديث حسن.

(٥) هذه الرواية في مسند الإمام لروياني، ح (٢٥٥)، (١٩٢/١)

يبذل دعوته للآخرين، ويغفل عن عشيرته الأقربين وبخاصة في هذا العصر، وربما دخل في ذلك شيء من حظوظ النفس كطلب السمعة والذكر بين الأقران أو لربما، كان الداعية حريصاً على دعوة أقاربه من أب أو أم أو أخ أو أخت ونحوهم، ولكنه قد يحتار في الوسيلة والأسلوب الذي يسلكه معهم وربما يكون الخوف أو الحياء مانعاً من دعوته إياهم [1].

كما ينعدم في بعض البيوت الدور الفاعل للأخت تجاه إخوتها وانشغالها مع قريناتها، وكأن الدعوة والإرشاد للغريب دون القريب.

عليه يلزم التأكيد على إحياء الدور الدعوي المتبادل بين الأخوة داخل البيت وخارجه، فالدعوة إلى الله تعالى دعوة إسلامية عامة وشاملة للصغير والكبير القريب والبعيد. كما يتأكد أهمية مراعاة الأساليب الدعوية الملائمة لدعوة الأخوة كل بحسبه صغيراً كان أم كبيراً.

(١) انظر دعوة الأقربين: ص: (٤٧٢)

المبحث الثالث

نماذج للدعوة بين الأخوة

١- دعوة موسى [(١)] عليه السلام لأخيه هارون [(٢)] عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[(٣)].

نبي الله موسى – عليه السلام – دعا أخاه عليه الصلاة و السلام إلى الصلاح وعدم إتباع طريق العصاة واختار لذلك عبارات موجزة واسعة المعنى [وأصلح] وكانت دعوته له –عليهما الصلاة والسلام–دعوة صريحة سلك موسى عليه الصلاة و السلام فيها مسلك التوجيه المباشر حيث نصحه مباشرة وجمعت هذه النصيحة بين الأمر والنهي فالأمر بقوله لأخيه: [وأصلح] والنهي بقوله لأخيه: [ولا تتبع سبيل المفسدين] أي الذين يعملون المعاصي.[(٤)]

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ◆ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ

---

(١) موسى عليه السلام هو أحد أنبياء الله اسمه موسى بن عمران بن يصهر بنت فاهت من سبط لاوي ابن يعقوب ولد بأرض مصر وهو من أولي العزم من الرسل مات في الأرض المقدسة، انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٩٨/١)، ش: دار المعارف، ط: الثالثة.

(٢) هارون عليه السلام هو نبي الله هارون بن عمران ولد قبل موسى عليهما الصلاة والسلام بسنة، انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٣٠/١)، ش دار الكتب العلمية، ط: الأولى.

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٢) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧٧/٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٧/٣) .

(٢) سورة طه الآية:٩٢

أَمْرِي﴾[٢].

إنكار موسى عليه السلام على أخيه هارون ما رآه من ضلال قومه وزجره بالقول [ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني] ما منعك أن تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك لهم زاجرة لفعلهم.[١]

ثم قال موسى منكراً على هارون عليه السلام [أفعصيت أمري] بالصلابة في الدين والمحامات عليه واشتد غضبه بما رآه من جراءة قومه على عبادة العجل في غيبته عنهم فأخذ بشعر رأس أخيه ولحيته عليه السلام فقال له هارون عليه السلام: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ ثم بين له سلامة موقفه، وصفاء عقيدته له. وذكر تعليلاً لموقفه بكل رفق. ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ فعلى الرغم من أن نبي الله هارون أكبر سناً من أخيه موسى عليه السلام إلا أنه راعى جانب غضب موسى لله تعالى فتأدب معه في الحديث، وذكر له سبب بقائه مع قومه خشية أن يحدث فيهم الفرقة والشقاق.

وهذه الدعوة الموجهة إلى نبي من أنبياء الله إنما هي من باب التنبيه والتذكير، وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله له وجاهته ومكانته – صلوات الله وسلامه عليه – وسائر الأنبياء[٢] وعلى هذا الأساس فإن الأتقياء والصالحين من الناس عامة، ومن الإخوة خاصة بحاجة إلى التذكير والتنبيه اقتداء بذلك الموقف الدعوي بين موسى وهارون عليهما السلام كما أننا بحاجة إلى الاقتداء بهذا الأدب العظيم من الأخ

---

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/٣٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٤٤)، ش: دار الفكر ١٤٠٠هـ، ط: الأولى .

المدعو مع أخيه الداعية وإن كان أصغر منه سناً.

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أنه مهما بلغت درجة صلاح الأخ فليست مغنية عن توجيه الخطاب الدعوي إليه حسب ما يقتضيه الحال [1].

وقد يُبْتلى الأخ بأخ يسيء لنفسه بارتكاب المعاصي مما يستلزم مبادرة أخيه إلى تذكيره للعودة إلى طريق الحق والصواب، وتبصيره بالحق، وتحذيره من الباطل.

٢- موقف النبي ﷺ من أخته:

من المتفق عليه إن النبي ﷺ بعث إلى الناس كافة [2]، قال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [3]، فدعوته شاملة وعامة للرجال والنساء على حد سواء وفي معرض حديثي عن الدعوة بين الإخوة أورد هنا نموذجاً لحرص النبي ﷺ على دعوة أخته – رضي الله عنها – وبيان الحق لها فقد ذكر الحافظ بن عبد البر [4] أنه غارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن [5]، وأخذوها فيمن أخذوا من السبي فقالت لهم: أنا أخت صاحبكم، فلما قدموا بها على

---

(١) انظر: دعوة الأقربين في القرآن الكريم للدكتور سليمان بن قاسم العيد مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٥٤)، ص (٥١٤، ٥١٥) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٢٤٤) .

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥) .

(٤) هو الإمام العلامة حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، القرطبي الأندلسي، صاحب التصانيف الفائقة، توفي رحمه الله سنة (٤٦٣هـ)، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/٣١٥) .

(٥) هوازن: قبيلة معروفة مشهورة من أكبر قبائل العرب.

رسول الله ﷺ قالت له: يا محمد أنا أختك، وعرَّفته بعلامة عرفها فرحب بها، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، ودمعت عيناه وقال: (إن أجبت فأقيمي عندي مكرَّمة مُحببة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك أوصلتك فقالت: بل أرجع إلى قومي) فأسلمت فأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء) [1].

ومن خلال موقف النبي ﷺ هنا يتبين أن الأخت تتمتع غالباً لدى أخيها بمنزلة خاصة وما كان ترحيب النبي ﷺ بأخته من الرضاعة وبسطه رداءه لها إلا تعبيراً لتلك المنزلة [2] وتتويجا لتلك المودة والمحبة عرض عليها النبي ﷺ الدعوة حين دعاها الإسلام بقوله: (إن أجبتِ) فأسلمت – رضي الله عنها – واختارت العودة إلى أهلها فأكرمها بما أعطاها إياه تقديراً لمنزلتها عنده ﷺ.

٣- عبد الرحمن بن أبي بكر [3] رضي الله عنهما وأخته عائشة[4] في رحلة الحج:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: يا رسول الله: أيرجع الناس بأجرين

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٨٧٠/٤- ١٨٧١) وهذا الاثر ذكره ابن حجر في الفتح انظر كتاب السيرة الحلبي(ة ١/ ١٧٠).

(٢) انظر: مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٢٠-٢١) .

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة كان اسمه ﷺ عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ. تأخر إسلامه إلى أيام الهدنة فأسلم وحسن إسلامه توفي ﷺ سنة ٥٣هـ وقيل غير ذلك، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (٤٠٧/٢) ش: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

(٤) هي ابنة أبي بكر الصديق ﷺ – أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت أحاديث عديدة عن النبي ﷺ وروى عنها جمع من الصحابة والتابعين توفيت رضي الله عنها سنة ٥٧هـ وقيل سنة ٥٨هـ . انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥٠١/٥) .

وأرجع بأجر؟ فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن ينطلق بها إلى التنعيم [1] قالت: فأردفني خلفه على جمل له، قالت: فجعلتُ أرفع خماري أحسره [2] عن عنقي فيضرب رجلي بعِلة [3] الراحلة، قلتُ له: وهل ترى من أحد ؟! قالت: فأهللتُ بعمرة ثم أقبلنا حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو بالحصبة[4] .

ومن خلال هذا الموقف بين عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وأخته عائشة – رضي الله عنهما – يتبين قيام كل منهما بتوجيه الآخر فعبد الرحمن رضي الله عنه حينما رأى ما ظنه منكراً أنكر عملياً على أخته فعلها حينما رفعت الخمار عن وجهها، أما عائشة – رضي الله عنها – لفقهها في أحكام الحج فقد كانت مُحْرِمة وحينما لم تَرَ أحداً كشفت عن وجهها ولما أنكر عليها أخوها هذا الفعل كان أدبها في الحديث معه بالاستفهام عن إن كان هناك أحد يراها !! فالمحرمة تكشف عن وجهها عند عدم وجود الرجال الأجانب عنها.

وفيما مر يتضح تكريم الإسلام للمرأة بأن حظيت بالرعاية والاهتمام بكون الأخ محرماً لها، وفيه درسٌ عظيمٌ للدعاة إلى الله تعالى حيث ضربت عائشة – رضي الله عنها – مع أخيها نموذجاً عظيماً في التناصح وتدارس العلم بين الأخوة.

---

(١) التنعيم: موضع بمكة المكرمة، انظر: معجم البلدان (٤٩/٢) .

(٢) أحسره: أي أكشفه وأزيله: انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (حسر) (٣٨٣/١).

(٣) عِلة: عِلة الراحلة بسببها فيُظهر أنه يضرب جنب البعير برحلة وإنما يضرب رجلي / انظر: المرجع السابق مادة (علل) (٢٩١/٣) .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العمرة باب (٦) عمرة التنعيم (٢٠٠/٢)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥) كتاب الحج (١٧) باب بيان وجوه الإحرام (١١٢) (٨٧٠/١) و(١٣٤)ح:١٢١٢، ٨٨٠/١ واللفظ له.

٤- سفانة بنت حاتم الطائي [١] تدعو أخاها للإسلام:

ذكر ابن إسحاق [٢] أن عدي بن حاتم [٣] كان يقول: ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع [٤]، وكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبالك، أعدد لي من إبلي أجمالاً ذللاً سماناً، فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني، ففعل، ثم أنه أتاني ذات غداة فقالت: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فأني قد رأيت رايات، فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد.

قال: قلت: فقرب إلي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت الحق بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الحوشية [٥]، وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها، وتخالفني خيل رسول

---

(١) سفانة بنت حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس ... بن طيء أبوها حاتم الجواد الموصوف بالجود وهي من فضليات النساء ومن أجود النساء أسلمت فحسن إسلامها رضي الله عنها، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ص (١٨٣٦) .

(٢) ابن إسحاق هو: أبو عبد الله محمد بن إسحاق يعتبر أول مؤرخ عربي كتب سيرة رسول الله ﷺ قضى معظم حياته في المدينة توفي رحمه الله سنة (١٥١هـ) انظر: سيرة ابن إسحاق في مقدمة السيرة النبوية لابن هشام ش: مكتبة الرياض.

(٣) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، صحابي شهير كان ممن ثبت في الردة، حضر فتوح العراق وحروب علي، مات سنة ٦٨هـ .

(٤) المرباع: هي النوق التي تلد في أول النتاج وقيل هي التي تبكر في الحمل، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٩/٢) .

(٥) الحوشية: الحوشي: رجل بالدهناء، انظر: معجم البلدان.

الله ﷺ فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام.

قال: فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس بها ، فمرَّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة.

فقالت: يا رسول الله هلك الولد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ من الله عليك.

قال: (ومن وافدك ؟)

قال: عدي بن حاتم.

قال: (الفار من الله ورسوله)،

قالت: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان الغد مرَّ بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس.

قالت: حتى إذا كان بعد الغد مَرَّ بي، وقد يئست فأشار إليّ رجل خلفه أن قومي فكلميه.

قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الولد ، وغاب الوافد ، فامنن علي من الله عليك.

فقال ﷺ: (قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني).

فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن كلميه فقيل لي: علي بن أبي طالب [1].

---

(١) هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ولد قبل البعثة بعشر سنين تربى في حجر النبي ﷺ وروى عنه كثيراً من الأحاديث انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٥٠٧) .

قالت: فقمت حتى قدم من بلي أو قضاعة [1] قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فو الله إني لقاعد في أهلي، فنظرت إلى ظعينة تصوب إلى قومنا، قال: فقلت، ابنة حاتم قال: فإذا هي هي، فلما وقفت علي استحلت تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك.

قال: قلت: أي أخيه لا تقولي إلا خيراً فو الله مالي من عذر لقد صنعت ما ذكرت.

قال: ثم نزلت فأقامت عندي.

فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت.

قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه، فقال: (من الرجل ؟).

فقلت: عدي بن حاتم فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته، فو الله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها.

قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك،

---

(١) قضاعة: قبيلة عربية تضم أشهر قبائل العرب لها عريقة في تاريخ العرب.

قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ.

فقال: (اجلس على هذه).

قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها.

قال: بل أنت.

فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.

قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: (إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً).

قال: قلت بلى !

قال: (أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع !).

قال: قلت: بلى.

قال: (فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك).

قال: قلت: أجل ! والله.

قال: (وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل).

ثم قال: (لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه إنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من

أرض بابل [١] قد فتحت عليهم).

قال: فأسلمت.

قال: فكان عدي يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه. [٢]

فسفانة ابنة حاتم الطائي حينما رجعت إلى أخيها أنكرت عليه ابتداءً تركه لها بقوله: [القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك)، ثم أرشدته إلى سرعة الاستجابة لدعوة النبي ﷺ بقولها: أرى والله أن تلحق به سريعاً ثم بينت له فضل ذلك بقولها لأخيها: فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله فأخذ عدي برأيها فأتى النبي ﷺ وأخبره بإسلامه.

٥- موقف عبد الله بن رواحه [٣] من بكاء أخته عليه:

عن النعمان بن بشير [٤]- رضي الله عنهما - قال: أغمي على عبد الله بن رواحه فجعلت أخته عمره [٥] تبكي، واجبلاه، وكذا، وكذا - تعدد

---

(١) بابل: مدينة عراقية عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧٧/٥)، والسيرة النبوية لابن هشام (١٦٦/٤-١٦٧).

(٣) عبد الله بن رواحه هو: ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة أبو عمرو الأنصاري الخزرجي البدري صحابي جليل روى عدداً من الأحاديث عن النبي ﷺ استشهد في غزوة مؤتة ﷺ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٠/١) ش: مؤسسة الرسالة، ط: السابعة.

(٤) النعمان: هو ابن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي له ولأبيه صحبة - رضي الله عنهما - توفي سنة (٦٥هـ) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥٥٩/٣) .

(٥) عمره هي ابنة رواحه بن ثعلبة الأنصارية زوجة الصحابي بشير بن سعد والد النعمان بن بشير رضي

=

عليه –فقال حين أفاق: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك[1].

فعبد الله بن رواحه ﷺ أنكر على أخته فعلها ونهاها عن الاسترسال في الندب والبكاء ورفع الصوت [2] عليه، فما كان منها رضي الله عنها إلا الاستجابة وترك ما نهاها أخوها عنه حيث جاء عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – أنه قال: أغمي على عبد الله بن رواحه،.. إلى أن قال: فلما مات لم تبكِ عليه [3].

=

الله عنهما، انظر: المرجع السابق (٣٦٦/٤) .

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (٤٤) غزوة مؤتة من أرض الشام (٨٨/٥).

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري (٥٩٠/٧) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (٤٤) غزوة مؤتة من أرض الشام (٨٨/٥) .

المبحث الرابع
ضرورة التعاون بين الأخوة لنشر الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى لم تعد مقتصرة على المحاضرات والخطب وإنما – بالإضافة إلى ذلك – تنشد الارتقاء بمستوى الفرد والمجتمع لتحقيق البناء السليم، وتكوين المجتمع المتآلف القائم بالعبادات الصحيحة، والمتصف بالأخلاق الكريمة التي تبعده عن ارتكاب الأخطاء والمعاصي تحقيقا لضرورة التعاون بين الدعاة، وجميع المسلمين ؛ لإيجاد إستراتيجية جيده لضمان نجاح الدعوة الإسلامية، واستمرارها وتخطيها لبعض تحديات الدعوة المعاصرة، وإن اختلفت الأساليب والوسائل بين الدعاة.

ولعل أولى الخطوات التي يجب أن يهتم بها الداعية – بعد الاستعانة بالله تعالى – هي الإفادة من إخوته، وتفعيل دورهم، واستقطاب طاقاتهم؛ للمساهمة في بناء الأسرة أولاً وبناء المجتمع ثانياً.

وللأخ دوره الفاعل إذا أحسن الداعية الاستفادة منه وتفعيله فالداعية يبدأ بنفسه، وبأهل بيته، ويحرص على التعاون معهم لاستمرار زرع الخير ولتحقيق الحصانة لأهل بيته لا سيما وأن وقاية الأهل، ودفعهم للخير ضرورة أمر الله بها ؛ لوقايتهم من عذاب الله تعالى –كما مر بنا– قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾** [(١)].

ولا ينحصر أمر التعاون على مراقبة أهل البيت، وإعانتهم على الخير،

---

(١) سورة التحريم، الآية (٦) .

ومنعهم من الشر وإنما يجد الداعية ثمرة التعاون والمؤازرة إذا استعان بأخيه في مهام الدعوة إلى الله تعالى في سائر الأماكن.

وإذا تأملنا في دعوة نبي الله موسى عليه السلام نجد أنموذجاً حسياً في الاستفادة من الأخ في الدعوة إلى الله تعالى، والتعاون معه لبيان الحق والإرشاد إليه.

يقول تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ◆ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي◆ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ◆ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي◆ يَفْقَهُوا قَوْلِي◆ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ◆ هَارُونَ أَخِي ◆ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ◆ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي◆ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا◆ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا◆ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا** ﴾[١].

فحينما أمر الله ﷻ النبي موسى عليه السلام بأن يذهب إلى دعوة فرعون نجد أن موسى عليه السلام دعا الله ﷻ وطلب الإعانة بأخيه لتبليغ الرسالة. ولتقوى به نفسه[٢] وجاء أمر الله تعالى لموسى وأخيه هارون – عليهما السلام – ليقوما بأمر الرسالة في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا◆ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا** ﴾[٣]، فالخطاب الإلهي في هذه الآية لموسى وأخيه[٤] عليهما السلام.

فتعاون موسى مع أخيه هارون – عليهما السلام – وبلغا ما أمرهما الله به.

---

(١) سورة طه، الآيات (٢٤-٣٥).
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ح ١١/١٩٢-١٩٣).
(٣) سورة طه، الآيات (٣٥-٣٦).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج (١٣/٣٠).

وقد أثار هذا غضب فرعون وقومه فذكر الله تعالى أنهم اتهموا موسى وهارون – عليهما السلام – بالسحر قال تعالى: ﴿ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾[(1)(2)] قالوا سحران بدلاً عن ساحران لشدة التأكيد، ومعنى تظاهرا أي تعاونا مما يدل على استنكارهم لهذا التعاون والتآزر بين الأخوين والذي كان له أثره العظيم في قيامهما بالدعوة.

وحين يتعاون الأخ مع أخيه فيوحدا جهودهما في الدعوة ؛ تعظم الثمار، وتكون النتائج مضاعفة بإذن الله ولما كانت الإخوة ذات تأثير في تحقيق الأهداف الكبيرة أولى نبي الأمة ﷺ هذا الأمر كل اهتمام فأقام المجتمع بعد الهجرة إلى المدينة على دعائم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار مما أزال الفرقة بين النفوس، ووحد الكلمة بين القلوب يقول تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[(3)] وانعكس ذلك على تمكين الدعوة في المجتمع الجديد.

فأنعم الله تعالى عليهم بالدين الذي جمع كلمتهم، وألف بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بسبب ما قذفه الله في قلوبهم من الألفة والمحبة.

وأثمرت المؤاخاة بين الصحابة ﷺ الألفة بينهم وهذه الألفة تعد إحدى القواعد المهمة التي يصلح بها حال الإنسان ذلك أن المرء إذا كان آلفاً

---

(1) سورة القصص، الآية (48) .

(2) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (10/54) .

(3) سورة آل عمران، الآية (103) .

مألوفاً انتصر بالألفة على أعاديه، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم.[1]

وإذا كان للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أثرها في إمداد الدعوة الإسلامية وانتشارها فإنه حريّ بأفراد المجتمع اليوم تقوية رابطة الأخوة بين المؤمنين أولاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2]. مع الحرص على القضاء على ما يعتري العلاقات الاجتماعية من منغصات قد تؤثر على سير الدعوة.

إلا أن مما يؤسف له أننا نرى التقاطع والتباغض بين الإخوة الدعاة فترى كلا يعمل بمعزل عن أخيه ؛ فتتبعثر الجهود، وتختلف الآراء، ويترتب على ذلك فوات مصالح كبيرة، فان تحقيق الألفة والمودة في البيوت مقصد شرعي مما يؤكد وجوب إصلاح العلاقات بين الإخوة وتحقيق الاجتماع على القيام بواجب الدعوة،

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١١/٤٠٥) .

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين (للماوردي) ص (١٤٨) .

المبحث الخامس

ثمـار الدعـوة بيـن الإخـوة

أولاً: الاقتداء بدعوة النبي ﷺ:

ويكـون ذلـك بـان يبـدأ الداعيـة ببره وخيره بأقاربـه الـذين هـم إخوانـه وهذا مأخوذ من فعل النبي ﷺ حينما بدأ دعوته بأقاربه امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1].

ثانياً: تحقيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل البيت:

فحينمـا يقـوم الأخ بـدعوة إخوتـه فإنـه سيسـاهم في إحيـاء هـذه الشعيرة داخل بيته وبين إخوته.

ثالثاً: القيام بالدعوة من أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة:

وقيام الأخ بالدعوة بين إخوته يثمر فوزه وفلاحه يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[2].

فالداعيـة إلى الله حينمـا يوجـه الـدعوة إلى إخوتـه فإنـه يظهـر أنموذجـاً للحرص على فلاح أخيه، وجلب الخير له.

رابعاً: القوة والمنعة ووحدة الصف:

فممـا لا شـك فيـه أن الوحـدة والتكـاتف تحقـق القـوة والمنعـة وحينمـا نتأمل دعوة النبي موسى عليه السلام نجد أنه استعان بأخيه في الدعوة قال

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

تعالى: مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (1).

فمعنى قوله تعالى: سنشد عضدك سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور (2).

وحينما يتعاون الأخ مع أخيه للقيام بالدعوة ففي ذلك القوة والمنعة بإذن الله تعالى.

خامساً: الطمأنينة والاستقرار داخل البيت:

فالبيت حينما يقوم على تقوى من الله تعالى فسيعمه الأمن النفسي، والاستقرار لوجود الحصانة الذاتية بين أفراده بل إن هذا الاستقرار سيمتد نفعه إلى المجتمع.

سادساً: قوة المجتمع وتماسكه:

لقد حققت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ثماراً يانعة وكان لها دورها العظيم في وحدة الصف، وقوة المجتمع المسلم في عهد النبي ﷺ فواجه الصحابة – رضوان الله عليهم – حينما آخى بينهم النبي ﷺ أكبر التحديات، وحينما يتكاتف الأخوة، وتتوحد كلمتهم يكونون صفاً واحداً قائمين بالدعوة داخل البيت وخارجه فإن ذلك سيساهم في المحافظة على قوة المجتمع.

سابعاً: ظهور المثل الأعلى والقدوة الصالحة في المجتمع:

مما لا شك فيه أن حب الأخ لأخيه، وتآزره معه في الدعوة، وفعل الخير

---

(1) سورة القصص، الآية (35).

(2) انظر: تفسير أبي السعود، (4/13).

سيظهر للمجتمع المبادئ العظيمة للإسلام وبناءه العلاقة بين الأخوة، وتعاونهم على الخير، وإذا رأى غير المسلمين هذه القوة وتلك الأخوة المتلاحمة فإن هذا سيدفعهم للنظر في هذا الدين الذي ألف ووحد بين القلوب، وسيرون الصورة المشرقة، والمثل العليا التي من المنتظر إخراجها للمجتمع من جميع الأفراد لإزالة ما هو عالق بأذهان الأعداء عن بعض المسلمين، وما هم عليه من الخلافات.

وخلاصة الثمار ! أنه كلما نمت وترعرعت العلاقة بين الأخ وأخيه وتكاتفا في الدعوة إلى الله تعالى ؛ فإن العمل للإسلام سينمو ويزدهر، وستجنى الثمار الطيبة للبناء الأخوي الذي يسير وفق (أدب الأخوة) مترجماً في تناصح وتكافل وتحاب يجمع القلوب، ويعمها التحالم – إن لم يكن الحلم – مثلما يعلمها المكافأة والوفاء، والشكر عند إسراع المبادر. [1]

---

(١) انظر: فقه الأخوة لمحمد أحمد الراشد (٢/١).

الخاتمــة

أحمد الله ﷻ وأثني عليه ثناءً حسناً لتوفيقه وإعانته، وأصلي وأسلم على النبي المصطفى الذي دعا فألف وآخى ووحد الكلمة ﷺ تسليماً كثيراً. أما بعد:

فقد أتمت الباحثة بحمد الله تعالى كتابة هذا البحث عن (الدعوة بين الأخوة) والذي توصلت من خلاله لعدد من النتائج ومنها:

- إن من مقتضيات البر والإحسان للإخوة دعوتهم إلى إصلاح نفوسهم وتقويم أخلاقهم،
- إن للدعوة بين الإخوة أهميتها في قوة بناء البيت المسلم وحصانته.
- إن في الإخوة معانياً كبيرة وكثيرة قد أشارت إليها النصوص القرآنية الشريفة كرفع الهم، وشد العضد، وزيادة القوة ومن هذه النصوص قوله تعالى لموسى (عليه الصلاة السلام): ﴿**قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ (سورة القصص: ٣٥).
- من خلال الدعوة بين الإخوة يتحد الصف داخل البيت، ويعم الأمن والاستقرار النفسي غالبا؛ مما يؤكد أهمية تفعيل الدعوة بين الإخوة،
- وفي خاتمة هذا البحث تضع الباحثة بعض التوصيات والمقترحات والتي أسأل الله تعالى أن ينفع بها ومنها:

١- ضرورة مبادرة الوالدين للبدء منذ الصغر في مزاولة الدعوة داخل البيت، وحث الأبناء عليها.

٢- إزالة الفروق والخلافات الأسرية،

٣- دعم الدعوة ومن يقوم بها ، وتذليل العقبات التى تواجهها.

٤- مبادرة الوالدين أو أحدهما لتخصيص درس يومي أو أسبوعي يجمع الأسرة ويوضح لها الأحكام والآداب.

٥- التأكيد على استمرار الدعوة بمختلف الأساليب والوسائل والتخطيط لها.

ولنتذكر جميعاً أن الدعوة بين الأخوة خاصة، والأقارب عامة تأخذ طابع اليسر والسهولة ؛ لسرعة الوصول إلى الأقارب، والالتقاء بهم، وعدم التكلف، معهم. مما يعني ضرورة القيام بها ، لاسيما في هذا العصر الذي يلحظ فيه التفكك، الأسري، والفرقة بين الأخوة عند بعض الأسر.

ختاماً أسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا ، وأن ينعم علينا بالتوفيق للقيام بأمر الدعوة إليه في أسرنا ، ومجتمعنا وأينما كنا.

وعلى اله وصحبه أجمعين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجــع

١- القران الكريم

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٢٨هـ.

٥- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، الناشر: دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد الشوكاني، الناشر: مطبعة السعادة بمصر، الطبعة: الأولى ١٣٤٨هـ.

٧- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

٨- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف، علي بن محمود بن سعود الخزاعي أبو الحسن، تحقيق: د. إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، الناشر: دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي، الناشر: مركز صالح الثقافي بعنيزة، عام ١٤١٢هـ.

١١- جـامع البيـان عـن تأويـل آي القـرآن، لأبـي جعفـر محمـد بـن جريـر الطبري، الناشر: دار الريان للتراث، ودار الحديث بالقاهرة، الطبعة ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

١٢- الجـامع لأحكـام القـرآن لأبـي عبـد الله محمـد بـن أحمـد الأنـصاري القرطبي، الناشر: دار عالم الكتب.

١٣- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.

١٤- الـسيرة النبويـة لابـن هـشام، الناشـر: المطبعـة الفنيـة للطبـع والنـشر والتجليد العباسية، بمصر.

١٥- شـذرات الـذهب في أخبـار مـن ذهـب، لابـن العمـاد، شـهاب الـدين أبـي الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

١٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله البخاري، الناشر: دار الدعوة ودار سحنون بتونس، الطبعة الثانية.

١٧- صـحيح مـسلم، للإمـام أبـي الحـسين مـسلم بـن الحجـاج، الناشـر: دار الدعوة، ودار سحنون بتونس، الطبعة: الثانية.

١٨- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر، الطبعة، ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

١٩- طبقـات الحفـاظ، الحـافظ جـلال الـدين عبـد الـرحمن الـسيوطي، تحقيق: علي بن محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م.

٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، الناشر:

السلفية، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٢١- فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، الناشر: دار التوزيع والنشر، القاهرة، الطبعة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م .

٢٢- فقه الأخوة لمحمد أحمد الراشد.

٢٣- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الناشر: دار الجيل، بيروت.

٢٤- الكامل في التاريخ، للإمام محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

٢٥- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، الناشر: دار صادر بيروت.

٢٦- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع والخمسون، ربيع الآخر، ١٤٢٧هـ.

٢٧- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ودار القبلة للثقافة الإسلامية، سنة الطبع ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٨- مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للدكتور فضل إلهي، الناشر: إدارة ترجمان إسلام باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٩- معاني الأخوة ومقاصدها للدكتور محمود محمد بابلي، ط ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٠- معجم البلدان، الإمام شهاب أبو عبد الله ياقوت الحموي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٣١- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفيفٌ من المستشرقين، نشره الدكتور: أبي ونسنك، الناشر: دار الدعوة، استانبول، سنة ١٩٨٦م.

٣٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الحديث، خلف جامع الأزهر، ودار الرياض للتراث، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

٣٣- المعجم الوسيط، للدكتور: إبراهيم أنيس (وجماعة) الناشر: دار الفكر.

٣٤- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق: محمد السيد الكيلاني، الناشر: شركة البابي الحلبي بمصر سنة الطبع ١٣٨١هـ /١٩٦١م.

٣٥- منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور بن عبد الحفيظ سويد، الناشر: مكتبة دار المنار الإسلامية، الكويت، ودار طيبة بمكة المكرمة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.

٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

٣٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، الناشر: فرانز شتاير، الطبعة: ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م.

مطابع الجامعة

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه .

٢- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية .

٣- تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية .

٤- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية .

٥- تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها .

المملكة العربية السعودية
ص.ب ٤٨٤٧ الرياض ١١٤١٢
هاتف - فاكس: ٢٥٨٥١٣٢
www.dawastud.org

مطابع الجامعة

ردمد : ٣٨٨٤ - ١٦٥٨

الجمعية السعودية
للدراسات الدعوية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

بصيرة

العدد الثاني
محرم ١٤٢٠هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد الثاني

محرم ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمد: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

قواعـــد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٢- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٣- أن تتحقق له السلامة اللغوية.

٤- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٥- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٦- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٧- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه،

والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغة العربية بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (**A4**).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (**Microsoft Word**) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (**A4**) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، أو إرساله عبر البريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١- ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

الفهـــــرس

أصول الإقناع في الخطاب الدعوي .... د.محمد بن خالد البداح	١١- ٨٠
سماحة الأخلاق وأثرها في الدعوة إلى الله .... د. حمزة بن سليمان الطيار	٨١- ١٤٨
الدعوة وإعجاز غيب المستقبل المفهوم والعلاقة .... د. محمد بن إبراهيم الزهراني	١٤٩- ٢١٠
أهمية الأناة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى .... د. حمود بن جابر الحارثي	٢١١- ٢٧٦
الهدية وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى .... د. الجوهرة بنت محمد العمراني	٢٧٧- ٣١٢
العلاقة بين القول والعمل وأثرها في الدعوة إلى الله .... د. حسن بن عائض آل عبدالهادي	٣١٣- ٣٤٨
السلطة التقديرية للمحتسب .... د. رزين بن محمد الرزين	٣٤٩- ٤٠٩

أصول الإقناع
في الخطاب الدعوي
(دراسة تطبيقية على نماذج من خطب
الإمام الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ ت ١١٠هـ)

إعـداد

الدكتور/ محمد بن خالد البداح

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب

كلية الدعوة والإعلام- في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

أسلوب الإقناع له أهمية بالغة في استخدامات الدعوة وتطبيقاتها ، والقرآن الكريم سلك هذا النهج مع الأمم في دعوتها إلى طريق الحق والنور والهدى.

ولأهمية هذا الموضوع وقع اختياري عليه واخترت الخطب من وسائل الإقناع لقوة تأثيرها في جمهور المتلقين وتم اختيار نماذج من خطب الحسن البصري - رحمه الله - لشخصيته التي وصفت بأنه يتكلم كالأنبياء.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاثة مباحث وخاتمة.

تحدثت في المبحث التمهيدي عن مصطلحات الدراسة ، وأهمية الخطابة في التأثير في الناس ، وعلاقة الخطابة بالإقناع ، والتعريف بالإمام الحسن البصري - رحمه الله - .

أما في المبحث الأول فقد قمت بعرض نماذج من خطب الحسن البصري - رحمه الله - في الدعوة والدلالات الإقناعية منها.

وفي المبحث الثاني تطرقت لدراسة نماذج من خطب الحسن البصري - رحمه الله - في الاحتساب والدلالات الإقناعية منها.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن أصول الإقناع في خطب الإمام الحسن البصري - رحمه الله - .

وفي الخاتمة أبرزت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ثم تطرقت إلى الحديث عن عدد من التوصيات والمقترحات التي قد يستفيد منها الداعية عند استخدامه أسلوب الإقناع في دعوته.

المقدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3] [4].

أما بعد: فإنا نتلقى الرسائل الإقناعية التي تأتينا كل يوم من مصادر عديدة، تحاول أن تؤثر فينا بشكل أو بآخر، كما أننا بدورنا نحاول أن نقنع الآخرين بوجهة نظرنا، وبأشياء نؤمن بها ونريد من الآخرين تبنيها. كما أننا نوجه الرسائل الإقناعية في جملة من علاقاتنا الشخصية، ونستقبلها صباح مساء من وسائل الإعلام بكل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠- ٧١.

(٤) تسمى هذه الخطبة بـ (خطبة الحاجة) وهي ضمن حديث صحيح، انظر: مسند الإمام أحمد، الموسوعة الحديثية، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، تتمة مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث (٤١١٥)، ١٨٨/٧، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، وانظر: رسالة بعنوان (خطبة الحاجة)، الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، ص١٢، الطبعة الرابعة (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).

الجهات وأوجه الحياة، سواء كان ذلك في المجال الديني والثقافي، أو السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي...

فالرسائل الإقناعية تحيط بنا من الآخرين، كما نحاصر بها الآخرين أيضاً[1].

ولما سبق بيانه يأتي هذا البحث محاولة متواضعة لتلمس أصول الإقناع ومقوماته وبيانها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لهذا الموضوع أهمية بالغة في استخدامات الدعوة، وذلك أن القرآن الكريم سلك هذا الأسلوب - الإقناع - مع الأمم التي ألفت الكفر والشرك وعبادة الأوثان رغبة في هدايتهم إلى طريق الحق واستمالتهم إلى النور المبين.

ولعلي عند الحديث عن أهمية هذا الموضوع وعن سبب اختياره ألا أُخفي اهتمامي به منذ زمن ليس بالقصير، فقد كان يشغل ذهني دائماً قدرة البعض من المتحدثين والخُطباء وغيرهم على استمالة المستمعين والمخالطين لهم وكسب تأييدهم لما يذهبون إليه من أقوال أو آراء، وقدرة البعض الآخر على إقناع الآخرين بكل مهارة وتميز، مع تفاوت تلك القدرة من شخص لآخر. فوقع في ذهني سؤال محير: هل القدرة على الإقناع عند البعض أمر جبلي؟! أم إنه مكتسب؟ بمعنى أن الإنسان يستطيع أن يكتسبه بالدربة والمران؟ ... وأسئلة أخرى.

فكان هذا هو السبب الرئيس في اختيار هذا الموضوع، وخوض غماره مع قلة ما كتب فيه.

---

(١) انظر: الإقناع في حملات التوعية الإعلامية، د. عبداللطيف دبيان العوفي، ص ١٣، بدون ذكر الطبعة (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٤م).

ولئن كان الاستهواء والتأثير واستمالة العواطف في الخطابة سائداً في أزمنة سابقة، فإن الأحوال قد تبدلت ولم يعد يؤثر في كثير من الناس هذا الأسلوب وهذه الطريقة، بل اتخذت من الإقناع بالأفكار سبيلاً لاعتناقها وتبنيها والذود عنها والدعوة إليها، فهم لا يسمحون للتأثر بما يسمعون طواعية بل الإقناع المبني على الدليل والحجج والبراهين العقلية، أكثر من تأثرهم بالاستمالة العاطفية الوقتية.

أما سبب اختيار أسلوب الإقناع دون غيره من الأساليب في هذا البحث فلأهميته كما اتضح ولأن الإقناع- كما قيل- فضيلة بين رذيلتين، بين الإغراء والإكراه.

وأما سبب اختيار الدراسة على الخطب دون غيرها من ممارسات الخطاب الدعوي كالرسائل مثلاً، فلأن الخطابة تمثل أرقى أسلوب اتصالي إقناعي ذا تأثير في جمهور المستمعين واقتناعهم.

وأما سبب اختيار هذه الشخصية- الإمام الحسن البصري- دون غيره من الخطباء لدراسة خطبه وما اشتملت عليه من مضامين إقناعية، هو أن هذه الشخصية الفريدة وصف أن كلامه يشبه كلام الأنبياء، ولعل هذا الأمر يتضح جلياً عند الحديث عن شيء من سيرته.

فلهذه الأسباب آنفة الذكر وغيرها كان هذا الموضوع جديراً بالدراسة والبحث.

الدراسات السابقة لهذا الموضوع:

بالنسبة لهذا الموضوع: (أصول الإقناع في الخطاب الدعوي، دراسة تطبيقية لنماذج من خطب الإمام الحسن البصري- رحمه الله-) فلم أعثر- حسب اطلاعي- على دراسة مستقلة تناولت هذا الموضوع بالتحديد.

غير ما وجد في بعض الكتب من الحديث حول الإقناع، ولعل من أبرز ما اطلعت عليه في هذا المجال ما يلي:

- كتاب: (الأسس النظرية للإقناع) لـ د.محمد محمد البادي.
- وكتاب: (الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ لـ أ.د. سعيد بن علي بن ثابت.
- وكتاب: (كيف تقنع الآخرين) لـ عبدالله بن محمد العوشن.

أما الدراسة التطبيقية لخطب الإمام الحسن البصري فلم أعثر على من قام بدراستها من حيث جوانب المضامين الإقناعية فيها.

وهذا ما سوف تقوم به هذه الدراسة - بإذن الله- في تركيز على جانب محدد وهي أصول الإقناع في خطب الحسن - رحمه الله- .

وأما الدراسات الأكاديمية (الرسائل الجامعية) فقد عثرت ضمن فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية (الإيداع النظامي) على رسالة مسجلة تحوي عنواناً مقارباً هو: (الإقناع في التربية الإسلامية)(١) حيثُ أُفرد في فصل من الفصول بيان الأسس الإقناعية في التربية الإسلامية ثم فصل في الأساليب التي يتم بها الإقناع، وذُكر منها أسلوب القدوة الحسنة وأسلوب الممارسة والعمل وغيرها.

غير أن هذه الدراسة تناولت الإقناع من جهة استخداماته في مجال التربية والتعليم، دون الوصول إلى أصول معتمدة في الإقناع.

مشكلة البحث:

لابد أننا - جميعاً- قد مورس تجاهنا أساليب متنوعة من أساليب الإقناع سواء المباشر أو غير المباشر، ولابد أننا أيضاً قد وقعنا

---

(١) بحث غير مطبوع مسجل في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، وهو من إعداد الطالب/ سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار، لنيل درجة الماجستير، في العام الجامعي ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

ضحية ممارسة أسلوب الإقناع غير النزيه (الخداع) بالدعاية لأفكار معينة، أو سلع شرائية حتى أننا تأثرنا بها فحصلنا على سلع لسنا بحاجة إليها؛ إلى غير ذلك من صنوف استخدامات الإقناع الكثيرة.

وحتماً أنك - عزيزي القارئ - خرجت يوماً من صالة أحد المؤتمرات أو المحافل العامة والندوات وقد ترسخ في ذهنك عدد ليس بالقليل من الأفكار والمبادئ نتيجة ذلك المتحدث البارع، أو الخطيب المفوه.

فما سبب هذا التأثر؟ وأي أسلوب استخدمه هذا المتحدث أو الخطيب حتى جعلك تقتنع وتتأثر بما قال؟!

ولابد أن البعض يُعجَبُ بذلك الداعية الموفق الذي يسرد لك ما يريد أن يوصله من أفكار بتسلسل منطقي، مدعم بالبراهين، حتى ما يلبث أن ينتهي من حديثه ذاك أو من خطبته إلا وقد ترسخ في ذهنك (اقتناعاً) العديد من الأفكار الهامة، والتي أراد هو ببراعة أن يوصلها لك فتقتنع بها، حتى أضحيت مقتنعاً بها داعياً إليها. فأي أسلوب مقنع سلكه هذا الداعية؟ وأي مهارة يمتلكها، ليحيل معانيه تلك إلى أمور مسلم بها ومقنعة؟! .

ثم عكس ذلك عند كثير من الخطباء والدعاة والمنظرين أو غيرهم تجدك غير متحمس لما يتبنونه من أفكار وآراء، فتجدك مدفوعاً لعدم الاقتناع بها، أو حتى القبول بها. فما السر في ذلك؟ هل لأن الأول امتلك القدرة على الإقناع؟ والآخر افتقد هذه القدرة؟ أم ما هو السبب؟

وبما أن المشكلة ينبغي لحلها أن توضح الحيرة أو يزال الغموض والعقبة غير المرغوب فيها، فإن الباحث سيستفرغ جهده لبحث هذه المسألة وصولاً إلى استخراج أصول الإقناع، مطبقاً ذلك على أحد

جهابذة الخطباء المسلمين، دراسةً لنماذج من خطبه، مستخلصاً ما يمكن من أساليب وأصول الإقناع ليتم تعميمها للوصول لأقصى درجة من إقناع الآخرين بالدعوة الإسلامية واستمالتهم لمضامينها.

تساؤلات الدراسة:

تساؤلات الدراسة تتلخص في النقاط التالية:

- هل هناك علاقة بين الخطابة والإقناع؟
- هل معرفة أصول الإقناع أمر مهم للداعية والخطيب؟
- ما الفائدة من الإلمام بأصول وأساليب الإقناع؟
- لماذا بعض الخطباء مقنع أكثر من غيره؟
- ما الأساليب الإقناعية التي سلكها الإمام الحسن البصري - رحمه الله- في مجمل خطبه؟
- ما دلالات أساليب وأصول الإقناع عند الإمام الحسن البصري- رحمه الله - ؟
- هل يمكن للخطيب الداعية استخدام الأصول والأساليب في دعوته، وتوظيفها فيما يخدم هدفه من الدعوة وهو تعبيد الناس لرب العالمين.

نوع الدراسة ومنهج البحث:

وحيث إن البحث يعتمد على الجانب الوثائقي القائم على جمع البيانات فسيستخدم الباحث: المنهج التاريخي، حيث (لا تتوقف الدراسة التاريخية عند حدود الماضي بل تتابع دراسة الظاهرة حتى تتوصل إلى دلالات تساهم في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل...)[1].

(١) انظر: البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه، ذوقان عبيدات ورفاقه، ص ٢١١(الرياض: دار أسامة، ١٩٩٧م).

إذن سأتبع طريقة الدلالات في تحليل الخطب للوصول إلى النتيجة من البحث وهي أصول الإقناع.

المنهج الاستقرائي:

ذلك أن المنهج الاستقرائي يعتمد على أنه حصر وتقصي شامل لجميع الجزئيات التي تتكون منها ظاهرة البحث (الإقناع) للوصول من خلال ذلك إلى حكم عام يجمعها.

وقد اتبع الباحث في بحثه جملة من الأمور[1].

---

(١) على النحو التالي:

١- عزو الآيات إلى سورها.
٢- تخريج الأحاديث النبوية - على قلتها - .
٣- بيان الكلمات الغامضة قدر الاستطاعة من كتب المعاجم.
٤- اتباع قواعد البحث العلمي في عزو النقول.
٥- عند ذكر المعلومة أُرجعُها لأكثر من مرجع إثراءً للمعلومة.
٦- وضع خاتمة للبحث تحتوي على أهم النتائج.
٧- وضع قائمة مفصلة لكافة المراجع الوارد ذكرها في هذا البحث.
٨- وضع فهرس مفصل للموضوعات.

تقسيمات البحث:

احتوى هذا البحث على مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاثة مباحث رئيسة، وهي على النحو التالي:

المقدمة وتشمل مايلي:

١- مصطلحات الدراسة.
٢- أهمية الموضوع وسبب اختياره.
٣- الدراسات السابقة للموضوع.
٤- المشكلة البحثية.
٥- تساؤلات الدراسة.
٦- نوع الدراسة ومنهج البحث.

المبحث التمهيدي، ويشمل ما يلي:

أولاً: مفاهيم ومصطلحات الدراسة.

ثانياً: أهمية الخطبة في التأثير في الناس.

ثالثاً: علاقة الخطابة بالإقناع، واستخدامات أسلوب الإقناع.

رابعاً: التعريف بالإمام الحسن البصري - رحمه الله - .

المبحث الأول: نماذج من خطبه في الدعوة والدلالات الإقناعية فيها، وفيه:

المطلب الأول: خطبتي الإمام الحسن البصري- رحمه الله - في موضوع الدعوة.

القسم الأول: الخطبة الأولى.

القسم الثاني: الخطبة الثانية.

المطلب الثاني: الدلالات الإقناعية في خطبتي الدعوة.

المبحث الثاني: خطبه في الاحتساب، وفيه:

المطلب الأول: خطبته في الاحتساب على الملأ والدلالات الإقناعية منها.

المطلب الثاني: خطبته في الاحتساب على أهل الفتنة والدلالات الإقناعية منها.

المطلب الثالث: خطبته في الاحتساب على العامة.

المبحث الثالث:أصول الإقناع في خطب الإمام الحسن البصري - رحمه الله - وفيه:

الأصل الأول: الخطيب (الداعية) المقنع.

الأصل الثاني: ما يتعلق بالمرسل إليه (المدعو) لكسبه واستمالته للحق.

الأصل الثالث: غاية الدعوة ومضمونها.

الأصل الرابع: الوسائل الملائمة والأساليب البليغة في العرض.

الخاتمة.

المراجع.

الفصل التمهيدي:

قبل الشروع في البحث يحسن التمهيد بمدخل ملائم لهذه الدراسة يشتمل على: مفاهيم الدراسة، والحديث عن التعريف الإجرائي للخطبة، ثم بيان أهمية الخطابة في التأثير في الناس، وعلاقة الخطابة بالإقناع، والتعريف بالإمام الحسن البصري - رحمه الله- وتفصيلها على النحو التالي:

أولاً: مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

وهي تتركز فيما يلي:

عند النظر لعنوان هذه الدراسة (أصول الإقناع في الخطاب الدعوي) يبرز أمامنا المصطلحات التالية:

أصول، وإقناع، والخطاب الدعوي؛ وهي التي تحتاج إلى بيان:

الأصل في اللغة:

يقول صاحب " القاموس المحيط ": الأصل: أسفَلُ الشيءِ، وجمعه أُصولٌ وآصُلٌ. وأصُلَ، كالكرم: صار ذا أصل أو ثبت ورسخ أصله[1].

(الأصل:ما يبنى عليه غيره،أو ما يتفرع عنه غيره.كأصل الجدار وهو أساسه المستتر في الأرض المبني عليه الجدار. وأصل الشجرة وهو طرفها الثابت في الأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] و(الأصل: أسفل الشيء، ثبت ورسخ أصله)[3].

---

(١) القاموس المحيط، ، العلامة اللغوي مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ص ١٢٤٢، الطبعة الثالثة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي،مادة (أصل)، ص ١٢٤٢.

الأصل في الاصطلاح:

يطلق على معان منها: الدليل، القاعدة المستمرة، المقيس عليه[1].

والمقصود في هذه الدراسة المعنى الثاني وهو القاعدة المستمرة.

أما المصطلح الثاني " الإقناع "في اللغة :عند النظر لمادة (ق ن ع) نجد أنها تدل على (القُنُوع) السؤال والتذللُّ وبابه خضع فهو (قانع) وقال الفراء: (القانع) الذي يسألك فما أعطيته قبله، و(القناعة) الرضا بالقسم وبابه سلم فهو (قَنِع)... و(أقنَعَه) الشيءُ أي أرضاه)[2].

ويقول صاحب (تاج العروس):القنوع قد يكون بمعنى (الرضا)...

وقال ابن السكيت: من يحجز القنوع بمعنى القناعة... والإقناع أن يقنع البعير رأسه إلى الحوض للشرب وهو مد رأسه[3].

و(الإقناع عند أهل اللغة هو الرضا، وأصله مادة (قَنِعَ)،تقول العرب قَنِعَ بنفسه قنعاً وقناعة: رَضِيَ، وتقول: أقنعني كذا أي أرضاني، ومن أمثالهم: خيرُ الغِنى القنوعُ الفقر الخضوعُ)[4].

تعريف الإقناع في الاصطلاح:

من أقدم التعريفات الاصطلاحية تعريف (حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) في كتابه "منهاج البلغاء" فيقول": هو حملُ النفوسَ على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده)[5].

---

(١) شرح الورقات في أصول الفقه، لفضيلة الشيخ عبدالله بن صالح الفوزان، ص ١٦، الطبعة الثانية (الرياض: دار المسلم، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

(٢) مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مادة (ق ن ع) ص ٥٥٢- ٥٥٣، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، مادة (قنع)، ٤٨٦/٥، بدون ذكر الطبعة (بيروت: دار مكتبة الحياة).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، مادة (قنع)، (بيروت: دار صادر).

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد بن الخوجة، ص ٢٠، الطبعة الأولى (تونس: الشركة الوطنية للنشر، ١٩٦٦م).

(وجاء في الموسوعة البريطانية أن الإقناع هو العملية التي بها يُؤثر الخِطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قَسر)[1].

وهناك من عرفه بقوله: (الرضا بالشيء والقبول به، ومن تعاريفه أقنع يقنع إقناعاً نتيجة محاولات الإقناع)[2].

ومنها قول الشاعر:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

يقول الدكتور إبراهيم إمام: (أقنعني أي أرضاني، ويقصد به أن يصبح السامع لك وقد اقتنع بفكرتك لا باعتبارها فكرتك أنت ولكنها أصبحت فكرته الخاصة به والتي نبعت من داخل نفسه وكان لك فضل إثارتها وتحريكها والكشف عنها)[3].

كما عرف الإقناع بأنه: (الإقناع هو الاتصال الذي يسعى لجعل المتلقي يقبل استجابة جديدة أو يتبناها وذلك بطريقة طوعية، ويعرف (أدونيل وكيبل) الإقناع بما يلي:" الإقناع هو عملية تفاعلية معقدة يرتبط فيها المرسل والمتلقي برموز لفظية وغير لفظية، ومن خلال هذه الرموز يسعى المقُنع أن يؤثر ليغير استجابته)[4].

---

(١) ENCYCLOPAEDIA BRITANICA (PERSUASION) 15 TH EDITION وانظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، د. بن عيسى باطاهر، ص ٢١، الطبعة الأولى (عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

(٢)كيف تقنع الآخرين، عبدالله بن محمد العوشن، مرجع سابق، ص.

(٣) الإعلام السياسي، د. إبراهيم إمام، ص ٥٧ وما بعدها، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م).

(٤) الدعاية وأساليب الخداع، تيد سميث الثالث، ترجمة عثمان العربي، ص ٩٤ - ٩٥، بدون ذكر الطبعة (الرياض:دار الشبل، ١٤١٣هـ)، وانظر: التأثير الذي لا يقاوم، سعد محمد الحمودي وسعيد سالم المالكي، ص ٤، الطبعة الأولى (الرياض:١٤٢٧هـ).

ويعرف الدكتور سمير محمد حسين في كتابه (الإعلام والإتصال بالجماهير والرأي العام) الاتصال الإقناعي بقوله: (هو الاتصال الذي يحدث عندما يوجه القائم بالاتصال - عن قصد - رسائله الإعلامية لإحداث تأثير مركز محسوس على اتجاهات وسلوك مجموعات معينة مستهدفة من الجمهور)[1].

ولعل أحدث التعريفات ما ذكره العوشن من تعريف علمي للإقناع حيث يقول: (هو عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة ما)[2].

ولعل التعريف الأقرب لمقصد هذه الدراسة ما ذكره العوشن من تعريف علمي للإقناع.

ولعل من المناسب بعد هذا البيان أن نتحدث عن الخُطب مع تعريف إجرائي للخطبة، ثم نذكر أهمية الخطابة في التأثير في الناس، ثم نلقي الضوء على علاقة الخطابة بالإقناع، واستخدامات الإقناع، ثم نختم ذلك بذكر تعريف موجز بالإمام الفذ الإمام الحسن البصري - رحمه الله- الذي سيتم تطبيق هذه الدراسة على نماذج من خطبه.

وقد تم اختيار نماذج من الخطب بحسب تنوعها الموضوعي ذلك أن خطب الإمام الحسن البصري عديدة[3]- مع قلة ما دون منها- غير

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، د. سمير محمد حسين، ص ١٦٦، الطبعة الأولى (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤م).

(٢) كيف تقنع الآخرين، عبدالله بن محمد العوشن، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣) انظر:رسائل مبكية، فتحي الجندي، الطبعة الأولى (إسلام أباد: دار الكتاب والسنة، ١٤١٦هـ) وغيره.

أنـه تم الاكتفـاء بـأبرز تلـك النمـاذج لـشمولية موضـوعاتها وتنوعهـا الدلالي.

مفهوم الخطابة:

في اللغة: (خطب) في استخدامات اللغة تدل على: خطَب على المنبرَ (خطبة) بضم الخاء... و (خَطُب) من باب ظَرُفَ أي صار (خطيباً).[1] (والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسموع)[2].

في الاصطلاح: عرف أرسطو الخطابة بقوله:(يمكن أن نَحُدَّ الخطابة بأنها: الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان)[3].وعرفها الدكتور أحمد الحوفي أنها: (فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته).

ثم يقول: وإذاً فأسس الخطابة: مشافهة، وجمهور، وإقناع، واستمالة[4].

وكذلك يذكر: (أن الخطابة لا بد أن تكون في جمع من الناس، يحاول الخطيب إقناعهم، ويجدّ في استمالتهم)[5].

---

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر، ص ١٨٠، بدون طبعة أو سنة نشر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة (خطب)، ص ١٤٣.

(٣) الخطابة، أرسطو، ترجمه للعربية عبدالرحمن بدوي، ص ٢٩ (بيروت: دار القلم، ١٩٧٩م).

(٤) فن الخطابة، د. أحمد محمد الحوفي، ص ٥، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر).

(٥) المرجع السابق، ص ٥٠.

وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبدالرب بن نواب الدين آل نواب تعريفاً لـ (الخطاب الدعوي) بقوله: (هو الأسلوب القويم الذي يستميل به الداعية الناس إلى الحق والرشد)[1].

أما المقصود بالخطاب الديني:

فهو الخطاب الذي يستند إلى مرجعية ربانية، يأخذ صوراً كثيرة متعددة (كالوعظ المباشر) والخطابة، والدعوة الفردية، والكتابة الدعوية وغيرها.

وتم التركيز على الخطابة لأنها تمثل أوضح صور الخطاب الدعوي وأكثرها استخداماً.

التعريف الإجرائي للخطبة:

لتحديد التعريف الإجرائي للخطبة فإني سأتبع ما أورده المصنفون دالاً على مقوم من مقومات الخطبة، أو ما يشير إلى ذلك نحو قولهم: وقف خطيباً... أو خطب في الناس... أو قام ليخطب أو نحو ذلك. ولشح ذلك الأمر فإني سعيت ألا أُدون سوى الخطب التي اشتملت على هذا الأمر، غير خطبة واحدة لم تذكر المراجع والمصادر فيها هذا الشرط، بيد أن هذه الخطبة اشتملت على أركان الخطبة، فاعتمدتها للدراسة لأهميتها (وهي خطبته في الدعوة).

ومما سبق يمكن تحديد تعريف إجرائي للخطبة، وما نعنيه في هذه الدراسة على النحو التالي:

---

(١) انظر: السجل العلمي لأبحاث ملتقى الدراسات الدعوية الواقع والأمل، (٢٣- ٢٥ / صفر/ ١٤٢٩هـ)، بحث بعنوان: الخطاب الدعوي ومقومات النجاح، إعداد الدكتور عبدالرب بن نواب الدين آل نواب، ص ٢٩٠.

دراسة نماذج من خطب الإمام الحسن البصري - رحمه الله - التي اشتملت على مقوم من مقومات الدلالة على الخطابة كقول المصنفين:

وقف خطيباً... أو خطب في الناس... أو قام ليخطب أو نحو ذلك.

دراسة تطبيقية لاستخراج الدلالات الإقناعية فيها واستنتاج أصول الإقناع منها.

ثانياً : أهمية الخطابة في التأثير في الناس.

للخطابة أهمية بالغة في التأثير على مشاعر الناس وتوجهاتهم، ذلك أن الخطبة تمثل أفضل أسلوب اتصالي في مجال الدعوة، ولما له من تأثير في جماهير المستمعين، ولأنه اتصال مواجهي (جماهيري) يعتمد على التلقائية.

يقول الدكتور أحمد غلوش: (وقد استخدمت الخطابة لكثرة فائدتها، وعظيم جدواها، ذلك أن الخطابة علم من العلوم الهامة التي تساعد على الاتصال الجماعي)[1].

وتعتبر الخطبة من أقوى صور تطبيقات التواصل قديماً وحديثاً؛لما تلعبه من دور في التأثير على مشاعر الناس وإقناعهم.

ويقول صاحب كتاب (فقه الدعوة) في معرض حديثه حول الخطبة: (وهي لون من ألوان القول، يحشد له الخطيب من الأساليب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم إلى جانب ما يدعوهم إليه عن طريق: الإقناع بما يسوق من حجج وبراهين)[2].

---

(١) الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش،ص ٤١٩، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د.علي عبدالحليم محمود، ١/ ١٦٩، الطبعة الرابعة (المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

ولكي تكون الرسالة (الخطبة) أكثر تأثيراً فلا بد أن يتوافر فيها ما يلي:

١- الوضوح.

٢- أن تكون مدعمة بالمصادر الموثوقة.

٣- أن تكون قصيرة ومفهومة مراعاة لحال السامع.

٤- التكرار والإلحاح على الفكرة. بهدف توضيح جوانب الموضوع للوصول للإقناع به.

٥- شمول مضمونها[١].

وللخطبة أثر نجمله فيما يلي:

أ- توفير حوافز التغيير للأفضل باستمرار.

ب- الحيلولة دون رواج الشائعات.

ج - تحقيق الوحدة.

د - مساهمة الخطبة في تبني الأفكار[٢].

ثالثاً: علاقة الخطابة بالإقناع، واستخدامات أسلوب الإقناع.

إن بين الخطابة والإقناع علاقة وطيدة واضحة، وقد ذُكر فيما سبق أن على الخطيب السعي للتأثير في سامعيه بغية إقناعهم والوصول بهم إلى درجة الاقتناع المؤدي للاستمالة والتأثير، ومما يوضح ذلك: (إن المجادلات والمحاورات، ووسائل الإقناع من حجة ومنطق وبرهان وشاهد، هي اللبنات التي تقوم عليها الخطابة)[٣].

---

(١) انظر: بحث بعنوان (الوظيفة الإعلامية للمسجد)، محمد ناجي مسلم ندى، مقدم لـ المعهد العالي للدعوة الإسلامية لنيل درجة الماجستير عام ١٤٠٠هـ، ص ١١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، د.علي عبدالحليم محمود، مرجع سابق، ص ١٧٠.

وحول الهدف من الخطابة وأن لها علاقة بالإقناع يقول: دايل كارنيجي:

(فما الذي نعنيه بهدف الخطابة؟ إن كل خطاب لديه أربعة أهداف أساسية هي:

١- إيضاح شيء ما.

٢- التأثير والإقناع.

٣- الحث على التحرك.

٤- التسلية[١].

ولأن أساس الخطابة هو المعاني وصياغتها؛فإن لها أهمية بالغة في الإقناع بالأفكار، يقول ليونيل روبي: (المنطق هو أحد العناصر الرئيسة في عملية الإقناع....إن فن الإقناع يتغذى وينمو بوساطة الإلمام ببعض مبادئ علم المعاني والمنطق والطرق العلمية للتفكير)[٢].

أما عن استخدامات الإقناع فلعلي أشير إليها إشارة موجزة وأُحيل على مراجع لمن رام الاستزادة، فتتركز استخدامات الإقناع في التالي:

- الإدارات والمؤسسات[٣].
- الإعلام والدعاية[٤].

---

(١) فن الخطابة كيف تكسب الثقة وتؤثر في الناس، دايل كارنيجي، ص ١٢٩-١٣٠، بدون طبعة (بيروت: دار الهلال، ١٩٩١م).

(٢) فن الإقناع (المرشد للتفكير المنطقي)،ليونيل روبي، ترجمة / محمد علي العريان، ص ٥ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية).

(٣) المدخل إلى الإقناع في المؤسسات المعاصرة، د.محمد محمد البادي، ص ٩٥- ١٣٨، الطبعة الأولى (جدة: مكتبة مصباح، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

(٤) انظر للاستزادة: الإعلام والاتصال بالجماهير، د. إبراهيم إمام، مرجع سابق، ص ٥٦، والبنيان الاجتماعي للعلاقات العامة، د. محمد محمد البادي، ص ١٨٣-٢١٠، بدون طبعة (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م)، والأسس العلمية=

- التربية والتعليم[1].
- عمليات غسيل الدماغ[2].

رابعاً: التعريف بالإمام الحسن البصري – رحمه الله - .

فيما يلي سأذكر ترجمة للإمام الحسن البصري - رحمه الله - ترجمة موجزة ومختصرة، تشتمل على: اسمه ونشأته وأقوال بعض الصحابة والتابعين في الثناء عليه ثم ذكر لبعض صفاته وأختم ذلك بذكر سنة وفاته.

نسبه ونشأته:

هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري. سُبيت أمه من ميسان وهي حاملٌ به وولدته بالمدينة[3].

وكان أبوه مولى لرجلٍ من الأنصار، وكانت أمه مولاة لأم سلمة رضي الله عنها؛ زوج النبي ﷺ، رُبي في حجرها، وأرضعته من ثديها بلبنها، ودر عليه لبرها به، ومحبتها له، وفاضت عليه بركة النبوة فتكلم بالحكمة، وارتقى في الصلاح، والمعرفة إلى الأفضل، وكان - رحمه الله - أحد المتقين، ومن أولياء الله الصديقين.

=لنظريات الإعلام، د. جيهان أحمد رشتي، ص ٢٧٩- ، ٣٦١- ٣٧٤، الطبعة الثانية (دار الفكر العربي، ١٩٧٨م).

(١) كيف تقنع الآخرين، عبدالله العوشن، مرجع سابق، ص ٧٥- ٨٤.

(٢) انظر: أساليب الإقناع وغسيل الدماغ، جي.آي.براون، ترجمة: الخياط، ص ٣٦، ص ١٠٤، (الرياض: مكتبة الهدى، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ٥٦٣/٤ وما بعدها، الطبعة الثامنة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

ثم كان وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له ، وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب ﷺ، قال: اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس.

بعض صفاته:

سُئل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا عنها مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا، وقال: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين - الإمام الحسن البصري وابن سيرين.

وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء[1].

ومما قيل في خطابته ما قاله صاحب البيان والتبيين: (ومن خطباء النساك والعُباد " الحسن ابن أبي الإمام الحسن البصري "....

وقال:...فأما الخطب فإنا لا نعلم أحداً يتقدم الإمام الحسن البصري فيها)[2].

وروي في الخبر: أن عائشة - رضي الله عنهما - سمعت الحسن يتكلم، فقالت: من هذا الذي يتكلم بكلام الصديقين؟[3].

ومن صفاته: كان الحسن دائم الحزن كثير البكاء، بعيداً من التصنع لا يُظهُر التقشف وإن كاد بادياً عليه، ولا يدع التجمل، ...ولا

(١) انظر: البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، ٩/ ٢٧٨- ٢٧٩، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الريان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

(٢) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق حسن السندوبي، ١/ ١٨٦، بدون طبعة (بيروت: دار الفكر، بدون سنة طبع).

(٣) انظر: آداب الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي (ت:٥١٠هـ)، تحقيق: سليمان بن مسلم الحرش، ص ٢١، الطبعة الأولى (الرياض: دارالمعراج الدولية للنشر، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

يتخلف عن مؤاكلة الناس...وكان له سمت يعرفه به من لم يكن رآه[1].

وفاته:

مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة، عام عشر ومائة في رجب منها، [2]... .

(١) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، مرجع سابق، ٩/ ٢٧٩.

المبحث الأول
نماذج من خطبه في الدعوة والدلالات الإقناعية فيها

بعد القيام بجمع الخطب- على قلتها نسبياً - عمد الباحث إلى تقسيمها حسب موضوعاتها؛ فهناك خطب تأخذ الطابع الدعوي الوعظي فقط، ولها دلالاتها الإقناعية الخاصة وهناك خطب ذات موضوع خاص، كالإنكار (الاحتساب) المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي يشمل جميع أصناف المحتسب عليهم كالملأ وعامة الناس وأصحاب الفتنة، ولقد قام الباحث بتقسيم وتفصيل هذا النوع الأخير إلى أقسام سوف تتضح في المبحث القادم.

المطلب الأول
خطبتا الإمام الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في موضوع الدعوة

تميزت خطب الإمام الحسن البصري - رحمه الله - بقوة العبارة وجزالتها، واقتصارها على المقصود دون تطويل أو إملال.

القسم الأول: الخطبة الأولى:

خطب الحسن رحمه الله - يوماً فوعظ الناس فقال:

(يا ابن آدم، بع دُنياك بآخرتك تربحهُما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدُنياك فتخسرهما. يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في الخير فنافِسهُم فيه، وإذا رأيتهم في الشّر فلا تغبطهم به. الثواء ههنا قليل، والبقاءُ هناك طويل. أُمتكم آخرُ الأمم وأنتم آخرُ أُمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟ المعاينة!؟ فكأن قد! هيهات هيهات! ذهبت الدنيا بحاليها وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم، فيالها موعظة لو دافعت من القُلوب حياة!

أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم. أنتم تسوقون الناس والساعةُ تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم....

إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ منه، اختاره لنفسه، وبعثه برسالته، وأنزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه ورسله إلى عباده، ثمَّ وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهلُ الأرض، وآتاه منها قوتاً وبُلغة، ثم قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1].

فرغِبَ أقوامٌ عن عيشه، وسخطوا ما رَضِي له ربه، فأبعدهم الله وأسحقهم.

(١) سورة الأحزاب، من الآية: ٢١.

يا ابن آدم، طأ الأرضَ بقدمك فإنها عما قليل قبرك، واعلم أنك لم تزل في هدم عُمرك مُنذُ سقطت من بطن أمك.

فرحم الله رجلاً نظر فتفكر وتفكر فاعتبر واعتبر فابصر، وأبصر فصبرَ. فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزعُ بقلوبهم ولم يُدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا.

يا ابن آدم، اذكر قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1] عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك!.

خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدراً، ولا الكدرُ ما عاد صفواً. دعوا ما يُريبكم إلى ما لا يريبكم. ظهر الجفاء وقلَّت العُلماء، وعَفت[2] السُنة وشاعت البدعة. لقد صحبتُ أقواماً ما كانت صحبتهم إلا قُرةَ العين، وجلاء الصدر، ولقد رأيتُ أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من أن ترد عليهم، منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحلَّ الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها! ما لي أسمع حسيساً ولا أرى أنيساً!.

لو تكاشفتم ما تدافنتم. تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح. قال ابن الخطاب: رحم الله امرءاً أهدى إلينا مساوينا. أعدوا الجواب فإنكم مسؤولون: المؤمنُ لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أخذه من قِبَل ربِّه.

---

(١) سورة الإسراء، الآيتين: ١٣- ١٤.

(٢) (عفت) بمعنى تركت. انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مادة (ع ف ا)، ص ٤٤٢، بدون طبعة (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون سنة نشر).

إن هذا الحق قد جَهد أهله وحالَ بينهم وبين شهواتهم، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله، ورجا عاقبته، فمن حمد الدُنيا ذم الآخرة، وليس يكره لِقاء الله إلا مقيمٌ على سُخطه.

يا ابن آدم، الإيمان ليس بالتحلي و لا بالتمني، ولكنه ما وقر في القلب وصدقته الأعمال)[1].

يقول صاحب كتاب (الخطابة في صدر الإسلام) تعليقاً على هذه الخطبة: (وهذه الخطبة في غرضها واتجاهاتها موافقة للمنهج الذي سلكه خطباء الوعظ الديني، من التزهيد في الدنيا، والحث على طلب الآخرة، والتبصير بالعواقب، والتذكير بالموت، وبما وراءه من حساب، والدعوة إلى الاعتصام بالإيمان الحق.

وأسلوبها يغلب عليه السجع، والازدواج، ويكثر فيه الطباق والمقابلة، والمعاني الجلية والألفاظ أقرب إلى الجزالة)[2].

ويبدو واضحاً عناية الإمام الحسن البصري بصياغة أسلوبه، وانتقاء كلماته، وتنقيحه، وحسن تأنيه في إقامة سجع جمله، تحقيقاً لإثارة السامعين وتحريك مشاعرهم...

وعلى الرغم من تفاوت خطبه - رحمه الله- بين الإيجاز والإطناب إلا أنها تتسم بأنها تسير على نسق واحد متشابه في الوعظ والتذكير بزوال الدنيا وإدبارها- وهي الحقيقة التي لا تكاد تغيب عن كل ذي لب، مع الحض على الفوز بنعيم الآخرة وثوابها.

---

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، مرجع سابق، ١/ ١٣١- ١٣٣.

(٢) الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش، ٢/ ٤١٧- ٤١٨، بدون طبعة (مصر: دار المعارف، ١٩٦٧م).

وخلاصة القول: إن خطب الوعظ الديني (الخطاب الدعوي) لون مهم من ألوان الخطابة الدينية..."[1].

القسم الثاني: الخطبة الثانية.

وقف الإمام الحسن البصري- رحمه الله تعالى- يخطب الناس ويعظهم فقال: (أيها الناس أني أعظكم ولست بخيركم ولا أصلحكم، وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير محكم لها، و لا حاملها على الواجب في طاعة ربها، ولو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلا بعد إحكام أمر نفسه لَعُدِمَ الواعظون، وقل المذكرون، ولما وجد من يدعو إلى الله عز وجلَّ، وَيُرغِّبُ في طاعته، وينهى عن معصيته، ولكن في اجتماع أهل البصائر، ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضاً حياة لقلوب المتقين، وادكار من الغفلة، وأمان من النسيان، فالزموا- عافاكم الله - مجالس الذكر فربَّ كلمةٍ مسموعة، ومحتقر نافع، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها الناس أصبحتم واللهِ في أجلٍ منقوص، وعملٍ محصى محروس، الموت فوق رؤوسكم، والنار بين أيديكم.

أيها الناس إنما لأحدكم نفس واحدة، إن نجت من عذاب الله لم يضرها من هلك، وإن هلكت لم ينفعها من نجا، فاحذروا - عافاكم الله- التسويف فإنه أهلك مَن قبلكم، وإنكم لا تدرون متى تسيرون؟ ولا إلى أي شيء تصيرون؟ فرحم الله عبداً عمل ليوم معاده، قبل نفاد زاده.

(١) انظر:الخطابة الدينية في العصر الأموي، غانم جواد رضا الحسن، مقال منشور في مجلة البيان، العدد ٢٩١، ذو القعدة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ص ٥٥- ٥٦ .

أيها الناس أن الله عز وجل بسط لكم صحيفة، ووكل بكل رجل منكم ملكين كريمين أحدهما عن اليمين، والآخر عن الشمال، وهو تعالى رقيب عليهما، فإن شاء قلل، وإن شاء كثر، إنما يملي كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً، ولقد رُوي أنه لما نزل على رسول الله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1] قال أبو بكر الصديق ﷺ: " نزلت قاصمة الظهور ". فإذا قال ذلك أبو بكر وقد شُهِدَ له بالجنة، فكيف يجب أن يكون قول من سواه؟

فاعتبروا معشر المؤمنين وكونوا على حذر لعلكم تأمنون من عذاب يوم عظيم.

ابن آدم؟! إياك والاغترار، فإنك لم يأتك من الله أمان، فإن الهول الأعظم والأمر الأكبر أمامك، وإنك لا بد أن تتوسط في قبرك ما قدمت. إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ، فاغتنم المبادرة في المهل، وإياك والتسويف بالعمل فإنك مسؤول فأعِدَّ للمسألة جواباً.

ابن آدم ؟! إن الله جلت قدرته أمر بالطاعة وأعان عليها، ولم يجعل عذراً في تركها، ونهى عن المعصية ونفى عنها، ولم يوسع لأحد في ركوبها. ولقد رُوِيَ أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة لآدم: يا آدم أنت اليوم عدل بيني وبين ذريتك، فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة، حتى تعلم أني لا أُعذب إلا ظالماً...اتقوا الله أيها الناس واحذروا مقته. فلمقت الله أكبر لو كانوا يعلمون)[2].

---

(١) سورة النساء، من الآية: ١٢٣.

(٢) آداب الشيخ الحسن بن أبي الحسن البصري وزهده وطرف أخباره وما كان عليه رحمه الله ورضي عنه، مرجع سابق، ص ١٢٥- ١٢٦- ١٢٧.

المطلب الثاني
الدلالات الإقناعية في خطبتي الدعوة

ما المقصود بالدلالة:

قبل الشروع في بيان مايتعلق بالدلالات الإقناعية في خطب الإمام الحسن البصري - رحمه الله؛ يجد الباحث من الضروري تعريف المقصود بالدلالة، وماذا نعني بها في مجال دراستنا؟

الدلالة في اللغة:

دل: الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾[1] وأصل الدلالة مصدر كالكناية والإمارة، والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره[2].

(الدليل) ما يستدل به والدليل الدال أيضاً وقد (دله) على الطريق يدله بالضم (دلالة) بفتح الدال وكسرها...، والاسم (الدالة)[3].

أدلة: جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون عليه الناس.

---

(١) سورة سبأ، من الآية: ١٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، كتاب الدال، مادة دل ص: ١٧١ (بيروت: دار المعرفة).

(٣) مختار الصحاح، للإمام الرازي، مرجع سابق، مادة دلل، ص ١٩٧.

ودللت بهذا الطريق: عرفته، ودللت به أدلة دلالة، وأدللت بالطريق إدلالاً[1].

الدلالة في الاصطلاح:

لعل مصطلح الدلالة الدعوية من المصطلحات غير البينة المعالم، فلم يعثر الباحث على من عرف الدلالة الدعوية تعريفاً جلياً بيناً في الاصطلاح. غير أن معناها الاصطلاحي لا يكاد ينفك عن معناها في اللغة، أي أن الدلالة يقصد بها: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، ويقصد به في هذه الدراسة: ما نستطيع أن نستنتجه من المعاني؛ وما نتوصل به إلى معرفة شيء مما له الصلة بأصول الإقناع في الخطب محل البحث.

بعد استعراض هذين الأنموذجين من خطب الإمام البصري - رحمه الله - الخاصة بموضوع الدعوة والتي استخدم فيها أسلوب الوعظ وهو أكثر الأساليب استخداماً؛ نأتي لذكر أبرز الدلالات الإقناعية التي يمكن أن نستنتجها وهي على النحو التالي:

١- المدخل الإقناعي المثير. أو البداية الملفتة للنظر والجالبة لمراعاة الانتباه. وتصدير الخطاب بالنداء بحرف (يا) وهو أشهر أحرف النداء وأبلغها.

ففي الخطبة الأولى يبدأ الإمام الحسن بقوله: (يا ابن آدم...) كأنه بذلك يذكر بأساس النشأة وأصلها، أو أنه أراد التأكيد على مبدأ المساواة، فكل الناس لآدم وآدم من تراب.

وكذلك في الخطبة الثانية بدأ بقوله: (أيها الناس...) جلب للاهتمام. ولأن ما سيأتي بعدها أمر هام.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة دلل، ٢٤٩/١١.

٢- ثقة المصدر بما لديه، وثقة الناس بما عنده من مبادئ (المصداقية)[1] وهذه الدلالة يؤكدها ما سبق أن ذكر عن فضل هذا الإمام وما قيل عنه. فكم سمعوا له وصدروا عن رأيه وتأثروا به.

و (حتى ينجح الإقناع فلا تضيع الجهود سدى لابد من مراعاة بعض العوامل في الرسالة التي نريد إيصالها إلى الجمهور فيتقبل مضمونها ويتبنّاه وهذه العوامل هي:

- البساطة والوضوح.
- الإثارة والتشويق.
- إشباع الرغبات والحاجات (حاجة حب الاستطلاع والحاجة إلى الأمان وهكذا..).
- المصداقية في المضمون.
- الإثابة والتعزيز.)[2]

٣- ربط الناس بالباقية (والإعراض عن الفانية) والتنافس مع الغير في الخير.

وكانت هذه المضامين مجمل خطب الإمام الحسن البصري - رحمه الله - ، وهذه دلالة إقناعية فريدة، وذلك بالبدء بالنقاط المشتركة والتي لا ينكرها أحد من المسلمين وصولاً إلى إقناعهم بالعمل الصالح.فالموت والنشور من الأمور الغيبية التي لا يمكن أن يجحدها مسلم صحيح الإسلام.

---

(١) انظر: قوة الإقناع، المهندسة/ نجوى خباز، ص ٦٤- ٦٥، الطبعة الأولى (الرياط: شعاع للنشر والعلوم، ٢٠٠٥م).

(٢) الإقناع كيف تقنع الآخرين بآرائك وأفكارك؟، مصطفى الدباغ، ص ٣٧- ٣٨، الطبعة الأولى (عمان: دار الإسراء، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

٤- الإقناع بسلوك المسلك الموصل إلى النتائج التي تميل وترتاح لها النفوس.

ويتضح ذلك من قوله: (... بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، و لا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً)، ذلك أن من باع دنياه فإنه في حقيقة الأمر يربح الدنيا والآخرة، وهذا فيه ترغيب وهو أحد أساليب الإقناع.

ثم يتبع أسلوباً آخر في الإقناع وهو أسلوب (التهديد بوقوع العقاب) الترهيب بقوله: (تخسرهما جميعاً).

٥- الاستشهاد بالأدلة والحجج القاطعة والموثوقة، والتمسك بالدليل[1]

وذلك ماثل في كلا الخطبتين فقد وظف - رحمه الله - الأدلة والبراهين خير توظيف، على نحو جيد، ذلك أن للأدلة أثرها في تدعيم الحق وقوته. ومثال ذلك الاستشهاد بالآيات في مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2] و ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾[3] و ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[4]

٦- التكرار بغية الإقناع بالأفكار.

وهذه الدلالة من أهم الدلالات الإقناعية الجالبة للتأثر بها وتبني أفكارها، ومن نحو تكراره في هذه الخطب: تتابع قوله: يا ابن آدم و

---

(١) انظر: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، ص ٤٣و٢١٨، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م)، وانظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري، ص ٩٠ (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م).

(٢) سورة الأحزاب، من الآية: ٢١.

(٣) سورة الأسراء، من الآية: ١٣.

(٤) سورة النساء، من الآية: ١٢٣.

يا أيها الناس... وتكرار المضمون الذي يريد إيصاله للمستمعين له، ومن ذلك: التحقير من الدنيا وعدم التعلق بها.

٧- سوق البرهان المحسوس للإقناع به.

ومن ذلك قوله: (واعلم أنك لم تزل في هدم عُمرك منذ سقطت من بطن أمك) وهذه حقيقة لا مراء فيها ولا جدال، فإن الأيام نواقص الأعمار، وهذا فيه إثارة لحقيقة ماثلة لكافة الناس. ثم كيف لا يستخدم هذا وقد ذكر عنه قوله:(يا ابن آدم إنما أنت أيام إذا ذهب يومك ذهب بعضُك).

٨- التسلسل المنطقي المقنع.

وهذا الأسلوب مدعاة للوصول إلى الإقناع (اعني به التسلسل المنطقي) والتسليم بما جاء به، ويتضح ذلك من قوله: (إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ....إلى أن قال: (فأبعدهم وأسحقهُم).

فالنتيجة: أن من اتبع سنة المصطفى فقد نجا. ومن رغب عنها فقد ضل وغوى.

٩- استخدام العبارات ذات القرع القوي في الأسماع.

وهذا يتكرر كثيراً في خطبه - رحمه الله- ومن ذلك استخدام العبارة المسجوعة المحكمة القوية وصولاً للإقناع بها، ومن ذلك قوله: (...طأ الأرض بقدمك فإنها عما قليل قبرك)، فيالها من عبارة قوية تهز الوجدان وتحرك القلوب لتكون سبباً في العمل.

١٠- إشراك المستمعين وإدخالهم في الحوار عبر التساؤل والاستفسار.

وذلك نجده ما ثلاً في قوله: (... فماذا تنتظرون؟) وهذا فيه دافع للتحرك والعمل وعدم الركون.

١١- مشاركة المتلقين في الاهتمامات والرغبات والميول.

وهذا مدخل إقناعي جيد، يتضح من قوله في الخطبة الثانية: (في اجتماع أهل البصائر، ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضاً حياة لقلوب المتقين...).

وذلك فيه الحرص على بذل الخير للغير من مبدأ المسؤولية الملقاة على عاتق أهل العلم.

١٢- دلالة مخاطبة المتلقين باستثارة الدوافع الإيمانية لديهم: حيث يقول: اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

١٣- من أساليب الإقناع ضرب المثل بالاعتبار بالسابقين.

وهو متمثل في هذه الخطبة نحو قوله: (...احذروا التسويف فإنه أهلك مَن قبلكم...).

(فضرب الأمثلة يعمل عمل الأدلة والبراهين في تحقيق مصداقية الرسالة المقدمة من المصدر وبالتالي استمالة المستقبل وإقناعه)[1].

يقول غلوش: (والمثل في كل أحواله يقرب المعاني ويضع صورتها مثيرة لدى المستمع...يقول: (وقد اختير لفظ الضرب مع المثل لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه)[2].

١٤- ربط المتلقي بالقدوات التي لها قبول وتأثير.

وقد استخدم الإمام ذلك عند ذكره لموقف الصديق ﷺ ليكون قدوة ماثلة، وهذا الأسلوب له أثره في الإقناع بالسلوك المطلوب إتباعه والسير فيه.

---

(١) انظر: كيف تقنع الآخرين، عبدالله العوشن، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) الدعوة الإسلامية، د.أحمد أحمد غلوش، مرجع سابق، ص٣٦٢، ٣٥٥. وانظر: القرآن والمنهج العلمي المعاصر، المستشار/ عبدالحليم الجندي، ص ٤٢ وما بعدها، بدون طبعة (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

١٥ - الدعوة لاغتنام الفرص.

وهذا مدخل إقناعي جيد، وطريق لحل المشكلة سديد، بعد أن استطرد في ذكر التحذير من الاغترار بالدنيا والركون لها، وأن الإنسان مجزيٌ بما يعمل، حول الخطاب إلى الدعوة للعمل بقوله: (اغتنم المبادرة بالسهل وإياك والتسويف).

وهذه غاية وهدف الخطابة، التأثير في الناس وإقناعهم واستمالتهم لتبني موقف عملي مثمر وناضج سليم.

المبحث الثاني

خطبه في الاحتساب والدلالات الإقناعية منها

الاحتساب قرين الدعوة، فهما يحملان المضمون ذاته في استنقاذ المكلفين وإرشادهم، والعالم العامل لا بد أن يقرن بين دعوته واحتسابه، لأن الله تعالى أخذ على أهل العلم التبيين للناس وعدم الكتمان. لأن العلماء هم مصابيح الدجى الذين ينيرون للناس بفقههم وعلمهم ودعوتهم الطريق؛ وينبهونهم على كل مسلك خاطئ غير سديد.

ولعل ممن قام بذلك خير قيام الإمام الحسن البصري - رحمه الله - فقد كان مثالاً يحتذى وقدوة في هذا المجال؛ علماً وعملاً، بالقيام بالاحتساب على عامة الناس وعلى خاصتهم (الملأ) وعلى أصناف المدعوين عامة مصطحباً في كل ذلك الرفق واللين.

وبعد أن قام الباحث بجمع خطبه - على قلة ما دون منه كما أسلفت - قسمت الخطب من حيث موضوع الاحتساب فيها إلى أقسام تالية:

١- الاحتساب على الملأ.

٢- الاحتساب على عامة الناس.

٣- الاحتساب على أصحاب الفتنة.

وسوف أفرد لكل قسم من الأقسام السابقة مطلباً مستقلاً ثم استخرج الدلالات الإقناعية لكل خطبة على حدة وذلك بسبب التباين في منهجية الخطبة أولاً، وموضوع الحسبة والمحتسب عليهم ثانياً.

المطلب الأول
خطبته في الاحتساب على الملأ والدلالات الإقناعية منها

جاءت نصوص الشريعة الإسلامية بعدد كبير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الحاثة والموجبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عامة الناس، ويدخل التوجيه بالاحتساب على ولاة الأمر في معرض تلك النصوص الشرعية مع التأكيد على ضوابط وإجراءات هذا الاحتساب[1].

ومن أوضح تلك النصوص وأشهرها حديث عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[2]. وغير ذلك من النصوص الكثيرة في هذا الباب[3].

الفرع الأول: نص خطبته في الاحتساب على الملأ.

فقد تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق ما بين عامي ٧٥هـ و ٩٥ هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان.

فماذا كان موقف الإمام الحسن البصري - رحمه الله- من الحجاج؟

---

(١) انظر تفصيلاً مفيداً عند: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١١٦ وما بعدها، الطبعة الأولى (الرياض: دار أشبيليا، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري المطبوع مع فتح الباري، للحافظ بن حجر العسقلاني، كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، ص ٢٠٤، رقم الحديث (٧١٩٩)، الطبعة الثالثة (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ).

(٣) انظر: دعوة الملأ في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالله بن محمد المجلي (رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الدعوة والإعلام).

والجواب على ذلك أن موقف الحسن منه كان موقف الناصح الأمين الذي لا يبخل بالنصيحة مهما كانت الظروف والأحوال، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة..."[1].

ولئن سلم الإمام الحسن البصري من الفتن، قولاً وفعلاً، فإنه كان يناصح الملأ دون أن يتعدى ذلك إلى التأليب والإثارة عليهم. وهو يصور حالهم إنما يرجو أن يصلحوه بأنفسهم وأن تكون موعظته لهم سبيلاً للتصحيح والارتداع يقتصر خيرها عليهم، دون أن يتأدى من ذلك احتشاد عليهم وعصيان لسلطتهم. فهو يعظ صاحب السلطان ولا يحرض عليه الرعية[2].

أما هذه الخطبة التي نحن بصددها فقد قالها الإمام الحسن البصري- رحمه الله- إنكاراً على الحجاج عندما حشد الناس ليروا قصره الذي شيده في واسط[3]، فانتهز الحسن - رحمه الله- هذه الفرصة واجتماع الناس فخطب بهم فقال:

(الحمد لله أن الملوك ليرون لأنفسهم عزاً وإنا لنرى فيهم كل يوم عبراً. يعمد أحدُهُم إلى قصره فيشيده، وإلى فَرشٍ فينجده، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها، ثم تحف به ذباب طمع، وفراشُ نار، وأصحاب سوء. فيقول: انظروا ما صنعت فقد رأينا أيها المغرور. فكان

---

(١) ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، د. مصلح سيد بيومي، ص ٢٧٦، الطبعة الرابعة (الكويت: دار القلم، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

(٢) انظر: فن الخطابة وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، ص ٢٥٦- ٢٥٧، بدون ذكر الطبعة (بيروت: دار الثقافة، بدون بيانات نشر).

(٣) بلد في العراق، انظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، ٣٤٧/٥، بدون ذكر الطبعة (بيروت: دار الفكر).

ماذا يا أفسق الفاسقين؟ أما أهل السماوات فقد مقتوك، وأما أهل الأرض فقد لعنوك، بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء، وعززت في دار الغرور لتذل في دار الحبور، ثم خرج وهو يقول: سبحانه أخذ عهده على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه)[1].

الفرع الثاني: الدلالات الإقناعية من خطبة الاحتساب على الملأ.

يمكن الخروج من الخطبة السابقة بجملة من الدلالات الإقناعية على النحو التالي:

١- استخدام المدخل المناسب لحال الواقعة:

فلم يطل الإمام- رحمه الله- في هذا الاستهلال فقال: الحمد لله، ثم ولج إلى مراد كلامه وما يريد أن يوصله إلى مستمعيه، وذلك حرصاً على استغلال هذه المناسبة، وخشية أن ينفض الناس من حوله.

٢- عدم إرجاء البيان عن وقته:

ذلك من مبدأ الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، ويدل عليها ختمه لخطبته تلك بقوله: (سبحانه أخذ عهده على العلماء ليبيننه للناس و لا يكتمونه).

فهو قد اختار الوقت المناسب ليلقي خطبته على الناس.

وليكون قدوة لغيره في الإنكار من مبدأ المسؤولية في التبليغ والإنكار والقيام بالأمانة.

---

(١) آداب الشيخ الحسن البصري، جمال الدين أبي الفرج الجوزي، مرجع سابق، ص ١١٢. وانظر: أمالي السيد المرتضى، الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين ت (٤٣٦)، ١/ ١١٢، الطبعة الرابعة (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م). وكذلك: الخطابة في عصرها الذهبي، د.إحسان النص، ص ٣٧٢ (القاهرة: دار المعارف، بدون بيانات النشر) و رسائل مبكية، فتحي الجندي، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

٣- ثقة الناس بالمصدر مدعاة للاقتناع بما يقول:

وذلك ليتأثروا به ويعملوا بما قال، وليرسم المنهج في قول الحق، دون خشية لومة لائم فيه.فطالما استمعوا وتتلمذوا على فقهه وعلمه، وشعروا أنه يتكلم من مشكاة النبوة.

٤- مراعاة خصائص ونفسيات المتلقين:

وكأنه بذلك أراد أن يبث في نفوسهم عدم التعلق بزخرف الدنيا (عند رؤيتهم لقصر الحجاج) وأن التعلق بها سبب في الخسران المبين يوم القيامة.

٥- اغتنام الفرص المناسبة كمدخل للإقناع.

وقد اتضحت قدرة الإمام الحسن البصري - رحمه الله- على ضبط التوقيت المناسب للخطاب الدعوي.

ففي هذه الحادثة عندما فرغ الحجاج من بناء قصره في واسط؛أمر الناس للخروج ليطلعوا على قصره، فتجمع عامة الناس من كل مكان،ولم يرد أن يفوت هذه الفرصة من اجتماع الناس. لأنه قد أحس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه في البيان للناس وعدم الكتمان.

٦- بروز الحكمة في قول الحسن - رحمه الله- مدعاة للتأثر والإقناع:

وذلك يتضح جلياً في خطبته، فقد اقتصر فيها على ما يلزم دون تطويل أو تهويل أو تهوين.

وقد عرف سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله- الحكمة بقوله: (المراد بها الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق والداحضة للباطل)[1].

---

(١) الدعوة الإسلامية: الوسائل، الخطط، المداخل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، أبحاث اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي بكينيا، ص ٢٨٣ (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

٧- حسن العرض في الخطبة والتفنن في صياغتها وصولاً للإقناع بمضامينها.

إن براعة انتقاء الألفاظ والتعابير مدعاة لسرعة الاقتناع بالمبادئ والأفكار.

يقول أ.د. الشنقيطي حول هذا الأمر عند حديثه عن قواعد صياغة الرسالة: (حشد أساليب العرض والصياغة مراعاة لخصائص وطبيعية المضمون والجمهور والمستقبل والأثر المقصود...)[١].

وحول أهميتها يقول: (أهمية العناية بصياغة الرسائل الإعلامية وصولاً للإقناع والتأثير..)[٢].

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، أ.د. سيد محمد سادتي الشنقيطي، ص١٨٠- ١٨١، (رسالة دكتوراه، مقدمة لكلية الدعوة والإعلام عام ١٤٠٥هـ).

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٣.

المطلب الثاني
خطبته في الاحتساب على أهل الفتنة والدلالات الإقناعية منها

لا ريب أن دعاة الحق في كل زمان ومكان يُعدون صمام الأمان في الوقوف ضد الفتن وأهلها والتي تسعى لتقويض دعائم المجتمعات وتشتت شملها ووحدتها. ولا شك أن الإمام الحسن البصري - رحمه الله- كان يستشعر ذلك الدور تمام الاستشعار، وهو ما حدث فعلاً، فعندما قامت ثورتا ابن الأشعث ويزيد بن المهلب في العراق، وقف الإمام الحسن البصري - رحمه الله - أمامهما موقف العالم الرباني محذراً من الفتن وأهلها وحاثاً على الاعتصام بطاعة الأئمة وعدم الخروج عليهم[١]. وهكذا يجب أن يكون موقف الداعية زمن الفتن.

موقفه من ثورتي ابن الأشعث[٢] ويزيد بن المهلب[٣]:

في حياة الإمام الحسن البصري قام أناس بعدة محاولات للقيام بثورة لتقويض حكم بني أمية أبرزها ثورة الأشعث في عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي...كذلك حدث بعد موت الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - أن هرب يزيد بن المهلب من السجن ولجأ إلى قومه بالبصرة. حينئذ اتجه الإمام الحسن البصري - رحمه

(١) وهذا الموقف يؤكد رسوخ هذا الإمام في العلم؛ فمع أخذه بميثاق الله ورسوله في الحفاظ على النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، إلا أنه يقوم بدور المحذر من الفتن والخروج على الولاة مترسماً المنهج الشرعي القويم.

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، هلك صبراً سنة أربع وثمانين، انظر: سير أعلام النبلاء مرجع سابق، ٤/ ١٨٣.

(٣) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، قتل في صفر سنة اثنتين ومئة، انظر: المرجع السابق، ٤/ ٥٠٣.

الله- إلى المهالبة للعدول عن هذه الثورة من قبل عدي بن أرطاة[1] وتكلم يومئذ بكلام فيه الحكمة وبعد النظر[2].

الفرع الأول: نص الخطبة:

خطبة الإمام الحسن البصري- رحمه الله- يثبط الناس عن يزيد بن المهلب:

خطب قائلاً: (أيها الناس: الزموا رحالكم، وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير، ليس لأهلها بباقٍ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براضٍ، إنه لم يكن فتنةُ إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء، وأهل التيه والخُيلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفيّ، والمعروف التقي، فمن كان منكم خفياً فليلزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً، وكفى له به من الدنيا خلفاً، ومن كان منكم معروفاً شريفاً، فترك ما يتنافس فيه نُظراؤه من الدنيا - أراده لله بذلك- فواهاً[3] لهذا، ما أسعده وأرشده، وأعظم أجره، وأهدى سبيله! فهذا غداً - يعني يوم القيامة - القرير عيناً، الكريم عند الله مآباً)[4].

---

(١) عدي بن أرطاة الفزاري أمير البصرة، قتله معاوية بن يزيد بن المهلب سنة اثنتين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، مرجع سابق، ٥/ ٥٣٠.

(٢) انظر: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، د. مصلح سيد بيومي، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

(٣) واهاً إذا تعجبت من الشيء قلت (واهاً) له ما أطيبه.انظر: مختار الصحاح، الرازي، مرجع سابق، ص ٧٣٩.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ٢/ ٣٣٥-٣٣٦، الطبعة الأولى (مصر: مكتبة مصفى البابي الحلبي، ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م).

الفرع الثاني: الدلالات الإقناعية في هذه الخطبة:

تميزت هذه الخطبة بعدد من المميزات المهمة كقصر العبارة، وجزالة الألفاظ والمعاني، مع تركيز على المداخل الإقناعية الملائمة في سياق التحذير. ومن الدلالات الإقناعية فيها:

١- استخدام أسلوب الحكمة لأثره الإقناعي:

فهو قد استخدم هذا الأسلوب بالاقتصار على المطلوب دون تطويل أو تهويل أو تشهير بأحد.

وذلك لاستشعاره المسؤولية الملقاة على عاتقه ورغبته في القيام بما أوجبه الله عليه من النصح للناس وتحذيرهم من مغبة ما قد يقدمون عليه من الخوض في الفتنة.

٢- عدم إرجاء القول عن وقته وأوانه:

وقد سبق ذكر شيء مما يتصل بهذا الأمر في (المطلب الثاني: الدلالات الإقناعية من خطبة الاحتساب على الملأ).

٣- السبر والتقسيم منطقياً:

ذكر في خطبته هذه سبراً لحال أهل الفتنة بقوله: (إلا كان أهلها...) ثم قسم بقوله: (فمن كان...)

وفي هذه الطريقة تسلسل منطقي محفز للإقناع بالفكرة والتسليم بها.

٤- التذكير بالتجارب السابقة أو ضرب المثل:

ليكون في ذلك عظة وعبرة لمن غفل، حيث يقول: (إنه لم يكن فتنة....)

٥- استخدام أساليب التأثير كالاستنتاجات وصولاً للمستوى الإقناعي:

ذكر العوشن ضمن الأساليب المتبعة في الإقناع والمناسبة في الدعوة والتبليغ قوله: (إن يقوم القائم بالإقناع بمناقشة الآخرين ومناظرتهم

فيما يؤمنون به من أفكار ويهتمون به من ماديات، ويبين لهم فساد ماهم عليه بطريقة علمية صحيحة، بالصيغ الأكثر إقناعاً كالاستنتاجات....)[1].

ويتضح ذلك عند سرد كلامه في هذه الخطبة وختمه بقوله:(فهذا غداً القرير عيناً، الكريم عند الله مآباً).

يقول كرونكيت:(إن هناك عمليتين مهمتين تدخلان في عملية الإقناع. أولهما أن الذي يقوم بالإقناع يجب أن يختار للتأثير على الدوافع مفاهيم يعلم أنها سوف تؤدي دائماً إلى استنتاجات قوية وإيجابية عند المتلقي)[2].

وهذا ما نحسه ونلمسه في كل عبارة من عبارات هذه الخطبة والتي كان موجبها وسببها ذلك الأمر الطارئ؛وهو جمع الناس تحت مظلة إمامهم وعدم الخروج عليه وترك تتبع أهل الفتنة.

أما عن المستوى الإقناعي، فنقصد به التأثر بالكلام لتصحيح السلوك، يقول النغيمشي في كتابه: (علم النفس الدعوي):(وهو التصديق الباطن المقترن بالعمل الظاهر، حيث تتم ممارسة السلوك والأخلاق برغبة وإحساس عميق، يكسبان العمل قيمة وأهمية في الشعور الباطني، ودقة وشمولاً في العمل الظاهري...)[3].

أي التأثر ثم القناعة بالفكرة فتحويلها إلى سلوك وموقف عملي.

---

(١) كيف تقنع الآخرين، عبدالله محمد العوشن، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٢) انظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، الدكتورة جيهان أحمد رشتي، مرجع سابق، ص ٢٨٠

(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، ص ٤٩ وما بعدها، الطبعة الأولى (الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).

٦- مشاركة الناس واقعهم وهمومهم:

وهذا مدخل من مداخل الإقناع القوية والتي لها تأثير، ذلك أن المتلقي عندما يحس أن صاحب الدعوة مهتم بمشاكله وهمومه فهذا مدعاة للقبول منه، لأنه مشارك في الحال والهموم.

ولعل هذه الفتنة مما شغل به المسلمون في ذلك الوقت وأصبحت أولى اهتماماتهم.

وفي ذلك أيضاً مراعاة لعدم الاستخفاف بعقل الجمهور المستقبل والثقة في قدرته..."[1].

ومن الدلالات في هذه الخطبة:

- القدرة على ضبط التوقيت المناسب للخطاب الدعوي.
- وإن من أهم أساليب الخطاب الإسلامي في الإقناع هو الرحمة بالمخاطبين.[2] وذلك من خلال الخوف عليهم من مسببات الفتن ونتائجها، من سفك للدماء، وأخذ الحقوق وتضييعها، وتعطيل الحدود وغير ذلك من المفاسد.

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد الساداتي الشنقيطي، مرجع سابق، ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٢) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ دراسة تحليلية من خطب الرسول ﷺ، د. سعيد ثابت، ص ٦٢، بدون طبعة (طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والأرشاد، ١٤١٧هـ).

المطلب الثالث
خطبته في الاحتساب على العامة

قبل البدء بذكر خطبة الحسن في الاحتساب على عامة الناس يحسن بنا ذكر أنواع نصح الناس وإرشادهم وأن من ذلك: ردّ من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل، ولكن عليه أن يتنبه ويعنى (اعني المحتسب) بالأسلوب النبوي الفريد في الإنكار العلني وهو عدم التشهير، ولكن ذكرهم في معرض القول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا..[1].

الفرع الأول: نص الخطبة في الاحتساب على العامة، لوقوعهم بعيب بعضهم بعضاً:

ذكر الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - هذه الخطبة حيث قال: (ابن آدم إنك لن تجمع إيماناً وخيانة، كيف تكون مؤمناً و لا يأمنك جارك؟ أو تكون مسلماً و لا يسلم الناس منك أليس قد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **(لا إيمان لمن لا أمانة له، و لا دين لمن لا عهد له)**[2].

وكان ﷺ يقول: **(ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه)**[3].

---

(١) حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد بن ناصر العمار، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، شرح وفهارس/ أحمد محمد شاكر، ١/ ١٣٥، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م).

(٣) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، ترقيم/ محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب: الإيمان، باب: تحريم إيذاء الجار، ص ٤٦، بدون طبعة (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م).

ثم يا ابن آدم إنك لا تستحق حقيقة الإيمان، حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، فأصلح عيب نفسك، فإنك لا تصلح عيباً، إلا وجدت عيباً آخر أنت أولى بإصلاحه، ابن آدم إن تكن عدلاً فاجعل لك عن عيوب الناس شغلاً، فإن أحب العباد إلى الله من كان كذلك. ولله در القائل:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال ذوو العيوب

ابن آدم ما أوهنك وأكثر غفلتك، تعيب الناس بالذنوب، وتتساها من نفسك، وتبصر القذى في عين أخيك، وتعمى عن الجذع معترضاً في عينك، ما أقل إنصافك، وأكثر حَيفَكَ)[1].

الفرع الثاني: الدلالات الإقناعية من هذه الخطبة:

من الدلالات الإقناعية في خطبته في الاحتساب على العامة:

١- قرع الأسماع بالبداية القوية الملفتة:

حيث يقول: (ابن آدم إنك لن تجمع إيماناً وخيانة)... فكأنه يقول: إن وجدت فيك هذه الخصلة فقد نزع منك الإيمان، وإن كنت مؤمناً حقاً فلن تقترف ذلك أبداً.

يقول شيخنا الشنقيطي: (ضرورة معرفة المداخل الأساسية للتأثير في المستمعين...)[2].

٢- التسلسل المنطقي كأحد الأسباب الموصلة للاقتناع بالطرح:

وقد قام الإمام - رحمه الله - بذكر الكليات ثم أعقب ذلك بذكر وبيان أنواع الخيانة وأن منها عدم أمن الجار.

---

(١) آداب الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي (ت:٥١٠هـ)، تحقيق: سليمان بن مسلم الحرش، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد السادتي الشنقيطي، مرجع سابق، ص ٣٠٩ وما بعدها.

٣- الاستشهاد بالمصادر الموثوقة وأثرها في الإقتناع:

وهـذا أمـر ملاحـظ في هـذه الخطبـة وغيرهـا حيـث استـشهد بأحاديـث للمـصطفى ﷺ، واستـشهد في معـرض هـذا بـنص شـعري، وكل هذا له أثر على قبول المستمعين لما يطرح عليهم من مبادئ.

يقول شيخنا الشنقيطي: (... أهمية البرهنة والاستدلال في الجدل الدعوي... وخطاب العقل والفكر يعتمد على الدليل والبرهان ودعوة إلى النظر والتدبر وحض على اليقين والاستدلال... ومطالبة الخصوم بالحجة...وهذا المنهج يجب أن يتخذ كأحد أساليب الإقناع ليكون له نفع وتأثير بأذن الله)[1].

وتقول الدكتورة فريال مهنا: (يجب أن تزود عملية الإقناع بحجج وبراهين وأدلة وافية...)[2].

٤- من الدلالات التي لها تأثير: الموعظة الحسنة:

وهي تشمل أساليب كثيرة ومؤثرة على جمهور المتلقين للخطاب الدعوي، يقول الدكتور عبدالرحمن الميداني: (ويندرج في الموعظة الحسنة كل الأساليب التي تؤثر في النفس الإنسانية، والتي من شأنها أن توجه عوامل الأنفس من جهة الإقتناع بالحقيقة..)[3].

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد سادتي الشنقيطي، مرجع سابق، ص: ٣٥٩، وانظر: فن الحوار والإقناع، د/ فهد خليل زايد، ص ١٧٦، الطبعة الأولى (عمان: دار النفائس، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م).

(٢) تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري، د. فريال مهنا (ترجمة وإعداد)، ص١١٩، الطبعة الأولى (دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٩م).

(٣) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، د. عبدالرحمن بن حنبكة الميداني، ص ١٩٤، بدون ذكر الطبعة (دمشق: دار القلم، ١٤٠٨هـ).

فالموعظة الحسنة مدخل نفسي عاطفي فيه ترغيب في أحيان، وفيه ترهيب في أحيان أخرى، وكل هذا يساعد على تهيئة الأنفس لنفاذ الخطاب الإقناعي لها والقبول بالأفكار والمبادئ.

المبحث الثالث

أصول الإقناع في خطب الإمام الحسن البصري ـ رحمه الله ـ

وبعد هذا العرض لنماذج من خطب الإمام الحسن البصري - رحمه الله- والدلالات الدعوية منها نأتي الآن لبيان عدد من أصول الإقناع في الخطاب الدعوي المستنبطة من خطب الإمام الحسن البصري- رحمه الله - .

وبما أن هذه الدراسة مركزة على جانب الخطاب الدعوي وذلك لتلمس أصول الإقناع واستخراجها منه، فإن الباحث سيحاول أن يلقي الضوء على هذه الأصول من حيث الربط بينها وبين موضوع دراستنا - الدعوة - فأصول الدعوة قائمة على أربعة أصول - على القول الصحيح - وهي:

أولاً: الداعي.

ثانياً: المدعو.

ثالثاً: موضوع الدعوة.

رابعاً: الوسائل والأساليب.

فعلى القائم بمحاولات التأثير في الناس وإقناعهم أن يراعي هذه النقاط ويضعها في حسبانه عند صياغة أي رسالة دعوية إقناعية.

الأصل الأول: الخطيب (الداعية) المقنع.

إذا كان الداعية يتخذ من الخطبة أسلوباً من أساليب دعوته، فإنه لا بد أن يتصف بصفات تؤهله ليكون لخطابه وقع وتأثير في مجموع الناس والحضور من حوله.

ومن ذلك معرفة الناس بحقيقة ما يدعو إليه، والثقة بالمصدر، وفي هذه الدراسة التطبيقية على خطب الإمام الحسن البصري ثم بيان

جانب من ذلك حيث إن الناس أخذوا عنه كثيراً، وكم تأثروا به طويلاً وكانوا يصدرون عن رأيه ومشورته، والشواهد على ذلك كثيرة تم إيراد شيء من ذلك عند الحديث عن سيرته، كقول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- وغيرها.

وكيف لا يكون له ذلك القبول عند الناس وقد كان مثالاً للقدوة لهم، ثم إنه لم يعرف عنه في سابق حياته من السوء ما يجعلهم يعرضون عنه ولا يقبلون دعوته، وكما قيل: (أن السوابق تؤثر في اللواحق)، وكم ردّ الحق لا لذات الحق؛ وإنما لأنه قُدم من مصدر ليس له قبول في جمهور المتلقين.

يقول الدكتور إبراهيم إمام: (وقد أثبتت التجارب أن هناك علاقة وثيقة بين سمات الشخصية ودرجة القابلية للإقناع والتأثر...)[1].

ولأنه - رحمه الله - كسب الثقة من الجمهور المتلقي فانعكس ذلك على مقدار القبول منه، والتأثر بما يدعو إليه، وقد تمت الإشارة لذلك عند الحديث عن ثقة المصدر بما لديه من مبادئ، وثقة الناس بما عنده ضمن الحديث عن الدلالات الإقناعية.

ولأنه - رحمه الله - لا يمارس الإلزام بالأفكار أو الإكراه عليها وإنما يتخذ من الإقناع بالأفكار سبيلاً، مدعماً ذلك ومقويه بالأدلة والبراهين والشواهد التي لها أثر على قبول المدعو لما يقول.

ومن صفات القائم بالدعوة باستخدام الخطاب الدعوي ما يلي:

١- أن تكون لديه ثقة بما لديه من مبادئ، ومن ذلك أن يكون ملماً بجوانب ما يريد بثه من فكر ومحاولات إصلاح. (على المتكلم أن

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، د. إبراهيم إمام، ص ٥٤، الطبعة الثالثة (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م).

يكون حاذقاً بطريقة إقناع الآخرين بأفكاره، وإيضاح ما يحب قوله)[1].

٢- القدرة على فن التوقيت المناسب وانتهاز الفرص، لتكون للدعوة الأثر النافذ المطلوب.

٣- أن يراعي الفروق الفردية لدى المدعوين، من حيث المستوى الثقافي والعلمي[2]، أو المستوى الاجتماعي وغيره، فتوجيه الخطاب لكبار السن مثلاً يختلف عنه طريقة وعرضاً عند خطاب الصغار والأطفال...وهكذا.

ومراعاة الفروق في الأفهام، فلا يكون كلامه مبهماً أو غامضاً، وذلك خشية أن يقوم أحد السامعين بعدم فهم قوله وتأويله إلى غير ما أراد القائم بالخطاب (الداعي)، وكما ورد في الأثر عن عبدالله بن مسعود أنه قال: (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟) وكما قيل قديماً (وما آفة الأخبار إلا رواتها). وكما قال الأول:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

٤- أن يقتصر في خطبه على ما يلزم، وقد تمت الإشارة إلى ذلك وأطلق عليه (مبدأ الحكمة أو إحكام القول).

٥- أن يحاول أن يقنع الآخرين بالأفكار ولا يلزم بها، ولا يستخدم مبدأ الإكراه، فلا إكراه في الدين والرسالة التي تصحب بالإكراه أو الالتزام عادة ما تأنف منها النفوس.

---

(١) المهارة في نقل الأفكار إلى الآخرين، كيرت هانكز، ص ٢٤، الطبعة الثالثة (دمشق: دار الرشيد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

(٢) انظر: فنون الحوار والإقناع، محمد ديماس، ص٣٢، الطبعة الأولى (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٦- أن يحسن انتهاز واستغلال الفرص التي تعرض له في سير حياته، ويطوعها لنشر ما لديه من حق وهدى، وهذا مظنة قبول الحق والتسليم به، ولا يؤخر البيان عن وقته.

تعريف المؤثر في الآخرين (المقنع): (هو الذي يتفاعل مع الآخرين، ويقوم ذلك على مراحل ثلاث:

١- التأثير في الناس.

٢- توجيه سلوكهم.

٣- بلوغ هدف الجماعة[١].

الأصل الثاني: ما يتعلق بالمرسل إليه (المدعو) لكسبه واستمالته للحق.

المخاطب هو من يقع تحت طائلة محاولات الإقناع والتأثير.

ولكي يتم ذلك فلا بد من مراعاة العديد من الجوانب المهمة والمتعلقة به، من نحو إشباع وتلبية حاجاته، ومراعاة ميوله ورغباته ما لم تعترض مع نصوص هذه الشريعة السمحة.

يقول صاحب كتاب (أساليب الإقناع وغسيل الدماغ): (إن أهم غوغائي في عصرنا هو (هتلر)، وقد كان له سيطرة تامة على وسائل الإعلام، ولكن نجاحه في التأثير على الألمان سببه أنه منحهم ما يريدون في الواقع...)[٢].

فنجاح الداعية في كسب مدعويه قائم على اتصافه بصفة مراعاة أحوال المدعوين، وتلبية حاجاتهم[٣].

---

(١) الدعوة المؤثرة، جمال ماضي، ص ١٥، الطبعة الأولى (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

(٢) انظر: أساليب الإقناع وغسيل الدماغ، جي. إي. براون، ترجمة د. عبداللطيف الخياط، مرجع سابق، ص ١٣٨- ١٣٩.

(٣) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ دراسة تحليلية من خطب الرسول ﷺ، د. سعيد ثابت، مرجع سابق، ص ١٥٩ وما بعدها.

ولابد عند التعامل مع المخاطبين بغية التأثير فيهم وإقناعهم من مراعاة الجوانب التالية على سبيل المثال لا الحصر:

مراعاة المدخل الخطابي المناسب الذي يتوافق مع تهيئة نفوس المتلقين لقبول الخطبة أو الموعظة. (إذا أردت أن تحاول إقناع الشخص الآخر فإنه يتوجب عليك أن تثير عواطفه)[١].

- مشاركة الناس والجمهور واقعهم والاهتمام والتركيز على همومهم. (طرق التأثير: وتعتمد على أصلين:

الأصل الأول: أن تخاطب الإنسان فيما يحبه ويرغب فيه، وأن تدله على طريقة الحصول عليه.

الأصل الثاني: أن تجعل فيه رغبة قوية جامحة في أن يفعل ما تريده له)[٢].

- تحفيز المتلقين للمشاركة في الممارسة الدعوية، عبر الحوار المفتوح، ونقل المعلومة للغير للفوز بالثواب، فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه لمن هو أفقه منه، فبذلك يستمر تناقل العلم والدعوة والتبليغ.
- ربط جمهور المتلقين بالقدوات التي لها ثقلها في المجتمع، واتخاذها نموذجاً يحتذى في الخير.
- على الداعية لتكون دعوته عبر الخطبة مؤثرة أن يراعي خصائص المجتمعات وخلفياتها الفكرية والاجتماعية والعرقية...الخ[٣].

---

(١) كيف تؤثر في الآخرين، د.دافيد ج. ليبرمان، ص ١١١، الطبعة الأولى (بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)

(٢) الدعوة المؤثرة، جمال ماضي، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) الدعوة المؤثرة، جمال ماضي، مرجع سابق، ص ١٦٠.

- الرحمة بالمخاطبين ودفء العاطفة نحوهم والحرص على سلامتهم ونجاتهم وسعادتهم[1].

الأصل الثالث: غاية الخطاب الدعوي ومضمونه:

إن تحديد الأهداف لدى الخطيب أمر هام، ليعمل على ضوء هذه الأهداف؛ على مراعاة الأولويات في الدعوة، وعدم تخطي الحواجز.

وتحديد الأهداف مدعاة للاستمرارية وعدم الشطط في القول أو العمل والذي يبعد عن الهدف الأساسي، وفي ذلك ضياع وقت وجهد من يقوم بالدعوة، ومخالفة للمنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى.

ولكي يكون الهدف من الخطاب الدعوي عبر الخطبة واضحاً جلياً لا بد من مراعاة الجوانب التالية على سبيل المثال:

- تناول الإسلام من جميع جوانبه، عقيدة وشريعة وأخلاق وعدم إغفال جانب من هذه الجوانب، ففي تركه أو إغفاله خلل في الرسالة الدعوية، فيؤدي ذلك لعدم قبولها ورفضها وهذا أحد أسباب فشل العمليات الإقناعية.

وقد تكون غاية الخطاب إيصال فكرة، وقد تتوافق هذه مع أفكار فئة اجتماعية معينة يمكن أن نفترض أن لها أداءً وأسلوباً معيناً.

وقد تكون غاية الخطاب إيصال أثر وجداني يظهر في اللغة اليومية بشكل عفوي)[2].

---

(١) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ دراسة تحليلية من خطب الرسول ﷺ، د. سعيد ثابث، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٢) الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، ص ٤٩، الطبعة الأولى (حلب: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢م).

- أن يحتوي موضوع الدعوة، والهدف منها على الأدلة والبراهين والحجج القوية(١)، والتمسك بالدليل وصولاً للإقناع به تحقيقاً للتأثر بالأفكار والآراء التي تحتوي عليها موضوعات الدعوة.
- أن تكون مشتملة على التسلسل المنطقي.

ذلك (إن الكلام يحوي قوة تمكنه من الفعل والتأثير)(٢).

إن (الاتصال الفكري:وهو نقل الأفكار من شخص إلى شخص آخر مرتبطاً بالإقناع).(٣) وهذا مدعاة للتأثر بالدعوة والقبول بها.

- السبر والتقسيم من الأمور الهامة في موضوع الدعوة عبر الخطاب الدعوي. والذي يوصل إلى نتيجة قوية في الاقتناع وهذا الأسلوب استخدمه الحسن - رحمه الله - في مجمل خطبه، مما كان له أثر في قبول مستمعيه له وتأثرهم به.
- أن تحتوي الخطبة على الشروط التي تؤهلها تكون مقبولة.

وقد تمت الإشارة فيما سبق لنحو من ذلك عند الحديث عن شروط تأثير الرسالة الخطابية.

الأصل الرابع: الوسائل الملائمة والأساليب البليغة في العرض.

أسلوب القول هو من أكثر أساليب الدعوة استخداماً ولعل من أهم ذلك القول عبر الخطاب الدعوي (أي الخطبة) وهو ما قمنا بدراسته عبر وريقات هذا البحث المتواضع.

---

(٢) انظر: الحجاج في درس الفلسفة، مليكة غبار وآخرون، ص ١٦ وما بعدها، بدون طبعة (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م).

(١) الحجاج بين المنوال والمثال، د. علي الشبعان، ص ٧١، الطبعة الأولى (تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).

(٢) المهارة في نقل الأفكار إلى الآخرين، كيرت هانكز، مرجع سابق، ص ٤.

ووسائل الدعوة غير توقيفية، أي أنها اجتهادية حسب كل زمان ومكان، ومن الوسائل الخطبة المنبرية أو غيرها.

ولكي تكون هذه الوسيلة ذات فعالية وتأثير في الناس كان لها شروط وضوابط، وجوانب لابد من مراعاتها والتركيز عليها عند استخدام هذه الوسيلة الدعوية الهامة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- التنويع في صيغ الطرح، والانتقال من جانب بياني إلى آخر، دفعاً للسآمة عن المدعو ووصولاً لكسب تأييده في تلك الفكرة. يقول إيليا حاوي: (اعتمد الإمام الحسن البصري في خطبه الأسلوب الحسي الذي تكثر فيه صيغ التعجب والتساؤل وألفاظه...حتى قال: (ويعمد الحسن كذلك إلى التمثيل والتصوير والاستعارة....

ويقول: (ولا يتنكب الحسن عن الأسلوب التفصيلي في مواعظه إذ يتوسل الإقناع بالبينة والتصنيف والتحليل[1]. (السبر والتقسيم).

- التكرار في طرح المضمون.

ويستخدم التكرار من أجل الثبات على مبادئ الإقناع السابقة ومصادمة الإقناع المضاد[2].

التكرار: ويحقق التأثيرات التالية:

١- استقرار الآراء والأفكار المطروحة.
٢- تثبيت هذه الأفكار، وبالتالي يمكن تعلمها.
٣- التأثير في اتجاهات الناس[3].

(١) فن الخطابة وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، مرجع سابق، ص٢٦٣، ٢٦١.
(٢) البنيان الاجتماعي للعلاقات العامة، د. محمد محمد البادي، مرجع سابق، ص ٢٠٩.
(٣) الدعوة المؤثرة، جمال ماضي، مرجع سابق، ص ٨.

- التنويع في الأساليب الدعوية المناسبة لكل حادثة بعينها كضرب المثل، والقصة، والحوار والتساؤل، والجدل...وغيرها والمراوحة بين تلك الأساليب، ليكون المدعو موصولاً بالداعية الذي يسعى لإقناعه بما يقول.

- العناية بالمدخل الملائم والجمل الافتتاحية.

(عندما يستمع الأشخاص إلى حديث أو يقرؤون مقالاً..فإنهم يولون اهتماماً كبيراً إلى الجمل الافتتاحية والجمل الختامية)[1].

- العناية بالقفلة المناسبة لموضوع الخطبة.

(يجب أن يتكون الختام الجيد من جملة معدة إعداداً جيداً تعيد للأذهان أهم جزء في الحديث)[2].

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين آمين.أما بعد :فأحمد الله تعالى وأثني عليه الخير كله، فهو أهل الثناء والمجد، على ما وفق وسدد، وأعان وأرشد، على القيام بإنهاء هذا البحث المتواضع حول نماذج من خطب علم من أعلام الإسلام، هو الإمام الحسن البصري - رحمه الله- و يتضح لنا من خلال هذه الدراسة الجوانب التالية: تعرفنا أولاً على أهمية الخطابة في التأثير في النفوس لقبول الحق ثم تم- بفضل من الله- بيان علاقة الخطابة بالإقناع، وأن بينهما علاقة وثيقة، حيث أن الخطابة قائمة على مبدأ الإقناع،

(١) فن التحدث والإقناع، تأليف وليم. ج. ماكولاف، ترجمة وفيق مازن، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٨.

وأن الإقناع يتخذ من الخطبة أحد طرق التأثير في المستمعين. ثم عرجنا على تعريف ميسر لهذا الإمام ثم عرض نماذج من خطبه، والتي قسمت إلى خطب في الدعوة وخطب في الاحتساب، ثم استخراج الدلالات الإقناعية الخاصة بكل خطبة، ثم خلصنا من ذلك كله إلى استنباط موجز لأصول الإقناع في الخطاب الدعوي - وهي قابلة للزيادة بلا شك - ذلك أن الباحث تناولها من الجانب الدعوي الصرف، دون التعرض لأساليب وأصول الإقناع المبنية على الخداع أو الإكراه أو الإلزام المقيت.

وقد خرجت الدراسة بالنتائج التالية:

- إن أحد أسباب الخلل في عدم قبول الحق والسآمة من سماعه ناتج عن عدم تطبيق أصول الإقناع في الخطاب الدعوي.
- إن الدعاة إلى الله تعالى ينبغي لهم التعرف على جوانب الإقناع وأساليبه، ليقدموا الدعوة بالشكل الصحيح.
- إن السبب في إعراض كثير من الناس عن دعوة الحق ليس سببه ذاتية الحق، وإنما طريقة تقديمه وطرحه.
- إن للخطابة إسهاماً في التأثير على فكر الناس وتوجهاتهم وهذا يتطلب العناية بالاستشهاد بالأدلة والحجج القاطعة والموثوقة والتمسك بالدليل الصحيح.
- إن المصداقية في طرح الموضوع له أهمية في ثقة المصدر بما لديه وثقة الناس بما عنده من مبادئ.
- لابد للداعية من اغتنام الفرص في دعوته كمدخل للإقناع.
- أن يحاول الداعية إقناع الآخرين بالأفكار ولا يلزم بها.

وقد خرج الباحث بالتوصيات التالية:

- أن تعنى الدراسات والبحوث بتحليل خطب الدعاة والبلغاء والاستفادة منها في مجال الدعوة الإسلامية.
- أن تعنى أقسام الدعوة في الجامعات السعودية وتهتم بجوانب تأصيل علم الإقناع وتطبيقاتها.
- أن يهتم الدعاة بتدريب المتلقين على استخدام أسلوب الإقناع في شتى مجالات حياتهم.
- أن يعنى الخطباء بالإعداد الجيد لخطبهم مستخدمين أسلوب الإقناع بالحجج والبراهين.
- العناية بإعداد الدعاة وتأهيلهم على الاستخدامات التطبيقية لأسس وأصول الإقناع وتوظيفه في الدعوة إلى الله ودلالة الناس على الخير.

هذا وفي الختام فإني أعلم أني لم آت بشيء لم يسبق إليه، غير أني استفرغت جهدي وطاقتي في بحث هذه المعلومات وتقصيها مع العلم أنها كانت معلومات مبثوثة في بطون الكتب وموزعة، وحسبي في ذلك أني بذلت جهدي وطاقتي، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فما كان من خير وصواب وسداد فذلك كله من الله وحده، وما كان من خطأ وخطل فمن نفسي والشيطان، والله تعالى يتجاوز عن المسيء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع:

- آداب الشيخ الحسن بن أبي الإمام الحسن البصري وزهده وطرف أخباره وما كان عليه رحمه الله ورضي عنه، تحقيق سليمان بن مسلم الحرش، الطبعة الأولى (الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
- ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، د. مصلح سيد بيومي، الطبعة الرابعة (الكويت: دار القلم، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
- أساليب الإقناع في القرآن الكريم، د. بن عيسى باطاهر، الطبعة الأولى (عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
- أساليب الإقناع وغسيل الدماغ، جي.آي.براون، ترجمة د. عبداللطيف الخياط (الرياض: مكتبة الهدى، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م).
- أسس العلاقات العامة وتطبيقاتها، د.حمود بن عبدالعزيز البدر، (بيروت:دار العلوم، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
- الأسس العلمية لنظريات الإعلام، الدكتورة جيهان أحمد رشتي، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م).
- الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، الطبعة الأولى (حلب: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢م).
- الإعلام والاتصال بالجماهير، د. إبراهيم إمام، الطبعة الثالثة (مصر: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨١م).
- (الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، د. سمير محمد حسين، الطبعة الأولى (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤م).
- الإعلام السياسي، د. إبراهيم إمام، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٠م).
- الإقناع في حملات التوعية الإعلامية، د. عبداللطيف دبيان العوفي، بدون ذكر الطبعة (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٤م).

- الإقناع كيف تقنع الآخرين بآرائك وأفكارك؟ مصطفى الدباغ، الطبعة الأولى (عمان: دار الإسراء، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
- أمالي السيد المرتضى، الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين ت (٤٣٦)، الطبعة الرابعة (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م).
- بحث بعنوان (الوظيفة الإعلامية للمسجد)، محمد ناجي مسلم ندى، مقدم لـ المعهد العالي للدعوة الإسلامية لنيل درجة الماجستير عام ١٤٠٠هـ.
- البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه، ذوقان عبيدات ورفاقه (الرياض: دار أسامة، ١٩٩٧م).
- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الريان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
- البنيان الاجتماعي للعلاقات العامة، د. محمد محمد البادي، بدون طبعة (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م).
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق حسن السندوبي، بدون طبعة (بيروت: دار الفكر، بدون سنة نشر).
- التأثير الذي لا يقاوم، سعد محمد الحمودي وسعيد سالم المالكي، الطبعة الأولى (الرياض:١٤٢٧هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، بدون ذكر الطبعة (بيروت: دار مكتبة الحياة).
- تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري، د. فريال مهنا (ترجمة وإعداد)، الطبعة الأولى (دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٩م).
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، الطبعة الأولى (مصر: مكتبة مصفى البابي الحلبي، ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م).
- الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ دراسة تحليلية من خطب الرسول ﷺ، د. سعيد ثابت، بدون طبعة (طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والأرشاد، ١٤١٧هـ).

- الحجاج بين المنوال والمثال، د. علي الشبعان، الطبعة الأولى (تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).
- الحجاج في درس الفلسفة، مليكة غبار وآخرون، بدون طبعة (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م).
- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد بن ناصر العمار، الطبعة الأولى (الرياض: دار أشبيليا، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).
- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي (الدارالبيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م).
- الخطابة، أرسطو، ترجمه للعربية عبدالرحمن بدوي (بيروت: دار القلم، ١٩٧٩م).
- الخطابة الدينية في العصر الأموي، غانم جواد رضا الحسن، مقال منشور في مجلة البيان، العدد ٢٩١، ذو القعدة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش، بدون طبعة (مصر: دار المعارف، ١٩٦٧م).
- الخطابة في عصرها الذهبي، د.إحسان النص (القاهرة:دار المعارف، بدون بيانات النشر).
- (خطبة الحاجة)، الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).
- الدعاية وأساليب الخداع، تيد سميث الثالث، ترجمة عثمان العربي، بدون ذكر الطبعة (الرياض:دار الشبل، ١٤١٣هـ).
- الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).
- الدعوة الإسلامية: الوسائل، الخطط، المداخل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، أبحاث اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي بكينيا (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).
- دعوة الملأ، د. عبدالله بن محمد المجلي (رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الدعوة والإعلام).

- الدعوة المؤثرة، جمال ماضي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
- رسائل مبكية، فتحي الجندي، الطبعة الأولى (إسلام أباد: دار الكتاب والسنة، ١٤١٦هـ).
- السجل العلمي لأبحاث ملتقى الدراسات الدعوية الواقع والأمل، (٢٣- ٢٥ / صفر/ ١٤٢٩هـ)، بحث بعنوان: الخطاب الدعوي ومقومات النجاح، إعداد الدكتور عبدالرب بن نواب الدين آل نواب.
- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، الطبعة الثامنة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ_١٩٩٢م).
- شرح الورقات في أصول الفقه، لفضيلة الشيخ عبدالله بن صالح الفوزان، الطبعة الثانية(الرياض: دار المسلم، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
- صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، للحافظ بن حجر العسقلاني، الطبعة الثالثة (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ).
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، ترقيم/ محمد فؤاد عبدالباقي، بدون طبعة (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م).
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، د. عبدالرحمن بن حنبكة الميداني، بدون ذكر الطبعة (دمشق: دار القلم، ١٤٠٨هـ).
- علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، الطبعة الأولى (الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).
- فقه الدعوة إلى الله، د.علي عبدالحليم محمود، الطبعة الرابعة (المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- فن التحدث والإقناع، تأليف وليم.ج.ماكولاف، ترجمة وفيق مازن، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف).
- فن الحوار والإقناع، د. فهد خليل زايد، الطبعة الأولى (عمان: دار النفائس، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م).

- فن الإقناع (المرشد للتفكير المنطقي)، ليونيل روبي، ترجمة/ محمد علي العريان (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية).
- فن الخطابة، د. أحمد محمد الحوفي، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر).
- فن الخطابة وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، بدون ذكر الطبعة (بيروت: دار الثقافة، بدون بيانات نشر).
- فن الخطابة كيف تكسب الثقة وتؤثر في الناس، دايل كارنيجي، بدون طبعة (بيروت: دار الهلال، ١٩٩١م).
- فنون الحوار والإقناع، محمد ديماس، الطبعة الأولى (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م).
- القاموس المحيط، ، العلامة اللغوي مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرسوقي، الطبعة الثالثة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
- القرآن والمنهج العلمي المعاصر، المستشار / عبدالحليم الجندي، بدون طبعة (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).
- قوة الإقناع، إعداد المهندسة نجوى خباز، الطبعة الأولى (الرياط: شعاع للنشر والعلوم، ٢٠٠٥م).
- كيف تقنع الآخرين، عبدالله بن محمد العوشن، الطبعة الثانية (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤هـ).
- كيف تؤثر في الآخرين، د.دافيد ج. ليبرمان، الطبعة الأولى (بيروت:الدار العربية للعلوم، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، (بيروت: دار صادر).
- المدخل إلى الإقناع في المؤسسات المعاصرة، د.محمد محمد البادي، الطبعة الأولى (جدة: مكتبة مصباح، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

- مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر، بدون طبعة أو سنة نشر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).
- مسند الإمام أحمد، الموسوعة الحديثية، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية (بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، شرح وفهارس / أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م).
- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، بدون ذكر الطبعة (بيروت: دار الفكر).
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة).
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد بن الخوجة، الطبعة الأولى (تونس: الشركة الوطنية للنشر، ١٩٦٦م).
- المهارة في نقل الأفكار إلى الآخرين، كيرت هانكز، الطبعة الثالثة (دمشق:دار الرشيد، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).

- الموسوعة البريطانية:

- ENCYCLOPAEDIA BRITANICA (PERSUASION) TH EDITION

- وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد السادتي الشنقيطي، الطبعة الرابعة (الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)

سماحة الأخلاق
وأثرها في الدعوة إلى الله

إعداد

الدكتور / حمزة بن سليمان بن راشد الطيار

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة و الاحتساب

بكلية الدعوة والإعلام

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وأنعم علينا بنعمة الإيمان، وأمرنا بالإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن سماحة الأخلاق لها أثر عظيم في توثيق العلاقة بين الناس، وتأصيل المودة والمحبة بينهم، خاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فقد استطاع النبي ﷺ من خلال سماحة الأخلاق أن يؤثر في الناس، ويكسب ودّهم، ويرغبهم في الإسلام، لذا حث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على سماحة الأخلاق، وكان رسول الله ﷺ أعظم أسوة في سماحة النفس ولين الطبع، وسهولة المعاملة، وكمال الخلق، فكان النبي ﷺ بأخلاقه صاحب دعوة عملية للتخلق بالسماحة وبسائر الفضائل، ومحامد السلوك.

ولم يكن ﷺ نكداً ولا صعباً ولا فظاً ولا غليظاً، لذلك أثنى الله عليه بالرّقة ولين الجانب ولطف الحديث إذ نفى عنه الفظاظة وغلظ القلب فقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

إن سماحة الأخلاق لها أثر فاعل في الدعوة إلى الله، لأنه من خلال تحلّي الدعاة بالسماحة والعمل على نشرها بين الناس، وبيان آثارها يمكن جني الثمار الطيبة المتمثلة في التأثير الإيجابي على المدعوين، وقد أثمرت سماحة الأخلاق في دعوة النبي ﷺ، وذلك من خلال تخلقه ﷺ بالحلم والعفو وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة ورحمته بالناس ورفقه بهم وإحسانه إليهم مما كان له الأثر العظيم في الدعوة إلى الله، فكان ﷺ قدوة للدعاة في سماحة الأخلاق. لقد جاء هذا البحث

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

الموجز لبيان سماحة الأخلاق وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى عبر المباحث التالية:

المبحث الأول: الحلم وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: العدل وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع: الرفق وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث الخامس: العفو وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث السادس: الإحسان وأثره في الدعوة إلى الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ،

المبحث الأول
الحلم وأثره في الدعوة إلى الله

الحلم من أبرز الأخلاق التي تتجلى فيها سماحة الإسلام، قال ابن منظور: "وحلم يحلم حلماً تأنَّى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة، والحليم في صفة الله عز وجل معناه: الصبور، وقيل: هو الذي لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منته إليه"[(١)].

وقال الراغب في المفردات: "الحلم ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب"[(٢)].

وقال الجرجاني: "الحلم هو الطمأنينة عند ثورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم أي مجازاته بظلمه"[(٣)]. وقد حث القرآن الكريم على خلق الحلم فهو صفة من صفات الله - عز وجل- قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[(٤)]، وقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[(٥)].

قال الإمام الطيبي: "والحليم من أسماء الله الحسنى وهو الذي لا يحمله غيظ على استعجال العقوبة والمسارعة إلى الانتقام، وحاصله راجع إلى التنزيه عن العجلة وحظ العبد منه أن يتخلق به ويحمل نفسه على كظم الغيظ وإطفاء ثائرة الغضب بالحلم، قال الشيخ أبو

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ٢/٩٧٩، ٩٨٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ١٢٩.

(٣) التعريفات، الإمام الجرجاني ص ٩٢

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

القاسم: وإنما يلذ حلمه لرجاء عفوه لأنه إذا ستر في الحال بفضله، فالمأمول منه أن يغفر في المآل بلطفه، قال القاضي: الفرق بين الحقود والحليم: أن الحقود يؤخر الانتقام انتهازاً للفرصة، والحليم يؤخره انتظاراً للتوبة"(١).

وإذا كان الحلم من صفات الله- عز وجل- فهو أيضاً من صفات الأنبياء، قال سبحانه عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾(٢)، وقال عن إسماعيل عليه السلام: مبشراً أباه به: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾(٣)، وقال قوم شعيب عليه السلام عنه كما حكى القرآن: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾(٤)، ومن حلم الله بعباده عدم تعجيل الشر لهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٥).

وإذا كان القرآن الكريم قد حثّ على الحلم وجعله من صفات الله سبحانه وصفات أنبيائه فقد دعت السنة النبوية إلى التخلق بخلق الحلم وتعظيم أمره، وتمجيد الأناة التي هي من الحلم أو قرينته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للمنذر بن عائذ - أشجّ عبد القيس- : (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّه: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ)(٦).

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الإمام محمد بن عبدالله الطيبي، ٣٦/٥.

(٢) سورة التوبة، من الآية: ١١٤.

(٣) سورة الصافات، الاية: ١٠١.

(٤) سورة هود، من الآية: ٨٧.

(٥) سورة يونس، آية: ١١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، رقم ١٨.

ومن مظاهر سماحته وحلمه ﷺ ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: (دَعوهُ، وهَريقوا على بَولِهِ سَجْلاً من ماءٍ - أو ذَنوباً منْ ماءٍ - فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين)[1].

"فقد علم الرسول ﷺ في هذا الحديث كيف تكون سماحة الأخلاق بالحلم مع الجاهلين، وكيف يكون الرفق بهم وكيف يجب أن يكون الدعاة إلى الله دعاة الحق والخير والفضيلة ميسرين لا معسرين"[2].

وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ: مَهْ مَهْ[3]. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ: (لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هـذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا البَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ[4] عَلَيْهِ[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد رقم ٢٢٠.

(٢) انظر: الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان، ط/١ دار النشر الدولي، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٥٠.

(٣) كلمة زجر، ومعناها: اسكت، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ٢٨٧.

(٤) فشنّه: أي فصبّه، المرجع السابق ص ٢٨٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الوضوء، باب: ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد رقم ٢١٩، وصحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم ٢٨٥.

ففي الرواية الثانية زيادة مفيدة، تبين حكمة رسول الله ﷺ التربوية لهذا الأعرابي الجاهل بآداب المساجد، وهي تدل على حلمه وسماحته ﷺ وحسن سياسته وهذا الخلق العظيم هو الذي ملك به قلوب أصحابه ﷺ وفرض به احترامه على أعدائه[1].

إن دعوة الناس إلى الإسلام تحتاج إلى الحلم خاصة مع الجاهلين، لأن الحلم يعد من مفاتيح شخصيات كثير من الناس، لأن الداعية حينما يفتقد الحلم فإنه يفرق أكثر مما يجمع وينفّر أكثر مما يؤلف، ومن ثم فإن تحلي الداعية بالحلم يجعله متسامحاً مع المدعوين مراعياً لأحوالهم وظروفهم وهكذا كان ﷺ في دعوته فعن أنس ﷺ قال: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ، وعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ. فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ. فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللّهِ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ. مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ. فَضَحِكَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[2].

فأي احتمال أشد من هذا الاحتمال، وأي عفو أشد من هذا العفو؟ أعرابي يجذب رسول الله ﷺ ويؤثر في عاتقه ويلتفت إليه وهو يضحك ومع ذلك يلبي طلبه بكل سعة وارتياح، فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الرحيم بالأمة.

---

(١) انظر: الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢٥١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: التبسم والضحك، رقم ٦٠٨٨، وصحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفحش وغلظة، رقم ١٠٥٧.

وإذا كان هذا الأمر يواجه أفضل الخلق - محمد بن عبدالله ﷺ - ومع ذلك يتحمل ويعفو ويسامح فغيره من باب أولى، وهذا يبين مدى سماحة أخلاقه ﷺ [1].

ومن أعظم الأمثلة التي ضربها رسول الله ﷺ لأمته والتي تدل على سماحة خلقه وشدة حلمه وعفوه ما روته أم المؤمنين عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)[2].

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط/٢، ١٤٢٥هـ/١٩٩٤م، ١/٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين، رقم ٣٢٣١، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم ١٧٩٥.

هـذا الحـديث يـبين بوضـوح سماحـة الأخـلاق والعفـو والحلـم الـذي جبل عليه الرسول ﷺ يأتي ملك الجبال في ساعة ضيق وحرج من القوم ويأتي إليه لكي ينتصر له وأي نصر؟ إنه هلاك القوم.

لكن نصرة الرسول ﷺ بعيدة وبعيدة، فهو لا ينظر إلى الساعة التي هو فيها فقط، ولكنه ينظر إلى المستقبل البعيد، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله، فعلاً أصابت نظرة رسول الله ﷺ فخرج من أصلابهم آلاف الرجال الأفذاذ الذين عبدوا الله على أكمل وجه[1].

لقد كانت نظرة النبي ﷺ بعيدة تجاوز فيها آلامه النفسية والجسدية واستشرف الأفق الرحب للدعوة الإسلامية، لأن هداية الناس إلى الإسلام هي الغاية التي يسعى إليها ولأن تعبيد الناس لخالقهم هو الهدف الأسمى، ومن ثمَّ فإن سماحة خلقه ﷺ وحلمه كان لها الأثر العظيم في دعوته. ولقد كان رسول الله ﷺ دائماً يوجه أصحابه إلى عدم مقابلة الإساءة بالإساءة، وإنما يدعوهم دائماً إلى السماحة والعفو والإحسان والتحمل لمعرفته ﷺ بما يصلح النفوس، فالعفو والتسامح أقرب إلى الإصلاح من المقابلة بالمثل.

لقد شكا أحد الصحابة ما يجده من أقربائه من سوء المعاملة رغم إحسانه إليهم، فأمره بالاستمرار بحسن معاملته وبين له النتيجة في النهاية[2]. فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً. أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي. وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز المسعود ١/ ٣٠٠.
(٢) المرجع السابق ١/ ٣٠٢.

عَلَيَّ. فقَالَ ﷺ: (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ. وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ)(١).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: لَيْسَ بِذَٰلِكَ. وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)(٢).

وكلما ربا الإيمان في القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم، ونفر المرء من طلب الهلاك والغضب للمخطئين في حقه فقد قيل لرسول الله ﷺ: ادع على المشركين، قال: (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)(٣).

وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه، ويكظم غيظه ويملك قوله، ويتجاوز عن الهفوات، ويرثى للعثرات تكون منزلته عند الله(٤).

إن الدعاة إلى الله تعالى أحوج الناس إلى خلق الحلم لأنهم قد يصادفون من المدعوين من هو فظ غليظ، ومن هو متجاوز حده ولا يفلح مع هذا الصنف إلا الحلم وسماحة الخلق، حيث يستطيع الداعية من خلال تحلّيه بسماحة الخلق أن يستوعب أصناف المدعوين.

"إن الداعية الحكيم لا بد أن يتحلى بسعة الصدر وجميل الصبر حتى تثمر دعوته ويحقق أهدافه، ويبلغ غايته. ويخطئ أفحش الخطأ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم ٢٥٥٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم ٢٦٠٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم ٢٥٩٩.

(٤) خلق المسلم، الشيخ محمد الغزلي، ط/٢ دار القلم، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١١١.

من يظن أن المشكلات الفردية أو العادات الاجتماعية يمكن أن تعالج بجرة قلم أو قوة سلطان، أو فورة غضب فإن تغيير السلوك الفردي أو الاجتماعي ليس كتغيير شيء من الجماد عن موضعه، وإن فطم النفس عن المعصية إذا ألفتها واعتادت عليها من أشق الأمور وأصعبها، والداعية الأريب يجب أن يكون عارفاً بدوافع النفوس وكوابحها، قادراً على حسن توظيفها واستغلالها حتى لا تفل عزيمته ولا يدب اليأس إلى قلبه، وينكص على عقبيه"[(١)].

إن الحلم هو الأناة والتثبت في الأمر وما يلزم ذلك من ضبط النفس عن الغضب وكظم للغيظ وعفو عن السيئة، "والداعية الحليم هو ذو الأناة الذي لا يستفزه الغضب إذا واجه ما يغضبه، ولا يتسرع بالعقوبة بل يضبط نفسه ويتريث وبعد الأناة يتصرف على وفق مقتضيات الحكمة، وكل ذلك لا يكون إلا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب ولأهمية خلق الحلم فيجب أن يتجنب العجلة الرعناء في تصريف الأمور، وفي القيام بالأعمال وفي الحكم على الأشياء، واستعجال الأشياء قبل أوانها والسرعة في العقاب دون إمهال تقتضيه الحكمة التربوية، وأن يتجنب الطيش كلما ثارت في النفس ثائرة، وكلما تحرك في النفس دافع من الدوافع لتحقيق مطلب من المطالب، وأن يتجنب سرعة الغضب حينما يصطدم الإنسان بما يثير غضبه أو يخالف هواه"[(٢)].

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ط/١ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١١٦.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٩١.

المبحث الثاني
الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله

إن الرحمة مظهر من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام، يقول أبو البقاء الكفوي: "الرحمة حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"[1].

والرحمة من صفات الله - عز وجل- ، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾[2].

ورحمة الله خير من كل شيء، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3]. ورحمة الله قريبة قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4]، ورحمة الله واسعة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[5]، والرحمة من صفات الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[6]، وجعل الله الرحمة من صفات النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[7].

---

(١) الكليات، أبو البقاء الكفوي ص ٣٧٦.
(٢) سورة الكهف، آية: ٥٨.
(٣) سورة الزخرف، من الآية: ٣٢.
(٤) سورة الأعراف، من الاية: ٥٦.
(٥) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٦.
(٦) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.
(٧) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

قال ابن كثير: "يخبر الله تعالى عن محمد صلوات الله عليه أنه رسوله حقاً بلا شك ولا ريب، وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن"[1].

ولقد أوصى الله عباده المؤمنين بالرحمة فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾[2].

وقد دلت أحاديث السنة النبوية على رحمة رسول الله ﷺ بأمته صغيرها وكبيرها.

فعن قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوّلَ فيها، فأسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأتجوَّزُ في صلاتي كراهِيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ)[3].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ. قال: فقال: (يا أيُّها الناسُ، إنَّ منكم مُنفِّرينَ، فمَن أَمَّ الناسَ فلْيتجوَّزْ، فإنَّ خَلْفَهُ الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجةِ)[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير ٣٦٠/٧.

(٢) سورة البلد، الآية: ١٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: الإيجاز في الصلاة وإكمالها، رقم ٧٠٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، رقم ٦١١٠، وصحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، رقم ٤٦٦.

إن غضب النبي ﷺ وإنكاره الإطالة في الصلاة وإلحاق المشقة بالمصلين دليل على رحمته ﷺ بالمدعوين؛ حيث أراد النبي ﷺ أن يؤكد للدعاة من بعده تأكيداً عملياً على أهمية الرحمة وأثرها على المدعوين، حتى إنه ﷺ كان يقوم للصلاة يريد إطالتها، ولكنه يتجوز فيها لسماعه بكاء صبي، وكذلك غضبه لإطالة الصلاة مما يؤدي إلى التنفير، حتى أن بعض الناس يُصر على الإطالة في الصلاة ويعتبر ذلك أمراً لابد منه، متغافلاً عن ظروف الناس وحاجاتهم وأحوالهم الصحية، إن السماحة والرحمة لها أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى.

ومما يدل على سماحة أخلاقه ﷺ ما جاء في هذا الحديث: فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: (اللهمَّ ارحمْهما فإني أرحمُهما)[1].

وقال قتادة: (خرجَ علينا النبيُّ ﷺ وأُمامَة بنتُ أبي العاص على عاتِقه فصلى، فإذا ركعَ وضعها، وإذا رفعَ رفعَها)[2].

ومن سماحة أخلاقه ﷺ أنه كان يداعب الأطفال ويلاطفهم، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَىٰ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: وضع الصبي على الفخذ، رقم ٦٠٠٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٩٩٦، وصحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز حمل الصبيان في الصلاة، رقم ٥٤٣.

وَاحِداً وَاحِداً. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أَوْ رِيحاً كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ[1])[2].

قال النووي: "وفي مسحه ﷺ الصبيان بيان حسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم"[3].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعاً لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ. فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ. فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ. وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْناً. فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ. ثُمَّ يَرْجِعُ)[4].

ولقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه، ويخفف أحزانه، ويرثى لخطاياه، ويستميت في هدايته ويأخذ بناصر الضعيف، ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها. ويخضد شوكة القوي حتى يرده إنساناً سليم الفطرة لا يضرى ولا يطغى.. فأرسل محمداً عليه الصلاة والسلام وسكب في قلبه العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والسماحة والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق وفي يده من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدراً[5].

---

(١) جؤنة عطار: هي السقط الذي فيه متاع العطار، انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ١٤٣٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم ٢٣٢٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٣٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم ٢٣١٦.

(٥) خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي ص ٢٠٤.

ولذلك قال الله تعالى فيه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1].

وقد لازمته هذه الفضائل العذبة في جميع حياته وحثّ أصحابه عليها وبيّن فضل ذلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)[2].

وقال ﷺ: (لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلاَّ مِنْ شَقِيّ)[3].

إن الرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، وكف العسف والظلم، ومنع التعدي والبغي[4].

والرحمة لها أثر فاعل في مجال الدعوة إلى الله فعلى الدعاة إلى الله أن يكون تعاملهم مع المدعوين بالرحمة، يقول الشيخ السعدي: "إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق، فإن الله لم يكلف نفساً إلا وسعها، وإذا تدبرت ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وفي حقوق الوالدين والأقربين والجيران وسائر ما شرع وجدت

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٢) رواه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة الناس، رقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص ٤٣٩، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في الرحمة، رقم ٤٩٤١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٧٤٠.

(٣) رواه الترمذي، كتاب: الأدب، باب: في رحمة الناس، رقم ١٩٢٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص ٤٣٩.

(٤) دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق، ط/١ دار الكتاب العربي: ١٩٧٣م، ص ١٧١.

ذلك كله مبنياً على الرحمة فلقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخلق"(١).

وقال ابن حجر تعليقاً على حديث: (من لا يَرحمُ لا يُرحَم)(٢)، قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم والمملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسعي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب، وقال ابن أبي جمرة: لا ينظر الله بعين الرحمة إلا لمن جعل في قلبه الرحمة ولو كان عمله صالحاً وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى في الإعانة عليه"(٣).

هذا وقد نبه الله نبيه أن يتعامل مع الناس بالرحمة وهو إمام الدعاة وقدوتهم وأنه إذا استعمل الخشونة والشدة معهم تركوه ولم يجالسوه، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾(٤). "أي لست يا محمد فظاً في أقوالك ومخاطبتك للناس غليظ القلب عديم الرقة واللطف والرحمة في واقع حالك الخلقي"(٥).

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٦١، ٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب:رحمة الناس والبهائم، رقم ٦٠١٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٥/١٠.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٥) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٤٦، ٤٤٧.

قال السعدي: "أي: برحمة الله لك ولأصحابك منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك، ولو كنت سيىء الخلق قاسي القلب لانفضوا من حولك لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ، فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدنيا تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبها من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين، تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم ﷺ يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله وجذباً لعباد الله لدين الله"(١).

ويقول الشيخ الميداني: "وفي هذه الآية ثناء من الله على رسوله ﷺ بأنه ليس فظاً ولا غليظ القلب، وفي هذا توجيه بصورة غير مباشرة لكل من يضطلع بمهمات الدعوة أسوة حسنة لهم، أن لا يكون فظاً سيئ الخلق شرساً، وأن لا يكون غليظ القلب قاسياً لا رحمة عنده، فمن كان كذلك نفر عنه المتأثرون ببياناته الدينية وانفضوا من حوله، وصار مزهوداً فيه، وغير ذي تأثير في دعوته، فإن الفظ السيئ الخلق أو الغليظ القلب لا يصلح ابتداءً لأن يكون داعياً لأحد من غير المسلمين إلى دين الله، لأنه سينفره من الدين لأول بادرة سوء خلق وفظاظة يلاحظها فيه، ويجفوه إذا أدرك أنه غليظ القلب عديم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ١٢١.

الرحمة جاف العواطف النبيلة، فلا يستمع إليه ولا يصغي إلى أقواله ونصائحه"[1].

ويقول الشيخ السيد سابق: "والرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، وكف العسف والظلم، ومنع التعدي والبغي وقد أراد الإسلام أن يطبع الناس بها حتى تمتلئ قلوبهم خيراً وبراً وتفيض على الدنيا رجاءً وأملاً، إن طبيعة الإسلام سهلة سمحة رحيمة، وهو يريد أن يطبع النفوس بطابع الرحمة، وأن ينشئهم على هذه الفضيلة حتى ينعم الناس في ظلها الوارف، ويعيشوا في كنفها آمنين، وينزل عليهم سلام الله ورحمته وبركاته"[2].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ١٩٧/١.

(٢) دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق، ط/١ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٣م، ص ١٧١.

المبحث الثالث

العدل وأثره في الدعوة إلى الله

إن من الأخلاق التي تدل على سماحة الإسلام العدل، قال الراغب في المفردات: "والعدل: العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً ولا يوصف بالاعتداء بوجه نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذية عمن كف أذاه عنك، وعدل يعرف كونه عدلاً بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأزمنة كالقصاص وأروش الجنايات، وأصل مال المرتد، والعدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر"[1].

وقال ابن حزم: "العدل هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه والعدل حصن يلجأ إليه كل خائف، وذلك أنك ترى الظالم وغير الظالم، إذا رأى من يريد ظلمه دعا إلى العدل وأنكر الظلم حينئذ وذمه ولا ترى أحداً يذم العدل فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين"[2].

وقال الجرجاني: "العدل: الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط، والعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً"[3].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الإمام الراغب الأصفهاني، دون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة، ص ٣٢٥.

(٢) مداواة النفوس، الإمام ابن حزم الأندلسي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٧٨.

(٣) التعريفات، الجرجاني ص ١٥٣.

وقد دلت نصوص القرآن الكريم على أهمية العدل وفضله، وعلى ضرورة وجوده بين الناس ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

قال الإمام القاسمي: "والعدل هو القسط والتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه، وقد جاء عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية، ولمّا تليت هذه الآية على أكثم بن صيفي قال لقومه: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذناباً، والآية لما فيها من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى صارت أجمع آية لاندراج ما ذكر فيها"[2].

وقال الطاهر بن عاشور: "والعدل إعطاء الحق إلى صاحبه وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات، إذ المسلم مأمور بالعدل في ذاته، ومأمور بالعدل في المعاملة وهي معاملة مع خالقه بالاعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه، ومعاملة مع المخلوقات من أصول المعاشرة العائلية، والمخالطة الاجتماعية، وذلك في الأقوال والأفعال ومن هذا تفرعت شعب نظام المعاملات الاجتماعية من آداب وحقوق وأقضية وشهادات ومعاملة مع الأمم، ومرجع تفاصيل العدل إلى أدلة الشريعة. فالعدل هنا كلمة مجملة جامعة وهي بإجمالها مناسبة إلى أحوال المسلمين حين كانوا

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) محاسن التأويل، الشيخ جمال الدين القاسمي ١٠/١٥٠ - ١٥١.

بمكة فيصار فيها إلى ما هو مقرر بين الناس في أصول الشرائع، وما رسمته الشريعة من البيان في مواضع الخفاء فحقوق المسلمين بعضهم على بعض من الأخوة والتناصح قد أصبحت من العدل بوضع الشريعة الإسلامية"[1].

ومن آيات القرآن الكريم التي تحث على خلق العدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[3] وقوله جل شأنه: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟﴾[4] وفي الأمر بالعدل قال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[5]. إلى غير ذلك من نصوص القرآن الكريم التي تأمر بالعدل وتحث عليه. أمَّا في السنة النبوية المطهرة فقد ذكّر رسول الله ﷺ المسلم بأنه: (كلَّ يومٍ تَطلُعُ فيهِ الشمسُ، يَعدِلُ بينَ الناسِ صَدقةٌ)[6].

وربط عدل الإنسان في الدنيا بمصيره في الآخرة حيث يوضع الميزان ويحاسب الناس بالقسطاس المستقيم فأخبر ﷺ أن الله قد خص أهل العدل في الدنيا بإعلاء شأنهم في الآخرة، وتقريبهم منه سبحانه كما في الحديث: (إنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، بدون، ٢٥٥/١٤.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٢.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٦) صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: الإصلاح بين الناس، رقم ٢٧٠٧.

يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)[(1)].

والأمة المسلمة لا يشفع لها إسلامها في استحقاق التأييد من الله إذا كانت ظالمة، فمن أسباب التمكين في الأرض والتأييد من الله أن يحال دون تفشي المظالم وأن يعم العدل حياة المسلمين[(2)].

ولذلك قال ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام"[(3)].

وقد بيّن الإسلام أن الجميع متساوون أمام قانون الكتاب والسنة، ولا بد من تنفيذه فيهم بدرجة واحدة من أدنى فرد في الدولة إلى القادة والحكام، وليس فيه موضع لمعاملة شخص ما معاملة مختلفة عن غيره وكما جاء في القرآن أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ لأن يعلن: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[(4)].

يعني: إنني مأمور بالإنصاف دون عداوة فليس من شأني أن أتعصب لأحد أو ضد أحد، وعلاقتي بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل والإنصاف، فأنا نصير من كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات لأي فرد كائناً من كان، وليس لأقاربي حقوق وللغرباء عندي حقوق أخرى ولا للأكابر عندي مميزات لا يحصل عليها

---

(1) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم ١٨٧.

(2) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٢٣٤.

(3) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١٤٦/٢٨.

(4) سورة الشورى، من الآية: ١٥.

الأصاغر، والشرفاء والوضعاء عندي سواء، فالحق حق للجميع، والذنب والجرم ذنب للجميع، والحرام حرام على الكل، والحلال حلال للكل والفرض فرض على الكل.

يقول رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ، تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[(١)].

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (رأيت رسول الله ﷺ يقتص من نفسه)[(٢)].

فالإسلام يدعو إلى العدل وذلك لأن العدل إذا وجد في المجتمع وجدت السماحة في الأخلاق والحرص على أن يأخذ الإنسان حقه ويعطي غيره حقه كاملاً، ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (اشْتَرَىٰ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَاراً لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَىٰ الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي. إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ. وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضَ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا. قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ رَجُلٍ. فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غَلامٌ. وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ. وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا)[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: منه ٥٤، رقم ٤٣٠٤، وصحيح مسلم، كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، رقم ١٦٨٨.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج بن الجوزي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ٩٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ٥٤، رقم ٣٤٧٢، وصحيح مسلم، كتاب: الأقضية، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، رقم ١٧٢١.

وفي الوقت الذي يأمرنا فيه الإسلام بالتسامح والاعتدال، ينهانا عن التشدد والغلو، والنصوص الإسلامية التي تدعو إلى الاعتدال كثيرة، والواقع أن الذي ينظر في هذه النصوص يتبين بوضوح أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا الغلو، ويحذر منه أشد التحذير، إن إشاعة العدل بين الناس والعمل على ترسيخه في التعاملات الاجتماعية مما يؤكد على سماحة الإسلام وتأكيده على تحري العدل في سائر الأمور وبين الناس كافة فالعدل في الإسلام ليس مقصوراً على المسلمين فحسب بل إن الإسلام ليؤكد على أهمية العدل بين الناس جميعاً، وعلى عدم ظلم غير المسلمين، وتوخي العدل معهم، ولعل التاريخ قد سجل بأحرف من ذهب عدل عمر بن الخطاب ﷺ حتى مع غير المسلمين مما كان له الأثر الكبير في نشر الإسلام في أصقاع الأرض، حيث كان عمر ﷺ لا يتردد في العدل والإنصاف للناس وإن كانوا غير مسلمين، فقد أنصف القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص، وأمر القبطي أن يضرب ابن عمرو بن العاص، وقال له اضرب ابن الأكرمين ثم قال قولته المشهورة "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

إن العدل بمفهومه الشامل الواسع من الأخلاق الهامة في الدعوة إلى الله - تعالى- لأنه يدل على سماحة الإسلام وبره وقسطه، وبالعدل ينطلق الدعاة إلى الله يبشرون الناس بدين الله، قال الإمام الماوردي: "إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل الذي يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال ويكبر معه النسل ويأمن به السلطان. وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي

إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل، والعدل أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن فيه البريء، يأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم والأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل"(١).

وبالعدل ينتشر الإسلام بين الناس فقد قال ربعي بن عامر ﷺ لرستم قائد الفرس لما سأله ما جاء بكم؟ قال: "ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى"(٢).

والعدل من أركان الشريعة، ويستطيع الدعاة إلى الله من خلاله إبراز مقاصد الإسلام ومحاسن شريعته، يقول الإمام ابن القيم: "ومن له ذوق في الشريعة، وإطلاع على كمالاتها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بغاية العدل، الذي يفصل بين الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها وحَسُنَ فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، ط/٤ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٤٤.

(٢) البداية النهاية، ابن كثير ٧/ ٤٠.

فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة علمها من علمها وجهلها من جهلها"[1].

وفي أهمية العدل يقول الشيخ الميداني: "إن ميزان العدل يزن قيم الأشياء وقيم الأعمال بالاستناد إلى قواعد الحق فمتى تساوت كفتا الميزان استقامت إشارة العدل، إن العدل عمل شديد الدقة يحتاج إلى بصر نافذ ومهارة فائقة وخبرة بالأشياء والأعمال، ومعرفة بقيمها الذاتية، وإلا اختل ميزان العدل وجار، وجنح صاحبه إلى ظلم كبير شنيع وقد نبهت نصوص الشريعة الإسلامية على ارتباط ميزان العدل بمقاييس الحق ولما كان العدل أحد فروع خلق حب الحق وإيثاره، وأثراً تطبيقياً من آثاره كان لا بد أن نجد الذين يحبون الحق ويؤثرونه قوماً متصفين بخلق العدل فأهل الإيمان الصادقين أهل عدل فإيمانهم به يدفعهم إلى إقامة العدل والحكم بالعدل والشهادة بالعدل ومعاملة الناس بالعدل والقول بالعدل والكتابة بالعدل إلى غير ذلك مما يدخل فيه العدل والجور"[2].

وإذا كان من سماحة الأخلاق في الإسلام العدل بين الناس، وإشاعة هذا الخلق العظيم، فإن الإسلام ينهى عن الغلو والتجاوز في الأمور، لاسيما في أمور الدين لأن الغلو يؤدي إلى عواقب وخيمة تؤدي إلى النفور من الدين، ويؤدي إلى عقبات كبيرة في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

وحسبنا أن نقرأ هذه الأحاديث الكريمة لنعلم إلى أي حد ينهى الإسلام عن الغلو ويخوف من مغبته، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دون تاريخ ورقم للطبعة، دار الوطن، ص ٤ - ٥.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٦٥.

قال: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّين)[1].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)، قَالَهَا ثَلاَثاً[2]، والمتنطعون هم: المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، المتعصبون غير المتسامحين.

ومن أجل ذلك قاوم النبي ﷺ كل اتجاه ينزع إلى الغلو في التدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ووزان به بين الروحية والمادية، ووفق بفضله بين الدين والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة التي خلق لها الإنسان[3].

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي، رقم ٣٠٢٩، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ص ٥١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، رقم ٢٦٧٠.

(٣) انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ط/٤ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٤ - ٢٧.

المبحث الرابع
الرفق وأثره في الدعوة إلى الله

إن من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام أن يكون الإنسان رفيقاً في أحواله كلها، فالرفق مظهر من مظاهر سماحة الخلق، قال ابن الأثير: "والرفق: لين الجانب وهو خلاف العنف ومنه اللطف، ويقال: الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة"(١).

وقال أبو حامد الغزالي: "اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، لا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق، قال سفيان الثوري لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما جاء في سائر الأخلاق"(٢).

هذا وقد دلّ القرآن الكريم على أهمية الرفق وضرورته، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٣٦٨.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/١٨٤، ١٨٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وأمر الله موسى ﷺ وأخاه هارون أن يخاطبا فرعون برفق ولين، قال الله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1].

هذا وقد دلت نصوص السنة النبوية على فضل الرفق وأهميته في حياة المسلم، فعن عائشة عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)[2].

والرفق مما يحبه الله عز وجل، فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ)[3].

والرفق كله خير، فقد جاء في الحديث: (مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ)[4].

وبين ﷺ أن وجود الرفق والسماحة في قوم دليل على أن الله تعالى أراد بهم خيراً. فقد روى البزار عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْراً أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ)[5].

ودعا النبي الكريم ﷺ لمن رفق بأمته، فقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ)[6].

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ - ٤٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم ٢٥٩٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم ٢٥٩٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم ٢٥٩٥.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب: الأدب، باب: في الرفق ١٩/٨، وقال الحافظ الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ١٩/٨.

(٦) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم ١٨٢٨.

وتتجلى مظاهر السماحة واللين من خلال نهي النبي ﷺ عن ضرب الآكل بسبب الجوع والجهل من بستان غيره بغير إذنه وأخذ ثوبه فقد روى ابن ماجة عن عباد بن شرحبيل - رجل من بني غبر - قال: أَصَابَنَا عَامُ مَخْمَصَةٍ. فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ. فَأَتَيْتُ حَائِطاً مِنْ حِيطَانِهَا. فَأَخَذْتُ سُنْبُلاً فَفَرَكْتُهُ وَأَكَلْتُهُ وَجَعَلْتُهُ فِي كِسَائِي. فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ. فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ: (مَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعاً أَوْ سَاغِباً. وَلاَ عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلاً) فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ فَرَدَّ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ[1].

ومن مظاهر الرفق والشفقة السماحة في تعليم الصغير، فقد روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة ﷺ يقول: كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللّهِ. وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ. فَقَالَ لِي: (يَا غُلاَمُ سَمِّ اللّهَ. وَكُلْ بِيَمِينِكَ. وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)[2].

وفي رواية لأبي داود أنه ﷺ قال له: (ادْنُ يَا بُنَيَّ، وسَمِّ الله وكُلْ بيَمينِكَ وكُلْ مِمَّا يَلِيك)[3].

ولا تقتصر مظاهر الرفق والسماحة على المتعلمين فحسب، ولكنها تشمل الرفق مع المبتدئ والسماحة معه فعندما بعث النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن كان أول ما أوصاهما به أن: (يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا)[4].

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب: التجارات، باب: من مرّ على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه، رقم ٢٣١٩، ٢/ ٣٥ المطبوع بتحقيق: د. الأعظمي، وقال عنه الألباني: صحيح، صحيح سنن ابن ماجة رقم ١٨٦١ ٢/ ٣١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب، رقم ٢٠٢٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب: الأطعمة، باب: الأكل باليمين، رقم ٣٧٧٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٧٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ: (يسروا ولا تعسروا)، رقم ٦١٢٤.

قال ابن حجر: "والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده"(١).

ومن الصور العملية التي فعلها النبي ﷺ لتعليم أصحابه كيف يكون الرفق مع المبتدئ ما جاء عن معاوية بن الحكم الأسلمي قال: بَيْنَا أنا أُصَلِّي مَعَ رَسولُ الله إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صلى رسول الله ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللَّه مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)(٢).

هذا ولم تكن السماحة والرفق قاصرة على الصغير، ولا على المبتدئ، إنما تشمل كذلك الرفق بالحيوان، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بينا رجلٌ يَمشي فاشتدّ عليه العَطَشُ، فنَزَلَ بئراً فشَرِبَ منها، ثمّ خرَجَ فإذا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ يأكُلُ الثّرَى مِنَ العَطَشِ، فقال: لقد بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بي. فمَلأَ خُفّهُ ثمّ أمسَكَهُ بفيه، ثمّ

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٦٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، رقم ٥٣٧.

رَقِيَ فسَقَى الكلْبَ، فشَكَرَ اللَّهُ لهُ فغَفَرَ له. قالوا: يا رسول اللَّه، وإنّ لنا في البهائِمِ أجْراً؟ قال: في كلّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجر)[1].

قال ابن حجر: "وفيه الحث على الإحسان لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقي الكلب فسقي المسلم أعظم أجراً"[2].

إن الرفق في الدعوة إلى الله تعالى يؤدي إلى توثيق العلاقة بين الداعية والمدعوين لأن نفوس الناس لا تُساس إلا بالرفق، ولا يتأتى التأثير على المدعو إلا من خلال التلطف معه، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، حيث كان ﷺ قدوة في الرفق في تعليمه للجاهل وتوجيه المخطئ باللين وعدم تجريحه مما يحافظ على مشاعره، ويؤدي إلى كسبه واستقطابه واستجابته لتوجيهات الداعية.

يقول الشيخ الميداني: "وأولى الناس بالتخلق بخلق الرفق الدعاة إلى الله والمعلمون، فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرفق في دعوة الخلق إلى الحق، وتعليم الناس لا يؤتي ثمراته الطيبات ما لم يقترن بخلق الرفق الذي يملك القلوب بالمحبة أما العنف فمن شأنه التنفير من الداعي، والتنفير من المعلم، إن من توجه له الدعوة إلى الخير أو يراد تعليمه متى وجد العنف والشدة انكمشت عاطفته فانغلق قلبه ومتى انغلق قلبه انغلق فكره، وعندئذ يصير كصخرة صماء ترجع ولا تمتص بخلاف الداعي أو المعلم الرفيق الحليم ذي الأناة، فإنه يملك القلوب بالمحبة وعندئذ تتفتح له القلوب التي أحبته،

(١) صحيح البخاري، كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء، رقم ٢٣٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٤٢.

ومتى انفتحت إليه الأفكار، وتأثرت به وتفاعلت معه آتت دعوته وأعماله ثمراتها طيبة يانعة"[1].

إن الهدف الرئيس للداعية هو أن يستقيم المدعوون على طاعة الله، ويحرصوا على الطاعات ويتجنبوا المنكرات ولكي يتحقق له ذلك فلا بد من الرفق في الدعوة حتى يصل إلى هدفه المنشود.

"إن الداعية يواجه صنوفاً شتى من الناس وأخلاقاً متنوعة من فئات المجتمع ولكي ينجح الداعية في التعامل مع شتى الطبقات، وتحت كافة الظروف فلا بد من التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله وأن يتصف - في تعامله - بلين الجانب وسهولة المعاشرة حتى يفتح - لدعوته - مغاليق القلوب، وينفذ - بنصحه - إلى أعماق النفوس ومن هنا كان اتصاف الداعية بالرفق والتيسير في دعوته إلى الله شيئاً أساسياً في سلوكه إذا أراد السداد والصواب، وتتضح أهمية الرفق في حياة الدعاة باعتبار أن الداعية يبغي بدعوته هداية الناس إلى طاعة الله، واستنقاذهم مما يسخطه ويغضبه، وليس الأمر - بالنسبة له- مجرد أداء الواجب لتقوم الحجة على الناس فقط ولا يتسنى للداعية أن يقوم بهذه الوظيفة إلا إذا اتصف بالحلم وطول النفس والتزم الرفق ولين الجانب"[2].

ولا شك أن سلوك طريق الرفق في الدعوة هو سبيل الأنبياء عليهم السلام، "إن الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٨٥.

الدعوة إلى الله تعالى في أول الأمر بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة الذي يشعر المدعو والمأمور والمنهي بأنك مشفق عليه وتحب له الخير حتى تتفتح لك نفسه ويستجيب للدعوة والأمر والنهي، فإن الناس في حاجة إلى كنف رحيم إلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطاء فعلى الداعي أن يكون هيناً عطوفا مشفقاً على الناس"[1].

وتتسع صورة الرفق لتشمل الرفق في أخذ الدين حتى يقدم الداعية صورة معتدلة للتدين الحق، "إن الرفق في أخذ الدين هو العامل الرئيس في تكوين صورة متزنة عند الداعية المسلم وإن صورة الاتزان هذه تكمن في التعامل مع الفطرة وعدم معارضتها بما لا تطيق، وإنه ما من مسلم يأخذ هذا الدين بصورة غير طبيعية بها نوع من العنف مع نفسه وفطرته إلا نتج عنه انحراف عن المنهج الرباني الصحيح.. وهناك نتيجة أخرى وهي: التقوقع واعتزال الناس وهو مرض نفسي ناتج من الأخذ غير المتزن؛ فالمطلوب في هذا الدين الرفق في أخذ أحكامه، والرفق في تطبيقها وليست الشدة في أخذ هذا الدين وترك الرفق من التقوى"[2].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز أحمد المسعود ١/ ١٨٥.

(٢) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ط/١ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٤٨، ٤٩.

المبحث الخامس
العفو وأثره في الدعوة إلى الله

إن من سماحة الأخلاق في الإسلام أن يعفو الإنسان عن الآخرين ويسامحهم ويتجاوز عنهم، قال الكفوي: "العفو: كف الضرر مع القدرة عليه وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو، والعفو عن الذنب يصح رجوعه إلى ترك ما يستحقه المذنب من العقوبة، وإلى محو الذنب وإلى الإعراض عن المؤاخذة كما يعرض المرء عما يسهل على النفس بذله"(١).

وقال الراغب: "والعفو: القصد لتناول الشيء، والعفو هو التجافي عن الذنب، وتعاطي العفو عن الناس"(٢).

وقال ابن الأثير: "العفو من أسماء الله تعالى وهو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة"(٣).

وقال الطيبي رحمه الله: "العفو يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو أبلغ من الغفور لأن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو وأصل العفو: القصد لتناول الشيء، سمي به المحو؛ لأنه قصد لإزالة الممحو وحفظ العبد منه ظاهر، قال الشيخ أبو القاسم: من عرف أنه تعالى عفو، طلب عفوه، ومن طلب عفوه تجاوز عن خلقه فإن الله تعالى بذلك أدبهم وإليه ندبهم وإن الكريم إذا عفا حفظ قلب المسيء عن الاستيحاش بتذكيره سوء فعله بل يزيل عنه تلك الخجلة

---

(١) الكليات، لأبي البقاء الكفوي ص ٦٣٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٣٣٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ص ٦٢٧.

بما يسبل عليه من ثوب العفو، ويفيض عليه من ذيول الصفح، وعفو الله تعالى عن العباد ليس مما يستقصى بالعبارات كنه معانيه"[1].

وقد أخبر القرآن الكريم أن العفو من أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾[3]، وجعل الله العفو من صفات المتقين قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4].

قال السعدي رحمه الله: "ومن أوصاف المتقين أنهم إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم فإنهم لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم، ويدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه ويكون أجره على ربه الكريم لا على العبد الفقير"[5].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الطيبي ٥/٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٩.

(٣) سورة المجادلة، من الآية: ٢.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ - ١٣٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ١١٦.

وقد أمر الله نبيه بالصفح والعفو، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[4]، وبين الله سبحانه عاقبة العفو والصفح فقال جل شأنه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]، وبيّن الله تعالى أن ثواب وأجر الذي يعفو على الله فقال عز من قائل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[7]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[8]، ولقد كان من دعاء المؤمنين طلب العفو من الله قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[9].

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) سورة الحجر، من الاية: ٨٥.

(٥) سورة النور، من الآية: ٢٢.

(٦) سورة الشورى، من الآية:٤٠.

(٧) سورة التغابن، من الاية: ١٤.

(٨) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧

(٩) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

وهذه النصوص جميعها تدل على التأكيد على خلق العفو والذي يدل بدوره على سماحة الأخلاق في الإسلام وكذلك أيضاً قد حثت السنة النبوية على العفو والمسامحة فعن أنس بن مالك ﷺ أنَّ الرُّبَيِّعَ - وهي ابنةُ النَّضرِ - كسرَتْ ثنيَّةَ جاريةٍ، فطلبوا الأرشَ وطلبوا العفوَ، فأبَوا. فأتَوُا النَّبيَّ ﷺ فأمرَهم بالقِصاصِ، فقال أنَسُ بنُ النَّضرِ: أتُكسَرُ ثَنيَّةُ الرُّبيِّعِ يا رسولَ الله؟ لا والذي بَعثَكَ بالحقِّ لا تُكسَرُ ثنيَّتُها، فقال: (يا أنسُ كتابُ اللهِ القِصاصُ. فرَضِيَ القومُ وعَفَوا، فقال النَّبيُّ ﷺ: إنَّ مِن عِبادِ اللهِ مَن لَو أقسَمَ على اللهِ لأَبَرَّه)(١).

ومن سماحة الأخلاق العفو عن المسيء فعن أسامة بن زيد ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ (ركبَ حماراً عليهِ إكافٌ تحتَهُ قَطيفةٌ فَدَكية، وأردَفَ وراءَهُ أُسامةَ بن زيدٍ وهو يَعود سعدَ بن عُبادةَ في بني الحارثِ من الخزْرج - وذلك قبلَ وَقعةِ بدرٍ - حتى مرَّ في مجلس فيهِ أخلاطٌ منَ المسلمين والمشركين عَبَدةِ الأوثانِ، واليهودِ، وفيهم عبدُ اللّه بن أُبيٍّ بنُ سَلولَ، وفي المجلسِ عبدُ اللّه بن رَواحة. فلما غَشِيتِ المجلسَ عَجاجة الدَّابَّة خَمَّرَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ أنفَهُ بردائه، ثم قال: لا تغبِّروا علينا. فسلَّم عليهمُ النبيُّ ﷺ ثم وقفَ فنزَلَ فدَعاهُم إلى الله، وقرأ عليهمُ القرآن. فقال عبدُ اللّه بن أُبيٍّ بنُ سَلولَ: أيُّها المرءُ لا أحسن من هذا إن كان ما تقولُ حقاً، فلا تُؤذِنا في مَجالسنا، وارجعْ إلى رَحلكَ فمن جاءَك منَّا فاقصُصْ عليه، فقال ابن رَواحةَ: اغشَنا في مجالسنا فإنّا نحبُّ ذلك. فاستبَّ المسلمونَ والمشركون واليهود حتى هَموا أن يَتواثَبوا، فلم يَزلِ

(١) صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: الصلح في الدية، رقم ٢٧٠٣، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب: القسامة، باب: إثبات القصاص في الأسنان، رقم ١٦٧٥.

النبيُّ ﷺ يُخفِّضهم، ثم ركبَ دابَّته حتى دخل على سعدِ بن عُبادةَ فقال: أيْ سعدُ، ألم تَسمعْ ما قال أبو حُباب - يريدُ عبدَ الله بن أُبيّ - قال كذا وكذا. قال: اعفُ عنه يا رسول الله واصفَحْ، فواللّهِ لقد أعطاكَ الله الذي أعطاك، ولقدِ اصطَلَحَ أهلُ هذه البُحيرةِ[1] على أن يُتوِّجوه فيعصِّبونه بالعِصابة، فلما ردَّ الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ شَرِقَ بذلك، فذلك فَعلَ به ما رأيتَ. فعفَا عنه النبيُّ ﷺ)[2].

وفي الحث على العفو جاء عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الأَنْصَارَ كَرْشِي وَعَيْبَتِي[3]. وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ. فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ)[4].

وفي مسامحة الخادم والعفو جاء عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت،

---

(١) أهل هذه البحيرة: هي القرية والمراد بها مدينة النبي ﷺ، انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ١١٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: التسليم على مجلس فيه أخلاط، رقم ٦٢٤٥، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: في دعاء النبي وصبره على أذى المنافقين، رقم ١٧٩٨.

(٣) الأنصار كرشي وعيبتي: قال العلماء معناه: جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمدهم في أموري، قال الخطابي: ضرب مثلاً بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه، والعيبة: وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها ضربها مثلا، لأنهم سره وخفي أحواله، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ١٥١٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار، رقم ٢٥١٠.

ثم أعاد إليه الكلام، فصمت فلما كان في الثالثة قال: (اعْفُو عَنْهُ في كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً)[1].

وحثّ رسول الله ﷺ على السماحة والعفو، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ)[2].

وعلّم النبي ﷺ أصحابه فضل سماحة الخلق والعفو والغفران، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: كنتُ جالساً عندَ النبيِّ ﷺ، إذ أقبَلَ أبو بكر آخِذاً بطرَفِ ثوبه حتى أبْدى عن ركبتهِ، فقال النبيُّ ﷺ: أمّا صاحِبكُم فقد غامَرَ، فسلَّم وقال: يا رسولَ الله، إني كان بيني وبينَ ابن الخطابِ شيءٌ، فأسرَعْتُ إليه ثمَّ نَدِمتُ، فسألته أن يَغفِرَ لي فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليك. فقال: يَغفرُ اللّهُ لك يا أبا بكر (ثلاثاً). ثمَّ إنَّ عمرَ ندِمَ، فأتى منزلَ أبي بكر فسألَ: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبيِّ ﷺ، فجعلَ وَجهُ النبيِّ ﷺ يَتمعَّرُ[3]، حتى أشفق أبو بكرٍ فجَثا على رُكبتَيهِ فقال: يا رسولَ اللّهِ، واللّهِ أنا كنتُ أظلمَ (مرَّتَين). فقال النبيُّ ﷺ: (إنَّ اللّهَ بَعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكرٍ:

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في حق المملوك، رقم ٥١٦٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٧٧٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم ٢٥٨٨.

(٣) يتمعَّر: أي يحمر من الغضب، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٦٦٠.

صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تارِكولي صاحبي؟ (مرَّتين). فما أوذِيَ بعدَها)[1].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ[2]، وَيْلٌ لِلْمُصِرِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[3].

ولقد كان من هدي النبي ﷺ السماحة والعفو عمن يسيء إليه، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ. يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)[4].

ومن سماحة خلق رسول الله ﷺ ما جاء عن عائشة قالت: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ. وَلاَ امْرَأَةً. وَلاَ خَادِماً. إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ. فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ. إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[5].

ومن نماذج توجيه النبي ﷺ أصحابه ﷺ إلى السماحة والعفو ما جاء عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَماً لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، رقم ٣٦٦١.

(٢) لأقماع القول: الأقماع جمع قمع وهو ما يوضع في فم الإناء إذا صبّ فيه دهن أو غيره، وفي فم القربة إذا صبّ فيه الماء، وقد شبه الذين يستمعون القول ولا يعونه بالأقماع التي لا تمسك شيئاً ممّا يفرّغ فيها، الموسوعة الحديثية ٩٩/١١.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٦٥/٢ رقم ٦٥٤١، وقال محققو المسند: إسناده حسن، انظر: الموسوعة الحديثية، ٩٩/١١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين، باب: منه رقم ٥، رقم ٦٩٢٩، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم ١٧٩٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، رقم ٢٣٢٨.

خَلْفِي صَوْتاً (اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ! لَلّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللّهِ، فَقَالَ: (أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ)[1].

ولخلق العفو أثر فاعل في الدعوة إلى الله تعالى فإن السماحة والصفح والعفو تحبب المدعوين، وتقربهم من الداعية، "لأن من فوائد سماحة النفس والعفو أن الإنسان من خلالها يستطيع أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له، وثقة الناس به، لأنه يعاملهم بالسماحة والبشر ولين الجانب والتغاضي عن السيئات والنقائص فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح كان في نصحه رفيقاً ليناً، سمحاً هيناً يسر بالنصيحة ولا يريد الفضيحة يسد الثغرات، ولا ينشر الزلات والعثرات، ويعامل الناس بالعفو والسماحة في الأمور المادية، ويجلب سمح النفس الهين لنفسه الخير الدنيوي بتسامحه، وذلك لأن الناس يحبون المتسامح الهين اللين، فيميلون إلى التعامل معه، فيكثر عليه الخير بكثرة محبيه والواثقين به ويجلب سمح النفس الهين اللين لنفسه رضا الله تعالى والخير الأخروي العظيم ما ابتغى بسماحته رضوان الله عز وجل"[2].

قال الماوردي: "وأما العفو والمسامحة في الأحوال فهي إطراح المنازعة في الرتب، وترك المنافسة في التقدم، فإن مشاحة النفوس فيها أعظم، والعناد عليها أكثر، فإن سامح فيها ولم ينافس كان مع أخذه بأفضل الأخلاق، واستعماله لأحسن الآداب أوقع في النفوس من إفضاله برغائب الأموال ثم هو أزيد في رتبته، وأبلغ في تقدمه وإن شاح

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: صحبة المماليك، رقم ١٦٥٩.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٤٠ - ٤٤١.

فيها ونازع كان مع ارتكابه لأخشن الأخلاق، واستعماله لأهجن الآداب، أنكى في النفوس من حد السيف وطعن السنان، ثم هو أخفض للمرتبة وأمنع من التقدم"[١].

وعن أثر العفو وبيان ذلك يقول الشيخ السيد سابق: "وفي التعويض الذي أعده الله للعافين عن الناس شفاء للنفس وتفريغ للغيظ وإن ذلك أجدى على الإنسان وأحسن عاقبة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في ميزان الحق، إذ السيئة سيئة في قدر الله وفي عرف الناس، والحسنة حسنة في قدر الله وعند الناس كذلك، وإن لكل منهما نتائجه في واقع الحياة وإذا كان ذلك كذلك فلا معدي عن ما هو من شأنه أن يجمع القلوب ويربط الصلات وليست ثمة أبلغ من حسنة تقدم إلى المسيء فهي تذكره بالإنسانية التي مجدها من جانب، وتعيده إلى مودة أخيه من جانب آخر فطالما استعبد الإنسان إحسان وهذا معنى لا يظفر به إلا الذين زكت نفوسهم، وسمت أرواحهم فكانوا حكماء يعرفون للخير مواضعه، وللشر مواضعه كذلك"[٢].

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية خلق العفو في الدعوة إلى الله إذ يقطع دابر الشحناء بين الداعية والمدعو وفيما بين الناس فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قَدِمَ عُيينةُ بن حِصن بنِ حُذَيْفَةَ فنزلَ على ابن أخيهِ الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمرُ، وكان القُرّاء أصحابَ مجالس عمرَ ومشاورتِهِ كهولاً كانوا أو شُبَّاناً. فقالَ عُيينةُ لابن أخيه: يا ابنَ أخي لكَ وجه عندَ هذا الأمير، فاستأذِنْ لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه. قال ابنُ عباسٍ فاستأذَنَ الحرُّ لعُيينة، فأذِنَ له

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق ص ١٥٠.

عمر، فلما دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطّاب، فوالله ما تُعطينا الجَزْل، ولا تَحكُم بيننا بالعدل. فغضبَ عمرُ حتى همَّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن اللهَ تعالى قال لنبيِّه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1] وإنَّ هذا من الجاهلين. واللهِ ما جاوزَها عمرُ حينَ تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله)[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، رقم ٤٦٤٢.

المبحث السادس
الإحسان وأثره في الدعوة إلى الله

إن من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام الإحسان، قال الراغب الأصفهاني: "وَالإحْسانُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحدهمَا الإنْعامُ عَلَى الغيرِ يُقَالُ أحْسَنَ إلى فُلانٍ، والثاني إحْسَانٌ في فِعْله وذلك إذا عَلِمَ عِلْما حَسَناً أو عَمِلَ عملاً حَسَناً وعلى هذا قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: (الناس أبْناءُ ما يُحْسِنُون) أي مَنْسُوبُونَ إلى ما يَعْلَمُونَ وَما يَعْمَلونَهُ منَ الأفعالِ الحسنَةِ، والإحسانُ أَعَمُّ مِنَ الإنْعَامِ، فالإحسَانُ فوق العدْل وذاكَ أنّ العدل هُوَ أن يقتصر في أن يُعْطِيَ مَا عليه وَيَأْخُذَ مَالَهُ، وفي هذا نوعٌ من السماحة لكونه لم يتجاوز في حق الغير، بينما الإحْسَانُ أنْ يُعْطِي أكْثَرَ مِمّا عَلَيْه وَيأْخُذَ أقَلَّ مِمّا لَهُ، فالإحسَانُ زائدٌ على العدْلِ فَتَحَرّي العَدْلِ وَاجِبٌ وَتَحَرّي الإحْسَانِ نَدْبٌ وتَطَوُّعٌ"(١).

وقال أبو البقاء الكفوي: "والإحسان هو فعل ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسناً به، كإطعام الجائع أو يصير الفاعل به حسناً بنفسه، والإحسان أعم من الإنعام، والإحسان هو أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل لأن العدل أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع"(٢). والإحسان مظهر من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام وقد حثت نصوص القرآن الكريم على فضل الإحسان وأهميته وبين الله

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط/ دار المعرفة، بيروت، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ص ١١٩.

(٢) الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣، ٦٤٠.

تعالى أنه يحب المحسنين قال سبحانه: ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١)، وقال جلّ شأنه: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢)، وأخبر سبحانه أنه مع المحسنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤)، ورحمة الله سبحانه قريبة منهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٥)، والمحسن لا يضيع أجره عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٧)، وقال سبحانه: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٨)، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٩)، والإحسان جزاؤه الإحسان، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾(١٠).

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ٩٣.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٩٥.

(٣) سورة النحل، من الآية: ١٢٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٥) سورة الأعراف، من الآية: ٥٦.

(٦) سورة التوبة، من الآية: ١٢٠.

(٧) سورة هود، الآية: ١١٥.

(٨) سورة يوسف، من الآية: ٥٦.

(٩) سورة يوسف، من الآية: ٩٠.

(١٠) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

قال ابن كثير: "أي: لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة"(1).

والإحسان مما أمر الله به في القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾(2).

والإحسان من صفات المتقين الذين وعدهم الله بمغفرة وجنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(3).

يقول الشيخ السعدي: "والإحسان في عبادة الخالق هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأما الإحسان إلى المخلوق فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم والسعي في جمع كلمتهم وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم على اختلاف أحوالهم، وتباين صفاتهم. ويدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات فمن قام بهذه الأمور فقد قام بحق الله وحق عبيده"(4).

ومما هو معلوم "أن الإحسان ينتظم معنيين، أحدهما: الإتقان والإجادة والثاني: الإنعام على الغير، والإسلام دعا إلى الإحسان وندب

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٥٠٥.

(2) سورة النحل، من الآية: ٩٠.

(3) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ - ١٣٤.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي ص ١١٦.

إليه لأن ممارسته هي أنجح الوسائل لتثبيت الفضائل، وتعميق جذورها في النفس، وليرتفع بالمستوى الإنساني بصرف القوي في ترقية الحياة، وإفاضة البر على من هم في حاجة إلى البر والرحمة فالمحسنون في نظر الإسلام أحباب الله يكلؤهم بعنايته ورحمته لا تفارقهم طرفة عين، وصلة الإنسان بالله مهما عظمت لا يعترف بها إلا إذا صحبها الإحسان، والإحسان يتناول كل شأن من الشؤون وينتظم كل عمل من الأعمال"[1].

وإذا كان القرآن الكريم قد حث على خلق الإحسان ودعا إليه وأمر به فإن السنة النبوية المطهرة بينت أن الإحسان مرتبة أعلى من الإيمان ففي حديث جبريل ﷺ الطويل مع النبي ﷺ وسؤاله عن الإحسان قال: (فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّه كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[2].

قال ابن رجب الحنبلي: "يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة وهي استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويوجب أيضاً النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإكمالها، وقوله: (فإن كنت لا تراه فإنه يراك)، قيل: إنه تعليل للأول فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله في العبادة واستحضار قربه فإنه قد يشق ذلك عليه فيستعين على ذلك بإيمانه بأن الله يراه"[3].

---

(١) انظر: إسلامنا، الشيخ السيد سابق، دار الكتاب العربي، دون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإسلام والإيمان والإحسان، رقم ٨.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ط/٩ دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/١٢٨ - ١٢٩.

ويبلغ الإسلام حداً لم يبلغه دين آخر في السماحة والإحسان فيأمر به حتى في القتل والذبح فعن أبي يعلى شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ. وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[1].

قال ابن رجب الحنبلي: "ولفظ الكتابة يقتضي الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين خلافاً لبعضهم، واستعمل القرآن لفظ الكتاب فيما هو واجب حتم كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[2]، أو فيما هو واقع قدراً لا محالة كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[3]، وحينئذ فهذا الحديث نص في وجوب الإحسان، وهذا الأمر بالإحسان يكون للوجوب كالإحسان إلى الوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل به البر والصلة، والإحسان إلى الضيف بقدر ما يحصل به قراه، وتارة يكون للندب كصدقة التطوع ونحوها. وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال وإحسان كل شيء بحسبه"[4].

وإذا كان الإحسان من سماحة الأخلاق فإن للإحسان صوراً كثيرة منها الإحسان إلى الوالدين: ويكون في حياتهما وبعد موتهما فيكون في حياتهما ببرهما وطاعتهما في المعروف والإنفاق عليهما وعدم الضجر منهما، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[5]،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل، رقم ١٩٥٥.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٨٣.

(٣) سورة المجادلة، من الآية: ٢١.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٣٨٢/١.

(٥) سورة النساء، من الآية: ٣٦.

وقال جلّ شأنه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٢)، ووصى الله بالوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾(٣)، وقال جلّ شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾(٤).

قال القرطبي: "ومن الإحسان إلى الوالدين أن يتلطف معهما بقول لين لطيف كريم، وأن يجعل نفسه مع أبويه في خير ذلة في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إليهما بصره، فإن تلك نظرة الغاضب وهذا من بر الوالدين ومن برهما الترحم عليهما والدعاء لهما وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك"(٥).

وبيّن رسول الله ﷺ أهمية الإحسان إلى الوالدين فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاةُ على مِيقاتِها. قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: ثمَّ برُّ الوالِدَين. قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: الجهادُ في سبيل الله)(٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ)(٧)، ومن صور البر بهما بعد وفاتهما

---

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٥١.

(٢) سورة الإسراء، من الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأحقاف، من الآية: ١٥.

(٤) سورة العنكبوت، من الآية: ٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/٢٤٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم ٥٢٧، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، رقم ٨٥.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: العتق، باب: فضل عتق الوالد، رقم ١٥١٠.

ما جاء في الحديث الشريف: (إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ)[1].

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا. قال: (نَعَمْ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إِلا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)[2].

ومن مظاهر سماحة الأخلاق الإحسان إلى الزوجة والأولاد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (استَوصوا بالنساءِ، فإن المرأةَ خُلقِتْ من ضِلَع، وإن أعْوَجَ شيءٍ في الضلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كَسَرْته، وإن تركتَه لم يَزَل أعْوَج، فاستوصوا بالنساء)[3].

وعن عمرو بن الأحوص الجشمي ﷺ أنه ، مع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: (أَلاَ واسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيراً، فإِنَّمَا هُنَّ عَوانٌ عِنْدَكمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذلِكَ، إلاَّ أَنَّ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهجُرُوهُنَّ في المضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ. فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلاَ إِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُم حَقّاً. ولِنِسَائِكمْ عَلَيْكُمْ حَقاً. فَأَمَّا

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: فضل صلة أصدقاء الأب والأم، رقم ٢٥٥٢.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب: الأدب، باب: صل من كان أبوك يصل، رقم ٣٦٦٤، وأبو داود ٥١٤٢، وأحمد ٤٩٨/٣، والحاكم في المستدرك ١٥٥/٤، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الوصاة بالنساء، رقم ٥١٨٦، وصحيح مسلم، كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، رقم ١٤٦٨.

حَقكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ولاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. ألاَ وحَقهُنَّ عَلَيْكُمْ أنْ تُحسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وطَعَامِهِن)(١).

وعن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: (أَنْ تُطْعِمَهَا إذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ فِي الْبَيْتِ)(٢).

وأما الإحسان إلى الأولاد فحقهم على الوالد أن يحسن أدبهم وأن يختار لهم أماً صالحة، وأن يتعاهدهم بالنصح والإرشاد دائماً والإنفاق عليهم بإحسان، فعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، وَالمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجِها وَمَسؤولةٌ عن رَعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيِّدهِ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتهِ - قال: وَحَسِبتُ أَنْ قد قال: وَالرجلُ راعٍ في مالِ أبيهِ وَمَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، فَكلُّكم راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ)(٣).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ)(٤).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم ١١٦٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص ٢٧٦.

(٢) سنن أبي داود، كتاب: النكاح، باب: في حق المرأة على زوجها، رقم ٢١٤٢، وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح سنن أبي داود ص ٢٥٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق، رقم ٢٥٥٤، وصحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل، رقم ١٨٢٩.

(٤) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم ٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٨٢.

وعن أبي ثرية سبرة بن معبد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: (عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصلاةَ ابنَ سَبْعِ سنينَ، واضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابنَ عَشْرٍ)(١).

ومن صور الإحسان إلى الأولاد النفقة عليهم وعدم البخل أو الإمساك، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ. وَدِينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَىٰ مِسْكِينٍ. وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ. أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ)(٢).

وعن أبي عبدالله - ويقال له: أبي عبدالرحمن ثوبان بن بجدد - مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ)(٣).

ومن مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام ما جاء في الإحسان إلى الأقارب والأرحام وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم وزيارتهم والنفقة على الفقير والمسكين، ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)(٤).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم ٤٩٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٨٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال، رقم ٩٩٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال، رقم ٩٩٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم ٥٩٨٦، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم ٢٥٥٧.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ليسَ الواصلُ بالمُكافِئِ، ولَكِنَّ الواصلَ مَنْ إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)(١).

ومن مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام الإحسان إلى الجيران، فعن ابن عمر ﷺ وعائشة قالا: قال رسول الله ﷺ: (ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه)(٢).

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)(٣).

وحذر النبي ﷺ من إيذاء الجار أو تعريضه للأذى أو الشر، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ). قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)(٤).

كما حضّ الإسلام على التعاون بين الجيران كصورة من صور السماحة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ)، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟ وَاللَّهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ، رقم ٥٩٩١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الوصاة بالجار، رقم ٦٠١٤، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم ٢٦٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم ٢٦٢٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الوصاة بالجار، رقم ٦٠١٦، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم إيذاء الجار، رقم ٤٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: المظالم، باب: لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة، رقم ٢٤٦٣، وصحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: غرز الخشبة في جدار الجار، رقم ١٦٠٩.

ومما يدل على سماحة الأخلاق في الإسلام دعوته إلى مخالطة اليتامى باعتبار أن المجتمع الإسلامي مكلف برعاية مصالح الضعفاء واليتامى والأرامل، واليتامى بفقدهم آباءهم وهم صغار ضعاف أولى برعاية المجتمع وحمايته.

"ولما استجاب المسلمون لنداء ربهم وكفلوا اليتيم كان بعض الأوصياء يخلطون طعام اليتامى بطعامهم وأموالهم بأموالهم للتجارة فيها جميعاً، وكان الغبن يقع على اليتامى فنزلت الآيات في التخويف من أكل أموال اليتامى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1]، عندئذ تحرج الأتقياء حتى عزلوا طعام اليتامى من طعامهم فكان الرجل يكون في حجره اليتيم يقدم له الطعام من ماله، فإذا فضل منه شيء بقي له حتى يعاود أكله أو يفسد فيطرح، وهذا تشدد ليس من طبيعة الإسلام فوق ما فيه من الغرم أحياناً على اليتيم، فعاد القرآن يرد المسلمين إلى الاعتدال واليسر والسماحة في تناول الأمور وإلى تحري خير اليتيم والتصرف في حدود مصلحته، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، فليس المعول عليه ظاهر العمل وشكله ولكن نيته وثمرته والله لا يريد إحراج المسلمين وإعناتهم والمشقة عليهم فيما يكلفهم، ولو شاء الله لكلفهم هذا، ولكنه لا يريد إلا الخير واليسر والصلاح"[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٠.

(٣) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة ص ٨٥ - ٨٦.

وقد دلت الأحاديث النبوية على فضل رعاية اليتيم وكفالته، عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم في الجنةِ هكذا، وأشارَ بالسبابة والوُسطى وفَرَّجَ بينهما شيئاً)[١].

قال ابن حجر: "وكافل اليتيم هو القيّم بأمره ومصالحه، قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك، وفي الحديث إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى، ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة، لما أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة ﷺ رفعه: (أنا أول من يفتح باب الجنة فإذا امرأة تبادرني فأقول: من أنت: فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتام لي)، ورواته لا بأس بهم، ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين: سرعة الدخول، وعلو المنزلة، والحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي ﷺ أو منزلة النبي لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه، فظهرت مناسبة ذلك"[٢].

إن اليتامى ضعفاء فقدوا ظهيرهم ونصيرهم من أجل هذا بادرهم الإسلام بالإحسان إليهم ورعايتهم وتعويضهم عما فقدوه، وبذل الحنان والعطف لهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، رقم ٦٠٠٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٦٤٦.

وقد جاء في رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كَافِلُ الْيَتِيمِ، لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ)(١).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (السَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللّهِ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ)(٢).

وما من شك أن كل هذه النصوص النبوية تؤكد سماحة الإسلام في التعامل مع اليتامى والأرامل وأنها تدعو إلى الإحسان والبر واليسر والصلة، مما يدل على عظمة هذه الشريعة وعظمة ما جاءت به قال ﷺ: (أَحَبُّ الدِّينِ إلى الله الحنيفِيَّةُ السَّمْحَةُ)(٣).

إن للإحسان أثراً عظيماً في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يعمل على كسب ود القلوب، وما أحوج الداعية إلى ذلك، لأن الإنسان إذا انقاد بقلبه وانشرح صدره، فإنه يتأثر بالترغيب والترهيب، بل ويحرص على الالتزام بتعاليم الإسلام، ويسأل عما خفي عليه، وتكون هناك حالة من التفاعل بين الداعية والمدعو، أما إذا أعرض المدعو عن الاستجابة، فلن تفلح جهود الداعية في دعوته، ولذا فإن التخلق بالإحسان وإشاعته بين الناس، يعد من أهم الجسور التي يعبر من خلالها الداعية إلى المدعوين، لأن الإحسان بمفهومه الواسع الشامل الذي يحبب الناس في

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين، رقم ٢٩٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الساعي على المسكين، رقم ٦٠٠٧، وصحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين، رقم ٢٩٨٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، رقم ٢٩، مقدمة الباب، قال ابن حجر: رواه البخاري معلقاً ووصله في الأدب المفرد ووصله أحمد بن حنبل ٢٩٤/١.

دين الله ويقوي الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع بصفة عامة وبين الداعية والمدعوين بصفة خاصة، فالإحسان خلق من الأخلاق التي لها دور رئيس في الدعوة إلى الله، وكما يكون الإحسان بالمال والنفقة والعطاء يكون ببذل المعروف والمؤازرة بالجاه، قال الماوردي: "ولا عذر لمن منح جاهاً أن يبخل به فيكون أسوأ حالاً من البخيل بماله الذي قد يعده لنوائبه، ويستبقه للذته، ويكنزه لذريته، وبضد ذلك من بخل بجاهه لأنه قد أضاعه بالشح، وبدده بالبخل وحرم نفسه غنيمة مكنته، وفرصة قدرته، فلم يعقبه إلا ندماً على فائت، وأسفاً على ضائع، ومقتاً يستحكم في النفوس، وذماً قد ينتشر في الناس وقال بعض الحكماء: اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله، وأحسن والدُولة لك يُحسن لك والدُولة عليك، واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك"[1].

ومن خلال خلق الإحسان تتأكد وحدة المجتمع الإسلامي مما يكون له عظيم الأثر في دعوة غير المسلمين، "إن بوسع المسلمين أن يعتزوا بدينهم ويفخروا بحضارتهم ويشمخوا بإنسانيتهم التي ستبقى علامات مميزة وسمات خاصة بالأمة الإسلامية التي تهتدي بوحي الله وقيمه الأخلاقية الثابتة دون أن تحتكم لأهواء الفلاسفة والمفكرين الذين ولدوا الحيرة للإنسان وقضوا بآرائهم النفعية المادية على أسمى خصائص الإنسانية، إن تعاليم الإسلام تهدف إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة والإحسان، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء، وقد اعتمد الإسلام على تربية أتباعه وفق هذه المبادئ، وذلك بتوحيد عقيدتهم أولاً فيتم

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ٣٢٢.

تجانسهم الفكري، وتتحد مقاييسهم الخلقية، وتتوحد مصادر التلقي عندهم إذ كلهم يأخذون من الكتاب والسنة، ويصدرون عنهما في أقوالهم وأفعالهم"[1].

ومن خلال خلق الإحسان وبيان منزلته في الإسلام يمكن دعوة غير المسلمين لأن دعوتهم إلى الإسلام لا تكون إلا بالاختلاط بهم ولا يتصور دعوة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي دون اختلاط بهم ومعرفة طبائعهم وعاداتهم وثقافاتهم ومن ثم الاستفادة منها في دعوتهم، وذلك لا يكون إلا بمخالطتهم والبر بهم والإحسان إليهم والعدل معهم والرحمة والرأفة بهم، وكل ذلك مما تضافرت عليه نصوص الكتاب والسنة فضلاً عما في الإحسان إلى غير المسلم من تأثير بالغ في نفسه وتعريف له بمحاسن الإسلام عملياً وقد يدعوه هذا إلى الدخول فيه"[2].

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسّر لي إنجاز هذا البحث الذي حرصت فيه على بيان أهم مظاهر سماحة الأخلاق المتمثلة في الحلم والرحمة والعدل والرفق والعفو والإحسان.

وقد عالج البحث بصورة موجزة سماحة الأخلاق وأثرها في الدعوة إلى الله، حيث ذكرت الأدلة الشرعية على ذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما يستلزم تحلي الدعاة

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ط/١ دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٢٥٠.

(٢) انظر: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٤٧.

بسماحة الأخلاق وتوظيف ذلك في الدعوة إلى الله والعمل على إشاعة تلك السماحة بين الناس من خلال الحث عليها في ضوء ما ورد في الكتاب والسنة، وبيان تحلّي النبي ﷺ بالسماحة الخلقية، وكيفية تطبيقه ﷺ لذلك في الدعوة إلى الله تعالى والآثار الحميدة التي تمثّلت في استجابة المدعوين وانشراح صدورهم للإسلام، مما يؤكد أهمية سماحة الأخلاق وأثرها في الدعوة إلى الله، خاصة في هذا العصر الذي يحاول فيه خصوم الإسلام إلصاق العنف والإرهاب بديننا، ووصفه بأنه دين العنف والقسوة والتطرف، مما يستوجب إبراز سماحة الأخلاق في الإسلام نظرياً وعملياً، وبيان النماذج العملية من خلال ما أمر به الإسلام من السماحة في التعامل مع الآخر من غير المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

قائمة المصادر والمراجع:

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الكتاب العربي، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة.

٢. أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣. الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان، ط/١ دار النشر الدولي، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، ط/٤ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٥. إسلامنا، الشيخ السيد سابق، ط/ دار الكتاب العربي، دون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة.

٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط/٢، ١٤٢٥هـ/١٩٩٤م.

٧. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: معالي أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١ دار هجر: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون، تونس، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

٩. التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ط/١ دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠. التعريفات، الإمام الجرجاني، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، ط١، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٣. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ط/٩ دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: معالي أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٥. خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٦. دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق، ط/١ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٣م.

١٧. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٨. ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ط/١ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٩. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ط/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ.

٢٠. سنن ابن ماجة، الإمام/ محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢١. سنن أبي داود، الإمام/ سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢. سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٣. سنن النسائي، الإمام/ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٤. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الإمام محمد بن عبدالله الطيبي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط/١، ١٤١٣هـ.

٢٥. شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن، دون ذكر تاريخ ورقم الطبعة.

٢٦. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ط/٤ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٧. صحيح البخاري، الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، ط/١ بيت الأفكار الدولية، الأردن: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٨. صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٢٩. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٣٠. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٣١. صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٣٢. صحيح مسلم، الإمام/ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط/١ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٣. صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن بن علي الربيعة، ط/٢ دون ذكر دار النشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٤. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دون تاريخ ورقم للطبعة، ط/ دار الوطن.

٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن: ٢٠٠٤م، بدون ذكر رقم الطبعة.

٣٦. فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٧. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، ط/٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٨. لسان العرب، ابن منظور، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الإمام/ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط/ مؤسسة المعارف، بيروت: ١٤٠٦هـ.

٤٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤١. محاسن التأويل، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، ط/٢ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤٢. مداواة النفوس، الإمام ابن حزم الأندلسي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٣. المستدرك على الصحيحين، الإمام/ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ط/ دار المعرفة، بيروت: بدون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة.

٤٤. مسند الإمام/ أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط/٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٥. المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ط/١ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤٦. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط/ دار المعرفة، بيروت، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة.

٤٧. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو الفرج بن الجوزي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٤٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام ابن الأثير، ط/١ دار ابن الجوزي، الرياض: ١٤٢١هـ.

٤٩. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار، ط/١٠ دار طيبة، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥٠. الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/ ٣ مؤسسة الريان، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الدعوة
وإعجاز غيب المستقبل
المفهوم والعلاقة (دراسة تحليلية)

إعداد

الدكتور/ محمد بن إبراهيم الزهراني

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب

بكلية الدعوة والإعلام

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة:

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في ارتباطها بدلالة عقلية خالدة، دلالة تدفع المدعو بعد انقطاع الوحي إلى التفكر في مصدرها، فإعجاز غيب المستقبل ليس برهانًا ماديًا ينقضي في حينه، بل برهان يمتد إلى قيام الساعة، كما أنه آية وبينة على عالمية الدعوة الإسلامية وربانيتها، وفيه آية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، والمدعوون في هذه الأزمنة بحاجة إلى مخاطبتهم بأدلة عقلية تؤكد لهم صدق رسالة الإسلام، من هنا رأى الباحث أهمية توظيف إعجاز غيب المستقبل في الدعوة إلى الله تعالى.

أسباب اختيار الدراسة:

١- الحاجة إلى إبراز العلاقة بين الدعوة وإعجاز غيب المستقبل.
٢- الحاجة إلى تقديم أدلة عقلية عند خطاب المدعوين.
٣- قوة الأثر الذي يخلقه إعجاز غيب المستقبل في نفوس المدعوين.

أهداف الدراسة:

١- تحديد مفهوم الدعوة إلى الله بإعجاز غيب المستقبل.
٢- إبراز العلاقة بين الدعوة وإعجاز غيب المستقبل.
٣- الوقوف على أنواع الإعجاز الغيبي الواردة في الكتاب والسنة.

منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات النظرية، لذا سيوظف الباحث المنهج الكيفي لجمع المعلومات المتعلقة بالدراسة، ويتضمن هذا المنهج وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والسجلات بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة[1]،

(١) انظر: البحوث الإعلامية - د. محمد الحيزان - الرياض - ط١- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - ١٤.

وسيوظف الباحث هذا المنهج في رصد صور إعجاز غيب المستقبل لتحديد مفهومه وتقديم تصور عن العلاقة بينه وبين الدعوة الإسلامية.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فذكرت في المقدمة أهمية الدراسة وأسباب اختيارها وأهدافها ومنهجها، ثم المبحث الأول وعنونت له: بمفهوم الدعوة إلى الله بإعجاز غيب المستقبل، وذكرت فيه مفهوم الدعوة اللغوي والاصطلاحي، ومفهوم الإعجاز مع ذكر مرادفات المعجرة، والفرق بينها وبين بقية الأمور الخارقة للعادة، ثم ربطت بين المصطلحات الثلاثة للخروج بتصور يقودني إلى مفهوم الدعوة إلى الله بإعجاز غيب المستقبل.

وأما المبحث الثاني فعنونت له: بصور من إعجاز غيب المستقبل في الدعوة الإسلامية، وتضمن صورًا من الكتاب والسنة، فذكرت حوادث حدثت، وحوادث مستقبلية لم تحدث بعد، وأما المبحث الثالث: فعنونت له: بدلالة إعجاز غيب المستقبل على ربانية الدعوة الإسلامية وعالميتها، وفيه تحليل وربط للعلاقة بين الدعوة وإعجاز غيب المستقبل.

ثم ختمت هذا البحث بذكر أهم نتائجه وما يوصي به الباحث، سائلاً المولى الكريم أن ينفع به، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى إنه سميع مجيب.

المبحث الأول
مفهوم الدعوة إلى الله بإعجاز غيب المستقبل

للوقوف على علاقة إعجاز غيب المستقبل بالدعوة إلى الله تعالى يلزمنا بيان مفهوم الدعوة إلى الله بالإعجاز الغيبي.

فلدينا مصطلح الدعوة والإعجاز وغيب المستقبل، وإليك بيان مفهومها:

أولاً: مفهوم الدعوة:

تطلق كلمة الدعوة في اللغة على معان عدة، تدور حول الطلب والسؤال والنداء والتجمع والاستمالة[1]، قال ابن فارس: الدعوة أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك[2].

وقد تكون الدعوة دعوة حق أو دعوة باطل، فمن الحق قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[3] ومن دعوة الباطل دعوة الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[4].

وأما في الاصطلاح فتطلق الدعوة ويراد بها أحد معان ثلاثة:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة - منصور الأزهري - تحقيق د. عبدالحليم النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة - مادة دعا ١٢٢/٣.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تحقيق د. محمد عوض - در إحياء التراث العربي - بيروت - ط١- ١٤٢٢ - ٣٣٧، وانظر مقاييس اللغة - أمين قاسم - دار الفكر - بيروت - بدون رقم وتاريخ - ٢٧٩/٢، وانظر: مدخل إلى علم الدعوة - أ.د. عبدالرب نواب الدين - دار العاصمة - الرياض - ط١- ١٤١٣.

(٣) سورة الرعد، من الآية: ١٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٦.

١- الدين أو الرسالة وعرفها الراوي بأنها «دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعًا، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافيًا لصلاح الدين والآخرة»[١].

٢- عملية النشر والبلاغ: وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه»[٢].

٣- الفن المستقل بذاته وعرفها الدكتور الخليفي بأنها: «علم يبحث فيه عن الكيفية التي تتم بها إمالة الناس إلى الإسلام وإقناعهم باتباعه على مر الزمان، حسب المنهج الشرعي الصحيح»[٣].

وهناك فرق بين المعاني الثلاثة، فالأول يُقصد به دين الله وما حواه من تعاليم خوطب بها المدعو، فيقال الدعوة الإسلامية ونعني بها دين الإسلام.

---

(١) الدعوة الإسلامية. دعوة عالمية. - محمد بن عبدالرحمن الراوي - مكتبة الرشد الرياض - ط٣ ١٤١١هـ - ١٩٩١م - ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع عبدالرحمن بن قاسم - دار عالم الكتب - الرياض - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م - ١٥٦/١٥.

(٣) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد ٢١ - محرم ١٤١٩هـ تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه - د. عبدالرحمن بن سليمان الخليفي - ٢٤٣. وانظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها - أحمد غلوش - دار الكتاب المصري - ط١ - ١٣٩٩ - ١٠.

وأما المعنى الثاني فهو عملية نشر الدعوة الإسلامية بمعنى أن هناك عملية اتصالية بين داع يبلغ الدعوة ومدعو يتلقى الدعوة عبر أساليب ووسائل، وأما المعنى الثالث فهو مزج بين المعنى الأول والثاني، فطالب العلم يتعلم فنون الدعوة الإسلامية في الأقسام العلمية المتخصصة لإيصالها إلى الناس.

وقد أردت من بين هذه المعاني الثلاثة المعنى الثاني وهو عملية النشر والبلاغ.

ثانيًا: مفهوم الإعجاز:

الإعجاز في اللغة مصدر أعجز، والعجز نقيض الحزم والتعجيز هو التثبيط، والمعجزة واحدة المعجزات، وعجز الإنسان أي ضعفه وعجز عن الأمر أي قصر عنه[1].

وكلمة العجز عدم القدرة على إتيان الأمر، قال تعالى حكاية عن ابن آدم: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3].

ومنه عجز الخلق عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4]. أي عدم قدرتهم عن الإتيان بمثل القرآن الكريم.

---

(١) انظر لسان العرب - لابن منظور - دار صادر بيروت - ط١ - بدون تاريخ - ٦٩١/٤.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

وقبل تناول مفهوم مصطلح المعجزة يجدر بنا الإشارة إلى ورود مصطلحات مرادفة لمصطلح المعجزة في غير موضع من القرآن الكريم عند حديثه عن معجزات الأنبياء مع مدعويهم وهي:

١ - **الآية:** ورد هذا المصطلح في مواضع متفرقة، منها طلب المدعوين من عيسى عليه السلام دليل صدق نبوته، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[(١)]. فقد كان نزول المائدة من السماء آية للمدعوين ومعجزة تطمئن قلوبهم بها، ويكونون بعدها دعاة قومهم، وسمى الله هذا الأمر الخارق للعادة آية، قال الثعلبي: إنما سألوه ليستيقنوا قدرة الله وتسكن قلوبهم ويعلموا صدق دعوة عيسى عليه السلام، وليشهدوا له عند المدعوين من بني إسرائيل حين رجوعه إليهم[(٢)].

٢ - **البرهان:** وصف القرآن الكريم معجزات موسى عليه السلام إبان دعوته لفرعون بالبرهان، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ١١٢- ١١٤.

(٢) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن - أحمد بن محمد الثعلبي - تحقيق سيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٤م- ٥١٢/٢.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[1]، عزز الله سبحانه موسى عليه السلام ببراهين كثيرة، منها إدخال يده في جيبه تخرج بيضاء من غير سوء ولا علة. قال أبو السعود: فكان فرعون وملأه أحقاء بإرسال موسى عليه السلام إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين[2].

٣ - **البينة:** قال تعالى حكاية عن دعوة صالح عليه السلام لقومه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، قال ابن جرير: أي جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول، وحقيقة ما أدعو إليه، فحجتي هذه الناقة التي أخرجها الله من الهضبة دليلاً على نبوتي وصدق مقالتي، وهي من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحد إلا الله[4]، وتلحظ هنا أن ابن جرير فسر البينة بالمعجزة.

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٣٠- ٣٢.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - لأبي السعود محمد بن أحمد العمادي- دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩٠- ١٣/٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - ٥/٥٣٠

٤ - **السلطان:** قال تعالى حكاية عن حوار دعوي بين رسل ومدعوين يطلبون دليلاً على صدق نبوتهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[1]، قال الخازن في تفسير رد الرسل: «وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا إلا بإذن الله في ذلك»[2]، والخازن يقرر هنا أن البرهان والمعجزة مرادفان للسلطان.

وأما في الاصطلاح فقد عرف العلماء المعجزة بتعريفات عدة أبرزها: «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة»[3].

ويرد على هذا التعريف حدوث خوارق للعادة مقرونة بالتحدي سالمة من المعارضة لم تجر على يد نبي[4]، فكل معجزة خارقة للعادة وليس كل أمر خارق للعادة معجزة، ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

---

(١) سورة إبراهيم، من الآيات: ١٠- ١٢.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل - علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن - ضبطه: عبدالسلام محمد شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ٣١/٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - مكتبة دار المعارف - الرياض - ط١- ١٤٠٧هـ - ٣٢٤/٢، وانظر: مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - ط١- ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - ١٧.

(٤) انظر: ما أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام - رقم الحديث (٣٠٠٥) - ١٢٨٥.

١ - **الكرامات:** وهي أمور خارقة للعادة تجري على يد عبد صالح من غير الأنبياء، وقد ورد ذكر أمثلة منها في القرآن الكريم فمنها قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

قال البيضاوي: «أنه لم يكن يدخل على مريم في محرابها غير زكريا فإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف والعكس، وفي هذا الرزق الذي يأتيها دليل جواز الكرامة للأولياء، فلم يكن معجزة لزكريا لأن الأمر اشتبه عليه بدليل سؤاله لها من أين لك هذا»[2].

وحصول الرزق عندها على الوجه المذكور أمر خارق للعادة ظهر على يد من لا يدعي النبوة.

وأما في السنة فمنه ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج الراهب يصلي فجاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ ثم أتته فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فقالت امرأة لأفتننه فتعرضت له فكلمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت هو من جريج فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي، قالوا: نبني لك صومعتك من ذهب فقال: لا، إلا من طين**»[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) تفسير القاضي البيضاوي - حاشية محي الدين شيخ زاده - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م - ٥٤/٣.

(٣) أخرجه البخاري - كتاب المظالم والغضب - باب إذا هدم حائطًا فليبن مثله - مكتبة الرشد - الرياض - ط١- ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م - رقم الحديث (٢٤٨٢)=

ومنه أيضاً ما ثبت في الصحيح أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر (رضي الله عنهما) خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا، فتفرق النور معهم، فمشى كل واحد منهما بنور معه حتى بلغ أهله[1].

ومثل هذه الخوارق وغيرها تسمى كرامات لأنها جرت على يد عبد صالح من غير الأنبياء وفق ما ذكره البيضاوي وغيره[2].

٢ - **الاستدراج:** وهو أمر خارق للعادة يجري على يد العبد الفاجر يكون موافقًا لمراده، كما سيحدث مع الدجال عندما يأتي ومعه جبال من الخبز ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ويأمر كنوز الأرض أن تخرج فتخرج، ففي الحديث الصحيح: «فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر[3] ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي

=- ٣٢٩. وأخرجه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها - دار ابن حزم - بيروت - ط١- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - رقم الحديث (٢٥٥٠) - ١١١٠.

(١) أخرجه البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر (رضي الله عنهما) - رقم الأثر (٣٨٠٥)- ٥١٦.

(٢) انظر: المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات - ابن تيمية - تحقيق أحمد العيسوي - دار الصحابة للتراث طنطا - ٢٢، وانظر: كرامات الصحابة - أسعد محمد الطيب - دار ابن حزم - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) أي فتروح سارحتهم أي ماشيتهم، وذُرا أي أطول سناماً، وأسبغه ضروعاً أي لكثرة اللبن، وأمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - محي الدين النووي - دار المعرفة - بيروت - ط٣ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٧م - ٢٧٠/١٨.

كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك»[1].

قال النووي: فإن قيل كيف ظهرت هذه الخوارق للعادة على يد الدجال، فالجواب أنه إنما يدعي الربوبية، ولا دلالة فيه لربوبيته لظهور النقص عليه كالعور وكفره المكتوب بين عينيه، قال القاضي: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، واتباع كنوز الأرض وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك[2].

وكل الخوارق التي ستأتي مع الدجال هي استدراج لا يدخل ضمن مفهوم المعجزة وإن كان من قبيل الخوارق، وقريب من الاستدراج الإهانة وهي كل أمر خارق للعادة جرى على يد عبد فاجر وقع مخالفاً لمراده، كما حدث مع مدعي النبوة مسيلمة الكذاب عندما دعا إلى الإيمان به رسولاً، وزعم أن المعجزات تجري على يديه فمسح على مريض فمات، وتفل في بئر فغار ماؤها، فكان الأمر الخارق للعادة دليل كذبه وإهانة له[3].

(١) أخرجه مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر الدجال وصفته وما معه - رقم الحديث (٢٩٣٧) - ١٢٦٠.

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - النووي - ٢١٣/١٨ و ٢٧٥.

(٣) انظر: مباحث في إعجاز القرآن الكريم - أ. د. مصطفى مسلم - دار القلم - دمشق - ط٣ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ - ٢٠.

كما عرف بعضهم المعجزة بأنها:

«أمر يعجز عنه البشر متفرقين أو مجتمعين، أو هو أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه»(1).

ويرد على هذا التعريف أن المعجزة خارقة للخلق وليس للبشر فقط، كما يرد عليه تقييده أن الأمر الخارق يحدث مع مدعي النبوة عند دعواه، وهذا يخرج كثيرًا من معجزات الأنبياء التي حدثت قبل مبعثهم أو حدثت في غير مقام ادعاء النبوة كتكثير الماء والطعام وغيرها كثير.

وقد عرف بعض المعاصرين المعجزة بأنها: «أمر يجريه الله على يد نبيه، أو علم يبديه من قوله، لا يقدر أحد عن الإتيان بمثله في زمانه يكون دليلاً على نبوته لخروجه عن طاقة الخلق»(2).

ولعل هذا التعريف أجمع التعاريف وأمنعها وهو المختار لدي.

ثالثًا: مفهوم غيب المستقبل:

الغيب لغة: الغين والباء والياء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون ثم يقاس، الغيب ما غاب مما لا يعلمه إلا الله(3). ومعظم آراء علماء اللغة تذكر ما ذكره ابن فارس هنا.

وأما في الاصطلاح فقد تباينت آراء العلماء في مفهوم الغيب، وقد حكى هذا التباين القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني - 65.

(2) الإعجاز العملي في السنة النبوية - د. صالح أحمد رضا - مكتبة العبيكان - الرياض - ط1 - 1421هـ - 2001م – 21.

(3) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - 779.

فقال بعضهم إنه القضاء والقدر، وقال آخرون الغيب هو: كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار، وقال آخرون: هو الله سبحانه وتعالى، قال ابن عطية: وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها[1]، وبالتأمل فيما تقدم نجد أن جميع التفسيرات السابقة تمثل بعض مظاهر الغيب، لذا ذكر ابن عطية أن الغيب يقع عليها جميعًا، والناظر في كتابات العلماء قديمًا وحديثًا يجد أن مرد تباين آرائهم- م في مصطلح الغيب تركيز كثير منهم على التوصيف لا التعريف[2].

وقد يكون سبب ذلك مرونة مصطلح الغيب من حيث تقسيماته، فالمصطلح العلمي إذا أصبح ذا أقسام يصعب تعميم مفهوم قسم على

---

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن - لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي - تحقيق د. عبدالله التركي ومحمد رضوان عرقسوسي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٦- ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٧م - ٢٥٢/١.

(٢) انظر على سبيل المثال: عالم الغيب في العقيدة الإسلامية - أ. د محمد سيد السمير - نهضة مصر - ط١- ٢٠٠٧- ٩، وانظر: عالم الغيب - محمد خير الدرع - دار الفكر - دمشق - بدون رقم وتاريخ - ٦، وانظر: عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي - عثمان جمعة ضميرية - مكتبة السوادي - جدة - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - ١٥، وانظر: الإيمان بالغيب - بسام سلامة - مكتبة المنار - الزرقاء الأردن - ط١- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - ٥، تجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين يسمى الإعجاز الغيبي الإعجاز التاريخي، وهذا لا يستقيم لأن غيب المستقبل أحد أقسام الإعجاز الغيبي، ومصطلح التاريخ يطلق على أحداث الماضي دون المستقبل، انظر على سبيل المثال: الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى - د. مصطفى السعيد - شركة أجيالنا ط١- ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩- ٦٦.

بقية الأقسام الأخرى، ولهذا نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية عندما عرف الغيب لم يعرفه تعريفًا واحدًا لإدراكه عدم وجود تعريف اصطلاحي يحيط بجميع أقسام الغيب، بل قسم الغيب إلى مطلق ومقيد، وذلك باعتبار القدر المعلوم من الغيب، فما يقال في مفهوم الغيب المطلق لا ينطبق على المقيد والعكس صحيح.

فقد ذكر عند شرحه لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[1]، هذا هو الغيب المطلق عن جميع المخلوقين، والغيب المقيد ما علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه، فإنما هو غيب عمن غاب عنه، ليس هو غيبًا عمن شهده، والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا، فيكون غيبًا مقيدًا، أي غيبًا عمن غاب عنه من المخلوقين لا عمن شهده، ليس غيبًا مطلقًا غاب عن المخلوقين قاطبة. وقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[2] أي عالم ما غاب عن العباد مطلقًا وما شهدوه فهو سبحانه يعلم ذلك[3] كله، وتقسيمه - رحمه الله- للغيب إلى مطلق ومقيد يوضح المعنى الاصطلاحي للغيب، فالغيب ليس أمرًا ثابتًا المطلق منه مختص بالله سبحانه وتعالى، وأما المقيد فهو غيب عند قوم ليس غيبًا عند آخرين، قال تعالى حكاية عن هلاك قوم نوح عليه السلام: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] فسماها

---

(١) سورة النمل، من الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ٧٣.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام - ابن تيمية - ١١٠/١٦.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

الله سبحانه وتعالى غيبًا عن محمد ﷺ وقومه لكنها لم تكن غيبًا في شأن نوح عليه السلام وقومه لأنهم شهدوها، ومجمل القول أن الغيب في الاصطلاح يطلق فيراد به أحد معنيين: الأول الغيب المطلق: وهو كل ما استأثر به الله في علمه ولم يعلمه أحد من خلقه، مثل موعد قيام الساعة قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(1). وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(2).

ففي الآية الأولى يحصر موعد قيام الساعة على علم الله جل جلاله، ثم يكرر مؤكدًا ذلك الحصر على علم العليم الخبير، وفي الآية الثانية ينفي ﷺ عن نفسه علم الغيب، وهذا تأكيد لعظمة الله سبحانه وتعالى وأنه علام الغيوب.

والثاني الغيب المقيد: وهو ما أطلعه الله لأحد من خلقه فأدركه بعض وغاب عن بعض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن اسم الغيب من الأمور الإضافية يراد بها ماغاب عنا فلم ندركه، ويراد به ما غاب عنا فلم يدركنا، وذلك لأن الواحد منا إذا غاب عن الآخر مغيبًا مطلقًا لم يدرك هذا هذا ولا هذا هذا، والله سبحانه شهيد على العباد رقيب عليهم مهيمن عليهم، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فليس هو

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

غائبًا عنا، وإنما لما لم يره العباد كان غيبًا، ولهذا يدخل في الغيب الذي يؤمن به وليس هو بغائب، فإن الغائب اسم فاعل من قولك غاب يغيب فهو غائب والله شهيد غير غائب، وأما الغيب فهو مصدر غاب يغيب غيبًا وكثيرًا ما يوضع المصدر موضع الفاعل كالعدل والصوم والزور ويوضع المفعول كالخلق والرزق... »[1].

وهنا يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ملخصًا دقيقًا عن الغيب، إذ فسره بأنه كل ما غاب عنا فلم ندركه، وكل ما غاب عنا فلم يدركنا، وأن الله غيب لأننا لم ندركه، ثم استدرك بأن الله ﷻ شهيد على العباد رقيب عليهم، فهو غيب عنا لكنه أقرب إلينا من حبل الوريد فسبحانه ﷻ.

كما أن هناك من العلماء من عرف الغيب باعتبار زمانه، فقسمه إلى غيب ماض وحاضر ومستقبل.

فعرف غيب الماضي بأنه: جميع الأحداث التي مضت وانقضت فلم نشهدها ولم نعلمها.

وغيب الحاضر: كل حدث يقع الآن لم نشهده ولم نعلمه، من ذلك ما يقع في البيوت الآن ويتناجى به الناس.

وغيب مستقبل: وهو كل ما سيحدث في مستقبل الزمان[2].

---

(١) مجموع الفتاوى - ابن تيمية - ٥٢/١٤.

(٢) انظر: الغيب والمستقبل - إلياس بلكا - مؤسسة الناشرون دمشق - ط١- ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م - ٢٢، وانظر: الغيب وعلاماته دراسة على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة - د. أمين منتصر - دار الفكر العربي - القاهرة - ط١- ١٤٢٦هـ - ٢٥.

وبالتأمل في الأقسام السابقة نجد أن إطلاق تلك الأقسام على الغيب بمفهومه الشامل غير دقيق، لأنها تدخل ضمن دائرة الغيب المقيد لا المطلق، و الأصوب أن يقال أنها أقسام للغيب المقيد، إذ إن الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله جل جلاله.

وبنى بعض أهل العلم على هذه الأقسام الثلاثة أقسام الإعجاز الغيبي فقالوا: إعجاز غيب الماضي والحاضر والمستقبل، هذا وإن استقام التقسيم الثلاثي لأزمنة الغيب المقيد فإنه لا يستقيم في شأن الإعجاز الغيبي في الكتاب والسنة، فغيب الماضي والمستقبل وردا في القرآن والسنة وأما غيب الحاضر فلم أجد له دليلاً نقليًا ولا عقليًا من الدعوة الإسلامية، لأن جميع ما أخبر به ﷺ من أمور غيبية كانت أنباء ماضية أو مستقبلية، فمن الأول قصص الأمم السابقة وأحوالهم مع أنبيائهم ودعاتهم، ومن الثاني غلبة الروم وفتح مكة وموت أبي لهب وامرأته على الكفر وخروج النار والدجال وأشراط الساعة، إلا أنه يمكننا القول بأن إعجاز غيب الحاضر تحقق في دعوة عيسى عليه السلام عندما كان يخبر المدعوين بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، إذ إن الادخار والأكل من أفعال العادة اليومية، ويعزز هذا ورود الفعلين بصيغة المضارع مجردًا من أدوات المستقبل، قال تعالى حكاية عن معجزة عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

ونظرًا لما عليه قوة أثر الدليل المستقبلي على المدعو، فإني رأيت التركيز عليه في بحثي هذا، إن إخبار رسولنا ﷺ بكم كبير من

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

الحوادث الموغلة في غيب الماضي لهو دليل على صدق نبوته فهو النبي الأمي في البيئة الأمية، إلا أن أحداث غيب المستقبل تبقى أقوى أثراً في نفس المدعو، وأدعى لاستجابته للدعوة.

وبعد الوقوف على مفهوم الدعوة وإعجاز غيب المستقبل خرج الباحث بتصور علمي عن مفهوم الدعوة إلى الله تعالى بإعجاز غيب المستقبل من جهة، وتحديد العلاقة بين الدعوة وإعجاز غيب المستقبل من جهة أخرى.

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن الدعوة إلى الله تعالى بإعجاز غيب المستقبل هي: الدعوة إلى الإسلام بما أطلع الله نبيه محمدًا ﷺ في الكتاب والسنة من أنباء مستقبلية لم يقدر أحد على الإخبار بمثلها في زمانه ﷺ لخروجها عن طاقة الخلق.

شرح التعريف:

- الدعوة إلى الإسلام. خرج به كل دعوة إلى غير الإسلام.
- بما أطلع الله عليه نبيه محمداًﷺ : خرج به ما أخبر الله أنبياءه عليهم السلام من أنباء غيب سوى نبينا محمد ﷺ كإخبار عيسى عليه السلام بما يأكلون وما يدخرون، وإخبار الخضر موسى عليه السلام بتأويل خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.
- من أنباء مستقبلية: خرج به كل ما ورد في الكتاب والسنة من أنباء غيب الماضي كإخباره ﷺ بأحوال الأمم السابقة مع أنبيائهم. أو أنباء غيب وردت في غير الكتاب والسنة.
- لم يقدر أحد على الإخبار بمثلها في زمانه ﷺ لخروجها عن طاقة الخلق: خرج به بقية معجزاته ﷺ التي لم تتضمن أنباء غيب مستقبلي، كخروجه ﷺ أمام المشركين ليلة الهجرة ولم يره

أحد، كما خرج به كل أمر خارج عن طاقة الخلق يجري على غير يد الأنبياء ككرامات الأولياء وخوارق الدجال، كما خرج به أقوال الكهنة والسحرة والعرافين إذ إنها ضمن قدرة الخلق فهي علوم تتعلم وليست أمورًا خارقة للعادة.

وبتحديد مفهوم الدعوة وإعجاز غيب المستقبل تبرز العلاقة بينهما، فالدعوة تبليغ لدين الله بأساليب شتى وطرائق مختلفة، وإعجاز غيب المستقبل أحد الأساليب الدعوية المؤثرة التي يخاطب به المدعوون، فيخاطب به المدعو المؤمن فيزيده إيمانًا، ويخاطب به المدعو غير المسلم فيدله إلى الصراط المستقيم، أو يخلق في نفسه أسئلة تجاه الدعوة الإسلامية تبعثه على التفكير فيها، كما أن نصوص غيب المستقبل في الكتاب والسنة وردت في مواضع مختلفة ومتكاثرة، تحقق منها بعض أخبارها وسيتحقق البعض الآخر، فمن الأول عدم إسلام أبي لهب والوليد بن المغيرة كما أخبر القرآن الكريم، ومن الثاني خروج الدجال والمهدي وقيام الساعة وغيرها.

إن اقتران الدعوة الإسلامية بهذا الكم الكبير من الإخبار الغيبي يخلق في نفوس المدعوين أثرًا عميقًا، ويقيم حجة عليهم بأن المخبر بها صادق في دعواه، فلم يكن ليأتي بكل تلك الأخبار الغيبية من تلقاء نفسه لخروجها عن قدرة الخلق أجمعين، يقول الرازي عند شرح قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] فأما الإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة، وذلك لأن المنجمين الذين يزعمون استخراج الخبر لا يمكنهم ذلك إلا عن سؤال يتقدم، ثم يستعينون بآلة ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال

(١) سورة آل عمران، من الآية: ٤٩.

الكواكب، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيرًا، فأما الإخبار عن الغيب من غير استعانة بآلة ولا تقدم مسألة لا يكون إلا بالوحي من الله تعالى، ثم إنه ﷺ ختم كلامه بقوله كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(1)] والمعنى أن فيما تقدم معجزة قاهرة قوية دالة على صدق المدعي[(2)].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(2) انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - ٨٣/٨.

المبحث الثاني
من صور إعجاز غيب المستقبل في الدعوة الإسلامية

ورد في الكتاب والسنة كثير من أنباء غيب المستقبل، منها ما تحقق ومنها ما سيتحقق، وتشكل تلك النصوص مادة دعوية لا يمكن إحصاؤها في هذا البحث، ولكن سأعرض لبعض أنباء الغيب المستقبلي في الكتاب والسنة، وهي رسالة دعوية تتضمن دقة الإخبار بغيب المستقبل، والمتأمل فيها يوقن أن مصدر الإخبار إلهي، إذ لا يعلم الغيب إلا الله جل جلاله، وإليك بعض الصور:

أولاً: من صور إعجاز غيب المستقبل الواردة في القرآن الكريم:

١ - الإخبار بهلاك أبي لهب وامرأته على الكفر. قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾[1]

قال ابن كثير: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، فلم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنًا ولا ظاهرًا لا مسرًا ولا معلنًا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة[2]، لقد حارب أبو لهب الدعوة الإسلامية بكل ما أوتي من جهد، بل بلغت عداوته لهذه

---

(١) سورة المسد، الآيات: ١- ٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم - لإسماعيل بن كثير - مكتبة دار السلام - الرياض - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - ٤/٦٠٠.

الدعوة مبلغ المترصد لها في كل مناسبة يشهدها، فكان النبي ﷺ يقف على القبيلة فيقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به، فإذا فرغ من مقالته، قال أبو لهب من خلفه: يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه[1]، إن أبرز ما يستوقف المتأمل في المشهد السابق تكذيب أبي لهب لنبينا ﷺ، وفي سورة المسد نزل الإخبار الإلهي بهلاك أبي لهب وامرأته على الكفر، فهل يستطيع رجل يدعي النبوة أن يخاطر بدعوته بخبر كهذا، إن الإخبار اليقيني بهلاك أبي لهب يدل دلالة واضحة على أن من أخبر محمدًا ﷺ هو من يعلم السر وأخفى، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، إن وقوف أبي لهب أمام الكعبة وإعلانه لنطق الشهادتين كفيل ببث الاهتزاز تجاه الدعوة الإسلامية، ودفع بعض الناس إلى النظر لهذه الدعوة بعين الشك والريبة، إذ إن تكذيب نبينا محمد ﷺ أعظم أماني مشركي مكة، ولكن القرآن الكريم يتحدى أولئك القوم، فلم يخبر بمصير أبي لهب وامرأته، بل تعدى ذلك إلى الإخبار بهلاك أبي جهل والوليد بن المغيرة على الكفر، فقال تعالى في شأن الأول ﴿ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ

---

(١) انظر: المرجع السابق ٤/ ٦٠٠.

ٱلْجَحِيمِ﴾[1] وقال في شأن الآخر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[2] وكلاهما مات على الكفر.

٢ - الإخبار بانتصار الروم على فارس في أدنى الأرض، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

لم يكن انتصار الروم على فارس حدثًا عابرًا أو عاديًا، وإن الحديث عن أقوى دولتين على وجه الأرض يعد فيصلاً مهمًا في إعجاز غيب المستقبل، فلم ينحصر التحدي بهذا الإخبار الغيبي على المجتمع المكي أو القرى المحيطة به، وإنما تجاوزه إلى العالمية، وللمدعو أن يتأمل كيف لنبي أمي في بيئة أمية يخبر بأن الروم غلبت في أدنى الأرض، وهم من بعد هذه الغلبة سيغلبون وتكون لهم الصولة والجولة، بل إن الإخبار الإلهي لم يكتف بالحديث عن انتصار الروم على فارس، بل حدد حدوث الحدث في بضع سنين، والسؤال هنا هل يمكن لهذا النبي الأمي أن يخاطر بدعوته فيتنبأ بحدث عالمي من تلقاء نفسه فيضع دعوته عرضة للتصديق والتكذيب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4]، فالذي أخبره ﷺ هو من

(١) سورة الدخان، الآية: ٤٧.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ١- ٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٥.

خلق الروم والفرس، وما أخبر به الله جل جلاله حقائق لا مناص منها، فقد وقع الحدث وفق الإخبار الغيبي فغلبت الروم الفرس، قال الرسعني: إنه كان بين فارس والروم حرب، فغلبت فارس الروم، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لكون الروم أهل كتاب، وفرح المشركون بذلك؛ لما بينهم وبين فارس من الاشتراك في الإشراك والاتحاد في التكذيب بالمعاد. وقال كفار قريش لأصحاب محمد ﷺ: لئن قاتلتمونا لنظهرن عليكم كما ظهر إخواننا على إخوانكم، فأنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ الآيات. فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين فقالوا: هذا كلام صاحبكم فقال: الله أنزل هذا، وكانت فارس قد غلبت الروم حتى اتخذوهم شبه العبيد. فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، وكان الذي راهنه أبي ابن خلف، وقيل: أبو سفيان بن حرب، وذلك قبل تحريم الرهان، فقالوا لأبي بكر: اجعل بيننا وبينك أجلاً ننتهي إليه، فسَمَّوا بينهم ست سنين، فلامَ المسلمون أبا بكر على تسمية الست، وقالوا: هلاَّ قررتها كما أقرّها الله تعالى، لو شاء الله أن يقول ستًا لقال، فمضت الست قبل أن تظهر الروم، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهر الروم على فارس[1].

---

(١) انظر: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز - عز الدين عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي - تحقيق - أ.د./ عبدالملك بن دهيش - مكتبة الأسدي - مكة المكرمة - ط١- ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م - ٣/٦.

قال الزجاج: «وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله؛ لأنه أنبأ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل»[1].

٣ - الإخبار بتمكين المؤمنين واستخلافهم في الأرض:

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2].

نشأت الدعوة الإسلامية ضعيفة مضطهدة في المجتمع المكي، فأعرض عنها كثير من سادة قريش وآمن بها بعض مواليهم، فكان المسلمون يسامون سوء العذاب لضعف شوكتهم وقلة عددهم وهوانهم على الناس، وما هجرة الصحابة (رضوان الله عليهم) إلى الحبشة مرتين ثم الأمر بالهجرة إلى المدينة إلا اتقاء شر القوم، وإيجاد بيئة مناسبة تحتضن الدعوة الإسلامية، فكان هجرته ﷺ مع صاحبه ﷺ امتداداً لحالة تسلط المشركين على الدعوة واتباعها، إذ هاجر ﷺ وصاحبه ﷺ خفية اتقاء الطلب، وبعد وصولهما إلى المدينة لم يكن المشركون ليدعوا المسلمين يعبدون ربهم ويدعون الناس إلى توحيد الله، فتربصوا بهم وقعدوا لهم كل مرصد، وفي ظل هذا التهديد والوعيد من مشركي مكة أصاب بعض أهل المدينة الخوف، لا سيما أنهم يدركون ما لمكة من ثقل ديني في نفوس العرب، إلا أن الله ﷻ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم الزجاج - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م - ١٧٥/٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

تكفل بحفظ هذه الدعوة فنزل الوعد الإلهي بتمكين المؤمنين وإبدال خوفهم أمنًا واستخلافهم في الأرض، وهذا ما تحقق في عهده ﷺ وفي عهد خلفائه من بعده (رضوان الله عليهم)، ليكون هذا الوعد الإلهي شاهدًا على مر العصور على مصدر الدعوة الإسلامية.

قال ابن عادل: بلّغ أيها الرسول وأطيعوا أيها المؤمنون فقد «وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين، كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان (عليهما السلام) وغيرها، وأن يمكن لهم دينهم، وتمكينه ذلك بأن يؤيدهم بالنصر والإعزاز، ويبدلهم من بعد خوفهم من العدوّ أمناً، بأن ينصرهم عليهم فيقتلوهم، ويأمنوا بذلك شرهم[1].

قال أبو العالية: مكث النبي ﷺ بعد الوحي بمكة عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، فكانوا يصبحون ويمسون خائفين، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالقتال، وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه، فقال رجل منهم: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع السلاح، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾[2]. يعني: والله ليستخلفنهم في الأرض ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وسكانها[3]. ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾.

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب - عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق عادل أحمد ومعه آخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤/٤٣٦-٤٣٧.

(٢) سورة النور، من الآية: ٥٥.

(٣) انظر: معالم التنزيل - الحسين البغوي - دار طيبة للنشر - ٥٩/٦.

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: أتينا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبل، فقال: «يا عدي هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها: قال: «فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله» قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين من سعروا[1] البلاد، «وإن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى». قلت: كسرى بن هرمز، «ولئن طالت بك حياة لترين الرجل من مكة يخرج ملء كفه من فضة، أو ذهب يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، وليقولن: «ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك» فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا الجنة، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم». قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة» - قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله تعالى وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ (يخرج الرجل ملء كفه)"[2].

والشواهد على تحقق الوعد الإلهي أكثر من أن يحصيها هذا المقام، وكلها تصب في مصب حقيقة واحدة، وتؤكد أن هذا الدين لو لم يكن دين الله الذي ارتضاه للعالمين لوجد فيه المدعوون اختلافًا

(١) سعروا البلاد: أي أوقدوا نيران الفتن، ومنه سميت جهنم سعيرًا، انظر شرح الحديث: الأنوار في شمائل النبي المختار - الحسين البغوي - دار الضياء - بيروت - ط١- ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨م - ٨٣/١.

(٢) أخرجه البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام - رقم الحديث (٣٥٩٥) - ٤٨٩.

كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2] وتبقى تلك الحقائق آيات بينات لمن أراد أن يتذكر أو كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٤ - الإخبار بدخول المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3].

تعد هذه الآية الكريمة مرتكزاً مهمًا في معالم الدعوة بإعجاز غيب المستقبل، ليس لتضمنها إعجازًا غيبيًا وحسب، بل لطبيعة استجابة المدعوين عند تأخر تحقق الخبر، ومجمل تلك الأحداث أن الرسول ﷺ أخبر أصحابه (رضوان الله عليهم) أنهم سيدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين وفقًا للرؤيا التي رآها ﷺ في منامه، إلا أنهم حينما وصلوا إلى الحديبية، صالح رسول الله ﷺ مشركي مكة على عدة شروط هي:

١- أن يرجع الرسول ﷺ من عامه، فلا يدخلها إلا بعد عام بسيوف في أغمادها.

٢- إيقاف الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات.

٣- من أحب أن يدخل في عهد المسلمين أو قريش فله ذلك، ويعد الاعتداء عليه اعتداء على الطرف الموالي له.

---

(١) سورة النساء، من الآية: ١٢٢.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٨٢.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

٤- من هرب من قريش إلى المسلمين يرد إلى قريش، ومن فرَّ من المسلمين إلى قريش لا يرد إلى المسلمين[١].

لقد أشعلت بنود هذه الاتفاقية غيظ المسلمين، فلم يعجبهم أمران الأول: ما يتعلق بأول بنود هذه الاتفاقية والذي ينص على عدم دخولهم مكة ذلك العام.

والثاني: أن الصحابة شعروا بالضيم والذلة في مضامين تلك الشروط، والذي يهمنا من هذه الحادثة هو تكدر الصحابة (رضوان الله عليهم) من البند الأول، إذ إن إخبار النبي ﷺ لهم بدخول المسجد الحرام بمثابة الحقيقة الواقعة، ورغم أن إخباره ﷺ لهم لم يتضمن عامًا بعينه إلا أنهم عندما تيقنوا عدم دخولهم ذلك العام أخذتهم موجة من التساؤلات والظنون، تمثل ذلك في أمره ﷺ لأصحابه (رضوان الله عليهم) بنحر الهدي بعد فراغه من إبرام الصلح من قريش، وكانت المفاجأة أن لم يقم أحد من الصحابة (رضوان الله عليهم) فدخل ﷺ على أم سلمة (رضي الله عنها) فذكر لها الأمر، فأشارت عليه أن اخرج ولا تكلم منهم أحدًا وانحر هديك وادع حالقك، ففعل ﷺ فلما رأى الصحابة (رضوان الله عليهم) ذلك قاموا فنحروا وحلقوا.

إن مرد تأخر استجابة الصحابة (رضوان الله عليهم) لأمره ﷺ يعكس مدى شعورهم بالحزن، واندهاشهم من عدم تحقق ما أخبرهم به ﷺ من دخول المسجد الحرام، ولعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أشدهم حزنًا، فعن أبي وائل رضي الله عنه قال: جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله: ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال:

---

(١) انظر: الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - ط١- ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - ٣٤٢.

«بلى»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى» قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا» فانطلق عمر فلم يصبر متغيظًا، فأتى أبا بكر، فقال يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه أبدًا، فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: «نعم» فطابت نفسه ورجع[1].

والمتأمل في حال الصحابة وعمر (رضوان الله عليهم) يجد أن اهتزازًا خالط نفوسهم وهم أصحاب النبي ﷺ وأقرب الناس إليه، فلم يسبق للتاريخ أن رصد تأخر الصحابة (رضوان الله عليهم) لأمره ﷺ، ومرد تأخرهم عدم إدراكهم لحكمة ذلك الصلح، وعدم إحاطتهم بالغيب المستقبلي، إلا أن الذي يعلم السر وأخفى هو من أمر نبيه ﷺ بذلك الصلح قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2]، فإذا كان هذا موقف الصحابة (رضوان الله عليهم) من غيب المستقبل، من حقيقة وقعت فكيف موقف سائر المدعوين، إن اختلاف خبر واحد أخبر به القرآن الكريم أو السنة المطهرة كفيل بأن يجعل أعداء الدعوة يشرقون به ويغربون، ولكنه كلام العليم الخبير، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا

---

(١) أخرجه مسلم - كتاب الجهاد والسير- باب صلح الحديبية في الحديبية - رقم الحديث (١٧٨٥) - ٧٩٧.

(٢) سورة الفتح، من الآية: ٢٧.

﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[١] وهذا يؤكد دقة الأخبار الغيبية الواردة في الكتاب والسنة فقد تحقق الفتح ودخل المسلمون المسجد الحرام، وكان ذلك الصلح بداية طور جديد للمسلمين، إذ دخل الآلاف بعده في الإسلام[٢].

قال العز بن عبدالسلام: ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ كان الرسول ﷺ رأى أنه يدخل مكة على الصفة المذكورة فلما صالح بالحديبية ارتاب المنافقون فقال الرسول ﷺ: فما رأيت في هذا العام ﴿فَعَلِمَ﴾ أن دخولها إلى سنة ولم تعلموه أنتم، أو علم أن بها رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم ﴿ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ صلح الحديبية[٣].

٥ - الإخبار بعدم تمني اليهود الموت:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ كانت اليهود تزعم أن الله تعالى لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده، فنزلت هذه الآية. ومن

---

(١) سورة النساء، من الآية: ٨٢.

(٢) انظر: الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - ٣٤٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن - عز الدين عبدالسلام - تحقيق د. عبدالله الوهيبي - المحقق - الأحساء - ط١- ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - ٢٠٩/٣- ٢١٠.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٩٤- ٩٦.

الدليل على علمهم بأن النبي ﷺ صادق، أنهم ما تمنوا الموت، وأكبر الدليل على صدقه أنه أخبر أنهم لا يتمنونه بقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ فما تمناه أحد منهم. والذي قدمته أيديهم: قتل الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة.

والمعنى: ولتجدنَّ اليهود في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا، ومثله ما جاء في سورة الجمعة، فالقرآن الكريم يتتبع شبههم ويرد على أباطيلهم بحجج عقلية ضمن أنباء غيب مستقبلي قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ وذلك أن اليهود، قالوا: نحن ولد إسرائيل الله، ابن ذبيح الله، ابن خليل الله، ونحن أولى به ﷺ من سائر الناس، وإنما تكون النبوة فينا. فقال الله عز وجل لنبيه (عليه الصلاة والسلام) ﴿قُلْ﴾ لهم إن كنتم ﴿أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ لأن الموت خير لأولياء الله من الدنيا، وذلك أن اليهود علموا أنهم أفسدوا على أنفسهم أمر الآخرة بتكذيبهم محمدًا، وكانوا يكرهون الموت، فقيل لهم: لابد من نزوله (بكم) بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[2]، وفي مضامين هذا التحدي دعوة لليهود وغيرهم، وفيه آية لمن أراد منهم أن يتذكر بهذا الإخبار الغيبي.

---

(١) سورة الجمعة، الآيات: ٦، ٧، ٨.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير - عبدالرحمن بن علي الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط٤ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ٧٦ - ١٤٣٤.

ثانيًا: من صور إعجاز غيب المستقبل الواردة في السنة المطهرة:

أ- تبشير أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ بالجنة:

عن أبي موسى ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ثم قال الله المستعان(1).

في هذا الحديث الشريف بشر ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان ﷺ بدخول الجنة، وكلهم عاش بعد صدور هذه البشارة سنين فلم يبدلوا تبديلاً، بل استقاموا على الصراط المستقيم حتى أتاهم اليقين، وإذا كان القرآن الكريم أخبرنا بعدم إيمان أبي لهب وامرأته وأنهما من أصحاب النار، فالنبي الكريم ﷺ يخبرنا بثبات صحابته الكرام (رضوان الله عليهم) على الإسلام، والبشارة التي تقدم ذكرها لثلاثة من الصحابة ما هي إلى إحدى البشائر التي بشر بها النبي ﷺ أصحابه بالجنة وكلهم ثبت على دينه فكانوا كما أخبر عنهم ﷺ، لأن التبشير بالجنة يقتضي ثبات المبشرين بها حتى مماتهم.

كما أن في الحديث الشريف إخبارًا غيبيًا ورد في آخر الحديث، إذ بشر النبي الكريم (عليه الصلاة والسلام) عثمان بالجنة على بلوى تصيبه، وقد تحقق ذلك النبأ بظهور الفتنة في عهده ﷺ، إذ عارض شرذمة على قراراته وقويت شوكتهم حتى تسلق بعض المجرمين داره

---

(1) أخرجه البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب عمر بن الخطاب، أبي حفص القرشي العدوي ﷺ رقم الحديث (٣٦٩٦) - ٢-٥٠٢.

وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم، ويعضد هذا الخبر الغيبي ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: صعد النبي ﷺ أحدًا وأبو بكر وعمر عثمان، فرجف بهم فقال: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[1]، والسؤال المهم هنا، من أخبر محمدًا ﷺ أن أبا بكر وعمر وعثمان ﷺ سيثبتون على الإسلام، ومن أخبره ﷺ أن عمر وعثمان (رضي الله عنهما) سيقتلان في سبيل الله، إن هذه الأنباء الغيبية رسالة مؤثرة للمدعو فإن كان مؤمنًا ازداد إيمانه، وإن كان غير مسلم دفعته للإسلام.

ب- الإخبار بأن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) يصلح بين فئتين من المسلمين:

عن أبي بكرة ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[2]. يروي لنا التاريخ التفاف فئة عظيمة من المسلمين حول الحسن بن علي (رضي الله عنهما) وفئة أخرى حول معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما)، والتقت الفئتان للقتال إلا أن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) آثر جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، فتنازل عن الأمر لمعاوية ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب المناقب - رقم الحديث (٣٦٧٥) - ٥٠٠.

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الصلح - باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» رقم الحديث (٢٧٠٤) - ٣٦١.

قال ابن حجر: فلما جرى الصلح بينه وبين معاوية قال له معاوية قم فتكلم، فقام فقال: (الحمد لله الذي هدى بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم، ألا إن أكيس الكيس التقى، وأعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون أحق به مني أو يكون حقي تركته لله، وإصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم). ثم التفت إلى معاوية فقال: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1]. ثم استغفر ونزل عن المنبر، وفي هذا الحدث التاريخي تجلت إحدى دلائل النبوة، وسمي هذا العام عام الجماعة، لاجتماع المسلمين فيه على إمام واحد بعد الفرقة[2].

ففي هذا الحديث الشريف نبأ يخبر به النبي ﷺ أمته، بأن صلحًا بين فئتين عظيمتين من المسلمين سيتحقق على يد ابنه الحسن بن علي (رضي الله عنهما)، وتمضي السنون فيأتي أبو بكر وبعد أبي بكر عمر وبعد عمر عثمان وبعد عثمان علي (رضي الله عنهم أجمعين)، وبعد علي يتحقق ذلك النبأ العظيم، فيصلح الحسن بن علي (رضي الله عنهما) بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فسبحان من أنبأ نبيه بنبأ المصلح والفريقين المتخاصمين.

(ج) الإخبار بأن الفئة الباغية ستقتل عمارًا ﷺ:

عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ لعمار: **(تقتلك الفئة الباغية)**[3].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

(٢) انظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ - محمد بن عبدالوهاب - رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض - ط٢- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ - ٣١٧.

(٣) أخرجه مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٢٩١٦- ١٢٥٢.

قال ابن حجر: تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عمارًا تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين، وله ثلاث وتسعون سنة[1].

فكان أتباع علي يتبعونه كأنه علم لهم، كما قال أبو عبدالرحمن السلمي: شهدنا مع علي ﷺ صفين فرأيت عمار بن ياسر ﷺ لا يأخذ من ناحية من نواحيها ولا واد من أوديتها إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتتبعونه كأنه علم لهم[2].

قال النووي: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليًا ﷺ كان محقًا مصيبًا، والطائفة الأخرى بغاة مجتهدون، فلا إثم عليهم لذلك، وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه منها: أن عمارًا يموت قتيلاً، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة وأن الصحابة يتقاتلون، وأنهم يكونون فرقتين تبغي إحداهما على الأخرى، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح، صلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[3].

وقد حاول جنود معاوية في هذه الواقعة أن يتجنبوا عمارًا ما استطاعوا حتى لا تقتله سيوفهم، ولكن نبوءة الرسول قد حان أوانها، فأخذ بعض جنوده يقتلونه فمات عمار.

بهذا القتل عرف الناس أن الفئة الباغية التي قتلت عمارًا هي فئة معاوية، لذلك بدأ بعض جنوده يتهيأون للتمرد والانضمام إلى علي

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - تحقيق خليل مأمون - دار المعرفة - بيروت - ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م - ١٣٠٠/٢.

(٢) انظر: موسوعة حياة الصحابة من كتب التراث - محمد سعيد مبيض - مؤسسة الريان - بيروت - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - ٢٥٦٦/٥.

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - النووي - ٢٤٧/١٨.

منهم عمرو بن العاص، إن ارتباك موقف أتباع معاوية ﷺ يبرز مدى تأثير الإعجاز الغيبي في نفوس الفريقين، فسبحان من أنبأ نبيه ﷺ بأمر القاتل والمقتول، إنها حقائق لا يملك المدعو إلا التسليم بها، والقبول والإيمان بمصدرها، بل تدفعه إلى البحث عن اقتفاء هذا الطريق القويم[1].

(د) الإخبار بأن نارًا ستخرج من أرض الحجاز:

روى سعيد بن المسيب أنه قال: أخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى)[2].

قال ابن كثير في الشمائل: وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة، إذ ظهرت يوم الجمعة، واستمرت شهرًا وأزيد منه، وتواتر عن أهل المدينة ظهورها شرقي المدينة تلقاء أحد، وأنها ملأت تلك الأودية، وقد سمع أهل المدينة قبل ظهورها بخمسة أيام أصواتًا مزعجة، وزلزلت المدينة بسببها، فلم تزل على حالها ليلاً ونهارًا حتى ظهر يوم الجمعة فانبجست الأرض عن نار عظيمة جدًا، صارت مثل الوادي، طوله أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال، يسيل الصخر منها حتى يبقى مثل الرصاص المذاب، ورأى الناس ضوءها يمتد إلى تيماء، بحيث كتب الناس على ضوئها بالليل، وكأن في بيت كل منهم مصباحًا، ورأى

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ - عبدالله بن محمد عبدالوهاب - تحقيق عبدالله البسام - مطبعة النهضة الحديثة - ٤٤٤.

(٢) أخرجه مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز - رقم الحديث (٢٩٠٢) - ١٢٤٧.

الناس سناها من مكة، وأما بصرى فقد رأى أعراب بحاضرة بلد بصرى صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز. عندها لجأ أهل المدينة إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله وأنابوا مستغفرين مما سلف منهم واعتقوا الغلمان وتصدقوا على فقرائهم ومحاويجهم(1).

لم يأخذ الإعجاز الغيبي شكل الإخبار عن أشخاص بأعينهم، كتبشير أبي بكر وعمر وعثمان (رضوان الله عليهم)، أو الإخبار بهلاك أبي لهب وامرأته، بل تعدى ذلك إلى الإخبار عن تحرك الجماد وزلزال الأرض، وخروج النار لتكون آية دالة على من خلقها وأمرها بالخروج، ورسالة إلى العالمين تؤكد لهم أن من أخبرهم بخروجها رسول الهدى الذي لا ينطق عن الهوى، فأدت تلك النار رسالتها، وفزع الناس إلى ربهم منيبين، فسبحان من أخبر نبيه بدقة هذا الخبر الغيبي، فموعد خروجها قبل قيام الساعة، والمكان أرض الحجاز، والعلامة خروج نار من تلك الأرض، وتأكيدًا لذلك كله تضيء النار أعناق الإبل ببصرى، وهذا ما تحقق كما أخبر ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(2).

---

(1) انظر: شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه - إسماعيل بن كثير - اعتنى به عبدالقادر الأرناؤوط - مكتبة العبيكان - الرياض - ط1 - 1422هـ - 2001م - 600- 601، وانظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار الريان للتراث - القاهرة - ط1- 1407هـ - 1987م - 79/13.

(2) سورة الملك، الآية: 14.

المبحث الثالث

دلالة الإعجاز الغيبي على ربانية الدعوة وعالميتها

لم يخلق الله الخلق عبثًا، جن وإنس لا يحصيهم إلا الله، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[١].

إن المتأمل في أحوال الخلق يجد أن لكل مخلوق بل لكل جزء من مخلوق وظيفته، فلم يكن خلق ذلك الجزء من المخلوق عبثًا، بل لحكمة ووظيفة يؤديها، وإذا كان هذا حال جزء من مخلوق فما ظنك بخلق الله من عهد آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، أمم تلو أمم أحاط بها خالقها وأمرها بعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[٣].

فاقترن بكل رسالة آية تبين صدق الداعية، وأنه نبي مرسل من خالقهم، وأن عليه دعوتهم إلى عبادة الله وحده، فلم يكن طريق الأنبياء سهلاً، بل اعترضه إعراض أقوامهم ومجادلتهم في صدق دعوتهم، وطلبهم البرهان المؤيد لدعواهم، فقد لا يستوعب العقل البشري دعوى النبوة، فيتساءل المدعو عند سماع دعوى النبوة أحقًا هذا نبي؟ إذ إن من الشبه التي تنقدح في ذهن بعض المدعوين كيف يكون هذا رسولاً وهو بشر مثلنا، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[1]، وقد عرض القرآن الكريم شيئاً من هذه الشبه على لسان بعض مدعوي الرسل قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[2]، وتلحظ في الآيتين الكريمتين أمرين، أولهما: أن المدعوين هنا داخلهم الشك والريب تجاه دعوة الرسل عليهم السلام.

وثانيهما: أن المدعوين برروا شكهم بأن رسلهم بشر مثلهم، لهذا طلبوا سلطاناً مبينًا يثبت صدق دعواهم، وأنهم رسل من عند الله، ويقترب من هذا المشهد الدعوي رد أصحاب القرية على رسلهم، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾[3].

إذ جعل أصحاب القرية بشرية الرسل مانعًا من تصديقهم، وكذا كان رد المدعوين من قوم نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾[4]، وكذلك رد المكذبين من قوم صالح

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٩- ١٠.

(٣) سورة يس، الآيات: ١٣- ١٥.

(٤) سورة هود، من الآية: ٢٧.

عليه السلام قال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1]، وقال تعالى حكاية عن تكذيب أصحاب مدين لشعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[2].

إن هذه الآيات الكريمة وغيرها تصور تكذيب بعض المدعوين لأنبيائهم عليهم السلام بزعم أنهم بشر مثلهم، ولم تكن دعوة نبينا محمد ﷺ بدعًا من الدعوات السابقة، بل قيل له ما قيل لأخوته الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ ﴾[4]، ومما تقدم يتضح أن بشرية الرسل عليهم السلام كانت أحد موانع استجابة مدعويهم، فالفكرة التي أمام المدعو أن مدعي الرسالة بشر مثلي، وأنى لي أعلم أنه مرسل من عند الله؟ ودرءًا لمثل هذا المانع أيد الله أنبياءه بالمعجزات الساطعة والحجج القاطعة، ليعلم المدعوون صدق دعوتهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾[5] وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو**

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٥٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٨٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧.

(٤) سورة ص، من الآية: ٨.

(٥) سورة الحديد، من الآية: ٢٥.

أني أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1] والحديث الشريف هنا يقرر أن ما من نبي أرسل إلا أيد الله دعوته بالآيات التي تبين صدق دعواه، ولهذا تلحظ اشتراك جميع الأنبياء عليهم السلام في اقتران دعوتهم بالمعجزات، إلا أن ثمة أمراً مهمًا، وهو أن إرسال أولئك الرسل عليهم السلام كان مختصًا بقوم ولم تكن دعوتهم موجهة إلى العالمين باستثناء خاتم الأنبياء ﷺ، لهذا نقرأ في القرآن الكريم آيات تتحدث عن إرسال نبي إلى قوم برسالة تخصهم دون غيرهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[5]، بينما يتحدث القرآن الكريم عن دعوة عالمية بعث بها محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[7].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾[8]. في هذه الآية الكريمة وجه

(١) أخرجه البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي ﷺ «بعثت بجوامع الكلم» - رقم الحديث (٧٢٧٤) - ٩٩٩.
(٢) سورة الأعراف، من الآية: ٥٩.
(٣) سورة الأعراف، من الآية: ٦٥.
(٤) سورة الأعراف، من الآية: ٧٣.
(٥) سورة الأعراف، من الآية: ٨٥.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٧) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٨) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٨.

الخطاب الدعوي للناس جميعًا، وله نظير في دعوة الجن[1]. أيضاً قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[2].

وهذه الآيات الكريمة وغيرها كثير تدل على عالمية الدعوة الإسلامية، فلم يكن خطاب الدعوة الإسلامية مقيدًا بزمان أو مكان أو قوم بل هو خطاب موجه إلى العالمين حتى قيام الساعة، كما دلت كثير من الأحاديث الشريفة على عالمية الدعوة الإسلامية، فعن النبي ﷺ: «**فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**»[3].

وأيضاً قوله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[4].

وهكذا نرى تكاثر النصوص الشرعية الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية، وأن خطابها موجه لكل مكلف منذ بعثة نبينا محمد ﷺ.

ومن هنا حق للمرء أن يتأمل مشاهد دعوة الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وتحديدًا أولئك المدعوون الذين رأوا أن بشرية الرسل

(١) انظر: عالمية الدعوة إلى الله تعالى - محمد عمر الحاجي - دار المكتبي - دمشق - ط١- ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م - ٤٥.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

(٣) أخرجه مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - الباب الأول - رقم الحديث (٥٢٣)- ٢١٦.

(٤) أخرجه مسلم - كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته - رقم الحديث (١٥٣) - ٨٢.

تصطدم مع من يوحى إليه من السماء، وأن على رسلهم تقديم بينة وآية تدل على صدق دعوى نبوتهم، فموسى عليه السلام أدخل يده في جيبه فخرجت بيضاء من غير سوء ولا علة، وألقى عصاه أمام سحرة فرعون فإذا هي ثعبان مبين يلقف حبالهم وعصيهم، وعلى إثر هذه المعجزة آمن السحرة وخروا سجودًا لله رب العالمين، وعيسى عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبر مدعويه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وقبلهما صالح عليه السلام أخرج لقومه الناقة العظيمة فآمن من آمن وكفر من كفر، أقول إن المتأمل في تلك المشاهد الدعوية وما صاحبها من معجزات يلحظ أن المدعو نال فرصة الاطلاع على المعجزة التي تمثل البينة والدليل القاطع على صدق دعوى المرسل إليه.

لقد اختصت تلك المعجزات بزمن معلوم هو مدة بعثة ذلك النبي، فإذا مات ذهبت معجزاته، ولنا أن نتساءل هل يستطيع يهودي اليوم يدعو إلى اليهودية أن يلقى عصا فترتد ثعبانًا أو يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، وهل يستطيع أحد دعاة التنصير أن يحيي الموتى وينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم كما فعل عيسى عليه السلام، بالتأكيد أن كل الخلق يعجزون عن الإتيان بمعجزات الأنبياء، وهذه الحقيقة الثابتة أتت لتتكيف مع طبيعة دعوات الأنبياء السابقين، فكانت معجزاتهم عليهم السلام تلائم اختصاص القوم وتلائم ما اشتهر به المدعوون، ولهذا كانت محدودة الزمان والمكان والمكلفين، ولكن ماذا عن الدعوة العالمية، دعوة الإسلام الممتد خطابها منذ فجر الإسلام حتى قيام الساعة، والدين الذي لا يقبل الله

سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1][2].

لقد أرسل الله الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم خاصة، وأرسل نبينا محمداً ﷺ إلى الناس عامة، فعن جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[3].

إن مقتضى عالمية الدعوة الإسلامية بقاؤها إلى قيام الساعة، وأن تخاطب العالمين جنهم وإنسهم، وقد تقدم معنا أن المعجزات قرائن رسالات الأنبياء، تأتي لتكون ملائمة لطبيعة الرسالة وما اشتهر به المدعوون، ومن هنا كانت معجزات نبينا محمد ﷺ المقترنة برسالته العالمية مختلفة عن سائر معجزات الأنبياء، فقد أجرى الله على يديه الكثير من المعجزات أمام مدعويه، من انشقاق القمر وإنزال الملائكة في بدر وأحد وتكثير الماء والطعام واللبن وحنين الجذع واهتزاز جبل أحد وإبراء المرضى، فكانت معجزات حسية انقضت في أوانها وأصبحت تروى للمدعوين فيتقبلها المسلمون بالإيمان والتصديق، ومثل هذه المعجزات أعني الحسية قد لا تكون دليلاً مؤثرًا على صدق

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) انظر: القول الأقوم في عموم رسالة سيدنا محمد إلى جميع الأمم - أحمد بن حجر البنعلي - قطر - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - ١٨.

(٣) أخرجه البخاري - كتاب الصلاة - باب قول النبي ﷺ «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» رقم الحديث (٤٣٨) - ٦٧.

دعوى عالمية الرسالة النبوية لدى غير المسلم، لذا نجد أن طبيعة الرسالة الخالدة اقتضت اقتران معجزة خالدة معها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]. بل تحدى الله سبحانه وتعالى من أعرض من المدعوين بالإتيان بمثل هذا القرآن.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] كما تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3] ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾[4].

نزل هذا التحدي في العهد المكي بين ملوك الفصاحة من مدعوي قريش، فلم ولن يقدر أحد على الإتيان بسورة من مثله، كما تكرر هذا التحدي في العهد المدني الذي يضم مدعوين من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١٣- ١٤.

(٤) سورة يونس، الآيتان: ٣٨- ٣٩.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣- ٢٤.

لقد عجز المدعوون منذ نزول القرآن الكريم عن الإتيان بمثله، هذا لأن القرآن الكريم أتى ليكون معجزة خالدة وشاملة وباقية إلى يوم القيامة، ولم تكن أوجه الإعجاز القرآني والنبوي تتوقف عند وجه واحد من وجوه الإعجاز، بل تنوعت لتشمل جميع العصور وكل أصناف المدعوين، فإن تساءل مدعو هل من بينة ومن برهان يدل على صدق رسول الإسلام ﷺ؟

يجاب على تساؤله بأن معجزات نبينا محمد ﷺ خاطبت جميع الأزمة والأمكنة والمكلفين إلى قيام الساعة، وإعجاز غيب المستقبل أحد أوجه الإعجاز التي يخاطب بها المدعو على مر العصور، لقد كان ولا زال هناك فئة من الناس يعظمون مدعي الغيب، ويقدمونهم في مجالسهم الاجتماعية، وما تهافت كثير من العوام على الكهنة والعرافين إلا دليل على ذلك، وإن الإخبار بالأمور الغيبية يحمل دلالة قوية في نفوس المدعوين. بل كان الإخبار بالغيب أحد معجزات عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(1).

لقد كان ﷺ رجلاً أميًا في بيئة أمية(2)، وعندما بعث نبيًا إلى العالمين شرع بإخبارهم متيقنًا بأمور ستحدث في مستقبل الأيام، ولم يكن ﷺ سوى نبي أمي لا يعلم الغيب قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(3).

---

(1) سورة آل عمران، من الآية: ٤٩.

(2) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة - أ. د حمد بن ناصر العمار دار إشبيليا - الرياض - ط٣- ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - ١٠٩.

(3) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

لقد أخبر ﷺ بكم كبير من أنباء غيب المستقبل وتحقق بعضها في عهده ﷺ، وتحقق بعض منها بعده، وسيتحقق كل ما أخبر به ﷺ ولم يستطع أحد من أعداء الدعوة الإسلامية أن يثبت عدم تحقق خبر أخبر به نبينا ﷺ فهو ﷺ لم يأت بشيء من عنده، وإنما أطلعه الله على الغيب، وإن دلالة إعجاز غيب المستقبل في نفوس المدعوين أقوى أثرًا من غيب الماضي، فقد يثير المدعو شبهة أن غيب الماضي حدث وانتهى، وقد يكون نبيكم أخذه عن غيره، ولهذه الشبهة شاهد دعوي.

إذ سأل أحد الدعاة البروفسور (الفريد كرونر) أحد أشهر علماء الجيولوجيا في العالم فكان نص السؤال ما يلي: هل كانت بلاد العرب بساتين وأنهارًا؟ فأجاب: نعم، فقال الداعية متى كان هذا؟ قال في العصر الجليدي الذي مر على الأرض. ثم سأله الداعية وهل ستعود بلاد العرب بساتين وأنهارًا؟ قال نعم. فسأله الداعية لماذا؟ فقال: لأن العصر الجليدي قد بدأ، فهذه الثلوج تزحف من القطب المتجمد الشمالي مرة ثانية نحو الجنوب، وهي في طريقها لتقترب من المناطق القريبة من بلاد العرب، فقال له الداعية: لقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ قبل ١٤٠٠ عام بما تقوله، ثم ذكر له الحديث الشريف: «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**»[(١)] وسأله الداعية: من أخبر محمدًا ﷺ أن بلاد العرب كانت بساتين وأنهارًا؟

فأجاب على الفور: الرومان، فقال له الداعية، إذن أوجه لك سؤالاً آخر: من أخبر محمدًا ﷺ بأنها ستعود مروجًا وأنهارًا؟!.

---

(١) أخرجه مسلم - كتاب الزكاة - باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها - رقم الحديث (١٠١٢) - ٤٠٧.

يقول الداعية: لقد كان هذا المدعو يفر إذا أحرج وإذا وجد فرصة، ولكنه إذا وجد الحقيقة يكون شجاعًا ويعلن رأيه بصراحة.

فقال البرفسور: إن هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحي من أعلى[1]، وبالتأمل في هذا المشهد الدعوي، تجد أمامك إخباريين غيبيين.

الأول: أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، والثاني: أن أرض العرب ستعود مروجًا وأنهارًا قبل قيام الساعة.

إن الخبر الأول هو جزء من أنباء غيب كثيرة وردت في الكتاب والسنة تخبرنا عن أحداث موغلة في القدم، ويشير القرآن الكريم في غير موضع منه أن تلك الأنباء الغيبية دليل على أن مصدر الدعوة رباني، قال تعالى بعد ذكر قصة قوم نوح عليه السلام: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، وقال تعالى في شأن اختصام القوم في كفالة مريم (عليها السلام): ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[3]، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[4] فسمى القرآن الكريم هذه الأنباء أنباء غيب تدل المدعو على أن مصدر هذه الدعوة رباني.

---

(١) انظر: إنه الحق - عبدالمجيد الزنداني - الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة - ط١- ١٤١٧هـ- ٦٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٤) سورة القصص، الآية: ٤٤.

إلا أن بعض المدعوين كما تقدم في المشهد الدعوي السابق مع البرفسور (الفريد) قد يثير شبهة وهي أن نبينا ﷺ قد تلقى أنباء غيب الماضي من بشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾(1) لكن ورود الأنباء المستقبلية بكم كبير دون أن يكون بينها اختلاف يجعل المدعو أمام حقيقة واحدة لا مناص منه، وهي أن هذه الدعوة الإسلامية ربانية المصدر، فمن أخبر محمدًا ﷺ بأن أرض العرب ستعود مروجًا وأنهارًا إلا اللطيف الخبير، إن المدعو لا يمكنه أمام حقائق غيب المستقبل إلا التسليم بها، فمنهم من يستجيب ومنهم من يعرض لكنه لا يملك إلا أن ينصف هذه الدعوة، كما تقدم مع عالم الجيولوجيا، وإذا سلم المدعو بأن هذه الدعوة ربانية المصدر، عليه أن يعلم أن من أخبر نبينا محمداً ﷺ بتلك الأنباء المستقبلية هو من قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(2) وهو من قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(3) وهو من قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(4).

فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية وما تلك الأنباء المستقبلية إلا أحد دلائل ربانية الدعوة الإسلامية وعالميتها، إن التفكر في نبأ غيبي واحد يدفع المدعو إلى تصور عظمة تلك الأخبار الغيبية، فمحمد ﷺ يخبر بصيغة الجزم أن أبا لهب من أصحاب النار، وأنه وامرأته لن يؤمنا،

---

(1) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(2) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(3) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(4) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

ولم يكن هذا الإخبار مختصًا بمآل هذين الاثنين فقط، بل شمل أبا جهل والوليد بن المغيرة. قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾[1].

وقال في مآل الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[2] إنها حقائق ساطعة وحجج قاطعة تعزز كمال هذه الدعوة العظيمة، وأن المعجزات المقترنة بهذه الدعوة جاءت ملائمة لعالميتها وخلودها إلى قيام الساعة، ولتخاطب جميع أصناف المدعوين على مر العصور، وأختم بحثي هذا بكلام نفيس لمناع القطان، حيث يقول: كانت معجزة محمد ﷺ في عصر مشرف على العلم معجزة عقلية تحاج العقل البشري وتتحداه إلى الأبد، وهي معجزة القرآن بعلومه ومعارفه، وأخباره الماضية والمستقبلية، فالعقل الإنساني على تقدمه يعجز عن معارضته لأنه آية كونية لا قبل له بها، فيكون هذا اعترافًا منه بأنه وحي الله إلى رسوله، وأن حاجته إلى الاهتداء به ماسة ليستقيم عوجه وترقى مواهبه، وهكذا كتب الله لمعجزة

(١) سورة الدخان، الآية: ٤٧- ٥٠.

(٢) سورة المدثر، الآية:١١- ٢٦.

الإسلام الخلود، فضعفت القدرة الإنسانية مع تراخي الزمن وتقدم العلم عن معارضتها[1].

الخاتمة:

الحمد لله على تيسيره، وحسن ما صرف من أموره، الحمد لله على حسن صنعه، شكرًا على إعطائه ومنعه، وأصلي وأسلم وأبارك على سيد الخلق، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد انتهيت في هذا البحث إلى مفهوم الدعوة إلى الله تعالى بإعجاز غيب المستقبل، وبعض صور إعجاز غيب المستقبل في الدعوة الإسلامية، والعلاقة بين الدعوة وإعجاز غيب المستقبل، ويطيب لي أن أذكر أهم نتائج هذه الدراسة:

١- أن مفهوم الإعجاز يطلق ويراد به الأمر الخارق الذي جرى على أيدي الرسل.

٢- أن هناك أمورًا خارقة للعادة تجري على يد العبد الصالح أو الفاجر، ولا تدخل ضمن مفهوم المعجزات.

٣- أن العلوم التي تُتعلم مثل السحر لا تدخل ضمن الأمور الخارقة للعادة.

٤- أنه لا يمكن تعريف الغيب في الاصطلاح بمفهومه الشامل، لتعدد أقسامه. فمفهوم الغيب المطلق لا ينطبق على الغيب المقيد والعكس صحيح.

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - مكتبة المعارف - الرياض - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - ٢٦٤.

٥- ورود صور إعجاز غيب الماضي والمستقبل بكثرة في نصوص الكتاب والسنة.

٦- ورود غيب الحاضر في دعوة نبي الله عيسى عليه السلام.

٧- عدم دقة إطلاق مصطلح الإعجاز التاريخي على الإعجاز الغيبي، إذ أن الأول يشمل فقط غيب الماضي، ولا يتسع لغيب الحاضر والمستقبل.

٨- لم يسجل التاريخ منذ فجر الدعوة الإسلامية تناقض غيب مستقبلي ورد في الكتاب أو السنة.

٩- يشكل حزن الصحابة (رضوان الله عليهم) إبان صلح الحديبية حدثًا بارزًا ومؤشرًا مهمًا على قوة دلالة إعجاز غيب المستقبل في نفوس المدعوين.

١٠- أن في إعجاز غيب المستقبل دلالة على ربانية الدعوة الإسلامية.

١١- أن في إعجاز غيب المستقبل دلالة على عالمية الدعوة الإسلامية.

وبعد فهذه أبرز نتائج هذا البحث، وحقيق علي أن أشير إلى أن الدعوة إلى الله بالإعجاز الغيبي يكاد ينعدم وجودها في الميدان الدعوي، فلم أرصد هيئة أو مؤسسة دعوية توظف الإعجاز الغيبي في الدعوة إلى الله تعالى، وباتصالي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي أفادوني أن الإعجاز الغيبي يعد أحد المحاور التي تناقش في مؤتمراتهم الدعوية، ولا يوجد له شعبة أو إدارة مستقلة، ولا يوجد له مؤسسة دعوية مستقلة تعنى بتوظيفه في الدعوة إلى الله تعالى، وفي تصوري أن الدعوة الإسلامية بحاجة إلى توظيف الإعجاز الغيبي مع المدعوين، لاندراجه ضمن الأدلة العقلية التي تدفع

المدعو إلى الإسلام أو التفكير فيه، وإنشاء هيئة مختصة بالإعجاز، تخدم هذا الهدف النبيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر المراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - مكتبة دار المعارف - الرياض - ط١- ١٤٠٧هـ.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود محمد أحمد العمادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢- ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.

٤- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة - أ. د. حمد بن ناصر العمار - دار إشبيليا - الرياض - ط٣- ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - تحقيق خليل مأمون - دار المعرفة - بيروت - ط١- ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٦- الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى - د. مصطفى السعيد - شركة أجيالنا - ط١- ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٧- الإعجاز العلمي في السنة النبوية - د. صالح أحمد رضا - مكتبة العبيكان - ط١- ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٨- إنه الحق - عبدالمجيد الزنداني - الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة - ط١- ١٤١٧ هـ.

٩- الأنوار في شمائل النبي المختار - الحسين البغوي - دار الضياء - بيروت - ط١- ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٠- الإيمان بالغيب - بسام سلامة - مكتبة المنار - الزرقاء الأردن - ط١- ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

١١- البحوث الإعلامية - د. محمد الحيزان - الرياض - ط١- ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٢- تفسير القاضي - حاشية محي الدين شيخ زاده - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

١٣- تفسير القرآن - عز الدين عبدالسلام - تحقيق د. عبدالله الوهيبي - الناشر المؤلف - الأحساء - ط١- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٤- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن كثير - مكتبة دار السلام - الرياض - ط١- ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

١٥- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

١٦- تهذيب اللغة - منصور الأزهري - تحقيق عبدالحليم النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢- ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

١٨- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل البخاري - اعتنى به عبدالسلام علوش - مكتبة الرشد- الرياض - ط١- ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

١٩- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن - محمد بن أحمد القرطبي - تحقيق د. عبدالله التركي ومحمد رضوان عرقسوسي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢- ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٧م.

٢٠- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها - أحمد غلوش - دار الكتاب المصري - ط١- ١٣٩٩ هـ.

٢١- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية - محمد بن عبدالرحمن الراوي - مكتبة الرشد - الرياض - ط٣- ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٢٢- الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - ط١- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٣- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز - عز الدين عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي - تحقيق أ. د عبدالملك بن دهيش - مكتبة الأسدي - مكة المكرمة - ط١- ١٤١٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٢٤- زاد المسير في علم التفسير - عبدالرحمن بن علي الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط٤- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٥- شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه - إسماعيل بن كثير - اعتنى به عبدالقادر الأرناؤوط - مكتبة العبيكان - الرياض - ط١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٢٦- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج القشيري - دار ابن حزم - بيروت - ط١ - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٢٧- عالم الغيب - محمد خير الدرع - دار الفكر - دمشق.

٢٨- عالم الغيب في العقيدة الإسلامية - أ. د محمد سيد السمير - نهضة مصر - ط١ - ٢٠٠٧م.

٢٩- عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي - عثمان جمعة ضميرية - مكتبة السوادي - جدة - ط١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٣٠- عالمية الدعوة إلى الله تعالى - محمد عمر الحاجي - دار المكتبي - دمشق - ط١ - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧م.

٣١- الغيب والمستقبل - إلياس بلكا - مؤسسة الناشرون - دمشق - ط١ - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

٣٢- الغيب وعلاماته - دراسة على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة - د. أمين منتصر - دار الفكر العربي - القاهرة - ط١ - ١٤٢٦ هـ.

٣٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار الريان للتراث - القاهرة - ط١ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٣٤- القول الأقوم في عموم رسالة سيدنا محمد إلى جميع الأمم - أحمد بن حجر البنعلي - قطر - ط١ - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

٣٥- كرامات الصحابة - أسعد محمد الطيب - دار ابن حزم - بيروت - ط١ - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٣٦- الكشف والبيان في تفسير القرآن - أحمد محمد الثعلبي - تحقيق سيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٤م.

٣٧- لباب التأويل في معاني التنزيل - علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن - ضبطه عبدالسلام محمد شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٣٨- اللباب في علوم الكتاب - عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق عادل أحمد ومعه آخرون - دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٩- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر بيروت - ط١- بدون تاريخ.
٤٠- مباحث في إعجاز القرآن الكريم - أ. د مصطفى مسلم - دار القلم دمشق - ط٣- ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
٤١- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - مكتبة المعارف - الرياض - ط١- ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤٢- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد ٢١ - محرم ١٤١٩ هـ - تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه - د. عبدالرحمن بن سليمان الخليفي.
٤٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع عبدالرحمن بن قاسم - دار عالم الكتب - الرياض - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.
٤٤- مختصر سيرة الرسول ﷺ - عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - مطبعة النهضة الحديثة.
٤٥- مختصر سيرة الرسول ﷺ - محمد بن عبدالوهاب - رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض - ط٢- ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
٤٦- مدخل إلى علم الدعوة - أ. د عبدالرب نواب الدين - دار العاصمة - الرياض - ط١- ١٤١٣ هـ.
٤٧- معالم التنزيل - الحسين بن مسعود البغوي - دار طيبة للنشر.
٤٨- معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم الزجاج - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٤٩- المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات - ابن تيمية - تحقيق أحمد العيسوي - دار الصحابة للتراث - طنطا.
٥٠- معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تحقيق د. محمد عوض - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - ١٤٢٢ هـ.
٥١- مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - ط١- ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

٥٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - محي الدين النووي - دار المعرفة - بيروت - ط٣- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٧م.

٥٣- موسوعة حياة الصحابة من كتب التراث - محمد سعيد مبيض - مؤسسة الريان - بيروت - ط١- ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

أهمية الأناة
و أثرها في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد
الدكتور/ حمود بن جابر الحارثي
الأستاذ المساعد في قسم الدعوة و الثقافة الإسلامية
بكلية الدعوة و أصول الدين
في جامعة أم القرى

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى التي يُراد لها النجاح و الاستمرارية لا بُد أن تكون مهتدية بالمنهج النبوي، المنهج المستضيء بنور الوحيين الكتاب والسنة، والمُترجم عملياً بأقوال الرسول ﷺ و أفعاله وسيرته في دعوته. و من معالم ذلكم المنهج النبوي **الأناة**، فقد كان ﷺ ذا أناة ورفق وتثبت في تعاملاته، وفي بلاغه للوحي، وقد أدبه ربه على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1].وكان من نهجه ﷺ ألا يُصدر الأحكام جزافاً، وقد نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[2]. و أثنى ﷺ على من اتصف بالأناة وبيَّن أنها من الصفات التي يحبها الله، فقال ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: " **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ** "[3]. إن هذه الخلة الحميدة لهي من أهم الخلال التي تساعد على نجاح الداعية في دعوته، فهي حَرية بأن تُبحث وتدرس دراسة دعوية يُفيد منها الدعاة إلى الله تعالى خاصة في هذا العصر الذي كثُرت فيه الفتن، و قد اعتمد أعداء الدعوة على

(١) سورة طه، من الآية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٩٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ١ / ٤٨، رقم ١٧. و أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة ٤ / ١٩٦، رقم ١٩٣٤.

بعض تصرفات المسلمين الخاطئة وخاصة الدعاة، فجعلوها طريقاً للنيل من الإسلام والدعوة. وهذا يوجب على أهل العلم زيادة الإمعان في دراسة سيرة النبي ﷺ وسنته و استنباط جزئيات المنهج النبوي في الدعوة إلى الله وتقديمها ناصعة للعاملين في الميدان الدعوي في دراسة دعوية تأصيلية، و بعد إطالة النظر في السنة والسيرة وجدت أن الأناة صفة عظيمة اتصف بها النبي ﷺ وحث عليها ومدح المتصفين بها.

ومن خلال البحث و الرجوع إلى سجلات الرسائل العلمية و البحوث العلمية المحكمة في أقسام الدعوة في جامعات المملكة العربية السعودية[1]، تبين لي أنه لم يسبق دراستها دراسة دعوية، فعقدت العزم بعد التوكل على الله تعالى على دراسة ذلكم المصطلح الشرعي دراسة دعوية تحت عنوان **(أهمية الأناة و أثرها في الدعوة إلى الله تعالى)**.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وخمسة مباحث على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: تعريف الأناة و أهميتها.

المطلب الأول: معنى الأناة اللغوي و الاصطلاحي

المطلب الثاني: نصوص الكتاب والسنة الدالة على أهمية الأناة.

---

(١) انظر: سجلات الرسائل العلمية في أقسام الدعوة في جامعات المملكة مع بعض البحوث العلمية المحكمة في المجلات العلمية المحكمة، جمع طلاب الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٤٢٨ هـ، و مضاف إليها سجل البحوث المسجلة في مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، و سجل الرسائل العلمية في جامعة الأزهر.

المطلب الثالث: أقوال العلماء الدالة على أهمية الأناة.

المطلب الرابع: الأناة خلق يمكن اكتسابه.

المبحث الثاني: أثر الأناة على الداعية.

المطلب الأول: الأناة في طلب العلم

المطلب الثاني: الأناة عند إيراد الدليل.

المطلب الثالث: الأناة قبل إصدار الفتوى.

المطلب الرابع: الأناة قبل الحكم على الناس.

المطلب الخامس: عدم استعجال النتيجة قبل أوانها.

المبحث الثالث: أثر الأناة على المدعو.

المطلب الأول: الأناة في اكتشاف حال المدعو.

المطلب الثاني: الأناة في اكتشاف البيئة المحيطة بالمدعو.

المطلب الثالث: الأناة قبل إنكار ما يظن أنه منكر.

المبحث الرابع: أثر الأناة في اختيار موضوع الدعوة

المطلب الأول: الأناة من أسباب تحقق الإحاطة بالموضوع.

المطلب الثاني: الأناة تُحقق إعمال قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح عند طرح الموضوع.

المطلب الثالث: الأناة تُحقق تكوين الرؤية العلمية الصحيحة للموضوع.

المبحث الخامس: أثر الأناة في وسائل الدعوة و أساليبها.

المطلب الأول: الأناة في اختيار الوسيلة وحسن استخدامها.

المطلب الثاني: الأناة عند اختيار الأسلوب وحسن استخدامه.

الخاتمة.

المراجع.

المبحث الأول
تعريف الأناة و أهميتها

المطلب الأول تعريف الأناة:

أولاً: معنى الأناة اللغوي:

للأناة في اللغة العربية عدة معانٍ منها:

تَأَنَّى: ترفّق، يقال: رجل آنٍ: أي كثير الترفق. ومنه قول النابغة:

الرِّفْـق يُمْـنٌ والأنـاةُ سَـعَادَةٌ فاسـتأْنِ في رفـقٍ تـلاقِ نجاحـا

تَأَنَّى: تنظّر، وتأنى في الأمر: أي تنظر واستأنى به: أي انتظر به.

تَأَنَّى: تأخر، ومنه قول الحطيئة:

وآنَيْـتُ العِـشاء إلى سُـهَيلٍ أو الـشِّعْرَى فطـال بـيَ الأَنَـاءُ

تَأَنَّى: أبطأ. ومنه ما جاء في الحديث " أن رجلا جاء يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجعل يتخطى رقاب الناس، فقال رسول الله: اجلس فقد آذَيْتَ وآنَيْتَ "(1). ويقال: فلان خَيْرُهُ أَنِيٌّ: أي بطيّ.

تَأَنَّى: تثبّت، يقال تأنى في الأمر أي تثبت من تحققه.

تَأَنَّى: تمهّل، يقال: متمهل في تدبير الأمور: أي مبتعد عن العجلة. و لذلك يوصف الرجل المتأني المتمهل المبتعد عن العجلة بأنه: وَاسِع الأَنَاة، بَعِيد الأَنَاةِ، طَوِيل حَبْل الأَنَاة(2).

---

(1) معرفة السنن و الآثار، البيهقي، ٥ / ١٧٢، رقم ١٨٠٨. و سنن ابن ماجه، ١ / ٣٥٤، رقم ١١١٥. و صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣ / ٥٣، رقم ٩١٦.

(2) انظر: في هذه المعاني: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ٨ / ١٥٣. والصحاح في اللغة، الجوهري، ١ / ٢٦و العين، الخليل بن أحمد، ٢ / ٢٠٥. و المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٢ / ٤٧٨. و المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ١ / ٣١. و تهذيب اللغة، لأزهري، ٥ / ٢٣٨. و معجم الفروق اللغوية، العسكري، ص ٥٠. و معجم=

ثانياً: معنى الأناة الاصطلاحي:

من خلال النظر في معاني الأناة عند علماء اللغة، والتفسير، و الحديث، و الألفاظ المرادفة لها كالتثبت و التمهل، و الألفاظ المضادة لها كالعجلة وهي التقدم بالشيء قبل وقوعه **يمكن تحديد معنى الأناة الاصطلاحي بأنها:**

التأني والتربص والتثبت وترك الطيش و العجلة وضبط النفس عند الغضب حتى يستبين الصواب(١).

إن الأناة إنما قصدت للاستظهار والاستبصار والتأمل و النظر في العواقب، و العجلة كثيراً ما تأتي بالعطب، و توقع في الحرج، و حينئذٍ لا ينفع الندم. و إن تأني الداعية وتثبته في التعامل مع النصوص يجعله قادراً على تنزيلها على واقع المدعو مع اختيار الوسائل و الأساليب المناسبة بما يحقق أهداف الدعوة إلى الله وغاياتها. ومن هنا تتبين أهمية الأناة في الدعوة إلى الله تعالى.

=مقاييس اللغة، ابن فارس، ١ / ١٤١، ١٤٢. و نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم اليازجي، ص ٨٦.

(١) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي، ٦٠، ١٠٠، ٦٥. وشرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ١٨٩. و شرح السنة، البغوي، ١٣ / ١٧٦. وسبل السلام شرح بلوغ المرام، الإمام محمد بن علي بن إسماعيل الصنعاني، ٦ / ٨٠. وفتح القدير، الشوكاني، ٥ / ٦٠. والتنوير والتحرير، ابن عاشور، ٧ / ١٤٥، ١٤٦.وزهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ص ٣٨٨٠.

المطلب الثاني نصوص الكتاب والسنة الدالة على أهمية الأناة:

أولاً: نصوص الكتاب:

من الآيات المباشرة التي تأمر بالأناة وتنهى عن الاستعجال ما يأتي:

١ - قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[1].. و سبب نزول هذه الآية كما يقول ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: " كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ "[2]. قال القرطبي - رحمه الله - : (هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمة يبيعها فسلم على القوم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله. فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ شق عليه فنزلت الآية، وحمل رسول الله ﷺ ديته إلى أهله ورد عليه غنيماته)[3]. ومعنى تبينوا: أي تثبتوا من صحة الأمر، وتأنوا حتى يتبين لكم الثابت من الأمر الذي لا يتبدّل ولا يحتمل نقيض ما بَدَا لَكم. ولذلك قرأها حمزة، والكسائي: فتثبّتوا[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب و لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً، ٤ / ١٦٧٧، رقم ٥٢٢٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥ / ٣٣٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥ / ٣٣٧. و الدر المنثور، السيوطي، ٣ / ٤٠٢، ٤٠٣. و التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥ / ١٦٧.

٢- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾(١). مما قاله العلماء في معنى الآية ما يأتي:

الأول: لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله.

الثاني: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه، لأنه كان يعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه خوف نسيانه.

الثالث: معناه لا تقرئه أصحابك، و لا تعجل في تأديته إليهم، ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه(٢). ففي ذلك دليل على ما كان يتصف به النبي ﷺ من الجد في أمر الدين والبلاغ والحرص على هداية الناس فأدبه ربه كما في هذه الآية بآداب البلاغ، و أمره بالتأني لما يترتب على التأني من تأكُّد العلم، ومن ثم حسن البلاغ. و مثل هذه الآية آية سورة القيامة التي ستأتي برقم ٤.

٣- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾(٣).

قرأها الجمهور: تبينوا، والتبيّن: تطلب البيان وهو ظهور الأمر، وقرأها حمزة والكسائي وخلف: فتثبتوا، والتثبت: التحري وتطلب الثبات وهو الصدق. وقال تعالى في آخر الآية: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾: أي تصيبونهم بخطأ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ: على العجلة وترك التأني(٤).

---

(١) سورة طه، من الآية: ١١٤.

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٥ / ٢٩٧. و النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، ٣ / ٤٢٩.

و تفسير الفخر الرازي، الفخر الرازي، ١ / ٣١٠٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٤) انظر:الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٦ / ٣١٢.والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦ / ٢٣١

٤- قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[(١)]. كان الرسول ﷺ يعجل بذكر القرآن إذا نزل عليه من حبه له، و حلاوته في لسانه، فنُهي عن ذلك حتى يجتمع، لأن بعضه مرتبط ببعض[(٢)].

٥- قول الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[(٣)]. و المُكْثُ: الأَنَاةُ واللَّبثُ والانتظار، والمَكِيثُ: الرَّزِينُ الذي لا يَعْجَل في أمره[(٤)].

٦- قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[(٥)]. قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : (أي لو انتظروا خروجك ولم يعجلوا بالمناداة لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله ﷺ ورعاية جانبه الشريف، والعمل بما يستحقه من التعظيم والتجليل)[(٦)].

ثانياً: نصوص السنة:

١- عن عبد الله بن عباس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَشَجِّ، أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**[(٧)].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٩ / ١٠٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٤) انظر: التحرير و التنوير، ابن عاشور، ٥ / ٤٥٦.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ٥.

(٦) فتح القدير، الشوكاني، ٥ / ٦٠.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ١ / ٤٨، رقم ١٧. و أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ٤ / ١٩٦ رقم ١٩٣٤

وفي رواية: " **إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ** "[1].

٢- عن زَارِعٍ وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا فَنُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَرِجْلَهُ قَالَ وَانْتَظَرَ الْمُنْذِرُ الْأَشَجُّ حَتَّى أَتَى عَيْبَتَهُ فَلَبِسَ ثَوْبَيْهِ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: **إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ.** قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا. **قَالَ: بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا.** قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ[2].

وفي مسند الإمام أحمد - رحمه الله - قَالَ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ:" **إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ** "[3].

سبب مقولة النبي ﷺ لأشج عبد القيس:

وسبب قول النبي ﷺ ذلك له ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقر به النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه. ثم قال لهم النبي ﷺ:" تبايعون على أنفسكم وقومكم؟ فقال القوم: نعم. فقال الأشج: يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا ونرسل من يدعوهم فمن اتبعنا كان منا ومن أبى قاتلناه. قال: صدقت إن فيك خصلتين... الحديث. و يتبين أنه ﷺ إنما قال ذلك للأشج لِمَا ظَهَرَ له منه مِنْ رِفْقِهِ و تمهله وتَرْكِ عجلته[4]. وفعل الأشج ﷺ من شعار العقلاء.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ١ / ٤٨، رقم ١٨.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، ٤ / ٥٢٥، رقم ٤٥٤٨. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣ / ٢٨٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي سعيد الخدري، ٣ /٢٢، رقم ١١١٩١، قال الأرنؤوط: رجاله ثقات وهو عند مسلم.

(٤) انظر: المفهم، القرطبي، ١ / ٩٣، ٩٤. و شرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ١٨٩.

٣ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **الْأَنَاةُ مِنْ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنْ الشَّيْطَانِ** "[١].

٤ - قال النبي ﷺ: " **التأني من الله و العجلة من الشيطان** "[٢].

الأناة عاقبتها حميدة و لا يترتب عليها إلا الخير فهي من الله تعالى. أما العجلة فلا تأتي بخير فهي و إن كانت بعلم الله وقدرته إلا أن سببها من الشيطان. ولذلك قال العلماء في قوله ﷺ:" والعجلة من الشيطان" : أي هو الحامل عليها بوسوسته لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب وذلك يوقع في المعاطب وذلك من كيد الشيطان ووسوسته[٣].

٥ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ[٤].

أي: قد كان لهم في الطلاق مهلة، وسعة وبقية استمتاع بانتظار الرجعة[٥]. فهذه الأناة جعلتهم يتساهلون في مسألة الطلاق وبفعلهم هذا استعجلوا وحرموا مهلة الرجعة، وبما أنهم لم يتأنوا عند إيقاع الطلاق فإن هذه العجلة أوجبت عليهم إمضاء الطلاق عليهم.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني و العجلة، رقم ١٩٣٥. وحسنه الألباني في صحيح الجامع بلفظ " التأني..." كما في الحديث الذي بعده، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠١١.

(٢) صحيح الجامع، الألباني، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠١١

(٣ انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ١ / ١٣٠، ١٣٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، رقم ١٤٧٢. والإمام أحمد، مسند بني هاشم، باب بداية مسن عبد الله بن عباس، ١ / ٣١٤، رقم ٢٧٢٧.

(٥) انظر: المفهم، القرطبي، ١٣ / ٨٣. و عون المعبود، العظيم آبادي، ٦ / ١٩٨.

٦ - قال النبي ﷺ: " **السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة** "(١).

٧ - قال النبي ﷺ: " **التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة** "(٢).

التؤدة: التثبت وترك الاستعجال والتوقف عن السرعة المذمومة. و أمور الدنيا والوسائل يتأنى الإنسان ويتروى فيها، وأما بالنسبة لأمور الآخرة وخاصة العبادات المحضة فلا يتأنى فيها، بل يقدم ويسارع، فلا بد فيها من منافسة ومسابقة، ولا بد فيها من الجد والاجتهاد، ولا بد فيها من اغتنام الفرص وعدم التساهل، بخلاف أمور الدنيا فالإنسان يتأنى، وقد يكون في التأني الخير الكثير، بخلاف العجلة فإنه قد يترتب عليها شيء من الضرر، فالتأني والتروي في أمور الدنيا لا شك أنه خير للإنسان(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر و الصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ٤/ ٣٦٦، رقم ٢٠١٠. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢ / ١٩٥، وصحيح الجامع الصغير، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠١٠.

(٢) صحيح الجامع الصغير، الألباني، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠٠٩.

(٣) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي، ١ / ٦، ٢٢٦. و شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد، ١ / ٢.

المطلب الثالث أقوال العلماء الدالة على أهمية الأناة:

كان السلف الصالح يستحبون الأناة، ويحثون عليها، ومن أقوالهم فيها ما يأتي:

١ - أَنَّ عَلِيًّا ﷺ سَأَلَ ابْنَهُ الْحَسَنَ بن عَلِيٍّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْمُرُوءَةِ، - ومما سأله عنه - ، قَالَ: يَا بنيَّ فَمَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ: طُولُ الأَنَاةِ، وَالرِّفْقُ بِالْوُلاةِ[1].

٢ - قال عمرو بن العاص ﷺ: لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة الندامة ثم العجلة المذمومة هي ما كان في غير طاعة ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت[2].

٣ - قال مجاهد وقتادة في قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[3]: معناه لا تقرئه أصحابك، ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه[4].

٤- عن قبيصة بن جابر الأسدي قال: ألا أخبركم عمن صحبت، .... ثم قال: وصحبت معاوية فما رأيت أحداً أكثر حلماً منه، ولا أكرم ولا أبعد أناةً منه[5].

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ٣ / ١٠٥، ١٠٦، رقم ٢٦٨٨، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عبدالله بن مسلم بن هرمز قال أبو حاتم يكتب حديثه وليس بالقوى، وبقية رجاله ثقات. (انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي، ٤ / ١٢٢).

(٢) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ١ / ١٦، ١٣٠.

(٣) سورة القيامة، الآية: ١٦.

(٤) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٥ / ٢٩٧.

(٥) التاريخ الكبير، البخاري، ٧ / ٧٩، رقم ٧٨٥.

٥ - ورد أن معاوية ﷺ قال يوماً وعنده الأحنف: ما يعدل الأناة شئ. فقال الأحنف: إلا في ثلاث: تبادر بالعمل الصالح أجلك، وتعجل إخراج ميتك، وتنكح كفء أيمك[١].

٦ - قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - روي أن عمرو بن العاص ﷺ كتب إلى معاوية ﷺ يعاتبه في التأني، فكتب إليه معاوية ﷺ أما بعد: فإن الفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الجانب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيباً، وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئاً[٢].

٧ - قال ابن القيم - رحمه الله - : إذا انحرفت عن خلق الأناة والرفق انحرفت إما إلى عجلة وطيش وعنف، وإما إلى تفريط وإضاعة، والرفق والأناة بينهما[٣].

---

(١) فيض القدير، المناوي، ٩ / ٨٨.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، غير محقق، ٣ / ١٨٦.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، ٢ / ٣١٠.

المطلب الرابع الأناة خلق يمكن اكتسابه:

الأناة خلق كبقية الأخلاق الإنسانية قد يُجبل عليها الإنسان منذ ولادته فتكون خُلقاً ملازماً له وهبه الله إياه، وقد يولد الإنسان ويكبُر وهو لا يتحلى بهذا الخلق، فيُدرب نفسه ويُمرِّنُها بالأفعال و الأسباب التي تُستجلب بها الأناة. والدليل على إمكانية اكتسابها قول أشج عبد القيس ﷺ للرسول ﷺ في الحديث السابق: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا. قَالَ ﷺ: بَلْ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ[1]. فلو أنه لا يمكن اكتسابها لبينه ﷺ لأشج عبد القيس عندما قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا. كما أنه قد ورد أيضاً في السنة ما يدل على أنها تُكتسب، فعن معاوية ﷺ قال:" سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء "[2]. لذلك ينبغي لطالب العلم والداعية على وجه الخصوص أن يتحرَّى ويحرص ويجاهد نفسه على الحصول على خلق الأناة حتى يُنعم الله تعالى عليه بها، وهذا متحقق لا محالة إذا صدق العبد في ذلك كما قال النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، ٤ / ٥٢٥، رقم ٤٥٤٨. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣ / ٢٨٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٥ / ٢٧٠، رقم ٢٦٢. قال ابن حجر: بعد أن ذكر هذا الحديث بلفظه إسناده حسن أورده ابن أبي عاصم و الطبراني. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، (١ / ٢٩٤)، وحسنه الألباني بلفظ " إنما العلم بالتعلم و إنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يُعطه ومن يتق الشر يوقه " (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ١ / ٢٢٠).

" إن تصدق الله يصدقك "(١)، وأطال العمل و الصبر في طلبها، مع عدم الاستعجال، و مصاحبة أهل الخير والصلاح، فإن الناس مجبولون على اقتداء بعضهم ببعض، والتضرع إلى الله تعالى بأن يمنَّ عليه بهذه النعمة فقد كان من دعاء النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي "(٢).

(١) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ٣ / ٢٢٣. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٢ / ٤٣.

(٢) أورده السيوطي في الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ١ / ٢٣٠، رقم ٢٥١٠. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١ / ١١٦، رقم ١٣٠٧.

المبحث الثاني
أثر الأناة على الداعية

إننا في عصر السرعة الذي يستدعي من المرء إنجاز أعماله بسرعة، ومع أهمية المبادرة والتعايش مع الواقع إلا أنه لابد من التأني والتروي مع الجد في الإنجاز والتوسط في تنفيذ العمل بتأنٍ يأتي بالمطلوب و لا يضيع الوقت ويؤخره، هذا في حق المسلم، ويزداد أهمية في حق الداعية الذي يجب عليه أن يحسب الحساب لكل خطوة في طلبه للعلم، وفي فتواه، وفي حكمه بين الناس وعليهم، ولا يستعجل النتائج.

إن الموقف الدعوي يتطلب من الداعية إلى الله أن يكون على مستوى من الجد والسرعة في تطبيق الدعوة بعد اكتشاف طبيعة الموقف وتحديد كيفية التعامل معه، وهذا يتطلب توفر عدة أمور في شخصية الداعية تؤهله لسرعة تحديد المشكلة الدعوية وتحديد الكيفية المناسبة لعلاجها ليسلم من اتخاذ القرارات المتسرعة التي قد تؤدي إلى فقدان التوازن في التعامل مع الموضوع، فتسبق العجلة التأني، وتأخذ العاطفة أكثر من حقها الطبيعي فيتأثر الداعية في شخصه ويؤثر على المنهج الصحيح الذي كان ينبغي أن يسلكه.

وسيحدد هذا المبحث في المطالب الآتية إن شاء الله كيفية تحقيق الداعية الأناة و الأثر الذي ينتج عنها على أدائه.

المطلب الأول الأناة في طلب العلم:

العلم هو زاد الداعية، و الحصول على العلم يحتاج إلى أناة و صبر، ففي الحديث " أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: اشْهَدْ مَعَنَا الصَّلاَةَ. فَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَذَّنَ بِغَلَسٍ فَصَلَّى الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالظُّهْرِ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْ بَطْنِ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَصْرِ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْمَغْرِبِ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعِشَاءِ حِينَ وَقَعَ الشَّفَقُ. ثُمَّ أَمَرَهُ الْغَدَ فَنَوَّرَ بِالصُّبْحِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالظُّهْرِ فَأَبْرَدَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَصْرِ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ لَمْ تُخَالِطْهَا صُفْرَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعِشَاءِ عِنْدَ ذَهَابِ ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ بَعْضِهِ - شَكَّ حَرَمِيٌّ - فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ مَا بَيْنَ مَا رَأَيْتَ وَقْتٌ "(١). إن الرجل أتى يطلب علماً وهو السؤال عن وقت الصلاة، ولو أجابه النبي ﷺ نظرياً لكفاه ذلك، ولكنه تأنى في الإجابة ليُريَ الرجل إجابة السؤال عملياً بفعل الرسول ﷺ مع صحابته ﷺ، وليُعلِّمه الأناة في طلب العلم، و لا شك أن نتيجة هذا التعليم أثبت للعلم، و أوقع في نفس السائل. وهذا الذي ينبغي أن يحرص عليه الداعية فيتأنى في طلبه للعلم حتى يتحقق له حظٌّ وافرٌ منه ويتأدب بآداب طلب العلم وتطبيقه العملي. يقول الشنقيطي: (ينبغي على طالب العلم ألا يستعجل في طلب العلم، لأن الاستعجال يعتبر من آفات العلم في هذا الزمان، فقد كان السلف يعتنون بطول الزمان في طلب العلم، فكلما طال زمان طالب العلم كلما أحبه الله، وهيأه لمرتبة عظيمة في الإسلام، وكلما استعجل طالب العلم فظهر للناس ظهر على قصور، فقد تفقه عبد الله بن وهب

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٢ / ١٠٦، رقم ١٤٢٣.

- وهو إمام من أئمة الحديث والفقه- على يدي الإمام مالك - رحمه الله تعالى- أكثر من عشرين سنة، ..... وذكر عن الإمام مالك رحمه الله أنه لما قرئ عليه الموطأ فيما يقرب من عام قال: كتاب ألفته في أكثر من عشرين سنة، تقرؤونه في عام! ما أقل ما تفقهون أي: ما أقل ما يكون لكم من الفقه..)[1]. وقال بكر أبو زيد - رحمه الله - : (تحل بالثبات والتثبت، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن من ثبت نبت)[2].

(١) شرح زاد المستقنع، د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، ١ / ٨، ٩.

(٢) المجموعة العلمية، حلية طالب العلم، ص ١٥٣.

المطلب الثاني الأناة عند إيراد الدليل:

يجب على طالب العلم الداعية أن يتأنى و يتثبت من الدليل في أمور أهمها ثلاثة:

الأول: صحة الدليل إذا كان من السنة: فإن من الذب عن السنة تمييز صحيحها من سقيمها، و قد كفى السلف من علماء الحديث الخلف مؤنة البحث والتحري فعُنوا بدراسة الأسانيد، ودونوا كتب الرجال والسير والتاريخ والجرح والتعديل التي تميز رواة الحديث وتحدد مراتبهم في الجرح والتعديل، ثم أُلفت المؤلفات التي تبين درجة الحديث بحكم المعتبرين من أهل الحديث. قال عَبْد اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ: (الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَاشَاءَ)[1]، وقال ابن سيرين: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)[2] وبذلك يتحقق عدم الكذب على الرسول ﷺ فقد قال: " مَن يَقُل عليَّ ما لم أقُل فليَتَبَوَّأ مقعدَهُ مِن النَّار "[3]. إضافة إلى ذلك فإنه يجب التأني و التثبت من صحة نسبة الأخبار إلى أصحابها وخاصة أقوال العلماء، لأن أقوالهم بمثابة الفتوى.

الثاني: تفسيره و معرفة معناه: فإن كان من القرآن فبمعرفة سبب النزول والناسخ والمنسوخ و المطلق والمقيد، لأن ذلك يعين على فهم الآية على وجه صحيح، فأولى الأقوال بتفسير الآية عند الاختلاف ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية. فمعرفة السبب يُعين على فهم الآية، ويدفع الإشكال عنها، ويكشف الغموض الذي يكتنف

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب الإسناد من الدين، ١ / ١٢.

(٢) المرجع السابق، ١ / ١٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ١ /٢٣، رقم ١٠٩.

تفسيرها. ومثال ذلك اختلاف المفسرين في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾(1) على أقوال:

1 - المراد بالبيوت المنازل المعروفة والإتيان هو المجيء إليها ودخولها.

2 - المراد النساء، أي أمرنا بإتيانهن من القبل لا من الدبر.

3 - أنها مثل يفيد أمر الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها.

وأصح هذه الأقوال الأول، لما صح في سبب نزول هذه الآية أنه " كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت هذه الآية"(2) (3).

ومن السنة ما ورد أن النبي ﷺ " نهى عن الإقعاء في الصلاة "(4)، وورد أن النبي ﷺ وصفه بإقعاء الكلب قال ﷺ: " يا علي! لا تقع إقعاء الكلب "(5).

و كما ورد في حديث آخر أنه سنة فقد صح عن طاوس أنه قال: " قُلْنَا لاِبْنِ عَبَّاسٍ فِى الإِقْعَاءِ عَلَى الْقَدَمَيْنِ فَقَالَ هِىَ السُّنَّةُ. فَقُلْنَا لَهُ إِنَّا لَنَرَاهُ جَفَاءً بِالرَّجُلِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَلْ هِىَ سُنَّةُ نَبِيِّكَ ﷺ "(6).

---

(1) سورة البقرة، من الآية: 189.

(2) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى و أتوا البيوت، 2 / 639، رقم 850.

(3) انظر: القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين، فهد بن عبد الله الحزمي، ص 17، 18. و مع الشاطبي في مباحث في علوم القرآن، شائع الأسمري، ص 25.

(4) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، 1 / 368، رقم 1005، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الذهبي في تعليقه على المستدرك على شرط البخاري.

(5) أخرجه ابن ماجه، 1 / 288. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، 3 / 22.

(6) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب جواز الإقعاء على العقبين، 2 / 70، رقم 1226.

وفي مثل هذا قد يقع الداعية في الحرج الشديد عندما ينهى عن الإقعاء مستدلاً بحديث النهي وهو لا يعرف معنى الإقعاء أولاً، و لا يعرف الأحاديث الواردة في المسألة و أقوال العلماء فيها ثانياً. إذاً يجب أن يُعرف معنى الإقعاء في العموم و إقعاء الكلب في الخصوص من كتب اللغة و أقوال العلماء.

أما الإقعاء فهو: أن يضع إليتيه على عقبيه ويقعد مستوفزاً غير مطمئن إلى الأرض. و أما إقعاء الكلب والسبع فهو: أن يلصق إليتيه بالأرض وينتصب على ساقيه[1].

قال الألباني - رحمه الله - : (ومما ينبغي أن يُعلم أن هناك سنة أخرى في هذا الموطن وهي سنة الإقعاء، وهو أن ينتصب على عقبيه وصدور قدميه. وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث من أصحاب النبي ﷺ منهم العبادلة الثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ﷺ. وبالجملة فالإقعاء بين السجدتين سنة، فينبغي الإتيان بها، كما كان رسول الله ﷺ يفعل. وأما أحاديث النهي عن الإقعاء فلا يجوز التمسك بها لمعارضة هذه السنة لأمور ثلاثة:

أولاً: أنها كلها ضعيفة معلولة.

ثانياً: أنها إن صحت أو صح ما اجتمعت عليه فإنها تنص على النهي عن

إقعاء كإقعاء الكلب، وهو شئ آخر غير الإقعاء المسنون. و هو أن يضع إليتيه على عقبيه ويقعد مستوفزاً غير مطمئن إلى الأرض، وكذلك إقعاء الكلب والسبع أن يقعدا على مآخيرهما وينصبا أفخاذهما.

---

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ص ٨٥٥٥. و تهذيب اللغة، الأزهري، ١ / ٣١٦. و النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤ / ١٣٤. و غريب الحديث، ابن الجوزي، ٢ / ١١١.

ثالثاً: أنها تحمل على الإقعاء في المكان الذي لم يشرع فيه هذا الإقعاء المسنون، كالتشهد الأول والثاني، وهذا مما يفعله بعض الجهال فهذا منهي عنه قطعاً لأنه خلاف سنة الافتراش في الأول، والتورك في الثاني. والله أعلم)[1].

الثالث: إنزال الدليل منزله الصحيح وتطبيقه على موضع الاستدلال: و لا يتحقق ذلك إلا بتصور موضع الاستدلال تصوراً تاماً صحيحاً، ولذلك قال العلماء: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، و أرادوا بذلك معرفة المسألة المراد بحثها والواقع المحيط بها، لأنه لا يستطيع الإنسان أن يتصور شيئاً لم يطلع على جميع ملابساته وجوانبه، ومن ثم كيف يستطيع أن يأتي بالحكم الملائم والمناسب له[2].

---

(١) إرواء الغليل، محمد ناصر الدين الألباني، ٢ / ٢٢، ٢٣.

(٢) انظر: الأصول من علم الأصول، محمد العثيمين، ص ٨٠.و سؤال وجواب حول فقه الواقع، محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٠. و فقه الاستشارة، ناصر العمر، ص ٥٠. و فقه النوازل، محمد حسين الجيزاني، ١ / ٣٩، ٤٠.

المطلب الثالث الأناة قبل إصدار الفتوى:

كان المعلم الأول ﷺ قدوة الدعاة الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه لا يفتى في كثير من المسائل حتى يأتيه الجواب من ربه، مع أنه لا ينطق عن الهوى، وما يقوله وحي يوحى، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾[1]. قال العلماء: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْأَلُ فَلَا يُجِيبُ، حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ[2]. وفي الحديث " أن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَرِضْتُ مَرَضًا فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾"[3].

ومن الأمثلة على ذلك من سير السلف ما ذكره الذهبي أن السراج البلقيني الشافعي - رحمه الله - كان من أهل الفتوى في زمانه، وكان يُكتب إليه من أقطار الأرض البعيدة وكان موفقاً فيها يجلس للكتابة عليها من بعد صلاة العصر إلى الغروب إلى أن صار يضرب به المثل في العلم ولا تركن النفس إلا إلى فتواه، وكان لا يأنف من تأخير الفتوى عنده إذا أشكل عليه منها شئ إلى أن يحقق أمرها من مراجعة الكتب وما ذاك الا لسعة علمه، ولأن الفقيه عليه التروي وبذل الجهد في فتاويه ليصيب الحق في المسائل[4].

---

(١) سورة النساء، من الآية: ١٧٦.

(٢) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٢ / ٤٨٢.والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦ / ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفرائض، باب عيادة المغمى عليه، ٥ / ٢١٣٩، رقم ٥٣٢٧.

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ، الذهبي، ص ٢١٠، ٢١١.

فواجب الداعية إن أراد أن يفتي أن يتأنى ليعرف حال السائل ألا يكون متعنتاً، أو متتبعاً الرخص، أو من الذين يضربون آراء العلماء بعضها ببعض، أو غير ذلك من المقاصد السيئة، فمثل هؤلاء لا يُفتون، و أن لا يترتب على الفتوى ما هو أكثر منها ضرراً، فإن ترتب عليها ذلك وجب الإمساك عنها، دفعاً لأشد المفسدتين بأخفهما[1].

(١) انظر: الأصول من علم الأصول، العثيمين، ص ٨١.

المطلب الرابع الأناة قبل الحكم على الناس:

ورد في القرآن الكريم تأديب رباني لنبي من أنبياء الله داود عليه السلام، فيه بيان لأهمية الأناة قبل الحكم على الناس، وذلك في قصة داود عليه السلام عندما اختبره الله تعالى بإرسال ملكين في صورة رجلين متخاصمين يحتكمان إليه فاستعجل عليه السلام في إصدار الحكم على أحدهما قبل سماع جواب المدعى عليه قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1]، كأن داود عليه السلام قضى على إثر سماعه لهذه المظلمة الجائرة والتي عُرضت عليه في صورة مثيرة لأحد الخصمين مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ الْآخَرِ، فلم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة. و القاضي يجب عليه ألا يُستثار، وعليه ألا يتعجل، و ألا يسير مع الانفعال الأول، ويجب عليه التريث والتثبت والتبين، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته، فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً[2].

---

(١) سورة ص، الآية: ٢١ - ٢٥.

(٢) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٧ / ٢٤. و تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي، ١ / ٢٨٠.

و مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ٢٦ / ١٦٩. وقد قال الكثير من المفسرين: أن داود عليه السلام لم يستعجل ويحكم إلا بعدما سمع اعتراف الثاني أو سكوته لكونه نبي معصوم، أو أنه على تقدير: إن كان حقاً ما تقول. والصحيح أن الأنبياء=

ولكن داود عليه السلام سرعان ماتنبه، و أدركته طبيعته التي وهبه الله إياها كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(١) فاستغفر ربه كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾(٢). و لذلك جاء التعقيب القرآني الذي جاء بعد القصة يحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده الذي ولاه القضاء والحكم بين الناس فيقول تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾(٣).

و إذا كان هذا في أمر من أمور الدنيا فإن أمر الدين أعظم و أهم، والحكم على المسلمين بالفسق أو الفجور أو النفاق أو الكفر أمر خطير حذر منه النبي ﷺ، فقد ورد أنه خرج لزيارة بعض أصحابه ﷺ ومعه جماعة من أكابر الصحابة فلما جلسوا " قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لَا أَرَاهُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: ذَاكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَقُلْ ذَاكَ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ.فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ أَمَّا نَحْنُ فَوَ اللَّهِ لَا نَرَى وُدَّهُ وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى الْمُنَافِقِينَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ "(٤). فإطلاق

=معصومون في البلاغ وكبائر الذنوب، أما أحداث= =قصة حكم داود عليه السلام فهي قصة تربية وتشريع يقوم بها الأنبياء بتوجيه رباني وليس فيها ما ينافي نبوة داود عليه السلام وعصمته. و الله تعالى أعلم.

(١) سورة ص، من الآية: ١٧.

(٢) سورة ص، من الآية: ٢٤.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب صلاة النوافل جماعة، ٢ / ٦٠، رقم ١١٨٦.

العنان لمثل هذه الأحكام ينفر و لا يبشر، ويورث الحقد والكراهية والفرقة، وكل ذلك ليس من الدعوة إلى الله في شيء، وقد حث الإسلام على كل ما يؤدي إلى تواد المسلمين وتحابهم و اجتماعهم، و نهى عن كل ما يؤدي إلى تباغضهم وتفرقهم. قال سفيان بن حسين: (ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا ! قال: السند والهند والترك؟ قلت: لا. قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال: فلم أعد بعدها)[1].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٩ / ٣٦٧، ٣٦٨.

المطلب الخامس عدم استعجال النتيجة قبل أوانها:

إن استعجال النتائج قبل أوانها آفة من آفات الدعوة إلى الله، و قد أمر الله نبيه ﷺ بالبلاغ، و أن يكل النتيجة إلى الله، كما جاء في القرآن، أن الرسول ﷺعندما استبطأ النصر هو و المؤمنون، واستعجلوا تحقق النتيجة كما حكا الله عنهم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1]، بيّن الله لنبيه أن واجبه البلاغ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾[2]، و أمره بالصبر على الأذى و الاستمرار في الدعوة فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾[3]. يقول ابن عاشور- رحمه الله- : (أمر الله النبي ﷺ بالصبر على ما يلاقيه منهم، إذ الأمر بالصبر مفرّع على ما اقتضاه قوله تعالى: ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[4]، فلما حصل الوعد بالانتصاف من مكذبي النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، أعقب بقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾[5] فإن مناسبة الأمر بالصبر عقب ذلك أن يكون تعريضاً بالانتصار له ولذلك فرَّع على الأمر بالصبر الشرط المردَّد بين أن يريه بعض ما توعدهم الله به وبين أن لا يراه، فإن جواب الشرط حاصل على كلتا الحالتين وهو

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢١٤.

(٢) سورة الرعد، الآية:٤٠.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧٧.

(٤) سورة غافر، من الآية: ٤.

(٥) سورة غافر، من الآية: ٧٧.

مضمون في قوله: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي أنهم غير مفلتين من العقاب، فلا شك أن يرى النبي ﷺ أحد الأمرين عذابهم في الدنيا أو الدنيا والآخرة)[1].

و النبي ﷺ إمام الدعاة وقدوتهم في أقواله و أفعاله ومنهج دعوته، فقد أمره الله أن يستمسك بالوحي فإنه هو الصراط المستقيم و بموجب الالتزام به سيُسألون يوم القيامة، أما نتيجة الدعوة والنصر على المعارضين فإن الله قد تكفل بها وهي متحققة عاجلاً أو آجلاً، قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[2]، إن تربية الوحي للنبي ﷺ كما في الآيات السابقة جعلته يقول لأصحابه ﷺ " وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " ذماً للاستعجال، ففي الحديث يقول خَبَّاب بْن الْأَرَتِّ ﷺ: " شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ "[3].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤ / ٢٠٨.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٤٠ - ٤٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤ / ٢٠١، رقم ٣٤١٦.

فيجب على الداعية المبادرة وحسن التخطيط و الاستعداد، ولابد أن يصاحب ذلك التأني والتروي قبل الإعداد و أثناء التطبيق، والتأني المطلوب ليس هو الذي يضيع الوقت ويؤخره، فعليه الأناة في كل خطوة ولا يستعجل النتائج قبل أوانها.

المبحث الثالث
أثر الأناة على المدعو

المدعو هو حجر الزاوية في الدعوة، وهو هدف الدعوة و غايتها، و لا يتحقق الهدف و الغاية إلا إذا عُرف حال المدعو وطبيعته، وبناءً على هذه المعرفة بحال المدعو يعامل الخلق بحسب منازلهم ومناصبهم كل بما يلائم مكانته في الدين و العلم والشرف، فالكبير له التوقير والاحترام، والصغير يعامل بالرحمة والرفق، والنظير يعامله بما يحب أن يعامله به، و الملوك وأرباب الرئاسة بالكلام اللين المناسب لمراتبهم، و العلماء من حقهم التوقير والإجلال، والتواضع لهم، وإظهار الافتقار والحاجة إلى علمهم النافع، وكثرة الدعاء لهم، خصوصاً وقت تعليمهم وفتاواهم، والأغنياء تعودوا على المراكب الحسنة والمفارش الجميلة و الغذاء الوافر فلهم حق المراعاة في هذه الجوانب، وهكذا...، وتكوين هذه الصورة عن المدعو يحتاج إلى أناة الداعية وتثبته قبل البدء في تطبيق برنامجه الدعوي. وهذا ما تبينه المطالب الآتية بإذن الله تعالى.

المطلب الأول الأناة في اكتشاف حال المدعو:

إن من الحكمة أن يتأنى الداعية حتى يُكوِّن لديه إلمامة بحال المدعو الذي سيوجه له دعوته فهل هو من كبراء الناس ووجهائهم أم من عامتهم؟ أهو من علمائهم أم من جهالهم؟ من أغنيائهم أم من فقرائهم؟ ثم ما هي الصفات الذاتية التي يُعرف بها؟ أهو كريم أم بخيل؟ أهو حليم أم غضوب؟ أهو شجاع أم جبان؟ أهو جرئي أم حيي؟ وهكذا... قال الإمام مسلم - رحمه الله - : (فلا يُقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يُرفع متضع القدر في العلم فوق منزلته، ويعطى كل ذى حق فيه حقه، وينزل منزلته، وقد ذُكِر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)[1]. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط "[2].قال المناوي - رحمه الله - : (أي احفظوا حرمة كل واحد على قدره، وعاملوه بما يلائم حاله في عمر ودين وعلم وشرف، فلا تسووا بين الخادم والمخدوم، والرئيس والمرؤوس، فإنه يورث عداوة وحقداً في النفوس، وقد عد العسكري هذا الحديث من الأمثال والحكم وقال: (هذا مما أدب به المصطفى ﷺ أمته من إيفاء الناس حقوقهم من تعظيم العلماء والأولياء، وإكرام ذي الشيبة، وإجلال الكبير وما أشبهه. فإن الإكرام غذاء الآدمي، والتارك لتدبير الله تعالى في خلقه لا يستقيم حاله، وقد دبر الله تعالى الأحوال لعباده غنى وفقراً، وعزاً وذلاً، ورفعة وضعة، ليبلوكم أيكم أشكر

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة، ١ / ٦.

(٢) صحيح الأدب المفرد، الألباني، باب إجلال الكبير، ص ١٤٨.

فالعامل عن الله يعاشر أهل دنياه على ما دبر الله لهم، فإذا لم ينزله المنزلة التي أنزله الله ولم يخالقه بخلق حسن فقد استهان به وجفاه وترك موافقة الله في تدبيره، فإذا سويت بين شريف ووضيع، أو غني وفقير في مجلس أو عطية، كان ما أفسدت أكثر مما أصلحت، فالغني إذا أقصيت مجلسه أو أحقرت هديته يحقد عليك لما أن الله تعالى لم يعوده ذلك، وإذا عاملت الولاة بمعاملة الرعية فقد عرضت نفسك للبلاء)[1]. وفي تقدير الصفات الذاتية جاء في الحديث " أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: لا تغضب. فردد مراراً قال: لا تغضب "[2]. قال ابن حجر - رحمه الله - : (لعل السائل كان غضوباً وكان النبي ﷺ يأمر كل أحد بما هو أولى به، فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب)[3]، فأناة النبي ﷺ جعلته يكتشف حال المدعو من كثرة تكرار السؤال، فرأى أن الرجل غضوبٌ فكان المناسب لحاله الوصية بترك الغضب، كما أن صفة الغضب لا بد أن يقابلها تأنٍ وهدوء حتى يُسكّن هذا الغضب.

---

(١) فيض القدير، المناوي، ١١ / ١٤٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٥ / ٢٢٦٧، رقم ٥٧٦٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٤ / ٣٥٩، ٣٦٠.

المطلب الثاني الأناة في اكتشاف البيئة المحيطة بالمدعو

من المؤكد أن الفرد يتأثر بالبيئة المحيطة به، أو التي ينشأ فيها، ومما يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ "(١).

ولذلك ينبغي للداعية أن يُكوِّن تصوراً عن بيئة المدعو أهي بيئة مثقفة أم عادية؟ أهي بيئة حاضرة أم بادية؟ أهي بيئة غنية أم فقيرة؟ محافظة على مبادئها أم متأثرة بغيرها؟ متعلمة أم جاهلة؟ منفتحة أم منغلقة؟ كل ذلك لما للبيئة من تأثير في المدعوين سلباً وإيجاباً يُحتِّم على الداعية أن يُكيِّف منهجه ووسيلته و أسلوبه وِفق طبيعة هذه البيئة، وهذا يحتاج إلى التأني حتى يجمع ما يمكن جمعه من معلومات بالسؤال أو الخبرة أو الفراسة وما شابه ذلك. وشاهد ذلك من السنة قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ عندما أرسله إلى اليمن: " إِنَّكَ تَأْتِى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ "(٢). إن هذا القول يؤكد أنه ينبغي على الداعية أن يعرف من يدعو ولذلك قال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ: إنك تأتي قوماً أهل كتاب. قال العلماء: أخبره بذلك لأمرين: أولها: ليكون بصيراً بأحوال من يدعو، وثانيها: أن يكون مستعداً لهم، متهيئاً لمناظرتهم. وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من معرفة بأحوال الناس، إما بالوحي، أو بالعلم والتجربة. وفيه أنهم أهل علم سابق و مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، وفيه كيفية الدعوة إلى الإسلام باعتبار أصناف الخلق في الاعتقادات(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٤ / ٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، ١ / ٣٧، رقم ١٣٠.

(٣) انظر: إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام، سليمان محمد اللهيميد، ٣ / ٧٥. و المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، ١ / ٩٦. وعمدة القاري، العيني، ١٣ / ١٨٤.

المطلب الثالث الأناة قبل إنكار ما يظن أنه منكر:

إذا نمى إلى علم الداعية منكر في فرد أو جماعة فليتأنَّ حتى يتأكد من صحة الخبر، حتى لا يُتَّهم بريءٌ، و ينهى عن أمر ليس له وجود، فيقع في الحرج، و يُتهم بالعجلة، و يفقد ثقة الناس، و قبل ذلك يُساعد في إشاعة الفاحشة التي نهى الله عنها، أو يُشغل الناس بعضهم ببعض، وكل ذلك ليس من آداب الإسلام والدعوة في شيء.

وفي سيرة النبي ﷺ أروع أمثلة التأني والتثبت من الأخطاء و المنكرات التي يُخبر بها قبل أن يُنكرها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره المفسرون: (أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلي بني المصطلق مصدقاً، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيما لله تعالى ولرسوله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، ولكن الرسول الله ﷺ لم يتسرع في الأمر وتأنى، و إذا بهم يأتون رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب. وفي رواية ذكرها القرطبي: أنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا، فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، ثم قدموا للنبي ﷺ بصدقاتهم، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1] [2].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٢) انظر: أسباب نزول الآيات، الواحدي، ١/ ٣٦١. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٦/ ٣١١.و الآحاد والمثاني، أحمد الشيباني، ٤/ ٣٠٩. و تفسير القرآن، ابن كثير، ٦ / ٢٩، و قال: إنه روي من عدة طرق أحسنها ما رواه الإمام أحمد.=

إن قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، يدل على أنهم ارتكبوا أمراً استحقوا عليه القتال، فإن منع الزكاة ردة، وإرادة قتل رسول الرسول ﷺ منكر عظيم، ولكن الرسول الله ﷺ لم يتسرع في الأمر وتأنى وتثبت و كما ورد في الرواية التي ذكرها القرطبي أنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل. إن هذا دليل على أنه يجب الأناة قبل إنكار ما يظن أنه منكر.

= و المعجم الكبير، الطبراني، ١٣ / ٥. وصحح الألباني الخبر في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٩ / ١٦، وقال: (وهذا إسناد صحيح، وقال السيوطي: سنده جيد).

المبحث الرابع
أثر الأناة في اختيار موضوع الدعوة

يعتبر كل أمر أو قضية أو مسألة يساهم الداعية في بيانها بالحث عليها أو النهي عنها، مما يحفظ ضروريات الدين ومقاصده، و يراعي أولويات الدين و ثوابته، ويبرز خصائص الدعوة و مميزاتها فهي موضوع دعوة. ولأهمية هذا الأمر فإنه يحتاج إلى الأناة قبل طرح الموضوع أو إثارته، بمعرفة المسائل أهي من الثوابت و الأولويات، أم من الفروع؟ أهي من المحكمات أم من المتشابهات؟ وما المصالح المترتبة عليها وما المفاسد التي تحدث بسبب طرحها؟ مع استحضار قاعدة ارتكاب أخف الضررين بدفع أعلاهما، وكيفية إبراز خصائص الدعوة و مقاصدها من خلال هذا الموضوع. ومن المؤكد أنه لا تتحقق هذه الأمور إلا بالتأني و التثبت وهذا ما تبينه المطالب الآتية:

المطلب الأول الأناة من أسباب تحقق الإحاطة بالموضوع:

إن الإحاطة بالموضوع من جميع أطرافه بالقراءة الشمولية، أو من خلال الخبرة، أو السؤال تتطلب التأني من الداعية، وهذا التأني يحقق صدق استشراف الفوائد الناتجة عن الموضوع المطروح. وهذا الجانب له أصل تطبيقي في سنة النبي ﷺ، تقول عَائِشَةُ ﵂: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ. فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ. فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي. فَأَتَاهُ حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنْ الْعَجِينِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى.

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ "(١)

عندما رأى النبي ﷺ الحماس المتدفق من حسان ﵁ في قوله: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ. خشي أن يوقعه هذا الحماس في محظور الوقيعة في نسب النبي ﷺ بدون قصد. فأمره

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب فضائل حسان بن ثابت ﵁، ٤ / ١٩٣٥، رقم ٢٤٩٠.

بالأناة المرادة في قوله ﷺ: لَا تَعْجَلْ. وليس هذا فقط و إنما دله على من يعينه حتى يحيط بالموضوع من جميع جوانبه، صاحب المعرفة و الخبرة الصديق رضي الله عنه فقال له: فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي. فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه و تعلم منه أنساب قريش ونسب النبي ﷺ، فكانت نتيجة هذه الأناة و التوجيه أن عاد حَسَّانُ رضي الله عنه من عند أبي بكر رضي الله عنه ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنْ الْعَجِينِ، وكانت القصيدة العظيمة التي كانت أوقع من النبل على قريش. كل ذلك نتيجة الأناة و التوجيه النبوي الكريم لحسان رضي الله عنه حتى أحاط بالموضوع وكون تصوراً كاملاً عنه.

المطلب الثاني الأناة تحقق إعمال قاعدة درء المفاسد وجلب المصالح عند طرح الموضوع:

إن الاستعجال وعدم التأني من أهم العوامل التي تمنع الداعية من النظر والتأمل في عواقب الأمور، لذا يجب النظر إلى المصالح والمفاسد قبل الشروع في العمل وفق قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[1]، لأن ذلك أصل نبوي عمل به النبي ﷺ في مواضع وحوادث كثيرة، منها أن النبي ﷺ كان يرى في مكة أشد المنكرات وأعظم المحرمات ولم يسع إلى تغييرها خوفاً من زيادة المنكر عملاً بقاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وفي حال القوة عمل النبي ﷺ بهذه القاعدة فقد دخل مكة منتصراً وأراد هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام ولكنه لم يفعل ذلك مع قوته وإمكانيته حينها درءاً للمفسدة التي من الممكن أن تقع بعد ذلك.

أما الصورة التطبيقية للأناة لتحقيق إعمال القاعدة الجليلة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فهي تظهر في هذا الحديث " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً[2] فَتَمَّتْ. فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ

---

(١) انظر تفصيل القول في هذه القاعدة و أدلتها في: الوجيز في أصول الفقه، د. محمد صدقي البورنو، ص ٢٦٥.

(٢) فلتة: فجأة من غير تردد و لا تدبر، وهي كلمة تقال فيما يُندم عليه. (انظر: تاج العروس، الزبيدي، ص ١١٣٩. و الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٣ / ١٣٩).

فَمُحَـذِّرُهُمْ هَؤُلَـاءِ الَّـذِينَ يُرِيـدُونَ أَنْ يَغْـصِبُوهُمْ أُمُـورَهُمْ[1].قَـالَ عَبْـدُ الـرَّحْمَنِ فَقُلْـتُ: يَـا أَمِيرَ الْمُـؤْمِنِينَ لَـا تَفْعَلْ، فَـإِنَّ الْمَوْسِـمَ يَجْمَـعُ رَعَـاعَ النَّاسِ[2] وَغَوْغَـاءَهُمْ[3]، فَإِنَّهُمْ هُـمْ الَّـذِينَ يَغْلِبُـونَ عَلَـى قُرْبِكَ حِينَ تَقُـومُ فِـي النَّـاسِ، وَأَنَـا أَخْشَى أَنْ تَقُـومَ فَتَقُـولَ مَقَالَـةً يُطَيِّرُهَـا عَنْـكَ كُـلُّ مُطَيِّـرٍ[4]، وَأَنْ لَـا يَعُوهَـا وَأَنْ لَـا يَضَعُوهَا عَلَـى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِـلْ حَتَّـى تَقْـدِمَ الْمَدِينَـةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْـرَةِ وَالـسُّنَّةِ فَتَخْلُص بِأَهْلِ الْفِقْـهِ وَأَشْـرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَـالَ عُمَـرُ: أَمَـا وَاللَّهِ إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ لَـأَقُومَنَّ بِـذَلِكَ أَوَّلَ مَقَـامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ ". وفي رواية " فَقَالَ عُمَرُ لَـأَقُومَنَّ الْعَشِيَّةَ فَأُحَـذِّرَ هَؤُلَـاءِ الـرَّهْطَ الَّـذِينَ يُرِيـدُونَ أَنْ يَغْـصِبُوهُمْ قُلْـتُ لَـا تَفْعَلْ فَـإِنَّ الْمَوْسِـمَ يَجْمَـعُ رَعَـاعَ النَّـاسِ يَغْلِبُـونَ عَلَـى مَجْلِسِكَ فَأَخَـافُ أَنْ لَـا يُنْزِلُوهَـا عَلَـى وَجْهِهَـا فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدِمَ الْمَدِينَـةَ دَارَ الْهِجْـرَةِ وَدَارَ الـسُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ مِـنْ الْمُهَـاجِرِينَ وَالْأَنْـصَارِ فَيَحْفَظُـوا

(١) يغصبوهم أمورهم: يثبون على أمر الأمة وولايتهم بغير عهد و لا مشاورة. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٢ / ١٨٠).

(٢) رَعَاع الناس: الرعاع الأحداث، و رعاع الناس جهالهم و سُقّاطهم و سفلتهم ومن لا عقول لهم. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٨ / ١٢٨. و الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٢ / ٦٦).

(٣) الغوغاء: صغار الجراد عندما يبدأ الطيران، و يطلق على السفلة المسرعين إلى الشر. (انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٣ / ١٠٨. و غريب الحديث، الحربي، ١ / ٢٢٥).

(٤) يُطيرُها عنك كلُّ مُطير: يحملونها على غير وجهها و لا يعرفون المراد بها.(انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٢ / ١٨١).

مَقَالَتَكَ وَيُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ "(١).

لقد سمع عمر بن الخطاب ﷺ كلمة أغضبته وهي قول الرجل: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا فَوَ اللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ. وهذا أمر خطير، و جُرأة من سفهاء خاضوا في أمر الأمة الذي لا يكون إلا لعلماء المسلمين و خاصتهم، وقدحٌ في خلافة الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ و هذا موضوع لا بد له من بيان. لذلك يقول عبد الرحمن بن عوف ﷺ: فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ. وهنا جاء التأني لدرء المفسدة فالحج يجمع عامة الناس و رعاعهم، و الموضوع جِدٌّ خطير، فلربما يحملون الكلام على غير محمله، ويخوضون في أمر لا يجوز الخوض فيه، فتقع مفسدة على الأمة تؤدي إلى تفرقهم. فتدخل عبد الرحمن بن عوف ﷺ و أشار بتأجيل الحديث في هذه المسألة حتى يعود إلى المدينة، قال: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ فَأَخَافُ أَنْ لَا يُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ دَارَ الْهِجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ وَيُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا. و الرواية الأخرى: فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فاستجاب

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أُحصنت، ٦ / ٢٥٠٣، رقم ٦٨٣٠، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم و ما اجتمع عليه الحرمان مكة و المدينة..، رقم ٧٣٢٣.

عمر ﷺ لهذا الرأي الحكيم درءاً للمفسدة، فقَالَ: وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قال ابن حجر - رحمه الله - : (فيه التنبيه على أن العلم لا يودع عند غير أهله، و لا يحدث به إلا من يعقله، و لا يحدث القليل الفهم بما لا يحتمله)[1]. وَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[2].

إن الدعوة بحاجة إلى أناةٍ وفقهٍ وفهمٍ وحكمةٍ كأناة وفقه وفهم وحكمة ابن الخطاب و ابن عوف ﷺ، إنها بحاجة إلى مراعاة القواعد الدعوية و التربوية التي تقتضي أن لا يعرض على الناس أكثر مما لا تحتمله عقولهم. فكم أصيبت الدعوة في عصرنا من أدواء بسبب العجلة وعدم الفهم وعدم الفقه في درء المفاسد. وكم أثيرت من فتنة و وقعت من خصومات وحدثت من فرقة بسبب تدخل الغوغاء و حدثاء الأسنان و الرعاع للخوض في الأمور المهمة التي لو كانت في عهد عمر ﷺ لجمع لها أهل بدر.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٢ / ١٩٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، ١ / ٣٧، رقم ١٢٧.

المطلب الثالث الأناة تحقق تكوين الرؤية العلمية الصحيحة للموضوع:

ذكر ابن شهاب الزهري - رحمه الله - وغيره قصة جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ فقال: (لما أسرع في قتل قراء القرآن يوم اليمامة قتل معهم يومئذ أربعمائة رجل، لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطاب ﷺ فقال له: إن هذا القرآن هو الجامع لديننا فإن ذهب القرآن ذهب ديننا وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب فقال له: انتظر حتى نسأل أبا بكر. فمضيا إلى أبي بكر ﷺ فأخبراه بذلك، فقال: لا تعجل حتى أشاور المسلمين. ثم قام خطيباً في الناس فأخبرهم بذلك فقالوا: أصبت فجمعوا القرآن وأمر أبو بكر ﷺ منادياً فنادى في الناس: من كان عنده من القرآن شيء فليجيء به. قالت حفصة: إذا انتهيتم إلى هذه الآية فأخبروني ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[1]، فلما بلغوا إليها قالت: اكتبوا والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر. فقال لها عمر: ألك بهذا بينة؟ قالت: لا. قال: فو الله لا ندخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بينة)[2].

إن قصة جمع القرآن بدأت فكرة من عمر ﷺ فعرضها على زيد بن ثابت ﷺ، و زيد رأى عرضها على أبي بكر ﷺ، و إن لم تكن الحكمة و الأناة في أبي بكر ففي من تكون! قال: لا تعجل حتى أشاور المسلمين. والمسلمون هم أهل الْمَدِينَة دَارِ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ أَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ. قال: ثم قام خطيباً في الناس فأخبرهم بذلك فقالوا: أصبت. و في رواية البخاري أن عمر ﷺ راجع أبا بكر ﷺ

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٨.

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ١ / ٧٢٢، ٧٢٣. و أصل القصة في صحيح البخاري، في مواضع متكررة برقم ٤٦٧٩، ٤٩٨٦، ٧١٩١.

كثيراً حتى رأى رأي عمر، وراجعا زيد بن ثابت ﷺ حتى رأى رأيهما. يقول أبو بكر ﷺ: (فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك. ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ﷺ)[1].

إن هذه الأناة و التثبت التي صاحبت موضوع جمع القرآن الذي بدأ فكرة، وتطور حتى تكونت رؤية علمية صحيحة لدى الجميع، أنتجت حكماً جماعياً قدّره الله ليكون سبباً من أسباب حفظ القرآن الكريم الذي تعهد الله تعالى بحفظه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2] قال العيني - رحمه الله - : (لما انقضى نزول القرآن بوفاة النبي ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين لجمع القرآن وفاءً لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية فكان ابتداء ذلك على يد الصديق ﷺ بمشورة عمر ﷺ)[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٤ / ١٩٠٧، رقم ٤٩٨٦.

(٢) سورة الحجر، ٩.

(٣) عمدة القاري، العيني، ١٦ / ١٩٧.

المبحث الخامس
أثر الأناة في وسائل الدعوة و أساليبها

إذا أراد الداعية أن يوافق أمر الرسول ﷺ وسنته ومنهاجه في الدعوة إلى الله تعالى، فلا بد أن يكون على دليل واضح لا لبس في الحق معه، وبيان وحجة واضحة غير عمياء، و لا يكون على ذلك إلا من تحقق فيه قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[1]. قال ابن كثير- رحمه الله- : (فالدعوة إلى الله يجب أن تكون على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)[2].

قال ابن عثيمين - رحمه الله - : (البصيرة في الدعوة في ثلاثة أمور:

١. أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه وذلك بالعلم لا بالجهل.
٢. أن يكون على بصيرة في حال المدعو، فلا بد من معرفة حال المدعو بالطريقة و الكيفية التي تناسبه، و تكون أكثر فائدة له، و تأثيراً فيه.
٣. أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة)[3].

فإذا وُجد الداعية ذو البصيرة والفهم و الفقه المنضبط بالنصوص الشرعية و المعرفة بالأهم فالمهم، و ذو البصيرة التي تُمكّنه من معرفة حال المدعو وبيئته، وتُحدد الموضوع المناسب له، يجيء دور الوسيلة و الأسلوب الذي يمكن من خلالهما إيصال الدعوة. و الأناة في اختيار الوسيلة المناسبة و الأسلوب المناسب لا شك أنها من البصيرة، ومن الأهمية بمكان. وهذا ما تبينه المطالب الآتية بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة يوسف، من الآية: ١٠٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢ / ٤٩٦.

(٣) زاد الداعية إلى الله، ابن عثيمين، ص ٧.

المطلب الأول الأناة في اختيار الوسيلة وحسن استخدامها:

كل ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة أو كل أداة تُنقل من خلالها الدعوة إلى الله تعتبر وسيلة دعوية يمكن استخدامها بشرط أن تكون منضبطة شرعاً. و في ذلك إعمال لقاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد[1]. فالوسائل أوعية الأساليب تحملها وتوصلها إلى المدعوين[2].

ومن الوسائل الدعوية ما هو قديم جديد لا يُستغنى عنه أبداً كالخطابة وحلقات العلم بالمساجد وغيرها، وهذا الزمن مليءٌ بالوسائل المتعددة و المتطورة التي لم تكن معروفة من قبل و التي يمكن الاستفادة منها في الدعوة إلى الله بما يوافق الأصول والمقاصد الشرعية، كالقنوات الفضائية و شبكة المعلومات العالمية وغيرها. و تُعد الفضائيات سلاحاً ذا حدين، وقد ظهرت قنوات فضائية تقدم الإسلام بصورة حديثة طيبة، و كانت بديلاً جيداً للقنوات المشبوهة، و أعطت انطباعاً و دليلاً محسوساً على أهمية استخدام هذه الفضائيات.

و لكثرة الوسائل الدعوية سأتحدث عن أثر الأناة في وسيلتين من وسائل الدعوة:

الأولى: وسيلة القول: وهي أهم الوسائل لأن القول أساس البيان كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[3]، و أدّب الله تعالى نبيه ﷺ ألا يعجل بذكر القرآن حتى يجتمع لأن

(١) انظر: قواعد الأحكام، العز بن عبد السلام، ١ / ٤٦. و إعلام الموقعين، ابن القيم، ٣ / ١٤٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د / سعيد بن وهف القحطاني، ٢ / ١١١٨.

(٣) سورة إبراهيم، من الآية: ٤.

بعضه مرتبط ببعض فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾(١)، و جاء التوجيه النبوي الذي يدل على التأني قبل الكلام وتمحيصه فإن كان خيراً تكلم به، و إن كان غير ذلك صمت و امتنع عن الكلام فقال ﷺ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ "(٢).

وتأنى سليمان عليه السلام عندما نقل له الهدهد خبر سبأ، فلم يحكم عليه بصدق أو كذب حتى يأتيه جواب الكتاب كما قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾(٣).

وهكذا يكون الداعية الواثق المتأني قوله حق، وكلامه صدق، ينتقيه انتقاء خالص الذهب من غثاء المعادن، وبمثل هذه الانتقائية يسلم عرض الداعية، وتصفو دعوته من غبش الخلط، ويستمر بقاؤها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٤).

الثانية: المخيمات الدعوية: تختلف مسميات الكثير من المناشط الدعوية الحديثة والتي يقوم عليها الدعاة، و تعوّد المجتمع على ظهورها في الأعياد أو المناسبات الفصلية المتكررة، و لا مشاحّة في التسمية، و ما يعنيني في هذا البحث هو بيان أثر الأناة في هذه

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١٦- ١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ٥ / ٢٢٤٠، رقم ٥٦٧٢.

(٣) سورة النمل، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٤) سورة الرعد، من الآية: ١٧.

المناشط، الذي يتيح للدعاة القائمين عليها التأني في الإعداد واختيار المكان والزمان والوسائل و الأساليب المناسبة لهذه المناشط.

وعند تأمل منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله نجد أن الله جل وعلا أعطى موسى عليه السلام العصا لتكون دليلاً حسياً باهراً فكانت وسيلة دعوية استخدمها موسى عليه السلام ليبرهن بها على صدق دعوته، وكان للأناة أثر واضح في تحقيق نتائج إيجابية عند استخدام هذه الوسيلة، فلم يستخدمها لأول وهلة، ففي سرد القصة القرآنية لذلك أنه لم يعجل في تحديد موعد استخدامها، وتحرى المكان و الزمان والكيفية المناسبة لاستخدام دليله ووسيلته الدعوية الباهرة. أما المكان فهو المكان البارز الذي اعتاد الناس إقامة احتفالاتهم فيه، و أما الزمان فهو يوم الزينة، ووقت العرض بالتحديد هو الضحى، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾[(١)]، قيل: يوم الزينة هو يوم النيروز، وقيل: يوم سوق لهم. وحشرُ الناس في وقت الضحى، نهارًا جهارًا، ليكون أبلغ في إظهار الحجة و إدحاض الباطل، بكونه على رؤوس الأشهاد[(٢)].

ثم يتأنى عليه السلام مرة أخرى ولم يعجل، فبعد الاجتماع في المكان و الزمان المحددين دار الحوار بينه وبين السحرة لمن تكون له بداية الإلقاء، وتركوا له الخيار ليبدأ هو ولكنه تأنى وترك لهم البدء بإلقاء عصيهم وحبالهم، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ﴾[(٣)]. وكما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ

(١) سورة طه، الآية: ٥٩.

(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الإدريسي، ١١ / ٤٣٠.

(٣) سورة الأعراف، من الآيتان: ١١٥، ١١٦.

أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾[1]. قال ابن كثير - رحمه الله - : (قال ألقوا أنتم أولاً قبلي، والحكمة في هذا - والله أعلم - ليري الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فُرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلبهم له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس)[2].

إن قبول الدعوة ونجاح خططها و استمرارها مرهون بموافقتها لمنهج الأنبياء، وفي هذا المنهج جميع متطلبات الدعوة وحلول مشكلاتها قديمة كانت أو معاصرة. فيجب على الداعية الرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وتأمل منهج الأنبياء فسيجد مبتغاه، ويعتمد على ركن شديد من منهج الأنبياء، وتطمئن نفسه، و يزداد إقداماً وحماساً منضبطاً بإذن الله تعالى.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣ / ٤٥٦.

المطلب الثاني الأناة عند اختيار الأسلوب وحسن استخدامه:

كل طريقة مقنعة مؤثرة في المدعو بما يناسب حاله فهي من أساليب الدعوة. و لا شك أن الأسلوب فن يوفق الله الداعية لاستخدامه، بما لا يعارض النصوص الشرعية، مقتدياً بالرسول ﷺ باتباع الدليل الصحيح بالأسلوب الأمثل اللائق بالدعوة إلى الله. وهي تتنوع وتتعدد بما يغطي متطلبات الدعوة في كل زمان ومكان، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[1]. و أطلق الرسول ﷺ البلاغ ولم يحدده بأسلوب معين فقال ﷺ: " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "[2].

وسأتحدث عن أثر الأناة في أساليب الدعوة في أسلوبين فقط:

الأول: الأناة تُساعد على استخدام أسلوب اللين:

أمر الله بأسلوب اللين في غير ما موضع من القرآن ومن ذلك قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[3]. ومما يساعد على استخدام أسلوب اللين الأناة، فهذا موسى عليه السلام عندما أُمر من ربه بالذهاب إلى فرعون لم يتعجل بالذهاب و إنما طلب من ربه أن يُعينه بأخيه ليتمكنا سوياً من مخاطبة فرعون خطاباً ليناً كما أمرهم ربهم، قال تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٣ / ١٢٧٥، ٣٢٧٤.
(٣) سورة طه، الآية: ٤٤.

هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾(١).

وفي سيرة رسولنا ﷺ أروع صور الأناة كما في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: " بَيْنَمَا نَحْنُ فِى الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْ مَهْ(٢). قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لاَ تُزْرِمُوهُ(٣) دَعُوهُ. فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَىْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ إِنَّمَا هِىَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ "(٤).

إن تأني النبي ﷺ ورده الصحابة ﷺ ألا يستعجلوا الرجل، أظهرت نتيجة هذا الأسلوب على الرجل، ففي رواية للحديث "فقال الأعرابي بعد أن فقه: بأبي أنت وأمي. فلم يؤنب ولم يسب. فقال: أن هذا المسجد لا يبال فيه. وإنما بني لذكر الله وللصلاة. ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله "(٥).

---

(١) سورة طه، الآيات: ٢٤ - ٣٦.

(٢) مَه مَه: كلمة زجر، تقال في الإفراد و التثنية. (انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٢ / ٦٠. ومشارق الأنوار، القاضي عياض (١/ ١٠٢).

(٣) لا تُزرموه: لا تقطعوا عليه بوله، و الإرزام القطع، و زرم البول: انقطع، و إذا انقطع قد يضر. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١ / ٢٨٠. و إكمال المعلم، القاضي عياض، ٢ / ٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول من النجاسات، ١ / ١٦٣، رقم ٦٨٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تُغسل، ١ / ١٧٦، رقم ٥٢٩. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١ / ٨٧.

إن اللين من أهم أساليب الدعوة، و الأناة تحقق تطبيق هذا الأسلوب، والعجلة ضد الأناة و يستحيل أن يأتي اللين معها، فيقال: فلان تأنى في اتخاذ القرار. فالأناة ممدوحة، و مقابلها العجلة مذمومة، والعجلة تؤدي إلى التقدم فيما لا ينبغي التقدم فيه، فيقال دائماً في القرارات الخاطئة: فلان تعجل في اتخاذ القرار.

الثاني: الأناة تساعد على نجاح أسلوب الحوار:

يعتبر أسلوب الحوار من أهم أساليب الدعوة وخاصة في هذا العصر الذي تداخلت فيه الثقافات، و استطاعت التقنية الحديثة أن تجعل العالم بأسره كأنه قرية واحدة، فبإمكان الداعية محاورة المدعو سواءً كان مسلماً أو كافراً وهو في بيته عبر الشبكة العنكبوتية الإنترنت وبدون عناء سفر أو استعداد للقاء. و مع أهمية هذا الأسلوب إلا أن له من الخطورة مثل ماله من الأهمية وخاصة محاورة الكفار و أتباع الفرق المنحرفة و أهل الأهواء، مما يتطلب أن يكون المحاور على مستوى من العلم و الحصانة الفكرية و الأناة وعدم الاستعجال، مع إجادة فنون هذا الأسلوب. فقد كان أسلوب النبي ﷺ في محاورة النصارى يختلف عن أسلوب محاورته لمشركي العرب، ومحاورته للشاب تختلف عن محاورته للكهل، ومحاورته لأهل الحضر تختلف عن محاورته للأعراب وهكذا[1]...

ومن الأمثلة على ذلك محاورة النبي ﷺ للأعرابي ففي الحديث: "

أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي

---

(١) السنة النبوية مليئة بالأمثلة لا أذكرها خشية الإطالة مكتفياً بمحاورته ﷺ للأعرابي، وللاستزادة ينظر في المنهج النبوي في دعوة الشباب، د. سليمان العيد.

أَنْكَرْتُهُ[1]**. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟**[2] **قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا. قَالَ: فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟! قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِرْقٌ نَزَعَهَا. قَالَ: وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ. وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الِانْتِفَاءِ مِنْهُ** "[3]. من سؤال الأعرابي أنه أتى مغضباً شاكاً في زوجته وفي صحة نسب الولد إليه، فقد أورد ابن حجر رواية ابن أبي ذئب " أن الأعرابي صرخ بالنبي ﷺ "[4]، فاجتمع فيه جفاء الأعراب و الغضب ووسوسة الشيطان، فقابله النبي ﷺ بأناة وهدوء، وحوار هادئٍ بمثال حسي من بيئته، حتى امتص غضبه، و فتّر حدته، و سكّن انفعاله، قبل أن يخبره بالحكم وهو ثبات نسب الولد إليه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و أشكره على آلائه و توفيقه وتيسيره لي كتابة هذا البحث، و الذي أرجو أن يحقق الله لي منه ثواب الآخرة قبل ثواب الدنيا، ويجعله لي عنده ذخراً. فقد بذلت فيه جهدي بعد توكلي على الله تعالى ولا أدعي فيه الكمال فهو جهد بشري يعتريه الخطأ و التقصير، و لكني أحسب أن ما لا يدرك كله

(١) أنكرته: استغربت أن يكون مني لأن لونه يخالف لوني. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٩ / ٤٤٣. عون المعبود، العظيم آبادي، ٦ / ٣٤٩).

(٢) أورق: الذي فيه سواد ليس بحالك يميل للغبرة، ومنه قيل للحمامة ورقاء. (انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠ / ١٣٣. و تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٦ / ٣٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين قد بين الله حكمهما ليفهم السائل، ٦ / ٢٦٦٧، رقم ٦٨٨٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٩ / ٤٤٣.

لا يترك جله. وما كان فيه من صواب فهو بتوفيق الله تعالى وتسديده، و ما كان من خطأ فهو مني ومن الشيطان، و أرجو من الله العفو والغفران.

وقد ظهر لي بعد البحث نتائج أهمها:

١ - أن الأناة خلة عظيمة وهبة ربانية ومن وهبه الله إياها فهي من خير الخلال.

٢ - أنه يجب على الداعية أن يتحلى بالأناة، ويسعى لاكتسابها بالطرق و الأساليب الممكنة كالتعلم و التفقه وكثرة ملازمة العلماء و الحكماء، و مصاحبة الأخيار.

٣ - أن الأناة من أهم وسائل إصابة المنهج النبوي في الدعوة إلى الله. و سلامة الدعوة إلى الله تعالى و توفيقها موقوف على إصابة المنهج النبوي.

٤ - أن الدعاة إلى الله تعالى في هذا العصر أحوج ما يكونون إلى الأناة والتثبت، لكبح جماح مثيري الفتن و الشبهات، والمتربصين بالدعوة و الدعاة من الذين يصطادون في المياه العكرة، الذين يتهمون الدعاة بالاستعجال، و عدم الفهم، و الاعتماد على الظنون و الأدلة الظنية، و سوء الظن في المجتمع.

٥ - أن المنهج الدعوي المتكامل القائم على الداعية ومحتوى الدعوة والموجهة لهم الدعوة وهم المدعوون و أدوات تنفيذ ذلكم المحتوى من الوسائل و الأساليب بأشد الحاجة إلى أن تكون الأناة واقعاً مطبقاً في ذلكم المنهج لما تحققه من الموافقة و مراعاة للأحوال و الظروف ودرء المفاسد وجلب المصالح.

٦ - أن التأصيل العلمي لمفردات المنهج الدعوي المعتمد على القرآن الكريم وصحيح السنة وفهم نصوص الاستدلال وحُسن إنزالها منزلها الصحيح وذلك بتصور موضع الاستدلال تصوراً تاماً صحيحاً ، وفهم الواقع المحيط به وتطبيقه على موضع الاستدلال يحتاج إلى الأناة والتثبت لفهم النصوص فهماً علمياً و اقعياً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم

قائمة المصادر والمراجع:

١ - إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، بدون معلومات أخرى.

٢ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٢، ١٤٠٥ هـ.

٣ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٤ - إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام، سليمان بن محمد اللهيميد، نشر مكتبة مشكاة الإسلامية الإلكترونية.

٥ - أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

٦ - أسباب النزول، أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري، دار الباز للنشر والتوزيع، مكه المكرمة، ١٣٨٨ هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

٧ - الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١١ هـ.

٨ - الأصول من علم الأصول، العلامة محمد بن صالح العثيمين، نشر مؤسسة الشيخ محمد الصالح العثيمين الخيرية.

٩ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.

١٠ - البداية و النهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم و آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٤٠٨ هـ.

١١ - التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.

١٢ - التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٤٨٤ هـ.

١٣ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

١٤ - تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون معلومات أخرى.

١٥ - تفسير غريب ما في الصحيحين، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي، تحقيق الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط ١، ١٤١٥ هـ.

١٦ - تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

١٧ - التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

١٨ - الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د/ مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

١٩ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٢٠ - الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، بدون ذكر رقم طبعة.

٢١ - ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بدون معلومات أخرى.

٢٢ - زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح العثيمين، طبع و نشر، مؤسسة الشيخ محمد الصالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٢٤ هـ.

٢٣ - زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون معلومات أخرى.

٢٤ - سبل السلام شرح بلوغ المرام، الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، بدون معلومات أخرى.

٢٥ - سؤال وجواب حول فقه الواقع، محمد ناصر الدين الألباني، دار الجلالين للنشر و التوزيع، الرياض.

٢٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، و مكتبة المعارف، الرياض، ط ٣، ١٤٠٦ هـ.

٢٧ - شرح السنة، الإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق و بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٢٨ - شرح زاد المستقنع، د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مذكرة مطبوعة مفرغة من تسجيل شرح الشيخ.

٢٩ - شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٣٠ - صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الجبيل، ط ١، ١٤١٤ هـ.

٣١ - الصحاح تاج اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.

٣٢ - صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.

٣٣ - صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ، ط ١، ١٤٠٧ هـ

٣٤ - صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٩ هـ.

٣٥ - صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ

٣٦ - صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٩ هـ.

٣٧ - صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة.

٣٨ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة و لا تاريخ.

٣٩ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية،بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.

٤٠ - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي و د/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ذكر مكان ورقم طبعة و لا تاريخ.

٤١ - غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٣٩٧هـ.

٤٢ - غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

٤٣ - غريب الحديث، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، بدون ذكر رقم طبعة.

٤٤ - غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المنعم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ.

٤٥ - غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٤٦ - الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط ٢، بدون ذكر تاريخ.

٤٧ - الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

٤٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة و لا تاريخ.

٤٩ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، بدون معلومات أخرى.

٥٠ - فقه الدعوة في صحيح البخاري دراسة دعوية من أول كتاب الوصايا إلى نهاية كتاب الجزية والموادعة، الدكتور/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ.

٥١ - فقه الاستشارة، د. ناصر بن سليمان العمر، نشر مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية.

٥٢ - فقه النوازل، دراسة تأصيلية تطبيقية، د/ محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٦ هـ.

٥٣ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

٥٤ - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة و لا تاريخ.

٥٥ - قرة العينين في أطراف الصحيحين، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت، نشر المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

٥٦ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبي محمد عز الدين السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر معلومات أخرى.

٥٧ - القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين، فهد بن عبد الله الحزمي، مختصر رسالة دكتوراه غير منشورة، نشر موقع صيد الفوائد الإلكترونية.

٥٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر معلومات أخرى.

٥٩ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الأولى، بدون تاريخ.

٦٠ - لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٤٠٦ هـ.

٦١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، سنة ١٤١٦ هـ، بدون رقم طبعة.

٦٢ - المجموعة العلمية، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦ هـ.

٦٣ - المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، بدون ذكر معلومات.

٦٤ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.

٦٥ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٦ - المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

٦٧ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحيقق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ،

٦٨ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون ذكر مكان و لا رقم ولا تاريخ الطبعة.

٦٩ - مع الشاطبي في مباحث من علوم القرآن و تفسيره، د.شايع بن عبده بن شايع الأسمري، مجلة الجامعة الإسلامية.

٧٠ - معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٤، ١٤١٧ هـ.

٧١ - معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، بدون ذكر معلومات.

٧٢ - معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٠هـ

٧٣ - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للنشر، بدون تاريخ.

٧٤ - معرفة السنن و الآثار، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفاء، مصر، ١٤١٢هـ.

٧٥ - المعلم بفوائد مسلم، الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢ م.

٧٦ - مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بدون معلومات أخرى

٧٧ - المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، الإمام أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق محي الدين ديب مستو و آخرين، دار ابن كثير، و دار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ.

٧٨ - نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم اليازجي، بدون ذكر معلومات.

٧٩ - الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د. محمد صدقي بن أحمد البورنو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٩ هـ.

الهديـة وأثـرها
في الدعـوة إلى الله

إعداد

الدكتورة/ الجوهرة بنت صالح بن حمود الطريفي
الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب
بكلية الدعوة والإعلام
في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أبيض

المقدمة:

إن الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3] [4].

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا هذا الدين شرعة ومنهاجاً، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[5] قال الطبري[6]: (قد جعلنا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

(٤) خطبة الحاجة التي كان يعلمها رسول الله ﷺ أصحابه أخرجها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح حديث رقم (٢١١٨) ج ٢ ص ٥٩١، طبع دار الدعوة دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ واللفظ له؛ وأخرجها الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح حديث رقم (١١٠٥) ج ٣، ص ٤١٣، طبع دار الدعوة - دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ، والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني كتاب النكاح، باب في خطة النكاح حديث رقم (١٨٦٠) - (٢١١٨) ج٢، ص ٣٩٩، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج - الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

(٥) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

(٦) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التصانيف، ولد سنة أربع وعشرين ومئتين، وله الكتاب المشهور في أخبار الأمم وتاريخهم، وله كتاب جامع البيان=

الكتاب الذي أنزلنا إلى نبينا محمد ﷺ أيها الناس لكلكم: أي لكل من دخل في الإسلام وأقر بمحمد ﷺ، أنه له نبي شرعة ومنهاجاً)[1].

وقال ابن كثير[2]: (أي جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجاً، أي سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة، وسنة، أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً)[3].

وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ مؤيداً بالقرآن ليرسم لنا الطريق، أرسله أسوة حسنة، وأمرنا أن نتبعه قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[4].

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِىٓ﴾ وطريقي ودعوتي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحده لا

=عن تأويل آي القرآن في التفسير، توفي سنة عشر وثلاث مائة (انظر: سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد الذهبي ج ١٤، ص ٢٦٧، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري ج ٦، ص ٢٧٠، طبع دار الفكر ١٤٠٥هـ.

(٢) الحافظ عماد الدين إسماعيل عمر بن كثير، ولد سنة سبعمائة، له تصانيف عديدة صحب شيخ الإسلام بن تيمية، توفي سنة سبعمائة وأربع وسبعين هجرية (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ج٢، ص ٢٣٠، ضبع المكتب التجاري - بيروت - بدون تاريخ).

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير، ج ٢، ص ٦٣، طبع مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٣هـ - ١٩٨٩م).

(٤) سورة يوسف، من الآية: ١٠٨.

شريك له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين علم مني به ﴿أَنَا۠ وَ﴾ ويدعو الله على بصيرة أيضاً ﴿مَنِ اتَّبَعَنِى﴾ وصدقني، وآمن بي)[1].

والمتأمل في سيرة النبي ﷺ في دعوته يرى نجاحات باهرة تحققت في سنوات تعد في مقياس الزمن قصيرة، لأنه يسير وفق وحي إلهي يوجهه ويرعاه، ويصوبه سبحانه وتعالى، والدعاة وإن كانوا مأمورين بالتأسي به في دعوته يحتاجون إلى معرفة سيرته في دعوته وثمراتها لتحقيق أفضل النتائج والمتتبع في سيرته ﷺ، يرى أنه استخدم الوسائل المتاحة في زمانه، ومن هذه الوسائل الهدية، التي اخترت أن أبحث فيها لبيان مشروعية الهدية، وحكمها، واستخدام النبي ﷺ لها كوسيلة دعوية ومدى تأثيرها على المدعو والدعوة، وذلك بالتأصيل الشرعي من كتاب الله وسنة النبي ﷺ لمعرفة آثارها على المدعو والدعوة، ومن ثم استخلاص النتائج والعبر لتطبيق ذلك في واقع الدعاة اليوم. هذا وقد سرت في البحث على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وسبب اختياره.

المبحث الأول: الهدية تعريفها وأهميتها.

المبحث الثاني: مشروعية الهدية وحكمها.

المبحث الثالث: الهدية وسيلة دعوية.

المبحث الرابع: أثر الهدية في الدعوة إلى الله.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج ١٣، ص ٨٠؛ وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٢، ص ٤٧٧.

هذا وأسال الله أن يبارك في الجهد وأن يوفقنا للدعوة إليه والسير وفق منهج الله وسنة النبي ﷺ .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

الهدية: تعريفها وأهميتها

تعريف الهدية لغة واصطلاحاً:

الهديَّة لغة:

الهديَّةُ ما أتْحَفتَ به يقال أهديتُ له وإليه وفي التنزيل العزيز ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[1].

والتهادي: أن يُهدي بعضهم إلى بعض، والجمع هدايا وهَداوِي وامرأة مهداءٌ بالمد إذا كانت تهدي لجاراتها وإذا كانت كثيرة الإهداء، وكذلك الرجل مهداءٌ إذا كان من عادته أن يُهْدِي[2].

ويدخل في معنى الهدية، الهبة والعطية، والهبة في اللغة: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض[3].

---

(١) سورة النمل، من الآية: ٣٥.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور الأفريقي مادة (هدي) ج ٦، ص ٣٢٠، طبع دار صادر بيروت، الأولى ١٩٩٧م؛ تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين محمد مرتضى الزبيدي مادة (هدى) ج٢٠ ص٣٢٩ طبع دار الفكر ١٤١٤هـ؛ القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي ص١٧٣٥، طبع مؤسسة الرسالة - الثانية ١٤٠٧هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق، مادة (وهب) ج ٦، ص ٤٩٥.

والهبة في الاصطلاح: تمليك العين بلا عوض[1].

الفرق بين الهدية والهبة:

قال ابن حجر[2] في التفريق بين الهبة والهدية: (تطلق الهبة بالمعنى الأخص على ما لا يقصد له بدل، وعليه ينطبق قول من عرف الهبة بأنها تمليك بلا عوض، والهدية هي ما يكرم به الموهوب له)[3].

وقال ابن قدامة[4] في معنى الهبة والعطية والهدية: (وجملة ذلك أن الهبة والصدقة والهدية والعطية معانيها متقاربة، وكلها تمليك بغير عوض)[5].

(١) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي الشوكاني، ج ٦، ص ٩٩، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية؛ التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ص ٣١٩، تحقيق إبراهيم الأبياري، طبع دار الريان للتراث.

(٢) أحمد بن علي بن محمد، الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، انتهى إليه علم معرفة الرجال وعلل الأحاديث توفي سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة (انظر: شذرات الذهب لابن العماد، ج ٧، ص ٢٧٠).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني بتحقيق محمد فؤاد وعبدالباقي - محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب، ج ٥، ص ٢٣٣، طبع دار الريان للتراث - الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٨٨م.

(٤) الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، صاحب المغني، ولد سنة أحدى وأربعين وخمسمائة وتوفي سنة عشرين وستمائة (انظر، سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ١٦٥).

(٥) المغني لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق الدكتور عبدالله التركي والدكتور عبدالفتاح الحلو، ج ٨، ص ٢٣٩، طبع دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ.

وقال في تحديد معنى الهدية: (فالظاهر أن من أعطى شيئاً ينوي به التقرب إلى الله تعالى للمحتاج فهو صدقة. ومن دفع إلى إنسان شيئاً للتقرب إليه، والمحبة له، فهو هدية)[1].

الهدية اصطلاحاً:

(هي دفع عين إلى شخص معين لحصول الألفة والثواب من غير طلب ولا شرط)[2].

قال مؤلف الهدية بين الحلال والحرام عند شرحه للتعريف: (ولفظ من "غير طلب" يخرج الهدية أو الرشوة التي تطلب لغرض مقابل لها ولفظ "ولا شرط" أي ولا شرط إعانة لأن الرشوة تعطى بشرط الإعانة.....)[3].

أهمية الهدية:

الإسلام دين يدعو إلى المحبة والألفة والأخوة فالنبي ﷺ يقول: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**)[4] ويقول ﷺ: (**مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**)[5] ودعا إلى ترك ما يضاد هذه المعاني من

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٤٠.

(٢) الهدية بين الحلال والحرام لأحمد بن أحمد الطويل، ص ١٠، مطابع دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٣) المرجع السابق، ص ١١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ج ٧، ص ٨٠. ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم حديث رقم (٦٥) - (٢٥٨٥)، ج ٣، ص ١٩٩٩ واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، ج ٧، ص ٧٧، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم حديث رقم (٦٦) - (٢٥٨٦) ج ٣، ص ١٩٩٩، واللفظ للبخاري.

كره وتباعد وتباغض فالنبي ﷺ يقول: (**ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا**[1]**، وكونوا عباد الله إخواناً**[2])[3].

ولتأصيل هذه المعاني الجليلة وترك ما يضادها فقد دعا إلى الوسائل التي تتحقق بها هذه المعاني، بالدعوة إلى الإحسان إلى الناس، فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ومن هذه الوسائل التي تتحقق بها معاني الأخوة والتحاب والتواد الهدية، حيث جاءت النصوص التي فيها الحث على التهادي، وبرر هذا الحث بأنها جالبة للمحبة، ومذهبة للشحناء كقوله ﷺ: (**تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء**)[4] وبأنها مذهبة لوحر الصدر كقوله ﷺ (**تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر**[5])[6] أي حقده وغله وغضبه.

---

(١) (لا تدابروا): التدابر: المعاداة وقيل المقاطعة؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم للإمام النووي، تحقيق عصام الصبابطي. حازم محمد، عماد عامر طبع دار أبي حيان، ج٨ ص ٣٥٨).

(٢) (وكونوا عباد الله إخواناً): أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة، ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك، مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال (انظر: المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر حديث رقم (٢٢٣) (٢٥٥٩)، ج ٣، ص ١٩٨٣.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق باب في المهاجرة ج٢، ص ٩٠٨، طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ وقال ابن عبدالبر: هذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها (انظر: الموطأ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ج ٢، ص ٩٠٨).

(٥) (وحر الصدر): أي غشه ووساوسه وقيل الحقد والغيظ وقيل العداوة، وقيل أشد الغضب (انظر: تحفة الأحوذي لأبي العلى محمد عبدالرحمن المباركفوري، ص ١٧٣٨ طبع بيت الأفكار الدولية).

(٦) أخرجه الإمام أحمد، ج ٢، ص ٤٠٥ طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ؛ والترمذي في كتاب الولاء والهبة. باب حث النبي ﷺ على التهادي حديث=

والإسلام يدعو إلى تحاب الناس وتآخيهم وتعاضدهم، من أجل الرقي بالمجتمع المسلم، ليكون مجتمعاً فاضلاً مترابطاً، كما فعل النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة وحينما شرع في بناء الدولة الإسلامية، كانت من أساسيات بناء هذه الدولة ومجتمعها أن شرعت المؤاخاة إذ شرعت في السنة الأولى من الهجرة[1].

وكان من أسباب هذه المؤاخاة أنه لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لم يكن بأيدي معظمهم شيء، لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، وقد أعطى الأنصار المهاجرين كل ما يستطيعون من فضل، فأراد الرسول ﷺ أن يوجد تشريعاً يعالج للمهاجرين أوضاعهم الاقتصادية، ويشعرهم بأنهم ليسوا عالة على إخوانهم الأنصار لذا شرعت المؤاخاة [2] والنبي ﷺ يتعهد أصحابه بالتعليم والتربية وتزكية النفس، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والبذل والعطاء. قال عبدالله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل[3] الناس إليه.. فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: **أيها الناس: أفشوا**

=رقم (٢١٣٠)، ج٤، ص ٤٤١. وقال السخاوي (وهو حديث جيد) انظر: (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للشيخ محمد عبدالرحمن السخاوي ص١٩٨ حديث رقم (٣٥٢) تحقيق محمد عثمان الخشت. طبع دار الكتاب العربي - الثانية ١٤١٤هـ).

(١) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دارسة تحليلية - للدكتور مهدي رزق الله أحمد ص ٣٠٢ طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ؛ الرحيق المختوم لـ صفي الرحمن المباركفوري ص٢١٨، طبع دار الوفاء - مصر - الرابعة ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٣) (انجفل الناس): أي ذهبوا مسرعين إليه (انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (جفل) ج١ ص٤٣٦.

السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام تدخلو الجنة بسلام)[1]، فالمواساة بالمال عن طريق الهدية والهبة هي مطلب شرعي تتحقق به مطالب الإسلام بإشاعة معاني الأخوة، والبذل والعطاء.

وقد كانت الهدية إحدى وسائل تبليغ دين الله عز وجل، فالدعوة إلى هذا الدين مع عظمته، وصدقه ووضوحه، وموافقته للفطرة لابد أن يكون القالب الذي يدعى به إليه بالإحسان إلى الناس، إحسان قولي وفعلي، ومن الإحسان الفعلي الهدية التي لها من الفضائل ما جعل البخاري في صحيحه يبوب كتاباً سماه (كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها)[2]وكذلك الترمذي[3] بوب باباً من كتاب الولاء والهبة سماه (باب في حث النبي ﷺ على الهدية)[4].

وقد حفلت كتب السنة والسير بالأحاديث التي فيها حض قولي أو فعلي على التهادي من أجل نشر دين الله عز وجل وتبليغه للبشر.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب (٤٢) حديث رقم ٢٤٨٥ ج٤ ص٦٥٢ واللفظ له، وابن ماجة في كتاب الأطعمة باب إطعام الطعام حيث (٣٢٥١) ج٢ ص١٠٨٣، وقال الترمذي حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري ج ٣، ص ١٢٨٠.

(٣) محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، مصنف الجامع وكتاب العلل، وغير ذلك ولد سنة عشر ومئتين، ومات سنة تسع وسبعين ومئتين (انظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٧٠).

(٤) سنن الترمذي عيسى محمد بن عيسى من سورة ج ٤، ص ٤٤١، طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.

المبحث الثاني
مشروعية الهدية وحكمها

مشروعية الهدية:

لقد جاء الشرع المطهر في الحث على التهادي وقد جاءت الأدلة حاضة على ذلك منها ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (**تهادوا**[1] **فإن الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**)[2].

قال في تحفة الأحوذي: (وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير لما فيه من استجلاب المودة، وإذهاب الشحناء، ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة، والهدية وإن كانت يسيرة فهي أدل على المودة، وأسقط للمؤنة، وأسهل على المهدي لاطراح التكلف والكثير قد لا يتيسر كل وقت، والمواصلة تكون كالكثير)[3].

وقال ﷺ: (**تصافحوا يذهب الغِلُّ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء**)[4].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن**[5] **شاة**)[6].

---

(١) (تهادوا) بفتح الدال من التهادي بمعنى المهاداة، أي ليعطي الهدية ويرسلها بعضكم لبعض (انظر: تحفة الأحوذي، ج٢، ص ١٧٣٨).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠.

(٣) تحفة الأحوذي، ج ٢، ص ١٧٣٨.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٠.

(٥) (فرسن): بكسر الفاء والمهملة بينهما راء ساكنة وآخره نون هو عظم قليل اللحم (انظر: فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٤).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب (١) ج ٣، ص ١٢٨، ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره حديث رقم (٩٠) (١٠٣٠)، ج١، ص ٧١٤.

قال ابن حجر: (وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله)[1].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (**كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها**)[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لو دعيت إلى ذراع أو كراع**[3] **لأجبت ولو أهدي إليَّ ذراعٌ لقبلتُ**)[4].

قال ابن حجر: (أشار عليه الصلاة والسلام بالكراع والفرسن إلى الحض على قبول الهدية ولو قلت لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء، فحض على ذلك لما فيه من التآلف)[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (**قلت يا رسول الله إنَّ لي جارتين فإلى أيهما أهدي قال: إلى أقربهما منك باباً**)[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة فإن قيل صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل، فإن قيل هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم**)[7].

---

(١) فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب المكافأة على الهدية، ج ٣، ص ١٣٣.

(٣) (ذراع أو كراع): خص الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقير والخطير لأن الذراع كانت أحب إليه من غيرها والكراع لا قيمة له (انظر: فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب القليل من الهبة، ج ٣، ص ١٢٩.

(٥) انظر فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٦.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب فمن يبدأ الهدية، ج٣، ص ١٣٣.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب قبول الهدية، ج ٣، ص ١٣١.

وعن خالد بن عدي الجهني[1] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه)**[2].

قال الشوكاني[3]: (قوله في حديث خالد فليقبله فيه الأمر بقبول الهدية والهبة ونحوهما من الأخ في الدين لأخيه، والنهي عن الرد لما في ذلك من جلب الوحشة، وتنافر الخواطر فإن التهادي من الأسباب المؤثرة للمحبة)[4].

حكم الهدية:

الهدية مندوب إليها فهي سنة غير واجبة[5].

قال ابن قدامة: (ومن دفع إلى إنسان شيئاً للتقرب إليه والمحبة له، فهو هدية، وجميع ذلك مندوب ومحثوث عليه فإن النبي ﷺ قال: (تهادوا تحابوا) فما ورد في فضلها أكثر من أن يمكننا حصره)[6].

(١) خالد بن عدي الجهني يعد من أهل المدينة، وكان ينزل الأشعر روى حديثه أحمد وابن أبي شيبة والحارث وأبو يعلي والطبراني (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٤٠٩).

(٢) أخرجه أحمد، ج ٤، ص ٢٢١. والحديث إسناده صحيح. (انظر: الموسوعة الحديثية - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢٩، ص٤٥٦، رقم الحديث (١٧٩٣٦) أشرف على تحقيق هذا المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط طبع مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤١٩هـ.

(٣) محمد بن الشوكاني ثم الصنعاني ولد سنة ١١٧٣هـ له مصنفات عديدة منها شرح المنتقى، ونيل الأوطار، توفي سنة ١٢٥٠هـ (انظر: البدر الطالع بمحاسن من عبد القرن السابع للشوكاني، ج ٢، ص ٢١٤).

(٤) نيل الأوطار، ج ٦، ص ١٠٠.

(٥) انظر: المغني لابن قدامة، ج ٨، ص ٢٤٠؛ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩، طبع دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٣٨٧هـ.

(٦) المغني لابن قدامة، ج ٨، ص ٢٤٠.

وقال القرطبي: (الهدية مندوب إليها، وهي مما تورث المحبة وتذهب العداوة)[1].

وهذا في الهدية المطلقة غير المقيدة بشرط ولم يكن ثمة غرض للمهدي سوى إكرام المهدى إليه ولا تأخذ حكم الرشوة[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩.

(٢) انظر: الهدية بين الحلال والحرام لأحمد بن أحمد الطويل، ص ١١. وانظر: حكم بذل الهدية مقابل الشفاعة د/ وليد الحمدان. ص٧٧، بحث محكم نشر في مجلة العدل التي تصدر عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية، العدد الخامس والثلاثون.

المبحث الثالث
الهدية وسيلة دعوية

لاشك أن المريد تبليغ هذا الدين، ودعوة الناس إلى الالتزام بشرع الله عز وجل لا بد أن يسلك سبيل النبي ﷺ حيث أمرنا المولى تبارك وتعالى بالتأسي به في سائر أحواله قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(1).

قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله)(2).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(3).

والمتأمل في سيرته ﷺ يرى أنه استخدم أنجح الوسائل والأساليب، والتي حققت بفضل الله تبارك وتعالى نجاحاً جعل أفئدة الناس تقبل على دين الله تعالى، وتلتزم به، ومن هذه الوسائل الهدية فقد تواترت النصوص الدالة على استخدام هذه الوسيلة، من ذلك ما جاء عن أم كلثوم بنت أم سلمة (4) رضي الله عنها قالت: (لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة قال لها: إني قد أهديت إلى النجاشي حلةً وأواقي من مسك ولا أرى النجاشي إلا قد مات، ولا أرى إلا هديتي مردودة عليّ. فإن ردت عليّ فهي لك...)(5).

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج 3، ص 457.

(3) سورة يوسف، الآية: 108.

(4) أم كلثوم بنت أبي سلمة بن عبدالأسد المخزومية ربيبة رسول الله ﷺ (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج 4، ص 490).

(5) أخرجه الإمام أحمد، ج 60، ص 404. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (رواه الطبراني وأم موسى بنت عقبة لا أعرفها ومسلم بن خالد الزنجي وثقه ابن معين=

وفي صحيح البخاري: (اهدى ملكُ أيلة[1] للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه بُرْداً وكتب له ببحرهم[2])[3].

وعن بلال ﷺ قال: (... فقال لي رسول الله ﷺ: "**أبشر فقد جاءك الله بقضائك**" ثم قال: "**ألم تر الركائب المناخات الأربع**" فقلت: بلى. فقال: "**إن لك ركابهن وما عليهن فإن عليهن كسوة وطعاماً أهداهن إليّ عظيم فدك**" **فاقبضهن واقض دينك**")[4].

ومنه ما جاء عن أنس ﷺ قال: (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين[5]

=وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. (انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ج٨، ص٢٨٩، = =طبع دار الريان للتراث - دار الكتاب العربي والحديث حسنه الإمام ابن حجر في الفتح. (انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ج٥، ص٢٦٣، طبع دار الريان للتراث، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

(١) أيلة: مدينة بين الفسطاط ومكة على ساحل البحر تعد في بلاد الشام. (انظر: معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي ج١، ص٢٩٢ طبع دار صادر، بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٥م، وانظر: فتح الباري ج٥، ص٢٧٣).

(٢) ببحرهم: أي ببلدهم. (انظر: فتح الباري ج٥، ص٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين، ج٣، ص١٤١.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في الإمام يقبل هدايا المشركين حديث رقم (٣٠٥٥)، ج ٣، ص ٤٤١، والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح سنن أبي داود، ج ٢، ص ٥٩٠) حديث رقم (٢٦٢٨) (٣٠٥٥)).

(٥) (غنماً بين جبلين) أي كثيرة كأنها تملأ بين جبلين (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم، ج ٨، ص ٨١).

فرجع إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة)[1].

وفي رواية أخرى للحديث عن مسلم فقال أنس: (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا. فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها)[2].

قال النووي عند شرحه للحديث (فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه والمراد أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا، لا بقصد صحيح بقلبه، ثم من بركة النبي ﷺ ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها)[3].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً - وسعدٌ جالس - فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليَّ فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمناً فقال: أو مسلماً فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمناً فقال: أو مسلماً فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فعدتُ لمقالتي وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: **يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه خشية أن يكبّهُ الله في النار)**[4].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه حديث (٥٧) (٢٣١٢)، ج ٢، ص ١٨٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه، حديث رقم (٥٨) (٢٣١٢)، ج ٢، ص ١٨٠٦.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم للإمام النووي، ج ٨، ص ٨٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ج١، ص١٢.

قال ابن حجر: (... ومحصل القصة أن النبي ﷺ كان يوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفاً، فلما أعطى الرهط وهم من المؤلفة وترك جعيلاً[1] وهو من المهاجرين مع أن الجميع سألوه، خاطبه سعد في أمره لأنه كان يرى أن جعيلاً أحق منهم لما اختبره منه دونهم، ولهذا راجع فيه أكثر من مرة، فأرشده النبي ﷺ إلى أمرين أحدهما: إعلامه بالحكمة في إعطاء أولئك وحرمان جعيل مع كونه أحب إليه ممن أعطى، لأنه لو ترك إعطاء المؤلف لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النار)[2].

وعن عكرمة[3] (أن النبي ﷺ أهدى إلى أبي سفيان بن حرب تمر عجوة)[4].

ومما يدل أيضاً على قبول النبي ﷺ الهدايا ما جاء في البخاري عن أنس ﷺ (أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي ﷺ)[5].

وعن أنس بن مالك ﷺ: (أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها....)[6].

---

(١) جعيل بن سراقة الضمري أثنى عليه النبي ﷺ ووكله إلى إيمانه (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٣٩، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر القرطبي، ج١، ص ٢٣٧، طبع مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ).

(٢) فتح الباري، ج١، ص ١٠١.

(٣) عكرمة بن أبي جهل عمر بن هشام القرشي المخزومي أسلم عام الفتح خرج إلى قتال أهل الردة ثم كان من قادة المجاهدين في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما استشهد في أجنادين (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٤٩٦).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٢ ص١٧٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الهبة قبول الهدية من المشركين ج ٣، ص ١٤١.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين ج٣ ص١٤١.

فقد كان ﷺ يهدي ويُهدى إليه فيقبل.

وقد وقع خلاف بين العلماء حول قبول هدية المشركين وممن ناقش هذه المسألة ابن حجر في فتح الباري والشوكاني في نيل الأوطار وغيرهم وقد قال ابن حجر عند شرحه لأحاديث باب قبول الهدية من المشركين من كتاب الهبة في صحيح البخاري: (قوله "باب قبول الهدية من المشركين" أي جواز ذلك، وكأنه أشار إلى ضعف الحديث الوارد في رد هدية المشرك، وهو ما أخرجه موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ورجال من أهل العلم أن عامر بن مالك الذي يدعى ملاعب الأسنة[1] قدم على رسول الله ﷺ وهو مشرك فأهدى له، فقال: إني لا أقبل هدية مشرك" الحديث رجاله ثقات، إلا أنه مرسل وقد وصله بعضهم عن الزهري[2] ولا يصح... وفي الباب حديث عياض بن حماد قال: (أهديت للنبي ﷺ ناقة فقال: أسلمت؟ قلت: لا. قال: إني نهيت عن زبد[3] المشركين"[4]

---

(١) عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب معروف بملاعب الأسنة.. له صحبة (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٢٥٨).

(٢) الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله من بني زهرة الإمام العلم، حافظ زمانه ولد سنة ست وخمسين، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة (انظر سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٢٦).

(٣) (زبد المشركين): هو الرفد والعطاء. وقال الترمذي يعني هداياهم (انظر: تحفة الأحوذي ج ١، ص ١٤٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في الإمام يقبل هدايا المشركين حديث رقم (٣٠٥٧) ج٣ ص٤٤٢، والترمذي في كتاب السير باب كراهية هدايا المشركين حديث رقم (١٥٧٧) ج٤ ص١٤٠ وقال في تحفة الأحوذي (حسن صحيح) صححه الترمذي وابن خزيمة (انظر تحفة الأحوذي، ج ١، ص ١٤٣٧).

وأورد المصنف عدة أحاديث دالة على الجواز جمع بينها الطبري بأن الامتناع فيما أهدي له خاصة، والقبول فيما أهدي للمسلمين، وفيه نظر، وأن من جملة أدلة الجواز ما وقعت الهدية فيه له خاصة، وجمع غيره بأن الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والموالاة، والقبول في حق من يرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام، وهذا أقوى من الأول)[١].

وقد ضعف ابن حجر قول من قال بأن القبول يحمل على من كان من أهل الكتاب، والرد على من كان من أهل الأوثان، وكذلك قول من قال بأن القبول من خصائصه عليه السلام، وغيره من الأمراء يمتنع ذلك له، وقول من أدعى نسخ المنع بأحاديث القبول ومن عكس ذلك فقال إن النسخ لا يثبت بالاحتمال ولا التخصيص[٢].

أما القرطبي فقال بعد أن ذكر خلاف العلماء (المعنى فيها: أنه كان لا يقبل هدية من يطمع بالظهور عليه وأخذ بلده... وهذا أحسن تأويل للعلماء في هذا فإنه جمع بين الأحاديث، وقيل غير هذا)[٣].

أما في تحفة الاحوذي فقال بعد استعراض أقوال العلماء: (ولا يبعد أن يقال إن الأصل هو عدم جواز قبول هدايا المشركين، لكن إذا كانت في قبول هداياهم مصلحة عامة أو خاصة فيجوز قبولها، والله تعالى أعلم)[٤].

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ج ٥، ص ٢٧٣.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٥، ص ٢٧٣، وانظر نيل الأوطار للشوكاني، ج ٦، ص ١٠٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩.

(٤) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ج ١، ص ١٤٣٨.

ومحصل ما انتهى إليه العلماء أن القبول يكون في حق من رجي بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام، وإذا كانت هناك مصلحة عامة أو خاصة للدعوة إلى الدين والتأليف عليه، وعدم القبول إذا كان لغير هذا الغرض، كأن يكون لأجل التودد والموالاة، أو من يريد بهديته الظهور على المسلمين واحتلال بلدانهم.

ومن خلال الأحاديث التي سبق ذكرها تبين أن النبي ﷺ كان يستخدم الهدية في الدعوة إلى الله عز وجل فما سئل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه كما في حديث أنس[1].

(١) تقدم تخريجه ٢١.

المبحث الرابع
أثر الهدية في الدعوة إلى الله

لقد مر ذكر عدد من الأدلة التي تبين الأصل الشرعي للهدية وأنه كان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها، وما ذلك إلا لما للهدية من أثر كبير على النفوس بإزالة الضغائن والأحقاد، والتقرب للآخر بالمودة والزلفى، ومن فضلها أن البخاري بوب في كتابه كتاباً عنوانه (كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها).

وقد تبين في الأحاديث التي فيها الحض على التهادي آثار الهدية كما في الحديث الذي أخرجه مالك في الموطأ وسبق ذكره حيث ذكر من آثارها التحاب وذهاب الشحناء بقوله: (تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء)[1].

وقوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي: "تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر"[2] حيث إن من آثارها أنها تذهب وحر الصدر أي حقده وغيضه، وقيل العداوة وقيل أشد الغضب، وكل هذه المعاني تعد آثاراً جليلة للهدية.

قال القرطبي: (الهدية مندوب إليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة... ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدى إليه رنّة في اللقاء والجلوس)[3].

ومما يدل على أثر الهدية على النفوس ما جاء في قوله تعالى في سورة النمل عن ملكة اليمن حينما أرسلت هدية إلى سليمان عليه

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٠.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩.

السلام لما أرسل إليها بكتاب يدعوها فيه إلى الإسلام حيث قال سبحانه: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[1].

قال القرطبي في تفسير ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ هذا من حسن نظرها وتدبيرها، أي إني أجرب هذا الرجل بهدية... ﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾ أي: منتظرة ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قال قتادة: يرحمها الله إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها؛ وقد علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس...)[2].

ومما يدل على أن للهدية أثراً في الدعوة إلى الله، أن الله جعل في أصناف من يستحق الزكاة المؤلفة قلوبهم، ومعناه الذين يؤلفون على الإسلام[3] حيث جاء في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[4].

قال في كتاب الفروع في المؤلفة قلوبهم: (هم رؤساءُ قومهم ممن يُرجى إسلامه، أو كف شره، ومسلم يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو نصحه في الجهاد، أو ذبه عن الدين)[5].

---

(١) سورة النمل، الأيات: ٢٩ - ٣٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٦ - ٢٠٠.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٤) سورة التوبة، من الآية: ٦٠.

(٥) كتاب الفروع، لـ شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي ج٤ ص٣٣٠طبع مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

وقال ابن كثير: (وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام: منهم يعطى ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد شهدها مشركاً... ومنهم من يعطي ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل، وقال: (إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم)[١] وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبي ﷺ بذهيبة[٢] في تربتها[٣] من اليمن فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس[٤]، وعيينة بن بدر[٥] وعلقمة بن علاثة[٦]، وزيد الخير[٧]، وقال:

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢.

(٢) (بذهيبة)، أي بذهبة (انظر هامش محمد فؤاد عبدالباقي على صحيح مسلم، ج ١، ص ٧٤١).

(٣) (في تربتها) صفة الذهبة يعني أنها غير مسبوكة لم تخلص من ترابها (انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٤).

(٤) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي المجاشعي الدارمي وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه، استشهد باليرموك (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ١، ص ٥٩).

(٥) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر كان من المؤلفة قلوبهم أسلم قبل الفتح وشهدها، كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، عاش إلى خلافة عثمان (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣، ص ٥٥).

(٦) علقمة بن علاثة بن عوف العامري من المؤلفة قلوبهم (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٥٠٣).

(٧) زيد الخيل بن مهلهل بن زيد الطائي وفد في سنة تسع وسماه النبي ﷺ زيد الخير، كان شاعراً خطيباً شجاعاً، مات في خلافة عمر (انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ١، ص ٥٧٣).

"أتألفهم"[1] ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يعطى ليجبى الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد)[2].

فقد فصل ابن كثير في أقسام من يعطي من المؤلفة قلوبهم حيث ذكر منهم:

- من يعطى ليسلم.
- من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه.
- من يعطى لأن في اعطائه سبب في دخول أمثاله إلى الإسلام.
- من يعطى ليدفع عن حوزة المسلمين.

نجد من خلال هذه الآية كيف اعتنى الإسلام في استخدام وسيلة مهمة هي وسيلة بذل الأموال من أجل هدف سام هو الدعوة إلى دين الله حتى جعلها مصرفاً من مصارف الزكاة.

وقد اختلف العلماء في المؤلفة قلوبهم حيث قال بعض العلماء أن المؤلفة قلوبهم كانوا في عهد النبي ﷺ أما بعد عهده فلا يوجد مؤلفة قلوبهم[3].

ورجح الطبري أن المؤلفة في كل زمان فقال بعد أن ذكر الخلاف: (والصواب من القول في ذلك عندي: أن الله جعل الصدقة في معنيين: أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الإسلام وتقويته، فما كان

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ج، ٤، ص ١٠٨، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٤٣) (١٠٦٤) ج ١، ص ٧٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٦، ص ١٦٢.

في معونة الإسلام وتقوية أسبابه، فإنه يعطاه الغني والفقير لأنه لا يعطاه بالحاجة منه إليه، وإنما يعطاه معونة للدين، وذلك كما يعطي الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله، فإنه يعطى ذلك غنياً كان أو فقيراً للغزو لا لسدّ خلته، وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء، استصلاحاً بإعطائهموه أمر الإسلام، وطلب تقويته وتأييده، وقد أعطى النبي ﷺ من أعطى من المؤلفة قلوبهم، بعد أن فتح الله عليه الفتوح، وفشا الإسلام، وعز أهله، فلا حجة لمحتج بأن يقول: لا يتألف اليوم على الإسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد أعطى النبي ﷺ من أعطى منهم في الحال التي وصفت)[1].

ونتلمس هذه الآثار من خلال بعض النصوص التي تبين ذلك كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فو الله! إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن الرجل ليسلم وما يريد إلا الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[2].

وكما في الحديث الذي أخرجه مسلم: عن ابن شهاب قال: (غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية. مائة من النعم ثم مائة ثم مائة.

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٦٣.
(٢) تقدم تخريجه، ص٢١.

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ)[1].

ويعد الإهداء من الحوافز النفسية التي رغب بها علماء النفس من أجل حفز المتلقي على قبول ما يراد منه وهذا ما كان يستخدمه رسول الهدى ﷺ حيث كان يكثر العطاء والإهداء للمسلمين الجدد ولأصحابه كسباً لقلوبهم، وتثبيتاً لهم على الاستقامة، وإعانة لهم عند الحاجة، وكي تعطي الأثر المطلوب في حسن العلاقة بينه وبينهم.

وقد كان استخدام النبي ﷺ لهذه الوسيلة سبباً في ترك من يراد دعوته عن سلوك مشين، ومعصية، وكم حول قلوب عدد من أعدائه من الكره إلى المحبة، وبدل مواقفهم من العداوة إلى الصداقة، وبدل سلوكهم من المعصية إلى الطاعة[2].

فالهدية مما كان يتألف به رسول الله ﷺ الناس، لما لها من وقع في نفس المهدى له، لأنها إشعار بالاهتمام به، فالهدية تفعل ما لا تفعله الخطب والمواعظ، وتجعل القلب على أتم الاستعداد للتلقي عن المهدي، كما أنها أثر نعمة ويد لم تزل تذكر بصاحبها، وتستحضر صفاته الحميدة، وسجاياه الطيبة، كما وإنها رسول مباشر إلى القلوب يدخل إليها دون استئذان فيأسرها، ويجعل المشاعر تجيش بالمودة، وتستشعر بالرفق والمحبة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه حديث رقم (٥٩) - (٢٣١٣) ج٢ ص١٨٠٦.

(٢) انظر: علم النفس الدعوي (دراسات نفسية تربوية) للآباء والدعاء والمربين، للدكتور عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص١٠٦، طبع دار المسلم - الأولى - ١٤١٥هـ.

وهي وسيلة تربوية ودعوية ذات أثر فعال، فكم من قلب كان ممتلئاً حنقاً وحقداً، أبدلته حباً ورضاً، وكم من صدر اشتعلت فيه نار العداوة فأطفأتها لطافة الهدية، وكم من عدو صيرته صديقاً، وصديقٍ صيرته أخاً[1].

فنجد أن من آثار الهدية:

١. أنها سبب في دخول غير المسلمين إلى الإسلام.
٢. أنها سبب في ثبات المسلم الجديد على إيمانه.
٣. أنها قد تعطى لأشخاص لهم تأثير فقد يسلم أو يهتدي بهدايتهم آخرون ممن يتأثرون بهم من نظرائهم أو أتباعهم.
٤. أن الهدية قد تكون سبباً في الدفاع عن حوزة المسلمين، والذود عن قضاياهم.
٥. أن في الهدية كسباً لقلوب المدعوين، وتقبلهم من الداعية، فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.
٦. كما أنها تزيل حاجز النفرة بين الداعية، والمدعو، لأن الداعية دائماً ما يدعو الناس إلى أمور من المعروف قد تخالف أهوائهم، وينهاهم عن فعل منكرات قد توافق أهوائهم، وبالهدية إزالة لحاجز النفرة من الداعية، لما للهدية من وقع في نفس المهدى إليه، لأنها إشعار بالاهتمام به فتفعل الهدية ما لا تفعله الخطب والمواعظ، وتجعل القلب على أتم الاستعداد للتلقي عن المهدي، كما أنها أثر نعمة ويد لم تزل تذكر بصاحبها وتستحضر صفاته الحميدة، فإن النفوس جبلت على حب من يحسن إليها.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د/ زيادة العاني، ص٢٠٧ - طبع دار عمار - الأولى - ١٤٢٠هـ.

٧. كما أن من أنواع الهدايا ما يكون فيه تعليم وتفقيه للمدعوين كالأشرطة النافعة والكتب القيمة، والرسائل والنشرات المفيدة.

٨. وفي الهدية من التكافل الاقتصادي والاجتماعي ما يجعل المجتمع مجتمعاً متحاباً، متآلفاً، متكاملاً يساعد بعضه بعضاً فيكون كما في الحديث: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[1] وحتى عد النبي ﷺ الهدية رزقاً ساقه الله للعبد كما في حديث: (من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه)[2] وهذا الأثر من تحاب المجتمع المسلم وتكافله يعد مطلباً دعوياً تتحقق به الأهداف التي دعا إليها الإسلام في أخوة المسلمين وتحابهم وتعاضدهم.

الخاتمة:

الإسلام يدعو إلى المحبة والمودة والإخاء، ودعا إلى الوسائل التي تتحقق بها هذه المعاني، ومن هذه الوسائل الهدية، التي لها من الفضائل ما لا يمكن حصره كما قال ابن قدامة[3] ولا سيما إذا كان الباعث لها هو رضى الله سبحانه وتعالى، والدعوة إلى دينه. **ومن خلال هذا البحث ظهرت لي عدد من النتائج أجملها فيما يلي:**

- الهدية هي دفع عين إلى شخص معين لحصول الألفة والثواب من غير طلب ولا شرط.
- بالهدية تحقق مطالب الإسلام من التآخي والتحاب والتواد.

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٧.

(٢) تقدم تخريجه ص١٧.

(١) انظر: المغني لابن قدامة، ج ٨، ص ٢٤٠.

- الهدية هي إحدى وسائل تبليغ دين الله عز وجل، فالدعوة إلى دين الله مع عظمته، وصدقه، ووضوحه، تحتاج إلى أن يكون معها عند عرضها إحسان قولي، وفعلي إلى الناس، ومن الإحسان الفعلي الهدية.
- الهدية مشروعة، دل على مشروعيتها، كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ.
- حكم الهدية مندوب إليها فهي سنة غير واجبة، وهي مما تورث المحبة وتذهب العداوة.
- دل كتاب الله تعالى، وسنة النبي ﷺ على استخدام الهدية في الدعوة إلى دين الله عز وجل.
- للهدية آثار في الدعوة إلى الله عز وجل في دخول الناس إلى دين الله عز وجل، وتثبيت المسلمين الجدد على إيمانهم كما أنها عند دفعها إلى أشخاص لهم تأثيرهم قد يسلم أو يهتدي بهدايتهم آخرون وقد تكون سبباً في الدفاع عن حوزة المسلمين إذا دفعت لمن يقوم بذلك، وفي الهدية كسب لقلوب المدعوين، وتقبلهم من الداعية، كما أنها تزيل حاجز النفرة التي قد تكون بين الداعية والمدعوين، وفيها من التكافل الاجتماعي والاقتصادي ما تتحقق به مطالب الإسلام من التآخي والتحاب.

التوصيات:

- إذا أردنا تحقيق نجاحات في الدعوة إلى الله عز وجل لابد أن نكون متأسين برسول الهدى ﷺ الذي قال عنه ربه سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(1).

(1) سورة يوسف، من الآية: ١٠٨.

- إن في التأسي برسول الهدى ﷺ بتقديم الدعوة مع الإحسان القولي والفعلي للناس أجدى وأنفع من تقديم الدعوة مجردة. فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

والحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

١ - أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية - د. زياد العاني - طبع دار عمار - الأولى - ١٤٢٠هـ.

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني – طبع مؤسسة إحياء التراث العربي - بيروت - الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشيخ محمد بن علي الشوكاني - طبع مطبعة السعادة - القاهرة - الأولى.

٤ - تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي- طبع دار الفكر ١٤١٤هـ.

٥ - تحفة الأحوذي لأبي العلي محمد عبدالرحمن المباركفوي - طبع بيت الأفكار الدولية.

٦ - التعريفات – لعلي بن محمد الجرجاني – تحقيق إبراهيم الأبياري - طبع دار الريان للتراث.

٧ - تفسير القرآن العظيم - للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير - طبع مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري - طبع دار الفكر - ١٤٠٥هـ.

٩ - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٣٨٧هـ.

١٠ - حكم بذل الهدية - مقابل الشفاعة - د. وليد الحمدان - مجلة العدل بالمملكة العربية السعودية - العدد ٣٥.

١١ - الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري - طبع دار الوفاء - مصر - الرابعة ١٤٠٨هـ.

١٢ - سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٣ - سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سورة – طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٤ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - دارسة تحليلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد - طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الأولى - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٥ - سير أعلام النبلاء - للإمام محمد بن أحمد الذهبي - طبع مؤسسة الرسالة - الخامسة - ١٤١٣هـ.

١٦ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لابن عبدالبر القرطبي - طبع مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي - الأولى - ١٣٢٨هـ.

١٧ - شذرات الذهب لابن العماد - طبع المكتب التجاري - بيروت - لبنان - بدون تاريخ النشر.

١٨ - شرح النووي لصحيح مسلم للإمام النووي - تحقيق عصام الصبابطي - حازم محمد - عماد عامر - طبع دار أبي حيان - الأولى - ١٤١٥هـ.

١٩ - صحيح البخاري - للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٠ - صحيح سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢١ - صحيح مسلم - الإمام مسلم بن الحجاج - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ.

٢٢ - علم النفس الدعوي (دراسة نفسية للآباء والدعاة والمربين) للدكتور عبدالعزيز بن محمد النغيمشي - طبع دار المسلم - الأولى - ١٤١٥هـ.

٢٣ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري - الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - طبع دار الريان للتراث - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٠٩هـ.

٢٤ - الفروع - شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي - تحقيق د. عبدالله التركي - طبع مؤسسة الرسالة - الأولى - ١٤٢٤هـ.

٢٥ - القاموس المحيط - لمجد الدين الفيروآبادي - طبع مؤسسة الرسالة - الثانية ١٤٠٧هـ.
٢٦ - لسان العرب - لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي - طبع دار صادر - بيروت - الأولى - ١٩٩٧م.
٢٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - طبع دار الريان للتراث - دار الكتاب العربي.
٢٨ - المسند للإمام أحمد بن حنبل - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
٢٩ - معجم البلدان - لشهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي طبع دار صادر - بيروت - ت١ - الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
٣٠ - المغني لموفق الدين بن قدامة - تحقيق د. عبدالله التركي - د. عبدالفتاح الحلو - طبع دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى.
٣١ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - لـ محمد عبدالرحمن السخاوي - تحقيق محمد عثمان الخشت - طبع دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية - ١٤١٤هـ.
٣٢ - الموسوعة الحديثية - مسند الإمام أحمد بن حنبل - طبع مؤسسة الرسالة - الأولى - ١٤١٩هـ.
٣٣ - الموطأ - للإمام مالك بن أنس - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ.

العلاقة بين القول والعمل
وأثرها في الدعوة إلى الله

إعداد

الدكتور / حسن بن عائض آل عبد الهادي

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة وأصول الدين

في جامعة أم القرى

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله ﷻ أمر جليل ودعامة عظيمة من دعائم ترسيخ المبادئ الحقة في المجتمع المسلم، ومن أهم طرق الدعوة إلى الله ﷻ والتي يكون مردودها أوقع في النفوس والتي يرى فيها الناس واقعًا معاشًا، القول فيها صنو العمل، ولذلك رأينا القرآن الكريم يركز على العمل الصالح، وقد جاء في الأثر أن الإيمان بلا عمل كالشجر بلا ثمر، مما يوحي بأن الإيمان في ديننا يعبر عن مضمون عملي، كما يعبر عن مضمون قلبي كما في حديث رسول الله ﷺ: " **لَا يَزْنِي الزَّانِي حين يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ ولا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حين يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ ولا يَسْرِقُ حين يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ الناس إليه فيها أَبْصَارَهُمْ حين يَنْتَهِبُهَا وهو مُؤْمِنٌ**"[4]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة، برقم (٢٤٧٥)، ٨٧٥/٢.

فالجانب العملي لا يتمثل - فقط - في الحياة الخاصة التي تحدد للإنسان مصيره في الدنيا والآخرة، بل ينعكس على حركة الدعوة ومسيرتها الظافرة لما للسيرة العملية للداعية من تأثير على تجاوب الناس مع القول، وتفاعلهم معه، بينما تعطي السيرة المضادة، تأثيراً عكسياً يوحي بالابتعاد عنها نظراً إلى فقدان الانسجام في حياة الداعية بين القول والعمل.

ولأهمية هذا الأمر أردت في هذا البحث أن أنبه إلى بعض إشارات تعين على أداء تلكم المهمة العظيمة والرسالة الشريفة.

والله أسأل أن ينفعني وإخواني بهذه الكلمات، وأن يجعلنا من الداعين إلى سبيله على بصيرة، وأن يحيينا مسلمين، ويتوفانا مؤمنين، وأن يحشرنا في زمرة الرسل، والأنبياء والشهداء، والصالحين.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

أولاً: مطابقة القول للعمل يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

ثانياً: مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي. فإن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يريد الداعية إيصالها للمقتدي.

ثالثاً: الأتباع ينظرون إلى الداعية نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم، فربَّ عمل يقوم به لا يلقي له بالًا يكون في حسابهم من الكبائر، وذلك أنهم يعدونه قدوة لهم.

رابعاً: المثال الحي المرتقي في درجات الكمال، يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقرير والمحبة. ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة، فإن كان عنده ميل إلى الخير، وتطلع إلى مراتب الكمال، وليس في نفسه عقبات تصده عن ذلك، أخذ يحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به، بما تولد لديه من حوافز قوية تحفزه لأن يعمل مثله، حتى يحتل درجة الكمال التي رآها في المقتدى به.

خامساً: أن اقتران القول بالعمل يساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي، وهذا بالتالي يساعد المتربي على أن يسلك المسالك الفاضلة من حسن السيرة والصبر والتحمل وغير ذلك.

خطة البحث:

أولاً: المقدمة.

ثانياً: أهمية الموضوع وسبب اختياره.

ثالثاً: الخطة التفصيلية وتشتمل على:

الفصل الأول: دلالة القرآن الكريم والسنة على أهمية اقتران القول والعمل.

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية.

الفصل الثاني: علاقة القول بالعمل في حياة النبي ﷺ والسلف الصالح ﷺ.

المبحث الأول: في حياة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: في حياة السلف الصالح ﷺ.

الفصل الثالث: أسس العلاقة بين القول والعمل.

المبحث الأول: أسس العلاقة بين القول والعمل.

المبحث الثاني: مسائل لا انفصال فيها بين القول والعمل .

الخاتمة.

الفهارس.

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

دلالة القرآن الكريم والسنة
على أهمية اقتران القول والعمل

المبحث الأول الأدلة من القرآن الكريم:

ولقد حاولت أن أحصي المواضع التي وردت فيها كلمة العمل الصالح في القرآن الكريم فوجدتها نحواً من تسعين موضعاً.

أما كلمة: العمل بتصريفاتها: (عمل، يعمل، يعملون، اعمل، اعملوا، عامل عاملون، عاملة، عمل، أعمال) مع وصف أو غير وصف، فهي نحو ثلاثمائة وستين موضعاً(1).

إنها إشادة صريحة بأهمية العمل وقيمته وضرورته للحياة:

أولاً: قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾(2).

ثانياً: قال شعيب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾(3).

ثالثاً: قال الله تعالى: ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(4).

قال الإمام الرازي: " أرشدهم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الأفعال و الأقوال، أما الأفعال فالخير، وأما الأقوال فالحق لأنّ من أتى بالخير و ترك الشر فقد اتقى الله ومن قال الصدق قال قولاً سديداً ثم وعدهم بإصلاح الأعمال فإن يتقوا الله يصلح العمل والعمل الصالح

---

(1) انظر: معجم ألفاظ القرآن، إخراج مجمع اللغة العربية، ٢ / ٢٤٩ - ٢٥٢.

(2) سورة الصف، الآيتان: ٢- ٣.

(3) سورة هود، الآية: ٨٨.

(4) انظر: معجم ألفاظ القرآن، إخراج مجمع اللغة العربية، ٢ / ٢٤٩ - ٢٥٢.

يرفع ويبقى فيبقى فاعله خالداً في الجنة وعلى القول السديد بمغفرة الذنوب.

وقد وردت آيات متعددة في الاستقامة، ولأئمة الدين تعريفات لها متعددة، ذات دلالة واحدة منها: تعريف سفيان الثوري - رحمه الله- بأنها: "العمل على وفاق القول"[(١)].

وعرفها ابن تيمية - رحمه الله- بقوله: «الاستقامة على محبة الله وعبوديته، وعدم الالتفات عنه يمنة أو يسرة»[(٢)].

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله- : « هذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله، عقداً، وقولاً، وفعلاً، وداوموا على ذلك»[(٣)].

وقال ابن القيم - رحمه الله- : «فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء»[(٤)].

من تلك الآيات:

أولاً قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[(٥)].

ثانياً قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٣١٩/١٥).

(٢) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (١٤٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٣١٩/١٥).

(٤) مدارج السالكين، (٨٠/٢).

(٥) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

ثالثاً قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

رابعاً قال ﷻ: مخاطباً الرسول ﷺ وأمته: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[2].

(١) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٢.

المبحث الثاني الأدلة من السنة النبوية:

الدليل الأول :

ذكر البخاري - رحمه الله- في حديث طويل عن صلح الحديبية وبعد أن فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح مع قريش: " **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فانحسروا ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ فَوَ اللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا** "(1).

الدليل الثاني:

" عن عَلِيِّ بن حُسَيْنٍ أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النبي ﷺ أَخْبَرَتْهُ أنها جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ وهو مُعْتَكِفٌ في الْمَسْجِدِ في الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ من رَمَضَانَ ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ مَعَهَا رسول اللَّهِ ﷺ حتى إذا بَلَغَ قَرِيبًا من بَابِ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبي ﷺ مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ من الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا على رسول اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَفَذَا فقال لَهُمَا رسول اللَّهِ ﷺ على رِسْلِكُمَا قالا سُبْحَانَ اللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذلك فقال رسول اللَّهِ ﷺ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ من الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُمَا شيئا "(2).

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم (٢٥٨١)، (٢/٩٧٤).

(2) صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، حديث رقم (٢٩٣٤) (٣/١١٣٠). وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئى=

فيحسن بالقدوة أن يكون على درجة من الشفافية والتحسس ليبقى بعيدا عن موارد الظنون ومواقع التأويلات. قال الحافظ في الفتح: "وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتياط من كيد الشيطان والاعتذار"[(١)].

ويقول ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى بهم فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلًا يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم[(٢)].

الدليل الثالث:

روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث كَثِيرِ بْنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قَالَ العَبَّاسٌ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ[(٣)]، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى[(٤)] الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ فَطَفِقَ[(٥)] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ العَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ[(٦)] بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ

=خاليا بامرأة وكانت زوجة أو محرما له أن يقول هذه فلانة. ليدفع ظن السوء به، حديث رقم (٥٨٠٨)، (٨/٧).

(١) فتح الباري، (٢٧٩/٤).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢ / ٨٠).

(٣) هو فروة بن نفاثة الجذامي.

(٤) ولى: أدبر وانهزم.

(٥) طفق: شرع وبدأ.

(٦) اللجام: حديدة يشد بها فم الدابة فيسهل قيادتها.

السَّمُرَةِ[1] فَقَالَ العَبَّاسُ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا[2]: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ قَالَ فَوَ اللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ[3] حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ[4] عَلَى أَوْلَادِهَا فَقَالُوا يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ قَالَ فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالَ ثُمَّ قُصِرَتَ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ[5] قَالَ ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ قَالَ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى قَالَ فَوَ اللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا[6] وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا"[7].

هذا الحديث يبين ما حدث في غزوة حنين، وأن الساعات الأولى منها كانت لثقيف وهوازن التي سبقت إلى صعيد المعركة، واحتلت المضايق، وانبثوا في الشعاب والمواقع المنيعة، وبادروا في استقبال المسلمين بوابل من السهام، وكانوا رماة لا يخطئون. فارتاعت الصفوف المتقدمة من المسلمين لهذه المفاجأة المتكاتفة.

---

(١) السمرة: الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٢) صيتا: قوي الصوت.

(٣) عطفتهم: سرعة رجوعهم لمكانهم.

(٤) عطفة البقر: أي قبل ما تعطف وتحن.

(٥) حمي الوطيس: اشتد القتال.

(٦) كليلاً: قوتهم ضعيفة.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٥).

فما كان من النبي ﷺ إلا الانقضاض على صفوف الأعداء يتقدم الجيش، ليقودهم إلى النصر المؤزر، بكل شجاعة ورباطة جأش. فمن هنا يتضح لنا أهمية عمل النبي ﷺ في هذا الموقف وأن مئات المواعظ والخطب الرنانة لا تفعل فعل الشجاع الثابت الجأش.

الدليل الرابع:

روى البخاري - رحمه الله- عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ فَقَالَ لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ"[1].

الدليل الخامس:

روى البخاري في صحيحه عن عقبة ﷺ قال: " صَلَّيْتُ وَرَاءَ النبي ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قام مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ الناس إلى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ فَفَزِعَ الناس من سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عليهم فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا من سُرْعَتِهِ فقال ذَكَرْتُ شيئا من تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ"[2].

الدليل السادس:

جاء في الصحيحين وغيرهما عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما- أن النبي، ﷺ قال: " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يوم الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، (٢٧٥١)، مسلم، كتاب الفضائل، (٢٣٠٧)، الترمذي، كتاب الجهاد، (١٦٨٧)، أبو داود، كتاب الأدب، (٤٩٨٨)، ابن ماجه، كتاب الجهاد، (٢٧٧٢)، أحمد، (١٤٧/٣).

(٢) البخاري، كتاب الأذان، (٨١٣)، النسائي، كتاب السهو، (١٣٦٥)، أحمد، (٨/٤).

فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[1] في النَّارِ فَيَدُورُ كما يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ[2] فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عليه فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ ما شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عن الْمُنْكَرِ قال كنت آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ولا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عن الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ "[3].

الدليل السابع:

روى الإمام أحمد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن أبي عبدالرحمن زيد بن خالد الجهني قال: محمد بن فُضَيْلٍ عن عَطَاءٍ عن أبي عبد الرحمن قال حدثنا من كان يُقْرِئُنَا من أَصْحَابِ النبي ﷺ إنهم كَانُوا يَقْتَرِئُونَ من رسول اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ فَلاَ يَأْخُذُونَ في الْعَشْرِ الأُخْرَى حتى يَعْلَمُوا ما في هذه مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قالوا فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ»[4]، وقد كان ذلك هو منهج السلف الصالح ﷺ وبه يتواصون يقول الفضيل - رحمه الله- : «على الناس أن يتعلموا فإذا علموا فعليهم العمل»، ويقول ابن عيينة: «العلم إن لم ينفعك ضرك»، وقال الشيخ الألباني معلقاً على هذا القول: «يعني إن لم ينفعه بأن يعمل به ضره بكونه حجة عليه»[5].

---

(١) أقتابه: أمعاؤه وأحشاؤه.

(٢) الرحى: آلة تطحن الحب.

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق، (٣٠٩٤)، مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (٢٩٨٩)، أحمد، (٢٠٥/٥).

(٤) مسند أحمد بن حنبل، ج٥/ص٤١٠.

(٥) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي، تحقيق الألباني، ص ٣٧.

الدليل الثامن:

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: اتَّخَذَ النبي ﷺ خَاتَمًا من ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ الناس خَوَاتِيمَ من ذَهَبٍ فقال النبي ﷺ إني اتَّخَذْتُ خَاتَمًا من ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ وقال إني لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَنَبَذَ الناس خَوَاتِيمَهُم"[1].

قال العلماء: «فدلَّ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول».

---

(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٦٨٦٨)، مسلم، كتاب اللباس والزينة، (٢٠٩١)، الترمذي، كتاب اللباس، (١٧٤١)، النسائي، كتاب الزينة، (٥٢٩٠).

الفصل الثاني
علاقة القول بالعمل
في حياة النبي ﷺ والسلف الصالح ﷺ

المبحث الأول في حياة النبي ﷺ:

إن من العوامل المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، مطابقة قول الداعي لأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها أنموذجًا يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده.

ولذا نجد الإسلام اهتم بهما. فاعتبر عمل النبي ﷺ وتقريره ﷺ سنة، كما اعتبر قوله ﷺ سنة. فأوجب إتباع النبي ﷺ في سلوكه كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

ولقد أنكر الله ﷻ على المؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون، إنكاراً شديداً وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2].

إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة العملية للمسلمين التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، فبالسيرة الطيبة يحقق الداعي دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله ﷻ.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) سورة الصف، الآية: ٢ - ٣.

ومما يدل على تأثير العمل في تصديق الداعي والإيمان بما يدعو إليه أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال له: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله. قال الأعرابي: أأنت الذي يقال عنك إنك كذاب؟ فقال: أنا الذي يزعمونني كذلك. فقال الأعرابي: ليس هذا الوجه وجه كذاب، ما الذي تدعو إليه؟ فذكر له رسول الله ﷺ ما يدعو إليه من أمور الإسلام فقال له الأعرابي: آمنت بك وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله".

فالأعرابي استدلَّ بسَمْت رسول الله ﷺ ووجهه المنير ﷺ الذي يظهر عليه الصدق، استدلَ بذلك على صدقه فيما يدعو إليه ﷺ.

فالأتباع ينظرون إلى الداعية نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم، فربَّ عمل يقوم به لا يلقي له بالًا يكون في حسابهم من الكبائر، وذلك أنهم يعدونه قدوة لهم.

فقدوة المسلمين الأولى صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأعظم رسولنا محمد ﷺ وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ﷺ ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه أو خلق من أخلاقه أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدي به ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويقتدي بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء.

(١) سورة الأحزاب، الآية:٢١.

وقد قال بعض أهل العلم: إن الله لو أرسل القرآن في كتاب مجموع منزل ولم يرتبط بحياة النبي ﷺ وسلوكه لما استطاع الإسلام أن يخطو خطواته الكبيرة في الحياة، ولكن الناس كانوا يستمعون إلى القرآن من النبي ﷺ من جهة، ويشاهدونه كصورة حية متحركة في حياته من جهة أخرى فتجسدت لهم أخلاق النبي ﷺ وأعماله قرآنا يتحرك على الأرض كما حدثت عنه زوجته "عائشة" رضي الله عنها بقولها: "كان خلقه القرآن".

وقد كان حديث القرآن عن علاقة سلوكه القرآني بنجاحه في الدعوة، صريحاً واضحاً وذلك هو قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

المبحث الثاني علاقة القول بالعمل في حياة السلف ﷺ[1]:

من أقوال السلف في بيان أهمية مطابقة القول العمل:

أولاً يقول أبو الدرداء ﷺ «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتًا»[2].

ثانياً ومن لطائف الفقه عند أهل العلم رحمهم الله ما ذكروا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

فالمعنى أن الله ذم بني إسرائيل على هذا الصنيع حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل الذم على الترك وحده وليس على الأمر، فإن الأمر بالمعروف مطلوب من العامل ومن المقصر ويتأكد هذا المعنى من الآية الثانية في قوله سبحانه: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[4].

فالله ذمهم ولعنهم ليس على فعلهم المنكر فحسب بل على تركهم التناهي عنه، فالمقصر عليه واجبان: الأول: الكف عن التقصير

---

(١) هم أتباع النبي ﷺ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين أهل القرون المفضلة التي قال عنها النبي ﷺ: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد، رقم: ٢٦٥٢. ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم:٦٤١٧.

وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الطحاوي، ص٣٣٠. ومفهوم السنة والجماعة، للدكتور ناصر العقل، ص٧٩.

(٢) إبطال الحيل، ابن بطه، باب الفقيه الذي يستفتى.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

والثاني: دعوة المقصرين إلى ترك التقصير. وهو فقه دقيق ينبغي أن ينتبه له الدعاة والمربون وكفى بربك هاديًا ونصيرًا.

وليس عالما ذاك الذي لم يعمل بعلمه، ولا يستحق وصف التكريم هذا، فعن علي ﷺ قال: (يا حملة العلم: اعملوا به، فإن العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم، لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف علمهم عملهم، يقعدون حلقا، يباهي بعضهم بعضا؛ حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم إلى الله عز وجل).

ثالثاً وقال الحسن البصري - رحمه الله - : « العالم الذي وافق علمه عمله، ومن خالف علمه عمله فذلك راوية سمع شيئا فقاله ». ومرّ الحسنُ البصريُّ على مطرف بن عبد الله في أصحابه فقال: عِظْهُمْ. فقال: أخشى أن أقول مالا أفعلُ. قال الحسنُ: وأيُّنا يقول ما يفعلُ؟ ودَّ الشيطانُ لو ظفرَ منكم بهذه .

رابعاً قال الثوري - رحمه الله - : «العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل».

خامساً ذكر صاحب حلية الأولياء عن مالك بن دينار:« العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا».

سادساً قال الإمام الشافعي- رحمه الله- : «من وعظ أخاه بفعله كان هاديا».

سابعاً قال عبد الواحد بن زيد- رحمه الله- : « ما بلغ الحسن في الناس ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء كان أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء كان أبعدهم منه».

ثامناً يروى أن أبا جعفر الأنباري صاحب الإمام أحمد عندما أُخبر بحمل الإمام أحمد للمأمون في الأيام الأولى للفتنة. عبر الفرات إليه فإذا هو جالس في الخان، فسلم عليه، وقال: يا هذا أنت اليوم رأسٌ والناس يقتدون بك، فو الله لئن أجبتَ إلى خلق القرآن ليجيبنَّ بإجابتك خلق من خلق الله وإن أنت لم تجب ليمتنعنَّ خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل- يعني المأمون- إن لم يقتلك فأنت تموت، ولا بد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما قلت؟ فأعاد عليه فجعل يقول: ما شاء الله، ما شاء الله.

وتمر الأيام عصيبة على الإمام أحمد، ويمتحن فيها أشدّ الامتحان ولم ينس نصيحة الأنباري، فها هو المروزي أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول له: "يا أستاذ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾(1). فقال أحمد: يا مروزي اخرج، انظر أي شيء ترى! قال: فخرجتُ إلى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقًا من الناس لا يحصي عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال المروزي: مكانكم. فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له: رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال: يا مروزي أضل هؤلاء كلهم! أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء".

إننا نحاول التأكيد على هذا الجانب من الممارسة في حياة الداعية لأن الدعاة حين يستسلمون للحياة استسلام المشغوفين بها، المندفعين إليها، بكل شوق ولهفة، ويعبون منها بلا حساب، ويتحدثون عن الزهد

(1) سورة النساء، من الآية: ٢٩.

في الدنيا وما أعد الله للزاهدين، ويقصون على الناس قصص الزهاد، ولكنهم لا يزهدون في الدنيا هذا الزهد الذي يحدثون الناس به.

تاسعاً وما أجمل ما صور ابن القيم به هذا الواقع المتضارب، وهذه الانفصالية بين الأقوال والأفعال وأثرها في المدعوين فقال رحمه الله: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قال قائلهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق».

فالذين لا يعملون بعلمهم ولا يتسق سلوكهم مع عملهم، فضلا عن أن يكونوا من الراسخين في العلم، وإنما هم رواة أخبار وحفظة أسفار، والفقه فيما رووه أمر آخر وراء هذا. أو هم ممن غلب عليهم الهوى فغطّى على قلوبهم. وهنا ينبغي أن يوجّه اللوم، والعتاب كل العتاب، لمن يفعل ذلك، وحسبك أن الله ﷻ سمى ذلك الانفصام بين القول والعمل مقتا، بل جعله أكبر المقت وأشدّ البغض، فقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]. إن الإيمان ليس مجرد كلمات يديرها الإنسان على لسانه، ويتحلى بها أمام الناس ويتشدق بها في المناسبات دون أن يكون لها أثرها في سلوكه وواقعه ودون أن تترجم إلى واقع حي يراه الناس، فيكون هذا الواقع العملي الظاهر والالتزام مؤشرا على الإيمان الصحيح وعمقه في نفس صاحبه.

(١) سورة الصف، الآية: ٣.

الفصل الثالث

أسس العلاقة بين القول والعمل

المبحث الأول أسس العلاقة بين القول والعمل:

أساسا العلاقة بين القول والعمل، هما الإخلاص وموافقتهما للكتاب والسنة، فالإخلاص سر عظيم وباب دقيق والتميز به من أعظم المطالب- وهو من أولى ما ينبغي أن يُفتش عنه في الرجل المقتدى به. فيكون المقصود بالقول والعلم والعمل وجه الله ﷻ بعيدًا عن أغراض النفس وأغراض المخلوقين، بل عبودية خاضعة تمام الخضوع لله ﷻ أمرًا ونهيًا ونظرًا وقصدًا.

فالعمل الصالح إذا أطلق يراد به أن يكون موافقا للشرع، والخالص المراد به أن يكون لوجه الله، وهذان ركنا العمل، شرطان لا يصح العمل إلا بهما.

الشرط الأول: أن يكون العمل صالحا، وهو أن يكون موافقا للشرع، والدين والسنة.

والشرط الثاني: أن يكون خالصا لله، وقد جمع الله بين الشرطين في مواضع من كتابه، قال الله - سبحانه وتعالى- : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]، العمل الصالح ما كان موافقا للشرع، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، هذا هو العمل الخالص.

وقال - سبحانه وتعالى- : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[2] فإسلام الوجه، هو إخلاص

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

العمل لله، والإحسان هو أن يكون العمل موافقا للشرع، وهو العمل الصالح، فقال - سبحانه وتعالى- : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وكلمة الفضيل بن عياض في هذا الباب معروفة، قال في تفسير آية الملك: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2]:«أخلصه وأصوبه؛ فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، فلا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً»[3].

والمرء إذا أسلم وجهه لله وأخلص نيته لمولاه فإن حركاته وسكناته ونومه ويقظته محسوبة في مرضاة الله. بل إن النصح والإخلاص يرقى بالعبد الضعيف العاجز إلى رتبة القادر العامل، ففي غزوة العسرة من تبوك سجل القرآن الكريم خبر هؤلاء الضعفاء الناصحين المخلصين في قوله سبحانه: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾[4] وسجل لهم الرسول ﷺ هذا الموقف حين خاطب جنده الغازين في سبيل الله بخبر هذه الطائفة بقوله ﷺ: «**إن أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا حبسهم العذر**»[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٢) سورة الملك، من الآية: ٢

(٣) انظر: العبودية لابن تيمية ص ٧.

(٤) سورة التوبة، الآيتان:

(٥) البخاري، كتاب الجهاد والسير، (٢٦٨٤)، ابن ماجه، كتاب الجهاد، (٢٧٦٤).

ومن هنا يتبين أن الإسلام يلحظ في أعمال الناس، وما يقارنها من نيات وما يصاحبها من دواعٍ وبواعث، لذا نرى أن ضعف الإخلاص عند بعض من ذوي المواهب والمواقع القيادية جعل تابعيهم والمعجبين بهم، يوجهون النقد إليهم، حتى يمكن تدارك هذا الخلل، وتلافي القصور.

المبحث الثاني مسائل لا تثريب فيها على من لم يُتبع القول العمل:

المسألة الأولى: لا عصمة لغير النبي ﷺ:

وهو أن المسلم، حتى ولو كان قدوة مترقيًا في مدارج الكمال قد يغلبه هوى أو شهوة أو تدفعه نفس أمارة بالسوء أو ينزغه الشيطان، فتصدر منه زلة أو يحصل منه تقصير، فإذا حدث ذلك فليبادر بالتوبة والرجوع وليُعْلم أن هذا ليس بمانع من التأسي به والاقتداء، فالضعف البشري غالب والكمال لله وحده ولا معصوم إلا من عصم الله ﷻ، وقد حدث مالك عن ربيعة قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. قال: وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء.

وقال الحسن البصري لمطرف بن عبد الله بن الشَخير: يا مطرف عظ أصحابك. فقال مطرف: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل- فقال الحسن: يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول؟؟ ودّ الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلمِ يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر.

وقال الحسن أيضًا: أيها الناس إني أعظكم ولست بخيركم ولا أصلحكم وإني لكثير الإسراف على نفسي غير محكم لها ولا حاملها على الواجب في طاعة ربها، ولو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلا بعد إحكام أمر نفسه لعُدم الواعظون، وقلَّ المذكرون ولما وُجِد من يدعو إلى الله جل ثناؤه ويرغَب في طاعته وينهى عن

معصيته، ولكن في اجتماع أهل البصائر ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضًا حياة لقلوب المتقين، وإذكار من الغفلة، وأمن من النسيان، فالزموا - عافاكم الله- مجالس الذكر، فرب كلمة مسموعةٌ ومحتقرٍ نافعٌ.

وعلى هذا لا ينبغي أن يترك أحد الدعوة إلى الله ﷻ بحجة التقصير؛ بل يستمر فيها ويسعى إلى سدّ الخلل، وتلافي التقصير، وذلك بالمسارعة إلى فعل ما أمر الله ﷻ به ورسوله الكريم ﷺ والمبادرة إلى اجتناب ما نهى الله ﷻ عنه ورسوله الكريم ﷺ.

المسألة الثانية: أصحاب الأعذار:

ينبغي أن يُفهم أن الداعي إذا لم يعمل وفق دعوته لعذر معقول فلا إثم عليه ولا حرج، ويستمر في دعوته ولا يعاب عليه، ومما يدل على هذا ما يلي:

أولاً: روى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال:« أوصاني خليلي بثلاث: لا أدعهن حتى أموت[1]. صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر[2]»[3].

---

(١) «لا أدعهن حتى أموت»): قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون قوله: "لا أدعهن إلخ من جملة الوصية: أي أوصاني أن لا أدعهن، ويحتمل أن يكون من إخبار الصحابي بذلك عن نفسه". (فتح الباري٢/٥٧).

(٢) «ونوم على وتر»: وفي رواية أبي التياح: "وأن أوتر قبل أن أنام". (نقلاً عن المرجع السابق ٥٧/٣).

(٣) صحيح البخاري،كتاب التهجد، باب صلاة الضحى في الحضر، رقم الحديث ١١٧٨، ٥٦/٣.

ثانياً: روى الإمام مسلم عن أبي الدرداء ﷺ قال: «أوصاني حبيبي بثلاث: لن أدعهن ما عشتُ: بصيام بثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام إلا على وتر» (1).

ثالثاً: روى الإمام النسائي عن أبي ذر ﷺ قال: «أوصاني حبيبي بثلاثة: لا أدعهن إن شاء الله تعالى أبداً أوصاني بصلاة الضحى، وبالوتر قبل النوم، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر»(2).

فالنبي ﷺ في الأحاديث السابقة أوصى أبا هريرة وأبا الدرداء وأبا ذر بنوم على وتر ولم يكن ﷺ يصلي الوتر قبل النوم، فقد روى الإمام البخاري عن ابن عمر قال: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة"(3).

كما روى الإمام البخاري أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: «كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه، فإذا أراد أن يوتر أيقظني، فأوترت» (4).

ومما نجده في هذين الحديثين أن النبي الكريم ﷺ لم يكن يفعل ما وصى به أصحابه الثلاثة من النوم على وتر.

والسبب لذلك أن وصيته ﷺ تلك كانت لمن يثق بالاستيقاظ.

قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث أبي هريرة ﷺ: «وفيه استحباب تقديم الوتر على النوم، وذلك في حق من لم يثق

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم الحديث ٨٦ (٧٢٢)، ٤٤٩/١.

(2) سنن النسائي، كتاب الصيام، صوم ثلاثة أيام من الشهر، ٢١٧/٤- ٢١٨. وصححه الشيخ الألباني: (انظر: صحيح سنن النسائي ٥٠٧/٢).

(3) صحيح البخاري، كتاب الوتر، باب ساعات الوتر، رقم الحديث ٩٩٥، ٤٨٦/٢.

(4) المرجع السابق، باب إيقاظ النبي ﷺ أهله بالوتر، رقم الحديث ٩٩٧.

بالاستيقاظ»[1]، ولم يكن النبي الكريم ﷺ في حاجة إلى ذلك حيث كان واثقاً بفضل الله تعالى من الاستيقاظ.

ومن فعل الصحابة:

أولاً: ما روى الإمام البخاري عن عبدالرحمن بن القاسم عن عبدالله بن عبدالله بن عمر أنه أخبره أنه كان يرى عبدالله بن عمر يتربع في الصلاة إذا جلس.ففعلتُه، وأنا يومئذ حديث السن[2].فنهاني عبدالله بن عمر[3]، وقال: "إنما سنة الصلاة أن تنصب رجلك اليمنى، وتثني اليسرى". فقلت: "إنك تفعل"[4]. فقال: "إن رجليَّ لا تحملاني"[5].

ومما نجده في هذه الرواية أن عبدالله بن عمر لم ير بأساً في نهي ابنه من الجلوس متربعاً في الصلاة، مع أنه ﷺ كان يجلس فيها متربعاً، حيث كانت جلسته تلك بسبب عذر.

ثانياً: ذكر الحافظ الذهبي عن أبي وائل عن أبي الدرداء ﷺ: «إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكن لعل الله يأجرني فيه»، ولعلّ ترك أبي الدرداء ﷺ ذلك كان لعذر معقول. والله تعالى أعلم.

وبعد: فهذا ما يسر الله ﷻ، لعل فيه ما أفاد، فإن كان كذلك فللّه الحمد والمنة، وإن كان سوى ذلك فأرجو أن لا يضنّ محبّ بنصح، وصلى الله على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) فتح الباري ٥٧/٣.

(٢) «وأنا يومئذ حديث السن»: صغير لم أميز بين فعل العذر وغيره. (حواشي كشف المغطأ عن وجه الموطأ ص ٧٢ هامش١).

(٣) (فنهاني عبدالله بن عمر): فيه دليل على الإنكار على الطفل إذا أخطأ في الصلاة.

(٤) «فقلت: إنك تفعل»: فيه دليل على أن مخالفة الداعي لما يقوله تثير تساؤلاً لدى المخاطب.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات، وأشكره سبحانه على توفيقه وتيسيره لي في كتابة هذا البحث عن العلاقة بين القول والعمل وأثرها في الدعوة إلى الله ﷻ والذي تضمن مقدمة وثلاثة فصول تحدثت في الفصل الأول عن: دلالة القرآن والسنة على اقتران القول بالعمل وفيه مبحثان، المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم و المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية. وفي الفصل الثاني علاقة القول بالفعل في حياة النبي ﷺ والسلف الصالح. وفيه مبحثان، المبحث الأول: في حياة النبي ﷺ و المبحث الثاني: في حياة السلف الصالح، أما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن أسس العلاقة بين القول والعمل وفيه مبحثان، المبحث الأول: أسس العلاقة بين القول والعمل و المبحث الثاني: مسائل لا انفصال فيها بين القول والعمل

هذا وقد تجلى في هذا البحث عدة نتائج وتوصيات وذلك على النحو التالي:

أولاً: نتائج البحث:

- إن القرآن الكريم حث على اقتران القول بالعمل ورتب عليه الفضل العظيم والثواب الجزيل، مما يدل على كمال الشريعة وشمولها.
- إن النبي ﷺ كان قدوة للناس في تطبيق القول للعمل وكان أحسنهم سريرة وعلانية.
- إن الدعاه إلى الله في هذا الزمان أحوج ما يكونون إلى المقارنة بين الأقوال والأفعال ليكونوا قدوه حسنة لغيرهم، ودعوةِ صامتةِ تأثر أبلغ الأثر وأحسنه في الآخرين حتى وإن كانوا من أكبر أعداء الدعاة ومناوئيهم.

- إن الانفصال بين القول والعمل في حياة الدعاة من أبرز العوائق والعقبات التي تقف في طريق الدعوة إلى الله ﷻ، وتحد من انتشارها وتأثيرها.

ثانياً: التوصيات.

- أوصي نفسي وأخواني الدعاة إلى الله ﷻ بتقوى الله عزوجل والعناية بكل ما يعلي من شأن الدعوة إلى الله ﷻ وينهض بها.
- أن يحرص الدعاة إلى الله ﷻ على مطابقة أفعالهم لأقوالهم في الدعوة إلى الله ﷻ .
- ضرورة العناية بدراسة سيرة الرسول ﷺ، والإفادة من مواقفه العظيمة في أقواله وأعماله، للاقتداء به ﷺ .
- العناية بسيرة السلف الصالح - رحمهم الله- والإفادة من مواقفهم في الدعوة إلى الله بالأقوال والأفعال.
- أن تنظم المؤسسات التعليمية التي لها علاقة بالدعوة والدعاة الندوات العلمية واللقاءات حول اقتران القول بالعمل وضرورة تحلي كل مسلم بها .
- هذا والله أسأل ﷻ أن يجعل أقوالنا وأعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم وأن يزيدنا علماً وعملاً، إنه خير مأمول وأعظم مسؤول، وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين القشيري، ابن دقيق العيد، المحقق: مصطفى شيخ ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط٥ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ هـ).
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لأبي العُلي محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري، ت ١٣٥٣ هـ، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن الخطيب عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، طبعة ١٤٠٧هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تفسير غريب ما في الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي ت٤٨٨هـ، تحقيق د. زبيدة محمد سعيد، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مكتبة السنة، القاهرة.
- تهذيب سنن أبي داود (المطبوع مع معالم السنن)، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، للدكتور أحمد غلوش، طبعة ١٣٩٩هـ، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- زاد الداعية إلى الله، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، مطابع المدينة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله القرطبي، الطبعة الأولى، دار الفكر.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- سنن ابن ماجه - مخرج الأحاديث على الصحاح والسنن، ابن ماجه، تحقيق: العطار، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، دار الفكر.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت٢٧٩هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، مصر. تحقيق د.فؤاد عبد المنعم أحمد، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية. العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت ٢٥٥هـ طبعة ١٤٠٤هـ، تحقيق عبد الله بن هاشم اليماني، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض. المملكة العربية السعودية.
- سنن النسائي (ت ٣٠٣)، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ترقيم أبي غدة، ط٢ (مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ).
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢)، تحقيق جماعة من العلماء وتخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط٩ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨ هـ)
- شرح صحيح مسلم للنووي، لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦ هـ، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ دار القلم، بيروت، لبنان.
- شرح علل الترمذي، للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ت ٧٩٥ هـ، تحقيق نور الدين عتر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ، دار الملاح للطباعة والنشر.
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط٣ (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ).
- صحيح الأدب المفرد الإمام البخاري، بقلم محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، دار الصديق، الجبيل، المملكة العربية السعودية.

- صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ت٢٥٦هـ، طبعة ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.وطبعة ١٣١٥هـ، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، والنسخة.
- صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (المكتب الإسلامي ١٣٨٨هـ).
- صحيح السيرة النبوية، الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني، ط١ (دار ابن تيمية القاهرة، ١٤١٠ هـ).
- صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ).
- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ).
- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ).
- صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٩هـ).
- العبودية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، ت ٧٢٨ ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ.
- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض).
- فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية، حسن عيسى عبد الظاهر، ط١ (دار القلم الكويت، ١٤٠١هـ).
- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط١ (مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ).
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار الفكر

- معالم السنن، حاشية سنن أبي داود، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨) ط١ (دار الحديث، بيروت، ١٣٨٨هـ).
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط١ (الدار العربية للطباعة). وكذلك نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضع محمد فؤاد عبد الباقي، نشر (مؤسسة جمال للنشر، بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥)، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢ (مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٩٠هـ).
- موسوعة أطراف الحديث النبوي، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ط١ (دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ

السلطة التقديرية للمحتسب

إعداد

الدكتور / رزين بن محمد الرزين

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب

بكلية الدعوة والإعلام

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد شرع الله عز وجل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامة شرعه بين خلقه وحفظ حدود الله وحفظ حقوق خلقه، وقد عني علماء هذه الأمة ببيان أحكام هذه الفريضة وتقرير أصولها وتفريع فروعها على هدى من الكتاب والسنة، ومن ذلك بيان سمات وسلطات من يقوم بهذه الفريضة وهو من يسميه العلماء بالمحتسب الذي يمارس سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولاشك أن المحتسب في ممارسته لهذه السلطة يجب أن ينطلق من الضوابط والحدود الشرعية، وهذه السلطة التي يمارسها تتصف بتعاملها مع أشخاص وأحوال وأزمنة مختلفة مما يوجب أن تكون هذه السلطة قابلة للتكيف والمرونة لتحقيق غايات الحسبة وأهدافها، ولذلك لابد أن يكون في تلك السلطة مساحة كافية لتقدير الأحوال والظروف ودرجات الاحتساب، وهو ما اصطلح عليه في الأنظمة المعاصرة بالسلطة التقديرية.

وإذا كنا لا نرى هذا المصطلح لفظاً في مصنفات الحسبة فلا يعني ذلك أنه غير موجود في الحقيقة، بل إنه محل اعتبار عند العلماء كما سنبينه بعون الله في هذا البحث.

وقد دفعني إلى هذا البحث أن الحسبة في العصر الحاضر تتميز بتنظيمها وفق أنظمة مختلفة ولاسيما في المملكة العربية السعودية، وهذه الأنظمة وإن كانت مستمدة في أساسها من الشريعة الإسلامية

إلا أن تفسيرها خاضع للمبادئ القانونية، ولذلك رغبت في بيان مبدأ السلطة التقديرية الذي يمارس فعليا في مجال الحسبة منطلقاً في ذلك من نصوص الشريعة الإسلامية وقواعدها وضوابطها، ثم سأعرض لبعض تطبيقات السلطة التقديرية في أحد أنظمة الحسبة الصادرة في المملكة وهو نظام مكافحة الغش التجاري.

أسأل الله عز وجل العون والتوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خطة البحث:

أهمية الموضوع:

يعتمد نظام الحسبة في مجمله على حمل الناس على فعل المعروف وترك المنكر بحسب المراتب والدرجات التي قررها علماء الإسلام بناء على الأدلة الشرعية، والمحتسب يستند في سلطته وأمره ونهيه إلى هذه المصادر، وهي سلطة تقديرية في مجملها، ولكن لابد أن تنضبط بالضوابط الشرعية وأن تكون وسيلتها وغايتها تطبيق الشرع ولذلك كان من المهم دراسة هذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

١. أن يتضح لمن يقوم بالحسبة أن سلطة المحتسب يجب أن تنطلق من ضوابط وأن تلتزم بحدود الشرع.

٢. تقرير هذا المصطلح وضبطه بضوابطه الشرعية.

٣. بيان أن الحسبة سلطة شرعية تنتظم تحت ضوابط الشرع وتلتزم بحدوده.

تساؤلات الدراسة:

١. مالمراد بالسلطة التقديرية في النظام الوضعي؟

٢. مالمراد بالسلطة التقديرية في النظام والشريعة الإسلامية؟

٣. ماضوابط وحدود السلطة التقديرية للمحتسب؟

٤. ما مجالات السلطة التقديرية للمحتسب؟

منهج البحث:

سيعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي وهو المنهج الذي يتتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعها[1].

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حنبكة الميداني، جدة،دار البشير، ط ٧، ١٤٢٥هـ، ص ١٨٨.

التعريف بمصطلحات الدراسة:

السلطة التقديرية في اللغة:

السلطة في اللغة:

سلط السين واللام والطاء أصل واحد، وهو القوّة والقهر. من ذلك السّلاطة، من التسلط وهو القَهْر، ولذلك سمّي السُّلْطان سلطاناً، والسلطان: الحُجة[1].

التقدير في اللغة:

قدر القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مَبْلَغ الشّيء وكُنهه ونهايته. فالقدْر: مبلغ كلّ شيء، يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه، وكذلك القَدَر، وقَدَرتُ الشيء أَقْدِرُه وأقْدُرُه من التقدير، وقدرته أُقَدره؛ والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضًا[2].

يعرف بعض الباحثين السلطة التقديرية بأنها:

هي تمتع الإدارة بقسط من حرية التصرف وهي تمارس اختصاصاتها القانونية[3].

ويعرفها آخر بأنها: مُكنة تتيح للإدارة الاختيار الحر للإجراء الذي تراه مناسبا للوقائع التي تبرر اتخاذه، وذلك في غير الحالات التي تلتزم بما يقرره كل من المشرع والقاضي من قيود في خصوصها[4].

---

(١) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، باب السين واللام ومايثلثهما.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، باب القاف والدال ومايثلثهما.

(٣) د. عصام بن عبدالوهاب البرزنجي، السلطة التقديرية للإدارة (مصر، القاهرة، دار النهضة العربية) ص ١.

(٤) د. رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي للحد من سلطة الإدارة التقديرية، (مصر، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٤م) ص٤٥.

وتعريف المحتسب:

المحتسب هو القائم بالحسبة وقد يكون محتسبا رسميا أو محتسبا متطوعا، ولكنه إذا أطلق فإنه يراد به المحتسب القائم بولاية الحسبة الرسمية[١].

والحسبة في اللغة:

الحِسبة مصدر احتسابك الأجر على الله تعالى، تقول فعلته حِسْبَةً، واحتسب فيه احتساباً، والاحتساب: طلب الأجر، .. والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله تعالى: احتسبه، لأن له حينئذٍ أن يعتد عمله[٢].

وفي الاصطلاح: يعرف العلماء الحسبة في الاصطلاح بأنها: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا أُظهر فعله)[٣]وهذا التعريف يعد أجمع وأمنع تعريف للحسبة في نظري، وكما قرر ذلك بعض العلماء[٤].

---

(١) انظر للتوسع والاستزادة: الأحكام السلطانية للماوردي و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للغزالي، وغيرها.

(٢) جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خياط (لبنان، بيروت: دار لسان العرب) ٦٣٠/١، مادة حسب.

(٣) الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي)، ص ٣٩١، واختاره أ.د. محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء،بيروت، دار النفائس، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، مادة حسب، ١٥٨.

(٤) يقرر ذلك فضيلة الأستاذ الدكتور فضل إلهي، في كتابه الحسبة تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها (باكستان، سيتلائيت تاؤن: إدارة ترجمان الإسلام، ط٢ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م)، ص ٢٠.

تقسيمات الدراسة:

المقدمة.

تمهيد: القاسم المشترك بين السلطة التقديرية في النظام والشريعة الإسلامية.

المبحث الأول: أساس السلطة التقديرية في النظام.

المطلب الأول: تدرج القواعد القانونية.

المطلب الثاني: نظرية الحقوق الشخصية.

المطلب الثالث: فكرة المشروع.

المبحث الثاني: السلطة التقديرية في الشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: مشروعية السلطة التقديرية في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: ضوابط السلطة التقديرية للمحتسب.

المطلب الثالث: التمييز بين السلطة التقديرية للمحتسب الرسمي والمتطوع.

المطلب الرابع: مجالات السلطة التقديرية للمحتسب.

المبحث الثالث: نموذج لتطبيقات للسلطة التقديرية في أنظمة الحسبة في المملكة.

المطلب الأول: السلطة التقديرية فيما يتعلق بالعقوبة.

المطلب الثاني: السلطة التقديرية فيما يتعلق ببعض الإجراءات.

خاتمة.

تمهيد:

القاسم المشترك بين السلطة التقديرية في النظام والشريعة الإسلامية:

قد يثور مثل هذا التساؤل قبل الدخول في هذا البحث عن وجه الارتباط بين السلطة التقديرية في النظام وفي الشريعة الإسلامية، سيما وأن التفاصيل ومنهج عرض هذه القضية قد يختلف كلياً بين المصادر في النظام وفي الشريعة الإسلامية، ولكننا عند التأمل نجد أن هذا الارتباط يتضح جلياً في النظر إلى المصلحة العامة وتقديرها.

ففي مجال النظام نجد اعتبار قضية المصلحة يتضح جلياً في سبب تدخل الإدارة وممارستها للسلطة التقديرية ولذلك يعنى بالسلطة التقديرية في النظام (أن يترك المشرع[1] للإدارة شيئاً من الحرية لتقرر بمحض اختيارها ما إذا كان من الصالح أن تتدخل أو تمتنع)[2].

واعتبار المصلحة أيضاً في الغاية من اتخاذ القرار الإداري المشمول بالسلطة التقديرية فهذه الغاية يحددها المشرع دائماً إما وفقاً للقيد العام، وهو قيد المصلحة العامة، وإما وفقاً للقيد المخصص الذي يضعه المشرع لكل سلطة يمنحها للإدارة[3].

---

(١) عبارة المشرع ترد كثيرا عند فقهاء القانون الوضعي ويعنى بها واضع النظام وقد نقلتها كما ذكروها باعتبارها مصطلحا، ولكن الأولى عدم ذكرها واستبدالها بواضع القانون أو المنظم أو المقنن ونحو ذلك، لأن المشرع هو الله تبارك وتعالى.

(٢) د. سليمان الطماوي، الوجيز في القانون الإداري، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م.٦٣٢.

(٣) د. سليمان الطماوي، مبادئ القانون الإداري، القاهرة، دار الفكرالعربي، ط٦، ١٩٦٤م، ٨٩٥. وانظر: د. محمد فؤاد عبدالباسط، أعمال السلطة الإدارية، القاهرة، ١٩٨٩م، ١١٢.

وسيتضح خلال تناول البحث للسلطة التقديرية في الشريعة الإسلامية أن مدارها مبني على المصلحة، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً بإذن الله تعالى في موضعه.

المبحث الأول
أساس السلطة التقديرية في النظام

قبل الحديث عن السلطة التقديرية في النظام الوضعي ينبغي التأكيد على أنه لا توجد سلطة تقديرية مطلقة باتفاق شراح القانون، كما أنه أيضا لا توجد سلطة مقيدة في كل أحوالها بل يتاح للإدارة إمكانية التقدير في بعض الجوانب وإن كانت طفيفة أو مضيقة إلى حد كبير[1].

تمتعت الإدارة ولازالت بجانب من حرية التقدير في نشاطها الذي تمارسه بصرف النظر عن اتساع هذا الجانب حيناً أو ضيقه حيناً آخر، وذلك لأن حرية التقدير ظاهرة تلازم النشاط الإنساني في جميع مستوياته وأشكاله، ومهما كانت القواعد التي تنظم هذا النشاط، فإن تقييد النشاط الإداري تقييداً تاماً إنما هو الاستحالة بعينها، فالإدارة في الوقت الحاضر أصبحت إدارة خدمات، ترتاد مجالات واسعة من صنوف النشاط، ومن المتعذر تنظيم كل دقائق نشاطها بقواعد سابقة ومحددة[2].

يذهب الباحثون في مجال القانون إلى عدد من الاتجاهات في أساس السلطة التقديرية سنفصلها في المطالب الآتية:

(١) انظر: د. محمد فؤاد عبدالباسط، أعمال السلطة الإدارية، ١٠٩، ١١٠.

(٢) انظر: عبدالوهاب البرزنجي، السلطة التقديرية للإدارة، ص ١٨٥، ١٨٤.

المطلب الأول تدرج القواعد القانونية:

وتعني هذه الفكرة أن القواعد القانونية في المجتمع إنما تتدرج فيما بينها في مراتب مختلفة، بحيث تقيد القاعدة الأدنى منها درجة، وهذه الأخيرة تتضمن تخصيصاً للقاعدة الأولى، وبمعنى آخر أن كل قاعدة قانونية في التدرج القانوني بالدولة تتخذ لها صفتين: فهي قاعدة منفذة ومخصصة للقاعدة الأعلى منها درجة من ناحية، ومنشئة في ذات الوقت للقاعدة الأدنى منها مرتبة من ناحية أخرى[1].

ولما كان اختصاص رجل الإدارة حين ينفذ القاعدة القانونية اختصاصا مقيدا إذا وقف بقراره عند حد التنفيذ الحرفي للقاعدة القانونية، ويعد اختصاصاً تقديرياً إذا أضاف لهذه القاعدة عناصر جديدة، فإنه يمكن القول إن السلطة التقديرية للإدارة إنما تجد أساسها في التدرج التنازلي للقواعد القانونية، إذ غالباً ماتكون القاعدة الأعلى متسمة بالعمومية والتجريد وتتطلب بالتالي نوعاً من التحديد والتقييد من جانب رجل الإدارة، وهذا لايتأتى إلا إذا كان له سلطة تقديرية[2].

ويؤخذ على هذه الفكرة أنها تضيق من نطاق السلطة التقديرية حيث تقصرها فقط على مجرد تخصيص رجل الإدارة للقاعدة القانونية مع أن هناك حالات أخرى يتمتع رجل الإدارة فيها بسلطة تقديرية دون أن يضيف إلى القاعدة القانونية التي يتولى تنفيذها أية عناصر جديدة، وذلك مثل الاختيار الحر بين قرارين أو أكثر، أو

(١) انظر: د. سامي جمال الدين، قضاء الملائمة والسلطة التقديرية للإدارة (مصر، القاهرة، ١٩٩٢م) ص٣٤.

(٢) انظر: د. رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي، ص ٤٦.

التقرير الحر لاتخاذ القرار من عدمه، أو تحديد الوقت الملائم لاتخاذ هذا القرار وغير ذلك، ولهذا لا تصلح مثل هذه الفكرة لبيان الأساس القانوني للسلطة التقديرية[1].

ويرى بعض شراح القانون أن تدرج القواعد القانونية ليس أساساً للسلطة التقديرية بقدر ما يعتبر مبرراً لقيام السلطة التقديرية[2].

(١) انظر: د. رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي، ص ٤٧.

(٢) د. نبيل إسماعيل عمر، سلطة القاضي التقديرية في المواد المدنية والتجارية (مصر، الاسكندرية، دار المعارف، ط١ ١٩٨٤) ص ٣٣.

المطلب الثاني نظرية الحقوق الشخصية:

تقوم هذه النظرية على الربط بين الحقوق الشخصية والاختصاص المقيد بمعنى أن هذا الاتجاه يرى أن الأساس القانوني للسلطة التقديرية هو انتفاء أو عدم وجود حق قانوني للفرد تجاه الإدارة(١).

ومعنى ذلك أن الإدارة تستطيع ممارسة اختصاصاتها بحرية تامة بدون تقييد إذا كان ذلك لا يتعرض لحقوق شخصية للأفراد تجاه الإدارة، إذ بوجود هذه الحقوق تصبح سلطة الإدارة مقيدة(٢).

ولذلك يرى بعض الشراح أن فكرة الحقوق الشخصية تعد تحديداً لمجال السلطة التقديرية أو قيداً عليها لا أساساً لوجودها، مع أن الإدارة قد تتمتع بقدر من السلطة التقديرية في مواجهة بعض حالات السلطة التقديرية، وذلك لاعتبارات مختلفة وأبرزها الصالح العام(٣).

(١) انظر: د عصام البرزنجي، السلطة التقديرية للإدارة، ص١٨٩.

(٢) انظر: د. رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي، ص ٤٧- ٤٨.

(٣) انظر: د. نبيل إسماعيل عمر، سلطة القاضي التقديرية في المواد المدنية والتجارية، ص ٣٣، ود.عصام البرزنجي، السلطة التقديرية للإدارة، ص١٩٥.

المطلب الثالث فكرة المشروع:

تقوم هذه الفكرة على أساس أن الإدارة بما تباشره من أنشطة متعددة لا تختلف كثيرا عن مشروعات الأفراد الخاصة، بمعنى أن الإدارة العامة بهيئاتها المختلفة عبارة عن مشروع يشبه إلى حد كبير المشروعات الخاصة للأفراد، وطالما أن هؤلاء الأفراد يتمتعون عن إدارتهم لتلك المشروعات بسلطة تقديرية، فإنه يجب الاعتراف للإدارة كذلك بمثل هذه السلطة[1].

وبذلك تتبلور الإجابة عن التساؤل عن سبب تخلي القواعد القانونية عن تحديد النشاط الإداري أحيانا، وبمعنى آخر سبب تمتع الإدارة بالاستقلال وحرية التقدير في ممارسة النشاط الإداري، في صفة المشروع التي تصبغ هذا النشاط الإداري، ومن ثم سلطات الإدارة بوصفها المدير المسؤول أو الرئيس لهذا المشروع، بمعنى أن السلطة التقديرية هي أمر يرتبط بطبيعة المشروع حيث يتعين النظر إلى النشاط الإداري باعتباره كذلك، وعليه تقوم الإدارة بتسيير مشروع كبير يهدف إلى المصلحة العامة من خلال إقامة النظام العام وتوفير المنافع والمرافق العامة، وفي سبيل ذلك تملك الإدارة تقييد نشاطها ذاتيا، كما تملك كذلك ملاءمة نشاطها وأعمالها، ومن ثم تمثل صفة المشروع للنشاط الإداري مصدر السلطة التقديرية وأساسها[2].

---

(١) انظر: د. رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي، ص٤٩- ٥٠.

(٢) انظر: د. سامي جمال الدين، قضاء الملاءمة والسلطة التقديرية للإدارة (مصر، القاهرة، ١٩٩٢م) ص٣٦- ٣٧.

ويبدو أن هذا الاتجاه هو الأقرب للصحة، وهو الأساس القانوني للسلطة التقديرية في القانون[1].

---

(١) انظر: د. رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي، ص٤٩- ٥٠.

و د. سامي جمال الدين، قضاء الملاءمة والسلطة التقديرية للإدارة (مصر، القاهرة، ١٩٩٢م) ص٣٧.

المبحث الثاني

السلطة التقديرية في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول مشروعية السلطة التقديرية في الشريعة الإسلامية:

ضبطت الشريعة الإسلامية سلطة ولي الأمر مطلقا بإطار عام، وهو أن تكون طاعة ولي الأمر ضمن حدود طاعة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

ويدل لذلك أيضاً مارواه عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ، قال «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2].

قال ابن خُوَيْزِ مَنْدَاد: وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان لله فيه طاعة، ولا تجب فيما كان لله فيه معصية[3].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

حقيقة العدل بين شيأين أو شخصين المعادلة والموازنة بينهما في أمر ما، فالمقصود به إذاً مراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل شيء، وليس حقيقة انتظام مصالح الناس وتناسقها مع بعض، إلا خطاً مستقيماً يفصل بين طرفي الإفراط والتفريط في شؤونهم، وهما طرفان ينتهيان بالمفسدة لا محالة، ويبرز هذا المعنى واضحا في تصريح

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، ومسلم، كتاب الإمارة.

(٣) تفسير القرطبي، ٥/٢٥٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الآية بالمفهوم المخالف للعدل المأموريه وهو النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وليست هذه الثلاث إلا جماع المفاسد المختلفة التي تعرقل السبيل إلى تنظيم مصالح الناس وتحقيق الخير لهم"[1].

لقد ضبطت الشريعة الإسلامية سلطة الوالي بشكل عام بضابط اعتبار المصلحة الشرعية المعتبرة، لتكون المصلحة والسعي لتحصيلها غاية ونطاقاً لأي تصرف يمارسه الوالي ضمن ولايته الشرعية، ولذلك فكما أن المصلحة تعد قيداً على سلطة الوالي التقديرية فهي أيضاً مبرر لتصرفات الوالي، وقد استنبط العلماء لذلك قاعدة فقهية كلية وهي قاعدة (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة)[2].

أساس هذه القاعدة:

يقول- تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[3].

فهذه الآية الكريمة تأمر الحاكم أن يكون حكمه بالعدل، ولاشك أن من الحكم بالعدل أن تكون تصرفات الحاكم مبنية على مصلحة الأمة، بل وفي هذه الآية تنبيه منه تبارك وتعالى في قرن الأمانة بالحكم إلى أن المسؤولية أمانة توجب على الحاكم أن يكون تصرفه من منطلق العدل.

(١) انظر: د. محمد سعيد البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، دمشق، مؤسسة الرسالة، ص ٧٦.

(٢) الشيخ أحمد الزرقاء، شرح القواعد الفقهية، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ٢٤٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

ويقول المصطفى ﷺ: (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**)[1].

ويقول ﷺ: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة)[2].

وذلك أن نفاذ تصرف الراعي على الرعية ولزومه عليهم شاؤوا أم أبوا معلق ومتوقف على وجود الثمرة والمنفعة في ضمن تصرفه، دينية كانت أو دنيوية، فإن تضمن منفعة ما وجب عليهم تنفيذه[3].

ويقول ابن القيم - رحمه الله- : الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها[4].

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : والشريعة ما وُضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم[5].

ويقول العز بن عبدالسلام رحمه الله:

يتصرف الولاة ونوابهم بما ذكرنا من التصرفات بما هو الأصلح للمُوَلّى عليه درءا للضرر والفساد، وجلبا للنفع والرشاد، ولا يقتصر أحدهم على الصلاح مع القدرة على الأصلح إلا أن يؤدي إلى مشقة شديدة، ولا يتخيرون في التصرف حسب تخيرهم في حقوق أنفسهم مثل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) برقم ٢٦٩٢. ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر برقم ٤٦٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، برقم ٣١٩.

(٣) انظر: الشيخ أحمد الزرقاء، شرح القواعد الفقهية، (لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ) ص٢٤٧.

(٤) إعلام الموقعين ١٣/٣.

(٥) الإمام الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٩/٢

أن يبيعوا درهما بدرهم، أو مكيلة زبيب بمثلها لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] وإن كان هذا في حقوق اليتامى فأولى أن يثبت في حقوق عامة المسلمين فيما يتصرف فيه الأئمة من الأموال العامة ؛ لأن اعتناء الشرع بالمصالح العامة أوفر وأكثر من اعتنائه بالمصالح الخاصة، وكل تصرف جر فسادا أو دفع صلاحا فهو منهي عنه كإضاعة المال بغير فائدة، وإضرار الأمزجة لغير عائدة، والأكل على الشبع منهي عنه ؛ لما فيه من إتلاف الأموال، وإفساد الأمزجة، وقد يؤدي إلى تفويت الأرواح، ولو وقعت مثل قصة الخضر عليه السلام في زماننا هذا لجاز تعييب المال حفظا لأصله ولأوجبت الولاية ذلك في حق المولى عليه حفظا للأكثر بتفويت الأقل فإن الشرع يحصل الأصلح بتفويت المصالح، كما يدرأ الأفسد بارتكاب المفاسد، وما لا فساد فيه ولا صلاح فلا يتصرف فيه الولاة على المولى عليه إذا أمكن الانفكاك عنه[2].

فالشريعة تكفل للوالي التصرف في أمور الدولة منطلقاً من تقديره للمصلحة ولذلك يمكن القول إن السلطة التقديرية تمارس بشكل موسع في الدولة الإسلامية.

---

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٢.

(١) الإمام العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: د.نزيه حماد ود.عثمان ضميرية، دمشق، دار القلم، ط١٤٢١، ١هـ-٢٠٠٠م، ١٥٨/٢.

المطلب الثاني ضوابط السلطة التقديرية للمحتسب:

لتحقق السلطة التقديرية المشروعة للمحتسب غاياتها، فإنه لابد أن يراعي المحتسب في تنفيذها الضوابط الشرعية، التي تحميها من الزلل، ومن أهم هذه الضوابط:

١- ألاّ يخالف نصاً من الكتاب أو السنة:

يجب على المحتسب في كل تصرفاته أن ينظر في نصوص الكتاب والسنة، وأن يكون التغيير موافقاً هدي الكتاب والسنة، ذلك أن كل عمل صالح أساسه أمران: إخلاص النية وموافقة الشرع[١]، فإن وجد الحكم في أحدهما منصوصاً عليه بالوجوب أو الحظر، أي أن سلطته مقيدة بما هو منصوص عليه، وأما إن خيره النص، أو سكت عن بيان حكم تلك القضية، كان له الحرية في التعامل إزاءها[٢].

ويدل لذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٤].

---

(١) محمود توفيق سعد، فقه تغيير المنكر، قطر، مركز البحوث والدراسات، بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، كتاب الأمة، الإصدار الحادي والأربعين، ص ٢٥.

(٢) د.خالد الظاهر، ، مقال منشور بجريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٧/١٢/٦م.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1].

فهذه الآيات الكريمة تلزم بوجوب طاعة ما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ به وترك مانهى الله ورسوله عنه.

٢- ألاّ يخالف الإجماع:

فإذا كانت القضية غير منصوص عليها، لا في الكتاب ولا في السنة المطهرة، فعلى المحتسب أن ينظر في ما أجمع عليه علماء الأمة، لأن السلطة كما تتقيد بالنص، تتقيد أيضاً بما هو على إجماع فلا يجوز أن يخرج عنه[2].

٣- ألاّ يخالف القياس:

القياس مراعاة مصلحة في فرع، بناء على مساواته لأصل في علة حكمه المنصوص عليه فبينهما من النسبة إذاً، العموم والخصوص المطلق، إذ القياس فيه مراعاة لمطلق المصلحة، وفيه زيادة على ذلك العلةُ التي اعتبرها الشارع، ومراعاة مطلق المصلحة أعم من أن توجد فيها هذ الزيادة..، فكل قياس مراعاة للمصلحة، وليس كل مراعاة للمصلحة قياساً، إذ تنفرد هذه الثانية في كل ما يسمى بالمصالح المرسلة، وهي المصالح التي يراها المجتهد مما لاشاهد يؤيده من أصل يقاس عليه، ولادليل يلغيه من نص كتاب أو سنة[3].

٤- ألاّ يخالف مقاصد الشريعة الإسلامية:

مقاصد الشارع في خلقه تنحصر في حفظ خمسة أمور: الدين، النفس، العقل، النسل، المال، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) انظر: د.خالد الظاهر، ، مقال منشور بجريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٧/١٢/٦م.

(٣) انظر: د البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ٢١٦.

الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة[1].

فيجب أن تكون ملائمة لمقاصد الشارع في الجملة ومتفقة مع المصالح الشرعية[2].

إن الشريعة موضوعة لمصالح العباد، ودرء المفاسد عنهم، فمن قصد غير ما وضعت له، كان مناقضاً لها فيكون عمله باطلاً، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[3] عليه يجب أن تكون تصرفات المكلفين سائرة في فلك هذه المقاصد، غير خارجة عنها ولا مصادمة لها، وغير ذلك معناه مخالفة التشريع في مقاصده وأهدافه[4].

على أنه يجب أن يُعلم أن هذه الأمور الخمسة أو الضرورات الخمس، وسيلة لتحقيق غاية كلية واحدة، هي أن يكون المكلفون عبيداً لله في التصرف والاختيار، كما هم عبيد له بالخلق والاضطرار[5].

٥- ألاّ يخالف العرف:

جاء الإسلام لإصلاح ما فسد من أوضاع الناس، ولم يكن من أهدافه هدم ما اعتاده الناس من عادات صالحة، تعارفوا عليها جيلاً

---

(١) د البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ١١٩.

(٢) د.عبدالحميد البعلي، التشريعات العقابية ومكافحة الجريمة، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٤) انظر د. خالد الظاهر، ضوابط السلطة التقديرية، مقال منشور في جريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٧/١٢/٦م

(٥) د. البوطي، ضوابط المصلحة، ١٢١

بعد جيل، وهو باحترامه للعرف يكون قد شرعه للناس، وبناء على القاعدة الفقهية «العادة محكمة»[1] ومقتضى ذلك استقرار المجتمع وضبط إجراء الأعمال وفق الأعراف التي في اعتبارها مصلحة معتبرة شرعاً... ويقصد بالعرف بصفة عامة، اعتياد الناس في مجتمع ما على ممارسة سلوك أو تصرف معين مرات متكررة ولفترة طويلة، مما يجعل الاعتقاد بين الناس جميعاً بأن ذلك السلوك أو التصرف هو قاعدة نظامية ملزمة، فالعرف قاعدة غير معروفة، ولكنه يتمتع بصفة الإلزام شأنه شأن القواعد المدونة، ولكن يشترط لاعتبار العرف أن لا يخالف حكماً شرعياً أو يترتب على مفسدة.

والأدلة على تحكيم العرف في الكتاب والسنة:

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3].

ومن السنة: قوله ﷺ يوم فتح مكة: «**إن هذا البلد حرام، لا يعضد شوكه ولا يختلى خلاه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمعرف**»[4].

إن الشارع كان له اهتمام بمراعاة العرف الصالح، إذ إن الإسلام جاء لإصلاح ما فسد من أوضاع الناس، ولم يكن هدفه هدم ما اعتاده الناس من عادات صالحة، لذا يشترط في السلطة التقديرية

---

(١) الشيخ أحمد الزرقاء، شرح القواعد الفقهية، ١٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٨.

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب الحج، باب فضل الحرم، برقم١٥٦٨، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها، برقم ٣٢٥٦

للإدارة في الفقه الإسلامي أن تراعي العرف في ممارساتها الإدارية، حتى لا تصادر قوانين الناس التي أقرها لهم الشرع الإسلامي، لكي لا يؤدي العمل إلى فساد[1].

ويبين الإمام الشاطبي - رحمه الله- أن الشريعة ضبطت مسألة العرف وتحكيمه فيقول (العوائد المستمرة ضربان: أحدهما العوائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها، ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجابا أو ندبا، أو نهى عنها كراهة أو تحريما، أو أذن فيها فعلاً و تركاً، والضرب الثاني هي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي) ثم يواصل حديثه عن هذين النوعين فيقول: (فأما الأول فثابت أبدا كسائر الأمور الشرعية كما قالوا في سلب العبد أهلية الشهادة، وفي الأمر بإزالة النجاسة.. وما أشبه ذلك من العوائد الجارية في الناس، إما حسنة عند الشارع أو قبيحة، فإنها من جملة الأمور الداخلة تحت أحكام الشرع، فلاتبديل لها وإن اختلفت آراء المكلفين فيها) ثم يقول (وأما الثاني: فقد تكون العوائد ثابتة وقد تتبدل، ومع ذلك فهي أسباب لأحكام تترتب عليها، فالثابتة كشهوة الطعام والشراب والوقاع والنظر والكلام، والبطش والمشي وأشباه ذلك، وإذا كانت أسباباً لمسببات حكم بها الشارع فلا إشكال في اعتبارها والبناء عليها والحكم على وفقها دائما،..، والمتبدلة منها مايكون متبدلا في العادة من حسن إلى قبح وبالعكس، مثل كشف الرأس فإنه يختلف بحسب البقاع في الواقع، فهو لذوي المروآت قبيح في البلاد المشرقية، وغير قبيح في البلاد المغربية، فالحكم الشرعي يختلف باختلاف

(١) انظر: د. خالد الظاهر، ضوابط السلطة التقديرية، مقال منشور في جريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٧/١٢/٦م

ذلك، فيكون عند أهل الشرق قادحاً في العدالة وعند أهل المغرب غير قادح)[1].

٦- ألاّ يخالف قواعد سد الذرائع:

إن على المحتسب، قبل أن يتخذ أي تصرف إداري، أن ينظر وأن يتأكد أن ذلك التصرف لا يخالف الكتاب أو السنة المطهرة أو أمراً مجمعاً عليه، ولا يخل بقصد من مقاصد الشارع، وأن يراعي العرف الذي تعارف الناس عليه... وإن سد الذرائع هو نوع من المصلحة لأنه «عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه، قويت التهمة في أدائه، إلى فعل محظور» أو هو الطريق، والوسائل، حتى لا تؤدي إلى آثارها المقصودة سواء أكانت محمودة، أم مذمومة، صالحة أم فاسدة، ضارة أم نافعة، وقد بنى الشاطبي قاعدة سد الذرائع على أصل مهم، وهو قصد الشارع إلى النظر في مآلات الأفعال، سواء كانت موافقة أم مخالفة، لأن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو لمصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك.

لذا فإن النظر إلى المآلات لا يعتمد على مقصد العامل ونيته بل على نتيجة العمل وثمرته، فبحسب النتيجة والثمرة يحسن العمل أو يقبح، ويطلب أو يمنع، لأن الأصل في اعتبار الذرائع سواء في سدها أم فتحها هو النظر إلى مآلات الأفعال، فيأخذ الفعل حكماً يتفق مع ما يؤول إليه سواء قصده الفاعل أم لم يقصده، أي أن العلاقة بين قاعدة سد

(١) الشاطبي، الموافقات، ٢/ ٢٨٤، ٢٨٣

الذرائع ومآلات الأفعال هي السببية، فالذريعة إذا كانت تؤدي إلى مفسدة أو ضرر سدت، وإذا كانت تؤدي إلى مصلحة أو خير فتحت، فالمآل سبب والذريعة سبب[1].

٧- ألاّ يتسبب في تفويت لمصلحة أهم منها أو مساوية لها:

شريعة الله تعالى قائمة على أساس مصالح العباد، لأن المقصود بمراعاتها لمصالحهم أنها تقضي بتقديم الأهم على ما دونه، وبالتزام المفسدة الدنيا لاتقاء الكبرى، حينما تتلاقى المصالح والمفاسد في مناط واحد، أو يستلزم أحدهما الآخر لسبب ما، فهذا هو الميزان الذي حكمته هذه الشريعة الغراء في مراعاة المصالح ونتائجها، وفهم درجاتها في الأهمية بنظر الشارع، حتى لا يحيد المجتهد عن التمسك بهذا الميزان لدى اجتهاده في المصالح والمفاسد التي لم يجد نصاً في شأنها[2].

يقول النبي ﷺ: (**من ولي من أمر المسلمين شيئاً، ثم لم يجهد لهم وينصح، لم يدخل الجنة معهم**)[3].

يقول العز بن عبدالسلام - رحمه الله- : (والولاية كلها عامها وخاصها ومتوسطاتها كلها وسائل إلى جلب مصالح المولى عليه ودرء المفاسد عنه، الأولى من ذلك فالأولى)[4] ثم بعد أن تناول الولايات بدءاً من تولية أهل الحل والعقد الخلافة قال: (وعلى كل واحد من هؤلاء

---

(١) د.خالد الظاهر، ، مقال منشور بجريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٧/١٢/٦م.

(٢) البوطي، ضوابط المصلحة، ٢٤٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ١٢٦/١٣، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ٤٦٨٧.

(١) العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام، ١٧٨/١.

الأولياء القيام بما ولاه الله إياه بتقديم الأصلح فالأصلح والأمثل فالأمثل، وتأخير الأفسد فالأفسد، والأرذل فالأرذل)[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : (الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما هو المشروع)[2].

ولذلك فإن على المحتسب الموازنة بين المصالح عند استعماله للسلطة التقديرية، فيجب أن تسعى السلطة التقديرية إلى الحفاظ على المصالح الأهم فالمهم والموازنة بينها موازنة دقيقة، وهذا الضابط متفق عليه بين الفقهاء[3].

وهذا الضابط من القواعد المهمة التي ينبغي على المحتسب مراعاتها والالتزام بها[4].

---

(١) العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام، ١/١٧١.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٨٤.

(٣) ذكر الاتفاق على ذلك البوطي في ضوابط المصلحة، ٢٤٩.

(٤) انظر: أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٢ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، ٤٧.

المطلب الثالث التمييز بين السلطة التقديرية للمحتسب الرسمي والمتطوع:

يذكر بعض العلماء فروقاً بين المحتسب الرسمي والمحتسب المتطوع، ولاشك أن هذه الفروق تندرج أيضاً على السلطة التقديرية المخولة للمحتسب، وممن فرق بينهما الإمام الماوردي[1] والإمام أبو يعلى[2]، والسنامي[3] رحمهم الله، وغيرهم سواءً بذكر هذا الفرق بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، وسنتناول في هذا المطلب الفرق بين سلطتي المحتسب المتطوع والرسمي التقديرية، مستنبطاً ذلك مما سطره العلماء في هذا المجال، **وأهم هذه الفروق ما يأتي:**

١ - أن سلطة المحتسب التقديرية وسائر ممارساتها فرض عين على المحتسب الرسمي، بينما ذلك داخل تحت فروض الكفايات بالنسبة للمتطوع.

٢ - أن اتخاذ المحتسب الرسمي للقرار النابع من سلطته التقديرية سواء كان هذا القرار أمراً أو نهياً أو تغييراً، أو منعاً، أو تدبيراً وقائياً أو غير ذلك من القرارات داخل تحت واجباته الرئيسة التي لا يجوز له التشاغل عنها بغيرها، بينما ذلك بالنسبة للمحتسب المتطوع نافلة.

٣ - صلاحيات السلطة التقديرية للمحتسب الرسمي تتسع لتعطيه الحق في اتخاذ العقوبات التعزيرية المناسبة فيما دون الحدود وفي حدود ما يوكل له، بينما لا تتسع سلطة المحتسب المتطوع لذلك.

٤ - أن للمحتسب الرسمي سلطة تقديرية فيما يتعلق بالاجتهاد فيما يتعلق بالعرف دون الشرع، وقد مثل الماوردي لذلك باتخاذ

(١) في كتابه: الأحكام السلطانية، ٢٩١، ٢٢٩٢.

(٢) في كتابه الأحكام السلطانية، ٢٨٤، ٢٨٥.

(٣) في كتابه: نصاب الاحتساب، ٣٢٢، ٣٢٣.

المقاعد في الأسواق وإخراج الأجنحة أي ما يخرج من محلات الباعة في السوق، فله تحديد هذا العرف ولكن ذلك ليس للمحتسب المتطوع[1].

(١) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية ٣٩٢، ٣٩١، القاضي أبو يعلى الحنبلي، الأحكام السلطانية، ٢٨٤.

المطلب الرابع مجالات السلطة التقديرية للمحتسب:

١. السلطة التقديرية في مجال التدابير الواقية من المنكرات:

من مقاصد عمل المحتسب منع وقوع المنكرات فإن هذا المقصد أهم من الاحتساب على المنكر بعد وقوعه ولذلك يورد العلماء قاعدة مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أنه (لا يتعلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بأمر مستقبل)[١] ولذلك فمنع الأسباب المؤدية إلى المنكر أولى من الانتظار إلى وقوع المنكر ثم الاحتساب عليه، وهذا الأمر تؤيده النصوص الشرعية والقواعد المستنبطة منها فمن ذلك:

تحريم الخلوة بالأجنبية للوقاية من الوقوع في الزنا، وتحريم أنواع من البيع مخافة الوقوع في الربا أو الغرر، ولذلك فقد جعلت الشريعة للوسائل أحكام المقاصد، فالوسيلة إلى المحرم محرمة ولذلك فإذا تأملنا في كثير من المحرمات نجد أنها محرمة لكونها وسائل إلى مفاسد (فالنظر إلى الأجنبية محرم لكونه وسيلة للوقوع في الزنا، والخلوة بها أقبح من النظر إليها..، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المفسدة كان إثمها أعظم من إثم مانقص عنها)[٢] ولذلك فقد استنبط العلماء قاعدة مهمة وهي أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[٣].

---

(١) العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام، ١/١٧١.

(٢) العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام، ١/١٧٣.

(٣) الشاطبي، الموافقات، ٤/١٥٨. قندوز محمد الماحي، قواعد المصلحة والمفسدة عند المالكية، بيروت، دار ابن حزم، ط١ ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

ويدل لهذه القاعدة:

قوله تعالى: ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

فالله تعالى ذكر في هذه الآية الكريمة أن في الخمر منافع للناس ولكن الله تعالى مع ذلك حرمها لاشتمالها على مفاسد تفوق هذه المنافع.

٢. السلطة التقديرية في مجال الإنكار:

للمحتسب سلطة تقديرية في الإنكار من عدمه فعلى المحتسب الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على إنكاره وهو بذلك ينطلق من قاعدة فقهية أساس في هذا المجال ألا وهي قاعدة (جلب المصالح مقدم على درء المفاسد)[2] فإذا علم أن المفسدة على الإنكار أعظم من المصلحة لم يجز له الإنكار، وإذا علم أن مصلحة الإنكار أعظم وإن تسبب ذلك في حدوث مفسدة يسيرة وجب عليه الإنكار وهكذا، ويفصل الإمام الغزالي في هذه المسألة فيقول (وأما إن رأى فاسقاً متغلباً وعنده سيف وبيده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك) ثم يقول (بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الإنكار الأظهر)[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٢) الشاطبي، الموافقات، ١٥٨/٤.

(٣) الإمام الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق سيد إبراهيم، مصر، القاهرة، دار الحديث، ٢٩.

وقت الإنكار:

للمحتسب سلطة تقديرية في اختيار الوقت المناسب للإنكار سيما إذا لم يترتب على ذلك فوات مصلحة راجحة أو حدوث مفسدة، أو فوت مالا يدرك إلا بالإنكار على الفور فيجب عليه الإنكار، كما أن اختيار الوقت المناسب للإنكار يرجع إلى تقدير المحتسب لذلك الوقت بحسب تقديره للمصلحة، وهذا مبدأ نبوي أصله نبينا ﷺ، فقد كان يتخول أصحابه بالموعظة كما ورد عن ابن مسعود ﷺ، أنه كان يُذكِّر كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إنا نحب حديثك، ونشتهيه، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أُمِلَّكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا)[1].

كما أن على المحتسب مراعاة ظرف المحتسب عليه، ليس لأجله هو بل مراعاة للمصلحة المتحققة من مدى استجابته للأمر، فقد يكون تكرار الأمر والنهي محققا لضد مقصود المحتسب ولذلك (كان السلف لا ينكرون على الفسقة والظلمة كلما رأوهم)[2].

درجات الإنكار:

استنبط العلماء - رحمهم الله- درجات للإنكار تبدأ من التعرف وتنتهي بحمل السلاح واتخاذ الأعوان[3].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم، باب ماكان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة كي لاينفروا (٦٨).

(٢) العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام، ١/١٧٥.

(٣) راجع درجات الإنكار عند الغزالي وغيره.

والمتأمل لهذه الدرجات يجد مجالا رحبا للسلطة التقديرية مع انضباطها بضوابط محددة في الانتقال من درجة إلى التي تليها، وقد نص العلماء على أنه ينبغي أن يستعملها المحتسب مرتَّبة، يقول الإمام الصالحي - رحمه الله- : (فهذه أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودرجاته التي ينبغي أن يستعملها الآمر والناهي مرتَّبة من غير تقديم ولا تأخير كما قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني)[1].

الدرجة الأولى: التعرف:

وهي التعرف على وجود المنكر[2] وهل الحالة القائمة منكر أم لا وللمحتسب سلطة في التعرف على المنكر فله حق التفتيش والسؤال يقول الماوردي: (أن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها ويفحص عمَا ترك من المعروف الظاهر ليأمر إلى إقامته وليس على غيره من المتطوعة بحث ولافحص)[3] ولكن هذا الحق في السؤال والبحث والتفتيش والفحص له ضابط مهم وهو أن لا يكون عن طرق التجسس فإن مهمة المحتسب هي القضاء على المنكرت الظاهرة فإن التجسس محرم يقول الماوردي - رحمه الله- : (من شرط المنكر الذي ينكره المحتسب أن يكون ظاهراً، فكل من

---

(١) الإمام عبدالرحمن بن أبي بكر الصالحي، الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق أ.د.مصطفى صميدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ٢٦٥.

(٢) انظر: الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٣، وجيه الدين عبدالرحمن المعروف بابن الديبع، بغية الإربة في معرفة أحكام الحسبة، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م. ص ٦٤. وذكرها أيضا الإمام الصالحي، الكنز الأكبر، ٢٣٤.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٩١.

ستر معصيته في داره وأغلق بابه، لا يجوز أن يتجسس عليه)[1] ويقول ابن النحاس - رحمه الله- : (اعلم أن التجسس حرام، فليس للإنسان أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع أصوات الملاهي، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوب إنسان ليعرف هل الذي بداخله منكر أم لا؟ ولا أن يستخبر جيرانه ليخبروه بما يجري في بيت جاره)[2] يقول ابن الديبع (الاحتساب وله درجات الأولى التعرف لا التجسس وهو حرام)[3] فإن للإسلام موقفاً واضحاً من التجسس حتى لو كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدل على تحريمه أدلة كثيرة من الكتاب والسنة:

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

يقول ابن جرير الطبري - رحمه الله- : (وقوله: وَلا تَجَسَّسُوا يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)[5].

---

(١) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ١١٠.

(٢) الإمام أبو زكريا أحمد بن النحاس، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، دار الكتب العلمية، ٤٦، ٤٧.

(٣) ابن الديبع، بغية الإربة، ٦٤.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٥) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، دار المعرفة، ١٩٩٠م، ٣٥٢/٧.

ويدل لذلك من السنة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**)(١).

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنك إن تتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت تفسدهم**)(٢).

ولكن هناك أحوال تستثنى من ذلك:

منها: أن يكون في ذلك استدارك لما قد يفوت كإنقاذ شخص من القتل، أو إمرأة من أن يزنى بها أو نحو ذلك مما يفوت إدراكه يقول الماوردي: (فكل من ستر نفسه وأغلق بابه، لا يجوز أن يتجسس عليه، إلا أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يقصد استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو امرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والهتك، والبحث حذراً من فوات مالا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات)(٣).

ويمكن أن يعبر عن هذا الأمر في الأنظمة المعاصرة بمشروعية وسائل الاستدلال، فلا يمكن أن تكون وسيلة التعرف على المنكر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن..، برقم٦٠٦٦.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس، برقم ٤٨٨٨، وصححه النووي في رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ١٩٨٤م، ص ٥٩٦.

(٣) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ١١٠.

محرمة، فالغاية لاتبرر الوسيلة إلا فيما استثني، وهي حالة تندرج تحت قاعدة (إذا تعارض المصلحة والمفسدة قدم أرجحهما)[1].

الدرجة الثانية: التعريف:[2]

وهي الدرجة التي تلي درجة التعرف على المنكر، والمراد من هذه الدرجة تبيين الحق لمرتكب المنكر، وللمحتسب سلطة تقديرية في تطبيقه لهذه الدرجة مقيدة بقيود من أهمها:

١ - إحسان النية بمرتكب المنكر والاعتذار له، فربما كان جاهلاً أو ناسيا، وذلك من حسن الظن المأمور به بين المسلمين يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3].

٢ - أن يكون التعريف بلطف من غير عنف:

وقد نص بعض العلماء على وجوب ذلك يقول الغزالي - رحمه الله- بعد أن أشار إلى هذه الدرجة: (فيجب تعريفه باللطف من غير عنف)[4] ثم يقول (وإذا كان التعريف كشفاً للعورة مؤذياً للقلب فلابد وأن يعالج أذاه بلطف الرفق فنقول له: إن الإنسان لايولد عالماً ولقد كنا أيضاً جاهلين.. وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء، فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم)[5].

---

(١) ذكر هذه القاعدة: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٣٨/٢٠، وذكرها: ابن القيم في إعلام الموقعين، ٧/٢، وذكرها: العز بن عبدالسلام في قواعد الأحكام، ٧٤/١.

(٢) أشار إليها: الإمام الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٤، ابن الديبع بغية الإربة، ٦٥. والصالحي في الكنز الأكبر، ٢٣٦.

(٣) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.

(٤) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٤.

(٥) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٤.

٣ - الاَّ ينسب المحتسب عليه إلى الجهل:

يقول الغزالي - رحمه الله- : (وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق، والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لاسيما بالشرع)[1] وقد أنكر النبي ﷺ على من يستهزئ بالجاهل، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقاً تخلق أم نسجاً تنسج؟ فضحك بعض القوم فقال رسول الله ﷺ (**مم تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً؟ ثم أكبّ رسول الله ﷺ ثم قال: أين السائل؟ قال هو ذا أنا يا رسول الله، قال: لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة ثلاث مرات**)[2].

الدرجة الثالثة: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى[3]:

وهذه الدرجة تلي التعريف فإذا عُرِّف مرتكب المنكر بمنكره، أو كان ممن يعلم أنه منكر فإنه يوعظ ويخوف بالله تعالى يقول الغزالي - رحمه الله- : (النهي بالوعظ والنصح بالتخويف بالله تعالى، وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا، أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكراً ..، فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين)[4].

---

(١) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٤.

(٢) أخرجه أحمد، ٢،٢٤٤، برقم: ٧٠٩٥ وصححه أحمد شاكر، في الحاشية، ٤٩٨/٦.

(٣) ذكر هذه الدرجة: الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٤، وابن الديبع، بغية الإربة، ٦٥.

(٤) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٤.

وللمحتسب سلطة تقديرية في هذه الدرجة تبدأ من تقدير حال مرتكب المنكر ومدى إصراره عليه، ولكن هذه السلطة عليها قيود من أهمها:

١ - أن يكون النهي والوعظ والنصح برفق من غير عنف وغضب:

ويبين ذلك الإمام الغزالي - رحمه الله- فيقول بعد أن بين هذه الدرجة: (وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة)[1].

٢ - ألاّ ينسب المحتسب نفسه إلى العلم والمحتسب عليه إلى الجهل:

فعلى المحتسب مراعاة هذا الأمر وأن يوليه أهمية كبيرة فلايعني احتسابه على غيره أنه أعلم وأن المحتسب عليه أجهل، بل يقصد من ذلك الوعظ والنصح لا إظهار العلم والمعرفة، يقول الغزالي - رحمه الله- : (وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة، وهي أن العالم يرى - عند التعريف - عز نفسه بالعلم، وذل غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التمييز بشرف العلم، وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فإن كان الباعث هذا، فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه)[2].

٣ - الاّ يزيد الوعظ عن قدر الحاجة إليه[3]:

وذلك أن غاية الاحتساب هو ترك المنكر أو فعل المعروف، فإذا انتهى المنهي وائتمر المأمور فلا وجه لمزيد من الوعظ والنصح، فقد تحققت غاية الاحتساب.

---

(١) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٤.

(٢) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٥، ٤٤.

(٣) انظر: فاطمة الجارد، الاحتساب باللسان، دار المؤيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١٨٦.

ويدل لذلك ما كان من رسول الله ﷺ حينما سمع أن حيّاً من الأنصار قد وجدوا على رسول الله ﷺ حينما لم يعطهم من غنائم غزوة حنين دخل سعد على رسول الله ﷺ فقال: **يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة؟» قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردَّهم، فلما اجتمعوا أتى سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضُلاَّلا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: الله ورسوله أمنُّ وأفضل، ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولرسوله المن والفضل. قال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقْتم ولصُدِّقتُم: أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلا فآسيناك. أوجدتم عليَّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة، لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وواديًا، وسلكتْ الأنصار شعبًا وواديًا لسلكتُ شعب الأنصار**

وواديها، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا)[1] فقد وعظ النبي ﷺ في هذه الحادثة صحابته الكرام من الأنصار موعظة مناسبة لحالهم وما يعلم من إيمانهم ومحبتهم له، واكتفى ﷺ بإحداث الأثر المقصود منها، ولم يزد على ما قال أو يغلظ لهم في القول.

ويفرق العلماء بين النصيحة والتوبيخ بالإسرار والإعلان: فإن لم يندفع المنكر بإسرار الموعظة ولم ينته صاحبه أظهر- حينئذٍ- ذلك وأذاعه وأعلنه[2].

الدرجة الرابعة: الإغلاظ في القول:

وينتقل المحتسب إلى هذه الدرجة إذا تيقن أن الوعظ بالنصح واللطف لا يجدي، وسلطة المحتسب التقديرية في هذه الدرجة مقيدة بقيود من أهمها:

١ - ألاّ يقدم على الغلظة في القول ولا ينتقل لهذه الدرجة إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف مع المحتسب عليه:

يقول الغزالي رحمه الله: (أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف)[3].

٢ - أن يراعي عند إغلاظه في القول وتعنيفه، الإخلاص لله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال، برقم ٤٢٢٨.

(٢) الصالحي، الكنز الأكبر، ٢٤٠.

(٣) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٦.

وذلك بألاّ يتحول هذا الإغلاظ إلى انتصار للنفس بل يجب أن يكون خالصاً لله تعالى وحده يقول ابن النحاس - رحمه الله- : (واعلم أن هنا دقيقة عظيمة مهمة - قلّ من ينتبه لها- وهو أنه يجب أن يكون قصده بتغليظ الكلام وتخشينه رجوع العاصي عن تلك المعصية لا الانتصار لنفسه، لكونه ردّ كلامه واستهزأ به، فإنه ربما يكون مخلصاً في ابتداء الإنكار فإذا استهزأ به ثارت نفسه، وأغلظ في الكلام، وربما تعلق به واستعدى عليه إلى الحاكم، وكل ذلك في الحقيقة انتصار لنفسه لاغضب لله ولمحارمه، فخرج بهذا عن دائرة الإخلاص، ووقع في مهوات الغضب والحمق المنهي عنه، وصار ممن يجب الإنكار عليه بعد أن كان مُنكِراً)[1].

(١) ابن النحاس، تنبيه الغافلين، ٥٣. يقول ابن النحاس - رحمه الله- : فإن قلت كيف يفرق بين الغضب لله والانتصار للنفس؟ قلت: محك الاعتبار في هذا أن ينظر في نفسه لو حصل له سبٌّ وشتمٌ واستهزاء مع زوال المنكر هل كانت نفسه ترضى بذلك وتسكن إليه؟ فإن وجدها راضية بذلك مطمئنة به صابرة على مانالها من السبّ والاستهزاء محتسبة له عند الله تعالى، علمنا بذلك أنه مخلص، وأنه ماكان قصده إلا وجه الله تعالى، وتغيير المنكر وقد حصل مقصده، فمثل هذا لاحرج عليه إذا سبَّ أو غلّظ الكلام إذا تبين أنه مخلص في جميع ذلك، وإذا وجد نفسه لاترضى بذلك، ولاتصبر عليه، بل كان يقابله بما تصل إليه الاستطاعة من السبّ والأذى، علمنا أن ثمّ دسيسة نفسية من حب الرئاسة والاحتكام ونفاذ الكلام فمثل هذا ينبغي أن يمسك من الكلام الغليظ إلى أن يتحقق من نفسه الإخلاص، **اعتبار آخر**: وهو أن ينظر لو رجع في أثناء الكلام الغليظ عن ذلك المنكر، هل كان يسكن غضبه ويمسك عن الكلام؟ فإن علم أنه يسكن غضبه ويمسك عن الكلام متى زال المنكر، علمنا أنه مخلص، وأنه ماكان قصده إلا زوال المنكر، وقد زال فلم يبق للكلام الغليظ فائدة، وإن علم أنه لايسكن غضبه، ويتم يسترسل في الكلام علمنا أن الحامل على ذلك باعث نفساني، وغضب كمين=

٣ - ألا يقول إلا حقاً ولا يزل لسانه بالسب المحرم أو القذف أو الإفحاش في الألفاظ:

يقول الغزالي - رحمه الله- : (والثاني: أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه، بل يقتصر على قدر الحاجة)[١].

٤ - أن يتناسب التعنيف مع المنكر[٢]: فلا يوصف المحتسب عليه بوصف لا يستحقه بسبب فعله كالوصف بالظلم أو الجهل أو الفسق أو حتى الكفر ونحو ذلك[٣].

الدرجة الخامسة: التغيير باليد:

وهذه الدرجة من أهم الدرجات، وللمحتسب سلطة تقديرية واسعة في هذه الدرجة ولكنها تتقيد بقيود عدة من أهمها:

=لغير الله تعالى، بل مقابلة على الإساءة فيمسك عن الكلام، والله أعلم، **اعتبار آخر**: وهو أن يقدر أن المنكر عليه استهزأ به، وسبّه وشتمه، وأنه همّ بإغلاظ الكلام له وتخشينه فجاء إنسان فقام مقامه في ذلك وأغلظ له القول فرجع إليه، وزال ذلك المنكر هل كان ذلك يسره أم لا؟ فإن كان ذلك يسره ويفرح به، ويرى لله تعالى عليه المنة فيه إذ صان لسانه عن الكلام السيىء، وإيحاش قلب أخيه المسلم مع حصول المقصود من زوال المنكر، وأنه حصل له ثواب بينته، وأجر ما اصيب به في عرضه فهذا مخلص، وإن كان لايرده عن الشروع في السب والتغليظ وجود غيره ويثقل عليه كون المنكر زال بكلام غيره من غير سب واستهزاء، ولم يزل بكلامه مع أن ماحصل له من السبّ والاستهزاء فهو غير مخلص والله أعلم). أ.هـ ابن النحاس، تنبيه الغافلين، ٥٣ ، ٥٤.

(١) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٦.

(٢) فاطمة الجارد، الاحتساب باللسان، ٢١٦.

(٣) انظر: فاطمة الجارد، الاحتساب باللسان، ٢١٦.

١ - ألا يباشر التغيير باليد إلا إذا عجز عن ذلك باللسان، ورفض المحتسب عليه الاستجابة.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله- : (فإذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره، وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يفعل ذلك بنفسه)[1].

٢ - أن يقتصر في التغيير على قدر الحاجة:

فلا يجوز تجاوز الحد الكافي لتغيير المنكر، وتقدير هذا الحد راجع إلى المحتسب بحكم سلطته التقديرية، فالحد الكافي يعني زوال المنكر، فلا يجوز إتلاف مالا حاجة إلى إتلافه لأجل تغيير المنكر، ولا أن يغلف التغيير بإيذاء المحتسب عليه أو الانتقام منه أو حتى معاقبته، فإن العقوبة شيء والتغيير أمر آخر.

قال الغزالي في معرض ذكره لهذا القيد: (فإن قلت فهلا جاز الكسر لأجل الزجر؟ وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل، والعقوبة تكون على الماضي، والدفع على الحاضر الراهن، وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة، أو زجر عن لاحق، وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية)[2].

٣ - أن يكون المنكر محل التغيير من منكرات الجوارح:

(١) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٦.
(٢) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٧.

فأما إذا كان هذا المنكر من منكرات القلب أو اللسان فلا مجال للتغيير فيه باليد، وكذلك المنكرات المقتصرة على نفس العاصي وجوارحه الباطنة[1]. ومن ذلك مثلا، إظهار آلات المعازف أو كأسات الخمر أو غير ذلك.

الدرجة السادسة: التهديد والتخويف:

وذلك بتهديده للمحتسب عليه بإيقاع عقوبة عليه أو ضربه أو نحو ذلك، وسلطة المحتسب في هذه الرتبة مقيدة بقيود من أهمها:

١ - أن يتوافق التهديد مع نوع المنكر وقدره: فليس له التهديد بعقوبة لا يعاقب بها مرتكب هذا المنكر، فلا يجوز له تهديد شارب الخمر للمرة الأولى بالقتل مثلاً[2].

٢ - ألاّ يهدد أو يتوعد إلا بما يجوز له تحقيقه: فلا يجوز له التهديد بوعيد ليس له فعله، كالتهديد بفعل محرم، كقوله لأنهبن دارك، أو لأضربن ولدك، أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام، وإن قاله من غير عزم فهو كذب[3].

٣ - أن يكون قادراً على تنفيذ ماهدد به[4]: فإن لم يكن قادراً على ذلك فتهديده نوع من الكذب[5] وقد هدد إبراهيم عليه السلام

(١) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٦.

(٢) انظر: فاطمة الجارد، الاحتساب باللسان، ٢٦٢.

(٣) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٨.

(٤) انظر: فاطمة الجارد، الاحتساب باللسان، ٢٦٣.

(٥) انظر: الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،٤٨.

قومه ونفذ تهديده قال تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

الدرجة السابعة: مباشرة الضرب باليد وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح:

وسلطة المحتسب التقديرية في هذه الدرجة مقيدة بقيود من أهمها:

١ - أن يراعي المحتسب التدريج، فلا يصل إلى هذه الدرجة إلا بعد استنفاد الدرجات السابقة.

٢ - أن يقتصر في الضرب على قدر الضرورة فإذا اندفع المنكر وجب عليه الكف[2].

٣ - أن يكون الضرب بقصد المنع من ارتكاب المنكر:

فلا يجوز أن يكون الضرب بقصد إيذاء المحتسب عليه، أو الانتقام منه فيجب أن يكون الضرب فقط لدفع المنكر.

٤ - تجنب ضرب الوجه والمقاتل:

فقد نهى الإسلام عن ضرب الوجه والمقاتل حتى عند تنفيذ العقوبات الحدية[3]، فغيرها من باب أولى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ**»[4].

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٢) انظر: الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٩.

(٣) انظر: ابن قدامة، الكافي، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، ٢١٢/٤ وانظر عند الشافعية:: السيد البكري الدمياطي، إعانة الطالبين، دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م، ١٤٣/٤ و حاشية القليوبي وعميرة، دار الفكر، ١٩٩٨م، ٢٠٥/٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه، رقم٦٦٠٥.

وروي عن علي ﷺ أنه قال للجلاد: اضرب أو أوجع، واتق الرأس والوجه والفرج. وقال: لكل موضع من الجسد حظ إلا الوجه والفرج، ولأن القصد الردع، لا القتل[1].

الدرجة الثامنة: شهر السلاح واتخاذ الأعوان:

وهذه الدرجة هي آخر الدرجات وأقصى ما يمكن أن يفعله المحتسب بعد استنفاد الدرجات السابقة ومن القيود على هذه الدرجة:

١ - أن يقتصر في ذلك على حال الضرورة القصوى، بعد استنفاد كل الطرق والوسائل والدرجات.

٢ - أن يقتصر على قدر الضرورة عند الحاجة لاستعمال السلاح، فيرمي الساق أو الفخذ ويتجنب المقاتل يقول الغزالي - رحمه الله- (وينبغي ألاّ يقصد المقتل بل الساق والفخذ وماأشبهه ويراعى فيه التدريج)[2].

٣ - السلطة التقديرية في مجال العقوبة:

شرعت العقوبات التقديرية للزجر عن اقتراف المنكرات، وردع من ينوي ارتكابها، يعرف الماوردي - رحمه الله- العقوبات بأنها: (زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر)[3]. والعقوبات الشرعية نوعان إما عقوبة حدية أو عقوبة تعزيرية:

النوع الأول:

عقوبات محددة: وهي الحدود الشرعية على الجرائم الحدية وهي الزنا، والردة، والحرابة، والسرقة، وشرب الخمر، فإن للمحتسب

---

(١) ذكر هذا الأثر: ابن قدامة، الكافي، ٢١٢/٤.

(٢) الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٩.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣٦٤.

سلطة تقديرية محدودة لا تتعدى اختيار الزمان والمكان المناسبين لتنفيذ هذه العقوبة ،وذلك مراعاة لمصلحة معتبرة، على أن سلطته أيضا تبقى محدودة جدا إلا فيما قد يوكل إليه من بعض العقوبات الحدية كجلد من يشرب الخمر إذا رأى ولي الأمر إسناد هذا الأمر إليه سيما إذا كان مما شاع بين الناس وفشى، وإلا فإقرار العقوبات الحدية يرجع إلى القاضي

النوع الثاني:

عقوبات غير محددة: وهي عقوبات التعزير، فمن حكمة الله عز وجل أن جعل العقوبة مرنة قابلة لمسايرة الجريمة وكبحها، سيما والجريمة تتغير بتغير الزمان والمكان وأحوال الأشخاص ، ولذلك كان من حكمته تعالى أن تكون بيد الولاة على أمور المسلمين عقوبات تساير ذلك التغير في الجرائم والمخالفات، تكفل معالجتها ودرءها، ولذلك فلولي الأمر سلطة تقديرية في تحديد العقوبة، وفي العفو عنها، وسلطة المحتسب في هذا النوع من العقوبات واسعة سيما إذا علمنا أن بعض درجات الاحتساب تتداخل مع العقوبات التعزيرية، فالإغلاظ في القول والتهديد قد يكون تعزيرا، وكذلك الضرب والإتلاف والمصادرة كلها تتداخل مع العقوبات التعزيرية، ولذلك فإن المحتسب كما يقدر درجة الاحتساب فإنه يقدر العقوبة التعزيرية الملائمة، ومجال سلطة المحتسب في العقوبات التعزيرية لا يتجاوز إلى عقوبات كالقتل أو القطع أو نحو ذلك، كما أن العقوبات التي ينفذها يجب أن تتماشى مع طبيعة عمل المحتسب وفق شروط إنكار المنكر، فلا يقوم المحتسب بتنفيذ تعزيرات في غير مجالات الاحتساب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر جملة من المعاصي مما لا حد فيه ولا كفارة قال (إلى غير ذلك من أنواع المحرمات فهؤلاء يعاقبون تعزيراً وتنكيلاً وتأديباً، بقدر ما يراه الوالي، على حسب كثرة ذلك الذنب في الناس وقلته، فإذا كان كثيراً زاد في العقوبة بخلاف ما إذا كان قليلاً، وعلى حسب حال المذنب: فإذا كان من المدمنين على الفجور، زيد في عقوبته، وبخلاف المقل من ذلك، وعلى حسب كبر الذنب وصغره، فيعاقب من يتعرض للنساء وأولادهم، مالا يعاقبه من لم يتعرض إلا لمرأة واحدة أو صبي واحد)[1].

ولابن القيم رحمه الله كلام نفيس ذكره بعد أن تحدث عن تدرج الحدود والحكمة من عقوباتها وتناسبها مع الجرائم انتقل بعد ذلك للحديث عن العقوبات التعزيرية التي تقل عن العقوبات الحدية يقول - رحمه الله- : (ثم لما كانت مفاسد الجرائم بعدُ متفاوتةً غير منضبطة في الشدة والضعف والقلة والكثرة - وهي ما بين النظرة والخلوة والمعانقة - جعلت عقوباتها راجعة إلى اجتهاد الأئمة ووُلاَة الأمور، بحسب المصلحة في كل زمان ومكان، وبحسب أرباب الجرائم في أنفسهم؛ فمن سَوّى بين الناس في ذلك وبين الأزمنة والأمكنة والأحوال لم يفقه حكمة الشرع)[2].

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، السياسة الشرعية، القاهرة، المطبعة السلفية، ط٢١٣٩٩هـ، ٥٧، ٥٦.

(٢) الإمام ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، ٤٠٤/١، ٤٠٥.

أنواع سلطة المحتسب في العقوبة التعزيرية:

الأول: سلطته في تحديد نوع العقوبة.

حيث إن لولي الأمر تحديد نوع العقوبة التي يستحقها من توقع عليه، ولكن هذه السلطة ليست سلطة مطلقة بل سلطة مقيدة بقيود:

١ - أن لا تكون الجريمة من الجرائم الحدية، أي مما دون الحد يقول الماوردي: (أن له أن يعزر في المنكرات الظاهرة لا يتجاوز إلى الحدود)[1].

٢ - أن تكون العقوبة من العقوبات المشروعة، وذلك لأن التعزير وإن كان يخضع لتقدير ولي الأمر ولكنه يجب أن يكون ضمن العقوبات المشروعة.

الثاني: سلطته في تقدير العقوبة من حيث التشديد أو التخفيف.

للمحتسب سلطة تقديرية في تقدير العقوبة التعزيرية بناء على طبيعة المخالفة المحتسب عليها وطبيعة مرتكب هذه المخالفة، فليس المعاند كغيره، وليس الجاهل كالعالم وهذه التفرقة تنظر إلى المصلحة المرجوة من إيقاع العقوبة التعزيرية يقول الكاساني: (ومن مشايخنا من رتب التعزير على مراتب الناس فقال: التعازير على أربع مراتب: تعزير الأشراف وهم الدهاقون والقواد، وتعزير أشراف الأشراف وهم العلوية والفقهاء، وتعزير الأوساط وهم السوقة وتعزير الأخساء وهم السفلة، فتعزير الأشراف بالإعلام المجرد، وهو أن يبعث القاضي أمينه إليه فيقول له: بلغني أنك تفعل كذا وكذا، وتعزير أشراف الأشراف بالإعلام والجر إلى باب القاضي والخطاب بالمواجهة، وتعزير الأوساط الإعلام والجر والحبس، وتعزير السفلة

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٩١.

الإعلام والجر والضرب والحبس، لأن المقصود من التعزير هو الزجر وأحوال الناس في الانزجار على هذه المراتب)[1].

الثالث: سلطته في الإعفاء من العقوبة.

فالإسلام يعطي للمحتسب سلطة تقديرية تصل إلى درجة العفو عن العقوبة، وذلك لتحقيق مصلحة معتبرة قد يكون تحققها بالعفو أحرى من تحققها بالعقوبة ويدل لذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)**[2].

الرابع: سلطة تقديرية في كيفية تنفيذ العقوبة:

فلولي الأمر سلطة تقديرية مقيدة بقيود في كيفية تنفيذ العقوبة ومن يقوم بتنفيذها وزمن ومكان تنفيذها ومن أبرز القيود على هذه السلطة:

١ - قيود على من يقوم بالتنفيذ: فلا يجوز إسناد تنفيذ العقوبة للخصم، ولا يجوز إسنادها للجاني نفسه، ولا يجوز إسنادها لقريبه كوالده أو ولده أو نحو ذلك.

٢ - قيود على كيفية التنفيذ: فقد ذكر العلماء كيفية للضرب ومقدار مايرفع الضارب يده ونوع العصا أو السوط الذي يجلد به حتى لا يكون الجلد متعديا لما شرع له أو غير مؤلم للجاني فلا يتحقق الردع المراد من العقوبة.

---

(١) علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/٥٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود باب: في الحد يشفع فيه رقم ٤٣٧٥ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/٨٢٧.

المبحث الثالث
نموذج لتطبيقات السلطة التقديرية
في أنظمة الحسبة في المملكة

سأتناول في هذا المبحث تطبيقات السلطة التقديرية في نظام مكافحة الغش التجاري في المملكة العربية السعودية، حيث يعد الاحتساب على الغش التجاري أحد أنواع الاحتساب المشروعة، والتي نظمت في المملكة بموجب هذا النظام.

المطلب الأول السلطة التقديرية فيما يتعلق بالعقوبة:

من أمثلة ذلك:

ما تضمنه نظام مكافحة الغش التجاري من سلطة تقديرية في إيقاع عقوبة الغش إذ ينص على سلطة تقديرية في مقدار العقوبة التي يعاقب بها من اقترف الغش وهذه السلطة تشمل مقدار الغرامة ومقدار السجن حيث تنص المادة الأولى من هذا النظام على ما يلي (يعاقب بغرامة من خمسة آلاف ريال إلى مائة ألف ريال، أو بإغلاق المحل مدة لا تقل عن أسبوع ولا تزيد على تسعين يوماً، أوبهما معاً- كل من خدع أو شرع في أن يخدع، أو غش أو شرع أن يغش..) حيث إن واضع النظام أعطى للقاضي سلطة تقديرية متنوعة في هذه العقوبة فيما يلي:

١ - سلطة تقديرية في مقدار عقوبة الغرامة.

٢ - سلطة تقديرية في مقدار عقوبة إغلاق المحل.

٣ - سلطة تقديرية في اختيار إحدى العقوبتين أو جمعهما معاً:

يعطي النظام من يقوم بتطبيقه سلطة تقديرية في اختيار نوع العقوبة التي يرى مناسبة تطبيقها على مرتكب جريمة الغش التجاري وهذه السلطة مقيدة باختيار عقوبة حددها النظام سلفا.

٤ - سلطة تقديرية في جمعهما معاً بالحد الأقصى، أو جمعهما معاً بالحد الأدنى.

أو أن تكون إحداهما بالحد الأدنى والأخرى بالحد الأقصى أو مابين ذلك.

وفي مقابل هذه السلطة فقد وضع النظام أيضاً على هذه السلطة قيوداً ليس للقاضي تجاوزها:

١ - ألا يعاقب القاضي بعقوبة أخرى لم ينص عليها النظام.

٢ - ألا ينقص القاضي عن الحد الأدنى ولا يزيد عن الحد الأعلى.

٣ - ألا يعاقب عن جريمة غير منصوص عليها.

٤ - أن تنطبق شروط النظام على مرتكب هذه الجريمة، كافتراض العلم بوقوع الغش الذي تنص عليه المادة الثانية عشرة من النظام.

المطلب الثاني السلطة التقديرية فيما يتعلق ببعض الإجراءات:

١. السلطة التقديرية في تقدير حسن نية البائع:

تنص المادة الثانية عشرة من النظام على أنه: لتطبيق أحكام هذا النظام يفترض العلم بغش السلعة أو فسادها أو عدم صلاحيتها للاستعمال متى كان المخالف من المشتغلين بالتجارة مالم يثبت حسن نيته) فقد أعطى النظام جهة الاحتساب على الغش التجاري سلطة تقديرية في تقدير حسن نية البائع من عدمها.

٢.السلطة التقديرية في تحديد بعض المدد:

ومن ذلك أن اللائحة التنفيذية للنظام في مادتها السادسة أعطت لوكيل وزارة التجارة المختص سلطة تقديرية في تمديد المدة التي تمنح للمستورد لرفع الغش عن السلعة، وذلك مقيد بالأسباب التي يبديها المستورد.

ومن ذلك تقدير المدة التي يتم فيها إعادة تصنيع أو تجهيز السلعة المغشوشة كما تنص على ذلك المادة الحادية عشرة من اللائحة التنفيذية، كما تنص هذه المادة أيضا على أنه: يجوز تمديد هذه المدة للأسباب التي يبديها المصنع أو المجهز ويقدرها وكيل الوزارة المختص أو من يفوضه.

٣. السلطة التقديرية في تقدير إمكانية إعادة أو تجهيز السلعة المغشوشة:

تنص المادة الحادية عشرة من اللائحة التنفيذية لنظام مكافحة الغش التجاري على أنه: يجوز لوكيل الوزارة المختص أو من يفوضه - إذا قدر إمكانية ذلك بناء على طلب المصنع أو المجهز من تلقاء نفسه- الموافقة على إعادة تصنيع أو تجهيز السلعة المغشوشة بما يجعلها صالحة للاستعمال في الغرض المصنعة من أجله.

٤.السلطة التقديرية في اختيار وسيلة الإتلاف للسلعة المصادرة:

تنص المادة الخامسة عشرة من اللائحة التنفيذية لنظام مكافحة الغش التجاري على أن: السلع التي يثبت الغش في متطلباتها أو يثبت فسادها أو عدم صلاحيتها للاستعمال في أي غرض من الأغراض، يتم إتلافها بالوسيلة التي تقدرها الجهة الإدارية المختصة التي قامت بضبطها بعد تحرير محضر ضبط ومصادرة بذلك.

وكذلك تعطي المادة السادسة عشرة من النظام هذه السلطة لجهة الاحتساب على الغش في تقدير الوسيلة المناسبة لإتلاف المواد أو العبوات التي قصد بها غش أية سلعة.

٥. السلطة التقديرية في الحق في إجراء تحقيق فوري مع المخالف:

تعطي المادة السابعة عشرة في فقرتها (ج) الحق للمحتسب على الغش في تقدير ملاءمة إجراء تحقيق فوري مع المخالف بعد مواجهته بالتهم المنسوبة إليه.

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله عز وجل في ختام هذا البحث أن أكون قد وفقت في عرض موضوع هذا البحث بصورة مناسبة، وقد كان من أبرز النتائج التي توصلت لها:

أولاً: أن الإسلام بكماله وشموله قد سبق القوانين المعاصرة في مجال السلطة التقديرية بل قد تفوق عليها بوضع ضوابط لهذه السلطة تتعدى مسألة الحد الأدنى أو الأعلى للعقوبة أو تقرير مجال لها في الأنظمة الوضعية، فعلى سعة هذه الضوابط إلا أنها تضيق مجال الانحراف في تطبيقها.

ثانيا: أن سلطة المحتسب تحظى بقدر واسع جداً من السلطة التقديرية في مجالات متعددة من أبرزها:

أن تكون هذه السلطة ضمن إطار عام وهو طاعة الله تعالى وأهم ضوابط هذه السلطة:

١- عدم مخالفة النص من الكتاب أو السنة.
٢- عدم مخالفة الإجماع.
٣- عدم مخالفة القياس.
٤- عدم مخالفة مقاصد الشريعة الإسلامية.
٥- عدم مخالفة العرف.

ثالثاً: أن هناك فرقاً بين سلطة المحتسب الرسمي التقديرية وسلطة المحتسب المتطوع وأن صلاحيات الرسمي أوسع من صلاحيات المحتسب المتطوع.

رابعاً: أن أهم مجالات السلطة التقديرية للمحتسب:

١. السلطة التقديرية في مجال التدابير الواقية من المنكرات.
٢. السلطة التقديرية في مجال الإنكار .وفي وقت الإنكار، ودرجته.
٣. السلطة التقديرية في مجال العقوبة.

وسلطة المحتسب في العقوبة التعزيرية تتنوع إلى أنواع:

الأول: سلطته في تحديد نوع العقوبة.
الثاني: سلطته في تقدير العقوبة وتشديدها وتخفيفها.
الثالث:سلطته في الإعفاء من العقوبة.
الرابع: سلطة تقديرية في كيفية تنفيذ العقوبة.

رابعا: عرض لتطبيقٍ للسلطة التقديرية على أحد أنظمة الحسبة الصادرة في المملكة العربية السعودية وهو نظام مكافحة الغش التجاري.

هذا وأسأله تعالى التوفيق والسداد ، والإخلاص في القول والعمل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

قائمة المصادر و المراجع:

١ - الألباني: ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، (مكتبة المعارف: الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ).

٢ - البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، (لبنان، بيروت: دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٣ - البعلي: د. عبدالحميد محمود البعلي

٤ - البوطي: د. محمد سعيد البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، دمشق، مؤسسة الرسالة.

٥ - بطيخ: د. رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي للحد من سلطة الإدارة التقديرية، (مصر، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٤م).

٦ - البرزنجي: د. عصام بن عبدالوهاب البرزنجي، السلطة التقديرية للإدارة (مصر، القاهرة، دار النهضة العربية).

٧ - ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، (المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٠٦هـ/١٩٩٥م).

٨ - الجارد: فاطمة الجارد، الاحتساب باللسان، دار المؤيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ١٨٦.

٩ - جمال الدين: د. سامي جمال الدين، قضاء الملائمة والسلطة التقديرية للإدارة (مصر، القاهرة، ١٩٩٢م).

١٠ - ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، (لبنان، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٣هـ)، ونسخة أخرى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧هـ).

١١ - الدمياطي: السيد البكري، إعانة الطالبين، دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.

١٢ - ابن الديبع: وجيه الدين عبدالرحمن المعروف بابن الديبع، بغية الإربة في معرفة أحكام الحسبة، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١٣ - أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين، (لبنان، بيروت: دار الفكر).

١٤ - الرحيلي: أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٥ - الزرقاء: أحمد بن محمد، شرح القواعد الفقهية، (سوريا، دمشق: دار القلم، ط ٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

١٦ - سعد: د. محمود توفيق، فقه تغيير المنكر، وزارة الشؤون الإسلامية بقطر، كتاب الأمة، ٤١.

١٧ - الشاطبي: إبراهيم بن موسى، الموافقات، دار الفكر.

١٨ - الظاهر: د.خالد الظاهر، ، ضوابط السلطة التقديرية للإدارة، مقال منشور بجريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٧/١٢/٦م.

١٩ - الصالحي: الإمام عبدالرحمن بن أبي بكر الصالحي، الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: أ.د. مصطفى صميدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٤١٧، اهـ ١٩٩٦م.

٢٠ - الطماوي: د.سليمان محمد الطماوي، الوجيز في القانون الإداري، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م.

٢١ - الطماوي: د. سليمان محمد الطماوي، مبادئ القانون الإداري، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٤م ط٦.

٢٢ - ظهير: فضل إلهي، الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، (باكستان، سيتلائيت تاؤن: إدارة ترجمان الإسلام، ط ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٢٣ - عبدالباسط: د. محمد فؤاد عبدالباسط، أعمال السلطة الإدارية، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٤ - ابن عبدالسلام: الإمام العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: د.نزيه حماد ود.عثمان ضميرية، دمشق، دار القلم، ط١٤٢١، ١هـ ٢٠٠٠م.

٢٥ - عمر: د. نبيل إسماعيل عمر، سلطة القاضي التقديرية في المواد المدنية والتجارية، (مصر، الاسكندرية، دار المعارف، ط١ ١٩٨٤).

٢٦ - السنامي: عمر السنامي، نصاب الاحتساب، دار الوطن، ط١ ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٢٧ - ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين عن رب العالمين، راجعه: طه عبدالرؤوف سعد، (لبنان، بيروت: دار الجيل).

٢٨ - فارس: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٢٩ - الفراء: القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، صححه محمد حامد الفقي، الرياض، دار الوطن.

٣٠ - ابن قدامة: موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، (لبنان، بيروت: المكتب الإسلامي).

٣١ - قلعة جي: أ.د. محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس، ط١ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٣٢ - ابن كثير: إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (لبنان، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٨هـ).

٣٣ - ابن منظور: جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خياط (لبنان، بيروت: دار لسان العرب) ١/ ٦٣٠.

٣٤ - الغزالي: محمد بن محمد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من إحياء علوم الدين، تحقيق: سيد إبراهيم، (مصر، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩١م).

٣٥ - القشيري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (لبنان، بيروت: دار إحياء التراث).

٣٦ - نظام مكافحة الغش التجاري الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/١١ وتاريخ ١٤٠٤/٥/٢٩هـ.

٣٧ - الماوردي:الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي).

٣٨ - الميداني: عبدالرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، جدة دار البشير، ط١٤٢٥، ٧هـ.

٣٩ - الماحي:قندوز محمد الماحي، قواعد المصلحة والمفسدة عند المالكية، بيروت، دار ابن حزم، ط١ ١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م.

٤٠ - الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، دار الرسالة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٤١ - ابن النحاس:الإمام أبو زكريا أحمد بن النحاس، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، دار الكتب العلمية.

٤٢ - الطبري: الإمام ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مصر، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ).

٤٣ - النووي: الإمام يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

٤٤ - الكاساني: الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (لبنان، بيروت: دار الفكر للطباعة، ط ١، ١٤١هـ/١٩٩٦م).

٤٥ - حاشية القليوبي وعميرة، دار الفكر، ١٩٩٨م.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

مطابع الجامعة

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.

٢- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.

٣- تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية.

٤- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.

٥- تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

بصيرة

مطابع الجامعة

ردمد : ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة



العدد الثالث
محرم ١٤٣١هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد الثالث

محرم ١٤٣١هـ

https://dawa.center

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٢- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٣- أن تتحقق له السلامة اللغوية.

٤- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٥- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٦- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٧- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغة العربية بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (**A٤**).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (**Microsoft Word**) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (**A٤**) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، أو إرساله عبر البريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراســلات:

تتم المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١- ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

الفهـــــرس

المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية د. أحمد بن علي الخليفي	١٣- ١٠٤
البرامج الدعوية في سجن الملز العام، دراسة مسحية د.عبدالله بن محمد المطوع	١٠٥- ١٨٦
الرَّحْمَة خلق دعوي وقيمة إسلامية د. توفيق بن عبدالعزيز السديري	١٨٧- ٢٣٦
فقه الدعوة في سيرة صهيب بن سنان الرومي ﷺ د. بدرية بنت سعود البشر	٢٣٧- ٢٦٨
تكريم الدعاة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى د . محمد هلال الصادق هلال	٢٦٩- ٣٢٠
دروس دعوية من الهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية د. هند مصطفى شريفي	٣٢١- ٤٠٤
العرف وتطبيقاته في الحسبة أ. د. حمد بن ناصر العمار	٤٠٥- ٤٦٦
القدوة الحسنة وأثرها في حياة المحتسب د. الجوهرة بنت محمد العمراني	٤٦٧- ٥١٥

المصالح الدعوية
في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية

إعداد

الدكتور: أحمد بن علي الخليفي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب

في كلية الدعوة والإعلام

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، كتب على نفسه الرحمة لعباده، تفضلا منه وإحسانا، وله الحمد على أن جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم والتقوى يدعون من ضل عن الهدى، وينهون عن الفساد والردى، ويحيون بكتاب الله الموتى، وبسنة رسول الله ﷺ أهل الجهالة والعمى، فكم من لإبليس أحيوه، وكم من ضال هدوه، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة محصلة للغفران، ومنقذة من النيران، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ جعلنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ﷺ أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال، وأحسن الأقوال، وأعظم ما يشغل به المرء نفسه اقتداء بنبيه محمد ﷺ، وإن هذه الدعوة يتحملها أتباع الرسل وورثة الأنبياء، ولابد لحاملها من صفات وسمات تؤهله لحملها والسعي إلى أدائها، وإن من أهم الصفات للداعية إلى الله أن يكون لديه علم بما يدعو إليه، حتى لا يدعو على جهل فيضل ويُضل، والدعوة بلا علم كرأس بلا جسد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

والمؤمن مطالب بأن يدعو ويبلغ بما عنده من العلم.ومن أعظم ما ينبغي للداعية أن يدركه ويحيط به التعرف على مقاصد الشريعة لأن ما يأمر به الداعية وما ينهى عنه ينبغي أن يدور حول جلب المصالح للمدعوين في الدنيا والآخرة في العاجل والآجل، ومصالح المدعوين أجملتها الشريعة الإسلامية في خمسة مقاصد هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل أو العرض، وحفظ المال.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وإذا كانت الشريعة جاءت لجلب المصالح ودرء المفاسد فإن الداعية ينبغي أن يكون مقصده في الدعوة هو جلب المصالح للمدعوين ودرء المفاسد عنهم لتحقيق الغاية الكبرى وهي العبودية لله وحده يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : " والشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها" [(١)] .

ويقول ابن القيم - رحمه الله- : "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة، وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها..." [(٢)].

ويقول العز بن عبد السلام - رحمه الله- : "والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح فإذا سمعت الله يقول (يا أيها

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٦٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم ١٤/٣.

الذين آمنوا) فتأمل وصيته بعد ندائه فلا تجد إلا خيرا يحثك عليه أو شرا يزجرك عنه أو جمعا بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثا على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثا على إتيان المصالح"[1].

إن مصالح العباد بقضها وقضيضها، وبمجملها وتفصيلاتها لا يستطيع أحد من البشر أن يلم بمعرفتها وإدراكها، ولذلك نجد أن كثيرا من القوانين التي وضعها البشر والتي لم يرجعوا فيها إلى مقاصد الشريعة تعد قوانين قاصرة لا تحقق مصالح الناس مما يؤكد أن شريعة الله هي الوحيدة التي تحقق مصالح الناس بجميع أصنافهم وأشكالهم، وحينئذ لا يستطيع الدعاة أن يدركوا المصالح والمفاسد والمقاصد إلا إذا ساروا بتعاليم الشريعة، واستناروا بنورها، ووقفوا عند حدودها، وتأملوا معانيها، ووزنوا الأمور بميزانها.

إن هذا البحث – المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية- له من الأهمية بمكان وهو بمثابة الإشارات والمفاتيح للدعاة، ويجدر بهم تدارس المصالح الدعوية بين الحين والآخر، والرجوع إلى القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية.

إن معرفه الموازين والأسس التي تبنى عليها الأحكام وفهم مقاصد الإسلام ومعانيه هي من الفقه في الدين الذي ينبغي على الدعاة الاتصاف به والتحلي بمعانيه وفي الحديث عَنْ مُعَاوِيَةَ قالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)**[2].

قال ابن حجر - رحمه الله- "ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع- فقد

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبدالسلام ١١/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم ١ /٤٢ رقم الحديث ٧١.

حرم الخير ثم قال: وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "وكل من أراد الله به خيرا لابد أن يفقهه في الدين، فمن لم يفقه في الدين لم يرد الله به خيرا، والدين ما بعث الله به رسوله، وهو ما يجب على المرء التصديق به والعمل به"[2].

وفي العصر الحاضر استجدت أمور كثيرة، وحدثت نوازل عديدة وبالتالي قد يواجه الدعاة مواقف مختلفة وأحوالاً كثيرة يحتاجون فيها إلى تحكيم المصلحة الدعوية المبنية على أسس وقواعد شرعية.. مما يؤكد أهمية هذا البحث لرسم الخطوط العريضة للدعاة كي يسيروا على منهج سليم وتصور صحيح، ويصلوا إلى نتائج كبيرة وثمار عظيمة.

لقد شاع هذا المصطلح (المصلحة الدعوية) بين أوساط القائمين بالدعوة، وأصبحوا يحتجون في وقائعهم وأعمالهم ومواقفهم بالمصلحة الدعوية مؤكدين على أن المصلحة في ذلك كذا وكذا... فيا ترى ما مقاصد الشريعة التي تبنى عليها المصالح الدعوية؟ وما هذه المصالح التي يدعون إليها، وإلى التحاكم إليها والحكم بها...؟ وما الضوابط لتلك المصالح؟.

لذا فإن هذه الأمور وغيرها دعتني منذ زمن إلى أن أبحث عن هذه المقاصد وتلك المصالح لعلي أن أخرج بنتيجة تفيدني أولا في حياتي الدعوية ثم تفيد إخواني القائمين بالدعوة فكان هذا البحث لأسلط

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ١/ ٢١٨.

(٢) الحسبة في الإسلام: ابن تيمية ص ٢٥.

الضوء على المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية سائلا المولى أن يسدد على دروب الخير الخطى...

وقد قسمت البحث إلى أربعة فصول كما هو الآتي: **الفصل الأول: المقاصد والمصالح في الشريعة الإسلامية**

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والمصالح والمفاسد وأهمية معرفتها للدعاة.

المبحث الثاني: الأدلة على مراعاة الشريعة الإسلامية للمقاصد والمصالح.

الفصل الثاني: تقسيم مقاصد الشريعة باعتبار المصالح الدعوية وترتيبها

المبحث الأول: المصالح الدعوية الضرورية.

المبحث الثاني: المصالح الدعوية الحاجية.

المبحث الثالث: المصالح الدعوية التحسينية.

المبحث الرابع: ترتيب المصالح الدعوية

الفصل الثالث: تقسيم المقاصد الدعوية باعتبار حفظ الضروريات

المبحث الأول: مقصد المحافظة على الدين.

المبحث الثاني: مقصد المحافظة على النفس.

المبحث الثالث: مقصد المحافظة على العقل.

المبحث الرابع: مقصد المحافظة على العرض أو النسب أو النسل.

المبحث الخامس: مقصد المحافظة على المال.

الفصل الرابع: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد

المبحث الأول: ضوابط المصالح الدعوية.

المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد.

المبحث الثالث: تغيير المنكر وما يترتب عليه.

هذا ما أردت أن أعرضه في هذا البحث فإن يكن صوابا فمن الله وحده وإن يكن خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان.

وفي الختام أسأل الله أن أوفق في عرض هذا الموضوع عرضا غير ممل ولا مخل يستفيد منه القارئ والمتأمل إنه جواد كريم هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

الفصل الأول: المقاصد والمصالح في الشريعة الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والمصالح والمفاسد وأهمية معرفتها للدعاة.

المطلب الأول: مفهوم المقاصد، والمصالح، والمفاسد:

أولاً: مفهوم المقاصد:

المقاصد في اللغة: جمع مقصد، من قصد الشيء وقصد له، وقصد إليه قصدا من باب ضرب، بمعنى طلبه، وأتى إليه، واكتنزه، وأثبته. وقصدت قصده؛ نحوت نحوه.

والقصد هو طلب الشيء أو إثبات الشيء أو الاكتناز في الشيء أو العدل فيه[(١)].

وذكر البعض أن المقاصد هي: الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة وأثبتتها الأحكام الشرعية[(٢)].

وأكد العلماء على أن مقاصد الشريعة هي: تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة في العاجل والآجل.

يقول العز بن عبد السلام - رحمه الله- : "والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح"[(٣)].

---

(١) انظر المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون ٧٤٥/٢. تاج العروس: الزبيدي ٤٦٦/٢. الصحاح: الجوهري ٥٢٤/٢. لسان العرب: ابن منظور ٣٥٣/٣.

(٢) انظر المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم ص ٨٣. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة أم القرى، العدد: السادس عام ١٤٠٢- ١٤٠٣هـ، مبحث مقاصد الشريعة للدكتور / محمد مصطفي الزحيلي ص ٣٠١.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبدالسلام ١١/١.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلا فجميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع ومقاصد لكن لما كانت مفاسدها راجحة على مصالحها نهى الله ورسوله عنها"[1].

إذن الداعية يسعى إلى تحقيق مصالح المدعوين في الدنيا والآخرة.

وسواء عبر عنها بـ(مقاصد الشارع) أو (مقاصد الشريعة) أو(المقاصد الشرعية) فإنها كلها تدل على معنى واحد والتي تعني: تحقيق مصالح المدعوين ودفع المفاسد عنهم.ويتم تحقيق مصالح المدعوين ودفع المفاسد عنهم من خلال المحافظة على الأصول الخمسة وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث.

ثانياً: مفهوم المصالح:

المصالح في اللغة: المصالح مفردها المصلحة، والمصلحة لغة كالمنفعة وزنا ومعنى.

وتطلق المصلحة بإطلاقين؛ باعتبارها مصدراً بمعنى الصلاح كالمنفعة بمعنى النفع أي الاستقامة والسلامة وحسن الحال.

وتطلق باعتبارها اسما للواحدة من المصالح كالمنفعة اسم للواحدة من المنافع. يقول صاحب لسان العرب : " والمصلحة الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح"[2].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٦٥.

(٢) لسان العرب : ابن منظور ٢/ ٥١٧

وفي القاموس المحيط: "الصلاح ضد الفساد وأصلحه ضد أفسده، والمصلحة واحدة المصالح "[(١)].

وفي المصباح المنير: صلَح بالفتح، وصلُح بالضم ضد فسد، وأصلح أتى بالصلاح وهو الخير والصواب وفي الأمر مصلحة أي خير"[(٢)].

وفي الاصطلاح :

عرف الغزالي المصلحة بأنها : "عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة.ثم قال: ولسنا نعني به ذلك فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم لكن نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم ، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول مفسدة ودفعها مصلحة"[(٣)].

وعرفها الخوارزمي بقوله: "المصلحة هي المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق"[(٤)].

وعرفها الطاهر بن عاشور بأنها "وصف للفعل يحصل به الصلاح أي النفع منه دائما أو غالبا للجمهور أو للآحاد"[(٥)].

---

(١) القاموس المحيط: الطاهر الزاوي ٨٣٩/٢. وانظر الصحاح: الجوهري ٣٨٣/١

(٢) المصباح المنير: الفيومي ٣٤٥/١.

(٣) المستصفي: الغزالي ٢٨٦/١.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني ص ٢٤٢.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور ص ٦٥.

وعرفها البوطي بأنها "المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها"(١).

وعرفها الدكتور عبدالله التركي بأنها هي "الوصف الذي يكون في ترتيب الحكم عليه جلب منفعة للناس أو درء مفسدة عنهم"(٢).

ثالثاً: مفهوم المفاسد:

مما سبق في مفهوم المصالح وتعريفها يتبين لنا المقصود بالمفاسد.فالمفسدة خلاف المصلحة

يقول صاحب لسان العرب: والمفسدة خلاف المصلحة، قالوا هذا الأمر مفسدة لكذا أي فيه فساد قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة ❖❖ مفسدة للعقل أي مفسدة(٣)

وقالوا في المعجم الوسيط: المفسدة: الضرر، يقال هذا الأمر لمفسدة كذا فيه فساده، وما يؤدي إلى الفساد من لهو ولعب ونحوهما(٤).

ويقول الطاهر بن عاشور: " وأما المفسدة فهي ما قابل المصلحة، وهي وصف للفعل يحصل به الفساد أي الضرر دائما أو غالبا للجمهور أو للآحاد"(٥).

إذن يتبين لنا أن كل ما فيه نفع سواء بالجلب والتحصيل أو بالدفع والاتقاء فهو مصلحة يسعى إلى تحصيلها الداعية ويمتثلها، وكل ما

---

(١) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية: محمد سعيد البوطي ص ٢٣.

(٢) أصول مذهب الإمام أحمد: د. عبدالله التركي ص ٤٥٩.

(٣) لسان العرب: ابن منظور ٣٣٥/٣.

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون ٦٨٨/٢.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية: الطاهر بن عاشور ص ٦٥.

فيه ضرر سواء بالجلب والتحصيل أو بالدفع والاتقاء فهو مفسدة يحذر منها الداعية ويسعى إلى الابتعاد عنها.

وبعد هذه الجولة في مفهوم المقاصد والمصالح والمفاسد يمكن لنا تعريف المصلحة الدعوية بأنها:

محافظة الدعاة على مقصود الشرع

ومقصود الشرع هو جلب المصالح ودرء المفاسد عن الناس بالمحافظة على الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

فالداعية الذي يسعى إلى المحافظة على الدين ويهتم به، ويبعد مدعويه عن ما يخل به... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على النفوس بجلب المصالح لها ودرء المفاسد عنها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على العقول بتنميتها وأمنها، وعن ما يخل بها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على الأعراض بالعناية بها وإبعاد كل ما يفسدها وينتهكها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على الأموال من خلال الحصول عليها بالطرق المشروعة، وإبعاد كل ما يفسدها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

المطلب الثاني: أهمية تعرف الداعية على مقاصد الشريعة الإسلامية:

لقد أكد العلماء على أن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. وإذا كانت كذلك فإن الداعية إلى الإسلام يسعى إلى تحقيق مصالح المدعوين في الدنيا والآخرة، وفي العاجل والآجل.

إن لمعرفة مقاصد الشريعة الإسلامية وبخاصة للداعية إلى الإسلام أهمية كبيرة، وفائدة عظيمة، وآثار كثيرة يحسن بالداعية التعرف عليها وتأملها وإدراكها، وتتضح أهمية التعرف على مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال ما سنعرضه من فوائد معرفة تلك المقاصد، ومن أهم فوائدها ما يأتي :

١- أن في التعرف على مقاصد الشريعة الإسلامية؛ تعرفا على محاسن الإسلام وخصائصه ومزاياه، وهو ما يحتاجه الدعاة لاستمالة قلوب المدعوين وكسب مشاعرهم تجاه الدعوة الإسلامية.

٢- أن التعرف على مقاصد الشريعة الإسلامية وفهمها وإدراكها تكوّن لدى الداعية التصور الشامل للدين الإسلامي، كما تبين له الإطار العام للشريعة الإسلامية وحدودها وأبعادها.

٣- أن في تعرف الداعية وكذا المدعو لمقاصد الشريعة استلهام لتحقيق الإيمان، وتعزيز لترسيخ القناعة الكافية بدين الله وحكمه وتعاليمه وتوجيهاته، وتأكيد على أن الشريعة الإسلامية جاءت لجلب مصالح الناس، ودرء ما يؤدي إلى المفاسد عنهم، فيسعى الداعية للالتزام بهذا الدين، ويحذر ويحذّر من مخالفته، كما يرغّب في التمسك به والعمل بتعاليمه، إضافة إلى أنه سيبذل جهده في الدعوة إليه بل ويطالب بتطبيقه والالتزام به، ولا ولن يرضى بالاستعاضة عنه، لكون الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها، وما يحقق ويؤمن مصالحها، أما ما يجر للنفس من مفاسد فإن الإنسان لا يحب أن يؤذى، ولا يحب أن يصل إليه أي ضرر، والإسلام بتعاليمه جاء باجتثاث الفساد ومنعه ودفعه ومقاصد الشريعة الإسلامية المتمثلة في المحافظة على الضرورات الخمس أكبر دليل وبرهان على ذلك.

٣- أن في معرفة الداعية لمقاصد الشريعة الإسلامية؛ بيان للهدف والغاية الذي سيحمله لمدعويه حتى يحقق لهم مصالحهم، ويدفع عنهم ما سيكون مفاسد عليهم؛ لأن دعوته ترمي إلى تحقيق مصالح الناس ودفع المفاسد عنهم.

٤- أن في تعرف الدعاة والمدعوين على مقاصد الشريعة الإسلامية وإظهارها تعزيز لحصول الحصانة والوقاية والمناعة الكافية مما يسعى إليه أعداء الإسلام وأهل الضلال، من غزو فكري أو نشر مبادئ هدامة أو دعوات براقة أو أفكار مضللة، وما إلى ذلك من سعي لإخفاء محاسن الشريعة الإسلامية أو اتهامها والافتراء عليها.كما أن في إبرازها رد لشبه المغرضين على الإسلام وتعاليمه، وتفنيد لآراء المنحرفين والضالين.

٥- قد تواجه الداعية مواقف ونوازل ووقائع ليس فيها نص صريح تجاهها، وقد يحتاج الداعية حينها إلى اتخاذ علاج حيالها أو ربما احتاج إلى أن يخفف من مفاسد تلك الواقعة أو ربما احتاج إلى ترجيح للمصالح والمفاسد لوجود تعارض بينهما.... فهو يحتاج إلى موقف يتوافق مع قواعد الشريعة الإسلامية.لذا فإن معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية قد تيسر وتسهل الطريق مما قد تعطي الداعية موقفا إيجابيا حيال هذه المواقف لأن موقفه كان مبنيا على أسس وقواعد بنا عليها ذلك الموقف وهذا ما سنوضحه إن شاء الله في ثنايا هذا البحث.

٦- أن مقاصد الشريعة تعطي الداعية وتفيده في ترتيب الأولويات وترتيب ما هو أهم على ما هو مهم، وما ينبغي التركيز عليه مما لا ينبغي في حياته الدعوية.

المبحث الثاني: الأدلة على مراعاة الشريعة للمقاصد والمصالح:

إن الشريعة الإسلامية جاءت من لدن الحكيم العليم، الذي أحاط بكل شيء علما، وهو سبحانه لم يشرع للناس إلا ما يصلحهم وينفعهم ويفيدهم، وهو سبحانه الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وحينئذ فما على الدعاة والمدعوين إلا أن ينقادوا ويستسلموا لأوامره ونواهيه سواء علم الناس الحكمة أم لم يعلموها، ومن المعلوم أن الدعوة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذ الرسول بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه فمفسدته راجحة"[(١)].

وإن مما يدل على أن الشريعة الإسلامية فيها مراعاة للمقاصد والمصالح ما يأتي:

١- أن إرسال الرسول ﷺ كان رحمة للعالمين.

إن الله جل شأنه قد بعث محمدا ﷺ رسولا ومبلغا رحمة بعبادة قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٢)].

وإن من مقتضيات الرحمة أن لا يشرع لهم إلا ما فيه مصالحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.يقول ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره للآية السابقة" يخبر تعالى أن الله جعل محمدا ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٣٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[1]، وقال تعالى في صفة القرآن: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[2][3]، ويؤكد تلك الرحمة ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: (**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**)[4].

وهكذا الدعاة فإن رسالتهم؛ رسالة رحمة على الناس يقتدون بالنبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[5].

ولما رد أهل الطائف النبي ﷺ بعد أن آذاه أهل مكة جاءه جبريل وأخبره بملك الجبال ليأمره بما يشاء قال النبي ﷺ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[6].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٢٨- ٢٩).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٣/٢٢٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها ١٦/ ٣٦٦ رقم الحديث ٦٥٥٦.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٢ /٤٢٨ رقم الحديث ٣٢٣١، وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٢ / ٣٦٢ رقم الحديث ٤٦٢٩.

٢- تحذير الشريعة الإسلامية من الإفراط والتفريط

إن النفس البشرية لها حدودها وطاقتها والشارع الحكيم لم يكلف نفسا إلا وسعها وعلى قدر استطاعتها، وجعل لها ميزانا عدلا لا يعدل عنه، والشارع سبحانه يعلم حال عباده، ويعلم ما يصلحهم وما ينفعهم وينفع لهم بلا زيادة ولا نقصان وبلا إفراط ولا تفريط وبلا غلو ولا تقصير.

أما إذا تجاوز الفرد ذلك إما بالزيادة والنقصان أو الإفراط و التفريط فانه في هذه الحال سينتهي إلى ما يضره ويفسده والله قد أمر بالعدل لأن في العدل موازنة بين أمرين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[(١)].

ويقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[(٢)].

ويقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[(٣)].

٣- إرادة الله بعباده اليسر ورفع الحرج.

جاءت نصوص كثيرة تبين أن الله لم يرد من عباده العنت والحرج والعسر، وإنما يريد بأحكامه وتشريعاته اليسر ورفع الحرج والعنت قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(٤)]،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، فرفع الحرج والعسر عن الناس فيما أمرهم به من أحكام؛ يقتضي أن تكون تلك الأحكام دائرة مع مصالحهم ومقتضيات سعادتهم وإلا لما ارتفع العسر والحرج بحال، ولذلك قال الفقهاء في إحدى القواعد الفقهية (المشقة تجلب التيسير).

وفي التأكيد على الأخذ باليسر نجد أن النبي ﷺ قد أوصى معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري لما أرسلهما إلى اليمن بذلك فقال عليه الصلاة والسلام (**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**)[2]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال (**فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**)[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ١٦١/٣، رقم ٤٣٤١، وأخرجه في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ٣٦٨/٢، رقم ٣٠٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد ٩١/١ رقم الحديث ٢٢٠. وأخرجه في كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ (يسروا ولا تعسروا) ٤ /١١٤ رقم الحديث ٦١٢٨.

٤- أن أحكاما كثيرة جاءت معللة وهذا التعليل فيه بيان للمقاصد والمصالح.

شرع الله لخلقه أحكاما كثيرة وتوجيهات عديدة، ونجد أن الله بين في نهاية بعض الآيات علة تشريع ذلك ليبين لهم أن هذا التشريع إنما هو لمصالحهم ومنافعهم. ومن تلك الآيات على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]، يقول ابن كثير في هذه الآية "وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة، وهي بقاء المهج وصونها لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفوس"[2].

ومن تلك الآيات أيضا قوله تعالى عن الخمر: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]، وقوله جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[4].

يقول ابن كثير في الآية الأولى وبعد أن ذكر مصالح الخمر الدنيوية وفائدته" ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين"[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/٢٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/ ٢٧٤.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين حكمة وعلة الحكم المذكور.يقول الطوفي: "وبالجملة فما من آية من كتاب الله عز وجل إلا وهي تشتمل على مصلحة أو مصالح"[1].

٥- نهي الشريعة الإسلامية عن الضرر والضرار

ففي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)[2]، والضرر هو محاولة الإنسان إلحاق المفسدة بنفسه أو بغيره مطلقا.والضرار مقابل الضرر بالضرر أو إلحاق مفسدة بالغير على جهة المقابلة، وبذلك يتبين أن في الحديث النهي عما فيه مفاسد سواء تلحق النفس أو تلحق الغير.يقول الطوفي- رحمه الله: "ثم إن قول النبي ﷺ (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) يقتضي رعاية المصالح إثباتا ونفيا، والمفاسد نفيا إذ الضرر هو المفسدة فإذا نفاها الشرع لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة لأنهما نقيضان لا واسطة بينها"[3].

ومن النهي عن الضرر في تطبيقات النبي ﷺ لهذه القاعدة ما ورد أن النبي ﷺ نهى الصحابة عن زجر الرجل الذي بال في المسجد ففي الحديث عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْ مَهْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ

---

(١) رسالة في رعاية المصالح: الطوفي ص ٣٠.

(٢) أخرجه احمد في المسند، ومن مسند بني هاشم، بداية مسند عبدالله بن العباس ١/ ٣٨٩، رقم ٢٨٦٥ ولفظ أحمد (ولا إضرار). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ص٤٠٠، رقم ٢٣٤١ وقال الألباني: صحيح، انظر سنن ابن ماجه، تعليق محمد ناصر الألباني.

(٣) رسالة في رعاية المصالح: الطوفي ص ٢٣.

هَـذَا الْبَـوْلِ وَلَـا الْقَـذَرِ إِنَّمَـا هِـيَ لِذِكْـرِ اللَّـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ وَالـصَّلَاةِ وَقِـرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَـوْمِ فَجَـاءَ بِـدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[1].

ومـن ذلـك مـا أوصـى بـه عليـا مـن تـسوية القبـور فعَـنْ أَبِـي الْهَيَّـاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَلَّـا أَبْعَثُـكَ عَلَـى مَـا بَعَثَنِـي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ **(أَنْ لَـا تَـدَعَ تِمْثَالًـا إِلَّـا طَمَسْتَهُ وَلَـا قَبْـرًا مُشْرِفًا إِلَّـا سَوَّيْتَهُ وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا)**[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد ١/٩١، رقم ٢٢٠.وأخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ١/١٩٩، رقم ٢٨٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر ٢/٥٥٥ رقم ٩٦٩.

الفصل الثاني: تقسيم مقاصد الشريعة باعتبار المصالح الدعوية

المبحث الأول: المصالح الدعوية الضرورية:

بالنظر إلى ما كتبه العلماء نجد اختلافا في تعبيراتهم عن التقسيمات، فبعضهم يقول تقسيم المقاصد باعتبار المصالح، وبعضهم يقول "أقسام المصلحة باعتبار قوتها في ذاتها".

وعلى كل حال قسم العلماء المقاصد باعتبار المصالح إلى ثلاثة أقسام ضروريات، وحاجيات، وتحسينات.

وقد جاء هذا التقسيم بحسب قوتها، وأهميتها، وخطورتها، وأثرها في الحياة، وحاجة الناس إليها.وبحسب معرفة الداعية إليها؛ يكون عمله وحرصه لكون بعض المصالح ضروري وجوهري تتعلق بوجود الناس، وبوجود الإنسان وكيانه ومقومات حياته.

وبعضها تأتي في الدرجة الثانية لتكون وسيلة مكملة للمصالح الضرورية فتساعد الإنسان على الاستفادة الحسنة من جوانب الحياة المختلفة في السلوك والمعاملات وتنظيم العلاقات دون مشقة ولا حرج، وأيضا بعض المصالح لا تتوقف عليها الحياة ولا ترتبط بحاجيات الإنسان، وإنما تتطلب مكارم الأخلاق، والذوق السليم، والعقل الصحيح لتحقيق الكماليات لهم.

يقول الدكتور يوسف حامد العالم: "ومبدأ تقسيم المصلحة إلى ضرورية وحاجية وتحسينية جدير بالدراسة والبحث، وحبذا لو أخذ المسلمون به، وجنحوا إلى تطبيقه في مجال الحياة العامة لهم بحيث يوضع توفير الحاجيات والضروريات لجميع الناس في دنيا المعيشة

والخدمات التعليمية والصحية موضع القاعدة العامة المرتبطة بشعور الجميع بحيث يربى عليها النشء منذ عهد الطفولة حتى تكون المشاركة بوازع طبيعي وشعور إنساني بدافع الرغبة في الخضوع لتوجيهات الله لعباده وإظهاراً لطاعته وحبا في مرضاته، وبذلك وحده يتم ترابط المجتمع ترابطا حقيقيا، وتماسكا واقعيا، وتعاونا صادقا على البر والتقوى، وبذلك وحده تصير الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، وتصبح كالجسد الواحد تحب الخير لجميع أفرادها، وتدفع عنهم عوامل البؤس والشقاء، أما التحسينات فهي مجال للمزايا والامتياز الذي يشبع بواعث حب التفوق والطموح الإنساني في ضل المنافسة النظيفة الطاهرة التي تدفع بصاحبها إلى المسابقة وحب السبق في عمل الخيرات؛ كسبا لرضا الله ووفاء بعهده وتنفيذا لأمره، وطاعة لدينه القويم بعيدا عن أمراض الحسد والجشع والشح التي تحجب النفوس والقلوب عن نور الهدى وخير الإنسانية"[١].

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف العالم ص١٧١.

ولأهمية تعرف الداعية على هذه المصالح يحسن بالباحث الحديث عن هذه المصالح الدعوية بالمباحث الآتية:

المبحث الأول: المصالح الدعوية الضرورية[1]:

المصالح الدعوية الضرورية: هي التي تقوم عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، بل يتوقف عليها وجودهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة. وفي حال فقدان هذه المصالح الدعوية الضرورية يختل نظام الحياة، وتفسد مصالح الناس وتعم فيهم الفوضى، وربما يتعرض وجودهم للخطر والضياع والانهيار والدمار، فلا يعيش الإنسان مستقيم الحال بدون المصالح الدعوية الضرورية، وبقدر ما يكون من فقدانها بقدر ما يكون من الفساد والفوضى والضياع فهي إذن مصالح لابد منها للإنسان حتى تستقيم الحياة.

يقول الشاطبي " فأما الضرورية فمعناها أنه لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين "[2].

وتنحصر مصالح الناس الضرورية في خمسة أشياء هي: الدين، النفس ، العقل، النسب أو النسل أو العرض، المال.

---

(١) انظر الموافقات: الشاطبي ٢/٧، المصلحة في التشريع الإسلامي: نجم الدين الطوفي ص٥٤، نظرية الضرورة الشرعية: د.وهبة الزحيلي ص٤٩، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د. يوسف العالم ص١٦١، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى ص ٣١٥، المستصفى: الغزالي ١/ ٢٨٦، الاستصلاح والمصالح المرسلة: مصطفي أحمد الزرقاء ص٤١، مصادر التشريع الإسلامي والأدلة المختلف فيها: حسنين محمود حسنين ص١١٩.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٢/٧.

وسيأتي بيان هذه المصالح إن شاء الله في الفصل الثاني.

يقول الشاطبي: "ومجموع الضروريات خمسة وهي حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"(١).

وحفظ الشريعة لهذه المصالح الدعوية الضرورية يتم على وجهين يكمل أحدهما الآخر وهما:

١- حفظها من جوانب الوجود: أي بشرع ما يحقق وجودها، ويقيم أركانها، ويثبت قواعدها.

٢- حفظها من جانب العدم: أي بإبعاد ما يؤدي إلى إزالتها أو إفسادها أو تعطيلها سواء كان واقعا أو متوقعا.

المبحث الثاني: المصالح الدعوية الحاجية(٢):

المصالح الدعوية الحاجية: هي الأمور التي تدعو حاجة الناس إليه من غير حد الضرورية لتأمين شؤون الحياة بيسر وسهولة، وتدفع عنهم المشقة والعنت وتخفف عنهم التكاليف، وتساعدهم على تحمل أعباء الحياة.

وإذا فقدت هذه الأمور لا يختل نظام حياتهم، ولا يتهدد وجودهم، ولا يتابهم الخطر والدمار والفوضى، وإنما يلحقهم الحرج والضيق والمشقة، ولذلك تأتي الأحكام التي تحقق هذه المصالح الحاجية للناس لترفع عنهم الحرج، وتيسر لهم سبل التعامل، وتساعدهم على صيانة مصالحهم الضرورية، وتأديتها، والحفاظ عليها عن طريق

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٨/٢.

(٢) انظر الموافقات: الشاطبي ٩/٢، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د. يوسف العالم ص١٦١، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى ص ٣١٥، المستصفى: الغزالي ٢٨٦/١، خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر الأشقر ص٨٤.

تأمين الحاجيات لهم.يقول الشاطبي - رحمه الله- : "وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة"[1].

وقد بين الله تعالى أنه لم يكلف عباده بالعنت والإرهاق وإنما بين لهم أن مؤدى الأحكام رفع الحرج والمشقة عن الناس قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[2].

وبين جل شأنه أنه لم يكلف نفسا إلا ما هو في استطاعتها، وما هو في وسعها قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا

(١) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٢/٩.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (1)، وفي آية أخرى بين سبحانه أنه إنما يريد بعباده اليسر قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (2)، يقول السعدي - رحمه الله- : "أي يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير ويسهلها أبلغ تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله سهله تسهيلا آخر إما بإسقاطه أو تخفيفه بأنواع التخفيفات، وهذه جملة لا يمكن تفصيلها لأن تفاصيلها جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات "(3).

والداعية في خطابه ومعاملته للمدعوين ينبغي عليه أن لا يكلفهم مما ليس في وسعهم وطاقتهم كما جاء في وصية النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى حيث قال لهما: **(يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا)**(4).

كما على الداعية أن يتدرج بمدعويه وبخاصة مع غير المسلمين حتى لا يشق عليهم وينفرهم.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 6.

(2) سورة البقرة، الآية: 185.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص 86.

(4) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع 3/161 رقم4341- 4342- 4344- 4345 وفي كتاب: الجهاد والسير باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب 2/368 رقم 3038.

المبحث الثالث: المصالح الدعوية التحسينية[1]:

المصالح الدعوية التحسينية: هي الأمور التي تتطلبها المروءة والآداب ومكارم الأخلاق، ويحتاج الناس إليها للتوسعة وللتزيين ولتسيير شؤون الحياة على أحسن وجه وأكمل أسلوب وأقوم منهج، وإذا فقدت هذه الأمور فلا تختل شؤون الحياة، ولا ينتاب الناس الحرج والمشقة ولكن لديهم إحساس بالخجل وربما تتقزز نفوسهم، وتستنكره عقولهم، وتأنف فطرتهم من فقدها، ويتطلعون إلى الكمال فيها.يقول الشاطبي - رحمه الله- : "وأما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق- ثم يقول- فهذه الأمور راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي وإنما جرى مجرى التحسين والتزيين"[2].

ولعل من التحسيني في الأمور الدعوية بناء المراكز الإسلامية والدعوية، والاهتمام بالوسائل الدعوية الإعلامية المختلفة، وحسن الأسلوب الدعوي وجماله، وجودة عرض الدعوة للمدعوين حتى تحقق الدعوة ثمارها.

كما أن من المصالح الدعوية التحسينية ذرائع الفساد فهو أحسن من انتظاره ووقوعه والتورط فيه، والوقاية خير من العلاج، والدفع أولى من الرفع.

---

(١) انظر الموافقات: الشاطبي ٢/ ٩، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د. يوسف العالم ص١٦٤، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى ص ٣١٦، المستصفى: الغزالي ١/ ٢٨٩، خصائص الشريعة الإسلامية : د. عمر الأشقر ص٨٥.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٢/ ١٠.

المبحث الرابع: ترتيب المصالح الدعوية:

تبين مما سبق أن مصالح الناس التي يسعى إلى تحقيقها الدعاة متدرجة ومترتبة بحسب أهميتها ومكانتها في الحياة الإنسانية، ولذا فإن ترتيب المصالح الدعوية هو بحسب المقاصد، وحينئذ فينبغي على الدعاة مراعاة ترتيب المصالح الدعوية التي قصد الشارع تحصيلها وتقديم الأهم فالمهم.

وأهم تلك المصالح الدعوية هي المصالح التي شرعت لتحقيق المصالح الدعوية الضرورية لكون تركها والابتعاد عنها يترتب عليه الاختلال في نظام الحياة وقوامها.

ثم تأتي الأحكام التي شرعت لتحقيق المصالح الدعوية الحاجية لكون عدم الأخذ بها يترتب عليه وقوع المدعوين في الضيق والحرج والشدة والعسر.

ثم تأتي الأحكام التي شرعت لتحقيق المصالح الدعوية التحسينية.

وكل مرتبة لها ما يكملها وهي تعتبر كالتكملة لما قبلها، إضافة إلى أن الأحكام الحاجية كالتتمة والتكملة للمصالح الدعوية الضرورية وأحكامها، وأن التحسينات مكملة للحاجيات.

ويتبين من ذلك أن الضروريات هي أصل المصالح كلها، وهي مقصود الشارع الأصلي وحينما تتعرض المصالح الضرورية أو إحداها للخلل لأدى ذلك إلى اختلال المصالح الدعوية الحاجية والتحسينية، وإذا اختل حكم حاجي أو تحسيني فإنه يؤثر بطريق غير مباشر على المصالح الدعوية الضرورية بوجه من الوجوه وينذرها بالخطر، لذلك تجب المحافظة على المقاصد الحاجية والمقاصد التحسينية حتى لا

تتعرض المصالح الدعوية الضرورية للخلل، وينبغي إهمال المقاصد الحاجية إذا كان في مراعاتها إخلال بالمقاصد الضرورية، وكذلك ينبغي إهمال المقاصد التحسينية إذا كان في مراعاتها إخلال بمقاصد ضرورية أو حاجية يقول الشاطبي - رحمه الله- : "المقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية والتحسينية، فلو فرض اختلال الضروري بإطلاق لاختلاّ باختلاله بإطلاق، ولا يلزم اختلالهما اختلال الضروري بإطلاق، نعم قد يلزم من اختلال التحسينات بإطلاق اختلاف الحاجي بوجه ما.وقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما، فلذلك إذا حوفظ على الضرورية فينبغي المحافظة على الحاجي، وإذا حوفظ على الحاجي فينبغي المحافظة على التحسيني إذا ثبت أن التحسيني يخدم الحاجي، وأن الحاجي يخدم الضروري فإن الضروري هو المطلوب فهذه مطالب خمسة لابد من بيانها :

أحدهما: أن الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتكميلي.

الثاني: أن اختلال الضروري يلزم منه اختلال الباقيين بإطلاق.

الثالث: أنه لا يلزم من اختلال الباقيين اختلال الضروري.

الرابع: أنه قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما.

الخامس: أنه ينبغي المحافظة على الحاجي وعلى التحسيني للضروري "[1].

(١) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٢/ ١٣.

وإذا كانت المقاصد الدعوية الضرورية والحاجية والتحسينية تتفاوت وتترتب الأحكام بحسبها فإن المقاصد الدعوية الضرورية نفسها أيضا تتفاوت حيث إنها كلها ليست في رتبة واحدة، وحينئذ فلا تراعى مصلحة دعوية ضرورية إذا كان في مراعاتها إخلال بمصلحة دعوية ضرورية أهم منها.

وهكذا في المصالح الدعوية الحاجية حيث لا تراعى مصلحة دعوية حاجية إذا كان في مراعاتها إخلال بمصلحة دعوية حاجية أهم منها.

وهكذا المصالح الدعوية التحسينية فلا تراعى مصلحة دعوية تحسينية إذا كان في مراعاتها إخلال بمصلحة دعوية تحسينية أهم منها.

وأيضا فإن المصلحة الدعوية العامة في كل قسم تقدم على المصلحة الدعوية الخاصة فيها.

ومما يدل على تقديم المصلحة الدعوية الضرورية على المصلحة الدعوية الحاجية، وتقديم المصلحة الدعوية الحاجية على المصلحة الدعوية التحسينية ما جاء في الأثر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ)[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في الغزو مع أئمة الجور رقم ٢٥٣٣. وقال الألباني: ضعيف، انظر ضعيف سنن أبي داود ص٢٤٩.

ففي الحديث تقديم المصلحة الدعوية الضرورية على المصلحة الدعوية الحاجية ذلك أن إقامة غير الفاسق واتباعه على ذلك من المصالح الدعوية الحاجية الواجبة على المسلمين ولكن الرسول ﷺ أمر بتجاوز هذه المصلحة الدعوية الحاجية إذا وقفت في طريق مصلحة دعوية ضرورية وهي الجهاد، فأوجب الجهاد حتى وراء الإمام الفاسق.

كما دل الحديث أيضا على تقديم المصلحة الدعوية الحاجية على المصلحة الدعوية التحسينية ذلك أن اختيار أفضل الأئمة علما ودينا للصلاة خلفه من المصالح الدعوية التحسينية التي شرعها الله، ولكن الرسول ﷺ أمر بتجاوز هذه المصلحة الدعوية التحسينية إذا عارض أداء ما هو داخل في المصالح الدعوية الحاجية كإقامة صلاة الجماعة في المسجد إذا لم يتوفر غير الإمام الفاسق.

وينبغي التنبيه إلى أن هذا التقسيم للمقاصد الدعوية – ضروري وحاجي وتحسيني – لا يعني أن المصالح الدعوية الضرورية فرض وواجب، وأن المصالح الدعوية الحاجية مندوبة وسنة، وأن المصالح الدعوية التحسينية مباحة، بل إن في كل قسم منها؛ فرائض، ومندوبات، ومباحات، ومكروهات، ومحرمات.

الفصل الثالث

تقسيم المقاصد الدعوية باعتبار حفظ الضروريات

المبحث الأول: مقصد المحافظة على الدين.

تنحصر مصالح الناس الضرورية في خمسة أشياء هي الدين، والنفس، والعقل، والنسب أو العرض، والمال، وقد جاءت الشريعة لحفظ هذه المصالح الأساسية، بل وقد ترتبت مقاصد الشريعة الأساسية بناء عليها.يقول الغزالي - رحمه الله- : "ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"(١)، وجاءت الدعوة الإسلامية بأحكامها وتعاليمها وتوجيهاتها بحفظ هذه المصالح الخمس من طريقين أحدهما يكمل الآخر وهما:

الأول: حفظها من جانب الوجود: أي بشرع ما يحقق وجودها، ويقيم أركانها، ويثبت قواعدها.

الثاني: حفظها من جانب العدم: أي بإبعاد ما يؤدي إلى إزالتها أو إفسادها أو تعطيلها والإخلال بها.

يقول الشاطبي - رحمه الله- : "والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم"(٢).

وسيأتينا إن شاء الله فيما بعد توضيح وتفصيل ذلك.

---

(١) المستصفي: الغزالي ١/ ٢٨٧.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٢/ ٧.

ومما يؤكد على أهمية هذه المصالح أن الشرائع الدينية اتفقت على مراعاة هذه المصالح، يقول الغزالي - رحمه الله- : "وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر"(١).

ويقول العز بن عبد السلام - رحمه الله- : "المفاسد ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجب درؤه، فإن عظمت مفسدته وجب درؤه في كل شريعة، وذلك كالكفر، والقتل، والزنا، والغصب، وإفساد العقول"(٢).

المبحث الأول: مقصد المحافظة على الدين:

إن الدين هو الأصل لكل ما ينبغي أن يحفظ، لكون الدين هو الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل به الكتب قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٣).

وقد بين الله جل شأنه أن الدين هو الإسلام: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن

---

(١) المستصفي: الغزالي ١/ ٢٨٨.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبدالسلام ١/ ٤٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

﴿ يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[1]، بل ولا يقبل من أحد دينا سواه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2].

والمدعوون بحاجة إلى الدين أشد من حاجتهم إلى الأكل والشرب، والدين هو الذي عليه مدار الأمن والاستقرار والطمأنينة والسعادة والحياة السليمة للأفراد والمجتمعات على حد سواء.

فالدين مصلحة ضرورية لسائر الناس جميعهم صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فقيرهم وغنيهم، صحيحهم ومريضهم... فهو ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بمجتمعه، ولو ترك الناس بدون تشريع يحفظ عليهم عقيدتهم وينظم شؤون حياتهم لسادت الفوضى وعمّ الاضطراب.ولنا عبرة في تلك الدول التي ينتشر فيها الفوضى والاضطراب والهمّ والغمّ، ولعل ذلك بسبب عدم تحكيم شرع الله وإتباع تعاليمه.

إن أحكام الشريعة جاءت كاملة ومفصلة وشاملة، وجاءت أصول الدين مبينة وواضحة في حديث جبريل الطويل فعن عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ**

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)[(١)].

ولقد حرص الرسل وقاموا ببذل جهدهم في دعوة أقوامهم من أجل تحقيق عبادة الله وحده، وصرف جميع أنواع العبادات لله وحده واجتناب عبادة ما سواه ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[(٢)].

إن التوحيد والعقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد وهو أول واجب، وأول ما ينبغي الاهتمام به في الدعوة إلى الله تعالى، وهكذا كان اهتمام النبي ﷺ به، حيث مكث في مكة وهو يدعو إلى التوحيد في حدود ثلاث عشرة سنة حتى أرسى قواعد وأصول الدين في قلوب الناس وثبتت ثبات الجبال الراسيات، وكان يراسل الملوك

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٤٦ رقم الحديث ٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

والقبائل، وكان أول ما يدعوهم إليه هو الاستسلام لله، والانقياد له (أسلم تسلم) ومما جاء على سبيل المثال ما كتبه الرسول ﷺ إلى هرقل حيث جاء في صحيح البخاري (ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[1].

فكان الأساس هو التركيز على توحيد الله وحده لا شريك له، ولذلك فينبغي على الداعية أن ينظر إلى المدعوين فان كان عندهم قصور أو خلل في العقيدة والتوحيد فحينئذ عليه التركيز على ذلك، وإن رأى أن العقيدة بتوفيق من الله صافية لا خلل فيها عليه أن ينتقل بهم إلى بقية الواجبات بحسب أهميتها وبحسب ما يحتاجه أهل ذلك البلاد أو ذاك.ولما أرسل النبي ﷺ معاذا إلى اليمن قال له: (**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: بدء الوحي ١/ ١٦، رقم الحديث ٧.

عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)[1].

إن العبادات أنواع؛ فمنها الواجب، ومنها المستحب...، وقد أرشد الشرع إلى أنواع العبادات المختلفة وقد أخبر النبي ﷺ أن من الناس من يدعى يوم القيامة من تلك الأبواب كلها، وقد يدعى البعض من باب واحد، فلكل عامل باب من أبواب الجنة يدعى منه بذلك العمل، وفي الحديث أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ (يَعْنِي الْجَنَّةَ) يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرَّيَّانِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ وَقَالَ هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: باب وجوب الزكاة ١/ ٤٣٠ رقم١٣٩٥، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ١/ ٤٥٠- ٤٥١ رقم ١٤٥٨، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ١/ ٤٦٣- ٤٦٤ رقم١٤٩٦، وفي كتاب: المظالم والغصب، باب: الاتقاء والحذار من دعوة المظلوم ٢/ ١٩٢ رقم ٢٤٤٨، وفي كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٣/ ١٦١- ١٦٢ رقم ٤٣٤٧، وفي كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/ ٣٧٨ رقم ٧٣٧١- ٧٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ٣/ ١٠ رقم ٣٦٦٦.

فالشارع الحكيم بين أنواعا كثيرة للعبادات، وأشار إلى كيفيتها ووقتها ، كل ذلك لترسيخ الدين في النفوس، وترسيخ العبادات في القلوب، وإيجاد الدين في الحياة والمجتمع، ونشره في أرجاء المعمورة، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة من أجل تحقيق العبودية لله وحده، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1].

إن ما ذكرناه فيه مراعاة الشارع للدين من جانب الوجود.

وأما مراعاته من جانب العدم فقد شرع الإسلام كل ما يدفع ويدرأ ما يضعف التمسك بالإسلام أو يصد عن دين الله أو يحدث الإضلال به.وإن من أعظم ذلك الجهاد في سبيل الله؛ الجهاد بالمال، والنفس من أجل الحفاظ على الدين ورعايته، وعدم الاعتداء عليه ومنع الفتنة فيه ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

(٣) سورة الحج، الآية: (٣٩- ٤١).

يقول السعدي - رحمه الله- : "وهذا يدل على حكمة الجهاد، فإن المقصود منه إقامة دين الله أو ذب الكفار المؤذين للمؤمنين البادئين لهم بالاعتداء عن ظلمهم واعتدائهم والتمكن من عبادة الله وإقامة الشرائع الظاهرة فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين"(١).

وشرع الإسلام أيضا للحفاظ على الدين من جانب العدم؛ عقوبة المرتد عن دينه وجاء في الأثر أن النَّبِيّ ﷺ قال: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)(٢).

وبين الإسلام عقوبة الساحر، وهي ضربه بالسيف، كما حذر من البدع والمبتدعة لأنهم يحدثون في الدين ما ليس منه، كما طلب الأخذ على يد تارك الصلاة، ومانع الزكاة، وحرم المعاصي وعاقب مقترفيها بالحد أو التعزير إلى غير ذلك من المحرمات...

كما أن الإسلام حفظ الناس من مفاسد الشرك أو الوسائل المفضية إليه.

ومما ذكرنا يتبين أن الشريعة حافظة للدين من العدم بأربعة أمور ينبغي على الداعية فهمها واستيعابها وهي:

الأول: مشروعية الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال.

الثاني: مشروعية قتل المرتدين والزنادقة.

الثالث: محاربة الابتداع في الدين، ومعاقبة المبتدعين والسحرة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص ٥٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله ٢/ ٣٦٣ رقم الحديث ٣٠١٧وأخرجه في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ٤/ ٢٧٩ رقم الحديث ٦٩٢٢.

الرابع: تحريم المعاصي، ومعاقبة من يقترفونها بالحد والتعزير.

ولولا الإطالة لفصلت في هذه الأمور الأربعة ولذكرت الأدلة مفصلة ولكن لعل ما ذكر فيه إجمال وفائدة قد حقق ما نحن بصدده وينبغي التأكيد على أن "الدين الصحيح هو ما يسمو بالإنسان فوق حاجاته الجسمية، ونوازع الأنانية، ويوثق الصلة بينه وبين خالقه، ويبث في نفسه روح الأخوة بينه وبين من يشتركون معه في الدين وبين سائر أفراد البشر.

والدين الصحيح هو الذي يساير الطبيعة الإنسانية ويهذبها ويرقيها ويضع القواعد والضوابط حتى لا تكون وبالا على الإنسان أو على غيره.

والدين هو الذي يربط بين عبادة الله وطاعته وبين حب الخير للناس، وبين عصيانه وإضرار الناس، ويبث في نفوس معتنقيه حب العدل والإخاء والمساواة وكره الظلم والطغيان والكبرياء والتعالي ويملأ قلوبهم بالرحمة والمودة"[(١)].

المبحث الثاني: مقصد المحافظة على النفوس:

النفس هي ذات الإنسان، وهي مقصودة بذاتها في الإيجاد والتكوين، وفي الحفظ والرعاية والعناية لأن النفس عند الله غالية وفي الأثر عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)[(٢)].

---

(١) انظر المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم ص ٢٢١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) ٤/ ٢٦٥ رقم الحديث ٦٨٦٢.

فخلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

وسخر سبحانه وتعالى ما في الوجود لمنافعه قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

ويقول تعالى مبينا أطوار خلق الإنسان وهو في بطن أمه ثم يبين أطواره بعد خروجه من بطن أمه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[3].

إن الإسلام شرع لإيجاد النفس وتكوينها واستمرارها؛ الزواج ليحصل التوالد والتناسل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[4]، وشرع الإسلام أحكاما كثيرة من أجل تحقيق مصلحة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

(٣) سورة الحج، الآة: ٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١.

حفظ النفس، فأوجب تناول الطعام والشراب، واللباس والمسكن بحسب حالات الضيق والسعة كل على قدر استطاعته.

كما شرع النفقات ففرض مثلا على الوالد الإنفاق على الصغير، وأوجب على الوالدة إرضاع الولد، وجعل للولد على والده حقوقا، وحدد مسؤولية الآباء عن الأبناء، وما يجب عليهم من الرعاية والعناية.

ولم تكن الحقوق فحسب بمن يعول الإنسان، بل جعل للناس حقوقا للحفاظ مع النفس فجعل إنقاذ الغرقى والهدمى والحرقى فرض كفاية للحفاظ على وجود النفس.

وشرع الإسلام أيضا لحفظ النفس وحمايتها وصيانتها، ومنع الاعتداء عليها ودفع الظلم عنها أحكاما كثيرة فمنها:

- حرم قتل النفس بغير حق ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

- شرع القصاص للحفاظ على الأنفس قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

- شرع الدية والكفارة.

- حرم الزنا واللواط وأنواع الأنكحة الفاسدة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

- منع الإسلام إلقاء النفس في التهلكة.
- حرم الانتحار.
- وليس هذا فحسب بل أوجب التداوي لمن احتاج الدواء ، وجعل للضرورة أحكاما حتى ولو أدى ذلك إلى إباحة المحرم، كل ذلك لأن نفس الإنسان ليست ملكا له وإنما هي لله وحده فلا يتصرف فيها إلا بما يرضي الله، ولا يعمل إلا بما يحبه الله، ولا يتكلم ولا يسمع ولا ينظر إلا بما يأذن به الله.

"فهذه التشريعات الإلهية الحكيمة المقصود منها تحقيق حفظ النفس، ووضع الأسس والضمانات لحفظها منذ بدء خلقها نطفة، وفي جميع أطوار الضعف والحاجة إلى أن يبلغ أشده، ويستطيع الاعتماد على نفسه في تحصيل مطالب الحياة وبذلك توضع عليه المسؤولية دون والديه وأقاربه، وليواجه الحياة، وعندما يصل إلى هذه المرحلة يصير مكلفا مسؤولا أمام الله، ويجد ما قد وضع له من الأحكام التي تهديه سواء السبيل في تحصيل مصالح الآخرة ومطالب الدنيا ومنافعها فبين له ما يضره وما ينفعه"[1].

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم ص ٢٧٥.

المبحث الثالث: مقصد المحافظة على العقل:

العقل جزء من إيجاد النفس، وهو أسمى شيء في الإنسان، وأبرز ميزة وصفة تميزه.والعقل أعظم منحه من رب العالمين، والعقل السليم يرشد المدعو إلى الخيرات ويبعده عن الشرور والآفات، كما أنه يعين للوصول إلى الفضائل وترك الرذائل، والعقل أساس التكليف، فلا تكليف بلا عقل لأن غير العاقل مرفوع عنه القلم، كما لا يتحاكم إلى العقل دون الرجوع إلى الشريعة الإسلامية، وحقيقة هداية العقل بتحاكمه إلى الشرع ولا تعارض بينهما(١).

وبالتأكيد فإن ما جاء به الشرع فهو موافق للعقل، والبلاء كل البلاء حينما يتحاكم الدعاة إلى العقل وحده، وقد خاض من خاض في الاعتماد على عقله فكان ما كان من الفوضى والاضطراب والتضليل والضلال.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل العقول متفاوتة فجعل الناس درجات في التفكير والتقدير والتعقل والتدبر.وحينئذ فلكل واحد من هؤلاء ما يناسبه ويناسب قدراته، وعلى الداعية أن يخاطب الناس ويقنعهم بالأدلة الشرعية مضيفا إليها الأدلة العقلية، وعليه أن يحرك فيهم عقولهم للتفكر والتدبر والتأمل، وهذا ما سلكه أسلوب القرآن الكريم في مواضع كثير وقضايا عديدة، فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

---

(١) ألف شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- مؤلفا بين فيه عدم تعارض العقل والنقل في كتابه الموسوم (درء تعارض العقل والنقل) وللمزيد والتفصيل يرجع إليه.

﴿لَآيَـٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1]،

إضافة إلى ورود آيات كثيرة جاءت للحث على إعمال العقل وبعضها جاءت لتنكر على الذين لا يحركون عقولهم ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[3]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[4].

إن الإسلام جاء بالمحافظة على العقل من جانب الوجود وأيضا حفظه من جانب العدم، ومما يدل على حفظ الإسلام للعقل من جانب الوجود مثلا التعلم والتعليم حيث جعل العلم فريضة على كل مسلم، وجعل تفاوت الناس بحسب علمهم فالعلماء هم أفضل الناس قال الله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[5]، قال السعدي -رحمه الله: "لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار"[6].

وحث الشرع ورغب في طلب العلم، وجعل طلبه من أفضل القرب إلى الله كما جعل مرتبته أعلى المراتب.ومن أفضل وأعظم العلوم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩٠- ١٩١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص ٧٢٠.

كتاب ربنا حفظا وتعلما وتعليما وتدبرا وعملا ففي الحديث عَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[1].

ولا يخفي على أحد عظم الفرق بين العلم والجهل، ولا قيمه لدعوة بلا علم بل من دعا بجهله فإنه يفسد أكثر مما يصلح، قال الله تعالى مبينا ضرورة العلم في الدعوة الإسلامية: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ولا قيمة لعقل يكون عرضة لكل ما يخطر عليه من الأوهام والخرافات والبدع والضلالات، وعلى الإنسان أن يتدارك ذلك على نفسه وعلى غيره بالتعلم والتعليم.

والعقل يحتاج إلى تمرين وصقل وتعويد على الإدراك، ولا سبيل لذلك إلا بالعلم لأن العقل ينضج ويكتمل ويتسع ويزدهر، وينمو ويؤتي ثماره بالعلم والمعرفة والبحث والتفكير، والداعية يدعو نفسه ويدعو غيره إلى ذلك بل ويقدر مسؤوليته في ذلك.

وأيضا مما يدل على حفظ الإسلام للعقل من جانب الوجود التنويه بما ينميه والتأمل والتفكر حيث إن الشارع أمر بالتفكر، وأنكر على الذين لا يتفكرون؛ لأنهم بذلك لا يحركون عقولهم ليصلوا بها إلى غاية حميدة وهدف مشروع، ومما أمر الله التفكر به؛ أمر بالتفكر في الخلق، والكون، والحياة كما أمر بالنظر والبحث في مكنونات الأرض والنفس وكشف ما فيها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٣٤٦/٣، رقم الحديث ٥٠٢٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2].

قال السعدي -رحمه الله- : "وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله"آيات" ولم يقل "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه فلا يمكن لمخلوق أن يحصره ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنع ولطائف الفعل؛ يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها وسعة علمه.وما فيها من المنافع للخلق يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضلة، وشمول بره، ووجوب شكره.وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم...

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (٢٠- ٢١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٩٠- ١٩١).

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين"[1].

وكما أن الإسلام حفظ العقل من جانب الوجود فحفظه أيضا من جانب العدم حيث إن الإسلام شرع أحكاما وتعاليم للحفاظ عليه، وشرع أحكاما وتعاليم لمنع الاعتداء عليه أو ما يؤدي إلى إزالته إزالة مؤقتة أو مؤبدة حماية له من الزوال والإضعاف فعلى سبيل المثال حرم الإسلام الخمر وجميع المسكرات التي تزيل العقل وتلغي وجوده أو تؤثر فيه، وجعل لمن فعل ذلك حدا بسبب تناوله ذلك.

المبحث الرابع: مقصد المحافظة على العرض:

ويعبر عنه بعض العلماء بحفظ النسب أو النسل.

والعرض فرع من النفس الإنسانية، وهو شرف الإنسان وبه يمدح أو يذم باعتباره أحد المكونات المعنوية للإنسان، والقصد منه وجود وحفظ النسل للبشرية، وصيانة النسب بأرقى الوسائل وأشرف الطرق لأنه ناتج عن حكيم عليم بخلاف ما وضعه البشر من قوانين وضعية بزعمهم أنها تحفظ النسل وهي في واقع البعض أنها تهلك البشر والنسل.

إن الله سبحانه وتعالى خلق البشر من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وعن طريق التناسل والتوالد بث منها رجالا كثيرا ونساء قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص ١٦١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

وهذا البث من الرجال والنساء جعل منهم شعوبا وقبائل، وجعل ميزان الكرامة والتفضيل (التقوى) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [(١)] ، وفي الحديث أن رَسُول اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ وَلَا أَدْرِي قَالَ أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) [(٢)] .

إن الحفاظ على العرض أو النسل أو النسب مقصود لذاته من جهة وهو وسيلة لحفظ الذرية من جهة أخرى، ونجد أن الشارع شرع أحكاما للأسرة، ووضع أسساً وقواعد يضمن لها السعادة والاستقرار بإذن الله، ومن أهم تلك الأحكام التي شرعها الإسلام لوجود النسل والنسب؛ الزواج، والذي هو سنة الله في عباده، وآية من آياته، وجعل في الذكر والأنثى دوافع طبيعية ونوازع فطرية بها تبقى الإنسانية وتساعد على استمرارها، كما عزز تلك الدوافع والنوازع بالتهذيب، ووضع لها ضوابط من سلكها كانت حياته هنية، وعيشته مستقرة، وجاء الإسلام بتوجيه الشباب بالزواج لما يتسم به من فتوة وقوة

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند باقي الأنصار ، ٥/٥١٠ رقم الحديث ٢٣٤٧٩.

وعنفوان، وفي الحديث (**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**)(١).

ويوضح النبي ﷺ المنهج المستقيم في نوازع النفس وضرورة مراعاتها وأخبر بأن في عدم التنبه لذلك مخالفة لسنة المصطفى ﷺ ففي الحديث عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)(٢).

ورغّب الشرع باختيار ذات الدين لكونها تعين المرء على إقامة الدين ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم ٣/٣٥٤ رقم الحديث ٥٠٦٦.وأخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ٢/٨٢٦ رقم الحديث ١٤٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح ٣/٣٥٤، رقم الحديث ٥٠٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين، ٣/٣٦٠، رقم الحديث ٥٠٩٠.وأخرجه مسلم في كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، ٢/٨٨٠، رقم ١٤٦٦.

إن الشارع جعل الزواج طريقا لإنجاب النسل، وكل طريق يناقض أو يعارض ذلك الطريق فقد حرمه الشارع حفاظا على مصلحة النسل والعرض من جانب العدم ولذلك شرع أحكاما كثيرة تبدأ من غض البصر لأن ترك العنان للبصر يعد أول مقدمات ودواعي الزنا ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(١)].

كما نهى الشارع عن الخلوة بالمرأة الأجنبية والنظر إليها، والتبرج بالقول والفعل سواء كان ذلك مباشرة أم بصورة مرئية قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[(٢)]، فالزنا له مقدمات والآية نصت على النهي عن تلك المقدمات لأنها وسيلة إليه يقول السعدي - رحمه الله: "والنهي عن قربان الزنى أبلغ من النهي عن مجرد فعله، لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، خصوصا هذا الأمر، الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه"[(٣)].

---

(١) سورة النور، الآية: (٣٠- ٣١).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص٤٥٧.

وكما ذكرنا فإنها تبدأ من غض البصر ومن ثم تنتهي بإقامة الحد على الزاني ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وفي الحديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ)[2] .

أو أنها تنتهي بإقامة حد القذف على القاذف ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةٗ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] .

فهذه التشريعات جاءت للمحافظة على النسل والعرض من جانب العدم لكون هذا القذف بالزنى أو بغيره هو كنفي النسب ففيه زعزعة الثقة في آصرة النسب التي تقوم عليها جميع صلات القرابة، كما إن فيه إلحاق العار بأعز ما يملكونه.

وكما حرم الإسلام الزنا فكذلك حرم الأنكحة التي تتضمن الفساد والإفساد مثل نكاح الاستبضاع، ونكاح الرهط، ونكاح البغايا لكونه يتنافى مع مصلحة الإنسان في حفظ العرض والنسل والنسب وكذلك حرم الإسلام اللواط الذي هو أقبح من جريمة الزنا لما فيه من انحراف عن الفطرة الإنسانية، ورتب الإسلام على فعله

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الحدود، باب: حد الزنى، ٣/١٠٦٣، رقم الحديث ١٦٩٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٤.

القتل ففي الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ)(١).

والدعوة الإسلامية جاءت لتحافظ على أعراض الناس، والدعاة في دعوتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر يحرصون أشد الحرص على توعية الناس وإرشادهم وتوجيههم فيما يعود على المحافظة على تلك الأعراض.

ويلتحق بذلك النهي عن قذف الأعراض بلفظها العام من السب والشتام والاتهام والقذف بالنفاق وبغيره وسواء كان ذلك على الولاة أو العلماء أو الدعاة أو أفراد الناس وعامتهم، **وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ(إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)**(٢).

والشريعة الإسلامية نهت عن كل ما يؤدي إلى ذلك من الغيبة والنميمة أو سماع الإشاعة.

والداعية أولى الناس الذي ينبغي أن لا يصدر منه أحكاما في أعراض الناس، وأن لا يصدق أو يأخذ كل ما يأتيه من أقوال حتى يتثبت ويتبين ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ** ﴾(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسند بني هاشم: ، بداية مسند عبدالله بن العباس ١/ ٢٧٣، رقم ٢٧٣١ وقال الألباني: صحيح.انظر سنن ابن ماجه، تعليق محمد ناصر الألباني رقم الحديث ٢٥٦١، ص ٤٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ ٢ /٥١٨ رقم الحديث ٣٥٥٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.

المبحث الخامس: مقصد المحافظة على المال:

المال ضرورة من ضروريات الحياة التي لا غنى للإنسان عنه، والمال هو الوسيلة الأساسية التي تساعد الناس على تأمين العيش وتبادل المنافع والاستفادة من جوانب الحياة الكثيرة والمختلفة، وهو بحاجة إليه في قوته وملبسه ومسكنه...

إن الإسلام قد شرع لإيجاد المال وتحصيله؛ السعي في مناكب الأرض لطلب الرزق والمكاسب قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[1].

والمال لا يذم لذاته، ولا يمدح لذاته، بل يذم ويمدح لمسلك الإنسان به، فهو قابل لتحصيل عمل الخير به أو الشر، فمدحه وذمه راجع إلى فعل الإنسان به.وعلى الدعاة والمدعوين أن يدركوا بأن المال؛ مال الله، وحينما يرزقه الله المرء فإنه يستودعه إياه ليختبره ويبتليه، فيكفر أو يشكر، والمال يستفاد منه في الأمور الدينية والدنيوية، كأن ينفقه في عبادة كالحج والزكاة والجهاد وأمور الدعوة... أو يستعين به على عبادة المطعم والملبس والمسكن... أو يصرفه في أنواع الخيرات والبر والإحسان التي يعم نفعها سائر الناس كبناء المساجد ودور العلم والمستشفيات... أو يستعين به على البر والتقوى والكرم... فالمال إذن وسيلة دعوية يستعان به لتحقيق مصالح الدين والدنيا.

وأما من جعل المال غاية ومقصدا يقضي به مآربه؛ فغالبا ما يتسم بالصفات التي أشار الإسلام إلى ذمها، وأمر بتركها ونهى عن فعلها، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

- النهي عن كنز الأموال وعدم أداء حقه قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

- النهي عن الميسر لما فيه من أخذ المال بغير حق قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

- النهي عن الشح قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

- النهي عن البخل قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[4].

إلى غير ذلك من الصفات المذمومة والمنهي عنها وهي إما لأنها لا تنفق في وجوهها أو أنها تنفق في غير مواضعها وتصرف في غير مظانها المشروعة.

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٣٤- ٣٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٩٠- ٩١).

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

إن من يجعل المال غاية له ومقصداً تجده يسعى لكسب المال بأي طريق فربما حصل المال من غير وجوهه المشروعة كمن كسب المال بطريق الربا أو السرقة أو الغصب أو الظلم أو غير ذلك.

والشريعة الإسلامية كما جاءت لتحث على الإنفاق وتأمر به وتدعو إليه إلا أنها نبهت إلى أنه ينبغي أن لا يكون بإسراف أو تبذير أو تقتير قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1]، قال ابن كثير - رحمه الله - : "أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم بل عدلا خيارا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا"[2].

والشريعة الإسلامية لم تغفل جانب من لا يحسن التصرف بالمال حيث قامت بمنع وحرمان من اتسم بذلك من حق التصرف فيه قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[3]، يقول ابن كثير - رحمه الله - :"ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها "[4].

وحرمت الشريعة الإسلامية وحذرت من كل آفات المال ومضاره أو استخدامه في المعاصي أو التعلق به لذاته والانشغال به عن الصلاة

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٣/٣٥٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/٤٩١.

وذكر الله وأداء الواجبات، وحذر الإسلام من كان همه المال حتى أصبح عبدا له ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)[١].

قال ابن حجر - رحمه الله - : " عبد الدينار أي طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده "[٢]، فالمال إذن لا يمدح ولا يذم لذاته وإنما الذم والمدح راجع إلى تعلق القلب وتصرفه به.

لقد شرع الإسلام أيضا لحفظ المال وحمايته ومنع الاعتداء عليه أحكاما كثيرة ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

- النهي عن السرقة حيث حرمتها الشريعة وأقامت الحد على فاعلها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

- كما حرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال ٤/ ١٧٩ رقم الحديث ٦٤٣٥.

(٢) فتح الباري: ابن حجر ٣٠٦/١١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)[1].

وبعد هذا العرض يتبين للدعاة أن المال ضرورة من ضروريات الحياة، وعلى الدعاة أن أن يفهموا أن الإسلام وضع القواعد والأحكام لكسب المال وتملكه وإنفاقه، وتنميته، بالوجوه المشروعة وكذلك بين الوجوه غير المشروعة، حتى يكون الدعاة على بينة وعلم بحكم الله وتشريعه.

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم له واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/١٥٧٧ رقم الحديث ٢٥٦٤.

الفصل الرابع: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد

المبحث الأول: ضوابط المصالح الدعوية:

قسم العلماء المصالح إلى ثلاثة أقسام هي:

الأول: ما شهد الشرع باعتبارها، وهذه معتبرة باتفاق العلماء.فكل ما شرعه الشارع ففيه مصلحة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- " الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها"[1]، ويقول في موضع آخر: " إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه فمفسدته راجحة"[2].

الثاني: ما شهد الشرع بإلغائها، وهذه ملغاة باتفاق العلماء لأن من الأحكام ما قد يكون فيه مصلحة من وجه لكن مفاسدها أكثر يقول شيخ الإسلام: "وإلا فجميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع ومقاصد لكن لما كانت مفاسدها راجحة على مصالحها نهى الله ورسوله عنها"[3].

الثالث: ما لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا بإلغاء بدليل معين.

وهذا القسم اختلف العلماء فيه وفي صلاحيته لترتيب الأحكام عليه وهو ما يسميه العلماء بالمصالح المرسلة، يقول شيخ الإسلام: " المصالح المرسلة وهو أن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٦٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ١٣٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٦٥.

وليس في الشرع ما ينفيه فهذا فيه خلاف مشهور، فالفقهاء يسمونه (المصالح المرسلة)[1].

والبعض كالحنابلة توسع في القول بالمصالح في السياسة الشرعية وملاحظة مصالح العباد فيها، وهناك من العلماء من لا يترك المصالح في فتاويه ودراساته ويؤكد على أنه ما دامت مصالح شهد لها الشرع بعمومات أو قواعد كلية وأصول عامة أو اعتبر جنسها فهي في الواقع غير مستقلة ببناء الأحكام الأحكام عليها[2].

ولنفاسة ما ذكره ابن القيم في العمل بالسياسة الشرعية واعتماده في ذلك على المصالح يحسن بي أن أنقل كلامه حيث قال ابن القيم "وقال ابن عقيل في الفنون: جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية أنه هو الحزم ولا يخلو من القول به إمام، فقال الشافعي لا سياسة إلا ما وافق الشرع.وقال ابن عقيل السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي.

فإن أردت بقولك إلا ما وافق الشرع أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح، وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل ما لا يجحده عالم بالسنن، ولو لم يكن إلا تحريق عثمان المصاحف فإنه كان رأيا اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة، وتحريق علي ﷺ الزنادقة في الأخاديد، وقال:

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١ / ٣٤٢.

(٢) انظر أصول مذهب الإمام أحمد: د. عبدالله التركي ص ٤٧٩.

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

ونفي عمر لنصر بن حجاج" اهـ.

قال ابن القيم -رحمه الله - : وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعترك صعب فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرأوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة إلى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له، وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعا أنها حق مطابق للواقع ظنا منهم منافاتها لقواعد الشرع، ولعمر الله إنها لم تناف ما جاء به الرسول وإن نافت ما فهموه من شريعته باجتهادهم، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة الشريعة وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر، فلما رأى ولاة الأمور ذلك وأن الناس لا يستقيم لهم أمر إلا بأمر وراء ما فهمه هؤلاء من الشريعة أحدثوا من أوضاع سياساتهم شرا طويلا وفسادا عريضا ، فتفاقم الأمر وتعذر استدراكه، وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس من ذلك، واستنقاذها من تلك المهالك، وأفرطت طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة فسوغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله، وكلتا الطائفتين أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه، فإن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإن ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء ثم ينفي ما هو أظهر منها، وأقوى دلالة، وأبين أمارة فلا يجعله منها، ولا

يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له، فلا يقال إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع بل هي موافقة لما جاء به بل هي جزء من أجزائه ونحن نسميها سياسة تبعا لمصطلحكم وإنما هي عدل الله ورسوله"[1].

وعودا على بدء نقول إن الصواب في المصالح الدعوية التي لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا بإلغاء تعد معتبرة إذا توفرت فيها الضوابط الآتية:

الأول: اندراج المصلحة الدعوية في مقاصد الشارع.

الثاني: عدم معارضة المصلحة الدعوية للنصوص الشرعية.

الثالث: عدم تفويت المصلحة الدعوية مصلحة أهم منها أو مساوية لها.

وبيان ذلك بالآتي:

الأول: اندراج المصلحة الدعوية في مقاصد الشارع .

إن المصلحة التي يسعى الداعية إليها لابد أن تكون مندرجة في مقاصد الشارع وكما سبق فإن مقاصد الشارع في خلقه تنحصر في حفظ الدين والنفس والعقل والعرض أو النسل والمال.

فكل ما فيه حفظ لهذه الأمور الخمسة فهو مصلحة وكل ما فيه تفويت أو إزالة هذه الأمور الخمسة فهو مفسدة.

يقول الغزالي: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم ص ١٣.

حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول مفسدة ودفعها مصلحة"[1].

ثم إن مصالح الناس المعتبرة شرعا ليست على درجة واحدة من حيث الأهمية والخطورة، وحاجة الناس إليها، وإنما هي على مستويات مختلفة ودرجات متعددة وهي كما سبق مصالح ضرورية ثم مصالح حاجيه ثم مصالح تحسينية.

الثاني: عدم معارضة المصلحة الدعوية للنصوص الشرعية.

إن المصلحة التي يسعى إليها الداعية ينبغي أن تكون مصلحة غير مخالفة لنص من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لكون المصلحة كل المصلحة في متابعة نصوص الكتاب والسنة.أما إن كانت هناك مصلحة مخالفة لنص من كتاب أو سنة فإنها غير معتبرة، وما ذلك إلا لأن الشرع جاء من عليم حكيم يعلم ما يصلح لعباده وما لا يصلح لهم.يدل لذلك الآيات الكثيرة التي تأمرنا بالتحاكم إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما والرجوع إليهما وتطبيق أوامرهما ونواهيهما، ومن تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[3].

---

(١) المستصفي: الغزالي ١/٢٨٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

وجاء في حديث معاذ أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: **(أَرَأَيْتَ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ كَيْفَ تَقْضِي قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)**[1].

وهكذا الصحابة رضوان الله عليهم ما عرض لأحد منهم رأي ثم وقف فيه على نص فيه مخالفة لرأيه إلا مال عن رأيه إلى إتباع النص كما رجع عمر بن الخطاب ﷺ عن تحديده الصداق، فقد ذكر الحافظ ابن كثير عن الحافظ أبي يعلى عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب ﷺ منبر رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلأعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال: نعم فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال: وأي ذلك ؟ فقالت: أما سمعت الله يقول " وآتيتم إحداهن قنطارا " الآية قال: فقال اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ /٢٢٩ رقم٢٢٠٥٦، وفي ٥/٢٩٢ رقم٢٢٠٠٢، وفي ٥/٣٠٦ رقم٢٢٠٩٦، وأخرجه أبو داود في كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء ٤/١٨ رقم٣٥٩٢، وأخرجه الترمذي في أبواب: الأحكام باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي ؟ ٢/٣٩٤ رقم ١٣٤٢ .وقال الألباني ضعيف، ضعيف سنن أبي داود ص٣٥٤- ٣٥٥ رقم٧٧٠.

المنبر فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل"[1].

وفي هذه القصة من الفوائد الدعوية أن الداعية قد يخطئ لأنه غير معصوم ولكن عليه أن يرجع إن تبين له خطؤه. وأن عليه أن لا يعارض نصا لأن المصلحة كل المصلحة في إتباع ما جاء من الله ومن رسوله ﷺ.

الثالث: عدم تفويت المصلحة الدعوية مصلحة أهم منها أو مساوية لها.

إن الداعية إلى الله عليه أن يعرف أن المصالح تتفاوت، وحينئذ عليه أن لا يفوت مصلحة كبرى في سبيل جلب مصلحة صغرى، وعلى الداعية إذا عرضت له بعض المواقف فإنه يسعى ويقضي بتقديم الأهم على المهم، ومما يدل على أن المصالح الشرعية متفاوتة في الجملة وأنها متدرجة في مراتب مختلفة قوله لتعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

فبين الله جل شأنه أن في الخمر والميسر منافع لكن مصالح عدم شربها وعدم بيعها أكبر من منافعها.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ)[3]، فدل الحديث

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١ /٥٠٨. وقال ابن كثير في الأثر إسناده جيد قوي.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ١ /٦٥، رقم الحديث ٣٥.

على أن الإيمان مراتب وأعلى هذه المراتب شهادة أن لا إله إلا الله وهذا يدل على أن الشريعة متفاوتة في مصالحها فمن المصالح؛ مصالح كبرى ومنها ما هو أدنى من المصالح الكبرى.

وأيضا مما يدل على ذلك ما بيناه سابقا من أن مصلحة النفس متأخرة عن حفظ مصلحة الدين كما في الجهاد في سبيل الله...

المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد:

إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، ولذلك على الداعية أن يراعي ذلك في مواقفه الدعوية، فيسعى جاهدا لتقديم المصالح ودرء المفاسد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : "لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على إتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلّ أن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الأحكام"[(١)] .

وهناك ألفاظ أخرى قد يعبر بها عن المصالح والمفاسد يقول العز بن عبدالسلام: "ويعبر الله تعالى عن المصالح والمفاسد؛ بالخير والشر، والنفع والضر، والحسنات والسيئات؛ لأن المصالح كلها خيور نافعات، حسنات، والمفاسد بأسرها شرور، ومضرات، سيئات"[(٢)] ، فكل ما فيه خير أو نفع أو حسنات ينبغي على الداعية الحرص عليها ويحث الناس إليها، وأما إن كان هناك شر وضر وسوء فينبغي أن ينصرف الداعية عنها، وأن يبعد الناس عنها، ويحذر منها.

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية ص٢١.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبالسلام ١/ ٥

إن المصالح التي يسعى الداعية إلى جلبها هي المصالح التي تؤدي إلى إقامة الحياة لا إلى هدمها، وإلى إقامة الدين لا إلى هدمه، وإلى الفوز في الحياة الأخرى، أما المصالح المتوهمة والقائمة على الهوى والتي تؤدي إلى الافتراق وإلى الأهواء فهي مصالح منتفية.

يقول الشاطبي - رحمه الله- : " المصالح المجتلبة والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية... فالشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادا لله وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة، كيف كانت وقد قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[1]، فالمعتبر إنما هو الأمر العظيم وهو جهة المصلحة التي هي عماد الدين والدنيا لا من حيث أهواء النفوس"[2].

فالداعية يجب أن يحذر إتباع الهوى لكونه يهدم الدين ولا يقيمه، والداعية بدعوته يتعبد الله، وبهواه يتعبد نفسه وشخصه قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3]، فالميزان في المصالح والمفاسد لدى الداعية هو ميزان الشريعة الإسلامية لا الأهواء ولا المصالح

---

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٢/ ٢٩.

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

الشخصية ولا غيرها... يقول ابن القيم - رحمه الله- "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى غيرها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة، إلى العبث فليست من الشريعة"[1].

نظر الداعية لتعارض المصالح والمفاسد أو تساويها

إن الداعية في أعماله وقضاياه الدعوية يقابله الكثير من المصالح والمفاسد فكيف يكون العمل تجاهها؟، نقول بالله التوفيق لا يخلو الأمر إما أن يترجح أحدهما أو يتساوى الأمران.

فإن ترجح أحدهما فيكون الحكم للراجح منها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : "إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها"[2].

فإذا ترجح لدى الداعية المصلحة أخذ بها وعمل على ضوئها، وأما إن ترجح لدى الداعية المفسدة سعى إلى درئها، وعمل بالبعد عنها. وبالتالي إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته لم يكن مأمورا به بل يكون محرما. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : "وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة إذ بهذا بعثت الرسل، ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم ٣/١٤.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية ص٢٠.

وعملوا الصالحات، وذم المفسدين في غير موضع فحيث كانت مفسدة الأمر والنهى أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرماً إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عبادة الله وليس عليه هداهم"[1].

أما إذا تساوت المصالح والمفاسد فإن دفع المفسدة مقدمة، ولذلك قال الفقهاء(درء المفاسد أولى من جلب المصالح).

يقول البورنو: "فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة فدفع المفسدة مقدم في الغالب إلا أن تكون المفسدة مغلوبة، وذلك لأن اعتناء الشرع بترك المنهيات أشد من اعتنائه بفعل المأمورات لما يترتب على المناهي من الضرر المنافي لحكمة الشارع في النهي"[2].

وقد تتعارض لدى الداعية مجموعة من المصالح فكيف يتم الترجيح بينها؟

إن الداعية بمواقفه العديدة وأعماله الجليلة والكثيرة قد تتعارض أمامه مصالح عديدة وحينئذ عليه أن ينظر إلى تلك المواقف من ثلاثة جوانب وهي كالتالي:

الأول: أن ينظر الداعية إلى قيمتها من حيث ذاتها.

الثاني: أن ينظر الداعية إليها من حيث مقدار شمولها.

الثالث: أن ينظر الداعية إليها من حيث النتائج والآثار والعواقب.

أما الأول: وهو النظر إلى قيمتها من حيث ذاتها.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية ص١٧.

(٢) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية: البورنو ص ٨٥.

فالداعية عليه أن يعرف أن قيم المصالح من حيث ذاتها متدرجة حسب الأهمية بخمس مراتب هي: حفظ الدين ثم النفس ثم العقل ثم العرض أو النسل ثم المال.

وحينئذ فما يكون به حفظ الدين مقدم على ما يكون به حفظ النفس عند تعارضهما، وما يكون به حفظ النفس مقدم على ما يكون به حفظ العقل، وما يكون به حفظ العقل مقدم على ما يكون به حفظ العرض أو النسل، وما به يكون حفظ العرض أو النسل مقدم على ما يكون به حفظ المال.

ثم إن رعاية كل من هذه الكليات الخمس يكون بوسائل متدرجة حسب الأهمية في ثلاث مراتب هي: الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينيات، وحينئذ فالضروري مقدم على الحاجي، والحاجي مقدم على التحسيني عند التعارض.

أما إذا كانت المصلحتان المتعارضتان في رتبة واحدة كما لو كان كلاهما من الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، فإن كلاً منهما متعلق بكلي على حدة جعل التفاوت بينهما حسب تفاوت متعلقاتها، فيقدم الضروري المتعلق بحفظ الدين على الضروري المتعلق بحفظ النفس، والضروري المتعلق بحفظ النفس على الضروري المتعلق بحفظ العقل وهكذا...

وأما إن كانت المصلحتان المتعارضتان متعلقتين بكلي واحد كالدين أو النفس أو العرض أو المال فعلى الداعية أن ينتقل إلى الجانب الثاني وهو :

الثاني: أن ينظر الداعية إليها من حيث مقدار شمولها.

في حال التعارض فإن الداعية ينظر إلى المصلحتين في الدعوة من حيث مقدار شمولهما للناس، ومدى انتشار ثمراتها بينهم، فيقدم الداعية مثلا أعم المصلحتين شمولا على الأدنى منها، ويقدم المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى، ويقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وهكذا...

الثالث: أن ينظر الداعية إلى المصلحتين من حيث النتائج والآثار والعواقب.

إن كثيرا من التصرفات والمواقف التي تتعرض لها الدعوة الإسلامية ينبغي على الداعية أن ينظر فيها إلى العواقب والنتائج والثمار والآثار التي يتوقع منها، ويحدد المصلحة الراجحة على ضوئها، ويبني على ذلك أحكامه وتصرفاته.

ومن التطبيقات العملية الدعوية لهذه القواعد في المصالح الدعوية ما يأتي:

- عمرو بن العاص ﷺ حينما احتلم ولم يغتسل وإنما توضأ ففي الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (**يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ**) فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: { **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** } فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا[1].

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ١/ ٩٢ رقم الحديث ٣٣٤ وذكره البخاري تعليقا في التيمم، وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، ١/ ٦٨ رقم الحديث ٣٢٣.

حيث هنا قدم مصلحة النفس الضرورية على مصلحة الدين الحاجية.

- جمع عثمان بن عفان ﷺ الناس على مصحف واحد وذلك حينما أشار إليه حذيفة ﷺ خشية الاختلاف والافتراق لكون مصلحة الاجتماع أكبر وأعظم، ففي الأثر أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَاللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ(١) .

يقول ابن القيم - رحمه الله- "جمع عثمان المصحف على حرف واحد من الأحرف السبعة لئلا يكون ذريعة إلى اختلافهم في القرآن ووافقه على ذلك الصحابة ﷺ"(٢) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن ٣٣٨/٣ رقم الحديث ٤٩٨٧.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم ١٧١/٣

- قبول علي بن أبي طالب ﷺ للخلافة حيث قال ﷺ: "وليت وأنا كاره ولولا خشية على الدين لم أجبهم"[(١)].

المبحث الثالث: تغيير المنكر وما يترتب عليه:

لأهمية هذا المبحث وعظيم فائدته أفردته في الحديث هنا وإلا فمن حقه دخوله في المبحث السابق.والحديث هنا سيعطينا التعامل الأمثل مع المنكرات التي تواجه الدعاة والمحتسبين فأقول وبالله التوفيق.

إن الداعية أو المحتسب إذا قابله منكر وأراد تغييره وإزالته فلا تخلو عواقب وآثار إنكاره له من أربع حالات هي:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثاني: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

ويختلف الحكم في هذه الحالات، فالأولى والثانية يشرع الإنكار فيها. وأما الحالة الثالثة فهي موضع اجتهاد العلماء، وأما الحالة الرابعة فهي محرمة لا يجوز الإنكار فيها.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- " فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته"[(٢)].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: الطبري ٤/٤٩١.

(٢) الحسبة في الإسلام: ابن تيمية ص ١٢٢.

وقال ابن القيم- رحمه الله : " إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا أفلا نقاتلهم؟ فقال لا ما أقاموا الصلاة وقال من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته. ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت، ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه؛ خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء.

فإنكار المنكر أربع درجات الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

ثم يقول ابن القيم - رحمه الله - ممثلا لهذا التقعيد: "فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم

الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى وهذا باب واسع.وسمعت شيخ الإسلام - ابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم"[1].

إن إنكار المنكر حتى وإن كان واجبا لابد أن ينظر فيه الداعية والمحتسب إلى عواقبه وآثاره، ومدى حجم ثمرته، ويتساءل هل إنكاره للمنكر بهذا الشكل وبهذه الطريقة والكيفية يكون سببا في وجود منكر آخر أم لا؟.

وفي حال تعارض المصالح والمفاسد في الأمر والنهي فعلى الداعية أن ينظر ويتأمل فإن كانت مصلحة الأمر والنهي أعظم من مفسدته كان مأمورا به.وإن كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الشرع به حتى وإن كان قد ترك واجبا وفعل محرما، لأنه لابد أن تكون المصلحة في التغيير والإزالة راجحة وإلا لا أمر ولا نهي، وأما إن تساوت المصلحة والمفسدة في التغيير والإزالة فدرء

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم ٣ /١٦.

المفسدة مقدم على جلب المصحة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - : " فحيث كانت مفسدة الأمر والنهى أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرماً إذ المؤمن عليه أن يتقى الله في عباده وليس عليه هداهم "[1].

وفي موضع آخر يبين مدى الإنكار في حال قوة أهل الفجور وأذيتهم للداعية فيقول -رحمه الله- فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر بل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب سقط التغير باللسان في هذه الحال وبقي بالقلب"[2].

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية ص١٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٤٩١/٣.

الخـــاتـمة

الحمد لله الذي بنعمته الصالحات، وله الحمد على ما منّ به عليّ من إكمال هـــذا البحث فله الحمـد والشكـر..، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد :

فإن هـذا البحـث - المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسـلامية – يعـد ذا أبعـاد مهمـة في الـدعوة الإسـلامية، وقـد عـالج بصورة موجزة القواعد والأسس في المصالح الدعوية، والأمة بحاجة له ولأمثاله نظـرا لكثـرة المتغيرات، وتعـدد الاهتمامـات، وقـد توصـل الباحـث فيـه إلى مجموعـة مـن النتـائج الـتي تـنير درب الـدعاة، وتوسـع فهمهـم، ومـداركهم، وتساعد علـى ضـبط رؤاهـم، وتأمـل واقعهـم، والنظر إلى استشراف مستقبلهم ولعل من أهمها ما يأتي :

- أن الشريعة الإسـلامية جـاءت بتحـصيل المـصالح وتكميلـها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وعلى الداعيـة أن يحـرص أشـد الحـرص في دعوته على جلب المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها.
- أن المصالح الدعوية الضرورية أصل للمصالح الدعوية الحاجية والتحـسينية، ويـأتي بعـد المـصالح الدعويـة الـضرورية بالأهميـة المصالح الدعوية الحاجية ثم التحسينية، إضافة إلى أن منها الأهـم والمهم، وعلى الداعية أن يراعي ذلك الترتيب في دعوته.
- إن مقاصـد الـشريعة تنقـسم باعتبـار حفـظ الـضروريات إلى خمسة مـصالح وهـي مرتبـة في الأهميـة كمـا يلـي: فأولهـا مـصلحة حفـظ الـدين، ثـم الـنفس، ثـم العقـل، ثـم العـرض أو النـسب أو

النسل، ثم المال، وقد جاء حفظ الإسلام لها من جانبين: الأول: حفظها من جانب الوجود، الثاني: حفظها من جانب العدم.

- أن المصالح المعتبرة في الدعوة الإسلامية ما توفرت فيها ثلاثة شروط وهي: الأول: اندراج المصلحة الدعوية في مقاصد الشارع، الثاني: عدم معارضة المصلحة الدعوية للنصوص الشرعية، الثالث: عدم تفويت المصلحة الدعوية مصلحة أهم منها أو مساوية لها.

- إذا واجه الداعية عدداً من المصالح وتقابلت فإنه يتم الترجيح بينها من خلال النظر في ثلاثة جوانب: الأول: أن ينظر الداعية إلى قيمتها من حيث ذاتها، الثاني: أن ينظر الداعية إليها من حيث مقدار شمولها، الثالث: أن ينظر الداعية إليها من حيث النتائج والآثار والعواقب.

- أن الداعية أو المحتسب إذا قابله منكر وأراد تغييره وإزالته فلا تخلو عواقب وآثار إنكاره له من أربع حالات هي: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثاني: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه، ويختلف الحكم في هذه الحالات، فالأولى والثانية يشرع الإنكار فيها، وأما الحالة الثالثة فهي موضع اجتهاد العلماء، وأما الحالة الرابعة فهي محرمة لا يجوز الإنكار فيها.

- أن الداعية إذا رأى أن مصلحة ما يأمر به وما ينهى عنه أعظم من مفسدته كان مأمورا به وإن كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الشرع به حتى وإن كان قد

ترك واجباً وفعل محرماً ، وأما إن تساوت المصلحة والمفسدة في التغيير والإزالة فدرء المفسدة مقدم على جلب المصحة.

- أن المصالح إذا تزاحمت لدى الداعية فإنه يقدم في دعوته الأعلى منها ، فيقدم الواجب على المستحب، والراجح مصلحة على المرجوح..، وأما المفاسد إذا تزاحمت فإنه يرتكب الأخف منها ، فيأتي المكروه تفاديا عن الحرام، والمشتبه عن الواضح، وما كان أخف تحريما على ما عظم تحريمه...

هذا وأسأل الله أن أكون قد وفقت في حسن عرض ما وفقني الله له وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ، ،

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها: مصطفى أحمد الزرقاء(دار القلم، دمشق).

٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني (دار المعرفة، بيروت لبنان).

٤- أصول مذهب الإمام أحمد ، دراسة أصولية مقارنة د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (مؤسسة الرسالة، ط٣).

٥- أصول الدعوة: عبدالكريم زيدان (مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١١هـ).

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم محمد بن أبي بكر، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٧هـ).

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٣٩٦هـ)

٨- تاج العروس: محمد الزبيدي.

٩- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني (دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ).

١٠- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (بيروت، دار الخير، ط١، ١٤١٠هـ).

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (تحقيق: د.عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ).

١٢- الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية: شيخ الإسلام ابن تيمية (دار الكتب العلمية، ط١).
١٣- الجامع الصحيح: محمد بن اسماعيل البخاري (القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط١، ١٤٠٣هـ).
١٤- جامع العلوم والحكم: عبدالرحمن بن الحسن بن محمد ابن رجب (القاهرة، دار المنار).
١٥- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٤١٣هـ).
١٦- خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر (مكتبة الفلاح، ط٢).
١٧- رسالة في رعاية المصلحة: الإمام الطوفي (تحقيق وتعليق د. أحمد عبدالرحيم السايح ، الدار المصرية اللبنانية).
١٨- روضة الناظر وجنة المناظر: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، (مكتبة المعارف، ط٢).
١٩- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم محمد بن أبي بكر، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٠٥هـ).
٢٠- سلسة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ).
٢١- سنن ابن ماجه: ابن ماجه الحافظ أبو عبدالله محمد بن زيد القزويني، (تحقيق: محمد مصطفي العظمي، ط٢، ١٤٠٤هـ)
٢٢- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، (راجعه وضبط أحاديثه: محمد محي الدين عبدالحميد (تركيا، المكتبة الإسلامية).
٢٣- سنن الترمذي الجامع الصحيح: محمد بن عيسى بن سورة

الترمذي، (دار الفكر ط٢، ١٣٩٤هـ).

٢٤- سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، (اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه : عبدالرزاق أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ١٤١٤هـ).

٢٥- السيرة النبوية: ابن هشام عبدالملك بن هشام المعافري البصري الحميري، (تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ).

٢٦- الصحاح: اسماعيل بن حماد الجوهري، (تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ).

٢٧- صحيح سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٧هـ).

٢٨- صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ).

٢٩- صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٨هـ).

٣٠- صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ).

٣١- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ).

٣٢- ضعيف سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨ هـ).

٣٣- ضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ).

٣٤- ضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ).

٣٥- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية : د. محمد سعيد رمضان البوطي (مؤسسة الرسالة، ط٤).
٣٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ).
٣٨- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري- دراسة دعوية من أول الصحيح إلى نهاية كتاب الوضوء- : د. خالد بن عبد الرحمن القريشي (ط١، ١٤١٨ هـ).
٣٩- القاموس المحيط: مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (دار الكتاب العربي)
٤٠- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبدالسلام السلمي، (راجعه: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٠هـ).
٤١- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين بن محمد الأفريقي المصري (بيروت، دار صادر، ط ١٤١٢هـ).
٤٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (دار عالم الكتب ط ١٤١٢هـ).
٤٣- مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى، بحث: مقاصد الشريعة: د. محمد مصطفي الزحيلي.
٤٤- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (بيروت، دار الجيل، ط ١٤٠٧هـ).
٤٥- المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد أبو الفتح البيانوني، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ).
٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد ابن حنبل،

إعداد: محمد سليم إبراهيم سمارة، وعلي حسن الطويل، وسمير حسين غازي، (المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٣هـ).
٤٧- المسند: أحمد بن محمد ابن حنبل، (تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، ط٣، ١٣٦٨هـ).
٤٨- مصادر التشريع الإسلامي والأدلة المختلف فيها: د. حسنين محمود حسنين (دار القلم، ط١).
٤٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، (بيروت، المكتبة العلمية).
٥٠- المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي: مصطفي زيد (دار الفكر العربي، ط٢).
٥١- معالم السنن: حمد بن محمد الخطابي (بيروت، المكتبة العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ).
٥٢- معالم الشريعة الإسلامية: د. صبحي الصالح (دار العلم، بيروت، ط٢).
٥٣- المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس وآخرون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
٥٤- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، (تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ).
٥٥- مقاصد الإسلام: صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين (دار ابن الجوزي، ط١).
٥٦- مقاصد الشريعة: محمد بن صالح بن عثيمين (دار ابن الجوزي ط١، ١٤١٣هـ).
٥٧- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر ابن عاشور(الشركة التونسية للتوزيع).
٥٨- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علال الفاسي (مكتبة الوحد العربية).

٥٩- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية : د. يوسف حامد العالم (دار الأمان، ط٢).
٦٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محيي الدين النووي، (تحقيق : خليل مأمون شيحا ، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٤١٥هـ).
٦١- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى: د. عبد الله بن رشيد الحوشاني، (د ار أشبيليا، ط١، ١٤١٧هـ).
٦٢- الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، (شرحه وخرج أحاديثه: عبدالله دراز، بيروت، دار الكتب العلمية).
٦٣- الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد بن حنبل (المشرف العام على الإصدار: د.عبدالله التركي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ).
٦٤- الموطأ: مالك بن أنس (دار الكتاب العربي ط الثانية ١٤١٠هـ).
٦٥- نظرية الضرورية الشرعية: د. وهبة الزحيلي.
٦٦- نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي: د. حسين حامد حسان (دار النهضة العربية).
٦٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير محمد الدين المبارك بن محمد الجزري، (تحقيق محمود محمد الطاحي، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ).
٦٨- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية: د.محمد صدقي البورنو (مؤسسة الرسالة، ط١).

البرامج الدعوية في سجن الملز العام
(دراســـة مسـحيـة)

إعداد

الدكتور: عبدالله بن محمد المطوع
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب
في كلية الدعوة والإعلام

مقدمة الدراسة:

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وآله وأصحابه، وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ اتخاذ السجن لإمضاء العقوبة على المدانين والمتهمين أمر مشروع في الإسلام؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[1]، والإمساك في البيوت هو الحبس، وكان معمولاً به في صدر الإسلام للاتي يأتين الفاحشة، فلما كثُر الجناة اتخذ لهم سجن[2]، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]، والمراد بالنفي هنا: أن يخرج من بلده، إلى بلد آخر فيسجن فيه[4].

وفي الحديث المتفق على صحته أن خيل الرسول ﷺ أمسكت برجل من نجد، فأُتي به إلى المسجد، ورُبط في سارية من سواريه، فلما دخل النبي ﷺ المسجد ورآه، قال لأصحابه: أعرفتم من هذا؟، إنه ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة، أحسنوا إساره، فكان يُقدم له الطعام، ويُؤتى له بناقة رسول الله ﷺ ليشرب من لبنها، وظل كذلك ثلاثة أيام، والنبي ﷺ يمر به، ويكلمه ويحاوره، ثم أَطلق سراحه، فعمد ثمامة (ت ١٢هـ) ؓ إلى نخل قرب المسجد، فاغتسل، ثم عاد وأعلن

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/٧٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/١٠٥. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٤٨،

إسلامه[1]، وذكر الحافظ النووي (ت ٦٧٦هـ) رحمه الله أن من فوائد هذا الحديث: ((جواز ربط الأسير، وحبسه))[2]، وفي الحديث: (أن النبي ﷺ حبس رجلاً في تهمة)[3]، ولما كثرت الجرائم والمخالفات في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ (ت ٢٣هـ) احتاج الأمر إلى إيجاد سجن دائم؛ فابتاع ﷺ داراً بمكة ليحبس فيها، وكانت هذه الدار أول مكان يعد سجناً في التاريخ الإسلامي[4].

وقد اتفق العلماء على مشروعية السجن[5]؛ لكون العقوبة فيه تحقق مصالح معتبرة للأفراد والجماعات؛ فهي تسهم في الحفاظ على الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والمال، والنسل، والعقل، ولها دور مهم في مراعاة مصالح البشر، والحفاظ على أمنهم وحقوقهم وممتلكاتهم، وتسهم في ردع المعتدين على الحقوق العامة أو الخاصة، وتؤدب مخالفي الأحكام الشرعية، والأنظمة الرسمية، ونحو ذلك من المصالح والأغراض التي من أجلها شرعت عقوبة السجن، والتي لا يقصد منها الانتقام، أو التشفي، أو الإهانة، أو الإضرار بالآخرين؛ إنما من مقاصدها: تعزير السجين وتأديبه، واستصلاحه، وتعديل سلوكه، وتصحيح مساره؛ ليخرج إلى الحياة بعد ذلك بشخصية جديدة، ونظرة مغايرة، تعتمد على سلوك الطريق المستقيم، والتزام

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، رقم ٤٤١٥، ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، رقم ٤٦٨٨، وقصة إسلام ثمامة بن أثال ﷺ مذكورة في كتب السير والتراجم، انظر: الإصابة، ابن حجر، ٤/١٣٣، البداية والنهاية، ابن كثير، ٥/٤٩.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج "المعروف بشرح صحيح مسلم"، ١٢/٨٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب القضاء، باب الحبس في الدَّين وغيره، رقم ٣٦٣٠، وحسنه الشيخ الألباني، صحيح سنن أبي داود، ٢/٤٠٣.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٨/٩٧، الطرق الحكمية، ابن القيم، ١٠٢، فتح الباري، ابن حجر، ٥/٧٦.

(٥) انظر: تبصرة الحكام، ابن فرحون، ٢/٣٠١، نيل الأوطار، الشوكاني، ٨/٣٠٦.

الصدق في العمل، والبعد عن مسالك الجريمة، ودروب الانحراف؛ لذلك لماّ أمر عمر بن الخطاب ﷺ (ت ٢٣هـ) بسجن رجل ارتكب جرماً، قال: ((أحبسه، حتى أعلمُ منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلد فيؤذيهم))[(١)]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: ((والعقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله بعباده، فهي صادرة عن رحمة الله بالخلق، وإرادة الإحسان إليهم، والرحمة لهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض))[(٢)].

لذلك لا بد أن ينظر إلى السجن بكونه ميداناً بارزاً من ميادين الدعوة؛ حيث تُبلّغ فيه دعوة الإسلام بما حوته من عقيدة وشريعة وآداب، وهو مكان خصب - بإذن الله - لتهذيب النفوس البشرية التي استمرأت الجريمة، وتعاطت المحرمات، وارتكبت المحظورات.

فعقوبة السجن فرصة كبرى لمن وقع في أوحال الجريمة للعودة إلى الصراط السوي، والحياة الكريمة، فكم رأينا من سجين وقد تبدلت حاله، وحسُن مآله بعد خروجه من السجن؛ لأن السجين وجد في السجن فرصة لمراجعة نفسه، وتصحيح مساره في دنياه وآخرته، وفي الوقت نفسه كان القائمون على هذه السجون على قدر كبير من المسؤولية والأمانة في استثمار أوقات السجناء، وملء فراغهم؛ بما يعود عليهم بالنفع في دنياهم وآخرتهم.

وهذه النظرة هي التي ينبغي أن تسود عند التأمل في عقوبة السجن؛ فهو مكان للإصلاح والتوجيه والإرشاد، وليس فقط مكاناً للعقوبة المجردة، والاحتجاز البعيد عن معاني الإصلاح والتهذيب، وتصحيح المسار؛ فهذه العقوبة، وإن كانت في ظاهرها مصدر حزن وضيق، وتعاسة للسجين؛ إلا أنها في الوقت نفسه قد تكون مصدر

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠٥/٦.

(٢) الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، البعلي، ٢٨٨.

انطلاقة كبرى له؛ حين تسهم البرامج الدعوية والثقافية والسلوكية والمهارية التي تُقدم له في السجن في التأثير الإيجابي عليه - بإذن الله -، فيتفاعل معها، ومن ثم يبدأ بتطبيق ما استفاده منها في حياته داخل السجن، ويمتد أثرها عليه حتى بعد خروجه منه.

إنّ المطلع على أنظمة السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية، وواقعها في الوقت الحاضر؛ يجد أن المسؤولين عنها ينظرون إلى السجناء وكأنهم مرضى يحتاجون إلى علاج إيماني ونفسي وسلوكي، وأن السجن فرصة لاستصلاح هؤلاء السجناء، فهم يهتمون - قدر الاستطاعة، بمعالجتهم دعوياً وسلوكياً ونفسياً ومهارياً، ويبذلون جهودهم للإفادة من عقوبة السجن للعمل على هذا التوجه؛ لذلك نرى برامج كثيرة ومتعددة في مجالات متنوعة؛ لإصلاح واقع السجناء، واغتنام أوقاتهم، بما يعود عليهم بالنفع.

واستناداً على ما سبق، فإن هذه الدراسة تسعى إلى بيان أبرز البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز بمدينة الرياض خلال ستة أشهر، منذ مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ، وحتى نهاية شهر صفر ١٤٣١هـ، ومن ثم عرض آراء أفراد عينة الدراسة حول هذه البرامج وتقويمهم لها.

- أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من خلال عدد من النقاط، وهي كالآتي:

١- إبراز دور السجن في تصحيح مسار حياة السجين، والتأثير الإيجابي فيه.

٢- تقديم صورة متكاملة عن البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

٣- تقديم أنموذج للسجون في المملكة العربية السعودية (سجن الملز)، وما يقدم فيه من برامج دعوية وثقافية ومهارية متنوعة.

٤- تقديم دراسة مسحية (ميدانية تقويمية) لهذه البرامج المنفذة في سجن الملز العام؛ من خلال آراء أفراد عينة الدراسة.

- **مصطلحات الدراسة:**

- **المراد بالبرامج الدعوية في اصطلاح هذه الدراسة:** ((البرامج والأنشطة المتنوعة التي تقام في سجن الملز العام؛ من أجل نشر الإسلام وأحكامه وآدابه بين السجناء المسلمين وغيرهم؛ سعياً في إصلاح سلوكهم، وشغل أوقاتهم، بما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم)).

- السجون، جمع كلمة: سجن، وهو الحبس، وهو ضد التخلية، بمعنى الربط، وهناك ألفاظ لغوية مقاربة لهذا المعنى في المعاجم اللغوية، مثل: الاعتقال، والأسر، والحصر[1].

وفي الاصطلاح وردت للسجن عدة تعريفات، منها:

١- تعريف الكاساني (ت ٥٨٧هـ) رحمه الله: ((تعويق الشخص من الخروج إلى أداء أشغاله ومهماته الدينية والاجتماعية))[2].

٢- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: ((تعويق الشخص، ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد..))[3].

٣- عرّفه د. عبدالرحمن الخليفي بأنه: ((مكان معدٌّ لحبس المجرمين والمتهمين والمحجوزين لمصلحة معتبرة))[4].

- السجن وفق اصطلاح هذه الدراسة: ((الأمكنة التي تتبع الجهات الأمنية في المملكة العربية السعودية المحددة لقضاء العقوبات المقررة شرعاً ونظاماً)).

---

(١) انظر المراجع اللغوية (مادة سجن): القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤/ ٢٣٣، لسان العرب، ابن منظور، ١٣/ ٢٠٣، مختار الصحاح، الرازي، ص٢١٧، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ١/ ٤١٩.

(٢) بدائع الصنائع، ٧/ ١٧٤.

(٣) مجموع الفتاوى، جمع الشيخ ابن قاسم، ٣٥/ ٣٩٨.

(٤) الدعوة إلى الله في السجون، ص٢٧.

- وأما المراد بسجن الملز: فهو السجن الواقع بحي الملز في مدينة الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، وجرى اختيار البرامج الدعوية في هذا السجن كأنموذج للسجون في المملكة؛ يعود برأي الباحث لاعتبارين رئيسين، هما:

أ- يعد هذا السجن الأكبر في المملكة من حيث عدد النزلاء؛ إذ يقربون من ستة آلاف سجين، بالإضافة إلى أن هؤلاء موقوفون في قضايا مختلفة؛ منها: القضايا المالية، والقضايا الحقوقية، والقضايا الجنائية، وقضايا المخدرات، وقضايا السرقات، ونحوها، وهم من جنسيات مختلفة، وهذا يعني أن العمل الدعوي المقدّم لهم سيكون متنوعاً؛ لتنوع المدعوين.

ب- تكامل العمل الدعوي في قسم الإرشاد والتوجيه في السجن؛ حيث تتبعه خمس وحدات: ((وحدة القرآن الكريم والسنة النبوية، وحدة المساجد والمصليات، وحدة التوجيه، وحدة المكتبات، وحدة الجاليات))[1].

- الدراسات السابقة:

قُدمت في السنوات الأخيرة دراسات عديدة ومتنوعة عن السجون وأحكامها وواقعها، وأصناف السجناء والتعامل معهم؛ بحسب تخصص تلك الدراسات، ولعل أبرز الدراسات التي تناولت جوانب من هذه الدراسة هي:

- ((السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، مقارناً بنظام السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية))[2]: تحدثت هذه الدراسة عن السجن وتطوره، والسجن عبر التاريخ، وموجبات السجن

---

(١) انظر: المبحث الثالث من هذه الدراسة.

(٢) أعدّ هذه الدراسة: محمد بن عبدالله الجريوي، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤٠٧هـ.

والتوقيف في الشريعة الإسلامية، وبيان المعمول به في المملكة، والسجون في المملكة، ورعاية السجناء وأسرهم بحسب تعليمات السجون في المملكة.

- ((الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة))[1]: وتناولت هذه الدراسة أحكام السجن، وغايته، وتاريخ الدعوة فيه، ومسؤولية العمل الدعوي في السجن وضوابطه، ووسائل الدعوة في السجون وأساليبها، وأثر الدعوة في السجون في مكافحة الجريمة.

- ((أثر العفو عن العقوبة لمن يحفظ كتاب الله في الحد من العودة إلى الجريمة، دراسة نظرية تطبيقية على سجون المملكة))[2]: وجاء الحديث في هذه الدراسة عن تعريف الجريمة وأنواعها، وتعريف العقوبة ومقاصدها وأنواعها، وتعريف السجن ونشأته، وتعريف العفو في الإسلام وحقيقته، وآثاره وأنواعه، ثم عرض لنتائج الدراسة الميدانية وتوصياتها.

- ((فقه السجن والسجناء))[3]: وتناول المؤلف فيها تعريف السجن، وأحكامه في الإسلام، والحكمة من مشروعيته، ومعاملة السجناء داخل السجن، وحق السجين في الدفاع عن نفسه، وأنواع السجناء، والتعامل معهم، وإصلاح السجناء من الجانب الوقائي والعلاجي.

---

(١) قام بهذه الدراسة: عبدالرحمن بن سليمان الخليفي، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤١٦هـ.

(٢) أعدّ هذه الدراسة: عوض بن مطلق القحطاني، مرحلة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم الشرطة، برنامج القيادة الأمنية، عام ١٤٢٠هـ.

(٣) ألّف هذا الكتاب: سعيد بن مسفر الوادعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط١، عام ١٤٢٥هـ.

- ((دعوة النساء في السجون، دراسة ميدانية تقويمية على نزيلات السجون والقائمين بالدعوة بمنطقة الرياض))[1]: تحدثت هذه الدراسة عن تعريف السجون، وتصنيفها، ونشأتها، وجوانب من رعاية نزيلات السجون في المملكة، واهتمام الإسلام بالمرأة، ورعاية حقوقها في السجون، ومن ثم الجانب التطبيقي حول نتائج الدراسة الميدانية.

ويتضح مما سبق عرضه من الدراسات السابقة، وأبرز ما اشتملت عليه من أبواب وفصول، أنه لا توجد دراسة علمية حول موضوع الدراسة المقدّمة، وإن كان هناك تشابه في بعض الجوانب النظرية من الدراسات السابقة؛ إلا أن هذه الدراسة المقدّمة ستتخصص في تناول البرامج الدعوية في السجون ـ عينة الدراسة ـ وتحليلها وتصنيفها.

ـ مشكلة الدراسة:

يعد السجن أحد ميادين الدعوة إلى الإسلام؛ حيث يبقى السجناء فيه أزمنة متفاوتة، ينبغي استثمارها لنشر العقيدة الصحيحة، والتعريف بأحكام الإسلام وآدابه وفضائله بينهم، وملء فراغ السجناء بالعلوم والمهارات النافعة لهم في حياتهم داخل السجن، وبعد خروجه منه، وبذلك تكون هذه السجون مصدر إصلاح وتوجيه وإرشاد، وسعادة للسجناء وأسرهم والمجتمع بعامة.

وتأتي هذه الدراسة رغبة في التعرف على البرامج الدعوية في سجون المملكة العربية السعودية، وما يُقدم فيها من برامج متنوعة تهدف لإصلاح أحوال السجناء، وتهذيب سلوكهم، والاجتهاد في تغيير واقعهم، وتهيئتهم للانطلاق من جديد بعد خروجهم من السجن إلى حياة كريمة بعيدة عن الجريمة والمحرمات.

---

(١) قامت بهذه الدراسة: لمياء بنت سليمان الطويل، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤٢٧هـ.

وتُعنى هذه الدراسة ببيان صورة مجملة عن البرامج الدعوية المقدّمة في سجون المملكة، وستتناول ذلك بشكل مفصل من خلال استعراض البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام بمدينة الرياض، ومن ثم تقديم دراسة تقويمية من قبل أفراد عينة الدراسة لهذه البرامج الدعوية.

- تساؤلات الدراسة:

على ضوء المشكلة البحثية المذكورة سابقاً يمكن تحديد التساؤلات التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها وفق الآتي:

١. ما أبرز حقوق السجناء في الشريعة الإسلامية؟

٢. ما أبرز أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية؟

٣. ما واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام؟وما أصنافها؟

٤. ما ركائز العمل الدعوي في السجون في المملكة العربية السعودية؟

٥. ما آراء أفراد العينة في الجهود الدعوية المقدّمة لهم؟، وما تقويمهم لها؟

- منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة من البحوث الوصفية التي تعتمد على منهجين:

الأول: المنهج الوثائقي: الذي يتضمن بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق مع بعضها بصفة منطقية، والاعتماد عليها في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة، أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية، أو الحاضرة..[(١)]، والمنهج الوثائقي - بهذا المعنى - سيستخدم في هذه الدراسة للتعريف بحقوق السجناء في الشريعة الإسلامية، وأوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية،

---

(١) انظر : أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، ص٢٣٥- ٢٣٦.

ولمعرفة واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام خلال ستة أشهر من غرة شهر رمضان ١٤٣٠هـ، وحتى نهاية شهر صفر ١٤٣١هـ.

الثاني: المنهج المسحي، وهو: الذي يتم فيه استجواب عينة تمثل أفراد مجتمع الدراسة؛ بهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة وجودها، وبعض الأبعاد المهمة حولها[1]، والمنهج المسحي - بهذا المعنى - سيستخدم في هذه الدراسة بغية التعرف على: أبرز سمات أفراد العينة، وعرض آرائهم حول البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

- **تقسيمات الدراسة:**

- **مقدمة الدراسة:** وتشمل: (التمهيد، أهمية الموضوع، التعريف بمصطلحات الدراسة، الدراسات السابقة، مشكلة الدراسة، تساؤلاتها، ومناهجها).

- **الجانب النظري:**

المبحث الأول: حقوق السجناء في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث: واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

المبحث الرابع: ركائز العمل الدعوي في السجون في المملكة العربية السعودية.

---

(١) انظر: البحث العلمي، د.ذوقان وآخرون، ص ١٦٥- ١٧٣، المدخل إلى الدراسة في العلوم السلوكية، د.العساف، ص ١٩١.

- **الجانب الميداني:**

- **التمهيد:** إجراءات الدراسة الميدانية.

المبحث الأول: السمات العامة لأفراد عينة الدراسة.

المبحث الثاني: آراء أفراد عينة الدراسة حول الجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

المبحث الثالث: تقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

- **الخاتمة**، وفيها أبرز نتائج الدراسة، وتوصياتها.

أولاً: الجانب النظري:

المبحث الأول: حقوق السجناء في الشريعة الإسلامية:

١- أن تكون السجون مهيأة بشكل مناسب لمكث السجناء، وتتوافر فيها الإمكانات التي تحفظ لهم الحياة الكريمة، بعيداً عن الامتهان والإذلال، وقد كانت السجون في العصور الإسلامية الأولى توفر قدراً مناسباً للسجناء للحركة والمشي والتهوية والضوء والاتصال ببعضهم، وهذه أسباب أساسية لحماية صحة السجناء النفسية والجسمية[١].

٢- العناية بتعليم السجين أحكام الدين وآدابه وفضائله، وسائر العلوم النافعة، وقد سبق ذكر قصة حبس النبي ﷺ لثمامة رضي الله عنه في المسجد، وتأثره بذلك، ثم أسلم[٢]، ومعلوم أن من أهم أساليب معالجة الانحراف لدى السجناء، شغل أوقات فراغهم، وتعليمهم أركان هذا الدين وواجباته وأحكامه وآدابه وفضائله، وتوعيتهم بمحظوراته ومحرماته؛ سعياً في إرشادهم للطريق المستقيم، سواء كان هذا السجين مسلماً، أو غير مسلم، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٤]، ويقول جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٥].

---

(١) انظر: أحكام السجن، د.أبوغدة، ص ٣٠٦.

(٢) انظر: ص (٣) من هذه الدراسة.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

٣- حسن معاملة السجين، وقد امتدح الله تعالى حسن تعامل الجنود المسلمين مع الأسرى، على الرغم من كون هؤلاء الأسرى غير مسلمين، وبيَّن أن ذلك من صفات المؤمنين التي يجازون عليها بدخول الجنة في الآخرة، يقول سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ⑨ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ⑩ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ⑪ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[1].

٤- عدم إيذاء السجين جسدياً أو معنوياً؛ إلا وفق ما تقرره أحكام القضاء؛ وهذا الأمر - إيذاء السجين - من المحرمات التي لا يجوز التعدي عليها، يقول النبي ﷺ: (أما بعد فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...)[2].

وقد نهت الشريعة عن تعذيب المجرم، فضلاً عن المتهم، وقد مرَّ هشام بن حكيم بن حزام (ت ٤١هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالشام على أناس، وقد أقيموا في الشمس، وصُبَّ على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟!، قيل: يعذبون في الخراج، فقال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا)[3].

كما لا تقبل ممارسة أي نوع من أنواع الضغوط على السجين لانتزاع الاعتراف منه على ارتكاب جريمة، أو الإدلاء بمعلومات؛ فكل ما ترتب على ذلك، وكان على سبيل الإكراه والإجبار فهو باطل، يقول النبي ﷺ: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[4]،

---

(١) سورة الإنسان، الآية: (٨- ١٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض)، رقم ٧١٦٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، رقم ٦٨٢٦.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره، رقم ٢٠٤٥، وصححه الشيخ الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ١٧٩/٢.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ((ليس الرجل بأمين على نفسه إذا جوّعته، أو ضربته، أو وثقته))[1]، وقد أجمع الفقهاء على أن إقرار المكره لا يجب به حدٌّ، ولا يعتد به[2].

٥- الإنفاق على إطعام السجين وشرابه وكسائه وعلاجه من بيت المال، فقد كتب أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١هـ) رحمه الله رسالة لأحد ولاته، ومما جاء فيها: ((وانظر من في السجون ممن قام عليه الحق، فلا تحبسه حتى تقيمه عليه، ومن أشكل أمره فاكتب إليَّ فيه، واستوثق من أهل الذعارات[3]، فإن الحبس لهم نكال، ولا تعد في العقوبة، وتعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال، وإذا حبست قوماً في دَيْن، فلا تجمع بينهم وبين أهل الذعارات في بيت واحد، ولا حبس واحد، واجعل للنساء حبساً على حدة، وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به، ومن لا يرتشي، فإن من ارتشى صنع ما أُمِر به...))، وأمر رحمه الله بكسوة السجناء ثوبين في الصيف، وثوبين في الشتاء[4].

٦- لا يمنع السجين من زيارة أهله وأولاده له، والخلوة الشرعية بزوجته، ومن تقتضي أهمية تواصله معه كوكيله، أو محاميه، وكذلك تمكينه من قضاء مصالحه وحوائجه خارج السجن بالوسائل المتاحة، وفق الضوابط المنظمة لذلك[5].

هذه أبرز الحقوق التي كفلتها الشريعة الإسلامية للسجناء؛ وأوجبت العمل بها؛ حتى تكون العقوبة ذات أثر إيجابي عليهم، وبهذا يتبين لنا جوانب من خصائص هذا الدين الحنيف الذي يحفظ للناس حقوقهم؛ حتى ولو كانوا مجرمين، أو متهمين.

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ١٢٣/٥.

(٢) المغني، ابن قدامة، ٢٦٠/٨.

(٣) يراد بهم: أهل الجرائم الخبيثة، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٠٦/٤، ((مادة ذعر)).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٢٧٥/٥- ٢٧٦.

(٥) للاستزادة انظر: أحكام السجن، د.أبوغدة، ص١٢٨، الدعوة في السجون، د.الخليفي، ص ٦٤، دعوة النساء في السجون، د.الطويل، ٦٥.

المبحث الثاني: أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية:

المطلع المنصف على نظام السجن والتوقيف المعمول به في المملكة العربية السعودية، الصادر بموجب قرار مجلس الوزراء الموقر رقم (٤٤١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٨هـ، والمتوج بالمرسوم الملكي الكريم رقم (م/٣١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٢١هـ يجد فيه كل ما يؤكد اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية بالسجناء، ورعاية مصالحهم، وحفظ كرامتهم، والعناية بحقوقهم، **وسيعرض الباحث جوانب من هذا النظام مما يؤكد ذلك، وفق الآتي:**

- المادة الثانية، ومما ورد فيها: (**يراعى في إنشاء السجون العناية بالشروط الصحية، ووسائل السلامة**)، وذلك من خلال إيجاد مراكز صحية، وعيادات طبية في كل سجن رئيسي، وتوفير الأطباء المتخصصين، والأجهزة والمستلزمات الطبية، وتوفير الأطباء الزائرين للسجون الفرعية الصغيرة التي لا تتوافر فيها مراكز صحية، وكذلك نقل بعض السجناء الذين تتطلب حالتهم الصحية لمعالجتهم في مستشفيات وزارة الصحة؛ وكل ذلك يأتي في سبيل الحفاظ على سلامة السجناء، والعناية بصحتهم.
- المادة الخامسة، ومما ورد فيها: (**تخضع السجون ودور التوقيف للتفتيش القضائي والإداري والصحي والإجتماعي**)، وهذه المادة تؤكد كذلك على أهمية اشتراك الجهات الرسمية الأخرى في الإشراف، ومتابعة أحوال السجناء والعناية بهم.
- المادة السادسة، ومما ورد فيها: (**ينشئ وزير الداخلية بقرار يُصدره مجلساً أعلى للسجون، تكون مهمته إجراء الدراسات الخاصة بتطوير دور السجون، والتوقيف على نحو يحقق الهدف منها، ويجعلها أكثر فعالية في تقويم المحكوم عليهم، وذلك فضلاً عن اقتراح وسائل مكافحة الجنوح**

والعَوْد، وكل ما يحقق الصالح العام في هذا المجال)، وهنا يتضح الاهتمام البارز، والعناية الكبرى بأهمية إخضاع السجون والسجناء للدراسات، والبحوث العلمية؛ التي يتوقع منها أن تعطي نتائج مهمة لصالح الوطن وأفراده.

- المادة السابعة، ومما ورد فيها: **(لا يجوز إيداع أي إنسان في سجن، أو في دار للتوقيف، أو نقله، أو إخلاء سبيله، ألا بأمر كتابي صادر من السلطة المختصة، ولا يجوز أن يبقى المسجون، أو الموقوف في السجن، أو دور التوقيف بعد انتهاء المدة المحدودة في أمر إيداعه)**، وتقول المادة الحادية والعشرون: **(لا يجوز أن يؤخر الإجراء الإداري الإفراج عن المسجون، أو الموقوف في الوقت المحدد)**، وهاتان المادتان تؤكدان أهمية حفظ حقوق السجناء، وقيام العمل في إدارات السجون وفق عمل مؤسسي منظم ودقيق؛ لكونه يتعلق بحقوق الآخرين وحريتهم، التي لا ينبغي التغافل عنها.

- المادة الحادية عشرة، ومما ورد فيها: **(إذا زادت مدة بقاء المحكوم عليه في السجن عن أربع سنين، وجب قبل الإفراج عنه أن يمر بفترة انتقال تهدف إلى تيسير اندماجه في المجتمع بعد الإفراج عنه، وتحتسب هذه الفترة من مدة العقوبة)**، وهذه المادة توضح مقدار الاهتمام بالسجين، والحرص على عدم عودته للسجن مرة أخرى، وتهيئته للحياة خارج السجن بعد الخروج منه.

- المادة الثالثة عشرة، ومما ورد فيها: **(تعامل المسجونة، أو الموقوفة الحامل ابتداءً من ظهور أعراض الحمل عليها معاملة خاصة، من حيث الغذاء والتشغيل حتى تمضي مدة أربعين يوماً على الوضع)**، وتقول المادة الرابعة عشرة: **(تنقل الحامل المسجونة، أو الموقوفة إلى المستشفى عند اقتراب الوضع، وتبقى فيه حتى تضع حملها، ويصرح لها الطبيب بالخروج منه)**، وتوضح المادة الخامسة عشرة آلية التعامل مع المولود: **(يبقى مع المسجونة أو الموقوفة حتى يبلغ من العمر سنتين، فإذا لم ترغب في بقائه**

معها، أو بلغ السن، سلِّم لأبيه، أو لمن له حق حضانته شرعاً بعد الأم)، وهنا يظهر جانب إنساني مهم في العناية بالسجينات[1].

- المادة السابعة عشرة، ومما ورد فيها: **(يجب على إدارات السجون، ودور التوقيف أن تكفل محافظة المسلم في السجن، أو دار التوقيف، على إقامة الشعائر الدينية الإسلامية، وأن تهيئ له الوسائل اللازمة لأدائها، ويكون لكل سجن، أو دار توقيف مرشد، أو أكثر من الدعاة المتخصصين في الدعوة إلى الله، وهداية النفوس، وحثهم على الفضيلة، ومراقبة أدائهم لشعائرهم الدينية، كما يكون له أخصائي، أو أكثر في العلوم الاجتماعية والنفسية)**، ويظهر في هذه المادة العناية الكبرى بحق العبادة للسجناء، من خلال الآتي:

أ- أبرزت هذه المادة دور إدارة السجن، أو الإدارة المعنية فيه بمتابعة السجناء والحرص على أدائهم العبادات.

ب- أكدت هذه المادة وجوب اهتمام إدارة السجن في تهيئة أماكن للصلاة.

ج- أوجبت هذه المادة توفير متخصص بالدعوة والإرشاد، أو أكثر لتوعية السجناء بأحكام الدين وفضائله وآدابه، وحثهم عليها، وإلزامهم بها.

---

(١) وفي هذه المواد عمل بالهدي النبوي؛ حين أتت المرأة الغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الرسول ﷺ قائلة: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني، فردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله لِمَ تردني؟، لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً، فو الله إني لحبلى، قال: (إما لا، فاذهبي حتى تلدي)، فلما ولدت؛ أتته بالصبي في خرقة، قالت هذا قد ولدته، قال: (اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه)، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها..)، رواه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم ٤٨٢٥.

د- عملاً بهذه المادة فقد أنشئت إدارة للإرشاد والتوجيه في الإدارة العامة للسجون، وتتبعها أقسام الإرشاد والتوجيه في كل سجن، وتختص بالمهام الآتية: (بث الوعي الديني بين السجناء، وتدريس العلوم الدينية عن طريق إلقاء المحاضرات، والمحاضرات والدروس مع التركيز على العقيدة، والعبادات، وتعليم النزلاء فرائض دينهم، وحثهم على التحلي بالأخلاق الحميدة، وغير ذلك مما يتناسب مع مستواهم الثقافي، وتمكين من يرغب من النزلاء من حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وعمل مسابقات تشجيعية لهم، وصرف مكافآت مالية مساعدة على ذلك، وإرشاد الواعظ الديني على مواطن الانحراف لدى السجناء ليتمكن من معالجتها).

هـ- في السابق - ما قبل عام ١٤٠٨هـ - كان المعمول به: يمنح السجناء الذين يحفظون أجزاء من القرآن الكريم بعض المبالغ النقدية تحفيزاً لهم، ووُجدت حلقات لتحفيظ القرآن الكريم في جميع السجون، وتحقق من ذلك نتائج طيبة، ورغبة في إعطاء مزيد من العناية بحفظ كتاب الله الكريم من قبل السجناء، وشغل أوقاتهم بذلك؛ فقد صدر القرار السامي الكريم من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - رقم (٨/١٠٧) بتاريخ ١٤٠٨/٢/٧هـ، والمتضمن إعفاء السجين الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم (عن ظهر قلب) أثناء فترة سجنه من نصف محكوميته؛ ثم صدر الأمر السامي الملكي الكريم رقم (٢٠٨١/٤) بتاريخ ١٤١١/١١/٢٧هـ القاضي بالموافقة على توزيع حفظ القرآن الكريم حسب مدة المحكومية، وذلك بقسمته على عدد الأجزاء التي حفظها السجين، على مجموع عدد أجزاء القرآن الكريم، وضرب الناتج في نصف المحكومية بالأشهر، ويشترط لذلك ألا تقل

المحكومية عن ستة أشهر، وأن لا يقل حفظ السجين عن جزأين، ولا ينظر إلى كسور الجزء، بل يطالب السجين بالجزء كاملاً.

وقد أثمر ذلك بإقبال عدد كبير من السجناء على حفظ القرآن الكريم، والتفاعل الإيجابي مع حلقات التحفيظ في السجون؛ مما أسهم في تقويم سلوكهم، وتأهيلهم للعودة إلى المجتمع أفراداً صالحين - بإذن الله -.

وتنفذ المديرية العامة للسجون مناشط دعوية متعددة، وذلك وفق الآتي:

١- تنفيذ خطة ربع سنوية (كل ثلاثة أشهر)، بالتعاون مع فروع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في كافة المناطق والمحافظات، لإلقاء الدروس، والمحاضرات، والكلمات التوجيهية للسجناء، ويتم تقويم الخطة بشكل دوري؛ لتطويرها في الخطة التي تليها.

٢- تنفيذ خطة فصلية (كل أربعة أشهر) بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من خلال المعاهد العلمية التابعة لها في جميع سجون المناطق والمحافظات بالمملكة، وتتكون هذه الخطة من برامج علمية ثقافية متنوعة يقوم بها المعلمون في المعاهد العلمية، بإشراف العاملين في قسم الإرشاد والتوجيه بالسجون.

٣- إقامة نوادي صيفية ورمضانية منوعة (علمية، ثقافية، ترفيهية)، تشمل الدروس، والدورات العلمية، والبرامج الثقافية والرياضية المتنوعة، وتغطي جميع السجون الرئيسة والفرعية، بالتعاون مع فروع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وإدارات التربية والتعليم بالمناطق والمحافظات، ويرصد لها ميزانية مستقلة.

٤- التعاون مع مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات لإلقاء محاضرات، ودروس علمية للسجناء السعوديين والمقيمين العرب، والاستفادة كذلك من دعاة هذه المكاتب؛ لتوعية السجناء غير الناطقين باللغة العربية بلغاتهم المتعددة.

٥- التصريح لعدد من الدعاة المحتسبين التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للقيام بمهام الدعوة بكافة جوانبها لنزلاء السجون، بالإضافة إلى تعاون الوزارة في هذا الجانب بتفريغها لعدد من دعاتها الرسميين للعمل في بعض سجون المملكة.

٦- تعيين عدد من الدعاة والوعاظ في شعب وأقسام السجون بوظائف مدنية، تحت مسمى: (مرشد ديني)، وتكون مهمتهم إلقاء الدروس والمحاضرات والدورات العلمية، ويتم تقويمهم بشكل دوري.

٧- الإشراف على حلقات تحفيظ القرآن الكريم في السجون.

٨- تنظيم المسابقات القرآنية والثقافية، وتكريم الفائزين بها.

٩- أيضاً بينت هذه المادة (السابعة عشرة): أهمية العناية بمعالجة الجوانب النفسية للسجناء على أيدي متخصصين، ومما يذكر في هذا الجانب أن من اختصاصات الباحث الاجتماعي إجراء بحث الاستقبال الأولي مع السجين الجديد؛ لتكوين العلاقة المهنية معه، وبما يساعد على تكيفه مع بيئة السجن، ويهتم كذلك بتتبع حالات السجناء، وما يطرأ عليها من تغيرات من النواحي النفسية والاجتماعية والصحية، وتدوين جميع المعلومات عنهم، خصوصاً الحالات غير المستقرة من خلال دراسة اجتماعية تجرى لكل سجين على حدة، يتولاها باحث اجتماعي بمشاركة اختصاصي نفسي وطبيب للأمراض النفسية.

- المادة الثامنة عشرة، ومما ورد فيها: (تضع وزارة الداخلية بالاتفاق مع الجهات المختصة المسئولة عن التعليم والتوعية مناهج التعليم والتثقيف داخل السجون، ودور التوقيف، وتحدد اللائحة التنفيذية قواعد وإجراءات اختبارات المسجونين والموقوفين في المراحل الدراسية المختلفة، وتنشأ في كل سجن مكتبة تحوي كتباً دينية، وعلمية، وأخلاقية؛ ليستفيد منها المسجونون والموقوفون في أوقات فراغهم، ويسمح للمسجونين والموقوفين باستحضار كتب، أو صحف، أو مجلات على نفقتهم الخاصة)، ويظهر في هذه المادة العناية الكبرى بحق العلم والثقافة والاطلاع للسجناء، من خلال الآتي:

أ- أكدت هذه المادة تضافر الجهات المعنية بالدعوة والتعليم والثقافة، بالتعاون مع الجهات الأمنية لوضع مناهج التعليم والتثقيف داخل السجون.

ب- كفلت هذه المادة للسجناء حق التعلم والاطلاع، والتزود من العلوم والمعارف المختلفة.

ج- أوجبت هذه المادة على إدارات السجون إنشاء مكتبات عامة في كل سجن، يتاح فيها للسجناء الاطلاع على الكتب المتنوعة وقراءتها.

د- أتاحت هذه المادة للسجناء في حال رغبتهم إحضار كتب، أو صحف، أو مجلات على نفقتهم الخاصة.

هـ- أسهمت هذه المادة بإمكان توفير وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية وفق ضوابط محددة.

و- ومما يعزز ذلك في الواقع، فإن عدد المدارس في مختلف المراحل يبلغ حالياً (٧١) مدرسة في مختلف سجون المملكة، جاءت وفق الآتي:

- (٣٣) مدرسة لمرحلة تعليم الكبار، ومحو الأمية.
- (٢١) مدرسة للمرحلة المتوسطة.
- (١٢) مدرسة للمرحلة الثانوية.
- (٥) مدارس لمرحلة تعليم الكبار، ومحو الأمية للتعليم النسوي.
- كما أنشئت قريباً (عام ١٤٣٠هـ) قاعة جامعية خاصة بالسجناء؛ لاستكمال دراستهم الجامعية، بالتعاون بين جامعة القصيم وإدارة سجون منطقة القصيم.
- المادة التاسعة عشرة، ومما ورد فيها: **(تضع وزارة الداخلية بالتنسيق مع الجهات المختصة برامج للخدمة الاجتماعية داخل السجون ودور التوقيف، ولأسر المسجونين والموقوفين)**، وهذه المادة يظهر منها العناية بالجوانب الاجتماعية للسجناء، ومراعاة ظروفهم المادية، وتمتد هذه العناية لتشمل أسر السجناء الذين قد يتأثرون بغياب عائلهم أثناء قضائه عقوبة السجن، وتتويجاً لهذه المادة، فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم (٢) بتاريخ ١٤٢٢/١/١هـ بإنشاء اللجنة الوطنية لرعاية السجناء، والمفرج عنهم، وأسرهم (تراحم)، وهي مؤسسة أهلية خيرية ذات شخصية اعتبارية، ومقرها الرئيس مدينة الرياض، ويرأسها معالي وزير الشؤون الاجتماعية، ومدير عام السجون نائباً له، ويشترك في عضويتها مندوبون يمثلون عدداً من الوزارات والجهات الحكومية والخاصة والخيرية، وتتبعها لجان فرعية في مختلف مناطق المملكة، وتتولى هذه اللجنة رعاية السجناء وأسرهم، وتقدم لهم البرامج الاجتماعية المتنوعة.

كمـا أن وزارة الـشؤون الاجتماعيـة ممثلـة بوكالـة الـضمان الاجتماعي، أعطت جميع أسر السجناء الحق في الاستفادة من كافة برامج الـضمان الاجتمـاعي؛ سـواء المعاشـات الـضمانية الـشهرية، أو الحقائب المدرسية، أو برنامج تسديد فواتير الخدمات، وذلك في حال انطبـاق ضـوابط الـصرف بحـق الأسـر، ومـن أبـرز شـرط اسـتحقاق الـضمان الاجتمـاعي: (أن يكـون الـسجين سـعودي الجنسية، ويبـدأ استحقاق الأسر للمعاش ابتداءً من تاريخ دخول عائل الأسرة للسجن، وحتى تاريخ إطلاق سراحه، ويطبق على السجناء وأسرهم ما يطبق على الحالات الأخرى المستفيدة من الضمان، ويصرف للسجين بعد الإفراج عنه (مقدار معاش أسرته) مدة ستة أشهر، مساعدة مقطوعة لتأهيله للعمل، وفي حالة وفاة السجين داخل السجن تعدل الحال من أسـرة سـجين إلى معـاش أرملـة وأيتـام، أو حـسب الحالـة الاجتماعيـة للأسرة).

وفي هـذا الاتجـاه فقـد وضـعت الدولـة بعـض الحـوافز الـتي تُعطـى للمستثمرين في السجون؛ رغبة في شغل أوقات السجناء بما يعود عليهم بالنفع، وإكسابهم المهارات اللازمة، وتعويدهم على اكتساب الرزق من عمل اليد، ومن ذلك:

أ- تـوفير موقـع للمنـشأة داخـل الـسجن، حـسب تـوفر المـساحة المطلوبة.

ب- احتساب العامل (السجين) بعاملين في السعودة من قِبل وزارة العمل.

ج- توفير العمالة اللازمة من السجناء من الجنسين.

د- تـسهم المديريـة العامـة للـسجون بالتعـاون مـع صـندوق تنميـة الموارد البـشرية (هـدف) بمبلـغ إضـافي للراتـب بنـسبة (٥٠٪)، لمدة أربعة وعشرين شهراً من راتب الموظف (السجين) خلال قضاء محكوميته بالسجن، ويمبلغ لا يتجاوز (١٠٠٠) ريال شهرياً.

- المادة الخامسة والعشرون، ومما ورد فيها: **(يجوز لوزير الداخلية أن يقرر الإفراج عن أي محكوم عليه بعقوبة السجن، إذا أمضى في السجن ثلاثة أرباع مدة العقوبة، وكان سلوكه أثناء وجوده في السجن يدعو إلى الثقة بتقويم نفسه)**، وهذه المادة تبرز أهمية مكافأة السجناء الذين تظهر عليهم السمات الحسنة، والآثار الإيجابية من عقوبة السجن.

- المادة الثامنة والعشرون، ومما ورد فيها: **(لا يجوز الاعتداء على المسجونين، أو الموقوفين بأي نوع من أنواع الاعتداء، وتتخذ إجراءات التأديب ضد الموظفين المدنيين، أو العسكريين الذين يباشرون أي عدوان على مسجون، أو موقوف، مع عدم الإخلال بتوقيع العقوبات الجزائية عليهم في الأحوال التي يكون الاعتداء فيها جريمة)**، وهذه مادة مهمة تحفظ للسجناء كرامتهم، وتؤكد عدم التعرض لهم بأي سوء من قبل الموظفين المدنيين أو العسكريين، ومن يثبت تعديه على أي سجين، فلا يكتفي بالإجراءات التأديبية المقررة عند الإخلال بأداء الوظيفة، بل يمكن أن توقع على المخالفين العقوبات الأخرى، والرفع بذلك للجهات المعنية؛ إذا وصل الاعتداء إلى حد ارتكاب جريمة بحق السجين.

فيتضح من خلال ما تيسر عرضه من مواد هذا النظام أن هناك عناية كبرى بحفظ حقوق السجناء، والعناية بهم في المملكة العربية السعودية؛ بما يحفظ لهم كرامتهم وحقوقهم المادية والمعنوية التي كفلتها لهم الشريعة الإسلامية.

كما أن هناك جوانب مهمة أخرى يظهر منها أيضاً العناية بالسجناء في سجون المملكة، وتتضح وفق العرض الآتي:

١. يتم إجراء الكشف الطبي الكامل على السجين فور دخوله للسجن للتأكد من سلامته، وخلوه من الأمراض المعدية، وأنشئت

أماكن خاصة في بعض المستشفيات الرئيسة بالمملكة لعزل السجناء المرضى؛ ممن تتطلب حالتهم الصحية ذلك.

٢. تحرص الدولة على تقديم إعاشة نقدية للسجين منذ دخوله السجن، وهذا خلاف الوجبات اليومية الرئيسة، وتوفير الاحتياجات والكماليات.

٣. افتتاح ورش ومراكز تدريب مهني تعقد فيها دورات لتدريب السجناء على بعض الحرف والمهن، وفق احتياجات سوق العمل، وبما يُمكّن السجين بعد الإفراج عنه من الحصول على عمل مناسب له.

٤. أقامت بعض شركات القطاع الخاص عدداً من المصانع والمشاغل بعدة تخصصات داخل السجون، وقد نفذ ذلك في عدة سجون.

٥. توقيع اتفاقية مع بنك التسليف السعودي لإعطاء قروض قد تصل إلى (٢٥٠,٠٠٠) ريال، لمن يريد إقامة مشروع، ولديه قدرة على إدارته، كما وقعت اتفاقية مع صندوق الموارد البشرية لدعم المتدربين من السجناء، على أن يتحمل الصندوق (٥٠٪) من مكافآت السجناء المتدربين على مهن داخل الإصلاحيات.

٦. تتاح فرصة للسجناء للقيام بنشاطات اجتماعية ورياضية وثقافية متنوعة، بالتنسيق مع الجهات المعنية.

٧. انطلاقاً من توجيهات الشريعة الإسلامية السمحة، وحرصاً على تعزيز الأواصر بين السجين وأسرته؛ فإنه يتم تمكين السجين من الخلوة الشرعية بزوجته، وزيارة أفراد أسرته من خلال اليوم العائلي خلال فترة النهار، (من الساعة الثامنة صباحاً، وحتى الساعة الخامسة مساءً)، ولمرة واحدة شهرياً لكل سجين، ويشترط كون السجين حسن السيرة والسلوك، وأن يكون من المشاركين في البرامج الإصلاحية، وأن يكون سجله خالياً من أي مخالفات، ويسمح للأسرة

إدخال بعض المأكولات والمشروبات، وهناك أيضاً فرصة للسجين للخروج لمدة (٢٤) ساعة لزيارة عائلته، وفق ضوابط محددة.

٨. يحق للمحكوم إذا طلب أن يقضي سجنه قرب أهله وذويه وينقل من مدينة إلى أخرى، فإنه يسمح له أن ينقل إلى أقرب سجن لهم.

٩. حرصت المديرية العامة للسجون على ابتعاث منسوبيها من ضباط وأفراد وموظفين للدول المتقدمة في مجال رعاية وإصلاح السجين، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وبريطانيا، وكندا، وغيرها من الدول؛ للوقوف على التجارب العالمية عن قرب والاستفادة منها، حتى تثري الجوانب المعرفية لمنسوبي السجون؛ مما ينعكس إيجاباً على أدائهم الوظيفي[(١)].

وهذا العرض السابق في هذا المبحث يبين أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية بالسجون؛ حيث ظهر الاهتمام بذلك من مختلف الجوانب المعنوية والمادية، وكذلك الأمور الدينية والصحية والاجتماعية والنفسية والسلوكية، والتزام ذلك كله بهدي الشريعة الإسلامية وأحكامها.

---

(١) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية، محمد حبيب أحمد مختار، ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، ١٤٢١هـ، ص١٨- ٢٨، والمقابلة المنشورة مع سعادة مدير عام الإدارة العامة للسجون اللواء د.علي بن سعيد الحارثي، في صحيفة الرياض، العدد ١٤٦٣٨، الصادرة يوم الثلاثاء الموافق ١٤٢٩/١٠/٢٨هـ، ص ١٣، والمقابلة المنشورة مع سعادته في صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٤٢٠، الصادرة يوم الجمعة ١٤٣٠/٧/٣هـ، ص١٨، كما استقى الباحث بعض معلومات هذا المبحث من مقابلته للعقيد عبدالمحسن بن محمد الطويل (مساعد مدير إدارة الإرشاد والتوجيه في المديرية العامة للسجون) يوم الثلاثاء الموافق ١٤٣١/٤/٢٨هـ، وزيارته لسجن الملز يوم السبت الموافق ١٤٣١/٤/٤هـ، وكذلك يوم السبت ١٤٣١/٥/٣هـ، واللقاء بالمقدم خالد الحبردي (مسؤول قسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز)، وإبراهيم الزهراني (من منسوبي قسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز)، وقام الباحث بنفسه بزيارة أجنحة السجن المتنوعة بالتنسيق مع إدارة السجن.

المبحث الثالث: واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام:

اتضح في المبحث السابق الاهتمام الكبير بالبرامج الدعوية والعناية بها من خلال مواد نظام السجن والتوقيف بالمملكة؛ وذلك لآثارها الكبرى في استصلاح السجناء، وإرشادهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة اللائقة بهم؛ وقد تواصل الباحث مع الإدارة المعنية في سجن الملز العام[1]؛ للإفادة عن برامجهم الدعوية المتنوعة المنفذة خلال ستة أشهر، ابتداء من غرة رمضان ١٤٣٠هـ وجرى تزويده بها؛ لتقدم هذه الدراسة بذلك لمحة موجزة عن أبرز البرامج الدعوية في هذا السجن؛ الذي يعد أنموذجاً متميزاً لبقية السجون في المملكة، وجاءت هذه البرامج وفق الجداول الآتية:

(١) سبق بيان ذلك في هامش الصفحة السابقة.

الجدول رقم (١)

أبرز المعالم العامة لقسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز

البيان	التوضيح
الوحدات الموجودة في سجن الملز	وحدة القرآن الكريم والسنة النبوية، وحدة المساجد والمصليات، وحدة التوجيه، وحدة المكتبات، وحدة الجاليات.
عدد المساجد والمصليات في سجن الملز	- (٢٤) مصلى، وتقام صلاة الجمعة في جميع هذه المصليات. - (١) مسجد واحد.
عدد الدعاة في سجن الملز	- عدد (٣) من الدعاة الرسميين في قسم الإرشاد والتوجيه. - عدد (٣) من الدعاة المتفرغين للعمل في الوحدة من قبل فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة الرياض. - عدد (١٠٠) من طلبة العلم والدعاة المتعاونين المصرح لهم من قبل المديرية العامة للسجون لإلقاء المحاضرات والدروس في سجن الملز.
عدد المدعوين في سجن الملز	جميع نزلاء السجن (٦٠٠٠) سجين تقريباً.
عدد المكتبات في سجن الملز	- (٢) مكتبتان عامتان. - (٣) مكتبات في الأجنحة المثالية.
عدد الأجنحة المثالية في سجن الملز	(٣) أجنحة مثالية، في كل جناح بين (١٥٠- ٢٠٠) نزيل تقريباً.

الجدول رقم (٢) يوضح الدروس العلمية المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	موعد الدرس	الـدرس
اللغة العربية	درس أسبوعي لكل كتاب في الأجنحة المثالية	شرح كتاب التوحيد (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)
		شرح الأصول الثلاثة مع حفظ المتن.
		شرح الأربعين النووية مع حفظ الأحاديث.
		سيرة الرسول ﷺ من كتاب الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري.
		شرح كتاب الملخص الفقهي، للشيخ د.صالح الفوزان.
		بعض متون العقيدة والفقه واللغة العربية (للنزلاء المتميزين في الأجنحة المثالية).

يتبين من الجدول السابق رقم (٢) العناية بالمنهجية العلمية التي ينبغي أن يكتسبها السجين المسلم من أحكام دينه؛ فضلاً عن طلاب العلم من السجناء، ويظهر من ذلك شمول هذه الدروس لأبرز فنون العلوم الشرعية، (العقيدة، والحديث، والفقه، والسيرة)، مع الاهتمام بالمتون العلمية المتنوعة التي يحتاجها طالب العلم.

الجدول رقم (٣) يوضح الدورات العلمية المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	موعد الدورة	موضوع الدورة
اللغة العربية	تنفذ (٢- ٣) مرات شهرياً	دورة (مع القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً وتجويداً)
		دورة (إيمانيات) في الأجنحة المثالية
		دورة (كن داعياً) في الأجنحة المثالية

يتضح من الجدول السابق رقم (٣) التنوع.

الجدول رقم (٤) يوضح المحاضرات العامة المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	العدد	المحاضرات
اللغة العربية	بمعدل (٣٨) محاضرة شهرياً	المحاضرات التوعوية والوعظية والإرشادية العامة، وتقام بين المغرب والعشاء في المساجد، أو بعض العنابر والأجنحة. بالإضافة إلى المحاضرات الموسمية (في شهر رمضان، أو عشر ذي الحجة، أو عاشوراء).

يتبين من الجدول السابق رقم (٤) المنهجية التي تسير عليها الإدارات المعنية في تنظيم المحاضرات المقدّمة للسجناء؛ حيث يغلب عليها أنها محاضرات عامة، وفي موضوعات متنوعة، وتنفذ يومياً.

الجدول رقم (٥) يوضح الكلمات المتنوعة المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	العدد	الكلمات
اللغة العربية	بمعدل (٢٣٠) كلمة شهرياً	الكلمات القصيرة في موضوعات متنوعة؛ (تناسب بيئة السجناء، وأحوالهم، وأوضاعهم، وتهتم بتسليتهم، وتقوية إيمانهم بالله تعالى، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، والصبر، والتفاؤل، والتوبة..، ونحو ذلك)، تُلقى في المساجد، أو بعض العنابر والأجنحة، بعد الصلوات، ويلقيها الدعاة وطلبة العلم من خارج إدارة السجون، أو بعض المرشدين في الإدارة، أو حتى من النزلاء أنفسهم.

يتبين من الجدول السابق رقم (٥) الاهتمام بهذه الوسيلة من قبل القائمين على البرامج الدعوية في السجون؛ وذلك لأهمية هذه الكلمات الوعظية والتوعوية على المستمعين لها، وتنفذ بمعدل يومي يزيد عن (٧) كلمات في السجن بالأجنحة المختلفة.

الجدول رقم (٦) يوضح الجهود الدعوية والثقافية والمهارية المتنوعة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)، وطريقة تنفيذها

البرنامج	طريقة التنفيذ	الإيضاح
اليوم المفتوح	فقرات متنوعة، (دينية، ثقافية، ترفيهية، أمسيات شعرية)	من بعد صلاة المغرب حتى الساعة (١٠) مساء
برنامج لقاء الأحبة	برنامج مسابقات	(١٠) مرات في الشهر، ويشارك فيه (٣٥ نزيلاً من كل جناح).
برنامج اليوم الشامل	برنامج رياضي مسرحي	ويشارك فيه طلاب الأجنحة المثالية، وطلاب حلقات تحفيظ القرآن الكريم.
دوري المسابقات الثقافية	برنامج مسابقات	إقامة مباراة بين (٤) مجموعات، كل مجموعة من (٤) مشاركين.
النشاط الرمضاني	نادي رمضاني متنوع	يستهدف الشباب وأصحاب المواهب.
حوار حول المسائل الشرعية والاجتماعية	لقاءات جماعية	(٢٥) جلسة شهرياً.

الإيضاح	طريقة التنفيذ	البرنامج
(٥) برامج في الشهر، وفق الآتي: - مهارات الإلقاء والخطابة والحوار. - مهارات بناء الذات وتطوير الشخصية. - مهارات الإبداع في حل المشكلات. - مهارات فن التعامل مع الآخرين. - برنامج كيف تكون إيجابياً؟	التدريب على مهارات الحياة وتطوير الذات، (تنفذ في الأجنحة المثالية).	الدورات التدريبية والتطويرية
. نفذت أكثر من (١٨٥) جلسة.	وهي جلسات يقدمها مختصون بحسب حاجة السجناء، وهؤلاء المختصون قد يكونون (من خارج السجن)، أو من مسؤولي السجن، أو من السجناء أنفسهم ممن لديهم قدرة، ويتولى القسم تنسيق هذه الجلسات بين المختصين والسجناء.	الجلسات الاستشارية الأسرية والقانونية والتربوية
ينفذ على مدار العام،	أيام الإثنين والخميس،	برنامج إفطار صيام

الإيضاح	طريقة التفيذ	البرنامج
وبحسب رغبة السجناء.	يوم ويوم، الأيام البيض من كل شهر، يوم عرفة، عاشوراء.	التطوع
(٦٥) سجيناً تائباً.	يحكي فيه أحد السجناء التائبين قصته في عالم الجريمة سابقاً؛ للاعتبار والعظة.	برنامج القصص الواقعية
للمساعدة على الإقلاع عن التدخين، وبيان مضارّها، وقد بلغ عدد المقلعين عن التدخين (٣٩٤) مدخناً.	علمي ووعظي	برنامج مكافحة التدخين
للإقلاع عن المخدرات والمسكرات، والتحذير منها، وبيان مضارها، وقد بلغ عدد التائبين من هذه الآفة (٢٥٢) مدمناً.	علمي ووعظي	برنامج "تعافي"
بمعدل (٥) مرات يومياً.	عرض إعلاني منوع عن بعض الأمور الدينية أو الاجتماعية	الاستفادة من الشاشة المرئية في الأجنحة والممرات
(٥٢) برنامجاً بطريقة الدوري الرياضي.	مسابقات رياضية متنوعة	البرامج الرياضية

يتضح من الجدول السابق رقم (٦) مدى الجهود المتنوعة من الأنشطة الدعوية والثقافية والمهارية والتوعوية التي تنفذ في السجن، وطريقة تنفيذها، والمستهدفون منها، ومدى اهتمام إدارة السجن لإصلاح وإعداد السجناء للحياة السليمة.

الجدول رقم (٧) يوضح جهود وحدة حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في سجن الملز، وطريقة أدائها لعملها

البرنامج	النوع	المستفيدون	العدد
(١) وحدة القرآن الكريم، وتتكون من: أ.حلقات تحفيظ القرآن الكريم. ب. لجان وفرق العمل الخاصة باختبارات حفظ القرآن الكريم.	حلقات تابعة لوزارة التربية والتعليم (معلمون يقومون بذلك في الفترة المسائية)	يستفاد منها في مكرمة خادم الحرمين الشريفين في العفو عن السجناء الحافظين للقرآن الكريم	استفاد منها خلال ستة أشهر من غرة رمضان ١٤٣٠هـ (٣٧٠) سعودياً، و(١٧٧) غير سعودي.
	حلقات قسم الإرشاد والتوجيه	تخصص للنزلاء الحافظين لكتاب الله	تستهدف نزلاء الأجنحة المثالية
	حلقات التلقين	للمبتدئين وكبار السن وغير الناطقين بالعربية	تستهدف جميع النزلاء
	الحلقات المكثفة (برنامج مضمون)	لحفظ القرآن كاملاً وفق برنامج معين	تستهدف نزلاء الأجنحة المثالية
(٢) وحدة السنة	حفظ الأربعين النووية والأذكار والأدعية		تستهدف جميع النزلاء

يتضح من الجدول السابق رقم (٧) طريقة عمل وحدة حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتنوع البرامج التي تنفذها هذه الوحدة، والمستهدفون منها.

الجدول رقم (٨) يوضح جهود وحدة المساجد والمصليات في سجن الملز، وطريقة أدائها لعملها:

القسم	المهام والأنشطة	العدد
المساجد والمصليات	- إيجاد أماكن للمساجد والمصليات داخل الأجنحة. - تأمين متطلبات المساجد (فرش، مصاحف، أجهزة الصوت، كتب، حاملات مصاحف..)	في سجن الملز (٢٤) مصلياً ومسجد واحد.
الأئمة والمؤذنون	- اختيار الأئمة والمؤذنين سواء من النزلاء، أو من المرشدين في الإدارة. - إقامة البرامج العلمية التأهيلية للأئمة والمؤذنين. - عقد لقاءات علمية بينهم وبين الدعاة وطلبة العلم. - التنسيق مع الجهات المختصة لتوفير العدد الكافي من الأئمة في شهر رمضان.	في سجن الملز (٢٥) إماماً، و(٢٥) مؤذناً.
الخطباء	- التنسيق مع الجهات المختصة وطلبة العلم والدعاة للقيام بخطبة الجمعة في أحد المصليات والمساجد التابعة للسجن. - ترشيح الخطباء من النزلاء وتدريبهم وتطوير مهاراتهم - اختيار الخطب والمواعظ التي تناسب السجناء والعاملين في السجون.	يتولى الخطابة: (١٨) خطيباً من النزلاء، و(٧) خطباء من الموظفين أو المتعاونين (في الغالب).

يعرض الجدول السابق رقم (٨) طريقة عمل وحدة المساجد والمصليات، والمهام التي تختص بها، والأنشطة المتنوعة التي تنفذها.

الجدول رقم (٩) يوضح جهود وحدة المكتبات والمعارض في سجن الملز، وطريقة أدائها لعملها

الأقسام	المهام والأنشطة
المكتبات	- تطوير المكتبات السمعية والمرئية والمقروءة. - تفعيل نشاط الاستعارة وتنظيمها وفق جدول معين. - تنظيم المسابقات الثقافية بهدف تفعيل القراءة. - يوجد بث متاح في كل العنابر للتلفزيون السعودي بجميع قنواته.
المعارض	- تنظيم المعارض الداخلية. - المشاركة في المعارض الخارجية على مستوى منطقة الرياض، مثل: مهرجان الجنادرية، وبعض معارض المدارس التابعة لوزارة التربية والتعليم.

يتبين من الجدول السابق رقم (٩) طريقة عمل وحدة المكتبات والمعارض، والمهام المناطة بها، والمستهدفون منها.

الجدول رقم (١٠) يوضح البرامج الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز لغير الناطقين بالعربية (اللغات الأجنبية) (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

نوع البرنامج	الطريقة	العدد
محاضرات دعوية عامة، للمسلمين، وغيرهم	تلقى في المساجد، أو بعض العنابر والأجنحة	(٣٤) محاضرة شهرياً باللغات الآتية: (تجالوج "فلبيني"، أوردو، إندونيسي، بنغالي، تاميلي)
كلمات توجيهية	بعد الصلوات	بمعدل (٣٠) كلمة شهرياً.
حفل تكريم المسلمين الجدد	يقام بصفة دورية	وقد أسلم خلال ستة أشهر (٣٦) سجيناً.
الجلسات الاستشارية والفتاوى	لقاء مفتوح للجاليات المسلمة	(٥) جلسات شهرياً.
لقاء الأحبة (بالإنجليزية)	برنامج مسابقات	يستهدف الجاليات الذين يجيدون اللغة الإنجليزية.

يتضح من الجدول السابق رقم (١٠) نصيب السجناء غير الناطقين باللغة العربية، من المسلمين وغيرهم؛ حيث تقدّم لهم برامج دعوية متنوعة، من المحاضرات والكلمات والمسابقات واللقاءات المتنوعة؛ ويبين فيها للمسلمين منهم أحكام الدين، ويُدعى غير المسلمين إلى الإسلام، وتبين لهم محاسنه وفضائله، ويحتفى بالداخلين منهم إلى الإسلام بصفة دورية.

وبهذه الجداول السابقة وبياناتها تتضح أبرز معالم البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام خلال ستة أشهر، وهذه البرامج والأنشطة تعكس ـ بحمد الله ـ تعدداً وتنوعاً لهذه البرامج؛ بما يعين ـ بعد توفيق الله ـ في قبول السجناء لهذه البرامج وتفاعلهم معها؛ نسأل الله أن ينفع بها، وأن يجزي الجميع على ذلك خير الجزاء.

المبحث الرابع: ركائز العمل الدعوي في السجون في المملكة العربية السعودية:

كشف المبحث السابق جوانب مضيئة عن العمل الدعوي الذي ينفذ في سجن الملز العام، والذي يعد أنموذجاً حسناً لبقية السجون في المملكة العربية السعودية، واتضح من ذلك تنوع الأعمال والأنشطة المقدّمة، وتبيّن حجمها، والاهتمام الذي تحظى به من قبل القائمين على إدارة السجون في المملكة.

إنّ هذا العمل الدعوي المتميز لا يمكن أن يقدم بهذه الصورة الشاملة لولا أنه ـ بعد توفيق الله تعالى ـ يرتكز على أسس متينة من القواعد والركائز التي يستند عليها، ومن أبرز هذه الركائز والقواعد الآتي:

استناد نظام السجن والتوقيف على المصدرين الكريمين؛ كتاب الله الكريم، والسنة النبوية المطهرة؛ وما قام عمل أو نظام عليهما إلا كان النجاح والفلاح حليفه؛ يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]، ويقول الرسول الكريم ﷺ: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ..)[2]، وقد تبين في المبحث الثاني من هذه الدراسة أن أغلب مواد هذا النظام ولوائحه التنفيذية تؤكد العناية بأحكام الشريعة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم ٦٠٦٥، ورواه مسلم، كتاب الأدب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، رقم ٦٤٧٣.

الإسلامية، والحرص على اهتداء السجناء بتعاليمها، وبذل الوسع والطاقة في حثهم على ذلك.

١- التزام تطبيقات الأعمال الدعوية المنفذة بمذهب أهل السنة والجماعة ووفق منهج السلف الصالح من رعيل الأمة ـ رحمهم الله ـ؛ وهذا يظهر من الاعتناء بالوسائل الدعوية القائمة على ذلك؛ حيث تُدرس كتب علماء السلف في العقيدة والحديث والفقه، ويُهتدى بهديهم في سائر الأنشطة المختلفة.

٢- النص على القيام بهذه البرامج وتطبيقها في واقع العمل بالسجون عملاً بالمادة السابعة عشرة من نظام السجن والتوقيف الذي جرى بيانه في المبحث الثاني.

٣- المكرمة السامية من قبل ولاة الأمر في هذه البلاد المباركة ـ وفقهم الله ـ والتي تقرر فيها إعفاء السجين الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم (عن ظهر قلب) أثناء فترة سجنه من نصف محكوميته؛ وقد أثمر ذلك في إقبال عدد كبير من السجناء على حفظ القرآن الكريم، والتفاعل الإيجابي مع حلقات التحفيظ في السجون؛ مما أسهم في تقويم سلوكهم، وتأهيلهم للعودة إلى المجتمع أفراداً صالحين ـ بإذن الله ـ.

٤- ظهر من العرض السابق حسن أداء إدارة الإرشاد والتوجيه في المديرية العامة للسجون في المملكة لأعمالها ومهامها، وهذه الإدارة هي الجهة المسئولة عن الأعمال الدعوية في السجون وتنظيمها والإشراف عليها؛ والمطلع على حجم الأعمال التي تقوم به هذه الإدارة يتضح له حجم الجهد المبذول من قبل القائمين على هذه الإدارة والعاملين فيها، بالإضافة إلى حسن تواصلهم مع المؤسسات الرسمية والخاصة، والداعمة لهذه البرامج؛ سعياً من القائمين على هذه الإدارة في أداء الأمانة الملقاة على عاتقهم، ورغبة في إظهار هذه

الأعمال وفق أفضل صورة ممكنة؛ خدمة للدين، ونشراً لأحكامه وتعاليمه بين السجناء، واستثماراً لأوقاتهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٥- أن البرامج الدعوية تنفذ وفق خطط علمية منظمة ومعتمدة من قبل المسئولين في المديرية العامة للسجون، بعيداً عن الارتجال والعشوائية؛ وهذه الخطط منها الفصلي (كل ثلاثة أشهر)، ومنها ثلث السنوي (كل أربعة أشهر)، وتغطي هذه الخطط مواسم معينة: (شهر رمضان، عشر ذي الحجة، عاشوراء)، وهناك متابعة من الجهات المختصة في المديرية العامة للسجون لإدارة كل سجن حول تنفيذ هذه الخطط، ومتابعة ذلك، وتقويمها، ومعالجة الملحوظات المسجلة عليها.

٦- التعاون مع الجهات ذات العلاقة في تنفيذ هذه البرامج؛ وقد تبين معنا في المبحث الثالث أن المديرية العامة للسجون تتعاون في ذلك مع عدة جهات رسمية:

ـ تتعاون وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وفروعها في المملكة في تسيق البرامج الدعوية والتصريح بها، وتزويدها بالدعاة المتعاونين، وتتعاون كذلك مع الجهات الخيرية التابعة للوزارة، مثل: المكاتب التعاونية للدعوة، وتوعية الجاليات، والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في مناطق المملكة.

ـ تتعاون كذلك مع وزارة التربية والتعليم في إدارة المدارس في السجون، والإشراف على بعض المناشط الدعوية والتعليمية المتنوعة.

ـ تتعاون أيضاً مع وزارة الثقافة والإعلام في الإشراف على تنفيذ بعض البرامج الثقافية، وتزويد مكتبات السجون بالكتب المتنوعة.

- تتعاون أيضاً مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعاهدها العلمية المنتشرة في المملكة للإفادة من معلمي المعاهد؛ لإقامة البرامج الدعوية المتنوعة في سجون المناطق والمحافظات.

وهذا التنوع في التعاون يثري البرامج الدعوية المقدّمة للسجناء، ويعزز من تأثيرها - بإذن الله -؛ لكونها أقيمت من قبل متخصصين فيها.

٧- حسن اختيار موضوعات هذه البرامج الدعوية ومضمونها؛ حيث إنها تناسب السجناء وأوضاعهم، كما تتميز بشموليتها وتنوعها؛ ففيها مثلاً: الدروس الشهرية، والأسبوعية، واليومية، والمتون العلمية الطويلة، والمحاضرات العامة، وحلقات التلقين، والبرامج الثقافية، والدورات المهارية والرياضية، والدروس المخصصة للجاليات بلغات متنوعة، كما أنها تراعي غير المسلمين، ونحو ذلك.

٨- تنوع القائمين بالبرامج الدعوية؛ فتارة يتولاها المرشدون والوعاظ التابعون لإدارة سجن الملز، وتارة يقوم بها بعض الدعاة وطلبة العلم المتعاونون والمحتسبون مع إدارة السجن، ومرات ينفذها بعض النزلاء المتميزين؛ وهذا التنوع والتغيير يسهم في حسن تلقي النزلاء لهذه البرامج، ويبعث فيهم الحماسة، ويطرد عنهم السآمة والملل.

٩- يظهر - كذلك - من العرض السابق للبرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام مراعاة أحوال المدعوين (السجناء) وقدراتهم وإمكاناتهم، فهي تناسب أصحاب العقوبات الطويلة، وتناسب كذلك مستوياتهم العلمية، واهتماماتهم المختلفة، ومراحلهم العمرية؛ فنجد من بين هذه البرامج مثلاً: الدروس العلمية المتخصصة، ونجد من بينها كذلك: حلقات تلقين القرآن الكريم، فهي تناسب عامة السجناء، وتدفع السآمة عنهم، وتشغل أوقاتهم بما ينفعهم.

١٠- تنوع الوسائل والأساليب الدعوية المنفذة في هذه البرامج؛ حيث نجد أن فيها اهتماماً بالوسائل الدعوية المباشرة، كالدروس والمحاضرات والخطابة والكلمات التوجيهية، وعناية أيضاً بالوسائل الدعوية غير المباشرة، كالكتب والأشرطة والمسابقات الثقافية، واهتماماً كذلك بوسائل التقنية، كالعروض في شاشات الأجنحة، ونحوها، بالإضافة إلى العناية بالأساليب الدعوية المنفذة؛ فمنها الوعظية، ومنها الذي يعتمد على الترهيب من آثار المعاصي والمخدرات والتدخين، ومنها الذي يقوم على الترغيب والتأليف بالحوافز المادية والمعنوية والجوائز المتنوعة، ونحو ذلك.

١١- تواصل هذه البرامج واستمراريتها؛ فهي تنفذ على مدار العام، وتقام يومياً، بل قد يقام في اليوم الواحد عدة مناشط، وربما في وقت واحد ينفذ أكثر من منشط، ولكن في أماكن متعددة (مصليات، أجنحة).

هذه أبرز الركائز والقواعد التي ينطلق منها العمل الدعوي في سجون المملكة، كما تبين ذلك تطبيقياً من خلال الاستعراض التفصيلي للبرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام خلال ستة أشهر من غرة شهر رمضان ١٤٣٠هـ.

وهذه الأسس المتينة تكفل - بعد توفيق الله تعالى - النجاح لهذا العمل، وتسهم في التأثير الإيجابي في السجناء؛ وبذلك تتحقق إحدى المقاصد الكبرى من هذه العقوبة التي أُنزلت عليهم.

- **الجانب الميداني:**

التمهيد: إجراءات الدراسة الميدانية.

تستهدف الدراسة من خلال الجانب الميداني وصف الظاهرة المدروسة: (تقويم البرامج الدعوية المقدّمة في سجن الملز العام)، وفقاً لآراء من شملتهم الدراسة من السجناء في سجن الملز العام، وتحديداً من قبل نزلاء الأجنحة المثالية في السجن.

- أداة جمع معلومات الدراسة:

جمع الباحث معلوماته المتعلقة بالجانب الميداني في هذه الدراسة عن طريق أداة الاستبانة[(١)]؛ إذ تعد الاستبانة أداة ملائمة للحصول على آراء أفراد العينة حول الجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام وتقويمهم لها، ومعرفة المزيد من الحقائق المتعلقة بذلك، وجاءت هذه الاستبانة وفق الأسئلة ذات الإجابة المغلقة؛ وهي التي تعتمد غالباً على الاختيار الخماسي المتدرج «مقياس ليكرت likert»[(٢)]، ليختار من شملته الدراسة الإجابة المناسبة، كما تُرك في آخرها عدة أسطر مفتوحة؛ ليعبر من خلالها أفراد عينة الدراسة عن آرائهم، ومقترحاتهم دون التقيد بصيغة محددة؛ ليستفيد الباحث من آراء الجميع.

وقد اتبع الباحث في إعداد هذه الاستبانة الخطوات الآتية:

- تم تحديد هدف الاستبانة في ضوء الغرض من الجانب الميداني في هذه الدراسة، وهو: (تقويم البرامج الدعوية المقدّمة في سجن الملز وفق آراء أفراد العينة؛ لأجل معرفة آرائهم حول هذه الجهود؛ بغرض مواصلة الجوانب الإيجابية فيها، ومعالجة أوجه القصور وتحسينها إلى الأفضل بإذن الله).

---

(١) انظر: أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، د.فوزي غرايبة وآخرون، ص٥٣، البحث العلمي، د. عبيدات وآخرون، ص ١٢١، البحوث الإعلامية، د.الحيزان، ص٨٤.

(٢) انظر: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.العساف، ص ٣٥٨.

▪ حدد الباحث معلومات الاستبانة (وحدات قياس الأداة) في ضوء ذلك، بناء على:

١. اجتهاده الشخصي، ولقاءاته وزياراته للسجن واللقاء ببعض المسئولين في السجن، وكذلك بعض السجناء في الأجنحة المثالية.

٢. رأي أغلب المحكمين أن هذه القضايا هي الأولى في تضمينها في الاستبانة[١].

▪ اجتهد الباحث عند إعداده لهذه الأداة بمراعاة الأمور الآتية[٢]: أن تكون الاستبانة قصيرة قدر الإمكان؛ ضماناً لمشاركة من شملتهم الدراسة، وضماناً لمصداقيتهم، وقد أرفق الباحث مع الاستبانة خطاباً موجهاً لمن شملته الدراسة؛ يوضح فيه هدف الدراسة، وغايتها، وحثهم على التفاعل معها، وبعد التصميم المبدئي لهذه الاستبانة؛ قام الباحث بتحكيمها للتحقق من ملاءمتها لموضوع الدراسة[٣].

---

(١) عُرضت الاستبانة على مجموعة من المحكمين الأكاديميين، وقد أفاد الباحث من الملحوظات العلمية القيّمة التي دونوها على الاستبانة المبدئية، فجزاهم الله خيراً.

(٢) أفاد الباحث في هذه الأمور من عدد من المراجع العلمية، مثل: أساليب البحث العلمي في العلوم الإدارية، د.العلاونة، ص١٦٥، البحث العلمي، د.ذوقان عبيدات وآخرون، ص ١٢١، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.العساف، ص٣٤٣.

(٣) يقصد بذلك اختبار مقياس صدق الاستبانة في قياس ما وضعت لأجله، وقد أكدت بعض المراجع العلمية أنه يمكن قياس الصدق عن طريق عرضها على عدد من المختصين والخبراء، ويسمى: (صدق المحكمين)، انظر: أساليب البحث العلمي، د. غرايبة وآخرون، ص٦٠، البحث العلمي، د.عبيدات وآخرون، ص١٩٦.

ـ عينة الدراسة وحجمها:

نظراً لصعوبة إخضاع مجتمع الدراسة ـ نزلاء سجن الملز - لهذه الدراسة؛ فقد تمّ تطبيق هذه الدراسة من خلال (الاستبانة) على عينة محددة، تسمى العينة العمدية (الفرضية) (Purposive sample)[1] على نزلاء الأجنحة المثالية الثلاثة[2] في سجن الملز، ويتضح حجم أفراد العينة وفق الجدول الآتي رقم (١١):

البيان	الأعداد
عدد الأجنحة (العنابر) في سجن الملز العام	٢٤
عدد السجناء في سجن الملز العام	٦٠٠٠ سجين تقريباً
عدد الأجنحة (العنابر) المثالية في سجن الملز	٣
عدد نزلاء الأجنحة (العنابر) المثالية في سجن الملز	يتفاوت بين (٤٥٠- ٦٠٠) سجين تقريباً
عدد الذين شملتهم الدراسة الميدانية من نزلاء الأجنحة (العنابر) المثالية في سجن الملز العام	(٨٢) سجيناً
زمن الدراسة الميدانية	شهر محرم ١٤٣٢هـ

(١) العينة العمدية أو الفرضية، هي: العينة التي يختارها الباحث بنفسه؛ لكونه يرى أنها تمثل مجتمع دراسته، وهي إحدى العينات غير العشوائية (غير الاحتمالية)، انظر: البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عامر قنديلجي، ص٦٢، البحوث الإعلامية، د.الحيزان، ص٧٦- ٧٧.

(٢) المقصود بالأجنحة (العنابر) المثالية: هي الأجنحة التي وضعتها المديرية العامة للسجون داخل السجون رغبة في تحفيز السجناء وزيادة تفاعلهم مع البرامج المتنوعة المقدّمة لهم، وتتوافر في هذه الأجنحة بعض المزايا التي تميزها عن بقية الأجنحة (العنابر)، ومن ذلك: (أن نزلاء الأجنحة المثالية أقل عدداً من نزلاء الأجنحة الأخرى؛ حيث يتم انتقاؤهم من قبل قسم الإرشاد والتوجيه، وتكثف في هذه الأجنحة البرامج الدعوية والعلمية والثقافية، والنزلاء ـ في الغالب ـ من فئة عمرية متقاربة، ويمنع فيها التدخين، وزيارة عائلة السجين في هذه الأجنحة تكون أطول، كما يُمكّن السجين في هذه الأجنحة المثالية من الخلوة الشرعية بزوجته لأوقات أطول من غيرهم، كما يمنح السجين استقلالية في توفير بعض الاحتياجات المتنوعة له، ونحو ذلك من المزايا.

ورأى الباحث أن هذا العدد من الاستبانات (٨٢) يعد جيداً، ويمكن أن يعطي مؤشرات مهمة حول موضوع الدراسة، ويسمح بتحليل نتائج أداة الدراسة وإكمال متطلباتها بالدرجة المطلوبة بعون الله تعالى[١].

تفريغ البيانات وتبويبها:

بعد الانتهاء من جمع الاستبانة، قام الباحث بتفريغ البيانات من خلال الإفادة من برنامج التحليل الإحصائي الذي يعرف بـ (SPSS)، وتمّ استخراج الطرائق الإحصائية الرقمية، وذلك وفق الأساليب الإحصائية الآتية:

- التوزيع التكراري: وهي جداول تلخص البيانات الأولية لإجابات أفراد العينة التي وزعت على فئات بحسب إجاباتهم، ويحدد وفقها عدد الأفراد الذين ينتمون إلى كل فئة، ويسمى هذا العدد تكرار الفئة.
- وصف المتغيرات الاسمية (Norminal Variables): لوصف توزيع أفراد العينة وفق بياناتهم الشخصية مع الإجابات التي اختاروها.
- مقاييس النزعة المركزية؛ وذلك ببيان الوسط الحسابي (Mean) لإجابات أفراد العينة، والذي يراد به: مجموع القيم مقسوماً على عددها.

ورأى الباحث أن هذه الأساليب الإحصائية تفي بالغرض المقصود من هذه الدراسة والإفادة من نتائجها بدرجة جيدة[٢].

---

(١) يعد تحديد حجم العينة من الأمور التي يكثر الجدل حولها بين المؤلفين في المناهج العلمية، وقد اجتهدت بعض المراجع بتحديدها بنسب معينة وفق مجموع أفراد المجتمع الذي ستطبق عليه الدراسة؛ وهذا التحديد لا يستند إلى منطق علمي دقيق؛ نتيجة لاختلافه بين دراسة وأخرى، كما أنه لا توجد قاعدة محددة لتحديد حجم العينة، انظر: دليل اختيار العينة، د.الضحيان، ص٢٧- ٢٩.

(٢) انظر: أساسيات البحث العلمي، د.عودة ود.ملكاوي، ص ٢١٢، أساليب البحث العلمي، د.العلاونة، ص ٢٠٠، المدخل إلى البحث، د.العساف، ص ١١٩، النظام الإحصائي spss فهم وتحليل البيانات الإحصائية، د.الزعبي والطلافحة، ص١٢٢.

المبحث الأول: السمات العامة لأفراد عينة الدراسة:

استهدفت الدراسة التعرف على أبرز السمات العامة (الديمغرافية) لأفراد عينة الدراسة، وذلك يتضح وفق الجداول الآتية:

جدول رقم (١٢) يبين سمات أفراد العينة وفقاً لأعمارهم

الفئات العمرية	التكرار	النسبة
٢٥ سنة فأقل	٤٠	٤٨,٧٨٪
٢٦- ٤٠ سنة.	٣١	٣٧,٨٠٪
٤١ سنة فأكثر	١١	١٣,٤١٪
المجموع	٨٢	١٠٠٪

فيتبين من أرقام الجدول السابق أن أغلب المشاركين في الإجابة على هذه الدراسة هم من فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن (٢٥سنة فأقل) وقد بلغت نسبتهم ٤٨,٧٨٪، وجاء بعدهم الشباب الكبار الذين تتراوح أعمارهم بين (٢٦- ٤٠ سنة)، وبلغت نسبتهم ٣٧,٨٪، فيما بلغت نسبة الذين تجاوزت أعمارهم (٤١ سنة) ١٣,٤١٪ من العينة.

جدول رقم (١٣) يبين سمات أفراد العينة وفقاً لمؤهلاتهم

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة
ثانوي فأقل	٥٦	٦٨,٢٩٪
جامعي	٢٣	٢٨,٠٥٪
فوق الجامعي	٣	٣,٦٦٪
المجموع	٨٢	١٠٠٪

تشير أرقام هذا الجدول إلى أن غالبية أفراد العينة من الذين يحملون المؤهل الثانوي فأقل بنسبة بلغت ٦٨,٢٩٪، فيما بلغت نسبة حملة المؤهل الجامعي (البكالوريوس) ٢٨,٠٥٪، وكان من بين أفراد العينة ٣,٦٦٪ من ذوي الشهادات العليا (فوق الجامعي).

جدول رقم (١٤) يبين سمات أفراد العينة وفقاً لمدة محكومياتهم أو بقائهم في السجن

سنوات البقاء في السجن	التكرار	النسبة
١ سنة فأقل	٦٢	٧٥,٦١٪
٢- ٤ سنوات	١٩	٢٣,١٧٪
٥ سنوات فأكثر	١	١,٢٢٪
المجموع	٨٢	١٠٠٪

يظهر من نتائج هذا الجدول أن أكثر من ٧٥,٦١٪ من المجيبين على الاستبانة هم ممن أمضوا (سنة فأقل) في السجن، وكان منهم ـ أيضاً ـ ٢٣,١٧٪ ممن تتراوح مدة بقائهم في السجن بين (٢- ٤ سنوات)، ومنهم ١,٢٢٪ تزيد مدة بقائهم عن (٥ سنوات).

ويشير الباحث إلى أن من السمات العامة التي اختص بها أفراد العينة المجيبين على هذه الاستبانة أن جميعهم من السعوديين.

ـ خلاصة المبحث:

تبين في هذا المبحث السمات العامة لأفراد العامة؛ وكان من أبرزها:

- ظهر في هذا المطلب أن أغلب المشاركين في الإجابة على هذه الدراسة هم من فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن (٢٥سنة فأقل) وقد بلغت نسبتهم ٤٨,٧٨٪.
- اتضح في هذا المطلب ـ أيضاً ـ أن غالبية أفراد العينة من الذين يحملون المؤهل الثانوي فأقل بنسبة بلغت ٦٨,٢٩٪.
- تبين أن أكثر من ٧٥,٦١٪ من المجيبين على الاستبانة هم ممن أمضوا (سنة فأقل) في السجن.
- أن جميع أفراد العينة من السعوديين.

المبحث الثاني: آراء أفراد عينة الدراسة حول الجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام:

رغبة في معرفة آراء أفراد عينة الدراسة في الجهود الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز العام؛ فقد تم سؤالهم عن ذلك بعدة أسئلة في أداة الدراسة (الاستبانة)، وجاءت إجاباتهم عنها وفق الجداول الآتية:

الجدول رقم (١٥) يبين إجابات أفراد العينة حول عبارة: (أهتم بحضور البرامج الدعوية في السجن وأتفاعل معها كثيراً)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٣٧	٤٥,١٪	٣,٨٠	١,٤٦
موافق	٢١	٢٥,٦٪		
موافق إلى حد ما	٦	٧,٣٪		
غير موافق	٦	٧,٣٪		
غير موافق مطلقاً	١٢	١٤,٦٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

تكشف نتائج هذا الجدول موافقة أغلبية أفراد العينة على اهتمامهم بحضور البرامج الدعوية في السجن وتفاعلهم معها؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٧٧ ٪ ـ على اختلاف بينهم في نسبة هذه الموافقة ـ، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٣,٨٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٤٦). كلما

كان التشتت كبيراً حول الوسط كلما كان الانحراف المعياري كبيراً، والعكس صحيح -[1]، وفي المقابل ذكر ٢١,٩٪ من أفراد العينة أنهم لا يهتمون كثيراً بذلك[2].

---

(١) انظر: أساسيات البحث العلمي، د.عودة، ص ٢٦٤، النظام الإحصائي، د. الزعبي، ص ١٨٤.

(٢) بعض البرامج الدعوية إلزامية على السجناء وليست اختيارية؛ حيث تلزم إدارة السجن السجناء بحضور صلاة الجمعة والجماعة، وكذلك حضور بعض المحاضرات والكلمات الوعظية؛ أما بقية البرامج الدعوية فليست إلزامية، وإنما يترك ذلك للراغبين منهم؛ ذكر ذلك للباحث الأستاذ إبراهيم الزهراني (من قسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز) يوم السبت ١٤٣١/٥/٣هـ.

وتعرض نتائج الجدول رقم (١٦) آراء أفراد العينة حول عبارة: (أسهمت هذه البرامج الدعوية في زيادة تعلمي لأحكام دين الإسلام وآدابه)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٤٩	٪٥٩,٨	٤,٢٠	١,١٦
موافق	١٣	٪١٥,٩		
موافق إلى حد ما	١٤	٪١٧,١		
غير موافق	١	٪١,٢		
غير موافق مطلقاً	٥	٪٦,١		
المجموع	٨٢	٪١٠٠	-	-

يتضح من نتائج الجدول السابق أن أكثر من ٩٢٪ من أفراد العينة يرون أن هذه البرامج الدعوية أسهمت في زيادة تعلمهم لأحكام دين الإسلام وآدابه ـ على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة ـ، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤,٢٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,١٦)، فيما رأى ٧٪ تقريباً أن تلك البرامج لم تسهم في زيادة تعلمهم للدين وأحكامه.

ويبين الجدول رقم (١٧) آراء أفراد العينة حول عبارة: (كان لهذه البرامج الدعوية دوراً في عزمي على بناء حياة جديدة بعد خروجي من السجن - بإذن الله -)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٦١	٧٤,٤٪	٤,٣٠	١,٣٥
موافق	٧	٨,٥٪		
موافق إلى حد ما	٢	٢,٤٪		
غير موافق	٣	٣,٧٪		
غير موافق مطلقاً	٩	١١,٠٪		
المجموع		١٠٠٪	-	-

يتبين من أرقام هذا الجدول أن غالبية أفراد العينة يؤكدون أهمية دور البرامج الدعوية في عزمهم على بناء حياة جديدة بعد خروجهم من السجن - بإذن الله -؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٨٥٪ منهم على ذلك - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة -، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤,٣٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٣٥)، وفي المقابل رأى ١٤٪ تقريباً أنه لم يكن لهذه البرامج أثراً عليهم في هذا الشأن.

ولعل هذه الإجابة من قبل أفراد العينة مما يؤكد أهمية هذه البرامج وأثرها المهم على السجناء ليس أثناء تمضيتهم فترة العقوبة فحسب؛ بل وحتى بعد خروجهم من السجن، وفتح أبواب الأمل والتفاؤل لهم؛ لبناء حياة جديدة بعيدة عن الأخطاء والسلوكيات السيئة.

وتوضح نتائج الجدول رقم (١٨) إجابات أفراد العينة حول عبارة: (أسهمت هذه البرامج الدعوية في ملء فراغي بالمفيد داخل السجن)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٦٧	٨١,٧٪	٤,٧٠	٠,٥٣
موافق	١٢	١٤,٦٪		
موافق إلى حد ما	٣	٣,٧٪		
غير موافق	-	-		
غير موافق مطلقاً	-	-		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

تؤكد نتائج هذا الجدول نتائج الجداول السابقة في هذا المطلب؛ حيث حظيت هذه العبارة أيضاً بإجماع أفراد العينة، ونالت موافقتهم بنسبة ١٠٠٪ - على اختلاف بينهم في نسبة هذه الموافقة -، ومما يقوي هذه النتيجة أن درجة المتوسط الحسابي بلغت (٤,٧٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (٠,٥٣)، وهذه النتيجة تعكس أيضاً أهمية هذه البرامج الدعوية وفق رأي أفراد العينة من السجناء؛ لكونها تسهم في ملء فراغ أوقاتهم بالمفيد داخل السجن.

وتعرض أرقام الجدول الآتي رقم (١٩) آراء أفراد العينة حول عبارة: (استفدت من الدورات العلمية المقامة داخل السجن)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٤٤	٥٣,٧٪	٤	١,٤١
موافق	١٧	٢٠,٧٪		
موافق إلى حد ما	٩	١١,٠٪		
غير موافق	-	-		
غير موافق مطلقاً	١٢	١٤,٦٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

تبين نتائج هذا الجدول موافقة عالية من أفراد العينة؛ حيث قال أكثر من ٨٥٪ من أفراد العينة بموافقتهم على استفادتهم من الدورات العلمية المقامة داخل السجن. على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة. وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٤١)، وفي المقابل ذكر ١٤,٦٪ من أفراد العينة عدم موافقتهم على هذه العبارة[١].

(١) سبق بيان جوانب من الدورات المقامة في سجن الملز، انظر: الجدول رقم (٣).

وتبين نتائج الجدول رقم (٢٠) إجابات أفراد العينة حول عبارة: (أحرص كثيراً على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في السجن)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٢٥	٣٠,٥٪	٣,٧٠	١,٢٤
موافق	٢٦	٣١,٧٪		
موافق إلى حد ما	١٥	١٨,٣٪		
غير موافق	١٠	١٢,٢٪		
غير موافق مطلقاً	٦	٧,٣٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

يظهر من أرقام هذا الجدول حرص أفراد العينة على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في السجن؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٧٧ ٪ - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة -، وبلغ المتوسط الحسابي (٣,٧٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٢٤)، وفي المقابل ذكر ١٩,٥٪ من أفراد العينة أنهم لا يلتزمون بالانتظام بحضور هذه الدروس المتخصصة[1].

(١) سبق بيان جوانب من الدروس العلمية المقامة في سجن الملز، انظر: الجدول رقم (٢).

ويتضح من أرقام الجدول الآتي رقم (٢١) آراء أفراد العينة حول عبارة: (أرى أن أغلب السجناء يحرصون على حضور المحاضرات العامة)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٢٩	٣٥,٤٪	٣,٣٠	١,٥٧
موافق	٢٠	٢٤,٤٪		
موافق إلى حد ما	٨	٩,٨٪		
غير موافق	٨	٩,٨٪		
غير موافق مطلقاً	١٧	٢٠,٧٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

توضح نتائج هذا الجدول أن أفراد العينة يرون أن أغلب السجناء يحرصون على حضور المحاضرات العامة؛ حيث أجاب الموافقة على ذلك ٧٠٪ تقريباً - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة -، وبلغ المتوسط الحسابي (٣,٣٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٥٧)، وفي المقابل رأى ٣٠٪ من العينة أن السجناء لا يحرصون على ذلك.

وتبرز أرقام الجدول رقم (٢٢) آراء أفراد العينة حول عبارة: (يتفاعل السجناء كثيراً عند حضورهم للبرامج الثقافية المنوعة)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٤١	٥٠,٠٪	٤,١٠	١,١٦
موافق	٢٥	٣٠,٥٪		
موافق إلى حد ما	٨	٩,٨٪		
غير موافق	٢	٢,٤٪		
غير موافق مطلقاً	٦	٧,٣٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

تظهر أرقام هذا الجدول موافقة عالية من قبل أفراد العينة على تفاعل السجناء مع البرامج الثقافية المنوعة[١]؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٩٠ ٪ ـ على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة ـ، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤,١٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,١٦)، وفي المقابل ذكر ٩,٧٪ من أفراد العينة عدم موافقتهم على هذه العبارة، وهم يرون ضعف تفاعل السجناء مع هذا النوع من البرامج.

وتوضح نتائج الجدول الآتي رقم (٢٣) إجابات أفراد العينة حول عبارة: (يهتم السجناء بحفظ القرآن الكريم داخل حلقات التحفيظ في السجن)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٥٦	٦٨,٣٪	٤,٥٠	٠,٧٢
موافق	١٧	٢٠,٧٪		
موافق إلى حد ما	٩	١١,٠٪		
غير موافق	-	-		
غير موافق مطلقاً	-	-		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

تؤكد نتائج هذا الجدول ما سبق ذكره في الجانب النظري لهذه الدراسة[٢]؛ بأثر حفظ القرآن الكريم على السجناء واهتمامهم بذلك؛ حيث حظيت هذه العبارة بإجماع أفراد العينة، ونالت

(١) سبق بيان جوانب من البرامج الثقافية المنوعة المنفذة في سجن الملز، انظر: الجدول رقم (٦).

(٢) سبق بيان ذلك ص: ١٧، ص: ٢٩.

موافقتهم بنسبة ١٠٠٪ ـ على اختلاف بينهم في نسبة هذه الموافقة ـ، ومما يقوي هذه النتيجة أن درجة المتوسط الحسابي بلغت (٤,٥٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (٠,٧٢)، وهذه النتيجة تعكس تأكيد أفراد العينة وإجماعهم على أهمية هذه الوسيلة الدعوية وأثرها المهم على السجناء وعنايتهم بها.

وتبين نتائج الجدول الآتي رقم (٢٤) إجابات أفراد العينة حول عبارة: (أرى أن الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات مفيدة جداً)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٢٩	٣٥,٤٪	٤	١,٠٣
موافق	٣٣	٤٠,٢٪		
موافق إلى حد ما	١٥	١٨,٣٪		
غير موافق	-	-		
غير موافق مطلقاً	٥	٦,١٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

يتضح من أرقام هذا الجدول موافقة عالية جداً من أفراد العينة بأهمية الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات على السجناء[١]، وأثرها الإيجابي عليهم؛ حيث حظيت بقبول عال منهم زادت نسبته عن ٩٣٪ ـ على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة ـ، وبلغت درجة المتوسط الحسابي (٤ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٠٣)، وهذه النتيجة تظهر ترحيباً كبيراً من

(١) سبق بيان جوانب من الكلمات المقامة في سجن الملز، انظر: الجدول رقم (٥).

قبل السجناء ـ بحسب أفراد العينة ـ بهذه الوسيلة الدعوية؛ مما يؤكد على القائمين على هذه البرامج الدعوية أهمية العناية بها، وحسن اختيار الدعاة الملقين لها، والموضوعات المناسبة لحياة السجناء وظروفهم؛ وفي المقابل رأى ٦,١٪ من العينة أن هذه الوسيلة غير مفيدة بشكل كبير على السجناء؛ ولعل هؤلاء يرون أن هذه الكلمات القصيرة ذات نتائج قصيرة المدى.

وتوضح أرقام الجدول الآتي رقم (٢٥) آراء أفراد العينة حول عبارة: (الحوافز المادية والمعنوية تساهم في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٥٦	٦٨,٣٪	٤,٤٠	١,٠٧
موافق	١٤	١٧,١٪		
موافق إلى حد ما	٧	٨,٥٪		
غير موافق	-	-		
غير موافق مطلقاً	٥	٦,١٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

وتظهر نتائج هذا الجدول موافقة عالية جداً من أفراد العينة بأثر الحوافز المادية والمعنوية تساهم في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية؛ حيث ذكر أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة بموافقتهم على هذه العبارة ـ على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة، وبلغت درجة المتوسط الحسابي (من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول، وفي المقابل ذكر ٦,١٪ من أفراد العينة عدم موافقتهم على هذه العبارة؛ وهم يرون أن ذلك ليس له أثر كبير في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية.

ـ خلاصة المبحث:

تناولت الدراسة في هذا المبحث آراء أفراد عينة الدراسة في الجهود الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز العام، وقد تبين فيه نتائج مهمة، ومن أبرزها:

- ظهرت موافقة أغلبية أفراد العينة على اهتمامهم بحضور البرامج الدعوية في السجن وتفاعلهم معها؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٧ ٪ من العينة.
- رأى أكثر من ٩٢٪ من أفراد العينة أن هذه البرامج الدعوية أسهمت في زيادة تعلمهم لأحكام دين الإسلام وآدابه.
- أكد غالبية أفراد العينة أثر البرامج الدعوية في عزمهم على بناء حياة جديدة بعد خروجهم من السجن ـ بإذن الله ـ؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٨٥٪ منهم على ذلك.
- أجمع أفراد العينة على أهمية البرامج الدعوية في ملء فراغ أوقاتهم بالمفيد داخل السجن.
- قال أكثر من ٨٥٪ من أفراد العينة باستفادتهم من الدورات العلمية المقامة داخل السجن.
- اتضح في هذا المبحث بأن أكثر من ٧٧ ٪ من أفراد العينة يحرصون على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في السجن.
- أجاب ٧٠٪ من السجناء بحرصهم على حضور المحاضرات العامة.
- أكثر من ٩٠ ٪ من أفراد العينة يؤكدون تفاعل السجناء مع البرامج الثقافية المنوعة.
- أجمع أفراد العينة على أثر حفظ القرآن الكريم على السجناء واهتمامهم بذلك.

- قال أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة بأهمية الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات على السجناء، وأثرها الإيجابي عليهم.
- حظيت عبارة: (الحوافز المادية والمعنوية تساهم في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية) بموافقة أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة.

المبحث الثالث: تقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام:

رغبة في معرفة تقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز العام؛ فقد تم سؤالهم عن ذلك بعدة أسئلة في أداة الدراسة (الاستبانة)، وجاءت إجاباتهم عنها وفق الجداول الآتية:

الجدول رقم (٢٦) يبين آراء أفراد العينة حول عبارة: (في رأيي أن البرامج الدعوية الموجودة حالياً في سجن الملز مناسبة للسجناء)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٣٢	٣٩,٠٪	٣,٢٠	١,٦٧
موافق	١١	١٣,٤٪		
موافق إلى حد ما	٢	٢,٤٪		
غير موافق	١٩	٢٣,٢٪		
غير موافق مطلقاً	١٨	٢٢,٠٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

يتبين من نتائج الجدول السابق أن هناك شبه تساو بين أفراد العينة في تقويمهم لهذه البرامج الدعوية الموجودة حالياً في سجن الملز العام؛ وإن كان يظهر أن هناك اتجاهاً بالموافقة على مناسبة هذه البرامج الدعوية للسجناء، بنسبة إجمالية بلغت ٥٤,٨٪ ـ على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة ـ، ومما يقوي هذه النتيجة أن المتوسط الحسابي لهذا الجدول بلغ (٣,٢٠ من ٥)؛ وهي نتيجة ترتفع عن الوسط قليلاً، وبلغت نسبة الانحراف المعياري (١,٦٧)، وفي المقابل ذكر

٤٥,٢٪ من أفراد العينة أن هذه البرامج الدعوية المنفذة حالياً تحتاج إلى مزيد من العناية والتطوير.

تظهر أرقام الجدول الآتي رقم (٢٧) إجابات أفراد العينة حول عبارة: (البرامج الدعوية في السجن تحتاج إلى تجديد وتطوير)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٤٧	٥٧,٣٪	٤,٥٠	٠,٦٩
موافق	٣٠	٣٦,٦٪		
موافق إلى حد ما	٢	٢,٤٪		
غير موافق	٣	٣,٧٪		
غير موافق مطلقاً	-	-		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

تعزز نتائج هذا الجدول نتيجة الجدول السابق؛ حيث أجمع أفراد العينة على أهمية تجديد البرامج الدعوية في السجن وتطويرها بما يتوافق مع الضوابط الشرعية ووفق حاجة السجناء وظروفهم، ونالت موافقتهم بنسبة ١٠٠٪ ـ على اختلاف بينهم في نسبة هذه الموافقة ـ، ومما يقوي هذه النتيجة أن درجة المتوسط الحسابي بلغت (٤,٥٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (٠,٦٩)، وهذه النتيجة تعكس تأكيد غالبية أفراد العينة على أهمية العناية بهذه البرامج ومراجعتها دورياً؛ بغرض تطويرها، ومعالجة أوجه القصور والسلبيات التي قد تحدث فيها؛ وذلك لأهمية هذه البرامج على السجناء وأثرها الكبير عليهم أثناء تمضيتهم فترة العقوبة، أو بعد خروجهم منه.

وتعرض نتائج الجدول رقم (٢٨) آراء أفراد العينة حول عبارة: (يتلقى السجناء الأجانب (الجاليات) دروساً دعوية مناسبة)

الآراء	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
موافق جداً	٢٣	٢٨,٠٪	٣,٦٠	١,٤٧
موافق	٣٩	٤٧,٦٪		
موافق إلى حد ما	١	١,٢٪		
غير موافق	١	١,٢٪		
غير موافق مطلقاً	١٨	٢٢,٠٪		
المجموع	٨٢	١٠٠٪	-	-

يتبين من أرقام هذا الجدول أن أغلبية أفراد العينة يرون أن السجناء الأجانب (الجاليات) يتلقون دروساً دعوية مناسبة؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٧٦ ٪ - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة -، والمتوسط الحسابي بلغ (٣,٦٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٤٧)، وفي المقابل ذكر ٢٣,٢٪ من أفراد العينة أن البرامج المقدّمة للسجناء الأجانب تحتاج إلى زيادة وتطوير.

- خلاصة المبحث:

❖ ظهر في هذا المبحث الذي يختص بتقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام؛ حيث جاءت أبرز النتائج وفق الآتي:هناك شبه تساو بين أفراد العينة في تقويمهم للبرامج الدعوية المنفذة حالياً في سجن الملز العام؛ وإن كان ظهر أن الاتجاه العام يميل إلى الموافقة على مناسبة هذه البرامج الدعوية للسجناء، بنسبة إجمالية بلغت ٥٤,٨٪ من أفراد العينة.

❖ أجمع أفراد العينة على أهمية تجديد البرامج الدعوية في السجن وتطويرها بما يتوافق مع الضوابط الشرعية.

❖ أغلبية أفراد العينة يرون أن السجناء الأجانب (الجاليات) يتلقون دروساً دعوية مناسبة؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٦٪ [(١)].

---

(١) قدّم بعض أفراد العينة مقترحات وملحوظات عديدة في الفقرة المفتوحة في آخر أداة الدراسة "الاستبانة"، وأبرز ما ورد في ذلك الآتي:

- يقترح بعض السجناء أهمية استضافة بعض السجناء التائبين وعرض تجاربهم في العنابر الأخرى.
- يقترح بعض السجناء توفير بعض الأجهزة الاتصالية - بما يتوافق مع الأنظمة الأمنية - لنقل محاضرات ودروس الجوامع الكبيرة في مدينة الرياض.
- أن بعض الدعاة الذين يأتون من خارج السجن (غير الدعاة العاملين في السجن) لا يستشعرون حاجات السجناء، ويكررون بعض الموضوعات.

الخاتمة

وبعد.. فإن الباحث قد بذل وسعه في بيان متطلبات هذه الدراسة، وحاول أن ينقل صورة حقيقية ومتكاملة عن واقع البرامج الدعوية في سجن الملز العام؛ الذي يعد أنموذجاً حسناً لبقية السجون في المملكة العربية السعودية، وأما أبرز ما ورد في هذه الدراسة من نتائج، فهي على النحو الآتي:

أولاً: أبرز نتائج الجانب النظري:

١. أهمية النظر إلى السجن بكونه ميداناً بارزاً من ميادين الدعوة؛ حيث تُبلّغ فيه دعوة الإسلام بما حوته من عقيدة وشريعة وآداب، وهو مكان خصب - بإذن الله - لتهذيب النفوس البشرية التي استمرأت الجريمة، وتعاطت المحرمات، وارتكبت المحظورات.

٢. إن السجين قد يجد في السجن فرصة لمراجعة نفسه، وتصحيح مساره في دنياه وآخرته، وفي الوقت نفسه، فإن هذه العقوبة تكفير لذنوبه - بإذن الله - كما أفتى بذلك أهل العلم.

٣. تناولت هذه الدراسة جوانب متعددة لأوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية، كما عرضت أبرز مواد نظام السجن والتوقيف المعمول به في المملكة العربية السعودية، الصادر بموجب قرار مجلس الوزراء الموقر رقم (٤٤١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٨هـ، والمتوج بالمرسوم الملكي الكريم رقم (م/٣١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٢١هـ.

٤. إنّ المطلع على أنظمة السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية، وواقعها في الوقت الحاضر؛ يجد أن المسئولين عنها ينظرون إلى السجناء وكأنهم مرضى يحتاجون إلى علاج إيماني ونفسي وسلوكي، فهم يهتمون - قدر الاستطاعة - بمعالجتهم دعوياً وسلوكياً ونفسياً ومهارياً، ويبذلون جهودهم للإفادة من عقوبة السجن للعمل على هذا التوجه؛ لذلك نرى برامج كثيرة ومتعددة في مجالات متنوعة؛

لإصلاح واقع السجناء واغتنام أوقاتهم، بما يعود عليهم بالنفع.

٥. الأثر الكبير والتفاعل المتميز للمكرمة الملكية المتضمنة إعفاء السجين الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم (عن ظهر قلب) أثناء فترة سجنه من نصف محكوميته.

٦. إن العمل الدعوي في السجون ينفذ من خلال منهجية منضبطة، تعتمد على وضع الخطط المتنوعة المناسبة لأحوال السجناء وبيئاتهم.

٧. إن البرامج الدعوية في سجون المملكة تقوم على ركائز وقواعد متينة تكفل لها ـ بعد توفيق الله تعالى ـ النجاح، والتأثير الإيجابي في السجناء.

ثانياً: أبرز نتائج الجانب الميداني:

١. أن أغلب المشاركين في الإجابة على هذه الدراسة هم من فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن (٢٥سنة فأقل) وقد بلغت نسبتهم ٤٨,٧٨٪.

٢. أن غالبية أفراد العينة من الذين يحملون المؤهل الثانوي فأقل بنسبة بلغت ٦٨,٢٩٪.

٣. تبين أن أكثر من ٧٥٪ من المجيبين على الاستبانة هم ممن أمضوا (سنة فأقل) في السجن.

٤. أن جميع أفراد العينة من السعوديين.

٥. ظهرت موافقة أغلبية أفراد العينة على اهتمامهم بحضور البرامج الدعوية في السجن وتفاعلهم معها؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٧ ٪ من العينة.

٦. رأى أكثر من ٩٢٪ من أفراد العينة أن هذه البرامج الدعوية أسهمت في زيادة تعلمهم لأحكام دين الإسلام وآدابه.

٧. أكد غالبية أفراد العينة أثر البرامج الدعوية في عزمهم على بناء حياة جديدة بعد خروجهم من السجن - بإذن الله -؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٨٥٪ منهم.

٨. أجمع أفراد العينة على أهمية البرامج الدعوية في ملء فراغ أوقاتهم بالمفيد داخل السجن.

٩. قال أكثر من ٨٥٪ من أفراد العينة باستفادتهم من الدورات العلمية المقامة داخل السجن.

١٠. اتضح أن أكثر من ٧٧ ٪ من أفراد العينة يحرصون على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في السجن.

١١. أجاب ٧٠٪ من السجناء بحرصهم على حضور المحاضرات العامة.

١٢. أكثر من ٩٠ ٪ من أفراد العينة يؤكدون تفاعل السجناء مع البرامج الثقافية المنوعة.

١٣. أجمع أفراد العينة على أثر حفظ القرآن الكريم على السجناء واهتمامهم بذلك.

١٤. قال أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة بأهمية الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات على السجناء، وأثرها الإيجابي عليهم.

١٥. أكد أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة على أهمية الحوافز المادية والمعنوية في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية. هناك شبه تساو بين أفراد العينة في تقويمهم للبرامج الدعوية المنفذة حالياً في سجن الملز العام؛ وإن كان ظهر أن الاتجاه العام يميل إلى الموافقة على مناسبة هذه البرامج الدعوية للسجناء، بنسبة إجمالية بلغت ٥٤,٨٪ من أفراد العينة.

١٦. أجمع أفراد العينة على أهمية تجديد البرامج الدعوية في

السجن وتطويرها بما يتوافق مع الضوابط الشرعية وحاجة السجناء وظروفهم.

١٧. أغلبية أفراد العينة يرون أن السجناء الأجانب (الجاليات) يتلقون دروساً دعوية مناسبة؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٦ ٪.

وفي ختام هذه الدراسة يوصي الباحث بالتوصيات الآتية:

- زيادة عدد الدعاة العاملين في السجون؛ ليتناسب ذلك مع عدد النزلاء؛ وخصوصاً أن الباحث قد لمس من زياراته لسجن الملز تفاعلاً واهتماماً من السجناء بالبرامج الدعوية المتنوعة التي تعينهم على قضاء أوقاتهم بما ينفعهم، وكذلك رغبة في صلاحهم وهدايتهم والتأثير فيهم إيجابياً؛ ليمتد أثر ذلك عليهم حتى بعد خروجهم من السجن ـ بإذن الله ـ.

- إقامة برامج تدريبية (شرعية، واجتماعية، ونفسية) متنوعة لزيادة تأهيل العاملين في إدارة الإرشاد والتوجيه وأقسامها في السجون؛ حتى يواصلوا أداء مهمتهم الجليلة في دعوة السجناء ومتابعتهم وتعاهدهم بكل كفاءة واقتدار.

- زيادة تفاعل الجهات الحكومية ذات العلاقة في مد يد العون المادي والمعنوي للمديرية العامة للسجون في مهمتها الكبرى في إصلاح السجناء وتهذيبهم.

- زيادة تفاعل رجال الأعمال والمؤسسات الخيرية في دعم البرامج الدعوية المقدّمة السجناء؛ وذلك لآثارها المهمة عليهم، وقياماً بالواجب نحوهم.

- أهمية عناية القائمين على البرامج الدعوية بحسن اختيار الدعاة المتميزين والمؤثرين في السجناء؛ لأن هؤلاء المدعوين يحتاجون إلى دعاة

لهم قدرة وكفاية في حسن اختيار الموضوعات والأساليب المؤثرة على السجناء ـ بعد توفيق الله تعالى ..

- أن السجون مجال خصب للبحث والدراسة في مختلف التخصصات العلمية الشرعية والقانونية والاجتماعية والتربوية؛ لذا يوصي الباحث إخوانه وأخواته الباحثين والباحثات بدراسة جوانب متنوعة من قضايا السجون، وأحوال السجناء بما يتناسب مع تخصصاتهم العلمية.

- هذا ما تيسر بيانه وذكره، أسأل الله تعالى أن يجعله صواباً متقبلاً، وأن يتجاوز سبحانه عن القصور والخلل الذي هو طبع البشر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بحق إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أثر العفو عن العقوبة لمن يحفظ كتاب الله في الحد من العودة إلى الجريمة، دراسة نظرية تطبيقية على سجون المملكة، عوض بن مطلق القحطاني، مرحلة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم الشرطة، برنامج القيادة الأمنية، عام ١٤٢٠هـ.

٣. أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، د.حسن أبوغدة، الكويت، مكتبة المنار، ط١، ١٤١٠هـ.

٤. الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، علاء الدين علي البعلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٦هـ.

٥. أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، د.أحمد عودة ود.فتحي ملكاوي، إربد، ط٢، ١٤١٣هـ.

٦. أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، د.فوزي غرايبة وآخرون، عمان، ط٢، ١٤٠١هـ.

٧. أساليب البحث العلمي في العلوم الإدارية، د.علي العلاونة، عمان، دار الفكر النشر، ط١، ١٤١٦هـ.

٨. الإصابة في تمييز الصحابة، العلامة ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ط٣، ١٤١٢هـ.

٩. البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عامر قنديلجي، عمان، دار اليازوري، ط١، ٢٠٠٢م.

١٠. البحث العلمي، د.ذوقان عبيدات وآخرون، الرياض، مؤسسة أسامة، ١٩٩٧م.

١١. البحوث الإعلامية أسسها أساليبها مجالاتها، د.محمد الحيزان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
١٢. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، مصر، المطبعة الجمالية، ط١، ١٩٣٨م.
١٣. البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، بيروت، دار المعارف، ١٩٨٢م.
١٤. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن فرحون، مصر، ط٢، ١٣٥٦هـ، بدون ذكر الناشر.
١٥. تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية، محمد حبيب أحمد مختار، ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
١٦. تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٤هـ.
١٧. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
١٨. دعوة النساء في السجون، دراسة ميدانية تقويمية على نزيلات السجون والقائمين بالدعوة بمنطقة الرياض، لمياء بنت سليمان الطويل، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤٢٧هـ.
١٩. الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن بن سليمان الخليفي، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤١٦هـ.

٢٠. دليل اختيار العينة، د.سعود الضحيان، القاهرة، الثقافة المصرية للطباعة، ١٤٢٠هـ.
٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد، العلامة ابن القيم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٥هـ.
٢٢. السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، مقارناً بنظام السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية، محمد بن عبدالله الجريوي، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤٠٧هـ.
٢٣. السنن، لابن ماجة القزويني، الرياض، دار السلام للنشر، ط١٤٢٠، ١هـ.
٢٤. السنن، لأبي داود السجستاني، الرياض، دار السلام للنشر، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٥. السيرة النبوية، ابن هشام، القاهرة، دار الريان، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق عمر تدمري.
٢٦. صحيح الإمام البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، الرياض، مكتبة الرياض، ودار الفكر، بدون سنة طبع، رقّم أبوابه الشيخ محمد عبد الباقي، وقرأ أصله الشيخ عبدالعزيز بن باز.
٢٧. صحيح الإمام مسلم المطبوع مع شرح النووي (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، بيروت، دار المعرفة ،ط٤، ١٤١٨هـ، تحقيق خليل شيحا.
٢٨. صحيح سنن ابن ماجة، الشيخ محمد الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٩. صحيح سنن أبي داود ،الشيخ محمد الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٠. صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٤٢٠، الصادرة يوم الجمعة ١٤٣٠/٧/٣هـ.
٣١. صحيفة الرياض، العدد ١٤٦٣٨، الصادرة يوم الثلاثاء ١٤٢٩/١٠/٢٨هـ.
٣٢. الطبقات الكبرى، ابن سعد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٥هـ.
٣٣. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، العلامة ابن القيم، دمشق، طبع الاتحاد الشرقي، ١٣٩٧هـ.
٣٤. فقه السجن والسجناء، سعيد بن مسفر الوادعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط١، عام ١٤٢٥هـ.
٣٥. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، بيروت، دار الرسالة، ١٤١٣هـ.
٣٦. لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، بدون سنة طبع.
٣٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع الشيخ ابن قاسم، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٣٨. المحلى، ابن حزم، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٢هـ.
٣٩. مختار الصحاح، الرازي، بيروت، دار لبنان، ١٩٨٦م.
٤٠. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.صالح العساف، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٦هـ.
٤١. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، إستنبول، المكتبة الإسلامية.
٤٢. المغني والشرح الكبير على متن المقنع، لابني قدامة المقدسي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ.
٤٣. النظام الإحصائي spss فهم وتحليل البيانات الإحصائية، د. محمد الزعبي وعباس الطلافحة، عمان، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٤. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، العلامة محمد الشوكاني، بيروت، دار الريان للتراث، بدون سنة نشر.

الرَّحْمَة
خلق دعوي وقيمة إسلامية

إعداد

الدكتور: توفيق بن عبدالعزيز السديري

وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة

والإرشاد لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليهأما بعد:

فقد كانت البشرية قبل بعثة النبي محمد ﷺ في ضلالة عمياء وجاهلية جهلاء، لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا، أحسنُهم حالا من كان على دين محرّفٍ مبدّل، التبس فيه الحقّ بالباطل، واختلط فيه الصدق بالكذب، فبعث الله سبحانه نبيّه ومصطفاه محمّدا ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وكانت الرحمة المطلقة العامّة هي المقصد من بعثته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فحصر سبحانه وتعالى المقصد من بعثة النبي ﷺ في تحقيق الرحمة للعالمين، والعالمون جميع الخلق، فالرحمة خصيصة سائدة في شرع الإسلام كله، كتابًا وسنة، ونظامًا وحياة، وتعاملاً مع الآخر، في كل حال من سلم أو حرب، ومن تمكين أو ضعف، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[2]، فالقرآن كله بمنزلة بصائر للقلوب، لأقوم حياة للناس كافة، وهداية للناس من الضلال، ورحمة للمهتدين به كما هو رحمة للمارقين من حيث تأخير عقوبتهم في الدنيا لعلهم يهتدون، فشريعة الإسلام رحمة كلها، فلا تكاد تجد قضية تناولها القرآن إلا وكانت الرحمة علتها ومقصدها، سببها وغايتها.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٠.

إلا أن هذا الدين دين الرحمة أضحى الآن يوصف بأنه دين الدم والإرهاب ويوصف نبيه ﷺ بأبشع الأوصاف من قبل أعدائه المغرضين وما الصور المسيئة منا ببعيد وذلك لأن أهله وأتباعه لم يقدموا الصورة الحقيقية لهذا الدين على المستوى العملي أو حتى المستوى النظري الذي يبرز جمال هذا الدين وكونه رحمة للناس جميعا لأن المسلمين لو تمكنوا من بيان هذا الدين للناس نظريا وعمليا لعلمت البشرية كلها أن سعادتها لا يمكن أن تتحقق إلا بإتباع هذا الدين.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

١- بيان قيمة ومكانة الرحمة في الشريعة الإسلامية وما لها من أثر في الدعوة إلى الله.

٢- محاولة إبراز الصورة الحقيقية للإسلام ودعوته التي شوهها الإعلام الغربي.

٣- بيان سبق الإسلام للعناية بحقوق الإنسان وأن المبادئ العالمية لحقوق الإنسان ليست كما يدّعي الغرب وليدة الثورة الفرنسية.

٤- إثبات أنه ليس هناك معارضة بين الدعوة للجهاد والرحمة التي نادى بها الإسلام.

٥- عرض صورة ونموذج لمنهج النبي ﷺ وكيف دعا إلى الله تعالى.

- **مخطط البحث:**

ولقد اشتملت خطة البحث على ثمانية محاور وهي:

الأول: التعريف بمفهوم الرحمة.

الثاني: الرحمة في الإسلام أساس الدعوة.

الثالث: دعوة الإسلام إلى الرحمة العامة.

الرابع: دعوة الإسلام إلى رحمة الضعفاء خاصة.

الخامس: الحدود ودعوى تعارضها مع الرحمة.

السادس: الرفق بالحيوان دعوة إسلامية خالصة.

السابع: دعوى تعارض الرحمة مع الجهاد.

الثامن: الرحمة واجب دعوي.

المحور الأول: التعريف بمفهوم الرحمة:

الرحمة مشتقة من رحم قال ابن فارس: (رحم) الراء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرِّقّة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه. والرُّحْم والمَرْحَمَة والرَّحْمة بمعانٍ.

والرَّحِم: عَلاقة القرابة، ثم سمِّيت رَحِمُ الأنثى رَحِمًا من هذا، لأنّ منها ما يكون ما يُرْحَمُ وَيُرَقّ له مِن ولد"[1].

وقال الراغب: «الرَّحِمُ: رَحِمُ المرأة..، ومنه استعير الرحم للقرابة؛ لكونهم خارجين من رحم واحدة، يقال: رُحْم ورُحُم قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[2]، والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا.

وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف[3].

ولقد وردت الرحمة في القرآن الكريم في كثير من المواضع بمعانٍ كثيرة ووجوه متعددة وقد ذكر ابن الجوزي هذه الوجوه وهي على ستة عشر وجهاً، قال ابن الجوزي: الرحمة النعمة على المحتاج، قال ابن فارس: يقال رحم يرحم إذا رق والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى واحد وذكر أهل التفسير أن الرحمة في القرآن على ستة عشر وجها، أحدها الجنة ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١/٢٤٧ تحقيق عبدالسلام هارون، طبعة دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨١.

(٣) مفردات غريب القرآن للراغب ٢/٤٩٨ تحقيق صفوان عدنان ذودي، طبعة بيروت ١٤١٢هـ.

سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2]، وفي سورة النساء: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٖ مِّنْهُ وَفَضْلٖ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطٗا مُّسْتَقِيمٗا ﴾[3]، وفي العنكبوت: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[4]، وفي الجاثية: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾[5].

والثاني الإسلام ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٖ مِّن رَّبِّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[6]، وفي سورة الإنسان: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾[7].

والثالث الإيمان ومنه قوله تعالى في سورة هود: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةٗ مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾[8].

والرابع النبوة ومنه قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٣.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٣٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٧) سورة الإنسان، الآية: ٣١.

(٨) سورة هود، الآية: ٢٨.

﴿ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1]، وفي سورة ص: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾[2].

والخامس القرآن ومنه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3]، وفي بني إسرائيل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[4].

والسادس المطر ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[5]، وفي سورة الروم: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6] وفيها: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[7].

والسابع الرزق ومنه قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾[8]، وفي سورة الكهف: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[9]، وفيها: ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[10].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة ص، الآية: ٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) سورة إسرائيل، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٦) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٧) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ١٠٠.

(٩) سورة الكهف، الآية: ١٠.

(١٠) سورة الكهف، الآية: ١٦.

والثامن **النعمة** ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١) ، وفي سورة الكهف: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾(٢).

والتاسع **العافية** ومنه قوله تعالى في سورة الزمر﴿ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٣).

والعاشر **النصر** ومنه قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(٤).

والحادي عشر **المنة** ومنه قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(٥).

والثاني عشر **الرقة** ومنه قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾(٦).

والثالث عشر **المغفرة** ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٧).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٧.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

والرابع عشر السعة ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

والخامس عشر المودة ومنه قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

والسادس عشر العصمة ومنه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وقد ألحق بعضهم وجها سابع عشر فقال الرحمة الشمس ومنه قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[4][5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٨.

(٥) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص ٣٣١- ٣٣٤ تحقيق محمد عبدالكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

المحور الثاني: الرحمة في الإسلام أساس الدعوة:

أقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2]، وقال النبي ﷺ: **(بعثت بالحنيفية السمحة)**[3].

وفي سورة النمل يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وفي سورة لقمان: ﴿الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾[5]، وهذا المعنى مهم في الرحمة لدرجة أن الله أمر نبيه أن يعرف الناس عليه صراحة، فقال تعالى في سورة يونس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6]، فهذا نداء من الله تعالى إلى الناس كافة أن يعلموا أن رسالة الله لهم هي شفاء وهدى ورحمة، فمن أراد الرحمة من الله تعالى فليكن من أتباع النبي الذي جاء بالموعظة من ربه وفيها الشفاء والهدى والرحمة، ولقد وصف الله تعالى رسالة الإسلام بأنها رحمة للناس كافة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٦٦ والطبراني في المعجم الكبير ٥/٣١١ وأخرجه البخاري بلفظ (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحاء) صحيح البخاري: ١/١٦ (كتاب بدء الوحي – باب الدين يسر).

(٤) سورة النمل، الآية: (٧٦- ٧٧).

(٥) سورة لقمان، الآية: (١- ٣).

(٦) سورة يونس، الآية: ٥٧.

﴿ رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، ثم إن الله تعالى وبعد إبرازه معنى الرحمة وكونها عامة يأمر الرسول - ﷺ - بأن يواجه المكذبين المستهزئين، بخلاصة رسالته التي تنبع منها الرحمة للعالمين: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2]، فهذا هو عنصر الرحمة الأصيل في تلك الرسالة، عنصر التوحيد المطلق الذي ينقذ البشرية من أوهام الجاهلية، ومن أثقال الوثنية، ومن ضغط الوهم والخرافة. والذي يقيم الحياة على قاعدتها الركينة، فيربطها بالوجود كله، وفق نواميس واضحة وسنن ثابتة، لا وفق أهواء ونزوات وشهوات، والذي يكفل لكل إنسان أن يقف مرفوع الرأس فلا تنحني الرؤوس إلا لله الواحد القهار.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٨.

المحور الثالث: دعوة الإسلام إلى الرحمة العامة:

دعا الإسلام إلى رحمة عامة لا تختص بالمسلمين وحدهم، بل هي شاملة لهم ولغيرهم من المخلوقات في الدنيا، فقد أمر ﷺ أمته برحمة كل من أوجده الله تعالى على هذه الأرض، من إنسان وحيوان.

كما روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء...)**[1]، والظاهر أن (مَن) الموصولة في قوله: (ارحموا من في الأرض) شاملة للإنسان مسلما أو كافرا، وللحيوان كذلك، وعلى هذا حمله العلماء.

قال الحافظ رحمه الله: " قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب.."[2]، وقد وردت أدلة أخرى يدل عمومها على أن هذا الشمول مقصود، فقد وصف الله تعالى المؤمنين بالتراحم بينهم، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]، والكفار الذين يكون المؤمنون أشداء عليهم، هم المحاربون لهم المعتدون عليهم، الذين يقاتلونهم ويخرجونهم من ديارهم، أو يدعمونهم على ذلك ويظاهرونهم، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤/٤٤٠ (كتاب الأدب – باب الرحمة – حديث رقم ٤٩٤٣) والترمذي في سننه ٤/٣٢٣ (كتاب البر والصلة – باب رحمة المسلمين – حديث رقم ١٩٢٤) وأحمد في مسنده ٢/١٦٠ حديث رقم٦٤٩٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٠/٤٤٠) طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]، ونفى الله تعالى رحمته عمن لم يرحم الناس، كما في حديث جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يرحم الله من لا يرحم الناس)**[2]، وهو نفي عام يدخل فيه كل الناس، والنفي هنا للوعيد والتحذير والتنفير من الغلظة والشدة والعدوان على الناس، ولا يلزم منه حرمان من فقد الرحمة الواجبة من رحمة الله له في الدنيا، بمنحه الرزق والصحة والقوة المادية والذرية وغيرها، سواء كان من المسلمين أو غيرهم، ابتلاء له وامتحانا، لأن رحمة الله في الدنيا تعم جميع خلقه [3].

ومن الأدلة على شمول رحمة الإسلام لكل الخلق أن جعل من يقوم على اليتامى، بالإنفاق والكفالة الشاملة التي يحتاجون إليها، شركاء لرسوله ﷺ في الجنة، كما في حديث سهل عن الرسول ﷺ، قال: **(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى)** وفرج بينهما شيئا[4]، وبين في حديث أبي هريرة ﷺ أنه يستوي في هذه المنزلة من كفل يتيما من أقاربه أو من غيرهم، فقال رسول الله ﷺ: **(كافل اليتيم – له أو لغيره – أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك**

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: (٨- ٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة ٩/١٤١ (كتاب بدء الوحي – باب قوله تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٢٣

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة ٧/٦٨ (كتاب الطلاق – باب اللعان –حديث رقم٥٣٠٤)

بالسبابة والوسطى)[1]، وهو يشمل كذلك يتامى المسلمين وغيرهم، كما تدل عليه صيغة العموم، لأن "أل" في اليتيم للجنس، وأنزل ﷺ، من اهتم بالمحتاجين، وبخاصة الأرامل والمساكين، منزلة المجاهدين في سبيل الله، والمجتهدين في التقرب إلى الله بما يرضيه من فرائض العبادات ونوافلها ليلا ونهارا، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار)**[2]، وهذا السعي شامل لكل المحتاجين من المسلمين وغير المسلمين، وشامل كذلك لكل ما يحقق مصالحهم من طعام وشراب وكساء ومسكن وتطبيب ودفع ضر أو ظلم عنهم، لقد كانت رسالة محمد - ﷺ - رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على البشرية، لبعد ما كان بينها وبين الحياة الواقعية والروحية من مسافة. ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئا فشيئا من آفاق هذه المبادئ.

لقد جاء الإسلام ليسوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون، في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات، وتجعل لكل طبقة قانونا. بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهدي الرق والإقطاع، فكان غريبا على البشرية في ذلك الوقت أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة أمام القضاء، ولكن ها

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢١/٨ (كتاب الزهد والرقائق – باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين ٧٦٦٠)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة ٨٠/٧ (كتاب الأدب – الساعي على الأرملة والمسكين – حديث رقم ٦٠٠٧) ومسلم في صحيحة ٢٢١/٨ (كتاب – الزهد والرقائق – باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم – حديث رقم ٧٦٥٩).

هي ذي شيئا فشيئا تحاول أن تصل - ولو نظريا - إلى شيء مما طبقه الإسلام عمليا منذ اثنين وثلاثين وأربعمائة وألف عام.

وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية وأن محمدا - ﷺ - إنما أرسل رحمة للعالمين، من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء. فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائعة أو كارهة، مستشعرة أو غير مستشعرة وما تزال ظلال هذه الرحمة وارفة، لمن يريد أن يستظل بها، ويستروح فيها نسائم السماء الرخيّة، في هجير الأرض المحرق وبخاصة في هذه الأيام.

المحور الرابع: دعوة الإسلام إلى رحمة الضعفاء خاصة:

تعد رحمة الضعفاء سمة من سمات الشريعة الإسلامية فقد حثت على الترفق بالضعفاء من أفراد المجتمع والأخذ بأيديهم نحو الكرامة الإنسانية، وقد تضافرت النصوص للدلالة على هذا الأمر، ولقد كان سلوك النبي محمد ﷺ ترجمة عملية لهذا الأمر، ولاغرو في ذلك فهو الرحمة المهداة فكلما قلبت النظر في سيرة وشمائل الحبيب ﷺ تجد الكمال في أخلاقه، والسمو في تعاملاته، فكمالات خُلقه ﷺ آية كبرى، وعلم من أعلام نبوته، وقد مدحه الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ومن الكمال الخُلقي الذي تحلى به رسول الله - ﷺ - خُلُقُ الرحمة والرأفة بالغير، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرق للضعيف، ويحن على المسكين، ويعطف على الناس أجمعين، حتى صارت الرحمة له طبعا، فشملت الصغار والكبار، والمؤمنين والكفار، والخدم والعبيد.

ولما كانت طبقة الخدم في المجتمعات هي الأولى بالحنو والعطف عليها لضعفها وفقرها وما تلاقيه من صلف وتكبر وشدة وقسوة وكأنهم لا ينتمون للجنس البشري أردت أن أعرض صفحة ندية لتعامل النبي ﷺ مع هذه الفئة لعلنا نتذكر.

لقد تجلّت مظاهر رحمته ﷺ بالخدم والعبيد في أن جعل لهم حقوقا، وأمر بالرفق بهم، بل وحث على تحرير الرقيق من رقهم.

وإذا تتبعنا التوجيهات والتوصيات التي أوصى بها النبي - ﷺ - بهم، فسنعرف مقدار الاهتمام الذي حازته هذه الفئة من المجتمع، في

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

وصايا النبي ﷺ، وقد ساهمت هذه الوصايا بشكل كبير في تحرير الأرقاء، ومن ثم وقفت قيادات قريش في وجه النبي ﷺ ودينه الذي يدعو إلى تحرير الرقيق، وينادي بالمساواة بينهم وبين السادة.

لقد اهتم رسول الله ﷺ بالمملوكين في حياته وأوصى بهم خيرا حين موته، فعن علي رضي الله عنه قال: (**كان آخر كلام رسول الله ﷺ الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**)(1)، وحذر النبي ﷺ من ضرب المملوك أو إيذائه، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: (**كنت أضرب غلاماً لي، فسمعتُ مِنْ خَلْفِي صوتا: اعلم أبا مسعود: لله أَقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله. فقَال: أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أَو لمستك النار**)(2)، بل حض الرسول ﷺ على المعاملة الحسنة لهم، حتى في الألفاظ والتعبيرات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي**)(3).

وجعل النبي ﷺ كفارة ضرب المملوك عتقه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (.. **من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه**)(4)، كما نهى النبي ﷺ عن تكليف الخدم بأعمال شاقة

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١/٢٩٠ حديث رقم ٢٦٥٢٦ وقال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح لغيره.

(2) أخرجه مسلم في صحيحة ٥/٩٢(كتاب الإيمان – باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده – حديث رقم ٤٣٩٨).

(3) أخرجه مسلم في صحيحة ٧/٤٦ (الألفاظ من الأدب – باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة – حديث رقم ٦٠١١).

(4) أخرجه مسلم في صحيحة ٥/٩٠ (كتاب الأيمان – باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده – حديث رقم ٤٣٩٠).

تفوق طاقتهم، أو الدعاء عليهم، فقال ﷺ: **(لا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)** [1].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قَال: قَال رسول الله ﷺ: **(لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعةَ نيل فيها عطاء فَيستجيب لكم)**[2].

وكان ﷺ يوصي أصحابه بالعفو عن إساءة الخدم وخطئهم، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: (**جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: أعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة)**[3].

وأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى الخدم، وعدم الاستهزاء بهم، بل وإطعامهم وإلباسهم من نفس طعام ولباس أهل البيت، فعن المعرور بن سويد قال: (لقيت أبا ذر بالربذة (موضع قرب المدينة)، وعليه حُلّة (ثوب) وعلى غلامه حُلة، فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً، فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: **(يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خَوَلُكُم (خدمكم وعبيدكم)، جعلهم الله تحت**

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٥/٣ (كتاب الإيمان – باب قوله العبيد إخوانكم ··· رقم ٢٥٤٥ – ومسلم ٩٣٠/٥ الإيمان – إطعام المملوك وإلباسه مما يلبس).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤٧٩/١ (كتاب سجود القرآن – باب النهي عن أن يدعوا على ولده وخدمه – حديث رقم ١٥٣٢) قال أبو داود الحديث متصل الإسناد وقال الألباني صحيح.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ٥٠٦/٤ (كتاب الأدب – باب في حق المملوك حديث رقم ٥١٦٦).

أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)[1].

ويحدثنا أنس ﷺ خادم النبي ﷺ عن رحمته ووصيته ﷺ العملية بالخدم فيقول: (**كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله..)**[2].

ويقول: (**خدمت رسول الله - ﷺ - عشر سنين، والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته)**[3].

ولا شك أن شهادة الخادم لسيده صادقة، وخاصة من رجل كأنس ﷺ، الذي نقل عن النبي ﷺ إلى الأُمة آلاف الأحاديث، وكان معه كظله، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (**ما ضرب رسول الله ﷺ خادما ولا امرأة قَط)**[4].

لقد ترك هذا التعامل أعظم الأثر في نفوس الخدم الذين اتصلوا بالنبي ﷺ، فقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يأسر قلوبهم ويملك

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٥/٣ (كتاب الأدب – باب قوله تعالى يأيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ... رقم ٦٠٥٠ – ومسلم ٩٣٠/٥) كتاب الإيمان – إطعام للملوك وإلباسه مما يلبس حديث رقم ٤٤٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة ٧٣/٧ (كتاب الفضائل – باب كان أحسن الناس خلقا حديث رقم ٦١٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحة ٧٤/٧ (كتاب الفضائل – باب كان أحسن الناس خلقا حديث رقم ٦١٥٥).

(٤) أخرجه مسلم ٨٠/٧ (كتاب الفضائل – باب مباعدته للآثام حديث رقم ٦١٩٥ وأبو داود في سننه ٣٩٦/٤) كتاب الأب – باب في التجاوز في الأمر رقم ٤٧٨٨.

مشاعرهم بسماحة أخلاقه وكريم شمائله، وقصة زيد بن حارثة ﷺ خادم النبي ﷺ شاهد على ذلك، فقد عاش زيد في بيته ﷺ، وظل يقوم على خدمته ويرعى شؤونه، حتى بلغت الأخبار إلى والده بوجوده عند النبي ﷺ، فانطلق مسرعاً إليه، وطلب من النبي ﷺ أن يرد له ولده، فنظر النبي ﷺ لزيد وقال: (**إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك**)[1]، فاختار زيدٌ البقاء مملوكاً مع رسول الله ﷺ على الرجوع حراً مع أبيه، لما رآه من طيب عشرة وحسن خلق الحبيب ﷺ.

لقد فتح النبي ﷺ بهديه وشرعه الذي جاء به أبواباً متعددة لإخراج الرقيق من رقهم إلى سعة الحرية، فكان العتق هو الكفارة الأولى في قتل الخطأ، وفي جماع الرجل زوجته في نهار رمضان، وفي الظهار، وإذا أساء السيد إلى مملوكه بلطمه فليس لها كفارة إلا عتقه، كما جعل النبي ﷺ عتق الأرقاء وسيلة من وسائل التكفير عن الذنوب والخطايا، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: (**أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار**)[2].

إن مظاهر رحمة النبي ﷺ قد حفلت بها سيرته وحياته، وامتلأت بها شريعته، فرحم الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والمرأة والضعيف، واليتيم والفقير، والرقيق والخدم، وغيرهم فهل للمسلمين أن يتأسوا بنبيهم إقامة لدينهم ؟

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٤/٤٧٩ حديث رقم ٤٥١٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٤/١١٧ (كتاب النذور والأيمان – باب فضل من أعتق – حديث رقم ١٥٤٧) وقال الألباني حديث صحيح وأخرجه بن ماجة في سننه ٣/٥٦٤ (كتاب أبواب العتق باب العتق حديث رقم ٢٥٢٢).

المحور الخامس: الحدود ودعوى تعارضها مع الرحمة:

وقد يعترض البعض ممن ليست لديهم دراية بجوهر الإسلام بالقول كيف تدعون الرفق بالحيوان وأنتم أشد قسوة على الإنسان فيما تسمونه بإقامة الحدود فتقطعون يد السارق وترجمون الزاني أو تجلدونه دون مراعاة لحقوق الإنسان أقول: من الحكمة أن نعلم أن الله تعالى لا يحب تعذيب خلقه، وما يشرع لهم إلا ما فيه صلاحهم، وحد السرقة على سبيل المثال روعي فيه زجر الفاعل، وحماية الأمن والأموال، وصيانة المجتمع عن أن يعيش في فوضى، ووضعت شروط لإقامة الحد، كأن يكون المسروق ذا قيمة مالية تبلغ نصابا، وأن يكون في شيء محفوظ، وألا يكون السارق محتاجا إلى ضرورة تتوقف عليها حياته، ولا سبيل له إلا السرقة، وأن يكون عاقلا بالغا.

وفي تطبيق حد السرقة حكمة تشريعية، فاستتباب الأمان في المجتمع من أجَلِّ النعم، وما أعظم أن يتحرك الإنسان كيف يشاء دون قلق على دمه أو ماله أو عرضه، عندما دعا إبراهيم ربه للبلد الذي أسسه طلب له أمرين اثنين، رزقا مكفولا وأمنا مستقرا، وقدم الأمن على الرزق، وهو يسأل الله حاجته ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[1]، ولكي يشيع الأمان، ويطمئن كل إنسان شرع الله شرائع كثيرة، من أهمها حد السرقة، إن السرقة جريمة جديرة بالمطاردة والاستئصال، ووجودها مثار ضيق وقلق، فكيف إذا شاعت؟!

إن اللصوص اللئام يستولون على أموال الآخرين، فيتوسعون في إنفاقها ويبعثرونها في ملذاتهم دون حذر لأنهم ما تعبوا في كسبها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

لا ريب أن المجتمع المحترم يجب أن يخلص من هؤلاء، وأن يرصد لهم العقوبة التي تقطع دابرهم، وتروع قريبهم وبعيدهم، إن اليد التي تقطع هي اليد التي ظلمت المجتمع، لا اليد التي ظلمها المجتمع، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، والبلاد التي نفذت قطع يد السارق هدأت أحوالها، وسادتها طمأنينة كاملة وأغناها قطع يد واحدة عن فتح سجون كثيرة يسمن فيها المجرمون، ثم يخرجون أشد ضراوة وأكثر قساوة، والسطو على مال الغير جريمة فيها قابلية للنماء والتجدد، وتتحول من رغبة في المال الحرام إلى جراءة على الدم الحرام، وما أيسر أن يقتل اللص من يعترض طريقه وهو يسرق، سواء أكان المعترض حارس الأمن، أو صاحب المال.

ويغلب أن يتعاون اللص مع اللص في إدراك مأربه، ومن هنا تتكون العصابات التي تقطع الطريق، أو التي تتقاسم المهام في إتمام أعمال السلب والنهب، والسجون ساحات ممهدة لدراسة هذه المعاصي وإحكام خطتها، وطبيعي أن يتضاعف العقاب في استفحال الجرم على هذا النحو، وكثيرا ما يكون السطو المسلح على السيارات والقطارات أو على الحقول والمتاجر[2]، وإن تعجب فعجب من تلك المنظمات التي تتذرع بحقوق الإنسان فتدعوا إلى تخفيف تلك العقوبات وما راعها ما يحدث من ترويع للمجتمعات بفعل هذه الجرائم، وإني

(١) سورة المائدة، الآية: (٣٨- ٣٩).

(٢) هذا ديننا للشيخ محمد الغزالي ١٧٦ – ١٧٩ طبعة دار الشروق ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

لشديد الريبة في ضمائر هؤلاء المدافعين، وأكاد أقول: ما يعطف على اللص إلا لص، ولا على القاتل إلا قاتل. وقد حسم الإسلام اللجاجة في مجازاة أولئك العابثين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]،

وهنا ثلاثة أمور لابد من تقريرها:

أولها: أنه لابد من الحفاظ على أموال الناس، وإقامة سياج منيع حولها، ورفض اشتهاء القاعدين الحصول عليها بالأساليب المعوجة، والحدود السماوية ضمان أكيد لهذا المعنى.

ثانيها: لا مكان للرحمة بمثيري الفوضى ومهدري الحقوق، فإن ترك هؤلاء فتح لأبواب العذاب على المجتمع كله، وإغراء بالظلم وإسقاط للقيم.

ثالثها: عندما يكون الانحراف خطأ عارضا، فالشارع أول المنادين بإقالة العثرات، وتيسير المتاب، وهو القائل: أن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقاب.

لكن البون شاسع بين تعطيل الحدود، والتدقيق في إيقاعها، وهناك من يكذب، فيقول: إن القطع أوجد جمهورا من العاطلين العاجزين عن العمل، وهذا اجتراء غريب، فإن القطع خلال أربعة عشر قرنا نفع ولم يضر، ولم يحس المجتمع بوجوده إلا على ندرة، لأن

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣٣- ٣٤).

الإرهاب بالقطع صرف اللصوص عن السرقة، وأغراهم بالبحث عن كسب معقول. و من عظيم ما يذكر في إقامة الحدود عموما، أن الحالات التي وقعت من إقامة الحدود في العهد النبوي وعصر الخلفاء الراشدين لم تتعد أصابع اليد، في حين أن الجريمة تحدث طبق إحصائيات وزارات الداخلية في العالم كل بضع دقائق، وهذا يعني أن في إقامة الحدود بركة للعالمين، إن البلاد التي قامت على تطبق الشريعة الإسلامية – والحدود جانب منها – تمتعت بالأمن والأمان التامين فبات مواطنوها قريري العين، فليس هناك خشية على المال أو العرض أو النفس؛ مما جعل الكثيرين ممن لا يريدون خيرا للإسلام والمسلمين تثور ثائرتهم تحت دعاوى حقوق الإنسان، وكأنهم يقولون كيف لهذه البلاد أن تحقق هذا القدر من الأمان، في الوقت الذي تسطوا فيه العصابات المنظمة على البلاد والعباد في الدول المتقدمة، فيهدر الدم ويسلب المال ويهتك العرض؟

إن في تطبيق الحدود الرحمة التامة لأن في إقامتها الحفاظ على المقاصد الشرعية التي لا تستقيم الحياة إلا بها، فهي رحمة للمجتمعات لأنها سوف تحقق الأمان الذي افتقدته البشرية في هذه الأيام ولكن أكثر الناس يجهلون.

المحور السادس: الرفق بالحيوان دعوة إسلامية خالصة:

لم تغفل الشريعة الإسلامية ما يتعلق بأحوال الحيوان في معاملة الإنسان إياه وانتفاعه به، إذ هو مخلوق لأجل الإنسان قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقد أذنت الشريعة الإسلامية للناس في الانتفاع بما ينتفع به من الحيوان ولم تأذن في غير ذلك. ولذلك كره صيد اللهو وحرم تعذيب الحيوان لغير أكله.

لقد أرست الحضارة الإسلامية الأساس الأول لمبدأ الرفق بالحيوان، منذ أن بزغ نورها، خلافاً لما يظنه البعض أنه من وضع الحضارة الغربية، التي أخذت هذا المبدأ وطورته ونظمته تنظيماً دقيقاً، حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم، وتوهم أبناء المسلمين أن الحضارة الإسلامية لم تعرف في يوم من الأيام هذه النظم والتشريعات التي تكفل للحيوان مثل هذه الرعاية، والأمر بخلاف ذلك، فالشريعة الإسلامية كانت الأسبق رعاية لحقوق الحيوان، بل والأكثر واقعية وتنظيما، وذلك لأن رعاية هذه الحيوانات كانت بأمر الشارع الحكيم، فكان المنطلق إيمانياً وواجباً دينياً في المقام الأول، فالحيوان البهيم قد أعطاه الإسلام حظه من الرحمة والشفقة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية: (٥- ٧).

والإحسان، وقد ذكر الرسول ﷺ لأمته بعض القصص المتعلقة بالرفق والرحمة بالحيوان، حضا لهم على تطبيق ذلك السلوك السوي الذي يحقق رحمة الله العامة بكل مخلوقاته في الدنيا.

ومن أمثلة ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(بينما رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقِيَ، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر)**[1].

وصح عنه ﷺ، أن الله غفر لامرأة بغي لسقيها كلبا اشتد عطشه كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **(أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها)**[2].

وإذا كان الله تعالى يغفر بعض كبائر الذنوب للمسلم برحمة الحيوان والرفق به، فإنه تعالى يعذب من نُزِعت الرحمة من قلبه، فيعذب الحيوان، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: **(دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)**[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة ٣/٤٧ (كتاب المساقاة – باب فضل سقي الماء حديث رقم ٢٣٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة ٧/٤٤ (كتاب السلام – باب فضل ساقي البهائم المحترمة – حديث رقم ٥٩٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة ٤/١٥٧ (كتاب بدء الخلق - باب سعة رحمة الله تعالى حديث رقم ٧١٥٨) ومسلم ٨/٩٨ (كتاب التوبة – باب سعة رحمة الله حديث رقم ١٥٦٦٧).

ونهى الرسول ﷺ عن ركوب الحيوان لغير غرض ومنفعة، وقد دخل رسول الله ﷺ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: (**اركبوها سالمة أودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فربَّ مركبة خيرٌ من راكبها، وأكثر ذكرًا لله منه**)[1]، بل إن الإسلام حث على رحمة الحيوان حال ذبحها فأمر الرسول ﷺ بالإحسان في القتل والذبح، فقال ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**)[2].

فأين جمعيات الرفق بالحيوان من هذه الآداب النبوية الرشيدة وكيف ينكرون فضل الإسلام وقد سبقهم بأربعة عشر قرنا من الزمان! وما زالوا لا يفرقون بين ما هو حق وما ليس بحق، حيث إنهم يعتبرون الذبح على الطريقة الإسلامية نوعاً من القسوة ولا يعرفون الفوائد الكثيرة لطريقة الذبح الإسلامية أما هم فيصعقون ذبائحهم بالكهرباء، أو يضربونها على رؤوسها فتموت ثم يذبحونها، ويعتبرون ذلك من الرحمة بالبهائم، والمرء إذا لم يكن له هاد من الوحي خبط عشواء وتحكمت به الأهواء، وحسب كل بيضاء شحمة وكل سوداء تمرة، وتفاخر على غيره بما هو أصل المذمة والنقص، ولكن عين الهوى عمياء[3].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٤٣٩ حديث رقم ١٥٦٦٧ قال شعيب الأرنؤوط حديث حسن.

(2) أخرجه مسلم ٦/٧٢ (كتاب الإمارة – باب الأمر بإحسان الذبح والقتل – حديث رقم ٥١٦٧).

(3) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، علي بن نايف الشحود ١٢/٤١٤.

المحور السابع: دعوى تعارض الرحمة مع الجهاد:

يدعي بعض أعداء الإسلام زوراً وبهتانا أن هذا الدين يتبطن في تعاليمه أشياء تحث على اعتماد منهج العنف في التغيير، وأنه يحرض أتباعه على ممارسة أساليب إرهابية في قمع أعدائهم وإخضاعهم لسلطانه، وينشر دعوته بهذه الطريقة، ويستدلون على هذه الدعوى عادة ببعض الآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالجهاد في سبيل الله، ويصرون على تصوير حقيقة الإسلام بهذا الواقع، وهذا مخالف لحقيقة دين الإسلام، كيف لا وقد حصر الله - سبحانه وتعالى - رسالة نبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام في الرحمة للعالمين وإذا كان الإسلام ديناً بلغت الميول السلمية فيه مداها في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾[1]، إلا أن الميول السلمية لا تتسع لمنع القائمين بهذا الدين الجديد من الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم الذي أنزله الله للإنسانية كافة، في عالم يضيع فيه الحق والعدل إن لم يكن لهما قوة تحميهما، فكان لا مناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذي يشهره خصومهم في وجوههم، ولذلك كان التعبير بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[2].

أقول: كان التعبير بالإذن الذي يدل على المنع قبل نزول الآية يدل على طروء القتال في الإسلام وأنه ظل ممنوعاً طيلة العهد المكي وبعضاً من العهد المدني.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الحج، الآية: (٣٩- ٤٠).

هذا ولم يغفل الإسلام حتى في هذا الموطن موطن الدفاع عن النفس والدين أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان؛ لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام ولا شفاء حزازات الصدور، الأصل أن يقوم المسلمون بدعوة غيرهم إلى هذا الدين، ليتمتعوا برحمة الله في منهج حياتهم في الدنيا، ولينالوا رضاه ورحمته في الآخرة، تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1][2]، وأساس دعوتهم اللين والحكمة والموعظة الحسنة، كما أمر الله تعالى بذلك نبيهم، وأمره أمر لهم، فقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

ولشدة حرص الرسول ﷺ على إيصال رحمة الله إلى عباده، رَغّبَ المجاهدين في سبيل الله في دعوة الناس إلى هذا الدين، ورَبْطِ دعوتهم برجاء ثواب الله الجزيل على هداية خلقه، كما في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أنه ﷺ قال لعلي رضي الله عنه عندما أرسله إلى يهود خيبر: **(انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)**[4].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١/٢٨٥، د/ محمود حمدي زقزوق وآخرين.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) صحيح البخاري ٤/٧٣ (كتاب الجهاد – باب فضل من أسلم على يديه رجل – حديث رقم ٣٠٠٩) ومسلم في صحيحة ٧/١٢١ (كتاب فضل الصحابة – باب فضائل علي بن أبي طالب).

ومع أن المسلمين هداة رحماء، فهم يجاهدون في سبيل الله، من اعتدى عليهم وعلى دينهم، لا يخافون فيه لومة لائم، يحفظون بجهادهم ضرورات حياة البشر، من الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وما يحوطها من الحاجيات والتكميليات، ويحمونها من عدوان المعتدين وظلم الظالمين.

فهم إما يجاهدون دفعا لعدوان المعتدين على المسلمين، وإما لإزالة من وقف أمام دعوة الله في أرض الله، لدعوة الناس إلى عبادة الله، لتقوم بذلك الحجة على خلق الله...[1]، ومن تتبع تاريخ جهاد المسلمين المنضبط بقواعد شرع الله تَبَين له أنه عام شامل لكل نشاط يحقق للمسلمين وللعالم ما فيه صلاحهم وسعادتهم، وأن القتال إنما هو جزء ضئيل من الجهاد الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومعلوم كذلك أن الجهاد في سبيل الله لم يشرع لإكراه الناس على ترك دينهم والدخول في الإسلام، وإنما شرع لرد عدوان المعتدين، وتحطيم سدود القهر والاستبداد التي تحول بين الناس وبين التمتع بالحرية التي منحهم الله تعالى، فيدخلون في الإسلام بعد إقامة الحجة عليهم بأنه الحق مختارين راضين غير مكرهين، أو يبقون على دينهم الذي اعتقدوه، كما صرح الله تعالى بذلك في كتابه، وجرى على ذلك عمل الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين، ما تمسك المسلمون بهذا الدين: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، ولكن يجب على من رغب في البقاء على دينه، أن يلتزم بنظام الأمة العام الذي يأمنون فيه على ضرورات حياتهم وما يكملها.

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين للدكتور محمود حمدي زقزوق وآخرين، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٢م (١ / ٢٨٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

أقول إن الرائد لا يكذب أهله هذه دعوى نعلنها للناس في مشارق الأرض ومغاربها، بأن هذا الدين، ليس عدوا لأحد من البشر، وإنما هو رحمة للعالمين، ونحن نؤمن بذلك إيمانا صادقا لا يشوبه شك، لثلاثة أمور:

الأمر الأول: اعتقادنا الجازم بأن القرآن حق، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حق، وأن الإسلام هو الدين الحق الذي يعتبر كل ما يخالفه باطل وليس بحق.

الأمر الثاني: دلالة الواقع التاريخي في العصور التي طبق فيها الإسلام على صحة ما نقول.

فقد سعد الناس الذين حظيت بلدانهم بدخول المسلمين فيها بما لم يكونوا يحلمون به من العدل والرحمة والحضارة، في ظل الإمبراطوريات اليونانية والفارسية والرومانية، والشاهد على ذلك أن غالب تلك الشعوب أصبحت تدين بالإسلام، بالدعوة المجردة من السلاح في أغلب المعمورة، ولم يستعمل المسلمون السلاح إلا عندما يقف البعض ضد حرية الدعوة وضد سماع الناس الحق سواء آمنوا به أم لا؟، والدليل على ذلك قلة الشعوب التي فتحها المسلمون عنوة، وكثرة الشعوب التي دخلت في الإسلام عن طريق التجار والدعاة المخلصين في بلدان آسيا وأفريقيا وغيرها.

الأمر الثالث: المقارنة النظرية بين ما تضمنه القرآن والسنة والسيرة النبوية، وأبواب التشريع الإسلامي في كتب الفقه وغيرها، عن حقوق الإنسان، رجلا وامرأة، صغيرا وكبيرا، فردا وأسرة، ومجتمعا، حاكما ومحكوما، وبين ما تضمنته القوانين الدولية المعاصرة في ذلك.

إن المنصف الذي يقارن بين ما تضمنه الإسلام وبين ما تضمنته تلك القوانين، ويتجرد من التعصب والهوى، سيجد في تشريع الإسلام كل ما تضمنته تلك القوانين من إيجابيات في أعلى صورها والمزيد الذي لم تتعرض له، مع تجنب التشريع الإسلامي السلبيات التي احتوت عليها تلك القوانين.

المحور الثامن: الرحمة واجب دعوي:

أرسل الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقال ﷺ: **(إنما أنا رحمة مهداه)**[2]، كما وصفه ربه بها وقد كانت هذه الصفة هي المهيمنة على سلوكه فقال جل شأنه: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[3]، بل أكد رب العالمين أن فضيلة الرحمة التي برزت في سلوكه كانت وراء النجاح العظيم الذي حققه في ميدان الدعوة إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[4]، فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلته عليه الصلاة والسلام رحيما بهم، لينا معهم، ولو كان فظًا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، يحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا، يقول ابن القيم في حق هؤلاء: (جعل الله انبساطهم مع الخلق رحمة لهم كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٦/ ١٣٢ حديث رقم ٩٢٠٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]، فالرب سبحانه بسط هؤلاء مع خلقه ليقتدى بهم السالك ويهتدي بهم الحيران ويشفى بهم العليل ويستضاء بنور هدايتهم ونصحهم ومعرفتهم في ظلمات دياجي الطبع والهوى، فالسالكون يقتدون بهم إذا سكتوا وينتفعون بكلماتهم إذا نطقوا فإن حركاتهم وسكونهم لما كانت بالله ولله وعلى أمر الله جذبت قلوب الصادقين إليهم وهذا النور الذي أضاء على الناس منهم هو نور العلم والمعرفة رحمة لهم)[2].

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة، وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته[3]، وجماع القول في ذلك ما قاله العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - : (الذي تدل عليه السنة المطهرة، سنة النبي ﷺ أن الواجب على الإنسان أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة وباللين وبالتيسير فقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣ / ٣٠٢)، لمحمد بن أبي أبكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٣) النور الخالد محمد رسول الإنسانية لفتح الله كولن ١ / ٢٣٤، طبعة دار الشروق.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

وقال الله تعالى له: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[(١)]، وقال الله تعالى حين أرسل موسى وهارون إلى فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[(٢)].

وأخبر النبي ﷺ: (أن الله يعطي على الرفق ما لا يُعطي بالعنف)[(٣)]، وكان يقول إذا بعث بعثاً: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَإِن ما يحصل بِهَذِهِ الرَّحْمَة لا يحصل بغيرها لبَعض النُّفُوس)[(٥)].

وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى داع وواعظ يتصف بصفات رسول الله ﷺ، فيستحق رحمة الله، فتلين له قلوب العباد ويلتفون حوله، ليعيدوا للإسلام ازدهاره، وللمسلمين مجدهم، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[(٦)].

إن المبلِّغ هو بطل الشفقة والرحمة قبل كل شيء، لا يتوسل لدفع الآخرين إلى قبول الحق الذي يدعو إليه بالوسائل الخاطئة كاستعمال القوة والخشونة والإكراه، لأن استقرار الإيمان بالله في القلوب ليس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٢/٨ كتاب البر، باب فضل الرفق.

(٤) أخرجه البخاري، ٧/٣ كتاب الأدب، باب: قوله عليه الصلاة والسلام: «يسروا...»، ومسلم، ١٤١/٥ كتاب الجهاد، باب: الأمر بالتيسير وترك التنفير.- وأنظر قول ابن عثيمين -رحمه الله - في قسم العلم والدعوة (٢٨٢/٦).

(٥) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم - (٣٦٩/٢).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

بهذه الوسائل قطعاً، بل الشفقة في الإرشاد تليّن القلوب وترقق الوجدان، وتجعلهما تستأنسان وتتهيآن لقبول الإيمان بالله وبرسوله ﷺ، المبلّغ يدفع مخاطبه إلى التصديق بالإقناع، فيحيطه بعلمه ويجذبه إليه بفضائله، فكل مَن يتعرّف ويشاهد المبلّغ، يشاهده أنموذج شخصية مجهزة بالفضائل، فلا شك أن تسليمه له ورضاه عنه، له أبلغ الأثر في قبول كلامه، بينما الجموع التي قُذف في قلوبهم الرعب، يتوجسون خيفة من شخص المبلّغ الذي يعرض المسائل في جو من الإكراه والاستبداد، فيتهيبون حتى الحقائق التي يعرضها. والحقائق التي يراد تبليغها مهما كانت حيوية ووديّة، فالفتور لدى المبلّغين سيترك طابعه على السامعين. فمثل هذه الأطوار لا تأتي بخير قطعاً. علماً أنه لا يحق لأحد كائنا من كان أن يدفع الناس إلى الفتور عن الإسلام والخوف منه نتيجة أخطائه[1].

لقد اعتلت الشفقة الذروة في أخلاق الرسول ﷺ كما هي في جميع خصاله الأخرى. فلقد أسس ﷺ دعوته العظيمة على ركائز جليلة كالشفقة، وبلّغها في جو دافئ من الحنان والعطف. حيث يقول: (إنّما أنا لَكم مِثْلُ الوالِد)[2]، وكيف لا، وهو الوالد الرؤوف الرحيم، نعم، إنه يفتح صدره ليضم كل فرد من أفراد أمته، فرداً فرداً، كما يضم الأب الرحيم ابنه الوحيد إلى صدره، وبالمقابل كل فرد من أفراد أمته يحبه أكثر من حبه لوالديه بل حتى من نفسه. بمعنى أن الصفة التي يجب أن تلازم المبلّغ والداعية هي: المحبة النابعة من الشفقة والحنان، والسلوك الذي يقابل بالاحترام. هذه الصفة لها امتياز خاص،

---

(١) النور الخالد محمد رسول الإنسانية لفتح الله كولن ١/ ٢٣٤.

(٢) أخرجه النسائي في سننه ١/ ٣٨ (كتاب الطهارة - باب النهي عن الإستطابة بالروث حديث رقم (٤٠) وأخرجه ابن ماجة في سننه ١/ ٢٠٨ (كتاب الطهارة - باب الاستنجاء بالحجارة - حديث رقم ٣١٣ وأخرجه أحمد في مسنده ١٢/ ٢٤٧).

لأنه لا محل للمحبة والاحترام فيما يخلو من الشفقة والرأفة نعم ربما يُدفع الناس بالقوة إلى الطاعة في أمور معينة، إلا أنكم لن تدفعوا أحداً إلى محبة الحقائق التي تريدون تبليغها. وفي الحقيقة ليس أمام الشفقة والرحمة باب مسدود لا يمكن فتحه. فجبال الثلج التي لا تذوّب بالشفقة والرحمة لا يذوّبها شيء قطعاً. لذا إن كنتم تريدون ربط الناس بعضهم ببعض بمحبة دافئة عليكم أن تطووهم تحت جناح الرحمة والشفقة أولاً. وما لم تعفوا عن تقصيرات الناس وأخطائهم، وما لم تظهروا لهم الحقيقة مفعمة بالشفقة والحنان، لن تحلّوا حلاً جذرياً أية مسألة من مسائل الناس الفردية والجماعية.

يعلّمنا الرسول ﷺ كيفية سلوكنا أمام أخطاء الأمة وتقصيراتهم بهذه الصورة التمثيلية: **(إنّما مَثَلي ومَثَل أمّتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدّوابّ وَالفَراشُ يَقَعْنَ فيه فأنا آخِذٌ بحُجَزِكم وأنتم تَقَحَّمون فيه)**[1] يفتح الرسول الكريم ﷺ بهذا المثال طريقاً واسعاً جداً للإرشاد، ويوضح أن من سار في هذا الطريق يوصل التبليغ إلى جموع عظيمة في المجتمع، بينما النظرات المخالفة والأفكار المباينة لهذا الطريق تؤدى إلى التردي والاضمحلال، وأدهاها دفع الناس إلى الهلاك، وهذه حقيقة فأنتم أيها الدعاة بأيديكم الشفيقة الحنونة ترشدون الناس على طريق الخروج من المعاصي والآثام إلى طريق الطاعة والإيمان الخالص الذي يبحثون عنه. فإذا تقربتم إلى هؤلاء بالإشفاق عليهم وبينتم لهم المسائل ضمن رحمة ورأفة موزونة، فسينظرون إليكم وإلى ما تقدمونه لهم من مسائل بعين اللطف، وإن لم يتقبلوها، هذه حقيقة مشاهدة، حيث إنه قد انشرح بالإيمان قلوب

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة ٧/٦٣ (كتاب الفضائل – باب الشفقة على أمته رقم الحديث ٦٩٥).

من لا نتوقعه من أناس وفيما لا ننتظره من زمان، ولهذا مئات الألوف من الأمثلة. ولأنكم أصبحتم سبباً لهدايتهم فسيظلون طوال عمرهم في شكران لجميلكم، فضلاً عن أنه يسجّل في سجل حسناتكم مثل ما يقومون به من أعمال صالحة.

وهكذا على مبلّغي اليوم ومرشديه أن ينظروا من هذه الزاوية إلى الناس ومن يريدون دعوتهم وتوجيههم، فلا تليق بالداعية الحدّةُ والضرب والشدة والفظاظة، أما الكذب والمنافع السياسية فبعيدة عنه بفراسخ عديدة.

فالداعية ليس إلاّ مثال الحب والشفقة والرحمة وفدائيَّ المحبة.

ومن تنتظره القلوب الظمأى إلى الإرشاد هو هذا الداعية. وقدوتنا في هذا سيدنا الرسول الأعظم ﷺ، انظروا إليه، إنه لأجل أن يقول الناس " لا إله إلاّ الله" مرة واحدة، تعرّض إلى مهالك كثيرة وعانى معاناة شديدة، والحال أن الذين رشقوه وأدموه، وضيقوا عليه الخناق ووضعوا سلا الجزور على رأسه وهو في الصلاة، والأشواكَ في طريقه، ما كان يريد لهم إلاّ الهداية و دخولهم الجنة، يريدها حتى لأعدائه. فما كان ينتظر منهم شيئاً لنفسه قط، فلقد رُشق بالطائف وأدميت قدمه الشريفة ووجهه المبارك حتى احتمى إلى بستان، كان معه زيد رضي الله عنه، وسعى المَلَك لإمداده قائلاً: **"إن شئتَ أن أُطبقَ عليهمُ الأخشبَينِ"، ولكن هذا الرؤوف الرحيم رفع يديه قائلاً: (أرجو أَن يُخرج الله مِن أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشركُ به شيئا)**[1] ولم يرد أن تصيبهم أية مصيبة.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٠/٤ (كتاب بدأ الخلق – باب ذكر الملائكة – حديث رقم ٤٧٥٤) ومسلم في صحيحة ١٨١/٥ (كتاب الجهاد والسير – باب ما لقي النبي من أذى المشركين – حديث رقم ٤٧٥٤).

وكذا في ساحة الحرب، عندما انكسرت سنّه الشريفة، ودخل جزء من مغفره في وجهه المبارك وقعت قطرات من دمه الطاهر إلى الأرض، فرفع يديه إلى السماء كأنه يريد أن يصدّ غضب الله بالدعاء فقال: **(اللهمّ اغفر لقَومي فإنّهم لا يعلمون)**[(1)]، فصدّ بذلك البلاء الذي قد ينزل على الكفار، وواضح جداً تفجّر الرحمة والشفقة من كل كلمة من هذا الدعاء، وأقول: إن الشباب الذي يضطرب بآلام المعاصي والكفر يحتاج إلى إسباغ رحمتكم ورأفتكم عليه، فلن تحصدوا شيئاً بالقوة والإكراه.

فالإسلام رحمة للبشرية ومحمد ﷺ إنما أرسل رحمة للعالمين، من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء، والبشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها.

وهي قلقة حائرة، شاردة في متاهات المادية، وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح والقلوب.

ونحن ندعو الشعوب غير الإسلامية وبخاصة المفكرين منهم والمثقفين القادرين على دراسة حقيقة الإسلام، أن تجتهد في دراسة المبادئ الإسلامية في القرآن والسنة، وفي كتب الفقه الإسلامي، ويُعمِلوا عقولهم متجردين من دعايات من نصبوا أنفسهم أعداء للإسلام والمسلمين، من بعض الساسة والإعلاميين وبعض المتعصبين، ليطلعوا بأنفسهم على عظمة الإسلام الذي لو حمله أي شعب من شعوب الأرض، في الغرب أو الشرق، لقاد به العالم إلى مراقي الفلاح والتقدم والحضارة النافعة السليمة من آفات الظلم والفساد الذي انتشر في الأرض اليوم بسبب البعد عن منهج الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين...

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحة ٢١٤/٤ (كتاب التفسير – باب قوله –حديث رقم ٣٤٧٧) ومسلم في صحيحة ١٧٦/٥ (كتاب السير والجهاد – حديث رقم ٤٧٤٧).

الخاتمة

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أقول أن قيمة الرحمة متشعبة في رسالة الإسلام ولا يمكن لباحث أن يستوفي جميع أطر الرحمة في الإسلام وما قدمته غيض من فيض، أردت من خلاله التنبيه على هذا الخلق الإسلامي الرفيع حتى يتلمسه المسلم في حياته علاوة على الدعاة والمرشدين.

ويمكن أن نرصد من خلال العرض السابق جملة من النتائج تتمثل في:

١- دعا الإسلام إلى رحمة عامة لا تختص بالمسلمين وحدهم ، بل هي شاملة لهم ولغيرهم من المخلوقات في الدنيا.

٢- أن الإسلام نادى بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية. لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد.

٣- أن رحمة الضعفاء سمة من سمات الشريعة الإسلامية فقد حثت على الترفق بالضعفاء من أفراد المجتمع والأخذ بأيديهم نحو الكرامة الإنسانية.

٤- أن الشريعة الإسلامية كانت الأسبق عناية بحقوق الإنسان والدعوة إلي قيم العدالة والمساواة والحرية.

٥- الشريعة الإسلامية كانت الأسبق رعاية لحقوق الحيوان بل والأكثر واقعية وتنظيما وذلك لأن رعاية هذه الحيوانات كانت بأمر الشارع الحكيم فكان المنطلق إيمانياً وواجباً دينياً في المقام الأول، فالحيوان البهيم، قد أعطاه الإسلام حظه من الرحمة والشفقة والإحسان.

٦- القول بتعارض إقامة الحدود مع خلق الرحمة دعوى باطلة ففي تطبيق الحدود الرحمة التامة لأن في إقامتها الحفاظ على المقاصد الشرعية التي لا تستقيم الحياة إلا بها فهي رحمة للمجتمعات لأنها سوف تحقق الأمان الذي افتقدته البشرية في هذه.

٧- دعوى أن الإسلام يدعوا إلي إراقة الدماء دعوى باطلة وذلك لان الجهاد في سبيل الله لم يشرع لقتل الناس لإكراههم على ترك دينهم والدخول في الإسلام، وإنما شرع لرد عدوان.

المصادر والمراجع:

أ- القرآن الكريم.

ب- كتب السنة والمتون:

١ - الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله): دار الشعب – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٢ - الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري طبعة دار الجيل بيروت.

٣ - سنن النسائي المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

٤ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني دار الكتاب العربي - بيروت.

٥ - سنن الترمذي ، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٦ - سنن ابن ماجة ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الناشر: مكتبة أبي المعاطي.

٧ - موطأ مالك - رواية يحيى الليثي مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي الناشر: دار إحياء التراث العربي – مصر تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٨ - مسند أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٩ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني.

ج- مراجع متنوعة:

١- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة – بيروت.

٢- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣- جامع الرسائل، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤- حقائق الاسلام في مواجهة حملات التشكيك د/ محمود حمدي زقزوق وآخرين طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.

٥- علل وأدوية، محمد الغزالي، دار نهضة مصر الطبعة: الأولى.

٦- المحاور الخمسة للقرآن الكريم محمد الغزالي دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.
٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي –بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٨- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم دار العلم الدار الشامية مكان الطبع: دمشق ـ بيروت سنة الطبع: ١٤١٢ هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودي.
٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٠- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى.
١١- النور الخالد (محمد مفخرة الإنسانية) فتح الله كولن – طبعة دار الشروق ٢٠٠٢م.
١٢- هذا ديننا محمد الغزالي طبعة دار الشروق القاهرة.

فقه الدعوة في سيرة
صهيب بن سنان الرومي ﷺ

إعداد

الدكتورة: بدرية بنت سعود البشر
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب
في كلية الدعوة والإعلام

الصحابة هم صفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، أئمة الهدى، وقدوة المقتدي، أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة، ونصحوا للأمة، خير القرون وخير أمة أخرجت للناس.

شرفهم الله بصحبة نبيه، ومرافقته في السراء والضراء، بذلوا النفس والنفيس في سبيل مؤازرته والوقوف معه ونشر دعوته حتى قالوا: لو خضت بنا البحر لخضناه معك.

أثنى الله عليهم في كتابه الكريم ووعدهم جنات النعيم، قال جل وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وأثنى عليهم رسول الله، ثناءً عظيماً، وأمر بمحبتهم واحترامهم، وشدد في النهي عن التعرض لهم بالإساءة، فلا يتعرض لهم إلا ضال أو منافق، بل من شدة تشدده حكم بعض العلماء على المسيء بالتعزير وقال آخرون: يقتل.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: [وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يلحقهم أحد ممن بعدهم في فضلهم].

فهم أهل السبق والفضل ناصروا وقت الضعف وأنفقوا في زمن الحاجة، وأخذوا الحق المبين من مصدره، وتعلموا على يدي صفوة الخلق أجمعين فنالوا الرفعة واستحقوا الثناء.

عن عبدالله بن عمر ﷺ، قال: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونقل

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد، كانوا على الهدى المستقيم).

وصهيب الرومي ﷺ، كان من هذه الصفوة المختارة، ومن السابقين الأولين للإسلام، توجه لرسول الله، في دار الأرقم المخزومي متخفيا ليعلن التوحيد، ثم كان الجهاد بالنفس والمال وتقديم الآخرة الباقية على الدنيا الفانية فكان مثالا للمؤمن الصادق، والداعية الحق، نذر نفسه لله ولازم رسول الله، في جهاده وقراره.، فحري بنا أن نستعرض هذه السيرة العاطرة لنقدمها أنموذجا لدعاة اليوم يستلهمون منها الطريق، ويحتذون بها في الدعوة إلى الله تعالى.

الحمد لله الوهاب المنان المنعم علينا بنعمة الإسلام، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على خير الخلق على الدوام، نبي الرحمة والهدى والسلام وعلى آله وصحبه البررة الكرام، وعلى من تبعه واقتفى أثره واهتدى بهداه إلى يوم يقوم فيه لله الأنام.

أما بعد:

فمنذ جاء رسول البشرية بدعوة الحق وبلغ الناس الهدى؛ والنفوس الطاهرة تقبل على هذه الدعوة فتخالط شغاف قلوبهم وتملك كل كيانهم فتصغر الدنيا في عيونهم، وتسمو نفوسهم، ويصبح الإيمان منطلق أقوالهم وأفعالهم فلا يبالون بنداءات الشيطان وتغريره، ولا يثيهم جبروت الطغاة وسلطانهم فما عند الله هو خير وأبقى، باعوا الدنيا الفانية واشتروا الآخرة فما ضرهم ما أصابهم في ذات الله بعد ذلك.

وكان منهم صهيب بن سنان الرومي الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1]، فقد دفع ماله الذي أشقى نفسه وأتعب بدنه في جمعه ليهاجر بدينه ويلحق بركب الصفوة، إلى بلاد الإيمان طيبة الطيبة حيث أنصار رسول الله، وحيث العمل الدؤوب لنشر الإسلام بلا حدود ولا قيود.

وقد ضرب لنا صهيب أروع الأمثلة في قوة الإيمان والصدق والصبر، وكانت له مواقف جليلة جعلت منه مثلاً وقدوة لدعاة الإسلام حري بهم في كل عصر وزمان أن يقتدوا به ويسيروا على نهجه.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

وعنه كانت هذه الدراسة التي تم تقسيمها إلى مبحثين: الأول منهما فيه استعراض لسيرته، وما فيها من مواقف وأحداث والثاني فيما نستفيده من هذه السيرة الطيبة من فقه وعبر وفضائل.

تقسيمات البحث :

يشتمل هذا البحث على مبحثين :

المبحث الأول: في سيرة صهيب الرومي ﷺ، وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: نسبه ونشأته.

المطلب الثاني : صفاته.

المطلب الثالث : إسلامه.

المطلب الرابع: هجرته.

المطلب الخامس: فضائله.

المطلب السادس : جهاده في سبيل الله.

المبحث الثاني: فقه الدعوة من سيرته ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ما يتعلق بموضوع الدعوة.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالداعية.

المطلب الثالث: ما يتعلق بالمدعو.

المطلب الرابع: ما يتعلق بالوسائل والأساليب.

ثم الخاتمة

وفهرس المراجع.

المبحث الأول: في سيرة صهيب الرومي ﷺ

المطلب الأول:

نسبه ونشأته:

صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عُقيل بن عامر بن جندلة بن خزيمة، المعروف بالرومي أصله من النمر بن قاسط؛ سبته الروم من نينوى.

وإنما قيل له: الرومي، لأن الروم سبوه صغيرا، فأغارت الروم عليهم، فأخذت صهيبا وهو صغير، فنشأ بالروم.

ووالدته: هي سلمى بنت قعيد بن مهيض بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

كان أبوه وعمه عاملين على الأُبُلّة وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، وقيل: كانوا على الفرات من أرض الجزيرة، فسبت الروم صهيبا، وهو صغير، فابتاعته منهم كلب، ثم قدموا به مكة فاشتراه عبدالله بن جدعان التيمي منهم، فأعتقه، فأقام معه حتى هلك عبدالله بن جدعان.

وأما أهل صهيب وولده فيقولون : بل هرب من الروم حين بلغ وعقل فقدم مكة فحالف عبدالله بن جدعان وأقام معه إلى أن هلك.

المطلب الثاني:

صفاته :

كان صهيب، أحمر شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى القصر أقرب، أقرن الحاجبين، كثير شعر الرأس، وكان يخضب بالحناء.

وكان في لسانه عجمة شديدة بسبب نشأته في أرض الروم ومخالطته لهم ؛ روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى

دخل على صهيب حائطا له بالعالية، فلما رآه صهيب قال: يناس يناس، فقال عمر: ماله لا أبا له، يدعو بالناس ؟ فقلت: إنما يدعو غلاما له اسمه يُحنس، وإنما قال ذلك لعقدة في لسانه، فقال له عمر: ما فيك شيء أعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال، لولاهن ما قدمت عليك أحدا: أراك تنتسب عربيا ولسانك أعجمي، وتكتني بأبي يحيى اسم نبي، وتًبذّر مالك. فقال: أما تبذيري مالي فما أنفقه إلا في حقه، وأما اكتنائي بأبي يحيى فإن رسول الله، كناني بأبي يحيى ؛ فلن أتركها، وأما انتمائي إلى العرب فإن الروم سبتني صغيرا، فأخذت لسانهم، وأنا رجل من النمر بن قاسط، ولو انفلقت عني روثة لانتميت إليها.

كان موصوفا بالكرم والسماحة، وكان فيه مداعبه وحسن خلق، فقد روى عبدالحكيم بن صهيب عن عمر بن الحكم بن ثوبان قال: قدم صهيب، على رسول الله، وهو بقباء ومعه أبو بكر وعمر، وبين أيديهم رطب قد جاءهم به كلثوم بن الهدم أمهات جراذين، وصهيب قد رمد بالطريق وأصابته مجاعة شديدة، فوقع في الرطب. فقال عمر: يا رسول الله: ألا ترى إلى صهيب يأكل الرطب وهو رمد ؟ فقال رسول الله، : تأكل الرطب وأنت رمد ؟. فقال صهيب: وإنما آكله بشق عيني الصحيحة. فتبسم رسول الله.

وكان مشهورا بالتسديد في الرماية ولهذا خشيه النفر الذين تبعوه لما أراد الهجرة، فعن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي، فأتبعه نفر من قريش نزل عن راحلته، وانتثل، ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا، و أيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضرب بسيفي

ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم، دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي ؟ قالوا: نعم...).

المطلب الثالث:

إسلامه:

كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد بضعة وثلاثين رجلا، أسلم وعمار في يوم واحد. فقد كان عائدا من إحدى رحلاته فسمع بدعوة النبي، للناس للتوحيد وعبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان وسائر المنكرات التي كان عليها الناس آنذاك.فقال: أليس هذا الذي يلقبونه بالأمين ؟ فقالوا: بلى، وأخبروه عن مكانه في دار الأرقم بن أبي الأرقم فتوجه إليه، ولقي عند الباب عمار بن ياسر فدخلا على الرسول، وأمضيا يومهما عنده، ولما خرجا كان الإيمان قد ملأ قلبيهما.

قال عمار بن ياسر: (لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله فيها، فقلت له: ما تريد؟ قال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون. فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلا).

وكان من الأوائل الذين أظهروا إسلامهم وعُذب في ذلك حتى لا يدري ما يقول، فعن عبدالحكم بن صهيب، عن عمر بن الحكم قال: كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدري ما يقول، في قوم من المسلمين.

وقال ابن عباس ، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[1]، [أخذه المشركون - يعني عمار بن ياسر - وأخذوا أباه وأمه سميه وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم...].

وقال ابن مسعود: (أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وعمار وأمه سمية، وصهيب وبلال، والمقداد، فأما رسول الله، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس....).

المطلب الرابع:

هجرته :

لما هاجر رسول الله، إلى المدينة لحق به من بقي في مكة من أصحابه ومنهم صهيب، فتبعه نفر من المشركين، فنثل كنانته وقال لهم: يا معشر قريش، تعلمون أني من أرماكم، ووالله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدُلنا على مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم عليه، ولحق برسول الله، فقال له رسول الله، : ربح البيع أبا يحيى، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[2].

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

المطلب الخامس:

فضائله:

فضائله عديدة، ويكفيه أن أنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، عن ابن مسعود، قال: مر الملأ من قريش على رسول الله وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار قالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء أتريد أن نكون تبعا لهؤلاء فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

قال الإمام ابن سعدي ـ رحمه الله ـ : [...فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم بل هم مستحقون لموالاتهم ومحبتهم، وإدنائهم وتقريبهم، لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، الأعزاء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أذلاء].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ، محباً لصهيب، حسن الظن فيه، حتى إنه لما ضُرب أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بجماعة المسلمين ثلاثا، حتى يتفق أهل الشورى على من يُستخلف.

روى سالم عن أبيه: أن عمر قال: إن حدث بي حدث فليصل بالناس صهيب، ثلاثا، ثم أجمعوا أمركم في اليوم الثالث.

ولما قبضت روح عمر، تقدم صهيب، ليصلي عليه، فعن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ قال: (لما توفي عمر نظر المسلمون فإذا صهيب يصلي بهم المكتوبات بأمر عمر، فقدموا صهيبا فصلى على عمر).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

وقال عنه عمر: (نعم الرجل صهيب، ولو لم يخف الله لم يعصه) معناه لو لم يكن فيه خوف الله لمنعته قوة دينه من معصيته فكيف وهو خائف.

وعن الحسن البصري ـ رحمة الله ـ أنه قال: [حضر أناس باب عمر وفيهم: سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والشيوخ من قريش، فخرج آذنه لأهل بدر كصهيب وبلال وعمار ـ وقال: وكان والله بدريا، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم ـ فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط ! إنه يأذن لهذه العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا. فقال سهيل بن عمرو: أيها القوم إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضابا فأغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم ؛ فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل فيما يرون أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه، ثم قال: إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فألزموه، عسى الله عز وجل أن يرزقكم الجهاد والشهادة، ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام، قال الحسن: صدق والله، لا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه].

وروى عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال، في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟. فأتى النبي، فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر فقال: يا أخوتاه أغضبتكم ؟. قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي.

المطلب السادس:

جهاده في سبيل الله:

قال عنه أبو نعيم في حلية الأولياء: [السابق المهاجر، المطعم المتاجر، لماله بذول، ولنفسه قتول، ولدينه عقول، وبربه تعالى يجول ويصول].

فصهيب، احتمل من مجاهدة النفس والصبر على الابتلاء الشيء الكثير حتى ما يستوي قاعدا من شدة التعذيب ثم هاجر إلى المدينة وفي طريق الهجرة بذل كل ماله في سبيل الخلاص بدينه والالتحاق برسول الله، وفي المدينة كان مع رسول الله في جهاده لرفع راية الدين، يقول صهيب: (لم يشهد رسول الله، مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم، ولاما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله، بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله.

وقد استمر يجاهد بعد رسول الله، و أمضى حياته جنديا مخلصا في جيش الإسلام الفاتح، حتى كانت الفتنة الكبرى؛ فتنة مقتل عثمان، فاعتزل الناس، واجتنب الفتنة، وأقبل على العبادة حتى توفاه الله.

وكانت وفاته على الراجح سنة ثمان وثلاثين؛ ذكر الإمام ابن العماد(ت: ١٠٨٩هـ) في شذرات الذهب في أخبار سنة، ثمان وثلاثين: لوفي شوال منها توفي صهيب بن سنان الرومي، أحد السباق الأربعة... وتوفي بالمدينة...).

وقال الواقدي (ت: ٢٠٧هـ): حدثني أبو حذيفة رجل من ولد صهيب عن أبيه عن جده قال: مات صهيب في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين.

وقال المدائني (ت: ٢٢٤هـ): عاش ثلاثا وسبعين سنة.

وقال الفسوي (ت: ٢٧٧هـ): عاش أربعا وثمانين سنة.

المبحث الثاني : فقه الدعوة من سيرة صهيب ﷺ

المطلب الأول:

ما يتعلق بموضوع الدعوة:

١. بيان أن الهداية بيد الله تعالى ييسرها لمن يشاء من عباده:

فهذا صهيب، أتى من بلاد بعيدة ليدخل الإسلام بعد أن سمع عن خروج نبي جديد برسالة جديدة فيها هداية البشرية وصلاحها، فيتتبع الأمر ويحرص على السؤال عن صاحب الرسالة محمد، ثم يتأكد من صفاته ليطابقها مع الصفات التي ذكرها علماؤهم وقساوستهم ثم يتجه إليه ليعلن إسلامه رغم خطورة الأمر في بداياته.

بينما في بلد الإسلام ومنطلق الرسالة مكة المكرمة من لم يقبل الدين ومات على شركه.

٢. أهمية العقل السليم في هداية صاحبه إلى الحق:

ظهر ذلك جليا في قول صهيب، عندما سمع بدعوة محمد، الناس للتوحيد، حيث قال: (أليس هذا الذي يلقبونه بالأمين) فمعرفة صهيب، بسيرة رسول الله، ووصف قومه له بالخصال الحميدة، ومنها الأمانة جعله يوقن أنه لن يتقول أو يكذب ويتأكد من ذلك عندما علم أنه لم يعهد منه ذلك مما وصفوه به.

٣. بيان حال الدعوة في بداياتها:

بدأت دعوة رسول الله، سرية فقد كان يجتمع بأصحابه، في دار الأرقم خفية، وكان أصحابه ومن أراد أن يسلم يأتونه مستخفين عن أعين قريش خشية أن يعلموا بهم فيؤذوهم أو يصدوهم عما جاءوا له.

قال عمار بن ياسر: (لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله، فيها، فقلت له: ما تريد ؟ قال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون..)

ورغم أن هذه حالهم من التخفي والخوف من الاعتداء والبطش إلا أنه أسلم فيها جماعة كثيرة من قريش بفضل الله ومنته.

٤. بيان أن من ترك شيئا لوجه الله عوضه الله خيرا منه:

فهذا صهيب، ترك ماله لقريش مقابل أن يظفر بدينه ويلحق بركب رسول الله، فأبدله الله بخير من ذلك كله وهو إخبار الرسول، له بالربح في هذه الصفقة رغم الخسارة الظاهرة، إضافة إلى نزول آيات فيه تتلى إلى قيام الساعة وهذا مصداق قول رسول الله، : ((إنك لن تدع شيئًا لله إلا بدّلك الله به ما هو خير لك منه))، أما المال فقد فتح الله، عليهم فامتلكوا كنوز كسرى وقيصر.

٥. وجوب احترام الصالحين واتقاء ما يغضبهم:

احترام ذوي المكانات وأهل العلم والصلاح وتقديرهم من سمات المجتمع المسلم، لذا أمر الرسول، أمته بتجنب ما يؤذيهم أو يسيء لهم أو يثير غضبهم.

نجد ذلك في سيرة صهيب حين قال النبي، لأبي بكر مع فضله ومكانته: ((لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك)).

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: [ويستفاد منه احترام الصالحين، واتقاء ما يغضبهم، أو يؤذيهم، فإن في ذلك غضب الله، أي حلول عقابه بمن آذى أحدا من أوليائه].

٦. مشروعية المزاح إذا لم يكن فيه كذب أو تجني على أحد:

فالمزاح مشروع بضوابط وذلك بأن يكون بالقول الصادق ولا يتضرر به أحد كأن يترتب عليه وقوع خلاف أو الإساءة لأحد، لما ورد عن أبي هريرة ﷺ، قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: ((نعم غير أني لا أقول الا حقاً)). وهذه هي المداعبة التي حافظ عليها طوال حياته.

ومنه أيضا ما ورد أنه جاءت عجوز إلى النبي، وقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: ((يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز))، قال: فولت تبكي ثم قال، : ((أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز وإن الله يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[1])).

ومن هذا المنطلق كان صهيبا، يمازح رسول الله، وأصحابه حتى وصف بأن فيه دعابة، ومنها ما كان منه مع رسول الله، حين رد عليه بقوله: (إنما آكله بشق عيني الصحيحة).

٧. تحقيق مبدأ المساواة في الإسلام:

إن ميزان التفاضل في الإسلام يقوم على أساس التقوى والإيمان وليس المكانات والمراتب الاجتماعية، لذا جاء النهي من الخالق، لنبيه، أن يستجيب لطلب كبار قريش بإبعاد صهيب وعمار وخباب وأمثالهم عن مجالسه والاكتفاء بمجالسه عظماء القوم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]؛ ذلك أن الدعوة تبلغ لهم جميعا، وقراءة القرآن عليهم وتعليم أمور الدين حق عام لا يستثنى منه أحد، فلا اعتبار في الإسلام ولا تفاضل بالمنزلة الاجتماعية، بل الجميع سواء.

---

(١) سورة الواقعة، الآية: (٣٥- ٣٧).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

المطلب الثاني :

ما يتعلق بالداعية:

١) أهمية الإعداد الإيماني والنفسي للمسلم الجديد :

وهذا ظاهر مما كان يقوم به النبي ﷺ، في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي حيث كان يجتمع بصحابته ليعلمهم أمور هذا الدين ويتلو عليهم ما ينزل عليه من القرآن الكريم، ويباحثهم في شأن الدعوة، وما وصلت إليه، وموقف المعرضين لها والصادين عن سبيلها.

ويعدهم ويهيئهم ليواجهوا مجتمعا عاش دهورا على الجهل والضلال وليس من السهل انتشاله منه، بعزيمة لا تحبطها الصعوبات والمعوقات.

٢) من صفات الداعية: التثبت في، النقل عن رسول الله ﷺ:

النقل عن رسول الله ﷺ، ليس كالنقل عن غيره لأن أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله هي تشريع واجب الاتباع، لذا كان الصحابة، يتحرون في الحديث عن رسول الله ﷺ، خشية أن يلتبس عليهم أمر أو يختلف الفهم للمراد.

وصهيب كان يتهيب أن يقول قال رسول الله ﷺ، من شدة حرصه على التثبت والنقل الصحيح.

أخرج ابن سعد في الطبقات عن سليمان بن حرب قال: أخبرنا جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن سليمان بن أبي عبدالله قال: كان صهيب يقول: هلموا نحدثكم عن مغازينا، فأما أن أقول: قال رسول الله ﷺ فلا.

المطلب الثالث:

ما يتعلق بالمدعو:

١) من صفات المؤمن: الصبر على الابتلاء:

فلقد ابتلي صحابة رسول الله ﷺ، بأنواع الابتلاء من جلد وحرق وصهر برمضاء مكة واضطهاد لا تتحمله إلا القلوب المؤمنة الصابرة المحتسبة، ثم هاهم يتركون أموالهم وتجارتهم ومساكنهم عند مضطهديهم في مكة كما كان من صهيب عند هجرته في سبيل أن يستعلي إيمانهم وأن يتمكنوا من تطبيق منهج ربهم، كما صبروا من قبل على الإيذاء والاضطهاد والسخرية في مكة في سبيل أن يثبتوا على الحق الذي ملأ قلوبهم اقتداء بنبيهم الذي ناله أشد الإيذاء من قومه ومع هذا لم يكن منه إلا أن يدعو لهم بأن يغفر الله لهم ويلتمس لهم العذر عند ربهم بأنهم لا يعلمون حقيقة ما جاء به.

عن سعد بن أبي وقاص، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: ((الأنبياء ثم الأمثل، فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة)).

٢) من صفات المؤمن: الشجاعة:

إن من أكمل صفات المؤمن: الشجاعة والإقدام؛ وتزيد تبعا لزيادة الإيمان في قلبه لأنه بقدر الإيمان في قلبه وقدر معرفته بربه ويقينه بأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له يكون إقدامه إلى رضوان ربه وبسالته خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى كما كان من صهيب في كثير من المواقف مع رسول الله والصحابة الكرام حيث كان في مقدمتهم كما حدث بذلك في قوله: (وما

خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم، ولاما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله، بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ).

٣) من صفات صهيب ﷺ: الصدق:

عرف صهيب رضي الله عنه بصدق القول، حتى قبل إسلامه، دل على ذلك تصديق قريش له حين قال لهم: (فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا على مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم عليه) فتركوه وشأنه متجهاً إلى أرض غير أرضهم، وإلى من سيحميهم منهم، ولم يطلبوا منه بينه، ولم يشكوا في صدقهم بما أخبرهم به.

٤) من مناقب صهيب سبقه للإسلام:

تعددت مزايا صهيب، وفضائله وكان من أعظمها وأجلها كونه من السابقين الأولين للإسلام حيث كان إسلامه بعد بضع وثلاثين رجلاً، حين اتجه إلى دار الأرقم حيث كان رسول الله، والقلة القليلة من تابعيه لينتقل بدخوله من باب تلك الدار من عالم التيه والضلال إلى عالم الهدى والرشاد.

٥) علو منزلة صهيب ﷺ:

دل على ذلك قول النبي ﷺ: ((لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك))، وهذا الاستفهام الإنكاري موجه لأبي بكر، أفضل صحابة رسول الله ﷺ، وأعلاهم منزلة.

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في هذا الحديث: [يدل على رفعة منازل هؤلاء المذكورين عند الله تعالى].

٦) من فقه صهيب ﷺ اعتزاله الفتن:

فإنه لما قامت الفتنة في عهد علي، اعتزلهم صهيب، مسترشدا بتوجيه النبي، لأمته في حال حدوث الفتن كما جاء في الصحيح عن حذيفة قال: يا رسول الله! أبعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها))، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال : ((هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا)) قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)) قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: ((فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)) وعن أبي بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة فقال: إن رسول الله، قال: ((إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف فإذا كان فائت بسيفك أُحدا فاضربه به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية))، فقد وقعت، وفعلت ما قال رسول الله ﷺ.

قال الإمام السندي ـ رحمه الله ـ: [يريد أن الصبر على الموت فيها أحسن من الحركة لكون الحركة تزيد في الفتنة].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)) ؛ يشرب لبنها ويأكل من لحمها ويرتزق من رزق الله، وهو محافظ على دينه لا يسمع لهذا ولا ذاك ولا يؤثر فيه أحد من الناس، ناجيا بنفسه، سالما من الفتن.

وفي موقعة الجمل عندما خرجت عائشة رضي الله عنها تطلب دم عثمان بن عفان ﷺ، وما كان من عقد الصلح بعد القتال الشديد بين الفريقين، سار كعب بن سور إلى أهل المدينة يسألهم عن بيعة طلحة

والزبير لعلي، فلما قدمها اجتمع الناس إليه، وكان يوم جمعة، فقام وقال: يا أهل المدينة، أنا رسول أهل البصرة، نسألكم هل أكره طلحة والزبير على بيعة علي أم أتياها طائعين؟ فلم يجبه أحد إلا أسامة بن زيد، فإنه قام وقال: إنهما بايعا وهما مكرهان، فأمر به تمام بن العباس فواثبه سهل بن حنيف والناس، وثار صهيب وأبو أيوب في عدة من أصحاب النبي، فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا أن يقتل أسامة فقالوا: اللهم نعم، فتركوه، وأخذ صهيب أسامة بيده إلى منزله وقال له: أما وسعك ما وسعنا من السكوت ؟ قال: ما كنت أظن أن الأمر كما أرى.

فصهيب، لم يكتف بعدم الخروج للقتال بل لما جاءوا له في المدينة وسألوه في أمر يتعلق بالفتنة القائمة لم يجب، بل ودرأ شرا كان سيكون بإجابة أخيه أسامة، كل ذلك كان حرصا منه على إخماد الفتنة ووأدها في مهدها.

المطلب الرابع:

ما يتعلق بالوسائل والأساليب:

١. من وسائل الدعوة: الجهاد في سبيل الله:

إن من وسائل الدعوة العظيمة: الجهاد في سبيل الله ولهذا بذل الصحابة، جهدهم ومالهم في سبيل نشر دين الله وتبليغه للناس كافة؛ ولهذه الأهمية حرص صهيب ﷺ، على ملازمة الرسول في غزواته كلها لم يفته منها شيء وكان في كل منها في مقدمة الصفوف وفي حماية رسول الله ﷺ.

يقول صهيب ﷺ في ذلك: (لم يشهد رسول الله ﷺ، مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم، ولاما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ، بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ).

٢. من أساليب الدعوة: التبشير بالخير:

إن من الأساليب المهمة في الدعوة تبشير الداعية إخوانه بما يسرهم لتطمينهم وإدخال الفرح والسرور إلى نفوسهم، ولهذا فإنه بمجرد رؤية النبي، لصهيب، قادما إليه في المدينة وهو يعلم ما حدث له مع قريش قال: ((ربح البيع أبا يحيى)) مطمئنا له ومخبرا له خبر اليقين أن ما فعله فيه الخير الكثير له.

٣. من أساليب الدعوة: ذكر الداعية بعض عمله للاقتداء به:

فإن من التحفيز ورفع الهمم عند المدعوين أن يذكر الداعية بعض أعماله - وإن كان فعلها، لوجه الله ورغبة في الثواب منه سبحانه - وذلك بغرض الاقتداء به والسير على نهجه لا رياء وسمعة، كما فعل

صهيب، حين أخبر بمواقفه البطولية كونه شارك في جميع غزوات رسول الله ﷺ باستبسال وتقدمهم في لحظات الخوف، وحمى رسول الله ﷺ.

وقد أكد على أهمية هذا الأسلوب الإمام النووي ـ رحمه الله ـ حيث قال:

[استحباب إخفاء الأعمال الصالحة وما يكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالى، ولا يظهر شيئا من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبيه على الاقتداء به فيه ونحو ذلك].

٤.من أساليب الدعوة: الثناء على المحسن:

أسلوب الثناء من الأساليب القرآنية حيث أثنى الله، في آيات عدة على رسله وعلى الصالحين وذوي الفضائل والخصال الحميدة كما في قوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - :(وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم... ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم).

وفي هذه السيرة ورد ثناء النبي، على صهيب، :((ربح البيع أبا يحيى)) حين باع الدنيا واشترى دينه وآخرته ؛فقد أثنى على صنيعه وأيده على فعله وبشره بالعوض من الله تعالى.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يقتدي برسول الله ﷺ، ويتخذ هذا الأسلوب في دعوته لحث الناس وترغيبهم في الاستمرار في طريق الخير فيقول للمحسن أحسنت ليشعره بقيمة عمله.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

الخاتمة:

أحمد الله تعالى أن يسر لي هذا البحث ووفقني للنهل من سيرة هذا الصحابي الجليل الذي كان في سيرته، فوائد عظيمة تجلت في معرفة شخصية تمثل أنموذجا لصحابة رسول الله، وما كانوا عليه من التمسك الشديد بدينهم رغم شدة الظروف وقسوة المعارضين، وبذلهم ما يملكون في سبيل الحفاظ على عقيدتهم؛ بل والسعي إلى التلذذ بممارسة دينهم دون قيود أو إيذاء من المخالفين، وضربوا أروع أمثلة القدوة في الثبات على دين الله مهما كانت الإغراءات والعقبات، والتضحية من أجله والعمل لإعلاء رايته والتمكين له في الأرض.

ومن هذه الفوائد:

- وجوب الاقتداء بأصحاب رسول الله، لأنهم يمثلون أنموذجا للمؤمن الحق الذي يسير على هدى من ربه، وكل همه الحصول على مرضاة الخالق جل وعلا والفوز بالنعيم في روض الجنان في الآخرة.
- اليقين بأن طريق الدعوة شاق ومليء بالصعوبات ولهذا كان الجزاء من الله تعالى لمن صبر واحتسب جنة عرضها كعرض السموات والأرض، لذا كان لزاما علينا أن نشحذ الهمم وندفع نفوسنا دفعا نحو مدارج السالكين إلى رضوان رب العالمين.
- أن في تصرف صهيب، مع قريش وإيثاره للآخرة درسا عظيما وقاعدة جليلة تزهد في الدنيا وتسمو بالنفوس إلى طلب ما عند المولى جل وعلا ينبغي أن يضعها المؤمن نصب عينيه.

- أن الفتن من سنن الحياة وهي واقعة لا محالة لذا حرص النبي ﷺ، على تعليم أمته كيفية التعامل معها، وتصرف صهيب، يعد تطبيقا لهذه التوجيهات النبوية الشريفة.
- أن من واجبات الداعية إنزال الناس منازلهم لكن لا يعني هذا إقصاء الفقراء والمساكين، ولهذا نجد أن رسول الله، لم يمنع صهيبا وأمثاله من مجالسته بعد ما قاله الملأ له بشأنهم بل قربهم وأدناهم تحقيقا لمبدأ المساواة في الإسلام.

وختاما أسأل الذي يسره أن ينفع به، وأصلي وأسلم على خير الخلق وصفوتهم أجمعين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر . تحقيق علي محمد البجاوي . الطبعة الأولى . ١٤١٢هـ/١٩٩٢م . دار الجيل . بيروت.
- الإصابة في تمييز الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالمودود والشيخ علي محمد معوض – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ/١٩٩٥م – دار الكتب العلمية – بيروت.
- أسباب النزول للإمام الشيخ علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، . دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلي . الطبعة الثالثة . ١٤١٠هـ/١٩٩٠م . دار الكتاب العربي . بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري –تحقيق وتعليق محمد البنا ومحمد عاشور ومحمود فايد.
- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع / تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، . تحقيق محمود محمد شاكر . الطبعة الثانية، . مطابع قطر الوطنية . الدوحة.
- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي – حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري – الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري – الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م – دار الكتاب العربي – بيروت.
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للفقيه المحدث أبي العلى محمد عبدالرحمن عبدالرحيم المباركفوري . قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علفة . بيت الأفكار الدولية . عمان . الأردن.
- تفسير القرآن العظيم / للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار الفكر.
- تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني – تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا والشيخ عمر السلامي والشيخ علي بن مسعود – دار المعرفة –بيروت.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي – حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف – الطبعة الثالثة – ١٤١٥هـ/١٩٩٤م – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- التوابين / لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي . تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . دار الكتب العلمية – بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن من كلام المنان للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي . تحقيق عبدالرحمن بن معلا

اللويحق ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

- الجامع لأحكام القرآن/لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – بدون معلومات غلاف.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني – الطبعة الأولى- ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م – مطبعة السعادة.
- حياة الصحابة للعلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ـ تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ـ دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ـ دمشق.
- السلسلة الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض.
- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي –حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية/ مهدي رزق الله أحمد –، الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ /١٩٩٢م - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض.
- شذرت الذهب في أخبار من ذهب للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد – دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت.

- شرح سنن ابن ماجه القزويني / للإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، ـ دار الجيل ـ بيروت.
- شرح صحيح مسلم للإمام النووي محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي – حققه وعلق عليه ووضع فهارسه لجنة من العلماء بإشراف الناشر ـ راجعه الشيخ خليل الميس – دار القلم – بيروت.
- صحيح سنن ابن ماجه (الإمام المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني)/ محمد ناصر الدين الألباني _ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
- صحيح سنن الترمذي (الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي)/محمد بن ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ، الرياض.
- صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ـ ضبطه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: عبدالرحمن اللاذقي وحياة شيحا اللاذقي ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ـ دار المعرفة ـ بيروت.
- الطبقات الكبرى/محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ـ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ـ بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت.
- الكامل في التاريخ للشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد

الشيباني المعروف بابن الأثير ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ـ دار صادر ـ بيروت.

- فضائل الصحابة لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ـ حققه وخرج أحاديثه وصي الله بن محمد عباس ـ الطبعة، الأولى ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ـ صالح العساف ـ الطبعة الثانية ـ١٤٢١هـ ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض.
- معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ـ دار صادر ـ بيروت.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي – حققه وعلق عليه وقدم له محيي الدين متو ويوسف بديوي وأحمد السيد ومحمود بزال – دار ابن كثير ودار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي – الطبعة الثانية – ١٤١١هـ/١٩٩١م – دار صادر – بيروت.

تكـريم الدعـاة
وأثـره
في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

الدكتور: محمد هلال الصادق هلال
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
في جامعة الملك سعود

المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا بحمل لواء الدعوة إليه، نحمده – سبحانه – ونسأله أن يجعلنا من الدعاة المخلصين، الذين يقولون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيُقبَلون.

والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، ففتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين، أما بعد...

فإن الدعوة إلى الله – تعالى – شرف عظيم، يصطفي الله له خيرة خلقه من أولي النفوس التقية والهمم العلية، وقد قرر الحق – سبحانه – خيرية الأمة الإسلامية بما نيط بها من حمل لواء الدعوة إلى الله تعالى، قال – جل وعلا – : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(1).

فخيرية هذه الأمة مشروطة بأن تكون أمة دعوة إلى الله، والخير في هذه الأمة ممدود إلى يوم القيامة، والجهود المخلصة التي تستهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور تزداد يومًا بعد يوم بفضل الله، وسيبقى – بإذن الله تعالى – لواء الدعوة عاليًا خفاقًا تتفانى أنفس مؤمنة نفيسة وغالية في سبيل حمله إلى ربوع العالمين؛ إيقانًا بأن حمل هذا اللواء أنفس وأغلى، وأن الجزاء عند الله أوفى.

من أجل هذا رفع الإسلام قدر هؤلاء الدعاة، وكرمهم تكريما يتناسب مع سمو هدفهم ونبل غايتهم، ورَصَدَ لهم من الأجر العظيم ما

(1) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

يتناسب مع وعورة الطريق، فتكريم الإسلام للدعاة تكريمُ جدارة واستحقاق.

ولا شك أن لتكريم الدعاة في الإسلام أثرا كبيرا في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؛ إذ إنه من ناحية يمثل طاقة دافعة لهؤلاء الدعاة، تعينهم على مواصلة الطريق وتحمل مشقاته وعقباته، ومن ناحية أخرى يوحي إلى نفوس المدعوين بعظمة المهمة وروعة الرسالة ورفعة مكانة القائمين بتبليغها؛ الأمر الذي ينعكس احتراما للدعاة، ومن ثم الاستجابة للدعوة والخضوع لمرادها، خاصةً عندما يُتَرْجَم هذا التكريم واقعًا ملموسًا في حياة الدعاة إلى الله تعالى.

وغني عن البيان أن تجاهل دور الدعاة أو النيل منهم - بأي شكل من الأشكال في أي زمان أو مكان – ينذر بخطر محدق تبدو شواهده هجرًا للدعوة والدعاة، وضربا بأقوالهم عرض الحائط، ومن ثَمَّ انتشار الانحراف الفكري والسلوكي في كافة أنحاء المجتمع وقطاعاته، ومجتمع هذا شأنه سرعان ما تتفكك أوصاله، ويتقطع نسيجه، ويأوي إلى زاوية الظلام في ذاكرة التاريخ.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي جعلته بعنوان:

(تكريم الدعاة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى)

ويستهدف هذا البحث التذكير بتكريم الدعاة في الإسلام؛ تعميقًا لمكانتهم في النفوس، واستنهاضا للقائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام - وخاصة البقاع التي يتراجع فيها تكريم الدعاة – لإحداث التناسب بين هذا التكريم الإسلامي للدعاة وتكريمهم في الواقع المعاش ماديًّا ومعنويًّا؛ كي يتحقق الأثر المنشود في ميدان الدعوة بإذن الله تعالى.

وتأتي خطة هذا البحث على الوجه التالي:

- المقدمـــة.
- التمهيـد: التعريف بمصطلحات عنـوان البحث.
- المبحث الأول: تكريم الدعاة في الإسلام: أدلة ودلالات.
- المبحث الثاني: مؤهلات استحقاق الدعاة لتكريم الإسلام.
- المبحث الثالث: تكريم الدعاة بين التأصيل والتفعيل.
- المبحث الرابع: أثر تكريم الدعاة في الدعوة إلى الله تعالى.
- الخاتمـة: وتشتمل على أبرز نتائج البحث وأبرز التوصيات.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

<u>وبعـــد:</u>

فلست أزعم أني أنظر إلى بحثي هذا بعين الرضا التام، فالكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله، ولكن حسبي أني قد استفرغت فيه طاقتي، وبذلت فيه جهدي، فإن كنت قد أصبت فالفضل لله – تعالى – وحده، وإن كانت الأخرى فعذري أني قصدت الخير، وشفيعي قول الحق – جـل وعـلا – : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1].

والله أسأل أن يجعل هذا البحث نور هداية وإرشاد، وسبيل توفيق وسداد، ونبع خير وإسعاد، يعم ببركته العباد والبلاد... آمين.

---

(١) سورة النساء، من الآية رقم/ ٨٢.

التمهيد

التعريف بمصطلحات عنوان البحث:

إن تعريف المصطلحات التي يشتمل عليها عنوان البحث يعد الخطوة الأولى على طريق البحث الذي حُدِّدَ موضوعه وعنوانه، وقد اشتمل عنوان هذا البحث (تكريم الدعاة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى) على أربعة مصطلحات بارزة جديرة بإلقاء الضوء عليها؛ بيانًا لمفهومها، وتحديدًا لإطار الموضوع المُعَنْوَنِ بها، وهذه المصطلحات هي: (تكريم – الدعاة – الأثر - الدعوة)، وبيانها كما يلي:

❖ (تكريم):

مصدر للفعل الرباعي (كَرَّمَ)، يقال: كَرَّم فلانٌ فلانًا تكريمًا: أكرمه وأنزله المنزلة اللائقة به. والتكريم والإكرام بمعنى[1].

ومن خلال هذا التعريف اللغوي يمكن القول: إن التكريم يعني: وضع ما هو جيد ومؤثر وفعَّال في موضعه اللائق به؛ تقديرا لذاته - لقيمته وكفاءته وأثره الملموس – أو لمعنى فيه.

ولا شك أن حديثي عن تكريم الجدارة والاستحقاق، ومما لا يخفى أن التكريم قد يكون ماديا، وقد يكون معنويا، وغني عن البيان – كذلك - أن معنى التكريم ومغزاه، وما يجلبه من شرف وجاه، يفوق في نفوس أولي النهى كل ما هو مادي، أدناه وأعلاه، أرخصه وأغلاه.

---

(١) الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب، د/ محمد نبيل طريفي، ٥/ ٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

❖ (الدعاة):

(الداعي) في اللغة: اسم فاعل من الفعل (دعا)، يقال: دعا يدعو فهو داعٍ، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة، فيقال عمن عرف بالدعوة: (داعية)[1].

وأما في الاصطلاح فقد عرف الداعي بتعريفات كثيرة متغايرة في اللفظ متقاربة في المعنى، ومن تلك التعريفات ما يلي:

❖ الداعي هو: (المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه)[2]"فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل"[3].

❖ الداعي هو: (المبلغ للدعوة، الحامل لأمانتها، الحريص على نجاحها)[4].

❖ الداعي هو: (القائم بالدعوة، والمباشر لأدائها، والمزاول لمهامها، سواء كان متطوعا أو رسميا، فردا كان أو جماعة)[5].

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل بن منظور الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١ هـ) تحقيق/ عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ٢/ ١٣٨٥، دار المعارف، القاهرة، (بدون).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ص ٤٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ص ٤٠.

(٤) يسألونك في الدين والحياة، د/ أحمد الشرباصي، ٦/ ٦٣٥، دار الجيل، بيروت، ط الثانية ١٩٨٠ م.

(٥) المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم، د/ عبد الله بن محمد المجلي، ص ٢٥٠، بحث علمي محكم ومنشور بالعدد الأول من مجلة الدراسات الدعوية بجامعة الإمام/ محمد بن سعود الإسلامية، محرم ١٤٢٩ هـ

وغني عن البيان أنه لا قيام للدعوة بدون داعية يؤمن بها، ويتحمل أمانتها ومسؤولية تبليغها، راجيا عموم بركتها وانتشار خيرها. وعند ذكر بركة الدعوة وخيرها تتبادر الأذهان إلى دعوة الإسلام.

❖ (الأثر):

بالنظر في معاجم اللغة العربية يتضح أن لكلمة (الأثر) عدة معانٍ، منها:

١- النتيجة: وهي الحاصل من الشيء.

٢- ما يترتب على الشيء، وهو المسمى عند الفقهاء بالحكم.

٣- العلامة، وهي السمة الدالة على الشيء.

٤- بقية الشيء: وفي المثل: (لا تطلب أثرًا بعد عين) يضرب لمن يطلب أثر الشيء بعد فوت عينه.

٥- الخبر المروي والسنة الباقية.

٦- ما خلفه السابقون.

وجمع (أثر): (آثار)، وهي اللوازم المعللة بالشيء.

وقد يطلق الأثر على الشيء المتحقق بالفعل باعتباره حادثًا عن غيره، وهو بمعنى ما مرادف للمعلول أو للمسبَّب عن الشيء[1].

والمعنيان: (الأول والثاني) هما المرادان في هذا المقام، فكما أن تكريم الدعاة إلى الله - تعالى - يُعَدُّ - في حد ذاته - أثرًا أو نتيجة مترتبة على عوامل متنوعة، كذلك يُعَدُّ - من ناحية أخرى - سبيلا يصل الدعاة من خلاله إلى أثر محمود، وهو تحوُّل المجتمع بالدعوة

---

(١) راجع مادة (أثر) في: لسان العرب، ١/ ٢٥؛ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ٥.

إلى الله – تعالى – إلى أفضل حال، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

❖ (الدعوة):

الدعوة في اللغة: مصدر للفعل الثلاثي (دَعَا)، يقال: دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً فهو داعٍ وداعية (أدخلت الهاء فيه للمبالغة)، والجمع: دُعَاةُ ودَاعُون، مثل: قاض وقضاة وقاضون.

وبالنظر في المعاجم اللغوية يتضح أن لكلمة (الدعوة) عدة معان، منها:

- النداء والطلب، يقال: (دَعَا الرَّجُلَ): ناداه وطلب إقباله.
- الحث على قصد الشيء، يقال: (دعاه إلى القتال): حثه عليه، و (دعاه إلى الدين): حثه على اعتقاده[1].

وكل دعوة إلى دين أو مبدأ أو فكرة تحتاج من الداعي أن يتوجه إلى المدعو بالنداء طالبًا منه الإقبال على اعتناق ما يدعو إليه حاثًا إياه على الاستجابة والتلبية.

وقد اكتفيت بهذين المعنيين لكونهما أقرب المعاني اللغوية صلة بالمعنى الاصطلاحي للدعوة كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2]، وكل داعٍ

(١) لسان العرب، ٢/ ١٣٨٥ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة، من الآية رقم/ ٢٢١.

يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه من خير أو شر، والاصطلاح أو المقام هو الذي يحدد المقصود من الدعوة.

الدعوة في الاصطلاح: لقد تعددت تعريفات الدعوة في الاصطلاح تبعًا لتعدد رؤى الباحثين، وكل ما ورد من تعريفات للدعوة لا تخرج عن أحد مفهومي الدعوة: الدعوة بمعنى (الدين)، والدعوة بمعنى (البلاغ)، والعلاقة وثيقة بين المعنيين، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والتلازم بينهما هو التلازم الذي بين الرسالة والرسول، فلا رسول بدون رسالة، والرسالة لا تصل ولا تثمر ثمارها بدون رسول صنعه الله على عينه واجتباه واصطفاه لتبليغ رسالة الحق إلى الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وقد وردت تعريفات كثيرة للدعوة بمعنى (الدين)، ومن هذه التعريفات أنها "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس؛ ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"[1]، ولعل القارئ الكريم يلاحظ أن هذا التعريف يصلح تعريفًا للدين الإسلامي.

وكذلك وردت تعريفات كثيرة للدعوة تركز على الجانب التبليغي تطبيقًا، كما وردت تعريفات أخرى تركز على الجانب التبليغي عِلْمًا.

---

(١) مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ١٢، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

فمن التعريفات التي ركزت على الجانب التبليغي التطبيقي للدعوة أنها "حثُّ الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(١).

ومن التعريفات التي ركزت على جانب التبليغ كَعِلْمٍ أنها "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"(٢).

ومن خلال التعريفات السالف ذكرها أستطيع أن أعرف الدعوة إلى الله – تعالى – بأنها (بذل كافة الجهود النظرية والتطبيقية الرامية إلى تبليغ الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى صراط الله العزيز الحميد) كما قال – سبحانه وتعالى – في مطلع سورة إبراهيم: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾(٣).

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ/ علي محفوظ، ص ١٧، دار الاعتصام، القاهرة، ط الخامسة ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد أحمد غلوش، ص ١٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١.

المبحث الأول: تكريم الدعاة في الإسلام: أدلة ودلالات

إن ميدان الدعوة إلى الله - تعالى - يضم بين جنباته دعاة اللسان، ودعاة البنان، ودعاة السلوك بالجوارح والأركان، ويدور هذا المبحث حول بيان تكريم الإسلام للدعاة الذين حملوا أمانة الدعوة في قلوبهم، وترجموها في واقع حياتهم، وجعلوا هداية الناس من أسمى غاياتهم، ويتجلى ذلك من خلال ما يلي:

أولا: أدلة تكريم الدعاة في الإسلام:

لقد تضافرت الأدلة - قرآنًا وسنة - على مدح أهل الدعوة إلى الله تعالى – وبيان فضلهم ومكانتهم، وأن الدعوة إلى- الله تعالى - تأتي في عداد – بل في مقدمة – المؤهلات الإيمانية التي تؤهل أربابها إلى ما يلي:

١- الخيرية على المستوى الفردي والجماعي:

قال – سبحانه - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

وقال النبي- ﷺ- مادحًا أهل الدعوة إلى الله – تعالى - : (خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم)[٢].

هذا بالنسبة للخيرية التي تحققها الدعوة إلى الله - تعالى – على المستوى الفردي، وأما بالنسبة للخيرية التي تحققها الدعوة إلى الله – تعالى – على المستوى الجماعي فقد جعل الحق – سبحانه –

---

(١) سورة فصلت، الآية رقم/ ٣٣.

(٢) أخرجه الإمام/ أحمد في المسند عن درة بنت أبي لهب برقم (٢٧٣٠٧) (١٨/ ٥٤٦)، وقال المحقق أ/ حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

الـدعوة إلى صـراطه المستقيم ومنهجـه القـويم أساسًـا لخيريـة الأمـة الإسلامية، وصفة ملازمة لها، وفي هذا يقول – جل وعلا – : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

٢- نيل عظيم الثواب:

وفـي هـذا يقـول الـنبي- ﷺ- : (مـن دعـا إلى هـدى كـان لـه مـن الأجر مثل أجور مـن تبعـه لا ينقص ذلـك مـن أجورهم شـيئا، ومـن دعـا إلى ضلاله كـان عليه من الإثم مثـل آثـام مـن تبعـه لا ينقص ذلـك مـن آثامهم شيئا)[٢].

ويقول - ﷺ- لسيدنا علي بن أبى طالب – ﷺ – : (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[٣].

٣- النجاة من عموم العقاب:

عنـدما يقـوم الـدعاة إلى الله – تعـالى – بـواجبهم في مجتمـع يـرفض الاسـتجابة والامتثـال، ويـصر علـى مبـارزة الله بالمعاصـي فـإنهم بـذلك يقدمون المعذرة إلى الله وبناءً عليه تكون النتيجة نجاة الـدعاة الآمـرين بالمعروف والناهين عن المنكر من عقاب الله إذا مـا نـزل بمـن أعرضـوا عن دعوة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية رقم/ ١١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – ﷺ – في كتاب (العلم) باب (من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) حديث رقم (٢٦٧٤) (بشرح النووي ١٦/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن سهل بن سعد – ﷺ– في كتاب (الفضائل) باب (فضائل علي بن أبي طالب ﷺ) حديث رقم (٢٤٠٦) (بشرح النووي ١٥/ ١٧٨)، وحمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه.

ويدل على هذا قول الله – سبحانه - : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[(1)].

٤- رحمة الرحمن الرحيم والفوز العظيم بجنات النعيم:

قال – سبحانه - : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(2)].

وقال – جل شأنه - : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(3)].

---

(١) سورة الأعراف، الآيات رقم/ ١٦٣ – ١٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآيتان رقم/ ٧١، ٧٢.

(٣) سورة التوبة، الآيتان رقم/ ١١١، ١١٢.

٥- الفلاح في الدنيا والآخرة:

وهي الثمرة الكبرى الشاملة لما سبقها، وفي هذا يقول الحق – سبحانه - : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١)، واللام في (ولتكن) للأمر، والأمر للوجوب، والفلاح هنا فلاح مطلق يشمل فلاح الدنيا والآخرة.

وبذلك يتضح تكريم الإسلام للدعاة الذين يسلكون مسلك الأنبياء والمرسلين، وينالون من الله الأجر العظيم وخير الدنيا والآخرة.

ثانيا: دلالات تكريم الدعاة في الإسلام:

بشيء من التأمل في الأدلة السالف ذكرها، والتي تضافرت لبيان تكريم الإسلام للدعاة إلى الله، تُستَخْلَص دلالات كثيرة جليلة الأثر في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، ومن تلك الدلالات ما يلي:

١- الدعاة إلى الله – تعالى – هم أحسن الناس وخير الناس بشهادة رب العالمين وشهادة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وشرف الدعاة مستمد من شرف الرسالة التي يحملون أمانة تبليغها، وانتسابهم إلى طريق الأنبياء والمرسلين"فالرسل بعثوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ودعاة الحق كذلك يقومون بالدعوة وينشطون لها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور"(٢).

٢- أجر الدعاة إلى الله - تعالى – أجر عظيم، ممتد ومتجدد باستمرار الأثر الطيب للدعوة في حياة الناس إلى أن يأذن الله – سبحانه – بانتهاء الحياة، وفى هذا تحفيز للهمم كي تبذل أقصى ما في وسعها في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم/ ١٠٤.

(٢) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، لسماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمه الله- ، ص ٤٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط الرابعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣- عموم التكريم لكل من انخرط بصدق في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، يقول الإمام / ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قول الله – سبحانه - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]:"وهذه الآية عامة في كل من دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد"[2].

٤- خيرية الأمة الإسلامية مرتبطة بكونها أمة دعوة، يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسير قول الله – سبحانه - : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3]:"في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإن تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببًا لهلاكهم"[4].

فالأمة الإسلامية تتحقق خيريتها بمجموعها إذا ما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منتشرًا بين أفرادها.

٥- تكريم الدعاة في الإسلام مرصود لمن سلك طريق الدعوة متجردا مخلصا النية لله رب العالمين، وليس مرهونا بتحقق الهداية في حياة الناس؛ انطلاقا من كون الله – سبحانه - يحاسب على الأخذ

---

(١) سورة فصلت، الآية رقم/ ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ/ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، ٤/ ١٠٠، مكتبة مصر، القاهرة (بدون).

(٣) سورة آل عمران، من الآية رقم/ ١١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ٤/ ١١١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الخامسة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

بالأسباب فحسب، إذ إنه ليس من الضروري أن تأتي الأسباب بالنتائج المتوقعة، فالعباد يأخذون بالأسباب والنتائج على الله جل وعلا.

٦- ترك الدعوة إلى الله - تعالى - مجلبة للذم والغضب والعقاب، وقد كان ترك الدعوة إلى الله - تعالى - أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر سببًا من أسباب استحقاق بني إسرائيل اللعنة من رب العالمين، لما يعقب هذا الترك من انتشار الفساد الاجتماعي واضطراب أحوال البلاد والعباد، قال - سبحانه - : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(١)، وهذا الذم الذي لحق بني إسرائيل يلحق كل من فعل فعلهم إلى قيام الساعة.

وما أكثر الأحاديث والآثار الواردة في الترهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنها:

❖ عن عبد الله بن عباس - ﷺ - عن النبي - ﷺ - أنه قال: (ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)(٢).

❖ وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت - : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآيات رقم/ ٧٨ - ٨١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٣٢٩) (٣/ ٦٥) وقال المحقق أ/ أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب (الفتن) باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) حديث رقم (٤٠٠٤) (٢/ ٤٩٧) وقد انفرد به ابن ماجة عن الكتب التسعة.

❖ وعن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1]، وإنا سمعنا النبي - ﷺ - يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)[2].

❖ وعن حذيفة بن اليمان عن النبي - ﷺ - قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[3].

ومن خلال هذه الأدلة وغيرها يتضح أن ترك الدعوة إلى الله - أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر - أمر جد خطير، وخيمة عواقبه على الفرد والمجتمع: فالفرد لا يجد مجتمعا فاضلا يقف له بالمرصاد، منعا له من الانحراف، وتقويما لما اعوج من سلوكه، وبيانا للطريق المستقيم، وأخذا بيده إلى هذا الطريق، وبالتالي تكثر خطى الفرد وتسرع في طريق الغواية والانحراف.

---

(١) سورة المائدة، من الآية رقم/ ١٠٥.

(٢) أخرجه أبو داود بلفظه في سننه في كتاب (الملاحم) باب (في الأمر والنهي) حديث رقم(٤٣٣٨) (٥/ ٥٦)؛ وكذا أخرجه الترمذي في سننه في كتاب (الفتن) باب (ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر) حديث رقم (٢١٦٨) (٤/ ٤٠٦) وقال: حديث صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب (الفتن) باب (ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) حديث رقم (٢١٦٩) (٤/ ٤٠٦) وقال: حديث حسن.

والمجتمع الذي يتكون من مجموعة أفراد إذا ما ضعفت لبناته ونخر سوس الانحراف أعمدته وركائزه فسرعان ما تتفكك أوصاله، ويتقطع نسيجه ويأوي إلى زاوية الظلام في ذاكرة التاريخ.

وليس هناك أخطر ترهيبا ولا أكثر ترويعا من عدم استجابة الدعاء أو عموم العقاب وشموله للعاصين بمعصيتهم وللطائعين بسكوتهم مع قدرتهم على الإنكار أو محاولة التغيير بما تيسر لهم من قدرة، ومن هنا جاء التحذير الإلهي: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1].

ولا يعدم إنسان أن يكون قادرا على إنكار المنكر بحسب حاله: باليد أو باللسان أو بالقلب، كما بين ذلك سيدنا رسول الله- ﷺ - في حديثه الشريف حيث قال: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[2].

وإذا كان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذموما هذا الذم، ومعاقبا عليه بهذا العقاب الشديد فما بال الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ؟ أولئك هم الموصومون بالنفاق والفسق وبإتباع خطوات الشيطان، وما أسوأ المصير، وفى ذلك يقول الحق – جل وعلا - : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ

---

(١) سورة الأنفال، الآية رقم/ ٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري – ﷺ – في كتاب (الإيمان) باب (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان) حديث رقم (٤٩) (بشرح النووي ٢/ ٢٢).

ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾(١).

ويقول – جل جلاله – : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢).

ويقول - ﷺ - : (ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)(٣).

٧- لم تترك الدعوة الإسلامية أمر تبليغها وتحقيق عالميتها للانتفاع بخيرها رهنا بهمة أتباعها، بل أصَّلت لذلك التبليغ حكما تشريعيا، هو أن تبليغ الدعوة الإسلامية واجب على كل مسلم ومسلمة، كل بقدر استطاعته، ممدوحٌ فاعله ومكرَّم ومثاب، مذمومٌ تاركه ومعرَّض للعقاب، وهذا أمر ثابت بنص الكتاب والسنة، كما سبق بيانه.

٨- تكريم الدعاة في الإسلام يهيب بكل من ينخرط في ميدان الدعوة إلى الله – تعالى – أن يحترم دعوته، وأن يترفع عن كل ما يؤثر على طهارة الدعوة ونقائها وجليل أثرها.

٩- تكريم الدعاة في الإسلام يهيب بأولي الأمر في بلاد المسلمين أن يعنوا بالدعوة والدعاة: ماديا ومعنويا.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان رقم/ ٦٧، ٦٨.

(٢) سورة النور، من الآية رقم/ ٢١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – ﷺ – في كتاب (العلم) باب (من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) حديث رقم (٢٦٧٤) (بشرح النووي ١٦/ ٢٢٧).

المبحث الثاني: مؤهلات استحقاق الدعاة لتكريم الإسلام

إن تكريم الإسلام للدعاة لا يشمل الأدعياء، وإنما يحظى به من تتوافر فيه مجموعة من المؤهلات تؤهّله لاستحقاق ذلك التكريم الإسلامي، وفيما يلي بيان لأبرز تلك المؤهلات:

أولا: الداعية منارة هداية بحاله ومقاله:

فقد تحقق في شخصه الاهتداء والانتفاع بنور الدعوة، فأصبح قدوة حسنة يؤثر بحاله قبل مقاله، والله – عز وجل – يقول: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾[1]، ويقول – سبحانه – : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[2]، وعلى وجه العموم فإن الاهتداء الشخصي والثبات عليه من مؤهلات استحقاق التكريم، فضلا عن حب الاهتداء للآخرين والعمل الجاد لتحقيقه في واقع حياتهم.

ثانيا: الداعية طراز فريد من البشر:

إن الداعية يفوق سائر الناس بعلو همته وسمو غايته ودقة خطته وحكمة مسيرته، وإخلاص السريرة وحسن السيرة... إلخ، "فالدعوة إلى الله – تعالى – أمانة ودراية، وعلم وفن، ولذلك كان القيام بالدعوة على وجهها مع التزام أصولها وآدابها غير متيسر لكل من هب ودب، فإنه واجب ثقيل جليل نبيل، ويحتاج إلى الأخيار من الرجال والأبرار من الأبطال، المتدرعين بالحكمة، المتذرعين بالصبر،

---

(١) سورة مريم، من الآية رقم/ ٧٦.

(٢) سورة محمد، الآية رقم/ ١٧.

المتضلعين من المعرفة واليقين ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(١)] [(٢)].

ولا يستطيع الداعية أن ينجح في ميدان الدعوة إلى الله – تعالى – إلا إذا توافرت فيه عدة مقومات تجعله قادرا على خوض ميدان الدعوة متفاعلا مع كافة فئات المدعوين محققا للأثر المنشود بإذن الله تعالى، ومن تلك المقومات ما يلي:

١- التزام القول الحسن، فالكلمة الطيبة حسنة راجحة في ميزان الإسلام، والداعي إلى الله ينبغي أن يكون كلامه أحسن قول مستطاع في طاقة البشر، بحيث لا يكون هناك من هو أحسن كلاما من الداعية إلى الله تعالى.

٢- الجمع بين القول الحسن وبين العمل النقي الطيب.

٣- الإخلاص في القول والعمل، وفي قول الحق – سبحانه – : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(٣)]، يقول العلامة شيخ الإسلام / محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – :"فيه التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه"[(٤)]، "فالذي يدعو إلى الله هو الذي لا يريد إلا أن يقوم دين الله، والذي يدعو إلى نفسه هو الذي

(١) سورة يوسف، الآية رقم/ ١٠٨.

(٢) الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية، د/ أحمد الشرباصي، ١/ ٦٩، ٧٠، دار الجيل، بيروت، (بدون)، من خطبة بعنوان (الدعوة إلى الله).

(٣) سورة يوسف، الآية رقم/ ١٠٨.

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ –رحمه الله– ، ص ٩٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط السادسة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

يريد أن يكون قوله هو المقبول، حقا كان أم باطلا"[1]، "الداعية إلى الله لا يريد من الناس أن يردوا إليه جزاء على دعوته، وإنما يريد الأجر من الله، كما قال – سبحانه - : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[2]، والداعية إلى الله لا يريد الرفعة والعلو في الأرض، وإنما يريد المصلحة للناس ومنفعة الناس ويريد إخراجهم من الظلمات إلى النور. هذا الذي يريده الداعية الناجح. أما الذي بعكس ذلك يريد مظهرا أو يريد ثناءً من الناس فهذا لا شك أنه يرجع من أول الطريق عندما يقابل أول عقبة، أما الذي يدعوا إلى الله فإنه لا ينثني، بل يستمر في دعوته"[3].

٤- الاعتزاز بالعقيدة، وإعلان كلمتها، وتأكيد الثبات عليها، والافتخار بالانتساب إليها والتحدث عنها بلا ريب أو تردد.

٥- القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الصواب والخطأ، وتمجيد الشيء الحسن والميل إليه بالقلب والحس، وتقبيح الأمر السيء والبعد عنه، فهناك أولا فرق واضح بين الحسنة والسيئة، وكذلك هناك بين الحسنة والحسنة تفاوت ودرجات، فهناك حسنة خير من حسنة أو أعلى منها، وكذلك يوجد بين السيئة والسيئة تفاوت ودرجات، فهناك سيئة هينة أو

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله- ، ١/ ١٣٩، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الثانية ١٤٢٤ هـ.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم/ ٩٠.

(٣) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ٣/ ٢٥٧ بتصرف، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

محتملة، وهناك سيئة ثقيلة أو وبيلة، وهكذا. ومعرفة الفروق بين الحسنات والسيئات، أو بين الحسنات والحسنات، أو بين السيئات والسيئات تحتاج إلى علم وبصيرة وحكمة.

٦- العمل على كسب الأصدقاء والأولياء باسم الله تبارك وتعالى، وباسم الدعوة إلى دين الله عز وجل، وتحويل الأعداء إلى أنصار وأحباب على أساس من الإيمان واليقين ببراعة وذكاء، ويتحقق هذا بمقابلة السيئة بالحسنة، ودفع السوء بالعمل الصالح الطيب، ومقاومة الشر بعوامل الخير، وإزالة الخبث بطهور الإيمان، فالداعية مطالب بأن يلزم التي هي أحسن، أي أحسن الخصال، وأحسن الأحوال، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال، والمقابلة بالتي هي أحسن إنما تكون عند الإساءة التي تقبل الاحتمال أو الإغفال، ولكن إذا كانت الإساءة موجهة إلى العقيدة أو الأمة، أو أخذت صورة البغي والطغيان، فهناك تكون الحسنة نعم الحسنة هي التأديب والردع، ولذلك قال الله – عز وجل – : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[١]، وقال – سبحانه – : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[٢].

٧- توطين النفس على تحمل تبعات الدعوة إلى الله تعالى، وتحمل تلك التبعات يحتاج إلى عزيمة راسخة وإرادة ثابتة وصبر جميل.

٨- عدم الاستجابة لهواتف التردد أو الشك، والبعد عن وسوسة الشيطان أو الاستجابة له في شيء، والاعتصام بحبل الله القوي المتين أمام إغراء الشيطان ومخادعته والتحصن بقوة الله العلي الكبير.

---

(١) سورة الشورى، الآية رقم/ ٣٩.

(٢) سورة الشورى، الآية رقم/ ٤١.

٩- اليقين بأن الله – جل جلاله – هو المراقب المشاهد، وهو المثيب المجازي؛ لأنه يسمع كل شيء، ويعلم كل أمر، وهو لا يضيع أجر العاملين، فما على الداعية إلا أن يبذل جهده في الدعوة إلى الله، وأجره على الله، استجاب الناس أم لا.

هذه المقومات السابق ذكرها مستخلصة من قول الله - عز وجل - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[(١)] [(٢)].

١٠- مواكبة الداعية لأحداث عصره، وهو أمر غاية في الأهمية؛ ليجعل الداعية المدعوين معايشين لواقع أمتهم بهدي الإسلام، وليرتبط الداعية مع المدعوين برباط الأحداث؛ حرصا على وصل الدين بالمجتمع، فالدين يجب أن يكون للحياة، وأن يكون مؤثرا وموجها للأحياء، وبغير ذلك يكون الداعية في وادٍ والمدعو في واد آخر.

ومن توافرت في دعوته تلك المقومات السالف ذكرها فتح الله لدعوته العقول والقلوب، ويكون بذلك قد كَرَّم نفسه ودعوته فاستحق بذلك تكريم الإسلام، ومن لا يكرِّم نفسَه لا يُكَرَّم.

---

(١) سورة فصلت، الآيات رقم/ ٣٣- ٣٦.

(٢) لمزيد بيان حول تلك المقومات راجع: الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية، ١/ ٦٩- ٧٣ في خطبة بعنوان (الدعوة إلى الله)؛ محاضرات في العقيدة والدعوة، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ٣/ ٢٥٣ - ٢٦٨.

ثالثا: الداعية صاحب رسالة لا وظيفة:

إن الداعية – في الأصل – صاحب رسالة لا صاحب وظيفة، ورسالته امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين، ومن الأهمية بمكان استصحاب الداعية لهذا الأصل؛ كي يبذل وسعه في سبيل الدعوة، ويتفنن في الوسائل والأساليب التي يصل بها إلى مأربه الدعوي، ويتحمل العنت والأذى وكل ما يصيبه في طريق الدعوة المليء بالعقبات والتحديات، ويتقبل كل الطوارئ التي تواجهه بطيب نفس واستعداد لبذل المزيد والمزيد وتقديم التضحيات.

وعندما تتحول الدعوة إلى مجرد وظيفة تتراجع الدعوة إلى الوراء، ويفقد الناس هداية نورها.

وإذا تقرَّرَ أن الداعية صاحب رسالة لا صاحب وظيفة، فلنا أن نتساءل: ما هي رسالة الداعية ؟

١- رسالة الداعية دعوة الناس إلى دين الله في إطارٍ من ترتيب الأولويات، "فيبدأ أولا بإصلاح العقيدة؛ لأنها هي الأساس الذي تبنى عليه سائر الأعمال، ومن هنا كانت دعوات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أول ما تتجه إلى إصلاح العقيدة بالدعوة إلى التوحيد وترك الشرك، قال – تعالى – : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١)، وهكذا كانت دعوة نبينا محمد ﷺ، فقد لبث ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بصلاة أو زكاة أو صيام أو حج، مما يدل على أن منهج الأنبياء – عليهم الصلاة

---

(١) سورة النحل، من الآية رقم/ ٣٦.

والسلام – في الدعوة منهج واحد، وهو البداءة بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك ثم إلى بقية الأحكام، وحتى لو كان المجتمع مسلما فإنه لا يخلو من وجود أنواع من الشرك في بعض الناس وبعض البلاد بسبب انتشار الجهل وبسبب انتشار المشعوذين والدجالين الذين يحاولون إفساد عقائد الناس"(١).

٢- "رسالة الداعية غوص إلى الأعماق، وتقويم للأخلاق، ومهاجمة للبدع والخرافات، وحكم في المشكلات"(٢).

٣- "اليقظة والانتباه؛ لتتبع الشبهات والأباطيل، والكر على الطعون الدينية والافتراءات الإلحادية بما يقضي عليها القضاء المبرم، وهذا يستلزم من الداعية مواصلة البحث، ومداومة الدرس، والعكوف على المصادر والمراجع والكتب، فيتسع أفقه الثقافي، ويتضاعف محصوله العلمي، فيكون خير مثال لرجل الدين اليقظ الغيور"(٣).

٤- تحقيق عالمية الدعوة، ونشر نورها في ربوع العالمين، ولن تتحقق العالمية للدعوة الإسلامية إلا إذا قامت الأمة الإسلامية متمثلة في الهيئات الدينية والمؤسسات الدعوية بإعداد دعاة قادرين على خوض ميدان الدعوة عالميا، خاصة الإعداد اللغوي الذي يتناسب مع المدعوين؛ ليتحقق البيان، وتقوم الحجة على بني الإنسان. وهذا ما أوصى به المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، والذي عقد بالمدينة المنورة (٢٤ ـ ٢٩ / ٢ / ١٣٩٧ هـ ـ ١٢ ـ ١٧ / ٢ / ١٩٧٧ م)،

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ١/ ١٢٦، ١٢٧.

(٢) انظر: الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية، د/ الشرباصي، ٢/٣٩٨، ٣٩٩ بتصرف، من خطبة بعنوان (يوم الانتخاب).

(٣) يسألونك في الدين والحياة، د/ الشرباصي، ٢/ ٦٠٩.

حيث أوصى بضرورة "دراسة اللغات الأجنبية حتى يستطيع الدعاة تبليغ رسالة الله بكل لسان تحقيقًا لعالمية الرسالة"(١).

وغني عن البيان أن النبي ـ ﷺ ـ حث أصحابه على تعلم اللسان غير العربي خدمة لدعوة الإسلام، ومن ذلك ما ورد أن النبي ـ ﷺ ـ قال لسيدنا زيد بن ثابت ـ ﷺ ـ: "(يا زيد، تعلم لي كتابة اليهود، فإني لا آمنهم على ما أقول) فقال: لبيك يا رسول الله، وأكب من توه على (العبرية) حتى حذقها في وقت يسير، وجعل يكتبها لرسول الله ـ ﷺ ـ إذا أراد أن يكتب لليهود، ويقرؤها له إذا هم كتبوا إليه.

ثم تعلم (السريانية) بأمر منه، عليه الصلاة والسلام، كما تعلم (العبرية)، فأصبح الفتى زيد بن ثابت ترجمان رسول الله ﷺ"(٢).

وقد "بعث ـ ﷺ ـ ستة رجال من أصحابه في يوم واحد ليتفرقوا إلى الملوك الذين أرسلهم النبي ـ ﷺ ـ إليهم، وكان كل واحد منهم يتقن لغة القوم الذين بعثه إليهم"(٣)، بل إن النبي – ﷺ – تعلم كثيرا من الكلمات غير العربية ونطق بها(٤).

"لقد كان رسول الله – ﷺ – يخاطب كل قبيلة بلغتها أو لهجتها أو أسلوبها؛ ليبلغ إليهم ما نزل عليه من ربه، ولو فرضنا أن جاءه أفواج

---

(١) دعاة لا بغاة، د/ علي جريشة، ص ١٧٦، دار البشير، طنطا، ط الثالثة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) صور من حياة الصحابة، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، ص٣٦٤، ٣٦٥، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) انظر: فقه السيرة، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٢٦٨ بتصرف، دار الفكر، ط السابعة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

(٤) راجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ/ ابن حجر العسقلاني، كتاب الجهاد، باب (من تكلم بالفارسية والرطانة، وقوله تعالى: "واختلاف ألسنتكم وألوانكم"، "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه...").

مـن الأجانـب الـذين لا يعرفـون إلا لغـات غـير عربيـة لـتلمّس الرسـول لإفهـامهم ديـن ربهـم بالطريقـة الـتي يـستطيعونها، بنفـسه أو بأحـد أصحابه.

هـذا وإن أجـدر النـاس بـتعلم هـذه اللغـات هـم رجـال الـدين ودعـاة الإسـلام؛ ليبلغوا الدين إلى الشعوب المختلفة، وليقرؤوا الطعون الموجهة إلى الإسـلام في اللغـات الأخـرى ويفنـدوها، ولينقلـوا إلى العربيـة مـن مؤلفـات الغـرب الروحيـة مـا يستخلـصون منـه الـدلائل علـى مـا يـدعون إليه، وإن كان نور الله في ذاته لا يحتاج عنـد العقـل الـسليم إلى دليـل، فهو أسطع من النهار وأوضح من الشمس"[1].

ولـدينا في بلادنـا الإسـلامية كليـات وأقـسام للغـات والترجمـة، بالإمكـان أن يُعَدَّ الدارسون فيهـا للـدعوة إلى الله - تعـالى - في الإطـار العـالمي.

وإنـي أهيـب بكـل المؤسـسات الـدعوية الإسـلامية أن تعمـل جاهـدة علـى إنـشاء مؤسـسة دعويـة تتخـصص في إعـداد دعـاة للنطـاق العـالمي، يتخرجـون مـن هـذه المؤسـسة مـزودين بكـافـة المـؤهلات الـتي تجعلـهم سفراء للإسـلام ودعـاة إليه في كافة أرجاء الأرض.

---

(١) انظر: يسألونك في الدين والحياة، د/ الشرباصي، ٢/ ٦١٦ بتصرف.

المبحث الثالث: تكريم الدعاة في الإسلام بين التأصيل والتفعيل

كلمة (التأصيل): مصدر للفعل الرباعي (أَصَّلَ)، يقال: أَصَّلَ الشيءَ تأصيلاً: جعل له أصلاً ثابتًا يُبْنَى عليه، وأَصْلُ الشيء: أساسه الذي يقوم عليه[1].

وأقصد بالتأصيل هنا: توضيح الأصول الدلالية والاستحقاقية لتكريم الدعاة في الإسلام.

وكلمة (التفعيل): مصدر للفعل الرباعي (فَعَّلَ)، يقال: فَعَّلَ الشيءَ تفعيلاً: أي أخرجه من الإطار النظري إلى نطاق الفعل وحيز التطبيق.

وأقصد بالتفعيل هنا: توضيح مكانة الدعاة في أرض الواقع، وبيان مدى التناسب بينها وبين التكريم الإسلامي للدعاة.

أما عن الجانب التأصيلي فقد سبق بيانه في المبحث الأول الذي جاء بعنوان (تكريم الدعاة في الإسلام: أدلة ودلالات)، وكذا في المبحث الثاني الذي جاء بعنوان (مؤهلات استحقاق الدعاة لتكريم الإسلام).

وأما عن الجانب التفعيلي فهناك بعض الأخطار التي تنال من مكانة الدعاة إلى الله تعالى في بقاع متباينة؛ الأمر الذي يستدعي وقفة جادة لدرء تلك الأخطار؛ تفاديًا لما قد يترتب عليها من مشكلات وتداعيات تؤثر على المجتمع في كافة القطاعات.

---

(١) المعجم الوجيز، ص ١٩.

وفيما يلي توصيف لتلك المشكلة واقتراحات لحلها:

أولاً: أخطار تهدد مكانة الدعاة إلى الله تعالى:

لا نستطيع أن ننكر مكانة الدعاة إلى الله - احتراما وتقديرا – في قلوب الناس؛ إذ إنهم يمثلون عنصر التوجيه والإرشاد في حياة العباد، ولكن - وللأسف الشديد – هناك بعض الأخطار التي تهدد مكانة الدعاة إلى الله تعالى، ومن تلك الأخطار ما يلي:

١- ابتلاء ميدان الدعوة بعناصر غير مؤهّلة لهذا الميدان علميًّا، أو خلقيًّا أو سلوكيًّا، أو منهجيًّا، فينفر الناس عنهم، وبالتالي تسقط مكانتهم، بل تسقط مكانة الدعوة ذاتها لدى الذين لا يفرقون بين الدعوة والدعاة، ويحكمون على الدعوة من خلال الدعاة !!

وهذا الأمر يلقي على كاهل ذوي السلطة وأرباب الاختصاص أن يبذلوا جهودهم في إعداد الدعاة إلى الله – تعالى – وأن يدققوا في اختيارهم - إعزازًا لدين الله تعالى – على أساس المستوى العلمي والخلقي والسلوكي كما يدققون في اختيارهم على المستوى الأمني، إذ خطر فاقدي مؤهلات الدعوة على أمن المجتمع خطر عظيم.

كما يلقي مسؤولية خاصة على كاهل الأفراد الذين دخلوا ميدان الدعوة إلى الله – تعالى – عن غير رغبة فيه أو استعداد لتحمل صعابه ومشقاته، عليهم أن يتركوا أماكنهم لغيرهم من المؤهلين لهذا المقام حتى لا يكونوا وبالاً على الدعوة وسببا في ضياع مكانة الدعاة إلى الله.

والنجاح يقتضي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وكل إنسان له عمله المناسب الذي تؤهله له قدراته وملكاته.

٢- ضعف الدخل المادي للدعاة إلى الله – تعالى – في بعض البلاد الإسلامية، وإزاء هذا ترى الكثيرين منهم يمتهنون مهنة إضافية بجوار عملهم، وقد تكون هذه المهنة الإضافية غير مناسبة لمقامهم كدعاة وخطباء وأئمة للناس فتؤثر على مكانتهم، وقد تكون مناسبة، وعلى كل حال فإن ذلك يؤثر – بلا شك – على رسالتهم الدعوية ومواكبتهم لقضايا العصر ومتابعتهم لمستجدات الأحداث، فضلاً عما يسببه ضعف الدخل المادي من عدم قدرة الداعية على تكوين مكتبة خاصة تفيده في مجال الدعوة، وعدم مشاركته في المناسبات الاجتماعية المختلفة التي تتطلب البذل والإنفاق فتحدث فجوة بينه وبين الناس تتحول هذه الفجوة إلى جفوة وكل هذا يؤثر على مكانته بين الناس.

٣- النيل من الدعاة إلى الله – تعالى – عبر وسائل الإعلام، سخرية واستهزاء دون منع أو محاسبة تحت شعار الحرية الإعلامية، وفي هذا من الخطورة ما لا يخفى، حيث تذهب بذلك جهودهم في الدعوة والإصلاح أدراج الرياح، لأن الكلمة الصادقة الهادفة لا تؤتى ثمارها إلا إذا خرجت ممن احتل موقع القدوة في قلوب الناس.

فلابد من تدارك الأمر قبل أن يتسع الخرق على الراتق، لابد أن يدرك الجميع أن أصوات الحق وألسنة الصدق هي التي تعمل على توازن الحياة حتى لا تطغى قوى الشر وترجح كفة الباطل، وساعتها يشقى المجتمع، ولا ينفع الندم.

وبناءً عليه فإنه من الواجب العمل على تحقيق المكانة اللائقة للدعاة إلى الله رب العالمين؛ تحفيزاً لهم على بذل المزيد من الجهد وتحمل مصاعب الطريق، وتحقق ذلك يمثل خطوة كبيرة على طريق الإصلاح.

ثانيًا: كيف تتحقق مكانة الدعاة إلى الله تعالى ؟

إن تحقُّق مكانة الدعاة على أرض الواقع لا يأتي من فراغ، وإنما تتحقق بتضافر عدة عوامل، منها:

١- إخلاص الدعاةِ النيةَ لله، فبإخلاص النيات ترتفع الدرجات وتُنَال المكانات.

٢- تعريف الناس بفضل الدعوة ومكانة الدعاة إلى الله – تعالى – من خلال وسائل الإعلام المختلفة: مقروءة ومسموعة ومرئية.

٣- أن يكون الداعي على مستوى تلك المكانة علما وخلقا وسلوكا، ولا شك أن الارتقاء بمستوى الدعاة يتطلب رسم خطة لإعدادهم الإعداد المناسب، وهذا لن يكون إلا إذا عرف للدعاة قدرهم.

ويطيب لي في هذا المقام أن أذكر بعض التوصيات التي أوصى بها المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة[1]، والذي عقد بالمدينة المنورة (٢٤ ـ ٢٩ / ٢ / ١٣٩٧ هـ ـ ١٢ ـ ١٧ / ٢ / ١٩٧٧ م)، حيث ورد في توصياته ما يلي: الداعية هو العنصر الفعال في الدعوة، ولا تنتصر الدعوة إلا بالداعية الذي يؤمن بها ويحسن عرضها، ويكون نموذجا حيا لتعاليمها. ولهذا تجب العناية بإعداده لأداء رسالته إعدادا متكاملا من جميع الجوانب، وفي ضوء هذه الأهمية للداعية يوصي المؤتمر بما يلي:

---

(١) للوقوف على توصيات المؤتمر الواردة في هذا الموضع وفي المواضع التالية من هذا المبحث راجع: دعاة لا بغاة، د/ علي جريشة، ص ١٧٦ وما بعدها.

❖ العناية بالإعداد العلمي والثقافي للداعية، حتى تكون دعوته على بصيرة، كما أمر الله، بحيث يعرف دعوته، ويعرف عصره، ويعرف من يدعو، وكيف يدعو. وذلك عن طريق منهج متكامل، تشترك في وضعه لجنة من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي على أن تتوافر فيه المقومات التالية:

- دراسة إسلامية مؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح مع العناية بالسيرة النبوية، والحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية.

- دراسة لغوية وأدبية تعين على فهم الإسلام، وحسن عرضه بأسلوب بليغ.

- دراسة التاريخ الإسلامي، بما فيه من أمجاد وبطولات، واستخلاص العبر منه، وخصوصا من سير الأبطال ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، مع التحذير من الزيف والتحريف الذي شاب هذا التاريخ قديما وحديثا.

- القدر المناسب من الثقافة العامة، والعلوم الحديثة، وبخاصة العلوم الإنسانية، على أن يدرسها من يوثق بدينه عقيدة وعملا.

- دراسة الأديان والمذاهب المعاصرة، وحاضر العالم الإسلامي وإبراز قضاياه، والقوى المعادية للإسلام، والفرق المنشقة عليه. بحيث يعرف الداعية من معه ومن عليه.

- دراسة اللغات الأجنبية حتى يستطيع الدعاة تبليغ رسالة الله بكل لسان تحقيقا لعالمية الرسالة.

❖ العناية بالجانب الخلقي للداعية، وذلك بغرس معاني الإيمان وتثبيتها في نفسه، والعمل على إنشاء مناخ إيجابي يعينه على أن يحيا

حياة إسلامية قويمة، فإن الداعية يؤثر بخلقه وسلوكه أكثر مما يؤثر بقلمه ولسانه.

❖ إنشاء مدارس ثانوية للدعوة لتربية الدعاة في سن مبكرة مع ضرورة دعم المدارس الموجودة حاليا وبخاصة الموجودة في الأماكن التي فيها النشاط المكثف للحركات المناوئة للإسلام.

❖ إنشاء كليات للدعوة في جهات متعددة من العالم كلما أمكن ذلك لإعداد الدعاة حسب المناطق التي سيقومون بالدعوة فيها ولسد حاجة كل منطقة حسب متطلباتها.

❖ التنسيق بين كليات الدعوة القائمة حاليا لتوحيد الأهداف والخطط والمناهج والأعمال بالتعاون مع المؤسسات والهيئات القائمة بالدعوة.

❖ التدقيق في اختيار أصلح المتقدمين للالتحاق بمدارس وكليات الدعوة ممن يتوافر لديهم الاستعداد المطلوب للداعية من حيث المواهب والصفات الخلقية والخلقية.

❖ تشجيع الطلاب المتقدمين لمدارس وكليات الدعوة بمزايا تعينهم على الالتحاق والاستمرار في دراسة علوم الدعوة.

❖ العناية بانتقاء أساتذة كليات الدعوة من أناس يؤثرون بالقدوة كما يؤثرون بالكلمة بأن يكونوا رجال علم ودعوة معا.

❖ تنظيم دورات تدريبية لمجموعات من الدعاة يمارسون من خلالها مهام الدعوة بطريقة علمية مدروسة مع التعمق في العلوم الإسلامية وتزويد الدارسين بالثقافة العامة الضرورية لمواجهة التيارات المعادية للإسلام.

❖ بما أن المنبر لا يزال له مكان الإعلام الأول فينبغي الاهتمام الكافي بالمسجد وإمامه علميا وأدبيا وماديا مع التركيز على حسن اختيار الأئمة والخطباء الأكفاء وإقامة دورات لهم بما يجعلهم موضع القدوة للمجتمع كله.

٤- أن يكون الداعي على مستوى من الاستقرار الاقتصادي يوفر له الحياة الكريمة، ويعينه على التفرغ للدعوة ومعالجة قضايا ومشكلات المجتمع.

وقد أوصى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة بما يلي:

❖ تشجيع الجامعيين المتخصصين في الدعوة بالمخصصات المالية المناسبة والحوافز التشجيعية لاستمرارهم في عملهم ورفع مستوى الدعاة بصفة عامة.

❖ حث الحكومات الإسلامية على تخصيص مبالغ في ميزانياتها لنشر الدعوة الإسلامية.

٥- وضع منهج لتحجيم الخلاف بين الدعاة وعدم تضخيم هذا الخلاف عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ كي لا ينعكس ذلك فقدا لهيبة الدعاة وإضعافا للثقة بهم في نفوس الناس.

وقد ورد في توصيات المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في مجال مشاكل الدعوة والدعاة ما يلي:

تظهر بين الدعاة – أفرادا وجماعات - خلافات متنوعة منها ما هو في أمور العقيدة ومنها ما هو في فروع الفقه ومنها ما هو في أسلوب العمل، ولذلك فإن المؤتمر يوصي بما يلي:

- اعتماد القرآن والسنة في مجال الدعوة أساسا، وسيرة الرسول - ﷺ - منهاجا، وتربية المسلمين تربية عملية على عقيدة التوحيد الخالص الخالي من البدع والخرافات.

- توكيد أن الخلافات الفرعية لا يجوز أن تكون مثار خصومة وشقاق، وأن توحيد الصف الإسلامي فريضة لازمة تجاه الخصوم الكثيرين الذين تألبوا عليه.

- وضع مناهج عمل مشتركة لتوحيد المفاهيم والأفكار لدى الدعاة على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من قبل لجان متخصصة تدعو إليها أمانة المؤتمر تشترك فيها بعض الحركات والهيئات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة.

ومما يجب التنبه له – في هذا المقام - أن الاختلاف في ميدان الدعوة إنما يحدث"إذا دخل في الدعوة من ليس أهلا لها، ومن لم يتأهل لها بالعلم النافع والإخلاص لله عز وجل... أما إذا تفقه الدعاة في الدعوة، وخلصت نيتهم لله عز وجل، وصار مقصودهم وجه الله سبحانه وتعالى، فلن يختلفوا أبدا، وإنما يتعاونون ويكونون يدا واحدة يتعاونون على البر والتقوى"[1].

٥- "أن يكون للدعوة سند من ذوي السلطة في الدولة، فإن الدعوة والسلطة هما دعامتا إصلاح الأمة، فإذا التقتا واجتمعتا تحقق بهما الهدف والمقصود بإذن الله، وإن هما افترقتا ضاع المجهود أو ضعف إلى حد كبير، لذلك يتحتم على كل دولة تريد العزة

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ٣/ ٢٦٨.

الحقيقيـة الثابتـة والتمكـين في الأرض أن تأخـذ بديـن الله – عز وجل – وتسير على هدي رسوله – ﷺ – مستغنية بذلك عن كل التعاليم والنظم التي لا تتفق مع دين الله – تعالى – وهدي رسوله – ﷺ – لأن كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر، فمن أخذ بكلمة الله ودينه فسيكون له العلو والظهور على كل من خالفه.. ويتحتم على كل دولة تريد العزة الحقيقة الثابتة والتمكين في الأرض أن تنصر الدعوة إلى الله – عز وجل – بكل ما تستطيع من أسباب النصر القولية والفعلية ترغيبًا وترهيبًا، فإن الله قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وإذا ضعف الإيمان في قلوب الناس صار الوازع السلطاني أردع لهم عن المعاصي وأقوم لهم في الطاعات حتى يستقيموا ويصلحوا.

وكذلك يتحتم على الدعاة إلى الله على بصيرة أن يتصلوا بذوي السلطة في الدولة، ويرغبوهم في السير على ما هم عليه من الحق ويبينوا لهم ما في ذلك من العواقب الحميدة والسعادة في الدنيا والآخرة، ويحذروهم من مخالفة ذلك ويبينوا لهم ما في مخالفة الحق من العواقب السيئة والشقاء في الدنيا والآخرة، ويرغبوهم كذلك في نصر الدعوة إلى الله – تعالى – بكل ما يستطيعون من أسباب النصر، ويحذروهم من خذلانها وفعل ما يقاومها ويضادها"[1].

---

(1) انظر: رسالة إلى الدعاة، محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله – ، ص ٣٥ – ٣٧ بتصرف، إصدار جماعة أنصار السنة المحمدية، المركز العام، إدارة الدعوة والإعلام، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

فمساندة ذوي السلطان للدعاة إلى الله – تعالى – ترسخ للدعاة مكانة وهيبة في القلوب، وتعطي لكلمتهم قوة وتأثيرا.

٦- توافر جو الحرية للدعوة، فتوافر جو الحرية أمام الدعاة يدفع الدعاة إلى الأمام، ويوسع دائرة الإفادة والاستفادة، ولا شك أنني أقصد الدعاة الذين يحترمون جو الحرية ويقدرونها ويتعاملون معها تعاملا مسؤولا، لكن إذا لم يتوافر جو الحرية فإن الدعوة تُحَجَّم وتتقلص، ومع ذلك يقيض الله لها رجالا يشقون الصعاب لتبليغها ورفع لوائها، ويجني الناس الثمار، لكن بعد طول انتظار.

٧- أوصى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة بضرورة العمل على إيجاد نوع من الحصانة للدعاة لضمان الحفاظ على كرامتهم وحقوقهم وأداء رسالتهم.

تلك أبرز العوامل التي تحقق المكانة للدعاة إلى الله في أرض الواقع.

المبحث الرابع: أثر تكريم الدعاة في الدعوة إلى الله تعالى

١- في تكريم الإسلام للدعاة تحفيز للهمم كي تبذل أقصى ما في وسعها في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

٢- تكريم الدعاة في الإسلام يرغب الكثيرين - في حالة ترجمته واقعيا - في الإقبال على الدراسات الدعوية المتخصصة؛ كي ينخرطوا في عداد كتائب الدعوة إلى الله تعالى، وينالوا شرف الدنيا ونعيم الآخرة.

٣- تكريم الدعاة في الإسلام يحمل النفوس المعاندة المتمردة على احترام الدعاة، والاستجابة لدعوتهم.

٤- عندما تتحقق للدعاة إلى الله - تعالى - المكانة اللائقة برسالتهم العظمى، ودورهم الرائد في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ينعكس هذا على المجتمع هداية واستقامة وازدهارًا؛ إذ في ظل تلك المكانة يزداد الدعاة قوة إلى قوتهم ونشاطًا إلى نشاطهم، فتعلو كلمة الله على ما سواها من كلمات، كما تزداد مساحة الاحترام والتقدير لدور الدعاة في قلوب الناس، ويُتَرْجم هذا إلي تقبل الدعوة وسرعة التلبية والاستجابة. فصلاح المجتمعات وتقدمها مرهون برفع لواء الدعوة فوق ربوع البلاد، والعكس بالعكس؛ إذ إنه عندما تترك الدعوة إلى الله تعالى - غفلةً أو تغافلا أو إهمالا أو قمعًا - ينتشر الفسق والفجور والخلل في كافة قطاعات الحياة، وبالتالي تتراجع المجتمعات إلى الوراء، فتكريم الدعاة دفع لطاقة العمل الإصلاحي في المجتمعات، ومحاصرة لطاقات الفساد والانحراف.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد ربي جل في علاه، فالحمد لله أولا وآخرا، ويطيب لي أن أذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وأبرز التوصيات التي من شأنها – من وجهة نظري – تحقيق تكريم الدعاة في أرض الواقع بإذن الله تعالى، وبيان ذلك فيما يلي:

❖ النتائج:

١- تكريم الدعاة في الإسلام حقيقة ثابتة تضافرت لتقريرها الأدلة قرآنًا وسنَّة.

٢- تكريم الدعاة في الإسلام تكريمُ جدارةٍ واستحقاق؛ إذ إن رسالتهم رسالة الأنبياء والمرسلين.

٣- وجود الكثير من العقبات – المادية والمعنوية – في طريق الدعوة والدعاة.

٤- تراجُع تكريم الدعاة في بعض البقاع؛ تجاهلا لدورهم الجليل في واقع الحياة، أو عدم إدراك له. وفي هذا ما فيه من خطر جسيم، ويكفي أنه يضع كلمة الإسلام في هامش الحياة.

٥- على الرغم من وجود الكثير من العقبات والمعوقات في طريق الدعوة والدعاة إلا أنه ما زال هناك – وسيظل بإذن الله تعالى – الكثير والكثير من الدعاة يرحلون ويبشرون بالإسلام هنا وهناك، وعلى أتم الاستعداد للتضحية وبذل كل غال ونفيس في سبيل الدعوة إلى الله – تعالى – صابرين محتسبين ذلك لوجه الله جل جلاله.

٦- حاجة ميدان الدعوة إلى أن يقوم كل مسلم بما عليه من واجب تجاه الدعوة إلى الله بقدر استطاعته: يخصص جزءا من جهده

ووقته يحتسبه في سبيل الدعوة إلى الله، فيقول نصيحة، أو يكتب مقالة، أو ينشر كتابا، أو يرحل رحلة، أو ينفق بعض ما لديه في سبيل الإسلام والمسلمين؛ تدعيما للدعاة المتخصصين ومساندةً لهم في مواجهة ظلمات الواقع، وما أكثرها !!، وما لا يدرك كله لا يترك كله، والقليل مع القليل كثير، وبهذا يصلح أمر هذه الأمة كما صلح أمر أولها.

❖ التوصيات:

فيما يلي بعض التوصيات التي أوصي بها إخواني الدعاة؛ تكريما لأنفسهم ودعوتهم، و بعض التوصيات التي أوصي بها القائمين على أمر الدعوة في بلاد المسلمين؛ تكريما للدعاة:

❖ إلى إخواني الدعاة:

أوصيك أخي الداعية الحبيب ببعض الوصايا سائلاً الله – جل وعلا – أن ينفعني بها وإياك، وأن يضيء بها في طريق الدعوة مسعاي ومسعاك.

أولاً: أوصيك بتقوى الله العظيم، فهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال – سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾[1]، وهي سبيل لتحصيل العلم وتفريج الكرب وسعة الرزق وتيسير الأمر وتكفير الذنب وتعظيم الأجر.

(١) سورة النساء، من الآية رقم/ ١٣١.

ثانيًا: وأوصيك باحترام رسالتك، فإنها رسالة الأنبياء، فلا تقصر في أدائها، وقدّرها حقّ قدرها، وابذل جهدك لرفع لوائها، وكن على مستوى مكانتها وفضلها.

ثالثًا: وأوصيك بأن تكون نموذجا إسلاميا حيا يسعى بين الناس، يطابق سلوكه قوله حتى لا تكون للناس فتنة.

رابعًا: وأوصيك بأن تكون صاحب رسالة لا صاحب وظيفة، فإن صاحب الرسالة في صعود، وصاحب الوظيفة في جمود.

خامسًا: وأوصيك بأن تكون متجددا في أفكارك وموضوعاتك وأسلوبك وطريقة عرضك وتناولك لقضايا الواقع المعاش حتى تكون منارة هداية وإرشاد.

سادسًا: وأوصيك بالحرص على الاستفادة من تجاربك الشخصية وتجارب الآخرين - الإيجابية والسلبية - في ميدان الدعوة، لتضيف كل يوم لبنة إلى رصيدك المعرفي الواقعي.

سابعًا: وأوصيك بأن تضع جهودك الدعوية في بؤرة التقييم الشخصي تحقيقا للتقويم الذاتي الذي يقع في النفس موقع القبول ولا يثير فيها ثورة الغضب والعناد ورفض الاستجابة كردّ فعلٍ لمواجهة النقد الخارجي.

ومما يساعدك على تقييم مستواك وتقويمه أن تجعل لنفسك أرشيفا تجمع فيه جهودك الدعوية مسجلة أو مدونة؛ لتتمكن من قياس مدى تقدمك يوما بعد يوم، وليبقى الانتفاع بها على مدى الأيام.

ثامنًا: وأوصيك بألا تقيد نفسك بقيد الرضا عن مستواك الدعوي؛ إذ إن ذلك هو بداية الهبوط، فالرقي لا سقف له.

تاسعًا: وأوصيك بالتفاعل والتواصل مع إخوانك الدعاة؛ استفادة منهم وإفادة لهم فيما من شأنه النهوض بالدعوة وتحقيق أثرها المرجو في المجتمع.

عاشرًا: وأوصيك بأن تحترم عقل المدعو وعاطفته، ليبادلك احتراما باحترام، فالمدعو هو ثروتك، فحافظ عليها وافتح مع المدعوين باب التواصل والحوار والاقتراح، ولا تغضب لنقد بنَّاء، فالمؤمن مرآة أخيه.

❖ إلى القائمين على أمر الدعوة في بلاد المسلمين:

١- أوصي القائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام بضرورة وضع الدعاة في قمة الاهتمام من حيث: الاختيار، والإعداد، والإمداد (المادي والمعنوي)، والمتابعة.

٢- أوصي القائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام بضرورة وضع علم الدعوة في قمة الاهتمام أيضا، وذلك برصد الحوافز المادية والأدبية تشجيعا للتأليف في هذا العلم، وإصدار بحوث متطورة تترجم واقع الميدان الدعوي، وتقترح برؤية بحثيه ما هو جدير بالنهوض والازدهار به كما هو الشأن في العلوم الأخرى؛ إذ إن من تكريم الدعاة العمل على تطوير الدراسات الدعوية النظرية التي تنير لهم طريق الدعوة بمنهجية واضحة، ارتكازًا على المصادر الشرعية والخبرات الدعوية التي شهدها تاريخ الدعوة عبر الزمان. مع ضرورة توفير تلك الدراسات بين يدي الدعاة إلى الله تعالى.

٣- أوصي القائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام بضرورة توفير المزيد من الوسائل الإعلامية التي تقدِّر الدعاة وتفتح لهم المجال العالمي للدعوة، وتكون قادرة على المنافسة الإعلامية العالمية، وخاضعة لمؤسسات دعوية صادقة ترعى الدعوة والدعاة. وفي المقابل التصدي بقوة لكل وسيلة إعلامية تنال من الدعاة بأي شكل من الأشكال.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المراجع

❖ المراجع مرتبة ترتيبا هجائيا بدون (ال):

- تفسير القران العظيم، للإمام الحافظ / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة مصر، القاهرة (بدون).
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٩٧هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الخامسة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.
- دعاة لا بغاة، د / علي جريشة، دار البشير، طنطا، ط الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د / أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.
- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، لسماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط الرابعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
- رسالة إلى الدعاة، محمد بن صالح بن عثيمين، إصدار جماعة أنصار السنة المحمدية، المركز العام، إدارة الدعوة والإعلام، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

- سنن ابن ماجه، للحافظ / أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) وبهامشه كفاية الحاجة في تحقيق سنن ابن ماجه، والزوائد من مصباح الزجاجة، للحافظ / شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت٨٤٠هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- سنن أبي داود، للإمام / أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) تحقيق / محمد عوامة، دار القبلة، جدة، مؤسسة الريان، بيروت، المكتبة المكية، مكة، ط الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: د / إميل بديع يعقوب، د / محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (بدون).
- صور من حياة الصحابة، د / عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) حقق أصلها / عبد العزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها / محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء،

الرياض، المملكة العربية السعودية، ط السادسة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- فقه السيرة، د / محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط السابعة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الثانية ١٤٢٤ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل بن منظور الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١ هـ) تحقيق / عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (بدون).
- محاضرات في العقيدة والدعوة، د / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- المسند، للإمام / أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) شرحه ووضع فهارسه أ / أحمد محمد شاكر (جـ ١- ٨) أ / حمزة أحمد الزين (جـ ٩ ـ ١٨) دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م.
- المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم، د / عبد الله بن محمد المجلي، بحث علمي محكم ومنشور بالعدد الأول من

مجلة الدراسات الدعوية بجامعة الإمام / محمد بن سعود الإسلامية، محرم ١٤٢٩ هـ .

- مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، للشيخ / محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٩م.
- الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية، د / أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت.
- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ / علي محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، ط الخامسة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- يسألونك في الدين والحياة، د / أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، ط الثانية ١٩٨٠ م.

دروس دعوية من الهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية

إعداد

الدكتورة: هند مصطفى شريفي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

في جامعة طيبة بالمدينة المنورة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، أحمده عز وجل القائل متفضلا على عباده: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(١)]، وأصلي وأسلم على هادي البشرية للخير الذي وصف نفسه بقوله: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[(٢)] وبعد...

فقد أشرقت شمس الإسلام على الكون، وجاءت تشريعاته السامية التي أولت العلاقات الزوجية عنايتها، فرسمت لها منهجا متكاملا، و أزالت ما يكدر صفوها، ببيان النموذج الإسلامي والهدي النبوي في بناء هذه العلاقة بين الزوجين، من خلال السنة النبوية المطهرة التي اشتملت على مادة ثرية غنية ينهل من معينها من ينشد السعادة والعلاقة الزوجية الناجحة.

لقد شرع الله عز وجل الزواج ليكون الوسيلة التي تجمع بين الرجل والمرأة، في علاقة سامية تتآلف فيها أرواحهما، وتطمئن نفوسهما، ولقد كانت عناية الرسول ﷺ بالأسرة واضحة للعيان، من خلال توجيهاته الكريمة وتطبيقاته، فكانت مشعل هداية تنير الطريق أمام الزوجين وتنير القلوب وتدل على طريق السعادة والصلاح.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٢) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك المناقب ب فضل أزواج النبي ﷺ ح ٣٠٥٧.

ولقد اتفق العقلاء على أن الزواج هو الأساس الذي تقوم عليه الأسرة، التي تمثل اللبنة الأساس في بناء المجتمع، وهي الوضع السليم الذي ارتضاه رب العالمين لبني آدم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[1]، والإنسان ذو الفطرة السليمة لا يجد أنسه وسعادته إلا في ظل الأسرة التي تشبع عاطفته ووجدانه وعقله وتستمر معه طوال حياته، فهي من منن الله التي تفضل بها على عباده قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[2]، وهذه الأسرة قوامها ودعامتها الأساس هما: الزوجان اللذان تنشأ بينهما علاقة قوية حميمة تسمو بقدر قيامها وبنائها على أسس واضحة ومبادئ سليمة تساعدها على تحقيق أهدافها المنشودة، والتي من أهمها السكن النفسي الناتج عن شيوع المودة والرحمة، وهذا هو التوافق الزوجي الذي يمثل هدفا ملحا لكل علاقة زوجية.

إن الإسلام لم يترك هذه العلاقة الزوجية تسير بشكل عشوائي قد يؤدي إلى التفكك والانهيار الأسري، بل رسم لها طريقا واضحا، وشكّل لها منهج حياة متكاملاً بكل أبعاده وجوانبه، وتعريف الناس بهذا المنهج وترغيبهم على الاستقامة عليه هي مهمة الدعوة إلى الله تعالى، حيث إن الدعوة إلى الله هي: "حث الناس على الخير والهدى،

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"[1]، والخير والهدى هو هدي نبينا ﷺ، والمعروف هو ما كان عليه في سيرته وطريقته، وهديه في بناء العلاقات الزوجية هو أكمل هدي وأصلحه لحياة الناس، الذين انتشرت في مجتمعاتهم المشاكل الأسرية والزوجية نتيجة بعدهم عن إتباع سنة النبي ﷺ والاقتداء بأثره، ففي كل يوم تنشر الدراسات والأنباء والتقارير عن تفاقم هذه المشكلات الأسرية وتنوعها والآثار السلبية المترتبة عليها[2]، وقد علموا أن علاجها أول ما يكون بمعرفة الهدي النبوي في تأسيس هذه الأسر وبناء أركانها على مبادئ لا يختلف عليها العقلاء تكون -بعد توفيق الله- سببا في الحياة الطيبة والتوافق بين الزوجين.

ومن هنا كانت فكرة هذا البحث: بأنه لا بد من بناء العلاقة الزوجية عن طريق الاقتداء بهدي إمام الدعاة ﷺ الذي عاش الحياة الزوجية الحقيقية، وقدم نموذجا فريدا للمسلمين، يبين متانة وسمو هذه العلاقة عن طريق القدوة والتوجيه والدعوة إلى الطريق الأقوم، ومن خلال معالجته لقضايا الحياة الزوجية بوضوح وشمول وتكامل تتفق مع الفطرة السليمة والعقل الرشيد بتجاوب وانسجام بعيدا عن الأفكار الوافدة المنحرفة والمؤثرات المتناقضة التي تصطدم مع خصوصيات ثقافتنا الإسلامية وأحوالنا الاجتماعية.

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ص١٧، ط: بدون(القاهرة، الاعتصام ودار النصر للطباعة الإسلامية).

(٢) انظر كتاب دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ط: بدون(مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، ١٤٢٧هـ).

موضوع البحث:

في ضوء ما سبق يكمن موضوع البحث في السؤال الرئيس التالي: (ما أبرز الدروس الدعوية من الهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية)، ويتفرع من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما المقصود بالهدي النبوي وما أهميته ؟

٢. ما مفهوم العلاقة الزوجية وما أهميتها وما أسس بنائها ؟

٣. ما أبرز جوانب الاقتداء بالهدي النبوي وتطبيقاته في بناء العلاقة الزوجية ؟

٤. ما أهم الدروس الدعوية المستنبطة من الهدي النبوي في بناء العلاقة الزوجية ؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١- التعرف على جوانب القدوة عند النبي ﷺ في مجال الحياة الزوجية.

٢- الكشف عن أهمية الحياة الزوجية وأسس بنائها.

٣- إبراز بعض التطبيقات الدعوية للهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية.

٤- تصحيح المفاهيم الخاطئة والصور المغلوطة عن طبيعة العلاقة الزوجية.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من خلال ما يأتي:

١)) يكتسب هذا الموضوع أهميته من الأهمية الحيوية الفائقة للأسرة في المجتمع المسلم، وضرورة معرفة أسس بناء العلاقة بين الزوجين في ضوء الدين الإسلامي.

٢)) هذا البحث محاولة لتأصيل جانب أساس من جوانب الدعوة إلى الاقتداء بهدي إمام الدعاة ﷺ في توجيهاته لبناء الأسرة المسلمة.

٣)) تعدد الجهات المستفيدة من مثل هذا البحث: فالدعاة إلى الله يستفيدون بتعرفهم على المنهج النبوي في الدعوة إلى أسس التعامل ومعالجة قضايا الحياة الزوجية المتنوعة، كما تفيد الجهات المختصة في مجال الإرشاد الأسري والإرشاد الزوجي والمؤسسات المهتمة بتوعية الأسرة وتنميتها.

٤)) الحاجة الماسة لمثل هذه الموضوعات، حيث تبين ذلك للباحثة بعد حصولها على دبلوم الإرشاد الأسري الذي تشرف عليه جامعة الملك فيصل بالإحساء، وبحكم تخصص الباحثة في الدعوة والاحتساب تأكد ضرورة قيام الدعاة إلى الله بواجب توعية المجتمع في هذا الجانب، وتوجيه الناس ودعوتهم إلى الالتزام بالهدي النبوي في مجال العلاقات الزوجية والذي سيثمر - بإذن الله - الاستقرار الأسري.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية وصفا لها، للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية، وهو منهج مكمل لمنهج الاسترداد التاريخي الذي

يصف الظواهر في تطورها الماضي، حتى يصل بها إلى لوقت الحاضر، والباحث حينما يستخدم المنهج الوصفي لا يقوم بحصر الظواهر ووصفها جميعها، وإنما يقوم بانتقاء الظواهر التي تخدم غرضه من الدراسة [1]، ثم يقوم بتحليل هذه الظواهر لاستنباط الحقائق العلمية منها.

الدراسات السابقة:

كتب العديد من الباحثين المعاصرين في العلاقات الزوجية، إلا أن هذه الكتابات تناولت المتغيرات المؤثرة في العلاقة وأثرها على التوافق الزواجي، أو دراسة العلاقة الزوجية في حياة الداعية وأثرها على الدعوة، ومن هذه الدراسات ما يأتي:

١- مشكلات التوافق الزواجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج في ضوء بعض المتغيرات: نوال عبد الله الحنطي، رسالة ماجستير في قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ.

٢- التوافق الزواجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية وبعض سمات الشخصية، دراسة مقارنة بين العاملات وغير العاملات: منيرة عبد الله محمد الشمسان، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.

---

(١) انظر، البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، ص١٨٠، ط: ٢ (الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠).

٣- أثر العلاقات الأسرية في حياة الداعية في الكتاب والسنة: فاطمة سعود الكحيلي، بحث ماجستير غير منشور قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم الإنسانية جامعة طيبة ١٤٢٧هـ.

وهذه الدراسات تناولت جوانب تتصل بالبحث من حيث بناء العلاقة الزوجية، والعوامل المؤثرة فيها، ورغبة من الباحثة في تأصيل أسس بناء هذه العلاقة السامية على الهدي النبوي وذلك لما سبق ذكره من أهمية الموضوع، واستنباط أهم الدروس الدعوية المتعلقة بالمواقف النبوية.

ولتحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث فقد تم تقسيمه بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث أسردها كما يأتي:

المبحث الأول: الهدي النبوي والدعوة إلى الله، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالهدي النبوي وأهميته.

المطلب الثاني: التعريف بالدعوة إلى الله وحاجتها إلى الهدي النبوي.

المبحث الثاني: مفهوم العلاقة الزوجية وأهميتها وأسس بنائها في الإسلام، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العلاقة الزوجية.

المطلب الثاني: أهمية العلاقة الزوجية.

المطلب الثالث: أسس بناء العلاقة الزوجية في الإسلام.

المطلب الرابع: دروس دعوية من الهدي النبوي في العلاقات الزوجية

المبحث الثالث: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية

المطلب الأول: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب العبادي للعلاقة الزوجية.

المطلب الثاني: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الإنساني للعلاقة الزوجية

المطلب الثالث: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الأسري للعلاقة الزوجية

المطلب الرابع: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الجمالي للعلاقة الزوجية

المطلب الخامس: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الترفيهي للعلاقة الزوجية

المبحث الأول: الهدي النبوي والدعوة إلى الله

المطلب الأول: التعريف بالهدي النبوي وأهميته.

مفهوم الهدي النبوي: تُشير كلمة الهَدْي إلى السيرة والطريقة، فيُقال: فلان يهدي بهَدْي فلان أي: يسير بسيرته، وما أحسن هديه: أي سمته وسكونه، ويُقال: هو حسن الهَدْي: أي حسن الطريقة[(1)]، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ"[(2)].

والهدي النبوي هو سيرة المصطفى ﷺ وما سنه لنا من الأقوال والأفعال، والحاجة إلى ذلك لا تنفك في أي جانب من حياة المسلم، فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بالاتفاق بين العلماء، والتحاكم إلى السنة النبوية من علامات الإيمان، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[(3)].

كما تصرح آيات القرآن بالحكمة من التعرف على الهدي النبوي في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[(4)]، فقد منّ الله تعالى على هذه الأمة ببعثة نبيه محمد ﷺ ليقوم بأداء الرسالة وتزكية النفوس المؤمنة بالأعمال الصالحة

---

(1) انظر، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ١٠/٤٠٦، ط: ١ (مصر، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، ١٣٠٦هـ).

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ك الأدب ب الهدي الصالح ح ٦٠٩٨، ط: ١، (الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

(3) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(4) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

وواجبات الإيمان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، فكان ﷺ معلما هاديا داعيا يعلم الناس الحلال والحرام، ويعالج ما في نفوسهم من ميل وانحراف، وضعف واستكبار، ولم يقف ﷺ في دعوة الناس إلى المنهج الأقوم والطريق الأمثل عند أمور العقيدة والعبادات، بل ربط ذلك بجميع شؤون حياتهم ودقائق أمورهم وخصائصها، لذا فإن دراسة الهدي النبوي أمر له أهميته الكبيرة عند كل مسلم لأنه يعينه على الاقتداء برسول الله ﷺ من خلال معرفة منهاج النبوة وشخصية النبي ﷺ وأعماله وأقواله، وثمرة هذا اكتساب المسلم لمحبة النبي ﷺ وتنميتها في قلبه.

المطلب الثاني: التعريف بالدعوة إلى الله وحاجتها إلى الهدي النبوي.

تعرف الدعوة في اللغة بعدة معان، مثل: الطلب والنداء والحث والسؤال والإمالة[2].

وللدعوة إلى الله عدة معان في الاصطلاح، منها: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه لهم، وتطبيقه في واقع الحياة[3].

ولا تنفك حاجة الدعوة إلى الله إلى الهدي النبوي، حيث إن طاعة نبي الهدى ﷺ علامة صادقة لطاعة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، ومن ذلك الدعوة إلى الله وإلى دينه، وإنما قيل إن الهدي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) انظر، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ١٢٦/١.

(٣) انظر، المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص١٧، ط:٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

النبوي هو المرجع الأساس الثاني للدعاة بعد القرآن الكريم فإن ذلك لعدة أمور:

١. إن الدعوة من أهم واجبات المسلمين حكاما ومحكومين، أمراء وجماعات، ذكورا وإناثا، حتى يتحقق لهم التمكين الذي وعد به تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[(١)]، وهي السبيل الذي أمر ﷺ بإتباعه وأمر أمته كذلك بالسير على هداه.

٢. إن حياة النبي ﷺ هي حياة الداعية إلى الله منذ بعثه الله تعالى، فلم يزل ﷺ داعيا في حله وترحاله وعسره ويسره، ومع أزواجه وأصحابه، وفي سلمه وحربه، فقد كان داعيا في كل ظروفه وأحواله، ومع مختلف أصناف البشر وطبقاتهم، يدعو كل واحد بما يلائمه، ساعيا لهداية الناس إلى خير الدنيا والآخرة، فعلى كل داعية أن يقتفي أثره من خلال التعرف على سيرته.

٣. إن حياته ﷺ وعلاقته الزوجية حفظت للأمة منهجا متكاملا من خلال سيرة أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، ومن خلال المقربين من الصحابة وبتفاصيلها الدقيقة، فأخبروا بما يدور في بيت النبوة- حتى لو كانت هذه الأخبار أمورا خاصة- تبليغا للهدى والعلم، وطاعة لأمر الله تعالى الذي خاطبهن به: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[(٢)]، فكم نقرأ في السنة مثل

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

هذا السؤال: "كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان"[1]، كذلك السؤال "أكان النبي ﷺ يرقد وهو جنب؟"[2] وهو قدوة المسلمين والدعاة ﷺ.

العلاقة بين الدعوة إلى الله وبناء العلاقات الزوجية:

إن الدعوة إلى الله تنمي الشعور لدى الزوجين بقيمة استقرار الحياة الزوجية وأهميتها، وضرورة ذلك للفرد والأسرة والمجتمع، كما أنها تحقق لهما العديد من الأهداف المطلوبة كالتوعية بمقاصد الزواج في الإسلام، والتبصير بحقوق الزوجية وواجباتها الخاصة بكل طرف فيها، إضافة إلى بيان الأسس التي تقوم عليها الحياة الزوجية الناجحة، وكذلك كيفية التعامل الإيجابي مع مشكلات الحياة الطارئة بحكمة وفاعلية تحفظ لهذه العلاقة رونقها وسموها وسعادتها، خاصة وأن استقرار المجتمع الإسلامي يعتبر من أهداف الدعوة إلى الله، وتحقيق هذا الهدف ينطلق من إصلاح اللبنة الأولى للمجتمع وهي: (الأسرة).

---

(١) صحيح البخاري، ك التهجد، ب قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره، ح ١١٤٧.

(٢) صحيح البخاري، ك الغسل، ب كينونة الجنب في البيت إذا توضأ، ح ٢٨٦.

المبحث الثاني: مفهوم العلاقة الزوجية وأهميتها وأسس بنائها في الإسلام

المطلب الأول: مفهوم العلاقة الزوجية:

يعرف الزواج في الإسلام بأنه: "رابطة شرعية محكمة بين رجل وامرأة على وجه الدوام والاستمرار، وتنعقد بالرضاء والقبول الكامل منهما وفق الأحكام المفصلة شرعا"(١)، ويقوم الزواج على أسس ومبادئ وآداب تقوي هذه العلاقة، وتنظم الحقوق والواجبات بين الزوجين في ضوء القرآن والسنة، بما يحقق مقاصد الزواج السامية، ويحد من مظاهر النشوز والشقاق والتفكك الأسري، فالعلاقة الزوجية السعيدة هي العلاقة الاجتماعية والنفسية التي يحقق فيها الإنسان حياة الاستقرار والسكينة.

إن العلاقة الزوجية هي العلاقة التي ارتضاها الإسلام لبناء الأسرة الجديدة، وهذا يتصادم مع الهجمات الشرسة التي تسعى لتفكيك الأسرة وتحطيم كيانها وأسسها الشرعية عبر مؤتمرات عديدة تدعو صراحة لإلغاء مفهوم الأسرة القائم على ارتباط الرجل بالمرأة بميثاق شرعي، إلى اعتبار ذلك متحققا من خلال أي ارتباط بين أي رجل

---

(١) ميثاق الأسرة في الإسلام، د. أحمد العسال وآخرون، ص١٢١، ط:١، (الرياض، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، دار الرواد، ١٤٣٠هـ)

وامرأة ولو بلا ميثاق ولا عقد شرعي، والاعتراف بالعلاقات الجنسية بين الأفراد خارج نطاق الزواج[1].

المطلب الثاني: أهمية العلاقة الزوجية:

تنبع أهمية العلاقة الزوجية من أهمية الزواج ذاته، فهو منة من الله على عباده، وهو الأساس الذي تقوم عليه الأسرة والمجتمع قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يذكر الله نعمه على عبيده بأن جعل لهم أزواجا من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة ورحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا وإناثا، وجعل الإناث أزواجا للذكور"[3].

وتمثل العلاقة الزوجية السلوك والتفاعل بين الزوجين، إذ إنها مجال ترجمة المشاعر والرحمة والسكون والمودة بينهما، وهي الارتباط الذي يحقق أهداف ومنافع الزواج، إن كانت العلاقة سامية متينة البنيان، يقوم كل طرف فيها بواجباته ومسؤولياته، والزواج منافعه عظيمة وغاياته نبيلة، فهو مستقر العواطف وسكنها كما

---

(١) انظر، العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، د.فؤاد عبد الكريم العبد الكريم، ص١٧٥، ط: ١ (الرياض، كتاب البيان مطابع أضواء المنتدى، ١٤٢٦هـ)، دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ص١٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤/٥٠٥،ط: بدون(مصر، كتاب الشعب، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، ونعمة الله تتحصل "بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة، فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة، والمنفعة بوجود الأبناء وتربيتهم، والسكون إليها، فلا نجد بين اثنين في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة"[2] وهو طريق إشباع الحاجات الجسدية الفطرية والعاطفية عند الرجل والمرأة، وقد قال النبي ﷺ: "يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[3]، وهو بذلك يحقق الأمن للمجتمعات من الانحرافات ويقيها من التفكك بما يحقق من إشباع للفطرة والغريزة، وتلك هي سنة المصطفى ﷺ: "ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[4].

كما أن العلاقة الزوجية هي أساس البناء الأسري وسبب لاستمرار بقاء الإنسان وامتداد نسله وتكثير سواد الأمة وقد حث نبينا ﷺ على ذلك بقوله: "النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم"[5].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٥٨٨، ط: ٧ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب من لم يستطع الباءة فليصم ح ٥٠٦٥.

(٤) صحيح البخاري، ك النكاح ب الترغيب في النكاح ح ٥٠٦٣.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك النكاح ب ما جاء في فضل النكاح ح ١٤٩٥، ط: ٣ (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

المطلب الثالث: أسس بناء العلاقة الزوجية في الإسلام:

هناك جملة من الأسس الإسلامية والآداب التي تبنى عليها العلاقة الزوجية المتوافقة الناجحة، والتي بدورها إذا توافرت ساعدت على تحقيق مقاصد الزواج وأهدافه، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

الأساس الأول: توافر أركان الزواج وشروطه:

وهي الأعمدة التي تلبي ضرورات الحياة الزوجية ولا قيام للعلاقة إلا بها، ومظانها كتب الفقه، وأذكر منها ما يأتي:

- الركن الأول: وجود الزوجين الخاليين من الموانع التي تمنع صحة النكاح.
- الركن الثاني: حصول الإيجاب، وهو اللفظ الصادر من الولي أو من يقوم مقامه، بأن يقول للزوج: زوجتك فلانة أو أنكحتكها.
- الركن الثالث: حصول القبول، وهو اللفظ الصادر من الزوج أو من يقوم مقامه، بأن يقول: قبلت هذا النكاح أو التزويج.

وأما شروط صحة النكاح فهي أربعة:

١)) نعيين كل من الزوجين.

٢)) رضى كل من الزوجين بالآخر فلا يصح الإكراه.

٣)) أن يعقد على المرأة وليها.

٤)) الشهادة على عقد النكاح [١].

---

(١) انظر، الملخص الفقهي، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، ٢/من ص ٢٦٤- ٢٦٦، ط: ١٢ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

الأساس الثاني: اختيار الأكفاء من الأزواج:

عندما يشب الفتى والفتاة ويصبحان في سن الزواج، وتتطلع أنفسهما لذلك، تعتريهما أصناف من الحيرة في تحديد مواصفات الزوج المناسب، فكل منهما قد نشأ وعاش في ظروف قد تكون متباينة تماما عن ظروف الآخر، ويتصف أحدهما بخصائص وسمات مختلفة غاية الاختلاف عن خصائص وسمات الآخر، ولكل منهما تكوينه النفسي والثقافي الفريد، وبالرغم من ذلك فلا ضير ولا خوف من زواج شخصين بينهما هذا الاختلاف، فالفروق الفردية تعد من الأشياء الطبيعية في الكيان الإنساني، والزواج ليس نهاية المطاف، بل هو بداية طريق جديدة، وعلاقة متينة تنجح- بعد توفيق الله- إذا تم الاختيار وفق أسس سليمة وواقعية دون غش أو تزوير أو خداع، وقد وجه الشرع الحكيم إلى أهم عنصر في الاختيار، وهو الدين في قوله ﷺ عن صفات المرأة: "تنكح المرأة لأربع: لجمالها وحسبها ولمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[(1)]، كما بين أن الدين والخلق هي أهم صفات الرجل، بقوله: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه"[(2)]، قال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد: "فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أصلا وكمالا، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمرا وراء ذلك، فإنه حرم

---

(١) صحيح البخاري، ك النكاح ب الأكفاء في الدين ح٥٠٩٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك النكاح ب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه ح ٨٦٦، ط:١(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

على المسلمة نكاح الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسبا ولا صناعة، ولا غنى ولا حرية، فجوز للعبد القن نكاح الحرة النسيبة الغنية إذا كان عفيفا مسلما، وجوّز لغير القرشيين نكاح القرشيات، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات، وللفقراء نكاح الموسرات" [(1)] .

وكذلك إرشاده ومشورته لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها لما استشارته وقد تقدم لخطبتها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم رضي الله عنهم، فقال لها: "أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد" فكرهته، ثم قال: "انكحي أسامة" فنكحته، فجعل الله فيه خيرا واغتبطت" [(2)] ، قال الإمام النووي - رحمه الله - : "وأما إشارته ﷺ بنكاح أسامة فلما علمه من دينه وفضله وحسن طرائقه وكرم شمائله فنصحها بذلك، فكرهته لكونه مولى، وقد كان أسود جدا، فكرر عليها النبي ﷺ الحث على زواجه لما علم من مصلحتها في ذلك وكان كذلك" [(3)] .

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ١٥٩/٥، ط:١(بيروت، مؤسسة الرسالة ،و الكويت،مكتبة المنار الإسلامية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

(٢) صحيح مسلم، ك الطلاق ب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ح ١٤٨٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام النووي ، ٩٨/١٠، ط: بدون (المطبعة المصرية).

الأساس الثالث: العشرة بالمعروف:

لقد أمر الله عز وجل الزوج بحسن العشرة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وكرم الأخلاق والاحترام والتقدير المتبادل بين الزوجين أمر مهم لنجاح هذه العلاقة"فالحياة الزوجية من المنظور الإسلامي مبناها التكارم والتذمم ومكارم الأخلاق... بمعنى أن يكون كل واحد من الزوجين -في حالة الوفاق وفي حالة الخلاف على السواء- غاية في كرم النفس، ونداوة الطبع، وفي غاية البعد عن الشح والأنانية، ومتى كان الزوجان بهذه المثابة من صفاء النفس ويقظة الضمير، كان مآلهما إلى الوفاق وحسن المآل في كل حال"[2].

وقاعدة العشرة بالمعروف تقوم على ركنين هما: حسن الخلق، والرفق، اللذان يزينان كل أمر كانا فيه، ويشينان كل أمر نزعا منه، وقد تسوء معاملة الزوج لزوجته نتيجة موروثات فكرية خاطئة تقضي بأن على الرجل أن يفرض شخصيته القاسية على زوجته منذ يوم زواجهما الأول، مع الفهم المغلوط لمعنى القوامة وتغليفها بالقسوة، وقد أشارت إحدى الدراسات الخليجية إلى أن سوء المعاملة بين الزوجين كان سببا أساسيا في ٧٩٪ من حالات الطلاق[3].

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) باختصار، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة،حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة ،دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب،١/ ٥٠٧، ط: ١(الرياض ،دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م).

(٣) انظر، دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ص٥٤.

الأساس الرابع: تحمل المسؤولية من كلا الطرفين:

لا يستقيم بناء العلاقة الزوجية إلا بتأدية الحقوق الواجبة -معنوية كانت أو مادية- لكل طرف على الآخر، وتحمل كل منهما مسؤوليته المناطة به في كيان الأسرة، ذلك أن المسؤولية مقسمة وموزعة في الحياة الزوجية على كلا الزوجين بما يتلاءم مع طبيعته وخلقته، قال ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[(١)]، وجمال الخطاب النبوي يتجلى بوضوح في هذا الحديث، كما بيّن الإمام الطيبي، حيث قال: "في هذا الحديث أنّ الراعي ليس مطلوباً لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه، وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه ،فإنه أجمل أولاً ثم فصّل وأتى بحرف التنبيه مكرراً... والفاء في قوله "فكلكم" جواب شرط محذوف، وختم بما يشبه الفذلكة، إشارة إلى استيفاء التفصيل"[(٢)].

والعلاقة الزوجية علاقة تعاون بين الزوجين، حيث تقع عليهما مسؤولية حفظ هذا البناء كمسؤولية مشتركة بينهما، "وبوجه عام يزداد التوافق إذا كان لدى الزوجين القدرة على أن يقوم كل منهما بواجبه ومسؤولياته تجاه الآخر، وتجاه الأبناء والأسرة بوجه عام،

---

(١) صحيح البخاري، ك النكاح ب المرأة راعية في بيت زوجها ح ٥٢٠٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، ، تصحيح ومقابلة: الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله - ، ١١٣/١٣، ط: بدون(نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد).

وكذلك إذا كان لدى الطرفين القدرة على التعامل مع المشكلات الداخلية والخارجية بكفاءة وإيجابية في اتجاه الحل والمواجهة دون إخلال بدوره أو تفريط في مسؤوليته"[1] ، رغم أن الملاحظ في واقعنا المعاصر جهل الكثير من الأزواج والزوجات بحقوق الآخر مع تشدده في المطالبة بحقوقه هو، وهذا من الأسباب الرئيسة لانفصام هذه العلاقة، فكم من الأزواج من يحتل شريك حياته ذيل قائمة الاهتمامات لديه بعد الوظيفة والأهل والأصدقاء والرغبات الخاصة.

ومن المسؤوليات الرئيسة التي تحيط بالعلاقة الزوجية مسؤولية القوامة، وهي المرتبة التي امتاز بها الرجل عن المرأة قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ....﴾[2] ، وهذه الدرجة لا تقتضي تفضيلا في المعدن أو المكانة عند الله من أجل الرجولة أو الفحولة، بل العبرة في التفاضل التقوى وصلاح العمل، والحكمة من تفضيل الرجال على النساء أن تستقيم أمور الحياة بأن يقوم كل منهما بما عليه مما يتناسب مع خصائصه وقدراته، وهذا التقسيم العادل لأعمال ومهمات كل واحد من الزوجين يبطل دعوى المساواة بين الجنسين، والتي يرددها كثير ممن فتنوا بتيارات الحضارة المادية المعاصرة[3] .

---

(١) توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزواجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات ،عويدة نداء الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود، ص ٤١ ، ١٤٢٨هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٣) انظر، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة،حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة ،دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب،من ص٦٠١-١٦٠٤ ، ١٤٢٠هـ.

الأساس الخامس: المحافظة على أسرار الحياة الزوجية:

من أهم أسس المحافظة على العلاقة الزوجية مراعاة خصوصياتها وعدم إفشاء أسرارها، فليس كل ما يدور بين الزوجين قابلا لأن يذاع على الأهل والجيران والأصدقاء، وهذا يشمل العلاقة الزوجية الخاصة والمعاشرة بين الزوجين، حيث بين النبي ﷺ سوء من يفعل ذلك بقوله: "إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها"[1]، فكم تهدمت أسر حين فوجئ الزوجان بأن الجيران يعرفون أدق أسرار حياتهما ويتناقلونها بينهم، وكم وقع الشقاق بين الزوجين عندما علم أحدهما أن ما يستره عن أعين الناس قد بات مكشوفا أمام الأصدقاء والأقرباء.

كما أن خصوصية العلاقة الزوجية تتطلب حفظ ما يطرأ على الزوجين من المشكلات وعدم إذاعتها بين الناس، وذلك أدعى إلى حلها وإزالة ظلالها القاتمة، وكم من المشكلات الأسرية التي تجاوزت أسوار العلاقة الزوجية شعر صاحبها أنه يمشي مكشوفا مهتوك الستر أمام الناس فكانت أنكى في الجرح، وأعصى على الحل، لأن الزوجين اللذين ينشران أسرارهما ويخرجونها للآخرين كمن يسكن بيتا من زجاج والناس يرون ما به ويرون أعمال ساكنيه.

---

(١) صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ك النكاح ب تحريم إفشاء سر المرأة ح ١٤٣٧، ط: بدون (المملكة العربية السعودية، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٠هـ.

الأساس السادس: العدل:

يعد العدل أحد أسس الحياة الزوجية المهمة، لأنه يقوي بناء الأسرة، ويحقق صفاء القلوب وتآلف النفوس، ويؤدي إلى التوازن في النظر إلى إيجابيات شريك الحياة وفي سلبياته، كما وجه النبي ﷺ لذلك بقوله: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر"[1]، ومنه الاعتراف بفضل العشير وشكره والثناء عليه وتقدير ما يقدمه وتكرار ذلك لطيب أثره على العلاقة الزوجية، كما ضرب لنا ﷺ أكمل المثل في العدل بذكر الحسنات حتى بعد الموت، بوفائه لذكرى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، حتى غارت عائشة رضي الله عنها من ذكره لها فتقول: "ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها"[2].

ومن العدل المطلوب في العلاقات الزوجية العدل عند تعدد الزوجات، وقد تميز الهدي النبوي بالمثل الإنساني العالي في هذا العدل في العديد من المواقف التي حفظتها لنا سيرته الطاهرة، كما أن من صور العدل المؤثرة على صفاء العلاقة الزوجية العدل في إعطاء الحقوق لأصحابها، فللزوج حق وللوالدين حق وللأبناء حق ولذوي الأرحام حق، وعلى الزوجين إعطاء كل ذي حق حقه.

---

(١) صحيح مسلم، ك الرضاع ب الوصية بالنساء ح ١٤٦٩.

(٢) صحيح البخاري، ك النكاح ب غيرة النساء ووجلهن ح ٥٢٢٨.

الأساس السابع: قيام العلاقة الزوجية على محبة الله تعالى وطاعته:

إن اجتماع الزوجين على ما يرضي الله تعالى هو أعظم أساس لبناء السعادة في الأسرة المسلمة، فالله وحده تعالى هو الذي يؤلف بين القلوب ويجمع بينها، وطاعته لها أثر كبير في سيادة الألفة والمحبة والتوافق بين الزوجين، والتأمل في الصورة الرائعة التي ذكرها النبي ﷺ تبين حلاوة هذه العلاقة: "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت رش في وجهها الماء ،رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى رشت في وجهه الماء" (١) ، كما حث ﷺ على اتخاذ الزوجة الصالحة التي تتعاون مع زوجها على البر والخير في قوله: "ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة" (٢) ، بل إن النبي ﷺ يؤكد على أهمية بدء الحياة الزوجية بطلب التوفيق والسعادة من الله بالدعاء الذي علمه لمن أراد الدخول على أهله: "اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه" (٣) .

---

(١) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الصلاة ب الحث على قيام الليل ح ١٣٥٠، ط: ٢ (الرياض ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ك النكاح ب أفضل النساء ح ١٥٠٥.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني ،ك النكاح ب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله ح ١٥٥٧.

المطلب الرابع: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في العلاقات الزوجية:

سوف يتضح في هذا المطلب بعض الدروس الدعوية التي يستلهمها الدعاة من الهدي النبوي في التوجيه لأسس بناء الحياة الزوجية بما يسمح به المجال.

الدرس الأول: ضرورة بناء العلاقة المتينة بين الزوجين:

إن بناء العلاقة المتينة بين الزوجين ضرورة شرعية، ذات أثر بارز في حياة الداعية، وخاصة إذا بنيت بناء سليما فإن لها آثارا إيجابية على نفس الداعية، ومن ذلك حصول السكن النفسي والاستقرار والهدوء للداعية، ومن أعظم أمثلة ذلك: ما حملته لنا سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في مواقفها العظيمة مع النبي ﷺ منذ بدء الوحي حتى وفاتها رضي الله عنها، حتى قال عنها المصطفى ﷺ : "ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء"[(١)]، ولا شك أن موقفها وموقف أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين كان مؤنسا للنبي ﷺ في طريق دعوته ومزيلا للوحشة التي تنشأ من الوحدة والتفرد وصرفا للهموم وبعثا للنشاط والتجديد في العمل، كما أن فيه مشاركة في حمل تكاليف

---

(١) المسند، أحمد بن محمد حنبل، فهرسة الشيخ الألباني،٦/١١٧ ، ط:٤، (المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، وقال الحافظ الهيثمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٩/٢٢٤، دار الكتاب بيروت لبنان.

الدعوة، والصبر على ما يلاقيه من ابتلاء ومصاعب في سبيلها[1]، والداعية اليوم وفي ظل التحديات المعاصرة وضغوط الحياة بأمس الحاجة إلى الزوجة الودود الرؤوم التي يسكن إليها وتدخل البهجة في نفس زوجها.

الدرس الثاني: اقتداء الدعاة بالهدي النبوي في العلاقات الزوجية:

من الأمور الضرورية للداعية المسلم إتباعه لهدي النبي ﷺ في علاقاته الزوجية، وعلاقاته بسائر من حوله من الناس، فكم يقع الدعاة في مزلق التقصير والإساءة للزوجة والتعامل بالشدة والفظاظة وسوء الخلق، على خلاف ما يرى منه ويسمع خارج بيته من لطف المعشر ولين الجانب وإكرام الغير، وكم غفل بعض الدعاة عن قول النبي الكريم: "إن من خياركم أحسنكم أخلاقا"[2]، ووصيته للأزواج بقوله: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[3]، وقد كان من خير الأزواج ﷺ وأرفقهم بأهله، وأكرمهم تعاملا، وأرحمهم بهن، وقد شملت رحمته وبره نساء الصدر الأول بوصيته الأزواج بحسن المعاملة والبر بهن بقوله ﷺ: "استوصوا بالنساء خيرا"[4]، كما عبرت مسلمات صدر الإسلام عن هذه الرحمة وهذا الرفق من رسول الله ﷺ

---

(١) انظر، أثر العلاقات الأسرية في حياة الداعية في الكتاب والسنة، فاطمة سعود الكحيلي ،من ص٣٣- ٥٤، بحث ماجستير غير منشور قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم الإنسانية جامعة طيبة ١٤٢٧هـ

(٢) صحيح البخاري ،ك المناقب ب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٥٩.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح مسلم ،ك الرضاع ب الوصية بالنساء ح ١٤٦٨.

تجاههن حين قلن لعمر بن الخطاب ﷺ: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله، وذلك حين استأذن عمر للدخول عليه وبعض النسوة بين يديه وقد علت أصواتهن، فلما أذن لعمر بالدخول قمن فبادرن الحجاب، فأضحك ذلك رسول الله ﷺ وتعجب من فعلهن، فقال عمر ﷺ: "فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ" [1].

الدرس الثالث: مراعاة التوافق بين الزوجين:

من الموضوعات الدعوية المهمة التي تحقق السعادة الزوجية، توعية الناس بالأسباب الجالبة للتوافق بين الزوجين، لأهمية هذا الأمر وانعكاسه على نفسية الزوجين، فعلى سبيل المثال أثبتت إحدى الدراسات وجود علاقة ارتباطيه موجبة بين التوافق الزواجي وبين تقدير الذات لدى النساء المتزوجات، فالزوجة التي تنعم بالتوافق الزواجي تشعر بالإنجاز والنجاح، مما يدعم ثقتها بنفسها وبالتالي تقدر ذاتها تقديرا إيجابيا، بينما الزوجة التي لم يتحقق لها التوافق الزواجي فإنها تشعر بالإحباط والفشل وعدم النجاح، مما يزعزع ثقتها بنفسها، ومن ثم ينخفض تقديرها لذاتها، فالعلاقة الزوجية السعيدة عمادها الحب ودوام التوافق، والتقبل المتبادل بين الزوجين، والرضا والمحبة بين الطرفين، والتعبير الملائم عن المشاعر، والاتفاق بين الزوجين حول أمور الحياة المختلفة [2].

---

(١) صحيح البخاري ك فضائل الصحابة ب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ح ٣٦٨٣.

(٢) انظر، توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزواجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات، عويدة نداء الشمري، ص ١٦٣.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية

يشمل الهدي النبوي جميع جوانب الحياة الزوجية، وفي هذا المبحث ستذكر الباحثة أهم هذه الجوانب مع إيراد بعض النماذج النبوية، مع إتباعها بوقفات مشرقة ودروس دعوية، وهي: الجانب العبادي، والجانب الإنساني، والجانب الأسري، والجانب الجمالي، والجانب الترفيهي، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب العبادي للعلاقة لزوجية:

المقصد الأول: الهدي النبوي في الجانب العبادي للعلاقة الزوجية :

أولا : تعليم الأحكام الشرعية:

من أبرز سمات الهدي النبوي في العلاقة الزوجية تربية الزوجة ودعوتها للخير، وقد كان هذا شأن النبي ﷺ مع كل مسلمات صدر الإسلام، فحرص ﷺ على فرض التعلم، واعتنى بنفسه بتعليم الأحكام الشرعية لأمهات المؤمنين والمسلمات، لأن وجوب تعليم المرأة المسلمة ينبثق من مبدأ حفظ كرامتها ومساواتها بالرجل من حيث الأصل ومسؤولية العبادة، فالمرأة مسؤولة عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما فرض عليها من عبادات ومعاملات، ومن واجبها أن تتعلم ما لا يتحقق لها الالتزام بالدين إلا بتعلمه، ولذلك وجدنا النبي ﷺ يأمر الرجال بعدم منع النساء من ارتياد المساجد باعتبارها المؤسسة التعليمية الأولى [(١)]، ويأمر بخروج النساء للمساجد - حتى الحيض

(١) انظر، صحيح البخاري ،ك النكاح ب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره ح ٥٢٣٨.

منهن- ليشهدن الخير واجتماع المسلمين في العيدين، ويخصص جزءا من خطبته لوعظهن وتعليمهن، وكان يخصهن بدروس علمية خاصة ﷺ [1].

وقد كان لأمهات المؤمنين من ذلك الحظ الأوفر، فكان النبي ﷺ يعلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويعظها بتوجيهها للأخذ بأسباب الوقاية من العذاب بترك الذنوب كبيرها وصغيرها، فقال: "يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال فإن لها من الله طالبا" [2]، كما نراها تسأل وتناقش بحرية وقد أتاح لها فرصة السؤال، فأقبلت على تعلم كل ما تشعر بالحاجة إلى معرفته، فقد ثبت أنها "كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: "من نوقش الحساب عذب" فقلت: أوليس الله تعالى يقول {فسوف يحاسب حسابا يسيرا} قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك" [3].

ونقل زوجات النبي ﷺ أحوال عبادته وغيرها من الأحكام والحالات الخاصة داخل حجراته ﷺ والتي لم تكن لتعرف لو لم تنقلها لنا أمهات المؤمنين، ومثال ذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن أبي قيس قال: "سألت عائشة عن وتر رسول الله ﷺ كيف كان يوتر

---

(١) انظر، أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، حفصة حسن، من ص ١٨٥- ١٨٦، ط:١(بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الزهد ب ذكر الذنوب ح ٣٤٢١.

(٣) صحيح البخاري، ك العلم ب من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه ح ١٠٣.

من أول الليل أم من آخره ؟ فقالت: كل ذلك قد كان يصنع، ربما أوتر من أول الليل أم من آخره، قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، فقلت: كيف كانت قراءته أكان يسر بالقراءة أم يجهر ؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، قد كان ربما أسر وربما جهر، فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، فقلت: فكيف كان يصنع في الجنابة ؟ أكان يغتسل قبل أن ينام، أم ينام قبل أن يغتسل ؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما اغتسل فنام وربما توضأ فنام، قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة"[1]، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها عن صفة غسله قالت: "توضأ رسول الله ﷺ وضوءه للصلاة غير رجليه، وغسل فرجه وما أصابه من الأذى، ثم أفاض عليه الماء، ثم نحى رجليه فغسلهما، هذه غسله من الجنابة"[2]، إلى غير ذلك من أمور العقيدة والشريعة التي علمها ﷺ لأزواجه، وأظهر حرصهن على نقل وتتبع سننه القولية والفعلية وأحواله داخل حجراته ونقل ذلك لأمته من بعده نشرا للعلم والسنة المطهرة.

ثانيا: التوجيه إلى العبادات المتنوعة:

من صور الجانب العبادي في بيت النبوة أن تجتهد الزوجة في أداء عبادة ما وتظن أنها أفضل ما تتقرب به إلى ربها، فيأتي التوجيه من الزوج العالم المحب بدلالتها على ما هو خير لها مما تقوم به، وقد رغبت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في المسارعة إلى الخيرات

(١) صحيح سنن الترمذي، الشيخ الألباني، ك فضائل القرآن ب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ح ٢٣٣٤.

(٢) صحيح البخاري، ك الغسل ب الوضوء قبل الغسل ح ٢٤٩

والمشاركة في الأجر العظيم عن طريق الجهاد في سبيل الله فوجههن النبي ﷺ إلى الأفضل، فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ سأله نساؤه عن الجهاد، فقال: نعم الجهاد الحج"[1] هذا الحديث الشريف هو صورةٌ من صور توجيه المرأة والعناية بها، فالنبي ﷺ لم يأذن لزوجاته بالجهاد، بل بيّن لهن البديل وهو الحج، وفي ذلك تيسيرٌ على المرأة ومراعاةٌ لطبيعتها، إذ إنّ الجهاد يستلزم قوة في الجسد وكمالاً في العقل وشجاعة وقدرة على التحمل، وطبيعة المرآة - القائمة على ضعف الجسد ورقة العاطفة والفزع عند المصائب – تنافي ذلك.

وهذه أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها خرج النبي ﷺ من عندها بعد صلاة الصبح وهي في مسجدها تذكر الله تعالى، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: "أما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت: نعم، فقال: "لقد قلت بعدك أربع كلمات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته"[2].

كما نراه ﷺ يدعو إلى الاعتدال في العبادة والإقبال عليها بنشاط، حثا للمسلمين على المداومة على ما يطيقونه من الأعمال والعبادات دون مشقة ولا عنت، لأن سمة هذا الدين اليسر، فيعدل سير من اجتهدت من أمهات المؤمنين وجانبت الصواب وشددت على نفسها في العبادة ويعيدها برفق إلى الصواب،

---

(١) صحيح البخاري ك الجهاد ب جهاد النساء ح ٢٨٧٦.

(٢) صحيح مسلم، ك الذكر والدعاء ب التسبيح أول النهار وعند النوم ح ٢٧٢٦

وذلك أن النبي ﷺ دخل ذات مرة "فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل ؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"[1] .

ثالثا: التعاون على أداء العبادة:

من أجمل صور التعاون على الخير المشهد الذي رسمه لنا النبي ﷺ بقوله: "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت رش في وجهها الماء ،رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى رشت في وجهه الماء"[2] ، فقد يتكاسل أحد الزوجين عن القيام بالطاعة، فيكون الآخر مشجعا وعونا له على الخير، ومذكرا إياه باغتنام الأوقات، خاصة في الطاعات التي تتطلب القيام من المضاجع للوقوف بين يدي الرحمن، والتي يكون فيها مجاهدة لهوى النفس ورغباتها، وتقديم الآخرة على الدنيا والاكتفاء من الدنيا بالكفاف، وقد كان هذا حال بيت النبوة رغبة فيما عند الله والدار الآخرة.

وعن عائشة – رضي الله عنها- قالت: قال ﷺ "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً"[3] ، ففي الحديث توجيه نبوي عظيم، وبيان لمدى الشراكة بين المرأة وزوجها في فعل الخير، وفي ذلك دعوةٌ للمرأة بتشجيع زوجها على البذل والإحسان

---

(١) صحيح البخاري، ك التهجد ب ما يكره من التشدد في العبادة ح ١١٥٠

(٢) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الصلاة ب الحث على قيام الليل ح ١٣٥٠.

(٣) صحيح البخاري، ك الزكاة ب من أمر الخادم بالصدقة ولم يناول بنفسه ح ١٤٢٥.

والصدقة، إيماناً منها بأن دفع زوجها للأعمال الصالحة يزيدها شرفاً في الدنيا، وثواباً في الآخرة.

ومن صور التعاون على العبادات إذن الزوج لزوجته بالذهاب إلى أماكن العبادة والعلم كالمسجد، فقد روى الإمام البخاري قوله ﷺ: "إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها"[(١)]، ومن ذلك اصطحابها إلى حلق العلم وحفظ القرآن الكريم، وحثها وإعانتها على شهود الخير مع المسلمين كحضور صلاة العيدين، وتأدية العمرة وغيرها، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها لما خرجت في حجة الوداع حاضت فلم تطف بالبيت، ووجدت في نفسها أن الناس يرجعون بحج وعمرة وأنها ترجع بحجة فقط، وأنها لم تطف بالبيت إلا بعد أن حجت، فأمر النبي ﷺ أخاها عبد الرحمن أن يذهب بها إلى التنعيم فتهل بعمرة، وما أجمل وصف الصحابي الجليل للنبي ﷺ في هذا الموقف الكريم"وكان رسول الله ﷺ رجلا سهلا إذا هويت الشيء تابعها عليه"[(٢)].

وشاركت نساؤه معه في الجهاد في سبيل الله وهو رأس الدين وعموده، وذلك بما يناسب قدراتهن وطاقتهن من أعمال كسقي المقاتلة ومداواة الجرحى[(٣)]، فقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها: "كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيهن

---

(١) ك النكاح ب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره ح ٥٢٣٨.

(٢) صحيح مسلم، ك الحج ب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والعمرة والقران ح ١٢١٣.

(٣) انظر، فتح الباري، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، ٧٨/٦.

يخرج سهمها خرج بها النبي ﷺ"[1] ، ولا شك أن إشعار الزوجة بدورها في مثل هذا الأمر العظيم باعث لها على الثبات والتضحية، وجاء عن أنس ﷺ وصفه لما رآه يوم أحد في ذلك الموقف العصيب وقد انهزم الناس فيقول: "ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهن تنقزان القرب- وقال غيره تنقلان القرب- على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنهما ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم"[2] .

رابعا: التحذير من الوقوع في المعصية:

ورد في قصة صلاة الخسوف قوله ﷺ"إني رأيت الجنة، أو أُريت الجنة، فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا: لم يا رسول الله ؟ قال: بكفرهن. قيل: يكفرن بالله ؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط"[3] .

هذا حوار بين المصطفى ﷺ وبين المسلمين، يبين لهم فيه الذنب الذي تجرأ كثير من النساء عليه وهو(كفر العشير)، وكفر العشير يعني: جحد نعمة الزوج وإنكارها أو سترها بترك شكرها، وهذا الحوار الذي يبين ويقرر مصير المرأة - الجاحدة لنعمة الزوج - في

---

(١) صحيح البخاري ،ك الجهاد ب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه ح ٢٨٧٩.

(٢) صحيح البخاري ك الجهاد ب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ح ٢٨٨٠.

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب كفران العشير وهو الزوج ح ٥١٩٧.

الآخرة، يجعلها في حذر من الوقوع في إثم كفران العشير وكثرة اللعن، فهو خطاب حكيم يجعلها تحيا بحياته الدنيوية وهي تنظر إلى الآخرة، وتجعل كل عوائدها وتصرفاتها، عبادات تتقرب بها إلى بارئها.

وفي جانب آخر في بيت النبوة، يظهر فقه التعامل عند وقوع المعصية -وإن كانت يسيرة- ومعالجة نزغات الشيطان وحظوظ النفس البشرية- ولا يخلو جو أسري من هذا الأمر- فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يوما: "يا رسول الله، إن صفية امرأة، وقالت بيدها هكذا -كأنها تعني قصيرة- فقال لقد مزجت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لمزج"[1].

خامسا: الاهتمام بأخذ إذن الزوج في القيام ببعض النوافل التعبدية:

أكد المنهج النبوي على ضرورة الاهتمام بأخذ إذن الزوج في القيام ببعض النوافل التعبدية، فقال ﷺ: "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره"[2]، فهذه مجموعة من القواعد النبوية في الحفاظ على العلاقة الزوجية وتلاحمها، فنهي المرأة عن صيام النافلة بحضرة الزوج بدون إذنه له حكمة إلهية في تحقيق الأغراض التي من أجلها وُجِدت هذه العلاقة، وفيها تأكيد على عظيم حق الزوج، فيقدم إذا ما تعارض مع نافلة من نوافل العبادات، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث: "سبب هذا التحريم أنّ للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت، وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع

---

(١) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك صفة القيامة ب ٥١ ح ٢٠٣٤.

(٢) صحيح البخاري، ك النكاح ب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه ح ٥١٩٥.

ولا واجب على التراخي...وفي الحديث أنّ حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير، لأنّ حقه واجب والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع"[1].

وقد يتخذ بعضهم هذا الإرشاد النبوي للطعن في الإسلام، بقولهم إن في أخذ الإذن من الزوج تقييد لحرية المرأة في ممارسة العبادة، والحقيقة التي لا تخفى هي أن الحرية الحقيقية هي الحرية المستمدة من العبودية المطلقة لله تعالى، فإذا عاش الإنسان هذه العبودية واستشعرها؛ تحرر من كل ما سواها، وهذه العبودية لا تنافي وجود نظام يسير عليه الإنسان، وإذا كان هذا النظام والقيد منطلقاً من أمر الله فإنه يكون ضمن عبوديته، وهذا هو الحال بالنسبة لأخذ المرأة الإذن من زوجها فهي إنما تطيع أمر الله، الذي أمرها بطاعة زوجها- فيما يرضي الله لا في معاصيه- وفي ذلك أعظم وأبهى صور العبودية لله سبحانه، فالإسلام لم يوجب طاعة الزوج إذلالا للزوجة أو احتقارا لدورها في العلاقة الزوجية، بل مراعاة لمصلحة هذه العلاقة وضبطا لسيرها.

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب العبادي للعلاقة الزوجية

الدرس الأول: أهمية الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الناس الخير:

من أعظم العبادات التي يتعاون عليها الزوجان: الدعوة إلى الله وتبليغ الخير للناس، فهؤلاء أمهات المؤمنين قد حملن الأمانة مع النبي ﷺ، وكم حملت لنا سيرتهن تعليم المؤمنين- رجالا ونساء- شرائع الدين أثناء حياته، ثم نشر هديه ورسالته بعد التحاقه بالرفيق الأعلى،

(١) فتح الباري ، ٩/٢٩٦.

فقد "كانت بيوت نساء النبي ﷺ مدارس للتعليم، حيث كانت أمهات المؤمنين يقتدين ويؤدين العبادات، ويتخلقن بالآداب والمعاملات التي شاهدن رسول الله ﷺ يتخلق بها، فكنّ في كل ذلك الأسوة لغيرهن من النساء والرجال، حتى إننا نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم كثيرا ما كانوا يختلفون في أمر ما، فيأتون إلى زوجات النبي ﷺ ليرجعوا بالجواب، فكانت نساء النبي شواهد اختارهن الله سبحانه وتعالى لمعايشة نبيه، فنقلن بشهادتهن دقائق البيت النبوي وأسراره، وهن يؤدين مهمتهن في تربية أجيال المؤمنين والمؤمنات"[(١)] .

الدرس الثاني: (بين التخلية والتحلية):

تأتي تزكية النفوس بالطاعات والمداومة عليها، وكراهية المعاصي والنفور منها كواحدة من الدروس الدعوية ذات البعد التربوي، وهذا يؤكد أهمية العبادات في الإسلام، فالإيمان بالله وتحقيق العبودية له عز وجل والقيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة، والبعد عن المعاصي والمخالفات الشرعية؛ يزكي النفس البشرية، ويطهرها من الذنوب والآثام، ويسهّل عليها قبول الحق والانقياد للشرع، "ولا شيء مثل العبادات بأنواعها المختلفة يزكي النفس، ويهيئها لاكتساب الأخلاق الطيبة والتخلص من الأخلاق الرديئة"[(٢)] .

---

(١) أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، حفصة حسن، ص١٩٠.

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٩٩، ط: ٣ (بيروت ،مؤسسة الرسالة ومكتبة القدس، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

ورسالة الداعية هي: الدعوة إلى المبادرة إلى فعل الواجبات، و الإكثار من الطاعات والنوافل التي تقرب من الله تعالى، وتسمو بالروح إلى مراتب الكمال، وتكسب حب الرحمن وتأييده وحفظه، لأن"من تولى الله بالطاعة والتقوى؛ تولاه الله بالحفظ والنصرة"[1]، كما أنه بذلك يطيع أمر الله عز وجل بوقاية النفس والأهل من عذاب النار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2]، وقال ﷺ: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه"[3].

إن مداومة المسلم على أداء العبادات- فروضها ونوافلها- يعظم في نفسه أمر الإخلاص لله، والشعور بعظمته، والانقياد لأمره تعالى، كما يكسبه الطمأنينة والسكينة، فلا يستثقل شرائع الدين، أو يضيق بها صدره، بل يعيش معاني العبادة لله بمعناها الواسع، الذي يشمل جميع جوانب حياته، فيتوجه بجميع أعماله لله، بتحسين نيتها في سائر أمور معاشه، ويبتغي وجه الله في ذلك، فيصبح عابدا لله حيثما توجه، وتصبح

---

(١) فتح الباري، ١١/٣٤٣.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) صحيح البخاري، ك الرقاق ب التواضع ح ٦٥٠٢.

العبادة هي صلته الدائمة الوثيقة بربه، فيعيش في معية الله تعالى، ويتقلب في رحمته وتوفيقه وإعانته، وهو أعظم ما يظفر به المسلم، قال النبي ﷺ: "يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة"[(١)] .

(١) صحيح مسلم، ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ب الحث على ذكر الله ح ٢٦٧٥.

الدرس الثالث: استقامة الزوجين ثمرة دعوية مهمة جدا:

إن الحرص على تحقق الاستقامة التي توصل الزوج المؤمن إلى أعلى الدرجات حيث تحفه الملائكة، وتبشره بخيري الدنيا والآخرة، واستقامة الزوجين؛ تكون بلزومهما الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

والاستقامة هي: الثبات على قوله: ربنا الله، بحقّها وحقيقتها، والاستقامة عليها شعورا في الضمير، وسلوكا في الحياة، والصبر على تكاليفها، وهذا أمر كبير وعسير- إلا على من وفقه الله تعالى- ومن ثم استحق عند الله هذا الإنعام الكبير[2].

إن الزوجين المستقيمين على أمر الله، يكونان أبعد ما يكون عن نزغات الشياطين، التي تؤدي بهما إلى تجاوز الحدود وإلى الوقوع في الإفراط أو التفريط، فلا يتهاونان ويفتران عن القيام بما هو مطلوب منهما، ولا يميلان أو ينحرفان في أقوالهما وأفعالهما ونياتهما وسائر شئونهما، لأن حقيقة الاستقامة: "تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله"[3]، والزوجان اليوم يعيشان عصرا مليئا بالمغريات والملهيات والفتن، مما قد يلهي عن طاعة الله، ويدفع إلى مخالفة شرعه، وهذا يؤكد ضرورة

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣١٢١/٥ (بيروت والقاهرة، دار الشروق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ١٠٥/٢، ط: ٢(بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

الاستقامة، ولن يكون هذا إلا بمجاهدة النفس لامتثال ما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ.....﴾[1]، والمقصود: جاهدوا أنفسكم في طاعة الله، وردّوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظلمة في رد ظلمهم[2].

المطلب الثاني: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الإنساني للعلاقة لزوجية:

إن السنة النبوية تشكل مادة ثرة وغنية بالمواقف النبوية التي توضح الجانب الإنساني في العلاقة الزوجية، فقد بعث الله رسوله ﷺ بالدين الكامل الذي به تمام النعمة والسعادة للإنسان، ومن المواقف النبوية التي توضح ذلك ما يأتي في المقصد الآتي:

المقصد الأول: الهدي النبوي في الجانب الإنساني للعلاقة الزوجية:

أولا: إحسانه وبره ﷺ لزوجاته:

يتعجب المرء من طبيعة العلاقة الزوجية التي تنشأ بين فردين غريبين قد لا يعرف أحدهما الآخر، ثم يرتبطان بميثاق قوي غليظ، يبني بينهما علاقة قريبة جدا وشراكة في جميع الجوانب، فإذا هذان الزوجان يعيشان تحت سقف واحد تظللهما أقوى مشاعر المحبة والألفة، يقتسمان اللقمة الواحدة ويفرحان معا ويحمل أحدهما مع رفيقه همه، ولا يكاد يطرأ لأحدهما أمر سرور أو حزن إلا ورفيقه يعلم حاله ويتقاسم معه مشاعره، وقد بين النبي ﷺ أساس هذه العلاقة

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) انظر، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ١٢/ ٩٩.

بقوله: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، فهي علاقة ملاصقة واندماج وصفها الله تعالى بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ..... ﴾[1]، وعاشها المصطفى ﷺ بكيانه كله، فتجده قدوة في الوفاء لشريكة دربه في الدعوة، وأم أبنائه خديجة رضي الله عنها، فيفرح لرؤية ما يذكره بها ويتواصل بإحسانه وبره لأهلها بعد وفاتها، وتحكي عائشة غيرتها الشديدة منها ووفائه لها فتقول رضي الله عنها: "ما غرت على نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وإني لم أدركها، وكان النبي إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة؟ فقال الرسول ﷺ إني قد رزقت حبها"[2]، ويحزن بقدر ما يتذكر أيامها الخوالي ويرق رقة شديدة عند رؤيته للقلادة التي كانت قد أهدتها لابنته زينب رضي الله عنها وبعثتها فداء لزوجها أبي العاص بعد غزوة بدر[3]، كما تسمعه وهو يعبر عن الشفافية في المشاعر الزوجية وهو يقول لعائشة رضي الله عنها: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عني غضبى، فقالت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢) صحيح مسلم، ك فضائل الصحابة ب فضائل خديجة أم المؤمنين ح ٢٤٣٥.

(٣) انظر، سيرة النبي ﷺ، عبد الملك بن هشام: تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢٩٧/٢ط: بلون، (الرياض، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد).

قالت: أجل والله يا رسول الله، ما اهجر إلا اسمك"[1]، وتحكي مداعبته لها وتلطفه وتودده لها بقولها: "كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب، و أتعرق العرق - وهو العظم الذي عليه اللحم- وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ"[2]، ويحكي لنا أنس رضي الله عنه مشهدا رائعا لعناية الزوج بزوجه ورفقه بها في حديثه عن صفية رضي الله عنها يقول: "فرأيت النبي ﷺ يحوّي لها وراءه بعباءة، ثم يجلي عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب"[3].

ثانيا: تبادل المشاعر العاطفية والتصريح بها:

قد تنعدم المشاعر العاطفية والمحبة بين الزوجين وتصل العلاقة بينهما إلى أشبه ما يكون بعلاقة ذات طابع رسمي يؤدي كل فرد فيها واجباته ومسؤولياته دون عاطفة حب أو ود، فلا يسمع الإطراء الجميل والمدح والثناء، ولا يعبر عن الشوق والمحبة والأهمية والمكانة في حياة الزوج، ثم لا يلبث أن يمل الزوجان ويسأمان من هذا الجفاء العاطفي، فيعلو صوت الشقاق عند كل بادرة خلاف في الرأي، منذرا بقرب تفكك هذا البيت، أو يلجأ الزوجان إلى إشباع هذا النقص العاطفي إلى طرق أخرى يختلط فيها المشروع بغير المشروع من الحلول، وهذه صورة تتكرر في كثير من بيوت المجتمع.

---

(١) صحيح البخاري، ك النكاح ب غيرة النساء ووجلهن ح ٥٢٢٨.
(٢) صحيح مسلم، ك الحيض ب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها ح ٢٩٩.
(٣) صحيح البخاري، ك المغازي ب غزوة خيبر ح ٤٢١١.

أما في بيت النبوة فكانت أفياء المحبة والمودة تظلل جوانبه وتغمر أفراد البيت المبارك، فيعلن النبي ﷺ حبه لخديجة رضي الله عنها: "إني رزقت حبها"(١)، ويصرح بحبه لزوجه عائشة بنت الصديق رضي الله عنها أمام الناس دون شعور بخجل أو نقص في رجولته، بل إنها من أحب الناس إلى قلبه(٢) وقد حفظت لنا سيرته عليه الصلاة والسلام المواقف الكثيرة المتنوعة في الحياة الزوجية الكريمة.

ثالثا: الوفاء بحقوق المعاشرة الزوجية:

إن العلاقة الجنسية بين الزوجين عامل مهم ومؤثر بشكل كبير في استقرار وتماسك العلاقة الزوجية واستمرارها، كما أنها السبيل إلى الهدف الآخر من الزواج وهو النسل والذرية، وقد عظم النبي ﷺ خطأ من قصرت في حق زوجها عند حاجته إلى ذلك فقال: "إذا باتت المرة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع"(٣)، وهو أمر فطري غريزي مشترك بين الرجل والمرأة، وقد راعى النبي ﷺ زوجاته وحاجتهن في هذا الجانب، ولم يمنعه تعددهن من الوفاء بحقهن في ذلك، فقد روى الإمام البخاري: "أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة"(٤)، كما حفظت لنا سنته ﷺ صورا جميلة تجمع بين إشباع هذه الغريزة مع إرواء العاطفة لدى الزوجة، وهذا من الأسباب المهمة لدوام المحبة والألفة بين الزوجين، تحكي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها موقفا نبويا

---

(١) صحيح مسلم، ك الفضائل ب فضائل خديجة أم المؤمنين ح ٢٤٣٥.

(٢) انظر، صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك المناقب ب فضل عائشة ح ٣٠٤٦.

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ح ٥١٩٤.

(٤) صحيح البخاري، ك النكاح ب من طاف على نسائه في غسل واحد ح٥٢١٥.

راقيا يتدفق بالمحبة: "بينما أنا مضطجعة مع رسول الله ﷺ في الخميلة، إذ حضت، فانسللت فأخذت ثياب حيضتي، فقال لي رسول الله ﷺ أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة. قالت: وكانت هي ورسول الله ﷺ يغتسلان في الإناء الواحد من الجنابة"[1].

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الإنساني للعلاقة الزوجية:

الدرس الأول: وسطية الحياة الزوجية واعتدالها:

إن الإسلام دين الوسطية في كل جوانبه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[2]، ومنهج الإسلام هو التوازن بين الإيجابيات والسلبيات، والموازنة بين المصالح والمفاسد، ويدل على ذلك من الهدي النبي ﷺ تعليمه آداب الحياة الزوجية بقوله ﷺ"لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر"[3].

ومن اعتدال الإسلام مراعاته للجوانب الفطرية الغريزية؛ إشباعها وعدم كبتها أو إطلاقها دون قيد أو نظام، "فالتدين الصحيح لا يكمن في التنسك والزهد بحسب ما تمليه الأهواء والرغبات، كما لا يكون التدين الصحيح المستقيم في الانقطاع عن المباحات والملذات، وإنما يكون التدين المستقيم الصحيح بالتمسك بما كان عليه النبي ﷺ، فمن سنته الشريفة المنيفة: الأكل والشرب والنكاح والنوم، كل

(١) صحيح مسلم ،ك الحيض ب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد ح ٢٩٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: (٨٧- ٨٨).

(٣) سبق تخريجه.

ذلك من غير إسراف ولا مخيلة، بل في اعتدال"[1] ، فتقوى الله ومرضاته لا تتنافى مع إشباع الشهوات المغروسة في الفطرة الإنسانية ما دامت بطريقة مشروعة، فالدين الإسلامي ينهى عن التبتل والانقطاع إلى العبادات وحرمان النفس من النكاح وما يتبعه من الملاذ -كما يصوره أعداء الإسلام- فدين الفطرة يحارب الركون إلى الدنيا ولذائذها وإغفال الآخرة والسعي لها، أما اتخاذ هذه اللذائذ مطية للدار الآخرة فهو المطلوب المأمول، ومن أدلة ذلك إباحة الله تعالى الرفث إلى النساء في ليالي الصيام بل الأمر به في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ....﴾[2] ، وورود الأمر بتصوير قرآني بديع يصور تلاحم الزوجين في ساعة الأنس، فهما وشائج مترابطة تحت مظلة الزواج الشرعي، ومما يؤكد ذلك شرع الدعاء حال الجماع كما علمنا ذلك النبي ﷺ بقوله: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا..."[3] ، كما أن التأمل في حال النبي ﷺ وعلاقته مع أزواجه في الصيام يجد أن نهار الصوم وإن كان للتعبد والانقطاع عن المفطرات لكنه يتخلله نوع مداعبة للزوجة[4] ، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : "كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه أملككم لإربه"[5] .

---

(١) موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ص ٥٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ك النكاح ب ما يقول إذا دخل على أهله ح ٨٧٢.

(٤) انظر، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة ،دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، من ص ٦٢ - ٦٤.

(٥) صحيح مسلم، ك الصيام ب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ح ١١٠٦.

الدرس الثاني: تعريف الزوجين بالآداب الإسلامية للمعاشرة الزوجية:

إن توعية الأزواج بآداب المعاشرة من القضايا التي يلتزم الدعاة التذكير بها بالطريقة المناسبة، وخاصة أولئك الذين يعملون في مجال الإرشاد الأسري، حيث يعمل الكثير من الدعاة في مجال الإرشاد الأسري والزواجي، وفي لجان إصلاح ذات البين، وتشمل المشكلات الجنسية بين الزوجين مساحة كبيرة من أسباب المشكلات الزوجية والتفكك الأسري، وهو أمر مهم لأن إهمال هذه المشكلات يصيب الحياة بالتوتر والقلق، وهذا أمر ينعكس بشكل كبير على نفسية الزوجين وقد يؤدي إلى تصدع بنيان الحياة الزوجية.

ومن أسباب ظهور هذه المشكلات وتفاقمها في كثير من المجتمعات: الغموض في تناول العلاقة الجنسية بين الزوجين، والجهل والتعتيم الذي يغلف هذه العلاقة نتيجة الخجل الذي ينشأ ويربى عليه الرجل والمرأة، فهما يعلّمان منذ الصغر أن أي حديث عن هذه العلاقة عيب وإثم لا يجوز الحديث فيه حتى مع أقرب الأقربين، وقد يبدأ الزوجان حياتهما في بيت الزوجية وهما يجهلان حقائق هذا الجانب وآدابه وفنونه بل وأحكامه الشرعية، فيصطدمان بشكل عنيف يحفر الآثار المريرة في نفوسهما وذاكرتهما إلى آخر حياتهما الزوجية ما لم يعجل بإنهائها وعلاجها من الأساس كما تظهر مشكلة سوء التوافق الجنسي نتيجة جهل الزوج بطبيعة الزوجة، وعدم اهتمامه بإشباع حاجتها إلى الحنان والحب، حيث إن الجنس بالنسبة للمرأة لا يكفي وحده للتعبير عما لديها من مشاعر عاطفية كالحب والحنان والعطف[(١)].

---

(١) انظر، مشكلات التوافق الزواجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، نوال عبد الله الحنطي، ص٤٣، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود ١٤٢٠هـ.

المطلب الثالث: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الأسري للعلاقة لزوجية:

العلاقة الزوجية في الإسلام هي أساس تكوين الأسرة، "والأسرة كمجموع بشري من ذكر وأنثى هي اللبنة الأولى والوحدة الاجتماعية الأساسية للمجتمع، وتتجسد فيها أركان المجتمع ومقوماته البنائية، ومهما صغر حجمها أو عدد أفرادها فإنهم يرتبطون بعلاقات عاطفية واجتماعية ومالية وتنظمهم حقوق وواجبات"[(١)].

المقصد الأول: الهدي النبوي في الجانب الأسري للعلاقة الزوجية:

أولا: التعاون على الخير:

تعد أساليب التعامل التي تنشأ بين أفراد الأسرة من بداية العلاقة الزواجية بمثابة عوامل حاسمة، تعمل على ترابط وبقاء الأسرة أو تفككها وانحلالها واضطرابها، وهي مسؤولية مشتركة بين الزوجين، وهذا النبي ﷺ يعلم المسلمين وجوها عديدة من التعاون على الخير، فيذكر صورة الزوجين المتحاضين على قيام الليل، اللذين يقوم أحدهما الليل ويوقظ رفيقه فإن أبى وإلا نضح في وجهه الماء، كما يأمر بإيقاظ زوجاته في الليل ويعظهن، فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: "استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتن ؟ وماذا فتح من الخزائن ؟ أيقظوا صواحبات الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"[(٢)].

---

(١) ميثاق الأسرة في الإسلام، د. أحمد العسال وآخرون، ص ١٢٧.

(٢) صحيح البخاري، ك العلم ب العلم والعظة في الليل ح ١١٥.

ثانيا: التعاون في شؤون المنزل:

إن التعاون بين الزوجين ومشاركة الزوج في بعض الأعمال المنزلية لا ينقص من مكانة الإنسان حتى لو كان مسؤولا كبيرا في مكان ما، أو رجلا معروفا أو إماما وخطيبا إلى غير ذلك من العطايا والمناصب الدنيوية، فإن هذا لا يمنعه أن يكون زوجا رحيما في بيته، محبا لزوجه رؤوفا رحيما بها، يعطيها من كرم خلقه ويتقرب إليها ويدنو منها بمشاركتها في مهام بيتهما، وهذا المصطفى ﷺ تصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صنيعه في أهله بقولها: "كان يكون في مهنة أهله- يعني خدمة أهله- ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"(١) ، ولم يمنعه انشغاله بالرسالة والدعوة وحمل أعباء الأمة من أن يكون نعم الزوج الودود الكريم الذي يحمل مسؤولية بيته مع زوجه.

ثالثا: صلة الأرحام وزيارة الأهل:

إن المحافظة على صلة الأرحام وتبادل الزيارات مما يؤدي إلى تآزر المجتمع، فتصفو القلوب وتشيع المودة والألفة بين المتواصلين وترتفع الشحناء والبغضاء، وقد نوّه تعالى بمكانة الأرحام في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢) ، والرجل والمرأة سواء في صلة أرحامهم سواء أكانوا ذكورا أم إناثا، يصلان ويوصلان كلا بما يناسبه من صور البر والصلة، وقد بين النبي ﷺ عظيم أثر صلة الأرحام بقوله: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه"(٣) ، ومن أسباب ضعف العلاقة الزوجية منع

---

(١) صحيح البخاري ،ك الأذان ب من كان في حاجة أهله ح ٦٧٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٣) صحيح البخاري ،ك الأدب ب من يبسط له في الرزق لصلة الرحم ح ٥٩٨٦.

المرأة من صلة أهلها وزيارتهم لمدد طويلة جهلا بمكانة صلة الرحم، وتهاونا بآداب الإسلام وأخلاق المسلمين، ولا سيما صلة الوالدين، حيث جاء الحث والتأكيد على وجوب الإحسان إليهما حتى وإن كانا مشركين، فكيف إذا كانا مسلمين؟ فهذه أسماء رضي الله عنها تستأذن النبي ﷺ في صلتها لأمها التي قدمت عليها وهي مشركة، تقول: "إن أمي قدمت وهي راغبة؟ قال: نعم، صلي أمك"(١)، بل إن في منع الرجل زوجته من صلة أهلها إضاعة لأمانة القوامة عليها، إذ مقتضى القوامة: إعانة الزوجة على أمور دينها وطاعة ربها(٢).

كما يقع الخطأ من بعض الأزواج عند وقوع الإفراط أو التفريط ومجانبة الصواب في الاعتدال في جانب صلة الرحم، مثل التفرقة بين أهل الزوج وأهل الزوج في الصلة والإحسان، فيميل إلى أحد الطرفين على حساب الطرف الآخر، والأصل إعطاء كل ذي حق حقه من البر والإكرام، كما يخطئ البعض الأخر حين يخلط بين مشكلات والديه وبين علاقته الزوجية، أو يستسلم ويضعف أمام الظلم الذي قد يقع لأحد أطراف الأسرة، ومن هنا اعتبرت إحدى الدراسات تدخل أهل الزوجين في حياة أبنائهم من أكثر المشكلات تأثيرا على التوافق الزواجي(٣)، ومن المهم هنا مراعاة التوازن في بناء هذه العلاقات والمحافظة عيها، فلا تطغى علاقة المرء بوالديه- مثلا- على حساب علاقته بشريكه، أو العكس، فيقع التقصير عليها.

---

(١) صحيح البخاري، ك الأدب ب صلة الوالد المشرك ح ٥٩٧٩.

(٢) انظر، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، من ص ٢٢٢- ٢٢٥.

(٣) انظر، مشكلات التوافق الزواجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، نوال عبد الله الحنطي، ص٢٦.

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الأسري للعلاقة الزوجية:

الدرس الأول: الرفق ولين الجانب:

من أهم صفات الداعية في أسرته: الرفق والتواضع ولين الجانب والإحسان إلى الأهل، فأساليب المعاملة بين الزوجين تؤثر على درجة التوافق بين الزوجين بشكل كبير، كما أثبتت إحدى الدراسات، وقد تبين وجود ارتباط عام موجب بين أساليب المعاملة الزوجية السوية وبين التوافق الزواجي[1]، وعليه فالواجب على الزوج أن يراعي أهل بيته ويتلطف بهم ويشاركهم في شؤونهم الخاصة تأسيا بالهدي النبوي، وهذا لا يعد ضعفا أو تراخيا كما يظن البعض ممن قل علمهم بسنة المصطفى ﷺ، وقد أمرنا الله تعالى بالتأسي به وبأخلاقه، ومما يؤخذ على بعض الدعاة غلظة أخلاقهم مع أسرهم، وتقصيرهم في حقوقهم، بينما تتوافر سماحة الخلق والكرم مع غيرهم، وتقديم قضاء حاجات الأباعد على حساب الأسرة وحاجاتها المتنوعة.

الدرس الثاني: المساهمة في الإصلاح الأسري:

من الموضوعات الدعوية المهمة: دور الداعية في الإصلاح الأسري، وإصلاح ذات البين بين جميع أفراد الأسرة، واحتواء المشكلات الناشئة بين الأزواج وحلها بأحكم طريقة، وأرفع تعامل، فالغيرة من

---

(١) انظر، دراسة التوافق الزواجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية وبعض سمات الشخصية دراسة مقارنة بين العاملات وغير العاملات، منيرة عبد الله الشمسان، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم علم النفس كلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.

أكثر المشكلات وقوعا بين الزوجات، وتحتاج إلى حكمة بالغة في حلها واحتواء آثارها، فهذه إحدى أمهات المؤمنين ترسل بطعام في صحفة إلى الرسول ﷺ وأصحابه وهو في بيت ضرتها، ولا تملك أم المؤمنين غيرتها فتأتي وتكسر الصحفة، فيجمع المصطفى ﷺ فلقتي الصحفة ويقول: "غارت أمكم"ثم يحبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي كسرت الصحفة ويدفع الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، ويمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه[(١)]، ومن ذلك إصلاحه بين زوجاته، ومراعاته مشاعرهن ووعظهن وتذكيرهن بالله ضبطا لسلوكهن الانفعالي، فلا يقعن في الظلم أو إضمار السوء، فعن أنس رضي الله عنه "أنه بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي؛ فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي. فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة"[(٢)] فهذا إصلاح وإنصاف امتزج بالحكمة والموعظة.

الدرس الثالث: صلاح بيت الدعوة:

إن الأسرة بجميع أفرادها سكن الداعية واستقراره وأنسه، ومتى صلحت وظللت أفرادها المودة والرحمة والاحترام المتبادل كانت نعم السكن، ومتى خيمت عليها نذر الشقاق والتفكك، كانت مصدر هم وقلق للداعية، والداعية الحصيف يحرص على صلاح أهل بيته وسعادتهم،

---

(١) صحيح البخاري ،ك النكاح ب الغيرة ح٥٢٢٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، الشيخ الألباني ،ك المناقب ب فضل أزواج النبي ﷺ ح ٣٠٥٥.

وللأبناء من ذلك حظ كبير، بل إنهم من أهم أبواب الخير التي يسعى الزوجان إلى إقامة شأنها، تربية وتعليما وتذكيرا وتوجيها إلى الخير وإعانة على أمور الدنيا والآخرة. وهذا الحق للأبناء على الآباء يمتد حتى بعد استقلال الأبناء عن أسرهم وزواجهم، ويقدم النبي ﷺ مثلا بارزا في رعاية شؤون ابنته فاطمة رضي الله عنها، فهي تخدم زوجها حتى يرهقها ذلك، وتأتي لأبيها طالبة منه العون فلا تصادفه، فتبث شكواها لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيبلغ خبرها النبي ﷺ فيعالج الأمر بلمسات تربوية رائعة وعلاج إيماني حكيم، حيث جاءها وزوجها وهما في مخدعهما وقال لهما: "ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم"[1]، فوجهها ﷺ وزوجها إلى الذكر والتسبيح، ليكونا شركاء في الطاعة، وبيّن لهما الخير، وذلك أنّ ملازمة ذكر الله تعطي المرء قوة أعظم من القوة التي يعمل بها الخادم، أو تسهل عليه الأمور، وقد يكون القصد من الذكر هنا أنه تحصيلٌ ونفع في الآخرة، والخادم نفعه في الدنيا، ونفع الآخرة خير وأبقى[2]، رغم أن مشكلة الخادم اليوم قد تكون سببا رئيسا لكثير من حالات الطلاق والمشكلات الأسرية رغم بساطتها، إلا أن بعض الآباء قد يعظمها حين يجانب الحكمة، والأصل

---

(١) صحيح البخاري ،ك النفقات ب عمل المرأة في بين زوجها ح ٥٣٦١.

(٢) انظر، فتح الباري، (٩/٥٠٦).

في الوالدين السعي إلى إصلاح أحوال أولادهم، وهذا النبي ﷺ يتوجه نحو صهره علي رضي الله عنه ليترضاه ويمسح التراب عن ظهره ليبسطه، ويدعوه بالكنية المشهورة، ولا يعاتبه لمغاضبته ابنته مع رفيع منزلتها عنده، ويؤخذ من هذا استحباب الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم ابتغاء مودتهم[1]، فقد روى الإمام البخاري أن عليا رضي الله عنه "غاضب يوما فاطمة، فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد، فجاءه النبي ﷺ يتبعه، فقال: هو ذا مضطجع في الجدار، فجاءه النبي ﷺ -وامتلأ ظهره ترابا- فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول: اجلس أبا تراب"[2].

المطلب الرابع: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الجمالي للعلاقة لزوجية:

تتفق العناية بالجانب الجمالي عند الزوجين مع الفطرة الإنسانية السوية، ومع تعاليم الشريعة الإسلامية التي تولي الاهتمام بالإنسان ظاهرا وباطنا، ومن جوانب عناية الهدي النبوي بالجمال في العلاقة الزوجية ما يأتي في المقصد التالي:

المقصد الأول: الهدي النبوي في الجانب الجمالي للعلاقة الزوجية:

أولا: العناية بالنظافة الشخصية:

النظافة الشخصية من الصفات اللازمة للإنسان، وأكثرها دلالة على الشخصية السوية المحببة، وأعظمها أثرا في التقريب والتجاذب

---

(١) انظر، فتح الباري، (١٠/ ٥٨٧).

(٢) صحيح البخاري، ك الأدب ب التكني بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى ح ٦٢٠٤.

بين الزوجين بل إلى كل من هم حول هذا الإنسان، ولا شك أن عناية الزوجين بنظافة البدن والثوب، والبعد عن المظاهر المنفرة غير المقبولة والرائحة السيئة، أمر ضروري للمحافظة على متانة العلاقة الزوجية، وقد يهمل بعض الأزواج مثل هذه الجوانب رغم أنها من لب الإسلام وصميمه، فقد ثبت عن النبي ﷺ الحث على الاستحمام والتطيب وبخاصة في يوم الجمعة، فقال: "اغتسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم وإن لم تكونوا جنبا، وأصيبوا من الطيب"[(١)]، ويبلغ من شدة حضه المسلمين على النظافة أن يجعله حقا على كل مسلم ويضع حدا لذلك، فقد ثبت عنه قوله ﷺ: "لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما"[(٢)].

كما يأمر ﷺ - وفي أكثر الأحوال خصوصية وقربا بين الزوجين- من أراد النوم بعد جماع أهله أن يتنظف فيتوضأ ويغسل فرجه ثم ينام، فيقول للسائل: "توضأ واغسل ذكرك ثم نم"، وذكرت أم المؤمنين رضي الله عنها حاله فقالت: "كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة"[(٣)]، ومما يلفت نظر الباحثين ويسترعي انتباههم في كل زمان ومكان أن الهدي النبوي الذي تميز بالنظافة جاء منذ خمسة عشر قرنا، في وقت لم تعرف فيه الحمامات ولا الاستحمام، بل إن دنيا

---

(١) صحيح البخاري، ك الجمعة ب الدهن للجمعة ح ٨٨٤.

(٢) صحيح البخاري، ك الجمعة ب هل على من لم يشهد الجمعة غسل ح ٨٩٨.

(٣) هذا الحديث والحديث الذي قبله في صحيح البخاري، ك الغسل ب الجنب يتوضأ ثم ينام ح ٢٨٨/٢٩٠.

غير المسلمين لم تصل بعد ألف سنة إلى مستوى هذا الهدي النبوي في النظافة عند المسلمين[(١)].

ومن وصايا الهدي النبوي في مجال النظافة ما أوصى به النبي ﷺ النساء من التطهر بالمسك بعد المحيض؛ دفعا لأي رائحة كريهة، تعليما للمسلمة التي جاءت تسأله عن كيفية التطهر فقال: "خذي فرصة من مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها. قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري. فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي بها أثر الدم"[(٢)].

ومن أهم مجالات النظافة الشخصية تعهد نظافة الفم والأسنان، الأمر الذي يتطلب من الزوجين مراعاة العناية بطيب الأنفاس والبعد عن الروائح المؤذية، وقد ثبت عن النبي ﷺ وزوجاته شدة العناية بأسنانهم وتنظيفها باستمرار بالسواك في أحوالهم المتنوعة، فهو أول ما يبدأ به ﷺ عند دخول بيته كما أجابت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها "بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك"[(٣)]، كما جاء في حديث رواه الإمام مسلم عن عروة ﷺ: "وسمعنا استنان عائشة في الحجرة"[(٤)].

---

(١) انظر، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة،: د. محمد علي الهاشمي، ص١٠٧، ط:٤ (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

(٢) صحيح البخاري، ك الحيض ب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل ح ٣١٤.

(٣) صحيح مسلم، ك الطهارة ب السواك ح ٢٥٣.

(٤) صحيح مسلم، ك الحج ب عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن ح ١٢٥٥.

ثانيا: العناية بالمظهر الخارجي:

لقد حث رسول الله ﷺ أصحابه على العناية بحسن المظهر، حتى يكون المسلم على أحسن هيئة بين الناس، وقد كان الرسول ﷺ يقول فقال لأصحابه إذا قدموا من السفر: "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش"[(١)] ، فكأنه ﷺ يعد الهيئة الرديئة وإهمال العناية بالمظهر والتبذل في اللباس من الفحش والتفحش وهذا أمر يخالف هديه ﷺ.

وإذا كان هذا الاهتمام بالمظهر الخارجي أمر مرغوب فيه للأصحاب والإخوان فهو بين الزوجين أولى وأوجب، لأن ذلك ينعكس مباشرة على استقرار العلاقة الزوجية والألفة بينهما، كما ثبت إن النبي ﷺ نهى الأزواج عن مفاجأة أهليهن بالدخول عليهن بعد السفر، إلا وهنَ في أحسن حالة وقد علمن بقدوم أزواجهن، ففي حديث جابر ﷺ: "إذا دخلت ليلا فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة"[(٢)] .

ثالثا: أخذ الزينة المباحة:

حث الإسلام على أخذ الزينة في الأوقات المناسبة وبالأحوال والدرجة المقبولة، قال تعالى: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ

---

(١) السنن، أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،ك اللباس ب ما جاء في إسبال الإزار ح ٤٠٨٨، ط ١: (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م).

(٢) صحيح البخاري ،ك النكاح ب طلب الولد ح ٥٢٤٦.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1] ، وكذلك بَيـن النبي ﷺ أن الهيئة الحسنة والزينة المباحة لا تعد من الكبر المحرم، فقال لمن اشتبه عليه الأمر وسأله: "إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس"[2] .

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الجمالي للعلاقة الزوجية:

الدرس الأول: التكريم الرباني للمرأة المسلمة:

إن تكريم الإسلام للمرأة يمد ظلاله على جميع شؤون حياتها، ليشمل علاقتها مع زوجها، فالآية الكريمة توضح جليا العدل في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3] ، ومما لا شك فيه أن اهتمام المرأة بالجوانب الجمالية أكثر من الرجل، فحبها للزينة وحرصها عليها أمر فطري لا تخالف عنه إلا الرجلة من النساء، والزوج يحب الزوجة التي تسر عينه بمرآها والتي يشم منها أطيب الطيب، وقد يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: هل أوجب الإسلام على المرأة فقط أن تأخذ بالنظافة والزينة ؟.. ألا تحب المرأة من زوجها ما يحب منها ؟.. ما الهدي النبوي في اهتمام الزوج بزينته ونظافته ؟..

إن قول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يدخل في معنى الآية: أن على الرجل أن يتجمل لزوجته كما تتجمل له، يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: (إني أحب

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) صحيح مسلم، ك الإيمان ب تحريم الكبر وبيانه ح٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي المرأة"[1] ، كما يقول النبي ﷺ: "وإن لزوجك عليك حقا"[2] ، وكثيرة هي الروايات التي تبين عناية النبي ﷺ بالجانب الجمالي، فقد روى أنس ﷺ قال: "كانت للنبي ﷺ سُكة- وهو طيب معروف- يتطيب منها"[3] وعنه ﷺ في وصفه يقول: "ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ"[4] ، وقد كان ﷺ يهتم بهيئته ولباسه، ومما جاء في وصف أصحابه له: "كان النبي ﷺ مربوعا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئا قط أحسن منه"[5] ، وكان يهتم بترجيل شعره وإكرامه وتطييبه، وكم قامت زوجاته أمهات المؤمنين بغسل شعره وترجيله وتطييبه ﷺ إكراما له ورعاية واهتماما بشؤونه الخاصة[6] .

والأحاديث السابقة تؤكد حض الإسلام على ضرورة العناية بالنظافة الشخصية للمسلم، بل إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا ترى بأسا أن تطلب المرأة من زوجها العناية بنظافته الشخصية والاستنجاء بالماء

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ١/٢٩٨.

(٢) صحيح البخاري، ك الصوم ب حق الجسم في الصوم ح ١٩٧٥.

(٣) صحيح سنن أبي داوود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الترجل بما جاء في استحباب الطيب ح ٤١٦٢.

(٤) صحيح البخاري ،ك المناقب ب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٦١.

(٥) صحيح البخاري ، ك المناقب ب صفة النبي ﷺ ح ٣٥١١.

(٦) انظر، صحيح مسلم ،ك الحج ب الطيب للمحرم عند الإحرام ح ١١٩٢.

تطيبا، فتقول للمؤمنات: "مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء، فإني أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله"[1].

الدرس الثاني: توعية المجتمع بالتربية الجنسية:

تعد التربية الجنسية من الموضوعات المهمة التي ينبغي أن يطرقها الداعية في مجال النظافة الشخصية، والعناية بجمال البدن والمظهر العام، بما يتلاءم مع طبيعة المخاطبين وحاجاتهم، ومن ذلك توعية الشباب والشابات بجانب العناية بالجوانب الجمالية الداخلية والخارجية، وتنشئتهم على ما يؤدي إلى استقرار حياتهم الأسرية بعد زواجهم.

الدرس الثالث: العناية بالنظافة الظاهرة والباطنة:

على الدعاة إلى الله من الرجال والنساء أن يكونوا على أحسن هيئة وأجمل منظر، ليكونوا أقدر على التأثير والوصول إلى قلوب الناس، فالدعاة مطالبون بالعناية بهيئاتهم ونظافة أبدانهم وأثوابهم حتى لو كانوا في خلواتهم، تطبيقا لسنن الفطرة التي حث عليها المصطفى ﷺ[2]، وإتباعاً للهدي النبوي، ما دام هذا التجمل غير مبالغ فيه ومجانباً للإسراف والمخيلة، فالقيام بمسؤولية الدعوة إلى الله لا يتنافى مع حسن المظهر والنظافة، وقد جاء الحث عليها من صحابة النبي ﷺ حتى في حال

---

(١) صحيح الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الطهارة ب الاستنجاء بالماء ح ١٩.

(٢) انظر، صحيح مسلم، الطهارة ب خصال الفطرة ح ٢٦١.

العبادات، كما في عبادة الصيام فيقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهينا مترجلا"[1]، كما أن الداعية لا ينبغي أن يكون رمزا للإهمال والفوضى في شكله الظاهر، فحسن الهيئة والترتيب وإحسان المظهر في اللبس والتطيب طريق إلى قبول دعوته وقوله، وإذا قصد الداعية بهذا رفعة الدين فإنه يثاب عليه[2].

(١) صحيح البخاري، ك الصيام ب اغتسال الصائم ترجمة باب ٢٥.

(٢) انظر، هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، د. عبد الله إبراهيم اللحيدان، ص٦، ط:١(الرياض، دار الحضارة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

المطلب الخامس: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الترفيهي للعلاقة لزوجية:

تحتاج النفس البشرية إلى الترويح والاستجمام الذي يثمر الانبساط وإزالة التعب وإدخال السرور على النفس، والانتقال من حال إلى حال آخر أكثر تشويقا، فالدين الإسلامي قد راعى طبيعة الإنسان، فجعل له إلى جانب التكاليف فسحة من الأمر، وجعل لهذا الفسحة ما يضبطها، فأباح له بعد الجد والكدح أن يأخذ شيئا من الاستجمام واللهو المباح، يستعيد بها نشاطه، ويريح عقله وفكره، ويعيد له صفاءه وتوقده، والترويح المباح شرع واسع المساحة متنوع الألوان، ومن مظاهره وأثره في بناء العلاقة الزوجية ما يأتي ضمن المقصد الآتي:

المقصد الأول: الهدي النبوي في الجانب الترفيهي للعلاقة الزوجية:

أولا: ممارسة اللهو المباح:

يعرف الترويح والاستجمام والترفيه بأنه: "إدخال السرور على النفس، والتنفيس عنها، وتجديد نشاطها"[١]، فالمواظبة على الحزم والجد في كل الأحوال أمر شاق على نفوس البشر، ويورثها الملل والضيق، فهي مجبولة على المراوحة بين الأشياء، والإنسان ينتقل من عمل إلى آخر، ومن قول إلى غيره، ويختلف فيما بين الجد والفكاهة، ويجد راحته في عمل ما ترغب في القيام به، ولا يكاد يتقنه حتى يمله ويبحث عن عمل جديد غيره[٢]، وقد راعى النبي ﷺ هذه الحاجة في تعامله مع أصحابه ومع زوجاته، وقد بين هذا الأمر عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: "كان النبي ﷺ

---

(١) قضايا اللهو والترفيه بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية، مادون رشيد، ص٧٦ط:٢ (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

(٢) انظر، المرجع السابق، ص١١٢.

يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"[1] ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح -رحمه الله- : يستفاد من الحديث"استحباب ترك مداومة الجد في العمل الصالح خشية الملال"[2] .

كما حفظت لنا السيرة نماذج رائعة من اللهو المباح والتلطف بين الزوجين المتحابين، واستغلال الأوقات المختلفة للمبادرة إلى إدخال السرور والأنس اللطيف المرح للنفس، بالعبارات الحانية الرقيقة مرة، وبشيء من اللهو الجائز مرة أخرى، فهما يتسابقان تارة حتى يسبق أحدهما فيسبقه المرة الأخرى بها ، ويسارع ﷺ إلى إدخال السرور إلى قلب زوجته بفعله، حين يقوم ويسترها لتنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد ، مراعاة منه لحاجتها للترفيه، فتقول رضي الله عنها : "والله، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية حديثة السن، حريصة على اللهو"[3] ، فمن الضروري في بناء العلاقة الزوجية تلبية حاجة النفس للترفيه والعناية بالنشاط الترويحي الذي يرفّه عنها ، ويعينها على تحمل مشاق العمل والجد في حياتها ، شريطة ألا تتعارض هذه الأنشطة الترويحية مع القيم والمبادئ الإسلامية ، أو أن يكون سببا في انشغال الإنسان عن واجباته وعباداته.

---

(١) البخاري ك العلم ب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ح ٦٨.

(٢) فتح الباري، ١/١٣٦.

(٣) صحيح البخاري ،ك العيدين ب الحراب والدرق في العيد ح ٩٤٩.

ثانيا: الحديث والسمر مع زوجاته:

إن الحديث والحوار بين الزوجين هو وسيلة مهمة لفهم ما يدور في خلد الطرف الآخر، والتزام أحد الطرفين الصمت قد يؤدي بالشريك إلى الاستسلام للخيال والوساوس التي تذهب به بعيدا عن الواقع، وقد أطلق بعض المختصين على انعدام الحديث والحوار بين الزوجين مصطلح "السكتة الزوجية"[1] إشارة إلى خطورة سيادة الصمت بين الزوجين على علاقتهما الزوجية، ومن أجمل ما نقلته لنا كتب السنة في هذا الشأن مسامرة النبي ﷺ لزوجه وعنايته بمشاعرها وتحليله وفهمه لنفسيتها بقوله: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عني غضبى، فقالت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: أجل والله يا رسول الله، ما اهجر إلا اسمك"[2]، إن هذه الدقة في فهم المشاعر - حتى ليعلم كلمات الرضا من الغضب- هي أعظم درس للزوجين في بناء العاطفة الصادقة بينهما، فالمسايرة والتعاطف بين الزوجين وتقبل أحدهما رأي الآخر وتقدير موقفه وظروفه، كل هذا يعد من أساسيات ومبادئ التوافق بين الزوجين[3]، كما يظهر تلطفه ﷺ بزوجه وإيناسها بمحادثتها أثناء انتظارهما لصلاة الفجر حتى يأتيه

---

(١) دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ص٥٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر، توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزواجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات، عويدة نداء الشمري، ص٤٥.

المؤذن، فتقول رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان إذا صلى، فإذا كنت مستيقظة حدثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة"[1].

وفي تجاذب الحديث بين الزوجين تقوية للعلاقة بينهما، حيث يعبر كل منهما عن مشاعره تجاه الآخر ويعرفه بمكانته عنده، وهذا أمر لا يمله الزوجان مهما تكرر سماعه، بل يلح الطرفان في طلبه وبخاصة المرأة، فنجد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تؤكد سمو مكانتها عند زوجها ﷺ وتطالب بالتعبير عن مشاعر الحب منه، رغم تصريحه بحبها رضي الله عنها أمام أصحابه، إلا أنها كانت شديدة الرغبة والحرص على سماع ذلك منه، فتقول له: "يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في التي لم يرتع منها. يعني أنه لم يتزوج بكرا غيرها"[2].

وحين يتحدث الزوجان مع بعضهما ويشتركان في التفكير؛ فإن كل واحد منهما ينفس عما يعتمل في صدره من الهموم والتوتر، ويخفف عن زوجه كدره وهمومه بالحديث معه ومطالعته بالأخبار السارة التي تذهب همه وتسلو عنه حزنه، وقد حفظت لنا كتب السنن الكثير من الحوارات والمسامرات بين النبي ﷺ وأزواجه، فهذه عائشة رضي الله عنها تصيبها غيرة شديدة عندا يخرج النبي ﷺ من عندها ليلا، فلما رجع ورأى ما بها قال: "ما بك يا عائشة؟ أغرت؟

---

(١) صحيح البخاري، ك التهجد ب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع ح ١١٦١.

(٢) صحيح البخاري، ك النكاح ب نكاح لأبكار ح ٥٠٧٧.

فقالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال: أوقد جاءك شيطانك ؟ قالت: يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال: نعم، قالت: ومع كل إنسان ؟ قال: نعم، قالت: ومعك أنت يا رسول الله ؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم"[١]، كما تسانده حين تشاركه هموم الدعوة وما مر به من محن وأذى فتسأله: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ فيبثها ما لاقاه من قومه في مكة حتى جاءه ملك الجبال وجبريل عليهما السلام يشدان من أزره ويستأذنانه في إهلاك القوم، فيستأني بهم ويرجو لهم الهداية[٢].

ثالثا: سماع الأخبار الاجتماعية:

لقد أدرك النبي ﷺ حاجة المرأة إلى الحديث مع الزوج، فاستمع إلى عائشة رضي الله عنها، وذلك في الحديث الطويل المعروف (حديث أم زرع) حيث حكت أم المؤمنين عائشة للنبي ﷺ أخبار إحدى عشرة امرأة تعاقدن وتعاهدن على أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا، وعلق النبي ﷺ بعد سماعه لها بقول: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع"[٣]، وهو حديث مليء بأخبار وآداب الحياة الزوجية، وفيه"حسن عشرة المرء أهله بالتأنيس والمحادثة بالأمور المباحة ما لم يفض ذلك إلى ما يمنع، وفيه المزح أحيانا وبسط النفس به، ومداعبة الرجل أهله،

---

(١) صحيح مسلم، ك صفة القيامة والجنة والنار ب تحريش الشيطان وبعثه سراياه ح ٢٨١٥.

(٢) انظر، صحيح مسلم، ك الجهاد ب ما لقي النبي ﷺ من المشركين والمنافقين ح ١٧٩٥.

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب حسن المعاشرة مع الأهل ح ٥١٨٩.

وإعلامه بمحبته لها ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك من تجنيها عليه وإعراضها عنه"[1].

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الترفيهي للعلاقة الزوجية:

الدرس الأول: أهمية مراعاة المتغيرات المعاصرة:

من الأمور المهمة في الدعوة الإسلامية: مراعاة المتغيرات المعاصرة الطارئة على الأسرة، ومن ذلك التغير الاقتصادي والنقلة الاقتصادية الكبيرة التي مر بها العالم، وحولته من عصر الشدة والتقشف إلى عصر الرخاء والترف والترفيه، فعقلية الوفرة والرخاء التي يعيشها أزواج اليوم تختلف كليا عن عقلية الشدة والضنك التي عاشها أزواج الأمس، ولهذه التغيرات آثار متعددة تضرب في عمق صميم العلاقة الزوجية وظروفها، كما أن هذه العقلية قدمت أنماطا حياتية جديدة من المهم فهمها والوصول إلى أفضل طريقة للتعامل معها، ومنها: "ضرورة الترفيه"، حيث أصبح الترفيه جزءا أساسيا من نمط حياة الأسرة، بل يرى البعض أنه ضرورة عصرية بسبب الحياة المتسارعة المتوترة التي يعيشها الزوجان المعاصران، حيث أصبح كل منهما بحاجة مستمرة إلى أن يرفه عن نفسه بطرق عديدة، وعدم التأقلم مع هذا المتغير – بسبب الغفلة أو عدم الإدراك أو الجهل- أو المبالغة فيه يؤدي إلى مشكلات تؤثر - بعض الأحيان- تأثيرا بالغا على العلاقة الزوجية[2]، كما أشارت إحدى الدراسات إلى أن الترتيب الأول للمشكلات الأكثر شيوعا لدى عينة الدراسة هي: مشكلة الزمن

---

(١) فتح الباري، ٩/٢٧٦.

(٢) انظر، دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ص٣٥- ٣٦.

الذي يقضيه الزوجان معا، ذلك أن التغير في المجتمع السعودي وما تبعه من رفاهية اقتصادية، كان من أهم العوامل التي وفرت للزوجين أعمالا محددة بساعات محددة، وذلك يفترض أن هناك وقتا متزايدا يقضيه الزوجان معا مقارنة بالماضي، ولقد تبع ذلك التغير الاجتماعي أيضا قيام أفراد أو مؤسسات ببعض أدوار الزوجين، مثل الخدم والسائقين ودور الحضانة والنوادي.. إلخ، مما أتاح للزوجين وقتا إضافيا للبقاء مع بعضهم، لكن الاتصال الإعلامي بالعالم الخارجي وإمكانية السفر للخارج، والأندية الرياضية والمطاعم والمقاهي أصبحت مجالات لقضاء الأزواج أوقاتهم بعيدا عن زوجاتهم [(١)].

الدرس الثاني: أداء أمانة الدعوة إلى الله:

إن حمل أمانة الدعوة والقيام بمسؤولياتها لا يعني إهمال الحاجات الإنسانية الفطرية، فإن إشباعها يعين الدعاة على مسؤولية القيام بواجب الدعوة إلى الله، فالإسلام يدعو إلى الوسطية والاعتدال في القيام بحقوق الله وحقوق الناس وحقوق النفس، ولعل في حديث الرهط الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ وسألوا عن عبادته فكان توجيهه لهم إلى الاعتدال والتوسط بين حاجات الإنسان الضرورية وبين العبادة ما يدل على ذلك، فإمام الدعاة ﷺ بشر من البشر، لم يمنعه كونه خاتم الرسل والأنبياء أن يستمتع بحياته الزوجية، وأن يمارس مع زوجاته أنواع اللهو المباح، وأن يعبر عن مشاعر الحب والمودة لهن، وهذا من شمول الشريعة الإسلامية، وقد أشارت إحدى الدراسات

---

(١) انظر، مشكلات التوافق الزواجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، نوال عبد الله الحنطي، ص١٥٣.

الحديثة إلى أن إمكانات الأفراد الانفعالية تؤثر بشكل كبير في علاقاتهم الأسرية، وقد ترجع أسباب التصدع والتفكك الأسري في المقام الأول إلى العجز عن إظهار العاطفة وضعف القدرة على الارتباط الوجداني بين الزوجين[1]، وفي ذات الوقت تؤكد دراسة أخرى أن مهارة إبداء الإعجاب بالطرف الآخر وضبط النفس والمصارحة مما يزيد من مستوى التوافق الزواجي، وهذا يرجع إلى أن قيام الزوجة بإبراز ميزات زوجها وإظهار إعجابها بهذه الميزات، فإن الزوج سوف يشعر بأهميته وقيمته أمام زوجته مما يعمل على خلق جو أسري يتسم بالقبول والرضا والمشاعر الطيبة بين الزوجين[2]، ثم إنها كلمة موجهة إلى بعض الدعاة إلى الله الذين انشغلوا عن بيوتهم بالدعوة إلى الله والمشاركة في الأعمال الاجتماعية والخيرية المختلفة متناسين ما لزوجاتهم من حقوق، وعليه فالواجب التوازن في هذا الأمر استجابة للأمر النبوي"إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه"[3].

---

(١) انظر، فاعلية برنامج مقترح لتنمية الذكاء الوجداني لدى عينة من الأمهات السعوديات داخل الأسر، سحر عبد اللطيف كردي، ص٧، رسالة دكتوراه غير منشورة، بقسم التربية وعلم النفس كلية التربية للبنات بجدة جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٢٩هـ.

(٢) انظر، الذات وعلاقته بالتوافق الزواجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات، عويدة نداء الشمري، ص ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري، ك الصوم ب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ح ١٩٦٨.

الخاتمة

أحمد الله الكريم الذي بنعمته تتم الصالحات.. وأصلي وأسلم على نبي الهدى والرحمة وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأسلم تسليما كثيرا.. وبعد.. توصلت الباحثة إلى نتائج تختم بها هذا البحث (دروس دعوية من الهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية) ومنها.:

١- أن الإسلام لم يترك العلاقة الزوجية تسير بشكل عشوائي، بل رسم لها طريقا واضحة، وشكل لها منهجا متكاملا، يستلهمه المسلمون من خلال سيرة المصطفى ﷺ، فهديه أكمل الهدي وأحكمه.

٢- أن الهدي النبوي يمثل المنطلق الأساس للدعاة إلى الله، والسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، فلا غنى للداعية في أي مجال وميدان عن الاقتباس من السنة، والاقتداء بالهدي النبوي وخاصة في جانب العلاقة الزوجية.

٣- تعد العلاقة الزوجية من أهم العلاقات الإنسانية المؤثرة في حياة الفرد، وهي أساس بناء الأسرة في الإسلام، وتتبع أهميتها من أهمية الزواج في الإسلام وأهدافه ومقاصده.

٤- من أهم الأسس التي تبنى عليها العلاقة الزوجية بعد توافر أركان الزواج وشروطه والكفاءة بين الزوجين؛ قيام العلاقة على تقوى ومحبة وطاعة لله تعالى، والمعاشرة بالمعروف مع قيام كل طرف في العلاقة الزوجية بما يجب عليه من واجبات وأداء ما عليه من حقوق، وسيادة العدل وحفظ الأمانة وعدم إفشاء خصوصيات الأسرة.

٥- ضرورة اقتداء الدعاة إلى الله بالنبي ﷺ، خاصة في جانب علاقتهم بأهليهم، لقوة أثر ذلك على سير حياته وقيامه بدعوته لله، ولثماره الزكية كحصول السكن النفسي والاستقرار العاطفي والنشاط في أمور الدعوة.

٦- من الدروس المهمة في بناء العلاقة الزوجية: حرص الزوجين على تعلم الأحكام الشرعية، وتعليم الرجل لزوجه ما تحتاجه من أمور دينها وتوجيهها إلى ما تزكي به نفسها في الدنيا والآخرة من العبادات الفاضلة المتنوعة.

٧- من الآثار المهمة للعناية بالعبادة بين الزوجين حصول التزكية لقلوبهما ودوام الألفة بينهما وبعدهما عن المعاصي بأنواعها وهذا يؤدي إلى الاستقامة على أمر الله والفوز في الدنيا والآخرة.

٨- تنوع النماذج في البر والوفاء وحسن العشرة بين الزوجين، فقد كان الخلق السائد في بيت النبوة هو الرحمة والرفق والمحبة والمودة قولا وعملا وتبادلا لأسمى عواطف المحبة بين الزوجين.

٩- الممارسة العملية عند النبي ﷺ في الوفاء بحقوق العشرة الزوجية وتلبية لحاجاته الجسدية والنفسية وإشباعه لحاجات زوجاته، وهذا له أثر قوي في استقرار الأسرة وسعادتها، وهذا يؤكد أن الإسلام دين الوسطية ودين الإنسانية.

١٠- حاجة المجتمع إلى التوعية بالجوانب الفطرية الغريزية، والاهتمام بتوعية المسؤولين بأهمية التربية الجنسية التي توجه لكل مرحلة عمرية ما يناسبها من الإرشاد.

١١- ضرورة التنويع في أساليب التعامل بين الزوجين منذ مستهل الحياة الزواجية، فهي تعد عوامل حاسمة في ترابط وبناء الأسرة أو في تفككها واضطرابها، ولنا في الرسول ﷺ قدوة إذ لم تحفظ سيرته إلا أرقى صور التعامل مع الزوجة.

١٢- أهمية دور الدعاة في الإصلاح الأسري سواء عن طريق اللجان المخصصة لذلك أو بالمجهود الفردي الشخصي، فإصلاح ذات البين بين جميع أفراد الأسرة واحتواء المشكلات الناتجة بين الأفراد من أهم العوامل التي تنتج بيئة آمنة للزوجين والأبناء.

١٣- إن العناية بالنظافة الشخصية داخليا وخارجيا، والاهتمام بالزينة والمظهر الحسن، والعناية بالجانب الجمالي بين الزوجين له بالغ الأثر في تقارب الزوجين وانجذاب أحدهما للآخر، وهو حق لكل منهما على الآخر سواء بسواء.

١٤- الترفيه واللهو المباح والاستجمام حاجة نفسية لا يستغني عنها الزوجان لتجديد نشاطهما وإدخال السعادة والسرور على بعضهما وسيرة ﷺ قد حفظت مواقف عديدة تظهر حرص نبي الرحمة على مراعاة هذه الحاجة الفطرية عند الإنسان.

١٥- ضرورة مراعاة المتغيرات المعاصرة الطارئة على كيان الأسرة، ومن ذلك التغير الاقتصادي الذي أفرز أنماطا جديدة في التعامل بين الزوجين، وتأثيرا على بعض الأعراف السابقة، ومن المهم للزوجين التأقلم مع هذه المستجدات.

١٦- إن حمل أمانة الدعوة والقيام بمسؤولياتها لا يعني إهمال الحاجات الإنسانية الفطرية للداعية، لأن الرسول ﷺ كان يستمتع بحياته الزوجية، و يمارس مع زوجاته أنواع اللهو المباح، و يعبر عن مشاعر الحب والمودة لهن.

مقترحات وتوصيات البحث:

أولاً: تقترح الباحثة إجراء دراسات في المجالات الآتية:

أ. دروس دعوية مع حديث أم زرع في العلاقات الزوجية.

ب. دروس دعوية مع الهدي النبوي في حل المشكلات الزوجية والأسرية.

ج. الإعداد الدعوي للمسلمة الداعية من خلال سيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

ثانياً: تقترح الباحثة إعداد سلسلة حقائب تدريبية علمية خاصة بالجهات الخيرية التي ترعى الأسرة والعلاقات الزوجية -سواء كانت لتأهيل للمقبلين على الزواج أو لمن يحتاج إلى الإرشاد الأسري والزواجي- ، بحيث تكون هذه الحقائب مبنية على القرآن والسنة والتطبيق النبوي للأسس والآداب الزوجية.

مراجع البحث

القرآن الكريم

١) أثر العلاقات الأسرية في حياة الداعية في الكتاب والسنة، فاطمة سعود الكحيلي، بحث ماجستير غير منشور قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم الإنسانية جامعة طيبة ١٤٢٧هـ.

٢) أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، حفصة حسن، ط:١(بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٣) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة ومكتبة القدس، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٤) البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، ط:٢(الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠).

٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط:١(مصر، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، ١٣٠٦هـ).

٦) التربية الجنسية والعلاقات الزوجية في الأسرة السعودية، دراسة ميدانية ،د. محمد إبراهيم السيف (محافظة عنيزة ،لجنة الإصلاح الأسري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا ط: بدون (مصر، كتاب الشعب، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

٨) توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزواجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات، عويدة نداء الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود ١٤٢٨هـ.

٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط:٧(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

١٠) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط بدون (لبنان بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ).

١١) دراسة التوافق الزواجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية وبعض سمات الشخصية دراسة مقارنة بين العاملات وغير العاملات، منيرة عبد الله الشمسان، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم علم النفس كلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.

١٢) دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ط:بدون(مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).

١٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط:١(بيروت، مؤسسة الرسالة ،و الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

١٤) السنن، أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ط :١(بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م).
١٥) سيرة النبي ﷺ، عبد الملك ابن هشام: تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: بدون، (الرياض، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد).
١٦) شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، : د. محمد علي الهاشمي، ط:٤ (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
١٧) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط:١ ،(الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١١٩٩٧م).
١٨) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط:١(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
١٩) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: ٢ (الرياض ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٢٠) صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: ٣ (بيروت ، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨).
٢١) صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: بدون (المملكة العربية السعودية ،نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٠هـ).

٢٢) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام النووي ،ط: بدون (المطبعة المصرية).
٢٣) العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، د.فؤاد عبد الكريم العبد الكريم، ط: ١ (الرياض ،كتاب البيان مطابع أضواء المنتدى، ١٤٢٦هـ.)
٢٤) فاعلية برنامج مقترح لتنمية الذكاء الوجداني لدى عينة من الأمهات السعوديات داخل الأسر، سحر عبد اللطيف كردي، رسالة دكتوراه غير منشورة، بقسم التربية وعلم النفس كلية التربية للبنات بجدة جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٢٩هـ.
٢٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، تصحيح ومقابلة: الشيخ عبد العزيز بن باز، ط: بدون(نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد).
٢٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، بيروت والقاهرة، دار الشروق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٢٧) قضايا اللهو والترفيه بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية، مادون رشيد، ط:٢ (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٢٨) مجلة الإعجاز العلمي العدد ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ.
٢٩) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ط:٢(بيروت لبنان ، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

٣٠) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط:٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
٣١) المسند، أحمد بن محمد حنبل، فهرسة الشيخ الألباني، ط:٤، (المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٣٢) مشكلات التوافق الزواجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، نوال عبد الله الحنطي، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود ١٤٢٠هـ.
٣٣) الملخص الفقهي، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، ط:١٢(الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٣٤) موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة ،دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط:١(الرياض ،دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م).
٣٥) ميثاق الأسرة في الإسلام، د. أحمد العسال وآخرون، ، إعداد: د. أحمد عبد الحلين، د.جمال الدين عطية، د.صلاح عبد المتعال، د. عبد الرحمن النقيب، د. عبد اللطيف عامر، د. علي جمعة، د. فتحي لاشين، د.محمد عمارة، د. محمد كمال الدين إمام، د. يوسف القرضاوي، ط:١، (الرياض، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، دار الرواد، ١٤٣٠هـ).

٣٦) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ط: بدون (القاهرة، الاعتصام ودار النصر للطباعة الإسلامية).

٣٧) هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، د. عبد الله إبراهيم اللحيدان، ط:١(الرياض ،دار الحضارة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

أسأل الله الكريم أن يوفقنا لما يرضيه من الأقوال والأفعال وصلى الله على نبينا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليما كثيرا..

والحمد لله رب العالمين...

العرف وتطبيقاته في الحسبة

إعداد

الأستاذ الدكتور: حمد بن ناصر العمار

الأستاذ بقسم الدعوة والاحتساب

في كلية الدعوة والإعلام

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فمن فضل الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن جاءتهم شريعتهم الإسلامية الخاتمة على حال يصلح معها إصلاح أحوال جنس الإنسان في شقيّه المادي والروحي، وأنّ الشريعة لم تأت بمحارات العقول، ولا بمتاهات الأبدان والنفوس، بل جاءت أحكامها متناسبة مع طبيعة الإنسان في كافة أطواره وأحواله مما جعلها صالحة للبشرية قاطبة إلى قيام الساعة.

وكان من أبرز ما عنيت به الشريعة أنّها راعت أعراف الناس وقبلت منها ما لم يصطدم بالقواعد الشرعية المقرّرة، بل أعلت من مكانة الأعراف المرعية المعتبرة وجعلت لها درجة رفيعة.

وأذكت الشريعة في نظام الاحتساب فيها على أهمية مراعاة جانب العرف وقبول المعروف منه، وشجعت على استصلاح الأعراف الفاسدة ومعالجتها.

ولقد تجلت أهمية الموضوع وأسباب اختياره فيما يلي:

١- منزلة العرف، ومدى اعتباره في الشريعة الإسلامية.

٢- يبرز اعتبار العرف مدى صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.

٣- مكانة الحسبة الكبيرة، وأهمية تطبيقات الحسبة في الواقع المعاصر.

٤- التطورات المتلاحقة في واقع الناس، وضرورة معرفة كيفية تطبيق الحسبة فيها، وأهمية مراعاة العرف عند تطبيقها.

أهداف الدراسة:

١ - تهدف الدراسة إلى بيان مكانة العرف في التشريع الإسلامي.

٢ - تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية الحسبة والاحتساب.

٣ - تهدف الدراسة إلى الكشف عن تطبيقات الحسبة واعتبارها للعرف منذ العهد النبوي، وعصر الخلفاء الراشدين.

٤ - تهدف الدراسة إلى بيان كيفية التطبيق المعاصر إلى اعتبار العرف في مجال الحسبة.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات، ويلاحظ أن بعضها يتعلق بالعرف وتطبيقاته واعتباره ومكانته، وبعضها يتعلق بالحسبة، فمما يتعلق بالعرف ما يلي:

١ /أثر العرف في التشريع الإسلامي، د. السيد صالح عوض، ط/ دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

٢ / العرف حجيته، وأثره في فقه المعاملات عند الحنابلة، الشيخ عادل قوته، ط/١، المكتبة الملكية: ١٤١٨هـ.

٣/ العرف وأثره في الشريعة والقانون، أ. د. أحمد المباركي، ط/١، الرياض: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤ / العرف والعادة في رأي الفقهاء، أحمد فهمي أبو سنة، ط/١، مطبعة الأزهر، مصر: ١٩٤١م.

٥ / مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز، بدون ذكر تاريخ ودار النشر.

وهذه الدراسات لم تربط بين العرف والحسبة، ولكن انصب الحديث إلى الكلام عن تعريف العرف وصوره ومكانته في التشريع الإسلامي.

وأما ما كتب عن الحسبة بشكل خاص فهو كثير ومنه:

١ - معالم القربة في أحكام الحسبة، ابن الأخوة القرشي، تحقيق: د. محمد شعبان ود. صديق المطيعي، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٦م.

٢ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة، للإمام الشيرزي، تحقيق د. السيد الباز، ط/٢، دار الثقافة بيروت: ١٤٠١هـ.

٣ - الحسبة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، حققه وعلق عليه، علي بن نايف الشحود، بدون ذكر رقم وتاريخ وبلد الطبعة.

وهي تبرز تأصيل الحسبة ومكانتها وصورها وتطبيقاتها، ولكنها لم تكشف النقاب عن تطبيقات العرف في مجال الحسبة مما يبين أهمية هذه الدراسة التي نحن بصددها.

وقد سعيت جاهدًا بفضل الله سبحانه على التعرف على مسائل هذا الموضوع المهم الذي جاء تحت عنوان "العرف وتطبيقاته في الحسبة" من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما نصّ عليه علماء الأمة - رحمهم الله - من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: أحكام العرف في مجال الحسبة.

المبحث الثاني: تطبيقات اعتبار العرف في الحسبة في صدر الإسلام.

المبحث الثالث: أهمية اعتبار العرف في الحسبة وتطبيقاته المعاصرة.

أسأل الله سبحانه أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: أحكام العرف في مجال الحسبة

للعرف أهمية كبيرة في مجال الحسبة، إذ لا يمكن بحال أن يتم إغفال العرف عند التطبيق والممارسة العملية للحسبة، ومن الممكن أن نتعرف على أحكام العرف في مجال الحسبة من خلال ما يلي:

المطلب الأول: تعريف العرف لغة واصطلاحًا:

والعرف لغة كما الزبيدي: (والعُرْفُ: علَمٌ. والعُرْفُ: الرَّمْلُ والمَكانُ المُرتَفِعانِ، ويُضَمُّ راؤه وفي الصِّحاحِ: العُرْفُ الرَّمْلُ المرتفعُ، وقالَ غيرُه: العُرْفُ هنا: موضِعٌ أَو جَبَلٌ، كالعُرْفةِ بالضَّمِّ، وجمْعُ العُرْفِ: أَعْرافٌ، مثل أَقْفالٍ. والعُرْفُ: ضَرْبٌ من النَّخْلِ، والعُرْفُ من الرَّمْلَةِ ظَهْرُها المُشْرِفُ وكذا من الجبَلِ، وكلِّ عالٍ. والعُرُف: جَمْعُ عَرُوفٍ).

والعُرْفُ: جَمْعُ العَرْفاءِ من الإبلِ والضِّباعِ ويُقال: ناقَةٌ عَرْفاءُ: أَي مُشْرِفَةُ السَّنامِ، وقِيلَ: ناقَةٌ عَرْفاءُ: إذا كانَتْ مذكَّرَةً تُشْبِه الجِمالَ، وقيلَ لها: عَرْفاءُ لِطُولِ عُرْفِها. والعُرْفُ: جَمْعُ الأَعْرَفِ من الخَيْلِ والحيّاتِ يُقال: فَرَسٌ أَعْرَفُ: كثيرُ شَعْرِ المَعْرَفَةِ، وكذا حَيَّةٌ أَعْرَفُ. ويُقال: طارَ القَطَا عُرْفًا بالضَّم: أَي مُتَتابِعَةً بَعْضُها خَلْفَ بَعْضٍ، ويُقالُ: جاءَ القَوْمُ عُرْفًا عُرْفًا أَي مُتَتابِعَةً)[1].

وقال الرازي – رحمه الله - : (وعَرَفَهُ يعرفه بالكسر مَعْرِفَةً وعِرْفانًا بالكسر والعَرْفُ الريح طيبة كانت أو منتنة، والمَعْرُوفُ ضد المنكر، والعُرْفُ ضد النكر يقال أولاه عرفًا أي معروفا والعُرْف

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٢٤/ ١٤٢، ط/ دار الهداية، بدون تاريخ.

أيضا الاسم من الإعتراف والعُرْفُ أيضا عُرْف الفرس وتَعَارَفَ القوم عرف بعضهم بعضًا)[1].

قال ابن منظور – رحمه الله - : (والعرف: كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وهو ضد النكر، والعرف والمعروف: الجود)[2].

وجاء في المعجم الوسيط: (عرف فلان على القوم عرافة دبر أمرهم وقام بسياستهم والشيء عرفانا وعرفانا ومعرفة أدركه بحاسة من حواسه فهو عارف وعريف وهو وهي عروف وهو عروفة (والتاء للمبالغة) و(عرف) عرفا ترك التطيب فهو عرف والديك كان له عرف فهو أعرف وهي عرفاء و(عرف) الحجاج وقفوا بعرفات والاسم (في اصطلاح النحاة) ضد نكره والشيء طيبه وزينه والضالة نشدها (العرف) الرائحة مطلقا وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها (العرف) المعروف وهو خلاف النكر وما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم واسم من الاعتراف يقال له علي مائة عرفا وشعر عنق الفرس ولحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك والمكان المرتفع ويقال عرف الجبل ونحوه لظهره وأعلاه.

والحكم العرفي ما لا يجري على قواعد القانون العام مراعاة لمقتضيات الأمن و(المعروف) اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع وهو خلاف المنكر)[3].

---

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ١/ ٤٦٧ ط/١، مكتبة لبنان، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٢) لسان العرب، محمد بن منظور الإفريقي، ١٠/ ١١١، ط/١، دار صادر، بيروت.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ٢/ ٥٩٥، ط/ دار الدعوة، القاهرة: بدون تاريخ.

ومن خلال ما سبق يظهر أن العرف له عدة معان منها :

١. المعروف الذي تعارفه الناس.
٢. ما كان ضد المنكر.
٣. السكون والطمأنينة.
٤. الصبر.
٥. تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض.
٦. الظهور والوضوح.
٧. العلو والارتفاع[١].

والمدقق لهذه المعاني التي أوردتها المعاجم يستطيع أن يستخلص أن العرف أطلق على المعروف مما يدل على أنه بمعنى واحد وهو ضد المنكر، وسمي عرفًا لأن الناس لا ينكرونه ولايستقبحونه، فإن من أنكر شيئًا توحش منه وابتعد عنه.كما سمي عرفًا لتتابع الناس واتصالهم به واعتيادهم عليه كتتابع الشعر على عرف الفرس.

كما سمي عرفًا لوضوحه وظهوره كعلو الجبل وارتفاعه في سطح الأرض وكوضوح سنام الناقة على ظهرها)[٢].

---

(١) أقرب الموارد، العلامة السعيد الشرتوني، ٧٦٩/٢، ط/ مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، بدون تاريخ.

(٢) أثر العرف في التشريع الإسلامي، د. السيد صالح عوض، ص ٤٤، ٤٥، ط/ دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

وأما العرف اصطلاحًا:

عرفه الإمام عبدالله بن أحمد النسفي – رحمه الله - ، بقوله: (العرف: ما استقر في النفوس من جهة العقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول)[1].

وعرّفه من المتأخرين جمعٌ.. بأنه: (ما تعارف جمهور الناس وساروا عليه، سواء أكان قولاً، أو فعلاً، أو تركًا)[2].

وعرفه البعض بأنه: (هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول واستمر الناس عليه، مما لا ترده الشريعة، وتقرهم عليه)[3].

ولو تأملنا هذه المعاني الاصطلاحية مع ما تقدم في المعنى اللغوي لمادة العرف وما أفاده من دلالات مختلفة تفيد المعروف الذي هو ضد المنكر والتتابع والسكون والوضوح والطمأنينة إليه لوجدنا أن هذه المعاني هي نفسها ما أرادها الفقهاء من شرط (الاستمرار) وشرط (الاستقرار وتلقى العقول والطباع السليمة لها بالقبول) حيث خرج به ما أنكرته الطباع والعقول ولم تعترف به. وعليه " فإن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تقرب من التساوي إن لم تكن هي"[4].

---

(١) العرف والعادة في رأي الفقهاء، أحمد فهمي أبو سنة ص ٨، ط/١، مطبعة الأزهر، مصر: ١٤١٩هـ.

(٢) المدخل في التعريف بالفقه الاسلامي، محمد مصطفى شلبي، ص ٢٦٠، ط/ دار النهضة العربية، القاهرة: ١٩٦٩م.

(٣) انظر: الأشباه والنظائر، ابن نجيم الحنفي، ص ٤٦، ط/ الحلبي، بدون تاريخ، وشرح الكوكب المنير، محمد الفتوحي المعروف بابن النجار ٤/٤٤٨، ط/ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ. وأصول الفقه الإسلامي، أ. د. وهبة الزحيلي ٢/٨٢٩، ط/٢، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٢هـ.

(٤) العرف حجيته، وأثره في فقه المعاملات عند الحنابلة، عادل قوته، ص ١٠٥، ط/١، المكتبة الملكية: ١٤١٨هـ.

وكذلك من خلال هذه المعاني يتبين لنا المفهوم الواسع والشامل للعرف حيث يجري على كل ما نشأ الناس عليه واعتادوه وما استقر في نفوسهم، فلفظ (ما) في تعريف الفقهاء كالجنس يشمل ما تعارفه الأكثرية من الناس سواء أكان صحيحًا أم فاسدًا وسواء أكان قوليًا أم فعليًا. وعلى هذا يجري العرف في الأقوال والأفعال التعاملية والخلقية، ويقوم كيانه على استقرار الأمر في النفوس واعتياد الناس وتكرارهم له، وقبول الطباع السليمة له، ومتى توفر له ذلك فقد وجدت حقيقة العرف)[1].

المطلب الثاني: أقسام العرف:

ينقسم العرف إلى عدة أقسام:

أولاً: العرف القولي، والعرف العملي:

ينقسم العرف بحسب استعمال الألفاظ المتعارف عليها في بعض المعاني، أو بحسب الأعمال التي يقوم بها الناس إلى قسمين: عرف قولي: لفظي، وعرف عملي.

أ. العرف القولي:

أن يتعارف قوم إطلاق لفظ على معنى، بحيث لا يتبادر عند سماعه إلا ذلك المعنى، كالدرهم على النقد الغالب[2]، فمعنى العرف في اللفظ: أن ينقل إطلاق لفظ، ويستعمل في معنى، حتى يصير هو المعتاد من ذلك عند الإطلاق، مثال ذلك إطلاق لفظ الدابة على ذوات

---

(١) العرف وأثره في الشريعة والقانون، أ. د. أحمد المباركي، ص ٣٦، ط/١، الرياض: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) التقرير والتحبير في علم الأصول شرح ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال بن الهمام ١/ ٢٨٢، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٩٩٦م.

الأربع مع أنها في اللغة لكل ما يدب. وكما ينقل العرف اللفظ المفرد ينقل المركب، فالعرف القولي لا يكون إلا إذا نقلت الألفاظ عن معناها اللغوي، أو خصصت ببعض أفرادها، أما إذا استمر المعنى اللغوي متعرفا، فلا يسمى عرفًا قوليًا أو حقيقة عرفية، وإنما هو حقيقة لغوية مشهورة)[1].

وقد اعتبر الفقهاء العرف القولي، فحملوا عليه ألفاظ التصرفات، ولاحظوا ذلك في القضاء والفتوى ونصوا على أن كل متكلم إنما يحمل لفظه على عرفه، فإذا كان المتكلم باللفظ هو الشارع فإنه يحمل على الحقيقة الشرعية، وإذا كان المتكلم من أهل اللغة فإنه يحمل كلامه على عرفه، وتحمل ألفاظ الناس التي تدور عليها العقود والتصرفات على عرفهم في مخاطبتهم، ويجري ما يترتب على ذلك من التزامات على حسب ما يفيده اللفظ في العرف)[2].

ب. العرف العملي:

هو ما جرى عليه الناس وتعارفوه في معاملاتهم وتصرفاتهم، كتعارف الناس البيع بالتعاطي والاستصناع. قال الإمام ابن عابدين: العرف عملي وقولي، فالأول: كتعارف قوم على أكل البر ولحم الضأن، فإذا قال: اشتر لي طعاما أو لحما انصرف إلى البر ولحم الضأن عملا بالعرف العملي)[3].

---

(١) شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ص٤٤، ط/ دار الفكر بيروت: ٢٠٠٩م.

(٢) المرجع السابق، ص٢١١.

(٣) مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ١١٢/٢، ط/١، عالم الكتب، بيروت: ١٩٩٨م.

والأعراف والعادات التي تجري بين الناس في معاملاتهم تقوم مقام النطق بالألفاظ، قال الإمام عز الدين بن عبدالسلام: فصل في تنزيل دلالة العادات وقرائن الأحوال منزلة صريح الأقوال في تخصيص العام وتقييد المطلق وغيرها، ومن الأمثلة في ذلك: التوكيل في البيع المطلق، فإنه يتقيد بثمن المثل وغالب نقد البلد، تنزيلا للعادة الجارية في المعاملات منزلة صريح اللفظ، وكذلك حمل الإذن في النكاح على الكفء ومهر المثل؛ لأنه المتبادر إلى الأفهام فيمن وكل آخر بتزويج ابنته.

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله - : وهذا أكثر من أن يحصر، وعليه يخرج حديث عروة بن الجعد البارقي حيث أعطاه النبي دينارًا يشتري به شاة، فاشترى شاتين بدينار، فباع إحداهما بدينار وجاءه بالدينار والشاة الأخرى[1].

فباع وأقبض وقبض بغير إذن لفظي اعتمادًا منه على الإذن العرفي، الذي هو أقوى من اللفظي في أكثر المواضع)[2].

فالعرف العملي أو العادة في الفعل هي المحكمة فيما يجري بين الناس في معاملاتهم، ما يجب منها وما لا يجب، تبعا للعرف الجاري بينهم، وما يدخل في العقود تبعا وما لا يدخل. وقد ذكر الفقهاء أن الشرط العرفي كاللفظي[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: حدثنا محمد بن المثنى رقم ٢٨، حديث رقم ٣٦٤٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد ٤١٢/٢، ٤١٣، ط/ مطبعة دار السعادة، القاهرة: ١٩٥٥م.

(٣) المرجع السابق ٣ /٣.

ومن القواعد الفقهية في ذلك: (المعروف كالمشروط) والمعروف بين التجار كالمشروط بينهم، قال الإمام السرخسي: والمعلوم بالعرف كالمشروط، وفيه أيضًا: الثابت بالعرف كالثابت بالنص)[(1)].

ثانيًا: العرف العام والعرف الخاص:

العرف العام: هو ما تعارفه عامة الناس كمن حلف لا يضع قدمه في دار فلان، فهو في العرف العام بمعنى الدخول، سواء دخلها ماشيًا أو راكبًا.

والعرف الخاص: هو ما لم يتعارفه عامة الناس بل بعضهم، كالألفاظ المصطلح عليها في عرف الشرع أو عرف التخاطب، أو في عرف طائفة خاصة، ومن ذلك اصطلاح الرفع عند النحاة، واشترط الحنفية في العرف العام استمرار العمل به بين الناس)[(2)].

ثالثًا: العرف الصحيح والعرف الفاسد:

فالصحيح: هو ما تعارفه الناس وليس فيه مخالفة لنص شرعي، ولا تفويت لمصلحة ولا جلب لمفسدة، كتعارفهم تقديم الهدايا من الخطيب لخطيبته وعدم اعتبارها من المهر.

والعرف الفاسد: ما خالف بعض أدلة الشرع أو بعض قواعده، كتعارفهم على بعض العقود الربوية)[(3)].

---

(1) المبسوط، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس ١٥/١٧٢ - ١٧٣، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(2) مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد ابن عابدين ١ / ١٨٦.

(3) المرجع السابق ٢/١١٤.

رابعًا: العرف الثابت والعرف المتبدل:

ينقسم العرف باعتبار ثبوته واستقراره وعدمه إلى: عرف ثابت، وعرف متبدل.

والعرف الثابت: هو الذي لا يختلف باختلاف الأزمان والأماكن والأشخاص والأحوال؛ لأنه يعود إلى طبيعة الإنسان وفطرته، كشهوة الطعام والشراب والحزن والفرح، ومن العرف الثابت العرف الشرعي: وهو ما كلف به الشرع وأمر به أو نهى عنه أو أذن فيه.

والعرف المتبدل: هو الذي يختلف باختلاف الأزمان والبيئات والأحوال، وهو أنواع: فمنه ما يعود إلى اعتبار البقاع، والبيئات من حسن شيء أو قبحه، فيكون في مكان حسنًا، وفي مكان آخر قبيحًا، مثل كشف الرأس فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد المشرقية، وغير قبيح في البلاد المغربية)[1].

المطلب الثالث: شروط اعتبار العرف وحجيته:

ينقسم العرف من حيث اعتباره في الأحكام إلى ثلاثة أقسام:

أ - ما قام الدليل الشرعي على اعتباره، كمراعاة الكفاءة في النكاح، ووضع الدية على العاقلة فهذا يجب اعتباره والأخذ به.

ب - ما قام الدليل الشرعي على نفيه، كعادة أهل الجاهلية في التبرج، وطوافهم في البيت عراة، والجمع بين الأختين، وغير ذلك من الأعراف التي نهى عنها الشارع، فهذه الأعراف لا تعتبر.

---

(١) الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٩٠، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ج - ما لم يقم الدليل الشرعي على اعتباره أو نفيه، وهذا هو موضع نظر الفقهاء.

وقد ذهب الفقهاء إلى اعتبار العرف الذي قام الدليل الشرعي على اعتباره ومراعاته وبنوا عليه الكثير من الأحكام ولم ينكر ذلك أحد منهم[1].

وقد قام الدليل من الكتاب والسنة والإجماع على اعتبار العرف.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[2].

قال الإمام أبو بكر بن العربي – رحمه الله - : (إن الإنفاق ليس له تقدير شرعي، وإنما أحاله الله تعالى على العادة، وهي دليل أصولي، بنى الله تعالى عليه الأحكام، وربط به الحلال والحرام)[3].

وقال الإمام ابن قدامة – رحمه الله - : والصحيح رد الحقوق المطلقة في الشرع إلى العرف فيما بين الناس في نفقاتهم، في حق الموسر والمعسر والمتوسط، كما رددناهم في الكسوة إلى ذلك)[4].

وقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[5]، فهذه الآية الكريمة على التسليم بأن المراد بالعرف فيها المعنى اللغوي له لا المعنى الشرعي، حيث المراد بالعرف فيها الشيء المعروف المستحسن، إلا أن

---

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين ١/ ٤٤، ٢/ ١١٣.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٣) أحكام القرآن، أبوبكر بن العربي ٤/ ١٨٣٠، ط/ عيسى الحلبي، القاهرة: ١٩٥٨م.

(٤) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ٧/ ٥٦٧، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

فيها استئناسا إلى اعتبار العرف الشرعي، حيث إن العرف الشرعي ما هو إلا ما تعارفه الناس وألفوه واستحسنوه غالبًا.

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها: أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: ((خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف))[1].

قال الإمام ابن حجر – رحمه الله - : (فيه اعتماد العرف في الأمور التي لا تحديد فيها من قبل الشارع)[2].

ويشترط لاعتبار العرف عدة شروط منها:

الشرط الأول: أن يكون العرف مطردًا أو غالبًا:

يشترط لاعتبار العرف: أن يكون مطردا أو غالبا. ومعنى الاطراد: أن يكون العرف مستمرا بحيث لا يتخلف في جميع الحوادث، ومعنى الغلبة: أن يكون العمل بالعرف كثيرا، ولا يتخلف إلا قليلا، ذلك أن الاطراد أو الغلبة يجعل العرف مقطوعا بوجوده، قال الإمام السيوطي: إنما تعتبر العادة إذا اطردت، فإذا اضطربت فلا.

وقال الإمام ابن نجيم – رحمه الله - : إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت، ولذا قالوا: لو باع بدراهم أو دنانير، وكانا في بلد اختلف فيه النقود مع الاختلاف في المالية والرواج، انصرف البيع إلى الأغلب، قال في الهداية؛ لأنه هو المتعارف فينصرف إليه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: النفقات، باب: إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها من معروف، حديث رقم ٥٠٤٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز –رحمه الله- ٥١٠/٩، ط/ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٧٩هـ.

وقال الإمام الشاطبي – رحمه الله - : وإذا كانت العوائد معتبرة شرعا فلا يقدح في اعتبارها انخراقها ما بقيت عادة في الجملة)[1] .

وبهذا الشرط يخرج العرف المشترك - هو ما تساوى العمل به وتركه - من الاعتبار، فلا يصلح أن يكون مستندًا أو دليلاً يرجع إليه في تحديد الحقوق والواجبات المطلقة)[2] .

الشرط الثاني: أن يكون العرف عامًا:

هذا الشرط محل خلاف بين الفقهاء: فذهب جمهور الحنفية والشافعية إلى أنه يعتبر في بناء الأحكام العرف العام دون الخاص[3] .

الشرط الثالث: ألا يكون العرف مخالفًا للنص الشرعي:

يشترط في العرف المعتبر شرعا: ألا يخالف النصوص الشرعية، بمعنى أن لا يكون ما تعارف عليه الناس مخالفا للأحكام الشرعية المنصوص عليها، وإلا فلا اعتبار للعرف، كتعارف بعض الناس شرب الخمر وتبرج النساء والتعامل بالعقود الربوية ونحو ذلك ثم إن مخالفة العرف للنص تأتي على وجهين:

فإذا خالف العرف النص الشرعي من كل وجه، فإنه يعمل بالنص، ولا اعتبار للعرف؛ لأن النص أقوى من العرف، ولا يترك الأقوى لما هو أضعف منه، سواء كان العرف عامًا أو خاصًا[4] ، وإذا خالف العرف النص في بعض الوجوه ؛ فذهب الجمهور إلى أنه لا يصلح

---

(١) الأشباه والنظائر، السيوطي ص ٩٢.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ٢ / ١٣٢.

(٣) المرجع السابق ٢/١١٤.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩ / ٥١٠.

العـرف مخصـصًا ولا مقيـدًا للـنص، وذهـب الحنفيـة إلى أن العـرف يخصص النص ويقيده[1].

الشرط الرابع: ألا يعارض العرف تصريح بخلافه:

يـشرط لاعتبـار العـرف: ألا يـصدر تـصريح بخلافـه، فـإذا صـرح العاقـدان مـثلاً بخـلاف العـرف فـلا اعتبـار للعـرف؛ لأن مـن القواعـد الفقهيـة أنـه لا عـبرة للدلالـة في مقابلـة التـصريح قـال الإمـام العـز بـن عبدالـسلام – رحمـه الله - : كـل مـا يثبـت في العـرف إذا صـرح المتعاقدان بخلافه ممـا يوافق مقصود العقد ويمكـن الوفـاء بـه صـح، فلـو شـرط المـستأجر علـى الأجير أن يـستوعب النهـار بالعمـل مـن غـير أكل يقطع المنفعة لزمـه ذلـك، ولـو شـرط عليـه أن لا يـصلي الرواتـب، وأن يقتصر في الفرائض على الأركـان، صـح ووجب الوفـاء بـذلك ؛ لأن تلك الأوقات إنمـا خرجت عن الاستحقاق بالعرف القـائم مقـام الـشرط، فإذا صرح بخلاف ذلك ممـا يجوزه الشرع ويمكـن الوفـاء بـه جاز)[2].

الشرط الخامس: أن يكون العرف قائمًا عند إنشاء التصرف:

يـشترط لاعتبـار العـرف: أن يكـون قائمًـا عنـد إنـشاء التـصرف، وذلـك بـأن يكـون العـرف سـابقًا أو مقارنًـا للتـصرف عنـد إنـشائه؛ لأن كـل مـن يقـوم بتـصرف - سـواء كـان قوليًـا أو فعليًـا إنمـا يتـصرف بحسب مـا جرى بـه العرف؛ ليـصح الحمـل علـى العـرف القـائم فـلا عـبرة بالعرف الطارئ بعد التصرف.

(١) التقرير والتحبير، شرح ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال بن الهمام ١/ ٢٨٢.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي ٢/ ١٥٨، ط/ دار المعارف، بيروت.

قال الإمام القرافي – رحمه الله – : العوائد الطارئة بعد النطق لا يقضى بها على النطق، فإن النطق سالم عن معارضتها، فيحمل على اللغة، ونظيره: إذا وقع العقد في البيع فإن الثمن يحمل على العادة الحاضرة في النقد، وما يطرأ بعد ذلك من العوائد في النقود لا عبرة به في هذا البيع المتقدم، وكذلك النذر والإقرار والوصية إذا تأخرت العوائد عليها لا تعتبر، وإنما يعتبر من العوائد ما كان مقارنا لها.

وقال السيوطي – رحمه الله – : العرف الذي تحمل عليه الألفاظ إنما هو المقارن السابق دون المتأخر.

وقال ابن نجيم بعد أن ذكر عبارة السيوطي – رحمه الله – : ولذا قالوا: لا عبرة بالطارئ)[1].

ولقد راعى الشارع الحكيم العرف الصالح، إذ أنه نزع الناس عما تعارفوا وساروا عليه، فيه حرج عظيم، لذا يواجه الأنبياء حرج كبير، لأنهم يقومون بنزع الناس عن أعرافهم الفاسدة.

ولقد راعت الشريعة الإسلامية الأعراف التي كانت سائدة في الجاهلية، وأقرت الصحيح منها، وألغت المخالف للشرع، وأمثلته كثيرة..

فمن المقرّ: البيع، والشركة، والوكالة، والرهن، والإجارة.. وغيرها.

ومما ألغته: ما يحميه الملوك لأنفسهم من الأرضين، وبيع المنابذة، وبيع الملامسة، وتلقي الركبان، وبيع الحاضر للباد.. الخ.

(١) شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، القرافي، ص ٢١١.

المطلب الرابع: تعريف الحسبة والمحتسب:

الحسبة في اللغة كما قال ابن منظور: (الحسبة: مصدر احتسابك الأجر على الله، تقول: فعلته حسبة، واحتسب فيه احتسابًا، والاحتساب: طلب الأجر، والاسم: الحسبة بالكسر، وهو الأجر. والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات: هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر، والقيام بها على الوجه المرسوم فيها، طلبًا للثواب المرجو منها. وحسب الشيء كائنًا يحسبه ويحسبه، والكسر أجود اللغتين) [(١)].

وجاء في المعجم الوسيط: (الحسبة: من الحساب، ويقال فلان حسن الحسبة في الأمر يحسن تدبيره، وفعله حسبة مدخرًا أجره عند الله، وهو منصب كان يتولاه في الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب، وهي مأخوذة من: حسب المال و نحوه حسابًا و حسبانًا عده وأحصاه وقدره فهو حاسب والمفعول محسوب، وحسب الإنسان حسبًا كان له ولآبائه شرف ثابت متعدد النواحي فهو حسيب، واحتسب بكذا: اكتفى به، وعلى فلان الأمر: أنكره والأمر حسبه وظنه) [(٢)].

والحِسْبَةُ: (احْتِسَابُكَ الأجْرَ عِنْدَ الله. وإِنَّه لَحَسَنُ الحِسْبَةِ في الأمْرِ: إذا كَانَ حَسَنَ التَّدْبِيْرِ) [(٣)].

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ١/٣١٤.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ص ١٧١ بتصرف، مادة: (حسب).

(٣) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد ٢/٤٩٣.

فالحسبة لغة تشير في الغالب إلى أربعة معانٍ: الأول: طلب الأجر من الله، والثاني: الإنكار: ويقال: احتسب عليه أي أنكر، ومنه المحتسب، والثالث: الاختبار والسبر، قاله ابن السكيت، وقيل: النساء يحتسبن ما عند الرجال أي يختبرن، الرابع: حسن التدبير والنظر في الأمر أو إحصائه أو عده مثل: حسب المال حسبًا أو حسبه، قال الأصمعي: فلان حسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير)[1].

وأما تعريف الحسبة في الاصطلاح فيقول الإمام الماوردي: (الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله)[2].

وقال الإمام أبو البقاء الكفوي – رحمه الله - : (الحسبة - بالكسر - : الأجر، واسم من الاحتساب، وأحسب عليه: أنكر، ومنه المحتسب)[3].

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - بأنها: (ولاية دينية يقوم ولي الأمر - الحاكم - بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس

---

(١) أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال الدين إمام ص ١٤، ط/١، دار الهداية، القاهرة: ١٩٨٦م.

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الأمام أبو الحسن الماوردي، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي ص ٣١٥، ط/١، دار بن قتيبة، الكويت: ١٩٨٩م.

(٣) الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري ص ٦٧، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٨م.

فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقا لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقا لشرع الله تعالى) [1].

ويقول ابن خلدون– رحمه الله - عن ولاية الحسبة: (هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة) [2].

وأما الاحتساب في اللغة فهو: (طَلَبُ الأَجْر والاسم الحِسْبَةُ بالكسر وهو الأَجْرُ واحْتَسَبَ فلان ابنًا له أَو ابْنَةً له إذا ماتَ وهو كبير وافْتَرَطَ فَرَطًا إِذا مات له ولد صغير لم يَبْلُغِ الحُلُمَ وفي الحديث مَنْ ماتَ له ولد فاحْتَسَبَه أَي احْتسب الأَجرَ بصبره على مُصيبتِه به معناه اعْتَدَّ مُصِيبَتَه به في جُملةِ بَلايا الله التي يُثابُ على الصَّبْر عليها واحْتَسَبَ بكذا أَجْرًا عند اللّه والجمع الحِسَبُ وفي الحديث مَن صامَ رمضانَ إِيمانًا واحْتِسابًا أَي طلَبًا لوجهِ اللّهِ تعالى وثوابه والاحتِسابُ في الأَعمال الصالحاتِ وعند المكْرُوهاتِ هو البِدارُ إِلى طَلَبِ الأَجْرِ وتَحْصيله بالتسليم والصبر أَو باستعمال أَنواعِ البرِّ والقِيامِ بها على الوَجْهِ المَرْسُوم فيها طلَبًا للثواب المَرْجُوِّ منها) [3].

وقال أبو البقاء الكفوي – رحمه الله - : (الاحتساب هو طلب الأجر من الله بالصبر على البلاء مطمئنة نفسه غير كارهة له

---

(١) الحسبة، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣.

(٢) انظر: المقدمة، ابن خلدون ص ٢٢٥.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ١/ ٣١٥.

والحسبة بالكسر الأجر واسم من الاحتساب وأحسب عيه أنكر ومنه المحتسب) [1].

(والاحتساب: هو طلب الأجر من الله بالصبر على البلاء مطمئنة نفسه غير كارهة له، والحسبة بالكسر: الأجر واسم من الاحتساب وأحسب عليه: أنكر) [2].

وقال الزبيدي – رحمه الله – : (الاحتساب مأخوذ من الحسْب، أي احتسب الأجر بصبره على مصيبته ومعناه: اعتد بعمله أجرًا عند الله ينوي به وجه الله تعالى وثوابه، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله احتسبه لأن له حينئذٍ أن يعتد عمله، وفي لسان العرب: الاحتساب في أعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجو منها) [3].

وأما المحتسب: فَهُوَ مَنْ نَصَّبَهُ الإِمَامُ أَوْ نَائِبُهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَالْكَشْفِ عَنْ أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ ، وَتَصَفُّحِ أَحْوَالِ السُّوقِ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ ، وَاعْتِبَارِ مَوَازِينِهِمْ وَغِشِّهِمْ ، وَمُرَاعَاةِ مَا يَسْرِي عَلَيْهِ

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري ١/ ٦٧.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٧.

(٣) تاج العروس، الزبيدي ٣/ ١٦٢، ط/ دار التراث، مصر.

أُمُورُهُمْ ، وَاسْتِتَابَةِ الْمُخَالِفِينَ ، وَتَحْذِيرِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ ، وَتَعْزِيرِهِمْ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ مِنْ التَّعْزِيرِ عَلَى قَدْرِ الْجِنَايَةِ[(١)] .

والمحتسب من قولهم: (احتسب فلان على فلان: أنكر عليه قبيح عمله)[(٢)] ، فهو القائم بأمر الحسبة، وهو: من ينكر على الناس قبيح أعمالهم.

واصطلاحًا: هو من يقوم بالاحتساب أي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن شاع عند الفقهاء إطلاق هذا الاسم على من يعينه ولي الأمر للقيام بالحسبة، وأطلقوا عليه أيضًا اسم والي الحسبة، أما من يقوم بها من دون تعيين ولي الأمر فقد أطلقوا عليه اسم "المتطوع"[(٣)] .

(والمحتسب من يقوم بالاحتساب أي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[(٤)] .

والمراد بالْمُحْتَسِبُ: (هُوَ مَنْ يُوَلِّيهِ الإِمَامُ أَوْ نَائِبُهُ لِلْقِيَامِ بِوَظِيفَةِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَالْكَشْفِ عَنْ أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَهُوَ فَرْضٌ فِي حَقِّهِ مُتَعَيِّنٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْوِلاَيَةِ. وَمَوْضُوعُ هَذِهِ الْوِلاَيَةِ إِلْزَامُ الْحُقُوقِ وَالْمَعُونَةِ عَلَى اسْتِيفَائِهَا، وَمَحَل وِلاَيَتِهِ كُل مُنْكَرٍ مَوْجُودٍ فِي الْحَال ظَاهِرٍ لِلْمُحْتَسِبِ بِغَيْرِ تَجَسُّسٍ مَعْلُومٍ كَوْنُهُ مُنْكَرًا بِغَيْرِ اجْتِهَادٍ، وَلِلْمُحْتَسِبِ

---

(١) معالم القربة في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الإخوة ص ٧، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: السيد البـاز العريني ص ١٤٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (حسب)، ١/ ٣١٧.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ١٧٧.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٩.

أَنْ يَتَّخِذَ عَلَى إِنْكَارِهِ أَعْوَانًا ؛ لأَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِهَذَا الْعَمَلِ، وَمِنْ صَلاَحِيَّتِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ رَأْيَهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعُرْفِ دُونَ الشَّرْعِ، وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُحْتَسِبُ فَقِيهًا عَارِفًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِيَعْلَمَ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ)[1] .

وولاية الْحِسْبَةِ نَوْعَانِ: وِلايَةٌ أَصْلِيَّةٌ مُسْتَحْدَثَةٌ مِنَ الشَّارِعِ، وَهِيَ الْوِلايَةُ الَّتِي اقْتَضَاهَا التَّكْلِيفُ بِهَا لِتَثْبُتَ لِكُلِّ مَنْ طُلِبَتْ مِنْهُ. وَوِلايَةٌ مُسْتَمَدَّةٌ وَهِيَ الْوِلايَةُ الَّتِي يَسْتَمِدُّهَا مَنْ عُهِدَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ الأَمِيرِ وَهُوَ الْمُحْتَسِبُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْمَعُ بَيْنَ الْوِلايَتَيْنِ ، لأَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِهَا شَخْصِيًّا مِنْ جِهَةِ الشَّارِعِ وَمُكَلَّفٌ بِهَا كَذَلِكَ مِنْ قِبَلِ مَنْ لَهُ الأَمْرُ.أَمَّا غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ إلاَّ الْوِلايَةُ الَّتِي أَضْفَاهَا الشَّارِعُ عَلَيْهِ وَهِيَ الْوِلايَةُ الأَصْلِيَّةُ ، وَهَذِهِ الْوِلايَةُ كَمَا تَتَضَمَّنُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى وَجْهِ الطَّلَبِ مُبَاشَرَةً تَتَضَمَّنُ كَذَلِكَ الْقِيَامَ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى اجْتِنَابِ الْمُنْكَرِ ، لا عَلَى وَجْهِ الطَّلَبِ بَلْ عَلَى وَجْهِ الدُّعَاءِ وَالاسْتِعْدَاءِ، وَذَلِكَ يَكُونُ بِالتَّقَدُّمِ إِلَى الْقَاضِي بِالدَّعْوَى بِالشَّهَادَةِ لَدَيْهِ، أَوْ بِاسْتِعْدَاءِ الْمُحْتَسِبِ، وَتُسَمَّى الدَّعْوَى لَدَى الْقَاضِي بِطَلَبِ الْحُكْمِ بِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ دَعْوَى حِسْبَةٍ، وَلا تَكُونُ إلاَّ فِيمَا هُوَ حَقٌّ لِلَّهِ، وَعِنْدَئِذٍ يَكُونُ مُدَّعِيًا بِالْحَقِّ وَشَاهِدًا بِهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. وَيُطْلِقُ الْفُقَهَاءُ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِالاحْتِسَابِ دُونَ انْتِدَابٍ لَهَا مِنَ الإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ الْمُتَطَوِّعَ، أَمَّا مَنْ انْتَدَبَهُ الإِمَامُ وَعَهِدَ إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/٢١، ٣٩.

أَحْـوَالِ الرَّعِيَّـةِ وَالْكَـشْفَ عَـنْ أُمُـورِهِمْ وَمَـصَالِحِهِمْ فَهُـوَ الْمُحْتَـسِبُ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ عِدَّةِ أَوْجُهٍ كَمَا بَيَّنَهُ الْمَاوَرْدِيُّ وَغَيْرُهُ وَهِيَ[1]:

الأَوَّلُ: أَنَّ قِيَامَ الْمُحْتَسَبِ بِالْوِلايَةِ صَارَ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي لا يَسُوغُ أَنْ يُشْتَغَلَ عَنْهَا بِغَيْرِهَا وَقِيَامُ الْمُتَطَوِّعِ بِهَا مِنْ نَوَافِلِ عَمَلِهِ يَجُوزُ أَنْ يَشْتَغِلَ عَنْهَا بِغَيْرِهَا.

الثَّانِي: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِلاسْتِعْدَاءِ فِيمَا يَجِبُ إِنْكَارُهُ، وَلَيْسَ الْمُتَطَوِّعُ مَنْصُوبًا لِلاسْتِعْدَاءِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ عَلَى الْمُحْتَسِبِ بِالْوِلايَةِ إِجَابَةُ مَنِ اسْتَعْدَاهُ وَلَيْسَ عَلَى الْمُتَطَوِّعِ إِجَابَتُهُ.

الرَّابِعُ: أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ الظَّاهِرَةِ لِيَصِلَ إِلَى إِنْكَارِهَا وَيَفْحَصَ عَمَّا تُرِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ الظَّاهِرِ لِيَأْمُرَ بِإِقَامَتِهِ، وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ بَحْثٌ وَلا فَحْصٌ.

الْخَامِسُ: أَنَّ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَى الإِنْكَارِ أَعْوَانًا، لأَنَّهُ عَمَلٌ هُوَ لَهُ مَنْصُوبٌ وَإِلَيْهِ مَنْدُوبٌ لِيَكُونَ عَلَيْهِ أَقْدَرَ، وَلَيْسَ لِلْمُتَطَوِّعِ أَنْ يَنْدُبَ لِذَلِكَ أَعْوَانًا.

السَّادِسُ: أَنَّ لَهُ أَنْ يُعَزِّرَ فِي الْمُنْكَرَاتِ الظَّاهِرَةِ وَلا يَتَجَاوَزَ إِلَى الْحُدُودِ، وَلَيْسَ لِلْمُتَطَوِّعِ أَنْ يُعَزِّرَ عَلَى مُنْكَرٍ.

السَّابِعُ: أَنَّ لَهُ أَنْ يَرْتَزِقَ عَلَى حِسْبَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَلا يَجُوزُ لِلْمُتَطَوِّعِ أَنْ يَرْتَزِقَ عَلَى إِنْكَارِ مُنْكَرٍ

---

(١) الذخيرة في الفقه المالكي، القرافي ٩/١٥٧، والأحكام السلطانية، الماوردي ١/٤٨٦، ومعالم القربة في طلب الحسبة، ابن الإخوة ١ / ٧.

الثَّـامِنُ: أَنَّ لَـهُ اجْتِهَـادَ رَأْيِـهِ فِيمَـا تَعَلَّـقَ بِـالْعُرْفِ دُونَ الـشَّرْعِ كَالْمَقَاعِدِ فِي الأَسْوَاقِ، وَإِخْرَاجِ الأَجْنِحَةِ فَيُقِرُّ وَيُنْكِرُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ، وَلَيْسَ هَذَا لِلْمُتَطَوِّعِ) [(١)] .

فالْمُحْتَسِبُ: هُوَ مَنْ نَصَّبَهُ الإِمَامُ أَوْ نَائِبُهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَالْكَشْفِ عَنْ أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَتَصَفُّحِ أَحْوَالِ السُّوقِ فِي مُعَامَلاتِهِمْ، وَاعْتِبَارِ مَوَازِينِهِمْ وَغِشِّهِمْ، وَمُرَاعَاةِ مَا يَسْرِي عَلَيْهِ أُمُورُهُمْ، وَاسْتِتَابَةِ الْمُخَالِفِينَ، وَتَحْذِيرِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَعْزِيرِهِمْ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ مِنْ التَّعْزِيرِ عَلَى قَدْرِ الْجِنَايَةِ) [(٢)] .

المطلب الخامس: العلاقة بين العرف والحسبة:

قبل أن نكشف العلاقة بين الحسبة والعرف لابد لنا أن نؤكد على العلاقة السابقة بين العرف والمعروف حيث إن العرف يطلق على المعروف، وعلى ضد المنكر في اللغة.

ويزيد هذا الأمر إيضاحًا علماء السلف، إذ بينوا حقيقة هذه العلاقة بين العرف والمعروف وذلك من خلال قول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [(٣)] .

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي ص ٢٤٠ - ٢٤١ والأحكام السلطانية، أبو يعلى ص ٢٨٤ - ٢٨٥، نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة ٢٤٢/٦ - ٢٤٣، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤م.

(٢) معالم القربة في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الإخوة، ص٧، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيرازي، تحقيق: السيد الباز العريني ص١٤٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

قال الإمام الطبري – رحمه الله - : (إن الله تعالى أمر نبيه أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف)[1].

أما الإمام الزمخشري – رحمه الله - فيقول: (العرف هو المعروف والجميل من الأفعال)[2].

ويؤكد الإمام الرازي – رحمه الله - هذه العلاقة بقوله: (والمعروف كل أمر عرف أنه لا بد من الإتيان به وأن وجوده خير من عدمه)[3].

أما الإمام ابن العربي – رحمه الله - فيقول: (وقوله: (وأمر بالعرف) تناول جميع المأمورات والمنهيات، وإنهما ما عرف حكمه، واستقر في الشريعة موضعه، واتفقت القلوب على علمه)[4].

وفي إثبات هذه العلاقة يقول الإمام الراغب الأصفهاني: (العرف المعروف من الإحسان)[5].

فإذا ثبت وجود علاقة بين العرف والمعروف فإنه يسهل علينا بعد ذلك إيجاد علاقة بين العرف والحسبة، وذلك من خلال الرابط المشترك بينهما ألا وهو "المعروف".

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ١٠٤/٦، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.

(٢) الكشاف، جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد و علي محمد ٥٤٥/٢، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي ٩٦/١٥/٨، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي ٨٢٦/٢.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ٢٣٢، ط/ دار المعرفة، بيروت.

ذلك لأن المعروف في باب الدعوة إلى الله تعالى يعد أحد الركنين الأساسين اللذين يقوم عليهما بناء الحسبة، وفي صدد تأكيد هذا يقول الإمام الماوردي والقاضي أبو يعلى الحنبلي في تعريفهما للحسبة: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله)[1].

أما الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله - فيقول: (الحسبة عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[2].

وكما هو معروف أن الحسبة هي الوجه الأخص للدعوة إلى الله لأنها من باب الوظيفة الدينية)[3]، ولها نوع من السلطة[4]، في حين أن الدعوة هي الوجه الأعم للحسبة والتي يقوم بها كل أحد حسب علمه وقدرته[5].

فلا يتصور قيام دعوة إلى الله بدون أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ترغيبًا وترهيبًا.

إذا تبين هذا اتضحت العلاقة العامة التي تربط العرف بالحسبة، أما تفصيلات هذه العلاقة فيمكن بيانها من خلال الجامع المشترك بينهما أي بين العرف والمعروف في الموضوع والمعنى، وسعة مجاليهما، ثم من الهدف المشترك بينهما، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

---

(١) الأحكام السلطانية، أبوالحسن الماوردي ص ٢٤٠، الأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي ص ٢٨٤.

(٢) إحياء علوم الدين، أبوحامد الغزالي ٢/٢١٢، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٣هـ.

(٣) المرجع السابق ٢/٢١٢.

(٤) انظر: المقدمة، ابن خلدون ص٢٢٥.

(٥) انظر: الصحوة الإسلامية "ضوابط وتوجيهات"، محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله - ص١٥٥، ط/ دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤٢٤هـ.

١ /الجامع في الموضوع: فالحسبة والعرف يجمعهما موضوع واحد وهو المعروف وضده المنكر.

٢/ الجامع في المعنى: ذلك أن المعروف في المصطلح الدعوي اسم جامع لكل ما عرف حسنه بالشرع أو بالعقل[١].

وهذا المعنى نفس المعنى الاصطلاحي للعرف إذ يقول الفقهاء في تأكيد ذلك "بأن العرف هو ما عرفه العقلاء بأنه حسن وأقرهم الشارع عليه"[٢].

٣/ الجامع في سعة مجال عملهما:

فالدعوة إلى الله والاحتساب هي المحاولات المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق[٣].

ويفصل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - ذلك من خلال بيان مجال عمل المعروف فيقول: (من المعروف الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والصلوات الخمس في مواقيتها والصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج بيت الله الحرام، وصدق الحديث، والوفاء بالعهود وأداء العهود إلى أهلها، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والتعاون على البر والتقوى)[٤].

أما الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله - فيقول: (إن المعروف اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وهذا يشمل كل معروف

---

(١) الصحوة الإسلامية "ضوابط وتوجيهات"، محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله - ص ٢٢، ٥٩ - ٦٢.

(٢) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ١٩٧/٥، ط/١، ١٣٩٧هـ.

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ١٠، ط/٢، دار الكتاب المصري.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ص ١٥ - ١٦، ط/١، دار الكتاب الجديدة، بيروت: ١٣٩٦هـ.

حُسن شرعًا وعقلاً من حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين، ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات بل ويدخل فيه الخير كله)[1].

وكذلك فإن مجال عمل العرف واسع جدًا لأن كيانه قائم أصلاً على ما عرف بالشرع والعقل حسنه من الأقوال والأفعال حتى الأعراف الجارية بعد عهد الشارع طالما أنها لا تصطدم مع النصوص الشرعية ولا تنكرها الطباع السليمة.

وقد بين الفقهاء سعة مجال العرف، حتى إنه لا يوجد باب من أبواب الفقه إلا وللعرف فيه دخل فهو باب واسع جدًا في الفقه الإسلامي[2].

٤/ الجامع في الهدف:

تهدف الحسبة إلى إصلاح الناس من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ضد المعروف، ونقيضه من العقائد الباطلة والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة، لأن المنكر شامل لكل ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً[3].

وكذلك فإن الهدف من إقرار العرف في الأحكام إصلاح الناس والتوسعة عليهم، وذلك من خلال إقرار الأعراف الصالحة ونبذ الأعراف الفاسدة إذ ليس المراد بالعرف عادات الناس وأعرافهم التي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٩، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الشيزري، تحقيق د. السيد الباز ص ٦، ومعالم القربة في طلب الحسبة، ابن الأخوة، تحقيق: د. محمد شعبان، ود. صديق المطيعي ص ٥١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣/٢١٦، ط/ المكتبة الإسلامية، ودار الكتاب المصري، مادة (عرف).

جرى عليها التعامل فيما بينهم وألفوه في حياتهم على إطلاقه، ذلك لوجود أعراف فاسدة ومبتدعة تبعًا للهوى والشهوة، فهذه لا تعتبر، كما أنها ليست مراده للعلماء عندما يتحدثون عن العرف المعتبر في التشريع الإسلامي [1].

وأخيرًا: فإنه من خلال هذه الأوجه الجامعة بين ممارسة الحسبة، والعرف، نستطيع القول بأن هناك ارتباطًا وثيقًا بينهما وبالتالي يتأكد لنا بأن معرفة العرف من الأمور التي يحتاجها المحتسب في ممارسته للحسبة، وأنه يجب عليه مراعاته [2].

(١) أثر العرف في التشريع الإسلامي د. السيد صالح ص ١٦٨.

(٢) انظر: مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز ص ١٢، بدون ذكر تاريخ ودار النشر.

المبحث الثاني : تطبيقات اعتبار العرف في الحسبة في صدر الإسلام

هناك الكثير من الشواهد التي تبرز التطبيقات العملية لاعتبار العرف عند ممارسة الحسبة، وذلك في عهد النبي وهذا يدل على أمرين:

١ / مكانة العرف في الإسلام واعتبار الشرع له.

٢ / إعطاء القدوة العملية للمحتسبين عند ممارسة الحسبة على ضرورة وأهمية اعتبار العرف، (والعرف أصل معتبر من أصول الشريعة الإسلامية يرجع إليه في معرفة الأحكام وإنزالها على مقتضى أعراف الناس وعاداتهم، مما ليس فيه نص شرعي، أو مما أحالته الشريعة عليه)[(١)].

المطلب الأول: اعتبار العرف في النفقة:

ومن تطبيقات اعتبار العرف في الحسبة ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا قَالَ خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ))[(٢)].

قال الإمام ابن حجر – رحمه الله - : (وفيه اعتماد العرف في الأمور التي لا تحديد فيها من قبل الشرع فقد أحالها إلى العرف، وهو هنا تقدير خاص، يرجع إلى الحاجة، وهي حد الكفاية لها وبنيها)[(٣)].

---

(١) أحكام القرآن، أبوبكر ابن العربي ٢/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة والمكيال والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة، حديث رقم ٢٠٩٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/ ٣١٢.

المطلب الثاني: اعتبار العرف في بناء الكعبة:

ومن اعتبار العرف ما كان منه في أمر بناء الكعبة فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا يَا عَائِشَةُ: ((لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ فَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِعَلَى هَدْمِهِ قَالَ يَزِيدُ وَشَهِدْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ هَدَمَهُ وَبَنَاهُ وَأَدْخَلَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ حِجَارَةً كَأَسْنِمَةِ الإِبِلِ قَالَ جَرِيرٌ فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ مَوْضِعُهُ قَالَ أُرِيكَهُ الآنَ فَدَخَلْتُ مَعَهُ الْحِجْرَ فَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ فَقَالَ هَاهُنَا قَالَ جَرِيرٌ فَحَزَرْتُ مِنَ الْحِجْرِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ، أَوْ نَحْوَهَا))(١).

المطلب الثالث: اعتبار العرف في التجارات والصنائع:

ومن اعتبار العرف ما كان في أنواع التجارات والصنائع التي كانت موجودة في عهده ﷺ مثل السَّلَم، وقد كانت معاملة جارية في المدينة، وقدم ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فعن ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: ((قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَالنَّاسُ يُسْلِفُونَ فِي الثَّمَرِ الْعَامَ وَالْعَامَيْنِ، أَوْ قَالَ عَامَيْنِ، أَوْ ثَلاَثَةً شَكَّ إِسْمَاعِيلُ - فَقَالَ مَنْ سَلَّفَ فِي تَمْرٍ فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ))(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: فضل مكة وبنيانها، حديث رقم ١٥٠٩، أخرجه مسلم، كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها حديث رقم ١٣٣٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: السلم، باب: السلم في كيل معلوم، حديث رقم ٢٢٣٩. وأخرجه مسلم، كتاب: المساقاة، باب: السلم، حديث رقم ٣٠١٠.

قال الإمام النووي – رحمه الله – : (فيه: جواز السلم، وأنه يشترط أن يكون قدره معلوما بكيل أو وزن أو غيرهما مما يضبط به، فإن كان مذروعا كالثوب، اشترط ذكر ذرعان معلومة، وإن كان معدودا كالحيوان، اشترط ذكر عدد معلوم. ومعنى الحديث أنه إن أسلم في مكيل فليكن كيله معلوما، وإن كان في موزون فيكن وزنا معلوما، وإن كان مؤجلا فليكن أجله معلوما. ولا يلزم من هذا اشتراط كون السلم مؤجلا، بل يجوز حالا؛ لأنه إذا جاز مؤجلا مع الغرر فجواز الحال أولى؛ لأنه أبعد من الغرر، وليس ذكر الأجل في الحديث لاشتراط الأجل، بل معناه: إن كان أجل فيكن معلوما، كما أن الكيل ليس بشرط، بل يجوز السلم في الثياب بالذرع، وإنما ذكر الكيل بمعنى أنه إن أسلم في مكيل فليكن كيلا معلوما أو في موزون فليكن وزنا معلوما. وقد اختلف العلماء في جواز السلم الحال مع إجماعهم على جواز المؤجل، فجوز الحال الشافعي وآخرون، ومنعه مالك وأبو حنيفة وآخرون، وأجمعوا على اشتراط وصفه بما يضبط به)[1].

ورخص ﷺ في العرايا بعد نهيه عن المزابنة، لأنه كان عرفًا شائعًا بينهم، والحاجة عندهم داعية إليه. فعن سهل بن أبي حثمة ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمر بالتمر وقال: «ذلك الربا تلك المزابنة»، إلا أنه رخص في بيع العرية النخلة والنخلتين يأخذها أهل البيت بخرصها تمرا يأكلونها رطبا))[2].

---

(١) شرح صحيح الإمام مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ٥/٤٨٠، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البيوع، باب: تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا، حديث رقم ٣٩٦٨.

المطلب الرابع: اعتبار العرف في القسامة:

ومن اعتبار العرف: إقرار الرسول ﷺ القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية؛ فعن سليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار أن رسول الله ﷺ أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية))[1].

وعَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ زَعَمَ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ سَهْلُ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ انْطَلَقُوا إِلَى خَيْبَرَ فَتَفَرَّقُوا فِيهَا وَوَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَتِيلاً وَقَالُوا لِلَّذِي وُجِدَ فِيهِمْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا قَالُوا مَا قَتَلْنَا، وَلاَ عَلِمْنَا قَاتِلاً فَانْطَلَقُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ انْطَلَقْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَوَجَدْنَا أَحَدَنَا قَتِيلاً فَقَالَ الْكُبْرَ الْكُبْرَ فَقَالَ لَهُمْ تَأْتُونَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ قَالُوا مَا لَنَا بَيِّنَةٌ قَالَ فَيَحْلِفُونَ ؟ قَالُوا: لاَ نَرْضَى بِأَيْمَانِ الْيَهُودِ فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ دَمَهُ فَوَدَاهُ مِئَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ))[2].

المطلب الخامس: اعتبار العرف في الجلوس في الطرقات:

ومن التطبيقات العملية لاعتبار العرف في الحسبة في صدر الإسلام ما كان منه ﷺ من الاحتساب على الصحابة ﷺ في جلوسهم في الطريق فلما بينوا له أن العرف جرى على ذلك، ولا يمكن الاستغناء عن الجلوس أقرهم على ذلك مع بيان حق الطريق. ومن ذلك ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ)) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القسامة، باب: القسامة، حديث رقم ٤٤٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب: القسامة، حديث رقم ٦٥٠٢.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ)) قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ: ((غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))[(١)].

قال الإمام النووي – رحمه الله – : (هذا الحديث كثير الفوائد وهو من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة، وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث، ويدخل في كف الأذى: اجتناب الغيبة، وظن السوء، واحتقار بعض المارين، وتضييق الطريق)[(٢)].

قال الإمام ابن حجر – رحمه الله – : (وقد اشتمل الحديث على معنى علة النهي عن الجلوس في الطرق من التعرض للفتن بخطورة النساء الشابات، وخوف ما يلحق من النظر إليهن من ذلك إذ لم يمنع النساء من المرور في الشوارع لحوائجهن، ومن التعرض لحقوق الله وللمسلمين مما لا يلزم الإنسان إذا كان في بيته وحيث لا ينفرد أو يشتغل بما يلزمه، ومن رؤية المناكير وتعطيل المعارف فيجب على المسلم الأمر والنهي عند ذلك، فان ترك ذلك فقد تعرض للمعصية، وكذا يتعرض لمن يمر عليه ويسلم عليه فإنه ربما كثر ذلك فيعجز عن الرد على كل مار ورده فرض فيأثم، والمرء مأمور بأن لا يتعرض للفتن والزام نفسه ما لعله لا يقوى عليه، فندبهم الشارع إلى ترك الجلوس حسما للمادة، فلما ذكروا له ضرورتهم إلى ذلك لما فيه من المصالح من تعاهد بعضهم بعضا، ومذاكرتهم في أمور الدين

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: منه، حديث رقم ٢٤٦٥، وأخرجه مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه ٢١٢١.
(٢) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ١٤/ ١٠٢.

ومصالح الدنيا، وترويح النفوس بالمحادثة في المباح دلهم على ما يزيل المفسدة من الأمور المذكورة)[(١)].

المطلب السادس: اعتبار العرف في التداوي:

ومن التطبيقات العملية أيضًا لاعتبار العرف في الحسبة من احتسابه ﷺ على من يتداوى بالكي بالنار حيث كان هذا هو العرف السائد لديهم في معالجة بعض الأمراض فعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: ((إن كان في شيء من أدويتكم - أو يكون في شيء من أدويتكم - خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي))[(٢)].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنا أنهى أمتي عن الكي))[(٣)].

إن منهج التشريع الإسلامي في التعامل مع الواقع المعيش الأعراف والعادات واعتبار العرف، والعمل به جار على سنن الشارع في تشريع الأحكام، ومراعاة الأحوال الإنسانية، والعوائد المستقرة، فقد جاء الإسلام وللعرب عادات وأعراف يسيرون عليها في حياتهم الاجتماعية، وتنظيم علاقاتهم، ومعاملاتهم المختلفة عادات فيها الصالح وفيها الفاسد، وفيها ما هو مشوب بالمصالح والمفاسد، والإسلام بما هو دين الفطرة الإنسانية السليمة، وتشريعاته جاءت لتلبية المطالب والمصالح

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١١ - ١٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: التداوي بالعسل، حديث رقم ٥٣٥٩، وأخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي رقم ٢٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الشفاء في العسل حديث رقم ٥٣٥٧.

الإنسانية، لم يتعامل مع هذه الأعراف والعوائد بأسلوب واحد؛ بل تفاوت موقفه من الحياة الاجتماعية والقانونية، بحسب طبيعة تلك النظم والعلاقات، من حيث قربها أو بعدها، أو توافقها أو تضادها من قواعده وأحكامه ومقاصده، وبحسب استقرارها وتمكنها من النفوس والوجدان الحضاري، وبحسب تلبيتها للمصالح أو ما هو خلاف ذلك.

وبهذا يكون التشريع الإسلامي قد وضع المبدأ الواضح لاعتبار العرف وقرر فيه قاعدة سليمة، اعتبرها الأئمة والفقهاء في الاجتهاد والفتوى وهي أن كل ما تعارفه الناس وساروا عليه، ولم يكن فيه حكم مقرر، يوزن بميزان المصلحة الشرعية بعيدًا عن الأهواء والشهوات. فإذا كان العرف يحقق للناس مصلحة راجحة، أو يدفع عنهم مفسدة كبيرة، ولا يخل بالمجتمع، قُبل وأقر العمل به، وصار من الشريعة المتبعة، وإن كان غير ذلك، أُلغي وأهدر، لا فرق في ذلك بين العرف العام، والعرف الخاص.

وهذا المنهج الذي سنه رسول الله ﷺ في مراعاة أحوال الناس وعاداتهم، تلبية لمصالحهم المتعلقة بها، ودفعًا للحرج عنهم، يجب ترسمه في الممارسة التطبيقية للحسبة؛ لأنه من سنن الشارع الحكيم في معالجة الواقع الإنساني، واعتبار العادات والأعراف وهو ما سار عليه الأئمة المجتهدون من بعده، وفق سنن الشارع ومقاصده.

المبحث الثالث: أهمية اعتبار العرف في الحسبة وتطبيقاته المعاصرة

إن هذه الصبغة التي اصطبغت بها الأعراف البشرية، وهذا التأييد الكريم، جعل لها شأنًا ومكانة في دعوة الإسلام، ولا يعني هذا على الإطلاق أن العرف يعد أصلاً من أصول الحسبة، بل يرجع إليه في كثير من مواقف الاحتساب التي لها علاقة بأفعال المحتسب عليهم وعاداتهم إما تأييدًا وإما رفضًا.

المطلب الأول: أهمية اعتبار العرف في مجال الحسبة:

إن اعتبار العرف في مجال الحسبة له أهمية كبيرة، ومن أبرز ذلك:

١. اعتبار العرف في الحسبة يبرز شمولية الإسلام:

الإسلام دعوة عالمية غير محدودة بزمان أو مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد جاءت الأعراف الصحيحة المعتبرة على هذا المنهج الكريم، فتعددت أشكال العرف وتنوعت مجالاته، بحيث تلبي متطلبات التطور، وتسد حاجات الناس التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والبيئة.

قال الإمام ابن عابدين - رحمه الله - : (إن كثيرًا من الأحكام الاجتهادية يبنيه المجتهد على ما كان في عرف زمانه، بحيث لو كان في زمان العرف الحادث لقال بخلاف ما قاله أولاً، ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد إنه لابد فيه من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان، لتغير عرف أهله)[(١)].

---

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ٢/١٢٥.

لهذا نجد الأعراف معتبرةً في معظم جوانب الحياة المختلفة، وذلك يشمل كثيرًا من الأنظمة والمعاملات، سواء المالية أو الاجتماعية والأخلاقية أو غيرهما.

وقد بين كثير من الأئمة هذه السعة والتنوع والشمول، قال الإمام السعدي -رحمه الله- : (العرف أصل كبير، يرجع إليه في كثير من الشروط والحقوق التي لم تتقدر شرعًا ولا لفظًا)[(١)].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - : (تعتبر العادة والعرف في مسائل كثيرة، حتى جعلت أصلاً، فالعادة محكمة معمول بها شرعًا)[(٢)].

٢. اعتبارُ العرف يرفع الحرج عن المحتسب عليهم:

والعرف إذا لم يعتبر، والعادات إذا لم يكن لها مكان في دعوة الإسلام أدى ذلك إلى الحرج الشديد، لأننا نلاحظ مدى ارتباط الناس بما ألفوه، واعتمادهم عليه وفي المقابل لا يمكن اعتماد أي عرف مطلقًا لمجرد إلف الناس له، واحتياجهم إليه، وتحقيقه لمصالحهم[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (إن موجبات العقود تتلقى من اللفظ تارة ومن العرف تارة أخرى، لكن كلاهما مقيد بما لم يحرمه الله ورسوله)[(٤)].

---

(١) المختارات الجلية من المسائل الفقهية، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى بها: أبو عبدالرحمن محمد بن عيادي خاطر ص ٥٥، ط/١، دار الآثار، القاهرة: ٢٠٠٥ هـ.

(٢) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ١٩٧/٥، ط/١، ١٣٩٧هـ

(٣) مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز، ص ٢٠.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن ابن قاسم، وابنه محمد، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز ٩١/٣٤، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٣هـ

ومن المتعارف أن للعادات سلطانًا على النفس وتحكمًا يجعلها تقرب من قوة الطبيعة التي جبل الله الناس عليها، وقد قرر علماء النفس أنه بكثرة تكراره تألفه الأعصاب والأعضاء وتتكيف به، ولا سيما إذا اقتضته الحاجة والمصلحة، ونزع الناس عن هذه العادات المستحسنة التي استقام عليها كثير من مصالحهم يتنافى مع واقعية الدعوة ومثاليتها ومرونتها.

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله - : (إن العادات لو لم تعتبر لأدى إلى تكليف ما لا يطاق، وهو غير جائز أو غير واقع، وذلك أن الخطاب إما أن يعتبر فيه العلم والقدرة على المكلف به وما أشبه ذلك من العادات المعتبرة في توجيه المكلف- أو لا، فإن اعتبر فهو ما أردنا، وإن لم يعتبر فمعنى ذلك أن التكليف متوجه على العالم والقادر، وعلى غير العالم والقادر، وعلى من له مانع ومن لا مانع له، وذلك عين تكليف ما لا يطاق والأدلة على هذا واضحة كثيرة)[1].

وعلى العكس من ذلك فإقرار هذه الأعراف مظهر من مظاهر رفع الحرج والتيسير وإظهار مرونة الدين الإسلامي. فالعادات والأعراف الحسنة أو المباحة التي يشهد لها الشرع بالاعتبار والقبول ينبغي مراعاتها واحترامها بل تحكيمها والاعتداد بها في دائرة اعتباراتها الشرعية، ذلك لأن في نزع الناس عن عاداتهم حرجًا بينًا، وأن تعتبر ما اعتاده عامة أهل العصر في عامة بلاد الإسلام لا حرج فوقه. ولقد دَرجتْ في المجتمعات الحاضرة كثير من المستجدات المتعلقة بعادات

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الإمام أبوإسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد الفاضلي ٢/٢١٥، ط/١، المكتبة العصرية، صيدا: ١٤٢٣هـ.

وتقاليد تلك المجتمعات وأصبح المجال التطبيقي للعرف بين الناس واسعًا جدًا، إذ لا يوجد مجال من مجالات الحياة المختلفة إلا وللعرف فيه مكان.

إن المحتسبين الذين لا يلتفتون إلى مراعاة هذا الجانب المهم في حياة المدعوين فإن جنايتهم على الدعوة عظيمة، لأنهم يوجبون على مدعويهم من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه)[1].

ومما يلاحظ أن بعض الدعاة لا يلتفتون إلى مراعاة هذا الجانب المهم من جوانب الدعوة، بل من أهم أسباب نجاحها. لأنه لا يستطيع المضي في دعوة الناس، وهو لا يعرف شيئًا عن سلوكهم في حياتهم العامة والخاصة. ومن هنا يجب القول بأنه يلزم كل داعية أن يكون على جانب كبير بمعرفة عادات وأعراف من يدعوهم، حتى تؤتي دعوته ثمارها الطيبة في غرس المبادئ الإسلامية في النفوس، وتحل محل العادات والتقاليد التي لا يقرها شرع ولا يستسيغها عقل، وبذلك يؤدي رسالته على الوجه الأكمل)[2].

٣. اعتبار العرف في الحسبة يعين على فهم الشريعة:

فالمحتسب يحتاج إلى معرفة ودراية بأعراف العرب وعاداتهم حال نزول الوحي، ليعرف ما أقره الشارع من تلك الأعراف والعادات من مكارم أخلاقهم وما يجري من صالح عاداتهم في معاملاتهم، ويعرف أيضًا ما أنكره الشارع ونفاه من تلك الأعراف كالتبني، والتبرج، ووأد البنات.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ٣/١٤.

(٢) العرف وأثره في الشريعة والقانون، أ. د. أحمد بن علي المباركي ص ١٩٦.

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله - : (لابد من فهم الشريعة من اتباع معهود عرف الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه)[1].

وقال أيضًا – رحمه الله - : (ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها، وأفعالها، ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثم سبب خاص لابد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبهات والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة)[2].

٤. اعتبار العرف في الحسبة يحقق المصالح ويدرأ المفاسد:

واعتبار العرف يعمل على تحقيق مصالح المدعوين، ودرء المفاسد والأضرار عنهم، لتحقيق السعادة لهم في العاجل والآجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها)[3].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله - : (إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ٥٦/٢.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٢٢٩.

(٣) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم ١٤٧/١، ط/١، مؤسسة قرطبة، بلدون تاريخ.

خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وكل خير في الوجود إنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة)[1].

وقال أيضًا – رحمه الله - : (ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم، وعوائدهم، وأزمنتهم، وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم، فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين عظيمة)[2].

المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة لاعتبار العرف في مجال الحسبة:

ومن الأهمية بمكان اعتبار العرف في مجال الحسبة في الواقع المعاصر، نظرًا لتطور الحياة، وظهور أمور جديدة في حياة الناس وقد يتعارفون عليها فيما بينهم.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله - : (إن معرفة الناس أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم، فإن لم يكن فقيهًا في الأمر والنهي لم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فإنه إذا لم يكن فقيهًا في الأمر له معرفة بالناس تصور له

(١) إعلام الموقعين من رب العالمين، ابن قيم الجوزية ٣/ ٤.

(٢) المرجع السابق ٣/ ١٤.

الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وهو بجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي أن يكون فقيهًا في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفياتهم، إن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله)[1].

ومن الأمور التي ينبغي مراعاة العرف فيها المهن والحرف قال الإمام أبو يعلى الفراء – رحمه الله - : (ومما ينبغي على ولاة الحسبة مراعاته من أهل المهن ثلاثة أصناف: منهم من يراعي عمله في الوفاء والتقصير، ومنهم من يراعي حاله في الأمانة والخيانة، ومنهم من يراعي عمله في الجودة والرداءة، فأما من يراعي عمله في الوفاء والتقصير فكالطبيب والمعلمين، لأن الطب إقدام على النفوس يفضي التقصير فيه إلى تلف أو سقم، وللمعلمين الطرائق التي ينشأ الصغار عليها، لكون نقلهم عنه بعد الكبر عسيرًا، فيقر منهم من توفر علمه وحسنت طريقته، ويمنع من قصر أو أساء من التصدي لما يفسد به النفوس، وتخبث به الآداب، وقد قال الإمام أحمد –رحمه الله - في الطبيب والصيدلي: إذا علم أنه طبيب فلا يضمن، فإن لم يكن طبيبًا فكأنه رأى عليه الضمان)[2].

ومن الأمور التي ينبغي مراعاة العرف فيها المهن والحرف، ومعرفة الأعراف السائدة في ذلك فقد كان النبي ﷺ يغشى أصحابه حتى في أسواقهم، ليطمئن على سيرة التجارة، فإذا رأى ما يوجب الاحتساب لم يتأخر طرفة عين، يدل على ذلك الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ مر على صبرة

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ٤/٤٤٢.

(٢) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/٣٠٣.

طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشنا فليس منا))[1].

قال الإمام النووي – رحمه الله - : قوله ﷺ ((صبرة من طعام)) الصبرة: الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض، ومعنى أصابته السماء أي المطر)[2]، وفي الحديث نهي عن غش المسلمين بعضهم بعضًا في البيع والشراء وما أشبههما من الأحوال.

ومن التطبيقات المعاصرة لاعتبار العرف في مجال الحسبة: ما تعارف عليه الناس من تخصيص أهل الحسبة بزي معين يميزهم عن غيرهم من الناس، وكذلك اصطحابهم لبطاقة تعريفية تشير إلى كونهم من رجال الحسبة.

ومن ذلك أيضًا: ما تعارف عليه الناس من ضرورة حضور أحد المحتسبين يشهد على تطبيق الأحكام والحدود والتعازير الشرعية.

ومن ذلك أيضًا: ما تعارف عليه الناس من أن أئمة المساجد أغلبهم محتسبون وقد كانوا يقومون بعدّ الأشخاص الذين حضروا لصلاة الفجر، وكان الناس لا ينكرون ذلك.

كما أنهم لا ينكرون ما تعارفوا عليه من جعل تارك الصلاة حاسر الرأس ويصبوا عليه الماء البارد.

ومن التطبيقات المعاصرة لاعتبار العرف في مجال الحسبة: ما تعارف عليه الناس في أمور الصلح والديات فيما بينهم؛ فيجب على المحتسب أن يراعي ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: "من غشنا فليس منا"، حديث رقم ٢٩٥.

(٢) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ٩/ ٣٠٦.

ومن ذلك أيضًا: ما تعارف عليه الناس في مجالسهم الخاصة من خدمة الصغير للكبير وتوقيره وتقديمه في شتى الأمور.

ومن ذلك أيضًا ما تعارف عليه الناس في شؤون الأفراح وطريقة الخطبة والمهر فلا بد من مراعاة العرف في ذلك. إلى غير ذلك من المسائل والموضوعات المعاصرة التي ينبغي مراعاة العرف عند ممارسة الحسبة فيها.

ونختم بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أهمية الاحتساب في حياة الناس:

(وكُلُّ بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد فجميع بني آدم لا بد لهم من طائفة آمرٍ وناهٍ....)[1].

(١) الحسبة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن نايف الشحود ص ٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والمكرمات وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد:

فقد خلص هذا البحث إلى عدة نتائج منها ما يلي:

١/ أبرز هذا البحث - بفضل الله - المسائل العملية والتفصيلية التي ينبغي على المحتسب مراعاتها في احتسابه على الغير - المحتسب عليهم - وهو يقوم بمهمة الأنبياء والرسل ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢/ خلص البحث إلى أنّ مراعاة أعراف الناس ومعرفة المقبول منها والمرفوض من أهم الأمور التي ينبغي العناية بها لأن ذلك مما يظهر روح الشريعة ويبرز أهدافها النيّرة، فكما أنّ القضاء على تغيير المنكر وسوق الناس إلى المعروف وأمرهم به من الأمور المهمة في الشريعة إلا أنّ الشريعة تهدف إلى إقامة روح المعروف في نفوس الناس، وغرس كره المنكر في نفوسهم أيضًا، ليكون الرقيب الذاتي قائمًا ومستمرًا مع كل مسلم، ولا يحتاج لفعله المعروف أو انتهائه عن المنكر وجود المحتسب، بل ليصبح وجود المحتسب نافعًا في محاربة ومعالجة ومواجهة المنكرات العامة والمشكلات الكبيرة.

٣/ أبان البحث أن السلف الصالح فهموا هذه المسائل وكانت ممارساتهم العملية تصبّ في باب مراعاة أعراف الناس، وكانت تطبيقاتهم العملية للحسبة مركزة على هذا الجانب، ولهذا حصلوا على مساحة كبيرة من التميّز في الأداء وعلى قبول الغير لهم، وعلى بقاء آثارهم الحسنة والإيجابية في المجتمع.

٤/ كشف البحث عن تطبيقات الحسبة في عصر صدر الإسلام، وكذلك عن تطبيقاتها المعاصرة، وارتباطها بالعرف.

وأما أبرز التوصيات التي يوصي بها البحث:

١/ ضرورة العناية بإبراز مكانة العرف في الشريعة الإسلامية.

٢/ التأكيد على أهمية الحسبة ودورها في صلاح حال البلاد والعباد.

٣/ يوصي البحث بضرورة مراعاة المحتسب لأعراف الناس عند ممارسة الحسبة وتطبيقها.

٤/ يوصي البحث بأهمية تفعيل الدراسات والبحوث حول هذه الموضوعات التي تربط الجانب النظري بالجانب العملي، وخاصة في مجال الحسبة لما لها من أهمية في حياتنا.

نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

فهرس المصادر والمراجع

١/ أثر العرف في التشريع الإسلامي، د. السيد صالح عوض، ط/ دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

٢/ الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣/ الأحكام السلطانية، أبوالحسن الماوردي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.

٤/ أحكام القرآن، أبوبكر بن العربي، ط/ عيسى الحلبي، القاهرة: ١٩٥٨م.

٥/ إحياء علوم الدين، أبوحامد الغزالي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٣هـ.

٦/ الأشباه والنظائر، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧/ الأشباه والنظائر، ابن نجيم الحنفي، ط/ مطبعة الحلبي، بدون تاريخ.

٨/ أصول الفقه الإسلامي، أ. د. وهبة الزحيلي، ط/٢، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٢هـ.

٩/ إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط/ مطبعة دار السعادة، القاهرة: ١٩٥٥م.

١٠/ أقرب الموارد، السعيد الشرتوني، ط/ مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، بدون تاريخ.

١١/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ط/١، دار الكتاب الجديدة، بيروت: ١٣٩٦هـ.

١٢/ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية، بدون تاريخ.

١٣/ التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤/ التقرير والتحبير في علم الاصول، شرح ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال بن الهمام، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٩٩٦م.

١٥/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٦/ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.

١٧/ حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ط/١، ١٣٩٧هـ.

١٨/ الحسبة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، حققه وعلق عليه، علي بن نايف الشحود، بدون ذكر رقم وتاريخ وبلد الطبعة.

١٩/ الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش، ط/٢، دار الكتاب المصري.

٢٠ / شرح الكوكب المنير، محمد الفتوحي المعروف بابن النجار، ط/ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ.

٢١ / شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، العلامة أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ط/ دار الفكر بيروت: ٢٠٠٩م.

٢٢ / شرح صحيح الإمام مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

٢٣ / الصحوة الإسلامية "ضوابط وتوجيهات"، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/ دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤٢٤هـ.

٢٤ / العرف حجيته، وأثره في فقه المعاملات عند الحنابلة، عادل قوته، ط/١، المكتبة المكية: ١٤١٨هـ.

٢٥ / العرف وأثره في الشريعة والقانون، أ. د. أحمد المباركي، ط/١، الرياض: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٦ / العرف والعادة في رأي الفقهاء، أحمد فهمي أبو سنة، ط/١، مطبعة الأزهر، مصر: ١٩٤١م.

٢٧ / فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ط/ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٧٩هـ.

٢٨ / قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، ط/ دار المعارف، بيروت.

٢٩ / الكشاف، جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ.

٣٠/ لسان العرب، محمد بن منظور الإفريقي، ط/١، دار صادر، بيروت.

٣١/ المبسوط، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٢/ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن ابن قاسم، وابنه محمد، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٢هـ.

٣٣/ مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين، ط/١، عالم الكتب، بيروت: ١٩٩٨م.

٣٤/ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ط/١، مكتبة لبنان، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣٥/ المختارات الجلية من المسائل الفقهية، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى بها: محمد بن عيادي خاطر، ط/١، دار الآثار، القاهرة: ٢٠٠٥ هـ.

٣٦/ المدخل في التعريف بالفقه الاسلامي، محمد مصطفى شلبي، ط/ دار النهضة العربية: ١٩٦٩م.

٣٧/ معالم القربة في طلب الحسبة، ابن الأخوة القرشي، تحقيق: د. محمد شعبان، ود. صديق المطيعي، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٦م.

٣٨/ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط/ دار الدعوة، القاهرة: بدون تاريخ.
٣٩/ المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥هـ.
٤٠/ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، ط/ دار المعرفة، بيروت.
٤١/ مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط/ ٥، دار القلم، بيروت: ١٩٨٤م.
٤٢/ مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز، بدون ذكر تاريخ ودار النشر.
٤٣/ منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/١، مؤسسة قرطبة، بدون تاريخ.
٤٤/ الموافقات في أصول الشريعة، الإمام أبوإسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد الفاضلي، ط/١، المكتبة العصرية، صيدا: ١٤٢٣هـ.
٤٥/ نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الإمام الشيرزي، تحقيق د. السيد الباز، ط/٢، دار الثقافة بيروت: ١٤٠١هـ.
٤٦/ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ط/ دار الكتاب المصري، بدون تاريخ.

القدوة الحسنة وأثرها في حياة المحتسب

إعداد

الدكتورة: الجوهرة بنت محمد العمراني

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب

في كلية الدعوة والإعلام

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه، أرسله بالهدى ودين الحق رحمة وقدوة للعالمين ومحجة للسالكين، بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. و بعد،،

فإن وجود القدوة الحسنة ضرورة لا بد منها، ليحتذي بها الإنسان ويكتسب منها المعالم الإيجابية لحركته في الحياة، سواء مع الله تعالى في أداء العبادات والفرائض، أو مع النفس وتزكيتها وتدريبها على الأخلاق الفاضلة، أو مع الأهل والأبناء، أو مع المجتمع من حوله في أمور الدين والدنيا، ولأهمية القدوة وأثرها؛ جعل الله تعالى لعباده قدوة حسنة تمثلت في الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على مر العصور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1]، ووجه الله تعالى أهل الإيمان إلى الاقتداء بنبيه محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[3].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

ذكر ابن كثير رحمه الله أن: " هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، فإنه ﷺ رأس الأخيار وأكمل الخلق، وإمام أهل التقوى عامة في الدنيا والآخرة، ومن أحب مرافقته في الجنة فليتخلق بأخلاقه، وليحذر مخالفته، وليلزم طاعته ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[(1)] ".

ومن هنا كان أصحاب النبي ﷺ أعظم الناس فوزاً بعد النبيين بالثناء العظيم، والوعد من الله بغاية التكريم، والرضوان والنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(2)]، وذلك لحسن اقتدائهم به ﷺ، وكمال إتباعهم له، وصدق إيمانهم به، وهكذا من اتبعهم بإحسان من قرون الأمة فإنه يلحق بهم ويفوز برفقتهم، يقول سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[(3)].

وقد شرع الله تعالى الاقتداء برسوله محمد ﷺ وإتباعه في جميع الأعمال والأقوال والأخلاق، فقد كان محمد ﷺ قدوة ونموذجًا

---

(١) سورة النساء، الآية: (٦٩- ٧٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

يجسد الدين الذي أرسل به، ليرى الناس هذا الدين واقعًا حقيقيًا بعيدًا عن الأفكار المجردة، فكان عليه الصلاة والسلام خير قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين ليكون منارًا لها إلى يوم القيامة، يقول تبارك وتعالى، وحيث اصطفى الله تعالى أمة محمد - ﷺ - من بين سائر الأمم وفضلها على الجميع بفضائل ليست لغيرها، وارتضى الإسلام لسائر الأمم إلى أن تقوم الساعة قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾[1]، فقد أمر بالدعوة أو الاحتساب، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2]،

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، فالله تعالى وسمهم بالخيرية في الآية الأولى، وبالفلاح في الآية الثانية لاتصافهم بهذه الصفات ،و جاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قرأ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ....﴾ ثم قال: "من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤدِّ شرط الله فيها"[4].

والمسلم الحق هو الذي يسلك ما يحقق له الفلاح والخير والفضل، والأمة الواعية هي التي تعد نفسها لتتبوأ هذا المقام الشريف كي تقود غيرها من أمم الأرض إلى طريق الخير والرشاد.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم / للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ج: (١) ص٤٨٥.

وحينما نتأمل في قول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)]، نجد فيه الأمر الصريح من الله - عز وجل - بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذه الأمة لتكون من أهل الفلاح والصلاح.

وتمثل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ميراث النبوة الحقيقي الذي ورثة الدعاة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر إلا أنهم بين مقلّ ومجتهد في أداء هذه الشعيرة العظيمة من ناحية وبين الإتيان بمقومات نجاحها والبعد عن ما ينفر الناس منها[(٢)].

من ناحية أخرى مما يؤكد حاجتهم للتبصير بما يعينهم على تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يكون لأمرهم ونهيهم الأثر الإيجابي.

ومن المقومات الهامة والأساسية لنجاح المحتسب في أمره ونهيه التزامه بجانب القدوة الحسنه وإدراكه لأثر مراقبة المحتسب عليهم لسلوكياته سلبا وإيجابا؛ فالقدوة في الدعوة والاحتساب من أفعل الوسائل في التأثير، وغالبا ما يظهر أن مبادئ الإسلام وأصوله تحظى بالقبول حينما يمتثلها الداعي أو المحتسب فيراها المدعو أو المحتسب عليه عمليا،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصوله وضوابطه وآدابه/ لخالد بن عثمان السبت، المنتدى الإسلامي، لندن، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص١٤، حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته/ للدكتور: حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار، ش: دار إشبيليا للنشر والتوزيع ط: (٢)، ت: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٨.

وحيث إن القيام بالاحتساب الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة لا تسقط إلا بالأداء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، ولقول الرسول ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[2]، وعليه يجدر اعتناء المحتسب بأمر الاحتساب والتأدب بآداب الحسبة ليكون قدوة عملية للمحتسب عليهم.

ومن هنا كانت فكرة البحث في موضوع القدوة الحسنة وأثرها في حياة المحتسب للاستفادة أولاً من النصوص والنماذج التي تُعنى بهذا الجانب، ولبيان مدى حاجة المحتسب للعناية بالقدوة العملية وتأثيرها على الحسبة سلباً وإيجاباً.

ولإيضاح موضوع هذا البحث قسمته بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالقدوة والاحتساب.

المبحث الثاني: حاجة المحتسب للقدوة.

المبحث الثالث: نماذج لأثر القدوة الحسنة في استجابة المحتسب عليهم.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، ج : (١) ص٦٩ ح ٤٩.

المبحث الأول: التعريف بالقدوة والاحتساب

أولاً : تعريف القدوة :

القدوة في اللغة: جاء في لسان العرب القدوة تأتي بالضم والكسر والقدوة من التقدم، يقال فلان لا يقاديه أحد ولا يباريه أحد ولا يجاريه أحد وذلك إذا تميز في الخلال كلها . والقدوة، الأسوة، يقال: فلان قدوة تقتدي به[(١)] وهي ما تسننت به واقتديت به[(٢)] وجاء في المعجم الوسيط[(٣)] : فلان قدوة إذا كان يقتدى به، ولي بك قدوة، ومنها قوله: (اقتدى به، أي فعل مثل فعله تشبهاً به)، ومن معانيها الاستقامة في الخير وفي طريق الدين[(٤)] .

القدوة في الاصطلاح: القدوة في الاصطلاح تكون بمعنى الاقتداء وهو طلب موافقة الغير في فعله[(٥)] ، والقدوة هي الأسوة والعكس، وتكون القدوة بمعنى أن يكون المربي أو الداعي والمحتسب مثالاً يُحتذى به في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته[(٦)] .

---

(١) انظر: لسان العرب / لمحمد بن منظور الإفريقي المصري ، ط: (١) ، دار صادر ، بيروت ، ج: (١١) ص ١٧٠.

(٢) انظر: ترتيب القاموس المحيط على طريق المصباح المنير وأساس البلاغة/ للطاهر أحمد الزاوي دار الفكر ، ج(٣) ص٥٧٤.

(٣) مجمع اللغة العربية / تحقيق : إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة. ج: (٢) ص٧٢١.

(٤) انظر: المرجع السابق ، ج :(٣) ص٥٧٤.

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / للإمام محمد علي الشوكاني ، دار الفكر ، ج: (٢) ص١٣٧.

(٦) انظر: الفساد الخلقي في المجتمع.. أسبابه ، آثاره، علاجه في ضوء الإسلام للدكتور: ناصر بن عبدالله ناصر التركي، وزارة الشؤون الإسلامية، ت: (١٤٢٣هـ) ص٢٤٤.

(والاقتداء هو طلب موافقة الغير في فعله)[1]، والقدوة تأتي بمعنى الأسوة والعكس، فالأسوة كما يقول القرطبي - رحمه الله - (هو ما يتأسى به أي يعتري به فيقتدي به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله)[2].

إلا أن مما يجدر التنبيه إليه هنا: أن كلا اللفظتين وإن ظهر بينهما توافق في المعنى في بعض الجوانب إلا أن هذا التوافق ليس على إطلاقه فلا تزال بين اللفظتين فروقاً يمكن حصرها في أن:

١- التأسي أشد في بابه من الاقتداء.

٢- التأسي يجعل معنى الالتزام من الغير بشكل أقوى ولذلك فإنها جاءت مع النبي ﷺ باعتباره أفضل الأنبياء والمرسلين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

أما القدوة فقد جاءت مع غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وغيرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4].

والحسنة ضد السيئة، وقُيدت القدوة هنا بالحسنة حتى تخرج القدوة السيئة، فالأسوة نوعان:

أسوة حسنة، وأسوة سيئة، وقد حثنا القرآن الكريم على الأخذ بالأولى وترك الثانية، وأمرنا بالتأسي بالنبي - ﷺ- والاقتداء به في

---

(١) فتح القدير، ج: (٢) ص١٩٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، باب: تفسير سورة السجدة، ج: (١٤) ص١٥٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

كل شؤون الحياة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

فالأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر[2]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾[3]، والمعنى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويُقتدى بها[4]، وخلاصة ما أقصده بالقدوة هنا: أن يكون القائم بالحسبة مثالاً عملياً فيما يأمر به وينهى عنه، فلا يناقض قوله فعله ولا العكس[5].

ثانياً: تعريف الاحتساب:

أ/ الاحتساب في اللغة:

وردت كلمة الاحتساب في اللغة على عدة معان منها:

١ – طلب الأجر، أي أن المحتسب يطلب الأجر من الله لقيامه بهذه الشعيرة العظيمة[6]، ومنه قول النبي - ﷺ - : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[7].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط: (٢)، ت: (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، ج: (٦) ص٢٠٨.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للقاضي الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج: (٤) ص٢٣٦.

(٥) انظر: المدخل إلى علم الدعوة "دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل"/ للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، ص: ٢٧١.

(٦) انظر: لسان العرب، ج: (١) ص٣١٤.

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان احتساباً من الإيمان، ح: (٣٨)، ج: (١) ص٩٢.

٢ – حسن التدبير، يقال فلان حسن الحسبة بالأمر إذا كان حسن التدبير[١].

٣ – الإنكار، يقال: احتسب فلان على فلان، أي أنكر عليه قبيح فعله[٢]، فالمحتسب ينكر على المحتسب عليه ما وقع فيه من المنكر.

إلى غير ذلك من المعاني اللغوية الواردة في تعريف الاحتساب.

ب – الاحتساب في الاصطلاح:

عرف الاحتساب في الاصطلاح بتعريفات عدة سأقتصر على ذكر الراجح منها وهو تعريف الإمام الماوردي[٣] والقاضي أبي يعلى الحنبلي[٤] حيث ذكرا في تعريفهما للاحتساب أنه: "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله"[٥].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة/ لابن فارس، مكتبة الحلبي، مصر، ط: (٢)، ت: (١٣٩٠هـ)، ج: (٢) ص٥٩.

(٢) لسان العرب، ج: (١) ص٣١٧.

(٣) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف حدث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه. وقال مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة وقد بلغ ستاً وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد. انظر: سير أعلام النبلاء / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: (٩) ١٤١٣هـ، ج: (١٨) ص٦٤.

(٤) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء أبو يعلى كان له في الأصول والفروع القدم العالي وفي شرف الدين والدنيا المحل السامي، ولد لتسع وعشرين أو ثمان وعشرين ليلة خلت من المحرم سنة ثمان وثلاثين، وابتدأ بالتصنيف والتدريس بعد وفاة شيخه ابن حامد. له مصنفات كثيرة منها. أحكام القرآن، وإيضاح البيان، ومسائل الإيمان. توفي عليه رحمة الله ليلة الاثنين بين العشائين التاسع عشر من رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت، ج: (٢) ص١٩٣.

(٥) الأحكام السلطانية / لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق الشيخ: محمد الفقي، دار الفكر، بيروت، ت: (١٤١٧هـ)، ص٢٤٠، الأحكام السلطانية والولايات الدينية / للإمام الماوردي، تصحيح: النعساني الحلبي، ط: (١)، ت: (١٣٢٧هـ)، ص٢٨٤.

ثالثاً: تعريف المحتسب:

أ / المحتسب في اللغة:

عرف المحتسب في كتب اللغة: بأنه من كان يتولى منصب الحسبة واحتسب فلان على فلان: أنكر عليه قبيح عمله ومنه المحتسب[1].

وعرف المحتسب في الاصطلاح بعدد من التعريفات منها:

١ – "المحتسب من نصبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية، والكشف عن أمورهم ومصالحهم"[2].

٢ – "هو المختص من قبل الدولة، يقوم بمراقبة أفعال الأفراد وتصرفاتهم، لصبغها بالصبغة الإسلامية أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وفقاً لأحكام الشرع وقواعده"[3].

٣ – "هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[4].

٤ – "مسلم يسعى لتغيير المنكر وإقامة المعروف وفقاً لمنهج الشريعة الإسلامية امتثالاً لأمر الله وطلباً لثوابه، متولياً أو متطوعاً"[5].

---

(١) انظر: المعجم الأوسط / لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج: (١) ص١٧١، تاج العروس من جواهر القاموس/ لمحمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج: (٢) ص٢٧٨.

(٢) معالم الغرب في أحكام الحسبة / ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد أبي زيد القرشي المعروف بابن الإخوة، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط: (١)، ت: (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ص١٣.

(٣) نظام الحسبة في الإسلام / رسالة ماجستير لعبد العزيز بن مرشد، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ت: (١٣٩٢هـ)، ص١٦.

(٤) شروط المحتسب وآدابه / لحافظ عابد إلهي، رسالة ماجستير كلية الدعوة والإعلام بالرياض، قسم الدعوة، ١٤٠٧هـ، ص١٢.

(٥) الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب / للدكتور علي القرشي، مكتبة الرشد، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ)، ج: (١) ص٨٨.

وإذا أمعنا النظر في هذه التعريفات يتبين أن الحسبة تنقسم إلى قسمين هما:

١ - الاحتساب الرسمي.

٢ - الاحتساب التطوعي.

فيكون المحتسب رسمياً إذا كان معيناً من قبل ولي الأمر لأداء هذه المهمة الجليلة، ويطلق عليه إضافة إلى اسم المحتسب والى الحسبة أو المحتسب المنصوب.

ويكون المحتسب متطوعاً وهو الذي يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متطوعاً وملتزماً بأمر الدين وراغباً في الأجر والثواب من الله - عز وجل - دون أن يكون معيناً تعييناً رسمياً[(١)]، ويندرج تحت هذا المسمى كل من يقوم بتغيير المنكر والأمر بالمعروف من المسلمين في مختلف مجالات الحياة ممن يبتغون ثواب الله تعالى بإقامة هذه الشعيرة العظيمة تطوعاً وبذلاً للدين.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٩.

المبحث الثاني: حاجة المحتسب للقدوة

للقدوة الحسنة دور كبير في توجيه الناس وبناء المجتمع، فصفات القدوة يراها الناس فيتأثرون بها، ويتبعونه فيها، وتظل صفات الشخص القدوة مؤثرة كلما استحضرها الناس بين الحين والحين، وتكون حافزاً لهم إلى الصلاح والعمل والنجاح.

وقد حرص الإسلام على استثمار هذه الوسيلة، ورفع من شأن من يستحقون أن يكونوا قدوة للمجتمع، ليهتدي الناس بهداهم، ويسيرون بسيرتهم، ولعظم أمر القدوة؛ وضع الإسلام لنا صورة واضحة لمن يستحق أن يُرفع إلى مقام القدوة في الناس، ويستحق أن يهتدي الناس بهداهم، وبين لنا الصفات التي يجب أن تتوافر فيمن يتخذ قدوة.

وأساس هذه الصفات للقدوة، هو الإيمان والهدى والصلاح، وأولى الناس بتلك المكانة هم الأنبياء - عليهم السلام - ، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: (أُولَئِكَ): هؤلاء القوم الأنبياء المذكورون قبل هذه الآية - الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحقّ، وحِفْظ ما وُكِّلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده وإتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جلّ ثناؤه لذلك.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ يقول - تعالى - ذكره - : فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم؛ اقتده يا محمد: أي فاعمل وخذ به واسلكه، فإنه عملٌ لله فيه رضا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى..."[1].

وقال البغوي: ("أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ"؛ أي: هداهم الله، "فَبِهُدَاهُمُ"؛ فبسنتهم وسيرتهم "اقْتَدِهْ").

وقال - سبحانه - يرشدنا إلى قدوتنا وأسوتنا لكي نسير على نهجه ونهتدي بهداه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

وأرشدنا الرسول - ﷺ - إلى نماذج من القدوة الصالحة في الدين، من الصحابة الكرام، لنتبع نهجهم ونستن بسنتهم، كما في حديث: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ" رواه أبو داود والترمذي، فوصفهم الرسول - ﷺ - بالراشدين المهديين إبرازاً لأساس القدوة فيهم، وهو أنهم أفضل الناس رشداً وهدى في الدين، ولذلك حث على الاقتداء بهم.

وأخرج الترمذي عَن حُذَيْفَةَ قَالَ: "كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي،

(١) تفسير الطبري، باب : ٩٠ ، ج : (١١) ص٥١٨ ، ٥١٩ ، جامع البيان في تأويل القرآن / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقق : أحمد محمد شاكر ط: (١) ، ت: (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ. وَمَا حَدَّثَكُم ابنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ"[1].

قال المباركفوري يرحمه الله في شرح الحديث: (قوله: (اقتدوا باللذين من بعدي)؛ أي بالخليفتين اللذين يقومان من بعدي (أبي بكر وعمر)... أي لحسن سيرتهما وصدق سريرتهما... (واهتدوا بهدي عمار)؛ أي ابن ياسر، والهدي - بفتح الهاء وسكون الدال- السيرة والطريقة، والمعنى أي سيروا سيرته، واختاروا طريقته، وكأن الاقتداء أعم من الاهتداء حيث يتعلق به القول والفعل، بخلاف الاهتداء فإنه يختص بالفعل).

قال المناوي: (وسبب الحث على الاقتداء بالسابقين الأولين ما فُطروا عليه من الأخلاق المرْضية... فلذلك كانوا أفضل الناس بعد الأنبياء).

والداعية والمحتسب يراعيان هذا الجانب عمليا من حيث التأسي بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن خلف النبي ﷺ من السلف الصالح لتكون خطاهم أولا عن بينة، ولكي يكونوا قدوة عملية لمن بعدهم؛ لاسيما وأن القدوة تعد المحرك النفسي في المجتمع، والذي لا يقل دوره عن باقي العوامل المشاركة في بنية المجتمع وتقدمه، وحينما نضع أمام المجتمع الدعاة والمحتسبين الصالحين ليقتدي بهم الناس، فسيعود ذلك على المجتمع بتأثير إيجابي كبير،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب : المناقب ، باب : مناقب عمار بن ياسر ﷺ ، ج: (٥) ص٦٦٨ ، ح: (٣٧٩٩) وحكم عليه الإمام المحدث الألباني – رحمه الله – بأنه حديث صحيح. الجامع الصحيح سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت- .

فيكثر الصالحون والعلماء والناجحون ويقوى المجتمع ويتقدم بإذن الله تعالى، فالقدوة العملية لها أطيب الأثر في نفوس المتلقين؛ لاسيما وأن النفوس جبلت على عدم القبول ممن خالف قوله فعله والنفور عن مواعظه وخطبه لأنه لو كان صادقاً فيما يقول لكان أول من لزم ذلك وحرص عليه[(١)].

ولخطر ذلك وسوئه نجد أن الله – عز وجل – حذر من مخالفة القول الفعل وذم ومقت من وقع في ذلك؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[(٣)].

ففي الآية الأولى إنكار من الباري سبحانه على من يقول قولاً لا يفي به.

وفي الثانية إنكار منه أيضاً على أهل الكتاب الذين يأمرون الناس بالبر – وهو جماع الخير – أن ينسوا أنفسهم فلا يأمرونها بما يأمرون الناس به[(٤)].

وقد جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما

---

(١) انظر: قدوة الحكام والمصلحين/ عمر بن عبد العزيز مجدداً ومصلحاً اوالتصحيحات المالية لعمر بن عبد العزيزوأثرها في بيت المال وفي الأمة من ٩٩الى ١٠١ هللدكتور محمد صدقي ابن أحمد البورنو الغزي، مكتبة المعارف، الرياض.ص٢٣- ٢٨.

(٢) سورة الصف، الآية: (٢- ٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج: (١) ص١٠٩، ج: (٤) ص٤٢٢.

يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه)[1].

ولذا فمسؤولية المجتمع كبيرة في حماية مكانة القدوة، وقصرها على أهلها من الصالحين، ورفض القدوة السيئة وحماية الأجيال منها.

ومما يبرز حاجة المحتسب للقدوة الحسنة وخطر التساهل في أمرها[2]:

١ – أن المحتسب القدوة يكون سبباً – بإذن الله – في هداية الناس وقبولهم للحق والهدى وإقبالهم عليه.

فالمثال الحي يثير في النفوس الاستحسان والرغبة في الاستجابة والاستفادة من الأقوال والمواعظ والتوجيهات التي يتلقونها، فتتهيج فيهم دوافع الخير وتتولد لديهم حوافز قوية تحفزهم لأن يعملوا بما سمعوا وأن يقبلوا على طريق الخير ويلزموه.

٢ – أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة للمثال الحي:

لأن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يُريد المحتسب إيصالها.

لذلك قال العلماء في حديث:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ح: (٢٩٨٩) ص: ١١٩٧.

(٢) انظر: صفات الداعية في ضوء سير دعاة النبي - ﷺ - رسالة ماجستير/ لأحمد بن علي عبد الله الخليفي، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص٤٣٠- ٤٣٤.

اتخذ النبي - ﷺ- خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي - ﷺ- : (إني اتخذت خاتماً من ذهب فنبذه وقال: إني لن ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم)[(١)] ، قال العلماء عليهم - رحمة الله- : "فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول"[(٢)].

٣ – أن تصرفات المحتسب هي محل اهتمام ودقة نظر الناس:

فسلوكياته وأقواله وأفعاله مرصودة من قبلهم، ونظرهم بالنسبة له نظر دقيق، وقد يكون ذلك بعلم المحتسب وقد لا يكون بعلمه وإحساسه لذا كان على المحتسب أن يزن أعماله وتصرفاته طالباً لرضى الله أولاً قبل رضى المخلوقين واستحسانهم، ولأثر فعله على من حوله.

٤ – أن المحتسب المتحلي بالقدوة الحسنة يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية ومشاهد الحال أقوى من مشاهد المقال كما سبق بيان ذلك.

ومن هنا يتأكد أهمية اعتناء المحتسب بأمر القدوة الحسنة؛ فمهما يكن من أمر العلم والمعرفة بأساليب ووسائل الاحتساب فإنها لا تغني عن وجود واقع تربوي يمثّله المحتسب فهو يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها "[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بأفعال النبي - ﷺ- ح: (٧٢٩٨) ص١٣٩١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري / للإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محيي الدين الخطيب دار المعرفة، بيروت. ج: (١٣) ص٥٧٥.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية/ عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط: (٢)، ص ٢٥٤.

وقد بين الله تعالى لنبينا محمد ﷺ أثر سلوكه الحسن وتأثيره في التفاف الناس حوله واستجابتهم لقوله، قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقوله تعالى: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، فإنه يعني بـ"الفظ" الجافي، وبـ"الغليظ القلب"، القاسي القلب، وقد كانت صفته ﷺ، كما وصفه الله به: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فالله تعالى طهره من الفظاظة والغلظة، وجعله قريبا رحيما بالمؤمنين رؤوفا[2].

وقد كان رسول الله - ﷺ - في أعلى درجات القدوة، فقوله وعمله وتقريره سنة مأمورون بالسير على هداها، والاقتداء بها، وتطبيقها في واقع الحياة، ، فعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) تفسير الطبري ، باب : ١٥٩ ، ج : (٧) ص٣٤١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة، كِتَاب : تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب : مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ، ج: (٨) ص٩ ح: (٦٠٠٨)، أخرجه مسلم في صحيحة، باب: ٥٣ باب من أحق بالإمامة ج: (١) ص٤٦٥ ح: (٦٧٤) واللفظ للبخاري.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: رأيت النبي - ﷺ - يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعليّ لا أحجّ بعد حجّتي هذه"[1].

وهكذا علّمنا رسول الله - ﷺ - رائد الدعوة والاحتساب أهمية القدوة وأثرها، والمحتسب حينما يعتني بجانب الاقتداء به، فانه يقتدي برسول - ﷺ - ، فيرعى سلوكه ويراقب تصرفاته بهذا القصد فيكسب ثواب مَن سنَ سنة حسنة إلى يوم القيامة "[2].

والمجتمع الآن بحاجة إلى أن يرى القدوة العملية رأي العين، فتتحرك نفوسهم للطاعة والعمل الصالح، ويحاولون الاقتداء بعمله ومن هنا فإن على المحتسب تهيئة القدوة العملية لمن حوله بمختلف المجالات ومنها:

- القدوة في تحصيل العلم النافع والدعوة إليه.
- القدوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- القدوة في العمل الإصلاحي الدؤوب والحرص على صلاح المجتمع.
- القدوة في الصبر على متطلبات الدعوة والاحتساب.

وحينما نتأمل في واقع الحسبة اليوم نجد أن المحتسب بحاجة ماسه إلى تعلم المنهج الشرعي في الاحتساب لاسيما وأن عددا من القائمين بهذا الأمر يؤخذ عليهم الشدة والغلظة في الاحتساب مما قد يؤثر سلبا على الحسبة والاحتساب ومن هنا فإن المحتسب بحاجة إلى:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة ، كتاب : الجمعة ، باب : ٥١ باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ﷺ لتأخذوا مناسككم ، ج: (٢) ، ص٩٤٣ ح: (١٢٩٧).

(٢) انظر أصول التربية الإسلامية ، ص ٢٦٢.

الاعتناء بدراسة سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومنهجهم في الدعوة والاحتساب، وأخذ القدوة الحسنة منهم، فقد قال -سبحانه وتعالى- : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ .... ﴾[1] ، ثم أكد الله عز وجل الحث على الاقتداء بعد ذلك فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .... ﴾[2] ، وقد كان التوجيه الإلهي للنبي - ﷺ - بأن يقتدي بهدي الأنبياء والرسل من قبله، بعد أن ذكر قصصهم وأحوالهم، فقال - سبحانه وتعالى- : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[3] ، وقال -سبحانه- : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[4] .

- الاقتداء بالنبي ﷺ كما أمر الله تعالى بذلك فقد كان منهجه في الدعوة والاحتساب منهجا يُحتذى فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[5] .

- الاعتناء بالقدوة عمليا وأساس القدوة أن يكون فعلُ المحتسب موافقاً لقوله، وإذا خالف هذا الأساس فلا قدوة حينئذ، ولا اقتداء، وقد ذكر الله تعالى عن شعيب - عليه الصلاة والسلام- قوله لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾[6] ، والمحتسب حينما

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٦) سورة هود: الآية: ٨٨.

يرعى هذا الجانب فإنه يكون قدوة في التقوى، قال سبحانه وتعالى عن عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1]، قال مجاهد: (اجعلنا أئمة في التقوى، حتى نأتم بمن كان قبلنا، ويأتم بنا من بعدنا)[2].

ووجود القدوة الحسنة في المجتمع دعم لانتشار الخير؛ فالناس مجبولون على حب محاسن الأخلاق، ودرجات الكمال؛ ولذا كان من رحمة الله تعالى بعباده أن يوجد في الناس على مر العصور نماذج تتمثل الإسلام في أقوالها وأعمالها واعتقاداتها، وبانتظام القدوات في طريق الدعوة والاحتساب تتكامل الصورة، ولا ينفكُ بعضها عن بعض.

ولكي تؤتي الحسبة ثمارها يجدر اعتناء المحتسب بمقومات القدوة الحسنة ومنها:

الإخلاص: ولا يمكن للقدوة أن يؤثر في الناس ما لم يكن مخلصاً لله - عز وجل - ، جاء عن عمر مرفوعاً: (إنما الأعمال بالنيات) أخرجه البخاري تقرير لضرورة الإخلاص في الأعمال، وهذا الإخلاص يقود إلى أعمال أخرى، وصفات كريمة؛ لأن النفس المخلصة تحب ما يحب الله - عز وجل - فتعمل على بذل الوسع في ما يرضيه سبحانه، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "العمل بلا إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه)[3].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج: (١٣) ص٢٥١.

(٣) الفوائد لابن القيم / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط: (٢)، ت: (١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م)، دار الكتب العلمية – بيروت - ، باب: فصل من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، ج: (١) ص٤٩.

• العلم: وكيف تكون القدوة حسنة بلا علم، فصاحب العلم ذو مكانة كبيرة في الناس، ومن هذا شأنه فهو حري أن يؤخذ منه ويُهتدى يهديه، ومما يحتاجه المحتسب في هذا الباب تعلم وفقه الدعوة والاحتساب.

حسن الخلق: وهذا باب عظيم من أبواب الخير و الناس مجبولون على حب من أحسن إليهم، ومما يؤسف له ما يلحظ من فظاظة وغلظة بعض القائمين بأمر الحسبة مما يؤكد ضرورة التخلق بالخلق الحسن، والتأدب بآداب الحسبة[١].

(١) للاستزادة في مجال آداب الحسبة انظر : كتاب في آداب الحسبة/ أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي ، تحقيق : ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية طبع بمطبعة إرنست لورو - باريس ، ١٩٣١ ، الجزء ٢١.

المبحث الثالث: نماذج لأثر القدوة الحسنة في استجابة المحتسب عليهم

سبق أن بينت في المبحث السابق ما للقدوة الحسنة من أهمية في استجابة الناس وقبولهم للحق.

وفي هذا المبحث – بمشيئة الله – سأقف على شيء من النماذج والشواهد التي يتجلى فيها أثر القدوة الحسنة على واقع المحتسب عليهم، ولعل خير من يستشهد بهم ويستنار بطريقهم هم أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه جميعاً فقد كانوا نماذج خيره في التزام القدوة الحسنة في توجيه أقوامهم وحضهم على الخير؛ يقول سبحانه وتعالى عن حال نبيه شعيب – عليه الصلاة والسلام – مع قومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

وهكذا كان سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام قدوة عملية صالحة لأممهم وأقوامهم، إلى أن ختمت النبوات بخاتم الرسل نبينا محمد - ﷺ- الذي كان قرآناً يمشي على الأرض كما وصفته بذلك أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فكان - ﷺ- أسوة وقدوة صالحة للعالمين أجمعين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

ومن نماذج قدوته العملية - عليه الصلاة والسلام - وأثرها الإيجابي على المحتسب عليهم على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي:

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

❖ ما جاء عن معاوية بن الحكم السلمي[1] - رضي الله عنه - قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتونني لكني سكت، فلما صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن..)[2] .

فماذا كانت نتيجة هذه الحسبة؟ أثرت الحسبة بالرفق على معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - وأدرك أن ما صدر منه كان بسبب قرب عهده بالجاهلية فبدأ يستفسر من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الأمور التي كانت شائعة في الجاهلية كي يتمكن من اجتنابها – إن كانت محرمة – بدل أن تظهر منه فينكر عليه[3] .

---

(١) روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنه: ابنه كثير وعطاء بن يسار وأبو سلمى بن عبد الرحمن قال أبو عمر: كان ينزل المدينة ويسكن في بني سُلِم له عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث واحد في الكهانة والطيرة والخط وتشميت العاطس وعتق الجارية. وقيل له حديث آخر من طريق ابنه كثير بن معاوية عنه، انظر: تهذيب التهذيب / للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر بن شهاب الدين العسقلاني الشافعي، اعتناء: إبراهيم الزيبق، وعادل المرشد مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: (١)، ت: (١٤٢١هـ). ج: (٤) ص١٠٦.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، ح: (٥٣٧)، ج: (١) ص٣٨١.

(٣) انظر: من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور: فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان ط: (٦)، ت: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م). ص٢٣، ٢٤.

للاستزادة انظر: الرفق واللين في ضوء الهدي القرآني "دراسة قرآنية" رسالة ماجستير / لبندر بن عبد العزيز الجديد، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ

كما أثرت هذه الحسبة في رسم قدوة عملية للصحابة الكرام – رضوان الله عليهم جميعاً - بالرفق في الحسبة على الجاهل؛ يقول الإمام النووي[1] تعليقاً على الحديث: "فيه بيان ما كان عليه رسول الله - ﷺ- من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل ورأفته وشفقته عليه، وفيه التخلق بخلقه - ﷺ- في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه"[2].

ومن النماذج أيضاً:

❖ ما جاء عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "استأذن رهطٌ من اليهود على النبي - ﷺ- فقالوا: السام عليك فقالت: بل عليكم السام واللعنة فقال صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كلهِ) قالت: أو لم تسمع ما قالوا قال: قلت: (وعليكم)"[3].

وفي الحديث بيان لعظيم خلقه - ﷺ- وكمال حلمه، وتأديبه لعائشة – رضي الله عنها – وعدم تركه للحسبة عليها وتوجيهها

(1) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الفقيه شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا الحزامي النووي. ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، قرأ القرآن ببلده وختم وقد ناهز الاحتلام. وقد سمع الحديث الكثير وأخذ علم الحديث عن جماعة من الحفاظ مات في رجب سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بها. انظر: طبقات الشافعية، ج: (١) ص١٥٣. لأبي بكر بن محمد بن أحمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي، اعتنى بتصحيحة وعلق عليه: د. الحافظ عبد العليم خان، رتب فهارسه في ضوء قواعد الفهرس العالم: د. عبد الله أنيس الطباع، دار عالم الكتب، ط: (١)، ت: (١٤١٧هـ - ١٩٨٧م).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم / لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط: (٢) ت: (١٣٩٢هـ)، ج: (٥) ص٢٠.

(3) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة، ح: (٦٥٢٨)، ج: (٦) ص٢٥٣٩.

للصواب، كما أن فيه قدوة عملية لها - رضي الله عنها - في معرفة الطريقة الحكيمة في التعامل مع المواقف بما تقتضيه المصلحة، لأنه مما ينبغي على أهل الفضل ودعاة الحق أن يصونوا أنفسهم عن مجارات السفهاء عند سماع قبيح القول منهم، فإن التغافل عن مثل هذا مما يحمد عليه المرء لاسيما المحتسب الذي قد يواجه بمثل هذا من أهل السفه والباطل، فمن العقل والحكمة التغافل عن قولهم إلا إذا اقتضت المصلحة غير ذلك[(١)]، يقول الإمام النووي: "وفي هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسدة، قال الشافعي - رحمه الله - الكيس العاقل هو الفطن المتغافل"[(٢)].

ومن النماذج أيضاً:

❖ ما جاء عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: "أتانا رسول الله - ﷺ- في مسجدنا هذا وفي يده عرجون ابن طاب[(٣)] فرأى في قبلة المسجد نخامة، فحكها بالعرجون ثم أقبل علينا فقال: (أيكم يحب أن يعرض الله عنه) ؟! قال: فخشعنا، ثم قال: (أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟!) قلنا لا أيُّنا يا رسول الله قال: (فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قِبَل وجهه فلا يبصقن قِبَل وجهه،

---

(١) انظر: أحاديث الحسبة في مسند الإمام أحمد مسند النساء "دراسة دعوية" رسالة ماجستير / لبيا بنت عبدالله الحربي، إشراف: د. يوسف أمين أحمد. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المدينة المنورة - كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب ١٤٢٣- ٢٠٠٢م. ص٣٢٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج: (١٤) ص١٤٧.

(٣) هو العود الأصفر العريض الخالي من الرطب إذا يبس إذا اعوج وابن طاب رجل من أهل المدينة انظر: مشارق الأنوار على صحيح الآثار.

ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى[1]، فإن عجلت به بادرت، فليقل بثوبه هكذا، ثم طوى ثوبه بعضه على بعض فقال: أروني عبيراً، فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله، فجاء بخلوقٍ في راحته، فأخذه رسول الله - ﷺ- فجعله على رأس العرجون، ثم لطخ به على أثر النخامة فقال جابر: فمن هنا جعلتم الخلوق في مساجدكم"[2].

ففي الحديث قدوة عملية منه - ﷺ- بالبيان العقلي ليكون أوقع في نفس السامع، وليكون أوضح دلالة على ما يراد الحسبة فيه وتوجيه الصحابة الكرام رضي الله عنهم إليه.

وفيه بيان لعظيم تواضعه - ﷺ - إذ باشر حك النخامة بنفسه ومسارعته لإزالة الأذى عن تيامن بيوت الله وإنكاره هذا الفعل وتلافيه وتجنب تكراره[3].

ومن النماذج كذلك:

❖ ما كان منه عليه الصلاة والسلام في قصة الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا وكيف أن الصحابة – رضوان الله عليهم –زجروه بشدة فنهاهم – عليه الصلاة والسلام –عن ذلك وأمر الشاب بالدنو

---

(١) إنما يسوغ هذا الفعل في أثناء الصلاة، وفي داخل المسجد، إذا اضطر إليه المصلي، وكانت أرض المسجد تراباً أو رملاً أو حصى أو نحو ذلك كما كانت المساجد في العهد النبوي. أما إذا كان المسجد مبلطاً أو مجصصاً أو مفروشاً بشيء، كما هي حال المساجد اليوم، فيتعين على المصلي البصاق في ثوبه إذا احتاج إليه إذ تجب صيانة المسجد عن كل مستقذر أو مكروه أو ملوث أو مذهب للنظافة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة ، كتاب : الزهد والرقائق باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ح: (٣٠٠٨) ، ج: (٤) ص٢٣٨.

(٣) انظر: الرسول المعلم - ﷺ- وأساليبه في التعليم ، ص٧١.

منه والجلوس وهذا أول مراحل إشعاره – عليه الصلاة والسلام – للشاب بالأمن وتقبل ما سيلقى عليه، ثم بدأ عليه الصلاة والسلام يحاوره بعد أن أشعره بكيانه وأمنه قال: (أتحبه لأمك ؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك ؟) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك ؟) قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) قال: (أفتحبه لعمتك ؟) قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال: (أفتحبه لخالتك ؟) قال: لا والله جعلني الله فداك قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم))[(١)].

لو تأملنا الحديث.. لماذا لم يقل له النبي - ﷺ - أترضاه لمحارمك وينتهي الأمر؟!! القضية قضية أخذ وعطاء.. في كل مرة سؤال وجواب قد توصل هذا الشاب لقضية لم تخطر على باله؛ ولذلك نجد المصطفى - ﷺ - يصور له هذا الفعل مع محارمه ويستعرض ذلك معهم واحدة واحدة، وفي كل مرة لنا أن نتصور تخيل هذا الشاب لهذا الأمر وفي كل مرة لها أثر نفسي داخلي على ذلك الشاب حتى إذا ما انتهى - ﷺ - من استعراض المحارم، وإذا به يضع يده على صدر الشاب – وهذه مرحلة من سبل توليد الحميمية وما يسمى بلغة الجسد – ثم قال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه)[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح: (٢٢٢٦٥)، ج: (٥) ص٢٥٦. وحكم عليه المحدث الألباني – رحمه الله – بالصحة في السلسلة الصحيحة ج: (١) ص٧١٢.

(١) الحديث وانظر حاجتنا للحوار/ د. إبراهيم الدويش محاضرة مسجلة ألقيت في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

وفي الحديث إنكاره عليه الصلاة والسلام على الصحابة – رضوان الله عليهم جميعاً – ، وتوجيهه لهم بالقدوة العملية منه – ﷺ – لطريقة الاحتساب على من هم في مرحلة الشباب وكيف أنه احتوى هذا الشاب ووجهه. ولذلك نجد أن الشاب يعلن النتيجة في نهاية موقفه مع النبي – ﷺ – حيث قال: "دخلت على رسول الله – ﷺ – وأحب شيء إليّ الزنا وخرجت من عند رسول الله – ﷺ – وأبغض شيء إليّ الزنا".

ومن النماذج أيضاً:

❖ ما جاء عن ابن عمر – ﷺ – قال: اتخذ النبي – ﷺ – خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي – ﷺ – : (إني اتخذت خاتماً من ذهب) فنبذه وقال: (إني لن ألبسه)[1] ، وفي الحديث بيان لسرعة تأثر الصحابة الكرام بالقدوة العملية التي رأوها منه – ﷺ – [2] ، فآتت ثمارها في الحال عندما نبذ الناس خواتيمهم اقتداء به – ﷺ – فما أعظم أسلوب القدوة وما أشد تأثيره في النفوس[3] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بأفعال النبي – ﷺ – ح: (٧٢٩٨) ص١٣٩١.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج: (١٣) ص٣٣٧.

(٣) القدوة ودورها في تربية النشء ، ص٤٩.

ومن النماذج أيضاً:

❖ احتسابه عليه الصلاة والسلام على حبه أسامة بن زيد رضي الله عنه[1] لمّا قتل من قال لا إله إلا الله بحجة أنه قالها خوفاً من السيف.

فقد جاء أن النبي - ﷺ - بعث بعثاً من المسلمين إلى قومٍ من المشركين وأنهم التقوا فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته قال وكنّا نحدث أنه أسامة بن زيد. فلمّا رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي - ﷺ- فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعاه فسأله فقال: لم قتلته قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً وإني حملتُ عليه فلمّا رأى السيف قال: لا إله إلا الله قال رسول الله - ﷺ - : (أقتلته؟) قال: نعم. قال: (فكيف تضع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) قال: يا رسول الله استغفر لي قال: (وكيف تضع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: (كيف تضع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة)[2]، وفي رواية البخاري - رحمه الله - يقول أسامة - رضي الله عنه- : "فما زال يكررها حتى تمنيت لم أكن أسلمت قبل ذلك".

---

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن عبد العزيز بن امرئ القيس حب رسول الله - ﷺ - ومولاه وابن مولاه، أبو زيد ويقال أبو محمد ويقال أبو حارثة وقيل أبو يزيد – قال ابن سعد مات في آخر خلافة معاوية وقيل أنه شهد يوم مؤتة مع والده. انظر: سير أعلام النبلاء، ج: (٢) ص٤٩٦.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ح: (٩٦)، ج: (١) ص٩٧.

وهكذا سار الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً على منهج قدوتهم - ﷺ - فها هو الصديق - رضي الله عنه - يرسم لنا قدوة عملية في إصراره على ضرورة مقاتلة من فرق بين الصلاة والزكاة في توجيهه للفاروق - رضي الله عنه - بضرورة مقاتلة من حاد عن منهج الرسول - ﷺ - وأخل بما كان يؤديه إليه.

فقد روي أن عمر - رضي الله عنه - قال له: "علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله - ﷺ - : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها). فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله - ﷺ - لقاتلتهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة".

فظهرت النتيجة والأثر لهذه القدوة العملية حتى قال عمر - رضي الله عنه- : "فما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر - رضي الله عنه- للقتال فعرفت أنه الحق وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[1][2].

وتأتي خلافته رضوان الله تعالى عليه فيضرب لنا النماذج الرائدة التي تبرز ما للقدوة الحسنة من أهمية وأثر فاعل على المحتسب عليهم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، الدعوة في حياة الصديق أبي بكر - رضي الله عنه- / للدكتور يُسري محمدهاني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة ١٤١٨هـ. ج: (١) ص٢٧٧.

فقد رأى يوماً على طلحة بن عبيدالله[1] ثوباً مصبوغاً وهو محرم، فقال عمر - رضي الله عنه - "ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين إنما هو مدر[2] فقال عمر: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال: إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة"[3].

ويتتالى الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم جميعاً - خلفاً لمن سلف في ضرب النماذج البارزة لتأثير قدوتهم الحسنة في الحسبة وتوجيه الناس للخير ونبذ ما سواه. وسار السلف – عليهم رحمة الله – على منهجهم واستنوا بسنتهم.

فها هو الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - يضرب لنا القدوة الحسنة في حسن الحسبة على ابنه وتوجيهه إلى الصواب، فحينما ولي الخلافة - رضي الله عنه - أراد أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولكن بعد أن يتمكن ويمسك بجميع الخيوط في يديه، وكان ابنه

---

(١) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن كنانة القرشي التميمي المكي أبو محمد. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة له عدة أحاديث توفي سنة ٣٦ وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوها. انظر: سير أعلام النبلاء ج: (١) ص٢٣.

(٢) قوله في الثوب المصبوغ للمحرم إنما هو مدر يعني تراباً يريد إنما صبغ بالمغرة والمدر الطين اليابس. مشارق الأنوار على صحيح الآثار / للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي المالكي، مكتبة العتيقة ودار التراث، ج: (١) ص٣٧٥.

(٣) موطأ الإمام مالك / للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر. ج: (١) ص٣٢٦. للاستزادة انظر: احتساب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رسالة ماجستير / لبدرية بنت محمد بن عبد الله الفوزان. كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢١ - ١٤٢٢.

الشاب الغيور المتحمس عبد الملك[1] ينكر على أبيه عدم إسراعه في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم فقال له يوماً: "مالك لا تنفذ الأمور فو الله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق"، فكان جواب الأب الفقيه المؤمن: "لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، فيكون من ذا فتنة"[2].

وها هو الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- يضرب لنا مثالاً في القدوة الصالحة وأثرها على المتلقين، ويظهر ذلك جليّاً في العديد من المواقف ولعل من أعظمها موقفه في فتنة القول بخلق القرآن الكريم وكيف أنه بذل في سبيل الحسبة على هذا المنكر والثبات على قول الحق حتى كان سبباً في تثبيت الناس للزوم جادة الصواب.

فها هو المروزي[3] أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول له: "يا أستاذ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[4] فقال الإمام

---

(١) هو: عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، أمير أموي عاش ملازماً أباه ومات قبيل وفاته وكان من أحب الناس إليه قال ابن الحكم: أعان الله عمر بن عبد العزيز بثلاثة: أحدهم ابنه عبد الملك كانوا أعواناً له على الحق وقوة له على ما هو فيه. وتوفي الثلاثة متعاقبين في دير سمعان بالمعرة. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين /خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. ط: (١٩٩٥م) بيروت- لبنان. ج: (٤) ص١٦١.

(٢) الموافقات في أصول الشرعية / لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، وقد عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه: عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت. ج: (٢) ص٩٣- ٩٤.

(٣) الإمام القدوة / شيخ بغداد أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج الفقيه أجل أصحاب الإمام أحمد كان أبوه خوارزمي وأمه مروذية لزم أحمد دهراً وأخذ عنه العلم والعمل انظر: تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، ط:(٢) بيروت. ج: (٢) ص٦٣٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩.

أحمد - رحمه الله - يا مروزي اخرج، انظر أيّ شيء ترى؟! قال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصي عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعهم، فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال المروزي مكانكم. فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له: رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال: يا مروزي أضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء"[(1)].

وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية – عليه رحمة الله – قدوة العلماء فضلاً عن العامة، كانت حياته قدوة للناس ومن ذلك موقفه في الحسبة على الشيعة وأصحاب التوجهات الخاطئة وما كان منه يرحمه الله عندما عزم على تكسير الأصنام الموجودة إذ ذاك حين هاب الناس منها فتقدم هو وأخوه وبدأ بتكسيرها وقال للناس: إن أصاب أحد منها شيء أصابنا نحن قبله، فكان ذلك توجيهاً للناس بالقدوة الفعلية التي لا يشك في مدى وقعها وعظيم أثرها على نفوس المتلقين[(2)].

ويتوالى سير سلف الأمة وخيارها على منهج الحق جل وعلا في الاستنان بسنة المصطفى - ﷺ - والسير على هديه وهداه في الأمر

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء، ج: (11) ص235.

للاستزادة انظر: الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل / لمحمد بن محمد بن أبي بكر السعدي الحنبلي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي هجر. ط: (1) 1417- 1987م.

(2) انظر: الحسبة العملية والنظرية عند شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – "دراسة تحليلية مقارنة بمسائل الحسبة المعاصرة" / رسالة دكتوراه للمحاضر ناجي بن حسن بن صالح حضيري. كلية الدعوة بالمدينة المنورة قسم الدعوة والاحتساب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1416هـ.ص220.

بالمعروف والنهي عن المنكر فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله.

ومن النماذج والشواهد المعاصرة لتأثير القدوة الحسنة في الحسبة:

ما كان من بقية السلف شيخنا سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – حيث كان نبراس هداية وضاء ومشعل خير متوقد ومثالاً حياً للقدوة الصالحة فها هو عليه رحمة الله يخبره مرافقة أن أحد الأخوة الحضور في أصبعه خاتمٌ من ذهب، فما كان منه رحمه الله إلا أن تحدث إلى هذا الأخ بلغة هادئة ومحببة مبيناً له فيها حكم الشرع في تحريم استخدام الذهب للرجال، بطريقة لا تخلو من الود، الأمر الذي جعل هذا الرجل المحتسب عليه يسارع على الفور بخلع خاتم الذهب من أصبعه ويتقدم بجزيل الشكر لفضيلته[(١)] .

ويذكر أحد الرجال أنه ذات مرة صلى بجوار سماحته فقال له بعد انتهاء الصلاة إنني أحسست أنك تسابق الإمام فانتبه فإن ذلك يبطل الصلاة، يقول الرجل: "فأصبحت منذ ذلك الوقت حريصاً على عدم مسابقة الإمام"[(٢)]، كما كان عليه رحمة الله قدوة عملية لطلابه في لزوم دليل الكتاب والسنة وعدم معارضتهما بأي كلام آخر فهاهو الشيخ كما يروي عنه أحد الطلاب أنه لمّا قرر في التفسير جواز نكاح الكتابيات بشرط قال بعض الطلاب: يا شيخ بعض الصحابة كان

---

(١) انظر: مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله –/ لحمود بن عبد الله المطر، دار الوطن الرياض، ط: (١)، ت: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص١٨٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٨٩.

ينهى عن ذلك !! فالتفت الشيخ إليه وقد احمرّ وجهه وقال: "هل قول الصحابي يضاد به الكتاب والسنة؟!"[1].

وإلى غير ذلك من الشواهد المتعددة التي لو توقفنا لاستقصاء شيء منها لطال بنا الكلام.

وقد سار على نهجه طلابه ومحبوه منهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله – فكان له رحمه الله مواقف عملية في الأمر بالمعروف وإنكار المنكر؛ ومن ذلك إنكاره المخالفات العقدية المعاصرة وكيفية مواجهتها ورده على شبهات الفرق الضالة وتفنيدها بالإضافة إلى تبصيره لطلابه وللناس عامة بمسائل التكفير وبخاصة ما يتعلق بتكفير الحكام وبيانه لعدد من الأخطاء اللفظية والتي تقع في كلام بعض الناس وقد ضرب – رحمه الله – في ذلك أروع الأمثلة للالتزام بما يأمر به وينهى عنه وسار على ذلك المنهج طلابه من بعده[2].

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاح[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٩١.

(٢) انظر: الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة / جمع وإعداد تلميذه: عصام بن عبد المنعم المري، دار البصيرة، الإسكندرية. الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين ص١١٩، ١٢٢.

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، ت: (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار صادر، بيروت. ج: (٦) ص٢٧٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل لنا قدوة وأسوة حسنة، وسن لنا أحسن السنن، وبين لنا طريق السلامة من الفتن وجعلنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وصلى الله على قدوة الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين ثم أما بعد:

فإني أحمد الله تعالى على أن يسر لي كتابة هذا البحث المختصر حول القدوة وأثرها في حياة المحتسب والذي تبين من خلاله أهمية القدوة وآثارها الإيجابية لاستجابة المحتسب عليهم وقد رأيت أن أختمه ببعض النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

❖ المحتسب القدوة يكون سبباً بإذن الله تعالى في هداية الناس وقبولهم للحق.

❖ تتفاوت مستويات فهم الكلام عند الناس ويتساوى الجميع أمام الرؤية بالعين المجردة للمثال الحي مما يؤكد أهمية ظهور القدوة الحسنة.

❖ سرعة استجابة الناس وقبولهم للحق عند تمثل القدوة الحسنة أمامهم.

ثانياً: التوصيات:

❖ ضرورة تعميق حب النبي - ﷺ- ودراسة مواطن القدوة العملية في سيرة الرسول - ﷺ- ودراسة تأثيرها الدعوي على أفراد المجتمع.

❖ تقديم دراسات علمية تظهر مواطن القدوة الحسنة من سير السلف الصالح وبيان أهميتها في الدعوة والاحتساب لاسيما وبيان أوجه الاستفادة منها لاسيما في الوقت الحاضر الذي تتأكد فيه الحاجة لتمثل القدوة الحسنة في مختلف جوانب الحياة.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من المهتدين المقتدين بالرسول الكريم - ﷺ - وأن يرزقنا شفاعته، كما أسأله تعالى أن ينفع بهذا الجهد والذي أرجو أن يكون إسهاماً يسيراً في الكتابة في مواضيع الاحتساب وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أحاديث الحسبة في مسند الإمام أحمد مسند النساء "دراسة دعوية" رسالة ماجستير لهيا بنت عبد الله الحربي، إشراف: د. يوسف أمين أحمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المدينة المنورة – كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣- الاحتساب وصفات المحتسبين/ للدكتور: عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار الوطن للنشر، ط: (١) ت: (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٤- الأحكام السلطانية والولايات الدينية / للإمام الماوردي، تصحيح: النعساني الحلبي، ط: (١)، ت: (١٣٢٧هـ).

٥- الأحكام السلطانية / لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق الشيخ: محمد الفقي، دار الفكر، بيروت، ت: (١٤١٧هـ).

٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / للقاضي الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- أصول التربية الإسلامية/ عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط: (٢).

٨- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين / لخير الدين الزركلي، ط: (١)، ت: (١٩٩٢م) دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه / للشيخ: خالد بن عثمان السبت، المنتدى الإسلامي، لندن، ط:(١)، ت:(١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

١٠- تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، الدعوة في حياة الصديق أبي بكر - ﷺ - للدكتور / يُسري محمد هاني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة.

١١- تذكرة الحفاظ / لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية ط:(٢)، بيروت.

١٢- ترتيب القاموس المحيط على طريق المصباح المنير وأساس البلاغة للطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر.

١٣- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت – ط:(١) ت:(١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للشيخ: عبد الرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط:(٢)، ت:(١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

١٥- الجامع الصحيح سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت- .

١٦- الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل / لمحمد بن أبي بكر السعدي الحنبلي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد

المحسن التركي، هجر. ط: (١)، ت: (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

١٧- حاجتنا للحوار / د. إبراهيم الدويش، محاضرة مسجلة ألقيت في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

١٨- الحسبة النظرية والعملية عند شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – "دراسة تحليلية مقارنة بمسائل الحسبة المعاصرة" / رسالة دكتوراه للمحاضر ناجي بن حسن بن صالح حضيري، كلية الدعوة بالمدينة المنورة قسم الدعوة والاحتساب ١٤٢٦هـ.

١٩- الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب للدكتور: علي القرني، مكتبة الرشد، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ).

٢٠- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته للدكتور: حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، دار أشبيليا. ط: (٢)، ت: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٢١- الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – / ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاء، جمع وترتيب وإعداد تلميذه: عصام بن عبد المنعم المري، دار البصيرة الإسكندرية.

٢٢- الرسول المعلم - ﷺ - وأساليبه في التعليم / لعبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بحلب، ط: (٢)، ت: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٢٣- الرفق واللين في ضوء الهدي القرآني – دراسة قرآنية – رسالة ماجستير/ لبندر بن عبد العزيز الجديد، جامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية ١٤٢٠- ١٤٢١هـ.

٢٤- سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبي تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم، ط: (٩)، ت: (١٤١٣هـ).

٢٥- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: (٢)، ت: (١٣٩٢هـ).

٢٦- شروط المحتسب وآدابه/ رسالة ماجستير لحافظ عابد إلهي. كلية الدعوة والإعلام بالرياض، قسم الدعوة، ١٤٠٧هـ.

٢٧- صحيح الإمام البخاري / للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، ت: (٢٠٠٥م) بيت الأفكار الدولية، لبنان.

٢٨- صحيح الإمام مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، ت: (٢٠٠٥م) بيت الأفكار الدولية، لبنان.

٢٩- صفات الداعية في ضوء سير دعاة النبي - ﷺ - رسالة ماجستير/ لأحمد بن علي عبد الله الخليفي، كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ- ١٤٠٧هـ.

٣٠- طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة – بيروت.

٣١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد علي الشوكاني، دار الفكر.

٣٢- الفساد الخلقي في المجتمع أسبابه، آثاره، علاجه في ضوء الإسلام للدكتور: ناصر بن عبد الله ناصر التركي، وزارة الشؤون الإسلامية. ت: (١٤٢٣هـ).

٣٣- الفوائد لابن القيم / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط: (٢)، ت: (١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م)، دار الكتب العلمية – بيروت - .

٣٤- القدوة مبادئ ونماذج / لصالح بن عبد الله بن حميد. دار الوطن.

٣٥- القدوة ودورها في تربية النشئ / لبريكان بركي القرشي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

٣٦- لسان العرب / لابن منظور، دار صادر.

٣٧- مسند الإمام / أحمد بن حنبل، دار المعارف. مصر. ط: (٣)، ت: (١٣٦٨هـ).

٣٨- مشارق الأنوار على صحيح الآثار / للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي السبئي المالكي، مكتبة العتيقة ودار التراث.

٣٩- المعجم الأوسط لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات/ حامد عبد القادر محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٤٠- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ش: مكتبة الحلي، مصر، ط: (٢)، ت: (١٣٩٠هـ).

٤١- مكارم الأخلاق / لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- ، إعداد وترتيب خالد أبو صالح، دار الوطن، الرياض.

٤٢- من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور: فضل إلهي، : إدارة ترجمان الإسلام باكستان، ط: (٦)، ت: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٤٣- الموافقات في أصول الشرعية / لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى الخمي الغرناطي المالكي، وقد عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه: عبد الله داراز، دار المعرفة، بيروت.

٤٤- مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - /لحمود ابن عبد الله المطر، دار الوطن، الرياض، ط: (١)، ت: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٤٥- موطأ الإمام مالك للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ش: دار إحياء التراث العربي مصر.

٤٦- نظام الحسبة في الإسلام / رسالة ماجستير لعبد العزيز بن مرشد، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. ١٣٩٢هـ.

٤٧- هيئة الداعية ومظهره ودورة في إيصال / رسالته للدكتور: عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، دار الحضارة.

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١ تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه .

٢ تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية .

٣ تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية .

٤ تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية .

٥ تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها .

المملكة العربية السعودية
ص.ب ٤٨٤٧ الرياض ١١٤١٢
هاتف - فاكس: ٢٥٨٥١٣٢
www.dawastud.org

مطابع الجامعة

ردمد : ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

الجمعية السعودية
الدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

بصيرة

العدد الرابع
محرم ١٤٣٢هـ

العدد
الرابع
محرم
١٤٣٢هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

الجمعية السعودية
للدراسات الدعوية
saudi association for da'wah studies

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

بصيرة

العدد الرابع
محرم ١٤٣٢هـ

العدد
الرابع
محرم
١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمك: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

قواعـــد النشـــــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية- والانجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١١- ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

البحث رقم (١)

منهج موسى عليه السلام في دعوته لفرعون

إعداد

د. عبدالله بن محمد السبيعي

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد والصلاة والسلام على من بعث رحمة وهداية ونوراً للعالمين، وبعد:

يُواجه الداعي إلى الله تعالى في مسيرته عقبات كؤود، ومع تعقد الحياة المعاصرة، ووصول الفكر الإنساني إلى مرحلة خطيرة من التعقيد والتشتت والانشطار إلى فروع وجزئيات غاية في التداخل والتشابك .. مع كل ذلك يجد الداعية نفسه أمام تحديات كثيرة فيقلب نظره هنا وهناك بحثاً عن منهج دقيق وأسلوب واضح مبين يقع في قلوب وعقول المدعوين.

ولا محيص أن يلتمس الداعية طلبته وغايته عند هداة البشرة من الرسل والأنبياء وهم الذين سبقوه في هذا المضمار المقدس، ولا ريب أن يتوقف الداعية ملياً عند أولى العزم من الرسل يرى منهجهم الدعوي، فيفهمه ويتمثله ويستضيء به في أداء واجبه وتبليغ رسالته التي حملها عن مصابيح الهداية ممن سبقوه في ذلك.

ومن المناهج الدعوية الشديدة الثراء منهج موسى عليه السلام في دعوة فرعون .. فقد بعث عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأرسل إلى فرعون حاملاً معه دعوته إلى الإيمان، وقد كان فرعون جباراً في الأرض يسوم بني إسرائيل سوء العذاب؛ فهل يقبل دعوة موسى وينقاد إليه وهو من سلالة هؤلاء المستضعفين؟ أم ماذا يفعل معه؟ وموسى عليه السلام: كيف يدعو هذا الطاغية؟ وما هي الأساليب الدعوية التي ستستعمل معه ..؟! وكيف يؤدي واجبه؟! وهل كان له منهجية واضحة في ذلك؟! ولعلي أوجز

أهميـة الموضـوع في أن تنـاول منهج موسى عليه السلام في دعـوة فرعـون مـن الموضـوعات المهمـة للغايـة و الجـديرة بالبحـث لمعرفـة كيفيـة دعـوة الجبـابرة المتكبرين في الأرض، ومـا هـي الخطـة المنهجيـة في التعامـل معهـم لإبلاغهـم بالـدعوة حرصـاً علـى إيمـانهم بهـا ، أو علـى الأقـل لتحييدهم ومنع مصادمتهم معها أو وقوفهم في طريقها.

ويمكن للباحث الوقوف على أبرز أهداف البحث، ومن أهمها :

١- معرفة أهداف دعوة موسى عليه السلام لفرعون.
٢- معرفة وسائل دعوة موسى عليه السلام لفرعون.
٣- معرفة أساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون.
٤- معرفة أسس دعوة موسى عليه السلام لفرعون.
٥- معرفة المعوقات التي واجهت دعوة موسى عليه السلام لفرعون.
٦- الخـروج بالـدروس المسـتفادة مـن دعـوة موسـى لفرعـون، وكيفيـة الإفادة منها في واقعنا المعاصر اليوم، خاصة عند تعامل الدعاة مع من فيهم استعلاء وتكبر، أو حين نسقط ذلك على تعامل الأمة المسلمة والحضارة الإسلامية اليوم مع الحضـارة الغربية المستعلية في الأرض.

ويمكن تقسيم البحث على النحو الآتي :

التمـهيد : ترجمة نبي الله موسى عليه السلام ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : ولادته ونسبه والظروف التي نشأ فيها.

المطلب الثاني : صفات موسى عليه السلام التي أهلته للدعوة.

المطلب الثالث : إعداد موسى عليه السلام للرسالة وتكليفه بها.

المبحث الأول: دعوة موسى عليه السلام لفرعون، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : أهداف دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المطلب الثاني: مراحل دعوة موسى عليه السلام لفرعون، ويشتمل على فرعين:

الفرع الأول: مرحلة تقرير الرسالة.

الفرع الثاني: مرحلة تقرير العقيدة.

المبحث الثاني: الأسس المنهجية التي قامت عليها دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المبحث الثالث: وسائل وأساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون وخصائص ذلك.

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : وسائل دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المطلب الثاني : أساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المطلب الثالث : خصائص أساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المبحث الرابع: تأملات في دعوة موسى عليه السلام لفرعون، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معوقات استجابة فرعون لدعوة موسى عليه السلام .

المطلب الثاني: نتائج دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المطلب الثالث: الدروس المستفادة من دعوة موسى عليه السلام لفرعون في عصرنا الحاضر.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

هذا وبالله التوفيق ومنه الخير الرشاد .. وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد

ترجمة نبي الله موسى عليه السلام

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

ولادته ونسبه والظروف التي نشأ فيها

ولادته :

ولد موسى عليه السلام في جو عاصف وفترة عصيبة اضطهد فيها الإسرائيليون وذاقوا فيها الذل والهوان بأقسى ألوانه من فرعون مصر.

وقد ولد عليه السلام من أبوين إسرائيليين في بيت أبيه وأمه في مصر في هذه الفترة الحالكة من تاريخ بني إسرائيل، وقيل: إن الولادة كانت على يد قابلة مصرية تغلغل حب موسى في قلبها منذ شاهدت فيه من أنوار وجلال النبوة، ومن ثمَّ أخفت نبأه، ولم يتسرب خبره إلى فرعون عدو الأطفال الذكور من بني إسرائيل والحريص على قتلهم[1].

نسبه : هو موسى بن عمران بن قاهث بن عاذر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[2].

ويرى الباحث :

أن هناك خلطاً بين اسم موسى وبين نسبه، وربما صدر هذا

---

(١)انظر: منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى في الدعوة إلى الله وأثرها في مجال الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، عرفة سالم حسن سيف الدين، رسالة ماجستير"لم تطبع بعد حسب علم الباحث"، كلية الدعوة، القاهرة، ١٤٠٨هـ بتصرف يسير.

(٢) قصص الأنبياء، الحافظ ابن كثير، ٢٥٧/٢، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، القاهرة، دار الحديث. وانظر: البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، تحقيق د.عبدالله التركي، ٣١/٢، ط١، (مصر الجيزة، دار هجر، ١٤١٧هـ)وانظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق محمد و مصطفى عبد القادر عطا، ٣٣١/١، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ).

الخلط عن سوء نية وتعمد لدى بعض المستشرقين من النصارى الذين ينكرون نبوة موسى أصلاً، ويتهمون القرآن الكريم بأنه اخترع هذه القصة لمماثلة يهود المدينة طمعاً في إسلامهم عندما يستمعون إلى كلام المسلمين وأنهم أبناء عمومة معهم فالعرب أحفاد إسماعيل واليهود أحفاد إسحاق بن إبراهيم.

ولا يخفى ما في ذلك من تزوير للتاريخ وتشويه للحقائق يبعث عليه حقد أعمى على الإسلام والمسلمين.والصحيح - والله تعالى أعلم - أن (موسى) اسم مصري، وقد أطلقت على موسى عليه السلام هذه التسمية في بيت فرعون بعد التقاطه من الماء، فهذه التسمية إذن «من واقع التقاطه من بين السماء والشجر فليست من أمه ولا من أبيه»[1].

والخلاصة أن الثابت من آي الذكر الحكيم أن موسى من بني إسرائيل، وأن أمه خافت عليه من فرعون الطاغية المترصد لذكور بني إسرائيل، فأوحى الله إليها أن تلقيه في الماء فوضعته في التابوت وألقته في الماء فالتقطه آل فرعون وأسموه موسى، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾[2].

الظروف التي ولد فيها :

ولد موسى عليه السلام في ظروف قاسية للغاية حاقت ببني إسرائيل،

---

(١) موسى الكليم والهدف من ذكر قصصه في القرآن، د.أبو ضيف مجاهد حسن، رسالة دكتوراه، أصول الدين، القاهرة، ص١٧.

(٢)الآيات:(٧- ٨)من سورة القصص.

فقد استعبدهم فرعون غاية الاستعباد ، وراح يستحي نساءهم ويذبح أبناءهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

---

(١) الآية: (٤) من سورة القصص.

المطلب الثاني

صفات موسى عليه السلام التي أهلته للدعوة

اتصف موسى عليه السلام بمجموعة من الفضائل والصفات التي أهلته لتحمل أعباء الرسالة، ومن هذه الصفات:

١- **الصدق:** كان موسى عليه السلام صادقاً، والصدق وإن كان خلقاً إنسانياً رفيعاً أو صفة ضرورية للبشر إلا أنه أمر حيوي للأنبياء وصفة لازمة لهم، بل هو من الصفات الفطرية فيهم، ولا يمكن للنبي أن يصدر منه ما يخل بالمروءة كالكذب والخيانة[1] قال الإمام الطبري[2] - **رحمه الله تعالى** - عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[3]: " أي جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وحقيقة نبوته؛ كالعصا التي تحولت ثعباناً مبيناً، ويده التي أخرجها بيضاء للناظرين، وفلق البحر، ومصير أرضه له طريقاً يبساً، والجراد والقمل والضفادع وسائر الآيات التي بينت صدقه وحقيقة نبوته.."[4] وقد تحلى موسى عليه السلام بالصدق وهي صفة لازمة في الدعاة إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ

---

(١) النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٠هـ .

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الإمام المجتهد، صاحب التصانيف، منها: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتاريخ الرسل والملوك، ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ، انظر تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ٢/١٦٢- ١٦٩، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، دار الكتب العربي، بدون سنة النشر)

(٣)الآية: (٩٢) من سورة البقرة.

(٤)جامع جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ١/٤٢١، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ).

﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) ﴾[١] .

٢- **الأمانة :** كان موسى عليه السلام أميناً ، وهذه صفة مهمة جداً في الأنبياء ، فالنبي لابد أن يكون أميناً على الوحي ، ويبلغ أوامر الله ونواهيه إلى عباده دون زيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل .. فالأنبياء من ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) ﴾[٢] قال أبو السعود - رحمه الله تعالى - :"صفة للذين خلوا أو مدح لهم ، بالنصب أو بالرفع ، وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفاً .."[٣] وذلك من الأمانة التي جبلوا عليها - عليهم السلام جميعاً - .

٣- **الفطنة:** والمقصود بها الذكاء والنباهة ، وكان موسى عليه السلام فطناً ذكياً نبيهاً ، ولعل ذلك تجلى في نبوغه أثناء محاجته لفرعون ، والذكاء صفة ضرورية للأنبياء ، ولم يبعث واحداً منهم إلا وكان على جانب عظيم من النباهة والذكاء الخارق ، مع كمال العقل والرشد[٤] وتكمن الفطانة في السؤال الذي سأله موسى عليه السلام لربه - عز وجل - قال تعالى حاكياً نص السؤال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي (٢٦) وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) ﴾[٥] قال الشيخ ابن سعدي - **رحمه الله تعالى** - :"وهذا السؤال من موسى عليه السلام يدل على كمال

---

(١) الآية:(١٠٤)من سورة الأعراف.

(٢) الآية:(٣٩)من سورة الأحزاب.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ١٠٦/٧، بدون ذكر الطبعة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي مدينة النشر، بدون تاريخ النشر)

(٤) منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص١٩٠.

(٥) الآية:(٢٥- ٢٧) من سورة طه.

معرفته بالله وكمال فطنته ومعرفته للأمور.."[1].

٤- **السلامة من العيوب المنفرة** :وهذه الصفة من خصائص الأنبياء الكرام، فلا يمكن أن يكون في النبي عيوب خُلُقية أو خَلْقية تنفر الناس من الاجتماع بهم أو اتباعهم والسماع لدعوتهم، كما أن الأمراض المنفرة كالبرص والجذام والتشويه الجسدي لا يكون في أحد من الأنبياء[2] وكان موسى عليه السلام أحسن ما خلق الله وأبرأه مما نسبه إليه بنو إسرائيل من عيوب، وكان عليه السلام رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فرماه القوم بأن به «أدرة»[3] هذا والقصة كلها ذكرها البخاري[4] وقد برأ الله موسى مما رماه به القوم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، ١٥٥/٥، بدون ذكر رقم الطبعة، (الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ)

(٢) النبوة والأنبياء، الصابوني، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٣) الأدرة بالضم نفخة في الخصية، يقال: رجل آدر بين الأدر، انظر: لسان العرب، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ١٥/٤، ط١، (بيروت، لبنان، دار صادر، ١٤١٠هـ) مادة "أدر". انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، دار الفكر، بدون سنة النشر)، ٢٥٠/١٤.

(٤) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط١ (الرياض، دار السلام، ١٤١٧هـ) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٢٨، رقم الحديث، ٣٤٠٤، ص٦٩٩

(٥) الآية: (٦٩) من سورة الأحزاب.

المطلب الثالث

إعداد موسى عليه السلام للرسالة وتكليفه بها

الإعداد: هو التهيئة والأرصاد وأعده: هيأه وعدده: جعله عدة للدهر واستعد له:تهيأ له[1] وأصل:" التهيئة إحداث الهيئة وهي الحالة التي يكون عليها الشيء، محسوسة أو معقولة، ثم استعمل في إحضار الشيء وتيسيره"[2] أعدّ الله تعالى موسى عليه السلام لحمل الرسالة، ويمكن تحديد معالم هذا الإعداد في الأمور الآتية:

١. **خروجه من مصر وذهابه إلى مدين:** فيه من الإعداد النفسي والذهني والروحي؛ لتحمل أعباء الرسالة.

٢. **تقرير العقيدة وترسيخها في نفسه:** فكان هذا أثناء العودة إلى مصر، يبين الله له أنه سبحانه هو رب العالمين لا إله إلا هو ولا معبود سواه، ويخبره أنه اصطفاه واختاره لإبلاغ رسالته للعالمين، قال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]

---

(١) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ١٤٨/١، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، الرسالة، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م).

(٢)العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون ذكر تاريخ النشر).

(٣)الآيات:(٢٩- ٣٠)من سورة القصص.

ويقـــول ســـبحانه: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ ﴾[1] وهكذا تم الإعداد وهكذا تم التكليف، ونبهه الله منذ البداية بألا يقعده أحد عن رسالته، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ ﴾[2] وحتى يطمئن قلب موسى عليه السلام وحتى يعلم تمام العلم أنه مؤيد بنصر ربه فيقبل مفعماً بالإيمان والثقة فقد أجرى الله له معجزتين مبهرتين فهذه عصاه الجماد تدب فيها الروح وتنقلب حية بأمر الله القادر، وهذه يده الجسم الكثيف تنقلب إليه جسم شفاف نوراني من غير ما سوء، ولعل في ذلك كله تدريباً لموسى عليه السلام لحمل رسالته وتثبيتاً لقلبه عندما يواجه الطاغية المتكبر فرعون؛ فالحق تبارك وتعالى يطمئنه منذ البداية أنه مؤيد من ربـــه: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[3] فبعد قلب العصا حية خاف موسى فجاءته المعجزة الأخرى ليطمئن ويثبت فؤاده، قال الله تعـــالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ

---

(١) الآيات: (٩- ١٤) من سورة طه.

(٢) الآية: (١٦) من سورة طه.

(٣) الآية: (٤٧) من سورة طه.

يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] تتردد هاجس في قلب موسى وهو قتل المصري خطأ، وكذلك يدرك أنه أقل فصاحة من أخيه فيطلب من ربه أن يعينه به، وهنا تأتيه كل أسباب الاطمئنان والدعم والثبات في أداء هذه المهمة، قال الله تعالى عن ذلك: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2] ثم يأتي دور الآية التي كانت معينة لموسى عليه السلام بعد الله تعالى وهي العصا، ورعي الغنم، قال تعالى: ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

[3]"وفي الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: " ما بَعَثَ الله نَبِيًّا إلا رَعَى الْغَنَمَ فقال أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ فقال: نعم كنت أَرْعَاهَا على قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ"[4] قال ابن بطال معنى قوله عليه السلام: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم" - والله اعلم - أن ذلك توطئة وتقدمةً في تعريفه سياسة العباد، واعتبارًا بأحوال رعاة الغنم،

---

(١) الآيات: (٣٢،٣١) القصص.

(٢) الآيات: (٣٣- ٣٥) القصص،.

(٣) الآية: (١٨) من سورة طه.

(٤) الحديث أخرجه البخاري، حديث رقم:٢١٤٣.

وما يجب على راعيها من اختيار الكلأ لها ، وإيرادها أفضل مواردها ، واختيار المسرح والمراح لها ، وجبر كسيرها ، والرفق بضعيفها ، ومعرفة أعيانها وحسن تعهدها ، فإذا وقف على هذه الأمور كانت مثالاً لرعاية العباد ، وهذه حكمة بالغة..."[1]قال الخطابي: يريد أن الله لم يضع النبوة في أبناء الدنيا وملوكها ، لكن في رعاء الشاء وأهل التواضع من أصحاب الحرف، كما روي أن أيوب كان خياطاً ، وزكريا كان نجاراً ، وقد قص الله سبحانه وتعالى من نبأ موسى، وكونه أجيراً لشعيب - عليهما السلام - في رعي الغنم ما قص..."[2]وهكذا أعد موسى إعداداً كاملاً ، ودرب تدريباً عملياً على أعباء الدعوة قبل إسناده لهذا المنصب الجليل[3].

---

(١)ابن بطال، شرح صحيح البخاري ، ٧١/١.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، تحقيق : شعيب الارناؤوط - محمد زهير الشاويش، ٣٢٤/١١، ط٢(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).

(٣) مناهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٢٠٩.

المبحث الأول

دعوة موسى عليه السلام لفرعون

المطلب الأول : أهداف دعوة موسى عليه السلام لفرعون

لاشك أن أسمى هدف من دعوة الرسل، ومنهم موسى عليه السلام هي دعوة الناس إلى الإيمان وتعبيدهم لرب العالمين، فهذه بالأساس غاية خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾(1) ولقد كانت غاية موسى عليه السلام من دعوته توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾(2) قال ابن عطية(3): " اذكروا إذ أخذنا" قال مكي(4): رحمه الله تعالى:" هذا هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر"وهذا ضعيف، وإنما هو ميثاق أخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على لسان موسى

---

(1) الآيات (٥٦- ٥٧)من سورة الذاريات.

(2) الآية: (٨٤) من سورة البقرة.

(3) هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد ابن عطية المحاربي الداخل،ولد سنة ٤٨٠هـ تلقى العلم على ثلة من العلماء من أبرزهم والده الحافظ غالب بن عبد الرحمن، للقاضي ابن عطية مصنفات كثيرة من أبرزها كتاب التفسير المحرر الوجيز، والفهرست، ولقد أثنى عليه جمع من أهل العلم منهم الإمام الذهبي - رحمهم الله تعالى- توفي٥٤٦هـ.انظر:سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي،١٩/٥٨٦- ٥٨٨.

(4) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرىء أبو محمد، أصله من القيروان، وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر في علوم القرآءات والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التآليف في علم القرآن، فمنها الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه،انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي،تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،ط١،(المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم،١٩٩٧م)ص١١٤.

عليه السلام وغيره من أنبيائهم عليهم السلام"[1] ومن هنا فقد كانت دعوة موسى عليه السلام لفرعون غايتها دعوته إلى الإيمان بالله سبحانه، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[2] قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى- : وقوله: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[3] يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهر من دنس الكفر وتؤمن بربك، كما حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[4] قال: إلى أن تسلم قال: والتزكيفي القرآن كله الإسلام وقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾[5][6] وقال الإمام الطبري أيضاً رحمه الله تعالى: "في الكلام محذوف استغني بفهم السامع بما ذكر منه وهو قوله: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[7] فادعه إلى توحيد الله وطاعته وإرسال بني إسرائيل معك"[8] وقال الإمام القرطبي- رحمه الله تعالى- : "قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ١/١٧٢، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

(٢) الآيات(١٥- ١٩) من سورة النازعات.

(٣) الآية(١٨) من سورة النازعات.

(٤) الآية(١٨) من سورة النازعات.

(٥) الآية(٧٦) من سورة طه.

(٦)جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ٣٠/٣٩.

(٧) الآية(١٧) من سورة النازعات.

(٨)المصدر السابق، ١٦/١٥٩.

﴿ هَلْ لَكَ إِلَىٰٓ أَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[1] لما آنسه بالعصا واليد وأراه ما يدل على أنه رسول أمره بالذهاب إلى فرعون وأن يدعوه"[2] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[4] يقول ابن عاشور - رحمه الله تعالى- في تفسيره لهذه الآية:"وهنا تعريض بأن يطلب فرعون الهدى الذي جاء به موسى عليه السلام[5] وقال تعالى مبيناً حوار موسى عليه السلام مع فرعون في معرض دعوته لتقرير العقيدة: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[6] قال الرازي:"اعلم أنه تعالى بين أنه أرى فرعون الآيات كلها ثم إنه لم يقبلها واختلفوا في المراد بالآيات، فقال بعضهم أراد كل الأدلة ما يتصل بالتوحيد وما يتصل بالنبوة، أما التوحيد فما ذكر في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآيات، وأما النبوة فهي الآيات التسع التي خص الله بها موسى - عليه السلام - وهي العصا واليد وفلق البحر

---

(١) الآية(١٨) من سورة النازعات.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، ١٩٢/١١.

(٣) الآية(٤٦) من سورة الزخرف.

(٤) الآية(٤٧) من سورة طه.

(٥) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ٢٣٠/٨، بدون ذكر رقم الطبعة، (تونس، دار سحنون، بدون تاريخ النشر).

(٦) الآية(٢٢- ٢٤) من سورة الشعراء.

والحجـر والجـراد والقمـل والضـفادع والـدم ونتـق الجبـل..."[1] وفي حـوار آخر يتضح فيه تقريـره عليه السلام للعقيـدة عنـد تأملنـا قـول الله تعـالى :﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) ﴾[2] قال القرطبي :وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون في إثبات الصانع جواباً لقولـه : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) ﴾ وبـين أنـه إنمـا يسـتدل علـى الصانع اليوم بأفعاله..."[3]

كانت هنـاك أهداف جليلة في دعوة موسى عليه السلام لفرعون، وذلـك كشـأن أية دعـوة عظيمـة، ويمكـن إجمـال هـذه الأهـداف علـى النحـو الآتي:

أ —**إنقـاذ فرعـون مـن الكفـر**:قـال تعـالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) ﴾[4] يقـول ابـن جريـر - رحمـه الله تعـالى - :(لعـل) ههنـا بمعنـى كـي[5] أي: (كـي يتـذكـر ويرجـع، أو يخشـى الله تعـالى فيرتـدع عـن طغيانـه وكفـره، ويقـول ابـن عاشـور في التحريـر والتنـوير: لعلـه يعـرف الحق أو يخشى حلول العقاب بـه فيُطيـع عـن خشية، أو لعلـه يعـرف أنـه على الباطل، أو يخشى أن يكون على الباطل فيحتـاط لنفسـه بالأخـذ

---

(١) الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،٦٢/٢٢، ط١(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

(٢) الآية :(٤٩- ٥٠) من سورة طه.

(٣)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٠/١١.

(٤) الآية(٤٤) من سورة طه.

(٥)جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ١٦٩/١٦.

بما دعاه إليه موسى[1] ، وحاصل هذا التذكر وهذه الخشية - إن وقعا - هو إنقاذ فرعون من الكفر.

ب- **تخليص الناس من ظلم فرعون وجبروته**:ويتحقق ذلك بإظهار ضعفه، وبطلان زعمه وادعائه للألوهية، وإنما كان يسيطر على الناس ويبطش بهم ويتجبر عليهم بدعوى أنه إلههم فإبطال هذه الدعوى يخلص الناس من ظلمه.

ج- **تخليص بني إسرائيل من استعباد فرعون** :قال تعالى:﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾[2]وقال سبحانه:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[3]إذن هدفت دعوة موسى عليه السلام ضمن ما هدفت إليه تخليص بني إسرائيل من استعباد فرعون، وقد نجح عليه السلام في ذلك، قال تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[4].

د- **إظهار بطلان وزيف ادعاء فرعون لألوهيته** :قال تعالى:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[5]فهذا الخطاب الموجه من موسى وهارون - عليهما السلام- فيه تأكيد منذ اللحظة الأولى على أن فرعون ما هو إلا عبد من خلق الله تبارك وتعالى، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى:"في هذه الآية إشعار لفرعون منذ اللحظة الأولى بأن هناك إلهاً هو ربه ورب العالمين، وليس إلهاً خاصاً بموسى وهارون وحدهما أو بني

---

(١)التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨/٢٢٦.

(٢) الآية :(١٧) من سورة الشعراء.

(٣) الآية :(٤٧) من سورة طه.

(٤) الآية :(٦٥) من سورة الشعراء.

(٥) الآية :(٤٧) من سورة طه.

إسرائيل دون غيرهم كما كان سائداً في خرافات الوثنية يوم ذاك أن لكل قومٍ إلهاً أو آلهة"[1].

هـ- الإعذار أمام الله سبحانه وتعالى :هدف موسى عليه السلام من دعوته إلى فرعون الطاغية الظالم المتكبر أن يعذر أمام الله جل وعلا، بإبلاغه دعوة الإيمان. قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله تعالى- فيما روى عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ قال:" لا إله إلا الله وقال عمرو بن عبيد[2] عن الحسن البصري[3]:فقولا له قولا لينا أعذرا إليه، قولا له: إن لك رباً ولك معاداً وإن بين يديك جنة وناراً..."[4].

و- تحييد فرعون عن مصادمة الدعوة:كان موسى عليه السلام يهدف ـ ضمن ما يهدف ـ إلى أن يتم تحييد فرعون عن مصادمة الدعوة إذا هو لم يؤمن، ولعلنا نلمح ذلك من قوله تعالى:﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[5]وقوله سبحانه:﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾[6] فهذا القول اللين إن لم يؤد بفرعون إلى التذكر والخشية أو الإيمان،

---

(١)في ظلال القرآن،سيد قطب،٢٣٣٧/١٦،ط١٠،(القاهرة،دار الشروق،١٤٠١هـ).

(٢)هو:عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري الزاهد القدري،كبير المعتزلة،جالس الحسن البصري،مات بطريق مكة،سنة ١٤٣هـانظر:سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي،١٠٤/٦.

(٣)هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، توفي - رحمه الله تعالى- في رجب سنة ١١٠هـ وعمره ٨٨ سنة. انظر:سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ٥٦٣/٤- ٥٦٤- ٥٨٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ١٦١/٣.

(٥) الآيتان : (٤٣- ٤٤) من سورة طه.

(٦) الآيتان : (١٦- ١٧) من سورة الشعراء .

فاطلبا منه أن يخليكم وشأنكم، وأن يرسل معكم بني إسرائيل ولا يمنعهم من الإيمان.

ز- إعلام فرعون بصفات الخالق سبحانه وتعالى:

وقد هدف موسى عليه السلام من دعوة فرعون أن يعلمه بصفات الله جل شأنه، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) ﴾[1] فرد عليه قائلاً: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) ﴾[2] فكأن موسى عليه السلام يريد أن يقول لفرعون إن من صفات الله القدرة، وأنه سبحانه وتعالى قد أودع كل مخلوق صغر أو كبر الهداية التي تجعله عالماً بذاته، وتهديه إلى وظيفته في الحياة وأن الله تعالى هو خالقه والقائم على أمره[3].

ح- نشر الأمن والطمأنينة في نفس فرعون بتذكيره بخالقه:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) ﴾[4] فهكذا يجتهد موسى عليه السلام في بث الطمأنينة في نفس فرعون بتذكيره بأن هذا الإله الذي يدعو له إنما هو خالقه وخالق من قبله، ولعل موسى عليه السلام كان يقدم الدليل لفرعون على صدق دعوته، ولعله كذلك كان يطمع في قبول فرعون الإيمان بعد طمأنته أن هذا الإله الذي يدعو إليه (أي موسى عليه السلام) إنما هو خالقك وخالق من قبلك.

ط- إقامة الحجة على فرعون: قال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا

---

(١) الآية: (٤٩) من سورة طه.

(٢) الآية: (٥٠) من سورة طه.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٤/٧٩٧، بدون ذكر رقم الطبعة، (بدون ذكر مكان النشر، دار الفكر العربي، بدون سنة النشر).

(٤) الآية: (٢٦) من سورة الشعراء

يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاء به من عند الله"[2] وهكذا بدا واضحاً من إرسال موسى وأخيه هارون - عليها السلام - لفرعون مع سابق علم الله تعالى بعدم إيمانه، إقامة الحجة؛ لئلا تكون له حجة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾[3] وكما هو الحال في فعل معظم الأنبياء والرسل مع أقوامهم، فكان هدف موسى عليه السلام في حواره مع فرعون أن يقيم عليه الحجة حتى يفحمه ويبطل دعواه ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[4].

(١) الآيات: (١٧- ٢٠) من سورة النازعات.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤/٤٩٩.

(٣) الآية: (١٣٤) من سورة طه.

(٤) الآية: (٣٠) من سورة الشعراء.

المطلب الثاني

مراحل دعوة موسى عليه السلام لفرعون

لقد مرت دعوة موسى عليه السلام لفرعون بمرحلتين أساسيتين، ويمكن الوقوف على هاتين المرحلتين، من خلال مرحلة تقرير الرسالة، ومرحلة تقرير العقيدة، وبيان ذلك في فرعين :

الفرع الأول: مرحلة تقرير الرسالة.

الفرع الثاني: مرحلة تقرير العقيدة.

الفرع الأول: مرحلة تقرير الرسالة: كان لموسى عليه السلام منهج خاص في إثبات رسالته وتقريرها، ولعلي أوجز هذه المراحل وأبينها في عدة أمور منها:

١- استعانة موسى عليه السلام بالدعاء قبل الذهاب إلى فرعون :

أدرك موسى عليه السلام بفطنته وذكائه وثاقب فكره وبعد نظره أن دعوة فرعون ليست بالأمر اليسير نظراً لما اتصف به هذا الطاغية من جبروت وتكبر وبطش وطغيان، وهذا أمر يتطلب من موسى عليه السلام قمة الشجاعة وذروة الصلابة ومنتهى الثبات .. وممن يستمد موسى كل ذلك؟! وكيف يتأتى له كل ما يلزمه من ثبات وصلابة ورباطة جأش؟! .. من الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] ويدرك موسى عليه السلام أن أخاه هارون أفصح منه لساناً وأن لتعاونه معه في أداء الرسالة الأثر الطيب فلا يتردد أن يقول: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ

(١) الآيات: (٢٥- ٢٧) من سورة طه.

أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] ويستجيب الله سبحانه لموسى، قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2] ولعلنا نستنتج من ذلك أن مقومات الداعية في أداء رسالته ما يلي:

أ – التضرع إلى الله واللجوء إليه سبحانه أن يشرح صدره وييسر أمره.

ب- أن يكون فصيح اللسان قوي الحجة والبرهان.

ج- اشتراك الداعية مع غيره من الدعاة في تبليغ الرسالة [3] .

٢- موسى وهارون عليهما السلام يبلغان رسالة ربهما:

بعد إعداد الله موسى واصطفائه لرسالته وإجابته إلى ما سأل .. بعث الله معه أخاه هارون، وأمرهما أن يذهبا إلى فرعون الطاغية مزودين بآيات الله؛ أمرهما الله بالذهاب إليه ودعوته إلى الإيمان، ونهاهما عن التقصير والفتور في ذكره سبحانه، فذكرهما لله عز وجل هو عدتهما وسلاحهما الذي يأويان به إلى ركن شديد.

أمرهما الله أن يذهبا إلى فرعون بالذات، وأوصاهما أن يلينا له القول؛ فالقول اللين لا يثير العزة والإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأن القول اللين كذلك أن يوقظ القلب؛ فلعله يتذكر ويفيق ويخشى عاقبة طغيانه، وكان الخوف كامناً في قلب موسى وهارون من فرعون الطاغية الجبار فيلقي الله تعالى

---

(١) الآية : (٣٤) من سورة القصص.

(٢) الآية : (٣٥) من سورة القصص.

(٣)منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٢٥٨.

السكينة والطمأنينة في قلبيهما، ويقول لهما إنني معكما بالمعونة والحفظ أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه[1] .

وحول هذا الموقف يحدثنا القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

٣- **قاعدة رسالة موسى** عليه السلام :كان على موسى أن ينطلق في دعوته من قاعدة صلبة راسخة وهي أنه رسول رب العالمين وهذا البدء الواضح منذ الوهلة الأولى لابد منه؛ ليعلم فرعون أن موسى رسول رب العالمين، فليس إلهاً خاصاً بموسى وأخيه أو بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3] ففي هذه الآية الكريمة نجد أن موسى عليه السلام يخاطب فرعون بقوله: «يا فرعون»ولم يقل: يا مولاي - مثلاً - لأنه يريد أن يعلمه منذ البداية أنه ليس مولاه، وليقرر له حقيقة أمره منذ اللحظة الأولى، وكذا ليقرر له أضخم حقائق الوجود وأصدقها وهي أن هناك رباً للعالمين وأنه (أي موسى) "رسول من رب العالمين" لقد انطلق موسى إذن في دعوته لفرعون

---

(١)دعوة الرسل، محمد أحمد العدوي،بدون ذكر رقم الطبعة،(بيروت،دار المعرفة،١٤١٨هـ) ص٢٤٠.

(٢)الآيات: (٤٢- ٤٧) من سورة طه.

(٣) الآية :(١٠٤) من سورة الأعراف.

من قاعدة قويةٍ وهي أنه رسول من رب العالمين، وحقيقةٍ هي ألوهية الله وربوبيته سبحانه[1].

٤- **موضوع رسالتهما**: بعد أن بلغ موسى وهارون - عليهما السلام - فرعون بأنهما رسولان من رب العالمين، أرادا أن يوضحا له موضوع دعوتهما ورسالتها وهي أنهما يدعوان لعبادة الله وحده وتبليغ رسالته، وأنهما بعثا لإنقاذ بني إسرائيل والعودة بهم إلى عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

٥- **استشهاد موسى عليه السلام على صدق رسالته:**

أثبت الرسل جميعاً رسالتهم بادلتهم ومعجزاتهم وبراهينهم الساطعة، ولقد حاول المعاندون رد رسالات الرسل فأنكروها ليسقط بإنكارهم كل ما يدعون إليه، لكن الله تعالى أيد رسله بالمعجزات، ودحض شبه المعارضين، فعندما ذهب موسى وأخوه هارون إلى فرعون قالا له: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[3] وحمل موسى وهارون - عليهما السلام - الآيات التي تدل على صدق رسالتهما إلى فرعون وملئه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ

---

(١) منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٢) الآية : (٤٧) من سورة طه.

(٣) الآية : (٤٧) من سورة طه.

مِن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]يقول الرازي :إن دليل موسى عليه السلام على صدق رسالته كان مبنياً على مقدمات وهي:

الأولى : أن لهذا العالم إلهاً قادراً عالماً حكيماً.

والثانية : أنه أرسله إليهم بدليل أنه أظهر المعجز على وفق دعواه، ومتى كان الأمر كذلك،وجب أن يكون رسولاً حقاً.

والثالثة : أنه متى كان الأمر كذلك كان كل ما يبلغه من الله إليهم، فهو حق وصدق، ثم إن فرعون ما نازعه في شيء من هذه المقدمات إلا في طلب المعجزة، وهذا يوهم أنه كان مساعداً على صحة سائر المقدمات..

فكان وجود المعجزة مع موسى دليلاً على صدق دعوته ودليلاً على وجود الإله وعلى صحة نبوته.." [2]ولم تكن معجزات موسى عليه السلام في العصا واليد فقط، فقد حمل عليه السلام معجزات أخرى .. وكانت آياته تسع آيات.. قال تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[3]وقد جاء ذكر هذه الآيات الأخرى- غير العصا واليد - في سورة الأعراف، وهي: الجراد والقمل والضفادع والدم. والجدب والطوفان ونقص الأموال والأنفس

---

(١) الآية : (١٠٤- ١٠٨) من سورة الأعراف.

(٢)تفسير الفخر الرازي، ١٣- ١٩١/١٤.

(٣) الآية : (١٢) من سورة النمل.

والثمرات، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[1].

٦- **ثبات موسى عليه السلام أمام الفتن والشبه والمزاعم**: بالطبع لم يُسَلِّم فرعون بصدق رسالة موسى عليه السلام وهذا أمر متوقع من طاغية جبار يدعي الربوبية يقول: «أنا ربكم الأعلى» وهنا راح فرعون وملؤه يشككون في دعوة موسى عليه السلام وصدق رسالته عن طريق إثارة الشبه والمزاعم والافتراءات فقالوا عنه إنه ساحر، فما كان منه عليه السلام إلا ثبت أمام هذه الفتن والمزاعم، قال تعالى عنهم: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾[2] وتشاوروا في أمر موسى عليه السلام وأمر دعوته الجديدة .. وهنا يظهر دور بطانة السوء وكيف تعمل على استثارة الحكام ضد الدعاة، وتسول لهم التخلص من دعوات المصلحين بتهمة الإفساد: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[3] وهكذا كانت دعوة موسى عليه السلام في نظر حاشية السوء إفساداً في الأرض ... وهذا يتسق مع اتهام فرعون لموسى بأنه يريد أن يخرجهم من أرضهم وبلادهم، وهكذا كل دعوة تريد أن تغير واقعاً فاسداً تتهم هي

---

(١) الآية: (١٣٣) من سورة الأعراف.

(٢) الآية: (١٠٩- ١١٢) من سورة الأعراف.

(٣) الآية: (١٢٧) من سورة الأعراف.

بالفساد[1] واستقر رأي قوم فرعون على أن يرجئ موسى عليه السلام إلى يوم محدد، وأن يرسل في أنحاء البلاد من يجمع له كبار السحرة من أجل مواجهة سحر موسى - حسب زعمهم - في يوم مشهود .. وتشارط السحرة مع فرعون على أن يثيبهم ويعطيهم عطاءً جزيلاً إن هم غلبوا موسى، ووعدهم فرعون وزاد على الأجر المادي أجراً أدبياً وهو أن يكونوا من المقربين[2] وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] وقال سبحان: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[4] وهكذا شكك فرعون في موسى، واتهمه بالإفساد في الأرض وأنه يريد أن يخرج المصريين من بلادهم وأرضهم .. واستشارته بطانة السوء، وتشاوروا في أمره .. فعزموا على التخلص منه ولكن بعد هزيمته هزيمة معنوية، كيف تسول للطغاة نفوسهم أن يقلبوا الحقائق ويزيفوا الوقائع..!؟ وكيف

(١) منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٢٦٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٢/٢٣٧ - ٢٣٨ (بتصرف).

(٣) الآية: (٣٦ - ٤٢) من سورة الشعراء.

(٤) الآية: (١٠٩ - ١١٤) من سورة الأعراف.

يتهمون موسى عليه السلام بهذه التهمة؟! وليس له مطلب سوى تبليغهم دعوة الإيمان وإنقاذ بني إسرائيل من الظلم والاستعباد .. ولكن هذا شأن الباطل دائماً عندما يعجز عن مواجهة الحجة بالحجة والدليل بالدليل يلجأ إلى القوة والقهر، ويحمل أصحابه على هذه الفرية وأمثالها[1].

٧- موسى عليه السلام يثبت رسالته ويواجه تشكك فرعون فيها:

رمى فرعون موسى عليه السلام بالسحر، واتهمه بأنه يريد إخراج المصرين من أرضهم، وتطورت المواجهة بينه عليه السلام وبين الطاغية وأخذت بعداً جديداً، إذ طلب فرعون بينة من موسى فجاءه بمعجزتي العصا واليد، لكنه لم يذعن هو وحاشيته، وتحدوا موسى عليه السلام وبعثوا في طلب السحرة من آفاق مصر كلها ليبطلوا سحر موسى ـ كما زعموا ـ [2] وما كان من موسى عليه السلام إلا أن قدم أدلته وبراهينه على صدق دعوته ولكن لما عاند فرعون وتمادى في طغيانه وتحدى موسى عليه السلام ليظهر بطلان رسالته ـ كما تخيل ـ في مشهد مهيب .. لما كان ذلك فقد قبل موسى عليه السلام المواجهة والتحدي.. واختار لهم يوماً مشهوداً من أيامهم... هو يوم الزينة[3] فهكذا قبل موسى عليه السلام التحدي واختار يوماً مشهوداً من أيامهم ليكون ذلك أظهر لدعوته وأكثر إقراراً لرسالته بين الناس، وكان على ثقة عظيمة بفضل الله سبحانه؛ بل لقد حدد لهم وقت المواجهة من هذا اليوم، وهو وقت الضحى حين يكون النهار

---

(١)دعوة الرسل، محمد أحمد العدوى، ص١٨٢ بتصرف.

(٢)منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ٢٧٠.

(٣) وهو يوم عيد لهم، وقال مقاتل: هو يوم النيروز.وقال:سعيد ابن جبير رضي الله تعالى عنه وهو سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر،أبو محمد الوالبي، قرأ القرآن على ابن عباس،قتله الحجاج سنة٩٥هـ انظر سير أعلام النبلاء، ٢١٣/٤. : هو يوم سوق لهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو يوم عاشوراء. تفسير الفخر الرازي، ٢١- ٧٣/٢٢.

في كامل ضوئه والشمس لم تشتد بعد؛ حتى يرى هذه المساجلة بين الحق والباطل أكبر حشد من الناس ويرون انتصار الحق على الباطل الزهوق، يقول الله تعالى عن ذلك: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾[1] قال لهم موسى عليه السلام في تحدٍ ظاهر: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾[2] ويقول الفخر الرازي - رحمه الله تعالى - : ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ أي مكاناً مكشوفاً وذلك مبالغة في التحدي منه عليه السلام لغرورهم وباطلهم الزهوق[3].

٨- **استغلال موسى عليه السلام ليوم الزينة دعوياً:**

الداعي هدفه في المقام الأول تبليغ دعوته لأكبر عدد من الناس واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض، وقد فطن موسى عليه السلام لأهمية المواجهة والتحدي الذي سيراه جمع غفير من الناس يوم الزينة، وانصرف فرعون وجمع ما يكيد به من السحرة وأتى بهم في الموعد، وفي اليوم الموعود تدفقت الجماهير إلى ساحة المواجهة، وهنا يقوم موسى عليه السلام بدوره كرسول ليحقق عدة أمور مهمة:

أ – تبليغ دعوته واضحة جلية لأكبر حشد من الناس.

ب- إظهار زيف وبطلان ادعاء فرعون للألوهية.

ج- إظهار حقيقة دعوته وأنه يدعو لعبادة الله الواحد الأحد ولا يريد الاستكبار في الأرض أو إخراج المصريين من بلادهم.

---

(١) الآية : (٥٨) من سورة طه.

(٢) الآية : (٥٩) من سورة.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢١- ٨٣/٢٢ بتصرف.

د- توجيه النصح والتوجيه للسحرة ليعلموا أنه ليس ساحراً بل نبياً يبلغهم دعوة ربهم.

هـ- جعل زمام المبادرة في يده حتى تجري المناظرة بصورة واضحة ومنصفة ولا يقدِّم للجماهير على أنه ساحر يتحدى سحرة آخرين.

و- توضيح عاقبة الافتراء على الله وتحذيرهم من ذلك.

ز- لفت انتباه الناس لخطابه كنبي الذي يختلف عن كلام السحرة، يقول القرآن الكريم عن ذلك: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾[1] وبعد تلك النصيحة التي وجهها موسى عليه السلام إلى السحرة تشاجروا فيما بينهم فمن قائل يقول ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبي، وقائل يقول بل هو ساحر، وقيل غير ذلك[2] حكى القرآن الكريم عن ذلك قائلاً : ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

٩- موسى عليه السلام يقابل غرورهم بالتريث ثقة في نصر الله وصدق نبوته:

عندما جاء السحرة وأجمعوا كيدهم، أخذهم الغرور والكبر وحاولوا إظهار الإنصاف والموضوعية مع موسى أمام الجماهير الحاشدة

---

(١) الآية : (٦١) من سورة طه.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ١٥٧/٣ بتصرف.

(٣) الآية : (٦٢- ٦٤) من سورة طه.

وخيروه أن يلقي هو أو يبدؤوا هم، ولم يكن هذا التخيير منهم إلا إفادة الرغبة لديهم في أولية الإلقاء؛ وذلك "لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإظهارهم للثقة بأمرهم بإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر، وفي ذلك إرهاب لموسى عليه السلام في زعمهم"[1] وقال لهم موسى عليه السلام ابدؤوا أنتم واثقاً في نصر الله له، فألقى كل واحد منهم عصا وحبلاً حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضاً[2] يقول القرآن الكريم عن ذلك: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾[3].

١٠- عدم الخوف في إحقاق الحق والدعوة إليه:

على الداعية إلى الله تعالى عدم الخوف في قول الحق، ومن ذلك ما طمأن به جل وعلا نبيه موسى عليه السلام بقوله: ﴿ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[4] وبما إن موسى عليه السلام بشر طبع على ما طبع عليه سائر البشر من ضعف في القلب، وانطلاقاً من ذلك شعر بخوف عندما ألقى السحرة عصيهم وحبالهم، ولعله خاف على دعوته فقد تكون خشيته التي داخلته ظناً أن ينخدع الناس بأمر السحرة لما أتوا به من سحر عظيم، فربما يساوون بين ذلك السحر وبين ما سيفعله موسى رداً عليهم وربما كانت هواجسه لأنهم سبقوا بهذا السحر فخشي أن يرسخ في أعماق بعض الناس قدرتهم، أو ينصرف بعض الناس دون أن

---

(١)روح المعاني، الألوسي، ١٩٧٨، ط٤، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢)تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ١٥٨/٣ بتصرف.

(٣) الآية : (٦٥- ٦٦) من سورة طه.

(٤) الآية : (٦٨) من سورة طه.

يرى ما سيفعله موسى؛ وبذا لا يبلغ دعوته للجميع، وربما خشي إلا ينزل عليه الوحي أو استبطأ نزوله، وعلى أية حال فإن الإيجاس الذي داخل موسى عليه السلام كان مبعثه الحرص على الدعوة والخوف عليها، وهنا تتنزل عليه رحمة الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1] لأن معك العقيدة، ومعك الحق، ومن كان على الحق فهو ينطق بالحق؛ وهكذا طمأنه الله بأنه سيقهر فرعون وملأه، وستكون له العاقبة[2] يقول القرآن عن ذلك: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[3].

١١- **إثبات رسالة موسى عليه السلام عملياً** في ذلك الموقف العظيم، أمر الله موسى أن يلقي عصاه، فتحولت حية حقيقية وأخذت تأكل حبالهم وعصيهم التي استرهبوا بها أعين الناس ثم أخذها عليه السلام فإذا هي عصا؛ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته، وقال ابن إسحق: جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت، ووقع السحرة سجداً لأنهم علموا أن ذلك من السماء وأنه ليس بسحر[4] ويبين لنا القرآن الكريم ذلك قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا

(١) الآية: (٦٨) من سورة طه.

(٢) دعوة الرسل، محمد أحمد العدوي، ص٢٤٦ بتصرف.

(٣) الآية: (٦٧- ٦٨) من سورة طه.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٢/٢٣٧.

صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ (٧١) قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ (٧٢) إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ (٧٣) ﴾ [(١)] هكذا آمن السحرة ولم يبالوا بما سيفعله بهم فرعون، ولم يلتفتوا إلى تهديده ووعيده؛ لقد سيطر عليهم الحق، وكانت النتائج لهذه المواجهة بين الحق والباطل باهرة عظيمة وكانت النهاية حاسمة لصالح الحق وظهور شأن موسى عليه السلام وظهور رسالته:

وكانت النتائج الباهرة لهذه المواجهة العملية كما يلي:

١-ظهور الحق وإيمان السحرة.

٢-ثبات السحرة على الإيمان رغم تهديد فرعون لهم.

٣-قهر هيمنة فرعون على قومه.

الفرع الثاني: مرحلة تقرير العقيدة:

اجتهد موسى عليه السلام في إثبات عقيدته وتقريرها في نفس فرعون، وحتى يتمكن من ذلك؛ استخدم معه وسائل وأساليب مناسبة لتلك المرحلة المهمة ومنها : **الحوار الهادئ** :دخل موسى مع فرعون منذ اللقاء الأول في حوار هادئ، وقدم فيه الأدلة القاطعة على عقيدة التوحيد،

(١) الآية : (٦٩- ٧٣) من سورة طه.

وأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون ومدبر أمره.

عدم المجابهة في اللقاء الأول بدأ موسى عليه السلام بالتمهيد بأسلوب سلس، ولم تشتد عنده عليه السلام حب الرئاسة والغلبة على خصمه ويبدأ معه بالتوبيخ والاستعلاء، بل كان معه هادئاً ولم يجابهه، قال الجاحظ في هذا الشأن: "..وعند المواجَهةِ والمقابلَة يشتدُّ حبُّ الغلَبة وشهوةُ المباهاةِ والرياسة، مع الاستحياء من الرجوع والأنفة من الخضوع، وعن جميع ذلك تحدُث الضغائن ويظهرُ التباين، وإذا كانت القلوبُ على هذه الصِّفة وعلى هذه الهيئة امتنعتْ من التعرُّف وعميت عن مواضع الدلالة وليست في الكتب عِلَّةٌ تمنَع من دَرْك البُغْية وإصابة الحجَّة لأنَّ المتوحِّد بِدَرْسها والمنفرد بفهم معانيها لا يباهي نفسَه ولا يغالب عقلَه وقد عَدِم مَنْ له يُباهي ومَنْ أجله يغالب"[1] وما كان من فرعون إلا أن دخل في مواجهة فكرية في صورة حوارية مع موسى وأخيه هارون - عليهما السلام- وهما يحشدان الأدلة على الوحدانية، ومنها:

أ – أدلة الخلق: وفي ذلك يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾[2] وفي هذا دليل على أن موسى عليه السلام كان يدعو إلى الإيمان بالله عن طريق العقل وذلك بالنظر في الكون وما يحتويه من مخلوقات؛ فقد خلق الله هذه المخلوقات في نظام بديع ونسق دقيق، فكل مخلوق يختلف عن الآخر ويتميز عنه

---

(١)أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١/٨٤، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، دار الجيل، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

(٢) الآية: (٥٠) من سورة طه.

بأشياء وأسرار أودعها الله فيه، ثم ألهم الله تعالى كل مخلوق إلى الطريقة التي بوسعه أن يعيش بموجبها [1] .

ب- أدلة الهداية: وفي ذلك يقول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ [2] فالهداية هي تمام الخلق حيث أودع الخالق العظيم في كل مخلوق وما يهتدّى به إلى حفظ ذاته وبقاء نوعه، وهذا دليل على أن كل مخلوق صغر أو كبر هو عالم بذاته في تقدير الله سبحانه وتعالى وتصوير له وقيامه على أمره [3] قال سعيد بن جبير - رضي الله تعالى عنه - :" أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولا للدابة من خلق الإنسان [4]".

ج- الأدلة التاريخية: حاول فرعون صرف موسى عن إثباته للتوحيد وتقريره لعقيدته أمام ملئه، فسحبه إلى منطقة «القرون الأولى»؛ ليشغله عن حقيقة دعوته، أو ليفتح مجالاً للعناد والتكذيب والتخطئة. قال تعالى حاكياً لنا عن ذلك: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ﴾ [5] وهنا قال له موسى إن السؤال عن الغيب لا يعلمه إلا الله، وليس من وظيفة الرسالة، وعلم ذلك في اللوح المحفوظ، ولم يشأ موسى أن يجرى مع

---

(١) منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٢) الآية : (٥٠) من سورة طه.

(٣) التفسير القرآني، مرجع سابق، ص٧٩٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ١٥٥/٣.

(٥) الآية : (٥١- ٥٢) من سورة طه.

فرعون في هذا الكلام، وقطع عليه الطريق بإجابة محددة هي أن علم ذلك عند الله في كتاب مسطور، وهذا الكتاب الذي تسجل فيه أحداث الوجود هو بعض علم الله، كما أن هذا الوجود بعض قدرته؛ وهكذا قطع موسى الطريق على أسئلة فرعون التي تهدف إلى إبعاد موسى عن لب دعوته وتصرفه عن مضمون عقيدته [(١)].

د- **الأدلة الكونية:** عرض موسى عليه السلام على فرعون آثار قدرة الله تعالى وتدبيره في كونه، وآلائه ونعمه، واستغل الأدلة الكونية الملموسة الموجودة في أرض مصر ومنها:

التربة الخصبة والماء: وهذه الأدلة المتوفرة يراه فرعون وغيره أمام أعينهم، ويحتاجونه في كل لحظة من حياتهم، وراح يقدم ذلك كدليل واضح ملموس على توحيد الصانع جل وعلا، وإثبات عقيدته وتقريرها التي تدعو إلى عبادة هذا الخالق القادر العظيم، وفوَّت موسى عليه السلام بذلك على فرعون غرضه في صرف الكلام بعيداً عن لب الموضوع وهو إقرار عقيدة التوحيد ودحض مزاعم فرعون وشبهه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [(٢)] وقد استخدم موسى عليه السلام الحوار مع فرعون في شأن تقرير العقيدة - وسيعرض الباحث ذلك عند عرضه - بعون الله تعالى - لوسائل دعوة موسى لفرعون ويشير الباحث هنا فقط إلى أن موسى الكليم عليه السلام استخدم أسلوب الحوار وقدم الأدلة المختلفة من النظر والتأمل والتفكر في الأنفس والآفاق وفي الكون بصفة عامة

---

(١) انظر: منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٢٠٢ بتصرف.

(٢) الآية: (٥٣) من سورة طه.

بغية تقرير دعوته وإثبات الوحدانية لله رب العالمين، ولكن كشأن كل طاغية، وكطبيعة كل معاند جاحد في كل زمان ومكان لم يستجب فرعون لدعوة موسى عليه السلام مع وضوح البراهين على صدق عقيدته كوضوح الشمس في رابعة النهار، واستمر فرعون في عناده وعتوه وجبروته[1].

(١) منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٣١١.

المبحث الثاني

الأسس المنهجية التي قامت عليها دعوة موسى عليه السلام لفرعون

اعتمد موسى عليه السلام على عدة أسس في منهجيته الدعوية مع فرعون منها:

أ – **الأساس العاطفي**:لقد اجتهد موسى عليه السلام في إثارة عاطفة فرعون للإيمان والهداية بأسلوب التخويف من العذاب، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]كما استخدم المنهج نفسه بأسلوب الموعظة الحسنة في شكلي الترغيب والترهيب، قال تعالى:﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

ب- **الأساس الفطري**:وهنا يعتمد موسى عليه السلام على الفطرة الإنسانية التي تدرك أن للكون إلهاً هو رب العالمين فذهب موسى وأخوه هارون عليهما السلام وقالا لفرعون:﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] ويحاول فرعون التملص من هذا الأمر الفطري، وأراد أن يعجزهما فسألهما: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]وتوالت ردود موسى على فرعون تقرع أذنيه وتصفع غروره وكبرياءه، قال تعالى مصوراً ذلك

(١) الآية : (٤٧_٤٨) من سورة طه.

(٢) الآية : (١٥- ١٦) من سورة الشعراء.

(٣) الآية : (١٦) من سورة الشعراء.

(٤) الآية : (٢٣) من سورة الشعراء.

المشـــــهد: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (1) ويحاول فرعون السخرية بموسى وصرف الناس عن حجته التي تتسق والفطرة الإنسانية ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (2) ولكن موسى عليه السلام يطرق المشاعر طرقاً حثيثاً، ويثير كوامن الفطرة الصادقة المتأصلة في النفوس ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (3) وأسقط في يد فرعون فقلب الحوار إلى مواجهة لضعف حجته: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (4) ولكن موسى عليه السلام يستمر في قرع نفوسهم مثيراً لفطرهم التي طمست بفعل أكاذيب فرعون قال: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (5).

ج- **الأساس العقلي**: تعتمد دعوى موسى عليه السلام اعتماداً كبيراً على الأساس العقلي، فقد استخدم عليه السلام بذكاء شديد العقل ومنطقه في عرض رسالته وتوضيحها أمام الناس، ودحض شبه فرعون وافتراءاته وادعائه الكاذب للألوهية، فهو قد عرض عليه في البداية دعوته في رفق، حيث ذهب إليه هو أخوه وأخبروه بأنهما رسولا ربه إليه، وفي ذلك إشارة إليه ليدرك زيف ادعائه الربوبية فقد استخدما كاف الخطاب، وفي ذلك توضيح بأن له رباً هو خالقه، وهو ينفي أن

(1) الآية: (٢٤) من سورة الشعراء.
(2) الآية: (٢٥) من سورة الشعراء.
(3) الآية: (٢٦) من سورة الشعراء.
(4) الآية: (٢٧) من سورة الشعراء.
(5) الآية: (٢٨) من سورة الشعراء.

يكون له رب ويقول لهما: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] ولم يقل: من ربي؟ وهنا يعرض موسى بإيجاز شديد وعقلانية محمودة دعوته بأسلوب رفقاً ليناً، ولكن فرعون يحاول صرف موسى عليه السلام عن هدفه وتحويل الكلام عن مقاصده فيسأله عن القرون الأولى، لكن موسى عليه السلام يفطن لذلك، ويوجه أسلوب الحوار العقلي الهادئ وجهته السلمية التي تخدم الدعوة، ويقص علينا القرآن الكريم ذلك، قال تعالى:

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾[2] حيث تحدث موسى عليه السلام عن عظمة الله تبارك وتعالى ولفت نظر فرعون إلى آيات الله تعالى في الكون، ونعمه جل وعلا التي لا تعد ولا تحصى، مستعملاً أسلوب الموعظة الحسنة في شكل التذكير بالنعم، كما أثبت وحدانية رب العالمين جل وعلا لفرعون باستخدامه المنهج العقلي؛ ليترك له المجال ينظر ويتأمل ويتفكر في خلق الله تعالى لهذا الكون وما يحمل في جنباته من خلق كثير وعظيم.

---

(١) الآية: (٤٩) من سورة طه.

(٢) الآية: (٤٧- ٥٢) من سورة طه.

د- **الأساس الحسي:** فقد اعتنى موسى عليه السلام بلفت أنظار المدعوين - خاصة فرعون - إلى ما يحيط بهم من دلائل حسية تدل على قدرة الخالق سبحانه وتدعم الدعوة إلى الإيمان به جل وعلا، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] فهذه الآيات الحسية والمعجزات الخارقة كمعجزة العصا ومعجزة اليد هي استخدام للأدلة الحسية على قدرة الله سبحانه، كما كان موسى عليه السلام يستخدم التنبيه لحواسهم لإدراك خلق السموات والأرض والمشارق والمغارب، وهي دلائل شاخصة أمام أبصارهم وتدركها حواسهم، وهذا أعظم دليل على قدرة الخالق سبحانه.

ويمكن القول: بأنه لما تجاهل فرعون معرفة الله تعالى؛ عند سؤاله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] كان لزاماً على موسى عليه السلام أن يبين له ويطلعه على معرفة الله تبارك وتعالى بآثاره في خلقه، وأوضح وأبين آثار خلق الله تعالى هذه الأشياء المحسوسة وهي خلق السموات والأرض وما بينهما من شمس وقمر ونجوم وأفلاك[3] قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4] وقال سبحانه كذلك حاكياً عن موسى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[5].

هـ- **الممازجة بين الأساس العقلي والحسي والعاطفي والفطري:**

---

(١) الآية: (١٠٣) من سورة الأعراف.

(٢) الآية: (٢٣) من سورة الشعراء.

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي، ١٢٨/٢٤ بتصرف.

(٤) الآية: (٢٤) من سورة الشعراء.

(٥) الآية: (٢٨) من سورة الشعراء.

وقد يمازج موسى عليه السلام أحياناً في عرض دعوته على فرعون وملئه بين الأساس العقلي والحسي والعاطفي، وذلك بانتقاله من الشيء إلا لازمه، ودلالة الالتزام "..هي أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ، ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوماً.."[1] وعلى هذا الأسلوب اجتهد عليه السلام في تقديم أوضح الأدلة والبراهين على صدق دعوته بأسلوب الموعظة الحسنة في شكل التذكير بالنعم؛ لعله يظفر بإيمانه، قال تعالى مبيناً الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وبين فرعون: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾[2] وصف موسى عليه السلام ربه تبارك وتعالى بأوصاف لا يمكن لفرعون أن يتصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق وشبه ذلك؛لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعي ذلك لنفسه..."[3] وعلى هذا فالآيات التي هي دلائل النبوة وبراهينها هي آيات من الله وعلامات منه أنه أرسل الرسول، وكما أن الآيات التي هي كلامه تتضمن إخباره لعباده وأمره، ففيها الإعلام والإلزام، فكذلك دلائل النبوة هي آيات منه تتضمن إخباره لعباده بأن هذا رسوله وأمره لهم بطاعته ففيها الإعلام والإلزام أيضاً.."[4].

---

(١) علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: د. سيد الجميلي، ٣٦/١، ط١(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ).

(٢) الآية: (٥٣) من سورة طه.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ١٤/٣، ط٤(دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، النبوات، (القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ).

المبحث الثالث

وسائل وأساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون وخصائص ذلك

الوسائل والأساليب بينهما قواسم مشتركه فتتفق في كونهما وُضِعا من أجل الاستعانة بهما بعد الله تعالى لتحقيق أهداف الدعوة[1] ولتطبيق مناهجها[2] وأن الوسائل لا تنفرد بنفسها في خدمة أهداف الدعوة وتحقيقها، وإنما تعمل وتفيد من خلال الأساليب التي تستخدم معها[3] وهي ناقلة للأسلوب، ويمكن الوقوف على وسائل دعوة موسى عليه السلام لفرعون وأساليبه من خلال مطلبين:

المطلب الأول

وسائل دعوة موسى عليه السلام لفرعون

لقد تنوعت وسائل موسى عليه السلام في تبليغ دعوته، وذلك لحرصه البالغ على أن يبذل أقصى جهوده في سبيل نشر هذه الدعوة وتقريرها بين الناس، ومن هذه الوسائل:

أ – الاستعانة بالبشر في تبليغ الرسالة.ب- استخدام الآيات والمعجزات.

أولاً : الاستعانة بالبشر في تبليغ الرسالة:أدرك موسى عليه السلام أنه أمام عدو عنيد وطاغية متجبر، وشعر بأن أخاه هارون أفصح منه لساناً وأقوى منه حجة، وهو يعلم أن البيان والفصاحة لهما أثرهما في استجابة المدعوين، كما أن التعاون في سبيل أداء الرسالة ونشر

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، علي عبد الحليم محمود، ٢١٥/١.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، للبيانوني، ٤٦- ٤٧.

(٣) انظر: الوسائل المشروعة والممنوعة في الدعوة إلى الله، محمد حاتم، ص٢٢ (رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام، الرياض).

الدعوة فيه مزية عظيمة، قال الشيخ عبدالرحمن السعدي- رحمه الله تعالى - : امتثل موسى عليه السلام أمر ربه وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب التي هي من تمام الدعوة، فدعا ربه أن يشرح صدره وييسر له أمره وأن يحلل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله.."[1] ونظر فإذا أخوه هارون أفصح منه لساناً وأقوى بياناً فأراد أن يساعده في نشر الرسالة وتبليغ الدعوة، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ فَجَآءَتْهُ
إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
(٢٥) قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ (٢٦)
قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ
أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ
عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ
جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ
ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي٥/١٥٣.

تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2] قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - اجعله معي معيناً وردءاً ووزيراً يساعدني ويعينني على أداء رسالتك إليهم؛ فإنه أفصح مني لساناً وأبلغ بياناً"[3].

ثانياً - استخدام الآيات والمعجزات: استخدام الأنبياء للمعجزات أمر شائع في الرسالات كافة، وكان لكل نبي معجزة من جنس ما نبغ فيه قومه وما اشتهر به زمانه، وكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة فبعثه الله تبارك وتعالى بمعجزات بهرت الأبصار وحيرت كل سحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار

---

(١) الآية: (٢٥- ٣٥) من سورة القصص.

(٢) الآية: (٣٤- ٣٥) من سورة القصص.

(٣) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، ٥٩/٢. ومن المعلوم أن وسائل الدعوة: "ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية" المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد أبو الفتح البيانوني، ط٣ (بيروت، الرسالة، ١٤١٥ هـ) ص٤٩.

انقاد السحرة للإسلام وأمنوا برب موسى وهارون وصاروا من عباد لله الأبرار[1] ومن معجزات موسى عليه السلام الآيات التسع، قال تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) ﴾[2] ومن هذه المعجزات:

١- العصا:قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) ﴾[3] فهذه هي المعجزة الأولى التي وقعت لموسى عليه السلام وهي معجزة جليلة أبطلت سحر السحرة الذين حشدهم فرعون يوم الزينة. قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) ﴾[4] لابد أن تكون معجزة كل نبي مشابهة لأرقى فنون عصره وزمانه، والتي يكثر العلماء بها من أهل عصره، فإنّه أسرع للتصديق، وأقوم للحجة، فكان من الحكمة والصواب أن يخص موسى بالعصا، واليد البيضاء، لمّا شاع السحر في زمانه وكثر الساحرون، ولذلك كانت السحرة أسرع الناس إلى تصديق ذلك البرهان والإذعان به حين رأوا العصا تنقلب ثعباناً وتلقف

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، ٢٠/٢٦و٢٤/٦١ وما بعدها بتصرف،(بيروت، دار إحياء التراث العربي).

(٢) الآية : (١٢) من سورة النمل.

(٣) الآية : (١٧- ٢١) من سورة طه.

(٤) الآية : (٦٩) من سورة طه.

ما يأفكون ثم ترجع إلى حالتها الأولى، فرأى السَحَرَة ذلك، وعلموا أنّه خارج عن حدود السحر، وآمنوا بأنّه معجزة إلهية وأعلنوا إيمانهم في مجلس فرعون، ولم يعبأوا بسخط فرعون ولا بوعيده[1]، ولما رأى السحرة هذه المعجز الجليلة لم يسعهم إلا أن يؤمنوا بالله رب العالمين وتركوا معسكر فرعون معسكر الكفر والطغيان ولم يخافوا من بطشه رغم أنه توعدهم بأقسى أنواع العذاب، فهذه المعجزة المباركة أيقظت فطرهم السليمة وربطت أعماقهم بالخالق القادر سبحانه وتعالى. فاستعلوا على هذه الدنيا وما فيها وفضلوا عليها ما عند الله تبارك وتعالى، قال القرآن الكريم في ذلك: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

٢- اليد: من معجزات موسى عليه السلام التي استخدمها كوسيلة للدعوة معجزة اليد. قال تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً

(١) مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، بدون ذكر رقم الطبعة، (بدون معلومات النشر) ص١١٤

(٢) الآية: (٧٠- ٧٣) من سورة طه.

(٣) الآية: (١٠٨) من سورة الأعراف.

أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1]وهكذا كان تحويل اليد هذا الجسم الكثيف إلى جسم شفاف نوراني سالم من كل عيب ونقص كان آية عظيمة ومعجزة كبيرة أرسل بها موسى عليه السلام إلى فرعون، واستخدمها كوسيلة لدعوته هو وغيره من الناس، قال القرطبي في ذلك :"كل عاقل يعلم أن حفظ الله موسى عليه السلام مع تفرده ووحدته ـ من فرعون ـ مع كثرة أتباعه ـ وإمداد موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء كان أبلغ من أن يكون له أسورة، أو ملائكة يكونون معه أعواناً (في قول مقاتل) أو دليلاً على صدقه (في قول الكلبي)[2]".

٣- الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم:قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [3]وهذه المعجزات كانت بغرض إيقاظ فرعون وملئه وجذب انتباههم إلى صدق دعوة موسى عليه السلام وأن للكون إلهاً قادراً سبحانه فأرسل عليهم الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركد فهم لا يقدرون على أن يحرثوا ولا أن يعملوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك:﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [4] قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله

---

(١) الآية : (٢٢) من سورة طه.

(٢)الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله القرطبي،١٠١/١٦،بدون ذكر رقم الطبعة،(بيروت، دار الفكر،بدون سنة النشر).

(٣) الآية : (١٣٣) من سورة الأعراف.

(٤) الآية : (١٣٤) من سورة الأعراف.

تعالى:"فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر - فيما بلغني - حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القُمَّل، وأُمِرَ موسى عليه السلام أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه، فمشى إليه كثيب أهيل عظيم فضربه بعصاه؛ فانثال عليهم قَملاً حتى غلب البيوت والأطعمة ومنعهم من النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا.."[1]ولم يقف موسى عليه السلام عند هذا الحد بل:".. دعا ربه أن يكشف عنهم فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا مثل ما قالوا، فسأل موسى ربه فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناءْ إلا عاد دماً عبيطاً"[2]هذا وقد كان لموسى عليه السلام معجزات أخرى مثل نتق الجبل وفلق البحر وغيرها، وكل هذه المعجزات استخدمت كوسائل للدعوة وبيان قدرة الله الواحد الأحد، فعن طريق الإعجاز يقدم الدليل المشاهد على قدرة الله الخالق وصدق الرسول فيما يقوله عن ربه.

---

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ٩/٣٧.

(٢)جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري ٩/٣٧ .

المطلب الثاني

أساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون

استخدم موسى عليه السلام بتوجيه من ربه سبحانه وتعالى مجموعة من الأساليب المتنوعة لتبليغ الدعوة إلى فرعون وملئه، وكان من بين هذه الأساليب ما يأتي:

١- **أسلوب الرفق واللين**:استخدم موسى عليه السلام أسلوب الرفق واللين مع فرعون ودعاه إلى الإيمان دعوة لينة مترفقة وقد وجهه الله لذلك، قال تعالى:﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]وكان أسلوب الرفق واللين عند موسى عليه السلام في دعوته لفرعون في صور متنوعة منها:

أ.ابتداء الكلام بالاستفهام والمشورة، قال تعالى:﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

ب.عرض ما فيه الفوز العظيم لفرعون،قال تعالى:﴿ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

٢- **أسلوب الإقناع**:اجتهد موسى عليه السلام في استخدام أسلوب الإقناع مع فرعون؛ ليؤمن له ويصدق دعوته، قال تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا

(١) الآية :(٤٤) من سورة طه.

(٢) الآية :(١٨) من سورة النازعات.

(٣) الآية :(١٩) من سورة النازعات.

ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

٣- **أسلوب الحوار:** استخدم موسى عليه السلام أسلوب المحاورة عندما عرض مع أخيه هارون الدعوة على فرعون بعد أن أمرهما الله بالذهاب إليه، وحافظ موسى عليه السلام خلال محاورة فرعون على أن يؤكد صدق دعوته ويقرر رسالته، ورغم محاولات فرعون المتكررة لتحويل المحاورة عن مقصدها إلا أن موسى عليه السلام كان متيقظاً لخبث طوية فرعون، فعمد دائماً على ربط الحوار بأهدافه وغاياته وهي دعوة فرعون للإيمان بالله[2] ويسوق موسى عليه السلام في محاورته الأدلة الكثيرة على صدق دعوته ويسد على فرعون كل طريق يسلكه لتحويل الحوار لصالحه، قال الله تعالى عن ذلك: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾[3].

وفي اللقاء الثاني كان الحوار أشد مواجهة ورغم محاولة فرعون في التهكم السخرية من دعوة التوحيد التي يحملها موسى إلا أن موسى عليه السلام صفعه بالحقائق الإيمانية واضحة جلية دون مواربة، وأصر بحجته الدامغة على أن يظهر تهافت فرعون وضعف حججه وتهاوى ادعاءاته ولم ينجرَّ إلى الأمور الجانبية التي حاول فرعون سحبه إليها

(١) الآية: (١٠٤- ١٠٥) من سورة الأعراف.

(٢) منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٣) الآية: (٤٩- ٥٣) من سورة طه.

ليغطي على ضعفه عن مواجهة الحقيقة الكبرى التي جاء بها موسى وهي أنه وكل الخلق عبيد لرب العالمين[1] ويصور لنا القرآن الكريم ذلك أروع تصوير في سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

٤- أسلوبا الحكمة والموعظة الحسنة: استخدم موسى عليه السلام أسلوبي الحكمة والموعظة الحسنة في دعوة فرعون، تمثل هذان الأسلوبان في أمور كثيرة منها:

أ - عدم مباشرته بالإنذار في خطابه لفرعون: لم يشأ موسى عليه السلام أن يوجه الإنذار المباشر لفرعون باستخدام كاف الخطاب قال تعالى:

---

(١) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٦/ ٢٣٣٨، بتصرف غير يسير.

(٢) الآية: (١٦- ٣٢) من سورة الشعراء.

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

ب- **التذكير بالنعم**:قال موسى عليه السلام مذكراً لفرعون بنعم الله عليه وعلى الناس لعله يؤمن:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

٥- **أسلوب الترغيب والتحذير** : لقد استخدم موسى عليه السلام أسلوب الترغيب والتحذير في دعوته لفرعون[3]قال تعالى:﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[4].

٦- **المناظرة العملية**:ومن الأساليب التي استخدمها موسى عليه السلام في دعوته لفرعون أسلوب المناظر العملية، وهو التحدي الذي قبله موسى بل جعل موعده يوم عيد لدى المصريين وهو يوم الزينة، وأكثر من ذلك اشترط أن يحشر الناس في وقت الضحى عندما يكتمل ضوء النهار في غير حرارة من شمس الظهير، وعندما يكون الناس في أقصى نشاطهم فلا يتخلف أحد عن رؤية هذه المناظرة. وأراد موسى عليه السلام من ذلك أن يحشد أكبر حشد من الجماهير لرؤية هذه المناظرة ليبلغهم دعوته التي يدعو إليها. فقد كان عليه السلام على ثقة من نصر الله

(١) الآية : (٤٨) من سورة طه.

(٢) الآية : (٥٣) من سورة طه.

(٣)منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، مرجع سابق، ص٣٠٥.

(٤) الآية : (٤٧- ٤٨) من سورة طه.

وأنه سبحانه سيبطل باطل فرعون ويدحض مزاعمه وافتراءاته وسيظهر الحق الذي معه، ويحكي القرآن الكريم عن ذلك:﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1] وهكذا ظهر الحق ونصر الله موسى انتصاراً عظيماً، فهاهم السحرة الذين حشدهم فرعون لتأييده يؤمنون بالله رب العالمين لما علموا أنه الإله الحق، ولم يلتفتوا إلى تهديد فرعون؛ لأنهم علموا أنهم منقلبون وعائدون إلى ربهم[2].

---

(١) الآية: (١١٥- ١٢٦) من سورة الأعراف.

(٢)منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى، ص٢٨٩، بتصرف.

المطلب الثالث

خصائص أساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون

لقد اتصفت أساليب دعوة موسى عليه السلام لفرعون بخصائص عديدة يجدر بنا أن نثبتها هنا ليتعلم منها الدعاة، ومنها:

أ – **الدقة**: لقد كانت أساليب موسى عليه السلام في دعوته دقيقة جداً؛ فمنذ اللحظة الأولى نراه يحدد مهمته بكل دقة وهي أنه رسول رب العالمين لدعوة الناس إلى الإيمان، واختار الأساليب الدقيقة والكلمات المحددة التي تعبر عن هذه المهمة أفضل تعبير قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

ب- **الوضوح**: كانت أساليب موسى عليه السلام واضحةً ومحددةً في دعوته لفرعون، بصفته نبياً ورسولاً يريد أن تكون دعوته واضحة مفهومة لكل مدعو حتى يصل غايته منها ولذا حرص عليه السلام على أن تكون أساليب دعوته واضحة، قال تعالى داعياً ربه أن يعينه ويساعده في أداء مهمته: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾[2] واستجاب الله له ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾[3] وهكذا انطلق موسى عليه السلام مؤيداً من قبل الخالق سبحانه منشرح الصدر ميسر الأمر واضح الحجة مفهوم العبارة،

---

(١) الآية: (١٠٤- ١٠٥) من سورة الأعراف.

(٢) الآية: (٢٥- ٢٨) من سورة طه.

(٣) الآية: (٣٦) من سورة طه.

انطلق وأخوه هارون بدعوته إلى فرعون وملئه مطيعين لأوامر الله قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

ج- **مراعاة مكانة المدعو:** اتصفت أساليب سيدنا موسى عليه السلام في مخاطبته ودعوته لفرعون مراعاة مكانة المدعو، وقد حرص عليه السلام بما حباه الله به من فطنة وذكاء المرسلين على ذلك حتى يؤثر في قلب وعقل فرعون، ولم يشأ موسى عليه السلام أن يخاطبه بالتبجيل والتعظيم؛ حتى لا يزداد غروره وصلفه وتعنته، كما لم يشأ أن يخاطبه بما لا يليق به كملك حتى يثير عداوته وسخطه فينفر من الدعوة ويصد عنه منذ البداية، وقد خاطبه عليه السلام باللقب المحبب إليه فكان يخاطبه بـ: "**يا فرعون**" قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

---

(١) الآية: (٤٧- ٥٣) من سورة طه.

(٢) الآية: (١٠٤) من سورة الأعراف.

المبحث الرابع

تأملات في دعوة موسى عليه السلام لفرعون

ويشتمل على :

المطلب الأول : معوقات فرعون لدعوة موسى عليه السلام .

المطلب الثاني : نتائج دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المطلب الثالث: ماذا نستفيد في عصرنا الحاضر من دعوة موسى عليه السلام لفرعون.

المطلب الأول

معوقات فرعون لدعوة موسى عليه السلام

لم يكن متوقعاً من فرعون الطاغية أن يسلِّم بصدق دعوة موسى عليه السلام وكان طبيعياً أن يضع هذا الظالم المتكبر العديد والعديد من المعوقات والعقبات في سبيل دعوة الحق التي جاءه بها موسى وتمثلت هذه المعوقات في عدة أشياء منها:

أ – تشكيك فرعون في صدق رسالة موسى عليه السلام ودعوته:

لم يتقبل فرعون دعوة موسى عليه السلام بل رفضها أشد الرفض، وراح يشكك فيها بكل طريق، سأله عن ربه كخطوة أولى في الحرب التي أعلنها ضده، فلما أجابه موسى إجابة قاطعة حاول التملص وإبعاد الحقيقة التي يقررها موسى عليه السلام وصرف أنظار من حوله عنها، فسأله عن القرون السابقة، وهنا كان موسى عليه السلام ذكياً ففوَّت عليه الفرصة وواجهه بحقيقة الأمر وهي أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الأرض وسخرها لهم وأنزل لهم الماء من السماء، وأخرج لهم الزرع، قال تعالى في ذلك: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ

هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

ب- **اتهام موسى بالسحر**:لما فشل فرعون في المجادلة العقلية ودحض موسى عليه السلام حجته لم يجد أمامه سوى جر موسى إلى طريق أخرى غير طريق العقل، فاتهمه بالسحر وأنه إنما يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره، قال تعالى عنه:﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[2].

ج- **تأليب ملئه عليه**:أراد فرعون أن يؤلب ملأه على موسى عليه السلام زاعماً أنه جاء لإخراجهم من أرضهم وأخذ رأيهم في شأنه وكأنه يثيرهم ضده ويغريهم به، قال تعالى:﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3].

د- **السخرية بموسى واتهامه بالجنون**:لم يستطع فرعون مواجهة حجج موسى عليه السلام بالمنطق والبرهان والدليل، ولم يجد أمامه سوى أسلوب السخرية وصرف الأنظار عن موسى عليه السلام وصرف العقول عن تدبر كلامه، ولما كان موسى عليه السلام واثقاً من دعوته أخذ ينطلق في حزم وإصرار على تبليغها، وهنا لم يجد فرعون مفراً من قلب الحوار وتفجيره بإلقاء تهمة قوية تصرف الناس عن موسى عليه السلام وكلامه، فقال عنه إنه لمجنون واستخدم المؤكدات اللغوية التي تدعم افتراءه

(١) الآية : (٤٩- ٥٣) من سورة طه.

(٢) الآية : (٥٧) من سورة طه.

(٣) الآية : (٣٤- ٣٥) من سورة الشعراء.

على موسى عليه السلام لعله بذلك يصرف الناس عنه وعن دعوته، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

هـ- **تعاون فرعون وملئه ضد دعوة موسى:** من معوقات دعوة موسى عليه السلام تعاون فرعون وملئه ضد هذه الدعوة، فقد أخذ فرعون مشورتهم في أمر موسى عليه السلام قال تعالى عن ذلك: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[2] ويرد الملأ على فرعون راسماً له خطة لإبطال هذه الدعوة عن طريق جمع السحرة من مدائن مصر، قال تعالى عن ذلك: ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[3] ولم تفشل المؤامرة ويؤمن السحرة بالحق الذي جاء به موسى عليه السلام حتى عملت حاشية السوء عملها، فأثارت الطاغية الظالم على موسى الكليم عليه السلام ويبدو أن ديدن استثارة الحكام ضد الدعاة هو عادة البطانة السيئة دائماً في كل عصر وفي كل مصر، قال الملأ محرضاً فرعون على موسى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[4].

---

(١) الآية: (٢٣- ٢٧) من سورة الشعراء.

(٢) الآية: (٣٥- ٣٤) من سورة الشعراء.

(٣) الآية: (٣٧- ٣٦) من سورة الشعراء.

(٤) الآية: (١٢٧) من سورة الأعراف.

المطلب الثاني

نتائج دعوة موسى عليه السلام لفرعون

كفر فرعون بدعوة موسى ورفضها وحاربها رغم كل المعجزات والدلائل التي قدمها له موسى عليه السلام والتي تشهد على صدق دعوته وصدق رسالته، ورغم أنه هزم عدة مرات أمام موسى عليه السلام فقد هزم في المحاولات الفكرية، وهزم في يوم التحدي والمواجهة«يوم الزينة»بل آمن السحرة الذين استعان بهم لما عرفوا صدق موسى عليه السلام رغم ذلك كله إلا أن فرعون استكبر واستعلى وسار في النفق المظلم إلى نهايته، ومات كافراً عليه اللعنة من الله وملائكته ورسله والمؤمنين أجمعين إليه يوم الدين، وهذه عاقبة المتكبرين قال تعالى:﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةًۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

وعلى الجانب الآخر فقد كانت هناك جوانب إيجابية خلص منها موسى عليه السلام من دعوته لفرعون، من أبرزها ما يلي:

١-إنقاذ بني إسرائيل من ظلم فرعون.

٢-قهر هيمنة فرعون على قومه.

---

(١) الآية: (٣٩- ٤٢) من سورة القصص.

٣-إيمان بعض المصريين بدعوة موسى عليه السلام مثل السحرة ومؤمن آل فرعون، وآسيا زوجة فرعون.

٤-تخليص الناس من ظلم فرعون وملئه الكافر وجنوده الظلمة بعد أن غرقوا في اليم.

٥-توضيح حقائق الإيمان، وأن الله عز وجل هو خالق هذا الكون والمتصرف فيه وحده سبحانه، وقد أدرك الناس هذه الحقيقة فها هو الطاغية الظالم فرعون الذي كان يدعي الربوبية والألوهية لم يقدر على حماية نفسه من غضب الجبار سبحانه عليه بسبب كفره وعصيانه.

٦-تقديم المثل والقدوة لكل الدعاة إلى الله تبارك وتعالى ولكل من سار في طريق الإصلاح، فمهما علا الباطل ومهما ارتفع شأن الكفر إلا أن مصيره إلى زوال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

(١) الآية: (٢١) من سورة يوسف.

المطلب الثالث

الدروس المستفادة من دعوة موسى عليه السلام لفرعون في عصرنا الحاضر

عندما نبحث في منهج ووسائل وأساليب موسى عليه السلام التي اتبعها في دعوته لفرعون فالهدف من ذلك هو الوقوف على دروس مستفادة يستخدمها الدعاة في العصر الحاضر، ولعل أهم هذه الدروس تتمثل في:

١- لابد أن يتحلى الداعية بالصفات الشخصية الآتية:

أ – الاتزان والثبات.

ب- الصراحة والوضوح.

ج- الشجاعة في مواجهة الباطل.

د- العزيمة القوية.

هـ- العاطفة الرقيقة.

و- الذكاء وسرعة البديهة.

ز- الصبر والتحمل والتضحية.

٢- لابد أن تتوافر في الداعية المهارات الآتية:

أ – الفصاحة والبيان.

ب- قوة الحجة.

ج- القدرة على الحوار الهادف.

د- الاهتمام بأهداف محددة.

هـ- العرض الواضح لدعوته.

و- عدم التشتت في فروع كثيرة لا تخدم أهدافه الرئيسة.

ز- تطابق السلوكيات مع المبادئ التي يدعو لها.

٣- الاستعانة بدعاة أكفاء ذوي مهارات خاصة.

٤- تسليح الدعاة الدائم بالثقة في الله وفي نصره سبحانه الذي أعده للمؤمنين.

٥.تذكير الحكام بخطورة بطانة السوء، وخطورة الغرور بمناصبهم والاستعلاء على الله وعدم تنفيذ شرعه، أو الحكم بغير ما أنزل فمصير ذلك الخسران والهلاك والعذاب في الآخرة.

الخاتمـة

وبعد فقد كانت رحلتنا القصيرة هذه مع منهج موسى عليه السلام في دعوته لفرعون، وغني عن الذكر أن أبين مدى الفائدة الكبيرة التي توفر عليها الباحث عند مطالعته لقصة موسى الكليم عليه السلام في بطون التفاسير المختلفة قديماً وحديثاً، ومن نافلة القول كذلك أن أوضح أنني قد رأيت أساليب ووسائل دعوية كثيرة ووقفت على منهجية دعوية ثرة عظيمة النفع والفائدة لكل الدعاة في كل زمان ومكان، ولعلي أوفق في ذكر أهم نتائج هذا البحث المتواضع وأهم توصياته في السطور التالية:

أهم نتائج البحث:

١- أهمية إعداد الداعية قبل تكليفه بمهام الدعوة.

٢- تكليف الداعية بصورة واضحة ومحددة لما هو مطلوب منه.

٣- إزالة كل أسباب القلق أو الخوف أو التردد من نفس الداعية.

٤- توفير الإمكانات اللازمة للداعية من إمكانات بشرية مساعدة، أو عناصر مادية داعمة.

٥- ربط الداعية دائماً بالعلي الأعلى القادر الخالق سبحانه ليلجأ إليه في كل وقت خاصة عن طريق الدعاء.

٦- ضرورة تفهم الداعية للبيئة الدعوية التي يعمل فيها وإلمامه الدقيق بعناصر المجتمع الذي يدعو فيه.

٧- ضرورة تفهم الداعية للمدعوين ومعرفة مكونات شخصياتهم.

٨- التوكل على الله طريق النصر والتوفيق.

٩- الله يكلأ الدعاة بعنايته ورحمته.

١٠- مصير الكفار المعاندين الخسران، والهزيمة في الدنيا واللعنة والعذاب في الآخرة.

١١- استخدام وسائل وأساليب متنوعة يفيد في أمر الدعوة.

أهم توصيات البحث:

١. التوسع في دراسة مناهج ووسائل وأساليب الرسل (خاصة أولى العزم منهم) في دعواتهم المختلفة.

٢. ربط تاريخ الدعوات السابقة عند الأنبياء والرسل بالعصر الحاضر بمعنى الاستفادة من دعوات الرسل والأنبياء السابقين واستلهام مناهجهم المختلفة في الدعوة المعاصرة.

٣. أهمية عناية الدعاة والمصلحين والمعلمين أهل الإعلام بسير الأنبياء والرسل والاستفادة منها في تكوين الشخصية الإسلامية للإنسان المعاصر.

٤. أهمية الإعداد الفكري والثقافي والعقدي للداعية بصورة متكاملة تؤهله للقيام بدوره.

٥. إنشاء نظام خاص تتولاه الجامعات والوزارات المعنية بالشؤون الإسلامية لاختيار وانتقاء الدعاة الذين تتوافر فيهم صفات شخصية ومهارات معينة يلزم توافرها في الدعاة.

٦. أن يتنبه الدعاة إلى أنهم يقومون برسالة عظيمة وليسوا مجرد موظفين، فليقتربوا أكثر من الله تعالى وليعرفوا قداسة مهمتهم وأهمية رسالتهم في المجتمع.

٧. أهمية توفير فرص النجاح أمام الداعية بتوفير كافة الإمكانات المادية والبشرية التي يحتاجها في أداء رسالته.

٨. تبني المؤسسات والهيئات الدعوية المختلفة عقد مؤتمر دوري لمناقشة احتياجات الدعاة المتجددة، وكيفية إعدادهم ومتابعتهم.

٩. دراسة المجتمعات المعاصرة لتحديد أنسب الوسائل والأساليب الدعوية التي تتلاءم وطبيعتها.

١٠. ضرورة التزام الدعاة بأخلاقيات طيبة قولاً وعملاً، بمعنى أن يكون سلوك الدعاة عنواناً صادقاً لمنهجهم الدعوي ودعوة مضيئة إليه قبل أن يكون كلمة باللسان.

وختاماً أقول :

إن للفطرة الإنسانية معالم ثابتة لا يجوز محوها ولا يسوغ الجهل بها خاصة لدى من يجدون في أنفسهم الرغبة في خدمة قضية الإيمان، وما أشبه الليلة بالبارحة..!! وما أكثر الطغاة الذين يعبدهم البشر الآن..!! وليس من الضروري أن يكونوا طغاة مثل فرعون، وربما كانوا أكثر جبروتاً وسطوة في حياة الناس المعاصرة، فمن أعتى الآلهة التي يعبدها الإنسان اليوم فوق مساحات واسعة من كوكبنا .. إله الجنس .. وإله الهوى .. وغلبة الدنيا والدرهم .. فهل يعي الدعاة هذه الحقائق الجديدة؟! وهل يدركونها جيداً؟! أَمِنَ المتأمل أن يهبوا - أو يهب بعضهم - للبحث عن وسائل وأساليب دعوية جديدة تناسب جماهير المدعوين اليوم، وتحقق فيهم الإيمان الصادق الذي يقف بحزم وصلابة أمام آلهة المادية الجدد .. وأصنامهم المنصوبة في قلوب بني آدم؟!! هذا ما نأمله ونصبوا إليه.

والله من وراء القصد .. وهو الهادي إلى سواء السبيل .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- السنة المطهرة

٣- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق : د. سيد الجميلي، ط١(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ).

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، بدون ذكر الطبعة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي مدينة النشر، بدون تاريخ النشر).

٥- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، تحقيق د.عبدالله التركي، ط١، (مصر الجيزة، دار هجر، ١٤١٧هـ).

٦- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق : شعيب الارناؤوط - محمد زهير الشاويش، ط٢(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).

٧- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، دار الكتب العربي، بدون سنة النشر).

٨- التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، بدون ذكر رقم الطبعة، (تونس، دار سحنون، بدون تاريخ النشر).

٩- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط٤(دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

١٠- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لمحمد الرازي، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ).

١١- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، بدون ذكر رقم الطبعة، (بدون ذكر مكان النشر، دار الفكر العربي، بدون سنة النشر).

١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، بدون ذكر رقم الطبعة، (الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ).

١٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ).
١٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، دار الفكر، بدون سنة النشر).
١٥- دعوة الرسل، محمد أحمد العدوي، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٨هـ).
١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون ذكر تاريخ النشر).
١٧- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط١ (الرياض، دار السلام، ١٤١٧هـ).
١٨- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٧م)
١٩- فقه الدعوة إلى الله، د.علي عبد الحليم محمود، ط٢(مصر، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١١هـ).
٢٠- قصص الأنبياء، الحافظ ابن كثير، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، القاهرة، دار الحديث.
٢١- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، دار الجيل، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م)
٢٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، بدون ذكر رقم الطبعة(بيروت، الرسالة، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م).
٢٣- لسان العرب، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ط١، (بيروت، لبنان، دار صادر، ١٤١٠هـ).
٢٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق:عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

٢٥- المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد أبو الفتح البيانوني، ط٣ (بيروت، الرسالة ،١٤١٥ هـ).

٢٦- مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني،بدون ذكر رقم الطبعة،(بدون معلومات النشر) .

٢٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق محمد و مصطفى عبد القادر عطا،ط١، (بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٢هـ).

٢٨- منهج ووسائل وأساليب سيدنا موسى في الدعوة إلى الله وأثرها في مجال الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، عرفه سالم حسن سيف الدين،رسالة ماجستير"لم تطبع بعد حسب علم الباحث" كلية الدعوة، القاهرة، ١٤٠٨هـ .

٢٩- موسى الكليم والهدف من ذكر قصصه في القرآن، د. أبو ضيف مجاهد حسن، رسالة دكتوراه، أصول الدين، القاهرة.

٣٠- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،(القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ).

٣١- النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٠هـ .

٣٢- الوسائل المشروعة والممنوعة في الدعوة إلى الله، محمد حاتم،(رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام، الرياض).

البحث رقم (٢)

موقف أئمة الدعوة في نجد من الكتب المخالفة

إعداد

د. عبدالله بن إبراهيم الطويل

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(2)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3)(4)، أما بعد:

فإن هناك جوانب متعددة في حياة أئمة الدعوة في نجد لا تزال مجالاً رحباً لمن أراد البحث والتحقيق للسير على نهجهم، والاستفادة من جهودهم. فمع كثرة الدراسات والمؤلفات التي تتناول شأن هذه

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٠٢

(٢) سورة النساء الآية:١

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان:٧٠- ٧١

(٤) تسمى هذه الخطبة بخطبة الحاجة. وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يعلمها أصحابه- رضي الله عنهم- وقد رواها أبوداود في سننه، كتاب النكاح، باب في خطبة الحاجة(٢/٢٣٨)رقم٢١١٨، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. والترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (٤١٣/٣) رقم١١٠٥، دار إحياء التراث العربي،بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون. وقد صحح الحديث العلاّمة الألباني- رحمه الله- انظر: رسالة بعنوان (خطبة الحاجة)، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٠هـ، ص١٣.

الدعوة المباركة من جوانب تاريخية أو عقدية أو فقهية؛ إلا أن هناك جملة من المباحث القيمة بحاجة إلى رصد وتحرير لإظهار كافة الجوانب الإيجابية في هذه الدعوة العلمية من ذلك جهودهم تجاه المصنفات المخالفة التي لا تزال مبثوثة في طيات مصنفاتهم ولـمّا تجمع وتحرر بعد، ولا ريب في أن عناية أئمة الدعوة بسلامة مصادرهم، والحرص على بناء دعوتهم على مسلك سليم هو من أعظم أسباب نجاحهم وتوفيقهم. وفي المقابل فإن إخفاق عدد من جهود الإصلاح المعاصرة من أسبابه قلة العلم الشرعي واستقاء المنهج من مصنفات مخالفة أو منحرفة .

لذا آثرت الكتابة عن هذا الموضوع لأهميته والحاجة الماسة إليه، وليس المراد من إيراد هذه التحذيرات هو الحصر؛ وإنما بيان حجم الجهد المبذول من أئمة الدعوة في التحذير من المؤلفات المخالفة ولو على سبيل الإشارة وقد عنونته بـ:(**موقف أئمة الدعوة في نجد**[1] **من الكتب المخالفة**).

أهمية الموضوع:

تتضح أهمية البحث في الأمور الآتية:

١- أهمية سلامة المصدر الشرعي، وأثره في صحة الدعوة وانتشارها .

---

(١) اسم يطلق على المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية، وتُقسم نجد إلى عدة أقاليم منها: إقليم العارض، إقليم الشعيب، إقليم المحمل، إقليم سدير، إقليم الوشم، إقليم القصيم، إقليم الخرج، إقليم الفُرَع، إقليم الأفلاج ، انظر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٨٦هـ، ص٩ ،الحياة العلمية منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ، ص١٦

٢- بيان تميز الدعوة الإصلاحية على غيرها من الدعوات .

٣- كثرة ردود أئمة الدعوة على الكتب المخالفة، وتنوع هذه الردود ما بين رسائل وكتب وقصائد، واشتمالها على كثير من المخالفين من المبتدعة وغيرهم .

٤- إغفال الحديث عن هذا الجانب في شتى الدراسات التي تناولت الحديث عن أئمة الدعوة الإصلاحية، مع أن المؤلفات في كتب أئمة الدعوة والاهتمام بها كثير، لكن في هذا الجانب لا توجد مؤلفات تجمع شتات هذه المسائل .

٥- إبراز ما أثاره الخصوم حول موقف أئمة الدعوة من بعض كتب التراث .

حدود البحث

تتناول الدراسة رصد جملة من المصنفات التي حذر منها أئمة الدعوة من عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية عام ١٤٢١هـ، ومن هنا يُعلم بأن البحث منحصر في الموقف من الكتب المخالفة فحسب ولا يتناول القصائد والأقوال الشفهية والرسائل الشخصية ونحوها.

والمقصود بالموقف هو بيان جهود أئمة الدعوة في نجد من الكتب التي شابها شيء من الزلل والخطأ العقدي أو الفقهي أو غير ذلك، وذلك عبر سُبل متعددة من كتب وفتاوى وقصائد وغيرها مما تم تناوله بالتفصيل في ثنايا هذا البحث .

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات والأبحاث حول هذه الدعوة المباركة، سواء أكانت عقدية تهدف إلى بيان أسس هذه الدعوة، وأهدافها الإصلاحية

المرتكزة على العقيدة الصحيحة، ونفي ما يضادها، أم كانت تاريخية تعرض تاريخ الدعوة والمراحل التي مرت بها، أم كانت عرضاً لأراء أئمة الدعوة الفقهية، أم كانت دعوية تبين المنهج الدعوي الذي سار عليه هؤلاء الأئمة في الدعوة إلى الله أم غير ذلك، وتنوعت هذه الدراسات مابين تناول للأئمة بشكل عام أو دراسة لأحد أعلام الدعوة بشكل مستقل، ومع هذا كله فلم أطلع على رسالة تتناول موضوع هذا البحث .

تقسيمات البحث:

المقدمة

المبحث الأول: مشروعية التحذير من المخالف .

المبحث الثاني: أقوال أئمة الدعوة في نجد في التحذير من الكتب المخالفة بعامة .

المبحث الثالث: أقوال أئمة الدعوة في نجد في التحذير من الكتب المخالفة بخاصة.

المبحث الرابع: مؤلفات أئمة الدعوة في نجد في التحذير من بعض الكتب المخالفة.

المبحث الخامس: فتاوى أئمة الدعوة في نجد في التحذير من بعض الكتب المخالفة.

المبحث السادس: قصائد أئمة الدعوة في نجد في التحذير من بعض الكتب المخالفة.

المبحث السابع: مقاصد أئمة الدعوة في نجد في التحذير من الكتب المخالفة وخصائصها.

أسأل الله الإعانة والتوفيق، وما توفيقي إلا بالله .

المبحث الأول

مشروعية التحذير من المخالف.

أصل هذا المبحث النّصوص الواردة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : «والأمر بالسنّة والنّهي عن البدعة هو أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة»[2].

بل إن من استقرأ نصوص الوحيين رأى مواقف الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- مع أممهم هو التحذير من كل مخالف، وهكذا ورثتهم من بعدهم على مرّ العصور وهي أدلة تطبيقية على المشروعية[3].

وقد بينها الله تعالى في مواطن في كتابه من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

فبيان الخلاف هو بإظهار الحق من الباطل وهو من أهم مقاصد إرسال الرسل – عليهم السلام - .

قال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - : «وباستقراء الوجوه والنظائر في آيات القرآن الكريم في هذا المجال نجد ورودها على

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٤).

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (٢٥٣/٥).

(٣) انظر: الرد على المخالف من أصول الإسلام، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار الهجرة، الخبر، ط ١، ١٤١١هـ، ص٢١.

(٤) سورة الزخرف آية(٦٣)

وجوه ثلاثة: الوجه الأول:آيات في الردّ على صنوف المخالفين....»[1].

وقال:«وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في تثبيت القائمين بهذا الواجب، وأمرهم بالصبر، والاستقامة، لقاء ما ينالهم من صنائع الأذى من صفوف المخالفين»[2].

من ذلك قوله تعالى﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[3].

وفي السنة النبوية يأتي قوله صلى الله عليه وسلم:(**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**)[4] جامعاً في تضاعيفه كل ما يدخل في باب الخطأ الواجب تصحيحه.

بالإضافة إلى نصوص كثيرة، ووقائع متعددة سواء في تبيين الأمر للمخالفين، أو مدح القائمين بهذا الواجب.

إذاً التحذير من مخالف الحق أمر واجب مع من يُظن أنه أخطأ، وعلماء السلف- رحمهم الله- دأبوا على التحذير من المخالف والردّ عليه، وهي سنة ماضية لديهم، وجادة مطروقة عندهم، مع تأدب في الخطاب، وإحسان في الرد والجواب ولم يكن قصدهم إظهار عيب من رد عليه وتنقصه، وتبيين جهله، وقصور علمه ونحو ذلك، بل كان

---

(١) الرد على المخالف ص٢٤

(٢) المصدر السابق ص٢٥

(٣) سورة آل عمران آية(١٨٦)

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/٥٠) رقم ١٨٦

المقصد الوصول للحق وقد امتلأت كتب أئمة المسلمين من السلف والخلف بتحذيرات وردود هذا شأنها [1].

يقول الذهبي - رحمه الله- : «وما زال العلماء قديماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث والتواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم وتتبرهن له المشكلات»[2].

بل إن الحافظ ابن رجب - رحمه الله- عَدَّ التحذير من المقالات الضعيفة والردَّ عليها وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية :من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[3] .

ولعلماء السلف مواقف معروفة من جملة من المصنفات المخالفة ما بين تحذير منها ، وردٌ مفصلٍ عليها[4] ،منها : الردّ على الجهمية[5] والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل،والردّ على الجهمية لابن مندة ، والإمامة والردّ على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني، والردّ على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والصواعق المرسلة في الردّ على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ، وغير ذلك كثير.

---

(١) انظر :منهج التيسير المعاصر دراسة تحليلية ، عبدالله بن إبراهيم الطويل، دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص٣٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ (١٢/٥٠٠)

(٣) انظر: الفرق بين النصيحة والتعيير، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي أبوالفرج، المكتبة القيمة، القاهرة، ط ٢، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف، ص١١.

(٤) انظر على سبيل المثال: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط ٢، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (٢/٣٦٢) (١١/٤٧٦) (١٣/٣٨٥) .

(٥) فرقة تنتسب إلى جهم بن صفوان الذي يقول بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وأنه لا عمل ولا فعل لأحد غير الله، وأن نسبة الأعمال إلى المخلوقين على المجاز . انظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي أبومنصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢ ،١٩٧٧م، ص١٩٩.

وسار أئمة الدعوة في نجد في مصنفاتهم الشهيرة، ورسائلهم المتعددة على نهج سلف الأمة في التحذير من المخالفين للمنهج الصحيح سواء أكانوا من المبتدعة أم من المخالفين من أهل السنة ومن نماذج ذلك ما يأتي:

- الردّ على الجهمية ،كما في كتاب"إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة والجهمية" للشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ[1] وعبدالله ابن عبداللطيف آل الشيخ[2]، وسليمان بن سحمان[3].
- الردّ على المعتزلة [4]كما في كتاب"كشف ما ألقاه إبليس"للشيخ عبدالرحمن بن حسن[5].

(١) إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ولد في الرياض عام ١٢٨٠هـ، ودرس ودرّس بها توفي سنة ١٣٢٩هـ، انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط١ ،١٤١٩هـ، (١/٣٤٠).

(٢) عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ولد في الإحساء عام١٢٦٥هـ ، ونشأ فيها عند جده لأمه، ثم انتقل للرياض وطلب العلم بها ثم رحل إلى الأفلاج توفي في الرياض سنة ١٣٣٩هـ، انظر: علماء نجد(١/٢١٥).

(٣) سليمان بن سحمان بن مصلح المسيري النجدي، ولد في أبها سنة ١٢٦٦هـ،ثم انتقل إلى الرياض وتعلّم بها،اشتهر بكثرة ردوده لحماية جناب التوحيد، والرد على المخالفين،من مؤلفاته:الضياء الشارق على شبهات المارق،إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، توفي سنة١٣٤٩هـ، انظر:علماء نجد(٢/٣٩٩).

(٤) فرقة ترى أن عقيدتها تقوم على خمسة أصول: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإثبات الوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويُسمّون أصحاب العدل والتوحيد، وقد افترقت إلى عشرين فرقة، كل فرقة تُكفّر سائر الفرق الأخرى. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ،تحقيق هلموت ريتر، (٢/٣٣٧).

(٥) عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ،درس عند كبار علماء الدرعية، ثم درس بها التوحيد والفقه،ولي قضاء الدرعية، له مؤلفات نفيسة منها:فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ،قرة عيون الموحدين، توفي في الرياض سنة١٢٨٥هـ، انظر:علماء نجد(١/١٨٠)

- الردّ على الأشاعرة[1] كما في كتاب "تنبيه النبيه والغبي في الردّ على المدارسي والحلبي" للشيخ أحمد بن عيسى[2].

- الردّ على الإباضية[3] كما في كتاب "كشف الشبهتين" للشيخ سليمان بن سحمان .

- الردّ على الملاحدة كما في كتاب "البراهين الإسلامية في الردّ على الشبهة الفارسية" للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن[4] .

- الرد على عباد القبور كما في كتاب "النبذة الشريفة النفيسة في الردّ على القبوريين" للشيخ حمد بن معمر[5] وغير ذلك كثير[6] .

---

(١) فرقة كلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إصدار دار الندوة العالمية للشباب،الرياض، ط ١٤١٨، ٤هـ(١/ ٢٠٢)

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عيسى ولد في شقراء سنة ١٢٥٣هـ ،ودرس على مشايخ الرياض،ولي القضاء، وجلس للإفتاء،من مؤلفاته:شرح نونية ابن القيم،تنبيه النبيه والغبي في الردّ على المدارسي، توفي بالمجمعة سنة ١٣٢٩هـ انظر:علماء نجد(١/ ٤٣٦)

(٣) إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة .انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة(٢/ ٢٥).

(٤) عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ولد في الدرعية سنة١٢٢٥ه،وتلقى فيها الكثير من العلوم، ودرس عند مشايخ الأزهر بمصر، له العديد من المؤلفات منه:البراهين الإسلامية،عيون المسائل والرسائل، توفي سنة ١٢٩٣هـ، انظر:علماء نجد(١/ ٢٠٢) .

(٥) حمد بن ناصر بن معمر، من كبار علماء الدرعية، طلب العلم بها، ولي القضاء، وناظر أهل مكة في بعض الشبه،توفي بمكة سنة ١٢٢٥هـ، انظر:علماء نجد(١/ ١٢١) .

(٦) انظر: جهود علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين من بداية القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الرابع عشر، عبدالهادي الخليف، ط ١، ص٨، والكتاب فيه سبر فريد لجلّ ردود أئمة الدعوة .

المبحث الثاني

أقوال أئمة الدعوة في نجد في التحذير من الكتب المخالفة بعامة

إن المطلع في مصنفات أئمة الدعوة في جميع مراحلها؛ ليلحظ الوفرة في أقوالهم رحمهم الله في التحذير من الكتب المخالفة بشتى أنواعها، وتعدد تخصصاتها .وسأعرض بعضاً من أقوالهم هنا من دون تحديد لكتاب معين .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن- رحمه الله- : «فعليك بكتب أهل السنّة، واحذر كتب المبتدعة فإنهم سودوها بالشبهات والجهالات التي تلقوها من أسلافهم وشيعهم» [1].

ويقول الشيخ عبدالله ابن الإمام محمد[2]- رحمه الله- :«ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلاً إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك... أو يحصل بسببه خلل في العقائد»[3].

وللشيخ محمد بن إبراهيم[4]- رحمه الله- جهد بارز فيما يصدر من المكتبات، أو فيما يوضع فيها من كتب . ففي خطاب

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم،مطابع شركة المدينة، جدة، ط ٢ ، ١٣٨٨هـ (١٧/٣)

(٢) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة١١٦٥هـ، ودرس بها، وبرع في العديد من الفنون، درس وألف، رُحّل إلى مصر وتوفي هناك سنة١٢٤٢هـ، انظر: علماء نجد (١٦٩/١) .

(٣) الدرر السنية (١٢٧/١) .

(٤) محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، مفتي الديار السعودية في وقته، ولد في الرياض سنة١٣١١هـ، ودرس بها على جملة من العلماء، برع في شتى العلوم، وولي العديد من المناصب، ونهل من علمه جملة من العلماء، توفي سنة١٣٨٩هـ، من مؤلفاته:تحكيم القوانين،تحذير الناسك. انظر:علماء نجد(٢٤٢/١)

وجهه إلى قائد قوات جيزان[1] الذي رغب في إنشاء مكتبة لمنسوبي القوات قال - رحمه الله - :« ونحب بهذه المناسبة أن نلفت نظركم إلى وجوب حماية المكتبة لديكم من كتب الإلحاد، والأفكار المستوردة والدخيلة على ديننا وتقاليدنا، وتطهيرها من كتب الانحلال والتفسخ الأخلاقي»[2].

وفي خطاب وجهه رحمه الله إلى أمين المكتبة القطرية بالإحساء[3] جاء فيه:«أما بالنسبة لمراقبة ما يصدر عن المكتبة القطرية بالإحساء فأمر لابد به أسوة بغيرها من المكتبات»[4].

بل إنه طالب - رحمه الله - في رسالة إلى رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء بضرورة مصادرة كتب من بعض المكتبات التجارية والتي تحتوي على الشركيات والبدع، وتدعو إلى التحلل الأخلاقي[5].

يقول الشيخ محمد بن عثيمين[6] - رحمه الله- :« وإني أنصح إخواني المسلمين أن يتحروا فيما يراجعونه من الكتب الإخبارية، بل أن يتحروا فيما يقرأونه من الكتب الإخبارية والأحكامية، وأن لا

---

(١) مدينة ساحلية تقع جنوب المملكة العربية السعودية، على مشارف اليمن .انظر :الموسوعة العربية العالمية إعداد مجموعة من الباحثين(٣١١/١٢)

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١ ،١٣٩٩هـ (١١٥/١٣)

(٣) مدينة زراعية تقع شرق المملكة العربية السعودية، اشتهرت منذ القدم، انظر:معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي أبوعبدالله، دار الفكر، بيروت، ط ٢ ،١٤٠٤هـ (١١٢/١) الموسوعة العربية العالمية (٢٣٢/١)

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١١٦/١٣)

(٥) انظر:فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٧٥/٨) وانظر: (١١٧/١٣، ١٤٦)

(٦) هو: محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عثيمين أبوعبدالله، العلامة الشهير، من أبرز الفقهاء المعاصرين، من مؤلفاته: الشرح الممتع، الأصول من علم الأصول، توفي سنة ١٤٢١هـ ، انظر:١٤ عاماً مع العلامة ابن عثيمين، عبدالكريم المقرن .

يأخذوا بما كل ما يرونه وليشاوروا أهل العلم في هذه الكتب حتى لا ينخدعوا بما فيها من باطل وضعيف؛ لأن الأمر خطير جداً لو أن كل إنسان وجد كتاباً إخبارياً أو حكمياً أخذ بما فيه من غير أن يميّز بين الضعيف والقوي والحق والباطل لضل في ذلك ضلالاً بعيداً، وما دام العلماء والحمد لله موجودين فإنه من المتيسر أن يتصل بهم ويسألهم عن الكتاب قبل أن يقرأه» وقال - رحمه الله - :«وإنني بهذه المناسبة أحذر إخواني من بعض الكتب البدعية التي بدأت تنتشر بيننا وهي تشتمل على أذكار معينة، وقراءات ما أنزل الله بها من سلطان، بل هي كذب وبهتان، تصدّ الناس عن ذكر الله وعما جاء به محمدﷺ ، ولا يغرنك أن مؤلفها فلان أو فلان...وبإمكان كل واحد يقع في يده كتاب أن يسأل عنه من حوله من أهل العلم حتى يكون على بصيرة، فالحذر الحذر من مثل هذه الكتب»[1]

(١) فتاوى عن الكتب ،عبدالإله بن عثمان الشايع، دار الصميعي، الرياض، ط١٤٢٣،١هـ ، ص١٦

المبحث الثالث

أقوال أئمة الدعوة في نجد في التحذير من الكتب المخالفة بخاصة.

لأئمة الدعوة تحذيرات في بعض مصنفاتهم من ذلك تحذير الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] - رحمه الله - من قراءة بعض كتب ابن الجوزي على الناس[2].

وقال بعض أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحمد بن معمر عن كتاب"إحياء علوم الدين": «منه ما هو مردود عليه، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو متنازع فيه، وفيه فوائد كثيرة، ولكن فيه موارد مذمومة...وفيه أحاديث وآثار موضوعة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية[3]» [4].

كما حذروا من كتاب"السنوسية" وهو كتاب ينتصر للمذهب الأشعري، خالف ما عليه السلف الصالح في مسائل؛ منها: مسألة العلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت وغيرها [5].

ويقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله- :

---

(1) محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي، العالم الجليل، مؤسس الدعوة الإصلاحية في نجد ،ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ ،ورحل في طلب العلم إلى الحجاز والعراق،ثم عاد إلى نجد ودرّس وألف، من أبرز مصنفاته كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ،كشف الشبهات، توفي سنة١٢٠٦هـ، انظر:علماء نجد(٢٥/١)

(٢) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة،ط ١، ١٣٨٣هـ ص٤٢٠

(٣)الصوفية حركة دينية منحرفة انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، وسميت بذلك نسبة إلى كثرة لبس الصوف .انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة(١٨٧/١)

(٤) الدرر السنية(١٧/٣)

(٥)انظر: الدرر السنية (٢٣/٣)

«وأما الكتب المؤلفة في فضائل الأعمال مثل تنبيه الغافلين وغيره فأكثر ما فيها حق وصواب، وفيها ما هو خطأ ليس بصواب، والقارىء فيها يحتاج إلى من يعلمه بما يوافق الحق فيعمل به، وما يخالف الحق فيتركه» (١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن كتاب "جوهرة التوحيد" لإبراهيم اللقّاني (٢):

«فصنّف المتأخِّرون من هؤلاء على مذهبهم الفاسد مصنّفات كالأرجوزة التي يسمّونها : جوهر التّوحيد، وهي إلحاد وتعطيل لا يجوز النّظر إليها» (٣).

كما حذر - رحمه الله - من كتاب "المعارج في أخبار الخوارج" لعثمان بن منصور (٤).

وحذر الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن من كتب متعددة في موطن واحد مثل:

"رسائل إخوان الصفا"، و"السر المكتوم" و"الفتوحات

(١) الرسائل والمسائل(٢/٢٢٢)

(٢) إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المالكي، فقيه مصري متصوف، اشتهر بعلم الكلام، من مؤلفاته: جوهرة التوحيد، حاشية على مختصر خليل، توفي سنة ١٠٤١هـ، انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٩م(١/٢٨)

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٩هـ (١/٣٤٥)

(٤) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٣٢٦) وابن منصور هو عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الناصري التميمي، ولد في سدير في أوائل القرن الثالث عشر، وطلب العلم في العراق، وولي قضاء حائل، له مؤلفات احتوت مخالفات عقدية، من مؤلفاته: فتح الحميد شرح كتاب التوحيد، أسرار المعارج في أخبار الخوارج، توفي سنة ١٢٨٢هـ ، انظر: علماء نجد(٥/٨٩)

المكيَّة" و"الفصوص"وغيرها[1]، وحذر رحمه الله من كتاب إحياء علوم الدين في رسالة وجهها إلى أحد معاصريه ومما جاء فيها: «فقد بلغني عنك...أنك اشتغلت بالقراءة في كتاب الإحياء للغزالي وجمعت عليه من لديك من الضعفاء، والعامة، الذين لا تمييز لهم، بين مسائل الهداية والسعادة، ووسائل الكفر والشقاوة؛ وأسمعتهم ما في الإحياء، من التحريفات الجائرة، والتأويلات الضالة......و ينبغي للإمام، أيده الله:أن ينزع هذا الكتاب، من أيديكم؛ ويلزمكم بكتب السنة، من الأمهات الست، وغيرها....فالحذر الحذر من هذه الكتب» [2] ثم ساق نقولات مطولة من أقوال السلف في التحذير من كتاب الإحياء .

وممن خصص له أئمة الدعوة مقالات في الردِّ على كتبه عثمان بن منصور النجدي الذي كان من أشد الخصوم في وقته عداوة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد قام عثمان هذا بكتابة عدد من المؤلفات في محاربة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منها"جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة" وكتاب"غسل الدرن عما ركبه هذا الرجل من المحن"، وكتاب"تبصرة أولي الألباب"، وكتاب"منهج المعارج لأخبار الخوارج" .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «فقد وجدنا في كتب عثمان بن منصور بخطوطه أموراً تتضمن الطعن على المسلمين، وتضليل إمامهم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فيما دعا إليه من

(١) انظر:مصباح الظلام في الردّ على من كذب على الشيخ الإمام، عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، عناية إسماعيل بن عتيق، دار الهداية، الرياض، ص ٦٤

(٢) عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، تحقيق حسين محمد بوا (٣٩٤/١)

التوحيد، وإظهار ما يعتقده في أهل هذه الدعوة من أنهم خوارج تنزَّل الأحاديث التي وردت في الخوارج عليهم» (١).

وللشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - تحذيرات من جملة من المؤلفات منها: تحذيره من كتابي "أقرب الموارد" و"المنجد" في اللغة وأن عندهما قصوراً (٢).

وقوله عن كتاب "الله والعلم والحديث" لعبدالرزاق نوفل (٣): «اشتملت على أمور كثيرة لا تسلم للمؤلف، وبالجملة فهي رسالة لا ينبغي أن يهتم منها، أو يُعتنى بها» (٤).

وقال عن كتاب "تحفة العباد في حقوق الزوجين والوالدين والأولاد" لطاهر كردي (٥): «ليس له أهمية، ولا حاجة إلى نشره» (٦).

وقال عن كتاب "التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح" لمحمد الكاندهلوي (٧): «فيه أخطاء كثيرة من ناحية العقيدة، فصاحبه في الصفات يرى رأي الأشاعرة» (٨).

---

(١) الدرر السنية (٩/١٩٤)

(٢) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٠٢)

(٣) هو كاتب مصري، له بعض المؤلفات مثل: الإعجاز العددي في القرآن، القرآن والعلم الحديث، توفي سنة ١٤٠٤هـ موقع الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org/wiki/

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٢٠)

(٥) محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي ثم المكي، درس في الأزهر طويلاً، ثم عُين مدرساً في مدرسة الفلاح بجدة، ثم في المدرسة السعودية بمكة، اُشتهر بحسن الخط، من مؤلفاته: تاريخ القرآن وغرائب رسمه، وزهرة التفاسير، توفي سنة ١٤٠٠هـ، انظر: أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي، مؤسسة الفرقان، جدة، ط١٤٢١هـ (٢/٣٣)

(٦) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٢١)

(٧) محمد إلياس الكاندهلوي الهندي، ولد في الهند سنة ١٣٠٣هـ، نشأ في بيئة علمية، وأتقن اللغة العربية، مؤسس جماعة التبليغ، له شطحات ومخالفات في دعوته إلى الله، وله العديد من المصنفات منها حياة الصحابة، توفي سنة ١٣٦٣هـ انظر: الموسوعة الميسرة (١/١٤٩)

(٨) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٢١)

وقال عن كتاب "قصص الأنبياء"أو "العرائس"للثعالبي[1] : «ما يورده الثعالبي في أي كتاب من كتبه سواء العرائس أو غيرها ، لا يعتمد بمجرد روايته له بل لا بد من التأكد من ثبوته؛ لأنه حاطب ليل يروي ما وجد سواء كان صحيحاً أو سقيماً»[2].

وقال عن كتاب"مستقبلك بين يديك إذا عرفت ربك "لعبدالحميد الخطيب[3] :«هذا الكتاب لا يساوي شيئاً ، ولا ينبغي أن يُخرج للناس فإنه مشتمل على أغلاط»[4] .

وقال عن كتاب"من هنا نبدأ"لخالد محمد خالد[5] : «بأن الواجب التنبيه على الجمارك ومفتشي المطبوعات بأن تصادر مثل هذه الكتب»[6]

وقال - رحمه الله - عن كتاب"التشريع والاجتهاد" لراغب العثماني[7] : «وقد درسنا الرسالة المذكورة..وبالتأمل لبقيتها ،

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعالبي أبو إسحاق، المفسر، كان إماماً في اللغو والنحو، من مؤلفاته:التفسير الكبير، والعرائس، توفي سنة٤٢٧هـ انظر سير أعلام النبلاء(١٧/٤٣٥)

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٤٣)

(٣) عبدالحميد بن أحمد بن عبداللطيف بن عبدالله الخطيب، درس عند كبار علماء المسجد الحرام، كان سفير المملكة العربية السعودية لدى حكومة باكستان سابقاً، من مؤلفاته:جوهر الدين، تفسير الخطيب المكي، توفي سنة١٣٨١هـ ، انظر : الأعلام(٣/٢٨٤)

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٤٥)

(٥) خالد بن محمد محمود خالد، مفكر مصري معاصر، تخرج من كلية الشريعة بالأزهر، وعمل بالتدريس، من مؤلفاته: رجال حول الرسول، خلفاء الرسول، توفي سنة١٤١٦هـ . انظر:موقع الموسوعة الحرة: http://ar.wikipedia.org/wiki

(٦)فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٤٦)

(٧)راغب العثماني اللاذقاني، نسبة إلى اللاذقية بالشام، درس العلوم الشرعية، ثم عُين قاضياً في حماة، له قصيدة مشهورة في رثاء الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، من

والتحقق من نتيجتها يظهر واضحاً أنه من أناس طالما أبدوا هذه الشنشنة، ألا وهي القضاء على أحكام الشريعة وإلغاء ما درج عليه الصدر الأول»[1].

وقال الشيخ حمود التويجري[2] رحمه الله عن كتاب حياة الصحابة للكاندهلوي:«وهو مملوء بالخرافات والقصص المكذوبة والأحاديث الموضوعة والضعيفة»[3].

مؤلفاته:الإسلام دين ودنيا،ولماذا أنا مسلم، توفي سنة ١٣٨٨ه، انظر:معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، عبدالعزيز بن سعود البابطين وآخرون، مؤسسة البابطين، الرياض، ط١ ،١٤٢٢هـ(٩٣/٦)

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (٢٩٢/١٢)

(٢)هو حمود بن عبدالله بن حمود التويجري النجدي أبوعبدالله، الزاهد العالم، تولى القضاء في عدد من مناطق المملكة، اشتهر بتصديه لمن حاد عن سبيل الله، من كتبه: إتحاف الجماعة، الصارم المشهور، توفي سنة ١٤١٣هـ انظر:علماء نجد(١٤١/٢)

(٣)القول البليغ في الرد على جماعة التبليغ، حمود بن عبدالله التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط ٢، ١٤١٨هـ ص٧٨

المبحث الرابع

مؤلفات أئمة الدعوة في نجد في التحذير من بعض الكتب المخالفة

خصص أئمة الدعوة كتباً في الرد على مؤلفات مخالفين بأعيانهم ويأتي من أشهرهم داود بن جرجيس العراقي(ت١٢٩٩هـ) الذي استوطن نجداً، وأقام في ناحية القصيم، وكانت مهمته إثارة الشبه ضدّ الدعوة السلفية حتى ظهر له تلاميذ، وكان هو وتلاميذه من أشدّ الناس عداوة للدعوة، وكتبَ مصنفات متعددة في النيل من علماء الدعوة من ذلك كتابه"المنحة الوهبية في الردّ على الوهابية" أكد فيه أن للموتى حياة في قبورهم مثلما كان لهم حياة في الدنيا، وأن لهم شعور وإحساس كالأحياء كل ذلك ليتوصل إلى نتيجة هي جواز الاستغاثة بالموتى ودعائهم[1]. وظهرت ردود متعددة في الردّ عليه منها:

١- "القول الفصل النفيس في الردّ على المفتري داود بن جرجيس"[2] للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.

ومما جاء فيه: «بلغني أنه ورد على بعض الإخوان مكاتبة من داود بن جرجيس مملوءة بالكذب والتلبيس، ولا ريب أنه مما أوحاه إليه الشيطان وزخرفه إبليس» ثم قال:« فمن الواجب على من عرف الحقّ بدليله أن يسعى فيما يبطل دعواه، ويهدم ما أسسه من الزيغ

---

(١) انظر:دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض د.عبدالعزيز العبداللطيف، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض،ط ١ ،١٤٢٧هـ، ص٥٤ .

(٢) لهذا الكتاب العديد من الأسماء منها:"الردّ النفيس على شبهات ابن جرجيس"و "تأسيس التقديس في الردّ على داود بن جرجيس" وغير ذلك .

وبناه، ويبين ما فيه من المكابرة، وما أتى به من المماحلة تعمداً ومجاهرة»[(١)] ثم بدأ في تفنيد أقواله، والردّ على أباطيله.

كما ظهر في الردّ عليه كتب أخرى من ذلك:

٢- "دلائل الرسوخ في الردّ على المنفوخ"[(٢)] للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله - كما قام الشيخ عبداللطيف بتصنيف كتاب آخر وهو:

٣- "منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس"[(٣)] وهو ردٌّ على كتاب ابن جرجيس المعنون بـ"صلح الإخوان من أهل الإيمان" الذي نقل فيه ابن جرجيس خمسين موضعاً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما يزعم أن هذه النقول تشهد له على استحباب دعاء الصالحين والاستعانة بهم. ومما جاء في كتاب "المنهاج": «قد رفع إليّ رسالة سماها"صلح الإخوان" فيها من تحريف الكلم عن مواضعه والكذب على أهل العلم وعدم الفقه فيما ينقله ويحكيه من كلامهم ما لا يحصيه إلا الله...والمؤمن إذا وقف على كلام هذا الرجل؛ عرف ما هو فيه من نعمة الإسلام...وقد عنَّ لي أولاً أن أطرح هذر كلامه، وأن لا أعرج على ردِّ أفكاره وآثامه،

(١) القول الفصل النفيس في الردّ على المفتري داود بن جرجيس، عبدالرحمن بن حسن،دار الهداية، الرياض،ط ٢ ،١٤٠٥هـ،ص١٣

(٢) طُبع بعنوان"تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس"تحقيق عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم،دار العاصمة،الرياض، ط١٤١٠،٢هـ

(٣)توفي الشيخ عبداللطيف قبل أن يتم الكتاب فأكمله الشيخ محمود الآلوسي وعنونه بـ"فتح المنان تتمة منهاج التأسيس ردّ صلح الإخوان" وهو مطبوع مع المنهاج، وطُبع طبعة مستقلة بتحقيق عمر بن أحمد الأحمد، دار التوحيد، الرياض، ط١٤٣٠،١هـ .

لظهور هجنته في نفسه، وأنه مما يتنزه العاق[1] عن إفكه وحدسه، ثم بدا لي أن لكل ساقطة لاقطة...»[2].

٤- "تأسيس التقديس في الردّ على ابن جرجيس"[3] تأليف الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين، كما أن له كتاباً آخر هو:

٥- "الانتصار" وهو ردٌّ أيضاً على ابن جرجيس.

ولما ألف ابن جرجيس كتابه"أنموذج الحقائق" انبرى الشيخ أحمد ابن عيسى في الردّ عليه في كتاب سماه:

٦- "الردُّ على شبهات المستعينين بغير الله"قال في مقدمته: «فقد وقفتُ على كُرّاسة لبعض العصريين من أهل العراق سماها"أنموذج الحقائق"وضمنها كثيراً من الهذيان والشقاشق، مضمونها الانتصار للشرك بالله المسمى بالتوسل،وتجويز دعوة الأموات والغائبين من دون الله تعالى،واستحبابه، والتشنيع على من يمنع من ذلك وسبابه، فأحببتُ أن أبين بطلان ما تضمنته كراسته من الشبهات الواهية، والترهات المتناهية، وأن أزيح شبهاته ببراهين التوحيد الساطعة، وأوضح ضلالاته بحجج الكتاب والسنة القاطعة»[4].

كما حذر علماء الدعوة مما كتبه عثمان بن منصور في

---

(١) لعلها العاقل.

(٢)منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ،دار الهداية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ص١٤.

(٣)طُبع بعنوان آخر وهو:تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس،تحقيق د.عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٤)الرد على شبهات المستغيثين بغير الله،أحمد بن عيسى،عناية عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ، ص١٦.

كتابه "جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة" فقد حذر منه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتاب سماه:

٧- "مصباح الظلام في الردّ على من كذب الإمام" جاء فيه: «وقد رأيتُ كتابه الذي سماه "جلاء الغمّة"، ورأيتُ حشوه من مسبَّة دين الله، والصدِّ عن سبيله، والكذب على الله وعلى رسوله، وعلى أولي العلم من خلقه، وأئمة الهدى ما لم نر مثله»[١].

ومن الكتب التي خُصص لها مصنفات في التحذير منها كتاب "كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبدالوهاب" لمحسن الأمين العاملي[٢] وهو كتاب شحنه مؤلفه بالشركيات والبدع كتجويزه الدعاء لغير الله، وبناء المساجد والقباب على القبور، والتمسح بأتربة الموتى وطوام أخرى.

وقد ردَّ عليه عبدالله القصيمي[٣] في كتابه المشهور:

٨- "الصراع بين الإسلام والوثنية"

وألف علوي الحداد[١] كتابين في محاربة الدعوة السلفية، وطعن

---

(١)مصباح الظلام ص١٦

(٢)محسن بن عبدالكريم بن علي الأمين الحسيني العاملي، من علماء الشيعة،رحل إلى الشام ثم إلى النجف ثم إلى إيران،كان مكثراً من التأليف،من مؤلفاته:تحفة الأحباب في أحكام الطعام والشراب،أعيان الشيعة، توفي سنة ١٣٧١ه، انظر:الأعلام(٢٨٧/٥)

(٣)عبدالله بن علي الصعيدي القصيمي أبومحمد، درس في الأزهر ثم فُصل منه لما ألف كتابه "البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية" نافح عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم تغير فكره ونقض ما كان عليه،وألف كتابه المشهور"هذه هي الأغلال" من مؤلفاته:الصراع بين الإسلام والوثنية،العرب ظاهرة صوتية توفي سنة ١٤١٦هـ انظر: عبدالله القصيمي وجهة نظر أخرى، سليمان بن صالح الخراشي، دار روافد، الرياض، ط ١، ١٤٢٩هـ

فيهما بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذان الكتابان هما: "السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر" والثاني: "مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردّ شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام" وفيهما تقرير بجواز الاستغاثة بالأموات والغلو في الأولياء، وتأكيد جواز البناء على القبور وتشييد المشاهد والمزارات على قبور الصالحين وغير ذلك.

فقام الشيخ سليمان بن سحمان بالردّ على أباطيل العلوي في مصنف سماه:

٩- "الأسنَّة الحداد في ردّ شبهات علوي الحداد" جاء فيه: «فقد وقفتُ على ما ألفه الملحد الجاهل المفتري علوي الحداد فرأيته قد بالغ في الكذب والزور والإلحاد»[٢].

ومن أوائل من رفع راية العداء على الدعوة السلفية وأعلامها هو يوسف النبهاني[٣] فله عدة مصنفات مليئة بالطوام والشطحات والروايات الضعيفة بل المنكرة منها كتاب "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" وكتاب "الأنوار المحمدية في المواهب اللدنية" وقد ردّ عليه

---

(١) علوي بن أحمد بن الحسن بن عبدالله بن علوي الحداد، من أهل حضرموت، من مؤلفاته: القول الوافي في معرفة القاف، بغية أهل العبادة والأوراد، توفي سنة ١٢٣٢هـ انظر: الأعلام (٤/٢٤٩)

(٢) الأسنة الحداد في ردّ شبهات علوي الحداد، سليمان بن سحمان، الطبعة المصطفوية في بمبي بالهند، ط١، ١٣٧٦هـ ص٢.

(٣) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، من فلسطين، شاعر أديب، لديه تصوف، تولى القضاء في نابلس، ورأس محكمة اللاذقية، ثم محكمة القدس ثم بيروت، كان متحاملاً على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، من مؤلفاته: جامع كرامات الأولياء، تهذيب النفوس، توفي سنة ١٣٥٠هـ. انظر: معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٦م (١٣/٢٧٦) والأعلام (٨/٢١٨).

جماعة من العلماء منهم الشيخ إبراهيم بن عيسى في كتابه:

١٠- "تهديم المباني في الردّ على النبهاني"[١].

وكتب محمد عطاء الكسم[٢] كتابه:"الأقوال المرضية في الردِّ على الوهابية" مليء بالادعاءات الباطلة، والأكاذيب الواضحة، وقد ردّ عليه الشيخ ابن سحمان في كتابه الشهير:

١١- "الصواعق المرسلة الشهابية في الردِّ على الشبه الداحضة الشامية" جاء فيه: «وقفتُ على أوراق كتبها رجل من أهل الشام يقال له محمد عطا الكسم وكان ممن تجانف للعدوان والإثم، جمع فيها من الترّهات والأكاذيب والموضوعات ما يمجّ سماعه أولو العقول السليمة، والألباب الزاكية المستقيمة...»[٣].

ولما كتب حسن الطباطبائي[٤] كتابه"البراهين الجليّة في تشكيكات الوهابية" والذي دافع فيه عن الإمامية، وطعن في العقائد السلفية قام الشيخ سليمان بن سحمان بالردّ عليه في كتابه:

١٢- "الحجج الواضحة الإسلامية"

كما حذر - رحمه الله - من بعض الأخطاء العلمية التي وقع

---

(١)انظر:كتب حذر منها العلماء، مشهور بن حسن سلمان،دار الصميعي، الرياض،ط ١ ،١٤١٥هـ، ص٢٧٠

(٢)محمد عطا الله بن إبراهيم الكسم، فقيه حنفي من الشام،قيل أنه صوفي عُيّن مفتياً لسوريا، من مؤلفاته:الأقوال المرضية في الردّ على الوهابية،توفي سنة ١٣٥٧هـ انظر:معجم المؤلفين، (٢٩٣/١٠)

(٣)الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية،سليمان بن سحمان،دار العاصمة،الرياض،ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، تحقيق د.عبدالسلام برجس ص٣ .

(٤)حسن الموسوي الطباطبائي من العراق توفي سنة ١٣٨٠هـ.لم أجد له ترجمه سوى ما دونت .

الشيخ محمد بن مانع [١] في كتابيه "الكواكب الدرية" و"القول السديد" في مصنف عنونه بـ"تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة"

كما ردّ ابن سحمان رحمه الله على كتاب "الفجر الصادق في الردّ على منكري التوسل والكرامات والخوارق" [٢]. لجميل الزهاوي [٣] الذي ينكر فيه مؤلفه على الوهابيين تحريمهم الاستغاثة بالأموات، وقد عنون ابن سحمان لكتابه بـ:

١٣- "الضياء الشارق في ردّ شبهات الماذق المارق" جاء فيه: «قد وقفتُ على رسالة مطبوعة مؤلفها رجل من العراق يُقال له جميل الزهاوي، جمع فيها من الأكاذيب والترّهات والأضاليل المنكرات مع ما اشتمل عليه كلامه من الفجور وقول الزور» [٤].

---

(١) محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن مانع، ولد في القصيم، واشتغل بطلب العلم، ورحل إلى بغداد ودمشق لطلب العلم، كان بارعاً في شتى العلوم لاسيما النحو والأدب، عينه الملك عبدالعزيز مدرساً في المسجد الحرام، ثم رئيساً لهيئة تمييز الأحكام الشرعية، ثم مديراً للمعارف، ثم أصبح مشرفاً على التعليم في دولة قطر، من مؤلفاته: مختصر شرح عقيدة السفاريني، رسالة في آداب البحث والمناظرة، توفي سنة ١٣٨٥هـ. انظر: علماء نجد (٦/ ١٠٠)

(٢) طُبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ، ثم طُبع في إسطنبول، انظر: دعاوى المناوئين ص٥٦ .

(٣) جميل صدقي الزهاوي، شاعر عراقي، كردي الأصل، أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار الفنون بتركيا، تأثر كثيراً بالأفكار الغربية، كان ينكر تعدد الزوجات، وقسمة الميراث في الإسلام، له أبيات فيها استهزاء بدين الله، من مؤلفاته: الفجر الصادق، الكائنات، مات سنة ١٣٥٤هـ، انظر: الأعلام (٢/ ١٣٧) وأعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، وليد الأعظمي، مكتبة الرقيم، بغداد، ط١ ، ٢٠٠١م ص١٣٨ .

(٤) الضياء الشارق في ردّ شبهات الماذق المارق، سليمان بن سحمان، الطبعة المصطفوية، بمبي ص٢

وله ردّ كذلك على كتاب مختار المؤيد العظمي[1] المسمى"جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام" أجاز فيه التوسل بالأنبياء والصالحين وأكثر من ذم شيخي الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله- ؛ اسمه:

١٤- "كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام". جاء فيه: «رأيتُ نبذة ألفها العظمي سلك فيها مسلك أهل الغواية والضلالة، ونهج فيها مناهج أهل الغباوة والجهالة....فاستعنت الله تعالى على ردّ أباطيله»[2].

وله أيضاً ردّ على بابصيل[3] في كتابه"القول المجدي" وقد سماه ابن سحمان:

١٥- "البيان المبدي لشناعة القول المجدي".جاء فيه: «تأملت ما كتبه هذه المفتري فإذا هو لم يأت إلا بتمويهات وترَّهات وخزعبلات وخرافات، لا تروج على ذوي العقول السليمة»[4].

وللشيخ عبدالرحمن بن حسن رد معروف بعنوان:

---

(١)هو مختار بن أحمد باشا المؤيد العظمي الشامي،رحل إلى مصر، وسكن المدينة مدة، من مؤلفاته: التوسلات المدنية بأسماء الله الحسنى وجاه خير البرية،توفي بدمشق سنة ١٣٤٠هـ انظر:معجم المؤلفين(٢٠٩/١٢)

(٢)كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام، سليمان بن سحمان، مطبعة الرياض،ص٣

(٣)هو محمد بن سالم بن سعيد بابصيل الحضرمي،فقيه شافعي متصوف،حضرمي الأصل استوطن مكة،من مؤلفاته:إسعاد الرفيق في التصوف،توفي بعد ١٢٨٠هـ.انظر:الأعلام(٤/٧)

(٤) البيان المبدي لشناعة القول المجدي، سليمان بن سحمان، مطبعة القرآن والسنة، الهند، ط ١ ،ص٢ .

١٦- "المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال" وهو ردّ على مفتريات كتبها أحد أهالي الخرج [١].

وله رد على ابن حميد[٢] صاحب"السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" بعنوان:

١٧- "بيان المحجة في الردّ على اللجة" واللجة لقب لابن حميد، فقد دافع ابن حميد عن الأبيات الشركية التي حوتها بردة البوصيري فكان هذا الكتاب.

وكتب الشيخ صالح الشثري[٣] رداً على دحلان[٤] واسم الكتاب:

١٨- "تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان"

وللشيخ أحمد بن عيسى ردّ على دحلان بعنوان:

١٩- "الردُّ على ما جاء في خلاصة الكلام من الطعن على الوهابية والافتراء لدحلان"

---

(١) الخرج هي إحدى محافظات منطقة الرياض في المملكة العربية السعودية، تقع في الجنوب الشرقي من منطقة الرياض.

(٢) هو محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حميد، ولد في عنيزة، ونشأ في بيئة علمية، رحل في طلب العلم إلى مكة ثم إلى اليمن ومصر والشام والعراق وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى مكة وعُيّن مفتياً للمقام الحنبلي بالمسجد الحرام، من أشهر مؤلفاته: السحب الوابلة، توفي سنة١٢٩٥هـ، انظر: علماء نجد(١٨٩/٦)

(٣) هو صالح بن محمد بن حمد الشثري، ولد في حوطة بني تميم، ورحل إلى الرياض وأخذ عن علمائها، له مكانة عند علماء عصره، من مؤلفاته: ردّ على من أجاز موالاة المشركين، وكتاب في علم الفلك، توفي سنة ١٣٠٩هـ، انظر: علماء نجد(٥٣٣/٢)

(٤) هو أحمد زيني دحلان، فقيه مؤرخ، من أهل مكة، تولى التدريس فيها والإفتاء، من أشهر المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من مؤلفاته: الردّ على الوهابية، توفي سنة١٣٠٤هـ، انظر: الأعلام(١٢٩/١)

وللشيخ زيد بن سليمان[1] أيضاً رد على دحلان عنوانه:

٢٠- "فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان" جاء فيه: «ولولا ما نقصده من انتفاع من اطلع على هذه الرسالة لم نتعرض لردّ شيء من كلامه لظهور بطلانه»[2].

وكتب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رداً على رجل من فارس أجاز صرف العبادات لغير الله وطوام أخرى، عنون الشيخ كتابه بـــــــ:

٢١- "البراهين الإسلامية في ردّ الشبة الفارسية" جاء فيه:((فإني قد وقفتُ على أوراق كتبها بعض الملحدين يرد فيها بزعمه ما دل عليه الدليل من وجوب إخلاص الدعاء لله، وترك مسألة ما سواه من الأنداد والأموات..وزعم أن للأولياء والصالحين بعد الممات تصرفاً وأنهم يجيبون من قصدهم بالاستغاثة والدعاء» [3].

وكتب الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز السويح[4] مؤلفاً في الردّ على عبدالله القصيمي أسماه

---

(١) هو زيد بن محمد آل سليمان، من أهل الحريق، كان ورعاً زاهداً، رحل في طلب العلم إلى الرياض، ودرس عند الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وغيره، له مراسلات مشهورة مع علماء الرياض، توفي سنة ١٣٠٧هـ، انظر: علماء نجد(٢/٢٠٩).

(٢) فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، زيد بن محمد السليمان، تحقيق عبدالله بن زيد المسلم، دار التوحيد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ص١١٩

(٣) البراهين الإسلامية في ردّ الشبة الفارسية، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، تحقيق محمد العارف الأرومي، مكتبة الهداية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ ص٤١.

(٤) إبراهيم بن عبدالعزيز بن إبراهيم السويح، نشأ في بيت علم ودين، رحل من بلدته روضة سدير إلى الرياض لطلب العلم، فقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالله بن حميد وغيرهما، ولي القضاء في تبوك، توفي سنة١٣٦٩هـ، انظر: علماء نجد(١/٣٣٤)

٢٢- "بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال"

وكتب الشيخ عبدالله بن يابس [1] كتابه الشهير:

٢٣- "الردّ القويم على ملحد القصيم" وهو نقض لكتاب عبدالله القصيمي المسمى"هذه هي الأغلال" والذي أعلن فيه القصيمي تهكمه بالإسلام، وسخريته بالشريعة، ومدحه للاستعمار والديانات الأخرى[2].

وكتب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم رداً على رجل من الجزائر أجاز صرف العبادات للرسول، عنون الشيخ كتابه بـــــــ:

٢٤- "السيف المسلول على عابد الرسول" جاء فيه: «فقد وقفتُ على وريقات كتبها علي الجزائري...أكثر من الطعن فيمن دعا الناس إلى التوحيد وزعم أنهم خوارج، وسمى عباد الأنبياء والصالحين مؤمنين موحدين» [3] وكتب الشيخ محمد بن إبراهيم رسالة بعنوان:

٢٥- "تحذير الناسك مما أحدثه ابن محمود في المناسك" وهي ردّ على رسالة الشيخ عبدالله

---

(١) عبدالله بن علي بن محمد آل يابس من بني زيد، من أهل القويعية، نشأ في طلب العلم، ورحل في طلبه إلى الرياض والعراق ثم مصر واستقر هناك، ودرس على علماء الأزهر، من مؤلفاته: إعلام الأنام، والردّ القويم على ملحد القصيم، توفي سنة ١٣٨٩هـ، انظر: علماء نجد(٤/٢٣٥)الأعلام(٤/١٠٨)

(٢) انظر: الردّ القويم على ملحد القصيم، عبدالله بن علي بن يابس، طبع في مطبعة الإمام، مصر، ط ١ ، ١٩٤٧م ص٢٢، ٦٦، ١٣٤

(٣) السيف المسلول على عابد الرسول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط ٣ ، ١٤٢٥هـ، ص٥

بن زيد بن محمود [1] المعنونة بـ "يسر الإسلام"التي ضمنها بعض الأخطاء المتعلقة بمناسك الحج.

كما أن للشيخ عبدالله بن حميد [2] رسالة في الرد على ابن محمود وهي:

٢٦- "الردّ على صاحب يسر الإسلام".

وللشيخ حمود التويجري العديد من الردود منها:

٢٧- "إيضاح المحجة في الردِّ على صاحب طنجة" وهو ردٌّ على أحد المعاصرين حين رمى اتباع هذه الدعوة بالتشدد، فكان من رده قوله: «التشدد الذي أشار إليه إنما وقع في بعض الأعراب في زمن يسير، فأما الحاضرة وكثير من البادية فكانوا على الطريقة السلفية، ولم يكن فيهم تشدد» [3].

---

(١) هو عبدالله بن زيد بن عبدالله بن محمد آل محمود النجدي، أبوعبدالرحمن، تولى القضاء بقطر بعد ابتعاثه إليها، وله جهود هناك، يعد من أبرز الفقهاء في عصره، من مؤلفاته: يسر الإسلام، أحكام عقود التأمين، توفي سنة ١٤١٧هـ انظر: علماء نجد(١٢٠/٤)

(٢) هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حميد أبومحمد، العالم الفقيه تولى القضاء في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، ثم الإفتاء، من أبرز مؤلفاته: هداية الناسك إلى أحكام المناسك، كمال الشريعة وشمولها، توفي سنة ١٤٠٢هـ، انظر علماء نجد(٤٣١/٤).

(٣) إيضاح المحجة في الردّ على صاحب طنجة، مؤسسة النور للطباعة، الرياض، ط١، ص١٥٤

المبحث الخامس

فتاوى أئمة الدعوة في نجد في التحذير من بعض الكتب المخالفة

صدرت فتاوى متعددة من أئمة الدعوة هي إجابات على أسئلة عن بعض الكتب من ذلك:

فتوى للشيخ محمد بن عبدالوهاب بحرق كتاب "روض الرياحين في حكايات الصالحين" لأبي السعادات اليافعي[1]، وكان يسميه "روض الشياطين"[2].

وسُئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن "تفسير محمد أسد[3]" فأفتى بوجوب إتلافه، والحذر من توزيعه[4].

وسُئل - رحمه الله - عن كتاب "حزب ورد التيجاني[5]" وهو كتاب وُجد بجوار طفل قتله والده المختل شعورياً فقال الشيخ: «جرى

---

(١) هو عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، مؤرخ مشهور، وباحث متصوف، من شافعية اليمن، رحل إلى مكة وتوفي بها، من مؤلفاته: نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، الدرّ النظيم في خواص القرآن العظيم، توفي سنة ٧٦٨هـ، انظر: الأعلام (٤/ ٧٢)

(٢) انظر: دعاوى المناوئين ص٩٥

(٣) كان اسمه ليوبولد فايس فغيره بعد إسلامه إلى محمد أسد، كان يهودياً فأسلم، أحب الجزيرة العربية، فكان يرتدي الزي العربي ويتكلم بالعربية، كان من أتباع الملك عبدالعزيز رحمه الله وبادله الودّ، أصبح سفيراً لباكستان لدى الأمم المتحدة، من مؤلفاته: الإسلام مفترق الطريق، الطريق إلى مكة، توفي سنة ١٩٩٢م. انظر: موقع الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org/wiki

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/ ١٢٢)

(٥) هو أحمد بن محمد بن المختار التيجاني، شيخ الطائفة التيجانية بالمغرب، كان فقيهاً مالكياً، اشتهر بالوعظ والتصوف، استقر بمدينة فاس، له ورد مشهور، توفي سنة ١٢٣٠هـ انظر: الأعلام (١/ ٢٤٥)

اطلاعنا عليه فوجدناه مشتملاً على شركيات وبدعيات وأشياء منكرة»[1].

وسُئل عن كتاب"الأدلة على الحكمة والتدبير والردّ على القائلين بالإهمال ومنكري الحمد"المنسوب لجعفر الصادق فقال- رحمه الله- : «نشك في نسبته إلى الإمام جعفر الصادق...وفي آخره شيئاً من الغلو في آهل البيت، كما هو شأن كثير من غلاة الشيعة ، وبكل حال فإن هذا الكتاب غير مرغوب فيه»[2].

وسُئل عن كتاب"الدين والحج على المذاهب الأربعة"لعباس كرارة[3] فقال: «الكتاب مليء بالأخطاء والأغلاط»[4].

وسُئل عن كتاب"هذا أو الطوفان"لخالد محمد خالد فقال- رحمه الله- : «ينبغي منعه، والتنبيه بعدم إدخاله، فإن هذه الكتب نفعها مفقود، وضررها موجود، والغرض منه الدعوة إلى الزندقة والإلحاد والانحلال»[5].

وسُئل عن كتاب"نظرية تحمل التبعة في القانون

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم(١٣/ ١٠٤)

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم(١٣/ ١٢٥)

(٣) هو عباس كرارة، اشتهر بالحاج عباس، من أهل مصر، عاش في مكة، طبيب أسنان وجراح شهير، له مؤلفات دينية منها: المرأة في القرآن والسنة، وتاريخ الحرمين الشريفين، توفي سنة ١٣٨١هـ .انظر: موقع شبكة تراثيات الثقافية: http://www.toratheyat.com/vb/showthread.php

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم(١٣/ ١٢٦)

(٥)فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/ ١٤٧)

الإسلامي"لزكي عبدالبر[1] فقال:«لا يصلح إدخاله في هذه المملكة بأي حال لأنه مستمد من القانون الفرنسي والقانون الروماني» [2].

وسُئل الشيخ عبدالله بن حميد عن كتاب "دلائل الخيرات" فقال- رحمه الله- : «فيه أحاديث لا تصح، ولم تثبت عن النبي ﷺ، بل بعض الأحاديث جاءت في دلائل الخيرات لا تساوي شيئاً لأنها غير صحيحة، وبعض الحفاظ حكم عليها بالوضع، وبعض العلماء أفتى بإحراقه»[3].

وسُئل الشيخ عبدالرحمن السعدي[4] - رحمه الله- عن كتاب "صيد الخاطر" فقال: «كلامه في الفصول التي في أول صيد الخاطر يجب الحذر منها والتحذير ولولا أن هذه الكتب موجودة بين الناس لكان للإنسان مندوحة عن الكلام فيها...وإننا نأسف من صدورها من قبل هذا الرجل الكبير القدر» [5].

---

(١) محمد زكي عبدالبر، من أهل مصر، أستاذ الشريعة والقانون المدني، له عدة مؤلفات منها: أحكام المعاملات في المذهب الحنفي، وتحقيق تحفة الفقهاء للسمرقندي .انظر:موقع سور الأزبكية http://www.books4all.net/showthread.php?t=

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/١٤٨)

(٣) فتاوى الشيخ عبدالله بن حميد، جمع إبراهيم الحمدان، دار المنهاج، الرياض، ط ١ ، ١٤٣٠هـ، ص٣١

(٤) هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي،ولد في عنيزة، ونشأ في بيئة علمية، وانقطع لطلب العلم وتحصيله حتى صار من كبار الفقهاء في عصره، ألف في العديد من الفنون، من مؤلفاته:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، توفي سنة ١٣٧٦هـ، انظر: علماء نجد(٣/٢١٨)

(٥)الفتاوى السعدية، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ، ص٧٥

وسُئل الشيخ ابن باز[1] عن "خطب ابن نباته[2]" فقال - رحمه الله- : «فيها بعض الأخطاء فينبغي على الخطيب أن يتحرى الكتب الجيدة»[3].

وسُئل - رحمه الله - عن كتاب "الحصن الحصين" فقال: «يجمع أحاديث ضعيفة وأحاديث غير صحيحة فلا يعتمد على ما يذكر، بل لابد من المراجعة«[4].

وسُئل عن كتاب "الدعاء المستجاب" فقال - رحمه الله - : «هذا كتاب غير معتمد، وصاحبه حاطب ليل، يجمع الغث والسمين، والصحيح والضعيف والموضوع فلا يعتمد عليه»[5].

وسُئل عن كتاب "درة الناصحين" فقال:« هذا الكتاب لا يعتمد عليه، وهو يشمل أحاديث موضوعة، وأشياء سقيمة لا يعتمد عليها...فلا ينبغي أن يعتمد على هذا الكتاب وما أشبهه من هذه

---

(١)هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز أبو عبد الله، العالم الحبر المحدث الفقيه المجتهد، أحد أئمة الإسلام، تولى العديد من المهام كالقضاء، والإفتاء، من أبرز كتبه: الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، التحذير من البدع، توفي سنة ١٤٢٠هـ انظر: إمام العصر الشيخ ابن باز، د. ناصر بن مسفر الزهراني، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢)هو عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل المشهور بابن نباته الفارقي، سكن في حلب، اشتهر بالتقوى والصلاح، من شعراء سيف الدولة الحمداني، توفي سنة٣٧٤هـ، انظر: الأعلام(٣/٣٤٧)

(٣)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة(١٢/٤١٩)

(٤) فتاوى نور على الدرب، عبدالعزيز بن باز، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٩هـ، ص٤١٥

(٥) فتاوى نور على الدرب ص٥٥

الكتب» [1].

وسُئل الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عن كتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" فقال: «فيه شيء من المبالغات الكثيرة والكذب وعلى الإنسان أن يتجنبه وأن يبعده عن بيته حتى لا يغتر أولاده بما يقرؤونه فيه» [2].

وسُئل رحمه الله عن كتاب تنبيه الغافلين فقال: « كتاب وعظ وغالب كتب المواعظ يكون فيها الضعيف، وربما الموضوع ويكون فيها حكايات غير صحيحة، يريد المؤلفون بها أن يرققوا القلوب وأن يبكوا العيون، ولكن هذا ليس بطريق سديد؛ لأن فيما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله من المواعظ كفاية» [3].

---

(١) المرجع السابق ص٨٠

(٢) كتاب العلم، لمحمد بن عثيمين، إعداد فهد السليمان ص١٧٣

(٣)فتاوى نور على الدرب ص٢٢

المبحث السادس

قصائد أئمة الدعوة في نجد في التحذير من بعض الكتب المخالفة

نظم الشيخ حسين بن حسن آل الشيخ[(١)] قصيدة في نحو(٧٠)بيتاً في الردّ على أمين بن حنش البغدادي الذي انتصر للشرك وأهله. وله قصيدة في نحو(٢٠٠) بيتاً في الردّ على النبهاني حين طعن في أئمة الدعوة ورماهم بالتجسيم[(٢)].

ونظم الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى[(٣)] قصيدة في نحو(٢٠٠)بيت هي رد على النبهاني كذلك ومما جاء في هذه القصيدة:

هم الأنجم الزهر الذين بعلمهم   غدا ثغر هذا الدين بالبشر مفترا
هم الأمة الناجون والفرقة التي   تمسك بالحق المبين على الضرا[(٤)]

ونظم الشيخ علي بن سليمان اليوسف[(٥)]. قصيدة في الردّ

---

(١) هو حسين بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، درس عند الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، ألف في الفقه، وهو شاعر مجيد، رحل إلى عُمان لنشر الدعوة السلفية؛فنفع الله به، توفي سنة١٣٢٩هـ، انظر: علماء نجد(٢/٥٩)

(٢)انظر:مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ، ص٩٩، وعلماء نجد(٢/٥٩)

(٣)هو إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى، ولد في نجد، ونشأ في بيئة صالحة فحفظ القرآن في صغره، ورحل في طلب العلم إلى العراق والهند، شاعر معروف، من مؤلفاته:عقد الدرر، نبذة عن بلاد العرب، توفي سنة١٣٤٣هـ.انظر:علماء نجد(١/٣١٨)

(٤) انظر:علماء نجد(١/٣٢٨)

(٥) هو علي بن سليمان بن حلوة آل يوسف، ولد في بغداد، وأصله من القصيم، درس عند الشيخ محمود شكري الألوسي، شاعر مجيد، له أبيات مشهورة، توفي سنة١٣٣٧هـ، انظر:علماء نجد(٥/١٩٥)

عليه[1]، جاء فيها:

الحمد لله صبح الحق قد بانا   وغيهب الجهل والإشراك قد بانا
مخالف سلف الأعلم أجمعهم   ومرتضى قول داود بن سلمانا
يا أيها الرجل الغادي رويدك ما   أبصرت نهج الهدى بل صرت حيرانا

وللشيخ سليمان بن سحمان نونية في الرد على ابن جرجيس[2] جاء فيها:

جاس[3]ابن جرجيس بغياً من شقاوته   خلال سنة خير الناس بالإحن[4]
وبالفواظع من زور ومن كذب   وما نحاه من التحريف للسنن

وله قصيدة ردّ بها على كتاب دحلان عنوانها"المواهب الربانية في الانتصار للطائفة الوهابية ورد أضاليل الشبه الدحلانية" أبياتها(٤٩٩)بيتاً[5].جاء فيها:

وبعد فإني رأيت رسالة   لدحلان لا تدعو لخير ولا تهدي
وأودعها من كل زور ومنكر   وفحش وبهتان وأقذع في الردّ .

---

(١) انظر:علماء نجد(١٩٧/٥)

(٢) انظر:ابن سحمان تاريخ حياته وعلمه وتحقيق شعره، محمد بن عمر العقيل أبوعبدالرحمن الظاهري، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ(١٠٩/٣)

(٣) جاس:أي تردد في الإفساد، انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ تحقيق : مجمع اللغة العربية، باب الجيم (١٤٧/١)

(٤) الإحن:أي الأحقاد والضغائن، انظر:المعجم الوسيط، باب الهمزة،(١٨/١)

(٥) انظر:ديوان ابن سحمان ص٢٦١، ٢٨٢ ، وابن سحمان تاريخ حياته وعلمه(١٩٤/٢)وانظر:الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة، محمد بن حمود الفوزان،مكتبة الرشد، الرياض، ط١ ، ١٤٢٠هـ(٢٠/١)

ونظم الشيخ ناصر الشويمي(١) قصيدة تزيد عن(٤٠)بيتاً في الردّ على أمين بن حنش(٢)، جاء فيها:

أميـــن الذي يدعـــونه حنشـــاً من اكتسى من ثياب الزيغ ألوانا
فظل يمـــدح جهلاً من سفاهته ذا الكفر والجهل داود بن سلمانا
هلا مدحت الذي شاعت فضائله وشـاد للملـة البيضـاء أركـانا

ودافـع حسـين بـن غنـام الإحسـائي(٣) عـن شـيخه محمـد بـن عبـدالوهاب وكتـب قصـيدة في الـردّ علـى محمـد بـن فـيروز(٤) بلغت(٧٦)بيتاً(٥) ، جاء فيها:

لقد خاب مسعى من غدا طول عمره يصد عن التوحيد من دان أو شطا

---

(١) ناصـر بـن سـعود بـن عبـدالعزيز بـن عيسـى بـن شـويمي، ولـد في شـقراء، ودرس علـى علمائها،ثم سافر إلى الرياض وقرأ على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ والشيخ سعد بن عتيق،ثم رحل في طلب العلم إلى الحجاز واليمن والشام،ثم عاد وانشغل بالتدريس والبحث،كـان مـع علمـه الشـرعي أديبـاً شـاعراً، تـوفي سـنة١٣٤٩هــ، انظـر: علمـاء نجد(٤٥٨/٦)

(٢) انظر:علماء نجد(٤٦٣/٣)

(٣) حسـين بـن أبـي بكـر آل غنـام التميمي،سـكن في الإحسـاء، وأصـله مـن نجـد،مالكـي المذهب،برع في اللغة والأدب،رحل إلى الدرعية ودرس عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولازمه،فصـار مـن أشـهر المدافعين عـن دعوتـه،من مؤلفاتـه:تـاريخ نجـد المسـمى بروضـة الأفكار والأفهام، والعقد الثمين في شرح أصول الدين، توفي سنة ١٢٢٥هـ،انظر: علماء نجد(٥٦/٢) .

(٤) محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز الإحسـائي، بـرع في العديـد مـن العلوم،كـان آيـة في الحفظ،له مكتبة فيها نفائس المصنفات، اشتهر بمعاداته الشديدة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، توفي سنة١٢١٦هـ، انظر: علماء نجد(٢٣٦/٦)

(٥) انظـر: تـاريخ نجـد المسـمى روضـة الأفكـار والأفهـام لمرتـاد حـال الإمـام وتعـداد الغـزوات، حسين بن أبي بكـر بـن غنـام، دار الشـروق، بيـروت، ط ٤ ،١٤١٥هـ (١٩٠/٢)ومشـاهير علماء نجد وغيرهم ص١٨٩ .

ولا كابن فيروز يروم سفاهة دفاعاً لحق في البرية قد وطا
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى وأحيا أصول الدين والسنة الوسطى

كما أن لكل من الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن[1] ،وللشيخ عبدالله بن يابس قصيدة في الرد على خالد محمد خالد لما قام بتأليف كتابه"من هنا نبدأ" ومما جاء في قصيدة الشيخ ابن يابس هذه الأبيات:

أخالد قد دهاك اليوم خطب بما أظهرت من حدث جسيم
أخذروف لأبناء الأعادي وسكين على الدين القويم
تمهل يا حطيئة كل علج يهودي ورومي وروسي
بأن الدين جانبه منيع تعالى فوق هامات النجومي[2].

كما أن للشيخ ابن يابس قصيدة في الرد على القصيمي لما ألف كتابه"هذه هي الأغلال" جاء فيها:

لردّي أيها الغر الإباحي على الأغلال أنكى في الكفاحي
وأسمى في نضال الخصم مما تصوره مروجة السفاحي
أتى ما فيه من كفر وزور فهدم صرحه فوق البطاحي[3]

(١) انظر:الدرر السنية(٩/٣٤٩، ٣٧٤)

(٢)انظر:من أعلام الإسلام الشيخ عبدالله بن علي بن يابس،تأليف عبدالله بن محمد اليابس،ط١ ، ١٤٢٦هـ ص٧٠

(٣)انظر:المرجع السابق ص٦٧ .

المبحث السابع

مقاصد تحذيرات أئمة الدعوة في نجد من الكتب المخالفة وخصائصها

نلحظ من خلال موقف أئمة الدعوة من الكتب المخالفة قوة الحجة، والثقة المطلقة بالمنهج الذي سلكوه مسلك أهل السنة والجماعة ولا ريب أن هذه الحجج القوية نابعة من علم راسخ ويقين ثابت.

وإن الناظر في موقف أئمة الدعوة من الكتب المخالفة عبر تحذيراتهم وفتاواهم يجد أن لهم مقاصد معينة، وأهدافاً محددة، وأنهم التزموا المنهج العلمي الرشيد فلم يكن قصدهم إظهار عيب من رُدَّ عليه، أو تنقُّصه، ويمكن توضيح ذلك عبر المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

مقاصد تحذيرات أئمة الدعوة في نجد من الكتب المخالفة

١- الدعوة إلى الله

لقد كان المقصد الأشهر عند أئمة الدعوة في نقدهم للكتب المخالفة هو الدعوة إلى الله تعالى، ونشر دين الله على بصيرة، وهذا ظاهر في مصنفاتهم رحمهم الله .

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في رده على أحد المؤلفين: «واعلم أن القصد بهذا مناصحتك، ودعوتك إلى الله، لعلَّ الله أن يمن عليك بالرجوع إليه، ومعرفة الحق، والعمل به»[1] .

وقال في موضع آخر:«لعلها تكون سبباً لرجوعه إلى الحق»[2].

(١) الدرر السنية(١٣٣/٧)

(٢) الدرر السنية(٥٠١/١)

وقد كان لمؤلفات المخالفين أثرٌ غير مقصود في نشر الدعوة السليمة، وبث أفكارها في العديد من البلدان والمناطق، فقد لفتت انتباه الناس وخاصة طلبة العلم نحو الدعوة الإصلاحية المباركة؛ فحرصوا على معرفة أهدافها، وحقيقة ما تدعو إليه ، كما أنها لفتت انتباه عوام الناس إلى حقيقة أوضاع علمائهم، وإلى البحث عن الحكم والصواب في شأن أمور دنياهم، ولا سيما الجانب العقدي، فلولا توفيق الله تعالى ثم ظهور بعض المصنفات المخالفة لما كان لهذه الدعوة السلفية أن تنتشر بما نرى من أثره اليوم فلله الحمد من قبل ومن بعد[1].

٢- **إظهار الحق**

لم يكن قصد أئمة الدعوة من الرد على المخالفين التعالي عليهم، أو التشفي منهم ، أو تتبع عثراتهم؛ بل بيان الحق وإظهاره، وتبيين الخطأ من الصواب .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب- رحمه الله- في آخر رسالته إلى أحمد بن يحيى ومناقشته أقوال بعض المخالفين لدعوته: «وبالجملة فالأمر عظيم، ولا نعذرك من تأمل كلامنا وكلامهم، ثم تعرضه على كلام أهل العلم، ثم تبين في الدعوة إلى الحق وعداوة من حاد الله ورسوله منا أو من غيرنا» [2].

ويقول - رحمه الله - : «إني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي عليه الصلاة والسلام أمته، وأقول لهم: الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي في

---

(١) انظر:الحياة العلمية وسط الجزيرة العربية د.أحمد بن عبدالعزيز البسام، نشر دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١ ،١٤٢٥هـ ، ص٣٨٥.

(٢) روضة الأفكار(١٢٢/١)

كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس»[1].

وقال في إحدى مناقشاته «فإن كان الصواب فيه فنبهني وأرجعُ إلى الحق...فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار»[2].

ومن أقواله المؤكدة لذلك: «وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين»[3].

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في أحد ردوده: «تأمل ما تقدم من الجواب، فإن الحق بحمد الله ظاهر، فإن كان طالب الحق وجده، وإلا فقد قامت عليه الحجة، وانزاحت الشبهة عمّن أراد البيان، ووفق لفهم العلم والإيمان، والله المستعان»[4].

كما يظهر هذا المقصد جلياً في تحذيرات لطيفة كتبها الشيخ حمد بن عتيق[5] على هفوات الشيخ محمد صديق حسن خان[6] في تفسيره الموسوم بـ"فتح البيان في مقاصد القرآن"[7].

(١) روضة الأفكار (١٥١/١)

(٢) روضة الأفكار (٩٧/١)

(٣) روضة الأفكار (١٧/٢)

(٤) انظر: الفرق بين النصيحة والتعيير (ص/١١).

(٥) حمد بن علي بن محمد بن عتيق، نشأ في الزلفي، ثم رحل إلى الرياض لطلب العلم فقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن حسن وغيره،ولي القضاء في الخرج والحوطة والأفلاج، ثم انشغل بتدريس طلابه، من مؤلفاته:إبطال التنديد،والدفاع عن أهل السنة والاتباع، توفي سنة ١٣٠٦هـ، انظر: علماء نجد(٨٤/٢)

(٦) محمد صديق حسن خان الحسيني البخاري،ولد ونشأ في الهند،وتعلم في دلهي، تفرغ للتأليف،من مؤلفاته:أبجد العلوم،وعون الباري،توفي سنة ١٣٠٧هـ، انظر:الأعلام(١٦٧/٦)

(٧) انظر:علماء نجد(٢٢٩/١)وانظر:جهود علماء الدعوة السلفية ص١١٧ .

المطلب الثاني

خصائص تحذيرات أئمة الدعوة في نجد من الكتب المخالفة

١- التأدب في التحذير

الناصح الصادق هو من يحرص على هداية من يرد عليه أو يحذر من كتبه، بأن يتأدب في الخطاب، ويثري كلامه بدعوات للمردود عليه.

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بعض ردوده: «فرحم الله من أدّى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقرَّ على نفسه، فإن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى» [(١)] .

ويقول عبدالرحمن بن حسن: «...لعلَّ الله ان يمنَّ عليك بالرجوع إليه، ومعرفة الحق، والعمل به»[(٢)] .

أمّا إن كان المقام يقتضي غير ذلك من الشدة في العبارة لمناسبة الحال فإنهم يميلون لذلك، ولهذا أمثلة متعددة، منها ما قاله الشيخ عبدا لرحمن بن حسن في رده على داوود بن جرجيس: «فإنه قد بلغني أنه قد ورد على بعض الإخوان مكاتبة من داوود بن جرجيس مملوءة بالكذب والتلبيس، ولا ريب أنه مما أوحاه الشيطان، وزخرفه إبليس»[(٣)] .

---

(١) الدرر السنية(٢/٤٣)

(٢) الدرر السنية(٨/٢٧٠)

(٣) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق عبدالعزيز الزير، دار العاصمة، الرياض، ط ١ ،١٤١٥هـ، وهو مسمى آخر لكتاب سبق ذكره، ص٤٥

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في رده على داوود بن جرجيس أيضاً: «أين آثار العلم في جهل هذا وأبيه بالتوحيد فضلاً عن سائر العلوم؟!»(١) .

٢- الأمانة والتثبت في النقل

من أصول المنهج العلمي السليم في نقد الكتب المخالفة أن يكون ذلك من خلال النقل من كتبهم لا ممن ردَّ عليهم، وهذا ما سار عليه غالب أئمة الدعوة في التحذير من الكتب المخالفة.

يقول الشيخ محمد عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في هذا الباب: «ينبغي لمن قصد الخير والدعوة إلى الله التوقع في الأمور والتثبت وعدم الطيش والعجلة»(٢).

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله- : «وقد رُفع إليّ رسالة سماها:"صلح الإخوان" فيها من تحريف الكلم عن مواضعه، والكذب على أهل العلم، وعدم الفقه فيما ينقله ويحكيه من كلامهم ما لا يحصيه إلا الله«(٣) .

ويقول الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى - رحمه الله- : «فقد وقفتُ على كراسة لبعض العصريين من أهل العراق سمّاها"أنموذج الحقائق"وضمّنها كثيراً من الهذيان»(٤) .

٣- مراعاة الأولويات في التحذير

لا شك أن الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة،

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس ص١٤

(٢) الدرر السنية(٢٠/٣٠٠)

(٣) منهاج التأسيس والتقديس ص١١

(٤) الردّ على شبهات المستغيثين بغير الله ص١٩

لأخذ الناس بالأول فالأول، ومن الأعلى إلى ما دونه، فقضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتي في المقام الأول.

وجاءت تحذيرات أئمة الدعوة من الكتب المخالفة على هذا المسلك فحذروا من أهم الأخطاء التي تحويها الكتب المحذر منها، وأكثرها انتشاراً بين الناس، محاولة منهم لتقديم الأهم على المهم فأمور العقيدة هي من أبرز ما ركز عليه أئمة الدعوة ثم الأمور التشريعية .

ومن أبرز الأمثلة في ذلك قول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتابه"البراهين الإسلامية في ردّ الشبه الفارسية" قال رحمه الله: «فإني قد وقفتُ على أوراق كتبها بعض الملحدين يرد فيها بزعمه ما دل عليه الدليل من وجوب إخلاص الدعاء لله، وترك مسألة ما سواه من الأنداد والأموات...وزعم أن للأولياء والصالحين بعد الممات تصرفاً، وأنهم يجيبون من قصدهم بالاستغاثة والدعاء»(١) .

والمطلع على الشبه الفارسية يرى أنها أكثر مما ذكر بكثير لكنه اقتصر على أشدها إيهاماً، وأكثرها رواجاً بين الناس(٢).

وكذلك صنع الشيخ حمد بن معمر في رسالته"الفواكه العذاب في الردّ على من لم يحكم السنة والكتاب" حيث لم يحذر إلا من

(١) البراهين الإسلامية في ردّ الشبة الفارسية، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، تحقيق محمد العارف الأرومي، مكتبة الهداية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ ص٤١ .

(٢) انظر:الشيخ عبدالرحمن بن حسن وطريقته في تقرير العقيدة،خالد بن عبدالعزيز الغنيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ ص٢٠٢، وجهود علماء الدعوة السلفية في نجد ص٤١.

ثلاث مسائل فقط[1] .

٤- المجادلة بالتي هي أحسن

حرص أئمة الدعوة في تحذيرهم من بعض المصنفات المخالفة على حسن المجادلة ، ومقارعة الحجة بالحجة ، فيردّ بالقرآن على من استدل من المخالفين بالقرآن ، وإن استدل بالسنة كان الردُّ عليه من السنّة وهكذا ، ومن تتبع تحذيرات أئمة الدعوة وجد ذلك ظاهراً [2].

بل إن بعض أئمة الدعوة أبدى استعداده لمناقشة مخالفيه كل في مذهبه بمسائل الاعتقاد المقررة عندهم .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله- : «وأقول: كل إنسان أجادله بمذهبه إن كان شافعياً فبكلام الشافعية ، أو كان مالكياً فبكلام المالكية ، أو حنبلياً أو حنفياً فكذلك» [3].

وكان الشيخ محمد كثيراً ما يحذر طلابه من المحاجة والمجادلة بغير علم [4] .

٥- التمهيد للردود

دأب أئمة الدعوة على وضع مقدمة أو تمهيد قبل أن يدلفوا في البدء في التحذير ، ليكون ذلك توطئة لقبول ما يُقال بعد ذلك .

يقول الشيخ أحمد بن عيسى في بداية كتابه "الردّ على شبهات

---

(١) انظر: الفواكه العذاب في الردّ على من لم يحكّم السنّة والكتاب، حمد بن ناصر بن معمر، تحقيق عبدالسلام برجس آل عبدالكريم، دار العاصمة ، الرياض، ط ١ ، ١٤٠٧هـ، ص٥٩، ٢٧، ٩١ ، وجهود علماء الدعوة السلفية في نجد ص ٣٩ .

(٢) انظر: جهود علماء الدعوة السلفية في نجد ص٤٣ ، وعنه انظر: الدرر السنية(٥٣/٢)وكشف ما ألقاه إبليس ص١٥٤ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ص٢٤٨ ، والردّ على شبهات المستعينين بغير الله ص٥٥ .

(٣) الرسائل الشخصية ص١٤٤

(٤) انظر: الدرر السنية(١٨١/٤)

المستعينين بغير الله": «ولنقدم بين يدي المقصود مقدمة نافعة، وقاعدة جامعة»[1].

وابتدأ الشيخ حمد بن معمر كتابه"الفواكه العذاب"بتمهيد أوضح فيه كمال الإسلام وتمام دين الله، وأن رسول الله ﷺ لم يمت إلا وقد بلغ الرسالة[2].

٦- **التحذيرات الجماعية**

كان أئمة الدعوة على منهج علمي قائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذا كلما خرج كتاب مخالف سارعوا إلى التحذير منه. والناظر في تحذيراتهم يرى تعددها على كتاب واحد بل ربما صُنف أكثر من سبعة مؤلفات كلها في التحذير من كتاب واحد كما في التحذير من كتب ابن جرجيس وغيره .

(١) الردّ على شبهات المستعينين بغير الله ص٢١

(٢) انظر: الفواكه العذاب ص ٢٧، وجهود علماء الدعوة السلفية في نجد ص ٤٥ .

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي نهاية هذا البحث أضع بعضاً من نتائج الدراسة منها:

١- كثرة كتابات أئمة الدعوة فيما يتعلق بالرد على الكتب المخالفة.

٢- تمّ في هذا البحث رصد عدد من المصنفات التي كتبت نقداً لبعض الكتب المخالفة.

٣- أن التحذير من مخالف الحق أمر واجب، مع من يُظن أنه أخطأ.

٤- سار أئمة الدعوة على منهج رشيد في موقفهم من الكتب المخالفة، وهو التحذير من كتب أهل البدع بعامة، والحث على قراءة كتب أهل السنّة والاعتقاد السليم.

٥- أن جل تصانيف أئمة الدعوة شملت تحذيرات من كتب مخالفة .

٦- أن العديد من أئمة الدعوة قد خصصوا مؤلفات في الرد والتحذير من مصنفات مخالفة .

٧- أن بعض العامة حرصوا على سلامة عقيدتهم فتوجهوا بسؤال أهل العلم واستفتاءهم عن بعض المؤلفات .

٨- أن أئمة الدعوة حذروا من الكتب المخالفة حتى في قصائدهم فكتب العديد منهم عشرات الأبيات في ذلك .

٩- أن من أهم مقاصد أئمة الدعوة في تحذيرهم من بعض الكتب المخالفة هو الدعوة إلى الله تعالى، وإظهار الحق للناس .

١٠- أن من أبرز خصائص تحذيرات أئمة الدعوة من الكتب المخالفة هي:التثبت في النقل، ومراعاة الأولويات في التحذير، والمجادلة بالتي هي أحسن .

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن سحمان تاريخ حياته وعلمه وتحقيق شعره، محمد بن عمر العقيل أبوعبدالرحمن الظاهري، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ

٢- الأسنة الحداد في ردّ شبهات علوي الحداد، سليمان بن سحمان، الطبعة المصطفوية في بمبي بالهند، ط١، ١٣٧٦هـ .

٣- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٩٨٩م

٤- أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي، مؤسسة الفرقان، جدة، ط١، ١٤٢١هـ

٥- أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، وليد الأعظمي، مكتبة الرقيم، بغداد، ط١، ٢٠٠١م .

٦- إمام العصر الشيخ ابن باز، الدكتور ناصر الزهراني، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧- إيضاح المحجة في الردّ على صاحب طنجة، مؤسسة النور للطباعة، الرياض، ط١

٨- البراهين الإسلامية في ردّ الشبة الفارسية، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، تحقيق محمد العارف الأرومي، مكتبة الهداية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ .

٩- تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد الغزوات، حسين بن أبي بكر بن غنام، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٤١٥هـ.

١٠- جهود علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين من بداية القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الرابع عشر، عبدالهادي الخليف، ط ١ .
١١- الحياة العلمية منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، د.مي بنت عبدالعزيز العيسى، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١ ، ١٤١٧هـ
١٢- الحياة العلمية وسط الجزيرة العربية د.أحمد بن عبدالعزيز البسام، نشر دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٥هـ.
١٣- خطبة الحاجة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤ ، ١٤٠٠هـ .
١٤- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، مطابع شركة المدينة، جدة، ط ٢ ، ١٣٨٨هـ.
١٥- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض د.عبدالعزيز العبداللطيف، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٧هـ
١٦- الرد على شبهات المستغيثين بغير الله، أحمد بن عيسى، عناية عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، دار طيبة، الرياض، ط١ ، ١٤١١هـ .
١٧- الرد على المخالف من أصول الإسلام، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار الهجرة، الخبر، ط ١ ، ١٤١١هـ .
١٨- الردّ القويم على ملحد القصيم، عبدالله بن علي بن يابس، طبع في مطبعة الإمام، مصر، ط ١ ، ١٩٤٧م

١٩- سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٠- سنن الترمذي في سننه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢١- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ

٢٢- السيف المسلول على عابد الرسول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط٣، ١٤٢٥هـ.

٢٣- الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة، محمد بن حمود الفوزان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٤- الشيخ عبدالرحمن بن حسن وطريقته في تقرير العقيدة، خالد بن عبدالعزيز الغنيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.

٢٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبوالحسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٦- الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، تحقيق د.عبدالسلام برجس.

٢٧- الضياء الشارق في ردّ شبهات المذق المارق، سليمان بن سحمان، الطبعة المصطفوية، بمبي.

٢٨- عبدالله القصيمي وجهة نظر أخرى، سليمان بن صالح الخراشي، دار روافد، الرياض، ط ١، ١٤٢٩هـ.

٢٩- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ

٣٠- عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل، عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، تحقيق حسين محمد بوا .

٣١- الفتاوى السعدية، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ

٣٢- فتاوى الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، جمع إبراهيم الحمدان، دار المنهاج، الرياض، ط ١ ، ١٤٣٠هـ .

٣٣- فتاوى عن الكتب ، عبدالإله بن عثمان الشايع، دار الصميعي، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .

٣٤- فتاوى نور على الدرب، عبدالعزيز بن باز، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٩هـ

٣٥- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ .

٣٦- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٨٣هـ

٣٧- فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، زيد بن محمد السليمان، تحقيق عبدالله بن زيد المسلم، دار التوحيد، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٦هـ.

٣٨- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٧م .

٣٩- الفرق بين النصيحة والتعيير، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي أبوالفرج، المكتبة القيمة، القاهرة، ط ٢، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف .

٤٠- الفواكه العذاب في الردّ على من لم يحكّم السنّة والكتاب، حمد بن ناصر بن معمر، تحقيق عبدالسلام برجس آل عبدالكريم، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ

٤١- القول البليغ في الرد على جماعة التبليغ، حمود بن عبدالله التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط ٢، ١٤١٨هـ

٤٢- القول الفصل النفيس في الردّ على المفتري داود بن جرجيس، عبدالرحمن بن حسن، دار الهداية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ .

٤٣- كتب حذر منها العلماء، مشهور بن حسن سلمان، دار الصميعي، الرياض، ط ١، ١٤١٥ه

٤٤- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام، سليمان بن سحمان، مطبعة الرياض.

٤٥- كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق عبدالعزيز الزير، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ.

٤٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط ٢، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي .

٤٧- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٩هـ .

٤٨- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٨٦هـ

٤٩- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الرياض، ط١٣٩٢، ١هـ.

٥٠- مصباح الظلام في الردّ على من كذب على الشيخ الإمام، عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، عناية إسماعيل بن عتيق، دار الهداية، الرياض .

٥١- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، عبدالعزيز بن سعود البابطين وآخرون، مؤسسة البابطين، الرياض، ط١ ، ١٤٢٢

٥٢- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي أبوعبدالله، دار الفكر، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .

٥٣- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٦م .

٥٤- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ تحقيق: مجمع اللغة العربية .

٥٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبوالحسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ،تحقيق هلموت ريتر .

٥٦- من أعلام الإسلام الشيخ عبدالله بن علي بن يابس، تأليف عبدالله بن محمد اليابس، ط١، ١٤٢٦هـ

٥٧- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض، ط٢، ١٤٠٧هـ

٥٨- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، تحقيق: د.محمد رشاد سالم .

٥٩- منهج التيسير المعاصر دراسة تحليلية، عبدالله بن إبراهيم الطويل، دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ .

٦٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إصدار دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع الجهني، الرياض، ط ٤ ، ١٤١٨هـ .

البحث رقم (٣)

تقريرات الشيخ
عبدالحميد بن باديس - رحمه الله -
الدعوية من خلال آثاره العلمية

إعداد

د. علي بن أحمد الأحمد

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فإن العلم الشرعي فضله عظيم تتقاصر دونه الفضائل سوى فضل النبوة إذ العلم هو ميراثها، كما في الحديث [1].

وقد عُلم أن أهل العلم على مر الأزمان من حيث العلوم؛ أصناف: فمنهم من تحددت إسهاماته العلمية في جانب لا غير، برز فيه وقدم من خلاله ما قدم تأصيلاً وتنظيراً، ومنهم من قد اتسعت آفاقه وتنوعت إسهاماته لتشمل جوانب من العلم الشرعي متنوعة تقريراً وتحريراً، وكل محسن في صنيعه، والأودية تسيل بقدرها، والله لا يضيع أجر المحسنين.

ونظراً لأن الأزمان مالت - ولا زالت - إلى العناية بالتخصصات، وجعل الفروع أصولاً تنطوي على مستجداتها ومتطلباتها، وفقاً لمقتضى طبيعة الحياة وتطورها؛ فإن علم الدعوة أخذ في الأزمنة المتأخرة نصيباً من التنظير أوفر حظّاً من الأزمنة المتقدمة.

فإن المختصين في الدعوة اليوم - من هذا المنطلق - يترقبون الإشارات الدعوية، ويتطلعون إلى نكاتها وما يلوح منها وما يخفى عند

(١) وهو حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الطويل: "... إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر". أخرجه الإمام أبو داود في سننه، ط[الأولى، عام :١٣٩٤هـ، الناشر: دار الحديث _ سوريا]. تحقيق الشيخ: الشيخ عزة دعاس (٥٨/٤ رقم٣٦٤١)، والإمام الترمذي في الجامع الصحيح، ط[الأولى، عام :١٤٠٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت](٤٨/٥ رقم٢٦٨٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط[الثالثة عام: ١٤٠٨هـ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت]. ٢/ ١٠٧٩ رقم ٦٢٩٧.

المتقدمين من علمائنا والمتأخرين ؛ لرصدها والاستفادة منها في التطبيق العملي من جهة، ومدّ علوم الدعوة التي تمس الحاجة إليها من جهة أخرى.

ومن خلال اطلاعي لما أثر عن فذ من علماء قُطر شمال المغرب العربي (الجزائر) وهو الشيخ عبدالحميد بن باديس - رحمه الله - في مدد ليست بالقصيرة، وتتبعي لآثاره وتقريراته العلمية، وكونها ذات وزن علمي واعتبار دعوي مهم نظراً لأمور أجملها في ثلاثة محاور :

الأول: ما يختص بالحالة الاجتماعية والسياسية التي دونت فيها هذه التقريرات حيث إنها كتبت إبان حقبة الاستعمار الفرنسي على الجزائر، وهو زمن اشتد على الدعوة والدعاة ظلامه، وانطمست كثير من شعائر الدين وشعاراته، وتبدل في الجملة دثاره اللغوي العربي في كثير من ميادين الحياة إلى الفرنسي، بل أصبح كثير من الصلحاء والمثقفين مع مرور الزمن غافلاً عن كيد الاستعمار، وفي هذا النوع من الظرف ولدت الدعوة الإصلاحية وتشكلت.. وهذا له دلالته وأهميته.

الثاني: ما يختص بالشيخ عبدالحميد بن باديس - رحمه الله - كداعية:

فهو يعد من أبرز الدعاة والعلماء ورموز الإصلاح في ناحية الشمال الأفريقي، وله في سبيل الدعوة إلى الله تعالى بذلاً دؤوباً على مدى عقود من الزمن، قدم خلالها سيلاً من المغارم لم ينقطع إلى أن

توفي.. [1] وقد اتسم كداعية بسمات عدة انعكست على دعوته، ومن أبرزها سلفية المعتقد، وسلامة المسلك، والحكمة والبصيرة، إضافة إلى ما وهبه الله من قدرات علمية وخطابية وكتابية وإدارية وظفها في خدمة الدعوة، جعلته من الدعاة المؤثرين على نطاق واسع وممتد إلى اليوم. وقد قال عنه البشير الإبراهيمي - رحمه الله - وهو من

---

(١) ومن ذلك أنه بعد محاولات فاشلة من الولاية العامة الفرنسية في حمل الشيخ ابن باديس على حلّ جمعية العلماء المسلمين التي أسسها لأجل الدعوة أو التخلي عن رئاستها ، حيث قدمت له العروض المغرية بواسطة أبيه –مصطفى- وكان منها تعيينه في أعلى منصب ديني فما نجحوا ، وكانت المحاولة الأخيرة لهم لما وقع والده في ديون كبيرة فبعث إليه "ميرانت" (مدير الشؤون الأهلية) في الولاية العامة بالعاصمة دعوة بالحضور إلى مكتبه في وقت محدد معلوم- ليكون والد ابن باديس حاضراً- ، فلما دخل عليه، قال له : " إن أسرة ابن باديس في ضائقة مالية حادة، وهي مقبلة على الإفلاس منذ اليوم، وإن الحكومة الفرنسية تعلن استعدادها لإنقاذ الأسرة، وهي هذه المرة لا تطلب منك حلَّ الجمعية ، وإنما تكتفي منك بالاستقالة منها فقط، تكتب الاستقالة وتوقعها لتبقى محفوظة عندنا من غير إعلان عنها أو إشهار. ونحن نسلم لأبيك الآن صكا مصرفيا يقضي كل ديون الأسرة ويمنحها فرصة لاستعادة مكانتها الاقتصادية والاجتماعية. ونحن يعزّ علينا سقوط هذه العائلة الماجدة وإفلاسها » لم يجب ابن باديس في حضرة والده وطلب مهلة للتفكير إلى صباح اليوم الموالي وفي الغد كتب جوابه إلى ميرانت: «اقتُل أَسيرَك يا ميرانت، أما أنا فمانع جاري (الجمعية)! اقتل مصطفى بن باديس واقتل معه ابنه عبد الحميد، واقض على أسرة ابن باديس إنْ مَنَحَك الله هذه القدرة، ولكنك لن تصل أبداً إلى قتل جمعية العلماء بيدي، لأنَّ جمعية العلماء ليست جمعية عبد الحميد بن باديس وإنما هي جمعية الأمة الجزائرية المسلمة، وما أنا إلا واحد فيها أتصرف باسمها واسم الأمة كلها، ومُحَال أن أتصرف تصرفا أو أن أقف موقفاً يكون فيه قتل الجمعية على يدي، أقول هذا وحسبي الله ونعم الوكيل " انظر : إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس - عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان ص/ ١٢٧ نقلاً عن كتاب : الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس- للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري، ط الأولى الناشر : دار الامام مالك - الجزائر.

أعرف الناس به: " عبد الحميد بن باديس باني النهضة وإمامها ومدرب جيوشها: عالم ديني، ولكنه ليس كعلماء الدين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي في قرونه الأخيرة، جمع الله فيه ما تفرّق في غيره من علماء الدين في هذا العصر، وأربى عليهم بالبيان الناصع، واللسان المطاوع، والذكاء الخارق، والفكر الولود، والعقل اللماح، والفهم الغواص على دقائق القرآن وأسرار التشريع الإسلامي.. والاطلاع الواسع على أحوال المسلمين ومناشئ أمراضهم، وطرق علاجها، والرأي السديد في العلميات والعمليات، من فقه الإسلام وأطوار تاريخه، والإلمام الكافي بمعارف العصر" [1]

الثالث: ما يختص بالقيمة العلمية للتقريرات الدعوية – محل الدراسة - :

هذه التقريرات تعد من الكتابات المباشرة والمبكرة نسبياً في إطار علم الدعوة فقبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري لم تكن الكتابات في هذا المجال قد أخذت الطابع العلمي الدقيق[2]، في حين أن ابن باديس عندما تكلم عن الدعوة فهو يحدد أركانها، ويجلي مراحلها، وجملة من التقريرات المتصلة بذلك - كما سيأتي بيانه - وهذا مما يعزز أهميتها لدى المختصين في الدعوة، ويمكن أن يقال: إن هذه التقريرات تعد من أوائل ما دون عن الدعوة في إطار منهجي

(١)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – جمع د. أحمد طالب الإبراهيمي ط[الأولى، عام: ١٩٧٧م ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت] ٥/ ١٣٧.

(٢) وقد رصد نشأة علم الدعوة د. محمد يسري إبراهيم بنبذة لا بأس بها. انظر : مبادئ علم أصول الدعوة ط[الأولى ، الناشر : دار اليسر عام ١٤٣٢هـ - مصر] ويمكن أن تكون منطلقاً لدرسه أكثر عمقاً وشمولاً.

ومتخصص وهي حقيقة بالعناية ولفت الانتباه.

لذا رأيت مناسبة إعداد هذه الدراسة مستعيناً بالله عز وجل تحت عنوان: "**تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس - رحمه الله - الدعوية من خلال آثاره العلمية**" لتحقيق الأهداف الآتية:

١- إبراز تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس الدعوية المتعلقة بمنهج الدعوة الصحيح.

٢- رصد تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس الدعوية في الجانب المتعلق بالداعية.

٣- بيان تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس الدعوية المتعلقة بالدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي في عصره.

وأعني بالتقريرات الدعوية: " **مجموعة المصادر الصحيحة التي يُستدل بها لإثبات قضية ما في مجال الدعوة إلى تعالى** ".

وإذا كانت هذه الدراسة سوف تقف عند هذه الجوانب الثلاثة من التقريرات فإن ذلك لن يكون إلا بالقدر الذي يضيء لنا عن رأي الشيخ - رحمه الله - وهي بالطبع غير معنية بمجال جهوده العملية في الدعوة إلى الله إذ ثمة دراسات أخرى قد استوعبت ذلك [1].

موارد الدراسة:

هي ما طبع من آثاره العلمية وهي عبارة عن كتابات متفرقة

---

(١) ومن أبرزها مما وقفت عليه : زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين - سيد حسين العفاني، ط [الأولى ، الناشر: دار العفاني– القاهرة] ٥، /٢٩٤- ٣٦٥.

ودروس علمية قيدها طلابه، وقد جُمع كثير منها بعد وفاته [1] منها:

١. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير [2]

٢. مجالس التذكير من كلام البشير النذير صلى الله عليه و سلم [3]

٣. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية [4].

٤. مبادئ الأصول. [5]

٥. مقالاته المتنوعة المنشورة في مجلة الشهاب [6]

تقسيمات الدراسة:

تمهيد وثلاثة مباحث كما يلي:

التمهيد ويشمل ما يلي:

- تعريف مختصر بالشيخ عبدالحميد بن باديس - رحمه الله- والأوضاع السائدة في عصره

---

(١) وقد جمع د.عمار الطالبي آثار ابن باديس في أربعة مجلدات بعنوان : " كتاب آثار ابن باديس "، طبعته الأولى سنة ١٣٨٨هـ .

(٢) وهي دروس في التفسير منشورة في مجلة الشهاب وسيأتي الحديث عنها .

(٣) وهي دروس في شرح أحاديث الموطأ منشورة في مجلة الشهاب .

(٤) وقد طبعت برواية وتعليق تلميذه محمد الصالح رمضان الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ عن دار الفتح في الشارقة.

(٥) وقد طبعت بتحقيق د. عمار الطالبي ونشرتها المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر ط٢ عام ١٩٨٨ م.

(٦) مجلة أسبوعية أنشأها العلاّمة عبد الحميد بن باديس سنة ١٣٤٣هـ مبدأها الإصلاح الدّيني والدّنيوي وتبحث في كل ما يُرقي المسلم الجزائري ، وبعد أن بلغت من الأعداد ١٧٨ في أربع سنوات أي حتى عام ١٣٤٧هـ حُوّلت إلى مجلّة شهريّة ، واستمرت كذلك إلى غاية عام ١٣٥٨ فقد تقرّر توقيفها لأجل الحرب العالميّة الثانيّة وبعدها بقُرابة السّنة أوقفت نهائيًا لأجل وفاة منشئها العلاّمة ابن باديس رحمه الله تعالى.

- أهداف دعوته ووسائل الدعوة التي استخدمها ، وأبرز جهوده الدعوية

المبحث الأول: تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس المتعلقة بمنهج الدعوة.

المبحث الثاني: تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس المتعلقة بالداعية.

المبحث الثالث: تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس المتعلقة بالدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي في عصره.

خاتمة وتشمل نتائج الدراسة.

تمهيد

أولاً- التعريف بالشيخ عبدالحميد والأوضاع السائدة في عصره:

- **اسمه ومولده:**

هو الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس بن المصطفى بن مكي بن باديس ولد في سنة ١٣٠٨هـ في مدينة قسنطينة في الجزائر وتوفي في ربيع الأول ١٣٥٩ هـ [1].

- **الأوضاع السائدة في عصره:**

من خلال نظرة على الأوضاع السائدة وقت ظهور ابن باديس، يتبين لنا أن المستعمر الفرنسي قد قام بطمس معالم الشخصية الإسلامية الجزائرية، من خلال تطبيق المنهج الفرنسي في جوانب كثيرة، من بينها التعليم الذي أنشأه خصيصا لأبناء رعاياه من الفرنسيين، وأغلق مؤسسات تعليم وطنية كانت تعلم الثقافة العربية والإسلامية، وضيق ما كان متسعاً على الدين الإسلامي وعلى اللغة العربية، واعتبرها لغة أجنبية، وتم ذلك بتدمير الممتلكات الثقافية وتخريب المكتبات وهدم المساجد أو تحويل وظيفتها، والاستيلاء على موارد الأوقاف، التي كانت تغذي التعليم، فكان من نتائج ذلك على مدى من الزمان ؛ انتشار الجهل، والأمية، والانحراف عن الدين، والجمود الفكري، وذيوع الخرافة وذوبان عناصر ومقومات الشخصية الإسلامية، مما أدى إلى تنكر فئة من أبناء الوطن لأصالتهم ووطنهم

---

(١) الأعلام - خير الدين الزركلي ، ط ا الحادية عشرة ، عام: ١٩٩٥م ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ا ٢٨٩/٣.

ودعوتهم إلى الاندماج مع المستعمر الفرنسي، وأما حال الشباب في ذلك العصر فيصفهم ابن باديس بقوله: " فلم يكن يوم ذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه وحقره في نفسه تحقيراً . وإلا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه آلا آلة متحركة في ذلك العمل لا هم له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام. وإلا شباب - حفظه الله - للإسلام والعروبة، فأقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ولا يألم بحاضر ولا يطمح لمستقبل، اللهم إلا أفراداً قلائل جداً هنا وهناك" (١)

ثانياً – أهداف دعوة الشيخ عبدالحميد ووسائلها:

أهداف دعوة الشيخ عبدالحميد:

الدعوة في حياة ابن باديس واضحة المعالم بينة الأهداف يمكن حصر أهدافها في الجملة بالأمور التالية:

- تكوين أجيال مستنيرة مؤمنة قوية قادرة على النهوض بالجزائر وتخليصها من كل أشكال التخلف والركود وتحريرها من الاستعمار.
- التربية الصحيحة من خلال تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق فقد قال ابن باديس - رحمه الله - في هذا الصدد: " **إن الذي نوّجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح وتقويم الأخلاق** " (٢)

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ٤ /٣٦٤.

(٢) انظر : الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر - محمد طهاري، دار الأمة الطبعة الأولى عام ١٩٩٩ م، ص٢١.

- نشر العلم والمعرفة وتثقيف الناس وإيقاظ وعيهم، وتحرريهم من ضعفهم، وزرع الأمل في نفوسهم.
- بعث اللغة العربية التي كادت تفقد مقومات بقائها في الجزائر.

- **وسائل دعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس:**

المطلع على جوانب الدعوة في حياة ابن باديس من خلال ما بينه في آثاره العلمية يلحظ عنايته بوسائل الدعوة وتنوعها ومن أهم هذه الوسائل: بناء المسجد، وتشييد المدرسة، وإنشاء جمعية العلماء المسلمين، وإقامة النوادي الخاصة بالشباب، وتنظيم تعليم خاص بالشباب، وتعليم خاص بالبنات والنساء، والجولات الدعوية في الهجر والقرى والمدن.

وتأسيس صحافة خاصة بالحركة الإصلاحية تنقل للقراء الأفكار الإصلاحية، وتبث فيها مضامين تتصل بالإصلاح والدعوة مثل:الشهاب، المنتقد، والبصائر، والصراط، والسنّة والشريعة.

ثالثاً - أبرز جهوده الدعوية:

يمكن استعراض بعض جهوده في الدعوة إلى الله تعالى – كمدخل لموضوع الدراسة - من خلال جانبين: أ- **في الجانب العقائدي والديني:**

- العمل على تطهير العقائد من الشرك الذي ظهرت ملامحه على كثير من مناحي الحياة وعلى كثير من أفراد الشعب الجزائري آنذاك.
- السعي في محاربة الآفات الاجتماعية الكبرى كالخمر والميسر و

البطالة وغيرها

- مواجهة الطرق الصوفية التي كانت تدعو إلى عبادة القبور والتواكل وإنكار حرية الإرادة ونشر العقائد الباطلة، وبالتالي تشويه الإسلام وتحطيم القيم الأخلاقية الإسلامية، وذلك من خلال الاحتساب عليهم عن طريق الصحافة وغيرها ونشر العلم والعقيدة الصحيحة ومذهب السلف ومحاربة الشرك.
- قام بتفسير القرآن الكريم في خمس وعشرين سنة للعامة في دروس في المسجد (١).
- تعليم القرآن الكريم للناشئة قال ابن باديس:" **فإننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن...وغايتنا التي ستتحقق أن يكوّن القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق الأمة آمالها** " (٢)
- تقرير عقيدة السلف كما في درسه عن العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (٣).
- بث روح الدعوة في روع العلماء وتوجيههم ومما يمثل به هنا ما حكاه نائبه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقد كان مصمماً

---

(١) وكان يرى أهمية أن يقدم تفسيراً تسمعه الجماهير سماعاً من خلال الدروس المنتظمة فتتعجل به الاهتداء، وقد ضايقته الأيام في حدود عمره فلم يتمكن من تدوين ذلك، ولم يقيد طلابه إلا اليسير منه الذي يدل على عظم المفقود مع الأسف.

(٢) انظر: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر - محمد طهاري، دار الأمة، ص ٢٨.

(٣) وقد طبع برواية وتعليق تلميذه محمد الصالح رمضان، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ عن دار الفتح في الشارقة.

على الخروج من الجزائر:« إن خروجك يا فلان أو خروجي يكتبه الله فراراً من الزحف ». قال البشير الإبراهيمي:« فوالذي وهب له العلم والبيان لقد كانت كلمته تلك شؤبوباً من الماء صب على اللهب » "[1]

- تخريج جيل من الدعاة على قدر من التميز في الدعوة قال البشير الإبراهيمي: "فإنه أخرج للأمة الجزائرية في الزمن اليسير جيلا يفهم الحياة، ويطلبها عزيزة شريفة، ويتدرع إليها بالأخلاق المتينة، وقد كان يدربهم على الأعمال النافعة، كما يدرب القائد المخلص جنوده، ويعدهم لفتح مصرٍ، أو لقاء مصرع، ولتلامذته إلى اليوم سمات بارزة في إتقان الدعوة الإصلاحية وهم الرعيل الأول في الثورة الفكرية الجارفة، التي نقلت الجزائر من حال إلى حال".[2]

ب - في الجانب السياسي والوطني:

- أعلن الاحتساب على دعاة الاندماج وقام في العديد من المرات بمحاورتهم لإقناعهم بخطر فكرتهم قال - رحمه الله - : " إنّ **هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت** "[3] وأصدر فتوى بتكفير كل مسلم جزائري تنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي والاندماج أو التجنس بالجنسية الفرنسية في زمنه نظراً لاعتبارات معينة.

---

(1) آثار البشير الإبراهيمي ٣٣٨/٤

(2) آثار البشير الإبراهيمي ١٣٩/٥.

(3) انظر: الحركة الإصلاحية ص ٤٠.

- الدعوة إلى مقاطعة الاحتفالات الفرنسية في مناسبة الذكرى المئوية لاحتلال قسنطينة وهي إحدى مدن الجزائر .
- التصدي لكل سياسة ترمي إلى التنصير والفرنسَة في الجزائر.
- يعد الشيخ غارس بذور الثورة الجزائرية ضد الاستعمار، فمن أقواله التي كان يصدع بها: **" أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها، سنعرف في المستقبل كيف نعمل وكيف نحيا من أجلها "** [1] وقال أيضا: **" فما عهدنا الحرية تعطى إنما عهدنا الحرية تؤخذ، وما عهدنا الاستقلال يمنح ويوهب، وإنما عهدنا الاستقلال ينال بالجهاد والاستماتة والتضحية "** [2]

ولا ريب أن هذه الجهود لم تَرُقْ للمستعمر الفرنسي، ونفسه - رحمه الله - لم تكن من طراز تلك النفوس التي تقبل المساومة على المبدأ، لذا فقد واجه عدداً من الصعوبات في سبيل دعوته، ومنها وقوع الكثير من الدسائس والمؤامرات من قبل خصومه سواء من الحكومة الفرنسية وأتباعها من المتأثرين بالاستعمار الفرنسي، أو من العلماء الموظفين في السلك الديني من الموالين للاستعمار.. وعلى إثر ذلك فقد تعرض إلى أنواع من المضايقات والمساومات والاعتداءات الجسدية وغيرها [3].

---

(١) انظر : إمام الجزائر ، د. عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، دار الأمة ، بدون تاريخ طبع ص ٣٢.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٣٢.

(٣) ينظر للاستزادة حول هذه الشخصية :

- من أعلام الإصلاح في الجزائر - محمد الحسن فضلاء ، دار هومه ، بدون تاريخ طبع.

فهذه نتفٌ سقناها تدلل على قيام ابن باديس بالدعوة العملية في الجانب العقدي الديني والجانب السياسي والوطني، وهي بلا شك أثْرت ما لديه من علم وجعلت ما يقرّره من قضايا تتصل بالدعوة ذات أبعاد مهمة.

- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا - أنور الجندي - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٥هـ.
- عبد الحميد بن باديس: رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة - محمد فتحيي عثمان - دار القلم - الكويت ١٩٨٧م.
- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية - مصطفى محمد حميداتو - كتاب الأمة - الدوحة ١٤١٨هـ
- عبد الحميد بن باديس - العالم الرباني والزعيم السياسي - د. مازن مطبقاني دار القلم - دمشق: ١٤١٠ - ١٩٨٩
- زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين - سيد حسين العفاني.
- الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس - للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري، دار الإمام مالك - الجزائر

المبحث الأول

تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس المتعلقة بمنهج الدعوة

بناء على أن المقصود بمنهج الدعوة هو:نظامها وخططها المرسومة لها [1] فقد كان للشيخ عبدالحميد - رحمه الله - تقريرات علمية يمكن أن نصنفها في دائرة المنهج، ويتضح ذلك فيما يلي:

أولاً- اعتماد الكتاب والسنة في الدعوة:

مما تميز به أهل الدعوة الصحيحة أنهم يجعلون الدعوة إلى الله وإعادة مجد الأمة مبنية على مصدري التشريع القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا الأصل قد صرّح به الشيخ ابن باديس في أكثر من موضع حيث قال:" فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد (التمكين) أن تصلح من أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن، فأما إذا لم يكن لها حظ من ذلك الصلاح فلا حظّ لها من هذا الوعد وإن دانت بالإسلام. ولله سنن نافذة بمقتضى حكمته ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء " [2].

وفي موضع آخر يقرر في المنهج حتمية إتباع السبيل النبوي أداء الدعوة من خلال قوله تعالى:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠

---

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة - محمد أبو الفتح البيانوني ، ط ا الرابعة، عام: ١٤١٨هـ، الناشر: إدارة الشؤون الإسلامية - قطر/ص/ ١٩٥.

(٢) كتاب آثار ابن باديس (١/ ٢١٠). وانظر : الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس- للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري.

وَمَنِ ﴾[1] بأن :« على كل مسلم أن يكون داعيا إلى الله: لقد كان في بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيل محمد ما يفيد أن على أتباعه - وهو قدوتهم ولهم فيه أسوة حسنة- أن تكون الدعوة إلى الله سبيلهم، لكن لتأكيد هذا عليهم وبيان أنه من مقتضى كونهم أتباعه، وأن اتباعهم له لا يتم إلا به ؛ جاء التصريح بذلك هكذا "أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني". فالمسلمون أفراداً وجماعات عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله وأن تكون دعوتهم على بيّنة وحجة وإيمان ويقين وأن تكون دعوتهم وفقاً لدعوته وتبعاً له" [2]

وأوضح أن نداءات الإصلاح والدعوة آخذة في التنامي لكن يجب أن تكون قائمة على الأصل الصحيح وهو الكتاب والسنة إذ قال: " فأخذت صيحات الإصلاح ترتفع في جوانب العالم الإسلامي في جميع جهات المعمورة تدعو الناس إلى معالجة أدوائهم بقطع أسبابها واجتثاث أصلها وما ذاك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الإسلام، قد حفظ الله علينا ذلك بما إن تمسكنا به لن نضل أبدا - كما في الحديث الصحيح- الكتاب والسنة، وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولا ولا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم إلا إذا أنقذه الله به ثانياً"[3]

---

(١) سورة : يوسف. جزء من آية رقم ١٠٨.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ، ط الرابعة ، عام: ٢٠٠٨ م ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - تونس ١/١٧٦

(٣)كتاب آثار ابن باديس ١/٢٢٥. وانظر : الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس- للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري .

ثانياً : تقريره أن تسمية منهج الدعوة سبيلاً مقتضاه ضرورة الالتزام به

قال ابن باديس - رحمه الله - في بيانه هداية قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] « شرع الله لعباده بما أنزل في كتابه، وما كان من بَيان رسولِه ما فيه استنارةُ عقُولهم، وزكاءُ نفوسِهم واستقامةُ أعمالهم، وسمّاه سبيلاً ؛ ليلتزمُوه في جميع مراحلِ سيرِهم في هذه الحياة؛ ليُفضِيَ بهم إلى الغاية المقصودة، وهيَ السّعادة الأبديّةُ في الحياة الأُخرى؛ وأضافه إلى نفسه ليَعلَمُوا أنّه هو وَضعَهُ وأنّه لا شيءَ يُوصِل إلى رضْوانه سواه ».[2]

ثم ساق - رحمه الله - أركان الدعوة بأن قال: أركان الدعوة أربعة: الداعي: وهو النبي ﷺ، والمدعو: وهم جميع الناس، والمدعو إليه: وهو سبيل الرب جل جلاله والدعوة إلى سبيله الموصله إليه دعوة إليه فالمدعو إليه في الحقيقة هو الله تعالى وحده، والبيان عن الدعوة.. وهذه الآية الكريمة جاءت في بيان كيفية الدعوة وبما يؤدى وكيف يدافع عنها مع ذكر الداعي والمدعو إليه "[3]

ثالثاً - تقريره أن منهج الدعوة قائم على ثلاث ركائز:

يقرر - رحمه الله - في سياق تفسيره قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

(١) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٢)كتاب آثار ابن باديس ١/١٨١.

(٣)كتاب آثار ابن باديس ١/١٨٢.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [(١)] أن منهج الدعوة يرتكز على أسس ثلاثة حيث قال: " فلهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه واله وسلم أن يبين سبيله بياناً عاماً للناس تتضح المحجة للمهتدين وتقوم الحجة على الهالكين أمره أن يبينها البيان الذي يصيرها مشاهدة بالعيان ويشير إليها كما يشار إلى سائر المشاهدات فقال له: قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ثم بين سبيله بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الله على بصيرة، وتنزيه الله تعالى، والبراءة من المشركين فقال: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [(٢)]. ثم قال: "فالمسلمون المتبعون لنبيهم ﷺ كما يدعون إلى الله على بصيرة وينزهونه، يباينون المشركين في عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم ويطرحون الشرك بجميع وجوهه ويعلنون براءتهم وانتفاءهم من المشركين، والحمد لله رب العالمين " [(٣)]

رابعاً - تقريره أن تبليغ النبي ﷺ لرسالته كان وفق درجات أربع:

من المعلوم أن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت على مراحل وتبليغه بالنسبة للمدعوين كان في غاية التنظيم والتدرج، أشار ابن باديس إليها وألمح إلى أهمية اتخاذ هذا المسلك في الدعوة فقال " فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو رسول الإنسانية كانت أول عنايته موجهة إلى قومه، وكانت دعوته على ترتيب حكيم بديع لا

---

(١) سورة : يوسف. آية رقم ١٠٨.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ١ /١٧٤

(٣) كتاب آثار ابن باديس ١ /١٧٤

يمكن أن يتم إصلاح إنسانياً أو شعبيّاً إلا بمراعاته"[1] وفي موضع آخر استعرض تلك الدرجات بقوله:

الدرجة الأولى: الأمر بالتبليغ المطلق: بدأ رسول الله ﷺ من الوحي بالرؤيا الصادقة التي هي تلقي الروح من عالم الملائكة عند تخليها بعض التخلي عن الجسد في حالة النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[2] فكان هذا أول أمر بالتبليغ والإنذار فكان تبليغه لزوجته وهي مصدقة له وكان يبلغ الفرد والفردين وكان أبو بكر الصديق أول من آمن من الناس وكان عليٌّ كرم الله وجهه[3] في كفالتة مستمسكا بأذياله ما عرف باتباعه فكان من أول من آمن به.

الدرجة الثانية: الأمر بتبليغ العشيرة: ثم أُمر بإنذار قومه قريش بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[4] فخرج حتى صعد إلى الصفا، ثم نادي يا صباحاه، وكانت العرب إذا دعا الرجل بياصباحاه اجتمعت إليه عشيرته فكانت هذه دعوته العامة لقومه من قريش.

الدرجة الثالثة: الأمر بتبليغ العرب حوالي مكة: ثم كان أمره بأن ينذر العرب خارج مكة بمثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ٤/١٧ .

(٢) سورة : المدثر. آية : ١ - ٥ .

(٣) تخصيص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكرم الله وجهه لا أصل له .

(٤) سورة : الشعراء . آية :٢١٤ .

﴿عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [1] فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج إلى أن كانت بيعة العقبة وإيمان الأنصار.

الدرجة الرابعة: الأمر بالتبليغ العام لمن في عصره ولمن بعدهم، ثم أمر بالتبليغ العام بمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [2] فكاتب الملوك خارج جزيرة العرب كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم وقد بلغ من جاء بعده من الأمم بما ترك لهم من كتاب الله لقوله تعالى﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [3] أي لأنذركم بالقرآن وأنذر من بلغ القرآن، فعم ذلك كل من بلغه [4].

رابعاً - تقريره أن الدعوة توجه لعموم الناس الأقرب فالأقرب:

إن المنهج الدعوي السليم يستلزم أن تكون الدعوة موجهة إلى عموم الناس في الأصل وأشار ابن باديس لنكتة علمية استنبطها من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ حيث قال: " وأمر نبيه صلى الله عليه واله وسلم أن يدعوا الناس أجمعين – وحذف معمول أدع لإفادة العموم – إلى هذه السبيل فقال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [5] [6] .

وليس معنى ذلك أن تُترك دعوة الأقربين ولهذا كان يقرر هذه

(١) سورة : الشورى. آية : ٧ .

(٢) سورة : الأعراف جزء من آية : ١٥٨ .

(٣) سورة الأنعام جزء من آية : ١٩.

(٤) كتاب آثار ابن باديس ٤ /١٢. وما ذكره ابن باديس قريب مما ساقه ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في زاد المعاد عن ترتيب الدعوة ومراتبها انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط ا الثالثة ، عام١٤٢٣هـ ، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ا. ١/ ٨٤

(٥) سورة : النحل. جزء من آية :١٢٥.

(٦) كتاب آثار ابن باديس ١ /١٨١

المسألة في عدد من المواضع بقوله: "قد كان النبي يرسل إلي قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الناس عامة بمثل قوله ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[1] أي بالقرآن كل من بلغه القرآن، ولا يُشكل على ذلك مثل ما تقدم من الآيات في إنذار عشيرته الأقربين وقومه العرب لأنه ابتدأ بهما لحكمة التدريج وحق القريب، لا للتخصيص، بدليل ما جاء من آيات التعميم "[2].

ثم قال في هذا الاتجاه: " هكذا على المرء أن يبدأ في الإرشاد والهداية بأقرب الناس إليه، ثم من بعدهم على التدريج وعندما يقوم كل واحد منا بإرشاد أهله وأقرب الناس إليه لا نلبث أن نرى الخير قد انتشر في الجميع فمن الأسر تتركب الأمة فعندما يعنى كل واحد بأسرته ترتقي الأمة كلها بارتقاء أسرها كارتقاء أي كل بارتقاء أجزائه فيكون المعتني بأسرته في الوقت نفسه معتنيا بأمته "[3].

سادساً - تقريره وجوب الدعوة :

المتقرر في علم الدعوة أن حكم الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم قادر بحسب استطاعته[4] ويؤكد ابن باديس - رحمه الله - قضية الأمر بتبليغ الدعوة بقوله: "كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو مأمور بتبليغ رسالته على الخصوص والعموم لمقتضى ما

---

(١) سورة الأنعام جزء من آية : ١٩.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٢ /٧١ .

(٣) كتاب آثار ابن باديس ٧١/٢ .

(٤) انظر : الدعوة وأخلاق الدعاة لسماحة شيخنا عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - [الأولى ، عام:١٤٢٧هـ ، الناشر: الجمعية السعودية للدراسات الدعوية - الرياض] ص/ ١٤-٢١ .

نطالب به من التأسي والاقتداء به صلى الله عليه واله وسلم ولقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[1] فجعل من اتبعه داعياً معه إلى الله على بصيرة " .

وفي موضع آخر يقرر حتمية الاتباع في أداء الدعوة من خلال قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ بأن : " على كل مسلم أن يكون داعيا إلى الله: لقد كان في بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيل محمد ما يفيد أن على أتباعه - وهو قدوتهم ولهم فيه أسوة حسنة- أن تكون الدعوة إلى الله سبيلهم، لكن لتأكيد هذا عليهم، وبيان أنه من مقتضى كونهم أتباعه، وأن اتباعهم له لا يتم إلا به جاء التصريح بذلك هكذا " أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني". فالمسلمون أفراداً وجماعات عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله وأن تكون دعوتهم على بيّنة وحجة وإيمان ويقين وأن تكون دعوتهم وفقا لدعوته وتبعاً له" [2].

ثم بين أن هذا المسلك هو ما كان عليه السلف من هذه الأمة بقوله " ولقد عرف السلف هذا فكانوا دعاة إلى الله بأقوالهم وأعمالهم المطابقة لها حتى انتشر الإسلام في أقل من ربع قرن في المعمور"[3].

أما تطبيق ذلك في واقع الحياة فيرى الشيخ أن ثمة قصور واضح في أداء هذا الواجب فقال: " أما نحن فقد قصرنا في هذا الواجب غاية التقصير فتركنا تبليغ الدين إلى الأمم حتى لنخشى أن يكون من

---

(١) سورة : يوسف. جزء من آية رقم ١٠٨.

(٢)كتاب آثار ابن باديس ١٧٦/١

(٣) كتاب آثار ابن باديس ٤ /١٥.

أوزارنا بقاء الأمم الضالة على ضلالها لتقصيرنا في التبليغ إليها وأكبر من هذا تقصيرنا في تبليغ الدين إلى أنفسنا بإهمالنا جانب التعليم الديني والوعظ والإرشاد " [1]

وقال في موضع آخر مبيناً أن الوجوب في حق العلماء آكد منه في حق غيرهم: " فلم يكن المسلم ليدع من هذا المقام ثابتاً لكل مسلم ومسلمة وحقاً القيام به – بقدر الاستطاعة – على كل مسلم ومسلمة، فأهل العلم أولى وهو عليهم أحق، وهم المسؤولون عنه قبل جميع الناس وما أصاب المسلمين ما أصابهم إلا يوم قعد أهل العلم عن هذا الواجب"[2]

وحول بعث الهمم لأداء الواجب المناط بكل مسلم بحسبه وفقاً للهدي النبوي يقول: " فلنعقد العزم على الاجتهاد في التبليغ ولنبدأ بأهلينا ومن إلينا ولنفكر ثم لنعمل في تبليغ الدين كما جاء به النبي ﷺ إلى أمة الإجابة وأمة الدعوة، وليكن تفكيرنا في هذا واهتمامنا به ثمرة إحيائنا لهذه الذكرى الكريمة وعلمنا بهذا النزر من حياة ذلك النبي الكريم ولنا – بعد عون الله تعالى – من الإيمان والمحبة فيه ما يعيننا على ذلك ويقوى أملنا فيه ويبلغنا إليه " [3]

سابعاً – تقريره وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يرى ابن باديس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وجوباً عينياً، لكنه حسب العلم والاستطاعة، فقال – رحمه الله –

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ٤ /١٥.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ١ /١٧٧.

(٣) كتاب آثار ابن باديس ٤ /١٥.

:" ومن الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة بدون استثناء، وإنما يتنوع الواجب بحسب رتبة الاستطاعة"[1]

وإذا كان هذا الأصل واجباً على عامة الناس بحسب علمهم، فهو واجب على العلماء وجوباً عينياً خاصة في بيان المنكرات العامة التي تهم عموم الأمة، والمسؤولية الملقاة على عاتق أهل العلم في هذا الباب أعظم بكثير من المسؤولية الملقاة على غيرهم، وهذا نداء العلامة ابن باديس - رحمه الله تعالى - إلى علماء الزيتونة كنموذج يقرر فيه بعض المعاني التي ذكرنا إذ قال رحمه الله: إن مسؤولية العلماء عند الله فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة وإن حسابهم على ذلك لشديد طويل، ذلك بما كتموا من دين الله، وبما خافوا في نصرة الحق سواه، وبما حافظوا على منزلتهم عند العامة وسادة العامة ولم يحافظوا على درجاتهم عنده، وبما شحوا ببذل القليل من دنياهم فيما يرضيه، وبما بدلوا وأسرفوا في الكثير من دينهم فيما يغضبه اللهم إلا نفراً منهم..."[2]، وقال: " ولهذا فنحن ندعو العلماء كلهم إلى أن يذكروا هذا الميثاق وأن لاينبذوه وراء ظهورهم، وأن يبادر كل ساكت وقاعد إلى التوبة والإصلاح والبيان فقد علموا قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ١٧٦/١. ولمعرفة آراء العلماء في حكم هذا الشعيرة انظر: الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها – لأستاذنا أ. د فضل إلهي، ط ا الثانية، عام: ١٤١٣هـ الناشر: إدارة ترجمان الإسلام- باكستان ا ص/ ٤٣- ٨٢.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ١١٥/٣.

﴿ تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [1] [2].

ثامناً - تقريره أن تقديم الدعوة نوع من الذكر باللسان :

يقرر - رحمه الله - أن ذكر اللسان ضربان وفي بيانه للضربين قال:

"الأول: ذِكر الله تعالى بالثناء عليه والاعتراف بنعمه وإظهار الفقر إليه بأنواع الأذكار والدعوات... وهذا الذكر شرط الاعتداد به حضور القلب عنده ومن أظهر الآيات الواردة فيه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[3] فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بلغ في حجته المشعر استقبل القبلة ودعا وكبر وهَلَّلَ ووَحَّد " [4]

وهذا النوع مشتهر عند العامة والخاصة أما النوع الثاني فيكاد يخفى على كثير من الدعاة وقد أبانه بقوله: " الثاني: ذكره تعالى بدعوة الخلق إليه وإرشادهم إلى صراطه المستقيم الموصل إليه بتعليم دينه والتنبيه على آياته وإنعاماته، وتبيين محاسن شرعه وتفهيم أحكامه وشرح حكمته في خلقه وأمره، والترغيب والترهيب بوعده ووعيده، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين في التبليغ عن رب العالمين

---

(١) سورة : آل عمران. آية رقم ١٨٧.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٣/١١٥.وانظر مبادئ الأصول لابن باديس ط1 الثانية ، عام ١٩٨٨ م الناشر : المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ا. ت: د. عمار الطالبي ص/٢٥

(٣) سورة : البقرة . جزء من آية : ١٩٨.

(٤) كتاب آثار ابن باديس ١ / ١٣٤ .

واتباعهم للمؤمنين إلى يوم الدين" [1]

تاسعاً - تقريره أن التذكير بالقرآن الكريم مطلق:

يقرر الشيخ أن الدعوة بالقرآن الكريم مطلقة فهي غير مقتصرة على صنف من المدعوين أو حال معينة، وذكر مبيناً حال النبي ﷺ في الدعوة مستشهداً بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [2] أنها على إطلاقها بالنسبة للمدعوين مؤمنهم وكافرهم فقال في هذا الشأن: " فالقرآن وبيانه القولي والعملي من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهما يكون تذكير العباد، ودعوتهم لله رب العالمين، ومن حاد في التذكير عنها ضل وأضل، كان ما يضر أكثر مما ينفع إن كان هناك من نفع كان صلى الله عليه واله وسلم لا يفتأ مذكرا المؤمنين والكافرين، والله يهدي من يشاء ويوفق من يريد، وقد أمر بالتذكير مطلقا في قولة تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [3] " [4].

كما أنها بالنسبة لحال المدعوين أيضاً غير مقيدة بحال معين وأكد هذا المعنى وأوضحه بقوله: " كانت سيرته العملية في التذكير هي العمل بهذا الإطلاق، فما كان يخص قوما دون قوم في الدعوة والتذكير، فكانت هذه السنة العملية دليلا على أن ما جاء على صورة التقييد في بعض الآيات ليس المراد منة التقييد، ومن ذلك قوله

(١) كتاب آثار ابن باديس ١/ ١٣٤ .

(٢) سورة : ق. رقم : ٤٥.

(٣) سورة : الغاشية. رقم : ٢١.

(٤)كتاب آثار ابن باديس ١ / ١٢٧ .

تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [1]. وأجاب على الإيراد بشرط الانتفاع بالذكرى بأنه ليس شرطاً بالمفهوم الأصولي بقوله ": فالشرط الصوري هو للاستبعاد أي استبعاد نفع الذكرى فيهم " [2] ثم بين بأن هذا أسلوب أصيل في اللغة بقوله: " ولا يزال من أساليب العربية في لسان التخاطب الدارج بيننا قول الناس لبعضهم بعضا :(كلمّه في كذا إذا نفع فيه الكلام) استبعاد لنفعه فيه، ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [3] " [4].

عاشراً: تقريره استمرارية الدعوة وأن على الداعية القيام بالجدال والدعوة ومرد الهدى والضلال والمجازاة على الأعمال إلى الله وحده:

المستقرئ لنصوص الكتاب والسنة يلمح أن الله جعل الدعوة كلمة باقية إلى قيام الساعة دون انقطاع، وقد قرر هذا المعنى ابن باديس في عدة مواضع منها قوله:" من المعلوم عند أهل العلم أن مما حفظ الله به دينه وأبقى به حجته أن لا تنقطع الدعوة إلى الله في هذه الأمة والقيام على الحق، والإعلان بالسنن، والرد على المنحرفين والمتغالين والزائغين والمبتدعين، وأن أهل هذه الطائفة معروفة مواقفهم

(١) سورة : الأعلى. رقم : ٩.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ١/ ١٢٧ .

(٣) سورة : ق. رقم : ٤٥.

(٤)كتاب آثار ابن باديس ١ / ١٢٧ .

في كل جيل، محفوظة آثارهم عند العلماء" [1]

وفي جانب تفويض النتائج إلى الله فمن المعلوم أن الله جل جلاله قال لمحمد ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [2].

وفي هذا السياق يقرر - رحمه الله - أن "ثمرة العلم بهذا أن الداعي يدعو ولا ينقطع عن الدعوة، ولو لم يتبعه أحد؛ لأنه يعلم أن أمر الهدى والضلال إلى الله، وإنما عليه البلاغ وأنه يصبر على ما يلقى من إعراض وعناد وكيد وأذى دون أن يجازي بالمثل أو يفتر في دعوة من آذاه لعلمه بأن الذي يجازي إنما هو الله " [3]

(١) كتاب آثار ابن باديس ٤/ ١٨٣

(٢) سورة : النحل. رقم : ١٢٥.

(٣) كتاب آثار ابن باديس ١ /١٩٢.

المبحث الثاني

تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس المتعلقة بالداعية

الشيخ عبدالحميد - رحمه الله - له تحريرات علمية يمكن أن نصنفها في دائرة الداعية، وهي تلك الأمور التي تتصل بالداعية من جهة التكوين العلمي وأساليب الدعوة (1) وبيان ذلك وفق لمحورين:

المحور الأول: الداعية فضله وتكوينه العلمي:

أولاً – تقريره أن الداعية بالقرآن الكريم مجاهد:

بالنظر إلى أن الدعوة بالقرآن العظيم فيها إحقاق الحق وإبطال الباطل من الشبه والضلالات فهي جهاد وعمل عظيم إذ قال رحمه الله: "هذه الآية نص صريح في أن الجهاد في الدعوة إلى الله وإحقاق الحق من الدين وإبطال الباطل من شبة المشبهين وضلالات الضالين وإنكار الجاحدين هو بالقرآن العظيم، ففيه بيان العقائد وأدلتها ورد الشبه عنها وفيه بيان الأخلاق محاسنها ومساوئها وطرق الوصول إلى التحلي بالأولى والتخلي عن الثانية ومعالجتها وفيه أصول الأحكام وعللها وهكذا فيه كل ما يحتاج إلية المجاهد به في دين الله.

فيستفاد منها كما يستفاد من آيات أخرى غيرها أن على الدعاة والمرشدين أن تكون دعوتهم وإرشادهم بالقرآن العظيم " (2)

وبناء على هذا التأسيس أوضح أن الداعية الذي يدعو بالقرآن هو في الحقيقة مجاهد وذلك يعد منقبة عظيمة له فقال: "قد سمى الله

---

(1) وأما قسيم الأساليب في أداء الدعوة وهو الوسائل فالشيخ - رحمه الله - استفاد عملياً من وسائل عصره كما في المقدمة ص/ ٧ ، إلا أننا لم نعثر على تقريرات دعوية تتعلق بالوسائل بما يجعلنا نفرد لها فقرة مستقلة.

(2) كتاب آثار ابن باديس ١/ ٤٢٩ .

تعالى الجهاد بالقرآن جهاداً كبيراً وفي هذه منقبة كبرى للقائمين بالدعوة إلى الله بالقرآن العظيم وفي ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم حيث يسرهم لهذا الجهاد حتى ليصح أن يسموا بهذا الاسم الشريف (مجاهدون) فحق عليهم أن يقدروا هذه النعمة ويؤيدون شكرها بالقول والعمل والإخلاص والثبات والصبر واليقين " [1].

وحول الشبهات التي يوردها خصوم الدعوة يؤكد أنه لا توجد شبهة إلا وفي القرآن جوابها لذا يحتم على الدعاة كشف الشبهات من القرآن الكريم والعناية بهذا العلم من قبل الدعاة بقوله "إذا تتبعت آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شبه الظالمين واعتراضهم ونقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف في أوجز لفظ وأقربه وأبلغه، وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والإرشاد أن يكون لهم به فضل عناية ومزيد دراية وخبرة، ولا نحسب شبه من كل ذي ضلالة أن نفزع إلى آي القرآن ولا أخالنا إذا أخلصنا القصد وأحسنا النظر واجديها فيها وكيف لا نجدها في آيات ربنا التي هي الحق وأحسن تفسيراً" [2]

ثانياً - تقريره أن العلم الصحيح هو سلاح الدعاة في كل ميادين الدعوة:

العلم الصحيح هو مادة الدعوة وسلاح الداعية، وهذا المعنى معلوم من النصوص الشرعية ومن كلام أهل العلم، فإن الدعوة لا تقوم إلا على العلم، ولا يكون داعيا إلى الله تعالى مصلحا متبوعا إلا

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ٤٢٩/١ .

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٤٢١/١ .

من كان متسلحاً بالعلم الشرعي إذ العلم هو ما يبثه الداعية إلى الله في ميادين الدعوة المتنوعة [1]، قال الشيخ ابن باديس - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [2] : " الحكمة هي العلم الصحيح الثابت المثمر للعمل المتقن ... فالحكمة التي أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو الناس إلى سبيل ربه بها؛ هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها، والحقائق وبراهينها والأخلاق الكريمة بمحاسنها ومقابح أضدادها، والأعمال الصالحة من أعمال القلب واللسان والجوارح بمنافعها ومضار خلافها"[3].

وبين بعد ذلك الأثر الناتج عن ترك العلم الشرعي فقال: " ولعمر الله إنه ما دخل الضلال عقائد الناس ولا جرى الباطل والزور على ألسنتهم ولا كان الفساد والشر في أفعالهم إلا بإهمالهم أو تساهلهم في هذا الأصل العظيم " [4].

وكذلك مما تجدر الإشارة إليه هنا أنه ليس كل علم هو مقصود بهذا الكلام وإنما هو العلم الصحيح المأخوذ من منابعه الصافية من الكتاب والسنة والذي يلقن بالطرق الشرعية وفي هذا يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : " لن يصلح المسلمون حتى يصلح

---

(١) انظر : الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس- للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري .

(٢) سورة : النحل:١٢٥

(٣)كتاب آثار ابن باديس ١/٦٧- ٦٨.

(٤)كتاب آثار ابن باديس ١/١٤٠ .

علماؤهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعلمهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون فإذا أردنا الصلاح للمسلمين فلنصلح علماءهم، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم ...ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه وصورته، فيما كان يعلم ﷺ وفي صورة تعليمه" [1] .

(١)كتاب آثار ابن باديس ٤/ ٧٤ .

المحور الثاني: أساليب الداعية:

أولاً - تقريره بيان الدعوة بثلاث وهي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالأحسن:

فعند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] وبعد أن عَرَّفَ الحكمة بأنها العلم الصحيح الثابت، المثمر للعمل المتقن، وأن الموعظة هي الحسنة الكلام الملين للقلب بما فيه من ترغيب وترهيب قال: "أمر الله تعالى بالدّعوة وبالجدال على الوجه المذكور، فكلاهما واجب على المسلمين أن يقوموا به، فكما يجب لسبيل الربّ جلّ جلاله أن تُعرَفَ بالبيان بالحكمة، وأن تُحَبَّ بالتّرغيب بالموعظة الحسنة، كذلك يجب أن يدافِع من يصدّون عنها بالّتي هي أحسن، **إذ لا قيام لشيء من الحقّ إلاّ بهذه الثّلاث.**[2]

ثم بين حال هذه الأساليب بالنسبة للداعية فقال: " غير أنّ الدّعوة بوجهيها والجدال ليستا في منزلة واحدة في القصد والدّوام، فإنّ المقصود بالذّات هو الدّعوة، أمّا الجدال فإنّه غير مقصود بالذّات، وإنّما يجب عند وجود المعارض بالشّبهة والصادّ بالباطل عن سبيل الله، فالدّعوة بوجهيها أصلٌ قائمٌ، والجدال يكون عند وجود ما يقتضيه، ولهذا كانت الدّعوة بوجهيها محمودةً على كلّ حال، وكان الجدال مذموماً في بعض الأحوال، وذلك فيما إذا استُعمِل عند عدم الحاجة

(١) سورة : النحل:١٢٥

(٢)كتاب آثار ابن باديس ١٩٠/١ .

إليه، فيكون حينئذ شاغلاً عن الدّعوة ومؤدّياً في الأكثر إلى الفتنة، فإذا كان الجدل لمجرّد الغلبةِ والظّهور فهو شرٌّ كلُّه، وأشدّ شرّاً منه إذا كان لمدافعة الحقّ بالباطل"(١).

ثانياً - تقريره أسلوب الدعوة بالقرآن الكريم:

أسلوب الدعوة بالقرآن الكريم يقرره - رحمه الله - من خلال عدة جوانب حيث بين ما يكون به التذكير من خلال الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٢) وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٣) وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٤).

ثم قال: " فالتذكير بآيات القرآن والأحاديث النبوية هذا هو التذكير المشروع المتبوع والدواء الناجح المجرب، ولذلك تجد مواعظ السلف كلها مبنية عليه راجعة إليه والنصح لله ولرسوله وللمسلمين في لزوم ذلك والسير عليه "(٥). واستدل لذلك بحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »(٦)

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ١/ ١٩٠ .

(٢) سورة : ق. رقم : ٤٥.

(٣) سورة : القمر. رقم :٣٢.

(٤) سورة : الحشر. جزء من آية : ٧.

(٥) كتاب آثار ابن باديس ٢/ ٢٢٤ . والمقصود مضامين دعوة النبي ﷺ ووسائل دعوته.

(٦) كتاب آثار ابن باديس ٢/ ٢٢٤. والحديث متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ،كتاب / الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب/ قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم رقم

وفي هذا الصدد بين أن الدعوة بالقرآن الكريم هي أنموذج الدعوة بالبراهين والأدلة الواضحة فقال: " لما كان المقصود من الرسالة هو هداية الخلق وإقامة الحجة عليهم كان الرسل – صلوات الله عليهم – أكمل الناس في أخلاقهم، وأنزههم في سيرتهم، معروفين بذلك بين أقوامهم قبل نبوتهم، ثم إذا بعثهم الله تعالى أتاهم من العلم وقوة الإدراك ووضوح البيان ما تنهض به حجتهم وتتضح به دعوتهم ويقطع بكل من يعارضهم بشبهة ويموه بباطل "(1).

ثم أكّد ذلك بقوله: " وإذا قرأت ما قصة علينا القرآن العظيم من مواقف الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم رأيت كيف أنهم كانوا يدعون الناس بالحجج والبراهين والأدلة العقلية الجلية وأنهم كانوا إذا سئلوا الآيات المعجزات الخارقة للعادة ردوا الأمر إلى الله ونفوا أن تكون لهم قدرة على الإتيان بها إلا بإذن الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(2) فيظهر الله على أيديهم الآيات تأييداً لهم وتخويفا لأقوامهم وقطعاً لمشاغبتهم فيخضع لها بعضهم ويستمر الأكثرون على العناد "(3)

ثم ينتهي من تقرير أسلوب الدعوة بالقرآن إلى حث الدعاة على العمل بهذا الهدي النبوي فقال: " فعلى الناشرين لهدايته والمبلغين

الحديث ٦٨٤٦ والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب / الإيمان ، باب / وجوب الإيمان برسالة نبيِّنا محمد ﷺ إلى جميع النَّاس ونسْخ المِلَلِ بمِلَّتِهِ رقم الحديث ١٥٢.

(١)كتاب آثار ابن باديس ٢/٢٢٤ .

(٢) سورة : إبراهيم. جزء من آية :١١

(٣)كتاب آثار ابن باديس ٢/٢٢٤ .

لدعوته... وأتباع النبي صلى الله عليه واله وسلم هم أتباع القرآن وخلفاؤه في التبليغ وورثته في العلم هم الذين يبلغون القرآن ويتلون القرآن وينذرون بالقرآن كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم، كذلك وكما قال الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1] [2].

ثالثاً - تقريره أن أسلوب الدعوة مبني على قول الحسنى:

من المعلوم في ضوء النصوص الشرعية أن أسلوب الدعوة يقوم على المحاسنة على الحال والظاهر، والتفويض إلى الله في العواقب والسرائر وفي بيان هذا المعنى الكلي يقول ابن باديس - رحمه الله تعالى - عند تفسير قوله عز وجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[3]: "وخاطب الله تعالى نبيه ﷺ أنه لم يرسله وكيلاً على الخلق حفيظا عليهم كفيلا بأعمالهم، فما عليه إلا تبليغ الدعوة ونصرة الحق بالحق والهداية والدلالة إلى دين الله وصراطه المستقيم، خاطبه بهذا ليؤكد لخلقه ما أمرهم به من قول التي هي أحسن للموافق والمخالف فلا يحملنهم بغض الكفر والمعصية على السوء في القول لأهلها، فإنما عليهم تبليغ الحق كما بلغه نبيهم ﷺ ولن يكون أحد أحرص منه على تبليغه، فحسبهم أن يكونوا على سنته وهديه "[4].

وقد ركّز ابن باديس على هذا الأسلوب في حال المناظرات

(١) سورة : المائدة. جزء من آية : ٦٧.

(٢)كتاب آثار ابن باديس ٢٢٤/٢ .

(٣) سورة : الإسراء آية : ٥٤.

(٤)كتاب آثار ابن باديس ٢٨٥/١ .

والمجادلات مبيناً أهمية القول الحسن وعدم الحكم على المدعوين إذ ليس محله أثناء الدعوة فقال في موضع آخر:" أقوى الأحوال مظنة لكلمة السوء هي حالة المناظرة والمجادلة، وأقرب ما تكون إلى ذلك إذا كان الجدال في أمر الدين والعقيدة، فما أكثر ما يضلل بعضه بعضاً أو يفسقه أو يكفره فيكون ذلك سبباً لزيادة شقة الخلاف اتساعا، وتمسك كل برأيه ونفوره من قول خصمه، دع ما يكون عن ذلك من البغض والشر ...فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته إنك من أهل النار، ولكن تذكر الأدلة على بطلان الكفر وسوء عاقبته، ولا يقال للمبتدع يا ضال، وإنما تبين البدعة وقبحها، ولا يقال لمرتكب الكبيرة يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم إثمها وتُقبح القبائح والرذائل في نفسها وتجتنب أشخاص مرتكبيها "(١)

وفي هذه الجملة الأخيرة مظهر بَيِّنٌ من مظاهر الحكمة في الدعوة، وهو أن يكون التركيز في العلاج على الداء وسبل الدواء، ولا يجعل الكلام على أعيان المرضى لأن ذلك من أسباب التنفير وقد كان النبي ﷺ إذا رأى منكراً قال: " ما بال أقوام " دون تعيين حتى لا يجرح نفوس من وقع في ذلك المنكر ولا ينفرهم، وفي السياق نفسه يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(٢) بأنها في كل مجالاتها في الكلام

(١)كتاب آثار ابن باديس ٢٨٦/١ .

(٢) سورة : الإسراء جزء من آية : ٥٣.

المعتاد بين الناس وفي مقام الخصام وفي باب الدعوة: " والتي هي أحسن هي الكلمة الطيبة والمقالة التي هي أحسن من غيرها فيعم ذلك ما يكون من الكلام في التخاطب العادي بين الناس حتى ينادي بعضهم بعضاً بأحب الأسماء إليه.. وما يكون من الكلام في مقام التنازع والخصام فيقتصر على ما يوصله إلى حقه في حدود الموضوع المتنازع فيه، دون إذاية لخصمه ولا تعرض لشأن من شؤونه الخاصة به، وما يكون من باب إقامة الحجة وعرض الأدلة فيسوقها بأجلى عبارة وأوقعها في النفس خالية من السب والقدح ومن الغمز والتعريض ومن أدنى تلميح إلى شيء قبيح "(1).

ثم قال: وهذا يطالب به المؤمنون سواء كان ذلك فيما بينهم أو بينهم وبين غيرهم ...وهذا الأدب الإسلامي وهو التروي عند القول واجتناب السيء، والاختيار الأحسن ضروري لسعادة العباد وهنائهم، وما كثرت الخلافات والخصومات وتنافرت المشارب وتباعدت المذاهب حتى صار المسلم عدو المسلم ...إلا لتركهم هذا الأدب وتركهم للتروي عند القول والتعمد للسيئ بل للأسوأ في بعض الأحيان" (2).

رابعاً - تقريره أسلوب " استدراج الضال " وأنه من مظاهر الحكمة لدى الدعاة :

ومن مظاهر الحكمة عدم ادعاء امتلاك الحقائق المطلقة التي لا تقبل النقاش، لأن المدعو إن شعر بذلك من الداعي يحرص هو الآخر

(1) كتاب آثار ابن باديس ١/ ٢٨٣ .

(2) كتاب آثار ابن باديس ١/ ٢٨٤ .

على نفس الدعوى وينصرف عن تفهم ما يقوله الداعي ويجعل همه الدفاع عما هو عليه، وقد نبه الشيخ - رحمه الله - إلى هذا المعنى في سياق بديع وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [1] فقال: "ومن فوائد الآية الكريمة استدراج الضال لقبول الهداية، وذلك بمناصفته بأنك على ناحيتك وهو على ناحيته وإظهار التساوي معه أمام علم الله وقدرته، وهذا من أنفع الأسباب في نجاح الدعوة وعليه في القرآن آيات كثيرة منها.. فينبغي لدعاة الحق أن يلتزموه ولا يهملوه. والبراءة من أهل الباطل وذلك بإعلان المباينة لهم والمخالفة لهم في عملهم وما انبنى عليه عملهم بأسلوب المناصفة الذي جاءت به الآية الكريمة فتحصل البراءة مع الفائدة المتقدمة" [2].

خامساً – تقريره مخاطبة المدعو غير المسلم بما يحب مما يلفته إلى الحق:

في هذا السياق يؤكد - رحمه الله - أن للإسلام أدباً في دعوة غير المسلمين مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [3] حيث قال: " هذا هو أدب الإسلام في دعوة غير

(١) سورة : الإسراء . آية : ٨٤.

(٢)كتاب آثار ابن باديس ٢٣٩/١.

(٣) سورة المائدة. آية ١٥.

أهله ليعلمنا كيف أن نختار عند الدعوة لأحد أحسن ما يدعى به وكيف ننتقي ما يناسب ما نريد دعوته إليه، فدعاء الشخص بما يحب مما يلفته إليك ويفتح لك سمعه وقلبه ودعاؤه بما يكره يكون حائلاً يبعد بينك وبينه. وإذا كان هذا الأدب عامّاً في كل تداع وتخاطب فأحق الناس بمراعاته هم الدعاة إلى الله والمبينون لدينه، سواء دعوا المسلمين أو غير المسلمين " [1]

خامساً - تقريره أهمية أسلوب الرأفة والرفق في الدعوة وعدم التقنيط :

بين - رحمه الله - معنى حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم »[2] بأنه روي بوجهين ثابتين:

الأول: فهو أهلكُهم برفع الكاف اسم تفضيل، **والثاني** بفتح الكاف (أهلكَهم) فعل ماضي الهلاك بمعنى الاستحالة إلى الفساد وذهاب حالة الصحة والاستقامة.

وقال: " فهلاك الناس فسادهم في أحوالهم بفساد عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم وذلك عنوان ذهابهم واضمحلالهم وأهلكهم على الوجه الأول أشدهم هلاكاً، وعلى الوجه الثاني أوقعهم في الهلاك"[3]

ثم تابع قائلاً: " وعلى الوجه الثاني: على مرشدي المسلمين أن

---

(١)كتاب آثار ابن باديس ١٦٥/١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب / البر ، باب / النهي عن قول هلك الناس ، ط [الأولى ، عام :١٤١٩هـ ، الناشر :دار السلام – الرياض] رقم الحديث ٢٦٢٣.

(٣) كتاب آثار ابن باديس ٢ / ١٦٥ .

يعاينوا أدواءهم بالعلاجات النافعة ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبارات الرقيقة المؤثرة في رفق وهوادة مجتنبين كل ما فيه تقنيط أو تثبيط وأن يعرفوهم بأنهم – وإن ساءت نواح من أحوالهم – فهناك نواح ما تزال صالحة وهناك علاجات من الإسلام قريبة ناجعة وأن يعرفوا ما فيهم من فضائل ومالهم من مجد وما لهم بهذا الإسلام من قدر وعز؛ ليثيروا فيهم النخوة ويبعثوهم على العمل الخير وإذا ذكروا لهم سيئاتهم ذكروا لهم قرب سبيل إلى النجاة منها بالإقلاع عنها فيسرعون بالتوبة والإنابة "[1].

وقرّر أهمية هذا المسلك في الدعوة والإصلاح بقوله: " هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفس البشرية، فإن النفوس عندما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل وترجع إلى أحط دركات السقوط فجاء هذا الحديث الشريف يحذر من تحقير الناس وتقنيطهم وذلك يقتضي أن المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم، وهذا الأصل العظيم الذي دل عليه هذا الحديث الشريف يحتاج إليه كل مرب سواء أكان مربياً للصغار أم للكبار وللأفراد أم للأمم، إذ التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل لنفوس الأفراد والجماعات وذلك ضد التربية والاحترام والتنشيط وبعث الرجاء إحياء لها وذلك هو غرض كل مرب ناصح في تربيته " [2]

(١) كتاب آثار ابن باديس ٢ / ١٦٥ .

(٢)كتاب آثار ابن باديس ١٦٥/٢ .

سابعاً – تقريره أهمية تجنب الداعي إلى الله والمناظر في الحق ذكر عيوب المدعو:

ومن أساليب الداعية المرعية تجنب إعلان عيوب المدعو حيث قال:"على الداعي إلى الله والمناظر في العلم أن يقصد إحقاق الحق وإبطال الباطل وإقناع الخصم بالحق وجلبه إليه، فيقتصر من كل حديثه على ما يحصل له ذلك، ويتجنب ذكر العيوب و المثالب- ولو كانت هناك عيوب ومثالب- اقتداءً بهذا الأدب القرآني النبوي في التجاوز مما في القوم عن كثير.

وفي ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصد، وبعد عن الأدب، وتعد عن الخصم وإبعاد له وتنفير عن الاستماع و القبول وهما المقصود من الدعوة والمناظرة" [١]

سابعاً – تقريره أهمية اقتداء الخطباء بطريقة الخطاب القرآني:

قال - رحمه الله - في هذا الصدد: "انظر إلى الحكمة في تنزيل القرآن الكريم، كيف تنزل آياته على حسب الوقائع، أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجُمَع وخطبائها في توخيهم بخطبهم الوقائع النازلة، وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟! بلى والله، بلى والله"[٢].

وفي موضع آخر استعرض حال الخطباء الذين لم يسلكوا منهج القرآن الكريم بقوله: "أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا

---

(١)كتاب آثار ابن باديس ١٦٦/١ .

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٢٥٨/١.

يخطبون الناس بخطب معقدة مسجعة طويلة من مخلفات الماضي، لا يراعى فيها شيءٌ من أوحال الحاضر وأمراض السامعين، تُلقى بترنُّم وتلحين، أو غمغمةٍ وتمطيط، ثم كثيرا ما تُختم بالأحاديث المنكرات، أو الموضوعات ".

ثم قال: هذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية سدَّ بها أهلها باباً عظيماً من الخير فتحه الإسلام، وعطَّلوا بها الوعظ والإرشاد، وهو ركن عظيم من أركان الإسلام. فحذار أيها المؤمن من أن تكون مثلهم إذا وقفتَ خطيباً في الناس، وحذار من أن تترك طريقة القرآن والمواعظ النبوية إلى ما أحدثه المحدثون" [(١)]

---

(١)كتاب آثار ابن باديس ١٨٨/١ .

المبحث الثالث

تقريرات ابن باديس المتعلقة بالدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي

كان للشيخ عبدالحميد - رحمه الله - تقريرات حول الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي في زمنه وإشارات دعوية في كيفية معرفة الصحيح منها باعتبار منهجها، ويمكن استعراض أبرز تقريراته في هذا الاتجاه من خلال ما يلي:

أولاً - تقريره أن القرآن الكريم هو الحكم العدل والقول الفصل بين الدعوات:

لقد عانى العالم الإسلامي في تلك الحقبة من طوائف وأحزاب تدعي سلامة المنهج وتطعن في غيرها، مما أوقع بعض المنتسبين للدعوة في حيرة، ولذا بين الشيخ أن القرآن الكريم هو المعيار في بيان أصالة مناهج تلك الدعوات فقال: "في العالم الإسلامي كله اليوم طائفتان من المؤمنين تتنازعان خطة الهداية والنذارة والتذكير، ولكل منهما في سلوكها للقيام بتلك الخطة سبيل، وكل منهما تدعي أنها هي التي على الصواب، وأنها الأحق والأولى بنفع العباد، فرأينا أن نطبق فصل الفرقان عليهما [1] وننظر كيف يفرق ما بينهما وبين المصيبة من المخطئة منهما، وفي ضمن ذلك تحاكمهما إليه وفصل النزاع بينهما بحكمه، وإنما اخترناهما للتطبيق والتمثيل لخطر الخطة التي تنازعا عليها وعظيم النفع والضرر الذي يحصل من خطأ المخطئ وصواب

---

(١) أي حكم القرآن ويشير كنموذج إلى من يدْعون الناس لأحزاب وأوراد من وضعهم لا مما ثبت في الدليل إلا قليلاً مما يدعون، وفي المقابل من يدعون الناس بالقرآن ويحثون على التمسك به ويدعون إلى الأذكار الثابتة في السنة.

المصيب بها ، ولأن الهداية والنذارة والتذكير أمور لها أنزل القرآن فتنازعهما عليها تنازع عليه "(١)

ثانياً - تقريره أهمية وزن أقوال الدعاة بميزان الكتاب والسنة وعلماء السلف:

قرر - رحمه الله - في هذا الصدد أن الدعاة والعلماء يجب أن توزن أقوالهم بميزان الكتاب والسنة فما وافق يقبل، وإلا فيرد حيث قال: " الشيوخ المتقدمون - رحمهم الله - كانوا في مجموعهم أهل علم وصلاح، علموا الناس وذكروهم، وماتوا ولم يتركوا شيئاً، فرحمهم الله وجازاهم الله خيراً ، لا نذكرهم إلا بوزن ما جاءنا عنهم من الأقوال والأعمال والأحوال بميزان الكتاب والسنة ، فما وافق قبلناه وما خالف طرحناه " (٢)

ثم استعرض - رحمه الله - وصايا عدد من العلماء القاضية بذلك فقال: " ونحن في ذلك موافقون لوصاية أكبر الشيوخ الزهاد المتقدمين الإمام الجنيد - رحمه الله - لما قال:" أَمْرُنَا هذا مُقَيَّدٌ بالكتاب والسنة" ولوصاية كبير من أشهر المتأخرين الشيخ التيجاني - رحمه الله تعالى - لما قال:" اعرضوا ما جاءكم عني على الكتاب والسنة فما وافق فاقبلوه و ما خالف فاضربوا به عرض الحائط ، وقد قال إمام الأئمة ونجم السنة مالك بن أنس - رحمة الله عليه - :" كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر

---

(١) أي على القرآن الكريم ينظر : كتاب آثار ابن باديس ١/ ٣٨٠

(٢) الشهاب العدد : ٩٩ ذي الحجة ١٣٤٥هـ.

يعني النبي ﷺ " (١).

وقارَنَ الشيخ في هذا السياق بين هذا الأصل عند السلف وبين الواقع في عصره فقال: " أما شيوخ اليوم فإنهم أعرضوا عن العلم وأقبلوا على كتب منسوبة إلى المتقدمين، متمسكين بكل ما فيها من غث وسمين، ودعوا إلى طرقهم المتعددة المتشعبة كل يرى طريقته على الحق وغيرها على الباطل، فأحدثوا العداوة والفرقة بين المسلمين، وأنسوهم الوحدة الإسلامية التي تجمعهم " (٢).

ثم وجّه الدعوة إلى العلماء والدعاة ليلتزموا هذا المنهج بوزن الأقوال بميزان الكتاب والسنة فقال: " فلهذا ندعوهم بدعاية الله إلى كتاب الله وسنة رسول الله وما كان عليه السلف.. ويقول : "فارجعوا إلى اسم الإسلام الذي يجمعنا ، وطريقه الوحيد المستقيم الذي كان عليه محمد وأصحابه والصالحون أسلافنا ، وكتابه النور والتذكرة والتبصرة الذي نجتمع عليه ونتفق على الاهتداء به ويطمئن قلب كل مؤمن إليه.

ويختم حديثه بتلطف في الخطاب للدعاة ممن انحرف مسلكهم عن ما سبق بقوله: " هذه دعوتنا لإخواننا هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعباً ، وذهبوا فيه طرائق قدداً ، ونحن لا نضمر لأحد المسلمين بغضاً ولا حقداً ، بل لا ننطوي لهم إلا على الحب والشفقة والإخلاص " (٣)

ثالثاً - تقريره الفرق بين الدعوة إلى التحزب الممنوع والدعوة

---

(١) الشهاب العدد : ٩٩ ذي الحجة ١٣٤٥هـ.

(٢) الشهاب العدد : ٩٩ ذي الحجة ١٣٤٥هـ.

(٣) الشهاب العدد : ٩٩ ذي الحجة ١٣٤٥هـ.

إلى التعاون المشروع :

المقصود بالتحزب هو عقد الولاء والبراء في جماعة ما [1]، وقد كتب الشيخ ابن باديس - رحمه الله تعالى- في هذا مقرراً أن الدعوة إلى التحزب هو دعوى الجاهلية، مبيناً الفرق بين هذا النوع من الدعوة وبين الدعوة الإسلامية الأصيلة فقال:" كل من سعى إلى تحصيل شيء مستعيناً بذوي عصبية له لنسبة جنس، أو قبيلة أو بلد أو شيخ أو حرفة أو فكرة غير ناظر إلى أنه على حق أو على باطل، فقد دعا بدعوى الجاهلية، وكل من أجابه فقد شاركه في دعواه.

أما من عرف الحق وتيقن من نفسه الصدق في طلبه واستعان على تحصيله بمن تربطهم به روابط خاصة، ولا يأبى أن يعينه عليه من لم يكن من جماعته لأن قصده إلى تحصيل الحق بإعانة أي كان، فهذا لا يكون دعا بدعوى الجاهلية بل دعوى إسلامية لأنها لا تخرج عن التعاون على الحق وهو من التعاون على البر والتقوى " [2]

وقال بعدها مبيناً أهمية الحذر من الدعوات إلى العصبية أو الحزبية التي كانت سائدة في عصره:" ليحذر المسلم من كل كلمة مفرقة، من كل ما يثير عصبية للباطل، وحمية جاهلية لا يدعو بها ولا يجيب من دعا إليها، فإن بلاءً كثيراً حَلَّ بنا وفتنة كبيرة أصابتنا من تلك الكلمات المفرقة. ولتكن دعوته إذا دعا بالكلمات الجامعة التي تشعر بالأخوة العامة، وتبعث على القيام بالواجب بأيد متشابكة

---

(١) للتوسع ينظر : حكم الانتماء للفرق و الأحزاب و الجماعات الإسلامية الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - .

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٢/ ٩٣.

وقلوب متحدة، حتى إذا دعا جماعة خاصة يعلم منها نفعاً خاصاً في مكان خاص فليكن بما يفهم أنه إلى الحق دعاهم وعلى القيام به استعان بهم دون إباية من انضمام كل من ينضم إليهم "(1).

رابعاً - تقريره سلامة منهج عدد من الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي:

ثمة دعوات إصلاحية في العالم الإسلامي آنذاك، وتلك الدعوات منها ما كان يقوم على أسس صحيحة ومنها غير ذلك، ومما رصده الشيخ عبد الحميد في هذا الجانب عدداً من الدعوات الإصلاحية التي قامت على منهج سديد مبني على الكتاب والسنة (2) وذلك من خلال التقرير الضمني أو الصريح بسلامة المنهج الذي قامت عليه تلك الدعوات هنا وهناك في العالم الإسلامي وأنها تلتقي مع بعض نظراً لوحدة المصدر التشريعي ومن ذلك:

أ- الدعوة الإصلاحية في الجزائر:

نبّه الشيخ - رحمه الله - إلى أهمية ما قام به مذكراً به تجاه دعوته الأجيال فقال عن الدعوة الإصلاحية في الجزائر التي أثمرت جمعية العلماء المسلمين: " لم تقم في أمة إسلامية هيئة علمية

(1) كتاب آثار ابن باديس ٢/ ٩٤.

(2) وقال وله مقولات عدة في أهمية أن يقوم الإصلاح في العالم الإسلامي على الكتاب والسنة منها قوله: " فأخذت صيحات الإصلاح ترتفع في جوانب العالم الإسلامي في جميع جهات المعمورة تدعو الناس إلى معالجة أدوائهم بقطع أسبابها واجتثاث أصلها وما ذاك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الإسلام، قد حفظ الله علينا ذلك بما إن تمسكنا به لن نضل أبداً - كما في الحديث الصحيح - الكتاب والسنة، وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولا ولا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم إلا إذا أنقذه الله به ثانيا " كتاب آثار ابن باديس ١/٢٢٥.

منظمة تعلن الدعوة إعلاناً عاماً وتصمد للمقاومة، غير مبالية بما يؤيد البدع والضلالات من سلطان ديني وسلطان دنيوي ؛ غير الأمة الجزائرية [1]، فكان من علمائها الأحرار المستقلين الذين لا يعيشون على الوظيفة أولئك الذين نهضوا بالدعوة الإصلاحية منذ بضع عشرة سنة وجاهدوا فيها لله وصابروا وأسسوا لها أعظم مؤسسة دينية؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتى أصبحت الدعوة الإصلاحية والفضل لله والحمد لله ثابتة الأركان مشيدة البنيان باسقة الأفنان دانية الثمار، وارفة الظلال، لا على الجزائر وحدها بل على الشمال الأفريقي كله"[2]

ب- الدعوة الإصلاحية في مصر:

إن سعة الأفق التي اتسم بها ابن باديس وقدرته على التواصل مع الدعوات الإصلاحية وسبر أحوالها ورجالها جعله يميز الدعوات الإصلاحية من غيرها من حيث سلامة مسلكها وأصالة منهجها ولهذا يقرر في مواضع من آثاره العلمية الدعوة الإصلاحية في مصر فقال مؤيداً ومبيناً الداعي لها: " أول من نادي بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامي كله في عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وأول من قام بخدمته بنشرها إسلامية عالمية هو

(١) كتاب آثار ابن باديس ٢/ ٩٤. وحديثه معنياً بالمنظمات والجمعيات ، وليس دعوات الإصلاح التي قام بها علماءٌ أفرادٌ فليتنبه لذلك.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٦٦/٣. وللشيخ محمد البشير الإبراهيمي نائب ابن باديس برقية إلى الملك سعود - رحمه الله - في يناير ١٩٥٥م يؤكد له على سلفية الدعوة الإصلاحية في الجزائر، انظر: آثار البشير الإبراهيمي ٥١/٥.

تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار [1] رحمهما الله وجازهما عن الإسلام والمسلمين خيراً ما جازى به المجددين لهذا الدين " [2]

ويتابع أهمية انبثاق الدعوة الإصلاحية من مصر رغم ما يحيط بها من أمور تعيق انطلاقتها وأن ذلك من حكمة الله تعالى فقال:" ومن عدل الله وحكمته أن كان مبعث هذه الدعوة الإصلاحية هو مصر التي هي مبعث أكثر البدع والضلالات الاعتيادية والعلمية من يوم انتصبت فيها دولة الفاطميين فرسخت فيها البدع الطرقية وغير الطرقية، والطرق حيثما كانت فهي تكأة وملجأ البدع والخرافات وصارت الخطة الطرقية من الخطط الإسلامية في الحكومات المصرية التي تحميها وتؤيدها فصارت البدع والضلالات رسمية في نظر المسلمين وغير المسلمين " [3]

ومن جانب آخر بَيَّنَ أن حال الأزهر آنذاك أنه أَقَرَّ كثيراً من البدع بالسكوت فقال:" وجاء الأزهر وأهل الأزهر – إلا قليلاً – على دين الدولة وهوى العامة يقرون تلك البدع والضلالات بسكوتهم بل بمشاركتهم العلمية وتأييدهم الفعلي والقولي، وما ينتشر عنهم من كتب وتلاميذ. أما الجامعان اللذان يذكران مع الأزهر بشمالنا الإفريقي وهما (الزيتونة) بتونس و(القيروان) بفاس فهما إلا قليلا.

(١) ينظر : الشيخ رشيد رضا المصلح السلفي – د. محمد بن عبدالله السلمان ، ط ا الأولى ، عام : ١٤١٤هـ الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ا.

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٦٦/٣

(٣) كتاب آثار ابن باديس ٦٦/٣

ثم أوضح أن كل هذه الأمور لم تستطع إطفاء شعلة الحق المتمثلة في الدعوة الإصلاحية التي انطلقت من مصر لأنها دعوة منبية على قوة الحق قائلاً: " جاءت الدعوة الإصلاحية ومصر والعالم الإسلامي على تلك الحال فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لها لولا قوة الحق والإيمان ومضي ثلث قرن أو يزيد والدعوة الإصلاحية تنتشر وتتقدم وتنتقد البدع والضلالات من أطرافها " [1]

ويتابع بأن الأزهر باعتبار ما له من مكانة في قلوب المسلمين يعد سكوته على البدع شبهة لبّس بها الشيطان كثيراً وأضل بها العوام وأَيَّدَ بها حزبه وشغّب بها على حزب الله، إلا أنه بين أن هذه الحال إلى زوال فقال: " وكنا على اليقين من أن الله سيزيل هذه الشبهة ويزيح هذه المحنة ويؤيد العلماء المصلحين في الأزهر [2] فيصبح الأزهر حجة للمصلحين ومصدر هداية للمسلمين. وقد حقق الله الرجاء وأصبح الأزهر اليوم يؤلف من رجاله الرسميين لجاناً للقيام بالإصلاح الديني علماً وعملاً ومن ورائه الحكومة المصرية تؤيده وتسنده.. " [3]

ج- الدعوة الإصلاحية في تونس:

تعد تونس ضمن بلاد الشمال المغربي – من البلاد التي تُخرِّج العلماء والدعاة وحري ببلد كتونس أن تولد فيه دعوة إصلاحية وهو

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ٦٧/٣

(٢) يشير إلى جهود العلماء آنذاك وقد كان للشيخ رشيد رضا دور مهم في إصلاح الأزهر وقبله شيخه محمد عبده وتبعه من بعدهم علماء آخرون، ينظر للتوسع : المنار والأزهر – للشيخ رشيد رضا ، ط الأولى ، عام : ١٣٥٣هـ. تناول فيه مقدمة عن ماضي الأزهر وحاضره ومستقبله ومشيخة الأزهر ، ومآخذه على الأزهر آنذاك.

(٣) كتاب آثار ابن باديس ٦٧/٣ .

ما تحقق آنذاك فقال في هذا الشأن:

"كانت أول دعوة للإصلاح الإسلامي أعلنت في هذا الشمال الإفريقي على لسان الصحافة هي دعوتنا منذ بضع عشرة سنة في جريدة (المنتقد) الشهيدة وفي خَلَفها (الشهاب) وما كان ينتظر من جامع الزيتونة المعمور [1] في جلاله وثقل تقاليده ؛ أن يخف لتأييد تلك الدعوة فكنا نعذره بالسكوت حيناً، ونأمل أن يأتي يوم يأبى عليه الحق فيه إلا أن يقول كلمته ويرفع صوته فيدوي له هذا الشمال، وكنا نستعجل هذا الفينة بما نلوح ونصرح به من عتب واستجاد حتى جاء هذا العام المبارك فجاءت (المجلة الزيتونية) تعلن الإصلاح وتحمل رايته وتدعو إليه باسم جامع الزيتونة المعمور فكان فوزاً مبيناً للإصلاح والمصلحين، ونصراً عظيماً للإسلام والمسلمين" [2]

وتابع بقوله: "وقد صُدِّر العدد الأول بمقال الافتتاح بقلم رئيس التحرير الأستاذ محمد المختار ابن محمود، وخطاب لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع، وخطاب للأستاذ محمد الشاذلي بن القاضي صاحب المجلة وكلها صريحة فيما ذكرناه من تقدم جامع الزيتونة والمجلة الزيتونية لميدان الإصلاح الإسلامي العام وها نحن ننقل فيما يلي درراً منها نحلّي بها جيد هذا المقال" [3]

---

(١) ومقره تونس كما هو معلوم

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٣ /١٢٦

(٣) وذكر جزء من مقاله بقوله : قال الأستاذ رئيس التحرير : " ونحن إذا تأملنا حالة المسلمين في هذا العصر من كل قطر ومصر وجدناهم قد نبذوا تعاليم الإسلام ظهرياً وتجافوا عنه كبراً وعتياً فسوق المفاسد والضلالات في رواج وظلام الشرك يوشك أن لا يكون له انبلاج فكان لزاماً على علماء الدين في جميع النواحي أن يشمروا عن ساعد الجد

ثم قال:" نحن نسجل بغاية السرور والغبطة ومع صادق الرجاء وعظيم الأمل هذه التصريحات الجليلة التي لا تصدر إلا من قلوب أُفعمت بالخير، ونفوس تشعر بالواجب، وهمم تريد النهوض بإرث النبوة والرسالة من إنقاذ الخلق وهدايتهم إلى الصراط المستقيم " [1]

د - الدعوة الإصلاحية في السعودية:

حديث ابن باديس عن الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية استفاض وتكرر في مناسبات عدة إلا أنه يمكن القول بأن ابن باديس عندما يتحدث عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية مدافعاً عنها مما أُلحق بها من التشويه يكون لحديثه طابع خاص فكان مما قال حين سئل عنها: " قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة دينية، فتبعه عليها قوم فلقبوا بـ: " الوهابيين ". لم يدع إلى مذهب مستقل في الفقه؛ فإن أتباعه النجديين كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن بعده حنبليين؛ يدرسون الفقه في كتب الحنابلة، ولم يدع إلى مذهب مستقل في العقائد؛ فإن أتباعه كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن سنيين سلفيين؛ أهل إثبات وتنزيه، يؤمنون بالقدر ويثبتون الكسب والاختيار، ويصدقون بالرؤية، ويثبتون الشفاعة، ويترضون عن جميع

وينفقوا كل ما لديهم من مال وجاه وكد ويرفعوا أصواتهم بإرشاد الناس من جميع الأجناس حتى يملأ صوتهم الفضاء ويصل إلى عنان السماء فينفذ إلى قلوب أعمتها الضلالة وأتت عليها الجهالة وبذلك يتميز السبيل القصد عن الجائرات من السبل وما تكون للناس على الله حجة بعد الرسل ويصرع الباطل وإن شاء ويظهر الحق وتعلو كلمة الله في جميع البقاع ".انظر : كتاب آثار ابن باديس ٣ /١٢٦

(١) كتاب آثار ابن باديس ٣ /١٢٦

السلف، ولا يكفرون بالكبيرة، ويثبتون الكرامة ". [1]

ويقرّر بعد ذلك غاية الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية فقال: " وإنما كانت غاية دعوة ابن عبد الوهاب تطهير الدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع، في الأقوال والأعمال والعقائد، والرجوع بالمسلمين إلى الصراط السوي من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير، وزيغهم المبين " [2].

ثم تحدّث عن جانب البيئة التي ولدت فيها تلك الدعوة وأنها بيئة ليس من السهل أن تنبثق منها بقوله: "لم تكن هذه الغاية التي رمى إليها[3] بالقريبة المنال ولا السهلة السبل، فإن البدع والخرافات باضت وفرخت في العقول، وانتشرت في سائر الطوائف وجميع الطبقات على تعاقب الأجيال في العصور الطوال؛ يشب عليها الصغير، ويشيب عليها الكبير، أقام لها إبليس من جنده من الجن والإنس أعواناً وأنصاراً، وحراساً كباراً من زنادقة منافقين، ومعمَّمين جامدين محرفين، ومتصوفة جاهلين، وخطباء وضّاعين" [4]

ويؤكد على وحدة الغاية في الدعوة الإصلاحية من قبل وبعد فقال: " فما كانت - وهذا الرسوخ رسوخها، وهذه المنعة منعتها - لتقوى على فعلها طائفة واحدة كـ " الوهابيين " في مدة قليلة، ولو أعدّت ما شاءت من العدة، وارتكبت ما استطاعت من الشدة "، إلى

---

(١) كتاب آثار ابن باديس ٥ / ٣٢ - ٣٣

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٥ / ٣٢ – ٣٣ وقال في موضع آخر ما يشبهه انظر ٢٣٦/٤

(٣) أي الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -

(٤) كتاب آثار ابن باديس ٥ / ٣٢ - ٣٣

أن قال: " إن الغاية التي رمى إليها ابن عبد الوهاب، وسعى إليها أتباعه، هي التي لا زال يسعى إليها الأئمة المجددون، والعلماء المصلحون في جميع الأزمان "[1].

ويلمح أخيراً إلى أن بعض ما نسب إليهم لا يدل على كل الدعوة بالضرورة وإنما هي أخطاء أفراد من الجهلة لا تمثل جل الدعوة حيث قال: " إن الوهابيين ليسوا بمبتدعين لا في الفقه ولا في العقائد، ولا فيما دعوا إليه من الإصلاح، وإنما تنكر عليهم الشدة والتسرع في نشر الدعوة وما فعله جهالهم "[2]. كما قرر - رحمه الله - تقريرات دقيقة حول الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية إبان ردوده على بعض خصوم الدعوة الإصلاحية بالجزائر إذا قال مبرئاً الدعوة في الجزيرة العربية بأنها تنشر الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح فقال : " ثم يرمي الجمعية [3] بأنها تنشر المذهب الوهابي، أفتعدُ الدعوة إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وطرح البدع والضلالات واجتناب المرديات والمهلكات ؛ نشراً للوهابية ؟!!، أم نشر العلم والتهذيب وحرية الضمير وإجلال العقل واستعمال الفكر واستخدام الجوارح ؛ نشراً للوهابية ؟ !!، إذاً فالعالم المتمدن كله وهابي! فأئمة الإسلام كلهم وهابيون ! ما ضرنا إذا دعونا إلى ما دعا إليه جميع أئمة الإسلام وقام عليه نظام التمدن في الأمم إن سمانا

(١) كتاب آثار ابن باديس ٥ / ٣٢ - ٣٣

(٢) كتاب آثار ابن باديس ٥ / ٣٢ – ٣٣ وهذا رأيه فيما بلغه علمه وبعض المحققين لا يوافق عليه لاعتبارات عدة.

(٣) يقصد جمعية العلماء المسلمين في الجزائر وكان أول رئيس لها

الجاهلون المتحاملون بما يشاءون، فنحن - إن شاء الله - فوق ما يظنون، والله وراء ما يكيد الظالمون ".[1]

وفي موضع آخر يقرر الشيخ أن علاقته بالدعوة هي علاقة مبادئ وليست التقاء أتباع أو اقتناء كتاب، فقال في مقال منشور: " وأصبحت الجماعة الداعية إلى الله يدعون من الداعين إلى أنفسهم " الوهابيين "، ولا والله ما كنت أملك يومئذ كتاباً واحداً لابن عبد الوهاب، ولا أعرف من ترجمة حياته إلا القليل، ووالله ما اشتريت كتاباً من كتبه إلى اليوم، وإنما هي أفيكات قوم يهرفون بما لا يعرفون، ويحاولون من إطفاء نور الله ما لا يستطيعون وسنعرض عنهم اليوم وهم يدعوننا "وهابيين".

كما أعرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا " عبداويين "[2]، ولنا أسوة بمواقف أمثالنا مع أمثالهم من الماضين ".[3] وبهذا يتضح أن الشيخ عبدالحميد - رحمه الله - تناول أبرز الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي في عصره والتي كانت تتسم بأنها على المنهج النبوي الرشيد المستند إلى البصيرة.

---

(١) ينظر : العدد ٣ من جريدة " الصراط السوي " (٥ جمادى الثانية ١٣٥٢ هـ / ٥ سبتمبر ١٩٣٣ م ، ص ٤ ، وكتاب آثار ابن باديس ٣/٢٩١

(٢) نسبة إلى الشيخ محمد عبده رحمه الله.

(٣) ينظر : (العدد ٣) من جريدة " السنة النبوية " (٢٩ ذي الحجة ١٣٥١ هـ / ٤ أبريل ١٩٣٣ م ، ص ١) وكتاب آثار ابن باديس ٣/٢٨.

الخاتمة

وبعد فهذه الدراسة التي تناولت تقريرات الشيخ عبدالحميد بن باديس - رحمه الله - أسفرت عن عدة نتائج أجملها في الآتي:

أولاً – الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - له عناية كبيرة بالدعوة من حيث التأصيل الشرعي، وهو ما تسوّدت به صفحات هذه الدراسة التي استهدفت إبراز هذا الجانب، إضافة إلى جانب الدعوة العملية الذي اشتهر به ودُوِّنت فيه رسائل وكتابات.

ثانياً – تقريرات الشيخ عبد الحميد في الدعوة ليست محدّدة في جانب وإنما فيها شمول وتنوع لموضوعات علم الدعوة وأصولها فأشارت الدراسة لجوانب من تلك التقريرات وهي في جانب منهج الدعوة، وجانب الداعية وما يتصل به من كيفيات وأساليب، وجانب واقع الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي، وهي ليست حصراً لكل تقريراته، وإنما يمكن القول بأن ما سواها لا يبعد عن هذه المحاور إجمالاً بل ينغمر في بحرها.

ثالثاً – مسلك الشيخ في كل تقريراته الدعوية مسلك علمي ومنهجي فيه اتّباع واضح وجلي للكتاب والسنة وسلف الأمة، وهو ما يثبت أصالة منهج الدعوة الذي بنى عليه ابن باديس دعوته وما تفرَّع عنها من جهود مباركة.

رابعاً – سعة أفق الشيخ الدعوي من خلال عنايته بالدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي في عصره وقدرته على تشخيص واقعها آنذاك بدقة، وهو محل إعجاب لمن عرف كيف كان حال ذلك العصر.

خامساً – دعوته الإصلاحية هي امتداد لدعوة السلف الصالح القائمة على منهج الكتاب والسنة وهي بذلك تلتقي مع بقية الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي، ومنها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - التقاء مبادئ وأصول - كما قرَّره - ومَرَدُّ ذلك إلى وحدة المصدر، وله موقف منصف تجاه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب معلن، رحم الله الجميع.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الشيخ ابن باديس - رحمه الله - علم بارز من أعلام الدعوة في عالمنا الإسلامي في الشقين النظري والتطبيقي، وثمرة جهاده الدعوي في ذينك الأمرين؛ بادية على محيا الجزائر والشمال الإفريقي إلى اليوم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

١- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – جمع د. أحمد طالب الإبراهيمي [الأولى، عام:١٩٧٧م ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت]

٢- الأعلام - خير الدين الزركلي، ط [الحادية عشرة، عام: ١٩٩٥م، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت] .

٣- إمام الجزائر - د. عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، دار الأمة بدون تاريخ طبع.

٤- الجامع الصحيح للإمام الترمذي، ط[الأولى، عام:١٤٠٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت].

٥- الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر - محمد طهاري، ط [الأولى، عام ١٩٩٩ م الناشر: دار الأمة].

٦- الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها – لأستاذنا أ. د فضل إلهي، ط [الثانية، عام: ١٤١٣هـ الناشر:إدارة ترجمان الإسلام- باكستان]

٧- الدعوة وأخلاق الدعاة الشيخ ابن باز، ط [الأولى، عام:١٤٢٧هـ، الناشر: الجمعية السعودية للدراسات الدعوية - الرياض]

٨- الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس- للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري، ط الأولى الناشر: دار الإمام مالك - الجزائر.

٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ط [الثالثة، عام١٤٢٣هـ ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت].

١٠- زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين - سيد حسين العفاني، ط[الأولى، الناشر: دار العفاني- القاهرة].
١١- سنن الإمام أبي داود، ط [الأولى، عام:١٣٩٤هـ، الناشر: دار الحديث _ سوريا]. تحقيق الشيخ: الشيخ عزة دعاس
١٢- الشيخ رشيد رضا المصلح السلفي - د. محمد بن عبدالله السلمان، ط [الأولى عام ١٤١٤هـ الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية].
١٣- صحيح الإمام مسلم، ط [الأولى، عام:١٤١٩هـ، الناشر:دار السلام - الرياض].
١٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته العلامة الألباني، ط [الثالثة عام: ١٤٠٨هـ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت].
١٥- عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي - د. مازن مطبقانى، ط[الأولى عام ١٤١٠هـ، الناشر: دار القلم - دمشق]
١٦- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية - مصطفى محمد حميداتو، ط[الأولى عام: ١٤١٨هـ، كتاب الأمة - الدوحة]
١٧- عبد الحميد بن باديس: رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة - محمد فتحي عثمان، ط[الأولى عام: ١٩٨٧م الناشر: دار القلم - الكويت]
١٨- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية - برواية وتعليق تلميذه محمد الصالح رمضان، ط[الأولى، عام ١٤١٦هـ الناشر: دار الفتح - الشارقة].

١٩- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا - أنور الجندي، ط[الأولى، عام: ١٣٨٥هـ الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة].

٢٠- كتاب آثار ابن باديس- جمع د. عمار الطالبي، ط[الرابعة ، عام: ٢٠٠٨ م، الناشر: دار الغرب الإسلامي - تونس]

٢١- مبادئ الأصول لابن باديس، ط[الثانية، عام ١٩٨٨ م الناشر: المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر]. ت: د. عمار الطالبي

٢٢- المدخل إلى علم الدعوة - محمد أبو الفتح البيانوني، ط[الرابعة، عام: ١٤١٨هـ، الناشر: إدارة الشؤون الإسلامية - قطر].

٢٣- من أعلام الإصلاح في الجزائر - محمد الحسن فضلاء، دار هومه بدون تاريخ طبع.

٢٤- المنار والأزهر — للشيخ رشيد رضا، ط [الأولى، عام: ١٣٥٣هـ].

البحث رقم (٤)

المال وتوظيفه
في
دعوة الجاليات والأقليات المسلمة

إعداد

د. سعد بن أحمد الأحيدب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الطاعات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، ويستحق بها محبته وولايته، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾(١)، وجعلها سبحانه وتعالى من أسباب خيرية الأمة، وتفضيلها على الأمم الأخرى، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٢).

ولا شك أن الدعوة إلى الله من ركائزها الأساسية المال، فهو عصبها، ومن خلاله يتم الصرف على الدعوة في وجوه الخير والبر والإحسان والتأليف؛ فضلاً عن تذليل الصعاب التي تواجه الدعاة إلى الله في الميدان الدعوي.

وقد فرض الله تعالى الزكاة على كلّ مسلم ومسلمة بضوابطها المقررة شرعاً، وجعلها أحد أركان الإسلام، وقرينة الصلاة، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(٣).

ولا عجب أن نرى الشارع الحكيم يُرغّب القادرين من الأمة على

---

(١) سورة فصلت، الآية: [٣٣].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [١١٠].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٤٣].

بذل الصدقات في وجوه الخير، ويعدهم بأنه مُخْلف لهم ما أنفقوا، مبارك لهم فيما أبقوا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

ولما كان المال بهذه الأهمية، كان لا بدّ للدعاة إلى الله من توظيف المال في الدعوة الإسلامية، وانتشارها، وهذا يحتم عليهم التواصل مع أصحاب الأموال والثروات؛ لتهيئة ودعم العمل الدعوي.

وإن الناس اليوم على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، ومشاربهم، أحوج ما يكونون إلى منْ يربطهم بخالقهم سبحانه وتعالى، ويبصّرهم بالدين، ويصون كرامتهم، ويضبط سلوكياتهم، ويأخذ بأيديهم إلى الخير، ويأتي في مقدمتهم الجاليات والأقليات المسلمة.

وأهم ما يراعى في دعوتهم غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم، فهو الأساس والمنطلق للدعوة، وتأليف القلوب على الدين؛ وفق منهجية واضحة، مع مراعاة فقه الأولويات، وتقدير المصلحة في تسخير المال دعوياً.

ولا شك أن إنفاق المال في هذا السبيل، له آثاره الإيجابية على الدعاة، من خلال تعزيز جهودهم، ورؤية ثمار دعوتهم في الدنيا؛ فضلاً عن تحصيل الأجر من الله تعالى في الآخرة، كما أنهم يزدادون نشاطاً، وهم يرون رسالتهم الدعوية تصل إلى أصقاع الأرض.

وجاء هذا البحث؛ للحديث عن المال وتوظيفه في دعوة الجاليات والأقليات المسلمة.

---

(١) سورة سبأ، الآية: [٣٩].

أسباب اختيار البحث:

١- ضرورة فهم المنهج الشرعي في إنفاق المال؛ خدمة للدين، والدعوة إليه.

٢- علاقة المال بالدعوة إلى الله؛ كوسيلة داعمة في رسم الخطط الدعوية وتطبيقاتها.

٣- حاجة الدعوة إلى المال؛ وأثر ذلك على الجاليات.

٤- وجود حملات مدعومة مالياً؛ تستهدف أبناء الأقليات المسلمة في عقيدتهم وأخلاقهم.

أهداف البحث:

١- بيان مشروعية إنفاق المال في الإسلام.

٢- معرفة مظاهر إنفاق المال في حياة السلف.

٣- بيان توظيف المال في دعوة الجاليات.

٤- بيان توظيف المال في دعوة الأقليات المسلمة.

التعريف بمصطلحات الدراسة:

أولاً: المال:

في اللغة: تقول: مال الرجل يمال: إذا كثر ماله[1]، ويمول مولاً، إذا صار ذا مال[2]، وموّله قدم له ما يحتاج من مال[3]. والمال ما ملكته

(١) انظر: مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج٥ ص٣٨٥.

(٢) انظر: لسان العرب – محمد بن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ج١١ ص٦٣٦، ٦٣٥.

(٣) انظر: المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية بمصر، دار الدعوة، إستانبول، بدون تاريخ، ج٢ ص٨٩٢.

من كلّ شيء، وجمعه أموال[1].

وفي الاصطلاح: يطلق على كل ما يباح نفعه، واقتناؤه مطلقاً[2].

ثانياً: التوظيف: في اللغة: وظّف الشيء على نفسه، ووظفه توظيفاً ألزمها إياه[3] والمواظفة: الملازمة والمؤازرة[4]، ومنه المال؛ لتجهيز الجيش وفداء الأسرى[5].

والمراد بالتوظيف هنا: تسخير المال في الدعوة إلى الله، بما يكفيها احتياجاتها، ومتطلباتها؛ للوصول بها إلى الآفاق.

ثالثاً: الدعوة:

في اللغة: من الدعاء، ولها معانٍ متعددة، منها: النداء، والطلب، والحث، والسؤال، والاجتماع، والدعاية[6]، وكما تكون الدعوة إلى الخير، كذلك تكون إلى الشر، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ﴾، وقال النبي ﷺ في عمار بن ياسر رضي الله عنه: (ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى

(١) انظر: القاموس المحيط - مجد الدين محمد الفيروز آبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ج١ ص١٣٦٨.

(٢) انظر: شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى - منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، ج٢ ص٧.

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١٠ ص٤١.

(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٢٤ ص٤٦٥.

(٥) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق - فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٣١٣هـ، ج٤ ص١٦٥.

(٦) انظر: لسان العرب — ابن منظور، ج١١ ص٦٣٦، ٦٣٥.

النار)[1].

وفي الاصطلاح: تدل الدعوة على معنيين: دين الإسلام، أو تبليغ الإسلام.

والمعنى الثاني هو المقصود، أي: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة)[2].

رابعاً: الجاليات:

في اللغة: من جلا القوم عن أوطانهم يجلون وأجلوا: إذا خرجوا من بلد إلى بلد[3]. والجالية: جماعة من الناس تعيش في وطن جديد غير وطنهم الأصلي[4].

وفي الاصطلاح: هم (الذين جلوا عن أوطانهم، وهو عند إطلاقه في دار الإسلام ينصرف إلى أهل الذمة غالباً)[5].

خامساً: الأقليات:

الأقليات في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: جمع أقلّية، من أصل مادة قلّل، وتدل على خلاف الكثرة[6]، ومن كانوا أقل من النصف[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: التعاون في بناء المسجد، رقم الحديث (٤٤٧)، ج١ ص٩٧.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة دراسة منهجية شاملة — د. محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ص١٧.

(٣) انظر: لسان العرب - ابن منظور، ج٤ ص١٤٩.

(٤) انظر: المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، ج١ ص١٣٢.

(٥) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض دراسة ميدانية تقويمية — عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، رسالة دكتوراه، إشراف أ. د. مصطفى أبو سمك، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام، الرياض ١٤١٧هـ، ص١٨٢.

(٦) انظر: لسان العرب - ابن منظور، ج١١ ص٥٦٣، المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢ ص٧٥٦.

وفي الاصطلاح: هي (مجموعة أو فئات من رعايا دولة من الدول، تنتمي من حيث العرق، أو اللغة، أو الدين، إلى غير ما تنتمي إليه الأغلبية)[2].

والأقليات المسلمة: هي (كل مجموعة بشرية بين مجموعة أكبر منها؛ بكونها تنتمي إلى الإسلام، وتحاول بكل جهدها الحفاظ على دينها)[3].

المقصود بعنوان الدراسة:

دعم الدعاة إلى الله، وتهيئة المناخ الملائم لهم، وإعانتهم في حمل الدعوة وتبليغها، للجاليات والأقليات المسلمة؛ هداية، واستصلاحاً.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات لها علاقة بموضوع الدراسة في بعض جوانبها، وفيما يلي استعراض لها:

١) مصرف المؤلفة قلوبهم وأثره في الدعوة المعاصرة[4]:

تناولت الدراسة التعريف بالمؤلفة قلوبهم، وأنواعهم، والتأليف في عهد النبي ﷺ، وآراء العلماء في بقاء حكم التأليف، ومناقشتها، وضرورة التأليف في عصرنا، واستعرضت نشاط المبشرين في أوائل

---

(١) معجم لغة الفقهاء – د. محمد رواس قلعه جي ود. حامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٦١.

(٢) في فقه الأقليات المسلمة – د. طه جابر العلواني، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٤.

(٣) الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي- د. علي المنتصر الكتاني، مكتبة المنارة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص٦.

(٤) حسين بن محمد آل الشيخ - إشراف د. سيد عبداللطيف كساب، بحث مكمل للحصول على الماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣هـ.

هـذا القـرن، مـع عقـد موازنـة بـين المسلمين والنصـارى في التـأليف، وختمت بأن الأمل بعد الله في مستقبل هـذه الأمة؛ من خـلال نشـاطات حكوماتها، وهيئاتها وأفرادها.

٢) تأليف القلوب في الدعوة إلى الله تعالى ضوابطه وآثاره(١):

تناولـت الدراسـة مفهـوم التـأليف، ومشـروعيته في الكتـاب والسـنة، وأنواعـه، وتحـدثت عـن مقاصـد تـأليف المـدعو؛ دخـولاً في الإسلام، أو زيادة في إيمانه، أو حمايته لـه مـن الـردة، أو جلباً لمصلحة عامة مع بقائه في الكفـر، أو كفّاً عن شرِّه مع بقائه على الكفـر، وبيّنـت الضـوابط العامـة للتـأليف، وختمـت بالحـديث عـن آثـار تـأليف القلوب المباشرة، وغير المباشرة.

٣) تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات(٢):

تناول الكتاب تعريف التأليف، والحكمة منه، وأوضح مـذاهب العلماء في حكم إعطاء المؤلفة قلوبهم من أمـوال الصـدقات والزكـاة، وأبـان شـروط التـأليف علـى الإسـلام بـأموال الصـدقات، وبـيّن حاجـة المسلمين في واقع الأمة إلى التأليف على الإسلام بالصدقات، والأحوال التي ينفق عليها، ثم ختم بتوضيح المقدار الـذي ينفـق علـى سـهم المؤلفـة قلوبهم.

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالرحمن الروضان - إشراف د. أحمد بن محمد أبا بطين، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٩هـ.

(٢) د. عمر بن سليمان الأشقر – دار النفائس، الكويت، ط١، ١٤١٢هـ.

العلاقة بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة:

لا يفوت الباحث أن ينوه بتلك الدراسات السابقة، وأهميتها في تأليف القلوب وأثرها في الدعوة إلى الله، وما تحويه من أمور مشتركة، فيما يخدم موضوع الدراسة، وتقسيماتها؛ لكنها في مجملها تختلف عن الدراسة الحالية، التي تتحدث عن توظيف المال في دعوة الجاليات والأقليات المسلمة، دون غيرهم.

منهج البحث:

تتبع هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، من خلال تجميع البيانات والحقائق عن موضوع معين؛ للوصول إلى أحكام عامة يشملها جميعاً[(1)].

وتطبيق الباحث لهذا المنهج، يكون باستقراء نصوص المال في الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح لها؛ للخروج بالنتائج المتوخاة، وخدمة أهداف البحث، والوصول إلى منهج دعوي يؤصِّل توظيف المال في دعوة الجاليات والأقليات المسلمة في وقتنا الحاضر.

تقسيمات البحث: وقد جاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

ففي المبحث الأول: تناولت مشروعية إنفاق المال، ومظاهره في حياة السلف، وجاء في مطلبين، المطلب الأول: مشروعية إنفاق المال، والمطلب الثاني: مظاهر إنفاق المال في حياة السلف، وأما المبحث الثاني: تناولت توظيف المال في دعوة الجاليات والأقليات المسلمة، وجاء

---

(١) انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة - د. عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ، ص ١٨٨، البحث العلمي صياغة جديدة - د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق، جدة، ١٤١٢هـ، ص٦٤، أصول البحث العلمي ومناهجه - د. أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤م، ص٢٩٩.

في مطلبين، المطلب الأول: توظيف المال في دعوة الجاليات، والمطلب الثاني: توظيف المال في دعوة الأقليات المسلمة، ثم الخاتمة، وضمّنتها أبرز النتائج، وما يوصي به الباحث. والله أسأل أن تعي الأمة دورها في تسخير المال؛ لخدمة هذا الدين، ونشر الدعوة والإنفاق في مجالاتها، والله الموفق والمستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الأول

مشروعية إنفاق المال، ومظاهره في حياة السلف

المطلب الأول: مشروعية إنفاق المال:

إن المالك الحقيقي للمال هو الله تعالى، أما الإنسان؛ فإنه مستخلف في هذا المال، وهو وكيل عن الله تعالى في إنفاقه، مقيد بأوامر صاحب المال مالك كلِّ شيء. فإن التزم بهذه الأوامر والقيود نجا من فتنة المال، ونجح في هذا الاختبار والابتلاء، وزاده هذا المال رفعة ومنزلة وقرباً من الله تعالى، وإن أهمل هذه الأوامر، وتعدى حدود الله تعالى، وأطلق يديه في الإنفاق؛ تبعاً لهواه وشهواته، كان المال سبباً في خسرانه وهلاكه، وبعده من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[1].

يقول ابن كثير: (أي مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم، ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته)[2].

فملكية الإنسان للمال إلى حين، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحريٌّ به أن يغتنمه في الإنفاق، والإكثار من فعل الخيرات قبل أن ينتقل إلى غيره[3].

---

(١) سورة الحديد، الآية: [٧].

(٢) تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج١ ص٣٠٦.

(٣) انظر: المال في القرآن الكريم – سليمان بن إبراهيم الحصيِّن، دار المعراج الدولية، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ص١٩.

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[(١)].

يقول السعدي: (فكما أن المال مال الله، وإنما الذي بأيديكم عطية من الله لكم، ومحض منة، فأحسنوا لعباد الله، كما أحسن الله إليكم)[(٢)].

وهاتان الآيتان تؤكدان أن المال هو لله سبحانه وتعالى، والعباد مستخلفون فيه، ووكلاء عن صاحب المال، وعليهم أن ينفذوا عقد الوكالة؛ وفقاً لشروطها، وهو أن يطيعوا أمره في تحصيل المال وإنفاقه فيما يرضيه سبحانه، ومن قصّر في تنفيذ هذه الشروط، فهو مسؤول ومحاسب[(٣)].

وإذا كان المال ينسب إلى الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[(٤)]، فنسبته إليه نسبة تكليف ومحاسبة، وهو من قبيل المجاز، وليس الحقيقة[(٥)].

وكان الشارع الحكيم بصيراً بطبائع النفوس، وتباين المشارب والأهواء، واختلاف الرؤى والاتجاهات لدى البشر، وكان بصيراً أيضاً بما يكاد بنو البشر جميعاً يجتمعون على محبته، والميل إليه، وطلب الاستكثار منه، ألا وهو المال، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ

---

(١) سورة النور، الآية: [٣٣].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج١ ص٥٦٨.

(٣) انظر: المال في الإسلام – د. محمود محمد بابللي، مطبعة المدينة، الرياض، ط٢، ١٩٧٦م، ص٣٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: [١٠٣].

(٥) انظر: المال ملكيته واستثماره وإنفاقه – د. محمد رأفت سعيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص٢٨.

ﵟٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ﵞ[1]. والخير هنا هو المال، فالإنسان شديد المحبة للمال؛ بحيث يفرح بازدياده ونمائه، ويحزن لفقده ونقصانه.

والسعيد من شكر المنعم سبحانه على ذلك المال، وتقوى به على طاعة الله، وبذله في وجوه الخير، وأخذ حظّه منه بالحلال، وهذا المعنى ظاهر في قوله تعالى: ﵟوَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖﵞ[2].

ولذا جاءت نصوص الكتاب والسنة ترغب في إنفاق المال، وترتب على ذلك الأجر من الله تعالى، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﵟمَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ﵞ[3].

وقوله تعالى: ﵟمَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥ﵞ[4].

وقوله تعالى: ﵟٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَﵞ[5].

---

(١) سورة العاديات، الآية: [٨].

(٢) سورة القصص، الآية: [٧٧].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢٦١].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٢٤٥].

(٥) سورة البقرة، الآية: [٢٧٤].

وقولـــــه تعــــــالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً)[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها، ويعلمها)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (قال الله: أنفق يا ابن آدم، أنفق عليك)[4].

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرّة المدينة، فاستقبلنا أحد، فقال: يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً، تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئاً أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا، وأرانا بيده، ثم قال: يا أبا ذر، قلت: لبيك

---

(١) سورة سبأ، الآية: [٣٩].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ...﴾ اللهم أعط منفقاً خلفاً، رقم الحديث (١٤٤٢)، ج٢ ص١١٥، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: في المنفق والممسك، رقم الحديث (١٠١٠)، ج٢ ص٧٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث (٧٣)، ج١ ص٢٥، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم الحديث (٨١٦)، ج١ ص٥٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل، رقم الحديث (٥٣٥٢)، ج٧ ص٦٢، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، رقم الحديث (٩٩٣)، ج٢ ص٦٩٠.

وسعديك يا رسول الله، قال: إن الأكثرين هم الأقلّون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا، وقليل ما هم[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: (من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له)، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر؛ حتى رأينا أنه لا حقّ لأحدٍ منا في فضل[2].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا أنفق المسلم نفقة على أهله، وهو يحتسبها، كانت له صدقة)[3].

وفي السياق المقابل، هناك نصوص أخرى ترهّب من إمساكه؛ افتتاناً به وبخلاً، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: (ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً)، رقم الحديث (٦٤٤٤)، ج٨ ص٩٤، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة، رقم الحديث (٩٤)، ج٢ ص٦٨٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: استحباب المواساة بفضول المال، رقم الحديث (١٧٢٨)، ج٣ ص١٣٥٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل، رقم الحديث (٥٣٥١)، ج٧ ص٦٢، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين، رقم الحديث (١٠٠٢)، ج٢ ص٦٩٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: [٣٤].

خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [(١)].

وقول النبي ﷺ: (ثلاث مهلكات: هوًى مُتَّبَع، وشُحّ مطاع، وإعجاب المرء بنفسه)[(٢)].

وقول النبي ﷺ: (لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال)[(٣)].

وقول النبي ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة؛ حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه)[(٤)].

وكان ﷺ يتعوذ من البخل في دعائه، فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من البخل)[(٥)].

هذا منهج الإسلام في المال، فهو مال الله ابتداءً، وهو عارية عند العباد إلى أجل، وهو وسيلة لا غاية، ويمكن أن يكون المال خيراً، أو شراً على صاحبه، بحسب كسبه من حلال أو حرام، وهل أنفقه في وجوهه المشروعة التي أمر الله بها، أم في وجوهه المحرمة، والمشبوهة التي نهى الله عنها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: [١٨٠].

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم الحديث (٥٤٥٢)، ج٥ ص٣٢٨، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥، رقم الحديث (٢٦٠٧)، ج٢ ص٢٥٦.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، رقم الحديث (٢٣٣٦)، ج ٤ ص ٥٦٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (٣٢٥٣)، ج٣ ص١٤٥.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، رقم الحديث (٢٤١٧)، ج٤ ص٦١٢، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (١٢٦)، ج١ ص٣٠.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من عذاب القبر، رقم الحديث (٦٣٦٥)، ج٨ ص٧٨، ومسلم في كتاب: العلم، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره، رقم الحديث (٢٧٠٦)، ج٤ ص٢٠٨٠.

المطلب الثاني

مظاهر إنفاق المال في حياة السلف

فَهِمَ السلفُ الصالحُ نظرةَ الإسلام المتوازنة المعتدلة في إنفاق المال، فبذلوه في طاعة الله ومرضاته، ونشر الدعوة الإسلامية، والجهاد في سبيل الله، ونصرة الإسلام والمسلمين؛ ليقينهم بأن ما عند الله خير وأبقى لهم.

وقد سطرت كتب السيرة والتاريخ والتراجم أحوالهم في إنفاق المال، ولهذا شواهد عديدة نذكر طرفاً منها:

ففي غزوة تبوك، حين ندب رسول اللّه ﷺ الناس إلى الخروج لقتال الروم، وحضّ أهل الغنى على النفقة، والحمل في سبيل اللّه، كان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه، فجاءه بماله كلّه أربعة آلاف درهم، فقال له رسول اللّه ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ قال: أبقيت لهم اللّه ورسوله، وجاء عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بنصف ماله، فقال له رسول اللّه ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ قال: نصف مالي، وجاء عبدالرحمن بن عوف رضي اللّه عنه بمائة أوقية، وجاء العباس رضي اللّه عنه بمال كثير، وكذا طلحة رضي اللّه عنه ، وتصدق عاصم بن عدي رضي اللّه عنه بسبعين وسقاً من تمر، وأنفق عثمان بن عفان رضي اللّه عنه نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها، فإنه جهز الجيش بثلاثمائة بعير بأحلاسها[1]، وأقتابها[2]، وخمسين فرساً،

---

(١) أحلاس: جمع حلس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير. انظر: لسان العرب - ابن منظور، ج٦ ص٥٥.

(٢) أقتاب: جمع قتب، وهو الرحل الصغير على قدر سنام البعير. انظر: المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢ ص٧١٤.

وقيل تسعمائة وخمسين بعيراً، ومائة فرس. وقيل جاء رضي الله عنه بألف دينار في كمِّه، وقيل عشرة آلاف، فصبّها في حجر النبي ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقلبها بيديه، ويقول: (ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم) يرددها مراراً. وتتابع الناس بصدقاتهم وأعطياتهم، وبعثت النساء - رضي الله عنهن - بكل ما يقدرن عليه من حُليهنّ[1].

وأنفق أبو بكر رضي الله عنه ماله في عتق الرقاب. يقول ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم، وفي منزله أربعون ألف درهم، فخرج إلى المدينة في الهجرة، وما له غير خمسة آلاف، كلُّ ذلك ينفقه في الرقاب، والعون على الإسلام[2].

واشترى عثمان رضي الله عنه بعد ذلك بئر رومة من اليهود بعشرين ألف درهم، وسبلها للمسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال: (من حفر بئر رومة، فله الجنة)[3].

وهذا زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله يدخل على محمد بن أسامة في مرضه، فوجده يبكي فقال: ما شأنك، قال: عليّ دين.

---

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج٣ ص٩٩- ١٠١.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م، ج١ ص٣٩.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به في كتاب: الوصايا، باب: إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم الحديث (٢٧٧٨)، ج٤ ص١٣، والدار قطني في سننه، كتاب: الأحباس، باب: وقف المساجد والسقايات، رقم الحديث (١٢)، ج٤ ص١٩٩، والأحاديث المختارة - أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الحنبلي المقدسي، ج١ ص٤٧٧، قال: إسناده حسن.

قال: وكم هو؟ قال: بضعة عشر ألف دينار. قال: فهي عليّ"[1].

وكان الليث بن سعد رحمه الله ذا غلة سنوية، تزيد على عشرين ألف دينار، يتصدق بها؛ حتى قالوا إنه لم تُجْب عليه زكاة قط"[2].

واشتهر عبدالله بن المبارك رحمه الله، بأنه كثير الصدقات والإنفاق على الإخوان، وإكرامهم وتجهيزهم معه إلى حج بيت الله[3].

وجاءت أقوال السلف تؤكد فعالهم، وتحتسب المال في الطاعة والمعروف، وصرفه في وجوهه المشروعة؛ تقرباً إلى الله تعالى، ومن ذلك:

قول عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: (يا حبذا المال، أصل منه رحمي، وأتقرب إلى ربي عز وجلّ)[4].

وقول الزبير بن العوام رضي الله عنه: (إن المال فيه صنائع المعروف، وصلة الرحم، والنفقة في سبيل الله عز وجل، وعون على حسن الخلق، وفيه مع ذلك شرف الدنيا ولذتها)[5].

وقول ابن عمر رضي الله عنه: (ما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهباً، أعلم عدده أزكيه، وأعمل فيه بطاعة الله تعالى)[6].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ، ج٤ ص٣٩٤.

(٢) انظر: تاريخ بغداد - أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج١٣ ص٨.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء - الذهبي، ج٨ ص٣٧٩.

(٤) إصلاح المال – أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ج١ ص٤٦.

(٥) المرجع السابق، ج١ ص٤٧.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج٣ ص٢٧٢.

وقول زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله: (صدقة الليل تطفئ غضب الرب، وتنير القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة)(١).

وقول سعيد بن المسيب رحمه الله: (لا خير فيمن لا يحب المال؛ ليؤدي عنه أمانته، ويصل رحمه، ويستغني به عن خلق ربه عز وجلّ)(٢).

وقول الحسن البصري رحمه الله: (ما عذب الله قوماً وسع عليهم فشكروه)(٣).

وقول أبو قلابة رحمه الله: (لا تضرّكم دنيا إذا شكرتموها لله عز وجل)(٤).

وقول محمد بن المنكدر رحمه الله: (نعم العون على الدين الغنى)(٥).

فالشارع الحكيم يدعو إلى كسب المال الحلال، وضبطه في الإنفاق؛ بما يحقق مصالح الدين والدنيا، وهذا هو المال المحمود، كذلك ينهى عن كسب المال الحرام، ويحذر من الشح والبخل، وصرفه في الوجوه المحرمة، وهذا هو المال المذموم.

يقول ابن عبدالبر رحمه الله: (المال المذموم عند أهل العلم، هو المطلوب من غير وجهه، والمأخوذ من غير حلّه ... وأما إذا كان المال

---

(١) البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ، ج٩ ص١٠٥.

(٢) إصلاح المال – ابن أبي الدنيا، ج١ ص٤٨.

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ج١ ص٥٨١.

(٤) جامع بيان العلم وفضله – يوسف بن عبدالبر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ج٢ ص١٤.

(٥) إصلاح المال – ابن أبي الدنيا، ج١ ص٣٧.

مكتسباً من وجه ما أباح الله، وتأدّت منه حقوقه، وتقرب فيه إليه بالإنفاق في سبيله، ومرضاته، فذلك المال محمود، ممدوح كاسبه ومنفقه، لا خلاف بين العلماء في ذلك، ولا يخالف فيه إلا من جهل أمر الله)[1].

وهكذا فالمال النافع هو الذي يكون في يد صاحبه، لا في قلبه، وعلامة ذلك أن يكثر من إنفاقه في وجوه الخير؛ ليكون في ركاب الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ولا يخشون فقراً، ولا عيلة. ولا يضرهم بعد ذلك إذا ماتوا وشيء من هذه الأموال عندهم، ما داموا أخرجوا زكاته، وآتوا حقه يوم حصاده. والحذر من ذاك الذي جعل المال في قلبه، وأذل نفسه من أجل الدرهم والدينار، ولم يبال من أيّ طريق جمعه، ولم يؤدّ حق الله فيه، وصرفه عن طاعة الله والعمل لآخرته، ومنع منه الفقراء والمساكين، وأصحاب الحاجات، فإن هذا المال شرٌّ ووبال عليه، وسيندم أشد الندم يوم القيامة.

ومن هنا يتأكد أهمية المال في حياة السلف، وما أحوج أصحاب المال اليوم أن يشكروا الله بما آتاهم من فضله، فالموفق منهم من أحسن التعامل مع المال كسباً وإنفاقاً، ولم يفتتن به، وكان معيناً له على طاعة الله، وبذل الخير للآخرين.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله - ابن عبدالبر، ج٢ ص١١.

المبحث الثاني

توظيف المال في دعوة الجاليات والأقليات المسلمة

المطلب الأول: توظيف المال في دعوة الجاليات(١):

كثر استخدام لفظ الجاليات في عصرنا الحاضر، ولم يعد هناك بلد مسلم ليس فيه امتداد لتلك الجاليات، بغضّ النظر عن ديانتهم؛ لا سيَّما في ظل الظروف المادية التي يمرّون بها في بلدانهم؛ مما حدا بهم القدوم بأعداد كبيرة إلى بلاد المسلمين.

وقد أسهب بعض الدارسين في ذكر خطورة هذه الجاليات؛ بخاصة غير المسلمة، التي تعيش في بلاد المسلمين؛ حتى حمّلوها كل مفسدة تحدث في مجتمعاتنا الإسلامية؛ بما ينشرونه من عقائد باطلة، وما يجلبونه من الفتن والشرور، ناهيك عن فسادهم الخُلُقي وعاداتهم السيئة، وغير ذلك.

وكان لا بدّ من تفادي خطورتهم فكرياً، وأمنياً، وأخلاقياً، وهذا لن يكون إلا من خلال تكاتف علماء الأمة ودعاتها لدعوتهم، ومن أنجح الوسائل الدعوية في هذا السبيل توظيف المال في دعوتهم، وتأليف قلوبهم على الدخول في هذا الدين.

وقبل البدء في ذلك، لا بدّ من إبانة عظمة هذا الدين، وسماحته في معاملة المدعوين من غير المسلمين، من حيث مخالطتهم، والإحسان

---

(١) تعتبر المملكة العربية السعودية الرائدة في دعوة وتوعية الجاليات: ممثلة في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ولا أدل على ذلك من إنشاء شعبة الجاليات في الوزارة، والتي تقوم بالإشراف على المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات، ودعمها مادياً، والبالغ عددها (٣٢١) مكتباً، موزعة على مختلف مناطق المملكة ومحافظاتها ومراكزها، مع فتح المجال لأهل الدعوة والموسرين؛ لدعم تلك المكاتب ومساندتها؛ لأداء رسالتها الدعوية. انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية على الشبكة العنكبوتية: www.moia.gov.sa

إليهم، وتفقد أحوالهم، وإعانة المحتاج منهم، وقضاء حوائجهم، وإغاثة ملهوفهم، وجبر مكلومهم؛ وتأثيره البالغ في استمالة قلوبهم، وهدايتهم.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: (معنى الآية المذكورة عند أهل العلم: الرخصة في الإحسان إلى الكفار، والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين لنا بموجب عهد، أو أمان، أو ذمة)[2].

وهذه الآية تدل على جواز إعطاء غير المسلمين، والإحسان إليهم بالنفقة وغيرها؛ بقصد الدعوة، وبيان محاسن الإسلام، والهدف الدعوي غير خافٍ في هذه الصلة، ويمكن أن تكون سبباً في إسلامهم، واستنقاذهم من النار.

ومن حكمة الله البالغة أن جعل للمؤلفة قلوبهم سهماً في الزكاة، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

قال أبو يعلى الحنبلي رحمه الله: (ويجوز أن يُعطى كلّ واحدٍ من

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: [٨].

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة – سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وترتيب وإشراف د. محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٤، ١٤٢٣هـ، ج١ ص٣٠٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: [٦٠].

هذه الأصناف من سهم المؤلفة مسلماً كان، أو مشركاً)[1].

وأبان ابن حجر رحمه الله أصناف المؤلفة قلوبهم، وذكر منهم: (كفار يعطون ترغيباً في الإسلام)[2].

وقد استخدم النبي ﷺ المال لاستمالة القلوب إلى الإسلام، حيث كان الرجل يسلم، وما يريد إلا المال، فما يمسي إلا ويكون الإسلام أحب إليه من كل شيء.

فعن موسى بن أنس عن أبيه، قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[3].

كما أن من توظيف المال دعوياً تقديم الهدية لهم، فهي تفعل في نفوس المدعوين ما لا يفعله الكلام، ولا الوعظ، فهي مما يهيؤهم لقبول الدعوة، والانقياد لها.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل حلّة إلى أخٍ له من أهل مكة قبل أن يسلم[4].

وكذلك عبدالله بن عمرو رضي الله عنه يقول لغلامه وهو يسلخ

---

(١) الأحكام السلطانية – أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص١٣٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني، ج٨ ص٤٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم الحديث (٢٣١٢)، ج٤ ص١٨٠٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة، باب: الهدية للمشركين، رقم الحديث (٢٦١٩)، ج٢ ص١٦٤، ومسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، رقم الحديث (٢٠٦٨)، ج٣ ص١٦٨٣.

الشاة: إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي[(١)].

وقد جاء في فتاوى هيئة كبار العلماء: (يجوز للمسلم أن يواسي جاره الكافر من لحم الأضحية، ويوسّع عليه؛ تأليفاً لقلبه، وأداءً لحق الجوار، ولعدم وجود ما يمنع ذلك من الأدلة، ولعموم قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[(٢)])[(٣)].

فهذا كله يدلّ على أن المال يمكن أن يؤدي دوراً كبيراً في دعوة غير المسلمين، واستمالة قلوبهم على الإسلام، فإذا تحقق ذلك مع لين الكلام، وبسط الوجه، كان التأثير أعظم، والنتائج أفضل.

ولو نظرنا إلى عصرنا الحاضر، نجد أننا مقصرون تجاه دعوة هؤلاء، وأبرز ما يمثلهم الجاليات التي تعيش بين ظهرانينا. فكثير من الجاليات غير المسلمة يمكث السنين الطوال، بمفرده دون أهله، ويرجع إلى بلاده كما أتى، دون أن يعرض عليه الإسلام عارض، أو يرغبه في دين الله مرغّب.

والخطورة تكمن في إساءة بعض أرباب العمل لمكفوليهم، سواء بالمعاملة، أو تأخير رواتبهم، أو تكليفهم ما لا يطيقون؛ والرسول ﷺ يقول: (ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (١٢٨)، ج١ ص١٥٨، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد: صحيح، ص٦١.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: [٨].

(٣) مجلة البحوث الإسلامية - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد السادس، ١٤٠٢هـ، ج٦ ص٢٥٦.

منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة)[1].

وواجب على الدعاة تذكيرهم بحسن معاملة هؤلاء، ومراعاة حقوقهم، وتقديم البذل والعطاء، والإنفاق في سبيل دعوتهم وهدايتهم؛ فضلاً أن أعمال هذا المسلم ستكون في صحائف من كان سبباً في إسلامه، من غير أن ينقص من أجره شيء.

ويمكن توظيف المال في دعوة الجاليات، من خلال ما يلي:

١) ترجمة الكتب:

فينبغي على القائمين في العمل الدعوي وضع خطة استراتيجية؛ بالتعاون مع الموسرين، تقوم على تأمين الكتب الإسلامية للجاليات، وهي متوافرة بلغات عديدة، ولله الحمد؛ ما يمكن من وصول رسالة الإسلام إليهم.

فأما ما يتعلق بترجمة معاني القرآن الكريم، فيمكن التنسيق مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في تزويد المكاتب الدعوية باحتياجاتها، ومن ثم إيصالها لهؤلاء بمختلف لغاتهم.

وأما الكتب الإسلامية التي تعرِّف بالإسلام، فيمكن أن يختار منها ما يناسب فئات الجاليات، ولغاتهم؛ بخاصة في المجال العقدي، مع مراعاة الجودة في إخراجها؛ ليسهل عليهم قراءتها، واستيعابها، ويكون لها أثر في نفوسهم[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الخراج، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة، ج٢ ص١٨٧، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، ج١٣ ص٣٨٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (٢٠٠٦)، ج٣ ص٨٩.

(٢) وعلى سبيل المثال: كتاب الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، العقيدة الصحيحة وما يضادها للشيخ عبدالعزيز بن باز، عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ محمد بن عثيمين، حوار بين مسلم ونصراني لباقل، ما هو الإسلام؟ لبيير فوجل، عيسى بن مريم نبي وليس إلهاً لأحمد جبريل، قطوف من الشمائل المحمدية

إننا إذا ساهمنا بأموالنا، ولو بالنزر القليل في طباعة هذه الكتب، ووزعناها عليهم، فلك أن تتخيل حجم فائدتها، وتأثيرها على بعضهم، ودخولهم في الإسلام؛ فضلاً عن تأثيرهم على غيرهم بعد ذلك، فنقول لهذا المساهم بماله: ولك بمثل؛ لقوله ﷺ: (من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)(1).

٢) **المحاضرات الدعوية**: تتولى الجهة الدعوية الإعداد المسبق للمحاضرات الدعوية، ويتم الدعاية لها؛ بشكل يجعلها تصل إلى مسامع الجاليات؛ من خلال تهيئة السبل الكفيلة لحضورهم، وبالتنسيق مع أرباب العمل وإفادتهم منها.

ومن عوامل نجاح المحاضرة الدعوية، وإقبالهم عليها: معرفة ثقافتهم، وحاجتهم لها ابتداءً، وحسن اختيار الدعاة لها، ومقدرتهم على التبليغ كما أراد الله تعالى، كذلك انتقاء الموضوعات التي تعرِّف بدين الإسلام، وشموليته، واستيعابه لبني البشر جميعاً، وعدله، ورحمته، وإحسانه إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا

لمحمد جميل زينو، تعريف عام بدين الإسلام لعلي الطنطاوي، دين الحق للشيخ عبدالرحمن العمر، الدين الصحيح لبلال فيلبس، حقيقة عيسى عليه السلام للدكتور مانع الجهني، نحن نؤمن بعيسى عليه السلام لأحمد جبريل سالاس، دعائم الإيمان للدكتور جعفر إدريس، الدليل المصور الموجز لفهم الإسلام لإبراهيم أبو حرب، محمد رسول الله إلى الناس أجمعين لمامارنيتا عمر، رسالة الإسلام لعبدالرحمن الشيحة، رسالة إلى هندوسي لسيد معراج رباني، هذا هو الإسلام باختصار لإبراهيم اليحيى، الإسلام والإنسانية لأبي الكلام أزاد أنور، الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي، لماذا أسلمت؟ للحسن بن أيوب، عظمة القرآن الكريم للدكتور محمود الدوسري.

(١) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب: من سنَّ سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث (٢٦٧٤)، ج٤ ص٢٠٦٠.

رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

وحتى يتحقق الهدف المنشود معهم، فلا بدّ من فتح الحوار والمناقشة معهم في جوّ صحي، يُعبِّرون فيه عما يجول في كوامن أنفسهم، وما علق في أذهانهم من شبهات عن الإسلام، وتفنيدها، والردّ عليها بالدليل والبرهان، مع تهيئة المناخ المناسب لدعوتهم، ومراعاة ظروفهم الزمانية، والمكانية.

ولا يمنع أن يشارك في إلقاء المحاضرات أولئك الذين دخلوا في هذا الدين، وتزودوا بالعلم الشرعي؛ للحديث مع بني جنسهم عن الإسلام، وتعاليمه السمحة، ويذكرون لهم تجربتهم، وكيف كانت حياتهم قبل الإسلام، وبعده.

ولا يمنع أن تلقى المحاضرات في مقرّ عمل تلك الجاليات؛ بحسب قربها من المكاتب الدعوية؛ بالتنسيق مع أرباب العمل، وتحفيزهم على ذلك.

٣) الأشرطة المرئية والمسموعة:

من خلال الشريط والقرص المدمج الدعوي يصل داعي الحق، وبلغات مختلفة، إلى الجاليات، ويشترك في الإفادة منها الأمّي والمتعلم.

ومما يميز الشريط عن غيره، قلة تكلفته المالية، مقارنة بالوسائل الدعوية الأخرى، وهو في متناول اليد، ويسهل الاستماع إليه في كلّ وقت، سواء في مسكنهم، أو عملهم، أو في تنقلاتهم اليومية؛ فضلاً عن تأثيره البالغ لمن أراد الله له الهداية والرشاد.

٤) النشرات الدعوية:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: [١٠٧].

وهـي عبـارة عـن رسـائل عاجلـة؛ لإسمـاع تلـك الجاليـات صـوت الإسـلام؛ وهـي تمثـل صـورة مشـرقة مختصـرة عـن الإسـلام، سـواء في العقيدة، أو الشريعة، أو العبادات، أو الأخلاق؛ لـذا وجـب العنايـة بهـا، والإعـداد لهـا، وتوظيفهـا دعويـاً؛ بمـا يتناسـب مـع عقـولهم، وأفهـامهم؛ بخـاصة تلك النفوس الحـائرة؛ الـتي تنتظـر مـن يأخـذ بأيديها إلى طريق الهداية والرشاد.

والجهات الدعوية معنية بتوزيع هـذه النشـرات عليهم على نطاق واسع، بلغات متعددة؛ وحتى تكون في متناول اليد في الأمـاكن الـتي يرتادونها، كالأسواق، والمستشفيات، والمطـارات، والبنـوك، والطـرق الرئيسة، ونحو ذلك.

٥) الزيارات الميدانية:

فالقائمون على الدعوة، عليهم واجب البلاغ تجاه الجاليات غير المسلمة، ولا ينتظـرون مجيئهم إلـيهم؛ بـل يـذهبون إلـيهم في أمـاكن تجمعـاتهم، ويخـالطونهم عـن قـرب، قـال السـبكي رحمـه الله: (وعـدم اختلاطهم بالمسلمين، يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام)[١].

ولا حجـة لمـن يقـول إن التبليـغ قـد تم، وعليهم البحـث عـن حقيقـة الإسـلام. فهـذا تصـور خـاطئ، ويـنمّ عـن جهـل صـاحبه، والحـق أننـا مسؤولون أمام الله عن تعريفهم بالإسلام[٢].

وهـذا يتطلـب التوجـه إلـيهم، ومشـاركتهم همـومهم، وأحـزانهم،

(١) فتاوى السبكي - أبو الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج٢ ص٤٠٤.

(٢) انظر: الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن- محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٦.

وأفراحهم، وبذل الجهد والمال، وتجنيد الإمكانات، وتذليل كافة العقبات التي تحول بينهم وبين الدخول في الإسلام، وربما كانت هذه الزيارات مفتاحاً لقلوبهم، وتأثيراً في نفوسهم.

ولا يمنع أن يصحبوا معهم في الزيارة عدداً من الذين أسلموا، ويتقنون لغاتهم؛ مما يتيح لهم تشخيص واقعهم، وتبليغ الدعوة إليهم؛ بما يناسب فروقهم الفردية، ويجيب على استفساراتهم، ويئد الصعاب التي تحول دون إسلامهم، ويزيل ما علق في أذهانهم من صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، ويتخلل الزيارة إهداءهم مطبوعات تعريفية عن الإسلام؛ وحتى يتحقق المراد، فلا بد من التواصل الدائم معهم عن طريق الجوال الدعوي.

ويمكن أن يكون من خلال تلك الزيارات تقديم العون لهم، من خلال البحث عن أعمال مناسبة لهم؛ بالشفاعة لدى أرباب العمل؛ وتحسين أحوالهم المعيشية، وربما كان ذلك سبباً في دخولهم هذا الدين.

٦) التقنيات الحديثة:

ففي ظل الثورة المعلوماتية؛ سواء في مجال الشبكة العنكبوتية، أو مجال الاتصالات بأنواعها، حيث تدخلت التكنولوجيا في كلّ شيء، ومن خلال إدارة زرٍّ، تستطيع مخاطبة الآخرين، والإجابة على تساؤلاتهم عن الإسلام، وإرسال المادة الحية بالصوت والصورة، بكل يسر، ودون عناء.

ولا بدّ أن يستثمر الدعاة هذه التقنيات الحديثة في التواصل مع العالم الخارجي، وتخطي الحواجز الجغرافية من خلال المواقع

الدعوية، أو شبكات الاتصالات الهاتفية، وكلها تشترك في دعوة الجاليات غير المسلمة، وإيصال رسالة الإسلام إليها بأقل جهد، وأقصر وقت. وهذا ينسجم مع عالمية الدعوة الإسلامية، وانتشارها.

٧) الإعلام الدعوي:

إن وسائل الإعلام الدعوية بأنواعها المرئية، والمسموعة، والمقروءة، لها دور فاعل في واقع الأمة، وبات حضورها ضرورة ملحة؛ لمخاطبة الجاليات المنتشرة في العالم الإسلامي، ولا بدّ من التوجه إليهم باللغة التي يفهمونها.

ويجب أن نعترف بضعفنا، وتقصيرنا في عدم استثمار هذه الوسائل الإعلامية في دعوة هؤلاء؛ لذا وجب على إعلامنا الإسلامي، أن يقدم الإسلام بوسطيته، ووضوحه، واعتداله، ونظرته إلى الكون، والحياة، والمآل.

إننا نشكو دائماً من تعمد وسائل الإعلام الغربية تشويه صورة الإسلام والمسلمين في برامجهم وأطروحاتهم، فلماذا لا نقوم بتصحيح تلك الصورة، وتوضيح محاسن الإسلام عن طريق دعوة الجاليات غير المسلمة في بلادنا الإسلامية؛ عسى أن يكونوا سفراء للإسلام، إذا عادوا إلى بلادهم، وقد أثبتت التجارب أن لدى هؤلاء قدرة كبيرة على التضحية بكل شيء، في سبيل القضية التي يؤمنون بها؛ بل يمكن أن يؤثروا على حكوماتهم؛ لتحييدها على الأقل، أو لوقوفها بجانب قضايا الأمة الإسلامية، وهذا مما يريك خطط الأعداء في العالم. إذ كيف يسعون إلى فصل المسلمين عن دينهم، وهم لا يستطيعون المحافظة على أتباعهم، الذين يدخلون في الإسلام.

وأول الخطوات في العمل الإعلامي الدعوي، إنشاء قنوات فضائية متخصصة؛ لدعوة غير المسلمين بلغات مختلفة، واختيار الأساليب الدعوية المناسبة لهم، مع مراعاة النواحي الفنية والإبداعية في إخراجها، وعلى غرارها تكون البرامج الإذاعية، وكذلك الصحف، والمجلات، ولا بدّ أن تشترك جميعها في عمل لقاءات مع المسلمين الجدد، وهم يذكرون سبب هدايتهم وإسلامهم؛ وهذا ما يدفع أقرانهم غير المسلمين بإذن الله إلى التأثر، والبحث والسؤال عن هذا الدين، والدخول فيه عن طواعية واختيار.

وبعد هذا كله، ما مصير المسلمين الجدد؟

إن على المشتغلين بالعمل الدعوي متابعة الجاليات التي أشهرت إسلامها؛ لترسيخ الإيمان في قلوبهم، وتنمية الوازع الديني فيهم؛ حتى لا يكونوا عرضة للانحراف بعد ذلك.

ونظراً لأهمية ذلك، قامت رابطة العالم الإسلامي بإنشاء هيئة مستقلة، أسمتها: (الهيئة العالمية للمسلمين الجدد)[1]؛ من أجل الرعاية والاهتمام بالمسلمين الجدد في أنحاء العالم.

ومن أبرز الأسباب التي تعين المسلمين الجدد في ثباتهم على الإسلام، ما يلي:

- إقامة برامج متخصصة؛ لتعليمهم اللغة العربية رجالاً ونساءً، وتكون مدخلاً مهماً؛ لفهم الإسلام بمعناه الصحيح، ورسالة نبينا

(١) هي هيئة عالمية خيرية، ذات صفة اعتبارية، منبثقة عن رابطة العالم الإسلامي، مقرها جدة، تُعنى برعاية المسلمين الجدد، والتنسيق بين الجمعيات، والمؤسسات الإسلامية، ومراكز البحث، والشخصيات المهتمة بالإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم. انظر: موقع الهيئة العالمية للمسلمين الجدد على الشبكة العنكبوتية: www.4newmuslims.org

محمد ﷺ، وسيرته العطرة؛ وهذا يقودهم بإذن الله تعالى إلى فهم نصوص القرآن الكريم، وترجمة معانيه بلغته الأصلية، والتعمق في دراسة العلوم، والحضارة الإسلامية، والاختلاط بالمسلمين، والتأثر بأخلاقهم.

- إهداؤهم حقيبة، تحوي بداخلها كتباً ورسائل وأقراصاً مرنة مسموعة ومرئية؛ تتحدث عن أصول الإسلام وتعاليمه السمحة باللغة التي يتحدثون بها، وتضم قصص الذين أسلموا من الرجال والنساء، والإجابة على الأسئلة والاستفسارات، التي غالباً ما يسألها المسلم الجديد.
- عقد دورة تعليمية خاصة بالمسلمين الجدد لمدة شهر، بعد كل صلاة جمعة، لمدة ساعتين، ويشرف عليها نخبة من الدعاة، وعدد من المترجمين بلغات مختلفة، ويوزع عليهم مثلاً: كتاب منهج المسلم الجديد؛ للإفادة منه في العقيدة والأمور الشرعية، وكتب أخرى، ورسائل دعوية بحسب احتياجاتهم، ويتكفل القائمون على البرنامج بالمواصلات، وتأمين وجبة الغداء لهم، وتخصص مكافأة مالية في ختام الدورة، لمن اجتازها بنجاح. وفي نهاية الدورة تقام رحلة ترفيهية تثقيفية رياضية.
- ترتيب زيارات متبادلة بينهم، والمكاتب الدعوية.
- تنظيم الحملات المجانية؛ لأدائهم مناسك الحج والعمرة.
- عمل المسابقات الثقافية الرمضانية بينهم، ورصد جوائز مالية للفائزين بها.
- إشراكهم في الأعمال الدعوية والخيرية؛ حتى يشعروا بالولاء

والانتماء لهذا الدين.

- إقامة الرحلات الترفيهية التعليمية لهم ولأصدقائهم من الديانات الأخرى؛ فيحصل التأثر بالأنشطة الدعوية المتنوعة، وربما أسلم بعضهم في نهاية الرحلة.
- عدم إغفال النساء اللاتي أسلمن، ومتابعتهنّ، وتزويدهن بالكتب والأشرطة الدعوية؛ بما يعينهن على الثبات والاستقامة، والمضي في طريق الهداية.

المطلب الثاني

توظيف المال في دعوة الأقليات المسلمة[1]:

إن الأقليات المسلمة جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، وأعضاء من بدنها، وواجب المسلمين عظيم تجاههم، أفراداً وجماعات، شعوباً وحكومات؛ فنحمل همومهم، ونقدم النصرة لهم، ففي الحديث: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته)[3][4].

وليس بخاف علينا الأهمية التي تمثلها تلك الأقليات المسلمة، الذين يعيشون في أحضان مجتمعات غير إسلامية، حيث أشارت إحدى الدراسات الإحصائية بأن عددهم يتعدى الثلث ما نسبته ٣٥٪ من

---

(١) عُنيت المملكة العربية السعودية مقارنة بغيرها من الدول الإسلامية بأوضاع الأقليات المسلمة؛ ممثلة في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والتي تهدف إلى دعمهم، وتمكينهم من ممارسة شعائرهم الدينية وحقوقهم الأخرى، وإقامة الدورات التدريبية، وتنمية مستواهم الفكري والعلمي، وتأكيد هويتهم الإسلامية، ورعاية المراكز والمؤسسات والجمعيات والمعاهد الإسلامية، ومتابعة مناشطها، وتقديم المساعدات ما أمكن، وإقامة المؤتمرات والندوات، وإعداد الدراسات والبحوث والتقارير عن أحوال المسلمين في العالم. انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية على الشبكة العنكبوتية: www.moia.gov.sa

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث (٦٠١١)، ج٨ ص١٠، ومسلم واللفظ له في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث (٢٥٨٦)، ج٤ ص١٩٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث (٢٤٤٢)، ج٣ ص١٢٨، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم الحديث (٢٥٦٤)، ج٤ ص١٩٨٦.

(٤) مؤتمر الأقليات المسلمة الدعوة والأصداء – المملكة العربية السعودية- مكة المكرمة، دار طويق للخدمات الإعلانية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ص٢٩.

مجموع المسلمين في العالم[1].

وإننا إذا أحسنا توظيف المال في دعوتهم، وقدمنا الدعم لهم، ودافعنا عن حقوقهم، وذللنا الصعاب التي تعترضهم، وعاشوا هم وأسرهم حياة كريمة، وأمنوا فيها على دينهم، فإنه يمكن لهم أن يرسموا صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين، فيكونون بذلك دعاة إلى الله تعالى، كلٌّ في مجال عمله، ويكونون جسراً يربط بين حضارتنا الإسلامية، وحضارات الأمم الأخرى، خيرها دون شرها، فيأتون إلينا بالنافع المفيد من أسباب النهضة والقوة، والتقدم العلمي، والتكنولوجي، ويسهمون في علاج كثير من المشكلات التي تعاني منها مجتمعاتهم، كمشكلات الانتحار، والإدمان، والجنس، والأمراض النفسية، وتفكك الأسر، وغير ذلك.

وأما إذا قطعنا الصلة بيننا وبين هذه الأقليات المسلمة، فلم نقدم لهم دعماً، ولم نحفظ لهم حقاً، ولم نذلل لهم صعباً، ولم نحل لهم مشكلة، فليس من حقنا أن ننتظر منهم مواقف إيجابية تجاه قضايانا، لأننا بهذه المواقف السلبية تجاههم، نساعدهم على تبني الأفكار والاتجاهات، والمواقف المضادة للدين، ومن هنا نرى كثيراً من هؤلاء، يصبحون أداة تحريض على دولهم الإسلامية، التي لم يتلقوا منها أيّ مساعدة أو حماية.

لا ننكر أن هناك جهوداً تقوم بها المنظمات، والهيئات،

(١) انظر: دراسة إحصائية عن الأقليات الإسلامية في العالم - محمد محمدين، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، دار الندوة العالمية للطباعة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج١ ص٤٠٦.

والمراكـز الإسـلامية[1]، إلا أن هـذه الجهـود تعـد قليلـة بالنسـبة لعـدد الأقليات المسلمة في تلك البلاد، كما أن نجاحاتها محدودة في الحفاظ على وحدة المسلمين، وحمايتهم من التنازع والاختلاف؛ وذلك لعدم وجود البرامج الجادة، والنخبة المتخصصة التي تجعلهم يعتصمون بحبل الله تعالى على منهاج الكتاب والسنة، بعيداً عن الحزبية والتعددية التي فرقت شمل الأمة، وجعلتها شيعاً وأحزاباً.

كما أن ضعف تمويل هذه البرامج والمشروعات الدعوية، وعشوائية الإدارة، كان سبباً في انصراف كثير من أبناء هذه الأقليات عن الانخراط في العمل الإسلامي بمعناه الواسع؛ بل إن منهم من اعتزل المساجد، وحرص على عدم الظهور وسط التجمعات الإسلامية، وآثر الذوبان في الحياة الغربية بحلوها ومرّها.

إننا إذا أردنا الحفاظ على تلك الأقليات المسلمة، واستثمارهم في تبني قضايانا الإسلامية، فإنه ينبغي علينا أن نوثق الصلة بيننا وبينهم، وأن ندعمهم بكل ألوان الدعم المادي والمعنوي، حتى نربطهم بدينهم، وأخلاقهم، وعادات قومهم الحسنة؛ ليكونوا خير ممثل لنا لدى هذه الدول والمجتمعات، فننتفع بهم، وينتفعون بنا، وتنتفع بهم مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، ويكونوا خير ممثل لنا في الدفاع عن مصالحنا،

---

(١) يشير الباحث هنا إلى تفرد واهتمام المملكة العربية السعودية في احتضانها، ورعايتها الهيئات والمنظمات الإسلامية، التي لها اهتمام بأوضاع الأقليات المسلمة، ويأتي في مقدمتها: رابطة العالم الإسلامي التي أنشئت سنة ١٣٨١هـ، ومقرها مكة المكرمة، وأيضاً الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، التي أنشئت سنة ١٣٩٠هـ، ومقرها جدة، وانبثق عنها صندوق التضامن الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية، وأيضاً الندوة العالمية للشباب الإسلامي التي أنشئت سنة ١٣٩٢هـ، ومقرها الرياض، وأيضاً هيئة الإغاثة الإسلامية سنة ١٣٩٨هـ، ومقرها جدة. انظر: المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم – د. عبدالمحسن بن سعد الداود، الهيئة العربية للكتاب، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص٣٣٩- ٣٥٧.

وقضايانا الإسلامية.

كذلك ينبغي على المستوى الرسمي تعزيز العلاقات بين حكومات البلدان الإسلامية، والحكومات التي توجد بها أقليات مسلمة، من أجل كسب الميدان السياسي لقضاياهم؛ بغية إشعارهم بأنهم جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية؛ وذلك من خلال بعث السفراء والمندوبين، الذين يمثلون الدولة هناك؛ لتوثيق الصلة بالأقليات المسلمة، وسدّ احتياجاتهم المالية، وتحقيق مطالبهم، وحصولهم على الحقوق كغيرهم، وهذا سينعكس إيجاباً على أحوالهم في سائر المجالات المختلفة[1].

ويؤكد الشيخ عبدالعزيز بن باز ذلك فيقول: (فالواجب على الدول الإسلامية، والأفراد من ذوي الغنى والثروة، أن ينظروا نظرة عطف ورحمة إلى إخوانهم المستضعفين، ويعينوهم بواسطة سفراء الدول الإسلامية الموثوق بهم، أو بواسطة الوفود التي يجب أن ترسل بين حين وآخر باسم الدول الإسلامية؛ لتتفقد أحوال المسلمين)[2].

ويمكن توظيف المال في دعوة الأقليات المسلمة من خلال ما يلي:

أولاً: إقامة المساجد والمراكز الإسلامية:

من أهم المشروعات الدعوية التي يمكن توظيف المال في تحقيقها، إقامة المساجد والمراكز الإسلامية في البلاد التي تعيش فيها الأقليات المسلمة؛ فهي منابع للخير حيثما حلّت وانتشرت، فمن خلالها يظهرون دينهم، ويشعرون بالفخر والعزة بانتمائهم الإسلامي.

---

(١) انظر: الأقليات المسلمة الواقع والمأمول- محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن ناصر العبودي، دار الطرفين، الطائف، ١٤٢٤هـ، ص٣٢- ٣٥

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة – سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ج٢ ص١٦٤.

فالمسجد هو المكان الطبيعي الذي تجتمع فيه الأقليات المسلمة، ففيه تصلى الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، والعيدين، ويتعلم الكبار والصغار مبادئ الدين، وتُلقى فيه الدروس، والمحاضرات، والندوات، وتصدر عنه المناسبات الدينية[1]. وفيه تتهذب نفوس المسلمين، وتصقل شخصيتهم، ويتفقد بعضهم بعضاً، وتتحد أفكارهم، وتطلعاتهم، وتقوى حصانتهم الفكرية، ويتعاونون على البر والتقوى، ويحملون آلامهم وآمالهم، ويتدارسون مشكلاتهم، وقضاياهم[2].

ولا يقتصر دور المسجد في مجتمع الأقليات المسلمة على ذلك؛ فهو يستقبل بين الحين والآخر، الذين يريدون إشهار إسلامهم من أبناء المجتمعات الأخرى؛ فينطقون بالشهادتين في رحابه، ويعمل كذلك على تعليمهم، وتثبيتهم على الدين، وتجنيبهم مزالق الانحراف.

كذلك يمكن توظيف المال في بناء المراكز الإسلامية في المدن التي توجد فيها الأقليات المسلمة؛ وتوفير المكان الملائم الذي يجتمعون فيه، ومدّ يد العون لهم، والإسهام في الحفاظ على دينهم، ووجودهم[3].

ولكي تقوم المراكز الإسلامية بدورها التعليمي تجاه الأقليات المسلمة، فلا بدّ من اعتمادها على موارد مالية ثابتة، تستند إليها، وتوظّفها لصالح العمل الدعوي.

---

(١) انظر: الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي- د. علي المنتصر الكتاني، ص١٤.

(٢) انظر: دراسات في طرق الدعوة الإسلامية - د. أحمد بن محمد العدناني، بدون دار طابعة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص١١٤.

(٣) انظر: دور المساجد والمراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة - د. محمود مصطفى حلاوي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، ج١ ص٣٢٥.

إن دور الحكومات الإسلامية، وأغنياء المسلمين، لا ينبغي أن يقتصر فقط على إنشاء المساجد، والمراكز الإسلامية؛ بل لا بدّ من الإنفاق عليها؛ لتؤدي رسالتها على أكمل وجه، ويمكن ذلك من خلال ما يلي:

- إيفاد الأئمة، وأهل العلم المؤهلين للإشراف على تلك المساجد، والمراكز الإسلامية، وتوجيه مرتاديها علمياً، ودعوياً.
- إقامة مشروعات لتحفيظ القرآن الكريم، وإمدادها بما يلزم من معلمين، ومصاحف، ورصد الجوائز للطلاب المتميزين في الحفظ والتلاوة.
- إقامة المعارض الدعوية في المراكز الإسلامية، وتوفير المطبوعات من كتيبات، ومطويات، ومواد سمعية باللغات المختلفة.
- تنظيم الرحلات الجماعية بأسعار رمزية، وإذكاء روح التآلف والتآخي بينهم؛ بما يحافظ على هويتهم الإسلامية.
- عمل اللوحات الإرشادية؛ لمعرفة كيفية الوضوء والصلاة، أو التنبيه على بعض الأخطاء المنتشرة في العقيدة والعبادة.
- إقامة الدروس والدورات العلمية المنتظمة التي تعنى بتصحيح العقيدة، والتحذير من البدع، وكذلك في الحديث والفقه، وباقي العلوم الإسلامية؛ على أن ينتقى لذلك الأكفاء الذين يحسنون إيصال العلم إليهم، بعيداً عن التعقيدات، والإيغال في الجزئيات.
- تنظيم الإفطار الجماعي في شهر رمضان؛ بقصد التعارف، والتآلف بين أفراد الأقليات المسلمة.
- تخصيص قاعات متعددة الأغراض؛ تخدم النشاطات

الثقافية، والاجتماعية، والرياضية، وغيرها؛ بما يملأ فراغهم، ويلبي احتياجاتهم.

- إنشاء مكتبة إسلامية؛ يرتادها أبناء الأقليات المسلمة؛ لتنير لهم طريق العلم، وترفع من مستواهم الثقافي.

- إقامة مركز صحي؛ يقدم الخدمات الطبية المتنوعة للمريض، ويسهم في تكاليف العلاج بأسعار مجانية، أو رمزية.

ثانياً: إنشاء المدارس الإسلامية:

لو نظرنا إلى حال الكثير من أبناء الأقليات المسلمة في البلاد الأخرى، لوجدنا أن معظمهم التحقوا بالمدارس الأجنبية؛ مما جعلهم يقعون ضحية الانصهار الثقافي، المتمثل في فصلهم عن اللغة العربية، وتشرُّبهم فكر معلميهم، وما يُلقى من نظريات ومبادئ تتصادم مع الدين؛ فضلاً عن اكتسابهم العادات السيئة من زملائهم غير المسلمين؛ والاختلاط الموجود فيها بين الجنسين؛ بخاصة في فترة المراهقة، وهذا له تأثيره السلبي عليهم من حيث العقيدة، والقيم، والأخلاق، في وقت يكون الآباء منهمكين في العمل خارج المنزل[1].

وسيظل تأثير تلك الثقافة الأجنبية في أفكارهم، وبصورة أشد عند الأجيال المتعاقبة؛ مما يصعب على العاملين في الميدان الدعوي تصحيحها، والعودة بهم إلى موروثهم الثقافي الأصيل.

لذا وجب على الأمة الإسلامية الالتفات إلى أبناء الأقليات المسلمة، من خلال عقد دورات متخصصة؛ لتعليم اللغة العربية، وربطهم بها، وتعميقها في عقولهم وألسنتهم؛ لأننا ندرك بأن اللغة

(١) انظر: الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي- د. علي المنتصر الكتاني، ص٢٧.

العربيـة هـي الأسـاس في فهمهـم للـدين، فحيـث تضـعف اللغـة العربيـة وتضمحل؛ يبدأ الجهل بالدين، والذوبان في الثقافات الأخرى، التي لا ترتبط بأية حقائق ثابتة عن الكون، أو الحياة[1].

ولكـي نحـافظ علـيهم كـذلك، فـلا بـدّ مـن إنشـاء المـدارس، والمعاهـد الإسـلامية في جميع المراحل الدراسية للجنسـين، والتأكيـد علـى التـزام الطالبـة بـالزي المحتشـم؛ بمـا يحفـظ كيانهـا، واعتزازهـا بدينها. فإذا ما أدرك الطالب والطالبة سنّ البلوغ، يكـون قـد تحصّـن مـن الناحيـة الشـرعية؛ ممـا يصـعب بعـد ذلـك زعزعتـه عـن تلـك القـيم والمبادئ، والعلوم الإسلامية التي تعلمها.

إنـه ينبغـي علـى الـدول الإسـلامية أن تتواصـل مـع الـدول الأخـرى؛ بإعطاء الأقليات المسلمة حق إنشاء مدارس إسلامية خاصـة بهـا، وعـدم التضـييق علـيهم[2]، وإفسـاح المجـال للمنظمـات، والمؤسسـات التعليميـة والخيرية تمويلها، وإمدادها بالمدرسين والإشراف عليها.

ثالثاً: دعم المؤسسات الدعوية:

تقوم المؤسسات الدعوية بدور عظيم تجـاه الأقليـات المسـلمة، مـن خلال عمل جماعي منظم؛ يبحث في أحوالهم، ويتلمس آلامهم، ويحمـل همـومهم، ويحـدد مشـكلاتهم؛ فيتم التواصـل معهـم، والاتصـال بهـم بشكل دوري؛ حتى لا تنقطع صلتهم بالعالم الإسلامي.

---

(١) انظر: الأقليات الإسلامية المشكلات الثقافية والاجتماعية - د. جمال الدين محمد محمود، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، ج١ ص٥١- ٥٤.

(٢) انظر: نحو منهج تربوي وتعليمي موحد لأبناء الأقليات المسلمة - د. حمد بن إبراهيم الصليفيح، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، ج١ ص١٥٨.

ولا بدّ أن ينطلق عمل المؤسسات الدعوية على أسس علمية، وأساليب عصرية؛ تحقق للأقليات المسلمة تعميق انتمائهم للإسلام، واعتزازهم به؛ ليعطوا صورة من الصور المضيئة للإسلام في الوسط الذي يعيشون فيه[1].

والأقليات المسلمة بحاجة ماسة إلى الدعم المالي؛ الذي يكفل لها بعد الله تعالى بقاءها، وحفظ كيانها، ويعزز قدرتها في مجابهة الصعاب التي تعترض رسالتها الدعوية.

وحتى تؤتي المؤسسات الدعوية ثمارها تجاه الأقليات المسلمة، فلا بدّ من حسن توظيف المال، من حيث التأهيل المتكامل للعاملين فيها من جميع النواحي العقدية، والشرعية، والأخلاقية، والدعوية، وغيرها، وأن يكون عملها الدعوي وفق آلية واضحة المعالم، بعيداً عن الارتجالية، والاجتهادات الفردية، وأن يتحدثوا إليهم بلغة العصر التي يفهمونها، وهذا لن يكون إلا من خلال مخالطتهم في مجتمعاتهم وأوساطهم.

كما ينبغي على المؤسسات الدعوية أن توحد المرجعية الدعوية للأقليات المسلمة، وتنبذ الخلافات الحزبية بينهم. يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (أن يكون للجماعات الأقلية مرجع يرجعون إليه، وهو ما يسمى بالأمير، وقد يسمى بالرئيس؛ لأن الناس لا يصلحون بدون هذا، لا يصلحون بدون قائد، لا يصلحون بدون مرجع)[2].

---

(١) انظر: محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها – د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٢٥٥.

(٢) الأقليات المسلمة – سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتقديم د. عبدالله بن محمد الطيار، دار الوطن، الرياض، ١٤١٥هـ، ص٥٠.

ويلزمها كذلك معرفة واقع تلك الدول التي تعيش فيها الأقليات المسلمة، وكيفية تعامل تلك الدول معها، والتقلبات السياسية فيها، والتي قد تعوق مسار الدعوة، ولا تسمح لها بممارسة العمل الدعوي[1]، وعلى سبيل المثال، نظرة الغرب السلبية تجاه العمل المؤسسي الدعوي عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م؛ وما استتبع ذلك من تشجيع بعض الدول للمنظمات والتيارات المنحرفة ممارسة أنشطتها العدائية؛ لإيجاد التنازع والشقاق بين الأقليات الإسلامية[2].

وحتى يتم الدعم المادي والمعنوي للأقليات المسلمة، فلا بدّ من التواصل الدائم بين المؤسسات الدعوية، والدول الإسلامية؛ لمناقشة دورها المناط بها تجاه أبنائها المغتربين؛ ومدى علاقاتها الدبلوماسية مع الدول الأخرى؛ بما يكفل لها تنفيذ خططها، وبرامجها الدعوية، ويذلل العقبات التي أمامها.

رابعاً: توفير المنح الدراسية:

ينبغي علينا ألا ننسى ما يتعرض له طلاب وطالبات الأقليات المسلمة هناك، من فتنة وضغوط، تتسبب في كثير من الأحيان إلى عدم التحاق بعضهم بالدراسة الجامعية؛ بخاصة إذا علمنا أن بعض الدول لا تسمح بافتتاح مدارس خاصة بهم؛ فضلاً عن فتح الجامعات

---

(١) انظر: محنة الأقليات الإسلامية في العالم – محمد عبدالله السمّان، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٤٥.

(٢) انظر: أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية في العالم قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م – د. مجدي الداغر، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م، ص ٣٩٥.

الأهلية فيها[1].

ولذا ينبغي على الدول الإسلامية أن تقف إلى جانبهم؛ بتقديم فرص التعليم العالي لهم، وذلك من طرق ثلاث:

الأول: إنشاء المعاهد الإسلامية والعربية في الدول التي يعيش فيها أبناء الأقليات المسلمة؛ فيلتحقوا بها، ويستفيدوا منها.

الثاني: إعطاء أبناء الأقليات المسلمة حق الالتحاق بجامعات تلك الدول، على هيئة منحة داخلية مدفوعة الثمن، حتى تخرجهم.

الثالث: استقدام أبناء الأقليات المسلمة؛ ليلتحقوا بجامعات دولهم الإسلامية، على هيئة منحة خارجية، وتحمّل نفقاتهم المعيشية حتى تخرجهم؛ فيعودوا حاملين رسالة دعوية سامية إلى مجتمعاتهم هناك.

يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: (من أوجب الواجبات على المسلمين في هؤلاء الأقليات، أن يعانوا على تثبيت الإسلام في نفوسهم ... وأن يستقدموا منهم من يتلقى العلم في البلاد الإسلامية)[2].

وهذا إن تتحقق، وحصل أبناء الأقليات المسلمة على التعليم الأكاديمي، فإنهم سيتصدرون مراكز البحث العلمي، وكليات المعرفة هناك، ويصلون إلى مراكز صنع القرار السياسي والاجتماعي، ويسهمون في خدمة وحماية وتحسين أوضاع إخوانهم في الدين؛ فضلاً عن إيصال الدعوة الإسلامية، وتأليف الكتب

---

(١) انظر: دور المؤسسات التعليمية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة - د. سعيد إسماعيل علي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، ج١ ص٥١، ٥٢.

(٢) الأقليات المسلمة – سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتقديم د. عبدالله بن محمد الطيار، ص٧٧.

الإسلامية، وترجمتها باللغات المحلية في تلك المجتمعات[1].

إننا إذا وفرنا لهؤلاء اليوم المنح الدراسية، وكفلنا لهم مؤنة الحياة المعيشية وتكاليفها؛ ليكملوا تعليمهم الجامعي وما بعده، فإنهم سوف يحفظون لنا هذا الجميل، وسوف يشعرون بالانتماء إلينا، وإلى ديننا، وعقيدتنا، وأخلاقنا الإسلامية، ويكونون من أخلص المدافعين عنا، وعن قضايانا الإسلامية في المحافل الدولية.

خامساً: مجابهة الغزو الفكري:

إن أبناء الأقليات المسلمة يتعرضون – شاءوا أم أبوا – إلى غزو فكري مكثف؛ نتيجة وجودهم في مجتمعات بعيدة كلّ البعد عن قيم وأخلاق الإسلام؛ ناهيك عما ما يتعرضون له من ضغوط الاستعمار والتغريب، والانصهار الاجتماعي في مجتمعات الدول الأخرى؛ حتى أصبحوا عرضة لخطر الذوبان في المجتمع الكبير، وربما ضاعت هويتهم الإسلامية؛ مما يشكل كارثة على الأمة الإسلامية جمعاء[2].

وإذا كانت ظروفهم فرضت عليهم أن يعيشوا في محيط كبير، لا يشاركهم الملة والعقيدة، إلا أنهم يظلون بحاجة إلى الارتباط بإخوانهم المسلمين في العالم الإسلامي[3]؛ بخاصة إذا عرفنا أن تلك المجتمعات تدفعهم إلى التخلي عن معتقداتهم، وتقاليدهم، وموروثهم

---

(١) انظر: خطط وبرامج الأقليات المسلمة في العالم - الهادي بخاري علي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، ج١ ص٣٤٥.

(٢) انظر: الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي – د. علي المنتصر الكتاني، ص٥.

(٣) انظر: دور المؤسسات التعليمية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة - د. سعيد إسماعيل علي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، ج١ ص١٣٠.

الثقافي، وتسعى إلى تحطيم هويتهم، وطمس شخصيتهم الإسلامية[1].

والأقليات المسلمة في حاجة ماسة إلى من يحميها من غزو الأفكار الهدامة، وتنويرها بحقيقة أهداف هذه الدعوات، وكشف الدسائس والشبهات، عن طريق الوعي، وتحصين فكر أبنائها[2].

وهذا يتحقق من خلال ما يلي:

- طباعة الكتب والنشرات التي تحوي فكراً إسلامياً أصيلاً؛ يتبنى وسطية الإسلام، ويبتعد عن نزعات الغلو والتفريط؛ بخاصة في المجال العقدي.
- نشر الدروس، والمحاضرات الدينية، والثقافية، والأدبية، عن طريق أشرطة الكاسيت، أو الأسطوانات المدمجة، وغير ذلك من الوسائل الدعوية.
- تنويع الزيارات الميدانية، واستغلال المناسبات الدينية والاجتماعية؛ بهدف ربطهم بالأمة الإسلامية وحضارتها، وتجسيد الوحدة الفكرية والثقافية بينهم.
- تأسيس المواقع الدعوية على الشبكة العنكبوتية، شريطة أن يكون القائمون عليها من أهل العلم والدعوة، وأن تتناول كافة القضايا المعاصرة والاهتمامات، والمشكلات التي يتشارك فيها الأقليات المسلمة هناك.
- فتح القنوات الفضائية الدعوية، أو المشاركة في القنوات القائمة في تلك البلاد؛ لبث البرامج الدعوية والعلمية بعدة لغات رئيسة؛

---

(١) انظر: الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (نحو منهج تربوي وتعليمي موحد لأبناء الأقليات المسلمة) – د. حمد بن إبراهيم الصليفيح، ج١ ص١٥٣.

(٢) انظر: محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها – د. صابر طعيمة، دار الجيل، ص٢٥٥.

بخاصة التي تلك البرامج الأصيلة التي تسمو بالنفوس، وتبين للأجيال المسلمة عظمة هذا الدين، وعلو كعب الحضارة الإسلامية في عصور الإسلام الزاهرة، التي كان لها أعظم الفضل على الحضارة الغربية، حيث استمد منها الغربيون أصول وقواعد البحث العلمي.

سادساً: تقديم المساعدات الإنسانية:

إن المادة هي من أهم المقومات الحياتية، وتقوم بدور كبير في الجانب الدعوي، وأغلب الأقليات المسلمة تعاني من مشكلات مختلفة، كأزمة السكن، وغلاء المعيشة، والديون، وغير ذلك، وقد تكون قلة ذات اليد هي الدافع وراء اتجاههم إلى العمل في الأعمال الدونية التي اشتهروا بها؛ لذا هم بحاجة ماسة إلى الدعم المادي من إخوانهم الموسرين في العالم الإسلامي[1]. وإذا علمنا أن الكثير من الأقليات المسلمة يعاني البطالة، ويعتمد في معيشته على مساعدات الدول الغربية، أدركنا أهمية توظيف المال في إنقاذ هؤلاء من الواقع المرير الذي يعيشونه؛ لأن تلك الأموال التي تدفع لهم من قبل الحكومات الغربية، لا بدّ أن يكون وراءها مقابل تدفعه هذه الأقليات، وهذا المقابل هو مزيد من التنازلات، ومزيد من التفريط في الهوية، ومزيد من الذوبان في القيم الغربية السائدة، ومزيد من الانسلاخ عن القيم والأسس الإسلامية. ولابدّ لأفراد الأقليات المسلمة ابتداءً، أن يواجهوا هذا الوضع الخطير، ويستقلوا بأنفسهم بعيداً عن أي عون خارجي، وذلك من خلال قيام أهل الغنى منهم بواجب

---

(١) انظر: أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية في العالم قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م – د. مجدي الداغر، ص ٣٦٥.

الزكاة، وتنظيم تحصيلها، وصرفها على الفقراء والمحتاجين منهم، وإشاعة روح التكافل الاجتماعي بينهم، وإيجاد فرص عمل للعاطلين عن العمل[1]. والمأمول من الدول الإسلامية كذلك الاستفادة من علاقاتها الدبلوماسية مع دول الأقليات المسلمة، التي تتوافر فيها مجالات الاستثمار الاقتصادي، من خلال تمكين أغنياء المسلمين من توظيف أموالهم في مشروعات إنمائية هناك، وهذا يوفر للأقليات المسلمة فرصاً حقيقية للعمل، والاغتناء عن الآخرين؛ بل وضمان حقهم في التملك والتصرف في أموالهم؛ أسوة بغيرهم[2]. كما يمكن للدول الإسلامية التي تقدم الإعانات والقروض لتلك البلدان، أن تضغط عليها لمواجهة التحدي الاقتصادي المضروب على الأقليات المسلمة؛ لإعطائهم الكثير من حقوقهم المهضومة، وهذا سينعكس إيجاباً على حياتهم الاجتماعية والمعيشية[3]. كذلك يمكنها أن تبذل جهودها لدى الدول التي تستقدم العمالة المسلمة؛ كي تتساوى من حيث الأجور والامتيازات، مع نظرائهم من غير المسلمين[4].

(١) انظر: الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي- د. علي المنتصر الكتاني، ص١٩.

(٢) انظر: مشكلات الدعوة إلى الإسلام في مجتمع الأقليات المسلمة في أوروبا وسبل علاجها خلال الفترة من عام ١٤١٠هـ إلى نهاية ١٤١٩هـ - د. توفيق بن عبدالعزيز السديري، بدون دار طابعة، ١٤٢١هـ، ص٢٦٠.

(٣) انظر: الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (خطط وبرامج الأقليات المسلمة في العالم) — الهادي بخاري علي، ج١ ص٢٥٥، ٣٥٦.

(٤) انظر: الأقليات المسلمة في مواجهة التحديات وواجب المؤتمرات الإسلامية نحوها — أحمد بن عبدالعزيز الحصيّن، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ص ١٨.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً حمداً يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، على توفيقه، وامتنانه، وإعانته على إتمام هذا البحث، في دراسة موضوع المال وتوظيفه في دعوة الجاليات والأقليات المسلمة.

وقد أمكن الباحث التوصل إلى جملة من النتائج والتوصيات، كما يلي:

النتائج:

١- إن المال في أصله مال الله، والإنسان مستخلف فيه، وهو عارية عنده لأجل، ويمكن أن يكون المال خيراً له، أو شراً عليه، بحسب كسبه وإنفاقه، ونظرته إليه.

٢- إن العلاقة بين الدعوة والمال ظاهرة؛ باعتبار المال وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، ومن خلاله يتم تمويل المشروعات الدعوية.

٣- إن المنهج الدعوي في إنفاق المال يستلزم مراعاة فقه الأولويات، وتقدير المصلحة في تسخير المال دعوياً، وما هو أقرب إلى رضا الله ومحبته، وأنفع للأمة.

٤- إن توظيف المال في دعوة الجاليات في بلاد المسلمين، يتطلب تقديم البذل والعطاء، والإنفاق في سبيل دعوتهم، وتأليف قلوبهم على الإسلام.

٥- إن توظيف المال في دعوة ودعم الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين، يحتم دراسة أحوالهم، ومدّ يد العون لهم؛ للمحافظة على هويتهم الإسلامية هناك.

التوصيات:

١- تشجيع الدراسات والبحوث العلمية، التي توضّح صلة المال بالدعوة، والخروج منها بضوابط شرعية، ورؤية دعوية شاملة؛ نحو التعامل الأمثل مع المال، وتسخيره في مجال دعوة الجاليات والأقليات المسلمة؛ ولتكون هذه الدراسات في متناول المهتمين بهذا الشأن.

٢- تبصير الأمة الإسلامية بالتحديات المعاصرة، والمخططات التي تحاك لإضعاف العمل الدعوي. ولكي يكون للأمة دورها الريادي، فلا بدّ من مواجهتها، من خلال توفير الدعم المعنوي والمادي للمؤسسات الدعوية، والوقوف في وجه كلٍّ من يعاديها.

٣- عقد مؤتمرات عالمية، وندوات، ولقاءات علمية، تعقد بصفة دورية في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي؛ يشترك فيها متخصصون من الدعاة وأهل الخبرة؛ ليسهموا في رسم السياسات المالية للمؤسسات الدعوية المنتشرة في كافة أنحاء العالم، وتوظيف جهودها في التعامل مع الجاليات والأقليات المسلمة.

٤- قيام الدول الإسلامية في دعوة وتوعية الجاليات، والإفادة من تجربة المملكة العربية السعودية في هذا الشأن، من حيث فتح المكاتب الخاصة بدعوتهم، وإفساح المجال لأهل الخير بالمشاركة في دعم هذه المكاتب مادياً ومعنوياً، وقد أسلم منهم الكثير، ولله الحمد.

٥- إنشاء صندوق عالمي؛ لإيجاد مورد دائم؛ لدعوة ودعم الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية، يشارك في تمويله الدول

الإسلامية، وأثرياء المسلمين؛ وتقف على رأسه إحدى الهيئات الإسلامية الموثوق بها؛ تتولى دراسة أحوالهم، وتسهم في مواجهة الأزمات الحياتية التي يعيشونها. وإذا حققنا ذلك، نكون قد حملنا هموم إخوة لنا في الدين، وحققنا مراد الشارع الحكيم، الذي يأمرنا بالتواصي معهم على البر والتقوى.

وفي الختام أسال الله عز وجل أن ينفع بهذا البحث، ويبارك فيه، راجياً من الله تعالى القبول، سائلاً إياه التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأحاديث المختارة - أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.

٢- الأحكام السلطانية – أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣- الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.

٤- إصلاح المال – أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥- أصول البحث العلمي ومناهجه – د. أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤م.

٦- الأقليات المسلمة – سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتقديم د. عبدالله بن محمد الطيار، دار الوطن، الرياض، ١٤١٥هـ.

٧- الأقليات المسلمة الواقع والمأمول- محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن ناصر العبودي، دار الطرفين، الطائف، ١٤٢٤هـ.

٨- الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي– د. علي المنتصر الكتاني، مكتبة المنارة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩- الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها - بحوث المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ، دار الندوة العالمية للطباعة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠- الأقليات المسلمة في مواجهة التحديات وواجب المؤتمرات الإسلامية نحوها – أحمد بن عبدالعزيز الحصيِّن، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١،

١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١١- أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية في العالم قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م – د. مجدي الداغر، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

١٢- البحث العلمي صياغة جديدة - د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق، جدة، ١٤١٢هـ.

١٣- البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

١٤- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، بدون تاريخ.

١٥- تاريخ الخلفاء - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٦- تاريخ بغداد - أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٧- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق - فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٣١٣هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٠- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) - محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه

(صحيح البخاري) - محمد بن إسماعيل بن البخاري، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٢- جامع بيان العلم وفضله - يوسف بن عبدالبر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٣- دراسات في طرق الدعوة الإسلامية - د. أحمد بن محمد العدناني، بدون دار طابعة، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٢٤- الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن - محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٥- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض دراسة ميدانية تقويمية – عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، رسالة دكتوراه، إشراف أ. د. مصطفى أبو سمك، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام، الرياض ١٤١٧هـ.

٢٦- سنن أبي داود- سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٧- سنن الدارقطني - أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٢٨- سير أعلام النبلاء - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

٢٩- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج٣ ص٩٩- ١٠١.

٣٠- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري - محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ط١، ١٤٢١هـ.

٣١- صحيح الترغيب والترهيب - محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة

المعارف، الرياض، ط٥، بدون تاريخ.

٣٢- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣٣- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة - د. عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ.

٣٤- فتاوى السبكي - أبو الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٣٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٣٦- في فقه الأقليات المسلمة – د. طه جابر العلواني، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣٧- القاموس المحيط - مجد الدين محمد الفيروز آبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.

٣٨- لسان العرب – محمد بن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٩- مؤتمر الأقليات المسلمة الدعوة والأصداء – المملكة العربية السعودية- مكة المكرمة، دار طويق للخدمات الإعلانية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٠- المال في الإسلام – د. محمود محمد بابللي، مطبعة المدينة، الرياض، ط٢، ١٩٧٦م.

٤١- المال في القرآن الكريم – سليمان بن إبراهيم الحصيّن، دار المعراج الدولية، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤٢- المال ملكيته واستثماره وإنفاقه – د. محمد رأفت سعيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٣- مجلة البحوث الإسلامية - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد السادس، ١٤٠٢هـ.

٤٤- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة – سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وترتيب وإشراف د. محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٤، ١٤٢٣هـ.

٤٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٦- المحكم والمحيط الأعظم - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٧- محنة الأقليات الإسلامية في العالم – محمد عبدالله السمَّان، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٨- محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها – د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤٩- مشكلات الدعوة إلى الإسلام في مجتمع الأقليات المسلمة في أوربا وسبل علاجها خلال الفترة من عام ١٤١٠هـ إلى نهاية ١٤١٩هـ - د. توفيق بن عبدالعزيز السديري، بدون دار طابعة، ١٤٢١هـ.

٥٠- المعجم الأوسط - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٥١- المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية بمصر، دار الدعوة، إستانبول، بدون تاريخ.

٥٢- معجم لغة الفقهاء – د. محمد رواس قلعه جي ود. حامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٣- معرفة السنن والآثار - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٥٤- مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٥٥- شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى - منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
٥٦- المدخل إلى علم الدعوة دراسة منهجية شاملة – د. محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ. ١٩٩١م.
٥٧- مصرف المؤلفة قلوبهم وأثره في الدعوة المعاصرة - حسين بن محمد آل الشيخ - إشراف د. سيد عبداللطيف كساب، بحث مكمل للحصول على الماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣هـ.
٥٨- تأليف القلوب في الدعوة إلى الله تعالى ضوابطه وآثاره - عبدالعزيز بن عبدالرحمن الروضان - إشراف د. أحمد بن محمد أبا بطين، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٩هـ.
٥٩- تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات - د. عمر بن سليمان الأشقر – دار النفائس، الكويت، ط١، ١٤١٢هـ.
٦٠- المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم – د. عبدالمحسن بن سعد الداود، الهيئة العربية للكتاب، الرياض، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

- موقع الهيئة العالمية للمسلمين الجدد على الشبكة العنكبوتية: www.4newmuslims.org
- موقع رابطة العالم الإسلامي على الشبكة العنكبوتية: www.4newmuslims.org
- موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على الشبكة العنكبوتية: www.moia.gov.sa

البحث رقم (٥)

استخدام الداعية للتفكير الإبداعي
في الدعوة إلى الله
في ضوء القرآن الكريم

إعداد

د. حصة بنت عبدالكريم الزيد

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وميّزه عن سائر مخلوقاته بالعقل؛ لأنه منشأ الفكر الذي جعله مبدأ كمال الإنسان ونهاية شرفه وفضله على الكائنات. قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]حيث يثمر تفكيراً إبداعياً مستقيماً مع الفطرة السليمة، ومتجاوبا مع ما ورد في آيات الكتاب الكريم التي دعت إلى التّأمل والتّفكر في آيات الله وفيما يحيط بالإنسان لكي يصل إلى مرحلة اليقين ألا وهي مرحلة التّفكير الإبداعي الذي نلتمسه كثيراً في آيات القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[2].

و المتفكر في آيات القرآن الكريم يجد أنها اهتمت بالإبداع، حيث ربطت العقل بالتفكير، إذ إن أولي الألباب هم الذين إذا

(١)سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢)سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

تفكروا في ملكوت الله ازدادوا إيماناً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1].

وأولو الألباب هم الذين يوقنون بأن الإنسان فُطِر على الإيمان بربوبيّة الله، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾[2].

وعندما سمع جُبيْر بن مطعم- رضي الله عنه- هذه الآية وكان ذلك قبل إسلامه كاد قلبه أن يطير للإسلام حيث قال: "سمعت النبي محمداً- ﷺ- يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾[3] "كاد قلبي أن يطير للإسلام "[4].

كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى- : " قال الخطابي- رحمه الله- : كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه"[5].

(١)سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٢)سورة الطور، الآيات: ٣٥- ٣٧.

(٣)سورة الطور، الآيات: ٣٥- ٣٧.

(٤) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن باز، د.ط، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع:١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، جـ٣/٢٩٧- ٢٩٨، باب حدثنا عبد الله بن يوسف، رقم (٤٨٥٤).

(٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح من صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، د.ط، (القاهرة، المطبعة الفنية و مكتبتها :١٣٨٠هـ) ،جـ ٨ / ٦٠٣.

ولما كان التّفكير مطلباً أساساً في تقدم وتطور الدّعوة إلى الله كان لابد للداعية من مواكبته والتركيز على التفكير بنوعيه: الإبداعي والناقد في آن واحد؛ لأنه من خلال التفكير يبني على الماضي ويبتكر من أجل الحاضر و المستقبل، على أن يكون تفكيره يوافق النقل الصحيح، فكلما أمعن الإنسان في الاستفادة مما وهبه الله تعالى من عقل وتفكير كلما قارب الوصول إلى مرحلة الإبداع.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في ضرورة توجيه الدّعاة إلى الله تعالى في استخدام طرق جديدة للوصول إلى أهدافهم الدعوية، ولعل من الطرق التي تعين على تطوير الدعاة هو استخدامهم لخطوات التفكير الإبداعي، خاصة ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة مما يساعدهم على الابتعاد عن التقليد والجمود في دعوتهم، ويحقق النجاح المطلوب الذي يتسق مع أهدافهم.

أهداف البحث :

١- أن يتعرف الدّاعية على التّفكير الإبداعي ومعرفة أساليب دعوة القرآن الكريم للتفكير الإبداعي.
٢- السعي لوضع حلول المشكلات التي تواجه الدّاعية باستخدام التفكير المخطط المنظم .
٣- أن يتعرف الدّاعية على السمات الشخصية المؤهلة للتفكير الإبداعي.
٤- أن يتعرف الدّاعية على عوائق التفكير الإبداعي التي تمنعه من تحقيق أهدافه.
٥- ترسيخ الاهتمام بالتفكير الإبداعي بالاستفادة مما ورد في القرآن

الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة السلف الصالح.

و لقد اعتمدت الباحثة في تحقيق أهداف هذا البحث على تحقيق المنهج الاستقرائي[1] من خلال جمع المعلومات والبيانات من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وسيرة السلف الصالح- رضي الله عنهم- والمراجع العلمية، والمجلات المحكمة، بهدف التوصل إلى المعلومات التي تتفق مع موضوع البحث.

وسيكون البحث مقسماً وفقاً للآتي:

- **المبحث الأول: مفهوم التفكير الإبداعي وأساليب دعوة القرآن الكريم إليه. وينقسم إلى:**
  - المطلب الأول: مفهوم التفكير الإبداعي.
  - المطلب الثاني: أساليب دعوة القرآن الكريم إلى التفكير الإبداعي.
- **المبحث الثاني: خطوات التفكير الإبداعي وسمات الدّاعية المبدع. وينقسم إلى:**
  - المطلب الأول: خطوات التفكير في حل المشكلات.
  - المطلب الثاني: سمات شخصية الدّاعية المُبدع.
- **المبحث الثالث: عوائق التفكير الإبداعي لدى الداعية.**
- **الخاتمة.**
- **التوصيات.**
- **الفهارس**

(١) المنهج الاستقرائي: يبدأ بالجزئيات ليصل منها إلى قوانين عامة، ويعتمد على التحقق بالملاحظة المنظمة الخاضعة للتجريب والتحكم في المتغيرات المختلفة. انظر: محمد زيان عمر: البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب:٢٠٠٢م)، ص:٤٨- ٤٩.

المبحث الأول

مفهوم التفكير الإبداعي وأساليب دعوة القرآن الكريم إليه

المطلب الأول: مفهوم التفكير الإبداعي

يُعد التفكير من أبرز الصفات التي تُميز الإنسان عن غيره وذلك لحاجته إليه في جميع مراحل عمره، وقد وردت عدة تعريفات للتفكير منها:

لغةً: التفكير هو إعمال الخاطر في الشيء، والفكرة كالفكر وقد فكَّر في الشيء، وأفكر فيه وتفكَّر بمعنى التّفكَر أي التّأمل، والتفكير إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويُقال فكَر في مشكلة أي أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها(١).

وأما التعريف الإجرائي والاصطلاحي فقد وردت عدة تعريفات منها:

- أنه عبارة عن سلسلة من النّشاطات العقلية غير المرئية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير لم يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة- اللمس والبصر والسمع والشم والتّذوق- بحثاً عن معنى في الموقف أو الخبرة(٢).
- أو أنه نشاط ذهني يقوم به الإنسان عندما يتعرض لموقف

---

(١) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، (القاهرة، مصر: ١٩٧٢م) ص: ٦٩٨.

(٢) انظر: سوسن شاكر مجيد: تنمية مهارات التفكير الإبداعي الناقد، الطبعة الأولى، (دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع: ٢٠٠٨م)، ص: ١٩.

ما أو مشكلة للوصول إلى الحلول المناسبة، وقد يُستخدم التّفكير لتحقيق هدف معين[1].

من هنا يتضح أن التّفكير غير مرئي وغير ملموس، بل هو عملية ذهنية نشطة ومتواصلة يقوم بها الإنسان حينما يتعرض لموقف معين، ويتأثر ذلك بثقافته وخبراته، أما ما يُلاحظ على الإنسان الذي يُمارس التفكير ما هو إلا نتيجة فعل التفكير سواء كان فعلاً أو قولاً [2].

أما الإبداع لغةً: «بدع الشيء يبدعه بدعاً، وابتداعاً، أي أنشأه وبدأه، وإبداع الشّيء اختراعه لا على مثال، وإنشاؤه على غير مثال سابق» [3].

فكلمة الإبداع هنا تتضمن الإنشاء والاختراع والابتكار على وجه لم يسبق إليه أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[4].

وبالرغم من عدم وجود تعريف موحد للإبداع بين العلماء إلا أنه يمكن أن يُقال إن الإبداع إنشاء أو ابتكار شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل، وقدرة على إيجاد علاقات بين أشياء لم يسبق أن

(١) انظر: ياسر محفوظ الدليمي: أثر برنامج المواهب المتعددة في تنمية أنماط التفكير المرتبطة بنصفي الدماغ (الأيمن- الأيسر) لدى طلبة المرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية التربية: ٢٠٠٥م)، ص:٢٣.

(٢) انظر: تنمية مهارات التفكير الإبداعي الناقد، مرجع سابق، ص:١٨.

(٣) انظر: محمد بن مكرم بن منظور(ت:٧١١هـ): لسان العرب، الطبعة الأولى، (القاهرة، دار صادر، د.ت)، جـ٨/٦.

(٤)سورة البقرة، الآية :١١٧.

وُجِد بينها علاقات، على أن يتوفر فيها الجدة والأصالة والمنفعة[1].

أما مفهوم التفكير الإبداعي فهو «ذلك التفكير الذي يؤدي إلى التغيير نحو الأفضل، وينفي الأفكار الوضعية المقبولة مسبقا، ويتضمن الدافعية والمثابرة والاستمرارية في العمل، والقدرة العالية على تحقيق أمر ما»[2].

أو أنه «عملية ذهنية مصحوبة بتوتر وانفعال صادق، ينظم بها العقل خبرات الإنسان ومعلوماته بطريقة خلّاقة تُمكنه من الوصول إلى جديد مُفيد»[3].

وفي الحقيقة من الصعب تعريف التفكير الإبداعي بكلمات محددة، وكما أننا لا نستطيع تعريف الجمال أو العبقرية إلى غير ذلك من مفاهيم، إلا أننا من الممكن تعريفه في هذا البحث على أنه مقدرة الداعية على توليد عدد كبير من الأفكار واستخدامها في مواقف معينة بسرعة وسهولة، والتنويع فيها بحيث تكون من الأفكار غير المتوقعة، مع الحفاظ على جديتها وتميزها ومنفعتها.

ولابد من التأكيد على أن الإبداع المقصود في هذا البحث ما كان وفقا لما ورد في المنهج الإسلامي، ولا يتعارض مع كلياته ولا جزئياته، ويزيد من الرقي العلمي والإنساني، ويُنمي القدرات ويُمكّن في الأرض ويزيد في توضيح الإسلام وانتشاره[4].

---

(١)انظر: عبد الإله بن إبراهيم الحيزان: لمحات عامة في التفكير الإبداعي، الطبعة الأولى(دار رسالة البيان، د.ت) ص:٢١- ٢٢.

(٢)سعادة جودة أحمد: تدريس مهارات التفكير، د.ط (رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع : ٢٠٠٣م)، ص:١١.

(٣)عبد الله البريدي:(التفكير العلمي والإبداعي)، مجلة البيان، السعودية :العدد ١٣١، (رجب ١٤١٩هـ)، ص:٢٣.

(٤)انظر : زهير منصور المزيدي: مقدمة في منهج الإبداع، الطبعة الأولى، (المنصورة، دار الوفاء، مصر: ١٩٩٣م)، ص :٣٠٤.

أما الابتداع في الدين فليس من الدين في شيء، لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾[1].

ولقول رسول الله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[2].

(١) سورة يونس، الآية :٣٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب :إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ، جـ٥، رقم :٢٦٩٧، ص: ٢٥٧.

المطلب الثاني

أساليب دعوة القرآن الكريم إلى التفكير الإبداعي

من الأمور المهمة التي ينبغي أن يحرص الداعية على معرفتها الأساليب التي دعا فيها القرآن الكريم إلى التفكير الإبداعي، وحث فيها على تنمية المهارات الفكرية والإبداعية التي تساعد الداعية على الإقناع، وتستحث المدعوّين على التفكر والتأمل في مخلوقات الله، ومن هذه الأساليب:

١- حثّ القرآن الكريم على تدبر آياته، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢].

فقوله «تَلِينُ أي ترقُّ قلوبهم وتطمئِن وتسكُن»"[٣].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «فليس أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبُّر القرآن وإطالة التّأمل، وجمع فيه الفِكر على معاني آياته، فإنها تُطلِع العبد على معالم الخير والشر، وتُثبّت قواعد الإيمان في قلبه»[٤].

٢- حثّ القرآن الكريم على التفكير والنظر والتأمل في

---

(١) سورة محمد، الآية :٢٤.

(٢) سورة الزمر، الآية :٢٣.

(٣) الإمام أبو عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، د.ط، (الرياض، دار عالم الكتب:١٤٢٣هـ)، حـ١٥ /٢٥٠.

(٤) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، د.ط، (بيروت، دار الكتاب العربي: ١٩٧٣هـ)، جـ١ /٤٥١.

الظواهر الكونية المختلفة، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[3].

٣- دعا القرآن الكريم للتعرف على السنن الطبيعية والاجتماعية والتفكير فيها والاستفادة منها، ويمكن أخذ العبرة والعظة منها، مما يساعد على تقوية الإيمان في القلب، ويحث على الجد والاجتهاد لاقتفاء آثار السلف الصالح- رضى الله عنهم- قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾[5].

٤- دعا القرآن الكريم إلى تحصيل العلم ومعرفة قوانينه والتأمل في جميع ميادين العلوم المختلفة، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ

---

(١)سورة العنكبوت، الآية :٢٠.

(٢)سورة فصلت، الآية :٥٣.

(٣) سورة يونس، الآية :١٠١.

(٤) سورة يوسف، الآية :١٠٩.

(٥)سورة الحج، الآية :٤٦.

(١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) ﴾[١].

٥- دعا القرآن الكريم إلى التفكر والتأمل في ميادين العلوم البيولوجية والفسيولوجية والطبية والنفسية، ومن ذلك التأمل في أسرار تكوين الإنسان البيولوجي والنفسي، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[٢].

٦- دعا القرآن الكريم إلى استخدام الحوار والمناقشة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[٣].

يستطيع الداعية من خلال معرفته لهذا الأساليب فهم وإدراك ما استُغلق، وإزالة الملابسات والمتعلقات الذهنية الخاطئة، فإن من حكمة الله تعالى ورحمته خلط المبطلون المجادلون للحق بالباطل، وذلك من أعظم أسباب وضوح الحق وبيان شواهده وأدلته، وبيان الباطل وفساده، وبضدها تتبين الأشياء[٤].

٧- دعا القرآن الكريم لاستخدام أسلوب ضرب الأمثال لما يصبوه من إثارة للجانب الذهني عند الداعية، فيستطيع قياس الحوادث بعضها مع بعض، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، وكأنه يشاهد

---

(١) سورة الغاشية، الآيات :١٧- ٢٠.

(٢) سورة الطارق، الآيات: ٥ - ٧.

(٣) سورة النحل، الآية :١٢٥.

(٤) انظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، (مؤسسة الرسالة:١٤٢٠هـ)، جـ ٦/٤٥٢.

معانيها، وهذا من عناية ولُطف البارئ بعباده[1].

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

٨- دعا القرآن الكريم إلى التفكر والتأمل في حياة الإنسان ورفع قيمته، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾[3].

والدّاعية كلما رغب في التعرف على الأساليب القرآنية أكثر وتمعَّن بها ازداد رُقياً وإبداعاً واتساقاً في أُفقه وتفكيره وبعد نظره، مما يساعد على سلامة التحليل وحُسن الاسّتنباط وربط الأسباب بالمسببات واستنتاج القواعد من الحوادث المماثلة، والقدرة على الاستفادة من الأوقات وحُسن التّصرف، وهذه جميعها «أصل الخير والشر من قبل التفكير فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر، هو الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها»[4].

لم يكتفِ القرآن الكريم بالدعوة إلى معرفة هذه الأساليب الدّاعية إلى التفكير الإبداعي من خلال التّدبر في آيات الله، وإنما

---

(١)انظر : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: القواعد الحسان لتفسير القرآن، الطبعة الأولى، (دار الرشد للنشر: د.ت)، القاعدة :٩، ص:٥١.

(٢)سورة الحج، الآية :٧٣.

(٣)سورة الزمر، الآية :٩.

(٤)ابن قيم الجوزية: الفوائد، الطبعة الثانية، (بيروت، دار الكتب العلمية: ١٩٧٣م)، ص:١٩٣.

وضع أساس منهج البحث التجريبي للتحقق من صحة المعلومات للوصول إلى المعرفة اليقينية فيما نقوم ببحثه من مشكلات، وهذا هو الأساس الذي قام عليه البحث التجريبي عند العلماء المسلمين والذي أخذه عنهم فيما بعد العلماء الغربيون في مطلع النهضة العلمية الحديثة في أوروبا، فقد أعطانا مثالين واقعيين للبحث التجريبي.

● **الأول:**

بالرغم من أن نبي الله تعالى إبراهيم- عليه السلام- كان مؤمناً بالله تعالى وبالبعث، إلا أنه أراد أن يطمئن قلبه للإيمان بأن يشاهد بالتجربة الواقعية كيفية إحياء الله تعالى الموتى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[1].

ولم يستنكر الله تعالى طلب إبراهيم- عليه السلام- أن يرى بالتجربة الواقعية كيف يحيي الموتى فأجاب طلبه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾[2].

● **الثاني:**

أشار القرآن الكريم إلى واقعة أخرى أزال فيها الشك من قلب بني إسرائيل في البعث، وذلك عن طريق المشاهدة الحسية الواقعية لعملية البعث، قال تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾[1]. أيضاً أشار القرآن الكريم إلى ضرورة إقامة الدليل والبرهان في كل قضية عقلية يتبناها الإنسان، قال تعالى: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2]. كذلك أشار القرآن الكريم إلى ضرورة إقامة الدليل الحسي عن طريق المشاهدة أو التجربة في القضايا الحسية الواقعية، فقد انتقد القرآن الكريم من قال إن الملائكة إناث وطلب منهم إقامة الدليل الحسي الذي يثبت صحة قولهم، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ ﴾[3]. حيث قالوا: « إنهم بنات الله، هل حضروا إيجادهم حتى حكموا بأنهم إناث؟ ستكتب شهادتهم- أي قولهم- في سجل أعمالهم للجزاء عليها، ويسألون عنها يوم القيامة».[4]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٤) وهبة الجزيلي: التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، ط٢،(دمشق، دار الفكر، سورية: ١٤٢٥هـ)، ص:٤٩١.

المبحث الثاني

خطوات التفكير الإبداعي وسمات الداعية المبدع

المطلب الأول: خطوات التفكير الإبداعي لدى الداعية

يُصادف الداعية في حياته كثيراً من المشكلات أو المواقف المحيرة أو المربكة التي تحتاج إلى حل من خلال التّأمل والتّفكير.

ويمكن للباحثة أن تلخص هذه الخطوات التفكيرية في حل المشكلات بما ورد في القرآن الكريم في قصة نبي الله تعالى إبراهيم- عليه السلام- من تنبيههِ لقومهِ ولفت أنظارهم إلى أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة[1]، قال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

فقد أراد- عليه السلام- إقامة الحُجة على قومه لبيان خطأ معتقداتهم من خلال اللجوء إلى استخدام أسلوب التفكير الإبداعي المعتمد على حل المشكلات. ولقد سارت خطوات التفكير الإبداعي في حل المشكلة وفقا لما يأتي:

أولاً: الشّعور بالمشكلة:

تمثل هذه الخطوة الشعور بوجود مشكلة ذات أهمية بالنسبة له، ويجد داخل نفسه دافعاً قوياً يدفعه إلى حلها، حتى يحقق الهدف الذي ينشده، حيث شعر نبي الله تعالى إبراهيم- عليه السلام- ببطلان ما

---

(١) انظر : محمد بن سيدي الحبيب: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، الطبعة الأولى، (جدة، دار الوفاء للنشر: ١٤٠٦ هـ)، ص: ٤٤٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٧٢- ٧٣.

كان عليه قومه من عبادة الكواكب والأصنام، فكيف يعبد الإنسان ما يصنعه بيديه؟ وهذا الشعور أثار في نفسه مشكلة سيطرت على تفكيره، فاستخدم أسلوب المجاراة لتنشيط التفكير لدى قومه وللوصول معهم إلى النتيجة التي يريدها.

ثانياً: تحديد المشكلة :

وفي هذه المرحلة يتم تحديد المشكلة ووصفها بدقة ورسم حدودها وما يميزها عن سواها[1] فإبراهيم - عليه السلام- جارى قومه وتظاهر بأنه سيطر على تفكيره من إله هذا الكون؟ وبين لهم أن لديه شعوراً يدفعه إلى التفكير في معرفة إله الكون وخالقه، مع علمه التام بأن الله تعالى إله الكون وخالقه، وقد ساعد على نشوء هذا الدافع لديه فطرته السليمة التي قال الله تعالى فيها: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[3].

ثالثاً: جمع البيانات المرتبطة بالمشكلة:

وتتمثل في تحديد الداعية أفضل المصادر المتاحة لجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بالمشكلة، والتي يُمكن أن تساعده في الوصول إلى الحل ثم يقوم بفحصها لمعرفة درجة ملاءمتها لموضوع المشكلة أو عدم

---

(١) انظر: محمد حمد الطيطي: تنمية قدرات التفكير الإبداعي، د.ط، (دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة: ١٤٢٢هـ)، ص:١٦٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٤.

ملاءمتها، ويُبقي منها ما هو ملائم ويستبعد ما هو غير ملائم[1].

فنبي الله تعالى إبراهيم- عليه السلام- جمع المعلومات والبيانات من خلال تنبيهه لقومه بملاحظة الظواهر الكونية المختلفة في السموات والأرض، لعلّهم يهتدون منها إلى معرفة الإله، فتأمل في الكواكب والشمس والقمر وغيرها من الظواهر الكونية، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2]. ليتبين له وجه الدلالة في نظره إلى خالقهما.

رابعاً: وضع الفروض:

وتتمثل بقدرة الدّاعية على «التمييز والتحديد لعدد من الفروض المقترحة والتي طرأت على الذهن أثناء جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع المشكلة»[3].

فنبي الله تعالى إبراهيم- عليه السلام- وضع بعض الفروض أثناء مرحلة الملاحظة، وجمع المعلومات عن الظواهر الكونية المختلفة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[4].

---

(١) انظر : تنمية قدرات التفكير الإبداعي، مرجع سابق ، ص: ١٦٤.

(٢)سورة الأنعام ، الآية: ٧٥.

(٣) تنمية قدرات التفكير الإبداعي، مرجع سابق، ص: ١٦٥.

(٤) سورة الأنعام ، الآيات:٧٦- ٧٨.

خامساً: تقويم الفروض:

حينما يضع الداعية فرضاً لحل مشكلةٍ مًّا فإنه يقوم عادة بتمحيص هذا الفرض ومناقشته على ضوء ما لديه من معلومات وبيانات؛ للتأكد من ملاءمته وصلاحيته لحل المشكلة، وقد يجد الإنسان أن الفرض الذي وضعه لا يتفق مع ما لديه من معلومات وحقائق فيقوم باستبعاده ثم يقوم بوضع فرض آخر ويقوم بتمحيصه ومناقشته كما فعل بالفرض الأول، وتتكرر العملية حتى يصل إلى فرض مقبول وملائم لما لديه من معلومات وحقائق عن موضوع المشكلة.

فإبراهيم- عليه السلام- قام أثناء مناظرته لقومه بتمحيص الفروض واستبعد كل فرض يضعه لعدم ملاءمته، فوجد أن كوكب الزهرة لا يصلح أن يكون إلهاً، لأنه مسخر مقدر بسير معين لا يزيغ عنه يميناً ولا شمالاً .. ثم انتقل إلى القمر فبيَّن فيه مثل ما تقدم في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما انتفت الإلوهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أشد ما تقع عليه الأبصار نوراً[1].

قام بوضع فرض مؤداه أن الإله هو الذي خلق الكواكب جميعاً، والسَّماوات، والأرض، وجميع ما فيها من مخلوقات، وتحقق له ذلك بالدليل القاطع، فقال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[2].

أي إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومُخترعها ومُسخرها، الذي بيده ملكوت كل شيء وخالقه وربه ومليكه وإلهه[3].

(١) انظر: تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، مرجع سابق، جـ٢/٢٧- ٢٨. وانظر أيضا: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، ص: ٤٤٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(٣) انظر: تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير، مرجع سابق، جـ٢/٢٨.

المطلب الثاني

سمات شخصية الداعية المُبدع

يُعد التفكير الإبداعي من الصفات التي تُميز الداعية عن غيره، وحتى يتصف بهذه الصفة ينبغي للداعية أن يمتلك مجموعة من السمات أو القدرات التي يظهر تأثيرها في سلوكه، ويكون مبدعاً إذا ظهرت لديه تلك السمات أو بعضها بدرجة كبيرة[1]. وهذه الصفات هي:

١- الطلاقة: وتُمثل القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار عن موضوع معين في فترة زمنية محددة. والمتمعن في آيات القرآن الكريم يجد الكثير من الدلائل التي أشارت إلى هذه الصفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

فهذه الآية اشتملت على طلاقة في التعبير جاءت على لسان نبي الله تعالى موسى- عليه السلام- بصورة المعتذر من ربه، ومبيناً

(١) انظر : لمحات عامة في التفكير الإبداعي، مرجع سابق ، ص:٣٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيات:١٠- ١٥.

لعذره، وسائلا له المعونة على هذا الحمل الثقيل[1].

٢- المرونة: ويُقصد بها القدرة على التكيف السريع مع المواقف أو المشاكل الجديدة، وهي بهذا على النقيض من التصلب أو الجمود والوقوف عند فكرة أو طريقة بعينها[2].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ ﴾[3]. أما في هذه الآية فقد أظهر إبراهيم- عليه السلام- مرونة متميزة في التكيف السريع مع الموقف، وذلك بإقامة الحجة على النمرود في وجود الله عز وجل.

٣- الأصالة : وتعني أن الشخص المُبدع لا يُكرر أفكار الآخرين وينفر من حلولهم التقليدية للمشاكل، فأفكاره جديدة مميزة غير مألوفة. وتمثل الأصالة أعلى درجات سلم الإبداع[4].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ٥/٥٠٦.

(٢) انظر : لمحات عامة في التفكير الإبداعي، مرجع سابق، ص: ٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٤) انظر : لمحات عامة في التفكير الإبداعي، مرجع سابق، ص: ٣٣.

فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

حيث إن هذا الرجل المؤمن لم يجار قومه بما يرونه، بل جاء بفكرة ورأي جديد مخالفاً لما يرونه، كما ورد في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ ﴾[2].

٤- **الحساسية للمشكلات:** إن الشخص المُبدع لديه الحساسية المُرهفة للتعرف على المشكلات في الموقف الواحد، فهو يرقب الثغرات ونواحي القصور في الأفكار الشائعة، ويرى في الأشياء مالا يرى الفرد العادي.

جوانب دعم التفكير الإبداعي:

بما أن الإبداع من الجوانب المهمة في شخصية الداعية سواء كان فكراً أو عملاً علمياً، ويحقق التطور في جميع المجالات، فإنه ينبغي على الداعية دراسة هذه الجوانب والمجالات الإبداعية والاستفادة مما ورد في القرآن الكريم، والسنة المطهرة في هذا الجانب، وتطبيقها مما يساعد على الارتقاء بقدراته العلمية، ويزيد من درجة ذكائه. ومن هذه الجوانب التي تدعم التفكير الإبداعي لدى الداعية:

(١) سورة غافر، الآيات: ٢٨- ٣٣.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٦.

■ استخدام المنهج العلمي في دعوته، مع الاعتماد على الأدلة والبراهين والبعد عن اتباع الهوى. فالاعتماد على البرهان الصادق والدليل يعد جزءاً من منهج التربية الإسلامية[1].

ومن النصوص القرآنية التي تبين وتؤكد على اتباع البراهين، ما ورد عن نبي الله سليمان- عليه السلام- حين تفقد الطير فلم يجد الهدهد فأقسم على عقوبته إن لم يأته بحجة واضحة لتخلفه، وتؤكد صدق ما أخبر به عن ملكة سبأ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

■ استخدام الداعية لأسلوب التخطيط المبدع في دعوته مستفيداً مما ورد في السيرة النبوية من دعم رسول الله ﷺ لأصحاب العقول

(١) انظر: عبد الكريم بكار: فصول في التفكير الموضوعي، الطبعة الثانية، (بيروت، دار العلم الشامية: ١٤١٩هـ)، ص:١٠٨.

(٢) سورة النمل، الآيات: ٢٠- ٢٧.

المبدعة بالتشجيع والثناء والاستفادة من أفكارهم المبدعة لتحقيق النصر والعزة للإسلام، ومن ذلك ما ورد عن الصحابي الجليل نعيم بن مسعود الغطفاني- رضي الله عنه- عند ذهابه إلى رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، وكان صديقاً لقريش واليهود، فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وقومي لا يعلمون بإسلامي، فمرني بأمرك حتى أساعدك. فوجهه ﷺ إلى هذا التوجيه الرائع فقال له: «أنت رجل واحد، وماذا عسى أن تفعل؟ ولكن خذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة»[1].

وكان نعيم- رضي الله عنه- عند حُسن ظن النبي ﷺ وأهلاً لتوجيهه، فخرج من عند النبي ﷺ وتوجه إلى بني قريظة، فقال: يا بني قريظة تعرفون ودّي لكم وخوفي مما وقع لبني قينقاع والنضير، وإن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم، فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها، وإلا انصرفوا لبلادهم، وأما أنتم فتساكنون الرجل- يريد الرسول- صلى الله عليه وسلم- ولا طاقة لكم بحربه وحدكم. فأرى أن لا تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم، بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً منهم يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه. فاستحسنوا رأيه. وقالوا: قد أشرتَ بالرأي.

ثم قام من عندهم وتوجه إلى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال: أنتم تعرفون ودّي لكم ومحبّتي إياكم، إني محدّثكم حديثاً فاكتموه عني. فقالوا: نفعل.

---

(١)صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، حديث رقم:٣٠٣٠، جـ٤/٢٤.

فقال لهم: إن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ﷺ وقد أرسلوا إليه أنّا ندمنا على فعلنا، فهل يُرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان جمعاً من أشرافهم، ونعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فإن طلبوكم أحداً فلا تعطوهم. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أظنكم تتهموني. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم. قال لهم: فاكتموا عني.

قالوا: نفعل. ثم أخبرهم بما أخبر به قريشاً وحذَّرهم مثل ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان وفداً برئاسة عكرمة بن أبي جهل- رضي الله عنه- إلى بني قريظة.

فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر- الإبل والخيل - فاغدوا للقتال حتى نناجز محمّداً ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت ولم يصبنا ما أصابنا إلا من التعدّي فيه ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً من رجالكم، فإنا نخشى إن ضرستكم[1] الحرب واشتد عليكم القتال أن تذهبوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا به. فلما رجعت إليهم الرسل بذلك قالوا: والله إن الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحق!!

فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تُريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فلما انتهت إليهم

(١) (ضرسَ) الشيء – ضرساً: عضه بأضراسه، ونال منه. انظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، د.ط (مصر،وزارة التربية والتعليم: ١٤١٥هـ)، ص:٣٧٩.

الرسل بذلك، قالت قريظة: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق!!، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا لا نُقاتل معكم حتى تعطونا رهائن. وهكذا بلغ هذا التدبير المحكم غايته بالتفرقة بين قريظة والأحزاب»[1]. لذا فإن الداعية يحتاج إلى التخطيط الدقيق المُتقن وتحديد أهداف دعوته مع عمق في التفكير والتأمل ليكون التخطيط منهجاً يسير عليه[2].

■ استخدام منهج الرسول ﷺ في ترتيب الأولويات مقدماً الأهم على المهم، ويتجلى ذلك في وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه- حين بعثه إلى اليمن فقال له: "ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُرد على فقرائهم"[3].

---

(١) عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري: السيرة النبوية، تحقيق: فؤاد بن علي حافظ، د.ط، (دار الكتب العلمية: ٢٠٠٩م)، ٣/٣١٩- ٣٢٠.

(٢) انظر : عبد المنعم النمر، علوم القرآن الكريم، دار الكتاب المصري ،الطبعة الثانية، مصر ، ١٩٨٣م ، ص٨٥.

(٣)صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٣١)، جـ٢/٥٠٥.

المبحث الثالث

عوائق التفكير الإبداعي لدى الداعية

إن تفكير الدّاعية قد يعترضه بعض العوائق التي قد تشعره بأنه إنسان غير مُبدع، وأنه لا يستطيع حل المشكلة إذا وقعت عليه أو صادفته، فيفقد الثقة بنفسه فيُصاب تفكيره بالجمود فلا يستطيع ابتكار أفكار جديدة توصله إلى هدفه المنشود.

وقبل الحديث عن معوقات التفكير الإبداعي، لابد من التأكيد على أن الداعية يواجه الكثير من التحديات في دعوته، ولكي ينجح فيها عليه أن يكون مستعداً للنظر إلى الجديد دون خوف أو تردد مع وضعه في ميزان الإسلام. ومن خلال النظر إلى الجديد لابد أن يكون الداعية مؤمناً بالاختلاف بين الناس، وملمّاً بثقافتهم

ومن أهم العوامل التي تعد عائقا للتفكير الإبداعي:

أ- **قلة المعلومات وعدم كفايتها :**

لكي يستطيع الداعية أن يُفكر في مواجهة المشكلة أو الموقف الماثل أمامه، ومن ثم إيجاد الحلول والتخطيط والتنظيم لها، لا بد أن تكون لديه بيانات دقيقة وكافية وأدلة وبراهين تساعده على الوصول إلى نتائج إبداعية.

فالدين الإسلامي بيّن بعض الحالات التي قد تكون سبباً في ضعف التّفكير وجموده ومنها:

١- التّسرُّع في إصدار الأحكام:

إن التسرع في إصدار الأحكام يعيق التفكير السليم، وذلك أن الناس متباينون في فهمهم من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونه من

بين قليل وكثير، وجليل ودقيق وغير ذلك[1].

وإذا لم يعقل الإنسان ما يراه أدى إلى عدم اتباع القواعد المنطقية السليمة في التفكير، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم بالتحذير من القول بما ليس لنا به علم، كما نهانا القرآن الكريم عن اتباع ما نسمعه من أقوال وآراء دون أن يكون لدينا علم بها ودون أن تتضح لنا الأدلة والبراهين على صحتها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2] قال ابن عباس- رضي الله عنه- في تفسير الآية «لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك»[3].

٢- الافتقار إلى الحماس والتحدي:

مما يعيق تفكير الداعية وانطلاقه إلى الإبداع، أنه يشعر بداخل نفسه بعدم الحماس للموضوع، وأنه يحتاج إلى جهد وتفكير وتأمل وتحرٍ لقلة المعلومات لديه مما يولد لديه انعدام الثقة بنفسه وإحساسه بالخجل، ولذا يشعر بأنه يحتاج إلى آخرين يعتمد عليهم.

والدين الإسلامي حث على أن يحفز الإنسان نفسه ويدعمها ويشجعها، ونهى عن الاتكال على الآخرين لقوله ﷺ: «لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، لكن وطنوا

---

(١) انظر : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: مجموع فتاوى ابن تيمية، د.ط، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: د.ت)، جـ٩/٣٠٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية:٢٠.

(٣) محمد بن عبدا لله الأندلسي بن العربي: أحكام القرآن لابن العربي، الطبعة الأولى، (دار الكتب العلمية، د.ت)، ص:٢٠٠.

أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»[1].

٣- التحيز الانفعالي والعاطفي:

تُؤثر ميول الداعية وانفعالاته الشخصية على الحكم في مواقف معينة أو حل مشاكل بدقة ووضوح، وذلك عند عدم توفر معلومات كافية لديه، لذلك كان من الضروري أن يتجرد من تأثير ميوله وانفعالاته التي تعيقه عن التفكير السليم المُبدع، وقد حذر القرآن الكريم من اتباع الهوى الذي يُؤدي إلى التحيز ويُسبب خطأ في التفكير، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[2].

كما تعوذ رسول الله ﷺ منه فقال: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»[3].

فاتباع الهوى «يعمي القلب ويطمس نور العقل ويعمي بصيرة القلب ... والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره»[4].

كما نهي عن اتباع الظن المعرض للخطأ الذي مصدره الخيال والحرص، ولا تؤيده الأدلة والبراهين، ولا تتوفر له بيانات هامة وواضحة تساعد على الوصول إلى التفكير الحق، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[5].

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني: صحيح سنن الترمذي، الطبعة الأولى، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: ١٤٢٠هـ)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو جـ٢/٢٠٠٧، ص: ٣٧٩، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وقد ضعف الشيخ الألباني إسناده في ضعيف الجامع الصغير، وكذا في تعليقه على مشكاة المصابيح، ويصح وقفه على ابن مسعود. والله أعلم.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٣) سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، جـ٣/٣٥٩١، ص:٤٧٣.

(٤) مدارج السالكين، مرجع سابق، جـ١/٤٤٩.

(٥) سورة النجم، الآية :٢٨.

لذا فانه ينبغي على الداعي إلى الله تعالى أن يتجرد من تأثير عواطفه وانفعالاته عند جمع المعلومات، والبيانات المتعلقة بموضوعه، والوصول لمعرفة الحقيقة من خلال البحث العلمي المُنظم، والسؤال الهادف، والملاحظة الدقيقة.

ب- التمسك بالأفكار التقليدية:

كثير من الناس يعتقدون أن الأفكار والمعتقدات الموروثة - وإن كانت خاطئة، ولا تستقيم مع العقيدة الصحيحة- لها قيمة ذات أهمية، لذلك يميلون إلى التمسك بها ويستأنسونها، ويقرون أن الانفكاك منها يحتاج طاقات فكرية واجتهاداً، والسعي في هذا الأمر يُرهق العقل الذي تعود على تَلقي الأفكار الجاهزة، وهذا الأمر ولا شك يقوم على فكرة لا تستند إلى أساس من الواقع وتُشكل عقبة في طريق التفكير السليم المُبدع، لذا حث القرآن الكريم على التحرر من القيود التي تُكبل التفكير وتُعطل العقول وحذر من إلغاء العقول باتباع الأفكار التقليدية، ورفض كل جديد مما كان سببا في عدم قبولهم دين الحق، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(1).

كما يدعو القرآن الكريم إلى التحرر من الخرافات التي تُعطل التفكير وتعيقه عن الإبداع، فقد كان للعرب في الجاهلية

---

(1)سورة البقرة، الآية :170.

بعض الخرافات والآراء الفاسدة، فجعلوا شيئاً من مواشيهم محرماً، على حسب اصطلاحاتهم، وقد نهى القرآن عن الأخذ بهذه الخرافات والآراء الفاسدة التي تعارض ما أنزله الله تعالى[1]، قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2].

وكذلك حرص الرسول ﷺ على مُحاربة الأوهام والخرافات وبخاصة تلك التي تتعلق بالتطير، والكهانة، والعرافة، والسحر، وتأثير النجوم على أقدار الناس، وغيرها من البدع قال الرسول ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[3]

إن الجهل بحقائق الإسلام وميادينه يبعد المسلمين عن فهم دينهم فهماً صحيحاً ويقضي على الإبداع والتطور ويطمس ملكة التفكير والابتكار.

---

(١)انظر: تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ٢/٣٥٢.

(٢)سورة المائدة، الآية: ١٠٣.

(٣)النسائي: سنن النسائي (جـ٣/١٨٨ ـ ١٨٩) من حديث جابر بن عبد الله بنحوه، ورواه الإمام مسلم في "صحيحه" (جـ٢/٥٩٢) بدون ذكر: «وكل ضلالة في النار» من حديث جابر بن عبد الله. وللفائدة انظر: "كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث" لأبي شامة رحمه الله تعالى (ص٩٣) وما بعدها.

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث. ويظهر من خلال هذا البحث عدة أمور منها:

- تناول هذا البحث مفهوم التفكير الإبداعي وأهميته، وما ورد في القرآن الكريم من أساليب رائعة للدعوة للتفكير الإبداعي بهدف إعداد دعاة قادرين على توصيل منهج الله تعالى بإتباعه في سائر الأعمال.
- استخدام الدعاة أساليب دعوية تدعو إلى التفكير والتأمل المثمر التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة المطهرة لتكون عاملاً مساعداً لحل المشكلات والمواقف المفاجئة.
- استغلال الدعاة الطاقات الكافية والإمكانات اللامحدودة التي زرعها الله تعالى في عقولهم من قدرة على التفكير والتأمل والإبداع في حل المشكلات التي تواجههم باستخدام خطوات التفكير الإبداعية متبعين بذلك منهج القرآن الكريم.
- يتصف الدعاة إلى الله تعالى بمجموعة من الصفات والسمات الإبداعية التي يظهر تأثيرها على سلوكهم وتعينهم على توليد الأفكار والتنوع فيها بحيث تكون من الأفكار غير المتوقعة، مع الحفاظ على جديتها وتميزها ومنفعتها واستخدامها بسرعة وسهولة.
- دعم تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى الدعاة إلى الله بجميع الوسائل والأساليب، ليتمكنوا من تطبيق مهارات التفكير والتحليل والمناقشة والدفاع عن الدين بالطرق العقلية والمعرفية والعلمية، وذلك لحاجة المجتمع إلى دعاة مُبدعين مُفكرين يساهمون في دفع مركبة

الدعوة الإسلامية إلى الأمام.

- معرفة عوائق التفكير الإبداعي لدى الدعاة إلى الله التي تقضي على الإبداع والتطور وتطمس ملكة التفكير والابتكار ومحاولة تجنبها. وحتى يتحقق ما أراده الله تعالى لعباده من قوة فكرية وعلمية وأخلاقية وإبداعية فقد خلص البحث إلى التوصيات التالية:

١- تشجيع الجهات المسؤولة عن الدعوة إلى الله والجمعيات الخيرية على إعداد برامج تدريبية للدعاة تعتمد على تطبيق إستراتيجية التفكير الإبداعي.

٢- التنسيق مع وسائل الإعلام لإعداد برامج دعوية تعتمد على ممارسة التفكير الإبداعي تساعد الدعاة على اكتساب مهارات التفكير الإبداعي.

٣- السعي لإقامة شراكة بين الجامعات والمؤسسات الدعوية للتشجيع على إبراز تطبيقات جديدة في التفكير الإبداعي تهتم بشئون الدعوة.

٤- توظيف العلوم التي تهتم بثقافة الإبداع والابتكار واستخدامها في مجال الدعوة.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي" ابن العربي"، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
٣- البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م.
٤- التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، وهبة الجزيلي، ط: دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.
٥- تنمية مهارات التفكير الإبداعي الناقد، سوسن شاكر مجيد، ط: دار الصفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٦- تدريس مهارات التفكير، سعادة جودة أحمد، ط: دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، د.ط، ٢٠٠٣م.
٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٨- تنمية قدرات التفكير الإبداعي، محمد حمد الطيطي، ط: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، د.ط، ١٤٢٢هـ.
٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح وكنيته أبو عبد الله القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، ط: دار عالم الكتب، الرياض، بدون طبعة، ١٤٢٣هـ.
١٠- دلالات الفقه التربوي في بعض تراجم صحيح البخاري، أحمد محمد العليمي، ط: دار ابن حزم، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١١- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، محمد بن سيدي الحبيب، ط: دار الوفاء للنشر، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٢- السيرة النبوية، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق فؤاد بن علي بن حافظ، ط: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠٠٩م.

١٣- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن باز، ط: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٥- علوم القرآن الكريم، عبد المنعم النمر، ط: دار الكتاب المصري، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

١٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، ط: المطبعة الفنية ومكتباتها، مصر، القاهرة ، د.ط، ١٣٨٠هـ.

١٧- فصول في التفكير الموضوعي، عبد الكريم بكار، ط: دار العلم الشامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٨- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.

١٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ط: دار الرشد للنشر، الطبعة الأولى، د.ت.

٢٠- لسان العرب، محمد بن منظور بن كرم الإفريقي المصري، ط: دار صادر، الطبعة الأولى، د.ت.

٢١- لمحات عامة في التفكير الإبداعي، عبد الإله بن إبراهيم الحيزان، ط: دار الرسالة، الطبعة الأولى، د.ت.

٢٢- مجموع فتاوى ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨ه، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، ط: دار

الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٣- مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٩٧٣م.

٢٤- مقدمة في منهج الإبداع، زهير منصور المزيدي، ط: دار الوفاء، مصر، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٢٥- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط: وزارة التربية والتعليم، مصر، د.ط، ١٤١٥هـ.

٢٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط: دار المعارف، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

الرسائل العلمية:

١- أثر برنامج المواهب المتعددة في تنمية أنماط التفكير المرتبطة بنصفي الدماغ [الأيمن- الأيسر] لدى طلبة المرحلة الإعدادية، ياسر محفوظ الدليمي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٥م.

المجلات:

١- التفكير العلمي والإبداعي، عبد الله البريدي، مجلة البيان، السعودية، العدد ١٣١، رجب ١٤١٩هـ .

البحث رقم (٦)

منهج الدعاة في الاحتساب على التناجي بالباطل في القرآن الكريم

إعداد

د. خولة بنت يوسف المقبل

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد منح الله للإنسان منحاً كثيرة ووفيرة لا تعد ولا تحصى، ومن باب شكر هذه النعم والحفاظ عليها؛ استغلالها بالنافع المباح وكفها عما سوى ذلك، وقد يخطئ كثير من الناس في هذا الجانب، حيث لا يستغلون نِعَمَ الله عليهم الاستغلال الأمثل، فيكونون بعملهم ذاك قد جحدوا نعم الله حين لم يشكروها. ومن النعم التي تستحق الشكر نعمة اللسان، والذي يستطيع به المرء البيان.

إن للسان خطورة عظمى في مقابل منافعه، إذ به يسلم الإنسان في الدنيا والآخرة، وبه يقدم وبه يؤخر، فقد يستعمله الإنسان بما يعود عليه بالنفع أو بما يعود عليه بالذنوب والخطايا، لذا يجب على المسلم الحذر من استعماله في غير الوجه المشروع، وإلا أورده المهالك، قال رسولُ الله ﷺ: «**من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤذِ جارَه، ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ خيراً أو ليَصمُت**»[1]. وما ذلك إلا لعظم استعمال القول في غير أوجهه المشروعة له.

وقد حث الدين الإسلامي على حسن التعامل مع الآخرين ونبذ كل تصرف قد يؤدي إلى إساءة العلاقات وقطع التواصل والظن

---

(١)رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث رقم٥٨٨٠.

السيء بالناس، ومن ذلك نهي الشارع عن التناجي بالإثم والعدوان قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[2]

من أجل ذلك ولأهمية الاحتساب على النجوى بالباطل عقدت هذه الدراسة والتي تهدف إلى:

- توضيح المراد بالنجوى على وجه العموم وبيان المراد بالنجوى المحرمة على وجه الخصوص.
- ذكر الآيات التي ورد فيها لفظ النجوى للتوصل لمعناها وحكمها.
- بيان أحوال المحتسب عليهم من المتناجين بالباطل.
- بيان الوسائل والأساليب المشروعة للاحتساب على المتناجين بالإثم والعدوان.

---

(١) سورة المجادلة، الآيات: (٨- ١٠).

(٢) سورة النساء ، الآية (١١٤).

هذا وسوف أستخدم في هذه الدراسة المنهج التأصيلي؛ الذي يعتمد على أهم مصادر المعرفة الإسلامية في التوصل إلى نتائج الدراسة. والمنهج الاستقرائي؛ وهو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها[1].

ومن خلال هذه الدراسة سأوضح - بإذن الله - الاحتساب على النجوى بالباطل من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: معنى النجوى ومعانيها من خلال الآيات التي ورد بها لفظ النجوى.

المبحث الثاني: أصناف المحتسب عليهم المتناجين بالإثم والعدوان.

المبحث الثالث: وسائل الاحتساب على المتناجين بالباطل وأساليبه.

---

(١) انظر: البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان(ط ١، ١٤١٩هـ)، ص١٦. وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ)، ص١٨٨.

المبحث الأول

معنى النجوى وآثارها وأنواعها من خلال الآيات التي ورد بها لفظ النجوى

المطلب الأول: معنى النجوى لغة واصطلاحاً:

أولاً: معنى النجوى لغة واصطلاحا:

النجوى لغة : السر كالنجِّيِّ، والمسارون اسم ومصدر، وناجاه مناجاة ونجاءً: ساره، وانتجاه: خصه بمناجاته، والقوم: تساروا كتناجوا[1]. وهو اسم من نجا بمعنى ساررته[2]. والنجوى والنَّجِيُّ: المتسارُّون، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾[3] قال: هذا في معنى المصدر، وإذ هم ذوو نجوى، والنجوى اسم للمصدر.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾[4] يكون على الصفة والإضافة، وناجى الرجل مناجاة ونجاء؛ ساره. وانتجى القومُ وتناجوا: تساروا وانتجاه إذا اختصه بمناجاته، قال أبو إسحاق: معنى النجوى في الكلام ما ينفرد به الجماعة والاثنان، سراً كان أو ظاهراً.[5]

والنجوى اصطلاحاً: استفاد العلماء من المعاني اللغوية للتناجي وضمنوها في تعريفاتهم الاصطلاحية والتي جاءت بمعنى : السر بين الاثنين أو الجماعة، تقول ناجيت فلاناً مناجاة ونجاء وهم ينجون

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ)، ص١٧٢٢، باب الواو والياء فصل النون.

(٢) كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (دار القلم، بيروت)، ص٨١٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٤٧).

(٤) سورة المجادلة، الآية: (٧).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، (دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ)، ج١٤، ص٦٥.

ويتناجون، ونجوت فلاناً أنجوه نجوى : أي ناجيته، فالنجوى: المسارَّة مصدر. وقد قال جماعة من المفسرين: إن النجوى كلام الجماعة المنفردة أو الاثنين سواء كان ذلك سراً أو جهراً.[1] وقيل هي: التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون بالخير، وتكون بالشر.[2] والتعريف الإجرائي للنجوى والذي سأعتمده في بحثي هذا : هي مسارة المكلف للآخر بالحديث الذي يقصد به الإساءة للآخرين قولياً أو فعلياً، والتكتم في الحديث مع اثنين أو أكثر لإضمار السوء، والتي تظهر بوادرة بالفعل.[3]

ثانياً: آثار النجوى بالباطل على المجتمع:

التناجي الباطل من أخطر عوامل الفرقة في المجتمعات الإسلامية؛ إذ تتسبب في إشعال الأحقاد والضغائن في المجتمع المسلم وهذا الأمر منهي عنه، فينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه، وبالطبع فإن لذلك أثراً كبيراً في تكوين بيئة مليئة بالمشاعر السلبية كل تجاه الآخر، والمراد بالآثار هنا هو ما يحمله معنى كلمة الأثر في اللغة؛ إذ إنه يراد بها بقية الشيء وما يتبعه من نتائج وما بقي من رسم الشيء[4]. فالتناجي بالباطل له من التوابع والبواقي الشيء الكثير الذي

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (دار المعرفة، بيروت)، ج١، ص٥١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، (مؤسسة الرسالة، الرياض، ط ٩، ١٤١٨هـ)، ص٧٨٤.

(٣) ويتضح ذلك من فعل اليهود في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام عندما كانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم. انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ)، ج٤، ص٢٧٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٦٨.

يودي بالمجتمع إلى الفرقة والاختلاف وهذا خلاف للمهج الإسلامي الذي يحث على الوحدة والتماسك. ولو سأل أصحاب التناجي بالباطل أنفسهم ماذا استفادوا بعد التناجي؟ وماذا خسروا ؟ وحاسبوا أنفسهم بصدق لما عادوا إليه أبداً .

ولهم أن يسألوا أنفسهم ماذا بعد التناجي بالباطل من نتائج على الفرد والمجتمع ؟

نقول إن هناك آثار كثيرة وكبيرة تعود على المجتمعات التي انتشر بها هذا الأمر، وتتعدد هذه الآثار وتتنوع فمنها الأثر النفسي على الأفراد؛ إذ يشعر الفرد بأنه منبوذ في المجتمع وله أعداء كثر، مما يتسبب في وجود صراع في داخله عن مدى الخطر الذي سيتعرض له، وهذا واضح فيما سبق ذكره عن تناجي اليهود على المسلمين مما يضطر بالمسلم أن يسلك طريقاً آخراً غير الطريق الذي يتواجد به اليهود خوفاً من نتائج هذا التناجي، كما يعود على المتناجين بأثر نفسي إذ يشعرون بتأنيب الضمير والقلق والاضطرابات النفسية.

ومنها الأثر الاجتماعي بث روح التنافر والتخاصم بين أفراد المجتمع وتنفير للصحبة الصالحة والإغراق في صحبة العصاة وأشرار الخلق، والأثر الديني ففيه خسارة للحسنات وبعداً عن الله سبحانه وتعالى ومعصية لله كما أن فيه تضييعا للأوقات فيما لا فائدة فيه، بل بما فيه مضرة وضياع وظلمة قلب[1].

---

(١) انظر: احذر البضاعة الذميمة الغيبة والنميمة، حمود المطر، (دار طويق، الرياض، ١٤١٧هـ)، ص١٨٤.

المطلب الثاني

معاني النجوى من خلال الآيات الكريمة التي ورد بها لفظ النجوى:

ورد ذكـر النجـوى والتنـاجي في القـرآن الكـريم في عـدة آيـات وبعدة معان منها:

١. مناجاة الرسول ﷺ وذلك في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

والمعنى إذا أردتم مسارة الرسول ﷺ في أموركم فقدموا بين مسارتكم له صدقة، ونزلت بسبب أن قوماً من المسلمين كانوا يستخلون النبي ﷺ يناجونه، فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينقصونهم في النجوى. فشق عليهم، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى لتقطعهم عن استخلائه. وقيل أنها نزلت بسبب أن المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي ﷺ ويقولون إنه أذن يسمع كل ما قيل له، وكان لا يمنع أحد من مناجاته وكان ذلك يشق على المسلمين؛ لأن الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم ناجوه بأن جموعاً اجتمعت لقتاله، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ

(١) سورة المجادلة، الآية: (١٢).

(٢) سورة المجادلة، الآية: (١٣).

﴿ٱلرَّسُولِ﴾[1]فلم ينتهوا، فأنزل الله هذه الآية فانتهى أهل الباطل عن النجوى؛ لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه[2].

٢. التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ:

وهذا النوع هو المراد في هذا البحث وقد وردت آيات تدل على هذا النوع، منها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[3]

ومعنى الإثم هو ما إثم في نفسه كالكذب والظلم والعدوان، والعدوان ما فيه عدوان على المؤمنين، ومعصية الرسول مخالفته. ولما فرغ الله عن نهي اليهود والمنافقين عن النجوى أرشد المؤمنين إذا تناجوا فيما بينهما أن لا يتناجوا بما فيه إثم وعدوان ومعصية الرسول كما يفعله اليهود والمنافقون. ثم بين لهم ما يتناجون به في أنديتهم وخلواتهم فقال: ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ أي بالطاعة وترك المعصية وفي ختام الآية الكريمة خوفهم سبحانه قوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيجزيكم بأعمالكم[4].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: (٩).

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد الشوكاني، ج٥، ص١٩٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية: (٩).

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ج٥، ص١٨٧.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾[1]

وهؤلاء هم اليهود والمنافقون ،كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مواعدة فإذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شراً ، فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت الآية[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3] أي إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً من الشيطان، يعني إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ليحزن الذين آمنوا أي ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ومن أحس من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله فإنه لا يضره شيء بإذن الله[4].

٣. الإسرار بالحديث على وجه العموم: قال تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾[5][1] فالسحرة لما سمعوا كلام موسى

---

(١) سورة المجادلة، الآية: (٨).

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق،ج٥، ص١٨٧.

(٣) سورة المجادلة، الآية: (١٠).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٤.

(٥) سورة طه،الآية:(٦٢).

تناظروا وتشاوروا وتجاذبوا أطراف الكلام في ذلك وأسروا النجوى أي من موسى، وكانت نجواهم هي قولهم إن هذان لساحران، وقيل: إنهم تناجوا فيما بينهم فقالوا: إن كان ما جاء به موسى سحراً فسنغلبه، وإن كان من عند الله فسيكون له أمر، وقيل: الذي أسروه أنه إذا غلبهم اتبعوه[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2]

النجوى هنا: اسم من التناجي، والتناجي لا يكون إلا سراً، فمعنى إسرار النجوى المبالغة في الإخفاء. والمعنى: أي الذين ظلموا أسروا النجوى بمعنى أخفوا كلامهم، أي قالوا: هل هذا الرسول إلا بشر مثلكم لا يتميز عنكم بشيء؟ ويجوز أن تكون هذه الجملة بدلاً من النجوى[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[4] أي ما يوجد من تناجي ثلاثة أو من ذوي نجوى باختلاف

---

(١) سورة طه، الآية: (٦٢).

(١) فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ج٣، ص٣٩٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٣).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ج٣، ص٣٩٨.

(٤) سورة المجادلة، الآية: (٧).

عددهم، ويجوز أن تطلق النجوى على الأشخاص المتناجين، وقيل العدد غير مقصود؛ لأنه سبحانه مع كل عدد قلَّ أو كثر يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية ، وكان لسبب نزول هذه الآيات أنه كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة ، وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺعن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله هذه الآيات[1].

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[2]أي لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون . وإذا لم يكن فيه خير ، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه، إلا من أمر بصدقة من مال، أو علم، أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة، كالتسبيح، والتحميد، ونحوه.

أو معروف وهو الإحسان والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه. وإذا أطلق الأمر بالمعروف، من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر، دخل فيه النهي عن المنكر . وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف. وأيضاً لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر،وأما عند الاقتران ،

(١) تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير،ج٤،ص٢٧٤.

(٢) سورة النساء، الآية: (١١٤).

فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي.

أو إصلاح بين الناس والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين. والنزاع، والخصام والتغاضب، يوجب من الشر والفرقة، مالا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس، في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾[2] أي جميع ما يسرونه من النفاق وجميع ما يتناجون به فيما بينهم من الطعن على النبيﷺ وعلى أصحابه، وعلى دين الإسلام، وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الأشياء المغيبة كائنا ما كان، ومن جملة ذلك ما يصدر عن المنافقين[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[4] أي بل أيحسبون أنا لا نسمع ما يسرون به في أنفسهم، أو ما يتحادثون به سراً في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم، بلى نسمع ذلك ونعمل به ورسلنا لديهم يكتبون، أي: الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول أو فعل[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: (٧٨).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ج٢، ص٣٨٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية: (٨٠).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، ج٤، ص٥٦٦.

المبحث الثاني

أحوال المحتسب عليهم المتناجين بالإثم والعدوان

المطلب الأول: العالمين بتحريم التناجي بالباطل.

لا بد أن تبنى علاقة المسلم مع الناس على أساس علاقته بالله وبشرعه ومخافته حيث يشوبها الخير والتعاون والإيثار وحسن الصحبة، والتي يعمها مكارم الأخلاق ويختفي سوء الخلق، وعندئذ تكون السعادة في الدنيا والآخرة(١).

ولعل من أهم أسباب تمسك هؤلاء بفعل الباطل بالرغم من معرفتهم بحرمة التناجي به ما يأتي:

١- غلبة الهوى وإيثار الدنيا: العبد المؤمن يسعى لنيل رضى الله والفوز بالدار الآخرة، أما إذا ضعف الإيمان وتعلق القلب ببهرج الحياة الدنيا وأصابه شيء من سكرتها، فعند ذاك لا تسأل عن جهده في عمارتها وتحصيل لذاتها، ولو أدى ذلك إلى الوقوع في الباطل(٢).

والهوى كما قيل يعمي ويصم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾(٣)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾(٤)

---

(١) الأخلاق الفاضلة، عبدالله الرحيلي، ص٨٨

(٢) المرجع السابق، ص٨٦.

(٣) سورة طه، الآية: (١٦).

(٤) سورة الفرقان، الآية: (٤٣).

٢- ألفة الخطأ وكراهية التغيير: فقد يكون الإصرار على المعصية من باب توارث العادات والسلوكيات بما فيها من صواب وخطأ. فتبدأ تلك العادة صغيرة، ثم تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل، فإذا بها تتحول إلى مُسلِّمَةٍ من المُسَلَّمَات التي لا تقبل النظر والمراجعة، فضلاً عن تركها والبعد عنها إن كانت خطأ، وحينئذ يجبن الكثير عن التصويب والتقويم أو عن ترك ما علموا أنه خطأ مسايرة للناس وخوفاً من ردة فعلهم، فهم لا يتحملون تغيير السائد، ولا تحريك الساكن، ولذا واجه الدعاة والمصلحون وفي مقدمتهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام العنت والمشقة والأذى من مجتمعاتهم وأقوامهم بسبب هذا التقليد الجامد والتعصب الباطل والعادة المستحكمة[1].

٣- عدم توفيق الله للعبد بترك المعاصي: فالهداية الربانية تعطى من الخالق لمن يستحقها قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2] أي ييسره ويسهله وينشطه لذلك فهذه علامة على الخير وحب الله للعبد.

خلاصة ما سبق أن المدعو قد يتمسك ببعض المعاصي لعدة أسباب إذا نظر لها نظرة فاحصة تبين له أن ما تمسك به باطل ولزمه الرجوع للحق. لذا على الداعية أن يسلك أسلوب الترهيب مع هذا

---

(١) انظر: دعوة الخلق للرجوع إلى الحق، محمد الوائلي، (دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ)، ص٩٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٢٥).

الصنف المتمسك بالمنكر بالرغم من معرفته بالحكم الشرعي له لأن المعاصي هي البوابة الكبيرة لانتكاس القلوب، والفتن هي الداء الخبيث لهذا الانتكاس، فيسلك الداعية أسلوب الترهيب مع هذا الصنف من المدعوين فيرهبهم من عواقب هذا العمل في الدنيا والآخرة، ومآل المصر عليه ويذكرهم بالآيات القرآنية التي تنهى عن التناجي بالباطل [1].

(١) انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة أنواعه مجالاته تأثيره، رقية نياز، (دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ)، ص١٤٨.

المطلب الثاني

الجاهلين بحكم التناجي بالباطل

الجهل هو : اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه(١)

والجهل يورد صاحبه المهالك، وينزع به إلى الشرور والبلايا والجاهل عدو نفسه، يسعى في دمارها من حيث لا يشعر، فالجهل بعواقب الأمور، وبمحاسن الأخلاق ومساوئها يؤدي إلى فساد عريض، وشر مستطير، ويحمل صاحبه على ارتكاب مالا ينبغي(٢).

ويعد الجهل من العوارض الأهلية ،أي أنها ليست من الصفات الذاتية كما يقال البياض من عوارض الثلج والسواد من عوارض الفحم، وقد قسم العلماء الجهل قسمين:

- قسم ناشئ عن تفريط صاحبه وتقصيره في إزالته فلا عذر له فيه.
- قسم ناشئ عن عدم تفريط ، وإهمال لعدم وجود من يعلّم صاحبه، فهذا صاحبه معذور(٣). والقسم الأول يعتبر من الأعمال الإرادية السلبية وهو ما يتعمد فيه الإنسان ترك العمل مع قدرته عليه. وبين أبو الدرداء رضي الله عنه علامات الجهل بقوله:" علامة الجهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه".(٤)

---

(١) التعريفات، الجرجاني،مرجع سابق،ص١٠٨

(٢) سوء الخلق مظاهره أسبابه علاجه، محمد الحمد،(دار ابن خزيمة، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ). ص٦٥.

(٣) انظر: عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، أبي العلا بن راشد، (مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ)، ص٢٨.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالبر، (دار الكتب الإسلامية، القاهرة)، ص٢٢٦.

ومما قرره العلماء أن الجهل لا يكون عذراً مطلقاً، وإلا كان خيراً من العلم قال الشافعي:"لو عُذر الجاهل لأجل جهله لكان الجهل خيراً من العلم، إذ كان يحط عن العبد أعباء التكليف ويريح قلبه من ضروب التعنيف، فلا حجة للعبد في جهله الحكم بعد التبليغ والتمكين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل".(١)

وبناء على ما سبق ذكره لا يعذر المتناجون بالباطل بسبب الجهل وذلك لوضوح الحكم حتى وإن لم يتضح لدى المدعو الحكم الشرعي للتناجي بالباطل فإن النفوس تأنف منه والفطر السليمة تطلب السلامة من الوقوع به، وللعلم فإن الحافز الذاتي للمدعو هو السبيل الموصل لصلاح النفوس واستقامة الخلق وإذا ما تفكر المدعو بضرر النجوى بالباطل على الفرد والجماعة بل والأمة الإسلامية فإنه يصل إلى اليقين الصادق بأهمية ترك ونبذ ذلك الخلق الوضيع المؤدي بالمجتمع إلى التنافر والفرقة والاختلاف والتي نهى عنها الله سبحانه وتعالى في كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام. وهذا الصنف من المدعوين يحتسب عليهم بالترغيب بترك ما هم عليه من باطل وترغيبهم بأسلوب لطيف يحببهم بترك التناجي الباطل ويدعوهم في بادئ الأمر ترغيبا في الاستقامة، ثم التوبيخ والتعنيف على ما هم عليه من باطل بكلام رادع يستشعرون منه عظم ما هم عليه من منكر(٢).

---

(١) المنثور في القواعد، بدر الدين الزركشي، (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكويت، ط٢)، ج٢، ص١٥.

(٢) انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة أنواعه مجالاته تأثيره، رقية نياز، ص٢٤٨.

المبحث الثالث

وسائل الاحتساب على المتناجين بالباطل وأساليبها

المطلب الأول: الوسائل والأساليب المباشرة في الاحتساب:

الوسيلة في اللغة: المنزلة والدرجة والقربة.(1)

وهي في الاصطلاح الدعوي: هي ما يتوصل به إلى الدعوة.(2)

فوسائل الدعوة هي: ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية.(3)

والوسائل على نوعين:

- وسائل أصلية وهي المستفادة من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ وما سار عليه سلف هذه الأمة الصالح وانتهجوه.
- وسائل تبعية: وهي ما استحدث بعد ذلك من وسائل وطرق دعوية نتيجة لما طرأ على حياة الناس من أمور عديدة، وما ساعدت العلوم والتقنية على إنتاجه وتيسيره للناس.(4)

والأساليب في اللغة: هي الطرق، وقيل هي الفنون المختلفة.(5)

وهو في الاصطلاح: صيغ التبليغ في دعوة الناس، أو هو الطريقة

---

(1) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٣٧٨.

(2) المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، (مؤسسة الرسالة، ،بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ)، ص٤٩.

(3) المدخل إلى علم الدعوة ، أبو الفتح البيانوني، ص٤٩

(4) وسائل الدعوة، عبدالرحيم المغذوي، (دار إشبيليا، ط١، ١٤٢٠هـ)، ص١٨.

(5) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (تحقيق: محمد سيد كيلاني)، ص٢٢٨.

الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته.[1]

وهي في الدعوة : الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته.[2]

والمراد من الوسائل والأساليب المباشرة هي التغيير باليد واستعمال الإشارة والتلويح واللسان، وكذا استخدام اللين في موضعه والشدة في وقتها والتدرج في وقتها فالداعية حال رؤيته للمتناجين الباطل وتأكده من ذلك وجب عليه إزالة ذلك المنكر عملا بقول رسول الله ﷺ :"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه..."[3]

والتغيير باليد من أعلى درجات إزالة المنكر، حيث تكون حاسمة في دفع المنكر وإزالة خطره، وبما أن المنكر المعمول به غير ملموس لدى المحتسب فهنا يحتسب بهذه الدرجة عن طريق الإشارة باليد للمتناجين للانتهاء والتوقف عن هذا المنكر أو أمرهم بالتفرق من أماكنهم عن طريق الإشارة باليد أو مباشرة الضرب بالعصى أو اليد بقدر الضرورة الملجئة لذلك ، إذا لم يندفع المنكر إلا به.

وفي التغيير باللسان على المتناجين بالباطل يتدرج المحتسب في ذلك فيبتدئ بالتعريف والتعليم فإن المنكر قد يقدم عليه الشخص بجهله، وإذا عرف أنه منكر تركه ،فيجب تعريفه باللطف من غير عنف، وذلك لأن ضمن التعريف نسبته إلى الجهل والحمق،والتجهيل إيذاء للمحتسب عليه، وقلما يرضي الإنسان بأن ينسب إلى الجهل

---

(١) انظر: الركائز الإعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام، الشنقيطي(دار عالم الكتب، الرياض،)، ص٤٨ ، وخصائص القرآن الكريم، فهد الرومي، (ط٤، ١٤٠٩)، ص١٨.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ، أبو الفتح البيانوني،ص٤٩

(٣) رواه مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان،١/٦٩، رقم ٤٩.

بالأمور لا سيما بالشرع، والمحتسب ينبغي عليه أن يعنى بتعريف وتعليم صاحب المنكر شفقة عليه ورحمة به،وأن يعامله معاملة الوالد لولده، وهكذا كان نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه،وبعد التعريف بالمنكر الذي ارتكبه المتاجين بالباطل تأتي مرحلة النهي والوعظ والنصح والتخويف من الله وذلك إذا أصر مرتكب المنكر على منكره والوعظ كما هو معروف هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب.[1] ثم لابد من استعمال وسيلة الجدال بالتي هي أحسن مع المتاجين بالباطل الذين يصرون على الاستمرار بالوقوع المنكر حتى يسير بهم الداعية الى طريق الحق والصواب.

والإشارة اللطيفة المفهومة، والتذكير بالنعم المستوجبة للشكر كنعمة السمع واللسان اللتين تستوجبان شكرهما باستعمالهما بالخير لا الشر .

وبالترغيب والترهيب تارة أخرى ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة وهذا هو نهج رسل الله الكرام ، والترغيب في ثوابه والحصول على ما وعد به المحسنين من جنات ونعيم مقيم في الدارين،[2] وبيان الحكم الشرعي لهذا المنكر يقول الشيخ عبدالله بن جبرين "سمي الفاسق عاصياً ، ولو كانت معصيته من الكبائر التي هي دون الشرك، كالزنا ، والسرقة ، والنميمة،

---

(١) التعريفات، الجرجاني،مرجع سابق،ص٣٠٨.

(٢)انظر:حقيقة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر،حمد العمار،(دار إشبيليا ، الرياض، ط٢ ، ١٤٢٠هـ) ص١٦٢. ووسائل الدعوة، عبدالرحيم المغذوي، (دار إشبيليا ، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٠هـ) ، ص١٦. أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان،(مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ٤ ، ١٤١١هـ)، ص٤٤٠. ووسائل الدعوة وأساليبها بين التوقف والاجتهاد ، حسين عبدالمطلب، (دار الوطن، الرياض، ط١ ، ١٤٢٤هـ)، ص١٨- ٢٠.

والغلول، وشهادة الزور، ونحو هذا، وما ورد من الوعيد في هذه المعاصي فإنه محمول على الزجر والترهيب منها والله أعلم."[1] وكانت هذه الفتوى إجابة على سؤال ورد للشيخ عن الذنوب التي يعتبر الأقدام عليها فسقاً.قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2]

بعد ذلك تأتي مرحلة الغلظة في القول والتي يتبعها المحتسب حال استرسال واستمرار المتناجين بالباطل في باطلهم او بدا منهم الاستهانة بما يلقى إليهم من وعظ ونصح وإرشاد، فيزجرهم بعبارات لا تحمل فحش القول، فالمسلم ليس بسباب ولا لعان، وتغيير المنكر لا يكون بارتكاب منكر.

فإذا لم يستقم الحال ولم يزجر مرتكب المنكر هنا يلجأ المحتسب إلى التهديد والتخويف، وهذه المرحلة هي آخر المحاولات لنهي المتناجي بالباطل باللسان،فيهدد المتناجين بالباطل ويخوفهم بقوله: إن لم تنته لأضربنك ولأوذينك، أو لأخبرن أهلك أو سأشهر بك عند أقاربك وزملائك وجيرانك، ولكن ينبغي أن يكون التهديد والتخويف في حدود المعقول والمقدور عقلاً وشرعاً.[3]

---

(١) حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالله الجبرين، إعداد: علي أبو لوز، (دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ)، ص٢١٤.

(٢)سورة الحجرات،الآية: (١١).

(٣)انظر:حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،حمد العمار، مرجع سابق،ص١٦٦.

المطلب الثاني

الوسائل والأساليب غير المباشرة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أمر الناس بأنواع الطاعة فرضها ونفلها ،ونهيهم عن المعاصي صغيرها وكبيرها ، وذلك يستدعي الإلزام أو ما يقدر عليه ، فإن قدر على إلزام العاصي بالفعل وجب عليه ، وإن عجز اقتصر على الإنكار بالقلب ، وهذا هو مرادنا من هذا المطلب إلا وهو الوسائل والأساليب غير المباشرة في الاحتساب على المصر على التناجي بالباطل ، فإذا خاف الضرر أو عدم القبول أو زيادة المنكر ، بالرد الشنيع والسخرية الآمر عنهم ،وهجرهم وبغضهم ، والتحذير من شرورهم(١) ، قال رسول الله ﷺ "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ،فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" . وبالطبع فإن الهجر من أهم وسائل الاحتساب غير المباشر على مرتكب المنكر .

ومن الإنكار في القلب تصدر عدة وسائل تساعد المحتسب على إنكار المنكر ، منها تقديم كتيب يوضح حكم التناجي بالباطل أو قصاصة ورقية فيها شرح لآيات النجوى بالباطل أو شريط يحوي محاضرة الموضوع ذاته ، وبث حكم هذا النوع من المنكر في المجتمع وخلال وسائل الإعلام الحديثة. ونشر مطويات تحوي شرح حديث الرسول عليه الصلاة والسلام "إذا كانوا ثلاثةً فلا يَتناجى اثنانِ دُونَ

---

(١)انظر: حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،علي أبو لوز ،مرجع سابق ،ص٢٩- ٧٩.

الثالث».[1] وبالطبع فإن من فقه الإنكار استخدام الوسائل والأساليب غير المباشرة وذلك منعاً من استفزاز الآخرين، أو بسبب سلطة صاحب المنكر، أو عدم القدرة على المواجهة المباشرة، أو خشية وقوع أضرار لا يتحقق معها إزالة المنكر. هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) رواه البخاري.

الخاتمة

الحمد لله الكبير المتعال والشكر له تعالى على كل حال ..

وبعد: فإن التناجي الباطل من المسائل التي يجب أن ينكر عليها في المجتمعات الإسلامية حتى يصفو المجتمع ويعلو في سماه التآخي وتسمو رايات المودة والمحبة

هذا وقد خلصت من هذا البحث بنتائج عدة نوردها على النحو الآتي:

١- أهمية البحث في المسائل التي تدعو إلى الألفة والاجتماع والبعد عن مسببات الفرقة والاختلاف

٢- النجوى هي حديث السر بين الاثنين أو الجماعة

٣- بيان الآثار السلبية للتناجي بالباطل على الفرد والمجتمع.

٤- المتناجين بالباطل على صنفين عالم بالحكم وجاهل به.

٥- هناك وسائل وأساليب للاحتساب على المتناجين بالباطل منها الوسائل والأساليب المباشرة ومنها غير المباشرة.

هذا وأوصي بأهمية البحث في مثل هذا الموضوعات التي تقوي روابط المجتمع وتبعد الفرقة والاختلاف بين أفراده.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، ، ،

فهرس المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري

٣- صحيح مسلم

٤- احذر البضاعة الذميمة الغيبة والنميمة ، حمود المطر، (دار طويق، الرياض، ١٤١٧هـ).

٥- البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان(ط١، ١٤١٩هـ)

٦- الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة أنواعه مجالاته تأثيره ، رقية نياز، (دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ)

٧- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ)

٨- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ) .

٩- كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (دار القلم، بيروت) .

١٠- لسان العرب، ابن منظور، (دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ).

١١- فتح القدير، الشوكاني، (دار المعرفة، بيروت).

١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، (مؤسسة الرسالة، الرياض، ط٩، ١٤١٨هـ)

١٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد الشوكاني، (دار المعرفة، بيروت)

١٤- الأخلاق الفاضلة، عبدالله الرحيلي.

١٥- دعوة الخلق للرجوع إلى الحق، محمد الوائلي، (دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ)

١٦- التعريفات، الجرجاني.

١٧- سوء الخلق مظاهره أسبابه علاجه، محمد الحمد، (دار ابن خزيمة، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ).

١٨- عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، أبي العلا بن راشد، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١٤٢٤، ٢هـ).

١٩- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالبر، (دار الكتب الإسلامية، القاهرة).

٢٠- المنثور في القواعد، بدر الدين الزركشي، (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكويت، ط٢).

٢١- القاموس المحيط، الفيروزآبادي.

٢٢- المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ)

٢٣- وسائل الدعوة، عبدالرحيم المغذوي، (دار أشبيليا، ط١٤٢٠، ١هـ).

٢٤- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (تحقيق:محمد سيد كيلاني).

٢٥- الركائز الإعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام، الشنقيطي (دار عالم الكتب، الرياض،)

٢٦- خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي، (ط٤، ١٤٠٩ هـ)

٢٧- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حمد العمار، (دار إشبيليا، الرياض، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ)

٢٨- ووسائل الدعوة، عبدالرحيم المغذوي، (دارإشبيليا، الرياض، ط١٤٢٠، ١هـ)،

٢٩- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١١هـ)

٣٠- وسائل الدعوة وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد، حسين عبدالمطلب، (دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ).

٣١- حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالله الجبرين، إعداد علي أبو لوز، (دار الوطن، الرياض، ط ١ ، ١٤١٩هـ)

البحث رقم (٧)

مسؤولية الحسبة تجاه توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة

البحث مدعوم من عمادة البحث العلمي بجامعة سلمان بن عبدالعزيز

رقم المشروع: ١٤٣٣/١٥٥إ

إعداد

د. خالد بن هدوب المهيدب

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (1)

. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (2).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (3) (4) .أما بعد :

فقد تضمنت الشريعة الإسلامية أحكاماً وتشريعات تهدف لحفظ المصالح والحقوق ودفع المفاسد والشرور ، فجميع أحكام الشريعة تشتمل على أوامر ونواه تهدف للمحافظة على الكليات والأصول المجمع على حمايتها في جميع الشرائع السماوية ، وقد شرعت الحسبة

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيات ٧٠- ٧١.

(٤) خطبة الحاجة، كما سماها العلماء وقد أثبت الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- صحة بعض طرقها، انظر: خطبة الحاجة- محمد ناصر الدين الألباني- ص(٣- ١٤) المكتب الإسلامي - بيروت ط٣- ١٣٩٧هـ.

في النظام الإسلامي كولاية يتم من خلالها تطبيق هذه الأوامر واجتناب النواهي في العبادات والسلوك وسائر المعاملات.

فالحسبة حال تطبيقها بمفهومها الشامل تستوعب كافة مناحي الحياة وتسهم في إشاعة المعروف والحد من تفشي المنكر ، وتحول دون ارتكاب الأفعال المحظورة ، وترسي قواعد العدل ، ومن خلالها يؤخذ على يد كل من حاد عن الطريق ، أو سعى لتفريق الجماعة أو تصدر للتطاول على مؤسسات الدولة الإسلامية أو من يمثلها من أصحاب السلطة الذين قلدوا الولاية وقاموا بحقها واجتهدوا في إحقاق الحق ودفع الظلم وإرساء قواعد العدالة ، وتسعى سلطات الدولة الثلاث في المملكة العربية السعودية : التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية ؛ لإرساء قواعد العدالة وتحقيق مصالح العباد من خلال مؤسساتها المتعددة.

فقد نصت المادة الـ ٤٤ من النظام الأساسي للحكم على أن «تتكون السلطات في الدولة من السلطة القضائية / السلطة التنفيذية / السلطة التنظيمية (التشريعية)، وتتعاون هذه السلطات في أداء وظائفها وفقاً لهذا النظَام وغيره من الأنظمة. والملك هو مرجع هذه السلطات» فهذا النص القانوني يبين بشكل واضح أن هناك سلطات ثلاثاً في المملكة والعلاقة بين هذه السلطات هي علاقة تعاون(١).

وقد جاء هذا البحث المعنون بـ " مسؤولية الحسبة تجاه توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة " لتسليط الضوء على الجانب التطبيقي

---

(١) صحيفة الاقتصادية ، السلطات الثلاث، عبد العزيز الحصان ، الخميس ٢٧- ٢- ١٤٣١هـ . الموافق١١ فبراير ٢٠١٠م العدد ٥٩٦٧.

للحسبة الذي يسهم في نشر الوعي تجاه سلطات الدولة ومن يمثلها ، ولتصحيح المفاهيم المغلوطة والممارسات الخاطئة التي ينتهجها البعض تجاه تلكم الكيانات الرسمية المنوط بها تحقيق مصالح البلاد والعباد وفقاً لمراد الله - عز وجل – القائل سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:-

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية موضوع البحث في أن الإسلام ليس ديناً عقدياً – فحسب- ، لا شأن له بشؤون الدنيا والدولة ، بل هو دين ودولة والتلازم بينها قائم ، فالدولة من الدين ، والدين بجملة أحكامه لا بد له من دولة تقيمه وتحميه ، والدولة عبارة عن مؤسسات رسمية والمؤسسات تنبثق من سلطات الدولة الثلاث (تشريعية و قضائية و تنفيذية) من الملك إلى مجلس الوزراء إلى وكلاء الوزراء إلى الموظفين، وهذه المنظومة المتكاملة تمثل كيان الدولة المسلمة التي جاءت الشريعة الإسلامية بتأكيد المحافظة على كيانها ، وحيث ظهر في بعض مجتمعات المسلمين أفكاراً وأطروحات تستهدف النيل من مؤسسات الدولة وسلطاتها سعياً للنيل من شرعيتها مما يستوجب تضافر جهات الاحتساب للسعي لدحض هذا الفكر وبيان ضلاله .

---

(١) سورة الحج الآية ٤١.

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في الحاجة لإبراز وتناول مفهوم الحسبة و مكانتها وتطبيقاتها في نظام الدولة الإسلامية وأنواع سلطات الدولة في المملكة العربية السعودية ومسؤولية جهات الاحتساب حيال توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة ومؤسساتها في ظل افتئات وتطاول بعض الأفراد والجهات عليها.

أسباب اختيار الموضوع :

كثيرة هي دوافع اختيار موضوع هذا البحث" مسؤولية الحسبة تجاه توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة " ولعل من أهمها ما يلي:

١- عدم وجود دراسة أكاديمية في موضوع هذا البحث.

٢- ما يشهده العالم من ثورة إعلامية استغلت في بث أفكار وأطروحات تهدف للنيل من مؤسسات الدولة الإسلامية وثوابتها .

٣- ضعف تواصل جهات الاحتساب مع المجتمع فيما يتعلق بالذب عن مؤسسات الدولة الشرعية.

٥- الحاجة الملحة لتسليط الضوء على سلطات الدولة والمهام الجسام التي تضطلع بها في المجتمع.

٦- تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة لدى بعض الفئات في المجتمع تجاه سلطات الدولة.

الدراسات السابقة والتراكمات العلمية :

بعد البحث والاطلاع في المكتبات العامة والخاصة والجهات العلمية والأكاديمية المعنية بهذا الشأن ، لم أقف على رسالة علمية ، أو كتب أو بحوث تناولت موضوع البحث (مسؤولية الحسبة تجاه

توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة)بشكل مستقل.

أهداف الدراسة:-

تهدف هذه الدراسة إلى عدة أهداف أذكر أهمها فيما يلي:

١- إبراز وظيفة سلطات الدولة في المملكة العربية السعودية.

٢- تبصير أفراد المجتمع بالدور الريادي الذي تضطلع به سلطات الدولة.

٣- بيان الجهود التي يمكن لجهات الاحتساب أن تبذلها لتوعية المجتمع باحترام سلطات الدولة.

٤- تعزيز ثقافة احترام مؤسسات الدولة لدى أفراد المجتمع.

٥- بيان جهود بعض جهات الاحتساب حيال توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة.

تساؤلات الدراسة:

إن البحوث العلمية الأكاديمية تأتي للإجابة على تساؤلات هامة تتم الإجابة عليها عبر تقسيمات المخطط العلمي للدراسة، ولذا يمكن أن تطرح مجموعة من التساؤلات للإجابة عليها عبر رحلة البحث من خلال المخطط في هذا البحث، وهي كالتالي:

ما تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً ؟

ما مكانة الحسبة في الإسلام ؟

ما تطبيقات الحسبة في نظام الدولة الإسلامية ؟

ما السلطة التشريعية في المملكة العربية السعودية ؟

ما السلطة القضائية في المملكة العربية السعودية ؟

ما السلطة التنفيذية في المملكة العربية السعودية ؟

ما مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة التشريعية؟

ما مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة القضائية ؟

ما مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة التنفيذية ؟

منهج الدراسة:

إن طبيعة الدراسة لهذا الموضوع " مسؤولية الحسبة تجاه توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة" تقتضي استخدام أنفع المناهج العلمية في مثل هذا البحث، حيث إن المنهج العلمي هو الطريق المأمون للوصول إلى المعرفة ، وسأستخدم المنهجين الآتيين :

١- المنهج الاستقرائي هو "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً".

وسيكون استخدام الباحث - إن شاء الله- لمنهج الاستقراء الناقص الذي هو تتبع بعض الجزئيات لاستخراج بعض القواعد التي تخدم بعض قضايا البحث التي تحتاج إلى استقراء.

٢- المنهج الاستنباطي: هو "ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها" .

تقسيم الدراسة:

جاءت تقسيمات البحث على النحو الآتي :

المقدمة

المبحث الأول: مفهوم الحسبة و مكانتها وتطبيقاتها في نظام الدولة الإسلامية :

المطلب الأول : تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مكانة الحسبة في الإسلام.

المطلب الثالث: تطبيقات الحسبة في نظام الدولة الإسلامية.

المبحث الثاني: سلطات الدولة في المملكة العربية السعودية:

المطلب الأول: السلطة التشريعية.

المطلب الثاني: السلطة القضائية.

المطلب الثالث: السلطة التنفيذية.

المبحث الثالث: مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة.

المطلب الأول: مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة التشريعية .

المطلب الثاني : مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة القضائية.

المطلب الثالث : مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة التنفيذية.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع

الفهرس

المبحث الأول

مفهوم الحسبة و مكانتها وتطبيقاتها في نظام الدولة الإسلامية

المطلب الأول: تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح :

تعريف الحسبة لغة:-

"الحسبة: بكسر الحاء اسم من الاحتساب، والاحتساب من الحسب، احتسبت بالشيء اعتددت به، قال الأصمعي: فلان حسن الحسبة في الأمر أي: حسن التدبير والنظر فيه"[1]

ولكلمة الحسبة عدة معان منها:

١- طلب الأجر:

وذلك وفق ما جاء عنه ﷺ في الأحاديث الآتية:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[3]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: " ما

---

(١) انظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ١ / ٣١٥ ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، ط١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : الإيمان، باب: صوم رمضان احتساباً من الإيمان ٢٢/١ ح ٣٨"الجامع الصحيح المختصر" ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، ط٣ ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان ٢٢/١ ح ٣٧.

لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلاّ الجنة"[1].

٢- العد والحساب :

يقال : حسبت الشيء أحسبه حسابا وحسبانا ، إذا عددته[2] .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[3]

٣- الظن :

كما في قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾[4]

أي: من حيث لا يظن . فحسبه كذا ... ظنّه[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب : الإيمان، باب: العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى صحيح البخاري ٥/ ٢٣٦١ح ٦٠٦٠.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق : محمد عوض مرعب ٤ / ١٩٢ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م ، ط١.

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٦.

(٤) سورة الطلاق الآيتان ٢- ٣.

(٥) انظر : تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ١٤٠/٢ ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ط١ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١- د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢- د.أحمد النجولي الجمل.

٤ . التدبير :

يقال فلان حسن الحسبة في الأمر أي : يحسن تدبيره.[١]

٥- الإنكار :

فالحِسْبَة بالكسر الأجر واسم من الاحتساب فهي مصدر احتسابك الأجر على الله[٢] .

تعريف الحسبة اصطلاحاً:

للحسبة في الاصطلاح تعريفات عدة منها :

١- "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله"[٣].

٢- "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس"[٤].

٤- "وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٥].

٥- "رقابة إدارية تقوم بها الدولة لتحقيق المجتمع الإسلامي، بردهم

---

(١) المعجم الوسيط ؛ إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ١ / ١٧١ ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية.

(٢) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ٢٧٥/٢ ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين.

(٣) الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء للقاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، ص ٢٨٤، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ ، ط٢ ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

(٤) معالم القربة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ٥١/١، دار النشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٧٦ ، ط١ ، تحقيق : د.محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي.

(٥) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي٢٢٥/١ ، دار النشر : دار القلم - بيروت - ١٩٨٤ ، ط٥.

إلى ما فيه صلاحهم وإبعادهم عما فيه ضررهم وفقاً لأحكام الشرع"[1].

٦- " فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقاً للشرع الإسلامي"[2].

وبتأمل هذه التعريفات السابقة يتبين أن أشملها وأدقها التعريف الأول الذي أورده الماوردي- رحمه الله – لكونه دل على أن الحسبة تقوم على أساسين هما: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وهو بذلك يشمل الحسبة بمعناها الواسع.

وقد فرق شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بين اختصاصات المحتسب وغيره من القضاة والولاة فقال: " أما المحتسب فله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من اختصاص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم "[3].

وعلى ضوء ذلك يمكن أن يعرف الاحتساب الرسمي بأنه: ممارسة تلك الرقابة الإدارية بتكليف من الدولة على أفعال الأفراد وتصرفاتهم لصبغها بالصبغة الإسلامية. أمراً بالمعروف ونهياً عن

---

(١) نظام الحسبة في الإسلام، دراسة مقارنة، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد ص١٥، دراسة نال بها مقدمها درجة (الماجستير) بامتياز من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي ١٩٩٣ هـ بإشراف د. عبد العال أحمد عطوة.

(٢) أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة" د. محمد كمال الدين إمام ١٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ٢٨ / ٦٩، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، ط٢، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

المنكر وفقاً لأحكام الشرع وقواعده [1].

وبهذا يتبين أن كافة السلطات في الدولة تمارس أعمال الاحتساب وفق مهامها واختصاصاتها المسندة إليها .

(١)عبد العزيز بن محمد المرشد، نظام الحسبة في الإسلام ، ص١٦.

المطلب الثاني

مكانة الحسبة في الإسلام

تعد الحسبة من الولايات الدينية في النظام الإسلامي إذ يجب على الحاكم المسلم أن يقيمها ويعظم من شأنها ويوسع من مجالات تطبيقها ؛ لإظهار المعروف والدلالة عليه ولإنكار المنكر والأخذ على يد مرتكبه حماية للدين من أن تندرس معالمه ، وصيانة للمجتمع من الانحراف والانجراف ؛ ولإظهار الفضيلة والدلالة عليها؛ سعياً لتحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية وفقاً لقواعد الشريعة ومبادئها تحقيقاً لقول المولى - عز وجل - ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]

ولاشك أن الحسبة تعد من شعائر الدين التي بتحقيقها تنال الأمة الإسلامية الخيرية بين سائر الأمم كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2] ، وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة في الأمر بإظهارها ، والتحذير من تعطيلها . ومن هنا عد بعض أهل العلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركناً سادساً من أركان الإسلام.

---

(١) سورة الحج ٤١.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله من الدين " (١) .

ويقول الإمام القرطبي- رحمه الله - : " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة وهما فائدة الرسالة وخلافة النبوة " (٢) .

ويقول العلامة سيف الدين الآمدي- رحمه الله - : " ما من أمة إلا وقد أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر كنهيهم عن الإلحاد وتكذيب أنبيائهم " (٣) .

ويقول الإمام ابن حزم - رحمه الله - : "اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٤)

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بإقامتها والحث على إظهار معالمها وأكدت النصوص المتواترة من الكتاب والسنة على التحذير من التهاون بالقيام بشأنها كما قال - سبحانه وتعالى - ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨ / ١٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٤/ ٤٧ ، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن ١ / ٢٧٤، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.سيد الجميلي.

(٤) آل عمران آية ١٠٤.

فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ "[١].

ومن تمام فضل الله - تبارك وتعالى - على الدولة السعودية أن وفق ولاتها منذ تأسيسها على العناية بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلته ركناً أساساً في دستورها حيث نصت المادة الثالثة والعشرون من النظام الأساسي للحكم على أن الدولة " تحمي عقيدة الإسلام وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله "[٢].

---

(١) سورة المائدة آية ٧٨.

(٢) النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر السامي الكريم رقم ٩٠/أ في ١٤١٢/٨/٢٧هـ.

المطلب الثالث

تطبيقات الحسبة في نظام الدولة الإسلامية

المستقرئ لتاريخ الحسبة يقف على أن الرسول ﷺ مارس الحسبة عملياً في السوق فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبْرة[1] طعامٍ، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: "مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟". قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: "أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي"[2].

وكذا صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - ، فقد أسند عليه الصلاة والسلام مهمة الاحتساب في مكة المكرمة لسعيد ابن سعيد بن العاص رضي الله عنه[3].

قال ابن عبد البر : استعمل رسول الله ﷺ سعيد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه بعد الفتح على سوق مكة[4].

وتصدر أبو بكر الصديق رضي الله عنه للقضاء على أعظم منكر ظهر بعد وفاة رسول الله ﷺ حينما ارتدت بعض القبائل عن دين الإسلام

---

(١) قال الأزهري : الصبرة: الكومة المجموعة من الطعام. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ، يحيى بن شرف بن مري النووي ٢/١٠٩ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ ، ط٢..

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا (١٠٢)، أبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه(٢٢٢٤)، وأحمد (٧٢٩٠).

(٣)سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي استشهد يوم الطائف وكان إسلامه قبل فتح مكة بيسير ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف خرج معه فاستشهد. انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ٢/٦٢١، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ ، ط١ ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

(٤) الاستيعاب ٢/٦١٢ .

وامتنع بعضها عن دفع الزكاة ولأجل هذا قال ﷺ في حرب المرتدين: والله لأُقَاتِلَنَّ من فرَّقَ بين الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ فإن الزَّكَاةَ حقُّ المَالِ، والله لو منَعُونِي عنَاقًا كانُوا يُؤدُّونَهَا إلى رسول اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ على مَنعِهَا"[1].

وتابعه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ حيث باشر أعمال الاحتساب بنفسه ، فكان يتولّى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُوَجِّه الناس إلى الحقِّ والصراط السوي، و يكْتُبُ إلى عُمَّالِهِ أن أهَمَّ أمْرِكُمْ عنْدِي الصَّلَاةُ فمَنْ حفِظَهَا وحَافَظَ عليها حفِظَ دِينَهُ ومَنْ ضيَّعَهَا كان لِما سِواهَا أشَدُّ إضاعَةً [2].

وقد أسس الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نظام الحسبة، فقد أورد عدد من الباحثين [3] ما يفيد بأن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ هو مؤسس نظام الحسبة.

فعن الزهري : أن عمر بن الخطاب ﷺ استعمل عبد الله بن عتبة على السوق[4] ،ومعه السائب بن يزيد رضي الله عنهما[1] . كما

---

(١)رواه البخاري كتاب الزَّكَاةِ باب وجُوبِ الزَّكَاةِ وَقَولِ اللَّهِ تعَالَى (وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ) ٢ / ٥٠٧ح١٣٣٥.

(٢)الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ٣٤٩/١، دار النشر : مطبعة المدني - القاهرة ، تحقيق: د. محمد جميل غازي.

(٣) انظر : صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، اسم المؤلف: القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ٥ / ٤٢٤ - ٤٢٥ ، دار النشر : وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨١ ، تحقيق : عبد القادر زكار.

(٤)عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله ويقال أبو عبيد الله ويقال أبو عبد الرحمن المدني ويقال الكوفي أدرك النبي ﷺ ورآه وروى عنه وعن عمه عبد الله بن مسعود وعمر

استعمل عمر ﷺ على سوق المدينة سليمان بن أبي حثمة[٢].

وعمار وعمر بن عبد الله بن الأرقم مكاتبة وأبي هريرة وغيرهم وعنه أبناه عبيد الله وعون، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وأبو إسحاق السبيعي وعامر الشعبي وعبد الله بن معبد الزماني ومحمد بن سيرين وغيرهم، قال ابن سعد كان ثقة رفيعاً كثير الحديث والفتيا فقيها وذكره بن حبان في الثقات وقال يوم الناس بالكوفة، مات في ولاية بشر بن مروان سنة أربع وسبعين، قلت: وقال العجلي: تابعي ثقة وذكره العقيلي في الصحابة وروى من طريق حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عنه بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي الحديث وقد وهم حديج فيه والصواب أنه من رواية عبد الله عن عمه عبد الله بن مسعود وقد سبق ابن عبد البر لرد ذلك في الاستيعاب وذكره بن البرقي فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يثبت له عنه رواية وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل المدينة ممن ولد على عهد رسول الله ﷺ . قال: وأنا الفضل بن دكين أنا بن عيينة عن الزهري أن عمر استعمل عبد الله بن عتبة على السوق مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين انظر : تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي٥ / ٢٧٢ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، ط١.

(١)السَّائبُ بن يَزيدُ بن سعيد بن ثمَامَة بن الأسود ، ولد في السنة الثانية من الهجرة ، عن السائب بن يزيد قال : حج بي أبي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، وأنا ابن سبع سنين . وكان السائب عاملاً لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه ، على سوق المدينة - مع عبد الله بن عتبة بن مسعود . وتوفي سنة ثمانين ، وقيل : سنة اثنتين وثمانين ، وقيل : سنة ست وثمانين ، وقيل : سنة إحدى وتسعين ، وكان عمره أربعاً وتسعين ، وقيل : ست وتسعون . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ٢/ ٣٨٤ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ط١ ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي الهندي ٥/ ٣٢٥، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ١٤٢٩هـ .

(٢)سليمان بن أبي حَثمة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عديّ بن كعب القرشي العدوي ، هاجر صغيراً مع أمه الشِّفاء بنت عبد الله من المبايعات، وكان من فضلاء المسلمين وصالحيهم ، واستعمله عمر على سوق المدينة ، وجمع عليه وعلى أبيّ بن كعب الناس ليصليا بهم في شهر رمضان ، وهو معدود في كبار التابعين. انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري٢/ ٥٢٢ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ط١ ،

ولم تقتصر مهمة التكليف بالحسبة على الرجال فحسب بل كلف ﷺ من النساء من تقوم بها.

قال ابن عبد البر : كان عمر ﷺ يقدم الشفاء أم سليمان بن أبي حثمة[1] - رضي الله عنها - في الرأي ويرضاها ويعظمها وربما ولاها شيئاً من أمر السوق[2][3].

تحقيق : عادل أحمد الرفاعي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،٣/٢٧، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢ ، ط١ ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

(١) الشفاء بنت عَبد الله بن عبد شمس بن خلف ، ، أم سُلَيْمان بن أَبي حثمة ، لها صحبة ، أسلمت بمكة قبل الهجرة ، وهي من المهاجرات الأول اللاتي بايعن رسول الله ﷺ، وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن وكان رسول الله ﷺ يأتيها فيقيل عندها ، واتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه ، فلم يزل عند ولدها حتى أخذه منهم مروان بن الحكم. وَقَال لها رسول الله ﷺ : علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة. وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الحكاكين فنزلتها مع ابنها سُلَيْمان. وكان عُمَر بن الخطاب يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها ، وربما ولاها شيئا من أمر السوق. انظر: تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ٣٥/٢٠٧، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ، ط١ ، تحقيق : د. بشار عواد معروف.

(٢)انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ٤/١٨٦٩ .

(٣)قال ابن العربي في أحكام القرآن : "وقد روي أن عمر قدم امرأة على حسبة السوق ولم يصح فلا تلتفتوا إليه فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث" انظر : أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي٣ / ٤٨٢ ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

وجمعاً بين ما ذكره ابن عبد البر وابن العربي فيحمل توليتها بالحسبة على أمور خاصة بالنساء فالمرأة كما هو معلوم لا يتأتى لها أن تبرز إلى المجالس وتخالط الرجال وتفاوضهم مفاوضة النظير للنظير لأنها إن كانت فتاة حرم النظر إليها وكلامها وإن كانت متجالة برزة لم يجمعها والرجال مجلس تزدحم فيه معهم ولم يعلم قط من تصور هذا ولا أعتقده منها. انظر: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية ، الشيخ عبد الحي الكتاني ١ / ٢٨٦، الناشر : دار الكتاب العربي –بيروت.

قال العلماء : هذا أصل ولاية الحسبة[1] .

وتواصل الاهتمام بهذه الشعيرة في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ حيث مارسها بنفسه و، كان حريصاً على حماية العقيدة والذب عنها . فقد بلغه أن إِنْسَانًا كفر بَعْدَ إِيمَانِهِ فَدَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ ثَلاَثًا فَأَبَى فَقَتَلَهُ[2] .

وحينما بلغه وجود بيت للأصنام بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة فقام ﷺ بتخريبه[3] .

كما كان الخليفة المسدد علي بن أبي طالب ﷺ يتفقد أمر الرعية و يمشي في الأسواق يرشد الناس ويصلح الأخطاء ويأمر بحسن البيع والامتناع عن التدليس والفساد. [4]" فعن الحسن بن جرموز عن أبيه قال: رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليه قبطيتان إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول: (أوفوا الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللحم)" [5]. وكان ﷺ يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ

---

(١) انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، ٣٢٥/٥ دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ، ط١ ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

(٢)انظر : المحلى ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد١١/ ١٩٠ ، دار النشر : دار الآفاق الجديدة - بيروت ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي.

(٣)انظر : تلبيس إبليس ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ١/ ٧٧، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ، ط١ ، تحقيق : د. السيد الجميلي.

(٤)انظر : البداية والنهاية ٢/ ١٨ /ط١/ مكتبة المعارف / بيروت/ ١٩٦٦م.

(٥)انظر : المرجع السابق ٨/ ٣.

﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(1) ثم يقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس.(2)

وامتد العمل بنظام المراقبة والحسبة طوال العهد الأموي، وفي العصر العباسي ازدهرت الحياة الاجتماعية، واتسعت الحركة التجارة، وتعددت المهن ، وبرزت ولاية الحسبة كأحد الولايات النافذة.

ثم صارت الحسبة بعد ذلك في الدولة الإسلامية ولاية من الولايات ونظاماً من الأنظمة.

وقد كانت الحسبة في كثير من الدول الإسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب ، والأمويين بالأندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ، ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاماً في أمور السياسة، اندرجت في وظائف الملك وأفردت بالولاية.(3)(4)

ومن خلال هذا يتبين أن الحسبة شعيرة من الشعائر التي تميزت بها أمة الإسلام ، وأولتها الدولة الإسلامية على مر العصور رعاية وعناية فائقة من خلال إظهار معالمها ، وتوسيع مجالات اختصاصها لتشمل كافة مناحي الحياة سعياً لاكتساب الخيرية التي أخبر بها المولى عز وجل في قوله سبحانه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(5).

---

(1)سورة القصص الآية ٨٣.

(2)انظر : البداية والنهاية ٨ /٥ .

(3) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ٢٢٦/١.

(4) انظر : الحسبة في النظام الإسلامي: أصولها الشرعية وتطبيقاتها العملية ، إدريس محمد عثمان ص١٣٧ ، رسالة ماجستير.

(5) سورة آل عمران ١١٠.

المبحث الثاني

سلطات الدولة في المملكة العربية السعودية

المطلب الأول. السلطة التشريعية :

تعريف السلطة لغة واصطلاحاً :

تعريف السلطة لغة :

السلطان من كل شيء شدته وحدته وسطوته، ومنه اشتقاق السلطان[1].

تعريف السلطة في الاصطلاح :

يقصد بالسلطة في الاصطلاح المعاصر : الجهة التي تحكم البلاد وتدير شؤونها الإدارية والسياسية[2].

وتعرف السلطة التشريعية بأنها : "الجهة التي تملك إصدار القواعد العامة الملزمة التي تحكم تصرفات الجماعة في نطاق الدولة"[3].

وتعرف أيضاً بأنها : السلطة المتخصصة بعمل القوانين، وتقوم مع ذلك بالإشراف على أعمال السلطة التنفيذية[4]

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ٢٧٥/١٩، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين .

(٢) السياسة الدستورية للدولة الإسلامية، د. إبراهيم النجار، رسالة دكتوراه سنة ١٩٣٦م، بمكتبة كلية الشريعة والقانون بالقاهرة: (ص٣٩٨).

(٣) السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر الإسلامي "دراسة مقارنة" ،د. سليمان محمد الطماوي،

(٤) السياسة الدستورية للدولة الإسلامية، د. إبراهيم النجار، رسالة دكتوراه سنة ١٩٣٦م، بمكتبة كلية الشريعة والقانون بالقاهرة: (ص٣٩٨).

وقد كانت سلطة التشريع في عهد النبي ﷺ له عليه الصلاة والسلام ، فمصدره في التشريع وحي الله تعالى له واجتهاده.

فالقانون الأساسي في الاسلام قوامه آيات الأحكام الواردة في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وإذا تبين أن مصدر هذا القانون الأساسي هو الله سبحانه بما أنزله من القرآن وما أقر عليه الرسول ﷺ من اجتهاد وأن هذا القانون الأساسي هو عماد التشريع في الإسلام لكون مصدر التشريع الاسلامي هو الله تعالى وحده[1].

وقد أكد الملك عبد العزيز – رحمه الله – في بداية توليه الحكم على المنهجية التي سيسير عليها في حكمه للبلاد والتي قرنها بتطبيق شرع الله - تبارك وتعالى - حيث قال "إن مصدر التشريع لا يكون إلا من كتاب الله وما جاء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، أو ما أقره علماء الإسلام بطريق القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في الكتاب أو السنة . فلا يحل في هذه الديار غير ما أحله الله ، ولا يحرم فيها غير ما حرمه الله"[2].

وجاء في المادة الأولى من النظام الأساسي للحكم أن " المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينُها الإسلام، ودستورُها كتاب الله تعالى وسنةُ رسوله ﷺ ولغتُها هي اللغة

---

(١) انظر : السلطات الثلاث في الاسلام "التشريع- القضاء- التنفيذ" ، عبد الوهاب خلاف، ص٦- ٧، ط٢، ١٤٠٥هـ ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

(٢) السلطة التنظيمية في المملكة العربية السعودية ، د. محمد بن عبد الله المرزوقي ص٢٢-٢٣ ، ط١، ١٤٢٥هـ ،مكتبة العبيكان، الرياض.

العربية، وعاصمتُها مدينةُ الرياض" وتسمية الكتاب والسنة بالدستور يأتي من باب التجوز وإلا فهما أعظم وأشمل من أي دستور، والمقصود بالتسمية هو توضيح الأمر لغير المسلمين ولمن تعوّد جعل الدساتير أعلى نظام تحتكم إليه بقية الأنظمة؛ وليتبين أنه لا شيء يعلو على الكتاب والسنة ولا مقارنة[1].

إن عمل السلطة التشريعية لا يقف عند حد التشريع وإنما يتعداه إلى الإشراف والمباشرة لضمان الالتزام بهذا التشريع من قِبَل السلطتين: (التنفيذية، والقضائية)، وبخاصة السلطة التنفيذية، كما أنها تشترك مع سائر أهل الشورى وأهل الحل والعقد في القيام بدور الرقابة على باقي السلطات والمحاسبة للحكومة، وإبداء المشورة للحاكم ومعاونيه في كل مُشكِل يعرض للأمة من الأمور العامة[2].

وتعد السلطة التنظيمية أهم مظاهر سيادة الدولة، وبها يتحدد منهج الدولة ومسلكها العام وسياساتها في رعاية الحقوق والمصالح، ويتشكل وفقاً لها هيكل الدولة وأجهزتها ومؤسساتها. وقد جاء النظام الأساسي للحكم بتحديد أهم المعالم الرئيسة للسلطة التنظيمية الذي جعل لها الاختصاص بوضع الأنظمة واللوائح مع تحديد

(١) محاضرة بعنوان " مَصدَر السلطة في النظام الأساسي للحكم من منظور السياسة الشرعية " نظمتها الجمعية السعودية للعلوم السياسية ألقيت في كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة الملك سعود بالرياض، إعداد د. عبدالعزيز بن سطام بن عبدالعزيز آل سعود الأستاذ المساعد في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع المفكرة القضائية .ص٤٩، ط ٣، ١٩٧٤م، دار الفكر العربي.

(٢) مجلة البيان، السلطة التشريعية في الدولة الإسلامية، د. عطية عدلان، العدد ٢٨٠ الصادر بتاريخ ١٤٣١/١٢/٢١هـ.

الهدف والمرجعية التي تتقيد بها وتستند إليها ، فحدد هدفها بما يحقق المصلحة ويرفع المفسدة في شؤون الدولة ، وقيدها بمرجعية واحدة لا تتعداها ولا تتخطاها وهي قواعد الشريعة الإسلامية [1].

والسلطة التشريعية في المملكة العربية السعودية سلطة مركبة ما بين الملك ومجلس الوزراء ومجلس الشورى، إلا أن الأخير له سلطة الدراسة والتوصية فقط وليس لما يخرج منه أي حجة نظامية مالم يقر من مجلس الوزراء، وذلك حسبما نصت عليه المادة (٦٧) من النظام الأساسي للحكم[2]، فمجلس الشورى له الحق في دراسة الأنظمة واللوائح واقتراح ما يراه مناسباً حيالها، وله الحق في اقتراح أنظمة جديدة ، أو تعديل أنظمة سارية المفعول، ولكن ليس له حق إقرارها ، بل يحيلها لرئيس مجلس الوزراء الذي يقوم بإحالتها إلى مجلس الوزراء الذي يتولى دراستها، والتصويت عليها ، فإن اتفقت وجهة نظر المجلسين صدرت القرارات بعد موافقة الملك عليها، وإن اختلفت فللملك حق إقرار ما يراه مناسباً، وذلك حسب ما نصت عليه المادة (١٧) [3]

---

(١) السلطة التنظيمية في المملكة العربية السعودية ، د. محمد بن عبد الله المرزوقي ص١٧٩.

(٢) "تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح، فيما يُحقق المصلحة، أو يرفع المفسدة في شؤون الدولة، وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية، وتُمارس اختصاصاتها وفقاً لهذا النظام ونظامي مجلس الوزراء ومجلس الشورى".

(٣) " ترفع قرارات مجلس الشورى إلى الملك ، ويقرر ما يحال منها إلى مجلس الوزراء .

- إذا اتفقت وجهات نظر مجلسي الوزراء والشورى تصدر القرارات بعد موافقة الملك عليها .

من نظام مجلس الشورى والمادة (٢١) [١] من نظام مجلس الوزراء [٢].

ومع أن السلطة التنظيمية بالمملكة العربية السعودية محصورة في الفرعين المذكورين : مجلس الشورى ومجلس الوزراء إلا أن هناك جهة ذات أهمية بالغة في العمل التنظيمي تمثل المرجع المعتبر فيما قد يشكل من الحادثات والنوازل والوقائع والمتغيرات بحيث يستجلى منها الرأي الشرعي فيما عرض ، وهي هيئة كبار العلماء المؤهلة للإفتاء ، وهذا ما أكدت عليه المادة الخامسة والأربعون من النظام الأساسي للحكم[٣] [١].

- إذا تباينت وجهات نظر المجلسين يعاد الموضوع إلى مجلس الشورى ليبدي ما يراه بشأنه ويرفعه إلى الملك لاتخاذ ما يراه).

◆ هذا هو النص بعد تعديله بالأمر الملكي رقم أ/١٩٨ وتاريخ ١٤٢٤/١٠/٢هـ حيث كان النص السابق (ترفع قرارات مجلس الشورى إلى رئيس مجلس الوزراء ويحيلها إلى مجلس الوزراء للنظر فيها ، فإن اتفقت وجهات نظر المجلسين صدرت بعد موافقة الملك عليها ، وإن تباينت وجهات النظر فللملك إقرار ما يراه".

(١) " يدرس مجلس الوزراء مشروعات الأنظمة واللوائح المعروضة عليه ويُصوت عليها مادة مادة ، ثم يصوت عليها بالجملة وذلك حسب الإجراءات المرسومة في النظام الداخلي للمجلس ".

(٢) وقد حان الوقت لتعديل نظام مجلس الشورى بحيث يصدر قرارات ملزمة للجهاز التنفيذي تتجاوز التوصيات التي يفرح بها كثير من المواطنين ثم يحبطون حين لايتم إقرارها "انظر: مقالة مطلوب من مجلس الشورى قرارات لا توصيات للكاتب خالد الفريان ، جريدة الرياض، الاربعاء ٣ صفر ١٤٣٣ هـ - ٢٨ ديسمبر ٢٠١١م - العدد ١٥٨٩٢ .

(٣)"مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية ، كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء واختصاصاتها".

المطلب الثاني

السلطة القضائية

تعريف القضاء :

القضاء مصدر ، ويسمى به الحكم الصادر من القاضي، ويجمع حينئذ على أقضية ، وفعله قضى يقضي قضاء أي حكم ، وفي القاموس : القضاء ممدود ومقصور ، وقضى عليه قضاء وقضياً ، ورجل قضيّ : سريع القضاء ، واستقضى: صار قاضياً[٢].

وأحسن تعريف ما اختاره ابن خلدون القاضي من تعريف الحنفية ، وشرحه فقال : « هو الفصل بين الناس في الخصومات ، حسماً للتداعي ، وقطعاً للنزاع ، بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة»[٣].

تعريف السلطة القضائية :

تعرف بأنها "السلطة المختصة بتفسير القانون وتطبيقه على المنازعات التي تعرض عليها"[٤].

ومنذ بزوغ فجر الإسلام والرسول ﷺ يتولى مهمة القضاء والفصل

---

(١) انظر : السلطة التنظيمية في المملكة العربية السعودية ، د. محمد بن عبد الله المرزوقي ص١٨٠- ١٨١.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ج ٢ ص ٥٠٧ ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت.، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ١٧٠٨/١ ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٣) مقدمة ابن خلدون جزء ١ صفحة ٢٢٠.

(٤) السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر الإسلامي "دراسة مقارنة" ، د سليمان محمد الطماوي، ص٢٦٦.

في الخصومات بين المسلمين استجابة لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[1].

ويهدف القضاء في الإسلام إلى إقامة العدل ، وتحقيق القسط ، وحفظ الحقوق والأموال وصيانة الأنفس والأعراض ، وحفظ الآداب العامة ، وتطبيق أحكام الشرع ، وإقامة الحدود ، وصون القيم والأخلاق ، ومنع العدوان والظلم والبغي بشتى صوره وأشكاله المتجددة؛ ليتحقق للخلق العيش بأمان وطمأنينة .

فأهداف القضاء عامة وشاملة لكل إنسان مسلماً كان أو غير مسلم، كبيراً كان أو صغيراً، رجلاً أو امرأة ، غنياً أو فقيراً ، صاحب سلطان أو مواطناً عادياً أو مقيماً امتثالاً لقوله عز وجل: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ

---

(١) سورة النساء آية (١٠٥).

(٢) سورة النساء آية (١٣٥).

تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2].

قال ابن القيم - رحمه الله - : « إن الله أرسل رسله ، وأنزل كتبه ؛ ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات العدل ، وأسفر وجهه بأي طريق كان ، فثم شرع الله ودينه »[3].

والسلطة القضائية في المملكة العربية السعودية منذ عهد التأسيس وهي تتمتع بالاستقلال التام وجاء التأكيد على ذلك وفقاً لما نص عليه النظام الأساسي للحكم كما في المادة (٤٦)، حيث نصت على أن «القضاء سلطة مستقلة.. ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية».

فهذا النص يبين مدى استقلالية السلطة القضائية . فبناءً على البناء الدستوري السعودي تعتبر السلطة القضائية سلطة مستقلة ليس ذلك فحسب بل لا يوجد سلطان على القضاة في ممارستهم للعمل القضائي إلا سلطان الشريعة . فبناءً على ذلك يوجد فصل واضح بين السلطة القضائية وعلاقته مع السلطة التشريعية والتنفيذية فلا يحق

---

(١)سورة الأنعام آية (١٥٢).

(٢) سورة المائدة آية (٨).

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ١٩/١ ، دار النشر : مطبعة المدني - القاهرة ، تحقيق : د. محمد جميل غازي .

لأي من السلطتين التدخل في أعمال السلطة القضائية أو بالتحديد التدخل في قضاء القضاة، وذلك لكونه تدخلاً غير دستوري[1].

والقضاء في المملكة العربية السعودية قائم على تحكيم الشريعة الإسلامية من خلال القضاء العادي والقضاء الإداري وعدد من اللجان الإدارية ذات الاختصاص القضائي في منازعات محددة تم تشكيلها بأوامر سامية[2].

والقضاء العادي هو صاحب الولاية العامة وينظر في جميع المنازعات والقضايا وفق قواعد الاختصاص المنصوص عليها في نظام المرافعات الشرعية ونظام الإجراءات الجزائية، باستثناء المنازعات التي ينظرها ديوان المظالم (المحاكم الإدارية) والتي جاء النص عليها على سبيل الحصر. أما القضاء الإداري(ديوان المظالم) فهو المختص بنظر القضايا والمنازعات الإدارية والتي جاء ذكرها في نظام القضاء على سبيل الحصر. أما بخصوص اللجان الإدارية، فهي لجان قضائية، تقوم بأعمال قضائية، وهي مستقلة عن القضاء العادي والإداري، وقراراتها قضائية بحتة ولها حجية الأمر المقضي به، وقابلة للطعن بها[3].

---

(١) صحيفة الاقتصادية ، السلطات الثلاث، عبد العزيز الحصان ، الخميس ١٤٣١- ٢- ٢٧ هـ الموافق١١ فبراير ٢٠١٠العدد ٥٩٦٧.

(٢) وتسمى اللجان شبه القضائية؛ لأنها في الأصل لجان إدارية وذات اختصاص قضائي تقوم بأعمال قضائية لكنها منفصلة عن وزارة العدل والقضاء العادي والإداري وقراراتها لها قوة القرارات القضائية، وقابلة للطعن أمام المحاكم الإدارية وأهم هذه اللجان: اللجان الجمركية ولجنة تسوية المنازعات المصرفية و لجان فض المنازعات والمخالفات التأمينية ولجنة الفصل في منازعات الأوراق المالية ولجنة تسوية منازعات الاستثمار.

(٣) مقالة بعنوان : السلطة القضائية في المملكة العربية السعودية تشكيلها واختصاصاتها ، د.عدنان العمر.

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أن السلطة القضائية تعد سلطة فوق كافة السلطات ؛ لأنه من خلالها يقاضي ويحاكم جميع الناس بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية، ومراكزهم القيادية في الدولة فقد كان الخلفاء والأمراء والحكام يحضرون مجالس القضاء للنظر في دعاويهم أو الدعاوى المقامة ضدهم؛ تحقيقاً لمبدأ العدالة التي تميزت بها شريعتنا الإسلامية الغراء.

المطلب الثالث

السلطة التنفيذية

تعريف السلطة التنفيذية :

السلطة التنفيذية في اللغة : السلطة من السلاطة وهي القوة والقهر. قال الأزهري : السلاطة بمعنى الحدة(١).

والتنفيذ في اللغة : إمضاء الأمر . يقال : رجل نافذ في أمره أي ماض في جميع أمره . يقال: أمره نافذ :أي ماض مطاع(٢).

السلطة التنفيذية في الاصطلاح : هي ما عدا التنظيم والقضاء من سائر الأعمال التي تتطلبها سياسة الناس وتدبير شؤونهم ، وهي في الدولة المعاصرة الهيئة الحاكمة التي تقوم بتنفيذ القوانين وتسيير الإدارة والمرافق العامة(٣).

والأصل في الإسلام أن الإمام هو المسؤول عن أعمال الدولة مسؤولية تامة ، فهو الذي يضع سياسة الدولة العامة ويشرف على تنفيذها ، وهو الذي يهيمن على كل أمور الدولة(٤).

وللإمام أن يستعين بالوزراء في القيام على شؤون الدولة وتوجيه أمورها ولكنهم مسؤولون أمامه عن أعماله وليس لهم سوى تنفيذ سياسته واتباع أمره.

---

(١) لسان العرب ، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري٧/٢٢١ ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، ط١.

(٢) المرجع السابق ٣/٥١٦.

(٣) انظر: النظم السياسية ، د. ثروت بدوي ،ص ١٣٥ ، ط دار النهضة العربية.

(٤) نظرية الدولة الإسلامية وآدابها في الإسلام ،د. سمير عاليه ، ص٤٥،المؤسسة الجامعية للنشر.

فالسلطة التنفيذية تشمل جميع أجهزة الإدارة سواء كانت تتبع مجلس الوزراء أو المجالس المحلية أو المؤسسات والهيئات العامة ، وبالرغم من اتساع مدلول السلطة التنفيذية إلا أن الدراسات الدستورية تعنى بمسؤولياتها العليا أي برئيس الدولة ، وبمعاونيه المباشرين[1].

السلطة التنفيذية في المملكة العربية السعودية :

أسند النظام في المملكة العربية السعودية رئاسة السلطة التنفيذية للملك حيث نصت المادة السادسة والخمسون على أن الملك هو رئيس مجلس الوزراء الذي له صلاحيات واسعة فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية وتنظيم الأجهزة الحكومية والتنسيق فيما بينها بحسب ما ينص عليه نظامه[2].

ومجلس الوزراء السعودي والأجهزة الإدارية التابعة له يعتبر السلطة التنفيذية في المملكة العربية السعودية ويخضع في ذلك لرئاسة وتوجيه الملك إذ تنص المادة (٢٥) من نظام مجلس الوزراء على أن " للمجلس باعتباره السلطة التنفيذية المهيمنة على شؤون التنفيذ" ونصت المادة (٤٤) من النظام الأساسي للحكم على أن الملك هو مرجع السلطات الثلاث في الدولة"[3].

كما أسندت السلطة التنفيذية إلى مجلس الوزراء باعتباره

---

(١) السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر الإسلامي ، د. سليمان الطماوي ص١٨٢.

(٢) السلطة التنظيمية في المملكة العربية السعودية ، د. محمد بن عبد الله المرزوقي ص١٧٧.

(٣) اختصاصات السلطة التنفيذية – دراسة مقارنة – ص ٢١ ،بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للباحث / سعد بن مشرف العمري، ١٤٢١هـ.

مكوناً من نواب رئيس مجلس الوزراء المعنيين بتنفيذ أنظمة وقرارات الدولة عبر أجهزة الدولة التي يرأسونها حسب ما نصت عليه المادتان (١٩- ٢٤) من نظام مجلس الوزراء.

ومن خلال هذا يتبين أن مجلس الوزراء يعد سلطة تنظيمية وتشريعية في الدولة من ناحية اختصاصه بإصدار التشريعات والنظم، كما يعد من ناحية أخرى ممثلاً للسلطة التنفيذية في الدولة، مع ملاحظة أن النظام منح الصفة التنظيمية لمجلس الوزراء بمجموعه وليس لآحاد الوزارات الممثلة فيه، بينما أسبغ الصفة التنفيذية للمجلس بمجموعه، فلكل وزارة أو مصلحة حكومية بمفردها بخلاف السلطة القضائية التي تتمتع باستقلالية تامة عن السلطتين.

المبحث الثالث

مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام سلطات الدولة.

المطلب الأول: مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة التشريعية
:

من المهام التي تندرج ضمن أعمال الحسبة التي تمارسها مؤسسات الدولة الرسمية والمؤسسات والجمعيات المدنية توعية المجتمع باحترام السلطة التشريعية لأن في احترامها بسط لمهابة الدولة وسلطانها ، والسلطة التشريعية في المملكة العربية السعودية كما أشرت سابقاً سلطة مركبة ما بين الملك ومجلس الوزراء ومجلس الشوري ، إضافة لهيئة كبار العلماء ، وتتركز مسؤولية الحسبة تجاه هذه السلطة من خلال الآتي :

الفرع الأول : مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام الملك :

أولى فقهاء الإسلام وعلماء الشريعة قضية الإمامة والخلافة عناية فائقة وذلك لعلو منزلة هذه السلطة التي لا يستقيم أمر الدين والدنيا إلا من خلالها ومن هنا عُدَّ موضوع الإمامة وما يتعلق به أصلاً من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ ، لأن الفساد في القتال ، والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفاسدين بالتزام أدناهما ، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على

ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته(1).

وعظمت الشريعة الإسلامية شأن ولاية أمر المسلمين وأولتها اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة؛ لأنه لا يمكن أن تستقيم حياة الناس إلا بإمام وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

ولهذا أصبح موضوع الإمامة وما يتعلق به، أصلاً من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة.

وبالتالي يتحتم على الجهات التي تباشر أعمال الاحتساب أن يكون لها دور فاعل في تجلية المفاهيم المغلوطة والأفكار الدخيلة حول موضوع الولاية، خصوصاً في هذه المرحلة التي تعج بأطروحات وأفكار تهدف إلى النيل من ولاة الأمر، والتنقص من حقهم، والدعوة من قبل فئة ضالة بالخروج عليهم.

والحسبة تمنع ظهور الأفكار المتطرفة؛ لأن وجود الفساد وظهوره وجرأته يستفز أهل الاستقامة؛ فإما أن يغيروا المنكر بأنفسهم وهذا ما لا تحمد نتائجه، وقد يفضي إلى مفاسد كثيرة، وإما أن تقوم بهذه العمل جهات مسؤولة ولها أن تتعاون مع المصلحين في المجتمعات لمنع الفساد، وبالتالي سلامة المجتمع من الفساد وقطع الطريق أمام

---

(1) منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ٣٩١/٣، دار النشر: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦، ط١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

الأفكار والأعمال المتطرفة[١].

ومن الجهود المبذولة في هذا الباب ما يقوم به مركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية من جهود تندرج ضمن أعمال الاحتساب على أصحاب الفكر المنحرف، وذلك من خلال استيعاب المتورّطين في الفكر الضال وإعادة دمجهم في المجتمع وتصحيح مفاهيمهم عن طريق الاستفادة من برامج المركز المختلفة والوصول بالمستفيدين منه لمستوى فكري آمن ومتوازن لهم ولمجتمعهم ،ومساعدتهم أيضاً على مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية التي قد تواجههم بعد إكمال تنفيذ الأحكام القضائية الصادرة بحقهم، كما تساعد برامج المركز من غرر بهم لإدراك أخطائهم والعودة لجادة الصواب، والاندماج بالمجتمع مواطنين صالحين ومنتجين لصالحهم وأسرهم ووطنهم[٢].

كما يحمد لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد مبادرتها في تولي هذا الجانب من خلال تبنيها لحملة السكينة [٣] على

---

(١) انظر :، دور الحسبة في حفظ المجتمعات وخطورة تركها، الشيخ محمد سيد حاج موقع : صيد الخاطر http://www.saaid.net/alsafinh/22.htm.

(٢) انظر : جريدة الرياض ، الأحد ٢٧ رجب ١٤٣٣ هـ - ١٧ يونيو ٢٠١٢م - العدد ١٦٠٦٤.

(٣) تقومُ فكرة الحملة على الانتشار في مواقع ومنتديات ومجموعات الإنترنت ، وذلك عبر فريق عمل مُختلِف التخصصات، يُحقق بتكامله أهداف الحملة عبر الوسائل والأساليب المُناسبة والمؤثِّرة . على أن تكون صفة الانتشار والتعامل مع الجمهور صفة شخصيّة وديّة ، ومن خلال هذه المواقع والمنتديات يتم بث المفاهيم الصحيحة ومُناقشة الأفكار المُنحرفة ، قد يكون هذا النقاش علناً أو عبر الرسائل الخاصّة أو برامج المحادثة الثنائية ، وتُركّز على المضمون الشرعي بالإضافة إلى الأدب في الحوار ومُراعاة التفاوت في ثقافة المُخاطَبين وقد حظيت الحملة برعاية مباشرة من معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف

الشبكة المعلوماتية التي تهدف للاحتساب على أصحاب الأفكار المنحرفة بواسطة مجموعة من العلماء وطلبة العلم المتمكنين والذين تصدروا لمحاورتهم بأسلوب حواري حضاري رصين، ينطلق من أصول الشريعة وثوابتها ، وقد كان لانتهاج الوزارة لهذا المنهج من خلال هذا الموقع المتميز أثر بالغ في تصحيح الأفهام المغلوطة، والأفكار المنحرفة لدى العديد من معتنقي الفكر الذي ينادي بالخروج على الدولة، والنيل من الحكام ، والحط من قدرهم ، ومكانتهم[1].

ومما يجب على العلماء والدعاة على وجه الخصوص القيام بواجب النصح للأمة والتواصل مع الولاة ونصحهم وبيان الحق لهم تحقيقاً لقوله ﷺ : "الدين النصيحة . قيل : لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابة ولأئمة المسلمين وعامتهم"[2].

فقيام العلماء والدعاة بهذا الواجب الشرعي يعد نوعاً من أنواع

والدعوة والإرشاد معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – حفظه الله – وجعلت توجيهاته مسارات لحركة الحوار داخل المواقع والمنتديات ومنارات لفكر الحملة وطريقتها. انظر: http://www.assakina.com/about.php#ixzz1snxnmMDw

(١) عدد الذين تراجعوا (١،٥٠٠) ، من أصل (٣،٢٥٠) تمت محاورتهم ومناقشتهم عبر المنتديات والمواقع وبرامج المحادثة المباشرة.

- (٥٠٪) منهم في منطقة الخليج، و(٣٠ ٪ من الدول العربية المجاورة) و(٢٠ ٪) من أوروبا وأمريكا.
- (٤٠٪) من المتراجعين تراجعوا تراجعاً تاماً عن كل أو أغلب الأفكار المنحرفة، و(٦٠٪) تراجعوا عن أخطر الأفكار الإرهابية وأكثرها ضرراً.

انظر : http://www.assakina.com/about.php#ixzz1so1lrEIA

(٢) رواه مسلم في (الإيمان) باب بيان أن الدين النصيحة برقم ٥٥.

الاحتساب الذي يسد الباب على من أراد شق صف الأمة والخروج على ولاتها.

الفرع الثاني : مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام مجلس الوزراء :

مجلس الوزراء :

- **تعريف مجلس الوزراء :** هو هيئة نظامية تتولى الإدارة المركزية في المملكة ويرأسها الملك ومدته لا تزيد عن أربع سنوات وينظمه حالياً نظام مجلس الوزراء الصادر عام ١٤١٤هـ مقره مدينة الرياض ويجوز عقد جلساته في جهة أخرى من المملكة.

ويتشكل مجلس الوزراء من :

١- الملك رئيساً للمجلس. ٢- نواب رئيس المجلس.

٣- الوزراء العاملين . ٤- وزراء الدولة.

٥- مستشاري الملك الذين يتم تصنيفهم بأمر ملكي .

يعد مجلس الوزراء سلطة مستقلة لها مقامها الذي يجب أن يحفظ، وهيبتها التي ينبغي أن تصان ، ليبقى لهذا الكيان هيبته وسلطانه ، ومن هذا المنطلق صدر الأمر السامي الكريم رقم: أ/٩٣وتاريخ : ١٤٣٢/٥/٢٥هـ القاضي بحظر التعرض أو المساس بالسمعة أو الكرامة أو التجريح أو الإساءة الشخصية إلى مفتي عام المملكة أو أعضاء هيئة كبار العلماء أو رجال الدولة أو أياً من موظفيها أو أي شخص من ذوي الصفة الطبيعية أو الاعتبارية الخاصة. ونص الأمر الملكي على معاقبة كل من يخالف أحكام هذا النظام بواحدة أو أكثر من العقوبات التالية : غرامة لا تزيد على خمسمائة

ألف ريال ، وتضاعف الغرامة إذا تكررت المخالفة، أو إيقاف المخالف عن الكتابة في جميع الصحف والمطبوعات ، أو عن المشاركة الإعلامية من خلال القنوات القضائية ، أو عنهما معاً، أو إغلاق أو حجب محل المخالفة مؤقتاً أو نهائياً ، فإن كان محل المخالفة صحيفة فيكون تنفيذ قرار الإغلاق بموافقة رئيس مجلس الوزراء ، وإن كان محلها صحيفة الكترونية أو موقعاً ونحو ذلك فيكون تنفيذ قرار الإغلاق أو الحجب من صلاحية الوزير، أو نشر اعتذار من المخالف في المطبوعة - إذا كانت مخالفته نشر معلومات مغلوطة أو اتهامات تجاه المذكورين في الفقرة (٣) من المادة (التاسعة) من هذا النظام - وفق الصيغة التي تراها اللجنة وعلى نفقته الخاصة وفي نفس المكان الذي نشرت فيه المخالفة.

كما أن من حق الوزراء على أفراد المجتمع ومؤسساته الرسمية والمدنية إعانتهم على أداء الأمانة التي تحملوها من خلال التواصل معهم ونقدهم والاحتساب عليهم بكافة الوسائل الشرعية المتاحة تحقيقاً لمبدأ النصيحة الذي أكد عليه المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بقوله " الدين النصيحة..." وذلك سعياً للارتقاء بعمل وزاراتهم وتحسين مستوى الأداء بما يحقق النفع والصالح العام للبلاد والعباد ويحول دون تفشي المنكرات الظاهرة[1].

---

(١) مثال ذلك ما قام به أكثر من ٢٠٠ من الدعاة والمحتسبين الذين اجتمعوا بوزير العمل بشأن ما يتعلق بمسألة اختلاط المرأة مع الرجال في المحلات النسائية . انظر : جريدة الرياض العدد ١٦٢٥٦ الصادر يوم الأربعاء ١٣ صفر ١٤٣٤ هـ - ٢٦ ديسمبر ٢٠١٢م - .

الفرع الثالث : مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام مجلس الشورى :

تعريف الشورى :

تعريف الشورى في اللغة :

قال ابن منظور في : الشورى والمشورة بضم الشين ، مفعُله ، ولا تكون مفعولة لأنها مصدر وتقول منه : شاورته في الأمر واستشرته بمعنى . وفلان خير شير أي يصلح للمشاورة وشاوره مشاورة وشواراً ، واستشارة : طلب منه المشورة ... ويقال فلان وزير فلان وشيره أي مشاورة وجمعه شوراء(1) .

تعريف الشورى في الاصطلاح :

قال ابن العربي: هي الاجتماع على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده(2).

ويمكن تعريفها بأنها: استخراج الرأي من أهل الاختصاص بقصد التوصل إلى الصواب أو إلى موقف قريب منه(3).

أعضاء مجلس الشورى:

يعد مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية أحد سلطات

---

(1) انظر: لسان العرب ٤ / ٤٣٧.

(2) أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ٣٨٩/١، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

(3) آراء في الدعوة والحركة ، د. صلاح الدين النكدلي ١٠/١ ، الناشر : الدار الإسلامية للإعلام ،الطبعة الشبكية الأولى١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

الدولة التي حددها النظام الأساسي للحكم ويقوم على الاعتصام بحبل الله والالتزام بمصادر التشريع الإسلامي ، ويحرص أعضاء المجلس على خدمة الصالح العام، والحفاظ على وحدة الجماعة ، وكيان الدولة ، ومصالح الأمة ويتكون من رئيس ومائة وخمسين عضواً يختارهم الملك من أهل العلم والخبرة والاختصاص[1].

صلاحيات مجلس الشورى واختصاصاته :

أولاً- الدور التنظيمي (التشريعي) :

تتم ممارسة هذه الوظائف من خلال دراسة مشروعات الأنظمة واللوائح المحالة من الحكومة ، ويبدي رأيه فيها ، ويدخل ما يراه من تعديل كما أن له تفسير الأنظمة وفق المادة الخامسة عشرة .

كما تخول المادة الثالثة والعشرون من النظام حق التقدم باقتراح مشروع نظام، حيث تُعطى السلطة التنظيمية حق اقتراح مشروعات الأنظمة (القوانين) ، وفي مجلس الشورى هذا الحق يملكه كل عشرة أعضاء باقتراح نظام جديد ، أو تعديل نظام نافذ .

ثانياً: دراسة المعاهدات والاتفاقيات الدولية .

ثالثاً: الدور الرقابي :

يمارس مجلس الشورى دوره الرقابي على الأداء الحكومي من خلال الوسائل الآتية :

١- إبداء الرأي في السياسات العامة للدولة .

---

(١) موقع مجلس الشورى على شبكة الإنترنت .
http://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/publications/faq

٢- مناقشة الخطة العامة للتنمية .

٣- مناقشة التقارير السنوية للوزارات والأجهزة الحكومية .

٤- استدعاء المسؤولين الحكوميين .

رابعاً- اقتراح مشروع نظام (قانون) .

إن هذا النوع من الاختصاصات يمارسه مجلس الشورى وفق مادته الثالثة والعشرين والتي تعطي كل عشرة أعضاء حق اقتراح مشروع نظام جديد ، أو تعديل نظام نافذ[1].

فأعضاء مجلس الشورى يمثلون المجتمع ويسعون للمطالبة بحقوقه وتلمس احتياجاته ، ويتتبعون أداء أعمال الوزارات والجهات الحكومية ويقومونها ويستدركون عليها سعياً لتقديم أفضل الخدمات لأفراد المجتمع ، وبالتالي فإن أعضاء مجلس الشورى يضطلعون بمهام جسام نيابة عن المجتمع.

ومع ما يضطلع به المجلس من مهام جسام إلا أنه – بوضعه الحالي – يوجه له بعض النقد ، ومن ذلك ما جاء في التقرير الثاني للجمعية الوطنية لحقوق الإنسان الذي تضمن أن المجلس لم يشهد أي تطور إيجابي تجاه توسيع المشاركة وتعزيز دوره الرقابي على أجهزة ومؤسسات السلطة التنفيذية، وكان تحركه محدوداً بسبب افتقاره للصلاحيات اللازمة فيما يتعلق بمعالجة ما تعرض له المجتمع من

---

(١) انظر : الشورى في الإسلام (ممارسة نيابية) تجربة المملكة العربية السعودية إعداد :إدارة المعلومات بمجلس الشورى الطبعة الأولى الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

مشاكل ألحقت الضرر بالأوضاع المعيشية للمواطنين"[1] ، وهذا من الاحتساب المحمود الذي يسهم في تصحيح مسار المجلس وتطوير مستوى أداء عمله بما يحقق طموحات وتطلعات أفراد المجتمع الذي يمثلونه.

كما أن وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تمارس دوراً حضارياً في الاحتساب على المجلس من خلال تحفيز الأعضاء على القيام بمهامهم بوصفهم صوتاً للمواطنين يفترض أن يعايشوا همومهم ويتلمسوا احتياجاتهم[2].

وبالتالي فإن على جهات الحسبة ومؤسساتها الرسمية والمدنية أن تسعى لتبصير أفراد المجتمع بمهام المجلس وجهوده ، وأن تسعى لتوفير وسائل تواصل ميسرة تسهل التواصل ما بين أفراد المجتمع وأعضاء مجلس الشورى وتسهم في إيصال احتياجات ومطالب أفراد المجتمع لمجلس الشورى لإعانة الأعضاء على القيام بمهامهم المسندة إليهم.

الفرع الرابع : مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام العلماء :

تعريف العلماء:

المقصود بالعلماء الذين جاء ذكرهم في قوله عز وجل:

---

(١) انظر : جريدة اليوم ، خبر تحت عنوان " «حقوق الإنسان» تتهم «الشورى» بالفشل في معالجة الأزمات " الخميس ١٥ شعبان ١٤٣٣ هـ - ٥ يوليو (تموز) ٢٠١٢م.

(٢) مثال ذلك مقالة الكاتب بصحيفة الوطن محمد الرطيان المعنونة بـ " "من المواطن محمد إلى أعضاء الشورى مع التحية" المنشورة يوم السبت الماضي ٤- ٨- ٢٠٠٧م التي تناولتها بالتحليل قناة العربية انظر : الموقع الإلكتروني لقناة العربيةhttp://www.alarabiya.net/articles/2007/08/07/37596.html.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[١] هم الذين يخافون قدرته فمن علم أنه - عز وجل - قدير أيقن بمعاقبته على المعصية، كما روي علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ قال : الذين علموا أن الله على كل شيء قدير . وقال الربيع ابن أنس : من لم يخش الله تعالى فليس بعالم وقال مجاهد : إنما العالم من خشى الله عز وجل وعن ابن مسعود : كفى بخشية الله تعالى علما وبالاغترار جهلاً[٢] .

وقد أبان سبحانه وتعالى رفعة مقامهم وعلو منزلتهم، بقوله سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾[٣] قال ابن حجر : قيل في تفسيرها يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ورفعة الدرجات تدل على الفضل إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترتفع الدرجات ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة[٤].

ومن هنا عظمت الشريعة الإسلامية حقهم وأعلت منزلتهم فقد

(١) سورة فاطر جزء من الآية (٢٨).

(٢)الجامع لأحكام القرآن ، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي١٤ / ٣٤٣ ، دار النشر : دار الشعب – القاهرة.

(٣) سورة المجادلة الآية (١١).

(٤)فتح الباري شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ١ /١٤١ ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب.

قال عليه الصلاة والسلام: " من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر، على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

قال الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى - : وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل [2].

وقال الإمام الحافظ ابن عساكر –رحمه الله - : اعلم يا أخي وفقك الله وإيانا وهداك سبيل الخير وهدانا أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[3][4].

---

(١) رواه أحمد ح ٢١٢٠٧ عن أبي الدرداء ﷺ.

(٢) متن العقيدة الطحاوية ، أبو جعفر الطحاوي١/٥٨ ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ط١ ، تحقيق :العلامة: محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) سورة النور الآية٦٣.

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيثمي١/٢١٦ ، دار النشر : المكتبة العصرية - لبنان / صيدا - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ط٢ ، تحقيق : تم التحقيق والاعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

ولكون العلماء يعدون من أولي الأمر الذين أمرنا الله عز وجل بالرجوع لهم والصدور عن قولهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

فقد اعتنت المملكة العربية السعودية بالعلماء عناية خاصة منذ تأسيس الدولة إلى زماننا الحاضر وسعت لتأسيس هيئة شرعية عليا تحت مسمى " هيئة كبار العلماء" التي تعد أعلى سلطة شرعية في المملكة يرأسها المفتي العام وهي مخولة بإصدار الفتاوى وإبداء رأي الشرع في أمور الدين والحياة.

وقد صدر مرسوم ملكي بتشكيلها، وتضمن المرسوم تكوين الهيئة من عدد من كبار المختصين في الشريعة الإسلامية من السعوديين، ويجري اختيارهم بأمر ملكي، ويجوز عند الاقتضاء وبأمر ملكي إلحاق أعضاء بالهيئة من غير السعوديين ممن تتوفر فيهم صفات العلماء السلفيين. وتتولى الهيئة إبداء الرأي فيما يحال إليها من ولي الأمر من أجل بحثه، وتكوين الرأي المستند إلى الأدلة الشرعية فيه، كما تقوم بالتوصية في القضايا الدينية المتعلقة بتقرير أحكام عامة؛ ليسترشد بها ولي الأمر، وذلك بناء على بحوث يجرى تهيئتها وإعدادها طبقاً لما نص عليه الأمر المشار إليه، واللائحة المرافقة له. ويتفرع عن الهيئة لجنة دائمة متفرغة اختير أعضاؤها من بين أعضاء

---

(١) سورة النساء آية ١٠٣.

الهيئة بأمر ملكي، وتكون مهمتها إعداد البحوث وتهيئتها للمناقشة من قبل الهيئة، وإصدار الفتاوى في الشؤون الفردية، وذلك بالإجابة عن أسئلة المستفتين في شؤون العقائد والعبادات والمعاملات الشخصية، وتسمى(اللجنة الدائمة للبحوث والفتوى) ويلحق بها عدد من البحاث[1].

وقد شنت بعض الجهات الإعلامية ، وفئات من أصحاب الفكر المنحرف[2] حملة تهدف للنيل من هذه المؤسسة الشرعية العليا والحط من قدر المنتسبين إليها من كبار العلماء مما دفع ولي الأمر – يحفظه الله – لإصدار الأمر السامي الكريم رقم : أ/٩٣ وتاريخ : ١٤٣٢/٥/٢٥هـ القاضي بحظر التعرض أو المساس بالسمعة أو الكرامة أو التجريح أو الإساءة الشخصية إلى مفتي عام المملكة أو أعضاء هيئة كبار العلماء أو رجال الدولة أو أياً من موظفيها أو أي شخص من ذوي الصفة الطبيعية أو الاعتبارية الخاصة الذي سبق الإشارة إليه.

وهذا الموقف الصارم من ولي الأمر – يحفظه الله – ساهم في الحد من التطاول على العلماء والنيل منهم عبر وسائل الاعلام المختلفة، كما أنه فتح مجالاً للاحتساب على كل فرد أو جهة تتطاول على العلماء أو ينتقص من قدرهم .

(١) انظر :المرسوم الملكي رقم(أ/١٣٧) في ١٣٩١/٧/٨هـ ، الأمر الملكي رقم(أ/٨٨) وتاريخ ١٤٢٢/٣/٦هـ.

(٢) انظر : مقالة الصحفي بجريدة الجزيرة / حماد السالمي المنشور يوم الخميس ١٢ شوال ١٤٣٠ بالعدد ١٣٥١٧ تحت عنوان: نعرف جيداً أنّ للتطرف والتشدد في بلادنا (هيئة لكبار المشاغبين والمحاربين).

المطلب الثاني

مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة القضائية

تكتسب السلطة القضائية أهميتها ومكانتها الرفيعة باعتبارها السلطة التي تضمن كفالة واحترام حقوق الإنسان وحماية مصالح الأفراد والجماعات، ولكونها الجهة التي تحقق سيادة الشريعة وتساوي الجميع أمامها ، ويترتب على علو هذه المكانة ورفعتها استقلال ونزاهة القضاء بشكل تام .

فالسلطة القضائية أهم سلطة حاكمة في البلاد ومن هذا المنطلق نجد أن الدولة أولتها رعاية وعناية خاصة ابتداءً من تعيين القضاة مروراً بما يتمتعون به من حصانة ومكانة واستقلالية وانتهاءً بالإعفاء من هذه السلطة الذي لا يتم إلا عن طريق أعلى سلطة حاكمة في الدولة وهو الملك مما يضفى مقاماً خاصاً للمنتمين لهذه السلطة العدلية.

لأجل هذا فإن جهات الحسبة منوط بها توعية المجتمع بمكانتهم ولزوم الامتثال لأحكامهم وتحاشي النيل من أعراضهم والافتئات عليهم، خصوصاً في ظل ما طرأ مؤخراً من تصدر بعض وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وبعض الصحف للنيل من مكانتهم وتضخيم أخطائهم وتشويه سمعتهم والتطاول على أحكامهم، والذي يعد تطاولاً على أحكام الشرع المطهر الذي يستمد منه القضاة أحكامهم وفقاً لما نصت عليه المادة(٤٦)[١] من النظام الأساسي للحكم.

---

(١) ونصها " القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية".

فالقاضي الشرعي ملزم بالتقيد بأحكام الشريعة الغراء التي تعبدنا الله - عز وجل - بالتحاكم إليها كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

والقاضي يستمد حكمه في الخصومات والقضايا التي ينظرها من شريعة الله تبارك وتعالى التي تعبدنا الله عز وجل بالامتثال لها كما في قوله - عز وجل- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[2]. وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

ومع ذلك فإن اجتهاده قابل للخطأ والصواب وقد أبان عليه الصلاة والسلام ذلك بقوله "إذا حكَمَ الحَاكِمُ فَاجتَهَدَ ثمَّ أصَابَ فلَهُ أجرَانِ وإذا حكَمَ فَاجتَهَدَ ثمَّ أَخطَأَ فلَهُ أجرٌ"[4].

إلا أن الاجتهاد الخاطئ من القاضي – إن وقع – فإنه لا يقابل بالتشهير والتندر والازدراء ؛ لأن في ذلك نيل من الشريعة وتطاول على سلطة القضاء التي تمثل سلطان الدولة.

وقد حذَّر معالي وزير العدل د. محمد العيسى، من أسلوب الإثارة الإعلامية في تناول الموضوعات القضائية، وقال: الإثارة لا تكون على

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ .

(٢) سورة النساء ٦٥ آية .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(٤) رواه البخاري باب أجرِ الحَاكِمِ إذا اجتَهَدَ فأَصَابَ أو أَخطَأَ٦ / ٢٦٧٦ ح٦٩١٩ .

حساب سمعة جهاز العدالة، وإن الكثير مما يُنشر في الصحف ضد القضاة يكون كيدياً من بعض مَنْ حُكم عليهم في المحاكم، وإن القاضي مستهدَف بالنقد من بعض الظلمة وآكلي أموال الناس وسالبي حقوقهم بالباطل. وهدد الوزير بعدم ترك ذلك، وقال "سنأخذ بحق القضاء؛ فما ينال القاضي في شخصه يمثل لنا حقاً عاماً؛ لأنه يطول القضاء". وأشار إلى صدور أحكام قضائية صارمة ضد المتجاوزين على القضاة في كثير من دول العالم، تؤدي إلى إفلاس بعض المؤسسات المتسببة، ويؤول مصير أفرادها إلى الحكم الجزائي[1].

لذا فجهات الاحتساب[2] - كل حسب اختصاصه - منوط بهم التصدي لكل من سعى للنيل من القضاء الشرعي وقضاة الشريعة والأخذ على يديه وردعه حماية لكيان السلطة القضائية.

---

(١) صحيفة نون الالكترونية - الأربعاء ١١ / ٠١ / ٢٠١٢ . خبر بعنوان: وزير العدل يحذر من التطاول على القضاء والقضاة للإثارة الإعلامية .

(٢) من وجهة نظري أن مسؤولية تحريك الدعوى منوطة بهيئة التحقيق والادعاء العام بوصفها جهة الادعاء العام في الدولة التي تملك حق تحريك الدعاوى القضائية الخاصة بالشأن العام، إضافة للجهات القضائية التي تعرضت للتجريح والقدح دون وجه حق فإن لها تحريك الدعوى والمطالبة بمحاسبة المخالف أمام الجهات القضائية المختصة.

المطلب الثالث

مسؤولية الحسبة في توعية المجتمع باحترام السلطة التنفيذية

بحكم أن السلطة التنفيذية هي من يمثل الدولة في مباشرة تنفيذ وتطبيق الأنظمة والأحكام؛ فإن هذا يستلزم أن يكون لها هيبة في نفوس أفراد المجتمع تدفع إلى الامتثال لأمرها والتزام توجيهاتها، ومن هذا المنطلق نجد أن المنظم السعودي حرص على الاهتمام برجال السلطة في الدولة حيث جاء تعريف رجال السلطة العامة في المملكة العربية السعودية في نظام عقوبات انتحال صفة رجل السلطة العامة في مادته الأولى من النظام الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٤٦ وتاريخ ١٤٠٨/٩/٨هـ بأنه " كل من يخوله النظام سلطة تنفيذ الأوامر والتعليمات وضبط المخالفات التي تقع في دائرة اختصاصه"[(١)].

وحرصاً من المنظم على عدم المساس بشخصية رجل السلطة أو النيل منها فقد أدرجت قضايا الاعتداء على رجال السلطة ضمن الجرائم الموجبة للتوقيف وفقاً للقرار الصادر من صاحب السمو الملكي وزير الداخلية رقم١٩٠٠ وتاريخ ١٤٢٨/٧/٩هـ[(٢)(٣)].

وقد سن المنظم السعودي عقوبات رادعة في حق من انتحل صفة رجل السلطة العامة حيث نصت المادة الثانية من نظام عقوبات انتحال صفة رجل السلطة العامة على أن " كل من انتحل صفة رجل السلطة

(١) انظر : نظام عقوبات انتحال صفة رجل السلطة العامة ، الناشر هيئة الخبراء بمجلس الوزراء ، مطابع الحكومة.

(٢)جاء في الفقرة (١١) من القرار : الاعتداء على رجل الأمن أثناء مباشرته مهام وظيفته، أو الإضرار بمركبته الرسمية، أو بما يستخدمه من تجهيزات.

(٣) موقع وزارة الداخلية.

العامة يُعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات، أو بغرامة لا تزيد على خمسين ألف ريال أو بهما معاً فإذا كان ارتكاب الجريمة مصحوباً بالإرهاب، أو الاستغلال، أو كان من انتحلت صفته من رجال المباحث أو الاستخبارات، أو أحد العسكريين أو من في حكمهم فيعاقب الفاعل بالسجن مدة لا تتجاوز عشر سنوات، أو بغرامة لا تزيد على مائة وخمسين ألف ريال، أو بهما معاً[1].

إن لجريمة انتحال صفة رجل السلطة العامة أثر في إخلال ثقة المواطنين والمقيمين في رجال السلطة العامة ، سواءً كانوا رجال أمن أو مباحث أو وظيفة عامة ، مما يؤثر سلباً على المجتمع ككل[2].

وبالتالي فإن جهات الاحتساب منوط بها زرع ثقافة احترام الأنظمة والتشريعات ورجال السلطة في نفوس الناس كافة ، ويتأتى ذلك من خلال تربية النشء على احترام السلطة والممثلين لها عسكريين كانوا أم مدنيين ، وذلك من خلال إدراج هذه المفاهيم ضمن مناهج التعليم ، كما يقع على الوالدين المسؤولية في هذا الباب كونهم قدوات لأبنائهم يحتذون بهم ويسيرون على نهجهم ، وتشاطر مؤسسة التنشئة الاجتماعية الأخرى كالمسجد والسوق والإعلام بقية المؤسسات كونها تسهم بشكل فاعل في نشر هذه الثقافة في أوساط المجتمع وبين كافة شرائحه.

---

(١) انظر : نظام عقوبات انتحال صفة رجل السلطة العامة ، الناشر هيئة الخبراء بمجلس الوزراء ، مطابع الحكومة.

(٢) انظر : جريمة انتحال صفة رجل السلطة العامة بين الشريعة والأنظمة المعاصرة دراسة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير في العدالة الجنائية من جامعة نايف ، للباحث: عبد الله بن عبد العزيز المطرودي ص٧ ، الرياض، ١٤٢٣هـ.

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج :

١- اتساع أعمال الحسبة في الشريعة الإسلامية.

٢- تنوع أساليب ووسائل الاحتساب التي يمكن لمؤسسات الاحتساب الرسمية والمدنية إيصال رسالتها من خلالها.

٣- ضرورة توعية أفراد المجتمع باحترام سلطات الدولة التي تمثلها.

٤- عدم وجود تشريعات كافية تحفظ لسلطات الدولة مكانتها في المجتمع.

٥- تمادي بعض وسائل الإعلام في التطاول على سلطات الدولة نتيجة لضعف التشريعات وعدم تفعيل القائم منها.

٦- إن لوسائل الإعلام دور بارز في نشر ثقافة احترام سلطات الدولة.

٧- عدم تضمين المناهج الدراسية لموضوعات تسهم في تعزيز ثقافة احترام سلطات الدولة في نفوس الطلاب والطالبات.

ثانياً : التوصيات :

١- سن تشريعات وأنظمة تعنى بحفظ حقوق سلطات الدولة.

٢- المساهمة في نشر ثقافة احترام سلطات الدولة ومؤسساتها من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والمواقع الالكترونية.

٣- أن تتبنى وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي إدراج مفردات تتناول احترام سلطات الدولة في المناهج والمقررات الدراسية.

٤- تنظيم حملات توعوية مكثفة تعنى بنشر ثقافة احترام سلطات الدولة.

٥- تشجيع النقد الهادف للسلطات الذي يسهم في تلاشي الأخطاء،

وتطوير وسائل التواصل وأساليبه مع أفراد المجتمع.

٦- التوسع في إقامة الندوات والملتقيات والمؤتمرات العلمية التي تعنى بموضوعات الحسبة ، وتطوير أدائها بما ينسجم مع وسائل الاتصال والتواصل الحديثة.

المراجع والمصادر

١- أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

٢- اختصاصات السلطة التنفيذية – دراسة مقارنة – ،بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للباحث / سعد بن مشرف العمري، ١٤٢١هـ.

٣- آراء في الدعوة والحركة ، د. صلاح الدين النكدلي ، الناشر : الدار الإسلامية للإعلام ،الطبعة الشبكية الأولى١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ط١ ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي.

٥- أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة" د. محمد كمال الدين إمام،دار الهداية، مصر.

٦- الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ ، ط٢ ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

٧- الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤ ، ط١ ، تحقيق : د. سيد الجميلي.

٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ ، ط١ ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

٩- الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢ ، ط١ ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

١٠- البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر : مكتبة المعارف - بيروت.

١١- الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ،ط٣ ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

١٢- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار النشر : دار الشعب - القاهرة.

١٣- الحسبة في النظام الإسلامي: أصولها الشرعية وتطبيقاتها العملية ، إدريس محمد عثمان ، رسالة ماجستير.

١٤- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيثمي، دار النشر : المكتبة العصرية - لبنان / صيدا - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ط٢ ، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

١٥- السلطات الثلاث في الاسلام "التشريع- القضاء- التنفيذ" ، عبد الوهاب خلاف، ،ط٢، ١٤٠٥هـ دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

١٦- السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر الإسلامي "دراسة مقارنة" ،د. سليمان محمد الطماوي.

١٧- السلطة التنظيمية في المملكة العربية السعودية ، د. محمد بن عبد الله المرزوقي ، ط١ ،١٤٢٥هـ ،مكتبة العبيكان، الرياض.

١٨- السياسة الدستورية للدولة الإسلامية، د. إبراهيم النجار، رسالة دكتوراه سنة ١٩٣٦م، بمكتبة كلية الشريعة والقانون بالقاهرة.

١٩- الشورى في الإسلام (ممارسة نيابية) تجربة المملكة العربية السعودية إعداد :إدارة المعلومات بمجلس الشورى ،ط١، الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٠- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر : مطبعة المدني - القاهرة ، تحقيق : د. محمد جميل غازي.

٢١- المحلى ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، دار النشر : دار الآفاق الجديدة - بيروت ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي.
٢٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت.
٢٣- القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٤- المعجم الوسيط ؛ إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية.
٢٥- النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر السامي الكريم رقم ٩٠/أ في ١٤١٢/٨/٢٧هـ.
٢٦- النظم السياسية ، د. ثروت بدوي ، ط دار النهضة العربية.
٢٧- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين .
٢٨- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ط١ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.
٢٩- تلبيس إبليس ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ، ط١ ، تحقيق : د. السيد الجميلي.
٣٠- تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، ط١.
٣١- تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ، ط١ ، تحقيق : د. بشار عواد معروف.

٣٢- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م ، ط١.

٣٣- جريدة الاقتصادية ،العدد ٥٩٦٧ الصادر بتاريخ ١٤٣١/٢/٢٧هـ.

٣٤- جريدة الرياض العدد ١٥٨٩٢ الصادر يوم الاربعاء ٣ صفر ١٤٣٣هـ .

٣٥- جريدة اليوم العدد الصادر يوم" الخميس ١٥ شعبان ١٤٣٣ - ٥ يوليو (تموز) ٢٠١٢.

٣٦- جريدة الجزيرة العدد ١٣٥١٧ الصادر يوم الخميس ١٢ شوال ١٤٣٠.

٣٧- موقع المفكرة القضائية على شبكة الانترنت .

٣٨- موقع حملة السكينة :
http://www.assakina.com/about.php#ixzz1snxnmMDw

٣٩- موقع : صيد الخاطرhttp://www.saaid.net/alsafinh/22.htm.

٤٠- الموقع الإلكتروني لقناة العربية
http://www.alarabiya.net/articles/2007/08/07/37596.html

٤١- صحيفة نون الالكترونية - الأربعاء ١١ / ٠١ / ٢٠١٢ .

٤٢- موقع وزارة الداخلية على شبكة الانترنت.

٤٣- موقع مجلس الشورى على شبكة الانترنت
http://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/publications/faq

٤٤- جريمة انتحال صفة رجل السلطة العامة بين الشريعة والأنظمة المعاصرة دراسة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير في العدالة الجنائية من جامعة نايف، للباحث: عبد الله بن عبد العزيز المطرودي ، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٤٥- خطبة الحاجة– محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي – بيروت ط٣- ١٣٩٧هـ.

٤٦- صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، دار النشر : وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨١ ، تحقيق : عبد القادر زكار.

٤٧- صحيح مسلم بشرح النووي ، يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ ، ط٢.

٤٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب.

٤٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ،دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ، ط١ ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

٥٠- متن العقيدة الطحاوية ، أبو جعفر الطحاوي، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ط١ ، تحقيق :العلامة: محمد ناصر الدين الألباني.

٥١- مجلة البيان ، العدد ٢٨٠ الصادر بتاريخ ١٤٣١/١٢/٢١هـ.

٥٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، ط٢ ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٥٣- معالم القربة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، دار النشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٧٦ ، ط١ ، تحقيق : د.محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي.

٥٤- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار النشر : دار القلم - بيروت - ١٩٨٤ ، ط٥.

٥٥- منهاج السنة النبوية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ،دار النشر : مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦ ، ط١ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

٥٦- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر : دار صادر - بيروت ، ط١.

٥٧- نظام الحسبة في الإسلام ، دراسة مقارنة ، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد

، دراسة نال بها مقدمها درجة (الماجستير) بامتياز من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي ١٩٩٣ هـ بإشراف د. عبد العال أحمد عطوة .

٥٨- نظام عقوبات انتحال صفة رجل السلطة العامة ، الناشر هيئة الخبراء بمجلس الوزراء ، مطابع الحكومة.

٥٩- نظرية الدولة الإسلامية وآدابها في الإسلام ، د. سمير عاليه، المؤسسة الجامعية للنشر.

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

1. تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
2. تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
3. تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
4. تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
5. تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

بصيرة

مطابع الجامعة

ردمك : ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد الخامس
محرم ١٤٣٣هـ

العدد الخامس
محرم ١٤٣٣هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة

الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد الخامس

محرم ١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمك: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

البحث رقم (١)

السمات الفكرية والتكوين المعرفي لدعاة الباطل المعاصرين

إعداد

د.محمد بن خالد البداح

ملخص البحث:

سعت العديد من الدراسات لبيان ما ينبغي أن يتصف به الدعاة إلى الله تعالى، إلا أن أياً من تلك الدراسات لم تتطرق للحديث عن دعوات الباطل والضلال وسمات من يدعون لها، فأتت هذه الدراسة التي تعد من بحوث الأضداد كما قال الشاعر العربي المتنبي:

وَنَذيمُهُمْ وبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ   وبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأشْياءُ

وهدفت هذه الدراسة لبيان مفهوم دعاة الباطل وسماتهم، وقد تم التطرق لجملة من السمات الفكرية والمعرفية التي يتسمون بها، مع الاستدلال على ذلك بما ورد في الكتاب والسنة مما يبين فساد منهجهم وضلالهم وبعدهم عن منهج الحق، مع محاولة التعرف على أبرز سبلهم في الدعوة لمنهجهم الباطل ليحذرها أهل الإيمان ويجتنبوها.

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يعد موضوع البحث في سمات دعاة الباطل وما اتصفوا به من الصفات أحد الموضوعات التي تحتاج لتوضيح وبيان وخصوصاً في عصرنا الحاضر الذي كثر فيه التباس الحق بالباطل، وكثر أدعياء الدعوة ومنتحلوها، ويأتي هذا البحث لبيان بعضاً من تلك السمات والصفات التي يعرف بها دعاة الباطل ويتصفون.

ودعاة الباطل يمتدون على امتداد الزمن قديماً منذ الخليقة الأولى، فهم يزينون الباطل للناس ويحثوهم عليه، ويقودهم في ذلك إمامهم وزعيمهم الذي أقسم بعزة الله على أنه سيتولى إغواء الناس، وتزيين الباطل والفساد لهم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

ولازال إبليس – عليه من الله ما يستحق- يتولى هذه المهمة، وهو يُنيب عنه بعض شياطين الأنس أحياناً ليقوموا بجزء من مهمته بالإغواء والإضلال.

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢-٨٣.

فدعاة الشر من البشر لهم امتدادهم من أول الخليقة إلى وقتنا الحاضر ولا يكاد يخلو منهم عصر إلا وفيه قائم بهذا العمل، كما أن من دعاة الباطل في المستقبل المسيح الدجال.

وهذا البحث يُعنى بالدرجة الأولى بالتعرف على دعاة الباطل وسماتهم بعد ظهور رسالة الإسلام الخاتمة، وتحديداً في زمننا المعاصر رغبة في معرفتهم وتجليتهم حذراً منهم، حيث تكاثرت البحوث والدراسات في بيان صفات وسمات دعاة الحق ولكن لم يتطرق بحث – فيما أعلم– للعناية ببيان حال دعاة الباطل ليحذرهم الناس،ولكي يستبينوا سبيلهم، وحتى لا يقع الناس في حبائلهم وخداعهم.

كل هذا دفعني للكتابة عن هذا الموضوع، وقد واجهت صعوبة في العثور على أيّ دراسة أو بحث سابق تحدث عن دعاة الباطل تحديداً فتعذر ذلك، وهذا يدل على جدة الموضوع ومناسبته للبحث.

فعزمت على إفراد هذا الموضوع بالبحث والدراسة؛ رغبة في تجلية هذا الأمر، ومعرفة ما يتصف به هؤلاء القوم وسماتهم وفق ما نصت عليه الأدلة الشرعية الصحيحة واستنباطات أهل العلم المعتبرين من هذه النصوص، تحذيراً من حالهم وصفاتهم.

والتحذير من أهل الأهواء والزيغ مما يحتاج له وخصوصاً في زمننا هذا الذي كثر فيه تزيين الباطل والدعوة إليه.

أهداف الدراسة:

- بيان المقصود بدعاة الباطل.
- توضيح أبرز السمات الفكرية والمعرفية لدعاة الباطل.
- التعرف على وجوه مخالفة دعاة الباطل لمنهج الحق.
- بيان السبل المساعدة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين ومسالكهم.

تقسيمات الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

الأول: مفهوم دعاة الباطل والمقصود بهم.

الثاني: سمات دعاة الباطل الفكرية والتكوين المعرفي لهم وأبرز وجوه مخالفتهم لمنهج الحق.

الثالث: السبل المعينة في الحذر من دعاة الباطل المعاصرين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم سمات دعاة الباطل والمقصود بهم

مفهوم السمات:

لغة: مفردها سمة من(مصدر وَسَمَ). والوسم أثر الكي، والسمة ما وسم به الحيوان من ضروب الصور[1]. وفلان موسوم بالخير وقد توسمت فيه الخير أي تفرست، واتسم الرجل جعل لنفسه سمة يعرف بها[2] والسمة هي: الصفة أو العلامة.

السمات في الاصطلاح: من المدلول اللغوي للسمة يتضح المقصود الاصطلاحي لها بأنه: كل ما يتصف به المرء أو فعله من محمود الصفات أو مذمومها.

مفهوم الدعاة:

الداعية في اللغة: اسم فاعل على وزن فعلة، يقال: دعا، يدعو فهو داع له، والجمع دعاة كقضاة وقاضون[3].

وإطلاق الدعاة يشمل دعاة الحق، ودعاة الباطل.

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مادة (و سم)، ص ١٥٠٦ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).

(٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مادة (و س م)، ص ٦٤٠ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مرجع سابق، مادة(د ع ي)، ص ١٦٥٥، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، ١٢٧/١٠(الكويت" المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠٤م).

كما قال الله عز وجل على لسان مؤمن آل فرعـــون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1].

فالدعوة إذا أطلقت شملت الدعوة للحق وكذا للباطل مالم تُقيـــد بدعوة الحق أو دعوة الباطل.

ومنه حديث النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية؛ عمار يـــدعوهم إلى الله، ويدعونـــه إلى النار)[2].

الداعية في الاصطلاح:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (الدعاة جمع داع كقاض وقضاة ورام ورماة وإضافتهم إلى الله للاختصاص أي الدعاة المخصوصون به الـــذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته) [3].

ودعاة الحق هم الدعاة إلى الله: وهم سفراء الأمة المؤمنة إلى الناس، يحملون أمانتها، ويبلغون رسالتها، والناس لهم فيها تبع [4].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد، باب: مسح الغبـــار عـــن الـــرأس في ســـبيل الله، رقـــم الحديث(٢٨١٢)، انظر: صحيح البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمـــد بـــن إسماعيـــل البخـــاري، ص ٤٣٣(الرياض: دار السلام، ١٤٢١ه).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ١/١٥٣، ط١(الرياض: دار زمزم، ١٤١٤هـــ).

(٤) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، ص٧١(القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية)، وانظر: الدعوة الإسلامية -أصولها ووسائلها-، أحمد غلوش، ص٤٣٢(بيروت: دار الكتـــاب اللبنـــاني، ١٩٨٧م).

والدعوة إلى الله تعالى وحده هي دعوة الحق، يقول الله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[1]، أي الدعوة الحق لله وحده وما دون ذلك دعوة للباطل والداعي لها داعٍ للباطل.

وقد بيّن سبحانه أن دعوة الحق طريق الاستقامة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] فما دونها هو لا شك دعوة لغير صراط الله المستقيم ، وهي دعوة إلى الانحراف والضلال المبين نسأل الله السلامة.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3]، فكل من دعا إلى غير الله وإلى توحيده ودعا إلى الشرك فهو داعية ضلال وإضلال.

ودعا الله تعالى المؤمنين ليكونوا دعاة إلى الله تعالى وحده،وأن تقوم أمة منهم على أمور الدعوة إليه سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٢) سورة المؤمنون ، الآية: ٧٣.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٨٧،٨٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

فوصف الله هذه الدعوة بدعوة الخير وقيدها بها، وقد عرّفهم المنهج الحق في الدعوة إلى الله تعالى وحده فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[(١)]. ثم بيّن سبحانه منزلة الدعوة إلى تعالى وأنها بمكان سام لا يدانيها فيه مكان فقال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[(٢)].

مفهوم دعاة الباطل :

المقصود بدعاة الباطل في هذا البحث: هم من يدعون إلى مخالفة منهج الله سبحانه وتعالى، وهم الذين تتفرق بهم السبل والأهواء، ويدعون الناس إلى كل شر مبتدعين منهجاً غريباً وطريقاً محدثاً بعيداً عن منهج الله السليم الذي فيه الفلاح والصلاح، متلمسين في ذلك كل طريق لبث الفتن بين المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم ويضلوهم لأغراض متباينة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[(٣)]، ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٤)]، فسمى تعدد السبل الموصل للتفرق بطريق الباطل، وأفرد سبيل الحق حيث هو سبيل الرشاد والهداية.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

والنصوص في هذا الشأن كثيرة ففيها دلالة على تفرد سبيل الحـــق وتعدد سبل الغواية والضلال.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(١).فهنا فرق واضح بين دعوات الباطل ودعوة الحق.

والدعوات إلى غير الله تعالى ومنهجه الحق هي دعوات الباطل وهي الضلال المحض، وقد نهى الله تعالى عنها وحذر منها فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

وبيّن سبحانه أن الدعوات إلى غير سبيله موصلة إلى الخسار والبوار، قال تعالى: ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾(٣). وقد وصفهم الله بوصف تطمئن له الأفئدة؛ وتسكن معه القلوب، حيث أبان سبحانه أن دعوتهم في سفال وأن سعيهم في وبال،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٤٢،٤٣.

فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [1].

مفهوم دعاة الباطل المعاصرين:

المعاصر لغة: من الفعل الثلاثي (ع ص ر)، ويشير إلى الدهر والحين [2]، والعصر بمعنى الوقت، إطلاق العصر وإرادة أهل الزمان[3].

المعاصر اصطلاحاً: يشير المصطلح إلى الآني والمتحول، ويقال عاصرت الرجل أي: كنت أنا وإياه في عصر واحد، أو أدركت عصره[4]، أي كل ما ساير العصر في تطوراته ومفاهيمه[5].

ويرى الباحث أن الدعاة المعاصرين هم: الدعاة الذين أدرك بعضهم بعضاً، وإن لم يلتقوا، واطلعوا على أحوال هذه المدة الزمنية وحوادثها، وعاشوا فيها مؤثرين فيها أو متأثرين بها.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٤/٣٤٠-٣٤٤، ط٢(بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن هلال العسكري، ١/٢٧٢.(دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

(٤) الفروق اللغوية، العسكري، ١/٢٧٢، المرجع السابق. وانظر: تاج العروس، الزبيدي، ١٣/٧٣، مرجع سابق.

(٥) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش، ص ١٥٠، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م).

دعاة الباطل في الكتاب والسنة:

ورد وصف دعاة الباطل في الكتاب والسنة في عدد من النصوص، وسيتم استعراض بعض النصوص التي لها دلالة على ذلك في التالي:

أولاً: القرآن الكريم:

دعاة الباطل ورد ذكرهم بالنص على قيامهم بالدعوة ومباشرتهم لها، أو بالإشارة إلى فعلهم في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[1]، وغيرها من النصوص.[2]

ثانياً: السنة النبوية:

وهؤلاء قد وصفهم النبي ﷺ بقوله أنهم: (دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها)[3].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤١.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ (الشورى، الآية: ٢٤)، قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: (ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته أي بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ ﴾ تفسير الزمخشري، ٤: ٢٢٢.وجاء في تفسير الرازي بشأن قوله تعالى: ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ أي: ومن عادة الله إبطال الباطل وتقرير الحق، تفسير الرازي، ٢٧: ١٦٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم الحديث(٧٠٨٤)، ص ،١٢٢١ وكتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام رقم الحديث(٣٦٠٦)، ص ٦٠٥، مرجع سابق. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن رقم الحديث(١٨٤٧)، ص ٨٢٩،صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط١(الرياض: دار السلام،١٤١٩هـ-١٩٩٨م). ونص الحديث أن حذيفة بن اليمان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم. وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا فقال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

قال القسطلاني-رحمه الله- : (دعاة أي جماعة يدعون الناس إلى الضلالة ويصدونهم عن الهدي بأنواع من التلبيس، وأطلق عليهم ذلك باعتبار مايؤول إليه حالهم كما يقال لمن أمر بفعل محرم وقف على شفير جهنم) [1]، وهذا بالتأكيد سبب يحول بين المدعوين وبين قبولهم لدعوة الحق، فقد تعددت ديانات العرب حين جاء الإسلام، وقد كان لهذا الأمر أثر على بعض المدعوين[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكنه يقبض العلماء بعلمهم فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[3].

وهذا الحديث فيه دلالة على وصف أئمة الضلال ودعاة الجهالة الذين يفتون بغير علم فيضلوا ويُضلوا.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، ١٠/١٨٣، ط٧(مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)

(٢) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص ٤٦-٤٧، ط١٧(المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، برقم(١٠٠)، ص (١/٣١) مرجع سابق، ومسلم في كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، برقم(٢٦٧٣)، ص (٤/٢٠٥٨)، مرجع سابق.

المبحث الثاني

سمات دعاة الباطل الفكرية والتكوين المعرفي لهم وأبرز وجوه مخالفتهم لمنهج الحق

توطئة:

في محاولة منهجية علمية للتفريق بين السمات الفكرية والمعرفية تبين أن بينها تداخلاً كبيراً، فقد يقود الفكر إلى سلوك، وقد يتحول السلوك إلى تكوين معرفي قائم بذاته يصعب معه انفكاكه عن أصل كونه سلوكاً جبلياً فطرياً.

وكما أن الفكر ينبعث عن السلوك، فإن السلوك ينبني على الفكر الجبلي الأصلي، فالسمة الفكرية تنبعث من أصل سلوكي راسخ في نفس المتصف بها، كما أن التكوين المعرفي هو حصيلة اتجاه فكري.

وبناء على ما سبق سعى الباحث لذكر السمات الفكرية التي اتصف بها دعاة الباطل، ثم أعقبها بذكر التكوين المعرفي لهم في التالي:

أولاً: السمات الفكرية لدعاة الباطل:

يمكن النظر إلى السمات والصفات على أنها إما أن تكون صفات ذات أو صفات اكتساب.فالسمات الفكرية ذاتية، والتكوين المعرفي مكتسب.

وتلك السمات لا تكاد تخرج عن كونها فكرية تؤدي إلى جملة من الصفات المعرفية العقلية، ثم صفات سلوكية عملية تطبيقية.

والسمات الفكرية تُعد إحدى أهم بواعث الانحراف لدى دعاة الباطل، فهم ينطلقون من كون الانحراف لديهم نشأ بادئ الأمر بسبب خلل في الفهم والتصور، ثم تطور إلى الاعتقاد وأتبعوه بالعمل والسلوك الدعوي المتمثل بإغواء الناس وتزيين الباطل لهم من حيث زعموا إرادة الخير لهم، لأنهم ضلوا الطريق.

فكل من دعا إلى خلاف منهج رسول الله ﷺ وخلاف هديه فهو من دعاة الباطل الذين حذر منهم النبي ﷺ.

إن من أبرز سماتهم الواردة في حديث[1] حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنهم من جلدتنا وأنهم يتكلمون بألسنتنا، فالصفة الأولى أنهم من أبناء جلدتنا أي من مجتمعاتنا، والصفة الثانية أنهم يتكلمون بألسنتنا أي يتكلمون بالعربية، وهذا يزيد التأكيد على أن خطرهم أكبر وأشد، ولهذا جرت الفتنة قديماً وحديثاً، وهم قوم يهدون بغير هدي النبي الخاتم ﷺ؛ لأنهم تنكبوا سبيل الرشد، ولما قال: صفهم لنا؟ كان خشية أن يدركهم فأراد رضي الله عنه معرفتهم حتى يحذر سبيلهم.

من أبرز سمات دعاة الباطل الفكرية ما يلي:

اتباع الهوى:

و(الهوى ميل النفس وانحرافها نحو المذموم شرعاً)[2]، واتباع الهوى لا يأتي بخير؛ لأنه يصد عن الحق، والذي يسترسل في تحقيق مراد هواه لا

(١) انظر: نص الحديث الوارد في هامش رقم ٣ ، من ص ١١ من هذا البحث.

(٢) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ١/٢٢٢، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٣٩١م).

يبصر قبح فعله، ولا يسمع نهي من نصحه، وإنما يقع ذلك لمن يفرط في حب نفسه، لا يتفقد عليها[1]، وقد ذم الله الهوى في جملة من النصوص منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2]وذم الله تعالى اتباع الهوى بقوله سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

ويقول الحق سبحانه في التحذير من متابعة هوى النفس:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[4]، إذ فيه تحكيم لهوى النفس على ما جاء به الله ورسوله.

وقد ذم رسول الله ﷺ اتباع الهوى في قوله: (ثلاث مهلكات) وذكر منها: (وهوًى متبعٌ)[5]. واتباع الهوى أساس كل بلية (وبه يفسد

---

(١) انظر:عون المعبود، أبو الطيب عبد العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ٣٨/١٣، ط ٣ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية:٣٦.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما، برقم: ٥٧٥٤، ص ٤٧/٦، انظر: المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢(الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٨٠٢،ص ١٢/٤، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، بدون رقم الطبعة (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).

الدين، لأن فساده يقع بالاعتقاد بالباطل، أو العمل بخلاف الحق، فالأول البدع، والثاني اتباع الهوى، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كذبت الرسل، وعصي الرب، ووجبت النار، وحلت العقوبات)[1].

واتباع الهوى كما أنه أحد أسباب وقوع دعاة الباطل في طريق الضلالة فهو صفة فكرية غالبة لهم، فتجدهم يغلبون الهوى على الهدى والضلالة على الرشد في شأنهم كله، وما ذاك إلا لفساد ما هم عليه.

الصدّ عن الحق:

وهو من أبرز سماتهم الفكرية؛ وهي إحدى نواتج سعيهم بالباطل فهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، وذلك بمعاداة دعاة الحق وصد الناس عن دعوتهم، ولهم في ذلك سلف كموقف مشركي قريش من دعوة النبي ﷺ.

والصد عن الحق هو النتيجة التي يرغب دعاة الباطل الوصول إليها، وما ذاك إلا لجهلهم وسوء طويتهم، ويأخذ ذلك عدة صور كالإضلال بالتلبيس على الناس دينهم بالدعوة للبدع، أو صد الناس عن سبيل الحق بإثارة الفتن، أو كتم العلم والبيان.

ومن صور الصد عن الحق؛ إظهار عيوب ومثالب ولاة الأمر والتشهير بهم على المنابر وفي كل الوسائل، ولأجل هذا بين النبي ﷺ لحذيفة رضي الله عنه لما سأله: ما المخرج؟ قال: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ٤/٧٧٢، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).

الغلو والجفاء والبعد عن التوسط:

الغلو ومجانبة الطريق الصحيح هو إحدى السمات الفكرية لـــدعاة الباطل، فهم لا يقرّ لهم قرار ولا يطمئنون إلا في أجواء الغلو والتطرف.

كما أن البعد عن التوسط إحدى سمات دعاة الباطل قديماً وحديثاً، فهم إما جانح نحو الغلو ومجاوزة الحد ؛ أو جنوحهم نحو الطرف المغاير في الجفاء وتمييع الدين والانسلاخ منه.بحجج عدة، ليس أقلـــها الوقـــوع في الإرجاء ، وتهوين المعاصي والذنوب في قلوب الناس.

فهم لا يحبون الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة فقال عز من قائل سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

وهم شبه بمن سبقهم، كغلو اليهود الذين غلوا في دينهم فحرمـــوا على أنفسهم الذبائح كلها، ونهيهم عـــن أكـــل كـــل ذي روح علـــى الإطلاق(٢). كما أن لهم شبه بغلو النصارى الذين جانبوا الحق، قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) انظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، ص١٨٢، ط٥(بيروت: المكتبة العصـــرية، ١٤٢٩هـــ).

(٣)سورة الحديد، الآية: ٢٧.

ومن صور الغلو: الغلو في التكفير، وهو إحدى صور فعل دعاة الباطل المعاصرين فهم يستبيحون دماء المسلمين ويكفرونهم ويدعون لذلك بوضوح وعدم مواربة.

ميلهم للافتراق والاختلاف وسعيهم له:

إن من صور سمات دعاة الباطل المعاصرين جنوحهم نحو الافتراق وعدم الائتلاف ورغبتهم في الاختلاف وسعيهم له بكل الأحوال، فمرة تحت الرغبة في النصح، أو التوضيح والنصيحة، أو بتمجيد ذواتهم والدعوة لها.

ومن صور سعيهم في الافتراق: وقوعهم في مفارقة جماعة المسلمين، وهذه نتيجة طبيعية لمن يحكم هواه.ويرى أنه هو الحل، ويغيب عنهم بجهلهم وعدم فقههم، أن هذا رأس كل شر.

والحديث عن لزوم جماعة المسلمين في حديث حذيفة الشهير عن دعاة الباطل دليل على أن أغلب غي هؤلاء الدعاة وإضلالهم إنما هو في باب الإمامة ودعوتهم إلى الفرقة والافتراق.

فكانت الوصية النبوية بعدها: أن إذا أدركت ذلك فالتزم جماعة المسلمين وإمامهم، وحتى في انعدام وجود جماعة أو إمام عليك اعتزال تلك الفرق وإن كنت وحيداً والنهي عن إثارة الفتنة وتقحمها والبعد عنها ففيها الضلال والإضلال، وهو من الوصية الدائمة المستمرة أزمنة الفتن، فيجب الحذر من هؤلاء الدعاة والتحذير منهم.

السفه والاستعجال في الآراء بلا روية أو علم:

فدعاة الباطل قد بنوا تصورهم الفكري والمعرفي علـــى الســـفه في الرأي، وعدم الصدور عن الحق، بل رائدهم في ذلك هو الهوى بلا دليـــل أو برهان. كما أنهم يتصفون بالاستعجال وهذا يأخذ عدة صور منـــها الاستعجال في بناء التصور والفهم الخاطئ، ثم الاستعجال في الأحكـــام، والاستعجال في العمل، والاستعجال في تحصـــيلا لثمـــرة، واســـتعجالا لمآلات.

وكل هذا ينافي مقاصد الشرع المطهر.

ومن صور السفه والاستعجال وفساد الرأي وضعف العقول ما فعله الخوارج بخروجهم على علي ﷺ دون تثبت ولا تفقه[1].

التنطع:

ومن صور التنطع لدى دعاة الباطل حرصهم على التزين بالـــدين على غير هدى، ومحاولتهم مخادعة المؤمنين بهذا السلوك، ومنهم من وصفه النبي ﷺ بقوله: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم) و(يمرقون من الـــدين كما يمرق السهم من الرمية)[2].

(١) انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، غالب عواجي، ص ١٢٥-١٦٠، ط٣(دمنـــهور: مكتبـــة السنة، ١٤١١هـــ).

(٢) صحيح الإمام البخاري ، باب: علامات النبـــوة في الإســـلام،رقم الحـــديث (٣٦١٠) ،ص(٤/ ٢٠٠)، ونـــص الحديث: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو =

والتنطع في الدين له عدة هيئات، وقد حذر النبي ﷺ من مسلك التنطع وأهله فقال ﷺ: (هلك المتنطعون)[1].

الغرور:

الغرور في اللغة: الغفلة عن العاقبة.

اصطلاحاً: الخداع، وذكروا بأنه الشيطان، فالغرور: كل ما يغر الإنسان، وإنما أفرد بالشيطان لأنه أس ذلك[2].

وأعلى وأعظم الغرور الذي يدفع هؤلاء إلى إنكار الحق وتكذيب دعاته، كذلك الاستبداد برأيهم والاغترار به، ولعل هذا من أكبر مزالق دعاة الباطل بسبب اغترارهم بكثرة الأتباع والانصياع لرغائبهم.

الخداع:

من سمات دعاة الباطل خداعهم لأتباعهم والتلبيس عليهم، ويغيب عنهم أن أعظم الخداع في ذلك هو خداعهم لأنفسهم قبل أتباعهم بحيدهم عن طريق الحق.

= الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُمْ عَصَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُمَ عَصِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَيُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُإِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْمِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُ ونَعَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

(١) صحيح الإمام مسلم ،باب : هلك المتنطعون ،رقم الحديث (٢٦٧٠)،ص(٢٠٥٥/٤)، مرجع سابق.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ٥٣٣/١(بيروت: دار إحياء التراث العربي).

الكبر:

الكبر: من كبُر، كصغر: عظم وجسم. والكبر، معظم الشيء، والشرف، ويضم فيهما، والإثم الكبير، والرفعة في الشرف، والعظمة والتجبر[١]. وهو: نقيض الصغر.

الكبر في الاصطلاح: عرف الرسول ﷺ الكبر فقال: (بطر الحق وغمط الناس)[٢]، ووصفه القرطبي بقوله هو "الاستعظام"[٣].والمقصود بالكبر هنا التكبر عن قبول الحق، وهو إحدى سمات دعاة الباطل، مما يجعلهم يتعصبون لمعتقداهم الباطلة وانحرافاهم المضلة، وهذا لا يحيلها إلى أن تكون حقاً.

سوء الظن:

وهو صفة ملازمة لهم، فلا يحملون الناس على أفضل المحامل، بل تجدهم يتبعون العثرات بلا طائل إلا رغبة في زيادة الأتباع وتبجيلاً لذواهم.

وقد نهى الشرع المطهر عن الظن السيئ فقال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[٤]، ومن ذلك سوء ظنهم بعباد الله المؤمنين، وحمل أقوالهم وأفعالهم على أسوأ محمل، دون التماس العذر لهم فيما يطاله العذر.

(١) القاموس المحيط، مادة (ك ب ر)، ص ٦٠٢، مرجع سابق.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث(٢٦٥)، ص ٥٤،مرجع سابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،١/٢٩٦ (بيروت: دار الكتاب العربي).

(٤) سورة الحجرات، الآية:١٢.

كثرة الخصومات وحب الجدال والمراء:

وهذه إحدى السمات الفكرية البارزة لدعاة الباطل، فهم يبحثون عن الخصومات واللجاج بغير حجة.

وهم معروفون بكثرة لجاجهم وجنوحهم نحو الخصومات والجدل، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[1]، ويمكن معرفتهم (تعرف منهم وتنكر) فليس كل ما يدعون له هو باطل محض بل أغلبه مخلوط بين الحق القليل والباطل الكثير.

والمراء من سمات أهل البدع، وهذا مصداق قول النبي ﷺ:(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)[2]. والمراء في الحق والباطل وفي كل أمر هو سمة بارزة لدعاة الضلالة ودعاة جهنم، فقد تجد بعضهم أُوتي من ذلاقة اللسان والجدال بالباطل والتلبيس على العامة الشيء الكثير.

الإعجاب بالنفس:

وقد عد النبي ﷺ الإعجاب بالنفس من المهلكات فقال:(ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، فإما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه...الحديث)[3].

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير، سورة الزخرف، ٥/٥٥-٥٦، انظر: سنن الترمذي، عيسى بن محمد بن عيسى السلمي الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ). وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في مقدمة سننه باب اجتناب البدع والجدل، برقم٤٨، انظر: سنن ابن ماجه، ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ). وأحمد في مسنده، ٥/٢٥٢، انظر: المسند، أحمد ابن حنبل، ط١ (بيروت: دار الرسالة، ١٤٢٠هـ)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٨٤، مرجع سابق.

(٣) انظر: البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، برقم:٦٤٩١، ص(١١٤/١٣)، ط١(المدينة المنورة: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ)، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٠٨، وقال: "رواه البزار واللفظ له والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعهما حسن إن شاء الله تعالى".

إن العجب والغرور يدبان في بعض الناس، فيبلغان فيهم مبلغاً لا يتصور، فينشأ عنهما وقوع صاحبهما في الانحراف والابتداع في الدين، وتنكب الصراط المستقيم؛ إلى درجة المكابرة والإصرار على ما هم عليه من تناقض وانحراف[1].

والإعجاب بالنفس هو في الأغلب نابع من حب الذات والاستعلاء على الآخرين، وإضفاء كمالات على النفس ؛إما مبالغ بها أو لا أصل لها بالكلية[2].

ومنها الإعجاب بالرأي: وذلك بإيهام الأتباع بأنهم على حق، وأنهم على منهج صحيح.

والإعجاب بالنفس إحدى سمات دعاة الباطل وهي إحدى الصفات الفكرية التي يربون أنفسهم عليها من الاستعلاء على الآخرين وانتقاصهم وتسفيه آراء الخصوم والمخالفين، مع الإعجاب بآرائهم وتقديسها كما حذر النبي ﷺ من الإعجاب بالرأي (وإعجاب كل ذي رأي برأيه)[3].

(١) انظر: بداية الانحراف ونهايته، أبو النصر محمد بن عبد الله الإمام، ص ١٤٢-١٤٣، ط١(صنعاء: دار الآثار، ١٤٢٨هـ).

(٢) انظر:فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ٣٠٧/٣، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٣٩١م).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ومن سورة المائدة،٢٥٧/٥، مرجع سابق، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غريب»، من حديث أبا ثعلبة الخشني، ونص الحديث: (عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾[المائدة: ١٠٥] قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلْ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ).

وهو ما دفع الخوارج بتقتيل عباد الله المؤمنين الذين لا يوافقونهم على بدعتهم ورأيهم.

حب الظهور والرئاسة والجاه:

يقول ابن القيم رحمه الله- :(للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة، لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة الخمر بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه) [1].

والأصل في التحذير من طلب الرياسة والشرف قوله ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[2]. وعلى الرغم من تحذير النبي ﷺ من هذا المسلك ونتائجه إلا أن أغلب دعاة الباطل المعاصرين يتهوكون في هذا المهوى الزلق دون وعي منهم، فيدفعهم هذا إلى جملة من السمات التي سبق الحديث عن بعضها كالكبر والحسد ومتابعة الأسلاف وطرائقهم واتباع الهوى وغيرها.

ومن نواتج حب الرياسة والتصدر أنه يكون سبباً في ارتكاب المحرمات من الحسد، والظلم، والبغي، والعدوان ونحوه، مما يوقع فيه هذا الحرص، ويستلزمه أحياناً. قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:(ما من

(١) بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، ٣/ ١٠٦١، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند، برقم:١٥٨٢٢، ٤٥٦/٣، مرجع سابق، والترمذي في سننه، برقم: ٢٣٧٦، ٥٨٨/٤، مرجع سابق، وابن حبان في صحيحه، برقم: ٣٢٢٨، ٢٤/٨، انظر: صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، كلهم عن كعب بن مالك، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

أحد أحب الرئاسة إلا حَسَدَ، وبَغَى، وتتبع عيوبَ الناسِ، وكرهَ أن يذكرَ أحدٌ بخيرٍ)[1].

السخرية والاستهزاء:

وهي سمة بارزة لدعاة الباطل، فحينما أعيتهم الحجج والبراهين وأدلة الحق عمدوا لركوب موجة السخرية من خصومهم والاستهزاء بهم شأنهم في ذلك شأن أئمة الضلال دوماً. قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[3].

الحسد:

الحسد في اللغة: حسد يحسد ويحسده حسداً، وحسده: إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما[4].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر أبو الأشبال الزهري، ١/ ١٤٣ (بيروت: دار الكتب العلمية).

(٢) سورة التوبة، الآيتان:٦٥-٦٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٤) انظر: القاموس المحيط، مادة: حسد، ص ٣٥٣، مرجع سابق.

وفي الاصطلاح: يعرفه القرطبي: -رحمه الله-بقوله:(أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم)[١].

ومن أكبر الشواهد على ذلك حسد اليهود للعرب بإنكارهم دعوة المصطفى عليه الصلاة السلام لأنه من العرب وليس منهم فكفروا به حسداً.ويجنح الحسد بصاحبه لاستعظام الذات واحتقار الآخرين وخصوصاً الأقران.

كما أن الحسد يدفع بصاحبه لإنكار دعوة الخير، وما تحمله من الحق المبين.

ودعاة الباطل داخلون في هذا الخضم ويدعون له رغبة في إضلال الناس عن الحق القويم.

ومن سمات دعاة الباطل الفكرية ما يلي:

- قلة الإيمان وضعف الصلة بالله.
- ابتغاؤهم بعلمهم الدنيا، كما ورد في الحديث:(يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل)[٢].
- تهييج العامة وإيغار صدورهم ضد مجتمعاتهم وولاة أمورهم رغبة في إحداث الفوضى.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،١/٧١، مرجع سابق.

(٢) جزء من حديث عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» صحيح الإمام مسلم، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، رقم الحديث (١١٨)، ص(١/ ١١٠)مرجع سابق،.

- لي أعناق النصوص وتأويل فهمها فهم يعتقدون ابتداءً ثم يستدلون على هذا الاعتقاد في كثير من الأحيان بالباطل.
- تقحمهم الفتن والولوغ فيها.
- زيغهم عن الحق وطريق الهدى.
- إظهار الشفقة والألم على مآسي المسلمين واستعطاف العامة والتأثير فيهم بها.
- إحداث الفجوة بين العلماء والعامة.
- روح الانهزامية لديهم.
- الطيش والشطط.
- الغلظة والجفاء.
- الخداع والمراوغة.
- شق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة.

ثانياً: التكوين المعرفي لدعاة الباطل:

مرّ معنا سابقاً بيان الصلة بين السمات الفكرية والسمات المعرفية لدعاة الباطل وكيف أن بينها ارتباطاً، فكل سمة من تلك السمات لها ما يعضدها من السمات الأخرى، وهكذا فإن التكوين المعرفي ناتج من نواتج الخلل الفكري ومحصلة له.

والحديث عن التكوين المعرفي لدعاة الباطل مما يحتاج له في توضيح أسباب ما عليه القوم من الضلال والانحراف، ومحاولة إيجاد أفضل السبل في التعامل مع واقعهم والتحذير منهم.

فإذا عرفت أبرز سمات التكوين المعرفي لدعاة الباطل كان الفهم لحالهم أيسر وكلما خفي معرفة منطلقاتهم الفكرية وتكوينهم المعرفي قل جانب القدرة على التعامل معهم والتحذير من عملهم.

ومن أبرز تلك المكونات المعرفية لدعاة الباطل التالي:

١- قلة الفقه في الدين:

إن من أولى صور الخلل في التكوين المعرفي لدعاة الباطل ضعف البناء العلمي والمعرفي لهم ومن هنا جاء لديهم الخلط في الأحكام والتصورات.

من صور غيّ دعاة الباطل قلة فقههم في الدين، وهو المقتل الذي وقعوا فيه؛ فهم تصدروا للدعوة والوعظ وغاب عنهم : (تفقهوا قبل أن تسودوا)[1].

فلوا أنهم تعلموا وتفقهوا لما ساقهم ذلك إلى طريق الغواية والإغواء ولعلموا علماً يقينياً أنهم يهدون بغير هدي النبي ﷺ ويستنون بغير سنته.

٢- الجهل:

والجهل هو(اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه)[1]، ومهما كان نوع الجهل، فهو شر، لأنه يحول بين المرء وبين الاستسلام لله والانقياد له

(١) من حديث عُمَرُ بن الخطاب ﷺ : «تَفَقَّهُو اقَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا» قَالَ أَبو عَبْدِاللَّهِ: «وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ» انظر: صحيح الإمام البخاري، بَابُ الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، (١/ ٢٥) مرجع سابق.

سبحانه بالإذعان والطاعة، ويقطعه عن إقامة دينه على الوجه الذي شرعه الله تعالى؛ ولذلك كان الجهل أصل الشر كله.قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(والجهل والظلم هما أصل كل شر)[٢]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٣]، ونتيجة لجهل دعاة الباطل بما أمرهم الله به فقد اتبعوا المتشابه من نصوص الكتاب والسنة، وتركوا المحكم منها، كذلك أخذوا ببعض الأدلة والنصوص وتركوا البعض، ولم ينظروا في عواقب أفعالهم، فأصبحوا دعاة لطوائف وجماعات وأحزاب، يقولون بغير علم، فضلوا في أنفسهم، وأضلوا غيرهم، كما قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً، ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا)[٤] فضعف العلم والجهل هو سبب الضلال المبين، فبيئات الجهل هي البيئات التي ينشط فيها دعاة الضلالة والإضلال، وبيئات العلم والعلماء فيها يضعفون ويتلاشون، فلا إمكانية لبث جهلهم وضلالهم فيها.

---

(١)التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري،١٠٨/١، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي،٣٧/١، ط٢(القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ).

(٣)سورة الأحزاب، الآية:٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم الحديث(١٠٠)، ص ٢٣، مرجع سابق.

هذا وقد (تسلَّط بعضُ دعاةِ الباطل وأئمةِ الضلال فزيَّنوا للناس دعاءَ الأحجار والتعلُّقَ بالقبور، والتقدُّمَ إليها بأنواع القرابين والنذور)(١).

وأخطر ما على الأمة الدعاة الجهال الذين لا يعرفون العلم ويدعون الناس بجهل وضلال، أو الدعاة المغرضون الذين يعرفون الحق لكنهم مغرضون يريدون صرف الأمة عن جادة الصواب.

ومدار هذا الجهل هو مباشرة الدعوة والتصدر لها بلا علم أو فقه.

((دُعَاة على أبواب جهنَّم))، وهذا يُنبِّه إلى خطورة الدعوة، وأثرها ودورها؛ في صلاح المجتمعات وخيريتها، أو هدمها وإفسادها، ومنها الجهل بالكتاب والسنة، وسوء الفهم لمعانيهما؛ كما قال ﷺ: (يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم)(٢).

٣- الخلل في منهج الاستدلال:

إن الخلل في الاستدلال ينتج عنه تضييع للعلم والدين معاً، ودعاة الباطل لديهم هذا التكوين المعرفي الخاطئ في منهج الاستدلال.

وله عدة صور، أهمها:

١- الاعتداد بالرأي في مقابل إقصاء النص، أو تقديم الرأي على النص الصريح.

---

(١) فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٢/ ١٢٠، ط٢(الكويت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٢) جزء من حديث عند الإمام مسلم ، ونص الحديث: (قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، صحيح الإمام مسلم، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم الحديث (١٠٦٦)، (٢/ ٧٤٨) مرجع سابق.

٢- التأويل المذموم لنصوص الكتاب والسنة بدافع الهوى ولي أعناق النصوص كي تتوافق وتوجههم الفاسد.

٣- الجرأة على تحريف النصوص بما يخدم منهجهم وجهلهم.

٤- التقليد والتعصب:

التقليد هو :(قبول الحق من غير دليل)[1]، أما التعصب فهو: (تقديم القول المختار على غيره من الأقوال، واتخاذه حجة ملزمة للآخرين لا يجوز مخالفته)[2]، وهذا جائز في حق العامي (الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية فيما لا يعلم إلا بالنظر والاستدلال من الأحكام)[3].

والتقليد المحرم على ثلاثة أوجه[4]:

١- الإعراض عما أنزل الله، وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء.

٢- تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله.

٣- التقليد بعد قيام الحجة، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٦٩/٦(بيروت: دار الآفاق الجديدة).

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، ص٢٦، ط١(القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ)

(٣) الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل يوسف العزازي، ١٢٨/٢-١٣٢، ط١(الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـ).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، ١٨٢/٢(مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٠هـ).

ودعاة الباطل هم دعاة الإضلال إذ يتخذون من قسر أتباعهم لتقليدهم باباً مشرعاً للتلبيس عليهم ودعوتهم للبدع والضلالات.

والتعصب للرأي هي صفة غالبة لدى دعاة الباطل فهم لا يتراجعون عن شيء قالوا به أو رأي صدر عنهم، بل نجد أحدهم ينافح عما يقول إلى آخر مدى. ويندر أن يتراجع منهم أحد إلا من حق عليه الهدى بعد الضلال.

ومن منهج الإسلام معرفة الحق بدليله لا تقليد الغير بلا دليل، ومما يتصف به دعاة الباطل بكافة صوره وقوعهم في التقليد الأعمى والتعصب للأشياخ؛ ثم إلزام أتباعهم بما هم عليه من الباطل والضلال، ثم التعنيف على من أراد البحث عن الحق بدليله والتضييق عليه، ونعته بأبشع الأوصاف والنعوت.

٥- التشبث بما كان عليه الآباء والأجداد من المعتقدات الباطلة.

ولعل هذا الأمر هو أحد الدوافع التي تدفع دعاة الباطل لأن يوغلوا في باطلهم، وعدم تركهم لما كان عليه أسلافهم من الضلالة فيكبر في نفوسهم تركه مع استبانة سبيله لهم. وهذا من الضلال المبين الذي حذر منه الشرع المطهر أيما تحذير، ففيه الخسران المبين قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (١).

(١) سورة الزخرف، الآية:٢٣.

٦- تقحمهم الفتن والولوغ فيها.

إن لدعاة الباطل جرأة في السعاية في تقحم الفتن بكافة صورها وهيئاتها، فهم لا يتورعون عن إثارة الفتن وإشعال نارها ثم دخولهم فيها كمنظرين لها ومحامين عنها. وهذا يدل على فساد مسلكهم وبطلانه.

وقد دلت النصوص الكثيرة على التحذير عن مواطن الفتن حتى يسلم للمرء دينه ودنياه، وأن لا يكون حطباً لتلك الفتنة، وقد ذكر النبي ﷺ أن في آخر الزمان تكون فتن جسام وملاحم ،وفصل الخيرية للناس فيها بين ساعٍ فيها ومتوقف ومعتزل وفار بدينه.

٧- الاعتداد بالباطل وتعظيمه:

من أنواع الخلل في التكوين المعرفي لدعاة الباطل والذي استحال لسلوك لا ينفك عنه اعتدادهم بالباطل وتعظيمه في نفوسهم ونفوس أتباعهم، وهذا من أعظم الضلال أن يرى المرء أنه على غير هدى ثم يعتز به وينافح عنه خشية الناس أو رغبة في الدنيا وحظوظها.

٨- التعالم:

إن التعالم من الأدواء التي يسعى الشيطان لبثها في نفوس دعاة الباطل، لأنه يفضي بصاحبه إلى الضلالة والانحراف، وأصحابه يلبسون لباس الدين، ويضربون الدين بالدين، وهم من الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1]، وهذه الآيات عامة في كل من عبدالله على غير هدي صحيح يحسب أنه مصيب فيه، وأن عمله مقبول وهو مخطئ[2].

أبرز وجوه مخالفة دعاة الباطل لمنهج الحق:

إن لمخالفة منهج الحق لدى دعاة الباطل عدة وجوه يعرفون بها ويتميزون ومن خلال هذا المحور سيتم تسليط الضوء على أبرز تلك الوجوه التي يندرج تحتها ما دونها من وجوه عدة.

- مباينتهم المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله واتخاذهم منهجاً مبتدعاً وطريقة ضالة لا يسندها دليل صحيح.
- انحرافهم في قواعد الاستدلال والنظر.

وبيّن سبحانه أن جماع صفات دعاة الباطل أنه الكفر، ومآل دعواهم هو الضلال والبوار، فقال تعالى: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾[4].

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١١/١٤٤، مرجع سابق.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

المبحث الثالث

السبل المعينة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين

بعد الاستعانة بالله تعالى فإن هناك سبلا كفيلة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين، وفي هذا المبحث سيتم الحديث عن أهمها.

فقد اعتنى السلف الصالح - رحمهم الله - بتبيين سبيل المجرمين، والتحذير من مناهج المبتدعين، وأصناف الزائغين، وقد قاموا بذلك نصرة لدين الله، وأداء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذباً عن حياض الدين ألا يدخل فيه ما ليس منه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:(ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل للإمام أحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه منهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن

هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء) [1].

ودعاة الباطل يزينون باطلهم بعدة طرق وسبلهم في ذلك كثيرة، إلا أن أخطرها قاطبة ما تلبس بلبوس النصح والديانة، حيث يقومون بإضلال الناس باسم الدين، زيغاً منهم، ومن صور ذلك تهييج الفتن في المجتمعات الآمنة.

ويمثلهم في العصور الأولى إلى وقتنا المعاصر دعاة الخوارج، فهم دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها.

فهم لم يقتصروا على الباطل في ذوات أنفسهم بل يدعون إلى النار قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [2]. من هنا وجب التحذير منهم.

إن كل من دعا إلى ضلالة أو بدعة أو فتنة أو شر فهو مقتف أثر دعاة الباطل، فبدعة الخروج على الأئمة أعظم ما أضرّ بالأمة الإسلامية على مر العصور وتعاقبها، ومن أصناف دعاة الباطل من يدعو إلى ضلالة وبدعة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ يَتَّبِعُهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم،٢٨/٢٣١-٢٣٢، ط١(الرياض: ١٣٨١هـ).

(٢) سورة القصص، الآية: ٤١.

وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ يَتَّبِعُهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)[1] ويدخل فيه كل داعية إلى بدعة مضللة أو فتنة مزيفة أو فهم معوج.

ومن السبل المعينة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين النهي عن مجاراتهم في دعوتهم، أو الاستماع لهم، أو تبني ما يدعون له، بل أمر الله سبحانه بالاستسلام له تعالى وحده فهو رب العالمين ورب الإنس والجن أجمعين، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وبيّن حقيقة ما يدعون إليه إذ به الضرر المحض والخسارة البينة، ولا نفع فيه، قال تعالى: ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[3]، وهذا يدعونا إلى التحذير من غشيان مجالسهم، أو الاستماع لهم.

يقول ابن بطة -رحمه الله- في شأن أهل البدع:(ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك أن لا تقربه في جوارك. ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئاً مما ذكرناه -أيمن البدع- وهجرانه والمقت له، وهجران مَنْ والاه ونصره وذبَّ عنه وصاحبه وإنْ

(١) أخرجه الترمذي في سننه، وقال «هَذَا حَدِيثٌ حسَنٌ صَحِيحٌ»، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة، رقم الحديث (٢٦٧٤)٥/ ٤٣، مرجع سابق.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٣.

كان الفاعل لذلك يظهر السنة).[1]فهم لم يقتصروا على الشر على أنفسهم بل يدعون الناس إليه فاستحقوا وصف: "أئمة يدعون إلى النار" .

ودعاة الباطل يحرضون الناس على:

- الخروج على الولاة.
- شقّ عصا الطاعة.
- مفارقة الجماعة.
- نزع البيعة من أعناقهم.

(فهناك دعاة التبديع والتكفير والتفسيق العام والخاص، والذين ارتحلوا منهج الغلو والإفراط، وراحوا يحكمون على الناس وفق ذلك وبطريقة أبعد ما تكون عن منهج الله وعن مبادئ الإسلام وسننه، ونتيجة لذلك صار بعضهم ضحية لهؤلاء الدعاة الواقفين على أبواب جهنم، وحطباً يوقدون بها نارهم ويشعلون بها فتيلهم)[2].

وكان عبد الله بن سبأ رأس الفتنة يقول لأتباعه: انهضوا في هذا الأمر بالطعن في أمرائكم.

(١) الإبانة الكبرى، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) ص٢٦٢، حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل الطبعة: الأولى (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع،١٤١٥ هـ)

(٢) وقفات مع حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في الفتن وسبل النجاة منها، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، ص ٢٥(الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(1).

إن دعاة السوء والضلال يقودون الناس إلى مهاوي الردى والعجز والجهالة، فهم لما كانوا جهلاء في ذوات أنفسهم دعوا الناس للجهل والغي والضلالة، فدعاة الباطل لا يقتصرون على الشر في ذوات أنفسهم بل يدعون الناس إلى هذا الشر خداعاً وإضلالاً.

ومن دعاة السوء دعاة الانحراف الفكري وتعمد الإضلال عن قصد، هدفهم في هذا إفساد المجتمع وإضلاله بدعواهم المريضة المنحرفة.

وكل من دعا إلى ضلالة أو بدعة وكل من دعا إلى فتنة فهو داخل دخولاً أصلياً في دعاة الباطل.

وحيث إن أعظم الفتن فتنتان: فتن الشبهات، وفتن الشهوات، فأما الأولى فعلاجها العلم وأما الثانية فعلاجها الإيمان والتقوى.

ودعاة الباطل هذا ميداهم في الدعوة لهاتين الفتنتين؛ بالتلبيس على الناس دينهم وإضلالهم، أو دعوهم إلى شهوات الدنيا وزخرفها.

ولما كان من منهجهم تأجيج العواطف وشحن النفوس عبر أساليب ملتوية من تزيين القول وتزييف الحقائق.كان من الضروري التأكيد على ترسيخ مبادئ الجماعة في الأنفس والمجتمعات.إن تحقيق الاعتصام من غائلة دعاة الباطل هو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

(١) سورة آل عمران، الآية:١٠٣.

- وتجميل المعاصي وتبديل أسمائها من صور سعاية دعـــاة الباطـــل المعاصرين.

وقد قسَّم الإمام ابن القيم الناس في معرفة الحق وأهله والباطل وأهله إلى أربعة أقسام فقال -رحمه الله-: (والناس في هذا الموضع أربع فـــرق: الفرقة الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصـــيل علماً وعملاً،وهؤلاء أعلم الخلق. الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك. الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيلالمؤمنين دون معرفة ضدها، فهو يعـــرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل، وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع شيئاً مما خالف ســـبيل المؤمنين صرف سمعه عنه، ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه)[1]

فطلب حذيفة رضي الله عنه معرفة أوصاف دعاة الفتنة ليحذرهم.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله -:(لا شك أن الواجـــب هو منع دعاة الباطل، وهم الذين يضايقون أهل العلم والخير، وربما جـــرَّ ذلك إلى منعهم من المساجد بأسباب دعاة الباطل فيُمنع غيرهم بأسبابهم، فإذا مُنع أهل الباطل؛ استقام الطريق، واتسع المجال لدعاة الحق)[2].

(١) الفوائد لابن قيم الجوزيه، ص: ١١١، الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ هـــ -١٩٧٣ م)

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، ٥/ ٢٥٢ ، الطبعة الثانية (الريـــاض: رئاســـة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٣ هـــ).

قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[1].

وفيه بيان وصف دعاة الباطل وقرنائهم، ودعاة الحق وأوليائهم، بما يوضح سماقم للناس جميعا في جميع العصور:

(أما دعاة الباطل فمن شأنهم إغواء الخلق، وإغراؤهم على مقاومة الحق، وهم مع تزون بالباطل الذي هم عليه، مصرون على التمسك به، لايحاولون أن يعيدوا فيه النظر، ولا أن يستبدلوا به غيره أبداً، وبحكم الغواية التي اختاروا طريقها لايجدون لهم أي أنس أومتعة في الحياة، إلا في معاشرة قرناء السوء ومتابعتهم، والثقة بوساوسهم في جميع الشؤون)[2].

ويدخل في وعد الشيطان وأمانيهم أي كون من أوليائه من الإنس، وهم قرناء السوء الذين يزينون للناس الضلال والمعاصي، ويمدوهم فى الطغيان وينشرون مذاهبهم الفاسدة وآراءهم الضالة التي يبتغون بها الرفعة والجاه والدنيا والمال، وهؤلاء يوجدون في كل زمان ومكان.

(وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلا غُرُوراً) أي: (وما يعدهم الشيطان إلا باطلا يغترون به ولا يملكون منه مايحبون، فيزين لهم النفع في بعض الأشياء وهي مشتملة على كثير من الآلام والمضارّ فالزاني أوالمقامر

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ٥/ ١٦٢، ط١(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ -١٩٤٦ م).

أوشارب الخمر يخيل إليه أنه يتمتع باللذات بينما هو في الحقيقة يتمتع بلذائذ وقتية تعقبها آلام دنيوية طويلة المدى، وخيمة العواقب، إلى عذاب أخروى لاي علم كنهه إلا من أحاط بكل شيء علماً. وبعد أن بين حال أولياء الشيطان وما يعدهم به الشيطان-ذكر عاقبتهم فقال: (أُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً) أي أولئك الذين يعبث بهم الشيطان بوسوسته، أو بإغواء دعاة الباطل من أوليائه، مأواهم جهنم لا يجدون عنها مهربا يفرّون إليه، إذ هم بطبيعتهم ينجذبون إليه اويتهافتون عليها تهافت الفراش على النار، فتصلى وجوههم وجنوبهم وظهورهم).[1]

ورغم وضوحِ هذا الأمرِ وكثرةِ الشواهد عليه، وظهور دلالتها على ذلك إلاَّ أنَّ مِن الناس مَن لا يزال يفتُ في عضدهم دعاةُ الضلال وأئمةُ الباطل، فيُ شبِّه ونعليهم الأمورَ، ويلْبسون عليهم الحقائق، ويزيِّنون لهم الباطل، وقد خاف النبي ﷺ على أمَّته من الأئمَّة المضلِّين، وهذا الذي خافه النبي ﷺ على أمته قد وقع في بعض فترات التاريخ، حيث تسلَّط بعضُد عاةِ الباطل وأئمةِ الضلال فزيَّنوا الباطل للناس[2]

وإنما الغرض التنبيه على أن دعاة الباطل المخالفين لما جاءت به الرسل يتدرجون من الأسهل والأقرب إلى موافقة الناس إلى أن ينتهوا إلى هدم الدين بالكلية والقضاء عليه.

(١) انظر: تفسير المراغي، مرجع سابق ،٥/١٦٢.

(٢) انظر: فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٢/ ١٢٠، ط٢(الكويت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

ومن السبل المعينة على تجنب الوقوع في حبائل دعاة الباطل:

- الفقه في الدين.
- الصدور عن رأي العلماء الراسخين والالتفاف حولهم؛ فهم ينظرون إلى الأمور من منظار الشرع المطهر لا الهوى والعواطف.
- اعتزال مواطن الريب والفتن.إذ أن الدفع أولى من الرفع كما قيل.

ويمكن تلخيص السبل في التالي:

- البعد عن مجالسة دعاة الباطل والاستماع لهم. ففي قوله ﷺ في حديث حذيفة الشهير: (على أبواب جهنم)، تحذير عظيم من مغبة الإنصات والاستماع لهؤلاء الدعاة، فإن مصيره سيكون عذاب الله وسخطه يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله -: (الواجب الحذر، فدعاة الباطل كثيرون، والمشيعون للباطل كثيرون، فالواجب التثبت وعدم الإصغاء إلى أهل الباطل والإشاعات الباطلة)[1].
- بيان عوار منهجهم وأنه مخالف لمنهج النبي ﷺ والسلف الصالح.
- الرد على شبههم وتفنيدها بالدليل والبرهان والحجة.
- لزوم جماعة المسلمين والتحذير من مفارقة الجماعة، إذ إنها سبب كل شر.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، ٩/ ١٠٦، مرجع سابق.

- قيام من ولاه الله أمر المسلمين بالأخذ على أيدي دعاة الباطل ومنعهم من إضلال الناس والاحتساب عليهم لاقترافهم هذا المنكر الشنيع. يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله –: (لأن الناس في أشد الحاجة إلى قمع المبطل ونصر الحق، ونصر المظلوم والقضاء على الظالم ولاسيما في هذا العصر، الذي اشتدت فيه غربة الإسلام وكثر فيه دعاة الباطل، وانتشرت فيه أنواع الإفساد في غالب المعمورة، واختلط الحابل بالنابل والظالم بالمظلوم، والمفسد بالمصلح والجاهل بالعالم)[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز،٢٣/ ٤٣١، المرجع السابق.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته سبحانه تتم النعم، حيث اكتمل هذا البحث الذي عُني ببيان بعض من سمات دعاة الباطل المعاصرين ،حيث تبين من خلال محاور البحث جملة من سمات دعاة الباطل التي تميزهم عن غيرهم من الدعاة، وقد أظهرت فساد ما هم عليه وزيغ منهجهم، وقد حاول البحث بيان بعضاً من أسباب انحرافهم عن المحجة البيضاء ومفارقتهم لمنهج السنة والجماعة وأئمة الهدى في باب القيام بواجب الدعوة وانحرافهم عنه، وكيف أنهم خالفوا هذا المنهج واتصفوا بجملة صفات وسمات أبعدتهم عن منهج الحق، وقربتهم لمنهج الباطل، وكان نتيجة ذلك ضلالهم وإضلالهم لغيرهم، وأن كانوا سبباً في تفرق أمة الإسلام وإضلال بعضها، حيث استحقوا بكل جدارة وصفهم بدعاة جهنم.

النتائج:

- أن سبب كل ضلال هو الجهل، ومن ذلك جهل دعاة الباطل فكانوا سبباً في إضلال الناس ودعوتهم لجهنم.
- أهمية الفقه في الدين وأنه هو السبب الرئيس في نجاة المرء في شأنه كله.
- أن في اتباع الهوى زيغاً عن الهدى وتنكباً عن الصراط المستقيم، إذ أن الهوى يقود دعاة الباطل في كل زمان ومكان.
- أن خير الهدى هدي محمد ﷺ الذي وصى بالجماعة وحذر من الافتراق.

- الحذر من الفرقة واتقاء الفتنة ودعاة الضلال دعاة النار.
- التأكيد على أن المخرج من الفتن في الاعتصام بأوامر الله والحفاظ على الجماعة.
- أن كل من دعا إلى ضلالة فهو داخل ضمناً في زمرة دعاة الباطل.
- أن حب الرئاسة والتصدر أحد دوافع دعاة الباطل المعاصرين، وهو سمة بارزة من سماتهم لا يكادون يتخلصون منها.
- أن التعصب للرأي والغرور وتسفيه الآخرين صفة لدعاة الباطل، كونهم يرون أنهم على الحق المبين الذي لا يماريهم فيه إلا جاهل سفيه.
- محاولة إبعاد الناس وتحذيرهم من دعاة الضلالة وخصوصاً تحذير النشء منهم ومسالكهم.
- لا يتم التحذير من أهل الأهواء إلا بذكر سماتهم ومخالفتهم لمنهج الحق.

التوصيات:

- أهمية اتجاه بعض الدراسات والأبحاث العلمية لتقصي الأسباب النفسية والاجتماعية التي تدفع دعاة الباطل لسلوك هذا المسلك، وكيف يتم التعرف على أفضل السبل لمعالجة انحرافهم.
- الحاجة لتوجيه بعض الدراسات الدعوية لبيان الظروف التاريخية التي دفعت لنشوء دعاة الباطل في بعض العصور وتكاثرهم في عصور أخرى.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل الطبعة الأولى(الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع،١٤١٥هـ)
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الآفاق الجديدة).
- أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، ط١(القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ)
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، ط٧(مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، (مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٠هـ).
- أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية).
- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).

- اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢(القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ).
- البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط١(المدينة المنورة: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ).
- بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ).
- بداية الانحراف ونهايته، أبو النصر محمد بن عبد الله الإمام، ط١(صنعاء: دار الآثار، ١٤٢٨هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الحسيني الزبيدي (الكويت" المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠٤م).
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).
- تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي(بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ٥/ ١٦٢، ط١(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ -١٩٤٦ م).

- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبدالبر أبو الأشبال الزهري، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (بيروت: دار الكتاب العربي).
- الجامع الصحيح للإمام البخاري،ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، غالب عواجي، ط٣(دمنهور: مكتبة السنة، ١٤١١هـ).
- الدعوة الإسلامية -أصولها ووسائلها-، أحمد غلوش (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧م).
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط١٧(المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، بدون طبعة (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).
- سنن الترمذي، عيسى بن محمد بن عيسى السلمي الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرينط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- سنن ابن ماجه، ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- صحيح البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (الرياض: دار السلام، ١٤٢١ه).

- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط١(الرياض: دار السلام،١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- عون المعبود، أبو الطيب عبد العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٣(بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن هلال عسكري، (دار الكتب العلمية،٢٠٠٨م).
- فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط٢(الكويت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل يوسف العزازي، ط١(الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـ).
- الفوائد لابن القيم الجوزيه، الطبعة الثانية(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ هـ -١٩٧٣ م)
- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٣٩١م).
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، ط١(الرياض: ١٣٨١هـ).

- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، الطبعة الثانية (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٣ هـ)
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ط١(الرياض: دار زمزم، ١٤١٤هـ).
- المسند، أحمد بن حنبل، ط١(بيروت: دار الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م).
- المعجم الكبير،أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢(الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م).
- معجم مقاييس اللغة،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢(بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- الملل والنحل، محمد الشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، ط٥(بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٩هـ).
- وقفات مع حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في الفتن وسبل النجاة منها، سليمان بن عبد الله أبا الخيل(الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

البحث رقم (٢)

مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي

(دراسة ميدانية تحليلية على عيّنة من مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض)

إعداد

د. لولوة بنت سليمان الغنام

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الجودة تعد مصطلحاً جديداً في وقتنا الحاضر كعلم قائم وفق معايير ونظم دقيقة، تهدف إلى رفع مستويات الأداء في أي مؤسسة ؛ سواء أكانت رسمية أم تطوعية، وقد ارتبط هذا المصطلح بعلماء معاصرين أسهموا بإبراز هذا المفهوم، وتطبيقه في واقع العمل مما أحدث نقلة كبيرة في مستوى الخدمة والإنتاج للمؤسسات التي التزمت بها، إلا أن الدين الإسلامي سبق مفكري وعلماء هذا العصر في وضع لبنات الجودة، والتأكيد على الالتزام بها بدءاً من إجادة العبادات التي هي بين العبد وربه، وانتهاء بالأعمال اليومية التي يقوم بها الفرد.

ولأن العمل الدعوي في أصله عبادة من أجل العبادات والطاعات بسمو هدفها؛ بدعوة الناس لعبادة الله رب العالمين؛ فإن تطبيق الجودة في مراحلها من الأهمية بمكان؛ سيما إذا كان العمل مؤسسياً يقوم على التنظيم والتخطيط لتحقيق هذا الهدف، وذلك بنشر مفهوم الجودة بين العاملين بها، والسعي إلى تطبيق مبادئها ومعاييرها التي تؤدي إلى التطوير والتحسين المستمر للعمل، ومع ما سبق من أهمية الموضوع؛ فإن من أسباب اختياره:

- ضرورة إبراز مبادئ إدارة الجودة الشاملة وفق أسس هـذا العلـم الحديث، مع ربطه بالعمل الدعوي الذي يقوم على أسس شـرعية ثابتة.
- الحاجة لمعرفة واقع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الـدعوي المؤسسي، مع إلقاء الضوء على ما يعيق تطبيقها بهدف تلافيها مـن قبل العاملين في المؤسسات الدعوية.
- الحاجة لتحديد مواطن التفعيل والإعاقة لمبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.

أهداف الدراسة:

- بيان مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.
- التعرف على واقع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الـدعوي المؤسسي.
- إبراز معوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قواعد المعلومات تبين للباحثة: أن موضوع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي لم يطرح سابقاً؛ فغالب الدراسات تحدثت عن الجودة ومبادئها ومعاييرها، أو العمل المؤسسي بشكل عام، إلا أن أهمها فيما وقفت عليه في هذا الموضوع:

بحث: تطبيقات الجودة في الجمعيات الخيرية/ إعداد: د.عبد الله الخراشي[1].

والبحث في (٢٥) صفحة؛ وجاء لمعالجة موضوع تطبيق الجودة في الجمعيات الخيرية من خلال دراسة ميدانية شملت عشرين جمعية خيرية بمختلف مناطق المملكة، وقد ذكر الباحث بأن طبيعة البحث لا تحتمل التفصيل في وضع معايير تفصيلية قابلة للقياس لكل العناصر، بقدر ما هي إثارة للموضوع يرجى أن تتبعها خطوات عملية من المهتمين والمتخصصين، وقد تناول في بحثه: مفهوم الجودة، وأهدافها، ومتطلبات تطبيق الجودة؛ مثل: زرع الفكرة في ثقافة المؤسسة، والتعليم والتدريب، والاستعانة بالاستشاريين، والتشجيع والحفز، والإشراف والمتابعة. ثم تحدث عن خصائص الجودة ذات الصلة بالخدمات، ومجالات تطبيق الجودة في الجمعيات الخيرية؛ موضحاً أنه لا يمكن تقييد الجمعيات الخيرية بتطبيق الجودة بشكل شامل في جميع المجالات لأن عملها خيري، واقترح بعض المجالات التي يرى الباحث أهميتها مثل: مجال البرامج، ومجال القوى العاملة، ومجال الموارد المالية، ومجال محور التنظيم الإداري.

وفي المقابل فإن هذا الدراسة تتحدث عن مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي، وتسعى للتعرف على واقع تطبيقها، ومعوقات التطبيق من خلال دراسة ميدانية على عينة من مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض.

---

(١) البحث منشور في موقع المفكر الدعوية / www.dawahmemo.com.

التعريف الإجرائي لعنوان الدراسة:

القواعد الأساسية التي يرتكز عليها العمل الدعوي المؤسسي؛وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة العالمية [(١)] ؛ بهدف رفع مستوى إتقان العمل.

مناهج الدراسة وأداتها:

هذه الدراسة من الدراسات الوصفية القائمة على ثلاثة مناهج من مناهج البحث العلمي؛ وذلك لقيامها على جانبين: الجانب النظري، وفيه يتبع المنهج الاستقرائي؛ وهو:

« الحكم على الكلي بما يوجد في جزيئاته جميعاً... فالاستقراء يدرس بعض الجزئيات والظواهر بغية الكشف عن العلل و العلاقات التي تجمع بينها لنصل بهذا إلى معرفة القوانين العامة أو القضايا الكلية » [(٢)] .

أما الجانب الثاني فهو الجانب الميداني والذي يقوم على المنهج المسحي الذي يهدف إلى: وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة جودتها، والذي يمكن تطبيقه على مجموعة واحدة أو مجموعتين [(٣)] .

والمنهج التحليلي: « وهو المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بأي نشاط كان، ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها» [(٤)] .

---

(١) انظر التعريف بإدارة الجودة الشاملة ومبادئها في ص٦ من هذا البحث..

(٢) مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة / د. فرج الله عبد الباري، ص٤٦، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م..

(٣) انظر: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية/ د. صالح بن حمد العساف، ص١٩١، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.

(٤) مناهج البحث وكتابتها/ يوسف بن مصطفى القاضي، ص٨٩، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ..

ويتم جمع معلومات الدراسة من خلال أداة البحث: الاستبيان ؛ لجمع بيانات كمية وكيفية للإجابة على تساؤلات البحث.

مجتمع الدراسة وعينتها:

مجتمع الدراسة سيكون -بمشيئة الله- كما يلي:

مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في مدينة الرياض، وتهدف هذه الدراسة إلى تعميم نتائجها على مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في المملكة العربية السعودية بشكل عام.

أما عيّنة الدراسة:

فهي تشمل مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض، بواقع (٥٦) عيّنة عشوائية من الأعضاء العاملين في أربعة مكاتب تمثل التوزيع المناطقي لمدينة الرياض وذلك كما يلي:

- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشمال الرياض.
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالروضة.
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشفاء.
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالبديعة.

تساؤلات الدراسة:

ستجيب هذه الدراسة -بمشيئة الله- عن التساؤلات التالية:

أ) التساؤلات المتعلقة بالجانب النظري:

- ما تعريف إدارة الجودة الشاملة، وما أبرز مبادئها؟

- ما المقصود بالعمل الدعوي المؤسسي، وما أبرز خصائصه؟
- ما مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟

ب) التساؤلات المتعلقة بالجانب الميداني:

- ما مدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟
- ما واقع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟
- ما معوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟

خطة الدراسة:

جاء هذا البحث في تمهيد ومبحثين كما يلي:

المبحث التمهيدي:

المطلب الأول: إدارة الجودة الشاملة، تعريفها، ومبادئها.

المطلب الثاني: العمل الدعوي المؤسسي، تعريفه، وخصائصه.

المبحث الأول: مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي:

المطلب الأول: وضوح الهدف من العمل الدعوي.

المطلب الثاني: الالتزام بالعلم والتعلم.

المطلب الثالث: إدارة فعالة للعمل الدعوي.

المطلب الرابع: كفاءة الداعي إلى الله.

المطلب الخامس: التركيز على المستفيد من الدعوة.

المطلب السادس: تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي.

المطلب السابع: التحسين المستمر للعمل الدعوي.

المبحث الثاني:الدراسة الميدانية:

المطلب الأول: إجراءات الدراسة الميدانية.

المطلب الثاني: نتائج الدراسة الميدانية.

المطلب الثالث: تقويم الدراسة الميدانية.

الخاتمة: وتحوي خلاصة البحث، وأهم توصياته.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث التمهيدي

المطلب الأول: إدارة الجودة الشاملة، تعريفها، ومبادئها

يُعد مفهوم إدارة الجودة الشاملة من المفاهيم الإدارية الحديثة، الذي يختلف الباحثون في تحديده؛ تبعاً للسياق الذي يرد فيه باختلاف الجهات والمؤسسات التي تطبقه سواءً في الصناعة أم التجارة أم التعليم، وبالرغم من اختلاف الباحثين في تعريفه إلا أنهم يتفقون في أن الجودة تهتم بتحسين الخدمات بشكل مستمر؛ تبعاً لمتطلبات المستفيد وسعياً لتحقيق رضاه[1].

ومن التعريفات لإدارة الجودة الشاملة:

- عرف معهد المقاييس البريطاني British Standards Institute إدارة الجودة الشاملة بأنها: «فلسفة إدارية تشمل كافة نشاطات المنظمة التي من خلالها يتم تحقيق احتياجات وتوقعات العميل والمجتمع، وتحقيق أهداف المنظمة كذلك بأكفأ الطرق وأقلها تكلفة عن طريق الاستخدام الأمثل لطاقات جميع العاملين بدافع مستمر للتطوير»[2].

- كما عُرفت بأنها: « منهج ومظهر من مظاهر العمل الإداري التعاوني الجماعي أساسه الرغبة والإصرار والسلوك الحميد القائم على

---

(١) انظر: الجودة تعريفات وتطبيقات / للأستاذ: عبدالعزيز عبدالله محمد المسعد، ص٨٠، (دون دار النشر)، ط٢، ١٤٣٣هـ، ومبادئ الجودة الشاملة في الإسلام وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي/ د. جمال محمد الهنيدي، ص١٥، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

(٢) إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات/ د. محفوظ أحمد جودة، ص٢٢، دار وائل للنشر، الأردن، عمان، ط٦، ٢٠١٢م.

المعرفة والخبرة، والمهارة المطلوبة والعمل بروح الفريق الواحد، من أجل التحسين المستمر لبيئة العمل، والتوظيف الأمثل للموارد المتاحة لرفع مستوى الأداء، وزيادة الإنتاجية وجودة الخدمات بشكل صحيح وبأقل التكاليف لتحقيق رضا المستفيد» [(١)] .

إن إدارة الجودة الشاملة بمثابة التزام من المؤسسة بتقديم خدمات على مستوى عال من الجودة، مع الالتزام بالتحسين والتطوير حرصاً على رضا المستفيد، وهذه الفلسفة الإدارية جديرة بالعناية في العمل الدعوي المؤسسي على اختلاف اتجاهاته؛ لأنها تقوم على المنهج الإسلامي بشكل عام والذي يدعو إلى تجويد العمل وإتقانه.

ولأجل تحقيق الجودة الشاملة كسلوك في المؤسسات التي تقدم خدمات للآخرين يجب تطبيق مبادئها التي تقوم عليها، وعلى الرغم من أن تحديد مبادئ إدارة الجودة الشاملة جاء مختلفاً ومتنوعاً عند الباحثين، إلا أنه لا يكاد يخرج عن تصنيف إدوارد ديمنج [(٢)] لمبادئه الأربعة عشر المشهورة [(٣)] ، وذلك كما يلي:

---

(١) إدارة الجودة الشاملة/ د. حامد بن مالح الشمري، ص٣٣ (د: دار النشر)، ط٢، ١٣٢٨هـ.

(٢) ويليام إدواردز ديمنغ (١٩٠٠-١٩٩٣) هو مهندس تصنيع أمريكي، حصل على الدكتوراه في الرياضيات والفيزياء، وقد عُرف بلقب "أبو الجودة" وذلك لما ساهم به في عالم الجودة والإدارة. سافر إلى اليابان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث وضع كل خبراته وطاقاته لإعمار اليابان، مقدما الاستشارات لتطوير الرقابة على الإنتاج والإعمار.. ونتيجة لكل ما بذله من جهود في خدمه البشرية في المجالات الإدارية فهناك العديد من الجوائز العالمية التي تأخذ باسمه في عالم الجودة الشاملة. انظر: موسوعة ويكيبيديا / http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٣) هناك من جعل المبادئ ستة أو أربعة أو ثمانية على اختلاف بين الباحثين في علم الجودة كجوزيف جوردان، وفيلب كروسبي، وكاورو اويشيكاو، إلا أنهم يجمعون على تحديد المبادئ الأساسية التي جاءت ضمن مبادئ ديمنج. انظر: إدارة الجودة الشاملة/للأستاذ الدكتور: خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، ص٩٠، =

١- تحديد ونشر أهداف المنظمة.

٢- تبني الفلسفة الجديدة من خلال فهم الجودة والتحسين المستمر.

٣- عدم الاعتماد على الفحص الكلي(التفتيش عن الأخطاء)، والاستعاضة عنه بالرقابة الوقائية.

٤- الاعتماد على جودة المواد المشتراة، وليس على الأقل سعراً.

٥- تحسين نظام الإنتاج والخدمة باستمرار.

٦- الاهتمام بالتدريب.

٧- إيجاد القيادة الفعالة.

٨- إزالة الخوف من العاملين، وجعل أنشطتهم تتجه دوماً نحو معرفة المشكلات في الأداء، واعتبارها فرصة للتطوير والتحسين.

٩- تفعيل فرق العمل.

١٠- تجنب النصائح والشعارات الجوفاء.

١١- تجنب تحديد أهداف رقمية للعاملين؛ لأن ذلك يؤدي إلى تركيز العامل على الكم وليس الجودة.

١٢- دعم اعتزاز العاملين بعملهم .

١٣- تشجيع التعلم والتطوير الذاتي.

١٤- إحداث التغيير الملائم لدفع عملية التحويل، وذلك بإجراء التغييرات المناسبة في الهياكل التنظيمية؛ لأجل تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة[(١)] .

- (دون دار نشر) ط٢، ١٤٣٣هـ، وإدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات / د. محفوظ أحمد جودة، ص٢٧، وإدارة الجودة الشاملة/ للدكتور: عبدالرحمن توفيق، ص٤٣، مركز الخبرات المهنية للإدارة، بميك، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨م، وإدارة الجودة الشاملة / د. حامد بن مالح الشمري، ص٦١.

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات /.د. محفوظ أحمد جودة، ص٢٨، وللاستزادة حول مبادئ الجودة الشاملة: إدارة الجودة الشاملة/ للأستاذ الدكتور/ خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، ص٩٠، وإدارة الجودة الشاملة/ للدكتور: عبدالرحمن توفيق، ص٤٣.

إن إدارة الجودة الشاملة بمبادئها ترتكز على التكامل والتعاون مابين الإدارات والعاملين فيها بما يحقق توقعات المستفيد من الخدمة مع الالتزام بالتحسين الدائم، وهذا ما تتفق عليه مبادئ إدارة الجودة الشاملة على اختلاف تفصيلاتها .

المطلب الثاني : العمل الدعوي المؤسسي، تعريفه، وخصائصه :

إن العمل الدعوي المؤسسي ينقل الجهد الدعوي من الفردية إلى الجماعية، ومن الفوضوية للتنظيم ؛ وفق أسس وقواعد منهجية ثابتة لا ترتبط بالأشخاص، وإنما بالمنهج الإسلامي المتكامل الذي يقوم على الكتاب والسنة.

فهو: «كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبرى، وفرق عمل، وإدارات متخصصة؛ علمية ودعوية واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار، في دائرة اختصاصها»(١) .

كما أنه شكل من أشكال التعبير عن التعاون بين الناس، أو ما يطلق عليه العمل التعاوني، والميل لقبول العمل الجماعي وممارسته شكلاً ومضموناً، نصاً وروحاً، وأداء العمل بشكل منسق، قائم على أسس ومبادئ وأركان، وقيم تنظيمية محددة(٢) .

---

(١) العمل المؤسسي معناه ومقومات نجاحه/ عبد الحكيم بن محمد بلال، مجلة البيان: العدد (١٤٣)، رجب (١٤٢٠هـ)، نوفمبر (١٩٩٩م)، المقال منشور في موقع جامعة أم القرى في الشبكة الإلكترونية/ http://uqu.edu.sa/page/ar/146404.

(٢) العمل المؤسسي/ د.محمد أكرم العدلوني، ص٢٠، قرطبة للإنتاج الفني، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

فثقافة أعمال الخير تتهمش وتضمر لدى كثير من الناس، ما لم توجد النظم والقوانين التي تدعمها وتجسدها وتحميها من سلطة المادة التي تبتلع اليوم كل شيء، والعمل المؤسسي جدير بأن ينظم العمل وفق خطط وآلية تنفيذ دقيقة[1].

إلا أن مجرد التجمع على العمل وممارسته من خلال مجلس إدارة، أو من خلال جمعية أو مؤسسة خيرية، لا ينقل العمل من الفردية إلى عمل مؤسسي، فكثير من المنظمات والجمعيات الخيرية التي لها لوائح وأنظمة، ومجالس إدارات وجمعيات عمومية، إنما تمارس العمل الفردي، إذ إن المنظمة أو الجمعية لا تعني إلا شخصاً بعينه؛ فهو صاحب القرار، والذي يملك زمام الأمور، وهذا ينقض مبدأ الشورى والمشاركة الذي هو أهم مبدأ في العمل المؤسسي[2].

إن أهمية العمل الدعوي المؤسسي تكمن في مجموعة من السمات والخصائص، التي تجعله مميزاً، منها ما يلي[3]:

---

(١) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي/ أ.د.عبدالكريم بكار، ص٢٧٤، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (د:تاريخ النشر).

(٢) انظر: العمل المؤسسي، معناه ومقومات نجاحه /عبد الحكيم بن محمد بلال.مقال منشور في موقع جامعة أم القرى في الشبكة الإلكترونية/http://uqu.edu.sa/page/ar/146404.

(٣) انظر: العمل المؤسسي/د.محمد أكرم العدلوني، ص٢٢، ومقال: حتى تخرج دعوتك من نطاق الفردية/ د.أسماء الرويشد، المقال منشور في موقع لها أون لاين /http://www.lahaonline.com، وورقة العمل: العمل المؤسسي في المؤسسات والجمعيات الخيرية الواقع والإصلاح المنشود./ فاطمة العديساني،منشورة في موقع الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام - إنسان- /http://www.ensan.org.sa/vb/showthread.php?t-8571والبناء المؤسسي في المنظمات الخيرية الواقع وآفاق التطوير/ محمد ناجي بن عطية- دراسة ميدانية قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء – الجمهورية اليمنية-البحث منشور في موقع المفكرة الدعوية/ .http://www.dawahmemo.com/show_d.php?id-1683

- تحقيق مبدأ التعاون والجماعية، الذي هو من أسمى مقاصد الشريعة الإسلامية.
- تحقيق التكامل في العمل.
- دفع العمل نحو الوسطية والتوازن، فلا إفراط ولا تفريط وبعيداً عن الغلو والتمييع.
- ضمان استمرارية العمل، فلا يقف عند غياب الأشخاص.
- عموم نفعه لأفراد المجتمع؛ لارتباطه بالمؤسسات التي تكسب صفة الشرعية للمشاريع، والبرامج التابعة للمؤسسة، مما يفتح أمامها كثيراً من الميادين، ويسهل سياسة الانتشار.
- العمل المؤسسي بشكل عام يوضح الأهداف، وينظم العمل؛ لأنه يجبر على إيجاد التخصصات، وبالتالي يجبر العاملين على الوضوح وتحمل المسؤولية.
- يضمن العمل الدعوي المؤسسي اجتهاد الإدارة في اختيار أفضل الأساليب النظرية والإدارية، لتحقيق أو تقديم أفضل مستويات للخدمة، بالاستفادة من الجهود السابقة، والخبرات المتراكمة بعد دراستها وتقويمها.
- يضمن العمل الدعوي المؤسسي عدم تفرد القائد أو القيادة في القرارات المصيرية المتعلقة بالمؤسسة؛ وذلك بالقرب من الموضوعية أكثر من الذاتية بوضع معايير محددة وموضوعية للقرارات، مما يجنب العمل الدعوي المشاكل الناتجة عن القرارات الارتجالية.

- يؤكد العمل الدعوي المؤسسي جاهزية المؤسسة في تقديم القيادات البديلة في وقت الضرورة والطوارئ، حينما تدخل المؤسسة في أزمة تستدعي التغيير والتبديل.
- يضمن العمل الدعوي المؤسسي دعم المؤسسة بأفضل الموارد البشرية؛من خلال اتباع سياسة منظورة في الاختيار والتوظيف والتدريب والتأهيل، تحقيقاً للتنمية المهنية المستمرة. كما يضمن بأن جميع العاملين ملتزمون بمنظومة من القيم والمبادئ، يتمحور حولها أداؤهم وسلوكهم وعلاقاتهم الوظيفية والإنسانية بما يحقق أهداف الدعوة.
- يحافظ العمل الدعوي المؤسسي على الاستقرار النسبي المالي والإداري، من خلال اتباع مجموعة من نظم العمل(سياسات وقواعد وإجراءات) تعمل على تحقيق الأهداف بما يتفق مع رؤية المؤسسة، مقابل أن العمل الفردي يخضع للتغيير كثيراً، قوة وضعفاً، أو مضموناً واتجاهاً، بتغيير الأفراد واختلاف قناعاتهم، وقد يصل إلى وقف العمل الدعوي.
- ينقل العمل المؤسسي الدعوي المؤسسة من محدودية الموارد المالية إلى تنوعها واتساعها، فتتعدد قنوات الإيرادات، ويعرف الناس طريقهم إلى دعم المؤسسة عن طريق رسميتها ومشروعيتها.
- مواجهة تحديات الواقع بما يناسبها، وكيفية الاستفادة من منجزات العصر، دون التنازل عن المبادئ، وهذا الغرض لا يقوم به مجرد أفراد لا ينظمهم عمل مؤسسي.

- التجارب الكثيرة تؤكد أن العمل الذي يبنى بناءً مؤسسياً، ينتج أضعاف العمل الذي يبنى بناءً فردياً.

هذه الخصائص وغيرها تبين أهمية تنظيم العمل الدعوي وفق إدارة مؤسسية فعالة.

المبحث الأول

مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي

إن مبادئ إدارة الجودة الشاملة الأربعة عشر التي وضعها ديمنج كانت بمثابة انطلاقة للباحثين لتصور المبادئ التي يجب أن تقوم عليها الجودة في أي تنظيم إداري أو مؤسسي يهدف إلى تطبيق الجودة، وإلى تطوير هذه الثقافة التنظيمية، وفي العمل الدعوي المؤسسي يأتي هذا وفق رؤية شرعية توجب على العاملين الالتزام بها، وتحفزهم على تطويرها، والحد من المشكلات التي قد تعيق العمل الدعوي عن تحقيق أهدافه؛ وذلك بتطبيق المبادئ التالية:

المطلب الأول: وضوح الهدف من العمل الدعوي:

وهو ما يعبر عنه برسالة المؤسسة ؛ وتتكون صياغة الرسالة من ثلاثة عناصر هي: الرؤية، والرسالة، والقيم والمبادئ، وهذه المبادئ الثلاثة يمكن أن يصاغ كلٌ منها بشكل منفصل، أو تصاغ معاً في شكل متكامل.

فالرؤية بمثابة الغاية التي ترغب المؤسسة في تحقيقها، وتمثل الرسالة الطريق إلى تحقيق هذه الغاية، أما القيم والمبادئ فهي أساس أي عمل تقوم به المؤسسة، ولا يمكن التخلي عن القيم والمبادئ في سبيل تحقيق رؤية ورسالة المؤسسة[(١)].

---

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة / للدكتور : عبدالرحمن توفيق، ص٣٣٢.

وبشكل عام هناك نوعان من أهداف الجودة في العمل:

- أهداف تخدم ضبط الجودة: وهي التي تتعلق بالمعايير التي ترغب المؤسسة في المحافظة عليها على مستوى المؤسسة ككل.
- أهداف تحسين الجودة: وغالباً تنحصر في الحد من الأخطاء، وتطوير المنتج أو الخدمة.

ويمكن تصنيف الأهداف بنوعيها إلى خمس فئات:

أ - أهداف الأداء الخارجي للمؤسسة، وتتناول البيئة والمجتمع.

ب - أهداف الأداء للمنتج أو الخدمة، وتتناول حاجات الزبائن والمنافسة.

ت- أهداف الأداء للعمليات، وتتناول مقدرة العمليات، ومردودها، وفاعليتها .

ث- أهداف الأداء الداخلي للمؤسسة، وتتناول مقدرة المؤسسة، وفاعليتها، ومدى استجابتها للتغييرات ومحيط العمل.

ج- أهداف الأداء للعاملين، وتتناول المهارات، والمعارف، والمقدرات، والتحفيز، وتطوير العاملين [(١)] .

وجميع هذه الأهداف يجب مراعاتها في منظومة العمل الدعوي؛ وخاصة عند وضع خطط واستراتيجيات المؤسسة التي ستنتهجها لتقديم خدماتها للمجتمع، فمن المهم أن تكون رسالة المؤسسة واضحة ومهمة

---

(١) انظر: دليل عملي لتطبيق أنظمة إدارة الجودة الآيزو ٩٠٠٠ / للدكتور المهندس مأمون السلطي، ص١٢٦، والمهندسة سهيلا إلياس، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٩.

ويحتاج لها عدد كبير من الناس؛ كي لا يضيع الجهد الدعوي فيما لا فائدة منه، كما يجب تجنب وضع أهداف قد تعجز المؤسسة عن تحقيقها.

فالمؤسسة التي تعنى بدعوة الجاليات تختلف عن المؤسسة التي تهتم بالبحوث الدعوية، أو المؤسسة التي تسعى لتأهيل الدعاة، أو تهتم بالدعوة الإلكترونية وغير ذلك؛ فلكل مؤسسة هدفها التي تسعى لتحقيقه، وعدم تحديده أو غموضه يؤثر بشكل كبير على بقية المبادئ، ويوقع المؤسسة الدعوية في عدد كبير من المشكلات، ومن ذلك:

- عدم وجود مبرر لقيام المؤسسة واستمرارها بدون هدف واضح تسعى تحقيقه.
- ضعف التخطيط على مستوى البرامج، والدراسات، والعاملين، والخدمات، والتغذية الراجعة، وغير ذلك.
- التخبط والعشوائية في اختيار الاستراتيجيات المناسبة لتقديم الخدمات.
- عدم تحديد الفئة المستهدفة للخدمة، ويتبعها عدم القدرة على تحديد احتياجاتهم من أجل تقديم الخدمة الجيدة لهم.
- تأثر عملية التقويم وتحليل النتائج مما يعيق عملية التحسين.
- عدم القدرة على وضع خطط بديلة، أو تجاوز العقبات عند غياب الهدف.

- تعرض المؤسسة للتشكيك في أهدافها ومصالحها عند عدم وضوح الأهداف، مما يؤدي إلى عزوف العملاء عن الاستفادة من خدماتها، أو يعرضها للإيقاف؛ حفظاً للمجتمع من تجاوزاتها.

ولذا نلحظ أن الله جل شأنه يوضح الهدف من إرسال الأنبياء في أكثر من موضع في كتابه الكريم؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[(1)].

فالهدف الأساس من العمل الدعوي: هداية الناس لعبادة الله وحده لا شريك له، وتأتي المؤسسات الدعوية مختلفة التوجهات والتخصصات لتحقيق هذا الهدف وفق رؤيتها ورسالتها الخاصة وفق قيم الإسلام ومبادئه، بما يحقق أهدافاً تفصيلية لا غنى للمسلمين عنها تحت إدارة تتسم بالوضوح والتخطيط للعمل المنهجي الدقيق، اعتباراً بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[(2)].

المطلب الثاني: الالتزام بالعلم والتعلم:

وهو ما يعبر عنه بتبني المؤسسة والعاملين فيها للفلسفة الجديدة المتعلقة بالالتزام بالجودة، وتشجيع العلم والتعلم الذاتي للرفع من مستوى العمل، وكذلك التدريب المستمر، وهذه القاعدة أصل في الشريعة الإسلامية؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، كما ورد في الحديث

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة الملك: ٢٢.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ...)[1].

وهو ما أكدت عليه الآيات في أكثر من موضع ؛ قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[3].

وهذا الأصل في الدعوة إلى العلم والتعلم يقودنا إلى مفهوم أصيل في ديننا الإسلامي الحنيف، والذي ينطلق من منظومة القيم الإسلامية الرصينة في الحرص على الدقة والإتقان في العمل، ويظهر ذلك في عديد من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى الإحسان؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[5].

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ح(٢٢٤)، وقال الإمام المحدث محمد بن ناصر الألباني(صحيح). انظر: سنن ابن ماجه/لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلاّمة المحدِّث: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى بـه: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، ص٥٦، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (د: ت)..

(٢) سورة طه: ١١٤.

(٣) سورة المجادلة: ١١.

(٤) سورة البقرة: ١٩٥

(٥) سورة المائدة: ٩٣.

كما ورد في الحديث الشريف عن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...)[١] .

إن الالتزام بهذا المبدأ في العمل الدعوي يحتم على المؤسسة أن تكون خططها واستراتيجياتها مبنية على علم ثابت ومتجدد؛ وفق أصول الشريعة، مع الحرص على نشر ثقافة الجودة عند العاملين فيها، وهذا يستلزم المجاهدة والصبر لتحقيق ذلك، وقد ذكر الإمام ابن قيّم الجوزية رحمه الله في درجات الصبر: «الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً»[٢] .

ومن أبرز جوانب هذا المبدأ:

- العلم بقواعد الشريعة وأصولها وفق رؤية تأصيلية من الكتاب والسنة، وخاصة فيما يتعلق بنشاط المؤسسة الدعوية التي ينتمي إليها الفرد.
- العلم بمبادئ الجودة ومعاييرها وأسسها وأهدافها بشكل عام، وربط ذلك بأهداف المؤسسة التي يعمل الفرد معها ورؤيتها، ورسالتها.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ح(١٩٥٥)، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/إشراف فضيلة الشيخ: صالح آل الشيخ، ص١٠٢٧، دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢١ هـ.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج١٦٥/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ.

- العلم بالاستراتيجيات المناسبة لتحقيق أهداف المؤسسة، ومدى مناسبتها للفئة المستهدفة من العمل الدعوي.
- الحرص على التعلم الذاتي والتطوير والتحسين في جميع عمليات العمل الدعوي في المؤسسة.
- الاهتمام بالتغذية الراجعة، والإفادة منها فيما يتعلق بتطوير جانب العلم والتعليم الدعوي؛ سواء أكان في جانب الإدارة أم الدعاة العاملين فيها.

المطلب الثالث: إدارة فعالة للعمل الدعوي.

إن التزام المرؤوسين بتخصيص الوقت الكافي لتطبيق الجودة، وتخصيص المؤسسة للموارد اللازمة لهذه المبادرة لا يعد كافياً للنجاح، فالفرد في الإدارة العليا يجب أن يكون متحمساً ومؤيداً لإدارة الجودة الشاملة، كما أنه يؤدي دوراً حاسماً في تنظيم الأعمال في عملية التطبيق، والمشاركة في التدريب، وإعطاء صورة ذهنية إيجابية لإدارة الجودة الشاملة في أذهان جميع العاملين في المؤسسة[(١)].

ومما يحقق مبدأ الإدارة الفعالة في العمل الدعوي، ما يلي:

أ- وجود القيادة الفعالة:

هناك مهارات أساسية يجب أن تتدرب عليها القيادة كي تكون فاعلة ومنتجة وذات أثر على مرؤوسيها ومن ذلك: التشخيص الفعال

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة / جوزيف جابلونسكي، تعريب: عبدالفتاح السيد النعماني، ص٧٣، مركز الخبرات المهنية للإدارة(بميك)، القاهرة، ١٩٩٦م. (د: رقم الطبعة).

للحاجات والمشكلات والمعوقات، مع القدرة على حلها واتخاذ القرارات، وكذلك مساعدة الأفراد على التطور والانسجام مع غيرهم، وإبداء الاهتمام بالعمل، وفهم حاجاتهم، كما يجب أن تكون القيادة قادرة على البقاء في عالم الإدارة، وأن يكون الهدف هو التكامل مع الإدارات الأخرى، وليس التنافس[(١)].

إن قادة العمل الإداري الدعوي يجب أن يكون لديهم تصور دقيق لأهداف المؤسسة ورسالتها، مع القدرة على الانسجام في منظومة العمل في جميع المراحل؛ كالتخطيط، واتخاذ القرارات، والتطبيق، والمشاركة في عملية التحسين، والقيادة الفعالة ليست بمعزل عن واقع العمل ومشكلاته والعقبات التي تعترضه، بل هي دائماً قريبة ولديها الحل المناسب والتصرف الجيد في كل موقف يعترض العمل الدعوي.

إن فاعلية القيادة لا تقتصر على اتخاذ القرارات كما هو شائع، وإنما يجب على القادة المشاركة مع الأفراد العاملين في كل خطوة تحقق مبادئ الجودة التي التزمت المؤسسة بتطبيقها، وفي المقابل ضعف القادة علمياً وإدارياً يؤثر سلباً وبشكل مباشر على المرؤوسين الذين ينتظرون تخطيطاً دقيقاً، ومتابعة منهجية للعمل تمكنهم من تطبيق الجودة بشكل صحيح.

---

(١) انظر: الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/ م.بدوي محمود الشيخ، ص١٣٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.

ب- القضاء على الخوف:

من مهام الإدارة الفعالة في العمل الدعوي القضاء على معوقات التطور والتقدم ومن أهمها: الخوف من الفشل أو الخطأ أو التغيير؛ فعندما يخاف الفرد أن يخطئ لن يقوم بأي محاولة للتجديد، وهو مما يعيق عملية التحسين[1].

يجب على الإدارة أن تهيئ للعاملين معها مناخاً مناسباً للعمل بدون خوف من التبعات المتسلطة، ويمكن تحقيق ذلك باتباع منهجية واضحة تشجع على المبادرة والتجديد وتطرح حلولاً متنوعة للمشكلات المتوقعة، مع الحرص على إشاعة الود وتحقيق الألفة الأخوية بين القادة والمسؤولين - خاصة في عمل دعوي يهدف في المقام الأول لتحقيق رضا الله سبحانه، ولنا قدوة حسنة في نبينا محمد ﷺ الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

ج- تفعيل فرق العمل وحل الصراعات بينها:

إن من واجبات الإدارة الفعالة بناء فرق عمل نشطة ومتعاونة لتحقيق هدف معين، والمقصود بالفريق: (مجموعة من الأفراد يشتركون في

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات/ د.محفوظ أحمد جودة، ص٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

أداء عمل موحد، ويتحمل كل فرد منهم مسئوليات ومهام جزئية معينة في هذا العمل، ولدى كل أفراد الفريق التعاطف والانتماء الذي يساعدهم على سهولة الأداء والرضا عن هذا العمل)[(١)] .

ولا شك أنه لكي تعمل إدارة الجودة الشاملة بطريقة صحيحة وتحقق الأهداف المعقودة عليها فإنه يجب أن يتم تمكين العاملين وتفويض السلطة لهم بشكل يمكنهم من المشاركة الحقيقة في الارتقاء بالجودة والإنتاجية، وأفضل فرق العمل هي ما تكون ذاتية الإدارة؛ والذي يأخذ فيه فريق العمل على عاتقه معظم مسئوليات المدير، فهو يخطط وينفذ ويطور ويقوّم أعماله، الأمر الذي يكسب العمل مرونة وفعالية تؤثر جوهرياً في جودة الأداء[(٢)] .

د- تجنب النصائح والشعارات الجوفاء:

يأتي العلم دائماً مقترناً بالعمل في الشريعة الإسلامية، فإن القصد هو إعمار النفس والأرض بما يحييها في الدنيا والآخرة، وفي العمل الإداري الدعوي يجب أن تكون نصائح وشعارات المؤسسة الدعوية قيد التنفيذ وفق أدوات وخطط تساعد على تحقيق أهدافها.

---

(١) الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/م.بدوي محمود الشيخ، ص١١٩.

(٢) انظر:تطبيق إدارة الجودة الشاملة بين فرص النجاح ومخاطر الفشل/د. فريد زين الدين، ص٢٧٩، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، (د: دار نشر).

فالله -جل شأنه- ذم من خالف قوله فعله؛ فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله. أما في الماضي فيكون كذبا، وأما في المستقبل فيكون خلفا، وكلاهما مذموم»[2].

هـ- المشاركة وتفويض الصلاحية:

ومما يحقق الإدارة الفعالة في العمل الدعوي المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين؛وذلك

بتفعيل دورهم بطريقة تشعرهم بالأهمية، وتحقق الاستفادة الفعلية من إمكاناتهم، والمشاركة المقصودة هنا هي المشاركة الجوهرية وليست الشكلية، إذ يفترض أن تحقق المشاركة أمرين:

الأول: تزيد من إمكانية تصميم خطة أفضل، والثاني: تحسين من كفاءة صنع القرارات من خلال مشاركة العقول المفكرة والقريبة من مشكلات العمل والتي تحمل الهم الدعوي .

---

(١) سورة الصف: ٢-٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي/لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ١٨/٨٠، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

إن نجاح الجودة الشاملة يعتمد على مشاركة العاملين في المؤسسة الدعوية مع الإدارة العليا في اتخاذ القرارات، وذلك من منطلق قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (١). وتنفيذ الأعمال مما يجعل الأفراد وتنفيذ الأعمال مما يجعل الأفراد يحسون بأهميتهم وإسهامهم في تنفيذ الأعمال وإنجاحها؛لأنهم سيعتبرون هذا النجاح نجاحاً لهم أيضاً، أما تفويض الصلاحية، فهي لا تعني فقط المشاركة، بل يجب أن تكون مشاركة الأفراد بطريقة تمنحهم صوتاً حقيقياً عن طريق هياكل العمل، والسماح للعاملين بصنع القرارات التي تهتم بتحسين العمل داخل أقسامهم الخاصة، فبدون المشاركة وتمكين العاملين وتوزيع الصلاحيات والمهام، وإعطاء الفرص لرفع معنويات فريق العمل، والإخلاص الثابت والملموس من الجميع لجعل مبادئ الجودة الشاملة وممارساتها جزءاً لا ينفصم من ثقافة المؤسسة؛ فإن كافة الجهود المبذولة محكوم عليها بالفشل (٢).

كما أن العمل الدعوي قائم على المشاركة بين الجميع فيما يحقق الأهداف؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الشورى: ٣٨.

(٢) الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات (قراءة إسلامية) بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) المقام في فرع الجمعية في القصيم يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٨-٢٩ ربيع الآخر الموافق ١٥-١٦مايو ٢٠٠٧م بعنوان "الجودة في التعليم العام" إعداد : بدرية بنت صالح الميمان . البحث منشور في الشبكة الإلكترونية:
http://kenanaonline.com/users/drkhaledomran/posts/438092

(٣) سورة المائدة: ٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقد حث رسولنا الكريم ﷺ على التعاون والعمل الجماعي، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)ثم شبك بين أصابعه.[2]

وهذا مما يحقق التكامل الداخلي والخارجي بين كافة أقسام المؤسسة الدعوية ذاتها، أو بينها وبين المؤسسات الدعوية الأخرى؛ لأن العمل الدعوي منظومة متكاملة لا يمكن أن تنفصل وتستقل بجزئية من جزئياتها دون التعاون مع المؤسسات الأخرى ذات العلاقة، وهذا يسهم في الرفع من مستوى المؤسسات الدعوية في التعاون، والإفادة من الخبرات العلمية والمهنية، وحل المشكلات المتوقعة في هذا المجال.

المطلب الرابع: كفاءة الداعي إلى الله.

إن كفاءة الداعي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعدد من مبادئ إدارة الجودة العامة؛كالالتزام بالعلم والتعلم، والحرص على التدريب، وتجنب تحديد أهداف رقمية للعاملين من أجل أن يكون الأولوية للكيف وليس الكم، وكذلك دعم اعتزاز العاملين بعملهم؛لأن عطاء الفرد يتضاعف مع

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ح(٦٠٢٦)، انظر:موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/ص٥١٠ .

الشعور بقيمة وأهمية العمل الذي يقوم بتنفيذه، مما يجعله مبدأ مهماً من مبادئ العمل الدعوي المؤسسي.

فالالتزام بالتعلم والتدريب يجعلالمؤسسة في مقدمة المؤسسات الدعوية المؤثرة في المدعوين ويحد من الوقوع في العديد من الأخطاء التي تأتي مع الجهل، ويرفع من كفاءة منسوبيها، وقد جعلت ابنة شعيب - عليه السلام- الكفاءة معياراً لاختيار العامل في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (١)، خاصة عندما نعلم مدى تأثير الداعي الكفء على المدعوين باستجابتهم للدعوة إلى الله.

ويمكن رفع كفاءة العاملين في المؤسسات الدعوية وخاصة الدعاة إلى الله عن طريق التدريب المنظم والمستمر والذي يأتي وفق احتياجات المؤسسة داخلياً وخارجياً؛ فالتدريب عبارة عن: «نشاط منظم يركز على الفرد لتحقيق تغير في معارفه ومهاراته وقدراته لمقابلة احتياجات محددة في الوضع الحاضر أو المستقبلي، في ضوء متطلبات العمل الذي يقوم به المرء، وفي ضوء تطلعاته المستقبلية للوظيفة التي يقوم بها في المجتمع» (٢)

(١) سورة القصص: ٢٦.

(٢) حول التربية والتعليم / أ.د.عبدالكريم بكار، ص٣٩٨، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٤٣٢هـ.

والتدريب أحد قسمي التأهيل؛ فالتأهيل نظري وعملـــي، وكـــلا القسمين مهمان ولا يستغنى عنهما، والبرامج التدريبية تفترض مســـتوى معين من الفهم والوعي لأجل البناء عليه عملياً[(١)].

وفي معظم المؤسسات يمكن حصر أهداف التدريب في ثلاث نقاط:

١- تعويد العاملين في المؤسسة على نماذج معينة للسلوك وعلى مستوى محدد للأداء.

٢- تأكيد التقدم والتحسن من خلال التعليمات والممارسات.

٣- تحفيز العاملين وحثهم لإحداث تغييرات ضرورية في السلوك[(٢)].

ويجب على إدارة المؤسسة الدعوية تخصيص الموارد اللازمة لتدريب العاملين لأداء المهام الموكلة لهم بأفضل الطرق وخاصة الـــدعاة إلى الله، ويجب أن تشكل المبادئ الأربعة عشر لديمنج القاعدة الأساسية للـــبرامج التدريبية وفق رسالة المؤسسة ورؤيتها، كما يجب إعادة تدريب كل فرد عندما تتغير متطلبات المنشأة لمواجهة تغييرات بيئيـــة أو اجتماعيـــة، وفي مقابل ذلك؛ فإن أكثر ما تحتاجه المؤسسة الدعوية هو وجود الأفراد الذين يتطورون بالتعليم[(٣)].

---

(١) انظر: التدريب وأهميته في العمل الدعوي/ د. محمد موسى الشريف، ص٢٧، دار الأندلس الخضـــراء، جدة، ط٤، ١٤٢٤هـــ..

(٢) انظر: تطبيق إدارة الجودة الشاملة بين فرص النجاح ومخاطر الفشل/ د. فريد زين الدين، ص١٠٨..

(٣) انظر: إدارة الجودة الشاملة / ديل بسترفيلد، وآخرين، ترجمة: د. راشد محمد الحمالي، ص١٥، نشـــر جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـــ، الرياض..

كما أن مما يزيد من كفاءة الداعي إلى الله أن يكون التركيز على الكيف وليس الكم؛ بمعنى أن يكون التركيز على جودة المادة العلمية، وأصالتها، مع مراعاة جودة الأساليب والوسائل المستخدمة بغض النظر عن تحقق استجابة المدعو؛ فإن الله جل شأنه أمر ببذل الوسع لدعوة الناس، والحرص على هدايتهم، ولم يلزم الدعاة بتحقيق الهداية لهم، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١).

قال الإمام السعدي -رحمه الله- في تفسير الآية: «ليس عليك هدي الخلق، وإنما عليك البلاغ المبين، والهداية بيد الله تعالى»(٢).

وأيضاً مما يرفع كفاءة الداعي إلى الله اعتزازه بعمله، وإيمانه بالقضية التي يسعى لتحقيقها، ويجب على المؤسسة الدعوية أن تنمي هذا الشعور عند العاملين فيها؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

قال الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: «فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم، وأنه لا أحد أحسن قولاً منهم، وعلى رأسهم الرسل-عليهم الصلاة والسلام-، ثم أتباعهم على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل، فأنت يا عبد الله يكفيك شرفاً أن تكون من

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للإمام عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ١/١١٦، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة فصلت: ٣٣.

أتباع الرسل،... المعنى: لا أحد أحسن قولاً منه لكونه دعا إلى الله وأرشد إليه وعمل بما يدعو إليه،... ومع ذلك صرح بما هو عليه، لم يخجل بل قال: إنني من المسلمين، مغتبطاً وفرحاً بما منّ الله به عليه، وليس كمن يستنكف عن ذلك ويكره أن ينطق بأنه مسلم، أو بأنه يدعو إلى الإسلام »[(١)].

المطلب الخامس: التركيز على المستفيد من الدعوة.

إن استقراء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تبين بجلاء الحرص على هداية الناس؛ وذلك من خلال الآيات والأحاديث النبوية التي تحث الدعاة إلى الله على بذل الجهد في دعوة الناس، وما رتبه الله جلّ شأنه من الأجر العظيم والمترلة الرفيعة للدعاة، يقابل ذلك الجهد الدعوي مكتمل الجودة من أنبياء الله –عليهم الصلاة والسلام– في دعوهم لأقوامهم، كما في دعوة نبينا نوح عليه السلام الذي قام بالدعوة إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً بكل جد، من غير تهاون أو فتور؛ مستخدماً كافة الوسائل والطرق التي قد تؤدي إلى هداية المدعو؛ هداية المدعو؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[(٢)].

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة/ لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص٢١، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ.

(٢) سورة نوح: ٥-٩.

قال الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي رحمه الله في تفسير الآيات: «ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة»[(1)].

كما أن في سيرة رسولنا الكريم ﷺ ما يوضح هذا المبدأ في الحرص على المستفيد من الدعوة، بغض النظر عن لونه أو جنسه أو مكانته، متخذاً كافة الأساليب الممكنة لتحقيق ذلك، حتى تحقق كمال هذا المبدأ بقوة الإيمان بالرسالة التي يحملها ﷺ وتأثره عند تخلف المدعو عن الدعوة عندما يضيق صدره ﷺ لأجل ذلك؛ لأجل ذلك؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[(2)].

ومن الحرص على المدعو عند رسولنا الكريم ﷺ تحذير من ولي أمراً من أمور المسلمين من عدم المتابعة ومعرفة حاجات ورغبات المستفيدين، كما في الحديث أن أبا مريم الأزدي قال: (دخلت على معاوية فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان - وهي كلمة تقولها العرب - فقلت: حديثاً سمعته أخبرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين

(1) التسهيل لعلوم التنزيل/ لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، ٢/٤١٤، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

(2) سورة فاطر: ٨.

فاحتجب، دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره» قال: فجعل رجلاً على حوائج الناس) (١).

وهذا الأمر من التغذية الراجعة التي تعد من مبادئ الجودة المهمة لأجل قياس مستوى العمل وتحسينه وتطويره، وهو مما يمكن قائد الفريق أو الإدارة من أن يصبح على دراية بالمشكلات الداخلية قبل أن تستفحل خطورتها، وشكاوى فريق العمل، أو صوت العمليات، وشكاوى المستفيدين من الخارج، أو صوت البيئة الخارجية المستفيدة (٢).

وتقوم الجودة بشكل عام على أساس أن استمرار ونجاح أنشطة المؤسسة يعتمد -بعد توفيق الله- على توافر احتياجات ومتطلبات العملاء ومحاولة تنفيذ توقعاتهم، حيث إن رضا العميل يعد الركيزة الأساسية والقاعدة المتينة التي يجب أن تنطلق منها طموحات المؤسسة في المستقبل (٣).

المطلب السادس: تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي.

من مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي تحقيق الرقابة الوقائية باتجاهين:

---

(١) أخرجه الإمام أبي داوود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية، ح(٢٩٤٨)، وقال الإمام المحدث محمد بن ناصر الألباني(صحيح). انظر: سنن أبي داوود/ للإمام أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، ص ٤٤٨، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت..

(٢) انظر: الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/ م.بدوي محمود الشيخ، ص١١٥..

(٣) انظر: إدارة الجودة الشاملة / أ.د.خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، ص٩٥..

١- الرقابة الوقائية الذاتية:

وتأتي الرقابة الذاتية استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (١).

فمن معاني الإحسان: مراقبة الحق في العبادة، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار. وهو المراد بقوله ﷺ: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٢)، وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين؛ أحدهما: غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه.وثانيهما: لا تنتهي إلى هذا، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له (٣).

وفي الدين الإسلامي يتم تعزيز هذا المبدأ في كثير من النصوص الشرعية، بالتأكيد على مراقبة الله سبحانه وتعالى للعبد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (٥).

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي عليه الصلاة والسلام عن: الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، ح(٥٠)، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٦..

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ؛ تفسير القرطبي/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ج١٠/١٦٧..

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) سورة آل عمران: ٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [(١)].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول ﷺ يقول: (كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته) [(٢)].

وهذه المراقبة من الله سبحانه وتعالى تستلزم المحاسبة يوم القيامة على ما عمله العبد، قال تعالى: ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [(٣)].

وقال سبحانه: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [(٤)].

إن اهتمام المؤسسة الدعوية بتفعيل الرقابة الذاتية ابتداء يجنبها الكثير من الوقت والجهد والمال الذي تحتاج إليه في الرقابة الخارجية؛ لأن الفرد سينطلق في عمله من الإحساس العميق بالمسئولية أمام الله وحده سبحانه.

٢- الرقابة الوقائية الخارجية:

وهي رقابة المدير على من تحت رئاسته؛ رقابة مباشرة أو من خلال التقنية الحديثة، ولاشك أن هذا النوع يصبح مهماً جداً عند تعثر النوع الأول: الرقابة الذاتية، وهكذا تصبح هذه الرقابة مهمة، وعاملاً مساعداً

(١) سورة الحديد: ٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، ونسب النبي صلى الله عليه وسلم المال لسيده، ح(٢٥٥٨)، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٢٠١.

(٣) سورة النحل: ٩٣.

(٤) سورة الإسراء: ١٤.

للإدارة لمتابعة الموظفين لإتقان العمل وإجادته؛ لتحقيق الإنتاجية المجودة، وتكون هذه الرقابة إما من داخل المؤسسة لموظفيها، أو من الأجهزة الرقابية للدولة لمراقبة مؤسسات القطاع العام والخاص على حد سواء[(١)].

لقد أكد الإسلام على مبدأ الرقابة الخارجية للحد من الأخطاء، نظراً لاختلاف العمال وتنوع معرفتهم وفهمهم لأسس العمل ومنهجيته؛ إذ ورد في الحديث عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يقال له ابن اللتبية، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي. قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه. وقال: (ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي ! أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدي إليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر). ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه. ثم قال:(اللهم هل بلغت ؟) مرتين[(٢)].

ويجب أن يكون هدف الرقابة منع وقوع الخطأ أصلاً من خلال الرقابة الوقائية، وليس الغرض تصيد الأخطاء ومحاسبة المسؤولين عنها[(٣)].

---

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة–الإتقان–في الفكر الإسلامي والمعاصر/ أ.د.عبدالرحمن إبراهيم الجويبر، ص٣١، دون دار نشر، ط٣، ١٤٢٩هـ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، ح(١٨٣٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص١٠٠٧.

(٣) انظر: إدارة الجودة الشاملة مفاهيم وتطبيقات/ د.محفوظ أحمد جودة، ص٢٩.

كما أن من المهم -أيضاً- مراقبة نظام إدارة الجودة الشاملة ما إذا كان فعالاً في تحقيق الضبط؛ بالقيام بالتدقيق الداخلي للجودة على السياسات والممارسات والمنتجات والخدمات التي يشملها النظام؛ بهدف الحصول على معلومات حقيقة قائمة على أدلة موضوعية عن أداء نظام الجودة في المؤسسة الدعوية، ويجب أن تنفذ من قبل أشخاص ليست لديهم أي مسئولية تجاه ما يتم تدقيقه[(١)].

المطلب السابع: التحسين المستمر للعمل الدعوي.

إن التحديات التي تواجه العمل الدعوي اليوم تتطلب من المؤسسات والمنظمات الدعوية تطوير أجهزتها وأنظمتها لمواجهة العالمية والتحديات المعاصرة، فإن مبدأ الحرص على هداية الناس كمبدأ دعوي رئيس يدفع بالمؤسسات الدعوية نحو التنافسية لأجل تحقيق أهدافها، ويتحقق هذا بالحرص على التحسين المستمر للعمل الدعوي المؤسسي بمراجعة الأخطاء وجوانب النقص والعمل على تلافيها.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(٢)].

---

(١) انظر: دليل عملي لتطبيق أنظمة إدارة الجودة الآيزو ٩٠٠٠/ د.م.مأمون السلطي، م.سهيلا الياس، ص٨٣..

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: « أطلق المجاهدة و لم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمّارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فِينا) في حقنا ومن أجلنا، ولوجهنا خالصاً (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا) لتزيدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا»[(١)].

إن مفهوم المجاهدة يستلزم بذل أقصى الجهد للوصول للهدف، وقد ربط الله ﷻ ذلك بنتيجة عظيمة، وهي التوفيق لبلوغ الغاية والسبيل القويم، ومما يحقق ذلك السعي لتحسين العمل، ومجاهدة النفس في الكشف عن الأخطاء وتقويمها.

إن وجود أخطاء لدى المؤسسات الدعوية أمر طبيعي، وقد عتب القرآن الكريم على رسولنا ﷺ بعضاً مما فعل أو حدث نفسه به، وقد وجد الخطأ في خير العصور زمن صحابة رسولنا الكريم ﷺ، **فقال الله للصفوة الخيرة من هذه الأمة:** ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[(٢)].

إن القرآن الكريم يبني في المسلم الشجاعة الأدبية لبيان أوجه القصور التي أدت للأخطاء، لأن التستر على الأخطاء لا يلغيها، ولكن يساعد على نموها وتكرارها[(٣)].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، ٤٦٥/٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ..

(٢) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٣) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي/ أ.د.عبدالكريم بكار، ص٢٧٠..

إن مفاهيم إدارة الجودة الشاملة تشير إلى أن أسلوب الإدارة الحديث يحرص على إيجاد بيئة يتم فيها تحسين مهارات الفرد، ونظم العمل بشكل مستمر؛ باستخدام كافة الوسائل التي تؤدي إلى مراقبة العمل، وتحديد أنواع الانحرافات بهدف تصحيحها (١) .

من أبرز جوانب التحسين في العمل الدعوي المؤسسي:

- إصدار القرارات الإدارية والعملية؛ من أجل تطبيقها لتحقيق الأهداف، والتقليل من الأخطاء .
- رفع مستوى التزام قادة المؤسسة وموظفيها بمبادئ إدارة الجودة الشاملة.
- توثيق العمل الدعوي بالسجلات الإدارية؛ لأجل رصد الواقع، وتحليل النتائج بهدف التحسين.
- تحديد الاحتياجات الدعوية دورياً، والعمل على الارتقاء بمستواها.
- قياس ومتابعة الأنشطة الدعوية، ومعالجة الخلل وجوانب القصور فيها.
- دراسة حال المستفيد من العمل الدعوي، ومدى تفاعله من نشاط المؤسسة.

---

(١) انظر: تحسين أداء المؤسسة في ظل إدارة الجودة الشاملة(مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم التجارية، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسم: علوم تجارية فرع التسويق)/إعداد: مزغيش عبدالحليم، إشراف:د. حشماوي محمد.٢٠١١-٢٠١٢م ، ص٦١.

- كشف معوقات العمل الدعوي، والسعي للتغلب عليها.

إلى غير ذلك مما يحقق رسالة المؤسسة الدعوية وهدفها، بمستوى عال من الجودة.

المبحث الثاني
الدراسة الميدانية

المطلب الأول: إجراءات الدراسة الميدانية.

في المبحث السابق قامت الباحثة بالحديث عن العمل الدعوي المؤسسي ومبادئ إدارة الجودة الشاملة فيه، ولأنه لا يمكن معرفة واقع هذه المبادئ في العمل الدعوي المؤسسي إلا من خلال الدراسة الميدانية؛ يأتي هذا المبحث للإجابة بشكل أكبر وأكثر دقة على تساؤلات البحث.

وقد جاءت الدراسة الميدانية قائمة على المنهج الوصفي بنوعيه: المنهج المسحي، والمنهج التحليلي، وتم جمع معلومات الدراسة من خلال أداة البحث: الاستبيان؛ لجمع بيانات كمية وكيفية للإجابة على تساؤلات البحث.

وفي مرحلة بناء الاستبيان تم مراعاة اختيار الطريقة المناسبة لكتابة الأسئلة والإجابات وفقاً لطبيعة الموضوع؛ ثم تصميم الاستبيان وإخراجه، ثم تحكيمه من قبل عدد من الأستاذات المحكمات ممن لهن اهتمام بالدراسات الوصفية واطلاع على بعض جوانب الموضوع [(١)]، وقد أخذت الباحثة بتوجيهاتهن وآرائهن في مدى ملاءمة أسئلة الاستبيان، وتحقيقه لأهداف البحث.

(١) تم عرض الاستبيان على:

١- أ.د. الجوهرة العمراني، الأستاذ الدكتور في المعهد العالي للدعوة والحسبة.

٣- د. أسماء الداوود، الأستاذ المشارك في المعهد العالي للدعوة والحسبة.

٤- د. لمياء الطويل، الأستاذ المشارك في المعهد العالي للدعوة والحسبة..

وعندما خرج الاستبيان بشكله النهائي[1] قامت الباحثة بتوزيعه على عيّنة الدراسةمن الأعضاء العاملين[2] في أربعة مكاتب تمثل التوزيع المناطقي لمدينة الرياض؛ وذلك بواقع (١٥) استبانة لكل مكتب، وبعد جمعها جاءت الاستبانات كما يلي:

- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشمال الرياض، بواقع (١٥) استبانة
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالروضة، بواقع (١٦) استبانة
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشفاء، بواقع (١٦) استبانة
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالبديعة، بواقع (١٧) استبانة

ليصبح المجموع (٦٤) استبانة وبعد فرزها واستبعاد ماكان ناقصاً منها أصبح العدد(٥٦) استبانة، ثم قامت الباحثة بحصر التكرارات والنسبة المئوية لكل فقرة، مع عمل الرسوم البيانية لها، وقد جاءت نتائج التحليل الإحصائي كما يلي:

(١) انظر: ملحق الاستبيان، ص٤٠.

(٢) تم التأكيد على أن تكون الإجابة من قبل الطاقم الإداري التنفيذي على أن يتم تغطية باقي العدد المطلوب من قبل باقي العاملين في المكتب كالمعلمين والمترجمين عند الحاجة لذلك..

المطلب الثاني: نتائج الدراسة الميدانية.

بعد التحليل الإحصائي للاستبانات عبر برنامج (spss) ظهرت النتائج كالتالي:

جدول رقم (١)

مدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية

مدى الاهتمام	التكرار	النسبة المئوية
ممتاز	١٧	٣٠.٤٪
جيد	٢٥	٤٤.٦٪
ضعيف	١٢	٢١.٤٪
لا يوجد	٢	٣.٦٪
المجموع	٥٦	١٠٠٪

والشكل البياني التالي يبين توزيع آراء أفراد العيّنة لمدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة:

جدول رقم (٢)

ترتيب آراء أفراد العيّنة للمبادئ التي يتم العمل بها لإدارة الجودة الشاملة وذلك تنازلياً وفق المتوسط الحسابي

	المبادئ	استجابات العيّنة: دائماً	أحياناً	أبداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ميل العبارة	الترتيب
٩	كفاءة الداعي إلى الله	٤٠	١٥	١	٢.٧٠	٠.٥٠	دائماً	١
		٧١.٤٪	٢٦.٨٪	١.٨٪				
٢	وضوح الهدف من العمل الدعوي	٣٨	١٦	٢	٢.٦٤	٠.٥٥	دائماً	٢
		٦٧.٩٪	٢٨.٦٪	٣.٦٪				
١	الالتزام بالعلم والتعلم	٣٦	٢٠	٠	٢.٦٤	٠.٤٨	دائماً	٣
		٦٤.٣٪	٣٥.٧٪	٠.٠٠٪				

١١	التركيز على المستفيد من الدعوة	٣٥	٢٠	١	٢.٦١	٠.٥٣	دائماً	٤
		٦٢.٥٪	٣٥.٧٪	١.٨٪				
١٤	التحسين المستمر للعمل الدعوي	٣٠	٢١	٥	٢.٤٥	٠.٦٦	دائماً	٥
		٥٣.٦٪	٣٧.٥٪	٨.٩٪				
٣	إدارة فعالة للعمل الدعوي	٣٠	٢٠	٦	٢.٤٣	٠.٦٨	دائماً	٦
		٥٣.٦٪	٣٥.٧٪	١٠.٧٪				
٤	وجود قيادة فعالة بالمؤسسة	٢٨	٢١	٧	٢.٣٨	٠.٧٠	دائماً	٧
		٥٠.٠٪	٣٧.٥٪	١٢.٥٪				
١٢	الاستفادة من النقد	٢٦	٢٥	٥	٢.٣٨	٠.٦٥	دائماً	٨
		٤٦.٤٪	٤٤.٦٪	٨.٩٪				
٦	تفعيل فرق العمل	٢١	٣٠	٥	٢.٢٩	٠.٦٢	أحياناً	٩
		٣٧.٥٪	٥٣.٦٪	٨.٩٪				
١٣	تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي	٢٢	٢٥	٩	٢.٢٣	٠.٧١	أحياناً	١٠
		٣٩.٣٪	٤٤.٦٪	١٦.١٪				
٧	تجنب الشعارات الجوفاء	٢٣	٢٣	١٠	٢.٢٣	٠.٧٤	أحياناً	١١
		٤١.١٪	٤١.١٪	١٧.٩٪				
٥	القضاء على الخوف من الفشل	١٨	٣٢	٦	٢.٢١	٠.٦٢	أحياناً	١٢
		٣٢.١٪	٥٧.١٪	١٠.٧٪				
٨	المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين	٢٠	٢٨	٨	٢.٢١	٠.٦٨	أحياناً	١٣
		٣٥.٧٪	٥٠.٠٪	١٤.٣٪				
١٠	التدريب	١٥	٣٢	٩	٢.١١	٠.٦٥	أحياناً	١٤
		٢٦.٨٪	٥٧.١٪	١٦.١٪				
المتوسط العام					٢.٣٩	٠.٦٣	دائماً	

والشكل البياني التالي يبين ترتيب المبادئ وفق المتوسط الحسابي:

جدول رقم (٣)

ترتيب آراء أفراد العيّنة لمعوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي وذلك تنازلياً وفق المتوسط الحسابي

	المعوقات	استجابات العيّنة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ميل العبارة	الترتيب
		دائماً	أحياناً	أبداً				
٨	توقع نتائج فورية وليست على المدى البعيد	٢٣	٢٨	٥	٢.٣٢	٠.٦٤	أحياناً	١
		٪٤١.١	٪٥٠.٠	٪٨.٩				
٤	ضعف الموارد المالية	٢٠	٢٩	٧	٢.٢٣	٠.٦٦	أحياناً	٢
		٪٣٥.٧	٪٥١.٨	٪١٢.٥				
١	غياب مفهوم الجودة عند العاملين في المؤسسات الدعوية	١٩	٢٨	٩	٢.١٨	٠.٦٩	أحياناً	٣
		٪٣٣.٩	٪٥٠.٠	٪١٦.١				
٥	التركيز على مبادئ معينة في إدارة الجودة الشاملة	١٤	٣٦	٦	٢.١٤	٠.٥٩	أحياناً	٤
		٪٢٥.٠	٪٦٤.٣	٪١٠.٧				
٦	عدم انتقال التدريب إلى مرحلة التطبيق	١٥	٣٣	٨	٢.١٣	٠.٦٣	أحياناً	٥
		٪٢٦.٨	٪٥٨.٩	٪١٤.٣				
٢	عدم التزام الإدارة العليا بتطبيق المبادئ	١٥	٣١	١٠	٢.٠٩	٠.٦٧	أحياناً	٦
		٪٢٦.٨	٪٥٥.٤	٪١٧.٩				
٣	عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسات الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة	١٦	٢٨	١٢	٢.٠٧	٠.٧١	أحياناً	٧
		٪٢٨.٦	٪٥٠.٠	٪٢١.٤				
٧	مقاومة التغيير سواء من العاملين أو من الإدارات	١٤	٣١	١١	٢.٠٥	٠.٦٧	أحياناً	٨
		٪٢٥.٠	٪٥٥.٤	٪١٩.٦				
	المتوسط العام				٢.١٥	٠.٦٦	أحياناً	

المطلب الثالث: تقويم الدراسة الميدانية.

بالنظر لنتائج التحليل الإحصائي للاستبانات نجد ما يلي:

في المحور الأول: يتضح من خلال نتائج الدراسة أن مدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية التي تعمل فيها العيّنة يأتي جيداً بنسبة ٤٤.٦٪، وهي نسبة مرتفعة إذا رأينا أن ٣٠.٤٪ من العيّنة يرى أن الاهتمام يأتي ممتازاً كذلك.

وفي المقابل فإن نسبة ٢١.٤٪ من العيّنة ترى أن الاهتمام ضعيف بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في مؤسساتها، وما نسبته ٣.٦٪ ترى أنه لا يوجد أي اهتمام بهذا الجانب، وهذا يجعل العناية بهذه المبادئ أمراً ضرورياً بهدف رفع النسبة الإيجابية إلى مستويات عليا لأهمية هذا الموضوع في نجاح العمل الدعوي.

أما بالنسبة للمحور الثاني: والذي يتعلق بمدى العمل بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الدعوية للعينة:

فقد جاء العمل الدائم على الالتزام بكفاءة الداعي إلى الله عالياً بنسبة ٧١.٤٪، وهو مؤشر قوي يبين إدراك المؤسسات الدعوية لأهمية كفاءة العاملين فيها وبالذات الدعاة إلى الله مما يحقق مستويات عليا من الجودة، يليه وضوح الهدف من العمل الدعوي بنسبة ٦٧.٩٪ مقابل ٢٨.٦٪ ترى أن ذلك يأتي أحياناً، وهو الأمر الذي يجب التنبه له بالتركيز على إبرازه لجميع العاملين والمستفيدين من العمل الدعوي.

كذلك يأتي مبدأ الالتزام بالعلم والتعلم دائماً بنسبة ٦٤.٣٪ مقابل ٣٥,٧٪ ترى أن العمل يتم به أحياناً، ثم التركيز على المستفيد دائماً بنسبة ٦٢.٥٪، ثم التحسين المستمر للعمل الدعوي دائماً بنسبة ٥٣.٦٪ مقابل ٣٧.٥٪ ترى أن ذلك يحدث أحياناً، ثم كذلك وجود إدارة فعالة للعمل الدعوي دائماً بنسبة ٥٣.٦٪ مقابل أحياناً بنسبة ٣٥.٧٪، ونلاحظ أن ما سبق من المبادئ يأتي متقارباً بإجابة أكثر من نصف العيّنة أن العمل بها موجود دائماً، وهو مؤشر جيد في طريق التزام المؤسسات الدعوية بمبادئ إدارة الجودة الشاملة.

بعد ذلك ترى نصف العيّنة أن وجود قيادة فعالة بالمؤسسة يأتي دائماً بنسبة ٥٠.٠٪ يقابلها ما نسبته ٣٧.٥٪ ترى أن ذلك موجود أحياناً.

أما مبدأ العمل الدائم للاستفادة من النقد وهو ما يمثل التغذية الراجعة التي تؤدي للتحسين فجاء دائماً بنسبة ٤٦.٤٪ من العيّنة، تقابلها نسبة ٤٤.٦٪ ترى أن ذلك يحدث أحيانا، ومبدأ تفعيل فرق العمل جاء بنسبة ٥٣.٦٪ ترى أن ذلك يحدث أحياناً مقابل ٣٧.٥٪ تجد أن العمل بذلك يحدث دائماً، ولأهمية هذا المبدأ في رفع مستوى الجودة يجب العمل على تطبيقه دائماً، ومثل ذلك يأتي تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي أحياناً بنسبة ٤٤.٦٪ ويقابله اعتقاد أن الرقابة موجودة دائماً بواقع ٣٩.٣٪ من العيّنة.

كما ترى العيّنة قيد الدراسة أن تجنب الشعارات الجوفاء في مؤسساتهم الدعوية يأتي دائماً بنسبة٤١.١٪، وأحياناً كذلك بنسبة٤١.١٪، وهي نسب متماثلة في التأكيد على أن المؤسسات الدعوية تحرص على العمل الجاد دون الاكتفاء بترديد الشعارات.

أما مبدأ القضاء على الخوف من الفشل يأتي العمل به بعض الأحيان بنسبة تتجاوز النصف ٥٧.١٪، مقابل نسبة ٣٢.١٪ ترى أن ذلك يحدث دائماً.

وفي مبدأ المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين فنصف العيّنة تعتقد أن ذلك يحدث أحياناً بنسبة ٥٠.٠٪ مقابل ٣٥.٧٪ ترى أن العمل بذلك يحدث دائماً، ونسبة١٤.٣٪ لا ترى أن ذلك موجود في المؤسسة الدعوية التي تعمل بها، وهو أمر يجب مراعاة الالتزام به عند العمل الإداري بشكل عام والدعوي بشكل خاص لاشتراك العاملين في هدف واحد وهو قصد رضا الله وحده.

ويأتي أحياناً العمل بمبدأ التدريب بنسبة ٥٧.١٪ ودائماً بنسبة ٢٦.٨٪، مقابل ١٦.١٪ ترى أن ذلك غير موجود، وهذا يؤكد ضرورة العناية بهذا الجانب لأهمية التدريب وقوة تأثيره في الرفع من مستوى العاملين في العمل الدعوي.

أما المحور الثالث والذي يتعلق بمعوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي فجاءت نتائج الدراسة تبين أن المتوسط الحسابي لجميع ما ذكر من المعوقات لخيار أحياناً وذلك كما يلي:

جاءت نسبة ٥٠.٠٠٪ من العيّنة ترى أن توقع نتائج فورية وليست على المدى البعيد يأتي أحياناً معوقاً مقابل ٤١.١٪ ترى أن ذلك يأتي دائماً، وهذا يجعله عائقاً قوياً يحول دون تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.

كما أن نسبة ٥١.٨٪ من العيّنة ترى أن ضعف الموارد المالية يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، و ٣٥.٧٪ من العيّنة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم.

أما معوق غياب مفهوم الجودة عند العاملين في المؤسسات الدعوية والذي يحول دون تطبيق المبادئ -لأن فاقد الشيء لا يعطيه- فقد جاء عند العيّنة بنسبة ٥٠.٠٠٪ كعائق أحياناً، وبنسبة ٣٣.٩٪ دائماً، في حين جعلت ما نسبته ١٦.١٪ هذا المعوق غير موجود.

وترى ما نسبته ٦٤.٣٪ من العيّنة أن التركيز على مبادئ معينة في إدارة الجودة الشاملة ليس دائماً معوقاً عن تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، يقابلها ٢٥.٠٠٪ من العيّنة تعتقد أن ذلك عائق دائم، في حين أن ١٠.٧٪ من العيّنة ترى أن ذلك ليس بعائق .

وفي عدم انتقال التدريب إلى مرحلة التطبيق جاءت نسبة ٥٨.٩٪ من العيّنة ترى أن ذلك يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، و ٢٦.٨٪ من العيّنة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم، في حين جعلت ما نسبته ١٤.٣٪ هذا المعوق غير موجود، ولاشك أن التدريب يشكل مبدأ مهماً من مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل

المؤسسي وجاء إدراك أهمية ذلك في المحور السابق بالتأكيد على العمل به؛ ولذا يأتي عدم الإفادة من التدريب بتطبيق ما تم تعلمه معوقاً لدى الغالبية من العيّنة.

وترى ما نسبته ٥٥.٤٪ من العيّنة أن عدم التزام الإدارة العليا بتطبيق المبادئ ليس دائماً معوقاً عن تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، يقابلها ٢٦.٨٪ من العيّنة تعتقد أن ذلك عائق دائم، في حين أن ١٧.٩٪ من العيّنة ترى أن ذلك ليس بعائق أبداً، ونلاحظ في المحور السابق أن مبدأ وجود إدارة فعالة للعمل الدعوي يوجد دائماً بنسبة ٥٣.٦٪ مقابل أحياناً بنسبة ٣٥.٧٪ وهذا يبين أن الإدارة في المؤسسات قيد الدراسة تبذل جهوداً كبيرة في العمل الدعوي وتؤكد حرصها على الالتزام بمبادئ الجودة الشاملة.

كما جاءت ما نسبته ٥٠.٠٪ من العيّنة ترى أن عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسات الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة يأتي أحياناً معوقاً وهي النسبة ذاتها في المحور السابق عند مبدأ المشاركة وتفويض الصلاحيات والذي جاء يدل على تطبيق هذا المبدأ أحياناً، مقابل ٢٨.٦٪ ترى أن هذا المعوق يأتي دائماً، وما نسبته ٢١.٤٪ ترى أن هذا العائق غير موجود، ولعل هذا يبين مدى الحاجة للتركيز على مشاركة العاملين في التخطيط والتنفيذ على حد سواء.

وفي مقاومة التغيير سواء من العاملين، أو من الإدارات جاءت نسبة ٥٥.٤٪ من العيّنة ترى أن ذلك يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة

الشاملة، و ٢٥.٠٠٪ من العينة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم، في حين جعلت ما نسبته ١٩.٦٪ هذا المعوق غير موجود.

إن هذه المعوقات وغيرها يمكن أن تدركها المؤسسة الدعوية في مراحل تنفيذ العمل الدعوي، ويسهم التخطيط ومعلومات التغذية الراجعة في تحديد هذه العوائق وسبل التغلب عليها بشكل دقيق، يتناسب مع طبيعة العمل الدعوي الذي تختص به المؤسسة، مما يمنع تكرارها مستقبلاً، أو يحد من آثارها السلبية قدر الإمكان.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبهديه ورضوانه تنال المكرمات، وأصلي وأسلم على من ختمت به الرسالات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الهداة، أما بعد:

فإني أحمد الله على تيسيره إتمام هذا البحث، والذي أرجو أني ألقيت من خلاله الضوء على بعض جوانبه المهمة ؛ فإن العمل الدعوي المؤسسي جدير بالعناية والاهتمام لعظيم أثره وعموم نفعه على الناس، وهو من أولى مجالات العمل التي يجب أن تلتزم بمبادئ الجودة ومعاييرها، ويحسن في ختام هذا البحث أن أشير إلى أبرز النتائج التي خرجت بها:

- العمل الدعوي المؤسسي يتمتع بخصائص ومميزات تفوق العمل الفردي بمراحل وذلك إذا تحققت فيه صفات المؤسسية على أرض الواقع، إذ لا يكفي إطلاق المسمى للدلالة على الحقيقة.
- الجودة كعلم إداري تنظيمي حديث الاصطلاح؛ وإن كان ينطلق من قواعد الشريعة في جميع جوانب الحياة ؛ ولهذا فإن الإفادة من التنظيمات الإدارية الحديثة من الحكمة التي يجب الأخذ بها للرفع من مستوى العمل الدعوي، وبالتالي تحقق أهدافه.
- إن مبادئ ديمنج الأربعة عشر في الجودة تمثل القاعدة العريضة لمبادئ الجودة على اختلاف تطبيقاتها في التخصصات المتنوعة، ويمكن للمؤسسات الدعوية أن تلخص وتطبق هذا المبادئ وفق رؤيتها ورسالتها المؤسسية.

- إن المتأمل لواقع المؤسسات الدعوية يجد أنها لا تخلو من بعض مبادئ إدارة الجودة الشاملة وإن اختلفت المسميات، إلا أن الالتزام الإداري الدقيق بها يظل هو المأمول في كافة التنظيمات الإدارية للأعمال الدعوية.
- أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن هناك تصوراً جيداً لأهمية مبادئ الجودة الشاملة في العمل الدعوي إذ جاءت النسب مرتفعة في التأكيد على ذلك.
- جاء مبدأ العمل الدائم على الالتزام بكفاءة الداعي إلى الله عالياً بنسبة ٧١.٤٪ في نتائج الدراسة الميدانية وهو ما يوضح وعي المؤسسات الدعوية بأهمية هذا الجانب في رفع مستوى الجودة المقدمة للمستفيد من الدعوة.
- في نتائج الدراسة الميدانية تتضح الحاجة للتدريب كمبدأ من مبادئ الجودة الشاملة –عند المجيبين على الاستبيان– يقابله أن غياب تطبيق ما تم التدرب عليه جاء معوقاً كبيراً يحول دون تحقيق الجودة في العمل الدعوي، إذ أن نسبة ٥٨.٩٪ من العيّنة ترى أن ذلك يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، و ٢٦.٨٪ من العيّنة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم.
- أبرزت نتائج الدراسة الميدانية مدى الحاجة لمبدأ مشاركة العاملين؛ فقد جاءت ما نسبته ٥٠.٠٠٪ من العيّنة ترى أن عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسات الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة يأتي أحياناً معوقاً للعمل الدعوي، ولاشك أن العمل الجماعي المنظم وفق الأسس الإدارية المحكمة أكثر إنتاجية وجودة من الجهود الفردية .

أما أبرز التوصيات التي خرجت بها من هذا البحث ما يلي:

- تكثيف الدراسات التي تُعنى بالعمل الدعوي المؤسسي من جميع جوانبه؛ وبالذات فيما يتعلق بالجودة ومبادئها ومعاييرها ومعوقات تطبيقها وسبل التغلب عليها، بدراسات ميدانية على المؤسسات الدعوية لأجل الوقوف على الواقع وتحديد المشكلات والسعي لحلها، ثم تزويد المؤسسات المعنية بنتائج الدراسة للإفادة منها.
- أوصي الإدارات التنفيذية في المؤسسات الدعوية بالعمل على تحقيق مبادئ الجودة الشاملة في الإدارة وفق أسس علمية، إذ لا يكفي التنظير دون التطبيق الدقيق، وهذا يستلزم جهداً في نشر ثقافة الجودة بين العاملين فيها، وتهيئتهم للالتزام التام بها أولاً، ثم التطبيق الجاد لها ثانياً.

ملحق: (الاستبيان)

أولاً: الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية التي أعمل بها:

ممتاز		جيد		ضعيف		لا يوجد	

ثانيا: يتم العمل بالمبادئ التالية لإدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية التي أعمل بها:

المبدأ	دائماً	أحياناً	أبداً
وضوح الهدف من العمل الدعوي			
الالتزام بالعلم والتعلم			
إدارة فعالة للعمل الدعوي			
وجود قيادة فعالة للمؤسسة			
القضاء على الخوف من الفشل			
تفعيل فرق العمل			
تجنب الشعارات الجوفاء			
المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين			
كفاءة الداعي إلى الله			
التدريب			
التركيز على المستفيد من الدعوة			
الاستفادة من النقد			
تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي			
التحسين المستمر للعمل الدعوي			

ثالثاً: من معوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي:

المعوقات	دائماً	أحياناً	أبداً
غياب مفهوم الجودة عند العاملين في المؤسسة الدعوية			
عدم التزام الإدارة العليا بتطبيق المبادئ			
عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسة الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة			
ضعف الموارد المالية			
التركيز على مبادئ معينة في إدارة الجودة الشاملة			
عدم انتقال التدريب إلى مرحلة التطبيق			
مقاومة التغيير سواء من العاملين أو من الإدارات			
توقع نتائج فورية وليست على المدى البعيد			
أخرى (حدّد):			

المراجع

أولاً: الكتب:

- إدارة الجودة الشاملة / ديل بسترفيلد، وآخرون، ترجمة: د. راشد محمد الحمالي، نشر جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ، الرياض.
- إدارة الجودة الشاملة /ص٧٣، جوزيف جابلونسكي، تعريب: عبدالفتاح السيد النعماني، مركز الخبرات المهنية للإدارة(بميك)، القاهرة، ١٩٩٦م. (د: رقم الطبعة).
- إدارة الجودة الشاملة/ د. حامد بن مالح الشمري، (د: دار النشر)، ط٢، ١٣٢٨هـ.
- إدارة الجودة الشاملة/ للأستاذ الدكتور: خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، (دون دار نشر) ط٢، ١٤٣٣هـ،
- إدارة الجودة الشاملة/ للدكتور: عبدالرحمن توفيق، مركز الخبرات المهنية للإدارة، بميك، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨م.
- إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات/ د. محفوظ أحمد جودة، دار وائل للنشر، الأردن، عمان، ط٦، ٢٠١٢م.
- إدارة الجودة الشاملة-الإتقان-في الفكر الإسلامي والمعاصر/ أ.د.عبدالرحمن إبراهيم الجويبر، دون دار نشر، ط٣، ١٤٢٩هـ.
- التدريب وأهميته في العمل الدعوي/ د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط٤، ١٤٢٤هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل/ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
- تطبيق إدارة الجودة الشاملة بين فرص النجاح ومخاطر الفشل/ د. فريد زين الدين، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، (د: دار نشر).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للإمام عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن ؛ تفسير القرطبي/لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي.
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ .
- الجودة تعريفات وتطبيقات / للأستاذ: عبدالعزيز عبدالله محمد المسعد، (دون دار النشر)، ط٢، ١٤٣٣هـ.
- الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/م.بدوي محمود الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.
- حول التربية والتعليم / أ.د.عبدالكريم بكار، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٤٣٢هـ.

- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة/ سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ.
- دليل عملي لتطبيق أنظمة إدارة الجودة الآيزو ٩٠٠٠ / د.م. مأمون السلطي، و م.سهيلا إلياس، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٩.
- سنن ابن ماجه/ لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلاّمة المحدِّث: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (د: ت).
- سنن أبي داوود/ للإمام أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت.
- العمل المؤسسي/ د.محمد أكرم العدلوني، قرطبة للإنتاج الفني، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ.
- مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي/ د. جمال محمد الهنيدي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ .
- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية/د. صالح بن حمد العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.
- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي/ أ.د.عبدالكريم بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (د:تاريخ النشر).
- مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة / د. فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م
- مناهج البحث وكتابتها/ يوسف بن مصطفى القاضي، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ إشراف فضيلة الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢١ هـ.

ثانياً: الأبحاث وأوراق العمل:

- البناء المؤسسي في المنظمات الخيرية الواقع وآفاق التطوير/ محمد ناجي بن عطية- دراسة ميدانية قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء - الجمهورية اليمنية-البحث منشور في موقع المفكرة الدعوية/
http://www.dawahmemo.com/show_d.php?id=1683
- تحسين أداء المؤسسة في ظل إدارة الجودة الشاملة(مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم التجارية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسم: علوم تجارية فرع التسويق)/إعداد: مزغيش عبدالحليم، إشراف:د.حشماوي محمد.٢٠١١-٢٠١٢م
- تطبيقات الجودة في الجمعيات الخيرية/ إعداد: د.عبد الله الخراشي، البحث منشور في موقع المفكرة الدعوية / www.HYPERLINK "http://www.dawahmemo.com/"dawahmemo.com
- الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات (قراءة إسلامية) بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) المقام في فرع الجمعية في القصيم يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٨-٢٩ ربيع الآخر الموافق ١٥-١٦مايو ٢٠٠٧م بعنوان "الجودة في التعليم العام" إعداد: بدرية بنت صالح الميمان . البحث منشور في الشبكة الالكترونية/
http://kenanaonline.com/users/drkhaledomran/posts/438092

- حتى تخرج دعوتك من نطاق الفردية/ د.أسماء الرويشد، مقال منشور في موقع لها أون لاين/
http://www.lahaonline.com
- العمل المؤسسي في المؤسسات والجمعيات الخيرية الواقع والإصلاح المنشود./ فاطمة العديساني، ورقة عمل منشورة في موقع الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام (-إنسان) /
http://www.ensan.org.sa/vb/showthread.php?t=8571
- العمل المؤسسي معناه ومقومات نجاحه/ عبد الحكيم بن محمد بلال، مجلة البيان: العدد (١٤٣)، رجب (١٤٢٠هـ)، نوفمبر (١٩٩٩م)، البحث منشور في موقع جامعة أم القرى في الشبكة الإلكترونية/
http://uqu.edu.sa/page/ar/146404

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

- الشبكة الإلكترونية/ /http://kenanaonline.com
- موسوعة ويكيبيديا/ http://ar.wikipedia.org/wiki
- موقع المفكرة الدعوية/ http://www.dawahmemo.com
- موقع لها أون لاين/http://www.lahaonline.com/

البحث رقم (٣)

زينة المرأة الداعية وضوابطها الشرعية

إعداد

د. أسماء بنت عبد العزيز الداود

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[(١)] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[(٢)] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[(٣)(٤)] والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة حتى فتح الله به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً وعلى آله وصحبه الذين تولوا أمانة البلاغ من بعده.

أما بعد:

فلقد عنى الإسلام بزينة المرأة عناية عظيمة فوضع لها القواعد والضوابط التي تحفظ لها كرامتها وعفتها وتكفل سعادتها فالمرأة مفطورة على حب الظهور والزينة والجمال ولهذا أبيح لها في موضوع الزينة أكثر

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

(٤) خطبة الحاجة كما سماها العلماء وأثبت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بعض طرقها التي استقصاها في رسالة بعنوان خطبة الحاجة (الرسالة المذكورة ص١٣-١٤، ط٤، ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي).

مما أبيح للرجل، جاء في الحديث عنه ﷺ: « حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ »(١).

ونظراً لكثرة المخالفات في موضوع الزينة عند النساء بعضها نتيجة التشبه، وبعضها سببه الجهل، آثرت البحث في موضوع (زينة المرأة الداعية وضوابطها الشرعية) لعلي أسهم في تبصير المرأة بما يراد بها ويحاك ضدها من قبل أعداء الإسلام تلك المرأة التي كرمها الله وأعلى شأنها واختارها لحمل ونشر خاتم الرسالات السماوية، هذه المرأة التي يجب أن تكون متميزة في شخصها وهيئتها كما هي متميزة بدينها وبتكريم الله لها، ومن هنا تظهر أهمية الدراسة.

أهداف الدراسة

- التعرف على مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة.
- إبراز الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية.
- بيان الزينة المستحبة والمباحة والمحرمة للمرأة الداعية.

تساؤلات الدراسة

- ما مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة.
- ما الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية.
- ما الزينة المستحبة والمباحة والمحرمة للمرأة الداعية.

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب أَبْوَابُ اللِّبَاسِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، رقم الحديث، (١٧٢٠)، ٣٨٣/٥ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

تقسيمات الدراسة

قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الزينة.

المطلب الثاني: دوافع الزينة لدى المرأة.

المطلب الثالث: حكم الزينة.

المطلب الرابع: أقسام الزينة.

المبحث الثاني: الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية.

المطلب الأول: ألا يكون في الزينة تشبهاً بالرجال.

المطلب الثاني: ألا يكون في الزينة تشبهاً بالكفار.

المطلب الثالث: ألا يكون في الزينة شهرة.

المطلب الرابع: ألا يصاحب الزينة كبر.

المطلب الخامس: ألا يكون في الزينة إسراف.

المطلب السادس: حسن القصد في الزينة وعدم التغرير.

المطلب السابع: ألا ترتكب بزينتها فعلاً محرماً.

المبحث الثالث: أنواع الزينة للمرأة الداعية.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الزينة المستحبة للمرأة الداعية.

١- السواك.

٢- تقليم الأظافر.

٣- نتف الإبط.

٤- الاستحداد.

٥- الكحل والخضاب.

المطلب الثاني: الزينة المباحة للمرأة الداعية.

١- الطيب.

٢- الحلي.

٣- استخدام المساحيق والأصباغ.

المطلب الثالث: الزينة المحرمة للمرأة الداعية.

أولاً: زينة شعر الرأس المنهي عنها:

١- قص الشعر.

٢- حلق شعر الرأس.

٣- وصل شعر الرأس.

٤- تعلية الشعر فوق الرأس.

ثانياً: زينة الوجه المنهي عنها:

١- نمص شعر الحاجبين.

٢- الرموش الصناعية.

٣- الوشم.

٤- تفليج الأسنان.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة

المطلب الأول: تعريف الزينة:

تعريف الزينة لغة:

الزينة: بالكسر: ما يتزين به. والزّيْن خلاف الشيْن [(١)].

يقال: زينت الشيء تزييناً [(٢)].

وازينت الأرض: أي حسنت وبهجت وأصله تزينت.

الاسم من ذلك: الزينة وهي ما يتزين به[(٣)]، وتـزين: تجمل في مظهره. وامرأة زائن: أي متزينة.

فالزينة اسم جامع لكل شيء يتزين به[(٤)] مما يكسب جمالاً، من لباس وطيب ونحوهما.

تعريف الزينة اصطلاحاً:

عرف القرطبي رحمه الله الزينة: بأنها ما تحاول به المرأة تحسين خلقتها،

(١) انظر: الصحاح ٢١٣٢/٥ لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار ط٢، ١٣٩٩هـ، القاهرة، معجم مقاييس اللغة ٤١/٤ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ط١، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت، لسان العرب ٢٠١/١٣ للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، القاموس المحيط ص١٥٥٤ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٣، المصباح المنير ٢٦١/١ للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.

(٣) انظر: الصحاح ٢١٣٢/٥، معجم مقاييس اللغة ٤١/٣.

(٤) انظر: لسان العرب ٢٠١/١٣.

كالثياب والحلي والكحل والخضاب [1].

وعرفها الشوكاني ﷺ: (بأنها ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة) [2].

وعلى هذا فالزينة: أن الزينة اسم جامع لكل ما يُتزين به لأجل تحسين الهيئة[3].

المطلب الثاني: دوافع الزينة لدى المرأة.

الزينة والتزين من أقوى غرائز البشر الدافعة لهم إلى إظهار سنن الله في الخليقة من غير سرف ولا تكلف قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾[4].

وقد حظيت المرأة في الإسلام بعناية فائقة لم تحظ بها امرأة في دين من الأديان فقد صانها ورعاها وراعى احتياجاتها ورغباتها وحقوقها ومن هذه الرغبات والحقوق حقها في التزين والتجمل إذ الزينة في حياة المرأة غريزة فطرية جبلت عليها.

ودوافع الزينة عند المرأة كثيرة منها:

١. أن الله تعالى جبل المرأة على حب الزينة، والعناية بالمظهر، فأباح لها الذهب والحرير وغيرهما دون الرجال إشباعاً لهذه الغريزة التي فطرها الله عليها.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٢ لأبي عبدالله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٢٠٠/٢ لمحمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.

(٣) أحكام الزينة ص٢٤ لعبير بنت علي المديفر، ط٢، ١٤٣٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

٢. أن في التزين تلبية لنداء الأنوثة، وهو عامل أساسي في إدخال السرور على زوجها، ومضاعفة رغبته فيها ومحبته لها.

٣. أن اهتمام المرأة بالزينة والتزين أمام الزوج من الأمور التي تعبد الله بها، ويعد من أسباب السعادة الزوجية، ومن بواعث الألفة والمودة.

٤. أن في تزين المرأة الداعية دور فعال في التفاف القلوب حولها والتأثر بدعوتها واتخاذها قدوة حسنة.

لكن وللأسف الشديد فقد ابتلي عصرنا بغزو الغرب وفكره، وكان من كبير بلائه أن جعل من المرأة قضية يثيرها في كل مجتمع وناد، وسخر صنوف وسائل الإعلام لطرحها على نحو ما يريد.

فأصبحت بعض نسائنا اليوم سريعة التأثر بتلك الدعايات الخبيثة والشعارات البراقة التي تسعى إلى تحرير المرأة وإفسادها.

وهذه الدعايات الخبيثة لم تجد ميداناً أكثر تأثيراً على المرأة من ميدان الزينة، فسعت بعض المؤسسات الكبرى في العالم إلى التفنن في أدوات التجميل والزينة تلاعباً بعقل المرأة وابتزازاً لمالها وإفساداً لعقيدتها فأصبحت تجيد التقليد والمحاكاة لنساء الغرب الكافر.

ومن هنا لزم المسلمين - ولا سيما الدعاة - أن ينتبهوا لهذا الموضوع الخطير الذي ينذر بفساد المجتمع وأن يسعوا لإنقاذ المرأة المسلمة مما يراد بها ويحاك ضدها من قبل أعداء الإسلام، وأن تكون الداعيات قدوة صالحة للنساء.

المطلب الثالث: حكم الزينة

لقد تفضل الله تعالى على هذه الأمة بجعلها أمة وسطاً تعطي الجسد حقه والروح حقها فأحل لنا الطيبات، وأباح للمرأة أن تتزين وتتجمل بالضوابط والقيود الشرعية قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (١). ولكنه لم يجعل هذا التزين هدفاً في ذاته بل اعتبره وسيلة لتلبية نداء الأنوثة في المرأة فعليها أن لا تسرف ولا تبالغ في ذلك وأن تسترشد في زينتها بتعاليم دينها فلا تبالغ في التزيين ولا تحاول تغيير خلقتها (٢).

فكل ما يتزين به الإنسان حلال. وما حرم من الزينة إنما حرم باعتبار آخر لدليل خاص.

المطلب الرابع: أقسام الزينة:

المقصود بزينة المرأة كل ما يزينها ويجملها ويجعلها مقبولة مستحسنة في العين والخاطر، وهي إما أمور معنوية وإما أمور حسية.

فأما الأمور المعنوية فهي ما يطلق عليها بالزينة الخلقية، وبها تزدان المرأة، وتصبح مقبولة محمودة عند المجتمع المؤمن كما يشمل هذا النوع من الزينة جميع الصفات المحمودة، التي إن تحلت بها المرأة الداعية فازت برضا ربها ﷻ وكانت قدوة حسنة لغيرها من نساء المجتمع. وأولى هذه

---

(١) سورة الأعراف: جزء من الآية (٣٢).

(٢) انظر: اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص٤٤٥ د. محمد عبدالعزيز عمرو، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.

الصفات الإيمان بالله سبحانه فهو زينة النفوس حيث يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[1]. وينبثق من هذا الإيمان جميع الصفات المحمودة الأخرى، ومن الزينة الخلقية أن تترفع المرأة عن كل ما يشينها ويذهب بحيائها كالسفور والتبرج.

وأما الزينة الحسية فهي ما يطلق عليه بالزينة المكتسبة: وهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها بالصنع قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[2]. وتطلق على: الحلي، وأدوات التجميل الصناعية، مثل باروكات الشعر، الماكياج، عمليات التجميل[3].

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٣) انظر: اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص٤٤٣.

المبحث الثاني

الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية

إن الإسلام حينما شرع الزينة لم يتركها مطلقة بل وضع لها ضوابط وقيوداً منها:

المطلب الأول: ألا يكون في الزينة تشبه بالرجال

من شروط زينة المرأة الداعية، ألا تتشبه فيها بالرجال والأصل في ذم ذلك الفعل ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»[1].

ولا شك أن تشبه أحد الجنسين بالآخر انحراف عن الفطرة، وداء عضال انتقل إلينا بسبب الاحتكاك بالغرب ومحاكاته وتقليده، حتى أصبحت المرأة كالرجل في اللباس والزينة والمشية والكلام ونحو ذلك وهذا أمر مستقبح يأباه الشرع، وتنفر منه العقول السليمة، لذا زجر عنه الإسلام وحذر منه. عن عائشة رضي الله عنها قالت: « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ»[2].

بل وقد شرع لنا ما هو أكثر من هذا فأمر النبي ﷺ بإخراج من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال، رقم الحديث (٥٨٨٥) ٥٥/٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لباس النساء، رقم الحديث (٤٠٩٩) ٤/٦٠-٦١، قال عنه النووي: إسناده حسن (انظر: المجموع ٤٦٩/٤) وصححه الألباني بشواهده (جلباب المرأة المسلمة ص١٤٦).

تعاطى ذلك من البيوت لئلا يفضي الأمر بالتشبه إلى تعاطي اللواط والسحاق[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: «أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ». قال: فأخرج النبي ﷺ فلاناً، وأخرج عمر فلانة[2].

فهذا يدل على أن تشبه المرأة بالرجل فيما هو من خصائص الرجال، أمر عظيم لا يجوز، فنهى عنه المصطفى ﷺ، ولعن فاعله.

والضابط في التشبه لا يعود إلى مجرد اختيار الرجال والنساء لشيء يختارونه بشهوتهم ثم يعتادونه، بل يرجع إلى الغالب الذي يصلح لكل منهما فإن كان غالب الزينة زينة للرجال نهيت عنها المرأة [3].

والحكمة من ذلك تتبين مما يلي:

١- أن المشابهة في الأمور الظاهرة، تورث تناسباً وتشابهاً في الأخلاق والأعمال، فالمرأة المتشبهة بالرجل تكسب من أخلاقهم حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشاركة الرجال، وتفعل من الأفعال ما ينافي الحياء، والخفر المشروع للنساء [4].

٢- إخراج المتشبهة عن الصفة التي وصفها عليها الخالق سبحانه وذلك أن

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٥٧/٨ للإمام أبي العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ط١، ١٤١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، رقم الحديث (٥٨٨٦) ٥٥/٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٤٦/٢٢-١٥٥ جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين وعلى نفقته الخاصة.

(٤) المرجع السابق ١٥٤/٢٢.

الله خلق أشياء وجعل لها صوراً وصفات، فمن غير منها صورة أو صفة على خلاف ما وضعت عليه فقد نازع الجليل سبحانه [1].

٣- أن في تشبه المرأة بالرجل خروج عن الطبيعة التي خُلقت عليها واختصت بها عن الجنس الآخر.

المطلب الثاني: ألا يكون في الزينة تشبه بالكفار

أجمع الصحابة والتابعون والأئمة من بعدهم على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة استناداً على حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: (مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط بالظاهر .. هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحاً محضاً، لو تجرد عن مشابهتهم فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم)[3].

وقال في سبل السلام: (والحديث دال على أن من تشبه بالفساق كان منهم، أو بالكفار أو المبتدعة في أي شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة)[4].

---

(١) انظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها ٤/١٤٠ للإمام المحدث أبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأزدي، مطبعة الصدق الخيرية، مصر، ١٣٥٣هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٣٣٣ للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تصحيح وتحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة رقم (٤٠٣١) ٤/٢٤، قال ابن مفلح: (وإسناده صحيح). انظر: الفروع ١/٣٦٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٨٠-٨١ لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع الأدلة الأحكام ٤/٣٤٨، للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني، راجعه وعلق عليه: محمد بن عبدالعزيز الخولي، مكتبة الرسالة الحديثة.

والحكمة في النهي عن التشبه بالكفار:

١- أن التشبه بهم يورث عند المرأة الداعية شعوراً بالتقارب والمودة كما قال ابن تيمية رحمه الله: (إن المشابهة في الظاهر تورث مودة ومحبة، وموالاة في الباطن، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة)[١].

٢- أن في التشبه بهم موالاة لهم وتعظيماً وذلك محرم لقوله ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى»[٢]. فقوله: (ليس منا) صيغة تقتضي التحريم والبراءة ممن فعل ذلك.

٣- أن تشبه المرأة الداعية بالكفار في الظاهر توجب تناسباً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم[٣].

ولا بد هنا من الإشارة إلى بعض الأمور الهامة:

١- أنه لا يشترط في التشبه النية والقصد فالتشبه يعم من فعل ذلك الشيء لأجل أنهم فعلوه، ولو كان للتزين. دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ»[٤].

٢- ما كان في الأصل ليس مأخوذاً من الكفار لكنهم يفعلونه أيضاً فهذا ليس فيه محذور المشابهة.

٣- لا يدخل تحت التشبه هنا الاستفادة مما عند الكفار من الصناعات والعلوم ونحوها.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٤٨٨-٤٨٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب أَبْوَابُ الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ إِشَارَةِ الْيَدِ بِالسَّلَامِ، رقم الحديث (٢٦٩٥) ٥/٥٦، وحسنه الألباني.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٧٩-٤٨٧.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب رقم (١٧٥٢) ٤/٢٣٢، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

المطلب الثالث: ألا يكون في الزينة شهرة

الشهرة ما يشتهر بين الناس ويتميز به صاحبه عن غيره لخروجه عن عادة الناس[1]. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]. فالله سبحانه وتعالى يعاقب من لبس لباس الشهرة في الدنيا بإلباسه ثوباً يوجب مذلته في الآخرة، كما لبس ثوباً يتعزز به على الناس، ويترفع به عليهم إذ العقوبة من جنس العمل [3].

وقد تعددت عبارات العلماء في بيان ضابط الشهرة فمنهم من ضبطه بالخارج عن العادة [4] ومنهم من ضبطه بما يشتهر به عند الناس ويشار إليه بالأصابع [5] ويختال عليهم بالعجب والتكبر [6] ومنهم من ضبطه بما يخالف زي أهل البلد ويزري الإنسان وينقص مروءته [7].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٣٨/٢٢، الروض المربع بشرح زاد المستقنع ص٧١٢، للشيخ منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، ط٣، ١٤١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة رقم (٤٠٢٩)، (٤٠٣٠)، ٤٣/٤-٤٤، وابن ماجه في سننه، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب رقم الحديث (٦٠٦) ١١٩/٢-١١٩٣ قال الشوكاني: (رجال إسناده ثقات) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ١١٣/٢، للشيخ محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٨٤/٢.

(٣) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ١١٣/٢.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٣٨/٢٢.

(٥) انظر: شرح منتهى الإرادات ١٥٢/١ للشيخ منصور بن إدريس البهوتي، دار الفكر، الروض المربع بشرح زاد المستقنع ص٧٢.

(٦) انظر: نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٣/٢.

(٧) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ٥٢٦/٣، لابن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، ط٣، ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ويختلف حكم الشهرة باختلاف الحال فإن تزين المرء قاصداً بذلك الشهرة فقد وقع في المحظور سواء حصلت الشهرة أم لم تحصل إذ المعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع.

قال الشوكاني رحمه الله: (إذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس، فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف ؛ لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد، وإن لم يطابق الواقع)(1).

وإن تزين بغير قصد الشهرة ولكنها حصلت وفاقاً فإن عليه ترك هذه الزينة من حين حصلت الشهرة؛ لأن التحريم يدور مع الاشتهار وهو معذور بجهله فإن استمر على زينته بعد حصول الشهرة وعلمه بها فقد وقع في المحظور.

وعلينا أن ننبه هنا أن الشهرة لا تختص بما هو حسن عند الناس بل قد تكون بالقبيح عندهم، فالحديث ليس مختصاً بنفيس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس (2).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (تكره الشهرة من الثياب، وهو المترفع الخارج عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المترفع والمنخفض)(3). فما خرج عن عادة الناس، لقبحه أو لحسنه حصل به الاشتهار سواءً في اللباس أو الزينة.

(1) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٣/٣.
(2) انظر نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٣/٣.
(3) مجموع الفتاوى ١٣٨/٢٢.

وتتجلى الحكمة في النهي عن الشهرة في النقاط التالية:

١- أن في الشهرة مدعاة إلى العجب بالنفس والتكبر على عباد الله [١] وذلك أمر منهي عنه.

٢- أن الشهرة ربما أزرت بصاحبها وأنقصت مروءته [٢].

٣- أنها قد تؤدي بصاحبها إلى الرياء [٣].

٤- أنها قد تكون سبباً إلى حمل الناس على غيبته فينهى عنها سداً للذريعة.

فعلى المرأة الداعية أن تهتدي بهدي النبي × فيما أمر به من الزينة وأن تقتدي في ذلك بأمهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن ــ فلا تتكلف في الزينة وتبالغ فيها ولا تتركها البتة.

المطلب الرابع: ألا يصاحب الزينة كبر:

على المرأة الداعية أن تتعاهد قلبها وتطهر نفسها من الكبر والخيلاء، فالزينة والتزين مشروع للمرأة الداعية بشرط أن لا تتجاوز الحد في ذلك فتلفت الأنظار إليها.

قال الشوكاني رحمه الله: (ولا شك أن لبس ما فيه جمال زائد من الثياب يجذب بعض الطباع إلى الزهو والخيلاء والكبر)[٤]. وجاء في الحديث

---

(١) انظر: نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ٢/١١٣.

(٢) انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ٢/١٦٢ للشيخ محمد السفاريني، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة قرطبة.

(٣) انظر: شرح منتهى الإرادات ١/١٥٢.

(٤) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ٢/١١٥.

القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[(١)]. فإذا كان التزين يدعو إلى ذلك فتركه واجب.

عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ »، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال: « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ »[(٢)].

قال الشوكاني ﷺ: (الحديث يدل على أن محبة لبس الثوب الحسن والنعل الحسن وتخير اللباس الجميل ليس من الكبر في شيء وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم)[(٣)]. فقصد المرأة الداعية ونيتها في التزين لا بد أن تكون خالصة لله ﷻ فلا تفخر بزينتها ولا تعجب بها.

روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٤)])[(٥)].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر رقم (٤٠٩٠) ٩٥/٤، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر، رقم (٤١٧٤) ١٣٩٧/٢ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٧٧٠/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (١٤٧) ٩٣/١

(٣) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٥/٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٢٢/٢٠ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر.

قال ابن رجب ﷺ: (وهذا محمول على أنه إذا أراد الفخر على غيره، لا بمجرد التجمل)[1].

المطلب الخامس: ألا يكون في الزينة إسراف

الإسراف هو مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر[2] قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[4].

وجاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ»[5].

قال المناوي ﷺ: (هذا الحديث جامع لفضائل تدبير المرء نفسه، فالإسراف يضر بالجسد والمعيشة، والخيلاء يضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس وبالآخرة حيث تكسب الإثم)[6].

فعلى المرأة الداعية أن تراعي هذا الضابط في زينتها وأن تكون

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ص١٧١ لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٣٤/٢٢، فتح الباري ٢٥٣/١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه، كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ الْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَكَ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ، رقم (٣٦٠٥)، وحسنه الألباني.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤٦/٥ لمحمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

معتدلة دون شطط فتخرج إلى التبذير والإسراف والمباهاة وقصد الكبر والعجب والخيلاء وهذا طريق إلى ما ينهى عنه من لباس الشهرة دل على ذلك ما جاء في الأثر عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الإِرْفَاهِ)[(١)] [(٢)].

فقد كره النبي ﷺ الإفراط في التنعم والتدهين والترجيل ونهى عنه [(٣)] وقيده بالكثير إشارة إلى طلب الاعتدال [(٤)]. وضابط الإسراف هو العرف [(٥)] فما تعارف الناس على إنه إسراف، فهو إسراف، وإلا فلا ومن تزين بما هو عادة مثله لم يكن مسرفاً وإن كان نفيساً وعكس ذلك صحيح.

وهذا الضابط لا بد من التفرقة فيه بين قصد عدم الإسراف وبين الامتناع بالكلية فمن تركت التزين بخلاً بالمال لم يكن لها أجر ومن تركته تعبداً بتحريم المباحات فهو جهل كما أن الإسراف في المباحات هو من العدوان المحرم.

المطلب السادس: حسن القصد في الزينة وعدم التغرير

حسن القصد أصل في التعامل عامة في الإسلام وليس في قصد الزينة فقط، وإنما في كل عمل يعمله المؤمن فيقصد فيه ما يشرع العمل لأجله

---

(١) الإرفاه: كثرة التدهن والتنعم (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٤٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الترجل باب (١) حديث (٤١٦٠) ٤/٧٥، والنسائي في السنن الصغرى ٨/١٣٢ كتاب الزينة، باب الترجل غباً، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٣.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١/٢١٨ للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، ١٣٨٨هـ، الناشر: محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية، المدينة النبوية.

(٤) انظر: فتح الباري ١٠/٣٦٨، عون المعبود ١١/٢١٩.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٢٩٢ للإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، ط١، ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ليؤجر على فعله رجلاً كان أو امرأة دل على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

ومن حسن القصد عند المرأة الداعية البعد عن قصد ما حرم الله عليها في زينتها فهي لا تتزين للأجانب إغراءً لهم، ولا تتزين خيلاء وكبرياء، ولا تقصد من وراء الزينة التغرير والتدليس والغش طمعاً لنيل إعجاب خاطب ونحوه.

بل إن المرأة الداعية هي من تقصد من وراء تزينها حسن التبعل لزوجها ومعاونته على غض بصره وإحصان نفسه إن كانت ذات زوج، أو الظهور بمظهر حسن أمام المدعوات، لتدلل بفعلها هذا على أنه لا رهبانية في الإسلام وإنما هو يدعو إلى المظهر الحسن الطيب ويرغب عن التبذل، ويحث على الزينة ما روعيت فيها الضوابط والقيود الشرعية.

المطلب السابع: ألا ترتكب بزينتها فعلاً محرماً

اتفق العلماء على إباحة الزينة للمرأة بالضوابط والقيود الشرعية التي حددها الشرع فلا تباح لها الزينة مطلقاً بحيث تفعل ما تعارف الناس على أنه زينة وإن خالف الشرع كالوصل أو النمش أو الوشم ونحو ذلك.

فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ زَوَّجَتِ ابْنَتَهَا، فَتَمَعَّطَ شَعَرُ رَأْسِهَا، فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعَرِهَا، فَقَالَ: «لاَ، إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ المُوصِلاَتُ»(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١)١/٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية، رقم (٥٢٠٥) ١٥٣/٦.

ونظراً لتفشي هذا الأمر وغيره مما نهي عنه في وقتنا الحاضر ومبالغة النساء في عمله استناداً إلى بعض الفتاوى في بعض المذاهب فغالت بعض النساء في التمسك بها، واتخذتها ذريعة إلى ما هو أكبر بما ثبت حرمته، فلا بد من التنبيه إلى أن زينة المرأة حتى لزوجها ـــ أي داخل بيتها ـــ تقيد بضوابط خاصة فليست كل زينة تباح بحجة التزين للزوج، بل لا تفعل الزينة المحرمة ولو بأمر الزوج، فضلاً عن إذنه المجرد من الأمر. فلو أمرها بوصل أو نمص أو وشم فلا طاعة له في معصية الخالق.

المبحث الثالث

أنواع الزينة للمرأة الداعية

إن لزينة المرأة الداعية أثراً في الاستجابة للدعوة، سواءً على مستوى المدعوات وجذهم لما تدعو إليه، أو على مستوى تنشيط الداعية نفسها.

فزينة المرأة الداعية ومظهرها رسالة تبلغ بها دعوتها وما تحمل من مبادئ. والرسل عليهم الصلاة والسلام هم من أكمل الناس خَلْقاً وخُلُقاً وأحسنهم ظاهراً وباطناً، فحسن السمت والهيئة من أخلاق الأنبياء كما أن سوء السمت والهيئة من شيم الأشقياء [(١)].

وقد كمل الله تعالى باطن الأنبياء وظاهرهم وأضفى عليهم نور النبوة من الهيبة والإجلال. ومما يشهد لهذا ويؤيده ما جاء في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام حينما جاء إلى مكة يتفقد ابنه إسماعيل عليه السلام فلم يلق ابنه ولكن لقي زوجته (فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ...)[(٢)].

فالاهتمام بالمظهر العام للشخصية المسلمة مظهر مهم من مظاهر هذه الدعوة الكريمة دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [(٣)].

---

(١) انظر: روعة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٢٩ للشيخ محمد بن حبان البستي، تحقيق: جمال محمود، ط١، ١٤١٥هـ، دار الفتح، الشارقة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، رقم (٣٣٦٤) ٦/٤٧٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

ويمكننا أن نقسم أنواع الزينة إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الزينة المستحبة للمرأة الداعية.

المطلب الثاني: الزينة المباحة للمرأة الداعية.

المطلب الثالث: الزينة المنهي عنها للمرأة الداعية.

المطلب الأول: الزينة المستحبة للمرأة الداعية.

تميزت الدعوة الإسلامية عن الدعوات السابقة بشمولها، بكل ما للمشمول من معان، ودلالات زمانية ومكانية، ونظم حياة للبشرية جمعاء.

فالإسلام منهج وخطة عمل، يتلاءم مع الطبيعة البشرية في خصائصها وإمكانياتها، سواء كانت هذه الطبيعة في الفرد أو الأسرة أو في المجتمع [(١)].

وقد شملت أنظمة الإسلام نواحي الحياة المختلفة، فكما أنها جاءت بتعاليم تتعلق بأصول الدين جاءت أيضاً بالآداب العامة والخاصة، وقد حرص المصطفى ﷺ على تعليم أمته في أدق أمورهم الشخصية المتعلقة بالزينة الظاهرة والباطنة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ

---

(١) انظر: خصائص الدعوة الإسلامية ص٢٣١ تأليف محمد أمين حسن ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة المنار، الأردن.

الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ»[(١)].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (وهذه الخصال مجتمعة فيها الحفاظ على حسن الهيئة والنظافة وكلاهما يحصل به البقاء على أصل كمال الخلقة التي خلق الإنسان عليها، وبقاء هذه الأمور وترك إزالتها يشوه الإنسان ويقبحه بحيث يُستقذر، ويجتنب، فيخرج عما تقتضيه الفطرة الأولى)[(٢)].

لأن الإنسان إذا بدأ في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس [(٣)].

فالزينة المستحبة هي كل زينة رغب فيها الشارع وحث عليها ويدخل في هذا سنن الفطرة كتقليم الأظافر ونتف الإبط والاستحداد والسواك وأدخلت تحت هذا القسم الكحل وخضاب اليدين.

١- السواك:

وهو من خصال الفطرة الدالة على عناية الشريعة الإسلامية بالنظافة وتزيين رائحة الفم مما قد يعلق به من أوساخ من بقايا طعام قد تحمل روائح كريهة. ويقصد به: استعمال عود في الأسنان لإذهاب التغير ونحوه[(٤)].

يقول الدكتور عبد الرزاق السعيد: (السواك يطلق على الآلة التي يتسوك بها وأفضلها ما كان من عود الأراك، ويطلق على الفعل الذي هو

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة رقم (٢٥٨) ٢٢٣/١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥١١/١-٥١٢. لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين دين مستو، يوسف علي بديوي وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق.

(٣) انظر: فتح الباري ٣٣٩/١٠.

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب ٢٧٠/١. للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.

التسوك، وهو دلك الفم بالمسواك لتنظيف الأسنان واللسان واللثة)[1].

وقد جاء في فضله أحاديث عدة منها: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرهم بالسواك مع كل صلاة»[2].

وهو من السنن التي كان النبي ﷺ يواظب عليها، فكان إذا دخل بيته بدأ بالسواك [3]، وإذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك [4].

قال ابن القيم رحمه الله: (وكان ﷺ يحب السواك، وكان يستاك مفطراً أو صائماً، ويستاك عند الانتباه من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة)[5].

والسواك فيه منافع عديدة: فهو كما قال ﷺ: «مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»[6] وهو مستحب في جميع الأوقات ولكنه أشد استحباباً في خمسة أوقات: الأول: عند الصلاة، الثاني: عند الوضوء، الثالث: عند قراءة القرآن، الرابع: عند الاستيقاظ من النوم، الخامس: عند تغير رائحة الفم.

فالسواك متعلق بالنظافة والزينة الظاهرة كما أنه متعلق بالنظافة الباطنة من حيث الرائحة، فالفم مصدر تلقي المدعو فهو ينظر إليه ويقترب

---

(١) السواك والعناية بالأسنان، ص٢٩ للدكتور عبدالرزاق عبدالله السعيد، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، الرياض.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم (٨٨٧) ٢١٤/١ ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك، رقم (٢٥٢) ٢٢٠/١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك رقم (٢٥٣) ١٨٥/١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك رقم (٢٥٥) ١٥٨/١.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ١٧٤/١١ لابن قيم الجوزية. تحقيق: شعيب الارناؤوط وعبدالقادر الارناؤوط، ط١٤، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٦) رواه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، رقم (٥) ١٠/١، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

منه ولاسيما في الدعوة الفردية، ولذلك فإن حرص الداعية على السواك والاهتمام به سبب في قرب المدعو منه وعدم نفوره، ومن ثم الإصغاء إلى دعوته[1]. لذا فلتحرص المرأة الداعية على نظافة الفم وتطييب رائحته.

٢- تقليم الأظافر:

ويقصد به إزالة ما يزيد على رأس الأصبع من الظفر والحكمة من حيث الشرع على قص الأظافر وتقليمها، لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة [2].

وضابط وقت القص: الاحتياج، ولا تترك أكثر من أربعين يوماً فعن أنس رضي الله عنه قال: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، وَنَتْفِ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» [3].

قال النووي رحمه الله: (ومعناه أنهم لا يؤخرون فعل هذه الأشياء عن وقتها، وإن أخروها فيما لا يزيد عن أربعين يوماً، وليس معنى هذا الإذن في أن تؤخر أربعين مطلقاً)[4].

قال ابن حجر رحمه الله: (لكن لا يمنع هذا من تفقده يوم الجمعة، فإن المبالغة في التنظيف فيه مشروعة)[5].

وقد انتشرت عند بعض النساء عادة إطالة الأظافر تأثراً بنساء

---

(١) انظر: هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته ص٣٨ د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/٣٤٥، الشرح الكبير ١/١٣٤ لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم (٢٥٨) (١/٢٢٢).

(٤) المجموع ١/٢٨٧.

(٥) فتح الباري ١٠/٣٤٦.

الغرب وهذه عادة سيئة منافية لتعاليم الدين لأمور:

١- أن في ذلك تشبهاً بالكفار، لأن هذه العادة دخيلة علينا لم تكن معروفة عند نساء المسلمين حتى صار تقليد الغرب في زيه ولباسه تقدماً ومدنية.

٢- أن فيه مخالفة للفطرة التي فطر الناس عليها على حسنها وكمالها.

٣- أن الأظافر الطويلة قد يستتر تحتها شيء من النجاسة عندما يستنجي الإنسان ولهذا قال بعض العلماء: إنه حامل للنجاسة فلا تصح صلاته(١).

٤- أن طولها قد يصل إلى قدر يمتنع معه وصول الماء إلى البشرة، فيكون الظفر على هذا حائلاً عارضاً يستلزم غسل ما تحته (٢).

٥- أن في إطالة الأظافر تشبهاً بالبهائم ونبذ لآداب الإسلام العالية وأخلاقه الرفيعة الموافقة للفطرة.

ثم إن الواجب على المرأة الداعية أن تحرص على أن تظهر بالمظهر الذي يحقق لها الالتزام بدينها وتمسكها به، لا كما تفعل بعض النساء من ارتداء الأظافر الصناعية التي ليست من الزينة في شيء بل هي آفة من الآفات التي ابتليت بها نساؤنا في العصر الحاضر. وقد أشار الطب الحديث إلى أن مادة تثبيت الأظافر الصناعية قد تؤثر على النمو الطبيعي للظفر الأصلي.

أما ما يتعلق بصبغ الأظافر بالمستحضرات الحديثة كالمناكير ونحوها فهذا مباح ما لم يكن في ذلك تشبه بالكافرات، أو يكون على هيئة فيها محاكاة للكافرات.

وقد أشار بعض الأطباء إلى مضرة هذا الطلاء وأثره السيئ على

---

(١) انظر: فتح الباري ٣٤٥/١٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠٢/٢.

الجلد والظفر[1]. كما أن المواد المستخدمة في تثبيته وإزالته قد تؤثر بالتحسس على الجلد، وجفون العين[2].

ولتفطن المرأة الداعية إلى أن هذه الأصباغ تعد حائلاً تمنع وصول الماء إلى الظفر الواجب غسله في الوضوء أو الغسل. وقد تتوهم بعض النساء أن وضع مثل هذه الأصباغ بعد وضوء لم يتبعه ما ينقضه، فإنه يصح الوضوء دون إزالته قياساً على المسح على الخفين، وهذا قياس باطل، لأن المسح على الخفين رخصة ورد فيها التيسير على المسلمين لحاجتهم إلى ستر القدمين بخلاف هذه الأصباغ إذ لا حاجة ماسة إليها.

فعلى المرأة الداعية أن تنتبه لهذا الأمر وأن تبين للنساء الحكم الشرعي في ذلك.

٣- نتف الإبط:

والهدف منه النظافة، وقطع الرائحة الكريهة التي تحدث من اجتماع القذر فيه. ونتف الإبط أفضل من حلقه لورود الحديث به[3]، ولأن النتف يضعف الشعر فتضعف الرائحة، بخلاف الحلق فإنه يقوي الشعر ويهيجه فتقوى الرائحة. لكن إذا لم يقو على النتف جازت إزالته بأي مزيل بما وجد في هذا العصر، لحصول المقصود وهو الإزالة[4].

وتتضح الحكمة في إزالة شعر الإبط بما يأتي:

---

(١) انظر: الأمراض الجلدية (تساقط الشعر، أمراض الحساسية، حب الشباب) ص١٤٦، د.محمود حجازي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: الأمراض الجلدية (تساقط الشعر، أمراض الحساسية، حب الشباب) ص٨٧.

(٣) سبق تخريجه ص٢٦.

(٤) انظر: الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، علي بن عبدالله القرني، جعفر صادق المطهري، دار المسلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ص١٠٠.

١- تحسين الهيئة [(١)] وتنظيف الإبط مما يتلبد من الوسخ على شعره، الذي ربما حصل بسببه رائحة كريهة [(٢)] قد تعود على صاحبها بالضرر.

٤- الاستحداد:

وهو حلق العانة، سمي بذلك لاستعمال الحديدة فيه ويهدف إلى نظافة الموضع.

جاء في لسان العرب: (الاستحداد: الاحتلاق بالحديد)[(٣)].

وقال ابن حجر رحمه الله: (المراد به استعمال الموسي في حلق الشعر من مكان مخصوص من الجسد)[(٤)].

والحكمة من الحث على إزالة شعر العانة للمرأة:

١- أن إزالة هذا الشعر تقي المرأة من الأمراض والالتهابات بسبب تراكم الأوساخ.

٢- أن إزالته متضمنة لكمال الطهارة.

٣- أن إزالته تلطف العشرة بين الزوجين وتزرع الألفة بينهما وتؤدي إلى كمال الاستمتاع [(٥)].

---

(١) انظر:فتح الباري ٣٩٩/١٠.

(٢) انظر: أحكام القرآن ٣٧/١ لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد الباجوري، ط١، ١٣٧٨هـ، دار إحياء الكتب العربية، دار الجيل، بيروت.

(٣) لسان العرب ١٤١/٣.

(٤) انظر:فتح الباري ٨٦/١.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن ٢٣٤/٤كتاب اللباس باب ما جاء في الاكتحال رقم (١٧٥٧) وقال عنه : (حسن غريب)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى ١٤٩/٨ كتاب الزينة باب الكحل، وابن ماجه في السنن ١١٥٧/٢كتاب الطب باب الكحل بالإثمد رقم (٣٤٩٧) والحاكم في المستدرك في كتاب الطب ٤٠٨/٤وقال عنه :صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، التلخيص مع المستدرك ٤٠٨/٤

٥- الكحل والخضاب:

الكحل زينة وجمال، وقد حث النبي ﷺ على الكحل فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اكْتَحِلُوا بِالْإِثْمِدِ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ»(١). فالإثمد زينة ودواء، وكانت العرب تكتحل به، وقد أبان ابن القيم رحمه الله عن شيء من فوائده (٢).

إلا أن كثيراً من النساء قد رغبت عن هذا النوع من الكحل وصرن يستعملن الأقلام، والتي تأتي بألوان متعددة ويمكن للمرأة أن تستخدمها حسب لون الثوب الذي تلبسه.

أما الخضاب فهو من زينة المرأة المشروعة التي تستخدم في اليدين والرجلين والشعر لتغيير الشيب.

والحناء نبات معروف تحتوي أوراقه على نسبة عالية من المواد الملونة، وهو نبات طبيعي لا توجد فيه أي خطورة، بل إنه من النباتات الطبية المفيدة التي ثبت نفعها عملياً في معالجة بعض الأمراض والعوارض (٣).

ومما يدل على أن الخضاب قد عرف للزينة منذ القدم ما جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (٤).

فالزينة هنا هي الخضاب كما وردت بذلك أقوال فقهاء المذاهب

---

(١)انظر: فتح الباري ١/٨٦.

(٢)انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/٢٨٣.

(٣) انظر: التداوي بالأعشاب والنباتات ص٧٤-٧٦ تأليف: عبداللطيف عاشور، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصوير، القاهرة.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

وتواترت على أن المحادة على زوجها تتجنب كل ما يدخل في الزينة ومن جملة ذلك الخضاب [1]. وهذا يعني أنه يباح لغير المحادة من النساء في الأحوال العادية. وقد دلت السنة المطهرة على مشروعية خضاب اليد بالحناء وذلك فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ امْرَأَةً، مَدَّتْ يَدَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَضَ يَدَهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ بِكِتَابٍ، فَلَمْ تَأْخُذْهُ؟ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَدْرِي يَدُ امْرَأَةٍ أَمْ يَدُ رَجُلٍ؟» قُلْتُ: بَلْ يَدُ امْرَأَةٍ قَالَ: «لَوْ كُنْتِ امْرَأَةً لَغَيَّرْتِ أَظْفَارَكِ بِالْحِنَّاءِ)[2].

قال في عون المعبود: (وفي الحديث شدة استحباب الخضاب بالحناء للنساء)[3].

وقال النووي رحمه الله: (أما خضاب اليدين والرجلين بالحناء فمستحب للمتزوجة من النساء للأحاديث المشهورة منه وهو حرام على الرجال إلا لحاجة التداوي ونحوه)[4].

كما أن غير المتزوجة أيضاً يشرع لها التجمل وإبداء الزينة والظهور بالمظهر الحسن أمام محارمها من الرجال، وأمام النساء قال تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾[5].

---

(١) انظر: أحكام النساء ص١١٧ لأبي الفرج بن الجوزي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

(٢) رواه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب الخضاب للنساء، رقم (٤١٦٦) ٨/١٤٢، وقال الألباني: (حسن). انظر: صحيح سنن النسائي ٣/١٠٤٥.

(٣) عون المعبود بشرح سنن أبي داود ١/٢٢٤.

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب ١/٢٩٤.

(٥) سورة النور، الآية: ٣١.

المطلب الثاني: الزينة المباحة للمرأة الداعية.

وهي كل زينة أباحها الشرع، وأذن فيها للمرأة، مما فيه جمال وعدم ضرر بالشروط المعتبرة في كل نوع، ويدخل في ذلك: الطيب، والحلي، ووسائل التجميل الحديثة.

١- الطيب:

كان النبي ﷺ يحب الطيب ويكثر التطيب[١]، وتعجبه الريح الطيبة[٢]، وكان يعرف برائحة الطيب إذا أقبل[٣]. وكان أطيب الطيب عنده المسك[٤].

قال أنس رضي الله عنه: (ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ)[٥].

قال الإمام النووي رحمه الله: (قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه؛ لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين)[٦].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ١/١٧٤.

(٢) رواه أحمد في المسند ٦/٤٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/٨٩١ رقم (٤٩٨٣).

(٣) الطبقات الكبرى ١/٣٩٩ لابن سعد، دار بيروت، ١٤٠٥هـ. قال الألباني: صحيح مرسل. انظر: صحيح الجامع ٢/٨٩١ رقم (٤٩٨٨).

(٤) رواه أحمد في المسند ٣/٣ وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع ٢/١٠٣٨ رقم (٥٩١٤).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة رسول الله × رقم الحديث (٢٣٣٠) ٤/١٤٤٨.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/٩٢.

قال ابن القيم رحمه الله: (وفي الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه والشياطين تنفر عنه وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها)[1]. فالطيب يبعث على سرور النفس وفرح القلب للرجال والنساء على حد سواء.

قال ابن القيم رحمه الله: (لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح معينة القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية ويفرح القلب ويسر النفس، ويبسط الروح الطيبة نسبة قريبة، كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين - صلوات الله وسلامه عليه)[2].

والمرأة يستحب لها التطيب في بيتها لاسيما إذا قصدت بذلك حسن التبعل لزوجها ويحرم عليها التطيب بما يظهر ريحه عند الخروج. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»[3].

وحديث أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/٢٧٩.

(٢) المرجع السابق ٤/٢٧٨.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الترجل، باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج رقم (٤١٧٣) ٤/٧٩، والترمذي في السنن ٥/١٠٦ كتاب الأدب (٣٥) باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة رقم (٢٧٨٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الصغرى ٨/١٣٥ كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب.

أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ»(١). وفيه حرمة الطيب على مريدة الخروج إلى المسجد لما فيه من تحريك داعية شهوة الرجال (٢). أما إذا أمنت الفتنة وكانت في أوساط النساء فالطيب من الزينة المباحة للمرأة الداعية ليتحقق قرب المدعوات منها والإنصات لها والفهم لكل ما تدعو إليه.

٢- الحلي:

التحلي بالذهب والجوهرات من الأمور التي سخرها الله ﷻ للمرأة فتستمتع وتنتفع بها في حدود المشروع قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾(٤).

قال مجاهد رحمه الله: (رخص للنساء في الحرير والذهب ثم قرأ الآية)(٥)، وقال الجصاص رحمه الله: (دلالة الآية ظاهرة في إباحته للنساء)(٦).

قال النووي رحمه الله: (أجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحلي من الفضة والذهب جميعاً كالطوق والعقد والخاتم والسوار

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج متطيبة رقم (١٤٣) ١/٣٢٨.

(٢) انظر:إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٣٩/٢ للشيخ تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق العيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٤

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٦٣/٥ (٢٤٧٨٦) وأورده الطبري في تفسيره ٥٧/١٣.

(٦) أحكام القرآن ٣٨٨/٣ لأبي بكر أحمد علي الرازي الجصاص، طبع بمطبعة الأوقاف الإسلامية، ١٣٣٥هـ.

والخلخال، ولا خلاف في شيء من هذا)[1].

ولكن على المرأة الداعية أن تخفي ما تتزين به من الحلي من الرجال الأجانب عنها لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[2].

ومن الملاحظ وللأسف الشديد أن بعض النساء اليوم لا يبالين بإظهار أيديهن وحليهن حتى بين الرجال الأجانب في الأسواق ونحوها.

بل إن بعض النساء لا يتورعن عن إظهار أيديهن لبعض الباعة لأجل قياس حجم السوار أو الخاتم أو لنزع الحلي من أيديهن أو مساعدتهن في لبسها ولا شك أن هذا أمر محرم، إذ لا يجوز للرجل أن يمس جزء من بدن المرأة الأجنبية. وقد ورد عن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[3].

فعلى المرأة الداعية أن تتزين بكل ما أباحه الله ﷻ من الحلي مهما كان نوعها لأن هذا من باب إظهار فضل الله ﷻ ونعمته عليها ما لم يصل حد الإسراف.

٣- استخدام المساحيق والأصباغ:

تمثل المساحيق والأصباغ ركناً رئيساً في زينة المرأة اليوم حيث أصبح التفنن في استخدام الأصباغ واستحداث ألوانها حديث مجالات النساء

---

(١) شرح المهذب ٦/٤٠.

(٢) سورة النور: ٣١.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (٤٨٦)، قال المنذري: (رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح) انظر: الترغيب والترهيب ٣٩/٣ وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٢٦).

المتخصصة في عالم الموضة والأزياء والماكياج.

وقد عرفت النساء قديماً وضع الألوان على الوجه وإن لم يكن بالصورة التي هي عليها الآن في وقتنا الحاضر دل على ذلك ورود الأحكام عن هذا النوع من الزينة في كتب الفقه.

جاء في الفروع: (إن المرأة يجوز لها تحسين وجهها وتحميره من كل ما فيه تزيين له)[1].

وكذلك حينما تكلموا عن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها فقالوا: إن مما يحرم عليها الزينة نفسها ثم ضربوا أمثلة للزينة التي تجتنبها المحادة فذكروا: الخضاب، وتحمير الوجه وتبييضه وتصفيره بالمواد التي يحدث فيها هذا التلون [2].

ولو لم تعرف ذلك المرأة قديماً لما تعرض لحكمه في ثنايا كتب الأحكام إذ عُرف عن فقهائنا -رحمهم الله- التورع عن الخوض في حكم شيء غير حادث[3].

فاستعمال أدوات التجميل (كتحمير الشفاه، والخدود) لا بأس به

---

(١) الفروع ١٣٦/١ لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح، ط٤، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ١٢٦/١ لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٤هـ، مكتبة السنة المحمدية، كشاف القناع عن متن الإقناع ٨٢/١ للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت.

(٢) انظر: المغني ١٦٨/١ لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالله التركي، وعبدالفتاح الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.

(٣) انظر: أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية ص١٩٩ إعداد: د. ازدهار بنت محمود بن صابر المدني، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

في الحدود المشروعة للمرأة [1] وهي من الزينة المباحة ما لم يكن في ذلك تشبه بالكافرات، بحيث تحاكي المرأة الداعية الكافرة في رسم خطوط الزينة على وجهها بهيئة معينة مأخوذة عنها وما لم يكن في المستحضرات الحديثة المستخدمة في التزين ضرر بين على المرأة الداعية.

يقول د. أبو بكر عبدالغني: ليس هناك ضرر طبي محدد من استخدام أدوات التجميل على البشرة ثم قال: ولكنها قد تؤثر في نضارة البشرة وحيويتها وظهور التجاعيد المبكرة؛ بسبب تلك المواد الكيميائية التي تدخل في تركيبها[2].

فيجب على المرأة الداعية أن تراعي عدم الإغراق في هذه الزينة بحيث تُستترف فيها الأوقات والأموال الطائلة، ولتسلك مسلك الاعتدال ولتعرف أن الإسلام جعل الزينة وسيلة لتلبية نداء الأنوثة فيها وقد تواترت النصوص في الحث على الاستفادة من الوقت، وأن المرأة التي تمضي الساعات أمام المرآة لتجميل وجهها هي ممن أضاع الوقت وفرط في العمر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[3]. فأول ما يُسأل عن

---

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٨٢٨/٢ إعداد وترتيب: أشرف بن عبدالمقصود عبدالرحيم، ط١، ١٤١١هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية ص٢٠١.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة رقم (٢٤١٦ – ٢٤١٧) ٥٢٩/٤، وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥٢٩/٤ رقم (٢٤١٦– ٢٤١٧) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٢٩/٢ رقم (٩٤٦).

العمر كله فيما أفناه ولا شك أن الشباب من العمر ولكنه يعود فيُسأل عن الشباب خاصة وذلك لأهميته.

كما جاء عنه ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»(١).

فعلى المرأة الداعية ألا تتخذ هذه المستحضرات وسيلة لتشويه جمال الخلقة الأصلية جرياً وراء دعايات الزينة المزعومة.

المطلب الثالث: الزينة المحرمة للمرأة الداعية.

عندما أباح الإسلام التزين للمرأة لم يطلق لها العنان لتحصيل الجمال أو استكماله، بل وضع الأسس والقواعد التي تحقق الهدف المقصود من الزينة.

فالزينة مباحة في ذاتها ولكن قد يطرأ عليها أمر يغير حكمها من الإباحة إلى النهي فتكون منهياً عنها لا لذاتها ولكن لما طرأ عليها فإن زال طارئها زال النهي عنها (٢).

قال ابن العربي رحمه الله: (إن الله سبحانه وتعالى خلق الصور فأحسنها في ترتيب الهيئة الأصلية ثم فاوت الجمال بينها فجعلها مراتب، فمن أراد

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الرقاق، رقم (١١٨٣٢)، وقال الحاكم في المستدرك هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، انظر حديث رقم (٧٨٤٦)، وقال الألباني صحيح، انظر: صحيح الجامع رقم (١٠٧٧).

(٢) انظر: أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية ص١٢١.

أن يغير خلق الله فيها وتبطل حكمته بها فهو ملعون لأنه أتى ممنوعاً)[١].

فمن صفات المرأة الداعية الوقوف عند حدود الله ﷻ فلا تتعداها إلى ما حرم عليها من أشكال الزينة كوصل الشعر أو حلقه والنمص وتفليج الأسنان ونحو ذلك كما منعها لما فيها من تغيير خلق الله ﷻ والخروج عن الفطرة.

قال الطبري رحمه الله: (لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص، التماساً للحسن لا للزوج ولا لغيره)[٢].

وقال الخطابي رحمه الله: (إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخلقة)[٣].

ولقد ظهر في هذا العصر من أنواع الزينة ما أخبر عنه الرسول ﷺ وحذر منه كما جاء في الحديث: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[٤].

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/٢٦٣.

(٢) فتح الباري ١٠/٣٧٧.

(٣) فتح الباري ١٠/٣٨٠، وانظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ٣/٢١٦١، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق: د.محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤١٠هـ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم (٢١٢٨) ٣/١٦٨٠.

فالزينة المنهي عنها: هي كل ما حرم الشرع وحذر منه، مما تعتبره النساء زينة سواءً نص عليه الشارع، كوصل الشعر، والنمص والوشم أو كان عن طريق التشبه بالرجال أو الكفار.

ونظراً لكثرة وقوع النساء في الزينة المنهي عنها، رأيت أن أقسمها إلى: زينة شعر الرأس المنهي عنها، وتشمل قص الشعر وحلقه ووصله وتعليته. وزينة الوجه المنهي عنها وتشمل: النمص والوشم وتفليج الأسنان.

أولاً: زينة شعر الرأس:

يستحب ترجيل شعر الرأس باتفاق العلماء لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»[1]. وعن عائشة ﷺ قالت: (وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل عليّ رأسه وهو في المسجد فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً)[2].

فالنبي ﷺ لم يترك الترجيل في زمن الاعتكاف مع اشتغاله بالعبادة ففي غيره أولى.

وكان ﷺ ينكر على من شعث رأسه وأهمله فعن عطاء بن يسار قال: كان رسول الله ﷺ في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر رقم (٤١٦٣) ٧٦/٤ وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة انظر: فتح القدير ٤٢٥/١، وقال عنه ابن حجر رحمه الله: (سنده حسن) فتح الباري ٣٦٨/١٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٧/٢ السلسلة الصحيحة ٨١٩/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب لا يدخل البيت إلا لحاجة، رقم (٢٠٢٩) ٢٥٦/٢ ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، رقم (٧)٢٤٤/١.

فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن أخرج كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول الله ﷺ: «أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَائِرَ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ»(١).

فكان ﷺ يدعو أصحابه إلى نظافة الشعر وترجيله وعدم إهمال الزينة الظاهرة وقد رأى النبي ﷺ رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: (أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ)(٢). أي: ما يلم شعثه ويجمع تفرقه. وفي الحديث استحباب تنظيف شعر الرأس بالغسل والترجيل والزيت ونحوه، ومنه طلب النظافة من الأوساخ الظاهرة على الثوب والبدن(٣).

فالشعث مذموم في الشرع وهو في حق المرأة الداعية إلى الله ﷻ أولى، لأن المظهر هو أول ما يواجه المدعو فينطبع في ذهنه شكل الداعية، فالنفوس جبلت على حب الجمال والمظهر الحسن ولا شك أن زينة شعر الداعية وجمال مظهرها مما يجذب النفوس إليها ويحملهم على القرب منها، كما أن سوء مظهرها قد ينفر المدعوات منها ومما تدعو إليه، لأن من لا يعرف هذا الدين يظن أن هذا من مقتضياته.

وكما أن الشعث لا ينبغي فالإفراط في الترجل وغيره لا ينبغي والقصد في ذلك كله هو المطلوب.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الشعر، باب إصلاح الشعر، ٩٤٤/٢، قال العراقي عن الحديث: (إسناده جيد) المغني عن حمل الأسفار ٥١/٢ وقال عنه ابن حجر: (هو مرسل صحيح السند) فتح الباري ٣٦٧/١٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في الخلقان وفي غسل الثياب رقم (٤٠٥٦) وصححه الألباني انظر: صحيح سنن أبي داود ٧٦٦/٢ رقم (٣٤٢٧).

(٣) انظر: عون المعبود بشرح سنن أبي داود ٧٦/٦.

ولعلي أبين في المطالب التالية زينة شعر الرأس المنهي عنها لتحذر منها الداعية إلى الله ﷻ وتحذر أخواتها المدعوات.

١- قص شعر الرأس:

شعر المرأة جزء أصيل من جمالها وقد تعارف الناس قديماً وحديثاً أن طول الشعر جمال وزينة.

إلا أنه أصبح من المألوف في مجتمعنا المعاصر اليوم وجود أنواع من الزينة لم تكن معروفة أصلاً فيما سبق، أو أنها عرفت من قبل، ولكن لغرض آخر غير التجمل وإظهار الزينة.

ومن هذه الأمور المستحدثة التي تتخذها بعض النساء على سبيل الزينة، وهي تخالف ما كان يعرف سابقاً قص المرأة لشعرها.

ومما يدل على أن الأصل في شعر المرأة الإعفاء وعدم القص، أن من الصحابيات - رضوان الله عليهن - من قد سألت النبي ﷺ عن حكم شعرها المشدود المظفور عند غسل الجنابة وهل تنقضه أو لا؟ كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِي فَأَنْقُضُهُ لِغُسْلِ الْجَنَابَةِ؟ قَالَ: «لَا. إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِي عَلَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ الْمَاءَ فَتَطْهُرِينَ)[1]. والشعر لا يشد إلا إذا كان معفى وطويلاً في الغالب.

ولا يفهم من هذا أن المرأة المسلمة في عصر صدر الإسلام لم تعرف التقصير مطلقاً بل عرفته كجزء من مناسكها في الحج والعمرة و لم تعرفه بمعنى الزينة دل على ذلك فعل زوجات النبي ﷺ بعد وفاته فقد روى أبو

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب حكم ضفائر المغتسلة، رقم (٣٣٠) ١/٢٥٩-٢٦٠.

سلمة بن عبدالرحمن قال: (دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ أَنَا وَأَخُوهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ. فَسَأَلَهَا عَنْ غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجَنَابَةِ؟ «فَدَعَتْ بِإِنَاءٍ قَدْرِ الصَّاعِ فَاغْتَسَلَتْ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهَا سِتْرٌ وَأَفْرَغَتْ عَلَى رَأْسِهَا ثَلَاثًا» قَالَ: «وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذْنَ مِنْ رُءُوسِهِنَّ حَتَّى تَكُونَ كَالْوَفْرَةِ[1]»)[2].

ففعلهن هذا يفهم منه شيئان:

١- كان شعرهن -رضي الله عنهن- معفى في حياة النبي ﷺ ولم يكن مقصوصاً.

٢- أن الشعر للمرأة نوع مهم من الزينة التي تحفظ للزوج، وإعفاؤه أيضاً من الزينة التي تتزين بها المرأة لزوجها، فإن مات ولم ترج نكاحاً ففي هذه الحالة تقصه وقد اختلف العلماء في قص الشعر بين مؤيد ومعارض فقال النووي رحمه الله: (في فعل زوجات الرسول دليل على تخفيف الشعور للنساء)[3].

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله معقباً على النووي: (قول النووي فيه نظر، لما قد تقدم من أزواج النبي ﷺ لا يقاس عليهن غيرهن إذ أنهن قطعن طمعهن في الرجال بالكلية، وهو خاص بهن دون غيرهن، وهذا يباح فيه الإخلال ببعض الزينة بما لا يباح في غيره)[4].

(١) الوَفْرَة: ما جاوز شحمة الأذنين وقيل غير ذلك. انظر: لسان العرب ٢٨٨/٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة رقم (٤٢) ٢٥٦/١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٤.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦٠١/٥. لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

والذي أراه والله أعلم أن قص الشعر للمرأة الداعية جائز بشرط ألا تتشبه في قصها بالرجال[1] أو الكافرات بحيث يكون على هيئة معينة فيها محاكاة للكافرات فإذا انتهى إلى ذلك فهو محرم بإجماع العلماء.

قال الشنقيطي رحمه الله: (وبه يعلم أن العرف الذي صار جارياً في كثير من البلاد بقطع المرأة شعر رأسها إلى قرب أصوله سنة إفرنجية مخالفة لما كان عليه نساء المسلمين ونساء العرب قبل الإسلام فهو من جملة الانحرافات التي عمت البلوى بها في الدين والخلق والسمت وغير ذلك)[2].

٢- حلق شعر الرأس:

يحرم على المرأة حلق شعر رأسها لغير حاجة ملحة كمرض ونحوه لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَحْلِقَ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا)[3].

والنهي يقتضي التحريم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ حَلْقٌ إِنَّمَا عَلَى النِّسَاءِ التَّقْصِيرُ)[4].

فلم يبح لها الحلق في حال النسك فغيره من الأحوال أولى [5].

وروي أن أبا موسى وجع وجعاً فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما

---

(١) انظر المبحث الثاني.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٦٠٠.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية الحلق للنساء، رقم (٩١٤) ٣/٢٥٧، وضعفه الألباني.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب في الحلق والتقصير رقم (١٩٨٥) ٢/٢٠٣ وقال النووي: (رواه أبو داود بإسناد حسن) المجموع ٨/١٩٧، وقال ابن حجر: (إسناده حسن) التلخيص الكبير ٢/٢٦١.

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٥٩٧.

أفاق قال: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ[1] وَالْحَالِقَةِ[2] وَالشَّالِقَةِ[3]»[4].

وقد عرف عن المرأة في الجاهلية حلق شعرها عند المصيبة فسر بعضهم فعلها هذا بأن من أصيبت بمصيبة فإنها تنشغل بها عن الاهتمام بزينتها فتحلق شعر رأسها. وقال بعضهم أن في هذا إشعار بعظم مصيبتها بحيث تجعلها تزهد في أعز ما تزهو به المرأة من زينتها[5]. فجاء الإسلام ونهى المرأة المسلمة عن هذا وأمرها بالصبر عند المصيبة بل وفي لحظاتها الأولى.

فشعر المرأة زينة وجمال فلا ينبغي الإكثار من الأخذ منه أو استئصاله [6]. والحكمة في النهي عن حلق شعر رأس المرأة:

١- أن في الحلق تشبهاً بالرجال وهو من الصفات الخاصة بهم دون الإناث عادة والتشبه بالرجال محرم [7].

٢- أن الحلق ليس من عمل نساء الصحابة ومن بعدهم وهن أكثر النساء ورعاً وفقهاً في الدين ونحن مأمورون بالاقتداء بهن ومن عمل عملاً

---

(١) الصالقة: من الصلق وهو الصوت الشديد يريد رفعه في المصائب وعند الفجيعة بالموت، ويدخل فيه النوح. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٨ باب الصاد مع اللام.

(٢) الحالقة: ويقصد بها من حلقت شعرها عند المصيبة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٤٢٧ باب الحاء مع القاف.

(٣) الشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١١٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم (١٠٤) ١/١٠٠.

(٥) انظر: أحكام تجميل النساء ص١٢٩.

(٦) فتح الباري ٣/٥٦٥، المغني ٣/٤٣٩.

(٧) انظر المبحث الثاني.

ليس عليه أمرنا فهو رد [1].

٣- أن شعر رأس المرأة من علامات جمالها وفي حلقه تقبيح وتشويه لخلقتها.

٤- أن في الحلق تشبه بالكافرات وقد نهيت المرأة فضلاً عن الداعية عن التشبه بالكافرات[2].

ولكننا وللأسف أصبحنا في وقت تبدلت فيه المفاهيم في أذهان بعض الناس نظراً للانسياق وراء ما يسمى بالموضة التي أصبح البعض من النساء يتبنونها دون تفكير وروية. فالحلق منهي عنه لأنه مُثْلَةٌ والمُثْلَةُ لا تجوز فعلى المرأة الداعية أن تجتنب مثل هذه الزينة إن صح لنا أن نطلق عليها زينة كما يراها البعض وان تحذر المدعوات من الانسياق وراء الموضة التي تخالف الشرع والعرف.

٣- وصل شعر الرأس:

اتفق الفقهاء -رحمهم الله- على حرمة وصل المرأة شعرها بشعر آدمي أو نحوه من الخرق أو الصوف فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: (لَعَنَ الله الوَاصِلَةَ[3] وَالمُسْتَوْصِلَةَ[4]، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ والمستوصلة)[5] فاللعن يقتضي التحريم وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تفسير الوصل في الشعر:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٠٤/٨، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥٩٥/٥، ٥٩٧.

(٢) انظر المبحث الثاني.

(٣) الواصلة: من تصل الشعر لنفسها أو لغيرها انظر: فتح الباري ٣٧٦/١٠.

(٤) المستوصلة: التي تطلب فعل ذلك ويفعل بها. انظر: المرجع السابق ٣٧٦/١٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ١٦٢/٧، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١١٩).

بأنه الزيادة فيه من غيره [1].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما (أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أَنْكَحْتُ ابْنَتِي، ثُمَّ أَصَابَهَا شَكْوَى، فَتَمَرَّقَ رَأْسُهَا، وَزَوْجُهَا يَسْتَحِثُّنِي بِهَا، أَفَأَصِلُ رَأْسَهَا؟ فَسَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ)[2].

وعن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أنه سمع معاوية بن أبي سفيان حج وهو على المنبر يقول: (وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ كَانَتْ فِي يَدِ حَرَسِيٍّ، يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ)[3].

وقد وردت في هذا الشأن فتاوى عدة من العلماء المعاصرين فأفتوا بحرمة ما يسمى (بالباروكة) ولو للتجمل للزوج لأنها في معنى الوصل أو أشد [4] أضف إلى ذلك أن فيها تشبهاً وغش وتدليس إلا لمن ظهر بها عيب كأن لا يكون على رأس المرأة شعر أصلاً فلا حرج حينها من استخدام الباروكة لستر العيب، لأن إزالة العيوب جائزة، والتزين تحسين

(١) فتح الباري ٣٧٦/١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ١٦٢/٧ ومسلم في صحيحه كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١١٥) ١٦٧٦/٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر،٦٢١/٧، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١٢٤) ١٦٧٩/٣.

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ص٤٦-٤٧ جمع وترتيب صفوت الشوادفي، دار الجلاء ــ القاهرة، الأحكام الفقهية في الفتاوى النسائية ص٤١٣ لمحمد بن صالح العثيمين.

وليس إزالة للعيوب [1].

فعلى المرأة الداعية أن تبتعد عن وصل شعرها بشعر آخر بقصد التزين سواءً كان من شعرها أو من شعر غيرها لعموم الأدلة في ذلك.

قال النووي رحمه الله: (وهذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقاً وهذا هو الظاهر المختار)[2].

ويدخل في هذا ما تفعله بعض النساء من تكثير الشعر بالخرق ونحوها للتزين جاء عن سعيد بن المسيب، أن معاوية رضي الله عنه قال ذات يوم: «إِنَّكُمْ قَدْ أَحْدَثْتُمْ زِيَّ سَوْءٍ: «وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الزُّورِ» قَالَ: وَجَاءَ رَجُلٌ بِعَصًا عَلَى رَأْسِهَا خِرْقَةٌ قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا وَهَـذَا الزُّورُ قَالَ قَتَادَةُ: «يَعْنِي مَا يُكَثِّرُ بِهِ النِّسَاءُ أَشْعَارَهُنَّ مِنَ الْخِرَقِ»[3].

أما وصل الشعر بالخيوط الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر ولا يكون على هيئة فيها تشبه بالكفار كأن تكون موضوعة على شكل صليب أو نحوه فلا بأس.

قال القاضي عياض رحمه الله: (وأما ربط خيوط الحرير الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر فليس بمنهي عنه، لأنه ليس بوصل ولا هو في معنى مقصود الوصل وإنما هو للتجميل والتحسين)[4].

وقد أيد هذا المعنى ابن حجر بقوله : (فصل البعض بين ما إذا كان

---

(١) انظر فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين ٢/٨٣٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٣٥٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١٢٤) ٣/١٦٨٠.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٣٥٢.

الذي يوصل به الشعر من غير الشعر مستوراً بعد عقده مع الشعر، بحيث يعتقد ويظن أنه من الشعر، وبين ما إذا كان ظاهراً، فالأول (المستور) منعه قوم قط، لما فيه من التدليس ثم عقب فقال: وهو قوي)(١).

فعلى المرأة الداعية الالتزام التام بتعاليم الإسلام في الظاهر والباطن، لأن مظهرها هو أول ما يواجه المدعوات، فإذا حدثتهم أو نهتهم عن مخالفة وقعوا فيها فإنهم ينظرون مباشرة إلى مظهرها وهيئتها. فالتزام الداعية بمظهرها وما تدعو إليه أدعى إلى قبول قولها والاقتداء بها.

وقد أنكر الله ﷻ على أولئك الذين يعظون الناس ولا يتعظون، وينهونهم ولا ينتهون قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٣). وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ،

(١) فتح الباري ١٠/٣٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الصف: ٢-٣.

وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)[1].

ويحذر ابن القيم ﷺ عن أولئك العلماء الذين يكونون قدوة سيئة على المجتمع، حيث يقول: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كان أول المستجيبين له منهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق)[2].

فالواجب على المرأة الداعية أن تدعو إلى هذا الدين بخلقها ومظهرها الحسن وأن يطابق قولها فعلها.

٤- تعلية الشعر فوق الرأس:

وكما أن المرأة الداعية منهية عن الزيادة في شعرها، فهي منهية عن رفع الشعر أو نفشه عالياً أو وضعه على جهة واحدة فهذا من التشبه بغير المسلمين. وقد يكون داخلاً في عموم قوله ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)[3].

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب (١٠) ١٢١/٤، ومسلم في صحيحه ٢٢٨٩/٣، كتاب الزهد باب (٥١) رقم (٢٩٨٩).

(٢) الفوائد ص١١٢. لابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف.

(٣) سبق تخريجه

قال النووي رحمه الله: (هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان، وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين. ثم قال: ومعنى رؤوسهن كأسنمة البخت أن يكبرنها ويعظمنها خلف عمامة أو عصابة أو نحوهما)(١).

قال القرطبي رحمه الله: (والأسنمة بالنون جمع سنام وهو أعلى ما في ظهر الجمل شبه رؤوسهن بها لما وقعن من ضفائر شعورهن على أوساط رؤوسهن تزييناً وتصنعاً، وقد يفعلن ذلك بما يكثرن به شعورهن)(٢).

وقد ذكر النووي وغيره من أهل العلم أن من معاني (مميلات مائلات) أي يمشطن المشطة المائلة (٣) وهي مشطة البغايا (٤).

فالواجب على المرأة الداعية أن تحذر من كل ما ظهر وانتشر مما يتعلق بتسريحات الشعر وقصاته مما أفرزته وسائل الإفساد وفيه مخالفة لما ورد في الشرع.

زينة الوجه المنهي عنها:

١- نمص شعر الحاجبين:

حذر الإسلام نساء المسلمين من التشبه بنساء اليهود والنصارى واللهث وراء ما يسمى بالموضة وتقليد الكافرات ولا شك أن أخذ شعر الحاجبين أو التخفيف منهما مما ابتليت به بعض نسائنا في الوقت الحاضر

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٣٥٧/١٤.

(٢) انظر:المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ٤٥٠/٥، وانظر فتح الباري ٣٧٥/١٠.

(٣) المشطة المائلة قد تكون بضفر الغدائر وشدها إلى فوق وجمعها في وسط الرأس فتصير كأسنمة البخت.

(٤) انظر:صحيح مسلم بشرح النووي ٣٥٧/١٤.

وهو كبيرة من كبائر الذنوب عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ(1)، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ)(2).

واللعن في الحديث يقتضي التحريم وهو عام في كل امرأة متزوجة أو غير متزوجة قال الإمام القرطبي رحمه الله: (لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن لا لزوج ولا لغيره)(3).

ويدخل في التحريم إزالة الحواجب الأصلية والاستغناء عنها بحواجب مستعارة ملونة، لما فيه من تغيير خلق الله عز وجل ناهيك عن الأضرار الصحية الناجمة عن وضع المادة الكيميائية على الحواجب. يقول الدكتور وهبة أحمد حسن: (إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة، ثم استخدام أقلام الحواجب وغيرها من ماكياجات الجلد لها تأثيرها الضار فهي مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل الرصاص والزئبق، تذاب في مركبات دهنية مثل زيت الكاكاو، كما أن كل المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية، وكلها أكسيدات مختلفة تضر بالجلد، وإن امتصاص المسام الجلدية لهذه المواد يحدث التهابات وحساسية وأما لو

---

(1) النمص: نتف الشعر، يقال نمصت المرأة إذا أخذت شعر جبينها بخيط. والنامصة: المرأة التي تزين النساء بالنمص وتنتف الشعر. انظر: لسان العرب ٧/١٠١ مادة نمص، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠٤/٥.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب المتنمصات، ٦٣/٧، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمصة رقم (١٢٠) ١٦٧٨/٣.

(3) فتح الباري ٣٩٠/١٠.

استمر استخدام هذه الماكياجات فإن له تأثيراً ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى فهذه المواد الداخلة في تركيب الماكياجات لها خاصية الترسب المتكامل فلا يتخلص منها الجسم بسرعة).

وعلاوة على ما تقدم فإن هذا التقليد فيه ضياع للمال وإهدار لوقت المرأة الداعية وهي أولى باستغلاله فيما من شأنه أن ينهض بحال المسلمين سيما في هذه الأوقات التي ضعفت فيها العزائم وفترت الهمم.

٢- الرموش الصناعية:

وهي نوع من الزينة تضعها المرأة فوق رموشها الطبيعية لتبدو أكثر كثافة.

ويرى كثير من العلماء أن هذه الزينة تدخل في معنى الوصل المنهي عنه، فالرموش الطبيعية توصل بالرموش الصناعية، وقد نهى النبي ﷺ عن الوصل، ولعن فاعلته.

تقول د. ازدهار المدني: (لهذا فإني أرى أن القول بعدم الجواز هو الحكم الذي ينطبق على هذا النوع من الزينة لمشابهته الوصل المحرم من ناحية ولضرره من ناحية أخرى)(١). فالرموش الصناعية تحدث الحساسية على الجفون، إما بسبب المواد التي تدخل في تصنيع الرموش أو من الصمغ الذي يستخدم في تثبيتها (٢).

قال الطبيب أبو بكر عبدالغني عبدالعزيز: (مادة تثبيت الرموش

---

(١) أحكام تجميل النساء ص١٩٢.

(٢) انظر: الأمراض الجلدية تساقط الشعر وأمراض الحساسية وحب الشباب ص٨٧.

الصناعية تؤثر على الرموش الطبيعية، ونموها الطبيعي، كما تؤثر على الجلد، وقد تؤدي إلى حساسية مزمنة بالجلد والعين ولذلك ننصح وينصح أطباء الرمد بعدم استخدامها على الإطلاق).[١]

فيجب الحذر من هذه الزينة لما فيها من الوصل المحرم والتشبه بالكافرات المنهي عنه.

قال محمود مهدي الأستنابولي: (إن كثيراً من المسلمات يتشبهن بالأجنبيات في كثير من عاداتهن وملابسهن وزينتهن وتطويل أظفارهن كالرموش حسب الموضات الإفرنجية وهي غالباً من تصميم اليهودية العالمية لتبديد المال والحط من قيمة الإنسان والسخرية منه)[٢].

٣- الوشم:

الوشم لغة: هو التأثير في الشيء تزييناً له [٣]، وفي الاصطلاح: غرز إبرة أو نحوها في الوجه أو الذراع حتى يسيل الدم، ثم حشو الموضع بالكحل ونحوه فيخضر أو يزرق [٤].

وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة أن الوشم محرم لدلالة النصوص على لعن فاعله واللعن لا يكون إلا على أمر محرم. عن ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) أنظر الأمراض الجلدية: تساقط الشعر وأمراض الحساسية وحب الشباب ص٨٧.

(٢) تحفة العروس ص٣٦٧، محمود مهدي الاستانبولي، الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ١١٢/٦، لسان العرب ٦٣٨/١٢.

(٤) انظر: أحكام القرآن ٥٠١/١ لابن العربي، صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٦/١٤، فتح الباري ٣٧٢/١٠، حاشية ابن عابدين ٢٩٣/٥ لأحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي قدم له وشرحه وعلق عليه: محمد شريف سكر، ط الأولى، ١٤١٠هـ، دار إحياء العلوم ـ بيروت.

قال: قال رسول الله ﷺ: (لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ وَالوَاشِمَةَ[1] وَالمُسْتَوْشِمَةَ)[2].

والعلة في التحريم والطرد من رحمة الله أن الوشم لا فائدة منه وفيه إيلام للحي دون حاجة وتغيير لخلق الله ﷻ قال تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[3].

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره: (قال ابن مسعود والحسن هي إشارة إلى الوشم وما جرى مجراه من التصنع للحسن فمن ذلك الحديث: (لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات المغيرات لخلق الله)[4].

وقال ابن العربي في المسألة السادسة في تفسير هذه الآية: (لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والواشرة

---

(١) الواشمة هي من فعلت ذلك بنفسها أو بغيرها، والمستوشمة من فُعل بها ذلك الأمر بطلبها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ٦٢/٧، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة رقم (١١٩) ١٦٧٧/٣.

(٣) سورة النساء الآيتان: ١١٨-١١٩.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١١٥/٢. لأبي محمد بن عبدالحق عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي وصادق العناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مؤسسة العلوم للطباعة.

والمستوشرة والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله)[1].

والوشم المحرم هو ما فعله الإنسان باختياره، ولا تأثم البنت الصغيرة إذا فعل بها ذلك، لأنها غير مكلفة، ويأثم وليها إذا رضي بذلك [2].

وقد ظهرت في العصر الحاضر وسائل حديثة لإزالة الوشم عن طريق تعريض الموضع لأشعة الليزر الحمراء، فإن قوة هذه الأشعة تعمل على تمزيق الصبغة دون إحراق الجلد أو احتراقه ودون أن تترك علامات في المستقبل.

ومن الملاحظ -ولله الحمد- قلة فعل الوشم في هذا الوقت بالطريقة التي كانت متبعة قديماً لدى النساء، لأنه قد قل من ترى في هذا النوع من الزينة جمالاً، إلا في بعض المجتمعات القروية والبدوية النائية.

إلا أنه ظهرت بعض الصور الحديثة للوشم في المجتمعات الغربية وهي ليست رسم نقوش على الوجه واليدين فحسب بل تجاوزت هذا إلى صورتين:

إحداها: النقش على سائر الجسد ليبدو الإنسان وهو عار كما لو كان يرتدي لباساً مزركشاً.

الثانية: أن يحدد شكل العينين والشفتين، ثم ينقش عليهما بالإبر ويحشى الموضع باللون المطلوب فتصبح العينين كحيلتين على الدوام، وتصبح الشفتان دائمتي الحمرة.

---

(١) أحكام القرآن ١/٦٣٠.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/٣٧٢، صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٣٥٣.

وللأسف فإن هذه الصورة وصلت إلى بلاد المسلمين وانتشرت في أوساط النساء وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: (لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»)(١).

فعلى المرأة الداعية أن تحذر من التشبه بأعداء الله ومسايرتهم في أمور حياتهم، فإن المشابهة تورث نوعاً من المودة والألفة ونحن مأمورون ببغضهم ومعاداتهم وعدم موالاتهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ (٢).

٤- تفليج الأسنان:

التفليج لغة: من فلج الشيء بينهما يفْلِجه بالكسر، فلجاً: قسما نصفين. والفلج في الأسنان: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة، فإن تكلف فهو التفليج (٣).

اصطلاحاً: هو برد ما بين الأسنان ليتباعد بعضها عن بعض، وتكون بينها فرجة (٤). طلباً للحسن وإظهاراً للصغر، لأن هذه الفرجة اللطيفة عادة تكون للبنات الصغار.

قال الشوكاني رحمه الله: (والفَلَج بفتح الفاء واللام، هو الفرجة بين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب لتتبعن سنن من كان قبلكم رقم الحديث (٧٣٢٠) ٢٦٦٩/٦.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤٤٨/٤-٤٤٩، لسان العرب ٣٤٦/٢.

(٤) انظر: أحكام القرآن ٥٠١/١ لابن العربي، فتح الباري ٣٧٢/١٠، صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٦/١٤، ١٠٧.

الثنايا والرباعيات، تفعل ذلك العجوز ومن قاربها في السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغيرات، فإذا عَجّزت المرأة كَبُرَت سنها، فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة، حسنة المنظر توهم كونها صغيرة)(١).

وهذه الزينة محرمة لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: (لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ)(٢).

ومن ألوان التطبيب لأجل التزين، ما اعتاده بعض الناس من الوشر وهو تحديد الأسنان وترقيق أطرافها، وقد يطلق الوشر على التفليج كما يطلق التفليج على الوشر والجامع بين الاثنين أن كليهما برد للأسنان (٣).

ومن الوشر: تقصير السن الطويل، فقد قالوا: (الوشر: نشر الأسنان أي بردها حتى يحصل الفلج، وتحسن الأسنان، ومثله لو كانت طويلة فتنتشر حتى يحصل لها القصر)(٤).

وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على تحريم وشر الأسنان لما فيها من التلبيس بتغيير خلق الله عز وجل. عن أبي ريحانة، قال: بَلَغَنَا «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْوَشْرِ، وَالْوَشْمِ»(٥). فالنهي عن الشيء يقتضي تحريمه.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ٢١٧/٦.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر: عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٢٦٣/٧.

(٤) الفواكه الدواني على رسالة أبي محمد بن زيد القيرواني ٣٤٢/٢. للشيخ أحمد غنيم النفراوي، ط٣، ١٣٧٤هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

(٥) رواه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب تحريم الوشر، رقم (٥١١١) ١٤٩/٨، وصححه الألباني.

ولو احتيج إليه لعلاج أو عيب في السن يشوه المنظر أو يعيق الأكل فلا بأس لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء)[1].

وخلاصة القول:

أن تفليج الأسنان ووشرها من الزينة المنهي عنها لما فيها من التلبيس بتغيير خلق الله عز وجل وإظهار صغر السن وفيها إضاعة للوقت وانشغال بأمور لا قيمة لها وإغراق المرأة الداعية نفسها في التزين والبحث عن وسائل الزينة أياً كان حكمها دليل على الركون إلى الدنيا وهي القدوة والمثل في معرفة حقيقة الدنيا وفنائها ومعرفة أحكام الشرع والوقوف عندها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٤١٥. وقال شعيب الارناؤوط: إسناده قوي

الخاتمة

أحمد الله ﷻ على ما وفقني إليه من الكتابة في موضوع: (زينة المرأة الداعية وضوابطها الشرعية) ومن خلال بحثي في هذا الموضوع ظهرت لي جملة من النتائج أجملها فيما يلي:

١- الأصل في الزينة الإباحة إلا أن يقوم الدليل المانع لها.

٢- تشرع الزينة في الإسلام بقيود قد يؤدي اختلالها إلى انتقال حكم الزينة إلى التحريم.

٣- أن من السنة التزين والاعتناء بحسن المظهر والاهتمام بالنظافة وتطبيق سنن الفطرة.

٤- إن التزين والاهتمام بحسن المظهر، من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة بشرط ألا تتجاوز الحد المطلوب.

٥- الاعتدال في الزينة أمر مطلوب فلا ينبغي أن يطغى على اهتمامات المرأة الداعية فتشغلها عن ما هو أهم من أمور الدعوة.

٦- إن بعض أمور الزينة لا تجوز في الأصل فلا تحل من أجل التزين بحال من الأحوال، ولا تباح بإذن زوج ولا بأمره مثل: (النمص، الوصل، الوشم، الوشر) وبعضها يباح على ألا يكون مضراً كاستخدام المساحيق من الأصباغ، وبعضها يباح بشرط ألا يكون فيه تشبه بالكافرات أو الرجال.

٧- أن المخالفات الشرعية في زينة المرأة الداعية قد تؤدي إلى عدم قبول الدعوة.

المراجع

١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للشيخ تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق العبد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢- أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية، ازدهار بنت محمود بن صابر المدني، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
٣- أحكام الزينة، عبير بنت علي المديفر، ط٢، ١٤٣٠هـ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٤- الأحكام الفقهية في الفتاوى النسائية للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٥- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد علي الرازي الجصاص، طبع بمطبعة الأوقاف الإسلامية، ١٣٣٥هـ.
٦- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ، دار إحياء الكتب العربية.
٧- أحكام النساء لأبي الفرج بن الجوزي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
٨- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، ط٣، ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد بن المختار الجكلي الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

١٠- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، أبو سليمان الخطابي، تحقيق: د.محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤١٠هـ.

١١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢- الأمراض الجلدية (تساقط الشعر، أمراض الحساسية، حب الشباب)، د.محمود حجازي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية.

١٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ، مكتبة السنة المحمدية.

١٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، منشورات مكتبة المعارف، بيروت.

١٥- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، للإمام المحدث أبي محمد عبدالله بن أبي حمزة الأزدي، مطبعة الصدق الخيرية، مصر، ١٣٥٣هـ.

١٦- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة، لأبي الوليد بن رشد القرطبي، تحقيق: محمد العرايشي، أحمد الحياني، ط٢، ١٤٠٨هـ دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٧- التبيان في أقسام القرآن، للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٨- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للإمام أبي العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٩- تحفة العروس، محمود مهدي الاستانبولي، ط٦، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.
٢٠- التداوي بالأعشاب والنباتات، عبداللطيف عاشور، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصوير، القاهرة.
٢١- تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر.
٢٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٥- حاشية ابن عابدين لأحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي، قدم له وشرحه وعلق عليه: محمد شريف سكر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار إحياء العلوم، بيروت.

٢٦- خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، مكتبة المنار، الأردن.

٢٧- خطبة الحاجة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي.

٢٨- الروض المربع بشرح زاد المستقنع، للشيخ منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، ط٣، ١٤١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٩- روعة العقلاء ونزهة الفضلاء، للشيخ محمد بن حبان البستي، تحقيق: جمال محمود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الفتح، الشارقة.

٣٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، ط١٤، ١٤١٠هـ، الرسالة، بيروت.

٣١- زينة المرأة المسلمة، عبدالله بن صالح الفوزان، ط٤، ١٤٢١هـ، مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني.

٣٢- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني، راجعه وعلق عليه: محمد بن عبدالعزيز الخولي، مكتبة الرسالة الحديثة.

٣٣- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزة الدعاس، عادس السيد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

٣٤- السواك والعناية بالأسنان، د.عبدالرزاق عبدالله السعيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٥- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط٤، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٦- الشرح الكبير، لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣٧- شرح منتهى الإرادات، للشيخ منصور بن إدريس البهوتي، دار الفكر.

٣٨- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، ط٢، ١٣٩٩هـ، القاهرة.

٣٩- صحيح البخاري، تقديم: أحمد شاكر، دار الجيل، بيروت.

٤٠- صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) حقق أصوله وخرج أحاديثه: الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة السادسة، ١٤٢٠هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤١- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ، دار إحياء الكتب.

٤٢- صيد الخاطر، للحافظ جمال الدين بن عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، مكتب الكليات الأزهرية، القاهرة.

٤٣- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٤- عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، للإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، مكتبة المعارف، بيروت.
٤٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، ١٣٨٨هـ، محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية، المدينة النبوية.
٤٦- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للشيخ محمد السفاريني، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة قرطبة.
٤٧- فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وترتيب: أشرف بن عبدالمقصود عبدالرحيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
٤٨- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب صفوت الشوادبي، دار الجلاء، القاهرة.
٤٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق: الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر.
٥٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.
٥١- الفروع، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح، ط٤، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت.

٥٢- الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، علي بن عبد الله القزني، جعفر صادق المطهري، دار المسلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
٥٣- الفواكه الدواني على رسالة أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد غنيم النفراوي، ط٣، ١٣٧٤هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر.
٥٤- الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف.
٥٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥٦- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٥٧- كشف القناع عن متن الإقناع، للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت.
٥٨- اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، د. محمد بن عبدالعزيز عمرو، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.
٥٩- لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
٦٠- المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.

٦١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين وعلى نفقته الخاصة.
٦٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي وصادق العناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مؤسسة العلوم للطباعة.
٦٣- المسند للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي.
٦٤- المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.
٦٥- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت.
٦٦- المغني، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالله التركي، عبدالفتاح الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
٦٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمرو ابن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين دين مستو، ويوسف علي بديوي وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق.

٦٨- النهاية في غريب الحديث، للإمام مجد الدين أبي السادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناجي، وطاهر الزاوي، الناشر: أنصار السنة المحمدية، باكستان.
٦٩- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.
٧٠- هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، أ.د عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

البحث رقم (٤)

المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن في العصر الحاضر

إعداد

د. الجوهرة بنت صالح الطريفي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2]. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] [4].

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠- ٧١.

(٤) خطبة الحاجة التي كان يعلمها رسول الله ﷺ وأصحابه أخرجها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح رقم الحديث (٢١١٨) ج٢ ص ٥٩١، طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ واللفظ له؛ وأخرجها الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح رقم الحديث (١١٠٥) ج٣ ص ٤١٣، طبع دار الدعوة - دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ.
والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح رقم الحديث (١٨٦٠ - ٢١١٨) ج٢ ص٣٩٩ طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج الأولى ١٤٠٩هـ.

أما بعد:

في ظل التداعيات، والمتغيرات المعاصرة، ومع تنوع الأحداث والمستجدات، وتوالي الفتن، يقع الخلل، وتضطرب المفاهيم، وتتزعزع الثوابت، وتحدث الحيرة لدى عامة الناس والشباب منهم خاصة – لصغر سنهم وقلة خبرتهم – وهذا حال الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً. أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)(١).

وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم، ووصف نوعاً من شدائد تلك الفتن، وهو أن الرجل يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً، أو عكسه.

ولعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب(٢).

ولا يعصم الناس، ويحفظ لهم توازنهم، ويثبت أفئدتهم – بعد توفيق الله تعالى – إلا أهل العلم والدعوة؛ ويكون ذلك بإرجاع شباب الأمة إلى أصول دينهم ومحكمات شريعتهم التي ضمن الله سبحانه وتعالى لها الحفظ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال رقم الحديث (١١٨) ج ١ ص ١١٠ انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج طبع دار الدعوة –دار سحنون، الثانية ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ج١ ص٤١٠. طبع دار أبي حيان –الأولى – ١٤١٥هـ

(٣) سورة الحجر، آية: ٩.

والعلماء والدعاة هم حملة الشريعة التي تعد ضرورتها للبشر فوق كل ضرورة، بل إن حاجتهم إليها أشد من حاجتهم إلى التنفس فضلاً عن الطعام والشراب؛ لأن غاية ما يقدر من عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، أما ما يقدر عن عدم الشريعة، ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبدان، فشتان بينهما، فليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بمعرفة ما جاء به النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى والعمل به[1].

والفتن التي حذرنا منها النبي ﷺ وقعت في أزمنة عديدة، ومنها فتنة عبدالله بن سبأ اليهودي، ومن شاكله، وقد توالت حتى حصلت فتن تأثر بها عامة الناس، إلا أن الأمة الاسلامية تجاوزت تلك المحن العظيمة -بفضل الله تعالى- ثم بفضل قيام علماء الأمة ودعاتها من الصحابة رضوان الله عليهم، وأتباعهم ومن سار على نهجهم بواجبهم الشرعي في التصدي لتلك الفتن والقيام بمسؤوليتهم الدعوية تجاهها.

ولا شك أن مسؤولية دعاة الأمة وعلمائها تزداد في هذا العصر للقيام بواجبهم تجاه حماية الشباب من الفتن؛ نظراً لكثرتها، وتنوع وسائل الترويج لها.

من هنا اخترت موضوع: (المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن في العصر الحاضر) وأضيف إلى ما سبق الأسباب التالية لاختيار هذا الموضوع.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية - تحقيق سيد إبراهيم، علي محمد. ج٢ ص ٣٥٣. طبع دار الحديث - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(١) استهداف شباب أمة الإسلام، وعماد قوتها ونهضتها بأنواع متعددة من الفتن التي تتنوع بين المغالاة والجفاء.

(٢) تيسر نشر الفتن بين الشباب في هذا العصر الذي حصلت به ثورة علمية هائلة تُيَسِّر لأصحاب الفتن والمشاريع الباطلة الوصول إلى أهدافهم بكل سهولة مع ضعف الرقابة.

(٣) المسؤولية العظمى المناطة بعلماء الأمة ودعاتها كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[١].

حيث فسر بعض العلماء أولي الأمر بأهل الفقه في الدين، وبعضهم فسرها بأنهم الأمراء والعلماء[٢].

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأولوا الأمر: أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس وينهونهم، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والكلام؛ فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس)[٣].

ولا شك أن الأمراء أيضاً يدخلون ضمن مسؤولية العلماء في النصح والتوجيه، حيث إنهم مصابيح الدجى التي تنير الطريق في ظلام الفتن.

---

(١) سورة: النساء، آية: ٥٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج١، ص ٤٩١، طبع مكتبة العلوم والحكم -المدينة المنورة- ١٤١٣هـ.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام بن تيمية، ص ٩٨ - طبع دار العلوم الإسلامية - القاهرة- دار البخاري. المدينة ١٤٠٩هـ.

أهداف البحث:

- التعرف على أهمية مرحلة الشباب، وأهمية حماية أصحابها من الفتن.
- التعرف على أنواع الفتن التي تواجه الشباب في العصر الحاضر وخطورتها بشقيها – فتن الشبهات وفتن الشهوات.
- بيان المسؤولية الدعوية في عصرنا الحاضر في حماية الشباب من الفتن.
- التعرف على أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن.
- الكشف عن آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن.

تساؤلات البحث:

- ما المقصود بالشباب؟ وما أهمية هذه المرحلة؟ وما أهمية حماية أصحابها من الفتن؟
- ما أنواع الفتن، وما المقصود بفتنة الشبهات وفتنة الشهوات وما خطورتهما؟
- ما المسؤولية الدعوية في العصر الحاضر تجاه الفتن التي تحيط بالشباب؟
- ما أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن؟
- ما آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن؟

منهج البحث:

نظرا لطبيعة هذا البحث استخدمت المناهج التالية:

- المنهج التشخيصي: الذي يفيد في تشخيص الواقع والتعرف عليه حتى يسهل التخطيط له والتعامل معه ومعالجة سلبياته وتسخير إيجابياته[1].
- منهج الاسترداد التاريخي: الذي يقوم على استرجاع الماضي وما خلفه من آثار[2].

التعريف بمصطلحات البحث:

أولا: مفهوم المسؤولية

المسؤولية في اللغة: مشتقة من الفعل الثلاثي سأل، يسأل، فهو مسؤول، والمسؤولية هي الاسم٣، وهي تعني التبعة أي المطالبة، أو المؤاخذة٤.

المسؤولية اصطلاحا: تطلق على عدة معان متقاربة، ومنها:

- المؤاخذة أو المحاسبة على فعل أو سلوك معين.

---

(١) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي -د. سعيد إسماعيل صيني، ص ٦٨، طبع مؤسسة الرسالة - الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: البحث العلمي، د. عبدالعزيز الربيعة، ج١، ص ١٧٩، طبع مكتبة العبيكان - الطبعة الخامسة، ١٤٣١هـ.

(٣) انظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة سأل ، (١/ ١٣٣ـ ١٣٥).

(٤) انظر جامع البيان ، الطبري ، (٥/ ٢٧٣).

- الجزاء المترتب عن ترك الواجب، أو فعل ما كان يجب الامتناع عنه.
- تحمل الشخص نتائج وعواقب التقصير الصادر عنه، أو من يتولى رقابته أو الإشراف عليه.

كما عرفت بأنها: التزام الشخص بأداء العمل المنوط به طبقاً لما هو محدد[1].

وتلتقي هذه المفاهيم في تأكيد معنى تحمل الأمر ومنه تحمل الداعية مسؤوليته في الدعوة الى الله ومن ذلك وقاية النشء من الانزلاق في الفتن ونحوها.

ثانيا: مفهوم الدعوة:

المعنى اللغوي للدعوة:

تأتي الدعوة بمعنى دعا إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين حثه على اعتقاده وساقه إليه[2].

المعنى الاصطلاحي للدعوة:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام أو الرسالة، وعلى عملية نشر الإسلام وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد منه.

---

(١) للاستزادة في مفهوم المسؤولية انظر: المسؤولية المدنية ، للدكتور محمد البوشواري الطبعة الثانية ٢٠٠٨، مطبعة اشرف تاسيلا اكادير.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ص: ٣٣٧.

ومن التعاريف التي اشتهرت للدعوة: تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الدعوة إلى الله، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا)[1].

وعرفها د. السيد محمد الوكيل: الدعوة إلى الله هي جمع الناس إلى الخير ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[2]، [3].

ونعني بالمسؤولية الدعوية هنا:

قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان، و مكان بتوجيه الشباب، وتحذيرهم من الفتن بطرق مخصوصة، ومرادي بالشباب هنا المرحلة العمرية تأتي بين مرحلة الطفولة وسن الرشد وتطلق اصطلاحا على الشخص اليافع[4].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ١٥٧).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاء للدكتور السيد محمد الوكيل، ص٩

(٤) للاستزادة انظر ويكيبيديا، الموسوعة الحرة تاريخ الدخول ٢٠/١٠/ ١٤٣٥هـ. وسياتي بيان مفهوم مصطلح الشباب ومصطلح الفتن في ما يلي من المباحث مما يغني عن تكراره هنا.

أقسام البحث :

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأهداف البحث وتساؤلاته ومناهجه.

المبحث الأول: مرحلة الشباب، تعريفها، أهميتها، وأهمية حماية أصحابها من الفتن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمرحلة الشباب.

المطلب الثاني: أهمية مرحلة الشباب،وحماية أصحابها من الفتن.

المبحث الثاني: الفتن. خطورها، وأنواعها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفتن معناها وخطورها.

المطلب الثاني: فتنة الشبهات. تعريفها، خطورها، أنواعها.

المطلب الثاني: فتنة الشهوات. تعريفها، خطورها.

المبحث الثالث: المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن.

المبحث الرابع: أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن.

المبحث الخامس: آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول

مرحلة الشباب: تعريفها، أهميتها، وأهمية حماية أصحابها من الفتن

المطلب الأول: التعريف بمرحلة الشباب

عرفت مرحلة الشباب بعدة معان مشتقة للجذر اللغوي (شبب)، واخترت منها بعض المعاني التي تعبر عن مفهوم الشباب، والصفات المتعلقة به على النحو التالي:

الشَّباب: الفتاء والحداثة. شبَّ يشُبُّ شباباً وشبيبةً. والشباب جمع شاب، وكذلك الشبان.

الشبب: هو أول النهار، ويتضمن معنى التفتح والاستبشار بالحياة، والمستقبل، وأشبب أي هيجَّ، والشباب مرحلة تهيج فيها غرائزه.

رجل مشبوب، جميل حسن الوجه، كأنه أُوقِد؛ ومشبوب إذا كان ذكي الفؤاد شهماً.

الشبوب: هو ما توقد به النار، وهو وصف لحماسة الشباب وحرارته، وسرعة تأثره بالأحداث وثورته على الظلم.

والشبوب هو تقوية الشيء وزيادته، والشباب يتميز باكتمال القوى الجسمية، والعقلية والعاطفية.

وبالتالي يكون مادة لحمل الأفكار بقوة، وحب واستماتة إذا آمن بها.

والشباب هو الفرس الذي يشب على قدميه، وكذلك الشباب يتسم بالقوة والمغامرة وتحدي الصعاب.

المشابيب: القادة. ومن يقود المجتمعات إلا الشباب فهم أداة كل تغيير اجتماعي، وسياسي وأخلاقي(١).

ومصطلح الشباب يطلق على مرحلة عمرية هي ذروة القوة والحيوية والنشاط، وفيها تبدأ شخصية الإنسان بالتبلور وتتضح معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف.

المطلب الثاني: أهمية مرحلة الشباب وأهمية حماية أصحابها من الفتن.

تعد مرحلة الشباب من المراحل المهمة في حياة الفرد ذاته، وفي حياة الأمم والمجتمعات.

وغالباً ما يمثل الشباب النسبة العظمى من السكان في الدول النامية، الأمر الذي يقتضي مزيداً من الاهتمام به، والاستثمار فيه، حيث تعتمد نمو خبرات هذه المجتمعات، ومواكبتها لمطالب التطور بمدى جدوى عنصر الشباب فيها.

وكلما اغتنمت الأمم شبابها في العلم والإنتاج، وبناء الحضارة زاد إنتاجها وحققت أهدافها (٢).

وفئة الشباب هم أسرع الناس استجابة، وأسرعهم تأثراً بخلاف الشيوخ الذين غالباً ما يتمسكون بمعتقداتهم، ويُؤثرون موروثاتهم.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور الأفريقي، مادة (شبب) ج٣، ص ٣٨٨ - ٣٨٩. طبع دار صادر - بيروت - الأولى ١٩٩٧م، وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (سبب) ص ١٢٧. طبع مؤسسة الرسالة. الثانية ١٤٠٧هـ؛ وانظر الشباب والتحديات المعاصرة، د/ ليث سعود القيسي موقع الإسلام اليوم ٢٢/جمادى الأولى، ١٤٣٣هـ.

(٢) انظر: مكانة الشباب في الإسلام. أ. د. سليمان بن قاسم العيد، الألوكة المواقع الشخصية، موقع الأستاذ الدكتور سليمان بن قاسم العيد ١٤٢٨/١١/١٧هـ.

لذا عني الإسلام بهذه المرحلة عناية خاصة، وإذا تأملنا كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ لوجدنا فيهما اهتماماً خاصاً بهذه المرحلة، سواء في الثناء وذكر الإنجازات، أو في الإرشاد والتوجيهات الخاصة بهذه المرحلة.

ففي القرآن الكريم يثني الله سبحانه وتعالى على أصحاب الكهف بقوله: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[1].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى، ولرسوله ﷺ شباباً)[2].

ويقول تعالى عن من آمن بموسى عليه السلام من قومه: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[3].

حيث كان المؤمنون به هم الشباب، وقال رحمه الله: في معنى الآية: (يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات، والحجج القاطعات، والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم

---

(١) سورة الكهف آية: ١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير، ج٣، ص ٧٢.

(٣) سورة يونس آية: ٨٣.

فرعون من الذرية، وهم الشباب، على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردهم إلى ما كانوا عليه من الكفر) (1).

كما ورد في السنة النبوية المطهرة أدلة كثيرة على عنايته ﷺ بالشباب لأنهم كما مر الأسرع استجابة، ولأنهم هم المؤهلون - لصفاتهم التي مر ذكرها - لحمل أمانة تبليغ دين الله عز وجل، ولدورهم الفاعل في بناء المجتمع المسلم على منهاج القرآن والسنة، والدفاع عن دين الله عز وجل، وعن أوطانهم من العدو الصائل.

فكان من اهتمامه ﷺ، تعليمهم، ومحاورتهم. ومشاورتهم، والاعتماد عليهم، والثقة بهم، والثناء عليهم وذكر مزاياهم.

وهذا كله يشبع الحاجات الغريزية لدى الشباب، في الحاجة إلى إثبات الذات، والاحترام وتقدير الجهود.

وكل هذه محفزات لهم لبذل المزيد من العطاء، وتفجير الطاقات الكامنة لديهم.

ومن الأدلة على ذلك ذكر مناقب الصحابة رضوان الله عليهم، حتى حوت كتب السنة كتباً خاصة باسم مناقب الصحابة. ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم

(1) تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 409.

بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[(١)].

ومنه ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (بعث رسول الله ﷺ بعثاً، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمرته. فقام رسول الله ﷺ فقال: (إن تطعنوا في إمرته، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وأيم الله! إن كان خليقاً للإمرة. وإن كان لمن أحبَّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده)[(٢)].

وهذا دليل على اعتماد النبي ﷺ على الشباب في القيادة، فقد ولى أسامة بن زيد رضي الله عنه على جيش لغزو الشام وفي الجيش عمر رضي الله عنه والكبار[(٣)].

كما أثنى على أسامة رضي الله عنه بقوله ﷺ: (وإن كان لخليقاً للإمارة) أي: حقيقاً لها.

وقد ذكر النووي جملة فوائد من هذا الحديث منها جواز تولية الصغير على الكبار،فقد كان أسامة رضي الله عنه صغيراً جداً، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة وقيل عشرين،وجواز تولية المفضول على الفاضل للمصلحة[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنهم، رقم الحديث (٣٧٩٠)، ج٥، ص٦٦٤، والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح سنن الترمذي، رقم الحديث (٢٩٨١ - ٤٠٦١) ج٣، ص ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما. رقم الحديث (٢٤٢٦)، ج٢، ص ١٨٨٤.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢، ص ٤٩٧. طبع مؤسسة الرسالة، الخامسة ١٤١٣هـ.

(٤) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم، ج٨، ص ٢١١.

فمثل هذه التربية تصنع القيادات في الأمة والتي لا تعتمد فقط على شيوخها أو قياداتها البارزة بل على طاقات شبابها.

ومما ورد أيضاً في ذكر المزايا قول النبي ﷺ: (استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولي أبي حذيفة، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل)[١]. رضي الله عنهم أجمعين.

وحكّم سعد بن معاذ رضي الله عنه في اليهود لما طلبوا ذلك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه فجاء على حمار فلما بلغ قريباً من المسجد، قال النبي ﷺ: (قوموا إلى خيركم أو سيدكم. فقال: يا سعد إن هؤلاء نزلوا على حكمك قال فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم. قال: حكمت بحكم الله أو بحكم الملك" [٢].

وهو يعرب لأصحابه عن محبته مقرونة بنصحه؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: (يا معاذ والله إني لأحبك فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) [٣].

(١) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي باب مناقب عبدالله مسعود رضي الله عنه، ج٤، ص ٣١٨. طبع دار الدعوة، دار سحنون، الثانية ١٤١٣هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ج٤، ص ٢٢٧، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، رقم الحديث (١٧٦٨) ج ٢ ص ١٣٨٨.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستغفار، رقم الحديث (١٥٢٢)، ج٢، ص١٨٠، والحديث صححه الألباني، انظر: (صحيح أبي داود رقم الحديث (١٣٤٧ - ١٥٢٢)، ج١، ص٢٨٤.

وهو يحاور الشباب ويدنيهم منه كما في حديث الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنا حيث طلب من الشاب أن يقترب منه بقوله: (ادنه فدنا منه قريباً قال فجلس) ثم بدأ النبي ﷺ بمحاورته بقوله: (أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" ثم ذكر الابنة، والأخت وسائر المحارم ويرد الشاب بنفس الرد ثم بعد ذلك دعا له النبي ﷺ قال الراوي: (فوضع يده عليه وقال. اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه فلم يكن بعده ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[1].

والشواهد على ذلك كثيرة يصعب حصرها، إذ أثمر هذا الاهتمام بالشباب جيلاً عظيماً حمل الإسلام ونشره في أصقاع الأرض، وبلغت الحضارة الإسلامية أوج قوتها، وتقدمها لما اعتنت بدعوة وإصلاح شبابها ومنحهم حق التربية والتأهيل، مع تقدير جهودهم.

ومما يجدر الإشارة اليه هنا أنه مع أهمية هذه المرحلة؛ فإنه تزداد خطورة إهمالها وعدم الاعتناء بها؛ ففيها يمر الشاب بتَوقُّد مشاعر الحماسة، وسرعة التأثر بالأحداث، والاعتداد بالرأي، والإعجاب بمن يرونه قدوة، وتقليده، كما أنها مرحلة تهيج فيها الغرائز، مما يجعل الشاب عرضة للفتن أكثر من غيره مما يؤكد عظم مسؤولية الدعاة والمربين تجاههم لتوفير الحماية والملاذ الآمن من الفتن بإذن الله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٥، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، وقال الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا (سنده عند الإمام أحمد جيد). (انظر: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ترتيب وتأليف أحمد عبدالرحمن البنا المطبوع بهامش الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، ج١٦، ص ٧١، طبع دار الشهاب - القاهرة - بدون تاريخ الطبع).

المبحث الثاني

الفتن خطورتها، وأنواعها

المطلب الأول: معنى الفتن وخطورتها:

معنى الفتن:

الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد.

والفتن: الإحراق[1] ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[2].

ويقال: فلان مفتون بطلب الدنيا قد غلا في طلبها، وافتتن في الشيء، فُتن فيه، وفَتَنَ إلى النساء فَتوناً وفُتن إليهن: أراد الفجور بهن.

والفاتن: المُضلُّ عن الحق، ويقال للشيطان فاتن وفتَّان لأنه يفتن الناس بخداعه وتزيينه المعاصي[3].

خطورة الفتن:

الفتن من أعظم المؤثرات على الدين، والدنيا، لذا جاء التحذير الشديد منها على لسان النبي ﷺ في أحاديث عدة، وقد افرد لها علماء الحديث كتباً خاصة سموها (بباب الفتن).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٤، ص ٢٣٤.

(٢) سورة الذاريات آية: ١٣.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور الأفريقي مادة (فتن)، ج٥، ص٨٩، ٩٠.

والقاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (فتن) ص ١٥٧٥.

ونظراً لكثرة الأحاديث الواردة في الفتن فسوف أقتصر في هذا المبحث على حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما في الصحيحين وفيه يقول رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلتُ: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشر [1]، فجاءنا الله بهذا الخير[2] فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير[3]؟.

قال: نعم وفيه دخن [4]. قلت ومادخنه؟

قال: قوم يهدون بغير هديي [5] تعرفُ منهم وتُنكر[6]، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها [7] قلتُ يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جِلدتنا،

---

(١) (إنّا كنا في جاهلية وشر): إشارة إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر وقتال بعضهم بعضاً، وإتيان الفواحش (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص ٣٩).

(٢) (جاءنا الله بهذا الخير): يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش (انظر: المرجع السابق، ج١٣، ص ٣٩).

(٣) (فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم): المراد بالشر ما يقع من الفتن بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وهلم جراً (انظر: المرجع السابق، ج١٣، ص ٣٩).

(٤) (وفيه دخن): يشير إلى الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً، بل فيه كدر (انظر: المرجع السابق، ج١٣، ص ٣٩).

(٥) (قوم يهدون بغير هديي): الهدي: الهيئة والسيرة والطريقة (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم، ج٦، ص٤٨٣).

(٦) (تعرف منهم وتنكر): أي من أعمالهم (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص ٣٩).

(٧) (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها): قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة.. (انظر: شرح النووي، ج٦، ص ٤٨٢).

ويتكلمون بألسنتنا[١]. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم[٢]، قلت، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[٣] [٤].

فالمرء بين فتنتين، فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات. وفتنة الشبهات هي أعظم الفتنتين كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله، حيث قال: (والفتنة نوعان: فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما) [٥].

والله سبحانه وتعالى: جمع بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾[٦].

أي: تمتعوا بنصيبكم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدّر.

---

(١) (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا): أي من قومنا ومن أهل لساننا، وملتنا، وقيل معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص٤٠).

(٢) (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم): أي أميرهم يعني ولو جار. ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: (ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك) (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص٤٠، شرح النووي، ج٦، ص ٤٨٢).

(٣) (ولو أن تعض بأصل شجرة...): العض كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص ٤٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة رقم الحديث ج ٨ ص ٩٣،وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم الحديث (١٨٤٧) ج ٢ ص ١٤٧٥.

(٥) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، ج٢، ص ٢٤٠، تحقيق محمد عفيفي طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

(٦) سورة التوبة آية: ٦٩.

ثم قال: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓا﴾، فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات.

فأشار سبحانه إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو العمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو البدع وما والاها.

والثاني: فسق الأعمال.

والأول فساد من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات وفتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر (١).

المطلب الثاني: فتنة الشبهات - معناها - خطورتها - أنواعها

معنى الشبهات:

الشُّبهة: الالتباس، وأمور مشبِّهةٌ ومُشَبَّهةٌ: مشكلة يشبهُ بعضُها بعضاً (٢).

إن فتنة الشبهات هي كل ما يتعلق بعقيدة الإنسان وتصوراته لأحكام الشريعة، فكل فتنة لها علاقة بالدين كالتشكيك فيه، أو الكفر، أو الشرك أو البدع، والدعوة إلى الفرقة والخروج عن جماعة المسلمين، أهل السنة والجماعة أو خروج عن السنة هي من فتنة الشبهات.

(١) انظر إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ج٢، ص ٢٤٠.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظر مادة (شبه)، ج٣، ص ٣٩٣.

وقد جعل النبي ﷺ المصالح العظمى للأمة من ثوابت الدين وموقف المسلم تجاه المسلمين، وتجاه غير المسلمين، وتجاه الحياة كلها. جعل ذلك كله من العقيدة كقوله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) (١).

وكقوله ﷺ: (من قتل مُعَاهداً لَمْ يرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها توجدُ من مسيرة أربعين عاماً) (٢).

وكقوله ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عَبْد حبشيٌ كأنَّ رأسه زبيبة) (٣).

وقوله ﷺ: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يُفارق الجماعة شبراً فيموتُ إلا مات ميتة جاهلية)(٤).

فأمر ﷺ بالسمع والطاعة، وأمر بالحفاظ على مصالح الأمة العظمى، وجعلها من ثوابت الدين، وأمر بدرء المفاسد عن الأمة، وكل هذه ثوابت قد يجهلها كثير من أبناء وشباب المسلمين في الوقت الحاضر(٥) مما يجدر الاعتناء بتوجيههم للحذر منها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي، ج ٧ ص ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب أثم من قتل معاهداً بغير جرم، ج٤ ص ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ج ٨ ص ١٠٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ج ٨ ص ١٠٥.

(٥) انظر: فتن الشبهات د. ناصر بن عبدالكريم العقل، إسلام ويب Islamweb. net.

أنواع الشبهات:

النوع الأول: شبهات تؤثر في أصل الاعتقاد:

بحيث تصبح هذه الشبهات مذاهب يدعو إليها أصحابها، سواء كانت مستوردة، أو مخترعة من قبل أشخاص، أو كانت مقننة بفكر وثقافة معينة، فهذه من الشبهات الدائمة التي تبقى ويكون لها ضحايا من شباب المسلمين، كما حدث في الفرق الضالة على مر العصور.

إذ كان من أسباب دخولها هو دخول الفلسفات وديانات ومذاهب الأمم التي فتحها المسلمون بسبب الترجمات، واحتكاك المسلمين بغيرهم من أبناء هذه الأمم وطوائفها.

خاصة من دخل من أبناء هذه الأمم الإسلام ظاهراً، فعرضوا مذاهبهم الباطلة على صورة مصطلحات إسلامية، فجاء مذهب القدرية، ومذهب المرجئة، والمعتزلة، والجهمية... وغيرها.

وهؤلاء أدخلوا عقائدهم وشبههم بمصطلحات جذابة للشباب الذين يعشقون الأفكار الغربية، فتلقفوها ثم صاغوها بصياغة تحمل مصطلحات إسلامية، فدخلت على أجيال المسلمين عبر العصور، وقد وقف علماء ودعاة هذه الأمة أمامها لحماية الدين والدفاع عن الحق.

وحيث يظهر في عصرنا الحاضر عـــدد مـــن التيـــارات التغريبيـــة كالعلمانية[١]، والليبرالية[٢] وغيرها من مظاهر الانفلات، إضافة إلى ظهور عدد من تيارات التشدد والغلو والتكفير، ولكل منهما دعاته ومنظريـــه الذين يبثون الشبه التي ينخدع بها عدد من الشباب اليوم مما يجدر اعتنـــاء الدعاة بتبصير الشباب بمزالق هذه التيارات وتوضيح سلبياتها على الإسلام والمسلمين، ومن ذلك:

(أ) أن تيار التغريب يعمل على المدى البعيد، ويهدف إلى تغريب المجتمع في عقيدته، وعاداته، وتحويل المجتمعـــات المســـلمة حـــتى تكـــون كالمجتمعات الغربية، وهذه الدعوة نشطت بعـــد ســـقوط الخلافـــة العثمانية، وسرت كالنار في الهشيم من بلد إسلامي إلى آخر، وهـــو يسير وفق مخطط مرسوم من قبل أعداء الإسلام لتغريب المجتمعـــات المسلمة، وإبعادها عن دين الله عز وجل، وزرع الشـــبهات حـــول أحكام الشريعة، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة واستهداف الفضـــيلة في المجتمعات المسلمة[٣] لضمان تبعية هذه المجتمعات لهم.

---

(١) العلمانية هي: إقامة الحياة على غير الدين. انظر: (العلمانية د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، طبع مؤسسة قرطبة، ١٤٠٢هـ).

(٢) الليبرالية: مصطلح أجنبي معرب يعني التحررية. وهي مذهب فكري يقوم على أساس علماني يركز على الحرية الفردية، ويسعى إلى وضع القيود على السلطة. وتعتبر الليبرالية مصطلحاً غامضاً لأن معناها وتأكيداتها تعدلت بصورة ملحوظة بمرور السنين. انظر: (موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، موقع الدرر السنية الإلكتروني.)

(٣) انظر: حراسة الفضيلة، د/ بكر بن عبدالله أبوزيد، ص ١٥٩، طبع دار العاصمة – الرياض – الأولى – ١٤٢١هـ.

(ب) أما تيار الغلو والتكفير؛ فهو من التيارات التي عانى منها المسلمون سابقاً. فالتكفيريون هم الخوارج وقد حذر منهم المصطفى ﷺ وذكر صفاتهم ليحذر الأمة منهم فقال ﷺ: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سُفها الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)[١].

ففي الحديث نص على كونهم (حدثاء الأسنان" أي شباب (سفهاء الأحلام) بمعنى أن عقولهم رديئة أي سفهاء العقول[٢].

وبسبب صغر سنهم وجهلهم وقعوا في هذه الشبهات، فباسم الجهاد في سبيل الله يقتلون ويُفَجِّرون، وهم لا يعرفون معنى الجهاد وشروطه، وباسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقعون في منكرات أشد وأغلظ، بسبب عدم فقههم بشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآدابه.

ومكمن خطورتهم أنهم يحملون شعار الدين والغيرة عليه، ولذا فهم يتلاعبون بعقول الشباب المتدين في دقائق، أو ساعات؛ فخلال جلسة واحدة يتحول الشاب الذي يستهدفونه من شاب هادئ، رقيق، مسالم، إلى شاب ذو شخصية عدوانية شرسة [١] مستعد لأي عمل يرونه اعتقاداً منه أنه مناصر للدين.

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من رايا بقراءة القرآن أو تأكل به، أو فجر به، ج ٦ص ١١٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ج١٢، ص ٣٠٠.

(١) انظر: فتن الشبهات، أ. د. ناصر العقل موقع إسلام ويب Islamweb. net.

فأصبحوا بجهلهم دعاة للتفجير والتكفير، ودعاة للفساد في الأرض باسم الجهاد، فاستحلوا دماء المخالفين لهم؛ جاء في الحديث الصحيح الذي فيه ذكر النبي ﷺ أوصاف الخوارج التكفيريين حينما قال له الأعرابي لَمّا وزع ﷺ الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم وأكثر لهم العطاء (يا محمد اتق الله" فقال النبي ﷺ: (إنَّ من ضئضئ[1] هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)[2].

وقوله ﷺ: يقتلون أهل الإسلام لتكفيرهم إياهم؛ لأنهم يُكَفِّرون مرتكب الكبيرة، ويدعون أهل الأوثان، أي يتركون أهل عبادة الأصنام وغيرهم من الكفار. [3].

وهذه الفتنة سبب في تمزيق المجتمعات، مما يجدر اعتناء الدعاة بأداء مسؤوليتهم وحماية الشباب ووقايتهم منها؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله محذراً من الفتن التي يتسبب بها السفهاء: (والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة، وكف أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[1].

(١) (ضئضئ): هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز، وهو أصل الشيء يريد أنه يخرج من نسله الذين هو أصلهم، أو يخرج من أصحابه وأتباعه الذين يقتدون به (انظر شرح النووي لصحيح مسلم، ج٤، ص١٧٧؛ وانظر عون المعبود على سنن أبي داود محمد أشرف آبادي، ص ٢٠٦٨ طبع بيت الأفكار الدولية.)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه ج ٨ ص ١٧٨.

(٣) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، ص ٢٠٦٨.

(١) سورة الأنفال آية: ٢٥.

وذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله)[1].

النوع الثاني من أنواع الشبهات. شبهات عامة تؤدي إلى فرقة المسلمين.

وذلك فيما يتعلق بمصالح الأمة العظمى كالخروج على العلماء والخروج على الولاة، وعن مقتضى السمع والطاعة [2].

وهذه الشبهة القديمة في عدم السمع والطاعة لولي الأمر، هي طريقة بعض السفهاء في هذا العصر، إذ ربما سموا من يرى السمع والطاعة لأولياء الأمور في غير معصية عميلاً، أو مداهناً، أو مغفلاً و لم يسلم من ذلك كبار العلماء الراسخين في العلم في زمننا هذا، فتراهم يقدحون في ولي الأمر، ويشهرون بعيوبه في تجمعاتهم وبكل وسيلة متاحة [3].

والمطلع على التاريخ يرى أن غالب المتأثرين بهذه الفتن هم فئة الشباب، باندفاعهم وقلة علمهم ووعيهم، وقد قال الإمام النووي رحمه الله في شرح حديث (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام): (يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن، وكثرة التجارب، وقوة العقل)[1] وهذا ما ينقص الشباب غالباً.

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم، ج٤، ص٣٤٣، طبع جامعة الإمام ١٤١١هـ.

(٢) انظر: فتن الشبهات، أ. د. ناصر العقل، إسلام ويب.

(٣) انظر: لمحة عن الفرق الضالة، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - علق عليها وخرج أحاديثها - شباب الراجحي - طبع دار السلف - الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

(١) انظر: فتح الباري، ج١٢، ص٣٠٠.

وهذه الفتن تطيح بدول وتخرب مجتمعات وتُذهب الأمن والأمان عن البلاد التي تثار فيها.

وسأضرب لذلك مثلاً واحد من التاريخ المعاصر غير مجرى تاريخ أمة بأكملها هي أمة الإسلام.

إذ كانت الخلافة العثمانية الإسلامية تبسط نفوذها على أجزاء مترامية من العالم في آسيا وأوروبا وأفريقيا، وكانت درعاً منيعاً أمام الطامعين من أعداء الأمة وبين شعوب هذه الأرض وما يمتلكون من حقوق.

و لم يتسن للأعداء الوصول إلى أهدافهم، إلا بزرع الفتن والشبهات، وتشكيك الناس بولاتهم، وكان حاملي لواء راية الفتنة من شباب المسلمين المتحمسين الذين يدارون بأيد خفية، من منظمات سرية عالمية تريد القضاء على دولة الخلافة (١).

فتأسست الجمعيات السرية، وإن كانت في البداية تحمل الطابع الأدبي أو تأخذ الصفة العلمية، إلا أنها تعمل في الحقيقة ضد دولة الخلافة، ثم شجعوا على الدعوة إلى القوميات، إذ لا يوجد معول أسرع لهدم المجتمعات والدول من معول الدعوة إلى القوميات. فأنشئت الصحف، وبدأت بنشر المثالب والعيوب وتضخيمها ونشر الفتنة بين الناس، حتى وصلت إلى درجة الاشتعال - بمراقبة ومباركة من الدول الغربية العظمى

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص ١٨٣ - ١٨٤، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

في ذلك الوقت – حتى صعب ضبطها وأدت إلى عزل الخليفة العثماني عبدالحميد الثاني رحمه الله، الذي ظهر دور اليهود واضحاً في عزله، إذ كان أحد الثلاثة الذي سلموه قرار العزل قره صو اليهودي. وقد قال السلطان عبدالحميد رحمه الله بعد تسلم قرار العزل: (ولكن لماذا جئتم بهذا اليهودي (وأشار إلى قره صو) إلى مقام الخلافة) [1].

ثم توالت القرارات بإلغاء الخلافة الإسلامية، وإعلان علمانية الدولة وتساقطت معظم أجزاء دولة الخلافة بين الدول الغربية التي كانت قد قسمت تركة الخلافة قبل سقوطها بالاتفاقية المعروفة بسايكس بيكو عام ١٩١٦م [2].

فسقطت معظم دول العالم الإسلامي تحت الاستعمار الأجنبي بما فيها فلسطين.

وتبع ذلك إصدار قرارات تعسفية من قادة الانقلاب (الشباب) بإلغاء أي مظهر من مظاهر الإسلام، حتى طال ذلك حجاب النساء المسلمات وإلزام الشعب بمظاهر التغريب في اللباس والعادات والأخلاق.. [3].

فطويت صفحة الخلافة العثمانية عام ١٣٤١هـ وقد لخص المؤرخ محمود شاكر دور الشباب في سقوط دولة الخلافة: (ومن ينظر إلى رجال الاتحاد والترقي [1] وهم من الشباب الذين لم يتجاوز أكبرهم الثلاثين

(١) التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص ٢٠٨.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص٢٢٦.

(٣) انظر التاريخ الإسلامي محمود شاكر، ج٨، ص ٢٣٤.

(١) منظمة سرية تتبع الماسونية العالمية وهي تعمل بوحي يهودي وأسرار يهودية (انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص ٢٠٢).

كيف كانوا يلعبون بالأمة وأمورها، ويتغير رأي الواحد منهم بين ساعة وأخرى حسب المؤثر عليه، ويبدو أن هؤلاء الشباب كانت طموحاتهم واسعة، فهم يفكرون في مستقبلهم المشرق بالزعامة، وكان يُخطط لهم اليهود والمخابرات الإنجليزية سراً وهم لا يدرون أين يسيرون) [1].

وكان من نتائج حكم هؤلاء السفهاء الجهال ما ذكره محمود شاكر بقوله: (فكان الاتحاديون في أثناء حكمهم القصير والذي لا يتجاوز عدة سنوات قد أضاعوا كل أجزاء الدولة في أوروبا.. واحتلت إيطاليا ليبيا، وبعض جزر البحر المتوسط....) [2].

واختصر الإمام ابن القيم ﷺ أسباب فتنة الشبهات بقوله: (ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى..... وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعِهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحقُّ بالباطل، والهدى بالضلال....) [1].

وعليه فإن على الدعاة مسؤولية عظمى تجاه وقاية النشء من هذه الفتنة وتبصيرهم بآثارها السلبية على حاضر ومستقبل المجتمع المسلم.

المطلب الثالث: فتنة الشهوات - معناها - خطورتها

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي محمود شاكر، ج٨، ص ٢٠٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٢٢.

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، ج٢، ص ٢٣٩.

معنى الشهوات:

شها: شهيتُ الشيء بالكسر.

وتشهىَ الشيء وَشهاهُ يشْهاهُ شَهْوَة اشتهاهُ.

وتَشَهَّاهُ: أحبه ورغب فيه.

وقومٌ شَهاوى: أي ذوو شهوة شديدة للأكل، وفي الحديث: (إن أخوف ما أخافُ عليكم الرياءُ والشهوة الخفية"[١].

قال أبوعبيد: ذهب بها بعضُ الناس إلى شهوة النساء وغيرها من الشهوات [٢].

والله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم أصنافاً من الشهوات التي يحبها البشر وذلك في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[١].

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني وحكم عليه بأنه حسن. رقم الحديث (٥٠٨)، ج٢ ص٣٤.

(٢) انظر: لسان العرب مادة (شها) ج٣، ص٤٨٨.

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤-١٥.

فبدأ بالنساء، ثم الأبناء، ثم المال، وبدأ بفتنة النساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)[1] فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب مندوب إليه [2].

وكذلك الحال في الأبناء والمال إذا كان المقصود به تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مع مراعاة مقاصد الشرع فهو مطلوب.

وقال ابن سعدي في تفسيرها: (أخبر تعالى في هاتين الآيتين عن حالة الناس في إيثار الدنيا على الآخرة وبيّن التفاوت العظيم والفرق الجسيم بين الدارين.

فأخبر أن الناس، زينت لهم هذه الأمور، فرمقوها بالأبصار واستحلوها بالقلوب، وعكفت على لذاتها النفوس.

كل طائفة من الناس، تميل إلى نوع من هذه الأنواع، قد جعلوها هي أكبر همهم، ومبلغ علمهم، وهي مع هذا متاع قليل، منقض في مدة يسيرة. فهذا متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب.

ثم أخبر سبحانه وتعالى بأن للمتقين القائمين بعبوديته خير من هذه اللذات، فلهم من أصناف الخيرات، والنعيم المقيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، ج٦ ص١٢٤. واللفظ لـه، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم الحديث (٢٧٤٠)، ج٣ ص٢٠٩٧.

(٢) انظر: تيسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٣٢.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق محمد زهري النجار، ج١، ص٣٦٢. طبع مكتبة الخلفاء – الرياض – الأولى، ١٤٠٨هـ.

وجاء التحذير الصريح منها في صحيح السنة حيث أخرج البخاري ومسلم -يرحمهما الله- في صحيحهما عن أنس بن مالك رضي الله عنما، قال: قال رسول الله ﷺ: (حُفَّتَ الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات)(١).

وفي الحديث نص صريح على أن النار محفوفة ومحجوبة بالشهوات، فدخول النار بهتك الحجاب الذي هو الشهوات المحرمة؛ كالخمر، والزنا، والنظر إلى الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهي ونحو ذلك.

وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه (٢).

وفئة الشباب هم الأكثر تعرضاً وإقبالاً على الشهوات، نظراً لما سبق ذكره من سمات فئة الشباب من اكتمال القوة الجسدية، والنشاط وثوران الشهوة، فكل هذه عوامل تجعل الشهوات أشد خطورة عليهم.

لذا ورد في الحديث من تعجب الرب سبحانه وتعالى، من الشاب الذي ليست له صبوة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة) (١)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حُجبت النار بالشهوات ج٧، ص١٨٦؛ ومسلم في كتاب الجنة، رقم الحديث (٢٨٢٢)، ج٣، ص٢١٧٤، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ج٩، ص١٨٢.

(١) الصَّبْوة: جَهْلَة الفُتُوَّةِ واللهو من الغزل والميل إلى الهوى، انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (صبا) ج٤، ص١٣؛ وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٣، ص١١. تحقيق طاهر الزاوي. محمود الطناجي، طبع دار الفكر، بدون تاريخ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤، ص١٥١، وقال في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبويعلى والطبراني وإسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي بكر الهيثمي، ج١٠، ص٢٧٠، طبع دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، بدون ذكر التاريخ.

ذلك أن طبيعة الشباب تدفعه لتحقيق شهوات النفس ورغباتها، فإذا امتنع من ذلك بقوة العزيمة في البعد عن شهوات النفس وهواها خوفاً من الله وطمعاً بما عنده، كان مدعاة للعجب، مستحقاً لإجزال الأجر.

ومع ما في سن الشباب من الإقبال على الحياة، والاستمتاع بملذاتها إلا أن الأمر يزداد خطراً وسوءاً، بتزيين الشهوات للشباب، وتيسير حصولهم عليها، وقد أدرك أعداء الإسلام مكمن قوة الإسلام وأنه بشبابه المتمسكين به المطبقين لشرائعه، إذ التاريخ يشهد بذلك إذ كيف استطاع نبي هذه الأمة محمد بن عبدالله ﷺ أن يوجه نشاط الشباب وقوته، ويدعوه لخدمة دينه وأمته، وكيف استطاع ترشيد شهواته، وضبطها بضوابط الشرع.

وقد ازداد إدراك أعداء الأمة لأهمية التخطيط ضد الشباب المسلم وذلك بعد الحروب العسكرية التي خاضوها مع المسلمين، (خاصة الحروب الصليبية)؛ إذ علموا أن القوة العسكرية لا تجدي نفعاً في القضاء على هذا الدين، والانتصار على شباب الإسلام المتحمس المتوقد لخدمة دينه وأمته، فلجأوا إلى تخدير الشباب بالشهوات، وهو ما استخدموه في حربهم الفكرية المسماة بالغزو الفكري، ويرجع سبب التسليط على الفكر؛ لأن معظم أعمال الناس في حياتهم إنما هي من آثار المفاهيم المسيطرة على قلوبهم وعواطفهم، فحينما تكون هذه المفاهيم سليمة قويمة، يكون السلوك في غالب أحواله سليماً قويماً، إلا في عاطفة آسرة، أو شهوة قاصرة، أو رغبة نفسية جامحة، فحينما تكون المفاهيم منحرفة عن منهج الحق؛ فإن السلوك في غالب أحواله يكون منحرفاً عن الصراط

المستقيم، متفلتاً من الضوابط الدينية والخلقية، والـــروابط الاجتماعيـــة، والقيود التي تحد من حرية أهوائه وشهواته، فيشذ وينحـــرف؛ فكانـــت حملاتهم المسعورة عن طريق القبض على مواطن الضعف في الإنســـان في أهواؤه، وشهواته، وغرائزه. ومن البديهي أن ميل النفوس إلى هذه الأنواع أمر فطري لا يحتاج إلى تعليم أو إقناع، ولا يتطلب معاكسة أو مخالفـــة الهوى. بعكس ضوابط الحق والخير والفضيلة، فإنهـــا تحتـــاج إلى تعلـــيم وإقناع، وتربية على كبح جماح شهوات النفوس، ومخالفة أهوائها المرسلة.

فكان من أساليبهم إغراق المجتمعات في الأخلاق الفاسدة. والفئـــة المستهدفة بشكل خاص فئة الشباب، إذ تهـــدف إلى إفســـاد الشـــعوب والأجيال المسلمة إفساداً سلوكياً، ليكون ذلك وسيلة للتحول الفكري.

ومن المعروف المجرب أن الاستغراق الطويل في الانحراف السلوكي، من الوسائل الممهدة لتقبل الفكر والانتقال إليه ولـــو بعـــد التـــدرج في مراحل، وهذا من الأمور المشاهدة للمتتبع لأحوال المجتمعات المسلمة من بدايات الغزو الفكري، وذلك قبل سقوط دولة الخلافة الإسلامية وحـــتى الآن، وكيف أثر الغزو الفكري تدريجياً في المجتمعات المسلمة المستهدفة.

وأهم العناصر التي تستخدم للإفساد السلوكي العناصر التالية: المال، النساء، الخمر، المادية البحتة، أنماط العيش التي تعتمد على الرفاهية والمتعة، وعدم المبالاة، إلا بما يمتص طاقات الفكر والجسد من متعة [1].

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٥٠٠ - ٥٠٢- ٥٠٦. من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في جامعة الإمام، عام ١٣٩٦هـــ. طبع جامعة الإمام ١٤٠٤هـــ.

ومما يؤسف له أن الغزاة كان لهم ربائب، صنعوهم وغذوهم بالأفكار المنحرفة، حتى يصبحوا بعد ذلك هم الدعاة التغريبيون الداعين للفساد، المتصدين لمحاربة الفضيلة. وهؤلاء ينطبق عليهم وصف النبي ﷺ في حديث حذيفة رضي الله عنه: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت يارسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا...)(١).

وقد انجرف وراء خططهم عدد من شباب الأمة مما يتطلب النهوض القوي لدعاة الإسلام وعلمائه لمواجهة الفتن المتتالية على الشباب المسلم اليوم.

---

(١) تقدم تخريجه .

المبحث الثالث

المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن

في ظل هذا العصر الذي تلاشت فيه الحدود الثقافية بين الدول، أصبحت البيئة هي العالم كله على ما فيه من اختلاف الديانات والثقافات، وفي ظل الثورة العلمية، كان لوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي التي أصبحت في متناول يد الصغار والكبار على حد سواء الأثر الواضح في التأثير على الفكر

لذا كان لزاماً على العلماء والدعاة أن يتقدموا لسد هذه الثغرة بالمبادرة بالتخطيط والعمل لتحصين الشباب المسلم من الفتن، ومحاورتهم بمختلف الأساليب والوسائل الممكنة.

ولخطورة المشكلة كان لا بد لها من جهود جماعية على مستوى الأمة، إذ إن آثارها السلبية تلقي بظلالها على الأمة جمعاء. فكان لا بد من تكاتف العلماء والدعاة، والمهتمين والمتخصصين بقضايا الشباب للعمل على مواجهة الفتن التي تحيط بالشباب، وتوفير سبل الحماية لهم من الانزلاق في أوحالها، والعمل معا للحفاظ علي هوية الشباب وثقافته، من خلال دعم وسائل الإعلام التي تساعد في ذلك وتسليط الضوء عليها، واستثمار طاقات الشباب وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وتدعيم مكانتهم في المجتمع، وكذلك تبادل الأفكار والآراء مع الآخرين ممّا يساعد الشباب على اتخاذ قراراتهم المهمة، والاختيار الأنسب منها.

وتتضح مسؤولية الدعاة تجاه وقاية الشباب من الفتن من خلال التأسي بالسلف الصالح بعرض العقيدة الصحيحة حسب النوازل،فيركز الدعاة على الفتن الموجودة في العصر الحاضر، والتي تؤثر على المجتمع بشكل عام وفئة الشباب بشكل خاص، ويسعى الدعاة إلى مواجهتها وفق ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (إن جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن الكريم شفاء للنوعين ففيه من البينات والبراهين القطعية، ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشُّبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية، من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن الكريم، فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بياناً.

فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه..) (١).

ومما لاشك فيه أن فهم كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ في الرد على الشبه كفيل بالتأثير على المدعوين، إذا أتقن الداعية مهارة العلم أولاً، ثم القيام بتوصيل هذا العلم بطريقة مؤثرة.

---

(١) رسالة في أمراض القلوب لابن قيم الجوزية ،تحقيق محمد حامد الفقي ،طبع دار طيبة، ١٤٠٣هـ، ص ٤٤ ،وانظر: مجموع الفتاوى ،ج١٠ ص٩٥.

ومن الأمور التي تعين الدعاة على مواجهة الفتن ما يلي:

أولاً: الدعوة للتمسك بالقرآن الكريم فهو مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، حتى يصلح القلب فتصلح إرادته؛ فحياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسده بخلاف القلب المريض الذي إذا وردت عليه شبهة قوت مرضه وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه [1]، والقرآن الكريم يدعو إلى التدبر في الكون والنظر في آيات الله عز وجل وهذا من أعظم الأسباب التي تقضي على الشبه، وقد تكرر مثل هذا في القرآن الكريم في مجادلة أهل الباطل وإقناعهم بالحجج والبراهين العقلية، وهذا هو الذي ينبغي أن يطبقه الدعاة في مواجهة الشبهات.

ثانياً: دعوة الشباب لترك الفواحش والآثام؛ فالمعاصي بمثابة الأخلاط الرديئة في البدن، وإذا تاب العبد من الذنوب كان استفراغاً من تخليطاته حيث خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وإذا تاب الشاب قويت إرادته للأعمال الصالحة، وتخلص من الشبهات الفاسدة التي كانت فيه[2]، وقد ذكر الامام ابن القيم رحمه الله: (أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا شك أن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان) [3].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ج١٠ ص٩٤ - ٩٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ج١٠ ص٩٦.

(٣) انظر: المرجع نفسه ج١٠ ص٩٨.

ثالثاً: دعوة الشباب إلى تعلم العلم الشرعي المستمد من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة؛[1] فالجهل والشك من أسباب التأثر بالفتن، وقد أرشد النبي ﷺ إلى علاج ذلك بقوله ﷺ: (ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي [2] السؤال) [3].

رابعاً: دعوة الشباب إلى الابتعاد عن سماع الباطل؛ فالشاب إذا اعتاد سماع الباطل وقبوله أكسبه ذلك تحريفاً للحق عن مواضعه، و إذا أقبل الباطل أحبه ورضيه، فإذا جاء الحق بخلافه رده وكذبه إن قدر على ذلك وإلا حرَّفه [4].

ومعلوم ما لسماع الشبه من أثر كبير على الإنسان؛ فالنفس تتأثر بحسب ما يعرض لها خاصة إذا كان العبد غير محصن عن تلك الشبه بالعلم.

خامسا: العناية بوقت الشباب وشغله بالمفيد والتخطيط لإقامة المناشط المتنوعة بمختلف الميادين الدعوية، واستقطاب الشباب للمشاركة فيها.

سادسا: الاعتناء بإنشاء المحاضن التربوية للشباب والإشراف عليها،؛ فقد كانت بداية الدعوة الإسلامية في محضن تربوي يلتقي فيه الرسول ﷺ

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج١٠ ص٩٤.

(٢) العي: الجهل ،انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير باب العين مع الياء طبع دار الفكر، ج٣ ص٣٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم ،واللفظ له، ح: (٣٣٦) ج١ ،ص٢٤٠، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب في المجروح تصيبه الجنابة ح: (٥٧٢) ج١، ص١٨٩، والحديث حسنه الألباني (انظر صحيح سنن أبي داود حديث (٣٢٥ - ٣٣٦) ج١ ص٦٩.

(٤) انظر: رسالة في أمراض القلوب، ص٥٥.

مع الشباب في دار الأرقم بن أبي الأرقم(١)، فيوجههم ويشحذ هممهم، ويقوم أخطاءهم، ويثني على مواقفهم، إضافة الى ما يجدونه فيها من القرناء؛ فالشباب بحاجة إلى المربي الناصح العطوف في هذه المرحلة،إضافة الى حاجتهم إلى الأقران فيتبادلون الخبرات ويتناقشون في تجاربهم، ويتشاورون فيما يهمهم (٢)

سابعا: العمل على رصد المشكلات التي يعاني منها الشباب،والاستعانة بالمتخصصين في كافة المجالات، لتلافيها والتقليل من نتائجها السلبية.

وعلى العلماء والدعاة من الوجوب ما ليس على غيرهم؛ فهم قادة الأمة إلى جادة الصواب، وهم ممن يعين أهل السلطة، بتقديم المشورة والنصح، وتقديم الخطط والمقترحات لحفظ شباب الأمة من الفتن، والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة.

وإذا تخلوا عن هذه المهمة اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسألوهم فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا،كما في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمر بن العاص ﵄ قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا

---

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د/ مهدي رزق الله، ص١٩٥. طبع مركز الملك فيصل للبحوث، الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: المنهاج النبوي في دعوة الشباب. أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. ص١٢١، طبع دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ.

لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهالاً فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[١].

ففي الحديث تحذير من ترؤس الجهلة [٢].

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ج١ ص٣٤.

انظر: البخاري المطبوع مع فتح الباري، ج١، ص٢٣٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ج١ ص٢٣٦.

المبحث الرابع
أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن

تعرف الأساليب في اللغة بأنها جمع أسلوب وهو: الطريقة؛ يقال سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه، ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة، ويقال: هو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم [1].

والأساليب في الاصطلاح: هي (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته)[2].

وعرف الأسلوب بأنه: (الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته) [3].

ومرادي من الأساليب هنا: (الطرق التي يسلكها الداعية في الدعوة لحماية الشباب من الفتن).

(١) انظر: لسان العرب مادة (سلب) ج٤ ص٢٠٥٨ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت مادة (سلب). ج١ ص ٢٢٨٤، والمعجم الوسيط مادة (سلب) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة ج١ ص٤٤١.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ، دراسة منهجيه شامله لتاريخ الدعوة و أصولها و مناهجها و أساليبها و وسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل و العقل د/ محمد أبو الفتح البيانوني ، ط: ٣ بيروت: مؤسسه الرساله، ١٩٩٥، ص ٢٤٢.

(٣) خصائص القرآن الكريم ، د: فهد بن عبد الرحمن الردهي، طبع مكتبة الحرمين - الرياض - الثانية ١٤١٤هـ، ص ١٨.

ومن الأساليب التي يمكن الإفادة منها لحماية الشباب من الفتن مايلي:

١- الحوار بلطف وهدوء وإظهار الاحترام والتقدير لشخص الشاب.

إذ إن فئة الشباب يحتاجون لمن يحاورهم بهدوء ولطف ولين، وعدم تسفيه آرائهم مهما كانت غريبة وشاذة، وقد كان هذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم عند محاورته للشباب، دل على ذلك حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (أن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: ادنه. فدنا منه قريباً قال فجلس. قال: أتحبه لأمك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم

قال: أفتحبه لأختك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه. فلم يكن بعده ذلك الفتى يلتفت إلى شيء).

٢ - أسلوب التلطف والاستدراج، وإشراك الشاب في استنباط النتائج والوصول إلى الحق.

ومن ذلك قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما دعا قومه إذ بدأهم باللطف، واستدرجهم لاستنباط النتائج للوصول إلى هدفه في تغيير عقيدهم، وزعزعة الباطل في نفوسهم، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ
﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ
﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾
وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى
ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام نهج في دعوته لقومه ما يلي:

- استدرجهم لشرح وفضح (عقيدهم) على ألسنتهم.
- بين لهم حقيقة فكرهم ومدى فسادها.
- بين لهم مصدر هذه الفكرة الفاسدة على ألسنتهم.
- جزّء الفكرة الكلية لأجزاء، وناقشها مناقشة عقلية وموضوعية.

(١) سورة الشعراء ، الآيات: ٦٩ - ٨٢.

- طرح البدائل في شكل متسلسل ومتنوع، وخاطب عقولهم ووجداهم، ومن ثم ارتقى بعقولهم إلى ما هو أبعد من ذلك كلــه إلى الآخــرة (١) وهذا مايجدر تنبه الدعاة اليه عند ترهيب الشباب من الفتن.

٣ - أسلوب التقرير الذي يجبرهم على النطق بالحق الذي لا يدفع.

وسأضرب لذلك مثلاً من أساليب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في معالجة أمراض الشبهات والتي استقوها من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

وهذه القصة عن حوار الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج، أخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار - على حدهم - وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي ﷺ معه، قال: جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا. قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيرًا، قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة. قال: فدخلت على قوم لم

(١) انظر: درر الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري - هلال حسين فلمبان ، طبع مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ط: الثالثة ١٤٣٠هـــ، ص ١٨٠.

أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن [١] الإبل، وجوههم معلمة من آثار السجود، عليهم قمص مرحضة، وجوههم مسهمة من السهر. قال: فدخلت. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] ، قالوا: فما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهر رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن الله تعالى يقول:﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٣]، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم.

قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثاً.

قال: وما هنّ؟

---

(١) ثَفِن: مفردها (ثفنة) بكسر الفاء: وهي ما ولي الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، كالركبتين وغيرهما، ويحصل فيه غلظ من آثار البروك، وتجمع أيضًا على ثفنات. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى محمود محمد الطن احي،المكتبةالعلميةبيروت،ت: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). ج١-٢١٥.

(٢) سورة المائدة ، الآيات: ٩٥.

(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٥٨.

قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل.

قال: قلت وماذا؟

قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم.

قال: قلت وماذا؟

قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون [ينقض قولكم] أترجعون؟ قالوا: نعم.

قال: قلت أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، وقال تعالى في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾، أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم قاتل و لم يسب و لم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾، فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؛ فنظر بعضهم إلى بعض،قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال: اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال: والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني، اكتب يا على: محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. أخرجت من هذه؛ قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة (١).

ومما يلاحظ في هذا الأسلوب أن ابن عباس رضي الله عنهما استخدم ما يلي:

- ترك الطرف الآخر يبدأ بالحوار، حتى يتبين وجهة نظرهم.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف للإمام عبد الرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. رقم الرواية (١٨٦٧٨) ، طبع المكتب الإسلامي - الثانية ١٤٠٣هـ، ج١٠ ،ص١٥٧، وقال في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني وأحمد ببعضه ورجالهما رجال الصحيح (انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ج٦ ص٢٤١. طبع دار الريان - دار الكتاب العربي.

- فتت الفكرة الكلية إلى أجزاء، واحدة تلو الأخرى، و لم ينتقل من شبهة إلى أخرى حتى سلَّم الخصم بذلك.
- وثق معلوماته؛ مستدلاً بالكتاب الكريم والسنة المطهرة.
- نوع في الإجابات والردود: فالأولى: عقلية منطقية، والثانية: استدلالية، والثالثة: وجدانية عقلية [1].

ومما يشار إليه هنا أنه ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل، من أصحاب المنهج الصحيح ألا ييأسوا من عودة الطوائف المنحرفة إلى المنهج القويم ممن أمعنوا في الضلال، فهاهم الخوارج على شدة بدعتهم وتمسكهم بها، قد عاد كثير منهم إلى الحق بعد أن تبين لهم، إذ إن أغلبهم من الأتباع حجبهم مشايخهم عن الاستماع للمخلصين خوفاً من تذبذب موقفهم، وتخليهم عنهم، فكانوا مغيبين عن الحقيقة.

٤- أسلوب الاستدلال العقلي والمنطقي:

وسأذكر على ذلك مثالاً من دعوة السلف الصالح -يرحمهم الله- الذين يتبعون منهج القرآن الكريم في دعوتهم وفي اتباع أساليبه.

جاء في العقيدة الطحاوية ما نصه: (ويُحكى عن أبي حنيفة رضي الله عنه: أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: -أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة - عن سفينة في دجلة، تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فتُرسي بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟!.

---

(١) انظر: درر الحوار التربوي في وقاية الشباب من الانحراف، ص ١٨٧.

فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً!.

فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم عُلْوِهِ وسُفْلِهِ؟(١).

ومن خلال هذه القصة يتضح أن أبا حنيفة اتبع ما يلي مع أصحاب شبهة إنكار الربوبية:

- في البداية لم يرفض التحاور معهم، مع أن ربوبية الخالق سبحانه أمر معلوم من الدين بالضرورة.
- لم يقدم الدليل والبرهان من الكتاب والسنة، لتيقنه أن من أمامه يحتاجون إلى دليل حسي.
- تدرج معهم في تقريب المراد، فكان ذلك أدعى لاستجابتهم.
- خاطب عقولهم عن طريق الاستدلال العقلي والمنطقي.
- استغل البيئة المحيطة لضرب المثل، فالمثل يقرب المعاني ويضع صورها مثيرة لدى المستمع (٢).
- استخدم الاستفهام الاستنكاري بقوله: (إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله) (٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ج١ ص ١٣٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها، د: أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب الإسلامي، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م. ص ٣٥٥.

(٣) انظر: دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري ص ١٨٧.

(٣) انظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، ج ١ ص٣طبع دار الكتب العلمية -بيروت-١٤٢٢هـ

المبحث الخامس

آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن

إن الدعوة لحماية الشباب من الفتن وتزكيتهم من مقاصد الشريعة التي جاء الشرع الحنيف بها، ومن هذه المقاصد حفظ الضروريات الخمس وهي (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال) ، التي إن لم تحفظ لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة.

ويمكن تقسيم آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن إلى قسمين:

آثار خاصة بالشاب وأسرته. وآثار عامة على المجتمع:

أولاً: آثار خاصة على الشاب وأسرته:

تعد مرحلة البلوغ هي بداية مرحلة التكليف، يصبح فيها الشاب مكلفاً مسؤولاً عن أفعاله؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل)[1] ؛ لذا كان الاهتمام بهذه المرحلة مهماً بأهمية النتائج والآثار المترتبة عليها ومن ذلك:

- حفظ الدين الذي إن فسد كانت خسارة الدنيا والآخرة؛ يقول ابن القيم عن ضرورة الدين للناس (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء) ثم عقد مقارنة بين حاجة الناس إلى

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته -محمد ناصر الدين الألباني-وحكم بصحته رقم الحديث ٣٥١٣ ج ١ ص ٦٥٩ طبع المكتب الإسلامي -الثالثة -١٤٠٨هـ.

الشريعة، وحاجتهم إلى التنفس والطعام والشراب فقال: (غاية مايقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، وأما مايقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه)(١).

- حفظ النفس من الهلاك، ففي توجية الشباب وحمايتهم من الوقوع في الفتن حفظ لأنفسهم من إلقائها في التهلكة، وعدم استغلالهم بالزج بهم في قضايا لاشأن لهم بها، واستخدامهم كمطايا ووقود لتنفيذ أجندة المنظمات الإرهابية التي غالباً ما تتبع لمخابرات أجنبية عدوة لأوطانهم ومجتمعاتهم.

وينطبق ذلك على باقي المقاصد المراد حفظها، العقل والمال والعرض؛ فالشاب بين مخاطر فتنتي الشبهات والشهوات إذ يمكن أن يتضرر في عقله أو ماله أو عرضه؛ مما يؤثر على أسرته التي رعته وبذلت في سبيل تربيته ما تستطيع، فإذا به يُتخطَّف منها فيضيع ويُضيِّع ماأنيط به من مسؤوليات.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ج٢ ص ٣٥٣).

ثانياً: آثار عامة على المجتمع:

١- تقوية الجبهة الداخلية للمجتمع:

إن في احتضان الشباب، والاهتمام بهم، وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم، وتبصيرهم بحقيقة الفتن النازلة، وتحذيرهم من الخوض في غمارها، يفوت الفرصة على أعداء الأمة المتربصين بها، والذين يطمحون لاختراق الوطن، وزعزعة أمنه واستقراره،إذ المتتبع للتاريخ يشاهد أن ما من بلد سقط إلا بزرع الفتن من داخله أولاً، ولا يوجد لدى الأعداء في كل زمن أسهل من تجنيد الشباب من أبناء الأمة المستهدفة باستغلالهم لهدم أوطانهم بدعاوى شتى.

وفي الاهتمام بدعوة الشباب تقوية للجبهة الداخلية للوطن، فيصبح عصياً على الاختراق بإذن الله.

وقد سلك الأعداء في استهداف شباب المسلمين طريقين الأول: النفوذ إلى أسس العقائد والتشريعات الإسلامية الربانية بغية اقتلاعها من عقول وقلوب فريق من أبناء المسلمين،وبذلك يتكون منهم فيلق يعادي تعاليم الإسلام،ويرى فيها التخلف والرجعية،مهمته تحويل الأجيال الناشئة عن دينها وتجنيدها لحرب الدين وسلخ المجتمع من تعاليمه.

والثاني: إيجاد فريق من المسلمين، يتحلون باسم الإسلام ويتعصبون له تعصبا شديدا، لكن المفاهيم التي يستمسكون بها على أنها جزء من الإسلام مفاهيم فاسدة مدسوسة، ليست من الإسلام في شيء، ويمثل هذا الفريق قوة الصد عن الإسلام والتنفير منه[١].

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٥٠١.

٢- الحفاظ على فضيلة المجتمع:

فيكون كما أراد الله تعالى مجتمعاً تنتشر فيه الفضيلة؛ و بسلامة الشباب من الفتن يتم إبطال عمل التيارات التي ترغب في نشر الرذيلة بين المسلمين من خلال فتنة الشهوات. والتي جندت في سبيل ذلك شتى الوسائل المسموعة والمرئية لإسقاطهم.. إذ إن المجتمعات التي تنتشر فيها الفواحش مهددة بالسقوط والهلاك وهي أحد مداخل الأعداء لأي وطن يراد اشغاله بشهواته وغمسه في مستنقع الفساد الأخلاقي عن طريق ترغيبه بأنماط العيش التي تعتمد على الرفاهية والمتعة واللذة، لينصرف فكره واهتمامه عن بناء وطنه وعن الدفاع عن قضاياه وحقوقه،ويكون مخدراً بالشهوات.

٣- الحفاظ على مصالح الأمة العظمى:

إن من مصالح الأمة العظمى: السمع والطاعة لولاة الأمر وولاة الأمر هم العلماء والولاة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء، والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس) [(١)].

ولا تنتظم مصالح الأمة إلا بالسمع والطاعة لهم فالسمع والطاعة للأمراء (ما لم يروا كفراً بواحاً) تنتظم به مصالح الأمة، وفي عدم السمع والطاعة لهم إخلال بالأمن وزرع للفتن كما فعل أصحاب الفكر

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ،طبع دار العلوم الإسلامية - القاهرة - دار البخاري المدينة ١٤٠٩هـ، ص ٩٨.

التكفيري الذين أضروا بمصالح الأمة داخل أوطان المسلمين بزعزعة الأمن، وسفك الدماء، والإخلال بمصالح الأمة خارج الأمة المسلمة مع الدول غير المسلمة فأصبح المسلم مصدر رعب لدى هؤلاء بسبب الصورة السيئة التي عكسها هؤلاء نتيجة أفعالهم.

وهذا سبب للأمة الحرج، وجلب لها الأضرار - كما أثر على قوتها وتماسكها.

وسلامة المجتمع من الفتن فيه حفظ لحقوق الفرد والمجتمع، إذ فيه توجيه للفرد المسلم بإصلاح نفسه فإذا صلح حفظ حقوق إخوانه، وفيه توجيه للجماعة بالتواصي على الإصلاح مما يجعل المجتمع المسلم مجتمعاً مثالياً يؤدي الحقوق لأصحابها.

٤ - **إظهار الصورة المشرقة للإسلام** والتي تتمثل في التزام أبنائه به وتطبيقه في واقع حياتهم؛ ولذلك أثره في إظهار الصورة المشرقة للإسلام وأهله لدى غير المسلمين مما يساعد على انتشار دين الإسلام، الذي كلف أتباعه بنشره للعالم ولا تخفى تلك الجهود التي بذلها المسلمون السابقون في نشر الإسلام عن طريق تطبيق تعاليمه في أنفسهم وفي تعاملاتهم مع غير المسلمين فكان ذلك سببا لدخول شعوب بأكملها في دين الإسلام نتيجة الصورة المشرقة التي حملها هؤلاء[1].

---

(١) من الدول التي وصلها الإسلام عن طريق الصورة المشرقة التي حملها التجار المسلمون عن الإسلام (الصومال ١٠٠٪، الساحل الكيني ٧٠٪، زنجبار وجزر القمر ١٠٠٪، موزنبيق ٥٠٪، وعم الإسلام إندونيسيا وماليزيا، وجنوبي الفلبين، ووصل سيرلانكا، وبورما. وفطاني ومالاوي. انظر: التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر - الأقليات الإسلامية) محمود شاكر ،طبع المكتب الإسلامي الأولى ١٤٠٨هـ، ج٢٢ ص(١٤، ١٥، ٤٨، ٥٣، ٥٧، ١٤٧، ٢٥٧).

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك(1) والذي كانت سيرته ﷺ انموذجاً حيًّا صالحاً لكل عصر ومصر، في علاج قضايا الأمة، ولا شك أن أعظم القضايا المؤرقة في هذا العصر هي قضية الشباب وتعرضهم لحملات مسعورة من الفتن،تهدف إلى زعزعتهم وتزهيدهم في دينهم، وجعلهم معاول هدم لمجتمعاتهم، مما يتطلب قيام المسؤولين بواجبهم في الذود عن أخطر سلاح يمكن أن يستخدم في تفتيت الأمة وإبعادها عن دينها، ولا شك أن الله عظم المسؤولية على أهل العلم والدعوة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(2)، فهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من علمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه، مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم، خصوصاً إذا سألوه أو وقع ما يُوجب ذلك (3).

---

(1) قال رسول الله ﷺ: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك" أخرجه ابن ماجه محمد بن يزيد في المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين رقم الحديث (٤٣) ج١ ص١٦، طبع دار الدعوة - دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ، والحديث صححه الألباني. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث (٩٣٧)، ج٢، ص٦١٠، طبع مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

(2) سورة آل عمران، جزء من آية: ١٨٧.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١، ص٤١٢؛ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي، ج١، ص ٤٧٠.

وفي هذا البحث بيان لأهمية مرحلة الشباب وخطورة إهمالها وكذلك الفتن المحدقة بهم، والمسؤولية الدعوية المناطة بأهل العلم والدعوة لحماية الشباب من الفتن.

هذا وقد خرجت من هذا البحث بتوفيق الله إلى عدد من النتائج أجملها بما يلي:

- أن مرحلة الشباب يعبر عنها معناها اللغوي من الفتاء والحداثة والحماسة وسرعة التأثر بالأحداث.
- اهتمام الإسلام بالشباب لأنهم الأسرع استجابة والأكثر تأثراً كما دل على ذلك الكتاب والسنة.
- أن الفتن معناها الابتلاء والاختبار، وأن الفتن من أعظم المؤثرات على دين المرء ودنياه.
- أن فتنة الشبهات هي الأخطر على دين المرء، فكل فتنة لها علاقة بالدين، كالكفر والشرك أو البدع أو الدعوة إلى فرقة والخروج عن جماعة المسلمين هي من فتن الشبهات.
- أن الشبهات أنواع منها:

(أ) شبهات تؤثر في أصل العقائد، وتصبح مذاهب يدعو إليها أصحابها.

(ب) شبهات عامة تؤدي إلى فرقة المسلمين كالخروج على العلماء والخروج على ولاة الأمور، وعن مقتضى السمع والطاعة.

- من أسباب الوقوع في فتنة الشبهات ضعف البصيرة، وقلة العلم ويزداد الأمر سوءاً إذا اقترن بسوء القصد وحصول الهوى.

- فتنة الشهوات المقصود بها أن يأتي الإنسان مما يشتهيه ويحبه مما حرم الله عز وجل كفتنة المال، والنساء...
- ورد التحذير من اقتحام الشهوات وعبر عن ذلك النبي ﷺ بقوله: "**حفت النار بالشهوات**" فمن للتحذير من هتك الحجاب الذي هو الشهوات.
- من أسباب الوقوع في فتنة الشهوات ضعف الإيمان، وضعف النفس، وعدم التحلي بالصبر،واستغلال أعداء الإسلام ميل الشباب الفطري للشهوات لغرس الأخلاق الفاسدة فيهم لإفساد الشعوب المسلمة إفساداً سلوكياً ليكون وسيلة للتحول الفكري.
- على علماء الأمة ودعائها مسؤولية عظمى في التصدي للحملات المسعورة ضد شباب الأمة وإغراقهم في الفتن.

فالمشكلة لخطورتها تتطلب عملاً مؤسسياً جماعياً، ذو تخطيط استراتيجي، وتسخر له الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لتنفيذه.

- هناك أساليب مؤثرة تستخدم لجذب الشباب والتأثير فيهم.
- للدعوة لحماية الشباب من الفتن آثار خاصة على الفرد بحفظ دينه،ونفسه،وماله، وعرضه. وآثار على الأسرة بحمايتها من التفكك والضياع.
- للدعوة لحماية الشباب من الفتن آثار عامة على المجتمع منها:

١- تقوية الجبهة الداخلية للمجتمع،وحمايته من اختراق الأعداء.

٢- الحفاظ على فضيلة المجتمع.

٣- الحفاظ على مصالح الأمة العظمى.

٤- إظهار الصورة المشرقة للإسلام،المتمثلة بالتزام أبنائه به وتطبيقه في واقع حياتهم.

وختاما أذكر هنا عددا من التوصيات ومنها:

- يجب على العلماء والدعاة توثيق العلاقة مع ولاة الأمور والاتصال بهم لشرح قضايا الأمة، ومشاكلها، للاستعانة بهم وبقدراتهم في إيجاد الحلول الناجحة لهذه المشاكل كما ثبت عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) (١).
- اجتماع الأمة على كلمة سواء ونبذ الفرقة والاختلاف، فإن من أسباب ما تعيشه الأمة اليوم تفرق الناس شيعاً، وأحزاباً متناقضة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يبين حال الناس في عصره الذي يكاد يكون مماثلاً لعصرنا هذا: (وهذا التفريق الذي حصل بين الأمة علمائها ومشايخها، وأمرائها، وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها) (٢).

- البعد عن المسلك الفردي في العمل والإصلاح والتأثير، لأن الجهد الفردي مهما بلغت قدرات صاحبه، لا يمكن أن يوازي جهده حينما يكون مضموماً إليه جهود وخبرات الآخرين.

---

(١) أخرجه ابن شبه النميري في أخبار المدينة النبوية. انظر: (أخبار المدينة النبوية. عمر بن شبه النميري البصري، ج٣ ص٢٠٤، طبع دار العليان.

وحكم الشيخ عبدالعزيز بن باز على الأثر بقوله (ثابت). انظر: مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله جمع وترتيب د/ محمد سعد الشويعر، ج٥، ص ٦٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣، ص٤٢١.

- الاعتماد على العمل المؤسسي المنظم ذو الأهداف الشمولية، والاستعانة بطاقات الشباب لاحتوائهم وجعلهم هم الأداة المنفذة لمحاربة الفكر الضال.
- ضرورة الإفادة من خطط المركز الوطني لأبحاث الشباب بجامعة الملك سعود والذي أنشئ بتاريخ ١٤٢٨/١/٢٦هـ.

والذي يهدف الى خدمة الشباب من خلال المساهمة الفاعلة في الأبحاث المتعلقة بهم، وتقديم الاستشارات العلمية والبحثية، والعمل على الرقي بمستوى الشباب للمشاركة بفعالية في مجالات التنمية المختلفة[١].

وأخيرا/ اقترح أن تتولى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحكم دورها الريادي في الأمة عبء الاعتناء بالعمل المؤسسي لحماية الشباب من الفتن، نظراً لأهلية كثير من العاملين فيها علمياً؛ فالجامعة خرجت وما زالت تخرج ذوي الأدوار الريادية من العلماء، والدعاة، ممن يتولى زمام المبادرة، ومن ثم الاستعانة بالجهات الأخرى ذات العلاقة لتنفيذ مثل هذه المهمة الكبيرة.

---

(١) انظر رسالة الجامعة الاثنين مارس ٢٠١٤م، وانظر الموقع الالكتروني للمركز (المركز الوطني لأبحاث الشباب National center for studies.

المراجع

- القرآن الكريم
- أخبار المدينة النوبية – عمر بن شبه النميري البصري تحقيق عبدالله بن محمد الدويش. طبع دار العليان.
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية. تحقيق محمد عفيفي. طبع المكتب الإسلامي – الثانية ١٤٠٩هـ.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لشيخ الإسلام بن تيمية. طبع دار العلوم الإسلامية – القاهرة – دار البخاري – المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.
- البحث العلمي. د/ عبدالعزيز الربيعة – طبع مكتبة العبيكان الخامسة – ١٤٣١هـ.
- بلوغ الأماني أسرار الفتح الرباني. ترتيب أحمد عبدالرحمن البنا المطبوع بهامش الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني – طبع دار الشهاب – القاهرة – بدون تاريخ.
- التاريخ الإسلامي – محمود شاكر. طبع المكتب الإسلامي. الثالثة ١٤١١هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. طبع مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة ١٤١٣هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبدالرحمن السعدي تحقيق محمد زهري النجار. طبع مكتبة الخلفاء – الرياض – الأولى ١٤٠٨هـ.

- حراسة الفضيلة د/ بكر عبدالله أبو زيد طبع دار العاصمة الرياض - الأولى - ١٤٢١هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني طبع مكتبة المعارف - الرياض ١٤١٥هـ.
- سنن أبي داود - أبي داود سليمان بن الأشعث. طبع دار الدعوة. دار سحنون. الثانية ١٤١٣هـ.
- سنن الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة. طبع دار الدعوة دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
- سير أعلام النبلاء محمد بن أحمد الذهبي - طبع مؤسسة الرسالة - الخامسة ١٤١٣هـ.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د/ مهدي رزق الله. طبع مركز الملك فيصل للبحوث الأولى - الأولى - ١٤١٢هـ.
- شرح النووي على صحيح مسلم - النووي - تحقيق عصام الضبابطي - حازم محمد - عماد عامر - طبع دار أبي حيان - الأولى ١٤١٥هـ.
- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري. طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته -محمد ناصر الدين الألباني -طبع المكتب الإسلامي -الثالثة -١٤٠٨ هـ
- صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج - الأولى - ١٤٠٩هـ.

- صحيح سنن الترمذي – محمد ناصر الدين الألباني – طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج. الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي طبع دار الدعوة – دار سحنون – الثانية ١٤١٣هـ.
- عون المعبود على سنن أبي داود – محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي. طبع بيت الأفكار الدولية. بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخ الطبع.
- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام – عبدالرحمن بن حسن حنبكة الميداني – من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد بجامعة الإمام ١٣٩٦هـ طبع جامعة الإمام ١٤٠٤هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. طبع دار الريان للتراث – القاهرة – الثانية ١٤٠٩هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. طبع مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية ١٤٠٧هـ.
- قواعد أساسية في البحث العلمي – د/ سعيد بن إسماعيل صيني. طبع مؤسسة الرسالة – الأولى ١٤١٥هـ.
- لسان العرب لابن منظور الأفريقي طبع دار صادر بيروت. الأولى ١٩٩٧م.
- لمحة عن الفرق الضالة – صالح بن فوزان الفوزان. علق عليها وخرج أحاديثها شبيب الراجحي – طبع دار السلف – الثانية ١٤١٨هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – أبو بكر الهيثمي. طبع دار الريان للتراث – القاهرة – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم – لم يذكر الناشر وتاريخ النشر.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز. جمع د/ محمد بن سعد الشويعر. طبع دار المؤيد. الأولى ١٤٢١هـ.
- المسند للإمام أحمد بن حنبل. طبع دار الدعوة – دار سحنون الثانية، ١٤١٣هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. ابن القيم الجوزية – تحقيق سيد إبراهيم – علي محمد. طبع دار الحديث – الأولى ١٤١٤هـ.
- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد رشاد سالم – طبع جامعة الإمام ١٤١١هـ.
- المنهاج النبوي في دعوة الشباب – أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. طبع دار العاصمة – الرياض ١٤١٥هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي. محمود الطناجي. طبع دار الفكر بدون تاريخ.
- المواقع الإلكترونية والصحف:
- صحيفة الاقتصادية الإلكترونية.
- صحيفة رسالة الجامعة الإلكترونية.
- فتنة الشبهات أ. د/ ناصر بن عبدالكريم العقل موقع إسلام ويب .Islamweb. nt
- الألوكة – المواقع الشخصية موقع أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. مكانة الشباب في الإسلام. أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. ١٤٢٨/١١/١٧هـ.
موقع المركز الوطني لأبحاث الشباب (شباب).

البحث رقم (٥)

ضوابط الإنكار القلبي وثمراته

إعداد

د. خالد بن راشد العبدان

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الشعائر العظيمة، ومن أسباب خيرية هذه الأمة، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[(١)].

ومن محاسن الشرع الحنيف أنه جعل إنكار المنكر مراتب، وعلق ذلك بالاستطاعة؛ كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[(٢)]، فإذا عجز المسلم عن إنكار المنكر بيده ولسانه لعدم استطاعته وقدرته فهو معذور في ترك ذلك الإنكار، ولينتقل إلى المرتبة الثالثة وهي الإنكار بالقلب[(٣)].

والإنكار القلبي له مفهومه وضوابطه التي لا بد من تحققها ليكون إنكاراً شرعياً يتحقق به الهدف المشروع، وتحصل به الثمرات المرجوة ببراءة الذمة، وتحقيق أدنى مراتب إنكار المنكر.

وهذا البحث يسعى لبيان هذه المسائل وتجليتها والوقوف على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وما سطره سلف الأمة رضي الله عنهم ورحمهم في بيان الضوابط الشرعية للإنكار القلبي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ٤٩، ١/٦٩.

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١٦/١٤٠، ١٤١.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع الشرعي المهم والجدير بالدراسة تناولته بعض الدراسات والأبحاث العلمية، ولكن لا توجد سوى رسالة علمية واحدة أفردته بالبحث وهي بعنوان: الإنكار بالقلب دراسة تأصيلية[1]، وقد قسم الباحث رسالته إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسة، وتناول في بحثه مراتب الاحتساب ومنزلة الإنكار القلبي منها، ومفهوم الإنكار بالقلب وأحكامه ودرجاته، كما تحدث عن حدود الإنكار بالقلب وآدابه وآثاره، وجعل الفصل الأخير للحديث عن معوقات الإنكار بالقلب في تغيير المنكر وسبل معالجتها.

وقد خلص الباحث إلى عدد من النتائج من أهمها: أن الإنكار القلبي أول مراتب الإنكار، وأنه مما أجمع العلماء على وجوبه على المسلمين جميعاً.

وحيث إن هذه هي الدراسة العلمية الوحيدة في باها التي اختصت بالحديث عن الإنكار القلبي، ولأهمية الموضوع والحاجة إلى التأكيد عليه، وإشباعه بدراسات وبحوث علمية؛ فقد رأيت من المناسب تعزيز الدراسة السابقة والتأكيد على أهمية هذا المجال الذي يستحق دراسات علمية عدة، فبينت ضوابط الإنكار القلبي بشكل أحسب أنه دقيق مع الاستدلال والإيضاح، وأضفت ثمرات للإنكار القلبي ربما يكون الباحث لم يشر إليها أو يفصل فيها. على أنني حرصت على أن أبحث الموضوع استقلالاً دون أن أتأثر بالدراسة السابقة؛ للأمانة العلمية، وحتى لا أعتمد على تلك

---

(١) رسالة ماجستير غير مطبوعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الدعوة الإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، وهي من إعداد: راشد بن مبارك بن سفر الدوسري، في العام الجامعي ١٤٣٣/١٤٣٤هـ .

الدراسة، ورغبة في التجديد في المادة العلمية والمراجع، وطمعاً في الوصول إلى ما لم يصل إليه الباحث وفقه الله، وأرجو أن أكون قد وفقت لذلك، وأن يجد القارئ فرقاً بين البحثين، وفوائد مستقلة في كليهما، مع دعائي لنفسي وللباحث بالتوفيق والسداد.

كما لا يفوتني أن أشير في هذا المقام إلى بعض الكتب التي تناولت الإنكار القلبي ضمن جملة من الموضوعات وفي عدد محدود من الصفحات، ومما وقفت عليه في ذلك:

١- كتاب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصوله وضوابطه وآدابه، للدكتور خالد بن عثمان السبت.

٢- كتاب: درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للدكتور عبدالعزيز بن أحمد المسعود.

وقد قسمت الدراسة وفق العناصر التالية:

المقدمة.

المبحث التمهيدي: مراتب إنكار المنكر.

المبحث الأول: مفهوم الإنكار القلبي ومنزلته.

المبحث الثاني: ضوابط الإنكار القلبي.

المبحث الثالث: ثمرات الإنكار القلبي.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل التوفيق والسداد

المبحث التمهيدي

مراتب إنكار المنكر

الله جل وعلا أوجب على عباده أداء ما افترض عليهم، وأمرهم به، فأمر المؤمنين بطاعته، ونهاهم عن معصيته، كما أمر المؤمنين أيضاً بطاعة رسوله ﷺ ونهاهم عن مخالفة أمره، وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدل على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2] وجاء في السنة قوله ﷺ: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم"[3] وهذه الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ هي التقوى التي جاء الحض عليها والأمر بها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[4].

وحيث إن الناس ليسوا على درجة واحدة في التقوى والاستقامة على الدين، قياماً بالأوامر واجتناباً للنواهي؛ فقد شرع الله تعالى الأمر

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم ٧٢٨٨، ٨/١٨٠، ومسلم في كتاب الفضائل،باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك رقم ١٣٣٧، ٤/١٨٣٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

بالمعروف والنهي عن المنكر ليستقيم الناس على طاعة الله تعالى ويجتنبوا ما نهوا عنه، ولأجل ألا يكثر المنكر ويظهر في الناس فيصير أمراً مألوفاً.

وبما أن الناس أيضاً متفاوتون في القدرة على إنكار المنكر، فقد شرعت مراتب الحسبة والإنكار، وجعلت متدرجة من الأعلى إلى الأدنى كل حسب قدرته واستطاعته، ولا يخرج أحد عن هذه المراتب ما دام مؤمناً.

وهذه المراتب هي التي ورد بها الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[1].

وقد أورد النووي رحمه الله في هذا المقام كلاماً جيداً للقاضي عياض رحمه الله حيث قال: " هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله وينزع الغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إذا أمكنه ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، وبذي العزة الظالم المخوف شره، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى ويغلظ على المتمادي في غيه والمسرف في بطالته إذا أمن أن يورث إغلاظه منكراً أشد مما غيره لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره

(١) سبق تخريجه.

بيده يسبب منكراً أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده، واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك، غير بقلبه، وكان في سعة، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره أو يقتصر على تغييره بقلبه هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى "(١). كما تناول بعض شراح الحديث هذه المسألة بقوله: "تغيير المنكر باليد للولاة ومن قارهم، وبالقول للعلماء العاملين، وتغييره بالقلب لأرباب القلوب (وذلك) أي: الإنكار بالقلب للعجز عنه بغيره (أضعف الإيمان) أي: أقله ثمرة. وفي رواية «وهو أضعف الإيمان» وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، ومنه يستفاد أن عدم إنكار القلب للمنكر دليل على ذهاب الإيمان منه، ومن ثم قال ابن مسعود رضي الله عنه: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر: أي: لأن ذلك فرض كفاية لا يسقط عن أحد بحال. والرضا به من أقبح المحرمات وإن كان ذلك أقل ثمرة"(٢).

وهذا الحديث وأحاديث أخرى مشابهة تدل على وجوب الإنكار بالقلب بحسب القدرة عليه، وأن الإنكار بالقلب أمر لابد منه، فمن لم ينكر المنكر بقلبه فذلك دليل على ذهاب الإيمان من قلبه(٣).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٢، ٣٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – محمد بن علان الصديقي، ١/٤٦٦.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم – ابن رجب، ٢/٢٤٥، و: التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية – الشيخ إسماعيل الأنصاري، ص٩٤.

غير أن الإمام النووي رحمه الله قد بيَّن في شرحه للحديث أن المقصود بأضعف الإيمان أقله ثمرة[1].

وأعرض - بإيجاز- مراتب الإنكار مبيناً مرتبة الإنكار القلبي منها، حيث إن مراتب الإنكار ثلاث وفق المطالب التالية:

المطلب الأول: الإنكار باليد:

وهذه أعلى المراتب وأجلها وهي في حق من قدر على الإنكار بيده، وقويِّ الإيمان إذا بدا له منكر ظاهر يستطيع تغييره، فإنَّه يدفعه بهمّة عالية لأقوى درجات الإنكار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فأعلى درجات الإنكار التغيير باليد.

والنبي ﷺ جاء عنه ما يدل على مشروعية تغيير المنكر باليد، ومن أظهر الأدلة على ذلك إنكاره على الرجل الذي لبس خاتماً من ذهب، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه وقال: "يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده" فقيل للرجل، بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به. قال: لا. والله لا آخذه أبداً، وقد طرحه رسول الله ﷺ[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب[3] فجعل يطعنها بعود في يده،

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام، رقم ٢٠٩٠، ٣/١٦٥٥.

(٣) النصب بضم الصاد وسكونها: حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية، ويتخذونه صنماً فيعبدونه، والجمع أنصاب. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مادة (نصب) ٥/٦٠.

ويقول: "جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد"[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المِرْبد[2] فخرجت معه، فكنت عن يمينه، وأقبل أبو بكر، فتأخرت له، فكان عن يمينه وكنت عن يساره، ثم أقبل عمر رضي الله عنه، فتنحيت له، فكان عن يساره، فأتى رسول الله ﷺ المربد، فإذا بأزقاق[3] على المربد فيها خمر، قال ابن عمر رضي الله عنهما فدعاني رسول الله ﷺ بالمُدية[4]، قال: وما عرفت المدية إلاَّ يومئذ، فأمر بالزقاق فشُقّت، ثم قال: "لُعنت الخمرُ وشاربُها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعُها، وحاملها، والمحمولة إليه، وعاصرُها، ومُعْتصِرُها، وآكل ثمنِها"[5].

وقد اقتدى به ﷺ خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم، فقد كان عمـــر رضي الله عنه يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر[6]. وفي هذا الفعل من عمـــر رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٢٨٧)٥/١٠٩، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم (١٧٨١) ٣/١٤٠٨.

(٢) المربد: الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم، وبه سمي مربد المدينة والبصرة، وهو بكسر الميم وفتح الباء من ربد بالمكان إذا أقام فيه، وربده إذا حبسه، والمربد أيضاً: الموضع الذي يجعل فيه التمر لينشف كالبيدر والحنطة. النهاية، مادة (ربد) ٢/١٨٢.

(٣) جمع زق، وهو السقاء. مختار الصحاح للرازي، مادة (ز ق ق)، ٢٧٣.

(٤) المدية بضم الميم وسكون المهملة هي الشفرة والسكين، انظر: النهاية، مادة (مدا) ٤/٣١٠، والفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا، ١٧/١٣٥.

(٥) أخرجه أحمد في المسند رقم٥٣٩٠ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٧٢٥، ٢/٢٤٣.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم ٨٣٦، ١/٥٧٣.

احتياط للرعية ومنع لهم من الوقوع في البدع والمنهيات الشرعية، كما أن فيه تعزيراً لهم عليها[(١)].

وفي حديث أبي الهياج الأسدي رحمه الله قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلاَّ طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته"[(٢)].

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أروع مثل في سرعة الاستجابة لشرع الله عز وجل وتغيير المنكر باليد حينما حرَّم الله تعالى الخمر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبيَّ بن كعب من فضيخ[(٣)] زهوٍ[(٤)] وتمر فجاءهم آت فقال: إنَّ الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: قم يا أنس فأهْرِقها فأهْرقتُها[(٥)].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح أو سيف يجوز للآحاد، بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة، فإن احتاج إلى أعوان يشهرون السلاح فلا بد من إذن السلطان على الصحيح لئلا يؤدي إلى الفتن وهيجان الفساد

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٧١، و: الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم د.فضل إلهي، ص٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، رقم ٩٦٩، ٢/٦٦٦.

(٣) الفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفضوخ: أي المشدوخ. النهاية، مادة (فضخ) ٣/٤٥٣.

(٤) الزهو بفتح الزاي وسكون الهاء بعدها واو: وهو البسر الذي يحمر أو يصفر قبل أن يترطب. فتح الباري – ابن حجر، ١٠/٤٧.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب نزل تحريم الخمر وهي من البسر والتمر، رقم ٥٥٨٢ صحيح البخاري ٦/٣٠١.

والمحن"[١]. ولأنَّ شهر السلاح بين الناس قد يكون مخرجاً إلى الفتنة، وآيلاً إلى فساد أكثر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: الإنكار باللسان.

اللسان أداة نقل الكلام الذي يدور في عقل الإنسان، وهو من أعظم نعم الله تعالى عليه، ومن تمام شكر هذه النعمة استخدامه في طاعة الله، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولإيصال الكلام للمستمعين طريقتان: إما مشافهة باللسان، وإما مكاتبة بالقرطاس والقلم، وكلتا هاتين الوسيلتين تنضويان تحت الدرجة الثانية من درجات الاحتساب. التي أصّلها حديث أبي سعيد رضي الله عنه والذي جاء فيه: "فإن لم يستطع فبلسانه...".

فبيَّن هذا الحديث أنَّ من لم يستطع تغيير المنكر بيده لضعفه وعدم قدرته، أو خشيته أن يترتب على تغييره باليد مفسدة أشد فليغيره بلسانه، بالأمر والنهي ويكون بلين ورفق ما لم تَدْعُ الحاجة إلى الشدة ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب[٢].

ويجب أن يكون المنكِر بلسانه رفيقاً في إنكاره يداري ولا يغلظ، ولا يعنف وكان أصحاب ابن مسعود رضي الله عنهما إذا مروا بقوم ورأوا منهم ما يكرهون قالوا لهم: مهلاً رحمكم الله، ويكون أمره بالرفق والخضوع، فإن

(١) الآداب الشرعية لا بن مفلح، ١/١٩٦، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني، ١/٢٢٩.
(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٣.

سمع منهم ما يكرهه، لم يغضب حتى لا يكون منتصراً لنفسه، كما روي ذلك عن الإمام أحمد رحمه الله[(١)].

ويقاس على ذلك تغيير المنكر بالكتابة، كالكتابة في الصحف، وتأليف الكتب التي تبين المنكر فهذا يعد إنكاراً باللسان[(٢)].

وقد جاء في السنة النبوية ما يدل على شرعية الإنكار باللسان، ومما ورد عنه ﷺ في ذلك ما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ "يا أبا ذر أعيته بأمه؟، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم[(٣)]، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم"[(٤)]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "واستدل أيضاً بقوله صلى ﷺ لأبي ذر: "فيك جاهلية" أي خصلة جاهلية، مع أن منزلة أبي ذر من الإيمان في الذروة العالية، وإنما وبخه بذلك على عظيم منزلته عنده، تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك؛ لأنه وإن كان معذوراً بوجه من وجوه العذر، لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه"[(٥)].

---

(١)انظر: جامع العلوم والحكم – ابن رجب ٢/٢٥٦.

(٢) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ٣٦٣.

(٣) الخول: حشم الرجل، وأتباعه واحدهم خائل. النهاية، مادة (خول)، ٢/٨٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم ٣٠، ١/١٥، ١٦.

(٥) فتح الباري ١/١١٦.

وقبل الانتقال إلى مرتبة الإنكار بالقلب يجدر التنبيه إلى أن الإنكار باليد واللسان "محكوم بالقدرة عليه، مع مراعاة قاعدة المصالح والمفاسد، وترجيح خير الخيرين بفعل أعلاهما، ودفع شر الشرين بالتزام أدناهما، وهذا في الحوادث الواقعة المعينة"[(١)]. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيِّناً ذلك: "فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإن هذه حقيقة العلم بما جاءت به الرسل"[(٢)].

المطلب الثالث: الإنكار بالقلب.

الحديث الشريف يدل على أنَّه إن لم يستطع الإنكار بلسانه لوجود مانع، كخوف فتنة أو خوف على نفس أو عضو أو مال محترم أو شهر سلاح، فبقلبه ينكره وجوباً، بأن يكرهه، ويعزم أنَّه لو قدر بقول أو فِعْلٍ فعل، وهذا واجب عينيٌّ على كل أحد بخلاف الذي قبله، فأفاد الخبر وجوب تغيير المنكر بكل طريق ممكن فلا يكفي الوعظ لمن يمكنه إزالته بيده، ولا القلب لمن يمكنه باللسان، والإنكار بالقلب وهو الكراهية أضعف أعمال الإيمان المتعلقة بإنكار المنكر[(٣)].

(١) قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية — عابد بن عبدالله الثبيتي، ص٢٨٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/٦١٨.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم — ابن رجب ٢/٢٤٥.

وفي توضيح معنى قول ﷺ: "وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من إيمان"[1] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن مراده أنّه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، ليس مراده أنَّ من لم ينكر ذلك، لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: "ليس وراء ذلك"، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، وكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، لكن الأول لما كان أقدرهم، كان الذي يجب عليه أكمل مما يجب على الثاني، وكان ما يجب على الثاني أكمل مما يجب على الآخر، وعلم بذلك أنَّ الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم"[2].

ومما ينبغي إيضاحه هنا وهو ما قد يشكل على بعض الناس فهمه في هذه المسألة أن ليس المقصود بكون الإنكار باليد هو أعلى المراتب أن يبدأ به على الإطلاق، وإنما المقصود أنه أعلى منازل الإنكار وأعظمها، أما البدء في الإنكار فإنه يكون بالتعريف وبيان المنكر قبل تغييره باليد، فإن الواجب إظهار الإسلام والدعوة إليه بالعلم والبيان، قبل إظهاره باليد والقتال[3]، كما أنه يجب على المحتسب أولاً أن يذم المنكرات، ويبين ما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ٥٠، ١/٦٩، ٧٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ٧/٤٢٨.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر، و د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، و د. حمدان بن ناصر الحمدان، ١/٢٣٩.

فيها من الفساد والضرر، قبل الإنكار باليد ومعاقبة فاعلها. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأول ذلك - أي إنكار المنكر - أن تذكر الأقوال والأفعال على وجه الذم لها والنهي عنها وبيان ما فيها من الفساد، فإن الإنكار بالقلب واللسان قبل الإنكار باليد، وهذه طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار والفساق والعصاة من أقوالهم وأفعالهم"[1].

وأختم هذه الفقرة بالإشارة إلى أن الإنكار بجميع المراتب مرتبط بالعلم بالمنكر وبقبحه وبغضه لله، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وذلك - أي ذكر الأقوال والأفعال على وجه الذم لها والنهي عنها وبيان ما فيها من الفساد - مسبوق بالعلم بقبح ذلك وبغضه لله، وهذا العلم والقصد والبغض هو الإيمان الذي يثاب عليه، وهو أدنى الإيمان... وتغيير القلب يكون بالبغض لذلك وكراهته، وذلك لا يكون إلا بعد العلم به وبقبحه، ثم بعد ذلك يكون الإنكار باللسان، ثم باليد"[2].

وتفصيل الحديث عن الإنكار القلبي مبسوط في مباحث هذه الدراسة من جهة المفهوم، والضوابط، والثمرات، وما يتبعها من المسائل والقواعد.

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٣٣٨، وانظر: قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٨٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/٣٣٩، وانظر: قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٨١.

المبحث الأول

مفهوم الإنكار القلبي ومنزلته

المطلب الأول: معنى الإنكار والمنكر:

الإنكار لغة: ضد العرفان. يقال: أنكرت كذا، ونكرت، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، وذلك ضرب من الجهل. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾[1]. والمُنْكَرُ اصطلاحاً: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة، والإِنْكارُ: تغيير المنكر[2]، كما أن "المنكر هو الفعل المنكر، وهو الذي تستنكره العقول والفطر"[3].

المطلب الثاني: معنى الإنكار القلبي:

إذا أطلق الإنكار القلبي فإنه يعني كراهية الفعل بالقلب[4]، واستقباحه، وعدم الرضا به، وإن لم يحصل تغيير له، وهذا يعني أن الإنكار القلبي مقتصر على فعل القلب وعزمه ولا يتعداه إلى اللسان أو اليد، لكن ذلك لا يعني السلبية والرضا بالمنكر، وإنما يعني الرغبة في الإنكار وأنه لو قدر على التغيير لغيره[5]، ويعلم الله من قلبه أنه كاره لذلك المنكر[6]، وأنه

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني، ص٥٠٥، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز- أبو طاهر الفيروز آبادي، ٢/١٢٠، ١٢١.

(٣) مدارج السالكين – ابن القيم، ١/٣٧٧.

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٢.

(٥) انظر: غذاء الألباب، ص ٢٢٦.

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم – ابن رجب ٢/٢٤٥.

إنما لم يغير بيده ولسانه لكونه عاجزاً عن ذلك، أما من يرضى المنكر بقلبه، ويدعي عدم القدرة فلا يسمى منكراً بقلبه وإن ادعى ذلك.

المطلب الثالث: منزلة الإنكار القلبي:

ما سبق يبين لنا عظيم مترلة القلب وعلو شأنه في الإسلام، وأن المعول عليه، وأن صلاحه سبب في صلاح الجوارح، ودليل على إيمان صاحبه، كما جاء في الحديث الصحيح: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[1].

وقد بين النبي ﷺ مترلة الإنكار القلبي من بين مراتب الإنكار، فقد صح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[2]. فالإنكار فرض باليد واللسان من فروض الكفايات، إذا قام به طائفة سقط عن الباقين من الناس، وإن تركوه كلهم أثموا، كما أنه بحسب الطاقة[3]، وأما القلب فلا يسقط عن المنكِر بحال؛ إذ لا ضرر في فعله[4]، ومن لم يفعله فليس بمؤمن[5]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فمن لم يستحسن الحسن المأمور به، ولم يستقبح

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، رقم (٥٢) ١/٢٢، ٢٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم – ابن رجب ٢/٢٤٥.

(٤) انظر: قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٨٠.

(٥) انظر: الاستقامة – ابن تيمية، ٢/٢١٢.

السيئ المنهي عنه لم يكن معه من الإيمان شيء"[1] كما قال النبي ﷺ "وذلك أضعف الإيمان"، وقال: " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"، وبيَّن ابن النحاس رحمه الله هذه المسألة بقوله: "وأما الإنكار بالقلب وهو كراهة تلك المعصية وبغضها، فلا يسقط عن مكلف بوجه من الوجوه؛ إذ لا عذر يمنع منه. قال ابن مسعود رضي الله عنهما: بحسب امرئ إذا رأى منكراً لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله تعالى من قلبه أنه كاره له"[2]، والإنكار بالقلب لا يسقط عن المكلف، لأنه كراهة المعصية، وهذا في حق كل مكلف، فإذا لم يتمكن من الإنكار بلسانه لكن يمكنه التعبيس والنظر إلى صاحب المنكر شزراً[3] ليشعره بإنكار ما هو عليه وجب عليه ذلك، وإلا أنكر بقلبه وفارق صاحب المعصية[4].

ويجب أن يعلم المسلم أن الإنكار بالقلب لا يلجأ إليه إلا إذا لم يتيسر القيام بالمرتبتين السابقتين، أما مع إمكان الإنكار باليد أو اللسان فلا يجوز العدول إلى الأدنى حتى يستوفي الأعلى[5].

قال المرداوي رحمه الله مبيناً منزلة الإنكار القلبي من بين مراتب الإنكار:

وأضعفه بالقلب ثم لسانه وأقواه   إنكار الفتى الجلد باليد[6]

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٦٧/٨.

(٢) تنبيه الغافلين — ابن النحاس، ص ٣٠، ٣١.

(٣) هو نظرٌ فيه إعراض، أو نظر الغضبان بمؤخر العين. القاموس المحيط، مادة (شزر) ٥٣٢.

(٤) انظر: الموسوعة الكويتية، ٢٥١/٦.

(٥) انظر: حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني، بقلم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ص ٣٩، ٤٠.

(٦) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني ٢٢٥/١.

وتحدث ابن مفلح رحمه الله عن مراتب إنكار المنكر، وبيَّن أنه "فرض كفاية على من لم يتعيَّن عليه، وسواء في ذلك الإمام، والحاكم، والعالم، والجاهل، والعدل، والفاسق.. -إلى أن قال- وأعلاه باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب، وفي الحديث الصحيح: ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل"(١) .

وعندما تناول ابن رجب رحمه الله الكلام على حديث أبي سعيد رضي الله عنه السابق: "من رأى منكم منكرًا " بعد أن ساق عدة أحاديث قال: "فدلت هذه الأحاديث كلها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأما إنكاره بالقلب فلا بد منه، فما لم ينكر قلب المؤمن دلّ على ذهاب الإيمان من قلبه"(٢) . وقال بعد ذلك مبيناً أن الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال، "وأما الإنكار باليد واللسان فبحسب القدرة"(٣) .

وليس الإنكار القلبي خاصاً بالرجال فقط بل يشمل النساء أيضاً لأنه من شعائر الدين ويستوي فيها الذكر والأنثى(٤)، وقد تناول ابن القيم رحمه الله هذه المسألة بوضوح بقوله: "وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما. وتكلم يحيى بن معاذ الرازي يومًا في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) الآداب الشرعية، ١/١٨٤، ١٨٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٢٤٥.

(٣) المرجع السابق، ٢/٢٤٥.

(٤) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر - ابن حجر الهيتمي، ص١٧٠، و: المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة – د.أحمد أبابطين ١١٠- ١١٤.

المنكر، فقالت له امرأة: هذا واجب قد وضع عنا. فقال: هبي أنه قد وضع عنكن سلاح اليد واللسان، فلم يوضع عنكن سلاح القلب. فقالت: صدقت جزاك الله خيرًا"[(١)]، ومعلوم إن إنكار المرأة بقلبها على الرجال هو الغالب[(٢)].

ومما يحسن إيراده في هذا المقام ما ذكره الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في معرض بيانه لمراتب إنكار المنكر بقوله: "وحد الاستطاعة في الإنكار ألا يخاف المنكر سوطاً ولا عصاً، فحينئذ يجب عليه التغيير باليد، فإن خاف السوط في تغييره باليد ولم يخفه في النطق انتقل الوجوب إلى الإنكار باللسان، فإن خاف انتقل إلى الإنكار بالقلب، والإنكار بالقلب هو كراهية ذلك الفعل وتلك فريضة لازمة على كل حال. فإن قيل: فما وجه ضعف الإيمان ها هنا وما تعدى المنكر بالقلب الشرع؟ فالجواب من وجهين أحدهما: أن الإيمان إذا قوي في الباطن حرك الأعضاء بالعمل بمقتضاه فإذا ضعف اقتصر على العقيدة والباطن، والثاني أن الاقتصار على الإنكار بالقلب رخصة والإنكار باليد عزيمة والإيمان مشتمل على العزيمة والرخصة والرخص أضعف الأمرين فيه"[(٣)].

فتبين من هذا العرض للنصوص الشرعية وأقوال الأئمة رحمهم الله وجوب التدرج في إنكار المنكر، وأنه لا يجوز العدول عن المرتبة الأعلى

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤٢٨/٣.

(٢) درجات تغيير المنكر — د. عبدالعزيز المسعود، ص٣٥

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١٧٣/٢، ١٧٤.

إلا بعد العجز عنها، كما تبين لنا مترلة الإنكار القلبي، وأهمية القيام به، وأنه لا عذر لمؤمن في ترك الإنكار القلبي، وأنه لا يسقط عن المكلف بحال، إضافة إلى أن الخطاب بوجوبه يشمل الرجال والنساء على حد سواء.

المبحث الثاني

ضوابط الإنكار القلبي

الإنكار القلبي معلومة مترلته، وهو أمر شرعي جاء بـــه الـــدين الحنيف، وهو أحد مراتب الاحتساب وإنكار المنكر، وكل قد يدعي أنه يقوم بهذا الواجب ويعمل به، ولكن ليس كل من ادعى ذلـــك قبلـــت دعواه؛ إذ لا يتحقق الإنكار بالقلب، ولا تبرأ ذمة صاحبه إلا إذا توفرت وتحققت فيه ضوابط، أسوقها وفق المطالب التالية:

المطلب الأول: كراهية المحتسب للمنكر وبغضه بغضاً كاملاً:

وهذا الضابط يبين صدق المحتسب والمنكِر، ولكراهيـــة المنكـــر وبغضه علامات تدل عليه وتجعله إنكاراً شرعياً، وقد أشار العلماء رحمهم الله إلى شيء من هذه العلامات والأمارات.

ولا شك أن بغض المنكر يختلف بحسب حجمه وعظمه ونحـــو ذلك، فليست المنكرات والمحرمات على حد سواء فمنها ما هو كفر بالله سبحانه وتعالى، ومنها بدع مكفرة أو مفسقة، وهناك السبع الموبقات التي ورد فيها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : "اجتنبوا السبع الموبقات، قيل يا رسول الله وما هن، قال:"الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحـــف،

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"[1]، والكبائر التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كثيرة، وقد أفرد لها بعض العلماء كتباً[2]، وهناك ذنوب تناولها بعض العلماء الذين كتبوا في علم الحسبة، ونصوا على كونها من صغائر الذنوب[3].

والمقصود أن على القائم بالاحتساب، ومن لا يتمكن من إنكار المنكر إلا بقلبه أن يراعي هذا الضابط، وأن يعلم الله تعالى منه بغضه الشديد لهذا المنكر وكراهيته التامة له ولأهله، وأنه يتمنى أن لم يقع، وهذا دليل إيمان ومحبة لله تعالى وإخلاص؛ لأن القلوب لا يطلع على ما بها إلا علام الغيوب، فبغض المنكر وكراهيته برهان على إيمان صاحبه وإخلاصه[4].

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه المسألة بقوله: "وهذا يبين أن القلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات، كان عادماً للإيمان، والبغض والحب من أعمال القلوب"[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء، آية ١٠)، رقم ٢٧٦٦، ٣/٢٥٦، مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم ٨٩، ١/٩٢.

(٢) مثل: كتاب الكبائر للإمام الذهبي رحمه الله، وكتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي، وكتاب الكبائر للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وغيرها.

(٣) مثل: كتاب تنبيه الغافلين لابن النحاس رحمه الله.

(٤) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن عثيمين، ص ٣٦٣، ومحاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح الفوزان، ٢/٣٢٠، ودرجات تغيير المنكر – د.عبدالعزيز المسعود، ص٣٥.

(٥) مجموع الفتاوى، ٧/٥٥٧.

ولابن القيم رحمه الله كلام جميل يتعلق بمن يرون المنكرات ولا يبغضونها، ولا تحرك فيهم ساكناً، وبعضهم ممن يشار إليهم بالدين، إذ يقول رحمه الله في هؤلاء وأمثالهم: "وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟، وخيارهم المتحزن المتلمظ[1]، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. وهؤلاء - مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم - قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل. وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره أثراً "أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب كيف وفيهم فلان العابد؟ فقال: به فابدأ؛ فإنه لم يتمعر وجهه فيَّ يوماً قط"" [2].

---

(١) تلمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه، مختار الصحاح، مادة (ل م ظ) ص٦٠٤.

(٢) إعلام الموقعين، ٤٢٨/٣، ٤٢٩ وانظر: المجموعة العلمية للشيخ بكر أبو زيد، ص٩٣، ولم أعثر - بعد البحث في كتب السنة وغيرها - على تخريج لهذا الأثر، كما أن من نقله من المؤلفين والباحثين - حسب اطلاعي - لم يخرجه أيضاً.

المطلب الثاني: العزم والتربص على إزالته باللسان أو باليد متى تيسر له ذلك:

وهذا الضابط يعني عدم وقوف المنكِر بالقلب عند حد الكراهية والبغض للمنكر فقط، وإنما يعني قدراً زائداً يؤكد صدق المحتسب وغيرته على دينه، ألا وهو عزمه على أنه متى ما قدر على تغييره بيده أو بلسانه فإنه سيفعل ذلك ولا يرضى بأضعف الإيمان، وهنا على من رأى المنكر أن يبيِّت النية في قلبه ويتربص لتغيير المنكر بالرتبة الأعلى فور قدرته على ذلك[(١)]، " فإذا كره المؤمن المنكر ونوى بقلبه أنه لو قدر على تغييره لغيره كان في قوة تغييره له، فإنه يجب على كل مؤمن إيجاب عين، كراهة ما كرهه مولاه، ومحبة ما يحبه ويرضاه"[(٢)].

وتجدر الإشارة هنا إلى مسألة أراها مهمة، ألا وهي أن عدم الإنكار الظاهر من قبل بعض طلبة العلم أو الدعاة في مواقف لا يعني رضاهم بالمنكر، وإنما لأنه لم يتيسر لهم ذلك فيكتفي بالإنكار بقلبه لخوف الفتنة، ودرء المفسدة، والحفاظ على جماعة المسلمين ودمائهم، ومن الشواهد البارزة في ذلك قول حنبل[(٣)] رحمه الله: "اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبدالله، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا - يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك - ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال:عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ٢/٢٤٥.

(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ١/٢٢٦.

(٣) هكذا في الكتب التي أوردت أو نقلت هذا الشاهد.

طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بَرٌّ، أو يستراح من فاجر. وقال: ليس هذا بصواب، هذا خلاف الآثار"[1].

وقد يحصل منكرات في بعض المجتمعات التي لا تحكم بشرع الله تعالى، أو تنتشر فيها مظاهر الشرك، ويعجز العالم ونحوه عن إظهار إنكاره، لكنه عازم ومتربص على إزالته بيده أو بلسانه متى تيسر له ذلك، ولذا يجب إحسان الظن بهم، وعدم الظن السيئ بهم، وقد أشار الإمام الصنعاني رحمه الله إلى هذه المسألة عندما تطرق إلى سكوت العلماءِ عن المظاهرِ الشركيةِ والبدعية عند المشاهد والقبور، وأنه لا يعني الرضا والإقرار، فقد يتعذَّرُ عليهم الإنكارُ باليد وباللسان، و لم يبق لهم إلاَّ الإنكارُ بالقلب، قال رحمه الله: "فما كلُّ سكوتٍ رضا؛ فإنَّ هذه منكراتٌ أسسها من بيدهِ السيفُ والسنان، ودماءُ العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحتَ قولهِ وكلامه، فكيف يقوى فردٌ من الأفراد على دفعهِ عمَّا أراد "[2]. وبيَّن رحمه الله في موضع آخر أنه يجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً على الإنكار في بعض المواقف أن يعتقد أنه تعذر عليه الإنكار باليد واللسان، وأنه قد أنكر ذلك المنكر بقلبه، فإن حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن أمر مطلوب ومؤكد[3].

---

(١) الآداب الشرعية — ابن مفلح، ١٩٦/١، وانظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة — عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم، ص٩.

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص٣٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٨.

المطلب الثالث: مفارقة مكان المنكر واعتزال أهله:

وهذا الضابط قد جاءت به النصوص الشرعية وأكدت عليه؛ لأنه برهان على صدق صاحبه في الإنكار القلبي، لا سيما وأنه لا يترتب على مفارقته لمكان المنكر أو لأهله ضرر عليه في الغالب، كما أن فعله ذلك من شأنه أن يجعل فاعل المنكر يراجع نفسه، ويفكر في الخطأ الذي وقع فيه، ويدعوه إلى أن يحاسب نفسه، ويسألها عن سبب مغادرة ذلك الرجل لمكان المنكر وأهله، مما يكون سبباً في التوبة والرجوع إلى الله والإقلاع عن هذا المنكر واعتزال مقترفيه.

وقد جاء في كتاب الله تعالى أمر كريم مؤكّد لمن رأى من يقعون في المنكر بالإعراض عنهم وعدم مشاركتهم في منكرهم حتى لا يكون منهم ويصيبه ما أصابهم فقد قال ربنا جل وعلا: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (١) قال القرطبي رحمه الله في تفسير ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ "فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لا يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها؛ فإن لم يقدر على النكير فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

الآية. وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه أخذ قوما يشربون الخمر، فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ "[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكور ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها. والحاصل أنَّ من حضر مجلساً، يُعصى الله به فإنَّه يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة، أو القيام مع عدمها"[٢].

وحديث جابر رضي الله عنه، وفيه: قال: قال رسول الله ﷺ: "...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر"[٣] يدلنا على تحريم الجلوس في الموضع الذي يفعل فيه المنكر بدون الإنكار على فاعليه، إذ من علامة إنكاره بالقلب مفارقة المكان عند عدم القدرة على إنكاره باليد أو باللسان، "وهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة، مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر، لا يجيب دعوتهم وأمثال ذلك، بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم أو حضر بغير اختياره"[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٥/٢٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٧٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم ١٤٦٥١، ٢٣/١٩، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل، رقم ١٩٤٩، ٦/٢.

(٤) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٤.

فدل على تحريم الجلوس في مكان المنكر بدون إنكار له، وأنَّ من علامات الإنكار بالقلب المتضمن لأقل درجات الإيمان مفارقة مكان المنكر. والله أعلم

وعدم انصراف المسلم عن المكان الذي وقع فيه المنكر يعرضه للوم والعقوبة؛ ويجعله محل التهمة، وإن ادعى خلاف ذلك وحاول التخلص؛ ولهذا قيل: من أوقع نفسه مواقع التهم فلا يلومن من أساء به الظن، وإذا كان تجنب أصحاب المعاصي واجباً فتجنب أهل البدع والأهواء من باب أولى وأحرى[(١)].

ويجدر التأكيد على أن الحكم المذكور آنفاً في حق من لا يستطيع إنكار المنكر باليد أو باللسان، أما من يستطيع ذلك، ويأمن على نفسه الضرر فواجب عليه أن يقوم بالواجب ويمتثل الأمر، ولو تقاعس المصلحون عن الإنكار لفشت المنكرات، وعمت المعاصي والموبقات، ولهذا قال ابن عطية رحمه الله:"والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه، ونهى بمعروف، وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه، ففرض عليه الإنكار بقلبه وألا يخالط ذا المنكر"[(٢)].

وقد نص أهل العلم على النهي عن حضور أماكن المنكرات إلا لعذر شرعي، أو مصلحة راجحة، ولا يترك واجب الاحتساب لمجرد رؤية

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٥/٢٦٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤/٥٣٦، ٥٣٧.

المنكر، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار، إلا لموجب شرعي، مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه ولا بد فيه من حضور، أو يكون مكرهاً"[(١)].

"بل ورد في الحديث أن المستمع للغيبة أحد المغتابين فمن حضر الغيبة وجب عليه أحد أمور: الرد عن عرض أخيه ولو بإخراج من اغتاب إلى حديث آخر، أو القيام عن موقف الغيبة، أو الإنكار بالقلب، أو الكراهة للقول. وقد عد بعض العلماء السكوت كبيرة لورود هذا الوعيد، ولدخوله في وعيد من لم يغير المنكر، ولأنه أحد المغتابين حكماً وإن لم يكن مغتاباً لغة وشرعاً"[(٢)].

"وإذا كانت المصلحة في بقائه في الوسط الذي فشا فيه المنكر أرجح من المفسدة، و لم يخش على نفسه الفتنة؛ بقي بين من يرتكبون المنكر مع إنكاره حسب درجته، وإلا هجرهم محافظة على دينه"[(٣)].

إذاً فالأصل المنع من حضور الأماكن التي يوجد فيها منكرات إلا من حضر لموجب شرعي، ويتمثل ذلك فيما يلي:

الأول: من حضر لإنكار هذا المنكر.

الثاني: من حضر لحاجة دينية أو دنيوية لا بد فيها من حضوره.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٣٩.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام – محمد بن إسماعيل الصنعاني، ٤/٤٠٠، ٤٠١.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٢/٣٣٥.

الثالث: من حضر مكرهاً، أو خائفاً من حصول ضرر على نفسه أو ماله فحضر ليدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما.

قال شيخ الإسلام رحمه الله جواباً لمن سأله عن حضور أماكن الفرجة التي فيها منكرات ولا يقدر على إزالتها: "ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار، إلا لموجب شرعي، مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه لا بد فيه من حضوره، أو يكون مكرهاً"[(١)].

ومن هنا يعلم أن الجلوس في أماكن المنكرات على افتراض كراهية القلب لها مخالف لمفهوم الإنكار بالقلب الذي يعني اقتران البغض القلبي للمنكر، بالمفارقة الجسدية للمكان الذي يوجد فيه ذلك المنكر، ما لم يتعذر عليه مفارقة المكان كما ذكر سابقاً[(٢)].

المطلب الرابع: أن يتمعَّر[(٣)] وجهه على أصحاب المنكرات:

الظاهر عنوان الباطن، فمن كره المنكر بقلبه عليه أن يبدي ذلك في وجهه، فيمعره ويقطبه في وجوه أصحاب المنكر إن لم يخش بأسهم، مع مراعاة جلب المصالح ودرء المفاسد.

وهذه العلامة من أقوى الدلائل على كراهية القلب لهذا المنكر، وقد يكون لها أثرها في إزالته بالكلية أو التقليل منه، لا سيما لمن كان في

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣٩/٢٨، وقواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٩١، ٢٩٢.

(٢) انظر في هذه المسألة: تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الشيخ عبدالله بن صالح القصير، ص٤٨.

(٣) معَّر وجهه: غيره غيظاً فتمعر. القاموس المحيط – الفيروز آبادي، مادة (معر) ص٦١٤.

قلبه حياة وإيمان وإدراك للخطأ. ومعلوم أنه "لا يسقط الإنكار بالقلب عن المكلف باليد أو اللسان أصلاً، إذ هو كراهة المعصية، وهو واجب على كل مكلف، فإن عجز المكلف عن الإنكار باللسان وقدر على التعبيس والهجر والنظر شزراً لزمه، ولا يكفيه إنكار القلب، فإن خاف على نفسه أنكر بالقلب واجتنب صاحب المعصية. قال ابن مسعود رضي الله عنه: جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا :إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا"(١).

ولهذا قرر العلماء أن من لم يكفِّر الكفار أوشك في كفرهم فقد كفر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾(٢).

كما عدَّ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ذلك من نواقض الإسلام حيث قال رحمه الله:"من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر"(٣).

لكن يتنبه من ينكر المنكر بقلبه في حال التعبيس وتقطيب الوجه أمام صاحب المنكر أن يراعي المصلحة الشرعية، وما يؤول إليه عمله، ومدى نفعه لصاحب المنكر، وأن يعلم أن الأصل في الإنكار هو اللين والرفق بفاعل المنكر؛ لأن المحتسب رحيم بالمحتسَب عليه يريد الخير له، كما أن الشريعة جاءت بالرفق واللين في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٦/٢٥١، وانظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ص١٧٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٢ .

(٣) كتاب مجموعة التوحيد، ص٣٢.

والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على **ما سواه**"[2]، ولا يعدل عن الرفق إلى العنف إلا عند الضرورة، كما يحذر المنكر بقلبه من "أن يغضب فيبقى إنكاره لنصرة نفسه، أو يسترسل لما يحرم فينقلب الثواب عقاباً"[3]، وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً عن النبي ﷺ قال: **"إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه"**[4]، فيؤكد على الأخذ بالرفق وعدم الاستعاضة عنه بغيره إلا عند الحاجة أو الضرورة، لا سيما إذا تبين للمحتسب أن فاعل المنكر فعله جهلاً منه، أو لهوى وضعف إرادة، وكذلك الشأن في الوعظ والإرشاد أو التخويف، وفي حال عدم نفع الرفق فيلجأ إلى الشدة لا سيما مع جسامة المنكر، والعبرة بالمصلحة وتخليص فاعل المنكر من معصيته بأسهل ما يمكن[5].

وهنا مسألة أحب الإشارة إليها تتعلق بما نحن فيه، وهي أنه لا يشترط في الإنكار القلبي ظن التأثير، وفي هذه المسألة يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: "...وبهذا تعرف أن اشتراط ظن التأثير إنما هو في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم ٢٥٩٣، ٤/٢٠٠٣، ٢٠٠٤.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ص١٧٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم ٢٥٩٤، ٤/٢٠٠٤.

(٥) انظر: أصول الدعوة- د.عبدالكريم زيدان، ص١٩٩.

الإنكار باليد، ثم في الإنكار باللسان، وأما الإنكار بالقلب فهو فرض على كل مسلم، ولا يحتاج إلى تقييده بظن التأثير لأنه أمر كائن في القلب لا يظهر في الخارج ولا يحصل به تأثير"[1].

ومما يحسن التنويه عنه في هذا المقام، أن المنكِر بقلبه يراعي حال المنكَر قوة وضعفاً، فلا يصدر منه ما يشعر فاعل المنكر بعظم الذنب وكبره وهو ليس كذلك، وأن يراعي عدم تنفير فاعل المنكر، وإنما يشعره بما يدل على إنكاره لذلك المنكر بما يناسب الحال، ويؤدي إلى شعور فاعل المنكر بخطئه وتقصيره، وقد يكون في ذلك تأليف لقلبه، وترغيب له في الخير، وتنبيه على الخطأ بأسلوب حسن وحكيم يزول به المنكر بلا منكر.

وإذا كان المرء مأموراً بأن يقول التي هي أحسن، فمطلوب منه أن تظهر عليه علامات الإنكار القلبي بالتي هي أحسن؛ لأن المقصود زوال المنكر أو التخفيف منه ما أمكن، لا حصول الحرج على المنكر عليه، أو إحداث الضيق في قلبه، وإدخال الشقاء إلى نفسه، والأمور بمقاصدها، فقد يقصد المنكِر مضايقة فاعل المنكر بنظراته الحادة، وتمعر وجهه انتقاماً منه وإحراجاً له أمام الناس؛ فيعاقب بنقيض قصده، والحكمة مطلوبة على كل حال، والله المستعان.

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ٥٨٧/٤ .

المبحث الثالث

ثمرات الإنكار القلبي

الإنكار القلبي من الأوامر الشرعية التي يترتب على امتثالها والقيام بها ثمرات وفوائد جليلة؛ ذلك أن الله تعالى قد وعد من امتثل أمره بالجزاء الحسن، والعاقبة الحميدة، فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] ويمكن بيان هذه الثمرات من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: تحقيق امتثال أمر الله تعالى ورسوله ﷺ:

إن إنكار المنكر كما سبق من الواجبات الشرعية، والقيام به يعد امتثالاً لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، حيث أمر الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] وقال ﷺ: " من رأى منكم منكراً..."[3]، ومن أنكر بقلبه فقد أدى ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وحصل بذلك على وصف التقوى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٣) سبق تخريجه.

المطلب الثاني: حصول الفلاح والثواب للقائم بالإنكار القلبي.

وعد الله تعالى من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر بالفلاح، فقال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

أي " المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب. ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس، عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهوهم عن المنكرات، فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة"[2].

وقد أمر الله تعالى بالتقوى حسب الاستطاعة، ومن فعل ما يجب قدر استطاعته فإنه مأجور، ومن عجز عن فعل ما أمر به فهو معذور؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[3]، وجاء في السنة قوله ﷺ: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم"[4].

وحصول الفلاح ثمرة عظيمة من ثمرات الإنكار القلبي، وحري بالمؤمن ألا يفرط في هذا الثواب العظيم في مقابل عمل يسير لا يكلفه

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص١١٢.

(٣) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٤) سبق تخريجه .

عناء ولا مشقة، ولكنه عنوان الإيمان والتقوى، "ويلاحظ هنا أن الثواب يكون كاملاً إن شاء الله تعالى إذا كان المحتسب ينكر المنكر بقلبه، ويكرهه كراهية تامة، ويفعل لإزالته بقدر استطاعته"[(١)].

المطلب الثالث: أن القائم بالإنكار القلبي يطلق عليه وصف الإيمان

وهذا من أعظم الثمرات وأجلها؛ لأن المسلم يخشى أن يسلب وصف الإيمان منه، وما دام اسم الإيمان باقياً في حق المنكِر بقلبه فهذا مطلب عظيم، وتسميته بأضعف الإيمان دليل على ذلك، كما أن وصفه بأنه ليس وراءه من الإيمان حبة خردل يعني بقاء الإيمان في حق القائم به، "وقوله ﷺ في الذي ينكر بقلبه: "وذلك أضعف الإيمان"، يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان، ويدل على أن من قدر على خصلة من خصال الإيمان وفعلها، كان أفضل ممن تركها عجزاً عنها"[(٢)].

المطلب الرابع: براءة الذمة.

بقيام المؤمن بالإنكار القلبي الذي لا يسعه القيام إلا به، تحصل له براءة الذمة من ترك الإنكار، وهذا من أعظم الثمرات والمقاصد الشرعية، لا سيما لمن لم يقدر على إنكار المنكر بيده أو بلسانه، إذ بكراهية القلب للمنكر تبرأ ذمة المحتسب فعن العُرْس بن عميرة الكندي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا عُمِلتِ الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها - وقال

(١) أصول الدعوة- د.عبدالكريم زيدان، ص١٩٧.

(٢) جامع العلوم والحكم - ابن رجب ٢/٢٥٣.

مرة: أنكرها - كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها"[1].

قال الشيخ أبو الطيب آبادي رحمه الله في معنى قوله "كمن غاب عنها": "أي في عدم لحوق الإثم له، وهذا في من يعجز عن إزالتها بيده ولسانه، والأفضل أن يضيف إلى القلب اللسان فيقول: اللهم هذا منكر لا أرتضيه قاله العزيزي"[2].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "فمن شهد الخطيئة فكرهها في قلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها و لم ينكرها، لأنَّ الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب، وهو فرض على كل مسلم، لا يسقط عن أحد في حال من الأحوال"[3].

ولا يقتصر على الإنكار القلبي إلا ضعيف الإيمان، لكن إنكاره بالقلب مع عدم استطاعة الإنكار باليد أو اللسان مسقط للإثم عنه[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٤٥، ٥١٥/٤، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، رقم ٦٨٩، ١٧٩/١.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٣٦/١١.

(٣) جامع العلوم والحكم، ٢٤٥/٢.

(٤) انظر: تنبيه الغافلين، ص٢٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أما بعد:

فقد يسر الله - بمنه وكرمه - إتمام هذا البحث، وأرجو أن أكون موفقاً ومسدداً في عرض مسائله، والاستدلال، وحسن العرض، وقد توصلت من خلال البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها:

١- عظم منزلة الإنكار القلبي، وأنه فرض عين لا يسقط عن أحد من المكلفين بحال، ولا تشترط فيه الاستطاعة بخلاف الإنكار باليد واللسان.

٢- أن المقصود من كون الإنكار القلبي أضعف الإيمان، أنه أقل ثمرة، والمقصود بأن ليس وراءه من الإيمان حبة خردل، أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، وهذا يؤكد على المؤمن العناية بتحقيقه، وعدم الإخلال به .

٣- أن الإنكار القلبي إذا أطلق فإنه يعني كراهية الفعل بالقلب، واستقباحه، وعدم الرضا به، وإن لم يحصل تغيير له.

٤- أنه مع إمكان الإنكار باليد أو اللسان فلا يجوز العدول إلى الأدنى حتى يستوفي الأعلى، ومن ذلك الإنكار القلبي فإنه لا يلجأ إليه إلا عندما لا يتمكن من الإنكار باليد أو باللسان.

٥- كون الإنكار باليد هو أعلى المراتب، لا يعني أن يبدأ به على الإطلاق، وإنما المقصود أنه أعلى منازل الإنكار وأعظمها، أما البدء في الإنكار فإنه يكون بالتعريف، وبيان المنكر قبل تغييره باليد.

٦- أن الإنكار بجميع المراتب مرتبط بالعلم بالمنكر، وبقبحه وبغض الله تعالى له، لا باستحسان العقول أو بالتشهي.

٧- أن للإنكار القلبي ضوابط لا بد من تحققها، منها كراهة المنكر وبغضه، وحصول ما يدل على كراهية المنكر، مع مفارقة مكان المنكر إن لم يترتب على مفارقته منكر أكبر منه.

٨- أن للإنكار القلبي ثمرات عديدة يجنيها القائم به من أهمها: حصول الأجر، وبراءة الذمة، وأنه يطلق على صاحبه وصف الإيمان.

وقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى جملة من التوصيات، وتتمثل فيما يلي:

١- الحاجة إلى مزيد من الدراسات التأصيلية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لتجلية كثير من المسائل العلمية في هذا المجال، ومنها ما يتعلق بضوابط الإنكار القلبي.

٢- دعوة الأقسام المتخصصة في الدعوة والحسبة ومراكز البحوث الدعوية إلى جمع وتصنيف الدراسات والأبحاث العلمية المتعلقة بمراتب الاحتساب، والوصول إلى منهج شرعي واضح في التطبيق العملي لها.

المراجع

١. الآداب الشرعية، أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣. الاستقامة – شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤. أصول الدعوة- د.عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تعليق وتخريج: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١، ١٤٠٤هـ، بدون دار نشر.

٧. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: عبدالعظيم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٨. التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية، ومعها شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي، الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، طبع على نفقة محمد عبدالرؤوف المليباري، صاحب المكتبة السلفية بالرياض، مطبعة المدني، مصر، ط٢، ١٣٨٠هـ.
٩. تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبدالله القصير، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
١٠. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحكمة للطباعة والنشر، سورية، ط١، ١٤٢٥هـ-١٩٩٤م.
١١. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، عناية: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٣. جامع العلوم والحكم - أبو الفرج عبدالرحمن ابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، بدون طبعة.

١٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر، و د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، و د. حمدان بن ناصر الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٦. حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي، بقلم الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، ط٣، ١٤٢٥هـ، بدون دار نشر.

١٧. الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، د.فضل إلهي، دار ترجمان الإسلام، باكستان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٨. درجات تغيير المنكر، د. عبدالعزيز المسعود، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ.

١٩. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، بدون دار نشر.

٢٠. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد بن علان الصديقي، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٢١. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن حجر المكي الهيتمي، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٢٢. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه: فواز أحمد زمزلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٦، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٢٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٩٤-١٩٧٤م.
٢٤. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٢٥. شرح الأربعين النووية، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار الثريا للنشر، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٦. صحيح البخاري البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٨. صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، إشراف زهير الشاويش، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٩. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٣٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بدون طبعة ولا تاريخ.

٣١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٢. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٣. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حقق أصلها الشيخ عبدالعزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣٥. الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد عبدالرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٣٦. القاموس المحيط، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣.
٣٧. قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية، عابد بن عبدالله الثبيتي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
٣٨. الكبائر، الإمام محمد بن عبدالوهاب، حققه وخرج أحاديث وعلق عليه: أ.د. باسم فيصل الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٩. كتاب الكبائر، الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد، تحقيق وتعليق: محيي الدين نجيب، وقاسم النوري، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بدون دار نشر.
٤٠. كتاب مجموعة التوحيد، تأليف أئمة الهدى شيخي الإسلام: أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣.

٤١. كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، بدون رقم طبعة.

٤٣. المجموعة العلمية، الشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٤. محاضرات في العقيدة والدعوة، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، طبع بإشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية و الإفتاء، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني، الدوحة ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، بدون دار نشر.

٤٦. مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر الرازي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٤٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٨. المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة — د.أحمد بن محمد أبابطين، دار عالم الكتب الرياض، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩٣م.

٤٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف د. عبدالله التركي، وتحقيق عدد من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥٠. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة — عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥١. المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٥٢. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات	الصفحة
١	السمات الفكرية والتكوين المعرفي لدعاة الباطل المعاصرين (د.محمد بن خالد البداح)	٥
٢	مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي (د.لولوة بنت سليمان الغنام)	٥٩
٣	زينة المرأة الداعية وضوابطها الشرعية (د.أسماء بنت عبدالعزيز الداود)	١٢٥
٤	المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن في العصر الحاضر (د.الجوهرة بنت صالح الطريفي)	١٩٧
٥	ضوابط الإنكـــــار القلبي وثمراته (د.خالد بن راشد العبدان)	٢٦٥
٦	فهرس الموضوعات	٣١٥

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١) تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.

٢) تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.

٣) تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية.

٤) تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.

٥) تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

بصيرة

مطابع الجامعة

ردمك : ٣٨٨٤ - ١٦٥٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

الجمعية السعودية
للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد السادس
محرم ١٤٣٤هـ

العدد
السادس
محرم
١٤٣٤هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة

الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد السادس

محرم ١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمد: ٣٨٨٤ - ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

قواعـــد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية- والانجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراســـــلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١١- ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

البحث رقم (١)

أهمية فقه الموازنات لدى الداعية
دراسة تأصيلية

إعداد

د.زينب بنت عبد الله الراجحي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الناصح الأمين نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد:

لا شك أن لهذا الموضوع أهمية بالغة، فلقد عظمت الحاجة إليه في كل زمان، ولاسيما في هذا العصر؛ حيث زيادة المستجدات، وكثرة الوقائع والنوازل، وتداخل المصالح والمفاسد وتجاذبها في حياة الناس، فمدار الشرع والواقع مبني على المصالح و المفاسد، فما من مسألة صغيرة أو كبيرة إلا وهي مبنية على المصالح والمفاسد.

وحيث إننا نعيش اليوم في واقع يختلف كثيراً عن واقع الأمس، وذلك نتيجة للمتغيرات السريعة والمتلاحقة؛ الأمر الذي يتطلب معه التفكير والدراسة وحسن التعامل مع الواقع لا سيما من قِبل الداعية؛ لكثرة اختلاطه بالناس على اختلاف أجناسهم وتباين ثقافاتهم، ففقه الموازنات يحتاج إلى دراسات متتابعة في جوانبه التطبيقية، لاسيما عند النوازل والمستجدات التي تحتم ترجيح المصالح ودرء المفاسد وفق معايير دقيقة؛ وسوف أقوم من خلال هذا البحث على تأصيل هذا الفقه المهم والذي سأتناول فيه:

١- مفهوم فقه الموازنات وأدلته الشرعية .

٢- منهج الصحابة وسائر السلف الصالح في فقه الموازنات .

٣- أهمية فقه الموازنات للداعية .

٤- ثمار العمل بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه.

التعريف بمصطلحات البحث:

١ - تعريف الفقه:

كلمة الفقه في اللغة:الفهم، وقيل: هو الفطنة، أي: المهارة والحذق في التوصل إلى النتائج من المقدمات، يقال: فَقُه الرجل فقاهة إذا صار فقيهاً، وفَقِه: أي فهم فقهاً، ورجل فقيه: أي عالم [١].

وغلب على فقه الدين؛ لسيادته، وشرفه وفضله على سائر العلوم[٢].

وهناك من العلماء من يرى أن الفقه أخص من العلم، قال الراغب الأصفهاني: الفقه هو: التوصل إلى علمٍ غائبٍ بعلم شاهد؛ فهو أخص من العلم [٣].

أما الفقه اصطلاحاً فهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية.

فلما كان هذا العلم مستنبطاً من أدلة التشريع الإسلامي التي أساسها كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، أطلق على هذا الفقه بأنه فقه إسلامي، أي أن التشريع الإسلامي هو مصدره ومستنده.

وكلمة (فقه) التي أنا بصدد الحديث عنها هي الخاصة بمن بلغ درجة عالية في علم ما تخصص به، فكل علم من العلوم المختلفة فيه أصول تُبنى

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، د.ط[مكتبة نزار: د.م د.ت] ص٤٠.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، ط٨[بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ]، ١/١٢٥٠،وانظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون،د.ط [د.م: دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وانظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (فقه)، ١١/٢٦٥.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٠.

عليها مسائله الفرعية، فمن فهم هذه الأصول جيداً سهُل عليه معرفة ما يتفرع منها في ذلك العلم، وإن كانت مسائل جديدة، وذلك لتمكنه من رد المسائل لأصولها .

٢- معنى الموازنات:

الموازنة في اللغة: مشتق من الفعل وازن، قال ابن منظور في لسان العرب: وازنت بين الشيئين موازنة ووزاناً، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه .[١]

وأما استعمال هذا اللفظ عند الفقهاء: فيكون فيما يقع فيه التعارض بين المصالح والمفاسد، حيث يقدم خير المصلحتين عند تزاحمهما فيجلب خيرهما، ويقدم شر الشرين فيدفع، وكذا تقدم المصلحة إذا كانت أعظم من المفسدة، وتدفع المفسدة إذا كانت أعظم من المصلحة عند التعارض وعدم إمكان الجمع .

أما إذا تساوت المصالح والمفاسد وهذا ما يُسمى بالتساوي الظاهري أو التقريبي، فيقول الإمام العز - رحمه الله- "والوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عزيز، ولا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى، والوقوف على التساوي أعز من الوقوف على التفاوت، ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب "[٢].

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (وزن)، ١٥/٢٠٦ .

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- ١/٧-

٣- الداعية:

الداعية في اللغة: مفرد دعاة، وهو الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة [١] .

والداعي اصطلاحاً: هو المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله [٢] .

٤- معنى تأصيل:

للوقوف على المراد بهذه العبارة، اقتضى البحث الرجوع إلى المعاجم اللغوية وكتب التعاريف حيث ورد فيها ما يوضح معنى التأصيل.

فالتأصيل مأخوذ من الأصل وهو: الأساس، قال ابن منظور-رحمه الله- الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه: أصول، والألف والصاد واللام أصل يدل على أساس الشيء، و أَصَّلْتُهُ تَأْصيلاً: جعلت له أصلاً ثابتاً يبنى عليه غيره، وأَصَّلَ الشيء: جعل له أصلاً ثابتاً يبنى عليه[٣].

ومن خلال ما سبق يكون معنى التأصيل اصطلاحاً: إرجاع القول و الفعل إلى أصل و أساس يقوم ويُبنى عليه .

ولا شك أن القرآن والسنة هما أصل العلوم وأساسه، فالتأصيل هو بيان الأصل من كتاب الله ﷻ، أو من سنة رسوله ﷺ، أو من سنة الخلفاء الراشدين ﭪ .

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار بخيت،ط١ [القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ] ص٧٤٩ .

(٢) أصول الدعوة، د.عبد الكريم زيدان، ط٢[بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ] ص٣٠٥.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ط١[بيروت: دار صادر،د.ت] مادة: أصل، ١/٥٤، وانظر مختار الصحاح، محمد الرازي، تحقيق: محمود خاطر، د.ط [بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ]، ١/٦٢.

مما سبق يتضح أن فقه الموازنات: هو العلم والفهم الذي يُمكِّن الداعية من الموازنة بين المصالح والمفاسد، أو بين المصالح نفسها، أو بين المفاسد لتكون دعوته على بصيرة .

وقد عبر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن هذا بقوله: "وإنها ترجح -أي الشريعة- خير الخيرين، وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين، بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما "(١).

أهمية الموضوع:

يحقق هذا الموضوع كمال الشريعة وشمولها لحياة الناس، ورعايتها لمصالحهم، وحفظها لحقوقهم، ومسايرتها لمستجداتهم، فأصبح هذا الموضوع مدار الاجتهاد.

فالشريعة الإسلامية مبنية على اليسر ورفع الحرج، وأدلة ذلك غير منحصرة، فاستقراء أدلة الشريعة قاض بأن الله ﷻ جعل هذا الدين رحمة للناس، بما يحويه من يسر ورحمة، كما أن أصل بعثة رسول الله ﷺ مبنية على الرأفة، والرحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢) ولهذا جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس ﷺ قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أيّ الأَدْيَانِ أَحَبّ إِلَى الله ﷻ ؟ قال: " الحنيفية السمحة ".(٣)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية-رحمه الله- د.ط [المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ] ٤٨/٢٠ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧) .

(٣) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣ [بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ]، ١٠٨/١. والحنيفية ملة إبراهيم ﷺ، والحنيف في اللغة: من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفا لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأن أصل الحنف الميل، والسمحة: السهلة، أي: أنها =

ولا شك أن الإسلام أتى لتحقيق مصالح العباد، وتلبية احتياجاتهم، وفقه الموازنات يبين بجلاء شمولية الإسلام، ومدى تلبيته لمتطلبات مناحي الحياة المختلفة، لا سيما في النوازل والقضايا المستجدة، ومنها القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدعوية والطبية وغيرها .

ولأهمية فقه الموازنات فقد اهتم العلماء بالتأليف فيه قديماً، ولعل الإمام العز بن عبد السلام هو أبرز من ألف في هذا الموضوع في كتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، كما نال هذا الموضوع رعاية العلماء، وعنايتهم الفائقة به، فقد وضعوا له الضوابط، ورسموا المنهج وأسسوا القواعد، وبنوا عليه فتاواهم وأقضيتهم وأحكامهم، وسائر تصرفاتهم .

وقد حاولت المساهمة بالبحث والكتابة فيه بأسلوب علمي ومنهجي، وجاءت دراستي لفقه الموازنات مبينة لمفهوم هذا الفقه وتأصيله، وبيان مشروعيته ومدى الحاجة إليه لا سيما في الدعوة إلى الله، وبيان المنهج الذي سار عليه الصحابة الكرام والسلف الصالح ﷺ في فقه الموازنات ليأخذ به الدعاة وليقتفوا أثرهم؛ ليكونوا على منهج سلفي سليم، كما بينت ثمار العمل به والمفاسد المترتبة على تركه .

= مبنية على السهولة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾.
انظر: فتح الباري،الحافظ ابن حجر -رحمه الله- ترقيم وترتيب:محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، د.ط [دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ] ١٧/١.فملة الإسلام هي التي كان عليها إبراهيم عليه السلام، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين باتباعها، فقال ﷻ: ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

أهـداف البـحث:

١- بيان مفهوم فقه الموازنات وأدلته الشرعية .

٢- بيان المنهج الذي سار عليه الصحابة والسلف الصالح في فقه الموازنات .

٣- بيان أهمية فقه الموازنات في حياة الداعية .

٤- بيان ثمار أخذ الداعية بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه .

منهـج الدراسـة:

سوف تقوم الباحثة -بإذن الله تعالى- باستخدام المنهج الاستقرائي من خلال حصر كافة الجزئيات المتعلقة بموضوع البحث، ويعرف هذا المنهج بأنه: (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً) أو هو: (انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي، الذي يدخل الجزئي تحته)[(١)] .

ولا غنى للباحثة عن المنهج الاستدلالي؛ وذلك لأن هذه الدراسة تأصيلية، ولا بد من الاستدلال بالكتاب والسنة، وعرض ما طبقه الصحابة الكرام ﷺ والتابعون لهم بإحسان

ويعرف المنهج الاستدلالي بأنه: (ربط العقل بين المقدمات والنتائج أو بين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني؛ فهو يبدأ بالكليات ليصل إلى الجزئيات)[(٢)].

---

(١) ضوابط المعرفة، د. عبد الرحمن حنبكة الميداني، ط٢٢ [د.م: دار المعرفة، ١٤٠١هـ]، ص١٩٠ .

(٢) البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ط١ [جدة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ] ص٤٩.

وهناك مجموعة من الضوابط التي سوف تلتزم الباحثة أثناء هذه الدراسة، وهي على النحو التالي:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، وقد جعلت

ذلك في الهامش، مبتدئة باسم السورة، ثم رقم الآية .

٢- الحرص على تقديم ما في الصحيحين من أحاديث عما سواهم، وإذا ورد الحديث في غير الصحيحين، فإنني أقوم بتخريجه، واجتهدت في بيان الحكم عليه .

٣- توثيق النقول من المصادر الأصيلة، ولا أقدم المتأخر إلا عند الحاجة لذلك، والحرص على تعدد المصادر في المعلومة الواحدة ما أمكن ذلك.

٤- قمت بعمل الهوامش حسب قواعد البحث العلمي، مراعية عند النقل من أي مصدر أو الاستفادة منه الإشارة إلى اسم الكتاب أولاً، فالمؤلف، فالمحقق إن وجد، ثم رقم الطبعة، ومعلومات النشر وهي: بلد النشر، ثم الناشر، وتاريخ النشر وتكون بين قوسين، وفي حالة عدم ذكر بلد النشر أشير بالرمز: د. م، أو الناشر بالرمز د. ن أو تاريخ النشر بالرمز د.ت، ثم رقم الجزء والصفحة يفصل بينهما بالخط المائل (/)، وإذا تكرر ذكر المصدر، اقتصر على ذكر الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، وإذا نقلت الباحثة المعلومة بالمعنى أو تصرفت فيها بإضافة أو حذف، بدأت التوثيق بعبارة (انظر) .

تقسيم البحث

المقدمة وتحوي خطة البحث المشتملة على

١. التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

٢. أهمية الموضوع .

٣. أهداف البحث.

٤. نوع البحث ومنهجه.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم فقه الموازنات وأدلته الشرعية .

المبحث الثاني: منهج الصحابة وسائر السلف الصالح في فقه الموازنات .

المبحث الثالث: أهمية فقه الموازنات في حياة الداعية .

المبحث الرابع: ثمار أخذ الداعية بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه

الخاتمة وتحتوي على:

- أهم النتائج والتوصيات .
- أهم المصادر المراجع .

التمهيد

الحمد لله، أحمده سبحانه وتعالى وأثني عليه الخير كله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله الداعي إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

إن موضوع فقه الموازنات من الموضوعات المهمة لا سيما في هذا الزمن الذي اختلطت فيه الأمور على كثير من الناس فإذا تعارضت المصالح والمفاسد فإنه يتبع القاعدة الفقهية (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) وينظر إلى حجم كل من المصلحة والمفسدة ، وأثرها ومداها .

وقد يكون الإنسان أمامه مصلحتان، فإذا تعارضت المصلحتان فلابد أن يراعي أيهما أهم وأقوى، فيترك المصلحة الصغرى من أجل المصلحة الكبرى، أو المصلحة العارضة من أجل المصلحة الدائمة، أو المصلحة التي تتعلق بأفراد من أجل المصلحة التي تتعلق بمجموعات أو المصلحة الشكلية من أجل المصلحة الجوهرية، وتقدير المصالح والمفاسد يرجع لأهل الاختصاص، وسأتحدث عن هذا الموضوع المهم من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

مفهوم فقه الموازنات وأدلته

المطلب الأول

مفهوم فقه الموازنات

فقه الموازنات نعني به عدة أمور:

أولاً: الموازنة بين المصالح المتعارضة، فالأكبر مصلحة يقدم على ما هو أقل منه مصلحة، سواء من حيث التأثير، أو البقاء، أو العمق وهكذا .

ثانياً: الموازنة بين المفاسد المتعارضة، فأيها ينبغي أن يقدم أو يؤخر، وأيهما أكبر أثراً فيتم إسقاطه، وهكذا من تلك الحيثيات التي تم ذكرها في المصالح .

ثالثاً: الموازنة بين المصالح والمفاسد إذا تعارضتا، وهذا ما يقع فيه الخلاف نتيجة عدم التصور السليم للمفاسد والمصالح، وإضافة إلى أن الموازنة لا تخضع لميزان شخصي إنما وفق قاعدة فقهية وهي:" درء المفاسد مقدم على جلب المصالح " فهنا ينبغي معرفة متى نقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتى نسمح بالمفسدة من أجل المصلحة، وهذا يحتاج إلى فهم عميق، وتفكير سديد .

ومن هنا يمكن القول بأن تعريف فقه الموازنات هو: فهم القواعد والأسس المبنية على معايير معينة لضبط الموازنة بين المصالح والمفاسد المتعارضة .

مسألة: تساوي المصلحة مع المفسدة:

ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن التساوي بين المصالح والمفاسد غير واقع، ويعلل ذلك بأن الشيء إما أن تكون مصلحته راجحة على مفسدته أو العكس، ويقول بأن هذا مما لم يقم عليه دليل إثبات، بل نفيه هو ما قام عليه الدليل، فلا بد إذا تقابلت اللذة والألم، والمفسدة والمصلحة، والنفع والضرر، من أن يغلب أحدها الآخر فيحكم للغالب منها، ويقول: (وأما أن يتدافعا ويتصادما بحيث لا يغلب أحدهما الآخر، فغير واقع)[1].

أما عند الإمام العز بن عبد السلام-رحمه الله- وكذلك الإمام محمد بن عاشور-رحمه الله- نجد تقريراً بأن وقوع التساوي بين المصالح والمفاسد غير ممتنع، سواء لتساوي المصالح فيما بينها، وتساوي المفاسد فيما بينها، وحتى تساوي المصالح والمفاسد[2].

قال الإمام العز بن عبد السلام-رحمه الله- (إن اشتمل فعل على مصلحة و مفسدة، فالعبرة بأرجحهما، فإن استويا فقد يخير بينهما)[3].

فمثلاً إذا تساوت المصالح مع المفاسد، فإن تمكنا من تحصيل المصلحة ودرء المفسدة في آن واحد فحسن، وإن لم نتمكن من الجمع بين التحصيل و الدرء، قدمنا دفع المفسدة على جلب المصلحة ولو نجم عن ذلك حرمان من منافع عملاً بقاعدة: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[4].

---

(١) إعلام الموقعين.

(٢) انظر: القواعد الكبرى، العز بن عبد السلام،و انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، الإمام محمد بن عاشور.

(٣) القواعد الكبرى ، ص٤.

(٤) انظر: الأشباه والنظائر لابن السبكي (١/١٠٥)، وللسيوطي ص٩٧، ولابن نجيم ص ٩٠.

ومن الأمثلة التي ذكرها العلماء لهذه القاعدة:

أدفع الموت عن النفس بموت الغير، كأن يهدد شخص بالقتل إن لم يقتل غيره، فهنا تساوت مصلحة الحفاظ على النفس مع مفسدة إزهاق نفس الغير، لكن بما أن القتل مجمع على تحريمه، والصبر مطلوب في حق من أكره على ذلك، فإن درء قتل الغير مقدم على درء قتل النفس[1] .

---

(١) قواعد الأحكام (١/٧٩-٨٣).

المطلب الثاني
مشروعية فقه الموازنات

عنيت الشريعة الإسلامية بمصادرها المختلفة من الكتاب والسنة والإجماع بفقه الموازنات عناية كبيرة جداً، كما دل أيضاً على مشروعيته العقل، ففي ثنايا نصوص الوحيين يتبين حفظها لحقوق الناس، ومسايرتها لمستجداتهم، وتغطيتها لحاجتهم، فالمتدبر للقرآن الكريم، يجد فيه أدلة كثيرة على فقه الموازنات ومن هذه النصوص:

أولاً: نصوص القرآن الكريم:

١- قوله تعالى على لسان هارون لأخيه موسى عليه السلام ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (١) وقد أمر موسى عليه السلام هارون عليه السلام سابقاً أن يبقى في قومه كما قال تعالى: ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢).

وأيضاً في الموازنة بين المفاسد والأضرار نجد في قصة الخضر مع موسى مواقف تدل على فقه الموازنات من خلال التعليل لما قام به وهي:

---

(١) سورة طه، الآية: (٩٤) .

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٤٢) .

أ/ قوله تعالى على لسان الخضر في تعليل خرق السفينة: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [1].

فالمصلحة أن تبقى السفينة لأصحابها وبها خرق أهون من أن تضيع كلها، فحفظ البعض أولى من تضييع الكل . [2]

ب/ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [3]، فالمصلحة في قتل الغلام أكبر من مصلحة وجوده مع والديه .

ج/ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [4]، فمصلحة بناء الجدار الذي تحته كنز الغلامين اليتيمين أكبر من مصلحة أخذ الأجر عليه .

ومن أبلغ ما جاء في الموازنات قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٧٩).

(٢) انظر: القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام،العز بن عبد السلام-رحمه الله- تحقيق:نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، د.ط[دمشق: دار القلم، د.ت] ١/ ١٧ .

(٣) سورة الكهف، الآيتان (٨٠-٨١) .

(٤) سورة الكهف، الآية: (٨٢) .

ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[١]، فالقتال في الشهر الحرام كبير، ولكن لمقاومة ما هو أكبر منه، قال الحافظ بن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام، حين كفرتم بالله، وصددتم عنه محمداً ﷺ وأصحابه، وإخراج أهل المسجد الحرام منه، حين أخرجوا محمداً ﷺ أكبر من القتل عند الله).[٢]

كما أن القرآن اعتنى بالموازنة بين المصالح المعنوية والمادية ، كما قال ﷻ عقب غزوة بدر: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[٣]

فهذه الآية الكريمة تدل على أنه في معركة بدر تعارضت مصلحتان – الفدية والقتل – وأن هاتين المصلحتين متفاوتتان في النفع، وأن أعظمهما نفعاً هو القضاء على الأسرى لما فيه من قطع لدابر صناديد المشركين وكسر لشوكتهم، ولذلك كان يجب تقديم قتل الأسرى على افتدائهم؛ فالقضاء على الأسرى مصلحة معنوية، وأخذ الفدية مصلحة مادية، وقد بين القرآن الكريم أن المصلحة المعنوية كانت هي الأولى بالتقديم والعمل؛ لأنها الأنسب في تلك المرحلة، بل إن القرآن الكريم عاتب على اختيار المصلحة المادية[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير -رحمه الله- د.ط[دار طيبة، د.م: ١٤٢٢هـ] ص٥٧٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية (٦٧) .

(٤) انظر: منهج فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، د.عبد المجيد محمد السوسة، ص٤.

وفي الموازنة بين المصالح والمفاسد نقرأ قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[١] ، فعندما نوازن ونقارن بين الإثم الحاصل من الخمر والميسر، نجده أكبر من النفع الحاصل بهما، كما دلت عليه الآية الكريمة، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- (ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين).[٢]

وقد أشار الإسلام عن الموازنة بين الجماعات والقوى غير المسلمة بعضها وبعض، والمتأمل في أوائل سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] يجد فيها انتصار للروم على الفرس، وكلا الفريقين غير مسلم؛ لكن الروم أهل كتاب؛ فهم أقرب إلى المسلمين من المجوس عباد النار.

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: (وفرح المؤمنين بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان)[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير_رحمه الله_ مرجع سابق، ص٥٧٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، د.ط[د.م، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت]ص٥٧.

(٣) سورة الروم، الآيات (١-٥) .

(٤) جامع البيان عن تفسير آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري، د.ط [مصر: دار المعارف، د.ت] ص٦٨ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، فوجه الدلالة في هذه الآية الكريمة: أن الله ﷻ نهى عن سب آلهة المشركين؛ لأن ما يشتمل عليه السَّب من مفسدة أعظم بكثير من ما سيحققه من مصلحة، فإذا كان في السَّب مصلحة وهي إهانة آلهة المشركين، وتحقير لدينهم، فإن فيه مفسدة أكبر وهي دفع المشركين إلى سب الله ﷻ، فنهى الله عن سب آلهة المشركين مع أن فيه مصلحة؛ وذلك درءاً لمفسدة أكبر[2] وهذا يدل على أنه إذا تعارضت مصلحة ومفسدة، وكانت المفسدة أعظم من المصلحة فتترك المصلحة من أجل درء المفسدة .

قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين، ومن هذا المعنى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لا تبتوا الحكم بين ذوي القرابات مخافة القطيعة)[3].

وفي قول عمر رضي الله عنه من المصالح العظيمة التي تحث على الموازنة فيما يتعلق بحقوق القرابات منعاً من مفسدة القطيعة؛ لأنها أعظم ضرراً .

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٨) .

(٢) انظر: نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، حسان حامد حسان، د.ط [القاهرة: مكتبة المتنبي، ١٩٨١م] ص١٢٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ص٥٦. وانظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، الإمام محمد بن علي الشوكاني، د.ط [بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ] ص٤٤٠.

ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الحكم على النَّاس وتقييمهم قائم على الموازنة بين السلبيات والإيجابيات، وبين المصالح والمفاسد، ومراعاة قَدْر من يتكلم فيه في العلم، ومقامه في الدين، ومكانته بين الناس، والتنبُّه للزمان والمكان الذي يعرض فيه النقد، ولمن يعرض، فأهميةُ التوازن في نقد الرجال من ضرورات العدل والإنصاف مع كل أحد، فعرض المخالف بصورة الشر المطلق، أو الموافق بالخير المطلق - ينافي منطق العقل وحال الواقع، ومنهجُ أخذ الكُل أو رد الجُل يمنع خيرًا جمًّا، ويغلق سُبلاً عدة، ومما قال -رحمه الله-: (وليس مما أمر الله به رسولَه، ولا مما يرتضيه عاقل - أن نقابل الحجج القوية بالمعاندة والجحد، بل قول الصدق والتزام العقل لازمٌ عند جميع العقلاء، وأهلُ الإسلام أحقُّ بذلك من غيرهم؛ إذ هم ولله الحمد أكملُ الناس عقولاً، وأتمُّهم إدراكًا، وأصحُّهم دينًا، وأشرفهم كتابًا، وأفضلهم نبيًّا، وأحسنهم شريعة)[(١)].

قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: (ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كثُر صوابه، وعلم تحرِّيه للحق، واتَّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحُه ووَرَعُه واتِّباعه، يغفر له، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه)[(٢)].

---

(١) درء تعارض العقل مع النقل، شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ٥/ ٣٥٨ .

(٢) انظر :تاريخ الإسلام، الذهبي-رحمه الله- ٣٤/١٠٤-١٠٨ بتصرف .

ثانياً: نصوص السنة النبوية:

لقد جاء في السنة النبوية عدد من الأحاديث الدالة على مشروعية فقه الموازنات في صوره الثلاث وذلك على النحو الآتي:

أولاً: فيما يتعلق بالموازنة بين المصالح

ورد عدد من الأحاديث منها:

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَ[١] فهذا الحديث يدل على أفضلية الأعمال الشرعية، وبيان الموازنة في تقديم بعضها على بعض عند التعارض .

٢- وعَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:"رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّان " [٢]، وجه الدلالة: الأجر العظيم المترتب على الرباط يوم وليلة فقط، بالمقارنة مع صيام شهر وقيامه موازنة بين الثواب المترتب على العملين .

٣- عن هُرَيْرَةَ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا فَقَالَ لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا

---

(١) رواه الإمام البخاري-رحمه الله - في صحيحه، د.ط [دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ] كتاب: الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم /٦١٣، ٢/٤١٥. والإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، برقم / ١٠٤٤، ٥ /٨٥١ .

(٢) رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله، برقم /٣٥٤٤، ٥٦/٣.

الشِّعْبِ وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ اغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" (١)، وجه الدلالة من هذا الحديث: أن مخالطة الناس، والجهاد في سبيل الله ﷻ ولو قليلاً خير من الاعتزال والتعبد .

ثانياً: فيما يتعلق بالموازنة بين المفاسد المتعارضة إذا اضطر إلى إحداها:

ورد عدد من الأحاديث عند تعارض المفاسد إذا أضطر إلى إحداها منها:

١- ما رواه الإمام الترمذي-رحمه الله- عن بسر بن أرطاة قال: سمعت النبي ﷺ يقول:"لا تُقْطَعُ الأَيْدِي فِي الغَزْوِ". (٢)

وجه الدلالة من هذا الحديث:أن القطع في السرقة حد من حدود الله ﷻ يجب إقامته، لكن نهى رسول الله ﷺ إقامته في الغزو لحكمة عظيمة؛ ودفعاً لأعظم المفسدتين، وهي مخافة لحوق المقطوع بالمشركين .

٢- ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"(٣)، فعند النظر في هذا الحديث، نجد أنه قد تضمن موازنة بين مفسدتين:

---

(١) رواه الإمام الترمذي -رحمه الله- في سننه، برقم /١٦٥٠،٤/١٨١، وقال: هذا حديث حسن، وأورده الألباني -رحمه الله- في السلسلة الصحيحة، رقم/٩٠٢، ٢/٦٠٣.

(٢) رواه الإمام الترمذي-رحمه الله- في سننه، برقم/ ١٤٥٠، ٤/٥٣، وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الإصابة: وسنده قوي ١/١٤٧، ورواه الإمام أحمد-رحمه الله- في مسنده، برقم/ ١٧٦٦٣ ، ٤/١٨١، ورواه الإمام أبو داود-رحمه الله-في سننه، برقم/ ٤٤٠٨، ٤/١٤٢، ولفظه "لا تُقْطَعُ الأَيْدِي فِي الغَزْوِ".

(٣) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم / ٢١٥، ١/٦٨٣.

الأولى: مفسدة بول الأعرابي في المسجد .

والثانية: مفسدة ترويع الأعرابي الذي قد يؤدي إلى نفوره عن الدين، وبما أن مفسدة ترويع الأعرابي أكبر من مفسدة بوله فقد درأت المفسدة الكبرى بما هو أدنى منها، لذلك فقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن زجر الأعرابي اتقاءً ودرءاً لمفسدة الترويع . (١)

وأقول: قوله ﷺ "دَعُوه" فهذا لمصلحتين إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وقد حصل التنجيس في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد.

والثانية: التيسير وعدم تنفير الإعرابي كما ورد في الحديث، وقد ذكر الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في ثنايا ما يُستنبط من هذا الحديث ما يشهد لضرورة الموازنة فقال: (قال ابن دقيق-رحمه الله-: لم يُنكر النبي ﷺ على الصحابة، ولم يقل لهم لِمَ نهيتم الأعرابي؛ بل أمرهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة وهو تحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما) (٢).

٣- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).(٣)

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح الإمام مسلم -رحمهما الله- ٣/٦٤٢.

(٢) فتح الباري، الحافظ ابن حجر-رحمه الله- ١/٣٢٥ .للاستزادة انظر: مجلة البحوث العلمية الإسلامية،العدد ٨٨، الإصدار من رجب إلى شوال، ١٤٣٠هـ،ص٢٧٧-٢٨٢،وانظر موقع:
http://www.alifta.net/Fatawa/

(٣) رواه الإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: مباعدة النبي ﷺ للأثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انته، برقم/٢٣٢٧، ٤/٤٧٦.

ثالثاً: فيما يتعلق بالموازنة بين المصالح والمفاسد المتعارضة

ورد في ذلك عدد من الأحاديث النبوية، ومنها:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا:" يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ "(١).

فوجه الدلالة: أن النبي ﷺ بعد أن فتح مكة، وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت وإعادة بنائه على قواعد إبراهيم ﷺ، ولا شك أن هذه مصلحة، غير أنه خشي من أن يؤدي ذلك إلى مفسدة أعظم من تلك المصلحة وهي: عدم احتمال قريش لذلك التغيير؛ نظراً لقرب عهدهم بالجاهلية، حيث إنه قد يؤدي إلى ارتداد الداخلين منهم في الإسلام (٢)، ويقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (إن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً فخشي ﷺ أن يظنوا – لأجل قرب عهدهم بالإسلام- أنه غير بناءها لينفرد عليهم بالفخر في ذلك، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة).(٣)

فيتضح من هذا الحديث الشريف الموازنة النبوية الكريمة حيث قدم ﷺ مصلحة الحفاظ على إسلام الناس كونهم حديثي عهد بالإسلام من هدم الكعبة .

---

(١) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم / ١٥٠٩، ٤١٥/٣.

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم -رحمه الله- ٦١/٣ .

(٣) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-، د.ط [دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ] ١٧٢/١ .

و"القاعدة في الموازنة بين المصالح والمفاسد إذا تعارضت المصلحتان وتعذر جمعهما فإن علم رجحان إحداهما قدمت، وإن لم يعلم رجحان، فإن غلب التساوي فقد يظهر لبعض العلماء رجحان إحداهما فيقدمها ويظن آخر رجحان مقابلها فيقدمه، فإن صوبنا المجتهدين فقد حصل لكل واحد منهما مصلحة لم يحصلها الآخر، وإن حصرنا الصواب في أحدهما فالذي صار إلى المصلحة الراجحة مصيب للحق والذي صار إلى المصلحة المرجوحة مخطئ معفو عنه، إذا بذل جهده في اجتهاده، وكذلك إذا تعارضت المفسدة والمصلحة "[١] .

ثالثاً: الإجماع:

أجمع الصحابة ﷺ على مشروعية فقه الموازنات، حيث نقل الإجماع الإمام العز بن عبد السلام بقوله: (أجمعوا على دفع العظمى إذا تعارضت المفسدتين، في ارتكاب الدنيا)[٢].

وقد نقل الزركشي عن ابن دقيق العيد قوله: (من القواعد الكلية أن تُدرأ أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما إذا تعين وقوع أحدهما، وأن يُحصل أعظم المصلحتين بترك أخفهما إذا تعين عدم إحداهما)[٣].

وسأورد بعض الأمثلة في المبحث الثاني بعون الله تعالى.

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح العباد، عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-،د.ط [بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت] ١٦/١ .

(٢) قواعد الأحكام ، ٣٩/١ .

(٣) المنثور في القواعد، بدر الدين محمد الزركشي،تحقيق: تيسير فائق محمود، ط١[الكويت: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٠٢هـ] ١/ ٣٤٨.

رابعاً: الدليل العقلي على مشروعية فقه الموازنات:

وإضافة إلى ما ذكرته من نصوص الوحيين على مشروعية فقه الموازنات، وإجماع الصحابة الكرام ﷺ على مشروعيته، فإن العقل أيضاً يقضي بضرورة العمل بهذا الفقه؛ إذ إنه كما يقول العز بن عبد السلام -رحمه الله- "لا يخفى على عقل عاقل - أن تحصيل المصالح المحضة، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمود حسن، وأن درء المفاسد الراجحة مقدم على المصالح المرجوحة محمود حسن ...وأن تقديم الأصلح فالأصلح ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد ... ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت "[1].

فعندما نُعمل عقولنا، ونوازن بين المصالح والمفاسد، أو المصالح بعضها مع بعض، أو المفاسد بعضها مع بعض، فسوف نصل إلى خير الأمرين ودفع شر الشرين، فنكون بذلك قد سعينا إلى ضبط أمور الحياة بمنهجية منضبطة، وبما يتفق مع فقه الموازنات .

---

(١) انظر :قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- ١/٧-٨، بتصرف .

المبحث الثاني

منهج الصحابة وسائر السلف الصالح ﷺ في فقه الموازنات

اتضح لنا مما سبق تناول نصوص الوحيين لمشروعية فقه الموازنات والعمل به، ولا شك بأن الصحابة الكرام وسلفنا الصالح ﷺ قد فهموا ذلك وعملوا بفقه الموازنات، وأجمعوا على مشروعيته، ولا أدل على ذلك من أن الصحابة ﷺ قد عملوا به من أول يوم بعد وفاة الرسول ﷺ؛ وذلك أنه تعارض لديهم مصلحتان وهما:

١- مصلحة دفن رسول الله ﷺ .

٢- ومصلحة تنصيب الخليفة، وأشكل عليهم تحديد المصلحة المقدمة، وأي المصلحتين يكون البدء بها وأيهما تؤخر، وبناء على فقه الموازنات فقد تجلى للصحابة الكرام ﷺأن المصلحتين متفاوتتان بين كبرى وصغرى، فالمصلحة الكبرى هي:

اختيار خليفة للمسلمين، والصغرى هي دفن الرسول ﷺ؛ وذلك لأن بقاء المسلمين بدون خليفة وبدون اجتماع على إمام يوحد كلمتهم أخطر على الإسلام من تأخير دفن الرسول ﷺ، فالحفاظ على كيان الدولة الإسلامية من خلال إقامة خليفة للمسلمين أمر لا بد فيه من السرعة، ولا يحتمل التأخير، وبما أن المصلحتين متفاوتتان فقد قدم الصحابة الكرام ﷺ المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى، وبدءوا باختيار الخليفة، ولما انتهوا من ذلك سارعوا بدفن الرسول ﷺ [(١)]، ولم يخرج من بين الصحابة من ينكر مثل هذا العمل، فدل ذلك على إجماعهم في الأخذ بفقه الموازنات وترتيب الأولويات .[(٢)]

ومن الأمثلة أيضاً : موازنة الصحابي عمرو بن العاص ﷺ بين الغسل من الجنابة في شدة البرد، وبين التيمم في غزوة ذات السلاسل، فعلم أن المصلحة في

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام -رحمه الله- ٤/٢٩٤ .

(٢) انظر: استخلاف أبي بكر ﷺ، جمال عبد الهادي، ص٦٤١ .

التيمم؛ وذلك دفعاً لمضرة كبرى قد تصيبه لو اغتسل بالبرد، وقد صلّى بأصحابه، "فسأله الرسول ﷺ فأخبره بالذي منعه من الاغتسال، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً " [(١)] فوجه الدلالة: أنه لما كانت المحافظة على النفس مقدمة وهي من الضرورات الخمس، وإن شريعة الإسلام مبنية على التيسير ورفع الحرج، أقدم الصحابي الجليل على التيمم دفعاً لمفسدة أعظم، وقد أقره الرسول ﷺ على فعله .

وورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كتب: (أن لا يجلدَّن أمير جيش ولا سريَّة رجلاً من المسلمين حدَّاً وهو غازٍ؛ حتى يقطع الدرب قافلاً؛ لئلا تلحقه حميَّة الشيطان، فيلحق بالكفار)[(٢)] هنا علل الفاروقﷺ برفع الحد أثناء الغزو؛ لئن المفسدة بالتحاق الرجل بالكفار والردة أعظم من إقامة الحد عليه في هذا الوقت .

والأمثلة في هذا الصدد كثيرة [(٣)]، وهي بمجملها تبين منهج الصحابة ﷺ في الموازنة بين المصالح والمفاسد، وتظهر يسر وسماحة وشمولية الشريعة الإسلامية .

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم ا، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١[بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ]،كتاب الطهارة، برقم /٦٢٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ٢٨٥/١

(٢) الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل،ابن قدامة المقدسي-رحمه الله-د.ط[بيروت: المكتب الإسلامي.د.ت]، الإمام ابن قدامة-رحمه الله- ٤/ ٢٨٠.

(٣) انظر: المنهج الدعوي لدى المفتين، دراسة تحليلية لفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رسالة دكتوراه غير منشورة، زينب الراجحي، ص٣٧٠-٤٠٠.

المبحث الثالث
أهمية فقه الموازنات لدى الداعية

المطلب الأول
أهمية الفقه في الدين عموماً وفي الدعوة إلى الله ﷻ

يعد العلم من الركائز المهمة التي يرتكز عليها الداعية في دعوته؛ ليكون على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وحاجة الداعية للتزود بزاد العلم بصفة عامة، يعد من الضروريات فلا دعوة بلا علم، وهذه حقيقة مهمة من حقائق هذا الدين، فبالعلم تُجلب المصالح وتُدرأ المفاسد .

وهذا يقتضي من الداعية الإلمام بعلم أصول الفقه؛ فهو الذي يحقق له الفهم والوعي المشار إليه .

والداعية إلى دين الله هو ركن من أركان الدعوة، وعمادها، لذا يجب أن يكون ملماً بالعلم الشرعي؛ ليكون مؤهلاً للقيام بهذا الواجب العظيم، ومتبصراً بدينه ومدركاً لحقائقه، ليقدم الدعوة للمدعوين تحت مظلة شريعة تتسم بالسماحة والتيسير، وهذا يقتضي من الداعية الإلمام من حيث الجملة بمقاصد الشريعة، مدركاً أن هدف الشريعة هو جلب المصلحة ودرء المفسدة.

---

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

ولن يتمكن الداعية من القيام بالدعوة إلا إذا تزود بزاد العلم، وتفقه في الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١).

فيتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام(٢).

وقد روى الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه تعليقاً: عن قول عمر ﷺ يؤكد أهمية التفقه في الدين فقال-رحمه الله-: (وقال عُمَرُ: تَفقَّهُوا قَبْلَ أن تُسَوَّدُوا) (٣)، لذا فإن الداعية عليه أن يتعلم ويتفقه في الدين قبل أن يسود في الدعوة .

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٢) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ومعالم التنزيل. الإمام البغوي، ١١٢/٤.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني،د.ط [بيروت: دار إحياء التراث العربي،د.ت]٥٤/٢.

المطلب الثاني

أهمية فقه الموازنات خاصة بالنسبة للداعية

عندما نتحدث عن علم الداعية، لا نقصد بأن يكون الداعية عالماً مجتهداً فقيهاً، وإنما المقصود أن يكون لديه من العلم ما يمنعه من الخطأ أو الزلل، وأن يتمكن من الدعوة إلى الله على الوجه الصواب .

و(من هنا كانت حاجة الداعية لعلم أصول الفقه؛ ليكون على وعي عام بمقاصد الشريعة، وعلم بأن للنصوص مهجاً وأصولاً في التعامل معها، كذلك الاجتهاد له أصوله، وضوابطه كل ذلك ليتشكل له حصن ووقاية من الخطأ والزلل)[(١)].

فالشريعة الإسلامية، شريعة سمحة تجلب التيسير وتمنع المشقة، وترفع الحرج، فمقاصدها جلب المصالح، ودرء المفاسد، قال الإمام الشاطبي -رحمه الله- (والمعتمد إننا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد).[(٢)]

وذكر ابن القيم -رحمه الله - بأن الشريعة مبناها على مصالح العباد في المعاش والمعاد، فقال: (فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم الشاطبي، ضبط :محمد دراز،[بيروت:دار المعارف، د.ت] ٤/

إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة . وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أُدخلت فيها بالتأويل)[1].

ففقه الموازنات أصبح ضرورة شرعية وتعليمية، متى ما تزاحمت الأمور وتكاثرت، لا سيما بالنسبة للداعية .

وسوف أذكر على سبيل المثال قاعدة فقهية مهمة للدعاة وهي:

قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

هذه من القواعد الفقهية المهمة التي ينبغي للداعية الوقوف عندها، والأخذ بها وفق ما تقتضيه النصوص الشرعية، بدون إفراط أو تفريط .

والدعاة في الأخذ بهذه القاعدة في زمننا هذا بين إفراط وتفريط؛ فهناك من لا يعتد بالمصالح الراجحة؛ فخالف بذلك النصوص الصريحة من كتاب وسنة، وهناك من تساهل في اعتبار المصالح وتوسع في الأخذ بها على حساب النصوص الشرعية، فلم يراع فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، ووفِّق من الدعاة من توسط بين هؤلاء وهؤلاء فعمل بالموازنة بين المصالح والمفاسد، وفق نصوص الوحيين، مراعياً في ذلك الضوابط الشرعية، مستفيداً من فهم سلف هذه الأمة، ومن هذه الضوابط:

الضابط الأول: الأكثر مصلحة أولى بالتقديم من الأقل مصلحة

على الداعية إذا تزاحمت عنده مصلحتان لزمه الحفاظ على المصلحة الراجحة والتضحية بالمصلحة المرجوحة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم–رحمه الله– راجعه :طه سعيد، [الكليات الأزهرية، مصر،د،ت]٤/

الله- "الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين ")[1].

وليس معنى هذا أن المصلحة المرجوحة التي أُهدرت لم تعد مصلحة؛ ولكن معناه أن الداعية لم يتمكن من الجمع بينها وبين المصلحة الراجحة فضحَّى بها اضطراراً، فالشرع والعقل يحكمان بلزوم الحفاظ على المصلحة العليا ولو أدى إلى تفويت الأدنى، فالمصلحة المفوتة في هذه الحالة لم تعد مطلوبة، لذا فإن تركها لأجل تحصيل المصلحة الراجحة لا يعتبر تركاً لمطلوب شرعي.[2]

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله- (وقاعدة الشرع والقدر تحصيل أعلى المصلحتين وإن فات أدناهما)[3]، وقال أيضاً في موضع آخر:(وخاصية العقل تحصيل أعظم منفعتين بتفويت أدناهما).[4]

بعض الأمثلة لتطبيق الداعية لهذا الضابط:

١- لو تزاحمت وسيلتان من وسائل الدعوة أحدهما نفعها مستمر والأخرى مؤقت، مثل درس علمي مستمر أو محاضرة توجيهية لطائفة من الناس، فلا شك أنه يقدم الدرس، مع أخذ اعتبار الأخرى في مواقف أخرى.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٦/ ١١٨، وانظر: مجموع الفتاوى، ٢٣/ ٣٤٣.

(٢) انظر: فقه الأولويات، دراسة في الضوابط، محمد الوكيلي، ط١[فيرجينيا:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٩٧م] ص١٩٧-١٩٨.

(٣) إعلام الموقعين، مرجع سابق، ٣/٢٧٩ .

(٤) الفوائد، تحقيق د. محمد عثمان الخشت، ط٣ [بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ] ص٢٧٣ .

٢- لو تزاحم عند المرأة الداعية تربيته أولادها مع خروجها من البيت لوعظ النساء وبخاصة إذا كان خروجها مستمراً؛ فتطبيق هذه القاعدة أنها تترك الوعظ وتجتهد في تربية أولادها .

الضابط الثاني: الأكثر مفسدة أولى بالدرء من الأقل مفسدة

وهذا الضابط عكس الأول، فعندما تجتمع مفسدتان؛ فعلى الداعية أن يدرأ الأكثر والأعظم مفسدة، ويرتكب أخفهما، وهذا الدرء طبيعة بشرية وهو قول العز بن عبد السلام -رحمه الله- [1]، وقد وردت نصوص تبين أهمية الأخذ بدرء المفسدة العظمى بارتكاب الصغرى منها:

قوله تعالى حكاية عن الخضر مع موسى عليه السلام: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [2].

فمفسدة أخذ الملك الظالم للسفينة الصالحة وهي لمساكين أعظم من إحداث عيب فيها يستطيع أصحابها إصلاحها فيما بعد، فدرأ الخضر المفسدة العظمى التي لم تكن ظاهرة لموسى عليه السلام بمفسدة أقل .

---

(١) انظر: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١/٣٥ .

(٢) سورة الكهف، الآيات (٧٩-٨٢).

وكذلك قتل الغلام أقل مفسدة من إرهاق والديه بكفره وطغيانه، قال الإمام القرطبي -رحمه الله- (وقد يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويتدينا بدينه) [1].

وكما قال تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله...

بعض الأمثلة لتطبيق الداعية لهذا الضابط:

١- لو تزاحمت مفسدتين أحدهما أقل مفسدة من الأخرى مثل سماع الأغاني وشرب الخمر، في هذه الحالة على الداعية أن يدرأ مفسدة شرب الخمر فهي أم الخبائث، وهي الأعظم مفسدة .

٢- وضرب الإمام ابن القيم -رحمه الله- مثالاً فقال: (أنك إذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب، أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال، والسحرة فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع)[2] .

٣- وكذلك من الأمثلة: إذا أنكر الداعية على أبنائه عمل محضور شرعي وهم في البيت وكان نتيجته_ أي نتيجة هذا الإنكار- خروجهم من البيت، واختلاطهم بجلساء سوء، فترك الإنكار عليهم أولى .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٧/١٠ .

(٢) إعلام الموقعين، ٧/٣.

المبحث الرابع

ثمار أخذ الداعية بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه

المطلب الأول

ثمار العمل بفقه الموازنات

العمل بفقه الموازنات له ثمار عظيمة على مستوى الأمة الإسلامية وعلى مستوى المجتمع والأفراد منها:

١- تطبيق عملي لما تتسم به الشريعة الإسلامية من يسر وسهولة؛ فهو يحقق أبرز أحكام الشريعة في الأحوال الاستثنائية وأثناء وجود التعارض.

٢- إزالة التعارض بما يحيط بالفرد من قضايا، أو ما يتعلق بالمجتمع من مصالح ومفاسد، أو ما تسير عليه الدولة في سياساتها العامة وبرامجها التنفيذية وخططها المستقبلية .

٣- فقه الموازنات يقدم عند التعارض مصلحة الدين على ما سواه، ثم النفس على ما سوى العقل والنسل والمال، ثم العقل على النسل والمال، ثم النسل على المال؛ ذلك أن كليات المصالح المعتبرة في الشريعة الإسلامية تنحصر في خمسة وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وهي مرتبة في الأهمية حسب هذا التسلسل .

٤- ومن ثمار العمل بفقه الموازنات الفهم الكامل لمقاصد التشريع ومبادئه وقواعده الكلية.

٥- في ضوء فقه الموازنات سنجد مجالاً للمقارنة بين المصالح والمفاسد، والمفاضلة، والموازنة بين المكاسب والخسائر ثم الاختيار الأفضل بين المتعارضات .

٦- من ثمرات تطبيق فقه الموازنات المحافظة على حرمة دماء المسلمين، وأعراضهم، فالدول التي لم تأخذ بفقه الموازنات دمرتها الحروب، وسفكت فيها الدماء، وانتهكت فيها الأعراض.

المطلب الثاني

المفاسد المترتبة على تركه

لاشك أن ترك العمل بفقه الموازنات له مفاسد كبيرة على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع، وعلى مستوى الدولة، ومن هذه المفاسد:

١- عند ترك العمل بفقه الموازنات فإن الفرد يعرض نفسه للوقوع في الأخطاء الكبيرة التي تؤثر على حياته بشكل مباشر .

٢- عند ترك العمل بفقه الموازنات، فإن المجتمع سيتعرض لمواقف شائكة، وتعارضات كبيرة، تتعارض فيها المصالح العامة، أو تتعارض المفاسد، أو تتعارض فيها المصالح مع المفاسد، أو تتعارض مصالح المجتمع مع مصالح الفرد، ويكون هناك خلل واضطراب في المجتمع، ولا سبيل لإزالة تلك المواقف والتعارض وحل ذلك الإشكال بأحكام عادلة وقرارات سليمة إلا بالعودة والالتزام بمنهج فقه الموازنات .

٣- عند ترك العمل بفقه الموازنات فإننا نحجر واسعاً، ونشدد يسيراً، وهذا لا يتوافق مع يسر وسهولة ومرونة الشريعة الإسلامية السمحة .

٤-عند ترك العمل بفقه الموازنات فإننا نُغفل قاعدة فقهية عظيمة وهي " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح "

٥ـمن المفاسد المترتبة على ترك العمل بفقه الموازنات: إثارة الفتن، والحروب، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض .

٦- رجوع الدعوة إلى الوراء وتأخرها؛ نتيجة عدم قيامها على الموازنة بين المصالح والمفاسد .

٧- عدم الفقه التطبيقي لهذه القاعدة ينتج عنه خروج دعاة ومفتين غير مؤهلين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد انتهيت من هذا البحث الذي تناول موضوعاً مهماً ينبغي العمل به وتفعيله في زمننا الحاضر، وهو فقه الموازنات الذي يصلح من خلال تطبيقه حال العباد والبلاد، وقد قمت بهذا البحث الذي يؤصل موضوع فقه الموازنات، ويُبيِّن مستنده الشرعي من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن واقع حياة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ، كما تناول البحث أهم ثمار العمل بفقه الموازنات والآثار المترتبة على تركه، وسأوجز هنا أهم ما انتهت إليه الدراسة وذلك على النحو التالي:

١- دلت النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع الصحابة، وبراهين العقل على أهمية فقه الموازنات وضرورة الأخذ به .

٢- جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، بجلب ما ينفعهم، ودرء ما يضرهم .

٣- حرص الصحابة والسلف الصالح ﷺ في الأخذ بفقه الموازنات .

٣- الحاجة ماسة إلى فقه الموازنات وتطبيقه في ميدان العمل الإسلامي، الذي يسعى إلى إصلاح أوضاع الأمة الإسلامية لا سيما في عصرنا الحاضر .

٥- فقه الموازنات له ثمار عظيمة النفع، كما أن تركه يؤدي إلى مفاسد كبيرة.

التوصيات

١- ضرورة إبراز القواعد الفقهية المتعلقة بفقه الموازنات؛ لتيسير الوصول إليها، والاستفادة منها .

٢- ضرورة الأخذ بفقه الموازنات، وعدم التغافل عنه، لأن فيه مصالح كبيرة على مستوى الأمة الإسلامية والمجتمع والأفراد .

٣- فقه الموازنات يحتاج إلى علم راسخ، وملكة فقهية، ونظرة فاحصة، وشاملة، تتصف بالعمق والدقة؛ وذلك لصعوبته في الجانب التطبيقي، من حيث تقدير المصلحة والمفسدة عند الانفراد، أو تقدير الراجح عند التزاحم والتعارض.

٤- فقه الموازنات يحتاج إليه الدعاة في ممارساتهم الدعوية، ولا سيما عند تعارض المصالح والمفاسد، وعدم إمكان الجمع بين تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، فكثيراً ما يندفع بعض الدعاة إلى تحقيق مصلحة دعوية في اجتهادهم، غافلين عن المفاسد المترتبة على ذلك، مما يجعلهم في نهاية الأمر نادمين على ما أقدموا عليه .

٥- إذا تنازعت المصالح بحيث لا يمكن تحصيل إحداها إلا بترك الأخرى فإنه يجب الموازنة بينها ليختار أرجحها ويترك مرجوحها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١- إعلام الموقعين، الإمام ابن القيم -رحمه الله- بدون ذكر الطبعة، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون ذكر سنة النشر .

٢- البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، الطبعة الأولى، جدة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ .

٣- استخلاف أبي بكر ﷺ، جمال عبد الهادي،

٤- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، بدون ذكر الطبعة، مؤسسة الرسالة، بدون سنة النشر .

٥- تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، بدون طبعة، دار طيبة، ١٤٢٢هـ

٦- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ .

٧- جامع البيان عن تفسير آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، بدون ذكر الطبعة، مصر: دار المعارف، بدون ذكر سنة النشر .

٨- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الشعب - القاهرة- الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ.

٩- السلسلة الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- مكتبة المعارف، الرياض.

١٠- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رحمه الله- بدون ذكر الطبعة، ومدينة النشر، دار ابن تيمية، بدون تاريخ النشر .

١١- سنن الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي -رحمه الله- تحقيق: محمد ناصر الدين الأباني، ومشهور آل سلمان، بدون معلومات الناشر .

١٢- السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل- بيروت- الطبعة الأولى-١٤١١ هـ.

١٣- شرح صحيح الإمام مسلم للنووي -رحمهما الله- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

١٤- صحيح الإمام مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت-، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .

١٥- ضوابط المعرفة، د. عبد الرحمن حنبكة الميداني، الطبعة الثانية والعشرون، بدون مدينة النشر، دار المعرفة، ١٤٠١هـ .

١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بدون طبعة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ .

١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، الإمام محمد بن علي الشوكاني، بدون طبعة، [بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ.

١٨- القاموس المحيط، الفيرو آبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، الطبعة الثامنة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ .

١٩- قواعد الأحكام في مصالح العباد، عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-، بدون ذكر الطبعة، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة نشر .

٢٠- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي- رحمه الله-د.ط[بيروت: المكتب الإسلامي.د.ت

٢١- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، بدون سنة نشر .

٢٢- مختار الصحاح، محمد الرازي، تحقيق: محمود خاطر، بدون طبعة، بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ .

٢٣- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

٢٤- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، بدون طبعة، دار الجيل، ١٤٢٠هـ.

٢٥- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، بدون طبعة، مكتبة نزار، بدون سنة نشر .

٢٦- المنثور في القواعد، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: تيسير فائق محمود، ط١[الكويت: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٠٢هـ]

٢٧- منهج فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، د.عبد المجيد محمد السوسة، بدون طبعة، وبدون سنة نشر .

٢٨- نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، حسان حامد حسان، بدون ذكر الطبعة، مكتبة المتنبي، ١٩٨١م .

المجلات العلمية:

٢٩- مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٨٨، الإصدار من رجب إلى شوال، ١٤٣٠هـ.

المواقع الإلكترونية:

٣٠- http://www.alifta.net/Fatawa/

البحث رقم (٢)

الداعية الأمين في ضوء الكتاب والسنة

إعداد
د. علي بن أحمد الأحمد

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فمن المعلوم أن الأمانة في الإسلام لها منزلة عظيمة دلَّ عليها الكتاب والسنة بما يؤكد أهمية تجذّر الأمانة في قلب كل مسلم كونها عين الإيمان، فإذا استمكنت من قلبه؛ قام حينئذ بأداء التكاليف والمهام والأعمال والواجبات الدينية والدنيوية، واغتنم ما يرد عليه منها وجدّ في إقامتها[1].

ومن بين تلك الواجبات: القيام بالدعوة إلى الله، فما من عمل دعوي إلا والأمانة لازمة له، ولهذا كانت دعوة الرسل الكرام مدارها على الأمانة ولسان مقال كل نبي: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[2] وما من شك بأن الأمانة يسري إشعاع نورها إلى الداعية نفسه، وإلى من يدعوه، وإلى موضوع الدعوة، وإلى وسائلها.

وقد كُتب في مجال الأمانة دراسات علمية من جوانب شرعية متعددة، كالتفسير والسنة والثقافة الإسلامية وغيرها[3]، واستكمالاً لتلك الجهود

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض، ٢/١٧٠.

(٢) الشعراء: ١٠٧.

(٣) ومن هذه الرسائل العلمية:

- الأمانة كما يصورها القرآن الكريم (رسالة ماجستير) كلية أصول الدين بجامعة الأزهر إعداد جمال الشهاوي.
- الأمانة في ضوء الكتاب و السنة (رسالة ماجستير) كلية الدراسات العليا بجامعة الكويت إعداد غصنة الظفيري.
- الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع (رسالة الدكتوراه) الثقافة الإسلامية جامعة الإمام إعداد عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين.

العلمية ومدِّ رواقها، فقد رغبت أن أسهم في إبراز الأمانة لدى الداعية وما يتعلق بدعوته من أبعاد ذات صلة بالأمانة.

وبناء على ما سبق رأيت أن أستعين بالله في دراسة هذا الموضوع تحت عنوان: "الداعية الأمين في ضوء الكتاب والسنة " وفيما يلي مزيد إيضاح لهذه الدراسة من خلال ما يلي:

أولاً – أهمية الدراسة:

يمكن القول بأن هذه الدراسة تنبع أهميتها من تأكيد النصوص الشرعية على أهمية الأمانة في حياة المسلم بصفة عامة والداعية بصفة خاصة لما يناط به من مهام هو فيها وريث الأنبياء عليهم السلام وقد عُدَّت الأمانة من صفاتهم الأهم. قال ابن كثير –رحمه الله– في هذا الصدد: "وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ والنصح والأمانة"(١).

وتبرز أهمية الدراسة – من جانب آخر – باعتبار خطر سيادة المفهوم الذي يَقْصُر الأمانة في أحد معانيها بحفظ الودائع– مع أهميتها– في حين أن حقيقتها في الشرع أرحب أفقاً إذ هي درجات فالكبرى منها هي ماحملها الإنسانُ أمام الله بالخضوع لأوامِرِه، والانتهاءِ عن زواجِرِه، ومنها انبثقتْ سائر الأماناتِ كأمانة الدَّعوة إلى الله تعالى، وأمانة العلم، وأمانة التعامل مع الناس التي منها ردّ ودائعهم إليهم..(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم – للحافظ ابن كثير، ط الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ٣٥٩/٢.

(٢) انظر: الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع إعداد عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٣هـ /٢.

ولهذا فالأمانة تسري في كل شيء فكل أحد مؤتمن على ما افتُرض عليه من العقائد والأقوال والأحوال والأفعال، ومن الحقوق في الأموال وحقوق الأهل والعيال وسائر الأقارب والمملوكين والجار وسائر المسلمين(١) والأمانات جاء الأمر الإلهي الحكيم بأن تؤدى إلى أهلها المسلم منهم وغير المسلم.

والداعية -بلا ريب- عليه مسؤولية كبرى تجاه أداء الأمانة بكل مكوناتها ومدلولاتها السابقة بما فيها المتعلق بالدعوة ومجالاتها المتنوعة كما سيتبين.

ثانياً – أهداف الدراسة:

الدراسة تهدف إلى إيضاح مفهوم الأمانة الشامل واستجلاء أبعادها -بهذا المفهوم- عند الداعية في مجالات دعوته للمدعوين، وفي مضامين الدعوة، ووسائلها في ضوء الكتاب والسنة بما يمكن أن يسهم في إيضاح ملامح الأمانة في منظومة الدعوة.

ثالثاً – تقسيمات الدراسة:

جاءت فِقَرُ الدراسة في تمهيد وثلاثة مباحث قسمتها على النحو الآتي:

تمهيد:

ويشمل أمرين:

- تعريف مصطلحات الدراسة.
- منزلة الأمانة في الشريعة الإسلامية.

---

(١) انظر: روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، ط الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٩ / ٦٣.

المبحث الأول: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين ومجالات دعوتهم:

ويشمل المطلبين التاليين:

- المطلب الأول: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين.
- المطلب الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة.

المبحث الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمضمون الدعوة:

ويشمل المطلبين التاليين:

- المطلب الأول: أمانة الداعية المتعلقة بأصل المضمون.
- المطلب الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمآل المضمون.

المبحث الثالث: أمانة الداعية المتعلقة بوسائل الدعوة وتأثيرها:

ويشمل المطلبين التاليين:

- المطلب الأول: أمانة الداعية في جانب استخدامات وسائل الدعوة.
- المطلب الثاني: أمانة الداعية في جانب تأثيرها في نجاح الدعوة.

الخاتمة:

- وتشمل أبرز النتائج والتوصيات.

أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة:

- تعريف الداعية:

الداعية هو القائم بالدعوة وهو اسم فاعل من دعا يدعو، والدعوة في اصطلاح علماء الإسلام هي: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياه، وتطبيقه في حياتهم "(١).

فهو المبلغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي هنا من يقوم بأعمال الدعوة كلها أو بعضها (٢).

وقد جاء وصف الداعي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٣).

- تعريف الأمانة:

عرَّف أهل اللغة الأمانة بقولهم: من الأمن والائتمان: فيقال أَمِنْتُه على كذا وأْتَمَنْتُه، واسْتأْمَنَ إليه: دخل في أَمانِه، وقد أَمَّنَه وآمَنَه، فتطلق الأمانة في اللغة على الطَّاعة والعِبادة والوديعة والثقةِ وكل ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعية وغيرها، ومؤتمن القوم: الذي يثقون إليه ويتخذونه أميناً حافظاً وهي ضدُّ الخِيانة(٤).

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط الرابعة، ١٤١٨هـ، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ص ١٧.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ص٤٠. وهذا يشمل الدعاة الرسميين والمتطوعين والمفتين والقضاة وخطباء الجمعة والأئمة والمؤذنين ونحو ذلك كما سيتبين.

(٣) الأحزاب: ٤٦.

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ط ب. ر، ١٤١٢هـ، دار صادر، بيروت، ١٣/ ٢١. والنهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، بيروت ١/٧٢.

وذكر ابن الجوزي[1] أن الأمانة في القُرآن الكريم يُراد بها ثلاثة أمور:

المراد الأول: الفرائض: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2].

المراد الثاني: الوديعة: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[3].

المراد الثالث: العِفَّة: ومنه ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[4].

وفي الاصطلاح قال المناوي-رحمه الله-: الأمانة: "هي كل حق لزمك أداؤه وحفظه"[5]. والأمانات الواجبة على الإنسان، منها ما كان حقوق الله -عز وجل- على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومنها ما كان حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك[6].

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص/ ١٠٤.

(٢) الأنفال: ٢٧.

(٣) النساء: جزء من ٥٨.

(٤) القصص: ٢٦.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط الأولى، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١/ ٢٢٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ١/ ٧٨٠.

والأمانة بهذا التنوع تشمل الأمانة في الأقوال والأعمال والودائع، والداعية عليه مسؤولية الأمانة تجاه ذلك كله ويدخل فيها أعمال الدعوة ومهامها -كما سيتضح-.

التعريف الإجرائي لعنوان الدراسة:

وبهذا يمكن تعريف الداعية الأمين بأنه: "هو الذي يبلغ الإسلام للناس ويعلمه إياهم ويطبقه في واقع حياتهم متجرداً من الأهواء مع أدائه كل حق لزمه من الأقوال والأعمال مما هو مؤتمن عليه".

ثانياً: منزلة الأمانة في الشريعة:

الأمانة محلها في الشريعة رفيع وقدرها شريف، ومما يبين ذلك أمور. أذكر منها الأفرع التالية:

الفرع الأول: باعتبار تعظيم الله لقدر الأمانة بين الناس:

لقد عظّم الله قدر الأمانة بين الناس ويتجلى ذلك من خلال ما يلي:

أ- **كون الإنسان حملها من بين أعظم المخلوقات:** قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1] قال الشيخ القاسمي -رحمه الله-:" والمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن؛ بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام التي هي مَثَل في القوة والشدة مراعاتها، وكانت

---

(١) الأحزاب آية: ٧٢.

ذات شعور وإدراك ؛ لأبين قبولها وأشفقن منها "[1] وخلص الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- بعد أن ذكر أقوالاً متنوعة في تفسير الأمانة[2] إلى أنها تشمل " جميع الأمانات في الدين، وكذلك جميع الأمانات التي تكون بين الناس؛ لأن الآية الكريمة لم تخصص نوعاً من أنواع الأمانة، فكان التعميم أولى وأحسن" [3].

ب- كون الناس جميعهم قد أمروا بأدائها إلى أهلها: تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[4] قال الإمام الشوكاني: "هذه الآية من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع؛ لأن الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس في جميع الأمانات،.. واختاره جمهور المفسرين، وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها: الأبرار منهم والفجار، كما قال ابن المنذر"[5].

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط ب. ر، ب. ت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.١٢/٤٩٢٤.

(٢) فقيل أن الأمانة: هي المحافظة على الصلوات، وأداة الزكاة، والصوم، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. وقيل: إنها أمانات الناس، أي ودائعهم التي يودعونها عند غيرهم. وقيل: إنها الأمانة في الحديث وعدم الزيادة عليه. وقيل: إنها صيانة المرأة لعرضها. وقيل: إنها الاغتسال من الجنابة.وقيل: إنها صيانة الإنسان لدم غيره وعدم الاعتداء عليه. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري، ت: الدكتور عبدالله التركي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر، القاهرة ١٩/٢٠٤.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري، ١٩/٢٠٤.

(٤) النساء آية: ٥٨.

(٥) فتح القدير للإمام الشوكاني، ط الأولى، عام: ب. ر، الناشر: عالم الكتب، بيروت ١/٢٤٠.

د – كونها سببٌ لِحفظ الأهل والمال: وهذا يتضح في قصة موسى عليه السلام لما قال له الخضر مُبيِّنًا سبب بنائه للجدار: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (١). حيث كانت أمانة الوالد سبباً لحفظ أبنائه وأموالهم، وكان سعيد بن جبير يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: كان يُؤدِّي الأمانات والودائع إلى أهلها، فحَفِظَ الله تعالى له كنزَه، حتى أدرَكَ ولداه، فاستخرجا كنزهما"(٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام أن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه يثبته الله فيحفظه في أهله وماله بعده والمطيع لهواه يعاقبه الله بنقيض قصده فيذل أهله ويذهب ماله. ثم قال: وفي ذلك الحكاية المشهورة أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك فقال: أدركت عمر بن عبدالعزيز قيل له: يا أمير المؤمنين أقفرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتهم فقراء لا شيء لهم – وكان في مرض موته – فقال: أدخلوهم عليَّ فأدخلوهم وهم بضعة عشر ذكراً ليس فيهم بالغ فلما رآهم ذرفت عيناه، ثم قال لهم: يا بني والله ما منعتكم حقا هو لكم ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين،

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، ٣٦٦/١٥.

وإما غير صالح فلا أُخلِف له ما يستعين به على معصية الله.. قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مائة فرس في سبيل الله – يعني أعطاها لمن يغزو عليها –. قلت (أي شيخ الإسلام ابن تيمية): " هذا وقد كان خليفة المسلمين من أقصى المشرق بلاد الترك إلى أقصى المغرب بلاد الأندلس وغيرها ومن جزائر قبرص وثغور الشام والعواصم كطرسوس ونحوها إلى أقصى اليمن وإنما أخذ كل واحد من أولاده من تركته شيئاً يسيراً يقال: أقل من عشرين درهما – قال وحضرت بعض الخلفاء وقد اقتسم تركته بنوه فأخذ كل واحد منهم ستمائة ألف دينار ولقد رأيت بعضهم يتكفف الناس – أي يسألهم بكفه – وفي هذا الباب من الحكايات والوقائع المشاهدة في الزمان والمسموعة عما قبله ؛ ما فيه عبرة لكل ذي لب "[(١)].

هـ – كونها تقوم جنب الصراط يوم القيامة للشهادة والمحاجة:

يدل عليه ما جاء عن حذيفة ﷺ في حديث الشفاعة عن رسول الله ﷺ قال: «.. وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا.."[(٢)]

قال ابن حجر: " والمعنى ان الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن والمواصل والقاطع

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه، ط الأولى، ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ٢٨/٢٤٩.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ط الأولى، ١٤١٩هـ، دار السلام، الرياض. رقم: ٤٨٢

فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل.." [(1)] وهذا يشمل كل ما هو مؤتمن عليه من أنواع الأمانات كما تقدم.

الفرع الثاني: باعتبار الأمانة من أهم صفات الأنبياء عليهم السلام:

مما يشير إلى عظم منزلتها أيضاً اتصاف أعظم الخلق بها وهم أنبياؤه ورسله الكرام:

فقد كانت عبارات الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام لأقوامهم ذات لفظ واحد ودلالة واحدة وهي: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [(2)].

قال تعالى بشأن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)﴾ [(3)].

وقال تعالى بشأن هود عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥)﴾ [(4)].

وقال تعالى بشأن صالح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [(5)].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، القاهرة ١١/٤٥٣.

(٢) الشعراء: ١٠٧.

(٣) الشعراء آية :١٠٥- ١٠٧.

(٤) الشعراء آية : ١٣٢- ١٢٥.

(٥) الشعراء آية :١٤١- ١٤٣.

وقال تعالى بشأن لوط عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١).

وقال تعالى بشأن شعيب عليه السلام: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٢).

وقال تعالى بشأن موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٣).

و﴿أَمِينٌ﴾ أي: في فيما أُخْبركم به عن الله، قال الإمام الطبري: "فإني أمين على وحي الله، وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدّل، بل أبلغ ما أمرت كما أمرت" (٤).

وابنة شعيب قالت لأبيها في حق موسى عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾ (٥).

وفي شأن يوسف عليه السلام كانت الأمانة من صفاته وذلك الأبرز حينما قال له الملك ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٦).

---

(١) الشعراء آية :١٦٠- ١٦٢.

(٢) الشعراء آية :١٧٦- ١٧٨.

(٣) الدخان آية : ١٧-١٨.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، ١٢ /٥٠٤

(٥) القصص: ٢٦.

(٦) يوسف: ٥٤، ٥٥.

وفي شأن محمد ﷺ الذي اشتهر بالأمانة وعرف بها بين قومه، حتى صاروا يلقبونه بالصادق الأمين، كما قال عزوجل: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] فقوله: ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ ظرف، أي: مقداراً من الزمان وهو أربعون سنة وقوله: مِّن قَبْلِهِۦٓ أي: من قبل القرآن تعرفونني بالصدق والأمانة [2] وقال ﷺ عن نفسه: « أَلا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً» [3]، ولهذا عدَّ ابن كثير —رحمه الله— صفة الأمانة ممن الصفات التي امتاز بها الأنبياء عليهم السلام قال: "وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ والنصح والأمانة"[4]، وهو ما يؤكد منزلتها في الشريعة وأهميتها من بين سائر الصفات الأخرى.

الفرع الثالث: باعتبار الأمانة من أخص صفات المؤمنين:

ومما يشير إلى عظم منزلتها في الشريعة كونها وردت في سياق أوصاف الثناء للمؤمنين بعد قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [5] فجاءت من الصفات التي ينالون بها الفلاح كما في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ

(١) القصص: ٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط ب. ر، ب. ت، دار الريان، القاهرة، ٨/ ٢٨٩

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار السلام، الرياض. رقم ٤٣٥١.

(٤) تفسير القرآن العظيم – للحافظ ابن كثير، ٢/٣٥٩.

(٥) المؤمنون: ١.

وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١) (٢).

فصفة الأمانة من صفاتهم الجليلة، قال ابن عاشور عن اتصافهم بالأمانة: "هذه صفة أخرى من جلائل صفات المؤمنين" (٣).

وقد تميز عدد من الصحابة بهذه الصفة العظيمة كأبي عبيدة ﷺ حيث قال ﷺ في شأن أمانته: « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» (٤). قال العلماء: الأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصَّحابة، ولكنّ النبيّ ﷺ خَصَّ بعضهم بصفات غلبَتْ عليهم، وكانوا بها أخصّ "(٥).

ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته يحرص على الرجال الموصوفين بالأمانة في تنفيذ المهام، كأبي عبيدة بن الجراح أمين الأمة فعن ابْن أَبِي نَجِيحٍ، قَالَ: قَالَ عمر ﷺ لجسائه: "تمنّوا"، فَتَمَنَّوْا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:" لَكِنِّي أَتَمَنَّى بَيْتًا مُمْتَلِئًا رِجَالا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ"(٦).

(١) المؤمنون: ٨ — ١١.

(٢) ومما يدل أيضاً على أنها من جلائل الصفات أيضاً وصف جبريل عليه السلام بها كما في قوله تعالى "ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين " قال أبو السعود في تفسيره: "وقرىء ثم تعظيما لوصف الأمانة وتفضيلا لها على سائر الأوصاف" إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، ط الأولى، ب.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١١٨/٩.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ، مؤسسة التاريخ، بيروت ١٤/١٧.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. رقم ٣٧٤٤.ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. رقم: ٤٤٤٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ١٩١/٨.

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات انظر الطبقات الكبرى، ط ب.ر، عام: ب.ت، دار صادر، بيروت ٣ / ٢٢٠

ووصف عمر ﷺ الصحابي ثابت بن زيد ﷺ أحد الستة الذين جمعوا القرآن، حين وقف على قبره بقوله:"رحمك الله أبا زيد، لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة" (١) ولهذا ذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أن زيد بن ثابت ﷺ:" لو لم تثبت أمانته وكفايته، وعقله، لما استكتبه النبي ﷺ الوحي.."(٢) قال العلامة العيني – رحمه الله –: " وكتابة الوحي تدل على أمانته الغاية "(٣).

وإن الوصف بالأمانة من أنبل أوصاف المدح لسائر المؤمنين، ولذا كان العلماء يخلعون أوصافها على من يستحقها من نبلاء القوم في تراجمهم(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط السابعة، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١ / ٣٣٦.

(٢) فتح الباري ١٣ / ١٨٤.

(٣) عمدة القاري ١٨ / ٢٨١.

(٤) كما قال الذهبي رحمه الله عن ابن سيرين رحمه الله: "كان سمرة عظيم الأمانة" سير أعلام النبلاء ٣ / ١٨٥ ونقل أيضاً عن الحافظ عبد الرحمن بن خراش قوله في أبي حاتم الرازي: "كان أبو حاتم من أهل الأمانة والمعرفة " سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٥٢.

وفي ترجمته للشيرازي محمد بن العباس نقل قول إبراهيم الصابي فيه:"كان وقوراً في المجلس، راجح الحلم، دينا، حسن الطريقة، وافر الأمانة " سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠٨.

وفي ترجمته لإبراهيم بن خلف الأندلسي، ذكر عن أبي الربيع بن سالم قوله فيه: "ومن شيوخي ابن الفخار، مسلم له في جلالة القدر، ومتانة الأمانة والعدالة " سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٤٢.

وفي سيرة أحمد بن يونس بن حسن أبو العبّاس، المقدسيّ، المرداويّ قال أنه:" كان ممّن يضرب به المثل في الأمانة " تاريخ الإسلام – الذهبي ١٠ / ٦٨.

وفي ترجمة جعفر بن محمد بن علي الصاحب بدر الدين، أبو الفضل الآمدي: "كان حسن البشر، لين الكلمة، يضرب به المثل في الأمانة" تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي، ت: عمر عبدالسلام تدمري، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٢ / ٢٩٨.

الفرع الرابع: باعتبار التحذير النبوي من ضياعها وندرتها في آخر الزمان:

من دلائل عظم منزلة الأمانة التحذير من ضياعها وندرتها في آخر الزمان ويتمثل في أمور منها:

أن ضياع الأمانة من علامات الساعة: ولذا جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في حفظ الأمانة والتحذير من إضاعتها: عن أبي هريرة ﷺ قال: « بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (١). قال رشيد رضا: " وذلك من تَوْسِيد الأمْر إلى غير أَهْله الذي يُقَرِّب خطوات ساعة هلاك الأمة، ومن علاماتها ذهاب الأمانة" (٢).

وفي هذا تحذير وتخويف من تضييع الأمانة، وإشعار بأنها حين تضيع تختل الأمور ويفسد العالم وتختل موازينه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب: العلم باب فضل العلم رقم الحديث: ٥٩

(٢) تفسير المنار ٥ / ١٧٦.

أن من علامات فساد الزمان ندرة الرجل الأمين:

أخبر الرسول الأكرم ﷺ أن ضياع الأمانة من علامات فساد الزمان، فعن حذيفة رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: « أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا، قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(١) قال القاضي عياض -رحمه الله-:"وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذى كلف الله تعالى به عباده والعهد الذى أخذه عليهم" (٢) فهذا الحديث يصوِّر انتزاع الأمَانَة مِن قلوب الرجال خاصة لدى أولئك الذين علموا من الكتاب وعلموا من السنة فكيف بغيرهم، وفي الحديث:" أول ما تفقدون من دينكم الأمانة.."(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة رقم الحديث: ٦٠٤٣ و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من القلوب رقم الحديث: ٢١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي على ٢/١٦٨.

(٣) صححه الألباني انظر: صحيح الجامع رقم: ٢٥٧٠.

ولا ريب أن الدعوة ابتليت في هذا الزمن بمن قلَّت أمانته كما هو حال بعض المسلمين، ومن هذا البعض قلة من الدعاة، ولكن وقوع هذا من الدعاة الذين هم قلة أمر في حقيقته جلل، لأنه يتقلد مهام عظيمة كالتعليم والافتاء والدعوة والنصح والحسبة والقضاء وغيرها، وهذا أمر لا يهون إطلاقاً فقليلهم – حتماً – لا يقال له قليل[1] ولهذا فما أحوج الأمة إلى الداعية الأمين.

(١) ومن تتبّع ذلك في الوقت الحاضر في العالم الإسلامي فلن يتعنَّ في الوقوف على وقائع تثبت هذا الحال لبعض من هو محسوب على الدعوة مع الأسف، فتجد من العلماء من هو غير مبال بأمانته في الفتيا فيضل الناس في مسألة لو عرضت لعمر ﷺ لجمع لها أهل بدر كما قيل، وتجد منهم القاضي الذي قد حكم بالجور وباع دينه بعرض من الدنيا، وتجد منهم من تلاعب بأموال الأوقاف لحسابه الخاص، وتجد الداعية الذي لم يكن أميناً على كلمته بأن أفسد أكثر مما أصلح ولم يقدر عواقب قوله، وتجد منهم الذي له سرقاته العلمية ومؤلفاته المزورة ونحوه، كل ذلك أصله من التهاون في الأمانة بمفهومها الشامل.

المبحث الأول

أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين ومجالات دعوتهم

المطلب الأول

أمانة الداعية المتعلقة بأصناف المدعوين

الدعاة والعلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام، يتحملون أمانة تبليغ الدعوة، كما مرّ سابقاً والمدعوون الذي توجه لهم الدعوة هم في الجملة من ذوي القربى أو من عامة الناس، والداعية أمام كل صنف منهم تتبلور أمانته من خلال عدة أمور كما سيتبين، وسأتحدث عن ذلك من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من ذوي القربى.

الفرع الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من غير ذوي القربى.

الفرع الأول:أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من ذوي القربى:

إن أولى الناس بالدعوة هم الأهل والأقارب كما أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبدأ بعشيرته الأقربين، قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[(١)]. وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالرجل راعٍ في بيته وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها»[(٢)]. قال الإمام النووي– رحمه الله–: الراعي هو

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢)أخرج البخاري كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، رقم الحديث: ٢٨٣٠. ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، رقم: ٣٤١٤.

الحافظ المؤتمَن الملتزِم صلاحَ ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل مَن كان تحت نظره شيء فهو مُطالَبٌ بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومُتعلَّقاته"[1]، ولا ريب أن من مقدمات ذلك التي تتجلى فيها أمانة الداعية في دعوة أهل بيته والأقربين: تبليغهم الخير ووقياتهم الشر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[2].

والداعية أمين تجاه والديه ببرهم وطاعتهم وترغيبهم في الخير وتجنيبهم ما سواه بالحسنى، وزوجه أمانة عنده يرعاها ويصونها ويكرمها، ويدلها على الهدى، والحياة الزوجية بجوانبها المتنوعة أمانة بينهما تتحقق بكتمان أسرارها، وحفظ دخائلها، وفي الحديث: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[3].

ويمتد ذلك بالسعي إلى هداية الأقارب واستثمار الأوقات والمناسبات والوسائل الممكنة في نصحهم وإرشادهم فيما فيه نفع لهم في الدنيا والآخرة.

الفرع الثاني:أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من غير ذوي القربى:

الداعية الأمين مناط به عدة أمور تجاه المدعوين من الناس إذ لا ريب أن صِلاته بهم قائمة على أمور منها النصيحة، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ أَنّ

---

(١)شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ٦/٢٢٦.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، ط الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت رقم الحديث:٣٨٩٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم:٣٣١٥.

النَّبِيَّ ﷺ قَال: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ »(١).

أولاً – أئمة المسلمين:

إن أحق من وجبت له النصيحة على الخصوص والعموم من وَّلاه الله أمور الإسلام(٢) ففي الأصل أن ذلك حق للسلطان من جملة حقوقه المقررة(٣).

وتكون الأمانة تجاهه من خلال أداء النصح على الوجه الشرعي، ولهذا قال البقاعي –رحمه الله–: "والنصح دليل الأمانة وسببها "(٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة رقم الحديث ٨٥.

(٢) انظر: تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام، للإمام بدر الدين، ت: فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط الثانية، ١٤١١هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ص/٤٥.

(٣) استوفى العلامة ابن جماعة الكناني –رحمه الله تعالى– الحقوق الواجبة للسلطان، فقال فيما ملخصه: أما حقوق السلطان العشرة:

فالحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرا وباطنا ما لم يكن معصية.

الحق الثاني: بذل النصيحة له سرا وعلانية.

الحق الثالث: القيامُ بنصرته باطنا وظاهراً.

الحق الرابع: أن يُعرف له عظيم حقه وما يجب من تعظيم قدره فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام.

الحق الخامس: تنبيهه عند غفلته وإرشاده عند هفوته.

الحق السادس: تحذيره من عدو يقصِدُهُ بسوء.. ومن كل شيء يخاف عليه منه.

الحق السابع: إعلامُهُ بسيرة عماله الذين هو مطالبٌ بهم ومشغول الذمة بسببهم.

الحق الثامن: إعانته على ما تَحَمَّلَهُ من أعباء الأمة.

الحق التاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه لما في ذلك من مصالح الأمة.

الحق العاشر: الذب عنه بالقول والعمل في الظاهر والباطن والسر والعلانية.

انظر: تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام، للإمام بدر الدين، ص/٦٣.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ط الثانية، ١٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٤ / ٢٢٨.

وذلك بالقيام بنصرة ولي الأمر ظاهراً وباطناً، وإيقاظه عند غفلته وإرشاده عند هفوته، وتحذيره من عدو يقصِدُهُ بسوء.. ومن كل شيء يخاف عليه منه، وإعلامُهُ بسيرة عُمَّالِه الذين هو مطالبٌ بهم ومشغول الذمة بسببهم، ورد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه لما في ذلك من مصالح الأمة، والذب عنه بالقول والعمل في الظاهر والباطن والسر والعلانية(١).

ثانياً – العامة:

وتكون أمانة الداعية تجاه عامة الناس من خلال أمور من أبرزها:

أ- حفظه أسرار المدعوين:

الداعية بطبيعة مكانته يخالط الناس ويلتقي بهم في قضاياهم الخاصة التي يحبون أن لا يطلع عليها أحد، وهذا أمر جبلي في طبائع البشر، والداعية محل كتمان السر، وكان من الصحابة من هو كاتم لِسَرِّ رسول الله ﷺ وهو حذيفة ﷺ وكان يُقال له: "صاحب السِّر الذي لا يعلمه أحدٌ غيره" (٢).

إن مجالس الداعية مع المدعوين تُعقَد بالأمانة على ما يجري فيها من أمور، فعن جابرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إنما المجالسُ بالأمانة»(٣) أي

---

(١) انظر: تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام – للإمام بدر الدين، ص/٦٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري كتاب فضائل أصحابة النبي ﷺ، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما رقم: ٣٧٤٢.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، ط الأولى، عام:١٣٩٤هـ، دار الحديث، سوريا.رقم:٤٨٦٩ وحسنه الإمام الألباني في صحيح الجامع انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط الثالثة ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.رقم: ٦٦٧٨.

عند المتَحدِّث إليه، والمعنى فحكم الحديث حكم الأمانة فيجب عليه كتمه[1] وعن جابر بن عبدالله ﷺ أيضاً عن النبيّ ﷺ قال: «إذا حدَّث الرَّجُلُ الحديثَ ثم التَفَتَ فهي أمانَةٌ»[2]. قال المباركفوري -رحمه الله-: حُسْنُ المجالس وشرَفُها بأَمانة حاضِريها على ما يقعُ فيها من قولٍ وفعلٍ؛ فكأنَّ المعنى ليكن صاحب المجلس أمينًا لما يسمعه ويراه"[3].

وهذا بلاشك يعمّ كل مجالس الدعوة بمختلف مقاماتها مع المدعوين فيجب أنْ تحفظ أسرارها، ولا يحلُّ للداعية أنْ يفشي سِرّاً من أسرار إخوانه من المدعوين لا يحبُّون أنْ يخرج عنهم.

وإذا كان نقيض الأمانة هو الخيانة فهو متحقق في نقض عهد كل الأسرار وفض أقفالها، ومنها ما يتصل بأسرار الدعوة وشؤونها، وهو ما كان من زوجتي لوط ونوح عليهما السلام، حيث وصفهما الله تعالى بالخيانة في قوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[4]. قال ابن كثير رحمه الله: قال العَوفي عن ابن عباس ﷺ قال: كانت خيانتهما أن امرأة نُوح تَطَلع على

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ٦/٧٩.

(٢) أخرجه الإمام الترمذيّ في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء أن المجالس أمانة، رقم الحديث:١٩٥٩.وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، رقم:٤٨٦٨.وحسنه الإمام الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٤٨٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ٦/٧٩.

(٤) التحريم: ١٠.

سر نُوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء"(١).

ب- ردّه ودائع الناس:

إن كثيراً من الدعاة هم محل ثقة الناس على نفائسهم فمن تصدى من الدعاة لعامة الناس في هذا الأمر وجب عليه مزيد عناية تحمُّلاً وأداءً، وليكن ممن قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٢). قال ابن عاشور:" فالأمانة تكون غالبا من النفائس التي يخشى صاحبُها عليها التلف فيجعلها عند من يظن فيه حفظها، وفي الغالب يكون ذلك على انفراد بين المؤتمِن والأمين، فهي لنفاستها قد تغري الأمين عليها بأن لا يردها وبأن يجحدها ربَّها، ولكون دفعها في الغالب عرياً عن الإشهاد تبعث محبتها الأمين على التمسك بها وعدم ردِّها، فلذلك جعل الله ردها من شعب الإيمان" (٣).

والأدلة على وجوب رد الودائع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ ﴾(٤) وقوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٦١٤.

(٢) المؤمنون: ٨ – ١١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨/١٤.

(٤) البقرة: جزء من ٢٨٣.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ (١) قال الإمام القرطبي: "والآية عامة في جميع الناس، فهي تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات، وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع. قال: وهذا إجماع، قال: وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار"(٢).

قال ابن العربي –رحمه الله–:"فهي عامة بقولها، شاملة بنظمها لكل أمانة وهي أعداد كثيرة أمهاتها في الأحكام: الوديعة واللقطة والرهن والإجارة والعارية" (٣)

وإذا كان هذا في حق كل أحد فهو أعظم وأجل في حق الداعية باعتبار ما يحمله من علم ورث به الأنبياء الذين اتصفوا بصفات من أهمها الأمانة كما فعل الرسول ﷺ مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول ﷺ ليحفظها لهم؛ ولهذا عُرِفَ الرسولﷺ بصدقه وأمانته بين أهل مكة، فكانوا يلقبونه قبل البعثة بالصادق الأمين، وكان ذلك من أسباب استجابة كثير من المدعوين للدعوته.

ج– حرصه على هداية الناس:

لقد كان من صفات النبي الأمين أنه حريص على هداية الناس قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٣ / ١٨٢٦.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١ص٤٥٠.

حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[3].

وبالنظر إلى سيرته العملية في الدعوة نجد تطبيقات ذلك في كل مواقفه الدعوية وحرصه على دعوة الناس في جميع الأمكنة والأزمنة والأحوال[4].

ولهذا فإن من ملامح أمانة الداعية مع عامة الناس حرصه على هدايتهم وبذله في دعوتهم إلى الخير من نفسه ووقته وماله، ولا ريب أن شعور المدعو بحرص الداعية على هدايته يستميل قلبه ويستثير عواطفه لقبول الدعوة[5].

---

(١) التوبة: ١٢٨

(٢) يوسف: ١٠٣

(٣) النحل: ٣٧

(٤) ينظر: الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي، ط الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار ترجمان الإسلام، باكستان ص/ ١٧.

(٥) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، ط الرابعة، عام: ١٤١٩هـ، دار الدعوة، مصر ص/ ٦٦.

المطلب الثاني

أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة:

إن الأمانة عين الإيمان فإذا استمكنت من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها وجدّ في إقامتها[(١)] وصلة الداعية بالمدعوين في مجتمعه يكون من خلال مجالات منها عامة ومنها خاصة ويتضح ذلك بالآتي:

الفرع الأول: أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة العامة:

نستعرض أبرز مجالات الدعوة العامة التي من خلالها يمكن أن يحقق الداعية أمانته فيما أوكل إليه من مسؤولية، بذكر أبرز تلك المجالات:

أولاً: أمانة الداعية في مجال علاقاته:

أ- علاقته مع ربه بحفظ جوارحه: إن عناية الداعية بأن يتصف بالأمانة يكون ابتداء بعلاقته مع ربه من خلال أمانته على سمعه وبصره وفؤاده وجوارحه، وسريان ذلك إلى عقيدته وعبادته وفرائض الدين وسننها مما هو مؤتمن عليه لا يَطلَّعُ عليه العباد، وأمانة الداعية في علاقته مع ربه يسهم حقاً في إعداد وتكوين نفس صادقة في دعوتها ترتقي بالداعية عن الأغراض والأهواء والأدواء.

وتتجلى أمانة الداعية في هذا الجانب بعلاقة موسى عليه السلام مع ربه حينما قالت ابنة شعيب لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ٢/١٧٠.

ﱡﭐ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﱠ [(١)] قال لها أبوها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته: فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة. وأما أمانته: فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك [(٢)].

وإن ترك الأمانة في هذا الجانب مؤداه إلى ترك الفرائض ومن ثم الوقوع في دنس الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية كما في قوله تعالى: ﱡﭐ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﱠ [(٣)]، فسر ابن عباس -رضي الله عنهما- بقوله:الأمانة الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة.

والله تعالى يعلم خائنة الأعين وغيرها من الحواس وإن تظاهر صاحبها بالأمانة، قال تعالى: ﱡﭐ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﱠ [(٤)]، قال ابن كثير-رحمه الله-:" ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه فإنه -عزوجل- يعلم خائنة الأعين وإن أبدت أمانة "[(٥)]. وهذا يطرد مع كل حواس الداعية

(١) القصص: ٢٦.

(٢) معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين البغوي، ت: محمد عبدالله النمر وآخرون، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، دار طيبة، الرياض، ٦/٢٠٢.

(٣) الأنفال: ٢٧.

(٤) غافر: ١٩

(٥) ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﱡﭐ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﱠ غافر: ١٩: "وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم، وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غضّ، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض [بصره عنها] وقد اطلع الله من قلبه أنه ودَّ أن لو اطلع على فرجها". تفسير ابن كثير ٤/١١٤. ومعلوم أن المنكرات والمعاصي مبدؤها النظر، فمسارقة النظر إلى ما لا يحل لا شك أنه خيانة بحق العين.

وجوارحه قال الإمام الغزالي-رحمه الله-: "اعلم أنَّك تَعصِي الله بِجَوارِحك، وإنما هي نعمةٌ من الله عليك، وأمانةٌ لديك، فاستِعانتُك بنعمة الله تعالى على معصيته غايةُ الكُفران، وخِيانتك في أمانةٍ أودَعَكَها الله تعالى غايةَ الطُّغيان، فأعْضاؤك رعاؤك، فانظُر كيف ترعاها «ألا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ" [(١)]

ب – علاقاته مع المدعوين: مدار حياة الناس وتعاملاتهم في كل المجتمعات يرتكز على الأمانة، إذ "من المعلوم الجليّ أن بقاء النوع الإنساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الأعمال، وروح المعاملة والمعاوضة إنما هي الأمانة، فإن فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة، فاختلَّ نظام المعيشة، وأفضى ذلك بنوع الإنسان إلى الفناء العاجل"[(٢)].

وإن أمانة الداعية تتحقق مع المدعوين من الأهل والعيال وسائر الأقارب والمملوكين والجار وسائر المسلمين[(٣)] بجملة من الأمور، من أهمها رد ودائعهم إليهم، وحفظ حقوقهم وصيانة أعراضهم والالتزام بالعهود والمواثيق في المعاملات والمداينات والوفاء بما تم الاتفاق عليه، وتوثيق ذلك بما يحفظه من النسيان أو الخلاف، وفي الجانب المالي بالبعد عن الغش والخداع والغدر، وقد مَرَّ النبي ﷺ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا

---

(١) أخرج البخاري كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق رقم الحديث ٢٨٣٠. ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل رقم ٣٤١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم (المنار) للشيخ محمد رشيد رضا، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥ /١٤٤.

(٣) انظر: روح المعاني، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي ٢٩ / ٦٣.

فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي »[(١)].

ومن ذلك الأمانة في الكيل والميزان إذ تتحقق بالضبط والعدل والابتعاد عن الإنقاص أو الزيادة.

وتتحقق الأمانة في التجارة بما أشار إليه رسول الله ﷺ حين قال: إن أطيبَ الكسب كسبُ التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتُمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يُخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يُمطلوا، وإذا كان لهم لم يُعسّروا.

وكذا في الشأن مع الحاكم بأداء الوجبات وما تقتضيه البيعة للسلطان من السمع والطاعة والنصح وكل ما يتعلق بذلك في حال السلم والحرب.

ثانياً: أمانة الداعية في المجال الوظيفي في الولايات المتنوعة:

إن جميع الوظائف مقصودها العام في الإسلام أن يكون الدينُ كلّه لله -عز وجل-، وإصلاح دين الخلق، وقد قرّر ذلك غير واحد من أهل العلم والتحقيق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" فالمقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم"[(٢)].

---

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا" رقم الحديث: ٢٨٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٦٢.

وقال الإمام الماوردي -رحمه الله-:"وإن مما يجب على السلطان: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء، فيما يُفوِّض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة" (١).

ولهذا تتطلب رعاية المهام في عموم الولايات الاتصاف بالأمانة إلى جانب القوة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (٢) وقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ (٣) وفي قصة سليمان: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ (٤)

أشار ابن تيمية عند هذه المواضع الثلاثة بما يتصف به ممن يتولى الولاية بقوله:" فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة" (٥). وهو" كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك" (٦).

---

(١) الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي الماوردي، ط ب.ر، ب.ت، دار الكتاب العربي، بيروت، ص/ ٥١

(٢) القصص: ٢٦.

(٣) التكوير: ٢٠ — ٢١

(٤) النمل: ٣٩

(٥) فتاوى ابن تيمية ٢٥٣/٢٨.

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ط الأولى، ١٤٢١هـ، دار المعرفة، بيروت ص/ ٨٦٧.

ويوسف -عليه السلام- قال للملك: ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] قال ابن كثير: ﷺ أي: خازن أمين[2]. وأداء المهام على وجهها كما أنه أمانة فإن استثمار الداعية للولاية أيا كانت في إيصال الخير للناس وإرشادهم أيضاً من الأمانة، ولذا بيّن الإمام الشوكاني الصلة بين تولي يوسف -عليه السلام- منصب خزانة الأرض في مصر وهي الأمكنة التي تخزن فيها الأموال وبين دعوة الناس بقوله: " طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به إلى نشر العدل ورفع الظلم، ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان، وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل؛ طلب ذلك لنفسه" [3].

وقرّر ذلك ابن فرحون المالكي -رحمه الله- بقوله عن يوسف عليه السلام: "فإنه كان بين قوم كفار فأراد استصلاحهم ودعاهم إلى الله تعالى بالسعي في هذه الولاية" [4].

والخازن الأمين في شتى الوظائف هو أحد المتصدِّقين فعن أبي مُوسى الأشعريرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الخازنُ الأمين الذي يُؤَدِّي ما أُمِرَ به طيِّبَةً نفسُهُ أحَدُ المتصدِّقين»[1].

---

(١) يوسف: ٥٥

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧٤٤/٢.

(٣) فتح القدير، للإمام الشوكاني ٣٥/٣.

(٤) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لابن فرحون المالكي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤/١.

ويتضح مما سبق أن الولايات المتنوعة هي محل أمانة، قال رشيد رضا -رحمه الله-: "وهذه الطبقات من الوالين للأعمال إنما تؤدِّي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الأمانة فإن خزيت أمانة أولئك الرجال سقط بناء السلطة وسلب الأمن وزاحت الراحة بين الرعايا وضاعت حقوق الناس"(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "ومِن الأمانة أمانة الولاية، وهي أعظمها مسؤولية، الولاية العامة والولايات الخاصة، فالسلطان – مثلاً الرئيس الأعلى في الدولة- أمينٌ على الأمة كلها، على مصالحها الدينية، ومصالحها الدنيوية، على أموالها التي تكون في بيت المال، لا يبذِّرها ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك. وهناك أمانات أخرى دونها، كأمانة الوزير -مثلًا- في وزارته، وأمانة الأمير في منطقته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله" (٣).

وبهذا الاعتبار فالواجب على أصحاب الولايات أيّاً كانت أصنافها ومراتبها؛ أداء الأمانات لأهلها، وأما من كان غير قادر على أمانة الولاية أو انتابه الضعف فمن الأمانة حينئذ عدم توليها، عن أبي ذرّ ﷺ أنه قال: يا رسول الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب: استئجار الرجل الصالح رقم الحديث: ٢١١٠.

(٢) تفسير المنار ١٥٢/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، مدار الوطن للنشر، الرياض، ٤٦٣/٢. ومن ذلك أمانة الطبيب، وأمانة المهندس، وأمانة أصحاب المهن والحرف والصناعات المختلفة، وهكذا الشأن في كل من تقلّد عملاً ؛ أن يكون أميناً فيه.

« إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » (١).

قال النووي "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم " (٢).

وكما أن المهام الجسام في الولايات المتنوعة تتطلب الأمانة –كما اتضح– وفيها قال الشَّافعي: "آلات الرِّياسة خمس: صدق اللَّهجة، وكتمان السِّرِّ، والوفاء بالعهد، وابتداء النَّصيحة، وأداء الأمَانَة" (٣) فإن الأمانة أيضاً تجري حتى في الأعمال الصغيرة، فعن عدي بن عميرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤) قال المباركفوري: "والحديث مسوق لحثّ العمال على الأمانة وتحذيرهم عن الخيانة ولو في تافه.." (٥). ويَعْظُم في نفس الداعية الإخلال بالأمانة في مطلق أعماله –إضافة إلى ما تقدم– لأنها

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة رقم الحديث: ٣٤١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ٦/٢٢١.

(٣) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ١٠ / ٤٢.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال رقم الحديث: ٣٤٢١.

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري، ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية، بنارس الهند ٦/٣١.

إحدى آيات المنافقين، فعن أبي هريرة ﷺ أن النَّبيّ ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» (١)

الفرع الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة الخاصة:

ثمة مجالات للأمانة مناطة بالداعية نظراً لسمو رسالته باعتباره وريث الأنبياء في مهمتهم العظيمة، وتلك المجالات لها صلة بالدعوة إما مباشرة وإما غير مباشرة ويتضح ذلك بالآتي:

أولاً – أمانة الداعية في مجالات الدعوة المباشرة:

إن المقصود بمجال الدعوة المباشرة هو ما كان فيه عمل دعوي صريح، ومن تلك المجالات التي تتلازم فيها الدعوة والأمانة ما يلي:

– أمانة الداعية في مجال تبليغ الدعوة:

من جملة أنواع الأمانات المتعددة التي أُمر المسلم بأدائها أمانة تبليغ الدعوة للناس، ولهذا قال ابن عاشور: "وتطلق الأمانة مجازاً على ما يجب على المكلف إبلاغه إلى أربابه ومستحقيه من الخاصة والعامة، كالدين، والعلم والعهود، والجوار، والنصيحة، ونحوها، وضدها الخيانة في الإطلاقين. والأمر للوجوب"(٢).

والداعية في أمانة تبليغ الدعوة يتأسّى بالرسل الكرام كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٣) فتضمّن أمرين: الإخبار بأنهم رسل الله إلى

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق رقم ٣٣. والإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: خصال المنافق رقم: ٦٠.

(٢) التحرير والتنوير ٤/١٦٠.

(٣) الشعراء: ١٠٧.

أقوامهم، والثاني الإخبار بأمانتهم في تبليغ هذه الرسالة بما يؤكد التلازم التام بين الدعوة والأمانة.

وهود عليه السلام وصف نفسه في مقام الدعوة بكونه أميناً فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [(١)] لأمور منها:" أن مدار أمر الرسالة والتبليغ عن الله على الأمانة، فوصف نفسه بكونه أميناً تقريراً للرسالة والنبوة "[(٢)].

ورسول الله ﷺ الهادي الأمين استنطق أمته في خطبته يوم حجة الوداع، وشهدوا له بأنه قد أدى الأمانة بأن بلغ الرسالة ونصح الأمة.

وكان ﷺ يبعث في مقام الدعوة الداعية الأمين، فعن أنس ﷺ أَنَّ أَهْلَ اليمن قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالإِسْلامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: « هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»[(٣)].
قال ابن قيم الجوزية: "ومنها:- أي ما يستنبط - بَعْثُ الإمامِ الرجلَ العالِمِ إلى أهل الهُدنة فى مصلحة الإسلام، وأنه ينبغى أن يكون أميناً، وهو الذى لا غرض له ولا هوى، وإنما مرادُه مجردُ مرضاة الله ورسوله، لا يشوبُها بغيرها، فهذا هو الأمين حقُّ الأمين، كحال أبى عُبيدة بن الجرَّاح"[(٤)].

---

(١) الأعراف: ٦٨.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ط الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ٧ / ١٦٧.

(٣) أخرجه الإمام ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه رقم: ٤٤٤٩.

(٤)زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، ط الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ٦٤٤/٣.

فلا ريب أن تبليغ الدعوة للمدعوين يتطلب من الداعية أن تغدو الأمانة دثاره وشعاره، وهذا أحد مجالات الدعوة المباشرة.

- **أمانة الداعية في مجال الأذان:**

النداء للركن الثاني من أركان الإسلام مهمة عظيمة من مهام الدعوة المباشرة فالأذان على قلّة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة، لأنَّه بدَأ بالتكبير المتضمّن وجود الله وكماله، ثمَّ ثنّى بالتوحيد ونفى الشريك، ثمَّ بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ ثمَّ دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنّها لا تعرف إلا من جهة الرسول، ثمَّ دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثمَّ أعاد ما أعاد توكيداً[1]. وقال الامام النووي -رحمه الله-: " ذكر العلماء في حكمة الأذان أربعة أشياء: إظهار شعار الإسلام، وكلمة التوحيد، والإعلام بدخول وقت الصلاة وبمكانها، والدعاء إلى الجماعة" [2].

وفي الحديث ما يدل على إطلاق لفظ "الدعوة" على المؤذن بصفة خاصة فعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:« الْخِلافَةُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْحُكْمُ فِي الأَنْصَارِ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ » [3] فأراد بالدعوة الأذان، جعله في الحبشة تفضيلاً لمؤذنه بلال ﷺ.

---

(١) انظر:الفتح الباري ٢/٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ٣/١٨٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند. ط الثانية، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٩ / ٢٠٠. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة بقوله: "وهذا إسناد شامي حسن وفي بعضهم كلام لا يضر " ٤ / ٤٦٧.

ولهذا جاء في الحديث وصف الأمانة للمؤذن، أما الإمام فُوصِف بأنه ضامن[1]. فعن أبي هريرة ﷺ قَالَ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدْ الْأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ »[2].

والمؤذن الأمين يمكن تصور أمانته في تحرّيه الوقت حيث يعتمد الناس على صوته في الصلاة والصيام وسائر الوظائف المؤقّتة، قال ابن الأثير: "مؤتمن القوم الذي يَثِقُونَ إِلَيه ويتخذونَه أَمِينًا حَافِظًا.. يَعنِي أَن الْمؤذن أَمين الناس على صلَاتهم وصيامهم" [3].

وهكذا قال الطِّيبِي: "والمؤذن أَمين في الْأَوْقات يعْتمد الناسُ على أَصواتهم فِي الصلاة والصيام وسائر الوظائف الْمُؤَقَّتَة" [4].

– أمانة الداعية في مجال الشورى:

يؤكد ضرورة أمانة الداعية في تقديم الرأي الصائب لمن طلبه أمور منها قول رسول ﷺ: « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[5] قال المناوي –رحمه الله–: أي أمين

---

(١) اختلف الفقهاء في التفضيل بين الأذان والإمامة أيهما أفضل، على قولين:

القول الأول: أن الأذان أفضل من الإمامة، وهو الراجح عند الشافعية ومذهب الحنابلة وكان من أدلتهم أنه أمين وذلك أعظم حالاً من الضمين والدعاء بالمغفرة وذلك أعظم من الدعاء بالإرشاد.

القول الثاني: أنَّ الإمامة أفضلُ من الأذان، وهو قول الحنفية والمالكية ووجه للشافعية،ورواية عند الحنابلة. انظر في تفصيل المسألة المغني لابن قدامة، ت الدكتور عبدالله التركي، ط الثالثة، ١٤١٧هـ، دار عالم الكتب، الرياض ٢/٥٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم ٩٤٧٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٧٨٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٧١.

(٤) وزاد بعضهم لأنهم كانوا يرتقون في أمكنة عالية فينبغي أن لا يشرفوا على بيوت الناس لكونهم أمناء.

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في الجامع كتاب الأدب، باب إن المستشار مؤتمن رقم:٢٨٢٢. وأبو داود في السنن كتاب الأدب، باب في المشورة، رقم:٥١٢٨ والحديث صححه الألباني انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم: ٦٧٠٠.

على ما استشير فيه فمن أفضى إلى أخيه بسرِّه، وأمِنه على نفسه فقد جعله بمحلها، فيجب عليه ألا يشير عليه إلا بما يراه صواباً، فإنه كالأمانة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا ثقة، والسرُّ قد يكون في إذاعته تلف النفس، وهذا أولى بأن لا يجُعل إلا عند موثوق به، وفيه حثٌّ على ما يحصل به معظم الدين وهو النصح لله ورسوله وعامة المسلمين، وبه يحصل التحابب والائتلاف، قال بعضهم: يحتاج الناصح والمشير إلى علم كبير كثير، فإنه يحتاج أولا إلى علم الشريعة؛ وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس، وعلم الزمان، وعلم المكان، وعلم الترجيح فيفعل بحسب الأرجح عنده [(١)].

فالداعية بما لديه من علم شرعي وبصيرة وحكمةٍ أهلٌ لأن يقدم الرأي لمن طلبه من المدعوين سواء من عامة الناس أو خاصتهم في جوانب يرون فيها حاجة إلى رأي راجح.قال الإمام البخاري رحمه الله:" وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم " [(٢)].

وقال ابن جماعة -رحمه الله-: وينبغي للسلطان مشاورة العلماء العاملين الناصحين لله ورسوله وللمسلمين فيعتمد عليهم في أحكامه ونقضه وإبرامه وجدير بَملِك يكون تدبيره بين نصيحة العلماء ودعاء الصلحاء أن يقوم عمده ويدوم أمده [(٣)]. وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها نبيه" [(٤)].

(١) فيض القدير ٥/٤٠٨.

(٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول الله تعالى وأمرهم شورى بينهم رقم: ١٥٤٣.

(٣) انظر: تحرير الأحكام ص/٧٢.

(٤) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ط الثالثة ١٩٥٥م، دار الكتاب العربي، مصر، ص١٦٥.

- **أمانة الداعية في مجال التعليم:**

إن الداعية الأمين يصون العلم ويحفظه ويحققه ويضبطه بالضوابط الشرعية ويعمل بمقتضاه حتى يثمر ويقوم بتعليمه وبثه ونشره في الأمة كما هو ليعمَّ نفعُه بين المدعوين، من غير تزيّد عليه، ولا تحريف له، لأن التزيّد طمسٌ لمعالم العلم، والتحريف تبديل للحق [(١)]. قال رشيد رضا: الذي يتعلم العلم قد أودع أمانة وأخذ عليه العهد بالتعامل والعرف بأن يؤدي هذه الأمانة ويفيد الناس ويرشدهم بهذا العلم، وقد أخذ الله العهد العام على الناس بهذا التعامل المتعارف بينهم شرعاً وعرفاً بنص قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [(٢)] فيجب على العالم أن يؤدي أمانة العلم إلى الناس خاصة فيما لا بد منه ولا يسع الناس جهله من العقائد والواجبات وأحكام الحلال والحرام، ولا يخرج علماء الدين من تبعة الكتمان والخيانة في أمانة الله بتصديهم لتدريس كتب الفقه والعقائد، فإن هذه الكتب لا تفهمها العامة ولا تجب عليها معرفتها ؛ لأنها وضعت للمنقطعين للعلم يستعينون بها على القضاء والإفتاء في المسائل التي لا يحتاج إليها كل الناس دائماً، فيجب على العلماء أن يتصدوا لتعليم الجمهور ما لا يسع أحدا منهم جهله وأن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر من أقرب الطرق وأسهلها، وإنما يعرف ذلك بالتجربة والاختبار [(٣)].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي ١ / ١٧٢٤. والعلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد، ط الأولى عام ١٤١٦هـ، دار البيان، الكويت، ص/ ٢٦٥.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

(٣) انظر: تفسير المنار ٥/١٤٥.

وإن كتمان العلم هو خيانة توعد الله عليها ورتب عليها اللعنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[(١)]. قال ابن عاشور: "فالعالم يحرم عليه أن يكتم من علمه ما فيه هدى للناس؛ لأن كتم الهدى إيقاع في الضلالة سواء في ذلك العلم الذي بُلِّغَ إليه بطريق الخبر كالقرآن والسنة الصحيحة، والعلم الذي يحصل عن نظر كالاجتهادات إذا بلغت مبلغ غلبة الظن بأن فيها خيراً للمسلمين "[(٢)].

ويدخل في ذلك كل من أوكلت إليه مهمة التعليم النظامي العام والعالي في هذا العصر لأن "التلميذ أمانة يجب على الأستاذ أن يوجهه إلى العلوم النافعة والعقائد السليمة، ويحذره من البدع وما يضره في دينه ويحذره من أهل البدع..ويذكر له العلماء المحققين المستقيمين وكتبهم ليقتنيها فيتأثر بها -بإذن الله- وتحلُّ العقيدة السليمة في قلبه ويسعد في حياته وبعد مماته بإذن الله تعالى "[(٣)].

- أمانة الداعية في مجال البحث والتأليف:

إن نسبة العلم لأهله يحل البركة وضده مظنة نزعها، والداعية في مجال التأليف أمين في النقل والإسناد وكان ذلك من أبرز سمات العلماء الربانيين من أجل أنها أمانة ولذلك قيل:

---

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) التحرير والتنوير ٤/١٤٥.

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد السلمان، ط الثلاثون، ١٤٢٤هـ، ٣ /٥٣١.

أَنُصُّ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي نَصِّهِ

ولهذا ما أجود قول الإمام السيوطي -رحمه الله- في "الفارق بين المصنف والسارق" تعليقاً على قول الإمام المزَني في أول "مختصره"حين قال: "كتاب الطهارة: قال الإمام الشافعي: قال الله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً) – فعلق السيوطي بقوله: "أفما كان المزَني رأى هذه الآية في المصحف فينقلها منه بدون عزوها إلى إمامه" ؟ (يعني الشافعي).

فأجاب عن ذلك بقوله:" قال العلماء: وإنّما صنع ذلك؛ لأنّ الافتتاح بها من نظام الشافعي لا مِن نظامه.. حتّى قال: مَحَلّ ذلك حِرصاً على أداء الأمانة وتجنّب الخيانة؛ فإنها بِئْسَتِ البِطانة، وامتثالاً للحديث، واقتداءً بالأئمة في القديم والحديث، وتحرُّزاً عن الكذب والتَّشَبُّع، وتوفيةً لحقّ التتبُّع، ورغبةً في حصول النفع والبركة، ورَفْع تصنيفهم إلى أعلى درجة عن أسفل دَرَكة، وقياماً بشكر العلم وأهله، وإعطاء السابق حقَّه لفضله" (١).

وأهل السنة لهم القِدحُ المعلَّى في ذلك الشأن ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم إذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويَدَعُون ما سواه؛ كي يدينوا المنقول عنه، فإن كان حقّاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع. ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يُحَمِّلُون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن(٢).

---

(١) الفارق بين المصنف والسارق، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: هلال ناجي، ط الأول ١٤١٩هـ، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ص/ ٣٥.

(٢) مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة - المفهوم والخصائص، ص/ ٢٣

والداعية في البحث والتأليف إذا لم يكن أميناً فهذا مما يبعث على الاسترابة بنقله إذ لا يستقيم ظل والعود أعوج فلا يؤمن عليه التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصاً على مكسب يحصل عليه[1] "وإذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يتشدد في الحديث ويتوعد عليه، والزمان زمانٌ، والصحابة متوافرون، والبدع لم تظهر، والناس في القرن الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ، فما ظنك بالحال في الأزمنة التي ذمها وقد كثرت البدع وقلت الأمانة ؟"[2].

ثانياً – أمانة الداعية في مجالات الدعوة غير المباشرة:

مجالات الدعوة غير المباشرة ما كانت في إطار الولايات الشرعية التي بها حفظ الشريعة وصيانتها كما سمَّاها ابن جماعة وبين أنها: القضاء، والفتيا، والحسبة، والأوقاف العامة، والنظر للأيتام ومن إليهم، واشترط ابنُ جماعة في كل من يلي أيّاً من هذه الأمور "عدالة لا يعدل عنها وكفاية لا يجوز الخلوّ منها" [3] وبيان أمانة الداعية في هذه المجالات كما يلي:

– أمانة الداعية في مجال القضاء:

القضاء منصب شرعي للحكم بين الناس في الحقوق، لا يتولاه إلا أهل العلم الشرعي ومن اتصف بعدة صفات لا تخلو منها الأمانة، حيث

(١) انظر: الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، لابن السيد البطليوسي ت: الدكتور محمد رضوان الداية ط الثالثة، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، دمشق، ص/ ١٦١

(٢) انظر: الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، البطليوسي، ص/ ١٦١.

(٣) تحرير الأحكام ص/٨٨.

ذكر العلماء منها: "أن يكون ذا ديانة مشهورة وسيرة وعفة مألوفة، ووقار وسكينة، ونفس شريفة، وتام الورع، خالياً من الطمع، متنزهاً عن ملابسة الرذائل ومخالطة الأراذل.."[1] وجاء في رسالة عبدالحميد بن يحيى الكاتب في العصر الأموي التي كتبها إلى ولي العهد يبين له فيها المسلك الذي يجب أن يسلكه في التدبير:" فليكن من تولية القضاء في عسكرك: من ذوي الخير في القناعة، والعفاف، والنزاهة، والفهم، والوقار.. إلى أن قال: عدل في الأمانة"[2] ومن الصفات التي تتجلى فيها قيم الأمانة العدالة التي يقصد منها أن يكون مؤدياً للفرائض والأركان، صادق اللهجة، عفيفاً عن المحارم، متوقياً من المآثم، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه، ظاهر الأمانة..[3] وكونه أميناً لأنه حَكَمٌ على الناس كما قال شيخ الإسلام:" والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمناً قليلاً، وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل من حكم على الناس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[4][5] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ

---

(١) تحرير الأحكام ص/٨٨

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، ت: يوسف طويل، ط الأولى، ١٩٨٧، دار الفكر، دمشق، ٢٢٤/١٠.

(٣) انظر:صفات القاضي في المجتمع الإسلامي، د. حسين نصار بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، عدد ٢ عام ١٤١١هـ ص/ ٤٣.

(٤) المائدة جزء من آية: ٤٤.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢٥٣/٢٨.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [1] قال ابن عاشور في هذا الصدد: "والخطاب لكلّ من يصلح لتلقّي هذا الخطاب والعمل به من كلّ مؤتمن على شيء، ومن كلّ من تولّى الحكم بين الناس في الحقوق " [2].

وثمة تناسب بين الأمر بأداء الأمانات في الآية وبين الحكم بالعدل، وبين اتصاف الله بكونه سمعياً بصيراً، وهو أن القاضي مؤتمن على الحكم بالعدل بين المتخاصمين وهذا يستوجب منه أن يكون ذا استماع بصير يتحري من خلاله فهم دعوى المدعي وجواب المدعى عليه، من أجل استجلاء موضوع التنازع وإعمال الأمارات فيما لا تحضره البينات، والتعمُّق في القرائن والملابسات، وهذا الإعمال الكامل من القاضي لفكره واستماعه البصير ثم النطق بالحكم الشرعي بما ظهر له يتطلب بُعْدَه عن أسباب الجور في الحكم من المرغبات أو المرهبات ليكون أميناً غير خائن لعلمه وما تكشف له [3].

- أمانة الداعية في مجال الفتيا:

إن الذي يتصدر لفتيا الناس من الدعاة لابد أن يكون ملمّاً بالشروط التي وضعها الفقهاء فهي التي تؤهله لأن يستنبط ويرحج ويختار فهذه تتصل بالقوة العلمية، وإلى جانب ذلك الأمانة العلمية وهي شروط لم يذكرها

(١) النساء: ٥٨

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٤ / ١٦٠.

(٣) انظر: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لابن فرحون المالكي٢/١٠١. وتفسير المنار، رشيد رضا ١٤٧/٥. وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ط السادسة عشرة، ١٤١٠هـ دار الشروق، القاهرة، ٦٨٩/٢.

العلماء عبثاً وإنما ذكروها حفظاً للدين من المتعالمين ووقاية له من خائني أمانة العلم وهم من يطلق على أحدهم المفتي الماجن [(١)] جاء في معجم لغة الفقهاء المفتي الماجن: الذي يعلم الناس الحيل لإسقاط الأحكام الشرعية [(٢)]، ولقد نبّه الإمام ابن قيم الجوزية على خطورة هذه المسألة بقوله: "ولما كان التبليغُ عن الله –سبحانه- يعتمد العلم بما يبلغ، والصدقَ فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفُتْيَا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالماً بما يبلغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حَسَن الطريقة، مرضيَّ السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان مَنْصِبُ التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنْكَر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

فحقيق بمن أُقِيمَ في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عُدَّته، وأن يتأهب له أُهْبَتَه، وأن يعلم قَدْرَ المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصَّدْع به؛ فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ [(٣)].

(١) وهو أحد الثلاثة الذي يرد ذكرهم في كتب الحنفية في باب الحَجْر، وهم المفتي الماجن، والمكاري المفلس، والطبيب الجاهل. ويرى الإمام أبو حنيفة الحجر عليهم بمعنى منعهم هؤلاء المفسدين للأديان والأبدان والأموال دفع إضرارهم بالخاص والعام فهو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقولهم رجل ماجن مأخوذ من المجون ومعناه الصلب والغليظ والذي لا يخشى كلام الناس ولا يبالي بما صنع يعني: هو الذي لا يستحيي ولا يخجل انظر: حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ط الأولى ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض ٩/٢١٤.

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، ط الأولى، ١٤١٦هـ، دار النفائس، بيروت، ص/ ٣٣٦.

(٣) النساء: ١٢٧.

وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفاً وجلالة: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[1]، وليعلم المفتِي عمن ينوب في فتْوَاه، وليُوقِنْ أنه مسؤول غداً ومَوْقُوف بين يدي الله"[2].

- **أمانة الداعية في مجال الحسبة:**

الحسبة ولاية تقوم على الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[3] ومستندها قول الله عزوجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

ومعلوم أن الذي يتولى الحسبة يختلط بعصاة مجتمعه فيطلع على ما لا يطلع سواه بحكم الاختصاص، والناس بطبعهم يكرهون أن تشتهر آثامهم بين الناس، ولهذا قال ﷺ: «. وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ »[5].

ومن هذا المنطلق جاءت النصوص الكريمة بالستر، وهذا يستدعي من القائم بالحسبة أن يتمثل الأمانة بالستر وفق ما شُرع له لعموم قول رسول الله ﷺ: « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[6] قال ابن حجر – رحمه الله–: "أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره؛ أي: للناس، وليس في هذا ما

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار الحديث، القاهرة، ١/١٩.

(٣) الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ط ب.ر، عام: ب.ت دار الوطن، الرياض، ص/ ٢٨٤.

(٤) آل عمران آية: ١٠٤.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب كتاب البر والصلة الآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم الحديث: ٤٦٣٩.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم الحديث: ٢٤٤٢ والإمام مسلم في كتاب البر والصلوة والآداب، باب تحريم الظلم رقم: ٦٦٧٠.

يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينتهِ عن قبيحِ فعلِه ثم جاهَر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجَّه إلى الحاكم وأقرَّ لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضَتْ، والإنكار في معصية قد حصل التلبُّس بها، فيجب الإنكار عليه، وإلا رفَعَه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة" (١).

وتتصور أمانته أيضاً في هذه المهمة الشريفة فيما لم يظهر من المحظورات، كما قال الإمام أبو يعلى الحنبلي –رحمه الله–بشأن هذا النوع من المحظورات:" فليس للمحتسِب أن يتجسس عنها ولا يهتك الأستار حذراً من الاستسرار بها"(٢) وأن يقتصر على صلاحياته المأذون له فيها، ويلتزم بما يوكل إليه من اختصاصات في ضوء ما حدده له النظام الرسمي الذي يهدف إلى تحقيق المصلحة.

– أمانة الداعية في مجال الأوقاف العامة والخاصة:

الأوقاف جمع وقف وهي تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة وهي أنواع متعددة تطورت آلياتها ووسائلها إلا أن مدارها أنه يجب العمل بشرط

---

(١) فتح الباري ٥/ ١١٧.

(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ص/ ٢٩٥.

وذكر العلماء أنه إذا غلب على الظن استسرار قوم بالمحظورات لأمارات دلت وآثار ظهرت فذلك ضربان:

أحدها: أن يكون في ذلك انتهاك حرمة يفوت استدراكها فيجوز له في هذه الحالة أن يقدم على الكشف والبحث.

والثاني ماكان دون ذلك في الريبة فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه. انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ص/ ٢٩٦.

الواقف من قبل الناظر الذي يفترض أنه أمين في التصرف لإيصال المنفعة للمستحقين.

وقد ذكر الفقهاء لو أن الواقف أطلق ولم يشترط النظر لأحد ومات فالنظر للموقوف عليه المعين وإن كان فاسقاً لكن يضم إليه أمين (١).

وتتصور أمانته -الناظر الأمين- في هذا المجال بأن يقصد مصلحة الوقف ومصلحة الموقِف ومصلحة الموقف عليه ولا اعتبار لمصلحته الخاصة هنا وهواه المجرد ولهذا قال شيخ الإسلام: "فمن تصرَّف لغيره فإنه يقصد مصلحة من تصرَّف له لا يقصد هواه، فإن هذا من الأمانة التي أمر الله أن تؤدى إلى أهلها فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (٢) (٣).

- **أمانة الداعية في مجال أموال اليتامى:**

جاءت الآيات القرآنية تؤكد أهمية الأمانة في ولاية أموال اليتامى نحو قوله الله -عز وجل-: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (٤).

ويقول: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (٥).

(١) حاشية الروض للربع شرح زاد المستقنع، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط الرابعة، ١٤١٠هـ، ٥/٥٥١.

(٢) النساء: ٥٨

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية الحراني، ط الأولى، ١٣٨٦هـ دار المعرفة، بيروت. تقديم: حسنين محمد مخلوف، ٣ / ٤٤٧.

(٤) الإسراء: ٣٤

(٥) النساء: ٢

والأصل في تولي مال اليتيم الوصيُّ الذي أوصى له الأب، وعليه أن يكون أميناً، قال شيخ الإسلام: " لا يجوز أن يُولَّى على مال اليتامى إلا من كان قوياً، خبيراً بما وُلّي عليه، أميناً عليه، والواجب إذا لم يكن الولي بهذه الصفة أن يُستبدل به من يَصلح"(١).

ولهذا جاء نهي النبي ﷺ لبعض أصحابه عن ولاية مال اليتيم فعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:« يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّهُ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ عَلَى مَالِ يَتِيمٍ»(٢) ذكر السيوطي -رحمه الله- أن وجه الضعف كون الغالب على أبي ذر ﷺ الزهد واحتقار الدنيا، ومن هذا حاله لا يعتني بمصالح الدنيا ولا أموالها اللذين بمراعاتهما تتنظم مصالح الدين ويتم أمره (٣).

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله- مؤكداً أمانة من يتولى ذلك:" فلا يقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وذلك بالتصرف فيه بالتجارة والتنمية وبالنصح وأداء الأمانة" (٤).

أما لو كان هذا الوصي خائناً فعبارة الفقهاء "جعل معه أمين" ومن العلماء من قالوا:لا يجوز تولية الخائن على يتيم في حياة الموصي ولا بعد موته، لأن الوصية ولاية وأمانة، والفاسق ليس من أهلهما. فعلى هذا إذا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٠/٤٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم ٤٧٢٠.

(٣) انظر: شرح سنن النسائي، للسيوطي المطبوع مع حاشية السندي، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الريان للتراث، مصر ٦/٢٥٥.

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع وترتيب د. محمد الشويعر، ط الرابعة، ١٤٢٣هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٤/٣٣٠.

كـان الوصـيُّ فاسـقاً، فحكمـه حكـم مـن لا وصـي لـه، وينظـر في مالـه الحاكم[1].

فلا غرو أن الداعية الأمين في ولايته أموال اليتامى سواء أكانوا أفراداً أو على هيئة مؤسسات أن يجري أموالهم في مجراها النافع ويحوطها بكل استطاعته بما يحقق المصلحة ويجنبها الضرر.

(١) المغني لابن قدامة ٨/ ٥٥٥.

المبحث الثاني

أمانة الداعية المتعلقة بمضمون الدعوة

المبحث السابق تحدثنا فيه عن أمانة الداعية المتصلة بالمدعوين ومجالات دعوتهم، والتي منها أمانة التبليغ العامة، والخاصة المباشرة وغير المباشرة. وحيث إن الدعوة تشتمل على مضامين دعوية يسوقها الداعية للمدعوين تتطلب منه أن يكون أميناً عليها، وتُعَّرف المضامين في اللغة بأنها ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضَمَّنَّه، وقيل: المضامين هي ما في أَصلاب الفحول، وهي جمع مَضْمُون وأَنشد بعضهم:

إنَّ المضامينَ التي في الصُّلْبِ		ماءُ الفُحولِ في الظُّهورِ الحُدْبِ

ويقال: ضَمِنَ الشيءَ بمعنى تَضَمَّنَه، ومنه قولهم مَضْمُونُ الكتاب كذا وكذا[1] وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضَمَّنْتَهُ إياه، والمضَمَّنُ من الشعر ما ضَمَّنْتَهُ بيتا، وتقول: فهمت ما تضمنه كتابك أي ما اشتمل عليه وكان في ضمنه وأنفذته ضِمْنَ كتابي أي في طيه. وقال: " ضمن الشيء الشيء إذا أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر وقد تضمنه"[2].

وبناء عليه فإن مضمون الدعوة هو ما احتواه كلام الداعية الموجه للمدعوين من قضايا وأفكار، وتتمثل أمانة الداعية تجاه المضمون بأمور يمكن إبراز أهمها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أمانة الداعية المتعلقة بأصل المضمون.

المطلب الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمآل المضمون.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٣ /٢٥٧.

(٢) تاج العروس، للزبيدي، ت: عبدالكريم الغرباوي، ط الأولى، عام ١٣٩٢هـ، ص/ ٨٠٩٦.

المطلب الأول

أمانة الداعية المتعلقة بأصل المضمون

ويتبين ذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: أمانة الداعية في البناء السليم للمضمون:

أ- من حيث قيامه على الأسس الصحيحة:

إن المضمون الدعوي السليم بأساليبه المتنوعة في ميادينه المختلفة ينطلق من مشكاة الوحي الكتاب والسنة بفهم السلف رضوان الله عليهم، ويسعى لتحقيق مقاصد الدعوة والتي من أبرزها هداية الناس والرحمة بهم في كل جانب سواء في الجانب العقدي أو الشرعي أو السلوكي كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (1) فالمهتدي منهم يزداد هدى ويتمسك به، و الكافر ليهتدي إلى دين الإسلام.

ومن أمانة الداعية في البناء السليم للمضمون ارتكازه على مبدأ الإصلاح العام كما قال تعالى: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ ﴾ (2) وهو مستفاد من سيرة الحبيب ﷺ إذ تناولت أصول مضامينها إصلاح حياة الفرد والأسرة والمجتمع بجوانبها المختلفة وتحقيق المصالح ودفع المفاسد وحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ومن ثم كانت أحكام الشريعة من حل وحرمة واستحباب وكراهة وإباحة مدارها على تحقيق مصالح العباد.

---

(1) الأنبياء: ١٠٧

(2) هود: ٨٨

وايضاً تميزه بمعالم وأسس مهمة تنبثق في الأصل من الأمانة من أهمها الصدق والوضوح والتفاعل مع واقع الناس، والنصح، والتعميم المنافي للتعيين، والعفة المنافية للتجريح، والإحسان المنافي للغة الاستعداء [1].

ومن أمانة الداعية في أصل المضمون أيضاً تجنبه إيراد غرائب المسائل والأحاديث الموضوعة والضعيفة وإيثارها على النص الشرعي الصحيح، وترك المبالغات التي فيها إلهاب عواطف المدعوين وإرضاء أذواق بعضهم [2].

ب- من حيث شمول الخطاب لقضايا الدعوة:

إن الخطاب الدعوي صِيغ في الأصل ليشتمل على إقامة الدين وسياسة الدنيا وهو دعوة لجعل الحياة كلها تقوم أركانها على أهداف الإسلام وغاياته ومقاصده، لذا لم يتخلف في الأصل شأن عن مضمون الخطاب الدعوي ومقصوده فجاء دعوةَ أخلاق وسلوك وتربية، كما هو عبادة وذكر، ودعوةَ صدق وإخلاص وتوكل وأمانة كما كان دعوةَ توحيد في الاعتقاد والتعبد، وهو دعوةُ علم ووعظ ومعاملات مدنية وعلاقات اجتماعية وسياسية ودولية، وهو بالجملة دعوةٌ إلى ما يحيي البشرية ويسعدها وبهذا جاء النداء الإلهي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [3] [4].

---

(١) انظر: معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، د. طالب حماد بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر الجامعة الإسلامية بغزة من ٧-٨ ربيع الأول عام ١٤٢٦هـ ص/ ١١.

(٢) انظر: العلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد، ص/ ٢٣٠.

(٣) الأنفال جزء من: ٢٤.

(٤) انظر: دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد، د. عبدالله الزبير عبدالرحمن، ط الأولى، ١٤٢١هـ، سلسة كتاب الأمة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ٨٠.

ولهذا فإنه من التجافي عن الأمانة في المضمون الدعوي قيام الداعية باختزال الدعوة في قضية معينة وتضخيمها ولا يلتفت إلى ما سواها في كل الظروف والأحوال في حين أن مضمون الدعوة ينساب بشمول تام إلى ما يحتاجه البشر وتتطلبه جوانب حياتهم المتنوعة وهذا أحد خصائص دعوة النبي ﷺ ما لم يكن لذلك مقتضاه الصحيح قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–:" وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره فما قام به غيره سقط عنه وما عجز لم يُطالَب به، وأما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على هذا، وقد تقسّطت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره أخرى فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب وهذا إلى عمل ظاهر واجب وهذا إلى عمل باطن واجب، فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة وفي الوقوع أخرى"(١).

الفرع الثاني: أمانة الداعية في تحري الحق وقوله:

من الواضح أن أمانة الداعية في مضمون الدعوة أن يتحرى الحق في كل المسائل ويبرزه في مظانه قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾(٣) قال ابن عاشور:

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥ /١٦٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٩

(٣) النساء: جزء من آية: ٥٨.

"والخطاب لكل من يصلح لتلقي هذا الخطاب والعمل به من كل مؤتمن على شيء.. ويطلق أداء الأمانة على قول الحق والاعتراف به وتبليغ العلم والشريعة على حقها" (١).

فيجب على الداعية أن يؤدي أمانة قول الحق لهداية الخلق كما قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢) وإن قول غير الحق هو مداهنة تضاد الأمانة في أصل المضمون قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وهذا الدين لا يُنسخ أبداً، لكن يكون فيه من يُدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان، ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة، خلفا عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل، ولو كره المشركون "(٣).

ولا ريب أن أمانة العلم جعَلت العلماء والدعاة من سلف الأمة يصدَعُون بالحقِّ لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ (٤) في نماذج متنوعة سطرها التاريخ لا يتسع المقام لبيانها هنا (٥).

---

(١) التحرير والتنوير ٣/١٦٠.

(٢) الأعراف: ١٨١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/٥٣.

(٤) آل عمران: ١٨٧.

(٥) ولهم مواقف مشهودة مع جبابرة ومبتدعة وملاحدة وأمثلة ذلك ما أوردته المصادر في سير الإمام مالك وأحمد والأوزاعي والعز بن عبدالسلام وابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ سعيد النورسي وغيرهم.

المطلب الثاني
أمانة الداعية المتعلقة بمآل المضمون

الداعية عليه النظر إلى مآلات مضمون خطابه الدعوي، فمهمته لا تنحصر في التبليغ وبيان الحق بل كذلك أن يستحضر مآلات حديثه وأن يقدِّر له عواقبه المترتبة عليه.

وهي مآلات متغيرة بحسب الناس تارة والأزمنة والأمكنة تارة أخرى قال الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى- في الموافقات في هذا المعنى: "إنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحَّت في ميزانها، فانظرْ إلى مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يُؤدِ ذكرُها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتْها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم. وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغُ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية" [(١)].

ويمكن تصور الأمانة في هذا الجانب بأن مآلات مضمون خطاب الداعية ربما تخفى على كثير من الناس فتحري الداعية لها واستبصارها وإمعان النظر في تصورها واستشراف ذلك ببذل الأسباب الممكنة وإعمال الرأي قبل تبليغ المضمون يتطلب قدراً كبيراً من الأمانة.

---

(١) الموافقات، للإمام الشاطبي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن عفان.

ومن ذلك أن ليس كل ما يعلم يقال - وإن كان حقاً- فقد يكون لبعض الناس فتنة، وفي الحديث عن ابن مسعود ﷺ: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا، لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً "[1] وترجم الإمام البخاري في كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا[2] قال ابن حجر: وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمدُ في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وأن المراد ما يقع من الفتن[3].

ومن ذلك اطِّراح الداعية القضايا التي مآلها تفريقٌ لوحدة المسلمين وتمزيقٌ لصفهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والبعد عن التنازع والاختلاف، ومنها ما يكون مآلها إعانة للمغرضين ممن اشتهر عنهم الطعن في الدعاة والعلماء والتحريض ضدهم والكذب عليهم، ومنها ما يكون سبباً في فتح أبواب الشر على مصاريعها لضعاف النفوس في التقليل من شأن بعض المحرمات أو التسهيل فيها وقد كان بابها موصداً من قبل، ومنها ما يكون فيه إفساد لقلوب العامة والخاصة على ولاة أمرهم وسبباً في ترويج الأكاذيب والإشاعات الباطلة ضدهم، لاسيما إذا كانت الأمة في حال تعصف بها عاديات الأعداء بوسائلهم الظاهرة والخفية كحالنا اليوم، فذلك

(١) أخرجه الإمام مسلم باب النهي عن الحديث بكل ما سمع رقم: ٩.

(٢) كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١/٢٧٢.

كله من أعظم الخيانة لها ومن أعظم الجنايات على المسلمين، وهو مسلك لا يمت للأمانة ولا للحكمة والبصيرة بصلة.

فمن هنا يتضح أن الداعية الأمين على دعوته هو الذي يراعي مآلات المضمون في خطابه وفقاً للظرف المحيط بدعوته ومجتمعه وزمانه، وهو أصل أصيل في فقه الدعوة إلى الله، والشريعة الإسلامية راعت ذلك في تشريعها الأحكام، وفي الحكم على الأشياء واستيعاب الأمور والقضايا.

والفقهاء باستقرائهم لطريقة الشارع في التشريع بينوا قاعدة مآلات القول، وبنوا عليها قواعدهم الفقهية، واحتكموا إليها [1].

(١) انظر: دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد.. د. عبدالله الزبير عبدالرحمن مركز البحوث والدراسات، بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر.

المبحث الثالث

أمانة الداعية المتعلقة بوسائل الدعوة وتأثيرها

الوسيلة في اللغة هي الوصلى والقربى، وجمعها وسائل، والوسيلة ما يتقرب به الشخص إلى غيره [1]، وفي الاصطلاح الدعوي: ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة على نحو نافع مثمر [2].

وتتمثل أمانة الداعية تجاه وسائل الدعوة بأمور يمكن إبراز أهمها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أمانة الداعية في جانب استخدامات وسائل الدعوة.

المطلب الثاني: أمانة الداعية في جانب تأثيرها في نجاح الدعوة.

---

(١) انظر: التعريفات، للجرجاني، ت: د. عبد المنعم الحفني، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الرشاد، القاهرة ص/ ٢٨٠. ولسان العرب ١١/ ٧٢٤.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦هـ، ص/ ٤٤٧.

المطلب الأول

أمانة الداعية في جانب استخدامات وسائل الدعوة

لعل من أهم ما يجلي أمانة الداعية في استخدامات وسائل الدعوة ما يلي:

أولاً: استثمار الداعية أفضل الوسائل المشروعة في عصره لتبليغ الدعوة:

إن تبليغ الدعوة إلى الله بمضامينها المتعددة لا يحصل إلا بوسائل ولا يتحقق إلا بأسباب كما هو متقرر، ولهذا لما كلف الله تبارك وتعالى هذه الأمة بالدعوة أمرها من جملة ما أمرها به الأخذ بوسائل الدعوة(١)، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٢) وهي آية مطلقة لم تحدد مصادر القوة وطرقها، إشارة لأهمية الأخذ بوسائل الدعوة التي تمكن من تبليغ الخير للناس في مشارق الأرض ومغاربها (٣).

وإن اقتصار الداعية على وسيلة معينة بداعي الإلفْ لها والاقتناع بكفايتها دون سواها رغم تجدد الزمان والمكان والحال بالنسبة للدعوة أمر لا يتسق مع الأمانة التي تحملها الداعية في إيصال الرسالة إلى الناس كافة، ولهذا بين ابن عاشور أن من ترك استخدام طرق العصر في التعليم فهو لم يؤدِ أمانة العلم بقوله: " ويتوقف أداء أمانة العلم على تعرف الطرق التي

---

(١) انظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، دار إشبيليا، الرياض، ص/ ٣١٧.

(٢) سورة: الأنفال. جزء من آية: ٦٠.

(٣) انظر: أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز بن هليل السحيمي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن القيم، الدمام، ص/ ١٢٤.

توصل إلى ذلك، فيجب أن تعرف هذه الطرق لأجل السير فيها، وهذه الطرق تختلف باختلاف الزمان والمكان كما تختلف الطرق التي تؤدى بها أمانة المال، ففي هذا العصر تؤدى الأموالُ إلى أصحابها بطرق لم تكن معروفة في العصور السابقة، كالمصارف وغير ذلك، وكذلك توجد طرق لنشر العلم بين الناس أسهل من الطرق السابقة، فمن أبى سلوكها لا يعذر بعدم تأديته لأمانة العلم النافع. وإعراض العلماء عن معرفة الطرق التي تتأدى بها هذه الأمانة بالفعل هو ابتعاد عن الواجب الذي أمروا به، وإخفاء الحق بإخفاء وسائله هو عين الإضاعة للحق، ويمكننا أن نجزم بأن هؤلاء العلماء لا يؤدون الأمانة، وهي ما استحفظوا عليه من كتاب الله، ولا عذر لهم في ترك استبانة الطريق الموصل إلى ذلك بسهولة وقرب، فهم خونة الناس وليسوا بالأمناء" (١).

ثانياً: اقتصار الداعية على استخدام وسائل الدعوة المشروعة:

إن حرص الداعية على أن تنفذ دعوته إلى الآفاق ويقبلها المتلقون من مسلمين وغير مسلمين لا يجعله ينساق إلى استخدام وسائل غير مشروعة في الدعوة، فأمانته تقتضي منه أن يوصد الباب أمام كل وسيلة غير مشروعة حتى وإن كانت توصله إلى غايته، فالغايات على الصحيح لا تبرر الوسائل عند الداعي الأمين، وبقدر الحرص على تبليغ الدين يبلغ الحرص شأنه أيضاً في الوقوف عند حدود المشروع والتعبد لله به، فلا يجوز الكذب لأجل

---

(١) تفسير المنار ٥/١٤٥.

الـدعوة، ولا التلـبس بمعصـية للتقـرب مـن العاصـي، ولا الانقلابـات ولا الاغتيالات ونحو ذلك مما يدخل في تطبيق قاعدة الغاية تبرر الوسيلة [١] قال محمود شلتوت -رحمه الله-:"إن التقرب إلى الله لا يُنال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذي شرع"[٢].

ولهـذا لـو فـتح بـاب النظـر والإحـداث في وسـائل الـدعوة غـير المشروعة لصار الدين غير الدين والشريعة غير الشريعة [٣].

(١) وهي قاعدة نظّر لها وقرّر صوابها الفيلسوف الإيطالي "نقولا مكيافلي" المتوفى عام ١٥٢٧م. انظر للتوسع في القاعدة والرد عليها: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم ص/ ٢٩١.

(٢) أسـباب البـدع ومضـارها، الشيخ محمـود شـلتوت، ت: عبدالآخر حمـاد، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الجيـل، بيروت، ص/ ٦١.

(٣) انظر أسباب البدع ومضارها، الشيخ محمود شلتوت، ٦٥.

المطلب الثاني
أمانة الداعية في جانب تأثيرها في نجاح الدعوة

لقد بات واضحاً أن أمانة الداعية أحد مقومات نجاح الدعوة ودافع مهم من دوافع الاستجابة فهي — أعني أمانة الداعية - ذات أبعاد في إحداث التأثير العميق على المدعوين، ويتضح ذلك من خلال أمرين:

الأول: كونها مما استُدِلَ بها على صدق الأنبياء في دعواتهم:

إن الداعية إذا حقّق الأمانة في المجالات التي يباشرها العامة منها والخاصة وما كان مباشراً في الدعوة أو غير مباشر فإن حاله هذه حينئذ تنم عن رجل متجرد لدعوته حريص على هداية الناس، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [1] قال ابن عاشور: "فاستدل عليهم بتجربة أمانته قبل تبليغ رسالته، فإن الأمانة دليل على صدقه فيما بلغهم من رسالة الله..، وجملة ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ عطف على جملة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: علمتم أني أمين لكم وتعلمون أني لا أطلب من دعوتكم إلى الإيمان نفعاً لنفسي. وضمير بم عائد إلى معلوم من مقام الدعوة" [2].

(١) الشعراء: ١٠٦ — ١٠٩.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩/١٦٧.

ومما يدل على أهمية السيرة الحسنة للداعي - والأمانة منها- وأثرها في نجاح الدعوة أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها عندما أخبرها رسول الله ﷺ بما حدث له في غار حراء قالت له:"ابشر والله لا يخزيك أبداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر — في أوصاف أخر جميلة عدتها من أخلاقه تصديقاً منها له وإعانة على الحق".

قال العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله: " يأخذ بعض أهل العلم في وصف الداعي أن يكون صالحاً في نفسه، مستقيماً في سيرته وهو شرط صحيح بالنظر إلى انتفاع الناس بإرشاده وتسابقهم في إجابته فإنهم -على ما نرى ونسمع — لا تلين قلوبهم لموعظة، ولا يقتدون برأي مرشد إلا إذا وثقوا بأمانته وأبصروا في حالته الظاهرة مثالاً لما ينصحهم به"(١).

وحينما تتجلى أمانة الداعية للناس في سلوكه الشخصي ومجالات الدعوة العامة والخاصة ونفعه المتعدي في أبهى صورها فإن هذا من جملة ما يؤكد أن الداعية لا يريد من جرَّاء دعوته مصلحة خاصة ولا هوى يتبعه ولا يغرض يطلبه وإنما هو تبليغ دين الله لا غير كما كان الأنبياء كلٌ منهم يقول: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾(٢).وبهذا يكون الداعية أكثر نجاحاً وأكثر تأثيراً في نفوس المدعوين.

---

(١) الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، الشيخ محمد الخضر حسين، ت: علي حسن عبدالحميد، ط الأولى ١٤١٧هـ، دار الراية، الرياض، ص/ ٥٥.

(٢) الشعراء: ١٠٧.

الثاني: كون أمانة الداعية مؤثرة في غير المسلمين:

إن المدعوين يتأثرون بأمانة الداعية ويستدلون بها على صحة الدعوة الإسلامية وكانت الأمانة منفذاً لكثير من غير المسلمين لدخول الإسلام.

ولهذا كان للتجار المسلمين الأمناء الذين انتشروا في قارة أفريقيا وقارة آسيا أثر واضح في دخول كثير من شعوب تلك الدول الإسلام، وذلك بسبب ما كان يتمتع به أولئك التجار من الأمانة ومقتضياتها كحسن المعاملة والبعد عن الغش والتزوير متمسكين في ذلك بهدي نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام. فأمانة الداعية مع غير المسلمين من دوافع استجابتهم للدين الحق.

يقول صاحب كتاب (أمة التجارة): "وقد كان للتجار المسلمين صفات تدعو للإعجاب والإكبار، حيث جذبت الأهالي إليهم، لسمو أخلاقهم، وحسن معاملتهم الطيبة، وشخصيتهم المؤثرة، وفيهم كرم وإيثار، كان الصدق دينهم والأمانة دستورهم" (١).

وقال أيضاً: "ويمكن في هذا المقام أن نقول كلمة حق بأنه كان من حصاد أخلاق هؤلاء التجار؛ تلك الإمارات والدول والإمبراطوريات الإسلامية". وقال أيضاً: ".. يمكن القول بأن الجهد الذي بذله التجار العرب والبربر الذين جابوا الديار الأفريقية حيث كانوا خير دعاة للإسلام بعملهم وسلوكهم ونشرهم للدين الحنيف؛ فأسلم على أيديهم خلق كثير،

---

(١) أمة التجارة ودور التجار في نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا، أحمد محمد العقيلي، ط الأولى، ١٤١٩هـ، المؤتمن، الرياض، ص٢٥٦.

كما قاموا ببث العلوم الإسلامية، ونبغ على أيديهم جيل من أبناء أفريقيا حملوا أمانة الدعوة، فأضافوا إلى شعوبهم الإسلامية شعوباً، ولأمتهم العربية الإسلامية مسلمين" (١).

ومما يشير إلى تأثير الأمانة في مدى استجابة غير المسلمين للدعوة؛ معرفة الضد والأشياء تعرف بأضدادها، إذ كثير من المسلمين كان بعدهم عن أخلاق الإسلام سبب في عدم استجابة غير المسلمين قال ابن قيم الجوزية عن ذلك في زمنه: " ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيراً من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام، ممن يعظّمهم الجهال من البدع والظلم والفجور والمكر والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع ولمن جاء به، فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به. فالله طليب قطاع طريق الله وحسيبهم "(٢). فهؤلاء المعظَّمون هم دعاة بين ظهراني الجهال من قومهم وما كانوا عليه من الظلم والفجور والمكر والاحتيال كان السبب الرئيس في صد غير المسلمين عن سبيل الله.

وبهذا يعلم عظم تأثير أمانة الداعية في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال سلوكه وتعاملاته مع المدعوين وتحمله مسؤولية الأمانة فيما يوكل إليه من مهام وواجبات.

---

(١)أمة التجار، أحمد محمد العقيلي، ص٢٦٨.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ، دار المعرفة، بيروت ٢/٤١٦.

الخاتمة

وبعد، فأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا البحث: "الداعية الأمين في ضوء الكتاب والسنة" خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله عنده وأن ينفع به عموم المسلمين، وأستعرض في ختامه أبرز النتائج والتوصيات:

النتائج: أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- خلصت الدراسة إلى تعريف الداعية الأمين بأنه "الذي يبلغ الإسلام للناس ويعلمهم إياه ويطبقه في واقع حياتهم متجرداً من الأهواء مع أدائه كل حق لزمه من الأقوال والأعمال مما هو مؤتمن عليه ".
- أبانت الدراسة ضرورة الأمانة للداعية وأنها لازمة لدعوته لا تنفك عنها بحالٍ ابتداء من علاقته بربه وانتهاء بمهام عمله مروراً بتعاملاته مع المدعوين بأصنافهم المتنوعة.
- كشفت الدراسة عن سعة مفهوم الأمانة في الدعوة وأن مدارها على الداعية نفسه حيث تكون صلاته بالمدعوين وبمجالات دعوتهم.
- اتضحت أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة وكونها تشمل المجال الوظيفي في الولايات المتنوعة العامة من جانب، ومن جانب آخر مجالات الدعوة الخاصة وهي مباشرة كالتبليغ والأذان والمشورة والتعليم والتأليف، وغير المباشرة كالقضاء والفتيا والحسبة وولاية الأوقاف والأيتام.

- بينت الدراسة أمانة الداعية في المضمون الدعوي حيث حددتها في أصل المضمون من حيث بنائه البناء السليم بقيامه على أسس صحيحة وشموله لقضايا الدعوة، وفي مآلات المضمون بإدراكه بوعي ثاقب وبعد نظر ما يحقق المصالح العليا وفق المنهج الشرعي.
- كما أسفرت الدراسة عن ارتباط الأمانة بوسائل الدعوة من خلال استخدام أفضل وسائل العصر للدعوة والاقتصار على المشروع دون الممنوع منها.
- أوضحت الدراسة عمق تأثير أمانة الداعية في نفوس المدعوين وأن ذلك دليل صدقه فيما يدعوهم إليه، وأنها من أبرز أسباب دخول الأمم المتنوعة في الإسلام.

التوصيات:

- يوصي الباحث الدعاة إلى الله بتعظيم قدر الأمانة في أنفسهم وإعمالها في ضوء مفهومها الواسع في كل ما يُناط بالدعاة من عمل والتي منها أمانة الدعوة والتبليغ على النحو الذي أبانت الدراسة جانباً منه.
- كما يوصي الباحث في هذا السياق مؤسسات الدعوة بأهمية عقد مؤتمرات عالمية حول أمانة الداعية في تبليغ الدعوة والجوانب المتصلة بها وانعكاسات ذلك على أمتنا الإسلامية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي الماوردي، ط ب.ر، ب.ت، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢. الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ط ب.ر، عام: ب.ت دار الوطن، الرياض.

٣. أحكام القرآن، ابن العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. سنن الإمام أبي داود، ت: عزة دعاس، ط الأولى، ١٣٩٤هـ، دار الحديث، سوريا.

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، ط الأولى، ب.ت، دار إحياء الترات العربي، بيروت.

٦. أساب البدع ومضارها، الشيخ محمود شلتوت، ت: عبدالآخر حماد، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الجيل، بيروت.

٧. أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز بن هليل السحيمي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن القيم، الدمام.

٨. أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٩. إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار الحديث، القاهرة.

١٠. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ، دار المعرفة، بيروت.

١١. الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع إعداد عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٣هـ.

١٢. أمة التجارة ودور التجار في نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا، أحمد محمد العقيلي، ط الأولى، ١٤١٩هـ، المؤتمن، الرياض

١٣. الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، لابن السيد البطليوسي ت: الدكتور محمد رضوان الداية ط الثالثة، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، دمشق.

١٤. تاج العروس، للزبيدي، ت: عبدالكريم الغرباوي، ط الأولى، عام ١٣٩٢هـ.

١٥. تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي، ت: عمر عبدالسلام تدمري، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون المالكي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

١٧. تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام، للإمام بدر الدين، ت: فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط الثانية، ١٤١١ هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر.

١٨. التحرير والتنوير، لابن عاشور، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ، مؤسسة التاريخ، بيروت.

١٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ط الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. التعريفات، للجرجاني، ت: د. عبد المنعم الحفني، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الرشاد، القاهرة.
٢١. تفسير القرآن العظيم (المنار) للشيخ محمد رشيد رضا، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ط الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ط الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري، ت: الدكتور عبدالله التركي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر، القاهرة.
٢٥. الجامع الصحيح، للإمام الترمذيّ، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط ب. ر، ب. ت، دار الريان، القاهرة.
٢٧. حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ط الأولى ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض.
٢٨. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط الرابعة، ١٤١٠هـ.

٢٩. الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي، ط الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار ترجمان الإسلام، باكستان.
٣٠. دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد، د. عبدالله الزبير عبدالرحمن، ط الأولى، ١٤٢١هـ، سلسلة كتاب الأمة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
٣١. الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، الشيخ محمد الخضر حسين، ت: علي حسن عبدالحميد، ط الأولى ١٤١٧هـ، دار الراية، الرياض.
٣٢. الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، ط الرابعة، عام: ١٤١٩هـ، دار الدعوة، مصر.
٣٣. روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، ط الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، ط الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥. زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي.
٣٦. السياسة الشرعية، لابن تيمية، ط الثالثة ١٩٥٥م، دار الكتاب العربي، مصر.
٣٧. سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط السابعة، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٨. شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، مدار الوطن للنشر، الرياض.
٣٩. شرح سنن النسائي، للسيوطي المطبوع مع حاشية السندي، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الريان للتراث، مصر.
٤٠. شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض.
٤١. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، ت: د.يوسف علي طويل، ط الأولى، ١٩٨٧، دار الفكر، دمشق.
٤٢. صحيح الإمام البخاري ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار السلام، الرياض.
٤٣. صحيح الإمام مسلم، ط الأولى، ١٤١٩هـ، دار السلام، الرياض.
٤٤. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الإمام الألباني، ط الثالثة ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٥. صفات القاضي في المجتمع الإسلامي، د. حسين نصار بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي.
٤٦. الطبقات الكبرى ابن سعد في الطبقات انظر الطبقات الكبرى، ط ب.ر، عام: ب.ت، دار صادر، بيروت.
٤٧. العلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد، ط الأولى عام ١٤١٦هـ، دار البيان، الكويت.
٤٨. الفارق بين المصنف والسارق، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: هلال ناجي، ط الأول ١٤١٩هـ، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

٤٩. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية الحراني، ط الأولى، ١٣٨٦هـ دار المعرفة، بيروت. تقديم: حسنين محمد مخلوف.

٥٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، القاهرة.

٥١. فتح القدير للإمام الشوكاني، ط الأولى، عام: ب. ر، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

٥٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط السادسة عشرة، ١٤١٠هـ دار الشروق، القاهرة.

٥٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط الأولى، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٥٤. قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، دار إشبيليا، الرياض.

٥٥. لسان العرب، لابن منظور، ط ب. ر، ١٤١٢هـ، دار صادر، بيروت.

٥٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه، ط الأولى، ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٥٧. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع وترتيب د. محمد الشويعر، ط الرابعة، ١٤٢٣هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٥٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط ب. ر، ب. ت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٥٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ط الأولى، ١٤٢١هـ، دار المعرفة، بيروت.

٦٠. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط الرابعة، ١٤١٨هـ، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر.

٦١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري، ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية، بنارس الهند.

٦٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط الثانية، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٣. معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين البغوي، ت: محمد عبدالله النمر وآخرون، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، دار طيبة، الرياض.

٦٤. معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، د. طالب حماد بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر الجامعة الإسلامية بغزة من ٧-٨ ربيع الأول عام ١٤٢٦هـ.

٦٥. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، ط الأولى، ١٤١٦هـ، دار النفائس، بيروت.

٦٦. المغني، لابن قدامة، ت الدكتور عبدالله التركي، ط الثالثة، ١٤١٧هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

٦٧. موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد السلمان، ط الثلاثون، ١٤٢٤هـ، الرياض.

٦٨. الموافقات، للإمام الشاطبي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن عفان.

٦٩. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، للإمام ابن الجوزي، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ط الثانية، ١٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧١. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، بيروت.

البحث رقم (٣)

التطبيقات النبوية
في تنمية المهارات الدعوية

إعداد

د. لمياء بنت سليمان الطويل

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فللدعوة أهمية بالغة في دين الله، وأثر كبير في إصلاح البشرية، جعل الله لأصحابها شرفاً عظيماً، ومقاماً رفيعاً، وإمامة للناس في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[(١)]، والدعاة هم خير هذه الأمة على الإطلاق قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[(٢)]، وإن من أعظم وسائل الدعوة إلى الله السلوك العملي للداعية وثبات المسلم على مبادئه وأخلاقه التي هذبه بها دينه الإسلامي الحنيف، والدعوة كغيرها من الأعمال تحتاج إلى تدريب وخبرة، وما من عمل أتقنه صاحبه بالفطرة، والدعاة أحد أبرز الوسائل المؤثرة والفعالة، لذا بات لزاما عليهم مضاعفة جهودهم، وابتكار أساليب جديدة لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، فهم بحاجة إلى بذل المزيد من الوقت والمال لتحقيق النجاح في أداء هذه الرسالة النبيلة، ولما كان هدي رسول الله ﷺ خير الهدي، وتطبيقاته وأساليبه في تنمية المهارات خير تطبيق،

---

(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

وبرهان ذلك ما أثمرته من صياغة جيل من الصحابة له قدْرُه ومكانتُه وأثرُه في الحضارة الإسلامية خاصة، والإنسانية على وجه العموم.

ولأن الحديث النبوي عن رسول الله ﷺ فيه الهدي الأمثل، ومنه تُستنبط تنمية المهارات من خلال تطبيق ذلك في حياته ﷺ مع الصحابة الكرام، وضرورة إعداد جيل من الدعاة إلى الله تعالى يستطيعون النهوض بمهام الدعوة ومجابهة العقبات التي تعترضهم، فلا بد من استدعاء الخصائص والسمات التي كانت في جيل الصحابة والحرص على توافرها في الدعاة إلى الله تعالى حتى يتسنى لهم النجاح في دعوتهم. لذا توجهَت عناية الباحثة للبحث في هذا الموضوع والمعنون بـ(التطبيقات النبوية في تنمية المهارات الدعوية).

مشكلة البحث:

لقد عنيت السنة النبوية المطهرة بالعنصر البشري روحاً وفكراً وعقيدة وسلوكاً، فكانت سامية بروحه، موجهة لفكره وعقيدته، ومهذبة لأخلاقه وسلوكه، كما عنيت بتنمية الإنسان تنمية شاملة ليقوم بالعبء المناط به من استخلاف الأرض وعمارتها، مدركة ما به من مواهب وطاقات، وتنمية المهارات البشرية من المواضيع الحديثة التي اهتم بها المعاصرون لتطوير الأداء و تحقيق الإنجاز على أعلى المستويات، وهدي النبي محمد ﷺ فيه من المهارات التي امتلكها هذا النبي الكريم، واستخدمها في خدمة الدعوة الإسلامية وهي تعتبر إحدى جوانب عظمة وتميز الشخصية مالا يوجد في غيره، وإذا نظرنا لهذا الهدي، فكل ما فيه يُنَمّي المهارات، إذا أحسن الداعي فهمُه والالتزامُ به ظاهراً وباطناً.

منهج البحث:

تستخدم الباحثة المنهج التحليلي الاستنباطي وفيه يربط العقل بين المقدمات والنتائج، أو بين الأشياء وعللها، على أساس المنطق العقلي، والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات[1]، وذلك بتتبع أحاديث الرسول ﷺ وسنّته في تنمية المهارات، وإيراد الشواهد اللازمة، وتصنيفها موضوعيا وفق تقسيمات البحث، ثم استنباط قواعد المنهج وأساليب تنميته.

أهداف البحث:

١) تطوير كفاءات الدعاة المهارية من خلال عرض النصوص النبوية وترجمتها إلى واقع سلوكي.

٢) إبراز حاجة الدعاة إلى مهارة التخطيط في الدعوة إلى الله.

٣) التعرف على مهارة الاستماع، وأهميتها في نجاح التفاهم والحوار والتواصل مع المدعوين.

٤) الحاجة إلى إكساب الدعاة مهارات تفكيرية تساعدهم على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم.

٥) بيان أن التعامل مع المدعوين من أهم المهارات الدعوية التي تميز الدعاة.

٦) بيان أن الإبداع في وسائل الدعوة ضرورة ملحة للداعية.

---

(١) انظر: البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ص ٤٩، ٤٨.

خطة البحث:

المقدمة: وتشتمل على:

- مشكلة البحث.
- منهج البحث.
- أهداف البحث.
- تقسيمات البحث، وتشتمل على المباحث التالية:

التمهيد وفيه:

مقدمه: في تنمية المهارات في الدعوة إلى الله:

أولاً: تعريف المهارات.

ثانياً: أهمية تنمية المهارات في الدعوة إلى الله.

ثالثا: ثمرات تنمية المهارات الدعوية.

المبحث الأول: تنمية مهارة التخطيط وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: المراد بالتخطيط للدعوة.

ثانيا: أهمية التخطيط في مجال الدعوة

ثالثا: ضوابط مهارة التخطيط الدعوي.

رابعا: التخطيط الإسلامي في السنة النبوية.

المبحث الثاني: تنمية مهارة الاستماع والإنصات للمدعوين وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تعريف الاستماع والإنصات.

ثانيا: أهمية مهارة الاستماع والإنصات لدى الداعية.

ثالثا: تنمية مهارات الاستماع للدعاة.

رابعا: نماذج مهارة الاستماع والإنصات في السنة النبوية.

المبحث الثالث: تنمية مهارة التفكير الناقد وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تعريف التفكير الناقد.

ثانيا: أهمية تنمية مهارة التفكير الناقد لدى الداعية والمدعو.

ثالثا: سمات التفكير الناقد.

رابعا: التطبيقي النبوي لتنمية مهارة التفكير الناقد.

المبحث الرابع: مهارات التعامل مع المدعوين والاتصال بهم وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تعريف الاتصال.

ثانياً: أسس وقواعد تعامل الداعي مع المدعوين.

ثالثاً: حاجة الداعي للتعامل مع المدعوين والاتصال بهم.

رابعاً: من صور التواصل والتعامل مع المدعوين في السنة النبوية.

المبحث الخامس: تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة.

ثانياً: حاجة الداعي لتنمية المهارات الإبداعية.

ثالثاً: تنمية المهارات الإبداعية في السنة النبوية.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات:

أَسأَلُ الله تعالى أَن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأَن يتقبله مني، وينفع به الإسلام والمسلمين، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أَجمعين.

التمهيد

مقدمة في تنمية المهارات في الدعوة إلى الله

إن الوصول للمهارة والإتقان، ليس سهلا بل صعب محفوف بالعديد من العقبات والتحديات، وأصعبها تحدي الذات وتحويلها إلى كيان مبدع، والصعوبة الحقيقية في المحافظة على هذا الإبداع، والتي تدفع بصاحبها نحو المضي قدماً للعلا والمجد، وتحقيق الهدف المرجو ارتقاءً بالأداء وتميزه.

والمهارات ليست مقتصرةً على العمل المؤدَّى بشكلٍ مهني فقط، بل إنَّها تشمل أيضًا الكفاءة التي يمتلكها أيشخص في أي مجال، سواء كانت كفاءة عقلية، أو بدنية، أو اجتماعية، فعلى سبيل المثال نجدُ أنبعض الأشخاص يتميز عن غيره بمهارات القيادة، والآخر بمهارات التفكير، وثالث بمهارات العلاقات الحسنة مع الآخرين، بينما تقل فيمن عداهم نسبة التقدير.

أولاً: تعريف المهارات:

لغة: جمع مهارة، والمهارة هي الحذق في الشيء والإحكام له والأداء المتقن له، يقال: مهر الشيء مهارة أي" أحكمه و صار به حاذقا، فهو ماهر، ويقال: مهر في العلم وفي الصناعة و غيرهما" ويقال: تمهر في كذا أي "حذق فيه فهو متمهر"، والمهارة الإحاطة بالشيء من كل جوانبه والإجادة التامة له، يقال الماهر:"الحاذق لكل عمل والسابح المجيد"، و مهر الشيء وفيه وبه مهارة: أحكمه وصار به حاذقا، فهو ماهر(1).

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣/٥٤١.

كما ورد في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق فله أجران)[1].

اصطلاحاً: القدرة على أداء وظيفة معينة، أو تحقيق هدف معين، وعرفت بأنّها أداء يكون على أشكال (لفظية، عقلية، حسية، اجتماعية)، وهذه المهارة تحتاج إلى وقت وجهد وتدريب مقصود[2].

ولا بد أن يتمتع الداعية بالمهارات الدعوية التي تساعده على أداء مهمته في الدعوة إلى الله، وفي عصرنا الحديث- عصر التنمية البشرية- كان لا بد من تنمية مهارات الدعاة، وتطويرها بما يتلاءم مع الدور المنوط بهم في المجتمع، والسنة النبوية هي الأقوم في هذا الميدان؛ فهي تحمل للإنسانية منظومة متكاملة في صناعة الإبداع وتنمية المهارات، بها بدأت وعليها اكتملت، فمنطلقها هو الوحي، ومنهجها الواقع الأمثل للبشر.

ومعلوم أن نمو الحضارات ورقي المجتمعات إنما يقاس على أساسٍ من التميز والإبداع، لفرض الذات للتأثير، ولتمكين القدرات للتغيير، ولايتم ذلك إلا بأسلوب تقديم النموذج الأمثل والأجود إنساناً وعملاً وإدارة وسلوكاً، والسعي لتنمية المهارات أمر مقبول، بل واجب ومطلب تفرضه التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم في مختلف المجالات العلمية والصناعية والاقتصادية.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة عبس، ٦/١٦٦، حديثرقم ٤٩٣٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه، ١/٥٤٩، حديث رقم ٧٩٨.

(٢) انظر: المهارات الحياتية، أحمد حسين عبدالمعطي، ودعاء محمد مصطفى، ص٧.

ثانياً: أهمية تنمية المهارات في الدعوة إلى الله

إن وصول الداعية إلى درجة التأثير في المجتمع، وتحقيق المقاصد الشرعية من دعوته يتطلب العمل بإخلاص وفق المنهج الصحيح والإعداد المتقن للمهارة، فمهمة الداعية مهمة شاقة تحتم عليه أن يستعد الاستعداد الكافي في صواب الفكر، وحسن التعبير، وطلاقة اللسان، وجودة الإلقاء، وتكمن الأهمية في تنمية مهارات الداعي في عدد من النقاط.

١. أن تأهيل الدعاة وإكسابهم المهارات اللازمة جزء أساس في الدعوة وإيصال الهداية إلى الناس، وهو ما يتطلب الوقوف على الأساليب المشروعة والبرامج المتاحة وتقويمها وتصميم المناسب منها للدعاة، وإيجاد السبل الكفيلة بإنجاحها(١).

٢. تمثل تنمية المهارات في الدعوة إلى الله فيما يتعلق بالدعاة أنها طريقة تعينهم على التغلب على المشاكل الدعوية التي تواجههم، فتأهيل الداعية وإعداده إعداداً خاصاً يأتي من أهمية العمل الذي يقوم به وهو الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الحق ذلك العمل العظيم الذي هو أشرف الأعمال وأجلها؛ لأنه عمل الأنبياء والمرسلين، ومهمة تابعيهم من الدعاة والمصلحين، وهذا العمل الجليل يقتضي أن يكون القائم به ذا صفات ومواصفات خاصة تؤهله للقيام بهذه المهمة الجسيمة، فيكون مدركاً لقيمة ما يدعو إليه، عالماً بأساليب الدعوة التي

---

(١) انظر : - أزمة تطوير الدعاة.. نقص في المهارات أم ضحالة في المعرفة؟!، مؤسسة الدعوة الصحفية الخميس ٠٩ محرم ١٤٣١ www.aldaawah.com.

تحقق له هدفه من دعوته، ملماً بمدعويه ونفسياتهم، وأفضل الطرق التي توصل الحق إلى قلوبهم.

٣. إدراك الدعاة أن مجال الدعوة واسع الأرجاء، وأنه يحتاج إلى جهود متضافرة، وطاقات هائلة، والواقع يشهد بأن المهارات الدعوية صارت تتطلب تخصصات مختلفة ومعقدة لا يسد احتياجاتها المتخصصون في الفقه والحديث، وأن الساحة مليئة بالأعداء الذين أتقنوا كل المهارات الممكنة للمواجهة مع الإسلام، وأنهم متفقون على تسخير كل تقنية متاحة في نصرة باطلهم.

إذا فالدعوة تحتاج إلى جهود جبارة، وسواعد متضافرة وفي نفس الوقت إلى مهارات مكتسبة تتناسب مع وظائف الدعاة، إذ لم يعد من المقبول أن يقوم داعية واحد بكل الأنشطة والبرامج فناسب حينئذ أن تتوزع اختصاصات الدعوة على الدعاة، مع ضرورة أن يقوم كل داعية بإتقان الدور الذي أسند إليه وأن يتخصص فيه بتنمية مهارته، ويعد نفسه أن يكون مرجعا لغيره من الدعاة فيما أسند إليه.

٤. إن الدعوة إلى الله ﷻ يجب أن تنطلق حسب احتياجات الناس بوسائله الحديثة التي تنطلق بسرعة عجيبة، فالعالم يعيش متغيرات متسارعة وفتناً متتالية، في ظل المتغيرات المعاصرة والتيارات الفكرية المعادية التي تواجه الأمة الإسلامية، والمجتمعاتتشهد تطورات سريعة، فلا بد من تأهيل الدعاة علمياً وتدريبياً تأهيلاً عالياً يتناسب مع فقه الواقع ومع ثقافة الحوار على أساس متين من العقيدة الإسلامية، وتزويدهم

بالمهارات اللازمة التي تناسب العصر، ونشير إلى أن من أهم ما يجب على أن يتنبه له عند تأهيل الدعاة مراعاة أحوال السامعين، فلكل مقام مقال[1].

٥. ضرورة التوافق بين ثقافة الداعية ومعطيات الواقع الذي يعيشه، والظروف التي يحياها الناس في كل زمان ومكان، وذلك حتى يتلاءم الدعاة وينسجموا مع حقيقة الواقع المعاصر وتغيراته، حتى يكونوا دعاة يمتلكون المستويات الرفيعة والقوة بمفاهيمها الشاملة، قوة الإيمان، قوة الإخلاص، قوة العلمب إدراك الوسائل الأساليب في توصيل رسالة الإسلام.

ولذا فقد جاء كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ يحددان منهج الدعوة وإعداد الدعاة، مما يقتضي من الدعاة تبني الطرق المنهجية التي ستلبي احتياجات الواقع، وذلك من خلال المهارات التي تحقق عنصر الكفاءة للدعاة.

٦. أن العالم اليوم بحاجة ماسة إلى أن تصل إليه دعوة الإسلام بصورة واضحة ونقية، من خلال الوسائل والأساليب المشروعة، وهذا يتطلب أن يكون الأئمة والدعاة والمثقفون والنساء والشباب المتدينون النشطون في مجالات الدعوة إلى الله تعالى على قدر كبير من التأهيل العلمي والعملي.

ثالثا: ثمرات تنمية المهارات الدعوية

١. لابد للداعية من امتلاك المهارات لاستخدام الوسيلة التي يختارها لتوصيل المعلومة للمدعوين.

٢. تساعد في تحقيق الأهداف الدعوية، وذلك عن طريق فهم وإدراك المعلومات المراد إيصالها للمدعوين، وتحصل بها الاستجابة، ولا شك

---

(١) انظر: الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة، د/ علي النملة، http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread .

أن الاستجابة للداعية ثمرة عظيمة؛ لأنه مبلّغ عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ، ومقرر لأحكام الإسلام، ومؤدَّى ذلك تحقق الاستجابة لله وللرسول، والالتزام بالإسلام.

٣. تساعد على رفع مستوى كفاءة الداعية أمام المدعوين وتحافظ على بقاء وأثر المعلومات الدعوية مدة طويلة.

٤. تساعد على رفع كفاءة العملية الدعوية باستخدام المهارات الدعوية.

٥. إن استخدام الداعية للمهارات المتنوعة المتعددة، يجلب اهتمام المدعوين من(المسلمين وغير المسلمين) لهذا الدين العظيم.

٦. إن إكساب المهارات اللازمة للدعاة تُعِينهم على حُسن العرض للمبادئ التي يحملونها، وكذلك توفير الأسباب المعينة لهم على أداء دعوتهم.

٧. يُساهم تطوير مهارات الدعاة في تجديد خطابهم الدعوي بما يتماشى مع سنة التغيير، وهذا يتطلب الوقوف على الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله ﷻ، واكتساب المهارات من خلال البرامج الدعوية والتنموية والعلمية المتاحة، وتزويدهم بالمهارات اللازمة التي تناسب العصر حتى تتحقق الغاية والهدف من دعوتهم.

المبحث الأول
تنمية مهارة التخطيط وتطبيقاتها في السنة النبوية

إن الدعوة الإسلامية أحوج ما تكون للتخطيط، وبخاصة في زماننا هذا، الذي بات يعنى بالتخطيط، ويوليه أهمية قصوى، لما لمسه المجتمع من أهمية التخطيط، في الوصول إلى الأهداف والغايات، بل إن نجاح الدعوة في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية قائمة أولاً على التخطيط السليم والتنظيم للدعوة، ومعرفة من تُوجه له الدعوة، وكيف يمكن توجيهها، ولما كانت مهارة التخطيط بهذه الدرجة من الأهمية كان لا بد من التعريف لها.

أولا: المراد بالتخطيط للدعوة:

(هو التدبير الذي يرمي إلى مواجهة المستقبل بخطط منظمة سلفاً، لتحقيق أهداف محددة)[1].

وقد عرّف بعض الباحثين التخطيط الإسلامي بأنه: (التفكر والتدبر بشكل فردي أو جماعي في أداء عمل مستقبلي مشروع مع ربط ذلك بمشيئة الله تعالى، ثم بذل الأسباب المشروعة في تحقيقه مع كامل التوكل والإيمان بالغيب فيما قضى الله وقدّره على النتائج)[2].

ثانيا: أهمية التخطيط في مجال الدعوة:

إن التخطيط الواعي للدعوة هو الذي ينقل الدعوة إلى الإطار المنتج ويوصل إلى النتائج المثمرة بأقصر الطرق بعد توفيق الله ﷻ، بل أن بعض

---

(١) مبادئ الإدارة العامة، سليمان محمد الطماوى، ص ١٨٨.

(٢) الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة، د/حزام بن ماطر المطيري، ص٧٦.

الدعاة يبذل جهوداً كثيرة في مجال الدعوة، ولكنها جهود لا تثمر لماذا ؟ لأنها جهود غير مركزة، وغير مخطط لها.

لذا كان من الواجب على الدعاة إلى الله التركيز على الأشخاص الأكثر قابلية للدعوة والذين يرجى منهم نصرة الدعوة وهداية غيرهم، كما فعل النبي ﷺ في دعوته في مكة، فلم تنته المرحلة السرية للدعوة إلا وقد انتشرت في جميع القبائل المشهورة في مكة[1]، ولقد سار على نهجه الدعاة إلى الله من الصحابة والتابعين، حتى توالت القرون، ثم أتى على الناس حين من الدهر، أغفل المسلمون فيه التخطيط، وغفلوا عن أهميته، فاضطربت دعوتهم، وتعثرت خطاهم، وتمكن منهم أعدائهم، فحاكوا لهم من الخطط ما أعجزهم، فقابلوا تخطيطهم بنوع من الفوضى وردود الأفعال، والارتجالية، فكثرت الأخطاء الدعوية، وتكررت في حياة الدعاة، مما جعل الحاجة كبيرة إلى التنبيه على أهمية هذه المهارة وضوابطها[2].

ثالثا: ضوابط مهارة التخطيط الدعوي:

حتى يؤدي التخطيط الدعوي وظيفته، لا بد من ذكر بعض الضوابط:

- أن يكون التخطيط من أهل الاختصاص والكفاءات العلمية والعملية في مختلف جوانب الحياة.

---

(١) انظر : الدعوة الفردية، صالح صواب، ص٢٣.

(٢) لمزيد من التفصيل : انظر التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود.

- أن يكون التخطيط صادراً عن جهات ومؤسسات دعوية منظمة، بأن يجتمع معظم الدعاة من علماء ومفكرين في مختلف المجالات الدعوية، ويختاروا نخبة منهم تتفرغ لهذه المهمة، ليضعوا الخطط اللازمة.
- أن يكون متوازناً يحقق انسجاماً بين الواجبات والإمكانات.
- أن يكون منضبطاً بالأحكام الشرعية، ومقتبساً من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية(١).

رابعا: التخطيط الإسلامي في السنة النبوية:

التخطيط في السنة النبوية هو امتداد للتخطيط في القرآن الكريم، ومُستمد منه، وقد اشتملت السنةُ النبوية على عددٍ كبير من صُور التخطيط القائمة على مَبدأ التوكُّل والاعتماد على الله ﷻأولاً، ثم الأخذ بالأسباب، فكان رسول الله ﷺ قد خطط لكل الأمور ولم يتعجل، بل جاهَد، وصبر، واحتسب حتى تَحققت الأهداف بطريقة تدريجية، ونجد أن تفكيره وتخطيطه ﷺ له صفة التميز، إذ أن نجاحاته المتتالية حتى وفاته عليه الصلاة والسلام تدل دلالة واضحة أن هناك خطة واضحة المعالم بعناصرها و خطواتها، وقد كان رسولنا محمد ﷺ قدوة عظيمة لنا في مجال التخطيط حيث كان عليه أفضل الصلاة والسلام يمتلك الحكمة والفطنة والمنهج الفكري العقائدي المتمثل في الإيمان بالقدر والتوكل على الله والسعي لتحقيق الهدف الشرعي، فقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يقود به الأمة الإسلامية ويحقق الانتصارات العظيمة بفضل الله، ثم بفضل فطنته الإيمانية وسيرته العطرة سجل خالد لمن

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، ص٣٠٨.

أرد النجاح في الحياة، فقد قام بالقيام بتبليغ جميع ما أنزل الله عليه، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١)، وفي خطبة حجة الوداع سأل رسول الله ﷺ الناس: (ألا هل بلغت) فردوا: نعم فقال: اللهم فأشهد(٢).

ومن التخطيط الذي تطالعنا به السيرة النبوية أنَّه ﷺ لم يترك فرصة، ولا مجالاً للدعوة إلا سلكه، فلمَّا قُوبِلَ من قومه بالتكذيب، والإعراض، والعناد، وتعذيب أصحابه، وإيذائه ﷺ حتى بلغ بِهِمُ الأمر أن يَهُمُّوا بقتله، ولما خرج رسول الله ﷺ وأصحابه من حصار الشعب، وأن كفار قريش لم يزالوا يحاربون الحق ودعوة الحق، يسومون المؤمنين بالعذاب أضعافًا لأهل الحق المتمسكين به، غدا ليعرض دعوته على بلاد أخرى، ورجال آخرين.

ففي شوال سنة عشر للنبوة، خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه الطاهرتين ومعه مولاه زيد بن حارثة ﷺ، كلما مرَّ على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم يجبه أحد، ووصل إلى الطائف فعمد إلى ثلاثة أخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله ونصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة، أيام منى، ٢/١٧٦، حديث رقم ١٧٣٩، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ٣/١٣٠٥-١٣٠٦، حديث رقم ١٦٧٩.

أعظم خطرًا من أن أرد عليك، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله وقال: (إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني)[1].

وأقام في أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة، ويسبونه ورجموا عراقيبه، حتى احتضنت نعلاه بالدماء، وزيد بن حارثة ﷺ يقيه بنفسه، فأصابه شجاج في رأسه، ولم يزل أولئك السفهاء بالنبي ﷺ حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال من الطائف فرفع كفيه وقال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)[2].

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له عداس، وقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي رسول الله مدّ يده إليه وهو يقول: ((بسم

(١) السيرة، لابن هشام، ٢/٤١٩.

(٢) السيرة، لابن هشام ٢/٤٢٠.

الله)) ثم أكل فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله: ((من أي البلاد أنت؟)) قال: أنا نصراني، من أهل نينوى، فقال رسول الله من قرية الرجل الصالح: يونس بن متى، قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال: ((ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي)) فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلهما[1].

روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير ﷺ أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: (لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، ذلك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[2]، وهما جبلا مكة يحيطان بها، قال النبي ﷺ، بل أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلابهم من يعبد الله ﷻ وحده لا يشرك به شيئًا)[3].

---

(١) السيرة، لابن هشام ٤٢١/٢.

(٢) الأخشبان: هما جبلا مكة، أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقعان، انظر : الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبار كفوري، ص ١٢٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة وفي التوحيد، ١١٥/٤، حديث رقم ٣٠٥٩، ومسلم كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ١٤٢٠/٣، حديث رقم ١٧٩٥.

فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة، وقومه أشدّ ما كانوا عليه من العَدَاء، ومُفارقة دينه إلا قليلاً ممن آمن به من المستضعفين، فكان ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في المواسم يدْعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبيٌّ مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبيِن لهم ما بعثه الله به. وما زال الرسول العظيمُ ﷺ يعمل وفق هذه الخُطَّة، ولا يداخله اليأْس على الرغم مما كان يلقى من الإعراض والصَّد، فعلى الداعية أن يَصْدر في أعماله كلِّها عن خُطَّة مَدْرُوسة؛ اقتداءً برسول الله ﷺ.(١)

ومن نماذج مهارة التخطيط أيضاً في السيرة العطرة (الهجرة النبوية)، والتي تُعَدُّ حدثاً مهماً في التاريخ الإنساني عامة، وفي تاريخ الإسلام خاصة، لأنها الفيصل بين عهدين، كفر وإيمان، وحرب وسلام، بل هي تفريق بين الحق والباطل، إنَّ حدثاً مثل الهجرة، لا بُدَّ أن يكون بتخطيط سليم، يقوم على أسس علمية واضحة، فالتخطيط كان واضحاً في فكر النبي ﷺ، وهو يترسم الخطى في جزيرة العرب بمكة المكرمة.

ومن أهم مظاهر التخطيط في الهجرة النبوية إلى المدينة:

يمكن أنْ نوجز أهم مظاهر التخطيط الإلهي والتنفيذ النبوي في الهجرة إلى المدينة في النقاط التالية، وهي مبسوطة في كتب السيرة، ولذا نكتفي إليها بإشارات فقط:

---

(١) انظر : السيرة النبويَّة والدعوة إلى الله، د. محمد بن لطفي الصباغ، مجلة الرائد، العدد رقم ٢٦٦، ربيع الثاني ١٤٣٠، أبريل ٢٠٠٩.

١- أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة قبله سراً، وانتظر هو الإذن من الله تعالى، كما استبقى معه صاحبه أبا بكر الصديق ﷺ.

٢- بعد أنْ أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة ذهب إلى بيت أبي بكر الصديق ﷺ في وقت الهجيرة، وهو وقت لم يكن من عادة الرسول ﷺ أنْ يزوره فيه، وذلك لإبلاغه بالهجرة وإخطاره بصحبته فيها، وقد كان الصديق ينتظر هذا الإذن حيث كان قد اشترى راحلتين وأعلفهما.

٣- أمر الرسول ﷺ علياً بن أبي طالب ﷺ بالمبيت على فراشه ليوهم قريش بأنَّه ما يزال في بيته.

٤- خرج الرسول ﷺ وصاحبه إلى اتجاه عكس اتجاه المدينة، حتى لا تعرف قريش وجهته، واصطحب معه خبيراً بالطرق (عبد الله بن أريقط).

٥- أمر النبي ﷺ الراعي عامر بن فهيرة بأنْ يروح بأغنامه على إثرهما ليمحو آثارهما، لكي لا تتمكّن قريش من متابعتهما وملاحقتهما.

٦- اتخذ العيون التي تأتيه بالأخبار والزاد، ومن ذلك عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.

٧- التدبير الإلهي لحماية النبي ﷺ وصاحبه من نسج العنكبوت ومبيض الحمامة على باب الغار الذي دخلوا إليه.

٨- اكتساب المصادر والعيون كما حدث لسراقة بن مالك، حيث أمره الرسول ﷺ بأنْ يعمي خبرهم عن قريش، ففعل.

هذه جوانب من التخطيط الإلهي والنبوي الذي تم في مقابل تخطيط مشركي قريش ودأبهم على التخلُّص من رسول الله ﷺ، ومن هنا فإنه يمكن القول: إن النبي ﷺ قدَّم الأنموذج العملي في التخطيط، والأخذ بالأسباب مع التوكل على رب الأسباب ﷻ، وهو درس ما أحوجنا إليه في كل مجالات حياتنا (١).

بهذا التخطيط السليم، الذي تميز ببعد النظر، وبهذه الحكمة والحذاقة أرسى رسول الله ﷺ قواعد مجتمع جديد، هيأه تربية، وعلماً، وتزكية للنفوس، وحثاً على مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال.

إذاً . لا يخفى على كل داعية نذر نفسه لتحمل هذه الأمانة العظيمة مدى الحاجة إلى دعوة راشدة تنهض بهذه الأمة، وتستند إلى قواعد صلبة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح.

ولا ريب أن من أهم السمات المطلوبة في الداعية إلى الله هي البصيرة بمفهومها الواسع، والتي تشمل غير العلم بموضوع الدعوة معاني أخرى كثيرة من أهمها: وجود الفهم الشامل لدى الداعية بأهداف دعوته ومقاصدها، وإدراكه للوسائل الشرعية التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق هذه الأهداف، والتنبؤ بما قد يعترضه من عوائق ومشكلات، وهذا الوعي والإدراك لمثل هذه الأمور هو ما نسميه بلغة الإدارة: (التخطيط)، فلا شك أن كل داعية إنما يهدف من وراء دعوته إلى تحقيق جملة من الأهداف، والتي تبرز الحاجة إلى

---

(١) لمزيد من التفصيل، انظر: التخطيط في الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة في ضوء العلم الحديث، د. محمد البشير محمد عبد الهادي، مجلة دراسات دعوية، ع١٤ – يوليو ٢٠٠٧.

مهارة التخطيط في برامجنا الدعوية، لأن ضعف جانب التخطيط أحيانًا وانعدامه في أحيان أخرى أسهم في إضاعة الكثير من جهود الدعاة، وأضعف ثمار أعمالهم الدعوية، وأضحى الكثير من البرامج تنفذ لمجرد التنفيذ فقط، أو لتكون أرقامًا تضاف إلى أعداد البرامج المنفذة.

فقيام الداعية بقياس أدائه الدعوي بشكل منتظم، وكيفية قيامه بالتعلم والتحسين المستمر على الخطط الموضوعة، إضافة إلى كيفية قيام الداعية بتقييم خبراته ومهاراته الدعوية السابقة والتعلم منها، والاطلاع على التجارب المحلية والدولية في مجال الدعوة، وكيفية التعلم من تلك الخبرات والمهارات الدعوية وتعليمها للآخرين، إلى جانب كيفية تطبيقها وتطويرها، سيسهم - بإذن الله- في تطوير مستوى الدعاة والدعوة.

المبحث الثاني

تنمية مهارة الاستماع والإنصات للمدعوين وتطبيقاتها في السنة النبوية

الداعية المربي الواعي كيّس فطن، لبق في وعظه وتعليمه، حكيم في دعوته الناس للحق، ومن أهم صفات المربي الحق أن يحسن التغلغل في القلوب، فيحبب إليها الإيمان والإقبال على الدين، ويعتمد المنطق الرصين على البيان والإفصاح للتخاطب مع الآخرين، كما ويتطلب مهارة الاستماع فهي مهارة مهمة، إذ إنه يبني نوعا من الثقة والمودة المتبادلة ويعزز التفاهم والتواصل، ومعظم المشاكل التي تحدث في العلاقات بين الناس يكون عدم الإلمام بهذه المهارة سبباً رئيساً فيها.

فالاستماع عملية من عمليتي الاتصال بين البشر، ووسيلة من بين وسيلتي الاتصال اللغوي الذي له جانبان جانب الإرسال وهو: إما أن يكون عن طريق الكلام أو الكتابة، وجانب آخر هو الاستقبال: إما أن يكون عن طريق القراءة أو الاستماع، وكلاهما يتطلب عملاً عقلياً هو الفهم.

أولا: تعريف الاستماع هو: (عملية عقلية تتطلب جهداً يبذله المستمع في متابعة المتكلم، وفهم معنى ما يقوله واختزان أفكاره واسترجاعها إذا لزم الأمر، وإجراء عمليات ربط بين الأفكار المتعددة)[1].

(١) طرق تعليم اللغة العربية، محمد عبد القادر أحمد، ص١٤٦.

ومن ذلك يتضح أن الاستماع هو عملية استقبال الأذن للكلمات المنطوقة وفهمها وتحليلها والحكم عليها، والسمع حاسة من حواس الإنسان تتم عن طريق سلامة الجهاز السمعي وقدرته على استقبال هذه الذبذبات الصوتية ولا تحتاج إلى أعمال للذهن أو انتباه لمصدر الصوت[(١)].

أما الإنصات: فيعرف بأنه(نوع أعلى في الاستماع تتوافر فيه النية والقصد مع الرغبة الشديدة في تحصيل المنصت إليه)[(٢)].

ومما سبق يمكن القول أن هناك فرق بين الاستماع والإنصات (الإصغاء) وهذا الفرق في الدرجة وليس في طبيعة الأداء، فالاستماع قد يكون متقطعاً كاستماع التلميذ لشرح المعلم أو استماع الطلاب للمحاضرة في جو من الضوضاء والصخب وذلك لأن المستمع يتابع بعض الوقت ثم ينصرف عنه، أما الإصغاء (الإنصات) فهو استماع مستمر غير متقطع مع شدة الانتباه والتركيز لمصدر الاستماع مع مداومة الفهم لما يسمع.

وبهذا يمكن القول أن الإنصات يتضمن استماعاً، وليس كل استماعاً يتضمن إنصاتاً، وقد أمر الله ﷻ في كتابه بالاستماع غير ما مرة في سبيل بيان أهمية هذه الخطوة، فقال: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ﴾[(٣)]، وقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا ﴾[(٤)]، وقد علم القرآن العظيم ذلك كأدب شريف من آداب تلقي الرسالة القرآنية، فأمر بالاستماع له والإنصات قال تعالى:

---

(١) انظر:القيادة أساسيات ونظريات ومفاهيم حسن، ماهر محمد، ص١٧.

(٢) استراتيجيات تعلم اللغة العربية في المرحلة الثانوية فتحي على يونس، ص ١٩٦.

(٣) سورة المائدة:١٠٨.

(٤) سورة التغابن: ١٦.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾(١)، كما زجر كل نافرٍ عن الاستماع، لاهٍ عن الإنصات للنصح والإرشاد، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾(٢)، بل لقد بشر الله عباده الصالحين الذين يحسنون الاستماع والعمل بما سمعوا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾(٣)، يقول ابن القيم- رحمه الله-: (فالسماع أصل العقل وأساسه ورائده وجليسه ووزيره ولكن الشأن كل الشأن في المسموع. . . وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه طربا وهربا وحبا وبغضا)(٤).

يقول أبو حامد الغزالي في صفات المنصتين الجيدين (أن يكون مصغياً إلى ما يقوله القائل، حاضر القلب، قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه، ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره، متحفظاً عن حركة تشوش على أصحابه، بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف، متحفظاً عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقاً رأسه كجلوسه في فكر، ويدعو إلى الحذر من التصنع والتكلف والمراءة أثناء الإنصات و أن يكون

(١) سورة الأعراف: ٢٠٤.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) سورة الزمر: ١٧ - ١٨.

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/٤٨١.

ساكتاً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير مذموم داعياً إياه إلى الرجوع إلى هدوئه وهو ينصت)[1].

والإصغاء الجيد أبلغ ما يكون أثره في المقابلة الأولى، وفي اللقاءات العابرة؛ الأثر الطيب لمثل هذه اللقاءات في النفوس؛ ولأن الحوار فيها يكون عاماً لا يستدعي مداخلة في أكثر الأحيان، وفيها يتشكل انطباع كل فرد عن الآخر، ولا تقتصر براعة الحديث على أسلوب الكلام وجودة محتواه، بل إن حسن الإصغاء يُعد فناً من فنون الحوار، وبراعة الاستماع تكون بـ: الأذن، وطَرْف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه.

ثانيا: أهمية مهارة الاستماع والإنصات لدى الداعية

حسن الإنصات وأدب الاستماع من أعظم ما يبني العلاقات ويرسم طريق النجاح للدعاة، وإذا صلح الاستماع صلحت الحياة واستقامت، وإن أفضلطريق لإقناع الآخرين، وأيسر سبيل للوصول إلى الحق، هو فقهحسن الاستماعوأدب الإنصاتِ، وعملية الاستماع هي المقدمة الطبيعية لغالب العمليات الفكرية والعقلية الموجهة للسلوك البشري التنموي سواء كان تعليمياً أو دعوياً أو توجيهيا، والسماع هو مفتاح الفهم والتأثر والإقناع والتشبع بالأفكار، لذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[2]، فما داموا لا يسمعون له فلن يتأثروا به، كما

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/ ٤١٦.

(٢) سورة فصلت: ٢٦.

إنهم لما انقشع عنهم الغمام تمنوا لو أنهم كانوا قد أحسنوا الاستماع: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1]، إننا نستمع أحيانا بدون وعي، فإذا اجتمع مع الاستماع وعي يكون الإصغاء وهو سماع الأذن بوعي وتفهم، والإصغاء الفعال هو الاستماع والإنصات المركز لمجموعة من المعلومات حول موضوع ما لغرض التفهم الكامل لذلك الموضوع.

إن عدم معرفة الداعي بأهمية مهارة الاستماع تؤدي بدورها لحدوث الكثير من سوء الفهم، الذي يؤدي بدوره إلى تضييع الأوقات والجهود والأموال والعلاقات في الدعوة إلى الله التي كنا نتمنى ازدهارها.

إن الاستماع ليس مهارة فحسب، بل هي صفة أخلاقية يجب أن يتعلمها الدعاة، فسماع الداعية لمدعويه لا لأنه يريد مصلحة منهم، لكن لكي يبني علاقات وطيدة معهم.

ثالثا: تنمية مهارات الاستماع للدعاة:

يمكن تنمية مهاراتالاستماع بثلاث طرق:

١. تنمية القدرة على التذكر، وذلك بتنظيم المعلومات وحفظها في شكل تتابعي أو مسلسل واستخدام الأساليب المختلفة لتقوية القدرة على التذكر والتخيل والصور الذهنية.

٢. الاستفادة من طيبة البناء المعرفي للفرد، وهي التعرف على طبيعة الثقافة السائدة بمكوناتها المختلفة.

٣. الالتزام بالقواعد المرشدة الاستماع الجيد، والتي منها – الانتباه للمتحدث – تلافي تأثير العوامل التي تؤثر على الانتباه مثل العوامل

---

(١) سورة الملك: ١٠.

النفسية – والطبيعية والفسيولوجية – والبيئة – مراعاة اللغة اللفظية – الصمت – الانتباه لتأثير عامل السن – الاهتمام بالتعبيرات غير اللفظية – المتابعة – التجاوب – التوافق- تجنب السرعة في الاستنتاج أو التقويم – تجنب تصنيف المتحدث أو إصدار الأحكام القطعية عليه – تجنب محاولة إيجاد أخطاء في طريقة إلغاء المتحدث(١).

رابعا: نماذج مهارة الاستماع والإنصات في السنة النبوية

كانت حوارات النبي ﷺ أعظم مثال لذلك الأدب، وهو حسن الإنصات، وإعطاء المحاور الفرصة الكافية، ومن ذلك حواره ﷺ مع عتبة بن ربيعة (المشرك):

جاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة (يعني المنزلة الرفيعة) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ (قل يا أبا الوليد أسمع) قال: إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: (قد فرغت يا أبا الوليد) ؟ قال: نعم، قال (فاستمع مني) قال: افعل، فقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا

(١) انظر: مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، محمد منير حجاب ص١٧.

لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[1] .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك)[2].

المستفاد من حوار النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة:

عند النظر إلى هذا الحوار نجد فيه كثير من الآداب التي يجب على الداعية التحلي بها عند حواره مع مخالفه منها:

١. حسن الاستماع حتى يفرغ المخالف من كلامه نهائيا، فلربما أجمل كلامه في بدايته وسوف يفصل في نهايته، أو ربما لم يصرح بمراده في بداية الكلام، وسيكون ذلك في آخره، فحسن الاستماع يسهل كثيرا من الرد على المخالف وتقريب وجهات النظر، وهذا واضح في إنصات النبي لعتبة حتى فرغ، ثم قال له: أفرغت يا أبا الوليد ؟

وهذا دلالة على عدم مقاطعة النبي ﷺ لعتبة في حديثه.

٢. حسن الأدب في المخاطبة ولو كان المتحدث كافرا، فحسن الأدب مخجلة للخصم عن أن يتطاول بالكلام، أو يعاند في قبول الرد، ولذلك قال النبي ﷺ لعتبة: (قل يا أبا الوليد أسمع).

---

(١) سورة فصلت: ١ – ٥.

(٢) السيرة، لابن هشام ١/٢٩٣.

وذلك علامة على الرفق به ولين الجانب له. وكانت العرب تحب المناداة بالكنية فجاءه النبي من الجانب الذي يحبه حتى ولو علم النبي ﷺ أن لن يؤوب ولن يرجع، لأن ذلك أصل في الدعوة إلى الله فقد أمر الله موسى وهارون – عليهما السلام- باللين مع فرعون وقومه رغم أنه لن يؤوب ولن يتوب.

٣. حسن الاستماع وحسن الكلام دلالة على بشاشة الوجه، وهذا مما يؤلف قلب المخالف، ويهون من ثورته على الإنسان، ويهدئ من حدته.

٤. وكل هذه الثلاثة خصال تمنع شر الخصم أن كان يريد إضمار الشر قبل أن يتكلم، فهو باب من أبواب درأ المفسدة وجلب المصلحة. فهذا الموقف العظيم يحمل في طياته دروساً وعبراً وهي أن يحسن المحاور الاستماع، ويصبر على صاحبه، ثم يجيب بلغة الواثق الهادئ، لا المتزعزع المضطرب(١).

فقد اختار ﷺ الكلام المناسب في الموضع المناسب، واختار أيضاً الصوت المناسب وحسن الإنصات مع الخصم، وذلك كله من جوامع خلقه ﷺ، والاستماع إلى الآخرين ؛ والانتباه إلى أحاديثهم ؛ والإنصات إليهم باهتمام، هو إحدى مهارات التعامل مع الآخرين، وكسب قلوبهم ؛ فكثير من الناس من تكسب قلبه عن طريق أذنك، وهكذا يجب أن يكون الداعية إلى الله ﷻ.

---

(١) انظر : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم الوزير، ١٤٧/٢.

لا شك أن حسن الاستماع إلى الآخرين (أو ما يسمى الإنصات) من المهارات الهامة جدًا في العلاقات الإنسانية، حيث تعمل على خلق علاقات إيجابية، وتحقق الاعتماد المتبادل والاستفادة الحياتية.

لقد أصبحت مراكز تنمية القدرات البشرية تسابق على التدريب على فن الاستماع لأنه من أقوى طرق التأثير، مع الأسف نجد أن من يجيد فن الاستماع نزر قليل من الناس، ولعل سبب ذلك يكمن في أننا ندرك العالم بطرق تعكس احتياجاتنا الخاصة، أو الانشغال المسبق بجدول أعمالنا الخاص. وأيًا كان سبب عدم الإنصات إلا أنه خلق سيئ.

فكل ما تقدم مما يلزم أن يؤهل به الداعية الذي يراد له أن يكون داعية بحق، داعية ناجحا مؤثرا قادرا على تحقيق النتائج الموجود من الدعوة، وعلى إقناع المدعوين بالإنصات إليه والاستماع لما يقول، ومن ثم الاقتناع بما يقول وبصحة ما يدعوهم إليه لامتلاكه قلوبهم واستحواذه على أسماعهم، لما يتصف به من إمكانات وقدرات، ولما يحسونه من حرارة كلماته وصدق لهجته وظهور إخلاصه وحرصه على نفعهم وإسعادهم، فهو طبيب القلوب الذي يعالج أدواءها وعللها بصدق واقتدار معا.

المبحث الثالث

تنمية مهارة التفكير الناقد وتطبيقاتها في السنة النبوية

التفكير نعمة عظيمة وهبها الله تعالى للإنسان ليتعرف عليه ويعبده حق العبادة؛ فمما لا شك فيه أن تنمية التفكير وتوجيهه هدف أساس، فعلى الداعية الاهتمام بجانب إحياء وتنمية التفكير في نفس المدعو ليدفعهإلى التحليل واكتشاف الخطأ الذي وقع فيه، ذلك أن التفكير الناقد يشجع روح التساؤل والبحث والاستفهام، ويؤدي إلى توسيع الآفاق العقلية، وحيث أن التفكير ينطلق من واقع الحدث والبيئة المحيطة به، فإن الداعية الناجح هو من يحسن استخدام الأساليب الدعوية وتوظيفها لتنمية التفكير الناقد لدى المدعو، والذي يعد من أكثر أشكال التفكير تعقيدا نظرا لارتباطه بسلوكيات عديدة كالمنطق وحل المشكلات وارتباطه الوثيق بالتفكير المجرد والتفكير التأملي من حيث تشابه العديد من الخصائص، والذي يحتم على الفرد امتلاك مهاراته ليكون قادرا على تميز وامتلاك المعرفة التي تحقق النفع له ولمجتمعه.

أولا: تعريف التفكير الناقد

التفكير الناقد مصطلح مركب من كلمتين فيعني في اللغة:

١- التفكير:

(فَكَّرَ في الأمر، يفكر، فكراً: أعمل عقله فيه، والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها)[١].

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ٧٠٥/٢.

٢- الناقد:

للنقد في معاجم اللغة العربية، جملةُ معانٍ، ولعل أبرز هذه المعاني وأشْيَعها في لغة العرب تمييز الجيد من الرديء، والسمين من الغَث، والصحيح من الزائف[١].

المفهوم الاصطلاحي:

المتتبع للأدبيات المتعلقة بالتفكير الناقد يمكنه أن يلحظ أن الباحثين يختلفون في تحديد مفهوم التفكير الناقد، وقد يرجع ذلك إلى اختلاف مناحي الباحثين واهتماماتهم العلمية من ناحية، وإلى تعدد جوانب هذه الظاهرة وتعقدها من ناحية أخرى، من هذه التعريفات مايلي:

١- التفكير الناقد (عبارة عن الحكم الحذر والمتأني لما ينبغي علينا قبوله أو رفضه أو تأجيل البت فيه ولمطلب ما أو قضية معينة، مع توفر درجة من الثقة لما نقبله أو نرفضه)[٢].

٢- ويرى آخر بأن التفكير الناقد (نوع من التفكير المسؤول الذي ييسر عمليات الوصول للقرار، ويعتمد على معايير ومحكات خاصة، وكذلك على التقويم الذاتي والحساسية للمواقف المتنوعة)[٣].

إذاً التفكير الناقد الجيد هو تفكير ملتزم، معزز بالمهارات، تعالج به مشكلة ما من جميع النواحي، وتحكّم فيه عقلك للتوصل إلى أفضل

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣/٥٤١.

(٢) تدريس مهارات التفكير، جودت أحمد سعادة، ص١٠٣.

(٣) دراسات في أساليب التفكير، مجدى عبدالكريم حبيب، ص٢٢٨.

الاستنتاجات[1]، ويعد التفكير الناقد شكل من أشكال التفكير عالي الرتبة الذي يتطلب استخدام مهارات التفكير المتقدمة على غرار التفكير الإبداعي، وتجدر الإشارة إلى أن علماء النفس والتربية يظهرون اهتماما واضحا في التفكير الناقد نظرا لما له من انعكاسات في عملية التعليم والقدرة على حل المشكلات وبدأ هذا الاهتمام بهذا النوع من التفكير في السنوات الأخيرة واضحا في مجالات التعليم المختلفة.

ثانيا: أهمية تنمية مهارة التفكير الناقد لدى الداعية والمدعو

إن تعلم التفكير، هو حاجة طبيعية للإنسان تساعده على استمرار الحياة والعيش بمعقولية وتساعد الإنسان أيا كان على تحقيق أهدافه، فالداعية الذي يضع أهدافاً معينة في دعوته والداعية الذي يبحث عن أفكار جديدة وأساليب ووسائل جديدة متعلقة بتطوير أدائه وعمله، والداعية الذي يسعى إلى النجاح ويريد اتخاذ القرار، والداعية الذي تواجهه عقبات في دعوته كل هؤلاء يحتاجون إلى اكتساب مهارات تفكيرية تساعدهم على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم، فالداعية عندما يستخدم هذه المهارات بشكل جيد تساعده على التقدم في مجال الدعوة وفق الأهداف التي يضعها في حياته[2].

إن التعلّم الفعال لمهارات التفكير حاجة تفرضها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في شتى مناحي حياة الإنسان، والنجاح في مواجهة هذه

(١) انظر مقالة " التفكير الناقد، نقاط للمناقشة " منشورة على شبكة الإنترنت:
http://otal.umd.edu/~vg/msf98/homework/critthink.htm

(٢) انظر: مهارات التفكير ومواجهة الحياة – عبد المعطي سويد، ص ١١-٣٢.

التحديات يعتمد على كيفية استخدام المعرفة وتطبيقها، كما أن عصر التغيرات المتسارعة يفرض على الدعاة التعامل مع التربية والتعليم على أنهما عمليتان مستمرتان، لأنهما تستمران مع الإنسان كحاجة ضرورية لتسهيل تكيفه مع المستجدات، والتكيف معها يستدعي تعلم مهاراتمن أجل إعداد المدعو إعداداً صالحاً لمواجهة ظروف الحياة العملية، بحيث يتاح له المجال اكتساب المهارات التي تجعله قادراً على اتخاذ القرارات أو إيجاد الحلول للمشكلات التي تطرأ على حياته، فالداعية له دورفي تنمية التفكير الناقد، وبيان ضرورة مخاطبة العقل ودعوته للتمييز بين الحق والباطل، فحينما يُفكر المدعو في المفاسد الأخلاقية فإنه غالباً سيبتعد عنها وسيسعى إلى تهذيب نفسه، وسيدعوه فكره إلى الاستقامة والصلاح، وتوجيه تفكيره التوجيه الصحيح لاسيما في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل الإعلام مع ثورة المعلومات، فنجد الحاجة مُلِحّه لإعداد جيل يتميز بمهارات عقلية تميز الصواب من الخطأ مع مواجهة التحديات والغزو الفكري الذي يحيط به بكفاءة عالية ويرسم طريقه الصحيح دون التأثر بما تبثه وسائل الإعلام من الثقافات المختلفة والشبه والأضاليل.

ثالثا: سمات التفكير الناقد

يتسم التفكير الناقد بما يلي[1]:

أ – التعمّق: أي أنه تفكير لا يكتفي بالنظرة السطحية العجلى، بل يسعى إلى دراسة المشكلة دراسة دقيقة متأنية، للوقوف على أسبابها وعوامل نشوئها، ورصد مظاهرها الواضحة والخفيّة، وتقديم الحلول الناجعة لحسمها ومعالجتها.

ب – العقلانية: أي أنه تفكير عقلاني منظم، يرتكزعلى معايير سليمة، واستدلالات منطقية، واستنتاجات صحيحة.

ج – الموضوعية: أي أنه تفكير ينأى عن العواطف والأهواء والأنانية والتعصب؛ ويقوم على العقل.

د– الانفتاح: أي أنه تفكير واسع، يلاحظ جميع الجوانب، ويهتم بكل الأسباب، ولا يتعامى عن شيء.

رابعا: التطبيقي النبوي لتنمية مهارة التفكير الناقد

كان الرسول ﷺ حريصاً على حثّ أصحابه – رضوان الله عليهم – على استخدام عقولهم، وإعطائهم الفرصة الكافية للتفكير، وذلك لإيقاظ واستثمار ما لديهم من طاقات وقدرات، واستغلالها لحلّ كل ما يعترض طريقهم من مشكلات ومواقف، ولم يكن تعليم الرسول ﷺ لصحابته – رضوان الله عليهم –يعتمد على التلقين دون فهم أو استيعاب، بل كان القرآن الكريم يربي الصحابة بالأحداث وينزل الحكم مع الوقائع، وكان

(١) تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، فتحي جروان، ص ٧٢.

المصطفى ﷺ ينوع أساليبه للصحابة، فتارة عن طريق التساؤلات، كما في حديث (أتدرون من المفلس قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إنَّ المفلس من أمَّتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار)[١]، وتارة بالمناقشة والاستقصاء، كما حدث مع الشاب الذي جاء يستأذن الرسول ﷺ في الزنا فقال له الرسول ﷺ:(أترضاه لأمك.. أترضاه لأختك... الحديث إلى أن أقتنع الشاب ثم تاب)[٢]، وأحيانا كان الرسول ﷺ يستخدم الرسوم التوضيحية كما في حديث خطوط الأمل ابن آدم وأجله، فعن بُرَيْدَةَ ﷺ قال: (خط النبي ﷺ خطوطًا، فقال: (هذا الأَمل، وهذا أَجله) فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب)[٣] يعني الأجل، وأحيانا يترك الحكم للصحابة ليناقشوا في الأمر، وكثيرا ما كان ﷺ يترك للصحابة فرصة التفكير قبل إعطاء المعلومات ثم يحدد الرسول ﷺ القول الفصل، كما في حديث" السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب"، قال رسول الله ﷺ (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله،

(١) صحيح مسلم، كتاب البر وَالصِّلة وَالْآداب، باب تحريم الظلم، ٤/١٩٩٧، حديثرقم٢٥٨١، والترمذي كتاب أبواب صفة القيامة، وَالرّقائق والورع عن رسولالله ﷺ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ٤/١٩١، حديثرقم ٢٤٢٠، قال الترمذي : حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني : صحيح.
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ٥/ ٢٥٦، حديث رقم ٢٢٢١١، والحديث إسناده صحيح.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ٨/٨٩، حديث رقم ٦٤١٨.

فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله، وقال: بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، فخرج عليهم الرسول ﷺ فقال: " هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون... الحديث)[1]، إلى غير ذلك من الأساليب المتنوعة (والتي في مجملها مهارات عليا للتفكير) التي كان يستخدمها المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام في تعليمه للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ومما هدى إليه الرسول ﷺ في هذا الجانب، أنّ على الداعية أن يراعي الميول والمواهب التي يبرع فيها المدعوين، بل من يُتَولى أمره، سواء كان طفلاً أو شاباً أو متعلماً أو جندياً أو فرداً في جماعة.

لقد رعى رسول الله ﷺ إبداعات الصحابة وسعى إلى تنميتها، أخرج الشيخان عن أبي إدريس الخولاني سمع حذيفة ابن اليمان ﷺ يقول:((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم...... الحديث)[2].

وهنا نلفت إلى أن حذيفة بن اليمان ﷺ نظر إلى المألوف بصورة غير

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب بغير حساب، ٨/١٠٠، حديث رقم٦٥٤١، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ١/١٩٧، حديث رقم ٤٤٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٩/٥١، حديث رقم ٣٦٠٦، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ٣/١٤٧٥، حديث رقم ١٨٤٧.

مألوفة، وهداه الله تعالى إلى تفكير ابتكاري، فكرة جديدة لها ثمارها، فإذا كان الصحابة قد ألِفُوا السؤال عن الخير والإيجابية، لينالوا الخير ويحرصوا عليه، فلماذا لا نقف من رسول الله ﷺ على مواقع الشر والغواية، ليحذر منها حذيفة، ويحذّر منها الصحابة، بل البشرية قاطبة إلى قيام الساعة، وهذا بحد ذاته إبداع من حذيفة ﷺ، ويؤخذ من حديث حذيفة هذا، أن كل من حُبب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يَعْلمه غيره حتى خُصّ بمعرفة أسماء المنافقين.

قال ابن أبي جمرة: "في الحديث حكمة الله في عباده، كيف أقام كلا منهم فيما شاء، فحُبّب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير وحبّب لحذيفة السؤال عن وجوه الشر ليتجنبه، ويكون سببا في دفعه".

وقد أكد علماء الحديث على ضرورة رعاية الميول الإبداعية في الناشئ استناداً إلى هذا الحديث، قال ابن حجر: "ومن أدب التعليم أن يُعَلّم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة، فإنه أجدر أن يسرع إلى تفهّمه والقيام به"[1]، واستنباط ملكات الإبداع عنده.

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٤١/٣.

المبحث الرابع

مهارات التعامل مع المدعوين والاتصال بهم وتطبيقاتها في السنة النبوية

إنَّ مسألة التواصُل بين المسلمين أكبر وأشمل، ودائرة التعارف بينهم لا بدَّ وأن تكون أوسع، وقد بيَّن الله الحكمة من خلق الناس في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1]، وحيث إن الإنسان اجتماعي بطبعه يحب تكوين العلاقات وبناء الصداقات، فمن حاجات الإنسان الضرورية حاجته للانتماء، ومن الفطرة إن يكون الإنسان اجتماعيا، والفرد مهما كان انطوائيا فانه يسعى لتكوين علاقات مع الآخرين وإن كانت محدودة، ويصعب و ربما يستحيل عليه الانكفاء على الذات والاستغناء عن الآخرين[2]، ولذلك كانت مهارة التعامل مع الآخرين والاتصال بهم من أهم المهارات التي يجب أن يتعلمها الداعية في حياته ويتوقف عليها جزء كبير من فاعليته وتأثيره ونجاحه في الحياة، والدعوة إلى الله ﷻ قائمة على الاتصال بالآخرين وهو الأساس في التأثير فيهم، كما أن الاحتكاك بهم يعني كسب خبرات جديدة يضيفها الداعية إلى خبرتهوالتعامل مع الناس فن من أهم الفنون نظراً لاختلاف طباع المدعوين، ومن أنجح وسائل الكسب للدعوة.

---

(١) سورة الحجرات:١٣.

(٢) انظر:الخدمة الاجتماعية في مجال العلاقات العامة، محمد مصطفى أحمد، ص١٢.

أولا: تعريف الاتصال:

ظهرت تعريفات عديدة لا يمكن حصرها لمفهوم الاتصال من قبل الباحثين والمتخصصين في علوم الإعلام والاتصال، عكست في معظمها أهميته ودوره في الحياة الإنسانية، والمكونات أو العناصر الأساسية لعملية الاتصال، ومن هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر.

١- هو (العملية التي بمقتضاها يتفاعل مرسل الرسالة ومستقبلها في مضامين معينة، أو هو تفاعل بين طرفين، وفي هذا التفاعل تنقل أفكار ومعلومات أو وقائع وعواطف وآراء، ومشاركة الصور الذهنية، والتوجيه والإقناع)(١).

٢- أو هو(العملية التي ينقل بمقتضاها الفرد - القائم بالاتصال - منبهات - عادة رموز لغوية - لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين - مستقبلي الرسالة)(٢).

٣- أو هو (سلوك أفضل السبل والوسائل لنقل المعلومات والمعاني والأحاسيس والآراء إلى أشخاص آخرين والتأثير في أفكارهم وإقناعهم بما تريد سواء كان ذلك بطريقة لغوية أو غير لغوية)(٣).

ثانيا: حاجة الداعي للتعامل مع المدعوين والاتصال بهم:

يحتاج الداعية إلى الله إلى إتقان مهارة إنشاء العلاقات العامة مع الآخرين واستغلالها استغلالاً إيجابياً في صالح دعوته وفكرته، حيث يدعو إلى

---

(١) الدعوة ووسائل الاتصال، د/ سيد محمد ساداتي، ص ١.

(٢) الأسس العلمية لنظريات الاتصال، جهان أحمد، ص ٥٠.

(٣) حتى لا تكون كلاً، د/ عوض القرني، ص١٧.

تعديل السلوك البشري نحو السلوك الإسلامي القويم، وكلما نشط الداعية في عمله الدعوى ووضع النجاح نصب عينيه، كلما أصبح من الضروري عليه أن يتعرف على الناس من حوله، ويوسع دائرة معارفه ويقوي علاقاته بالناس حتى يستطيع التأثير في أكبر عدد منهم، والداعية الأوسع أثرا هو الداعية الأقوى في الغالب، ولما كان الداعية يقوم بدور قيادي في مجتمعه فإن أفراد هذا المجتمع يتوقعون منه دائماً اهتماماً بأحوالهم وانشغالاً بشأنهم، فالدعوة وسيلة من وسائل التأثير على البشر، وأنماط الشخصية تقدم للداعية طرق مختصرة، وأكثر فعالية للتأثير، والدعاة إلى الله يتخذون الرسول ﷺ إماماً لهم وقدوة في علاقاتهم بالناس، إذ إن التعامل مع الناس فن من أهم الفنون الدعوية التي تميز الدعاة المصلحين نظراً لاختلاف طباع الناس وتباين أمزجتهم واهتماماتهم.

ثالثاً: أسس وقواعد تعامل الداعي مع المدعوين:

١- التحلي بالصبر والمثابرة عند التعامل مع المدعوين فقد يواجه الداعية كلمة جارحة، أو مكيدة، أو فظاظة منفرة.

٢- الرفق واللين من أفضل الطرق وأسهلها للوصول إلى الأهداف الكبيرة في الحياة، وأن يجعل الداعية اللين يغلب في تعامله الإيجابي مع التخلي عن الفظاظة والشدة والقسوة، وهو أحسن وسيلة لتحقيق النتائج الجيدة والحسنة في التعامل مع الآخرين.

٣- سعة الأفق، فلا يتعصب الداعي لرأيه، بل يكن على استعداد لتغييرها والتخلي عنه إذا دعت الحاجة لذلك، ولا يقبل أي شيء على أنه نتيجة نهائية وحتمية بل قابلة للمناقشة والتغيير.

٤- السيطرة على النفس وانفعالاتها، وإلا فستكون النتيجة التي لا تحمد عقباها، فالانفعال يمكن أن يهدم جسور الثقة والأمان والحب والود الذي بين الداعية ومدعويه.

٥- إتقان فن الحوار في الإقناع، فإقناع المدعوين بالأفكار شيء سهل يسير ولكنه يحتاج إلى فن وفكر ومهارة، فالناس يمكنهم أن يتخلوا عن أفكارهم إلى أفكارك بمحض إرادتهم، فتغيير القناعات لا يمكن حصوله بالضغط أو بالإلزام أبدا، بل تتغير القناعات بالرضا والقبول وبالإثبات والبرهان.

٦- انتقاء الكلمات فكل مصطلح يجد له الداعية الكثير من المرادفات، فيختار أجملها، كما عليه أن يبتعد عما ينفر المدعوين من المواضيع(١).

رابعاً: صور التواصل والتعامل مع المدعوين في السنة النبوية:

المتتبع للسنة النبوية يجد رسول الله ﷺ يقيم علاقات واتصالات مع كل الناس بجميع أصنافهم(٢)، فنجده في موقف جالس مع كفار قريش يناقشهم ويدعوهم إلى الإسلام، وفي موقف آخر مع أصحابه- رضوان الله عليهم - يعلمهم دينهم، وفي موقف ثالث يزور جاره اليهودي المريض، وفي

(١) للاستزادة انظر: فن التعامل مع الناس، د.عبد الله الخاطر، فن التعامل مع الناس، عبدالرحمن بن فؤاد الجار الله، www.saaid.net.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر: كيف تعامل الرسول ﷺ مع الناس؟ (مواقف عملية)، فاطمة محمد عبدالمقصود العزب، www.alukah.net.

موقف رابع مدعو إلى طعام من رجل يهودي، وفي موقف خامس مع أزواجه يداعبهم، وفي موقف سادس مع الجارية منطلقة معه حيث شاءت، وقد جاء الإسلام بالحثِّ على حُسن التعامل مع الآخرين، في وقتٍ فرَغت قلوب الناس فيه من معاني الرحمة والتعاون، كان يأكل قويهم ضعيفهم، ويستغل غنيهم فقيرَهم، فعمل على القضاء على منابع الشر، وإزالة الحواجز التي قطعت ما بين الناس من صلات التراحم والتعاون.

لقد كان الرسول ﷺ يقضي وقتًا كبيرًا في تقوية تلك الصلات الاجتماعية، فيعود من مرض من أصحابه- رضوان الله عليهم -، ويتبع جنازة من مات منهم، وإذا افتقد أحدهم في صلاة الصبح سأل عنه، ومن كان منهم في حاجة إلى المال ساعده بماله، وحث الصحابة على مساعدته، وكان حريصًا على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعلى إفشاء روح الحب والتعاون والاحترام فيما بينهم.

بل حتى مع بسطاء الصحابة والنساء العجائز، كان ﷺ حريصًا على رعايتهم والسؤال عنهم، فعن أبي هريرة ﷺ أن امرأة سوداء كانت تقُمُّ [تجمع القمامة] المسجد - أو شابًّا -، ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها - أو عنه - فقالوا مات، قال (أفلا كنتم آذنتموني [أي أخبرتموني])، قال: فكأنهم صغروا أمرها أو أمره - فقال: (دلوني على قبره)، فدلوه فصلى عليها، ثم قال: (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم)(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان البخاري، ٩٩/١ حديث رقم ٤٣٨، مسلم كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر٦٥٩/٢، حديث رقم، ١٥٨٨.

وكان ﷺ يُحسن التعامُل مع الناس، فكان إذا قام الليل لا يزعج النائم أثناء عبادته، وإنما كان يؤنس اليقظان، وكان الرسول ﷺ يَطرق باب بيته قبل الدخول إليه، و ضحّاكا في بيته، وسيرته ﷺ العطرة فائضةٌ بحسن معاملته، شهد له بها العدوّ قبل الصديق، ومن ذلك أنه عندما كان في الطريق إلى فتح مكة، لقيه أبا سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية — وهما ابن عمه وابن عمّته — وكانا من أشد الناس إيذاءً له بمكة، فأعرض عنهما، فأشار علي بن أبي طالب ﷺ على أبي سفيان أن يأتي النبي ﷺ، ويقول له ما قال إخوة يوسف ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[1]، فإنه لا يرضى أن يكون أحداً أحسن جواباً منه، فلما قال ذلك أبو سفيان، أجابه: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2].

وموقفه المشهور في العفو عن أعدائه من المشركين بعد فتحه مكة، حين وقف أمام الكعبة شرفها الله، وقال:(ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)[3].

وكان هدي النبي ﷺ في معاملة اليهود، ويستفاد من قصة خدمة الغلام اليهودي للنبي ﷺ إظهار السماحة والعفو ولين الجانب الذي كان يحمله في قلبه الرحيم، فقد كان شفيقاً رحيماً بالناس كلهم، يرجو لهم الخير

---

(١) سورة يوسف:٩١.

(٢) سورة يوسف:٢٩٢.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام، ٢/٤١.

ويحذرهم من الشر، فلم يتردد في عيادة هذا الغلام اليهودي في منزله، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلَمَ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمدلله الذي أنقذه من النار)[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٢/٩٤، حديث، ١٢٩٠.

المبحث الخامس

تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة وتطبيقاتها في السنة النبوية

فالإبداع في وسائل الدعوة ضرورة ملحة للداعية، فأصبحت الحاجة ملحة إلى تغيير وتفعيل طرق الدعوة إلى الله، وذلك بتوظيف وسائل عديدة في وقت أصبح العالم يعيش ثورة تقنية هائلة، مما أحدث عددا من القنوات الحديثة، والتي تبث عبرها رسائل رسختها ووجهتها إلى المجتمعات بكافة مشاربه وتنوع أفكاره، كما لابد من ضرورة فهم مبدأ الابتكار في الوسائل الدعوية، وأنها مشروطة بشروط شرعية حتى لا تدخل في دائرة الابتداع، والمعنيّ : أن الدعاة يجب أن يفرقوا بين ما هو مسموح وغير مسموح في وسائل الدعوة حتى يستطيعوا الإبداع دون الابتداع، فالإسلام بما فيه من كنوز العلم والمعرفة، دين منفتح على الثقافات والحضارات والعلوم، يواكب كل جديد ويسعى إلى إدماجه والإفادة منه مع الحفاظ على الثوابت، وهدي النبي محمد ﷺ فيه من مقومات الإبداع مالا يوجد في غيره، وهو إذْ يسعى إلى التربية الإبداعية، يهدف إلى خلق الإبداع في أكمل صوره ومواصفاته.

أولاً: تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة

ويستطيع الداعية تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة عن طريق:

أ. التعرف على المدعوين والتجمعات الدعوية والاحتكاك بهم.

ب. مطالعة المؤلفات الدعوية التي تعنى بهذه القضية.

ج. صقل الذوق الدعوي بالثقافة العامة ومطالعة الدوريات العالمية التي يستفيد الداعية منها في وسائل العرض ومتابعة كل جديد في عالم الإعلام .

د. إيجاد المتخصصين لابتكار وسائل دعوية تفيد الدعاة وتعينهم في مجهودهم الدعوي .

هـ. جمع تجارب الدعاة وخبراتهم ومهاراتهم لتعميم الاستفادة من تلك الخبرات .

ثانيا: حاجة الداعي لتنمية المهارات الإبداعية:

والداعية الناجح لا يترك وسيلة لعرض دعوته وكسب الأنصار لها إلا استعملها، وهو يستفيد من كلما أتيح له من وسائل حديثة، ومن مستجدات العصر في الدعوة إلي الله؛ فهو يدعو عبر القنوات الفضائية، وعن طريق شبكة المعلومات الدولية(الإنترنت)وكل ما يُستجد منوسائل وتقنيات حديثة، ولا يحصر نفسه في دائرة ضيقة من الوسائل، مع الحفاظ علىثوابت الدعوة وأصولها، ويأخذ بالتنوع في وسائله الدعوية، وبمايتناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

ولنجاح الدعوة لابد أن يمتلك الداعية المهارات الشخصية والمهنية ذات العلاقة بمجالات الدعوة المختلفة، وتحديد الداعية لنقاط القوة، وفرص التحسين لديه، وحاجاته من تلك المهارات، ومدى سعيه للحصول عليها وتنميتها.

ثالثاً: تنمية المهارات الإبداعيةفي السنة النبوية:

وكان من هدي رسول الله ﷺ تشجيع الأفكار الإبداعية وتبنيها، وحين نتأمل بنظرة فاحصة الأحاديث والأحداث في عهد رسول الله ﷺ، نجد قدراً كبيراً من الأفكار الموصوفة بالابتكار والإبداع، وتفكيراً علمياً مَرِناً، فيه الجِدّة والتطوير، له القيمة العالية والمردود الإيجابي.

ومن أمثلة ذلك في التجهيز لمعركة بدر سبق الرسولُ ﷺ المشركين إلى ماء بدر، ليحول بينهم وبين الماء، وهنا أبدى الحباب بن المنذر ﷺ بتغيير الموقع، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"، وفعل ما أشار به الحباب بن المنذر ﷺ(١)، وفي غزوة الأحزاب التي كانت في شوال السنة الرابعة للهجرة، وسميت بغزوة الخندق لأجل الخندق الذي حُفر في المنطقة المكشوفة أمام الغزاة من المدينة، كانت فكرة الخندق فكرة إبداعية أشار بها سلمان ﷺ فيما ذكر أصحاب المغازي.

قال سلمان ﷺ للنبي ﷺ : إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه وهكذا يبادر الصحابةُ رسولَ الله ﷺ بأفكارهم الإبداعية مستعيناً بها في التخطيط الاستراتيجي(٢).

لذلك حرص الرسول ﷺ على أن يكون قدوة لأصحابه في القول والعمل، فحينما يحدثهم عن القرآن الكريم والعمل به يكون أول متأثر

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ٢/٦٢٠.

(٢) للاستزادة انظر :هدي النبي محمد ﷺ في التربية الإبداعية والابتكار، د/ موسى البسيط. www.kenanaonline.com..

وعامل به، وحينما يعلمهم أمور دينهم يكون أول مطبق لها، وحينما يربيهم على الأخلاق الفاضلة والصبر على الأذى، يرون فيه القدوة والتسلية لحالهم.

وهذا ما جعل أصحابه ﷺ يضحون بالغالي والنفيس في سبيل هذا الدين الجديد بعدما وجدوا معاني التربية الحقيقية للعقيدة الصحيحة في قدوتهم ومعلمهم محمد ﷺ.

الخاتمة

الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الناس من عباده، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العالمين، والربانيين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى؛ لأن ثمرتها هداية الناس، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الشر والباطل، ووصول الداعية إلى درجة التأثير في المجتمع وتحقيق المقاصد الشرعية من دعوته يتطلب العمل بإخلاص وفق المنهج الصحيح والإعداد المتقن والمران، فمهمة الداعية مهمة شاقة ولا ريب، فإكسابه المهارات اللازمة جزء أساس في الدعوة وإيصال الهداية إلى الناس، وقد خلصت نتائج هذا البحث في عدد من النقاط من أهمها ما يلي:

- إن هدي النبي محمد ﷺ فيه من مقومات الإبداع وتنمية المهارات مالا يوجد في غيره.
- أن المهارات الدعوية صارت تتطلب تخصصات مختلفة ومعقدة لا يسد احتياجاتها المتخصصون في الفقه والحديث.
- إن من الآفات التي تصيب بعض الدعاة الجمود أمام الوسيلة والأسلوب في دعوة الآخرين، ولمعالجة ذلك لابد من تطوير الداعية لقدراته ومواهبه، بالاكتساب والاستفادة من خبرات الآخرين، وذلك في مختلف المجالات اللازمة لنجاح الدعوة وشيوعها.
- حرص الرسول ﷺ على تدريب صحابته على حل المشكلات التي تواجههم عن طريق توفير بيئة مشجعة للتفكير تسمح بإعطائهم فرصة

للتفكير والاستماع بإنصات لجميع وجهات النظر والحلول المحتملة للمشكلة.

- إن إحسان التعامل مع الآخرين مرآة يعكس أثر تمسك الداعية بهدي النبي ﷺ في تعامله مع الآخرين.

التوصيات:

١- نوصي الدعاة إلى ضرورة اكتساب مهارات التقويم الذاتي حتى يستطيعوا تطوير أدائهم في مجال الدعوة بصورة مستمرة.

٢- ونوصي الدعاة بالعودة إلى ميراث النبوة لاستلهام الهدي النبوي العظيم في التربية الإبداعية مع الإفادة من النظريات التربوية المعاصرة.

٣- تكوين مكاتب لتبادل الخبرات بين الدعاة مهمتها البحث عن كل جديد مما له مسيس صلة بواقع الدعوة وتسخيره في خدمة الدين.

٤- أن تتواصى همم الجماعات والهيئات الإسلامية على تدريب دعاتها مع توليد القناعة في نفوس الأفراد والجماعات بأهمية اكتساب الخبرات والتخصصات المناسبة التي تحتاجها الدعوة، وأن ذلك من صميم الإتقان والإحسان الذي أمر به الشرع المطهر.

المراجع والمصادر

١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (بيروت، دار المعرفة).

٢- استراتيجيات تعلم اللغة العربية في المرحلة الثانوية، فتحي على يونس (القاهرة، مكتبة سفير).

٣- الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة، د/ حزام بن ماطر المطيري، ط٣ (الرياض، شركة الرشد العالمية، ٢٠٠٨)

٤- الأسس العلمية لنظريات الاتصال، جيهان أحمد رشي (مصر، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م).

٥- البحث العلمي "مناهجه وتقنياته"، محمد زيان عمر (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢).

٦- التخطيط في الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة في ضوء العلم الحديث، د. محمد البشير محمد عبد الهادي، مجلة دراسات دعوية، ع١٤ – يوليو ٢٠٠٧.

٧- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود، ط١(القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٨- تدريس مهارات التفكير، جودت أحمد سعادة (عمان، دار الشروق، ٢٠٠٣م).

٩- تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، فتحي جروان، ط٢ (الأردن، دار الفكر، ٢٠٠٥).

١٠- الخدمة الاجتماعية في مجال العلاقات العامة، محمد مصطفى أحمد (القاهرة دار المعرفة الاجتماعية، ٢٠٠٣م)

١١- حتى لا تكون كلا طريقك إلى التفوق والنجاح، د/ عوض محمد القرني، ط٦ (جدة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع).

١٢- دراسات في أساليب التفكير، مجدى عبدالكريم حبيب، ط١ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥م).

١٣- الدعوة ووسائل الاتصال، من مذكرات د/ سيد محمد سادتي.

١٤- الدعوة الفردية، صالح بن يحيي صواب، ط١(الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٢هـ -١٩٩١م)

١٥- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (بيروت، مؤسسة الريان، ١٩٩٧).

١٦- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن ابراهيم الوزير، (الرياض، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع).

١٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ط٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

١٨- السيرة النبوية، لابن هشام (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٥م).

١٩- السيرة النبويَّة والدعوة إلى الله، د. محمد بن لطفي الصباغ، مجلة الرائد، العدد رقم ٢٦٦، ربيع الثاني ١٤٣٠، أبريل ٢٠٠٩.

٢٠- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: د/ مصطفى البنا، ط٣ (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ).

٢١- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي (الرياض، نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م).

٢٢- طرق تعليم اللغة العربية، محمد عبد القادر أحمد، ط ٥(القاهرة، دار النهضة المصرية).

٢٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط٢ (مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ).

٢٤- فن التعامل مع الناس، د. عبد الله الخاطر، ط ٢ (الإسكندرية، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩٤ م).

٢٥- القيادة أساسيات ونظريات ومفاهيم، ماهر محمد حسن (الأردن، دار الكندي، ٢٠٠٣م).

٢٦- لسان العرب، للعلامة ابن منظور، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

٢٧- مبادئ علم الإدارة العامة، سليمان محمد الطماوي (بيروت، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٧٩م).

٢٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ط١، (الرياض، دار النفائس، ١٤١٠هـ).

٢٩- المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ط٣ (بيروت، دار الرسالة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

٣٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، شرحه وضعفه ارسه: أحمد محمد شاكر، أحمد حمزة الزين، ط١ (القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م).

٣١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم أنيس وآخرون، ط٣(القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤).

٣٢- مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، أ. د. محمد منير حجاب، (القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م).

٣٣- مهارات التفكير ومواجهة الحياة، عبد المعطي سويد، ط١(العين، دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٣٤- المهارات الحياتية، أحمد حسين عبدالمعطي، ودعاء محمد مصطفى (القاهرة، دار السحاب).

المواقع الإلكترونية

١- أزمة تطوير الدعاة. . نقص في المهارات أم ضحالة في المعرفة؟!، مؤسسة الدعوة الصحفية الخميس ٠٩ محرم ١٤٣١هـ www. aldaawah. com

٢- هدي النبي محمد ﷺ في التربية الإبداعية والابتكار، د/ موسى البسيط. wwwkenanaonline. com

٣- كيف تعامل الرسول ﷺ مع الناس؟ (مواقف عملية)، فاطمة محمد عبدالمقصود العزب، www. alukah. net

٤- فن التعامل مع الناس، عبدالرحمن بن فؤاد الجارالله www. saaid. net.

٥- "التفكير الناقد، نقاط للمناقشة" منشورة على شبكة الإنترنت: otal. umd. edu.

٦- الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة، د/ علي النملة، www. rabitat-alwaha. net

البحث رقم (٤)

زاد الدعاة في التحذير من الانشغال بعيوب الناس

إعداد

د. محمد بن عبدالعزيز الثويني

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد:

فإن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لتحقيق مصالح العباد والبلاد؛ المحافظة على الكليات والضروريات الخمس، من خلال تقرير أصول كلية وترسيخ قواعد مرعية، وتثبيت أسس قوية، منها الأصل الشرعي؛ تحريم النيل أو الانتقاص من عرض المسلم.

ونتيجة للابتعاد عن الفقه في الدين، وضعف التأصيل الشرعي، والعدول عن الآداب الإسلامية؛ انتشرت ظاهرة خطيرة بين الناس في

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٧٠،٧١).

مجالسهم، فضلاً عن وجود هذا الداء بين بعض ممن هم من أهل الصلاح والعلم والدعوة وممن يُعرفون بالخير في الأمة، وهي الانشغال بعيوب الناس عن عيوب النفس، فتجد الواحد منهم يطلق لنفسه العنان في انتقاد النَّاس والهجوم عليهم، تاركاً عيوب نفسه غافلاً عنها، رغم أنَّ كلَّ إنسان لا يخلو من نقص، ولذا فإن العاقل الموفق والحريص على سلامة دينه له في نفسه شغل عن الآخرين إطلاعاً وإصلاحاً ؛لأن المسلم مأمور بحفظ لسانه وصيانة أعراض إخوانه المؤمنين.

ومن خلال هذا البحث وضعت زاداً لعل أفيد منه الغير، وأستفيد، يتبين من خلاله سبب الانشغال بعيوب الناس وآثاره، والأسباب العاصمة منه بإذن الله لأشارك مع إخواني في هذا الهم الذي يجب أن يصاحبه اهتمام، وهو من أهم الأمور التي جعلتني أكتب في هذا الموضوع بحثاً سميته: (زاد الدعاة في التحذير من الانشغال بعيوب الناس)، دعوة لانشغال الدعاة بعيوب النفس لتشخيصها فضلاً عن غيرهم، والعمل على معالجة مكامن الخلل في ذات الإنسان، لعلّ الله أن ينفعني به أولاً، وينفع به من قرأه، أو أطلع عليه؛ وهو ولي ذلك والقادر عليه .

١) أسباب اختيار الموضوع:

١- القيام بواجب التذكير والنصيحة في هذا الشأن لبعض من وقع في هذا الأمر من الدعاة وغيرهم من العامة.

٢- المشاركة في معالجة واقع لا يمكن تجاهله.

٣- الآثار السيئة المترتبة على الانشغال بعيوب الآخرين، من غيبة، ونميمة، وإحن، وتقاطع، وتهاجر بين المسلمين.

٤- الدعوة إلى الانشغال بالأهم وهي النفس قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (١).

٥- حث الدعاة على تحذير الناس من الانشغال بعيوب الناس.

٢) الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود علمي واطلاعي على دراسة مستقلة تناولت هذا الموضوع بمؤلف مستقل، فعامة ما وجدته مشاركات في مواقع الانترنت أو خطب جمعة، أو مُضمَّنٌ لمؤلفات تتحدث عن الأخلاق، وداخل في عناوين النهي عن التجسس أو الغيبة، وهو ما حداني إلى إفراد هذا الموضوع ببحث مستقل إسهاماً في معالجة هذه الظاهرة.

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأما المباحث ففيها عدد من المطالب وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: العيب وملازمة الخطأ لبني آدم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العيب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الخطأ صفة ملازمة لبني آدم.

المبحث الثاني: الانشغال بالعيوب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الانشغال بعيوب النفس.

---

(١) سورة فصلت الآية (٤٦).

المطلب الثاني: الانشغال بعيوب الآخرين.

المطلب الثالث: انشغال السلف بعيوبهم عن عيوب الآخرين.

المطلب الرابع: أقسام الانشغال بعيوب الناس.

المبحث الثالث: أسباب الانشغال بعيوب الناس.

المبحث الرابع: آثار الانشغال بعيوب الناس.

المبحث الخامس: الأسباب العاصمة من الوقوع في الانشغال بعيوب الناس.

ويلي ذلك خاتمة البحث وفيها أهم النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث، وفهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما شابه من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول
العيب وملازمة الخطأ لبني آدم

المطلب الأول
تعريف العيب

العيب لغة: مصدر عاب يعيب عيباً، ويساويه: العاب، والعيبة، والمعيب، والعاب والعيب، والعيبة: الوصمة والنقيصة، وجمعها أعياب وعيوب، وهو الخلل والنقص، وفي التنزيل ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: بخرقها، والخرق في السفينة نقصان ويخرجها عن كونها صالحة.

قال الراغب: العيب الأمر الذي يصير به الشيء عيبة أي: مقراً للنقص، وعبته: جعلته معيباً بالفعل، أو القول إذا ذممته[1].

ومما يرادف العيب في المعنى: الوصمة، والعار، والشين، والسبة، والثلب، والقدح، والطعن، والتشنيع، والتعريض[2].

والعيب اصطلاحاً: هو ما يخلو عنه أصل الفطرة السليمة مما يعد به ناقصاً[3].

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتضح أن العيب هو ما يشين الإنسان ولا يزينه.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة(١٨٩/٤)، والمفردات في غريب القرآن (٣٢٢)، ولسان العرب (٦٣٣/١).

(٢) انظر الإفصاح في اللغة (١٨٨).

(٣) انظر درر الحكام شرح غرر الأحكام(١٦٠/٢)، والبحر الرائق (٣٨/٦)،وفتح القدير (٣٥٥/٦).

المطلب الثاني
الخطأ صفة ملازمة لبني آدم إلا من عصمه الله

الخطأ صفة ملازمة للبشر لا يسلم منه أحد إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم على خلاف في ذلك في مسائل حياتهم الاعتيادية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١)، فلا يمكن أن يسلم البشر من الوقوع في الخطأ، ومهما بلغ الإنسان من العلم والتقوى والورع فهو عرضة للجهل والهوى والزلل؛ فالبحث عمن لا يزل ويقصِّر من البشر بحث عن محال.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)) (٢) .

و عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم))(٣).

وعن سعيد بن المسيب: قال: «ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله» (٤).

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، (٤/٢٤٠) رقم (٢٤٩٩) وقال: حديث غريب، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (٥/٣٢١) رقم (٤٢١٥)، والدارمي، كتاب الرقائق، باب التوبة،(٢/٣٩٢) رقم (٢٧٢٧)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٧٢٤) رقم(٢٣٤١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، (٨/٩٤)رقم (٧١٤١) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/٤٠).

وقال الإمام مالك: « ومن ذا الذي لا يخطئ »[1] .

وقال ابن القيم: « وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً»[2].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: « من يبرئ نفسه من الخطأ فهو مجنون»[3].

(١) المصدر السابق (٢/ ١٤٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/٥٢٢).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٤٢).

المبحث الثاني
الانشغال بالعيوب

المطلب الأول
الانشغال بعيوب النفس

إذا تقرر بأن الخطأ صفة ملازمة للبشر فالانشغال بالعيوب المتعلقة بذات الشخص ونفسه من أوجب الواجبات، ولازم المهمات لدى المسلم التي يجب عليه أن يعنى بها، وذلك بأن يعرف عُيوب نفسه ونَقائصها، فيسعى في تخليصها من ذلك كله، ويزكيها ويترك الانشغال بعيوب الأخرين؛ بناء لذاته وحفظاً لدينه؛ لأن حقوق العباد كبيرة، ولأن الإنسان مطالب بإصلاح عيوب نفسه، وسيسأل عن عيوبها أولاً، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3].

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان[4]: « الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب

(١) سورة الشمس الآية(١٠،٩).

(٢) سورة المدثر الآية (٣٨).

(٣) سورة الاسراء الآية (١٥).

(٤) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي البستي، المعروف بابن حبان. كان من =

نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من عيب أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه »(١).

إن الإعراض عن معرفة عيوبِ النفس وإصلاحها علامة ضعف ونقص، ولن يهذب الفرد ذاته وينمي شخصيته ويسد الخلل حتى يقر بعيوبه فيصلحها.

قال الشافعي:

المرء إن كان عاقلاً ورعاً　　أشغله عن عيوب غيره ورعه
كما العليل السقيم أشغله　　عن وجع الناس كلهم وجعه(٢)

والدعاة إلى الله هم أولى من يلتفت إلى ذواتهم ويسعون إلى إصلاحها، إذ هم في موضع القدوة والتأثير، وعدم انشغالهم بالنظر في عيوب أنفسهم، قد يؤدي إلى دعوى الكمال، التي هي داء العجب الذي وصفه ابن المبارك: بقوله: « أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك »(٣).

= أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ . ولد في مدينة (بست) من بلاد سجستان (أفغانستان) وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة وتولى قضاء سمرقند مدة ثم عاد إلى نيسابور ومنها إلى بلده (بست) حيث توفي في الثمانين من عمره سنة (٣٥٤هـ). هو أحد المكثرين من التصنيف. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٨٩/٣)، سير أعلام النبلاء (١٦/٩٢-١٠٤).

(١) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص١٢٥).

(٢) ديوان الإمام الشافعي ص (٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٤٠٨).

وإن معرفة الداعية لعيوب نفسه، والسعي لإصلاحها من توفيق الله له، قال محمد بن كعب القرظي: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خلال: فقه في الدين، وزهادة في الدنيا، وبصر بعيوبه»(١).

وما دام الداعية رزق فهماً في العلوم، وفُتح له باب في الدعوة إلى الله فإن تزكية النفس وتحليتها بالصالحات وإبعاد السلبيات والسيئات من أجلِ تحقيق الكمالات التي هي من أقوى المؤثرات في المدعوين مع ما تجنيه النفس من خير عظيم في الحال والمآل، يحكى عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله: «من نصّب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم »(٢).

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢١٣).

(٢) شرح نهج البلاغة (١٨/ ٢٢٠).

المطلب الثاني

الانشغال بعيوب الآخرين

إن ديننا الإسلام يتشوّف إلى الستر، ويتطلّع إلى إخفاء الزلات، وكتمان العيوب، وأما الانشغال بعيوب الآخرين وتتبع عوراتهم فهو ممّا حرمَهُ الله وحرمه رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة))[٢].

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))[٣].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: ((من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته))[٤].

---

(١) سورة النور الآية (١٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب والبر والصلة والآدب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة،(٢١/٨) رقم (٦٧٦٠).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الغيبة،(٢٤١/٧) رقم(٤٨٨٠)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب تعظيم المؤمن،(٤٤٦/٣)رقم(٢٠٣٢)، وأحمد، (٢٠/٣) رقم(١٩٧٧٦)، والبيهقي، كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته (٢٤٧/١٠) رقم (٢٠٩٥٣)، وصححه الألباني في المشكاة رقم(٥٠٤٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، (٥٨٠/٣) رقم (٢٥٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب،(٢٩٢/٢) رقم(٢٣٣٨) .

قال ابن مفلح: « يستحب الكف عن مساوئ الناس وعيوبهم كذا قالوا،والأولى يجب »[(١)].

وكذلك مما يمكن الاستشهاد به للنهي عن تتبع العورات النصوص الواردة في النهي عن التجسس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ، وقال القرطبي: « معنى الآية: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله»[(٢)].

وذكر السيوطي: في معنى التجسس:« هو أن تتبع عين أخيك فتطلع على سره »[(٣)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تَحسسوا ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً))[(٤)] .

قال ابن الأثير: التجسس: « التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر»[(٥)].

ولا يعني الستْر ترك الإنكار بل لابد من النصيحة، وينبغي أن تكون النَّصيحة سرًّا ولا تكون أمام الملأ .

---

(١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٣٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٣).

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٣/٥٦٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (٨/٢٣) رقم (٦٠٦٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش، (٨/١٠) رقم (٦٧٠١).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٧٢) .

وقد فرّق ابن حجر: بين مَحَلِّ السَّتر والإنكار، فقال: « والذي يظهر أنَّ الستر محلُّه في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حَصل التَّلبُّس بها، فيجب الإنكار عليه، وإلّا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرَّمة، بل من النَّصيحة الواجبة» [(١)].

وإذا كان الانشغال بعيوب الناس بين العامة قبيح، فهو بين الدعاة أقبح، فالدعوة إلى الله وخاصة في هذا العصر بحاجة إلى ما يجمع لا ما يفرق، والداعية إلى الله بقدر ما يتغافل عن عيب في أخيه فلاشك أنه ناصحٌ له فيما بينه وبينه.

فالأمر إما أن يكون عيباً حقيقة أو ظناً أو توهماً، إذ الجرأة بإعلان عيب رآه ذاك الدعية بأخيه سبيل إلى التناحر، وسببٌ لجعل المدعوين في حيرة من أمرهم تجاه من يثقون به من هؤلاء الدعاة، فبدلاً من التسديد والمقاربة كانت الفرقة والمناحرة، وهذا على خلاف الهدي النبوي الذي تربى عليه الصحابة ﷺ، ومن شواهد هذا لديهم:

قال القرطبي: «من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف، عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة،وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً، لكن الديانة ترد ذلك والله الموفق» [(٢)].

(١) فتح الباري لابن حجر (٥/٩٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/٤٩٥).

وعن هشام بن عروة عن أبيه، أن حسان بن ثابت ﷺ كان ممن كَثَّرَ على عائشة ب فسببته، فقالت: ((يا ابن أختي دعه فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ)) [1].

وعن ابن أبي مليكة عن ابن عباس ك أنه قال -حين وقع بينه وبين ابن الزبير خلاف بسبب امتناع ابن عباس من مبايعة ابن الزبير بالخلافة-: ((فغدوت على ابن عباس، فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل حرم الله؟ فقال: معاذ الله! إن الله كتب ابن الزبير وبنى أمية محلين، وإني والله لا أحله أبداً. قال: قال الناس: بايع لابن الزبير. فقلت: وأين بهذا الأمر عنه - أمر الخلافة -، أما أبوه فحواري النبي ﷺ يريد: الزبير- وأما جده فصاحب الغار -يريد: أبا بكر- وأما أمه فذات النطاق -يريد: أسماء- وأما خالته فأم المؤمنين -يريد: عائشة- وأما عمته فزوج النبي ﷺ يريد خديجة ـ وأما عمة النبي ﷺ فجدته ـ يريد صفية ـ ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن)) [2].

بهذا يتضح أن الدعاة ليسوا كغيرهم من الناس حال انشغالهم بعيوب غيرهم، وذلك لتلك الآثار السلبية المترتبة على الدعوة، وعلى أثر الدعاة في المجتمع، فإن كان الستر والتناصح لازم بين العامة فهو بين الدعاة ألزم، مع ما في ذلك الانشغال من إعانة للمتربصين والمغرضين الذين يتربصون بالأمة الدوائر، ومتى ما وجدوا هذا من الدعاة كان نصيبهم من تحقيق مرادهم أكبر، وناهيك عن أولئك الشباب المحبين للخير وأهله، فبدلاً من أن يكونوا

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، (١٦٣/٧) رقم (٦٥٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا}، (٦٦/٦)رقم (٤٦٦٥).

منشغلين بالعلم والتحصيل، انشغلوا بالقيل والقال، تحزباً لشيخهم، ومعاداة لمن خالفهم، وما هكذا أراد الله لهذه الأمة بعمومها فكيف بدعاتها!

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران الآية(١٠٢-١٠٣)

المطلب الثالث

انشغال السلف بعيوبهم عن عيوب الآخرين

لقد كان السلف الصالح ﷺ يشتغلون بعيوب أنفسهم ومحاسبتها، واتهامها بالتقصير، ويتركون الاشتغال بعيوب الآخرين، بل كانوا يخافون إن تكلموا في الناس بما فيهم أن يبتلوا بما ابتلي به الناس من هذه العيوب.

وكان عمر ﷺ يقول:« رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي »[1] .

وقال ابن عباس ﷺ: «إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك »[2].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: « كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله الناس عنهم عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله عيوباً لهم، فلم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا »[3].

قال الحسن: في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[4]:« إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدمًا ما يعاتب نفسه »[5] .

---

(١) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه،(١/١٦٦) رقم (٦٤٩).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٩/١١٠) برقم (٦٣٣٤).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٢٧٦) رقم(٤٨٣٠).

(٤) سورة القيامة الآية (٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٥).

وقال أيضًا: « إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همه »[(١)].

قيل للربيع بن خثيم: « ما نراك تغتاب أحداً، فقال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ منها إلى ذم غيرها »[(٢)].

وعن عون بن عبد الله: قال: «ما أحسب أحداً تفرغ بعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه »[(٣)].

قال الأعمش: « سمعت إبراهيم يقول: إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلّم فيه إلا مخافة أن أُبتلى بمثله »[(٤)].

وقال بعضهم: «أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس»[(٥)].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٤٦).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٢٠).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/٢٤٩).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي، (٩/١١٨) رقم (٦٣٥٣).

(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٢) .

المطلب الرابع

أقسام الانشغال بعيوب الناس

الأصل في الانشغال بعيوب الناس أنَّه محرم شرعًا، منهيٌّ عنه للأدلة السابقة، غير أنَّ هناك بعض الصور قد تقتضي المصلحة جوازها، وعليه فيمكننا أن نقسم الانشغال بعيوب الناس إلى قسمين:

القسم الأول: الممنوع من الانشغال بعيوب الناس:

ويُقصد به تتبع عورات الناس وأسرارهم، والكشف عن معائبهم، وهذا النوع هو الذي نصَّت الأدلة الواضحة على تحريمه، ولما فيه من انتهاك لحرمة المسلم، وكشف ستره.

القسم الثاني: الممدوح من الانشغال بعيوب الناس:

ويقصد به ما كان فيه مصلحة يعود نفعها على المجتمع، من ذلك: تطهير المجتمع من أهل الشرِّ والفساد، وملاحقتهم والتضييق عليهم.

وهذا القسم قد يجب إذا اقتضته المصلحة والضرورة، كما لو كان طريقًا إلى إنقاذ نفس من الهلاك، أو القضاء على الفساد الظاهر؛ كاستدراك فوات حرمة من حرمات الله... ووجه وجوبه أنَّ ذلك من ضمن وسيلة النهي عن المنكر[1].

---

(١) أحكام السماع والاستماع ص(٣٥٣).

المبحث الثالث

أسباب الانشغال بعيوب الناس

الحديث في هذا المبحث وما بعده من المباحث هو امتداد لما سبقها من المباحث التي سعيت فيها أن يكون مادة من مجموعة مواد دعوية يفيد منها الداعية في بيان الأسباب وكذا الآثار ومن ثم العلاج، وذلك حرصاً على أن تكون قريبة منه، مع سهولة في الأسلوب المؤدي إلى سرعة الفهم من المدعوين، ومن ثم الأهم وهو الامتثال والتطبيق، يسر الله ذلك بمنه وكرمه.

الانشغال بعيوب الناس دون عيوب النفس له أسبابه التي تجعل المبتلى به منشغل البال بما عليه حال الناس، رغبة في الحديث عنها واستحضارها في كل مناسبة تعرض، تهكماً وتقليلاً من شأن من قيلت فيه حقيقة كانت أو افتراءً، أو تضخيماً لما هو موجود فعلاً.

ولو بحث الإنسان عن أسباب شغف البعض بهذا لوجد أن الأسباب تتفاوت بحسب حال المولع بها، وقد حاولت أن أذكر أسباباً ليست على سبيل الحصر، لكنها في نظري من أظهرها، وقد يكون غيرها مما لم يذكر ضمناً فيها ومن تلك الأسباب:

١ – ضعف الإيمان:

كلما ضعف إيمان العبد زاد انشغاله بما لا ينفع عما ينفع وهو من أقوى الأسباب الداعية لهذا الانشغال، فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ: قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا

المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « إذا نقصَت الأعمال الظاهرةُ والباطنة كان ذلك لنقصٍ ما في القلب من الإيمان، فلا يُتصوَّر مع كمال الإيمانِ الواجبِ الذي في القلب أن تُعدَم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجودِ هذا كاملاً وجودُ هذا كاملاً، كما يلزم من نقصِ هذا نقصُ هذا...»(٢).

قال الشاطبي:« الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرماً، حكم على الباطن بذلك، أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً»(٣).

ولهذا المعنى المهم يشير الحسن البصري: بقوله:« يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الغيبة،(٧/٢٤١) رقم(٤٨٨٠)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب تعظيم المؤمن،(٣/٤٤٦)رقم(٢٠٣٢)، وأحمد، (٣٣/٢٠) رقم(١٩٧٧٦)، والبيهقي، كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته (١٠/٢٤٧) رقم (٢٠٩٥٣)، وصححه الألباني في المشكاة رقم(٥٠٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٨٢).

(٣) الموافقات للشاطبي (١/٢٣٣).

(٤) صفوة الصفوة (٢/١٣٨).

٢- الرضا عن النفس «العُجب»:

دعوى الكمال من الأمراض التي من مكنوناتها احتقار الآخرين، والبحث عن عيوبهم ليكون هذا المبتلى هو الأصح والأسلم من كل ما يكون لدى الآخرين من معايب، وما العُجب إلا نظرة كمال سلبية في نفس ذلك المعجب بنفسه، ولذا فهو محرم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله، ومقته، وعذابه في الدنيا والآخرة[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما رجلٌ يمشي في حلة تعجبه نفسُه، مُرجلٌ رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة))[٢].

وعن عبد الله بن عمر ب قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))[٣].

وقد فسر ابن حجر: إعجاب المرء بنفسه في الفتح فقال: « قال القرطبي[٤]: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال، مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم »[٥].

---

(١) الكبائر للذهبي (ص: ٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء،(١٤١/٧) رقم (٥٧٨٩)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي،(١٤٨/٦) رقم (٥٥٨٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط،(٣٢٨/٥) رقم(٥٤٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٢٠٣/٢) رقم(٧٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،(١٠٨/١) رقم (٤٥٣).

(٤) المراد بالقرطبي هنا هو: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٢٦١/١٠).

وتتابع السلف في التحذير من هذا المرض الذي يعيق صاحبه ويقلل الإفادة من الآخرين.

قال بكر بن عبد الله المزني: «إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس، ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ بِهِ»(١).

قال أبو عثمان الحيري: « الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك؛ يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى»(٢).

قال الماوردي: «وأما الإعجاب فيخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب المذام ويصد عن الفضائل، وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق ويكسبه من حقد»(٣). وما كان هذا شأنه فحري بالمسلم أن يحذر منه.

٣- الكبر:

الكبر داء خطير، وهو من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى نسيان الإنسان نفسه والانشغال عنها ادعاءً للكمال، باحتقار الآخرين، وانتقاصهم بالبحث عن عيوبهم ومكامن النقص فيهم إن وجدت، وهذه حال المتكبر كما قال تعالى عن حال فرعون وقومه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ

---

(١) صفة الصفوة (٣/٢٤٩).

(٢) المصدر السابق (٤/١٠٥).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص(٢٣٧).

وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾[1].

وهذا الداء وصفه ﷺ بقوله فيما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ: قال رسول الله ﷺ:((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذَرَّة من كِبْر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال: إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكبْر بَطْر الحق و غَمْط الناس))[2].

قال النووي: « فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق »[3].

٤- ستر عيوب النفس بذكر عيوب الآخرين:

يسعى غير الموفقين إلى ستر عيوبهم بدلاً من الانشغال بالسعي لإصلاحها وذلك بذكرهم لعيوب الآخرين، جاعلين ذلك حيلاً دفاعية، وقد يزيدون على ذلك بحيلة الإسقاط،وذلك بإسقاط أخطائهم على الآخرين، وكلما كثرت عيوب أولئك الغير الموفقين كثر تتبعهم لعيوب الناس.

وقد عاب رجل رجلاً عند بعض الأشراف فقال: « استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس؛ لأن طالب العيوب يطلبها بقدر ما فيه منها »[4].

---

(١) سورة المؤمنون الآية:(٤٥-٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (٦٥/١) رقم (٢٧٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٩١/٢).

(٤) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (٢٠٣/٥).

ولذلك فإن من الشين في حق الإنسان هذه الصفة الذميمة التي تدل على نقص في العقل كما قال الشاعر ابن الإفرنجية:

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره و فيه عيوب لو رآها بها اكتفى[١]

وقال الشاعر:

شر الورى من بعيوب الناس مثل الذباب يراعي موضع العلل[٢]

(١) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار ص (٦٠).
(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/٣٧٧).

المبحث الرابع

آثار الانشغال بعيوب الناس

الانشغال بعيوب الناس له آثار خطيرة وجسيمة على الفرد والمجتمع، ومن هذه الآثار:

١ – العداوة والبغضاء:

وهو أمر عظيم وخطير، حيث إن الانشغال بعيوب الآخرين وتتبع عوراتهم يوجب البغض والعداوة، والمسلم مأمور بالولاية والمحبة للمؤمنين.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «نهى الله عن كثير من الظن السيئ بالمؤمنين حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[(١)] وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكالانشغال بعيوب الناس الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء الانشغال بعيوب الناس بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي ويفعل ما لا ينبغي وفي ذلك أيضاً إساءة ظن بالمسلم وبغضه وعداوته المأمور بخلافها منه»[(٢)].

٢ – القطيعة:

فالانشغال بعيوب الناس يؤدي إلى الشقاق والخلاف والقطيعة في صفوف المسلمين، وقد حذرنا الله من ذلك فقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١٣٧/٧).

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، فلا ينبغي أن يجعل ذلك سبيلاً للتفرقة بين أفراد الأمة.

وقد حذرنا من ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء))[2].

وهذا الأمر تكبر خطورته إذا كان بين ذوي الأرحام والأقارب، وقد أمرنا الله بصلة الأرحام فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[3] وحذرنا من قطيعتها فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[4].

وقال الرسول ﷺ كما في حديث جبير بن مطعم ﷺ: ((لا يدخل الجنة قاطع))[5] أي قاطع رحم.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء، (١١/٨) رقم (٦٧٠٩).

(٣) سورة النساء الآية (١).

(٤) سورة محمد الآية (٢٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، (٥/٨) رقم(٥٩٨٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بابصلة الرحم وتحريم قطيعتها، (٧/٨)رقم (٦٦٨٤).

فمن قطع رحمه وأقاربه وهجرهم ولم يصلهم فهو داخل في هذا الوعيد محروم دخول الجنة إلا أن يتوب إلى الله عز وجل.

٣- الغيبة والنميمة:

والغيبة أمر يترتب على الاشتغال بالعيوب، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[١].

وفي هذه الآية يقول ابن القيم: «هذا من أحسن القياس التمثيلي فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه عن نفسه بكونه غائباً عن مجلس ذمه، كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن: كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه، ولما كان المغتاب متمتعاً بعرض أخيه متفكهاً بغيبته وذمه، متحلياً بذلك شبه بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه...»[٢].

و عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، فقيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته))[٣].

(١) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٧٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة،(٨/ ٢١) رقم (٦٧٥٨).

وكذا الانشغال بعيوب الناس يؤدي إلى نشر النميمة بينهم، وخطر النميمة عظيم، وقد حذرنا الله منها فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[1].

وعن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة نمام))[2].

٤- التحقير والسخرية:

التنبيه على العيوب والنقائص، على وجه التحقير والسخرية، نهى الله عنه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))[4].

٥- الجزاء من جنس العمل:

إن الانشغال بالناس مدعاة لأن يصاب المنشغل بمثلها، فعن ابن عمر ب أنه قال: « كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله الناس عنهم عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، وكان بالمدينة أقوام

---

(١) سورة القلم الآية (١٠،١١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، (١/ ٧٠) رقم(٣٠٣).

(٣) سورة الحجرات الآية(١١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (٨/ ١٠) رقم (٦٧٠٦).

لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله عيوباً لهم، فلم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا »[1].

فهؤلاء الذين سكتوا لهم عيوب سترها الله، وهؤلاء الذين تكلموا كانت لهم عيوب مستورة بستر الله لها، فلما نالوا من إخوانهم أظهر الله من سريرتهم ما أظهر.

وهذا مما كان سلف الأمة يتخوفون منه، قال الأعمش: «سمعت إبراهيم يقول: إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلّم فيه إلا مخافة أن أُبتلى بمثله»[2].

قال الشاعر المنتصر بن بلال الأنصاري:

لا تلتمس مساوي الناس ما ستروا   فيهتك الناس ستراً من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا   ولا تعب أحداً منهم بما فيكا[3]

٦- الاستدراج بنسيان عيوب النفس:

إذا انشغل الإنسان بعيوب الآخرين فهذا مدعاة لأن يكون مستدرجاً فينسى عيوب نفسه، قال السري القسطي: « من علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس»[4].

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٢٧٦) رقم(٤٨٣٠).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي، (١١٨/٩) رقم (٦٣٥٣).
(٣) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص (١٢٨) .
(٤) صفة الصفوة (٣٧٦/٢).

المبحث الخامس

الأسباب العاصمة من الوقوع في الانشغال بعيوب الناس

هذه بعض الأسباب التي أراها بإذن الله عاصمة من أيقع المسلم في هذا الداء الذي يضر المسلم في دينه ودنياه، وهذه الأسباب ليست على سبيل الحصر، ولكن لعل فيها جمعاً لأسباب متفرقة لأن التفصيل في هذا يخرج البحث عن طبيعته، ومن تلك الأسباب:

١- السعي لتزكية النفس:

تزكية النفس بتطهيرها من الذنوب والمعاصي وتحليتها بالأعمال الصالحة لتسعد بالدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1].

قال السعدي: «وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها»[2].

---

(١) سورة الشمس الآية (٩-١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧/٦٣٤،٦٣٣).

وتزكية النفس مطلب نبوي فكيف بغيره من البشر فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام كما في حديث زيد بن أرقم ﷺ:((اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها))[1].

بهذا يتضح أن الانشغال بتزكية النفس شاغل عن النظر في عيوب الآخرين، إذ من وسائل التزكية إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى، وحسن المتابعة لسيد المرسلين ﷺ، والبعد عن فضول اللسان والكلام والنظر وغيرها مما يتعارض مع تزكية النفس، والسعي للوصول للكمال في طاعة الله سبحانه وتعالى.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: « عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء»[2].

والساعون لتزكية نفوسهم تجدهم ما إن يمسهم طائف من الشيطان يزين لهم ذكر عيوب الآخرين إلا ويرجعون متذكرين حالهم وتقصيرهم فيلجموا ألسنتهم عن الخوض في عيوب الآخرين.

قال ابن عباس ب:«إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك»[3].

وهذا المعنى المهم هو الذي وعاه سلف الأمة فوجدوا في أنفسهم عن الآخرين شغلاً.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ بالله من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (٨١/٨) رقم (٧٠٨١).

(٢) أخرجه بن أبي الدنيا في الصمت، (١٣٣/١) رقم(٢٠٣) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١١٠/٩) برقم (٦٣٣٤).

قيل للربيع بن خيثم:« ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ من ذمها إلى أن أذم الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس و أمنوه على ذنوبهم»[1] .

٢- الانشغال بإصلاح القلب:

عندما يسعى المسلم لتزكية نفسه، سيبدأ أولاً بإصلاح قلبه؛ إذ هو الملك المؤثر على سائر الأعضاء، وكما روى النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[2].

قال ابن حجر: «وخص القلب بذلك؛ لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه»[3].

وهذه الأهمية للقلب هي الدافعة إلى إفراده بالذكر، فعن سفيان بن دينار: قال:« قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً قلت: ولم ذاك ؟ قال: لسلامة صدورهم»[4].

---

(١) الورع للإمام أحمد (٧٤)، شعب الإيمان للبيهقي (١٦/١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (١/٢٠) رقم (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (٥/٥٠)رقم (٤١٧٨).

(٣) فتح الباري (١/١٢٨).

(٤) انظر كتاب الزهد لهناد بن السري (٢/ ٦٠٠).

يقول ابن القيم: «فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابّه، متجنبة لمناهيه ومساخطه»[1].

إن المنشغلين بإصلاح قلوبهم من صفاتهم ما ذكره الله بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[2] ويدركون حقيقة قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

٣- إشغال النفس بالطاعات:

قد امتدح الله عز وجل أولي الألباب الذين يشغلون أنفسهم بالطاعات في كل أحوالهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[6]، فأولوا الألباب في شغل دائم بالطاعات، مستغلين أوقات

(١) زاد المعاد(٤/٧).

(٢) سورة الفرقان الآية (٧٢).

(٣) سورة الإسراء الآية (٣٦).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٩١).

(٥) سورة آل عمران الآية (٤١).

(٦) سورة الحجر الآية (٩٩).

فراغهم بالاجتهاد في الطاعة والنصب والتعب فيما يقرب إلى الله تعالى، ممتثلين قول الله جل وعلا: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾[1]، فليس عندهم من فراغ ينشغلون به في تتبع عورات غيرهم.

٤ – إدراك خطورة اللسان:

جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تحذر من خطر اللسان، منها قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

وعن بلال بن الحارث المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه))[5].

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ: ((وهل يَكُبُّ الناس على مناخرهم في

---

(١) سورة الشرح الآية (٧–٨).

(٢) سورة ق الآية (١٨).

(٣) سورة الاسراء الآية (٣٦).

(٤) سورة النور الآية (٢٤).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (٤/١٣٧)رقم (٢٣١٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

النار إلا حصائدُ ألسنتهم))[1].

فاللسان خطره عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت ولهذا قال النبي ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت))[2] .

٥- النصيحة في السر دون العلن:

ومما يعين على تجنب الانشغال بعيوب الناس بذل النصيحة في السر دون العلن؛ لأن الناصح غرضه إصلاح العيب وليس إشاعة عيوب من ينصح له لكي يَحُطَّ من قدره، أو لكي يُطْلع الناس على عيوب خفيَت عن الآخرين.

كما قال الإمام الشافعي:

تعمَّدني بنصحك في انفرادٍ وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري فلا تجزع إذا لم تلق طاعة[3]

٦- تحقيق معنى الأخوة الصادقة:

الأخوة الإسلامية هدف سعى الإسلام إلى تحقيقه بين أتباعه حتى يشعروا بروح الجسد الواحد الذي يفرح جميعاً، ويتألم جميعاً، ولن يتمكن كل عضو أن يعيش الضراء والسراء منفرداً، تلك حقيقة الأخوة في الإسلام كما روى النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:((مثل المؤمنين في

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة،(٣٠٨/٤) رقم (٢٦١٦)وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان، (١٠٠/٨)رقم (٦٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت، (٤٩/١) رقم(١٨٢).

(٣) ديوان الإمام الشافعي ص (٧٤).

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى))(١).

وإن من مقتضيات هذه الأخوة ما رواه أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))(٢).

وإن من محبة الإنسان لنفسه أن لا يرى فيها عيوباً، فكان حرياً به أن يكون لأخيه كما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:((المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه))(٣).

قال الشاعر كثير عزة:

ومن لا يُغمض عينه عن صديقه	وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبٌ

ومن يتتبع جاهداً كل عثرةٍ	يجدها ولا يسلم له الدهر

بهذه المعاني الجميلة تكون حقيقة الأخوة، وإن بعض الإخوة على إخوانهم ظلمة يبحثون عن زلاتهم ويجعلونها عورات يفرحون بنشرها بين الملأ متناسين حقيقة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (١٠/٨) رقم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٢٠/٨) رقم(٦٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه،(١٢/١) رقم(١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه،(٤٩/١) رقم (١٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب المسلم مرآة أخيه، (٩٣/١)رقم (٢٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع،(١١٣٠/٢)رقم (٦٦٥٦).

(٤) انظر غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢٠٥/١).

(٥) سورة الحجرات الآية (١٠).

فهؤلاء يصدق فيهم قول الشاعر قعنب بن أم صاحب:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا[١]

وعلى هذا فإن من لوازم الأخوة المحبة والنصح والذب عن عرضهم في الغيبة، وعدم البحث عن زلاتهم ومعايبهم، ومنشأ ذلك كله الاعتدال في المحبة مع الاخلاص فيها.

وكما أقر الإسلام كل المعاني المحققة للأخوة فإنه نهى عما يضادها من البحث الدقيق عن عورات المسلمين، والتجسس قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢].

قال الطبري: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ «ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره»[٣].

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/١٠١٣).

(٢) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١/٣٤٧).

وقال البغوي: «قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ التجسس: هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها»[1].

وقال القرطبي: ومعنى الآية: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[2].

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٧/٣٤٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٣٣).

الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه خلصت في هذا البحث إلى النتائج التالية:

١- أهمية الحديث والكتابة في موضوع الانشغال بعيوب الناس نظراً لانتشار هذه الظاهرة بين الناس في مجالسهم .

٢- أن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لتحقيق مصالح العباد والبلاد؛ تحريم النيل أو الانتقاص من أعراض المسلمين، وتتبع عوراتهم.

٣- أن الخطأ صفة ملازمة للبشر.

٤- الانشغال بعيوب النفس وإصلاحها شاغلٌ عن الانشغال بعيوب الناس.

٥- الدعاة إلى الله هم أولى من ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره، إذ هم موضع القدوة والتأثير.

٦- أن الأصل في الانشغال بعيوب الناس أنَّه محرم شرعًا، ومنهيٌّ عنه.

٧- انشغال الدعاة بنشر عيوب بعضهم مدعاة إلى عدم القبول منهم جميعاً، أو تحويل المجتمع المدعو إلى فسطاطين، وهذا مما نهى الله عنه ونهى عنه ورسوله ﷺ.

٨- أن السلف الصالح ﷺ التزموا منهج الانشغال بعيوب النفس، وحذروا من الانشغال بعيوب الناس .

٩- الآثار السلبية للانشغال بعيوب الناس كثيرة وخطيرة على المجتمع.

١٠- علاج هذه الظاهرة باستشعار مراقبة الله عز وجل وتحقيق معنى الأخوة الصادقة والتي من لوازمها ستر عيوب الآخرين مع التوجيه والإرشاد وإسداء النصح لهم.

والحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أفضل المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المصادر والمراجع

١. أحكام السماع والاستماع، لمحمد معين الدين بن بصري، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ .

٣. الآداب الشرعية والمنح المرعية، لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ،١٩٩٩م.

٤. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٥. الأدب المفرد الأدب، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٧. الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى، الطبعة الثانية، مصر.

٨. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٠. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١١. تفسير القرآن العظيم،لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.
١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، مصر،١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
١٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣ م.
١٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م .
١٧. درر الحكام شرح غرر الأحكام، لمحمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا خسرو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٨. ديوان الإمام الشافعي، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي،الطبعة الخامسة، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

١٩. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لمحمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٥هـ -١٩٩٤م

٢١. الزهد، لأبي السَّرِي هناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة الأولى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٢٢. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٣. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٤. سنن البيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٥. سنن الترمذي، لأبي محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م .

٢٦. سنن الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧م.

٢٧. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٢٨. شرح ديوان الحماسة للتبريزي، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقق: غريد الشيخ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٩. شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٠. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي البيهقي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣١. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣٢. صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٤. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، دار الجيل، بيروت .

٣٥. صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٦. الصمت وآداب اللسان، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠ هـ.
٣٧. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٣٩. فتح القدير، لمحمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٤٠. الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، الديلميّ، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٤١. كتاب الكبائر، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.
٤٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
٤٣. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٤٤. مدارج السالكين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣ م.

٤٥. مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٦. المشكاة لألباني مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ،١٩٨٥م.

٤٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة،دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٤٨. معجم الأوسط المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الناشر، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٤٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٠. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية،دمشق بيروت،١٤١٢ هـ.

٥١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥٢. موارد الظمآن لدروس الزمان، لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان الطبعة الثلاثون، ١٤٢٤ هـ

٥٣. الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٤. نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، لشاكر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير البتلوني، تحقيق إبراهيم اليازجي، الطبعة الثالثة، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٦م.

٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٦. الورع، لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

البحث رقم (٥)

آثار رعاية حقوق الحيوان في الإسلام على دعوة غير المسلمين

إعداد

د. خولة بنت يوسف المقبل

مقدمة

إن الحمد لله،نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُالله ورسوله....أما بعد

فإن الكثير من آيات القرآن تعرّضت لذكر الحيوانات، إما مذكّراً ببديع خلقه سبحانه، أو منوهاً بواسع منّه وكرمه على الإنسان بتسخير هذه الحيوانات له، أو مشيراً إلى سابغ نعمه وآلائه عليه بجعلها غذاءً له وكساءً ومالاً ومتاعاً، إلى غير ذلك، ويكفي أن نشير إلى أن هناك سوراً في القرآن سميت بأسماء بعض الحيوانات، كسورة البقرة والأنعام والعنكبوت والفيل والنحل والنمل، ثم إن لهذه الحيوانات حظّها في سكنى الأرض والتنقل فيها والتمتع بخيراتها من ماء ومرعى كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[1] ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]، ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ﴾[3]، إذن للحيوان الحق في سكنى الأرض والتمتع بنعم الله وخيراته، فلا يجوز التضييق عليه ولا يجوز كذلك حرمانه من نعم الله في أرضه.

(١) سورة النازعات، الآية : ٣٠ - ٣٣.

(٢) سورة عبس، الآية: ٣١ - ٣٢.

(٣) سورة يونس ، الآية: ٢٤.

إن حماية الحيوان ليست قاعدة ولا نهجا من صنع الغرب ولا هي دليل على شديد رحمتهم ومزيد عنايتهم بمن حولهم من حيوان وبيئة ونبات بل سبقهم بذلك الدين الإسلامي بالدعوة لحماية الحيوان ورعايته وعدم إيذاءة بل والإحسان إليه وكان من أسباب محو الذنوب عن بعض من اقترف خطايا عظاما العناية بالحيوان.

أهمية الموضوع:

يمكن القول إن أهمية هذا الموضوع تزداد مع زيادة صدور اللوائح والقوانين المقننة لحقوق الحيوان في الغرب مع وجود هذا التقنين في الدين الإسلامي والحاجة إلى جمعه وإبرازه فحقوق الحيوان مستقاة من القرآن الكريم وهدي المصطفى ولهذا فالعمل بها عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه فقد أهتم الإسلام بحقوق الحيوان وحث عليها .

من أجل ذلك ولأهمية حقوق الحيوان لدى غير المسلمين وكون هذا النهج مما اعتنى به الدين الإسلامي عقدت هذه الدراسة والتي تهدف إلى:

التعرف على أثر رعاية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين من خلال:

١. إبراز أهمية رعاية حقوق الحيوان في الإسلام.
٢. معرفة تأثير دعوة الإسلام إلى العناية بالحيوان على غير المسلمين .
٣. التعرف على أهم الشبه التي يثيرها بعض الجهلة حول جهل المسلمين بالعناية بالحيوان.

٤. التوصل إلى آثار رعاية حقوق الحيوان في الإسلام على غير المسلمين من خلال تقصي بعض ما يكتب حول هذه القضية.

أسباب اختيار الموضوع:

١- عدم وجود دراسة علمية متخصصة في حقوق الحيوان واثرها في دعوة غير المسلمين .

٢- اعتقاد كثير من الناس أن للغرب السبق في رعاية حقوق الحيوان

٣- تفنيد الأقاويل التي تصف المجتمع المسلم بالعنف مع الحيوان.

منهج الدراسة:

سوف أستخدم في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي؛ وهو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها [1]. والمنهج التاريخي وهو إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها ليتم عرض الحقائق أولاً عرضا صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة[2].

---

(١) انظر: البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان(ط١، ١٤١٩هـ)، ص١٦. وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ)، ص١٨٨.

(٢) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ)، ص٢٨٢.

تساؤلات الدراسة:

يتضح مضمون هذه الدراسة من خلال إجابتها على التساؤلات التالية:

- ما المقصود بحقوق الحيوان.
- من هم غير المسلمين.
- ما علاقة حقوق الحيوان بالدعوة إلى الله.

تقسيمات الدراسة:

- المقدمة وتشتمل على:
- أهمية الدراسة
- أسباب الاختيار
- أهداف الدراسة
- تساؤلات الدراسة
- منهج البحث
- تقسيم الدراسة

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات:

المطلب الأول: مفهوم حقوق الحيوان

المطلب الثاني: من هم غير المسلمين.

المبحث الثاني: حقوق الحيوان في الحضارات المختلفة:

المطلب الأول: حقوق الحيوان عند المسلمين

المطلب الثاني: حقوق الحيوان عند غير المسلمين

المطلب الثالث: منظمات حقوق الحيوان في العالم .

المبحث الثالث: تأثير حماية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين .

المطلب الأول: الشبه المثارة حول غلظة المسلمين في التعامل مع الحيوان .

المطلب الثاني: أثر رعاية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين.

الخاتمة : وتشمل أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول

مفاهيم ومصطلحات

المطلب الأول

مفهوم حقوق الحيوان

المفاهيم اللغوية لكلمة حقوق:

الحق نقيض الباطل وجمعه حقوق، وفي حديث التلبية: لبيك حقا حقا أي غير باطل، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾[1] .

قال أبو إسحق: الحق أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أتى به القرآن وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾[2] .

وحق الأمر حقا وحُقوقا: صار حقا وثبت قال الأزهري: معناه وجب يجب وجوبا، وثبت، قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾[3] ،أي: ثبت.

وحقه وحققه: صدقه، ويقال أحققت الأمر إحقاقا: إذا أحكمته وصححته.

وحق الأمر يحقه حَقا وأحقه: كان منه على يقين.

والحق من أسماء الله الحسنى وقيل من صفاته قال ابن الأثير هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته. والحق ضد الباطل[1]. وقد ورد لفظ الحق

(١) سورة البقرة ، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية: ١٨.

(٣) سورة القصص ، الآية: ٦٣.

كثيرا في القرآن الكريم، فقد جاء في تسع وخمسين سورة وتكرر بصيغ مختلفة في سبعة وثمانين ومئتي موضع، غير أن المراد على سبيل التعيين في كل مرة يختلف باختلاف السياق الذي وردت فيه الآيات ولكنها لا تخلو من الدلالة على الثبوت والمطابقة للواقع [٢].

المفاهيم اللغوية لكلمة حيوان:

الحيوان: اسم يقع على كل شيء حيّ، وسمي الله عز وجل الآخرة حيوانا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾[٣]

قال قتادة هي الحياة. وكل ذي روح حيوان والجمع والواحد فيه سواء. قال: والحيوان عين في الجنة، وقال: الحيوان ماء في الجنة لا يصيب شيئا إلا حيي بإذن الله عز وجل والحيوان أيضا جنس الحي وأصله حييان فقلبت الياء التي هي لام واوا استكراها لتوالي الياءين لتختلف الحركات، ويطلق على كل نفس أو دابة[٤].

ولفظ الحيوان المرادة في هذا البحث: الدواب من غير الإنسان.

المفاهيم الاصطلاحية لكلمة حقوق:

من الملاحظ أن فقهاء الشريعة الإسلامية مع كثرة استعمالهم لمصطلح الحق،إلا أنهم لم يقوموا بتحديد تعريف له ولم يعنوا بذكر حد أو رسم للحق وكأنهم رأوه واضح المعنى فاستغنوا عن تعريفه[٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور(دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ)، ص٢٥٧.

(٢) حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق والضياع، محمود إسماعيل، (دار مجدولاوي، عمان، ط١، ٢٠٠٢م)، ص١٩.

(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٦٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ٤٢٧/٣.

(٥) مفاهيم الحق والحرية في الإسلام والفقه الوضعي، عدي زيد الكيلاني، (دار البشير عمان، ط١، ١٩٧٧م)، ص١٠٠. وانظر الحق والذمة، علي الخفيف، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٤٥م)، ص٣٦.

وقد عُرف الحق بأنه: اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا[1].

يقول الجرجاني: الحق: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره والشيء الحق أي الثابت حقيقة[2]. عرفه الدكتور محمد يوسف موسى بأنه: (مصلحة ثابتة للفرد أو المجتمع أو لهما، يقررها الشارع الحكيم)[3].

وعرفه الشيخ علي الخفيف بأنه: "ما ثبت بإقرار الشارع وأضفى عليه حمايته"[4].

والحق: هو الشيء الذي تعلق به مصلحة خاصة لفرد من الأفراد دون غيره أو تعلق به مصلحة عامة لعموم المجتمع، بحيث لا يختص بتلك المصلحة فرد بعينه[5].

والحقوق في الإسلام ثلاثة أنواع:

- حقوق لله تعالى: وهي الحقوق المقررة من الشارع الأعلى لحماية ضروريات المجتمع فلا يجوز للعبد اسقاطها، كالحدود الشرعية.
- حقوق العباد: وهي الحقوق المقررة من الشارع لحماية حقوق المخلوق، وهذه الحقوق لايجوز لولي الأمر إسقاطها أو العفو عنها. ويدخل في هذه الحقوق حقوق الحيوان .
- حقوق مشتركة: وهي مافيها حق للخالق وفيها حق خاص لحماية حقوق المخلوق[6].

(١) الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، مصطفى الزرقاء، (مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٤٨م)، ١١/٢.

(٢) التعريفات، الجرجاني، (دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ص١٢٠.

(٣) الفقه الإسلامي، محمد يوسف، (دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠٩)، ص ٢١٠.

(٤) الملكية في الشريعة، علي الخفيف، (دارالفكر، ٢٠١٣، ط١) ص٦.

(٥) معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب مصطفى سانو (دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ)، ص١٧٩.

(٦) انظر: معايير حقوق الإنسان، دراسة مقارنة بين إعلان حقوق الإنسان في الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، عيسى الشامخ، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ)، ص١٤.

المفاهيم الاصطلاحية لكلمة الحيوان:

مجموعة أساسية من الكائنات الحية تصنف باعتبارها مملكة حيوية مستقلة باسم مملكة الحيوانات. تتصف الحيوانات بشكل عام بأنها عديدة الخلايا، قادر على الحركة والاستجابة للمتغيرات البيئية، وتعتبر كائنات مستهلكة كونها تتغذى على الكائنات الأخرى من نباتات وحيوانات(١).

والحيوان: جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر، وغير ذلك(٢).

وقد عرف مصطلح حقوق الحيوان بأنه: جميع المصالح الاساسيه للحيوانات والتي يجب أن تأخد نفس الاعتبار والأهمية التي تأخذها المصالح المماثلة في البشر(٣).

وبعد هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية للحقوق والحيوان وبعد التعرف على أن مصطلح (حقوق الحيوان) مصطلح إسلامي تداوله العلماء منذ فجر الرسالة، وليس مصطلحاً غريباً كما يدعيه البعض(٤) . نخرج بتعريف إجرائي لمصطلح حقوق الحيوان: وهي الحقوق المقررة من الشارع لحماية حقوق الحيوان وهذه الحقوق ثابته باقية لا يتم إسقاطها أو العفو عنها . ويدخل في هذه الحقوق حقوق الحيوان .

---

(١) http: //ar. wikipedia. org/wiki/.، حيوان، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ١٤ أكتوبر ٢٠١٤ الساعة ١٣: ٣٠.

(٢) ابجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق عبدالجبارالزكار، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق – دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م)، ج٢، ص٢٥٩.

(٣) "Animal Rights. " Encyclopædia Britannica. 2007، حقوق الحيوان، ويكيبيديا، ٢٥ اغسطس ٢٠١٤، ١٥: ٢٣.

(٤) حقوق الحيوان في الإسلام دراسة فقهية مقارنة، توفيق العمري، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة ذمار، ٢٠٠٩م.

المطلب الثاني

من هم غير المسلمين

المسلم مسؤول عن تبليغ الإسلام إلى غير المسلمين ودعوتهم إليه بكل السبل المتاحة والمشروعة، ولرعاية حقوق الحيوان أثره البالغ في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من ناحية أن غير المسلمين باتجاهاتهم وثقافاتهم وعاداتهم يؤثرون على المسلمين،وكذا من ناحية القناعة الذاتية لدى غير المسلم بأن منهج حقوق الحيوان ليس بأمر ممتدح من الغرب فقط بل هو أساس واضح من أساسيات الدين الإسلامي ويعد سببا في الثواب والعقاب الإلهي ولنا أن نتعرف على المراد بكلمة غير المسلمين وأنواعهم .

لفظ غير المسلم يصنف على عدة أساسيات[1] وسنعتمد في هذا البحث أصناف غير المسلمين بالنسبة لدياناتهم وهم على هذا الأساس ينقسمون إلى قسمين:

الأول: أهل الكتاب، والثاني: المشركون وهم كل من يدين بالشرك والكفر وليس لهم كتاب سماوي.

فأهل الكتاب هم من اعتقدوا دينا سماويا ولهم كتاب منزل كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وزبور داود[2].

---

(١) يمكن الرجوع إلى هذه التصنيفات في كتاب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله اللحيدان.

(٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة النعمان، محمد أمين، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ)، ٣/٢٧٠.

وبغض النظر عن أنواعهم إذ ليس هذا محور دراستنا فإن كل من يدين بدين غير دين الإسلام فهو من المدعوين في هذه الدراسة.

فلفظة غير المسلم تشمل كل من يعتقد بدين آخر غير دين الإسلام.

المبحث الثاني
حقوق الحيوان في الحضارات المختلفة

المطلب الأول
حقوق الحيوان عند المسلمين

منح الخالق للحيوان حق العيش والسكنى وأعطى الإسلام للحيوان حقوقه كافة بما يحقق المصلحة للحيوان، والإنسان، وكل ذلك بدون إفراط أو تفريط. فإن الحضارة الإسلامية هي أول حضارة بشرية تقر مبدأ حقوق الحيوان وتلزم الناس بهذا المبدأ.

إن مصادر حقوق الحيوان في الإسلام متعددة منها: الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة والتي تسعى دائما للصالح العام، والقياس فالحيوان حاله حال أي مخلوق له حقوق كما أن العرف العام يضمن للحيوان حقوقه كاملة(١).

لم تقتصر توجيهات الإسلام على حفظ حقوق الحيوان المادية، بل شملت الحفاظ على مشاعره، وهذا يظهر جلياً في تحريم لعن الدواب، وتحريم ذبح الحيوان أمام الآخر(٢).

وفي هذا المطلب سنتحدث عن حقوق الحيوان في القرآن الكريم والسنة النبوية وطرق تعامل الصحابة مع الحيوان من خلال سيرهم وأقوال بعض العلماء في ذلك .

---

(١) للاستزادة: يمكن الرجوع إلى بحث أحمد القراله والذي تحدث عن هذه المصادر بالتفصيل.

(٢) انظر: حقوق الحيوان في الإسلام دراسة فقهية مقارنة، توفيق العمري، رسالة ماجستير، مرجع سابق.

ينظر الإسلام إلى عالم الحيوان إجمالاً باهتمام لأهميته في الحياة ونفعه للإنسان، ولكونه قبل ذلك آية من آيات عظمة الخالق وبديع صنعه؛ ولذلك كثر الحديث عن الحيوان وحقوقه في كثير من مجالات التشريع الإسلامي، حتى إن عددًا من السور في القرآن الكريم جاءت بأسماء الحيوانات، مثل: سورة البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل(١).

وينص القرآن كثيرًا على تكريم الحيوان، وبيان مكانته، وتحديد موقعه لخدمة الإنسان؛ فبعد أن بيَّن الله في سورة النحل قدرته في خلق السموات والأرض، وقدرته في خلق الإنسان، أردف ذلك بقوله: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

كما بين الله تعالى في القرآن بديع صنعه وإعجازه في خلق الحيوان حيث قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

(١) من أسرار الحيوان في التعبير القرآني، طالب اسماعيل، (جمعية الدعوة، ليبيا).

(٢) سورة النحل ، الآية: ٥ – ٨.

(٣) سورة ، الآية النور: ٤٥.

وكذا من أعجازه في الخلق عموما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾(١).

قال تعالى: ﴿ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢).

كما جعل رزق الحيوان على الله حالها حال البشر قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣)

كما بين أن الحيوان حالها حال جميع المخلوقات تعبد الله وتتكلم كما لها فضل على بعض البشر حيث فضلها الله على كثير من الناس(٤).

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(٥).

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٦).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾(٧).

---

(١) سورة الشورى ، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الجاثية ، الآية: ٤.

(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٦٠.

(٤) انظر: خطبة حقوق الحيوان في الإسلام، ناصر محمد الأحمد، http: //www. islamdoor. com/k/147. htm.

(٥) سورة الأنعام ، الآية: ٣٨.

(٦) سورة النمل ، الآية: ١٦.

(٧) سورة الأعراف ، الآية: ١٧.

كما ذُكر الحيوان في أكثر من موضع دلالة على أهمية هذا المخلوق وعظم حقه وأن له من الحقوق ما لغيره من المخلوقات(١).

وقد دعى الرسول الكريم إلى الاحسان للحيوان في حال ذبحه فقد أجاز الإسلام ذبح الحيوان أو قتله لمنفعة مقصودة كمنفعة الأكل أو مصلحة دفع الأذى لكنه قيد ذلك بإحسان القتل أو الذبح فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته)(٢) .

كما كفل حقه في العيش والحياة وحرمة قتله بدون منفعة أو دفع مضرة وانهاء حياته بتعذيب أو حبس وقد إجاز العلماء ترك بعض الواجبات عند تعارضها مع الحفاظ على حياة الحيوان كمن وجد ماء لا يكفي إلا لوضوئه وكان هناك حيوان محترم مضطر لذلك الماء فإن الواجب على صاحب الماء التيمم وإيثار الحيوان بالماء، ولو كان صاحب الماء ميتا فإنه يتيمم كذلك ويدفع الماء إلى الحيوان ليشرب ويعلل الفقهاء ذلك بالمحافظة على حياة الحيوان. كذلك نص الفقهاء على وجوب الإفطار لإنقاذ حياة الحيوان كما يجوز التخلف عن صلاة الجمعة والجماعة لإنقاذ

---

(١) يمكن الرجوع إلى الآية رقم: ٢٦٠ من سورة البقرة، و ٤٩ من آل عمران، و١١٠ من المائدة، و٣٦من يوسف، و٤١ من يوسف، و٧٩من النحل، و٣١من الحج، و١٦ من النمل و٢٠ من النمل كلها ذكر فيها الحيوان والطير على سبيل المثل.

(٢) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح وتحديد الشفرة، ٣٠٨٨/١٩٥٥.

الحيوان من الهلاك جاء في شرح البهجة في ما يباح فيه ترك الجمعة والجماعة:(حفظ الآدمي يحتمل أن الحيوان المحترم كالآدمي)[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار. قال فقالوا: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض)[2].

فانظر هذه كيف دخلت النار بسبب تعذيبها لهذا الحيوان ومنع الماء والطعام حتى ماتت فكل من لديه شيئ منه وجب أن يحسن إليه ويرعاه كما يرعى كل صاحب روح[3].

وقد تواترت النصوص على فضل الإحسان إلى الحيوان والرفق به. نذكر من ذلك، حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم

---

(١) انظر: الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، الدردير، (دار إحياء التراث، بيروت)، ١/١٦٥. و أسنى المطالب، الشربيني، ١/٤٢٩. و شرح البهجة، الأنصاري، ١/٤١١. وحقوق الحيوان وضماناتها في الفقه الإسلامي، أحمد القراله، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد ١، ١٤٣٠هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيح البخاري، كِتَاب الشُّرْبِ والْمُسَاقَاةِ، دنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة، ٢٢٣٦/٨٣٤.

(٣) حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة، يسري السيد، (دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ)ص٧١٨.

أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرا ؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر»[1]

كما نهى عليه الصلاة والسلام عن صبر البهائم[2].فقد روى زيد بن أنس بن مالك قال: دخلت مع جدي أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا قوم نصبوا دجاجة يرمونها قال: فقال أنس: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُصبر البهائم)[3].

فلا يجوز تعذيب الحيوان، أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً. فلا يخفى ما تفتق عنه فكر الانسان المعاصر، المتسربل برداء المدنية المزيفة، المتحضر بحضارة القرن العشرين أن يتلذذ بمشاهدة مصارعة الثيران أو مصارعة الديكة، ومثله أكلة دماغ القردة في الفلبين، أو ما يقدم في بعض مطاعم اليابان من السمك المقلي أو المشوي وهو لايزال يتقلب حياً في الصحفة الى ذلك الزبون المفترس[4].

كما نهى الرسول الكريم عن إرهاق الحيوان في العمل وهذا من أعظم حقوق الحيوان والذي يجهله كثير من البشر فعن سهل بن معاذ عن أبيه

---

(١) رواه مسلم، في صحيح مسلم، كِتَاب السَّلَامِ، بَاب فَضْلِ سَقْيِ الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، بَاب فَضْلِ سَقْيِ الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهِ، ٤١٦٢ / ١٧٦١.

(٢) صبر البهائم: أن تحبس وهي حية لتقتل برمي ونحوه. والنهي هنا للتحريم.

(٣) رواه مسلم في صحيح مسلم – كِتَاب الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنْ الْحَيَوَانِ – بَاب النَّهْيِ عَنْ صَبْرِ الْبَهَائِمِ، باب النَّهْيِ عَنْ صَبْرِ الْبَهَائِمِ، ١٩٥٦/٣٦١٦.

(٤) انظر: خطبة ناصر الأحمد، حقوق الحيوان في الإسلام.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(اركبوا هذه الدواب سالمة وابتدعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي)(١).

فليست الدابة جمادا كالكرسي ونحوه يجلس عليه دائما أبدا وإنما نراعي أن لها إحساسا ولا بد لها من راحة واستجمام (٢).

ومن الصور التي ذكرها الفقهاء في هذا المجال:

لو استأجر دابة فحملها المؤجر فوق طاقتها لا يجوز للمستأجر الرضا بذلك. وعدم جواز إجارة البهائم المريضة والزمنة -ذات المرض المزمن- لأن في هذه الإجارة تكليفا للحيوان فوق طاقته(٣).

كما كفل الشارع الحفاظ على حق الحيوان من ناحية أسمى وأعلى إلا وهي الحفاظ على مشاعره من أن تخدش فقد نهى عليه أفضل الصلاة والتسليم عن لطم خدود الدواب كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحد السكين بحضرة الحيوان الذي يذبح، فمرة مر على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: ((أفلا قبل هذا! أتريد أن تميتها موتتين؟))(٤). بل إن الإسلام راعى حق الأمومة عند الحيوان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند أحمد - مُسْنَدُ الْمَكِّيِّينَ - اركبوا هذه الدواب سالمة وابتدعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي، ١٥٢١٢.

(٢) حقوق الإنسان، يسري السيد، مرجع سابق، ص ٧١٨.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت،)، ٣٤/٦.

(٤) لزَّوَاجِر عَنْ اقْتِرَاف الْكَبَائِر - كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ - المثلة بالحيوان كقطع شيء من نحو أنفه أو أذنه ووسمه في وجهه واتخاذه غرضا وقتله لغير الأكل وعدم إحسان القتلة والذبحة، ٣٤٧.

فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرّش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها!))[1].

وذهب فقهاء المسلمين إلى اعتبار ظلم الدابة أشد من ظلم الإنسان لأن الإنسان قادر على الدفاع عن نفسه والمطالبة بحقه ومخاصمة من ظلمه بخلاف الدابة التي لا تقدر على شيئ من ذلك[2].

ولقد اهتم الإسلام ببقاء الجنس الحيواني والحرص على عدم فنائه وما وجود المحميات في وقتنا الحاضر إلا خير دلالة على حرص الدول الإسلامية على حماية بقاء النوع الحيواني ولعل منطلق ذلك أمر الله لنبيه نوح وقت الطوفان – الذي قضى على كل من في الأرض إلا من رحم الله– بحمل الحيوانات معه في السفينة، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[3].

وقد أثبت الفقه الإسلامي للحيوان الحق في بقاء نوعه لذلك لا يجوز قتله إو ذبحه إذا كان ذلك يؤدي إلى انقراضه وفنائه وإن من مفاخر الإسلام العظيمة أن أول محمية طبيعية عرفتها البشرية كانت في الإسلام وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة إذ لا يجوز صيدها ولا يقطع شجرها ولا يروع آمنها

---

(١) رواه أبو داود في سنن أبي داود – كِتَاب الْجِهَادِ، من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن، ٢٦٧٥.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ٤٠٢/٦.

(٣) سورة هود ، الآية: ٤٠.

فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حرم الله مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي ...)[(١)] .

والتاريخ الإسلامي عامر بذكر قصص الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وعلماء الإسلام الذين راعوا حقوق الحيوان فلم يكلفوه فوق طاقته بل فاق الأمر إلى الحرص على رعايته وحمايته وتوفير المأكل والمشرب له فسمي أبو هريرة بذلك لهرة كان يحملها معه بل وصلت بهم الرعاية إلى الإحساس بالذنب حال الإساءة إليه .

يحدث الامام الزمخشري عن نفسه أن إحدى رجليه كانت ساقطة، وكان يمشي في جارن خشب، فلما دخل بغداد سئل عن سبب قطع رجله – وكان يظن أن ذلك بسبب برد خوارزم الشديد لكنه قال: دعاء الوالدة: وذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط من رجله، فأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، يقول فلما وصلت الى سن الطلب، رحلت الى بخارى أطلب العلم، فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي، وعملت عليّ عملاً أوجب قطعها.

ويذكر التاريخ كذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير يوما وهو يتفقد أحوال الرعية فرأى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فهاله ما رأى من إساءة بالغة في حق شاة بكماء فقال له: ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا .

---

(١) يمكن الاستزادة من ذلك من بحث حقوق الحيوان في المجلة الإسلامية العدد الخامس. والحديث رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأذخر والحشيش في القبر، رقم ١٣٤٩.

ومما قرره الفقهاء من حقوق الحيوان أنه إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه إذ لم تقدر على الانصراف(١) .

كما يروي ابن حكيم في سيرة الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة وأنه كتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا احد بلجام ثقيل ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة وكتب إلى واليه بمصر بلغني أن بمصر إبلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابي فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل(٢) .

(١) حقوق الحيوان في الإسلام، عبدالواحد بوشداق، العدد٢٤، السنة الثامنة ٢٠١٣م، مجلة حوراء.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على مارواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، محمد بن عبدالله عبدالحكيم، تحقيق أحمد عبيد، (عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤) ١/١٤١. انظر الاخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، السرجاني، www. rasoulallah. net.

المطلب الثاني

حقوق الحيوان عند غير المسلمين

يظهر للعامة اهتمام غير المسلمين بحقوق الحيوان بشكل كبير والقيام بإنشاء المؤسسات والهيئات التى تعنى بحقوق الحيوان وكأن لهم السبق في هذا الامر، مما جعل البعض يغتر بهم ويتصور أن لهم السبق في هذا الامر ولكن بعد تتبع الأمر في أصول ديانتهم والنظر في أناجيلهم وتوراتهم تبين لنا السبب في هذه الهبة الإعلانية لحماية حقوق الحيوان عندهم فجميع الهيئات والمؤسسات حديثة الإنشاء وذلك أن كتبهم المقدسة(المحرفة) لم نجد فيها مايدعوا إلى حماية حقوق الحيوان باعتباره مخلوق من مخلوقات الله له من الحق مالغيره من المخلوقات ولعلنا نذكر بعضا مما ورد في كتبهم المقدسة للتعرف على أصول ديانتهم والتأكد أن الإسلام له السبق في تقنين حقوق الحيوان مما له الأثر الواسع على غير المسلمين عند معرفتهم لهذا الامر:

ورد في الكتاب المقدس في عهده القديم في القسم الأول المسمى بالخليقة والناموس سفر التكوين: (وقال الله: لتخُرج الأرض خلائق حية من كل صنف: بهائم ودواب ووحوش أرض من كل صنف، فكان كذلك: صنع الله وحوش الأرض من كل صنف والبهائم من كل صنف والدواب من كل صنف ..... وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وكل ما يدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته... فقال لهم:أنموا واكثروا

واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الذي يدب على الأرض) .

وورد ايضا: أما جميع وحوش الأرض وجميع طير السماء وجميع ما يدب على الأرض من الخلائق الحية فأعطيها كل عشب أخضر طعاما)[(١)].

وفي القسم السابق في التكوين في قصة السقوط ذكر قصة سقوط آدم وحواء بسبب الحية التي تعتبر أحيل جميع حيوانات البرية وفي عقاب الإله لهذه الحية (فقال الرب للحية لأنك فعلت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش البر على بطنك تزحفين وترابا تأكلين طول أيام حياتك...)[(٢)].

وفي ذات السفر في النظام الجديد للعالم:

(وسيخافكم ويرهبكم جميع حيوانات الأرض وطيور السماء وكل ما يدب على الأرض وجميع أسماك البحر فهذه كلها أجعلها بين أيديكم.....أما دماؤكم أنتم فأطلب عنها حسابا من كل حيوان أو إنسان سفكها...)[(٣)].

وقد ورد سؤال حول هل يعاقب الكتاب المقدس الحيوان غير العاقل؟ في موقع حوار الأديان[(٤)].

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، الاصدار الثاني للعهد القديم ط٤ والاصدار الرابع للعهد الجديد الطبعة الثلاثون (جمعية الكتاب المقدس، لبنان) سفر التكوين، ٢/٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠.

(٢) الكتاب المقدس، سفر التكوين، ص٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٠.

(٤) http: //ejabat. google. com/ejabat/thread?tid=0361617e134ff58d، هل يعاقب الكتاب المقدس الحيوان.

فكانت الإجابة:

يوجد بالكتاب المقدس نصوص عديدة يعاقب فيها الحيوان الأعجم الغير عاقل بدون أي ذنب أو جريرة بل ويتحمل الحيوان الأعجم العقاب عن خطأ صاحبة ولا نعلم هل من الحكمة أن يعاقب حيوان غير عاقل على أخطائة أو أخطاء صاحبة الإنسان العاقل والأغرب طريقة العقاب دائما للحيوان الغير عاقل تكون بكسر عنقة ولا نعلم ماهي الحكمة من ذلك

١- الحمار الذي ليست لة فدية بشاة يكسر عنقة ولانعلم ماذنب الحمار إن لم تكن لة فدية ولماذا يتحمل الحمار الغير عاقل هذة لعقوبة الجائرة بكسر عنقة بدون ذنب أو جريرة والمفترض أن يقتص من صاحبة الذي لم يقدم لة هذة الفدية؟

{ الخروج إ ١٣} {ع ١٣ ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وان لم تفده فتكسر عنقه. وكل بكر انسان من اولادك تفديه}.

٢- الثور الذي ينطح إنسانا يرجم ولا نعلم ما الحكمة من القصاص من حيوان غير عاقل ؟ ٢٨ واذا نطح ثور رجلا او امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه. واما صاحب الثور فيكون بريئا.

٣- العجلة الموجودة بالقرب من قتيل لا يعلم قاتلة يكسر عنقها ولا نعلم ما ذنبها؟

إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَمْتَلِكَهَا وَاقِعاً فِي الحَقْلِ لا يُعْلمُ مَنْ قَتَلهُ ٢يَخْرُجُ شُيُوخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلى المُدُنِ التِي حَوْل القَتِيلِ. ٣فَالمَدِينَةُ القُرْبَى مِنَ القَتِيلِ يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلكَ المَدِينَةِ عِجْلةً مِنَ

البَقَرِ لَمْ يُحْرَثْ عَلَيْهَا لَمْ تَجُرَّ بِالنِّيرِ. ٤وَيَنْحَدِرُ شُيُوخُ تِلْكَ المدِينَةِ بِالعِجْلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيَلانِ لَمْ يُحْرَثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ العِجْلَةِ فِي الوَادِي.

٤-الحمار والثور يعاقبان على خطأ صاحبهما ولا نعلم لماذا يتحمل الحيوان الغير عاقل وزر الإنسان العاقل؟

{ التثنية إ ٢٨ } { ع ٣١ يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه. يغتصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك. تدفع غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلص.

{ التثنية إ ٢٢ } { ع ٣ وهكذا تفعل بحماره وهكذا تفعل بثيابه. وهكذا تفعل بكل مفقود لأخيك يفقد منه وتجده. لا يحل لك أن تتغاضى.

٥- إبادة الحيوان الغير عاقل بدون أي ذنب أو جريرة بحد السيف فما ذنب الحيوان الغير عاقل؟

{ صموئيل الأول إ ١٥ } { ع ٣ فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا».

{ يشوع إ ٦ } { ع ٢١ وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ - حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف }.

{ صموئيل الأول إ ٢٢ } { ع ١٩ وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف: الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم }.

٦- حرمان الحيوان الأعجم من الماء يوم كامل بدون أي ذنب أو جريرة فما ذنبة أن يحرم من الماء يوم كامل؟

{ انجيل لوقا إ ١٣} {ع ١٥ فأجابه الرب: «يا مرائي ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه؟ }.

هذه بعض النماذج على عقيدة غير المسلمين في شأن الحيوانات فهم يرون أن للإنسان السيادة التامة عليها في أصل الخلق، فليس للحيوان أي حق يذكر،كما وجد في كتبهم المقدسة عقيدة العقاب للحيوان، بينما يمنع ذلك في الإسلام ولعل هذا هو السبب وراء انطلاق الجمعيات والمؤسسات الكفيلة بحماية حقوق الحيوان عبر العصور المختلفة عندهم.

فقد تأسست أول جمعية للرفق بالحيوان في انجلترا، سنة ١٨٢٤م، تحت اسم «الجمعية الملكية للرفق بالحيوان». ويرجع الفضل في نشأة هذه الجمعية إلى «ريتشارد مارتين» (١٧٥٤ ـ ١٨٣٤)، وكان عضو إيرلندي في البرلمان الإنجليزي. كذلك، كان هذا النائب البرلماني وراء صدور قانون في إنجلترا يجرم الاعتداء على الماشية، وهو القانون المعروف باسم «قانون مارتين». وفي سنة ١٨٤٩م، صدر قانون آخر شمل بالحماية كل الحيوانات. وفي سنة ١٨٦٦م، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، أسس «هنري برج» جمعية لرعاية الحيوانات الضالة ومساعدة المزارعين في رعاية الماشية بتوعيتهم صحياً. ثم انتشر هذا التقليد بعد ذلك في العديد من الأقطار. وكانت مصر أولى الدول العربية التي عرفت فكرة إنشاء جمعيات الرفق بالحيوان، وكان ذلك في سنة ١٨٩٤م. والهدف من وراء إنشاء هذه الجمعيات هو الرفق بالحيوان عند المصاحبة، والإحسان إليه في المعاملة، والتلطف معه في السلوك(١).

---

(١) الرفق بالحيوان. . واجب شرعي والتزام قانوني، مقال للدكتور أحمد عبد الظاهر أستاذ القانون الجنائي المساعد بجامعة القاهرة، http: //kenanaonline. com/users/law/posts/361285.

المطلب الثالث

منظمات حقوق الحيوان في العالم

ذكرنا في المبحث السابق أسباب انتشار الجمعيات والهيئات المختصة برعاية حقوق الحيوان عند الغرب غير المسلم وفي هذا المطلب سنتحدث عن منظمات حقوق الحيوان المنتشرة في العالم المسلم وغير المسلم، والقارئ لهذا المبحث سيلحظ أن معظم هذه المؤسسات مرجعها لجمعيات غربية، ولعلنا وضحنا السبب في ذلك بأن الدين الإسلامي يلزم المسلم برعاية حقوق الحيوان؛ من غير حاجة لإنشاء جمعيات وتقنين قواعد وأنظمة لحماية حقوق الحيوان،فهي محمية، ومقننه في الإسلام ولا حاجة لابتداع أنظمة جديدة ووضعية لحماية حقوق الحيوان فلو طُبق ما في الدين الإسلامي لعاش الحيوان في سلام من غير الحاجة لمثل هذه المؤسسات والهيئات.

فالدول الأوروبية أول من عرفت إنشاء جمعيات للرفق بالحيوان. فقد تأسست أول جمعية للرفق بالحيوان في انجلترا، سنة ١٨٢٤م، تحت اسم «الجمعية الملكية للرفق بالحيوان».

وخلال الأعوام القليلة الماضية اشتدت قوانين الحفاظ على الحيوان في دول الاتحاد الأوروبي، ومن المخطط له في أسبانيا أصدار قانون موحد للحفاظ على الحيوان إلا أنه لم يسري المفعول حتى الآن.

أما في الصين والهند فلا توجد قوانين لحماية الحيوان وإن وجدت توجد في حيز ضيق.

وقد أنشأت هذه المؤسسات ووضعت في أجندة إنشائها أهدافا أقرت ودونت ليتم الرجوع إليها عند الحاجة، ومن تلك الأهداف:

- الرفق بالحيوان عند المصاحبة.
- الإحسان إليه في المعاملة.
- التلطف معه في السلوك.

وبالطبع تحت هذه الأهداف العامة تندرج أهداف تفصيلية كثيرة منها:

- المحافظة على النوع الحيواني.
- دعم المنظمات الحقوقية للحيوان، والتطوع فيها.
- توظيف مجموعة من المبادئ التي تساعد في إحداث تغيير جوهري في معاملة الحيوان من السيئ إلى الحسن.
- عيش الحيوان بلا قيود.
- حماية الحيوان اليوم وغدا .
- التأكيد على أن حقوق الحيوان ليست وليدة اللحظة والحاجة بل قديمة قدم الإنسان(١).

---

(١) انظر: http: //www. adaptt. org/about. html الموقع للناشط في حقوق الحيوان: غاري يوروفسكيوهو ناشط أمريكي من اجل حقوق الحيوان. يوروفسكي عمل في منظمة PETA وتحدث عن النباتية في محاضرات منظمة مقابل أكثر من ٦٠، ٠٠٠ طالب في كل من المدارس الاعدادية والمدارس الثانوية والكليات في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية. عرف يوروفسكي بتصريحاته النارية ضد أولئك الذين يستخدمون الحيوانات – لأهداف مثل الغذاء، والصيد، أو الفراء. في الفترة ما بين ١٩٩٧-٢٠٠١ اعتقل يوروفسكي ١٣ مرة، في معظمها بتهمة الاخلال بالنظام العام في اطار أعمال الاحتجاج التي كان يقوم بها. في عام ١٩٩٧ اقتحم مزرعة لحيوانات ذوي الفراء في كندا وحرر منها ١٥٤٢ فيزون نتيجة لهذا العمل سجن لمدة ٧٧ يوما في سجن كندي. الأضرار الناجمة قدرت بنحو نصف مليون دولار كندي. بسبب نشاطه الكبير، وبسبب هذه الاعمال يعتبر يوروفسكي شخصا غير مرغوب فيه عند شرطة الحدود في انكلترا وكندا. يوروفسكي بدأ مسيرته كناشط لحقوق الحيوان في أعقاب لقائه مع فيل في سيرك حيث تطوع هناك زوج والدته كمهرج. في هذا اللقاء شاهد الفيل وكانت قد خزقت اذناه وأيضا كان مكبلا بالسلاسل الحديدية. ووصف يوروفسكي هذا الاجتماع بالفيل بأنه "مظهر للحزن واليأس" وفي عام ١٩٩٦ قام بتأسيس جمعية

ولمؤسسات حقوق الإنسان حول العالم أنشطة وفعاليات تزاولها على مستوى العالم منها ما هو ممدوح ومنها المذموم ومن تلك الأنشطة:

- ا لمؤتمرات
- والمسيرات والمظاهرات السلمي والعدائي
- والمقالات والكتابات في شتى وسائل الإعلام القديم والحديث.

وللحديث عن الانشطة التي تقوم بها تلك المؤسسات بشيء من التفصيل والتأصيل التاريخي نقول:

يعد القرن التاسع عشر القرن الذهبي في مجال حقوق الحيوان، حيث شهد ملاحقات قضائية لبعض المسيئين لحقوق الحيوان، ومحاولة إدخال تشريعات حقوق الحيوان كنظام شرعي أساسي في القضاء، وانطلاق مشروع حماية الماشية، وتحولت المطالبات من الحماية، إلى الحقوق، وألفت الكتب في ذلك.

ثم بعد ذلك ظهرت نظرية داروين التي تساوي الإنسان بالحيوان، ثم أنشأت أول جمعية لحماية الحيوانات من استغلالها في التشريح والمعامل

ADAPTT (حيوانات يستحقون الحماية المطلقة اليوم وغدا)، وهي منظمة مؤيدة للنباتية ومعارضة لاستخدام الحيوانات في أي شيء. للإستزادة:

وهذا الناشط أنشأ موقعا ووضع به عدادا لقياس عدد الحيوانات التي تذبح وتقتل خلال اليوم وهو يدعو الجميع للاتجاه للأكل النباتي فهم بين إفراط وتفريط فلا يوجد وسطية بينهم. وهذا نموذج لكثر غيره ممن يدع لحماية حقوق الحيوان بلا اتزان منهم من يقوم بالمظاهرات والمسيرات والمداهمات لبعض المقار ومنهم من سجن بسبب ذلك مثل "جيني" و"مارك"و" لي"و" لي شارب" كلها أسماء بارزة في هذا المجال لكنهم. http: //www. ahewar. org/DEBAT/show. art. asp?t=0&userID=614&aid=35414.

الحيوانية، وبعد هذا توالت الأعمال والمؤتمرات والجمعيات والقوانين والأنظمة الداعمة لحقوق الحيوان(1) .

وللحديث عن جمعيات حقوق الحيوان في الدول العربية نقول أن منظمة حقوق الحيوان في الامارات أصدرت في الثاني والعشرين من شعبان سنة ١٤٢٨هـ الموافق الرابع من سبتمبر سنة ٢٠٠٧م، صدر القانون الاتحادي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٧م في شأن الرفق بالحيوان.

وسنفصل في الحديث عن ماورد في بنود إنشاء هذه الجمعية كونها في دولة مسلمة وكل ماورد بها من قوانين وأنظمة تظمن حقوق الحيوان هو ترجمة لفحوى ماورد في الكتاب والسنة وماعمله سلف الأمة ومنها:

احتوى هذا القانون على تسع عشرة مادة. ووفقا للمادة الثانية من هذا القانون، «يجب على ملاك الحيوانات أو القائمين على رعايتها حسب الأحوال اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لعدم إلحاق الأذى بها، وعلى وجه الخصوص مراعاة ما يأتي:

١- الأخذ في الاعتبار أنواع الحيوانات ودرجة نموها وتأقلمها وتدجينها، واحتياجاتها وفقا للخبرة والمعرفة العلمية.

٢- عدم إطلاق سراح أي حيوان تحت رعايتهم، يعتمد بقاؤه بشكل طبيعي عليهم، وفي حالة الرغبة في التخلي عنه يجب تسليمه للإدارة المختصة أو السلطة المختصة.

---

(١) للاستزادة انظر:

http://translate. google. com. sa/translate?hl=ar&langpair=en%7Car&u=http: //en. wikipedia. .org/wiki/Animal_rights&ei=syYRUaOrOMO20QXNooDQBg

٣- توفير عدد كاف من العاملين ذوي قدرة مناسبة ومعرفة وكفاية مهنية بالأمور المتعلقة بالحيوانات التي تحت إشرافهم ورعايتهم.

٤- معاينة الحيوانات التي تحت إشرافهم ورعايتهم مرة واحدة على الأقل في اليوم وتفقد أحوالها».

وتحت عنوان «حرية الحركة للحيوان»، تنص المادة الرابعة من ذات القانون على أن «يجب أن توفر للحيوانات مساحة كافية لتلبية احتياجاتها عندما تحد حركتها بصفة دائمة أو مؤقتة وفقاً لما هو وارد في اللوائح والقرارات الصادرة عن الوزارة». وتحت عنوان «المباني ووسائل الراحة للحيوان»، ووفقا للمادة الخامسة من نفس القانون:

١- يجب أن تكون المواد المستخدمة في بناء المنشآت وخاصة الحظائر والأقفاص والاصطبلات وكذلك المعدات التي يمكن أن تلامسها الحيوانات غير مؤذية وأن تكون خالية من مصادر التلوث ويسهل تنظيفها وتطهيرها بالكامل.

٢- يجب أن توفر للحيوانات التي لا تربى في مبان، حماية من أحوال الطقس المتقلبة والضواري وأية أخطار على صحتها وأن يتاح لها الوصول إلى مرقد مناسب وجيد التصريف للفضلات». وفيما يتعلق بتغذية الحيوانات، تنص المادة السادسة من القانون المشار إليه على أنه «مع مراعاة ما تحدده اللائحة التنفيذية لهذا القانون بشأن المواد المسموح بإضافتها لغذاء الحيوانات، يجب أن يتم إطعام الحيوانات بالعلف الكامل الذي يتناسب مع عمرها ونوعها وبكميات كافية تبقيها

بصحة جيدة وتفي باحتياجاتها الغذائية، مع تمكينها من الوصول بشكل مستمر لمصادر المياه المناسبة أو تزويدها بكفايتها من الماء النقي يومياً». وتحت عنوان «نقل الحيوانات»، تنص المادة السابعة من القانون على أن «يجب أن يتم نقل الحيوانات بطريقة تضمن سلامتها، وعدم تعريضها للإصابات أو الضرر، وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون الشروط والمواصفات الواجب تحققها في تحميل الحيوانات ونقلها وإنزالها وتغذيتها أثناء النقل وأية شروط أخرى خاصة بوسائل النقل».

ويتناول القانون أيضا بالتنظيم موضوع «علاج الحيوانات»، وذلك في المادة الثامنة منه، بنصها على أنه

١- إذا كان من شأن التدخل العلاجي للحيوان أن يسبب له ألماً أو فزعاً أو مضايقة، فيجب أن يتم هذا التدخل بواسطة طبيب بيطري أو أخصائي.

٢- يجب أن تتم جميع التدخلات الجراحية للحيوانات تحت تخدير عام أو موضعي وفي مكان مجهز طبياً لنوع الجراحة».

وطبقا للمادة التاسعة من القانون، وتحت عنوان «إعادة الحيوان لمالكه»، «لا يجوز إعادة حيوان تم التحفظ عليه ونقله للعلاج إلى مالكه إلا بتمام شفائه وبعد توافر أحد الشرطين التاليين:

١- ثبوت عدم تكرار الإهمال من قبل المالك.

٢- تدفع تكاليف النقل والعلاج حال تكرار الإهمال».

ويقـرر المشـرع بعـض المحظـورات الماسـة بالحيوانـات، وذلـك في المـادة العاشرة مـن القـانون، والـتي تـنص علـى أن «يحظـر القيـام بـأي مـن الأفعـال التالية:

١- التعدي الجنسي على الحيوان.

٢- خلط أنواع الحيوانات ببعضها أثناء العرض أو البيع.

٣- عـرض أو بيـع أو الاتجـار بـأي حيـوان مـريض أو مصـاب أو في حالـة جسمانية هزيلة ما لم يشف تماماً». وبمقتضى المادة الحادية عشرة من القـانون، يحظـر المشـرع بوجـه خـاص «تنظـيم عامـة أو منافسـات أو عـروض للحيوانـات لأغـراض تجاريـة أو أيـة أغـراض أخـرى بمـا في ذلـك الإعلانات أو أغراض الديكور، دون تصريح خطي من الإدارة المختصة أو السلطة المختصة».

وتحـت عنـوان «استخدام الحيوانـات للأغـراض العلميـة»، تـنص المـادة الثانية عشرة على أن:

١- يحظـر اسـتخدام الحيوانـات لأغـراض التجـارب العلميـة إلا بعـد الحصـول على ترخيص من الإدارة المختصة أو السلطة المختصة.

٢- تجمع الوزارة قاعدة بيانات بشأن استخدام الحيوانات للأغراض العلمية داخـل الدولـة». ولكفالـة الالتزام بأحكـام القـانون، قـرر المشـرع بعـض العقوبات لمن يخالف الواجبات أو لم يلتزم بالمحظورات الواردة فيه.

إذ تنص المادة الرابعة عشرة من القانون على أن:

١- يعاقب بالحبس الذي لا يقل عن شهر وبالغرامة التي لا تقل عن خمسة آلاف درهم كل من تعدى جنسياً على الحيوان.

٢- يعاقب بالحبس الذي لا يزيد على سنة وبالغرامة التي لا تقل عن خمسة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من أطلق سراح حيوان موبوء مع علمه بذلك.

٣- يعاقب بالغرامة التي لا تزيد على عشرين ألف درهم كل من يخالف الالتزامات الأخرى المقررة بموجب أحكام هذا القانون وتلك المقررة باللوائح والقرارات الصادرة تنفيذاً له». وتؤكد النصوص آنفة الذكر بوضوح حرص المشرع الاتحادي لدولة الإمارات العربية المتحدة على الرفق بالحيوان(١).

(١) انظر: الرفق بالحيوان. . واجب شرعي والتزام قانوني، مقال للدكتور أحمد عبد الظاهر، مرجع سابق.

المبحث الثالث

تأثير حماية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين

المطلب الأول

الشبه المثارة حول غلظة المسلمين في التعامل مع الحيوان

الشبه التي يثيرها الجهال في الدين الإسلامي واهية لا أساس لها من الصحة وتدل دلالة واضحة على عمق جهلهم في الدين وسطحيتهم في التعرف على احاطة الدين الإسلامي للحياة بكافة شؤنها وسوف نعرض الشبهات التي يثيرها أعداء الدين بين كل فينة وأخري ونرد عليها من الكتاب والسنة بل ومن دينهم أيضا:

ولعل شبهة: مجازر حقوق الحيوان في عيد الأضحى. وما يتبعها من شبهات في طريقة النحر ومكان الذبح وطرق جمعها هي أكبر وأعظم شبهة يدندن حولها الجهال في الدين.

حيث نقلت وكالة قدس برس الإخبارية عن منظمة؛ حيوانات أستراليا؛ المتخصصة في الدفاع عن حقوق الحيوانات، في بيان لها: إن الخراف الأسترالية تعرضت لمعاملة وحشية خلال عيد الأضحى في دول شرق أوسطية، فيما ركز البيان على؛ الانتهاكات التي وقعت في الكويت، ونشرت المنظمة، صوراً عبر موقعها الإلكتروني، تم التقاطها في شوارع الكويت والبحرين خلال الساعات القليلة التي أعقبت أداء صلاة العيد.. وشدد البيان على أن الصور المعروضة "تبين أشكالاً من إساءة المعاملة التي

تعرضت إليها الأغنام، بما في ذلك حشرها في الصناديق الخلفية للسيارات، وتقييدها بطرق مؤذية وذبحها على الأرصفة".

وحمّلت منظمة "حيوانات أستراليا"، السلطات الأسترالية مسؤولية ما يجري للمواشي المصدرة إلى دول الشرق الأوسط، وطالبت بأن تتخذ تلك السلطات المزيد من الإجراءات "لحماية تلك الحيوانات"(١). ويواجه المسلمون في الغالب انتقادات من قبل جمعيات حماية حقوق الحيوانات، تتمثل في كون الطريقة التي يتم بها نحر الذبائح تتعارض مع المبادئ الإنسانية، خصوصا منها ما يصفه الناشطون بكون عملية الذبح تلحق أذى بالحيوانات وتجعلهم عرضة للتعذيب(٢).

وهذا نموذج لعدة مؤسسات ترعى حقوق الحيوان تندد بذبح الأضاحي وتعتبره انتهاكا لحقوق الحيوان وللرد على ذلك نشير إلى أن الاعتراض على أصل الذبح - حيث أكل اللحوم يتسبب في معاناة الحيوانات على مجال واسع- وعلى طريقة الذبح إذ يرون أن الصعق هي أفضل طريقة للذبح.

أما الاعتراض على أصل الذبح فهذا مردود عليهم إذ أن الاستفادة من الحيوانات في السلسة الهرمية الغذائية معترف بها في جميع الشرائع والأديان إذا كان الدين الإسلامي يشرع الأضحية فإنه يتشارك مع الديانات السماوية الأخرى في ذلك فقد ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس

---

(١) http: //www. taibanews. com/inf/news. php?action=show&id=8502.

(٢) http: //www. radiosawa. com/content/muslims-eid-activists-against-slaughter/213954. html، هل يفجر ذبح الأضاحي غضب جمعيات حقوق الحيوان في أمريكا، شبكة تلفزيون الشرق الأوسط © ٢٠١٤.

"وبنى نوح مذبحا للرب وأخذ من جميع البهائم والطيور الطاهرة بحسب الشريعة فأصعد محرقات على الذبح[1] . " وفي سفر التكوين ٢٢ ورد عن قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام" ورفع إبراهيم عينيه ونظر فرأى وراءه كبشا عالقا بقرنيه بين الشجيرات فأقبل على الكبش وأخذه وقدمه محرقة بدل ابنه "[2].فجميع الشرائع السماوية متفقة على هذا الأمر إذا فالفطر السليمة تقر بالذبح لبقاء الجنس البشري وعدم هيمنة الحيوانات على الأرض كما أن الديانات السماوية تقر بذلك فقد سخر الله الدواب لخدمة الإنسان والاستفادة من لحومها .

أما ماورد من طريقة الذبح عند المسلمين فنقول أن الطريقة المتبعة في الذبح عند المسلمين هي الطريقة السليمة صحيا للإنسان وحماية لحقوق الحيوان فإن الدين الإسلامي أمر المسلمين بالإحسان في الذبح بحد الشفرة وإراحة الذبيحة ويصف الدكتور أحمد صقر هذه الاتهامات بالباطلة، ويقول إن "الذي يتهمنا بتعذيب الحيوانات أثناء الذبح عليه أن يأتي بالدليل على اتهامه"، مشيرا إلى أن الطريقة الإسلامية في الذبح "تتضمن شروطا يجب الالتزام بها ولا يمكنها أن تعرض الحيوانات إلى التعذيب".

وأضاف أنه من بين الطرق التي يقترحها المعارضون للطريقة الإسلامية، تعريض الحيوان إلى صعقة كهربائية قبل ذبحه، مضيفا أن هذه الطريقة أثبتت بشأنها الدراسات أنها تمنع خروج الدم بصفة كاملة من جسم الحيوان، الأمر الذي يجعل أكل لحمها محفوفا بالمخاطر الصحية.

---

(١) الكتاب المقدس، سفر التكوين، ١٠.

(٢) المرجع السابق، ٢٥.

ويقدم الدكتور صقر ما يقول إنها دراسات علمية أثبتت أن تعريض الحيوان للصعقة الكهربائية قبل ذبحه "يسمح فقط بخروج أقل من ٨٥ في المئة من الدم من جسم الحيوان، فيما يتبقى ١٥ في المئة وهذه النسبة هي التي عادة ما تكون مصدرا للأمراض" يتفق نهاد عوض مع هذا الرأي، إذ يعتبر أن "التعامل مع الذبائح في الإسلام يتم بأسلوب إنساني ونظامي وصحي"، مضيفا أن "المسلمين من أرفع المجموعات التي تلتزم بحكم الأخلاق في التعامل الإنساني مع الذبيحة من حيث الرفقة والسلامة وعدم استخدام العنف"(١). كما أن الشروط المتبعة في اختيار الأضحية من حيث الجنس والسن وسلامتها تدل على الرحمة والرفق بالحيوان، وليس في ذلك أي تعد على الحيوان، وليس في ذلك أي ضرر عليه ولا على نسله، فالبشرية منذ بدء الخليقة وهم يتغذون على الحيوان والنبات، ومع ذلك فهي في تكاثر وتنامٍ وتزايد، ما لم يكن القتل عشوائياً، بلا هوادة ولا رحمة ولا تؤدة بالحيوان، فإن حصل ذلك فلا غرو أن تباد بعض السلالات، وتنقرض أخرى، وتتناقص ثالثة، لكن لما كان الأمر من الله جل وعلا، العالم بحقائق الأمور، وخفايا الصدور، واتباعاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا شك أن هناك حكمة علمها من علمها، وجهلها من جهلها، ومن أعظم ذلك أن في إزهاق روح بعض الحيوان تقرباً إلى الله، وفي بعضها دفعاً لأذاها، وهكذا تتضح الحكمة، وتزال الغشاوة ..... ثم يأتي الكفار والمنافقون

---

(١) http: //www. radiosawa. com/content/muslims-eid-activists-against-slaughter/213954. html، هل يفجر ذبح الأضاحي غضب جمعيات حقوق الحيوان في أمريكا، شبكة تلفزيون الشرق الأوسط © ٢٠١٤.

والمرجفون في الأرض ليثنوا الناس عن عقيدتهم ويشككوهم في دينهم، ويبعدوهم عن ثوابتهم، ومن أعظم ذلك ما تزيفه منظمة الرفق بالحيوان وما تدعيه باطلاً وزوراً من أن المسلمين يريدون أن يفنوا السلالة البهيمية، وسبحان الله، كيف لم تفن منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، حتى تفنى الآن، لقد أمرنا الله بذلك، وأمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر وهو إراقة الدماء تقرباً إلى الله تعالى في الحج بالهدي والأضاحي، وعند ميلاد المولود بالعقيقة، وغير ذلك من الأمور والعادات والتقاليد العربية الأصيلة، كقدوم الضيف، ووليمة العرس وغير ذلك .

فهل نتبع قول الله وقول رسوله، أم نركن إلى قول اليهود والنصارى وأذنابهم وأعوانهم، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[(٢)].

إنهم يخفون وراء ذلك أموراً كثيرة ومن أهمها وأعظمها شأناً، تشكيك المسلم في دينه، وزحزحته عن ثوابته، فمن شك في دينه وخصوصا" ما هو معلوم من الدين بالضرورة مثل أركان الإسلام وأركان الإيمان فقد كفر والعياذ بالله .

(١) سورة الأنعام ، الآية: ١١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

إن ما تدعيه مثل تلك المنظمات التنصيرية والتبشيرية ما هو إلا حقد وحسد على المسلمين، يريدون من ورائه أن يشرعوا لنا شرعاً غير شرعنا وقد قال تعالى: " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " . فالشرع شرع الله ورسوله، والحكم حكم الله ورسوله، والحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله(١) .

وسبق وذكرنا الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والتي تدعوا إلى الرأفة بالحيوان وإحسان ذبحة بل وحرمة سلخة حتى يبرد لحمه وذلك لاستكمال خروج الروح فأي رحمة يطلبها غير المسلمين من المسلمين بعد ذلك.

وقد أثبت الفقه الإسلامي للحيوان الحق في بقاء نوعه لذلك لا يجوز قتله أو ذبحه إذا كان ذلك يؤدي إلى انقراضه وفنائه وإن من مفاخر الإسلام العظيمة أن أول محمية طبيعية عرفتها البشرية كانت في الإسلام وهي مكة المكرمة(٢) .

والطب الحديث يثبت معجزة الدين الإسلامي في قضية نحر الحيوانات إذ بمجرد قطع العروق الدموية يصاب الحيوان بإغمائة فلا يشعر بشيء على عكس الوسائل الشنيعة الأخرى كالصعق بالكهرباء والضرب على الدماغ والإلقاء في الماء الحار حتى الموت. فالإسلام حريص على إبقاء النوع الحيواني وعدم انقراضه وذلك بتشريع عدة أمور منها: تمكين ذكور الحيوانات من تلقيح إناثها ليحصل التوالد والتكاثر حتى لا يفنى نوعها. والنهي عن إنزاء

---

(١) انظر: منظمة الرفق بالحيوان. . . تصادم شريعة الرحمن، يحيى بن موسى الزهراني، http: //www. saaid. net/Doat/yahia/8. htm.

(٢) حقوق الحيوان وضماناتها في الفقه الإسلامي، أحمد القرالة. مرجع سابق، ٢٣.

الحمر على الخيل والنهي عن أكل لحومها لأن ذلك يؤدي إلى انقطاع نسل الخيل أو تقليلها يقول ابن الجوزية: أنه نهى عن إنزاء الحمر على الخيل لأن ذلك ذريعة إلى قطع نسل الخيل أو تقليلها ومن نهيه عن أكل لحومها إن صح الحديث فيه إنما كان لأنه ذريعة إلى تقليلها[1].

(١) الأشباه والنظائر، السيوطي، تحقيق طه عبدالرءوف، (المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠١٢)، ص٢٥٧.

المطلب الثاني

أثر رعاية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين

عند توضيح اهتمام الدين الإسلامي بالحيوان ورعاية حقوقه وكون ذلك من مسلمات الدين الإسلامي والتي يتبعها المسلمون بدون اعتراض أو تخيير يؤثر ذلك تأثيرا إيجابيا في غير المسلمين من عدة نواح:

من ناحية العقيدة:

الدين الإسلامي دين متكامل لايقبل التجزأة لأن المسلم مطالب بتطبيقه كما ورد بلا تبديل أو تعديل، فمن تمام الاعتقاد الإيمان والتصديق الكامل بكل ماورد في الكتاب والسنة فعقيدة تهتم بكل تفاصيل الحياة ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾[2].

لهي كفيلة برعاية الإنسان والذي كرمه الله على باقي المخلوقات، وعند معرفة غير المسلم أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فإن ذلك كفيل بالتأثير عليه ودعوته للتعرف على العقيدة الإسلامية السمحة والتي اهتمت بكل مخلوق على وجه الأرضفقد روى ابن أبي خيثمة "أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالهر، وقال: إن امرأة عذبت في هرة ربطتها "

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٦.

وفي الصحيحين " دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض "(١) كما كان سبب لغفران ذنوب الموس فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قالت: كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك(٢)."

ولعل في عقيدة التوكل خير مثال على عناية الإسلام بالحيوان ففي الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"(٣). فهذا الحديث أصل في العقيدة ضرب به مثل الإنسان المتوكل على الله حق توكله بالطير التي تغدوا جائعة وترجع شبعة، فالرزق من الله للحيوان والإنسان فالتوكل هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة كلها.ومن أعظم ثمرات التوكل الرضاء بالقضاء والقدر(٤).

من ناحية الشريعة:

الشريعة الإسلامية لا تكتفي ابتقرير وبيان حقوق الإنسان فحسب؛ وإنما تقرر – أيضًا – وتبين حقوق الحيوان.

---

(١) غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، (مؤسسة قرطبة، سنة النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ط٢)، ص ٩٦.

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ، غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال كاد يقتله العطش، ٣١٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩) ١/٣٠، ٥٢.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ)، ص ٤٩٦.

وفي إطار هذا البيان تحث الشريعة على الإحسان إلى الحيوان؛ فقد روى مسلم في صحيحه بسنده قول النبي صلي الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).

وتحث الشريعة الغراء على إغاثة الملهوف، وتقديم العون له ولو كان كلبًا .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش! فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفهُ ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب! فشكر الله له، فغفر له! فقالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر)[1].

كما حددت الشريعة أنواع اللحوم المحرمة والتي ينبغي على المسلم عدم الأكل منها ففي قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

شريعة واضحة سلسة تدعو المسلمين إلى الحفاظ على النوع الحيواني وتحارب التطرف في التعامل مع الحيوان فلا إفراط ولا تفريط مدعاة لغير المسلم للإيمان وامتثال شرع الله .

والمتمعن في كتب الفقه يرى مدى عناية الشريعة الإسلامية بالحيوان فقد بوب في الكتب الكبرى في الفقه ابوابا في أحكام التعامل مع الحيوان فعلى سبيل المثال نرى المقدسي وضع فصولا عدة في أحكام التعامل مع الحيوان كلها من أجل رعاية حقوقه والحفاظ على نوعه(1) .

-من ناحية الأخلاق:

الأخلاق الإسلامية في التعامل مع الحيوان تثبت تفوقها على غيرها من الديانات فالأخلاق الإسلامية تمتاز بالشمول حيث تشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون، كما تمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها تشبع العاطفة وتقنع العقل وترضي القلب والوجدان، كما أن للأخلاق الإسلامية جانب شخصي وجانب اجتماعي، وقد حددت الرقابة الإلهية كضابط للأخلاق الإسلامية والتي راعت الجسد والروح معا وتميزت بصلاحها لكل العصور،ومن الأخلاق الإسلامية خلق الرحمة والذي لا يقتصر على رحمة المسلم بأهله وإخوانه ولا على جنسه بل تتعدى ذلك لتشمل جميع خلق الله

---

(1) انظر كتاب: الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، فقد وضع فصلا فيما يقال عند سماع نهيق الحيوان ونباح الكلب وصياح الديكة، وفصل في اتخاذ الطيور وفصلا في اتخاذ الطيور للتسلي بها، وفصل في جواز اتخاذ الكلب للصيد، وفصل فيما يستحب قتله منمن البهائم والحشرات، وفصل في كراهة اقتناء الصيد للهو، وفصل فيما يقال لحيات البيوت، وفصل في أحكام قتل الحشرات، وفصل في التخيير في قتل الضار، وفصل في كراهة إطالة وقوف البهائم المركوبة والمحملة فوق الحاجة.

حتى الحيوان والشواهد الكثيرة من الكتاب والسنة والمبنثوثة في هذا البحث لهي خير مثال على ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها[١]."

وعن الشريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من قتل عصفوراً عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول: يارب أن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة"[٢].

هذه هي الأخلاق الإسلامية والتي تعد الرفق بالحيوان من أساسياتها وأحد أركانها فإين المتأثرين بالحضارة الغربية عن مثل هذه الأخلاق[٣].

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه النسائي، في سنن النسائي، كِتَاب الضَّحَايَا، من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله عز وجل يوم القيامة، ٤٤٤٦.

(٣) انظر: أخلاقنا، محمد الجوهري، (دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط٨، ١٤٢٦هـ)، ص٣٠-١٣٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا سيد البشرية وإمام الدعاة وبعد... فقد تم هذا البحث ولله الحمد والمنة والشكر على أن وفقني لاختيار مثل هذا الموضوع البالغ الأهمية للمسلم وغير المسلم وقد وفقني رب العزة والجلال للاستفادة مما تم الاطلاع عليه من مواقع في الشبكة العنكبوتية والمراجع الخاصة بهذا الموضوع وقد خلصت من هذا البحث بعدة نتائج وتوصيات أذكر منها:

أولا: النتائج:

١- مصطلح حقوق الحيوان لا يعد مصطلحا غربيا بل سبقهم بذلك المسلمون.

٢- للحيوان حقوق عند المسلمين اهتمت بها الشريعة الإسلامية.

٣- للمسلمين السبق في رعاية حقوق الحيوان

٤- تفنيد الشبهه المثارة حول قسوة المسلمين في التعامل مع الحيوان.

٥- المسلمون برعايتهم لحقوق الحيوان يعملون على تطبيق ما أمرهم به دينهم الإسلامي .

٦- ليس للغرب السبق في رعاية حقوق الحيوان .

ثانيا: التوصيات:

١- لابد من البحث في مواضيع تهم المجتمع وتتواكب مع الزخم المعلوماتي المبثوث في وسائل الإعلام المختلفة .

٢- أوصي الدعاة بالتعمق في دراسة حقوق الحيوان في الشريعة الإسلامية .

٣- الداعية عليه أن يلم ويجمع كل ما من شأنه أن ينفع الدعوة ويشكل لها جسرا للوصول إلى النتائج المرجوة.

٤- تمحيص المواضيع التي تهم غير المسلم والنظر إلى المصادر الإسلامية وإبراز ماحوته من توصيات وتشريعات حول بعض الموضوعات التي يدندن حولها أعداء الإسلام لمعرفة الطرق السليمة للرد عليهم.

المصادروالمراجع

المراجع العربية:

١. القرآن الكريم

٢. الفقه الإسلامي، محمد يوسف .

٣. ابجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق عبدالجبار الزكار، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق - دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م).

٤. الاخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، السرجاني.
www.rasoulallah.net

٥. أخلاقنا، محمد الجوهري،(دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط٨،١٤٢٦هـ).

٦. الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الارناؤوط، (مؤسسة الرسالة،١٤١٩هـ).

٧. أسنى المطالب، الشربيني، تحقيق أكرم محمد زيادة، (الدار الأثرية، ط١، ٢٠٠٨).

٨. الأشباه والنظائر، السيوطي، (دار الحديث،ط١، ٢٠١٣).

٩. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت،).

١٠. البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان (ط١،١٤١٩هـ) .

١١. الترغيب والترهيب للألباني، (دار ابن رجب، ط١، ٢٠١٠).

١٢. التعريفات، الجرجاني،(دار الكتاب العربي،ط١،١٤٠٥هـ).

١٣. جــامع العلــوم والحكم،ابــن رجــب،(مؤسســة الرســالة،ب يــروت، ط٧،١٤٢٣هـ).

١٤. حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة النعمان، محمد أمين،(دار الفكر، بيروت،١٤١٢هـ).

١٥. الحق في الشريعة الإسلامية، محمد طمطوم، (دار السلام للطباعة والنشر، ط١،٢٠١٤).

١٦. الحق والذمة، علي الخفيف، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٤٥م).

١٧. حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق والضياع، محمود إسماعيل، (دار مجدولاوي، عمان،ط١،٢٠٠٢م).

١٨. حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة، يسري السيد،(دار المعرفة، بيروت، ط١،١٤٢٧هـ).

١٩. حقوق الحيوان في الإسلام دراسة فقهية مقارنة، توفيق العمري، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة ذمار، ٢٠٠٩م.

٢٠. حقوق الحيوان في الإسلام، عبدالواحد بوشداق، العدد٢٤، السنة الثامنة ٢٠١٣م، مجلة حوراء.

٢١. حقوق الحيوان وضماناتها في الفقه الإسلامي، أحمد القراله، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد ١، ١٤٣٠هـ.

٢٢. خطبة حقوق الحيوان في الإسلام، ناصر محمد الأحمد.
http://www.islamdoor.com/k/147.htm

٢٣. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله اللحيدان، (دار الحميضي، ط١٤٢٠،١هـ).

٢٤. رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين، (دار الكتب العلمية، بيروت).
٢٥. الرفق بالحيوان.. واجب شرعي والتزام قانوني، مقال للدكتور أحمد عبد الظاهر، أستاذ القانون الجنائي المساعد بجامعة القاهرة.
٢٦. سنن النسائي، النسائي،(مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١، ٢٠١٣).
٢٧. سيرة عمر بن عبد العزيز، محمد بن عبدالله عبدالحكيم، تحقسق أحمد عبيد، (عالم الكتب، بيروت، ط٦،١٤٠٤)
٢٨. الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، الدردير، (دار إحياء التراث،بيروت .
٢٩. صحيح البخاري، البخاري،(دار التأصيل،ط١، ٢٠١٤).
٣٠. صحيح مسلم،(دار التأصيل،ط١، ٢٠١٤).
٣١. غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، (مؤسسة قرطبة،سنة النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ط٢).
٣٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠١٤).
٣٣. الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، مصطفى الزرقاء، (مطبعة الجامعة السورية،دمشق،١٩٤٨م)
٣٤. الكتاب المقدس،العهد القديم والعهد الجديد، الاصدار الثاني للعهد القديم ط٤ والاصدار الرابع للعهد الجديد الطبعة الثلاثون (جمعية الكتاب المقدس، لبنان).
٣٥. لسان العرب، ابن منظور (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢،١٤١٧هـ).

٣٦. مجلة البحوث الإسلامية العدد الأربعون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤١٤هـ .

٣٧. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ).

٣٨. مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت).

٣٩. معايير حقوق الإنسان، دراسة مقارنة بين إعلان حقوق الإنسان في الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، عيسى الشامخ، (مكتبة الرشد،الرياض، ط١،١٤٢٥هـ).

٤٠. معجم الطبراني، الطبراني، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٤١. معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب مصطفى سانو (دار الفكر،بيروت،ط٣،١٤٢٧هـ).

٤٢. مفاهيم الحق والحرية في الإسلام والفقه الوضعي، عدي زيد الكيلاني، (دار البشير عمان، ط١،١٩٧٧م).

٤٣. الملكية في الشريعة، علي الخفيف، (دارالفكر، ٢٠١٣، ط١).

٤٤. من أسرار الحيوان في التعبير القرآني، طالب اسماعيل، (جمعية الدعوة، ليبيا).

٤٥. منظمة الرفق بالحيوان تصادم شريعة الرحمن، يحيى بن موسى الزهراني، http://www.saaid.net/Doat/yahia/8.htm

٤٦. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني،(دار القلم، دمشق،ط٤،١٤١٤هـ)

٤٧. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

البحث رقم (٦)

البرامج الدعوية في وزارة الدفاع وأثر إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية

إعداد

د. خالد بن إبراهيم الدبيان

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ورضي الله عن الصحب الكرام من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، ما بعد:

فإن العسكري ملزم كغيره من عباد الله تعالى بالتعبد بدين الله ظاهراً وباطناً، عقيدة وشريعة، حرباً وسلماً، سلوكاً وعبادة، انطلاقا من عموم قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

ومن هذا المفهوم ولشمولية تعبد الله تعالى بهذا الدين للعسكريين وغيرهم، فإن سن الأنظمة والقوانين التي تعين على هذا المقصد الأعظم مما قرره علماء الإسلام، فقرروا رحمهم الله بأنه (لو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ولا يزعهم وازع، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفنن الآراء، وتفرق الأهواء لانتثر النظام، وهلك العظام، وتوثبت الطغام والعوام، وتحزبت الآراء المتناقضة، وتفرقت الإرادات المتعارضة، وملك الأرذلون سراة الناس، وفضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، وفشت

(١) سورة الذاريات ، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام ، الآية: ١٦٢.

الخصومات، واستحوذ على أهل الدين ذوو العرامات، وتبددت الجماعات، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن)[1].

وأخبر الله في كتابه بأنه أنزل الكتاب والميزان فقال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[2] قال ابن تيمية رحمه الله عن دلالات هذه الآية: (أخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط. وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا)[3]. وممن يدخل في هذه الفئة الناصرة للدين بالسنان، العسكريون، وبين الفقهاء[4] رحمهم الله أمثلة الواجبات التي يقومون بها نصرة للمظلوم وانتصاراً للحق وأهله، وحماية لدين الله وحرمات المسلمين.

وتعتبر إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية الإدارة المعنية بالتوجيه الشرعي، والاستشارات الشرعية للقادة والمسؤولين في الوزارة. فبناء على القرار الإداري الصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة برقم ١٣٨٢ وتاريخ ١٣٩٢/٣/٢٥هـ، فإن من مهمة إدارة الشؤون الدينية:

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم-٢٣-الجويني-تحقيق: عبد العظيم الديب-مكتبة إمام الحرمين-ط: الثانية، ١٤٠١هـ.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -١٥٧/١٨.

(٤) انظر: المجموع-النووي-١٥٣/٢٠. الشرح الكبير-ابن قدامه-٤٥٨/١١.

١. تقديم المشورة في مجال تخصصها لسمو وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، ومعالي رئيس هيئة الأركان العامة، وجميع هيئات الوزارة وإداراتها.

٢. الدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبث روح الجهاد في صفوف القوات المسلحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن منطلق التناصح والتعاون على البر والتقوى، ومساندة لإخواننا الدعاة في القطاع العسكري، قدمت هذا البحث الذي هو بعنوان: (البرامج الدعوية في وزارة الدفاع وأثر إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية).

وبقراءة مجموعة من القرارات الصادرة عن القيادات العسكرية، في الوحدات والقطاعات العسكرية في وزارة الدفاع، قسمت البحث إلى ما يلي:

- **مقدمة.**
- **المبحث الأول: التنظيمات الإدارية في العمل الدعوي في وزارة الدفاع. ويتضمن ما يلي:**

  أولاً: تعريف بإدارة الشؤون الدينية والعاملين فيها.

  ثانياً: أبرز وسائل الدعوة التي تقوم بها إدارة الشؤون الدينية

- **المبحث الثاني: البرامج الدعوية في وزارة الدفاع من خلال القرارات الإدارية.**
- **وخاتمة:**

وتشمل أبرز التوصيات .

ومما ينبغي التنبيه إليه أن مراجعي ومصادري في البحث يغلب عليها القرارات الإدارية، وهي تخضع لكثير من التنظيمات الخاصة، سواء في إعداد الخطاب، أو رقمه، أو درجة السرية...الخ، والمراد من هذا التنبيه، ما يلي:

١. إن مراجع البحث المنصوص عليها في الحاشية، محفوظة لدي.
٢. أقف كثيراً عند بعض المصطلحات والعبارات، ولكن رغبة في التوثيق العلمي أكتبها كما جاءت.
٣. رغبة في عدم الإطالة أوجزت في بعض مفردات البحث لأن المقصود إبراز القرارات وتفعيلها.
٤. في التنظيم الإداري قدم القرار لا يعني إلغائه، فبعض القرارات الإدارية قديمة المصدر ولكنها سارية المفعول إدارياً وواقعياً

وأسأل المولى عز وجل أن يوفقنا إلى الصراط المستقيم، وأن يتغمد الله صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام بواسع رحمته، وأن يجعل ما قدم من أوامر، ونظم، وقرارات، في ميزان حسناته.

كما أشكر سعادة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، على تقديم المادة العلمية من القرارات الإدارية، وأخص بالذكر الأخوة الفضلاء في إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية، على مساعدتهم في تقديم المكاتبات الإدارية.

المبحث الأول

التنظيمات الإدارية في العمل الدعوي في وزارة الدفاع

أولاً:

التعريف بإدارة الشؤون الدينية والعاملين فيها

إن الدعوة والحسبة في صفوف الجيش من هدي رسولنا ﷺ ففي قصة إسلام ضماد[1] وبعد إسلامه وإسلام قومه قال النبي ﷺ له: ((وعلى قومك)) قال: وعلى قومي. قال: فبعث رسول الله ﷺ سريةً، فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة . فقال: ردوها، فإن هؤلاء قوم ضماد][2].

لقد احتسب الرجل على من معه في السرية بإعادة ما أخذوه من قوم ضماد، حيث إن قوم ضماد رضي الله عنه قد عصمت أموالهم بدخولهم إلى الإسلام.

وحينما وقف الصحابي الجليل المجاهد ربعي بن عامر أمام رستم قائد الفرس، دعاه إلى الله تعالى، وبين المقصد الذي من أجله سيرت جيوش المسلمين إليه ولغيره، ومجيباً على سؤاله (ما جاء بكم)؟ قائلاً له: (الله

(١) قال ابن حجر: ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة) وكان يرقى ويداوي من الريح فقدم مكة في أول الإسلام وله ذكر في حديث أخرجه مسلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة-٣/٤٨٦. والاستيعاب في معرفة الأصحاب-ابن عبدالبر.

(٢) صحيح مسلم-٣/١١-برقم (٢٠٤٥).

ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبله قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي)[1].

ومن الأدلة على ضرورة الدعوة إلى الله في الجيوش، ما رواه بريدة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر رجلا على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً: فقال (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا..)[2] الحديث .

وقد كان للعلماء الأجلاء أثرهم على العسكريين فمنذ تأسيس وتوحيد المملكة العربية السعودية، كان العلماء يرافقون جيش المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى، ويتولون مهمة التعليم والوعظ والاحتساب على أفراد الجيش.

فمن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب عليهم رحمة الله تعالى، فقد عينه جلالة الملك عبد العزيز قاضياً للجيوش مع جلالته -رحمه الله- فباشر ذلك وغزا مع الملك غزوات كثيرة وحضر معه فتح مدينة حائل سنة ١٣٤٠هـ.

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء-٢/ ٤٥٨- سليمان الحميري، أبو الربيع -دار الكتب العلمية - بيروت-ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) سنن ابن ماجة-٢/٩٥٣-برقم (٢٨٥٨).

وكما كان له الأثر الملموس في وعظ وتذكير الجيوش حينما تمكنت جيوش المؤسس رحمه الله على فتح مدينة الطائف ومكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ، وسار الملك عبد العزيز رحمه الله من نجد إلى مكة صحب معه الشيخ عبد الله قاضياً لجيشه فحضر معه الشيخ حصار جدة إلى أن تم تسليمها.

ولما جهز الملك عبد العزيز رحمه الله ابنه الملك فيصل رحمه الله لتأديب المتمردين في عسير والخارجين عن طاعة الملك عبد العزيز .. انتدب الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله رحمه الله واختاره مرافقا لابنه فيصل وقاضياً للجيش وذلك في شهر شوال آخر سنة ١٣٤٠هـ، فكان الملك فيصل رحمه الله يحترم الشيخ عبد الله ويعمل بمشورته. وقد تم لفيصل النصر ...وعاد فيصل ومعه الشيخ عبد الله إلى والده في الرياض في شهر جمادى الثانية ظافراً منتصراً[١].

ويستمر العطاء المبارك في القوات المسلحة فبعد إنشاء إدارة الأمور العسكرية في عهد الملك عبدالعزيز عين الشيخ علي بن عبدالله الغذامي رحمه الله، الذي التحق بالخدمة العسكرية برتبة جندي في ١٥/٥/١٣٤٨هـ، إماماً للجيش، وكان يساعده وينوب عنه أخوه الشيخ صالح بن عبدالله الغذامي رحمه الله.

ومن أهم الأعمال الدعوية التي كان يقوم بها بين أوساط منسوبي القوات المسلحة إضافة إلى الإمامة:

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم - ٢ / ١٩.

١. إجراء الاختبار لكل إمام جديد يطلب تعيينه في ألوية وشعب وفرق الجيش السعودي.

٢. التجوال داخل صفوف القوات المسلحة لإلقاء الدروس والمواعظ، ومن أهم جولاته الجولة التي قام بها في سنة ١٣٨٥هـ، بأمر وزير الدفاع والطيران على كافة المناطق العسكرية والقوات السعودية المرابطة في الأردن.

٣. إصدار النشرات والتوجيهات الدينية في المناسبات المختلفة، ومنها:

أ- نصيحة لعموم أفراد الجيش العربي السعودي ومن بلغه من غيرهم في عام ١٣٨٣هـ، ومما تضمنته هذه النصيحة من الاحتساب والنصح، (الحث على تقوى الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، والتحذير من التهاون بالصلاة وتأخيرها عن وقتها... والحث على إصلاح ذات البين، والتحذير من الإرجاف والتخذيل ومعاقبة من أتصف بذلك، وتوزيع المسؤولية بين أفراد الجيش...).

ب- نشرة بعنوان : (إن الدين عند الله الإسلام) وقد تضمنت الحث على التوحيد، والمحافظة على صلاة الجماعة في المساجد، ووجوب تعلم شروطها وواجباتها وأركانها التي لا تصح إلا بها..) وقد طبعت هذه النشرة بمطبعة الجيش عام ١٣٨٧هـ[1].

ومن أمثلة العناية بالعسكريين في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله إصدار قرار يحدد فيه مهمة الشؤون الدينية والذي بدأ بتعيين أئمة للوحدات

(١) الحسبة والدعوة -الدكتور عوض بن رويشد السحيمي-٢/٦٢٩.

العسكرية مع بداية تنظيم القوات العسكرية، وكانت أول واجبات الأئمة كما في النظام الداخلي للقوات المسلحة العربية السعودية، الصادر بموافقة الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى، وما ورد في الفصل الحادي عشر/المادة رقم (٣٩): (يرتبط الإمام بالآمر المنسوب من حيث الإدارة، ومكلف بما يأتي:

١. أداء الصلوات الخمس مع الجنود جماعة وتعليمهم القراءة والكتابة.
٢. تدريسهم أمور دينهم وفي مقدمتها العقيدة الصحيحة وشرحها لهم، ووعظهم وإرشادهم وتشويقهم للطاعة وحثهم على الفضيلة واجتناب الرذيلة.
٣. شرح الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة خصوصاً ما كان فيها طاعة لأولي الأمر والجهاد لإعلاء لكلمة الله، والدفاع عن الإسلام والعرض والنفس والمال[١].

لقد صدرت تنظيمات حديثة للوزارات والدوائر الحكومية في المملكة العربية السعودية، وشمل هذا التنظيم والتحديث وزارة الدفاع، حيث صدرت توجيهات صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران لمعالي رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة[٢] بإنشاء إدارة في وزارة الدفاع والطيران تعنى بأمور الدين .

(١) النظام الداخلي للقوات المسلحة العربية السعودية-الصادر بموافقة الملك عبدالعزيز رقم ٩٥/٨/١٠ في تاريخ ١٣٦٦/١/١١هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ١٣٨٢ في تاريخ ١٣٩٢/٣/٢٥هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة.

وقد بين في القرار الإداري المهام والواجبات المناطة بها، كما في كتاب معالي قائد القوات البرية. ومن أبرزها:

١. تقديم المشورة للقائد فيما يتعلق بالأمور الشرعية.
٢. إعداد البرامج والبحوث في مجال التوعية الإسلامية.
٣. نشر الوعي الإسلامي في صفوف الجيش، ومحاربة البدع والخرافات، وكل ما هو مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية.
٤. مناصحة، وإرشاد المتهاونين في أمر من أمور الشرع بالحكمة والموعظة الحسنة.
٥. العمل على عقد الندوات، والدروس، والمحاضرات ونحوها، التي من شأنها تفقيه العسكريين وتبصيرهم في أمور دينهم ودنياهم[1].

وبتوسع التنظيم العسكري في وزارة الدفاع وتنوعه تأسست إدارة شؤون دينية في كل قوة من أفرع القوات المسلحة في وزارة الدفاع، وهي كما يلي:

١. إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية
٢. إدارة الشؤون الدينية للقوات الجوية
٣. إدارة الشؤون الدينية للقوات البحرية
٤. إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي
٥. إدارة الشؤون الدينية لقوات الصواريخ الإستراتيجية.
٦. إدارة الشؤون الدينية للخدمات الطبية للقوات المسلحة

وفي كل إدارة من هذه الإدارات أقسام تتولى القيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى.

(١) القرار الإداري رقم ٣/٣٠/٢٢٢٦ وتاريخ ١٤/١٠/١٤١٥هـ والصادر من معالي قائد القوات البرية.

التعريف بالدعاة والمرشدين من منسوبي إدارة الشؤون الدينية:

فيما مضى تم التعريف بإدارة الشؤون الدينية، ومهام الإدارة وواجباتها بحسب التنظيم العسكري في وزارة الدفاع. ومن أجل أن يكتمل الدور الدعوي أعرف بمن يقوم بالدعوة إلى الله تعالى من ضباط ومرشدي الشؤون الدينية. والذين يعتبرون أحد الأركان الأساسية لقائد الوحدة ومستشاره في الشؤون الدينية، وذلك بحسب القرار الإداري الصادر من رئيس هيئة عمليات القوات البرية، والمصدق من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع(١).

ويشترط لتعيين ضباط التوعية الإسلامية، -وهم ممن يناط بهم الدعوة في وزارة الدفاع- على الوظائف الخاصة بالشؤون الدينية حصول الشخص على شهادة (الليسانس فما فوقها) بتقدير جيد، من كلية الشريعة، أو من كلية أصول الدين فقط.

ومن خلال مشاركتي في برامج الشؤون الدينية الدعوية، فإن الإدارة تضم في أقسامها الدعوية كفائت علمية متميزة، وقد كان ذلك بصحة القرار الإداري الصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران والقاضي بابتعاث عدد من العسكريين الحاصلين على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها إلى كلية الشريعة، أو كلية أصول الدين(٢).

كما تم صدور قرار إداري(٣) بفتح باب القبول للجامعيين من خريجي الكليات الشرعية في المملكة العربية السعودية، وقبولهم ليكونوا ضباطاً في

(١) القرار الإداري رقم ٣/٣/٢/١٩٩٠ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٣هـ. الصادر من رئيس هيئة عمليات القوات البرية.

(٢) القرار الإداري رقم ٣٧٧٤ وتاريخ ١٣٩٥/٧/١هـ. الصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران رحمه الله تعالى.

(٣) انظر: قرار مجلس الوزراء رقم ٨/٤٣٨ وتاريخ ١٤٠٥/٣/١٨هـ. و القرار الإداري رقم ٣٠٨٥/٥/٢ وتاريخ ١٤١١/٥/١هـ. الصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

أقسام التوعية الإسلامية بإدارات الشؤون الدينية، بعد أن يتم تأهيلهم عسكرياً لمدة (تسعة أشهر) وبعد ذلك يتولون المهام والواجبات الدعوية في الوحدات العسكرية.

ولم يقتصر الاختيار فقط على العسكريين، بل تعداه إلى المعلمين والمرشدين المدنيين، فقد رغبت وزارة الدفاع أن يكون اختيار معلمي العلوم الدينية من قبل الشؤون الدينية، وصدرت موافقة رئيس الديوان العام للخدمة المدنية على ذلك(١).

وبناء على القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية(٢)في تأسيس وتشكيل إدارة الشؤون الدينية وأقسامها، حيث تضمن تشكيل الإدارة قسم التوعية الإسلامية، ومن أبرز مهام وواجبات القسم ما يلي:

١. التخطيط لتوعية وإرشاد منسوبي القوات البرية وتبصيرهم بأمور دينهم بالوسائل المناسبة.
٢. إعداد البحوث والدراسات وتقديم المشورة لكافة الجهات والقيادات في القوات البرية في مجال تخصصها.
٣. عقد الدورات التدريبية الشرعية والتوجيهية والتنسيق مع الجهات ذات العلاقة عند الحاجة.

---

(١) القرار الإداري رقم ١٦٠٦ وتاريخ ١٨/٥/١٤١٠هـ. الصادر من رئيس الديوان العام للخدمة المدنية. وانظر القرار الإداري رقم ٢/١٠/٥٢٠ وتاريخ ٥/٦/١٤١٠هـ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

(٢) القرار الإداري رقم ١٩٦٢ وتاريخ ١٩/٩/١٤٠٦هـ الصادر من معالي قائد القوات البرية.

٤. بث روح الجهاد في سبيل الله بالمفهوم الصحيح وبيان فضل المرابطة والإعداد.

٥. تقوية الوازع الديني ورفع الروح المعنوية للمحافظة على الجاهزية القتالية.

٦. نشر منهج الوسطية والاعتدال ووضع الدراسات لمعالجة الانحرافات السلوكية.

ثانياً:

أبرز وسائل الدعوة التي تقوم بها إدارة الشؤون الدينية

من خلال القرارات الإدارية، والتوجيهات الصادرة من المسئولين في وزارة الدفاع، كان لإدارة الشؤون الدينية في القوات المسلحة عدداً من وسائل الدعوية إلى الله تعالى، الصادرة بالنظام الإداري، والمناسبة لحال المدعو من العسكريين.

ومن أبرز الوسائل الدعوية ما يلي:

أولاً) تأسيس مكتب يتولى مهمة تنظيم البرامج الدعوية في المناطق السكنية:

إن من أبرز الأدوار الأساسية في الدعوة إلى الله تعالى التي قامت بها إدارة الشؤون الدينية في المناطق والوحدات العسكرية، تأسيس جهة رسمية تتولى برامج الدعوة، وذلك نظراً لخصوصية المناطق العسكرية، وهذه الجهة أطلق عليها (مكتب التوجيه والإرشاد).

وصدرت الموافقة على تأسيس مكتب التوجيه والإرشاد من معالي رئيس هيئة الأركان العامة رقم ٢٣٩٤ وتاريخ ١٤١٨/٧/٥هـ، على توصيات اجتماع مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة بمديري أفرع الإدارة المتضمنة التأكيد على التوجيه الكريم من سمو وزير الدفاع والطيران بفتح مكتب للتوجيه والإرشاد بالمجمعات السكنية لفروع القوات المسلحة[1].

---

(١) القرار الإداري رقم ٣٠٨١ وتاريخ ١٤٢١/٨/٢٢هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة.

كما صدرت موافقة معالي رئيس هيئة الأركان العامة على توصيات مدير عام الشؤون الدينية للقوات المسلحة ومديري أفرع الشؤون الدينية والتي تتضمن إقامة مراكز التوجيه والإرشاد في المدن العسكرية والمجمعات السكنية بالمناطق[1].

وقد حددت إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع والطيران، مهام وواجبات مكتب التوجيه والإرشاد، الذي يرتبط إدارياً بمدير قسم الشؤون الدينية.

ومن هذه المهام والواجبات، ما يلي:

١. حث الناس على إقامة الشعائر الدينية.
٢. إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين العسكريين.
٣. الحث على الآداب والأخلاق الإسلامية والتمسك بها.
٤. تنظيم إلقاء الكلمات في مساجد المنطقة السكنية.
٥. استضافة الدعاة والعلماء لإقامة الدروس العلمية للساكنين.
٦. تفعيل دور المسجد وترسيخ الوازع الديني لدى العسكريين.
٧. نشر الوعي وبيان سماحة الإسلام داخل المدن العسكرية[2].

وأصبح ولله الحمد في كل منطقة عسكرية، ووحدة سكنية في وزارة الدفاع والطيران يوجد بها هذا المكتب المبارك الذي يتولى رسالة الدعوة، ويحرص على منفعة العسكريين وتقديم التوجيه والإرشاد لهم.

(١) محضر توصيات الاجتماع.

(٢) النشرة التعريفية عن مكتب التوجيه والإرشاد بمدينة الملك فيصل العسكرية بالجنوبية.

ثانياً) إنشاء مكاتب تتولى دعوة غير المسلمين:

لقد حكم الله في كتابه الكريم بأن الدين الإسلامي والذي جاء به نبيه محمداً ﷺ هو الدين المرتضى عند الله، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]، وحكم سبحانه بأن الإسلام هو الدين المقبول كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة، أنه قال: بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ، فقال: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول الله ﷺ، فناداهم، فقال: «يا معشر يهود، أسلموا تسلموا»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد، أسلموا تسلموا»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد»..)[3] الحديث.

والمجتمع العسكري كغيره من المجتمعات المختلطة التي يوجد فيها بطبيعة العقود الدولية، والمصالح المشتركة دول غير مسلمة، وهؤلاء في المنظور الفقهي الإسلامي لا يعيشون (على هامش المجتمع بل يشاركون ويخالطون أفراد المجتمع، وقد يسند إليهم بعض الأعمال التي هي من صميم عمل أهل الإسلام، فقد جوز الخرقي أن يكون الكافر من العاملين على الزكاة، وذكر

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) صحيح مسلم-٣/١٣٨٧-رقم (٦١).

في المغني أنها إحدى الروايتين عن الإمام أحمد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾[1]، وهذا لفظ عام يدخل فيه أي عامل على أي صفة كانت، ولأن ما يأخذ على العمالة أجرة لعمله فلم يمنع من أخذه كسائر الإجارات[2]. بل صرح الإمام الماوردي بجواز أن يتولى الذمي وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض[3].

لقد أطلق الإسلام على غير المسلمين الذين لهم ذمة (أهل الذمة) وعاملهم بها وهي تعني: العهد والأمان والضمان، والحرمة والحق وهو عهد منسوب إلى الله عز وجل وإلى الرسول ﷺ)[4].

ولذا فقد أصدر صاحب السمو الملكي وزير الدفاع قراره الإداري رقم ١/١/١/١٦٨١ وتاريخ ١٤١٣/٢/٢٧هـ، بأن تتولى إدارة الشؤون الدينية مهمة دعوة غير المسلمين، وبيان سماحة الإسلام وقيمه العظيمة.

وكان هذا التوجيه الكريم بناء على طلب من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة[5]، والمستند على التعميم الصادر من وزير الداخلية رقم ١٢/٤٨٧٤ وتاريخ ١٤١١/١٢/٧هـ، والقاضي بنشر الإسلام بين العمال الوافدين لهذه البلاد ومن غير المسلمين، ووجوب العمل بكل

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) المغني، ابن قدامه، ١٠٧/٤.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ٦٨.

(٤) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ١٦.

(٥) كتاب سعادة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة رقم ٢/١٠/٣٥٩ وتاريخ ١٤١٣/٢/٢٥هـ.

الوسائل الممكنة لترغيبهم في الإسلام، وتمكين من أسلم منهم إقامة شعائر الإسلام، أسوة بإخوانهم المسلمين وعدم التضييق عليهم.

إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في وزارة الدفاع تتم بتنظيم إداري وذلك عبر وسائل دعوية ناجحة أطلق عليها (مكاتب دعوة الجاليات) وقد آتت كلها المباركة، وبخاصة أثناء أزمة الخليج وتحرير دولة الكويت، نظراً لكثرة الوافدين إلى بلادنا الغالية فسارع إصدار الأوامر بتعريفهم بالإسلام.

وتم أقامت هذه المكاتب في جميع الوحدات العسكرية والقواعد الجوية، وكذلك في الخدمات الطبية، منتظمة في دعوتها قواعد هذا الدين بوجوب تبصير غير المسلمين شريعة الإسلام، والدعوة إلى الإيمان بنبينا ﷺ، القائل: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)[(١)].

وبالنظر إلى الدليل الإحصائي لعام ١٤٣٤هـ، والصادر عن مكتب دعوة الجاليات بقاعدة الرياض الجوية[(٢)]، يظهر لنا البعد الدعوي للمكاتب، حيث أقام المكتب المناشط التالية:

م	النشاط	الانجاز
١	عدد من أشهر إسلامه لعام ١٤٣٤هـ	٣٨
٢	عدد المحاضرات والكلمات	٥٠٩
٣	عدد الكتب التي تم توزيعها	٣١٠٠
٤	عدد المصاحف المترجمة التي تم توزيعها	٣٠
٥	عدد المستفيدين من رحلات العمرة	٦٧
٦	عدد المستفيدين من إفطار الصائمين	٥٠٠٠

(١) صحيح مسلم- ١/١٣٤-برقم (٢٤٠).

(٢) مكتب دعوة الجاليات بقسم الشؤون الدينية بقاعدة الرياض الجوية.

لم يقتصر دور مكاتب دعوة الجاليات في وزارة الدفاع على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، بل تعداه إلى رعايتهم بعد دخولهم في الإسلام، وتقديم البرامج الإسلامية كأداء مناسك الحج والعمرة، وزيارة المسجد النبوي الشريف، وإعداد برنامج الإفطار الرمضاني، وإقامة الدروس العلمية المناسبة لهم. وتلمس حاجاتهم المادية والمعنوية.

ثالثاً: تأسيس كرسي جائزة الأمير سلطان الدولية للدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم:

ومن ضمن الوسائل الدعوية في وزارة الدفاع تأسيس كرسي يعنى بالدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم، وقد صدرت موافقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع على اعتماد كرسي جائزة الأمير سلطان بن عبدالعزيز بالرقم ٣٠٠٧ وتاريخ ١٤٣٤/٣/١٨هـ.

إن تأسيس كرسي علمي يعنى بالدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم، يعتبر من أبرز الوسائل الدعوية المحمودة لإدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، فقد جمع بين البحث العلمي الأكاديمي والعمل العسكري، ليحقق الهدف الدعوي الأسمى وهو ربط العسكري بكتاب ربه تعالى، تلاوة، وحفظاً، وتدبراً، وتفسيراً، وتطبيقاً .

لقد حدد القرار الصادر في تأسيس الكرسي الأهداف من تأسيسه، ومنها:

١. تأصيل ودعم ونشر الدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم.
٢. إبراز جهود وزارة الدفاع في العناية بالقرآن الكريم في أفرع القوات المسلحة.
٣. بيان وسطية الإسلام في الجوانب العسكرية، وحقيقة نظرية الإسلام في السلم والحرب.

٤. نقد الآراء والمناهج المخالفة والغالية في مفهوم الجاهد في ضوء القرآن الكريم.
٥. تأصيل وتعزيز وغرس القيم العسكرية الإسلامية.
٦. التواصل مع المراكز والجهات الأكاديمية والبحثية المحلية والدولية حول الدراسات العسكرية[١].

رابعاً: تأسيس مكتبات داخل الوحدات العسكرية لأفرع القوات المسلحة

نظراً لما للكتاب الإسلامي من أثر عميق في فكر العسكري، تقويماً وتثقيفاً، فقد حرصت إدارة الشؤون الدينية على استثمار الكتاب كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وتم إصدار قرار من الجهات المعنية[٢] تضمن تأسيس مكتبة في كل وحدة عسكرية، وتتولى إدارة الشؤون الدينية إدارتها والإشراف عليها، وتقديم البرامج المرغبة للعسكريين بزيارة المكتبة.

وقد نص النظام الصادر عن مهام قسم المكتبة، بما يلي:

١. طباعة الكتب والنشرات حسب الاحتياج.
٢. الاشتراك في المجلات والدوريات الإسلامية.
٣. تزويد ضباط الشؤون الدينية بالكتب والمراجع المفيدة.
٤. تزويد منسوبي القوات البرية عموما بالكتب والمراجع حسب المتوفر والحاجة.
٥. توفير المطبوعات لوحدات الفوات البرية عموماً وخاصة في المناسبات والمواسم.

---

(١) الكتاب التعريفي بكرسي جائزة الأمير سلطان الدولية للدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم–إدارة الشؤون الدينية–١٤٣٤هـ.

(٢) القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية رقم ١٩٦٢ وتاريخ ١٤٠٦/٩/١٩هـ.

إن اختيار المادة العلمية للكتاب يتم بالتنسيق بين قسم البحوث والدراسات في إدارة الشؤون الدينية ورئيس قسم المكتبات، وهذا الاختيار يتضمن طباعة الكتاب أو توفيره من المكتبات التجارية وشرائه من ميزانية وزارة الدفاع.

كما يتولى قسم المكتبات برنامج إهداء الكتاب، وذلك باختيار بعض العناوين العلمية وإهدائها للقادة العسكريين، ولعموم العسكريين في الوحدات العسكرية، نشراً للمعرفة وتواصلاً مع القادة العسكريين.

والجدول التالي يبين أعداد الكتب التي تم توزيعها وصرفها في إدارة الشؤون الدينية للقوات الجوية على منسوبيها خلال الفترة من ١٤٣٤/١/١هـ حتى ١٤٣٤/١١/١٢هـ:

المكتبات الشخصية	المكتبات المركزية	المكتبات الرافدة	الكتب العربية	الكتيبات الأجنبية	المصاحف
١٥٣	٩	٢١	٨٦٥٢٠	١٥١٠	٦٩٠٤

وفي المعارض الدورية للكتاب تشارك إدارة الشؤون الدينية عن طريق قسم المكتبة بمطبوعاتها ومنشوراتها، كما تشارك أيضا بأبحاثها والمتعلقة بالدراسات الشرعية والمتعلقة بالعلوم العسكرية والتي اعتمدتها الجهات المختصة في ذلك.

خامساً: تأسيس جمعية الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم:

من أهم الوسائل الدعوية التي صدرت بقرار إداري في وزارة الدفاع، تأسيس جمعية تعنى بتعليم المنسوبين وأبناء المنسوبين كتاب الله تعالى، وهذا المبدأ انطلاقاً من قول النبي ﷺ:(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[(١)]، وقد تعتبر وزارة الدفاع هي الوزارة الوحيدة التي لديها جمعية خيرية تعنى بتعليم وتدريس القرآن الكريم لمنسوبيها صادرة بقرار الوزير.

ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله تعالى أول منطلقاتها تعليم القرآن الكريم، ولما للمجمعات السكنية العسكرية من خصوصية، فقد صدرت الموافقة المبدئية من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان وزير الدفاع والطيران والمفتش العام رقم ٦٤١/١/١/١ وتاريخ ١٤١٥/٢/١٧هـ على تأسيس الجمعية.

وقد أمر وزير الدفاع والطيران بتشكيل لجنة مكونة من إدارة الشؤون الدينية ومستشارين قانونيين بوضع تنظيم مفصل لها، وتم رفع التنظيم من معالي رئيس هيئة الأركان العامة برقم ٧٧٢/١٠/٢ وتاريخ ١٤١٥/٣/١٤هـ، وصدرت الموافقة النهائية على اللائحة المنظمة لنشاط وبرامج الجمعية بأمر وزير الدفاع والطيران والمفتش العام رقم ١١٤٥/١/١/١ وتاريخ ١٤١٥/٣/٢٣هـ، على تأسيس جمعية خيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وتسمى (جمعية الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم).

---

(١) صحيح البخاري-١٩٢/٦-برقم (٥٠٢٧).

ومن خلال لوائح ونظام الجمعية وكذلك مناشطها المختلفة يظهر الجانب الدعوي فيها، فمن واجبات الجمعية ما يلي:

١. تعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتجويداً، وما يتصل بذلك أو يتفرع عنه من أغراض.
٢. ما للقرآن الكريم من آثار عظيمة في إصلاح الفرد والمجتمع المسلم، ومحاربة الأفكار والمبادئ الهدامة.
٣. تأهيل بعض منسوبي الوزارة للمشاركة في المسابقات المحلية والدولية للقرآن الكريم، ممثلين لوزارة الدفاع والطيران.

وقد مرت الجمعية بمراحل تطويرية مختلفة، وأنشئ في جميع المدن العسكرية فروعا لها، كما شمل التطوير مهامها وواجباتها، وإحداث برامج دعوية مرتبطة بها، فمن ذلك:

١. إقامة ملتقى سنوي لأبناء منسوبي وزارة الدفاع والمتميزين في حلقات التحفيظ ولمدة (٥) أيام في الإجازة الصيفية وفي أحد المناطق السياحية لغرض استغلال أوقات فراغهم فيما يعود عليهم وعلى بلادهم بالمنفعة، والحفاظ عليهم من الأفكار المضللة والهدامة.
٢. إقامة مسابقة سنوية لجمعية تحفيظ القران الكريم على مستوى الجمعية بفروع الشؤون الدينية بالمناطق العسكرية وتكليف لجنة مقترحة لذلك.
٣. إقامة دورات تدريبية لإعداد المشرفين والمدرسين في حلقات تحفيظ القران الكريم بجمعية الأمير سلطان.
٤. عقد ملتقى قرآني بعنوان (أثر القرآن الكريم في رفع المعنويات لدى العسكريين) على إن يقام كل سنتين ولمدة ثلاثة أيام.

٥. إقامة دورة بعنوان (الأمن الفكري والعقائدي في القرآن الكريم والسنة النبوية) لمشرفي ومعلمي وطلاب أفرع الجمعية في المدن والقواعد العسكرية(١).

٦. المشاركة في الملتقيات والمؤتمرات التي تقام عن القرآن الكريم وعلومه في جميع مجالاته المختلفة والتي تقيمها الجهات الحكومية والجمعيات الخيرية داخل المملكة وخارجها .

سادساً: تكليف جميع القيادات العسكرية بالتعاون مع الدعاة والمرشدين:

إن استناد الدعوة إلى سلطة مادية، سواء أكانت بشرية أو نظامية وإدارية، هي من الأمور المقررة في النهج الدعوي للرسالة المحمدية ﷺ، وقد قال الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾(٢). قال قتادة، في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ (وإن نبيّ الله علم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عزّ وجلّ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم(٣).

ومما أثر عن الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)(٤). ومعنى (وزع): أي من يكف عن

(١) صدرت بالقرار الإداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة رقم ١٨٣٩ وتاريخ ١٤٢٩/٣/٨هـ ورقم ١٣٨٩ وتاريخ ١٤٣١/٣/١هـ ورقم ١٥٢٣ وتاريخ ١٤٣٢/٢/٢٩هـ.

(٢) سورة الإسراء: ٨٠.

(٣) تفسير الطبري-٥٣٦/١٧.

(٤) انظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث-:العامري، أحمد بن عبد الكريم الغزي-٦٠.

ارتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن يكفه مخافة القرآن والله تعالى . يقال : وزعه يزعه وزعا فهو وازع إذا كفه ومنعه[1].

وقد كان من أبرز أسباب قيام الدولة السعودية (الاتفاق بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب على " نصر دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ". وبذلك ضمن الشيخ القوة والسلطان في مؤازرة دعوته والعمل على إعلاء كلمة الحق سبحانه وتعالى، وحقق بذلك ما ورد في الأثر : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) [2].

ولاعتبار أن إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع الإدارة المعنية بالتوجيه الشرعي، والاستشارات الشرعية للقادة والمسؤولين في الوزارة فقد أدرك المسئولون في وزارة الدفاع الحاجة لمساندة دور الشؤون الدينية في تحقيق رسالتها السامية، ولهذا صدرت القرارات والتوجيهات بضرورة التعاون مع الدعاة والمرشدين في إدارة الشؤون الدينية وتسهيل مهمتهم، والوقوف بجانب الدعوة[3].

كما صدرت التوجيهات للقادة العسكريين للاستفادة من المعلمين في معاهد ومراكز ومدارس القوات المسلحة المختلفة، ومشاركتهم في الأنشطة والبرامج المختلفة والتي تقوم بها الشؤون الدينية في الوحدات العسكرية، ومن هذه الأنشطة:

---

(١) النهاية في غريب الأثر-أبو السعادات- ٥/ ٣٩٣.
(٢) الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة — ٤٠ - عبدالله التركي.
(٣) مجلة الجندي المسلم-السنة التاسعة (١٤٠٢هـ)-العدد ٢٥ ص: ٥٩.

١. المشاركة في تدريس دورات التوعية الإسلامية ومكافحة المخدرات والمسكرات.
٢. المشاركة في دورات الأئمة والمؤذنين.
٣. دورات تدريس القرآن الكريم لمنسوبي الوحدات العسكرية.
٤. المشاركة الفعلية في جميع الأنشطة التي تقوم بها فرع الشؤون الدينية وأقسامها(١).

سابعاً: التنسيق بين وزارة الشؤون الإسلامية والإدارة الدينية في المجال الدعوي:

إن من أبرز مقومات نجاح العمل الدعوي نشر ثقافة التنسيق بين المؤسسات الدعوية، وقد جاء التأكيد الرباني على أهمية ذلك في كتاب الله تعالى، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(٢).

قال الطبري في تفسير هذه الآية: (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، وليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضا -على البر-، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به - (والتقوى)، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه(٣).

ومن التطبيق العملي للتوجيه النبوي على ضرورة التشاور والتنسيق في العمل الدعوي، وصية الرسول ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل

(١) صدر بالقرار الإداري من معالي قائد القوات البرية رقم ٣/٣٠/٣٠٢٨ وتاريخ ١/١٢/١٤١٨هـ.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٣) تفسير الطبري ٩/٤٩٠.

رضي الله عنهما حينما بعثهما إلى اليمن، فقال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا»، فقال أبو موسى: يا نبي الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر، وشراب من العسل البتع، فقال: «كل مسكر حرام». فانطلقا، فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائما وقاعدا وعلى راحلتي، وأتفوقه تفوقا، قال: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، وضرب فسطاطا، فجعلا يتزاوران، فزار معاذ أبا موسى فإذا رجل موثق، فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتد، فقال معاذ: لأضربن عنقه) [(١)].

والعمل التنسيقي بين المؤسسات الدعوية أصبح في واقعنا المعاصر من الضروريات الدعوية، وذلك لتوفر ما يحقق التنسيق بينهما من الوسائل المعينة على ذلك، وأيضاً لتوسع المجال الدعوي وكثرة النوازل الدعوية التي يجب التشاور والتناصح بين الدعاة لحلها. وتناقل الخبرات الدعوية فيما بينهم.

ونظراً لأهمية التنسيق بين المؤسسات الرسمية والمتخصصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى في المملكة العربية السعودية، فقد رفع معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد كتابه رقم ٧٨٧/س وتاريخ ٢٥/١٠/١٤١٥هـ، إلى صاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام والذي يطلب فيه مشاركة إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة في لجنة التنسيق للعمل الدعوي بين المؤسسات الحكومية. وقد صدر القرار الإداري من صاحب السمو الملكي

(١) صحيح البخاري-١٦٢/٥.

وزير الدفاع رقم ١/١/٣/١١٦٩٧ وتاريخ ١٤١٧/١٢/١٩هـ، بشأن تخصيص إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة ممثلة لوزارة الدفاع في اللجنة التنسيقية المنظمة للبرامج الدعوية في المواقع الأمنية والقواعد والمدن العسكرية.

ثامناً: التواصل مع القيادات العسكرية العليا:

كما ذكرت سابقاً عند التعريف بإدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع، وأن صاحب السمو الملكي وزير الدفاع قد صادق على أن ضابط التوعية الإسلامية في الوحدات العسكرية يعتبر من أركانات القائد، ومستشاره في الشؤون الدينية[1].

ومن هذه المكانة فقد كان من وسائل الدعوة إلى الله لدى إدارة الشؤون الدينية، توثيق التواصل مع جميع القيادات العليا، وإحسان التعامل معهم، وفق الضوابط والقواعد المرعية في ذلك.

ومن هذا المنطلق فقد أصدرت الإدارة العامة لإدارات الشؤون الدينية للقوات المسلحة، وكذلك إدارة الشؤون الدينية في أفرع القوات المسلحة، قرارات إدارية تؤصل وتآزر الدعوة إلى الله تعالى صادرة بتوقيع القيادات العليا، وذلك بناء على ثقتهم بإدارة الشؤون الدينية.

والأمثلة على هذه الوسيلة كثيرة جداً، فمن ذلك أن إدارة الشؤون قد وضعت ضوابط لإدخال القنوات الفضائية في النوادي والمكاتب العسكرية،

(١) القرار الإداري رقم ٣/٣/٢/١٩٩٠ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٣ والصادر من رئيس هيئة عمليات القوات البرية.

وصدرت هذه الضوابط بتوقيع معالي رئيس هيئة الأركان العامة[1]. وتم العمل بموجبها ومحاسبة من يخل بشيء منها.

ومن الأمثلة أيضاً: القرار الإداري الصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة والقاضي بإلزام جميع الوحدات العسكرية التعليمية تدريس القرآن الكريم والثقافة الإسلامية لجميع مراحل التعليم في وزارة الدفاع، وأن تكون الإدارة العامة لإدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة مشرفة على تدريسها[2].

(١) القرار الإداري رقم ٢/٥/١١٢٣٢ في تاريخ ١٤١٨/١/٨هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) القرار الإداري رقم ٢/٣/٥/٥٥٩٧ وتاريخ ١٤١٤/٥/٩هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

المبحث الثاني

البرامج الدعوية في وزارة الدفاع ودور إدارة الشؤون الدينية في ذلك

في المبحث الأول تم استعراض أبرز الوسائل الدعوية في وزارة الدفاع، والصادرة بالقرارات الإدارية، وفي هذا المبحث سوف أبين أبرز البرامج الدعوية والتي تم تنفيذها للعسكريين، ودور إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية.

أولاً: الدعوة في مناسك الحج ودور إدارة الشؤون الدينية

١. تمكين المنسوبين من تأدية فريضة الحج:

كان للشؤون الدينية في برنامج الحج برامج دعوية واحتسابية مميزة، تبدأ بحث قادة الوحدات العسكرية بتمكين العسكريين بتأدية فريضة الحج لمن لم يحج، وقد صدر القرار الإداري من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة والموجه لمعالي رئيس هيئة الأركان العامة، بأنه التقى بعدد من الأفراد لم يسبق لهم أن أدوا فريضة الحج، وهو ركن من أركان الإسلام. وتمت المطالبة بتمكين من لم يؤد فريضة الحج بسبب المرابطة أو أعمال عسكرية أخرى أن يمكنوا من أداء واجبهم، وتأدية فريضة دينهم[١].

---

(١) القرار الإداري رقم ٢/١٠/١٦٢٠ في تاريخ ١٠/٥/١٤٠٧هـ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

٢.إعداد برنامج شامل لتوعية الحج:

تعتبر فريضة الحج من أبرز المواسم التي يحرص الداعية على أن يبلغ فيها دين الله تعال، وقد كان النبي ﷺ، قبل الهجرة يستثمر هذا الموسم، فعن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»، فأتاه رجل من همدان فقال: «ممن أنت؟» فقال الرجل: من همدان قال: «فهل عند قومك من منعة؟» قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم، فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل، قال: «نعم»، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب)[(١)].

وقد قال الله تعالى عن الحج: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[(٢)]، و(المنافع التي يشهدها الحجيج كثير. فالحج موسم ومؤتمر. الحج موسم تجارة وموسم عبادة. والحج مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعا ون. وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة.. أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقا رائجة، حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء.. من أطراف الأرض ويقدم الحجيج من كل فج ومن كل قطر، ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم. يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد. فهو موسم تجارة ومعرض نتاج وسوق عالمية تقام في كل عام.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ٢٣/ ٣٧٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٨.

وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام. وهي ترف حول هذا البيت وتستروح الذكريات التي تحوم عليه وترف كالأطياف من قريب ومن بعيد)[1].

ومن هذا المفهوم عن شريعة عبادة الحج واستثمارها في تبليغ فقد أصدر القرار الإداري من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع[2]، بأن تتولى إدارة الشؤون الدينية توعية الحجاج من منسوبي وزارة الدفاع والطيران، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في معسكرات وزيارة الدفاع والطيران، حيث تقام ثلاث مخيمات، بالإضافة إلى ضيوف صاحب السمو الملكي وزير الدفاع ونائبه.

إن هذه المخيمات الثلاث مخيمات خاصة بضيوف ومنسوبي وزارة الدفاع، وتتولى إدارة الشؤون الدينية الحسبة فيها، وذلك ضمن برامج ولجان معدة مسبقاً لذلك، وقد كان من توفيق الله علي مشاركتي لعامي (١٤٣١و١٤٣٢هـ) في برنامج الحج.

وقد أعدة إدارة الشؤون الدينية خطة علمية، شاملة للموارد البشرية والمالية والمادية، كما تم تقسيم عدد من اللجان تتولى برامج الحج من المحاضرات والكلمات والفتاوى، وتوزيع الكتب والمطويات على المشاركين في مخيمات وزارة الدفاع وغيرهم من الحجاج.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٤١٩.

(٢) القرار الإداري رقم ١٢٨٩ في تاريخ ١٣٩٧/٦/٢١هـ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

ويبدأ البرنامج العلمي للحج من تاريخ ١٢/١ وينتهي بتاريخ ١٢/١٥ وقبل توافد الحجيج تقوم إدارة الشؤون الدينية بتوعية والاحتساب على الوحدات العسكرية المشاركة في الحج والتابعة لوزارة الدفاع والطيران.

ومنذ يوم السابع من ذي الحجة تبدأ البرامج العلمية لضيوف معسكرات وزارة الدفاع، حيث يوجد في كل معسكر مسجد يكون من خلاله انطلاقة أنشطة الشؤون الدينية.

ويتولى إلقاء الكلمات والإجابة على استفسارات الحجاج، من ضباط ومرشدي الشؤون الدينية، كما تم التنسيق مع عدد من أعضاء هيئة كبار العلماء لاستضافتهم في برنامج الكلمات والفتاوى. كما تتولى إدارة الشؤون الدينية برامج توعوية في عرفة.

ثانياً: إصدار مجلة تعنى بالثقافة والعلوم العسكرية بنظرة شرعية:

لقد أدركت إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع أهمية الجانب الإعلامي، وأثره على العسكريين، ولذا فقد صدر قرار إداري بإنشاء مجلة إسلامية عسكرية، تعنى بتثقيف العسكري في أمور دينه ودنياه، وتجيب على استفساراته، وقد صدر القرار الإداري من الأمر السامي الكريم الصادر من ديوان رئاسة مجلس الوزراء والموجه إلى معالي وزير الإعلام[1].

ومما جاء في أول أعداد (**مجلة الجندي المسلم**) كلمة فضيلة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، المشرف العام على المجلة، قوله: (.. إنها خطوة مباركة سوف يعقبها خطوات أخرى بإذن الله وإن الذي

(١) القرار الإداري رقم ٧٧١/٧/م وتاريخ ١٤٠٤/٢/٩ والصادر من المقام السامي الكريم.

يدفعنا ويشجعنا على العمل وعلى مضاعفة الجهود هو ما نراه من حرص المسئولين ورغبتهم الأكيدة في نشر الفائدة وبث الوعي الإسلامي الصحيح بين أفراد ومنسوبي هذه الوزارة ومما يدل على ذلك هو تأسيس هذه الإدارة وتكليفها بأعباء مسؤولية الدعوة إلى الله ومحاربة الأفكار الهدامة والمبادئ المضللة والدعوات المنتشرة على يدي أعداء الإسلام) .

إن مجلة الجندي المسلم، مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر، أي إنها تصدر أربع مرات في السنة الواحدة، ورغبة من إدارة الشؤون الدينية أن يعم نفعها للمسلمين عامة، فقد طلب مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة بكتابه الموجه[1] إلى معالي رئيس هيئة الأركان العامة الإذن بإنزال المجلة للبيع في الأسواق المحلية، وصدرت موافقة معاليه على ذلك[2].

وما زال للمجلة دور بارز في الدعوة إلى الله تعالى من خلال مقالاتها، وكذلك أبوابها الثابتة، أو ما تصدره المجلة من ملاحق علمية تتناول الجوانب الدعوية والتي تهم بصفة الخصوص العسكريين، كما كان للمجلة الدور البارز بإظهار العسكرية الإسلامية بمظهرها الصحيح، وذلك من خلال سيرة القادة الفاتحين وجنوده المخلصين.

ثالثاً: المشاركة في المعارض الدعوية:

ومن البرامج الدعوية مشاركة إدارة الشؤون الدينية بجميع أفرع القوات المسلحة، وكذلك الخدمات الطبية بالمعارض الداخلية والخارجية، ومن خلال

(١) انظر كتاب مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة رقم ٢٢٨٥ وتاريخ ١٤٠٣/٧/١٤هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ٥٤٨٢ وتاريخ ١٤٠٣/٧/٢٥ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

هذه المعارض تبرز إدارة الشؤون الدينية دورها ومنهجيتها في الدعوة إلى الله تعالى، عبر اللوحات والمطبوعات والمطويات، وكذلك المشاركة في أوراق العمل العلمية.

ومن أبرز هذه المعارض المعرض الذي تشرف على تنظيمه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ويعنى بالوسائل الدعوية وهو معرض (كن داعياً).

وقد تم إصدار قرار إداري للسماح بإدارة الشؤون الدينية المشاركة في معرض (كن داعيا)، حيث أصدر صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران، موافقته للمشاركة في معرض (كن داعياً) في دورته الثالثة عشرة[1]، وذلك بناء على كتاب معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد[2].

ومن خلال هذا المعرض تم نقل تجربة إدارة الشؤون الدينية في دعوة العسكريين إلى الله تعالى، وتبصيرهم لأمور دينهم، وقد استفادت القطاعات العسكرية الأخرى من هذه التجارب.

رابعاً: عقد دورات تدريبية في العلوم الشرعية:

من أبرز ما يميز التنظيم العسكري، التطوير المستمر لمنسوبيه في أداء المهمة، ولهذا فقد استثمرت إدارة الشؤون الدينية هذا المجال بتوعية الجانب الديني، والتحذير من المخالفات الشرعية عبر الدورات الشرعية.

فمن المكاتبات الإدارية في هذا المجال الكتاب الصادر من معالي قائد القوات البرية بشأن إبراز مهمة الشؤون الدينية والمتمثلة بعقد الدورات

---

(١) القرار الإداري رقم ١٦٤٨٠/١/١/١ وتاريخ ١٤٣٢/٤/٢ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

(٢) انظر كتاب معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد رقم ٩٥٦/١/٧ وتاريخ ١٤٣٢/٣/٢٧هـ.

والندوات والدروس والمحاضرات ونحوها التي من شأنها تفقيه المنسوبين، وتبصيرهم في أمور دينهم ودنياهم[1].

ومن المكاتبات الإدارية في هذا الشأن كتاب مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة المتضمن طلب إدراج التوعية الإسلامية بصفة دائمة في التوجيه التدريبي للقوات المسلحة[2]، وتم استحسان وقبول المسئولين في وزارة الدفاع لهذا المطلب، وتم اعتماده والعمل به.

كما أصدر سعادة قائد المنقطة الشمالية قراراً إدارياً يلزم بعض العسكريين، حضور دورات علمية تعقدها الشؤون الدينية في المنطقة، وتخصص هذه الدورات في علوم الدين الأساسية، وبعض العبادات من أداء الصلاة والطهارة لها، وكذلك تعلم تلاوة القرآن الكريم لما ظهر على بعض العسكريين اللحن الجلي[3].

خامساً: تخصيص جزء من التعليمات اليومية للشؤون الدينية:

ضمن التنظيمات العسكرية قبل البدء في اليوم العسكري، تقام حصة في بداية البرنامج اليومي للعسكريين، وتشمل جميع منسوبي الوحدات العسكرية، وتتضمن هذه الحصة بعض التوجيهات والتدريبات العسكرية، ورغبة في استثمار التواجد العددي الكبير للعسكريين فقد أصدر معالي قائد القوات البرية بتخصيص جزء من الحصة الصباحية للشؤون الدينية، تستثمر بالتوجيهات والنصائح الدينية النافعة لهم[4].

---

(١) القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية رقم ٢٢٢٦ وتاريخ ١٤/١٠/١٤١٥هـ.
(٢) القرار الإداري رقم ١٧٢٢ في تاريخ ١٠/٦/١٤١٤ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.
(٣) القرار الإداري رقم ٣/١٨/١٧/٦٠٥ في تاريخ ٩/٤/١٤٢٧ والصادر من قائد المنطقة الشمالية.
(٤) القرار الإداري رقم ٣/٣٠/١٧٥٨ في تاريخ ٧/٥/١٤٢٧ والصادر من معالي قائد القوات البرية.

سادساً: استثمار البرامج العالمية والمناسبات الدولية للدعوة إلى الله تعالى:

ومن البرامج الدعوية التي قامت بها إدارة الشؤون الدينية استثمار البرامج العالمية، والمناسبات الدولية وذلك لغرض الدعوة إلى تعالى، وإبراز محاسن الدين، وبيان قيمه ومبادئه.

لقد سلكت إدارة الدينية على هدي النبي ﷺ، باستثمار مجمعات الناس ومناسباتهم ليدعوهم إلى الله تعالى، فقد ذكر ابن اسحاق أن الرسول ﷺ، (كان يعرض نفسه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به) [(١)].

ومن هذه البرامج اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، حيث تم إصدار قرار إداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة في توعية المنسوبين بأضرار المخدرات والمسكرات، وأن تتولى إدارة الشؤون الدينية إقامة المحاضرات والندوات حسب الإمكانيات المتوفرة، وتخصيص خطبتي صلاة الجمعة للتوعية بأضرار المخدرات والمسكرات[(٢)] وبيان خطرهما على الدين والعقل والنفس والمال والعرض.

سابعاً: عقد دورات لبرامج شرعية محددة:

من الوسائل التي سلكتها إدارة الشؤون الدينية بتطبيق الدعوة إلى الله تعالى، إقامة دورات تدريبية ضمن برنامج شرعي محدد، وقد صدر القرار

(١) سيرة ابن هشام -١/٤٢٢.

(٢) البرقية الصادرة من معالي رئيس هيئة الأركان العامة-رقم ١٠٩٦ وتاريخ ٣/٦/١٤٣٠هـ.

الإداري من معالي قائد القوات البرية، والمتضمن مهام وواجبات الشؤون الدينية والتي من ضمنها كما في فقرة (ش): (الإعداد لعقد دورات توعية لمنسوبي القوات البرية، والاستعانة بمن تدعو الحاجة لهم في ذلك)[1].

وهذه الدورات إلزامية المشاركة فيها، فمن هذه الدورات التي عقدتها الإدارة في جميع أفرع القوات المسلحة، ما يلي:

١. دورة التوعية الإسلامية بإضرار المخدرات والمسكرات، ومدة هذه الدورة شهر كامل، يتخللها فقرات وعظية، وزيارات ميدانية لبعض المستشفيات المتخصصة. وقد تم صدور القرار الإداري لدورة التوعية الإسلامية بإضرار المخدرات والمسكرات بموافقة معالي رئيس هيئة الأركان العامة[2]، وتم إحداث منهج علمي لهذه الدورة، وقد تشرفت بالتدريس لعدد من الدورات.

٢. دورة في مهارات الإلقاء وفن التأثير: ومن هذه الدورات المنظمة، دورة في مهارات الإلقاء وفن التأثير، ومدة هذه الدورة خمسة أيام، وقد صدر القرار الإداري لهذه الدورة من معالي قائد القوات البرية، كما في كتاب مدير إدارة الشؤون الدينية[3].

٣. دورة لضباط الشؤون الدينية لمدة سنة دراسية: لقد صدر القرار الإداري بعقد دورة في العلوم الشرعية وتخص ضباط الشؤون الدينية في وزارة

---

(١) القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية رقم ١٤١٢/٢/٣/٣ وتاريخ ١٤١٥/١٠/١٣هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ١٤٤٨ في تاريخ ١٤١٥/٣/٢٠ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٣) القرار الإداري رقم ١٤٠٠/٣٠/٣ في تاريخ ١٤٢٦٤/٤/٢٧ والصادر من مدير إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية.

الدفاع، وتعقد هذه الدورة سنويا مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وذلك بناء على القرار الصادر من مدير إدارة تدريب القوات المسلحة(1).

ثامناً: إقامة المسابقات الثقافية بين الوحدات العسكرية ورصد الجوائز:

حرصت إدارة الشؤون الدينية على تنوع البرامج الدعوية في القطاعات العسكرية، وذلك بما يتناسب مع البيئة العسكرية، ومن هذه البرامج إقامة مسابقات ثقافية بين الوحدات العسكرية، وتم رصد جوائز لها.

وقد صدر القرار الإداري بذلك من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران(2)، والمبلغ به جميع أفرع القوات المسلحة عن طريق معالي رئيس هيئة الأركان العامة(3).

تاسعاً: العناية بالمبتعثين من العسكريين للدراسة في الخارج:

قد تضطر وزارة الدفاع إلى إرسال بعض العسكريين للدورات الخارجية، فرغبة في تثقيف المبتعث للخارج لأصول دينه، وتعزيز مفهوم الانتماء لدينه وقيمه وبلاده، فتقيم إدارة الشؤون الدينية، برنامجاً توعوياً للمبتعثين، وذلك بعقد دورة في توجيه المبتعث للخارج من العسكريين، وقد صدر القرار الإداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة، والذي يلزم جميع الوحدات العسكرية التي ستبتعث منسوبيها للخارج بحضور دورة الشؤون الدينية(4).

---

(1) القرار الإداري الصادر رقم ١٩٤ وتاريخ ١٤١٨/١/٦هـ.

(2) القرار الإداري رقم ١٤٦٨/٢/١/١ في تاريخ ١٤١٤/٦/١٥ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع.

(3) القرار الإداري رقم ١٩٩٩ في تاريخ ١٤١٤/٦/١٥ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(4) القرار الإداري رقم ٤٢٧٢/٥/٢ في تاريخ ١٤١٧/٦/١٦ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

ومما يتناول في هذه الدورة والتي مدتها خمسة أيام، الجوانب العقائدية المؤصلة بالكتاب والسنة، والرد على كثير من الشبه التي تثار في بلاد الغير مسلمة، (كمثل تعدد الزوجات، نقد بعض أحكام الشريعة، قضايا المرأة...) الخ من الموضوعات والشبهات.

عاشراً: إعداد برامج تطوير أداء الدعاة من منسوبي إدارة الشؤون الدينية:

لقد أولت إدارة الشؤون الدينية الاهتمام بالقائمين على الدعوة من منسوبيها، وأقامت برامج لتطوير الأداء، ومن هذه البرامج عقد دورات شرعية متخصصة في مجال الأمن الفكري، لمنسوبي الإدارة من ضباط ومرشدين ومدرسي العلوم الشرعية في إدارات الشؤون الدينية.

وقد صدر القرار بعقد هذه الدورة ولتي مدتها شهر، من صاحب السمو الملكي مساعد وزير الدفاع والطيران[1]، وتعقد في السنة مرتين، ويستضاف لها أعضاء من هيئة كبار العلماء، ومن أساتذة الجامعات من المتخصصين في الدراسات العقائدية والفكرية.

ومن برامج تطوير الأداء أيضاً أصدر مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة قرارا إدارياً ينص على الموافقة التحاق ضباط التوعية الإسلامية بالدراسات العليا[2]. ومن فوائد هذا القرار أصبحت تحتوي

(١) انظر: القرار الإداري الصادر من صاحب السمو الملكي مساعد وزير الدفاع والطيران للشؤون العسكرية- رقم ٩٧٧/٢/١/١ وتاريخ ١٤٢٧/١١/١هـ . القرار الإداري رقم ٦٩٥٠/٥/٣/٢ في تاريخ ١٤٢٦/٤/٢٤ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) القرار الإداري رقم ٨٢٨/١٠/٢ في تاريخ ١٤٠٣/٣/٢٤ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

أنشطة إدارات الشؤون الدينية عدداً من ضباط التوعية الحاصلين على درجة الدكتوراه والماجستير.

ومن العناية بالمنسوبين عقد دورة الأئمة والخطباء من العسكريين والمدنيين في الإسكانات والوحدات العسكرية، وتعقد هذه الدورة بالمعهد العالي للأئمة والخطباء، بجامعة طيبة، وتم إصدار القرار الإداري لهذه الدورة(١).

الحادي عشر: إقامة جولات دعوية للوحدات العسكرية:

من المهام الأساسية لضباط التوعية الإسلامية والمرشدين في إدارة الشؤون الدينية، مناصحة، وإرشاد المتهاونين في أمر من أمور الشرع بالحكمة والموعظة الحسنة. وكذلك العمل على عقد الندوات، والدروس، والمحاضرات ونحوها، التي من شأنها تفقيه العسكريين وتبصيرهم في أمور دينهم ودنياهم، والتنسيق في تبادل الزيارات الميدانية لضباط التوعية الإسلامية(٢).

ومن البرامج الناجحة في الدعوة إلى الله إعداد برنامج مجدول، لعدد من المرشدين وضباط التوعية للقيام بالجولات الدعوية، في المدن العسكرية، والقواعد الجوية. وتتولى إدارة الشؤون الدينية التنسيق بين الدعاة وبين الجهات المزارة من الوحدات العسكرية، وتكون كل جولة دعوية لمدة خمسة أيام فأكثر.

---

(١) القرار الإداري رقم ٣/٣٠/١٧٧٢ في تاريخ ١٤٣١/٣/٢٢ والصادر من مدير إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية.

(٢) القرار الإداري رقم ٣/٣٠/٢٢٢٦ وتاريخ ١٤١٥/١٠/١٤هـ والصادر من معالي قائد القوات البرية. وانظر: مهام وواجبات وارتباطات إدارة الشؤون الدينية في القوات البرية والأقسام التابعة لها-٩.

كما صدر قرار إداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة، السماح لضباط التوعية الإسلامية، الذين في دورات أو زيارة أو انتداب بالدعوة إلى الله تعالى[1].

الثاني عشر: إقامة لقاء سنوي لضباط التوعية في المناطق العسكرية:

إن الداعية إلى تعالى في دعوته يهتم أكثر بالبحث عن المعين والناصر له في دعوته، ولذا فقد قال الله تعالى عن نبيه عيسى ﷺ، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، فهو قد سأل وبحث عن الأعوان (على المكذبين بحجة الله، والمولين عن دينه، والجاحدين نبوة نبيه إلى الله عز وجل)[3].

ولذا تحرص إدارة الشؤون الدينية على العمل الدوري لرعاية الدعاة، وذلك من خلال عقد لقاء سنوي لضباط التوعية في المناطق العسكرية، وقد صدر قرار إداري لهذا اللقاء المبارك[4]. والذي يتم فيه عرض أبرز الأفكار الجديدة لوسائل الدعوة إلى الله تعالى، وإعداد دراسات عن بعض الظواهر التي قد تظهر على بعض العسكريين.

---

(١) القرار الإداري رقم ٢/١٠/٢٨٩ وتاريخ ١٤٠٤/١/٢٦هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة. وانظر برنامج أحد الجولات الدعوية، والصادر بموافقة معالي رئيس هيئة الأركان العامة رقم ٩٤٩ وتاريخ ١٤٢٨/٢/١٦هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٥٢.

(٣) تفسير الطبري = ٥/٤٣٦.

(٤) القرار الإداري من سعادة قائد المنطقة الجنوبية رقم ٣/١٧/١١/٢٩٤ وتاريخ ١٤٢٨/١/٢٣هـ.

ومن أمثلة هذه الدراسات والتي تمت موافقة صاحب السمو الملكي مساعد وزير الدفاع والطيران للشؤون العسكرية عليها[1]، دراسة علمية عن: (أهمية إدارة الشؤون الدينية في محاربة الأفكار المنحرفة الدخيلة ومعالجتها بطريقة حكيمة، وفق رؤية شرعية).

الثالث عشر: إقامة برامج ثقافية في الوحدات العسكرية والإسكانات العسكرية ضمن خطة دورية:

إن الوحدات والإسكانات العسكرية تتميز بخصوصية، تختلف عن بقية المنشآت الأخرى المدنية، فقد حرصت إدارة الشؤون الدينية على تنفيذ عددا من البرامج الدعوية، مع مراعاة الخصوصية للوحدات العسكرية.

وقد صدر قراراً إدارياً من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع بإقامة خيمة دعوية في الإسكان العسكري[2]، وتتضمن هذه الخيمة الجوانب الوعظية، والتحذير من المخالفات العقائدية كالسحر والشعوذة، ووسائل الشرك، ومما تتضمنه الخيمة الدعوية التحذير من المسكرات والمخدرات، مع بيان أسباب الوقوع في المعاصي، وطرق العلاج الثابتة بالكتاب والسنة. وتمتد فائدة هذه الخيمة إلى عوائل العسكريين في الإسكان، وكذلك الأبناء من ذكور وإناث.

كما أقامت الإدارة موسماً ثقافياً دورياً، تلقى فيه بعض المحاضرات والندوات، يستفيد منه العسكريون، ومن ضمن برنامج الملتقى توزيع الكتب

---

(١) القرار الإداري رقم ٢/٥/٢٠٠٨ في تاريخ ١٤٢٥/٣/٣٠ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) القرار الإداري رقم ٢/١/١/٤٩٤ في تاريخ ١٤١٩/٦/٢٨ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع.

والمطويات والأشرطة التي تعالج كثيراً من المخالفات العقائدية والسلوكية والمالية لدى بعض العسكريين. وقد أصدر قرار إداري بهذا المنشط المبارك[1].

الرابع عشر: استضافة العلماء والدعاة من خارج وزارة الدفاع للمشاركة في الدعوة:

من الأمور المقررة أن تتهيأ الأمة للعلم والعمل معاً، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في كتابه، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2] فمن تفسير السلف لهذه الآية الكريمة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً } يقول: ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي ﷺ وحده، { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ } يعني: عصبة، يعني: السرايا، ولا يَتَسرَّوا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ، وقالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنا، وقد تعلمناه. فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، ويبعث سرايا أخرى، فذلك قوله: { لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } يقول: ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم { لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }[3].

(١) القرار الإداري رقم ٨٧/١/١/٢ في تاريخ ١٤٠٧/٢/١٠ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) سورة التوبة آية (١٢٢).

(٣) تفسير ابن كثير-٢٣٦/٤.

وقد حرصت إدارة الشؤون الدينية على مشاركة العلماء والدعاء في برامج الدعوة للعسكريين، وصدر القرار الإداري بأن من مسؤولية الشؤون الدينية إلقاء المحاضرات والندوات، وأنها الجهة المخولة للتنسيق مع مراكز الدعوة والإرشاد(١).

كما صدرت موافقة صاحب السمو الملكي وزير الدفاع على استضافة العلماء والدعاة لإلقاء محاضرات في الخطوط الأمامية أثناء الحروب ومقابلة العدو(٢). وقد أمر الوزير بالتنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وإدارة الشؤون الدينية بالقوات المسلحة، لغرض إيجاد صلة وتنسيق تعاون بينهم(٣).

ولم تقتصر الاستفادة من العلماء فقط على الاستضافة، بل تتعداه إلى الاستشارات الشرعية، واللقاءات العلمية مع كبار العلماء، والرفع إليهم عن الاستفسارات العلمية وطلب الفتاوى، ومن هذه الأمثلة فقد أصدرت إدارة الشؤون الدينية للقوات الجوية كتاباً يحتوي على عدد من الفتاوى الصادرة من هيئة كبار العلماء، وهي إجابة مسائل واردة من بعض العاملين بالقواعد الجوية من الطيارين والأطقم الجوية(٤).

ومن أبرز الشواهد على هذا البرنامج الدعوي بأننا لو تصفحنا ما تحتويه مجموعة فتاوى اللجان الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، لوجدنا الكم الهائل من الاستفسارات العلمية، والتوجيهات المباركة في علاج كثير من المظاهر السلوكية عند بعض العسكريين.

---

(١) القرار الإداري رقم ١٥٩/ش في تاريخ ١٤١٦/٥/١٥ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

(٢) القرار الإداري رقم ٢/١٠/٧٢٠ في تاريخ ١٤١١/٣/٥ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

(٣) القرار الإداري رقم ١/١/١/٤٤٤١ في تاريخ ١٤١٥/١١/٢٢ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

(٤) انظر: كتاب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية رقم ٣٢٠٠٣٦٢٨ وتاريخ ١٤٣٢/٨/١٩هـ رداً على كتاب سعادة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة رقم ٢/١٠/٧٥٦ وتاريخ ١٤٣٢/٢/٢١هـ.

التوصيات

بعد دراسة نماذج الدعوة ووسائلها لإدارة الشؤون الدينية من خلال المناشط والبرامج الدعوية، والصادرة بقرارات إدارية من الجهات المعنية في وزارة الدفاع، أختم هذا البحث بأبرز التوصيات، ومن أهمها ما يلي:

١) جمع القرارات الإدارية والمتعلقة بالدعوة الصادرة من أصحاب الاختصاص في وزارة الدفاع، وتصنيفها وتنظيمها في كتاب مستقل لتصبح كما هو معروف في علم الإدارة (أوامر مستديمة).

٢) التأكيد على أهمية اطلاع ضباط التوعية خاصة وضباط الشؤون الدينية عامة، حديثي التخرج على هذه القرارات والأوامر وتدريبيهم ميدانياً على آلية استثمارها في الدعوة إلى الله.

٣) إنشاء كرسي علمي يتعلق بالدراسات العسكرية الدعوية، ويتناول جميع القضايا لدى العسكريين والمتعلقة بالأمور الدينية والرفع من الروح المعنوية.

٤) إيجاد شراكة بين إدارة الشؤون الدينية والمؤسسات الخيرية المناحة في تنفيذ البرامج الدعوية في الوحدات العسكرية الميدانية، والمناطق السكنية.

٥) استثمار أعضاء هيئة التدريس من المدنيين في الكليات والمعاهد العسكرية، في برامج الدعوة إلى الله تعالى بين العسكريين.

٦) عناية وتطوير مكاتب التوجيه والإرشاد، ودعمها مادياً وبشرياً، فهي بلا شك صمام أمان في وحداتنا العسكرية.

٧) إنشاء مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات العسكرية الإسلامية، والتواصل في ذلك مع الجامعات والمراكز العلمية المتخصصة.

٨) تطوير أداء ضباط التوعية والدعاة في إدارة الشؤون الدينية بما يتلائم مع متغيرات العصر، وثورة المعلومات.

٩) استثمار الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى بين العسكريين، وإصدار قرارات إدارية من الجهات ذات الاختصاص لتسهيل مهمة الشؤون الدينية وتمكينها من ذلك.

١٠) إنشاء معهد متخصص في الدعوة إلى الله لتأهيل ضباط ومرشدي إدارات الشؤون الدينية، وذلك أسوة بالوحدات العسكرية الأخرى.

١١) التنسيق بين مكاتب التوجيه والإرشاد في القطاعات العسكرية، والمكاتب التعاونية في القطاعات المدنية، من أجل تبادل الخبرات والوسائل المعينة لتحقيق سلامية المجتمع (المدني والعسكري) من الشرور والآثام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأحكام السلطانية- الماوردي- دار الحديث – القاهرة.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب-ابن عبدالبر.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة- دار الجيل – بيروت –ط: ١- ١٤١٢هـ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

٤. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء- سليمان الحميري، أبو الربيع –دار الكتب العلمية – بيروت–ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

٥. الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة – عبدالله التركي- ط:١- وزارة الشئون الإسلامية- ١٤١٨هـ.

٦. تفسير ابن كثير- تحقيق : سامي بن محمد سلامة- دار طيبة–ط:٢- ١٤٢٠هـ.

٧. تفسير الطبري- تحقيق : أحمد محمد شاكر–مؤسسة الرسالة–ط:١- ١٤٢٠هـ.

٨. تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن- السعدي- تحقيق : عبد الرحمن اللويحق- مؤسسة الرسالة–ط:١–١٤٢٠هـ.

٩. الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث–أحمد بن عبد الكريم الغزي- تحقيق : فواز أحمد زمرلي–دار ابن حزم.

١٠. الحسبة والدعوة –عوض بن رويشد السحيمي–دار السلام–الرياض–١٤١٣هـ.

١١. سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين–د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان.

١٢. سنن ابن ماجة– دار الفكر – بيروت–تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

١٣. سيرة ابن هشام– تحقيق: طه عبد الرءوف سعد– شركة الطباعة الفنية المتحدة.

١٤. الشرح الكبير–ابن قدامه– دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

١٥. صحيح البخاري – دار ابن كثير، اليمامة – بيروت– ط:٣–١٤٠٧هـ.

١٦. صحيح مسلم– دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

١٧. غياث الأمم في التياث الظلم–الجويني –مكتبة إمام الحرمين–ط: الثانية، ١٤٠١هـ.

١٨. فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى– جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

١٩. فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية – جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

٢٠. في ظلال القرآن–سيد قطب– دار الشروق – بيروت– القاهرة–الطبعة: ١٧– ١٤١٢هـ.

٢١. مجلة الجندي المسلم-السنة التاسعة (١٤٠٢هـ)-العدد ٢٥ .
٢٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - أنور الباز - عامر الجزار- دار الوفاء-ط:٣-١٤٢٦هـ.
٢٣. المجموع شرح المهذب-النووي- دار الفكر.
٢٤. مركز الوعظ والإرشاد بكلية الملك عبدالعزيز الحربية-نشرة تعريفية خلال الفترة من ١٤٢١هـ إلى ١٤٢٦هـ.
٢٥. مسند أحمد بن حنبل- تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي-مؤسسة الرسالة-ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
٢٦. مشاهير علماء نجد وغيرهم- عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ-دار اليمامة-ط:١-١٣٩٢هـ.
٢٧. النشرة التعريفية عن مكتب التوجيه والإرشاد بمدينة الملك فيصل العسكرية بالجنوبية.
٢٨. النظام الداخلي للقوات المسلحة العربية السعودية-الصادر بموافقة الملك عبدالعزيز رقم ٩٥/٨/١٠ في تاريخ ١٣٦٦/١/١١هـ.
٢٩. النهاية في غريب الأثر والحديث-أبو السعادات- المكتبة العلمية- بيروت-١٣٩٩هـ-تحقيق : طاهر أحمد.

البحث رقم (٧)

الاحتساب على التعسف في استخدام الحق

إعداد

د.رزين بن محمد الرزين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ثم أما بعد:

فقد جاءت هذه الشريعة السمحة بإيفاء كل ذي حق حقه، وأن تؤدى الحقوق لأهلها، وأن يمكن صاحب الحق من حقه، وأن يسير الناس في هذه الحياة ليعمروها ويستمتعوا بما أباح الله لهم، ولكن هذا التصرف بالحقوق والاستمتاع بالمباحات يجب أن لا يخرج عن حدود المشروعية، وأن يتوافق مع الغايات الشرعية، وألا يؤدي هذا الاستعمال للحقوق لضرر مادي أو معنوي لأحد من أفراد المجتمع، أو للمجتمع عموماً، وألا يستعمل الحق لمقاصد وغايات غير مشروعة، والحسبة باعتبارها ولاية شرعية معنية بتحقيق الصالح العام للمجتمع المسلم من أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو تحقيق لمصلحة، أو درء لمفسدة؛ معنية بهذا الأمر وبمراقبته لمنع أي ضرر قد يقع، وسد أي مفسدة محتملة، وقد حفلت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية، بالأدلة على منع التعسف في استعمال الحق، ودفع الضرر، وحفل كلام العلماء واستنباطاتهم من قواعد فقهية وضوابط بمثل ذلك، حتى حكى بعض العلماء الإجماع عليه، ومجال الاحتساب على التعسف في استعمال الحق ليس مجالا افتراضيا، بل إنه واقع فعلي تسنده آيات القرآن الكريم وأقوال النبي ﷺ وأفعاله، وفعل سلف هذه الأمة، وعناية المحتسبين به، وعناية علماء الحسبة منذ بدء تدوينها.

ولإلقاء الضوء على هذا الموضوع من وجهة نظر الحسبة، باعتباره مجالا مهماً من مجالاتها، ينبغي أن يأخذ حيزاً من اهتمام القائمين عليها

والباحثين فيها؛ سعيت لكتابة هذا البحث المتواضع، سائلا الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان مفهوم التعسف في استعمال الحق ومشروعية الاحتساب عليه.
٢. بيان أنواع التعسف في استعمال الحق وصوره وموقف الحسبة منها.
٣. عرض نماذج للحسبة على التعسف في استعمال الحق.

الدراسات السابقة:

حظي هذا الموضوع أعني التعسف في استعمال الحق بعناية بعض الباحثين في بعض التخصصات ولاسيما في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، ومن أقدم الدراسات في هذا المجال دراسة الدكتور فتحي الدريني التعسف في استعمال الحق[1]، وقد تناول في هذه الدراسة بيان نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، وتكييفها الفقهي، وتمييز التعسف في استعمال الحق عن مجاوزته، وأدلة هذه النظرية، واستعرض هذه النظرية في القواعد الفقهية وكلام فقهاء المذاهب الأربعة، ومقارنة هذه النظرية بين الفقه والقانون الوضعي.

ومنها أيضا دراسة د. إسماعيل كاظم العيساوي بعنوان استعمال الحق لغير مصلحة مشروعة أو لقصد الإضرار بالغير: دراسة مقارنة[2]، وقد توصل

---

(١) د.فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

(٢) بحث منشور في "المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية"، المجلد الخامس، العدد (٣/ب)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

فيه إلى أن استخدام الحق لقصد الإضرار بالغير أو لتحقيق مصلحة غير مشروعة، أمر مرفوض في الشريعة الإسلامية، وأن الشريعة الإسلامية سبقت التشريعات الوضعية بالأخذ بمعيار التعسف في استعمال الحق، وهو انتفاء المصلحة المشروعة، وأن المصلحة غير المشروعة تتحقق في استعمال الحق في غير الغرض أو المصلحة التي من أَجلها شرع؛ لأنَّ قصد ذي الحق في العمل هنا مضاد لقصد الشارع في التشريع، ومعاندة قصد الشارع باطلة، فيكون باطلاً بالضرورة كل ما أدى إلى ذلك، ومن التراكمات العلمية النفيسة في هذا المجال ما كتبه الدكتور وهبة الزحيلي حول هذا الموضوع في كتابه النفيس الفقه الإسلامي وأدلته، حيث عالج هذا الموضوع ببراعة وإتقان عرض فيه لقواعد التعسف والأدلة عليه، وأحكامه، بالإضافة لبعض الدراسات الجامعية التي تناولت الموضوع من جهات معينة منها نظرية التعسف في استعمال الحق في حقل الملكية العقارية، للباحث إيهاب علي محمد عبدالعزيز[1] وقد تناول نظرية التعسف في استعمال الحق في الشريعة والقانون، ثم تناول نظرية التعسف في استعمال الحق في الملكية العقارية في الفقه والقانون والقضاء، ثم قارن بين التعسف في استعمال السلطة والتعسف في استعمال الحق، ومن هذه الدراسات دراسة بعنوان التعسف في استعمال حق الولاية على المرأة للباحث مشعل العتيبي[2] وقد تناول فيه مفهوم التعسف واستعرض صور التعسف في استعمال حق الولاية على المرأة

---

(١) رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في القانون الخاص من جامعة الشرق الأوسط، عام ٢٠١١/٢٠١٢م.

(٢) للباحث مشعل العتيبي، جامعة نايف العربية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م..

وعقوباته، وموقف المملكة العربية السعودية حيال حماية المرأة من التعسف، ومنها بحث بعنوان تعسف صاحب العمل في علاقته بالعامل في استعمال الحق للباحث حمد بن محمد بن خزينة المري[1] حيث تناول الباحث التعسف والإساءة عند الفقهاء والأصوليين، ثم الحريات والتعسف، ثم تناول حكم التعسف وآثاره، واستعرض تطبيقات التعسف مع العامل في الأنظمة السعودية والعربية وما يتعلق بذلك من تعويض وغيره.

وسأسعى في هذا البحث المتواضع مستعينا بالله تعالى إلى الإسهام في هذا الموضوع بإبراز جانب الاحتساب على التعسف في استعمال الحق الذي - فيما ظهر لي- لم يبحث فيما سبق، راجياً أن يكون هذا البحث المحدود لبنة أولى في هذا المجال، الذي يبدو لي أنه يحتاج دراسات موسعة، خدمة للحسبة، وخدمة للفقه، وأولا وأخيرا خدمة لمصالح المجتمع وأفراده، لتحقيق مقاصد الشريعة وغاياتها.

منهج الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي، لإبراز موضوع الاحتساب على التعسف في استعمال الحق من خلال استنباط ما ورد في النصوص الشرعية، وكلام أهل العلم.

---

(١) بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في السياسة الشرعية من المعهد العالي للقضاء، ١٤٢٣/١٤٢٤هـ.

التقسيمات:

المبحث الأول: مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه، ومشروعية الاحتساب عليه:

المطلب الأول: مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه.

المطلب الثاني: مشروعية الاحتساب على التعسف في استعمال الحق.

المبحث الثاني: أنواع التعسف في استعمال الحق ونماذج للاحتساب عليه:

المطلب الأول: أنواع التعسف في استعمال الحق.

المطلب الثاني: نماذج للاحتساب على التعسف في استعمال الحق

المبحث الثالث: التدابير الوقائية والعلاجية للتعسف في استعمال الحق.

المطلب الأول: التدابير الوقائية.

المطلب الثاني: التدابير العلاجية.

خاتمة.

المبحث الأول

مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه، ومشروعية الاحتساب عليه

المطلب الأول

مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه

مفهوم التعسف في استعمال الحق:

تعرف نظرية التعسف في استعمال الحق بعدة تعريفات منها:

١. هو مناقضة قصد الشارع في تصرف مأذون فيه بحسب الأصل[١].

٢. النسق الجامع للقواعد الحاكمة على تصرفات المكلفين في ما اختصهم به الشرع من الحقوق منعا لها من مناقضة أصل التكليف[٢].

٣. هو تصرُّف الإنسان في حقِّه تصرُّفًا غيرَ مُعتاد شرعًا[٣].

٤. استعمال الإنسان حقه على وجه يضر به أو بغيره[٤].

---

(١) د. فتحي الدريني، التعسف في استعمال الحق، ٨٧.

(٢) الدكتور يوسف حميتو، صلة مبدأ اعتبار المآل بنظرية التعسف في استعمال الحق - العدد ١٢ من مجلة المذهب المالكي.

(٣) أحمد فهمي أبو سنة، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، بحث ضمن أسبوع الفقه الإسلامي.

(٤) د.وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (سوريا، دمشق، دار الفكر، ط٤) ، ٣٨٨/٤.

وهذه النظرية وإن لم تكن موجودة في الفقه الإسلامي بلفظها، فإن معناها موجود ومقرر بادلته التفصيلية، فإن هذه النظرية قد استوت على أصولها في التشريع الإسلامي منذ القدم، وفي فقهه أيضاً تفسيراً وتطبيقاً في شتى مذاهبه الجماعية والفردية على السواء، فتمت بذلك معاييرها، ومؤيداتها، تأصيلاً، وتفريعاً تحديداً وضبطاً، نظراً وعملاً[1]، يقول الشاطبي رحمه الله: النظر في مآلات الأفعال مقصود شرعا[2].

وأهم منطلقات هذه النظرية في الفقه الإسلامي:

- أن الحق لا يجوز استعماله بمعناه الشامل للإباحة، في غير ما شرع له من غاية أو مصلحة مرسومة شرعاً، لأنه يناقض أصل العدل في التشريع.
- وجوب إقامة التوازن بين المصالح الفردية المتضاربة، ولو كانت في الأصل مشروعة، وناشئة عن حق، وترجيح ما هو أكثر نفعاً، لأنه أولى بالرعاية، انسجاماً مع الأصل العام في التشريع، مع أن درء المفاسد اللازمة مساوية أو راجحة.
- وجوب تقديم المصلحة العامة، حال تعارضها والمصلحة الفردية، واستحالة التوفيق من باب أولى.

---

(١) د. فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ٧ .

(٢) الشاطبي، الموافقات، ١٠/٢٥٩.

- أن الحكم الشرعي، وهو منشأ الحق، يستهدف تشريعه غرضاً مرسوماً، فلا يجوز تجريده منه أو اعتسافه في العمل والتطبيق، حتى لا تكون المناقضة بين قصد الشارع وقصد المكلف، والمناقضة هي عين التعسف، والتعسف هو عين بطلان التصرف ولو كان في الأصل مشروعاً.
- إذا أفضى تطبيق الحكم في ظرف من الظروف إلى مفسدة تربو على ما وضع له من مصلحة، منع التسبب في ذلك، ولو كان القصد حسناً، درءاً للتعسف، لأن العبرة بالمآلات[1].

حكم التعسف في استعمال الحق، وأدلته:

التعسف في استعمال الحق محرم للأدلة الآتية:

أولا: من القرآن الكريم:

١. قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

---

(١) انظر: د فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ٢٦-٢٨.

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٣١.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: فالرجعة بقصد الإضرار حرام إجماعا، كما دل عليه مفهوم الشرط المصرح به في قوله: ولا تمسكوهن ضرارا الآية، وصحة رجعته حينئذ باعتبار ظاهر الأمر، فلو صرح للحاكم بأنه ارتجعها بقصد الضرر، لأبطل رجعته كما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: وقوله: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾ تصريح بمفهوم ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ إذ الضرار ضد المعروف، وكأن وجه عطفه مع استفادته من الأمر بضده التشويه بذكر هذا الضد[2].

فقد بين الله تعالى في هذه الآية حرمة الإضرار، وأن فاعله مؤاخذ عليه في الآخرة فقد وصف الله فاعله بأنه ظالم لنفسه، وجعل هذا الإضرار مضاداً للمعروف.

٢. وقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾[3].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: نبه تعالى على أنه لا يجوز أن تؤذى الوالدة بسبب ولدها بأن تمنع من إرضاع ولدها أو تكره على إرضاعه

(١) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ١/١٠٣.

(٢) الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م) ٢/٤٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية :٢٣٣.

وهي لا تريد ذلك، أو تحرم النفقة مقابل الإرضاع أو يضيق عليها فيها كما لا يجوز أن يضار أي يؤذي المولود له وهو الأب: بأن يجبر على إرضاع ولده من أمه وقد طلقها ولا بأن يطالب بنفقة باهظة لا يقدر عليها. (١)

وقال مجاهد رحمه الله: لا تأبى أن ترضعه ضرارا لتشق على أبيه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ يقول: ولا يضار الوالد بولده فيمنع أمه أن ترضعه ليحزنها بذلك(٢).

وقد استنبط بعض العلماء معاني أخرى للمراد بالإضرار الوارد في هذه الآية ومن ذلك ما قاله الشيخ الغزنوي: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾: بأخذ ولدها بعد ما رضي، بها.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾: أي: الأب بردّ الولد عليه بعد ما عرف أمه ولا يقبل ثدي غيرها. وَعَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ: أي: على وارث الولد من النّفقة، وترك المضارّة ما على المولود له وهو الوالد إذا كان حيّا. (٣)

٣. وقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ (٤).

المراد بالمضارة هنا التضييق عليها في المسكن حتى تضطر للخروج للبحث عن مسكن آخر، قال مجاهد: قال مجاهد في قوله تعالى قوله: (وَلاَ

(١) الشيخ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير(السعودية، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م) ٢٢١/١.

(٢) نقل هذا الأثر الشيخ السيوطي في تفسيره :الدر المنثور في التفسير(مصر، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٣م)٥/٣.

(٣) بيان الحق الغزنوي، إيجاز البيان عن معاني القرآن (لبنان، بيروت، دار الغرب، ١٤١٥هـ) ١٥٦/١.

(٤) سورة الطلاق، آية : ٦.

تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ): في المسكن، وقال مقاتل: في النَّفقة. وهو قول أبي حنيفة، وعن أبي الضحى: أن يطلقها فإذا بقي يومان من عدتها راجعها، ثم طلقها[(١)].

٤. قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[(٢)].

وجه الاستدلال من الآية: قال ابن عاشور رحمه الله: وهو نهي عن أن يقصد من وصيته الإضرار بالورثة. والإضرار منه ما حدده الشرع، وهو أن يتجاوز الموصي بوصيته ثلث ماله وقد حدده النبي ﷺ بقوله لسعد بن أبي وقاص "الثلث والثلث كثير"[(٣)]. ومنه ما يحصل بقصد الموصي بوصيته الإضرار بالوارث ولا يقصد القربة بوصيته، وهذا هو المارد من قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾. ولما كانت نية الموصي وقصده الإضرار لا يطلع عليه فهو موكول لدينه وخشية ربه، فإن ما يدل على قصده الإضرار دلالة واضحة، فالوجه أن تكون تلك الوصية باطلة لأن قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾ هي عن الإضرار، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه[(٤)].

---

(١) عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)١٩/١٧٠.

(٢) سورة النساء، آية :١٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، رقم ٢٥٩١.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/٥٠.

ومن السنة:

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله قضى أن: (لاضرر ولاضرار)[1]، وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: (لاضرر ولاضرار) [2].

ووجه الاستشهاد من هذا الحديث النهي عن الإضرار، بكل صوره وأشكاله، ولو كان ذلك ناتجا عن ممارسة الإنسان لحقه فإنه لا يجوز له المضارة به.

عن أبي صرمة عن رسول الله ﷺ قال: (من ضار أضر الله به ومن شاق شق الله عليه) [3]

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن الإضرار حرام مترتب عليه وعيد بالعقاب من الله تعالى.

الإجماع:

فقد نقل الإجماع على حرمة بعض صور الإضرار باستعمال الحق بعض العلماء ومن ذلك ما ذكره الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، كالرجعة بقصد الإضرار[4].

ومن ذلك ما ذكره ابن جزي المالكي رحمه الله حيث يقول: الضرر المحدث قسمان أحدهما متفق عليه والآخر مختلف فيه فالمتفق عليه أنواع فمنه فتح كوة أو طاق يكشف منها على جاره فيؤمر بسدها أو سترها ومنه

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، برقم ٢٣٤٠، وقال عنه الألباني: صحيح.
(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، برقم ٢٣٤١، وقال عنه الألباني صحيح لغيره.
(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، برقم ٢٣٤١، وقال عنه الألباني:حسن.
(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ١/١٠٣.

أن يبني في داره فرنا أو حماما أو كير حداد أو صائغ مما يضر بجاره دخانه فيمنع منه إلا إن احتال في إزالة الدخان ومنه أن يصرف ماءه على دار جاره أو على سقفه أو يجري في داره ماء فيضر بحيطان جاره. [1]

وفي سياق الاستدلال لهذه القضية اعتبر الإمام الشاطبي رحمه الله (لاضرر ولاضرار) أصلاً من أصول الشريعة يقول الشاطبي: ومنه أيضا قوله عليه الصلاة و السلام لا ضرر ولا ضرار فإنه داخل تحت أصل قطعي في هذا المعنى فإن الضرر والضرار مبثوث منعه في الشريعة كلها في وقائع جزئيات وقواعد كليات كقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ولا تضاروهن التعدي على النفوس والأموال والأعراض وعن الغضب والظلم وكل ما هو في المعنى إضرار وأضرار ويدخل تحته الجناية على النفس أو العقل أو النسل أو المال فهو معنى في غاية العموم في الشريعة لا مراء فيه ولا شك وإذا اعتبرت أخبار الآحاد وجدتها كذلك [2].

ويروى عن أبي داود رحمه الله قوله: قال الفقه يدور على خمسة أحاديث الحلال بين والحرام بين وقوله صلى الله عليه و سلم لا ضرر ولا ضرار وقوله إنما الأعمال بالنيات وقوله الدين النصيحة وقوله ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم[3].

---

(١) محمد بن أحمد بن جزي المالكي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، ٣٧١.

(٢) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة(لبنان، بيروت، دار المعرفة) ١٧/٣.

(٣) أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ) ١٠.

المطلب الثاني

مشروعية الاحتساب على التعسف في استعمال الحق.

بالإضافة إلى الأدلة الكثيرة على مشروعية الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يضيق المجال عن بسطها وعرضها، وبالإضافة إلى ما سبق وما سيأتي من أدلة على تحريم التعسف وتحريم الإضرار؛ إلا أن هناك أدلة أخرى تختص بالدلالة على مشروعية الاحتساب على التعسف وأن الأمر بتركه أمر بالمعروف، وسأكتفي من هذه الأدلة بدليلين:

١. قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[1].

وجه الدلالة من هذه الآية: قوله تعالى " وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ " فقد وجه الله تعالى المؤمنين (وأتمروا بينكم أي ليأمر بعضكم بعضا أيها المؤمنون في إرضاع المطلقة ولدها من المطلق بمعروف مستحسن مقبول شرعا من إعطاء الأجرة الكاملة والزيادة عليها مراعاة للمروءة)[2].

(١) سورة الطلاق، آية : ٦-٧.

(٢) نعمة الله بن محمود نعمة الله، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (مصر ، القاهرة، دار ركابي للنشر، ١٩٩٩) ٢/٤٢٤.

٢. حديث السفينة: عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) [(١)].

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث أن من هم في أسفل السفينة إنما يتصرفون في ملكهم وفي نصيبهم، ذلك أننا نلحظ أن الحديث يشير إلى أن القوم الذين أرادوا خرق السفينة إنما كانوا يتصرفون في ملكهم ونصيبهم، ولم يتعدوا إلى نصيب غيرهم وذلك واضح من قولهم (لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً)، وعند ابن حبان (وقال الآخر: دعه فإنما يخرق مكانه) [(٢)]، وفي رواية عند أحمد: (فقال بعضهم: إنما يخرق في نصيبه)[(٣)].

والمقصود أن الذم قد لحق بهؤلاء القوم مع أنهم كانوا يتصرفون في حقهم، لكن لما كان استعمالهم لحقهم سيلحق ضرراً بغيرهم وجب منعهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، برقم ٢٣٦١.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب البر والإحسان باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم٢٩٧.، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، في حديث النعمان بن بشير رضي الله عن النبي ﷺ، برقم ١٨٤١١.

والأخذ على أيديهم، ومعنى ذلك أن حرية الإنسان في التصرف في حقه مقيدة بعدم الإضرار بالآخرين[1].

وهذا الحديث أصل عظيم في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامة، وأصل في باب النهي عن التعسف في استعمال الحق، وأن النهي عن التعسف في استعمال الحق مجال مهم من مجالات الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) عبدالآخر حماد الغنيمي، الفوائد من حديث مثل القائم(الأردن، عمان، دار البيارق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م) ١/٦١.

المبحث الثاني

أنواع التعسف في استعمال الحق ونماذج للاحتساب عليه

المطلب الأول

أنواع التعسف في استعمال الحق

النوع الأول: قصد الإضرار:

إذا قصد الإنسان من استعمال حقه الإضرار لا المصلحة المنشودة من الحق، كان استعماله تعسفاً محرماً، ووجب منعه، ومن صور هذا النوع:

- بناء المساجد للإضرار بها: وأشهر صورة لذلك بناء المنافقين لمسجد الضرار وهدم النبي ﷺ له، قال القرطبي رحمه الله تعليقا على هذه الصورة: قال علماؤنا: لا يجوز أن يبني مسجد إلى جنب مسجد، ويجب هدمه؛ والمنع من بنائه لئلا ينصرف أهل المسجد الأول فيبقى شاغرا، إلا أن تكون المحلة كبيرة فلا يكفي أهلها مسجد واحد فيبنى حينئذ. وكذلك قالوا. لا ينبغي أن يبنى في المصر الواحد جامعان وثلاثة، ويجب منع الثاني، ومن صلى فيه الجمعة لم تجزه(1).
- ورفع الدعوى على الفضلاء بالتهم الباطلة للتشهير بهم.
- تحريم الرجعة إضراراً بالزوجة

---

(1) الإمام أبو عبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (السعودية، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م)٨/٢٥٤.

- والوصية إضراراً بالورثة والدائنين(١)
- سفر الزوج بزوجته بعيداً عن بلدها وأهلها إضراراً بها(٢).

ومن صوره كذلك: إعتاق المكاتب الذي يسعى على رفقائه ليمنع عتقهم:

ذكر الإمام مالك مثالا على ذلك: قال مالك إذا كان القوم جميعا في كتابة واحدة لم يعتق سيدهم أحدا منهم دون مؤامرة أصحابه الذين معه في الكتابة ورضا منهم وإن كانوا صغارا فليس مؤامرتهم بشيء ولا يجوز ذلك عليهم.

قال وذلك أن الرجل ربما كان يسعى على جميع القوم ويؤدي عنهم كتابتهم لتتم به عتاقتهم فيعمد السيد إلى الذي يؤدي عنهم وبه نجاتهم من الرق فيعتقه فيكون ذلك عجزا لمن بقي منهم وإنما أراد بذلك الفضل والزيادة لنفسه فلا يجوز ذلك على من بقي منهم وقد قال رسول الله ﷺ لا ضرر ولا ضرار وهذا أشد الضرر(٣).

النوع الثاني: قصد غرض غير مشروع:

إذا قصد الشخص من استعمال حقه تحقيق غرض غير مشروع لا يتفق مع المصلحة المقصودة من الحق، وإنما يستتر وراء استعمال الحق المشروع.

---

(١) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩١/٤.وقد تركت الإشارة إلى الخلاف في هذه المسألة تمشيا مع ما ذكرته في منهج البحث ، ولأن المقصود إيضاح مفهوم الاحتساب على التعسف في استعمال الحق وليس بحث المسائل الفقهية التفصيلية.

(٢) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩١/٤.

(٣) الإمام مالك بن أنس، الموطأ (الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م) ١١٧٤/٥.

ومن صور ذلك:

- إقرار مريض الموت بالدين لحرمان الورثة أو الدائنين.
- طلاق مريض الموت زوجته فراراً من ميراثها.
- اتخاذ عقد الزواج وسيلة لتحليل المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول ولا يقصد به الزواج الدائم.
- اتخاذ عقد البيع وسيلة للربا أو الفائدة، ومنه بيع العينة: وهو شراء شيء بثمن مؤجل ثم بيعه لنفس البائع الأول بثمن فوري أقل من الثمن الأول، قاصداً به الربا.
- ومنه إسلام الزوجة غير المسلمة بقصد الإرث من زوجها
- هبة المال قبيل الحول بقصد إسقاط الزكاة الواجبة. (١)

النوع الثالث: ترتب ضرر أعظم من المصلحة:

إذا استعمل الإنسان حقه بقصد تحقيق المصلحة المشروعة منه، ولكن ترتب على فعله ضرر يصيب غيره أعظم من المصلحة المقصودة منه، أو يساويها، منع من ذلك سداً للذرائع، سواء أكان الضرر الواقع عاماً يصيب الجماعة، أو خاصاً بشخص أو أشخاص. (٢)

فمن الضرر العام: بيع السلاح أثناء الفتنة، وبيعه لقطاع الطرق وبيع العنب للخمار

(١) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٢/٤.

(٢) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٢/٤.

الاحتكار: وهو شراء ما يحتاجه الناس وادخاره لبيعه وقت غلاء الأسعار وحاجة الناس إليه. وهو ممنوع للحديث النبوي: «لا يحتكر إلا خاطئ»[1]. قال ابن الإخوة القرشي: وإذا رأى المحتسب أحدا قد احتكر من سائر الأقوات، وهو أن يشتري ذلك في وقت الغلاء، ويتربص ليزداد في ثمنه ألزمه بيعه إجبارا؛ لأن الاحتكار حرام، والمحتكر ملعون[2].

اشتراك أصحاب المهن مع بعضهم ليرفعوا بذلك الأجرة: هذه الصورة من صور التعسف في استعمال الحق نص عليها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فقال: منع غير واحد من العلماء - كأبي حنيفة وأصحابه - القسامين الذين يقسمون العقار وغيره بالأجرة: أن يشتركوا، فإنهم إذا اشتركوا - والناس يحتاجون إليهم - أغلوا عليهم الأجرة، قلت: وكذلك ينبغي لوالي الحسبة: أن يمنع مغسلي الموتى والحمالين لهم من الاشتراك، لما في ذلك من إغلاء الأجرة عليهم؛ وكذلك اشتراك كل طائفة يحتاج الناس إلى منافعهم؛ كالشهود والدلالين وغيرهم [3].

وأظن أن ما ذكره ابن القيم رحمه الله يشبه ما يحصل في عصرنا الحاضر من التكتلات والاتحادات التجارية بين منتجي كل سلعة على حدة ليتمكنوا من رفع الأسعار دون خوف من المنافسة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب من احتكر فهو خاطئ، برقم ٣٠١٣.

(٢) محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي، معالم القربة في طلب الحسبة، (مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص٦.

(٣) ابن القيم، الطرق الحكمية (مصر، القاهرة، مكتبة المؤيد، ١٣١٧هـ) ٢٢٥.

تلقي الركبان: وهو تلقي التاجر للوافدين من الريف إلى المدينة لبيع محاصيلهم، وشراؤها بثمن أقل من السعر القائم، وبيعها لأهل المدينة بثمن مرتفع. وهذا حرام لأن النبي ﷺ نهى عن تلقي الركبان فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تلقوا الركبان، ولا يبع بعضكم على بيع بعض. ولا تناجشوا، ولا يبع حاضر لباد، ولا تصروا الغنم، ومن ابتاعها فهو بخير النظرين، بعد أن يحلبها، وإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعا من تمر"، وفي لفظ "هو بالخيار ثلاثا" [1].

وبيع السلع بأكثر من ضعف القيمة، فذلك يضر الجماعة، فيمنع التاجر منه، ولولي الأمر عند الحنفية والمالكية تسعير السلع بالربح المعقول. فإن أبوا من ذلك بيعت السلع جبراً عنهم.

الجلوس في الطرقات إذا كان سيسبب ضرراً، فيمنع منه إلا بإعطاء الطريق حقه كما ورد في الحديث.

قال القاضي أبو يعلى: وينظر والي الحسبة في مقاعد الأسواق، فيقر فيها ما لا ضرر على المارة فيه، ويمنع ما استضر به المارة، ولا يقف منعه على الاستعداء إليه[2].

ومن صور الضرر الخاص الأشد:

العضل: وذلك بتعسف ولي المرأة في استعماله حق ولايته على موليته بمنعها من الزواج مما يرتب ضرراً على المرأة. والمراد بالعضل: ومعنى العضل

(١) أخرجه البخاري، في كتاب البيوع، باب نهى النبي ﷺ أن تلقى البيوع، ٢٠٤٣.

(٢) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٦.

منع المرأة من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك ورغب كل واحد منهما في صاحبه[1] يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وعن معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله هذه الآية (فلا تعضلوهن) فقلت الآن أفعل يا رسول الله قال فزوجها إياه)[3].

المضارة في حفر الآبار: ومن ذلك ماروي عنه ﷺ: عن أبي قلابة قال: قال رسول الله: لا تضاروا في الحفر، وذلك أن يحفر الرجل إلى جنب الرجل ليذهب بمائه[4] .

المنع من القسمة إذا كانت ستؤدي لضرر:

القسمة حق للشركاء في الأموال المشاعة، ولكن قد يمنع الشركاء من القسمة، إذا كان هناك ضرر سيطول أحدهم، يقول الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله: فلا تجوز قسمة الأملاك التي لا تنقسم إلا بضرر أو رد

(١) ابن قدامة ، المغني، ٣٦٨/٧.

(٢) سورة البقرة، ٢٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، برقم ٥١٣٠.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه، باب ما جاء في حريم الآبار، برقم ١٢٢٢١، وقال مرسل، وابن أبي شيبة في مصنفه، في باب الرجل يحفر البئر في داره، برقم ٢١٩٢٧.

عوض من أحدهما على الآخر إلا برضى الشركاء كلهم وذلك كالدور الصغار، والحمام والطاحون الصغيرين، والأرض التي لا تتعدل بالأجزاء ولا بالقيمة، وهذه في حكم البيع، لا يجبر من امتنع منها، والضرر المانع نقص قيمة المقسوم بالقسمة، لأن نقص قيمته ضرر، وهو منتف شرعًا وسواء انتفعوا به مقسومًا أولا، فإذا وجد الضرر بالقسمة، لم يجبر الممتنع[1]. بل وقد يمنع الشركاء من القسمة ولو في حال تراضيهما، إذا كانت هذه القسمة ستؤدي إلى ظهور قطع صغيرة من الأرض لا يمكن الاستفادة منها، أو مبان صغيرة جدا لا يستفاد منها، فإن الشركاء يمنعون من القسمة للمصلحة العامة.

النهي عن طلاق المرأة في الحيض: وذلك منعا من إضرار المرأة بتطويل العدة عليها، قال ابن عبدالبر رحمه الله: إنما نهي عن الطلاق في الحيض لئلا تطول عدة المرأة[2].

منع الجار جاره أن يغرز خشبة في جداره: فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره[3].

ترك الزوج معاشرة زوجته: بقصد أو دون قصد، وللزوجة حق الفسخ[4].

---

(١) الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الإحكام شرح أصول الأحكام، (ط٢ ١٤٠٦هـ) ٥٢٧/٤.

(٢) أبو عمر يوسف بن عبدالبر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(المغرب، وزارة عموم الأوقاف، ١٣٨٧م) ٥٥/١٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب ، باب الطيب للجمعة، برقم ٢٤٦٣.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية ، التجريد لاختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥٦/١.

فتح نافذة في بناء تطل على مقر نساء الجار إلا إذا كانت أعلى من مستوى النظر: وقد منع الرسول عليه السلام سمرة بن جندب من دخول بستان لأحد الأنصار لتفقد نخله بسبب تأذي الأنصاري من دخوله؛ لأن الضرر في الدخول كان أشد من عدم تفقد صاحب النخل نخله.

يقول القاضي أبو يعلى (وما ما ينكره من الحقوق المشتركة بين حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين فكالمنع من الإشراف على منازل الناس، ويكره من علا بناؤه أن يستر سطحه. قال في رواية ابن منصور في الرجل يشرف على جاره "فالسترة على الذي أشرف" وكذلك قال في رواية محمد بن يحيى الكحال في الذي يكون أعلا من جاره " يستر على نفسه". فإن قيل: كان يجب أن يقال: يلزمه أن لا يشرف على غيره، ولا يلزمه أن يستر سطحه. قيل: لا يمكنه في العادة أن لا يشرف على غيره إلا ببناء ستره، لأنه قد يسهو أو يغفل عن ترك الإشراف لظهوره عليه)[(١)].

أما الماوردي فيرى أنه لا يلزم من علا بناؤه أن يستر سطحه وإنما يلزم أن لا يشرف على غيره[(٢)].

تسمية الابن باسم غير مناسب: فإن التسمية حق للوالد، ولكن تسميته باسم يسيء للمولود تعسف يحتسب عليه.

ومثال الضرر الخاص المساوي للمصلحة: أن يفعل مالك الدار فيها شيئاً يتضرر به جيرانه. رأى أبو حنيفة منعه من ذلك دفعاً للضرر الذي يصيب غيره، والضرر يجب رفعه لقوله عليه السلام: «لا ضرر ولا ضرار».

---

(١) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٣ ، ٣٠٤.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٦.

واستئجار دار، ثم ترك الماء في جدرانها وقتاً طويلاً، أو إيذاء الجار بفروع الأشجار أو دخان التنور أو رائحة الكنيف ونحوه قال الفراء: فإن نصب المالك تنورا في داره، فتأذى الجار بدخانه، أو نصب في داره رحا، أو وضع فيها حدادين أو قصارين، فهل يمنع من ذلك؟ قد روى عن أحمد ألفاظ تقتضي المنع. فقال في رواية عبد الله: في رجل بنى في داره حماما أوحشا يضر بجاره أكرهه، قال النبي ﷺ لا ضرر ولا ضرار". وكذلك قال في رواية ابن منصور "لا يضر بجاره، يحفر إلى جنب بئره كنيفا أو بئرا إلى جنب حائطه وإن كان في حده". وكذلك قال في رواية أبي طالب "لا يجعل في داره حماما يؤذي جاره، ولا يحفر بئرا إلى بئره"(١).

ويقول الماوردي: وأما ما ينكر من حقوق الآدميين المحصنة فمثل أن يتعدى رجل في حد لجاره أو في حريم لداره أو في وضع أجذاع على جداره فلا اعتراض للمحتسب فيه ما لم يستعده الجار؛ لأنه يخصه فينصح منه العفو عنه والمطالبة به، فإن خاصمه فيه كان للمحتسب النظر فيه إن لم يكن بينهما تنازع وتناكل وأخذ المتعدي بإزالة تعدية وكان له تأديبه عليه بحسب شواهد الحال (٢).

أو استئجار سيارة ثم يحملها أكثر من حمولتها، وكذا تحميل السفن مالا تطيق مما يؤدي لغرقها، (وللمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه، ويخاف منه غرقها، وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح، وإذا حمل فيها الرجال والنساء يحجز بينهم بحائل، وإذا اتسعت السفن

---

(١) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٢.

(٢) الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٤.

نصب النساء مخارج للبراز لئلا يتبرجن عند الحاجة) [1]. وكذا يقول وللمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه ويخاف منه غرقها، وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح[2].

النوع الرابع: الإفراط في استعمال الحق على نحو يرتب ضرراً على الغير:

ومن صور ذلك:

تحميل المملوك مالا يطيق:

عن المعرور قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم[3].

يقول الماوردي رحمه الله: ويأخذ السادة بحقوق العبيد والإماء وأن لا يكلفوا من الأعمال ما لا يطيقون، وكذلك أرباب البهائم يأخذهم بعلوفتها إذا قصروا وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق[4].

ويقول: وإذا استعداه العبد في امتناع سيده من كسوته ونفقته جاز أن يأمره بهما ويأخذه بالتزامهما، ولو استعداه من تقصير سيده فيهما لم يكن له في ذلك نظر، ولا إلزام لأنه في التقدير إلى اجتهاد شرعي، ولا يحتاج في

---

(١) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٦.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر، برقم ٣٠.

(٤) الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية ، ٣٣٧.

التزام الأصل إلى اجتهاد شرعي؛ لأن التقدير منصوص عليه ولزومه غير منصوص عليه(١).

النوع الخامس: الاستعمال غير المعتاد وترتب ضرر للغير: إذا استعمل الإنسان حقه على نحو غير معتاد في عرف الناس، ثم ترتب عليه ضرر للغير، كان متعسفاً(٢).

ومن صور ذلك:

أن يخرق من كانوا أسفل السفينة خرقا في نصيبهم

وذلك كما ورد في الحديث المشهور عنه ﷺ والذي سبقت الإشارة إليه، فإن خرق السفينة في نصيبهم استعمال غير معتاد يسبب ضررا كبيرا لهم ولغيرهم، فيجب الأخذ على أيديهم.

النوع السادس: استعمال الحق مع الإهمال أو الخطأ:

إذا استعمل الإنسان حقه على وجه ليس فيه احتياط واحتراس وتثبت، فأضر بالغير، وهذا ما يعرف بالخطأ، كان متعسفاً أو مسؤولاً، وهذا النوع من الاستعمال يترتب عليه التعويض للطرف الآخر المتضرر، ومن صور ذلك:

قيادة السيارة وحصول حادث عن طريق الخطأ.

تسبب الإنسان في حدوث حريق عن طريق الخطأ أو بسبب الإهمال(٣).

---

(١) الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٧.

(٢) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٣/٤.

(٣) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٥/٤.

والمقياس في ذلك هو العرف الذي يحدد كون التصرف معتاداً أو غير معتاد. وعليه تطبق أحكام التعامل مع الخباز والكواء إذا أحرق ما سلِّم له، يضمن إذا تصرف تصرفاً غير معتاد بزيادة وقود النار، وحرارة الكهرباء.

سواء أكان خطأ في القصد، كما إذا رأى الصياد شبحاً من بعيد، فظنه صيداً، فأطلق عليه النار، فإذا هو إنسان.

أو كان خطأ في الفعل، كما إذا سدد الصائد الرمية على صيد، فانحرفت وأصابت إنساناً، أو تجاوزت الصيد إلى إنسان فقتلته.

النوع السابع: الإسراف:

سواء كان هذا الإسراف في إنفاق المال بلا حاجة، أو الإسراف في المباحات المبالغ فيه، ومن صور ذلك:

كالإسراف في الأكل أو النوم أو اللعب أو غيرهما، وللمحتسب النهي عن مثل هذا النوع من الإسراف.

المطلب الثاني

نماذج للاحتساب على التعسف في استعمال الحق

احتساب النبي ﷺ بتغيير أسماء بعض الصحابة رضي الله عنهم:

فقد احتسب النبي ﷺ وغير أسماء بعض الصحابة لشناعتها، ومن ذلك:

- عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال غير النبي ﷺ اسم أم عاصم ابن عمر وكان اسمها عاصية قال لا بل أنت جميلة (١)
- عن ريطة بنت مسلم عن أبيها: أنه شهد مع رسول الله ﷺ حنينا فقال: ما اسمك ؟ قال: غراب قال: اسمك مسلم(٢)

ومن غير النبي ﷺ اسمهم بنو الصماء وهي امرأة من مزينة سماهم النبي ﷺ بني السميعة(٣)

- عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، أن أباه عبد الرحمن ذهب مع جده إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: " ما اسم ابنك ؟ " قال: عزيز. فقال النبي ﷺ: "لا تسمه عزيزا، ولكن سمه عبد الرحمن" ثم قال: "إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن والحارث"(٤).

---

(١) أبو زيد عمر النميري البصري، أخبار المدينة، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م)١/٣٤٦.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب الأدب، برقم٧٧٢٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وافقه الذهبي.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١/٧٠٠.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، حديث خيثمة بن عبدالرحمن عن أبيه، برقم ١٧٦٠٦، وقال عنه شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله موثقون، لكن ظاهره الإرسال، وجاء موصولاً.

- عن عبد الله بن مطيع بن الأسود، أخي بني عدي بن كعب، عن أبيه مطيع – وكان اسمه العاص، فسماه رسول الله ﷺ مطيعا.. الحديث[1]
- عن أسامة بن أخدرى (أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ما اسمك ». قال أنا أصرم. قال « بل أنت زرعة)[2].
- عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال له: ما اسمك، قال حزن. قال: أنت سهل)[3].

والأمثلة على ذلك كثيرة، قال أبو داود رحمه الله: وغير النبي ﷺ اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاما وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بني الرشدة وسمى بني مغوية بني رشدة[4].

هدم مسجد الضرار:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث مطيع بن الأسود، برقم ١٥٤٠٨، وقال عنه شعيب الأرناؤوط صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب في تغيير الاسم القبيح، برقم ٤٩٥٦، وقال عنه الألباني صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب اسم الحزن، برقم ٥٨٣٧.

(٤) أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ٤/٤٤٤.

ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له: " أبو عامر الراهب"، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير. فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألبهم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وشج رأسه، صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر. وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدا طريدا، فنالته هذه الدعوة.

---

(١) سورة التوبة الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول، صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل، ملك الروم، يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومناه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته، عليه السلام، فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: " إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله" ، فلما قفل، عليه السلام راجعا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة(١).

احتساب النبي ﷺ على أبي لبابة لإضراره بجاره:

عن واسع بن حبان، قال: كانت لأبي لبابة عذق في حائط رجل، فكلمه، فقال: إنك تطأ حائطي إلى عذقك، فأنا أعطيك مثله في حائطك،

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤ /٢١١.

فأخرجه عني فأبى عليه، فكلم النبي ﷺ فيه، فقال: يا أبا لبابة، خذ مثل عذقك فضمها إلى مالك واكفف عن صاحبك ما يكره، فقال: ما أنا بفاعل، قال: فاذهب فأخرج له عذقا مثل عذقه إلى حائطه، ثم اضرب فوق ذلك بجدار، فإنه لا ضرر في الإسلام، ولا ضرار. (١)

قال ابن رجب رحمه الله: ففي هذا الحديث والذي قبلَه إجبارُه على المعاوضة حيث كان على شريكه أو جاره ضررٌ في تركه، وهذا مثلُ إيجاب الشُّفعة لدفع ضررِ الشَّريك الطَّارئ (٢).

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: ولو انتشرت أغصان شجرة إلى دار جاره كان للجار أن يستعدي المحتسب حتى يعديه على صاحب الشجرة ليأخذه بإزالة ما انتشر من أغصانها في داره، (٣)

وقد قال أحمد في رواية ابن منصور: " في رجل في حائط جاره شجرة وأغصانها في حائطه له أن يمنعه ويأمره بقطعها". وكذلك نقل إسحاق بن هانئ " في شجرة أصلوها في ملك صاحبها، وأغصانها مطلة على بستان جاره، لجاره أن يدفع ذلك عنه". وكذلك نقل الحسن بن محمد بن الحرث " في نخلة أصولها في داره، ورأسها في داري: يقطعها حتى لا تؤذيه، فقيل له: يقطع له؟ قال: يأمر صاحبه حتى يقطع". (٤)

---

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل، في باب الإضرار، برقم ٤٠٧.

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ٣٤/١٥.

(٣) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م) ٣٠٠.

(٤) القاضي أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ٣٠٠.

احتساب النبي ﷺ على سمرة بن جندب:

عن سمرة بن جندب ﷺ: (أنه كانت له عضد من نخل في حائط رجل من الأنصار، قال: ومع الرجل أهله، قال: فكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذى به ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى، فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر ذلك له، فطلب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى، قال: فهبه له ولك كذا وكذا، أمراً رغبه فيه فأبى، فقال: أنت مضار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأنصاري: اذهب فاقلع نخله)[(١)].

احتساب عمر ﷺ على الرجل الذي حمل جمله مالا يطيق

عن المسيب بن دارم، قال: "رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يضرب جمّالاً يقول: "حملت جملك ما لا يطيق""[(٢)]

احتساب عمر ﷺ على محمد بن مسلمة:

عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن الضحاك بن خليفة ساق خليجا له من العريض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد. فقال له الضحاك لم تمنعني وهو لك منفعة تشرب به أولا وآخرا ولا يضرك. فأبى محمد فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة فأمره أن يخلى سبيله فقال محمد لا. فقال عمر لم تمنع

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في باب القضاء برقم ٣٦٣٨، وضعفه الألباني .

(٢) يوسف بن حسن بن عبدالهادي المبرد، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (السعودية، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.) ٢/٤٦٩.

أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقى به أولا وآخرا وهو لا يضرك. فقال محمد لا والله. فقال عمر والله ليمرن به ولو على بطنك. فأمره عمر أن يمر به ففعل الضحاك[1].

احتساب عمر رضي الله عنه في التخفيف عن المماليك مالا يطيقون:

قال العيني رحمه الله (وكان عمر رضي الله تعالى عنه يأتي الحوائط فمن رآه من العبيد كلف ما لا يطيق وضع عنه، ومن أقل رزقه زاده فيه، قال مالك وكذلك يفعل فيمن يفعل من الأجراء ولا يطيقه وروي أنه قال أوصيكم بالضعيفين المرأة والمملوك وأمر موالي أبي طيبة أن يخففوا عنه من خراجه)[2].

احتساب عمر رضي الله عنه على الذي طلق نساءه وقسم ماله على بنيه:

عن سالم عن أبيه: أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: (اختر منهن أربعا) فلما كان في عهد عمر طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فلقيه فقال: إني أظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك ولعلك أن لا تمكث إلا قليلا وأيم الله لتردن نساءك ولترجعن في مالك أو لأورثهن منك ولآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال) [3].

(١) أخرجه مالك في الموطأ برقم ١٤٣٧.

(٢) در الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، شرح حديث رقم ٥٤٥٢.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في باب نكاح الكفار، برقم٤١٥٦، وقال عنه شعيب الأناؤوط صحيح.

المبحث الثالث

التدابير الوقائية والعلاجية للتعسف في استعمال الحق

المطلب الأول

التدابير الواقية من التعسف في استعمال الحق

ومن التدابير المهمة في هذا المجال وضع الأنظمة والترتيبات التي تمنع أصحاب الحقوق من التعسف في حقوقهم، ومن ذلك مثلا:

- وضع الأنظمة الخاصة بالعمال وتحديد ساعات العمل والأجور وكيفية صرفها، والمنع من العمل في ساعات شدة الحر أو البرد، ونحو ذلك من التنظيمات التي تمنع أصحاب الأعمال من التعسف في هذا المجال.
- تحديد أوزان حمولة المركبات، لحماية المركبات والطرق وسالكي الطرق من الأضرار المترتبة على تحميلها فوق طاقتها.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية للمساكن لمنع إضرار السكان بعضهم بعضا، ومن ذلك تحديد عدد الأدوار في المنطقة السكنية، ومنع فتح الورش والمحلات المؤذية أو المقلقة لراحة الساكنين، وإبعادها عن مناطق السكن.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية لمنع الحوادث والأخطاء ومن ذلك مثلا إلزام كل سائق بالحصول على رخصة قيادة ليقود سيارته، احترازا من وقوع حوادث السير ولتقليلها قدر الإمكان.

المطلب الثاني

التدابير العلاجية للتعسف في استعمال الحق

وهي التدابير التالية لعملية التعسف والتي تسعى لعلاج الآثار المترتبة على عملية التعسف، ومن هذه التدابير:

الإبطال: بإبطال أثر التعسف، ومن ذلك مثلا توريث المطلقة في مرض الموت المخوف، إذا دلت القرائن على أنه طلقها لحرمانها من الميراث، ومن ذلك ما فعله عمر رضي الله عنه مع غيلان بن سلمة عن سالم عن أبيه: أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: (اختر منهن أربعا) فلما كان في عهد عمر طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فلقيه فقال: إني أظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك ولعلك أن لا تمكث إلا قليلا وأيم الله لتردن نساءك ولترجعن في مالك أو لأورثهن منك ولآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال[1].

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله اتفاق كبار الصحابة رضي الله عنهم توريث المبتوتة في مرض الموت، وقال ولا نعلم أحدا منهم أنكر هذا الوفاق ولا خالفه[2].

الإزالة: تنص القاعدة الفقهية المشهورة على أن "الضرر يزال[1]" وهذه القاعدة تنطبق على استعمال الحق سواء كان فعلاً أو امتناعاً ومثال ذلك:

(١) سبق تخريجه ص، ٩٣.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، إقامة الدليل على إبطال التحليل، ٣٢١.

وضع الجار خشبته على جدار جاره، فلصاحب الجدار حق الامتناع عن وضع الجار الآخر لخشبه على جداره، ولصاحب الخشبة حق بموجب الحديث أن يضع خشبه على جدار جاره، ولكن كلا الحقين مرهون بعدم الضرر، فإذا كانت الخشبة تضر صاحب الجدار فإن الضرر يزال، وإذا كان الامتناع عن وضعها يضر بصاحب الخشب ووضعها لا يضر بصاحب الجدار لم يجز له أن يمتنع وكان عليه أن يزيل الضرر الواقع على جاره.

ولذا فالاحتساب على التعسف في استعمال الحق قد يقتضي إزالة ما أحدثه التعسف من أثر، كهدم مسجد الضرار، وإغلاق النافذة التي تشرف على عورات الجار، وقطع أغصان الشجرة المؤذية، ونحو ذلك. وذلك انطلاقا من القاعدة الفقهية المشار إليها الضرر يزال

التعويض: بتعويض الطرف المتضرر من الاستعمال المتعسف فيه للحق، يقول الكاساني رحمه الله: لا ضرر ولا إضرار في الإسلام وقد تعذر نفي الضرر من حيث الصورة فيجب نفيه من حيث المعنى بالضمان ليقوم الضمان مقام المتلف[٢]

ومن أبرز صور التعويض:

دفع دية القتل الخطأ، ودية الجراحات وغيرها، والتعويض عن الضرر عموما ويدل له:

(١) انظر في هذه القاعدة: الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ١٠٥، د.سعد بن ناصر الشثري، شرح منظومة القواعد الفقهية للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ٩٢. د. محمد صدقي البورنو، الوجيز في أصول الفقه، ٩.

(٢) علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع، ١٦٥/٧.

عن عائشة، أنها قالت: ما رأيت صانعة طعام مثل صفية، أهدت إلى النبي ﷺ إناء فيه طعام، فما ملكت نفسي أن كسرته، فقلت: يا رسول الله، ما كفارته ؟ فقال: " إناء كإناء، وطعام كطعام[(1)]

التدخل القضائي: لمنع التعسف، ومن صور ذلك:

- تدخل القاضي بتزويج من عضلها وليها، فإذا عضلها وليها فللقاضي أن يزوجها من كفؤها[(2)] قال الشافعي رحمه الله: قال الشافعي يزوجها السلطان لا الأبعد إذا كان الأقرب غائبا غيبة حقيقية أو حكمية كما إذا عضل الولي الأقرب الصغير والصغيرة عن تزويجهما فيزوجهما القاضي لكن تزويجه هنا نيابة عن العاضل بإذن الشرع لا بغيره لأن العاضل ظالم بالمنع وللقاضي كف أيدي الظلمة[(3)]
- الحجر على السفيه ومنعه من التصرف في ماله. يقول تعالى (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، في مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، برقم٢٥١٥٥، وقال عنه شعيب الأرناؤوط قال إسناده حسن.

(٢) انظر في ذلك : الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان(لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ ١٩٩١م)، ١/٢٨٥، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١١٤٢٢هـ) ٣/١٢٩، أبوبكر الدمياطي، حاشية إعانة الطالبين ، ٣ /٣٦٢، محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (لبنان، بيروت، دار الفكر) ٣/١٥٣. ابراهيم بن مفلح، المبدع في شرح المقنع(لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ)٧/٣٦. وغيرها من كتب الفقه.

(٣) عبدالرحمن بن محمد الكليبولي، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م) ١٠/٤٩٩.

لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً(٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) [١] ففي هاتين الآيتين الكريمتين دلالة على مشروعية الحجر على السفيه لمصلحته[٢]، وقد أجاز الجمهور الحجر على السفيه المبذر من قبل القاضي حتى لا يصبح عالة على الناس، وقال أبو حنيفة: يمنع السفيه من ماله ما لم يبلغ خمسا وعشرين سنة، فإذا بلغها دفع إليه ماله[٣].

(١) سورة النساء:٥ ، ٦.

(٢) الشيخ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ٤٣٨/١.

(٣) د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (سوريا، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ) ١١٩/٣.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

في ختام هذا البحث، أسأل الله تعالى أن أكون وفقت في عرض موضوع الاحتساب على التعسف في استعمال الحق، وألخص ما توصلت له في هذا البحث فيما يلي:

١- أن موضوع التعسف في استعمال الحق، ليس أمرا مستحدثاً توصلت له القوانين الحديثة، بل قد سبقت له الشريعة الإسلامية، ووضعت له أسسا وقواعد، ومظاهره مبثوثة في تفاصيل الشريعة وجزئياتها.

٢- مشروعية الاحتساب على التعسف في استعمال الحق، وورود نصوص خاصة في هذا الموضوع.

٣- أن أنواع التعسف في استعمال الحق:

النوع الأول: قصد الإضرار.

النوع الثاني: قصد غرض غير مشروع.

النوع الثالث: ترتب ضرر أعظم من المصلحة.

النوع الرابع: الإفراط في استعمال الحق على نحو يرتب ضرراً على الغير.

النوع الخامس: الاستعمال غير المعتاد وترتب ضرر للغير.

النوع السادس: استعمال الحق مع الإهمال أو الخطأ.

النوع السابع: الإسراف.

٤- استعرضت بعض نماذج الاحتساب على التعسف في استعمال الحق.

٥- من التدابير الواقية من التعسف في استعمال الحق:

- وضع الأنظمة الخاصة بالعمال وتحديد ساعات العمل والأجور وكيفية صرفها، والمنع من العمل في ساعات شدة الحر أو البرد، ونحو ذلك من التنظيمات التي تمنع أصحاب الأعمال من التعسف في هذا المجال.
- تحديد أوزان حمولة المركبات، لحماية المركبات والطرق وسالكي الطرق من الأضرار المترتبة على تحميلها فوق طاقتها.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية للمساكن.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية لمنع الحوادث والأخطاء.

٦- من التدابير العلاجية للتعسف في استعمال الحق:

الإبطال: بإبطال أثر التعسف.

الإزالة: بإزالة آثار التعسف.

التعويض: بتعويض الطرف المتضرر من الاستعمال المتعسف فيه للحق.

التدخل القضائي: لمنع التعسف.

وقبل الختام أوصي نفسي ومن يقرأ هذا البحث بتقوى الله تعالى في السر والعلن، ثم أوصي ببعض التوصيات ومنها:

١- العناية بدراسة مسائل التعسف في استعمال الحق، وهي في نظري مسائل كثيرة، وتشكل مجالاً رئيساً من مجالات الحسبة.

٢- العناية بتنزيل المصطلحات المعاصرة وربطها بالفقه والشريعة إما لتقويمها أو الاستدلال لها أو التحذير منها في حال مخالفتها للشرع.

٣- استثمار الثروة الهائلة التي أورثها لنا علماؤنا المتقدمون في شتى جوانب العلم والمعرفة وتقديمها بأسلوب معاصر ييسر الاستفادة منها، والانتفاع منها بالدرجة القصوى، في سائر مجالات الحياة المعاصرة.

٤- أن يعتني الباحثون بربط مسائل الحسبة وقضاياها بالواقع المعاصر، وألا ينفصل الباحثون والدارسون عن واقعهم وينشغلوا بقضايا لا تدعو لها الحاجة، فإن الحسبة بطبيعتها تعالج مشكلات المجتمع، وتتكيف مع أوضاعه، وتتفاعل مع ما يعرض له من أدواء وأسقام بمعالجتها ووقاية المجتمع منها ومن آثارها.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

فهرس المراجع

١- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة(لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية).

٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية(مصر، القاهرة، مكتبة المؤيد، ١٣١٧هـ).

٣- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، إقامة الدليل على إبطال التحليل

٤- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، التجريد لاختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥- ابن جزي، محمد بن أحمد المالكي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية.

٦- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط: (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ — ١٩٩٣)

٧- ابن قدامة، المقدسي، المغني، (مصر، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)

٨- أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ت: محمد محي الدين عبدالحميد (لبنان، بيروت، دار الفكر)

٩- أبو سنة، أحمد فهمي، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، بحث ضمن أسبوع الفقه الإسلامي.

١٠- الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)

١١- الإمام مالك، بن أنس، الموطأ (الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٢- الأنصاري، شيخ الإسلام زكريا، أسنى المطالب في شرح روض الطالب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٢١هـ)

١٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة ط١ ١٤٢٢هـ)

١٤- البصري، أبو زيد عمر النميري، أخبار المدينة، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م)

١٥- بن رجب، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ)..

١٦- ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(المغرب، وزارة عموم الأوقاف، ١٣٨٧م).

١٧- بن قاسم، الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن، الإحكام شرح أصول الأحكام، (ط٢ ١٤٠٦هـ).
١٨- بن مفلح، إبراهيم، المبدع في شرح المقنع(لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ)
١٩- البورنو، د. محمد صدقي، الوجيز في أصول الفقه(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة)
٢٠- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى (الهند، حيدر أباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٤٤هـ)
٢١- الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م)
٢٢- حميتو، د. يوسف، صلة مبدأ اعتبار المآل بنظرية التعسف في استعمال الحق - العدد ١٢ من مجلة المذهب المالكي.
٢٣- الحنبلي، عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)
٢٤- د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (سوريا، دمشق، دار الفكر، ط٤،)
٢٥- الدريني، د فتحي، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

٢٦- الدمياطي، أبوبكر بن السيد محمد شطا، حاشية إعانة الطالبين(لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٨هـ)

٢٧- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (سوريا، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ)

٢٨- الزرقا، الشيخ أحمد بن محمد شرح القواعد الفقهية(سوريا، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ط٢)

٢٩- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة(لبنان، بيروت، دار المعرفة).

٣٠- الشثري، د. سعد بن ناصر، شرح منظومة القواعد الفقهية للشيخ عبدالرحمن بن سعدي

٣١- الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (لبنان، بيروت، دار الفكر)

٣٢- الشيخ السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير(مصر، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٣م).

٣٣- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٣٤- الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م)

٣٥- عبدالعزيز، إيهاب علي محمد، نظرية التعسف في استعمال الحق في حقل الملكية العقارية، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير في القانون الخاص من جامعة الشرق الأوسط، عام ٢٠١٢/٢٠١١م

٣٦- العتيبي، مشعل، التعسف في استعمال حق الولاية على المرأة، جامعة نايف العربية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٣٧- العيساوي، د. إسماعيل كاظم، استعمال الحق لغير مصلحة مشروعة أو لقصد الإضرار بالغير: دراسة مقارنة بحث منشور في "المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية"، المجلد الخامس، العدد (٣/ب)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣٨- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي)

٣٩- الغزنوي، بيان الحق، إيجاز البيان عن معاني القرآن (لبنان، بيروت، دار الغرب، ١٤١٥هـ)

٤٠- الغنيمي، عبدالآخر حماد، الفوائد من حديث مثل القائم(الأردن، عمان، دار البيارق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)

٤١- القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

١. القرشي ابن الأخوة، معالم القربة في طلب الحسبة. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٢- القرطبي، الإمام أبو عبدالله، الجامع لأحكام القرآن (السعودية، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م).

٤٣- الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع(لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م)

٤٤- الكليبولي، عبدالرحمن بن محمد، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م)

٤٥- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.)

٤٦- المبرد، يوسف بن حسن بن عبدالهادي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (السعودية، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.)

٤٧- المري، حمد بن محمد بن خزينة، تعسف صاحب العمل في علاقته بالعامل في استعمال الحق بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في السياسة الشرعية من المعهد العالي للقضاء، ١٤٢٣/١٤٢٤هـ.

٤٨- نظام، الشيخ وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان(لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ ١٩٩١م)

٤٩- نعمة الله، نعمة الله بن محمود، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (مصر، القاهرة، دار ركابي للنشر، ١٩٩٩).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات	الصفحة
١	أهمية فقه الموازنات لدى الداعية (د.زينب بنت عبد الله الراجحي)	٩
٢	الداعية الأمين في ضوء الكتاب والسنة (د. علي بن أحمد الأحمد)	٥٥
٣	التطبيقات النبوية في تنمية المهارات الدعوية (د. لمياء بنت سليمان الطويل)	١٣٥
٤	زاد الدعاة في التحذير من الانشغال بعيوب الناس (د. محمد بن عبدالعزيز الثويني)	١٩٥
٥	آثار رعاية حقوق الحيوان في الإسلام على دعوة غير المسلمين (د. خولة بنت يوسف المقبل)	٢٤٥
٦	البرامج الدعوية في وزارة الدفاع وأثر إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية (د. خالد بن إبراهيم الدبيان)	٢٩٩
٧	الاحتساب على التعسف في استخدام الحق (د.رزين بن محمد الرزين)	٣٥٣
٦	فهرس الموضوعات	٤٠٥

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
٢- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
٣- تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
٤- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
٥- تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

بصيرة

مطابع الجامعة

ردمك : ١٦٥٨ _ ٣٨٨٤

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

بصيرة
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية
Saudi association for da'wah studies

العدد السابع - محرم ١٤٣٧ هـ

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

عناوين الأبحاث:

- بلاغة الخطاب الدعوي في سورة نوح .
- آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية).
- المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي.
- تعزيز ثقافة الوقف (دراسة دعوية مقارنة).
- المسؤولية الدعوية للداعي إلى الله في عيادات التجميل .
- قاعدة المشقة تجلب التيسير (دراسة دعوية تأصيلية).

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة

الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد السابع

١٤٣٧هـ

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ -الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢ -١١ -٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

ردمد: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعـــد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١ -أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢ -أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣ -أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤ -أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥ -أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦ -أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧ -أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨ -أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١ -توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢ -تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣ -توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١ - أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢ - يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية -والانجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣ - أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤ - أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥ - أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المقدمة

الحمد لله الذي شرّف العلم وأهله، والذي أعلى جانب النظر والبحث وجعلها من قيم دينه، والصلاة والسلام على نبي الرحمة المهداة محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، ، ،

وبعد:

يسرنا أن نُرحِّب بكم بين يدي هذا العدد السابع من أعداد "مجلة الدراسات الدعوية" والذي يصدر من الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في ثوب علمي رصين محكّم.

وقد اشتمل هذا العدد على الأبحاث العلمية الآتية:

١. بلاغة الخطاب الدعوي في سورة نوح عليه السلام.

٢. آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم "دراسة وصفية تحليلية".

٣. المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي.

٤. تعزيز ثقافة الوقف "دراسة دعوية مقارنة".

٥. المسؤولية الدعوية للداعي إلى الله في عيادات التجميل.

٦. قاعدة المشقة تجلب التيسير "دراسة دعوية تأصيلية".

نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني bsserah@gmail.com ، وتقديم الجديد النافع ، ، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصى ونتواصل...

رئيس هيئة التحرير

أ ٠د٠ حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

بلاغة الخطاب الدعوي
في سورة نوح عليه السلام

إعداد
د. يوسف بن عبدالله العليوي
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. أما بعد:

فإن من أحسن الأقوال وأشرف الأعمال الدعوة إلى الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وأعظم بعمل أسنده الله ﷻ إليه حيث قال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

والخطاب الدعوي يهدف إلى التأثير في المدعوين واستمالة قلوبهم إلى الحق وإقناعهم به، ويستثمر الوسائل والأساليب التي تسهم في تحقيق ذلك، ومن أهمها بلاغة القول والتفنن في نظمه وأساليبه بحسب ما يقتضيه مقام الدعوة والمدعوين.

وكلما كان الداعية مراعيًا للبلاغة في خطابه كان أسَدَّ قولاً، وأكثر تأثيرًا، وأقوى إقناعًا، وأقدر على التواصل، وأقرب للقبول، وأبعد عن عثرات الكلام وسقطاته، ويتحقق له ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))(١)، ويحصل بذلك ما أراده الله ﷻ في الخطاب الدعوي من الحكمة والحسن في قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ورسل الله عليهم السلام هم القدوة في منهاج الدعوة وخطابها، وقد قال الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ بعد أن ذكر جملة من الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وإن من صفاتهم ومنهجهم بلاغة القول وفصاحته، ومن ذلك ما ذكره الله ﷻ في بيان النعم التي أنعم بها على داود عليه السلام، ومنها: فصل الخطاب،

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٥.

كما في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، ومما فسر به "فصل الخطاب": بيان الكلام، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما(١)، قال ابن عطية (٥٤٢هـ): ((إن الله تعالى آتاه أنه كان إذا خاطب في نازلة فصل المعنى، وأوضحه، وبيّنه، لا يأخذه في ذلك حصر ولا ضعف))(٢).

ومما يبيّن منهج الأنبياء في فصاحة القول وبلاغته في الدعوة إلى الله قول موسى عليه السلام حين أمره الله عز وجل بتبليغ الدعوة إلى فرعون وملأه: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤]، وموسى عليه السلام كما يظهر من الآية لم يعدم فصاحة القول وإبانة الدعوة، ولكنه يطلب الأفصح والردء الذي يصدق، كما قال في موضع آخر: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٧-٣٢]، لأنه يدرك أن من يقدم عليهم يتطلبون بيانًا عاليًا وحجة غالبة، ومعينًا على القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى ذاك الملك المتكبر الجبار العنيد(٣).

وأمرنا الله عز وجل أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام ومن معه في براءته من قومه، فقال الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ الآية [الممتحنة: ٤].

والتأسي هنا ليس في مجرد فعل التبرؤ، وإلا جاء نظم الآية على حكاية الفعل، كأن يقال: إذ تبرؤوا من قومهم ومما يعبدون من دون الله وكفروا بهم...، ولكن الآية جاءت بحكاية القول المنبئ عن الفعل، مما يدل على أن التأسي بالقول مقصود، قال

(١) ينظر في قول ابن عباس وغيره: معالم التنزيل: ٧/٧٧، وزاد المسير: ٧/١١١-١١٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٤٩.

(٢) المحرر الوجيز: ١٤/١٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/٢٣٦.

ابن عاشور (١٣٩٣هـ): ((والمراد بقولهم هذا لقومهم أنهم قالوه مقال الصادق في قوله، فالائتساء بهم في ذلك القول، والعمل بما يترجم عليه القول مما في النفوس))(١). كما أن التأسي بالقول لا يحصل تمامه حتى يكون بالمسلك البليغ الذي سلكوه، مما ينبئ عن قوة إيمانهم بالله وتمسكهم بدينه، وشدة تبرؤهم من الكفر وأهله، ولو لم يكن هذا مقصودًا لجاء نظم القول بغير هذه الصورة، وربما يكفي أن يقولوا: تبرأنا منكم ومن معبوداتكم وكفرنا بطريقتكم وسنعاديكم ونبغضكم إلى أن توحدوا الله. ولكن فرْق عظيم بين هذا القول وذاك القول.

وقد عرض القرآن الكريم تجارب الأنبياء في دعوتهم وخطابهم لأقوامهم؛ للاقتداء بهم والتسلية بقصصهم ونجاتهم ومآل أقوامهم.

ومن هؤلاء الأنبياء الكرام نوح عليه السلام، الذي أُفردت سورة كاملة باسمه، عرضت قصته بصورة موجزة في دعوة قومه وخطابه إياهم، والقصة نفسها خطاب للنبي ﷺ ولقومه، فاشتملت السورة على نوعين من الخطاب: الأول: خطاب نوح عليه السلام لقومه، وهو خطاب مباشر صريح، كما سردته السورة. والثاني: خطاب القصة للنبي محمد ﷺ وقومه، وهو خطاب تعريضي غير مباشر، مقصود من سرد القصة.

وسيتناول هذا البحث كلا النوعين من الخطاب في هذه السورة باعتبارها أنموذجًا من نماذج الخطاب الدعوي في القرآن الكريم.

ويتناول الخطابين وأساليبهما بمنهجية بلاغية تحليلية، تجيب على سؤال البحث: ما الخصائص البلاغية لنظم الخطاب الدعوي من خلال سورة نوح؟

ولن يكون من مقصود البحث تتبع نظم السورة لفظة لفظة وجملة جملة وأسلوبًا أسلوبًا، إلا ما يكشف عن الخصائص البلاغية والظواهر الأسلوبية للخطاب الدعوي في السورة.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٤٥/٢٨.

وللوصول إلى هذه الخصائص البلاغية تناول البحث نوعي الخطاب بالتحليل، ثم خلص بعد ذلك إلى بيان تلك الخصائص، ولذا بُني البحث على ثلاثة مباحث: الأول: الخطاب الدعوي لنوح عليه السلام مع قومه. والثاني: الخطاب الدعوي بالقصة. والثالث: خصائص النظم في الخطاب الدعوي. ومهدت قبلها بتمهيد تناول سياق السورة، ثم ختمتها بخاتمة تبين نتائج البحث.

وسميته "بلاغة الخطاب الدعوي في سورة نوح".

وإني لأرجو أن يكون هذا البحث وأمثاله دافعًا لمن يتصدر لدعوة الناس إلى الله عز وجل على منابر الجمعة والإعلام وغيرها أن يتناولوا من البلاغة ما يسهم في رقي خطابهم؛ ليكون أكثر قبولاً وأعمق تأثيراً.

أسأل الله عز وجل أن يكتب لي فيه التوفيق والسداد، وأن يتقبله مني بقبول حسن، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

الأول: سياق السورة:

من المقرر عند البلاغيين أن سياق النص مؤثر في تحليله وإدراك خصائص نظمه، سواء كان سياقًا مقاليًا داخليًا، أم سياقًا مقاميًّا خارجيًا؛ فإن البلاغة قائمة على مراعاة السياق تحقيقًا للأصل البلاغي: لكل مقام مقال، وما البلاغة إلا: مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال(١).

ولكي نكشف عن بلاغة النظم القرآني للخطاب الدعوي في السورة لا بد أن نتبين السياق الذي وردت فيه، وسنتناوله من جانبين: سياق النظم، وسياق النزول.

أ- سياق النظم:

جاءت السورة في النظم بعد سورة "المعارج"، وهي سورة مكية، بيّنت في مطلعها إعراض كفار مكة عن دعوة الحق واستهزاءهم بها، حتى سألوا العذاب واستعجلوه تهكمًا وتعجيزًا: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١].

ولما كان إعراض الكفار وتهكمهم مما يؤذي النبي ﷺ، ويصيبه بالهم والحزن، ويفت في صبره، أمر بالصبر الجميل: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [٥-٧]، وهو الصبر الذي لا يشوبه جزع ولا شكوى إلا إلى الله تعالى، كما ورد عن مجاهد (ت١٠٤هـ) والحسن البصري (ت١١٠هـ)(٢).

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ١٦٨ و٤١٥ و٤٣٢، والإيضاح مع شروح التلخيص: ١/١٢٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١/٤٠٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، وجامع البيان للطبري، ومعاني القرآن للفراء: عند تفسير سورة يوسف:١٨. وروي في حديث مرفوع لا يصح عن حِبّان بن أبي جبلة أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨] فقال: ((صَبْرٌ لا شَكْوَى فِيه)). أخرجه ابن أبي حاتم والطبري في تفسيريهما، وقال ابن كثير في تفسيره: ((وهذا مرسل)) لأن حِبّان من التابعين.

ثم بينت السورة ذلك اليوم الذي يسألون عذابه، وما فيه من الأهوال والأحوال، وما أعده الله للمجرمين المكذبين من شديد العذاب: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ الآيات [٨-٢١].

وبيّنت أنه لا نجاة من ذلك العذاب إلا للمؤمنين المصدقين: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ الآيات [٢٢-٣٥].

ثم جاءت خاتمتها إنذارًا ووعيدًا للمكذبين: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۞ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۞ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ...﴾ الآيات [٣٦-٤٤].

ثم جاءت بعدها "سورة نوح" لتكون نموذجًا واقعيًّا لما جاء في سورة "المعارج" من أمر النبي ﷺ بالصبر والثبات على الدعوة، والإنذار والوعيد لكفار مكة، فعرضت للنبي ﷺ صورة من صور الصبر الجميل والثبات الطويل عند نوح ﷺ، وعرضت للكفار صورة واقعية لسنة الله ﷻ في حلول الوعيد بمن كذّب، وأُنذر فأعرض: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح:٢٥].

فوقعت "سورة نوح" موقع الاستدلال والاستظهار لما في "سورة المعارج"(١).

ولعل اختيار قوم نوح ﷺ لمشابهة قوم النبي ﷺ لهم في عبادة الأوثان، وسؤال العذاب، كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:٣٢]، وهم مع ذلك أظلم منهم وأطغى، وأشد قوة وأكثر جمعًا، فما أغنت عنهم آلهتهم ولا قوتهم من شيء لما جاء أمر الله، قال البقاعي (ت٨٨٥هـ): ((لما خُتمت "سَأَلَ" بالإنذار للكفار -وكانوا عباد أوثان- بعذاب الدنيا والآخرة، أتبعها أعظم عذاب كان في الدنيا على تكذيب الرسل بقصة

(١) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن: ١٩٥، ونظم الدرر: ٢٠/٤٢٢-٤٢٣، وتناسق الدرر في تناسب السور: ١٢٩، وروح المعاني: ٢٩/٦٧.

نوح عليه السلام، وكان قومه عباد أوثان، وكانوا يستهزئون به، وكانوا أشد تمردًا من قريش وأجلف وأقوى وأكثر، فلم ينفعهم شيء من ذلك عند نزول البلاء وبروك النقمة عليهم وإتيان العذاب إليهم))(١).

ب- سياق النزول:

التعرف على سياق النزول مما يكشف عن المقام الذي اقتضى أن تكون السورة بالنظم الذي جاءت عليه. وكثير من المدونات التي تناولت نزول السورة تذكر أمرين يتصلان بمقام السورة:

الأول: أن السورة مكية بالاتفاق(٢)، وهي بذلك تحمل شيئًا من خصائص الخطاب المكي في القرآن الكريم(٣).

الثاني: أن السورة نزلت بعد سورة النحل، وقبلهما الكهف(٤).

وليس فيما وقفت عليه من أقوال المفسرين ما يحدد زمن نزول السورة، ولكن الظاهر من سياق السور التي ذُكر أنها نزلت قبلها أن السورة جاءت في حال اشتد فيها عناد المشركين وتكذيبهم ومكرهم واستهزاؤهم بالنبي ﷺ وبما جاء به، حتى وجد في نفسه ما وجد من الضيق والحزن، وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ في أول سورة الكهف:

---

(١) نظم الدرر: ٣٢٢/٢٠، وينظر: البحر المحيط: ٣٣٢/٨، والتحرير والتنوير: ١٨٧/٢٩.

(٢) ينظر: تنزيل القرآن لابن زنجلة: مجلة معهد الشاطبي، عدد (٢): ٢٦٣، والمحرر الوجيز: ٣٧٢/٥، وروح المعاني: ٦٧/٢٩، والتحرير والتنوير: ١٨٦/٢٩.

(٣) مما ذكر من الخصائص الموضوعية والأسلوبية **الغالبة** على السور المكية: الاهتمام بتقرير توحيد الله ﷻ وأصول العقيدة، وذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة، وتسلية النبي ﷺ وتثبيته، وإنذار المشركين ومجادلتهم، وآيات السجدة، وقِصَر الآيات، وكثرة أساليب التأكيد والتقرير كالقسم والتكرار وضرب الأمثال، والنداء بـ"يا أيها الناس، يا بني آدم"، والافتتاح بالحمد لله، والافتتاح بالحروف المقطعة، وذكر ألفاظ لم ترد إلا فيها مثل ألفاظ: كلاّ، الوصف، الخرص، الجنون، الزخرف، الزجر، التضرع، الصور، الصيحة، الوزر والأوزار، سواء وردت بلفظها أم بالاشتقاقات المتعلقة بها. ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٨٨/١، والمكي والمدني في القرآن الكريم: ٢٨.

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٩٩/١، وتفاسير القرآن حسب ترتيب النزول: ١٤٩.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]، وقال في آخر سورة النحل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

وقد اقتضت هذه الحال تثبيت قلب النبي ﷺ وتسليته، ومن ذلك إنذار المشركين ووعيدهم، فتتابعت هذه السور وغيرها في تسلية النبي ﷺ وإنذار المكذبين، وقد استُفتحت سورة الكهف بالإنذار: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۞ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۞ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۞ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا ۞ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف:١-٥].

وبه استُفتحت أيضًا سورة النحل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:١-٢].

وفي كلا السورتين أَمْرُ النبي ﷺ بالصبر، وتسليتُه في مواجهة قومه ودعوتهم.

ثم جاءت في هذا السياق "سورة نوح" لتشعر بمزيد من التثبيت والتسلية للنبي ﷺ والذين آمنوا معه، وبمزيد من الإنذار والوعيد لمن كذبوا وأعرضوا عنه، في سيرة واقعية عن نوح عليه السلام.

ومن خلال ما سبق يتضح أن المخاطب بالسورة اثنان:

١- النبي ﷺ تسليةً له ولمن معه من المؤمنين.

٢- المشركون تأكيدًا لهم تحقق الإنذار والوعيد.

وقد حوت السورة بما تضمنته من قصة نوح عليه السلام مع قومه أنواعًا من المخاطبات:

١- خطاب الله جل جلاله لنوح عليه السلام في الآية الأولى.

٢- خطاب نوح ﷺ لقومه في الآيات (٢-٤، ١٠-٢٠).

٣- خطاب نوح ﷺ لله ﷻ في الآيات (٥-٢٤، ٢٦-٢٨).

والبحث يتناول الخطاب الدعوي في السورة، من خلال نوعين من الخطاب:

١- خطاب نوح ﷺ لقومه، وهو خطاب مباشر صريح، كما سردته السورة.

٢- خطاب القصة للنبي محمد ﷺ وقومه، وهو خطاب تعريضي غير مباشر، مقصود من سرد القصة.

المبحث الأول

الخطاب الدعوي لنوح عليه السلام مع قومه

جاء خطاب نوح عليه السلام لقومه في أربع عشرة آية (٢-٤، ١٠-٢٠) تضمنت ما يأتي من المعاني والأساليب البلاغية التي نظمتها:

أولاً: الإخبار بمهمته وحقيقة دعوته لقومه وثمراتها لهم إن حققوها، وبها بدأ الخطاب: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وجاء مضمون هذا الخبر مؤكدًا بإنّ، مع النداء بلفظ القوم المضاف إلى ضمير المتكلم، والتقييد بالجار والمجرور "لكم" أي: لأجلكم، مما يفيد الاهتمام بهم، وتقديم المجرور يشعر بمزيد من الاهتمام، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((جمع في صدر دعوته خمسة مؤكدات، وهي: النداءُ، وجعلُ المنادَى لفظ "يا قوم" المضاف إلى ضميره، وافتتاحُ كلامه بحرف التأكيد، واجتلابُ لام التعليل، وتقديمُ مجرورها))(١).

وأُكّد الخبر لأن المتوقع من المخاطبين الشك والإنكار.

وقد جاء ذكر هذه المهمة مصرحًا بها أيضًا في بدء الخطاب من قصة نوح عليه السلام في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٥-٢٦]، وذِكرُ خوفه عليهم من العذاب تعليل للنذارة وبيان للداعي إليها.

وكذلك في سورة الأعراف بدء خطابه بحقيقة الدعوة، وإن كان صرح بمهمة الرسالة والتبليغ والإنذار بعد حوار: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا

---

(١) التحرير والتنوير: ١٨٨/٢٩.

اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٣].

والإنذار دعوة يصحبها تخويف وتحذير، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): ((الإنذار: إخبار فيه تخويف، كما أن التبشير إخبار فيه سرور))[1]، وهو غالب مع الكافرين والظالمين، كما أن التبشير غالب مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۞ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۞ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۞ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف:١-٤]، وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف:١٢].

والرسول يجمع بين النذارة والبشارة: النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين، كما قال الله ﷻ عن النبيين والمرسلين: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة:٢١٣]، وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام:٤٨]، وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، وقال عن كتابه الكريم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:١-٢].

ونوح عليه السلام ذكر في تفسيره للنذارة ما هو بشارة: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٨٧ مادة (نذر).

أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فقوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ تفسير لقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): (("و"أنْ" في "أن اعبدوا" تفسيرية؛ لأن وصف "نذير" فيه معنى القول دون حروفه))[(١)]. وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ الآية، بشارة لهم إن حققوا ما أمرهم به.

لكن وصف نوح عليه السلام مهمته في هذه السورة بـ"النذارة" مع أنه يجمع بينها والبشارة؛ لأن الأمر له من الله عز وجل في بدء السورة جاء بالإنذار: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فكان الوصف بالنذارة استجابة للأمر بها.

ولم غُلِّب الأمر بالنذارة ؟

لأن من مقاصد سياق السورة -كما سبق- إنذار كفار مكة لمّا كذبوا وأعرضوا وتعنتوا، تسليةً للنبي ﷺ؛ فكان التركيز على الإنذار.

وهذا هو الأصل في قصص الأنبياء التي تساق لتذكير قوم النبي محمد ﷺ بمصير المكذبين من قبلهم، أنهم يُنذرون بمثله.

وبشرهم نوح عليه السلام بثمرات الإيمان إن هم أطاعوه فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وهي ثمرات يرغبون فيها تجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فالمغفرة ينجون بها من عذاب الدنيا والآخرة، وتأخير الأجل طول بقاء وتمتع في الدنيا، وعُبّر عنهما بالفعل المضارع الذي يدل على تجدد الثمرات ودوامها لهم، وفي ذلك مزيد ترغيب في الإيمان.

لكن نوحًا عليه السلام يشعر بأنهم معرضون بعيدون عن الاستجابة لما فيهم من الجهل والإصرار عليه، فيتمنى أن يعلموا: ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، والتمني رغبة في حصول

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/١٨٨.

المطلوب، ويغلب أن يكون بعيدًا أو مستحيلاً، وحينما يكون التمني بـ"لو" فإن المتمنَى يكون في صورة الممتنع؛ لما تفيده "لو" من الامتناع[1]، كما قال الله ﷻ عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]، وقال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٦-٥٨].

ثانيًا: الترغيب في استغفار الله وبيان آثاره، وجاء في الآيات (١٠-١٢):

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

والأمر بالاستغفار هو دعوته لقومه المذكورة قبل هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ فهذا الأمر بالاستغفار هو من القول الذي قاله لهم ليلاً ونهاراً وجهاراً وإسراراً[2].

ودعوة الرسل هي دعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده واجتناب الإشراك به، وعُبر هنا عنها بالاستغفار؛ لأن المقام مقام إنذار لقوم معرضين مستكبرين؛ ففيه إشارة لهم وتذكير بعظم المنكر الذي اقترفوه وشدة عاقبته، مما يستوجب الاستغفار، وحقيقته بالنسبة للمخاطبين هو تحقيق الإيمان الذي به تتحقق مغفرة الذنوب؛ فإن الإيمان يجب ما قبله، ولذا قال في مفتتح السورة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ وقال بعدُ: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ وإنما دعوته لهم ليؤمنوا، لكن الإيمان سبب للمغفرة، ومما يدل على هذا دعاؤه في خاتمة السورة:

(١) ينظر: شروح التلخيص: ٢/٢٤١.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٩/١٩٧.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ فجعل المغفرة لمن كان حاله الإيمان. وإنما عبر بالمسبب عن السبب، على سبيل المجاز المرسل؛ ترغيبًا في حصول السبب، وبيانًا لقبح إعراضهم عن عظيم الجزاء(1).

والأمر بالاستغفار في مقام الدعوة والإنذار من نهج الأنبياء في خطاب أقوامهم، وظهر ذلك في قصص الأنبياء في سورة هود، وقد بدأت السورة به: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۞ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۞ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:١-٣]، وقال هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢]، وقال صالح عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠]، وفي سورة إبراهيم ذكر الله ﷻ بعض الأقوام الذين أرسل إليهم، ثم قال: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ الآية [إبراهيم:١٠]، ونبينا محمد ﷺ قال لقومه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:٦].

والعلاقة بين الإيمان والمغفرة جاء في قول سحرة فرعون حينما هددهم بعد إيمانهم: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:٧٣]، ونفى الله ﷻ المغفرة عن الكافرين إذا لم يؤمنوا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء:١٦٨].

---

(١) ينظر: الكشاف: ٣٧٤/٦، والمحرر الوجيز: ٣٧٣/٥، والبحر المحيط: ٣٣٢/٨، والدر المصون: ٤٦٨/١٠ والتحرير والتنوير: ١٩٦/٢٩.

وجاء الترغيب في الاستغفار في خطاب نوح عليه السلام لقومه في ثلاث جمل، تحملها أساليب بلاغية تتآزر لتبلغ بالترغيب غايته، وهو في الوقت نفسه خطاب لقوم النبي محمد ﷺ:

الجملة الأولى جملة إنشائية طلبية فيها طلب الاستغفار: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، ومن الأساليب البلاغية التي تبرز الترغيب فيها:

مجيء الطلب بصيغة الأمر، وهي تفيد الجزم بحصول المطلوب وشدة الرغبة فيه.

ومن ذلك: تخير لفظ الربوبية في وصف الله ﷻ وإضافته إليهم: ربكم؛ وفي هذا تذكير لهم بنعمته عليهم، مما يستوجب استغفاره والإيمان به.

الجملة الثانية جملة خبرية تتضمن وصف الله الذي يُطلب منه المغفرة: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾، وفيها من الأساليب البلاغية التي تبرز الترغيب:

تصدير الخبر بـ"إنّ"، التي تفيد التأكيد، والترغيب يقتضي التأكيد. كما أن من مقتضيات التأكيد في هذه الجملة وقوعها كالجواب عن سؤال ناشئ من جملة الطلب عن علة استغفار الرب ﷻ؛ ولذا جاء الخبر مؤكدًا من النوع الطلبي، الذي يكون فيه المخاطب ممن يتساءل عن الحكم الذي تضمنته الجملة أو يتردد فيه.

ومن ذلك: مجيء "كان" بصيغة الفعل الماضي، وإن كانت تدل في الأصل على حصول الوصف في الزمن الماضي مع الانقطاع كما هو رأي الأكثر، أو من غير نظر إلى انقطاع أو عدمه عند آخرين، إلا أنها تستعمل كثيرًا لإفادة الدوام والاستمرار، وملازمة الصفة للموصوف، مفيدة معنى: لم يزل[1]، وعليه مجيء "كان" مع صفات الله ﷻ؛ لتفيد ملازمتها له منذ الأزل، كهذه الآية وغيرها، قال السيوطي

(١) ينظر: همع الهوامع: ١/٣٨٠، والأفعال في القرآن الكريم: ١/٤٣، و٣/١٢٠٨، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٨/٣٣٣.

(ت٩١١هـ): ((ومن الدلالة على الدوام: الواردة في صفات الله تعالى، نحو: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤]، أي: لم يزل متصفًا بذلك))(١).

وعلى ما سبق من قول في "كان" يكون اجتمع فيها إفادتها لتحقق المغفرة لمن استغفر، ودوام اتصاف الله ﷻ بها.

ومن الأساليب: تخير صيغة المبالغة في وصف الله ﷻ بالمغفرة: غفّار؛ وهي معدول بها عن الوصف باسم الفاعل، الذي يدل على المعنى وصاحبه مجردًا من الدلالة على القلة أو الكثرة والضعف أو القوة، فإذا جاءت صيغة المبالغة دلت على المعنى وصاحبه، وقوة المعنى وكثرته.

والتعبير بصيغة المبالغة "غفَّار" يفيد الترغيب من وجوه عدة:

منها: تأكيد المغفرة وتقريرها في النفوس؛ لأن صيغة المبالغة قائمة مقام تكرير اسم الفاعل "غافر، غافر، غافر..." والتكرير يفيد التوكيد والتقرير.

ومنها: محبة الله ﷻ للمغفرة والاستغفار؛ لكثرة حصولها منه سبحانه، وكثرة المغفور لهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢]، وقال النبي ﷺ: «للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»(٢).

وفي ذلك تعظيم لرجاء مغفرة الله ﷻ في نفوسهم.

ومن الأساليب: مجيء الجملة مفصولة عما قبلها؛ لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً، ولأنها في مقام التعليل للطلب، وجملة التعليل تتصل بالجملة المعللة، وكأنها جواب عن سؤال متضمن في جملة الطلب عن علة استغفار الرب ﷻ. وهذا من

---

(١) همع الهوامع: ١/٣٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٠٨).

النوع الذي يسميه البلاغيون: شبه كمال الاتصال؛ إذا كانت الجملة الأولى متضمنة ما يثير التساؤل فتكون الثانية جوابًا عنه؛ ولذا صدرت بإنّ كما ذكر آنفًا(١).

والذي يظهر أن هذه الجملة الخبرية ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ في مقام الجملة الأولى من جواب الطلب، أي: استغفروا ربكم يغفرْ لكم، لكن عُدل عن هذا الجواب إلى الجواب بالتركيب المذكور؛ ليتضمن جواب الطلب مع تضمنه الأساليب المذكورة التي تفيد قوة الترغيب في الاستغفار.

الجملة الثالثة مع ما عطف عليها فيها جواب الطلب: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾، ومما فيها يرغِّب في الاستغفار:

مجيء جواب الطلب بأمور محبوبة مرغوبة، تتشوف لها النفوس وتتعلق بها القلوب، من الغيث المدرار والأموال والبنين والجنات والأنهار. ثم إنهم كانوا أهل زراعة فاقحطوا -كما ذكره بعض المفسرين(٢)- فيقع هذا الجزاء منهم موقعًا عظيمًا، فهم أحوج ما يكونون إلى هذه الأمور ليستعينوا بها على القيام بشؤون فلاحتهم وحياتهم، ويكون بها قوام عيشهم واكتسابهم، فكان التعبير بهذا الجزاء من مقتضى حالهم وحال النفس البشرية عامة، وروي عن قتادة (١١٨هـ) أنه قال: ((كانوا أهل حب للدنيا وتعظيم لأمرها فاستدعاهم إلى الآخرة من الطريق التي يحبونها))(٣).

ولم يكتف الجزاء بالغيث وحده الذي عادةً ما يكون به حياة الزرع وإدرار الضرع، فتزداد به الأنعام والأموال والأولاد، بل بُيّن حاله بأنه مدرار؛ دلالة على كثرته وتتابعه، وأُعقب بالإمداد بالأموال والبنين والجنات والأنهار؛ لأن من الأمطار ما

(١) ينظر: شروح التلخيص: ٥٣/٣.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٢٣٠/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/١٨، والتحرير والتنوير: ١٨٣/٢٩.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٧٤/٥، والجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/١٨، والبحر المحيط: ٣٣٣/٨.

يغيض في الأرض ولا ينبت به الزرع فلا يكون به قوام الحياة، فبيّن الله ﷻ أن الغيث المدرار غيث يحصل به النفع العظيم لهم.

ولم يقف الجزاء عند مثل هذا النفع العظيم بل زادهم الله الكريم جزاء بإجراء الأنهار التي يكون بها دوام السقي لأنعامهم وجناتهم، فيدوم لهم النفع والخير بما ينزله الله من السماء وما يجريه في الأرض.

والتعبير عن جزاء الإيمان والاستغفار بطيب الحياة ورغد العيش يتكرر في القرآن، ومن ذلك ما ذكر آنفًا من آيات في أمر الأنبياء لأقوامهم بالاستغفار، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، وقوله: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦](١).

وعُبر عن هذه الأمور المحبوبة المرغوبة بالأفعال المضارعة: يرسل، ويمدد، ويجعل؛ لما يفيده المضارع من تجدد حصول الفعل وتكرره واستمرار تجدده(٢)، كما يفيد أيضًا استحضار صورة الفعل في مشاهدة السامع، كأنه يواقعه وينظر إليه(٣)، واستحضار الصورة في هذا السياق يزيد النفس تشويقًا وترغيبًا.

ومن ذلك: تخير الألفاظ التي تزيد في ترغيبهم إلى الاستغفار، ومنها:

التعبير بالسماء، والمقصود بها في الآية: السحاب، أو المطر؛ تسمية للشيء باسم مكانه ومصدره، من باب المجاز المرسل. والعرب تعبر بالسماء عن السحاب، وعن المطر؛ لأنه منها يكون، قال في لسان العرب: ((وسُمي المطر سماءً لأنه ينزل من

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢١٥/٦، والبحر المحيط: ٣٣٣/٨، والتحرير والتنوير: ١٩٩/٢٩.

(٢) ينظر: شروح التلخيص: ٧٨/٢-٩٠، والتبيان في البيان: ١٧٦/١، والطراز: ٥٢٨، ومواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص: ٣١/٢.

(٣) ينظر: شروح التلخيص: ٨٨/٢، والتبيان في البيان: ١٧٦/١، والطراز: ٢٦٧.

السماء))(١)، وقال: ((يُسمى العشب أيضًا سماءً؛ لأنه يكون عن السماء الذي هو المطر، كما سمَّوا النبات نَدى؛ لأنه يكون عن النَّدى الذي هو المطر))(٢).

والذي يظهر أن استعمال العرب للسماء عن الغيث يكون في مقام الخير والنفع، وجاءت الآية بمثل ذلك.

والذي غلب في القرآن: التعبير بإنزال الماء من السماء، وأما التعبير بإرسال السماء مدرارًا فما جاء إلا في آيتين في مقام الدعوة إلى الاستغفار مع نوح ومع هود عليهما السلام، ولعل في هذا التعبير دلالة على كثرة ما ينزل عليهم من الغيث، وكأن السماء نفسها ترسل عليهم بغيثها، وزاد هذه الدلالة تأكيدًا صيغة المبالغة في لفظة الحال: مِدرار؛ دلالة على كثرة الغيث.

ولعل التعبير بمادة "ر س ل" المقترنة بالإدرار في هذا المقام؛ لأن هذه المادة عند العرب تحمل في دلالاتها معاني الخصب والرخاء والكثرة والإدرار؛ فهم يعبرون بالرِّسْل عن الخصب والرخاء، واللبن الكثير المتتابع الدّر، وبالرَّسيل عن الماء العذب، قال في اللسان: ((والرِّسْل: اللَّبن ما كانَ، وأَرْسَل القومُ فهم مُرْسِلون: كَثُر رِسْلُهم، وصار لهم اللبن من مواشيهم... ورَجُلٌ مُرَسِّلٌ: كثير الرِّسْل واللبن والشِّرْب))(٣).

ومن ذلك التعبير بالجمع: أموال، وبنين، وجنات، وأنهار؛ تكثيرًا لفضل الله عليهم إذا استغفروا واستجابوا.

ومن ذلك: تخصيص البنين بالذكر دون البنات؛ لأن الحاجة إلى البنين في القيام بشؤون المعيشة والرزق أكثر من البنات، كما أن كثيرًا من أهل مكة في الجاهلية كانوا يكرهون ولادة البنات كما أخبر الله عنهم، فذكر الله ﷻ في هذا المقام ما يحبون أن يكون لهم من الولد.

---

(١) لسان العرب: ١٤/٣٩٧، مادة (سما).

(٢) المرجع السابق.

(٣) لسان العرب: ١١/٣٨١ مادة (رسل)، وينظر: مفردات القرآن: ١٩٥، وتاج العروس: ٢٩/٦٩.

ومن ذلك التعبير بالإمداد: يمددكم؛ لما في الإمداد من معنى الإعطاء مع طول الأمد؛ فإن "مدّ" أصلها كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): ((جَرّ شيءٍ في طول، واتّصال شيء بشيء في استطالة. تقول: مدَدْت الشيءَ أمدُّه مَدًّا، ومَدَّ النهرُ، ومَدَّهُ نهرٌ آخر، أي: زاد فيه، ووَاصله، فأطال مدّته))[1].

ثم إن التعبير جاء بـ"الإمداد" وليس "المدّ"؛ لأنه أمر محبوب، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): ((أكثر ما جاء "الإمداد" في المحبوب و"المدّ" في المكروه نحو: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢]، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون:٥٥]، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح:١٢]، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ﴾ الآية [آل عمران:١٢٥]، ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل:٣٦]، ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم:٧٩]، ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ [الأعراف:٢٠٢]))[2]. ولعل ما في "الإمداد" من مدّ وتكرار نطق الدال يوحي أكثر باستطالة أمد المحبوب.

ومن ذلك: التعبير بالجعل: يَجْعل. والجُعْل: ما يُجعل للإنسان على الأمر يفعله، وهو أعم من الأجرة والثواب[3]. ويتضمن التعبير به في الآية معنى التمليك، ومعنى التصيير؛ فهو يجعلها لهم بعد أن لم تكن كذلك؛ وهذا أبلغ في الترغيب بجزائهم وفي الامتنان عليهم.

ولعل السر في التعبير بـ"الإمداد" للأموال والبنين، و"الجعل" للجنات والأنهار: أن الأموال والبنين تذهب ثم يمدون بغيرها، وأما الجنات والأنهار فهي باقية لهم دائمة في أرضهم.

---

(١) مقاييس اللغة: ٥/٢٦٩ مادة (مدّ).

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٦٥ مادة (مدّ).

(٣) ينظر مادة (جعل) في: مقاييس اللغة: ١/٤٦٠، والمفردات في غريب القرآن: ٩١.

ومن الأساليب: التقييد بـ"لكم" وتقديمه على المفعول به في الجملتين: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾، وفي هذا إشعار للمخاطبين بالاهتمام وتأكيد العطاء لهم وتمليكهم إياه.

ومنها: تكرار "يجعل" و"لكم" في قوله: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾، وفي هذا عدول عن الإيجاز إلى الإطناب، والإيجاز أن يقال: ويجعل لكم جنات وأنهارًا. وفي هذا التكرار مزيد ترغيب بالاستغفار لإظهار كل جزاء بصورة مستقلة، فتتعدد لدى المخاطب الجزاءات ويظهر تنوعها، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((وإعادة فعل "يَجْعل" بعد واو العطف في قوله : ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ للتوكيد؛ اهتمامًا بشأن المعطوف؛ لأن الأنهار قوام الجنات، وتسقي المزارع والأنعام))[1].

ومجيء الوصل عطفًا بالواو يعمق هذا التنويع والاستقلال، فيزيد في الترغيب.

والتعبير بالجنات دلالة على كثرة أشجارها وتنوعها؛ فإن الجنة هي البستان الذي كثر شجره حتى صار يستر الأرض، وقيل: لا تكون "الجَنَّة" في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، وقد تسمي العرب النخيل: جنة[2].

والتعبير بالأنهار دلالة على كثرة مائها؛ فإن الأنهار تشق الأرض من كثرة جريانها، كما أن ماءها عذب، فيكتمل انتفاعهم بها لأنفسهم ولزروعهم وأنعامهم.

ثالثًا: الاستدلال بالربوبية على الألوهية، وبالخلق على البعث، في الآيات (١٣–٢٠): ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۞

(١) التحرير والتنوير: ١٩٨/٢٩.

(٢) ينظر مادة (جنن) في: لسان العرب: ٩٢/١٣، وتاج العروس: ٣٧٤/٣٤.

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾.

وقد انتقل الخطاب من الأمر بالاستغفار إيمانًا بالله وحده لا شريك له إلى الاستدلال بربوبية الله ﷻ على توحيده، ومثل هذا الاستدلال كثير في الخطاب الدعوي في القرآن، ومن ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۞ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣١-٣٢].

وبدأ الخطاب باستفهام توبيخي إنكاري: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: لا تعظمون الله، ولا ترجون ثوابه ولا تخافون عقابه[١]، وكأن هذا الاستفهام جاء بعد تولٍ من المخاطبين وإنكار.

وفي بناء هذا الاستفهام من الأساليب البلاغية التي تقرر معناه:

التعبير بصيغة الفعل المضارع: ترجون؛ دلالة على تكرر الفعل منهم وعدم اختصاصه بوقت دون وقت، ولذا جاء النفي بـ"لا" دون غيرها من أدوات النفي؛ وفي هذا مزيد توبيخ لهم وإنكار عليهم[٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٢٣/٢٩٤، وتفسير القرآن العظيم: ٨/٢٣٣.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام: ٤/٣٠١.

تنكير "وقارا"، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم[1]، فهم لا يرجون لله أي وقار، والعياذ بالله، وهذا أدعى لتوبيخهم والإنكار عليهم.

تقديم لفظ الجلالة "لله" على "وقارًا"، وهذا التقديم مع كونه مراعيًا لفواصل الآيات إلا أنه مراعٍ لسياق الخطاب، فالكلام سيق للاستدلال على ألوهية الله ﷻ، وإنكارها هو سبب الإنكار عليهم وتوبيخهم[2].

وقد عدل في توبيخهم والإنكار عليهم إلى أسلوب الاستفهام؛ لعظم ما هم عليه من الكفر بالله وإنكار ألوهيته، والاستفهام فيه قوة تنبيه للنفس وإثارة للذهن واستمالة للمخاطب للنظر والتدبر والتأمل؛ فمثل هذا الاستفهام وإن قصد به معان أخرى غير المعنى الأصلي للاستفهام، إلا أن المعنى الأصلي باق، حيث يجول في نفس المخاطَب ويتردد فيها، ولعله أن يتجاوب معه فيجيب داخل نفسه ويتبصر ويرجع، فيجمع الاستفهام في مثل هذا المقام بين إرادة الاستفهام وإرادة معانيه.

وحصل بهذا الاستفهام حسن الانتقال من الأمر بالإيمان والاستغفار إلى الاستدلال عليه، ثم بين ما هم عليه من حال نعمة الله ﷻ عليهم وربوبيته لهم التي تستوجب الإيمان به وحده.

وتضمن هذا الخطاب التذكير بأربعة أدلة:

الدليل الأول: خلقهم أطوارًا: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

وتضمن هذا الدليل أمرين: خلقهم، وتطور خلقهم بأن جعله أطوارًا، أي: حالاً بعد حال من كونه نطفة إلى تمام خلقه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

---

(١) ينظر: عروس الأفراح: ١/٣٥٤.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام: ٤/٣٠١.

الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

والاستدلال بخلق الإنسان وتطوره على الإيمان بالله والبعث بعد الموت كثير في القرآن، من ذلك: قول الله ﷻ: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ۝ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٧-٣٨]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج:٥-٧].

وجاء من الأساليب البلاغية التي تقرر دليل نعمة الله عليهم بالخلق:

التعبير بلفظ الجلالة "الله" في سياق تعداد النعم التي هي ألصق بوصف الربوبية؛ لكن لما لم يكن المقصود هو مجرد الإخبار عن تلك النعم، وإنما الاستدلال بها على الألوهية، كان ذكر لفظ الألوهية تعريضًا بأن الذي حصل منه تلك النعم العظيمة أحق بالألوهية وحده.

ومن ذلك: الإخبار عن الخلق بالفعل الماضي. وإن كان يدل على حصول الحدث في الزمن الماضي إلا أن سياقه هنا للإشعار بتحقق حصول النعمة عليهم.

وأكد الخبر بـ"قد": ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، و"قد" تأتي مع الفعل الماضي لتأكيد تحققه.

الدليل الثاني: خلق السماوات وما فيهن: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

انتقل من دليل خلقهم إلى خلق السماوات وما فيهن من كواكب مشاهدة لهم، وهو انتقال من الأدنى إلى الأعلى على سبيل الترقي، وقد قال الله ﷻ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ((نبههم على النظر في أنفسهم أولاً؛ لأنها أقرب منظور فيه منهم، ثم على النظر في العالم وما سُوي فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والأرض والشمس والقمر))[١].

وتضمن هذا الدليل ثلاثة أمور:

الأول: خلق السماوات سبعًا طباقًا.

الثاني: جعل القمر نورًا فيهن.

الثالث: جعل الشمس سراجًا فيهن.

والاستدلال بخلق السماوات وما فيهن على ألوهية الله ﷻ كثير في الخطاب الدعوي في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت:٩-١٢]، وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۞ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك:٣-٥].

---

(١) الكشاف: ٦/٢١٦، وينظر: البحر المحيط: ٨/٣٣٤، والتحرير والتنوير: ٢٩/٢٠٢.

وجاء تقرير هذا الدليل في خطاب سورة نوح عليه السلام بأساليب بلاغية عدة، منها:

عرض الدليل بصيغة الاستفهام: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾، وهو استفهام تقريري، يراد به حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عنده(١)، وفيه معنى التوبيخ لهم والإنكار عليهم عدم الانتفاع بما يعلمونه مما يدل على الله القدير.

ومع ما في الاستفهام من معاني التقرير والتوبيخ والإنكار إلا أنه لم يخل من المعنى الأصلي للاستفهام، كما قيل في الاستفهام السابق.

والرؤية في الآية تتعلق بما هو علمي وما هو بصري، أما العلمي فخلق السماوات سبعًا طباقًا، وهم لا يرون إلا السماء الدنيا، وأما البصري فالقمر والشمس والسماء الدنيا، ولذا يصح أن تكون الرؤية علمية بصرية، وعُبّر عن العلم القلبي بالرؤية تنزيلاً له منزلة العلم البصري؛ لتحقق اليقين فيه(٢).

والتعبير بالأفعال الماضية (خلق، جعل، جعل) في هذا السياق يدل على تحقق حصول الأفعال.

وعُبر بـ"جعل" مع القمر والشمس، مع أنهما مخلوقتان كالسماوات، فلم يعبر عنهما بالخلق مثلها؛ ولعل ذلك لما في نور القمر وضياء الشمس من المنافع لهم؛ ولهذا ذكرتا دون غيرهما من الكواكب، والجعل مع ما فيه من معنى الخلق والتصيير إلا أن فيه معنى العطاء والتمليك كما سبق، فما في القمر والشمس من النور والضياء جُعل لهم عطاء ومنة من الله جل جلاله، وهذا مما يزيد من وقع التوبيخ والإنكار عليهم. قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((وقد اجتمع في قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ استدلال وامتنان))(٣).

---

(١) ينظر: شروح التلخيص: ٢/٢٩٤، وأساليب الطلب: ٤٢٤.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم: ٤/٣٠١.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٩/٢٠٤.

وكرر الفعل "جعل" مع القمر والشمس: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، وهذا عدول عن الإيجاز إلى الإطناب؛ لما يقتضيه المقام من إظهار كل نعمة بصورة مستقلة، وفي ذلك مزيد تقرير وتأكيد لعظمة الله وقدرته وعظم نعمته عليهم في مقابل إعراضهم وإنكارهم.

ووصل الجمل بالواو يعمق التقرير ويزيد في التوبيخ والإنكار.

ومن بديع النظم القرآني: التعبير عن القمر بالنور والشمس بالسراج.

ووُصف القمر بالنور وهو منير، كما قال الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان:٦١]، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((والإخبار عن القمر بأنه نور مبالغة في وصفه بالإنارة بمنزلة الوصف بالمصدر. والقمر ينير ضوؤه الأرض إنارة مفيدة بخلاف غيره من نجوم الليل فإن إنارتها لا تجدي البشر... وفي جعل القمر نورًا إيماء إلى أن ضوء القمر ليس من ذاته؛ فإن القمر مظلم، وإنما يستضيء بانعكاس أشعة الشمس على ما يستقبلها من وجهه، بحسب اختلاف ذلك الاستقبال من تبعض وتمام، هو أثر ظهوره هلالاً ثم اتساع استنارته إلى أن يصير بدرًا، ثم ارتجاع ذلك، وفي تلك الأحوال يضيء على الأرض إلى أن يكون المحاق))[١].

وأما الشمس فعبر عنها بالسراج، وهو ((المصباح الزاهر الذي يُسْرَجُ بالليل))[٢]. وشبهت الشمس به؛ لما فيه من الإضاءة والتوهج، وهو تشبيه بليغ حذف منه الأداة ووجه الشبه؛ مبالغة في وصف الشمس بالضياء، فأعطيت اسم السراج مع وصفه، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((جعلت الشمس سراجا لأنها ملتهبة وأنوارها ذاتية فيها صادرة عنها إلى الأرض وإلى القمر، مثل أنوار السراج، تملأ البيت وتلمع أواني

---

(١) المرجع السابق: ٢٩/٢٠٣-٢٠٤.

(٢) لسان العرب: ٢/٢٧٩.

الفضة ونحوها مما في البيت من الأشياء المقابلة))[1]، وقال: ((والإخبار به عن الشمس من التشبيه البليغ، وهو تشبيه، والقصد منه: تقريب المشبه من إدراك السامع؛ فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل، وقل من العرب من يتخذه، وإنما كانوا يرونه في أديرة الرهبان أو قصور الملوك وأضرابهم))[2].

وقد وصفت الشمس بالضياء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:٥]، ويرى ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أن إيثار لفظ السراج في هذه السورة دون الضياء كما في سورة يونس لعله ((لمقاربة تعبير نوح في لغته، مع ما فيه من الرعاية على الفاصلة؛ لأن الفواصل التي قبلها جاءت على حروف صحيحة، ولو قيل: ضياء، لصارت الفاصلة همزة، والهمزة قريبة من حروف العلة، فيثقل الوقف عليها))[3].

أما مراعاة الفاصلة فهو ظاهر؛ ولعل ذلك كان سببًا أيضًا في تقديم ذكر القمر على الشمس بخلاف المواضع الأخرى في القرآن كقوله ﷻ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس:١-٢] ، كما أن في التقديم مراعاة للترقي من الأدنى إلى الأعلى الحاصل في الاستدلال بالخلق، فكان الترقي من خلق الإنسان إلى خلق ما هو أعظم منه: السماوات، ثم من خلق القمر إلى ما هو أعظم منه: الشمس. والشمس أعظم من القمر خلقة وإنارة؛ ولذا توصف الشمس بالضياء والسراج الوهاج لقوة إنارتها وانتشارها، بخلاف القمر فإنه نور، ولا يلزم من النور الإنارة، ونوره الحاصل من الشمس لمعرفة حساب الأيام، وإنارته تنير شيئًا من الظلمة، ولا تذهبها، وليست دائمة كل الشهر، وليست متوهجة، وإلا أصبح الليل كالنهار، والليل نعمة للسكون والنهار نعمة لابتغاء المعيشة، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٠٤/٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٣/٢٩.

(٣) المرجع السابق.

سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧١-٧٣].

وأما التعليل بمقاربة لغة نوح فتعليل بأمر غير معلوم، والخطاب القرآني منظوم بلغة العرب مخاطبًا به العرب، وخطاب نوح وإن كان موجهًا في الأصل لقومه إلا أنه في سياق نزوله مقصود به قوم النبي محمد ﷺ، ولذا نزل بلغتهم.

والذي ظهر لي أن الشمس إذا ذكرت مع السماوات وصفت بالسراج، وذلك في ثلاث آيات: هذه الآية على التشبيه البليغ، وآيتين على الاستعارة، هما: قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان:٦١]، وقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ:١٢-١٣]. وإذا لم تذكر معها وصفت بالضياء، ولم ترد إلا في آية يونس السابقة، وقد قرن بها ذكر اختلاف الليل والنهار، ولعلها مع النهار أنسب بوصف الضياء، ومع السماوات تصور كالسراج معلقًا وهو مضيء وهاج.

والاستدلال بالشمس والقمر على ألوهية الله ﷻ وارد بكثرة في الخطاب القرآني، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١]، وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

الدليل الثالث: خلق أصل الناس من الأرض: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

انتقل من دليل القدرة والمنة في خلق السماوات وما فيهن إلى دليل القدرة والمنة في خلق الأرض وما فيها، واستدعى ذكر الأرض التذكير بخلق الإنسان من ترابها، ثم عودته إليها ميتًا، وبعثه منها بعد ذلك، فأدمج الاستدلال على البعث مع الاستدلال على الألوهية.

ولما سيق دليل الإنشاء من الأرض، وهو أمر مقرر، استدعى ذكر الرجوع إليها بالموت، وهو أيضًا مقرر، ثم أخبر عن البعث بعده، وهو منكر عندهم؛ فجاء الإخبار عنه مؤكدًا بالمصدر، للدلالة على أنه أمر واقع لا محال، وإذا كان الله قادرًا على أن ينشئهم فكذلك يعيدهم، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥٠-٥١]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٧-٧٩].

ومما جاء من أساليب بلاغية لتقرير الاستدلال:

إظهار لفظ الجلالة والأصل الإضمار، وفي هذا الإظهار تقرير لألوهية الرب ﷻ، وزاد ذلك تأكيدًا وتقريرًا واهتمامًا تقديم لفظ الجلالة.

وعُبر عن الإنشاء بالإنبات، وهو في الأصل يقال في النبات دلالة على إخراجه ونمائه، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): ((النون والباء والتاء: أصل واحد يدل على نماء في مزروع. ثم يستعار)) ومما ذكره من الاستعارة: ((يقال: إن في بني فلان لنابتة شر.

ونبتت لبني فلان نابتة: إذا نشأ لهم نشء صغار من الولد))[1]، وبعد أن ذكر الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) حقيقة النبت والنبات وأنه ما يخرج من الأرض من الناميات، قال: ((ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام؛ نباتًا كان، أو حيوانًا، أو إنسانًا، و"الإنبات" يستعمل في كل ذلك))[2]. ومما ورد استعماله في غير المزروع قول الله ﷻ عن مريم عليها السلام: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران:٣٧]، وهذه الآية في سورة نوح: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾.

واستعارة لفظ الإنبات لإنشاء الخلق لما بينهما من المشابهة في النماء والتكوين من الأرض. والإنبات من الأرض ملحوظ فيه أصل خلق أبينا آدم عليه السلام؛ كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]، والتذكير بأصل خلق الإنسان من التراب وتعميمه على البشر جميعًا يتردد في القرآن، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر:١١]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [غافر:٦٧]، ويكثر في مقام الاستدلال على البعث بعد الموت، كما في بعض الآيات السابقة، ولعل التعبير بالإنبات من الأرض في سورة نوح يتناسب مع ذكر البعث في قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾؛ والقرآن يستدل بإنبات النبات على البعث كما في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج:٥-٦]، وقوله: ﴿وَمِنْ

(١) مقاييس اللغة: ٣٧٨/٥ مادة (نبت).

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٨٠ مادة (نبت).

آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

ومما يدل على مراعاة الاستدلال على البعث في التعبير بالإنبات تأكيده بالمصدر: إخراجًا، كما أكد الإنبات به: نباتًا، أما الإعادة إلى الأرض فلم تؤكد، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((و"نباتا": اسم من أنبت، عومل معاملة المصدر فوقع مفعولاً مطلقًا لأنبتكم؛ للتوكيد... وقد أدمج الإنذار بالبعث في خلال الاستدلال، ولكونه أهم رتبة من الاستدلال عليهم بأصل الإنشاء عطفت الجملة بـ"ثم" الدالة على التراخي الرتبي في قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾؛ لأن المقصود من الجملة هو فعل ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾، وأما قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾ فهو تمهيد له. وأكد ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ بالمفعول المطلق لرد إنكارهم البعث))[1].

وعُبر عن الإنبات بالفعل الماضي؛ للدلالة على تحقق حصول الفعل، وتمكينه في النفس، وفي هذا تقرير للاستدلال.

وأما الإعادة والإخراج فعبر عنهما بالفعل المضارع: يعيدكم، يخرجكم؛ لأنهما في المستقبل، ولأن السياق لتقرير دليل القدرة والمنة في خلق الأرض وخلقهم، وجاء الحديث عنهما تبعًا.

الدليل الرابع: بسط الأرض للخلق: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾.

امتن الله جل جلاله على خلقه ببسط الأرض ومهدها لسهولة الانتفاع منها، واتخاذ الطرق الواسعة والمختلفة للسير فيها، وقد جاء مثل هذا الامتنان في آيات أخرى، كقوله جل جلاله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ۞ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/٢٠٤-٢٠٥.

لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٥٣-٥٥]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٩-١٠]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ:٦].

وجاء من الأساليب البلاغية التي تقرر هذه المنة:

إظهار لفظ الجلالة والأصل الإضمار، وقد جاء الإظهار مع كل جملة تتضمن نعمة يستدل بها على ألوهية الله ﷻ، وفي هذا التكرير مع الإظهار تقرير للألوهية، وتأكيد بأن كل نعمة كافية للدلالة على وحدانية الله وتعظيمه، فكيف إذا اجتمعت تلك النعم!

والتعبير عن حصول النعمة بالفعل الماضي (جعل) يدل على تحقق حصول الفعل.

والتعبير بالجعل كما سبق فيه معنى التصيير والتمليك والعطاء، فهو سبحانه ما فعل ذلك إلا لهم، ولذا قدم الجار والمجرور متعلق الجعل: لكم؛ لبيان أن هذه النعمة من أجلهم.

وفي المقابل عبر عن انتفاعهم بالفعل المضارع: لتسلكوا؛ دلالة على دوام هذه النعمة وتجدد انتفاعهم منها.

وفي هذا مزيد تقرير لمنة الله لهم، ومزيد توبيخ لهم على عدم تعظيمهم له وقد أنعم عليهم.

وشبهت الأرض بالبساط تشبيهًا بليغًا حذف منه الأداة ووجه الشبه، وكأن الأرض هي بساط حقيقة؛ تقريبًا وتقريرًا لمنة الله عليهم، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((البساط: ما يفرش للنوم عليه والجلوس من ثوب أو زربية، فالإخبار عن الأرض ببساط تشبيه بليغ، أي كالبساط، ووجه الشبه: تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه، بحيث لا يوجع أرجل الماشين، ولا يُقِضُّ جنوب المضطجعين))(١).

(١) التحرير والتنوير: ٢٠٦/٢٩.

المبحث الثاني

الخطاب الدعوي بالقصة

من أكثر الأساليب الدعوية حضورًا في القرآن الكريم القصة، وقَلّ أن تجد سورة لا تحمل في طياتها قصة من قصص الماضي أو المستقبل؛ ويأتي القرآن بها لما فيها من تقرير المعاني والتأثير في النفوس.

ومن طبع البشر أنهم يميلون إلى سماعها وقراءتها وروايتها وتتبعها ومشاهدتها في الواقع، ويشعر المتلقي لها أنه يعيش أحداثها؛ فيتفاعل معها ومع شخصياتها، وكأنه جزء منها ومنهم، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ويود لو يحسن لشخصية تحتاج الإحسان أو يبطش بأخرى تستحق البطش، ولذا تتسلل المعاني والقيم وتتغلغل في نفوس القراء والمستمعين والمشاهدين من حيث لا يشعرون، وقد قال الله ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بالقصّ فقال ﷻ: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وجاءت سورة نوح عليه السلام لتعرض خلاصة سيرته وتجربته في دعوة قومه، من خلال أسلوب قصصي، نتناوله كما يأتي:

أغراض القصة:

تهدف القصص في القرآن إلى تحقيق عدة أغراض، من أهمها: تثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين في صراعهم مع الباطل وأهله. ومنها: إنذار الكافرين بمصير الأمم المكذبة لرسلها، وبين هذين الغرضين أغراض أخرى حسب كل قصة، ويدل على

ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۞ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۞ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٠-١٢٣]، وقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩].

ولا تخرج قصة نوح في هذه السورة عن ذينك الغرضين، فهي بهذا العرض الموجز للسيرة الدعوية تهدف إلى إنذار قوم النبي ﷺ الذين أعرضوا عنه وكذبوه وآذوه؛ فيرون في قوم نوح عليه السلام سنة الله ﷻ في أهل الإعراض والتكذيب والعصيان.

وهذا الغرض مقصد للقصة فيما يظهر من سياق السورة النظمي والنزولي، وفيما يظهر من الأساليب التي جاءت عليها من أول السورة إلى خاتمتها، وقد قال الله ﷻ في أول السورة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:١-٤]، وفي آخر السورة بيّن عاقبة مكرهم وضلالهم: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح:٢٥]. قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((أعظم مقاصد السورة ضرب المثل للمشركين بقوم نوح وهم أول المشركين الذين سلط عليهم عقاب في الدنيا، وهو أعظم عقاب، أعني: الطوفان. وفي ذلك تمثيل لحال النبي ﷺ مع قومه بحالهم))[1].

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٩/١٨٦.

ويتعلق هذا الغرض بمقصد أساس للقصة وهو تسلية النبي ﷺ في مواجهة قومه وإعراضهم عنه وأذيتهم له؛ فما أصاب قوم نوح عليه السلام لما أعرضوا واستكبروا سيصيب قومه إذا أعرضوا واستكبروا، وسينجيه الله ﷻ والذين آمنوا معه من كيدهم ومكرهم كما نجى نوحًا والذين آمنوا معه.

وفي القصة تعريض للنبي ﷺ بالاقتداء بنوح عليه السلام في دعوته وصبره، فإذا كان نوح عليه السلام قد صبر طويلاً على مكر قومه وإعراضهم عنه، صبر ألف سنة إلا خمسين عامًا، فالنبي ﷺ أولى بالصبر، وهذا غرض من أغراض القرآن الكريم في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام، قال القرطبي (٦٧١هـ): ((ذكر سبحانه قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي ﷺ تنبيهًا له على ملازمة الصبر على أذى الكفار إلى أن يكفيه الله أمرهم))[1].

وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالاقتداء بأولي العزم من الرسل في الثبات والصبر فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يهتدي في دعوته بسنة الأنبياء والرسل من قبله ويتبع سيرهم، قال سبحانه بعد أن ذكر جملة من الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ...﴾ الآية [الممتحنة:٤]، ثم أكد ﷻ الحث على الاقتداء بعد ذلك فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ...﴾ الآية [الممتحنة:٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٩٧/١١.

عناصر القصة:

أ- مشاهد القصة:

تضمنت القصة المشاهد الآتية:

مشهد البداية: تكليف نوح ﷺ بالرسالة.

بدأت القصة في الآية الأولى بمشهد تكليف نوح ﷺ بالرسالة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهي بداية مؤكدة توجز في آية واحدة عناصر الرسالة: المرسِل: الله ﷻ، والرسول: نوح ﷺ، والمرسَل إليه: قومه، ومضمونها: الإنذار، وصيغتها ونصها: الأمر ﴿أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وجاء التعبير عن الله ﷻ بضمير العظمة: إنّا، وأسند الإرسال إليه: أرسلنا، وفيه تنويه بشأن الرسالة وتشريف للمرسَل بها وامتنان عليه. وهو المطرد في القرآن أن يأتي الإرسال مسندًا إلى ضمير العظمة، ويكاد يكون هو الأصل في التعبير عن الرب وأفعاله ﷻ إلا في مقام الوحدانية؛ فإن الأصل أن يأتي الضمير بالإفراد، كما في سورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما.

وتقديم ضمير العظمة وهو مسند إليه على الخبر الفعلي في حال الإثبات يفيد في هذا السياق مزيدًا من التأكيد والتقرير؛ ليس تأكيد الخبر وتقرير حقيقته فحسب، ولكن تأكيد المقصد من سياق الخبر وتمكينه في نفس الرسول محمد ﷺ وفي نفوس قومه المكذبين؛ فإن الذي أرسل محمدًا هو الله الملك العظيم الذي له كمال القدرة والجبروت، وهذا فيه مزيد تسلية وتأنيس للنبي ﷺ في مواجهة قومه، وفيه إشعار بعظم الإنذار على تكذيب الرسول؛ لأن الرب العظيم الذي أرسل نوحًا ونصره على قومه الذين كذبوه هو الذي أرسل محمدًا وسينصره على قومه إن كذبوه.

ودخول حرف التوكيد "إنّ" على المسند إليه المقدم -ضمير العظمة "نا"- يعمق ما فيه من تعظيم وتقرير، وكأن التأكيد لإسناد الإرسال إلى الله العظيم، لا تقييد

الإرسال بنوح عليه السلام فحسب، ولو كان التأكيد للإرسال لقدم فعل الإرسال مسبوقًا بالمؤكِّد كما في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [الأعراف:٥٩].

والتعبير بلفظ "القوم" مضافًا إلى نوح عليه السلام: "قومه، قومك" فيه معان:

الأول: حض نوح عليه السلام على المبادرة إلى الدعوة وتبليغ الرسالة والصبر عليها حرصًا على هداية قومه ونجاتهم؛ فإن قوم الرجل: شيعته وعشيرته(١)، وفي هذا تعريض للرسول محمد ﷺ بالصبر على دعوة الناس عامة ودعوة قومه خاصة.

الثاني: أن قوم النبي أولى الناس بمشايعته واتباعه ومناصرته.

الثالث: أن كونهم قوم النبي عليه السلام لا يمنع عقوبة الله عز وجل لهم إذا عصوه.

وفي هذين تعريض لقوم النبي محمد ﷺ، ولهذا لما أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] نادى قومه حتى اجتمعوا له فقال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِن اللَّهِ؛ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِن اللَّهِ شَيْئًا...». وقال: «إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»(٢).

ولعل تقرير هذه المعاني وتأكيدها اقتضى إظهار لفظ القوم الثاني: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ والأصل الإضمار: أنذرهم. وقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((وعُدِل عن أن يقال له: أنذر الناس، إلى قوله: ﴿أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ إلهابًا لنفس نوح؛ ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته))(٣)، والنبي يرسل إلى قومه خاصة، بخلاف نبينا محمد فإنه أرسل إلى الناس كافة، ولذا جاء في حقه الأمر بإنذار الناس: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس:٢].

---

(١) ينظر في مادة (قوم): لسان العرب: ١٢/٤٩٦.

(٢) أخرجه البخاري: (٢٦٠٢ و٤٤٩٢) ، ومسلم (٢٠٦ و٢٠٨).

(٣) التحرير والتنوير: ٢٩/١٨٧.

والتعبير بالإنذار سبق بيانه من قبل، وقال في الظلال: ((والحالة التي كان قوم نوح قد انتهوا إليها، من إعراض واستكبار وعناد وضلال... تجعل الإنذار هو أنسب ما تلخص به رسالته، وأول ما يفتتح به الدعوة لقومه، الإنذار بعذاب أليم في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما جميعًا))(١).

وإسناد الإتيان إلى العذاب مع تنكيره ووصفه بالأليم بصيغة فعيل المشعرة بالمبالغة وملازمة الألم للعذاب فيه تهويل له ولوعيدهم.

وهذه البداية توحي من أول القصة بغرضيها: التثبيت والإنذار؛ فهي تحمل شحنة هائلة بتسلية النبي محمد ﷺ، كما تحمل رسالة قوية بإنذار قومه.

المشهد الثاني: مشهد تبليغ النذارة والدعوة.

وجاء هذا المشهد في الآيات من الثانية إلى الرابعة، وتضمنت استجابة نوح عليه السلام لأمر الله له، وتوجهه إلى قومه بالنداء مخبرًا إياهم بمهمته وحقيقة دعوته لقومه وثمراتها لهم إن هم حققوها: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وسبق بيان ما فيها من أساليب بلاغية في المبحث الأول.

المشهد الثالث: مشهد إصرار نوح على دعوة قومه في مقابل إصرارهم على الإعراض عنه.

وجاء في الآيات من الخامسة إلى العشرين، يرويها نوح عليه السلام مخاطبًا ربه وهو العليم به جل جلاله، وتضمن المشهد أمرين:

الأول: تنويع نوح عليه السلام في وسائل الدعوة وأوقاتها، ما بين ليل ونهار: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾، وجهار وإسرار: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٧١٠.

أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، مع ترغيب وترهيب، وتذكير بنعم الرب عليهم في أساليب بلاغية متنوعة، كما سبق بيانها في المبحث الأول.

وهو تنويع يشعر بحرص نوح عليه السلام على دعوة قومه وإصراره عليها في مقابل إصرارهم على الإعراض عنها.

والتعبير بـ"ثم" يشعر بطول أمده معهم، واستغراق كل أسلوب من الأساليب التي سلكها في دعوتهم.

الثاني: إعراض قومه عن دعوته: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾.

وهو إعراض شديد، يصوره نوح عليه السلام بصور شتى:

منها قوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا﴾ وهذا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده[1]؛ فإن قوله: فلم يزدهم دعائي، بعد قوله: إني دعوتهم ليلاً ونهارًا، يشعر بأنهم قريبو الاستجابة؛ لأن الدعوة بعد الدعوة تزيد المدعو قربًا ولينًا، لكن التعبير يفاجئنا بأن قومه لا يزدادون بدعوته شيئًا أبدًا إلا الإعراض: فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا، وعُبِّر عن ذلك بصيغة القصر تأكيدًا لحالهم.

وإسناد الزيادة إلى الدعوة مجاز إسنادي (عقلي) من إسناد الشيء إلى سببه، وفيه تصوير لشدة إعراضهم عن الحق، وأن موقفهم من نوح عليه السلام ليس لذاته وإنما لدعوته[2].

والتعبير بالفرار فيه دلالة على شدة إعراضهم، ويصور حالهم حينما يريد نوح عليه السلام أن يدعوهم وهم يسلمون أرجلهم للريح هربًا؛ حتى لا يسمعوا دعوته ولا يستجيبوا لها.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/١٩٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٦/٢١٤، والبحر المحيط: ٨/٣٣٢.

ومنها قوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾، وفي هذا التعبير إيغال في تصوير إعراضهم بعد أن وصفهم بالفرار إعراضًا عنه(١).

وجعل الأصابع في الآذان كناية عن الإعراض، وهم قد يفعلون ذلك حقيقة، لئلا يسمعوا نوحًا عليه السلام(٢). ومبالغة في تصوير شدة إعراضهم عُبِّر بالإصبع، والذي يدخل في الأذن بعضه، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((وأطلق اسم الأصابع على الأنامل على وجه المجاز المرسل بعلاقة البعضية، فإن الذي يُجعل في الأذن الأنملة لا الأصبع كله، فعُبر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد المسامع، بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلها))(٣).

ولم يكتفوا بصم آذانهم عن السماع بل بالغوا في الأعراض حتى غطوا أنفسهم بثيابهم لئلا يسمعوا ولا يروا، وليُعلموا نوحًا أنهم لا يريدون أن يسمعوا منه شيئًا: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾، والاستغشاء: التغطية، وفي لسان العرب: ((استغشى ثيابه وتغَشَّى بها: تغطَّى بها؛ كي لا يرى ولا يسمع))(٤). وقد يأتي التعبير باستغشاء الثياب كناية عن الإعراض وإن لم يكن ثمة استغشاء، وقد يراد مع الكناية حقيقة الفعل.

والتعبير بحرف الطلب "الألف والسين والتاء" في "استغشوا" يصور رغبتهم الشديدة في التغطية إعراضًا، وكأنهم يطلبون ذلك من ثيابهم. كما أن التعبير يشعر بأنهم يطلبون تغطية أبدانهم جميعها وليس مواضع أعينهم وآذانهم في وجوههم ورؤوسهم؛ وفي ذلك تصوير لشدة إعراضهم.

وفي قوله: ﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ مزيد إيغال في تصوير إعراضهم، والإصرار: الثبات على فعل الشيء مع شدة العزم على ملازمته وعدم الرجوع عنه(٥)،

(١) "الإيغال" عند البلاغيين هو: ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم أصل المعنى بدونها. وينظر: شروح التلخيص: ٢٢٠/٣، ٢٢٤.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٧٣/٥، والبحر المحيط: ٣٣٢/٨، والتحرير والتنوير: ١٩٥/٢٩.

(٣) التحرير والتنوير: ١٩٥/٢٩.

(٤) لسان العرب: ١٢٦/١٥ مادة (غشا).

(٥) ينظر: المرجع السابق: ٤٥٠/٤ مادة (صرر).

كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوْا وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، قال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): ((وأكثر استعماله في الذنوب))(١).

ثم وصفهم بالاستكبار: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ وهو أبلغ من "التكبر" لما يشعره حرف الطلب "الألف والسين والتاء" من تصوير رغبتهم في الكبر وطلبهم له. وأُكد فعل الاستكبار بالمفعول المطلق دلالة على تمكنه منهم، وهو كبر عظيم، كما أفاده تنكير "استكبارًا"(٢).

والتعبير بصيغة الماضي (جعلوا، واستغشوا، وأصروا، واستكبروا) دلالة على تحقق حصول هذه الأفعال منهم.

وقول نوح: كلما دعوتهم، يدل على أنها أفعال مستمرة معهم، تتكرر مع تكرر دعوته لهم. وفيه إشارة إلى إصرار نوح عليه السلام في دعوته، إذ لا يوهنه إعراضهم من أول مرة بل يكرر عليهم وينوع في أساليبه معهم(٣).

ويأتي خطابه لله ﷻ مؤكدًا بـ"إنّ"، ونوح يعلم أن الله به عليم خبير، لكنه التأكيد الذي يرجع إلى المتكلم لا إلى المخاطب؛ ليكشف ما في نفس نوح من الرغبة في بيان قيامه بما أمره ربه من الدعوة والإنذار واجتهاده في ذلك أيما اجتهاد في مقابل إعراضهم واستكبارهم؛ ليعلل بعد ذلك يأسه من استجابتهم وإيمانهم.

المشهد الرابع: مشهد اليأس من استجابة الكافرين والدعاء عليهم.

في المشهد السابق يعرض نوح عليه السلام إصراره على الدعوة مع شدة إعراض من كفر من قومه لعلهم يتقون، لكنه في النهاية أيس من استجابتهم وأدرك أنهم لا يؤمنون، فتوجه إلى الله جل جلاله بهذا القول: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ۞ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۞ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۞ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ

---

(١) المحرر الوجيز: ٣٧٣/٥، وينظر: لسان العرب: ٤٥٠/٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٦/٢٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣٣٣/٨.

يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾.

وفي هذا المشهد يصور نوح عليه السلام إعراضهم بصورة أخرى تؤكد ما سبق، لكن تصوير الإعراض في المشهد السابق لبيان قيامه بالدعوة واجتهاده فيها، وأما هنا فيصورها لبيان يأسه ممن كفر من قومه تمهيدًا لطلب الدعاء والانتصار عليهم، ولذا كرر فعل القول "قال" مع إظهار اسم نوح وحقه الإضمار استئنافًا لقول جديد جاء في وقت لاحق غير متصل بالقول الأول.

ويزيد المشهد هنا انتقالهم من الإعراض والاستكبار إلى المواجهة والمكر الكبار.

ويأتي خطاب نوح عليه السلام لربه هنا مؤكدًا كما قيل في المشهد السابق.

والمشهد يترقى في بيان حال القوم الكافرين من العصيان، إلى اتباع الملأ، إلى المكر الكبار، إلى التواصي بالبقاء على الشرك وعبادة الأصنام، إلى الإضلال.

والتعبير بصيغة الماضي في هذه الأحوال (عصوا، واتبعوا، وقالوا، أضلوا) يفيد تحقق حصول الأفعال منهم.

كما أن التعبير بالجمع من غير استثناء يشعر بغلبة الضلال في القوم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، ولذا قال نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ فقد عمّ الضلال في بيئة لا يتوقع معها إلا أن ينشأ فيها المواليد أشد من آبائهم، كما يشعره الوصف بالفجور وصيغة المبالغة: كفّار. ووصف المواليد بذلك باعتبار ما سيؤولون إليه عند الكِبَر، على طريقة المجاز المرسل في التعبير عن الشيء بما سيكون، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ((فإن قلت: بم علم أن أولادهم يكفرون؟ وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة؟ قلت: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فذاقهم وأكلهم، وعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول له: احذر هذا؛ فإنه كذاب، وإن أبي حذرنيه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك. وقد أخبره الله عز وجل أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.

ومعنى ﴿لا يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾: لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر، فوصفهم بما يصيرون إليه))[1].

والمكر: التوصل إلى إيقاع الخصم بنوع من الحيلة من حيث لا يشعر[2]، وأكد مكرهم بالمفعول المطلق "مكرًا"، مع وصفه بالكُبّار مبالغة في بيان كبره وعظمه.

وعُبِّر عن تواصيهم بالبقاء على الشرك بصيغة المضارع المؤكد بالنون "لا تذرن... ولا تذرن" دلالة على شدة رغبتهم في المداومة على عبادة الأصنام.

وكرروا النهي "لا تذرن" لمزيد من التأكيد، ولم يكتفوا بالإجمال والعموم في قولهم: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾، بل ذكروا بعد ذلك أسماء الآلهة: ﴿وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ اهتمامًا بشأنها وإظهارًا للرغبة في المداومة على عبادتها، سواء أكان ذكرها تفصيلاً بعد إجمال، أو عطفًا للخاص بعد العام[3].

ولعل في ذكر هذه الأصنام أيضًا تعريضًا بمشركي العرب؛ لأنهم كانوا يعبدون أصنامًا بأسمائها، كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما "وَدّ" كانت لكلب بدومة الجندل، وأما "سُواع" كانت لهذيل، وأما "يَغُوث" فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما "يَعُوق" فكانت لهمدان، وأما "نَسْر" فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عبدت[4].

(١) الكشاف: ٦/٢٢٠، وينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٠/١٤٦، وتفسير القرآن العظيم: ٨/٢٣٧.

(٢) ينظر مادة (مكر): لسان العرب: ٥/١٨٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ٦/٢١٨، والبحر المحيط: ٨/٣٣٥، التحرير والتنوير: ٢٩/٢٠٩.

(٤) أخرجه البخاري: حديث رقم (٤٩٢٠).

ولما وصف نوح عليه السلام أحوالهم حتى انتهوا إلى ما يقتضي اليأس منهم دعا عليهم: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ۞ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾. قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): ((دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم، كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به))(١).

وتأتي دعوات نوح عليه السلام متناسبة مع أحوالهم وما صدر عنهم، فدعاؤه ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ يتناسب مع قوله عنهم: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا﴾ ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾. ودعاؤه ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ يتناسب مع قوله عنهم: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، وديّارًا أي: أحدًا(٢). ودعاؤه ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ يتناسب مع قوله عنهم: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾ والتّبار: الخسار والهلاك والضلال(٣).

ويعبر عن قومه بوصف ملابس لهم: الظالمين، الكافرين؛ لأنهم استحقوا العقوبة والدعاء بسبب الظلم والكفر، وفيها تعريض بكفار مكة أنهم يصيبهم ما أصاب قوم

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٨/٢٣٦.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٣/٣٠٧، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٢/٧٧٤٨.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٢٣/٣٠٩، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٢/٧٧٥٠.

نوح إذا استمروا على كفرهم وظلمهم، قال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): ((ذكر "الظالمين" لتعم الدعوة كل من جرى مجراهم))(١).

ولا ينسى نوح عليه السلام في سياق دعوته أولئك الذين استجابوا له وصبروا معه فيدعو لهم بالمغفرة: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. وقد خصّ وعمّ في دعائه اهتمامًا بشأن من خصّهم: والديه ومن دخل بيته مؤمنًا، ثم عمّ جميع المؤمنين والمؤمنات، وبهذا دعا نوح عليه السلام لوالديه ثلاث مرار: مرة بخصوصهم، ومرة مع من دخل بيته، والثالثة مع المؤمنين والمؤمنات، وهذا من عظيم بره ووفائه.

وهذا دعاء في ختام السورة يتناسب مع غاية الدعوة التي بدأها خطابه في أول السورة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ الآية.

كما أن دعاءه على قومه في ختام السورة بقوله: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ وقوله: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ يتناسب مع ترغيبهم في أول السورة بقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ فلما لم يؤمنوا لم يستحقوا إلا أن يهلكوا.

وفي دعائه للمؤمنين أيضًا ترغيب لقومه أن يدخلوا في هذا الدعاء في اللحظات الأخيرة قبل أن يعمهم الهلاك والخسار.

والدعاء على الظالمين جاء في القرآن متصلاً بمشهد النهاية في قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم سواء كان الدعاء من الأنبياء بعد أن يئسوا من استجابة أقوامهم، أم من الله عز وجل، ومن ذلك: قول الله جل جلاله: ﴿أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود:٦٠]، وقوله: ﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [هود:٦٨]، وقوله:

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٧٦.

﴿أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود:٩٥]، وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨]، وقوله عن لوط عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠]، وقوله عن بعض رسله: ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون:٣٩-٤١]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٤٤].

وكم هو شديد دعاء نوح عليه السلام على مشركي مكة؛ لأنهم يدركون أنه تهديد لهم أن يدعو عليهم محمد ﷺ كما دعا نوح عليه السلام على قومه، وهم يعرفون من هو محمد ﷺ، وهم يخشون دعوته في البلد الحرام، ويرون أن الدعوة فيه لا تُرد تعظيمًا له، وقد شق عليهم ذلك حقًا حينما دعا النبي ﷺ عليهم، كما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئًا، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه، ثم قال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ

خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» وعدّ السابع فلم يحفظ، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر(١).

هم يدركون ذلك التهديد بالدعاء عليهم ولكنه الاستكبار الذي يعمي ويصم ويغشى القلوب، فاستحبوا العمى على الهدى، والعياذ بالله.

المشهد الخامس: مشهد العقوبة.

وهو مشهد النهاية من حيث تسلسل الأحداث في الواقع ولكنه في القصة أتى في الآية الخامسة والعشرين معترضًا بين آيات المشهد السابق، قال الله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾.

لقد قدم القرآن هذا المشهد الذي يتضمن نهاية القصة بهلاك المكذبين المعاندين قبل أن يأتي الدعاء عليهم بالهلاك: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ فما السر في هذا التقديم؟

إن هذا العدول عن التسلسل الزمني الطبعي في رواية أحداث القصة يرجع إلى مقام القصة والغرض من سياقها، الذي يتمثل في تسلية الرسول محمد ﷺ، مع إنذار مشركي العرب، كما سبق بيانهما.

وهذان المقصدان نلحظهما في هذا التقديم تعجيلاً بتهديد كفار مكة بالعقوبة التي تحل بهم كما حلت بقوم مثلهم، بل هم أظلم منهم وأطغى وأشد قوة وأكثر جمعًا، ومع ذلك ﴿لَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، وتعجيلاً بتسلية رسول الله ﷺ بالنصر في مواجهتهم كما نصر الله نوحًا عليه السلام على قومه(٢).

كما أن هذا التقديم يشعر كفار مكة بأن عقوبة المكذبين الظالمين لا تنتظر دعاء الرسول، فهم يستحقونها ولو لم يدع عليهم، أما إذا دعا فذلك مزيد إكرام له، ويدل على ذلك مجيء ذكر العقوبة بعد تعداد الخطايا: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٤٠)، ومسلم: (١٧٩٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٢/٢٩.

يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، ولذا قال جل جلاله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ فقدم بيان سبب عقوبتهم على فعل العقوبة مؤكدًا بـ"ما" التي وقعت صلة، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ((تقديم ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم، وأكّد هذا المعنى بزيادة "ما"))[١]، وقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((أي أغرقوا فأدخلوا نارًا، من أجل مجموع خطيئاتهم، لا لمجرد استجابة دعوة نوح، التي ستذكر عقب هذا؛ ليعلم أن الله لا يقر عباده على الشرك بعد أن يرسل إليهم رسولاً، وإنما تأخر عذابهم إلى ما بعد دعوة نوح لإظهار كرامته عند ربه بين قومه، ومسرة له وللمؤمنين معه، وتعجيلاً لما يجوز تأخيره))[٢].

وأما قوله بعد: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ بتكرار فعل القول معطوفًا على القول السابق فيدل على أن القولين متصلان زمنًا لا منفصلان متباعدان، لكن فُصل بينهما بذكر العقوبة لما قيل.

ويصور القرآن مشهد النهاية بصورة موجزة موحية، يقدم فيها أولاً سبب العقوبة كما سبق، وقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ أي: بسبب كثرة خطاياهم عوقبوا، وليس ما استحقوا عليه العقوبة خطيئة واحدة بل خطيئات وخطايا[٣] ((وليس خطايا قوم كفروا ألف سنة بقليلة))[٤]، وهذه الخطايا ذكرها نوح عليه السلام مجملة في شكواه السابقة إلى ربه: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝

(١) الكشاف: ٦/٢١٩، وينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٠/١٤٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/٢١٢.

(٣) قرأ أبو عمرو البصري: "خطايا" جمع تكسير. ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/٣٩١.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية: ١٢/٧٧٤٧.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ وكم هي عظيمة تلك الخطايا! وإن خطيئة واحدة من هذه تستحق العقوبة، فكيف بها جميعًا؟!

ويصوغ العقوبة بصيغة الماضي: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾، ولئن حصل الغرق لقوم نوح في الدنيا فإن دخول النار سيحصل لهم في الآخرة ومع ذلك صيغ فعلاً ماضيًا دلالة على تحقق العقوبة(١).

ودخول الفاء التي تفيد التعقيب يختصر الزمن بين العقوبتين في نفس المتلقي، حيث ينتقل بها من ((من تيار البحار إلى حرارة النار))(٢) في سرعة هائلة رهيبة.

قال في ظلال القرآن: ((والتعقيب بالفاء مقصود هنا؛ لأن إدخالهم النار موصول بإغراقهم، والفاصل الزمني القصير كأنه غير موجود، لأنه في موازين الله لا يحسب شيئًا. فالترتيب مع التعقيب كائن بين إغراقهم في الأرض وإدخالهم النار يوم القيامة))(٣).

وفي هذا التعبير طباق بين الإغراق بالماء والإحراق بالنار، يوحي بعظيم قدرة الله جل جلاله الذي يجمع بينهما من غير فاصل.

وصيغت الأفعال لما لم يسم فاعله، والله عز وجل هو الذي أغرقهم ويدخلهم، ولعل ذلك لأن المقصود هو العقوبة ونوعها بغض النظر عن فاعلها، فيراد أن يكون اهتمام المتلقي منصبًّا عليها ومتعلقًا بها لا غيرها. كما أن النفوس مع هذا الإجمال تذهب كل مذهب في تصور كيفية الإغراق والإدخال.

ودخول الفاء على نفي وجودهم النصير: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يشعر بسرعة العقوبة وشمولها لجميع المكذبين في وقت واحد ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/٣٧٦، والبحر المحيط: ٨/٣٣٧، والدر المصون: ١٠/٤٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٨/٢٣٦.

(٣) في ظلال القرآن: ٦/٣٨١٦، وينظر: الكشاف: ٦/٢١٩، والتحرير والتنوير: ٢٩/٢١٢.

والانتقال من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة في مشاهد النهاية للمكذبين متكرر في القرآن الكريم، كما في قوله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود:٦٠]، وقال عن فرعون وقومه: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود:٩٩]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٣-١٧]، ولما ذكر عاقبة المنذرين في سورة القمر خاطب أهل مكة فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٣-٤٦].

والملحوظ أن حكاية مشهد العقوبة تحوّل من نوح عليه السلام إلى الرب ﷻ تعظيمًا لقدرته في عقوبة المكذبين: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

وفي ذلك كله مزيد تسلية في نفس النبي محمد ﷺ ومزيد تهويل ووعيد في نفوس قومه.

ومشهد العقوبة لم يكن مجرد سرد لحلقة من حلقات القصة فحسب، بل ربط معه سبب حصول تلك النهاية الأليمة: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ وهذه صورة من صور التعقيب القرآني على قصصه.

والملاحظ في أحداث القصة ما يأتي:

١- السرد:

الأحداث قائمة على السرد من أول القصة إلى نهايتها، وليس فيها أي حوار. وقد بدأ سرد القصة في الآيات الأربع الأولى من قول الله ﷻ، وتتضمن تكليف نوح عليه السلام بالدعوة واستجابة نوح وقيامه بها.

ثم انتقل سرد الأحداث إلى نوح عليه السلام، يرويها موجهًا الخطاب إلى الله ﷻ، ذاكرًا دعوته لقومه وحرصه على هدايتهم مع إعراضهم عنه وإصرارهم على كفرهم، ثم دعاءه عليهم ودعاءه للمؤمنين.

وفي أثناء ذلك رجع السرد في الآية الخامسة والعشرين إلى قول الله ﷻ مخبرًا عن نهاية القوم.

ولعل أسلوب السرد في السورة على لسان نوح عليه السلام يتناسب مع الغرض الأساس منها، وهو تسلية النبي محمد ﷺ بعرض تجربةٍ للصبر الجميل تعد أنموذجًا له يرويها صاحبها.

٢- انتقاء الأحداث:

مع أن سورة نوح تعد من السور التي بسطت قصته عليه السلام إلا أن ثمة أحداثًا لم تتعرض لها السورة، وتعرضت لها سور أخرى كسورة هود والشعراء والمؤمنون، وعلى سبيل المثال طوت السورة صفحًا عن بعض المحاورات التي حصلت بين نوح عليه السلام وقومه، وبينه وبين ابنه، ولم تفصل في الطوفان الذي أغرق القوم وكيفيته وما سبقه من صنع نوح عليه السلام السفينة تهيئة للنجاة، وغيرها من الأحداث.

ولعل السر في ذلك أن انتقاء الأحداث وطريقة عرضها وتفصيلها خاضع لما يقتضيه المقام والغرض من القصة(١).

ولما كان مقصد السورة تسلية النبي ﷺ وحثه على الصبر الجميل كما صبر نوح عليه السلام كان التركيز في سرد نوح لتجربته الدعوية على مشهد قيامه بالدعوة وإصراره عليها وتنويع وسائلها مع طول أمدها وإصرار قومه على إعراضهم ومكرهم؛ فجاء هذا المشهد مطنبًا فيه بالنسبة إلى المشاهد الأخرى، ويصرَّف فيه المعنى بصور متنوعة كما في التعبير عن الإعراض بجعل الأصابع في الآذان، واستغشاء الثياب، والإصرار، والاستكبار، والعصيان، واتباع غيره، ومكرهم به، والدعوة إلى البقاء على الشرك.

أما مشهد العقوبة الذي يخاطب كفار مكة وينذرهم فجاء موجزًا، لكنه سريع مهول، كما سبق في الحديث عن المشهد، وهي عادة القرآن في عرض نهايات الأمم المكذبة بصورة موجزة سريعة مهولة، توحي بعظم قدرة الله ﷻ وهوان المكذبين عليه مهما كانوا من القوة أو القرب من الرسول.

وحتى لو جاءت النهاية فيها شيء من التفصيل فهو تفصيل لا يزال في إطار الإيجاز.

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٤٣.

ب- شخصيات القصة:

برز في القصة شخصيتان رئيستان: نوح عليه السلام، وقومه. وهما نموذجان للنبي محمد ﷺ وقومه؛ لأن الخطاب بالقصة لهما ابتداءً تسلية وإنذارًا. كما جاءت إشارة إلى شخصيات أخرى.

١- شخصية نوح عليه السلام:

من الطبعي أن تكون شخصية نوح عليه السلام هي الشخصية البارزة في القصة؛ وقد سميت السورة به.

وصُرح باسمه في ثلاثة مواضع رئيسة من السورة: في بدايتها: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، وفي موضع ذروة الأحداث من القصة: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾ الآيات، وفي النهاية: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

وهو الشخصية المحورية التي تقوم عليها القصة؛ لأن المقصد الأساس منها هو تقديم نموذج للنبي محمد ﷺ في الصبر الجميل، يتمثل هذا النموذج في شخصية نوح عليه السلام.

ولا تعرض القصة من حياة نوح عليه السلام إلا مرحلة الرسالة؛ لأنها التي تكمن فيها العبرة، ويدور عليها مقصد القصة(١).

كما لا تُظهر القصة لنوح عليه السلام أيَّ صفات جسدية أو خارجية؛ لأنها لا تفيد في مقصد القصة شيئًا، وإنما تُظهره بالصفات المعنوية والنفسية التي لها علاقة بمقصدها حينما يعرض نموذجًا ليقتدي النبي محمد ﷺ بها.

ومن أبرز الصفات: الصبر الجميل، الذي يكون معه التضحية والثبات والإصرار، وهي الصفة التي تدور عليها أحداث القصة، وصورتها بصور عدة على لسان نوح عليه السلام، فهو مع شدة إعراض قومه يتلطف بهم ويدعوهم في كل الأوقات والأحوال المناسبة، وينوع في وسائل الدعوة، مع تطاول الزمان وشدة العصيان.

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٦٢.

وثمة صفات أخرى لنوح ﷺ تظهر من سياق القصة، ومنها:

المبادرة إلى الدعوة، كما هو ظاهر من قول الله ﷻ عنه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بعد أمره بالإنذار، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((لم تعطف جملة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ بالفاء التفريعية على جملة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ لأنها في معنى البيان لجملة ﴿أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ لدلالتها على أنه أنذر قومه بما أمره الله أن يقوله لهم، وإنما أدمج فيه فعل قول نوح للدلالة على أنه أمر أن يقول فقال؛ تنبيهًا على مبادرة نوح لإنذار قومه في حين بلوغ الوحي إليه من الله بأن ينذر قومه))(١).

ومن صفاته: الفصاحة وإبانة القول: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ قال البغوي (ت٥١٦هـ): ((أُبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها))(٢)، وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): ((أي: بيّن النذارة، ظاهر الأمر واضحه))(٣). والبيان يكون بفصاحة اللسان ووضوح الدعوة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

ومنها: الإخلاص لله والتجرد عن إرادة الدنيا، فلم تكن دعوته لدنيا يصيبها، وإنما أخلصها لله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾، وقد قال الله ﷻ عن نوح أنه قال لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ [هود:٢٩]، وهذا منهج الأنبياء كما أخبر الله عنهم.

ومنها: التلطف في الدعوة، كما نجده في نداء نوح لقومه بإضافتهم إليه: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

ومنها: الحرص على هداية قومه، وتبين ذلك من استمراره في دعوته وتنويع وسائلها وأساليب خطابها، في مدة متطاولة مع شدة إعراضهم عنه.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٨٧/٢٩، وينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٨٨٨.

(٢) معالم التنزيل: ٢٢٩/٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢٣١/٨.

وتظهر شخصية نوح عليه السلام متفاعلة مع أحداث القصة ومع شخصياتها الأخرى، فهو عليه السلام يبدأ دعوته لقومه بالتلطف معهم والنصح لهم وتشويقهم للإيمان، ثم يواجهه قومه بالإعراض فلا يفتر أو يتراجع بل يصر على هداية قومه فينوع في وسائله وأساليبه ويزيدهم ترغيبًا، لكنهم يزدادون إعراضًا ومكرًا، فما كان منه إلا أن يسلم أمره إلى الله ويدعو عليهم بعد أن يئس منهم. ثم هو لا ينسى أولئك الذين استجابوا له وآمنوا به فيسأل الله لهم المغفرة والنجاة: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

٢- شخصية القوم:

جاء ذكر قوم نوح على وجه العموم من غير تصريح باسمهم أو باسم أحد منهم؛ لأنه لا يتوقف على ذلك فائدة.

وعلى خلاف شخصية نوح التي لم توصف بأوصاف مباشرة إلا أنه نذير مبين، وأما صفاته الأخرى فيدل عليها تصوير حاله في دعوة قومه، فإن القوم وصفتهم القصة بصفات مباشرة، منها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي:

أما الحسي فليس تصويرًا لأجسادهم وأشكالهم، ولكنه وصف لبعض أفعالهم التي يواجهون بها نوحًا تصويرًا لشدة إعراضهم، ومن ذلك فرارهم من نوح، وجعل أصابعهم في آذانهم، واستغشاء ثيابهم.

وأما الأوصاف المعنوية فذكرت القصة عنهم إصرارهم على الكفر، واستكبارهم، وعصيانهم، ومكرهم، ودعوتهم إلى البقاء على الشرك، وإضلالهم.

كما وصفتهم القصة بالكفر، والظلم، والفجور، وكثرة الخطايا، وأنهم لا يعلمون.

وجاء وصفهم بهذه الصفات متسقة مع مشاهد القصة، ففي كل مشهد يذكر نوح عليه السلام من صفاتهم ما يلائمه.

٣- شخصيات مؤمنة:

جاء في القصة إشارة إلى شخصيات أخرى مؤمنة (والدا نوح، ومن دخل بيته مؤمنًا، والمؤمنون والمؤمنات)، وذلك في دعاء نوح الأخير الذي ختمت به القصة، والوصف المشترك بينهم أنهم مؤمنون، وتفرد الوالدان بذكرهما صراحة ثم ضمنًا مرتين، والداخلون بيته ذكروا مرتين.

وهذا الدعاء الأخير فيه ترغيب للدخول في الإيمان لتحقيق المغفرة، وفيه تأنيس للنبي محمد ﷺ ولمن آمن معه أنهم مؤيدون منصورون من عند الله وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين.

٤- الأصنام:

أشارت القصة إلى هذه الأسماء: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، سمّى بها القوم أصنامهم التي اتخذوها آلهة من دون الله ﷻ. ووردت على لسانهم حينما تواصوا بالبقاء على الشرك: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. وقد ذكروها بأسمائها اهتمامًا بشأنها وإظهارًا للرغبة في المداومة على عبادتها. وفي ذكر هذه الأصنام تعريض بمشركي العرب؛ لأنهم كانوا يعبدون أصنامًا بأسمائها، كما سبق ذكره آنفًا في الحديث عن المشهد الرابع من مشاهد القصة.

ج- الزمان:

يأتي الزمان في القصة القرآنية كبقية العناصر متسقًا مع الغرض منها، وكثيرًا ما يغفل القرآن الزمن لأنه لا غرض من إيراده، وفي هذه القصة لا نجد أي ذكر لزمن وقوع القصة، وإن كان القرآن أشار في مواضع أخرى إلى أن نوحًا عليه السلام أول الأنبياء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣]، ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج:٤٢-٤٤]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ

نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥].

وإيراد زمن وقوع القصة لا يضيف شيئًا يناسب مقاصدها؛ ولهذا طُوي، لكن الزمن لم يغب عن القصة، وجاء مصرفًا فيه القول بصور متنوعة تتناسب مع سياق الخطاب كما يأتي:

١- الزمن المعين:

وجاء في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾ فأخبر نوح عليه السلام أنه يقوم بدعوته في الليل والنهار، ولا يعني ذلك أنه في كل يوم يواصل ليله بنهاره، ولكن لما كان السياق لبيان حرصه على القيام بما أمره به ربه جمع بين الزمنين منكرين متعاقبين متعاطفين كناية عن حرصه وعدم فتوره وكأنه يستغرقهما جميعًا لا يغادر منهما وقتًا، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((جعل دعوته مظروفة في زمني الليل والنهار للدلالة على عدم الهوادة في حرصه على إرشادهم، وأنه يترصد الوقت الذي يتوسم أنهم فيه أقرب إلى فهم دعوته منهم في غيره، من أوقات النشاط وهي أوقات النهار، ومن أوقات الهدوء وراحة البال وهي أوقات الليل))(١).

٢- الزمن المبهم:

وجاء في آيتين: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أما الأولى فجاءت في سياق الإنذار الذي يرغبهم في المبادرة إلى الإيمان حتى لا يقع عليهم العذاب، ولذا أبهم زمن العذاب ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وأكد بـ"مِن" تحقيقًا له، وكأن إتيانه قريب، وفي هذا تخويف لهم وتعجيل لاستجابتهم.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩٤/٢٩، وينظر: المحرر الوجيز: ٣٧٣/٥، وتفسير القرآن العظيم: ٢٣٢/٨.

وأما الثانية فسياقها الترغيب إلى الإيمان، ومما رغبهم فيه تأخير الأجل وطول الحياة، وأبهم الأجل لتذهب النفس كل مذهب في تصور طوله، وفي ذلك ترغيب لهم، لكن الأجل مهما طال فهو عند الله له حد معين مسمى، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((هو وعد بخير دنيوي يستوي الناس في رغبته، وهو طول البقاء، فإنه من النعم العظيمة؛ لأن في جبلة الإنسان حب البقاء في الحياة، على ما في الحياة من عوارض ومكدرات. وهذا ناموس جعله الله تعالى في جبلة الإنسان لتجري أعمال الناس على ما يعين على حفظ النوع))(١).

٣- الإشارة إلى الزمن:

ثمة مواضع في السورة تشير إلى الزمن وإن لم تذكره صراحة، وجاءت بألفاظ متنوعة، من ذلك:

التعبير عن طول الزمان بالحرف (ثُمّ) كما في قول نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾. والتعبير به كما قلت سابقًا: يشعر بطول أمده معهم، واستغراق كل أسلوب من الأساليب التي سلكها في دعوتهم.

إن القصة لم تذكر زمن لبث نوح عليه السلام في دعوة قومه كما جاء في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤]، وهو زمن طويل، لكن مجرد الإخبار عن الزمن لا يوحي بطول المعاناة كما يوحي بها "ثمّ"، وهي تخاطب النبي محمدًا ﷺ بالصبر الجميل.

وجاء الدلالة على الزمان بالحرف (ثُمّ) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٩.

والسياق في بيان ربوبية الله ﷻ ومننه على القوم التي تستوجب الإيمان به وحده وهم مع ذلك معرضون، ولما ذكر جملة من أدلة القدرة والمنة في السماوات والأرض، استدعى ذكر الأرض التذكير بخلق الإنسان من ترابها، ثم عودته إليها ميتًا، وبعثه منها بعد ذلك، فأدمج الاستدلال على البعث مع الاستدلال على الألوهية، كما ذكر سابقًا.

ولعل في العطف بـ"ثـمّ" إشارة إلى طول زمان نعم الله عليهم في الدنيا، وطول بقائهم فيها، وفي هذا مزيد توبيخ لهم وإنكار على إعراضهم وعدم إيمانهم، كما هو سياق الآيات التي بدأت بالاستفهام التوبيخي الإنكاري: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ الآيات.

ومن الإشارة إلى الزمن قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ فإن الإدخال في النار يكون في اليوم الآخر، لكن طُوِي ذكره وعُبِّر بفعل الإدخال متصلاً بفاء التعقيب لاختصار الزمن بين العقوبتين في نفس المتلقي مما يشعر بمزيد من التهويل والترهيب، كما سبق ذكره.

ومن الإشارة إلى الزمن التعبير ببعض الأفعال التي تدل في مقام الترغيب على طول زمان التنعم بالأمور المرغب بها، كما في التعبير بصيغة المضارع (يرسل، يمدد، يجعل، يجعل): ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ فهذه الصيغة تشعر المخاطبين بتجدد العطاء زمانًا بعد زمان، وهذا فيه مزيد ترغيب لهم.

ومما يتعلق بالزمن في القصة العدول عن التسلسل الزمني في سرد أحداثها، فقدم الإخبار عن عقوبة القوم قبل دعاء نوح عليهم، لما سبق بيانه في الحديث عن مشاهد القصة.

د- المكان:

المكان في القصة القرآنية كالزمان يُذكر ويُطوى بناء على ما يقتضيه الغرض من القصّ، وفي قصة نوح عليه السلام في هذه السورة لا يذكر المكان الذي تؤدى فيه مشاهد القصة؛ لأنه لا يقدم لمقاصد القصة أي فائدة تذكر، إلا أن المكان لم يغب عن القصة في سياقات تناسبه، ومن ذلك:

١- (السماء، والجنات، والأنهار) في سياق الترغيب في الإيمان والاستغفار: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

و"السماء" هنا المقصود بها: الغيث، فعبر عنه بالمكان، والجنات: الحدائق والبساتين ذات الأشجار المتنوعة والكثيرة، والأنهار: مجاري المياه الكثيرة العذبة.

وذكر هذه الأماكن يرمز إلى جزيل العطاء، وقد سبق بيان ما في التعبير بهذه الأماكن من البلاغة في سياق الترغيب.

٢- (السماوات، والأرض) في سياق الاستدلال على ألوهية الله جل جلاله بربوبيته وإنعامه على القوم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾.

وعُبّر عن السماء بالجمع المعدود "سبع سماوات" إظهارًا لعظم قدرة الله جل جلاله الذي يمسك السماوات ولو شاء لانطبقت السبع كلها على الأرض بمن فيها، وفي ذلك تهويل للقوم.

وأما الأرض فأفردت لأنهم لا يرون إلا إياها، وليس في ذكر السبع هنا تهويل، وإنما يفيد ذكر الأرض تقرير منة الله عليهم التي يعايشونها، ولذا أظهر ذكرها والأصل الإضمار في قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ تأكيدًا للمنة عليهم في هذه الأرض.

فالسموات هنا ترمز إلى القدرة، والأرض ترمز إلى النعمة، وقد سبق بيان ما في هذه الآيات من الأساليب البلاغية.

٣- (الأرض) في دعاء نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

وهل الأرض هنا جميع الأرض؟ أو الجزء من الأرض الذي كان القوم يسكنونه؟ وهل كان في وقت نوح وقومه أحد على الأرض غيرهم؟ أوْ لم يكن أحد غيرهم؛ فكانوا هم الناس على الأرض؟[(١)].

وإذا كان المقصود بالأرض ديارهم دون سائر الأرض ففي التعبير مبالغة لاستقصاء جميع من كفر من قومه وقطع دابرهم.

وعلى كلٍّ فذكر الأرض هنا يرمز إلى الشمول والإحاطة بجميع الكافرين.

٤- (بيت نوح) في دعائه عليه السلام لمن اتبعه من المؤمنين: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾.

وبيت الرجل: داره الذي يأوي إليه ويبيت فيه.

وما مقصود نوح عليه السلام ببيته هنا؟ داره، أم مسجده، أم دينه، أم السفينة؟ كل ذلك قيل[(٢)].

والذي يظهر حمل البيت على ظاهره، كما قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): ((ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن))[(٣)].

والذي يدخل بيته غالبًا والداه وزوجه وأولاده وأهلوهم وقرابته وأصحابه المقربون، وإنما قيد الدخول بالإيمان ليخرج من لم يكن متصفًا به كزوجه وولده وغيرهما، وخَصّ أهلَ بيته بعد والديه ترقيًا فيمن له حق، ثم عمم الدعاء لأهل الإيمان.

وذكر البيت هنا يرمز إلى وفاء نوح عليه السلام وبره بأهل بيته وأصحابه.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٢١٤.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/٣٧٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٨/٢٣٧.

المبحث الثالث

من خصائص النظم في الخطاب الدعوي في السورة

في المبحثين السابقين عرضت بصورة تحليلية مضامين الخطاب الدعوي وأساليبها البلاغية، وفي هذا المبحث أعرض أهمّ الخصائص البلاغية في نظم الخطاب الدعوي في السورة.

وسأتناول هذه الخصائص: الفصاحة والإبانة، النداء، التأكيد، التقابل، الاستفهام الحجاجي، الإيجاز، وحدة النظم.

١- الفصاحة والإبانة.

من السمات المهمة في الخطاب الدعوي البليغ أن يكون واضحًا بيّنًا مُبينًا، يفهمه المخاطَبون به، وهذه غاية الفصاحة وأساس للبلاغة، قال ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ): ((من شروط الفصاحة والبلاغة: أن يكون معنى الكلام واضحًا ظاهرًا جليًّا، لا يحتاج إلى فكر في استخراجه، وتأمل لفهمه))(١).

وقد وصف نوح عليه السلام خطابه بالإبانة في ابتداء دعوته لقومه في هذه السورة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، كما جاء في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود:٢٥]، وسورة الشعراء: ﴿إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء:١١٥].

والبيان عن المعاني والأحكام يكون بفصاحة اللسان، كما في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

---

(١) سر الفصاحة: ٢٢٠.

ويتحقق بمراعاة شروط الفصاحة التي نبه إليها علماء البلاغة، سواء كان ذلك في المفرد أم في الكلام، أما في المفرد فأن يكون موافقًا للغة العرب في تصريفه، واستعماله في معانيه، وأن يسلم من الغرابة، ومن تنافر الحروف بحيث يسهل نطقه على اللسان. وأما في الكلام فأن يكون موافقًا للغة العرب في تأليفه وإعرابه، وأن يسلم من تنافر كلماته، ومن تعقيده سواء كان التعقيد لفظيًا أم معنويًا(١).

وإنما يقصد إلى الإبانة في الخطاب الدعوي لتتضح الدعوة للمدعوين، وتقوم الحجة عليهم. ولذا فالمعتبر في وضوح الدعوة هو المدعو لا الداعي، ولذا جاء وصف الإبلاغ الدعوي في الآيات السابقة وغيرها بـ(الإبانة) وليس بـ(البيان)، ليدل على أن العبرة في الخطاب أن يكون مبينًا للمخاطَب، لا أن يكون بيّنًا وواضحًا عند المتكلم به، وإلا فما قيمة الدعوة حينئذ، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، قال ابن كثير (٧٧٤هـ): ((هذا من لطفه تعالى بخلقه؛ أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم؛ ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم))(٢)، وقال عند قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: ((أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلاً إلى المحجة))(٣)، ولقد سأل موسى عليه السلام الله ﷻ فصاحة اللسان؛ ليفقه المدعوون الخطاب، قال الله ﷻ عنه لما أمره بدعوة فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، وسأل الله أن يعينه بمن هو أفصح منه، فقال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

(١) ينظر: شروح التلخيص: ١/٨٠-١٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤/٤٧٨.

(٣) المرجع السابق: ٦/١٦٢.

٢- حسن الابتداء بالنداء.

عني البلاغيون بـ"حسن الابتداء"، وجعلوه دليلاً على جودة البيان، وعدّوه من المواضع التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق فيها غاية التأنق؛ لأنه أول ما يطرق السمع ويصل إلى القلب، فإذا كان الابتداء حسنًا أقبل السامع على الكلام فوعاه، وإلا أعرض عنه وجفاه(١).

وقد استفتح نوح عليه السلام خطابه الدعوي بما يحسن الابتداء به: استفتح بنداء قومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

ونداء "القوم" مطرد في الخطاب الدعوي مع جميع الأنبياء الذين ذكر الله عز وجل تفاصيل دعوتهم وحكى خطابهم لأقوامهم، وقد جاء مع خطاب نوح عليه السلام في غير هذه السورة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الآية [الأعراف: ٥٩]، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ الآية [يونس:٧١].

ومع غير الأنبياء يظهر هذا النداء في الخطاب الدعوي، كما في قول الرجل الذي جاء مناصرًا للرسل عليهم السلام في مواجهة أصحاب القرية: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٢٠]، وقول الرجل الذي جاء مناصرًا لموسى عليه السلام في مواجهة فرعون: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ الآية [غافر:٢٩] وقد تتابعت نداءاته بعد ذلك. والجن حينما ولّوا إلى قومهم منذرين: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠-٣١].

---

(١) ينظر: شروح التلخيص: ٥٣١/٤.

وأمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالنداء في خطابه الدعوي، فقال: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٣٩]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ الآية [آل عمران:٦٤].

ولم يأت في القرآن نداء في حكاية خطاب دعوي صادر من رسول أو غيره إلى قومه إلا بلفظ "القوم" متصلاً بضمير التكلم.

أما النداء بمثل "يا أيها الذين آمنوا، يا أهل الكتاب، يا أيها الناس" فإنه يأتي في خطاب الله ﷻ، أو في الأمر للنبي ﷺ بقوله، ولم يأت في حكاية خطاب مباشر من نبي إلى قومه.

وأما عيسى عليه السلام فنادى بني إسرائيل بلفظهم: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:٧٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ((قيل: إنما قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولم يقل: يا قوم، كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه)).

وجاء نداء المدعو إذا كان فردًا أو فئة مخصوصة بالوصف الملائم، كما نادى إبراهيم عليه السلام أباه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم:٤٢]، وكما نادى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام بنيهما: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، ونادى يوسف عليه السلام صاحبي السجن: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

والأصل في الخطاب أن يبدأ المتكلم بالنداء تنبيهًا للمخاطب أن يصغي إليه، خاصة إذا كان أمرًا ذا بال، ولذا غلب أن يلي النداء أمر أو نهي أو استفهام أو إخبار بحكم يخص المخاطب، قال الزمخشري (٥٣٨هـ): ((كل ما نادى الله له عباده

من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمورٌ عظام وخطوبٌ جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها))(١).

واستفتح نوح والأنبياء عليهم السلام خطابهم الدعوي بنداء أقوامهم مضيفيهم إلى أنفسهم؛ طلبًا لإقبالهم، واستمالةً لقلوبهم، واستجلابًا لقبولهم، وإظهارًا لنصحهم والتلطف معهم، وتعظيمًا لشأن ما يدعونهم إليه(٢).

وقد يتكرر النداء في الخطاب، كما تكرر نداء نوح عليه السلام في "سورة هود": ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٨-٣٠]. وتكرار النداء في "سورة هود" ظاهر مع جميع الأنبياء الذين سردت السورة قصصهم وخطاباتهم، وورد مع إبراهيم عليه السلام في خطاب أبيه في "سورة مريم"، ومع لقمان في خطاب ابنه في "سورة لقمان".

وفي تكرار النداء تأكيد لأغراض النداء في الخطاب به أول مرة(٣)، وقال محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ) عند تكرر النداء في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ الآية [الأعراف:٢٧]: ((تكرار النداء في مقام الوعظ والتذكير من أقوى أساليب التنبيه والتأثير، يعرف ذلك الإنسان من نفسه، ويشعر به في قلبه. ونظيره في التنزيل قصة الجن من سورة الأحقاف، إذ جاء فيها الوعظ والإنذار بتكرار النداء: يا قومنا... يا قومنا...، ووعظ مؤمن آل فرعون في سورة غافر: يا قوم... يا قوم))(٤).

---

(١) الكشاف: ١/٩٦.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢/٣٣، والتحرير والتنوير: ٢٩/١٨٨.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢/٣٤، والتحرير والتنوير: ١٢/٥٣.

(٤) تفسير المنار "تفسير القرآن الحكيم": ٨/٣٦١.

٣- التأكيد.

يأتي التأكيد لتقرير المعاني وتفخيمها وتقويتها والتعبير عن الاهتمام بها، وله ألفاظ وأساليب كثيرة عند العرب وفي كلام الله ﷻ.

ويعد التأكيد من الظواهر الأسلوبية الملحوظة في الخطاب الدعوي في القرآن الكريم، وسار مع آيات السورة من أولها إلى آخرها، وتنوعت في صور عدة، منها: التأكيد بـ(إنّ) وجاء عشر مرات، بدءًا من استفتاح السورة بقول الحق ﷻ: ﴿**إِنَّا** أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، ثم في خطاب نوح عليه السلام لقومه في ثلاثة مواضع: ﴿يَا قَوْمِ **إِنِّي** لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ... وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى **إِنَّ** أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ... **إِنَّهُ** كَانَ غَفَّارًا﴾، وبقية المواضع في خطابه لربه واصفًا حاله مع قومه: ﴿رَبِّ **إِنِّي** دَعَوْتُ قَوْمِي... **وَإِنِّي** كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ... ثُمَّ **إِنِّي** دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا. ثُمَّ **إِنِّي** أَعْلَنْتُ لَهُمْ... رَبِّ **إِنَّهُمْ** عَصَوْنِي... **إِنَّكَ** إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾.

ومن أدوات التأكيد: (قد) الداخلة على الفعل الماضي، في موضعين: أحدهما: في قول نوح مبينًا نعمة الله ﷻ على قومه: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. والثاني: في وصف حالهم مخاطبًا ربه: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾.

ومن التأكيد: التكرار، ومن ذلك تكرار لفظ الموجه لهم الدعوة: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ **لَهُمْ** وَأَسْرَرْتُ **لَهُمْ** إِسْرَارًا﴾، وتكرار فعل الجعل المسند إلى الله ﷻ في خطاب نوح لقومه: ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ** جَنَّاتٍ **وَيَجْعَلْ لَكُمْ** أَنْهَارًا﴾ وتكرر معه ذكر قومه المخصوصين به (لكم)، ومن تكرار الفعل: ﴿**وَجَعَلَ** الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا **وَجَعَلَ** الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، وكرّر لفظ الجلالة مع إظهاره والأصل الإضمار في خطابه لهم مذكرًا بنعمة الله عليهم: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا... أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ **اللَّهُ** سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا... **وَاللَّهُ** أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا... **وَاللَّهُ** جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، وكرّر الفعل وأداة النفي في ذكر قول قومه: ﴿وَقَالُوا لا **تَذَرُنَّ** آلِهَتَكُمْ **وَلا تَذَرُنَّ** وَدًّا **وَلا** سُوَاعًا **وَلا** يَغُوثَ

وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، وكرّر في دعائه لام الجر مع المخصوصين بالدعاء إظهارًا لمزيد العناية بهم: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي **وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ** دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا **وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ .

ومن التأكيد: التأكيد بالمصدر (المفعول المطلق) في مواضع عدة: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ **نَبَاتًا**... وَاسْتَكْبَرُوا **اسْتِكْبَارًا**... وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ **إِسْرَارًا**... اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ **غَفَّارًا**... وَيُخْرِجُكُمْ **إِخْرَاجًا**... وَمَكَرُوا **مَكْرًا** كُبَّارًا﴾.

ومن التأكيد: القصر، وجاء في السورة بطريق الاستثناء بعد النفي، وهو من أقوى طرق القصر الوضعية: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا... وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا... وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً... وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا... وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾.

ويبرز التأكيد في خطاب نوح عليه السلام لقومه ودعوته إياهم، وفي إخباره عن حاله مع قومه.

أما في خطابه لقومه فلما هم عليه من التكذيب والإنكار والإعراض، وهو مقام يقتضي التأكيد؛ لتقرير الدعوة ومواجهة الشك فيها وإنكارها بلغة قوية حاسمة. كما أن مقام الدعوة مقام خَطابي يتسم بالقوة والتقرير والحجاج فيقتضي التأكيد ليكون أداة إقناع وتأثير. وهو مقام ترغيب وتشويق إلى الإيمان فيقتضي التأكيد ليقوي في نفوس المدعوين الرغبة في الدعوة. وفي صور التأكيد السابقة ما يدل على ذلك كله.

وأما في إخباره عن حال قومه فيريد نوح أن يؤكد قيامه بما أمره الله به، واهتمامه بدعوة قومه، وحرصه عليهم، وصبره على أذاهم، في مقابل إعراضهم عنه وتكذيبهم له؛ ليكون ذلك التقرير مسوغًا لليأس منهم والدعاء عليهم. وهذا التأكيد أوقع في نفوس المخاطبين بالسورة: الرسول محمد عليه السلام تسلية له وحثًا له على الاقتداء بنوح في دعوته وصبره، وكفار مكة إنذارًا لهم وترهيبًا.

٤- التقابل.

يقصد بالتقابل: الجمع بين المعاني المتضادة، من خلال أسلوبي (الطباق والمقابلة): (الطباق) يجمع بين معنى واحد وما يضاده، و(المقابلة) يجمع بين معنيين أو معان ثم يذكر ما يضادها[1].

وقد يكون بين لفظتين في جملة واحدة أو أكثر، أو بين جملتين متعددتي الألفاظ المتقابلة، أو بين مشهدين متقابلين متعددي الجمل.

وهو من الظواهر البلاغية التي تكثر في القرآن العظيم، وفي قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣] فسّر بعض العلماء وصف القرآن: (مثاني)، بأنه يَذكر الشيء وضده، وفي تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ): ((قال بعض العلماء: ويُروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله: ﴿مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ أنّ سياقات القرآن تارةً تكونُ في معنى واحد، فهذا من المتشابه، وتارةً تكونُ بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار، وما أشبه هذا، فهذا من المثاني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣-١٤]، وكقوله ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]، إلى أن قال: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨]، ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص:٤٩]، إلى أن قال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص:٥٥]، ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني، أي: في معنيين اثنين، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا، فهو المتشابه))[2]، قال ابن كثير في موضع آخر: ((وهذا معنى تسمية القرآن (مثاني) على أصح أقوال العلماء...، وهو أن يذكر الإيمان ويتبعه بذكر الكفر، أو عكسه، أو حال السعداء ثم الأشقياء، أو عكسه. وحاصله: ذكر الشيء ومقابله))[3].

(١) ينظر في الطباق والمقابلة: شروح التلخيص: ٢٨٦/٤ و٢٩٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٩٤/٧.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٣/١.

ويأتي التقابل في كلام الله ﷻ بصور متنوعة:

يأتي بالألفاظ المتضادة في الظاهر، كمقابلة الحياة بالموت في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

ويأتي التقابل بين اللفظ وما يتعلق بضده، كالرحمة و الشدة في قوله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ويأتي بين الإثبات والنفي في لفظ واحد، كقوله ﷻ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨].

ويأتي بين الأمر والنهي كقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقد يأتي التقابل بين المعاني والأحوال ولو لم تكن كلها بألفاظ متضادة في الظاهر، فيأتي بين مشاهد كاملة، ويكثر هذا في القرآن بين حال أهل الإيمان وحال أهل الكفر، ومآلهم في الجنة وفي النار.

وتكاد كل سورة تحوي تقابلاً، بل تأتي السورة من القرآن قائمة كلها على التقابل بين المعاني، ومن ذلك سورة محمد، وسورة الليل.

والتقابل في الخطاب الدعوي يأتي كثيرًا في مقام الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد.

وهو بذلك يراعي التوازن في خطاب النفس البشرية، التي يتنازعها جانبا الرجاء والخوف، فيخاطب جانب الرجاء بالوعد والترغيب، وجانب الخوف بالوعيد والترهيب. ولذا كانت العبودية لله ﷻ لا تتم إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينتهي المرء عن المعاصي، وبالرجاء يأتمر ويقبل على الطاعات، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي قصة نوح عليه السلام جاء التقابل في مواضع عدة، من ذلك:

١- في مقام ترغيب القوم في الإيمان قال الله ﷻ عن نوح عليه السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

والتقابل بين (يُؤَخِّرْ – لا يُؤَخَّرُ) إثباتًا ونفيًا، وفيه تحفيز لهم وترغيب على المبادرة إلى الإيمان قبل أن يفجأهم الأجل، فإذا جاء فإنهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

٢- في مقام الإخبار عن القيام بالدعوة والاجتهاد فيها قال الله ﷻ عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾ وقال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

والتقابل هنا بين (ليل – نهار) (أعلنت – أسررت) ، ولعل الغرض من ذكر المتضادات في هذا المقام بيان شمول دعوته لكل الأوقات واستعماله كل الأساليب في جميع الأحوال دلالة على اجتهاده وحرصه في القيام بأمر ربه، وبيانًا لشدة إعراض قومه في مقابل ذلك.

٣- في مقام الحجاج مع القوم للاستدلال على ألوهية الرب ﷻ يقول الله سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۞ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾.

والتقابل بين (السموات – الأرض) (القمر – الشمس) (يعيدكم – يخرجكم) فيه إظهار للقدرة الإلهية وبيان لعظم المنة الربانية على القوم حيث سخر لهم هذه المخلوقات؛ مما يستوجب شكر الرب بعبوديته والإيمان به.

وفي التقابل بين الإعادة إلى الأرض والإخراج منها تصوير لقدرة الرب على البعث بعد الموت؛ فإن الذي ينبت الناس ويخلقهم من الأرض، ثم يميتهم، قادر على إحيائهم مرة أخرى، وهو أهون عليه ﷻ.

٤- في مقام الدعاء في خاتمة السورة جاء التقابل بين الدعاء للكافرين والدعاء للمؤمنين، مما يبين عظم الفلاح والتسلية للمؤمنين، وسوء العاقبة والنذارة للكافرين: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ۞ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾.

٥- الاستفهام الحجاجي: يعد الاستفهام من الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم، وفي قصص الأنبياء، وأكثر سور القرآن متضمنة له، بل إن منها ما استفتحت به كالأنفال والعنكبوت والحاقة والإنسان والنبأ والغاشية والشرح والقارعة والفيل والماعون. ومنها ما ختمت به كمريم وطه والأحقاف والملك والقيامة والمرسلات والمطففين والتين.

وأُمر النبي ﷺ بخطاب الاستفهام في مواضع عدة، منها قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس:٣٤-٣٥] وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦].

والأصل فيه طلب الفهم والعلم بالشيء غير المعلوم بأدوات خاصة كالهمزة وهل وما وغيرها. ويسمى الاستفهام على الأصل: الاستفهام الحقيقي.

وكثيرًا ما يخرج عن هذا الأصل إلى معان وأغراض تفهم من خلال السياق وقرائن الأحوال كالتقرير، والإنكار، والتوبيخ، والتعجب، والتشويق، والحض، والتمني، وغيرها، ويسمى الاستفهام حينئذ: الاستفهام المجازي. والاستفهام الحجاجي يأتي متعلقًا بهذه المعاني المعدول إليها(١).

ويعد الاستفهام في مقام الحجاج من الأساليب التي تكتنز طاقة إقناعية عالية التأثير؛ تهز المخاطب وتنبه عقله وتثير تفكيره وتحرك عاطفته وتستميل قلبه وتحمله على الإذعان والاقتناع والاستجابة.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) إلى أن المقصود في الاستفهام المجازي إنما هو محض التنبيه، فقال بعد أن تحدث عن بعض الشواهد في معنى الإنكار: ((اعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويعيى بالجواب))(٢)، وعقب الدكتور محمد أبو موسى على قول الجرجاني بقوله: ((وهذا التنبيه عند الشيخ يكفي لتلقي كل ما يثار حول الفكرة من حقائق وبراهين تؤدي إلى رفضها أو قبولها أو الإقرار بها أو الخجل منها أو استنكارها أو استبعادها إلى آخر ما يعطيه الموقف. المهم أن يلتفت السامع إلى هذه الحقائق، ثم ندعه يتعامل معها بوعيه، ويتدبرها بفكره، وينتهي فيها إلى ما يراه))(٣).

ولهذا نجده حاضرًا في الحوار بين الرسل وأقوامهم، ومع كفار مكة، وخاصة في الاستدلال على ألوهية الله ﷻ، وعلى البعث بعد الموت، وفي الترغيب في الإيمان والترهيب من الضلال، ومن أمثلة ذلك قول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

---

(١) ينظر: الحجاج في القرآن: ٤٢٥.

(٢) دلائل الإعجاز: ١١٩.

(٣) دلالات التراكيب: ٢٤٤، وينظر: علم المعاني، لفيود: ٢/١٢٧.

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۞ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣١-٣٢]، وقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠]، وقول الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٩٦-١٠٠]، وأيّ رهبة تثيرها هذه الاستفهامات المتابعة في النفوس!

ونوح عليه السلام في خطابه لقومه يلجأ إلى الاستفهام: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۞ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾.

وهو استفهام يحمل معاني التعجب والتوبيخ والإنكار، جاء بعد لغة ترغيبية هادئة: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾، لكن القوم أهل إصرار واستكبار، كلما دعاهم نوح عليه السلام ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾، فانتقل الخطاب إلى تذكيرهم بربوبية الله جل جلاله لهم وعظم نعمته عليهم مما يستوجب الإيمان به وعبوديته وحده، وجاء هذا الاستدلال على ألوهية الله وعلى البعث بلغة الاستفهام لما فيه من قوة التنبيه وإثارة الذهن للنظر

والتدبر والتأمل. وسبق ما في هذه الآيات من الأساليب البلاغية في الحديث عن خطاب نوح لقومه.

٦- الإيجاز: الإيجاز هو: التعبير الوافي عن المعنى المراد بلفظ قليل. ويقسّم جمهور البلاغيين الإيجاز إلى: إيجاز حذف: وهو ما كان بحذف شيء من الكلام. وإيجاز قصر: وهو ما لم يكن بحذف[١].

و((الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه))[٢]. ومع هذا فإن العرب كما قال ابن جني (٣٩٢هـ): ((هم إلى الإيجاز أميل، وبه أعنى، وفيه أرغب. ألا ترى إلى ما في القرآن وفصيح الكلام من كثرة الحذوف، كحذف المضاف، وحذف الموصوف، والاكتفاء بالقليل من الكثير... مما يزيل الشك عنك في رغبتهم فيما خفّ وأوجز، عما طال وأمَلّ))[٣].

والإيجاز سمة في نظم القرآن الكريم، وخصيصة من خصائصه الأسلوبية، كيف وقد قال النبي ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعَ الْكَلِمِ» وفي رواية: «أُعْطِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»[٤]، والكلم الجوامع: ((الكلمات البليغة الوجيزة الجامعة للمعاني الكثيرة))[٥]، وذكر البخاري (٢٥٦هـ) بعد روايته لهذا الحديث قول الزهري (١٢٤هـ): ((بلغني أن "جوامع الكلم" أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر

(١) ينظر: شروح التلخيص: ١٨٣/٣ و١٩٠، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢٢٤/١ و٣٤٤ و٣٤٧ و٣٤٩ و٣٦١.

(٢) كتاب الصناعتين: ١٩٠.

(٣) الخصائص: ٨٣/١-٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: برقم (٢٩٧٧)، ومسلم في صحيحه: برقم (٥٢٣).

(٥) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٢٦٧/٥، وينظر: فتح الباري: ١٢٦/١٧.

الواحد والأمرين، أو نحو ذلك))، وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): ((جزم غير الزهري بأن المراد بجوامع الكلم: القرآن، بقرينة قوله: «بُعِثت» والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني))(١)، قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) عن القرآن العظيم: ((جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أوتيت جوامع الكلم»))(٢).

و(جوامع الكلم) هي إيجاز القِصَر. وتَمدُّح العرب بالإيجاز إنما هو في أمر هذا النوع أكثر من غيره، قال العلوي (٧٤٩هـ): ((وهذا القسم من الإيجاز له في البلاغة موقع عظيم، دقيق المجرى، صعب المرتقى، لا يختص به من أهل الصناعة إلا واحد بعد واحد))(٣).

والمتأمل في الخطاب الدعوي في سورة نوح يجد الإيجاز ظاهرًا بصورة عامة، ولو كان هناك بعض من صور الإطناب كالتكرار مثلاً، إلا أن تلك الصور تأتي ضمن خطاب يوصف بالنظر إليه كله دون جزئياته بصفة الإيجاز والقصر.

لقد أوجزت السورة دعوة نوح عليه السلام التي امتدت ألف سنة إلا خمسين عامًا في ألفاظ قليلة، أوجزت بدءها وختامها وأحداثها، وكأنها جرت في أيام معدودة.

---

(١) فتح الباري: ١٢٦/١٧. والذي يظهر أن الحديث عام في كل ما أوتيه النبي ﷺ، ويشمل القرآن والسنة، وقد قال النبي ﷺ: «أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» [أخرجه أحمد في مسنده: ٤١٠/٢٨ برقم (١٧١٧٤)، وأبو داود في سننه: برقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ١١٧/٣]، وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في حديث له: «وكان رسول الله ﷺ قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه» [أخرجه مسلم في صحيحه: برقم (١٧٣٣)].

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٣.

(٣) الطراز: ٢٥٩، وينظر: الإعجاز البلاغي: ٩٢-٩٣.

كان هذا هو خطاب نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾.

إنها كلمات قلائل يخاطبهم بها ليلاً ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، لكنها كلمات جمعت حقيقة الدعوة وغايتها وثمراتها والحجة عليها.

وأما خاتمة القوم التي فيها نذارة لأهل مكة وتسلية للرسول محمد ﷺ فكانت موجزة أشد الإيجاز لكن وقعها على النفوس عظيم: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾.

٧- وحدة النظم: ويقصد به: الترابط بين ألفاظ النص وتراكيبه ومعانيه وأجزائه، فيظهر على أنه وحدة نصية واحدة، معانيه متناسبة متسقة في غاية الحبك، وألفاظه وتراكيبه منسجمة في غاية السبك.

وهذا أمر أشار إليه العرب، ومما يحكى في ذلك أن عمر بن لجأ (ت١٠٥هـ) قال لابن عم له: أنا أشعر منك. قال: وكيف؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه. ولهم في ذلك أقوال وأشعار، منها:

وشِعْرٌ كَبَعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ ... لِسَانٌ دَعِيٌّ في الْقَرِيضِ دَخِيلُ

قال الحاتمي (٣٨٨هـ): ((يقول: هو مختلف المعاني، متباين المباني، جارٍ على غير مناسبة ولا مشاكلة ولا مقاربة؛ لأن بعر الكبش يقع متبددًا متفرقًا متباينًا))[١].

وقال عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ): ((لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك))[٢]. وذكر البقاعي (ت٨٨٥هـ) أنه ((سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال))[٣]، وقد قيل: ((البلاغة: القوة على البيان مع حسن النظام)) وقيل: ((البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله))[٤].

وأما كلام الله المعجز فإنه أولى بذلك، قال الرازي (ت٦٠٦هـ): ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))[٥]. وقال ولي الله الملوي (٧٧٤هـ): ((والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له))[٦].

وقد عد التناسب في القرآن من دلائل إعجازه، قال الرازي (ت٦٠٦هـ): ((القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز

(١) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي: ٩.

(٢) دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٥٥.

(٣) نظم الدرر: ١/٦.

(٤) ينظر القولان في: العمدة: ١/٢٤٤.

(٥) تفسير الفخر الرازي: ١٠/١٤٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ١/٣٧، ونسب القول إلى بعض مشايخه دون أن يسميه، وسماه البقاعي في نظم الدرر: ١/٨.

بحسب ترتيبه ونظم آياته))[1]، وقال البقاعي (ت٨٨٥هـ): ((بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين: إحداهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب. والثانية: نظمها مع تاليتها بالنظر إلى الترتيب)).

وقام علم من علوم القرآن عليه، وهو: علم المناسبة، أو المناسبات، عرفه البقاعي (ت٨٨٥هـ) بأنه: ((علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه))[2].

والله ﷻ يقول: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۞ قَيِّمًا﴾ [الكهف:١-٢]، وقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨]، وقال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ [النساء:٨٢].

قال أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ): ((القرآن كله كالسورة الواحدة))[3]، قال الرازي (ت٦٠٦هـ): ((القرآن كله كالسورة الواحدة؛ لاتصال بعضه ببعض))[4]. ونقل الزركشي (ت٧٩٤هـ) عن القاضي أبي بكر بن العربي (٥٤٣هـ) قوله في كتابه "سراج المريدين": ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة: متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم))[5].

(١) تفسير الفخر الرازي: ١٣٩/٧.

(٢) نظم الدرر: ٦/١.

(٣) عن مغني اللبيب: ٣٢٩.

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٢١٤/٣٠.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣٦/١.

ومن صور الترابط والانسجام في الخطاب الدعوي في سورة نوح عليه السلام ما يأتي:

أ- التلاؤم الصوتي:

يقصد به التناسب الصوتي بين الألفاظ والتراكيب في النظم، بحيث تظهر في النطق منسجمة متآلفة لا متنافرة. وذكره الرماني (ت٣٨٤هـ) قسمًا من البلاغة التي عدها وجهًا من وجوه إعجاز القرآن، وقال: ((التلاؤم: نقيض التنافر. والتلاؤم: تعديل الحروف في التأليف، والتأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا... والمتلائم في الطبقة العليا: القرآن كله، وذلك بيّن لمن تأمله... والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليه من حسن الصورة وطريق الدلالة))(١)، وذكره الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ) من وجوه النظم المعجز، قال: ((وتلاؤم الحروف والكلمات والفواصل والمقاطع في الآيات))(٢).

ومن قبل قال الجاحظ (ت٢٥٥هـ): ((ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه... وأنشدني أبو العاصي قال: أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى:

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَومِ أَبْنَاءُ عَلَّةٍ يَكِدُّ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ)).

قال الجاحظ: ((وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أُفرغ إفراغًا جيدًا، وسُبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان... وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لمسًا، ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مؤاتية، سلسة النظام خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد))(٣).

---

(١) النكت في إعجاز القرآن: ٩٤-٩٦.

(٢) بصائر ذوي التمييز: ١/٦٨.

(٣) البيان والتبيين: ١/٦٥-٦٧. وينظر: شرح ديوان الحماسة: ١/١٠، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١/٢٩١، ومقاييس البلاغة: ١٨٣-١٩٦.

وقال المرزوقي (٤٢١هـ) في حديثه عن خصال "عمود الشعر" عند العرب: ((وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن: الطبع واللسان، فما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده، ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله، بل استمرا فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت، والبيت كالكلمة؛ تسالمًا لأجزائه وتقارنًا))(١).

وهذا التلاؤم الصوتي بين الألفاظ من النوع الذي سماه البلاغيون: ائتلاف اللفظ مع اللفظ، وهو: أن يكون في الكلام لفظ يصح معه واحد من عدة ألفاظ، فيختار منها ما بينه وبين ذلك اللفظ الأول ائتلاف وملاءمة، وإن كان غيره يسد مسده في المعنى(٢).

وأما القرآن الكريم فإن نظمه قائم على التلاؤم والتناسب في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) مشيرًا إلى أن من بلاغة النظم ((فصاحة اللفظ وانسجام النظم، وذلك بسلامة الكلام في أجزائه ومجموعه مما يجر الثقل إلى لسان الناطق به... وقد سلم القرآن من هذا كله مع تفننه في مختلف الأغراض وما تقتضيه من تكاثر الألفاظ))(٣)، وقال الدكتور محمد أبو موسى: ((وقد أقام القرآن أسلوبه على نظام من التآلف الصوتي العجيب، لوحظ ذلك في حروفه وكلماته وجمله، وصارت أصواته -كما يقول المرحوم الرافعي- ألحانًا لغوية رائعة كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هو توقيعها))(٤).

وسورة نوح يجري عليها ما يجري في سائر القرآن من التلاؤم بين الألفاظ، وائتلاف بعضها مع بعض، بانسجام تام من غير ثقل في النطق ولا نبو في السمع.

---

(١) شرح ديوان الحماسة: ١/١٠.

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين، للعسكري: ١٢٠، ومنهاج البلغاء: ٢٢٢، والطراز، للعلوي: ٤٦٩، وأنوار الربيع، للمدني: ٦/٢٣٤، ومعجم المصطلحات البلاغية، لمطلوب: ١/١٦، ومقاييس البلاغة، للربيعي: ١٩٩.

(٣) التحرير والتنوير: ١/١١٢.

(٤) خصائص التراكيب: ٣٦٣.

ومن مظاهر التلاؤم الصوتي في الخطاب الدعوي في سورة نوح: السجع، وهو: توافق الفواصل في الحرف الأخير[1]. وله حظوة في كلام العرب، غير أنه كان يصدر منهم عن طبع سليم، ويقع ((سهلاً متيسرًا بلا كلفة ولا مشقة، حيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه، ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه))[2].

وقد وجد فيهم من يتصنع السجع ويتكلفه تكلفًا ويقصد إليه قصدًا لا يقتضيه مقام الكلام، كالكهان وغيرهم، وفيهم وفي اتباع طريقتهم ورد ذم رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقضى أن دية ما في بطنها غُرَّةٌ عبد أو أمة، فقال ولي المرأة التي غَرِمت: كيف أَغْرَم -يا رسول الله- من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استَهَلّ، فمثل ذلك يُطَل، فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ» من أجل سجعه الذي سجع[3]، ولمسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «أَسْجَعٌ كَسَجْعِ الأَعْرَابِ؟»[4].

وورد السجع كثيرًا في القرآن العظيم، وبعض العلماء يسمي ما جاء في القرآن (فاصلة) ويتحاشى لفظ (السجع) لما ورد فيه من الكراهة. والكراهة الواردة مختصة بالمتكلف والذي يراد به إبطال حق أو إحقاق باطل[5].

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين: ٢٦٠، والتبيان، للطيبي: ٢/٥٢١، وشروح التلخيص: ٤/ ٤٤٥.

(٢) سر الفصاحة: ١٦٣.

(٣) أخرجه البخاري: (٥٧٥٨) ، ومسلم: (١٦٨١).

(٤) أخرجه مسلم: (١٦٨٢).

(٥) قال النووي (٦٧٦هـ) في شرح صحيح مسلم [١١/١٧٨]: ((قال العلماء: إنما ذم سجعه لوجهين: أحدهما: أنه عارض به حكم الشرع، ورام إبطاله. والثاني: أنه تكلفه في مخاطبته. وهذان الوجهان من السجع مذمومان. وأما السجع الذي كان النبي ﷺ يقوله في بعض الأوقات، وهو مشهور في الحديث فليس من هذا؛ لأنه لا يعارض به حكم الشرع، ولا يتكلفه، فلا نهي فيه، بل هو حسن. ويؤيد ما ذكرنا من التأويل قوله ﷺ: «كَسَجْعِ الأَعْرَابِ»، فأشار إلى أن بعض السجع هو المذموم)). وينظر: فتح الباري: ١٠/٢١٨، وكتاب الصناعتين: ٢٦١، والمثل السائر: ١/٣١٠-٣١٢.

وذكر بعض العلماء أن القرآن قد يعدل إلى حذف حرف أو ذكر لفظ دون آخر أو تقديم وتأخير في النظم مراعاة للفواصل، وعلى سبيل المثال فإن سورة "القمر" رائية الفواصل، والمتأمل في نظمها يلحظ مراعاة حرف الفاصلة في جميع آياتها، وأن السورة تعدل عن الأصل حتى لا ينخرم النظم الصوتي للآيات، ومن ذلك مثلاً: حذف ياء المتكلم: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، وتذكير "منقعر" وإفرادها: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾، وإضافة الهشيم إلى "المحتظر" وليس "الحظيرة": ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾، وإفراد "الدبر": ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. وإفراد "النهر": ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾، وتقديم المفعول به: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾.

على أن من العلماء من يرى عدم الاكتفاء بتفسير العدول بمراعاة الفاصلة فحسب، وإنما يتعاضد أيضًا مع مراعاة المعنى والسياق(١). وأيًّا كان الرأي فإن لمراعاة الفاصلة أثرًا في نظم القرآن العظيم.

والقرآن نزل بلسان العرب، وعلى قوم يعنون بالسجع في كلامهم ويتأثرون به في خطابهم، فلا عجب إذن أن يعنى به ويقصد إليه ما دام سياق الخطاب يقتضيه، وقد جاء بانسجام عجيب تتأثر معه النفوس وتطرب له الآذان ولا تستثقله الألسن.

واستحب بعض العلماء السجع في الخطاب الدعوي إذا كان مما يعين على التأثير في النفوس بالحق، كما قال ابن حجر (٨٥٢هـ): ((ربما كان في بعضه ما يستحب، مثل أن يكون فيه إذعان مخالف للطاعة، كما وقع لمثل القاضي الفاضل في بعض رسائله، أو إقلاع عن معصية، كما وقع لمثل أبي الفرج ابن الجوزي في بعض مواعظه. وعلى هذا يحمل ما جاء عن النبي ﷺ، وكذا عن غيره من السلف الصالح))(٢).

---

(١) ينظر آراء العلماء في مراعاة الفاصلة: البرهان في علوم القرآن: ١/٦٠-٦٧ و٧٢.

(٢) فتح الباري: ١٦/١١٣.

والفواصل في سورة نوح عليه السلام متنوعة لكنها منسجمة، وفي خطاب نوح عليه السلام لقومه جاءت الفاصلة في الآيات (٢-٤) بالنون، ثم الآيات (٥-١٤) كل آية ختمت بالراء المفتوحة، ثم الآيات (١٥-٢٠) ختمت كل آيتين بالجيم المفتوحة. وبعد الآيات الأربع الأولى جاءت فواصل السورة بمد الفتحة، لم يتخلف أبدًا.

ومن صور مراعاة السجع: تقديم ذكر الليل على النهار في قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾ مع أن زمن الدعوة عادة يكون في النهار.

ومن ذلك تخير وصف الغفّار دون الغفور والغافر في قوله سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

ومن ذلك تأخير المفعول به "وقارا، أنصارا، ديارا" في قوله سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ وقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۞ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

ومن ذلك تقديم "فجاجًا" على "سبلاً" بعكس ما في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [آية:٣١]، قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ): ((لتناسب الفواصل))(١).

ومن التلاؤم الصوتي في السورة: مجيء الفاصلة "سراجا" في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((لم يخبر عن الشمس بالضياء كما في آية سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ [يونس:٥]، والمعنى واحد وهو الإضاءة؛ فلعل إيثار السراج هنا لمقاربة تعبير نوح في لغته، مع ما فيه من الرعاية على الفاصلة؛ لأن الفواصل التي قبلها جاءت على حروف صحيحة، ولو قيل: ضياء، لصارت الفاصلة همزة، والهمزة قريبة من حروف العلة فيثقل الوقف عليها))(٢).

---

(١) الدر المصون: ٤٧٢/١٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٣/٢٩. وسبق في المبحث الأول التعقيب على قوله: ((لمقاربة تعبير نوح في لغته)).

ومن التلاؤم الصوتي: العدول عن "إنبات" مصدرًا لـ"أنبت" إلى "نبات" في قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ومما فسر به: كون المصدر القياسي أثقل في النطق، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((نباتًا: اسم من أنبت، عومل معاملة المصدر فوقع مفعولاً مطلقًا لـ ﴿أَنْبَتَكُمْ﴾ للتوكيد، ولم يجر على قياس فعله فيقال: إنباتًا؛ لأن ﴿نَبَاتًا﴾ أخف، فلما تسنّى الإتيان به لأنه مستعمل فصيح لم يُعدل عنه إلى الثقيل كمالاً في الفصاحة))(١)، وقيل غير ذلك(٢).

ومن التلاؤم: ترك تكرار "لا" في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. وذكر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أن عدم إعادتها ((لأن الاستعمال جارٍ على أن لا يزاد في التأكيد على ثلاث مرات))(٣)، وتكرارها في جميع الأسماء مع تقاربها يحدث ثقلاً صوتيًا، كما أن التوازن بين لفظي "يغوث" و"يعوق" أكثر تلاؤمًا بترك التكرار.

ب- التناسب المعنوي:

ويقصد به: الترابط بين الألفاظ أو التراكيب أو أجزاء النص من جهة المعنى.

ونوّه حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) بأهمية التناسب، وجعل علم البلاغة هو الطريق إلى معرفة طرقه، قال: ((معرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلّي في ذلك، وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار، وتوجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر))(٤).

---

(١) المرجع السابق: ٢٠٤/٢٩.

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٤٠/٣٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٢١٠/٢٩.

(٣) منهاج البلغاء: ٢٢٦-٢٢٧.

والتناسب يأتي على صور عدة، ويكون بمراعاة النظير والموافق، ويكون بمراعاة الضد والمطابق، قال ابن سنان (ت٤٦٦هـ): ((فأما تناسب الألفاظ من طريق المعنى فإنها تتناسب على وجهين: أحدهما: أن يكون معنى اللفظتين متقاربًا. والثاني: أن يكون أحد المعنيين مضادًا للآخر أو قريبًا من المضاد. فأما إذا خرجت الألفاظ عن هذين القسمين فليست بمتناسبة))(١).

ومن صور التناسب في سورة نوح ما يأتي:

١- براعة الاستهلال:

من حسن الابتداء ما سماه البلاغيون: براعة الاستهلال، إذا كان الابتداء مضمنًا فيه ما يشير إلى المقصود ويناسب الغرض، مما يُعد مظهرًا من مظاهر الترابط والتماسك وحسن النظم بين أجزاء النص.

وقد ذكر نوح عليه السلام في بداية خطابه مقصوده منه، وهو إنذار قومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

وهذا إعلان لهوية الخطاب من أول وهلة، كما أن الآية الأولى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إعلان لهوية السورة من أول وهلة.

وكلاهما -خطاب نوح، والسورة- أعلنا منذ البداية أن المقصود هو الإنذار: نوح ينذر قومه، والسورة تنذر قوم محمد عليه الصلاة والسلام.

(١) سر الفصاحة: ١٩٩.

٢- مراعاة النظير:

من الأساليب البديعية التي تتصل اتصالاً وثيقًا بالتناسب بين أجزاء النص ما سماه البلاغيون: مراعاة النظير، وهو: أن يجمع المتكلم بين أمور متناسبة من غير تضاد. وقيد بغير التضاد ليخرج ما كان التناسب بالتضاد، ويبحث في الطباق والمقابلة. ولاتصال هذا الأسلوب بالترابط بين معاني النص سمي أيضًا: التناسب، والائتلاف، والتوفيق، والمؤاخاة(١).

ومن مراعاة النظير في السورة: الجمع بين العبادة والتقوى والطاعة في قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾، ومن ذلك الجمع بين الأولاد والبنين والجنات والأنهار: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

٣- التقابل:

سبق الحديث عن التقابل باعتباره ظاهر أسلوبية في الخطاب الدعوي في القرآن الكريم، وهنا أشير إليه باعتباره أيضًا مظهرًا من مظاهر التناسب بين المعاني وأداة من أدوات الترابط داخل النص، والشواهد عليه في السورة ظاهرة، سبق ذكرها من قبل.

٤- رد العجز على الصدر:

من الأساليب البديعية ما سماه البلاغيون: رد العجز على الصدر، أو: رد الأعجاز على ما تقدمها، ويسمى: التصدير. وهو: أن يكون لفظ آخر الكلام موافقًا للفظ أوله(٢).

وهو كثير في القرآن الكريم، وقد يأتي على مستوى الآية، وقد يأتي على مستوى السورة، ويعد مظهرًا للتناسب والترابط على مستوى النص.

---

(١) ينظر: شروح التلخيص: ٣٠١/٤، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢٤٣/٣.

(٢) ينظر: شروح التلخيص: ٤٣٣/٤، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢٢٨/٢، ٢٠/٣.

ومما ورد منه في السورة قول الله ﷻ عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

وجاءت خاتمة السورة دعاء بالمغفرة للمؤمنين: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ وهي الثواب الذي ذكره نوح عليه السلام في أول السورة لمن آمن بالله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾. وبهذا يتناسب آخر السورة مع أولها.

٥- حسن الانتقال:

ويسمى: حسن التخلص، وحسن الخروج.

وهو أن ينتقل المتكلم من غرض إلى غرض ومن معنى إلى آخر ببراعة لا يجد معها المتلقي شعورًا بالخروج والانتقال، وهذا يدل على قوة تماسك الكلام وترابطه، قال ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) متحدثًا عن أركان الكتابة: ((الركن الثالث: أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة؛ لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض، ولا تكون مقتضبة، ولذلك باب مفرد أيضًا يسمى: باب التخلص والاقتضاب، وهذا الركن أيضًا يشترك فيه الكاتب والشاعر))(١)، وقال: ((حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من ذلك، كالخروج من الوعظ والتذكير بالإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه، ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد، بلطائف دقيقة ومعان آخذ بعضها برقاب بعض))(٢).

وحينما نتأمل مشاهد القصة في السورة نجد الانتقال من مشهد إلى آخر يأتي بأحسن أسلوب وأوثق رباط، فقد بدأت السورة بأمر الله ﷻ لنوح عليه السلام بالدعوة، ثم

(١) المثل السائر: ١/٩٧.

(٢) المرجع السابق: ٣/١٥٣.

اعقبته باستجابة نوح عليه السلام للأمر، ثم بيان صبر نوح على دعوة قومه مع إعراضهم واستكبارهم، ثم يأسه من استجابة قومه وبيان عاقبتهم والدعاء عليهم بالهلاك وللمؤمنين بالمغفرة والفلاح.

٦- الوصل والفصل:

الوصل هو: العطف، والفصل: ترك العطف، سواء أكان العطف بين الجمل أم بين المفردات، وسواء بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب أم التي لها محل، وسواء كان العطف بالواو أم بغيرها من حروف العطف، وإن كانت الواو أكثر اعتبارات بلاغية من غيرها.

وهذا المبحث البلاغي من المباحث المهمة التي لقيت عناية من البلاغيين، حتى جعله عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ((من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام، هم بها أفراد)) وقال: ((وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل. ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة))(١).

وهو شديد التعلق بإحكام نظم النص والترابط بين ألفاظه وتراكيبه، سواء كان الرابط معنويًا كما هو في الفصل، أم لفظيًا كما في الوصل بأداة العطف. وفي كلا الحالين فإن التناسب بين معاني التراكيب أمر لا بد منه، قال الدكتور بسيوني فيود: ((المناسبة والتلاؤم والتآلف مطلوب بين المفردات وبين الجمل، سواء أعطفت أم اقترنت بدون عطف، فكما لا يجوز أن تقول: هو يكتب الشعر ويأكل السمك، فإنه

---

(١) كلا النصين في دلائل الإعجاز: ٢٢٢.

يمتنع أيضًا قولك: هو يكتب الشعر يأكل السمك، بدون واو، وكذا يمتنع الجمع بين مرارة الفراق وكرم الممدوح بلا عطف))(1).

وخطاب السورة كله بين وصل وفصل، فإذا اقتضى السياق الفصل ترك العطف، وإذا لم يقتضه بقي العطف.

ومن الفصل قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ فصلت الآية الثانية لكونها بيانًا لقوله سبحانه: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والجملة المبيِّنة بمنزلة المبيَّنة. قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((ولك أن تجعلها استئنافًا بيانيًا لجواب سؤال السامع أن يسأل: ماذا فعل نوح حين أرسل الله إليه: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾))(2).

ومن الفصل قول الله ﷻ عن نوح عليه السلام مخاطبًا قومه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ فصلت الآية الثانية عن الأولى لكونها في محل جواب سؤال عن جزاء الطلب: وماذا لنا لو عبدنا واتقينا وأطعنا؟ وليس بين السؤال وجوابه عطف، بل هما متصلان لفظًا ومعنى.

ومثله قول نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ففصل بين جملة الطلب ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ وجملة الخبر ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾؛ لكون الثانية في محل جواب سؤال عن علة الطلب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ جاء الفصل في الآية الثانية لكونها تعليلاً للطلب في الآية الأولى.

---

(1) علم المعاني: ٢/١٨٢، وينظر: دلالات التراكيب: ٢٧٤.

(2) التحرير والتنوير: ٢٩/١٨٨.

ومن الوصل وهو كثير قول نوح: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ فهذه جمل اشتركت في صيغة الإنشاء، وليست كل واحدة بمنزلة الثانية وليس ثمة ما يقتضي الفصل، فحسن الوصل مع ما بينها من التناسب.

ومثل ذلك الجملتان الخبريتان اللتان وقعتا جزاءً للطلب: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ فاشتركتا في الخبرية والجزاء في مقام الترغيب، وليس ثمة ما يقتضي الفصل فحسن الوصل.

ومثلهما في الاشتراك في الخبرية والجزاء ترغيبًا قول نوح: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ والوصل هنا مع تعدد الجمل يشعر بعظم الجزاء ووفرته.

ومن الوصل قول نوح عن موقف قومه: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ والوصل هنا مع تعدد الجمل يشعر بشدة إعراضهم وتنوع مواقفهم.

ومن الوصل بغير الواو قول الله عن نوح: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ جاء الوصل في الأول بـ"ثمّ" وفي الثاني بـ"الفاء"، وسبق بيان وجه البلاغة فيهما.

ومواضع الوصل في السورة كثيرة، والمقصود هنا الإشارة إلى أن الوصل والفصل من مظاهر التعالق بين ألفاظ النص وتراكيبه، مما يحكم الترابط النصي في الخطاب.

الخاتمة

تناول البحث بلاغة الخطاب الدعوي في سورة نوح عليه السلام، من خلال خطابين: أحدهما: خطاب نوح عليه السلام لقومه، وهو خطاب مباشر صريح، كما سردته السورة. والثاني: خطاب القصة للنبي محمد ﷺ وقومه، وهو خطاب تعريضي غير مباشر، مقصود من سرد القصة.

وأجاب البحث عن سؤاله: ما الخصائص البلاغية لنظم الخطاب الدعوي من خلال سورة نوح؟ منتهيًا إلى أن من أبرز الخصائص البلاغية في الخطاب الدعوي التي ظهرت في سورة نوح هي: الفصاحة والإبانة، وحسن الابتداء بالنداء، والتأكيد، والتقابل، والاستفهام الحجاجي، والإيجاز، والترابط النصي الذي أسهم فيها جانبان مهمان: التلاؤم الصوتي بين الألفاظ وبين التراكيب، والتناسب المعنوي. وتحقق التناسب من خلال مجموعة من الأساليب كبراعة الاستهلال، ومراعاة النظير، والطباق والمقابلة، ورد العجز على الصدر، وحسن الانتقال، والوصل والفصل.

ولا يزال الخطاب الدعوي في القرآن الكريم والسنة النبوية بحاجة إلى مزيد من الدراسات البلاغية لاستكشاف خصائصه الأسلوبية التي أسهمت في قوة تأثيره.

وأوصي الباحثين في البلاغة العربية بدراسة الخطابات الدعوية التي أنتجها الدعاة والوعاظ والمصلحون قديمًا وحديثًا سواء أكانت مؤثرة أم غير مؤثرة؛ لتقويمها ونقدها إسهامًا منهم في الرقي بلغة الخطاب الدعوي.

كما أوصي الدعاة إلى الله عز وجل أن يعنوا بالارتقاء في لغة خطابهم وأساليبه البلاغية؛ فإن الداعية إذا كان يسعى إلى استمالة المخاطبين وإقناعهم والتأثير فيهم فيتطلب منه النصح لأن يستخدم كل ما يمكنه من أدوات تمده بذلك التأثير، ومن أهم هذه الأدوات: البلاغة، فيتعلمها ويتدرب على تطبيقها.

أسأل الله جل جلاله أن ينفع بما نقول ونكتب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٢- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، لقيس إسماعيل القيسي، نشر بيت الحكمة بجامعة بغداد.

٣- الإعجاز البلاغي، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٤- الأفعال في القرآن الكريم، لعبد الحميد السيد، دار البيان العربي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥- أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان بالنجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

٦- الإيضاح، للخطيب القزويني، مطبوع مع شروح التلخيص= شروح التلخيص.

٧- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٨- البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الثقفي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٩- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزأبادي، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ.

١١- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار فراج وآخرين، إصدار وزارة الإعلام والمجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، من ١٣٨٥-١٤٢٢هـ.

١٣- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

١٤- التبيان في البيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١٥- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٦- التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة، ١٤٢٣هـ.

١٧- تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، لطه محمد فارس، دار الفتح، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٨- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٩- تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٠- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢١- تفسير المنار "تفسير القرآن الحكيم"، لمحمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٦هـ.

٢٢- تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، تحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٣- تنزيل القرآن مع كتاب "الناسخ والمنسوخ"، كلاهما للزهري، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

٢٤- تنزيل القرآن وعدد آياته، لابن زنجلة، تحقيق: غانم الحمد، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، العدد الثاني، ذو الحجة ١٤٢٧هـ.

٢٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: أ.د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٦- جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أ.د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: عبدالله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٢٨- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، لعبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٢٩- خصائص التراكيب، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ.

٣٠- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن نشرة دار الكتب المصرية.

٣١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: أ.د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٣٢- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة.

٣٣- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٣٤- دلالات التراكيب، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٣٥- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي، للحاتمي، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ.

٣٦- روح المعاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية، ١٤٠٥هـ.

٣٧- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٣٨- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣٩- سنن أبي داود، تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٤٠- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، تحقيق: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة لأولى، ١٤١١هـ.

٤١- شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٢- شروح التلخيص، دار السرور، بيروت.

٤٣- صحيح البخاري، للإمام البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤٤- صحيح سنن أبي داود، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٥- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، عناية: نظر الفريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٤٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٧- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، ضمن شروح التلخيص= شروح التلخيص.

٤٨- علم المعاني، لبسيوني فيود، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

٥٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، عناية: نظر الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥١- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ.

٥٢- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٥٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٤- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

٥٥- المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، إشراف: د.عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٤٢١هـ.

٥٨- معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٥٩- معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، تحقيق: محمد النجار وأحمد نجاتي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٦٠- معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ.

٦١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: مازن المبارك وحمد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٦٢- مفتاح العلوم، للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٦٣- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٦٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٦٥- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، د. حامد صالح الربيعي، نشر معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.

٦٦- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٦٧- المكي والمدني في القرآن الكريم، أ.د. محمد بن عبدالرحمن الشايع، د.ن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٨- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني- تحقيق: محمد الحبيب ابن خوجة- دار الكتب الشرقية.

٦٩- مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي، ضمن شروح التلخيص - شروح التلخيص.

٧٠- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تصحيح: علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٤٠٤هـ.

٧٢- النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٧٣- الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٧٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

البحث رقم (٢)

آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

دراسة وصفية تحليلية

إعداد

د. محمود بن عبد الهادي دسوقي علي العزاوي

قسم الحسبة والرقابة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

إن الْحَمْد لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾(٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣)، أَمَّا بَعْدُ(٤).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له منزلة رفيعة، فهو أصل مهم من أصول الدين، وله مكانة عظيمة، وآثار متعددة، ومنافع كثيرة في حياة الأمم أفرادًا وجماعات، "فإن الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٢) سورة النساء ، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب ، الآية: ٧٠-٧١.

(٤) رواه النسائي في سننه، كِتَاب النِّكَاحِ، مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْكَلَامِ عِنْدَ النِّكَاحِ، رقم الحديث (٣٢٧٨)، ورواه ابن ماجه في سننه، كِتَاب النِّكَاحِ، بَابُ خُطْبَةِ النِّكَاحِ، رقم الحديث (١٨٩٢)، وصححه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٧٤٤)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٥٦٨) والألباني في مشكاة المصابيح، برقم (٥٨٦٠).

الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد "[1].

وقد جاء القرآن الكريم فبين عظيم مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلو شأنه ومنزلته، وذكر بعظيم فضله، وشجع ورغب في سلوك طريقه، وبين صفات من يسلكه، وبين آثار العمل به، وحذر من تركه والانشغال عنه، وبين خطر التهاون فيه، والتغافل والإعراض عنه.

والمتأمل في القرآن يجد أن الله اصطفى هذه الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس بسبب أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، وجعل من أهم صفات المؤمنين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وجعل ربنا سبحانه وتعالى الدرجات العلى للقائمين بهذه الشعيرة العظيمة؛ فرتب الجزاء العظيم، ورغب في الثواب الجزيل، وأعد المنازل العالية، وجعل القيام بهذه الشعيرة حفظًا للأمة من الآثام والشرور وصونًا لها من العواقب الوخيمة، وتحقيقًا لمصالح البشرية.

وبين القرآن الكريم العبء الثقيل الذي أنيط بالأمة الإسلامية لتكون لها الصدارة لسائر الأمم، لتخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشرك إلى التوحيد.

ولا يزال الخير باقيًا في الأمة الإسلامية ما بقي فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فبالتمسك به نالت الأمة السيادة والريادة والقيادة بين سائر الأمم، وعلا شأنها، وارتفع قدرها، ووجدت هيبتها عند عدوها.

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٢/٣٠٦)، دار المعرفة، بيروت.

والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر صفوة المجتمع اجتباهم الله وهداهم، غرباء في وسط مجتمعاتهم، "فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي النَّاسِ غُرَبَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ غُرَبَاءُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُؤْمِنِينَ غُرَبَاءُ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُمَيِّزُونَهَا مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ فَهُمْ غُرَبَاءُ، وَالدَّاعُونَ إِلَيْهَا الصَّابِرُونَ عَلَى أَذَى الْمُخَالِفِينَ هُمْ أَشَدُّ هَؤُلَاءِ غُرْبَةً، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا، فَلَا غُرْبَةَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا غُرْبَتُهُمْ بَيْنَ الْأَكْثَرِينَ"(١).

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوائد منها:" الْأُولَى: إِقَامَةُ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٢). الثَّانِيَةُ: خُرُوجُ الْآمِرِ مِنْ عُهْدَةِ التَّكْلِيفِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي صَالِحِي الْقَوْمِ الَّذِينَ اعْتَدَى بَعْضُهُمْ فِي السَّبْتِ : ﴿ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٣)، الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ﴾(٤)، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْعُهْدَةِ لَكَانَ مَلُومًا. الثَّالِثَةُ: رَجَاءُ النَّفْعِ لِلْمَأْمُورِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٥)"(٦).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (٣ / ١٨٦)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

(٢) سورة النساء، جزء الآية: ١٦٥.

(٣) سورة الأعراف، جزء الآية: ١٦٤.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٤.

(٥) سورة الأعراف، جزء الآية: ١٦٤.

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (١/٤٦٥)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

ولما كان لهذه الشعيرة هذه المكانة والعناية الظاهرة في كتاب الله وتلك المنزلة العظيمة استخرت الله في جمع النصوص المتعلقة بآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصفات وآداب الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراتب ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال نصوص القرآن الكريم، وآثار وثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تتبعت النصوص القرآنية التي تحدثت عن ذلك، وذلك لأن القرآن هو الأصل الأول من أصول ديننا الحنيف، ولأهمية ذلك، والحاجة داعية إليه، وبعد أن تأملت وبحثت فلم أجد فيما أعلم مثل هذه الدراسة.

وكان سبب اختيار هذا الموضوع:

- أنني لم أقف على دراسة تناولت هذا الموضوع وغطت جوانبه من جميع النواحي، وإن وجد من تكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قديمًا وحديثًا.
- أهمية الدراسة لهذه الشعيرة المهمة التي قال فيها النووي رحمه الله: " وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ أَعْنِي بَابَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ قَدْ ضُيِّعَ أَكْثَرُهُ مِنْ أَزْمَانٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ إِلَّا رُسُومٌ قَلِيلَةٌ جِدًّا، وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ بِهِ قِوَامُ الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عَمَّ الْعِقَابُ الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ، وَإِذَا لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابِهِ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (١) فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْآخِرَةِ وَالسَّاعِي فِي تَحْصِيلِ

(١) سورة النور، جزء الآية: ٦٣.

رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَذَا الْبَابِ فَإِنَّ نَفْعَهُ عَظِيمٌ لَا سِيَّمَا وَقَدْ ذَهَبَ معظمه ويخلص نيته ولا يهابن مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ لِارْتِفَاعِ مَرْتَبَتِهِ..... وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ وَلَا يُتَارِكُهُ أَيْضًا لِصَدَاقَتِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَمُدَاهَنَتِهِ وَطَلَبِ الْوَجَاهَةِ عِنْدَهُ وَدَوَامِ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ فَإِنَّ صَدَاقَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ تُوجِبُ لَهُ حُرْمَةً وَحَقًّا، وَمَنْ حَقِّهِ أَنْ يَنْصَحَهُ وَيَهْدِيَهُ إِلَى مَصَالِحِ آخِرَتِهِ وَيُنْقِذَهُ مِنْ مَضَارِّهَا، وَصَدِيقُ الْإِنْسَانِ وَمُحِبُّهُ هُوَ مَنْ سَعَى فِي عِمَارَةِ آخِرَتِهِ وَإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى نَقْصٍ فِي دُنْيَاهُ، وَعَدُوُّهُ مَنْ يَسْعَى فِي ذَهَابِ أَوْ نَقْصِ آخِرَتِهِ وَإِنْ حَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ صُورَةُ نَفْعٍ فِي دُنْيَاهُ وَإِنَّمَا كَانَ إِبْلِيسُ عَدُوًّا لَنَا لِهَذَا، وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَوْلِيَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ لِسَعْيِهِمْ فِي مَصَالِحِ آخِرَتِهِمْ وَهِدَايَتِهِمْ "(١).

أهداف الدراسة

- جمع النصوص القرآنية التي تأمر الأمة الإسلامية بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- جمع النصوص القرآنية التي تبين فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترغب فيه.
- جمع النصوص القرآنية التي تحذر الأمة من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التعرف على شروط وصفات القائم بالأمر المعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم وصفاته.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (٢/٢٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/ ١٣٩٢هـ.

- التعرف على موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق.
- بيان مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم وإبراز ثمراته وآثاره.

تساؤلات الدراسة

- ما النصوص القرآنية التي تأمر الأمة الإسلامية بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- ما النصوص القرآنية التي تبين فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترغب فيه؟
- ما النصوص القرآنية التي تحذر الأمة من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- ما شروط وصفات القائم بالأمر بالمعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم وصفاته؟
- ما موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق؟
- ما مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم وثمراته وآثاره؟

منهج الدراسة

أما منهجي في الدراسة فقد استخدمت **المنهج الاستقرائي**: والاستقراء هو "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها

جميعًا"(١)، وهو ما يقوم على حصر جميع الجزئيات للمسألة التي هي موضوع البحث، والتتبع لما يعرض لها(٢)، " ويعتمد على جمع المادة العلمية واستقراء النصوص وتصنيفها للوصول إلى قواعد وأحكام عامة "(٣).

والمنهج التحليلي: "ويقوم على أساس عرض الآراء وتحليلها، وتوضيح غامضها، وينبغي أن يقترن التحليل بالتعليل" (٤) فاعتمدت في هذه الدراسة على منهج الاستقراء والتحليل حيث تتبعت النصوص القرآنية المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحصرها واستنتجت منها ما له صلة بموضوع الدراسة.

الدراسات السابقة

لم أقف على دارسة تحدثت عن موضوع الدراسة، ومن الدراسات التي تناولت جزء من الدراسة:

الدراسة الأولى: نصوص الدعوة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية، د. حمد بن ناصر العمار، حيث تناول في الفصل الثاني من الدراسة: آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروحها والدروس الدعوية المستنبطة منها.

وتختلف دراستي عن دراسة د. حمد في أن الأولى جمع فيها أربع عشرة

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال بالمناظرة، عبد الرحمن الميدان، ص ١٨٨، دار القلم، دمشق، ط٣/١٤٢٥هـ.

(٢) انظر: البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، وكتابته، وطباعته، ومناقشته، د. عبد العزيزبن عبدالرحمن الربيعة، (١/١٧٩)، الرياض ،ط٤، ١٤٢٧هـ.

(٣) كيف تكتب بحثا ناجحا، د. صباح عبد الله بافضل، ص ٣١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١٤١٩/١هـ - ١٩٩٨م.

(٤) المرجع السابق، ص ٣١ باختصار.

آية حيث تقيد بما ذكر لفظ معروف أو منكر، ولم يخرج عن ذلك، أما هذه الدراسة فقد تقيدت بما هو أوسع من ذلك، حيث ذكرت في هذه الدراسة أربعًا وعشرين آية، فكل نص يفهم منه أن فيه أمرًا بالقيام بالأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر، أو يرغب فيه أو يحذر من تركه ذكرته، وقسمت ذلك إلى: النصوص التي تأمر الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصوص التي ترغب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصوص التي تحذر من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأيضًا ذكرت في هذه الدراسة ولم يذكر في غيرها: شروط القائم بالمعروف الناهي عن المنكر وصفاته في القرآن الكريم، وموضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم، ومراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم، وثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم.

الدراسة الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء القرآن الكريم[1]. هذه الدراسة تناولت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، في قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الكويت، استعانت الباحثة وبشكل واضح بسنة المصطفى ﷺ في كثير من الدراسة مع العلم بأن دراستها " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء القرآن الكريم"، وأسهبت في ذكر نتائج ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، للباحثة: مريم الدويلة ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكويت.

أخذ حيزًا كبيرًا في الرسالة، واكتفت بذكر العقوبات الإلهية من غضب ولعنٍ وطرد من رحمة الله لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك لم تجمع كل الآيات المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن.

وأيضًا ذكرت في هذه الدراسة ولم يذكر في غيرها، كل الآيات المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، ومراتب الأمر بالمعروف والنهي عنر المنكر، وموضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الإضافات الجديدة التي تضيفها هذه الدراسة عن سابقتها.

تقسيمات الدراسة: قسمت هذه الدراسة إلى: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت على: أهمية الدراسة، وأسباب اختيارها، وأهدافها، والتساؤلات التي تثيرها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وتقسيماتها.

التمهيد فقد اشتمل على:

أولًا: التعريف بأهم مفردات عنوان الدراسة.

ثانيًا: تاريخ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم.

المبحث الأول: النصوص القرآنية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النصوص القرآنية التي تأمر الأمة الإسلامية بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: النصوص القرآنية التي تبين فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترغب فيهما.

المطلب الثالث: النصوص القرآنية التي تحذر الأمة من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: **شروط القائم بالأمر بالمعروف الناهي عن المنكر وصفاته في القرآن الكريم.**

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: شروط القائم بالأمر بالمعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: صفات القائم بالأمر بالمعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: **موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرفي القرآن الكريم.**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالعقيدة.

المطلب الثاني: موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالشريعة.

المطلب الثالث: موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالأخلاق.

المبحث الرابع: مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البيان والنصح والإرشاد.

المطلب الثاني: الغلظة والشدة والتهديد والتغيير باليد.

المطلب الثالث: إنكار القلب بضوابطه.

المبحث الخامس: ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدنيوية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأخروية في القرآن الكريم.

الخاتمة فقد جاءت مشتملة على أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد

أولًا: التعريف بأهم مفردات عنوان الدراسة

• تعريف الأمر في اللغة والاصطلاح:

الأمر في اللغة: الأَمْرُ: نَقِيضُ النَّهْيِ، أَمَرَهُ به وآمَرَهُ الأَخِيرةُ عن كُراعٍ وأَمَرَه إيّاه على حَذْفِ الحَرْفِ يَأْمُرُه أَمْرًا وإمارًا فائْتَمَرَ أي: قَبِلَ أَمْرَه وقولَه[(١)].

قال ابن منظور: "الْعَرَبُ تَقُولُ: أَمَرْتُك أَن تفْعَل ولِتَفْعَلَ وبأَن تفْعَل، فَمَنْ قَالَ: أَمرتك بأَن تَفْعَلَ فَالْبَاءُ للإلصاق، وَالْمَعْنَى: وَقَعَ الأَمر بِهَذَا الْفِعْلِ، وَمَنْ قَالَ أَمرتُك أَن تَفْعَلَ فَعَلَى حَذْفِ الْبَاءِ، وَمَنْ قَالَ أَمرتك لِتَفْعَلَ فَقَدْ أَخبرنا بِالْعِلَّةِ الَّتِي لَهَا وَقَعَ الأَمرُ"[(٢)].

وقال مرتضى الزَّبيدي: "وائْتَمَرَ الأَمْرَ، أَي امتَثَلَه، قَالَ امرؤُ الْقَيْس: ويَعْدُو على المرْءِ مَا يَأْتَمِرْ. وَفِي الأَساس: وائْتَمَرْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ: امْتَثَلْتُ"[(٣)].

الأمر في الاصطلاح: " قول القائل لمن دونه: افعل"[(٤)]، وهو قول يتضمن طلب الفعل من المكلف على وجه الاستعلاء.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (١٠ / ٢٩٧). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٤/٢٧)، دار صادر، بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، (١٠ / ٦٨)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (١/٣٧)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

- **تعريف النهي في اللغة والاصطلاح:**

النَّهْيُ في اللغة: خلاف الأمر، ونَهَيْتُهُ عن كذا فانْتَهى عنه وتَناهى، أي كَفَّ. وتَناهَوْا عن المنكر، أي نَهى بعضهم بعضًا"[١]، "ونَهاه يَنْهاه نَهْيًا، فانْتَهى وتَناهَى. أنْشدَ سِيبَوَيْه لزياد بن زيد العذري: إذا مَا انْتَهَى عِلْمِي تَناهَيْتُ عِندَه ... أطالَ فَأمْلَى أوْ تَناهَى فَأقْصَرا[٢]. وتَناهَوْا عَن الشَّيْء: نَهى بَعضهم بَعْضًا"[٣].

النهي في الاصطلاح: النهي: ضد الأمر، وهو قول القائل لمن دونه: لا تفعل"[٤]، وهو قول يتضمن طلب الكف من المكلف على وجه الاستعلاء.

- **تعريف المعروف في اللغة والاصطلاح:**

المعروف في اللغة: "ضدُّ المنْكَر. والعُرْفُ: ضِدُّ النُّكْر. يُقَالُ: أَوْلاه عُرفاً أَي مَعْروفاً. والمعْرُوف والعَارِفَةُ: خِلَافُ النُّكر. والعُرْفُ والمعْرُوف: الجُود، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ مَا تبْذُلُه وتُسْديه.... قَالَ الزَّجَّاجُ: "المعْرُوف مَا يُستحسن مِنَ الأَفعال"[٥] .... والعُرْفُ والعَارِفَة والمعرُوفُ وَاحِدٌ: ضِدُّ

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (٦/٢٥١٧)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

(٢) الكتاب، سيبويه (٣ / ١٨٥) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٤ / ٣٨٤).

(٤) التعريفات، ص ٢٤٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (٤ / ١٩٧)، دار عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

النُّكْرِ، وَهُوَ كلُّ مَا تَعْرِفه النَّفْسُ مِنَ الخيْر وتَبْسَأُ بِهِ وتَطمئنّ إِلَيْهِ"[1]. وقيل: "النَّصَفةُ وحُسْن الصُّحْبةِ مَعَ الأَهل وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ"[2]. والمعروف "اسْم لكل فعل يعرف حسنه بِالْعقلِ أَو الشَّرْع وَهُوَ خلاف الْمُنكر"[3].

والمعروف في الاصطلاح: كل ما يحسن في الشرع[4]. وقيل: "الاسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا عُرف مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ والإحسان إِلَى النَّاسِ، وَكُلِّ مَا ندَب إِلَيْهِ الشرعُ وَنَهَى عَنْهُ مِنَ المحَسَّنات والمقَبِّحات وَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ أَي أَمْر مَعْروف بَيْنَ النَّاسِ إِذَا رأَوْه لَا يُنكرونه"[5].

وقيل هو: " اسم جامع لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم"[6]. وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه[7].

وأصل المعروف: كل ما كان معروفًا فعله، جميلًا مستحسنًا، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفًا: لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله"[8].

---

(١) لسان العرب (٩ / ٢٣٩).

(٢) لسان العرب (٩ / ٢٤٠).

(٣) المعجم الوسيط (٢ / ٥٩٥).

(٤) التعريفات، ص٢٢١.

(٥) لسان العرب (٩ / ٢٤٠).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص ٣٤٤، تحقيق: أ.د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٠٥.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (١٠٥/٧)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

والمراد بالأمر بالمعروف: "الإرشاد إلى المراشد المنجية. وقيل: الأمر بالمعروف: أمرٌ بما يوافق الكتاب والسنة. وقيل الأمر بالمعروف: إشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أفعال العبد وأقواله(١).

• **تعريف المنكر في اللغة والاصطلاح:**

المنكر في اللغة: "ضِدُّ الْمَعْرُوفِ، وكلُّ مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ وحَرَّمَهُ وَكَرِهَهُ، فَهُوَ مُنْكَرٌ، ونَكِرَه يَنْكَرُه نَكَراً، فَهُوَ مَنْكُورٌ، واسْتَنْكَرَه فَهُوَ مُسْتَنْكَرٌ، وَالْجَمْعُ مَنَاكِيرُ"(٢). والمنكر "كل مَا تحكم الْعُقُول الصَّحِيحَة بقبحه أَو يقبحه الشَّرْع أَو يحرمه أَو يكرههُ"(٣).

وعرف المنكر في الاصطلاح بأنه: "كلُّ فعلٍ تَحْكُم العقولُ الصحيحةُ بقُبْحه، أَو تتوَقَّفُ فِي استِقْباحِه العقولُ فتحكُم الشريعةُ بقُبْحِه"(٤).

وقيل: "كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة"(٥).

وقيل: "كل ما عرف قبحه في العقول والفطر"(٦).

وأصل المنكر: ما أنكره الله، ورأوه قبيحًا فعلهُ، ولذلك سميت معصية الله منكرًا لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون رُكوبها(٧).

---

(١) التعريفات، ص ٣٦-٣٧.

(٢) لسان العرب (٥/٢٣٣).

(٣) المعجم الوسيط (٢ / ٩٥٢).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (١٤/٢٩٠).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٤٤.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٠٥.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن (٧/١٠٥).

والمراد بالنهي عن المنكر: نهيٌ عما تميل إليه النفس والشهوة، وقيل المنكر: الزجر عما لا يلائم في الشريعة(١).

فيدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: كل ما أوجبت الشريعة عمله أو حببت للناس فعله من صلاة وصيام وحج وتوحيد وغير ذلك، والنهي عن المنكر يدخل فيه: النهي عن كل ما خالف الشريعة من أفعال وعقائد، فيدخل القول بالتثليث والقول بصلب المسيح وقتله، ويدخل فيه النهي عن الترهب، وعن شرب الخمر، وعن أكل لحم الخنزير، وغير ذلك(٢).

- **ومما تجدر الإشارة إليه بعد هذا العرض ما يلي:**

- الأصل في الحكم على الفعل بأنه معروف أو منكر ورود ذلك في الشريعة الإسلامية لا ما استحسنته العقول أو استقبحته.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون مقصورًا على ما أمر ونهى عنه الشارع، أما ما استحسنه الناس أو استقبحوه ولم يأمر به الشارع أو ينهى عنه فلا يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- المراد بالأمر بالمعروف في الدراسة أعم من أن يكون للوجوب، وهو ما طلبه الشارع من المكلف على وجه الحتم والإلزام، بل يدخل فيه المستحب، والنهي عن المنكر يدخل فيه المكروه.

---

(١) التعريفات، ص ٣٦-٣٧.

(٢) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، (٤٩٧/١) الناشر: دار الكاتب العربي، بيروت.

ثانيًا: تاريخ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

المتأمل في كتاب ربنا سبحانه وتعالى يجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد أوجبه الله على الأمم السابقة لأمة نبينا محمد ﷺ، فبدأ مع وجود الخليقة، حيث أنزل الله تعالى الكتب وبعث الرسل مبشرين ومنذرين لأقوامهم، وأوجب عليهم ومن تبعهم مهمة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى، منها:

• **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[(١)].

فقد أخبر سبحانه أن الأمم السابقة "كانوا يقتلون رُسل الله الذين كانوا يُرسَلون إليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التي قد تقدم الله إليهم في كتبهم بالزجر عنها، نحو زكريا وابنه يحيى، وما أشبههما من أنبياء الله"[(٢)].

قال القرطبي رحمه الله: " دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ كَانَ وَاجِبًا فِي الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَهُوَ فَائِدَةُ الرِّسَالَةِ وَخِلَافَةُ النُّبُوَّةِ"[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٦/٢٨٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (٤/٤٧)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

قَالَ قَتَادَةُ: قَوْلُهُ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١)، "هَؤُلاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ، كَانَ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ يَنْهَوْنَهُمْ وَيُذَكِّرُونَهُمْ بِاللَّهِ، فَيَقْتُلُونَهُمْ"(٢).

وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أي النَّاسِ أَشَدُّ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "رَجلٌ قَتَلَ نَبِيًا أَوْ مَنْ أَمَرَ بِالمعْرُوفِ ونَهَى عَنِ المنْكَر". ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٣) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾(٤) الآيَةَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وأَرْبَعِين نَبِيًا، مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي ساعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَة وسَبْعُونَ رَجُلا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ، فأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُم بالْمَعْرُوفِ ونَهَوْهُمْ عَنِ المنكرِ، فَقُتِلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهارِ مِنْ ذَلكَ اليَوْمِ، فَهُم الذِينَ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ"(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، (٢/٦٢١)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣/١٤١٩هـ.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، جزء الآية: ٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٢ / ٦٢١)، وفي سند ابن أبي حاتم: أبو عبيد الوصابي، وهو لم يدرك محمد بن حمير كما ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وقد توبع أبو عبيد، تابعه عبد الوهاب بن نجدة، فرواه البزار من طريق عبد الوهاب بن نجدة عن محمد ابن حمير به. ثم قال البزار: لا نعلم له عن أبي عبيدة غير هذه الطريق، ولم نسمع أحدا سمى أبا الحسن هذا الذي روى عنه محمد بن حمير. وقال الحافظ ابن حجر: "فيه أبو الحسن مولى بني أسد وهو مجهول". انظر حاشية تفسير ابن كثير (٢/٢٧).

• وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (١).

فقد بين سبحانه أنه أرسل الرسل ليدلوهم على كل خير وينهوهم عن كل شر، "يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّبَعَ رِضْوَانَهُ بِالْخَيْرَاتِ، وَيُنْذِرُونَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ. وَقَوْلُهُ: "لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" أَيْ: أَنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ، وَبَيَّنَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ؛ لِئَلَّا يَبْقَى لِمُعْتَذِرٍ عُذْرٌ"(٢). " رُسُلًا مُبَشِّرِينَ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَمُنْذِرِينَ مَنْ كَفَرَ وَأَجْرَمَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ بِأَنْ يَدَّعُوا أَنَّهُمْ مَا كَفَرُوا وَأَجْرَمُوا إِلَّا لِجَهْلِهِمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بِهِدَايَتِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ"(٣).

وَالْمُتَبَادِرُ مِن الآية: "أَنَّ مِنْ حِكْمَةِ إِرْسَالِ الرُّسُلِ قَطْعَ حُجَّةِ النَّاسِ وَاعْتِذَارِهِمْ بِالْجَهْلِ عِنْدَمَا يُحَاسِبُهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ وَيَقْضِي بِعَذَابِهِمْ، وَمَفْهُومُهُ وَمَفْهُومُ سَائِرِ الْآيَاتِ أَنَّهُ لَوْلَا إِرْسَالُ الرُّسُلِ لَكَانَ لِلنَّاسِ أَنْ يَحْتَجُّوا فِي الْآخِرَةِ عَلَى عَذَابِهَا وَعَلَى عَذَابِ الدُّنْيَا الَّذِي كَانَ أَصَابَهُمْ بِظُلْمِهِمْ"(٤).

• وقال تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (٢/٤٧٥)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (٦/٦٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٤) تفسير المنار (٦/٥٩).

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (١).

فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على طائفة من أهل الكتاب لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قَالَ الله فِيهِمْ: "يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَيْ يُؤْمِنُونَ إِيمَانًا إِذْعَانِيًّا وَهُوَ مَا يُثْمِرُ الْخَشْيَةَ لِلَّهِ وَالِاسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ لَا إِيمَانًا جِنْسِيًّا لَا حَظَّ لِصَاحِبِهِ مِنْهُ إِلَّا الْغُرُورُ وَالدَّعْوَى كَمَا هُوَ شَأْنُ الْأَكْثَرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَوْتٌ فِي جُمْهُورِ أُمَّتِهِمْ لِغَلَبَةِ الْفِسْقِ وَالْفَسَادِ عَلَيْهَا كَمَا هُوَ مُدَوَّنٌ فِي التَّارِيخِ"(٢). وفي الآية " دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخَذَهُ بِإِذْعَانٍ، وَعَمِلَ فِيهِ بِإِخْلَاصٍ فَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ "(٣).

قال السعدي رحمه الله: " فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم وصفهم بالهمم العالية وأنهم يسارعون في الخيرات أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة من الصالحين الذين يدخلهم الله في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٣-١١٤.

(٢) تفسير المنار (٤ / ٦١).

(٣) تفسير المنار (٤ / ٥٩).

رحمته، ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا من خير قليلًا كان أو كثيرًا فلن يكفروه أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى "(١).

• **وقوله تعالى:** ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(٢).

أي: "هَلَّا كَانَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ تَعَاطِي ذَلِكَ. وَالرَّبَّانِيُّونَ وَهُمْ: الْعُلَمَاءُ الْعُمَّالُ أَرْبَابُ الْوِلَايَاتِ عَلَيْهِمْ، وَالْأَحْبَارُ: وَهُمُ الْعُلَمَاءُ فَقَطْ"(٣). "هَلَّا يَنْهَى هَؤُلَاءِ الْمُسَارِعِينَ فِيمَا ذَكَرَ أَئِمَّتُهُمْ فِي التَّرْبِيَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَعُلَمَاءُ الشَّرْعِ وَالْفَتْوَى فِيهِمْ عَنْ قَوْلِ الْإِثْمِ كَالْكَذِبِ، وَأَكْلِ السُّحْتِ كَالرِّشْوَةِ! لَبِئْسَ مَا كَانَ يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ مِنَ الرِّضَا بِهَذِهِ الْأَوْزَارِ، وَتَرْكِ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ"(٤).

"وَالْإِثْمُ: الْكَذِبُ أَوِ الشِّرْكُ أَوِ الْحَرَامُ، ... وَالرَّبَّانِيُّونَ عُلَمَاءُ النَّصَارَى، وَالْأَحْبَارُ: عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَقِيلَ: الْكُلُّ مِنَ الْيَهُودِ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهِمْ ثُمَّ وَبَّخَ عُلَمَاءَهُمْ فِي تَرْكِهِمْ لِنَهْيِهِمْ فَقَالَ: لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَهَذَا فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا يَبْلُغُ دَرَجَةَ الصُّنْعِ حَتَّى يَتَدَرَّبَ فِيهِ صَاحِبُهُ، ... فَوَبَّخَ سُبْحَانَهُ الْخَاصَّةَ، وَهُمُ الْعُلَمَاءُ التَّارِكُونَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١ / ١٤٤).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٣.

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ١٤٤).

(٤) تفسير المنار (٦ / ٣٧٣).

لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِمَا هُوَ أَغْلَظُ وَأَشَدُّ مِنْ تَوْبِيخِ فَاعِلِ الْمَعَاصِي، فَلْيَفْتَحِ الْعُلَمَاءُ لِهَذِهِ الْآيَةِ مَسَامِعَهُمْ وَيُفْرِجُوا لَهَا عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَإِنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِمَا فِيهِ الْبَيَانُ الشَّافِي لَهُمْ بِأَنَّ كَفَّهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي مَعَ تَرْكِ إِنْكَارِهِمْ عَلَى أَهْلِهَا لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، بَلْ هُمْ أَشَدُّ حَالًا وَأَعْظَمُ وَبَالًا مِنَ الْعُصَاةِ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَالِمًا قَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَوْجَبُ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ النُّهُوضُ بِهِ"(١).

وقال السعدي رحمه الله: " هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبوهم في الخير ويرهبوهم من الشر"(٢).

- **وقوله تعالى في وصية لقمان لابنه:** ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾(٣).

"يُرِيدُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِيهِمَا، مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، أَوْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُعْزَمُ عَلَيْهَا لِوُجُوبِهَا"(٤).

فقد "حَكَى سُبْحَانَهُ عَنْ لُقْمَانَ أَنَّهُ أَمَرَ ابْنَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالْأَمْرِ

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (٢ / ٦٤)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٣٧.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (٦ / ٢٨٩)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١٤١٧/٤ هـ - ١٩٩٧م.

بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ. وَوَجْهُ تَخْصِيصِ هَذِهِ الطَّاعَاتِ: أَنَّهَا أُمَّهَاتُ الْعِبَادَاتِ، وَعِمَادُ الْخَيْرِ كُلِّهِ. وَالْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ ذَلِكَ إِلَى الطَّاعَاتِ الْمَذْكُورَةِ، وَخَبَرُ إِنَّ: قَوْلُهُ: مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أَيْ: مِمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزِيمَةً، وَأَوْجَبَهُ عَلَى عِبَادِهِ. وَقِيلَ الْمَعْنَى: مِنْ حَقِّ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا"(١).

ومما سبق من الآيات يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدأ مع وجود الخليقة على وجه الأرض، يقول الرازي رحمه الله: "الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ الثَّلَاثَةُ كَانَتْ حَاصِلَةً فِي سَائِرِ الْأُمَمِ"(٢). ويقول أبو الحسن الثعلبي رحمه الله: "فَإِنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَقَدْ أَمَرَتْ بِالْمَعْرُوفِ كَاتِّبَاعِ أَنْبِيَائِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ، وَنَهَتْ عَنِ الْمُنْكَرِ كَنَهْيِهِمْ عَنِ الْإِلْحَادِ وَتَكْذِيبِ أَنْبِيَائِهِمْ"(٣).

وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقية في الأمة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويكفي أمة محمد أن من أوصاف النبي ﷺ في الكتب السابقة أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾(٤). "هذا من

(١) فتح القدير (٤ / ٢٧٥).

(٢) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (٨/٣٢٥ باختصار)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣/ ١٤٢٠ هـ.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (١/٢١٥)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧

وصف النبي ﷺ في التوراة"(١). "وهل دلت الآية إلا على أنه أمرهم بالمعروف الذي تعرفه العقول، وتقر بحسنه الفطر، فأمرهم بما هو معروف في نفسه عند كل عقل سليم. ونهاهم عما هو منكر في الطباع والعقول بحيث إذا عرض أمره ونهيه على العقل السليم قبله أعظم قبول، وشهد بحسنه"(٢).

وسيأتي معنا إن شاء الله في الصفحات القادمة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمة الإسلامية وتفضيل الله لها بقيامها بهذه الشعيرة، وأنه باق فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، (٣٠٩/١)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١/١٤١٦ هـ.

(٢) تفسير القرآن الكريم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (٢٨٨/١)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/١٤١٠ هـ.

المبحث الأول

النصوص القرآنية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

المتأمل في كتاب الله يجد كثيرًا من الآيات التي تحث الأمة الإسلامية أن يأمروا بالمعروف إذا ظهر تركه، وأن ينهوا عن المنكر إذا ظهر فعله، وقد سلك القرآن في بيان هذه الشعيرة العظيمة طرقًا متعددة، فتارة نجد أن الله عز وجل يأمر بالقيام بهذه الشعيرة المهمة، وتارة يرغب بالفعل، وتارة يبين فضل القائم بهذه الشعيرة، وتارة يحذر من ترك هذه الشعيرة، وهذا ما سنوضحه في المطالب الآتية، ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النصوص القرآنية التي تأمر الأمة الإسلامية بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: النصوص القرآنية التي تبين فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترغب فيهما.

المطلب الثالث: النصوص القرآنية التي تحذر الأمة من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الأول

النصوص القرآنية التي تأمر الأمة الإسلامية بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وردت نصوص قرآنية كثيرة في كتاب الله يأمر فيها ربنا الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقوم بواجباتها، وبما يتطلب منها تجاه ذلك، ومن هذه النصوص ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[١].

ففِيهَا الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ[٢]. ويُؤَيِّدُ ذلك كَثْرَةُ الْآيَاتِ والأحاديث التي تدل على ذلك، فـ" تكون فِرْقَة من الأمَّة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه"[٣]. فـ"يَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا دُعَاةً إِلَى الْخَيْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي هَدَاهُمُ اللهُ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّفَ لِلدَّعْوَةِ جَمَاعَاتٌ تُعِدُّ لَهَا عُدَّتَهَا"[٤].

فأوجب الله عز وجل على أفراد هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل على حسب استطاعته، حيث تتصدى فرقة من هذه الأمة لهذا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٦١/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٩١/٢).

(٤) تفسير المنار، (٢٦٢/٩).

الشأن، فكل من دعا الناس إلى خير بين الشارع خيريته ونهي عن منكر بين الشارع قبحه، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة فإنه أعذر إلى ربه وفعل ما أوجبه ربه عليه، لسان حاله يقول: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[(١)]، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾[(٢)]، اللهم إني قد بلغت ما أوجبت علي، اللهم فاشهد. فلابد من وجود طائفة من الأمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، طائفة تأمر وتنهى لتحقيق العبودية للخالق سبحانه وتعالى وتطبيق منهج الله في أرضه.

٢- **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[(٣)].

ففي هذه الآية تَحْذير للعلماء أن يسلكوا مسلك أهل الكتاب في ترك تبليغ دين الله للناس فيصيبهم ما أصابهم، ويُسْلكَ بهم مَسْلكهم، وهذه الآية تدل على أن الله أوجب على من آتاه الله العلم أن يبينه للناس غاية البيان ويوضحه غاية الوضوح، وهو مسؤول أمام الله عن ذلك، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلًا حتى ولو تعرض للأذى، فمن علم شيئًا فليعلمه، والحذر من كتمان العلم فإن كتمانه هلكة، " لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله "[(٤)].

---

(١) سورة الأعراف، جزء الآية ١٦٤.

(٢) سورة طه، جزء الآية: ٨٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٤/٣٠٤) باختصار.

"فَالَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ قَدْ أُودِعَ أَمَانَةً وَأُخِذَ عَلَيْهِ الْعَهْدُ بِالتَّعَامُلِ وَالْعُرْفِ بِأَنْ يُؤَدِّيَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ، وَيُفِيدَ النَّاسَ وَيُرْشِدَهُمْ بِهَذَا الْعِلْمِ، وَقَدْ أَخَذَ اللهُ الْعَهْدَ الْعَامَّ عَلَى النَّاسِ بِهَذَا التَّعَامُلِ الْمُتَعَارَفِ بَيْنَهُمْ شَرْعًا وَعُرْفًا، فَيَجِبُ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُؤَدِّيَ أَمَانَةَ الْعِلْمِ إِلَى النَّاسِ، كَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ أَوْدَعَ الْمَالَ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَيَتَوَقَّفُ أَدَاءُ أَمَانَةِ الْعِلْمِ عَلَى تَعَرُّفِ الطُّرُقِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَى ذَلِكَ، فَيَجِبُ أَنْ تُعْرَفَ هَذِهِ الطُّرُقُ لِأَجْلِ السَّيْرِ فِيهَا، وَإِعْرَاضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ مَعْرِفَةِ الطُّرُقِ الَّتِي تَتَأَدَّى بِهَا هَذِهِ الْأَمَانَةُ بِالْفِعْلِ هُوَ ابْتِعَادٌ عَنِ الْوَاجِبِ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ، وَإِخْفَاءُ الْحَقِّ بِإِخْفَاءِ وَسَائِلِهِ هُوَ عَيْنُ الْإِضَاعَةِ لِلْحَقِّ، فَإِذَا رَأَيْنَا الْجَهْلَ بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ فَاشِيًا بَيْنَ النَّاسِ وَاسْتُبْدِلَتْ بِهِ الشُّرُور وَالْبِدَعُ، وَرَأَيْنَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يُعَلِّمُوهُمْ مَا يَجِبُ فِي ذَلِكَ فَيُمْكِنُنَا أَنْ نَجْزِمَ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءَ لَا يُؤَدُّونَ الْأَمَانَةَ، وَهِيَ مَا اسْتُحْفِظُوا عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا عُذْرَ لَهُمْ فِي تَرْكِ اسْتِبَانَةِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَى ذَلِكَ بِسُهُولَةٍ وَقُرْبٍ، فَهُمْ خَوَنَةُ النَّاسِ وَلَيْسُوا بِالْأُمَنَاءِ، يَجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا الطُّرُقَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى إِيصَالِ الْعِلْمِ إِلَى النَّاسِ وَقَبُولِهِ، وَهَذِهِ الطُّرُقُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ كَمَا تَخْتَلِفُ الطُّرُقُ الَّتِي تُؤَدَّى بِهَا أَمَانَةُ الْمَالِ، فَفِي هَذَا الْعَصْرِ تُؤَدَّى الْأَمْوَالُ إِلَى أَصْحَابِهَا بِطُرُقٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فِي الْعُصُورِ السَّابِقَةِ، مِنْهَا التَّحْوِيلُ عَلَى مَصْلَحَةِ الْبَرِيدِ، وَمِنْهَا الْمَصَارِفُ وَمِنْهَا غَيْرُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ تُوجَدُ طُرُقٌ لِنَشْرِ الْعِلْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَسْهَلُ مِنَ الطُّرُقِ السَّابِقَةِ، فَمَنْ أَبَى سُلُوكَهَا لَا يُعْذَرُ بِعَدَمِ تَأْدِيَتِهِ لِأَمَانَةِ الْعِلْمِ النَّافِعِ" (١).

(١) تفسير المنار، (١٣٨/٥) باختصار.

فيجب على العلماء والدعاة أن ينهوا عن المنكر في كل ما يدور في مجتمعاتهم من كفريات أوشركيات أو بدعيات، فإذا رأوا ما يوهن الدين أو ينقصه قاموا فبلغوا ونصحوا وبينوا حكم الله في تلك الأمور والمسائل، لا يجاملون صديقًا ولا قريبًا، ولا يخافون في الله لومة لائم، غايتهم أن يؤدوا ويبينوا ما أوجبه الله عليهم.

٣- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾[(١)].

نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد. وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، ثم جاء هؤلاء يعتذرون إلي النبي ﷺ ويحلفون ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، وتحاكمنا إلى عداك إلا الإحسان والتوفيق، أي: المداراة والمصانعة، لا اعتقادًا منا بصحة تلك الحكومة، **فأمر الله نبيه أن** يحذرهم مما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر، وأن ينصحهم فيما بينه

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠- ٦٣.

وبينهم بكلام بليغ رادع لهم[1]، ومن المعلوم أن الأمر للرسول ﷺ أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له[2]، فالله أمر نبيه ليعظ هؤلاء المتجرئين على حكم الله وحكم رسوله المتأولين المتلونين؛ لتتعلم الأمة القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا رأت ما يغضب الرب أو من يصنع مثل صنيع هؤلاء فعليهم أن يعظوا وينصحوا، ولا يقفوا مستمعين متفرجين، ولا منصتين، بل عليهم أن يقوموا بما أوجبه الله عليهم إذ أخذ سبحانه الميثاق على العلماء أن يبينوا للناس الحق والصواب، فليس بعد الحق إلا الضلال.

٤- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3].

يأمر الله نبيه بأن يبلغ ما أنزل إليه من ربه مما يفصّل مساوئ الكفار، وأن يدعوهم إلى الإسلام، غير مراقب في التبليغ أحدًا، ولا يخاف أن يناله مكروه، وأن يظهر التبليغ والبيان، ولا يلتفت إلى تكذيب المكذبين، ولا سخرية الساخرين، ولا استهزاء المستهزئين، ولا تثبيط المثبطين، ولا تقنيط المقنطين، " بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت رسالته؛ وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئًا من وحيه"[4]، والأمر للنبي ﷺ أمر لأمته ما لم يرد التخصيص، وقد

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٤٦-٣٤٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤/٣٢)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٤٢).

قام النبي ﷺ بهذه المهمة فأداها على أكمل وجه فبلغ ﷺ " البلاغ التام، وقام به أتمّ القيام، وثبت في الشدائد وهو مطلوب، وصبر على البأساء والضرّاء وهو مكروب ومحروب، وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي، ويهدّ الصياصي. وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي، ثم انتصب لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته، وأحدقوا بجنباته، وصار بإثثانه في الأعداء محذورًا، وبالرعب منه منصورًا، حتى أصبح سراج الدين وهّاجًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا "(١)، ومما يدل على ذلك حين " سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ آيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ أُنْزِلَتْ أَشَدُّ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: كُنْتُ بِمِنًى أَيَّامَ مَوْسِمٍ، وَاجْتَمَعَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَأَفْنَاءُ النَّاسِ فِي الْمَوْسِمِ، فَنَزَلَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ (٢) الْآيَةَ – قَالَ: – فَقُمْتُ عِنْدَ الْعَقَبَةِ ؛ فَقُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يَنْصُرُنِي عَلَى أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَكُمُ الْجَنَّةُ؟ أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ تُفْلِحُوا وَتَنْجَحُوا وَلَكُمُ الْجَنَّةُ، قَالَ ﷺ: " فَمَا بَقِيَ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ وَلَا أَمَةٌ وَلَا صَبِيٌّ إِلَّا يَرْمُونَ عَلَيَّ بِالتُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ ، وَيَقُولُونَ: كَذَّابٌ صَابِئٌ. فَعَرَضَ عَلَيَّ عَارِضٌ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِمْ ، كَمَا دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ بِالْهَلَاكِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَانْصُرْنِي عَلَيْهِمْ أَنْ يُجِيبُونِي إِلَى طَاعَتِكَ، فَجَاءَ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ، وَطَرَدَهُمْ

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (٤ /١٩٢)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه، بيروت، ط١/١٤١٨هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

عَنْهُ "[1]. وقد شهدت له أمته ﷺ يوم بلاغ حجة الوداع، بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته كما ثبت في صحيح مسلم "وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ"[2].

٥- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3].

"قَدْ يَتَوَهَّمُ الْجَاهِلُ مِنْ ظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَدَمَ وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَكِنَّ نَفْسَ الْآيَةِ فِيهَا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ فِيمَا إِذَا بَلَغَ جَهْدَهُ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ الْمَأْمُورُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: إِذَا اهْتَدَيْتُمْ، لِأَنَّ مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ يَهْتَدِ، فَيَدْخُلُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ فِي الْمُرَادِ بِالِاهْتِدَاءِ فِي الْآيَةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ جِدًّا الْعُدُولُ عَنْهُ لِمُنْصِفٍ، فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَارِكَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرُ مُهْتَدٍ، فَالْحَقُّ وُجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبَعْدَ أَدَاءِ الْوَاجِبِ لَا يَضُرُّ الْآمِرَ ضَلَالُ مَنْ ضَلَّ"[4]." وَمِنْ أُصُولِ الْهِدَايَةِ: الدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَنْ لَا تَكُونُونَ مُهْتَدِينَ إِلَّا إِذَا بَلَغْتُمْ دَعْوَةَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَعَلَمْتُم الْجَاهِلِينَ مَا أَعْطَاكُمُ اللهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم الحديث (٣٠٠٩).

(٢) تفسير المنار (٣٨٧/٦).

(٣) سورة المائدة، ١٠٥.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٤٥٩/١-٤٦٠ باختصار).

تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَالْعِلْمَ كَمَا كَتَمَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَعَنَهُمُ اللهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ وَلِسَانِ نَبِيِّكُمْ"(١).

وقد وضح الصديق معنى هذه الآية: حيث قَامَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾(٢) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ"(٣).

وعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ: " مَا تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾(٤) قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ كَعَمَلِكُمْ " قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَزَادَ غَيْرُ عُتْبَةَ قِيلَ : " يَا رَسُولَ

---

(١) تفسير المنار، (١٧٦/٧).

(٢) سورة المائدة، جزء الآية ١٠٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٢١٢/٣).

(٤) سورة المائدة، جزء الآية ١٠٥.

اللهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : لَا بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ"(١).

وَرَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾(٢) الْآيَةَ قَالَ: "كَانُوا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَكَانَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ عَبْدِ اللهِ: أَلَا أَقُومُ فَآمُرُهُمَا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمَا عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَالَ آخَرُ إِلَى جَنْبِهِ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) الْآيَةَ. قَالَ: فَسَمِعَهَا ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : مَهْ لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ بَعْدُ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ حَيْثُ أُنْزِلَ وَمِنْهُ آيٌ قَدْ مَضَى تَأْوِيلُهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلْنَ وَمِنْهُ آيٌ وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْهُ آيٌ وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِيَسِيرٍ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَمَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ وَاحِدَةً وَأَهْوَاؤُكُمْ وَاحِدَةً وَلَمْ تُلْبَسُوا شِيَعًا وَلَمْ يَذُقْ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأْمُرُوا وَانْهَوْا، وَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَهْوَاءُ وَأُلْبِسْتُمْ شِيَعًا وَذَاقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَائْمُرْ نَفْسَكَ وَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ "(٣).

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابٌ وَمِنْ سُورَةِ المائِدَةِ، رقم الحديث (٣٠٥٨) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الحاكم في المستدرك: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، رقم الحديث (٧٩١٢)، وصححه ابن حبان في صحيحه، برقم (٣٨٥). وقال شعيب الأرنؤوط معلقا على الحديث: عتبة بن أبي حكيم مختلف فيه، ووصفه الحافظ في "التقريب" بقوله: صدوق يخطئ كثيراً، وعمرو بن جارية، وأبو أمية الشعباني- واسمه يُحْمِدُ، وقيل: عبد الله بن أخامر- ذكرهما المؤلف في الثقات، وروى عنهما أكثر من واحد. حاشية صحيح ابن حبان (٢/١١٠).

(٢) سورة المائدة، جزء الآية ١٠٥.

(٣) تفسير المنار (٧ / ١٧٧- ١٧٨).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ صُبَيْحٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عِقَالٍ، قَالَ: " قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: لَوْ جَلَسْتَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ فَلَمْ تَأْمُرْ وَلَمْ تَنْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[1] فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي وَلَا لِأَصْحَابِي لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ. فَكُنَّا نَحْنُ الشُّهُودَ وَأَنْتُمُ الْغُيَّبَ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لِأَقْوَامٍ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِنَا إِنْ قَالُوا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ "[2].

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَبُو عَاصِمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ سَوَّارِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: "كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ جَلِيدٌ فِي الْعَيْنِ شَدِيدُ اللِّسَانِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَفَرٌ سِتَّةٌ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَسْرَعَ فِيهِ ، وَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ لَا يَأْلُو ، وَكُلُّهُمْ بَغِيضٌ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ دَنَاءَةً إِلَّا الْخَيْرَ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَشْهَدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالشِّرْكِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَأَيُّ دَنَاءَةٍ تُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَشْهَدَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالشِّرْكِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي لَسْتُ إِيَّاكَ أَسْأَلُ إِنَّمَا أَسْأَلُ الشَّيْخَ، فَأَعَادَ عَلَى عَبْدِ اللهِ الْحَدِيثَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَعَلَّكَ تَرَى لَا أَبَا لَكَ أَنِّي سَآمُرُكَ أَنْ تَذْهَبَ فَتَقْتُلَهُمْ! عِظْهُمْ وَانْهَهُمْ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة، جزء الآية ١٠٥.

(٢) تفسير الطبري (١١ / ١٣٩).

(٣) تفسير الطبري (١١ / ١٤٠-١٤١).

٦- قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[١].

فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يأمر "بِالْعُرْفِ وَهُوَ مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ مِنَ الْخَيْرِ وَفَسَّرُوهُ بِالْمَعْرُوفِ"[٢]، يأمر "بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرِّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لابد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه"[٣]. ومن المعلوم كما قرر أهل الأصول أن الأمر للرسول ﷺ أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له[٤].

٧- قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[٥].

يأمر الله رسوله بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصَّدع به وهو مواجهة المشركين به، يقول الله له: افعل ما تؤمر، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله ولا تخفْهم؛ فإن الله كافيك إياهم، وحافظك منهم[٦]. والأمر للرسول ﷺ أمر لأمته إذا لم

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) تفسير المنار (٩/٤٤٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣١٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤/٣٢)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٥٥.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥١).

يرد تخصيص له[1]. لقد مكث ﷺ يدعو الناس سرًا إلى عبادة الله ثلاث سنين، ثم بدأت مرحلة الجهر بالدعوة في السنة الرابعة من البعثة بعد أن أمره الله بأن يجهر بما يكلف بتبليغه للناس، قال ابن إسحاق عند حديثه عن مرحلة الجهر بالدعوة الإسلامية: " ثم دخل الناس في الإسلام أرسالًا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به، ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادى الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين – فيما بلغني – من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[2]"[3].

إنها التضحية في أعلى صورها أن يواجه المرء جميع الناس بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم مهما ترتب على ذلك، فالله حفيظ لمن والاه واتبع هداه وامتثل أمره وحافظ على هذا العهد الذي أخذه الله على من آتاه الله العلم، من حيث البيان والتبيان والتبليغ.

٨- قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4].

يأمر الله رسوله بأن يبين ويوضح للناس ما جاء في القرآن من أوامر ونواهي وما يترتب عليهما من ثواب وعقاب، والأمر للرسول أمر للأمة كما

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٢/١٤)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٥٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، (٢٧٤/١).

(٤) سورة النحل، جزء الآية: ٤٤.

قرر ذلك أهل الأصول، فتتعلم الأمة إذا رأت أوامر الله تترك ونواهيه ترتكب انتفضت من سباتها وقامت فنصحت وأرشدت وبلغت وبينت لتعذر إلى ربها، وتقوم بما أوجبه الله عليها. وبين ربنا سبحانه وتعالى أنه أنزل القرآن لحكمتين: "إِحْدَاهُمَا: أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَدْ بَيَّنَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَيْضًا(1)، وَالْحِكْمَةُ الثَّانِيَةُ: هِيَ التَّفَكُّرُ فِي آيَاتِهِ وَالِاتِّعَاظُ بِهَا؛ كَمَا قَالَ هُنَا: وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، وَقَدْ بَيَّنَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَيْضًا"(2)(3).

٩- قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾(4).

بين الشنقيطي رحمه الله أن هذه الآية من الآيات التي يستدل بها عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ(5)، فيقول سبحانه لنبيه محمد ﷺ: "وقل يا محمد للناس: هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا

---

(١) كَقَوْلِهِ تعالى: " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ". سورة النحل، جزء الآية:٦٤، وَقَوْلِهِ " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ" سورة النساء، جزء الْآيَةَ: ١٠٥.

(٢) كقوله سبحانه "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " سورة ص، الآية: ٢٩، وَقَوْلِهِ:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا " سورة النساء، الآية: ٨٢، وَقَوْلِهِ: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " سورة محمد، الآية: ٢٤، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

(٣) أضواء البيان (٢/٣٨٠).

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/٤٦١).

مرية فيه ولا شك"(١)، لقد "أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: الْحَقُّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الْمُتَضَمِّنُ لِدِينِ الْإِسْلَامِ كَائِنٌ مَبْدَؤُهُ مِنْ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَلَا، فَلَيْسَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ، وَلَا مِنِ افْتِرَاءِ الْكَهَنَةِ، وَلَا مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ. بَلْ هُوَ مِنْ خَالِقِكُمْ جَلَّ وَعَلَا، الَّذِي تَلْزَمُكُمْ طَاعَتُهُ وَتَوْحِيدُهُ، وَلَا يَأْتِي مِنْ لَدُنْهُ إِلَّا الْحَقُّ الشَّامِلُ لِلصِّدْقِ فِي الْأَخْبَارِ، وَالْعَدْلُ فِي الْأَحْكَامِ، فَلَا حَقَّ إِلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا"(٢).

١٠- قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(٣).

أَمَرَ سبحانه نبيه ﷺ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى الدِّينِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الرُّسُلُ فِي عُصُورِهِمْ، قَبْلَ الِاخْتِلَافِ فِيهِ الَّذِي ابْتُدِعَ مِنْ بُعْدِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَيْهِ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ ، وَأَنْ يُخَاطِبَ أَهْلَ الْكِتَابِ بِمَا يَتَبَرَّأُ بِهِ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَمِنْ إِثَارَتِهِ بِحُجَجِ الْجِدَالِ(٤)، فادع الناس كافة إلى إقامة الدين لمقاومة الباطل ودحره، وهتك وساوسه وَاسْتَقِم على الدعوة إليه والصدع بأوامر الله ونواهيه. فيأمر الله نبيه ﷺ بأن يدعو للدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه من لم

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/١٥٤).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/٢٦٦) باختصار.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٤) تفسير المنار، (١٢/١٣٧).

يقبله، وَاسْتَقِمْ استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالًا لأوامر الله واجتنابًا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك(١).

١١- ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ۞﴾(٢).

يأمر الله سبحانه وتعالى " كل واحد من الزوجين ومن غيرهما الآخر بالائتمار بالمعروف، وهو كل ما فيه منفعة ومصلحة في الدنيا والآخرة، فإن الغفلة عن الائتمار بالمعروف يحصل فيها من الشر والضرر ما لا يعلمه إلا الله، وفي الائتمار تعاون على البر والتقوى، ومما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفراق وقت العدة، خصوصًا إذا ولد لهما ولد في الغالب يحصل من التنازع والتشاجر لأجل النفقة عليها وعلى الولد مع الفراق، الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض، ويتأثر منه البغض شيء كثير. فكل منهما يؤمر بالمعروف والمعاشرة الحسنة، وعدم المشاقة والمخاصمة، وينصح على ذلك "(٣).

ومن خلال النصوص السابقة نجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد أوجبه الله على الأمة الإسلامية، وقد وردت النصوص القرآنية المتواترة في كتاب الله يأمر فيها ربنا سبحانه وتعالى الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقوم بواجبها على حسب طاقتها وقدر استطاعتها.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٥٥.

(٢) سورة الطلاق، جزء الآية: ٦.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٥٥.

المطلب الثاني

النصوص القرآنية التي تبين فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترغب فيهما

وردت نصوص قرآنية كثيرة يرغب فيها ربنا سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، وبين فضل من اتصف بهذه الصفة، فشوق النفوس لتتحلى بهذه الصفة، فالثمن المغفرة والرحمة، والنجاة من النار، والفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، ومن هذه النصوص:

١- قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (١).

" يمدح تعالى هذه الأمة، ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك، وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس"(٢). فتفضيل الله الأمة المحمدية " بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحًا، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليمًا، وإرشادًا، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان "(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٤٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٧٢.

٢- قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾(١).

بين سبحانه أنه لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتحدثون فيه؛ إلا من أمر عباد الله بـ"الإحسان والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضًا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر"(٢)، وقد جاءت أحاديث كثيرة ترغب في هذه الأفعال الثلاثة، مثل قول النبي ﷺ: " كُلُّ كَلاَمِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ؛ إِلاَّ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ "(٣).

٣- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٤).

فالنبي ﷺ من صفاته أنه لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن الشر، وهذه صفة محمد ﷺ "يأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصلة

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٠٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم الحديث (٢٤١٢)، وصححه الحاكم في المستدرك، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، رقم الحيث (٣٨٩٢). وقال حسين سليم أسد في تخريجة مسند أبي يعلي: إسناده حسن، رقم الحديث (٧١٣٢).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والصدق، والعفاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، وينهى عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب، والفجور، ونحو ذلك. فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله ﷺ ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحله وحرمه"[(١)]. فبعد أن بين سبحانه صفة النبي ﷺ بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ختم ربنا الآية ببيان أن المؤمنين هم الذين اتبعوا النور الذي أنزل معه، فاتبعوا طريقته، واستنوا بسنته، واقتفوا أثره، وأنهم أهل الفلاح والنجاح والفوز العظيم ترغيبًا لهم في التمسك بهديه وطريقته التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورضي الله عن ابن مسعود حين قال: " إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " فأوعها سمعك فإنه خير ما يأمر به أو شر ينهى عنه. ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ﴾[(٢)(٣)]، فإذا جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء[(٤)].

٤- قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٠٥.

(٢) سورة الأعراف، جزء الآية: ١٥٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، (١/٢٠٠).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١/٢٠٠).

سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

بين سبحانه أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقًا أساسيًا بين المؤمنين والمنافقين. وذكر الله صفات المؤمنين المحمودة بأنهم يتناصرون ويتعاضدون ويتناصحون ذكورهم وإناثهم في المحبة والموالاة والانتماء والنصرة، فهم يأمرون بكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، وينهون عن كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة. ثم بين ربنا سبحانه أنه سيدخل من اتصف بهذه الصفات في رحمته، ويشملهم بإحسانه، فيدخلهم جنة جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى، قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفًا في غاية الصفاء والحسن، يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فهذه المساكن الأنيقة التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، إنها جنات عدن، إقامة لا يظعنون عنها ولا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١-٧٢.

يتحولون منها. ومع ما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسماوات أكبر من نعيم الجنات. ومع ذلك حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده كرمه إنه جواد كريم(١).

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾(٢).

هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة: التَّائِبُونَ من الذنوب كلها، التاركون للفواحش، الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات، كف عن الذنب وشعور بالندم على ما مضى، وتوجه إلى الله فيما بقي وعمل صالح يحقق التوبة بالفعل كما يحققها بالترك. فهي طهارة وزكاة وتوجه وصلاح الحامدون في السراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١-١١٢.

النهار. الْعَابِدُونَ القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها، المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، السَّائِحُونَ وهم الصائمون المؤدون صلاتهم المحافظون عليها، السَّائِحُونَ في طلب العلم، السائحون بقلوبهم في معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه على الدوام، المسافرون في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك. وهم مع ذلك ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه، علمًا وعملًا، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق؛ هؤلاء بشراهم جنة عرضها السماوات والأرض فالسعادة كل السعادة لمن اتصف بهذه الصفات(١).

٦- قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾(٢).

يبين سبحانه وتعالى أنه قد وجِدَ من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، لكنهم لم يكونوا كثيرًا، وهم الذين أنجاهم الله عند فجأة نِقَمه، ومع هذه النصائح المتتابعة من هذه الفرقة المؤمنة استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك، حتى فَاجَأهم العذابُ، ولهذا أمر

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٢١٩)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٥٣.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(١). وفي هذا حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون إذا فسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى، وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إمامًا في الدين إذا جعل عمله خالصًا لرب العالمين، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدًا، وأهم ما في الأمر أنهم قاموا بواجبهم فنجوا باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيَّ عن بيّنة"(٢).

٧- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٣).

وَصَفَ الله عباده الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ بعد " انْتِصَارِهِمْ وَتَمْكِينِهِمْ فِي الْأَرْضِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ الَّتِي تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْمَصَالِحُ الْمَعَاشِيَّةُ الْعَامَّةُ، وَيَزُولُ بُؤْسُ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْغَارِمِينَ بِمُشَارَكَتِهِمْ لِلْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِحُكْمِ اللهِ الْمُغْنِي لَهُمْ، لَا بِمُجَرَّدِ أريحَتِهِمْ وَتَفَضُّلِهِمْ ، وَتعين عَلَى السياحَةِ بِكِفَايَةِ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ، وَيُكَلَّفُونَ حِفْظَ الْفَضِيلَةِ وَمَنْعَ الرَّذَائِلِ بِإِقَامَةِ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ "(٤)، إنها صفة الأمة الخيرة أمة

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٦٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٩١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٤) تفسير المنار، (١٠/٥٩) باختصار.

الإسلام لا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه فتدعو الناس إلى الخير والصلاح، ولا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره فتقاوم الشر والفساد، هؤلاء هم من وعدهم الله بالنصر والتمكين في الدنيا والفوز والنجاح في الآخرة.

ففي هذه الآيات ترغيب وحث من الله بأن يتحلى كل فرد من أفراد الأمة المحمدية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقابل والثمن مدفوع مسبقًا، وياله من ثمن، وفي أي مقابل، مقابل دنيا فائتة زائلة، في مقابل جنة عالية لا تسمع فيها لاغية، عرضها كعرض السماوات والأرض، فهل من مشمر لهذه الجنة، إنها السلعة الغالية والمكانة الرفيعة، إنها الجنة، فمن أرادها فليشمر لها وليدفع مهرها، ومن المهر أن يتحلى الفرد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث

النصوص التي تحذر الأمة من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وردت نصوص قرآنية كثيرة، يحذر فيها ربنا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يتمعر ولا يغضب إذا انتهكت حرمات الله، إذا انتشرت المنكرات والفواحش، إذا فعلت المعاصي وكثرت الموبقات، حتى ولو كان الانشغال بطاعة من الطاعات، أو بعبادة من العبادات التي يتقرب فيها العبد إلى رب الأرض والسماوات، وقد رُتب على هذا ما لا يحمد عقباه، طرد ولعن ودمار وهلاك، خسف ومسخ ونزول العقاب؛ والسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه النصوص ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١).

ففي هذه الآيات والتي تليها من هذه الدراسة تهديد ووعيد لكل من اتصف بهذه الصفات من البشرية فكف عن البيان والنصح والإرشاد لأي سبب من الأسباب، منعه ذلك جاه يحصله، أو مال يأخذه، أو عرض آخر من أعراض الدنيا الزائلة، أو خوف ممن يناصحه.

هذه الآية حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله، فلم يبينه ولم يوضحه للناس فلم يبلغ ولم ينصح، وهي وإن كانت نازلة في أهل

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩-١٦٠.

الكتاب وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، حتى أفسدوا الدين وانحرفوا بالناس عن صراطه المستقيم، لكن حكمها عام لكل من كتم الدالات على الحق المظهرات له، وكتم العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته، وتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد، إلا من رجعوا عما هم عليه من الذنوب، ندمًا وإقلاعًا، وعزمًا على عدم المعاودة وأصلحوا ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن، ولا يكفي ذلك في الكاتم إلا إذا تحلى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيبين ما كتمه، ويبدي ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه لأن توبة الله غير محجوب عنها، وأما من كفر واستمر على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب فأولئك لما صار كفرهم وصفًا ثابتًا، صارت اللعنة عليهم وصفًا ثابتًا لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته، وجودًا وعدمًا. فهذا

الصنف جزاؤه اللعنة والعذاب الدائم الشديد المستمر، وهؤلاء لا يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون(1).

والآية " حكمها عَامٌّ وَإِنْ كَانَ سَبَبُهَا خَاصًّا، فَكُلُّ مَنْ يَكْتُمُ آيَاتِ اللهِ وَهِدَايَتَهُ عَنِ النَّاسِ فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِهَذِهِ اللَّعْنَةِ"(2). لقد " أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَعَنَ الْأُمَّةَ كُلَّهَا لِتَرْكِهِمُ التَّنَاهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ . نَعَمْ ؛ إِنَّ هَذَا فَرْضُ كِفَايَةٍ إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، وَلَكِنْ لَا يَكْفِي فِي كُلِّ قُطْرٍ وَاحِدٌ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ؛ بَلْ لَابُدَّ أَنْ تَقُومَ بِهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى لِتَكُونَ لَهُمْ قُوَّةٌ وَلِنَهْيِهِمْ وَأَمْرِهِمْ تَأْثِيرٌ"(3).

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾(4).

إنها حملة عنيفة وتهديد ووعيد رهيب ينتظر هذا الصنف الذي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنه الإعراض والغضب والعذاب والاحتقار، والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا. وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، وهذا الثمن

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٧.

(2) تفسير المنار (٢/٤١-٤٢).

(3) تفسير المنار (٢/٤٢).

(4) سورة البقرة، الآية: ١٧٤-١٧٥.

إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، بأن سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار، ولا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يزكهم الله لأنهم لم يفعلوا أسباب التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟[١]. " وقد تضمنت هذه الآيات الوعيد للكاتمين لما أنزل الله، المؤثرين عليه عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق، ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى، فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، لعلمهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها، وأن الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه، وعدم الافتراق، وأن كل من خالفه، فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة والمخاصمة"[٢].

٣- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[٣].

نهى الله " هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم"[١]. فالأمر

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٢. باختصار وتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع من الفرقة ويحفظ وحدة الأمة، فـ " الْأُمَّة إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ الْعَالِي الشَّرِيفِ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ مُسَيْطِرَةً عَلَى الْأُمَمِ كُلِّهَا وَمُرَبِّيَةً لَهَا وَمُهَذِّبَةً لِنُفُوسِهَا فَلَا شَكَّ أَنَّ جَمِيعَ الْأَهْوَاءِ الشَّخْصِيَّةِ تَتَلَاشَى مِنْ بَيْنِهِمْ، فَإِذَا عَرَضَ الْحَسَدُ وَالْبَغْيُ لِأَحَدٍ مِنْ أَفْرَادِهِمْ تَذَكَّرُوا وَظِيفَتَهُمُ الْعَالِيَةَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ وَالِاجْتِمَاعِ، فَأَزَالَتِ الذِّكْرَى مَا عَرَضَ، وَشَفَتِ النُّفُوس قَبْلَ تَمَكُّنِ الْمَرَضِ. ودَعْوَةُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا إِلَى الْخَيْرِ وَتَآمُرُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهِيهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، بِبَيَانِ طُرُقِ الْخَيْرِ وَتَطْبِيقِ ذَلِكَ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ. أَمَّا كَوْنُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ حِفَاظًا لِلْوَحْدَةِ وَسِيَاجًا دُونَ الْفُرْقَةِ فَهُوَ ظَاهِرٌ، فَإِنَّ أَفْرَادَ الْأُمَّةِ إِذَا قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَصِيحَةِ الْآخَرِ - دَعْوَةً وَأَمْرًا وَنَهْيًا - امْتَنَعَ فُشُوُّ الشَّرِّ وَالْمُنْكَرِ فِيهِمْ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ بَيْنَهُمْ. فَكَيْفَ تَجِدُ الْفُرْقَةُ مَنْفَذًا إِلَيْهِمْ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْتَقِرُّ الْخِلَافُ فِي الدِّينِ بَيْنَهُمْ؟ وَنَاهِيكَ إِذَا قَامَ - كُلٌّ عَلَى طَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ - الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَعَابِدِهِمْ، وَجَمِيعُ الْأَفْرَادِ فِي مَنَازِلِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ وَمَعَاهِدِهِمْ[٢].

٤- قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ

(١) تفسير القرآن العظيم، (٢/٩١).

(٢) تفسير المنار (١/٢٣-٢٤) باختصار.

ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾(١)

بين فريق من أهل العلم أن "الَّذِينَ لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ، وَالَّذِينَ لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْمَائِدَةِ، وَعَلَيْهِ فَلَعْنُ الْأَوَّلِينَ مَسْخُهُمْ قِرَدَةً، وَلَعْنُ الْآخَرِينَ مَسَخَهُمْ خَنَازِيرَ، فأَهْلُ أَيْلَةَ لَمَّا اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ قَالَ دَاوُدُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ أَلْبِسْهُمُ اللَّعْنَ مِثْلَ الرِّدَاءِ، وَمِثْلَ الْمِنْطَقَةِ عَلَى الْحَقْوَيْنِ» ، فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ قِرَدَةً، وَأَصْحَابُ الْمَائِدَةِ لَمَّا كَفَرُوا، قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ عَذِّبْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا أَكَلَ مِنَ الْمَائِدَةِ عَذَابًا لَمْ تُعَذِّبْهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَالْعَنْهُمْ كَمَا لَعَنْتَ أَصْحَابَ السَّبْتِ، فَأَصْبَحُوا خَنَازِيرَ». وهَذَا مَعْنَى لَعْنِهِمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ"(٢).

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل بسبب أنهم "كَانُوا لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ مُنْكَرٍ مَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، مَهْمَا اشْتَدَّ قُبْحُهَا وَعَظُمَ ضَرَرُهَا، وَإِنَّمَا النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ حِفَاظُ الدِّينِ وَسِيَاجُ الْآدَابِ وَالْفَضَائِلِ، فَإِذَا تُرِكَ تَجَرَّأَ الْفُسَّاقُ عَلَى إِظْهَارِ فِسْقِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَمَتَى صَارَ الدَّهْمَاءُ يَرَوْنَ الْمُنْكَرَاتِ بِأَعْيُنِهِمْ، وَيَسْمَعُونَهَا بِآذَانِهِمْ، تَزُولُ وَحْشَتُهَا وَقُبْحُهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ يَتَجَرَّأُ الْكَثِيرُونَ أَوِ الْأَكْثَرُونَ عَلَى اقْتِرَافِهَا. فَالْإِخْبَارُ بِهَذَا الشَّأْنِ مِنْ شُئُونِهِمْ إِخْبَارٌ بِفُشُوِّ الْمُنْكَرَاتِ فِيهِمْ،

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٩-٨١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (١/٤١٩-٤٢٠) باختصار.

وَانْتِشَارِ مَفَاسِدِهَا بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْعِلَّةِ يَقْتَضِي وُجُودَ الْمَعْلُولِ، وَلَوْلَا اسْتِمْرَارُ وُقُوعِ الْمُنْكَرَاتِ لَمَا صَحَّ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ التَّنَاهِي شَأْنًا مِنْ شُئُونِ الْقَوْمِ ، وَدَأْبًا مِنْ دُءُوبِهِمْ"(١).

٥- قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٢).

فَالْحَقُّ وُجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبَعْدَ أَدَاءِ الْوَاجِبِ لَا يَضُرُّ الْآمِرَ ضَلَالُ مَنْ ضَلَّ، وَقَدْ دَلَّتِ هذه الآية عَلَى أَنَّ النَّاسَ إِنْ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ عَمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ(٣)، فـ" الْفِتْنَةُ الَّتِي تَعُمُّ الظَّالِمَ وَغَيْرَهُ هِيَ أَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ، صَالِحَهُمْ وَطَالِحَهُمْ، وَبِهِ فَسَّرَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ شَاهِدَةٌ لِذَلِكَ"(٤)، فـ"أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب"(٥)، فإذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر نجوا من هذه الفتنة وذاك العذاب المرتقب، وقد استدل الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه الآية وغيرها(٦). وفي الآية تحذير من الله لمن يجترئ فينتهك حدوده ويجاهر بمعصيته، وكذلك كل من يرى المنكر والظلم فلم يغير ولم يحرك ساكنًا ولم ينه

(١) أضواء البيان (٤/٤٠٦).
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.
(٣) انظر: أضواء البيان (١/٤٦٠).
(٤) أضواء البيان (١/٤٦٢).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٩١).
(٦) انظر: أضواء البيان (١/٤٦١).

عن ذاك المنكر ولم يتمعر وجهه غضبًا لنتهاك حرمات الله فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره "[1].

٦- قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[2].

هَذَا بَيَانٌ عَامٌّ لِحَالِ جَمِيعِ الْمُنَافِقِينَ ذُكْرَانِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ، مَقْرُونٌ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ عَلَى مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ مَعَ إِخْوَانِهِمُ الْكُفَّارِ عَلَى فَسَادِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ، يَتْلُوهُ ضَرْبُ الْمَثَلِ لَهُمْ بِحَالِ أَمْثَالِهِمْ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ؛ الْمُنْكَرُ الشَّرْعِيُّ: مَا يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ وَيَسْتَقْبِحُهُ ، وَالْمُنْكَرُ الْعَقْلِيُّ وَالْفِطْرِيُّ: مَا تَسْتَنْكِرُهُ الْعُقُولُ الرَّاجِحَةُ وَالْفِطَرُ السَّلِيمَةُ، لِمُنَافَاتِهِ لِلْفَضَائِلِ وَالْمَنَافِعِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، وَالشَّرْعُ: هُوَ الْقِسْطَاسُ الْمُسْتَقِيمُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَالْمَعْرُوفُ: مَا يُقَابِلُ الْمُنْكَرَ مُقَابَلَةَ التَّضَادِّ، وَمِنَ الْمُنْكَرِ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْكَذِبُ وَالْخِيَانَةُ وَإِخْلَافُ الْوَعْدِ وَالْفُجُورُ وَالْغَدْرُ بِنَقْضِ الْعُهُودِ، وَمِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يَنْهَوْنَ عَنْهُ الْجِهَادُ، وَبَذْلُ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ لِلْقِتَالِ وَغَيْرِ الْقِتَالِ. ويَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْبَذْلِ، وَيَمْتَنِعُونَ مِنْهُ بِالْفِعْلِ، وَاقْتَصَرَ مِنْ مُنْكَرَاتِهِمُ الْفِعْلِيَّةِ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّهُ شَرُّهَا وَأَضَرُّهَا، وَأَقْوَاهَا دَلَالَةً عَلَى النِّفَاقِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَقْوَى الْآيَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ[3]. فبين الله

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣١٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧- ٦٨.

(٣) أضواء البيان، (١٠/ ٤٥٩-٤٦٠) باختصار وتصرف يسير.

أهم صفات المنافقين التي أهمها: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف تحذيرًا لعباده وتخويفًا لهم من اتصافهم بهذه الصفات، ثم بين سبحانه عقوبتهم نسيان الله لهم وسيصلون نارًا تلظى، خالدين فيها أبدًا، مع طرد الله لهم من رحمته، إنه وعيد رهيب شديد، ترتجف له القلوب، وتقشعر منه الأبدان، وتدمع منه العيون، وتخاف القلوب الحية أن تتصف بهذه الصفات حتى لا يصيبها ما أصاب هؤلاء أو تدخل في زمرتهم، أو تحشر معهم.

ففي هذه الآيات السابقة تحذير من الله لمن ينتهك حدوده ويجاهر بمعصيته، وكذلك كل من يرى المنكر والظلم فلم يغير على حسب طاقته واستطاعته، ولم ينه عن ذاك المنكر ولم يتمعر وجهه غضبًا إذا انتهكت حرمات الله، إذا انتشرت المنكرات والفواحش، إذا فعلت المعاصي وكثرت الموبقات، فإن العقوبة شديدة، متوعد من يتصف بذلك بسخط الله ومقته، طرد ولعن ودمار وهلاك، خسف ومسخ ونزول العقاب، والعذاب الأليم الشديد المهين الدائم في الآخرة.

ومن خلال ما سبق يتضح أن كتاب الله بين أهمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسلك في بيانها أساليب متعددة، فتارة يأمر المؤمنين بالقيام بها على أكمل وجه كل على حسب طاقته وقدر استطاعته، وتارة يرغب في فعلها ببيان ما يترتب على الفعل من الأجر العظيم والثواب الجزيل، وتارة يخوف من ترك تلك الشعيرة ويتوعد من يتخاذل بالعذاب الأليم واللعن والطرد من رحمة الله.

المبحث الثاني

شروط القائم بالأمر بالمعروف الناهي عن المنكر وصفاته في القرآن الكريم

المتأمل في كتاب الله عز وجل يجد شروطًا للقائم بالأمر المعروف الناهي عن المنكر، ومن المهم أن نبينها حتى يكون الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر على بينة من أمره ونهيه. وقد بين القرآن الكريم أنه لابد من صفات يتحلى بها الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ليؤتى أمره ونهيه ثمرته المرجوة منه، ويمكن بيان ذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: شروط القائم بالأمر بالمعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: صفات القائم بالأمر المعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم.

المطلب الأول

شروط القائم بالأمر المعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم

للقائم بالأمر بالمعروف شروط يتحتم أن تتحقق فيه، ويمكن بيان أهم تلك الشروط من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم فيما يلي:

١- الإسلام

دل كتاب الله تعالى على أنه لا تجوز ولاية الكافر على مسلم، قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾[(١)]. والقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المعين من قبل ولي الأمر نوع ولاية، ولا ولاية للكافر على المسلم كما جاء في الآية السابقة.

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة من شعائر الإسلام وولاية شرعية اشترط في القائم بها أن يكون مسلمًا؛ لأن القائم بهذه الشعيرة يؤدي واجبًا فرضه الله عليه، ممتثلًا بفعله ما أمرته الشريعة الإسلامية بوجوب القيام به.

ومن المعلوم أن الولاية الشرعية لا تكون إلا لمسلم، "فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين، فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له"[(٢)].

٢- موافقة الشرع

فمن شروط قبول عمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كما نص على ذلك القرآن الكريم:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤١.

(٢) إحياء علوم الدين (٢ / ٣١٢).

موافقة العمل للشريعة، لقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1]. والعمل الصالح هو الموافق للشرع. قال ابن كثير رحمه الله: "﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾، أَيْ: ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ الصَّالِحَ، ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾، مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللَّهِ {وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} وَهُوَ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَانَ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ. لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، صوابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[2].

وأن يكون موافقا لهدي النبي ﷺ، لقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[4].

وقد حذر القرآن الكريم من مخالفة أمر النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[6].

وهذا أقرب الطرق الموصلة للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إلى

---

(١) سورة الكهف، جزء الآية: ١١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٥ / ٢٠٥).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٥) سورة النور، جزء الآية: ٦٣.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١٥.

رضوان الله سبحانه وتعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود "(١).

فيشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون أمره ونهيه في كل أحواله موافقًا للشريعة، مهتديدًا بهديها، مستنًا بسنتها، متبعًا لطريقة السلف الصالح رحمهم الله.

٣- العلم بما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر.

فقد دلت نصوص القرآن على أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالما بما يأمر وبما ينهى، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾(٥). "أي لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبًا وافتراء على الله وتقولًا عليه"(٦).

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية، ص ١٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ١١٦-١١٧.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٥١.

فيشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون "عَارِفًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِيَعْلَمَ مَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَنْهُ فَإِنَّ الْحَسَنَ مَا حَسَّنَهُ الشَّرْعُ، وَالْقُبْحَ مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ .... وَلَا مَدْخَلَ لِلْعُقُولِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَعْرُوفِ، وَالْمُنْكَرِ إلَّا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرُبَّ جَاهِلٍ يَسْتَحْسِنُ بِعَقْلِهِ مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ، وَيَرْتَكِبُ الْمَحْذُورَ، وَهُوَ غَيْرُ مُلِمٍّ بِالْعِلْمِ بِهِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرْضًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[(١)].

فمن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون "عَالِمًا بِالْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّات شَرْعًا"[(٢)]، "فَلَا بُدَّ مِنْ الْعِلْمِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَلَا بُدَّ مِنْ الْعِلْمِ بِحَالِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ"[(٣)].

ويرجع سبب اشتراط العلماء هذا الشرط: أنه "إنما يدرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعلم؛ لأن العلم يرشد إلى موقع بذل المعروف، والفرق بينه وبين المنكر، وترتيبه في وضعه مواضعه"[(٤)]، "والإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة؛ فأول درجات الإنكار: معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله"[(٥)]. وكذلك "الدعْوَة إلى الله أشرف مقامات العَبْد وأجلها وأفضلها فَهِيَ لَا تحصل إلا بِالْعلمِ الَّذِي يَدْعُو بِهِ وإليه، بل لَابُد فِي كَمَال الدعْوَة من الْبلُوغ فِي الْعلم إلى حد يصل إليه السَّعْي"[(٦)]. فيحرم على الجاهل القيام

(١) معالم القربة في طلب الحسبة، ص ٨.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١ / ١٩١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٣٦).

(٤) الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣٣٣/١).

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٥١/٨).

(٦) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١٥٤/١).

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يحل له القيام بما جهل حقيقته من المنكرات أو طريق الإنكار فيها[1].

ومما أحب أن أشير إليه أنه " إِنَّمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى مَنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الشَّيْءِ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْمُحَرَّمَاتِ الْمَشْهُورَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزِّنَا وَالْخَمْرِ وَنَحْوِهَا فَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ عُلَمَاءُ بِهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ دَقَائِقِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالِاجْتِهَادِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَوَامِّ مَدْخَلٌ فِيهِ وَلَا لَهُمْ إِنْكَارُهُ بَلْ ذَلِكَ لِلْعُلَمَاءِ"[2]. فيكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر "عنده من العلم ما يستطيع أن يعرف المنكر فينهى عنه، ويعرف المعروف فيأمر به، حسب الموازين الشرعية، وبهذا يكون احتسابه عن علم ومعرفة لا عن جهل وتخبُّط، ... ويدخل في حدِّ العلم المطلوب"[3]. كما قرر غير واحد من أهل العلم، فلابد من علم المحتسب بـ"مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه"[4].

٤- القدرة والاستطاعة

من رحمة الله بعباده أنه لم يكلفهم فوق طاقتهم ، بل رفع الحرج والمشقة عليهم، قرر ذلك ربنا في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5]،

(١) انظر: تحفة الناظر وغنية الذاكر، ص ٧.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/٢٣).

(٣) أصول الدعوة (١ / ١٨٣).

(٤) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٣٣).

(٥) سورة الحج، الآية : ٧٨.

وقد أمر ربنا عباده بقوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١)، فدلت الآية: "على أن كل واجب عجز عنه العبد أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه"(٢).

وإن كان قد تقرر ذلك فإنه يشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القدرة والاستطاعة، لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣). "أَيْ: لَا يُكَلِّفُ أَحَدًا فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ"(٤). ورحم الله السعدي حين علق على الآية بقوله: "وأن الله سهل عليهم شرعه غاية التسهيل، ولم يحملهم من المشاق، والآصار، والأغلال، ما حمله على من قبلهم، ولم يحملهم فوق طاقتهم"(٥).

فالقدرة والاستطاعة شرط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل على حسب استطاعته وقدر طاقته، وقد بين الجصاص رحمه الله: "أَنَّ إنْكَارَ الْمُنْكَرِ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ عَلَى حَسَبِ الْإِمْكَانِ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ إذَا لَمْ يَسْتَطِعْ تَغْيِيرَهُ بِيَدِهِ فَعَلَيْهِ تَغْيِيرُهُ بِلِسَانِهِ، ثُمَّ إذَا لَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ إنْكَارِهِ بِقَلْبِهِ"(٦). وقال الخلال رحمه الله "بَابُ الرَّجُلِ يَرَى الْمُنْكَرَ الْغَلِيظَ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْهِيَ عَنْهُ، وَيَرَى مُنْكَرًا صَغِيرًا يَقْدِرُ أَنْ يَنْهِيَ عَنْهُ، كَيْفَ الْعَمَلُ فِيهِمَا؟ أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، (١ / ٧٣٧).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٦١.

(٦) أحكام القرآن للجصاص، (٢ / ٣٨).

عَنْ رَجُلٍ، لَهُ جَارٌ يَعْمَلُ بِالْمُنْكَرِ، لَا يَقْوَى عَلَى أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ، وَضَعِيفٌ يَعْمَلُ بِالْمُنْكَرِ أَيْضًا، يَقْوَى عَلَى هَذَا الضَّعِيفِ أَيُنْكِرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يُنْكِرُ عَلَى هَذَا الَّذِي يَقْوَى أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ»"(١).

٥- التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

دلت نصوص القرآن على ضرورة التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يبدأ بالأهم فيقدم ويؤخر المهم إذا احتيج لذلك، وهذا من الفقه الذي يجب أن يتحلى به الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وقد بين القرآن الكريم منهج الرسل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بأنهم بدأوا قومهم بالتدرج فقدموا العقيدة على غيرها، فكل واحد منهم قدم دعوته بالدعوة إلى العقيدة، فقال لقومه ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾(٤).

وظل النبي ﷺ عشر سنين يدعوا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ورضي الله عن أم المؤمنين عائشة حين بينت أن القرآن راعى التدرج في دعوة البشر، فقالت ؓ: " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المفَصَّلِ، فِيهَا

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال، ص٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥. وسورة هود، الآية: ٥٠، ٦١، ٨٤. وسورة المؤمنون، الآية: ٢٣، ٣٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ (١) وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ "(٢).

وقال ابن عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ (٣) قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ ﷺ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا صَدَّقَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ زَادَهُمُ الصَّلَاةَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الزَّكَاةَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الصِّيَامَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الْحَجَّ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الْجِهَادَ، ثُمَّ أَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (٤)(٥).

وبين شيخ الإسلام رحمه الله وفصل في المسألة بقوله: " فَالْعَالِمُ فِي الْبَيَانِ وَالْبَلَاغِ كَذَلِكَ؛ قَدْ يُؤَخِّرُ الْبَيَانَ وَالْبَلَاغَ لِأَشْيَاءَ إِلَى وَقْتِ التَّمَكُّنِ كَمَا أَخَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إنْزَالَ آيَاتٍ وَبَيَانَ أَحْكَامٍ إلَى وَقْتِ تَمَكُّنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْلِيمًا إلَى بَيَانِهَا"(٦).

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ تَأْلِيفِ القُرْآنِ، رقم الحديث (٤٩٩٣).

(٣) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) الإبانة الكبرى لابن بطة ، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (٢/٦٢٨).

(٦) انظر المسألة بأكملها في: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠/٥٧-٦١).

٦- التأكد من وجود المنكر ووقوعه وعدم الأخذ بالظن

فالتأكد من وجود المنكر ووقوعه وعدم الأخذ بالظن شرط من شروط إنكار الناهي عن المنكر، وهذا منهج قرآني أمرنا ربنا به ورغبنا في سلوكه، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[(١)]. فأمر سبحانه وتعالى بالتثبت " وَالْمُرَادُ مِنَ التَّبَيُّنِ التَّعَرُّفُ وَالتَّفَحُّصُ، وَمِنَ التَّثَبُّتِ: الْأَنَاةُ وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ، وَالتَّبَصُّرُ فِي الْأَمْرِ الْوَاقِعِ، وَالْخَبَرِ الْوَارِدِ حَتَّى يَتَّضِحَ وَيَظْهَرَ، كَرَاهَةَ أَنْ تُصِيبُوا، أَوْ لِئَلَّا تُصِيبُوا لِأَنَّ الْخَطَأَ مِمَّنْ لَمْ يَتَبَيَّنِ الْأَمْرَ وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِيهِ هُوَ الْغَالِبُ وَهُوَ جَهَالَةٌ، لِأَنَّهُ لم يصدر عن علم"[(٢)]. "وَفِي الآية دليل على فساد قول مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ عُدُولٌ حَتَّى تَثْبُتَ الْجُرْحَةُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالتَّثَبُّتِ قَبْلَ الْقَبُولِ، وَلَا مَعْنَى لِلتَّثَبُّتِ بَعْدَ إِنْفَاذِ الْحُكْمِ، فَإِنْ حَكَمَ الْحَاكِمُ قَبْلَ التَّثَبُّتِ فَقَدْ أَصَابَ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ بِجَهَالَةٍ"[(٣)]. فالله "مَا أَمَرَ بِالتَّبْيِينِ إِلَّا عِنْدَ مَجِيءِ الْفَاسِقِ، لَا مَجِيءِ الْمُسْلِمِ، بَلْ بِشَرْطِ الْفِسْقِ"[(٤)]. قال القاضي أبو محمد: "فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقًا والاحتياط لازم"[(٥)].

ورحم الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب حين نصح أتباعه بالتثبت والتحقيق وعدم العجلة، حيث قال: " فالواجب عليهم إذا ذكر لهم عن

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٧١) باختصار.

(٣) تفسير القرطبي (١٦/٣١٣).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٩ / ٥١٣).

(٥) تفسير ابن عطية (٥ / ١٤٧).

أحد منكر: عدم العجلة؛ فإذا تحققوه، أتوا صاحبه ونصحوه، فإن تاب ورجع، وإلا أنكر عليه وتكلم فيه. فعلى كل حال، نبهوهم على مسألتين: الأولى: عدم العجلة، ولا يتكلمون إلا مع التحقيق، فإن التزوير كثير، الثانية: أن النبي ﷺ كان يعرف منافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله، فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم جاهدهم"[(١)].

فيجب التأكد من وقوع المنكر ووجوده ولا يأخذ بالظن بل يجب التثبت، فالأصل البرآءة من اقتراف المنكر إلا إذا ثبت ضدها.

٧- سد الذرائع وتقدير المصالح والمفاسد المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فمن شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سد الذرائع وتقدير المصالح والمفاسد المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أحوال قررها العلماء، حيث اشترطوا تقدير المصلحة والمفسدة في الأمر والنهي.

ومن تأمل أحكام الشريعة الإسلامية وجد أن الإسلام حرص على مراعاة تحقيق المصالح ودرء المفاسد وتعطيلها والابتعاد عنها وإلا تقليلها، وذلك بالتشريع المناسب لحال الخلق قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[(٢)]. فالله خفف عن الخلق وسهل ما أمر به وما نهى عنه، ومن رحمته بعباده أنه مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لهم ما تقتضيه حاجتهم، كالميتة والدم ونحوهما للمضطر، وذلك لرحمته التامة

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨ / ٥٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٨.

وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته(١).

ومن تأمل كتاب الله وجد أنه بين "إِذَا اجْتَمَعَتْ مَصَالِحُ وَمَفَاسِدُ فَإِنْ أَمْكَنَ تَحْصِيلُ الْمَصَالِحِ وَدَرْءُ الْمَفَاسِدِ فَعَلْنَا ذَلِكَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾(٢)، وَإِنْ تَعَذَّرَ الدَّرْءُ وَالتَّحْصِيلُ فَإِنْ كَانَتْ الْمَفْسَدَةُ أَعْظَمَ مِنْ الْمَصْلَحَةِ دَرَأْنَا الْمَفْسَدَةَ وَلَا نُبَالِي بِفَوَاتِ الْمَصْلَحَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾(٣)، حَرَّمَهُمَا لِأَنَّ مَفْسَدَتَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ مَنْفَعَتِهِمَا. أَمَّا مَنْفَعَةُ الْخَمْرِ فَبِالتِّجَارَةِ وَنَحْوِهَا، وَأَمَّا مَنْفَعَةُ الْمَيْسِرِ فَبِمَا يَأْخُذُهُ الْقَامِرُ مِنْ الْمَقْمُورِ. وَأَمَّا مَفْسَدَةُ الْخَمْرِ فَبِإِزَالَتِهَا الْعُقُولَ، وَمَا تُحْدِثُهُ مِنْ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالصَّدِّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ. وَأَمَّا مَفْسَدَةُ الْقِمَارِ فَبِإِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالصَّدِّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ، وَهَذِهِ مَفَاسِدُ عَظِيمَةٌ لَا نِسْبَةَ إلَى الْمَنَافِعِ الْمَذْكُورَةِ إلَيْهَا. وَإِنْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ أَعْظَمَ مِنْ الْمَفْسَدَةِ حَصَّلْنَا الْمَصْلَحَةَ مَعَ الْتِزَامِ الْمَفْسَدَةِ، وَإِنْ اسْتَوَتْ الْمَصَالِحُ وَالْمَفَاسِدُ فَقَدْ يُتَخَيَّرُ بَيْنَهُمَا وَقَدْ يُتَوَقَّفُ فِيهِمَا، وَقَدْ يَقَعُ الِاخْتِلَافُ فِي تَفَاوُتِ الْمَفَاسِدِ. فَنَبْدَأُ بِأَمْثِلَةِ الْأَفْعَالِ الْمُشْتَمِلَةِ

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ١٧٥.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

عَلَى الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ مِنْ رُجْحَانِ مَصَالِحِهِمَا عَلَى مَفَاسِدِهِمَا وَهَذِهِ الْمَصَالِحُ أَقْسَامٌ: أَحَدُهُمَا مَا يُبَاحُ. وَالثَّانِي: مَا يَجِبُ لِعَظْمِ مَصْلَحَتِهِ، وَالثَّالِثُ مَا يُسْتَحَبُّ لِزِيَادَةِ مَصْلَحَتِهِ عَلَى مَصْلَحَةِ الْمُبَاحِ، وَالرَّابِعُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ"(١).

والمتأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى يجد أن المحق قد يكف عن الحق إذا أدى إلى ضرر يقع على الدِّينِ. فالله عز وجل حرم سب أوثان المشركين مع بطلانها حتى لا تكون دافعًا للبعض منهم إلى سب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(٢).

فلما كان سب الآلهة من أسباب نفرة المشركين والازدياد في الكفر والشرك جاء القرآن لينهى عن القدوم على مثل هذا الفعل، وفي هذا دليل على سد الذرائع وتقدير المصالح والمفاسد في إنكار المنكر، ورحم الله القرطبي حين قرر ذلك في قوله: "فنهى سبحانه المؤمنين أَنْ يَسُبُّوا أَوْثَانَهُمْ، لِأَنَّهُ عَلِمَ إِذَا سَبُّوهَا نَفَرَ الْكُفَّارُ وَازْدَادُوا كُفْرًا ... قَالَ الْعُلَمَاءُ: حُكْمُهَا بَاقٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَمَتَى كَانَ الْكَافِرُ فِي مَنَعَةٍ وَخِيفَ أَنْ يَسُبَّ الْإِسْلَامَ أَوِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَسُبَّ صُلْبَانَهُمْ وَلَا دِينَهُمْ وَلَا كَنَائِسَهُمْ، وَلَا يَتَعَرَّضُ إِلَى مَا يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَعْثِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ. وَعَبَّرَ عَنِ الْأَصْنَامِ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ بِالَّذِينَ عَلَى مُعْتَقَدِ الْكَفَرَةِ فِيهَا. الثَّالِثَةُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضًا ضَرْبٌ مِنَ الْمُوَادَعَةِ، وَدَلِيلٌ

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١ / ٩٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

عَلَى وُجُوبِ الحكم بسد الذرائع، وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُحِقَّ قَدْ يَكُفُّ عَنْ حَقٍّ لَهُ إِذَا أَدَّى إِلَى ضَرَرٍ يَكُونُ فِي الدِّينِ"(١).

وقد بين ابن القيم رحمه الله أن الله شرع "إِيجَابَ إنْكَارِ الْمُنْكَرِ لِيَحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنْ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا كَانَ إنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ وَأَبْغَضُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إنْكَارُهُ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ، ... فَإِنْكَارُ الْمُنْكَرِ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ؛ الْأُولَى: أَنْ يَزُولَ وَيَخْلُفَهُ ضِدُّهُ، الثَّانِيَةُ: أَنْ يَقِلَّ وَإِنْ لَمْ يَزُلْ بِجُمْلَتِهِ، الثَّالِثَةُ: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ مِثْلُهُ، الرَّابِعَةُ: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ؛ فَالدَّرَجَتَانِ الْأُولَيَانِ مَشْرُوعَتَانِ، وَالثَّالِثَةُ مَوْضِعُ اجْتِهَادٍ، وَالرَّابِعَةُ مُحَرَّمَةٌ "(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لِيَكُنْ أَمْرُك بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُك عَنْ الْمُنْكَرِ غَيْرَ مُنْكَرٍ. وَإِذَا كَانَ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ والمستحبات فَالْوَاجِبَاتُ والمستحبات لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمَصْلَحَةُ فِيهَا رَاجِحَةً عَلَى الْمَفْسَدَةِ؛ إذْ بِهَذَا بُعِثَتْ الرُّسُلُ وَنَزَلَتْ الْكُتُبُ وَاَللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ؛ بَلْ كُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ صَلَاحٌ. وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى الصَّلَاحِ وَالْمُصْلِحِينَ وَاَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَمَّ الْمُفْسِدِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَحَيْثُ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَعْظَمَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ لَمْ تَكُنْ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ تُرِكَ وَاجِبٌ وَفُعِلَ مُحَرَّمٌ"(٣). وقال أيضًا: "إذَا تَعَارَضَتْ الْمَصَالِحُ وَالْمَفَاسِدُ وَالْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ أَوْ تَزَاحَمَتْ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ تَرْجِيحُ الرَّاجِحِ مِنْهَا فِيمَا إذَا

---

(١) تفسير القرطبي (٧/٦١).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/١٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٢٦).

ازْدَحَمَتْ الْمَصَالِحُ وَالْمَفَاسِدُ وَتَعَارَضَتْ الْمَصَالِحُ وَالْمَفَاسِدُ. فَإِنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَإِنْ كَانَ مُتَضَمِّنًا لِتَحْصِيلِ مَصْلَحَةٍ وَدَفْعِ مَفْسَدَةٍ فَيُنْظَرُ فِي الْمُعَارِضِ لَهُ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَفُوتُ مِنْ الْمَصَالِحِ أَوْ يَحْصُلُ مِنْ الْمَفَاسِدِ أَكْثَرَ لَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِهِ؛ بَلْ يَكُونُ مُحَرَّمًا إذَا كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ؛ لَكِنَّ اعْتِبَارَ مَقَادِيرِ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ هُوَ بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ فَمَتَى قَدَرَ الْإِنْسَانُ عَلَى اتِّبَاعِ النُّصُوصِ لَمْ يَعْدِلْ عَنْهَا وَإِلَّا اجْتَهَدَ بِرَأْيِهِ لِمَعْرِفَةِ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ "(١). فمن شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سد الذرائع وتقدير المصالح والمفاسد المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تلك هي أهم الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٢٩).

المطلب الثاني

صفات القائم بالأمر بالمعروف الناهي عن المنكر في القرآن الكريم

للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر صفات ينبغي أن يتحلى بها، جاء ذكرها في القرآن الكريم، ومن تلك الصفات ما يلي:

١- إخلاص نية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

بين ربنا سبحانه وتعالى في كتابه أن شرط قبول الأعمال الصالحة الإخلاص، ويدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو من أهم الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى مولاه.

وقد وردت نصوص القرآن الكثيرة التي توجب إخلاص الأعمال لله وترغب في ذلك، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ (١). أي: "قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه"(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ (٤). قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: هُوَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ. قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٣٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٤) سورة الملك، الآية: ٢.

صَوَابًا. لَمْ يُقْبَلْ. وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا: لَمْ يُقْبَلْ. حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ. ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

وقد أمر الله نبيه بالإخلاص في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[5].

وأخبر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن حرص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إرادة وجه الله وحده ونيل مرضاته وثوابه، حيث قال تعالى حاكيًا على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام قولهم: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[6].

وقد بين سبحانه وتعالى أنه كلما كمل إخلاص العبد لربه في عمله فقصد به وجه الله وما عنده من الأجر والمثوبه كلما كمل الأجر وعظمت

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٨٦.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٧.

(٥) سورة الزمر، الآية: ١٢.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

المثوبة، قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

فكمال "الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (٢)، فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل" (٣).

٢- امتثال الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لما يأمر به وينهى عنه.

فقد دلت نصوص القرآن الكريم على أن الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر يلزمه أن يكون قدوة وأسوة حسنة لما يدعو الناس له وينهى الناس عنه. ولذا ضرب القرآن الكريم مثلًا يحتذي به في هذا الباب حين ذكر قول شعيب عليه السلام لقومه حين أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٤).

وقد ذم الله في كتابه الذي يفعل خلاف ما يأمر به وينهى عنه، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٢٠٢.

(٤) سورة هود، الآية: ٨٨.

تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢).

وقد حذر ابن القيم رحمه الله من هذا الصنف الذي يقول ولا يفعل وبين خطره، حيث قال رحمه الله: "عُلَمَاء السوء جَلَسُوا على بَاب الْجنَّة يدعونَ إِلَيْهَا النَّاس بأقوالهم ويدعونهم إِلَى النَّار بأفعالهم، فَكلما قَالَت أَقْوَالهم للنَّاس هلمّوا قَالَت أفعالهم لَا تسمعوا مِنْهُم، فَلَو كَانَ مَا دعوا إِلَيْهِ حَقًا كَانُوا أول المستجيبين لَهُ، فهم فِي الصُّورَة أدلاء وَفِي الْحَقِيقَة قطّاع الطّرق"(٣).

٣- الرفق واللين عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه جاءت نصوص تبين أنه يتحتم على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون في أغلب أحيانه رفيقًا في أمره ونهيه ما أمكن إلى ذلك سبيلًا.

وقد بين ربنا سبحانه وتعالى أن طبيعة البشر تنفر من أهل الغلظة والفظاظة، فقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (٤).

وقد أمر الله نبيه موسى وهارون عليهما السلام بلين القول وملاطفة

---

(١) سورة الصف، الآية: ٢-٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) الفوائد لابن القيم، ص ٦١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

الكلام لفرعون، فقال لهما سبحانه وتعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (1)، مع أنه الذي قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (2)، وقال: ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ (3). وقال: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (4). وقال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ (5). ورحم الله المأمون حين وعظه عالم فأغلظ عليه في القول وعنفه، فقال يا رجل: ارفق، فلقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ (6)(7).

ورحم الله القاضي عياض حين بين فقه الرفق في النهي عن المنكر بقوله: " وَيَرْفُقَ فِي التَّغْيِيرِ جُهْدَهُ بِالْجَاهِلِ وَبِذِي الْعِزَّةِ الظَّالِمِ الْمَخُوفِ شَرُّهُ إِذْ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ، كَمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مُتَوَلِّيَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْفَضْلِ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَيُغْلِظَ عَلَى الْمُتَمَادِي فِي غَيِّهِ وَالْمُسْرِفِ فِي بَطَالَتِهِ إِذَا أَمِنَ أَنْ يُؤَثِّرَ إِغْلَاظُهُ مُنْكَرًا أَشَدَّ مِمَّا غَيَّرَهُ لِكَوْنِ جَانِبِهِ مَحْمِيًّا عَنْ سَطْوَةِ الظَّالِمِ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ تَغْيِيرَهُ بِيَدِهِ يُسَبِّبُ مُنْكَرًا أَشَدَّ مِنْهُ مِنْ

---

(1) سورة طه، الآية: ٤٤.

(2) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(3) سورة الزخرف، الآية: ٥٢.

(4) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(5) سورة النازعات، الآية: ٤٤.

(6) سورة طه، الآية: ٤٤.

(7) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٣٦٢).

قَتْلِهِ أَوْ قَتْلِ غَيْرِهِ بِسَبَبِ كَفِّ يَدَهُ وَاقْتَصَرَ عَلَى الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالْوَعْظِ وَالتَّخْوِيفِ، فَإِنْ خَافَ أَنْ يُسَبِّبَ قَوْلُهُ مِثْلَ ذَلِكَ غَيَّرَ بِقَلْبِهِ وَكَانَ فِي سَعَةٍ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنْ وَجَدَ مَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ اسْتَعَانَ مَا لَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى إِظْهَارِ سِلَاحٍ وَحَرْبٍ، وَلْيَرْفَعْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ لَهُ الْأَمْرُ إِنْ كَانَ الْمُنْكَرُ مِنْ غَيْرِهِ أَوْ يَقْتَصِرَ عَلَى تَغْيِيرِهِ بِقَلْبِهِ هَذَا هُوَ فِقْهُ الْمَسْأَلَةِ وَصَوَابُ الْعَمَلِ فِيهَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُحَقِّقِينَ خِلَافًا لِمَنْ رَأَى الْإِنْكَارَ بِالتَّصْرِيحِ بِكُلِّ حَالٍ وَإِنْ قُتِلَ وَنِيلَ مِنْهُ كُلُّ أَذًى"(١).

فعلى الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون في أغلب أحيانه رفيقًا في أمره ونهيه وليحذر أن يكون الأمر والنهي بخشونة وغلظة " والسر أن النفوس جبلت على الميل إلى حب الكرامة، وشبت في الغالب على الأنفة والرعونة، ونشأت على التقيد بالإلف والعادة، فمن أراد صرفها عن غيها إلى رشدها، وحاول الخروج بها عن مألوفها وعادتها، ولم يمزج مرارة الحق بحلاوة التلطف، ولم يسهل صعوبة التكليف بطلاوة الرفق واللين؛ كان إلى الانقطاع أقرب منه إلى الوصول، ودعوته أجدر بالرفض من القبول، وكان كمن رام أن يطهر ثوبًا من الدنس فأوقد فيه نارًا فأحرقته، ألا ترى قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾(٢) فإنه يفيد أن لين القول محل رجاء التذكر والاتعاظ، والمعد للنفوس للخوف والانزجار"(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (٢ / ٢٥).

(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٣) هداية المرشدين، ص ١٩٩ باختصار يسير.

ورحم الله من قال: " فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ (١). ولن يقبل المرء الأمر والنهي إلا إذا انفتح القلب ليعي القول، ولن يجد مفتاحًا أحسن وأقرب من لطف في الأمر والنهي، وأدب في الوعظ، ورفق في الحديث.

وليعلم الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر بشدة وغلظة وفظاظة أنه لباب الخير قد أغلق؟ وللأذى قد أوقع، وللأجر قد فوت، وللشيطان على إخوانه قد أعان. أما الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر برفق فكم من قلوب مغلقة قد فتحت؟ وكم من حقوق مضيعة قد حفظت؟ وكم من الأجر قد حصل؟ وكم من إرغام للشيطان قد حقق؟ وكم من نقائص قد استكملت؟ وكم من أخوة قد روعيت؟"(٢).

٤- الصبر على الأذى عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

جاءت نصوص القرآن تبين أن الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر يلحقه الأذى مما يحتم عليه التحلي بالصبر، وقد أمر الله نبيه ﷺ حين أرسله وأمره بإنذار قومه بالصبر والمصابرة فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ (٣). وقال له سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾ (٤). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ

(١) سورة طه، آية: ٤٤.

(٢) انظر: ضوابط وآداب التناصح بين العالم والمتعلم، د محمود بن عبدالهادي دسوقي، ص ٦٠-٦٢.

(٣) سورة المدثر، الآية: ١- ٧.

(٤) سورة النحل ، الآية: ١٢٧.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (٢). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ (٣). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٤). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٥).

لقد "أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعيًا لهم إلى الله وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم والقفو لآثارهم والاهتداء بمنارهم. فامتثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبرًا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة وقاموا جميعًا بصده عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صادعًا بأمر الله مقيمًا على جهاد أعداء الله صابرًا على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليمًا"(٦).

وقد وصى لقمان الحكيم ولده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذي من جراء أمره ونهيه، فقال له: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ

(١) سورة هود ، الآية: ٤٩.
(٢) سورة طه ، الآية: ١٣٠.
(٣) سورة المعارج ، الآية: ٥.
(٤) سورة الروم ، الآية: ٦٠.
(٥) سورة الأحقاف ، الآية: ٣٥.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٧٨٤.

وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[1].
فقد "عَلِمَ أَنَّ الْآمِرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَذًى، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ"[2]. وهذا " يَقْتَضِي حَضًّا عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَإِنْ نَالَكَ ضَرَرٌ، فَهُوَ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْمُغَيِّرَ يُؤْذَى أَحْيَانًا"[3].

وبين ربنا سبحانه أن الأنبياء والمؤمنين كلهم أوذوا من قبل أقوامهم بسبب قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]. وقال عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[5]. وفي الآيتين السابقتين تسلية للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وبيان لمآلات القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهيئة النفوس لذلك، واستعذاب ذلك في سبيل الله.

وبين سبحانه جزاء الصابرين ترغيبًا لهم في التحلي بالصبر فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[6]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[7]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٣٣٨).
(٣) الجامع الأحكام (١٤ / ٦٨).
(٤) سورة الأنعام ، الآية: ٣٤.
(٥) سورة البقرة ، الآية: ٢١٤.
(٦) سورة الزمر ، الآية: ١٠.
(٧) سورة الإنسان ، الآية: ١٢.

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾[2]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[3].

تلك كانت أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف ويتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٨-٥٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٥-٧٦.

(٣) سورة القصص ، الآية: ٨٠.

المبحث الثالث

موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعددة متنوعة، فمنها: ما يتعلق بالأمور العقدية، ومنها: ما يتعلق بالشريعة والأحكام، ومنها: ما يتعلق بالسلوك والأخلاق، ويمكن بيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالعقيدة.

المطلب الثاني: موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالشريعة.

المطلب الثالث: موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالأخلاق.

المطلب الأول

موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالعقيدة.

من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم ما يتعلق بالعقيدة، ويشمل ذلك الإيمان بربوبية الله سبحانه وتعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، مع الإيمان بجميع ما يتعلق بالمسائل الاعتقادية.

وقد جاءت نصوص القرآن الكريم تدعو الناس إلى الإيمان بربوبية الله وحده لا شريك له فلا خالق، ولا مالك، ولا رازق، ولا مدبر إلا الله سبحانه وتعالى، فيدخل في ذلك الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك، والإقرار بأنَّ الله تعالى رب كلّ شيء ومليكه وخالقه ورازقه، وأنه عز وجل المحيي المميتُ، النافعُ الضار، المجيب لمن دعاه، الذي بيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، له الأمر كله وله الحكم، ولا شريك له في ملكه سبحانه وتعالى.

والآيات التي وردت في تقرير ما سبق كثيرة متواترة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٤).

وجاءت نصوص القرآن الكريم تدعو الناس إلى إفراد الله وحده بالعبادة، فهو المستحق لذلك وحده، وعبادة غيره باطلة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٦).

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٠-٦٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢١.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة الحج، الآية: ٦٢.

(٦) سورة النحل، الآية: ٣٦.

ويدخل في العبادة سائر أنواع العبادة مثل: الحب، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[1]، والخوف، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[2]، والركوع والسجود وجميع أعمال الخير، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3]، والذبح، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[4]. والنذر، قال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾[5]. والرجاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[6]. والدعاء: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٤) سورة الكوثر، الآية: ٢.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٧.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٨) سورة غافر، الآية: ٦٠.

وجاءت نصوص القرآن تبين بأن الله واحد في أسمائه وصفاته، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١). وأنه سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (٣). فنثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (٤).

ومن الأمور التي قررها القرآن الكريم وهي من موضوعات العقيدة:

أن الغاية من خلق العباد توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٦). وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٢-٢٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٨.

(٤) سورة الشورى، جزء الآية: ١١.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣١.

كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (٣).

وأن من لوازم توحيد الربوبية توحيد الألوهية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٤).

وأن التوحيد يوافق الفطر السوية التي فطر الله الخلق عليها كما أخبر تعالى في قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٥).

وأن الشرك محبط لجميع الأعمال، فلا يُقبل عمل لمشرك، فقبول الأعمال مرتبط بالتوحيد، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٦). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٧). وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥-١١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[(1)]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[(2)].

بيان العقائد الباطلة المنحرفة عن الطريق المستقيم ودحضها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[(3)]. وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[(4)]. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[(5)].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢-٧٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٧-١٥٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٠-٣١.

وأنه لا يكفي المعرفة الذهنية للإيمان، بل لابد مع المعرفة الذهنية الإيمان الجازم الذي لا يقبل الشك، مع التصديق والإقرار والعمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[1]، وبين القرآن كم من قوم حصل لهم المعرفة بحقائق الإيمان لكنهم لم يؤمنوا فكان عاقبتهم خسرًا، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2].

ولا يكفي مجرد النطق باللسان وإن أعلن الشخص أنه من أكمل الناس إيمانًا، بل لابد من متطلبات للنطق والإقرار، ولقد أخبر القرآن عن طوائف متعددة ومتنوعة أقروا بأفواههم لكن لم يستقر الإيمان في قلوبهم ولم تقتد الجوارح فكان الضلال المبين، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[3].

ومن موضوعات العقيدة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإيمان بالملائكة وأنهم خلق من خلق الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨-١٢.

شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (1). وأنهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم ويخافون منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (2). وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (3). وهم مكلفون بأعمال ومهمات كثيرة، فجبريل عليه السلام موكل بالوحي، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (4). وملك الموت موكل بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (5). وله أعوان، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (6). ومنهم الموكل بحفظ بني آدم، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (7). ومنهم الموكل بكتابة ما يصدر عن بني آدم، قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (8).

---

(1) سورة التحريم، الآية: ٦.

(2) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(3) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(4) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢-١٩٣.

(5) سورة السجدة، الآية: ١١.

(6) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(7) سورة الرعد، الآية: ١١.

(8) سورة ق، الآية: ١٧-١٨.

ومنهم حملة العرش، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ (٢). وأنهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤).

ومن موضوعات العقيدة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإيمان بالكتب، بما علمنا الله من أسمائها كالقرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةًۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٦). والتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٠.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1]. والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[2].

والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[3]. وصحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[4]، مع الإيمان بما لم نعلمه من الكتب المنزلة فنؤمن به إجمالاً.

وأنه يجب تدبر آيات القرآن، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[5]. وتعظيمه، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[6]. وتنفيذ أحكامه، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الصف، الآية: ٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٣ .

(٤) سورة الأعلى، الآية: ١٨-١٩.

(٥) سورة محمد ، الآية: ٢٤.

(٦) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٧) سورة النساء، الآية: ٦٥.

مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1]. واتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[2]. والتحذير من مخالفة أمره، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[3].

ومن موضوعات العقيدة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإيمان بالرسل وأن ذلك واجب من واجبات الدين وركن عظيم من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[4]. واعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه إجمالًا والمذكورون منهم في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[5]. وهود،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الحشر، جزء الآية:٧.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٤) سورة البقرة ، الآية: ٢٨٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٣-٨٦.

وصالح، وذو الكفل، وإدريس، وشعيب، ويونس، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وتفصيلًا من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم. والإيمان بما لم يذكره الله من أسماء رسله وأنبيائه، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]. وأنهم أفضل الخلق ولا يبلغ أحد منزلتهم وليسوا على درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[2].

ومن يكفر بواحد من الرسل فقد كفر بجميعهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾[3]. وأن الله بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله كما مر معنا من آيات تدل على ذلك.

ومن موضوعات العقيدة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٠-١٥٢.

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [(١)]. وقال تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [(٢)]. ويدخل فيه: الإيمان بالساعة وأنها ءاتية لا شك فيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [(٣)]. وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [(٤)]. وعلامات الساعة الصغرى والكبرى، قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [(٥)]. والموت، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [(٦)]. والقبر وما يكون فيه من نعيم أو عذاب، قال تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٧)]. وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [(٨)]. والبعث، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ

(١) سورة البقرة ، الآية: ٦٢.

(٢) سورة النساء ، الآية: ٣٩.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٩.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٧) سورة نوح ، الآية: ٢٥.

(٨) سورة غافر، الآية: ٤٦.

﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (١). والنفخ في الصور، قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (٢). والحشر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (٣). والوقوف بين يدي الله، قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٤). وأخذ الكتاب باليمين أو الشمال، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾ (٦). والجنة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٧). والنار، قال تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ (٨)، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٩).

---

(١) سورة يس، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٩ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية: ٩٧.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٥) سورة الإنشقاق، الآية: ٧-٨.

(٦) سورة الحاقة، الآية: ٢٥.

(٧) سورة غافر، الآية: ٤٠.

(٨) سورة الشورى، جزء الآية: ٧.

(٩) سورة السجدة، الآية: ١٣.

ومن موضوعات العقيدة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ (٣).

ويدخل فيه الإيمان بإحاطة علم الله بكل شيء، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، علم بالموجودات والمعدومات، والممكنات والمستحيلات، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ (٤). وكتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ (٥). ومشيئته سبحانه وتعالى، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (٦). وأنه سبحانه وتعالى خالق الأشياء وموجدها، فهو الخالق لكل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وله القدره الكاملة على ذلك، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الأحزاب، جزء الآية: ٣٨.

(٣) سورة الطلاق، جزء الآية: ٣.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٥) سورة النبأ، الآية: ٢٩.

(٦) سورة التكوير، الآية: ٢٨-٢٩.

كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[3].

تلك هي أهم موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم التي تتعلق بالعقيدة.

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

المطلب الثاني

موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالشريعة

من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم ما يتعلق بالشريعة وتشمل أركان الإسلام الخمسة عدا الركن الأول وهو الشهادتان، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والحدود، والحكم والسياسة، ونظام الجهاد والحسبة وما إلى ذلك. فيدخل جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام ، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو الأسرة، أو المجتمع، مما بينته كتب الفقه والأحكام.

فمن موضوعات الشريعة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

فالصلاة أمر الله بأدائها في أوقاتها، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[(١)]. وبالمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾[(٢)]. وبالخشوع فيها، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[(٣)]. وحذر من الاستهانة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١-٢.

فيها وتضييعها، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ (1). وقال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (2).

وفرض الله تأدية الزكاة لأصناف عدة، قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (3). وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (4). وحذر من عدم تأدية الزكاة، وبين عاقبة من يفعل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (5).

وأوجب صوم رمضان ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (6). وقال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (7).

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(2) سورة الماعون، الآية: ٤-٥.

(3) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(4) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(5) سورة التوبة، الآية: ٣٤-٣٥.

(6) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(7) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وأوجب حج بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]. وبين بعض أحكامه، قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[2].

ومن موضوعات الشريعة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المعاملات، وهي المبادلات بين جهتين أو طرفين والمعاوضات المالية.

وقد بين القرآن أن الكون بما فيه ملك لله ومع ذلك سخره للإنسان، قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[4]. ومع ذلك أثبت للإنسان حق تملكه لماله وبين أن للغير حقًا عنده، فقال

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦-١٩٧.

(٣) سورة المائدة ، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة الجاثية ، الآية: ١٣.

تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١). وأمره بالكسب الطيب المشروع، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (٢). وحرم عليه الكسب المحرم الغير مشروع ، كأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (٣). والربا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ (٤). وتطفيف الموازين، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (٥). والاتجار في المسكرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٦). وغير ذلك من المعاملات المحرمة.

وقد أمر الإسلام أن تقوم المعاملات على أسس ومبادئ فيها المحافظة على الحقوق وعدم النزاع والشقاق، فأمر بكتابة الدين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ

(١) سورة المعارج، الآية: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة البقرة ، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

(٥) سورة المطففين، الآية: ١-٢.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٩٠-٩١.

﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ (١). والصبر على المعسر الذي لا يوجد عنده ما يجعله يفي بالحقوق التي عليه، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ (٢). وأمر بالعدل مع الجميع، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٤). وغير ذلك من الأسس والمبادئ التي تحافظ على الحقوق والواجبات ومآلات الأمور.

ومن موضوعات الشريعة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الحدود، فبين القرآن أن العقوبة على قدر الجريمة، قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (٥). وبين أنواع الجرائم وحكمها وعقوباتها؛ كالقذف قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾

(١) سورة البقرة، جزء الآية: ٢٨٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٨٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٥) سورة الشورى، جزء الآية: ٤٠.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (1). والزنا، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (2). والسرقة، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (3). والحرابة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (4). والقصاص، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (5). والديات، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ

---

(1) سورة النور، الآية: ٤-٥.

(2) سورة النور، الآية: ٢-٣.

(3) سورة المائدة، الآية: ٣٨-٣٩.

(4) سورة المائدة، الآية: ٣٣-٣٤.

(5) سورة البقرة، الآية: ١٧٨-١٧٩.

لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (١). والبغي، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢).

ومن موضوعات الشريعة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الحكم والسياسة، فأمر الله عز وجل بتطبيق شرعه والحكم والتحاكم إليه، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٩٢-٩٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩-١٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨-٥٠.

وحرم العمل ببعض الشريعة دون بعض، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ (٣).

وبين سبحانه أنه أتم الشريعة وأكملها وبينها ووضحها، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٥).

وأوجب سبحانه وتعالى تحاكم المسلمين إلى شرعه في كل صغيرة وكبيرة والسمع والطاعة والتسليم المطلق لله ولرسوله، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥-٨٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٠-١٥١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨

(٤) سورة النحل، جزء الآية: ٨٩.

(٥) سورة المائدة، جزء الآية: ٣.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (1). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (2).

وأمر سبحانه وتعالى الحاكم: بالعدل بين رعيته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ (3). قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (4). والشورى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (5). والمساواة بين الجميع فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (6).

وأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر ما دام لم يأمر بمعصية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ (7).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة النور ، الآية: ٥٢.

(٣) سورة النساء، جزء الآية: ٥٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٧) سورة النساء ، الآية: ٥٩.

ووضح علاقة المسلمين بغيرهم حال السلم، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (1). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (2). وحال الحرب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (3). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ (4). وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (5). وقال تعالى: ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (6). وقال تعالى: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ (7).

تلك هي أهم موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والتي تتعلق بالشريعة.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٩.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٩.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٦٧-٦٩.

(٦) سورة الأنعام، جزء الآية: ١٥٢.

(٧) سورة النحل، جزء الآية: ١٢٦.

المطلب الثالث

موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم المتعلقة بالأخلاق

من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم ما يتعلق بالأخلاق ويشمل ذلك: التحلي بالسلوك السوي والصفات الحسنة والأخلاق الكريمة الذي جاء الإسلام فحث على التحلي بها والتخلى عن أضدادها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم جله يعود إلى ذم الأخلاق المذمومة القبيحة ومدح الصفات المحمودة، لذا لو أردنا سرد الأخلاق بالتفصيل لطال بنا المقام، والمقام لا يسمح بذلك، وهذا يدفعني إلى الاقتصار على ذكر نماذج فقط.

فمن موضوعات الأخلاق التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: التخلى عن الأخلاق السيئة والذميمة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١-١٥٢.

أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٤).

ومن موضوعات الأخلاق التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: التحلي بالأخلاق الفاضلة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٥). وقال

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١-١٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٤-١٤٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٣-٤٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥١-١٥٢.

تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٦). وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ (٧). وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤-١٣٥.

(٤) سورة البقرة ، جزء الآية: ٢٣٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩-٢٠١.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٧) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (٢). والآيات في هذا الباب كثيرة.

تلك هي أهم موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم التي تتعلق بالأخلاق.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣-٢٦.

المبحث الرابع
مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

من خلال التأمل في القرآن الكريم واستقراء آياته وتدبرها نجد أن الأمر بالمعروف وتغيير المنكر إنما يكون بأحد أمور، يمكن بيانها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: البيان والنصح والإرشاد.

المطلب الثاني: الغلظة والشدة والتهديد والتغيير باليد.

المطلب الثالث: إنكار القلب بضوابطه.

المطلب الأول

البيان والنصح والإرشاد

من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البيان والإرشاد والنصح والوعظ، وقد نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (1).

وقد سلك الأنبياء هذه المرتبة في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وقد ذكر لنا القرآن الكريم سلوك الأنبياء هذا المنهج، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (2).

وقول إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ

(1) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(2) سورة إبراهيم، الآية: ١٠-١٢.

فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١).

وقد أمر الله نبيه أن يسلك هذا المنهج في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢). والآيات في هذا المعنى كثيرة متواترة متعددة.

فقد سلك الأنبياء مع أقوامهم في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر البيان والإرشاد والنصح والوعظ، ويرافق ذلك الحكمة والموعظة الحسنة، وهي خطوة من خطوات الإصلاح والدعوة. "ويختلف الأسلوب من شخص لآخر، ومن وقت إلى وقت، .... ولابد في كل الحالات من عامل مشترك، ألا وهو التعريف بالرفق واللين واللطف، ولا سيما إذا كانت حال الواقع في المنكر مجهولة"(٣).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠-١٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٠-١٢.

(٣) درجات تغيير المنكر، د عبدالعزيز المسعود، ص ٢٦.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد تنوع أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البيان والوعظ والإرشاد والنصح

فمنها: بيان ما أعده الله للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر من الأجر العظيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

ومنها: تخويف العصاة والمذنبين والمقصرين التاركين للمعروف المقترفين للمنكر بالعذاب الشديد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[3].

ومنها: تذكير التاركين للمعروف المقترفين للمنكر بالأمم التي حل عليها غضب الله وسخطه بسبب معصيتها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١-٧٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧-٦٨

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(١).

ومنها: بيان ما يصيب الفرد والمجتمع بسبب تركهم للمعروف واقترافهم للمنكر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾(٢).

ومنها: بيان بعض العقوبات الخاصة المترتبة على فعل بعض الذنوب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٨-٧٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣-١٦٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

المطلب الثاني

الغلظة والشدة والتهديد والتغيير باليد

من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد البيان والإرشاد والنصح والوعظ: التعنيف والغلظة والشدة على تارك المعروف وفاعل المنكر، ولومه إذا لم تحقق المرتبة الأولى ثمرتها المرجوة منها، ومن أمثلة ذلك قول إبراهيم عليه السلام لقومه عبدة الأوثان بعد أن نصحهم، كما ذكر لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[(١)]، وقول موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾[(٣)]. وقول الله سبحانه وتعالى لنبيه محمدًا ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[(٤)]. ولا يكون ذلك بالسب والفحش، بل يخاطبه بما لا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٦-٦٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٩٢-٩٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٣، وسورة التحريم، الآية: ٩.

يعد من جملة الفحش، كما نص على ذلك الغزالى رحمه الله في قوله: "يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادىء الْإِصْرَارِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالْوَعْظِ وَالنُّصْحِ .... ولسنا نعني بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب، بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش، كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله .... وَلِهَذِهِ الرُّتْبَةِ أَدَبَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ لَا يُقْدِمَ عَلَيْهَا إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْعَجْزِ عَنِ اللُّطْفِ. وَالثَّانِي أَنْ لَا يَنْطِقَ إِلَّا بِالصِّدْقِ وَلَا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى قدر الحاجة، فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لأجل معصيته، وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له "(١). وكذلك " يجب أن يكون قصده بتغليظ الكلام وتخشينه رجوع العاصي عن تلك المعصية لا الانتصار لنفسه"(٢).

ثم تأتي الدرجة التي تليها إن لم يجد النصح ولا الغلظة والشدة إلى لجوء الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إلى: التهديد والتخويف بالله سبحانه وتعالى من إنزال عقوبات الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (٣).

(١) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٣٠-٣٣١).

(٢) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، ابن النحاس، ص ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٦-١٩٧.

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (١). وقولـــه تعـــالى: ﴿ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (٢).

ومما يهدد به في إنزال العقوبات الدنيوية تطبيق الحدود، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣). ومما ينبغي الإشارة إليه " أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام، وإن قاله من غير عزم فهو كذب"(٤).

ويدخل في هذه المرتبة بعد الغلظة والشدة، والتهديد إن لم يرتدع وينته: إنزال العقوبة إن كان ممن يخول له إنزالها، كما فعل إبراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام بعد أن بين ونصح ووعظ وأرشد وهدد وخوف، وقد عبر عن ذلك القرآن الكريم في قول الله عز وجل ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٥). وقد سلك إبراهيم عليه السلام قبل سلوك تلك الدرجة البيان ثم التهديد ثم إنزال

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٤) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٣٢).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧-٥٨.

العقوبة، اتضح ذلك من تدبر قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (1).

ومن ذلك أيضا ما فعله موسى عليه السلام حين حرق العجل الذي صنعه السامري ليعبد من دون الله، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (2).

وكما فعل النبي ﷺ حين فتح مكة بعد البيان والنصح والتهديد قام فكسر الأصنام وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (3). فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (4).

ومما يجدر التنبيه إليه أنه لابد من ضوابط في التعامل مع مراتب الأمر

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥١-٥٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨١، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ المغَازِي، بَابٌ أَيْنَ رَكَزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ يَوْمَ الفَتْحِ؟، رقم الحديث (٤٢٨٧).

بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة للمتطوع أن لا يقدم مرتبة على مرتبة، ولا درجة على درجة، فيبدأ بالبيان برفق ولا يسلك الطريق الآخر إلا إذا لم يتحقق المطلوب، ومثل ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ (٢).

ورحم الله ابن القيم حين قال: "جعل سُبْحَانَهُ مَرَاتِب الدعْوَة بِحَسب مَرَاتِب الْخلق فالمتسجيب الْقَابِل الذكي الَّذِي لَا يعاند الحق وَلَا يأباه يدعى بطريق الْحِكْمَة، والقابل الَّذِي عِنْده نوع غفلَة وَتَأَخر يدعى بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة وَهِي الأمر وَالنَّهْي المقرون بالرغبة والرهبة والمعاند الجاحد يُجَادل بِالَّتِي هِيَ أحسن هَذَا هُوَ الصَّحِيح فِي معنى هَذِه الآية لَا مَا يزْعم أسير منطق اليونان أن الْحِكْمَة قِيَاس الْبُرْهَان وَهِي دَعْوَة الْخَواص، وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنَة قِيَاس الخطابة وَهِي دَعْوَة الْعَوام والمجادلة بِالَّتِي هِيَ أحسن"(٣).

وقال السفاريني رحمه الله: "وَاحْذَرْ مِنَ النُّزُولِ عَنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ حَيْثُ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تُغَيِّرَ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ إِلَى أَوْسَطِهَا وَهُوَ الْإِنْكَارُ بِاللِّسَانِ إِلَّا مَعَ الْعَجْزِ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَسُوغُ لَكَ الْعُدُولُ عَنِ التَّغْيِيرِ لِلْمُنْكَرِ بِاللِّسَانِ

---

(١) سورة النساء، جزء الآية: ٣٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١٥٣).

وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَى الْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ تَغْيِيرَ الْمُنْكَرِ لَا بِيَدِكَ وَلَا بِلِسَانِكَ فَاعْدِلْ إِلَى الْإِنْكَارِ بِقَلْبِكَ وَهُوَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ، فَلِذَا حَذَّرَ مِنَ النُّقْصَانِ"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه: مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق، ويجلد الشارب، ويقيم الحدود؛ لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد؛ لأن كل واحد يضرب غيره ويدعي أنه استحق ذلك؛ فهذا مما ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر"(٢).

فلابد في استخدام القوة والغلظة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وجود القدرة، وعدم ترتب مفسدة أعظم، فإذا ترتبت مفسدة أعظم، أو لم يقدر على ذلك سقط عنه ذلك.

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (٢ / ٤٢٨)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها بدمشق، ط٢/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٢٠٣/٣)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١/ ١٤١٨ هـ.

المطلب الثالث

إنكار القلب بضوابطه

فإن لم يستطع الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمرتبتين السابقتين خاصة الآمر والناهي المتطوع أنكر ذلك بقلبه، ولا يرضى بقلبه فعل المنكر من فاعله وترك المعروف من تاركه، دلت على ذلك نصوص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (1). وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (2). وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ (3). فلزم مع الإنكار بالقلب عدم القدرة على القيام بالمرتبتين السابقين، وعدم مخالطة تارك المعروف وفاعل المنكر، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (4).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم .... لأنكم رضيتم بكفرهم

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢)سورة البقرة، جزء الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة الطلاق، جزء الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨١.

واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسًا يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها."(١).

وقال القرطبي رحمه الله: " فَدَلَّ بِهَذَا عَلَى وُجُوبِ اجْتِنَابِ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُمْ فَقَدْ رَضِيَ فِعْلَهُمْ، وَالرِّضَا بِالْكُفْرِ كُفْرٌ، ... فَكُلُّ مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسِ مَعْصِيَةٍ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ يَكُونُ مَعَهُمْ فِي الْوِزْرِ سَوَاءً، وَيَنْبَغِي أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ إِذَا تَكَلَّمُوا بِالْمَعْصِيَةِ وَعَمِلُوا بِهَا، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى النَّكِيرِ عَلَيْهِمْ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ قَوْمًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَقِيلَ لَهُ عَنْ أَحَدِ الْحَاضِرِينَ: إِنَّهُ صَائِمٌ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْأَدَبَ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ "إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ" أَيْ إِنَّ الرِّضَا بِالْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةٌ، وَلِهَذَا يُؤَاخَذُ الْفَاعِلُ وَالرَّاضِي بِعُقُوبَةِ الْمَعَاصِي حَتَّى يَهْلَكُوا بِأَجْمَعِهِمْ. وَهَذِهِ الْمُمَاثَلَةُ لَيْسَتْ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، وَلَكِنَّهُ إِلْزَامٌ شُبِّهَ بِحُكْمِ الظَّاهِرِ مِنَ الْمُقَارَنَةِ، كَمَا قَالَ: فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي .... وَإِذَا ثَبَتَ تَجَنُّبُ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي كَمَا بَيَّنَّا فَتَجَنُّبُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ أَوْلَى"(٢).

تلك هي أهم مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢١٠.

(٢) تفسير القرطبي (٥ / ٤١٨).

المبحث الخامس

ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

يترتب على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانتشاره في المجتمع الإسلامي ثمرات وآثار دنيوية وأخروية يمكن بيانها من خلال نصوص القرآن الكريم في مطلبين:

المطلب الأول: ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدنيوية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأخروية في القرآن الكريم.

المطلب الأول

ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدنيوية في القرآن الكريم

بين القرآن الكريم الآثار والثمرات الدنيوية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها ما يلي:

التمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

حفظ الدين وإقامة الشريعة وتحقيق التوحيد والسعي لتكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠-٤١.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥-٥٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

فتح البركات ونزو ل الخيرات، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[5].

وقاية المجتمع من الدمار والهلاك ونزول النقم والعقوبات والنجاة من العذاب، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

(٦) سورة الأعراف ، الآية: ١٦٤- ١٦٥.

(٧) سورة هود، الآية: ١١٦-١١٧.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾(٢). "وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر"(٣).

الفلاح الدنيوي وحصول الخيرية، قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾(٥).

الاتصاف بصفة من صفات الأنبياء وأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾(٦). وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ / ٣٠٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2].

تلك هي أهم الآثار والثمرات الدنيوية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

المطلب الثاني

ثمرات وآثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأخروية في القرآن الكريم

بين القرآن الكريم الآثار والثمرات الأخروية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها ما يلي:

لهم الأجر العظيم الذي أعده الله لهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ (١). "فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ يعني في الآخرة إذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله أَجْراً عَظِيماً لاحد له لأن الله سماه عظيمًا وإذا كان كذلك فلا يعلم قدره إلّا الله"(٢).

الفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ (٣). فقد ذكر الله تعالى ما أعده من الثواب الجزيل لمن اتصف بالصفات السابقة والتي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث وعدهم بجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، "جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٤.

(٢) تفسير الخازن، (١ / ٤٢٧).

(٣) سورة التوبة ، الآية: ٧١-٧٢.

كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى. خَالِدِينَ فِيهَا لا يبغون عنها حِوَلا، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفًا في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها. فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها. وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ يحله على أهل الجنة أَكْبَرُ مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسماوات، أكبر من نعيم الجنات. ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده "[١].

تكفير السيئات ورفع الدرجات، قال تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٣٤٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٥.

مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾[2]. " فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين، أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات"[3].

تلك هي أهم الآثار والثمرات الأخروية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٥.

(٣) تفسير السعدي، ص٧٩١.

الخاتمة

لعل من المتأكد ختم هذا البحث بإيراد النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث، ثم أتبعها بذكر جملة من التوصيات، أما النتائج فأذكرها على النحو التالي:

١- جاء القرآن الكريم فبين عظيم مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر بعظيم فضله، وشجع ورغب في سلوك طريقه.

٢- أوجب الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمم السابقة لأمة نبينا محمد ﷺ، وهو باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٣- جاءت نصوص القرآن يأمر فيها ربنا الأمة المحمدية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقوم بواجباتها وبما يتطلب منها تجاه ذلك، وقد ذكرت من النصوص التي تدل على ذلك إحدى عشرة آية من كتاب الله.

٤- وردت نصوص قرآنية يرغب فيها ربنا سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، وبين فضل من اتصف بهذه الصفة، فحفز النفوس لتتحلى بهذه الصفة، فالثمن المغفرة والرحمة، النجاة من النار والفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، وقد ذكرت من النصوص التي تدل على ذلك في سبع آيات من كتاب الله.

٥- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رُتب عليه ما لا يحمد عقباه، من طرد ولعن ودمار وهلاك، وخسف، ومسخ، ونزول العقاب، لتحذر الأمة من خطر ذلك، وقد ذكرت من النصوص التي تدل على ذلك في ست آيات من كتاب الله.

٦- دلت نصوص القرآن الكريم أنه لابد من صفات يتحلى بها الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ليؤتى أمره ونهيه ثمرته المرجوة منه.

٧- دلت نصوص القرآن على أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالما بما يأمر وبما ينهى.

٨- شروط قبول عمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كما نص على ذلك القرآن الكريم موافقة العمل للشريعة.

٩- بين ربنا سبحانه وتعالى في كتابه شرط قبول الأعمال الصالحة الإخلاص، ويدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠- دلت نصوص القرآن على ضرورة التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يبدأ بالأهم فيقدم ويؤخر المهم إذا احتيج لذلك.

١١- دلت نصوص القرآن الكريم على أن الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر يلزمه أن يكون قدوة وأسوة حسنة لما يدعو الناس إليه وينهى الناس عنه.

١٢- جاءت نصوص القرآن تبين أنه يتحتم على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون رفيقًا في أمره ونهيه ما أمكن إلى ذلك سبيلًا.

١٣- جاءت نصوص القرآن تبين أن الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر يلحقه الأذى مما يُحتم عليه التحلي بالصبر.

١٤- موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم متنوعة، منها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالشريعة، ومنها ما يتعلق بالأخلاق.

١٥- من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: البيان والإرشاد والنصح والوعظ وقد نص على ذلك القرآن الكريم.

١٦- من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد البيان والإرشاد والنصح والوعظ: التعنيف والغلظة والشدة وإنزال العقوبة بضوابطها.

١٧- دلت نصوص القرآن على أنه إن لم يستطع الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمرتبتين السابقتين خاصة الآمر والناهي المتطوع أنكر ذلك بقلبه ولا يرضى بقلبه فعل المنكر من فاعله وترك المعروف من تاركه.

١٨- بين القرآن الكريم الآثار والثمرات الدنيوية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من التمكين والنصر ونزول الخيرات، والفلاح الدنيوي وحصول الخيرية.

١٩- بين القرآن الكريم الآثار والثمرات الأخروية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تكفير السيئات ورفع الدرجات، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

التوصيات

أما التوصيات التي أرى من الأهمية بمكان الأخذ بها فأجملها فيما يلي:

١- أوصي الباحثين بالعناية بكتاب الله، فهو أصل الأصول التي يستقى منها العلوم الشرعية.

٢- أوصي الباحثين بالكتابة في أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الصحيحين.

٣- أوصي الباحثين بالكتابة في أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السنن الأربعة.

٤- أوصي الباحثين بالكتابة في أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المسانيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون، وعلى آله وصحبه أجمعين وأسأل الله أن ينفع به الكاتب والقارئ، وأن يجعل هذا الكلام شاهدًا لنا لا علينا، وأن ينفعنا به يوم يقوم الأشهاد، وأن يرزقنا الفردوس الأعلى، ومرافقة النبي ﷺ في الجنة، والمسلمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
- إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط/١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١/١٤١٦ هـ.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣/١٤١٩هـ.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/١٤١٠ هـ.
- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢/ ١٤١٨هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ.
- كيف تكتب بحثا ناجحا، د. صباح عبد الله بافضل، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها بدمشق، ط٢/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٨هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١/ ١٤١٨ هـ.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤/١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣/ ١٤٢٠ هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/ ١٣٩٢هـ.

البحث رقم (٣)

المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي

إعداد

أ. د. الجوهرة بنت صالح الطريفي

الأستاذ في قسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن من أبرز مهام الدعاة تحقيق مقاصد الشريعة في القيام بمصالح الناس في دينهم ودنياهم معًا، ومن هذه المقاصد حفظ الضروريات الخمس وهي (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال) (١)، التي إن لم تحفظ لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، وفاتت النجاة في الآخرة.

وفي زماننا هذا ازدادت الإصابة بالأمراض النفسية، حيث تشير الإحصائيات الصادرة من منظمة الصحة العالمية إلى تزايد هائل في انتشار الأمراض النفسية(٢).

وقد أجرت وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية دراسة مسحية عن نسبة الأمراض النفسية حيث أكد مدير عام الصحة النفسية والاجتماعية بوزارة الصحة الدكتور عبدالحميد الحبيب أن نتائج الدراسة أثبتت ارتفاع نسبة الأمراض النفسية في المجتمع مُرجعاً ذلك لازدياد الضغوط النفسية .وبين أن زوار المستشفيات والعيادات النفسية خلال هذا العام يتراوح بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ألف على أبعد تقدير يشكل الشباب منهم ٦٠٪ (٣).

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي، ج١ ص٣.

(٢) انظر: العالم يعيش عصر الأمراض النفسية، د/ لطفي عبدالعزيز الشربيني ، موقع المستشار ٢٠٠٥؛ ويكيبيديا، انتشار الأمراض النفسية.

(٣) جريدة عكاظ الإلكترونية، ٢٣/١١/٢٠١١م، العدد ٣٨١٢.

والمرض النفسي يشكل عبئاً على المريض وأسرته والمجتمع، وهذا كله يتعارض مع المقاصد التي أمر الشرع المطهر بحفظها.

ولأهمية تقديم المساعدة للمرضى النفسيين وأسرهم، أصدرت منظمة الصحة العالمية في تقارير اقتراح خطوات تهدف إلى تخفيف أعباء المرضى النفسيين، ومساعدتهم وأسرهم في تحمل المعاناة الناجمة عن المرض(١).

ولا شك أن الدعاة المسلمين هم أولى الناس في المساعدة بتحمل هذه الأعباء، لأنهم إنما يبتغون بأعمالهم وجه الله تعالى ونيل مرضاته، وتحقيق مصالح الشريعة.

ولذا اخترت أن أبحث في هذا الموضوع الذي أسميته (المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي) وأضيف إلى ما سبق من أسباب اختيار الموضوع:

- كثرة من يعانون من الأمراض النفسية، مما يسبب لهم الحيرة والاضطراب فهم بحاجة ماسة إلى من يعينهم في تخطي المرحلة التي يمرون بها .
- الحاجة إلى دراسات تلبي حاجة المريض النفسي في كيفية تعامله مع المرض.
- إن من الأمراض النفسية، ما يسبب اضطراباً للمريض في عقيدته، وعبادته، فيحتاج إلى التفقية، والتفهيم، ولا شك أن تخليَ الدعاة العارفين عن هذه المهمة لغيرهم قد يجعلهم يقعون فريسة لجهلم أو لمن يكون سبباً في ضلالهم.
- الحاجة إلى معرفة الأساليب التي يمكن استخدامها مع المريض النفسي، من خلال التعرف على أقوال الأطباء والأخصائيين النفسيين، مع ربطها بالأصول الشرعية.

---

(١) انظر: العالم يعيش عصر الأمراض النفسية، د/ لطفي عبدالعزيز الشربيني، موقع المستشار ٢٠٠٥م.

أهداف البحث:

١. التعرف على المرض النفسي وأهم الأنواع التي يعاني منها المرضى.
٢. التعرف على العلاقة بين صحة النفس وصحة الجسم .
٣. التعرف على دوافع دعوة المريض النفسي .
٤. التعرف على أساليب دعوة المريض النفسي.
٥. التعرف على العوامل المؤثرة في استجابة المريض النفسي .

منهج البحث:

سوف استخدم في بحثي المنهجين الاستقرائي والاستنباطي (١)

وذلك باستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية النقلية، فيما يتعلق بكيفية التعامل مع المريض النفسي، مع ربط ذلك بالواقع من خلال الاستقراء،بجمع نتائج الدراسات العلمية الطبية للوصول إلى نتيجة تجمع بين رأيي الشرع والطب في أفضل أساليب التعامل مع المريض النفسي .

وسوف أسير في البحث حسب التقسيم التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

المبحث الأول: المرض النفسي، تعريفه، أنواعه، العلاقة بين الأمراض النفسية وصحة الجسم.

المبحث الثاني: دوافع دعوة المريض النفسي.

المبحث الثالث: أساليب دعوة المريض النفسي.

المبحث الرابع: العوامل المؤثرة في استجابة المريض النفسي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

(١) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي. د. سعيد إسماعيل صيني. ص٧٠ - ٧٣ - ٥٤٢ - ٥٤٣.

المبحث الأول

المرض النفسي تعريفه – أنواعه

العلاقة بين الصحة النفسية والجسدية

تعريف المرض النفسي:

لقد تعددت التعاريف في المقصود بالمرض النفسي ومنها:

(حالة نفسية تصيب تفكير الإنسان، أو مشاعره أو حكمه على الأشياء، أو سلوكه، أو تصرفاته إلى حد تستدعي التدخل لرعاية هذا الإنسان ومعالجته في سبيل مصلحته الخاصة، أو مصلحة الآخرين من حوله) (١).

والمرض النفسي يُتوقَعُ عادة عندما يختل واحد من ثلاثة جوانب في حياة الإنسان النفسية وتصبح غير طبيعية أو غير صحية، وهذه الجوانب هي:

١ – التفكير.

٢– المشاعر.

٣– السلوك(٢).

ومن التعاريف: (هي انحراف في سلوك الإنسان وتصرفاته، يؤدي به إلى الضعف والقلق والصراع النفسي، ويصبح عاجزاً عن ممارسة حياته بصورة سوية) (٣).

---

(١) مدخل إلى الطب النفسي، طبيب دوت كوم.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) الاضطرابات النفسية بين نظريات الطب النفسي وحقائق القرآن الكريم، د. أحمد محمد شعبان، ٢٦أبريل ٢٠١٢م، موقع النفسي.

أنواع الأمراض النفسية:

هناك العديد من الاضطرابات النفسية، كاضطرابات القلق وهو اضطراب يؤثر على السلوك السوي للفرد، ومنه اضطراب القلق العام، واضطراب القلق الاجتماعي، واضطراب الهلع، وفوبيا الأماكن الفسيحة المفتوحة، واضطراب الوسواس القهري، واضطراب ضغط ما بعد الصدمة واضطرابات الاكتئاب، حيث يمكن أن تضطرب عمليات نفسية وجدانية (العاطفة، الحالة المزاجية) وتعرف اضطرابات المزاج التي تنطوي على حزن شديد مستمر غير معتاد، أو سوداوية، أو يأس باسم الاكتئاب الشديد، أو الاكتئاب الإكلينكي[1].

أبرز الأمراض النفسية التي تكثُر المعاناة منها:

أبرز الأمراض النفسية التي تكثر المعاناة منها بحسب الدكتور طارق الحبيب:

الوسواس القهري، واضطراب نوبات الذعر الذي هو نوع من أنواع القلق[2].

أما د/ أحمد شعبان فقد ذكر أن أبرز أنواع الاضطرابات النفسية التي تكثر الشكوى منها: القلق، الاكتئاب، الوسواس القهري، وتوهم المرض والخوف (الرهاب) والأرق[3].

---

(١) انظر: أنواع الاضطرابات النفسية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) انظر: لقاء مع أ.د .طارق الحبيب، منتديات الإسلام اليوم ١٩/١٠/٢٠٠٦م.

(٣) انظر: الاضطرابات النفسية بين نظريات الطب النفسي وحقائق القرآن الكريم، د/ أحمد محمد شعبان، موقع النفسي ٢٦ أبريل ٢٠١٢م.

التعريف بأشهر الأمراض النفسية أو بالأكثر انتشاراً :

الاكتئاب النفسي:

الاكتئاب النفسي هو أحد أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً، وهو يصنف ضمن الاضطرابات الوجدانية التي تتسم بخلل في المزاج، وأهم ما يميز الاكتئاب هو الانخفاض التدريجي، أو الحاد أو المتسارع أحياناً في المزاج، والذي يظهر على شكل شعور بالحزن، والضيق، والكآبة التي قد لا يوجد لها مايبررها، ونتيجة لهذه الحالة الانفعالية المؤلمة، فإن التفكير والسلوك يصطبغان أيضاً بالنظرة البائسة، اليائسة، الحزينة للمكتئب مما يؤثر على عمله وأسرته وعلاقاته الاجتماعية(١).

أعراض الاكتئاب:

١- مزاج مكتئب وحزين.
٢- نقص واضح في الرغبة أو المتعة في كل الأشياء التي كانت تثير الرغبة أو المتعة.
٣- ضعف في الشهية للطعام، أو زيادة في الشهية للطعام.
٤- أرق أو ميل للنوم.
٥- شعور بالتوتر وعدم القدرة على الاسترخاء أو شعور بالبطء والتثاقل الجسمي.
٦- الخمول وفقدان الطاقة.
٧- الإحساس بالدونية، والشعور بالنقص.

---

(١) انظر: الاكتئاب النفسي، أ. د .عبدالله السبيعي، موقع النفسي ١٦ أبريل ٢٠٠٩م.

٨- عدم القدرة على التفكير، أو التركيز أو اتخاذ القرار.

٩- أفكار متكررة في الموت (لا يشمل ذلك الخوف من الموت بل أفكار انتحارية متكررة).

١٠- خلل في القدرة على أداء الوظائف الاجتماعية أو المهنية أو غيرها من الوظائف الأخرى(١).

الوسواس القهري:

تعريفه:

عرفه أ.د. طارق الحبيب بأنه: (علة مرضية تصيب بعض الناس، كما تصيبهم أَيَّةُ أمراض أخرى، وهي أفكار أو أفعال، أو خواطر، أو نزعات متكررة ذات طابع بغيض، يرفضها الفرد عادة، ويسعى في مقاومتها، كما يدرك أنها خطأ ولا معنى لها، لكن هناك ما يدفعه إليها دفعاً، ويفشل في أغلب الأحيان في مقاومتها) (٢).

وعرفها د/ أحمد عيد بأنها: (أفكار قهرية متكررة تطرأ على ذهن الإنسان وتسبب له الشعور بالضيق والقلق، والكرب النفسي، مما يدفعه في أحيان كثيرة إلى تكرار القيام بأفعال معينة لتخفيف هذه المشاعر) (٣).

وقد شبه الدكتور أحمد عيد الاستجابة للفعل بالحطب، والفكرة الوسواسية بالنار، فكلما كان الفرد يقوم بالفعل أو الاستجابة القهرية للفكرة

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) الوسواس القهري مرض نفسي أم أحاديث شيطانية، أ.د. طارق الحبيب، ص١٩ — ٢٠.

(٣) الوسواس القهري القفل والمفتاح، د/ أحمد عيد، منتدى أ. د. طارق الحبيب، مركز مطمئنة الطبي.

الوسواسية كأنه يضع الحطب على النار، وبالتالي يزيد ويقوي الفكرة الوسواسية(١).

وقد تحدث هذه الوساوس دون سابق لها، كما تحدث نتيجة اضطراب عضوي، كبعض إصابات الرأس، أو بسبب نفسي كالاكتئاب مثلاً، وكما يعتري هذا النوع من الوساوس الإنسان في عبادته، فإنه قد يعتريه في شؤون حياته الدنيوية(٢).

وعن أكثر أنواع الوساوس انتشاراً لدى المسلمين وجد أنها الوساوس الدينية ففي دراسة مقارنة لمرضى الوسواس القهري من خلال متابعة مائة وأربعين مريضاً بالوسواس القهري، وجد أنه يغلب على المرضى المصريين والعرب الوساوس الدينية حيث بلغت نسبتهم ٥٧٪ في مصر.

وأجريت دراسة في السعودية عام ١٩٩١م على ٣٢ مصاباً بالوسواس القهري وجد أن محتوى معظم الأفكار التسلطية أو الأفعال القهرية كان دينياً (٣).

اضطراب توهم المرض:

هو عبارة عن انشغال الفرد المبالغ فيه بالأمراض، مع الخوف والاعتقاد بالإصابة بالأمراض وذلك بناء على تفسيره الخاطئ للتغيرات، أو الأعراض الجسمية البسيطة أو العادية(٤).

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: الوسواس القهري، مرض نفسي أما أحاديث شيطانية، ص١٩ - ٢٠.

(٣) انظر: تعريف الوسواس القهري وخصائصه، د. محمد فريد، موقع النفسي ٢٢ فبراير ٢٠٠٧م.

(٤) انظر: اضطراب توهم المرض، د. أحمد عيد، منتدى أ. د. طارق الحبيب، مركز مطمئنة الطبي ٢٠١١/٢/٨م.

ويلخص بعض الباحثين أعراض هذا المرض في ثلاث مجموعات هي:

١- الانشغال الشديد بكل ما هو جسمي.

٢- الاعتقاد بالإصابة بمرض جسمي على الرغم من الطمأنة والفحوصات الطبية.

٣- مخاوف الإصابة بالمرض.

وغالباً ما يرافق اضطراب توهم المرض اضطرابات نفسية أخرى مثل الاكتئاب، والوسواس القهري والقلق[1].

اضطرابات نوبات الذعر (الهلع):

نوبة الهلع هي نوبة من خوف شديد وإحساس بعدم الارتياح ومعه أربعة أعراض من الأعراض الآتية:

- ضربات قلب سريعة - تعرق - اهتزاز باليد ورعشة - إحساس بالاختناق وقصر في التنفس - الإحساس بقبضة الصدر - الشعور بالغثيان وتقلب المعدة - الشعور بالدوخة - التنميل - السخونة - الشعور بالقرب من الموت - وفقدان التحكم في المشاعر - والشعور بالغربة عن النفس وعن الآخرين وما يحدث.

وتصل هذه الأعراض قمتها في خلال ١٠ دقائق[2].

الأرق :

الأرق: هو عبارة عن استعصاء النوم أو تقطعه أو انخفاض جودته، مما

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: اضطراب الهلع ونوبات الهلع، د. أحمد البحيري، موقع استشارات نفسية ٦ أبريل ٢٠١١م

يعود سلباً على صحة المريض النفسية، والجسدية، ويمكن أن يعرف بأنه الشكوى من عدم الحصول على نوم مريح خلال الليل، وهو ما يؤثر على نشاط المصاب خلال النهار.

أسباب الأرق:

١. الاضطرابات النفسية وهو أكثر أسباب الأرق شيوعاً، وقد أظهرت الدراسات أن ٤٠٪ من المصابين بالأرق لديهم اضطرابات نفسية كالاكتئاب والقلق.

٢. الأسباب العضوية كأمراض الجسم العضوية(١).

(١) انظر: الأرق، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، ٣١ يناير ٢٠١٢م.

العلاقة بين الصحة النفسية والجسدية

(أثر الضغوط النفسية على صحة الإنسان)

تُعرَّف الصحة بأنها حالة من التعافي الجسدي والنفسي والاجتماعي نتيجة للتفاعل والتكامل من هذه العناصر الثلاثة، وأن الصحة ليست هي مجرد غياب المرض.

١- العوامل النفسية قد تكون مسببة للمرض العضوي، وإنها تزيد من شدته إذا كان له سبب عضوي واضح وهذه تسمى (الأمراض النفسية الجسدية)، ومنها: قرحة المعدة - الربو - الصداع النصفي - روماتزم المفاصل وبعض الأمراض الجلدية.

٢- الأمراض العضوية قد تكون مسببة للمرض النفسي مثل: اضطراب الغدد الصماء، فإن زيادة نشاط الغدة الدرقية يسبب حالات القلق، ونقص إفرازها يسبب حالات من الاكتئاب.

٣- الأعراض الجسدية قد تكون جزءاً من الاضطراب النفسي، كما هو الحال في اضطراب القلق حيث يشكو المريض من ضيق النفس، والخفقان ورعشة اليدين.

٤- الأعراض النفسية قد تكون جزءاً من المرض العضوي، فإن مريض السكر أو الضغط يشكو من أعراض القلق أو الاكتئاب أو اليأس والإحباط[1].

---

(١) انظر: العلاقة بين الصحة النفسية والجسدية، د. لطفي حجازي، منتدى أ. د. طارق الحبيب الإلكتروني ٢٠١١/٥/١٠م.

وقد أكد العلماء أن العديد من الاضطرابات النفسية تؤثر على الجسد، فالأمراض النفسية والضغوط الاجتماعية المزمنة تؤثر على مناعة الجسد ومقاومته للأمراض، وأن الضغوط النفسية قد تسهم في نشوء أمراض عضوية، كالسكر والسرطان، وأمراض القلب، والجلطات، وغيرها من أمراض الغدد الصماء والاضطرابات الهرمونية، والشيخوخة والهرم، فالجهاز العصبي يقوم بالتحكم في بعض وظائف الأعضاء في الجسم، كضربات القلب، وضغط الدم، وعمليات الهضم، وجهاز المناعة والغدد الصم ويتصل معها اتصالاً مباشراً، وعندما يحدث أي خلل في عمل الجهاز العصبي بسبب الانفعالات النفسية سيؤدي إلى خلل في الأجهزة الأخرى مسبباً الأمراض العضوية(1).

---

(1) انظر: الهم والهرم من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، أ. عبدالرحيم الريفي، موقع النفسي ١١ نوفمبر ٢٠١١؛ وينظر أساليب تعديل التفكير أ. د. رامزطه، موقع د. رامز طه.

المبحث الثاني

دوافع دعوة المريض النفسي

لا شك أن لكل عمل دافعاً يدفع صاحبه لعمله، ودعوة المريض النفسي عمل حسن له دوافعه وأذكر منها:

١- إن الدعاة هم حملة رسالة الإسلام الذي هو ميراث النبوة، والله سبحانه وتعالى أخبر رسوله ﷺ أنه إنما أرسله رحمة للعالمين بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١).

والنبي ﷺ أخبر عن أسمائه ﷺ فذكر منها نبي الرحمة، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يُسمَّى لنا نفسه أسماء فقال: (أنا محمد ..... ونبي الرحمة)"(٢).

وقد ذكر الإمام النووي - رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث أن المقصود بنبي الرحمة أنه جاء بالتراحم واستدل بقول الله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ (٤)(٥).

والرحمة تقتضي إيصال ما ينفع العباد في دنياهم وآخرتهم.

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ حديث (٢٣٥٥) ج٢ ص١٨٢٩.

(٣) سورة الفتح، جزء من آية: ٢٩.

(٤) سورة البلد ، جزء من آية: ١٧ .

(٥) انظر: شرح النووي، ج٨ ص١١٦.

٢- إن مسؤولية الدعاة لا تقتصر على الإرشاد الديني فقط، بل تقديم كل أشكال العون والمساعدة، وهذا الأمر حث الإسلام عليه ورغب فيه بقوله ﷺ : "... والله في عَوْن العبد ما كان العبْدُ في عون أخيه"(١).
قال النووي: (وفيه: فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو بنصيحة، وغير ذلك) (٢).

٣- إن في ذلك تفريجاً لكربات المرضى وهذا عمل فاضل قال فيه النبي ﷺ : "... ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة" (٣).
قال النووي - رحمه الله - : (في هذا فضل إعانة المسلم، وتفريج الكرب عنه، وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله، أو جاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته) (٤).

٤- حاجة المريض النفسي إلى الإرشاد الديني فيما يخص عقيدته وعباداته، بل تعامله مع مرضه، إذ أن معاناة المرضى النفسيين كبيرة،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر حديث (٢٦٩٩) ج٣ ص٢٠٧٤.
(٢) شرح النووي، ج٩ ص٢٨.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج٣ ص٩٨، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم حديث (٢٥٨٠) ج٣ ص١٩٩٦.
(٤) شرح النووي، ج٨ ص٣٨٠.

يعرفها الأطباء النفسيون، وعلماء الشريعة، من خلال ما يردهم من أسئلة واستفسارات تدل على حجم معاناتهم.

٥- حاجة المريض النفسي الماسة إلى الدعم والمؤازرة، فكثير من المرضى النفسيين يعانون في صمت وخجل وخوف من إظهار معاناتهم، لأنهم يخشون من ردة فعل من حولهم تجاه مشاعرهم وأحاسيسهم.

٦- إن المرض يؤثر على حياة المريض، وعلى من حوله أسرته بل مجتمعه، فالمساعدة له في تجاوز هذه المحنة، مساعدة لمن حوله.

المبحث الثالث

أساليب دعوة المريض النفسي

تتعدد الأساليب التي يمكن استخدامها مع المريض النفسي والتي تفيده وتساعد على تجاوز محنته، ويمكن في هذا الجانب الاستفادة من الأساليب العلاجية التي يستخدمها الأطباء النفسيون والأخصائيون النفسيون، فيما يسمى بالعلاج المعرفي السلوكي، خاصة أن التعرف على هذه الأساليب العلاجية أصبح متاحاً من خلال بعض المواقع الإلكترونية المتخصصة، والتي يشارك فيها أطباء استشاريون متخصصون في الطب النفسي، وكذلك استشاريون في علم النفس،كما توجد دورات خاصة بالعلاج المعرفي السلوكي يمكن للدعاة الاستفادة منها(١).

وسأذكر بعض الأساليب التي يمكن استخدامها مع المريض النفسي:

١ - أسلوب التطمين والدعم:

وهذا من العلاجات الطبية حيث يُسمَّى العلاج التدعيمي إذ يقوم على شد أزر المريض ودعمه والتركيز على ما يمكنه القيام به(٢).

وقد ذكر أ. د. طارق الحبيب أن من أنواع العلاج التي تقدم للمريض النفسي العلاج المساند الذي فيه يقوم المعالج بطمأنة المريض وتوجيهه وإرشاده(٣).

---

(١) انظر: معرفي أول موقع باللغة العربية مختص بالعلاج المعرفي السلوكي، إذ أن رسالة الموقع تدريب ومساعدة المعالج النفسي المعرفي في ممارسة العلاج المعرفي السلوكي، وزيادة الوعي بمدى فائدة العلاج المعرفي السلوكي بين المختصين وكذلك لدى العامة.وكذلك موقع أكاديمية علم النفس.

(٢) انظر: الاكتئاب النفسي، أ. د. عبدالله السبيعي، موقع النفسي ١٦ أبريل ٢٠٠٩م.

(٣) انظر: حوار مع أ. د. طارق الحبيب حول العلاج النفسي، شبكة عابرون الثقافية ٢٠٠٧/١١/١٩م.

ومما يدخل الطمأنينة في نفس المريض، إخباره أن ما أصيب به هو من جملة ما يكفر الله به عن خطاياه، فإذا صبر واحتسب أثيب على ذلك، بل إن ابن حجر في فتح الباري ذكر أن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة، وأما الصبر والرضا فقدر زائد يمكن أن يثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة(١).

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري – رحمه الله – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" (٢).

والهم والحزن والغم من أمراض الباطن كما ذكر ابن حجر، أي – أمراض النفس – وربط بينها بقوله: (وقيل في هذه الأشياء الثلاثة وهي الهم والغم والحزن، إن الهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به، والغم كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل، والحزن يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده وقيل : الهم والغم بمعنى واحد) (٣).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – : (أولًا يجب أن تعلم أن الهموم والغموم التي تصيب المرء هي من جملة ما يكفر عنه بها ويخفف عنه من ذنوبه، فإذا صبر واحتسب أثيب على ذلك) (٤).

---

(١) انظر: فتح الباري، ج١٠ ص١١٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى والطب، باب ما جاء في كفارة المرض، ج٧ ص٢.

(٣) فتح الباري، ج١٠ ص١١٠.

(٤) العلاج من الوساوس في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص٢٥.

وهذا الأسلوب مما يعالج به العلماء من ابتلى بالوسواس، إذ يحاولون طمأنة الموسوس، وإزالة قلقه من الوساوس، لأن الخوف منها يزيد من ورودها على النفس.

وقد ذكر الإمام النووي - رحمه الله - في كتابه الأذكار مقولة لأحد العلماء في علاج الوسوسة، حيث قال: (وقال السيد الجليل أحمد بن أبي الحواري: شكوت إلى أبي سليمان الداراني الوسواس فقال: إذا أردت أن ينقطع عنك، فأيَّ وقت أحسست به فافرح، فإنك إذا فرحت به انقطع عنك، لأنه ليس شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك. قلت: وهذا مما يؤيد ما قاله بعض الأئمة: إن الوسواس إنما يبتلى به من كمُل إيمانه، فإن اللص لا يقصد بيتاً خرباً) [1].

فهذا النص يذكر العلاج الذي استعمله أبو سليمان الداراني - رحمه الله - وهو الأمر بالفرح، كما أن عبارة الإمام النووي الأخيرة تدخل الطمأنينة على قلب الموسوس وتُعْلِمه أنه على خير، وأنه إنما أصابه الوسواس لكمال إيمانه لا لغضب الله عليه أو نقص إيمانه.

فإذا كان الأطباء اليوم يعدُّون القلق أصلاً للوسواس فليس أنفع من إدخال الطمأنينة والفرح إلى قلب الموسوس لعلاجه، ويمكن للموسوس أن يفعل هذا بنفسه[2].

وذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - في زادالمعاد فصل في هديه ﷺ بتطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم.

---

(١) الأذكار للنووي، ص١٠٩.

(٢) ينظر: منهج الفقهاء في التعامل مع الوسواس القهري، أ. رفيف الصباغ، ١٠.

وقال -رحمه الله- (وتفريح نفس المريض، وتطييب قلبه، وإدخالُ ما يسُرُّه له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك) [(١)].

وكذلك زرع التفاؤل في نفس المريض إذ أن ذلك له أثر كبير على صحة المريض إذ يعزز قدرة المريض على مقاومة المرض، فقد أثبتت الدراسات العلمية الطبية أثر التفاؤل والنظرة الإيجابية في الحياة على الصحة، إذ أنها تعزز نظام المناعة في الجسم، حيث كشف بحث مشترك بين جامعتي (كنتاكي) و(لويز فيل) أن الشعور المتفائل بخصوص المستقبل قد يؤدي لشعور أفضل في الواقع وأن التفاؤل مفيد للصحة إذ من شأنه تعزيز قدرة الجسم على محاربة العدوى[(٢)].

ومما يزرع التفاؤل في نفس المريض تذكيره بحديث النبي ﷺ : "لكل داء دواء" فإن المريض إذا استشعر أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس[(٣)].

٢ – إرشاد المريض إلى التداوي:

إن الأمراض النفسية مثلها مثل الأمراض العضوية تحتاج إلى العلاج، ونوعية العلاج يحددها الطبيب الماهر الحاذق.

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – في سؤال حول كيفية علاج المريض النفسي: (المشروع أن يعالج بالطب النبوي، والعلاج

(١) زاد المعاد، ج٤ ص١١٦.

(٢) انظر: التفاؤل يعزز المناعة والصحة، مفكرة الإسلام، ٢٩ مارس ٢٠١٠م.

(٣) انظر: زاد المعاد، ج٤ ص١٧.

الذي يعرفه خواص الأطباء مما لا يخالف الشرع المطهر لقول النبي ﷺ : "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء")[1].

وقوله ﷺ : "لكل داء دواء فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله" [2].

وقوله ﷺ : "عباد الله تداووا ولا تداووا بحرام" [3].

ومن الدواء الشرعي القراءة عليه من أهل العلم والإيمان لعل الله ينفعه بذلك.

ومن الأسباب النافعة لهذا وأمثاله كعرضه على الأطباء المختصين من أهل الإيمان والتقوى لعلهم يعرفون سبب مرضه وعلاجه)[4].

قال النووي في شرح حديث: "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله": (وفي هذا الحديث إشارة إلى استحباب الدواء، وهو مذهب أصحابنا وجمهور السلف وعامة الخلف)[5].

وفي فتوى مشابهة لأعضاء اللجنة الدائمة للإفتاء حول علاج المرض النفسي جاء ما نصه: (ثقي بالله تعالى وحسِّني الظن به، وفوضي أمرك إليه، ولا تيأسي من رحمته وفضله وإحسانه فإنه سبحانه ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء، وعليك الأخذ بالأسباب فاستمري في مراجعة الأطباء المتخصصين في معرفة الأمراض وعلاجها...) [6].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ج٧ ص١٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لكل داء دواء، حديث رقم ٢٢٠٤)، ج٢ ص١٧٢٩.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ وإنما عند أبي داود في كتاب الطب باب في الأدوية المكروهة، ونصه قال رسول الله ﷺ : "إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام" حديث (٣٨٧٤) ج٤ ص٢٠٧، والحديث ضعفه المنذري. انظر عون المعبود على سنن أبي داود، ص١٦٥٢.

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ج٩ ص٤١٠.

(٥) شرح النووي، ج٧ ص٤٥٢.

(٦) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم (٣٨٢٨) ج١ ص٢٩٦.

ويقول أ. د. طارق الحبيب عن أكثر الطرق العلاجية شيوعاً للأمراض النفسية: (الأدوية النفسية - الجلسات النفسية - (العلاج النفسي غير الدوائي) - العلاج المساند، وفيه يقوم المعالج بطمأنة المريض وتوجيهه وإرشاده، العلاج السلوكي، العلاج المعرفي، وفيه يقوم الطبيب بتقويم وتصحيح أساليب التفكير الخاطئة لدى المريض، العلاج بالرجفة المحدثة كهربياً، الجراحة النفسية. ويقتصر استخدامها على بعض الحالات النفسية الشديدة) [(١)].

وقد أوصى العديد من الأطباء بضرورة زيارة المريض للطبيب النفسي المتمكن ليصف له ما يحتاجه من العلاجات السابقة الذكر[(٢)].

يقول د/ فائق الزغاري استشاري الطب النفسي: (بعض الناس يتأخر في مراجعة العيادات النفسية حتى يستفحل الأمر، والمرض النفسي يتدرج من الاضطراب البسيط الذي يمكن علاجه بالإرشاد النفسي والطمأنة إلى الفصام العقلي شديد الاضطراب الذي يُتحكم به دوائياً، فأمراض القلق والاكتئاب والوساوس والمخاوف والهيستيريا واضطرابات النوم، واضطرابات الأطفال وغيرها من الأمراض النفسية قابلة للشفاء، وإن هناك نسبة قليلة من الأمراض النفسية التي لا تشفى، ولكن يتحكم بها من قبل الأدوية، ولو نظرنا إلى الأمراض غير النفسية فإن الأمر لا يختلف كثيراً، فهناك العديد

---

(١) حوار مع أ.د. طارق الحبيب حول العلاج النفسي، شبكة عابرون الثقافية ٢٠٠٧/١١/١٩م.

(٢) انظر: نماذج لعلاج بعض حالات الوسواس القهري، أ. د. محمد شريف سالم، طبيب نفساني دوت كوم؛ تعريف الوسواس القهري وخصائصه، د. محمد فريد موقع النفسي ٢٢ فبراير ٢٠٠٧؛ اضطراب توهم المرض، د/ أحمد عيد، منتدى أ. د. طارق الحبيب، مركز مطمئنة الطبي ٢٠١١/٢/٨م.

منها يستمر طوال العمر، مثل السكري والضغط وأمراض القلب، ويحتاج المريض المصاب بها إلى تناول علاجه مدى الحياة.

لقد أثبتت التجارب العلمية بأن سبب الأمراض النفسية هو اختلال في مستوى النواقل العصبية في الدماغ، وذلك نتيجة عدة عوامل، منها تأثير الوراثة والبيئة والتربية وعوامل عديدة أخرى....

والتجارب العلمية مدعومة بالخبرات العملية والمشاهدة اليومية أثبتت نفع الأدوية النفسية في علاج الأمراض النفسية ...)(١).

ويقول أ. د. وائل أبو هندي عن تأثير العلاج الدوائي النفسي على المرضى: (الأبحاث العلمية المستمدة من التجارب على الأدوية تؤكد أن استعمال الأدوية التي تزيدُ من تركيز السير وتونين (ناقل عصبي) في المخ يؤثر تأثيراً إيجابياً في تحسين حالة المريض)(٢).

ويقول أ. د. رامز طه: (ولأن المرض النفسي عملة ذات وجهين، أحدهما نفسي معنوي أخلاقي، والآخر بيولوجي جسماني، فإن العلاج يجب أن يكون متكاملاً يعالج آلام النفس بالكلمة والمناقشة وتعديل التكفير والسلوك، ويعالج الجسم الذي اختلت وظائفه بالدواء مما يؤكد أهمية الدمج بين العلاج بالعقاقير والأدوية، والعلاج النفسي والديني في علاج تكاملي شامل)(٣).

---

(١) مفاهيم خاطئة للمرض والعلاج النفسي، أ. د. فائق الزغاري، طبيب نفساني دوت كوم.

(٢) أسباب الوسوسة القهرية، أ. د. وائل أبو هندي، موقع مجانين ١٦/٢/٢٠١٠م.

(٣) انظر: العلاج النفسي الذاتي بالقرآن، أ. د. رامز طه.

وقد أشار أ. د. عبدالله السبيعي إلى إرشاد المريض للطبيب النفسي في مقال له عن الاكتئاب النفسي حيث قال موصياً من لديه مريض نفسي: (ابحث له عن طبيب نفسي كفؤ، وسارع بالعلاج فإن الاكتئاب من أكثر الاضطرابات النفسية استجابة للعلاج ولله الحمد) (١).

وعن الأدوية النفسية يقول أ. د. وائل أبو هندي:

أولاً: الآثار الجانبية البسيطة للأدوية النفسية، لا تعادل بأي شكل من الأشكال تلك الفائدة المرجوة، وكل الأدوية غير النفسية لها آثار جانبية، وأيُّ دواء ليس له آثار جانبية ليس له آثار علاجية.

ثانياً: الأدوية النفسية لا تؤدي إلى الإدمان إذا استخدمت تحت إشراف طبي مباشر(٢).

ولا تعارض بين الطب النفسي واستخدام الرقية الشرعية، حيث ذكر معالي الشيخ الدكتور عبدالله المطلق أهمية العلاج بالقرآن الكريم بقراءته وتدبره، وذكر أنه لا تعارض بين الطب النفسي والقرآن، فإن الذهاب إلى عيادات الطب النفسي يُعدُّ من الأخذ بالأسباب الذي يأمر به القرآن الكريم واستدل بالأحاديث التي فيها الحث على التداوي وسبق ذكرها(٣).

---

(١) الاكتئاب النفسي، أ. د. عبدالله السبيعي، موقع النفسي ١٦ إبريل ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: لماذا ينظر الناس نظرة سلبية للطب النفسي، أ. د. وائل أبو هندي، طبيب نفساني دوت كوم.

(٣) انظر:المريض النفسي بين الأطباء والرقى، الشيخ عبدالله بن محمد المطلق، موقع طريق الإسلام، ٧ رمضان ١٤٢٢هـ.

٣ – مساعدة المريض على التحكم والسيطرة على تفكيره:

تؤكد نظريات التعلم، وعلم النفس السلوكي أن المرض النفسي هو سلوك خاطئ متعلم(١).

لقد اهتم عدد من المعالجين النفسيين بدور العوامل الفكرية والذهنية في التسبب في الاضطرابات النفسية.

ويفترض عالم النفس "ألبرت أليس" مؤسس مدرسة العلاج العقلاني، أن التفكير هو المحرك الأول والمسبب للانفعال، ويؤكد أنصار مدرسة العلاج العقلاني أن الاضطراب النفسي الذي يعاني منه فرد ما هو نتيجة سوء تفسيره وتأويله للأمور، وذلك بناء على الأفكار والمعتقدات غير المنطقية والسلبية الهدامة التي يتبناها(٢).

وعن تأثير التفكير على جسد الإنسان يقول أ. د. رامز طه: (ولقد ثبت بالعديد من الأدلة التجريبية والإكلينيكية أن العوامل الفكرية التي تشمل التفكير والتخيل والتصور والاستنتاج والتوقع، تتصل وتؤثر فوراً على مراكز الانفعال بالدماغ، التي تفرز بالتالي عدداً من الهرمونات والمواد الناقلة العصبية المسببة للتوتر والتغيرات الفسيولوجية المصاحبة له.

ومن هرمونات التوتر المعروفة هرمون الأدرينالين الذي يؤدي إفرازه إلى توتر العضلات، وخفقان القلب وارتفاع ضغط الدم، وزيادة معدل التنفس،

---

(١) انظر: أسلوب تعديل السلوك وتعلم عادات جديدة، أ. د. رامز طه، استشاري الطب النفسي.

(٢) انظر: أسلوب تعديل التفكير، أ. د. رامز طه، وانظر العلاج المعرفي السلوكي: تعريفه – أهدافه – قواعده، د.إبتسام عبدالله الزعبي، موقع أطفال الخليج.

واتساع حدقة العين، ونقل كميات كبيرة من السكر من الكبد إلى الدم حتى تتوفر الطاقة والوقود للمعركة التي استعد لها الجسد بأمر من مراكز الانفعال تحت تأثير العوامل الفكرية المخيفة والمهددة، ويصاحب هذه التغيرات أيضاً تعطل عمليات الهضم واضطراب إفراز العصارات المعدية والمعوية)(١).

وإذا كان الأمر كذلك فقد بين علماء النفس وأطبائها أن أيَّ أسلوب للعلاج النفسي مهما اختلفت المدرسة التابعة لها لا يمكن أن يؤدي إلى نتائج فعالة وإيجابية إلا من خلال تعديل أفكار الفرد ومعتقداته، وتوقعاته، وكذلك تصوراته عن نفسه وعن الآخرين(٢).

ولقد أدرك العلماء المسلمون ما يلعبه التفكير في توجيه سلوك الإنسان وفي سعادته وفي شقائه، وقد اتصفت أرآؤهم في هذا الموضوع بالفهم المتمكن لطبيعة النفس البشرية، والعوامل التي تتأثر بها وتؤثر فيها، وقد سبقوا بذلك العلماء المحدثين وممن تكلم عن ذلك الإمام ابن القيم – رحمه الله – حيث قال: (والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولابد، ما لم يمنع مانع) (٣).

وقال أيضاً: (واعلم أن ورود الخاطر لا يضر، وإنما يضر استدعاؤه ومحادثته، فالخاطر كالمار على الطريق، فإن لم تستدعه وتتركه مرَّ وانصرف

---

(١) انظر: الخلوة العلاجية والتأمل، أ. د. رامز طه.

(٢) انظر: أسلوب تعديل التفكير، أ. د. رامز طه.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، ص١٣٤.

عنك، وإن استدعيته سحرك بحديثه وخِدعه، وغروره، وهو أخف شيء على النفس الفارغة العاطلة، وأثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة) [(١)].

وقد أشار الغزالي إلى أن بلوغ الأخلاق الجميلة يتطلب أولاً تغيير أفكار الفرد عن نفسه، ثم القيام بالممارسة العملية للأخلاق المراد اكتسابها حتى تصبح عادة[(٢)].

وتكون الفكرة مرضية بسبب أسلوب وطريقة التفكير مثل:

- التطرف في الأحكام: حيث يرى الفرد الأشياء إما سوداء أو بيضاء، وهو يكره ويحب دون توسط أو اعتدال.
- التصلب ومواجهة المواقف المختلفة بطريقة تفكير واحدة.
- المبالغة : كالمبالغة في تفسير المواقف مما يؤدي إلى إثارة انفعالات القلق أو الخوف.

كذلك المبالغة في نقد الآخرين سلباً أو إيجاباً، مما يؤدي إلى اضطراب العلاقة بهم.

- التعميم: وهو أسلوب من التفكير يؤدي إلى تعميم الخبرات الجزئية تعميماً سلبياً، مما يؤدي بالتالي إلى العديد من الأنماط المرضية خاصة الاكتئاب والفصام.
- الحساسية للنقد وتضخيم المواقف والأحداث. ويؤكد أغلب الباحثين

(١) المرجع السابق، ص١٣٨.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ج٣ ص٥٨.

أن استمرار التفكير والتخيل بطريقة خاطئة يتحول إلى عادة مرضية يفقد معها الفرد إدراكه الموضوعي للواقع وتقييمه الصحيح للذات، وإلى اعتياد المبالغات الانفعالية(١).

ويمكن السيطرة على التفكير من خلال الأساليب التالية:

أ – ضبط التفكير:

وذلك من خلال ضبط الأحاديث الداخلية، وما يقوله الفرد لنفسه، ففي تجارب علمية وُجد أن التفكير يقترن بكلام باطن غير مسموع، وبوجود حركات دقيقة في عضلات النطق – الحنجرة واللسان والشفتين – وقد أمكن تسجيلها بأجهزة دقيقة وحساسه(٢).

وهذا يُصدِّق ما أشار إليه الإمام ابن القيم – رحمه الله – في أن الخاطر الفكري يقترن بكلام، وشبهه بالمار على الطريق إذا توقف عند المرء وحدثه فإنه يسحره بحديثه ويؤثر فيه، وإن تركه مرَّ وانصرف عنه.

لذا كان لابد من ضبط التفكير في الأشياء السيئة والضارة والتي تؤدي إلى التوتر والصراع النفسي، واستمرار اجترار الأفكار الهدامة وغير المنطقية، والخبرات غير السارة، وذكريات المواقف السيئة، وجعلها كالاسطوانة المشروخة التي تكرر نغمة واحدة تؤدي إلى إثارة مراكز الانفعال بصورة متواصلة، وتراكم مشاعر الضيق، والقلق، والاكتئاب، بحيث يجد الفرد نفسه في نهاية اليوم، أو حتى بعد فترة وجيزة من الوقت مكتئباً، قلقاً، حزيناً،

(١) انظر: العلاج بتأمل ذكر الله، أ. د. رامز طه.

(٢) انظر: أسلوب تعديل التفكير، أ. د. رامز طه.

أفكاره ومعتقداته عن نفسه وعن الآخرين هي السبب فيما يعانيه(١).

والإنسان قادر بالفعل على ضبط أفكاره وتعديلها وتعديل سلوكه هذا ما أثبتته العديد من مدارس العلاج النفسي الحديثة(٢).

ويكون ذلك من خلال ضبط الأحاديث الداخلية، وما يقوله الفرد لنفسه باستمرار يؤدي إلى ضبط الانفعال ويستطيع الفرد بالتعلم وبالمران المستمر أن يتحكم في مسرحه الذهني، وأن يسمح للأفكار البناءة المنطقية غير المتشككة والمتفائلة بالتواجد عليه، وأن يطرد الأفكار السوداء والتصرفات المتشائمة(٣).

ب – وقف التفكير:

وأسلوب وقف التفكير أسلوب نبوي، جاء التوجيه النبوي فيه إذا تعرض الإنسان لأفكار هدامة .دل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) (٤).

ففي الحديث كان الشيطان مصدر الفكرة المرضية، حيث اقترن بكلام باطن غير مسموع أثر على المريض، فجاء التوجيه النبوي بقوله:

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: العلاج النفسي الذاتي، أ. د. رامز طه.

(٣) انظر: أساليب تعديل التفكير، أ. د. رامز طه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج٤ ص٩٢؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث (٢١٤، ١٣٤)، ج١ ص١٢٠.

(لينته) حيث أمر بوقف التفكير بالفكرة المرضية غير الصحيحة.

وجاءت الدراسات العلمية الحديثة بأهمية هذا الأسلوب يقول أ. د. رامز: (لقد أيدت دراسات حديثة وتجارب علماء معاصرين إمكانية تعديل أفكار ومفاهيم الفرد وسلوكه، والتحكم في عمليات التفكير أثناء حدوثها بالإيقاف، أو طرد الأفكار غير المرغوبة، مع غرس أفكار أو عبارات تحل محل الأفكار الانهزامية أو المرضية غير المرغوبة) (1).

ج – استبدال الفكرة المرضية بما يضادها:

ويكون ذلك كما ذكرنا بضبط الأحاديث الداخلية، فيستبدل الأفكار الضارة بما يضادها من الأفكار المتفائلة والحسنة. والإنسان المسلم بحمد الله سيجد أي فكرة ضارة لها ضدها الحسن في الشرع – وكله حسن – ومعلوم أنه كلما كانت العبارات التي يرددها الفرد ذات معان سامية، ومصداقية دينية راسخة، كلما استطاع التحكم في نشاطه الذهني، وكلما كان أقدر على التخلص من الأفكار السلبية والانهزامية(2).

ومن الأمثلة على ذلك:

استبدال الفكرة غير الصحيحة عن الله –سبحانه وتعالى– بتجديد الإيمان:

أخرج مسلم عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خَلَقَ اللهُ الخلقَ فمن خَلَقَ الله؟ فمن وجد

(1) العلاج بتأمل ذكر الله، أ. د. رامز طه.

(2) انظر: العلاج بتأمل ذكر الله، أ. د. رامز طه.

من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله) (١).

فقوله ﷺ : (فليقل آمنت بالله) هو رد على الفكرة المرضية بما يضادها.

قال النووي – رحمه الله – : (وأما قوله ﷺ "فمن وجد ذلك فليقل: آمنت بالله" وفي الرواية الأخرى: "فليستعذ بالله ولينته"، فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه ...

وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان، وهو إنما يسعى بالفساد والإغواء فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها) (٢).

وقال ابن حجر – رحمه الله – : (وإنما أمر بالاستعاذة والاشتغال بأمر آخر، ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج، لأن العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد، أمر ضروري لا يقبل المناظرة، ولأن الاسترسال في الفكر في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة، ومن هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله تعالى والاعتصام به) (٣).

استبدال الغضب بما يضاده من الحلم وكظم الغيظ:

مثل أن يكرر الغاضب قول النبي ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة قالوا: فالشديد أيّمَ هو؟ يا رسول الله قال: الذي يملك نفسه عند الغضب) (٤).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (٢١٢ – ١٣٤) ج١ ص١١٩.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، ج١ ص٤٣٤.

(٣) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج٦ ص٣٩٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث (١٠٨ – ٢٦٠٩) ج٣ ص٢٠١٤ واللفظ له، وأخرجه البخاري في كتاب الآداب، باب قول النبي ﷺ : "إنما الكرم قلب المؤمن" ج٧ ص١١٥.

فالشخص الذي يغضب سريعاً إزاء تصرفات الآخرين، إذا ارتكب الآخرون حماقات، أو تصرفات قد تثيره، يستبدل الغضب بما يضاده، بذكر وترديد الحديث الشريف فالقوي الذي يملك نفسه عند الغضب، فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه، وليس القوي الذي لا يصرعه الرجال كما يعتقد البعض(١).

وتكرار الإنسان الغاضب هذا الحديث وغيره مما يحث على عدم الغضب ودفع الإساءة بالإحسان من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لها تأثير إيحائي على الفرد، خاصة إذا أدرك الشخص التأثير السلبي للغضب، حيث تأكد تأثير الغضب سلبياً على كافة العمليات الذهنية وفي القدرة على التفكير المنطقي(٢).

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٤).

وهذا الترديد لابد أن يوافقه تطبيق ليتم غرسه كسلوك متعلم، كما ذكر الغزالي أن بلوغ الأخلاق والعادات الجميلة لابد فيه أولاً من تغيير الأفكار، ثم القيام بالممارسة العملية للأخلاق المراد اكتسابها حتى تصبح عادة(٥)، وهذا يكون بالمران وقوة الإرادة.

---

(١) انظر: شرح النووي، ج٨ ص٤١٠.

(٢) انظر: تدريبات على الصحة النفسية، أ. د. رامز طه.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ج٣ ص٥٨.

استبدال سوء الظن بالناس بإحسان الظن بهم:

قد يمر الإنسان بمواقف تثير قلقه وغضبه بشكل مبالغ فيه، من خلال رؤيته للموقف أو تحليله الشخصي لما يحدث، وقد يكون هذا التحليل خاطئاً نتيجة الأفكار غير المنطقية، أو المخاوف والتوقعات المتشائمة التي قد تشعره بالنقص، أو التهديد، واستمرار اجترار هذه الأفكار يؤدي إلى إثارة مراكز الانفعال، وتراكم مشاعر الضيق والقلق والاكتئاب.

ويكون علاج ذلك باستخدام الضد النافع الذي يقابل هذا الضد الضار، وهو حسن الظن بالناس، فليس أريح للإنسان، ولا أسعد لقلبه من حسن الظن .فبه يسلم من أذى الخواطر المقلقة التي تؤذيه وتكدر باله، وتتعب نفسه.

فيقوم بترديد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر من سوء الظن، وتأمر بضده كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ناهياً عبادة المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليتجنب كثير منه احتياطاً وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: "ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

لها في الخير محملاً "(١).

وكقوله ﷺ : "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ... وكونوا عباد الله أخواناً "(٢).

استبدال الانتقام والحقد بالتسامح والعفو :

عندما يتعرض الإنسان للأذى من الناس فربما يكون تفكيره هو الانتقام منهم، مع امتلاء قلبه بالضغينة والبغض، ولو فعل ذلك فسيكون هو ذاته أول المتضررين، لأنه سيصبح قلقاً حزيناً غاضباً .ويمكنه استخدام الضد النافع وهو التسامح فهو علاج نفسي سريع المفعول، فقد ثبت علمياً أن من أهم صفات الشخصية المضطربة والتي تعاني من القلق المزمن، هو أنها لا تعرف التسامح، ولم تجرب لذة العفو ونسيان الإساءة(٣).

والقرآن الكريم والسنة المطهرة تزخران بالترغيب بالعفو والتسامح فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٥).

فرغب سبحانه وتعالى بالعفو وبين أن أجر الذي يعفو ويسامح عند الله تعالى(٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ج٤ ص٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ج٧ ص٨٨؛ ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس حديث رقم (٢٨ – ٢٥٦٣) ج٣ ص١٩٨٥.

(٣) انظر: التسامح علاج نفسي سريع المفعول، أ. د. رامز طه.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص١٢٠.

والنبي ﷺ يقول: "وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً "(١).

أما كيف يزداد الإنسان بعفوه وتسامحه عزاً، يقول الإمام النووي – رحمه الله – (قوله ﷺ: "وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً فيه وجهان :

أحدهما: أنه على ظاهره، وأن من عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه.

والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك) (٢).

استبدال النظر إلى من هو أعلى بالنظر إلى من هو أسفل والتشبع بالرضا:

– قد يصاب البعض بالتوتر وقلق الصراع الدامي لتحقيق الرغبات والطموحات، فيجهد نفسه بالتفكير فيما يطمح بتحقيقه، أو يفكر فيما ينقصه مما أعطاه الله لغيره أكثر من تفكيره فيما أعطاه الله.

والضد النافع الذي يجب استخدامه هو التشبع بالرضا، فإن ذلك مما يشعر بالطمأنينة والسلام، وذلك بأن يركز الإنسان تفكيره وخياله في استعراض وتأمل النعم التي أنعم الله بها عليه، من حواس وملكات ونعم وقدرات لا تقدر بمال، ولا يمكن تعويضها بكنوز الدنيا.

وقد كان هذا الأسلوب أسلوباً نبوياً حيث أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله"(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع حديث رقم (٦٩– ٢٥٨٨) ج٣ ص٢٠٠١.

(٢) شرح النووي، ج٨ ص٣٨٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب ٥٣ حديث رقم (٨ – ٢٩٦٣) ج٣ ص٢٢٧٥ واللفظ له، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه، ج٧ ص١٨٧.

وجاء في شرح النووي - رحمه الله - لهذا الحديث: (هذا حديث جامع لأنواع من الخير، لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعم الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها، وتواضع وفعل الخير) (١).

أما الإمام ابن حجر - رحمه الله - فاعتبر أن الرضا هو دواء الداء فقال: (في هذا الحديث دواء الداء، لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسداً، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعياً إلى الشكر) (٢).

وقد ذكر أ. د. رامز طه استشاري الطب النفسي، فعالية هذا الأسلوب في تحقيق الأمن والطمأنينة لمن كانوا يشعرون بالقلق فقال: (ولقد حقق هذا الأسلوب البسيط - حتى عند استخدامه بمفرده - زوال التوتر والقلق والشعور بالسلام والرضا والطمأنينة لعشرات ممن كانوا يعانون من قلق الصراع الدامي، لتحقيق الرغبات والطموحات ... بل استطاع عدد من المرضى الذين كانوا يعانون من الأرق والكوابيس المزعجة المخيفة، أن يستمتعوا بنوم هادئ عميق عند ممارسة هذا الأسلوب قبل النوم مباشرة، وبالطبع يكتمل الشعور بالرضا إذا اقترن أيضاً بالدعاء والذكر وطلب العون والمدد من القوي المعين سبحانه وتعالى) (٣).

---

(١) شرح النووي، ج٩ ص٣٣٤.

(٢) فتح الباري، ج١١ ص٣٣٠.

(٣) أسلوب التشبع بالرضا، أ. د. رامز طه.

٤ – توجيه المريض إلى قراءة القرآن الكريم وتدبره والاستشفاء به:

فإن هذا من أعظم الأسباب التي ينتفع بها المريض فالله سبحانه وتعالى يقول: (وينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) [(١)].

قال ابن القيم – رحمه الله – في بيان معنى هذه الآية: (من هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء .. فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط، أعمَّ ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن)[(٢)].

وقال الشوكاني – رحمه الله – في تفسيرها: (واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على القولين: الأول أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه. القول الثاني أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك، ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين) [(٣)].

وقد جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ (أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يَقروهُم، فبينما هم كذلك إذا لُدغ سيدُ أولئك، فقالوا هل معكم من دواء أو راق ؟فقالوا :إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقهُ ويتفلُ فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا لا

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم ص٨.

(٣) فتح القدير، للشوكاني، ج٣ ص٢٥٣.

نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك وقال وما أدراك أنها رُقيةٌ خذوها واضربوا لي بسهم)[١].

قال النووي - رحمه الله - : (قوله ﷺ: "وما أدراك أنها رقية؟" فيه التصريح بأنها رقية، فيُستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهات)[٢].

وقد جاءت الأدلة الصريحة الصحيحة بالأذن بالرقية، وقد بوب الإمام مسلم باباً في كتاب السلام سماه (باب استحباب رقية المريض)، وفي باب آخر سماه (باب رقية المريض بالمعوذات والنفث)[٣].

أورد فيها الأحاديث التي فيها ترخيص النبي ﷺ بالرقية، وفعله لها في رقية المرضى وقد قال ﷺ لما سأله عوف بن مالك الأشجعي عن رقى الجاهلية التي كانوا يستخدموها فقال ﷺ "اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك"[٤].

وقد استخدم بعض الأطباء النفسيين العلاج بالقرآن الكريم حيث يقول أ. د. رامز طه: (بدأت في إجراء سلسلة من الدراسات العملية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب ج٧ ص٢٣؛ وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، حديث (٦٥ - ٢٢٠١) ج٢ ص١٧٢٧ واللفظ للبخاري.

(٢) شرح النووي، ج٧ ص٤٤٥.

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب السلام، ج٢ ص١٧٢١ - ١٧٢٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، حديث (٦٤ - ٢٢٠٠) ج٢ ص١٧٢٧.

للاستفادة من القرآن الكريم في علاج عدة أمراض ومشكلات نفسية مختلفة، مثل القلق والخوف، والوسواس القهري وخلافه، وكانت النتائج ٨٠٪ من الحالات تفوقُ نتائج العلاج بأساليب ومدارس غربية)[١].

وفي تجربة أخرى أجراها الطبيب النفسي الباكستاني أ. د. محمد شريف على العلاج بالقرآن والذكر والصلاة، حيث عالج ٦٤ مريضاً بالاكتئاب علاجاً طبياً، وقسمهم إلى مجموعتين:

٣٢ مريضاً أعطاهم العلاج الطبي فقط.

و٣٢ مريضاً أعطاهم العلاج الطبي وطلب منهم القيام بالليل – في شهر رمضان – من الساعة ٢ – ٤ صباحاً لصلاة التهجد، وذكر الله، وقراءة القرآن، والدعاء، والاستغفار، وبعد أربعة أسابيع وجد أن ٧٨ ٪ من المجموعة الثانية و١٥٪ من المجموعة الأولى قد تخلصوا من الاكتئاب[٢].

٥ – إرشاد المريض إلى الإكثار من ذكر الله تعالى والإلحاح بالدعاء:

إن من أعظم أسباب اطمئنان النفس ذكرها لله عز وجل، فالله تعالى يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[٣].

فإذا قلق القلب واضطرب، فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله[٤].

(١) العلاج النفسي الذاتي بالقرآن، أ. د. رامزطه.

(٢) حاجة الإنسان إلى الإيمان، وليد أحمد حسان عباس، منتديات د. نبيل سفيان للإرشاد النفسي ٢٨يونيو ٢٠١٠م.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٤) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٣٢٤.

وقال ابن القيم – رحمه الله – عن الذكر: (به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم المصيبات ... يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً) [١].

وقد جاء الترغيب بكثرة الذكر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فالله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [٢]، ويقول: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [٣].

فرتب على ذكره أعظم جزاء وهو ذكره تعالى لعبده [٤].

وما أحوج العبد المريض الضعيف إلى ذكر ربه في ضرائه، وذكر الله أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه [٥].

والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل [٦].

وفي التداوي بالقرآن والدعاء يقول ابن القيم – رحمه الله – : (إن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يفعله علاج الأطباء) [٧].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ج٢ ص٣٥٦.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، ج١ ص١٧٤.

(٥) انظر: المرجع السابق، ج١ ص١٧٤.

(٦) انظر: الجواب الكافي لابن حجر، ص٩.

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ج٤ ص٥٥.

وقد جاءت الأحاديث من السنة في بيان دعاء الكرب فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : (أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات وربُّ الأرض ورب العرش الكريم) (١).

وعن أبي داود عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "دعواتُ المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كُلّهُ، لا إله إلا أنت"(٢).

وقد كان للإمام ابن القيم - رحمه الله - لطائف ينبغي التنبه إليها عند الذكر والدعاء حيث قال: (ولكن ها هنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويُرقى بها، هي في نفسها، وإن كانت نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره) (٣).

وقد شبه الدعاء بالسلاح، والداعي بالرامي أو الضارب، فلابد من اجتماع القوة في كليهما فيقول - رحمه الله - : (والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعد ساعداً قوياً، والمانع مفقود، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان في نفسه غير

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، ج ٧ ص١٥٤، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، حديث (٨٣ - ٢٧٣٠)، ج٣ ص٢٠٩٢.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (٥٠٩٠) ج٥ ص٣٢٥، والحديث حسن الألباني. انظر: (صحيح سنن أبي داود، ج٣ ص٩٥٩).

(٣) الجواب الكافي، ص٨ .

صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر) [1].

وهذا العلاج الرباني استفاد منه بعض الأطباء النفسيين المسلمين في علاج مرضاهم، إذ وجدوا أن ذكر الله يزيل المخاوف، والأفكار والتصورات السلبية والوساوس، ويطردها من الذهن في الحال، ويعيق تأثيرها على مراكز الانفعال، يقول أ. د. رامز طه: (ولقد جربت مع عدد من المرضى، ومن الأشخاص العاديين الذين يعانون من مشاكل شخصية واضطرابات في التوافق، درجة أعمق من الترديد والتكرار للإذكار المختلفة ...ولقد كانت النتائج مبشرة وحققت درجة أسرع وأطول أثراً في خفض معدلات التوتر والإحباط، وإزالة الانفعالات السلبية) [2].

٦ – توجيه المريض بأن الإيمان بالله جل وعلا وتوحيده وعمل الطاعات فيه شفاء للأمراض النفسية:

فإن الإعراض عن الله تعالى، وعن ذكره وعبادته، فيه الشقاء وضنك المعيشة .كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [3].

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في معنى هذه الآية: ("ومن أعرض عن ذكري" أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه

---

(١) المرجع السابق، ص١٤.

(٢) ذكر الله طارد للمخاوف أ.د.رامز طه

(٣) سورة طه، آية: ١٢٤.

وأخذ من غيره هداه" فإن له معيشة ضنكا" في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة) [1].

ويقول د/ محمد شعبان في أسباب الاضطرابات النفسية، وأنها بسبب البعد عن الله عز وجل كما جاء ذلك في القرآن الكريم في آيات عديدة[2]، وذكر من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [3].

حيث كان الإيمان والطاعات نوراً يهتدي به المؤمن، والكفر والمعاصي ظلمات تؤدي إلى ضياع صاحبها، تلتبس عليه الطرق، وتظلم عليه المسالك، فحضره الهم والغم والحزن والشقاء[4].

وقد قال د/ أحمد شعبان بعد ذكره الحقيقة التي ذكرها القرآن الكريم، وهي أن الإيمان يجلب الطمأنينة: (ومن أراد الاطلاع على شواهد هذه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص١٦٤.

(٢) انظر :الاضطرابات النفسية بين نظريات الطب النفسي وحقائق القرآن الكريم ،د. أحمد محمد شعبان ،موقع النفسي ٢٦إبريل ٢٠١٢م .

(٢)سورة الأنعام ،آية:١٢٢

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ج٢ ص٤٦٨.

الحقيقة فليقرأ بتمعن تاريخ المجتمع الإسلامي الأول الذي عاشه النبي ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - فقد سطرت لنا كتب الأحاديث النبوية والسيرة والتاريخ، أن هذه الثلة من الناس قد وصلت في عيشها إلى ذروة الاطمئنان النفسي، رغم كل الأخطار التي كانت تحدق بها، والظروف الصعبة التي كانت تمر عليها من جوع وفقر وشدة، ولم يسطر لنا التاريخ في مراحله الطويلة أن جماعة من الناس استطاعت من فرط الاطمئنان النفسي أن تنام بين صفي القتال، رغم قلة عددها وعدتها، وكثرة عدوها وشدته، سوى هذه الثلة التي ملأت قلوبها إيماناً بالله وحباً له، واعتماداً عليه) [1].

وقد أكدت دراسة علمية أن الإيمان بالله عز وجل والمحافظة على الصلاة وأداء الزكاة والصدقات وصوم رمضان والعمرة والحج وقراءة القرآن الكريم، علاج فعال لكل الأمراض النفسية التي قد تصيب الإنسان، وقد أجرت الدراسة الباحثة شاهيناز مليباري بعنوان (الوقاية والعلاج من الأمراض النفسية في ضوء السنة النبوية) حيث حصلت بها الباحثة على درجة الماجستير من جامعة أم القرى[2].

وفي دراسة علمية مماثلة أجراها الباحث صالح بن إبراهيم الصنيع بعنوان (العلاقة بين مستوى التدين والقلق العام) على عينة من طلاب

---

(١) الاضطرابات النفسية بين نظريات الطب النفسي وحقائق القرآن الكريم، د. أحمد محمد شعبان، موقع النفسي ٢٦ أبريل ٢٠١٢م.

(٢) انظر: القرآن الكريم علاج فعال للأمراض النفسية، موقع النفسي ٣ مارس ٢٠٠٩م.

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حيث تبين من خلال نتائج الدراسة أن هناك علاقة عكسية بين التدين والقلق، لذا خرج بتوصيات مفادها زيادة نصيب المواد الشرعية في الجامعة لما لها من أثر إيجابي على رفع مستوى التدين وعلى خفض مستوى القلق لدى الطلاب، ويتم ذلك بالحث على أداء العبادات الواجب منها والنافلة، والإكثار منها واتباع هدي النبي ﷺ في جميع أمور الدنيا والآخرة[1].

كيفية التعامل مع مرضى الوسواس القهري:

ونظراً لشدة معاناة مرضى الوسواس القهري الديني فسأفردها بالحديث:

أعراض الوسواس القهري:

١. وجود وساوس في هيئة أفكار أو اندفاعات، أو مخاوف.
٢. أفعال قهرية في هيئة طقوس حركية مستمرة أو دورية، وعادة ما تسبب الأفكار القهرية قلقاً ومعاناة شديدة، ويقوم المريض بالأفعال القهرية للتخفيف من آلام الأفكار.
٣. تيقن المريض بتفاهة هذه الوساوس ولا معقوليتها، ومعرفته الأكيدة أنها لا تستحق منه هذا الاهتمام.
٤. محاولة المريض مقاومة هذه الوساوس، ولكن مع طول مدة المرض قد تضعف هذه المقاومة.
٥. إحساس المريض بسيطرة هذه الوساوس وقوتها القهرية عليه، مما يترتب عليه شلله الاجتماعي، وآلام نفسية وعقلية شديدة[2].

(١) انظر: العلاقة بين مستوى التدين والقلق العام، د. صالح بن إبراهيم الصنيع، موقع الألوكة ١٦/٥/٢٠٠٧م.

(٢) انظر: تعريف الوسواس القهري وخصائصه، د. محمد محمد فريد، موقع النفسي ٢٢ فبراير ٢٠٠٧.

والوساوس قد تحدث في عبادات الشخص، كما تحدث أو تعتري الشخص في شؤون حياته الدنيوية[1].

مثاله في العبادات: كتكرار المصلي لتكبيرة الإحرام أو قراءة الفاتحة، أو تكرار غسل عضو من الأعضاء أثناء الوضوء، أو تكرار الوضوء كاملاً، وعلى ذلك سائر العبادات كالشك في الطلاق. أو في الصوم إلى غير ذلك .

أما مثاله في غير العبادات: فمثل تكرار التأكد من غلق محابس الغاز، أو غلق الأبواب مرات عديدة، أو تكرار غسل اليدين مرات كثيرة، بعد لمس جسم مثل مقابض الأبواب، حتى مع عدم وجود حاجة لغسل اليدين، ولكن هناك ما يدفعه لذلك الفعل بسبب الأفكار التي تهيمن على عقله[2].

وفي دراسات علمية تبين أن الوساوس الدينية تمثل غالبية الوساوس لدى العرب والمسلمين[3].

الأسلوب الدعوي في التعامل مع مريض الوسواس القهري:

يختلف الموسْوسُ عن الضال أو المنحرف فكرياً، في أن الموسوس يحترق ويتألم من شدة المعاناة، ويشتكي حاله إلى العلماء، كما أنه ربما يخفيها أحياناً خجلاً منها، أو كي لا يكفره الآخرون، نظراً لعدم إدراكهم لحقيقة معاناته، أما المنحرف فكرياً فإنه ينافح ويناضل من أجل إثبات فكرته للآخرين، وهي لا تقلقه، بل تتوافق مع أفكاره وميوله[4].

(١) انظر: العلاج من الوساوس في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص٦.

(٢) انظر: الوسواس القهري مرض نفسي أما أحاديث شيطانية، أ. د. طارق الحبيب، ٢١- ٢٤.

(٣) انظر: تعريف الوسواس القهري وخصائصه، د. محمد فريد، ٢٢ فبراير ٢٠٠٧م.

(٤) انظر: الوسواس القهري مرض نفسي أما أحاديث شيطانية، أ. د. طارق الحبيب ص٢١ – ٢٤، وانظر

لذا صرح العلماء - رحمهم الله - في الطريقة المثلى في التعامل معه، لعلمهم بحقيقة معاناته يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - : (يبشر المبتلى بالوسواس من وجه أنه إنما ابتلي به لقوة إيمانه، ويريد الشيطان أن يضعف هذه القوة) [1].

أما الإمام النووي - رحمه الله - فقال في شرح أحاديث الوسوسة: (أما معاني الأحاديث وفقهها فقوله ﷺ : "ذلك صريح الإيمان ومحض الإيمان" معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك ...

وقيل معناه: أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس في إغوائه، فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه) [2].

أما الإمام ابن القيم - رحمه الله - فبين كيد الشيطان للإنسان في إضلاله، وإفساد دينه حيث قال: (ومن كيده العجيب: أنه يشام النفس حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها، قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام، أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقَّله عليه، وهوَّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصد فيه ويتهاون به.

المسؤولية الدينية لمريض الوسواس القهري، أ. د. محمد المهدي، موقع مجانين.

(١) العلاج من الوساوس في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ ابن عثيمين، ص١٧.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، ج١ ص٤٣٣.

وإذا رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصر بالأول، ويتجاوز بالثاني .كما قال بعض السلف: ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر.

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين:

وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

فقوم قصر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحدّ بالوسواس)[(١)].

وقد ذكر أ. د. طارق الحبيب أنه يجب عدم لوم الموسوس على وسواسه، فإن ذلك لا يد له به، بل إن لومه يزيد من قلقه، الذي هو العامل وراء ظهور الوساوس .والوساوس تزيد القلق، وهكذا فيظل الموسوس يطوف في دائرة مغلقة من القلق والوساوس حتى تنهكه الهموم[(٢)].

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن القيم، ج١ ص١٨٤.

(٢) انظر: الوسواس القهري مرض نفسي أم أحاديث شيطانية، أ. د. طارق الحبيب، ص٢٩.

أسباب الوسواس القهري:

من أسباب الإصابة بالوسواس القهري:

١ - أسباب مرضية:

حيث ذكر الأطباء أن التجارب العلمية أثبتت بأنها بسبب اختلال في مستوى الناقلات العصبية في الدماغ(١).

٢ - الجهل بالشرع هو من أسباب تأثر المريض بالوسواس. والجهل المسبب للوساوس الدينية ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: جهل بالفروع والأحكام الشرعية الجزئية.

بمعنى أن الجهل يكون في مسألة شرعية بعينها أو أكثر، وليس في القواعد الشرعية الكلية التي ينتظم تحتها عدد كبير من المسائل.

مثاله: ظن الموسوس أن المضمضة في الفم تفطر الصائم، فيظل يجفف فمه بعد المضمضة بطريقة وسواسية واضحة، خوفاً من إبطال صومه، ولا يدري أن الأثر المتبقي بعد إخراج الماء من الفم لا يفسد الصوم، وهذا النوع غالباً ما تزول وسوسته بمجرد معرفة حكم المسألة، فتراه يقلع فوراً عن أفعاله الوسواسية.

القسم الثاني: جهل بالأصول والقواعد الشرعية الكلية، التي تضم تحتها عدداً كبيراً من المسائل الجزئية.

مثاله: قاعدة (اليقين لا يزول بالشك) (٢) إذا جهلها الإنسان أو جهل

---

(١) انظر: مفاهيم خاطئة للمرض والعلاج النفسي، أ. د. فائق الزغاري، طبيب نفساني دوت كوم، وانظر أسباب الوسوسة القهرية، أ. د. وائل أبو هندي ١٦/١٢/٢٠١٠م، موقع مجانين، وانظر أسباب الأمراض النفسية ويكيبيديا.

(٢) انظر: القواعد الفقهية وما تفرع عنها، للشيخ صالح السدلان، ص٩٧.

معناها والتبست عنده بمعنى الاحتياط والورع، تراه يجهد نفسه بترك كل ما ورد إليه الشك - بدليل أو بغير دليل - ويبطل أعماله دون موجب، وهو يظن أن ما يفعله من الاحتياط وترك ما يريب، فتراه يتوضأ لأي إحساس بخروج شيء منه، ولا يعلم أنَّ وضوءه الذي تيقن وجوده لا يزول بمجرد الشك، وإنما لابد من وجود ناقض يقيناً.

وهذا النوع إذا نبهته على حكم مسألة يوسوس فيها تركها بصعوبة بالغة، لأن تركها يعارض الأصل المعرفي المختل عنده، وتراه ينتقل إلى فكرة وسواسية أخرى تتناسب مع ذلك الأصل المختل عنده، وعبثاً قصره عن وسواسه إن لم تصحح المفهوم الكلي المختل عنده(١).

أساليب السيطرة على الوسواس القهري:

١ - وقف التفكير بالفكرة الوسواسية:

وهذا سبقت الإشارة إليه حيث تم الاستشهاد بحديث النبي ﷺ في الصحيحين: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"(٢).

وفي الحديث الآخر قال رسول الله ﷺ : "لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال: هذا، خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله"(٣).

(١) انظر: منهج الفقهاء في التعامل مع الوسواس القهري (٤)، أ. رفيف الصباغ، موقع مجانين.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، حديث (٢١٢ - ١٣٤) ج١ ص١١٩.

حيث جاء الإرشاد النبوي بوقف التفكير (فلينته)، حيث أن وقف التفكير بالفكرة الوسواسية وعدم الاستجابة لها من العوامل المهمة لشفاء مريض الوسواس القهري، من وجهة نظر النظرية النفسية(١).

والنبي ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فطبه ﷺ يعد حقيقة ليس للتجربة والقياس، وإنما ثابت بالوحي، وقد تحدث عن ذلك الإمام ابن القيم في نسبة طبه ﷺ إلى طب الأطباء فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي صادر من الوحي ومشكاة النبوة(٢).

٢ – دفع الفكرة الوسواسية بما يضادها:

لقد ورد في الأحاديث السابقة أن علاج الوسواس يكون بأمرين:

- الانتهاء ووقف التفكير.
- دفع الفكرة بما يضادها.

كما ورد في حديث: (فليستعذ بالله ولينته).

وما يضاد الفكرة هو قوله فليقل (آمنت بالله) ويفهم من الأحاديث التي وردت في الوسوسة أنه يجب دفع الفكرة الوسواسية، فمن جاءته أفكار في العقيدة، وأنه كافر كرر عبارة آمنت بالله أو قرأ سورة الإخلاص وتفكر بما فيها من معاني التوحيد.

ومن جاءته فكرة وسواسية في عباداته كالطهارة أو الصلاة، كرر ما يضاد الفكرة فإذا كانت الفكرة ما تطهرت يقول بلى تطهرت وهكذا ...(٣).

---

(١) انظر: الوسواس القهري "القفل والمفتاح" د. أحمد عيد منتدى، أ. د. طارق الحبيب، مركز مطمئنة الطبي.

(٢) انظر: زاد المعاد، ج٤ ص١١.

(٣) انظر:منهج الفقهاء في التعامل مع الوسواس القهري أ. رفيف الصباغ (١١) موقع مجانين.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إلى ذلك حيث قال: (إن النبي ﷺ أمر العبد أن يقول: آمنت بالله، وفي رواية ورسوله، فهذا من باب دفع الضد الضار بالضد النافع؛ فإن قوله آمنت بالله"، يدفع عن قلبه الوسواس الفاسد .. فأمر النبي ﷺ العبد أن يقول: "آمنت بالله" أو "آمنت بالله ورسوله" فإن هذا القول إيمان، وذكر الله يدفع به ما يضاد من الوسوسة القادحة في العلوم الضرورية الفطرية، ويشبه هذا الوسواس الذي يعرض لكثير من الناس في العبادات حتى يشككه هل كبرَّ أو لم يكبرِّ؟ وهل قرأ الفاتحة أم لا؟ وهل نوى العبادة أم لم ينوها؟ وهل غسل عضوة في الطهارة أو لم يغسله فيشككه في علومه الحسية الضرورية ..

وهذا الوسواس يزول بالاستعاذة وانتهاء العبد، وأن يقول إذا قال: لم تغسل وجهك؟ بلى قد غسلت وجهي، وإذا خطر له أنه لم ينو، ولم يكبر، يقول بقلبه بلى قد نويت وكبرت، فيثبت على الحق، ويدفع ما يعارضه من الوسواس، فيُرى الشيطان قوته وثباته على الحق، فيندفع عنه، وإلا فمتى رآه قابلاً للشكوك والشبهات، مستجيباً إلى الوساوس والخطرات، أورد عليه من ذلك ما يعجز عن دفعه، وصار قلبه مورداً لما توحيه شياطين الإنس والجن من زخرف القول، وانتقل من ذلك إلى غيره، إلى أن يسوقه الشيطان إلى الهلكة)(١).

٣ – إرشاد المريض بالوسواس القهري (الديني) إلى أقوال العلماء المعتبرة فيما يعانيه:

ولأن المريض بالوسواس القهري الديني إنما أدى به إلى الوسواس حرصه

(١) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣ ص٣١٦ – ٣١٧.

الشديد للوصول للأكمل والأفضل، بسبب حبه للخير وإتقان العبادة(١). فإن مما يفيده إزالة ما عنده من لبس أو جهل بذكر أقوال العلماء الربانيين، ليزول بذلك إشكاله فكلما كان الإرشاد دينياً كلما كان أبلغ في التأثير عليه(٢).

وقد ثبت أهمية وفاعلية تصحيح الأفكار وتعديلها - العلاج المعرفي السلوكي - في علاج الوساوس القهرية، وأثر ذلك في إحداث تغييرات في المخ تماثل التغييرات الكيميائية التي تحدثها الأدوية(٣).

وقد كانت هذه القضية محل اهتمام علماء المسلمين على مر العصور، بل قبل ذلك التوجيه النبوي في علاجها، والذي استنبط منه الفقهاء أحكامهم الفقهية الخاصة بمريض الوسواس القهري. وسوف أذكر بعض النماذج على ذلك:

- منه ما جاء في بدائع الصنائع: (ومن أيقن بالطهارة وشك في الحدث فهو على الطهارة، ومن أيقن بالحدث وشك في الطهارة فهو على الحدث، لأن اليقين لا يبطل، لشك ... وإن كان يعرض له ذلك كثيراً لم يلتفت إليه، لأن ذلك وسوسة، والسبيل في الوسوسة قطعها، لأنه لو اشتغل بذلك لأدّى إلى ألاّ يتفرغ لأداء الصلاة، وهذا لا يجوز .. وإن كان الشيطان يريه ذلك كثيراً - أي البلل - ولم يعلم أنه بول أو ماء مضى على صلاته،

---

(١) انظر: العلاج من الوساوس في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -، ص١٦.

(٢) انظر: العلاج بتأمل ذكر الله، أ. د. رامز طه.

(٣) انظر: منهج الفقهاء في التعامل مع الوسواس القهري (١)، أ.رفيق الصباغ ، موقع مجانين، وأسلوب تعديل التفكير، أ. د. رامز طه.

ولا يلتفت إلى ذلك، لأنه من باب الوسوسة فيجب قطعها، وقال النبي ﷺ: "إن الشيطان يأتي أحدكم فينفخ من أليتيه، فيقول: أحدثت أحدثت، فلا ينصرفن حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً" [(١)]) [(٢)].

– وجاء في المغني: (ويستحب أن ينضح على فرجه وسراويله، ليزيل الوسواس عنه، قال حنبل: سألت أحمد، قلت أتوضأُ وأستبرئُ، وأجد في نفسي أني قد أحدثتُ بعدُ. قال: إذا توضأت فاستبرئ، وخذ كفاً من ماء فرشه على فرجك، ولا تلتف إليه، فإنه يذهبُ إن شاء الله، وقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: "جاءني جبريل، فقال: يا محمد إذا توضأت فانتضحْ"[(٣)])[(٤)].

---

(١) بحثت عن هذا الحديث بهذا اللفظ في الكتب التسعة فلم أجده ،ولكن وجدته بألفاظ أخرى قريبة عند البخاري في كتاب الوضوء، باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن، ج١ ص٤٣، وعند مسلم حديث (٣٦١) ج١٠ ص٢٧٦؛ وعند أبي داود برقم (١٧٦)، وعند الترمذي برقم (٧٤) وعند الإمام أحمد، ج٢ ص٣٣٠، وعند النسائي برقم (١١٥) وابن ماجة برقم (٥١٣).

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الإمام علاء الدين الكاساني، ج١ ص٢٦٣ – ٢٦٤.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في النضح بعد الوضوء، حديث رقم (٥٠) ج١ ص٧١؛ وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب ما جاء في النضح بعد الوضوء، حديث رقم (٤٦١) ج١ ص١٥٧؛ والحديث ضعفه الألباني (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث رقم (١٣١٢) ج٣ ص٤٧٧. وقال بعد حكمه على هذا الحديث أن هناك رواية للحديث عن زيد بن حارثة قال: قال رسول الله ﷺ : (علمني جبرائيل الوضوء، وأمرني أن أنضح تحت ثوبي لما يخرج من البول بعد الوضوء)، وإسناد هذه الرواية (حسن). (انظر: المرجع السابق، ج٣ ص٤٧٨)، وهذه الرواية عند أحمد، ج١ ص١٦١؛ وابن ماجة (٤٦٢).

(٤) المغني، لابن قدامة المقدسي، ج١ ص٢١٣.

- و جاء في الفواكه الدواني: (باب في الغسل: وفي كلام الفاكهاني والشيخ داود أنه لابد من تحقق إيعاب جميع الجسد ولا يكفيه غلبة الظن، لأن الذمة عامرة لا تبرأ إلا بيقين ما لم يكن مستنكحاً(١).. وأقول: الذي يظهر من كلامهم في الصلاة والوضوء وفي مواضع متعددة من وجوب بناء المستنكح على الأكثر عند الشك، أي في الركعات أو الغسلات) (٢).

وكذلك الفقهاء المعاصرون اهتموا ببيان هذا الأمر، نظراً لكثرة الاستفتاءات في هذا الشأن .وقد جُمعت بعض فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في علاج الوساوس في كتيب باسم "العلاج من الوساوس في ضوء الكتاب والسنة"(٣).

وكذلك توجد فتاوى لكبار العلماء في هذا الشأن ولأهمية هذا الموضوع والحاجة الماسة إلى علاجه أُلفت رسالة دكتوراه باسم "أحكام المريض النفسي في الفقه الإسلامي" (٤).

---

(١) (المستنكح): المغلوب (انظر: القاموس المحيط، مادة نكح، ص٣١٤).

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد بن غنيم النفراوي الأزهري المالكي، ج١ ص٢٣٤.

(٣) الكتيب من إعداد عبدالكريم بن صالح المقرن، طبع دار القاسم للنشر.

(٤) هذه الرسالة من إعداد: د. خلود بنت عبدالرحمن المهيزع -كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المبحث الرابع
العوامل المؤثرة في استجابة المريض النفسي

رغم أهمية ما ذكر من أساليب يخاطب بها المريض النفسي، فإنه لابد أن يصاحب ذلك عوامل مساعدة تجعل المريض يتقبل من الداعية ومن هذه العوامل:

١ – حسن المعاملة وإظهار الاهتمام به، وقد ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– في زاد المعاد (فصل في هديه ﷺ في علاج المرضى بتطييب نفوسهم وتقوية قلوبهم)، ذكر فيه: (وقد تقدم في هديه ﷺ أنه كان يسأل المريض عن شكواه، وكيف يجده، ويسأله عما يشتهيه، ويضع يده على جبهته، وربما وضعها بين ثدييه، ويدعو له، ويصف له ما ينفعه في علته، وربما توضأ وصبَّ على المريض من وضوئه، وربما كان يقول للمريض: (لا بأس طهور إن شاء الله) (١)، وهذا من كمال اللطف، وحسن العلاج والتدبر)(٢).

ومن اللطائف الجميلة فيما ذكر ابن القيم – رحمه الله – من هديه ﷺ من لمس المريض ووضع يده على جبهته أو بين ثدييه، ما ذكره د/ محمد إبراهيم حجازي عن فوائد اللمس للمريض، حيث ذكر أنه يزيد إنتاج هرمون الأندروفين في الجسم، وهذا الهرمون يسمونه بهرمون النمو، وتحسين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ،باب عيادة الأعراب ج٧ ص٦.

(٢) زادالمعاد لابن القيم، ج٤ ص١١٧.

الحالة المزاجية ومقاومة الاكتئاب، ويرى الخبراء أن له فوائد صحية كثيرة من بينها التعجيل بشفاء المرضى)[1].

وهذا نوع من العلاج التدعيمي الذي يستخدمه الأطباء النفسيون من خلال إقامة علاقة ود مع المريض، تسمح للمريض بالإفضاء عن متاعبه والآمه، والتحدث عن بعض مشاكله وأحزانه دون خوف، وهذا سر النجاح الذي يلاقيه بعض الأطباء والمعالجين[2]، وأسلوب التدعيم هذا يستخدم في أغلب مدارس العلاج النفسي، لأن مجرد الاهتمام الذي يبديه المعالج بالاستماع للمريض والاهتمام به وبمشكلاته هو نوع من القبول والتدعيم[3].

٢ - مساعدة المريض فيما يريد القيام به من التزامات، ولكن لا يقوم بها نيابة عنه لكي لا يؤثر ذلك سلباً في شعوره تجاه نفسه[4].

٣ - تجنب لوم المريض أو إشعاره بأنك مسؤول عن حالته، وتجنب إتهامه بضعف الإيمان، أو نقص اليقين[5].

٤ - أن يكون لدى الداعية إلمام كامل بكيفية التعامل الصحيح لإرشاد المريض النفسي، والتعلم يكون من خلال دورات في الإرشاد النفسي والتي يعلن عنها من خلال الإنترنت، وكذلك وجود كم هائل من الكتب والمقالات الطبية والنفسية والشرعية التي تزيد من حصيلة الداعية العلمية وقدرته العملية التطبيقية .

(١) تحسين الحالة المزاجية ورفع الروح المعنوية للمريض، د. محمد إبراهيم حجازي، موقع البرلس ٢٤/٨/ ٢٠١٠م.

(٢) انظر: فن ومهارات العلاج النفسي، أ. د. رامز طه.

(٣) انظر: أسلوب التدعيم والمكافأة، أ. د. رامز طه.

(٤) انظر: الاكتئاب النفسي، أ. د. عبدالله السبيعي، موقع النفسي، ١٦ إبريل ٢٠٠٩م.

(٥) انظر: المرجع السابق.

٥ - إن تعديل أفكار وسلوك المريض النفسي، وتبني أنماط وعادات صحية وإيجابية راسخة ومستمرة، لن يحدث إلا من خلال التحول من الثقافة الوعظية، وعلوم الكلام إلى التدريب والتطبيق العملي لعلوم سلوكية إسلامية عصرية تطبيقية جديدة [١].

٦ - مساعدة المريض في علاج نفسه، فإن ذلك يورث ثقة في نفس المريض، ويعينه في الاعتماد على ذاته. وقد أصبحت العديد من مدارس العلاج النفسي الحديثة تعترف بأن الإنسان قادر على توجيه سلوكه من خلال المعرفة الواعية، والتدريب المنظم على تعديل أفكاره وسلوكه طبقاً لقواعد العلاج النفسي الحديثة[٢].

(١) انظر: تطبيقات عملية لمنهج الرسول ﷺ في تعديل السلوك وتغيير العادات، أ. د. رامز طه.

(٢) انظر: فن ومهارات العلاج النفسي الذاتي، أ. د. رامز طه.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الدعاة الربانيين إلى الله تعالى يضطلعون بمسؤوليات عظمى في توجيه الناس وإرشادهم إلى دين الله عز وجل، ينتجهون بذلك نهج رسول الهدى والرحمة ﷺ الذي لم يكن من هديه الدعوة إلى دين الله فقط، دون أن تكون هذه الدعوة مصحوبة بالإحسان إلى الناس وتقديم المساعدة والعون لهم، ومن ذلك اهتمامه ﷺ بالمرضى في زيارتهم، وتطييب خواطرهم وإرشادهم إلى كل ما يساعدهم في تجاوز المحنة التي يمرون بها. وقد كان هذا البحث (المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي) جهد مقل في جمع مادة علمية حول المريض النفسي، ووصف معاناته وتقديم الأساليب العلاجية التي تعينه في هذا الوقت العصيب الذي يمر به، وهو رسالة موجهة إلى المهتمين بالدعوة، في لفت النظر إلى معاناة المرضى النفسيين، والسبل العلاجية التي يمكن استخدامها من خلال الجمع بين رؤية علماء الشريعة وأطباء النفس، وقد خرجت من هذا البحث بعدد من النتائج منها:

١- أن نسب من يعانون من الأمراض النفسية غير قليلة، حسب الدراسات المسحية التي قامت بها منظمة الصحة العالمية، ووزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية.

٢- أن أكثر الأمراض النفسية انتشاراً الاكتئاب والأرق والوسواس القهري، وتوهم المرض، واضطراب نوبات الذعر.

٣- أن هناك علاقة تأثير متبادلة بين صحة النفس، وصحة الجسم.

٤- أن للاهتمام بدعوة المريض النفسي دوافع مهمة تجدر العناية بدعوة المريض من أجلها.

٥- أن للتعامل مع المريض النفسي أساليب يمكن الاستفادة منها في الدعوة، وهي خلاصة دراسات وأبحاث شرعية وطبية نفسية منها:

- أسلوب التطمين والدعم.
- إرشاد المريض إلى التداوي.
- مساعدة المريض على التحكم والسيطرة على تفكيره.
- توجيه المريض إلى قراءة القرآن الكريم وتدبره والاستشفاء به.
- إرشاد المريض إلى الذكر والدعاء.
- إرشاده إلى الإيمان بالله تعالى وأداء العبادات، وأن فيها شِفاء من الأمراض النفسية.
- أن هناك أساليب مستمدة من السنة النبوية في علاج الوسواس القهري.
- إرشاد مريض الوسواس القهري إلى ما يهمه من أمور عقيدته وعباداته، من خلال اطلاعه على أقوال وفتاوى علماء الأمة المعتبرين.

٦- أن الاهتمام بالمريض وحسن معاملته من العوامل المؤثرة في استجابته.

٧- أن لمساعدة المريض فيما يود القيام به، دون أن يكون ذلك نيابة، عنه أثراً في استجابة المريض وازدياد ثقته بنفسه.

٨- أن المريض النفسي يجب أن لايلام على تصرفاته، ويجب عدم اتهامه بضعف الإيمان.

٩- أن تعديل أفكار وسلوك المريض النفسي، لن يحدث إلا من خلال التحول من الثقافة الوعظية وعلوم الكلام، إلى التدريب والتطبيق العملي لعلوم سلوكية إسلامية عصرية تطبيقية جديدة.

وهذه بعض التوصيات التي خرجت بها:

- أن الاهتمام بالمريض النفسي ودعمه، هو واجب دعوي يجدر بالدعاة الاهتمام والعناية به نظراً لعظم المصيبة التي قد يقعون بها والتي قد تؤدي إلى الكفر أو الانتحار.
- العناية ببحث كل ما يستجد من وسائل وأساليب علاجية ينتفع بها الدعاة والمرضى النفسيين، مع ربط هذه الدراسات بالشرع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

المراجع والمصادر

١- أحكام المريض النفسي في الفقه الإسلامي. د/ خلود بنت عبدالرحمن المهيزع.

٢- إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع.

٣- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان. لابن قيم الجوزية تحقيق محمد عفيفي - المكتب الإسلامي - ١٤٠٩هـ.

٤- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. علاء الدين الكاساني طبع دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية - ٢٠٠٣م.

٥- تفسير القرآن العظيم. عماد الدين إسماعيل بن كثير - طبع مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤١٣هـ.

٦- التفسير القيم لابن القيم. جمع محمد أويس الندوي وتحقيق محمد حامد الفقي - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - بدون تاريخ.

٧- تيسير الكريم الرحمن تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن سعدي، تحقيق محمد النجار - طبع مطابع الدجوي - القاهرة - بدون تاريخ.

٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن قيم الجوزية - طبع مكتبة الرياض - ١٣٩٢هـ.

٩- درء تعارض العقل والنقل شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: د/ محمد رشاد سالم - طبع جامعة الإمام - الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

١٠- الأذكار للنووي. للنووي تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط طبع مكتبة الملاح دمشق ١٣٩١هـ.

١١- زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن قيم الجوزية. تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط. طبع مؤسسة الرسالة - الطبعة ٢٧ - ١٤١٤هـ.

١٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. محمد ناصر الدين الألباني، طبع مكتبة المعارف - الرياض - الأولى ١٤٠٨هـ.
١٣- سنن أبي داود. أبوداود سليمان بن الأشعث طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
١٤- سنن ابن ماجه. أبي عبدالله محمد بن يزيد - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
١٥- سنن الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
١٦- سنن النسائي. أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
١٧- شرح النووي لصحيح مسلم. النووي. تحقيق: عصام الصبابطي - حازم محمد - عماد عامر - طبع دار أبي حيان - الأولى ١٤١٥هـ.
١٨- صحيح البخاري. أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
١٩- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
٢٠- العلاج من الوساوس في ضوء الكتاب والسنة. محمد بن صالح العثيمين - إعداد عبدالكريم بن صالح المقرن - طبع دار القاسم - الأولى ١٤١٨هـ.
٢١- عون المعبود على سنن أبي داود. محمد أشرف بن العظيم أبادي - طبع بيت الأفكار الدولية - بدون ذكر رقم الطبعة والتاريخ.
٢٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب أحمد بن عبدالرزاق الدويش طبع مكتبة المؤيد - الخامسة ١٤٢٤هـ.
٢٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني - طبع دار الريان للتراث - القاهرة - الثانية ١٤٠٩هـ.

٢٤- فتح القدير. محمد بن علي الشوكاني - طبع دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ.

٢٥- الفواكه الدواني على رسالة أبي يزيد القيرواني. الشيخ أحمد الشيخ النفراوي - تحقيق عبدالوارث محمد علي - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٨هـ.

٢٦- القاموس المحيط. الفيروز آبادي - طبع مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٧- القواعد الفقهية وما تفرع عنها. الشيخ صالح السدلان - دار بلنسية - الرياض - الأولى ١٤١٧هـ.

٢٨- قواعد أساسية في البحث العلمي. د. سعيد إسماعيل حسني - طبع مؤسسة الرسالة - الأولى ١٤١٥هـ.

٢٩- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - جمع د/ محمد بن سعد الشويعر - طبع دار المؤيد - الأولى ١٤٢١هـ.

٣٠- مدارج السالكين. الإمام ابن قيم الجوزية - تحقيق محمد المعتصم البغدادي - طبع دار الكتاب العربي - الثانية ١٤١٤هـ.

٣١- المسند. الإمام أحمد بن حنبل طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.

٣٢- المغني. الإمام ابن قدامة المقدسي - تحقيق د/ عبدالله التركي. د/ عبدالفتاح الحلو - طبع دار هجر - الأولى ١٤١٠هـ.

٣٣- الموافقات في أصول الشريعة. لأبي إسحاق الشاطبي - طبع دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ.

٣٤- الوسواس القهري مرض نفسي أم أحاديث شيطانية. أ. د. طارق الحبيب - الأولى ١٤٢٤هـ.

المواقع الإلكترونية

١- صحيفة الرياض الإلكترونية. www.alriyadh.com.

٢- صحيفة عكاظ الإلكترونية. www.okaz.com.

٣- ويكيبيديا الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org.

٤- موقع المستشار. www.almostshar.com.

٥- موقع طبيب نفساني. tabibnafsany.com.

٦- موقع النفسي. www.alnafsy.com.

٧- منتديات الإسلام اليوم. Muntada.islamtoday.net.

٨- منتدى أ.د طارق الحبيب. www.prof - alhabeeb.com.

٩- موقع استشارات نفسية. www.islamweb.net.

١٠- موقع أ.د رامز طه. www.rameztaha.net.

١١- موقع معرفي. العلاج المعرفي السلوكي. www.cbtarabia.com.

١٢- موقع أكاديمية علم النفس. www.acofps.com.

١٣- شبكة عابرون الثقافية. www.abroon.net.

١٤- مجانين - الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية. www.maganin.com.

١٥- موقع مفكرة الإسلام. www.islammemo.cc.

١٦- موقع طريق الإسلام. ar.islamway.com.

١٧- موقع أطفال الخليج. www.gulfkids.com.

١٨- موقع الألوكة. www.alukah.net.

١٩- موقع البرلس. albrolos.com.

٢٠- منتديات د/ نبيل سفيان للإرشاد النفسي. www.dr - nbeel.com.

البحث رقم (٤)

تعزيز ثقافة وقف الوقت

إعداد
د. خالد بن هدوب المهيدب
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[(١)].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[(٢)].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[(٣)(٤)].

أما بعد

فالوقف يعد أحد أهم الموارد الاقتصادية التي تضخ لسد احتياجات الأمة في كافة الميادين والخدمات التي تحتاجها ، وفي أوج حضارة الأمة الإسلامية كان الوقف هو المظلة التي تغطي جل احتياجات الدولة في كافة المجالات، وتسابق الواقفون لبذل جزء من أصول أموالهم وتحبيسها ؛ ليصرف ريعها على أعمال البر والإحسان المتنوعة (كالبيمارستانات)[(٥)] والمدارس

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيات ٧٠-٧١.

(٤) خطبة الحاجة، كما سماها العلماء وقد أثبت الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- صحة بعض طرقها.انظر: خطبة الحاجة- محمد ناصر الدين الألباني- ص(٣-١٤) المكتب الإسلامي - بيروت ط٣- ١٣٩٧هـ.

(٥) البيمارستانات: لفظة فارسية استعملها العرب، ومعناها مجمّع المرضى، لأن "بيما" معناه: المرض. "وستان" هو الموضع (مقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل -محمد الأمين المحبي -تحقيق د.عثمان الصيني- ١/٣٢٠- ط١-١٤١٥هـ-مكتبة التوبة -الرياض).

والأربطة[1] والمكتبات وحلق العلم ، وبذل العلماء وأهل الجود والإحسان رجالاً ونساءً جل أوقاتهم للتعليم ونشر الدعوة وبذل الخير والمعروف للغير وهو ما يندرج تحت ما يسمى حديثاً بـ"وقف الوقت".

فهذا المصطلح كان للأمانة العامة للأوقاف بالكويت قصب السبق في تأطيره من خلال تبني مشروع "وقف الوقت"[2] الذي يهدف لاستقطاب المتطوعين وحثهم على الانخراط في مجال العمل الخيري لأجل دعم مسيرة التنمية الاجتماعية وتوسيع آفاقها في بناء المشاريع الإنتاجية.

وبالتالي فإن بذل جزء من الوقت واستقطاعه ؛ للإسهام في الأعمال التطوعية متعدية النفع يعد من "وقف الوقت" المندوب، فالحاجة قائمة لأن يفيد كل منا مجتمعه وأمته بما تيسر من وقت يقتطعه من يومه أو أسبوعه أو شهره ؛ ليسهم من خلال مهنته أو حرفته أو منصبه أو مكانته الاجتماعية أوالدعوية لتقديم نفع ومصلحة للمحتاجين عن طريق المؤسسات والجمعيات الخيرية والدعوية والطبية والمهنية، والحاجة مازالت قائمة لتوسيع مفهوم "وقف الوقت" لدى كافة شرائح المجتمع والشباب على وجه الخصوص.

ويأتي هذه البحث إسهاماً في تسليط الضوء على مفهوم ثقافة "وقف الوقت" وفق رؤية دعوية معاصرة.

---

(١) الرباط: اسم المكان الذي يلزمه الجند لحراسة ثغور البلاد الإسلامية من الأعداء، فهو مصطلح يطلق على نوع من الثكنات العسكرية التي يرابط فيها المجاهدون.

(٢) انظر: موقع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت.
http://www.awqaf.org.kw/Arabic/AboutMunicipality/EndowmentProjects/Pages/projectview.aspx?ProjectId=6

التعريف بأبرز مصطلحات الدراسة:

الثقافة في اللغة:

جاء مصطلح (الثقافة) في اللغة العربية على معان عدة منها: الحذق والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، والتهذيب، وتقويم المعوج من الأشياء، ومنها ثقفت الشيء أثقفه ثقافة وثقوفة إذا حذقته ومنه أخذت الثقافة بالسيف، وثقفت الرجل إذا ظفرت به . وفي التنزيل: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ، الأنفال: ٥٧ [(١)].

الثقافة في الاصطلاح:

نظراً لحداثة مصطلح "الثقافة" فقد تباينت التعريفات حوله ولعل أجمعها ما أقره المجمع اللغوي الذي عرف الثقافة بأنها: "جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق به" [(٢)].

كما أن علماء الغرب أيضاً لهم رؤية حول مصطلح "الثقافة" فكل يعرفه من الزاوية التي يراها ولعل أقرب التعريفات ما ذكره إدوارد تايلور(١٨٣٢-١٩١٧) " بأنها "ذلك الكل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف والعادات وغير ذلك من القدرات التي حصل عليها الفرد بوصفه عضواً في مجتمع" [(٣)].

---

(١) انظر: جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي١/٤٢٩ الطبعة : الأولى.

(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية ،د. رجب سعيد شهوان وآخرون ، ص ٨، مكتبة الفلاح – الكويت ط٢، عام ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

(٣) علم الاجتماع ومدارسه ، د. مصطفى الخشاب ، ص ١٨٩، ط ١٣٨٧هـ، دار الكاتب العربي بمصر.

الوقف :

الوقف لغة: أصل الوقف: الحبس والمنع، والوقف مصدر وقف، والجمع أوقاف يقال: وقفت الدار وقفًا حبستها في سبيل الله [1]. فالوقف: تحبيس في الابتداء وتسبيل للمنفعة على الدوام.

الوقف في الاصطلاح الشرعي : "تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة" [2]، وهذا التعريف مأخوذ من قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه (احبس أصلها وسبل ثمرتها) [3] . "ويقصد بذلك حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة على الفقراء أو على وجه من وجوه البر" [4] .

تعريف الوقت : يُعرف الوقت بأنه: المقدار من الدهر[5] وبالتالي فإن الوقت وفق هذا التعريف يعنى المقدار المقتطع من الزمن قصيراً كان أم طويلاً.

ولكون الوقت يعد من المنافع التي لها أثر مادي ؛ فعلى هذا يمكن أن يعرف **وقف الوقت**: بأنه بذل المرء جزءًا من وقته لعمل تطوعي يؤديه في مجال من مجالات البر والإحسان.

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص ٣٢٨ ، . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة أحمد المقرى الفيومي، مادة وقف ٦٦٩/٢، ط٢ ١٣٢٤هـ وزارة المعارف المصرية.

(٢) المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ٣٠٧/٢ بدون تاريخ طبع، نشر المؤسسة السعيدية ، الرياض ، السعودية.

(٣) صحيح ابن حبان ٢٦٢/١١ .

(٤) الوقف في الشريعة والقانون ، زهدي يكن، ص ٧ دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

(٥) القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ١ / ٢٠٨ ، دار النشر : مؤسسة الرسالة، بيروت.

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية موضوع الدراسة في أن الوقف في الشريعة الإسلامية بمفهومه الواسع يندرج ضمنه جملة من المنافع التي يسوغ وقفها ومنها "الوقت" الذي يعد في أصله ذا قيمة معنوية تنقلب إلى قيمة مادية تعود بالنفع والفائدة على الجهة التي يوقف الوقت لها ، ولكون المؤسسات والجمعيات الخيرية عامة والدعوية على وجه الخصوص تعاني من نقص شديد في الكوادر والطاقات البشرية المؤهلة نتيجة لعدم قدرتها على استقطابهم وتوظيفهم لضعف الموارد المالية ، فقد رأيت مناسبة تسليط الضوء على موضوع (تعزيز ثقافة وقف الوقت "دراسة دعوية مقارنة") سعياً في الافادة منه وتوظيفه لخدمة العمل التطوعي بشكل عام والدعوي على وجه الخصوص مع الوقوف على جهود الغرب وبذلهم وتوظيفهم لهذا المبدأ في مجال التنصير.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تأصيل مفهوم "وقف الوقت" ونشر ثقافته والوقوف على التجارب المميزة لدى الغرب في هذا الباب وتوظيفها دعوياً "فالحكمة ضالة المؤمن".

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في غياب التأصيل الشرعي لمفهوم "وقف الوقت" وحاجة المؤسسات الدعوية لطاقات بشرية تسد ما تعانيه من نقص في كوادرها لتتمكن من قيامها برسالتها الدعوية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي عن الدراسات التي لها علاقة بموضوع الدراسة لم أقف على دراسة علمية أو بحث تناول موضوع الدراسة الذي يعد من المواضيع التي تتسم بالجدة والابتكار.

سوى مقالات صحفية تناولت مصطلح "وقف الوقت" بشكل عام(١).

تساؤلات الدراسة:

على ضوء المشكلة البحثية المذكورة سابقاً يمكن تحديد التساؤلات التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها وفق الآتي:

ماهي مشروعية وقف الوقت؟

ما حكم وقف الوقت؟

ما تطبيقاتوقف الوقت في التاريخ الإسلامي؟

تطبيقات وقف الوقت لدى الغرب؟

ماهي تطبيقات وقف الوقت في المؤسسات الدعوية؟

تقسيمات الدراسة:

المقدمة: وتحتوي على: التمهيد، وأهداف الدراسة، ومصطلحات الدراسة، وإجراءات الدراسة، وتقسيماتها.

المبحث الأول : مشروعية وحكم وقف الوقت.

المطلب الأول : مشروعية وقف الوقت في القرآن الكريم

---

(١) منها مقال للباحث بعنوان "وقف الوقت: نشر بصحيفة الرياض، العدد ١٥٥٠٢، الصادر يوم الجمعة ٢٧ ذي الحجة ١٤٣١ هـ – ٣ ديسمبر ٢٠١٠م.

المطلب الثاني : مشروعية وقف الوقت في السنة النبوية

المطلب الثالث : حكم وقف الوقت

المبحث الثاني : تطبيقات وقف الوقت :

المطلب الأول : تطبيقاتوقف الوقت في التاريخ الإسلامي

المطلب الثاني : تطبيقاتوقف الوقت لدى الغرب

المطلب الثالث : تطبيقات وقف الوقت في المؤسسات الدعوية

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

سائلاً الله – تبارك وتعالى – العون والتوفيق...

المبحث الأول

مشروعية وحكم وقف الوقت

المطلب الأول

مشروعية وقف الوقت في القرآن الكريم

تواترت النصوص في كتاب الله تعالى في الحث على بذل الخير للغير وقد كان الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أول من سخروا أوقاتهم وجهودهم وما يملكون لأجل إيصال دعوة الحق للخلق ونفع العباد طلباً لمرضاة الله — عز وجل- فنوح عليه السلام أول أولي العزم من الرسل قاللقومه كما جاء في كتاب الله الكريم: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]. ويقول - سبحانه وتعالى- عنه أيضاً ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾[2] وفي حق نبي الله هود - عليه السلام - يقول تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[3]. وتكرر قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[4] على ألسنة الأنبياء (هود، وصالح، ولوط، وشعيب، عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

---

(١) سورة يونس ، آية: (٧٢).

(٢) سورة هود، آية: (٢٩).

(٣) سورة هود، آية: (٥١).

(٤) سورة الشعراء، آية: (١٠٩).

وجاء على لسان مؤمن آل ياسين حث قومه على الاستجابة لقبول الدعوة بقوله: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

وفي حق نبينا محمد ﷺ يرشده الله عز وجل لأن يقول للمشركين ما أسالكم على هذا البلاغ ، وهذا النصح أجراً تعطوني إياه من عرض الحياة الدنيا ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[2].

قال ابن كثير – رحمه الله – : أي على هذا البلاغ وهذا الإنذار من أجرة أطلبها من أموالكم وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى[3].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – : وتعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير أجرة لم يتنازع العلماء في أنه عمل صالح فضلاً عن أن يكون جائزاً بل هو من فروض الكفاية فإن تعليم العلم الذى بينه فرض على الكفاية[4].

وفي قول الله تعالى : ﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – :وأما قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[5] فو الله الذي لا إله إلا هو إن فعل الخير

---

(١) سورة يس، آية: (٢١).

(٢) سورة ص، آية: (٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير ٣/٢٢٣-٢٢٤ ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ،٣٠ / ٢٠٥ ، مكتبة ابن تيمية، ط٢ ، جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

(٥) سورة الحج، آية: (٧٧).

اتباع ما شرع الله وإبطال من غير حدود الله والإنكار على من ابتدع في دين الله هذا هو فعل الخير المعلق به الفلاح [1].

وفي هذا دلالة على إفساح المجال للتسابق في أبواب البر والإحسان ومنها بذل "وقف الوقت" في مرضاة الله عز وجل وخدمة دينه وتقديم الخير للغير.

(١) مؤلفات محمد بن عبد الوهاب ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/٨٥، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض ، تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي ، د. محمد بلتاجي ، د. سيد حجاب.

المطلب الثاني
مشروعية وقف الوقت في السنة النبوية

حفلت سنة المصطفى ﷺ بنصوص عديدة ترغب في بذل الوقت والجهد للغير لنيل رضى الله تبارك وتعالى ومن ذلك :

- ما رواه الإمام مسلم عن سالم عن ابيه أن رسول الله ﷺ قال : «من كان في حاجَةِ أخِيهِ كان الله في حاجَتِهِ ومَنْ فرَّجَ عن مسْلِمٍ كُرْبةً فرَّجَ الله عنه بها كُرْبةً من كُربِ يوْمِ الْقِيامَةِ » (١).
- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنهما – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»(٢).
- وما رواه أيضاً عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قوله : « واللهُ في عَونِ العَبْدِ ما كان العَبْدُ في عَونِ أَخيهِ » (٣).

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – : فالإنسان إذا كان في حاجة أخيه وأعان أخاه في قضاء دينه، في الشفاعة له في حاجة، في علاجه، في إعطائه الدواء، في نقله بالسيارة إلى الطبيب، في غير هذا من الحاجات،فإن الله –جل وعلا– وعده أن يكون في حاجته، وأن يقضي

(١) رواه مسلم في باب المؤاخاة ح٢٥٨٠ ، جزء ٤ / ١٩٩٦ ، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ ، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت –، الطبعة تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) رواه البخاري في باب كلُّ معْرُوفٍ صدَقَةٌح٥٦٧٥، ٥ / ٢٢٤١ ،الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، ط٣ ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

(٣) رواه مسلم ،في باب فضْلِ الِاجْتِماعِ على تِلاوَةِ الْقرْآنِ وعَلَى الذِّكْرِ٤ / ٢٠٧٤،ح ٢٦٩٩.

حاجته؛ كما قضى حاجة أخيه، ووعده بالعون -سبحانه وتعالى-. فالمؤمنون إخوة يتعاونون في حاجاتهم المباحة، وحاجاتهم الشرعية، وكل إنسان له أجرفي عونه لأخيه، في حاجته الدنيوية والدينية جميعاً. أما المعصية فلا يعينه عليها ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١)، ولكن يعينه في المباح ؛ كالعلاج ونحو ذلك، وفي المشروع؛ كإعانته على صلاة الجماعة، إعانته على الحج، إعانته على الجهاد، إعانته على بر والديه، على صلة أرحامه، إلى غير هذا من وجوه الخير، هو مأجور على هذه الإعانة(٢).

وبهذا يتبين أن استقطاع جزء من الوقت لبذل خير أو معروف للخلق أو دلالة عليه يندرج ضمن "وقف الوقت" .

---

(١) سورة المائدة آية (٢).

(٢) موقع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز http://www.binbaz.org.sa/mat/11375.

المطلب الثالث
حكم وقف الوقت

يعد الوقف ذا قيمة معنوية ومادية معتبرة في حق باذله ، وبالتالي فإنه يعد من المنافع التي يجوز وقفها وقد قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته التاسعة عشرة في إمارة الشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة) في الفترة ما بين ٢٦ - ٣٠ نيسان (أبريل) ٢٠٠٩ بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص وقف الأسهم والصكوك والحقوق المعنوية والمنافع، عدة قرارات.

ومن هذه القرارات أن الوقف يعد من أوسع أبواب الفقه التي تقوم على الاجتهاد، وهو تصرف معقول المعنى مرتبط بمقاصد الشرع، مبتغاه تحقيق مصالح الوقف للواقف والموقوف عليهم.

وقد بين المجمع أن النصوص الشرعية الواردة في الوقف مطلقة يندرج فيها المؤبد والمؤقت، والمفرز والمشاع، والأعيان والمنافع والنقود، والعقار والمنقول، لأنه من قبيل التبرع وهو موسع ومرغوب فيه.

يقول أ.د. محمد بن عبدالغفار الشريف[1] : اختلف العلماء في وقف المنفعة، وهي ما يتحصل من الأعيان من فائدة، أو من الأشخاص من عمل أو جهد فالجمهور على المنع، وأجاز المالكية ذلك، لأنه لا يشترط عندهم تأبيد الوقف انطلاقاً من قوله ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا

(١) أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت.

من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) [1] ، والخلاف في وقف المنفعة ، وقد ابتكرت الأمانة العامة للأوقاف مشروع وقف الوقت، لأن الحديث الشريف نص على العلم، وهو يعتمد على الوقت وبذل الجهد، سواءً في التعليم أو التأليف وكذلك ذكر الولد الصالح، وهو يحتاج إلى وقت وجهد في تربيته، وتعليمه، ورعايته وفكرة وقف الوقت هو تخصيص جزء من وقتك للتطوع في خدمة المجتمع[2].

وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية برحابتها تقر مشروعية "وقف الوقت"وتحفز على المسارعة في بذل الخير للغير وتقديم المعروف كما قال سبحانه : ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[3].

---

(١) رواه مسلم كتاب الوصية- باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٢٥٥/٣ ح١٦٣١.

(٢) انظر موقع أ.د محمد بن عبدالغفار الشريف :

.http://www.dralsherif.net/Print.aspx?SectionID=4&RefID=506

(٣) جزء من آية (١٤٨) سورة البقرة.

المبحث الثاني
تطبيقات وقف الوقت

المطلب الأول
تطبيقاتوقف الوقت في التاريخ الإسلامي

يزخر كتاب الله الكريم وسنة رسول الله ﷺ بشواهد تبرز لنا تأصيل مبدأ وقف الوقت وبذله طلباً للأجر والمثوبة من الله تعالى ، فنبي الله موسى عليه السلام طبق مبدأ بذل الخير للخير لابنتي الرجل الصالحاللتين منعهما الحياء من مخالطة الرجال فتطوع لخدمتها كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

وسيرة النبي ﷺ تشتمل على شواهد تبرز مدى حرصه – عليه الصلاة والسلام – على تربية أصحابه رضوان الله عليهم على بذل أوقاتهم وأرواحهم؛ لأجل نشر الرسالة وتعليم العبادومن ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا : أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام يقرؤون القرآن ، ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به

---

(١) سورة القصص، آية: (٢٣- ٢٤).

الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ،ورضيت عنا قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه فقال حرام: فزت ورب الكعبة فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا"(١).

وباستقراء سيرة سلفنا الصالح – رضوان الله تعالى عليهم – نقف على أنهم قضوا جل حياتهم خدمة للدين تعلماً وتعليماً وبذلاً للخير والمعروف للعباد .

يقول الحافظ السخاوي-رحمه الله-(٢) في معرض وصفه لأهل الصفة(٣) -ومحلها المسجد النبوي-:"قوم أخلاهم الحق سبحانه وتعالى عن الركون لشيء من العروض وعصمهم من الافتتان بها عن المفروض، رفضوا الدنيا فلا يرجعون إلى ضرع ولا إلى زرع، ولا لسائر ما يثير الغل والحقد والحسد وسوء الطبع؛ بحيث كانوا هم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع

---

(١) رواه مسلم في باب ثبوت الجنة للشهيد ح٦٧٧، ٣ / ١٥١١.

(٢)هو الشيخ العلامة الرحالة الحافظ محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن بكر بن عثمان بن محمد الملقب بشمس الدين أبو الخير وأبو عبدالله، ابن الزين – أو الجلال – أبي الفضل وأبي محمد، السخاوي الأصل نسبة إلى (سخا) بمصر القاهري مولدًا الشافعي، مذهبًا ولد في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة له مصنفات عديدة توفي سنة خمسة وتسعين وثمانمائة .انظر: رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة للسخاوي، تحقيق أبي عبيدة مشهور آل سليمان وأبي حذيفة الشقيرات ، ص٣٤-٦٧.

(٣) أمثال أبي هريرة وعبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وغيرهم. انظر: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ١ / ٢٧٩، محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المكي الحنفي تحقيق : علاء إبراهيم ، أيمن نصر ، ط٢ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

عن ذكر الله، وقفوا أنفسهم المطمئنة لسماع العلم وضبط السنة"[1] .

فالعلماء والدعاة هم أهل السبق في ميدان "وقف الوقت" ومن النماذج على سبيل المثال:

فمن العلماء المتقدمين الذين أوقفوا أوقاتهم على طلب العلم والتعليم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – الذي استفرغ عمره كله ليلاً ونهاراً ، صيفاً وشتاءً ، حلاً وترحالاً في طلب العلم فكان يدور على المشايخ حتى دار على أكثر من مئة عالم ، وجادل مع أرباب المقالات، وزار أهل التخصصات، كل ذلك وهو يلم ويحوى ما عندهم ويجمع ما لديهم، فتراه مكرراً لما يحفظ، أو متأملاً، أو كاتباً، أو مناقشاً، أو مناظراً، أو مجادلا أو مفيداً، أو مدرساً، أو مؤلفاً، أو مراسلاً، فكانت حياته علماً وعملاً، فابن تيمية ليس له أسرة يقوم عليها، ولا أبناء يشتغل بتربيتهم، ولا تجارة يهتم بها، ولا وظيفة يقوم عليها، ولا منصب يزاوله، إنما شأنه وقضيته الكبرى هذا العلم وتعلمه، وتعليمه، والعمل به[2].

"وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمي التابعي الجليل يقول لما يروى هذا الحديث عن عثمان : هذا الذي أقعدني مقعدي هذا، يشير إلى كونه جالساً في المجلس الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه مع جلالة قدره وكثرة علمه، وحاجة الناس إلى علمه ، وبقي يقرئ الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة وعليه قرأ الحسن والحسين –رضي الله عنهما–[3].

---

(١) انظر: رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة، العلامة الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي– تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وأبي حذيفة أحمد الشقران، ص٨٨-٨٩، ط١- ١٤١٥هـ/١٩٩٥- دار السلف للنشر والتوزيع-الرياض.

(٢) انظر : على ساحل ابن تيمية، د، عائض بن عبدالله القرني ص٦٨، ط١ ،١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، دار العبيكان.

(٣) النشر في القراءات العشر ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ٣/١ ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ، تحقيق : علي محمد الضباع.

"وجاء في ترجمة أبي الحسن الداراني القطان المتوفى سنة (٤٠٢) هإمام جامع دمشق الشرقية أنه كان يقرىء بشرقي الرواق الأوسط ، ولا يأخذ على الإمامة رزقاً ولا يقبل ممن يقرأ عليه براً ويقتات من غلة أرض له بداريا، ويحمل ما يكفيه من الحنطة ويخرج بنفسه إلى الطاحون فيطحنه ثم يعجنه ويخبزه[1].

كما كان للنساء في تاريخنا إسهام بارز في باب "وقف الوقت" من خلال تنوع الإسهام في مجالات عدة أهمها : تعليم القرآن الكريم :

فقد كانت أم الحسن صفية بنت الحارث من أهل اليمن وكان يسار يعلم القرآن في أول المسجد وكانت صفية تعلم القرآن في آخر المسجد"[2] .

كما أن ولاية القضاء نالت نصيباً في هذا الباب فقد كان شريحة عريضة من القضاة الذين رشحوالتقلد هذه الولاية لا يتقاضون أي مقابل على قيامهم وتصدرهم لهذا العمل الجليل مبتغين بذلك وجه الله سبحانه وتعالى أمثال "مسروق "[3] وسحنون"[4] وعثمان بن طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر التيمي "[5] و" القاسم بن معن بن عبد الرحمن[1] والقاضي نجم الدين الجهني الشافعي المعروف بابن البارزي [2].

---

(١) انظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ٣٦٦/١ - ٣٦٧، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤ ، ط١ ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس.

(٢) أخبار القضاة ، محمد بن خلف بن حيان ٥/٢ ، دار النشر : عالم الكتب – بيروت.

(٣) المصنف ، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢٩٧/٨ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣ ، ط٢ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ١ / ٣٤٧ ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ط١ ، تحقيق : محمد سالم هاشم.

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٨ / ٣١٤، دار النشر: دار صادر - بيروت - ١٣٥٨ ، ط١.

فهؤلاء وغيرهم من سلف الأمة تسابقوا إلى "وقف أوقاتهم" لبذل الخير والمعروف والإحسان للغير في مجالات حيوية متنوعة تحتاجها الأمة ، فحازوا بعملهم وبذلهم خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ١ / ٢٣٩، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ٧ / ٣٦٢، الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.

المبحث الثاني

تطبيقات لاوقف الوقت لدى الغرب

يمارس الأفراد والمؤسسات في العالم الغربي فكرة "وقف الوقت" من خلال ما يعرف بالعمل التطوعي حيث يبادر الفرد من تلقاء نفسه باقتطاع جزء من وقته (يومياً أو خلال الإجازات الأسبوعية أو الرسمية أو على فترات متقطعة) لتقديم خدمات تطوعية أو مهنية تفيد المجتمع من خلال مؤسسات المجتمع المدني.

كما يمكن أن تمارس الشركات والمؤسسات والقطاعات والمستشفيات الأهلية في مجال "وقف الوقت" من خلال إفساح المجال أمام منسوبيها باقتطاع جزء من أوقاتهم لتقديم الخدمات التخصصية للمنشأة لصالح المؤسسات الخيرية والمحتاجين من أفراد المجتمع.

وقد تجلى الاهتمام بالعمل التطوعي القائم على "وقف الوقت" من خلال الاحتفال السنوي للعمل التطوعي الذي اعتُمد من قِبل الأمم المتحدة حيث يحتفل متطوعو العالم بيومهم العالمي ليكون اليوم الذي يكرم فيه العالم رموز العمل التطوعي، ودعم دور المتطوعين في التنمية الشاملة للمجتمعات، وفي تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية الثالثة.

ويهدف هذا اليوم إلى تحفيز المشاركة المجتمعية، وإلى إيجاد سياسات تشجع الأعمال التطوعية وتسهم في توسيع الأنشطة التطوعية، وإلى الاعتراف بأهمية دور العمل التطوعي في تنمية المجتمعات اجتماعيًّا واقتصاديًّا.

في هذا اليوم تُطرح وتُدشّن المبادرات والمساهمات المؤسساتية الحكومية والأهلية والدولية والفردية الاقتصادية والاجتماعية، على كافة المستويات المحلية والعالمية، ويعمل الجميع منظمات وأفراداً يدًا بيد لتحقيق أهدافهم المشتركة في كافة مجالات العمل التنموي والإنساني، وفي مواجهة الكوارث والحروب والمجاعات والفقر والأمية والجهل.

ويشهد العمل التطوعي القائم على "وقف الوقت" في البلاد الغربية نمواً مطرداً فقد أظهرت

أبرز الإحصائيات في الولايات المتحدة الأمريكية: تطوع أكثر من ٩٤,٢ مليون شخص. وأن معدل ما تطوع به الفرد الواحد ٤,٢ ساعة أسبوعيًا. ومجموع عدد الساعات التي قدمها المتطوعون ٢٠,٥ بليون ساعة. وأن معدل ساعات التطوع موازيًا لعمل ٩ ملايين موظف.

وقد بلغ مجموع ما تطوع به من وقت قيمة ١٧٦ بليون دولار أمريكي. وتقام هناك دورات وندوات عن أهمية هذا العمل، وألفت له العديد من الكتب ، ويسمى المتطوعون هناك «وعد الأمة» أو «مستقبل الأمة».

وفي بريطانيا: ٢٢ مليون شخص يشاركون بالتطوع الرسمي كل عام. عشرة ملايين شخص يتطوع كل أسبوع بما يساوي ٩٠ مليون ساعة عمل. وتقدر القيمة الاقتصادية للتطوع بـ ٤٠ بليون جنيه استرليني سنويًا. وأن ستة من عشرة من المتطوعين قالوا: إن التطوع قدم لهم فرصة تعلم مهارات جديدة. و ٩٠ ٪ من السكان يتفقون على أن مفهوم المجتمع الذي يتطوع

أفراده هو مجتمع يعتني بعضه ببعض. و ٨٠ ٪ من الناس يرفضون فكرة كون المتطوع أقل كفاءة من الموظف العامل بأجر[١].

ويشار إلى أن العاملين في المجال التطوعي يتميزون عن غيرهم بالجدية والمثابرة مما جعل أرباب العمل يسعون لاستقطابهم ، فقد أشارت دراسة أجراها تايم بانك (Time Bank) عام ٢٠٠٨ على مئتي مؤسسة رائدة في المملكة المتحدة (بريطانيا) إلى أن: ٧٣٪ من أرباب العمل يفضلون توظيف شخص له خبرة في مجال العمل التطوعي على غيره. و٩٤٪ من أرباب العمل يعتقدون أن العمل التطوعي قد يضيف لمهارات الموظفين.

و٩٤٪ من الموظفين الذين تطوعوا ليتعلموا مهارات جديدة، استطاعوا تحسين وظائفهم ورواتبهم أو تمت ترقيتهم فيما بعد[٢].

كما أننا نقف على أرقام مذهلة في مجال التطوع ووقف الوقت من قبل المتطوعين النصارى الذين يساهمون ببذل جزء من أوقاتهم وإجازاتهم؛ للتوغل في أصقاع شتى من أقطار العام الاسلامي لأجل الدعوة للنصرانية ، فهناك (٤) مليون موظف، و ١٣ ألف مكتبة، و ٢٢ ألف مجلة بلغات العالم [٣].

فالحملات التنصيرية تنطلق من مفهوم خيري في تنصير العالم، وغالباً من يقوم عليها ميدانيًا متطوِّعون. وتزيد نفقاتها السنوية عن ثلاث مئة

---

(١) مقالة بعنوان "نشر ثقافة التطوع" د. فهد بن عبدالرحمن السويدان ،جريدة الجزيرة العدد ١٤٣٧٥ الصادر يوم الأثنين ١٤ ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

(٢) انظر : مقالة : العمل التطوعي أجر وصقل مهارة ومآرب أخرى! الكاتب:فريق تحرير البوابة ، موقع بوابة موهبة- http://www.mawhiba.org/articles/Pages/Details.aspx?str=117,46bc51e2-4c4b-451a-8688-21c444f8fdda .

(٣) انظر : جريدة الرياض ، العدد ٩٤١٢ .

وعشـــرين مليـــار (٣٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) دولاراً، حســـب آخـــر الإحصـائيات عـن نشـرة الإرسـاليات الدوليـة لعـام ٢٠٠٣م. وتعمـل علـى تنفيذ مشروعات تنموية في إفريقيا وجنوب شرق آسيا، وذلك مثل التدريب والتطبيب والتعليم وشقِّ الطرق، وبناء المؤسَّسات التنموية، بل ربَّما وصل الأمر إلى إنشاء مطارات تستخدمها الحملات التنصيرية لأغراضها التنصيرية وغيرها، وتتيح للأهالي استخدامها كذلك(١).

كما تم استغلال وتوظيف القنوات الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية في نشر النصرانية عبر طواقم من المنصرين جندوا لهذا الغرض ، وقد أورد الدكتور/ تركي الظفيري(٢) في كتابه الفضائيات العربية التنصيرية إحصائيات مذهلة تبرز مدى اهتمام الجهات التنصيرية بهذا الجانب(٣).

ومن خلال هذا العرض يتبين بجلاء أن الغرب طبق "وقف الوقت" في جميع المجالات التي يحتاجها المجتمع ، وتمكن من سد احتياجاته في المجالات الأكثر حاجة كالصحة والتعليم ، كما أنهم وظفوا مفهوم "وقف الوقت" دينياً حيث تمكنوا من استقطاب المتطوعين للانخراط في قوافل التنصير التي تجوب أقطار العالم وبلاد الأقليات المسلمة سعياً منهم في سلخ المسلمين من دينهم.

(١) انظر: الفضائيات العربية التنصيرية ،د تركي بن خالد الظفيري ، ص ٣٧٥- ٣٧٨، ط١،الناشر: مجلة البيان ١٤٢٨هـ.

(٢) الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز.

(٣) انظر: إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣: ٣٢٠ بليون دولار تبرُّعات للأغراض الكنسية، مجلة الكوثر ٣ ع ٤٢ (صفر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٣٤،نقلاً عن نشرة أبحاث التنصير الدولية. International Bulletin of Missionary Research.

كما يقول زويمر[1] رأس المبشرين الغربيين في رسالة للمنصرين: (إن مهمة التنصير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، وإنما أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها)[2] .

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا مدى توسع الغرب في تطبيقهم لمفهوم "وقف الوقت" من خلال نشر ثقافة التطوع والتشجيع عليها على مستوى الأفراد والمؤسسات مما جعل من هذا الرصيد الضخم الذي يبذله المتطوعون في كافة المجالات التي يحتاجها المجتمع يدخر لصالح خزانة الدولة ، كما أن المؤسسات والمنظمات التنصيرية نجحت في استقطاب مئات الآلاف من الشباب والفتيات والكوادر المهنية المؤهلة وتحفيزهم ؛ لبذل جزء من أوقاتهم للسياحة في الأرض خصوصاً في بلاد المسلمين التي تعيش تحت وطأة الفقر والجهل كما في آسيا وأفريقيا على وجه الخصوص التي اكتسحتها قوافل التنصير في ظل غياب وضعف الجهود الدعوية للمؤسسات الإسلامية التي عانت من التحجيم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلا ذلك من أحداث استغلت ؛ لتقليص العمل الدعوي بوجه عام.

---

(١) السموءل أو صاموئيل شاتليهلو زويمر من أقطاب التنصير في البلاد العربية. ولد سنة ١٨٦٧م، وتوفي سنة ١٩٥٢م. ويعد رئيس المستشرقين في الشرق الأوسط. تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع ماكدونالد، وله آثار في العلاقات بين الإسلام والنصرانية. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون- ٣/١٣٨، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.

(٢) انظر: حزام المواجهة حرب التنصير في افريقيا / جبر الله عمر الأمين ، ومدبولي اسماعيل عثمان مراجعة / د / زغلول النجار ص١٩٤ / ط / الأولى / الدمام / ١٤١٤ هـ أشرف على طباعته / لجنة مسلمي أفريقيا، جذور البلاء ، عبدالله التل- ط ٢.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.- ص ٢٧٥..

المطلب الثالث
تطبيقات وقف الوقت في المؤسسات الدعوية

يعاني العمل الخيري بشكل عام والدعوي بشكل خاص من قصور من قبل الجمعيات والمؤسسات الخيرية والدعوية في جانب التعريف بأنشطتها ومجالات العمل التي تحتاجها وذلك وفقاً لدراسة حديثة أطلقتها مؤسسة الملك خالد الخيرية[١]. كما برز ضعف ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي وفقاً لدراسة علمية [٢] أجراها الدكتور فهد بن سلطان السلطان [٣].

ولم أقف على إحصائيات دقيقة تظهر حجم المشاركين في الأعمال التطوعية ونسبهم التي تقع تحت مظلة الجمعيات والمؤسسات الخيرية والدعوية في عالمنا العربي والإسلامي وبالتالي يصعب مقارنتها بنسبتهم في الولايات المتحدة. ولكن المنجزات والمشاريع والبرامج الخيرية والدعوية توضح أن ثقافة العمل التطوعي آخذة في التمدد والازدياد في كافة الأقطار العربية والإسلامية .

ففي المملكة العربية السعودية بدأنا نلمس مزيداً من الاهتمام والعناية بالعمل التطوعي بوجه عام والدعوي على وجه الخصوص .

فعلى سبيل المثال يبلغ عدد المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد ودعوة الجاليات بالمملكة وفقاً لآخر إحصائية رسمية أصدرتها وزارة الشؤون

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد (١٣٠٣١) الصادر يوم السبت ٦ /١٠/ ١٤٣٥ هـ - ٠٢ أغسطس ٢٠١٤م.

(٢) بعنوان "اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود". بحث منشور برسالة الخليج العربي- مكتب التربية لدول الخليج العربي (١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م)

(٣) عضو هيئة التدريس بكلية التربية – جامعة الملك سعود.

الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (٢٤٣) مكتباً في مختلف مناطق المملكة ومدنها وقراها ويتولى مجالس إدارتها متطوعون بذلوا جزءاً من أوقاتهم للنهوض بأعبائها(١).

كما تشرف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على (١٣١) جمعية لتحفيظ القرآن الكريم منتشرة في أنحاء المملكة(٢) يقوم على إدارة مجالسها محتسبون بذلوا جزءاً من أوقاتهم لإدارة هذه الجمعيات والارتقاء بعملها الدعوي.

ومجتمعنا يزخر بطاقات شبابية ومهنية تتوق للإسهام في الأعمال والبرامج التطوعية ولكن تحتاج إلى من يحتويها ويستثمر طاقاتها ويوجهها التوجيه السليم.

وقد برزت في زماننا المعاصر تطبيقات مختلفة من شرائح متنوعة في المجتمع ساهمت بوقف جزء من وقتها خدمة لنشر دين الله تبارك وتعالى وبذلاً للمعروف والخير للغير. فتحت مظلة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين نجد أنه " تفرغ قضاة وأعضاء من هيئة كبار العلماء وأساتذة جامعات خلال شهر رمضان للتدريس بالمسجد الحرام وتوعية المعتمرين والإجابة على تساؤلاتهم، إذ يحظى المسجد الحرام بأكثر من ٧٠ شيخاً وعدد من الدروس

---

(١) انظر : تقييم جهود وزارة الشؤون الإسلامية في مجال دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية من منظور استراتيجي مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض نموذجاً ، عبد الله بن محمد بن قطيم الحمادي ص٣٠،رسالة مقدمة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الاستراتيجية تخصص الدراسات الاستراتيجية ،جامعة نايف للعلوم الأمنية ، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م.

(٢) انظر : جريدة الرياض ، الأربعاء ٩ محرم ١٤٣٢ هـ – ١٥ ديسمبر ٢٠١٠م – العدد ١٥٥١٤.

الموزعة طوال فترات اليوم، والتي يدرسها نخبة من العلماء المرابطين في المسجد الحرام طيلة رمضان في مقدمتهم سماحة الشيخ صالح اللحيدان[١] الذي يدرس طيلة شهر رمضان، والشيخ عبدالرحمن العجلان[٢]، والذي فرغ نفسه للتدريس بالمسجد الحرام، حيث يدرس العلوم الشرعية بشكل يومي طوال العام، ويحرص الكثير من الطلاب على حضور درسه من كافة دول العالم الإسلامي ومعالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد[٣] وغيرهم من كبار العلماء والدعاة [٤].

فمجالات التطوع متعددة وطرقه كثيرة وأساليبه لا تحصى ، فلا يجب على المتطوع أن يملك مالا أو سلطة أو أن يؤدي جهدا بدنياً فيكفيه أن يتطوع بوقته ولو ساعة من نهار يقدم فيها للناس فائدة وعملاً ينتفعون منه ويكون له أجر جار .

فالكل يستطيع التطوع بوقته إذا قام بتنظيمه كل في مجال عمله وتخصصه وخصوصاً مع التوسع في انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والتي أصبحت الآن في متناول يد الجميع فتقديم الاستشارات المجانية وتوجيه النصح والإرشاد وحتى لو كتبت تغريده فيها توجيه معين بحسب تخصصك فذلك من التطوع بالوقت [٥].

---

(١) رئيس مجلس القضاء الأعلى السابق.

(٢) رئيس محاكم القصيم السابق.

(٣) رئيس مجلس القضاء الأعلى السابق إمام وخطيب الحرم المكي.

(٤) جريدة عكاظ العدد(١٧١٢٤) رقم الصحفة (١٢) التاريخ:٦/٩/١٤٣٤هـ.

(٥) انظر : صحيفة انست http://anastnews.com/articles.php?action=show&id=11
مقالة م/ عثمان محمد بن هاشم ، بعنوان وقف الوقت.

فبذل جزء من الوقت واستقطاعه ؛ للإسهام في الأعمال التطوعية متعدية النفع يعد من "وقف الوقت" المندوب، فالحاجة قائمة لأن يفيد كل مكلف مجتمعه وأمته بما تيسر من وقت يقتطعه من يومه أو أسبوعه أو شهره ليسهم من خلال مهنته أو حرفته أو منصبه أو مكانته الاجتماعية لتقديم نفع ومصلحة للمحتاجين عن طريق المؤسسات والجمعيات الخيرية والدعوية والطبية والمهنية، والحاجة مازالت قائمة لتوسيع مفهوم "وقف الوقت" لدى كافة شرائح المجتمع(١).

ومن النماذج التطبيقية المشرفة للعمل التطوعي الدعوي بالتعاون مع الجهات والأجهزة الحكومية قيام ٨٠٠ شاب من أهل مكة المكرمة عبر برنامج "شباب مكة في خدمتك" التابع لمشروع تعظيم البلد الحرام بمكة المكرمة للعام العاشر على التوالي، في تقديم الخدمات التطوعية الإنسانية لأهل مكة والوافدين إليها من المعتمرين والزوار، موزعين على أنشطة مختلفة تتمثل في خدمة الطائفين التي تخدم العاجزين والمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة بدفع عرباتهم مجاناً، بالتعاون مع الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، حيث يعملون على مدار ٢٤ ساعة يومياً بالتناوب ، ومجموعة أخرى تقوم بمساندة رجال المرور في مواقف كدي، ويساهمون في تنظيم حركة السير وترتيب سيارات المعتمرين وتهيئة المداخل والمخارج لها، بالتعاون مع إدارة مرور العاصمة المقدسة، وأخرى تقوم بالتوعية بحق الطريق وفسح المجال للزوار؛ منعاً للتكدس والزحام، بالتعاون مع قوة الأمن الوقائي

بشرطة العاصمة المقدسة ، وتقوم مجموعة أخرى من شباب مكة من كليات الطب بإسعاف المصابين في الحرم بالتعاون مع هيئة الهلال الأحمر السعودي، ونقل المصابين إن كانت الحالات حرجة إلى مستشفى أجياد، إضافة إلى عدد من الحملات التطوعية.

فالبرنامج يهدف إلى تعزيز الأخوة الإيمانية في نفوس الشباب، ونشر ثقافة التطوع في المجتمع المكي ،ويقدم خدمات جليلة لأهل مكة والوافدين إليها ، وبلغ عدد المستفيدين من أنشطة برنامج "شباب مكة في خدمتك" منذ انطلاقه أكثر من ٦ ملايين مستفيد ولله الحمد؛ وذلك بفضل الله ثم بتعاون شركاء البرنامج من جهات حكومية وأهلية وخيرية[١].

فهذه النماذج والمشاريع التطوعية في أساسها تقوم على مفهوم "وقف الوقت" تبين لنا بجلاء مدى تفاعل المتطوعين من شرائح وأطياف المجتمع مع مؤسسات الدولة متى ما أفسح المجال وأتيحت الفرصة لتقديم الخدمة ، وبذل الخير للغير طلباً للمثوبة والأجر من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) وفقاً لما ذكره، أ. خالد بن عبدالله الوافي مدير برنامج "شباب مكة في خدمتك" انظر : صحيفة سبق الالكترونية ٢رمضان ١٤٣٥هـ.http://sabq.org/IKegde

الخاتمة

النتائج :

١- مشروعية "وقف الوقت" وأنه من المنافع التي يؤجر المسلم على بذلها.

٢- أن لتطبيقات "وقف الوقت" شواهد متنوعة في التاريخ الإسلامي.

٣- ممارس الغرب لـ "وقف الوقت"من خلال إسهام الأفراد والمؤسسات في العمل التطوعي بمفهومه الواسع.

٤- ضعف تطبيقات "وقف الوقت" في المؤسسات الدعوية.

٥- حاجة المؤسسات الدعوية لطاقات بشرية تسد ما تعانيه من نقص في كوادرها لتتمكن من قيامها برسالتها الدعوية.

٦- أن "وقف الوقت" يسهم في دعم موازنة الدولة والمؤسسات الخيرية بطريقة غير مباشرة من خلال توفير الطاقات البشرية التي تباشر أعمالاً تطوعية خدمية دون مقابل.

التوصيات :

١- أن تتولى مؤسسات المجتمع المدني التسويق لمفهوم "وقف الوقت" عبر حملات إعلامية مكثفة لتتمكن من استقطاب الكفاءات والعقول التي تمكنها من أداء دورها في خدمة المجتمع بصورة أكبر وبكلفة أقل.

٢- أن تتبنى وزارة التعليم إدراج مفردات ضمن المقررات الدراسية تتناول الحث على العمل التطوعيوإبراز "وقف الوقت"كأحد موارد الإنتاج في البلد.

٣- أن تقدم الوزارات المعنية امتيازات تشجيعية للقطاع الخاص الذي يسهم في تفريغ بعض منسوبيه لتقديم خدمات تطوعية تندرج ضمن "وقف الوقت" .

٤- التوسع في إقامة مؤتمرات وندوات علمية وورش عمل تتناول إبراز مفهوم "وقف الوقت" وتنوع مجالاته.

٥- الإفادة من التجارب الغربية المميزة في مجال "وقف الوقت".

المراجع والمصادر

١- أخبار القضاة ، محمد بن خلف بن حيان ، دار النشر ، عالم الكتب ، بيروت.

٢- السلسلة الصحيحة ، للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٣- الفضائيات العربية التنصيرية ، د. تركي بن خالد الظفيري ، ط١، الناشر: مجلة البيان ١٤٢٨هـ.

٤- القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٥- المستشرقون ،نجيب العقيقي، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.

٦- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة :، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٧- المصنف ، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ ، ط٢ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

٨- تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١.

٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ط١ ، تحقيق : محمد سالم هاشم.

١٠- جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي الطبعة : الأولى.

١١- حزام المواجهة حرب التنصير في افريقيا / جبر الله عمر الأمين ، ومدبولي اسماعيل عثمان مراجعة / د / زغلول النجار ص١٩٤ / ط / الأولى / الدمام / ١٤١٤ هـ أشرف على

طباعته / لجنة مسلمي أفريقيا ،جذور البلاء ، عبدالله التل- ط ٢.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٢- خطبة الحاجة- محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي - بيروت ط٣-١٣٩٧هـ.
١٣- دراسات في الثقافة الإسلامية ،د. رجب سعيد شهوان وآخرون ، ، مكتبة الفلاح - الكويت ط٢، عام ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
١٤- رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة- العلامة الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي- تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وأبي حذيفة أحمد الشقران -ط١-١٤١٥هـ/١٩٩٥-دار السلف للنشر والتوزيع-الرياض.
١٥- صحيح سنن ابن ماجه-أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني- الشيخ ناصر الدين الألباني-ط١-١٤١٧هـ-١٩٩٧م- مكتبة المعارف- الرياض.
١٦- صحيح مسلم(مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري) تحقيق فؤاد عبد الباقي كتاب الوصية- باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٧- علم الاجتماع ومدارسه ، د. مصطفى الخشاب ، ط ١٣٨٧هـ، دار الكاتب العربي بمصر.
١٨- على ساحل ابن تيمية للدكتور عائض بن عبدالله القرني ، ط١، الناشر مكتبة العبيكان ، الرياض.
١٩- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي - ٣٦٧، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤ ، ط١ ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس.
٢٠- مقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل -محمد الأمين المحبي -تحقيق د.عثمان الصيني-ط١-١٤١٥هـ-مكتبة التوبة -الرياض.

٢١- المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني- موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي-بدون تاريخ طبع- نشر المؤسسة السعيدية -الرياض -السعودية.

٢٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار النشر : دار صادر - بيروت - ١٣٥٨ ، ط١.

٢٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ، الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي — مصر.

٢٤- النشر في القراءات العشر ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ، تحقيق : علي محمد الضباع.

- الوقف في الشريعة والقانون — زهدي يكن —دار النهضة العربية للطباعة والنشر — لبنان.

الرسائل والبحوث العلمية :

١ - تقييم جهود وزارة الشؤون الإسلامية في مجال دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية من منظور استراتيجي مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض نموذجاً ، عبد الله بن محمد بن قطيم الحمادي ، رسالة مقدمة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الاستراتيجية تخصص الدراسات الاستراتيجية ،جامعة نايف للعلوم الأمنية ، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م.

٢ - "اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود" الدكتور فهد بن سلطان السلطان.

الصحف والمجلات

١- جريدة الرياض ، الأعداد : ٩٤١٢ ، ١٥٥١٤، ١٦٧٧٢.

٣- جريدة الشرق الأوسط العدد

٣- جريدة عكاظ العدد ١٧١٢٤.

٤- جريدة الجزيرة العدد ١٤٣٧٥.

٥- صحيفة انستا http://anastnews.com/articles.php?action=show&id=11

٦- صحيفة سبق الالكترونية ٢رمضان ١٤٣٥هـhttp://sabq.org/IKegde.

٧- مجلة الكوثر ٣ ع ٤٢ (صفر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م).

المواقع الالكترونية :

١- موقع أ.د محمد بن عبدالغفار الشريف.

.http://www.dralsherif.net/Print.aspx?SectionID=4&RefID=506

٢- موقع بوابة موهبة.

http://www.mawhiba.org/articles/Pages/Details.aspx?str=117,46bc51e2-4c4b-451a-8688-21c444f8fdda .

٣- موقع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .http://www.binbaz.org.sa/mat/11375

البحث رقم (٥)

المسئولية الدعوية للداعي إلى الله تعالى في عيادات التجميل

إعداد

د. لولوة بنت سليمان الغنام

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣)، (٤).

أما بعد:

فإن من نعم الله على عباده أن شرّع لهم من الدين ما فيه خيرهم وصلاحهم، ومن الأحكام ما يحمي حقوقهم ويرعى واجباتهم، وأمرهم بما

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠، ٧١).

(٤) خطبة الحاجة "التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه"، أخرجها الإمام ابن ماجة بهذا اللفظ في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، ح(١٨٩٢)، انظر: سنن ابن ماجة/(ص٣٢٩)، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة، حكم على أحاديثها وآثارها وعلّق عليها المحدّث الشيخ:محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت. وقد جمع أحاديث خطبة الحاجة وتتبع طرقها وأثبت صحتها المحدّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في رسالته: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه/(ص١٥- ٤٣)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ..

فيه قيام معاشهم ومعادهم، كما أمرهم بالتناصح فيما بينهم والدعوة إليه – سبحانه– وهو مما ميز به عباده المؤمنين بسعيهم للخير ونبذهم للشر، وهو قاعدة في الشريعة الإسلامية تشمل كل جوانب الحياة، ومن ذلك المسائل المعاصرة التي يكثر الجهل فيها وتشتد الحاجة فيها إلى الدعاة ذوي العلم كمسائل التجميل، فقد أباحت الشريعة بسماحتها ويسرها ما يحقق للمرأة المسلمة ماجبلت عليه من حب الزينة والتجمل وفق ضوابط تحفظها من الانحراف عن الفطرة السليمة .

ولازال النساء يتجملن بما يستطعن منذ القدم إلا أنه في الوقت الحاضر زاد اهتمام النساء بالتجمل والتزين وخاصة فيما يتعلق بالبشرة والقوام والشعر وغيره مع تطور التقنيات العالمية المستخدمة في هذا المجال، ووفرة العيادات التي تقدم خدماتها بكل وسيلة تجذب النساء نحو إبراز أنوثتهن، وقد رافق ذلك هوسٌ بالجمال عند بعضهن؛ فأصبحت الواحدة لاتتورع عن ارتكاب كبيرة كالنمص والوشم توعد الله صاحبتها باللعن لأجل ذلك.

وفي هذا البحث سأبين بمشيئة الله مسئولية الدعاة تجاه الدعوة إلى الله في عيادات التجميل، والتي تشمل عدداً من الموضوعات الدعوية التي تستوجب بيانها وتجليتها للمدعوين من مرتادي هذا الميدان والمهتمين به ؛ وقد خصصت البحث في هذا الميدان لأسباب:

- ضرورة الدعوة إلى الله في عيادات التجميل، لأن الدعوة واجب يجب القيام به صيانة لحق الله ابتداءًا بامتثال أمره، ولحماية المجتمعات من الفساد والانحلال الذي يترتب على فساد المرأة.

- كثرة موضوعات الدعوة وتنوعها في عيادات التجميل مابين الدعوة لستر العورات والتحذير من التبرج والاختلاط والغش والتدليس والخلوات غير الشرعية والإسراف في المال بغير حاجة وغير ذلك.
- انتشار عيادات التجميل وقوة الدعاية لخدماتها مع إقبال كبير من النساء على زيارتها.
- جهل كثير من النساء بأحكام التجميل باستخدام تقنيات التجميل الحديثة مما يسهل وقوعهن في المحرم.
- تجدد خدمات عيادات التجميل وتطورها يوما بعد يوم يرافقه تجدد في المخالفات الشرعية مما يحدث فيها .

ولما سبق يأتي هذا البحث لبيان المضامين الدعوية في العيادات التجميلية، ومسئولية الدعاة تجاهها، وقد جاء في ثلاثة فصول وثمانية مباحث كما يلي:

الفصل التمهيدي:

المبحث الأول: المسئولية الدعوية للداعي إلى الله -تعالى-، تعريفها، ومشروعيتها، وأهميتها.

المبحث الثاني: الضوابط الشرعية في التجميل.

الفصل الأول: المسئولية الدعوية الشرعية للداعية في عيادات التجميل

المبحث الأول: التحذير من التبرج والسفور.

المبحث الثاني: التحذير من الاختلاط.

المبحث الثالث: التحذير من الغش والتدليس.

المبحث الرابع: التحذير من كشف العورات.

المبحث الخامس: التحذير من الإسراف بالمال.

الفصل الثاني: المسئولية الدعوية للداعية تجاه خدمات التجميل.

المبحث الأول: المسئولية الدعوية تجاه جراحات التجميل.

المبحث الثاني: المسئولية الدعوية تجاه العناية بالبشرة .

المبحث الثالث: المسئولية الدعوية تجاه زراعة وإزالة الشعر.

ثم خاتمة حوت أهم نتائج البحث.

أسأل الله التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

المسئولية الدعوية للداعي إلى الله، تعريفها، ومشروعيتها، وأهميتها

المسئولية (بوجه عام) : حال أو صفة من يُسأل عن أمر تقع عليه تبعته، وتطلق (أخلاقياً) على : التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً [(١)].

وإذا كان تعريف الدعوة هو: «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[(٢)]، فإنه يمكن تعريف المسئولية الدعوية للداعي إلى الله -تعالى- بأنها: إلتزام الداعي إلى الله سبحانه بتبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة.

وتنطلق المسئولية الدعوية من نصوص شرعية توجب الدعوة إلى الله -تعالى-، منها قول الله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[(٣)]

ومنها قوله جلّ وعلا: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط/ص٤١١، قام بإخراجه: ابراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا، ط٢، د:ت.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة /ص٤٠، د.محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

ومنها قوله عز وجل: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧﴾ (1)

ومن السنّة قول رسول الله ﷺ : (**بلغوا عني ولو آية..**) (2).

ويقوم بهذا الواجب العظيم الدعاة على مرّ العصور، يحملون همّ الدعوة ويقومون بوظيفة الرسل من الدعوة إلى الله سبحانه، وقد أثنى الله جل شأنه عليهم فقال: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾(3).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الدعوة إلى الله واجبة على من اتّبعه (أي الرسول ﷺ) وهم أمّته، يدعون إلى الله كما دعا إلى الله...، وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين»(4).

ويبين ذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز-رحمه الله- فيقول:« وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة. فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً.

---

(1) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ح(٣٤٦١)، في كتاب أحاديث الأنبياء،باب ما ذكر عن بني إسرائيل. انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/ص٢٨٢، اشراف ومراجعة: صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ.

(3) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ج١٥/١٦٥، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، د:ط.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جلّ وعلا في أرجاء المعمورة تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة»(1).

ولا شك أن الواقع اليوم يستلزم من جميع المسلمين القيام بالدعوة إلى الله -تعالى- كلٌ حسب علمه وطاقته، وذلك لكثرة المنكرات، فالدعوة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فإن الداعي طالب مستدع مقتض لما دُعي إليه، وذلك هو الأمر به، إذ الأمر هو طلب للفعل المأمور به واستدعاء له ودعاء إليه؛ فالدعاء إلى الله-تعالى- الدعاء إلى سبيله، فهو أمر بسبيله وسبيله تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر»(2).

وللدعوة إلى الله-تعالى- شأن عظيم في حفظ المجتمعات، وذلك ببناء الوازع الجماعي الذي يحول دون هتك مبادئ المجتمع المسلم وقواعده وآدابه العامة وأعرافه، ذلك أن للبيئة الاجتماعية أهمية قصوى في سلوك أفراد المجتمع، فإذا كان للمجتمع قواعد مرعية وآداب محفوظة ومبادئ محمية من سلطاته صعب على العصاة الخروج عليها، وتربى في أنفسهم الحياء من مخالفة المجتمع والخروج عليه .

---

(1) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز-رحمه الله-/ http://www.binbaz.org.sa/mat/1769.

(2) مجموع الفتاوى/ ج١٥/١٦٦.

أما إن كانت هذه المبادئ والقواعد منتهكة من غالب أفراد المجتمع، ولم تكن هناك سلطة تسعى للحفاظ عليها، بحجة أن تلك الأمور من الشئون الخاصة أو الحريات الشخصية، سهل على الأفراد الخوض في المنكرات، بل إن العصاة يغرون الصالحين بسلوك نهجهم، لأن الناس يحبون التشبه ببعضهم بعضًا، لذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[١].

لذا فإن تحمل الداعي إلى الله -تعالى- تعالى المسئولية الدعوية بإخلاص وعلم وبصيرة يعمل على استقامة الموازين الاجتماعية واتزان المفاهيم واستقرارها حتى لا ينقلب المنكر معروفًا والمعروف منكرًا. وبهذا نجد أن من أشد الأمور خطورة عند غياب الدعوة انتشار المنكرات ثم تواطؤ المجتمع على السكوت عنها ثم قبولها أخيرا! فإذا بلغت المنكرات درجة القبول عند الناس، وذلك بأن يروها أمورًا معتادة لا مستنكر لها فضلاً عن الإنكار على مرتكبيها، إذا بلغ الحال إلى هذا الحد، فإن المجتمع يفقد موازينه المستقيمة وتذوب مفاهيمه الصحيحة لكل القيم الفضيلة، وعندئذ يعجزُ كّل قانون عن التأثير في الناس لا سيما إذا عُدَّ ذلك من التدخل في الحريات الشخصية[٢].

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

(٢) انظر: تعزيز ثقافة الحسبة/ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التطبيقات المعاصرة للحسبة في المملكة العربية السعودية كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة بجامعة الملك سعود، إعداد / د.صالح بن عبدالله بن حميد، عام ١٤٣٣هـ، منشورة في كتاب: السجل العلمي للمؤتمر، مطابع جامعة الملك سعود، وأيضاً في الموقع الشخصي للباحث/ http://ibnhomaid.af.org.sa/node/1804.

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية الدعوة إلى الله -تعالى- في عيادات التجميل، فقد ظهر في وقتنا الحاضر البحث عن الجمال كمطلب ضروري عند البعض مع الانفتاح العالمي وغزو البث الفضائي لبيوت المسلمين وتقديم نماذج نسائية متبرجة من الممثلات والمذيعات وملكات الجمال باعتبارهن الأجمل وفق معايير عالمية مما أورث هوسًا بتقليدهن ومشابهتهن وساعدت التقنيات المتقدمة في التجميل على إقبال النساء على عيادات التجميل مع مايرافق ذلك من ضعف الدعوة إلى الله -تعالى- في هذا الميدان الذي ترتب عليه الجهل بأحكام الشريعة أو التهاون بها؛ فأصبحنا نسمع عن نساء يكشفن عن وجوههن أو عوراتهن للطبيب بلاضرورة بحجة معالجة البشرة، وأخريات يستخدمن تقنيات تجميلية محرمة بمسميات حديثة جهلاً بالحكم الشرعي أو تهاونًا منهن، إضافة إلى الجرأة على تغيير خلق الله-سبحانه- بالعبث بالجسد نحتاً وصقلاً وتعبئةً وغير ذلك مما لاحاجة إليه.

ولذا يجب على الدعاة إلى الله الحرص على نشر الخير وتعليم الناس الأحكام الشرعية في هذا الميدان، فإن هذا من واجباتهم التي أمرهم الله جل شأنه بحملها وآدائها، وهي سبيل فلاحهم في الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني
الضوابط الشرعية في التجميل

إن مسئولية الدعاة في عيادات التجميل تنطلق من معرفة الضوابط الشرعية للتجميل إذ أن عدم الالتزام بها يخرج تقنيات التجميل عن كونها مباحة إلى التحريم، وهو مايجب بيانه لعاملي ومرتادي هذا المجال، وهذه الضوابط من أولويات موضوعات الدعوة التي يجب طرحها في هذا الميدان، وهي مدخل كذلك لجملة من الموضوعات الدعوية التي تنضوي تحتها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

الضابط الأول : ألا يكون التجميل بما يغير خلق الله–تعالى–:

وهذا الضابط من أهم ضوابط التجميل المباح حيث جاء النص بتحريم تغيير خلق الله مطلقاً، كما أن بعض صور التجميل عُلِّل تحريمها بما فيها من تغيير خلق الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾[1]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . قال : فبلغ

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١١٧–١١٩.

ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته، فقالت: ماحديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المِصْحَف فما وجدته، فقال: لئن كنت قَرَأْتِيْه لقد وجدتيه. قال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1].

ففي هذا الحديث تحريم الوَشْم والنَّمص والتفليج للتجميل، واللعن دليل على أن هذه الأمور من الكبائر، وقد جاء تعليل هذا اللعن بقوله: (**المغيرات خلق الله**)، «وهي صفة لازمة لمن يصنع الوشم والنمص والفلج»[2]

وأما قوله (**المتفلجات للحُسْن**): «يفهم منه أن المذمومة من فعلت ذلك لأجل الحسن، فلو احتاجت إلى ذلك لمداواة مثلا جاز»[3] .

ويمكن صياغة الضابط العام للتغيير المحرم على النحو التالي: ((**إحداث تغيير دائم في خِلْقةٍ معهودةٍ**)) [4] .

(١) سورة الحشر، الآية: ٧، والحديث أخرجه الإمام البخاري، ح(٥٩٣١)، في كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، والإمام مسلم ح(١٢٠)، في كتاب الآداب، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمصة، والمتفلجات، والمغيرات خلق الله تعالى. واللفظ له، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص ٥٠٣، ١٠٥٧.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري/ج١٠/٣٨٥، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق وتعليق: عبدالقادر شيبة الحمد، ط١، ١٤٢١هـ، د: د.

(٣) فتح الباري /ج١٠/٣٨٥.

(٤) تغيير خلق الله ضوابطه وتطبيقاته / ص٨، ورقة مقدمة إلى حلقة نقاش : (ضوابط وقواعد في اللباس والزينة والتجمل) تنظيم : الأمانة العامة بموقع الفقه الإسلامي، الأربعاء ٢٨ شعبان ١٤٣٠هـ، إعداد : د.صالح بن محمد الفوزان، الورقة منشورة في موقع الفقه الإسلامي /

.http://www.islamfeqh.com/Nawazel/NawazelItem.aspx?NawazelItemID=505

وفيما يلي بيان أبرز قيود هذا الضابط:

((**تغيير**)) : هذا التغيير إما أن يكون بإضافة كالحقن التجميلي والترقيع ونحوهما، وإما أن يكون بإزالة بعض أنسجة الجسم كشفط الدهون، وإما أن يكون بتعديل مظهر بعض الأعضاء بتكبيرها أو تصغيرها أو شدّها .

((**دائم**)) : المراد أن أثره يمكث مدّة طويلةً كالأشهر أو السنوات، ولا يلزم أن يدوم مدى الحياة، وهذا قيد يخرج التغيير المؤقَّت الذي لا يدوم أثره أكثر من عدّة أيام.

((**خِلْقةٍ معهودةٍ**)) : أي الخِلْقة المعتادة التي جرت السنة الكونية بمثلها، فالمعتاد مثلاً في كبار السن وجود التجاعيد في وجوههم، أما الصغار فإن وجودها بشكل مشوَّه يُعد خِلْقةً غير معتادة ولا معهودة، وتقييد التغيير بحدوثه في الخلقة (العضو) يعني أن التغيير يظهر على العضو، وليس بإضافة شيء خارجي إليه .

وهذا القيد (خِلْقة معهودة) يتناول التغيير لعدّة دوافع:

١- تغيير الخلقة المعهودة لطلب زيادة الحسن كالوشم والنمص والتفليج وما يُلحق بها من الجراحات التجميلية التي تُجرى لخِلقة معتادة في عرف أوساط الناس.

٢. تغييرها للتعذيب كفقء الأعين وقطع الآذان ونحو ذلك .

٣. تغييرها للتنكّر والفرار من الجهات الأمنية .

ويخرج بهذا القيد تغيير الخِلْقة غير المعهودة كما في علاج الأمراض والإصابات والتشوّهات والعيوب الخَلْقية أو الطارئة التي ينشأ عنها ضرر

حسي أو نفسي، كما أنه لا يتناول التغيير المأذون فيه شرعاً كالختان وإقامة العقوبات الشرعية [١].

وبهذا يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- : « التجميل ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: ثابت دائم مثل: الوشر والوشم، النمص ... فهو محرم بل من كبائر الذنوب لأن النبي ﷺ لعن فاعله .

الثاني: ما كان على وجه لا يدوم، فإنه لا بأس به مثل التجميل بالكحل والورس ونحوه لكن بشرط أن لايؤدي هذا إلى محظور شرعاً مثل أن يكون فيه تشبه بالنساء الكافرات، أو يكون ذلك من باب التبرج... فإن هذا يكون محرماً لغيره لا لذاته »[٢]

الضابط الثاني : أن لايكون التجميل تشبها بالكفار والفساق والجنس الأخر والحيوانات:

يجب أن يخرج التجميل عن التشبه بالكفار والفساق وتشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة والتشبه بالحيوانات، وأصل هذا الضابط قوله ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)** [٣]

(١) انظر: تغيير خلق الله ضوابطه وتطبيقاته / ص٨.

(٢) زينة المرأة بين الطب والشرع/ص٤٢، للشيخ محمد بن عبدالعزيز المسند، مؤسسة المؤتمن للتوزيع، الرياض، مكة، ط:٢، ١٤١٦هـ.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود، ح(٤٠٣١)، في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، وقال العلّامة المحدث الألباني: «حسن صحيح». انظر: سنن أبي داود/ ص٦٠٢.

ويكثر في التجميل التشبه بالكفار والفساق من المشاهير، كمشابهة ممثلة مثلاً في شفتيها أو خديها أو حاجبيها ونحو ذلك، وحرم الشرع التشبه بهم لما لتأثير المشابهة في الظاهر بمشابهة الباطن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن الله جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم...، ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه؛ ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمَّالون والبغَّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال وكذلك الكلاَّبون، وصار الحيوان الإنسي فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة. فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي. وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقلّ إيماناً من غيرهم ممن جَرَّد الإسلام، والمشابهة في الهدي الظاهر توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً»(١).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ ج١/٤٨٧، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق وتعليق: أ.د.ناصر عبدالكريم العقل، دار المسلم، الرياض، ط٥، ١٤١٥هـ.

قال القرطبي -رحمه الله-: «لو خُصَّ أهل الفسوق والمجون بلباس منع لبسه لغيرهم، فقد يظن به من لا يعرفه أنه منهم، فيظن به ظن السوء، فيأثم الظان والمظنون فيه بسبب العون عليه»[1].

ومن ذلك تحريم التشبه بالكفار والفساق في الوشم، بكافّة أشكاله وإن تغيرت مسمياته، فالوشم محرم لذاته، كما تقدّم، وهو بالإضافة إلى ذلك أصبح في الوقت الحالي من أبرز علامات الكفار، إذ يكثر في الأفلام والمسلسلات الغربية إبراز وشم المشاهير رجالًا ونساء في أجزاء مختلفة من أجسادهم، وانتشر كذلك عند فساق المسلمين، فيحرم فعله لما في ذلك من تشبه بالكفار، وتشبُّهٍ بالفساق.

كما يحرم أن يكون التجميل بما يُشّبه المرأة بالرجل أو العكس، ويحدث في التجميل أن يطلب رجل تعبئة شفتيه أو خديه كالمرأة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال: (**أخرجوهم من بيوتكم**)، قال: فأخرج النبي ﷺ فلانًا، وأخرج عمر فلانة[2].

وعنه قال: (**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**)[3].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير/ج٦/١٣٥، للإمام محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، ح(٥٨٨٦)، في كتاب اللباس، باب اخراج المتشبهين بالنساء من البيوت. انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٥٠١.

(٣) أخرجه الإمام البخاري، ح(٥٨٨٥)، في كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال. انظر:

وأيضاً يحرم التشبه بالحيوان لما فيه من تغيير خلق الله-تعالى-، وحفظاً لكرامة الإنسان الذي فضله الله على سائر مخلوقاته، وإن من انتكاس الفطرة مشابهة الأدنى ممن لاعقل له، كما أن في ذلك مصادمة صريحة لنهي الشارع عنه، ولما فيه من رضا بالنقص في الخلقة، وانتقال عن كمال الخلقة إلى الخلقة الناقصة، وذبٍ للنفس في مواضع الذم، حيث لم يرد في الكتاب والسنة التشبه بالحيوان إلا في موضع الذم والانتقاص، وإذا كان هذا موجباً للانتقاص والذم مع عدم القصد، فمعه من باب أولى(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

«وإذا كان التشبه بها-أي: الحيوانات- إنما كان على وجه الذم من غير أن يقصد المذموم التشبه بها، فالقاصد أن يتشبه بها أولى أن يكون مذمومًا، لكن إن كان تشبه بها في عين ما ذمه الشارع صار مذمومًا من وجهين، وإن كان فيما لم يذمه بعينه صار مذمومًا من جهة التشبه المستلزم للوقوع في المذموم بعينه»(٢).

الضابط الثالث : أن لايؤدي التجميل إلى ضرر:

جاءت الشريعة بحفظ النفس من التلف والضرر؛ ولذا يحرم العلاج بمايفضي لضرر أكبر فالقاعدة الشرعية جاءت: لا ضرر ولا ضرار، ويدخل

موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص١٠٥.

(١) ضوابط التشبُّه المحرَّم في اللباس والزينة وتطبيقاته المعاصرة /ص٤٢، محمد بن موسى بن مصطفى الدَّالي، الباحث بمركز الدراسات والبحوث الفقهية بموقع الفقه الإسلامي، بحث مقدم إلى الفعالية السابعة ضمن فعاليات موقع الفقه الإسلامي، البحث منشور في موقع الفقه الإسلامي /

.http://www.islamfeqh.com/Nawazel/NawazelItem.aspx?NawazelItemID=505

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ج٣٢ / ٢٥٨، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، د:ط.

فيه: عدم جواز المعالجة بالأشد إذا أمكن المعالجة بالأخف، فإذا كان الأخف يقوم مقام الأشد ويحقق المصلحة المطلوبة فإنه لا يجوز التداوي بالأشد، لأن التداوي بالأشد هنا ضرر زائد بلا حاجة ولا ضرورة، وقد تقرر أنه لا ضرر ولا ضرار.

فكل تجميل تحسيني أدى إلى ضرر لايجوز فعله، وإن جاء التجميل لإزالة ضرر لن يُزال إلا بضرر مثله لم يجز لقاعدة: الضرر لا يزال بمثله(١).

الضابط الرابع : أن يحقق التجميل مصلحة معتبرة شرعا :

يجب أن يحقق التجميل مصلحة معتبرة في الشريعة الإسلامية، إذ لا اعتبار لأهواء الناس ورغباتهم، فإن الالتزام بهذا الضابط يحمي أصحاب الهوس الجمالي من العبث بأجسادهم، وفتح الباب للجراحات التجميلية دون اعتبار للقواعد الشرعية والنواحي الطبية والأعراف الإجتماعية يوقع الناس في مفاسد صحية ونفسية واجتماعية كثيرة ومن المعلوم أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وقد أذن النبي ﷺ لرجل قطعت أنفه أن يتخذ أنفاً من ذهب مع كون الذهب محرماً على الرجال وذلك للضرورة فقط -وهي هنا النتن-، فقد جاء في حديث عَرْفَجَة بن أَسْعَد ﷺ قال: (**قُطِعَت أَنْفي يوم الكُلاَب في الجاهليّة، فاتَّخَذْتُ أَنْفاً من وَرِق، فأنْتَن عليَّ، فأَمَرَني رسول الله ﷺ أن أَتَّخِذَ أَنْفاً من ذَهَب**) (٢).

---

(١) انظر: القواعد الشرعية في المسائل الطبية /ص١٠ ومابعدها، وليد بن راشد السعيدان، الكتاب منشور في الموقع الرسمي للمؤلف/ http://alsaeedan.net/play.php?catsmktba=44.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي، ح (١٧٧٠)، في كتاب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شد الأسنان

ومن أكثر مايحتج به البعض في الحاجة للتجميل وقوع الضرر النفسي عليهم، ومع اعتبار الشرع للأذى النفسي إلا أنه ليس على اطلاقه، فبعتبر ماكان ضرورياً دون غيره كإزالة تشوه أو عيب ظاهر ملفت للأنظار يصيب صاحبه بالحرج[1].

الضابط الخامس: أن يقوم بعمل التجميل طبيب مؤهل حاذق لعمله:

يجب أن يكون الطبيب الذي يقوم بالتجميل حاذقاً عارفاً بالطب كي لايوقع المريض بالضرر، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (**من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن**)[2]

فعندما لا يكون الطبيب حاذقاً بل يكون متطبباً جاهلاً أو حاذقاً في جانب جاهلاً في جانب آخر، فإن المريض قد يصيبه من الضرر ماهو أكبر مما سعى إليه بالتجميل.

بالذهب، وحسنّه العلّامة المحدث الألباني. انظر: سنن الترمذي/ص٤١٠. للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت. وأخرجه أبو داود في سننه، ح(٤٢٣٢)، في كتاب الخاتم، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، وقال العلّامة المحدث الألباني: حسن. انظر:سنن أبي داود/ص٦٢٩، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت.

(١) للاستزادة في مدى اعتبار الضرر النفسي انظر: تغيير خلق الله ضوابطه وتطبيقاته / ص١٠.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود، ح(٤٥٨٦)، في كتاب الديات، باب فيمن تطبب بغير علم فأعنت. وقال العلّامة المحدث الألباني:"حسن"، انظر: سنن أبي داود/ص٦٨٧، والإمام ابن ماجه، ح (٣٤٦٦)، في كتاب الطب، باب من تطبب ولم يعلم منه طب، وحسّنه المحدث الألباني، انظر: سنن أبن ماجه/ص٥٨٠. للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت.

لذا فإن الطبيب في هذه الحالات يضمن بالإجماع ما تلف تحت يده من نفس أو عضو أو منفعة[(١)].

ويحدث في التجميل من أخطاء الأطباء مايقع في غيره من جوانب الطب إلا أن الضرر بجهل الطبيب في التجميل يخرج المريض من البحث عن الجمال إلى البحث عن المداواة، وهذا يخالف القاعدة الشرعية لايُزال الضرر بضرر أكبر منه، ومثال ذلك: حقن خاطئ للبوتكس في الوجه مما يسبب ميلانه، أو عمل تعبئة دائمة في أماكن معينة في الجسم تسبب تفاعلات وآثارا صحية سيئة.

الضابط السادس: أن يأذن المريض للطبيب بالقيام بالتجميل.

يأتي هذا الضابط انطلاقًا من القاعدة الفقهية: لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير إلا بإذنه[(٢)].

وهذا مهم في حفظ حق المريض في معرفة خطوات العلاج ومايترتب عليه، خاصة أن بعض تقنيات التجميل لايجوز فعلها .

وينقسم الإذن إلى قسمين: إذن مطلق وإذن مقيد .

فالإذن المطلق: هو أن يقول المريض للطبيب : أذنت لك أن تفعل أي شيئ تحتاج إليه لعلاجي. وهذا النوع من الإذن مثلا يطلبه الأطباء في حال

---

(١) انظر: المسائل الطبية والمعاملات المالية المعاصرة /ص٢٥، من دروس الدورة العلمية بجامع الراجحي ببريدة لعام ١٤٢٥هـ" من إلقاء د. : خالد بن علي المشيقح، اعتنى بها : أبو عبد الرزاق محمد الهوساوي، سامي بن محمد البكر. البحث منشور في الموقع الرسمي للمؤلف/ http://www.almoshaiqeh.com/index.php?option=com_remository&Itemid=11&limit=50&limitstart=0.

(٢) انظر: القواعد الشرعية في المسائل الطبية /ص٥٠.

خوفهم من وجود أمراضٍ أخرى يفاجئون بها بعد مباشرتهم للعمل الجراحي، فيحتاطون لذلك بأخذ الإذن المطلق من المريض قبل تخديره لأنهم يعلمون أنهم لا يستطيعون أخذ الإذن منه بعد ذلك .

والإذن المقيد : أن يقول لهم: أذنت لك أن تفعل هذه التقنية العلاجية المعينة فقط، وهذان النوعان معتبران شرعًا لأنه لا فرق في الإذن على وجه الإطلاق أو على وجه التقييد ما دام المأذون به جائز شرعًا [(١)].

ولكن ليس للمريض أن يأذن للطبيب الجاهل لأن فاقد الشيء لا يعطيه فهذا البدن ملك لله عز وجل لا يملك أن يتصرف فيه في غير ما أذن له فيه شرعًا. وعلى هذا لو أراد شخص أن يجرح نفسه فهذا محرم ولا يجوز، فدل على أن إذن المريض لهذا الطبيب الجاهل أن يعالجه إذن في غير محله[(٢)].

وعدم اعتبار الإذن عند القيام بالعلاج التجميلي قد يوقع الضرر على المريض، فبعض معالجات البشرة تحتاج لوقت طويل حتى ينتهي برنامجها مما يوقع المريض بالحرج وقد تفوت عليه بعض مصالحه، وبعضها مُكلِفٌ ماديًا وعدم الإستئذان عند عملها يوقع بالغرر، والأهم من ذلك الوقوع في المحرمات ومن ذلك تجاوز إزالة شعر الوجه إلى إزالة شعر الحاجبين بدون استئذان المريض.

الضابط السابع: أن لايترتب على عمل التجميل غش وتدليس وخداع

قال رسول الله ﷺ: (**من غشنا فليس منا**) [(٣)]، فالغش محرم بجميع أنواعه ومهما كانت مبرراته، فقوله ﷺ: (**فليس منا**): أي ليس على طريقتنا

(١) انظر: القواعد الشرعية في المسائل الطبية /ص٥١.

(٢) انظر: المسائل الطبية والمعاملات المالية المعاصرة/ص٢٦.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، ح(١٦٤)، في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا. انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٦٩٥.

ولا منهاجنا، قال النووي-رحمه الله-: «ومعناه عند أهل العلم أنه ليس ممن اهتدى بهدينا، واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا»[1].

وكل تجميل أفضى إلى الغش والتدليس والخداع لايجوز، ومن ذلك غش الخاطب بتجميل يخفي العيب، ومنه وصل الشعر الذي لعن رسول الله ﷺ فاعلته، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن لي ابنة عريساً أصابتها حصبة فتمرق شعرها، أفأصله ؟ فقال: (**لعن الله الواصلة والمستوصلة**) [2].

ويحسن في نهاية هذا الجانب أن أبين مسألة تحتج بها بعض النساء عند دعوتهن أو الإنكار عليهن في بعض المخالفات الشرعية أو عند التهاون بهذه الضوابط وهي الاحتجاج بأن بعض مسائل التجميل خلافية:

وكي يتبين الأمر يجب أن نعلم أن مسائل الخلاف تنقسم قسمين:

١- المسائل الخلافية غير الاجتهادية وهي التي ثبت فيها نص أو نصوص من الكتاب والسنة أو اجماع ثابت يدل على صحة أحد الأقوال، فالواجب حينئذٍ اتباع النص والإنكار على المخالف، حيث لا اجتهاد مع وجود نص .

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ج١/١٠٩. لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم، ح(١١٥)، في كتاب اللباس والزينة،باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله. انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص١٠٥٧.

٢- المسائل الخلافية الاجتهادية التي لم يثبت فيها نص يرجح أحد الأقوال، فهذه تسمى "المسائل الاجتهادية"، لأن مستند أراء العلماء فيها اجتهادهم أو اجتهاد غيرهم من العلماء، وهذه المسائل لا إنكار فيها، لأن كل واحد منهم لم يخالف نصًا، بل خالف اجتهاد مجتهد[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية—رحمه الله-:

«وقولهم مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل. أمّا الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً قديماً وجب إنكاره وفاقاً. وإن لم يكن كذلك فإنه يُنكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول المصيب واحد وهم عامة السلف والفقهاء. وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره أيضاً بحسب درجات الإنكار...، أما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ لم ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً. وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس. والصواب الذي عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ إذا عدم ذلك فيها الاجتهاد لتعارض الأدلة المتقاربة أو لخفاء الأدلة فيها». [(٢)]

---

(١) انظر : حكم الإنكار في مسائل الخلاف/ص ٧٢،أ.د. فضل إلهي، نشر: ادارة ترجمان الإسلام سي٣٣٦، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) بيان الدليل على بطلان التحليل/ص١٤٥، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م.

ولذا يجب النظر في مخالفات عيادات التجميل هل هي خلافية أم اجتهادية؟

ومن ذلك عمليات تصغير الأنف وتكبير الأرداف ونحوها من غير ضرورة وهي مسائل خلافية غير اجتهادية لأنها خالفت نصا بتحريم تغيير خلق الله، في قوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ (1) وقوله ﷺ في حديث لعن النامصة: (**المُغَيِّرات خَلْق الله**) (2).

وكذلك الاحتجاج بكشف الوجه بأنها مسألة اجتهادية في حين أنها مسألة خلافية خالفت اجماعاً عملياً، قال الحافظ ابن حجر: «لم تزل عادة النساء قديمًا وحديثاً يسترن وجوههن عن الأجانب»(3). ونقل ابن رسلان: «اتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه»(4).

لذا يجب على النساء تقوى الله والنظر في كل مسألة بتأمل فلاعبرة لقول كائن من كان إذا خالف بقوله النص الشرعي، ولتحرص المسلمة على دفع الهوى فإن الجمال زائل وهو أمر نسبي يختلف قياسه بين شخص وآخر، ومن الرضا بقضاء الله وقدره أن ترضى المرأة بما خلقها الله عليه من صورة، والأمر في مجمله لايحتمل أن تفرط المسلمة بدينها لأجله، أو تستحق اللعن والطرد من رحمة الله بسببه، والله المستعان.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري/ج٩/٢٣٥-٢٣٦.

(٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار/ج٦/٢٤٥، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

الفصل الأول

المسئولية الدعوية الشرعية للداعية في عيادات التجميل

جاءت الشريعة الإسلامية بحفظ الضرورات الخمس وهي الدين والنفس والعرض والمال والعقل، وتضافرت الأدلة في التأكيد عليها؛ فهي أساس لاستقرار عيش الإنسان في هذه الحياة وبرعايتها تحفظ الحقوق وتسلم المجتمعات من النزاعات.

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: « اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل عُلمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد»[(١)].

قال الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله-: « مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة...» [(٢)].

(١) الموافقات في أصول الشريعة/ج١/٣٨، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي، عناية وضبط: محمد عبدالله دراز، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٣٩٥هـ.

(٢) المستصفى من علم الأصول/ج١/١٧٤، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

وجميع موضوعات الدعوة في عيادات التجميل لاتخرج عن هذه الضرورات بشكل أو بآخر، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى حفظ الدين، ومن ذلك:

الدعوة إلى حفظ أحكام الشرع باجتناب ماحرّم الله سواء من العاملين في المجال الطبي أو المراجعين لهذه العيادات، ويندرج تحت ذلك جملة من الموضوعات الدعوية كالتحذير من اختلاط الرجال بالنساء وكشف الأطباء على النساء بغير ضرورة، وكشف العورات، والتبرج والسفور، والقيام بعمل النمص أو الوشم، والتحذير من تأخير أداء الصلوات لأن بعض جلسات التجميل تمتد لساعات وربما خرج وقت الصلاة، والدعوة إلى تحقيق الطهارة وخاصة عند وضع الكريمات الطبية والأقنعة التجميلية وغير ذلك.

ومن الدعوة إلى حفظ النفس: حفظها من تغيير ماخلقها الله عليه من صورة، وتجنب علاجها عند مراكز تجميلية غير موثوقة مما قد يؤدي إلى تشويهها بعاهة أو حرق أو وفاة أوغيره، والنفس ملك لله لايجوز التصرف فيها إلا بما أذن الله به(١).

ومن الدعوة إلى حفظ العرض: صيانة العرض من اختلاط الرجال بالنساء ومايفضي إليه ذلك من التحرشات الجنسية مما لايخلو منه مستشفى مختلط.

---

(١) أغلقت وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية أحد المراكز الطبية الأهلية لجراحة التجميل بالرياض بعد ثبوت مسئولية المركز عن تدني مستوى الخدمة الطبية به وما نتج عنه من وفاة مريضة بعد إجراء عملية شفط دهون لها بالمركز، انظر: الموقع الرسمي لوزارة الصحة/
http://www.moh.gov.sa/Ministry/MediaCenter/News/Pages/News-2012-02-18-004.aspx

ومن الدعوة إلى حفظ المال: تجنب صرف الأموال الطائلة على جلسات تجميلية لايمتد أثرها إلا لأشهر معدودة، وربما دفعت الأموال بدون أثر يذكر، وخدمات بعض العيادات التجميلية ربحية بالمقام الأول ودعائية تستنزف أموال المخدوعات بدعوى تحقيق الجمال، ومن المتعارف عليه أن غالب جلسات التجميل لاتنتهي بل هي دائمة ويجب تكرارها دورياً.

أما الدعوة إلى حفظ العقل: فيظهر في التحذير من الهوس بالجمال عند البعض مما يترتب عليه المبالغة في تصور العيوب الذي يفضي للإكتئاب واعتزال الناس، وحدثت حالات انتحار في الغرب لأجل هذا الأمر(١).

وسأبين في المباحث التالية مسئولية الداعية تجاه بعض هذه الموضوعات الدعوية مما يجب بيانه للمدعوين.

---

(١) حصلت حالات انتحار عند نساء غربيات قمن بجراحات لتكبير الثدي بسبب عدم رضاهن عن الشكل بعد الجراحة مما أدخلهن في اكتئاب وادمان على المخدرات والكحول، انظر: موقع طبيب دت نت / http://www.tbeeb.net/ask/showthread.php?t=118046

المبحث الأول

التحذير من التبرج والسفور

مما عَمّت به البلوى في هذا الزمان التبرج والسفور، وأبرز المخالفات الشرعية في عيادات التجميل تأتي من هذا الباب، ويختلف الحال مابين ترك للحجاب بالكلية أو كشف للوجه والكفين فقط مع ستر باقي البدن أو ارتداء أنواع متبرجة للحجاب مع كشف نصف الوجه باللثام أو النقاب ونحو ذلك.

فبعض الطبيبات والممرضات وموظفات العيادة حاسراتُ الرأس، وغالبهن يغطين شعورهن فقط مع كشف الوجه في ميدان مختلط، وقد وقفت على مراكز تجميل يبدو أنها تشترط الجميلات كموظفات استقبال مع ما يرافق ذلك من زينة وعطر ومكياج كامل للوجه باعتبار أن الجمال من أبرز خدمات المركز!

كما أن بعض مرتادات العيادة التجميلية لاترى بأساً في كشف وجهها للطبيب من غير ضرورة بحجة حاجتها للعلاج، على الرغم من وجود العديد من الطبيبات المسلمات ذوات المهارة والثقة، وبعضهن تميزن في مجال طب وجراحة الجلد.

إن تهاون المرأة بحجابها يصاحبه رقة في دينها وحيائها، ومن واجب الداعية إلى الله أن يبين أن الحجاب الساتر يمنع المرأة المسلمة من إظهار شيء من بدنها أمام الرجال من غير محارمها. وقد كانت الصحابيات أشد الناس استجابة لأمر الله بالحجاب لقوة إيمانهن.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[2].

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لَمَّا نزلت هذه الآية ﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها[3]. قال ابن حجر: فاختمرن: «أي غطين وجوههن»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « وكشف النساء وجوههن بحيث يراهن الأجانب غير جائز، وعلى ولي الأمرِ الأمرُ بالمعروف والنهى عن هذا المنكر وغيره، ومن لم يرتدع فإنه يعاقب على ذلك بما يزجره »[5].

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-: «ما يفعله بعض نساء هذا الزمان من التبرج بالزينة والتساهل في أمر الحجاب وإبراز محاسنهن للأجانب وخروجهن للأسواق متجملات متعطرات أمر مخالف للأدلة الشرعية ولما عليه السلف الصالح، وأنه منكر يجب على ولاة الأمر من الأمراء والعلماء ورجال الحسبة تغييره، وعدم إقراره، كل على حسب طاقته

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) أخرجه الإمام البخاري، ح(٤٧٥٩)، في كتاب تفسير القرآن، سورة النور، باب ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾. انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٤٠٢.

(٤) فتح الباري/ ج٨/٣٥٧.

(٥) مجموع الفتاوى/ج٢٤ / ٣٨٢.

ومقدرته وما يملكه من الوسائل والأسباب التي تؤدي إلى منع هذا المنكر، وحمل النساء على التحجب والتستر، وأن يلبسن لباس الحشمة والوقار، وأن لا يزاحمن الرجال في الأسواق»[1].

المبحث الثاني: التحذير من الاختلاط.

حرم الإسلام اختلاط المرأة بالرجل من غير محارمها تقديرًا منه لدور المرأة في الحياة، فقد أكرمها بالرعاية والحماية وأمرها بالقرار في البيت لعظم دورها في تربية النشء المسلم، وحفظًا للأسرة من التفكك والضياع، فقرار المرأة في بيتها وغضها لبصرها من مكارم أخلاقها، وسدًا لذريعة الفتنة أمر الله جلّ شأنه عباده من الرجال والنساء على حد سواء بغض البصر ابتداء، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[3].

فكيف يمنعهم من النظر ويبيح لهم الاختلاط؟ ومن لوازم الخلطة النظر؟

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**)[4]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**..ومن**

---

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-/http://www.binbaz.org.sa/mat/8231.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٣١.

(٤) أخرجه الإمام البخاري، ح(٥٢٣٣)، في كتاب النكاح، باب لايخلون رجل بإمرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، والإمام مسلم، ح(١٣٤١)، في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره. انظر:

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان) [١].

ويقول النبي ﷺ في صفوف الحاضرين للمسجد للصلاة: (**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**) [٢].

قال النووي -رحمه الله- عند شرح الحديث: «وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم» [٣].

فإذا خرجن من الصلاة فعليهن ألا يزحمن الطريق وألا يخترن وسطها حتى لا يقتربن من الرجال، ويأمرهن الرسول ﷺ بذلك ويقول : (**عليكن بحافات الطريق**) فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به [٤].

موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص ٤٥٢، ٩٠١.

(١) أخرجه الإمام أحمد، ح(١٤٧٠٦)، انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ص١٠٢٣، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، د:ط.

(٢) أخرجه الإمام مسلم، ح(١٣٢)، في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، والإزدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام. انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٧٤٧.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ج١٥٩/٤.

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه،ح(٥٢٧٢)، في كتاب الأدب، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق، وحسّنه العلّامة المحدث الألباني . انظر: سنن أبي داود/ ص٧٨٨.

ولو كان الاختلاط جائزًا لما خصص لهن رسول الله ﷺ يوما يعلمهن فيه، ولحضرن مجالس العلم مع الرجال، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، قال: (**اجتمعن يوم كذا وكذا**). فاجتمعن، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله[1].

ومن عرف واقع المستشفيات ومنها عيادات التجميل علم أن هذا الأمر حاصل، ويحصل الاختلاط بغير حاجة في غرف العيادات والاجتماعات وحفلات التكريم والاستقبال والتوديع وغيرها، وهو منكر بلا شك ومخالف لما جاءت به الشريعة من حفظ الأعراض وكل مايؤدي إلى المساس بها.

ومن مسئولية الدعاة إلى الله التحذير من هذا المنكر والدعوة إلى انشاء مستشفيات خاصة بالمرأة بكوادر نسائية كاملة تغني عن الحاجة للرجل خاصة في مجال التجميل فإن هذا التخصص ألصق بالمرأة لفطرتها على حب الزينة، وهذا ليس بأمر متعذر خاصة في بيئة محافظة كبيئتنا تزخر بالنساء المحافظات العفيفات من الطبيبات والمراجعات على حد سواء.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ح(٧٣١٠)، في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنّة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل. انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) /ص٦٠٩.

المبحث الثالث
التحذير من الغش والكذب

ذكرنا أن من ضوابط التجميل أن لايؤدي إلى الغش والخداع فهو سلوك مرفوض في شريعة الإسلام، ويحرم القيام به، كما يحرم الكذب لقول رسول الله ﷺ: (...**وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**) (١)

ومن مسئوليات الداعية إلى الله في هذا المجال السعي إلى كشف صور الغش والكذب في واقع العيادات التجميلية وبيان حكمها والتحذير منها وتوعية الناس بضررها ونتائجها.

ويحصل الغش والخداع والكذب في التجميل في عدة صور:

- الغش والخداع والكذب في بيان مدى حاجة المريض للعلاج:

فبعض الأطباء يوهم المراجع بأن أنفه مشوه أو جلده مترهل ويضخم من العيوب المعهودة في خلقة البشر بهدف زيادة الربح المادي، وربما أوقع المريض في سلسلة من الجراحات أو يحوجه للمعالجة من أمراض طارئة بعد التجميل.

- الغش والخداع في خطوات المعالجة ونتائجها:

وهذه يحصل فيها الغش والكذب من قبل بعض الأطباء في إظهار سهولة خطوات العلاج بالإعراض عن البيان التفصيلي للحالة ومراحل علاجها ومدتها أو تضخيم النتائج الإيجابية للمعالجة بخلاف الواقع.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، ح(٦٠٩٤)، كتاب الأدب، باب قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)، وأخرجه الإمام مسلم، ح(١٠٥)، في كتاب البر والصلة والآدب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، واللفظ له، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٥١٤، ١١٣٣.

ومن ذلك القول بأن ليزر إزالة الشعر يزيل الشعر بجلسة واحدة أو يزيل الشعر بشكل كامل، والقول بوجود إبر لتصفية وتوحيد لون البشرة.

ويحصل كثيرا إيهام المريض أن العلاج لايستغرق إلا شهرًا أو أيامًا معدودات ليتفاجأ المريض أن الوقت الزمني الكافي لهذه المعالجة لاتقل عن ستة أشهر مثلًا.

ومن الغش قيام بعض النساء بإخفاء التجاعيد بحقن البوتكس ورفع الحواجب وتكبير الشفايف وغير ذلك حال الخطبة مع مافي بعض هذه المعالجات من حرمة لتغييرها لخلق الله.

- الغش والخداع في الكلفة المادية للعلاج:

درجت بعض عيادات التجميل على استدراج المريض لبعض المعالجات دون وضوح للتكلفة المادية لها، ففي الجلسة الأولى لايتم إلا ذكر بعض خطوات العلاج فيتوهم المريض أن الأمر ينتهي بانتهاء خطوتين أو ثلاث مما ذكر ليتفاجأ بسلسلة من الجلسات التي لاتنقطع والتي لايتم العلاج إلا بها مما يجعله ضحية لاستنزاف مالي غير متوقع.

- الغش في الكريمات والمواد المستخدمة في التجميل:

على الرغم من سعي الجهات المسؤولة على مراقبة جودة المواد المستخدمة في عيادات التجميل إلا أن السعي وراء ربح مادي عالي يدفع لاستخدام مواد أقل جودة وأقل سعرا وبالطبع أكثر ضررًا بالمستخدم.

ويكون الغش في محتويات المستحضر وقد يكون في بيانات ملصق المستحضر، ويشمل الغش كذلك الظروف السيئة التي يتعرض لها المستحضر

في مرحلة التخزين مثل الضوء ونسبة الرطوبة العالية والأوكسجين ودرجة الحرارة وغيرها، وتؤدي مثل هذه الظروف إلى نمو كائنات حية في المستحضر تؤثر على جودته(١).

– الغش في الأجهزة المستخدمة في التجميل :

من الطبيعي أن يجهل المريض أنواع الأجهزة المستخدمة في المعالجة وكيفية استخدامها ونتيجة لذلك يقع الغش والخداع في بعض الحالات.

ومن أمثلة ذلك أن يطلب المريض إزالة الشعر بجهاز معين كجنتل ليز مثلا وبدرجة معالجة اثنتي عشرة مع إقرار الطبيب بمناسبة ذلك له، وعندما يحين وقت العلاج يستبدل بجهاز أقل جودة أو يتم ضبط درجة المعالجة بأقل مما طلب بهدف زيادة عدد الجلسات.

---

(١) انظر : موقع هيئة الغذاء والدواء /

http://www.sfda.gov.sa/ar/drug/awareness/news/Pages/الغش+التجاري+في+مستحضرات+التجميل.aspx

المبحث الرابع

التحذير من كشف العورات

نظر الطبيب إلى عورة المريض بلا ضرورة أو حاجة ملحة محرم، وتشتد الحرمة عند كشف الرجل على المرأة أو العكس. فالمرأة كلها عورة عند الرجل الأجنبي، فالنظر إلى قدمها أو ساقها نظر إلى عورة .

والأدلة على حرمة النظر كثيرة منها : قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [(١)] .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**) [(٢)].

(١) سورة النور، الآية: ٣٠-٣١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم، ح (٧٤)، في كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات. انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٧٣٣.

قال النووي -رحمه الله- عند شرح الحديث: « ففيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة، وهذا لا خلاف فيه . وكذلك نظر الرجل إلى عورة المرأة والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع »(١)

و عن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال: (**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو مما ملكت يمينك**) فقال: الرجل يكون مع الرجل؟ قال: (**إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل**)، قلت: والرجل يكون خاليًا، قال: (**فالله أحق أن يستحيا منه**) (٢).

ويجب على الداعي إلى الله -تعالى- أن يبين أن علاج الأطباء للنساء لا يجوز إلا بشروط :

الشرط الأول: ألا توجد طبيبة .

الشرط الثاني: وجود الضرورة، أو الحاجة الملحة .

الشرط الثالث: أن يكون الكشف بقدر الحاجة، فإذا وجدت الحاجة لكشف جزء من الساق مثلاً، لم يجز الكشف أكثر من مقدار الحاجة فيه . وإذا كانت الحاجة تندفع برؤية طبيب واحد لم يجز أن ينظر إليها أكثرُ من واحد

الشرط الرابع: وجود المَحرم، فالكشف على المرأة الأجنبية مظنة الفتنة، ومن أعظم وسائل دفعها وجود المحرم(٣).

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ج٤/٣٠.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي، ح(٢٧٦٩)، في كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ العورة. وقال المحدث العلّامة الألباني: "حسن" . انظر: سنن الترمذي/ ص٦٢١.

(٣) انظر: كشف العورات في المستشفيات (الواقع والعلاج)/ د.يوسف الأحمد، موقع صيد الفوائد/ .http://www.saaid.net/Doat/yusuf/11.htm

وفي العيادات التجميلة غالب مايقدم من خدمات يدخل تحت التحسيني غير الضروري، مع وجود طبيبات ذوات خبرة ومهارة، لذا فالحاجة للطبيب غير ملحة، ومن ذلك معالجة حب الشباب ومشاكل البشرة.

أما كشف المرأة عورتها المغلظة أمام المرأة فلايجوز لماتقدم، ومن ذلك جلسات إزالة الشعر بالليزر، وتتساهل بعض النساء في هذا بأن الكشف يكون أمام طبيبة كما هو الحال عند الولادة وتتجاهل شرط الضرورة والحاجة[1].

المبحث الخامس: التحذير من الإسراف بالمال.

الإسراف هو: « إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس. وقيل: تجاوز الحد في النفقة »[2].

وهو من الموضوعات الهامة في ميدان عيادات التجميل لكون هذه العيادات ربحية في المقام الأول، ومن واجب الداعية أن يبين للناس أن المال نعمة من نعم الله وهو ضروري لقيام حياة الناس وقضاء شئوونهم، ولذا يجب عدم بذله فيما لا يجدي نفعًا في الدنيا والآخرة، وقد وجه الله عبادة بحفظ أموالهم فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾[3].

---

(١) مما يحمد لبعض المراكز التجميلة توفير الخدمة الذاتية للنساء الراغبات بإزالة الشعر بأجهزة الليزر بأنفسهن حفظاً للعورات.

(٢) التعريفات/ص٤٠، للعلّامة علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وفهرسه:محمد بن عبدالحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٣) سورة النساء، الآية:٥.

وبالحكمة في تدبير المال وبذله يتميز الناس بعضهم عن بعض، فيمدح الكرم وبذل الصدقات، ويذم الإسراف والبخل في توازن لايدركه إلا العقلاء.

قال الله تعالى ممتدحاً عباده المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

وقال سبحانه في ذم المبذرين: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

فإضاعة المال في غير وجهه يورث الحسرة والندامة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3].

والأمر لايخلو من محاسبة العزيز الحكيم؛ فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**)[4].

(١) سورةالفرقان، الآية :٦٧.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية:٢٩.

(٤) أخرجه الإمام الترمذي، ح(٢٤١٧)، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة، وقال:حديث حسن صحيح. وقال العلّامة المحدث الألباني: صحيح. انظر: سنن الترمذي/ص٥٤٤.

وفي عيادات التجميل تستنزف الأموال بلاحاجة في الغالب، فالمتعارف عليه أن جلسات التجميل وعمليات شد البشرة وحقنها وترميمها مستمر ودائم نظرًا لتقلبات الجو وتأثير ضغوط الحياة وتقدم السن على البشرة والقوام، فتحتاج المرأة باستمرار للشد والحقن وغيره، فضلا عن أن العمليات الجراحية التحسينية كتقويم الأنف وشفط الدهون وغيرها ذات كُلفة عالية.

فالدراسات تشير إلى أن إنفاق النساء على التجميل في دول مجلس التعاون يزيد عن ٣٢ مليار دولار سنوياً، ويشهد هذا الإنفاق تزايداً تصاعدياً مع الزمن. ومن جهة أخرى، تُقدر تكاليف عمليات التجميل بأنها تتراوح ما بين ثلاثة آلاف وأكثر من ٥٠ ألف ريال(١).

إن ترف المرأة مع قلة العلم والدين والغفلة عن ما خلقنا لأجله من العبادة والإصلاح في هذه الأرض قد يجرها إلى سلسلة من المعالجات غير الضرورية سعياً وراء جمال لايدوم، فليس المشرع للقيام بالتجميل توفر المال فقط، وإنما الحكمة تظهر في كيفية التصرف به، ولذا كانت هذه الصفة ميزة في حق نبي الله يوسف -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾(٢).

لذا ينبغي أن تدرك النساء أن هذا المال على وفرته بين يديها لايجيز لهن بذله من غير حاجة وفي غير ما أباحه الله -سبحانه-، ويجب أن يدعن

(١) انظر: صحيفة الاقتصادية، السبت، ٠٧ شوال ١٤٣٣ هـ. الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠١٢ العدد ٦٨٩٣ .
http://www.aleqt.com/2012/08/25/article_685966.html.

(٢) سورة يوسف، الآية : ٥٥.

التقليد والمحاكاة والمباهاة فما استقر القلب واستراح بمثل الاطمئنان لأمر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وإن الرضا والسعادة لاتأتي إلا باجتماع القلب وإقباله على الله .

الفصل الثاني

المسئولية الدعوية للداعية تجاه خدمات التجميل

المبحث الأول: المسئولية الدعوية تجاه جراحات التجميل.

جراحة التجميل ضرب من ضروب الطب لايخلو من أهمية، ولأن الدعوة إلى الله -تعالى- شاملة لكافة شؤون الحياة فإن هذا المجال ممايجب أن يلقى عناية من الدعاة إلى الله ببيان أحكام ما يستجد فيه من خدمات، وهو عند الأطباء ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول: جراحة التجميل التي تدعو إليها الحاجة ضرورية .

ومقصودهم بكونه ضرورياً لمكان الحاجة الداعية إلى فعله، إلا أنهم لا يفرقون فيها بين الحاجة التي بلغت مقام الاضطرار (الضرورة) والحاجة التي لم تبلغه (الحاجية) كما هو مصطلح الفقهاء رحمهم الله .

وهذا النوع المحتاج إلى فعله يشتمل على عدد من الجراحات التي يقصد منها إزالة العيب سواء كان في صورة نقص، أو تلف، أو تشوه، فهو ضروري، أو حاجي بالنسبة لدواعيه الموجبة لفعله، وتجميلي بالنسبة لآثاره ونتائجه.

فمن الجراحات الضرورية الناتجة عن عيوب خلقية: الشق في الشفة العليا، والتصاق أصابع اليدين والرجلين، أو الجراحات التي تعالج عيوبًا مكتسبة: وهي العيوب الناشئة بسبب من خارج الجسم كما في العيوب والتشوهات الناشئة من الحوادث والحروق. ومن ذلك : كسور الوجه الشديدة التي تقع بسبب حوادث السير مثلا .

وهذا النوع من الجراحة الطبية وإن كان مسماه يدل على تعلقه بالتحسين والتجميل إلا أنه توفرت فيه الدوافع الموجبة للترخيص بفعله .

فمما لا شك فيه أن هذه العيوب تضر الإنسان حسًا، ومعنى، وذلك ثابت طبيًا، ومن ثم فإنه يشرع التوسيع على المصابين بهذه العيوب بالإذن لهم في إزالتها بالجراحة اللازمة. ولا يشكل القول بجواز فعل هذا النوع من الجراحة، لأن هذا النوع لا يشتمل على تغيير الخلقة قصدًا، لأن الأصل فيه أنه يقصد منه إزالة الضرر، والتجميل والحسن جاء تبعًا(١).

القسم الثاني: جراحة التجميل التحسينية - اختيارية - .

وهي: « تحسين منظر جزء من أجزاء الجسم الظاهرة»(٢).

وتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: عمليات الشكل، ومن أشهر صوره ما يلي:

- تجميل الأنف بتصغيره، وتغيير شكله من حيث العرض والارتفاع .
- تجميل الذقن، وذلك بتصغير عظمها إن كان كبيرًا، أو تكبيره بوضع ذقن صناعية.
- تجميل الثديين بتصغيرهما إذا كانا كبيرين، أو تكبيرهما بحقن مادة معينة مباشرة في تجويف الثديين، أو بحقن الهرمونات الجنسية، أو بإدخال النهد الصناعي داخل جوف الثدي بواسطة فتحة في الطية الموجودة تحت الثدي .
- تجميل الأذن بردها إلى الوراء إن كانت متقدمة .

(١) انظر: أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها /ص١٨٢-١٨٦، د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة دار الصحابة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ. والجراحة التجميلية، الجوانب القانونية والشرعية/(ص٤١)، د.نادية محمد قرماز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ..

(٢) الجراحة التجميلية، الجوانب القانونية والشرعية/ص٤٠.

- تجميل البطن بشد جلدتها وإزالة القسم الزائد بسحبه تحت الجلد جراحيًا.

النوع الثاني: فإنه يجرى لكبار السن، ويقصد منه إزالة آثار الكبر والشيخوخة، ومن صوره:

- تجميل الوجه بشد تجاعيده.
- تجميل الأرداف.
- تجميل الساعد، وذلك بإزالة القسم الأدنى من الجلد والشحم .
- تجميل اليدين، ويسمى في عرف الأطباء " بتجديد شباب اليدين " وذلك بشد التجاعيد الموجودة في أيدي المسنين والتي تشوه جمالها .
- تجميل الحواجب، وذلك بسحب المادة الموجبة لانتفاخها نظرا لتقدم العمر .

وهذا النوع من الجراحة لا يشتمل على دوافع ضرورية، ولا حاجية، وهي تتضمن في عدد من صورها الغش والتدليس وهو محرم شرعًا، كما أن بعض هذه الجراحات لا يتم فعلها إلا بارتكاب بعض المحظورات(1).

ومع هذا اختلف المعاصرون في حكمها على اتجاهين:

الاتجاه الأول : يرى المنع منها وتحريمها؛ لأنّ فيها تغييراً لخلق الله تعالى؛ ولأنه قد وردت نصوص تدل على منع الوشم والنمص والتفليج والوصل وذلك

---

(1) انظر: أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها/ص191، وبحث القواعد والضوابط الحاكمة لعمليات التجميل/ حنان بنت محمد بن حسين جستنيه ، الأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات / بحث منشور في موقع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ http://www.imamu.edu.sa/events/conference/reseashe/res17/Pages/1_16.aspx.

لما فيها من تغيير طلبًا للتحسين وهذا المعنى موجود في هذه العمليات، ولما فيها من غش وتدليس وأضرار ومضاعفات إلى غير ذلك من الأدلة(١) .

ومن ذلك ماذهب إليه فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله– لما سئل : ما الحكم في إجراء عمليات التجميل؟

فقال : «التجميل نوعان: تجميل لإزالة العيب الناتج عن حادث أو غيره، وهذا لا بأس به ولا حرج فيه؛ لأن النبي ﷺ أذن لرجل قطعت أنفه في الحرب أن يتخذ أنفا من ذهب. والنوع الثاني: هو التجميل الزائد وهو ليس من أجل إزالة العيب بل لزيادة الحسن وهو محرم لا يجوز، لأن الرسول ﷺ لعن النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة لما في ذلك من إحداث التجميل الكمالي الذي ليس لإزالة العيب »(٢).

الاتجاه الثاني: يرى أن تبحث كل عملية تجميليّة لوحدها، إذ من هذه العمليات ما دل الشرع على تحريمه والمنع منه، ومنه ما يمكن قياسه عليها، ومنها ما بحثه الفقهاء سابقًا أو يمكن تخريجه على أقوالهم فلا تُجعل العمليات كلها من هذا النوع في مرتبة واحدة(٣) .

ولعل التفصيل أرجح، وسبب ذلك أن الشرع مع نهيه عن الوشم والنمص والوصل جاء بالإذن بأنواع من الزينة والتحسين كصبغ الشعر مثلاً

---

(١) انظر: الضوابط الشرعيّة للعمليات التجميليّة، ورقة علميّة مقدمة لندوة : (العمليات التجميليّة بين الشرع والطب)/ د. هاني بن عبد الله بن محمد الجبير، ص١٤، نشر موقع صيد الفوائدمماثلة:
.http://saaid.net/book/open.php?cat=4&book=3249

(٢) فتاوى إسلامية/ج٤/٤١٢، جمع وترتيب: محمد بن عبدالعزيز المسند، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) انظر: الضوابط الشرعيّة للعمليات التجميليّة / ص١٤.

وهذا يدل على أن تعميم العلة بمنع التحسين غير مقبول، والعلّة متى فُقد اطرادها دَلّ على إبطال عليتّها. والتعليل بقصد التحسين لا يصلح علةً للتحريم - أيضًا - لأنا نشهد من الشارع اعتبار قصد التحسين والتجميل لا المنع منه(١).

وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- عن حكم الإسلام في جراحة التجميل؟

فقال : « هذا فيه تفصيل: إذا كانت الجراحة لا تغير شيئاً مما أمر الله ببقائه فلا بأس، فإذا كان التجميل لا يتضمن نقشاً في وجه الإنسان وهو الوشم، ولا يتضمن قطع عضو وإنما ينوِّر الوجه أو ينور البدن أويعدل ما اعوج، كيدٍ فيها عوج تصلح، أو رجل فيها عوج، أو أنف فيه خلل يصلح فلا بأس بذلك، أو أسنان فيها خلل تصلح كطول بعضها أو ميلان بعضها أو سواد في سنه، أو شيء مما يمكن زواله وحصول الجمال من دون أن يخالف أمر الله في شيء من ذلك فلا حرج في ذلك، فالرسول ﷺ نهى عن الوشم، ونهى عن الوصل، ولم ينهَ عن التجمل (إن الله جميل يحب الجمال)، كذلك إذا كان في إصبع زائدة في الرجل أو في اليد فالصواب أنه لا حرج في إزالتها إذا قرر له الطبيب أن إزالتها لا خطر فيها، وهكذا لو كان هناك خرمٌ في الوجه أو في اليد يمكن إزالته بالعلاج فلا بأس، أو بقع سوداء في بدنه أو وجهه تمكن معالجتها كل هذا لا حرج فيه؛ لأنه تجميل لا يخالف أمر الله» (٢).

---

(١) انظر: المرجع السابق / ص١٤.

(٢) من فتاوى برنامج : نور على الدرب، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- http://www.binbaz.org.sa/mat/17725.

ويمكن أن يتضح للداعي إلى الله حكم كل نوع من هذه الجراحات بضبطها بالضوابط الشرعية للتجميل مما ذكر سابقا إذ يتبين بها المباح من المحرم، ويجب توعية الناس بضرورة الرضا بالقضاء والقدر فهو ركن من أركان الإيمان ومن تمامه رضا المرء بماخلقه الله عليه من صورة، كما أن تتبع هوى النفس قد يهلكها بالسعي وراء الكمال.

المبحث الثاني
المسئولية الدعوية تجاه العناية بالبشرة

إن السعي لبشرة ناعمة صافية هدف لمعظم النساء، ولايتم جمال الوجه إلا بها، فنضارة الوجه وتألقه مرتبط بها، وهي من سمات أهل الجنة إذ وصفهم الله جل شأنه بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾(٢).

وكثرت في الآونة الأخيرة زيارة النساء لعيادات التجميل من أجل هذا الأمر، وأصبحت مواعيد بعض العيادات تأخذ زمنًا طويلًا لشدة زحام مراجعيها، ولا شك أن هذا باب عظيم للدعوة إلى الله كون غالب المراجعين نساء يأتين من أجل علاجات تحسينية غير ضرورية فهن أصفى ذهنًا وأجدر بقبول الدعوة ممن يشتكي المرض.

وفي مجال العناية بالبشرة يأتي ما ينعمها ويلينها ويعالج مايطرأ عليها من بثور وحبوب على رأس ذلك، وهذا مباح ولابأس به إذا تجنبت المحرمات كالادّهان بكريمات نجسة تحتوي على دهن الخنزير مثلًا، أو ترتب عليه محاذير شرعية ككشف وجه المرأة للرجل وغير ذلك.

ومن أبرز معالجات البشرة تقشيرها لمعالجة آثار حبوب الشباب والكلف وهو على درجات متفاوتة مابين سطحي يعالج البثور والتصبغات الجلدية وهو من باب التجميل المباح لأنه لايغير لون البشرة ويؤمن فيها من

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة الغاشية، الآية: ٨.

الضرر، وتقشير عميق وهو الذي يغير البشرة من لون إلى آخر ويترتب عليه أضرار محتملة ولا يجرى إلا بتخدير كامل وتحت مراقبة طبية مكثفة لاحتمال تأثير العملية على وظائف الجسم فهذا محرم لتغيير خلق الله وللضرر.

وقد سئل الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله : ما حكم كريم تقشير البشرة هذا الكريم يوجد في الأسواق فما حكم استخدام مثل هذه الكريمات؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، لا أدري ما هذا الكريم هل هو يلين البشرة وينعمها بدون تغيير اللون هذا لا بأس به لأنه من جملة أدوات التجميل، وأما إذا كان يغير البشرة من لونٍ إلى آخر فهذا محرم لأنه أشد من الوشم الذي لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلته فقد لعن الواشمة والمستوشمة والوشم هو أن يغرز الجلد بلونٍ مخالفٍ للونه على وجه التطريز والوشي وأقبح من ذلك أن يكون الوشم على صورة حيوان هذا هو الجواب أنه إذا كان لتنعيم الجسم فلا بأس به وإذا كان لتغيير اللون فإنه محرم(١).

وفي مجال البشرة أيضاً يأتي الوشم على رأس المحرمات التي توعد الله فاعله باللعن(٢)، ومن صوره : التاتواج وهو نوع من أنواع الوشم، تستخدمه النساء لعمل مكياج للعينين برسم الكحل والحاجبين بلون ثابت وتلوين الشفتين ويستمر لسنوات تصل إلى خمس سنوات.

---

(١) فتاوى نور على الدرب (نصية)/ موقع الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-/ http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_5206.shtml.

(٢) مضى تخريج الحديث في ص٧ من هذا البحث.

وقد سئل الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله :

ظهر حديثاً طريقة جديدة لعمل الكحل، وتحديد الشفاه بطريقة الوشم المؤقت الذي تصل مدته إلى ستة أشهر أو سنة؛ وذلك بدلاً من الكحل العادي، وقلم تحديد الشفاه، فما حكم ذلك ؟

فأجاب: « لا يجوز ذلك؛ لدخوله في مسمى الوشم، فقد (**لَعَنَ النبي صلى الله عليه وسلم الوَاشِمَة والمُسْتَوْشِمَة**)، فإن هذا التحديد للشفاه والعينين يبقى سنة أو نصف سنة، ثم يجدَّد إذا اندرس، ويبقى كذلك، فيكون شبيهاً بالوشم المحرَّم. والأصل: أن الكحل علاج للعين، لونه أسود، أو رمادي، يكتحل به على الأهداب ومشافر العينين عند الرمد، أو لحفظ العين عن المرض، وقد يكون جمالاً وزينة للنساء، كالزينة المباحة، فأما تحديد الشفاه بطريقة الوشم المؤقت: فأرى أنه لا يجوز، فعلى المرأة أن تبتعد عن المشتبهات والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم»(١).

ومن تجميل البشرة الحقن التجميلي، ويكون بعدة أنواع:

- الحقن بالدهون: ويُراد به سحب الدهون من جسم الإنسان وحقنها في الجسم نفسه لأغراض تجميلية.

- الحقن بالبوتكس وهو: مادة شديدة السمّية تُسْتخرج من بعض أنواع البكتيريا، يُستعمل في مجال الجراحة التجميلية على هيئة حقن لا تحوي إلا مقدارًا يسيرًا جدًا ليس فيه ضرر.

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب/http://islamqa.info/ar/ref/99629.

- الحقن بالكولاجين وهو: مادة بروتينية تؤخذ من الجسم، وتُحقن في الوجه لملء التجاعيد وعلاج التشوّهات.

والحقن بأنواعه إجراء مؤقّت الغرض من استعماله يجب أن يقتصر على إزالة العيوب وتصحيح التشوّهات التي تصيب الوجه والجسم كتجاعيد البشرة لشابة أمر غير معهود، أما استعماله للتدليس أو العبث وتغيير خلق الله تعالى كاستعماله لاخفاء تجاعيد كبار السن المعتادة فهو محرّم(١).

هذه أبرز خدمات العناية بالبشرة، وهي متجددة بشكل متسارع تبعا للتقنيات العالمية في هذا المجال.

(١) انظر: الضوابط الشرعية لعمليات تحسين القوام والحقن التجميلي/ورقة علمية مقدمة لندوة "العمليات التجميلية بين الشرع والطب"،إعداد د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان — أستاذ الفقه المشارك، ورئيس قسم الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء -التي تقيمها إدارة التوعية الدينية بالمديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض، البحث منشور في منتديات رسالة الإسلام/ http://muntada.islammessage.com/showthread.php?t=11913.

المبحث الثالث

المسئولية الدعوية تجاه زراعة وازالة الشعر

يتم زراعة الشعر عن طريق نقل بصيلات الشعر الطبيعية من المناطق الخلفية لفروة الرأس والجوانب المعروفة طبيًا بالمنطقة الواهبة وزرعها في المناطق الأمامية أو قمة الرأس والمعروفة بالمنطقة الموهوبة، وبعد العملية بـ ٢٤ ساعة تصبح الطعوم المزروعة جزءًا أصليًا من الجسم وتحصل على تروية دموية ويلتئم الجلد المحيط بها لينمو الشعر بعد ذلك بثلاثة شهور كباقي الشعر الطبيعي(١).

ومع التقدم التقني اليوم أصبحت هذه المعالجة ميسورة، وربما تهاون البعض في الاستعانة بها فيما يخالف الشرع جهلًا بالحكم أو تهاوناً، ومن واجبات الداعي إلى الله -تعالى- توعية الناس بأحكام هذه المعالجات من زراعة الشعر وإزالته على حد سواء.

ففي مجال زراعة الشعر اختلف العلماء في حكمه فمنهم من قال بالجواز ومنهم من قال بالتحريم، وقد أفتى الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- بجواز ذلك لأن هذا من باب ردّ ما خلق الله عز وجل، ومن باب إزالة العيب، وليس هو من باب التجميل أو الزيادة على ما خلق الله عز وجل، فلا يكون من باب تغيير خلق الله، بل هو من رد ما نقص وإزالة العيب، واستدل بما في قصة الثلاثة النفر الذي كان أحدهم أقرع وأخبر أنه يحب أن

---

(١) انظر: موقع مستشفى الجلدية والجراحة التجميلية:أوباجي/
http://www.obagihospital.com/hairdetail.html

يرد الله عز وجل عليه شعره فمسحه الملك فردَّ الله عليه شعره فأُعطي شعرًا حسنًا [1].

ومن هنا نلاحظ أن القول بجواز زراعة الشعر مقيد بما إذا كان يقصد به إزالة العيب وردّ ما خلقه الله، أما إذا كان يقصد بها طلب زيادة الحسن فوق ماخلق الله بتكثير الشعر وزيادة غزارته فلا يجوز لعلة تغيير خلق الله.

وفي جانب إزالة الشعر تقدم عيادات التجميل خدمة إزالة الشعر بأجهزة الليزر كجنتل ليز و الجنتل ياق والمدلايت، وأجهزة الضوء والتحليل الكهربائي.

والحكم في إزالة الشعر يختلف باختلاف موضع الشعر المراد إزالته فقد يكون مندوباً إليه، وقد يكون محرماً، وقد يكون مباحاً ولذلك فقد قسم العلماء الشعر إلى ثلاث أقسام:

- القسم الأول: ما نص الشرع على تحريم إزالته كشعر اللحية والحاجبين.
- القسم الثاني: ما نص الشرع على طلب إزالته كشعر الإبط والعانة.
- القسم الثالث: ما سكت عنه الشرع كشعر باقي الجسم مما يكون على الأيدي والأرجل والفخذين وغيره.

وبهذا ما كان يحرم إزالته من الشعر كشعر اللحية وشعر الحاجبين فإنه يحرم استخدام هذه التقنيات في إزالة هذا الشعر، ويجوز استخدامها في

---

(١) انظر: فتاوى البلد الحرام/ص٦٩٠، تقديم: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د:ط..

إزالة شعر الإبط، ويحرم ذلك في إزالة شعر العانة إذا استلزم كشف العورة لعدم وجود ضرورة، ويجوز استخدامها في إزالة ما سكت عنه الشرع كشعر اليدين والساقين [1].

وما ذكر من جواز إزالة الشعر بالتقنيات الطبية الحديثة مقيد بمراعاة ضوابط التجميل مما ذكر سابقًا.

(١) انظر: أحكام زراعة الشعر وإزالته / د. سعد بن تركي الخثلان،عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحث مقدم إلى ندوة (العمليات التجميلية بين الشرع والطب) التي تقيمها إدارة التوعية الدينية بالمديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض، البحث منشور في موقع الملتقى الفقهي/ .http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=1157#_ftn29

الخاتمة

الحمدلله الذي تتم بنعمته الصالحات، له الحمد أولًا وآخرًا، حمدًا يليق بعظمته وجلاله سبحانه، وأشكره جلّ شأنه على تيسيره وامتنانه، ثم أن هذا البحث بصفحاته قد استوفى أركانه، ولا أزعم تمامه، فهو جهد لا يخلو من نقص وهو طبع البشر.

ويحسن هنا أن أبين بعض ماخرجت به من نتائج، وهي كما يلي:

١- أن التجميل والزينة بحد ذاتها مباحة، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.[(١)]

٢- للتجميل ضوابط يجب الإلتزام بها وإلا خرجت من المباح للتحريم، ومن مسئوليات الداعي إلى الله -تعالى- بيانها وتجليتها للعاملين في مجال التجميل والمستفيدين منه.

٣- من أبرز ضوابط التجميل أن ألا يؤدي إلى تغيير خلق الله أو إلى تشبه محرم.

٤- كل تجميل أدى إلى ضرر فهو محرم، والأصل في التجميل أن يكون لإزالة عيب أو ضرر.

٥- الغش والتدليس محرم بكافة أشكاله، سواء ماوقع من المريض أو الطبيب على حد سواء، ومن التدليس التجميل بما هو خلاف الواقع للخاطب مثلاً.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٦- لايخلو مكان مختلط من مخالفات التبرج والسفور ومنها عيادات التجميل، ويجب على الدعاة إلى الله مداومة الوعظ والإرشاد فيها.

٧- يجب حفظ العورات وعدم كشفها بغير حاجة ومن ذلك كشف المرأة وجهها للطبيب بغير ضرورة، ويشتد التحريم فيما بين السرة والركبة.

٨- من الإسراف بالمال بذله في غير حاجة، ويقع ذلك في عيادات التجميل في معالجات غير ضرورية وذات أثر محدود وبكلفة عالية.

٩- جراحات التجميل منها ماهو ضروري ومنها ماهو تحسيني ؛ فأما الضروري فلا خلاف في إباحته لكونه يأتي لإزالة ضرر، وأما التحسيني فالراجح والله أعلم أن تبحث كل عملية تجميليّة لوحدها، لاختلاف دواعيها وما تستند إليه في الشرع، ومن الدعوة إلى الله توعية الناس بالفرق بينهما وحكم الله فيهما مع الإقبال الشديد على عمليات التجميل كتقويم الأنف وعمليات نحت الجسم.

١٠- في واقعنا المعاصر ومع تقدم تقنيات التجميل تعود بعض المحرمات بمسميات جديدة؛ كالوشم بمسمى التاتواج وتغير الاسم لايغير من واقعه وهو محرم توعد الله فاعله باللعن وتجب الدعوة إلى تجنبه والتحذير من الوقوع فيه.

١١- من معالجات البشرة الحقن بكافة أنواعه، واستعماله للتدليس أو العبث وتغيير خلق الله تعالى كاستعماله لاخفاء تجاعيد كبار السن المعتادة وهو محرّم .

١٢- زراعة الشعر إذا كانت لرد ما نقص وإزالة العيب فلا ينكر على فاعلها، أما لزيادة الحسن فلا تجوز.

١٣- في عيادات التجميل وغيرها يحرم إزالة شعر اللحية والحاجبين وما أفضى إليه بأي وسيلة كانت، ويجوز إزالة الشعر فيما أباح الشرع إزالته كشعر اليدين والرجلين، وفيما دعا الى إزالته كشعر الإبط والعانة، ولكن يحرم إزالة شعر العانة وماكان من العورة إذا استلزم كشفها لعدم وجود ضرورة، وهو مما عم البلاء به.

هذا ماظهر للباحثة؛ والأمر فيه تجدد ويتطلب التأمل والاحتياط فيما تقدمه مراكز التجميل من خدمات فإن الأمر لايخلو في غالبه من مخالفة شرع الله بشكل أو بآخر، ومما يسهم في رفع الوعي في هذا الجانب قيام الدعاة ببرامج إرشادية توعوية تحد من الوقوع فيما حرم الله.

أسأل الله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن لايكلنا إلى أنفسنا فيهلكنا الهوى فنضل ونزل، إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

أولاً: الكتب:

١- أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها / د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة دار الصحابة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق وتعليق: د.ناصر عبدالكريم العقل، دار المسلم، الرياض، ط٥، ١٤١٥هـ.

٣- بيان الدليل على بطلان التحليل/ لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م.

٤- التعريفات/ للعلّامة علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وفهرسه:محمد بن عبدالحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٥- الجراحة التجميلية، الجوانب القانونية والشرعية/ د.نادية محمد قرماز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٦- حكم الإنكار في مسائل الخلاف/ د. فضل إلهي، نشر: ادارة ترجمان الإسلام سي ٣٣٦، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٧- زينة المرأة بين الطب والشرع/ للشيخ محمد بن عبدالعزيز المسند، مؤسسة المؤتمن للتوزيع، الرياض، مكة، ط:٢، ١٤١٦هـ.

٨- سنن ابن ماجه/ للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت.

٩- سنن أبي داود/ للإمام أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت.

١٠- سنن الترمذي/ للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت

١١- فتاوى إسلامية/ جمع وترتيب: محمد بن عبدالعزيز المسند، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

١٢- فتاوى البلد الحرام/ تقديم: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د:ط.

١٣- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري/ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق وتعليق: عبدالقادر شيبة الحمد، ط١، ١٤٢١هـ، د: د.

١٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير/للإمام محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

١٥- القواعد الشرعية في المسائل الطبية / وليد بن راشد السعيدان، الكتاب منشور في الموقع الرسمي للمؤلف/http://alsaeedan.net/play.php?catsmktba=44

١٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، د:ط.

١٧- المدخل إلى علم الدعوة / لأبي محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ

١٨- المستصفى من علم الأصول/لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، د:ط.

٢٠- المعجم الوسيط/ قام بإخراجه: ابراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا، ط٢، د:ت.

٢١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٢- الموافقات في أصول الشريعة/ لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي، عناية وضبط: محمد عبدالله دراز، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٢٣- موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/ اشراف ومراجعة: صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ..

٢٤- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار/للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

ثانياً : الأبحاث وأوراق العمل:

١- أحكام زراعة الشعر وإزالته / د. سعد بن تركي الخثلان،عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحث مقدم إلى ندوة (العمليات التجميلية بين الشرع والطب) التي تقيمها إدارة التوعية الدينية بالمديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض، البحث منشور في موقع الملتقى الفقهي/
http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=1157#_ftn29

٢- تعزيز ثقافة الحسبة/ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التطبيقات المعاصرة للحسبة في المملكة العربية السعودية كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة بجامعة الملك سعود، إعداد / د.صالح بن عبدالله بن حميد، عام ١٤٣٣هـ، منشورة في كتاب: السجل العلمي للمؤتمر، مطابع جامعة الملك سعود، وأيضاً في الموقع الشخصي للباحث/
http://ibnhomaid.af.org.sa/node/1804

٣- تغيير خلق الله ضوابطه وتطبيقاته/ ورقة مقدمه إلى حلقة نقاش: (ضوابط وقواعد في اللباس والزينة والتجمل) تنظيم: الأمانة العامة بموقع الفقه الإسلامي، الأربعاء ٢٨ شعبان ١٤٣٠هـ، إعداد : د.صالح بن محمد الفوزان، الورقة منشوره في موقع الفقه الإسلامي/
http://www.islamfeqh.com/Nawazel/NawazelItem.aspx?NawazelItemID=505

٤- ضوابط التشبُّه المحرَّم في اللباس والزينة وتطبيقاته المعاصرة / محمد بن موسى بن مصطفى الدَّالي، الباحث بمركز الدراسات والبحوث الفقهية بموقع الفقه الإسلامي، بحث مقدم إلى الفعالية السابعة ضمن فعاليات موقع الفقه الإسلامي، البحث منشور في موقع الفقه الإسلامي /
http://www.islamfeqh.com/Nawazel/NawazelItem.aspx?NawazelItemID=505

٥- الضوابط الشرعية لعمليات تحسين القوام والحقن التجميلي/ورقة علمية مقدمة لندوة "العمليات التجميلية بين الشرع والطب"،إعداد د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان – أستاذ الفقه المشارك، ورئيس قسم الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء -التي تقيمها إدارة التوعية الدينية بالمديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض، البحث منشور في منتديات رسالة الإسلام/
http://muntada.islammessage.com/showthread.php?t=11913

٦- الضوابط الشرعيّة للعمليات التجميليّة، ورقة علميّة مقدمة لندوة: (العمليات التجميليّة بين الشرع والطب)/ د. هاني بن عبد الله بن محمد الجبير، نشر موقع صيد الفوائد/
http://saaid.net/book/open.php?cat=4&book=3249

٧- القواعد والضوابط الحاكمة لعمليات التجميل/ د. حنان بنت محمد بن حسين جستنيه ، الأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات / بحث منشور في موقع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/
http://www.imamu.edu.sa/events/conference/reseashe/res17/Pages/1_16.aspx

٨- المسائل الطبية والمعاملات المالية المعاصرة / من دروس الدورة العلمية بجامع الراجحي ببريدة لعام ١٤٢٥هـ" من إلقاء د.خالد بن علي المشيقح، اعتنى بها : أبو عبد الرزاق محمد الهوساوي، سامي بن محمد البكر. البحث منشور في الموقع الرسمي للمؤلف/
http://www.almoshaiqeh.com/index.php?option=com_remository&Itemid=11&limit=50&limitstart=0

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

١- موقع الإسلام سؤال وجواب/http://islamqa.info/ar/ref/99629

٢- موقع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-/ http://www.binbaz.org.sa

٣- موقع الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-/
http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_5206.shtml

٤- موقع صحيفة الاقتصادية، السبت، ٠٧ شوال ١٤٣٣ هـ. الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠١٢ العدد ٦٨٩٣/http://www.aleqt.com/2012/08/25/article_685966.html

٥- موقع صيد الفوائد/http://www.saaid.net/Doat/yusuf/11.htm

٦- موقـــــــع طبيـــــــب دت نـــــــت

http://www.tbeeb.net/ask/showthread.php?t=118046/

٧- موقع وزارة الصحة/

http://www.moh.gov.sa/Ministry/MediaCenter/News/Pages/News-2012-02-18-004.aspx

٨- موقع مستشفى الجلدية والجراحة التجميلية:أوباجي/

http://www.obagihospital.com/hairdetail.html

٩- موقع هيئة الغذاء والدواء /

http://www.sfda.gov.sa/ar/drug/awareness/news/Pages/الغش+التجاري+في+مستحضرات+التجميل.aspx

البحث رقم (٦)

قاعدة المشقة تجلب التيسير
دراسة دعوية تأصيلية

إعداد

د. تركي بن عبدالله السكران

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[(١)] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[(٢)] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[(٣)(٤)]. أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى أشرف وأعظم ما يتقرب به المسلم إلى ربه كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[(٥)]، وبما أنها كذلك فهي الأولى أن يؤتى بها على أكمل وجه، أو يُنشد

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة، أخرجها الإمام أحمد (٣٩٢/١)، وأبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة الحاجة، برقم: (٢١١٨) ط/١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ، والترمذي في جامعه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم: (١١٠٦)، وقال: صحيح، ط/١، دار ابن حزم بيروت، ١٤٢٢هـ، والنسائي كتاب الجمعة، باب الدنو من الإمام يوم الجمعة برقم: (١٧٠٩)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم: (١٨٩٣)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط/١، دار المعرفة بيروت، ١٤١٨هـ، وصححها الألباني في كتابه: خطبة الحاجة (ص:٩).

(٥) سورة فصلت، الآية ٣٣.

فيها الكمال على أقل الاحتمال. وإذا أُريد بها هذا المبلغ العظيم فليُبحث عن الطرق المعينة الموصلة إلى الكمال أو القرب منه.

ومما أصبح معلوماً عند الناس جميعاً، ومسلماً به عند العقلاء كافة، أن الشريعة الإسلامية لم تقصد إلى إعنات الناس، أو تكليفهم بما هو شاق عليهم، كما لم تجعل من وسائل العبادات، أو علامات الخضوع والانقياد لله رب العالمين تحمليهم فوق ما يطيقون، وإنما شرعت لهم ما هو في حدود طاقاتهم، فما كلفوا به من الأوامر أو النواهي هو سهل وميسر تنفيذه؛ لما فيه من الواقعية والسماحة والتخفيف الذي يسهل على كل صاحب إرادة صحيحة النزولَ عنده والوقوفَ عند حدود الله تعالى فيه.

ولما بدأ الناس يأخذون بالسهل واليسير في أمورهم بسبب اختلاط المفاهيم الشرعية مع غيرها عندهم، انحرفوا وتساهلوا أو تشددوا وغالوا في فهم حقيقة المشقة المنفية شرعاً، والتيسير المراد الأخذ به والعمل به؛ لذا خصصت دراسة قاعدة المشقة تجلب التيسير، لتبيين حقيقتها، وما تحمله في طياتها من معاني ودلالات، وربطها بمسائل الدعوة لتكون نبراساً للدعاة ومعينا لهم في أداء واجبهم الدعوي النبيل.

وقد قرر فقهاؤنا عموماً أن هذه القاعدة هي إحدى القواعد الكبرى التي بني عليها الفقه ويتخرج عنها جميع رخص الشرع وتخفيفاته، وتعتبر أصلا عظيما من أصول الشرع التي صارت أصلا مقطوعا به لتوفر الأدلة عليها.

وفي هذا الصدد نقرأ كلاماً جميلاً لأحد أعلام المالكية ألا وهو الإمام أبو إسحاق الشاطبي -رحمه الله-، إذ يقول: (إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع)[1].

---

(١) الموافقات (١/٥٢٠- مشهور).

ولقد اعتنى علماؤنا بهذه القاعدة اعتناء بالغاً ومن تلكم المؤلفات:

١. قاعدة المشقة تجلب التيسير، دراسة نظرية — تأصيلية – تطبيقية ليعقوب بن عبد الوهاب الباحسين.

٢. المشقة تجلب التيسير: دراسة نظرية وتطبيقية لصالح بن سليمان بن محمد اليوسف.

٣. التحرير في قاعدة المشقة تجلب التيسير لعامر الزيباري.

٤. قاعدة: المشقة تجلب التيسير؛ مفهومها وتطبيقاتها للدكتور الشريف حمزة بن علي الكتاني.

٥. قواعد وضوابط التيسير في الشريعة. لشيخنا عبد الرحمن صالح العبد اللطيف.

٦. التيسير ورفع الحرج في العبادات في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت لنصحي محفوظ محمد.

٧. قاعدة المشقة تجلب التيسير وتطبيقاتها على الصوم والحج إعداد الطالب موري دوكوري أبو بكر سوماورو.

٨. أثر قاعدتي المشقة تجلب التيسير ولا ضرر ولا ضرار في المسائل الطبية المستجدة لمحمد بن عبد العزيز اليمني.

مشكلة البحث:

تتشكل مشكلة هذا البحث بما يلي:

أولاً: هل قاعدة المشقة تجلب التيسير تستخدم مطلقاً لكل من يريد التيسير ولو بلا مشقة معتبرة شرعاً، أم منضبطة بضوابط الشرع.

ثانياً: ما هي أهمية هذه القاعدة في المجال الدعوي.

ثالثاً: وما هو الدور الذي تلعبه قاعدة المشقة تجلب التيسير بصفة خاصة، في بيان تيسير الدين الإسلامي ورفع الحرج عن المكلف عند امتثال الأوامر واجتناب النواهي؟

رابعاً: ما هي المعايير والشروط لاعتبار المشقة الجالبة للتيسير في المنظور الدعوي؟

أهداف البحث:

يصبوا هذا البحث إلى تحقيق هذه الأهداف التالية:

الأول: أهمية قاعدة المشقة تجلب التيسير في المجال الدعوي.

الثاني: بيان التيسير والسماحة واليسر التي جاء بها الدين الحنيف.

الثالث: وضع دراسة علمية بين يدي الباحثين والمفتين في مسائل الدعوة.

الدراسات السابقة:

١. التيسير في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة لأمل محمد العجلان.
٢. الاجتهاد الدَّعوي وإمكانات الوفاق للدكتور عبد الله الزّبير عبد الرَّحمن صالح.
٣. التطبيقات الدعوية والتربوية للقواعد الفقهية الخمس الكبرى للدكتور عبد الرحمن بن أحمد الجرعي.
٤. القواعد الفقهية وتطبيقاتها الدعوية لحسام العيسوي إبراهيم.
٥. القواعد الفقهية الكلية وتطبيقاتها الدعوية، لماجد علي عبد الله القحطاني.
٦. القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي لأبي البيانوني.
٧. اليسر والسماحة في الإسلام لفالح الصغير.
٨. القواعد والضوابط الفقهية المؤثرة في أحكام العمل الخيري لهاني بن عبد الله بن محمد الجبير.

منهج البحث:

سيتبع بإذن الله تعالى في كتابة هذا البحث المناهج التالية:

أولاً: ذكر مقدمة تمهيدية لكل مبحث تتضمن ما كل يندرج تحته من المطالب بشكل إجمالي.

ثانياً: ذكر الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

ثالثاً: تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.

رابعاً: الاعتماد على أمهات الكتب ومصادرها الأصلية.

خامساً: الاستفادة من المواقع العلمية شبكة الانترنت مع بيان اسم الموقع واسم كاتب المقالة.

سادساً: ربط المسائل الواردة في البحث بقاعدة المشقة تجلب التيسير، وما يتفرع عنها القواعد الفرعية أو المندرجة تحتها.

سابعاً: عزو الأقوال إلى أصحابها في الحاشية.

تاسعاً: فقد جعلت البحث من مقدمة وثلاثة مباحث.

أما في **المقدمة** فقد ذكرت فيها أهمية هذا البحث ومشكلته وأهدافه والدراسات السابقة ومنهج الباحث.

المبحث الأول: أهمية القواعد عموما وقاعدة المشقة تجلب التيسير خصوصا.

المطلب الأول: أهمية القواعد الشرعية.

المطلب الثاني: أهمية القواعد في المجال الدعوي.

المطلب الثالث: شرح قاعدة المشقة تجلب التيسير.

المطلب الرابع: المقصود من القاعدة.

المطلب الخامس: التطبيقات الدعوية لهذه القاعدة.

المطلب السادس: القواعد المرتبطة بقاعدة المشقة تجلب التيسير.

المبحث الثاني: أحكام التيسير.

المطلب الأول: نصوص التيسير من الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: معنى اليسر وضوابطه وأنواعه.

المطلب الثالث: أقوال السلف في اختيار أيسَر المذاهب، ومعنى الأخذ بالأخف.

المطلب الرابع: معاني التيسير.

المطلب الخامس: أثر اليسر والسماحة في انتشار الإسلام:

المطلب السادس: فهوم التيسير المعاصر.

المبحث الثالث: أحكام المشقة.

المطلب الأول: أقسام المشقة وضوابطها.

المطلب الثاني: قواعد في المشقة.

المطلب الثالث: تقصد المشقة في الشريعة الإسلامية.

المطلب الرابع: هل مقدار الأجر يكون على المشقة والجهد المبذول في العمل أم هو على ما ينتج عن العمل من منفعة وخير وصلاح؟

المطلب الخامس: عبارة الأجر على قدر المشقة.

المطلب السادس: فقه الدعوة في ضوء التيسير ورفع الحرج.

خاتمة: بينت فيها نتائج البحث.

والله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، أن يجعل هذا العمل مباركاً، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به إخواني الدعاة، وجميع من انتهى إليه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم موافقاً لسُنّة سيد الناس أجمعين؛ فإنه سبحانه خير مسئول، وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المبحث الأول

أهمية القواعد عموماً وقاعدة المشقة تجلب التيسير خصوصاً

المطلب الأول

أهمية القواعد الشرعية

القواعد الكبرى لها أهمية بالغة للدعاة وبقدر اعتناء الداعي إلى الله بها بقدر سداد منهجه الدعوى، وبقدر إهماله لهذه القواعد بقدر دخول الوهن في دعوته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم)(١).

وقال العلامة القرافي -رحمه الله-: (هذه القواعد مهمة في الفقه، عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف، وتتضح مناهج الفتوى وتكشف، ... ومن جعل يخرج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية؛ تناقضت الفروع واختلفت ... ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندارجها في الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب)(٢).

وقال الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا – رحمه الله – في كتابه المدخل الفقهي العام: (فإن في هذه القواعد تصويراً بارعاً، وتنويراً رائعاً للمبادئ والمقررات الفقهية العامة، وكشفاً لآفاقها ومسالكها النظرية، وضبطاً لفروع الاحكام العملية بضوابط، تبيّن في كل زمرة من هذه الفروع وحدة المناط، وجهة الارتباط، برابطة تجمعها، وإن اختلفت موضوعاتها وأبوابها)(٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٩).
(٢) الفروق، الإمام القرافي (٧١/١).
(٣) شرح القواعد الفقهية ص١١.

وقال الشيخ السعدى – رحمه الله – في منظومة القواعد الفقهية: [1]

اعلــم هُــديتَ أن أفضــل المِــنَنْ   علـم يزيـل الشـك عنـك والـدرن
ويكشــف الحــق لــذى القلــوب   ويوصــل العبــد إلي المطلــوب
فــاحرص عــل فهمــك للقواعــد   جامعــة المســائل الشــوارد
فترتقــي في العلــم خــير مرتقــى   وتقتفــي درب الــذي قــد وُفِّقَــا

فهو يقول: إن منن الله على العباد كثيرة، وأفضل ما منَّ الله على عبده به هو العلم النافع.

وضابط العلم النافع كما قلت في النظم أنه يزيل عن القلب شيئين: وهما: الشبهات والشهوات.

فالشبهات: تورث الشك، والشهوات: تورث درن القلب وقسوته، وتثبط البدن عن الطاعات.

فعلامة العلم النافع: أن يزيل هذين المرضين العظيمين، ويجلب للعبد في مقابلتهما شيئين وهما: اليقين: الذي هو ضد الشكوك، الثاني: الإيمان التام الموصل للعبد لكل مطلوب، المثمر للأعمال الصالحة: الذي هو ضد للشهوات.

فكلما ازداد الإنسان من العلم النافع: حصل له كمال اليقين، وكمال الإرادة، ولا تتم سعادة العبد إلا باجتماع هذين الأمرين، وبهما تنال الإمارة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، ودرجات اليقين ثلاثة كل واحدة أعلى من الأخرى: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين: في الدنيا كعلمنا الآن بالجنة والنار. وعين اليقين: إذا ورد الناس

(١) القواعد الفقهية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

(٢) سورة السجدة الآية ٢٤.

القيامة ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾(١) فرأوهما قبل الدخول، وحق اليقين: إذا دخلوهما.

وحاصل ذلك: أن العلم شجرة تثمر كل قول حسن، وعمل صالح، والجهل: شجرة تثمر كل قول وعمل خبيث.

وإذا كان العلم بهذه المثابة فينبغي للإنسان أن يحرص كل الحرص، ويجتهد كل الاجتهاد في تحصيله، وأن يديم الاستعانة بالله في تحصيله، ويبدأ بالأهم فالأهم منه، ومن أهمه: معرفة أصوله وقواعده التي ترجع مسائله إليها. وهذا لأن معرفة القواعد من أهم وأقوى الأسباب لتسهيل العلم وفهمه وحفظه، لجمعها المسائل المتفرقة بكلام جامع.

وقد جمع الناظم هذه القواعد بقوله:

واعلم بأنَّ الفقه مبناه على ... خمس قواعد إذا ما تُجْتَلى
لا يرفع اليقين شكٌّ، والضرر ... يُنفي، وتجلب المشقّة اليسر
وتحكم العادات حيث لا تجور ... وبالمقاصد تبيّن الأمور

وإن الدعوة الإسلامية لا تكون سليمة وصحيحة ومنتجة إلا إذا تقيدت بتلك القواعد الشرعية، وانضبطت بتلك الضوابط، ذلك لأن أبرز خصائصها أن تكون على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(٢).

وما ضعفت الدعوة الإسلامية على مدى الأيام، وما تخبط في طريقها، إلا بسبب بعدها عن تلك البصيرة المنشودة، ووقوعها في انحراف النمهج أو قصوره، وخطأ الأسلوب وضعف الوسيلة.

---

(١) سورة الشعراء: ٩٠- ٩١.

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨.

وما أحوج الدعاة اليوم إلى تفهم القواعد الشرعية، والانضباط بها ليقوموا بدعوتهم حق القيام، فيصلح الله لهم أعمالهم ويغفر لهم ذنوبهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[١].

وقاعدة المشقة تجلب التيسير من أهم القواعد التي يحتاج إليها الدعاة عند قيامهم بالدعوة إلى الله، وذلك أن الدين الإسلامي - كما يقول الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: (ميسر سهل في عقائده وأخلاقه وأعماله، وفي أفعاله وتروكه ... كل مكلف يرى نفسه قادرا عليها لا تشق عليه ولا تكلفه)[٢] اهـ.

ومن هذا المنطلق ينبغي أن يبدأ الدعاة مدركين هذا الأصل مستصحبين هذه الحقيقة.

(١) القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي للبيانوني.

(٢) بهجة قلوب الأبرار، السعدي (ص٧٧).

المطلب الثاني

أهمية القواعد في المجال الدعوي

قال الدكتور عبد الرحمن الجرعى ويقول(١): (هناك اتجاه أصيل في الكتابة الدعوية مفاده ربط المباحث الدعوية والتربوية بالقواعد الفقهية والأصولية، وهو اتجاه أملته الحاجة إلي التأصيل الشرعي لكثير من قضايا الدعوة، خاصة بعد ظهور اجتهادات غريبة عن الحس الإسلامي في بعض أوساط الدعاة، فالاستنارة بهذه القواعد يسهم في ضبط الاجتهادات الدعوية، كما أن هذه القواعد توفر مادة خصبة للدعاة ليفيدوا منها في الاستدلال والتقعيد والتنظير.

إن كتابة المباحث الدعوية في ظل هذه القواعد الفقهية أو الأصولية يسهم في ربط الاجتهادات الدعوية برباط شرعي متين منضبط، ويعطي للدعاة مرجعية موثوق بها خاصة أن القواعد الفقهية الكبرى تحظى باتفاق الغالبية من الفقهاء، كما أنها تبين عوار التصرفات الشاذة، التي تمارس في غفلة من الوعي، وغلبة الهوى أو الجهل.

وهذا الاتجاه في الكتابة على حسب علمي حديث نسبياً، وإن لم يغفل بالكلية، وأنا هنا أشير إلي كتابات المعاصرين، أما السلف فإن حديثهم عن المباحث الدعوية يأتي ضمن فنون متعددة، ولعل الحاجة إلي إفراد المباحث الدعوية في تصانيف مستقلة —كما هو الحال الآن – قد أملاه التوسع في التخصصات. وأشير إلي نقطتين:

الأولى: أن الدعوة إلي الله قربة وعبادة، وهي ممارسة تنطلق من مشكاة الشريعة، فلا بد من مراجعة الخطوات ليعلم هل ممارساتنا الدعوية منطلقة من قواعد الشريعة، أم أننا وجدنا من قبلنا على سنن فنحن نتبعهم، وما دامت الدعوة عبادة فيجب أن تكون على مقتضى ما يرضاه الشارع الحكيم.

(١) د. عبد الرحمن بن أحمد الجرعى جامعة الملك خالد (كلية الشريعة).
وانظر: القواعد الفقهية وتطبيقاتها الدعوية لحسام العيسوي.

الثانية: أن التطبيقات الدعوية اجتهادية، خاضعة للمراجعة والتمحيص والإضافة والحذف، وتخضع كذلك لمعرفة البيئة الدعوية وما يعتريها من ممارسات، وما يكون فيها من قضايا تحتاج إلي اجتهاد في تلمس الحكم الشرعي من خلال هذه القواعد، التي هي بمثابة المنارات الهادية في الطريق اللاحب).

المطلب الثالث

شرح قاعدة المشقة تجلب التيسير

المَشَقَّةُ: الجهد والعناء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾[(١)].

وأصله من الشّق: : نصف الشيء، كأنه قد ذهب نصف أنفسكم حتى بلغتموه، وشَقَّ علي الأمر أي: ثقل علي، ومنه قوله ﷺ: «لولا أن أَشُقَّ على أمتي لأمرتُهم بالسِواكِ عِند كلِ صلاة»[(٢)]؛ والمعنى: لولا أن أثقل على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، وفي حديث أم زرع: «وجدني في أهل غُنَيمة بِشَقّ»[(٣)]، والشَّقّ: الفصل في الشيء، كأنها أرادت أنهم في موضع حَرج ضيق كالشَّقّ في الجَبَل[(٤)].

تَجلِب: فهي من الجَلْبُ وهو: سوق الشيء من موضع إلى آخر، واسْتَجْلَبَ الشيء: طلب أن يُجْلَبَ إليه.

والجَلائِب: ما يُجلب للبيع من كل شيء، وقيل الجَلائِب: الإبل التي تُجْلَب إلى الرجل النازل على الماء ليس له ما يَحْتَمِل عليه فيحملونه عليها[(٥)].

والتيسير: من اليُسْر: وهو ضد العُسر، ومنه قوله ﷺ: «إن الدين يُسْرٌ»[(٦)]، وأراد بذلك ﷺ أنه سهل سمح قليل التشديد.

---

(١) سورة النحل الآية ٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة،باب: السواك يوم الجمعة رقم الحديث (٨٨٧).

قال في الفيض (٣٣٩/٥): (وفيه ... وأن المشقة تجلب التيسير وإذا ضاق الأمر اتسع).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب:حسن المعاشرة مع الأهل رقم الحديث (٥١٨٩).

(٤) النهاية (٤٩٢/٢)، لسان العرب (١٧٣/١٠)، تاج العروس (٤١٥/٢٥).

(٥) النهاية (٢٨٢/١)، لسان العرب (٢٧٨/١)، تاج العروس (١٧٠/٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان،باب: الدين يسر رقم الحديث (٣٩)

وثمّة فرقٌ لغويٌ بين اليُسر والتيسير، فاليُسر صفةٌ لازمةٌ للشريعة الإسلاميّة، ومقصدٌ من مقاصدها التشريعيّة جاء به الكتاب والسنّة، وأنزله النبيّ ﷺ والسلفُ الصالحُ منزلَتَه، أمّا التيسير فهو من فِعل البشر، ويعني جَعلَ ما ليس بميسَّرٍ في الأصل يسيراً، وهذا مَوطِنُ الخَلل.

والمراد بجلب المشقة للتيسير: أن المشقة سبب للتيسير، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

لذلك قال الشاعر: [2]

إذا اشَــتد بــك العُســرُ فَفَكــر في ألم فعُســرٌ بــين يُســرَين إذا أبصَــرتَهُ فَافــرَح

هذا باختصار شديد شرح مفردات قاعدة المشقة تجلب التيسير. وإليك في المطلب التالي المقصود منها.

(١) سورة الانشراح الآية ٥-٦.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي (٤/٤٦١).

المطلب الرابع
المقصود من القاعدة

ومعنى القاعدة: أن الصعوبة والعناء تكون سبباً للتسهيل، ويلزم التوسيع في وقت المضايقة، فالأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه أو ماله، فالشريعة تخففها بما يقع تحت قدرة المكلف دون عسر ولا حرج.

قال الدكتور المغذوي حفظه الله: (أن الأمور التي تلحق المشاق والمتاعب أو المخاوف على الداعية أو المدعو في باب الدعوة، تفتح لهم باب التيسير عليهم، ورفع الحرج والعنت عنهم، والإتيان من الأمور قدر المستطاع، ولكن بشرط عدم مصادمتها للنصوص، أو التكليفات الشرعية.

وقد أكد الفقهاء هذه القاعدة الهامة عندهم بقولهم: (المشقة تجلب التيسير؛ لأن الحرج مدفوع بالنص، ولكن التيسير مشروط بعدم مصادمتها نصا، فإن صادمت نصاً روعي دونها.

والمتأمل في هذه القاعدة يجد أنها تتضمن محورين هامين:

الأول: الدعاة: وما يكتنف بعض أعمالهم في بعض الأزمان والأماكن من عنت ومشقة، الأمر الذي قد يدخل بعض المشقة التي قد تضر بالدعاة، فهنا التيسير مطلوب على هؤلاء الدعاة، وعدم تحميلهم فوق طاقتهم.

الثاني: المدعو، وما قد يعترض طريقه من مصاعب ومشاق في تطبيق الشريعة الإسلامية، وتنفيذ أحكام الإسلام كاملة، وإقامة دين الله تعالى في النفس والمجتمع، فهنا التيسير والتخفيف على هؤلاء الناس، وخاصة الذين يعيشون تحت ظروف سياسية واجتماعية معينة، وخاصة في المجتمعات غير الإسلامية، كالأقليات الإسلامية في بلاد الغرب ...)(١).

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (ص٣٢٧).

المطلب الخامس

التطبيقات الدعوية لهذه القاعدة

ومن التطبيقات الدعوية لهذه القاعدة(١):

١. اليسر والبشارة أصل في أمور الدعوة، وهذا يقتضي البعد عن التكلف والتنطع والإعنات، وتحميل الناس ما يشق عليهم أو ينفرهم مما ليسوا ملزمين به شرعاً. وهذا يقتضي مراجعة الأساليب الدعوية، فإن بعضها فيه نوع إثقال يمكن التخفف منه، وربما أورث نتيجة عكسية ...

٢. عندما يجد العالم أو المربي عناصر أقل جودة لتحمل عنه العلم وأبجديات الدعوة، فلا يزهد فيها بحجة عدم وجود العناصر الممتازة من طلاب العلم، فإن حاجة المجتمع ماسة لكل أبنائه، ولو ذهبنا إلي هذا الاشتراط لخلت كثير من الثغور. ولكنه التسديد والمقاربة التي أمرنا بها شرعا.

٣. حين يصطدم الداعية ببعض المعوقات التي لا يخلو منها طريق الدعوة اللاحب - كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾(٢) ويترتب على هذه المعوقات عدم قدرة الداعي على إنجاز الواجب الشرعي المناط به، أو القصور عن بلوغ المدى الذي اختطه لنفسه، فإن واجبه أن يسعى لتذليل الصعاب على قدر الجهد والطاقة، وبعد ذلك فما يعجز عنه هو معذور فيه، وليس أهلا للّوم بعد ذلك.

---

(١) التطبيقات الدعوية والتربية للقواعد الفقهية الخمس الكبرى (ص٥٧-٥٨)، القواعد الفقهية وتطبيقاتها الدعوية (ص١٣).

(٢) سورة العنكبوت الآية ١-٣.

٤. الداعية والمربي حين يواجه واقعاً يحتاج إلي صبر، وتدرج في الإصلاح فهذه الحالة هي من العسر الذي يجلب تيسيراً، بل لابد من التدرج حينئذ، باعتبار أن الدعوة واجبة، ولا يتم القيام بها إلا بهذه الطريقة، والقاعدة الشرعية تقول: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

٥. الدعوة إلي الله ﷻ واجبة على كل قادر، وهي حمل عظيم لا يستطيع النهوض به فرد واحد، فوجود هذا العبء العظيم يقتضي التعاون في أدائه، وتوزيع المهام على كل قادر، وألا نترك أهل الهمم العليا وحدهم في الطريق، بل نتعاون تعاونا تكامليا، دون أن ننظر إلي قلة إسهام البعض بعين الانتقاص، بل نكون كما قال إقبال:

شـــرار الفـــأس دع مـــن قـــال عنـــه أمـــن فـــأس؟ أمـــن حجـــر[1]

٦. وفي الحسبة: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) منعت الشريعة إنكار المنكر لو أن ذلك الإنكار يستلزم ما هو أنكر منه، فقد كان النبي ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- في مكة ولم يمسوا الأصنام التي حول الكعبة بسوء خشية أن يقع منكر أعظم وهو أن يقتلهم المشركون فتتوقف دعوة الإسلام، فلما عاد إلى مكة فاتحًا أنكر المنكر وحطم الأصنام، فالقاعدة في الشريعة الغراء هي: (المشقة تجلب التيسير)[2].

هذا بعض ما ذكره الباحثون من فروع دعوية التي تدخل تحت القاعدة وإلا الأمثلة كثيرة جدا والمقصود هو تقريب المعاني لا الاستقصاء.

---

(١) التطبيقات الدعوية والتربية للقواعد الفقهية الخمس الكبرى (ص٥٧-٥٨) ، القواعد الفقهية وتطبيقاتها الدعوية (ص١٣).

(٢) العلمانية – الليبرالية – الديمقراطية – الدولة المدنية في ميزان الإسلام (ص: ٤٦).

المطلب السادس

القواعد المرتبطة بقاعدة المشقة تجلب التيسير

من القواعد ذات الصلة بقاعدة: قاعدة (الميسور لا يسقط بالمعسور)، ومعناها أن الأمر الذي يستطيع المكلف فعله وهو يسير عليه، لا يسقط بما شق فعله عليه أو عسر، ودليل هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١)، وقوله: «إذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم»(٢)، وقوله: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب»(٣).

قال الدكتور البيانوني حفظه الله: (ومن هنا وجب على من قدر على أداء الصلاة قاعداً أو على جنب أو بالإيماء أن يصلي كما يستطيع، ولا تسقط عنه الصلاة جميعها بسبب تعذر الإتيان ببعض أركانها).

وإن مثل هذه القاعدة: (الميسور لا يسقط بالمعسور) يمكن الاستفادة منها في جميع الحياة، ولا تقتصر على أحكام العبادات، فإذا عجز الدعاة عن تحقيق أمر الله في جميع جوانب الحياة لضعفهم أو لظروف خاصة بهم، وأمكنهم تطبيق أحكام الله في بعض الجوانب دون بعض، فلا يجوز لهم أن يتوقفوا عن تطبيق ما أمكنهم نظرا إلى ما عجزوا عنه من إقامة الدين كاملا؛ فما لا يدرك كله لا يترك جله.

وكثيراً ما فهم بعض الدعاة خطأ مقولة مشهورة لبعض الدعاة وهي: "خذوا الإسلام جملة أو دعوه جملة" فذهبوا إلى ترك الممكن والمتيسر منه، وانتظروا تيسر تطبيق

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجة ص ١٣، رقم (٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: إذا لم يطق قائما صلى على جنب رقم الحديث (١١١٧).

الإسلام كاملا، أو وجهوا النقد الشديد اللاذع إلى من استطاع أن يطبق بعض الجوانب دون بعض، غافلين عن مثل هذه القاعدة الفقهية.

فهناك فرق بين من يستطيع أخذ الإسلام جملة ومن لم يستطع ذلك مع اعتقاده بوجوب الأخذ به جميعا، وسعيه إلى الأخذ به من جميع أطرافه، وبين من ظن أن بإمكانه أن يتخير من الإسلام بعض جوانبه ويترك بعضها، فيأخذ بشيء ويترك أشياء، مشوها بذلك وحدة الإسلام وكماله، وهذا هو الذي ينزّل عليه قول: «خذوا الإسلام جملة أو دعوه جملة) اهـ[1].

ومن القواعد التي لها صلة بقاعدة المشقة تجلب التيسير، قاعدة: درء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح"، ومنها أيضًا: "الموازنة بين المصالح والمفاسد، والمراد بدرء المفاسد إزالتها، فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة فدفع المفسدة مقدمٌ على جلب المصلحة في الغالب إلا أن تكون المفسدة مغلوبة، فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة، ولا نبالي بفوات المصلحة.

التطبيقات الدعوية لهذه القاعدة[2]:

١. هجر أصحاب المنكرات المعلنين بها فيه مفسدة حصول التقاطع بين المسلمين، ولكن إذا كان في الهجر مصلحة كضعف شرهم، وخفيتهم أو رجوع العامة عن مثل حالهم، فهذه مصلحة أعظم من تلك المفسدة فيشرع ذلك وإلا فلا[3].

٢. لا يجوز أن يترك المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، لما في ذلك من أذى بعض الناس والانتقام منه، ويغفل عن المصلحة الراجحة من ذلك، حتى يستولي الكفار والفجار على الصالحين الأبرار[4].

---

(١) القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي (ص١٣٩).

(٢) قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٦).

(٤) المصدر السابق (١٠/٥١٣).

٣. لو أسلم بعض الملوك المسلطين وهو يشرب الخمر أو يفعل بعض المحرمات، فلو أنكر عليه ذلك أدى به إلى الردة عن الإسلام، لم ينه عنده من المنكرات لأن الإنكار هنا يستلزم ترك المعروف الراجح وهو الإسلام(١).

٤. قول الداعية أو المعلم لحق يستلزم فسادا أعظم من تركه ينهى عنه؛ لأن العبرة بمقدار ما يحقق هذا القول من المصالح ويدرأ من المفاسد(٢).

٥. لا يجوز إقامة الاحتفالات البدعية واستخدام الوسائل المحرمة كالسماع والدف ونحوهما من أجل جمع العصاة وأهل الكبائر وتبليغهم الدعوة؛ لأن الإحداث في الدين مفسدته أظم من مصلحة تتويب هؤلاء العصاة(٣).

ومن القواعد التي لها صلة قاعدة الوجوب معلق بالاستطاعة.

التطبيقات الدعوية لهذه القاعدة:

١. كل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم بالدعوة إلى الله بما يقدر عليه إذا لم يقم بها غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز عنه لم يطالب به، لأن الوجوب معلق بالاستطاعة(٤).

٢. الأصل إنكار المنكر باليد أو اللسان كل بحسب قدرته، فإذا قوي أهل الفجور وصاروا لا يصغون للآمر الناهي ويؤذونه، فلا يطالب بإنكار المنكر إلا بقلبه؛ لأنه غير قادر على الإنكار بلسانه ولا بيده(٥).

٣. من آمن في دار الكفر وهو عاجز عن الهجرة لا يجب عليه من الشرائع ما يعجز عنها، بل الوجوب بحسب الإمكان(١).

---

(١) المصدر السابق (٣٥/٣٢).

(٢) الفتاوى الكبرى (١٠/٥١٣).

(٣) المصدر السابق (١١/٢٦٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/٤٧٩).

(٥) المصدر السابق (٢/١١٠).

٤. يشرع للدعاة تأخير البلاغ والبيان لشيء من أمور الدين إلى وقت التمكن إذا كانوا لا يستطيعون بيانها في الحال[٢].

ومن القواعد التي بمعنى قاعدة المشقة تجلب التيسير قاعدة ذكرها العلماء ونصها: دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه[٣].

ومن فروعها الدعوية:

١. يجب على المصلحين الإنكار على الناس ما هم فيه من مخالفة الأوامر وارتكاب النواهي بالطريق الشرعي الوسط بلا اعتداء ولا تقصير[٤].

٢. مخالطة الدعاة والمربين للناس مطلقاً خطأ، وترك مخالطتهم والعزلة عنهم خطأ، والصواب المشروع مخالطتهم بقدر ما فيه منفعة ومعاونة لهم على البر والتقوى، والعزلة عنهم بقدر ما يجم الدعاة أنفسهم ويتفقدون أحوالهم ويصلحون قلوبهم[٥].

٣. الطريق الواجب على الدعاة والمصلحين هجر أهل البدع والإنكار عليهم إذا قدروا على ذلك، وكان في هجرهم مصلحة شرعية، وإذا لم يقدروا على ذلك يجب هجر بدعتهم وإنكارها ونهي الناس عنها، فهذا الطريق الوسط، فلا هم الذين هجروا وأنكروا بغير الطريق الشرعي، ولا هم الذين رضوا بالبدعة وسكتوا عنها[٦].

---

(١) منهاج السنة (١٢٢/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٩/٢٠).

(٣) مدارج السالكين (٥١٨/٢)، مفتاح دار السعادة، (ص٧٤٠)، مجموع الفتاوى (٣٨١/٣).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيميه (٣٦٠/٣).

(٥) المصدر السابق (٤٢٦/١٠).

(٦) المصدر السابق (٢١٣/٢٨).

المبحث الثاني

أحكام التيسير

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول

نصوص التيسير من الكتاب والسنة

وقد دل على هذه القاعدة أدلة شرعية منها:

١. **نصوص القرآن:**

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١].

وقال أيضا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢].

وقال أيضا: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٣].

وقال أيضا: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤].

وقال أيضا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٥].

٢. **نصوص السنة:**

السنة النبوية حافلة بمواضع عديدة تدل على اليسر، وهي على ثلاثة أنواع:

أ- أحاديث يستفاد منها سماحة هذا الدين ويسره:

---

(١) سورة البقرة الآية

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٣) سورة المائدة الآية ٦.

(٤) سورة الحج الآية ٧٨.

(٥) سورة النساء الآية ٢٨.

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»(١).
- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما(٢).
- عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا»(٣).

ب- أحاديث تفيد في جملتها خشية النبي ﷺ أن يكون قد شق على أمته:

- جاء عنه ﷺ أنه قال: «إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز كراهية أن أشق على أمه»(٤).
- عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ خرج من عندها وهو قرير العين طيب النفس، ثم رجع إليها وهو حزين، فقال: "إني دخلت الكعبة وودت أني لم أكن فعلت؛ إني أخاف أن أكون قد أتعبت أمتي من بعدي"(٥).

ج- أحاديث يأمر أصحابه فيها بالتخفيف، وينكر عليهم فيها التشديد والغلو:

- قوله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»(٦).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: صفة رسول الله ﷺ رقم الحديث (٣٥٦٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية رقم الحديث (١٤٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، رقم الحديث (٧٠٧).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: ذكر الدليل على أن دخول الكعبة ليس بواجب إذ النبي ﷺ قد أعلم بعد دخوله إياها أنه ود أن لم يكن دخلها مخافة إتعاب أمته بعده، وهذا كتركه ﷺ بعض التطوع والذي كان يحب أن يفعله لإرادة التخفيف على أمته ﷺ، رقم الحديث (٣٠١٤) قال الأعظمي: إسناده صحيح.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث (٦٩).

- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» ثلاثاً[1].

٣. **الآثار:**

عن عمير بن إسحاق - رحمه الله - قال: لما أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبقني منهم فما رأيت قوما أيسر سيرة ولا أقل تشدداً منهم[2].

٤. **أقوال العلماء:**

يقول ابن عابدين -رحمه الله-: (إن كثيرا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه للزم منه المشقة والضرر، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد)[3].

ويقول العز بن عبد السلام -رحمه الله-: ((قاعدة) وهي أن من كلف بشيء من الطاعات فقدر على بعضه وعجز عن بعضه فإنه يأتي بما قدر عليه ويسقط عنه ما عجز عنه لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]. وقوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، وبهذا قال أهل الظاهر)[5].

ويقول الشاطبي-رحمه الله-: (كل أمر شاق جعل الشارع فيه للمكلف مخرجا؛ فقصد الشارع بذلك المخرج أن يتحراه المكلف إن شاء، كما جاء في الرخص شرعية المخرج من المشاق، فإذا توخى المكلف الخروج من ذلك على الوجه الذي شرع له؛ كان ممتثلا لأمر الشارع، آخذا بالحزم في أمره، وإن لم يفعل ذلك؛ وقع في محظورين:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، رقم الحديث (٢٦٧٠).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، المقدمة: باب: كراهية الفتيا، رقم (١٢٨).

(٣) رسائل ابن عابدين (٢/١٢٥).

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/٧).

أحدهما: مخالفته لقصد الشارع، كانت تلك المخالفة في واجب أو مندوب أو مباح.

والثاني: سد أبواب التيسير عليه، وفقد المخرج عن ذلك الأمر الشاق، الذي طلب الخروج عنه بما لم يشرع له)[1].

وقال الثوري -رحمه الله-: (إنما الفقه الرخصة من ثقة أما التشديد فيحسنه كل أحد)[2].

٥. **من المعقول:**

تشريع الرخص يدل على مراعاة مصالح العباد ورفع الحرج والمشقة عنهم بالتخفيف.

هذه أدلة التيسير باختصار، فما معنى اليسر وما هي ضوابطه وأنواعه.

---

(١) الموافقات (١/٥٣١).

(٢) المجموع للنووي (١/٤٦).

وانظر: فقه الأولويات في ظل الشريعة الإسلامية (١٠٧).

المطلب الثاني

معنى اليسر وضوابطه وأنواعه

اليُسْر مقصد من مقاصد الدِّين الكبرى، جعله الله تعالى أساساً لكل ما أمر به ونهى عنه في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأمرنا أن نلتزمه في فهمنا للدين والعمل به **والدعوة إليه**؛ فقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١)، وقال ﷺ: «إن خير دينكم أَيْسره، إن خير دينكم أَيْسره، إن خير دينكم أَيْسره»(٢) وفي لفظٍ: «إنكم أمة أُريد بكم اليُسْر»(٣).

والتيسير مقصد شرعي عظيم، وهو من سمات الشريعة المحمدية، ومن محاسن الحنيفية السمحة، بيد أن ذلك لا يسوّغ التساهل في أحكام الشريعة، وإنما يكون تحقيق هذا المقصد باتباع الكتاب والسنة في هذا، وبذلك يحصل التيسير، ويرتفع الحرج، وتندفع المشقة بين الناس؛ وقد بوّب الإمام البخاري على ذلك فقال: كتاب الإيمان، باب الدين يسر. قال ابن القيم -رحمه الله-: (فهي حنيفية في التوحيد وعدم الشرك، سمحة في العمل وعدم الآصار والأغلال بتحريم الطيبات والحلال، فيُعبد سبحانه بما أحبه، ويستعان على عبادته بما أحله)(٤).

وقال أبو إسحاق الشاطبي -رحمه الله-: (وقد سمى هذا الدين الحنيفية السمحة؛ لما فيها من التسهيل والتيسير)(٥).

---

(١) سورة البقرة الآية.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٥٩٣٦).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٠٣٤٧).

(٤) شفاء العليل (ص٣٠٣).

(٥) الموافقات (١/٣٤١).

وقال أبو محمد ابن حزم – في كلامٍ نفيسٍ له –: (كل أمر من الله تعالى لنا فهو يسر، وهو رفع الحرج، وهو التخفيف، ولا يسر ولا تخفيف ولا رفع حرج أعظم من: شيءٍ أدى إلى الجنة ونجّى من جهنم، وسواءً كان حظراً أو إباحة، ولو أنه قتل الأنفس والأبناء والآباء)(١).

وعند استقراء جملة من نصوص الشريعة، وتقليب النظر وإمعان الفكر فيها، نعلم خطأ بعض الفضلاء في كيفية تطبيق هذا المقصد العظيم، على الأحكام الشرعية.

فقد أخرج الإمام مسلم برقم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ أعمى، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فيصلي في بيته. فرخص له، فلما ولّى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم. قال: «فأجب»، وفي رواية(٢): "إني رجل ضرير البصر، شاسع الدار، ولي قائد لا يُلائمني"، ومع كل ما قدمه هذا الضرير من الأعذار، لم يرخص له النبي ﷺ في شيءٍ من ذلك.

وأيضاً أخرج البخاري في صحيحه برقم (٥٢٠٥، ٥٩٣٤)، ومسلم برقم (٢١٢٣) عن عائشة –رضي الله عنها– أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فتمعّط شعرها فأرادوا أن يصِلوها فسألوا النبي ﷺ فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».

وهنا أيضاً لم يجوّز عليه الصلاة والسلام وصل الشعر لهذه الفتاة مع حداثة عهدها بعرس، وحاجتها لتزيّنها لزوجها.

وأخرج البخاري برقم (٥٣٣٦)، ومسلم برقم (١٤٨٨)؛ عن أم سلمة تقول: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد

---

(١) الإحكام (٢/١٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: التشديد في ترك الجماعة، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود ص ٩٢، رقم (٥٥٢).

اشتكت عينها، أفنكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا» مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لا»، ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشراً، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول».

فهذا رسول الرحمة واليسر والهدى عليه الصلاة والسلام يمنع المحتدة من الاكتحال؛ لأنه من الزينة، مع أن استخدامه هنا ليس بغرض الزينة، بل بغرض التداوي، ولم يكن ذلك شافعاً لإباحته بحجة التيسير على المرأة.

وقد وضع أهل العلم(١) ضوابطَ وشروطاً للأخذ بمبدأ التيسير والترخص ورفع الحرج؛ منها:

١. تحقق العذر الداعي للأخذ بالرخصة يقيناً، لا ظناً.
٢. قيام الدليل الشرعي على الأخذ بالرخصة:
٣. الاقتصار على موضع الحاجة، وعدم مجاوزة النص الشرعي في ذلك.

قال أبو إسحاق الشاطبي – رحمه الله – عن هذه الشريعة المحمدية: (إنما أتى فيها السماح **مقيداً بما هو جارٍ على أصولها**، وليس تتبع الرخص ولا اختيار الأقوال بالتشهي بثابت من أصولها.. ثم نقول: تتبع الرخص ميل مع أهواء النفوس والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى)(٢).

وهذه نظرة عابرة نجلي فيها شيئاً من روائع يسر هذه الشريعة:

١. من تيسيره تعالى كذلك تيسيره لعباده الكِتاب الذي أنزله إليهم وجعله أيسر كتبه، وأكثرها بركة وشمولاً، وروعة وسلاسة وبلاغة، وهدى ورحمة وشفاء.
٢. من يسر الشريعة الإسلامية، يسر إدراكها وتعلمها ومعرفتها والإلمام بها؛، بل لقد كان الرجل يأتي إلى النبي ﷺ فيعلمه الإسلام في لحظات، ويشرح له الدين في

---

(١) رفع الحرج لابن حميد (ص١٤٣، ١٤٥-١٤٦)، منهج التيسير المعاصر للطويل (ص٥٥-٥٦).

(٢) الموافقات (٥/٩٩). وانظر: مقدمة كتاب كيف نفهم التيسير: لشيخ عبد الله السعد (ص١١) بتصرف واختصار.

كلمات، وشواهد ذلك كثيرة جداً؛ منها أن معاذاً -رضي الله عنه- قال للنبي ﷺ: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجُّ البيت»[1].

٣. ومن يسر الشرعية يسر تكاليفها وأوامرها وطاعاتها؛ فأركانها التي تقوم عليها خمسة، وهي في غاية اليسر؛ فأولها مجرد كلمة تقال باللسان، وتعتقد بالجنان، وهي الشهادتان، وبها يعصم الإنسان دمه وماله وعرضه ويدخل في دائرة المسلمين.

٤. ومن يسر الشريعة كثرة المباحات، وقلة المحرمات والممنوعات، فالأصل في كل شيء الحل إلا ما جاء الشرع بتحريمه، سواء في المعاملات أو المأكولات أو المشروبات أو الملبوسات.

٥. من يسر الشرعية سهولة المعتقد، ووضوح المنهج، وصفاء الدين، فلا تعقيد، ولا غموض، ، بل عقيدة سهلة سلسلة واضحة، جلية نقية، متوافقة مع صفاء الفطرة، ونقاء النفس، وسلامة العقل.

٦. ومن يسر الشريعة أن جعل الله تعالى ما تميل إليه النفوس من شهوات ورغبات، وبعض مظاهر اللعب واللهو عبادات، فيستمتع الإنسان بها، وكذلك يثاب عليها ويؤجر.

٧. ومن يسر الشريعة أن تقوى الله تعالى والصدق معه وعمل الصالحات ييسر للمرء طريق الجنة، ويسهل عليه التكاليف، قال تعالى: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: أبواب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ص ٥٩٠، رقم (٢٦١٦).

(٢) سورة الطلاق الآية ٤.

(٣) سورة الكهف الآية ٨٨.

حاصل الكلام أن اليسر في الشريعة الإسلامية ثلاثة أنواع:

النوع الأول: تيسر معرفة الشريعة والعلم بها وسهولة إدراك معانيها وأحكامها، فحملتها الأوائل من الأميين قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[(١)]، وقال تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[(٢)].

تيسير القرآن: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾[(٣)] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[(٤)].

أ- فهو ميسر تلاوة لخلوة من التعقيد اللفظي.

ب- ميسر للحفظ.

ج- سهولة الاتعاظ به لشدة تأثيره في القلوب لاشتماله على القصص والحكم والأمثال.

د- تلذذ القلب وطرب الآذان بسماعه.

النوع الثاني: تيسير الأحكام:

تيسير الأحكام الاعتقادية: تعريف الأمور الإلهية بما يسع فهمه فحضت على النزر في الفلك والمخلوقات وما عسر فهمه فأرشدك الله إلى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[(٥)].

التيسير في الأحكام العملية: فقدر على الشارع أمية المدعوين واختلاف أفهامهم، كتعليق أوقات الصلاة بحركة الشمس والصوم والإفطار بالغروب وطلوع الفجر ودخول رمضان بهلاله.

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨.

(٣) سورة القمر الآية ٥٤.

(٤) سورة الدخان الآية ٥٨.

(٥) سورة الشورى الآية ١١.

يسر الأحكام الشرعية العملية:

١. يسر أصلي فيما شرع من الأحكام من أصله ميسرا لا عنت فيه.

٢. اليسر التخفيفي وهو ما وضع في الأصل ميسرا غير أنه طرأ فيه النقل بسبب ظروف استثنائية وأحوال تخص بعض المكلفين، فيخفف الشارع عنهم ذلك الحكم الأصلي.

فمن اليسر الأصلي: إعفاء الصغير والمجنون من الأحكام التكليفية. وإعفاء النساء من صلاة الجمعة ووجوب صلاة الجماعة. واشترك في الزنى أربعة شهود، وللرجم الإحصان، واستثنى الولي الفقير من عدم الأكل من مال اليتيم تخفيفا عليه.

ومن اليسر التخفيفي: السماح للولي بمخالطة مال اليتيم بعد ما كان ممنوعا: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾(٢)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾(٣)، أي شق عليكم بإيجاب عزل نفقة اليتيم.

ومن السنة تجنب النبي ﷺ ما كان سبا في التكاليف الشاقة على المسلمين فمن حث أصحابه على ترك السؤال حتى لا يفرض علينا) مثل الحج.

وقال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، (وكان يحب اليسر على الناس). تركه قيام رمضان جماعة.

النوع الثالث: أمر الشريعة للمكلفين بالتيسر على أنفسهم وعلى غيرهم كما كان النبي ﷺ يفعل بالفتوى ويأمر بذلك أصحابه.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٠.

المطلب الثالث

أقوال السلف في اختيار أيسَر المذاهب ومعنى الأخذ بالأخف

حذر علماء السلف من تتبع الرخص[1]، وشواذ المسائل، وزلات العلماء، وغريب الأقوال، فقد اشتد نكيرهم على من يسلك هذا المسلك.

قال سليمان التيمي -رحمه الله-: (إن أخذت برخصة كل عالم؛ اجتمع فيك الشر كله).

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (هذا إجماعٌ لا أعلم فيه خلافاً)[2].

وقال الأوزاعي -رحمه الله-: (من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام)[3].

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (شرار عباد الله: ينتقون شرار المسائل يُعمون بها عباد الله)[4].

وقال عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-: (لا يكون إماماً في العلم من يحدث بالشاذ من العلم)[5].

وأخرج البيهقي[6]: عن إسماعيل بن إسحاق القاضي قال: دخلت على المعتضد فدفع إليّ كتاباً نظرت فيه وكان قد جُمع له الرخص من زَلل العلماء وما احتج به كل منهم لنفسه، فقلت له: (يا أمير المؤمنين **مصنف هذا الكتاب زنديق**). فقال: (لم تصح هذه الأحاديث؟)، قلت: «الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر

(١) انظر بحث: تتبع الرخص لهشام السعيد. موقع الدرر السنية للشيخ علوي السقاف.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٢).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/٢١١).

(٤) الآداب الشرعية (٢/٧٧).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/٤).

(٦) أخرجه السنن الكبرى (١٠/٢١١).

لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء والمسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه»، فأمر المعتضد فأحرق ذلك الكتاب.

وقد نصّ الإمام أحمد - رحمه الله - على من تتبع الرخص فأخذ بها؛ بأنه: فاسق(١).

بل حكى أبو محمد ابن حزم -رحمه الله-: (الإجماع على أن تتبعَ رخص المذاهب من غير استناد إلى دليل شرعي، فسقٌ لا يحل)(٢).

ولذا قيل: (من طلب الرخصة من الإخوان عند المشورة، ومن الفقهاء عند الشبهة، ومن الأطباء عند المرض؛ أخطأ الرأي، وحمل الوزر، وازداد مرضاً)(٣).

قال أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله -: (فالواجب على من شرح الله صدره للإسلام إذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلّدها، بل يسكت عن ذكرها إن تيقّن صحتها، وإلاّ توقّف في قبولها، فما أكثر ما يُحكى عن الأئمة ما لا حقيقة له، وكثير من المسائل يخرّجها بعض الأتباع على قاعدة متبوعِهِ، مع أن ذلك الإمام لو رأى أنها تُفضي إلى ذلك لما التزمها، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، ومن علم فقه الأئمة وورعهم علم أنهم لو رأوا هذه الحيل وما أفضت إليه من التلاعب بالدين؛ لقطع بتحريمها من لم يقطع به أوّلاً)(٤).

الحاصل أن القول بتتبع الرخص يترتب عليه مفاسد عظيمة، منها:

أ- الاستهانة بالدين، فلا يكون مانعاً للنفوس من هواها، ومن مقاصد الشرع إخراج الإنسان عن داعية هواه، والقول بإباحة تتبع الرخص فيه حث لإبقاء الإنسان فيما يحقق هواه.

---

(١) الإنصاف (٢٩/٣٥٠- مع الشرح الكبير).

(٢) الموافقات (٤/١٣٤).

(٣) الآداب الشرعية (١/٣٤٨).

(٤) بيان الدليل (ص١٥٧).

ب- الانسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، ثم إنه لا يوجد محرّم إلا وهناك من قال بإباحته إلا ما ندر من المسائل المجمع عليها، وهي نادرة جداً.

ج- انخرام قانون السياسة الشرعية بترك الانضباط إلى أمر معروف، فتضيع الحقوق، وتعطّل الحدود، ويجترئ أهل الفساد.

د- إفضائه إلى القول بتلفيق المذاهب على وجه يخرق إجماعهم[1].

والواجب على المستفتي أن يتحرّى من يوثق في علمه وديانته؛ حتى يسلم له دينه، ولذا يقول سفيان الثوري: (إنما الرخصة من ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد)[2].

قال سحنون وهو من أئمة المالكية - لما سئل عمّا يأتيه أهل الشام من الرخص في الفتيا -: (يُؤخذ هذا العلم من الموثوق بهم في دينهم، المحسوس بخيرهم، فإن أخذوا بالتشديد فعن علم، وإن أخذوا بالرخص فعن علم)[3].

ولذا اشترط بعض العلماء في المفتي ألا يكون متساهلاً؛ قال أبو المظفر السمعاني: « المفتي من استكمل فيه ثلاثة شرائط:

١. الاجتهاد.

٢. والعدالة.

٣. والكف عن الترخيص والتساهل.

---

(١) الموافقات (٥/٨٣).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٣٦).

(٣) ترتيب المدارك وتقرب المسالك (١/٣٤٤) ترجمة أبي داود العطار.

وللمتساهل حالتان:

إحداهما: أن يتساهل في طلب الأدلة وطرق الأحكام ويأخذ ببادئ النظر وأوائل الفكر وهذا مقصر في حق الاجتهاد ولا يحل له أن يفتي، ولا يجوز أن يستفتى.

والثانية: أن يتساهل في طلب الرخص وتأوّل السنة **فهذا متجوّز في دينه وهو آثمٌ من الأول**»[1].

فأين هذا من فعل بعض المعاصرين اليوم من الدعوة إلى التيسير، وهم في الحقيقة يعنون بذلك التساهل.

وقارن بين هذا وقول أبي عمرو ابن الصلاح -رحمه الله-: (لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى، **ومن عُرف بذلك لم يَجُز أن يُستفتى**، وذلك قد يكون بأن لا يتثبت ويسرع بالفتوى، قبل استيفاء حقها من النظر والفكر، وربما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة، والإبطاء عجز ومنقصة، وذلك جهل، ولئن يبطىء ولا يخطىء أكمل به من أن يعجل فيَضل ويُضل)[2].

وقد تذرّع دعاة التيسير في العصر الحديث بما روي عن السلف والأئمة المتّبعين بإحسان، من استحباب الأخذ بالرُخص.

ومن ذلك، قول قتادة -رحمه الله-: (ابتغوا الرخصة التي كَتَب الله لكم)[3].

وقول سفيان الثوري-رحمه الله-: (إنَّما العلم عندنا الرخصة من ثقة ، فأما التشديد فيُحسنه كل أحد)[4].

(١) صفة الفتوى لابن حمدان (ص٢٢).

(٢) أدب المفتي والمستفتي (ص١١١).

(٣) تحفة المولود (ص: ٨).

(٤) آداب الفتوى للنووي (ص: ٣٧).

وقول شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-: (إذا فعل المؤمن ما أُبيح له قاصداً العدول عن الحرام لحاجته إليه فإنّه يثاب على ذلك)[1].

وقول ابن القيّم -رحمه الله-: (الرخص في العبادات أفضل من الشدائد)[2].

وقول الشاطبي-رحمه الله-: (المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل إلى طرف الانحلال، والدليل على صحة هذا أنَّه الصراط المستقيم، الذي جاءت به الشريعة، فإنه قد مر أن مقصد الشارع من المكلف، الحملُ على التوسط من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين)[3].

ولو تأمّلنا ما أوردناه لما رأينا فيه دليلاً على التيسير الذي يُدندنُ حَوله المعاصرون، فقتادةُ - رحمه الله - يدعوا إلى الترخّص حيث شرع الله الرخصة، فيقول: (ابتغوا الرخصة التي كَتَب الله لكم)، وابن تيميّة -رحمه الله- يذكر الاستغناء بالحلال عن الحرام، وليس الإفتاء بعدَم حُرمةِ الحرَام أصلاً، أو اختيار قول من يعدل عن التحريم إلى التحليل أو مجرّد الكراهة، وإن ضَعُفَت حُجّته، ووَهت شُبهته.

أمّا ابن القيّم - رحمه الله - فكلامه في الرخص في العبادات، وهذا لا خلاف فيه، خلافاً لدُعاة التيسير الذين وقعوا في تحليل الحرام، ونفي الكراهة عن المكروه، وشتّان ما بين المذهبين.

وما يُروى عن سفيان - رحمه الله - لا يؤخذ منه الترخيص بإسقاط الواجب، أو تحليل المحرّم، ولكنّه موجّه إلى ما ينبغي أن يفتيَ به العالم من وَقع في حرَج متيقّن ليعينه على القيام بما وَجَبَ عليه، لا ليُسقِطه عنه،

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٤٨).

(٢) شرح العمدة (٢/٥٤١).

(٣) الموافقات (٥/٢٦٧).

وننبّه هنا إلى أنّ ما رويَ عن السلف الصالح، في الحث على التمسّك بالعزائم، والتحذير من الترخّص المجرّد عن الدليل، أضعاف ما روي عنهم في التيسير والترخيص، والعدل أن يُجمَع بين أقوالهم، لا أن يُسقَط بعضها، أو يُضرَبَ بعضُها ببَعضٍ[1].

فرع: معنى الأخذ بالأخف:

مسألة الأخذ بالأخف. فهذه على قسمين:

القسم الأول: إذا كان الأخذ بالأخف معارضًا ومصادمًا لنصوص الشريعة فهنا لا يجوز الأخذ بالأخف.

ومن أخذ هنا بالأخف من أجل التيسير فإن هذا التيسير على غير الأصول الشرعية.

وقد بين ذلك الشاطبي - رحمه الله - فقال: (أن الذين يتبعون رخص المذاهب بنوا على ذلك مسألة: هل يجب الأخذ بأخف القولين أو بأثقلهما. ورد على من قال بالأخذ بالأخف هنا)[2].

فالقول بالأخف وما يقابله لا يصحان. لأن الواجب الأخذ بالدليل الشرعي سواءٌ قضى الدليل بالأخف أم بالأثقل.

القسم الثاني: إذا تعارضت الأدلة. ولا مرجح بينها. واحتار المفتي والفقيه لتعارض الأدلة أمامه. فما الذي يأخذ به. على خلاف بين أهل العلم.

فمنهم من قال: يأخذ بالأخف.

ومنهم من قال يأخذ بالأحوط.

ومنهم من قال: يخير المستفتي.

---

(١) انظر: مقال نقض دعاوى من استدل بيُسر الشريعة على التيسير في الفتاوى للدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب الشريف.موقع شبكة النور.

(٢) الموافقات (٥/١٠٤).

ورجح ابن القيم أن المفتي في مثل هذه الحال يتوقف. وهو ظاهر ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية.

والخلاف في هذا القسم خلاف سائغ.

فمن أخذ بالأخف فهذا اجتهاده ولا يجوز اتهامه بالتساهل المخالف للشريعة.

ومن أخذ بالأحوط فهذا اجتهاده ولا يجوز اتهامه بالتشدد.

فالخلاف هنا سائغ. بخلاف القسم الأول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وهذا كما إذا تعارضت أدلة (المسألة الشرعية) عند الناظر المجتهد، وعند المقلد، فإنه لا يرجح شيئًا ...) الخ[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (**الفائدة الحادية والخمسون:** إذا اعتدل عند المفتي قولان ولم يترجح له أحدهما على الآخر، فقال القاضي أبو يعلى: له أن يفتي بأيهما شاء، كما يجوز له أن يعمل بأيهما شاء. وقيل: بل يخير المستفتي فيقول له: أنت مخير بينهما؛ لأنه إنما يفتي بما يراه، والذي يراه هو التخيير، وقيل: بل يفتيه بالأحوط من القولين.

قلت: الأظهر أنه يتوقف، ولا يفتيه بشيء حتى يتبين له الراجح منهما؛ لأن أحدهما خطأ، فليس له أن يفتيه بما لا يعلم أنه صواب، وليس له أن يخيره بين الخطأ والصواب، وهذا كما إذا تعارض عند الطبيب في أمر المريض أمران خطأ وصواب، ولم يتبين له أحدهم لم يكن له أن يقدم على أحدهما، ولا يخيره، وكما لو استشاره في أمر، فتعارض عنده الخطأ والصواب من غير ترجيح لم يكن له أن يشير بأحدهما ولا يخيره، وكما لو تعارض عنده طريقان مهلكة وموصِّلة ولم يتبين له طريق الصواب لم يكن له الإقدام ولا التخيير، فمسائل الحلال والحرام أولى بالتوقف، والله أعلم) أهـ[2].

---

(١) الفتاوى (١٠/٤٧٢).

(٢) إعلام الموقعين (٤/٢٩٧).

المطلب الرابع

معاني التيسير

التيسير له معانٍ أخرى:

- منها: أن الله تعالى **لا يكلِّف الناس بما يطيقون، بل بما هو في وُسْعهم**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وتأمَّل قوله ﷻ: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، كيف تجد تحته أنهم في سِعَة ومنحة من تكاليفه، لا في ضيق وحرج ومشقة؛ فإن الوُسْع يقتضي ذلك؛ فاقتضت الآية أن ما كلَّفهم به من غير عُسْر لهم ولا ضيق ولا حرج، بخلاف ما يقدر عليه الشخص؛ فإنه قد يكون مقدوراً له ولكن فيه ضيق وحرج عليه. وأما وُسْعه الذي هو منه في سِعَة فهو دون مدى الطاقة والمجهود، بل لنفسه فيه مجال ومتّسع)[2].
- ومنها: أن العمل وإن كان فيه مشقة إلا أن الله تعالى يجعله سهلاً بطرائق كثيرة.

أ- منها: أنه يغير طبيعته الشاقة فيجعلها سهلة، كما ذكر الشيخ بالنسبة للقرآن الكريم ذكراً وتدبُّراً وفهماً.

ب- ومنها: أن يجد المؤمن في العمل لذّة روحية، حتى إنه ليكاد ينسى ما فيه من مشقة.وإذا حلَّت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاءُ.

ج- ومنها: أن يريد المؤمن تحقيق غاية يحبها لكنه يعلم أنها لا تتحقق إلا بعبادة معينة فيحرص عليها طلباً لتلك الغاية المحبوبة فتهون عليه؛ كما في قوله تعالى عن

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/١٣٧).

الصلاة: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٢).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ ! أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»(٣). فحرصه ﷺ على شكر ربه وهو شعور له لذّة لا تعدلها لذّة هو الذي يسَّر له هذا العمل الذي يبدو شاقّاً.

د- ومنها: أن الله تعالى قد يزيل مشقات العمل حتى لا يكاد يبقى منها شيء؛ فأشق شيء على الإنسان أن يُقْتل لكن رسول الله ﷺ يقول: «ما يجد الشهيد من مسِّ القتال إلا كما يجد أحدكم من مسِّ القرصة»(٤).

لكن رغم هذا فقد يحدث التعسير في الدِّين شرعاً أو قدراً، ويكون عقاباً من الله تعالى لبعض الناس.

مثال **التعسير شرعاً**: ما قال الله تعالى فيه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٥-٤٦.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم الحديث (٢٨٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل المرابط، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ص ٣٩١، رقم (١٦٦٨).

(٥) سورة النساء الآية ١٦٠.

وأما **التعسير القدري** فيكون بسبب سوء فهم بعض الناس للدِّين وإلزامهم أنفسهم بما لم يلزمهم به الله تعالى من أنواع العنت. وهذا هو الذي يحدث لأناس من هذه الأمة التي اختار الله لها الحنيفية السمحة والتي قال الله تعالى عن رسولها: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1][2].

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) مفهوم اليسر في الدين.لجعفر شيخ إدريس. مجلة البيان عدد (٢٣٥).

المطلب الخامس

أثر اليسر والسماحة في انتشار الإسلام

مما لا شك فيه أن للسماحة[1] والتيسير أثرا واضحا في سرعة انتشار الإسلام ودوام بقائه بين الأمم والشعوب التي اعتنقته، والتاريخ يشهد أن سرعة امتثال الأمم للشرائع ودوامهم على اتِّباعها، إنما كانت على مقدار اقتراب تلك الشرائع من السماحة والتيسير، فإذا بلغت بعض الشرائع من الشدة حدا يتجاوز أصل السماحة، لحقت الشدة والمشقة والعنت بأتباعها، ولا يلبثون إلا أن ينصرفوا عنها أو يفرطوا في بعض تعاليمها ...

يقول أحد الباحثين: (فمن أسباب انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ... أنه دين بسيط، سهل القواعد والأصول، لا يحوج المتدين به بعد الإيمان بالوحدانية وفرائض العبادة إلى شيء من الغوامض التي يدين بها أتباع العقائد الأخرى، ولا يفقهون ما فحواها)[2].

ويقول آخر عن يسر العقيدة الإسلامية: (بأن ذلك هو أهم سبب في انتشار الإسلام حتى بين المسيحيين أنفسهم)[3].

---

(١) السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها والسماحة سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه المشادة، فهي وسط بين الشدة والتساهل، ولفظ السماحة هو أرشق لفظ يدل على هذا المعنى، يقال سمح فلان إذا جاء بمال له. قال المقنع الكندي:

ليس العطاء من الفضول سماحة ... حتى تجود وما لديك قليل

فالسماحة أخص من الجود، ولهذا قابلها زياد الأعجم بالندى في قوله:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قُبَّةٍ ضُربت على ابنِ الحَشْرَج

(٢) الإسلام في القرن العشرين (ص١٩-٢٠).

(٣) المدخل إلى الثقافة الإسلامية. د. محمد رشاد سالم (ص٢٣٥).

نماذج وصور من سماحة الإسلام مع المسلمين الجدد:

عمل الإسلام على التدرج في دعوة الناس إليه وتكليفهم بتعاليمه وتشريعاته، لأن ذلك ادعى إلى قبوله وترسيخ العمل بتشريعاته وأحكامه وفضائله واحدة بعد الأخرى، ومما يذكر في هذا المقام ما رواه الشيخان أن النبي ﷺ قال لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «أُدْعُهم إلى شهادة أن لا اله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم»(١).

ففي هذا الحديث لم يعمد النبي ﷺ إلى تكليف المدعوين إلى الإسلام بكل تشريعاته وأحكامه دفعة واحدة وعلى الفور وفي وقت واحد، وإنما يسر لهم الأمر، وتدرج معهم شيئا فشيئا حتى يرغِّبهم في الإسلام ويحببهم به ...

وفي حادثة أخرى رواها أحمد(٢) أن شابا قال: يا رسول الله، إئذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال لهم النبي ﷺ قرِّبوه، فدنا منه حتى جلس بين يديه، فقال له: «أتحبه لأمك؟» فقال الشاب: لا، جعلني الله فداك، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟» قال: لا، جعلني الله فداك، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟» حتى ذكر العمة والخالة، والشابُّ يقول في كل مرة: لا، جعلني الله فداك ... ثم وضع النبي ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصِّن فرجه»، قال: فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا.

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في سننه، كتاب: الزكاة، باب إخراج الزكاة من بلد إلى بلد:، رقم الحديث (٢٥٢٢).

(٢) برقم (٢٢٢١١)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٠٦٦) وإسناده صحيح. انظر تخريجه في الصحيحة برقم (٣٧٠).

صُورُ التيسير في الشَّرْع، ولا تكاد تنحصر في باب أو لأَحَد، والداخل في الإسلام له نصيبُه الوافِر من هذا التيسير.

فمِن ذلك: التيسير في عدم الإنكار على المسلِم الجديد عندَ خطئه؛ فعن أنس -رضي الله عنه- قال: بينما نحن في المسجد مع رسولِ الله ﷺ إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد، فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تزرموه - أي: لا تقطعوه - دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ دعاه فقال له: «إنَّ هذه المساجدَ لا تصلح لشيءٍ مِن هذا البول، ولا القَذَر، إنما هي لذِكْر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن»(١)، وفي رواية: قال ﷺ: «دعوه، وهريقوا على بولِه سَجْلاً من ماء، أو ذَنوبًا من ماء، فإنَّما بُعِثْتُم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين»(٢).

ومن التيسير على المسلم الجديد: ألاَّ يوجب على نفسِه ما ليس بواجب، كقضاء ما فاتَه من الطاعات قبلَ إسلامه، إذ هو ليس ملزمًا بالقضاء، ومثل ذلك قد يُنفِّره من الإسلام، ولم يُوجبْ ذلك أحدٌ من العلماء، وقد سُئل السيوطي -رحمه الله- عن مسألة الكافر إذا أسلم، وأراد أن يقضي ما فاته في زمن الكُفْر من صلاة وصوم وزكاة، هل له ذلك؟ وهل ثبت أنَّ أحدًا من الصحابة -رضي الله عنهم- فَعَل ذلك حين أسلم؟

فقال: (الجواب: نعم، له ذلك، وذلك مأخوذٌ من كلام الأصحاب إجمالاً وتفصيلاً: أمَّا الإجمال، فقال النووي في شرح المهذب: اتَّفق أصحابنا على أنَّ الكافر الأصلي لا تجب عليه الصلاة والزكاة، والصوم والحج، وغيرها من فروع الإسلام، ومُرادُاهم: أنَّهم لا يُطالبون بها في الدنيا مع كُفْرهم، وإذا أسلم أحدُهم لم يَلزمْه قضاءُ الماضي، فاقتصر على

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها، رقم الحديث (٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: صب الماء على البول في المسجد، رقم الحديث (٢٢٠).

نفي اللزوم، فيبقى الجواز، وعبارة المهذب فإذا أسْلَم لم يُخاطبْ بقضائها؛ لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[1]، ولأنَّ في إيجاب ذلك عليه تنفيراً، فعُفي عنه، فاقتصرَ على نفي الإيجاب، فيبقى الجواز والاستحباب)[2].

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: (فأمَّا الكافر فلا يجب الصيام عليه، ولا يصحُّ منه؛ لأنَّه ليس أهلاً للعبادة، فإذا أسلم في أثناء شهر رمضان لم يلزمه قضاء بقية الأيام الماضية لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[3]، وإن أسلمَ في أثناء يومٍ منه لَزِمه، أمسكَ بقيةَ اليوم؛ لأنَّه صار من أهل الوجوب حين إسلامه، ولا يلزمه قضاؤه؛ لأنَّه لم يكن من أهل الوجوب حين وقتِ وجوب الإمساك)[4].

ومن هنا:

فإنَّ على المسلم الجديد أن يفقه أحكامَ الإسلام، ويعلم تيسيرَه وسماحتَه، وعلى القائم بالدعوة بيْن المسلمين الجُدد أن يُدركَ أنَّ التيسير أصلٌ في دِين الإسلام، وهو مِن الوسائل الرئيسة في تثبيت المسلِم الجديد على الإسلام، وبقائه عليه، أمَّا التشديدُ والتعسير، فليس من منهج النبوَّة، وهو ينفِّر المسلِم عن الإسلام، ويبعده عنه.

إن مهمة أهل الإسلام أن يحسنوا عرض هذا الدين للبشر من جهة أساليب الدعوة وطرائقها، ومن جهة التمثل بتعاليم الإسلام في السلوك.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٨.

(٢) الحاوي (١/٣١).

(٣) سورة الأنفال الآية ٣٨.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٠/٢٢٦).

إن التأثر بالسلوك من أبلغ وسائل الدعوة، فلربما دخل الإنسان في الإسلام بسبب حسن سلوك مسلم عايشه، وفي أحاديث النبي ﷺ ما يشهد بوضوح الأمر بترغيب الناس إلى الإسلام، وتأليف قلوبهم، والمنع من تنفيرهم عن هذا الدين الحنيف، فمن تلك الأحاديث: قول النبي ﷺ لمعاذ لما أطال بالناس الصلاة: «أفتان أنت يا معاذ»(١).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (أي منفر عن الدين وصادّ عنه)(٢).

وفي حديث آخر وفي السبب نفسه قال ﷺ: «ياأيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمَّ الناس فليتجوز»(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، رقم الحديث (٦١٠٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٨٢/٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: من شكا إمامه إذا طول، رقم الحديث (٧٠٤).

المطلب السادس

فهم التيسير المعاصر(١)

مفهوم منهج التيسير المعاصر عند العلمانيين: لقد اتخذ دعاة العلمانية والعصرنة من التيسير باباً يتسللون منه لينالوا من الشريعة، بل ويعطّلوا كثيراً من النصوص القطعيّة الثابتة، فهم يرون أن من التيسير أن يكون التشريع من حق العلمانية، وليس من حق الإسلام أن يحكم المجتمع ويشرّع له ويُحلّل ويُحرّم، ويرون أن التيسير يقتضي أن لا تبقى المفاهيم والمعتقدات والقيم على حالها، بل لابد من مواكبة العصر. ويمثّلون لهذا بأمثلة كثيرة كالربا، والفوائد البنكية، وكون ميراث المرأة نصف ميراث الرجل، وحجاب المرأة، وقطع يد السارق، ونحو ذلك.

ولعل الفساد الذي لحق بعقول هؤلاء هو أنهم لم يفرّقوا بين اليسر واللذة والشهوة؛ لأن المنافع ليست هي ما يوافق الأغراض والشهوات دائما، ولم يفرقوا بين اليسر الموهوم واليسر الحقيقي.

أسباب ظهور منهج التيسير المعاصر: والأسباب الداعية لظهور هذا المنهج كثير متعددة، نكتفي هنا بذكر بعض منها:

أولاً: الجهل بأحكام الشريعة ومقاصدها: وهذا السبب يدور حول ثلاث محاور:

١. الجهل بالنصوص الشرعية.
٢. سوء فهم النصوص الشرعية.
٣. الجهل بمقاصد الشريعة.
٤. الجهل بما تؤول إليه الأحكام.

---

(١) وللاستزادة في الموضوع: انظر: منهج التيسير المعاصر لعبد الله الطويل وهو كتاب نفيس للغاية.
وانظر أيضا: التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة لفهد العجلان.

ثانياً: ردة فعل لظاهرة الغلو: فمن أهم أسباب التيسير غير المنضبط أنه انعكاس لما حصل من غلوّ وتشدد عند البعض، كانت نتيجته ردة فعل قوية في الاتجاه المعاكس.

ثالثاً: ترغيب الناس في الدين: من الواجب على أهل الإسلام أن يُحسنوا عرض هذا الدين للناس، ويحببونه إليهم، وذلك بطَرْق الوسائل والأساليب الدعوية التي من شأنها ترغيب الناس في الدين، فلا ينتهجون من أساليب الدعوة ما يُعطي صورة سيئة عن الدين.

رابعاً: إتباع الهوى: والمقصود بالهوى: كل ما خالف الهدي الشرعي من الكتاب والسنة، ومن ذلك إتباع أهواء العامة والجري وراء إرضائهم بالتساهل، ويدخل فيه كذلك حب الظهور والشهرة بين الناس.

خامساً: مسايرة الواقع (ضغط الواقع): تجد من المعاصرين من يركب الصعب والذلول لتطويع النصوص للواقع، على حين يجب أن يُطوّع الواقع للنصوص، لأن النصوص هي الميزان المعصوم الذي يحتكم إليه ويعوّل عليه، والواقع يتغير فلا ثبات له ولا عصمة، ولهذا يجب رد المتغير إلى الثابت، وغير المعصوم إلى المعصوم.

سادساً: المؤثرات البيئية: المؤثرات البيئية تندرج تحت قسمين أساسيين:

الأول: الأسباب الداخلية:

١. المؤثرات المكانية: ولعل من أبرز الأمثلة هنا هو الإمام مالك فقد نشأ في المدينة المنورة حيث ينتشر حفّاظ الحديث ورواته، مما أغنى ثروة الإمام مالك الفقهية المستندة في الغالب إلى الآثار وأقوال الصحابة والتابعين، ولذلك ألّف كتابه الشهير (الموطّأ).

٢. المؤثرات الزمانية: وقد وردت بعض الأحكام في السنة النبوية بنيت على رعاية أحوال الناس وأخلاقهم في زمن النبوة، ثم تبدلت أحوال الناس بعدهم، فتغيرت

الفتاوى، فعن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قالت: (لو أدرك النبي ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن كما مُنعت نساء بني إسرائيل)[1].

٣. المؤثرات العرفية: قال ابن القيم –رحمه الله–: (ومن أفتى الناس بمجرد المنقول على اختلاف عرفهم وعوائدهم، وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم: فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم، بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم، بل هذا الطبيب الجاهل، وهذا المفتي الجاهل أضر على أديان الناس وأبدانهم والله المستعان)[2]. هذا بالنسبة للعرف المعتبر الصحيح، أما العرف الفاسد: وهو ما يخالف أحكام الشريعة وقواعدها الثابتة، مثل: تعارف الناس على كثير من المنكرات، كالتعامل بالربا، وشرب الخمر، وحلق اللحى، ونحوها، فهذا عرف غير معتبر، إلا أن بعض دعاة منهج التيسير المعاصر عدّ هذا العرف سبباً للتيسير.

٤. المؤثرات العلمية: إن تأثر العالم والمفكر بمشربه العلمي ووسطه المعرفي الذي استقى منه علومه ومعارفه أمر لا يختلف فيه اثنان، فالعالم يتأثر بشيخه، وهذا مُلاحظ معلوم؛ فالشيخ لا بد أن يترك أثراً على تلميذه، إما في منهجه في التأليف أو طريقته في الاستنباط أو بتبني بعض آرائه، أو في كل ما سبق وربما أكثر. ومن أبرز الأمثلة المشهورة عند أهل العلم الأثر الواضح الذي تركه شيخ الإسلام ابن تيمية على تلميذه ابن القيم –رحمهما الله تعالى–، فقد كان التلميذ كأنه جزء قُدَّ من شيخه.

الثاني: الأسباب الخارجية:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس، رقم الحديث (٨٦٩).

(٢) إعلام الموقعين (٣/٦٦).

١. الترغيب في الدخول في الإسلام: من تتبع أحوال بعض دعاة فقه التيسير المعاصر يرى أن هذا السبب قد طغى على كتاباتهم، وأن الترغيب في الدخول إلى الإسلام يمثل الهمّ الأكبر لبعضهم فجزاهم الله خيراً، لكن هذا الهم على جلالته مَثَّل مزلقاً أُهدرت فيه كثير من قواعدنا العلمية وقضايانا الفقهية ومسائلنا الدينية.

٢. كثرة الهجرة والابتعاث إلى بلاد الغرب: إن الكثير ممن هناك تسيطر على عقليته مظاهر الانبهار والتأثر سلباً بفكر المجتمع الغربي وسلوكه، وعند الرجوع إلى أرض الوطن يكون سفيراً لتوجهات فكرية وسلوكية تنتمي إلى حضارة أجنبية، والتاريخ شاهد على ذلك، فقد عاد كثير من المبتعثين المسلمين إلى بلادهم وهم يحملون أفكار الغربيين لا علومهم وتقدمهم، فكانوا نواة لحركة تغريبية في العالم الإسلامي.

٣. الانبهار بالحضارة الغربية: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فالانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا جائز، كما يجوز السُّكنى في ديارهم ولبس ثيابهم وسلاحهم ... وأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه، بل هذا أحسن، لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيهاالخيانة)[١].

آثار ظهور منهج التيسير المعاصر:

أولاً: الآثار التشريعية:

١. التفلّت من بعض الأحكام الشرعية:

فمن باب ما يسمى بفقه الأولويات ظهرت اختلالات كثيرة في مراتب الأعمال والأحكام الشرعية – لأجل الأخذ بالتيسير – في كثير من كتابات أصحاب هذا الاتجاه، ومن أبرز ما نتج عن ذلك أمران:

(١) مجموع الفتاوى (١١٤/٤)

الأول: التهوين بالمسائل الفرعية: ولقد ضُيّع كثير من السنن، بل الواجبات، بحجة الاهتمام بقضايا الأمة الكبرى وتفعيل فقه الأولويات، وإنك لترى وتسمع من إذا أنكرت عليه تقصيرا في ترك سنة أو واجب أو ارتكاب لمحظور سارع بإجابتك بأن الأمة يحيط بها أعداؤها من كل مكان ويكيدون لها وأنت تنكر عليّ هذه المسألة؟!

الثاني: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فأصحاب هذا المنهج يدعون إلى ترك الإنكار في أي مسألة خلافية، وقد سُئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: هل يُنكر على المرأة التي تكشف الوجه أم أن المسألة خلافية، والمسائل الخلافية لا إنكار فيها، فأجاب -رحمه الله-: (لو أننا قلنا المسائل الخلافية لا ينكر فيها على الإطلاق، ذهب الدين كله حين تتبع الرخص، لأنك لا تكاد تجد مسألة إلا وفيها خلاف بين الناس)[1].

٢. **الإخلال بمقاصد الشريعة: ويتمثل هذا في عدة أمور، منها:** التوسع في تحديد مقاصد الشريعة: بعدم الاقتصار على ما ذكره فقهاء الأمة واتفقوا عليه فيما يدخل ضمن الضروريات والحاجيات والتحسينات.

ثانياً: الآثار السلوكية:

١. التفرّق.

٢. الوقوع في المحظورات.ولعل من أبرز المحظورات:

أ- التعامل بالربا.

ب- تحرير المرأة.

٣. النيل من شعائر الإسلام وعلمائه: من ذلك النيل من المتمسكين ببعض الشعائر الإسلامية كتوفير اللحية مثلا، فنجد أن ذلك أصبح مجالاً رحباً - مع الأسف - للنيل من صاحبها ووصفه بما لا يليق. يقول محمد الغزالي -رحمه الله-: (وهناك

(١) لقاء الباب المفتوح (٣٣-٣٤/٦٦).

من حلق رأسه وشواربه بالموسى، وأطلق شعر لحيته على نحو يشعرك بأن كل شعرة أعلنت حربا على جارتها، فهناك امتداد وتنافر يثيران الدهشة، قلت في نفسي: لم يبق إلا أن يحلق حاجبيه بالموسى هي الأخرى لتكتمل الدمامة في وجهه، ولم أر مساءلته لمَ فعل ذلك ؟ لأني أعلم إجابته، سيقول: هذه هي السنة)[١].

٤. التقليد والتبعية للغرب: لقد زعم بعض المسلمين أننا في حاجة إلى التقليد والتبعية للغرب في كل شيء، نعتاد عاداتهم ونلبس لباسهم ونأكل طعامهم، ومن ذلك ما كتبه مدير مجلة الأزهر يقول: (إن الأمم الإسلامية لفي حاجة إلى تقليد الغربيين في كل شيء حتى ملاهيهم ومراقصهم وإلحادهم إن أرادت أن تبلغ شأوهم في حلبة الحياة)[٢][٣].

---

(١) مستقبل الإسلام (ص٨٣).

(٢) موقف العلم والعقل والعالم من رب العالمين لمصطفى صبري (٣٦٩/١).

(٣) انظر: منهج التيسير المعاصر، دراسة تحليلية لعبد الله الطويل.

المبحث الثالث

أحكام المشقة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول

أقسام المشقة وضوابطها

المشقة أنواع:

الأول: مشقة غير مقدور عليها: كتكليف المقعد بالقيام، والإنسان بالطيران ونحو ذلك، فهذه لا يرد بها التكليف والنصوص دالة على ذلك.

الثاني: مشقة داخلة تحت قدرة المكلف، وهي أقسام:

١. **مشقة خفيفة**: كأدنى وجع في الأصبع أو الرأس ونحو ذلك، فهذا لا أثر له في التخفيف والترخص؛ لأن تحصيل مصالح العبادات أولى من دفع مثل هذه المفسدة التي لا أثر لها.

٢. **مشقة عظيمة**: وهي الخارجة عن حدود المعتاد: بحيث يؤدي امتثال التكاليف إلى خلل في نفس المكلف أو ماله أو أطرافه، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد وموجبة للتخفيف والترخص؛ لأن حفظ النفوس والأطراف لإقامة مصالح الدين أولى من تعريضها للفوات في عبادة أو عبادات، مثل الاغتسال من الجنابة مع شدة البرد، وصيام المريض والحامل.

٣. **مشقة في الحدود العادية وداخلة تحت القدرة البشرية**: وهي لا تنفك عن العبادة غالبا وهي موجودة في المسائل الدنيوية كمشقة العمل وكسب العيش، فهذه وإن كانت مشقة لكن النفس قادرة عليها، بل لو ترك الإنسان العمل من أجلها لعدّ ذلك سفها وعجزا، وهذه مثل مشقة البرد في الوضوء والصوم

في الحر ومشقة السفر للحج والعلم والمشقة في إقامة الحدود ونحو ذلك، فهذه المشقة لا أثر لها في إسقاط العبادة ولا تمنع التكليف وليست سببا للترخص).

ويشترط في المشقة التي تجلب التيسير أمور، وهي:

١. ألا تكون مصادمة لنص شرعي، فإذا صادمت نصاً روعي النص دونها.
٢. أن تكون المشقة زائدة عن الحدود العادية، أما المشقة العادية فلا مانع منها لتأدية التكاليف الشرعية، كمشقة العمل.
٣. ألا تكون المشقة مما لا تنفك عنها العبادة غالباً، كمشقة البرد في الوضوء والغسل، ومشقة الصوم في شدة الحر وطول النهار، ومشقة السفر في الحج.
٤. ألا تكون المشقة مما لا تنفك عنها التكاليف الشرعية، كمشقة الجهاد، وألم الحدود، ورجم الزناة، وقتل البغاة والمفسدين والجناة.فهذه المشقات: لا أثر لها في جلب التيسير ولا التخفيف، لأن التخفيف عندئذ إهمال وتضييع للشرع. والمشاق أنواع، ولا بد من بيانها لتفهم هذه القاعدة بالشكل الجيد.

قال الشاطبي -رحمه الله-: (... فمثل هذا يسمى مشقة بهذا الاعتبار؛ لأنه إلقاء بالمقاليد، ودخول في أعمال زائدة على ما اقتضته الحياة الدنيا)[١].

ويقول العز بن عبد السلام – رحمه الله – هذا الوجه: (هذه المشاق كلها لا أثر لها في إسقاط العبادات والطاعات، ولا في تخفيفها، لأنها لو أثرت لفاتت مصالح العبادات والطاعات في جميع الأوقات، أو في غالب الأوقات، ولفات ما رتب عليها من المثوبات والباقيات)[٢].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (إن كانت المشقة مشقة تعب، فمصالح الدنيا والآخرة منوطة بالتعب، ولا راحة لمن لا تعب له، بل على قدر التعب تكون الراحة)[٣].

---

(١) الموافقات (٢/٢٠٩).

(٢) قواعد الأحكام (٢/٩).

(٣) إعلام الموقعين (٢/٨٦).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه المشقة المعتادة تختلف باختلاف الأعمال فليس المشقة في الصلاة – مثلاً – كالمشقة في الصيام أو الحج أو الجهاد، ولكن كما قرر الإمام الشاطبي – رحمه الله – في الموافقات أنّ (كل عمل في نفسه له مشقة معتادة فيه توازي مشقة مثله من الأعمال العادية، فلم تخرج عن المعتاد إلى الجملة)(١).

وكما تختلف المشاق العادية باختلاف الأعمال؛ فإنها تختلف بالأزمان والأمكنة والأحوال، فإسباغ الوضوء في السبرات غيره في الزمان الحار، وليس القيام إلى الصلاة من النوم مع قصر الليل أو لشدة البرد، كالقيام لها في غير هذين الحالين)(٢).

ومحل الفائدة من هذه الإشارة: تحقيق أنّ المشقة نسبية يحتاج فهمها إلى دقة نظر بالنسبة لكل عمر في ذاته، وإلاّ اختلطت على الناظر أنواع المشاق، فتختلط الأحكام المترتبة عليها، وهو أمر في غاية الأهمية يقول الشاطبي –رحمه الله–: (المشقة قد تبلغ في الأعمال المعتادة ما يظن أنّه غير معتاد، ولكنه في الحقيقة معتاد، ومشقته في مثلها مما يعتاد ... وإذا لم تخرج عن المعتاد لم يكن للشارع قصد في رفعها)(٣).

ضوابط للمشقة: وضع العلماء بناء على هذا ضوابط للمشقة، إذا تحققت حصل التيسير. وهذه الضوابط هي:

١. أن لا تكون من المشاق التي لا تنفك عنها العبادة غالباً، لأن هذه لا تؤثر في التخفيف، بل هي مرادة للشارع، وهي جزء من المقصود بالتكليف، بل إنما التكليف سمي تكليفاً لما فيه من الكلفة وشيء من مشقة، فلذا فإن المشقة وحصول التعب الشديد والتعرض للقتل الحاصل من الجهاد، ليست مشقة مسقطة للتكليف، وكذلك المشقة الحاصلة في طلب العلم والسهر في تحصيله

---

(١) الموافقات (٢/٢٦٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٧٠).

(٣) المصدر السابق (٢/٢٧١).

وانظر: درء المشقة في الشريعة الإسلامية، د. القرشي عبد الرحيم البشير.

ليست مسقطة له، وكذلك المشقة العادية الحاصلة في الصوم ليست مسقطة له، وكذلك فقد أمرنا الله تعالى بالقصاص، وبرجم الزاني المحصن، وقطع يد السارق، ولاشك أن في هذا مشقة، سواء على المقام عليه الحد، أو على مقيمه، ولكن هذه المشقة لا تُسقِط حكم القصاص والرجم وقطع اليد.

٢. أن تكون المشقة خارجة عن المعتاد في مثلها، وإن أمكن فعل العبادة معها.مثالها: -المريض في رمضان الذي يخاف إن صام، زيادة مرضه أو بطء شفائه، جاز له الفطر في رمضان وقضائه متى شفي من مرضه، الخوف من الاغتسال للجنابة من شدة البرد بأن لا يجد مكاناً يؤويه ولا ثوباً يتدفأ به، ولا ماء مسخناً، جاز له التيمم، المريض مرضاً شديداً الذي يشق عليه الوقوف، يصلي جالساً.

٣. أن تكون المشقة واقعةً حقيقة لا توهماً؛لأنه ربما ظن المكلف عدم قدرته وهو قادر، كالمريض الذي يفطر في نهار رمضان لكونه مريضاً دون أن يتيقن حصول المشقة له في الصوم، ولكن إذا كانت المشقة مظنونةً ظناً غالباً فإن الظن الغالب كالمحقق .

المطلب الثاني

قواعد في المشقة

الأولى: لا تكليف بدون مشقّة، وإن كانت المشقّة الحاصلة بكلِّ تكليفٍ بحَسَبه، وهي متفاوتة، فإذا جاز لنا تخيّر أيسر المذاهب دفعاً لكلّ مشقّةٍ، ترتّبَ على ذلك إسقاط كثيرٍ من التكاليف الشرعيّة.

قال الشاطبي -رحمه الله-: (المقصد الشرعي مِن وضْع الشريعة هو إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد الله اضطراراً)[١].

وقال الإمام شمس الدين ابن القيّم -رحمه الله-: (لو جاز لكل مشغول وكل مشقوق عليه الترخيص ضاع الواجب واضمحل بالكلية)[٢].

وقال أيضاً في مَعرض كلامه عن رُخَص السفَر: (إنَّ المشقة قد عُلِّقَ بها من التخفيف ما يناسبها، فإن كانت مشقة مرض وألم يُضِرُّ به جاز معها الفطر والصلاة قاعداً أو على جنب، وذلك نظير قصر العدد، وإن كانت مشقّةَ تعبٍ فمصالح الدنيا والآخرة منوطةٌ بالتعب، ولا راحة لمن لا تعب له بل على قدر التعب تكون الراحة فتناسبت الشريعة في أحكامها ومصالحها بحمد الله ومَنِّه)[٣].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: (إن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٤]، وقال تعالى:

---

(١) الموافقات (٢/١٢٨).

(٢) إعلام الموقعين (٢/١٣٠).

(٣) المصدر السابق (٢/١٣١).

(٤) سورة البقرة الآية.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(2)، وكان النبي ﷺ يقول: «يسروا ولا تعسروا»، وقال ﷺ: «فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»)(3).

الثانية: ما ورد في التحذير والتنفير من التشديد والتعسير والمشاقّة والتنطّع، والتعمّق – وما إلى ذلك – على النفس والغير، لا يدلُّ على التخيير (أو التخيُّر) في الأحكام الشرعيّة، لدلالة النصوص على التكليف بالأشدّ في مواضع كثيرة، ولأنّ النسخ بالأشد ممّا جاءت به الشريعة بالاتفاق، فضلاً عن حمل جمهور أهل العلم لنصوص النهي عن التنطّع ونحوه على ما كان فيه مجاوزة للمشروع، كالوصال في الصيام، فهو ممّا نُهي عنه، وإن كان مقدوراً عليه بدون مشقّة، بخلاف الصوم المشروع فلا يسقط عمّن وجَبَ عليه حتى وإن ثبتت مشقّته، ما دام مقدوراً عليه، وقد تقدّم ذكر بعض أقوال أهل العلم في أنّ الأصل في التكليف، أنّه قائمٌ على المشقّة المقدور عليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-: (التشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب، بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارةً باتخاذ ما ليس بمُحرَّم، ولا مكروه، بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات، وعُلِّل ذلك بأن الذين شددوا على أنفسهم من النصارى، شَدَّد الله عليهم لذلك، حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة، وفي هذا تنبيه على كراهة النبي ﷺ لِمِثْل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة، وإن كان كثير من عُبَّادِنا قد وقعوا في بعض ذلك، متأولين معذورين، أو غير متأولين ولا معذورين)(4).

---

(1) سورة المائدة الآية ٦.

(2) سورة الحج الآية ٧٨.

(3) الحجة في بيان المحجة (ص٤٦).

(4) الاقتضاء (١/١٣١).

وقال ابن القيّم -رحمه الله-: (نهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه؛ إما بالقدر، وإمَّا بالشَرْع؛ فالتشديد بالشرع كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس، فإنهم شدَّدوا على أنفسهم، فشُدِّدَ عليهم القدر، حتى استحكم ذلك، وصار صفةً لازمة لهم)(١).

المشقة ليست مقصودة في الشرع، ولذا قال رسول الله ﷺ للشيخ الذي نذر أن يمشي وكان يهادي بين ابنيه: «إن الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني» وأمره أن يركب(٢).

قال العز بن عبد السلام – رحمه الله – مقرراً ذلك: (لا يصلح التقرب بالمشاق، لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عين المشاق تعظيما ولا توقيرا)(٣).

وقال أيضا: (إن قيل: ما ضابط الفعل الشاق الذي يؤجر عليه أكثر مما يؤجر على الخفيف؟ قلت: إذا اتحد الفعلان في الشرف والشرائط والسنن والأركان، وكان أحدهما شاقا فقد استويا في أجرهما لتساويهما في جميع الوظائف، وانفرد أحدهما بتحمل المشقة لأجل الله سبحانه وتعالى، فأثيب على تحمل المشقة لا على عين المشاق، إذ لا يصح التقرب بالمشاق، لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عين المشاق تعظيما ولا توقيرا)(٤).

وقال شيخنا عبد الكريم الخضير – حفظه الله – في شرح زاد المستقنع: (المشقة ليست مقصود شرعي لذاتها، بل إذا جاءت تبعاً لمطلب شرعي أجر الإنسان عليها، أم المشقة بذاتها فليست مقصداً شرعياً، فلو قال شخص يعني بدلاً من أحج على

---

(١) الإغاثة (١/١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: النذر، باب: من نذر أن يمشي إلى الكعبة، رقم الحديث (١٦٤٢)

(٣) قواعد الأحكام (١/٣٦)

(٤) المصدر السابق (١/٣٦). وانظر: منزلة الاتباع في ضوء الوحيين لفيصل البعداني. وهي مطبوعة في مجموع بعنوان حقوق النبي ﷺ (ص١٠٦)

الطائرة أمشي مشياً لأنه أعظم في المشقة فهو أعظم أجراً، نقول: لا، يقول: بدلاً من أسلك الطريق المختصر الميسر المعبد المذلل اسلك طريقاً أبعد منه من غير تعبيد ولا تذليل لينال أكبر قدر من المشقة، نقول: لا، المشقة ليست مقصودة لذاتها: لكن إذا كانت العبادة أو المأمور به شرعاً لا يمكن إتيانه إلا بهذه المشقة أجر عليها الإنسان.

حاصل كلام أهل العلم أن المشقة لا تطلب لذاتها وهي غير مرادة في الشرع، لكن المشقة غير المقصودة التي تلحق المكلف بسبب أدائه للعمل المشروع تزيد في ثوابه كما سيأتي تقريره.

المطلب الثالث

تقصد المشقة في الشريعة الإسلامية

ترى بعض الجهلاء يستحب أداء مناسك الحج حافياً تقرباً إلى الله[1]، حتى يتحقق فيه قول النبي ﷺ لعائشة: «أجرك على قدر نصبك»، ولحديث جابر في صحيح مسلم[2] قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم» وفي رواية[3] فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا.

والذي يظهر أن تقصد المشقة ممنوع لما يأتي:

أولاً: لا يجوز للإنسان أن يتقصد المشقة عند أدائه لأي عبادة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (قول بعض الناس: الثواب على قدر المشقة ليس

---

(١) كل حديث في فضل الحج ماشيا لا يصح كحديث: «من حج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة، كل حسنة مثل حسنات الحرم، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: لكل حسنة مائة ألف حسنة»، وحديث: «إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة، والماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة»، وحديث: «للماشي أجر سبعين حجة، وللراكب أجر ثلاثين حجة».
انظر: الضعيفة برقم (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧).
وانظر: فصل البيان بضعف أحاديث فضل مشاة الحجاج على الركبان لأبي محمد الألفي الإسكندري.
اختلف أهل العلم في استحباب عمل النسك في الحج والسعي بين المشاعر مشياً أم ركوباً أيهما أفضل؟ على قولين لأهل العلم:من قال أن الركوب أفضل قال هذا فعل النبي ﷺ فقد ركب، ومن قال أن المشي أفضل قال أن المشي فيه نصب وتعب ومشقة وهو أعظم للأجر. والذي يظهر والله أعلم أن الركوب والمشي لا يظهر بينهما تفضيل ، وإنما التفضيل هو أن تؤتى المناسك كما جاءت عن النبي ﷺ على الوجه المشروع، إن كان الركوب أسمح للإنسان فيركب، وإن كان المشي أسمح للإنسان فيمشي. انظر: صفة حج النبي ﷺ للطريفي (ص٧٧).

(٢) برقم (٦٦٥).

(٣) برقم (٦٦٥).

بمستقيم على الإطلاق، كما يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات والعبادات المبتدعة، التي لم يشرعها الله ورسوله، من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل الله من الطيبات، ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي ﷺ حيث قال: «هلك المتنطعون» وقال: «لو مدّ لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم» مثل الجوع أو العطش المفرط الذي يضر العقل والجسم، ويمنع أداء واجب أو مستحبات أنفع منه، وكذلك الاحتفاء والتعري والمشي الذي يضر الإنسان بلا فائدة، مثل حديث أبي إسرائيل الذي نذر أن يصوم وأن يقوم قائماً ولا يجلس ولا يستظل ولا يتكلم، فقال النبي ﷺ: «مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه» ...)[1].

ثم قال -رحمه الله-: (فأما كونه مشقاً فليس سبباً لفضل العمل ورجحانه، ولكن قد يكون العمل الفاضل مشقّاً ففضله لمعنى غير مشقته، والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره، فيزداد الثواب بالمشقة ... فكثيراً ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب، لا لأن التعب والمشقة مقصود من العمل، ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب، هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال، ولم يجعل علينا فيه حرج، ولا أريد بنا فيه العسر، وأما في شرع من قبلنا فقد تكون المشقة مطلوبة، وكثير من العباد يرى جنس المشقة والألم والتعب مطلوباً مقرباً إلى الله، لما فيه من نفرة النفس عن اللذات والركون إلى الدنيا، وانقطاع القلب عن علاقة الجسد، وهذا من جنس زهد الصابئة والهند وغيرهم)[2].

ثانياً: النيات في العبادات معتبرة في الشرع، فلا يصلح منها إلا ما وافق الشرع، قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (إذا كان قصد المكلف إيقاع المشقة فقد خالف قصد الشارع من حيث إن الشارع لا يقصد بالتكليف نفس المشقة، وكل

---

(١) مجموع الفتاوى (٦١٠/١٠).

(٢) المصدر السابق (٥٥/١).

قصد يخالف قصد الشارع باطل، فالقصد إلى المشقة باطل، فهو إذاً من قبيل ما ينهى عنه، وما ينهى عنه لا ثواب فيه، بل فيه الإثم إن ارتفع النهي إلى درجة التحريم، فطلب الأجر بقصد الدخول في المشقة قصد مناقض)(1).

http://www.saaid.net/Doat/saud/4.htm - [7]

وقال أيضا: (ونهيه عن التشديد أي النبي عليه الصلاة والسلام شهير في الشريعة، بحيث صار أصلاً قطعياً، فإذا لم يكن من قصد الشارع التشديد على النفس، كان قصد المكلف إليه مضاداً لما قصد الشارع من التخفيف المعلوم المقطوع به، فإذا خالف قصده قصد الشارع بطل ولم يصح، هذا واضح وبالله التوفيق)(2).

ثالثاً: باستقراء الأدلة الشرعية فإن الشارع لم يقصد إلى التكاليف بالمشاق والإعنات، لقوله تعالى ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(3)، وقوله ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(4)، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(5)، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(6)، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(7)، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾(8).

---

(1) الموافقات (٢/٢٢٢)

(2) المصدر السابق (٢/٢٢٩).

(3) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(4) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(5) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(6) سورة البقرة الآية.

(7) سورة الحج الآية ٧٨.

(8) سورة النساء الآية ٢٨.

وقوله ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة»[1]، وما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً"[2].

رابعاً: لو قصد الشارع التكاليف بالمشقة لما حصل الترخيص، فالرخص الشرعية أمر مقطوع به، ومعلوم من الدين بالضرورة، وهي لرفع الحرج والمشقة الواقعة على المكلفين، كرخص القصر، والفطر والجمع بين الصلاتين.

خامساً: ثبت في شريعتنا ما يمنع من التكلف والتنطع في دين الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾[3] وقوله ﷺ: «عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»[4].

سادساً: نقل الإمام الشاطبي الإجماع على عدم وجود التكليف بالمشاق غير المعتادة في الشريعة.

---

(١) أخرجه أبو بكر بن سلمان الفقيه في مجلس من الأمالي (١/١٦)، والخطيب في التاريخ (٢٠٩/٧)، وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد (٥/١٨) عن جابر مرفوعا بإسناد ضعيف، فيه مسلم بن عبد ربه، ضعفه الأزدي، وضعف إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٤٩/٤)، ولكن قال العلائي؛ كما في فيض القدير: (مسلم؛ ضعفه الأزدي، ولم أجد أحدا وثقه، ولكن له طرق ثلاث، ليس يبعد أن لا ينزل بسببها عن درجة الحسن).

وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٢/١) عن حبيب بن أبي ثابت مرفوعا، وهو مرسل.

وأخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢٠٤/٢) عن أبي أمامة مرفوعا: «إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكن بعثت بالحنيفية السمحاء»، وإسناده ضعيف.

وأخرجه أحمد في المسند (١١٦/٦، ٢٣٣)، عن عائشة، وفي آخره: «إني أرسلت بحنيفية سمحة» وسنده حسن، وحسنه ابن حجر في تغليق التعليق (٤٣/١) وفيه: (وفي الباب عن أبي بن كعب وجابر وابن عمر وأبي أمامة وأبي هريرة وأسعد بن عبد الله الخزاعي وغيرهم)، ونحوه في هدى الساري (ص١٢٠).

فائدة: استنبط منه الشافعية قاعدة إن المشقة تجلب التيسير انظر: فيض القدير (٢٠٣/٣)

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة ص الآية ٨٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله أدومه، رقم الحديث (٤٣).

سابعاً: لو قصدت المشقة في كل مرة وداوم عليها المكلف، لوجدت مشقة غير معتادة وحرج كبير، ممّا يفضي إلى ترك العبادة بالكلية والانقطاع عنها، وهذا النوع لم تأت به الشريعة الإسلامية، فشرع الله جل وعلا لنا الرفق والأخذ من الأعمال بما لا يحصِّل مللاً، ونبّه النبي ﷺ على ذلك فقال: «القصد القصد تبلغوا»[(١)] http://www.saaid.net/Doat/saud/4.htm - [13] لذلك نهى النبي ﷺ عن التنطع وقال: «هلك المتنطعون»[(٢)]، أما استدلالهم بحديث: «بني سلمة دياركم تكتب آثاركم»[(٣)].

فالجواب أن الحديث لا دليل فيه على قصد نفس المشقة، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ما يفسره فإنه ﷺ: «كره أن تُعرّى المدينة قِبَل ذلك، لئلا تخلو ناحيتهم من حراستها».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث (٦٤٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

المطلب الرابع

هل مقدار الأجر يكون على المشقة والجهد المبذول في العمل أم هو على ما ينتج عن العمل من منفعة وخير وصلاح؟

أقوال أهل العلم فيها:

القول الأول: إن الأجر على قدر المشقة.

قال القرافي -رحمه الله-: (والأصل أن قاعدة كثرة الثواب كثرة الفعل، وقاعدة قلة الثواب قلة الفعل؛ فإن كثرة الأفعال في القربات تستلزم كثرة المصالح غالباً)[(١)].

وقال السيوطي - رحمه الله - في القاعدة التاسعة عشرة: (ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً)[(٢)]؛ ومن ثم كان فصل الوتر أفضل من الوصل لزيادة النية والتكبير والسلام، وصلاة النفل قاعداً على النصف من صلاة القائم، ومضطجعاً على النصف من القاعد، وإفراد النسك أفضل من القِران[(٣)].

أدلة القول الأول:

أولاً: قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٤)].

---

(١) الفروق (١٣٣/٢).

(٢) الأشباه والنظائر (ص١٤٣).

(٣) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة (٧٣١/٢).

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٠.

ثانياً: قوله ﷺ لعائشة -رضي الله عنها-: «أجرك على قدر نصبك»(١).

ثالثاً: قوله ﷺ لما سئل عن أي الأعمال أفضل؟ قال: «أحمزها»(٢)، وأحمزها: أقواها وأشدّها.

رابعاً: عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: كانت ديارنا نائية عن المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقترب من المسجد فنهانا رسول ﷺ؛ فقال: «إن لكم بكل خطوة درجة»(٣).

خامساً: عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له أو قلت له: لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء. قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله»(٤)، وفي رواية: «إن لك ما احتسبت»(٥).

القول الثاني: إن الأجر على قدر المنفعة، وبه قال العز بن عبد السلام وابن تيمية والمقري والشاطبي وابن حجر رحمهم الله تعالى.

قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: (قد علمنا من موارد الشرع ومصادره أن مطلوب الشرع إنما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقة مصلحة، بل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه، رقم الحديث (١٢١١).

(٢) قال المزي: هو من غرائب الأحاديث، ولم يروى في شيء من الكتب الستة، انتهى.
انظر: المقاصد الحسنة (ص ١٣٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم الحديث (٦٦٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم الحديث (٦٦٣).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم الحديث (٦٦٤).

الأمر بما يستلزم المشقة بمثابة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المرّ البشع، فإنه ليس غرضه إلا الشفاء)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء؛ لا ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعته أمر الله ورسوله؛ فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل؛ فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل)[2]، وقال -رحمه الله-: (ولكن خير الأعمال ما كان لله أطوع ولصاحبه أنفع)[3].

وقال المقري -رحمه الله-: (الأجر على قدر تفاوت جلب المصالح ودرء المفاسد؛ لأن الله ﷻ لم يطلب من العباد مشقتهم ولكن الجلب والدفع)[4].

وقال الشاطبي -رحمه الله-: (ليس للمكلف أن يقصد المشقة في التكليف نظراً إلى عظم أجرها؛ فإن المقاصد معتبرة في التصرفات فلا يصلح منها إلا ما وافق الشارع. فإذا كان قصد المكلف إيقاع المشقة فقد خالف قصد الشارع من حيث إن الشارع لا يقصد بالتكليف نفس المشقة، وكل قصد يخالف قصد الشارع باطل، فالقصد إلى المشقة باطل، فهو إذن من قبيل ما ينهى عنه، وما ينهى عنه لا ثواب فيه بل فيه الإثم إن ارتفع النهي عنه إلى درجة التحريم، فطلب الأجر بقصد الدخول في المشقة: قصد مناقض)[5].

---

(١) قواعد الأحكام (١/٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٧١).

(٣) المصدر السابق (٢٢/٣١٣).

(٤) القواعد (٢/٤١١).

(٥) الموافقات (٢/٢٢٢).

وقال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: (قد علمنا من موارد الشرع ومصادره أن مطلوب الشرع إنما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقة مصلحة، بل الأمر بما يستلزم المشقة بمثابة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المرّ البشع، فإنه ليس غرضه إلا الشفاء)[(١)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (تقصد التعب في العبادة قد لا يكون فيه أجر، لكن إذا كانت العبادة لا تأتي إلا بالتعب كانت أفضل، وهذه مسألة ينبغي للإنسان أن ينتبه لها، وهي: هل تقصد التعب في العبادة أفضل أم الراحة؟ الجواب: الراحة أفضل، لكن لو كانت العبادة لا تأتي إلا بالتعب كانت المشقة والتعب أفضل فيها أجر ولهذا قال النبي ﷺ فيما يرفع به الدرجات ويكفر به الخطايا: إسباغ الوضوء على المكاره ولكن لا نقول للإنسان إذا كان يمكنك أن تسخن الماء، فالأفضل أن تذهب إلى الماء البارد وتتوضأ لا نقول هذا ما دام يسر الله عليك، فيسر على نفسك)[(٢)].

وقال ابن حجر - رحمه الله - معقباً على النووي - رحمه الله - في قوله: (ظاهر الحديث «أجرك على قدر نصبك» أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة): «وهو كما قال، لكن ليس ذلك بمطرد، فقد يكون بعض العبادة أخف من بعض وهو أكثر فضلاً وثواباً بالنسبة إلى الزمان كقيام ليلة القدر بالنسبة لقيام ليالٍ من رمضان غيرها، وبالنسبة للمكان كصلاة ركعتين في المسجد الحرام بالنسبة لصلاة ركعتين في غيره، وبالنسبة إلى شرف العبادة المالية والبدنية كصلاة الفريضة إلى أكثر من عدد ركعاتها أو أطول من قراءتها ونحو ذلك من صلاة النافلة، وكدرهم من الزكاة بالنسبة إلى أكثر من التطوع)[(٣)].

---

(١) قواعد الأحكام (١/٣٧).

(٢) الشرح الممتع، كتاب الصيام (٦/٤٨٤).

(٣) الفتح (٦/٣١١).

أدلة القول الثاني:

أولاً: الاستقراء؛ حيث استقرأ العلماء مصادر الشريعة ومواردها فوجدوا أنها لا تقصد الأمر بالشاق، ولا ترتب عليه كثرة الأجر بالدرجة الأولى.

والاستقراء قطعي ضروري لا يُناهض بأقل منه.

ثانياً: الأحاديث، ومنها:

- عن عقبة بن عامر أنه قال: نَذَرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية، فقال ﷺ: «إن الله لغني عن نذرها، مُرها فلتركب»(١).
- حديث جويرية –رضي الله عنها– في تسبيحها بالحصى أو النوى وقد دخل ﷺ عليها ضحى، ثم دخل عليها عشية، فوجدها على تلك الحال، فقال لها: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلتِ منذ اليوم لرجحت»(٢).
- قوله ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه؛ فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»(٣).
- أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال ﷺ: «مروه فليجلس وليتكلم وليتم صومه»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: النذر، باب: من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود ص ٥٠٤، رقم (٣٢٩٧)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم الحديث (٢٧٢٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: النذر، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية، رقم الحديث (٦٧٠٤).

وناقش الفريق الثاني أدلة القائلين بأن الأجر على قدر المشقة، وكانت ردودهم كما يلي:

- وجّه المقري الحديثين («أجرك على قدر نصبك» و«أفضل العبادات أحمزها» بأن ما كثرت مشقته قلّ حظ النفس منه، فكثر الإخلاص فيه، وبالعكس فالثواب في الحقيقة مرتب على الإخلاص لا المشقة)[1].
- رد الشاطبي وغيره على من استدل على أن الشريعة تقصد إلى التكليف بالشاق بأمور:

أولاً: هذه الأحاديث لا دليل فيها على قصد المشقة؛ فحديث جابر جاء بما يفسره عند البخاري في زيادة مفادها "أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم، فينزلوا قريباً من النبي ﷺ، قال: فكره رسول الله ﷺ، أن يعروا المدينة، فقال: «ألا تحتسبون آثاركم؟!»، قال ابن حجر: (نبه بهذه الكراهة على السبب من منعهم من القرب من المسجد، لتبقى جهات المدينة عامرة بساكنها)[2].

ثانيا: إن ما أوردوه معارض بنهي رسول الله ﷺ للذين أرادوا التشديد بالتبتل حين قال أحدهم: «أما أنا فأصوم ولا أفطر»، وقال الآخر: «أما أنا فأقوم ولا أنام»، وقال الثالث: «أما أنا فلا آتي النساء»؛ فأنكر ذلك عليهم وأخبر عن نفسه أنه يفعل ذلك كله، وقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[3].

وفي الحديث: «رد التبتل على عثمان بن مظعون، ولو أذن له لاختصينا»[4].

- أمر آخر يضيفه الشاطبي وهو التدليل على أن الشرع لم يقصد من التكليف بالمشاق الإعنات فيه بما يلي:

---

(١) القواعد (٢/٤١١).

(٢) الفتح (٢/١٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم الحديث (٥٠٦٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء،رقم الحديث (٥٠٧٣).

أولاً: النصوص الدالة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(1).

ثانياً: ما ثبت أيضاً من مشروعية الرخص، كالقصر والفطر ونحوهما.

ثالثاً: الإجماع على عدم وقوعه وجوداً في التكليف، وهو يدل على عدم قصد الشارع إليه، ولو كان واقعاً لحصل في الشريعة التناقض والاختلاف.

الترجيح:

مما سبق عرضه من الأدلة والأقوال والاعتراضات الواردة عليها يتبين أن الراجح هو القول الثاني، للأمور الآتية:

- الأدلة العامة القوية التي بينت أن الشريعة تهدف إلى جلب المصالح ودرء المفاسد بوسائل ليس فيها تعنت وتشديد على العباد، منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(2).
- سلامة أدلة القائلين بهذا القول من الاعتراضات؛ حيث لم يعترض القائلون بأن الأجر على قدر المشقة على أدلتهم.

وأخيراً:

فما أجدر الدعاة إلى تفهم هذه القاعدة، وتلقينها لكل من سلك طريق الدعوة؛ حيث يطغى الحماس أحياناً خدمة لدين الله – سبحانه – ونشراً لدعوة الله، فيرى السالك أنه كلما بذل جهداً ازداد أجراً دون النظر إلى العائد الذي يعود به على الدعوة، فيقع في الخبط والفوضى، وأحياناً يفسد أكثر مما يصلح.

فكانت هذه القاعدة لتبين لهذا الصنف أنه ليس المقصود أن يتعب نفسه بل المقصود نشر الدين، وإن أدى ذلك إلى جهد ومشقة فلن يحرم أجرها ﴿مَا كَانَ

---

(1) سورة الحج الآية ٧٨.

(2) سورة البقرة الآية.

﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(١)].

كما أن هذه القاعدة تحتاج إلى اجتهاد في تحقيق المناط والموازنة بين المشقة المصاحبة للعمل والمنفعة العائدة من العمل، فإنه كثيراً ما تبذل جهود عظيمة لخدمة دين الله ونشر الدعوة، وبمقارنة مع المنفعة تكون إهداراً للطاقات والجهود في غير المكان المناسب، وهذا لا ينبغي في دين الله.

لذا وجب الرجوع إلى العلماء العاملين الربانيين أهل الفقه في دين الله، والبصيرة بالدعوة إلى الله، والخبرة في ميدان العمل، فهم أهل الاجتهاد في هذا الباب، ويجب الرجوع إليهم والانتظام معهم؛ لتتوجه الطاقات والجهود المهدرة إلى المكان المناسب، في الظرف المناسب، للمرحلة المناسبة.

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٠.

المطلب الخامس

عبارة الأجر على قدر المشقة

من أقاويل الصوفية (الأجر على قدر المشقة) وهي غير مستقيمة على أطلاقها، وصوابها: (الأجر على قدر المنفعة) أي منفعة العمل وفائدته كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

قال العلامة بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية (ص٨٠): (الأجر على قدر المشقة: هذه العبارة من أقاويل الصوفية، وهي غير مستقيمة على إطلاقها، وصوابها: (الأجر على قدر المنفعة) أي منفعة العمل وفائدته كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره).

وهذا كلام شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: (مما ينبغي أن يُعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق، حتى يكون العمل كل ما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء، لا !ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله؛ فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل، فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل.ولهذا لما نذرت أخت عقبة بن عامر أن تحج ماشية حافية؛ قال النبي ﷺ: «إن الله لغني عن تعذيب أختك نفسها، مرها فلتركب»، وروي: أنه أمرها بالهدي، وروي بالصوم. وكذا حديث جويرية في تسبيحها بالحصى أو النوى، وقد دخل عليها ضحى ثم دخل عليها عشية، فوجدها على تلك الحال، وقوله لها: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لرجحت».

وأصل ذلك أن يعلم العبد أن الله لم يأمرنا إلا بما فيه صلاحنا، ولم ينهانا إلا عما فيه فسادنا، ولهذا يثني الله على العمل الصالح، ويأمر بالصلاح والإصلاح وينهى عن الفساد.

فالله سبحانه إنما حرم علينا الخبائث لما فيها من المضرة والفساد، وأمرنا بالأعمال الصالحة لما فيها من المنفعة والصلاح لنا، وقد لا تحصل هذه الأعمال إلا بمشقة؛ كالجهاد، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وطلب العلم؛ فيحتمل تلك المشقة ويثاب عليها لما يعقبه من المنفعة، كما قال النبي ﷺ لعائشة لما أعتمرت من التنعيم عام حجة الوداع: «أجرك على قدر نصبك»، وأما إذا كانت فائدة العمل منفعة لا تقاوم مشقته؛ فهذا فساد، والله لا يحب الفساد.

ومثال ذلك منافع الدنيا، فإن من تحمل مشقة لربح كثير أو دفع عدو عظيم كان هذا محموداً، وأما من تحمل كلفاً عظيمةً ومشاقاً شديدةً لتحصيل يسير من المال أو دفع يسير من الضرر كان بمنزلة من أعطى ألف درهم ليعتاض بمئة درهم، أو مشى مسيرة يوم ليتغدى غدوة يمكنه أن يتغدى خيراً منها في بلده.

فالأمر المشروع المسنون جميعه مبناه على العدل والاقتصاد والتوسط الذي هو خير الأمور وأعلاها؛ كالفردوس؛ فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، فمن كان كذلك فمصيره إليه أن شاء الله تعالى.

هذا في كل عبادة لا تقصد لذاتها؛ مثل الجوع، والسهر، والمشي.

وأما ما يُقصد لنفسه؛ مثل معرفة الله، ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه؛ فهذه يشرع فيها الكمال، لكن يقع فيها سرف وعدوان بإدخال ما ليس منها فيها، مثل أن يدخل ترك الأسباب المأمور بها في التوكل، أو يدخل استحلال المحرمات وترك المشروعات في المحبة؛ فهذا هذا، والله سبحانه وتعالى أعلم)[1].

سئل العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: هل يتعمد المسلم المشقة لحديث: «أجركِ على قَدْرِ مشقَّتِكِ»؟

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٧١).

الجواب: أرأيت الآن لو كان الماء حارًا يشق عليك: هل الأفضل أن تتوضأ بالماء الحار أم بالماء المناسب؟ أيهما أشق؟ الحار.

إذا كان عليه جنابة في ليالي الشتاء، هل الأرفق بِهِ أنْ يسخن الماء ويغتسل، أو يغتسل بالماء البارد؟ الماء البارد أسهل وأفضل، الحديث يقول: (إذا تعبتِ في العمرة) ما قال: اتعبي فيها. أي: إذا تعبتِ في العمرة وزاد العمل؛ فالأجر على قدرِ التعب، إنسان مثلاً يذهب إلى المسجد ويصلي جماعة ويتعب بعض الشيء، وإنسان يذهب بسهولة، الأول يؤجر على مشقته؛ لكن لا نقول: اطلب الإشقاق على نفسك؛ بل إن طلب الإشقاق على النفس من الأمور المذمومة؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص أن يصوم كل الدهر، وأن يقوم كل الليل؛ لما فيه من المشقة. واقرأ قول الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾[1].

أمَّا: «أجركِ على قدْرِ نَصَبِكِ»؛ فالمعنى: أنَّكِ إذا تعبت في نسككِ فلكِ أجر على التعب؛ كإنسان يطوف والمطاف واسع، وإنسان يطوف بمشقة، الثاني أكثر أجرًا من الأول؛ لكن لا نقول: انتظر حتى يوجد الزحام الشديد وطف[2].

(١) لقاء الباب المفتوح (اللقاء: ١٩/السؤال: ٢١).

(٢) سورة النساء الآية ١٤٧.

المطلب السادس

فقه الدعوة في ضوء التيسير ورفع الحرج[١]

التيسير على الناس ورفع الحرج والمشقة عنهم من المقاصد العظيمة في الدعوة إلى الله ﷻ، كما قال تعالى في شأن الرسول ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[٥]، والآيات الدالة على يسر الشريعة والدين في كتاب الله العزيز كثيرة متضافرة.

والأحاديث الواردة في بيان أهمية هذا المقصد العظيم، ومكانته كثيرة متظافرة أيضا، حتى قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع"[٦]، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»[٧].

---

(١) فقه الدعوة الإسلامية في ضوء المقاصد الشرعية للدكتور: بشير عبد العالي شمام.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٥.

(٤) سورة النساء الآية ١٢٨.

(٥) سورة الحج الآية ٧٨.

(٦) الموافقات: ١/٥٢٠.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لاَ يَكُونُ طَلاَقًا إِلاَّ بِالنِّيَّةِ. حديث رقم: ٣٧٦٣.

وكان ﷺ يذكر بهذا المقصد العظيم، ويحلّي به وصاياه للدعاة، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروح وشيء من الدُّلجة»(٢)، وعنه أيضا قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا أَىْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاَةُ، وَالصِّيَامُ، وَالْجِهَادُ، وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلاَ نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ..حديث رقم: ٤٦٢٢.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الوحي، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، حديث رقم: ٣٥١.

قَبۡلِنَاۚ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ قَالَ: نَعَمْ[(١)].

فما على الداعية إلى الله إلا أن يسلك في دعوته التيسير والبشارة[(٢)]، وأن يترفق بالناس، ولا يحمّلهم ما لا يطيقون، حتى في العقيدة عليه التركيز على أصولها وأركانها، وما يجب على المكلف اعتقاده، في حق الله ورسوله، والإقرار بجميع ما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتصديقه في كل ما أمر به ونهى عنه، والانقياد له في جميع ذلك، كل ذلك على سبيل الإجمال، وأما التفصيل فلكل مكلف على حسب ما يطيق[(٣)].

وليكن له في سنة الله مع الخلق عبرة، (وذلك أن الله ﷻ خلق الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾[(٤)]، ثم وضع فيهم العلم بذلك على التدريج والتربية؛ تارة بالإلهام كما يلهم الطفل التقام الثدي ومصه، وتارة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، رقم الحديث (١٢٥).

(٢) ومن الأولويات عند الدعاة الدعوة إلى العقيدة، قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾، سورة يوسف: الآية ٣٩.

قال البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/١٦٤): (وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة، بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فإن استحقاق العبادة إما بالذات وإما بالغير وكلا القسمين منتف عنها، ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه. ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤/٣٢٧-٣٢٨) بتصرف.

(٤) سورة النحل الآية ٧٨.

بالتعليم؛ فطلب الناس بالعلم والتعلم لجميع ما يستجلب به المصالح وكافة ما تدرأ به المفاسد؛ إنهاضا لما جبل فيهم من تلك الغرائز الفطرية، والمطالب الإلهامية؛ لأن ذلك كالأصل للقيام بتفاصيل المصالح -كان ذلك من قبيل الأفعال، أو الأقوال، أو العلوم والاعتقادات، أو الآداب الشرعية أو العادية[1].

فالداعية إذا علَّم الناس أصول الإيمان على الإجمال، أو وجدهم بها عالمين، كان الأولى به أن يركِّز لهم على مقتضيات الإيمان وآثاره، وربط ذلك بواقع حياتهم، وهذا أجدى وأنفع من المضي بهم إلى مزيد من المسائل والفروع التي لا يحتاجها إلاّ المتخصصون، أو هي من القضايا الميتة التي عفا عليها الدهر وخاض فيها أناس بحسب ما اقتضاه عصرهم، وقد مضى عصرهم، ومضت قضاياه، واستقبلنا نحن عصراً جديداً بقضايا وتحديات جديدة، فلتكن دعوتنا مواكبة للعصر انطلاقاً من ثوابت الدين لا من متغيرات العقول والعصور.

وعن يسر العقيدة وخُلوها من التعقيد يقول الشاطبي -رحمه الله-: (ومنها أن تكون التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسع الأمي تعقلها ليسعه الدخول تحت حكمها، أما الاعتقادية فأن تكون من القرب للفهم والسهولة على العقل بحيث يشترك فيها الجمهور، من كان منهم ثاقب الفهم، أو بليداً، فإنها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص لم تكن الشريعة عامه، ولم تكن أمية، وقد ثبت كونها كذلك)[2].

ومن التيسير في مجال الدعوة أن يعامل من كان ذا شأن في الدولة أو في قبيلته بالتي هي أحسن ويرفق به، حتى لا يترتب على الإغلاظ إليه ما هو شر من منكره، وما هو أقبح من عمله، والدليل على ذلك: أنه ﷺ كان يعامل رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول بتلطف، ولم يشتد عليه لأنه كان رئيسا لقومه ويخشى من عصبية قومه

---

(١) الموافقات ١/٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) الموافقات (٢/٨٨).

له فيكون من ذلك فتنة للجماعة، لذلك كان النبي ﷺ يرفق به حتى مات عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: غزونا مع رسول الله ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع[١] أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا، حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا للأنصار ... وقال المهاجري: يا للمهاجرين ... فخرج النبي ﷺ فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال ما شأنهم؟». فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها خبيثة».

وقال عبد الله بن أبي سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث ؟ لعبد الله فقال النبي ﷺ: «لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه»[٢].

(١) الكسع أن تضرب بيدك أو برجلك بصدر قدمك على دبر إنسان، لسان العرب لابن منظورر مادة (كسع)، ٣٠٩/٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب:المناقب باب: باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، رقم الحديث: ٣٣٣٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أفضل خلق الله، وبعد:

فقد أنعم الله علي بإتمام هذا البحث فله تمام الشكر وأكمله، وأسأله أن ينفع به، ويعظم الأجر والمثوبة لكاتبه وقارئه ومن استفاد منه. ولا أدعي فيه الكمال، ولكني بذلت فيه جهدي وفكري مع اعترافي بالتقصير والنقص البشري، فما كان فيه من صواب فذلك فضل الله وتوفيقه، وما كان فيه من نقص أو تقصير فهو مني وأسأله العفو والغفران. وفي ختامه ألخص أهم نتائجه وتوصياته في الآتي:

١. القواعد الشرعية لها أهمية كبرى وخصوصا في المجال الدعوي
٢. مكانة قاعدة المشقة تجلب التيسير وذكر بعض الفروع الدعوية.
٣. معنى التيسير وذكر ضوابطه وشروطه وأثره في الدعوة إلى الله.
٤. نظرة على التيسير المعاصر.
٥. ذكر أقسام المشقة وقواعدها.
٦. المشقة لا تقصد في الشريعة الإسلامية.
٧. الأجر يكون على قدر المنفعة لا على قدر المشقة.
٨. بيان فقه الدعوة في ضوء التيسير.

وفي الختام أسأل الله الذي خلقنا من العدم، وأسبغ علينا وافر النعم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، أن ينفعنا بما جاد به الفكر وسطره القلم، ويغفر لنا ما زل به الفهم أو حاد به القلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للدكتور عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.

٤. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الكريم الدريني، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦. التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، لفهد بن صالح العجلان، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٧. الحاوي للفتاوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام النشر: ١٤٢٤هـ.

٨. العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام، جمع وترتيب اللجنة العلمية بجمعية الترتيل تحت إشراف الشيخ محمد عبد العزيز أبو النجا الخبير بمجمع فقهاء الشريعة وعضو الاتحاد العلمي لعلماء المسلمين بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، قدم له، أ. د. محمد نعيم محمد هاني الساعي أستاذ الفقه وأصوله وعضو مجمع فقهاء الشريعة وعضو لجنته الدائمة للإفتاء، الطبعة الثالثة.

٩. فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، د. عبد السلام عيادة، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

١٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٦هـ.

١١. الفروق "أنوار البروق في أنواء الفروق"، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٢. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

١٣. قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، لعابد الثبيتي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

١٤. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، لمحمد الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٥. كيف نفهم التيسير، لفهد بن سعيد، دار المحدث، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

١٦. لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

١٧. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ.

١٨. معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
١٩. منهج التيسير المعاصر- دراسة تحليلية -، لعبد الله بن إبراهيم الطويل، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
٢٠. الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٦	قواعد النشر
٩	المقدمة
١١	بلاغة الخطاب الدعوي في سورة نوح عليه السلام
١١٣	آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم
٢٥٧	المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي
٣٢٣	تعزيز ثقافة وقف الوقت
٣٦١	المسئولية الدعوية للداعي إلى الله تعالى في عيادات التجميل
٤٢٧	قاعدة المشقة تجلب التيسير دراسة دعوية تأصيلية
٥١٥	الفهرس

بصيرة

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤيـــة :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرسـالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-

- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

مطابع الجامعة

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة والاحتساب
صندوق البريد :٤٨٤٧ الرمز البريدي : ١١٤١٢ هاتف : ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٥١٣٢
البريد الإلكتروني : bsserah@gmail.com

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

بصيرة

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثامن - رجب ١٤٣٧هـ

٨

عناوين الأبحاث:

- دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم- دراسة تحليلية -.
- بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.
- الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد).
- منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.
- استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين – الإستراتيجية التضامنية أنموذجا-.
- المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها "دراسة ميدانية تقويمية".
- المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثامن

رجب ١٤٣٧هـ

المراسـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١١- ٠٠٩٦٦

ردمد: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعـد النشـر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١-أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢-أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣-أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤-أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥-أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦-أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧-أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨-أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١-توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢-تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣-توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية-والانجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

قال سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

"ليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة أنّ العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كلّه في أشدّ الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجليّة التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضّح لهم أحكامه ومحاسنه"[(١)].

وعلى هذا فإنا نحسب أن ما نقدّمه في هذا العدد الثامن من أعداد "مجلة الدراسات الدعوية" والذي يصدر من الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في ثوب علمي رصين محكّم، هو نوع مشاركة علمية في إيضاح بعض أحكام الإسلام ومحاسنه في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

وقد اشتمل هذا العدد على الأبحاث العلمية الآتية:

١. دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القران الكريم "دراسة تحليلية".
٢. بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.
٣. الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد).
٤. منهج الدعوة الاسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي
٥. استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين "الاستراتيجية التضامنية أنموذجا".

---

(١) من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الدعوة، زياد محمد السعدون، ص ٢٢.

٦. المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها "دراسة ميدانية تقويمية دعوية لآراء جمهور مجلة الدعوة السعودية نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها".

٧. المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية.

نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني bsserah@gmail.com، وتقديم الجديد النافع،،، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصى ونتواصل...

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

"دراسة تحليلية"

إعداد

د. محمد بن إبراهيم بن أحمد الزهراني

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمـة

أهمية الدراسة:

يعد الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أحد عوامل التأثير في المدعو منذ العهد النبوي حتى عصرنا الحاضر، ويأتي هذا التأثير من طبيعة الإعجاز التشريعي الذي استوعب جميع أحوال البشر، فقد نزل القرآن الكريم على نبي أمي في أمة أمية، فكانت تشريعاته سبباً في هداية كثيرٍ من المدعوين إلى نور الله، فأبدلت شركهم توحيداً خالصاً لله تعالى، وهذبت أخلاقهم وتمت مكارم الأخلاق، فأصبح المدعوون يصرفون عبادتهم لله وحده، وفي المقابل ترى في العصر الحديث عددًا من علماء الغرب ومفكريه يشيد بتشريعات القرآن الكريم، بل ذهب بعض مفكريه إلى المطالبة بتطبيقها في ديارهم، من هنا يظهر تأثير الإعجاز التشريعي على النخب الغربية.

كما يعزز ويؤكد هذا صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وأن هذه الدعوة خالدة إلى يوم القيامة، من هنا رأى الباحث أهمية دراسة هذا المجال الدعوي.

أسباب اختيار الدراسة:

١- الحاجة إلى تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٢- الرغبة في توظيف أساليب دعوية معاصرة ومؤثرة مع المدعوين.

٣- جمال وروعة الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم جديرة بالدراسة الدعوية.

أهداف الدراسة:

١- تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٢- بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم الموظفة في الدعوة إلى الله.

٣- التعرف على الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٤- الوقوف على تأثر عدد من النخب الغربية بالإعجاز التشريعي.

منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة دراسة نظرية، ولهذا وظف الباحث المنهج الكيفي في جمع معلومات الدراسة، ويتضمن هذا المنهج وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والسجلات بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة[(١)]، فتم توظيفه في جمع معلومات الدراسة المتعلقة بمفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، والوقوف على موضوعاته وأبرز القضايا الدعوية فيها، ومن ثم الوقوف على تأثر عدد من النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

تقسيمات الدراسة:

مقدمة: أهمية الدراسة - أسباب اختيار الدراسة - أهداف الدراسة - منهج الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وأوجهه الإعجازية.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة.

المطلب الثاني: أوجه إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

---

(١) انظر: البحوث الإعلامية - أ.د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان - الرياض - ط١ - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- ١٤.

المطلب الأول: موضوعات الدعوة المتعلقة بالعقيدة.

المطلب الثاني: موضوعات الدعوة المتعلقة بالأحكام.

المطلب الثالث: موضوعات الدعوة المتعلقة بالأخلاق.

المبحث الثالث: إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية.

المطلب الأول: استجابة بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: شهادة بعض النخب الغربية في الدعوة الإسلامية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

القوائم.

المبحث الأول

مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وأوجهه الإعجازية

المطلب الأول

التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة

لتجلية مفهوم دعوة النخب الغربية بإعجاز القرآن التشريعي لابد من الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة، للخروج بتصور علمي يوضح المقصود بتلك المصطلحات مجتمعة مع بعضها، إذ أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يمكن فهم مسار بحث علمي دون تحديد مكوناته العلمية وحدود مجالاته، ولهذا سأتحدث عن مصطلحات الدراسة مصطلحاً مصطلحاً:

أولاً: مفهوم الدعوة:

وردت الدعوة في اللغة بمعان عدة أبرزها :

الطلب والسؤال والنداء والتجمع والدعاء والاستمالة ، والدعوة مصدر للفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة ، والدعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء[1] ودعاه: صاح بـه، ومنه الدعاء الأدعية [2] .

ويقال: دعا بالشيء طلب إحضاره ، ودعاه إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على

---

(١) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس - محمد الزبيدي - المطبعة الخيرية ، مصر - ١٠ ، ٢٧ (مادة دعا) وانظر: القاموس المحيط ـ للفيروز آبادي ـ دار الرسالة ـ ١٦٥٥ .

(٢) انظر : الصحاح ـ إسماعيل الجوهري ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، ٦/ ٢٣٣٦ ـ ٢٣٣٨ .

اعتقاده وساقه إليه[1].

وقد تكون الدعوة دعوة حـــق أو دعـــوة باطـــل ، فمن الحـــق قوله تعالـــى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[2] ومن دعوة الباطل دعوة الشيطان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾[3] .

والأصل في مفهوم الدعوة اعتماده على البيان والكلام: أي تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك [4] .

وأما الدعوة في الاصطلاح فيراد بها أحد معانٍ ثلاثة :

أولها : الدين أو الإسلام، وثانيها: عملية النشر والبلاغ، وثالثها: الفن المستقل بذاته عن الفنون الشرعية [5].

١ ــ الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة :

وعلى هذا المعنى عرفها بعض العلماء بأنها:

«الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط»[6].

وقيل هي : **«نداء الحق إلى الخلق ، ليوحدوا المعبود ، ويعبدوا الواحد ،**

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية- دار إحياء التراث العربي- بيروت -بدون رقم وتاريخ ٢٨٦/١.

(٢) سورة الرعد ، الآية : (١٤) .

(٣) سورة فاطر ، الآية : (٦) ، وانظر : مدخل إلى علم الدعوة- أ. د. عبد الرب نواب الدين- دار العاصمة الرياض ط ١ - ١٤١٣هـ- ٧ .

(٤) انظر : مقاييس اللغة ــ أمين قاسم- دار الفكر - بيروت- بدون رقم وتاريخ- ٢٧٩/٢ .

(٥) انظر : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ــ أ.د. عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي ، ط ١ - ١٤٢٠هـ ــ ١٨ .

(٦) الدعوة الإسلامية أصولها ومسائلها ــ أ.د . أحمد أحمد غلوش ــ دار الكتاب المصري ، القاهرة ط ٢ ١٤٠٧ ــ ١، وانظر الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ــ محمد سعيد الباردوي ــ دار الوفاء للنشر والتوزيع ــ جدة ط ١ ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٥ - ٢٥ . وانظر : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ــ محمد الراوي ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ ط ٣ ١٤١١هـ ــ ٣٩ .

حنفاء لله غير مشركين به متبعين غير مبتدعين»[(١)] .

(٢) الدعوة بمعنى النشر والبلاغ :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : **«إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه»[(٢)] .**

ومن تعريفات المعاصرين للدعوة : **«تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة»[(٣)] .**

(٣) الدعوة كفن مستقل بذاته :

«هي علم يبحث فيه عن الكيفية التي تتم بها إمالة الناس إلى الإسلام، وإقناعهم باتباعه على مر الزمان، حسب المنهج الشرعي الصحيح»[(٤)] .

---

(١) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته ـــ د . محمد الأحمدي ـــ بدون رقم وتاريخ ـــ ١٩ ، وانظر : الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة ـــ الهدف ـــ د . توفيق الواعي ـــ دار اليقين ، مصر ، ط ٢ ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٥ م ـــ ١٨.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـــ جمع عبدالرحمن بن قاسم ـــ دار عالم الكتب ـــ الرياض ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م ، ١٥/ ١٥٦ .

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ـــ أ.د . محمد أبو الفتح البيانوني ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ ط ١ ، ١٤٠٤هـ، ١٧.

وانظر : مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ـــ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـــ ط ١ ، ١٤٠١هـ ـــ ٢٤ وانظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ـــ د . محمد سيدي بن الحبيب ، الناشر عبدالله محمد الشنقيطي ، ط ٢ ، بدون تاريخ ـــ ٢٧ .

(٤) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢١ ، محرم ١٤١٩هـ ـــ تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه ـــ د . عبدالرحمن بن سليمان الخليفي ـــ ٢٤٣ .

وانظر : مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ـــ علي المرشد ، مكتبة لينة ، دمنهور ـــ ١٤٠٩هـ ـــ ٢١ .

هذا وقد أراد الباحث المعنى الثاني للدعوة ، وهو عملية النـــشر والـــبلاغ، والحث على التمسك بتعاليمه .

ثانياً: مفهوم النخب الغربية:

لغة: النخب جمع نخبة وهو المختار من كل شيء، وهم مجموعة غالباً تكون صغيرة وتمتاز بالثقافة(١).

وأما في الاصطلاح: فهي صفوة أو طليعة، تمتلك مؤهلات فكريـــة مثـــل: الخبرة، والمهارة، والمعرفة التي تؤهلها لإدارة مفاصل معينة من الدول الحديثـــة(٢)، وأعني بها في هذا البحث مفكري الغرب ومثقفيهم.

ثالثاً: مفهوم الإعجاز:

الإعجاز في اللغة مصدر أعجز، والعجز نقيض الحزم والتعجيز هو التثبـــيط، والمعجزة واحدة المعجزات، وعجز الإنسان أي ضعفه وعجز عن الأمر أي قـــصر عنه(٣).

وكلمة العجز عدم القدرة على إتيان الأمر، قال تعالى حكاية عن ابن آدم: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾(٥).

---

(١) انظر: لسان العرب- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري- دار صادر - بيروت- ط٣- ١٤١٤هـ- فصل النون - ٧٥١ .

(٢) انظر: فاضل ثامر، جريدة تاتوو، النُّخبة الثقافية العراقية، السبت ١٩-٠١-٢٠١٣ : http://www.tatoopaper.com/news.php?action-view&id-١٠٦٦، وانظر: عبدالجبار محسن: النُّخبة ودورها، تاريخ الدخول على الصفحة ٢٠/١١/١٤٣٦هـ، موقع الحقيقة : http://www.factjo.com/pages/memberdetails.aspx?id-٩٠٠

(٣) انظر لسان العرب ــ لابن منظور ـــ ٤/٦٩١.

(٤) سورة المائدة، الآية: (٣١).

(٥) سورة الشورى، الآية: (٣١).

ومنه عجز الخلق عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[1]. أي عدم قدرتهم عن الإتيان بمثل القرآن الكريم.

وأما الإعجاز اصطلاحاً فهو: «أمر يعجز عنه البشر متفرقين أو مجتمعين، أو هو أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه»[2].

ويرد على هذا التعريف أن المعجزة خارقة للخلق وليس للبشر فقط، كما يرد عليه تقييده أن الأمر الخارق يحدث مع مدعي النبوة عند دعواه، وهذا يخرج كثيرًا من معجزات الأنبياء التي حدثت قبل مبعثهم أو حدثت في غير مقام ادعاء النبوة كتكثير الماء والطعام وغيرها كثير .

وقد عرف بعض المعاصرين المعجزة بأنها: **«أمر يجريه الله على يد نبيه، أو علم يبديه من قوله، لا يقدر أحد عن الإتيان بمثله في زمانه يكون دليلاً على نبوته لخروجه عن طاقة الخلق»[3].**

ولعل هذا التعريف أجمع التعاريف وأمنعها وهو المختار لدي.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٨).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - ط١- ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م- ٦٥.

(٣) الإعجاز العملي في السنة النبوية - د. صالح أحمد رضا- مكتبة العبيكان - الرياض -ط١- ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م -٢١

رابعاً: مفهوم القرآن:

القرآن لغة: اتفق أهل العلم رحمهم الله على أن لفظ "قرآن" اسم وليس بفعل ولا حرف، قال الزرقاني: (أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المترل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق، فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف، وإذا دخلته (ال) بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف)[2]، وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض، ولقد أصبح القرآن علماً شخصياً على كلام الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[3] .

وأما القرآن في الاصطلاح فهو:

«كلام الله المترل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر»[4].

خامساً: مفهوم التشريعي:

لغة: نسبة للتشريع فالياء للنسب، والتشريع مصدر للفعل شرَّعَ، والشريعة هي الطريقة المستقيمة. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا

(١) سورة القيامة، الآيتان: (١٧ – ١٨).

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني– محمد عبدالعظيم الزرقاني – ط٣– ١/ ١٤.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (قرأ) :١/١٢٨ .

(٤) مباحث في علوم القرآن –مناع القطان – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع –ط٣–١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م – ١٧٠؛ وانظر: مناهل العرفان – الزرقاني: ١/ ٢١، وانظر: عظمة القرآن الكريم–محمود بن أحمد بن صالح الدوسري– دار ابن الجوزي– ط١– ١٤٢٦– ـ٤٩.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ (١)، كما تطلق العرب الشريعة على مورد الماء، ومنه قولهم: وردت الإبل شريعة الماء(٢).

اصطلاحاً: الهدايات الواردة في الكتاب والسنة المتعلقة بتنظيم جميع شؤون الحياة العقدية والفقهية والأخلاقية.

فليس المقصود بالتشريعي الأحكام الفقهية فقط، بل الفقهية والعقدية والأخلاقية بشتى تشريعاتها وهداياتها.

وبعد الوقوف على مفاهيم مصطلحات الدراسة خرج الباحث بتصور علمي عن مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

إذ يمكننا القول بأن المراد به هو: **إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام، بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية تنظم حياة المدعو، وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها.**

محترزات التعريف:

إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام: خرج به كل إمالة إلى غير الإسلام، كما خرج به غير مفكري الغرب.

بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية: خرج به الهدايات الواردة في الحديث القدسي والحديث النبوي الصحيح، كما خرج به كل شرع أوحي إلى الأنبياء السابقين، وأيضاً خرج به بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم.

عن الإتيان بمثلها: خرج به جميع التشريعات التي أتى بها الخلق، التي هي ضمن قدرة بعض المفكرين والمشرعين.

وبعد الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة، ناسب أن أذكر أوجه إعجاز القرآن الكريم، للوقوف على الفرق بينها وبين الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وهذا ما سأتناوله في المطلب الثاني.

---

(١) سورة الجاثية، الآية: (١٨).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم – ٢/٣١٥ .

المطلب الثاني

أوجه إعجاز القرآن الكريم

عندما نتحدث عن إعجاز القرآن الكريم لابد من الإشارة إلى وجوه إعجاز القرآن الكريم، إذ تعددت أقوال العلماء في ذلك، وليس هذا مقام بسطها ولكن يمكن القول بأن وجوه الإعجاز القرآني في مجملها تعود إلى أربعة وجوه هي:

١-الإعجاز البياني:

هو البيان الذي أسر عقول المدعوين العرب ملوك الفصاحة والبيان، وسلب إرادتهم، وانحنوا لقوة تأثيره في نفوسهم، فسيطرت عليهم الحيرة والعجب، فلم يستطيعوا الإتيان بآية منه، وهم أسياد البلاغة والكلمة والحرف، واستقر في نفوسهم أن هذا ليس كلام البشر بل هو كلام الله جل في علاه، فآمن منهم من آمن، وتحمل في سبيل ذلك ألوان العذاب والتنكيل، ومنهم من أبى واستكبر واستمر في غيه وطغيانه مُعرِضاً عن دعوة الإسلام.

وأمام إعراضهم عن الدعوة الإسلامية تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فكسر غرورهم وعنادهم، وأظهر عجز ملوك الفصاحة أمام بيان القرآن، ولم يكن لأحد من أولئك المدعوين أن يتجرأ على ارتكاب حماقة معارضة القرآن، لعجزهم أولاً، ولكي لا يكون أضحوكة بين العرب، سوى مسيلمة الكذاب الذي أتى بالمضحكات، فبعد سماعه سورة النازعات قال: «والزارعات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والخابزات خبزاً» وأصبح كلامه المفترى مضحكات تروى بين العرب(١)، وهكذا ظهر عجز المدعوين أمام إعجاز القرآن البياني، ولهذا يقول ابن عاشور: إن الله تعالى تحدى بلغاءهم أن يأتوا

(١) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الدمشقي- تحقيق: موسى الدويش- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٥هـ- ١/٤٨٧ .

بسورة من مثله، فلم يتعرض واحد إلى معارضته اعترافاً بالحق، وَرِبْئاً بأنفسهم عن الافتضاح، مع أهم أهل القدرة في أفانين الكلام[1].

٢- الإعجاز التشريعي:

لقد جاء القرآن الكريم كتاب هداية للمدعوين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وينظم لهم شؤون حياتهم، ويبين لهم الحلال من الحرام، ورغم أن المدعوين في مجتمع أمي يصعب تغيير قناعاته تجاه عبادات وعادات شتى، إلا أن هذا القرآن بإعجازه التشريعي غَيَّر سلوك المدعوين، بل إن استجابتهم لتعاليمه ولنوره كانت ضرباً من المستحيل في معايير البشر لذا نالت إعجاب المفكرين، فأصبح بعض غير المسلمين ينادون بتطبيق بعض تشريعات القرآن الكريم في بلدانهم الغربية، يقول المستشرق الألماني جوزيف شاخت: **من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى بالشريعة، فالشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون، إلى حد أن دراستها أمر لا غنى عنه لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديراً كافياً، إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشمل شعائر دينية وقواعد سياسية وقانونية**[2]، وهذا تأكيدٌ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[3]، وسيأتي مزيد تفصيلٍ عن إعجاز القرآن التشريعي، إذ هو محور هذه الدراسة العلمية.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤هـ- ١٠٦/١، وانظر: الإتقان في علوم القرآن - عبدالرحمن السيوطي- ٢٢٩/٢.

(٢) انظر: تراث الإسلام- جوزيف شاخت ومعه آخرون - ترجمة محمد زهير - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - ١٩٧٨م- ٩/٣ .

(٣) سورة المائدة، آية: (٣) .

٣- الإعجاز الغيبي:

لقد تضمن القرآن الكريم أخباراً غيبية كثيرة، فمنها أخبار غيب الماضي التي ورد كثير منها في قصص الأنبياء ومدعويهم، كقصة نوح (عليه السلام) عند دعوته لقومه، فمن ذلك حواره (عليه السلام) مع ابنه وهو يدعوه، قال تعالى: ﴿ قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١).

وفي ختام هذه القصة بين الله سبحانه وتعالى أنها من الأنباء الغيبية التي لم تكن يا محمد تعلمها أنت ولا مدعوك قبل الوحي، وهنا يظهر إعجاز غيب الماضي، عند قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

كما تضمن القرآن الكريم أنباء غيب مستقبلية، وهي كثيرة، كإخباره بهلاك

---

(١) سورة هود، الآيات: (٤٢-٤٧).

(٢) سورة هود، الآية: (٤٩).

أبي لهب وامرأته على الكفر، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾(١) وكذلك الإخبار بهلاك أبي جهل على الكفر، قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ﴾(٢) وقال في شأن الوليد بن المغيرة: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾(٣) وكلهم هلكوا على الكفر، إذ لم يستجيبوا للدعوة الإسلامية، وهذه وغيرها من الأنباء الغيبية تؤكد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤-الإعجاز العلمي:

وهو ما أخبر به القرآن الكريم من حقائق أثبتها العلم، وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم(٤).

وتعد أطوار خلق الإنسان المذكورة في القرآن الكريم من أوضح أمثلة الإعجاز العلمي، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(٥).

اكتشف العلماء حديثاً أطوار خلق الإنسان، و لم يتمكنوا من معرفة أطوار

---

(١) سورة المسد، الآيات: (١-٥).

(٢) سورة الدخان، آية: (٤٧).

(٣) سورة المدثر، آية: (٢٦).

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة -تاريخه وضوابطه - د. عبدالله المصلح - ط١- ١٤١٧هـ- ١٨.

(٥) سورة المؤمنون، آية: (١٤).

خلق الإنسان إلا بعد متابعة الجنين في رحم أمه منذ كان نطفة تمنى، وبعد توظيف الأجهزة الحديثة في هذه المتابعة، خرج البرفيسور الكندي (كيث إل مور) أشهر علماء التشريح والأجنة ليذكر الحقيقة الآتية: إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار خلق الإنسان في القرآن، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو غيره من البشر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين، لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد تأكيد كل حقيقة قرأتها في القرآن عن أطوار خلق الجنين، وتطوره داخل الرحم، فهو ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين(١)، وقد أسلم عدد من المدعوين بعد محاضرات البرفيسور (كيث إل مور)، منهم عميد كلية الطب في بانكوك بتايلند الذي أسلم على يديه خمسة من طلاب الطب في مرحلة الدراسات العليا(٢).

وبعد انتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الأول، وقد تحدثت فيها عن التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة، وخرجت بمفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وهو: إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية تنظم حياة المدعو، وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، كما تحدثت عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وهي الإعجاز البياني والغيبي والتشريعي والعلمي.

وبعد ذكر هذه المصطلحات العلمية والأوجه الإعجازية للقرآن الكريم، ناسب الحديث عن الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وهذا ما ستطرقه الدراسة في المبحث الثاني.

---

(١) انظر: إنه الحق – إعداد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – مطابع رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة – ط٣- ١٤٢٠- ١٣ .

(٢) انظر: المرجع السابق- ٢٨ .

المبحث الثاني

الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

المطلب الأول

موضوعات الدعوة المتعلقة بالعقيدة

لقد جاء القرآن الكريم كتاب هداية للمدعوين، ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالله جل جلاله، فنزل بين أمة أمية وجدت آباءها على عبادة الأوثان فسارت على نهجها وطريقتها، وهذا ما عزز صعوبة المهمة الدعوية التي واجهت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن في مقدور داعية بإمكاناته المحدودة إقناع هذا المجتمع القبلي الموغل في التعصب والجهل أن يترك عاداته التي ورثها عن آبائه وتأصلت في نفوس مدعويه، فكانت المرحلة تقتضي عملاً خارقاً للعادة، يشمل تغيير عقيدة المدعو وعباداته وأخلاقه، فهي القضايا الرئيسة في حياة المدعو، ولأن الحال اقتضى عملية دعوية جذرية كانت الهدايات العقدية هي السمة الغالبة على العهد المكي، وخلال تلك الفترة المكية التي امتدت ثلاثة عشر عاماً كان القرآن يتحدث عن قضايا محددة، أبرزها توحيد الله وإفراده بالعبادة، وأن القرآن كلامه جل وعلا وقضية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وقضية الإيمان باليوم الآخر وقيام الساعة ونعيم الجنة وجحيم النار فخاطب القرآن الكريم المدعوين بأساليب شتى، لإقناعهم بقبول دعوة الإسلام، وترك براثن الشرك بالله، وسأعرض بعض القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة.

أولاً: وحدانية الله:

لقد كان أول ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم هو توحيد الله، بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا استقام الأصل استقامت الفروع، فخاطب فطرة الإنسان السليمة من خلال عقله، بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ

عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (1)، فالآيات الكريمة تخاطب المدعوين بأسلوب عقلي، وتبين لهم أن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض وهو المدبر لكل شيء، وتكرر عليهم السؤال، هل هناك إله مع الله خلق كل هذا، ويطلب منهم تقديم البرهان إن كانوا صادقين في زعمهم، فكان القرآن في دعوته إلى توحيد الله سهلاً واضحاً، يعرضها للمدعوين بأروع بيان، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ

(1) سورة النمل، الآيات: (٥٩-٦٤).

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، وفي مثل هذا الموضع ومواضع كثيرة من القرآن دعاهم إلى وحدانية الله، وكما دعاهم إلى الوحدانية دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[2].

(١) سورة الأنبياء، الآيات: (٢١-٢٩).

(٢) سورة الواقعة، الآيات: (٥٧-٧٤).

ثانياً: القرآن كلام الله:

إن إحدى أهم القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة، قضية الإيمان بالقرآن الكريم، التي حكى القرآن عنها حوارات عديدة مع منكريه، قال تعالى: حكاية عن تكذيبهم القرآن: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ ﴾[1]، ولإثبات هذه القضية العقدية تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فكان التحدي الأول للمدعوين عند قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

فأخبر جل ثناؤه في هذه الآية، أنّ مثل القرآن لا يأتي به الجنّ والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به[3]، وهكذا لم ولن يتمكن المدعوون كلهم على الإتيان بمثل هذا القرآن، وعجزهم هذا يؤكد أن هذا القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو التحدي الأول للمدعوين.

وبعد أن تحدى القرآن المدعوين بالإتيان بمثل هذا القرآن، انتقل إلى تحدٍ أقل درجة ليظهر عجزهم وضعفهم أمام معجزة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن

(١) سورة الفرقان، الآية: (٥).

(٢) سورة الإسراء، آية: (٨٨).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري -تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط١- ١٤٢٠هـ- ١/ ٣٧٨، وانظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٣/٥٢.

دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1]، وكما عجزوا في التحدي السابق عجزوا في التحدي اللاحق، إذ كانت أعظم أماني مشركي قريش تكذيب الدعوة الإسلامية، ورغم فصاحتهم وبلاغتهم لم يتمكنوا من الإتيان بعشر سورٍ من هذا القرآن، ليكون عجزهم شاهداً على صدق الدعوة الإسلامية وأن محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد التحدي الثاني الذي أظهر مزيداً من عجز المشركين أمام القرآن الكريم، تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة واحدة منه، أيِّ سورة منه كانت، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

إن كان مُحَمَّد افتراه من عند نفسه، فأتوا أنتم بمثله، إذ لسانه ولسانكم واحد، فأنتم قد عُرفتم بالفرية والكذب، ومُحَمَّد لم يُعرف به قط، ولا أُخذ عليه كذب قط، فأنتم أولى أن تأتوا بسورة مثله، وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: ادعوا بآلهتكم التي تعبدونها؛ ليعينوكم على إتيان مثله.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ أي: بمن لسانه مثل لسانكم، ليعينوكم على ذلك[3]، وهذا التحدي الأخير كسر غرور كفار قريش وعنادهم،

(١) سورة هود، الآية: (١٣).

(٢) سورة يونس، الآيتان: (٣٨-٣٩).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - تحقيق: د.مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ١٤٢٦هـ - ٤٣/٦.

وأظهرهم في منتهى العجز، فقد كانوا أحرص الناس على تكذيب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من هـذا القـرآن ليظفـروا بمعركتهم مع الدعوة الإسلامية، بل صار عجزهم هذا شاهداً على صدق دعوتـه صلى الله عليه وسلم.

ولكي لا يقال إن القرآن تحدى كفار قريش وهم أمـة أميـة لا تقـرأ ولا تكتب، وليس لديهم علم بالكتب المترلة، أعاد القرآن تحديه الثالث للمـدعوين في المدينة ومنهم أهل الكتاب، ليسجل عجز المدعوين من أهل الكتاب كما سـجله على كفار مكة من قبل.

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١).

عنى بذلك: إن كنتم في شك في صدق محمد فيما جاءكم به من عندي أنـه من عندي، فأتوا بسورة من مثله، وليستنصر بعضكم بعضا على ذلـك إن كنـتم صادقين في زعمكم، حتى تعلموا أنكم إذا عجزتم عن ذلك أنه لا يقدر علـى أن يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم ولا من البشر أحد، ويصح عندكم أنه تتريلـي ووحيي إلى عبدي (٢).

وهنا تتجلى عظمة القرآن، فتحداهم مجتمعين ومتفرقين، وتحداهم في العهـد المكي والمدني، وتحدى ملوك الفصاحة واللغة والبيان، وتحدى أهل الكتـاب فلـم يستطيعوا الإتيان بسورة واحدة مماثلة لسور القرآن، ليثبت عجز الخلق أمام معارضة القرآن الكريم، وهذا يؤكد للمدعوين أنه كلام الله.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير -١/٤٠٢.

ويتضح مما تقدم أن الهدايات العقدية كانت الأبرز في العهد المكي مراعاة لطبيعة الدعوة والمدعوين، فكانت قضية الإيمان بتوحيد الله وأن القرآن كلام الله أبرز القضايا الدعوية، إذ أن المدعو إذا استجاب لدعوة التوحيد وآمن بأن القرآن الكريم هو كلام الله آمن أيضاً بما جاء في القرآن الكريم من تشريعات عقدية وفقهية وأخلاقية، وبعد انتهاء هذا المطلب ناسب ذكر الموضوعات الدعوية المتعلقة بالأحكام.

المطلب الثاني

موضوعات الدعوة المتعلقة بالأحكام

لقد كانت قضية الدعوة إلى التوحيد هي قضية الدعوة الأولى، فهي الأصل الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية، ولهذا تميزت قضايا الدعوة في العهد المكي بالدعوة إليه، وهذا لا يعني أن تلك الفترة الدعوية خلت من التشريعات الأخرى، إذ شرعت الصلاة والحث على صلة الرحم ومكارم الأخلاق في العهد المكي[(١)]، وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وتكون المجتمع المسلم، بدأت التشريعات الفقهية تنظم شؤون المجتمع.

قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[(٣)]، فكانت تشريعاته تنظم علاقة المدعو مع ربه، وأسرته وقرابته، بل تعدى ذلك كله لتنظم دعائم الحكم وعلاقة الراعي والرعية، وواجبات كلٍ منهما تجاه الآخر، وتلك الأحكام التشريعية أكثر من أن تحصر، ولهذا سأذكر بعض النماذج التي توضح روعة التشريع القرآني.

١-تشريعات حفظ الأسرة:

الأسرة هي نواة المجتمعات، لهذا عنى القرآن بشأنها وتنظيمها، بدءاً من تكوينها ونشأتها، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - ٦٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٣٨).

(٣) سورة المائدة، الآية (٣).

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[(١)(٢)]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[(٣)(٤)].

ولم يكتف القرآن الكريم بالحث على الزواج، بل نظم العلاقة بين الزوج والزوجة في قضايا عدة منها: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[(٥)].

كما حذرت تشريعات القرآن في المقابل من العلاقة المحرمة بين الذكر والأنثى صوناً للأعراض وحفظاً لتماسك المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟

(١) سورة الروم، الآية: (٢١).

(٢) فيه قولان: أحدهما: أنه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: أن المعنى: جعل لكم آدميات مثلكم ولم يجعلهن من غير جنسكم، قاله الكلبي. قوله تعالى: لتسكنوا إليها أي: لتأووا إلى الأزواج وجعل بينكم مودة ورحمة وذلك أن الزوجين يتوادان ويتراحمان من غير رحم بينهما إن في ذلك الذي ذكره من صنعه لآيات لقوم يتفكرون في قدرة الله عز وجل وعظمته. قوله تعالى: واختلاف ألسنتكم يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك وألوانكم لأن الخلق بين أسود وأبيض وأحمر. انظر: زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين الجوزي- تحقيق: عبدالرزاق المهدي- ٤٢٠/٣.

(٣) سورة النحل، الآية: (٧٢).

(٤) جعلها الله آية تنطوي على آيات، ويتضمن ذلك الصنع نعما كثيرة، كما أشار إليه قوله تعالى: وبنعمت الله هم يكفرون. والقول في جملة والله جعل لكم كالقول في نظيرتيها المتقدمتين. واللام في جعل لكم لتعدية فعل جعل إلى ثان. انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٢١٧/١٤ .

(٥) سورة النساء، الآية: (٣٤).

كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[1].

تقول الإعلامية الإنجليزية روز ماري هاو: إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها، فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة، فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش، أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة، فحين جعل الله للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته، فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة، وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك[2].

٢-تشريعات حفظ النفس:

جاءت تشريعات قرآنية لحفظ دماء الناس، فشرع تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة، فالقاتل يقتل، والمعتدي يقتص منه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن

(١) سورة النور، الآيتان: (٢-٣).

(٢) انظر: تعرف على الإسلام - منقذ محمود السقار - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ٨٨ .

رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾[(٢)].[(٣)]

وبمثل هذه التشريعات وغيرها صان القرآن دماء الناس، وحافظ على ترابط المجتمع المسلم، وكبح جماح الأنفس، فلا تتهور في ساعة الغضب فتقدم على سفك دم معصوم، لأن عاقبة المعتدي القصاص بقدر اعتدائه.

٣- تشريعات حفظ المال:

المال عصب الحياة، ومن أهم مقوماتها، ولهذا جاء التشريع القرآني بتنظيم التعامل مع هذا المال بتشريعات عديدة، تهذب العلاقة مع المال، بل أصبحت تلك التشريعات محل إعجاب الغرب كما سيأتي[(٤)]، ومنها تشريع القرآن تحريم الاعتداء على المال العام والخاص، وتوعده من يعتدي بحد السرقة والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٧٨).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٥).

(٣) كانت هذه العقوبة موجودة قبل الإسلام، ولكن للاعتدال فيها يده المثمرة، وللإسراف فيها ضرره البالغ، فحد الإسلام من غلوائها، وقصر من عدوانها، ومنع الإسراف منها. فقال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾ [الإسراء: ٣٣] فلم يبح دم من لم يشترك في القتل قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثى بِالْأُنْثى﴾. انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - تحقيق:/ محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - ١٤١٨هـ - ٣٦٨/١.

(٤) انظر : المبحث الثالث من هذه الدراسة.

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾[(١)].

كما نظم التشريع القرآني علاقة الغني بالفقير، ومتى يدفع الغني للفقير، ومقدار ما يدفع ليحقق التكامل بين أفراد المجتمع الدعوي، وهذا ما يدعو المدعوين من الفقراء إلى القناعة بعدالة الدعوة الإسلامية، ويدفعهم إلى اعتناق هذا الدين العظيم، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)].

ولم يقف عند هذا بل حفظ للفقير كرامته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾[(٣)]، والحديث عن تشريعات حفظ المال يطول، وما ذُكر مجرد أمثلة لتنظيم رباني بديع فاق الأنظمة الرأسمالية والشيوعية في التعامل مع المال، كتحريم الربا وبعض أنواع البيع وغيرها.

ويتضح مما تقدم بعض تشريعات الأحكام في القرآن الكريم التي جاءت في سياقات شتى، وكان غالبها قد نزلت في العهد المدني بعد أن تكونت نواة المجتمع المسلم وقويت دعائمه، وسأنتقل في المطلب الآتي إلى الحديث عن القضايا الدعوية المتعلقة بالتشريع الأخلاقي في القرآن الكريم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٦٤).

المطلب الثالث

موضوعات الدعوة المتعلقة بالأخلاق

وردت آيات كثيرة في هداية المدعوين لأحسن الأخلاق، فبعد أن بدأ القرآن بالأصل وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة أتت التشريعات الأخلاقية متوافرة تهذب أخلاق المدعوين، وهذا لا يعني عدم تحلي المدعوين في العهد المكي ببعض مكارم الأخلاق، فقد اشتهر العرب بالكرم ونجدة المظلوم والشجاعة وغيرها من حميد الأخلاق، وكما قال صلى الله عليه وسلم: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**(١)، وقد وردت التشريعات الأخلاقية في القرآن في سياقات شتى، فتارة يوجه الخطاب له صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(٢)(٣).

ومواضع أخرى يذكر القرآن تشريعات أخلاقية في شكل حوار بين لقمان عليه السلام وابنه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٢٧٣)- السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة - الإسكندرية - رقم الحديث (٤٥) -١/٤٤، وانظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي علي صبح - المكتب الأزهرية للتراث، ٢٦٦، وانظر: الاستذكار- للقرطبي- تحقيق: سالم حمد عطا، محمد علي معوض- دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤٢١- ٨/٢٧٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٩هـ - ٣/٨٠٠ .

بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾(١)(٢).

وتارة يأتي التشريع الأخلاقي في معرض الثناء على كرم الأنصار مع المهاجرين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ

---

(١) سورة لقمان، الآيات: (١٣-١٩).

(٢) لما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ﴾ أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ وقلنا له: ﴿اشْكُرْ لِي﴾ بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي. ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، [وإكرامهما] انظر: تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب - تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٤٩، وانظر: تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)- أبو محمد عز الدين عبد العزيز ، الملقب بسلطان العلماء- تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي - دار ابن حزم - بيروت- الطبعة ١- ١٤١٦هـ - ٥٣٩/٢

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾(١)(٢).

وبانتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الثاني، وقد تحدثت فيه عن القضايا الدعوية المتعلقة بالتشريعات العقدية والفقهية والأخلاقية في القرآن الكريم، وسأنتقل للحديث عن إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية، وهذا ما ستطرقه الدراسة في المبحث الثالث.

---

(١) سورة الحشر، الآية: (٩).

(٢) يعني الفاقة فآثروا المهاجرين بالفيء على أنفسهم، ثم قال: وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسه يعني ومن يقيه الله حرص نفسه يعني الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفيء لإخوانهم فَأُولئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ- ٩- فقد ذهب صنفان المهاجرون والأنصار وبقي صنف واحد وهم التابعون الذين دخلوا في الإسلام إلى يوم القيامة وَالَّذينَ جاؤوا منْ بَعْدهِمْ يعني من بعد المهاجرين والأنصار فدخلوا في الإسلام إلى يوم القيامة. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي - تحقيق: عبدالله محمود شحاته - دار إحياء التراث - بيروت - ط١- ١٤٢٣هـ - ٤/٢٦٩ .

المبحث الثالث

إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية

المطلب الأول

استجابة بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية

تميزت الدعوة الإسلامية عن دعوات الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، بأنها شاملة للزمان والمكان والمكلفين، فدعوات الأنبياء (عليهم السلام) كانت موجهة من النبي إلى قومه فقط، وترتب على هذا أن تكون معجزات أولئك الأنبياء (عليهم السلام) معجزات حسية تنتهي بانتهاء دعوتهم وإقامة الحجة على أقوامهم المدعوين، وفي الحديث الصحيح: « **ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[(١)]، أي أن كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة ويجرى الله على يديه أمراً خارقاً للعادة من جنس ما نبغ فيه قومه، فيظهر عجزهم عن الإتيان بمثله، فيدفعهم إلى الإيمان به.

لقد كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام)، وكانت ناقة صالح (عليه السلام) لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، وكانت عصا موسى (عليه السلام) حية تلقف ما صنعوا، وكان عيسى (عليه السلام) يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، لكن معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان، وقد تحدى الله بها الجن والإنس مجتمعين على أن يأتوا بمثلها فلم ولن يقدروا على ذلك[(٢)]، وتأثير الإعجاز التشريعي في النخب الغربية يؤكد شمول

---

(١) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل البخاري - اعتنى به عبدالسلام علوش - كتاب فضائل القرآن- باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل - مكتبة الرشد - ط١- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م- رقم الحديث (٤٩٨١)- ٧١٤ .

(٢) انظر: فتح المنعم - موسى شاهين لاشين - دار الشرق - ٤٨٥/١.

الدعوة الإسلامية لجميع المدعوين، وهذا ما نسميه عالمية الدعوة الإسلامية، وترتب على هذه العالمية ضرورة تشريع ينظم حياة المدعوين في كل زمان ومكان، وهذا ما تميز به التشريع الإسلامي، إذ تجلى إعجازه في تبيان كل شيء للمدعوين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وقد شهد له خير القرون بالبلاغ، وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم، فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين، فقد افترى عليه صلى الله عليه وسلم[2]، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج نزل بها القرآن**[4].

ولذلك فإن المتأمل في التشريع القرآني يجد هدايات العقيدة والأحكام والأخلاق وتفصيل كل شيء في نسق بديع، إذ أن تلك الهدايات بشتى مجالاتها نزلت على نبي أميٍّ لا يقرأ ولا يكتب أُرسل إلى أمةٍ أمية في بيئة صحراوية لا تعرف النظم والقوانين، يقول أحدهم: **القرآن له أعلى حظوة عند المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات أو أدعية نبوية، أو غذاء للروح أو تسابيح روحانية فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم ومرآة الأجيال، إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل**[5].

---

(١) سورة النحل، الآية: (٨٩).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي - تحقيق: أحمد شاكر- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤١٨- ١/ ١٧٠

(٣) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ١٧/ ٤٤ .

(٥) انظر: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم - ١٩٧٤- ١٨ .

إن إعجاز التشريع الإسلامي مدرك بالعقول حيث إن (**النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بيّن قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما علم أنه حق، لا يعارضه ما فيه اشتباه واضطراب لم يُعلم أنه حق**) (١).

فالتشريع الإسلامي الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة من عند الله موافق للعقول السليمة والفطر السوية.

حيث إن العقول والأفهام إن تفاضلت واختلفت فلا يفصل بينها إلا النص التشريعي، والمدعوون جميعاً (**لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل**) (٢).

وقد أدرك المنصفون من النخب الغربية هذه الحقيقة، فتبين لهم مدى الاختلاف الذي أحدثته عقائد اليهود والنصارى المحرفة.

فمنهم المستشرق ليوبلد فايس (محمد أسد) (٣)، حيث شاهد واقع المسلمين المعاصر وما حل بهم من التفرق والاختلاف والانفصال عن ماضيهم، فقاده بحثه عن السبب إلى اعتناق الإسلام.

فبدأ محمد أسد بالتفكير في أسباب انفصال المسلمين عن ماضيهم وبُعدهم عن التشريع الإسلامي فيقول: **إن الحياة الإسلامية في الواقع تظهر على كل حال**

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل- لابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد سالم- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٤١١هـ- ١٩٩١م-(١/١٥٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل - لابن تيمية- (١/١٤٧).

(٣) فايس- ليوبولد (Weiss,Leopold) مستشرق نمساوي كان يعتنق الديانة اليهودية- ثم أسلم وتسمى بمحمد أسد- أنشأ مجلة (الثقافة الإسلامية في حيدر أباد الدكن عام ١٩٢٧م بالتعاون مع المستشرق وليم بكتول الذي أسلم هو الآخر- ومن خلال كتاباته في المجلة صحح محمد أسد كثيرًا من أخطاء المستشرقين- من أبرز آثاره: ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس سنة ١٩٣٥م- وألف أصول الفقه الإسلامي- والطريق إلى مكة -والإسلام على مفترق الطرق- ومبادئ الدولة والحكومة في الإسلام- انظر: المستشرقون- نجيب العقيقي - دار المعارف - بدون رقم وتاريخ (٢/٢٩١).

بعيدة جداً عن الإمكانات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الإسلام[1].

إلى أن قال: **لقد شجعني هذا الاكتشاف، ولكن الذي حيرني كان ذلك التباعد البيّن بين الحاضر والماضي، من أجل ذلك حاولت الاقتراب من هذه المشكلة البادية أمامي من ناحية أشد صلة، لقد تخيلت نفسي واحداً من الذين يضمهم الإسلام**[2].

ثم يؤكد أن سبب اعتناقه الإسلام هو إدراكه لشمول الشريعة الإسلامية وتكاملها في جميع الجوانب فيقول: **«لم يكن الذي جذبني تعليم خاص من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراصّ بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهج الحياة العملية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً»**[3].

وتتضح عظمة التشريع وإعجازه في استجابة أحد النخب الغربية مثل محمد أسد للدعوة الإسلامية بصورة سببت صدمة وذهولاً للأوروبيين، إذ يقول: **«وقد بدا هذا غريباً جداً لمعظم أصدقائي الغربيين، ذلك بأنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا تماماً كيف أن رجلاً غربي المولد استطاع أن يثبت شخصيته إثباتاً كاملاً، ودونما تحفظ عقلي في العالم الإسلامي، وكيف استطاع قبول أيديولوجية دينية واجتماعية كانت في اعتقادهم المطلق أحط كثيراً من جميع المفاهيم والمعتقدات الأوروبية»**[4].

---

(١) انظر: الإسلام على مفترق الطرق- محمد أسد- ترجمة عمر فروخ- دار العلم للملايين - ١٧.

(٢) انظر: الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ١٧ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق- محمد أسد - ١٩ .

(٤) المرجع السابق - ٢٠ .

إن أحد جوانب الإعجاز في التشريع الإسلامي هو ثباته وعدم تغيره بمرور الزمن، وهذا ما قاد المستشرق (مراد هوفمان)[1] وهداه إلى الاستجابة للدعوة الإسلامية، إذ تعمق إيمانه بأن مصادر التشريع الإسلامي قامت على (**أسس ثابتة راسخة، لا تغيير فيها ألا وهي الكتاب والسنة**)[2].

وفي حديثه عن حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية يبين (هوفمان) أثر الإيمان بالله تعالى في رعاية حقوق الإنسان، وعجز القوانين الوضعية أن تكون مقنعة في مجال حقوق الإنسان فيقول: (**إن المعول في قيام حقوق الإنسان أو سقوطها إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله، فإذا أنكر امرؤ وجود الله، فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً تحت تصرف الإنسان أو رحمته، حتى لو استطاع بذلك خداع نفسه حيناً من الدهر بإشارته إلى الحقوق الطبيعية المزعومة.**

فضلاً عن ذلك فإنه لم يتح لأي إنسان منذ بدء الخليقة أن يخرج علينا بنظام قانوني مقنع عام استقاه أو استوحاه من مراقبة الدراسة للطبيعة، والحق إن غاية ما يتوصل إليه الإنسان وحده في مثل تلك الحالات مجرد إسقاط لتصورات مثالية على الإنسان من بيئته)[3].

ويتضح مما تقدم تأثير الإعجاز التشريعي على النخب الغربية، هذا التأثير الذي قاد عددًا منهم إلى الاستجابة للدعوة الإسلامية، وبعد ذكر بعض من أسلم من تلك النخب الغربية ناسب ذكر بعض شهادات النخب الغربية في إنصاف الدعوة الإسلامية ممن تأثر منهم بالإعجاز التشريعي.

---

(١) مراد هوفمان- مستشرق ألماني كان سفيراً لبلاده في المغرب (١٩٩١-١٩٩٥م)- ومديراً في حلف شمال الأطلنطي- اعتنق الإسلام وتزوج من مغربية مسلمة- من أبرز آثاره: (الإسلام كبديل) و (الطريق إلى مكة)- و(الإسلام في القرن العشرين)- انظر: معجم أسماء المستشرقين- يحيى مراد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢-٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ- ٧٠٩ ..

(٢) الإسلام كبديل- مراد هوفمان - مكتبة العبيكان - ط٢- ١٤١٨-١٩٩٧م- ١٠٥ .

(٣) الإسلام كبديل - مراد هوفمان- ١٨٨ .

المطلب الثاني

شهادة بعض النخب الغربية في الدعوة الإسلامية

لقد قصرت شرائع اليهودية والنصرانية اللتين يعتنقهما كثير من النخب الغربية عن الوفاء بما تتطلبه الحياة البشرية، فاليهودية نسبت العجز عن تدبير الخلق إلى الخالق[١]،والنصرانية جعلت الإله محتاجاً إلى الابن في تحقيق سعادته وتلبية رغباته[٢].

إضافة إلى أن معتقدات النصارى قد أعطت الكنيسة حق التشريع فبدل رجال الكنيسة وغيروا فضلوا وأضلوا[٣]، كما قال تعالى: عن الأحبار والرهبان: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٤].

وهذا ما جعل اليهودية والنصرانية تخفق في تحقيق ما تصبو إليه المجتمعات الغربية، فحاولت تلك المجتمعات عبثاً ممثلة في حكوماتها تلافي ذلك القصور بوضع نظرية حاسمة عن الحكم الكاثوليكي المعتمد على الحق الإلهي والتي خولت لكل ملك فيهم التصرف بصفته الممثل لله[٥]. وترتب على ذلك صراع بين الدين

---

(١) انظر: دراسات في مقارنة الأديان - د. محمود محمد مزروعة- دار الكتب المصرية- ط١- ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م-١٠٨، وانظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - عبدالقادر شيبة الحمد- مكتبة دار الزمان - المدينة المنورة -ط٤- ١٤٣٢هـ، وانظر: اليهودية - أحمد شلبي- دار النهضة المصرية - مصر - ط٨- ١٩٨٨م.

(٢) انظر: المرجع السابق - ١١٨.

(٣) انظر: المرجع السابق - ١٣٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٥) انظر: تاريخ الثورة الفرنسية - ألبير سوبول- ترجمة: جورج كوسى- ط٤- ١٩٨٩م- منشورات البحر المتوسط - وعويدات- بيروت - باريس -٦٤ .

والسياسة ، ثم تطور إلى فصل الكنيسة عن الدولة(١) فكان ذلك من أعظم أسباب الثورة الفرنسية التي قضت على سلطة الكنيسة ونبذت القيود الدينية إلى اليوم.

لقد كان القرآن الكريم ولا زال مصدر هداية للمدعوين في جميع مجـالات الحياة، فعند حدوث أزمة الاقتصاد العالمي عام ٢٠٠٨م طالب الفاتيكـان عـبر جريدته الرسمية المعروفة باسم «أوسير فاتور توتارو»، **أنه يتوجب على البنـوك الغربية أن تنظر في قواعد المال الإسلامية، فقد تقوم التعليمات الأخلاقية الـتي ترتكز عليها المالية الإسلامية بتقريب البنوك إلى عملائها بشكل أكثر مـن ذي قبل، فضلاً عن أن هذه المبادئ قد تجعل هذه البنوك تتحلى بـالروح الحقيقيـة المفترض وجودها بين كل مؤسسة تقدم خدمات مالية**(٢)، وصدور هذا الاقتراح من أعلى سلطة نصرانية في العالم، يؤكد الإعجاز التشريعي في القـرآن الكـريم، وشموله لجميع شؤون المدعو، وما عجز عنه النظام الرأسمـالي في القـرن الواحـد والعشرين، وضع حلوله القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي، ولكي لا يقـول قائل إن الفاتيكان سلطة دينية لا معرفة له بشؤون الاقتصاد العالمي، عزز هذا الاتجاه ما ذكره اقتصاديون غربيون طالبوا بتطبيق التشريع القرآني عوضاً عن تـشريعات الإنجيل والرأسمالية، يقول بوفيس فانسون: **أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل، لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا ، لأنه لـو حـاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوهـا، ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات وما وصل بنا الحال إلى هـذا الوضـع المزري**(٣).

(١) انظر: المرجع السابق - ١٨١.
(٢) انظر: جريدة الاقتصادية- العدد رقم (٥٦٢٦)- السبت ٢٠٠٩/٣/٧م- نقلاً عن جريدة الفاتيكان الرسمية.
(٣) انظر: مجلة (تشالينجر) إحدى أكبر مجلات الاقتصاد الأوروبية - والمقال لرئيس التحرير - ٢٠٠٨/٩/١١م، وللاستزادة من معرفة تفوق التشريع الإسلامي على النظام الرأس مالي في الاقتصاد، انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة- أ.د. حمد بن ناصر العمار- دار اشبيليا - ط٣- ١٤١٨هـ-١٩٩٨م-٥٥١ .

إن مثل هذه الأقوال الصادرة من خبراء الاقتصاد في العالم الغربي وقبلها تصريحات الفاتيكان لتؤكد تأثير الإعجاز التشريعي في نفوس النخب الغربية، وجمال تكامله وبيانه لكل شيء، ولهذا كانت الدعوة الإسلامية دعوة موجهة لجميع المدعوين منذ مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى قيام الساعة.

وفي سياق شهادة أخرى تؤكد إعجاز القرآن التشريعي، يقول الدكتور شبرك النمساوي: **إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن في أوروبا أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته**(1). فهذا المفكر النمساوي يقر بعظمة التشريعات الإسلامية وأن أوروبا ستسعد بها. ويقول الدكتور مايكل هارت الأمريكي في كتابه مائة رجل من التاريخ: **إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدؤوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح – عليه السلام– في المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى – عليه السلام – في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياها ، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم**(2).

(١) كلمة للدكتور شبرك- عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا – بمؤتمر الحقوق ١٩٧٧م.

(٢) انظر: The ١٠٠: A Ranking of the Most Influential Persons in History مايكل هارت ١٩٧٨– ترجمة: أنيس منصور وسماه (أعظم ١٠٠ رجل، وأعظمهم محمد).

ورغم أن الألمانية زيغريد هونكة[١] نظرت للإسلام على أنه دعوة خاصة بالعرب، إلا أنها أقرت بالإعجاز التشريعي في جانب الأخلاق بفضل ما اشتمل عليه من تسامح لم يوجد عند أهل الديانات الأخرى، ويتضح ذلك من العنوان الذي بدأت به الفصل المتضمن التطور الذي أحدثه الإسلام في الشعوب التي اعتنقته، فتتساءل تحت عنوان (المعجزة التي حققها العرب): **«إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة والتي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللا شيء لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين كيف حدث هذا؟»**[٢].

ثم تطرح السؤال الثاني فتقول: **«ما المقومات التي احتاجها هذا الشعب ليبعث مثل هذا البعث؟ وما العوامل التاريخية والاجتماعية والروحية والفكرية التي لابد لها أن تجتمع لتخلق هذه المعجزة التي حققها العرب؟»**[٣].

ثم تجيب هونكة عن ذلك مبينة تفوق الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى فتقول: (**والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعله العرب،**

(١) مستشرقة ألمانية زوجة المستشرق الألماني شولتزا- تميزت بدفاعها عن قضايا العرب والوقوف إلى جانبهم حتى اتهمها الأوروبيون بالتحيز للعرب والتعصب لهم، بعد تأليفها لكتاب (شمس العرب تسطع على الغرب)- وقد زارت البلاد العربية، عندما وجهت لها الحكومة العراقية، دعوة لزيارة العراق في عام ١٩٦١م تقديراً لجهودها وكتاباتها عن العرب، ومن أبرز آثارها: (كتاب (الرجل والمرأة) والذي أكدت فيه على فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة والحضارة الإنسانية عامة: انظر: مقدمة كتاب شمس العرب تسطع على الغرب- ٧-٨.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب- زيغريد هونكة- ترجمة: فاروق بيضون-كمال دسوقي- ط٨- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، دار الجيل - دار الآفاق -بيروت- ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق - ٣٥٥.

وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر، مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية الزائفة ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة) [1].

وهكذا تؤكد هونكة على تأثير التشريعات الأخلاقية، إذ كان لها الأثر البالغ في استجابة كثير للدعوة الإسلامية، بل أقرت بتفوق تلك التشريعات الأخلاقية على الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية.

كما أقر الإنجليزي توماس آرنولد[2] بالقدر الكبير من التسامح الذي كان يتعامل به المسلمون مع النصارى خصوصاً في عصر الخلفاء الراشدين، فيقول: (**ولما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني، تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة)** [3].

ويعترف الإيطالي دافيد سانتلانا[4] بهذا الإعجاز التشريعي، فيذكر أن التطور والرقي الموجود لدى الغرب في المفاهيم إنما هو مستمد من التشريع الإسلامي إذ يقول: (**لا شك أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يَسِمُ الجانب الأكبر من**

---

(١) المرجع السابق – ٣٥٨.

(٢) آرنولد، السير توماس (١٩٨٤-١٩٣٠م) Thomas Sir Arnod مستشرق إنجليزي تعلم في كمبردج وهو أول أستاذ كرسي في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن عام ١٩٠٤م- ثم اختير عميداً لها عام ١٩٣٠م- من أبرز آثاره العلمية: (الدعوة إلى الإسلام)- (العقيدة الإسلامية)- (تراث الإسلام)- انظر: معجم أسماء المستشرقين، د. يحيى مراد -٩٤ .

(٣) الدعوة إلى الإسلام- توماس آرنولد- ترجمة: حسن إبراهيم حسن- وعبدالمجيد عابدين- ط٢- ١٩٥٧م- مكتبة النهضة المصرية- ٨١ .

(٤) دافيد سانتلانا David Santillana (١٨٥٥-١٩٣١م) - مستشرق إيطالي ولد في تونس من أسرة يهودية، ذات أصل أسباني حصل على الشهادة الجامعية في الحقوق من جامعة روما- ومارس مهنة المحاماة وتخصص في الشريعة الإسلامية- من أبرز آثاره: ترجمة مختصر خليل في الفقه المالكي-و(نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب الإمام مالك)- انظر: موسوعة المستشرقين- عبدالرحمن بدوي- ط٢-١٩٨٩م- دار العلم للملايين- بيروت-٢٣٢ .

شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية، وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور)[1].

إن تواتر شهادات غربية في الإشادة بإعجاز القرآن التشريعي، وصدور هذه الشهادات من علماء لا ينتسبون للإسلام، يعد عنصراً مؤثراً في دعـوة النخب الغربية، إذ أن دافع ثنائهم على التشريع الإسلامي نابعٌ من واقع الدعوة الإسلامية، إلا أنه يلاحظ أن هناك قصوراً في توظيف إعجاز القـرآن التـشريعي في دعـوة المجتمعات الغربية، لا سيما أن تلك المجتمعات تتميز بمساحة واسعة من حرية التعبير عن الأفكار، وهذا التوظيف الدعوي يحتاج إلى تشكيل هيئة تحت مـسمى هيئـة الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي، تدعم دعماً مادياً ومعنوياً كبيراً يكون ضمن خطة دعوية، تستهدف دعوة النخب الغربيـة في مجتمعاتها، من خلال عقد مؤتمرات ومحاضرات تسلط الـضوء علـى مـشكلات المجتمعات الغربية كأزمة الاقتصاد العالمي، وعقد مقارنات بين التشريع الإسـلامي والتشريعات الغربية.

ويتضح مما تقدم إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية بعد تأثرهم بالإعجاز التشريعي، وبانتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الثالث، ويليه الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) الشريعة لماذا- محمد يسري إبراهيم- الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م- دار الكتب المصرية- القاهرة-١٨٥.

الخاتمة

الحمد لله على تيسير إتمام هذه الدراسة العلمية، وأصلي وأسلم وأبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فقد انتهيت في هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم ، وأوجه إعجاز القرآن الكريم، والموضوعات الدعوية المتعلقة بإعجاز القرآن التشريعي . وهي موضوعات: العقيدة والأحكام والأخلاق، وختمتها بإنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية، والآن سأذكر أبرز النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١- أن مفهوم دعوة النخب الغربية بإعجاز القرآن التشريعي هو إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية عجز الخلق عن الإتيان بمثلها.

٢- أن للقرآن الكريم أوجهاً متعددة للإعجاز وهي الإعجاز البياني والغيبي والتشريعي والعلمي.

٣- أن التشريعات العقدية كانت أبرز الموضوعات الدعوية في العهد المكي، كقضية وجوب وحدانية الله وإفراده بالعبادة.

٤- أن من أبرز قضايا الإعجاز التشريعي تلك التشريعات الفقهية والأخلاقية التي تبين في العصر الحديث أن وراء التحريم ضرراً على النفس أو المال، كتحريم أكل لحم الخنزير وتحريم الزنا والربا وغيرها.

٥- أن الدعوة بإعجاز القرآن التشريعي تحتاج إلى تنظيم جهودها، تبدأ بإنشاء هيئة علمية للإعجاز التشريعي تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي.

٦- أن هناك من النخب الغربية من استجاب للدعوة الإسلامية متأثراً بالإعجاز التشريعي.

٧- أن هناك شواهد كثيرة لشهادات علماء ومفكرين غربيين تشيد بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٨- أن كثيراً من مشكلات المجتمعات الغربية أوجد لها القرآن الكريم حلاً في تشريعاته، بدليل مناداة الفاتيكان بتطبيق الشريعة الإسلامية في البنوك الإسلامية إبان أزمة الاقتصاد العالمية عام ٢٠٠٨م.

٩- أن الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أبرز صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان من حيث شمولها وثباتها ومرونتها.

١٠- أن الإعجاز التشريعي في القرآن حجة على المكلفين إلى قيام الساعة وأتى ليؤكد أن القرآن كلام الله.

ثانياً: التوصيات:

١- إنشاء هيئة علمية تحت مسمى هيئة الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة، ويُستقطب لها علماء من أرجاء العالم الإسلامي وتدعم دعماً مادياً قوياً.

٢- عقد مؤتمرات علمية في العواصم الأوروبية البارزة مثل باريس ولندن وجنيف، وإقامة حوارات مع مفكري الغرب من أساتذة القانون والديانات، ووضع محاور تتناول التشريعات الإسلامية.

٣-توجيه عدد من الباحثين إلى الدراسات التي تتعلق بمشكلات المجتمعات غير الإسلامية ووضع حلولها من التشريع الإسلامي ، ومناقشة مفكري تلك المجتمعات في حلول التشريع الإسلامي كنوع من أساليب الدعوة.

٤- أهمية توظيف شهادات علماء الغرب ومفكريه التي تشيد بالتشريع الإسلامي في الدعوة إلى الإسلام، وذلك بإبراز تلك الشهادات في إعلام المجتمعات الغربية ونشرها عبر وسائل الاتصال الحديثة.

٥- التأكيد على الدعاة أن الثبات والمرونة في إعجاز القرآن التشريعي لا يعني التنازل عن الثوابت والأصول.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة - أ.د. حمد بن ناصر العمار- دار إشبيليا- الرياض- ط٣-١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣- الاستذكار- للقرطبي- تحقيق: سالم حمد عطا، محمد علي معوض- دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤٢١.

٤- الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ترجمة عمر فروخ- دار العلم للملايين.

٥- الإسلام كبديل - مراد هوفمان - مكتبة العبيكان - ط٢- ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦- الاعتصام- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي- تحقيق: محمد الشقير و سعد آل حميد وهشام إسماعيل الصيني- دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية -ط١- ١٤٢٩هـ.

٧- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة -تاريخه وضوابطه - د. عبدالله المصلح - ط١- ١٤١٧هـ.

٨- الإعجاز العملي في السنة النبوية -د. صالح أحمد رضا- مكتبة العبيكان - الرياض -ط١- ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٩- إنه الحق - إعداد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ط٣- ١٤٢٠.

١٠- البحوث الإعلامية - أ.د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان - الرياض - ط١ - ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١١- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الدمشقي- تحقيق: موسى الدويش- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٥هـ.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد الزبيدي - المطبعة الخيرية ، مصر.

١٣- تاريخ الثورة الفرنسية - ألبير سويول - ترجمة جورج كوسي- نشر البحر المتوسط - بيروت - باريس - ط٤- ١٩٨٩م.

١٤- التحرير والتنوير - ابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤هـ.

١٥- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته ــ د . محمد الأحمدي ــ بدون رقم وتاريخ ــ

١٦- تراث الإسلام- جوزيف شاخت ومعه آخرون - ترجمة محمد زهير - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - ١٩٧٨م.

١٧- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي علي صبح - المكتب الأزهرية للتراث.

١٨- تعرف على الإسلام، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.

١٩- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)- أبو محمد عز الدين عبد العزيز ، الملقب بسلطان العلماء- تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي - دار ابن حزم - بيروت- الطبعة ١- ١٤١٦هـ

٢٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٩هـ .

٢١- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - تحقيق: د. مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ١٤٢٦هـ .

٢٢- تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدين البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)- تحقيق: عبدالله محمود شحاته - دار إحياء التراث - بيروت - ط١- ١٤٢٣هـ

٢٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان ابن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب - تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ط١ - ١٤٢٣هـ

٢٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري- تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط١- ١٤٢٠هـ.

٢٥- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل البخاري- اعتنى به عبدالسلام علوش - مكتبة الرشد - ط١- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٠م.

٢٦- جريدة الاقتصادية - العدد رقم (٥٦٢٦)- السبت ٢٠٠٩/٣/٧م.

٢٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - تحقيق:/ محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - ١٤١٨هـ

٢٨- درء تعارض العقل والنقل -شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٩- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم - ١٩٧٤.

٣٠- دراسات في مقارنة الأديان - د. محمود محمد مزروعة - دار الكتب العلمية - ط١- ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٣١- الدعوة الإسلامية أصولها ومسائلها ــ أ/د . أحمد أحمد غلوش ــ دار الكتاب المصري ، القاهرة ط ٢- ١٤٠٧هـ.

٣٢- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ــ محمد الراوي ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ ط ٣ ١٤١١هـ ــ

٣٣- الدعوة إلى الإسلام - توماس آرنولد - ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين - مكتبة النهضة المصرية - ط٢- ١٩٥٧م.

٣٤- الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة ــ الهدف ــ د . توفيق الواعي ــ دار اليقين ، مصر ، ط ٢ -١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥ م ــ

٣٥- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ــ د . محمد سيدي بن الحبيب ، الناشر عبدالله محمد الشنقيطي ، ط ٢ ، بدون تاريخ.

٣٦- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ــ أ.د. عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي ، ط ١ -١٤٢٠هـ.

٣٧- الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ــ محمد سعيد البارودي ــ دار الوفاء للنشر والتوزيع ــ جدة ط ١- ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٥ .

٣٨- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ .

٣٩- السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة - الإسكندرية .

٤٠- سلسلة محاسن التأويل- أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي - دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

٤١- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي - تحقيق: أحمد شاكر- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤١٨

٤٢- الشريعة لماذا - محمد يسري إبراهيم - دار الكتب المصرية- القاهرة - ط١- ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٤٣- شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه - ترجمة فاروق بيضون - كمال دسوقي - دار الجيل -بيروت - ط٨- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤٤- الصحاح ـــ إسماعيل الجوهري ـــ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م .

٤٥- عظمة القرآن الكريم-محمود بن أحمد بن صالح الدوسري- دار ابن الجوزي- ط١- ١٤٢٦هـ.

٤٦- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي - المالكي- قدم له: محب الدين الخطيب - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤١٩هـ.

٤٧- فتح المنعم - موسى شاهين لاشين - دار الشرق .

٤٨- القاموس المحيط، للفيروزآبادي - مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - إشراف محمد نعيم العرقسُوسي- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان- ط٨- ١٤٢٦هـ.

٤٩- لسان العرب- لابن منظور - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى-دار صادر - بيروت- الطبعة: ٣ - ١٤١٤ هـ

٥٠- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان- مكتبة وهبة - جمهورية مصر العربية- ط١١- ٢٠٠٠م.

٥١- مجلة (تشالينجر) عدد ٤/١٠/١٤٢٩هـ الموافق ٥/١٠/٢٠٠٨.

٥٢- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢١ ، محرم ١٤١٩هـ ـــ تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه ـــ د . عبدالرحمن بن سليمان الخليفي.

٥٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ــ جمع عبدالرحمن بن قاسم ــ دار عالم الكتب ــ الرياض ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م .
٥٤- المدخل إلى علم الدعوة ــ أ.د . محمد أبو الفتح البيانوني ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط ١ ، ١٤٠٤هـ.
٥٥- مدخل إلى علم الدعوة- أ. د. عبد الرب نواب الدين- دار العاصمة الرياض ط ١ - ١٤١٣هـ.
٥٦- مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ــ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ــ ط ١ ، ١٤٠١هـ ــ
٥٧- المستشرقون - نجيب العقيقي - دار المعارف - ط٤ بدون تاريخ.
٥٨- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ــ علي المرشد ، مكتبة لينة ، دمنهور ــ ١٤٠٩هـ.
٥٩- معجم أسماء المستشرقين - د. يحيى مراد - درا الكتب العلمية - بيروت - ط٢- ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ.
٦٠- المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية- دار إحياء التراث العربي- بيروت - بدون رقم وتاريخ.
٦١- المفردات، للراغب الأصفهاني- تحقيق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم - الدار الشامية - دمشق - بيروت - ط١- ١٤١٢هـ.
٦٢- مقاييس اللغة ــ أمين قاسم- دار الفكر - بيروت- بدون رقم وتاريخ.
٦٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - ط١- ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٦٤- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري و ناصر العقل - الرياض - ١٤١٣ هـ.
٦٥- موسوعة المستشرقين - عبدالرحمن بدوي - دار العلم للملايين- بيروت - ط٢- ١٩٨٩م.

٦٦- اليهودية، لأحمد شلبي - دار النهضة المصرية - مصر - ط٨- ١٩٨٨م.

٦٧- The ١٠٠: A Ranking of the Most Influential Persons in History
مايكل هارت ١٩٧٨ - ترجمة : أنيس منصور وسماه (أعظم ١٠٠ رجـــل , وأعظمهم محمد) - ١٩٧٨م .

البحث رقم (٢)

بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل

إعداد

د. محمد بن عبد العزيز بن صالح الثويني

الأستاذ المشارك في كلية المجتمع، جامعة القصيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد:

ففي أثناء قراءتي في موضوع الأمثال، وجدت أن في هذا مادةً علمية وآثــارًا دعوية يفيد الداعية منها ويستفيد، كما أن المتبصر في معانيها يجد منها ما يساعده على بناء شخصيته، وتنمية ذاته بكل جوانبها، هذا في عامة الأمثال، فكيــف إذا كانت الأمثال من كتاب الله سبحانه وتعالى أو سنة رسول الله -صلى الله عليــه وسلم-؟، فإن هذا يزيدها ثقة وأهمية تسعى النفوس الأبية إلى علمهــا، ومــن ثم فهمهما والتعامل معها بحسب مقتضيات المقام والمقال.

ولما أردت الكتابة في هذا رأيت أبوابًا تفتحت من كثرة أنواع الأمثال وأهمية كل نوع، فإذا الموضوع يحتاج إلى طول نفس ومناسبة حال البحــث ومتطلباتــه، فكان الاقتصار على نوع واحد وهو القول السائر مسار المثل، فوجدتــه أيــضًا كحال ما سبق طولاً وتشعبًا، فكان الاقتصار والاكتفاء على قسم منه وهو الجانب الاجتماعي في حياة الداعية أسميته: " بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضــوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل" مكتفيًا في هذا بما في صحيح البخاري -رحمه الله-، ومما يظهر منه كثرة استعماله في مجتمعي، سائلاً الله الإعانة والتوفيق.

حدود الدراسة:

سأقتصر في هذا البحث على أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- الــسائرة مسار المثل، بذكر بعض ما ورد في صحيح البخاري -رحمه الله- ولو كانت مما هو متفق عليه في الصحيحين، وأراها قد استفاض استعمالها في مجتمعي المحلي فقط كما هو استعمال ((اشفعوا تؤجروا)) مستفيدًا من شروح من سبقني - في هذا - مــن أهل العلم والفضل بما يخدم البحث ويحقق مقصوده.

منهج البحث:

- سأسير في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، ثم أستنبط منه ما أراه عاملاً من عوامل بناء الشخصية الاجتماعية.

- سأقتصر على عدد محدود من الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل ساعيًا لتنويعها بحسب أثرها على بناء شخصية الداعية.

- مع الالتزام بحدود الدراسة، قد أستشهِدُ بحديث، أو أثرٍ من غير صحيح البخاري وذلك في ثنايا البحث، مع بيان أثر ذلك المثل الذي أقوم ببيان حال كونه عامل بناء لشخصية الداعية.

- مراعاة لطبيعة البحث لن آتي على كل ما يرد بما يتناسب وعنوان البحث.

- عوامل البناء محل اجتهاد وسأستفرغ جهدي باختيار الأنسب.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيار الموضوع لأسباب منها:

- أن يدرك الملقي للقول كمثلٍ بأنه يستند على ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيأخذ به مأخذ الجد والأهمية.

- أهمية تخلق الدعاة في ذلك إما فعلاً أو تركًا بحسب ما يقتضيه المثال من مقام.

- إن بناء الشخصية يتألف من تلك الأقوال النبوية التي هي محض الصدق والمناسبة.

- قلة المؤلفات في ذلك وبخاصة بالإفادة من الأمثال السائرة، إن لم تكن معدومة في جانب أثرها الدعوي.

الدراسات السابقة:

أثناء إعدادي لهذا البحث بحثت عما كتب فيه لأفيد منه، أو أرى أنها كافية عما سأقوم به فوجدت أن المؤلفات في الأمثال عمومًا الكتابة عنها متقدمة تاريخيًا ومن ذلك حسب تاريخ الوفاة:

١- الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، للحسين بن الفضل (ت ٢٨٢هـ).

٢- أمثال القرآن، للجنيد بن محمد القواريري (ت٢٩٨هـ).

٣- أمثال القرآن، لنفطويه (ت٣٢٣هـ).

٤- أمثال الحديث، لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت٣٦٠).

٥- جمهرة الأمثال، للعسكري أبي هلال حسن بن عبدالله (ت٣٩٥هـ).

٦- أمثال القرآن، لمحمد بن الحسين السلمي (ت٤١٢).

٧- الأمثال والحكم، لعلي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ).

٨- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ).

٩- أمثال القرآن، للإمام شمس الدين ابن القيم(ت٧٥١هـ).

ومن المؤلفات المعاصرة ما يكون تأليفًا ابتداء، أو رسالة علمية للماجستير، أو للدكتوراه، ومن تلك المؤلفات:

١-نظرات فقهية في أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث للدكتور عبد المجيد محمد عبدالمجيد.

٢-ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وآثارها في تربية الجيل المسلم لمصطفى عيد الصياصنة.

٣-أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني.

٤-موسوعة الأمثال القرآنية للدكتور محمد عبد الوهاب عبد اللطيف.

٥-الأمثال في الحديث النبوي الشريف للدكتور محمد جابر العلواني.

٦-الأمثال والحكم العربية في خدمة الداعية للشيخ سفر أحمد الحمداني.

وقد اطلعت على هذه المؤلفات وسأستفيد منها بإذن الله.

وأما الرسائل العلمية فمنها:

١-رسالة ماجستير بعنوان: الأمثال النبوية في الكتب الستة النبوية وموطأ مالك (جمع ودراسة) لمروان بن عبد الله بن محمد المحمدي.

٢-الأمثال النبوية في صحيح البخاري(دراسة لغوية دلالية) لهاني طاهر محمد حسين.

٣-فقه الدعوة من أمثال النبي -صلى الله عليه وسلم-، رسالة ماجستير لـسارة بنت عبدالله جمعة البلوشي.

٤-فقه الدعوة إلى الله من خلال كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري، لعمرو بن طه عبدالقادر السقاف.

وكل هذه المؤلفات يصعب العرض عنها لطبيعة هذا البحث، ولم تتناول ما أنا بصدده بطريقة مباشرة، مما حداني إلى الاستمرار في مشوار هذا البحث سائلاً الله الإعانة والتوفيق.

وقد جعلت هذا البحث من تمهيد وستة مطالب:

التمهيد وفيه:

- المدخل للموضوع.
- حدود الدراسة.
- منهج البحث.
- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.

أنواع الأمثال وأهميتها:

أولاً: أنواع المثل.

ثانيًا: أهمية المثل.

تعريف المثل السائر.

أولاً: تعريف المثل السائر لغة.

ثانيًا: تعريف المثل السائر اصطلاحًا.

بناء الشخصية ومقومات بناء شخصية الداعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية.

ثانيًا: مقومات بناء شخصية الداعية في الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: إن من البيان لسحرًا.

المطلب الثاني: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

المطلب الثالث: اشفعوا تؤجروا.

المطالب الرابع: اليد العليا خير من اليد السفلى.

المطلب الخامس: إنما الصبر عند الصدمة الأولى.

المطلب السادس: إن الدين يسرٌ.

ويلي ذلك خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث ، وفهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما شابه من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أنواع الأمثال وأهميتها

أولاً: أنواع المثل.

ثانيًا: أهمية المثل.

أولاً: أنواع المثل:

تهدف هذه الفقرة إلى الإشارة – فقط- إلى أنواع المثل؛ سعيًا للإبانة عن النوع المراد تناوله في هذا البحث، وهو من جملة أنواع كتب فيها المؤلفون والباحثون" فالأمثال كغيرها من فنون القول، فهي وإن درجت تحت اسم واحد إلا أنها تتنوع وتتباين"(١) وهي:

النوع الأول: المثل الموجز السائر: وهو إما شعبي، لا تعمُّل فيه ولا تأنق ولا تقيُّد بقواعد النحو، وإما كتابي، صادر عن ذوي الثقافة العالية، كالشعراء والخطباء كقولهم: "رب عجلة تهب رَيْثًا" أو " كالمستجير من الرمضاء بالنار"، ومما جاء في الحديث من هذا النوع قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من البيان لسحرًا)).

النوع الثاني: المثل القياسي: سرد وصفي، أو قصصي، أو صورة بيانية، لتوضيح فكرة ما، عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء، لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر، لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.

النوع الثالث: المثل الخرافي: وهو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان، لغرض تعليمي، أو فكاهي او ما أشبه ذلك. كقولهم: "أُكِلْتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض"(٢).

---

(١) انظر: الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر العلواني ص(٤٠).

(٢) انظر: من أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الهجري، لنور الحق تنوير، نقلًا من نظرات فقهية في أمثال الحديث ص(٨١)، وينظر الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر العلواني ص(٤٠)، والأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك ص(٢٠) لمروان بن عبد الله بن محمد المحمدي.

ثانيًا: أهمية المثل:

تنبع أهمية المثل من إيصاله المقصود بأوجز عبارة وأجمعها، الأمر الذي يغني عن كثرة بيان وتضييع وقت الإنسان، مع سهولة حفظه وتداوله، قال إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة" (١).

وقال ابن المقفع -رحمه الله-: "إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"(٢).

قال الأبشيهي -رحمه الله-: "اعلم أن الأمثال من أشرف ما وصَّل به اللبيب خطابه، وحلَّى بجواهره كتابه. وقد نطق كتاب الله تعالى، وهو أشرف الكتب المترلة بكثير منها، و لم يخل كلام سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منها، وهو أفصح العرب لسانًا، وأكملهم بيانًا، فكم في إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل"(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "ففي الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورًا ووضوحًا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ (٤)، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته"(٥).

وقال مصطفى عيد الصياصة: "وللمثل فوائد جمة لا تحصى، تناولها أصحاب

(١) نقلًا من كتاب مجمع الأمثال (١/٦) المقدمة.

(٢) نقلًا من كتاب مجمع الأمثال (١/٦) المقدمة.

(٣) كتاب المستطرف في كل فن مستطرف (١/٥٤).

(٤) سورة الفتح الآية (٢٩).

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٣٠٦).

المصنفات وأرباب البلاغة والبيان بالذكر والشرح والتمحيص، فأطالوا الحديث ووصلوا البغية، ونحن بدورنا نحاول في هذه العجالة أن نجمل الأهم ونقف على الأعم من هذه الفوائد، والتي نراها في الآتي"[1].

ولعل ما ذكر من الأنواع والأهمية فيه دلالة على الحاجة لمعرفة تلك الأمثال والإفادة منها في حياة الإنسان المسلم والداعية على وجه الخصوص.

(١) انظر: كتاب ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة، لمصطفى عيد الصياصة ص(٤٩).

تعريف المثل السائر

أولاً: تعريف المثل السائر لغة.

ثانيًا: تعريف المثل السائر في الاصطلاح.

أولاً: تعريف المثل السائر لغة:

قال ابن السِّكِّيت: المثل: لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شَبَّهُوهُ بالمثال الذي يُعمل عليه غيره(١).

وقال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه (٢).

وعند البحث عن المعنى اللغوي للمثل السائر، لم أجد تعريفًا مركبًا، وجلُّ التعريفات مضمنة لتعريف المثل بعمومه، مع كون الأمثال كما قال ابن رشيق القيرواني: "المثل السائر في كلام العرب كثير نظمًا ونثرًا"(٣).

ولذا قال الفاروقي: "إن المثل - بفتح الميم والثاء- في الأصل بمعنى النظير، ثم نقل منه إلى القول السائر - أي الفاشي - المُمثَّل مَضْرِبُه بمورده، وهو من المجاز المركب"(٤).

وسار الكلام والمثل في الناس: شاع(٥).

ثانيًا: تعريف المثل السائر في الاصطلاح:

---

(١) شرح التسهيل (١/٢٦٩).

(٢) شرح الأشموني (١/ ١٩٩).

(٣) العمدة في محاسن الشعر(١/٢٨٠)، نقلا من كتاب الأمثال في الحديث النبوي، د. محمد جابر العلواني ص(٤١).

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي محمد بن علي بن محمد الفاروقي(٤/١٣٤٠) نقلا من كتاب نظرات فقهية في أمثال الحديث ص(٧٩).

(٥) المعجم الصافي في اللغة العربية لصالح الصالح وزوجته أمينة الأحمد، مادة: سير ص(٢٨٢).

كما هو الشأن في التعريف اللغوي، فإن تعريف المثل السائر على وجه التحديد لم أجده قد حضي بتلك الخصوصية من بين تعريفات المثل، وقد عرفه الدكتور عبد المجيد قطامش بقوله: "هو القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب. . . "[١].

وجاء في تعريف المثل السائر في قاموس الأديان: " بأنه مقارنة أو تشبيه أو خطاب رمزي يهدف إلى تعليم الآخر حقيقة معينة"[٢].

ومن خلال الاستقراء يمكن أن يقال: إن المثل السائر: هو الأقوال والحكم والأشعار الموجزة التي شاعت بين الناس.

ولا يلزم أن تشبه حالة مضربه بحال مورده؛ لأن فيه تحذيرًا وعظة[٣] أو ثناءً ودعوى للكمال[٤].

وأما ما نسميه المثل النبوي السائر فهو على اعتبار ما صار، حيث صارت العبارات التي قالها الرسول -صلى الله عليه وسلم- متداولة على الألسنة[٥].

---

(١) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش ص(٢٥-٢٦).

(٢) Thibauld، Robert- jacques، Dictionnaire des religions، p ٢٠٧.

(٣) كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)).

(٤) كما في حديث عبد الله بن عمر { أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن من البيان لسحرًا)).

(٥) الأمثال النبوية في صحيح البخاري دراسة لغوية دلالية، هاني طاهر محمد حسين ص(١٩).

بناء الشخصية ومقومات بناء شخصية الداعية الاجتماعية

على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية.

ثانيًا: مقومات بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية:

الإنسان ذلك المخلوق المكلف الميسر له ما في الكون ليقوم بواجب التكليف، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1] هو تلك الشخصية التي صوَّرها الله سبحانه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[2] فهو في هذا هيئة ظاهرة بها يعرف ويأخذ ويعطي، ومع هذا فلشخصية هذا الإنسان جانب آخر من السمات الفطرية والمكتسبة يتمايز بها إنسان عن آخر بعدًا وقربًا من الشخصية السوية المدركة العاملة.

فالمراد بالشخصية: هي مجموعة الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان الشخص باستمرار، والتي تميّزه عن غيره وتنعكس على تفاعله مع البيئة من حوله بما فيها من أشخاص ومواقف، سواء في فهمه وإدراكه، أو في مشاعره، وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي، ويضاف إلى ذلك القيم والميول، والرغبات والمواهب والقدرات والأفكار والتصورات الشخصية[3].

والإنسان يتحمل مسؤولية بناء نفسه وتهيئتها للحال والمآل، فسعى الأكثرون

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

(٢) سورة الانفطار، الآيات: (٦-٨).

(٣) انظر: ما تحت الأقنعة ص(١٠).

إلى بناء أنفسهم ليكونوا في هذه الحياة الدنيوية على أفضل حال في معاشهم وعلاقاتهم وتأثرهم وتأثيرهم، وكان الإنسانُ المسلم فوق هذا ساعيًا لبناء نفسه لما تصلح به دنياه لتكون مزرعة للآخرة التي يرى فيها حقيقة السعادة وكمال الحياة الطيبة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(١) وقال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٢).

ولأهمية هذا البناء للإنسان فإنه من أولى ما تنشغل به الأمم والمجتمعات، إذ الاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الحقيقي الذي لا يعدله أي استثمار في مجال آخر.

وإذا كان هذا في شأن الأمم التي لا تعرف من الحياة إلا عالم المادة، وتنتهي عند الحياة الدنيوية الفانية، فكيف بالأمة التي اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس؟ (٣).

إن بناء الإنسان هو في تكوين قلبه وتثقيف عقله وإرهاف وجدانه، ليكون تلك الشخصية الفاعلة المساهمة في بناء مجتمعها.

ولأهمية الدعوة إلى الله مسؤولية وأداءً، ولشرف وظيفة الدعوة إلى الله وسمو منزلتها، ولأهمية دور الداعية الفعال والمؤثر في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، ولما

---

(١) سورة القصص، الآية: (٧٧).

(٢) سورة النحل، الآية: (٩٧).

(٣) انظر: منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة، إعداد مؤسسة المربي ص(٧).

يناط به من مسؤوليات تجاه الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعاتٍ من تغيير وإصلاح ومواجهة للتحديات، فإنه لابد من الاهتمام البالغ بإعداده وبناء شخصيته وفق منهج تربوي مستمد من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح(١).

و الداعية إلى الله يشترك مع غيره في عوامل بناء الشخصية من ناحية قوة الشخصية، والإعداد العلمي وقوة التأثير بالمستهدفين، إلا أنه يفضل عن غيره بسمو المقصد وصدق المصدر، فمصادر بناء شخصيته: الكتاب والسنة أو ما صدر عنهما وما العوامل التي سأذكرها إلا دلالة واضحة على ذلك.

ثانيًا: عوامل بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل:

هذا المطلب هو أس البحث ودافعه، وبخاصة بعد الإشارة إلى البناء وأهميته في شخصية الداعية إلى الله، فعوامل البناء هي الباعث أو المؤثر في الشيء، فيقال: كثرة الإنتاج من عوامل الرخاء(٢).

والعوامل المؤثرة كثيرة في حياة الإنسان، داخلية كانت أو خارجية، ولكني سأكتفي كما هي حدود الدراسة بعدد من الأحاديث النبوية مما في صحيح البخاري، إذ القرآن والسنة مصادر أصلية لبناء شخصية المسلم التي يحيا بها في طمأنينة ورضًا في محيطه الإنساني، ويظل مصغيًا لنداء المراقبة والمحاسبة في محيطه النفسي، غير هياب من عواصف الحياة، وغير قنوط من صدماتها(٣).

ولكون الإنسان اجتماعي بطبعه فإنَّ الداعية إلى الله حاجته أكثر من غيره لبناء شخصيته بما يناسب ومهمته العظيمة، فالأصل فيه أنه شخصية اجتماعية راقية،

---

(١) انظر: بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر، حنان بنت أبو بكر محمد فلاتة جامعة ام القرى كلية التربية.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة عمل (٢/٦٢٨).

(٣) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(٥).

كوّنتها مجموعة كبيرة جدًا من مكارم الأخلاق، نطقت بها نصوص هـــذا الـــدين الحنيف من قرآن كريم وحديث شريف، وجعلت التخلق بها دينًا يثاب المرء عليه، ويحاسب على تركه، فاستطاعت بذلك أن تجعل من شخصية المـــسلم الـــصادق نموذجًا فذًّا للإنسان الاجتماعي الراقي المهذّب التقيّ الخيِّر النظيف[1].

ولذا فسأعرض لعدد من الأحاديث النبوية التي سارت مسار المثل ليجعل منها الداعية وسائلَ بناءٍ في حياته الاجتماعية بين الناس ومن ذلك:

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي ص(١٦٢).

المطلب الأول

« إن من البيان لسحرًا »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه عبد الله بن عمر { أنه قدم رجلان من المشرق، فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من البيان لسحرًا – أو – إن بعض البيان لسحرٌ))(١).

وهذا المثل من الأمثال التي لم تسمع إلا منه -صلى الله عليه وسلم-، قال العسكري -رحمه الله-: " أول من لفظ به النبي -صلى الله عليه وسلم-"(٢)

وقد فهم من هذا الحديث بعض العلماء أنه من باب الذم، وذهب أكثرهم إلى أنه من باب المدح، قال أبو هلال -رحمه الله-: " الصحيح أنه مدحه وتسميته إياه سحرًا إنما هو على جهة التعجب منه؛ لأنه لما ذمّ عَمْرو الزبْرِقَان ومدحه في حال واحدة وصدق في مدحه وذمه فيما ذكر عجب النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك كما يعجب من السحر فسماه سحرًا من هذا الوجه وقد أجمع أهل البلاغة على أن تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق من أرفع درجات البلاغة "(٣).

قال الميداني -رحمه الله-: "يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر؛ ومعنى السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، والبيان: اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسَن. وإنما شُبّه بالسحر لحدَّة عمله في سماعه وسرعة قبول القلب له. يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة"(٤).

قال الخطابي -رحمه الله-: "البيان اثنان: أحدهما: ما تقع به الإبانة عن المراد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا، (١٠/٢٣٧) رقم (٥٧٦٧).

(٢) جمهرة الأمثال ص(١١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) مجمع الأمثال(١/٧).

بأي وجه كان. والآخر: ما دخلته الصنعة، بحيث يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر، إذا خلب القلب، وغلب على النفس، حتى يحول الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن جهته، فيلوح للناظر في معرض غيره. وهذا إذا صرف إلى الحق يمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم"(١).

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((إن من البيان لسحرًا)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية الفصاحة والبيان:

البيان هو التبيين عما في النفس بالألفاظ الفصيحة البينة التي تأخذ بالمسامع والقلوب، فمتى استثمر الداعية حسن البيان لنصرة الحق والتأثير المباح بالمدعوين فإن هذا من المباح الذي لا شك فيه، على خلاف ما لو استثمر حسن بيانه وفصاحته بقلب الحقائق والتلبيس على الناس، فإن هذا مما حرم الله سبحانه وتعالى، وهو مذموم لا ممدوح. وقد يكون من أهل الباطل من هو كذلك، فلا يُبين تدليسه وتلبيسه إلاَّ أهلُ الفصاحة والبيان من الدعاة الصادقين القادرين. ومتى كان الداعية في هذه الشخصية المؤثرة، فإن أثره واضح في نشر الحق ودحر الباطل.

المسألة الثانية: أهمية القصد في الكلام:

وكما أن جمال العبارة وتحليتها بالاستشهادات المتنوعة يكسوها هيبة ويرفعها عند السامعين، فإن اختيار الوقت المناسب والاختصار على الموضوع المراد تناوله من أعظم المؤثرات؛ إذ الإطالة وتشتيت الذهن بتعدد الموضوعات التي يتناولها الداعية في مقام واحد تجعل المدعو قليل أو عديم الإفادة مما تم الحديث عنه، فإن من الأدب الإسلامي الرفيع القصد في الكلام، فهو سمة الشخصية المعتدلة، التي يتخلق صاحبها بالخلق الإسلامي النبيل، فيبدو رزينًا في مجلسه هادئًا في مشاعره، يكسوه

(١) فتح الباري (١٠/٢٣٧)، وينظر معالم السنن (٤/١٢٧).

الوقار، وتعلوه الهيبة، فلا ينطق لسانه بالقول في أي مجال، ولا يقحم نفسه في أحاديث الناس، فإن الكلام عند كثير من الناس شهوة من الشهوات، إذا استبدت بالإنسان أوردته موارد الهلاك، ولذا فقد عُنيَ الإسلام — في بناء الشخصية- بالقصد في الكلام، كما هو خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعن عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدث حديثا لو عدَّه العادُ لأحصاه))(1).

وعن عروة بن الزبير - رضي الله عنه-، عن عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت: ((أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبو فُلاَن جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ))(2).

وكما أن القصد في الكلام من الفصاحة والبيان فإن الإنسان أيضًا مؤاخذ على ما يتكلم به، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾(3)(4)(1).

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-، (٦/٥٦٧) رقم (٣٥٦٧).

(٢) رواه البخاري واللفظ له. كتاب المناقب، باب صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-، (٦/٥٦٧) رقم (٣٥٦٨). وراه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة > (٤/١٩٤٠) رقم (٢٤٩٣).

(٣) سورة النساء، الآية: (١١٤).

(٤) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(١٢٩).

المسألة الثالثة: قوة عاطفة الداعية:

من المسلَّمات أنه لا يؤثر إلا المتأثر الحامل لقوة العاطفة، فالداعية الناصح هو الذي يحمل همَّ موضوعه ويلقيه على المستمعين في خطبة أو محاضرة او كلمةٍ عابرة، ومن حوله يشعر بتفاعله، فلا يثير الحماسة في قلوب السامعين إلا من امتلأ حماسة فيما يدعو إليه، واعتقادًا بصدقه؛ لأن ما يخرج من القلب يدخل القلوب بغير استئذان(٢).

وذكر الشيخ أبو زهرة -رحمه الله- جملة من الآداب الخطابية وهي:

أ – سداد الرأي: وقصد به أن يقوم الخطيب وهو الداعية بدراسة تامة للموضوع الذي يخطب فيه، فإن الرأي المحكم لا يكون إلا بدراسة عميقة، وإحاطة تامة، واطلاع واسع، وعلم غزير، وفكر قويم.

ب – صدق اللهجة:. . . وهو أن يظهر الخطيب مخلصًا فيما يدعو إليه، حريصًا على الحقيقة فيما يعمل، فإنه إن ظهر كذلك، وثق الناس به، وصدقوه فيما يدعو إليه. . . فعن جابر -رضي الله عنه- قال: ((كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم))(٣).

ج – التودد من السامعين:. . . ويكون ذلك بالتواضع لهم، وأن يكون ممن يألفون ويُؤلفون، فلا يكون جافيًا خشنًا قاسيًا، وأن يمدح الجماعة التي يخاطبها، ويذكرها بأحسن صفاقا. . . (٤).

---

(١) لمزيد معرفة للمؤثرات في حسن البيان وأدواته انظر: بحث التميز في الخطابة والالقاء، ففيه وسائل متنوعة في بابها– نشر على موقع رابطة أدباء الشام.

(٢) تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ ص(٣٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/٥٩٢) رقم(٨٦٧).

(٤) انظر: الخطابة، الشيخ محمد أبو زهرة. ص(٥٠-٥٤).

المسألة الرابعة: حسن أسلوب الداعية سبب لتحقق المطلوب:

الداعية إلى الله وهو يدعو إلى الله بوسائل الدعوة المختلفة: من خطابة ومحاضرة وكلمة، وكتابة، يحتاج إلى الأسلوب المؤثر الذي كسبه من بناءه لنفسه لحسن بيانه، وما الأسلوب إلا نتيجة لذلك البيان الذي جمع القصد وحسن العبارة في الكلام، وكم قرأنا لمن أخذ بنا حتى أكملنا مقولته مع فهم لمراده، كما هي حال الاستماع لأولئك الذين ملكوا حسن الأسلوب فأنصت لهم الجميع بالاختيار.

قال الدكتور أحمد غلوش بقوله: "وما دامت ألفاظ الخطبة سديدة فواجب ان يكون الأسلوب كذلك، وهذا لا يتأتى إلا إذا جمع الأسلوب مجموعة من المزايا من أهمها:

١) أن يكون الأسلوب متلائم الكلمات، متآلف التراكيب.

٢) لابد للأسلوب أن يكون جامعًا لعديد من فنون التعبير لينتقل بالسامع من فن إلى فن؛ طردًا للسأم.

٣) . . . لابد للأسلوب أن يتنوع بتنوع المقامات، وأن يلاحظ أحوال السامعين لأن مقام التهديد غير مقام التحميس، وإظهار الألم غير إظهار الفرح" (١).

ولعل فيما ذكر سبب من الأسباب المؤدية لبناء الداعية وتهيئته للقيام بالمسؤولية على أحسن حال له وللمدعوين.

(١) قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين، د. أحمد غلوش ص(٥٠-٥٤).

المطلب الثاني

« لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »(١).

قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه -عليه السلام-"(٢).

وبالنظر لمناسبة الحديث(٣) يتبين أن المسلم عمومًا والداعية على وجه الخصوص من المهم أن يكون على حذر من كيد الأعداء سائرًا على الحال التي قال بها عمر بن الخطاب ﷺ عن نفسه: "لست بالخب ولا الخب يخدعني"(٤).

قال الخطّابي -رحمه الله- عند قوله -صلى الله عليه وسلم- « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »: هذا لفظه خبر ومعناه أمر أي: ليكن المؤمن حازمًا حذرًا، لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (٥٢٩/١٠) رقم (٦١٣٣).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٣١٣).

(٣) وهو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أسر أبا عزة الجمحي ببدر، ثم من عليه، فقال: يا رسول الله، أقلني، فقال: "والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدًا مرتين، اضرب عنقه يا زبير"، فضرب عنقه. الروض الأنف (٢٩٢/٣).

(٤) رواه ابن عساكر، في تاريخ دمشق (١٩/١٠)، والمزي في تهذيب الكمال(٤١٨/٣)، من طريق ابن النقور، من قول إياس بن معاوية رحمه الله بلفظ "لست بخِبٍّ، والخِبُّ لا يخدعني".

وقد اشتهر نسبة الأثر لأمير المؤمنين، أبي حفصٍ، عمر بن الخطاب > انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٥/٥)، وإعلام الموقعين (٢٤١/٣).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ١٧٣).

وقال النووي -رحمه الله-: "وقال القاضي يروى على وجهين أحدهما بضم الغين على الخبر ومعناه المؤمن الممدوح وهو الكيس الحازم الذى لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك وقيل إن المراد الخداع في أمور الآخرة دون الدنيا والوجه الثاني بكسر الغين على النهي أن يؤتى من جهة الغفلة"(١).

ثم قال: "وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهةٍ أن يتجنبها لئلا يقع فيها ثانية"(٢).

الداعية إلى الله وهو يخالط الناس، وقد يرى منهم مزيد حفاوة وإكرام مطالب بالحذر من ذلك بالبعد عن العجب، وما ماثله من الأمراض القلبية، وإن وقع فيه مرة فعليه الحذر من أن يُلدغ مرة أخرى بما يفسد عليه مقصده وإخلاصه، وكما هي حاله مع نفسه تكون حاله مع الآخرين، والتنبه لما قد يقع من بعضهم معه عن قصد أو غير قصد من استدراج في مسألة من المسائل، أو دخول في عالم المال مع من لا تحسن مخالطته مما يفسد عليه أثره في الناس؛ لفساد نفسه. وهكذا يتبين أثر هذا الحديث السائر مسار المثل في بناء شخصية الداعية الاجتماعية.

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: ألا يخدع الداعية نفسه:

الداعية إلى الله بقدر ما يكون يقظًا من بعض المدعوين فإنه من المهم أن يحذر من نفسه، من أن يوردها المهالك مما يفسد عليه قلبه من شهوة أو شبهة، ومتى ما كان حذرًا ثم وقع فإن عليه العودة سريعا إلى جادة الصواب فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، فأخلاق الداعية المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في قرآنه وفصلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته، واصطبغ بها صحابته

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي (١٨/ ١٢٥).

(٢) المرجع السابق (١٨/ ١٢٥).

الكرام في سلوكهم، وهي لازمة لكل مسلم، وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها ليزن نفسه ليعلم ما عنده منها وما لم يصل إليه منها(١).

ومن أوجب ما يجب على الداعية في هذه المسألة هو الصدق والأمانة إذ أن صفة الأمانة صفة أساسية من صفات الداعي إلى الله تعالى، وأنت إذا تأملتها وجدتها صفة يشترك فيها جميع الأنبياء والرسل؛ لأنها لازمة للصدق فلا يتصور إنسان صادق غير أمين، أو أمين غير صادق، والصدق حلية الأنبياء وحلية الصالحين. . . (٢).

وعلى هذا فإن للداعية مع نفسه موقفًا يتطلب منه ألا يخادعها ليخدع الآخرين فلا يتوهم أنه عالم بكل شيء أو أنه له أن ينقل الحكايات الواهية والمواقف الباطلة بحجة تأليف قلوب الناس، وهكذا فهو أمين في مصادره صادقٌ في طرحه.

المسألة الثانية: ألا ينخدع من جهة الآخرين:

وللداعية مع المدعوين مواقف يجب أن يراعيها بناءً على هذا النص النبوي الكريم ومنها:

١- الحذر من بناء الأحكام على ما ينقله الأتباع أو المحبون بدون تثبت حتى لا يضطر إلى التراجع أو نزع الثقة منه إن تكرر منه ذلك، ودليله في هذا قول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾(٣).

٢- فقه مفهوم المؤامرة من الأعداء والخصوم، وأن يتعامل معها التعامل الشرعي القائم على الاعتدال والتوسط بين منزلة التهويل والتهوين(٤).

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص(٣٤٦) فقرة (٥٤٧)، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص(١٢١).

(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، د. جمعة أمين عبدالعزيز ص (٥٠).

(٣) سورة الحجرات، الآية: (٦).

(٤) انظر: في هذا كتاب قيم لمعالي أ. د. علي إبراهيم النملة بعنوان" هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل".

٣- لابد أن يدرك الداعية الفرق بين الخوف والحذر من الأعداء فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ۝٧١﴾[(١)]. وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٧٥﴾[(٢)].

٤- الحذر من الخديعة بالمال لشراء الذمم، فهي أخطر سلاح يفتك بالداعية وبخاصة إذا كان من أهل القضاء والمؤسسات الشرعية.

٥- قد يعفو الداعية خطأ من أخطا عليه في نفسه أو ماله أو غير ذلك لكنه لا يَقْبَلُ منه تكرار ذات الخطأ او أي خطأ آخر يصدر من الشخص نفسه.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٧١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٧٥).

المطلب الثالث

«اشفعوا تؤجروا»[(١)]

هذا القول السائر مسار المثل هو جزء من حديث رواه أبو موسى الأشعري ﷺ قال: ((كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا جاءه السائل، أو طُلبت إليه حاجة قال: ((اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- ما شاء)[(٢)].

والناس يتفاوتون في مدى التأثير، وكذا القبول منهم، والدعاة إلى الله واسطة عقد نفيس بين من لا يستطيع أن يبين عن حاجته لدى من تكون إليه، إما لضعف مكانته أو ضعف بيانه، فكان الدعاة إلى الله وهو المخالطون للناس العارفون لأحوالهم من أولى من يقوم بهذه المهمة النبيلة، وهذا من باب التعاون بين المسلمين، ولذا فقد بَوَّبَ البخاري -رحمه الله- بابًا سماه "باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا"[(٣)]، ثم أورد هذا الحديث ضمن أحاديث الباب. وبخاصة ما يكون منها في حق ولا يضر أحدًا من الناس إذ الثانية محل ذم، كما قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ

---

(١) هناك التباس في الفرق بين الشفاعة والواسطة - اللفظة الدارجة في هذا الزمن- وحقيقة الأمر ان الشفاعة هي الواسطة: وقد قسمها القرآن إلى قسمين كما في ثنايا هذه الفقرة، فالواسطة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة. انظر: في هذا رسالة بعنوان " الواسطة، مفهومها، حكمها، أسبابها آثارها" من إعداد الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، وينظر أيضًا ملخص بحث: الواسطة والمحسوبية وأثرها على الفرد والمجتمع، منشور على موقع الألوكة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، (٢٩٩/٣) رقم (١٤٣٢).

(٣) كتاب الآداب (٤٤٩/١٠)

كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾[1].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم؛ فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كِفْل، وقيل: الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والسيئة في المعاصي، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم"[2].

وقال ابن حجر -رحمه الله- عن الحديث: " وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان -صلى الله عليه وسلم- لا يحتجب"[3].

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((اشفعوا تؤجروا)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: الداعية إلى الله ساع في الشفاعة وليس عليه تمام المقصود:

قال السعدي -رحمه الله-: "وهذا الحديث متضمن لأصل كبير، وفائدة عظيمة، وهو أنه ينبغي للعبد أن يسعى في أمور الخير سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء. وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجاتهم بهم فإن كثيرًا من الناس يمتنع من السعي فيها إذا لم يعلم قبول شفاعته. فيفوّت على نفسه خيرًا كثيرًا من الله،

---

(١) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٢) تفسير القرطبي(٥/٢٩٥).

(٣) فتح الباري(١٠/٤٥١).

ومعروفًا عند أخيه المسلم. فلهذا أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن يساعدوا أصحاب الحاجة بالشفاعة لهم عنده ليتعجلوا الأجر عند الله، لقوله: ((اشفعوا تؤجروا)) فإن الشفاعة الحسنة محبوبة لله، ومرضية له. قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[1]، ومع تعجله للأجر الحاضر فإنه أيضًا يتعجل الإحسان وفعل المعروف مع أخيه، ويكون له بذلك عنده يد"[2].

وما قصة بريرة رضي الله عنها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا شاهد على ما ذكر فمع مكانة النبي -صلى الله عليه وسلم- في نفوس أصحابه وعامة أتباعه إلا أنه أعطى للشفعاء درسًا بأن عليهم القيام بالمهمة ولو لم تتحقق الأمنية.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريرة وزوجها قال: قال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لو راجعتيه)) قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: ((إنما أنا أشفع)) قالت: لا حاجة لي فيه))[3].

المسألة الثانية: الشفاعة حقٌ للمشفوع له:

والدعاة إلى الله سبحانه وهم يعلمون هذا القول السائر مسار المثل من المهم أن يتمثلوه في واقعهم مع أهمية الحذر من الذين يطلبون الشفاعة في أمر سيء من خلال التمويه على الداعية بصدق دعواهم، وهنا نذكر بالمثل النبوي المتقدم: ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)).

والسعي في حاجات الناس ومنها الشفاعة في قضاء حوائجهم لها أثر فاعل بالمدعوين، فشفاعة إنسان لآخر عند السلطان أو صاحب الجاه أو المنصب ليقضي له حاجته هي شفاعة في أمور الدنيا، وهي نوع من التعاون بين المسلمين، ووسيلة

(١) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ص (٣٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة، (٤٠٩/٩) رقم(٥٢٨٣).

من وسائل الألفة والمحبة إذا كان المشفوع إليه يملك التصرف فيما طلب منه على مقتضى الأسباب العادية[1].

المسألة الثالثة: نموذج لباذل الشفاعة من دعاة العصر:

واقعنا الحالي يؤكد على أنَّ الباذلين للشفاعة في أوجه الخير هم أهل الحظوة والتقدير والقبول عند من يشفع لهم، أو يشفع لأحد لديهم، وما سماحة الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- إلا أنموذج في ذلك فكان -رحمه الله- لا يكل ولا يمل من بذل شفاعته، ولا يرد أحدًا يطلب منه الشفاعة الحسنة كائنًا من كان، وقد كتب إليه أحد المسؤولين وقال له: نرى أن لا تشغل نفسك بكثرة الشفاعات؛ فالدولة جعلت دوائر كثيرة، وكلٌّ يرجع إلى الجهة التي يتبعها.

فردَّ عليه سماحة الشيخ -رحمه الله- بقوله: أنا أشفع؛ استجابة لقوله سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[2]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «اشفعوا تؤجروا»، وأنا بشفاعتي أدلكم على الخير، وأرجو الأجر من الله؛ فإن استجبتم فأبشروا بالخير، وإن لم تستجيبوا فقد أديتُ ما عليَّ، وأنا لا ألزم أحدًا. فقال ذلك المسؤول: اتركوه يشفع لمن شاء[3].

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦٤ سنة ١٤٢٢هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٣) انظر: كتاب جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، محمد بن إبراهيم الحمد (١/٢٩٨).

المطلب الرابع

«اليد العليا خير من اليد السفلى»

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه حكيم بن حزام -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله))(١).

ورد هذا الحديث هذا أيضًا فيما رواه عبد الله بن عمر {: ((أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر، وذكر الصدقة، والتعفف، والمسألة: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة))(٢).

فائدة إيراد هذه الرواية؛ لأن فيها بيان لمعنى اليد العليا، وكذا اليد السفلى، والذي قال عنه ابن حجر -رحمه الله-: " فهذا يشعر بأن التفسير من كلام ابن عمر، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر { قال: " كنا نتحدث أن العليا هي المنفقة "(٣).

أثره في بناء شخصية الداعية الاجتماعية:

يظهر أثر هذا القول ((اليد العليا خير من اليد السفلى)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: غناء الداعية في نفسه:

الاستغناء عما في أيدي الناس من أقوى عوامل العزة والرفعة للإنسان عمومًا فما بالك بالدعاة إلى الله سبحانه وتعالى وهم في موقع التأثير والسعي لهداية الدلالة والإرشاد، قال سفيان الثوري -رحمه الله-: "يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم فقد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (٣/٢٩٤) رقم (١٤٢٧).

(٢)رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (٣/٢٩٤) رقم (١٤٢٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٣/٢٩٧)، والمصنف لابن أبي شيبة، كتاب الزكاة، في الاستغناء عن المسألة، (٣٨/٧) رقم(١٠٧٩٠).

وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس"[١].

المسألة الثانية: التأكيد على أهمية البذل والإحسان للآخرين:

ومتى كان الداعية إلى الله غنيًا في نفسه، مكنّه ذلك من أن يكون صاحب اليد العليا حيث البذل والانفاق في سبيل الله مما تستجلب به النفوس الشاردة والمعرضة وما إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة إلا شاهد يؤكد على أثر المال في التأليف والدعوة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾[٢]، وعلو اليد هذه إنما هو من علو المجد والكرم، يريد به الترفع عن المسألة والتعفف عنها[٣].

وبذل المال ليس هو المهمة الأصل في حياة الداعية إلى الله وإنما عليه بذل العلم واستفراغ الجهد في الدعوة إلى الله، وما بذل المال إلا حالة استثناء، ليكون وسيلة لتحقيق المطلوب من أولئك الشاردين، الذين لا تستجلب قلوبهم إلا بهذا، وكما أنه استثناء في مهمة الداعية فهو استثناء أيضا في حق المدعوين، فلا يستجلب بــه إلا أولئك الذين بهدايتهم تهتدي أقوامهم -بإذن الله-، وما المؤلفــة قلــوبهم إلا مــن أولئك.

المسألة الثالثة: أثر ذلك على المدعوين:

ومن أهم ما يميز شخصية المسلم قدرته على توثيــق العلاقــات الإنــسانية والاجتماعية، بينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه، وللعلاقات الطيبة النقيــة، أثرهــا الكريم، في غرس المودة في النفوس، وإشاعة الخير في المحيط الإنساني[٤].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٨٢).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٦٠).

(٣) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٩٥).

(٤) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(١٢٦).

وقد سلك الإسلام بأتباعه سبيل التعاون في علاقاتهم، وأرسى مبادئ الود والتواصل بين المسلمين، فشرع الهبة والهدية، جبرًا للقلوب، وغرسًا لأسباب المحبة والألفة بين الناس، كما حثَّ على قبول الهدية الخالصة النقية التي لا تشوبها شائبة، إذ إن لها أثرها في اقتلاع جذور الشر والكراهة، وتنقية النفوس من المشاعر السيئة(١).

وهكذا نجد أن الداعية إلى الله متى ما استشعر ذلك وعمل به فإن أثره سيكون أكثر، ومقامه سيكون أعلى، وما الواقع المشاهد في حياة الناس إلا شاهد على هذا.

---

(١) المرجع السابق ص(١٢٨).

المطلب الخامس

« إنما الصبر عند الصدمة الأولى»

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مر النبي -صلى الله عليه وسلم- بامرأة تبكي عند قبر فقال: « اتقي الله واصبري ». قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي -صلى الله عليه وسلم-. فأتت باب النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى »[1].

الدعاة إلى الله وهم سائرون في ركب الدعوة حاملين ميراث النبوة، يحتاجون إلى بناء أنفسهم بناءً يتحملون معه المواقف التي قد تعرض لهم في مسيرتهم الدعوية وبخاصة ما يحمل طابع المفاجأة منها، وما يبثه المرجفون في المدينة ممن لا يخلوا منهم زمان ولا مكان، قال ابن القيم -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: "وقوله: ((الصبر عند الصدمة الأولى)) مثل قوله: ((ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه وقت الغضب))[2] فإن مفاجئات المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها، فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدها وضعفت قوتها فهان عليه استدامة الصبر، وأيضًا فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه وهي الصدمة الأولى. وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها، وعلم أنه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار. وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عنها شيئًا جاءت تعتذر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- كأنها تقول له: قد صبرت، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى"[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، (١٤٨/٣)، رقم(١٢٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (٥١٩/١٠)، رقم(٦١١٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، (٢٠١٤/٤)، رقم(٢٦٠٩).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٧٩/١).

وكما أن الدعاة مشاعل هدى، فإنهم يقومون بواجب الطمأنة والتهدئة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه تجاه ما قد يرد من أحداث وازمات قد تجعل الناس في حيرة وهلع وقنوط، فإذا كان الصبر لأي إنسان من لوازم بقائه وسيره في الحياة وبلوغ ما يريد، فإن الصبر أشد ضرورة للمسلم من غيره"(١).

ولعل أثر ذلك البناء للداعية يظهر في الفقرتين التاليتين التي سأقصر الحديث عليهما نظرًا لارتباطها بمجتمع الداعية مما يجعل الأثر أكثر وضوحًا، وإلا فخاصة النفس وما يعرض لها من منح ومحن تحتاج إلى صبرٍ عند أو ل وقوعها كما تحتاج إلى ملازمة الصبر عند ملازمتها للإنسان.

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية الصبر في حياة الداعية:

وذلك بالصبر على الدعوة ومشاقها وبالصبر على معارضة وأذى الآخرين، فالداعية إلى الله يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده والتزام أوامره والابتعاد عن نواهيه، يدعو إلى مكارم الأخلاق، يحبب إلى الخير الناس ، ويأخذ بأيديهم إليه، ويحول بينهم وبين اغتيال الشياطين لهم، وهو كالطبيب، ولكنه يعالج النفوس والأرواح، ويحول بين الناس وبين الأمراض التي تؤدي بهم إلى خسارة الدنيا وخسارة الآخرة"(٢). وهو في هذه الحالة عرضة لمواقف المعارضين الذين يصحبون معارضتهم بالإساءة للمدعو ولمزه وهمزه وتجريحه سعيًا لاستفزازه، وإخراجه عن طوره، ومتى صبر في أول أمره هان عليه باقيه وزادهم غيضًا وحنقًا، أو حسن مراجعة منهم لما قاله ليكون هداية ورشدًا، وهذا منه كظم لغيظٍ، أراد بكظمه وجه

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص (٣٥٠).

(٢) مرشد الدعاة للشيخ محمد نمر الخطيب، ص(١١١).

الله، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾(١).

وهي شجاعة لا يقدر عليها الكثير من الناس، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنها-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب))(٢).

إن القوة الحقيقة للإنسان تتجلّى في موقفه من الأزمات ساعة احتدام الانفعالات، فالذي ينجح في مواجهة هذه الأزمات هو الإنسان القوي.

إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرر أن الإنسان إنما يكون بإرادته لا بعضلاته فليس الشديد هو الذي يصرع الناس بقوته، لكن الشديد الذي يملك السيطرة على أعصابه، ويستطيع أن يتصرف التصرف الموزون اللبق في حالة الغضب والانفعال"(٣).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾(٤)، قال الرازي -رحمه الله-: "أما قوله تعالى: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فاعلم أنه تعالى لما بيَّن في أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضا سببا لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين وعلى هذا الوجه قال تعالى: يا

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٣).

(٢) سبق تخريجه ص (٣٣).

(٣) خواطر في الدعوة إلى الله لمحمد بن لطفي الصباغ ص(١٤٧).

(٤) سورة العصر، الآية: (٣).

أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا [التحريم: ٦] فالتواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل، والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابهم ما يحرم إذ الإقدام على المكروه، والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد"(١).

وصبر الداعية في هذه المواقف وأمثالها كان من سجايا أبناء مدرسة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فعن ابن عباس { قال: "قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شُبانًا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾(٢) وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله"(٣).

قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: " ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل"(٤).

---

(١) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٨١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٩٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)، (٨/٣٠٤) رقم (٤٦٤٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/١٨٧).

المسألة الثانية: أهمية تحلي الداعية بالصبر وأثر ذلك على مجتمعه:

عندما يعصف بالمجتمع أو الأمة حوادث تتطلب الصبر والتأمل فإن الدعاة إلى الله مؤمل فيهم أن يكونوا في مقدم هؤلاء قدوة وتهدئة للمجتمع بعدم القلق والتوتر تجاه ما قد يرد من أحداث، فحقيقة شجاعة الداعية هي الصبر والتبيان والإقدام على الأمور النافعة، وتكون شجاعة الداعية في الأقوال والأفعال، ولابد أن تكون شجاعته موافقة للحكمة، وأعظم ما يمد ويقوي شجاعة الداعية: الإيمان العميق، وقوة التوكل على الله، وكمال الثقة به سبحانه، ومعرفته لأحوال النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومواقفه في الشجاعة القلبية والعقلية[1]، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: ((لن تراعوا، لن تراعوا)). وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف فقال: ((لقد وجدته بحرًا)) أو ((إنه لبحرٌ)) [2].

ومن المؤكد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع الصوت كما سمعه أهل المدينة لكنه لم يخف كحال غيره ولذلك ذهب بشجاعة -صلى الله عليه وسلم- لمصدر الصوت، وعاد مطمئنًا من فزع بأنهم لم يراعوا، وهي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسًا وإظهارًا للرفق بالمخاطب[3].

---

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١/٢٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، والسخاء، وما يكره من البخل، (١٠/٤٥٤)رقم(٦٠٣٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٥٧).

المطلب السادس

« إن الدين يسرٌ»

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة))(1).

دين الإسلام الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- هو دين اليسر والسماحة في أصله، وفيما يعرض لأتباعه من حرج ومشقة، فأما في الأصل فمظاهر يسره على خلاف ما سبقه من الأديان، وقد أورد البخاري -رحمه الله- هذا الحديث في "باب الدين يسر، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة))"، وقد علّق ابن حجر -رحمه الله- على عنوان الباب قائلاً: "قوله باب الدين يسر" أي: أن دين الإسلام ذو يسر أو سمى الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم"(2).

ويؤيد ما ذكره ابن حجر -رحمه الله- ما ورد في صفة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

---

(1) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (1/93) رقم (39).

(2) فتح الباري، ابن حجر (1/ 93).

وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾[(١)].

قال ابن كثير -رحمه الله-: وقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: أنه جاء بالتيسير والسماحة، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((بعثت بالحنيفية السمحة))[(٢)].

وقال لأميريه معاذٍ وأبي موسى الأشعري، لما بعثهما إلى اليمن: ((بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا))[(٣)].

وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي -رضي الله عنه-: ((إني صحبت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وشهدت تيسيره))[(٤)].

قد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسَّع الله على هذه الأمة أمورها، وسهلها لهم؛ ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تقل أو تعمل))[(٥)][(٦)].

ومما يدل على يسر وسماحة هذا الدين في أصله أن الله جلَّ وعلا لما أمر عباده بعدد من التكاليف ذكر لهم سبحانه أن في هذا يسرًا لا حرج فيه ولا مشقة، قال

---

(١) سورة الاعراف، الآية: (١٥٧).

(٢) رواه أحمد في المسند(٥/٢٦٦) رقم (٢٢٢٩١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، (٦/١٦٢) رقم(٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (٣/١٣٥٩) رقم(١٧٣٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، (٣/٨٢) رقم(١٢١١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق، (٩/٣٩٣) رقم(٥٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، (١/١١٦) رقم(١٢٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٢٦٥).

الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ۤ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾(1).

وكما هو دين اليسر والسماحة في أصله فهو دين اليسر والسماحة فيما يعرض للمسلم من حرج ومشقة في أداء عبادة من العبادات، فعن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال كانت بي بواسير فسألت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة فقال: ((صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب))(2)، بل إن الصيام وهو ركن من أركان الإسلام في حال العجز عن أدائه في وقته إما عجزًا مؤقتًا لسفرٍ أو مرضٍ يرجى برؤه فلا يصمه ويقضي لاحقًا، أو عجزًا كليًا لمرض لا يرجى برؤه فتقوم مقامه كفارة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾(3).

---

(1) سور الحج، الآيتان: (٧٧، ٧٨).

(2) رواه البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب، (٢/ ٥٨٧)، رقم(١١١٧).

(3) سور البقرة، الآيتان: (١٨٣، ١٨٤).

والحجُّ كذلك ركنٌ من أركان الإسلام يسقط عمن لا يستطيع، ومتى ما استطاع أداه ولو مات و لم يستطع فذمته بريئة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1].

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((إن الدِّينَ يسرٌ)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية فقه الداعية لمعنى يسر الدين:

فقه الداعية لمعنى يسر الدين أولى الخطوات العملية نحو تمثله في نفسه وفي دعوته إلى الله ﷻ، وبخاصة مع فقهه أن اليسر أصل في ديننا ومقصد من مقاصده لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2] فمتى ما حقق المسلم الغاية — بفعل المأمور وترك المحذور- بأدنى درجات المشقة كان ذلك من تمام فهم يسر الدين.

فعن ابن عباس–رضي الله عنه– عن جويرة -رضى الله عنها-: ((أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت نعم قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته))[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٩٧).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، (٤/٢٠٩٠) رقم(٢٧٢٦).

وعند قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "كيف تجد تحته أنهم في سعة ومنحة من تكاليفه؛ لا في ضيق وحرج ومشقة؛ فإن الوسع يقتضي ذلك فاقتضت الآية أن ما كلفهم به مقدور لهم من غير عسر لهم ولا ضيق ولا حرج؛ بخلاف ما يقدر عليه الشخص فإنه قد يكون مقدورًا له ولكن فيه ضيق وحرج عليه، وأما وسعهُ الذي هو منه في سعة؛ فهو دون مدى الطاقة والمجهود؛ بل لنفسه فيه مجال ومتسع وذلك مناف للضيق والحرج"[2].

وبعد هذا فالذي يظهر بعد الاستقراء لمعنى اليسر أنه وسط بين الإفراط والتفريط، فدعاة التساهل والتخفف من التكاليف الشرعية سمو منهجهم تيسيرًا أو وسطية، ودعاة التشدد والغلو زعموا أن منهجهم هو منتهى اليسر والسماحة، وهو المنهج الحق بالبعد عن تمييع الدين والتساهل فيه، وكلا الفريقين قد جانب العدل في هذا قال ابن القيم -رحمه الله-: " وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طَرَفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به. فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقُوَّته بحسب ذلك. وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصًا وأثمرت نقصًا"[3].

وعلى هذا ففهم فقه يسر الدين من أولى أوليات الداعية ليقوم بواجب الدعوة على بصيرة من أمره، ويظهر معها حاجته لفقه قواعد الفقه وأصوله ليُنَزِّلَ الأمر منزلته المناسبة له.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٧).

(٣) الفوائد، ص (٢٥٣- ٢٥٤).

المسألة الثانية: أخذ الداعية نفسه بيسر الدين:

منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- هو المنهج الحق والذي يجب أن يُحتذى، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾(١) لقد كان لكم - أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال(٢).

والدعاة إلى الله الحاملون لميراث النبي -صلى الله عليه وسلم- سائرون على سبيله عليه الصلاة والسلام في حياته، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((ما خُيِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه))(٣).

قال النووي -رحمه الله-: " قولها: ((ما خُيِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه)) فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا. قال القاضي: ويحتمل أن يكون تخييره -صلى الله عليه وسلم- هنا من الله تعالى، فيخيره فيما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصار، وكان يختار الأيسر في كل هذا "(٤).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((دعوني

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٢٠).

(٣) رواه مسلم كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه و سلم للآثام واختياره من المباح أسهله، (٤/ ١٨١٣)، رقم(٢٣٢٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي (١٥/ ٨٣).

ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))[(١)].

قال ابن رجب -رحمه الله-: "وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم))، قال بعض العلماء: هذا يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر؛ لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه، والأمر قيد بحسب الاستطاعة".

ثم قال -رحمه الله-: "والتحقيق في هذا أن الله لا يكلف العباد من الأعمال ما لا طاقة لهم به، وقد أسقط عنهم كثيرًا من الأعمال بمجرد المشقة رخصة عليهم، ورحمة لهم، وأما المناهي، فلم يعذر أحد بارتكابها بقوة الداعي والشهوات، بل كلفهم تركها على كل حال"[(٢)].

وقد جعل الله من الإنسان حَكَمًا على نفسه فيما هو باستطاعته من الأعمال وهو جزء من الأمانة التي حملها الإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[(٣)].

وقد روت عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها، وعندها امرأة قال: ((من هذه؟)). قالت: فلانة، – تذكر من صلاتها– قال: ((مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا))[(٤)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب، باب الاقتداء بسنن رسول الله، (٢٥١/١٣) رقم(٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب، باب توقيره -صلى الله عليه وسلم- وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، (١٨٢٩/٤) رقم(١٣٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/ ٩٥، ٩٦).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، (١٠١/١)، رقم(٤٣).

المسألة الثالثة: دور الداعية في بيان يسر الدين:

الداعية إلى الله سبحانه وتعالى وهو السائر على نهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة إلى الله حيث وضوح المنهج وظهور السبيل قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[(١)].

والمتتبع لمنهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجد أن الدعوة إلى اليسر وعدم أخذ المدعوين بالشدة فيما يقومون به من عمل من الأعمال الصالحة هو السائر في حياته عليه الصلاة والسلام يتضح ذلك في أمور كثيرة ومنها:

١ – الدعوة إلى بيان أن اليسر هو الأصل في دين الله:

يظهر هذا في تلك الآيات التي تم الاستشهاد فيها في هذه الفقرة من هذا البحث، وكذا ما جاء في نص الحديث المبحوث، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا)) إذ إن الهدي الصحيح أن يعمل الإنسان الشيء على وجه السداد والإصابة فإن لم يتيسر يقارب عمله للسداد والإصابة. عن عبد الله بن سعود ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((هلك المتنطعون قالها ثلاثًا))[(٢)].

قال النووي -رحمه الله-: "((هلك المتنطعون)) أي المتعمقون الغالون المجاورون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[(٣)].

وكما هي الدعوة القولية تكون من الدعوة العملية فهو محط أنظار المدعوين: وقد روى جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: ((كنت أصلي مع النبي -صلى الله

---

(١) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، (٤/ ٢٠٥٥)، رقم(٢٦٧٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي (١٦/٢٢٠).

عليه وسلم- الصلوات فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا))[1].

ففي هذا الحديث: استحباب القصد في الصلاة والخطبة وجميع الأمور[2].

٢ – بيان خطأ من حمل نفسه على الشدة:

الداعية إلى الله وهو يدعو إلى يسر يدين ببيانه وأفعاله فقد يجد من رغب في الزيادة على هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- فتنطع في الأعمال والأقوال بسلامة نية وحسن مقصد، وهذا لا يكفي ما لم يتحقق شرط الاتباع لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقد انكر عليه الصلاة والسلام على أولئك الذين سلكوا منهجًا خالف هديه، ولم يسألهم عن مقصدهم وحسن نيتهم، يتبين هذا في المثالين التاليين الذين يجعلهما الداعية نبراسًا يستضيئ به في دعوة الناس والإنكار عليهم بضوابط الإنكار وشروطه وهذين الحديثين هما:

– عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[3].

– وعن أنس -رضي الله عنه- قال: ((دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ((ما هذا الحبل))؟. قالوا: هذا حبل لزينب فإذا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/ ٥٩١)، رقم(٨٦٦).

(٢) انظر: تطريز رياض الصالحين، الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك (١/١١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٩/١٠٤)، رقم(٥٠٦٣).

فترت تعلقت. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد))(١).

٣ - بيان خطأ من ضيع شيئًا من شرائع الدين بحجة اليسر والتسامح:

وكما هو الإنكار على من حمل نفسه على التشدد يجب الإنكار على من ضيع شيئًا من أمور الدين بحجة التساهل، فالغلو في الدين هو الزيادة عن الحد المشروع فيه. . . ولكن هناك من هو على النقيض من غلو الزيادة في الدين؛ فهناك من غلا في التساهل والتسامح في الدين، ولا شك أن ديننا دين السماحة ورفع الحرج والاعتدال. ولكن يجب أن يكون هذا التسامح في حدود ما شرعه الله من الأخذ بالرخص الشرعية عند الحاجة إليها، والدين كله ولله الحمد ليس فيه آصار ولا أغلال: ﴿لا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(٢)، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٣) ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾(٤)، ولكن الغلو في التسامح يكون بالخروج عما شرعه الله، وهذا لا يسمى تسامحًا، وإنما هو الحرج نفسه(٥).

وفي ختام هذه الفقرة ناسب أن أعرض لما ختم به الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- شرحه لهذا الحديث العظيم فقال -رحمه الله-:

فعلمت بهذا: أنه يؤخذ من هذا الحديث العظيم عدة قواعد:

القاعدة الأولى: التيسير الشامل للشريعة على وجه العموم.

القاعدة الثانية: المشقة تجلب التيسير وقت حصولها.

القاعدة الثالثة: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، (٣/٣٦)، رقم(١١٥٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٣) سور الحج الآية(٧٧، ٧٨).

(٤) سورة المائدة الآية (٦).

(٥) من مقالة لمعالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، بعنوان "الغلو كما يكون في التشدد يكون في التساهل" منشور على موقع معاليه على الشبكة العنكبوتية.

القاعدة الرابعة: تنشيط أهل الأعمال، وتبشيرهم بالخير والثواب المرتب على الأعمال.

القاعدة الخامسة: الوصية الجامعة في كيفية السير والسلوك إلى الله، التي تغني عن كل شيء ولا يغني عنها شيء.

فصلوات الله وسلامه على من أوتي جوامع الكلم ونوافعها[1].

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد ص (٦٨)

الخاتمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد: فبعد بحث واستقراء لإعداد هذا البحث الذي أكتب خاتمته خلصت فيه إلى ما يلي:

- كثرة الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل في كتب السنة، ومع اقتصاري على صحيح البخاري والاكتفاء بستة أحاديث مراعاة لطبيعة البحث، فقد بقي منها بقية كثيرة منها على سبيل المثال: ((إذا لم تستحي فاصنع ما شئت))[1]، و((الناس معادن))[2] و((إياكم والظن))[3] وغيرها من الأحاديث.
- أهمية التوسع في الكتابة في هذا الموضوع نظرًا لأهميته وكثرة تناوله من العامة والخاصة في عدة مجالات من حياتهم.
- وضوح أثر تلك الأحاديث في بناء شخصية الداعية الاجتماعية، سواء كان ذلك في خاصةِ نفسه، أو مع مجتمعه الذي يعيش فيه، أو مع المدعوين الذين يستهدفهم في دعوته.
- استهدفتُ الجانب الاجتماعي لكون الأصل في الداعية أنه مخالط للناس ومشارك فاعل في قضايا مجتمعه.
- الداعية إلى الله مع سعيه لبناء شخصيته فإن عليه السعي لبناء شخصية المدعوين على ما علمه من فقه النصوص النبوية.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، (١٠/٥٢٣)، رقم(٦١٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، (٦/٥٢٩)، رقم(٣٤٩٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (١٠/٤٨١)، رقم(٦٠٦٤).

- بناء الداعية لشخصيته بناءَ تأصيلٍ يجعله ألصق بالحق من غيره ممن سعى لبناء شخصيته على برامج ليست منبثقة من هذا الأصل العظيم.
- أتمنى على الباحثين أن يدرسوا الأحاديث السائرة مسار المثل دراسة متعددة لبناء شخصية الاقتصادي والسياسي وغيرهم ممن يقومون بمهام تخدم المجتمع والأمة.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح، المستطرف في كل فن مستطرف، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت.

٢. ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد، المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، شركة دار القبل- جدة، مؤسسة علوم القرآن. بيروت، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٣. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، الفوائد، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

٤. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، عدة الصابرين، عالم الكتب، مكتبة المتنبي- القاهرة.

٦. ابن تيمية شيخ الإسلام أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٧. ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨. ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر –بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٩. ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصرالدين، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، مصر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٠. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١١. ابن مالك محمد بن عبد الله شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان(١٩٩٠م).

١٢. أحمد عمر هاشم، الإسلام وبناء الشخصية، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٣. أحمد فريد، تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، دار البخاري، بريدة، السعودية، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

١٤. الأشموني علي بن محمد، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (١٩٤٧م).

١٥. الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٦. آل مبارك فيصل بن عبد العزيز، تطريز رياض الصالحين، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٧. البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح، حسب ترقيم فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ. الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٨. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٩. تنوير نور الحق، من أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الهجري، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٢٠. الحمد محمد بن إبراهيم، جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، رواية: الشيخ محمد بن موسى الموسى، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٢١. الخطابي أبو سليمان حمد، معالم السنن شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢٢. الخطيب محمد نمر، مرشد الدعاة، الطبعة الأولى، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٢٣. الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، - ١٤٢٠ هـ.

٢٤. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، دار الزاحم.

٢٥. السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٦. الصالح صالح وزوجته أمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية.

٢٧. الصباغ محمد بن لطفي، خواطر في الدعوة إلى الله، الطبعة الأولى المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢٨. الصغير محمد بن عبد الله، ما تحت الأقنعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢٩. الصياصة مصطفى عيد، ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وأثرها في تربية الجيل المسلم، الطبعة الأولى، دار المعراج الدولية، الرياض، ١٤١٢هـ.

٣٠. عبد المجيد محمود عبد المجيد، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، الطبعة الثانية، مكتبة البيان، الطائف، مكتبة السوادي، جدة، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٣١. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٢. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب جمهرة الأمثال، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٣. العلواني محمد جابر، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، الطبعة الأولى، مكتبة المؤيد- الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٣٤. العيني محمود بن أحمد بن موسى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٥. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٦. غلوش أحمد أحمد، قواعد الخطابة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٧. الفاروقي التهانوي محمد بن علي بن محمد، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم

٣٨. فلاتة حنان بنت أبو بكر محمد، منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر، جامعة أم القرى كلية التربية.

٣٩. القحطاني سعيد بن علي بن وهب، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الطبعة الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤٠. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٤١. القشيري مسلم بن الحجاج أبو الحسين، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٢. قطامش عبد المجيد، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، الطبعة الأولى، دار الفكر- دمشق، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

٤٣. القيرواني الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣ م.

٤٤. المحمدي مروان بن عبدالله، الأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك، (جمع ودراسة)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة الكرمة، السعودية، ١٤١٧هـ.

٤٥. المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م.

٤٦. الميداني أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م.

٤٧. النملة علي بن إبراهيم، هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، بيسان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٤ هـ.

٤٨. النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الفكر، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٩. الهاشمي محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، الطبعة الخامسة، دار البشائر، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٠. هاني طاهر محمد حسين، الأمثال النبوية في صحيح البخاري (دراسة لغوية دلالية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٥١. المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٥٢. منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة، إعداد مؤسسة المربي

٥٣. التميز في الخطابة والالقاء، بحث نشر على موقع رابطة أدباء الشام.

البحث رقم (٣)

الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ" لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"

إعداد

د. خالد بن سعد الزهراني

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (3).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(4).

---

(1) سورة آل عمران، آية ١٠٢.

(2) سورة النساء، آية ١.

(3) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠-٧١.

(4) هذه خطبة الحاجة. أخرجها الإمام أحمد، وأبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة الحاجة، برقم ٢١١٨ ، والترمذي، في جامعه كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم ١١٠٦ وقال صحيح، والنسائي، كتاب الجمعة، باب الدنو من الإمام يوم الجمعة، برقم ١٧٠٩، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم١٨٩٣، وصححها الألباني في كتابه خطبة الحاجة ص: ٩.

يعتبر إبداء النصح والوصية للأهل والاحباب من أعظم ما يحقق الخير، ومن أعظم ما ينمي مشاعر الألفة والمحبة بينهم؛ وهو طريق لإيصال الحق؛ وهو سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من عباد الله الصلحين؛ قال تعالى مخبراً عن نبيه هود -عليه السلام-: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[(1)].

وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- النصيحة هي الدين، فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[(2)]وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- " علموا أنفسكم وأهليكم الخير"[(3)]وقد أرسى معالم النصح والوصية بالخير محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك حين أوصي ابنته فاطمة -رضى الله عنها- فقال " يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئا"[(4)].

وقد أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن عمه عبد الله بن العباس فقال: "يا غلام أني أعلمك كلامات احفظ الله يحفظك. ."[(5)] ومن هنا أردت أن أدرس هذه الوصية الرائعة التي قدمها ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه وفلذت كبده، واستنبط منها الدلالات الدعوية رجاء نفع نفسي ومن يطلع عليها من المسلمين.

---

(١) سورة الأعراف، آية ٦٨.

(٢) أخرجه مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم٥٥.

(٣) أثر صحيح أخرجه الحاكم ٤/٤٩٤.

(٤) رواه مسلم باب قوله تعالى "وأنذر عشيرتك الأقربين " رقم ٢٠٤

(٥) رواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم : ٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح وأحمد في مسنده رقم: ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرك رقم: ٦٣٠٤.

أهمية البحث:

لهذا الموضوع أهمية كبرى أجملها في الآتي:

١. عظم شأن ومكانة الوصايا عامة ووصية ابن الجوزي لابنه خاصة.

٢. اتباع ابن الجوزي للسلف الصالح رحمهم الله في نصح الأبناء.

٣. التعرف على ما في نصيحة ابن الجوزي -رحمه الله- من الدلالات الدعوية الرائعة التي تنفع الناصح في نصحه.

أهداف البحث وتساؤلاته:

١. يهدف البحث لتحقيق ما يأتي:

٢. بيان مفهوم الوصية.

٣. إيضاح المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه.

٤. إيضاح أسس منهج ابن الجوزي في وصيته وأساليبه.

يجيب البحث على التساؤلات التالية:

١. ما مفهوم الوصية عموما؟.

٢. ما المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي رحمه الله لابنه؟

٣. ما أسس منهج ابن الجوزي في وصيته، وأساليبه؟

حدود البحث:

ستكون حدود البحث وفق التمهيد والمباحث المحددة في خطة البحث.

منهج البحث:

سيكون المنهج المتبع في هذا البحث- إن شاء الله- قائماً على المنهج الوصفي، بالإضافة إلى إتباع الخطوات المنهجية في كتابة البحث، وهي:

١. عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر الآية وكتابتها بالرسم العثماني.

٢. عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة.

٣. عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة مع بيان اسم الكتاب والمؤلف.

٤. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٥. لا أحيل في النصوص المقتبسة من الوصية، واكتفي بورد نص الوصية كاملة في أول البحث، كما أني اكتفيت بالتخريج والتصحيح والتضعيف، والاحالة في صلب الوصية فقط واترك ذلك في الاقتباس.

٦. قد أكرر الشاهد من الوصية بحسب الحاجة "وهو قليل"، وأعلق على النص إذا رأيت الحاجة إلى ذلك.

٧. لا ألتزم بالتراجم للرجال الواردة أسمائهم في البحث خشية الإطالة.

٨. عمل الفهارس اللازمة كما هو موضح في الخطة.

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة، وتمهيدا. ومبحثين، وخاتمة، والفهارس اللازمة، وفيما يأتي تفصيل ذلك: المقدمة تشتمل على:

- أهمية البحث.
- أهداف البحث.
- تساؤلات البحث.
- حدود البحث.
- منهج البحث.

التمهيد: ويشمل الآتي:

أولاً: مفهوم الوصية لغة واصطلاحاً

ثانياً: تعريف الوصيّة في الشرع.

ثالثا: تعريف الوصية في الاصطلاح:

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بمصطلح الوصية

خامساً: أهمية وصية الأولاد ومشروعيتها.

سادساً: دليل مشروعية الوصية:

نص الوصية كاملة:

المبحث الأول: المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده.

المطلب الأول: المضامين العقدية.

المطلب الثاني: المضامين التعبدية

المطلب الثالث: المضامين الخلقية والسلوكية.

المطلب الرابع: المضامين العلمية.

المبحث الثاني: أسس منهج ابن الجوزي وأساليبه في وصيته لولده

المطلب الأول: الأسس البيانية.

المطلب الثاني: الأسس العلمية لمنهج ابن الجوزي في وصيته لولده.

المطلب الثالث: الأساليب الدعوية لابن الجوزي في وصيته

الخاتمة.

الفهارس:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد: مفهوم الوصية

أولاً: مفهوم الوصية لغة واصطلاحاً:

الوَصِيَّةُ تطلق لغة ويراد بها معنيان :العهد، والوصل والاتصال.

قال ابن منظور: (أوصى الرجل ووصاه عهد إليه)، فالوَصِيَّةُ ما يُوصى به، أو ما أوصَيْتَ به، وجمعها وَصَايا[١]وأصلها: وَصَيْتُ. ووَصَيْتُ الشّيء بالشّيء أَصِيْه من باب وَعَدَ: وَصَلْتُه[٢]، قال أبو عبيد وصيت الشيء ووصلته سواء[٣].وصّى إليه وله بشيءٍ: جعله له، ووصّى فلانا وإليه: عهد إليه، ووصّى فلانا جعله وصيَّه يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته، ووصّى بالشيء فلانا: أمره به وفرضه عليه، يقال وصّى الله الناس بكذا وكذا[٤]، وأَوْصَيْتُ إليه بمال جعلته له، وأَوْصَيْتُهُ بولده استعطفته عليه وهذا لمعنى لا يقتضي الإيجاب[٥] وأوصى فلاناً إليه: جعله وصيه يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته وعهد إليه، وأوصى إليه وله بشيء: جعله له، وأوصى به فلانا: استعطفه عليه،وأوصى فلانا بالشيء أمره به وفرضه عليه يقال أوصى الله الناس بكذا وكذا[٦],أَوْصى الرجلَ ووَصَّاه عَهِدَ إليه[٧].

ثانياً: تعريف الوصيّة في الشرع.

تطلق الوصيّة في الشرع، ويراد بها عموما أحدُ معنيين؛ خاصٌ، وعام.

- فأما على المعنى الخاص: فتُعرّف بأنها "عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت"[٨]

---

(١) لسان العرب ٢/٢٥٢٥، ١٥/٣٩٤,و المعجم الوسيط ٢/١٠٠، وتاج العروس ١/٨٦٤٨.

(٢) المصباح المنير ٢/٦٦٢.

(٣) تاج العروس ١/٨٦٤٨.

(٤) المعجم الوسيط ٢/١٠٠.

(٥) المصباح المنير ٢/٦٦٢.

(٦) المعجم الوسيط ٢/١٠٠.

(٧) لسان العرب ١٥/٣٩٤.

(٨) نيل الأوطار ١١/٢٥٣.

أو "الأمر بالتصرف بعد الموت والوصية بالمال هي التبرع به بعد الموت"[(١)]

كأن يقول: إذا متّ فأعطوا فلانا من مالي كذا، أو أعطوا فلانا قطعة من أرض قدرها كذا. وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[(٢)].

وقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[(٣)].

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «ماحقُّ امرئٍ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصيَ فيه إلا ووصيَّته مكتوبة عند رأسه»[(٤)]، وقوله: «إنا لله أعطى كالذي حق حقه فلا وصية لوارث»[(٥)].

(١) العدّة شرح العمدة ٢/٥٥.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠.

(٣) سورة النساء آية ١٢

(٤) متفق عليه رواه البخاري باب الوصايا رقم الحديث ٢٧٣٨، ومسلم باب الوصية بالثلث رقم الحديث ١٦٢٧.

(٥) رواه الترمذي باب ما جاء لا وصية لوارث رقم الحديث ٢٠٤٧ وابن ماجه باب لا وصية لوارث رقم الحديث ٢٧١٢.

- وأمّا على المعنى العامّ: فتُعَرَّف بأنّها "العهد بالشيء على وجه الاهتمام"(١).

كما جاء في تفسير القرطبي: "الوصيّة الأمر المؤكّد المقرّر" (٢).

وعرفها الحافظ ابن حجر فقال: "ما يقع به الزّجر عن المنهيّات والحثّ على المأمورات"(٣).

ثالثا: تعريف الوصية في الاصطلاح:

عرفت الوصية في الاصطلاح بتعاريف عدّة منها:

عرّفها الرّاغب -رحمه الله- بقوله: " الْوَصِيَّةُ التَّقَدُّمُ إِلَى الْغَيْرِ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ" (٤).

وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٥).

وعرّفها الألوسي -رحمه الله- بقوله: "هي التقدّم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة، سواء كان ذلك حالة الاحتضار أو لا، وسواء كان ذلك التقدّم بالقول أو بالدلالة"(٦).وقيل: "هي نوع من الأدب، غايته التوجيه والإرشاد، والحثّ على اكتساب المحامد، أو التبصير بحسن السياسة، أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق"(٧).

---

(١) انظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد ٣٩/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٤/٧.

(٣) فتح الباري ٤١٩/٥.

(٤) نقلا عن تفسير المنار ٣٣٢/٤.

(٥) سورة البقرة آية ١٣٢.

(٦) روح المعاني ٣٨٩/١.

(٧) وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة نقدية، لروناك توفيق ص ١٤.

فهذه التعاريف متقاربة، تبين أسس الوصية؛ حيث تقوم على التوجيه والإرشاد، لما فيه صلاح العبد، مقرونة بالوعظ والترغيب والترهيب.

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بمصطلح الوصية:

١- الموعظة:

الموعظة في اللغة تأتي بمعنى: التذكير، والتخويف، والإنذار، والنصح، والوعظ المقرون بالتخويف، والتذكير بعواقب الأمور(١).

وفي الشرع: قال ابن القيم -رحمه الله-: "الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة" (٢)، وقال القرطبي -رحمه الله-: «الموعظة الحسنة هي: الدعوة إلى الله عز وجل بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف»(٣).

الفرق بين الموعظة والوصية :أنهما يتفقان من حيث إن كلاهما أسلوب يهدف إلى إيصال الخير للغير والتوجيه والإرشاد ويختلفان من حيث إن الوعظ خاص بترقيق القلوب وتهيئتها لقبول الحق، أما الوصية فهي الخير المراد إيصاله. ومنه جاء قول العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إنّ هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ)(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة ١٢٦/٦ لسان العرب ٤٦٦/٧ كتاب العين للفراهيدي ٢٢٨/٢

(٢) مفتاح دار السعادة١٥٨/١ .

(٣) جامع الأحكام٢٠٠/١٠ .

(٤) رواه الترمذي في الجامع باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع،حديث٢٦٧٦وقال: حديث حسن صحيح ج١ص١٥-١٦وابن ماجة في سننه المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين حديث ٤٢و٤٣. وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ج٨ص١٠٧-١٠٩ برقم ٢٤٥٥.

٢- الإنذار:

الإنذار لغة: هو التخويف، والإعلام، والتحذير، والإبلاغ [١]

أما اصطلاحاً: فقد عرّفه المناويّ بقوله: "الإنذار: هو الإعلام بما يحذر، ولا يكاد يكون إلّا في تخويف يسع زمانه الاحتراز (منه)، فإن لم يسع كان إشعارا"[٢].

وقال الكفويّ -رحمه الله-: "الإنذار: هو إبلاغ الأمر المخوف منه، والتّهديد (به)، والتّخويف منه، قال: وذكر الوعيد مع الإنذار واجب لا مع التّهديد[٣].

الفرق بين الإنذار والوصية: أن الإنذار لا يكون إلا منك لغيرك. وتكون الوصية منك لنفسك ولغيرك؛ تقول أوصيت نفسي كما تقول أوصيت غيري. ولا تقول أنذرت نفسي، ومنه قول الخطيب أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وهي من أركان الخطبة كما بين ذلك الإمام النووي -رحمه الله-[٤].

والإنذار لا يكون إلا بالزجر عن القبيح وما يعتقدُ المنذرُ قبحه؛ والوصية تكون بالحسن والقبيح لأنه يجوز أن يوصي الرجلُ الرجلَ بفعل القبيح، كما يوصي بفعل الحسن، ولا يجوز أن ينذره إلا فيما هو قبيح، وقيل النذارة نقيضة البشارة وليست الوصية نقيضة البشارة[٥]

٣- النّصيحة:

النصح في اللغة مشتقٌ من: نصح، ينصح، نصحا، ونصيحة[٦].

قال ابن فارس: النون والصاد والحاء أصل يدل على ملائمة بين شيئين، وإصلاح لهما"[٧].

(١) لسان العرب ٥/٢٠٠وتاج العروس ١٤/٢٠١.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٦٤.

(٣) الكليات للكفوي ١/ ٣٣٨.

(٤) انظر المجموع ٤ / ٣٤٩ .

(٥) معجم الفروق اللغوية للعسكري ص ٥٢.

(٦) لسان العربج٢ ص٦١٥.

(٧) معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٣٤٨.

والناصِحُ: الخالص من العسل وغيره، مثل الناصع. وكلُّ شيء خَلَصَ فقد نَصَح. وانْتَصَحَ فلانٌ: أي قبل النصيحة، ومنه التوبة النَصوح، وهي الصادقة(١).فمدار النصح في اللغة على الإخلاص والصدق.

أما في الاصطلاح: قال القرطبي -رحمه الله-: (النصح هو: خلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش)(٢).

وقال النووي -رحمه الله-: (النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبه الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلال الثوب.

قال: وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبه والتخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط)(٣).

وقال ابن رجب -رحمه الله-: "النصيحة كلمة جامعة تتضمّن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً"(٤).

الفرق بين النصيحة والوصية:

بين النصيحة والوصية تقارب في المعنى، فجميعها يراعى فيه إرادة الخير للمنصوح أو الموصى ودعاؤه إلى ما فيه صلاحه، بيد أنّ النّصيحة يراعى فيها قيد الإخلاص وضدّها الغشّ، أمّا الوصيّة فيراعى فيها المحبّة والتّأكيد ومزيد الاهتمام، وكلاهما يقتضي طرفين أحدهما معطٍ والآخرُ متلقّ فالمعطي هو النّاصح أو الموصي، أمّا المتلقّي فهو المنصوح أو الموصى، أمّا في التّواصي فإنّ كلا الطرفين معط ومتلقّ في آن واحد، لأنّه يوصي غيره ويوصيه غيره في حال حياتهما(٥).

(١) الصحاح ج٢ ص٤١١.

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ج٧ ص٢٣٤

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ج٢ص٣٧ .

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ص ٧٦.

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -**صلى الله عليه وسلم**- ٣٤٨٩/٨.

خامساً: أهمية وصية الأولاد

كما أن للوالدين على الأولاد حقاً فكذلك على الوالدين حق للأولاد، وكما أن الله عز وجل أمرنا ببر الوالدين أمرنا كذلك بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم هو من أداء لأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غش وخيانة. وتكمن أهمية وصية الأولاد فيما يلي :

١- أنها منهج الأنبياء مع أولادهم عليهم الصلاة والسلام فهذا إبراهيم، ويعقوب عليهما السلام يوصيا أبناءهما. ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[1] وقوله تعالى في يعقوب -عليه السلام-حين أوصى بنيه عند موته بقوله: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[2].

٢- أنها اقتداء بالصالحين والعلماء، فقد وصى لقمان الحكيم عليه السلام ابنه، ووصى الصحابة أولادهم، وكذلك التابعين ومن سار على هذا النهج إلى يوم الدين[3]، وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهدي السلف الصالحين، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٣ .

(٣) من وصايا السلف لأبنائهم والتي حفظتها كتب التراجم والتواريخ:

١-فمن الصحابة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن وقاص، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، ومعاذ بن جبل، وعمير بن حبيب، وعقبة بن عامر، وعدي بن الخيار }.

٢- ومن التابعين ومن تبعهم: زين العابدين، وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وطاووس بن كيسان، وعمر بن عبد العزيز، ووهب بن منبه، وأكثم بن صيفي، وخالد بن صفوان، وعيينة بن أبي عمران، وعلقمة العطاردي، وأبو الأسود الدؤلي، وأسماء بن خارجة، والأشعث بن قيس، وصية وأبو الوليد الباجي (رحمهم الله أجمعين) .انظر هذه الوصايا في كتاب: من وصايا الآباء للأبناء، لوائل بن حافظ بن خلف.

﴿ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾[1].

٣- أن الوصايا نوع من أنواع التأديب والتربية القائم على النصح والإرشاد، وهو واجب شرعي على كل من تولى رعاية، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة)[2].

وذكر ابن القيم -رحمه الله-: "قال بعض أهل العلم إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده فإنه كما أن للأب على ابنه حقا فللابن على أبيه حق فكما قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[4]. .أي علموهم وأدبوهم... فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم)[5].

٤- أنها أداء لواجب الشكر لله عز وجل على نعمة الولد، وتعاهد بما يكون سبباً في نماء هذه النعمة وصلاحها، فإن لم يتعاهدها بالنصح والتوجيه فإنها تنقلب عليه نقمة، ويصير الولد عدوا.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فمن أهم لتعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم و لم

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٢) رواه البخاري باب من استرعي رعية فلم ينصح رقم الحديث٦٦١٧.

(٣) سورة لقمان آية ٨ .

(٤) سورة التحريم آية ٦.

(٥) تحفة المولود بأحكام المولود ص٢٢٩.

ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال يـا أبـت إنـك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا)[(١)].

وقد دأب العلماء في شكر هذه النعمة وكتابة الوصايا للأبناء، ومن ذلك مـا كتبه عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى ابنه عبد الملك عندما كـان في المدينـة بوصية قال فيها: (أما بعد. . فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت، وإن أحق من وعى ذلك وحفظه عني أنت. إن الله له الحمد قد أحسن إلينـا إحسانا كبيرا بالغا في لطيف أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما غير من النعمة، وإياه نسأل العون على شكرها. فاذكر فضل الله عليك وعلى أبيك)[(٢)].

وقد صرح ابن المقفع بأن واجب الشكر هو الوصية للابن حيث قال: (أي بني لما بشرني المولى تعالى بوجودك، ومن علي بعطائك،وقد أبلغك إلي هـذه السـنن والحد والرتبة بأن صرت مستعدا لقبول الآداب وقابلا لعدة الفضل، فقد وجـب علي أن أُودي شكرا للخالق عز وجل على هذه الموهبة الهنية والعطيـة السـنية، وبمقتضى قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(٣)]، أطلب بأداء الشكر مزيـد الاستماع والانتفاع ببقائك)[(٤)]

٥- أن في الوصية للأبناء سبيل للانتفاع بهم بعد موت العبد، لذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة: إلاّ مـن صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[(٥)].

فمن أحسن تربية ابنه ووجهه ونصحه وأوصاه فإنه سيكون له وبإذن الله عمل صالح يجري له بعد موته.

---

(١) المرجع السابق ص٢٢٩

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) سورة إبراهيم آية٧

(٤) الأدب الوجيز للولد الصغير لابن المقفعص٣

(٥) رواه مسلم باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد الوفاة رقم الحديث ١٢٩٧.

٦- أن نصح الولد علامة لحب الوالد له، ودليل على إيثاره والإشفاق عليه والرحمة به، وإرشاده إلى ما يسعده في الدنيا والآخرة.

٧- أن بعض الأسر تميزت بالعلم والشرف والسؤدد فتريد أن يستمر ذلك في نسلها جيلا بعد جيل فيحرصون على تعليم الأبناء ما ينفعهم، ويجعلهم خير خلف لخير سلف، قال الألوسي -رحمه الله-: (تواصي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة والشرع المستقيم نسلا بعد نسل)[1].

ومن ذلك وصية الباجي -رحمه الله- لولديه: (وأعلما أننا أهل بيت لم نخلُ بفضل الله ما انتهى إلينا منه من صلاح وتدين وعفاف وتصادق)[2]، فأهل العلم والشرف ما فعلوا ذلك إلا ليستمر الفضل والشرف في أعقابهم بفضل الله ثم بفعل الأسباب مثل الوصية.

٨- للوصيّة الصّادقة تأثير بالغ في النّفس وهي دافع قويّ لتنفيذ الموصى به.

٩- الوصيّة وسيلة من وسائل التّقوى والتّذكّر والتّعقّل، وهي من أعظم الأساليب التربوية والتقويمية.

١٠- من الحكمة في تشريع الوصية أنها تبرأ بها ذمة الموصي مما يحدث بعد موته وبخاصة إذا كان في أماكن يكثر فيها الجهل بعقيدة التوحيد، وتنتشر فيها البدع والمخالفات.

سادساً: دليل مشروعية الوصية:

جاءت نصوص الكتاب والسنة، على مشروعية الوصية عامة - سواء الوصية المالية أو الوصية التأديبية الوعظية - وعلى مشروعيتها انعقد إجماع الأمة "ولن أستطرد فيها لشهرتها" .

---

(١) روح المعاني للألوسي ١/٣٨٩.

(٢) وصية الباجي لولديه ص٣٦.

أما دليل الكتاب: في قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (1). وقوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (2).

وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ (3).

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (4).

وأما دليل مشروعيتها من السنة: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول ذلك إلا وعندي وصيتي)(5).

أما عن الإجماع: فقد نقل ابن قدامة في المغني الإجماع على جواز الوصية حيث قال: (وأجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصية) (6).

---

(1) سورة البقرة آية ١٨٠.

(2) سورة النساء آية ١١.

(3) سورة المائدة آية ١٠٦.

(4) البقرة آية ١٣٢.

(5) متفق عليه، رواه البخاري باب الوصايا ٢٥٣٣ ، مسلم باب الوصية بالثلث رقم الحديث ٣٠٤٧.

(6) المغني ٨/٣٩٠.

نص وصية ابن الجوزي لابنه[1]:" وعليها مدار البحث".

(١) وابن الجوزي اسمه: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق-خليفة رسول الله القرشي التيمي البكري ثم البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف المشهورة، كنيته: أبو الفرج، لقبه: لقب بجمال الدين، غير أنه اشتهر بابن الجوزي نسبة إلى جده الأكبر (جعفر بن عبد الله) وهو الجد التاسع فهو الذي لقب بالجوزي، واختلف المؤرخون في سبب نسبة ابن الجوزي: فمنهم من قال: إن جده جعفراً نسب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها: جوزة وقيل: إن جده جعفراً نسب إلى محلة تسمى محلة الجوز، وقيل غير ذلك. ولد ابن الجوزي بدرب حبيب ببغداد. واختلف في تاريخ ولادته فقيل: سنة ٥٠٠هـ، وقيل: سنة ٥٠٩هـ، وقيل: سنة ٥١٠هـ.نشأ على حب العلم فيقول -رحمه الله-: "فأقول عن نفسي وما يلزمني حال غيري: أنني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبب إلي فن واحد منه، بل فنونه، ثم لم تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه...".حتى تجاوزت مؤلفاته (١٠٠٠) مؤلفا كما قال ابن تيميه -رحمه الله-، توفي ليلة الجمعة بعد المغرب في الثانية عشر من شهر رمضان المبارك سنة سبع وتسعين وخمسمائة (٥٩٧هـ) بالجانب الغربي من مدينة السلام، بدار له قريبة من قبر معروف الكرخي انظر: طبقات المفسرين ٢٧٦/١.ورحلة ابن جبير ص ١٩٦.وتذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤.وذيل طبقات الحنابلة ٤٠٠/١، الأنساب ٣٦٦/٣.وشذرات الذهب ٣٣٠/٤.وذيل طبقات الحنابلة ٤٠٠/١، وفيات الأعيان ١٤٢/٣.وصيد الخاطر (ص٧٦- ٧٧) .، وابنه هو بدر الدين أبو القاسم علي ابن الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن علي بن محمد بن علي الجوزي، ولد في رمضان عام ٥٥١هـ "انظر سير الأعلام ج ٢٢/ص٣٥٢، عرف عنه طلب العلم الشرعي، وهو صحيح السماع ثقة كثير المحفوظ حسن الإيراد صاحب دعابة وطرفة "انظر سير أعلام النبلاء ج٢٢ص٣٥٣، والسبب في نصح ابن الجوزي ابنه أن بدر الدين قد ترك الوعظ وطلب العلم وانتكس على عقبه، ولزم البطالة واشتغل فيما لا يجوز بل كان يسرق من كتب أبيه، وقد قيل أن أباه كان يدعوا عليه، قال ابن النجار "سمعت أباه يقول إني لأدعو عليه كل ليلة وقت السحر "أ.هـ، وهذا قبل ان يُرزق ابن الجوزي بأخيه يوسف محي الدين عام ٥٨٠هـ وكان بارا بأبيه و عالما، قال عنه ابن السباعي: " وهو من العلماء الأفاضل، والكبراء الأماثل، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل. ظهرت عليه آثار العناية الإلهية، منذ كان طفلاً. فعني به والده. وأسمعه الحديث، ودربه من صغره في الوعظ، وبورك له في ذلك. وصار له قبول تام، وبانت عليه آثار السعادة. "انظر ذيل طبقات الحنابلة ج١ص٢٨٧,والعجيب في الأمر ان هذا الابن أقصد بدر لم يستفد من هذه النصيحة بل استفاد منها أخو يوسف.

الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضّد العشائرَ بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب، أحسنَ التربيةَ في الصغر وحفظ في الشباب، ورزقنا ذريةً نرجو بهم وفورَ الثواب ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾(١) أما بعد. .

فإني لما عرفتُ شرفَ النكاح وفضلَ الأولاد، ختمتُ ختمةً وسألتُ الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم فكانوا خمسة ذكورًا وخمسةً إناثًا، فمات من الإناث اثنتان ومن الذكور أربعة، و لم يبق لي من الذكور سوى ولدي أبي القاسم، فسألتُ الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلّغني فيه المنى والمناجح. ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجِد في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالة أحثه بها على طلب العلم وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم، وأدله على الالتجاء إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفّق ولا مرشدَ لمن أضلّ، لكنْ قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾(٣).ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل في فضل العقل ومسؤولية التكليف والحث على طلب الفضائل:

اعلم يا بني - وفقك الله للصواب - أنه لم يميَّزِ الآدميُ بالعقلِ إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعمِلْ فكرَك، واخلُ بنفسك، تعلمْ بالدليل أنك مخلوق مكلف وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله، ومقدارَ اللبث في الدنيا

---

(١) سورة إبراهيم آية ٤٠/٤١.

(٢) سورة العصر آية ٣.

(٣) سورة الأعلى آية ٩

قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟ قد رحلَتْ وأبقَت ندمـــًا، وأين شهوة النفس؟ نكّسَت رأسًا وأزلّت قدمـــًا. وما سعِد مَن سعد إلا بمخالفة هواه، ولا شقِي مَن شقي إلا بإيثار دنياه، فـــاعتبر بمـــن مضى من الملوك والزهاد، أين لذةُ هؤلاء وأين تعبُ أولئك؟ بقي الثواب الجزيـــل والذكرُ الجميلُ للصالحين، والمقالةُ القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما شبع مَن شبِع، ولا جاع مَن جاع. والكسلُ عن الفضائل بئس الرفيق، وحبُ الراحـــة يورث مِن الندم ما يربو على كل لذة، فانتبه وأتعِـــبْ نفـــسَك، واعلـــم أن أداء الفرائض واجتنابَ المحارم لازم، فمتى تعدّى الإنسانُ فالنار النار. ثم اعلم أن طلبَ الفضائل نهايةُ مرادِ المجتهدين، ثم الفضائلُ تتفاوت، فمن الناس مَن يرى الفـــضائلَ الزهدَ في الدنيا، ومنهم مَن يراها التشاغلَ بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفـــضائلُ الكاملةُ إلا الجمعُ بين العلم والعمل، فإذا حُصِّلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفـــة الخالق سبحانه وتعالى، وحرّكاه إلى محبته وخشيته والشوق إليـــه، فتلـــك الغايـــة القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كلُ مريدٍ مرادًا، ولا كلُ طالبٍ واجدًا، ولكن على العبد الاجتهاد، وكلٌ ميسَّرٌ لما خـــُلق له(١)، والله المستعان.

الواجبات والفضائل والهمة العالية:

وأول ما ينبغي النظر فيه معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلومٌ أن من رأى السماء مرفوعة والأرضَ موضوعةً، وشاهدَ الأبنية المحكمة، خصوصًا جسدَ نفسِه، علِمَ أن لا بد حينئذ للصَنعة مِن صانعٍ، وللمبني من بانٍ. ثم يتأمل دليل صدق الرســـول -صلى الله عليه وسلم- إليه، وأكبرَ الدلائل القرءانَ الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا ثبت عنده وجودُ الخالق وصدقُ الرســـول -صلى الله عليه وسلم-، وجب تسليمُ عِنانِه إلى الشرع، فمتى لم يفعل دل على خللٍ في اعتقاده. ثم ينبغي له

---

(١) إشارة إلى حديث صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخرجه البخاري باب موعظة المحـــدث عند القبر وقعود أصحابه حوله رقم ١٣٦٢.

أن يعرف ما يجب عليه من الوضوء والصلاة، والزكاة إن كان له مال، والحج، وغير ذلك من الواجبات، فإذا عرف قدرَ الواجب وقام به فينبغي لذي الهمة أن يترقى إلى الفضائل، فيتشاغلَ بحفظ القرءان وتفسيره، وبحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبمعرفة سيَرِه وسيَر أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخيّر مرتبةَ الأعلى فالأعلى. ولا بد من معرفة ما يقيمُ به لسانَه من النحو ومعرفةِ طرفٍ من اللغة مستعمَلٍ والفقهُ أمُ العلوم، والوعظُ حَلواؤها وأعمها نفعًا. وقد رتبتُ في هذه المذكورات وغيرِها من التصانيف ما يغني عن كل ما سبق من تصانيف القدماء وغيرِها، بحمد الله ومنته [1]، فأغنيتُك عن تطلّبِ الكتب، وجمْعِ الهِمَمِ للتصنيف. وما تقف همةٌ إلا لخساستِها، وإلا فمتى علتِ الهمةُ لم تقنع بدون. وقد عرفتُ بالدليل أن الهمةَ مولودةٌ معَ الآدمي، وإنما تقصُرُ بعضُ الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثَّتْ سارت. ومتى رأيتَ في نفسك عجزًا فسلِ المنعمَ، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيرًا إلا بطاعته، ولا يفوتُك خيرٌ إلا بمعصيته، ومَنِ الذي أقبلَ عليه فلم يرَ كلَّ مرادٍ لديه ؟ ومَن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه؟ أوما سمعتَ قول الشاعر[2]:

باللیل ما جئتُكم زائرًا إلا رأيتُ الأرض تُطوى لي
ولا ثنيتُ العزمَ عن بابكم إلا تعثّرْتُ بأذيالي

فصل واتقوا الله ويعلمكم الله :

وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمَّح كيف حِفظُكَ لها؟ فإنه من راعى رُوعي، ومن أهملَ تُرِك، وإني لأذكر لك بعضَ أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي،

(١) قال الحافظ الذهبي -رحمه الله-: "وما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل" التذكرة ص١٣٤٤.

(٢) هذه الابيات منسوبة للمرتضي والد الإمام ابي الفضل محمد بن عبد الله الشافعي مع تغير بسيط في سير أعلام النبلاء ٥٨/٢١.

وتسألَ الموفقَ لي. إن أكثر الإنعام عليّ لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همةٌ عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رُزِقتُ عقلاً وافرًا في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ معَ صبيٍ قط، ولا ضحِكتُ ضحكًا جارحًا، حتى إني كنتُ ولي سبعُ سنين أو نحوُها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخيّرُ حلقةَ مشعبذٍ، بل أطلب المحدّث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه. ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر -رحمه الله-، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعني " المسندَ " وغيرَه من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل. ولقد كان الصبيان يترلون دِجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر ءاخذ جزءًا، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرِّقة فأتشاغلُ بالعلم. ثم اُلهمتُ الزهدَ، فسردتُ الصوم وتشاغلت بالتقلل وألزمتُ نفسي صبرَها، فاستمرأتُ وشمّرت ولازمت، وأحببتُ السهر، و لم أقنع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتّبع الزهاد. ثم قرأت اللغة و لم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريبًا يقدُمُ إلا وأحضره وأتخيّر الفضائل. وكنت إذا عرض لي أمران أقدّم في أغلب الأحوال حقَ الحق، فأحسن اللهُ تدبيري وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني، وهيأ لي أسباب العلم، وبعث إلي الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهمَ وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، و لم يُعْوِزني شيئًا من الدنيا، بل ساق إلي مقدارَ الكفاية وأزيَد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته. وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جُمّةٍ.

مما يتعاناه الجهال، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع

نفـَسي من العَدْوِ لئلا أُسبَق، وكنت أصبح وليس لي ما آكل، وأمسي وليس لي شيء، وما أذلني الله لمخلوق، ولكنه ساق رزقي لصيانة عِرضي، ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرح، وها أنا، ترى ما قد آلت الحال إليه، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾(1)

فصل حفظ الأوقات واغتنام اللحظات:

فانتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين، ما دام في الوقت سَعةٌ، واسقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبَتْ لذةُ الكسل فيها، وفاتت مراتبُ الفضائل، وقد كان السلف رحمهم الله يحبون جمعَ كل فضيلة، ويبكون على فوات واحدة منها. قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي ؟ فقال: ما اغبرّتا في سبيل الله تعالى ؛ وبكى ءاخر فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبَت ما قمتها. واعلم يا بني أن الأيام تبسُطُ ساعاتٍ، والساعاتُ تبسُط أنفاسًا، وكلُ نفَسٍ خزانة، فاحذر أن تُذهِبَ نفسًا في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة فتندم.

وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمُك ! فقال: أمسِكِ الشمسَ وقعد قومٌ عند معروف الكرخي -رحمه الله-، فقال: أما تريدون أن تقوموا، فإن ملَكَ الشمس يجرُّها لا يفتُر. وفي الحديث: " من قال سبحان الله وبحمده غُرسَت له نخلةٌ في الجنة"(2).

فانظر إلى مضيِّع الساعات كم يفوته من النخل. وقد كان السلف يغتنمون

---

(1) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه باب الاذكار رقم الحديث ٨٢٦,وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم.

اللحظات، فكان كَهْمَسُ بن الحسن التميمي يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانت رابعةُ لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعَتْ هجعةً خفيفة وقامت فزِعَةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل.

فصل تُشترى هذه الحياة الابدية:

ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجَد، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة، وعلِم أن اللُبثَ في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا ــ فرضنا ستين سنة مثلاً ــ فإنه يَمضي منها ثلاثون في النوم، ونحوٌ من خمس عشر في الصبا، فإذا حسبتَ الباقي، كان أكثرُه في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيرًا، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات ؟!

فصل الانتباه بعد الغفلة:

ولا يؤيسك يا بني من الخير ما مضى من التفريط، فإنه قد انتبه خلق كثير بعد الغفلة والرقاد الطويل، فقد حدثني الشيخ أبو حكيم عن قاضي القضاة أبي الحسن [علي بن محمد] الدامَغاني -رحمه الله-، قال: كنتُ في صبوتي متشاغلاً بالبطالة غيرَ ملتفت إلى العلم، فأحضرني أبو عبد الله [محمد بن علي الدامغاني] -رحمه الله-، وقال لٍي: يا بني إني لست أبقى لك أبدًا، فخذ عشرين دينارًا وافتح دكانَ خبازٍ وتكسَّبْ ! فقلتُ: ما هذا الكلام؟! قال: فافتح دكان بزّاز ! فقلت: تقول هذا وأنا ابن قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني ! قال: فما أراك تحب العلم ! فقلت: اذكر لي الدرسَ الساعة، فذكر لي، فأقبلتُ على التشاغل بالعلم واجتهدتُ ففتح الله علي. وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد [عبدِ الرحمن بن محمد] الحلواني -رحمه الله-، قال: مات أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، وكنتُ موصوفًا بالبطالة، فأتيتُ أتقاضى بعضَ سكان دارٍ قد ورثتُها، فسمعتهم يقولون: قد جاء المدبَّرُ – أي

الربيط - فقلت لنفسي: يقال عني هذا ! فجئت إلى والدتي فقلت: إذا أردتِ طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب، ولازمتهُ فما خرجتُ إلا إلى القضاء، فصرتُ قاضيًا مدة. قلت: ورأيته أنا وهو يفتي ويناظر.

فصل منهج تربوي في اليوم والليلة:

فألزِم نفسَك يا بني الانتباهَ عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيءٍ من أمور الدنيا.

وقل عند انتباهك من النوم: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرءوف رحيم"(١)، ثم قم إلى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعًا، وقل في طريقك: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبممشاي هذا إليك، إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعة، خرجتُ اتقاءَ سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تجيرني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت "(٢).

واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " عشر مرات، ثم سبّح عشرًا، واحمد عشرًا، وكبّر عشرًا (٣)، واقرأ آية الكرسي وسلِ الله سبحانه قبول الصلاة، فإن صح لك فاجلس ذاكرًا لله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ثم صل واركع ما كتب لك وإن كان ثمانِ ركعات فهو حسن (٤).

فصل العلم أفضل من كل نافلة :

ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها تصحيح قراءة القرءان، ثم الفقه، فإذا

---

(١) هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٨٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة١/٦٠. وفي الادب المفرد ص٤١٦

(٣) الادب المفرد ص٤١٦.

(٤) إشارة لحديث أم هاني في عام الفتح أنه صلى الضحى ثمان ركعات وهو حديث متفق عليه رواه البخاري برقم ١١٧٦ ومسلم ٣٣٦.

أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلّ الضحى ثماني ركعات، ثم تشاغل بمطالعةٍ أو بنسخٍ إلى وقت العصر. ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب، وصل بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جزئين، فإذا صليت العشاء فعد إلى دروسك[1]. ثم اضطجع فسبح ثلاثًا وثلاثين، واحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبر أربعًا وثلاثين. وقل: " اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادَك "[2].وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى الوضوء، وصل في ظلام الليل ما أمكن، والتوسطُ أن تصلي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزئين من القرآن، ثم تعود إلى دروس العلم، فإن العلم أفضل من كل نافلة.

فصل الحذر من الآفات والعوائق:

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب، والنظرَ في سِيَر السلف، ولا تشتغل بعلمٍ حتى تُحكِم ما قبله، وتلمّح سِيَرَ الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر في ذلك:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئـًا كنقص القادرين على التمامِ

واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورةٌ تُستَحسَن، وكان عطاءُ بن أبي رباح -رحمه الله- أسودَ اللون ومستوحَشَ الخِلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولداه، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدّثهم وهو معرضٌ عنهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه: " قوما ولا تَنيـا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين

---

(١) والناس في هذا يختلفون كل بحسب مراده وتوجهه، قال المقدسي في منهاج القاصدين "واعلم أن السالك لطريق الآخرة لا يخلو من ستة أحوال : إما أن يكون عابداً، أو عالماً، أو متعلماً، أو والياً، أو محترفاً، أو مستغرقا بمحبة الله عز وجل مشغولاً به عن غيره) مختصر منهاج القاصدين"ص٧٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم ٣٦٠٦

يدَي هذا العبد الأسود "(١).

وكان الحسن البصري -رحمه الله- مولى - أي مملوكاً - وابن سيرين ومكحولٌ وخلق كثير، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى.

فصل العفة عما في أيدي الناس:

واجتهد يا بني في صيانة عِرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها، واقنع تَعزّ، فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد. وجاز أعرابي بالبصرة فقال: من سيد هذه البلدة ؟ فقيل له: الحسن البصري، قال: وبم سادهم ؟ قالوا: استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه(٢). واعلم يا بني أن أبي كان موسرًا وخلَف ألوفًا من المال، وكان أبوك طفلاً، فأُنفق عليه من ذلك المال إلى أن بلغ، ولم يرَ بعد بلوغه سوى دارَين، كان يسكن واحدة ويأخذ أجرة الأخرى، ثم أُعطي نحو عشرين دينارًا، وقيل له: هذه التركة كلها، فأخذتُ الدنانير واشتريت بها كتبًا من كتب العلم، وبعت الدارين وأنفقتُ ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيء من المال، وما ذلَّ أبوك في طلب الدنيا كذل غيره، ولا خرج يطوف البلدان كغيره من الوُعَاظ، ولا رأى أكابرُ البلدان رِقاعَه عندهم يستعطيهم، وأمورُه تجري على السداد ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ (٣).

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي١/٣١ وبوب عليه بقوله" ذكر من ارتفع من العبيد حتى جلس مجالس الملوك".

(٢) روى القصة ابن رجب في كتابة جامع العلوم والحكم ص١٥٤.

(٣) سورة الطلاق آية ٢/٣

فصل متى صحت التقوى رأيت كل الخير:

يا بني ! ومتى صحتِ التقوى رأيتَ كل خير، فالمتقي لا يرائـي الخلـق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومَن حفظَ حدودَ الله حُفظ. قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنه-: "احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظ اللهَ تجدْهُ أمامَكَ"[(١)]. واعلم يا بني أن يونس -عليه السلام- لما كانت ذخيرته خيرًا نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[(٢)].

وأن فرعون لما لم تكن له ذخيرةُ خيرٍ لم يجد في شدته مَخلَصًا، فقيل له: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[(٣)] فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى تجدْ تأثيرَها.

وقد جاء في الحديث: "ما من شابٍ اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كِبَرِه[(٤)].

"قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[(٥)]. واعلم يا بني أن أوفى الذخائر غضُّ الطرف عن محرَّمٍ، وإمساكُ اللسان عن فضول كلمة، ومراعاةُ حدٍّ، وإيثارُ الله سبحانه وتعالى على هوى النفس، قد عرفتَ حديثَ الثلاثة الذين دخلوا إلى غارٍ فانطبقت عليهم صخرة، فقال أحدهم: اللهم

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم: ٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده رقم: ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرك رقم: ٦٣٠٤.

(٢) سورة الصافات آية ١٤٣/١٤٤.

(٣) سورة يونس آية ٩١

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ٤/١٣٩ بنحوه.

(٥) سورة يوسف آية٢٢.

إنه كان لي أبوان وأولاد فكنت أقف بالحليب على أبويّ فأسقيهما قبـــل أولادي، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرِج عنا ؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخـــر: اللهم إني كنت استأجرتُ أجيرًا فتسخَّطَ أجرَه، فاتَّجَرتُ له به فجاء يومًا فقال: ألا تخاف الله ؟! فقلت: انطلق إلى تلك البقر ورعاها فخذها، فإن كنتُ فعلتُ ذلـــك لأجلك فافرِج عنا ؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني علِقتُ ببنت عمٍ لي، فلما دنوتُ منها قالت: اتق الله ولا تفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقه، فقمت عنها، فـــإن كنت فعلت لأجلك فافرِج عنا ؛ فرُفِعَت الصخرة وخرجوا "(1).

ورؤي سفيان الثوري -رحمه الله- في المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بـــك ؟ قال: ما كان إلا أن وُضِعتُ في اللحد فإذا أنا بين يدي رب العالمين، فـــأُمِرَ بي إلى الجنة، فدخلتُ فإذا أنا بقائلٍ يقول: سفيان ؟ قلت: سفيان، قال: تذكرُ يومَ آثرتَ الله تعالى على هواك ؟ قلت: نعم ! فأخذَتني صواني النِثارِ من الجنة.

فصل من سير السلف الصالح:

وينبغي أن تسمو همتك إلى الكمال، فإن خلْقـــًا وقفوا مع الزهد، وخلْقـــًا تشاغلوا بالعلم، وندر أقوامٌ جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل. واعلم أني قد تصفحتُ التابعين ومَن بعدَهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس: سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل ؛ وقد كانوا رجـــالاً إنما كانت لهم هممٌ ضعُفَت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثير لهم همم عاليـــة، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب " صفة الصفوة "، وإن شـــئت " أخبار سعيد " و " أخبار سفيان " و " أخبار أحمد بن حنبل "، فقد جمعتُ لكـــل واحدٍ منهم كتابًا.

(1) متفق عليه رواه البخاري في باب من استأجر أجيرا فترك أجره .. رقم الحديث ٢٢٧٢، ومسلم باب قصة أصحاب الغار الثلاثة رقم الحديث ٢٧٤٣.

فصل الحفظ رأس مالك:

وقد علمتَ يا بني أنني قد صنفتُ مائة كتاب[1]، فمنها " التفسير الكبير " عشرون مجلدًا، و " التاريخ " عشرون مجلدًا، و " تهذيب المسند " عشرون مجلدًا، وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمسَ مجلدات، ومجلدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر ؛ كفيتُك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف. فعليك بالحفظ، فإن الحفظَ رأسُ المال والتصرفَ ربحٌ، واصدُقْ في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراعِ حدودَه، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[3] ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[4].

فصل العلم والعمل متلازمان:

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به، فإن الداخلين على الأمراء والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العمل بالعلم، فمُنعوا البركةَ والنفعَ به. وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم، فإن خلقًا من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم. واستر نفسك بثوبين جميلين، لا يُشهِرانكَ بين أهل الدنيا برِفعتِهما، ولا بين المتزهدين بضِعَتِهما، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة، فإنك مسؤول عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفعُ السامعون، ومتى لم يعملِ الواعظُ بعلمِه زلَّتْ موعظتُه عن القلوب كما يزلُّ الماءُ

---

(١) لعل هذه الوصية كُتبت عند تأليف مائة كتاب، وإلا فإنه صنف أكثر من ذلك بكثير وقد عد له شيخ الاسلام ابن تيمية أكثر من ألف مصنف، وارجع إلى أسماء مصنفاته في سير أعلام النبلاء و ذيل طبقات الحنابلة

(٢) سورة محمد آية ٧.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٤) سورة البقرة آية ٤٠.

عن الحجر؛ فلا تعظنَّ إلا بنية، ولا تمشينَّ إلا بنية، ولا تأكلنَّ إلا بنية، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشفُ لك الأمر.

فصل من روائع التصانيف:

وعليك بكتاب "منهاج المريدين" فإنه يعلمك السلوك، فاجعله جليسَك ومعلمك، وتلمَّح كتاب "صيد الخاطر" فإنك تقعُ بواقعاتٍ تُصلِحُ أمرَ دينك ودنياك، واحفظ كتاب "جنة النظر" فإنه يكفي في تلقيح فهمِك للفقه، ومتى تشاغلتَ بكتاب " الحدائق " أطلَعَك على جمهور الحديث، وإذا التفتَّ إلى كتاب "الكشف" أبان لك مستورَ ما في الصحيحين من الحديث، ولا تشاغلَنَّ بكتب التفاسير التي صنفَتها الأعاجمُ، وما ترك " المغني " و " زاد المسير" حاجةً إلى شيء من التفاسير، وأما ما جمعتُه لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى زيادة أصلاً.

فصل صفة الواعظ والنافع:

وكن حسَنَ المداراة للخلق، معَ شدة الاعتزال عنهم، فإن العزلة راحة من خُلَطاء السوء، ومُبقِيَةٌ للوقار، فإن الواعظ خاصةً ينبغي أن لا يُرى مُتَبَذِّلاً، ولا ماشيًا في سوقٍ ولا ضاحكًا، ليَحسُنَ الظنُ به، فيُنتَفَعُ بوعظه. فإذا اضطررتَ إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحِلمِ عنهم، فإنك إن كشفتَ عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم.

فصل أداء الحقوق:

وأدِّ إلى كل ذي حق حقه، من زوجة أو ولد أو قرابة، وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تُودِعْها إلا أشرفَ ما يمكن، ولا تهمل نفسك وعوِّدها أشرفَ ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه، كما قيل:

يا من بدنياه اشتغل وغرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العمل

وراعِ عواقبَ الأمور يهُنْ عليك الصبرُ عن كل ما تشتهي وما تكره، وإن وجدتَ من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر وذكّرها قربَ الرحيل، ودبِّر أمرك - واللهُ المدبرُ - في إنفاقك من غير تبذير، لئلا تحتاج إلى الناس، فإن حِفظَ المال من الدين، ولأن تُخَلِّفَ لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس [1].

فصل خاتمة حسنة:

يا بني واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وأخباره موثقة في كتاب " صفة الصفوة "، ثم تشاغلَ سلفنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين مَن رُزِقَ همةً في طلب العلم غيري، وقد آل الأمر إليك، فاجتهد أن لا تخيّب ظني فيما رجوته فيك ولك. وقد أسلمتك إلى الله سبحانه، وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل، وهذا قدر اجتهادي في وصيتي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" متفق عليه رواه البخاري باب رثاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لسعد ج٥ص٤٣ رقم ١٢١٣ ورواه مسلم كتاب الوصية باب الوصية بالثلث ج٨ص٣٩٥ رقم ٣٠٧٦

المبحث الأول

المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده

جاءت وصية ابن الجوزي رحمه الله لولده؛ شاملة في مضامينها، لمراتب الدين الثلاثة: عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً؛ إضافة إلى المضامين العلمية المتمثلة في الحث على طلب العلم، ورسم المنهج الأمثل في ذلك؛ وفيما يأتي إبراز لمعالم الشمولية الموضوعية في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لولده:

المطلب الأول

المضامين العقدية

إنّ مدار الوصايا الشرعية؛ للأنبياء والصالحين لأبنائهم وأتباعهم، هي الوصية بتقوى الله وبتوحيده والنهي عما يضاده من الشرك والعصيان؛ والشواهد على ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن نماذجها: قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

قال الألوسي -رحمه الله-: "والتوصية التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة. لبيان تواصي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة والشرع المستقيم نسلاً بعد نسل، وذكر يعقوبُ الدينَ في توصيته لبنيه وهو والملة أخوان. ..وخص البنين لأنه عليهم أشفق وهم بقبول وصيته أجدر ولأن النفع بهم أكثر"(٢). وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٢.

(٢) روح المعاني ٢/١٥.

(٣) سورة لقمان آية ١٣.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده. .. وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا، ثم قال محذرًا له: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } أي: هو أعظم الظلم"[١].

وهكذا جاءت السنة النبوية بالوصية بالتقوى والإيمان في مقام تعليم الصبية والأولاد،وأولُ ما يلقّن الطفل كلمة التوحيد، ويغرس في قلبه الإيمان؛ فإذا وقر الإيمان في قلبه عُلِّم القرآن؛ فيزداد يقيناً وبصيرة؛ وفي هذا المسلك اقتفاء لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعن جندب بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: "كنّا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن فتيان حزاورة[٢].

فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا"[٣].

وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنه- المشهور أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له موصياً: "يا غلام أني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك... "[٤].

وقد ضمّن ابن الجوزي -رحمه الله- وصيته لولده الوصية بتقوى الله وتوحيده ونبذ الشرك وأسبابه؛ وهذه معالم الوصية بالتقوى والتوحيد من خلال ما وردة في وصيته[٥]:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٣٦/٦.

(٢) أي: قاربنا البلوغ، انظر: "النهاية في غريب الأثر" ٩٥٢/١.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه المقدمة باب في الإيمان رقم الحديث٦٠ والطبراني في المعجم الكبير رقم الحديث ١٦٧٩، والبيهقي في الشعب رقم الحديث٥١،وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجة" ١٦/١.

(٤) رواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، رقم: ٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده، رقم الحديث ٢٧٦٣،والحاكم في المستدرك، رقم الحديث ٦٣٠٤.

(٥) وقد أوردت وفق تسلسلها في الوصية أولاً بأول.

١- صرف الحوائج لله وحده:

من أصول الإيمان دعاء الله وحده، وصرف الحوائج إليه دون غيره؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(١)، وفي وصية ابن عباس -رضي الله عنه- المتقدّمة: "وإذا سألت فاسأل الله".

وابن الجوزي -رحمه الله- قد ألمح إلى هذا المعنى في مستهل وصيته وفي أثنائها وخاتمتها بأساليب متعددة:

حكاية الحال: في قوله: "وسألتُ الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم . .. فسألتُ الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلّغني فيه المنى والمناجح"، وقوله في ختام وصيته: وقد أسلمتك إلى الله سبحانه، وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل، وهذا قدر اجتهادي في وصيتي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". وحكاية الحال هي من باب التعليم بالقدوة الحسنة.

الوصية بالالتجاء إلى الله في قوله: "وأدُلّه على الالتجاء إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفّق ولا مرشدَ لمن أضلّ". ويقول أيضاً: "ومتى رأيتَ في نفسك عجزًا فسلِ المنعِمَ، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيرًا إلا بطاعته، ولا يفوتُك خيرٌ إلا بمعصيته، ومَنِ الذي أقبلَ عليه فلم يرَ كلَّ مرادٍ لديه ؟ ومَن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه ؟".

٢- زرع رقابة الله في النفس:

من أوثق عرى الإيمان ومنازل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وتستحضر رقابته في كل شأنك، كما جاء في حديث جبريل المشهور: "قال: فأخبرني عن

(١) سورة غافر آية ٦

الإحسان ؟، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1].

وابن الجوزي -رحمه الله- قد أكد على هذا الأصل في وصيته في مواطن كثيرة: منها قوله: "وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله".

٣- التسليم لقضاء الله وقدره:

من أصول الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره، كما جاء في حديث جبريل المشهور: "فأخبرني عن الإيمان؟، قال:. . وتؤمن بالقدر خيره وشره"[2].

والتسليم للقضاء والقدر؛ يبعث في القلب راحة وطمأنينة؛ ورضا بالله عز وجل.

وقد نبّه ابن الجوزي إلى ضرورة التسليم بقضاء الله وقدره، في قوله: "وكلٌ ميسَّرٌ لما خـُلق له، والله المستعان". فما على العبد إلاّ التسليم، مع بذل الأسباب والله هو الموفق والمسدّد.

٤- التوحيد هو أوّل مطلوب وأفضل مرغوب:

أوّل ما يكلف به العبد، ويخاطب به المكلّف هو توحيد الله جلّ وعلا، ونبذ الشرك، وهذا سمت الأنبياء ونهجهم، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[3]، وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[4].

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يرسل الدعاة آمراً إياهم بالبداءة في الدعوة إلى التوحيد؛ لأنه مدار الفلاح، وأساس النجاح في الدنيا والآخرة، وقبول

---

(١) رواه مسلم باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج١ ص٨٧ رقم الحديث ٩.

(٢) الحديث السابق.

(٣) سورة النحل الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

الأعمال منوط بصلاح التوحيد، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

ولما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذ بن جبل -رضي الله عنه- إلى اليمن داعياً قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله.... »(٢).

وابن الجوزي قد ركّز في وصيته على ضرورة إصلاح التوحيد أولاً؛ فقال -رحمه الله-: "وأول ما ينبغي النظر فيه معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلومٌ أن من رأى السماء مرفوعة والأرضَ موضوعةً، وشاهدَ الأبنية المحكمة، خصوصًا جسدَ نفسه، علِمَ أن لا بد حينئذ للصَنعة من صانعٍ، وللمبني من بانٍ". فأشار إلى أن أول مطلوب على المكلّف هو معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ وذلك من خلال النظر في الآيات المشهودة من خلق السماوات والأرض، والنظر في آيات الله المتلوّة، من خلال كتابه الكريم، فيعرف الله أولاً بربوبيته وملكه وتدبيره، ثم يرتقي بعد ذلك لتوحيد الألوهية.

٥- الإيمان بالنبوّة:

الإيمان بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه مرسل من ربّ العالمين لهداية الخلق أجمعين، وأنه خاتم المرسلين، هو شطر شهادة التوحيد، ولا يقوم للتوحيد قائم إذ انخرم هذا الأصل والركن. والإيمان بالأنبياء والرسل أصل من أصول الإيمان التي قرّرها القرآن والسنّة. وابن الجوزي رحمه الله حثّ في وصيته على وجوب الإيمان بالنبي إيماناً جازماً، وذلك من خلال النظر في معجزاته وآياته الدالة على صدقه، وأعظمها

(١) سورة الزمر آية ٦٥

(٢) متفق عليه رواه البخاري باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ج٥ص٢٨٩رقم الحديث ١٣٦٥، واللفظ له، ومسلم باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١ص١١٢رقم الحديث ٢٨.

القرآن الكريم. قال -رحمه الله-: "ثم يتأمل دليل صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- إليه، وأكبرَ الدلائل القرءانَ الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله".

كما بيّن رحمه الله أنّ لازم الإيمان بالنبي هو التسليم لشرعه والإذعان لأمره؛ إذ لا إيمان مع الاعتراض على شرعه وتنكب منهجه. كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] قال -رحمه الله-: "فإذا ثبت عنده وجودُ الخالق وصدقُ الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وجب تسليمُ عِنانِه إلى الشرع، فمتى لم يفعل دل على خللٍ في اعتقاده".

٦- فضل التقوى:

لازم الإيمان وفسطاطه هو تقوى الله وخشيته، و"التقوى اسمٌ جامع لطاعة الله، والعمل بها في ما أمر به، أو نهى عنه، فإذا انتهى المؤمن عن ما نهاه الله، وعمل بما أمره الله، فقد أطاع الله واتقاه، والتقى اسمٌ أيضاً لخشية الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]، فمن خشي الله واتقاه، وانتهى عن ما نهاه، وقام بما افترض عليه فهو العالم بشهادة الله له بذلك "[3].

وقد أشاد ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته بفضل التقوى؛ مبيناً أنها مدار الخير كله، وأنّ ذهابها مؤذن بالوبال والهلاك. قال -رحمه الله-: "يا بني! ومتى صحتِ التقوى رأيتَ كل خير، فالمتقي لا يرائي الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومَن حفظَ حدودَ الله حُفِظ". "فمن نوّر الله قلبه بالتقوى قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام قلبه، واطمأنت به نفسه، وتفجّرت ينابيع الحكمة من لسانه، فكان مسدّداً في قوله

---

(١) سورة النساء آية ٦٥.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٣) الاستذكار لابن عبد البر ٥٨٧/٨.

وفعله، ودعوته وإرشاده، على بصيرة ونور من الله تعالى"[1].

(١) انظر: الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذي، ص ٩٣.

المطلب الثاني

المضامين التعبدية

الإيمان اعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان(١)؛ فالعبادة الخالصة لله وحده هي ترجمة الإيمان الصادق بالله وحده لا شريك له، فهي شجرة باسقة طلعها. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

ووصية ابن الجوزي –رحمه الله– لابنه لم تكن خلواً من المضامين التعبدية، وإنما شملت جوانب عديدة من النصائح في المجال التعبّدي، رسم بها المنهج السوي في عبادة المؤمن ربه منذ يقظته إلى منامه، موشحاً إياها بما ينبغي التلفّظ به من الأذكار الشرعية، على النحو الآتي:

١– الحث على الذكر عند الاستيقاظ:

قال –رحمه الله–: "وقل عند انتباهك من النوم: " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرؤوف رحيم"(٤).

---

(١) انظر العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص١٦١،الإيمان لابن مندة ج١ص٣١٥–٣٦٣،وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ج٢ ص٩١١–٩٣٣ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦

(٣) سورة إبراهيم آية ٢٤ – ٢٥.

(٤) هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٨٢/١.

٢- الحث على المحافظة على الطهارة والسنن الراتبة وصلاة الجماعة:

قال -رحمه الله-: "ثم قم إلى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعًا، وقل في طريقك: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبممشاي هذا إليك، إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعة، خرجتُ اتقاءَ سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تجيرني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت""(١).

٣- الحرص على الأذكار دبر الصلوات:

قال -رحمه الله-: "واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(٢) عشر مرات، ثم سبّح عشرًا، واحمد عشرًا، وكبّر عشرًا، واقرأ آية الكرسي وسلِ الله سبحانه قبول الصلاة، فإن صح لك فاجلس ذاكرًا لله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ثم صل واركع ما كتب لك وإن كان ثمانِ ركعات فهو حسن(٣).

٤- الحث على الجمع بين العلم والتعبّد:

يقول رحمه الله: "ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها تصحيح قراءة القرءان، ثم الفقه، فإذا أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلّ الضحى ثماني ركعات، ثم تشاغل بمطالعةٍ أو بنسخٍ إلى وقت العصر، ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب، وصل بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جزئين، فإذا صليت

---

(١) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧٢، وضعه الألباني في ضعيف ابن ماجة ٦٠/١. و في الادب المفرد ص٤١٦

(٢) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧٢،وابن ماجة في سننه، وضعه الألباني في ضعيف ابن ماجة ٦٠/١.وفي الادب المفرد ص٤١٦

(٣) إشارة لحديث أم هاني في عام الفتح أنه صلى الضحى ثمان ركعات وهو حديث متفق عليه رواه البخاري صلاة الضحى في السفر برقم ١١٠٥ ومسلم باب استحباب صلاة الضحى ٣٣٦.

العشاء فعد إلى دروسك، ثم اضطجع فسبح ثلاثًا وثلاثين، واحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبر أربعًا وثلاثين، وقل: "اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادَك"[1]. "وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى الوضوء، وصل في ظلام الليل ما أمكن، والتوسطُ أن تصلي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزئين من القرءان، ثم تعود إلى دروس العلم، فإن العلم أفضل من كل نافلة".

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم ٣٦٠٦

المطلب الثالث

المضامين الأخلاقية والسلوكية

الخلق هو السجية، قال الجرجاني -رحمه الله-: "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة؛ تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"(١).

والدعوة إلى مكارم الأخلاق هي وصية الأنبياء، ودأب الصالحين والأصفياء، في وصاياهم للناس عامّة، ولأبنائهم خاصة. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: "بعثت لأتمّ مكارم الأخلاق"(٢). وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٣).

وبقدر استقامة العبد في خلقه وسلوكه، بقدر ما يكون رقيه وسؤدده في الدنيا والآخرة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو-رضى الله عنه- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ خياركم أحاسنكم أخلاقاً"(٤)، وعن جابر -رضي الله عنه- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً

---

(١) التعريفات ص ١٠١.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٣٢، وأحمد ٢/٣٨١، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣،وفي التاريخ الكبير ٧/١٨٨، والحاكم ٢/٦١٣، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه مالك ٢/٦٩٠ بلاغاً، وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/٣٣٣-٣٣٤، وهذا حديث يتّصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

(٣) سورة لقمان آية : ١٨ – ١٩.

(٤) متفق عليه، البخاري، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث ٥٥٧٥، واللفظ له، ومسلم، باب: كثرة حيائه -صلى الله عليه وسلم-، رقم الحديث ٤٢٨٥.

يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"[1].

وابن الجوزي -رحمه الله- قد نبّه ولده في وصيته إلى جملة من الأصول الأخلاق الفاضلة مرغباً فيها، ومحذراً من أضداده، مما رآه ألزم وأكثر مناسبة لولده، ومن نماذجها ما يأتي:

١- الحث على القناعة:

القناعة هي الرضا بالقسم، والاجتزاء باليسر من العيش[2]، وهي كنزٌ لا يفنى، ولا يصفو عيشٌ لغير قنوع، وهي خلق فاضل، وقد جاء الحث على القناعة وبيان فضائلها في نصوص كثيرة: عن فضالة بن عبيد -رضي الله عنه- أنّه سمع رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- يقول: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافا وقنع»[3].

وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص-رضى الله عنه- أنّ رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنّعه اللّه بما آتاه»[4].

فالقناعة تحفظ ماء الوجه، وتصون عرض العبد، كما قال الشافعي -رحمه الله-[5]:

رأيت القناعة رأس الغنى	فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه	ولا ذا يراني به منهمك

(١) رواه الترمذي في سننه باب ما جاء في معالي الأخلاق رقم ١٩٤١وقال الترمذي "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٤١٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه باب من رضا بالكفاف وصبر عليه رقم الحديث ٢٥٢٢ وقال الترمذي حسن صحيح

(٤) رواه مسلم في صحيحه باب في الكفاف والقناعة رقم الحديث ٢٤٧٣.

(٥) ديوان الشافعي ص ١٠٢.

فصرت غنيّا بلا درهم أمرّ على النّاس شبه الملك

وقد نبّه ابن الجوزي -رحمه الله- ولده في وصيته إلى هذه المعاني، فبيّن أنّ صيانة العرض، من هوان الذلّ، وطريق العزّ إنما يكون بالقناعة، مستشهداً بحال السلف رحمهم الله، كيف عزّوا وبزّوا حينما قنعوا بما قُسم لهم، قال -رحمه الله-: "واجتهد يا بني في صيانة عِرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها، واقنع تَعِزّ، فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد وجاز أعرابي بالبصرة فقال: من سيد هذه البلدة ؟ فقيل له: الحسن البصري، قال: وبم سادهم ؟ قالوا: استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه".

٢- الحث على العزلة والتحذير من الخلطة السيئة:

العزلة عن الفتن والشرور وأهلها، من حميد الخصال، وطيب الخلال، بشرط أن لا تفوّت هذه العزلة واجباً، ولا تصد عن حقّ، قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبّد، إلاّ أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة، ولا جماعة، ولا عيادة مريض، ولا شهود جنازة، ولا قيام بحق، وإنما هي عزلة عن الشرّ وأهله، ومخالطة البطالين"(١)، وقال أيضاً: "وأما الانقطاع فينبغي أن تكون العزلة عن الشر لا عن الخير، والعزلة عن الشر واجبة على كل حال"(٢).

فالعزلة عن الشر وعند الفتن محمودة: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن»(٣).

قال الخطابي -رحمه الله-: "والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وعصمة الأولياء،

---

(١) تلبيس إبليس ص ٣٥٢.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩-٩٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه باب من الدين الفرار من الفتن رقم الحديث ١٨.

وسيرة الحكماء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذراً، لا سيما في هذا الزمان القليل خيره، البكيء درُّه، وبالله نستعيذ من شره وريبه"(١).

أما العزلة عن الخير فهي مذمومة: فعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»(٢).

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "كم فَوَّتَتْ العزلة علماً يصلح به أصل الدين، وكم أوقعت في بليّة هلك بها الدين، وإنما عزلة العالم عن الشرّ فحسب"(٣). وقد أوجز ابن الجوزي وأجاد في عبارات يسيرة هذه المعاني والمقاصد في العزلة فقال في وصيته: "وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء".

٣- الحثّ على المداراة والحلم:

المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة(٤)، والحلم هو: "ضبط النّفس والطّبع عند هيجان الغضب"(٥).

وحينما حرص ابن الجوزي على ما يديم الألفة بين ولده وبين الناس، أوصاه بأعظم مفاتيحها وهي المداراة والحلم، فقال -رحمه الله-: "وكن حسَنَ المداراة للخلق، معَ شدة الاعتزال عنهم، فإن العزلة راحة من خُلَطاء السوء، ومُبقِيَةٌ للوقار، فإن الواعظ خاصةً ينبغي أن لا يُرى مُتَبَذِلاً، ولا ماشيًا في سوقٍ ولا ضاحكًا،

---

(١) العزلة للخطابي ص ٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه باب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم الحديث ٢٤٣١، وابن ماجه باب الصبر على البلاء رقم الحديث٤٠٢٢واللفظ له وصححه الألباني في السلسلة رقم الحديث٩٣٩.

(٣) صيد الخاطر ص ١٢٨.

(٤) فتح الباري ٥٢٨/١٠.

(٥) مفردات الراغب ص ١٢٩.

لَيحسُنَ الظنُّ به، فيُنتَفَعُ بوعظه. فإذا اضطررتَ إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحِلمِ عنهم، فإنك إن كشفتَ عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم".

٤- الوصية بأداء الحقوق إلى الناس:

من أعظم صور الأمانة ومنازلها أداء الحقوق إلى أهلها، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه، وتعظم الأمانة كلما قويت الصلة والقرابة، فأداء حقوق الزوجة والولد والقرابة هي أعظم منازل الأمانة، فعن أبي جحيفة السّوائيّ وهب بن عبد اللّه -رضي الله عنه- قال: "آخى النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- بين سلمان وأبي الدّرداء، فزار سلمان أبا الدّرداء، فرأى أمّ الدّرداء متبذّلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدّرداء ليس له حاجة في الدّنيا. فجاء أبو الدّرداء، فصنع له طعاما فقال له: كل. قال: فإنّي صائم، قال: ما أنا بآكل حتّى تأكل. قال: فأكل، فلمّا كان اللّيل ذهب أبو الدّرداء يقوم، قال: نم، فنام. ثمّ ذهب يقوم، فقال: نم. فلمّا كان من آخر اللّيل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا. فقال له سلمان: إنّ لربّك عليك حقّا، ولنفسك عليك حقّا، ولأهلك عليك حقّا، فأعط كلّ ذي حقّ حقّه. فأتى النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-، فذكر ذلك له، فقال له النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «صدق سلمان»(١).

وقد أشار ابن الجوزي إلى هذا المعنى البديع في قوله -رحمه الله-: "وأدِّ إلى كل ذي حق حقه، من زوجة أو ولد أو قرابة".

(١) رواه البخاري في صحيحه باب من أقسم على أخيه أن يفطر في التطوع رقم الحديث ١٨٦٧.

المطلب الرابع

المضامين العلمية

أساس وصية ابن الجوزي -رحمه الله-؛ والتي أبان عن مرادها وكنهها في مستهلّ وصيته؛ هو حث ولده على طلب العلم، وخوض غماره، قال رحمه الله: "ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجِد في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالة أحثه بها على طلب العلم وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم". لأجل هذا نرى ابن الجوزي يطيل النفس في المجال العلمي، تحقيقاً للمقصد والمراد، وقد تضمنت وصيته جملة من درر الفوائد في المجال العلمي، من أبرزها ما يأتي:

١- الحثّ على إعمال الفكر والعقل:

وهب الله تعالى بني آدم عقولاً للتفكر والتبصر، وقد أشاد الله في كتبه بذوي البصائر والعقول، وذمّ من عطّل عقله عن التفكر والتبصر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

وقال في معرض الذمّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

(١) سورة الرعد آية ٣

(٢) سورة الزمر آية ٤٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠

(٤) سورة المائدة ٥٨.

ولهذا بيّن ابن الجوزي نعمة العقل، والغاية منه، وهو العمل بمقتضاه، في جلب المنافع ودفع المضار، فقال -رحمه الله-: "اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميِّزِ الآدمـــيُ بالعقلِ إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعمِلْ فِكرَك، واخلُ بنفسك".

٢- بيانه فضل العلم:

فضل العلم يربوا كلّ فضل، فهو سبيل الرفعة، وطريق المجد لمن رام العليـــاء، ولهذا كان أهل العلم هم صفوة الخلق، قـــال تعـــالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(١)، فهو ميراث الأنبياء، وزاد الأتقياء، ولا طريق لـــصحة العمل إلا من طريق العلم، ولذلك قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٢).

وقد وفّق ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته، لاستثارة همة ولده، ببيان فضل العلم الناجز والناسئ، فقال -رحمه الله-: "واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورةً تُستَحسَن، وكان عطاءُ بـــن أبي رباح أسودَ اللون ومستوحَشَ الخِلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهـــو خليفة ومعه ولداه، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدّثهم وهو معـــرضٌ عنـــهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه: " قوما ولا تَنـــيا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين يدَي هذا العبد الأسود " وكان الحسن البـــصري مـــولى - أي مملوكاً - وابن سيرين ومكحولٌ وخلق كثير، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى".

٣- الحث على طلب العلم والنظر في الكتب:

خير جليس في الأنام كتابٌ، فهو ينبوع الحكم، ومصدر المعارف، وقد كـــان ابن الجوزي -رحمه الله- شغوفاً بالكتب بلغ في ذلك الغاية القصوى.

قال ابن الجوزي -رحمه الله- عن نفسِه في «صيد الخاطر»:- أثناء حديثه عـــن

---

(١) سورة المجادلة آية ١١

(٢) سورة محمد آية ١٩

المطالعة والإكثار منها-: "وإني أُخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعتُ على كنز. ولقد نظرتُ في ثَبَتِ الكتب الموقوفة في المدرسة النِّظَامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلَّد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحُمَيدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب بن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشَّاب – وكانت أحمالاً – وغير ذلك من كلِّ كتاب أقدر عليه. ولو قلت: إني طالعتُ عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعدُ في الطَّلب"(١).

ولهذا نجده يحثّ ولده على إدمان النظر في الكتب، والانقطاع بها عن الخلق، فيقول -رحمه الله-: "وليكن جلساؤك الكتب، والنظرَ في سِيَر السلف".

ويقول -رحمه الله-: "وعليك بكتاب " منهاج المريدين " فإنه يعلمك السلوك، فاجعله جليسَك ومعلمك، وتلمَّح كتاب " صيد الخاطر " فإنك تقعُ بواقعاتٍ تُصلِحُ أمرَ دينك ودنياك، واحفظ كتاب " جنة النظر " فإنه يكفي في تلقيح فهمِك للفقه، ومتى تشاغلتَ بكتاب " الحدائق " أطلَعَك على جمهور الحديث، وإذا التفتَّ إلى كتاب " الكشف " أبان لك مستورَ ما في الصحيحين من الحديث، ولا تشاغلَنَّ بكتب التفاسير التي صنفَتها الأعاجمُ، وما ترك " المغني " و " زاد المسير " حاجةً إلى شيء من التفاسير، وأما ما جمعتُه لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى زيادة أصلاً". ويقول في موضع آخر: "وقد علمتَ يا بني أنني قد صنفتُ مائة كتاب، فمنها " التفسير الكبير " عشرون مجلدًا، و " التاريخ " عشرون مجلدًا، و " تهذيب المسند " عشرون مجلدًا، وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمسَ مجلدات، ومجلدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر ؛ كفيتُك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف".

---

(١) صيد الخاطر ص ١٤٩.

٤- التدرّج في طلب العلم:

ينبغي لطالب العلم من التدرج في طلبه؛ بحيث يبدأ بالأصول قبل الفروع، وبالمحكم قبل المتشابه، ولا ينتقل من علم إلى آخر حتى يحكمه. ولهذا نزل القرآن على قلب النبي منجماً مفرقاً، لأن ذلك أوعى لاستيعابه وحفظه، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ (٢).

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: "طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل من تعداها مجتهداً زل"(٣).

وقد ألمح ابن الجوزي **-رحمه الله-** إلى هذا المعنى في وصيته بقوله: "ولا تشتغل بعلمٍ حتى تُحكِم ما قبله".

ومن أصول التدرج في طلب العلم: البدء بحفظ القرآن أولاً، ثم الاشتغال بحديث رسول الله رواية ودراية، قال ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته: "فيتشاغلَ بحفظ القرءان وتفسيره، وبحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبمعرفة سِيَرِه وسِيَر أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخيّر مرتبةَ الأعلى فالأعلى. ولا بد من معرفة ما يقيمُ به لسانَه من النحو ومعرفةِ طرفٍ من اللغة مستعمَلٍ، والفقهُ أمُ العلوم، والوعظُ حَلواؤها وأعمها نفعًا".

ونجد هذه الوصية تتكرر مع ابن الجوزي في كتبه، فيقول رحمه الله في كتابه صيد الخاطر: "وقد علم قصر العمر، وكثرة العلم، فيبدأ - أي الطالب - بالقرآن

---

(١) سورة الإسراء آية ١٠٦

(٢) سورة الفرقان آية ٣٢.

(٣) جامع بيان العلم وفضله الجامع ١٦٦/٢.

وحفظه، وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفي عليك بذلك منه شيء. وإن صح له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتدأ بأصول الحديث من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك... وتشاغل بأصول الفقه، وبالفرائض وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم"(١).

٥- قوام العلم الحفظ والصدق والإخلاص:

إخلاص النية وصدق الطوية من أعظم أسباب نيل العلم، لأنها عنوان التقوى، التي هي مفتاح كل خير، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (٢).

وقد جاء الوعيد الشديد لمن شاب نية طلبه للعلم بشوائب الرياء والمباهاة وغيرها، كما في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من تعلّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم"(٣).

وللإخلاص أثر عجيب في بركة العلم، وفي أثره، ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: "من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه، وجرت على لسانه"(٤).وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: "الإخلاص لله يورث الفهم عن الله"(٥).

أما الحفظ: اعلم الذي لا يستحضره صاحبه متى أراد؛ لا يعد علماً، ولهذا قال

---

(١) صيد الخاطر ص ١٦٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٣) رواه ابن ماجه باب من سأل عن علم فكتمه رقم الحديث ٢٥٦,وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ١١٠.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٥٢/١٠.

(٥) اقتضاء العلم العمل ص ٣٢.

عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله أنه قال: "كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علماً"[(١)].وأنشد أبو الفتح هبة الله بن عبد الواحد البغدادي لبشار[(٢)]:

علمي معي أينمـــا يممـــت يتـــبعني   بطني وعاء له لا بطن صنـــــــدوق

إن كنت في البيت كان العلم فيـــه معـــي   أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وقد أكّد ابن الجوزي -رحمه الله- على هذه المقومات والأصـــول في وصـــيته حيث يقول:

"فعليك بالحفظ، فإن الحفظَ رأسُ المال، والتصرفَ ربحٌ، واصدُقْ في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراعِ حدودَه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾[(٣)]﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ۝١٥٢﴾[(٤)] ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾[(٥)].

٦- وجوب اقتران العلم بالعمل:

العلم لا يراد لنفسه وإنما يراد للعمل بمقتضاه؛ فالعمل هو ثمرة العلم وزكاته، لأجل هذا جاء ذمّ من ترك العمل بما علم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٦)].

وعن معاذ بن جبل -رضـي الله عنـه-، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعـــن

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٢٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة محمد آية ٧.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٥) سورة البقرة آية ٤٠.

(٦) سورة الجمعة آية ٥.

جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه "[1].

والعلم شرط في صحة العمل، لذلك بوب الأمام البخاري في صحيحة بباب "العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: " فاعلم أنه لا إله إلا الله وقد بيّن ابن الجوزي -رحمه الله- هذا الأصل في وصيته في قوله: "ثم اعلم أن طلبَ الفضائل نهايةُ مرادِ المجتهدين، ثم الفضائلُ تتفاوت، فمن الناس مَن يرى الفضائلَ الزهدَ في الدنيا، ومنهم مَن يراها التشاغلَ بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفضائلُ الكاملةُ إلا الجمعُ بين العلم والعمل، فإذا حُصِّلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحرّكاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كلُ مريدٍ مرادًا، ولا كلُ طالبٍ واجدًا، ولكن على العبد الاجتهاد".

وقال -رحمه الله-: "وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم، فإن خلقاً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم".

---

(١) رواه الترمذي باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص رقم الحديث ٢٣٤١.

المبحث الثاني

أسس منهج ابن الجوزي وأساليبه في وصيته لولده

المطلب الأول

الأسس البيانية

أولاً: روعة البيان:

إن روعة البيان، تُعدّ من أعظم مقومات المواعظ والوصايا لأنّ من استجمع الفصاحة والبيان استحوذ على القلوب، واستولى على العقول، وأثّر في النفوس أيما تأثير، ولذا جاء في حديث عمار -رضي الله عنه- قول النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (....وإنّ من البيان لسحراً)(١).

"وفي الحديث مدحٌ للبيان، لأنّ الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان، وشبهه-صلى الله عليه وسلم- بالسحر، لميل القلوب إليه"(٢). وقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم والناصحين من بعده، بعظة الناس بالقول البليغ الفصيح، قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾(٣).أي:(مؤثّرا واصلاً إلى كُنْه المراد، مطابقاً لما سيق له من المقصود)(٤).

قال ابن سيرين -رحمه الله-:"لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان"(٥).

والبيان والفصاحة من أبرز مقومات المواعظ والنصائح والوصايا؛ لأنّ لها وقع في القلوب، واثر في النفوس، وفي هذا يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: "إن الكلام

---

(١) رواه البخاري باب ان من البيان لسحرا رقم الحديث ٥٣٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٧/٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٤) تفسير أبي السعود ١٩٦/٢.

(٥) ذكره ابن عبد البر في أدب المجالسة، ص ٤٥.

المستحسن له وقع في النفوس، ولا يلتفت إلى متزهد جاهل يقول: هذا تصنّع، فإن التصنع المباح لاستجلاب القلوب لا يذم وقد كان لرسول الله خطيب فصيح يقال له ثابت بن قيس وشاعر هو حسان، فإذا جاءه خطيب أو شاعر من قبل المشركين قاوماه. ولو أن واعظا قال الحمد لله واقتصر على هذا في الخطبة ثم قال اتقوا الله واقتصر على إعادة هذه الكلمة لم يقع قوله موقع من يأتي بالكلام المستحسن واللفظ الرائع. ومن تأمل القرآن وما فيه من الكناية والتجوز والاستعارة عرف موقع الفصاحة من القلوب"(١).والمتأمل في وصية ابن الجوزي رحمه الله يدرك ما تضمنته من روعة بيان، وبديع، وفصاحة، وهذه وقفات مع روعة البيان في وصية ابن الجوزي -رحمه الله-:

١- السجع المحمود:

السَّجْعُ هو تماثل الحروف في مقاطع الفصول(٢). وهو محمود إن كان بعيداً عن التكلّف والتعسّف والتصنّع؛ قال الغزالي رحمه الله: "ولا يدخل-السجع المذموم- في تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير، من غير إفراط وإغراب، فإنّ المقصود منها تحريك القلوب، وتشويقها، وقبضها، وبسطها، فلرشاقة اللّفظ تأثير فيه، فهو لائق به"(٣).

والناظر في هذه الوصية يجد بعضا من السجع غير المتكلف؛ مما زاد الوصية رونقاً وبهاء، ومن ذلك قوله: الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضّد العشائرَ بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب. .

٢- الاستعارة والكناية:

هي الكلمة المستعملة لغير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٦١.
(٢) سر البلاغة لابن سنان الخفاجي ص ٢٤٢.
(٣) إحياء علوم الدين ١٢٢/٣.

الأصلي[1] والاستعارة مما يزيد المعنى وضوحاً، والفكرة بهاءً، والوصية قوة وأثـــراً. وقد استخدم ابن الجوزي هذا الأسلوب في مواطن من وصيته، ومن ذلك قولـــه: "والكسلُ عن الفضائل بئس الرفيق": ففي هذا تشبيه للكسل بالرفيق السيئ بجامع المضرة وقوة التأثير في الرفيق. وقوله: "والفقهُ أمُ العلوم، والوعظُ حَلواؤها وأعمها نفعًا": ففي هذا تشبيه لعلو كعب الفقه بعلو الأم وفضلها، وتشبيه لأثر الوعظ بأثر الحلواء وعموما نفعها.

٣- الجمع بين الأسلوب الخبري والإنشائي:

الوصية والنصيحة إن كانت ممن له فضل ورسوخ قدم في العلم؛ أمكن الجمع فيها بين الأسلوبين الخبري والإنشائي. ولهذا نرى ابن الجوزي رحمه الله، يستخدم أسلوب التعميم في الوصية والنصيحة؛ لأنّ النـــصح بـــالتعريض دون التـــصريح، وبالتعميم دون التخصيص، يُعَدُّ من أعظم آداب الموعظة والنصيحة، ومـــن أكـــبر عوامل قبولها، لأنّ النفس البشرية مجبولة على الأنفة والكبر والاعتداد بالذات، فهي لا تحبّ أن يواجهها أحد كائناً من كان بعيوبها صريحة مكشوفة، لأنها تعتبر ذلـــك إهانة لها وتحقيراً، فتلجأ إلى العناد والمحادّة والمشاقّة[2].

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعمّم في موعظته ونصيحته. فعن عائـــشة -رضي الله عنها- قالت: "كان رسول -صلى الله عليه وسلم- إذا بلغه عن الرجل شيء، لم يقل: لم قلت كذا وكذا، ولكنه يَعُمُّ فيقول: ما بال أقوام"[3].

ومن ذلك قوله: وأول ما ينبغي النظر فيه. ...، وينبغي معرفة مـــا يقـــيم بـــه لسانه...ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجد. .. وغير ذلك. ونراه في أحيان أخرى يستخدم بعضاً من صيغ الإيجاب والأمر والإلزام، والنهي؛ لأنها وصية مـــن والـــد

---

(١) البلاغة الواضحة ص ٧١.

(٢) انظر منهج السلف في الوعظ ص ٣١٥

(٣) رواه أبو بكر القرشي في مكارم الأخلاق ص ٣٦.

لولده، ومن منعم لمنعم عليه، ومن هذه الصيغ تمثيلاً: وانظر يا بني..، واعلم يا بني..، وانتبه يا بني..، فالزم نفسك يا بني..، وقل عند انتباهك..، ثم قم إلى...، ثم تشاغل بما يمكن. .، وعليك بالعزلة،. ..واجتهد يا بني. ..، وينبغي أن تسمو همتك..، وإياك أن تقف..، وعليك بكذا...، وراع عواقب الأمور... وغيرها.

ثانياً: حسن الابتداء وروعة الاستهلال:

إنّ براعة الاستهلال تجعل ين المتكلّم والمستمع جسرا من المودة والألفة، والإنصات من أول وهلة.

وقد اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، بحيث توجز المعاني التي يراد إيضاحها فيما يستقبل من الكلام، فتشدّ السامع شدّاً، وتوقظ قلبه وجوارحه[1].

قال أبو هلال العسكري: "وإذا كان الابتداء حسنا بديعا، ومليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"[2]. ويقول ابن المقفع: "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك"[3].

والفصاحة والبيان في الاستهلال لها مقومات إذا توافرت في الوصية أدت إلى الغرض والمأمول من التأثير والاستجابة، ومن هذه المقومات التي توافرت في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- ما يأتي:

ابتداؤه بالحمد والثناء على الله: اقتداء بالكتاب والسنة، وجاء الترغيب في ذلك في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد اللّه تعالى فهو أقطع»[4].

(١) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب الحموي ص ٣٠.

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٤٩٦.

(٣) انظر: البيان والتبين للجاحظ ص ١١٦.

(٤) رواه أبو داود ١٧٢/٥ رقم ٤٨٤٠ وابن ماجة١/٦١٠ وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٩

قال الشّافعيّ -رحمه الله-: "أحبّ أن يقدّم المرء بين يدي خطبته وكلّ أمر طلبه حمد اللّه تعالى والثّناء عليه سبحانه وتعالى والصّلاة على رسوله -صلى الله عليه وسلم- "[1].

والحمد هو اعتراف بالمنعم وشكر لنعمائه، والعبد لا يؤثر بمجرد مقالــه ونصحه، مهما حبّره ودبّجه بحلل المعاني، وإنما يؤثر بتوفيق الله تعالى.

استفتاحه بألفاظ مخصوصة تلميحاً للمقصود من الوصية وهي نصح الولد، حيث يقول: (الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضّد العشائرَ بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب، أحسنَ التربيةَ في الصغر وحفِظ في الشباب، ورزقنا ذريةً نرجو بهم وفورَ الثواب).

انتقاؤه للعبارات الدالة على نعمة الأبوة والبنوّة، وحقوقها: حيث يقول في مطلعها: (اعلم يا بني وفقك الله..)، ومن المعلوم أنّ التلطف في النداء مستجلب لميل القلوب لسماع النصح والوصايا، كما جاء في وصية لقمان وموعظته لابنه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، فهو نداء إشفاق وعطف [3].

ثالثاً: حسن الختام:

العبرة بالخواتيم، إذ أنّ ما يعلق في الأذهان من النصح والكلام، والمواعظ والوصايا، هو آخر ما يطرق الأسماع؛ "فإذا كان آخر ما ارتسم في ذهن المستمع

(١) مغني المحتاج ٢٤/١

(٢) سورة لقمان آية ١٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٣٦/٣.

والقارئ بليغا حسنا، تلقاه بعناية القبول، واستلذ به، فالعبرة بالخواتيم"(١).

قال أبو هلال العسكري: "الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعًا مونقين"(٢).

ومن خلال ما سطره ابن الجوزي في خاتمة وصيته:

- تذكيره لشرف نسبه: وأنه من بيت علم وفضل من ذرية أبي بكر الصديق، ليشحذ همّته للتشبه بالأصل.
- بيانه أنّه قد عُقد فيه الأمل والرجاء: بإحياء ما اندرس من تشاغل قرابته عن العلم، وانصرافهم عنه، وفي هذا أبلغ التحفيز، وأعظم الترغيب.
- دعاؤه الله عز وجل أن ينفع ولده بهذه الوصية، وأن يوفقه لحسن العلم والعمل، مع بيانه أنه قد استنفذ الجهد في تحبيرها، مع الاعتماد على الله في ذلك أولاً وآخراً.

رابعاً: السهولة والبعد عن التكلّف:

من شأن هذا الأمر أن يستجلب سمع الموصى إليه، ويؤثّر فيه غاية التأثير، لأنّ القلوب تكون مقبلة على سماع الوصية، مشتهية لها، محيطة بمراميها ومقاصدها. قال أبو هلال العسكري رحمه الله: "فمدار البلاغة على تخيّر اللفظ، وتخيُّره أصعب من جمعه وتأليفه"(٣).

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "وكان السلف يقتنعون من المواعظ باليسير من غير تحسين لفظ، أو زخرفة نطق"(٤).ومن خلال ما دوّنه ابن الجوزي في وصيته نجده ينأى بنفسه عن التكلّف والتصنع في العبارة، رغم أنه استجمع الفصاحة

(١) انظر البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع، لمحمد رمضان ص ٢٢٣.

(٢) الصناعتين ص ٤٨٩.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٥٨.

(٤) انظر: أبجد العلوم ٢/٥٣٥.

والبيان، وكان بليغاً مفوّهاً، فنجد عباراته سهلة سلسلة، دون تقعّر أو تشدق، أو استعمال لحوشي الألفاظ وغريب الكلمات.

خامساً: التدّرج في الوصية، بالبدء بالأهم فالمهم:

لقد سلك العلماء والناصحين والمربين إلى أسلوب التدرج من الأدنى إلى الأعلى ليسهل على السامع أو المتلقي فهم المراد، واستيعاب المحتوى، ولاسيما إذا كان المحتوى مركبا أو معقد أو يلقى على من لا يفهمه جملة واحده، وهذا من الأساليب الناجحة في إفهام المستمع، يقول ابن خلدون -رحمه الله-: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً، إذا كان على التدريج، شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً،...وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم)(١).

وهذا ما نلحظه في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه حيث تدرج معه في الموعظة والوصية حتى يكون على الطريق المستقيم الذي يرضاه الله، فتدرج معه في هذه الوصية فجعلها مقسمة على أمور منها: استحضار العقل في الغايةِ من الخلق، ثم حثّه على طلب الفضائل،وطلب العلم والحث على الاجتهاد في الطاعة، وإعطاء المثل من نفسه. ثم تدرج معه إلى الحث في تعجيل التوبة، واستدراك ما فات، واغتنام العمر. ثم وصيّة له بالعزلة والزهد. والتقوى فإنّها خير زاد. ثم ذكر له بعض الكتب المفيدة ليغتنم الوقت في النظر فيها وختم الوصيّة بحفظ حقوق الناس. ومن مقتضيات هذا التدرج الرفق بالمتعلم، وعدم أخذه بالشدة حتى يحصل له الفهم والتحصيل.

قال ابن خلدون -رحمه الله-: (الشدة على المتعلمين مضرة بهم وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضمر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة)(٢). ومن هذا نعلم حرص ابن الجوزي على أبنه الوحيد حيث تدرج معه، وقسم له النصيحة، وجزئها له أجزاء لكي يحسن فهمها وتطبيقها.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٥٣١

(٢) المرجع السابق ص٥٤٠

المطلب الثاني

الأسس العلمية لمنهج ابن الجوزي في وصيته لولده

تمتاز وصية الإمام ابن الجوزي رحمه الله لولده، بالأثرية والشمولية في أسسها وطرائق استدلالها، من أبرزها ما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم:

يتبوأ القرآن الكريم المكانة الأولى والمقام الأسمى عند السلف رحمهم الله، لأنه كلام الله العظيم(١)، وصراطه المستقيم، ودستوره القويم، ورسالته الخالدة، ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل بما فيه هُدي إلى صراط مستقيم، أنزله الله عز وجل على نبيه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: "فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في وصف منهج السلف: "هم أهل الكتاب والسنّة: لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدّمون هدي

(١) فالسلف رحمهم الله متفقون على أنّ القرآن كلام الله على الحقيقة ليس بمخلوق وأنّ الله تكلّم به بحرف وصوت مسموع وأنّه محفوظ من التحريف والتبديل ولا يجوز إنكار حرف منه ومن فعل ذلك فهو كافر انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/٢٧٢.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٤) رواه الترمذي في سننه باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي رقم ٢٨٥٠ وقال: "هذا حديث حسن غريب".

محمد -صلى الله عليه وسلم- على هدي كل أحد، ويتّبعون آثاره ز باطناً وظاهراً"[١].

وعلى منهج السلف الصالح رحمهم الله سار الإمام ابن الجوزي في وصيته هذه، لذا نجد الإمام ابن الجوزي رحمه الله يؤثر كلام الله في وصيته على غيره، فجاءت الوصية مليئة بالنصوص القرآنية.

ولابن الجوزي منهج فريد في الاستشهاد بآي الكتاب، تتلخّص في الآتي:

أ- الاستشهاد الصريح:

وذلك عن طريق الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم:

- إمّا أن يصدر المعنى الذي يريد أن يوضحه بالاستشهاد بآية جامعة تدلّ على المراد والمقصود، ليجعل منها أصلاً، يستحضر السامع لوصيته.

- أو أن يذكر كلاما أو مقطعاً من وصيته، ثم يردفه بذكر آيات جامعة تدلّ على المراد والمقصود، وله في ذلك مسلكان:

الأول: أن يذكر كلام له ثم يعقبه بذكر الآية الجامعة للمعنى، دون أن يصرح بذلك، ومثاله: عند ذكره لنعمة الولد، وأن الحافظ لهم هو الله، ثم ختم كلامه هذا بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[٢]

الثاني: أن يذكر كلاماً له، ثم يصرح بأن هذا المعنى تجمعه الآية الفلانية، ومن ذلك:

لما ذكر أنّ من أسباب تحصيل العلم التقوى والتعلق بالله، قال رحمه الله عقب ذلك: وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ

(١) مجموع الفتاوى ٣/٤٥٧.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٤٠/٤١

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

- أو أن يذكر المراد من وصيته، بذكر آيات من كتاب الله، دون تقديم أو تعقيب، ومن ذلك، ما ذكره في مستهل وصيته، في أنّ الله هو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولكن واجب النصح والتذكير هو الذي حداه لكتابة هذه الوصية، حيث أوجز هذا المعنى بذكر آيات تدل عليه، حيث قال: "لكنْ قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾[3].

- أو أن يذكر قصة من القصص على سبيل الاستدلال والاقتداء، ثم يردفها بالآيات الدالة على ذلك، ومثال هذا: واعلم يا بني أن يونس عليه السلام لما كانت ذخيرته خيرًا نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾[4].

ب- الاستشهاد الضمني:

وذلك بأخذ مضمون الآية القرآنية، وصياغتها بأسلوبه، وهو ما سار عليه في أغلب وصيته؛ إذ القرآن الكريم هو مصدر العلوم كلها كما صرّح بذلك في كتبه حيث يقول: "..ومتى كان الواعظ عالما بتفسير القرآن والحديث وسير السلف والفقه، عرف الجادة"[5].

وأمثلة ذلك كثيرة، منها: قوله: "الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب"، فهذا مستلٌ من قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.
(٢) سورة العصر آية ٣.
(٣) سورة الأعلى آية ٩
(٤) سورة الصافات آية ١٤٣.
(٥) القصاص والمذكرين ص٣٧٠.
(٦) سورة الطارق آية ٥/٧

وقوله: وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب؛ مستل من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ (1).

ثانياً: السنّة النبويّة:

السنّة النبويّة هي المعين والرافد بعد -القرآن الكريم- للوصية عند الإمام ابن الجوزي، وهذا واضح جليٌّ لمن وقف على وصيته لولده. وهذا منهج سار عليه ابن الجوزي -رحمه الله- في خطبه ومواعظه ووصاياه؛ قال رحمه الله: "ينبغي للواعظ أن يكون حافظاً لحديث رسول الله، عارفاً بصحيحه وسقيمه ومسنده ومقطوعه ومعضله"(2).

وقال في الحثّ على الاعتماد على السنّة في مقام الخطابة: "وليكن أكثر اعتماده - أي الخطيب والواعظ- على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين"(3).

وطرائق استشهاد ابن الجوزي رحمه الله بالسنّة النبويّة في ووصيته على ضربين:

استشهاد بأقوال المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، واستشهاد بأفعاله وأحواله وسيرته.

أ- الاستشهاد بأقوال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

كانت أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- ومواعظه النبراس الذي يستضيء به، والمعين الذي ينهل منه ابن الجوزي في خطبه ووصاياه، إذ أنّ أقواله وحي يوحى وتشريع يتّبع، مع ما أوتيه -صلى الله عليه وسلم- من بليغ القول وجوامع

---

(1) سورة الرحمن آية ٣/٤.

(2) القصاص والمذكرين، ص١٨٢.

(3) المرجع السابق ص٣٧٢

الكلم، وسلك -رحمه الله- في استشهاده - بأقوال المصطفى في وصيته- مسلكين اثنين:

١- الاستشهاد الصريح: والمقصود بذلك إيراد قوله -صلى الله عليه وسلم- أو موعظته في ثنايا الوصية.

ومن نماذج ذلك:

- حينما بيّن فضل التقوى وأنه خير زاد للعبد؛ استشهد عقب ذلك بحديث ابن عباس المشهور: "احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ أمامَك"[١].

- وحثّ -رحمه الله- على التعجيل بالتوبة والندم واستدراك ما فات واغتنام ما بقي من العمر، ثم استدل على ذلك بحديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، قال - رحمه الله-: وفي الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده غُرِسَت له نخلةٌ في الجنة "[٢] فانظر إلى مضيِّع الساعات كم يفوته من النخل".

٢- الاستشهاد الضمني: فقد أشرب قلب ابن الجوزي سنّة -صلى الله عليه وسلم- ففاضت ينابيع الحكمة من فيه، فلا تكاد تقف على موعظة له إلا وتجد لها شاهداً من سنّة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال -رحمه الله-: " فإني - بحمد الله - لما كان أكثر اشتغالي بالحديث وعلومه لم يكد يذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول صحيح أو حسن أو محال ولي في كتبي الوعظية - بحمد الله - أعمال عجز عنها من تقدم"[٣].ومن شواهد ذلك:

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم الحديث ٢٥٠٠ وقال: حديث حسن صحيح وأحمد في مسنده رقم الحديث ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرك رقم الحديث ٦٣٠٤.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه باب الاذكار رقم الحديث ٨٢٦، وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم

(٣) القصاص والمذكرين ص٣٧٣.

- قوله: "وما سعِد مَن سعِد إلا بمخالفة هواه، ولا شقِي مَن شقي إلا بإيثار دنياه"، مستلٌ من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"(١).

وقوله: وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمَّح كيف حِفظُكَ لها ؟ فإنه من راعى رُوعي، ومن أهملَ تُـرِك، مستلٌ من حديث ابن عباس المشهور: احفظ الله يحفظك.

٣- إيراده للأذكار الشرعية والسنن النبوية:

جاءت وصية ابن الجوزي رحمه الله، مليئة بالأذكار الشرعية، والسنن النبوية، حيث رسم لولده عمل اليوم والليلة، من أذكار الصباح والمساء، ومن النوافل الرواتب، وغيرها، كلٌ ذلك مقتصراً فيه على أحاديث النبي وسنته القولية والفعلية.

٤- مؤاخذات على أساليب ابن الجوزي في بعض استدلاله بالحديث النبوي:

تنوعت أساليب ابن الجوزي -رحمه الله- في إيراده للأحاديث النبوية في وصيته، فنجده:

- يذكر الحديث أحيانا بلفظه الوارد في كتب الصحاح والسنن، مثل حديث ابن عباس -رضي الله عنه- المشهور، وكذا الشأن في الأذكار التي أوردها.

- وأحياناً أخرى يذكر الحديث بالمعنى: كما في حديث الثلاثة الذين آوهم المبيت في غار فانسد عليهم؛ فدعا كل واحد منهم بصالح عمله، وحديث فإن حِفظَ المال من الدين، ولأن تُخلِّفَ لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس (٢)

(١) خرجه البيهقي في " المدخل "١/١٨٨رقم (٢٠٩) والخطيب في " تأريخه"٦/٢١، والبغوي رقم (١٠٤) قال الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، رَويناهُ في كِتابِ "الحُجَّة "بإسنادٍ صحيح .

(٢) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" متفق عليه

- وأحيانا يذكر الحديث ولا يوجد له أصل يروى به، مثل حديث: ما من شابٍ اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كِبَرِه" فلا يوجد له أصل.

- ونجده يذكر الصحيح من الأحاديث، مثل حديث ابن عباس، وحديث الغار، وغيرها.

وأحيانا أخرى يورد الضعيف منها: مثل حديث: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي. .." وهو حديث ضعيف [(١)].

ونرى ابن الجوزي -رحمه الله- يتساهل في رواية الاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال، علما أن في الصحيح غنية، وفيه أيضا سدا لفتح باب الاستدلال بالمكذوب وغيره.

ثالثاً: سير السلف الصالح رحمهم الله:

كانت مواعظ المتقدمين من السلف وسيرهم مادة خصبة ومعيناً فيّاضاً، للوصية ابن الجوزي -رحمه الله-، لذا نجده يحثّ على النقل والاستفادة والاستشهاد بأخبار السلف ومقالاتهم. قال -رحمه الله-: "فينبغي للواعظ أن يكون عالما بالتواريخ، وسير السلف، حافظا لأخبار الزهاد"[(٢)].وقال أيضاً: "وليكن أكثر اعتماده على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين"[(٣)].

وقد أكثر ابن الجوزي وهو -الجامع لأخبار الصالحين من السلف ومقالاتهم، كما في كتابه صفة الصفوة، من الاستشهاد بمقالات ومواعظ وسير السلف الصالح رحمهم الله في مواعظه ووصاياه.

قال -رحمه الله- عند ذكر جمعه لآلات الوعظ -: "وصنفت كتبا في أخبار الأخيار فمنها كتاب فضائل عمر بن الخطاب وكتاب فضائل عمر بن عبد العزيز و

(١) ضعه الألباني في ضعيف ابن ماجة ١/٦٠. و في الادب المفردص٤١٦.

(٢) القصاص والمذكرين ص١٨٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٢.

الحسن والفضيل وأحمد بن حنبل ومعروف وبشر وإبراهيم بن أدهم وغيرهم من الصالحين وكتاب عيون الحكايات فيه خمس مائة حكاية مسندة"[1]. ومن شواهد استدلال بأقوال وأحوال السلف رحمهم الله في وصيته ما يأتي:

١- الاستشهاد بمقالات السلف رحمهم الله وأحوالهم:

- ومثاله: في حديثه عن تعجيل التوبة والندم واستدراك ما فات واغتنام ما بقي من العمر؛ استشهد ببعض آثار السلف، فقال: "قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي ؟ فقال: ما اغبرّت في سبيل الله تعالى؛ وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبَت ما قمتها".

- وأحيانا يستدل بأفعال السلف رحمهم الله، ليحصل بذلك الاتساء والاقتداء، كما في قوله: "وقد كان السلف يغتنمون اللحظات، فكان كَهْمَسُ [بن الحسن التميمي] يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانت رابعةُ لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعَتْ هجعةً خفيفة وقامت فزِعَةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل".

- ونجده في مواطن أخرى يستدل بسمت السلف عموماً، دون نسبة لأحد منهم، كما في قوله: "فالزِم نفسَك يا بني الانتباهَ عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيءٍ من أمور الدنيا".

---

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٧٢.

المطلب الثالث

الأساليب الدعوية لابن الجوزي في وصيته

تنوعت الأساليب الدعوية التي استخدمها ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته؛ وهذا بغرض التأثير والإقناع، إذ أن لكل أسلوب ميزته وأثره، ومن أبرز هذه الأساليب، ما يأتي:

أولاً: الموعظة، والترغيب والترهيب:

الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب(١).

والترغيب هو: "هو الخطاب المفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"(٢).والترهيب هو: "هو كلّ ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، وعدم الثبات عليه، وعدم قبوله"(٣).

وقد جاء الحث على استخدام هذا الأسلوب في مقام الدعوة والنصح والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾(٤).

وقد أطنب الإمام ابن الجوزي في وصيته في استعمال هذا الأسلوب الدعوي؛ لأنه أليق بالوصية، وأشدّ تأثيراً في متلقيها، ولأن ابن الجوزي رحمه الله كان حامل لواء الوعظ بلا منازع. ومن نماذج ذلك ما يأتي:

- قوله -رحمه الله- في موعظته ولده في ضرورة محاسبة النفس واستغلال الوقت في صالح العمل حيث قال: "وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله، ومقدارَ اللبث في الدنيا قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١٥٧/٣.

(٢) هداية المرشدين ص ١٩٢.

(٣) أصول الدعوة ص ٤٣٧.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥

فأين لذة أمس؟ قد رحلَتْ وأبقَت ندمـًا، وأين شهوة النفس؟ نكّسَت رأسًا وأزلّت قدمـًا".

- ويقول أيضاً: "واعلم يا بني أن الأيام تبسُطُ ساعات، والساعاتُ تبسُط أنفاسًا، وكلُ نفَسٍ خزانة، فاحذر أن تـُذهِبَ نفسًا في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة فتندم". ويقول -رحمه الله- في الترهيب من سبيل المترفين والترغيب في سبيل الصالحين-: "فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد، أين لذةُ هؤلاء وأين تعبُ أولئك ؟ بقي الثواب الجزيل والذكرُ الجميلُ للصالحين، والمقالةُ القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما شبع مَن شبِع، ولا جاع مَن جاع ".

- ويقول -رحمه الله- في الترغيب في التوبة: "فانتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين، ما دام في الوقت سَعةٌ، واسقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبَتْ لذةُ الكسل فيها، وفاتت مراتبُ الفضائل، وقد كان السلف رحمهم الله يحبون جمعَ كل فضيلة، ويبكون على فوات واحدة منها"

- ويقول عند بيانه لحقيقة الدنيا والترهيب من الاغترار بها: "ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجَد، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة، وعلِم أن اللُبثَ في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا ـــ فرضنا ستين سنة مثلاً – فإنه يَمضي منها ثلاثون في النوم، ونحوٌ من خمس عشر في الصِبا، فإذا حسبتَ الباقي، كان أكثرُه في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيرًا، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات ؟! ".

ثانياً: الأمثال:

المثل هو: جملة من القول مقتضية من أصلها، أو مرسلها بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كلّ ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها"[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: المثل: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر[2].

ولضرب الأمثال أثناء العظة والوصية أكبر الآثار، فهي أوقع في النفوس، وأبلغ في التأثير، وأقوى في الزجر[3]، وتظهر أهمية ضرب الأمثال في الوصية، من خلال دقة المثل ووضوحه وقدرته على الإقناع، ومن خلال أغراضه وأثره. ومن جملة ما استشهد به ابن الجوزي رحمه الله من الأمثال لتقريب المعاني: قوله رحمه الله: "وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم". وهذا شطر بيت سار مسار الأمثال يضرب للدلالة على علو الهمة وسمو النفس في طلب المعالي، وقد أتى به ابن الجوزي رحمه الله عند حديثه عن علو همة العبد، وضرورة طلب المعالي وبذل الوسع في ذلك. وقال -رحمه الله-: "من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد"، وهذا مثل يدلّ على فضل القناعة، وسمو القانعين.

ثالثاً: الشعر:

من تدبّر الأشعار وقلّب النظر فيها، وجد أنّ منها ما تكون فيه حكَمٌ صائبةٌ، وعبَرٌ بانيةٌ، تزكّي النفوس وتشحذ الهمم، كما أن فيها ذكرٌ للخير وترغيبٌ فيه، وتعريضٌ بالشر وتحذيرٌ منه. وإنّ توشية الوصية بالأشعار الجميلة الرائقة مما تهتز له النفوس، ويحسن وقعه على الأسماع، خصوصاً إذا كان الاستشهاد مناسباً ملائماً، فيحسن أن تُجَمَّل

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي ١/ ٢٠.

(٢) أمثال القرآن لابن القيم ص١٧٤ .

(٣) هداية المرشدين ص ١٧٧.

الخطب أحياناً بما يناسب المقام، ويتّصل بالموضوع. والشِّعر أعلق في الذهن من المنثور، فإذا كانت الخطبة متضمّنة لأشعار رائقة، فإنّ ذلك أدعى لطول بقاء أثرها في نفس السامع، لأنّ النفس تستحضر المنظوم من القول أكثر من استحضارها المنثور منه. ولقد كان لابن الجوزي اليد الطولي في قرض الشعر الزهدي، والاستشهاد بشعر من تقدّمه، ومواعظه ووصاياه. كما نجده يحث الخطباء على الاستشهاد بالشعر في الوصايا المواع فيقول: "ولا بأس أن ينشد الأبيات الزهديّات فإنّ من الشعر حكمة"(١).ومن نماذج ما أورده من أشعار في وصيته: قوله -رحمه الله-: أو ما سمعتَ قول الشاعر:

بالليل ما جئتُكم زائرًا إلا رأيتُ الأرض تُطوى لي
ولا ثنيتُ العزمَ عن بابكم إلا تعثّرْتُ بأذيالي

وهذه الأبيات أتى بها في معرض ذكره سعة فضل الله، وإجابته دعاء من دعاه، وكشف كرب من التجأ إليه. ويقول -رحمه الله-: وتلمّح سِيَرَ الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر في ذلك:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمامِ "

وفي هذا استشهاد بالشعر من باب الحث على علو الهمة وطلب المعالي. ويقول -رحمه الله-: "وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه، كما قيل:

يا من بدنياه اشتغل وغرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العمل"

وفي هذه الأبيات ترهيب من الاغترار بطول الأمل، والتقاعس عن العمل.

رابعاً: إبراز القدوة الحسنة:

الأسوة والقدوة هي: الحالة الّتي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره إن حسنا وإن قبيحا وإن سارّا وإن ضارّا(٢).

---

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٦٥.

(٢) التوقيف لمهمات التعريف للمناوي ص ٥١.

وقد جاء الترغيب في ضرورة الاقتداء بالأخيار من الأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[1].

والناظر في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- يجده قد أسهب في ذكر القدوات الصالحة لابنه حتى يحصل الاقتداء بسمتهم ومنهجهم، حيث يقول: "وتلمّح سِيَرَ الكاملين في العلم والعمل". ومن نماذج ذلك:

١- الحث على الاقتداء بحال الأنبياء:

يقول -رحمه الله-: واعلم يا بني أن يونس -عليه السلام- لما كانت ذخيرته خيرًا نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[2].

٢- الحث على الاقتداء بحال السلف رحمهم الله:

يقول -رحمه الله-: "واعلم أني قد تصفحتُ التابعين ومَن بعدَهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس: سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل ؛ وقد كانوا رجالاً إنما كانت لهم همٌ ضعُفَت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثير لهم همم عالية، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب " صفة الصفوة "، وإن شئت " أخبار سعيد " و " أخبار سفيان " و " أخبار أحمد بن حنبل "، فقد جمعتُ لكل واحدٍ منهم كتابًا".

٣- إبراز القدوة في نفسه:

السير على خطا الأسلاف من الآباء والأجداد إن كانوا على السمت الصالح، من أعظم ما يعين العبد على سلوك طريق الخير والرشاد. وقد جعل ابن الجوزي في

---

(١) سورة الممتحنة آية ٦

(٢) سورة الصافات آية ١٤٤/١٤٣.

هذه الوصية من نفسه قدوة لولده، وأكثر من ذكر محلّ القدوة في ذلك، لأنّ الولد صنو أبيه، والتشبّه بالكرام فلاح.

قال -رحمه الله-: "وإني لأذكر لك بعضَ أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي، وتسألَ الموفقَ لي، إن أكثر الإنعام عليّ لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همةٌ عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رُزِقتُ عقلاً وافرًا في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ معَ صبيٍ قط، ولا ضحكتُ ضحكًا جارحًا، حتى إني كنتُ ولي سبعُ سنين أو نحوُها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخيّرُ حلقةَ مشعبذٍ، بل أطلب المحدّث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه. ولقد وُفّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعني " المسندَ " وغيرَه من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصبيان يترلون دِجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر ءاخذ جزءًا، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرّقة فأتشاغلُ بالعلم.

ثم أُلهمتُ الزهدَ، فسردتُ الصوم وتشاغلت بالتقلل وألزمتُ نفسي صبرَها، فاستمرأتُ وشمّرت ولازمت، وأحببتُ السهر، و لم أقنع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتّبع الزهاد. ثم قرأت اللغة و لم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريبًا يقدُمُ إلا وأحضره وأتخيّر الفضائل.

وكنت إذا عرض لي أمران أقدّم في أغلب الأحوال حقَ الحق، فأحسن الله تدبيري وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني، وهيأ لي أسباب العلم، وبعث إلي الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهمَ وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، و لم يُعْوِزني شيئًا من الدنيا، بل ساق إلي مقدارَ

الكفاية وأزيَد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته. وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جُمّة مما يتعاناه الجهال. ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفَسي من العَدْوِ لئلا أُسبَق، وكنت أصبح وليس لي ما آكل أمسي وليس لي شيء وما أذلني الله لمخلوق، ولكنه ساق رزقي لصيانة عِرضي ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرح وها أنا ترى ما قد آلت الحال إليه".

٤- إبراز القدوة بذكر النسب:

طيب الأصل مؤذن بطيب الفرع ولهذا يستدل بصلاح الفرع بصلاح الأصل قال تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾(١).

ولهذا نادى ابن الجوزي -رحمه الله- في ختام وصيته ينبّه ولده إلى شرف النسب حتى يحذو حذو الأخيار من القرابة والأجداد، قال -رحمه الله-: "يا بني واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر -رضي الله عنه- وأخباره موثقة في كتاب " صفة الصفوة " ثم تشاغلَ سلفنا بالتجارة والبيع والشراء فما كان من المتأخرين مَن رُزِقَ همةً في طلب العلم غيري وقد آل الأمر إليك، فاجتهد أن لا تخيّب ظني فيما رجوتُه فيك ولك".

(١) سورة مريم آية ٢٨

الخاتمة

ها أنذا – بحمد الله – ألقي عصا التسيار متمّماً ما بدأته من البحث في الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لولده المشهورة بـ" لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"

وأختم ببيان الأمور التالية:

١- الوصايا الشرعية لها أهمية بالغة في توجيه الأبناء والأحباب إلى الخير وتحذيرهم من الشر وبيان عاقبته.

٢- الوصية المبرّزة لها صفات عديدة؛ دائرة بين التأصيل العلمي، والحث على التقوى والاستقامة، والتحلّي بكريم الخصال وطيب الفعال.

٣- اتّسمت وصية ابن الجوزي لولده بخصائص عظيمة: فهي تجمع بين الأصالة في مصادرها، والتنوّع في أساليبها ومضامينها، والقوة في بيانها وتراكيبها.

٤- بلغت عناية ابن الجوزي بوصيته لولده الغاية القصوى، واجتمعت فيه آلا الوعظ العلمية والأخلاقية والإيمانية، حتى غدت وصيته علماً مبرّزاً وقدوة يقتدى بها.

٥- نوع ابن الجوزي رحمه الله تعالى في النصح لابنه حتى شملت العقيدة الصافية والعبادة الصحيحة والأخلاق الحميدة،والحث على طلب العلم الشرعي الذي به قوام الدنيا والدين.

٦- ظهرت قوة ابن الجوزي -رحمه الله- في هذه الوصية في براعة الاستهلال وحسن الختام وسهولة الألفاظ وتراكيب الكلام.

وفي الختام أوصي نفسي وإخوتي على نهج منهاج ابن الجوزي في النصح للأبناء فهو نعم الاستثمار في الحياة وبعد الممات وانقطاع الأعمال.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. .

فهرس المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار .

٢. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط/دار المعرفة – بيروت.

٣. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. شركة مصطفى الحلبي – مصر– ١٣٩٣هـ، ط/٤، تحقيق: مصطفى السقا

٤. أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري. دار الصحابة للتراث – طنطا – ١٤٠٩، ط/١، تحقيق: سمير حلبي

٥. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/٣، ١٤٠٩هـ.

٦. الأدب المفرد، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤٠٩هـ، ط/٣، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي

٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م، ط/١، تحقيق: سالم محمد.

٩. أسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني، مكتبة المتنبي، ط/٢، ١٣٩٩ هـ

١٠. أصول الدعوة، د عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٩، ١٤٢٣هـ.

١١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ط/ دار الجيل بيروت م١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

١٢. أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع تأملات وتدبر، تأليف: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني. ط/٢، دار القلم -دمشق- ١٤١٢ هـ.

١٣. الأمثال في الحديث النبوي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني، الدار السلفيةالهند١٤٠٨هـ، ط/٢، تحقيق: د.عبدالعلي عبد الحميد

١٤. البيان والتبيّن: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار صعب، بيروت، ط/١، ١٩٦٨م، تحقيق: المحامي فوزي عطوي.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، تحقيق: المحامي فوزي عطوي دار مكتبة الحياة، بيروت

١٦. تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان – دمشق، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط/١، ١٣٩١هـ.

١٧. تفسير القرآن العظيم: الحافظ أبو الفداء ابن كثير، ط/ دار الفكر، بيروت، ط/ ١٤٠١هـ.

١٨. تلبيس إبليس، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق وتخريج: محمد علي أيوب العباس، ط/ مكتبة القرآن للطباعة.

١٩. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي. دار الفكر – دمشق – ١٤١٠ هـ، ط/١، تحقيق: د. كمال رضوان.

٢٠. جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكَلِم، الإمام زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط/ ٧، ١٤١٧هـ.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط/ دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٢٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. ط/ دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٣ هـ، تحقيق: د. محمود الطحان.

٢٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/٤، ١٤٠٥هـ.

٢٤. ديوان الإمام الشافعي. دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤١٦ هـ، ط/٣، جمع وتحقيق وشرح: د. اميل بديع يعقوب.

٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي. دار الثقافة للنشر والتوزيع - ط/ الدار البيضاء- تحقيق: محمد حجي، وآخرين.

٢٧. صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، ط/ ١، ١٤٠٨هـ.

٢٨. صحيح سنن النسائي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، ط/ ١، ١٤٠٩هـ.

٢٩. صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠. صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. دار ابن حـــزم للطباعـــة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٢٤ هـــ، ط/١.
٣١. العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي. المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٩هـــ، ط/٢.
٣٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظـــيم آبـــادي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م، ط/٢.
٣٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علـــي بن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ المكتبة السلفية.
٣٤. الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. دار ابـــن الجوزي - السعودية - ١٤٢١هـــ، ط/٢، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي
٣٥. القاموس المحيط: للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيـــق مكتب التراث في مؤسسة الرســـالة، مؤســـسة الرســـالة، بـــيروت، ط/٣، ١٤١٣هـــ.
٣٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٩ هـــ، ط/٣.
٣٧. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بـــن ســـهل العسكري. ط/ المكتبة العصرية - بيروت- ١٤٠٦هـــ، تحقيق: علي محمـــد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم.
٣٨. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفـــوي، تحقيـــق: عـــدنان درويش محمد المصري، ط/ دار النشر، مؤسسة الرسالة- بيروت-
٣٩. لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمـــد بـــن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، ط/١.

٤٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، جمـع وترتيـب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، وابنه محمـد، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٤١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ.

٤٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بـن أبي بكـر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار الكتاب العربي - بـيروت - ١٣٩٣هـ، ط/٢، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٤٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسبوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار الفكر، بيروت.

٤٤. المسند، الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الـشّيباني، ط/ الميمنيـة، وبهامشه منتخب كتر العمال من سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسـلامي، بيروت، ط/٢، ١٣٩٨هـ.

٤٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بـن علـي المقـري الفيومي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.

٤٦. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العـسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعـة لجماعـة المدرسين بـ «قم»، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٧. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمـد النجار. ط/ دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، عام ١٣٩٢هـ.

٤٨. المغني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن قدامـه المقدسـي، تحقيـق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجـر، ط/١، عام ١٤٠٦هـ

٤٩. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، ط/ دار الفكر بيروت.

٥٠. مفاتح الغيب: (التفسير الكبير)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ، ط١.
٥١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٢. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. دار القلم - بيروت - ١٩٨٤ م، ط٥.
٥٣. منهج الإسلام في تزكية النفس، وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. أنس كرزون. دار نور المكتبات، دار ابن حزم - جدة، بيروت - ١٤٢١ هـ، ط٣.
٥٤. من روائع النصائح والوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد الإمام الحافظ ابو الفرج بن الجوزي،نصح بها ولده أبا القاسم بدر الدين، شرح وتحقيق أشرف عبد المقصود بن عبد الرحيم عفا الله عنه ط/١عام ١٤١٢هـ، مكتبة الإمام البخاري.
٥٥. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول، إعداد مجموعة من المختصين، إشراف د. صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط/١، ١٤١٨هـ.
٥٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. ط/ المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
٥٧. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني الناشر: ط/ إدارة الطباعة المنيرية
٥٨. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ. دار مصر للطباعة:١٣٩٥ هـ، ط/٧.

البحث رقم (٤)

منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي

إعداد

د. تركي بن عبدالله السكران

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (3).

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث نبيّه محمداً -صلى الله عليه وسلم- مؤيّداً بكتابه وكلامه الحق المبين الذي لا ريب فيه،هدى ونوراً ورحمة للعالمين، وحجة بالغة على الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (4) فبلّغه -صلى الله عليه وسلم- أتمّ بلاغ، وأقام الحجّة به على الإنس والجن أجمعين، وتركهم على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن فضله تعالى أنه لم ولن تَخل الأرض من قائم بالدين بحجّة، وداع إلى

---

(1) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(2) سورة النساء، الآية: (١).

(3) سورة الأحزاب، الآية: (٧٠ – ٧١).

(4) سورة المائدة، الآية: (١٦).

سبيله على بصيرة، هم الطائفة المنصورة، الذين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهم فيما رواه معاوية -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك[1].

وقد قام رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- بواجب البلاغ كما أمره الله تعالى، وكان من جملة ما بلغه ودعا إليه؛ الجانب الاقتصادي لما له من أهمية لا تخفى في حياة الناس.

وقد تتابع الدعاة إلى الله تعالى من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم في بيان منهج الدعوة الإسلامية في تأصيل وتحقيق الأمن الاقتصادي، لما لذلك من تأثير إيجابي فاعل في حياة الناس.

وبالتتبع والاستقراء لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب عن بيان " منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي " ، فعقدت العزم بعد استخارة واستشارة في الكتابة حول هذا الموضوع، سائلا الله أن تسد هذه الدراسة نقصا، أو تكمل بناء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

لدراسة هذا الموضوع أهمية تظهر من خلال ما يلي:

١- حماية الاقتصاد الإسلامي والعمل في ازدهاره.

٢- تشجيع اليد العاملة على تطوير الاقتصاد الإسلامي وتنويع مصادره.

٣- تثقيف الخاصة والعامة في أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي.

٤- إن اتباع ما أنزل الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم- هو سبيل السعادة والفلاح والحياة الطيبة، فيما يتعلق بالأمن الاقتصادي، وترك ذلك سبب للخسران المبين للحياة الكريمة التي منحها الله تعالى لعباده.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب (٤/ ٢٠٧/ برقم: ٣٦٤١).

٥- مما يشاهد في وقتنا المعاصر أن الأمة الإسلامية تواجه كثيراً من التحدّيات الرامية إلى ضرورة التدخّل السريع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأموال المتناثرة التي لم تُستعمل لدعم الجياع من أبناء الأمة الإسلامية، ولا في الدعوة الإسلامية، ولا لدعم أي قطاع يخدم الأمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٦- بيان أن الحفاظ على الأمن الاقتصادي هو العامل الرئيس للنهوض والرُّقي نحو الازدهار، ذلك أن القوة الجوهرية لأي أمة تكمن في قوة عقيدها واقتصادها.

٧- إظهار جانب من منهج الدعوة الإسلامية في الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وتوظيف الاقتصاد كأداة ووسيلة للدعوة إلى الله تعالى حسب السياسة الشرعية.

أسباب اختيار الموضوع:

جملة أسباب دعت الباحث لدراسة هذا الموضوع، من أهمّها:

١- المساهمة في إيجاد حلول جذرية لحماية الأمن الاقتصادي في المجتمع المسلم نتيجة للظروف الطارئة التي تمرّ بالاقتصاد الإسلامي.

٢- محاولة رسم سبل ووسائل لضبط الإخلال بالأمن الاقتصادي للحيلولة دون المزيد من الانهيارات الاقتصادية سواء من الناحية الأمنية أو الأخلاقية أو العلمية كما هو مشاهد اليوم.

٣- تساهم هذه الدراسة بإذن الله تعالى في بيان منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.

٤- أن من ضمن واجبات الدعاة إلى الله المساهمة في رسم آلية علاجية لما قد تتعرض له الأمة الإسلامية من مشكلات رئيسة، يمثّل الجانب الاقتصادي عنصراً رئيساً فيها.

تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيس، ويتفرع عن هذا السؤال التساؤلات التالية:

١ – هل للدعوة الإسلامية منهج في تحقيق الأمن الاقتصادي؟

٢ – ما مفهوم الأمن الاقتصادي؟

٣ – ما منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في تحقيق الأمن الاقتصادي؟

٤ - ما الخطر الناجم عن العبث بالأمن الاقتصادي؟

٥ - ما دور الدعاة إلى الله في التصدي للعابثين بالأمن الاقتصادي؟

٦ - ما أثر تحقيق الأمن الاقتصادي على الفرد والمجتمع؟

خطوات إجراءات الدراسة:

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وفق خطوات بحثية أهمها:

١ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية وكتابتها بالرسم العثماني.

٢ - تخريج الأحاديث، فإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما، فيكتفي بالإشارة إلى مواطنها فيهما، وإن كانت في غيرهما فَيخرّج، وتذكر أقوال أهل العلم في بيان درجتها حسب الإمكان.

٣ - عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة، مع بيان اسم الكتاب، والمؤلف.

٤ - وضع الفهارس الفنية لهذه الدراسة.

خطة الدراسة:

تشتمل الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث، وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة.

الخطة التفصيلية للدراسة:

تتكوّن هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشمل التعريف بمصطلحات الدراسة الرّئيسة.

المبحث الأول: ويشمل الأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، والدروس الدعوية المستفادة من ذلك.

المبحث الثاني: ويشمل خطر الاسراف المادي والعبث بالاقتصاد وأثر ذلك على الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث: دور الدعاة إلى الله تعالى في التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي.

الخاتمة: وتشمل ملخص الدراسة، وأهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

ويشمل التعريف بمصطلحات الدراسة (الأمن- الاقتصاد).التمهيد

أولاً: تعريف الأمن لغة واصطلاحاً:

الأمن لغة: الأمن: ضد الخوف، والأمانة: ضد الخيانة، والإيمان: ضد الكفر، والإيمان: بمعنى التصديق، وضده التكذيب، يُقال: آمن به قومٌ وكذب به قومٌ(١).

الأمن نقيض الخوف، أَمِنَ فلانٌ يأمن أمنا وأمنا(٢).

وأيضاً، الأمن: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف(٣).

ويتّضح خلال التعريفات السابقة أنّ الأمن ضدّ الخوف، وأنَّ الأمن هو الطمأنينة في النَّفس، وراحة في البال.

وأما الخوف فهو ضدُّ ذلك، وهو عدم الطمأنينة في النفس، والقلق، والفزع، والهول، والاضطراب النَّفسي الدَّائم.

ويزيد ما سبق وضوحاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾(٤).

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٢١/١٣) الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣/١٤١٤هـ، وانظر: العين، لخليل الفراهيدي، (٣٨٨/٨) وانظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي، (٦١٧/١)، وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، (٢٠٧١/٥)، وانظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٣٣/١).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢١/١٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ص (٦٣) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط١/١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٤) سورة النساء، الآية: (٨٣).

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (إذا جاءهم أمر أنهم قد أمنوا من عدوِّهم، أو أنهم خائفون منهم، أذاعوا بالحديث حتى يبلغ عدوَّهم أمرُهم)[1].

ويُلاحظ أن الله تعالى أمَّن مكة المكرمة لعباده، من أجل ارتياح النفوس فيها لعبادته سبحانه وتعالى، من صلاة، وطواف، وذكر، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[2] والمراد به (مكة المكرمة).

قال مقاتل -رحمه الله-: يعني مكة يأمن فيه كل خائف، وكل أحد في الجاهلية والإسلام ولا تقام فيه الحدود فأقسم الله عز وجل بهؤلاء الآيات الأربع[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[5]فهذه تهيئة للعباد الذين سيفدون إليها، لتكون نفوسهم في غاية الطمأنينة والأمن للإقامة فيها وأداء العبادات المتعددة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن﴾﴿بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[6].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (٢٥٣/٧) تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١/١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٢) سورة التين، الآية: (٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، (٧٥١/٤) المحقق: عبدالله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط١/-١٤٢٣هـ.

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٢٥).

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٢٦).

(٦) سورة الحج، الآية: (٢٦).

الأمن اصطلاحاً: لا يختلف معنى الأمن اصطلاحاً بمعناه اللغوي، ومُلخّص معنى الأمن اصطلاحاً، هو: (الوقاية من كل شرٍّ)، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1].

قال البغوي -رحمه الله-: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم، الذي يخافون، ولقاهم نضرة، حسنا في وجوههم، وسرورا، في قلوبهم)[2].

اتّضح من خلال المعنى الاصطلاحي أن الأمن ضدّ الخوف كما في المعنى اللغوي، ويظهر ذلك في قوله (فوقاهم الله شر ذلك اليوم الذي يخافون)، وأن مفهوم الأمن اصطلاحاً، هو: (نضرة حسنة تظهر على الوجوه، وسرور مُنْبَثِق من القلب)، وقد أشارت الآية الكريمة على كلا المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

ثانياً: تعريف الاقتصاد لغة واصطلاحاً:

الاقتصاد لغة: هُوَ التَّوَسُّط بَين الإِسْرَاف والتقتير[3].

قال الزبيدي: الاقتصاد، يُقال: فلان مُقتصد في المعيشة وفي النفقة، وقد اقتصد، واقتصد في أمره: استقام، وفي البصائر للمصنف: واقتصد في النفقة: توسَّطَ بين التقتير والإسراف.

ومن الاقتصاد ما هو محمود مطلقا، وذلك فيما له طرفان: إفراط وتفريط، كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل، وكالشجاعة، فإنها بين التهور والجبن، وإليه

---

(١) سورة الإنسان، الآية: (١١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) (١٩٢/٥) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١/١٤٢٠ هـ.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، ص (١٦٠) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ.

الإشارة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾[1][2].

والاقتصاد: الأموال القابلة للتملُّك والتقويم والمحدودة الكمية والثّروة القومية مجموعة القوى المنتجة في الدولة[3]. ويمكن تلخيص معنى الاقتصاد لغة أنــه: علــم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع[4].

الاقتصاد اصطلاحاً: هو الاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، الاعتدال في الدُّخول والإنتاج والمنصرفات، لضمان بقاء الحياة الاقتصادية في جوٍّ معتدل بعيــدًا عن التَّدهور والكساد[5].

ويمكن تحديد معنى الاقتصاد من الناحية الاصطلاحية أنه:

"مجموعة من الثروات والأموال والنقود والأثمان والموارد التي يستعملها الإنسان كمصدر للعيش الكريم، بما فيها من صنوف الزروع والمياه أو غير ذلك من الموارد ذات الصِّلة من غير إسراف ولا تبذير فيها".

كما يمكن تعريف الأمن الاقتصادي بأنه: " الثقة في إمكانية الانتاج والتوزيع بطريقة عادلة وبدون معوقات " [6].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٦٧).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّــب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هــ) ص (٣٦/٩) المحقق: مجموعة من المحققــين، الناشــر: دار الهداية، بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر / محمد النجار) (٩٥/١) باب: الثاء، الناشر: دار الدعوة بدون تــاريخ، وانظــر: الاقتــصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي، (٦٢/١).

(٤) المرجع السابق، (٢/ ٧٣٨).

(٥) خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، محمد إبراهيم برناوي، الناشر: مجلة الجامعة الإســلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١/١)تاريخ الطبعة، ربيع الآخر-رمضان ١٤٠١هــ، بدون عدد الطبعة.

(٦) منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، إعداد: معن خالد عبد الله القضاة، وأصل هــذا البحث، رسالة علمية قدمه صاحبه استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الاقتصاد الإســلامي من كلية الشريعة في جامعة اليرموك، ص (٦) تاريخ ١٩٩٦م-١٤١٧هــ.

ويمكن للباحث إجمال معنى الأمن الاقتصادي بأنه:

"ضمان ازدهار العوامل الانتاجية المتعلقة بالثروات والحفاظ على مستوى المتانة الاقتصادية ومنع ركودها، ومكافحة تضخُّمِها".

المبحث الأول

الأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك

توطئة:

لم يضع الشَّارع الحكيم مصلحة للإنسان إلا لخدمته، وهذا يظهر كرامة الله التي حظي بها الإنسان، وهي من نعم الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٢).

ومن نعم الله تعالى على عباده أن بسط لهم الرِّزق الطَّيب بقدر ما يُبقيهم طائعين لله خاضعين له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣).

ومن الملاحظ أن الله تعالى قارن بين عبادته وبين الرزق، فإذا حظي العبد برزق الله تعالى وجب عليه أن يُكرّس ذلك في شكره سبحانه وتعالى ويتضمّن شكره عبادته، لأنهما متلازمان.

قال تعالى حكاية عن طبيعة نفس البشر وما يعتريها من وساوس الشيطان ونزغاته التي تُفضي به إلى الانفلات من طاعته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾(٤).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٣٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٧٠).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (١٧).

(٤) سورة الشورى، الآية: (٢٧).

ومع هذا القدر المحكَّم من لدن حكيم خبير، فقد بغى بعض الخلق لتوظيفهم رزق الله تعالى الذي رزقهم به في معصية الله تعالى وبما فيه الإسراف والإخلال بتأمين هذا الرزق الحسن الرَّبَّاني، فأصبح ذلك ضرراً عليهم وعلى الفقراء والمساكين، حيث لا هم استفادوا من أموالهم في وجه حقٍّ، ولا هم اعطوا الفقراء والمساكين حقوقهم كما هو مُقرّر شرعاً.

أولاً: النصوص الشرعية من القرآن الكريم الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ﴾[1].ووجه الاستدلال بالآية الكريمة:

قال أبو الليث السمرقندي: (قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ يعني: دروع الحديد، وذلك أن داود عليه السلام خرج يوماً متنكراً ليسأل عن سيرته في مملكته، فاستقبله جبريل عليه السلام على صورة آدميّ فلم يعرفه داود فقال: كيف ترى سيرة داود في مملكته؟ فقال له جبريل عليه السلام: نِعْمَ الرجل هو، لولا أن فيه خصلة واحدة! قال: وما هي؟ قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال، وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده، فرجع داود عليه السلام وسأل الله عز وجل أن يجعل رزقه من كدّ يديه، فألان له الحديد، وكان يتّخذ منها الدروع ويبيعها ويأكل من ذلك، فذلك قوله: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ﴾ يعني: ألهمناه، ويقال: عَلَّمْناهُ بالوحي ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[2]يعني: يمنعكم

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

قتال عدوكم[1].

ومما يُقوّي هذه الرواية التي أوردها أبو الليث السمرقندي في تفسيره، أنه ثبت في صحيح البخاري من حديث المقدام عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده)[2].

ومن أوجه الاستشهاد بالآية أيضا:

أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[3] وما فيها من تعليم الله تعالى لداود عليه السلام صنعة لبوس يُفسّر نظرية الاقتصاد المعروفة بمبدأ (الانتاج مُقدَّم على الاستهلاك) لأن الله تعالى أراد من عبده داود عليه السلام أن يكون مُنتجاً لا مُستهلكاً، بجامع أنَّ عملية الانتاج تُؤمِّن الاقتصاد وتُحافظ على ازدهاره، بخلاف الاستهلاك فإنه عامل ركود إن لم تُصاحبه دوّامة الانتاج.

ويتَّضح منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي من خلال هذه الآية بالآتي:

١- أنَّ على الداعية أن يكون حريصًا على الاكتفاء الذاتي، فيما يتعلق بزاد الداعية واحتياجاته اليومية لدعم الدعوة، ومنهج الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله خير قدوة للدعاة، وما جاء عن داود عليه السلام خير دليل على ذلك.

٢- وكما أنّ على الداعية أن يدعوا الناس الى عبادة الله وحده ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فعليه أيضاً أن يدعوهم ويحُثّهم على اصلاح الاقتصاد

---

(١) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) (٢/ ٤٣٥). بدون تاريخ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (٢٠٧٢/٥٧/٣).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

والعمل الرامي إلى الانتاج، وتوعيتهم بمخاطر الاستهلاك الذي يُؤدِّي في النهاية إلى الركود الاقتصادي إذا ما ركّز الناس على الاستهلاك فقط دون الإنتاج.

٣-كما تدل الآية الكريمة أيضاً على أولوية الانتاج وأهميته في حياة الفرد والمجتمع، وأن الدعوة الإسلامية تهدف فيما تهدف إليه إلى إصلاح شؤون حياة للناس وفق الشريعة الإسلامية، وأن القاعدة المعمول بها في هذا، هي (عدم التفريق بين الحياة والدين) بخلاف مَن زعم أن الحياة والدين شيئان مُضادَّان، والرّد على هذه النظرية أن داود عليه السلام إنما أُرسل إلى قومه لإبلاغ دين الله تعالى، ومع ذلك فإنّ الله تعالى خاطب نبيَّه وأمرَهُ في الآية بـ ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهذا يرمي إلى شؤون الدّين والحياة معاً وذلك لِسَبَبَيْن:

١- أمَّا ما يرمي إلى شؤون الحياة في الآية الكريمة، فإنَّه يمكن انتاج ما يتم صنعه من لبوس لتوفير المال وجعْل ذلك ضمن الموارد الاقتصادية تُعين الداعية على العيش الكريم والاكتفاء الذاتي، والانفاق على المستحقين من الفقراء والمساكين من المدعوين.

٢- أمَّا ما يرمي إلى شؤون الدِّين المحضة، قوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[1] أي: يمنعكم قتال عدوِّكم[2]، وهذا في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد من الدّين، وهو سنة الأولين والآخرين للأنبياء والرسل عليهم السلام ولأتباعهم، وهو من أهمّ ركائز الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان لحماية الدعوة والمدعوين إذا ما لزم ذلك.

فاتّضح ممَّا سبق التَّلازم من خلال هذا التحليل العلمي بين الحياة والدين وتعذَّرَ التَّفريق بينهما.

---

(١) سورة الأنبياء: (٨٠).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٤٣٥).

٢- قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (١).

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ قال أبو الحسن الواحدي -رحمه الله-:(أما السبع بقرات السمان فإنها سبع سنين مخصبات وذوات نعمة، وأنتم تزرعون فيها، وهو قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾أي: فازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ قال ابن عباس: متوالية.

والدَّأب: استمرار الشَّيء على عادة، وهو دائب يفعل كذا، أي: استمرَّ في فعله، وقد دأب يدأب دأبًا ودأَبًا.

والمعنى: زراعة مُتوالية في هذه السِّنين على عادتكم فَمَا حَصَدْتُمْ مما زرعتم ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾يعني: ما أردتم أكله فدوسوه، ودعُوا الباقي في السُّنبل، لأنه أبقى له وأبعد عن الفساد ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني: سبع سنين مجدبات، والشّداد: الصّعاب التي تشتدُّ على الناس يَأْكُلْنَ يذهبن ويفنين ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾في السّنين المخصبة: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون وتُدَخِّرون(٢).

(١) سورة يوسف، الآية: (٤٧ - ٤٩).

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، (٦١٦/٢) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ د. عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١٤١٥/١ هـ - ١٩٩٤م.

وجه الاستشهاد بالآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ يُفيد الحث على استمرارية الانتاج ودوّامته، وبيان أهميته، والهدف من هذا الحفاظ على استقرار الاقتصاد المحلي واحتياطية الغذاء التي تضمن حفظ استمرارية حياة الناس عندما يأتي وقت الجدب.

قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾يُفيد الحث على تأمين المحصول المنتوج، وهذا التحليل العلمي يُفسِّر نظرية (**تدوير الْمُنْتَج**) الاقتصادية، ليكون الاقتصاد أكثر متاناً وثباتاً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾يُفيد الحِفاظ على القدر الكافي لاحتياج الإنسان اليومي، والكف عن استهلاك ما دون الحاجة، وهذا ضمن مفهوم مصطلح (الأمن الاقتصادي) وهذا ما ورد في الحديث الشريف من حديث مقدام بن معدي كرب، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)[1].

ذلك أن استهلاك ما فوق الحاجة إسراف وتبذير ويُسبّب هذا إنهاك الاقتصاد وركوده، ويتناقض ذلك مع مفهوم كلمة (الاقتصاد) ومقاصدها.

ويتَّضح منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي خلال هذه الآية:

١- أنَّ على الداعية (أن لا يتأخّر عن البيان في وقت الحاجة)، وهذا من القواعد الأصولية التي يُستفاد منها في تحقيق الدعوة الإسلامية في الوقت المناسب،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، (٤/٥٩٠/٢٣٨٠)، وأخرجه ابن ماجه، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (٢/١١١١/٣٣٤٩) وقال ناصر الألباني رحمه الله حديث صحيح، انظر: رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (١/٢٣٩/٥٢١) الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

وهذا ما فعله يوسف عليه السلام حيث استفتى الفتى يوسفَ عليه السلام عن رؤية رآها في نومه، فبيَّنَ يوسفُ عليه السلام مآل قومه، بالإضافة إلى إيجاد حلولٍ لهم حين تقع الواقعة.

٢- أنّ على الداعية التخوُّل بالدعوة وأن لا يكون تركيزه في الدعوة على أمر واحد، بل يُنوِّع مسار دعوته في جميع شؤون الحياة، لأن يوسف عليه السلام لم يدع مجالاً من مجالات الدعوة إلا واستدمه، ومن ذلك تعبير الرُّؤيا لما في ذلك من مصالح الناس إذا كان الداعية مُلمًّا بذلك، فقد ورد من حديث أبي قتادة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها، فإنها لا تضره)[1].

٣- أنَّ على الداعية أن يُحذِّر المدعوين من مخاطر وعواقب العقوبات العامة التي تنزل بالناس بعمل الخاصة، وهذا بالنظر إلى ما أرادت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام، وعاقبة فعلها على العامة.

٤- أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ يُفيد الأمن الاقتصادي، وهو استعمال الاقتصاد على قدر الحاجة، وتأمين ما لا تدعو الحاجة إلى استعماله واستهلاكه.

وهذا ما يؤيِّده الحديث الشريف، حيث قسَّم النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- ما تدعوا الحاجة إلى استهلاكه بوضع قاعدة عامة له، وهي:

الثُّلث: لطعامه.

والثُّلث: لشرابه.

والثُّلث: لنفسه.

وهذا التَّقسيم الثُّلاثي يضمن تأمين ما لا تدعو الحاجة إلى استعماله، إلى حين احتياج المستهلك إليه، وهو المفهوم الحقيقي لكلمة (الاقتصاد)، لأن مفهوم الاقتصاد يرمي إلى نبذ فساد الثروة من دون حاجة، وتبعات هذا الفساد على

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية (٧/١٣٣/٥٧٤٧).

النُّمُوّ.

٣- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[1].

وجه الاستدلال بالآية الكريمة: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ يفيد الحثّ على الانتاج، لأن الحرث المراد في الآية هو الكسب عن طريق انتاج المزروع.

قال ابن قتيبة -رحمه الله-: الحَارث الكاسب يُقَال حرث فلَانٌ إذا كسبَ واحترات المَال كَسبه وَلَيْسَ من أحد إِلَّا وَهُوَ يحرث قَالَ الله عز وجلّ: { مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا }[2] أي من كَانَ يُرِيد كسب الآخرَة نضاعف لَهُ كَسبه يُرِيد تَضْعِيف الحسَنَات وَمن كَانَ يُرِيد كسب الدُّنْيَا نؤته مِنْهَا[3].

وفي الحديث: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يقولنَّ أحدُكم: زرعتُ ولكن ليقل: حرثتُ" قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[4][5].

---

(١) سورة الواقعة، الآية: (٦٣ — ٦٥).

(٢) سورة الشورى، الآية: (٢٠).

(٣) غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، (٢٨٦/١) المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني — بغداد، ط١/ ١٣٩٧هـ.

(٤) سورة الواقعة، الآية: (٦٤).

(٥) أخرجه ابن حبان في الإحسان، (٥٧٢٣/٣٠/١٣) وأخرجه ابن جرير الطبري في " التفسير " (٢٧/ ١١٤) والبزار (١٢٨٩) والطبراني في " الأوسط " (١/١٤٩/١- الظاهرية)، وأبو نعيم في " الحلية " (٨ / ٢٦٧) والسهمي في " تاريخ جرجان "(٣٦٩)، والبيهقي في " السنن " (٦ /

ويُلاحظ هنا أنَّ من حكمة الله تعالى أنه لم يقل (أفرأيتم ما تأكلون) لأنَّ الخطاب لو جاء بهذا النحو لكان الحثّ على الاستهلاك مُقدّماً على الحث على الانتاج، وهذا نقيض مفهوم الاقتصاد، بل جاء الخطاب في التَّأكيد على أهمية الانتاج والاستكثار، وهذا ما ذكرتُه سابقاً ضمن قواعد علم الاقتصاد المعروفة بـ (الانتاج مُقدَّم على الاستهلاك) وهذا ما ورد في الآية الكريمة.

وبناءً على قاعدة: (بضدِّها تتبيَّن الأشياءُ) فقد جاء هذا الضّد في الآية الكريمة لتكون المقاصد أكثر وضوحاً، وهو قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ فالآية السَّابقة كانت تُحثّ على الانتاج وتبلوُر الاقتصاد وتأمينه، فعُرف أهمية ذلك بضدِّه وهي العواقب الناجمة عن عدم حصول الاقتصاد على التأمين بعد انتاجه واستثماره، فجاءت في هذه الآية الكريمة قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ فعُلم أن العاقبة تكون وخيمة إذا خلى الاقتصاد من التَّأمين والحفظ.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذي زرعناه حُطامًا، يعني هشيمًا لا يُنْتفع به في مطعم وغذاء)(1).

وقال الماوردي -رحمه الله-: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾ يعني الزرع، والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به، فنبَّه بذلك على أمرين:

---

١٣٨) وفي " شعب الإيمان " أيضا (٤ / ٢٨٠١) كلهم، من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرمي، قال ناصر الدين الألباني: حديث صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (٢٨٠١/٧١٥/٦).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (١٣٩/٢٣) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

أحدهما: ما أولاهم من النِّعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه.

الثَّاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم(١).

بناءً على هذا التَّنبيه على الأمرين المذكورين على لسان الماوردي -رحمه الله- اللَّذَين جاء تقسيمهما على قسمين الانتاج والاستهلاك بإيراد قاعدة (بضدِّها تتبيَّن الأشياء) سابقاً.

ثانياً: النُّصوص الشَّرعية من السُّنة النَّبوية الشَّريفة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك:

جاءت أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي في السنة النبوية الشريفة، من ذلك:

قوله -صلى الله عليه وسلم-: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا، في غير إسراف ولا مخيلة، وقال ابن عباس:" كلْ ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف، أو مخيلة"(٢).

وجه الاستدلال بالحديث النبوي:

قوله -صلى الله عليه وسلم-، (كلوا واشربوا.....في غير إسراف ولا مخيلة).

يُفيد أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ونبذ الإخلال بأمنه بإسراف أو مخيلة أو سائر أوجه التبذير المنهي عنه شرعاً.

"وما ورد في السنة المطهرة، من ضبط لعناصر الإنتاج والتوزيع والاستهلاك في المجتمع المسلم، حتى يتحقق له الأمن الاقتصادي، وهو جانب مهم من الأمن

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، (٤٦٠/٥) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. بدون تاريخ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس (١٤٠/٧).

الشامل الذي يحققه الإسلام للمجتمع المسلم"(١).

ومن المؤيّد لما سبق أنَّ الحديث الشريف شمل جميع جوانب الاقتصاد، من:(انتاج، وتوزيع، واستهلاك)، سواء كانت الشُّمولية منطوقةً أم غير منطوقة.

أما الانتاج: فهو منطوق في الحديث، وذلك في قوله -صلى الله عليه وسلم- (كلوا واشربوا) والأكل والشرب من الاستهلاك، والقاعدة الاقتصادية تقول: (الانتاج مُقدَّم على الاستهلاك) وتقديم الاستهلاك هنا على الانتاج، ليس على إطلاقه، ذلك أن الحاجة دعت إلى تربية الناس على كيفية الاحتفاظ بالْمُنْتَج بعد انتاجه فلم يَعُدْ لذكر الانتاج فائدة هنا، فتقدّم الاستهلاك على الانتاج مجازاً، وتقدَّمَ الانتاج على الاستهلاك مفهوماً، لأنّه من المعلوم أن الأكل والشرب لا يَسْبِقُهُمَا الانتاج، وهذه الدقّة العلمية تدلّ على جوامع الكلم النَّبوية الشريفة.

أما التوزيع: فهو غير منطوق إلا أنه من لوازم الاقتصاد بعد الانتاج، لضمان استمرار التبلور الاقتصادي، وهو (التصدير)، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (كلوا واشربوا) يُفسّر ذلك، إذِ الأكل والشرب يَتِمَّان بعد توزيع الْمُنْتَج.

أما الاستهلاك: فهو منطوق أيضاً وهو ضمن مفهوم الأمن الاقتصادي، وهو استهلاك القدر المحتاج من الْمُنْتَج دون إسراف، وهذا ما ورد في الحديث النبوي الشريف في قوله: (.....في غير إسراف ولا مخيلة)، إذِ الإسراف والمخيلة من دون حاجة يُعدّ إخلالاً بالأمن الاقتصادي وحاجزاً لنموّه وتحفيزه.

ويتّضح منهج الدّعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي من خلال الحديث الشّريف السَّابق.

بأنَّ على الداعية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك توعية

---

(١) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، من منشور وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، (١/٧٠)، بدون تاريخ، وانظر: الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري، الناشر: وزارة الأوقاف، (١/١٧) بدون تاريخ.

المدعوين بخطر الإسراف والعواقب الوخيمة الناجمة عن الإسراف وعدم المبالاة بالأمن الاقتصادي، وهذه العواقب قد تكون عقوبة جماعية، إذ قد يكون السبب في ذلك عمل الخاصة وسكوت العامة عنه، فتعمُّ العقوبة على الجميع، أو أن تكون العقوبة نتيجة عمل العامة، وهذا أشدّ من الأول، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[1]، ذلك أنَّ كُفر النِّعم المذكورة في الآية كان عملاً ارتكبه الجميع من أهل القرية، فعمّهم العقاب، وهو أشدّ العقوبة مُقارنة بعقوبة العامة بفعل الخاصة.

قال الماوردي -رحمه الله-: (قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾يريد بالقرية أهلها ﴿ءَامِنَةً﴾ يعني من الخوف،﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ بالخصب والدعة،﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾فيه وجهان:

أحدهما: أقواتها.

الثاني: مرادها،﴿رَغَدًا﴾**فيه وجهان:**

أحدهما: طيباً.

الثاني: هنيئاً.

﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني منها بالزراعة، ومن غيرها بالتجارة، ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعمُّ في النّعمة عليها.

{فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ} يحتمل وجهين:

أحدهما: بترك شكره وطاعته.

الثاني: بأن لا يُؤدّوا حقّها من مُواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات، وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً أقاويل:

---

(١) سورة النحل، الآية: (١١٢).

أحدها: أنها مكة، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون كالبوادي[1].

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾وسماه لباساً لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللّون وسوء الحال ما هو كاللباس، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز[2] وهو الوبر يخلط بالدم، والقِد أديم يؤكل، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: أنها المدينة آمنت برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها من الفتن، وهذا قول عائشة وحفصة-رضى الله عنهما-.

الثالث: أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى[3].

ومن المهمّ أن نعلم أهمية ما ذهب إليه الإمام الماوردي رحمه الله في تفصيل هذه الآية، وفكّ غموضها وفق مقاصد الشارع.

أما قول الماوردي -رحمه الله-: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾**يحتمل وجهين:**

أحدهما: بترك شكره وطاعته.

الثاني: بأن لا يُؤدّوا حقّها من مُواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات).

فهذا يدلّ على خطر كُفر النِّعم المذكور في الآية، وهذه الآية تتلازم من حيث المقصد بما ورد في الحديث، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: (**كلوا واشربوا**

(١) النكت والعيون، للماوردي (٣/٢١٨).

(٢) قال أبو الهيثم فيما أخبرني عنه المنذري: العلهز: دم يابس يدق به أوبار الإبل في المجاعات ويؤكل، وأنشد: عن أكلي العلهز أكل الحيس، انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، (٣/١٧١) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.

(٣) النكت والعيون، للماوردي (٣/٢١٨).

والبسوا وتصدَّقوا، في غير إسراف ولا مخيلة) ومن الخطأ أن يتغافل المرء الغني عن حقّ الفقير، وهذا الذي حثّ عليه الحديث، أن تأكل وتشرب وتتصدّق على المحتاج، فإن التغافل عن ذلك، يُعدّ كفراً للنّعم المعطاة.

والسياسة الشرعية في حفظ الأمن الاقتصادي ومنهج الدعوة الإسلامية في ذلك، هي إنفاق الاقتصاد في وجهه الصحيح الذي أمر به الشارع، وإلا فإن التغافل عن ذلك، يُسبب الكدّ في العيش للطبقات الفقيرة، وهذا نقيض مراد الله تعالى في الآية، ويُحتمل إحلال العقوبة لحسم التبلور الاقتصادي والقضاء عليه كُلّيًا، بالإضافة إلى انهاء رغد العيش في المجتمع، وإحلال الكد محل الرغد وكافة الظروف الصعبة في الحياة.

ومن الأحاديث الواردة في عقوبة العامة بفعل الخاصة:

عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: قال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[1].

وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)[2].

(١) سورة المائدة، الآية: (١٠٥).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، (٤/٤٦٧) قال ناصر الدين الألباني ~، هذا حديث صحيح، انظر: (صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني ١/٣٩٨).

المبحث الثاني

خطر الإسراف المادي والعبث على الاقتصاد وأثر ذلك على الفرد وا لمجتمع

توطئة:

من المهمّ أن يعلم العبد أن الإسراف منهيٌّ عنه، سواء في الجانب الاقتصادي أو الجوانب الأخرى.

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[1].

قال ابن عباس —رضى الله عنه– في تفسير هذه الآية: (قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ ﴾ قال: هم الذين ينفقون المال في غير حقه[2].

وهذا عينُ التحذير من خطر الإسراف المادي والعبث بالاقتصاد، ومن الخزي على المسرف والعابث بالاقتصاد أنه دخل في وصف الله تعالى له (بإخوان الشّياطين).

وما أحسن ما قاله الإمام البيهقي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية حيث قال: (وقال في صفة الذين سماهم عباد الرحمن ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[3] فاشتملت هذه الآيات كلها على الأمر بالاقتصاد والنهي عن الإسراف وذلك موافق للنهي عن الإسراف في الأكل والشرب؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[4] فإذا كان الإسراف في الأكل والشرب ممنوعًا، وجب أن يكون الإسراف في الإنفاق ممنوعًا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٢٦ – ٢٧).

(٢) الدر المنثور، للسيوطي (٥/٢٧٤)الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٦٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٣١).

لأن ذلك إنما يكون بصرف المال في أكثر مما يحتاج إليه من المأكول والمشروب، وذلك الأكثر ممنوع من أكله فينبغي أن يكون صرف المال في الممنوع ممنوعًا وحدُّ السَّرف في الأكل أن يجاوز الشبع ويثقل البدن حتى لا يمكن معه أداء واجب ولا قضاء حق إلا يحمل على البدن وليس السرف في الإنفاق كل ما ذكرنا، لكن في المسكن والملبس والمركب والخدام من السرف مثل ما في الطعام والشراب، فأما الإنفاق فيما يبقى وينمو فليس بسرف كشرى الضياع والمواشي للنسل لأن هذه تغل وتنمو، فيزداد بما يصرف فيها أضعافه[1].

وقال البيهقي أيضاً: (ومما يدخل في جملة التبذير والإسراف أن لا يبالي الواحد فيما يشتري ويبيع كأن يغبن أو يغبن فيبيع بوكس ويشتري بفضل، وبسط الكلام فيه إلى أن حكى عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[2] قال الرجل: يشتري المتاع فيرده ويرد معه دراهم، قال: وكل هذا ممنوع وهذا الوجه هو الموجب للحجر وكذلك الإنفاق في الملاهي والشهوات المحرمة من التبذير الموجب للحجر والوقف فأما إذا اشترى طعاما أكثر من حاجته أو لباسا أو خادما أكثر من حاجته فهو وإن كان سرفا فليس من السرف الموجب للحجر لأنه يستبدل بالملك ملكا يوازنه، وإنما ينبع الإسراف منه في الانتفاع بما ملكه")[3].

ويتّضح مما سبق نقله أهمية الحفاظ على الانفاق، وخطر الإسراف المادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع على حد سواء.

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، (٨/٤٨٨)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١/ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٨).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) (٨/٤٨٩).

خطر الإسراف المادي والعبث الاقتصادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع:

يمكن بيان خطر الإسراف المادي والعبث الاقتصادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع من خلال ما يأتي:

١- أنَّه يمنع إيصال الحقوق المشروعة للفقراء والمساكين، ويَنْجُم عن ذلك عقوبة تَحِلُّ بالمانع، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١).

قال المراغي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (أي ولا يظننّ أحدٌ أن بُخْل الباخلين بما أعطاهم الله من فضله ونعمه هو خيرا لهم، لأهم مطالبون بشكران النعم، والبخل بها كفران لا ينبغي أن يصدر من عاقل.

والمراد من البخل بالفضل البخل به في أداء الزكاة المفروضة، وفي الأحوال التي يتعين فيها بذل المال كالإنفاق لصد عدو يجتاح البلاد ويهدد استقلالها، ويصبح أهلها أذلة بعد أن كانوا أعزة، أو إنقاذ شخص من مخالب الموت جوعًا.

ففي كل هذه الأحوال يجب بذل المال، لأنه يجرى مجرى دفع الضرر عن النفس.

وليس الذّم والوعيد على البخل بما يملك الإنسان من فضل ربه، إذ أن الله أباح لنا الطيبات لنستمتع بها، ولأن العقل قاض بأن الله لا يكلف الناس بذل كل ما يكسبون ويبقون عراة جائعين، ومن ثَمَّ قال في حق المؤمنين المهتدين ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢) وجاءت الآية بطريق التعميم ترغيبًا في بذل المال بدون تحديد ولا تعيين، ووكل أمر ذلك إلى اجتهاد المؤمن الذي يتبع عاطفة الإيمان التي في قلبه، وما

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣).

تحدثه في النفس من أريحية بذل الواجب والزيادة عليه، إذا هو تذكّر أن في ماله حقا للسائل والمحروم.

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي هو شرٌّ عظيم لهم، وقد نفى أولاً أن يكون خيرًا ثم أثبت كونه شرًّا، لأن المانع للحق إنما يمنعه لأنه يحسب أن في منعه خيرا له، لما في بقاء المال في يده من الانتفاع به في التمتع باللّذات، وقضاء الحاجات، ودفع الغوائل والآفات، ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي سيجعل ما بخلوا به من المال طوقًا في أعناقهم، ويلزمهم ذنبه وعقابه، ولا يجدون إلى دفعه سبيلاً، كما يقال: طوّقني الأمر أي ألزمني إياه.

وخلاصة هذا إن العقاب على البخل لازم لا بدّ منه)[1].

وقال السمرقندي -رحمه الله-: (قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي بما أعطاهم الله من المال، يبخلون ويمنعون الزكاة والصدقة وصلة الأرحام، فلا يظنوا أن ذلك ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ يعني: أن البخل شرٌّ لهم، ويقال: الفضل شرٌّ لهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾يقول سيوثقون مَا بَخِلُوا بِهِ من الزكاة كهيئة الطوق، وروي عن ابن عباس أنه قال: يأتي كنزُ أحدهم، شجاع أقرع له زبيبتان طوقاً في عنقه، يلدغ خديه ويقول: أنا الزكاة التي بخلت بي في الدنيا وروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحو هذا فذلك قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ويُقال: هو طوق من نار في عنقه، ويقال: هو على وجه المثل، يعني وبال ذلك في عُنقهم كما قال في آية أخرى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [2][3].

(١) تفسير المراغي، (١٤٦/٤)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

(٢) سورة الإسراء، الآية: (١٣).

(٣) بحر العلوم، للسمرقندي (٢٦٩/١).

وفي الحديث:(عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾[(1)].

٢- إنَّ الإسراف والعبث بالاقتصاد يكون أثره على الفرد العقوبة العاجلة قبل الآجلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[(2)].

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم ﴿مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾، يقول: أعطى الله عهدًا ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ﴾، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالاً ووسَّع علينا من عنده.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾، يقول: لنخرجنَّ الصَّدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربُّنا ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، يقول: ولنعملنّ فيها بعَمَل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله، يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله وأتاهم من فضله ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾، بفضل الله الذي آتاهم، فلم يتصدّقوا منه، و لم يصلوا منه قرابةً، و لم ينفقوا منه في حق الله ﴿وَتَوَلَّواْ ﴾، يقول:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٠)، والحديث من صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مانع الزكاة (١٤٠٣/١٠٦/٢).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٧٥ – ٧٧).

وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، عنه ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ الله ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدُوا الله، ونقضهم عهدَه في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾، من الصَّدقة والنَّفقة في سبيله ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾، فيقيلهم، وحَرَمهم التَّوبة منه، لأنَّه جلَّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنّه أعقبهم إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا(١).

٣- إنَّ الإسراف والعبث الاقتصادي بوجه غير شرعي، بما في ذلك عدم إنفاقه على الفقراء والمساكين وإخراج زكاته، يعود على مالك المال بشرٍّ محتومٍ.

وفي الحديث الشريف: عن جابر -رضي الله عنه-، قال: قال رجل من القوم: يارسول الله، أرأيتَ إذا أدَّى رجلٌ زكاةَ ماله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من أدَّى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شرُّه)(٢).

وقد جاء الشّر هنا نكرةً، لِتُغطّي كافة أنواع الشّر المحتملة.

٤- إنَّ أهمّ خطر بالغ للإسراف والعبث الاقتصادي هو تعاطي الرّبا المنهي عنه شرعاً، وينجم ذلك تعرُّض المجتمع على الحرب من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (١٤/٣٦٩) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، (ت: ٣٦٠هـ)، (٢/١٦١/١٥٧٩) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، وقال ناصر الدين الألباني: حديث حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، (١/١٨٢) الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط٥/ بدون تاريخ.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

قال الخازن -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (فإن لم تفعلوا أي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه فأذنوا قرئ بكسر الذّال والمدّ على وزن آمنوا ومعناه: فأعلموا غيركم أنه حرب لله ورسوله.

وقرئ فأذنوا بفتح الذّال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، قال ابن عباس يُقال لآكل الرِّبا يوم القيامة: خذْ سلاحَك للحرب، قال أهل المعاني:

حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب، وقيل: بل المراد منه نفس الحرب وذلك أن من أصر على أكل الربا وعلم به الإمام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس إلى أن تظهر منه التوبة وإن كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية، قال ابن عباس: من كان مقيما على أكل الربا لا يترع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع أي تاب وإلا ضرب عنقه وإن تبتم أي إن تركتم أكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال، ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال)[2].

وقد فصَّل أبوبكر الجزائري تفسير هذه الآية حيث قال: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الرِّبوية.

﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾ اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم سلاح فإنكم المهزومون الهالكون.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٨ – ٢٧٩).

(٢) لباب التأويل في معاني التتريل، الخازن (١/٢١٢) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/١٤١٥هـ.

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بعد التوبة مالكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا.

معنى الآيات:

بمناسبة ذكر عقوبة آكل الربا في الآيات السابقة نادى الله تعالى عباده المؤمنين آمراً إياهم بتقواه تعالى، وذلك بطاعته وترك معصيته، وبالتخلي عما بقي عند بعضهم من المعاملات الربوية مذكراً إياهم بإيمانهم إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه فعل ما يأمره به وترك ما ينهاه عنه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ثم هدد المتباطئين بقوله: فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب قاسية ضروس من الله ورسوله، ثم بيَّن لهم طريق التَّوبة وسبيل الخلاص من محنة الرِّبا بقوله: وإن تبتم بترك الربا فلكم رؤوس أموالكم لا غير لا تظلمون بأخذ زيادة، ولا تظلمون بنقص من رأس مالكم، وإن وجد مدين لكم في حالة إعسار فالواجب انتظاره إلى ميسرته، وشيء آخر وهو خير لكم أن تتصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلها تطهيراً لأموالكم التي لامسها الربا وتزكية لأنفسكم من آثاره السيئة، ثم ذكر تعالى سائر عباده يوم القيامة وافيه من أهوال ومواقف صعبة حيث يتم الحساب الدقيق وتجزي فيه كل نفس مؤمنة أو كافرة بارة أو فاجرة ما كسبته من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص حسناهم أو زيادة سيئاهم)[1].

ولهذه الآية فوائد من أهمّها:

١- وجوب تجنُّب الرّبا بكافة أشكاله، بما فيه آكله وموكله وشاهده وكلّ ما

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (١/٢٧٢) ط٥/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وانظر: الفتاوى الاقتصادية، لمجموعة من المؤلفين، مصدر الفتاوى، المكتبة الشاملة، (١/١٣٠٤).

له صلة به.

٢- أن الرّبا يلحق بصاحبه الهلاك عاجلاً وآجلاً.

٣- أنّه يستوجب على المسلم نصح الآخرين بخطر تعاطي الرّبا للخروج من عهدة التكليف الذي إذا سكت المرء عنه استوجب عقابًا جماعياً.

٤- أن تجنّب الرّبا هو من أهمّ سبل الأمن الاقتصادي، وضمان نجاح الخلاص من عقاب الله تعالى وسخطه.

٥- أن الرّبا هو العامل الأساس في الإخلال بالأمن الاقتصادي، بالإضافة إلى ركوده وعدم تبلور الانتاج بما يضمن نيل كافة شرائح المجتمع ما يلزم لهم من احتياجاهم المعيشية.

٦- أن الرّبا يُسبّب ضياع الحقوق الملكية للمجتمع، وترجع هذه الحقوق فور التّوبة منه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

لأن رؤوس المال للإنسان هي الحقوق الْمِلْكية الأولى له.

٧- حلول أشدّ وعيد وعذاب بمانعي الإنفاق الصحيح، وهذا من الخطر النّاتج عن الإسراف والعبث الاقتصادي، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[2].

ومما يُشير إلى شناعة هذا الموقف، أن الله تعالى قارن شأن الذين يكترون

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٨ – ٢٧٩).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٣٤ – ٣٥).

الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله بشأن علماء اليهود، وقد اشتبهت هـذه النقطة أعني تلك المقارنة على بعض الصحابة-رضى الله عنهم-، فظنّ البعض أنّ المعنيين بها هم اليهود فقط، وظنّ البعض أنّ المعنيين هم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فقط.

والصحيح أنهما معاً، وقد قارن الله تعالى مُكْنِزي الذّهب والفضّة بأعمال اليهود، لأنّ من دَأْب اليهود التّمرّد على الطّاعة والعصيان الدّائم في العبادات، فكذلك مَن سلك مسلكهم فهو منهم.

ومن المعلوم أنّ الزّكاة كانت ضمن شريعة أكثر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، فكذلك فإنّها ضمن شريعتنا.

فحصل التلازم على أن المعنيين هم اليهود الذين لم يُؤدّوا أمانة إيتاء الزكاة، وكما أن الزكاة ضمن شريعة محمّدية فإنّ أمّته داخلون في هذه الآية.

ويثبت ذلك ما أورده الإمام الطبري -رحمه الله- حيث قال: (حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن زيد بن وهب قال: مررت بالرَّبذة، فإذا أنا بأبي ذر قال قلت له: ما أنزلك مترلك هذا؟ قال: كنت بالشأم، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: فقال: نزلت في أهل الكتاب، فقلتُ: نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم، عن حصين)[1].

وهذا هو صميم مقاصد الله تعالى في هذه الآية الكريمة.

والعلّة الجامعة بين الفريقين، هي وجوب الزّكاة في شريعة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، وكذلك وجوبها أيضاً في شريعة النبي الخاتم محمد -صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) تفسير الطبري، (١٤/٢٢٨).

وقد جاء شأن الزكاة ضمن شريعة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(1).

ومحل الشَّاهد في الآية: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فدلّ أنَّ الزَّكاة ليست حديثة في شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- فقط.

(١) سورة المائدة، الآية: (١٢).

المبحث الثالث

دور الدُّعاة إلى الله تعالى في التَّصدِّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي

توطئة:

الدُّعاة إلى الله تعالى ورثة الأنبياء، ومن أهم ما ورثوه عنهم هو الحفاظ على مسار الأمة الصّحيح في كافة المجالات، وقد أثنى الله تعالى على الدّعاة والعلماء الرَّبانيين الذين التزموا بهذا الإرث النبوي المنهجي الدعوي، في الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي لكافة الظواهر السَّلبية التي تُلاحق المجتمعات الإسلامية، وتخلُّ بالأمن الخاص بهم بأنواعه المختلفة.

ولولا هذا الإرث المحمول على عاتق العلماء والتزامهم به في الأداء والتنفيذ لفسد الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

يقول الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية: (ولولا أن الله يدفع ببعض الناس، وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضًا وهم أهل المعصية لله، والشرك به، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداء من بعثة ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر، جالوت وجنوده، لفسدت الأرض، يعني لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو من على خلقه، وتطول عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر)[2].

إذاً فالدّعاة هم دافعو أهل المعاصي بجميع أصنافه، ومُخرجوهم من موج المعاصي إلى برّ الأمان الذي هو الطّاعة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥١).

(٢) تفسير الطبري، (٤/٥١٤-٥١٥).

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (1).

فإذا كان الدّاعية مأموراً بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنَّ التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي أيضاً يُعتبر دعوةً إلى الخير المأمور به ضمن الآية.

وإنكار الداعية لأية ظاهرة من ظواهر الإخلال بالأمن الاقتصادي وحثّ الناس على ضدّه يُعدّ أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر كما سبق بيانه.

واجب الدُّعاة إلى الله تعالى في التَّصدِّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي:

١- إن من واجب الدعاة في هذا الجانب توعية الناس بأهمية الالتزام بالأمن الاقتصادي، والسّر الإلهي في هذا الأمر، أن الأمن الاقتصادي مُرتبط بالالتزام بشعائر الله وأوامره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (2).

ومن الملاحظ أن الآيات المذكورة في هذا الشأن بدأت بذكر أهمية الالتزام بشعائر الله، وأصل هذه الشَّعائر المأمور بها، الإيمان به سبحانه وتعالى وتوحيده، حيث جعل الله تعالى الإيمان به شرطاً لفتح أبواب الرِّزق لأهل القرى، ثُمَّ عقب الشَّارع بعد ذلك بذكر مآل غير المؤمنين به سبحانه وتعالى، وكيف سيخلّ عندهم الأمن الاقتصادي بعد تكذيبهم للدعاة من الرّسل والأنبياء، ومحل الشَّاهد لذلك قوله سبحانه وتعالى في النّاتج ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٩٦ – ٩٩).

قال الواحدي -رحمه الله- في تفسير هذا المقطع من الآية: (ولكن كذَّبوا الرُّسلَ فأخذناهم بالجدوبة والقحط)[1].

و العواقب الوخيمة التي لحقتْ بغير المؤمنين بالله بعد دعوة الرسل لهم هي التي ذُكرت لاحقاً، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾

قال الزجاج: (أي أفأمنت الأمةُ التي كذبت النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بَأْسُنَا بَيَاتًا، أي ليلاً)[2].

هذا وإن كان الخطاب في الآية مُوجَّهاً إلى نبي الأمة -صلى الله عليه وسلم- كما ذهب إليه الزجاج، فإنَّ الخطاب هنا ليست العبرة به بخصوص سببه بل بعموم لفظه، فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إمام الدعاة، فإنَّ وَرَثَتَهُ من دعاة أمّته تابعون له صلوات الله وسلامه عليه.

وفي حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه-: قال (سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم،.....وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[3].

ومحل الشاهد في الحديث: قوله: (...وإن العلماء ورثة الأنبياء...) والعلماء

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، (٣٨٩/٢) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٦٠/٢) الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١٤٠٨/١ هـ – ١٩٨٨م.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم، (٣٦٤١/٣١٧/٣) والترمذي، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٢/٤٨/٥) وقال ناصر الدين الألباني: (حسن لغيره) انظر: صحيح الترغيب والترهيب، (١٧/١) الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط٥/ بدون تاريخ.

هم الدُّعاة.

ثم يقول الله تعالى بعد ذلك: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾.

قال الواحدي -رحمه الله-: (قال المفسرون: مكر الله استدراجه إياهم بالنعمة والصحة ليبطروا ويتمادوا في المعصية والغي، فيكون ذلك في الحقيقة إضرارًا بهم من حيث لا يشعرون)(1).

وهذا الاستدراج تكون حُجَّة الله على أهل المعاصي بعد رفع الدُّعاة عُهدة التَّكليف عن أنفسهم بدعوتهم، لتكتمل الحُجَّة الإلهية بإحلال العقوبة بهم.

وفي الآية الكريمة السابق ذكرها فوائد من أهمّها:

١- وجوب تصدّي الدُّعاة إلى الله تعالى لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، لما في ذلك من حماية المجتمع المسلم من العقوبة العامة، والضّابط في منع حدوث ذلك بإذن الله تعالى، هو اهتمام الدعاة بدعوة الناس وتوعيتهم بخطورة الإخلال بالأمن الاقتصادي، وإخطارهم بأثر ذلك على المجتمع المسلم، وتأدية الداعية لهذه المهمّة يُعدّ رفعاً لعهدة التكليف عن الداعية نفسه وعن المجتمع المطيع قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾(2).

فكانت النّجاة والعُقبى للذين آمنوا وكانوا مُتّقين.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾(3).

قال الطبري -رحمه الله-: (فلما تركت الطّائفة التي اعتدت في السّبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيَّعت ما وَعظتْها الطّائفةُ الواعظة وذكّرتها به، من تحذيرها عقوبةَ الله على معصيتها، فتقدّمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (٢/٣٩٠).

(٢) سورة النمل، الآية: (٥٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٦٥).

الله الذين ينهون منهم عن"﴿عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾"يعني عن معصية الله، واسْتحلال حرْمه " ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾"، يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا في السّبت، فاستحلّوا فيه ما حرَّم الله من صيد السّمك وأكله، فأحلَّ بهم بأسَه، وأهلكهم بعذاب شديدٍ بئيس بما كانوا يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو "الفسق"(١).

ولخّص ابن عباس –رضى الله عنه– معنى هذه الآية الكريمة فقال: (نجا النّاهون، وهلك الفاعلون)(٢).

٢– ومما يجب على الداعية في التصدّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، أن يسلك طريق الحكمة في دعوته للناس، وبيان خطورة الإخلال بالأمن الاقتصادي وعواقب ذلك عاجلاً وآجلاً، وخاصة إذا ما كان الداعية في أوساط المجتمع المسلم المختلط مع غير المسلمين، فيجب اتباع بعض القواعد لدعوتهم، وهي بيان المصالح الدنيوية والأُخْرَويَّة معاً مُقابل المفاسد الدنيوية المحتملة، لأن غير المسلم لا يؤمن بالغيبيات، فتجريد الدعوة من الناحية الأُخْرَويَّة حينئذٍ تقلُّ أهميتها في نظر غير المسلم، وفي ذلك على الداعية اتباع بعض القواعد في ذلك، وهي كالتالي:

القاعدة الأولى:

- "سَائرُ العبادات فيها فوائد أُخْرَوِيَّة، وهي العامَّة، وفوائد دنيوية"(٣).

وهذه القاعدة تُعدُّ استدلالاً عقلياً ونقليًّا في آن واحد، فعلى الداعية استعمالها وهو أن يُعلِّمَ مَن يجهل هذه الحقيقة أن العبادات إنما وُضعت لتحصيل المصالح، ولها فوائد أُخروية، وفي نفس الوقت لها فوائد دنيوية، وأولوية ما قُصد لها هي الفوائد

---

(١) تفسير الطبري، (١٣/١٩٩).

(٢) المرجع السابق (١٣/١٩٤).

(٣) الموافقات، للشاطبي (٦/٤٤٦) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الأُخروية، وثانوية ما قُصد لها هي الفوائد الدنيوية، وبينهما تلازم، ومثال ذلك:

الفوائد النَّقْلية الأوَّلية (الأُخْروية) المتعلقة بتحريم الخمر: هي الفلاح في الآخرة بدخول الجنة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

الفوائد العقلية الثّانوية (الدُّنيوية) المتعلقة بتحريم الخمر: هي الحفاظ على سلامة الضَّرورات الخمس للإنسان المكفولة شرعاً، وأوَّلها حفظ الدِّين، وإن كان غير المسلم قد لا يعترف بذلك لكونه غير مُتديِّن بدين يُؤهِّله إلى قبول ذلك، إلا أنَّه من الْمُسَلَّم أن يعترف ببقية الأربعة التي يستدعي العقل السليم القبول بها حتماً وهي: حفظ النَّفس والمال والعقل والعرض، وصحَّ مَن قال: العقل مناط التكليف، والأمثلة على ذلك:

رُوي عن جعفر الطّيار -رضي الله عنه- أنه كان لا يشرب الخمر في الجاهلية، وكان يقول: (الناس يطلبون زيادة العقل، فأنا لا أنقص عقلي)[2].

وقال الشاعر:

شَرِبْتُ الإثمَ حتَّى ضلَّ عقلي   كذاك الإثم يذهَبُ بالعُقُولِ[3]

ويقصد الشاعر: بـ(شربتُ الإثمَ) أي شربتُ الخمر، والعاقبة الناتجة عن شرب الخمر أَنْ ضلَّ عقله.

وقال السيوطي -رحمه الله-: كان أبو بكر -رضي الله عنه- أعف الناس في الجاهلية.

وقد أخرج ابن عساكر بسند صحيح في تاريخ دمشق عن عائشة <، قالت: (والله ما قال أبو بكر شعرًا في جاهلية ولا إسلام لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٩٠).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/١٤٤).

(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

في الجاهلية)[1].

وبناءً على القاعدة السابقة وهي: (سَائِرُ العِبادات فيها فوائِد أُخْرَوِيَّة، وهــي العامَّةُ، وفوائد دنيوية).

يتبيَّن أنَّ من واجبات الداعية أَنْ يدعوا كافة أصناف المدعوين خلال دعوته إلى أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وبيان عواقب الإخلال بذلك دنيوياً أو أُخروياً، وعلى الداعية استعمال الأدلة النقلية والعقلية لإيصال مقاصد تلك الدعوة إلى المدعوين.

القاعدة الثانية:

عَمَل أَعْلَى المصلحتين عند التَّعارض:

وهذه القاعدة مردُّها إلى حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:(كــان أبو طلحة لا يصوم على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- من أجل الغــزو، فلمــا قبض النبي -صلى الله عليه وسلم- لم أره مفطرا إلا يوم فطر أو أضحى)[2].

ففي هذا الحديث دلالة على أفضلية الجهاد في سبيل الله على صوم التطــوّع، وذلك أن الصحابة-رضى الله عنهم- عاشوا مع الــنبي -صلى الله عليه وسلم- في ساعة العُسرة وهم بالمدينة، سعياً منهم لبناء الدولة الإسلامية التي كانت مُهدّدة من قبل مناوئي الدعوة، فكان على الصحابة الحفاظ على بقائها بقوّة النّفس، والمــال، والروح.

ومن دلالة الحديث: بيان فقه الصحابة للمقاصد الإلهية، وتقديم الأهم على المهــمّ، وهم السَّلف والقدوة بالنسبة للخلف في فهم النصوص الشرعية والمقاصد الإلهية.

ويتبيَّن مما تقدّم أنَّ من واجب الداعية إعلام المــدعوين أنّــه إذا تعارضــت

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٠/٣٣٤) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكــر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٥م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اختار الغزو على الصوم، (٢٨٢٨/٢٤/٤).

مصلحتان قدَّم أعلاهما بحيث إذا كان الإخلال بالأمن الاقتصادي مصلحة للمدعو، فالواجب عليه اختيار المصلحة الأعلى، وفي ذلك أن يتنازل عن المصلحة الخاصة به التي هي الإخلال بالأمن الاقتصادي، لما في ذلك من محافظة أمنه، وذلك هو أعلى المصلحتين، وهذا هو المعنى المراد من القاعدة، ومن القواعد ذات الصِّلة هي: (أن المصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصة).

ويُفهم من القاعدة المذكورة آنفاً أن صوم التطوع مصلحة خاصة، لأن ثوابه يرجع للصائم وحده، بخلاف الجهاد، فإنه حماية للدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ومستقبل الأمة الإسلامية، فكان تقديم الجهاد أولى حُكماً وعقلاً من صوم التطوع.

الخاتمة

أوَّلاً: مُلخَّص الدِّراسة:

جاءت هذه الدِّراسة في مقدّمة وتمهيد، وثلاثة مباحث:

شملت المقدِّمة: على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث.

أما التَّمهيد: فهو مشتمل تعريف معنى الأمن لغة واصطلاحاً، وكذلك معنى الاقتصاد من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ومن ثَمَّ التعريف بجملة (الأمن الاقتصادي) ومقاصده المرادة دراستها في هذا البحث.

واحتوى المبحث الأول: على إيراد الأدلة القرآنية الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وبيان الأدلة من السنة النبوية المؤيِّدة لذلك، بالإضافة إلى منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.

أما في المبحث الثاني: فقد تمَّت دراسة خطر الاسراف المادي والعبث على الاقتصاد وأثرهما على حياة الفرد والمجتمع بإيراد الأدلة التي تُبيِّن حقيقة تلك المخاطر والعواقب المصاحبة لذلك.

وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن واجب الدعاة إلى الله تعالى في التصدّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، ودور الدُّعاة إلى الله في ذلك.

ثانياً: نتائج الدِّراسة:

تمثَّلت نتائج الدراسة على نحو التالي:

١- اتّضح للباحث أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي من خلال ما تمَّ إيراده من الأدلة الشرعية من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٢- اتَّضح للباحث وجوب حفظ الكيان الاقتصادي للمجتمع المسلم، لما ينعكس ذلك إيجابيًا على الفرد والمجتمع.

٣- تبيَّن للباحث المخاطر النَّاجمة عن الإخلال بالأمن الاقتصادي، وآثارها السيئة على المجتمع الإسلامي.

٤- تبيَّن من خلال هذه الدراسة أهمية المتانة الاقتصادية للمجتمع المسلم، وما ينتج من ذلك من تعزيز مكانة الدّول الإسلامية من النَّاحية السياسية، والاجتماعية، والفكرية، والثَّقافية.

٥- يتبيَّن للقارئ الكريم من خلال ما تمَّ تناوله في هذا البحث، ما يجب على الداعية اتّخاذه من سبل ووسائل لردع العابثين بالاقتصاد والمسرفين به، و طريقة دعوتهم للحيلولة دون الانكماش الاقتصادي وركوده.

٦- إنَّ هذه الدراسة قليلة الأوراق، كثيرة المنافع، إذْ تركَّزتْ على الموضوعية، وفَكُّ غموض التَّضخُّم الاقتصادي والتَّقعيد العلمي لحلّ عُقده، ووضع الحلول المناسب لذلك، بالإضافة إلى بيان السياسة الشرعية التي تقتضي محاسبة المرء في كل صغير وكبير، وما فيها من علاقة الدِّين بالحياة.

ثالثاً: أهم التوصيات:

١- إيجاد مراكز بحثية علمية تُعنى بدراسة الاقتصاد الإسلامي، وحمايته من الركود والتّضخُّم.

٢-توعية الفرد والمجتمع بأهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، بالإضافة إلى تثقيفهم بأهمية استقرار النظام الاقتصادي الإسلامي وما ينتج من ذلك من تقدُّم وازدهار.

٣-تسخير سبل علاج الإخلال بالأمن الاقتصادي سواء من الناحية العلمية أو العملية، أما من الناحية العلمية، فيكمن ذلك، بتقديم البرامج التلفزيونية العلمية التثقيفية، وتخصيص الأوقات المناسبة لبثّها تعميماً للفائدة.

أما من الناحية العملية فيكمن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقارن والخاص بمنع الإخلال بالأمن الاقتصادي في الشوارع، والأسواق، بالإضافة إلى مراقبة الشركات المنتجة والمؤسسات الحكومية والأهلية ذات الصّلة حفظًا لمتانة الاقتصاد الإسلامي وصموده الدَّائم.

٤-إعادة النظر في المناهج العلمية الدراسية في جميع المستويات ابتداءً من الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، وكافة المراحل الجامعية والعليا وذلك بوضع نصيب علمي مفروض لكل مرحلة أو مستوى تذكيراً للدارس بأهمية نظام الاقتصاد في الإسلام ودوره في الحفاظ على مكانة الدول الإسلامية دينياً، وسياسياً، واجتماعياً، وثقافياً، وأمنياً.

٥- إيجاد البرامج التَّوعوية الخاصة بالنَّاشئة، تُعنى بإبراز جوانب أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، حتى لا ينشئ النَّاشئة على الإسراف والعبث بالاقتصاد.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري، الناشر: وزارة الأوقاف، بدون تاريخ.

٣- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، من منشور وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، بدون تاريخ.

٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط٥/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) بدون تاريخ.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

٧- تاريخ جرجان، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (المتوفى: ٤٢٧هـ)، المحقق: تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٨- تاريخ دمشق، ابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م.
٩- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١/١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٠-تفسير الماوردي النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، (٥/٤٦٠) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. بدون تاريخ.
١١-تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
١٢-تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط١/- ١٤٢٣ هـ.
١٣-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.
١٤-التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، علوي بن عبد القادر السَّقّاف، الناشر : دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الدمام

١٥-التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط١/١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦-الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

١٧-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت

١٩-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها- دار الكتاب العربي – بيروت، - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، - دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

٢٠-خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، محمد إبراهيم برناوي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تاريخ الطبعة، ربيع الآخر- رمضان ١٤٠١هـ، بدون عدد الطبعة.

٢١-الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.

٢٢-رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بدون تاريخ.

٢٣-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦عام النشر:، جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤-سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

٢٥-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ.

٢٦-السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٧-شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

٢٩- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط٥/ بدون تاريخ.

٣٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

٣١- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٣٢- الفتاوى الاقتصادية، لمجموعة من المؤلفين، مصدر الفتاوى، المكتبة الشاملة.
٣٣- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٣٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ.
٣٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١/١٤١٥هـ.
٣٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر - بيروت، ط٣/١٤١٤هـ.
٣٧- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٣٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١/١٤٢٠ هـ.

٣٩- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١/١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٤٠- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، بدون تاريخ.
٤١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) باب: الثاء، الناشر: دار الدعوة بدون تاريخ.
٤٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
٤٣- منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، إعداد: معن خالد عبد الله القضاة، وأصل هذا البحث، رسالة علمية قدمه صاحبه استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي من كلية الشريعة في جامعة اليرموك، تاريخ ١٩٩٦م-١٤١٧ه.
٤٤- الموافقات، للشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٤٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ. د. عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

البحث رقم (٥)

استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين

"الاستراتيجية التضامنية أنموذجا"

إعداد

د. مصطفى بن عبدالرحمن البار

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

المبحث التمهيدي:

أهمية البحث:

إن الحرص والسعي عموماً لمحاولة تحقيق تواصل إنساني فعّال، وبناء علاقات إيجابية؛ تسهم في جلب الخير والطمأنينة للمجتمع، من الأهمية بمكان، وتزداد هذه الأهمية، وتتأكد الحاجة لها في الحقول والميادين التي تتطلب اتصالاً مباشراً مع الناس على اختلاف قدراتهم وثقافاتهم؛ كميادين الدعوة والتربية والتعليم، والتي تحتاج مع العلم إلى قدر كبير، ومهم من جودة الأداء المبني على مهارات وسلوكيات راقية.

وعليه، فإن حرص الداعية، على حسن اختيار الاستراتيجية المناسبة، التي يبني عليها خطابه؛ من شأنه أن يسهم في إقامة تواصل يفضي إلى التقارب، والتعاون، والاحترام المتبادل، والتأثير الإيجابي على المدعوين، بمختلف شرائحهم وتوجهاتهم.

ومن تلك الاستراتيجيات المهمة، ما يسمى بالاستراتيجية التضامنية، والتي يحاول أن يتناولها هذا البحث من منظور دعوي؛ كونها تعنى بالدرجة الأولى بالتعامل الإنساني الأخلاقي، مع الاهتمام والاعتناء أيضاً بطرق تبليغ القصد، وحسن التعبير عنه، التي من مسوغات استعمالها: بناء علاقة ودية بين طرفي الخطاب، أو إعادتها عند تعرضها لما قد يضعفها، وفي ميادين الدعوة والتعليم تستعمل كذلك؛ بحيث يكون حسن الخلق والتأدب، وسيلة لتيسير الفهم وتسهيله على المدعوين، إضافة إلى نشر المحبة، والقبول إلى غير ذلك.

ويمكن محاولة رصد، وفهم، وتحليل نوعية الاستراتيجيات المستخدمة، من قبل الداعية وغيره، من خلال صيغ خطاباته، ومواقفه المختلفة، والتي منها فيما يخص هذه الاستراتيجية، استخدام الأسماء، والكنى، والتصغير، والاعجاب والثناء الصادق، وعبارات التلطف والتودد، والتضامن والمصارحة، والمزاح المباح إلى

غير ذلك.

وإن من نافلة القول وأهميته أيضاً، الإشارة أولاً، إلى أن لكل استراتيجية (سواء منها التضامنية (محل البحث والدراسة) أو التوجيهية أو التلميحية أو الإقناعية الحجاجية) صيغ ومسوغات، فُينتقى منها ما هو أكثر ملائمة، وأن يكون ثانياً، استعمال هذه الاستراتيجية التضامنية متوازناً مصحوباً بالاحترام، وإنزال، الناس منازلهم(١) والتي ثالثاً، من أهم مؤشرات نجاحها، وفاعليتها التجرد، والإخلاص عن كل غرض يعيبها، فالمتلقي يدرك ذلك غالباً، ويلمسه في الخطاب الدعوي الموجه إليه؛ ولذا على الداعية أن يحرص دوماً على مراقبة وتقييم خطابه، وفعله مما يشينه شرعاً وعقلاً، وأن يجتهد في المحافظة على عُرى التواصل مع المدعو، بما يجعله مقبلاً على سماعه، وفهم مراده؛ وأن يبادله الحرص على استمرار ذلك التواصل، للوصول أو الاقتراب من تحقيق الهدف المرجو منه(٢) وقديماً قيل في تأكيد هذا المعنى: " الكلمة إذا خرجت من القلب، وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان"(٣).

وبشيء من التتبع والاستقراء لسيرة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- فيما يتعلق بهذه الجوانب، نجد ما يثير الهمة، ويؤكد الرغبة العلمية، بإجراء المزيد من الدراسات المعاصرة؛ لمحاولة استنباط منهج تواصل إبداعي شامل، مصحوباً بالنماذج والأمثلة الواقعية؛ للتأمل والوقوف على مواطن اللطف والحكمة، والتأثير،

---

(١) انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن ٢٢٣، ط: ١ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م) واستراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري ٢٥٧ – ٢٦٣، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

(٢) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري ٢٦٠ – ٢٦١، والبيان والتبيين، الجاحظ ٨٧/١ عند حديثه عن أحسن الكلام وتأثيره، ط: د (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ ٨٨/١.

والرقي في التواصل مع الآخرين، من ناحية، والتعرف على مقومات النجاح التي صاحبت تلك الدعوة المباركة، وتعزيز التأسي والاقتداء به -صلى الله عليه وسلم- من ناحية أخرى.

ولأهمية هذا الجانب، والحاجة إليه، فقد تم اختيار هذا الموضوع بعنوان: استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين، الاستراتيجية التضامنية أنموذجا، حيث سيتم التطرق بمشيئة الله تعالى إلى دراسة ومعالجة عدد من النقاط المشار إليها في خطة البحث، كاستخدام الكنى والثناء والاعجاب، ولطيف العبارات مع المدعوين، والمحافظة على عُرى التواصل معهم، وتنقيتها مما قد يشوبها ويُضعفها؛ محاولة لاستخلاص رؤى، ونماذج يقتدى بها من حياة الأسوة الحسنة -صلى الله عليه وسلم-، وصحبه الكرام -رضي الله عنهم-، الذين رأوا وقتئذ ذلك الخطاب، والتواصل النبوي الكريم الرائع، مطبقاً في مختلف نواحي حياتهم، وبالإمكان أن يراه ناس اليوم حال حرصهم على محاولة تلمسه والتعرف عليه، والسعي للتأسي به.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتتبع لم أجد حسب علمي دراسة مستقلة لهذا الموضوع، وإنما توجد دراسات وأبحاث قليلة مهمة في بابها وتخصصاتها، ومنها ما يلي:

- الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية(١) وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم الحوار ومرادفاته، ومفهوم الاستراتيجية، والأساس الشرعي للاستراتيجيات التخاطبية، وتم التطرق إلى أربعة أنواع وهي: الاستراتيجية التضامنية، الاستراتيجية التوجيهية، الاستراتيجية التلميحية، والاستراتيجية الحجاجية في حوارات الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وذلك بالتعريف بكل استراتيجية، ومسوغات استعمالها،

(١) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ. م. د إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل (المجلد ٨، الإصدار ٢/١٥، الصفحات ٥٣٢ – ٥٦٣، السنة ٢٠١٤م).

والتمثيل لها، وفيما يتعلق بجانب الدراسة الحالي، وهي الاستراتيجية التضامنية، فقد تطرق لها الباحث الكريم في قرابة ست صفحات، واستشهد لها بأربعة نماذج من السيرة النبوية.

• ومن الدراسات السابقة في هذا المجال دراسة بعنوان: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي(١) وقد ضبطت الباحثة الكريمة هذه الدراسة بصحيح البخاري -رحمه الله- وكان التركيز فيها على الاستراتيجية التوجيهية، حيث تم التطرق إلى ملامحها عند العرب، والغرب قديماً وحديثاً، وآليات التوجيه في الحديث النبوي الشريف، كما تناولت في جزء من بحثها استراتيجية الاقناع، وآلياتها في الحديث النبوي.

• ومن الدراسات المهمة في بابها: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية(٢) حيث تناول الباحث الكريم في الباب الأول: مفهوم استراتيجية الخطاب ومعايير تصنيفها، والعوامل المؤثرة فيها، وضمنه ثلاثة فصول، الأول: مفهوم استراتيجية الخطاب، الثاني: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب، الثالث: العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب، والباب الثاني عن أنواع الاستراتيجيات، وضمنه أربعة فصول، الأول: الاستراتيجية التضامنية، الثاني: الاستراتيجية التوجيهية، الثالث: الاستراتيجية التلميحية، الرابع: استراتيجية الإقناع.

وسوف تتم الإفادة منها بمشيئة الله في الجوانب ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالي.

---

(١) استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (الجزائر، العام الجامعي ٢٠١١/٢٠١٢م)

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

أهداف البحث:

١ - إبراز أهمية اختيار، وتمييز الداعية للاستراتيجية التي يبني عليها خطابه، وتواصله مع المدعوين على اختلاف قدراتهم وثقافاتهم؛ بما يفضي إلى التقارب، والتأثير الإيجابي.

٢ - التعريف بالاستراتيجية التضامنية، ومسوغات استعمالها، وبيان أهميتها في ميادين الدعوة، والتربية والتعليم.

٣ - محاولة الإسهام في تقديم دراسة تتعلق بفقه الخطاب والتواصل الدعوي من خلال السيرة النبوية، والتعرف على مواطن الحكمة والتأثير.

منهج البحث:

سيتم بمشيئة الله التعامل مع المادة العلمية لهذا البحث وفق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الدراسات، وذلك باستخدام المنهج الاستقرائي - الاستنتاجي، بحيث يتم جمع الجزئيات والوقائع وفحصها ودراستها، وتنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين، لمساعدة الباحث على استنباط نتائج صحيحة تزوده بالحلول والمقترحات(١).

التعريف بمفردات البحث:

استراتيجيات:

جمع استراتيجية، وتأتي بمعنى خطة شاملة، وبراعة التخطيط، في أي مجال من المجالات، ويرجع هذا المصطلح إلى المجال العسكري، وتعدى ليتسع استعماله علوماً وتخصصات متنوعة(٢) وعرفت الاستراتيجيات بأنها:" طرق محددة لتناول مشكلة

---

(١) انظر: المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية، أ. د. عبدالله الوليعي، ٣٥، ط: ١ (توزيع مكتبة جرير، ١٤٣٣هـ) وكتابة البحث العلمي صياغة جديدة، أ. د. عبدالوهاب أبو سليمان ٦٤، ط: ٦ (دار الشروق، ١٤١٦هـ) ومناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، د. أحمد الرفاعي ٨٣، ط: ٦ (الأردن، دار وائل، ٢٠٠٩).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١/٩٠، ط: ١ (عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلـوغ غايـة معينة"(١) وبمعنى آخر أنها مجموع عمليات، وخطوات المعالجة الموجهة عادة بوعي عند إعداد الخطاب وتلقيه؛ للإسهام في تحقيق أهدافه، ونجاح العملية التواصـلية(٢) وبهذا فإن الاستراتيجية تتعلق بإعداد الخطاب وتجهيزه بالدرجة الأولى، وعليه فمن الضروري أن يكون الخطاب الدعوي معداً بإتقان، وأن يقـوم الداعيـة بانتقـاء الاستراتيجية الأكثر ملائمة لخطابه، والتي تعينه على التعبير عن مقاصده وتحقيـق أهدافه بأحسن حال(٣).

الخطاب:

جاء أن "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبـه بـالكلام مخاطبـة وخطاباً، وهما يتخاطبان...والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"(٤) وعُـرّف الخطاب بأنه الكلام الذي يقصد به الإفهام لمن هو متهيئ لفهمه(٥) وقد ورد لفظ الخطاب في مواضع وبصيغ متعددة في القرآن الكريم، ومنها قولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبدالرحمن العيدان وراشد الدويش ١٧٢، مجلة جامعة أم القرى (السنة الحادية عشر، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ).

(٢) انظر: مدخل إلى علم لغة النص، "فولنجانج هانيه" ٢٦٩، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد الـبحيري، ط: ١ (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م).

(٣) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري ٥٣، ٥٦، ومفتاح العلوم، السكاكي، الفن الثـاني ١٧٥ وما بعدها، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط: ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) ١/٣٦١، ط: ٣ (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ) وانظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ٢/١٩٨، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط: د (دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكـوفي (ت ١٠٩٤هـ) ٤١٩، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: د (بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: د).

خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴿٦٣﴾ ﴾ (١) أي لم يقابلوا خطاب الجهل بمثله(٢) بل" أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب"(٣)، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴿٢٣﴾ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ (٥) وقيل فصل الخطاب هو "الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس...، وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا إشباع ممل، كما جاء في وصف كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم-"(٦) وهو المراد في هذا البحث.

التواصل:

التواصل ضد التقاطع والتصارم ونقيضه، يقال: توصّل إليه، بمعنى تلطف في

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٦.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٧/٤٣٦، تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ) وتيسير الكريم الرحمن، السعدي ٥٨٦، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٩/٢٩٥، تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ) وانظر معالم التنزيل، البغوي ٣/٤٥٤، تحقيق: المهدي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

(٤) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ٥/٢٦، تحقيق: محمد المرعشلي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) وانظر جامع البيان، الطبري، ٢١/١٧٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/١٦٢، تحقيق: أحمد البردوني وزميله، ط: ٢ (القاهرة، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ).

الوصول إليه(١) وتصارموا بعد التواصل أي هاجروا وتقاطعوا(٢).

المدعوين:

جمع مدعو، وهو الإنسان الذي يخاطب بالدعوة وتوجه إليه(٣) والمراد في هذا البحث المدعو من المسلمين، مع الإشارة اليسيرة لغير المسلمين.

الاستراتيجية التضامنية:

من التضامن، يقال: تضامن القوم، تعاونوا وساعد بعضهم بعضاً، واتفقوا على أمر. وتضامناً معه، أي تأييداً ومشاركة له(٤) والتضامن الالتزام بالمعاونة، وأن يؤدي عن الآخر ما قد يقصر عن أدائه(٥).

ومما عُرّفت به الاستراتيجية التضامنية: " بأنها الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسَل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها؛ بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي

(١) انظر: مختار الصحاح (ت ٦٦٦هـ) الرازي ٢٥٦، ٣٤٠، تحقيق: يوسف محمد، ط: ٥ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ) وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) ٧١٩٣/١١، تحقيق: د. حسين العمري وآخرون، ط: ١ (بيروت، دار الفكر المعاصر - دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

(٢) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري ٣٣٩/٢، تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني ٤١ - ٤٢ و ١٦٩، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٣٤هـ) وأصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ٣٧٣، ط: ٩ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ه) والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية "دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر"، أ. د. عبدالرحيم المغذوي ٥٧٤ - ٥٧٦، ط: ٢ (الرياض، دار الحضارة، ١٤٣١هـ).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١٣٧٠/٢، ١٣٧١، ١٥٨٠.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٥٤٤/١، ط: د (القاهرة، مجمع اللغة العربية،، ت: د).

محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه"(١). وهو المراد في هذا البحث.

أنموذجاً:

مثال الشيء، فالأنموذج يأتي بمعنى المثال الذي يعمل عليه الشيء(٢).

ويقصد به في هذا البحث، استخدام الاستراتيجية التضامنية المشار إليها في عنوان البحث، كمثال وأنموذج لتطبيق هذا النوع من الاستراتيجيات على موضوع الدراسة.

خطة البحث:

تمهيد:

المبحث الأول: استخدام الأسماء والكنى، والثناء والإعجاب مع المدعوين

المبحث الثاني: الترحيب والملاطفة والمزاح المباح مع المدعوين

المبحث الثالث: السكينة والهدوء، وحسن الإفهام والتعليم مع المدعوين

المبحث الرابع: المحافظة على عُرى التواصل مع المدعوين وتنقيتها مما قد يشوبها

الخاتمة: النتائج والتوصيات

قائمة المراجع والفهرس

---

(١) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري ٢٥٧، وانظر أهمية الموضوع ص ١.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٣١/١، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١٣٣/١، ومعجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار ٨٦/١، ط: ١ (القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

تمهيد

كما سبقت الإشارة أثناء الحديث عن أهمية البحث، بأن قيام الداعية إلى الله، بانتقاء الاستراتيجية الأكثر مناسبة لتواصله مع المدعوين، واهتمامه، واعتنائه بخطابه، ومواقفه المتنوعة؛ من شأنه أن يُعينه، ويساعده – بتوفيق الله تعالى وتسديده – على الارتقاء بأداء مهمته بالصورة المرجوة، ومن ذلك اختياره للاستراتيجية التضامنية في جل مواقفه، وتهيئة خطابه وطريقة تواصله على ضوئها.

وبناء عليه، ومن خلال المباحث التالية، سيتم استعراض العديد من النماذج، والمواقف الحياتية المتنوعة، ومحاولة تحليلها، وإبراز ما تحويه من قيم أخلاقية سامية، وتواصل فعّال، يتضح من خلالها كيف كان خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وتواصله مع الناس؛ حيث نجده -صلى الله عليه وسلم- في كثير من المواقف يتواصل معهم بما يسرهم ويفرحهم، ويريح مشاعرهم، ويحفظ مترلتهم، فيزداد حبهم، وتوقيرهم، واتباعهم له -صلى الله عليه وسلم- واهتمامهم لما أهمه.

فتارة نراه -صلى الله عليه وسلم- يخاطب بالأسماء والكنى، والإعجاب، وتارة بألفاظ الترحيب والإكرام والملاطفة، والمزاح المباح، وأخرى بالسكينة والهدوء، وتطييب نفس المخاطب، وروعة الإفهام والتعليم، وتارة بجميع ذلك، وبغيره، حتى أنه في مواقف يهم أصحابه الكرام-رضي الله عنهم-، بالزجر والإنكار، حرصاً على ما يرونه مخالفاً لما تعلموه، فيأتي خطابه -صلى الله عليه وسلم- وطريقة تواصله بما يُعالج تلك المواقف والأحداث بأرقى وأحسن أسلوب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استخدام هذه الاستراتيجية، لا يتعارض مع استخدام ما يلائم من غيرها، ولا مع المواقف والأحداث التي تتطلب وتقتضي نوعاً من الصرامة والحزم، والقوة المشروعة في مواطنها المحددة، وطرقها المعتبرة شرعاً؛ حيث بالإمكان، ومن واقع السيرة النبوية العطرة أن يُرى بوضوح كيف أن الصرامة، والقوة المشروعة تحمي الفرد والمجتمع، وتسهم في نشر الأمن والسلام، وتحمل في

طياها معاني الرحمة، وبأن الرحمة تهذب القوة وتحاصر فيها مظاهر الشر، والقسوة غير المبررة شرعاً، فهو منهج متوازن، وقد بيّن العلماء ذلك، ولعدم التطرق لهذه الجزئية في البحث الحالي؛ نظراً لاختلاف طبيعة الدراسة، ومحدوديتها بموضوعها، فقد تم الاكتفاء بالإشارة إلى ذلك في الهامش أدناه باختصار، مع تزويد القارئ الكريم ببعض المصادر والمراجع المتنوعة للبحث والاستزادة(١).

---

(١) فعلى سبيل المثال: تم بيان وإيضاح أن الحزم والغضب المشروع فيما يعود إلى القيام بالحق، قد يكون واجبا كالغضب على أهل الباطل، والانكار عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوبا، وهو الغضب على المخطئ، كما غضب -صلى الله عليه وسلم- لما سأله رجل عن ضالة الإبل، ولما شكي إليه معاذ أنه يطول في الصلاة. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، السيوطي (٩١١هـ) ٢١٢/٢، د. ط (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ) وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الأدب، باب "ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله" ٢٧/٨، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط: ١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ) وبالإمكان مراجعة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ٥٨١/١٠، رقمه: محمد عبدالباقي، صححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، ط: د (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ) ولمزيد من الاطلاع على هذا الجانب انظر: على سبيل المثال أيضاً: شرح السنة، البغوي = = (ت ٥١٦هـ) ٢١٣/١٣ تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد الشاويش، ط: ٢ (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ) ومفاتيح الغيب، الرازي (ت ٦٠٦هـ) ١٩٣/٢٢، ط: ٣ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (ت ٧٤١هـ) ٣١/٢، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط: ١ (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ) والرحمة في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أ. د. راغب السرجاني ١٢٧ وما بعدها و٣٦٧، ط: ٢ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته ،١٤٣١هـ) ومظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ. د. زيد العيص ١٠٩ وما بعدها و١١٩، ط: ٣ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).

المبحث الأول

استخدام الأسماء والكنى، والثناء والإعجاب مع المدعوين

يُلحظ أن سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حافلة بالمواقف والنماذج والأحداث؛ التي تعزز جوانب التعاضد والتضامن، والتكاتف في المجتمع، وترتقي بمستوى التخاطب والتواصل فيما بينهم، بما يرسخ أواصر المودة بين أفراده؛ ومن ذلك النداء بالاسم والكُنية، وما يصحب ذلك من انبساط الوجه، وعبارات الثناء الصادقة التي تدخل السرور والابتهاج على المدعو، وتكون أجمع لقلبه، ولما يُخاطب به ويُلقى عليه، ومن النماذج:

أولاً – ما ذكره أنس -رضي الله عنه-، في بيان خطاب وتعامل النبي -صلى الله عليه وسلم- معه، حينما كان صبياً صغيراً، وأنه أرسله يوماً لقضاء حاجة، فتأخر عن إنجازها؛ لانشغاله مع صبيان آخرين يلعبون في السوق، وذلك حين قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ»(١).

في موقف تلكئ فيه عن المبادرة بسرعة تنفيذ ما أُمر به؛ لصغر سنه، ومع ذلك، ما وبخه -صلى الله عليه وسلم- بل داعبه، وتجاوز عنه، ووضع يده الحانية عليه، وشفّع ذلك بضحكه، ومخاطبته بـ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» ناداه

---

(١) صحيح مسلم، مسلم (ت ٢٦١هـ) كتاب الفضائل، باب كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس خلقاً ٤/١٨٠٥ رقم ٢٣١٠، تحقيق: محمد عبدالباقي، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د).

بتصغير اسمه رحمة وشفقة(١).

قال ابن هبيرة -رحمه الله- مستنتجاً الحكمة التربوية من وضع يده الشريفة -صلى الله عليه وسلم- على مؤخر عنق أنس: " ومما يدل على حكمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه، وكأنه قال له حين قبض على عنقه من ورائه، وما أتركك إلا عن قدرة عليك"(٢) فنبهه على تقصيره، بفعل حان، ولفظ يحمل في طياته معاني التربية على التودد والتآلف، وتجدد الحب، وتلمس المعاذير لمن هو في عمره وسنه(٣) عوضاً عن التعنيف وقساوة مفرداته، فما أروعها من

معالجة، وما أحوج الدعاة، والمربين وغيرهم لمحاكاة ذلك، ونشر هذه الثقافة وتعزيزها.

مع ملاحظة أن هذا التواصل والتعامل الراقي، لم يكن مجرد موقف عابر، أو نتيجة مواقف معدودة، وإنما هو ثقافة سائدة، وسلوك استمر معه عشر سنوات؛ مما ترك أبلغ الأثر في نفسه -رضي الله عنه-، تُجاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولذا قال: " خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّ قَطُّ، وَلا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا؟"(٤) وفي رواية أخرى قال: «فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي (ت ١٠١٤هـ) ٩/٣٧١٠، ط: ١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠ هـ) ٥/٢١٤، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ط: د (دار الوطن، ١٤١٧هـ).

(٣) انظر: الدين المعاملة، منقذ السقار ٧٥ (رابطة العالم الإسلامي، سلسة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة: ٢٤، العدد: ٢٣٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس خلقاً ٤/١٨٠٤ رقم ٢٣٠٩.

هَكَذَا؟ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟»(١).

ثانياً – وهذا زيد بن ثابت -رضي الله عنه- يبيّن إعجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- به، وبقدراته، ومخاطبته باسمه، وتكليفه إياه بتعلم كتاب يهود، وذلك حين قال: "ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي " قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ"(٢) وجاء في رواية:" أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- أَمَرَهُ «أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ اليَهُودِ» حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ، إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ"(٣).

وفي هذا الصدد قال ابن الملقن -رحمه الله- :"وفيه من الفوائد تعلم كتاب اليهود، ويجوز على هذا تعلم كتابة غيرهم من العجم للضرورة"(٤) ومما يستأنس به في الصدد ما قيل من أنه: "كان في إمكان النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يكاتبهم بالخط العربي، ويلزمهم أن يكاتبوه به، ولكن تسامح الإسلام، واحترامه لمحترمات الأمم في دينهم وقوميتهم، قضيا بترك اليهود يكتبون ويكاتبون بخطهم، فأقرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما أرادوا، وكلف هو من تعلم خطهم"(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر...، ٤/١١ رقم ٢٧٦٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ٣٥/٤٩٠ رقم ٢١٦١٨ ، تحقيق: شعيب الأرنساؤوط وآخرون، وقال اسناده حسن، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام...، ٩/٧٦ رقم ٧١٩٥.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) ٣٢/٥٧٣، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١ (دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ).

(٥) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبدالحميد محمد بن باديس الصنهاجي (١٣٥٩هـ) ٦٩، ط: ١ (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ).

ولا شك أن ما قام به زيد -رضي الله عنه-، وهو من حفاظ القرآن الكريم وكُتابه - يستحق ذلك الإعجاب، ويدل على ذكاء مفرط، وقدرة عالية، وقوة حافظة(١).

ثالثاً - ومن النماذج خطاباته المتنوعة مع عمه العباس، وبلال، وجابر، وعمرو، وعبدالرحمن-رضى الله عنهم-.

• فحين طلب عمه العباس -رضي الله عنه- أن يعلمه شيئاً يسأله الله تعالى، ناداه -صلى الله عليه وسلم-: باسمه وبصلة قرابته، فقال: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّه، سَلِ اللَّهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(٢) فقد كان -صلى الله عليه وسلم- يترله مترلة والده، ويرى له من الحق ما يرى الابن لأبيه(٣).

• ومع بلال -رضي الله عنه- عندما نزلوا بعد مسير ليلة؛ للنوم والاستراحة، والتزامه بإيقاظ النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه لصلاة الفجر، جرياً على عادته في الاستيقاظ لأداء الأذان، ولكن النوم غلبه وقتئذ حتى خرج وقتها(٤) فعذره النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاطبه باسمه مرتين، وذلك بقوله: «يَا بِلاَلُ، أَيْنَ مَا

---

(١) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ٢/٢٤٩، ط: ٨ (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ) والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي ٥٤٧ - ٥٤٨، ط: ٧ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) باب جامع الدعوات عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ٥/٥٣٤ رقم ٣٥١٤ وقال عنه حديث صحيح، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط: ٢ (مصر، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٥هـ) وانظر سلسة الأحاديث الصحيحة، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ٤/٢٨ رقم ١٥٢٣، ط: ١ (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) ٩/٣٤٨، ط: د (بيروت، دار الكتب العلمية، ت: د) ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيدالله المباركفوري (ت ١٤١٤هـ) ٨/ ٢٥٥، ط: ٣ (الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ).

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (ت ٨٥٥ هـ) ٥/٨٨، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د) وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ١/١٠٣، تحقيق: طه عبدالرؤوف، ط: ١ (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٤هـ).

قُلْتَ؟» قَالَ: مَا أُلْقِيَتْ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مِثْلُهَا قَطُّ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ، يَا بِلَالُ، قُمْ فَأَذِّنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ»(١).

قال ابن حجر -رحمه الله- أثناء ذكره لفوائد هذا الموقف ومنها: " قبول العذر ممن اعتذر بأمر سائغ، وتسويغ المطالبة بالوفاء بالالتزام، وتوجهت المطالبة على بلال بذلك تنبيها له على اجتناب الدعوى والثقة بالنفس، وحسن الظن بها، لا سيما في مظان الغلبة، وسلب الاختيار، وإنما بادر بلال إلى قوله أنا أوقظكم؛ اتباعاً لعادته في الاستيقاظ في مثل ذلك الوقت لأجل الأذان"(٢).

• ومن النماذج ما حصل لجابر بن عبدالله -رضي الله عنه- عندما خرج مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في إحدى أسفاره، فأتاه ليلاً، فخاطبه -صلى الله عليه وسلم-: «مَا السُّرَى يَا جَابِرُ» فَأَخْبَرْتُهُ بِحَاجَتِي»(٣)

فناداه باسمه، وسأله عن السبب الذي دعاه للسير ليلاً؛ لعلمه -صلى الله عليه وسلم- بأن الحامل على مسراه في ذلك الوقت أمر يحتاجه(٤).

• ومن ذلك: مناداته لعمرو بن العاص وضحكه -صلى الله عليه وسلم- مما صنع، فقد جاء أنه رضي الله عنه قال: "احتَلَمتُ في ليلة باردةٍ في غَزوةِ ذاتِ السَّلاسلِ فأشفَقتُ أنْ اغتَسِلَ فَأهلِكَ، فتيَمَّمتُ، ثمَّ صَلَّيتُ بأصحابي الصُّبحَ، فذكروا ذلك للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا عَمرو، صَلَّيتَ بأصحابكَ وأنت جُنُبٌ؟ " فأخبَرتُه بالذي مَنَعَني مِنَ الاغتِسالِ، وقلتُ: إني سمعتُ اللهَ يقولُ:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت ١٢٢/١ جزء من رقم ٥٩٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٧/٢ – ٦٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً ٨١/١ جزء من رقم ٣٦١.

(٤) انظر: الإفصاح، ابن هبيرة ٨/ ٣٢٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ٣٦٥/٢، تحقيق: محمد عبدالمقصود وآخرين، ط: ١ (المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (١) فضَحِكَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- و لم يَقُل شيئاً"(٢).

• وكقوله -صلى الله عليه وسلم- منادياً عبدالرحمن -رضي الله عنه-: " «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»(٣).

والمعنى كما قال الطيبي -رحمه الله- " أن الإمارة أمر شاق، لا يخرج عن عهدتها إلا الأفراد من الرجال، فلا تسألها عن تشرف نفس، فإنك إن سألتها تُركت معها، فلا يعينك الله عليها، وإن أُوتيت من غير مسألة أعانك الله عليها"(٤).

وقد بيّن ابن أبي جمرة -رحمه الله- الحكمة من استخدام الأسماء بهذه الكيفية، أثناء الخطاب والتواصل، وذلك حين قال: "والحكمة في ذلك تظهر من وجهين: الأول: أن نداءه باسمه أجمع لخاطرة، فيكون ذلك سبباً لتحصيل جميع ما يلقى إليه...؛ كل ذلك ليأخذ الأهبة للإلقاء، ويصغي لسمع الخطاب، الثاني: إن في ندائه

---

(١) سنن أبي داود، أبوداود (ت ٢٧٥هـ) باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ١/٢٤٩ رقم ٣٣٤، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، وقال عنه حديث صحيح، ط: ١ (دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ) وانظر صحيح سنن أبي داود، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ٢/١٥٤ رقم ٣٦١، ط: ١ (الكويت، مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الأمارة أعانه الله عليها ٩/٦٣ جزء من رقم ٧١٤٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ٣/١٤٥٦ رقم ١٦٥٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ٨/ ٢٤٤٠، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط: ١ (مكة المكرمة – الرياض، مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).

باسمه ادخال سرور عليه؛ لأن النداء أبداً، إذا وقع من الفاضل إلى المفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، فكيف به، وهو نداء سيد الأولين والآخرين -صلى الله عليه وسلم-"(١).

رابعاً – وبعد بيان الحكمة من استخدام الأسماء، يُنتقل الآن للإشارة إلى بعض النماذج على استخدام الكنى، وإظهار الثناء والإعجاب في مواطنه، أثناء العملية التواصلية، ومن ذلك ما حدث مع أبي ذر، وأُبي بن كعب، وأبي هريرة، وسلمان- رضى الله عنهم-.

• فقد كنى -صلى الله عليه وسلم- أباذر حين قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»(٢).

• ومن ذلك ما حصل مع أبي هريرة – رضي الله عنه – عندما كنّاه -صلى الله عليه وسلم- وأثنى عليه، نتيجة سؤاله حين قال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ»(٣)، قال العيني -رحمه الله- :"فيه جواز الكنية عند الخطاب"(٤) وقال ابن بطال -رحمه الله- في بيان أثر الثناء على المتلقي: "وفيه أن للعالم أن يتفرس في متعلميه، فيظن في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه، وأن ينبهه على تفرسه فيه،

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة (ت ٦٩٩هـ) ١/١٣٤، ط: ١ (مصر، مطبعة الصدق الخيرية، ١٣٤٨هـ).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ٤/٢٠٢٥ رقم ٢٦٢٥،

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ١/٣١ جزء من رقم ٩٩.

(٤) عمدة القاري، العيني ٢/١٢٨.

ويعرفه ذلك؛ ليبعثه على الاجتهاد في العلم والحرص عليه"(١).

• وفي موقف آخر، يأخذ -صلى الله عليه وسلم- بيده للتأنيس، وكمال الالتفات إليه، ويكنيه بالترخيم والتكبير(٢) قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَنَا جُنُبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ، فَانْسَلَلْتُ، فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ، فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هِرٍّ»، فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَبَا هِرٍّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ»(٣).

• كما ورد أنه خاطب -صلى الله عليه وسلم- أُبي بن كعب -رضي الله عنه- بكنيته، والثناء عليه حين قال: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَة مِنْ كِتَاب الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة/ الآية ٢٥٥) قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ(٤) الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»(٥).

قال النووي -رحمه الله- : "فيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه، وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه؛ إذا كان فيه مصلحة، و لم يخف عليه إعجاب

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) ١/١٧٦، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: ٢ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ) وانظر التوضيح، ابن الملقن ٣/٤٨٩.

(٢) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) ٣/١٤٩، ط: ٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ) ومرقاة المفاتيح، الهروي ٢/٤٣٣، وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) ٥/٤٨٧، ط: ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق...، ١/٦٥ رقم ٢٨٥.

(٤) المعنى: ليكن العلم هنيئاً لك. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥/١٦٤٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/٥٥٦ رقم ٨١٠.

ونحوه؛ لكمال نفسه ورسوخه في التقوى"(١) كما فيه مراعاة الأدب وتعظيم السائل، عندما قال -رضي الله عنه- ابتداء: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"(٢).

• ومن نماذج الثناء أيضاً، ما حصل مع سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، حين وضع -صلى الله عليه وسلم- يده الشريفة على كتف سلمان، وأثنى عليه(٣).

فقد بيّن ذلك أبو هريرة -رضي الله عنه- بقوله: "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (سورة الجمعة/ الآية ٣) قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاءِ»(٤).

وهكذا فإن الكنية تحمل معاني الإكرام والمسرة، والمساهمة في زيادة الود، والقرب من المدعو وتقريبه، كما سبق ذكره في استخدام الأسماء، والإعجاب والثناء الصادق في مواطنه، وسيأتي بمشيئة الله تعالى في المبحثين القادمين ما يشير إلى ذلك أيضاً.

---

(١) شرح صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، النووي (ت ٦٧٦هـ) ٦/٩٣، ط: ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ) وانظر شرح سنن أبي داود، العيني (ت ٨٥٥هـ) ٥/٣٧٦، تحقيق: خالد المصري، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ).

(٢) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ١/ ٥٢٥، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط: د (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ).

(٣) انظر: شرح المشكاة، الطيبي ١٢/ ٣٩٣٣، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٦/١٠٠، ومرقاة المفاتيح، الهروي ٩/ ٤٠٠٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس ٤/ ١٩٧٢ رقم ٢٥٤٦، وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الجمعة قوله تعالى " وآخرين منهم لما..." ٦/١٥١ رقم ٤٨٩٧.

المبحث الثاني

الترحيب والملاطفة والمزاح المباح مع المدعوين

إن مما يزيد التآلف، ويقوي أواصر العلاقات بين الناس، ما يقدمونه أثناء تخاطبهم وتواصلهم من مؤشرات التقدير والاحترام المتبادل، وحفظ الأماكن وإنزال الناس منازلهم، وطيب الخطاب وصدقه، وما يتبع ذلك من انتقاء ألفاظ الترحيب والإكرام، والملاطفة والمزاح الذي يقرب النفوس، ونحو ذلك، ويتأكد ذلك عند القيام بالدعوة إلى الله تعالى، والتواصل مع المدعوين، ومن الأمثلة والنماذج الدالة على ذلك ما يلي:

أولاً – عندما قدم وفد عبدالقيس، وهم من أولاد ربيعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل عنهم، ورحب بهم، وذكر مزاياهم، وذلك أنه " لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَنِ الوَفْدُ؟»، قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالوَفْدِ – أَوِ القَوْمِ – غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»(١).

وجاء أنه -صلى الله عليه وسلم- قال لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ:" إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ "(٢) فوجدوا من حفاوة الترحيب، وألفاظ التأنيس ما حفظ لهم مكانتهم، وأشجى أسماعهم، وأسعد خواطرهم(٣) وفي هذا الصدد قال ابن أبي جمرة رحمه الله : " فيه دليل على التأنيس للوارد، وذلك بشرط أن يكون ما يأنسوا به مطابقاً لحال المتكلم؛ لئلا يدرك الوارد طمعاً في المورود عليه فيما لا يقدر عليه؛ لأن الرحب والسعة التي أخبر بها -صلى الله عليه وسلم- للقادمين عليه، كانت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب وصاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وفود العرب...، ٩٠/٩ جزء من رقم ٧٢٦٦

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله...، ٤٨/١ جزء من رقم ١٨.

(٣) انظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني ١٨٦/٤، ط: ١ (مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ).

عنده حقيقة حساً ومعنى...، وفيه دليل على تسمية الوارد حين الكلام معه؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- قد سمى هذه القبيلة التي وردت عليه حين خاطبهم، حيث قال مرحباً بالقوم أو الوفد..؛ ولأن تسمية القادم زيادة له في التأنيس، وإدخال السرور عليه، وفي إدخال السرور من الثواب ما قد عُلم، ولأنه قد يظن القادم أن الكلام مع غيره؛ لأجل قلة أنسه بالمحل"(١) كما فيه بيان ما لدى الوفد من الفصاحة، ومراعاة المقام، وحسن التخاطب والتواصل، فهم لما سئُلوا من القوم؟ لم يُطيلوا فيه الكلام، بذكر أسمائهم، أو الانتساب لآبائهم وأجدادهم؛ وإنما سموا القبيلة التي حصل بها المقصود إبلاغاً في البيان، وايجازاً في الاختصار، كما فيه ما يشير إلى ما يتمتعون به من التأدب والاحترام؛ لأنهم نادوا النبي -صلى الله عليه وسلم- بأحب أسمائه إليه(٢).

ثانياً – وبمثله ما حصل مع أم هاني بنت أبي طالب –رضى الله عنها- حينما ذهبت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الفتح، فسلّمت عليه فَقَال -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ هَذِه؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»...، «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ»(٣).

وقد بوب البخاري -رحمه الله- في صحيحه "باب قول الرجل مرحبا"(٤) فهي كلمة إكرام(٥) والعرب تقول: "مرحبًا وأهلاً وسهلاً؛ أي لقيت أهلاً كأهلك،

---

(١) بهجة النفوس، ابن أبي جمرة ٩٤/١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٩٥/١، وللاطلاع على كامل الحوار بالإمكان مراجعة إحالة نص الحديث المشار إليها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن ١٠٠/٤ جزء من رقم ٣١٧١، وانظر صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى...، ٤٩٨/١ رقم ٣٣٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحبا ٤١/٨.

(٥) انظر: مرقاة المفاتيح، الهروي ٢٥٦١/٦، و تحفة الأحوذي، المباركفوري ٣/٨.

ولقيت سهلاً؛ أي سهلت عليك أمورك(١).

وفي هذا الصدد قال ابن العربي -رحمه الله-: "فيه الترحيب بالزائر، وما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأخلاق الجميلة الحسنة، وصلة الرحم، وطيب الكلام، ألا ترى إلى قوله: "مرحبا يا أم هانئ". ويروى" مرحبا بأم هانئ" والترحيب والابتهال، مما يستدل به على فرح المزور بالزائر، وفرح المقصود إليه بالقاصد، وهذا معلوم عند العرب"(٢).

وقال النووي -رحمه الله-: " فيه أنه لا بأس أن يكني الإنسان نفسه على سبيل التعريف إذا اشتهر بالكنية، وفيه أنه إذا استأذن، أن يقول المستأذن عليه من هذا، فيقول المستأذن فلان باسمه الذي يعرفه به المخاطب..، فيه استحباب قول الإنسان لزائره والوارد عليه مرحبا، ونحوه من ألفاظ الإكرام والملاطفة، ومعنى مرحبا صادفت رحبا؛ أي سعة"(٣).

وقد أكد ذلك ابن حجر -رحمه الله- وأشار إلى العديد من الأمثلة حين قال: " وفيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ففي حديث أم هانئ، مرحبا بأم هانئ، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل مرحبا بالراكب المهاجر، وفي قصة فاطمة مرحبا بابنتي، وكلها صحيحة"(٤).

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٣٤/٩.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) ٣/ ٩٢، تعليق محمد وعائشة السليماني، ط: ١ (دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ) وانظر المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) ٢٧١/١، ط: ١ (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣١/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٣١/١، وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣١/٥، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ) ١/٧، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

ثالثاً - ومن صور القرب من المتلقي وتقريبه أيضاً، ما حدث مع معـــاذ، وأبي ذر، وابن عمر-رضى الله عنهم-.

• فها هو -صلى الله عليه وسلم- يأخذ بيد معاذ بن جبـــل -رضي الله عنه-، ويسمعه عبارات الحب والود، ويوصيه بما ينفعه، فقد جـــاء أنـــه -صلى الله عليه وسلم- "أخذ بيده، وقال: "يا معاذُ والله إني لأحبُّك" فقال: "أُوصيكَ يا معـــاذ لا تَدَعن في دُبُر كُل صلاة تقول: اللهُمَّ أعـــني علـــى ذِكْـــرِكَ وشُـــكْرِكَ وحُـــسْنِ عبادَتك"(١) ولا شك أن مخاطبته -صلى الله عليه وسلم- بالمحبة لمعاذ أشد تأكيـــداً، وتأثيراً من مخاطبة معاذ له بها، وفيه استحباب الإشعار بـــذلك، وإظهـــار المحبـــة والمودة(٢).

• ونموذج آخر مقارب لما ذكر هنا، ولما سبقت الإشارة إليه أثناء الحديث عن عبدالرحمن بن سمرة -رضي الله عنه-، يحمل في طياته أيضاً ألفاظ الإكرام والمودة، ولطف الخطاب، وحسن النصح والتوجيه، وهو ما حصل مـــع أبي ذر -رضي الله عنه- حين قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَلا تَسْتَعْمِلُني؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَـــدِهِ عَلَـــى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَـــةِ خِـــزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذي عَلَيْه فِيهَا»(٣).

وفي رواية: أنه -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِـــيمٍ»(٤) فهنـــا

(١) سنن أبي داود، أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار ٦٣١/٢ رقم ١٥٢٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود، الألباني ٢٥٣/٥ رقم ١٣٦٢.

(٢) انظر: شرح سنن أبي داود، العيني ٤٣٣/٥، والمجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية مـــن صحيح البخاري، السفيري (ت ٩٥٦هـــ) ١/ ٣٩٦، تحقيق: أحمد فتحي، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـــ)

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٤٥٧/٣ رقم ١٨٢٥.

(٤) المرجع السابق، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٤٥٧/٣ رقم ١٨٢٦.

استعمال الكنية، والتوجيه بما يلائم الحال مع الملاطفة بلفظ المحبة، وضرب اليد لطفاً، وشفقة(١) وفي هذا "شدّة رأفة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بأمته، ولا سيّما أصحابه الذين كان يعيش بينهم، ويداخلهم، ويعرف أحوالهم الشخصيّة، فمن كان منهم لا يستطيع التعامل مع المجتمع حذّره عن التعامل، الذي يؤدّي إلى عدم القيام بما يجب عليه، وحثّه بالاشتغال بنفسه"(٢).

قال القاضي عياض -رحمه الله-: "وحضه على تركها؛ لما خافه عليه من الضعف عنها، حتى قرر عنده بمحض نصحه له في ذلك، وأنه إنما يحب له ما يحب لنفسه من الخير، ودفع الضرر"(٣) وقال ابن رجب -رحمه الله-: "وإنما نهاه عن ذلك، لما رأى من ضعفه، وهو -صلى الله عليه وسلم- يُحب هذا لكل ضعيف"(٤).

• وفي نموذج آخر، وهو ما رواه عبدالله بن عمر-رضى الله عنه-حين قال: "أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(٥) والحكمة بالأخذ بالمنكب ونحوه بهذا الحنو؛ إثارة الاهتمام والتنبيه، وحث المستمع على وعي وإدراك ما يُلقى عليه، ولا يفعل هذا غالباً إلا بمن يميل إليه(٦).

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح، الهروي ٦/٢٤٠١

(٢) شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي الولوي ٣٠/ ١٧٦، ط: ١ (دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ) وانظر شرح المشكاة، الطيبي ٢٥٦٧/٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) ٦/ ٢٢٥، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط: ١ (مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ) وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/ ٢١٠ - ٢١١.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ١/ ٣٠٥، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط: ٧ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- "كن في الدنيا..." ٨٩/٨ جزء من رقم ٦٤١٦.

(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٣٥/١١، والفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) ٦١٢، عني به: أحمد المحمد وآخرون، ط: ١ (جدة، دار المنهاج، ١٤٢٨هـ) وفتح

قال المباركفوري -رحمه الله-: "ونكتة الأخذ؛ تقريبه إليه، وتوجهه عليه؛ ليتمكن في ذهنه ما يلقى لديه"(١) كما أن في الوصية ما يشير إلى تعزيز موجبات التآلف والتضامن والتعاون، والبعد عن مسببات الخصومة والفرقة والتنافر، وفي هذا الصدد يقول ابن هبيرة -رحمه الله-:" في هذا الحديث ما يدل على أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حض على التشبه بالغريب؛ لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها في مجالسهم، ولا يجزع من أن يروه على خلاف عادته في الملبوس، ولا يكون متدابراً معهم، وكذلك عابر السبيل، فإنه لا يتدبر ولا يلج في الخصومات مع الناس ولا يشاحهم، ناظرا إلى أن لبثه معهم أياماً يسيرة"(٢).

فقد "شبه الإنسان في الدنيا بالمسافر، وكذلك هو على الحقيقة؛ لأن الدنيا دار نقلة، وطريق إلى الآخرة، فنبه -صلى الله عليه وسلم- أمته أن يغتنموا أوقات فرصتهم وفراغهم"(٣) .

وقال الكرماني -رحمه الله- معلقاً على هذا التشبيه بالغريب، بأنها "كلمة جامعة لأنواع النصائح؛ إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد، والعداوة، والحقد، والنفاق، والنزاع، وسائر الرذائل التي منشأها الاختلاط بالخلائق"(٤).

وقال ابن حجر -رحمه الله-: "وفيه مخاطبة الواحد وإرادة الجمع، وحرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على إيصال الخير لأمته"(٥).

القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، عبدالمحسن العباد ١٣١، ط: ١ (الدمام، دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٦/٥١٥، وانظر مرقاة المفاتيح، الهروي ٨/ ٣٣٠٠.

(٢) الإفصاح، ابن هبيرة ٤/ ٢٤٧، وانظر شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ١٣٣، ط: ٦ (مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ١/٩٧.

(٤) الكواكب الدراري، الكرماني ٢٢/ ١٩٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١١/٢٣٥.

رابعاً - وهذه صورة أخرى من صور الملاطفة والممازحة، واستمالة القلوب، وإدخال السرور عليها.

• فهذا أنس بن مالك -رضي الله عنه- يروى هذه المرة موقفاً آخر لأخيه بقوله: "إِنْ كَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ(١)»(٢) .

وفي رواية قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَرَآهُ، قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»(٣) فيلاحظ هنا الإشارة إلى المخالطة والمجالسة بالملاطفة، والمزاح، ومناداة هذا الطفل الصغير بالكُنية، على معنى الكرامة، وحسن التفاؤل بأن يكون أباً، وذا ولد، وهذا كله مما يقرب النفوس ويؤنسها، ويثبت الود، ويؤكد الرقي في التعامل، وحسن الخلق(٤).

وفي هذا الصدد قال الطيبي -رحمه الله-: "وفيه كمال خلق النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق، وأنه يستحب استمالة قلوب

---

(١) النغير تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ٨٦/٥، تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، ط: د (بيروت، المكتبة العلمية - ١٣٩٩هـ).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس ٣٠/٨ رقم ٦١٢٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود...، ١٦٩٢/٣ رقم ٢١٥٠.

(٤) انظر: التوضيح، ابن الملقن ٦٢٤/٢٨ و ٥٠٨، وإرشاد الساري، القسطلاني ٧٧/٩، و حاشية السندي على سنن ابن ماجه، السندي (ت ١١٣٨هـ) ٤٠٢/٢، ط: د (بيروت، دار الجيل - بيروت، ت: د) والعرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه (ت ١٣٥٣هـ) ٣/ ٣٣٤، تصحيح: محمود شاكر، ط: ١ (بيروت، دار التراث العربي، ١٤٢٥هـ).

الصغار، وإدخال السرور إلى قلوبهم"(١) كما بيّن الفرق بين المزاح المباح؛ الـذي يفضي إلى ارتياح النفوس وتآلفها، وإلى الآخر المنهي عنه؛ الذي يـورث الإيـذاء والتنافر، وذلك حين قال:" المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى، والفكـر في مهمـات الدين؛ ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابـة والوقار، فأما من سلم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعله على الندرة، لمصلحة، وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهـو سنة مستحبة، فاعلم هذا؛ فإنه مما يعظم الاحتياج إليه"(٢).

وقد أكد ابن بطال -رحمه الله-، أهمية التأسي به -صلى الله عليه وسلم- في مثل هذه الجوانب، حين قال: "فينبغي الاقتداء بحسن أخلاقه، وطلاقة وجهه الشريف -صلى الله عليه وسلم-"(٣).

• وهذا موقف آخر في كيفية التخاطب والتواصل مع الأهل والأقارب، حدث مع زوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووالدها رضي الله عنهم، فقد روي أنه" استأذن أبو بكرٍ على النبي -صلى الله عليه وسلم- فَسمع صوت عائشةَ عالياً، فلمـا دخَلَ تناولها ليلطِمَها، وقال: ألا أراكِ تَرْفعَينَ صَوتَكِ على رسـولِ الله -صلى الله عليه وسلم- فجعلَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يحجزُهُ، وخرج أبو بكر مُغضَباً، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- حين خرج أبو بكر: "كيف رأيتني أنقذتُكِ من الرجُلِ؟"

---

(١) شرح المشكاة، الطيبي ١٠/ ٣١٤٠، وانظر الكواكب الدراري، الكرماني ٢٢/٥، ومعالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ٤/١٢٩، ط: ١ (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ) وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ٦/ ٧٠، ط: ١ (دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

(٢) المرجع السابق ١٠/٣١٤٠.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٩/٣٠٤.

قال: فمكثَ أبو بكرٍ أياماً، ثم استأذَنَ على رسولِ الله فوجدَهما قد اصطلحَا، فقال لهما: أدخِلاني في سِلمكُما كما أدخلتُماني في حَرْبِكما، فقال النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-:"قد فعلنا، قد فعلنا"(١).

• وأختم هذا المبحث بمثال وبنموذج مشابه، حصل مع صهر النبي -صلى الله عليه وسلم- وزوج ابنته-رضى الله عنهم-، فقد جاء أن " أَحَبَّ أَسْمَاءِ عَلِيٍّ - رضي الله عنه- إِلَيْهِ لأَبُو تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، وَمَا سَمَّاهُ أَبُو تُرَابٍ إِلاَّ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-، غَاضَبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ فَخَرَجَ، فَاضْطَجَعَ إِلَى الجِدَارِ، إِلَى المَسْجِدِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَتْبَعُهُ، فَقَالَ: هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الجِدَارِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَامْتَلأَ ظَهْرُهُ تُرَابًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَيَقُولُ: «اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ»(٢).

وفي تحليل هذا الموقف، وبيان ما فيه من حسن التواصل والتقارب، قال ابن بطال -رحمه الله-: "وفيه ما جبل الله عليه رسوله من كرم الأخلاق، وحسن المعاشرة، وشدة التواضع، وذلك أنه طلب علياً، وأتبعه حتى عرف مكانه، ولقيه بالدعابة، وقال له: (اجلس أبا تراب) ومسح التراب عن ظهره؛ ليبسطه ويذهب غيظه، وتسكن نفسه بذلك، و لم يعاتبه على مغاضبته لابنته، وفيه من الفقه الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم"(٣).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المزاح ٣٤٩/٧ رقم ٤٩٩٩، قال عنه المحقق: حديث صحيح، ومسند أحمد بن حنبل، وقال عنه المحقق: اسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: المسند ٣٤٢/٣٠ رقم و١٨٣٩٥ و٣٧٣/٣٠ رقم ١٨٤٢١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التكني بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى ٤٥/٨ رقم ٦٢٠٤.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٥٣/٩، وانظر إرشاد الساري، القسطلاني ١١٧/٩، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د. أحمد غلوش ٢٩٢، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).

وقال أيضاً أثناء حديثه عن الكنية، وأثرها على النفس:" الكنية موضوعة لإكرام المدعو بها، وإتيان مسرته؛ لأنه لا يتكنى المرء إلا بأحب الكنى إليه، وهو مباح له أن يتكنى بكنيتين، إن اختار ذلك...؛ لأن علياً كان أحب الكنى إليه أبا تراب، وفى هذا الحديث أن أهل الفضل قد يقع بينهم وبين أزواجه ما جبل الله عليه البشر من الغضب، والحرج حتى يدعوهم ذلك إلى الخروج عن بيوتهم، وليس ذلك بعائب لهم"(١).

وأخيراً لعل فيما تم إيراده، ومناقشته في هذا المبحث، ما يشير إلى أهمية حرص الداعية إلى الله تعالى على حسن التواصل والتخاطب مع المدعوين، وسعيه لإقامة تواصل فعّال؛ يفضي - بتوفيق الله وإعانته - إلى التقارب، والتعاون، والاحترام المتبادل، والتأثير الإيجابي عليهم، بما يجعلهم مقبلين على سماعه، وفهم مراده.

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٥٢/٩

المبحث الثالث

الهدوء والسكينة وحسن الإفهام والتعليم مع المدعوين

من الأهمية بمكان أن يحرص الإنسان عموماً، ومن يتولى شؤون الدعوة، والتربية والتعليم، ومخالطة الناس خصوصاً، على التدرب، والسعي الجاد للاتصاف - مع العلم والمعرفة - بالسكينة وهدوء الطبع، والقدرة على امتلاك النفس، وضبط مشاعرها، وحملها على التخلق الصادق بما يُزينها، وإبعادها عن كل ما قد يُشينها من التصرفات والسلوكيات؛ ليتمكن - بتوفيق الله تعالى وإعانته - من محاولة تبليغ ما لديه بالصورة المرجوة، وبما يحقق هدف الخطاب والتواصل، وبشيء من التتبع والاستقراء لحياة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- تظهر بجلاء الأسوة الحسنة، في السكينة والحنو والهدوء، وروعة الإفهام والتعليم، وتطييب نفس المخاطب، حتى أنه في بعض المواقف والأحداث، يُقبل من حضرها من أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، بالتأنيب والإنكار، وفقاً لما يرونه مخالفاً لما عهدوه وتعلموه، فيأتي خطابه، وطريقة تواصله -صلى الله عليه وسلم- بما يُعالج تلك المواقف بأحسن أسلوب وأرقاه، ومن ذلك ما يلي:

أولاً - تقريبه وإدناؤه -صلى الله عليه وسلم- وحواره لذلك الشاب الذي أتاه، واستأذنه وصارحه بما في نفسه، فقد جاء عن أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: "إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ:" ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا " قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لا، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ

لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ " قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ:" اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ"(١).

فهذا الشاب توجه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكامل الوضوح والانكشاف، والصراحة دون مواربة؛ ليستأذنه، ويخبره بما يُكن في صدره، ويجول في خاطره، وهو مما يُعلم حرمته وشناعته وقبحه، فناله ممن سمع قوله، وحضر مجلسه من الصحابة الكرام-رضى الله عنهم-، ما يتوقع لمثله من التوبيخ والتأنيب، ولكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقبل عليه، وقربه إليه بقوله: "ادْنُهْ" فدنا منه الشاب قريباً، وجلس، فخاطبه -صلى الله عليه وسلم- بما يلامس جوانب الخير فيه، ويثير مكامن الغيرة المحمودة في نفسه، بتعداد محارمه، فقال:" أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟" والشاب يجيب: "لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ" فبيّن له -صلى الله عليه وسلم- بقوله:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ " وهكذا فيما يخص بقية المحارم: البنت، والأخت، والعمة والخالة، وفي كل مرة، يجيب الشاب بالنفي، ويؤكد له -صلى الله عليه وسلم- بأن الناس كذلك، فهم يكرهون هذه الفعلة المشينة في محارمهم، كما كرهها الشاب في أهله ومحارمه، فلما أدرك الشاب بشاعة ذلك وأقره، وضع -صلى الله عليه وسلم- يده الكريمة عليه، ودعا له بقوله:" اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قال الراوي: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ".

فيظهر في هذا التخاطب والتواصل روعة التعامل مع المخطئ، وحسن إفهامه، بالحنو عليه وتقريبه، والاستماع إليه، والسماح له بالتعبير عما يجول في نفسه، واستثارة الخير فيها، والتوجه بالدعاء لمن بيده مفاتيح القلوب سبحانه وتعالى، كما فيه أيضاً ما يؤكد أهمية مراجعة الدعاة، والآباء، ومن يتولى توجيه الناس وتعليمهم،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥٤٥/٣٦ رقم ٢٢٢١١ قال المحقق: إسناده صحيح. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني ٧١٢/١ - ٧١٣ رقم ٣٧٠.

لطريقة تعاملهم مع المخطئ، وتقيم ذلك، برصد ما يُستخدم معه من ألفاظ وتعابير، وعبارات، والسعي للاقتداء، والتأسي بنبي الرحمة -صلى الله عليه وسلم-، والتحلي بالسكينة، والهدوء، والرفق في مخاطبة الناس والتواصل معهم، وخاصة المخطئ منهم(١).

وأختم هذه الجزئية بتعليق المناوي -رحمه الله- عن بيان الحكمة من الرفق، وإشارته إلى هذا الحديث، وضرورة ترفق العالم وتلطفه مع المخطئ، بقوله: " به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات، جامع للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب أو يفعل محرما أن يترفق في إرشاده ويتلطف به"(٢).

ثانياً – وفي موقف آخر بتقريب الغلام، ومناداته ببُني، وتعليميه آداب الأكل، وكيف أثر ذلك فيه بقية حياته، قال عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنه-: "كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ(٣) رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ(٤) فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ

(١) انظر: الدين المعاملة، السقار ٧٥ – ٧٦، والاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. إدريس مقبول ٤٥٤.

(٢) فيض القدير، المناوي ٥/٤٦١.

(٣) في تربيته وتحت نظره، وقد كان ابن أم سلمه <، زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-. إرشاد الساري، القسطلاني ٨/٢١١، وانظر عمدة القاري، العيني ٢١/٢٩.

(٤) أي تجول في جهاتها وتأخذ من نواحيها ولا تقتصر على مكان واحد. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ٣٨٧، تحقيق: د. زبيدة محمد، ط: ١، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ) وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣/١٥٣.

بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ"(١).

وجاء في رواية: " أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعِنْدَهُ طَعَامٌ قَالَ: «ادْنُ يَا بُنَيَّ، وَسَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»(٢) وهو ما كان الغلام الصغير على خلافه وقتئذ، فعلمه -صلى الله عليه وسلم- آداب الأكل، فتعلمها، وبيّن رضي الله عنه، أن تلك الطريقة المهذبة صارت عادة له، وطريقته في الأكل طيلة حياته(٣).

ثالثاً – ما حصل مع عقبة بن عامر -رضي الله عنه- أثناء سفره مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومناداته له باسمه، وتعليميه سورتين من القرآن الكريم، وعدم اكتمال سروره بذلك وملاحظة النبي -صلى الله عليه وسلم- لمشاعر عقبة، ، فما كان منه -صلى الله عليه وسلم- إلا أن صلى بهما الفجر، ثم خاطب عقبة باسمه مرة أخرى، ليرغبه فيهما، ويؤكد له فضلهما.

وقد بيّن -رضي الله عنه- تفاصيل ما حدث له بقوله: "كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ٦٨/٧ رقم ٥٣٧٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب أداب الطعام...، ١٥٩٩/٣ رقم ٢٠٢٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية في الطعام ٢٨٨/٤ رقم ١٨٥٧، وانظر سلسة الأحاديث الصحيحة، الألباني ١٨٠/٣ رقم ١١٨٤.

(٣) تمت الإشارة إلى الحكمة من ذلك، وهي أن الأكل من موضع يد صاحبه، لا سيما في الطعام الرطب والإمراق، وما شابهه، سوء عشرة، وترك مودة، ومجانبة الأدب، ولا تستحسنه النفوس...، انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٢١١/٨، وإكمال المعلم، القاضي عياض ٤٨٨/٦، والتحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) ٧/ ٥٣٥، تحقيق: محمد صبحي، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٣هـ) ومنار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم ٥/ ١٤٢، راجعه: عبدالقادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير عيون، ط: د (دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف، مكتبة المؤيد، ١٤١٠هـ).

سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فَعَلَّمَنِي قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، قَالَ: فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الصَّلاةِ الْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، كَيْفَ رَأَيْتَ؟»(١).

والمعنى:" كيف حال هاتين السورتين عندك الآن بعد أن رأيتني صليت بهما الصبح، التي يُقرأ فيها بالطوال، وقال -صلى الله عليه وسلم- ذلك له؛ ترغيباً، وتنبيهاً على فضلهما، وتأكيداً لقوله: " أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ"(٢).

وفي هذا الصدد قال الطيبي -رحمه الله- معلقاً على هذا الموقف:" أشار -صلى الله عليه وسلم- إلى الخيرية في الحالة التي كان عقبة عليها، وذلك أنه كان في سفره، وقد أظلم عليه الليل، ورآه مفتقراً إلي تعلم ما يدفع به شر الليل، وشر ما أظل عليه الليل، فعين السورتين لما فيهما من وجازة اللفظ، والاشتمال علي المعنى الجامع مع سهولة حفظها، و لم يفهم عقبة المعنى الذي أراده النبي -صلى الله عليه وسلم- من التخصيص، فظن أن الخيرية إنما تقع علي مقدار طول السورة وقصرها، ولهذا قال: "فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا" وإنما صلي النبي -صلى الله عليه وسلم- ليعرفه أن قراءتهما في الحال منصوص عليها والزمان المشار إليه أمثل وأولي من قراءة غيرهما، ويبين له أنهما يسدان مسد الطويلتين"(٣).

---

(١) سنن أبي داود، باب تفريع أبواب الوتر، باب في المعوذتين ٢/٧٣ رقم ١٤٦٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني ٥/٢٠٣ رقم ١٣١٥.

(٢) ذخيرة العقبى، الولوي ٣٩/ ٣٨٩، وانظر شرح سنن أبي داود، العيني ٥/ ٣٧٩.

(٣) شرح المشكاة، الطيبي ٣/ ١٠٠٦ – ١٠٠٧، وانظر حاشية السندي على سنن النسائي، السندي ٨/٢٥٣، ومرقاة المفاتيح، علي الهروي ٢/ ٦٩٨، وفي قوله -صلى الله عليه وسلم-:"خير سورتين" قيل: أي منْ خير السور، وليس المراد أنهما أفضل السور عَلَى الإطلاق، إذ هناك ما يساويهما، أو يزيد عليهما، وقيل: هما يزيدان عَلَى غيرهما منْ السور فِي باب التعويذ، إذ لم توجد سورة

رابعاً – إقباله -صلى الله عليه وسلم- وقربه من السائل لتعليمه، فقد روى أبو رِفَاعَةَ -رضي الله عنه- ما حصل له عندما أتى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سائلاً ومستفسراً، ومبيّناً عدم معرفته بدينه، وما قام به -صلى الله عليه وسلم- من الإقبال عليه، والدنو منه، ليسائله ويباحثه، وذلك حين قال:" انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا"(١).

فيُلحظ هنا تلطف السائل في ألفاظه، وعباراته، وتواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- وشفقته ومبادرته إليه، حتى أن هذا السائل روى كافة تفاصيل ما حدث له، وفي بيان ذلك، وفائدة جلوسه -صلى الله عليه وسلم- على الكرسي قال القاضي عياض -رحمه الله- :" أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دنا من المذكور، ونزل عن المنبر، وترك القيام عليه، وجلس إليه ليقرب منه، ويسائله عن دينه، ويتمكن من مباحثته عنه، وارتفع على الكرسي ليسمع كلامه غيرُه ويشاهدوا محاورته إياه"(٢).

كما أشار النووي -رحمه الله- إلى عدة فوائد تتعلق بالخطاب، وكيفية التواصل، وذلك أثناء شرحه وتعليقه على هذ الموقف، حين قال:" فيه استحباب تلطف السائل في عبارته، وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان، وكيفية الدخول في الإسلام،

كلها تعويذ إلا هاتين السورتين. ذخيرة العقبى، الولوي ٣٩/ ٣٨٩، وانظر ومرقاة المفاتيح، علي الهروي ٢/ ٦٩٧.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة ٢/٥٩٧ رقم ٨٧٦.

(٢) إكمال المعلم، القاضي عياض ٣/ ٢٨١.

وجب إجابته وتعليمه على الفور، وقعوده -صلى الله عليه وسلم- علـــى الكرســـي ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم"(١).

خامساً – استقباله -صلى الله عليه وسلم- لما عرضه راقي الريح، بحلم وهدوء، وفصاحة بيان.

ففي هذا الموقف سيتضح أدب هذا الرجل مع الله تعالى، ومع رســـوله -صلى الله عليه وسلم- قبل إسلامه، وكيف أنه سمع ما سمع من أهل مكة عن اتهام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالجنون، وكانت مثل هذه الحرب الإعلامية وقتئذ طريقـــاً وسبباً لتواصله مع الرسول، ورصد سلوكه وسماع حسن خطابه، مما أثار إعجابه، وقاده إلى الإسلام.

فقد روى ابن عباس–رضي الله عنه–: " أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِـــنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّـــةَ، يَقُولُـــونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَـــالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ(٢) وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَـــنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَـــدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْـــلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ(٣) قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَـــى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٥/٦، ولمزيد من الاطلاع فيما يخص قطع الخطبة لمثل هذا، وهل كانت خطبة جمعة أو خلافه. انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٨١/٣، ودليـــل الفـــالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الشافعي (ت ١٠٥٧هـــ) ٥٨/٥، اعتنى به: خليل شـــيحا، ط: ٤ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـــ).

(٢) المراد بالريح هنا: الجنون، ومس الجن. شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٧/٦.

(٣) وسطه ولجّته. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨١/٥.

الإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي"(١).

فنلحظ هنا أدب هذا الرجل مع الله؛ حين نسب الشفاء إليه سبحانه وتعالى بقوله:" وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ" وأدبه مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمتمثل في جانبين، الأول: أنه لم يتلفظ بما سمعه من بعض سفهاء أهل مكة، وإنما عبر بقوله: "يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ"، والثاني: تأدبه بطرح ما لديه بأسلوب العرض لا الاستخفاف، والاستهزاء، وذلك حين قال "فَهَلْ لَكَ؟"(٢) ولا غرو، فقد قيل إنه كان رجلاً يطلب العلم، ويعالج بالطب والرقية(٣).

ومع ما ذكر، فإن الرجل قدم وقتئذ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زاعماً معالجته، ومداوته وفقاً لما سمع، دون السؤال والتيقن والتمحيص، ولا شك أنه موقف غير مريح، يثير الغضب والاستغراب، ومع ذلك استقبله -صلى الله عليه وسلم- بحلم وهدوء وسكينة، و لم يناقشه في قوله، ولا رد عليه، وإنما خاطبه بتلك الكلمات الجوامع؛ المشتملة على تعظيم الله وتمجيده، كلمات انبعثت من القلب إلى القلب؛ فلامست شغاف قلب ضماد، وأثرت على موقفه، فطلب إعادة سماعها، فأعادها -صلى الله عليه وسلم- له ثلاثاً؛ حرصاً على دعوته وهدايته(٤) فأبدى إعجابه بها، وأنه لا أبلغ منها ولا أنجع في القلب(٥) فما كان منه إلا أن دخل في الإسلام -رضي الله عنه-، وبايع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقومه كذلك.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٣ جزء من رقم ٨٦٨.

(٢) انظر: شمائل الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحمد زواوي ٢/ ٢٥٠ - ٢٥١، ط: د (الإسكندرية، دار القمة، ت: د).

(٣) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ٣/٥٦ رقم ٢٥٦٩، تحقيق: علي معوض وزميله، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

(٤) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الصلابي ١٣٦، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) انظر: غريب الحديث، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ١/١٣٤، تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ط: د (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ).

المبحث الرابع

المحافظة على عُرى التواصل مع المدعوين وتنقيتها مما قد يشوبها

إذا كان مما يزيد التآلف، ويقوي أواصر المودة والمحبة، ويُعين الدعاة إلى الله تعالى، وغيرهم على أداء المهام المناطة بهم بالصورة المرجوة، ما يُقدم أثناء الخطاب والتواصل من مؤشرات التقدير، والاحترام المتبادل، وحفظ المكانة، وطيب وصدق الحديث مع المدعوين، وما يتبع ذلك من ألفاظ وأفعال تدل على الملاطفة، والإكرام، وحسن الخلق ورقيه إلى غير ذلك؛ فإن الحفاظ على هذه العلاقات وتقوية أواصرها، ومعالجة ما قد يشوبها من منغصات، أو يُضعفها من مواقف وأحداث أمر في غاية الأهمية؛ إذ النفس البشرية لا تخلو عموماً من التأثر الذي ربما يفقدها توازنها المعتاد بين فينة وأخرى، وعليه يتأكد على الدعاة والمربين إدراك ذلك، ومراعاته، والسعي لامتلاك مهارات المعالجة اللازمة، والقدرة على التواصل الإيجابي، وخاصة خلال أوقات التزاحم والتنازع والتوتر، وما قد ينجم عنها من التباس الفهم والقصد؛ والعمل بما يهيئ لتلك النفوس فرص الانتقال الهادئ إلى ناحية الوضوح، والشفافية، ، والرغبة في التعاون والمعالجة، عوضاً عن الولوج أو اختيار خانة المنازعة والمشاحنة، والتنافر والتباغض.

وبشيء من التتبع والاستقراء للسيرة النبوية العطرة، نجد الكثير من النماذج والأمثلة الرائعة التي تشير إلى أهمية الحفاظ على تماسك المجتمع وترابطه، واستمرار الثقة المتبادلة بين أفراده، وتنقيتها مما قد يشوبها ويضعفها، ومن ذلك ما يلي:

أولاً - مقولة الأنصار-رضى الله عنهم- يوم فتح مكة، وما وجدوه في أنفسهم، وكيف تم معالجة ذلك.

فمن المواقف الخالدة، التي سطرها التاريخ ما حدث في تلك الفترة، مع الذين أخرجوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من بلده، وآذوه وأتباعه أشد الإيذاء؛ فإذا بهم يُعاملوا ويُخاطبوا عند النصر والاقتدار، بمنتهى الرحمة، حتى خشي

الأنصار-رضى الله عنهم- أن ما رأوه من رأفته -صلى الله عليه وسلم- بقومه، مؤشراً على رغبته في البقاء معهم، وتركهم، فطمأنهم -صلى الله عليه وسلم- وأكد لهم استمرار مكانتهم، فأقبلوا إليه معتذرين يبكون.

ومما ورد في ذلك الموقف: " فَقَالَتِ الأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِه، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِه...، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِه؟ " قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ: «كَلاَّ، إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلاَّ الظَّنَّ بِاللهِ وَبِرَسُولِه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْذِرَانِكُمْ»(١).

فنلحظ هنا ما دار بين الأنصار-رضى الله عنهم- وأرضاهم فيما بينهم؛ جراء ما رأوه، فظنوا أنه -صلى الله عليه وسلم- يرجع إلى سكنى مكة، والمقام فيها ويتركهم، فشق ذلك عليهم، فقالوا لبعضهم تلك المقولة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما خاطبهم، وأعلمهم بحقيقة الموقف، وأكد لهم -صلى الله عليه وسلم- مكانتهم ومترلتهم، تبددت مخاوفهم، واطمأنت نفوسهم، وبكوا واعتذروا، وبيّنوا أنهم ما قالوا ذلك إلا حرصاً على مصاحبته -صلى الله عليه وسلم- ودوام بقائه معهم(٢).

وفي هذا الصدد قال ابن هبيرة -رحمه الله-: "وفيه من الفقه: أن الرجل قد يظن الظن غير الصالح، ثم يفيء عن قريب، لكون الأنصار قالوا: أما الرجل فأدركته رغبة في قومه"(٣) ويظهر تأدب الأنصار رضي الله عنهم مع رسول الله -صلى الله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ١٤٠٥/٣ جزء من رقم ١٧٨٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٩/١٢، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤٥٩/٣، والسيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شهبة ٤٦٢/٢.

(٣) الإفصاح، ابن هبيرة ٢٠٧/٨.

عليه وسلم- واعتذارهم عن مقولتهم، وقبوله -صلى الله عليه وسلم- لعذرهم(١).

وفي اعتذارهم، وما صاحب ذلك من مشاعر الحب والصدق، قال النووي -رحمه الله-: "وهذا معنى قولهم ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بك...؛ أي شحاً بك أن تفارقنا، ويختص بك غيرنا، وكان بكاؤهم فرحاً بما قال، وحياء مما خافوا أن يكون بلغه عنهم مما يستحى منه"(٢).

ثانياً - مقولة بعض شبان الأنصار-رضى الله عنهم- يوم حنين، أي بعد وقت قصير من الحادثة السابقة، وما وجدوه في أنفسهم، وما دار بينهم، وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين جمعهم دون غيرهم؛ لمناقشة ما قالوه، ومعالجة الموقف، وتطييب نفوسهم-رضى الله عنهم-، وبيان مدى قربهم منه -صلى الله عليه وسلم-.

فقد جاء ما يبيّن ذلك الموقف بتفاصيله من "أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا: يَوْمَ حُنَيْنٍ، حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يُعْطِي رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ، الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ قَوْلِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟» فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، قَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- «فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَفَلا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ؟ فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ»

(١) انظر: شمائل الرسول -صلى الله عليه وسلم-، زواوي ٢/٣٥٦، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، الصوياني ٤/٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٢٩، وانظر الإفصاح، ابن هبيرة ٨/٢٠٨.

فَقَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ"(١).

وجاء في رواية ما يؤكد أيضاً أدب الأنصار-رضى الله عنهم-، وتقريبهم، وقربهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنهم خاصته وبطانته، ونصها أنه " لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: " لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ(٢)"(٣).

فهذه الحادثة تظهر أيضاً ما قد يعترى الإنسان من مشاعر ومواقف تحتاج إلى نقاش ومصارحة، وتواصل ومعالجة؛ تعزز الود والقرب، وهو ما حصل حين جمعهم -صلى الله عليه وسلم- واستمع لهم، واستمعوا له، وأكد لهم قربهم ومكانتهم، فطابت نفوسهم ورضيت.

وفي هذا الصدد قال الخطابي -رحمه الله-ه: "أراد رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٧٣٣/٢ جزء من رقم ١٠٥٩.

(٢) الشعار: الثوب الذى يلى الجسد، والدثار: الذى فوقه. إكمال المعلم، القاضي عياض ٦٠١/٣ والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٠/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ١٥٧/٥ جزء من رقم ٤٣٣٠، وانظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٧٣٨/٢ رقم ١٠٦١

وسلم- بهذا الكلام تألف الأنصار، وتطيب قلوبهم والثناء عليهم في دينهم"(١).

وقال ابن هبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حكم على الأنصار حكم الواثق بمتانة دينهم، وأن ذوي آرائهم فهموا ذلك، فلم يقولوا إلا خيرا، فأما الأحداث: فإنهم قالوا ما قالوا عن غير فهم لمقصود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى صرح لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما فهموا به هم، وغيرهم"(٢).

وقال ابن حجر -رحمه الله- في تأكيد ذلك: "وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم، فقد اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم -صلى الله عليه وسلم- ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع، رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم"(٣).

كما أن في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ" ما يؤكد مناقبهم، وقربهم ومكانتهم-رضي الله عنهم-، وفيه كناية لطيفة عن قربهم، وأنهم أقرب إليه، وألصق به من غيرهم(٤) .

---

(١) عمدة القاري، العيني ٣٠٨/١٧، وانظر الكواكب الدراري، الكرماني ١٦٠/١٦.

(٢) الإفصاح، ابن هبيرة ٥/ ٣٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/ ٤٩، وانظر مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم قريبي ٤٣٣، ط: ١ (المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٢هـ).

(٤) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٤١٢/٦، وعمدة القاري، العيني ٣٠٩/١٧، وجاء في الفتح تعليق لطيف ما نصه: " وإنما قال -صلى الله عليه وسلم- ذلك تواضعا منه وإنصافا، وإلا ففي الحقيقة الحجة البالغة، والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم؛ فإنه لولا هجرته إليهم وسكناه عندهم، لما كان بينهم، وبين غيرهم فرق، وقد نبّه على ذلك بقوله -صلى الله عليه وسلم- ألا ترضون إلخ، فنبههم على ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به منه، بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية" فتح الباري، ابن حجر ٥١/٨، وقال ابن هبيرة ~: " وفيه أيضا

قال النووي -رحمه الله-: "ومعنى الحديث: الأنصار هم البطانة والخاصة، والأصفياء وألصق بي من سائر الناس، وهذا من مناقبهم الظاهرة وفضائلهم الباهرة"(١).

وأختم هذه الجزئية، بما يؤكد أدب الأنصار-رضى الله عنهم-، وتأدبهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ذكر ابن حجر أيضاً -رحمه الله- أثناء استنباطه لفوائد هذا الموقف، وما حصل فيه من تواصل وتفاعل إيجابي ما نصه: " أدب الأنصار في تركهم المماراة، والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم، إنما كان عن شبابهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم؛ لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة؛ ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب، وإعتابه عن عتبه؛ بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف(٢).

ثالثاً – ما حصل من استفسار، ومعاتبة متلطفة من بعض الأنصار-رضى الله عنهم-، حين فضّل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دور الأنصار بعضها على بعض، وبيانه لهم أن الفضل والخير حاصل في جميعها(٣) فقد جاء عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ دُورِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي الحَارِثِ، ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: أَبَا أُسَيْدٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-

---

أنه عرفهم قدر نعمة الله عليهم في تميزهم دون أهل الأرض برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي مثل هذا الموضع ؛ يحسن الاعتداد بالنعمة؛ مخافة أن تفضي الغفلة عنها إلى نسيانها" الإفصاح، ابن هبيرة ٥/٣٨.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٧/ ١٥٧، وانظر إكمال المعلم، القاضي عياض ٣/ ٦٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨/٥٢.

(٣) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٦/١٥٣، وفتح الباري، ابن حجر ٧/١١٧.

خَيَّرَ الأَنْصَارَ فَجَعَلَنَا أخيرًا؟ فَأَدْرَكَ سَعْدٌ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خُيِّرَ دُورُ الأَنْصَارِ فَجُعِلْنَا آخِرًا، فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الخِيَارِ»(١) فبيّن لهم -صلى الله عليه وسلم- أنهم من الخيار، وفي ذلك ما يؤكد مكانتهم ويحفظ مترلتهم.

قال ابن حجر -رحمه الله- في إيضاح ذلك، ومعنى تكرر كلمة خير بأن: "خير الأولى بمعنى أفضل، والثانية اسم، أي الفضل حاصل في جميع الأنصار، وإن تفاوتت مراتبه"(٢) وقد أشار العلماء إلى أن تفضيلهم-رضى الله عنهم- كان على قدر سبقهم إلى الإسلام ومآثرهم، وآثارهم الجميلة فيه(٣).

فيلاحظ في هذا الموقف، وسابقيه عند فتح مكة، ويوم حنين، ما حصل من تأثر متوقع معتاد؛ تمليه طبيعة النفس البشرية، وما جبلت عليه، وهو مؤشر صدق، ورغبة في الحفاظ على أواصر هذه العلاقة، وتنقيتها مما قد يشوبها، ويؤكد ذلك، ويعززه الكيفية التي حصل بها التواصل والتخاطب؛ لمعالجة تلك المواقف بما يحافظ على الود والمحبة، والتقارب وتماسك المجتمع، وفي هذا أسوة وقدوة حسنة للدعاة والمربين وغيرهم.

رابعاً - عتب الذين لم يعطوا من المال، وإيضاح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمبرر ذلك، وعدم لومهم، بل وثناؤه على عمرو بن تغلب -رضي الله عنه-، فقد ورد "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أُتِيَ بِمَالٍ - أَوْ سَبْيٍ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالاً وَتَرَكَ رِجَالاً، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضل دور الأنصار ٥/٣٣ رقم ٣٧٩١، وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- ٤/١٧٨٥ رقم ١٣٩٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٧/ ١١٦، انظر: فيض الباري، الديوبندي ٤/٥٠٠.

(٣) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٧/٢٤٤، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٦/٦٩ و ١٥/٤٤

ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حُمْرَ النَّعَمِ"(١).

وفي هذا ما يشير إلى "أن البشر جبلوا على حب العطاء، وبغض المنع، والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته إلا من شاء الله"(٢) وهكذا فقد حسمت مادة الخلاف، وبُيّن لهم مقياس العطاء، فهو لأناس تأليفاً وتطيباً؛ ومداوة لما في نفوسهم من الجزع، ويترك آخرون دون عطاء؛ على وجه الثقة، ولما في نفوسهم من الغنى والقناعة، والخير، وذكر -صلى الله عليه وسلم- فيهم عمرو بن تغلب -رضي الله عنه-، الذي ابتهج وفرح بذلك، وأكد أنه لا يرضى بغير هذا الثناء عوضاً ولا بديلاً ، ولو كان العطاء من أنفس أموال العرب(٣).

وفي هذا الصدد قال ابن بطال -رحمه الله-: " وهذه المترلة التي شهد لهم بها النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضل من العطاء الذى هو عرض الدنيا، ألا ترى أن عمرو بن تغلب اغتبط بذلك بعد جزعه منه...، وفيه استئلاف من يخشى منه، والاعتذار إلى من ظن ظنًا والأمر بخلاف ظنه، وهذا موضع كان يحتمل التأنيب للظان، واللوم له، لكنه -صلى الله عليه وسلم- رءوف رحيم كما وصفه الله تعالى"(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ١٠/٢ رقم ٩٢٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥١١/١٣، وانظر تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز المبارك (ت ١٣٧٦هـ) ٣٥٤، تحقيق: د. عبدالعزيز آل حمد، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٣هـ).

(٣) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ١٨٤/٢، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥٣٦/١٠، وكوثر المعاني، الشنقيطي ١١٤/١٠، ومنار القاري، حمزة محمد ٢٥٤/٢

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥٣٦/١٠.

خامساً – وقريب من ذلك، ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من " أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا لَكَ عَنْ فُلاَن فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلمًا» فَسَكَتُّ قَليلاً، ثُمَّ غَلَبَني مَا أَعْلَمُ منْهُ، فَعُدْتُ لمَقَالَتي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلاَن؟ فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلمًا». ثُمَّ غَلَبَني مَا أَعْلَمُ منْهُ فَعُدْتُ لمَقَالَتي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لأُعْطي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ منْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ في النَّار»(١).

فيلحظ هنا أن سعداً -رضي الله عنه- خاطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشأن الرجل، وراجعه مراراً لما يعلم من شأنه، فناقشه -صلى الله عليه وسلم- ووضح له مقياس العطاء والمنع، وأنه ليس بحسب الفضائل؛ لتطمئن النفوس وتأنس، ويزول عنها ما قد يحزنها ويغمها، فقد أرشده إلى جانبين، الأول: الحكمة من إعطاء أولئك، ومنع الرجل، والآخر التنبيه إلى التوقف عن الثناء عن الأمر الباطن، وما لا يعلمه إلا الله تعالى، دون الثناء بما هو ظاهر(٢).

وفي هذا قال النووي -رحمه الله-: " معنى هذا الحديث؛ أن سعداً رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعطي ناساً، ويترك من هو أفضل منهم في الدين، وظن أن العطاء يكون بحسب الفضائل في الدين...، إلى أن أعلمه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن العطاء ليس هو على حسب الفضائل في الدين...، وأترك أقواماً هم أحب إلي من الذين أعطيتهم، ولا أتركهم احتقارا لهم، ولا لنقص دينهم، ولا إهمالاً لجانبهم، بل أكلهم إلى ما جعل الله في قلوبهم من النور، والإيمان التام، وأثق بأنهم لا يتزلزل إيمانهم لكماله، وقد ثبت هذا المعنى في صحيح البخاري عن عمرو

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١/١٤ رقم ٢٧، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه ١/١٣٢ رقم ١٥٠.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال ١/٨١، والتوضيح، ابن الملقن ٢/٦٤٧، وعمدة القاري، العيني ١/١٩٥، وإرشاد الساري، القسطلاني ١/١١٢.

بن تغلب"(١) وهو ما سبق الحديث عنه في الفقرة السابقة "رابعاً".

والخلاصة أنه بمثل هذا التواصل والتخاطب، وما فيه من نقاش صادق بنّاء، وإيضاح، وتقبل، وإعذار، واستجابة واعية مدركة لأمر الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، من شأنه الإسهام في طمأنة النفوس، وزيادة تآلفها، وغلبة السكينة، والألفة والمودة عليها.

وأختم هذا المبحث، وبه ختام البحث، بما يؤكد أهمية التحرز، والتباعد عن مواقف الريب والالتباس، وكل ما من شأنه تشويش الخطاب وإرباكه، وإضعاف عُرى التواصل مع المدعوين، وما قد يُوقع في الوهم واللبس، وسوء الظن، وتزداد تلك الأهمية، وتتأكد في حق العلماء، والدعاة والمربين؛ لما قد يسببه ذلك من إضعاف أو إبطال الثقة بهم، والانتفاع بما لديهم من علم ومعرفة.

ومما يشير إلى ذلك في سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ويؤكد – مع الإيمان بعصمته وتزكيته من ربه عز وجل – كمال شفقته ورحمته، وحرصه -صلى الله عليه وسلم- على تعليم أمته ما ينفعها، ويمنح الدعاة والمربين، وغيرهم القدوة والأسوة الحسنة؛ ذلك الموقف الجميل، والتواصل الرائع: عندما كان -صلى الله عليه وسلم- مع إحدى زوجاته ليلاً، فمر بهما رجلان، فأسرعا الخطى، حياء وأدباً، فطلب -صلى الله عليه وسلم- منهما التمهل والتريث، لمخاطبتهما والتواصل معهما، وإيضاح الموقف لهما بأن الذي معه إنما هي زوجه-رضى الله عنها-.

فقد ورد أن صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- "جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِدِ، فِي العَشْرِ الغَوَابر(٢) مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنَ العِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ(٣) فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٨/٧ – ١٤٩، وانظر الكواكب الدراري، الكرماني ١٣١/١.

(٢) جمع غابر، والمعنى: البواقي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٣٧/٣، وتفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي ١٨٣.

(٣) أي تنصرف وتردّ إلى مترلها. انظر: التوضيح، ابن الملقن ٦٥٠/١٣، وعمدة القاري، العيني ١٥١/١١.

-صلى الله عليه وسلم- يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِد، الَّذي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ بهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «عَلَى رِسْلِكُمَا(١) إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» قَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّه، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا»(٢) .

وجاء في رواية أن الرجل قال: "يَا رَسُولَ الله مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ به، فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»(٣).

فهنا بُيّن المسوغ الذي دعي إلى تعريفهما بالواقع؛ وهو الاحتراس والخوف عليهما مما قد يكون، وفي هذا الصدد قال ابن هبيرة رحمه الله معلقاً على هذا الموقف: " في هذا الحديث دليل على أنه يجب على كل مسلم أن يتباعد عن مواقف الريب، وأن لا يقنع ببراءة نفسه عند نفسه، حتى يكون دليله على ذلك برهانًا واضحًا، ينوب عن مقاله، ولا يحوجه إلى بسط عذره، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يظن به الشر مسلم، إلا أنه -صلى الله عليه وسلم- أراد بذلك أن يسلم ذلك الشخص الناظر، من أن يعرض له الشيطان في تخييل ما لم يكن، وأن

---

(١) أي اثبتًا وَلَا تَعْجَلَا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/٢٢٣

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ٨/٤٨ رقم ٦٢١٩، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ٤/١٧١٢ رقم ٢١٧٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة...، ٤/١٧١٢ رقم ٢١٧٤، "أكثر الروايات أهما اثنان، ويحتمل أن هذا كان مرتين، أو أنه -صلى الله عليه وسلم- أقبل على أحدهما بالقول بحضرة الآخر، فيصح على هذا نسبة القصة إليهما جميعاً وأفراداً" التوضيح، ابن الملقن ١٣/٦٥٠.

يقتدي به كل مؤمن إلى يوم القيامة"(١).

وقال النووي -رحمه الله-: "وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى، أن يبيّن حاله؛ ليدفع ظن السوء"(٢).

وأختم بما ذكره ابن دقيق العيد -رحمه الله- في تعزيز، وتأكيد هذه الجوانب حين قال أثناء تعليقه على الحديث: " وفيه دليل على التحرز مما يَقَعُ فِي الْوَهْمِ نسْبَتُهُ الإنسان إليه، مما لا ينبغي...، ولكن النبي -صلى الله عليه وسلم- أراد تعليم أمته، وهذا متأكد في حق العلماء، ومن يقتدي بهم، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب ظن السوء بهم، وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك تسبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم"(٣).

وفي هذا إشارة إلى أنه ليس لأحد بعد النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- الاغترار بمترلته ومكانته عند الناس، بعدم مراعاته وتوقيه ما قد يضعف الثقة به أو يفقدها(٤) ويتأكد ذلك في حق العلماء والدعاة والمربين؛ لتتم الاستفادة المرجوة منهم، ومما لديهم من علوم ومعارف، وليكونوا قدوة خير، ومحل ثقة، ومنار هدى وإرشاد وتآلف للناس.

---

(١) الإفصاح ، ابن هبيرة ٥/ ٣٧٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤/ ١٥٦ – ١٥٧، وانظر إكمال المعلم، القاضي عياض ٦٤/٧، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن ٦٥٢/١٣، وعمدة القاري، العيني ١٥٢/١١.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ٤٥/٢، ط: د (مطبعة السنة المحمدية، ت: د) وانظر إرشاد الساري، القسطلاني ٤٤٣/٣.

(٤) انظر: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي ١٧٩ – ١٨١، والدين المعاملة، السقار ٢٢١.

الخاتمة

من خلال هذا البحث: استراتيجيات الخطاب، والتواصل مع المدعوين، الاستراتيجية التضامنية أنموذجاً، تبيّن بأن حرص الداعية – وغيره من العاملين في ميادين التربية والتعليم – وقيامه بانتقاء الاستراتيجية الأكثر مناسبة لتواصله، واعتنائه بخطابه، ومواقفه المتنوعة مع المدعوين؛ من شأنه أن يُعينه على الارتقاء بأداء مهمته بالصورة المرجوة، ومن ذلك اختياره للاستراتيجية التضامنية في جل مواقفه، وتهيئة خطابه، وطريقة تواصله على ضوئها، وعدم الاقتصار على التوجيه، والأمر والنهي فحسب مع أهميته، بل يحرص فيها على القرب من المدعو وتقريبه، والاستعمال المتزن لعبارات التلطف والثناء الصادق، وما يشير إلى التعاون والتضامن ونحو ذلك، والسعي لتعزيز هذه العلاقة، واحترامها، بل والمحافظة عليها، وتنقيتها مما قد يشوبها ويُضعفها.

كما تمت الإشارة إلى أن الاعتناء باستخدام الاستراتيجية التضامنية في الخطاب والتواصل مع المدعوين؛ لا يتعارض مع استعمال غيرها، ولا مع الصرامة والحزم، والقوة المشروعة في مواطنها المحددة، وطرقها المعتبرة شرعاً.

وقد ورد في ثنايا هذا البحث استعراض، واستخلاص مواقف، ونماذج حافلة، مع محاولة تحليلها وربطها في سياقات حياتية متنوعة، وإبراز ما تحويه من مهارات التواصل الايجابي الفعّال، والقيم الأخلاقية الراقية، والتي تجلت في خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وتواصله مع الناس؛ حيث كان -صلى الله عليه وسلم- في كثير من المواقف والأحداث، يتواصل مع الناس بما يسرهم ويُبهجهم، ويحفظ مكانتهم، ويُشعرهم بالارتياح، فيزداد حبهم وتوقيرهم، واتباعهم لما جاء به -صلى الله عليه وسلم- واهتمامهم لما أهمه، فتارة يخاطب بالأسماء والكنى، وبالثناء والإعجاب، وتارة بألفاظ الإكرام والملاطفة، والانبساط والمزاح المباح، وأخرى بالهدوء والحنو، وتطييب نفس المخاطب وتقريبه، وروعة الإفهام والتعليم، وتارة بجميع ذلك،

وبغيره. حتى أنه في مواقف يهم أصحابه الكرام-رضى الله عنهم-، بالتأنيب والإنكار، حرصاً على ما يرونه مخالفاً لما عهدوه وتعلموه، فيأتي خطابه، وطريقة تواصله -صلى الله عليه وسلم- بما يُعالج تلك المواقف والأحداث بأحسن أسلوب وأرقاه.

ولعل في هذا ما يؤكد أهمية التأسي، والاقتداء، والسعي الجاد لمحاولة تحقيق خطاب وتواصل بنّاء؛ يُرجى أن يكون مؤداه المساهمة في تكوين صور ذهنية ناصعة؛ وتأثير إيجابي على المدعوين، ونشر للطمأنينة، وحسن الخلق، والتآلف بين الناس، وتعزيز جوانب الاحترام والتقدير، وتعاضد المجتمع، وتكاتفه على البر والخير.

وأخيراً مما يوصى به في هذا البحث ما يلي:

- أن يبذل العلماء والدعاة المزيد من الجهد؛ لإبراز ما تحويه السيرة النبوية العطرة من مظاهر التقدير، والتأثير، والرقي في مجالات الخطاب والتواصل، ومعرفة مقومات النجاح التي صاحبت تلك الدعوة المباركة.

- إجراء دراسات ميدانية عن استراتيجيات الخطاب والتواصل عموماً، في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وبما لدى المجتمعات والثقافات الأخرى، ومقارنة تطبيقاتها بما حصل في العهد النبوي.

- إجراء دراسات تقييمية على عينة من الدعاة والوعاظ والمربين؛ لمحاولة رصد طبيعة الاستراتيجيات المستخدمة في خطاباتهم وتواصلهم، ومدى ملائمتها، ونصيب الاستراتيجية التضامنية منها.

- إعداد وتصميم برامج تدريبية تُعنى بالخطاب والتواصل مع المدعوين، تسهم في حسن استخدام الاستراتيجية التضامنية، لتحقيق مزيد من الرقي بمستوى الأداء والانتاجية في ميادين الدعوة والتربية والتعليم خاصة.

- كذلك يوصى بعقد برامج ودورات تدريبية للمدعوين على اختلاف أصنافهم وقدراتهم وثقافاتهم؛ للإسهام في محاولة تعزيز قيم التخاطب والتواصل، والتخلق، وتحويلها لواقع معاش.

فهرس المصادر والمراجع

١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ط: د (مطبعة السنة المحمدية، ت: د).

٢. أساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

٣. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

٤. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ. م. د إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل (المجلد ٨، الإصدار ١٥/٢، الصفحات ٥٣٢ – ٥٦٣، السنة ٢٠١٤م).

٥. استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (الجزائر، العام الجامعي ٢٠١١/٢٠١٢م).

٦. استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبدالرحمن العيدان وراشد الدويش، مجلة جامعة أم القرى (السنة الحادية عشر، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ).

٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: علي معوض وزميله، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٨. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع العاصر، أ. د. عبدالرحيم المغذوي، ط: ٢ (الرياض، دار الحضارة، ١٤٣١هـ).

٩. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ط: ٩ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

١٠. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠ هـ) تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ط: د (دار الوطن، ١٤١٧هـ).

١١. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط: ١ (مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ)

١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد المرعشلي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

١٣. بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة (ت ٦٩٩هـ) ط: ١ (مصر، مطبعة الصدق الخيرية، ١٣٤٨هـ).

١٤. التحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) تحقيق: محمد صبحي، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٣هـ).

١٥. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط: د (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ).

١٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) ط: د (بيروت، دار الكتب العلمية، ت: د).

١٧. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (ت ٧٤١هـ) تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط: ١ (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).

١٨. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز المبارك (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: د. عبدالعزيز آل حمد، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٣هـ).

١٩. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ) تحقيق: د. زبيدة محمد، ط: ١، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ).

٢٠. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، السيوطي (٩١١هـ) د. ط (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ).
٢١. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١ (دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ).
٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وزميله، ط: ٢ (القاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ).
٢٥. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، السندي (ت ١١٣٨هـ) ط: د (بيروت، دار الجيل، بيروت، ت: د).
٢٦. حاشية السندي على سنن النسائي، السندي (ت ١١٣٨هـ) ط: ٢ (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ).
٢٧. الحوار في السيرة النبوية، د. السيد علي خضر، ط: (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).
٢٨. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ) اعتنى به: خليل شيحا، ط: ٤ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ).
٢٩. الدين المعاملة، منقذ السقار (رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة: ٢٤، العدد: ٢٣٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٣٠. الرحمة في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أ. د. راغب السرجاني، ط: ٢ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله

عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).
٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ط: ١ (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).
٣٢. سنن أبي داود، أبوداود (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، ط: ١ (دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).
٣٣. سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط: ٢ (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ)
٣٤. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي، ط: ٧ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ).
٣٥. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ط: ٨ (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ).
٣٦. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني، ط: ١ (مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ).
٣٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أ. د. أحمد غلوش، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).
٣٨. شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ط: ٦ (مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ).
٣٩. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ط: ١ (دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).
٤٠. شرح السنة، البغوي (ت ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، ط: ٢ (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
٤١. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) الطيبي (ت ٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط: ١ (مكة المكرمة –

الرياض، مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).
٤٢. شرح سنن أبي داود، العيني (ت ٨٥٥هـ) تحقيق: خالد المصري، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ).
٤٣. شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي الولوي، ط: ١ (دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ).
٤٤. شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: ٢ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ)
٤٥. شرح صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، النووي (ت ٦٧٦هـ) ط: ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
٤٦. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) تحقيق: د. حسين العمري وآخرين، ط: ١ (بيروت، دار الفكر المعاصر - دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).
٤٧. صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير الناصر، ط: ١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٤٨. صحيح سنن أبي داود، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ط: ١ (الكويت، مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ).
٤٩. صحيح مسلم، مسلم (ت ٢٦١هـ) تحقيق: محمد عبدالباقي، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د).
٥٠. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه (ت ١٣٥٣هـ) تصحيح: محمود شاكر، ط: ١ (بيروت، دار التراث العربي، ١٤٢٥هـ).
٥١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (ت ٨٥٥ هـ) ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د)
٥٢. غريب الحديث، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ط: د

(دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ).
٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) رقمه: محمد عبدالباقي، صححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، ط: د (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
٥٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) تحقيق: محمد عبدالمقصود وآخرون، ط: ١ (المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ).
٥٥. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، د. عبدالمحسن العباد، ط: ١ (الدمام، دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).
٥٦. الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) عني به: أحمد المحمد وآخرون، ط: ١ (جدة، دار المنهاج، ١٤٢٨هـ).
٥٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ) ط: ١ (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
٥٨. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، أ. د. عبدالوهاب أبو سليمان، ط: ٦ (دار الشروق، ١٤١٦هـ).
٥٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: د (بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: د).
٦٠. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) ط: ٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ).
٦١. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) ط: ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ).
٦٢. لسان العرب، ابن منظور(ت ٧١١ه)ط: ٣ (بيروت، دار صادر،

١٤١٤هـ).

٦٣. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، ط: ١ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).

٦٤. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبدالحميد محمد بن باديس الصنهاجي (١٣٥٩هـ) ط: ١ (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ).

٦٥. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح البخاري، محمد بن عمر السفيري (ت ٩٥٦هـ) تحقيق: أحمد فتحي، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ).

٦٦. محاسن التأويل، القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٦٧. مختار الصحاح، الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف محمد، ط: ٥ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠ه).

٦٨. المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية - أ. د. عبدالله الوليعي، ط: ١ (توزيع مكتبة جرير، ١٤٣٣هـ).

٦٩. المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٣٤هـ).

٧٠. مدخل إلى علم لغة النص، "فولنجانج هانيه"، ترجمة وتعليق: أ.د. سعيد البحيري، ط: ١ (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م).

٧١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيدالله المباركفوري (ت ١٤١٤هـ) ط: ٣ (الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ).

٧٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي (ت

١٠١٤هـ) ط: ١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ).
٧٣. مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم قريبي، ط: ١ (المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٢هـ).
٧٤. المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) تعليق محمد وعائشة السليماني، ط: ١ (دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ).
٧٥. مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
٧٦. مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ. د. زيد العيص، ط: ٣ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).
٧٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (ت ٥١٠هـ) تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٧٨. معالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ط: ١ (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ).
٧٩. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار، ط: ١ (القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).
٨٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط: ١ (عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).
٨١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط: د (القاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ت: د).
٨٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبدالسلام هارون، ط: د (دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

٨٣. مفاتيح الغيب، الرازي (ت ٦٠٦هـ) ط: ٣ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٨٤. مفتاح العلوم، السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط: ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).
٨٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم، راجعه: عبدالقادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير عيون، ط: د (دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف، مكتبة المؤيد، ١٤١٠هـ).
٨٦. مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، د. أحمد الرفاعي، ط: ٦ (الأردن، دار وائل، ٢٠٠٩).
٨٧. المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) ط: ١ (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ).
٨٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، ط: د (بيروت، المكتبة العلمية - ١٣٩٩هـ.

البحث رقم (٦)

المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها

دراسة ميدانية تقويمية لآراء جمهور مجلة الدعوة السعودية نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها

إعداد

د. عبدالله بن محمد بن عبد العزيز السبيعي

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

توطئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (1)﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (2).﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (3)(4).

المقدمة المنهجية:

تتناول هذه الدراسة المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهـــدافها، دراسة ميدانية تقويمية لآراء جمهور المجلة نحو تحقيق أهدافها، والحكم عليها، وتقوم على النحو الآتي:

---

(١) سورة آل عمران، الآية:(١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية:(١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠-٧١).

(٤) تسمى هذه الخطبة خطبة الحاجة، انظر في تسميتها بذلك: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ، بدون ذكر رقم الطبعة(الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩هـــ) حـديث رقـم ٤١١٥-٤١١٦،ص ٣٨٤وللاستزادة انظر: خطبة الحاجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألبـــاني، ط٤، (دمشق، المكتب الإسلامي ،١٤٠٠هـــ) ص ١٠ وما بعدها، وقال عن رواية إســـرائيل-أحد رواة الحديث-: وصلها أحمد رقم ٤١١٦ وأبو داود والبيهقي عـــن وكيـــع، ولم يتفـــرد إسرائيل به، بل تابعه شعبة عند أحمد والطحاوي والبيهقي، فدل ذلك على صحة الإسناد عـــن ابن مسعود... وأما هذه الرواية التي فيها إسرائيل- فصحيح على شرط مسلم، ص١٤.

أولاً: مدخل الدراسة:

هناك جدلية قديمة حول دور وسائل الإعلام في المجتمع، وتتمحور هذه الجدلية حول سؤال هام: هل دور وسائل الإعلام يتمثل في النهوض بمستوى الجمهور فكراً وسلوكاً وثقافة؟ أم أن دورها تلبية رغبات هذا الجمهور بغض النظر عن ذلك؟!. وإنه لمن المنصف أن نقول: إن مجلة الدعوة بالمملكة العربية السعودية تضع نصب أعينها غايات جليلة وأهداف كبرى ترمي إلى تحقيقها والوصول إليها وهذه الأهداف تتسق تماماً مع العقيدة الإسلامية الصافية المشرقة المضيئة، وتجتهد هذه المجلة للنهوض بقرائها إلى آفاق رحبة ومعارج عُليا نابعة من الثقافة الإسلامية الأصيلة، ومستمدة من قيم الإسلام ومثله ومبادئه السامية، وفي نفس الوقت تبذل هذه المجلة أقصى الجهد في سبيل تلبية رغبات الجمهور بما لا يؤثر على دورها الرائد آنف الذكر في النهوض بالمجتمع إلى القيم الإسلامية الرفيعة، ومن أجل ذلك، وحتى تتحقق هذه المعادلة الدقيقة، تأتي دراسة المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها دراسة تحليلية تقويمية ومعرفة المثالب والعيوب والاجتهاد(وسع الطاقة والإمكان) للقضاء عليها، كما قام الباحث بعمل هذه الدراسة لتجمع بين المعلومات النظرية والتحليلية مساهمةً منه في تطوير أداء مجلة الدعوة، ورغبة في معرفة نقاط القوة والضعف.

ثانيا: أهمية الدراسة:

مجلة الدعوة من الوسائل الإعلامية الدعوية وهي وليدة أحداث وملابسات تحيط بالمجتمع الذي نشأت فيه من جوانب شتى، وتوجه لكافة شرائح المجتمع، ولا تقتصر قراءها على أشخاص بعينهم من المثقفين والمهتمين بالمجال الدعوي، وقد رسمت لنفسها عند تأسيسها أهدافاً عدة، وأصبحت هذه المجلة تسهم مع زميلاتها الأخرى في خدمة الدعوة، ولذلك حرص الباحث بهذه المجلة، ورأى ضرورة إخضاع أهدافها التي رسمتها لنفسها للدراسة والبحث العلمي باعتبار أن في تجلية

هذه الأهداف والوقوف على آراء القراء لتوضيح آرائهم، فائدة علمية للمجلة وللمحررين بها ولقرائها، وبالتالي يمكن للباحث من خلال نتائج الدراسة وتقويم تلك الأهداف والإفادة من آراء قرائها في تقويمها.

ثالثاً: أسباب الاختيار:

وقع اختيار الباحث على هذا المجلة واختار لبحثها العنوان: المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية، تقويمية، لراء جمهور مجلة الدعوة السعودية، نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها، لأسباب متعددة لعلها من أبرز الأسباب التي تجعل بعض الباحثين يهتمون بمثل هذه الدراسة، وأبرز هذه الأسباب ما يلي:

١- أن هذه المجلة لها أهمية كبرى في خدمة الدعوة الإسلامية، وذلك أنها تعالج موضوعات تتعلق بالعقيدة والعلوم الشرعية، وتقوم بالدفاع عن السنة وأهلها مما يضادها، والذب عن حياض الدين الحنيف.

٢- أنه لم يسبق – حسب علم الباحث- أن درست أهداف المجلة ومعرفة منهجها الدعوي دراسة علميةً.

٣- صقل مواهب الباحثين في هذا المضمار، علاوة على الممارسة الفعلية لعملية الدراسة التحليلية التقويمية.

٤- ندرة الدراسات الدعوية التي تعنى بدراسة وتقويم المجلات الدعوية، وموقفها تجاه القضايا الدعوية، وأهمية تلك القضايا المطروحة في تلك المجلات من خلال الضوابط المنصوص عليها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

٥- إنه في تجلية منهج المجلة الدعوي وأهدافها ما يوضح توجهات هذه المجلة ومواقفها تجاه تلك القضايا المتعلقة بأهدافها.

٦- مكانة هذه المجلة في الأوساط العلمية وسرعة انتشارها وتوزيعها.

٧- المتغيرات الجديدة وبخاصة الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين وما تفرزه من أحداث تؤثر على مسيرة الدعوة.

رابعاً: أهداف الدراسة:

تعطي مجلة الدعوة الصادرة بالمملكة العربية السعودية اهتماماً بالغاً بمعالجة القضايا الدعوية، ذلك أن في معالجة تلك القضايا دور مهم في العملية الدعوية؛ حيث تساعد الدعاة والمدعوين في حل بعض قضاياهم، وذلك من خلال رسمها لأهداف دعوية تناسب توجه المجلة بما تقدمه من حلول وفهم للأحداث والمستجدات على الساحة الإسلامية وغيرها، لذا تسعى هذه الدراسة إلى قياس مدى اتساق ما تنشره المجلة من موضوعات ومعالجات مع ما تتبناه من أهداف من خلال قياس اتجاهات القراء والخبراء والدعاة، وتقويم معالجاتها الإعلامية وعلاقة ذلك باحتياجات ودوافع قرائها من خلال قياس مدى تحقيق المجلة لأهدافها الدعوية في الأمور الآتية:

١- الوقوف على ما تقوم به مجلة الدعوة من علاج للقضايا الدعوية المتعلقة بالدعاة والمدعوين سواء كانوا جماعة أم أفراداً فيما يخص موضوعاتها وهل حققت مع أهدافها الدعوية.

٢- الوقوف على ما تقدمه المجلة من علاج القضايا الدعوية المتعلقة بموضوعات أهداف المجلة ومدى تحقيقها لأهدافها الدعوية.

٣- إبراز دور المجلة كوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى، والوقوف على ما تؤديه هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى.

٤- معرفة أوجه الضعف والقوة في أداء المجلة عند معالجتها للقضايا الدعوية.

٥- الاستفادة من منهج المجلة، وأهم موضوعات الأهداف الدعوية التي تناولتها.

خامساً: تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن عدد من التساؤلات من خلال الإطار النظري والإطار التطبيقي: الإطار النظري: تساؤلات خاصة بالجوانب المعرفية للمجلة وتشتمل:

١ – ما مفهوم المنهج، وما ضوابطه، ومجالاته؟.

٢ – ما أهداف الصحافة ووظائفها ؟.

٣ – ما أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها ؟.

٤ – ما مفهوم المجلة؟.

٥ – متى أنشئت مجلة الدعوة السعودية؟.

٦ – ما أهدافه مجلة الدعوة السعودية؟.

٧ – ما دوافع إصدار مجلة الدعوة السعودية؟.

٨ – ما الجهود الدعوية التي تبذلها مجلة الدعوة السعودية ؟.

٩ – ما دور الدعاة في عملية معالجة القضايا المستجدة؟.

الإطار التطبيقي: (الدراسة الميدانية):

تساؤلات خاصة بالتقويم:

١– ما أهمية دراسة أهداف مجلة الدعوة السعودية ؟.

٢– هل حققت مجلة الدعوة السعودية أهدافها الدعوية أم لا ؟.

٣– ما مدى التزام مجلة الدعوة السعودية بأهدافها الدعوية عند رسمها لأهدافها الدعوية؟

٤– هل هناك أوجه ضعف وأوجه قوة في أداء المجلة في جوانب معينة أم لا؟

سادساً: الدراسات السابقة:

تعتبر هذه الدراسة التي تتناول منهج مجلة الدعوة السعودية، في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية تقويمية دعوية لآراء جمهور المجلة نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها، جديدة من حيث موضوعها، وهذا ما تبين للباحث من خلال استطلاع ومسح قوائم الرسائل الجامعية في عدد من المراكز البحثية والجامعات السعودية، واتضح أن ذلك الموضوع لم يخضع للدراسة حسب علم الباحث.

اطلعت مؤخرا بعد اكتمال الدراسة على البحث التكميلي للباحث سلطان بن

حماد الحماد بعنوان: المضامين الدعوية في مجلة الدعوة، دراسة تحليلية لعينة من الأعداد خلا المدة من ١٤٣٢/١/١هـ إلى ١٤٣٢/١٢/٣٠ه وهو عبارة عن بحث مقدم لاستكمال متطلب الحصول على درجة الماجستير في الدعوة، ويمكن للباحث ذكر فصول دراستها فقط وتشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول إضافة إلى الخاتمة والفهارس، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: التمهيدي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ومراحل تطورها وملامحها الدعوية.

المبحث الثاني: نشأة مجلة الدعوة السعودية وتطورها وفيه مطلبان.

الفصل الأول :المضامين الدعوية المتعلقة بصفات الداعية ويشتمل على تسعة مباحث.

المبحث الأول: الإخلاص.

المبحث الثاني :العبادة وقوة الصلة بالله.

المبحث الثالث :الحرص على هداية الناس.

المبحث الرابع: الرفق.

المبحث الخامس: الصدق.

المبحث السادس :العفو.

المبحث السابع: الغيرة.

المبحث الثامن :التواضع.

المبحث التاسع :الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثاني :المضامين الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين.

ويشتمل على أربعة مباحث.المبحث الأول:عامة المسلمين وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني :المنافقون.

المبحث الثالث :أهل الكتاب اليهود والنصارى.

المبحث الرابع :المشركون وفيه مطلبان.

الفصل الثالث :المضامين الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة.

وفيها ثلاثة مباحث.

المبحث الأول :موضوعات الدعوة العقدية وفيه اثنا عشر مطالباً.

المبحث الثاني :موضوعات الدعوية الشرعية وفيه تسعة مطالب.

المبحث الثالث :الموضوعات الدعوية الأخلاقية وفيه خمسة مطالب.

الفصل الرابع :المضامين الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة ووسائلها في مجلة الدعوة وفيه مبحثان:

المبحث الأول :المضامين الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة وفيه ستة مطالب.

المبحث الثاني: المضامين الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة بمجلة الدعوة وفيه أربعة عشر مطلباً.

الخاتمة -.الفهارس.

والباحث هنا لم يشر إلى أي دراسة تتحدث عن الصحافة بوجه عام، و كذلك دراسته ليس لها علاقة بموضوع هذه الدراسة، إذ إن هذه الدراسة دراسة ميدانية مخصصة لاستطلاع آراء جمهور قراء المجلة حول تحقيق المجلة لأهدافها. وقد بين مجتمع دراسته، بقوله: "وقد تكون مجتمع الدراسة من ٥٢ عدداً من أعداد مجلة الدعوة التي صدرت عام ١٤٣٢هـ من الهجرة النبوية الشريفة (١).

كما أن من أهداف دراسته - وفقه الله تعالى-

١ -التعرف على نشأة مجلة الدعوة السعودية وتطورها وأهم أنشطتها.

(١) المضامين الدعوية في مجلة الدعوة، دراسة تحليلية لعينة من الأعداد خلا المدة من ١٤٣٢/١/١ه إلى ١٤٣٢/١٢/٣٠ه بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدعوة للباحث سلطان بن حماد الحماد، عام ١٤٣٥/١٤٣٦ه ص٧.

٢ -بيان المضامين المتعلقة بالداعية.

٣ -إبراز المضامين المتعلقة بالمدعو.

٤-الوقوف على المضامين المتعلقة بموضوع الدعوة.

٥ -إيضاح المضامين المتعلقة بأساليب الدعوة و وسائلها.

وقد بين – وفقه الله تعالى- أن اهتمامه بالمضامين فقط أثناء عرضه لاختلاف دراسته عن الدراسات السابقة، وأن هذه الدراسة ستكون -بإذن الله -لبنة من لبنات البحث العلمي؛ وذلك لأهمية عرض المضامين الدعوية عبر وسائل الإعلام عامة ومجلة الدعوة خاصة، ولما ستمثله هذه الدراسة من تكامل في مجال حقل الدعوة إلى الله مع وسائل الإعلام المختلفة، وإيصال الأفكار الدعوية البناءة الهادفة إلى مختلف شرائح المجتمع.بينما دراستي هذه لم تتطرق إلى المضامين الدعوية، وكانت دراسة استطلاع رأي حول تحقيق المجلة لأهدافها التي رسمتها لنفسها عند تأسيسها.

سابعاً: تحديد المشكلة البحثية وصياغتها:

قام الباحث بمجهود علمي للتعرف على مكونات موضوع الدراسة وتصور أبعاده، والوقوف على عدد من القضايا والمؤشرات التي كشفت من خلالها المشكلة البحثية وصياغتها؛ حيث تعطي مجلة الدعوة الصادرة بالمملكة العربية السعودية اهتماماً بالغاً بمعالجة القضايا الدعوية، ذلك أن في معالجة تلك القضايا دوراً مهاً في العملية الدعوية؛ حيث تساعد الدعاة والمدعوين في حل بعض قضاياهم، وذلك من خلال رسمها لأهداف دعوية تناسب توجه المجلة بما تقدمه من حلول وفهم للأحداث والمستجدات على الساحة الإسلامية وغيرها، وتتحدد المشكلة البحثية في هذا الدراسة من خلال استنباط المنهج الدعوي المبني على تحقيقها لأهدافها من خلال الأمور الآتية:

١.تحديد المفاهيم الأساسية لمكونات عنوان الدراسة، وأيضا التعرف على

تاريخ تأسيس المجلة وأهدافها، ومراحل تطورها، ووظائفها؛ بما يتيح للباحث وضع تصور شامل للمجلة.

٢.تقويم مدى تحقيق المجلة لأهدافها، من أجل الوصول بها إلى أن تكون أكثر عطاءً، وأن تكون آراؤها بناءة؛ حيث إنها وسيلة دعوية مهمة، تعالج القضايا الدعوية التي تهم المجتمع المسلم وغيره في إطار المسلمات والقيم النابعة من الشرع الحكيم وقيمه المثلى والمصالح المعتبرة.

ويمكن للباحث في ضوء ذلك أن يثير سؤالين مهمين للغاية :

السؤال الأول: هل حققت مجلة الدعوة السعودية أهدافها أم لا ؟

وللبحث عن إجابة علمية على هذا السؤال نجد أن أهداف المجلات تتمتع بالثبات والتشابه عبر مراحلها التاريخية؛ حيث كشفت المتابعة التاريخية لنشأة المجلات وتطورها عن ارتباطها بمجموعة من الأهداف، وهذا المعنى هو الذي جعل المجلات في العالم الإسلامي تحرص على ربط مادتها التحريرية بأهداف المجتمع الإسلامي الذي تصدر فيه وقيمه ومثله العليا حسب مقتضيات سياستها التحريرية(١).

وفي ضوء ذلك فإن الباحث يطرح الفرض البحثي التالي للإجابة على السؤال الأول: فرض البحث: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق أهدفها الدعوية:

السؤال الثاني: هل هناك أوجه ضعف في أداء المجلة في جوانب معينة أم لا؟

إن وظائف المجلة تنمو وتزداد بتعدد المراحل التاريخية التي يمر بها المجتمع، حيث

(١) انظر: وظائف التبليغ القرآني، أعلام الإنسان بالشرائع والمنهج لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، د. إحسان عسكر ط١، (مصر، دار الاتحاد العربي،١٤٠٤هـ) .ص٩٨.وانظر: الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، مرعي مدكور، ط١، (القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧م) ،ص١٢.بتصرف

تضيف كل مرحلة جديدة وظائف جديدة للمجلة لتلبي احتياجات التطور، كذلك تختلف هذه الوظائف من مجتمع لآخر، وذلك باختلاف أنظمته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأيضا تختلف باختلاف التقدم الحضاري(١).

وسيتم الإجابة على السؤال الثاني من خلال الدراسة التقويمية لأهداف مجلة الدعوة السعودية.

ثامنا: نوع الدراسة ومنهج البحث وأدواته:

تدخل هذه الدراسة في إطار الدراسات الميدانية التقويمية الوصفية، وذلك باعتبار أن موضوع الدراسة يركز على وصف المنهج الدعوي المستمد من خلال تطبيق المجلة لأهدافها.

كما أن الباحث سيستخدم منهج الدراسات المسحية، الذي يعتبر جهدا علميا منظما للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة موضوع الدراسة(٢).

وقد شمل المسح الوثائقي والنظري والميداني والتحليلي، الجوانب الآتية:

ا. مسح الوثائق الرسمية عن المجلة، تاريخ نشأتها وأهدافها، ووظائفها.

ب. مسح التنظيمات الرسمية عن الصحف للتعرف على الضوابط والمحددات وغيرها.

ج. استطلاع عينة من القراء للتعرف على آرائهم تجاه أهداف المجلة.

فإن المنهج الأنسب هو منهج وصف الأهداف المرسومة للمجلة؛ حيث إنه أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي لمجلة الدعوة السعودية في مدى تحقيق أهدافها.

---

(١) انظر: مدخل إلى علم الصحافة، د. فاروق أبو زيد،ط٢(القاهرة، عالم الكتب،١٤١٨هـ) ص٥٥بتصرف.

(٢) انظر: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف،ط١(الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٩هـ) ص٢٠٦.

تاسعاً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة المنهجية.

أولاً: مدخل الدراسة.

ثانياً: أهمية الدراسة.

ثالثاً: أسباب اختيار الدراسة.

رابعاً: أهداف الدراسة.

خامساً: تساؤلات الدراسة.

سادساً: الدراسات السابقة:

سابعاً: تحديد المشكلة البحثية.

ثامنا: نوع الدراسة ومنهج البحث وأدواته:

تاسعاً: تقسيمات الدراسة.

الفصل الأول: الدراسة النظرية :

المبحث الأول: مفهوم المنهج وأهميته وعناية الإسلام به:

المطلب الأول: مفهوم المنهج.

المطلب الثاني: أهمية المنهج وعناية الإسلام به.

المبحث الثاني: أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها.

المطلب الأول: أهداف الصحافة الإسلامية.

المطلب الثاني: وظائف الصحافة الإسلامية.

المبحث الثالث: تاريخ نشأة مجلة الدعوة السعودية وأهدافها:

المطلب الأول: التعريف بالمجلة

المطلب الثاني: نشأتها وتطورها

المطلب الثالث: أهداف مجلة الدعوة السعودية.

المطلب الرابع: جهود مجلة الدعوة السعودية الدعوية

الفصل الثاني: الدراسة الميدانية :

التمهيد: المنهج المعتمد في الدراسة الميدانية.

أهداف الدراسة الميدانية.

أهداف الاستبيان.

فروض الدراسة الميدانية

الأساليب الإحصائية المستخدمة

خصائص عينة الدراسة.

تحليل أسئلة الدراسة.

المبحث الأولى: نتائج الدراسة الميدانية لأهداف مجلة الدعوة السعودية

المطلب الأول: العناية بالقضايا الدعوية.

المطلب الثاني: العناية بالبحوث الفقهية.

المطلب الثالث: العناية بالفتاوى الشرعية.

المطلب الرابع: العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

المطلب الخامس: الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

المطلب السادس: العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

المطلب السابع: العناية بالقضايا الاجتماعية.

المطلب الثامن: العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

المبحث الثاني: تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية

المبحث الثالث: تقويم دلالات نتائج الدراسة الميدانية.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

الفصل الأول

الدراسة النظرية

المبحث الأول

مفهوم المنهج وأهميته وعناية الإسلام به

الكتابة عن المناهج العلمية يستدعي تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يحتويها عنوان الدراسة، لأَنَّ الْحكْمَ علَى الشَّيءِ فَرعٌ عنْ تَصَوّرِهِ (١).

المطلب الأول

مفهوم المنهج

أولاً: المنهج: لغة: مأخوذ من مادة: **نهج**، ينهَج، نهجاً، ونهجاً. والنهج: الطريق البِّين الواضح.

ونهج لي الأمر أوضحه. وفلان نهج سبيل فلان سلك مسلكه، والجمع **نُهج** و **مناهج**(٢). وعلى هذا فالمنهج في اللغة يعني الطريق الواضح أو الخطة المرسومة للسير عليها.

المنهج في الاستعمال القرآني: وردت الإشارة إليه في موضوع واحد عند حديث القرآن عن الكتب السابقة وموقف القرآن منها، وموقف النبي -صلى الله عليه وسلم- من أهل الكتاب حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ

(١) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، ط٢، ١/٥٠، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، ١٤١٣هـ).

(٢) انظر: لسان العرب،٢/٣٨٣، والمصباح، المنير،ص٢٤٠، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٥٦٢، وانظر: التوقيف على مهمات التعريف،ص٦٨١.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (١).

يقول ابن عباس-رضى الله عنه-: "شرعة ومنهاجا: سبيلا وسنة"(٢) فالمنهاج السبيل أي الطريق الواضح والشرعة والشريعة بمعنى واحد(٣) وشرع: سن.

المنهج في بعض استعمالات السنة النبوية: جاء بمعنى الطريق الواضح الذي ينبغي السير عليه، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تبارك وتعالى إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"(٤) أي يسلك الخلفاء مسالك النبي -صلى الله عليه وسلم- وينهجون نهجه ويسيرون على طريقته.

في الاصطلاح: المنهج والمنهاج:

الطريق الواضح في تحصيل علم وتعليمه، وهو علم قائم بذاته يهتم بالتفكير بالدرجة الأولى، وبناء على ذلك كثرت تعاريفه عند المختصين من العلماء، ويمكن الوقوف على أبرز تلك التعاريف، على النحو الآتي: هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

(٢) صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي،ط٢(الرياض، دار السلام،١٤١٩هـ) ،باب الإيمان، وقول النبي ﷺ بنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمسٍ وهو قَولٌ وَفعْلٌ وَيَزِيدُ وَيَنْقص. حديث: ١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، ط٢ ،٦٤/١، (القاهرة، السلفية، ١٤٠٠هـ) .

(٤) مسند الإمام أحمد، حديث رقم:١٨٥٩٦.ص١٣٤١.

عملياته الفكرية حتى يصل إلى نتيجة معلومة [1].

وعرفه البعض بأنه" فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"[2]. وهذا يعني أن المناهج تختلف باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، مع الإيمان بوجود قاسم مشترك بين تلك المناهج المختلفة، وفي غالب الأمر، تتعاون مجموعة من المناهج لخدمة فن واحد معين [3].

مفهوم المنهج:

من خلال التعاريف السابقة يتضح أن المنهج في هذه الدراسة، هو: الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصوراته، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين.

منهج الدعوة:

اصطلح الدعاة في العصور المتأخرة على أن يطلقوا مناهج الدعوة على: الخطط العملية، والأصول والقواعد النظرية، الشرعية والعقلية، والمسالك الخلقية، المستعملة في نشر الدعوة الإسلامية [4].

المفهوم الاصطلاحي لمناهج الدعوة:

هي العمليات التي يسلكها الداعية لكي يصل إلى ما يهدف إليه تجاه المدعو على أساس علمي بعيد عن الارتجال.

---

(١) مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي،ط٣، (الكويت، وكالة المطبوعات،١٩٧٧م). ص٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤.

(٣) منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد موسى،(بيروت، دار الكتب اللبناني،١٩٨٢م) ص٢٧١ بتصرف.

(٤) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني،ط١(الرياض، دار اشبيليا،١٤١٧هـ) ١/٥٠.

العمليات التي يسلكها الداعية:

يراد بها جميع المناهج الدعوية التي تستدعي من الداعية دقة في انتقائها لتتفق مع ما يراد معالجته لدى المدعو، ومن هنا تكتسب خصوصياتها لكون كلٍّ منها يعالج وضعاً خاصاً، وحرصاً على المدعو وانطلاقاً من الإشفاق عليه ومحبة الخير له.

ثانيا: مكونات المنهج:

١- هي الخطط والنظم والأهداف والغايات، وبناء على ذلك فمناهج الدعوة، خططها وطرائقها.

وتندرج تحت مفهوم المناهج أساليب الدعوة ووسائلها وأهدافها.

إن معنى منهج الدعوة تلك الطرق والأساليب والوسائل والأسس والغايات التي تنخرط في سلك الدعوة وموضوعها، ومنها المتصل بكتاب الله عز وجل،وقد عرف البعض مناهج الدعوة:

٢- نظم الدعوة وخططها المرسومة لها فيقال: نظام العقيدة في الإسلام، ونظام العبادة، ونظام الاقتصاد ونظام السياسة. كما يقال تبليغ الإسلام ونظام تعليمه، ونظام تطبيقه.

ثالثا: استعمالات السلف:

لقد استعمل السلف-رضى الله عنهم- مصطلح السنة والسيرة، كما استعملوا مصطلح الشمائل وذلك فيما يتعلق بأقوال وأفعال وتقريرات وصفات رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أما كلمة منهج فلم ترد في استعمالاتهم، وإن رويت عن ابن عباس-رضى الله عنه- في تفسير منهاج في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١) حيث فسر المنهج بالسنة النبوية.

إن المنهج يستعمل أكثر في جملة من الطرق والمحددات المنهجية التي تستعمل

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

لإنتاج معرفي موحد لا يتغير ذلك الناتج مهما تغير الزمان أو المكان أو الإنسان الذي يستخدم ذلك المنهج.

وقد شاع مصطلح منهج ليعبر عن السنن والسير والشمائل، أو ليكون مفهوما عاما لها، مثل منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة أو في الحكم أو في القيادة أو في المعاملات.

المطلب الثاني

أهمية المنهج وعناية الإسلام به

ترجع أهمية المنهج إلى كونه الطريق المأمون في الوصول إلى العلم الصحيح،والإسلام له عنايته الخاصة لطلب العلم، فقد أمر الإسلام بالعلم وأثنى على العلماء، وذم الجهل والجاهلين كما طالب بالتثبث والتحقق في طلب العلم، وطالب بإقامة الدليل والبرهان على أية دعوى يدعيها الانسان، وكما يقول علماء البحث والمناظرة:" إذا كنت ناقلاً فالصحة،وإذا كنت مدعياً فالدليل.."ولما ادعى المشركون أن الملائكة بنات الله وحكموا عليهم بالأنوثة طالبهم الله عز وجل بالبرهان والدليل على ما يدعونه.وبيَّن أن هذا الأمر دليله المشاهدة والمعاينة، وهم لم يشاهدوا خلق الملائكة فكيف يحكمون عليهم بالأنوثة.

إنه حكم خاطئ وبنوا قولهم على التخمين والظن، وهذا أمر طريق إثباته يعتمد على المشاهدة والمعاينة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ (١).

ولذلك كانت عناية الإسلام بالمناهج كبيرةلأنها وسيلة التثبت والتحقق في طلب العلم، وبدون المنهج السليم في البحث يشرد الذهن وتتحكم فيه الأهواء ويضل الطريق. ولايعد الإنسان عالما مالم يسلك منهجاً علميا يحقق به معلوماته وموضوعاته. وقد طالبَ القرآنُ اليهودَ بتوثيق دعواهم حينما قالوا للرسول -صلى الله عليه وسلم- تدَّعي أنك على ملة إبراهيم ولكنك تخالف شريعته فأنت تأكل من لحوم الأبل وتشرب من ألبانها وإبراهيم قد حرمها على نفسه، فترل القرآن بتأنيب اليهود وبين أن دعواهم ينقصها التوثيق، فهي دعوى كاذبة لأنها قائمة على منهج خاطئ؛ لأنهم لم يشاهدوا إبراهيم ولم يعاصروه ولم يأتهم نص في التوراة يدل على

(١) سورة الزخرف، الآية:(١٩).

ذلك، فمن أين إذا استقوا دعواهم..؟.إن دعواهم تفقد المنهجية الصحيحة، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (١)

ومن هنا كانت عناية الإسلام بمنهج التوثيق للأخبار وعنايته بمنهج القياس والاعتبار في تفريع الأحكام ومنهج التجريب والمشاهدة في علوم الكون والحياة، وكانت فعلاً مسألة المناهج من الدين لأنها بمثابة الطريق الصحيح الموصل إلى العلم الصحيح (٢).

يقول عبد الله بن المبارك -رضى الله عنه-: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء"(٣) إذا لابد من معرفة المناهج وضوابطها الشرعية حتى نبني الفكر السليم والقويم، ولا بد من دراسة المنهجية العلمية في الفكر الإسلامي لأنها هي الكاشفة عن الطريق التي يسلكها العقل في بحثه عن الحقيقة(٤).

إن الداعية لا يباشر عملاً عادياً يستمر فيه على وتيرة واحدة وإنما يتعامل مع مدعو له أحوال متعددة وصفات مختلفة تستلزم منه جهداً، يتمثل في انتقائه للمناهج الدعوية ليأخذ بيد المدعوين ويسعى لخلاصه من هواه،والداعية متأسي في ذلك

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: (٩٣-٩٤).

(٢) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبد المنعم صابر، العدد١٨٣(من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٨هـ) ص١٨.

(٣) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري،ط٢، (الرياض، دار السلام، ١٤٢١هـ) ،،باب بيَان أنَّ الْإِسْنَادَ من الدّينِ وأنَّ الرّوَايَةَ لا تكُونُ إلا عن الثّقَاتِ وأنَّ جرْحَ الرُّواةِ بمَا هو فيهِمْ جَائزٌ بلْ وَاجبٌ .

(٤) المرجع السابق، ص١٨.

بالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(١).

إن تعدد أحوال المدعو واختلافها وتأثرها بالطبيعة النفسية والجسدية وبما فطر وجبل عليه، وتتأثر هذه الأحوال بالبيئة وبما فيها من عادات وتقاليد وبطبيعة الزمان والمكان، وبما لدى المدعو من رصيد ثقافي ومعرفي يقتضي أن يكون لكل من هذه الأحوال منهجاً دعوياً خاصاً يستطيع الداعية به التأثير في المدعو وتغيير حاله من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن.

(١) سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

المبحث الثاني

أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها

المطلب الأول

أهداف الصحافة الإسلامية

قبل الحديث عن أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها يحسن بالباحث الوقوف على تعريف الصحافة وبيان مفهومها، وأهدافها، وأهميتها، ويمكن بيان ذلك في فرعين:

الفرع الأول: مفهوم الصحافة الإسلامية وأهميتها:

التعريف بالصحافة: لغة:

مشتقة من مادة صحف، وقد اشتق منها لفظ صحيفة. وقد استعملت الصحيفة في معنى كل ما فيه خبر أو إعلان أو معلومات وغيرها(١).

والصحيفة:

إضمامة من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك، وجمعها صحف وصحائف (٢).

الصحافة اصطلاحاً: هي رواية الأخبار وعرضها بطريقة ما على القراء (٣).

أهمية الصحافة:

تعتبر الصحافة من أهم وسائل الاتصال والدعوة والتبليغ والتعارف والتعاون البشري، كما أنها من أقوى الوسائل تأثيرا في المجتمع ،لاسيما في عصرنا الحديث، حيث إنها ضرورة نفسية إنسانية، فهي بذات الوقت ضرورة اجتماعية، وبهذا فلا

---

(١) الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، ط١،(بيروت، الرسالة،١٤١٤هـ) ص٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص٥٠.

مفر للإنسان المسلم من استخدام هذه الوسيلة، بل واستخدامها في الميدان الدعوي، لتكون وسيلة ناجحة لتوصيل تعاليم هذا الدين إلى الناس في كل مكان. وبما أن الصحافة وسيلة توجيه وإرشاد تعمل على تكامل الشخصية الإنسانية بواسطة الخبر والمقال والتعليق والتحقيق، وغير ذلك من الثمرات التي تحملها الصحافة اليوم، فهذا أحد أهداف الرسالة الإسلامية(١).

الفرع الثاني: أهداف الصحافة الإسلامية:

تسعى الصحافة الدينية إلى تحقيق أهدافها وتسعى إلى إيصال رسالتها السامية إلى قرائها من خلال ما تقدمه من مواد نافعة، ومما لا شك إن من أهداف الصحافة بوجه عام - إعلام الناس بما يهمهم ويتصل بحياتهم العامة والخاصة.

أو بعبارة أخرى تلبية رغبات الناس في الإجابة على تساؤلاتهم بشأن ما يجري من أحداث داخلية أو خارجية تتصل بشؤون حياتهم المختلفة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ويمكن الإشارة سريعاً إلى أهم أهداف الصحافة الدينية في النقاط الآتية:

١.تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط، وخلق مجتمع متعارف، بما تقدمه من قضايا اجتماعية، ومن أنشطة إنسانية وخبرات فكرية أو سلوكية شريفة لأبطال الأحداث، والتقييم الصحيح للعلاقات والأعمال والعاملين بتكريم ما كرم الله ورسوله، ونبذ ما نبذ الله ورسوله وتولى من تولى الله ورسوله ومن أمرنا بتوليتهم، ومحادة من حاد الله ورسوله ومن أمرنا بمعاداتهم، فإن بهذا نؤثر في السلوك الاجتماعي لجماهير الصحافة والممارسة العملية التريهة في العلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

٢.محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.

٣.التصدي لأعداء الإسلام.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٥ .بتصرف يسير.

٤.تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.

٥.الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.

٦.تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً وتوضيحها وإرشاد الجمهور وتوجيهه وفق القيم والمبادئ الإسلامية.

٧.ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة(١).

٨.غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء(٢).

٩.نقد كل تصرف أو سلوك اجتماعي نقداً علمياً، دون أن يتعرض صاحب النقد للعقوبة أو للأذى أو للحرمان من حق هو له بمقتضى الشرع الإسلامي (٣).

١٠.التثقيف والتعليم: لقد وصلت الثقافة الفكرية في حدتها ورقيها حدا جعل من الابتكار العلمي والأدبي شيئا رائعا جداً، ولو بحثنا عن الصور التي تنطبع عليها بجلاء ظاهر.

١١.نشر وتأصيل الثقافة الإسلامية فكرا وسلوكا، ونشر المبادئ السامية والأخلاق الرفيعة، ومحاربة الثقافات المنافية لقيم وتعاليم ونظم الإسلام داخليا وخارجياً، فإنها الجامعة العملية التي تلقن طلابها من الرأي العام مختلف العلوم والمعارف.

١٢.هدف عقائدي: وهو هدف هام ووظيفة هامة تقوم بها الصحافة خاصة في وقتنا الحاضر، حيث انتشرت عقائد مذهبية وأيديولوجيات متباينة وما يلاحظ على تقصير وسائل الإعلام أو عدم اهتمامها بمهمة التفسير والتحليل والتوضيح

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١،(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م) ص٢٦.

(٢) انظر في جميع الأهداف:الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د.جواد راغب أيوب، رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث، ١٣٢-١٣٣.

(٣) المرجع السابق،ص٥٧.

على أسس موضوعية علمية سليمة لما ينشر من أخبار ومما يذاع من أفكـــار وأراء لأصحاب السلطة في الداخل وفي العالم الخارجي، مما ساعد على إشاعة الغمـــوض وبلبلة الأفكار وخاصة بين الشباب ومحدودي الثقافة والخبرات.

١٣.الإسهام في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المستويات المحلية والخارجية الفردية والأسرية والاجتماعية (١).

١٤.الإسهام في تحريك الطاقات وإشراكها مع بعضها ومـــع ولاة الأمـــر في تحقيق هدف الأمة الإسلامية، وإقامة حبل التواصل عن طريق متابعة الأخبار لخطط التنمية وللمساهمين فيها.

١٥.الإسهام في تحقيق عوامل الاستقرار والأمن والرخاء للمجتمع واســـتنفار الأفراد لإعداد العدة والجهاد في سبيل الله وإرهاب أعداء الله وأعدائهم وآخرين من دونهم لا نعلمهم، الله يعلمهم.

١٦.الإسهام في إرساء قواعد تقييم المخلصين والمنتجين على أساس تكـــريمهم ونبذ الكسالى والمفسدين وقبول الأعمال الصالحة والمفيـــدة، واحتقـــار الأعمـــال الفاسدة والضارة، وإرساء قيم الحب والمودة والتعاون والبذل وخلع وإهمال قـــيم الصراع والأنانية .

١٧.التعرف على مشكلات الناس ومعرفة احتياجـــاتهم وميـــولهم ومحاولـــة صبغتها صبغة إسلامية لجذبهم إليها بدل أن تعذبهم الصحف القومية أو العلمانيـــة والماركسية الأخرى إلى صفها بدعوى الدفاع عنهم وتبني مشكلاتهم وكل هذا يتم بالنزول إلى الناس صحافيا .

١٨.الاهتمام بالنشء في هذه الصحافة وإبراز دورهم الهام صحافيا وفي مختلف مناحي الحياة - اجتماعية تعليمية ثقافية - فكرية، وفي إطـــار القـــيم والمبـــادئ الإسلامية.

---

(١) محاضرات في الإعلام ووظائفه، د. عمارة نجيب، ص٥١.

المطلب الثاني
وظائف الصحافة الإسلامية

للصحافة وظائف كثيرة، يمكن الإشارة إلى جزء منها على النحو الآتي:

١- ثقافية.

٢- دفاعية.

٣- هجومية.

الثقافية: هي التي تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزيين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله، والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه.

وأما الدفاعية: فتتم بالرد على ما يثيره العدو من الشبهات وأباطيل وما يردده من الشائعات أو يطلقه من محاولات للتشويش.

وأما الهجومية: فتتم بتبني سياسة الحق والإعلان عنها، وبيان وجهها الصحيح ومنهجها الواضح، مع العناية ببيان أن ما يناقضها أو يخالفها باطل وزيف، وعليه يتحدد مفهوم وظائف الصحافة الإسلامية في هجومها ودفاعها بكشفها لحق الإسلام ودين التوحيد، وإعلانها عن صحة هذا الدين وحده دون سواه، وإذاعته ونشر ما يؤكد هذه الحقيقة ويصلها بالوحي الإلهي.

وقد يقتضي هذا الشكل من الوظائف استعمال أسلحة الهجوم المباشر، لبيان كل ما يخالف عقيدتنا وشريعتنا، وأخلاقنا وسلوكياتنا الإسلامية، أما الدفاع فيتطلب من الصحافة الإسلامية أن ترد جميع الشبهات التي يثيرها الأعداء ضد العقيدة الإسلامية وشريعتها الغراء، كشبهة التعدد وادعاء تدني المرأة في الإسلام، أو ادعاء عدم ملائمة الشرع الإسلامي للتطور، إلى غير ذلك من الدعاوى الظالمة (١).

---

(١) الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، مرجع سابق، ص٤٢٦-٤٢٧.

المبحث الثالث

التعريف بمجلة الدعوة السعودية وتاريخ نشأتها وأهدافها

التعريف بالمجلة ونشأتها، وأهدافها:

المطلب الأول

التعريف با لمجلة

في اللغة: المجلة معنى من معاني الرسالة، وأصل المجلة الصحيفة المشتملة على القليل من المسائل التي تكون من نوع واحد(١) وقال أصحاب المعجم الوسيط: "المجلة: الكتاب والصحيفة تجمع طرائف المعرفة (٢).

في الاصطلاح: كل صحيفة عامة متخصصة في فن من الفنون تظهر في أوقات معينة، بخلاف الصحف اليومية"(٣)ومجلة الدعوة السعودية (٤) هي ذلك الجهد المتمثل في إصدار إضمامة من الصفحات تصدر أسبوعيا في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة، وما يتعلق بالأمور الدينية على شكل تحقيقات ومقالات، وخطب وندوات ومحاضرات مفرغة، لتحقق أهداف كثيرة من الناحية الدعوية، وغيرها.

---

(١) التوقيف على مهمات التعريف، الشيخ عبد الرءوف المناوي،ط١،(القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ) ص١٧٧.وانظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق،د.عبدالرحمن عميرة، ط١،(بيروت عالم الكتب،١٤٠٧هـ) ص١٤٧.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢،(تركيا، المكتبة الإسلامية،١٣٩٢هـ) ص ١٣١.مادة"جَلّ"

(٣) المرجع السابق،ص ١٣١ .

(٤) قيد الباحث اسم المجلة بالسعودية لتميزها عن مجلة الدعوة المصرية.فلو أطلقها لنشأ سؤال أي مجلات الدعوة؟؛ولكون مجلة الدعوة المصرية معروفة لدى الأوساط العلمية جرى تقييدها والتنويه إليها.

المطلب الثاني

نشأتها وتطورها

النشأة:

مجلة الدعوة مجلة أسبوعية إسلامية اجتماعية شاملة، بدأ صدورها في شكل جريدة أسبوعية، ثم تحولت إلى مجلة بعد عدة سنوات(١) وقد أسسها سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضائها ورئيس الشؤون الإسلامية السابق -رحمه الله- وقد أولاها جل اهتمامه الشخصي وتعاهدها حتى تحقق لها كل هذا النجاح المشهود اليوم. وقد ساهم معه ثلة من أصحاب الفكر والثقافة فأصبحوا من أعضاء مؤسسين حسب النظام المعمول به في المؤسسة(٢).

ويرأس مجلس إدارتها منذ إنشائها وحتى اليوم صاحب المعالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل ورئيس مجلس القضاء الأعلى الأسبق.أما المدير العام ورئيس التحرير فهو الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالكريم العيسى (٣).

التطور:

المولد وبدء المرحلة الأولى:

صدر العدد الأول من "الدعوة" صباح الاثنين ١٠ محرم ١٣٨٥، الموافق ١٠ مايو ١٩٦٥م، وسرعان ما تلقفتها الأيدي واستقبلتها القلوب المؤمنة بالترحاب والإشفاق، فالتجربة جديدة وفريدة والساحة خالية من مجلة تعبر عن هموم الأمة الإسلامية وطموحاتها إبان تلك المرحلة.

---

(١) حسب صورة القرار.

(٢) أسماء الأعضاء المؤسسين ،ونظام المؤسسة .

(٣) حسب التشكيل الجديد لهيكل الإدارة والتحرير في مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية .

المطلب الثالث

أهداف مجلة الدعوة السعودية

تسعى المجلة منذ إنشائها إلى تحقيق عدة أهداف سامية، يمكن عرضها على النحو الآتي:

١.إصدار صحيفة يومية باسم(الدعوة).

إصدار مجلة شهرية باسم(منار الإسلام).

تعنى الجريدة بالجوانب الآتي بيانها:

الشؤون الإسلامية دعوة ودراسة وتعليقاً وخبراً.

الإشادة بالتاريخ الإسلامي وجوانبه المشرقة، وبرجاله البارزين واستخلاص العبر والعظات من كفاحهم وطرق معايشهم.

البحوث الفقهية والفتاوى الشرعية.

الشؤون الأدبية واللغوية.

المشاكل الاجتماعية وأحوال الأسرة والمجتمع.

العناية والاهتمام بما يشوق القارئ بتنويع المواد وإجراء المسابقات العلمية والأدبية والرياضية، ونشر المبتكرات المفيدة بما لا يتعارض مع أهداف هذه المؤسسة.

محاربة المذاهب الهدامة والمبادئ المخالفة وإظهارها على حقيقتها.

تلتزم المؤسسة في نشاطها الصحفي بالاعتدال في الدعوة والتوجيه والنقد مترسمة مدلول قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾(١).

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

المطلب الرابع

جهود مجلة الدعوة السعودية الدعوية

تعد مجلة الدعوة من المجلات الرائدة في نشر الدعوة ممثلة في كوادرها وكتابها، ويتمثل ذلك في نشر العلم الشرعي، من خلال طرح العديد من الموضوعات العلمية والثقافية الهادفة ومعالجتها، مع العناية الفائقة بإعداد وتحضير تلك الموضوعات، فهي وسيلة نافعة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يتصل قسم التنسيق بالمجلة بأصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ وأساتذة الجامعات وغيرهم من المهتمين، ويستقبل منهم مقترحاتهم وأفكارهم حول الموضوعات المراد طرحها. ويمكن تقسيم هذه الموضوعات إلى أقسام مهمة (١):

أولاً: القضايا الدينية ومنها زاوية خاصة للاستفتاء.

ثانياً: القضايا الدعوية:

ثالثا القضايا السياسية:

رابعاً: القضايا الاجتماعية:

خامساً: المواد الإخبارية:

سادساً: المواد الإعلانية:

سابعاً: القضايا التربوية:

جهود سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم -رحمه الله-: تعد "مجلة الدعوة" من بنات أفكار سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت ١٣٨٩هـ) شيخ العلماء ومفتي الديار السعودية في ذلك الحين؛ فقد ولدت فكرة إنشاء مؤسسة صحفية إسلامية في ذهن سماحته -رحمه الله- وذلك لخدمة العقيدة الإسلامية والذود عن حياضها، والتصدي لأعداء الإسلام بالحجة والبرهان ودحض شبههم ورد أباطيلهم. وقد اتخذ سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- تعالى عدة خطوات عند تأسيس هذه المجلة منها:

---

(١) أشار الباحث إلى تلك الموضوعات إشارة عابرة خوفاً من الإطالة.

عين لها مجلس إدارة يقوم بالإشراف على المؤسسة ماديا وأدبيا.

عين سماحته للمؤسسة مديرا عاما هو الأستاذ عبد العزيز بن عبد المنعم منذ شهر شوال ١٣٨٤هـ وحتى شهر ذي القعدة ١٣٨٦هـ حيث قدم استقالته من العمل وعين محله الشيخ عبدالله بن إدريس مديرا عاما للمؤسسة إلى جانب عمله رئيسا للتحرير، "يعد الشيخ عبد الله بن إدريس أول رئيس تحرير للدعوة"، وقد أعد لإصدارها وظل رئيساً لتحريرها سبع سنوات من بداية ١٣٨٥هـ إلى نهاية ١٣٩١هـ إلى جانب توليه أمر إدارة المؤسسة، ثم تولى رئاسة التحرير بالنيابة سكرتير التحرير الأستاذ صالح المنيف منذ نهاية عام ١٣٩١هـ ريثما يتم انتخاب رئيس للتحرير.

وشكلت لجنة من أعضاء مجلس الإدارة لوضع نظام للمؤسسة وتكونت من المشايخ:

- عبدالله بن سليمان بن منيع.
- عبدالله بن إدريس.
- عبد العزيز بن عبدالمنعم.
- ناصر بن عبدالله بن الشيخ.

وقد وضعت اللجنة النظام الأساسي للمؤسسة(١)ونوقش في المجلس ووافق عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله- باعتباره الرئيس الأعلى للمؤسسة.

هذا وقد صدرت صحيفة "الدعوة" في عددها الأول يوم الاثنين ١ محرم ١٣٨٥هـ، ورغم الصعوبات التي يلقاها كل مشروع في طور تأسيسه فإن الصحيفة بتوفيق الله شقت طريقها وسط الصعاب والمشكلات الفنية والإدارية من طباعة وإخراج وتوزيع وتحصيل وإعلانات واشتراكات وغير ذلك. هذا إلى جانب – كما جاء في نص التقرير المقدم إلى الجمعية العمومية العادية في اجتماعها الأول بتاريخ ١٣٩٣/١/١ هـ– أن رئيس التحرير والمحررين معه يمارسون العمل الصحفي المباشر أول مرة ولكن معونة الله فوق كل شيء.

(١) نص النظام الأساسي للمؤسسة.

الفصل الثاني

الدراسة الميدانية

التمهيد: المنهج المعتمد في الدراسة الميدانية:

تم تصميم استبانة(١) استطلاع رأي قراء مجلة الدعوة السعودية لأخذ رأيهم حول تطبيق المجلة لأهدافها، وعلى ضوء إجابات القراء تم استخلاص نتائج الدراسة، وقد عرضت على عدد من الخبراء المحكمين من أعضاء هيئة التدريس لأخذ رأيهم حول مناسبتها لتحقيق أهداف الدراسة من واقع خبرتهم تم إعادة تصميمها على ضوء ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، حيث أفاد الباحث منها في صياغة الاستبانة صياغة نهائية قابلة للتطبيق، وهم على النحو الآتي: أ. د. سعيد ابن علي ثابت، و أ. د. راشد سلامة. الأستاذ بقسم إدارة الأعمال بجامعة شقراء، و أ. د. عبدالمنعم محمد سعدابي الأستاذ بقسم إدارة الأعمال بجامعة شقراء، ود. طلال الشريف، الأستاذ المشارك بجامعة الملك عبدالعزيز بقسم إدارة الأعمال، ود. عبدالعال أبو الفضل، الأستاذ المساعد بقسم الاقتصاد بجامعة شقراء. ود. محمود عبالمعطي مسلم، أستاذ الإعلام المشارك بجامعة الأزهر، ود. محمد بن عبدالعزيز السليمان، الأستاذ المشارك بكلية المجتمع بمحافظة حريملاء، ود. محمد بن سليمان الصبيحي، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، ود.

---

(١) المحكمون :لقد قام الباحث بعرض الاستبانة على عدد من الخبراء المحكمين من أعضاء هيئة التدريس للحكم عليها من حيث مدى تحقيقها لأهداف الدراسة، حيث تم إعادة تصميمها على ضوء ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، حيث أفاد الباحث منها في صياغة الاستبانة صياغة نهائية قابلة للتطبيق، وهم على النحو الآتي: أ. د. سعيد ابن علي ثابت، ود. طلال الشريف، ود. عبدالعال أبو الفضل، و أ. د. راشد سلامة. و أ. د عبدالمنعم محمد سعدابي. د. محمود عبالمعطي مسلم. ود. محمد بن عبدالعزيز السليمان، ود. محمد بن سليمان الصبيحي، ود. ياسر الشهري، ود. محمد الموسى، د. محمد رضا.

ياسر الشهري، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، ود. محمد الموسى، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، د. محمد رضا. الأستاذ المشارك بجامعة شقراء قسم المحاسبة، ووزع الباحث عدد ٣٠٠ استبانة ورقية، كما وضع الاستبانة على رابط وأدرج الاستبانة عليه وأرسلها لأكثر من ٥٠٠ قارئ، وسأوضح التفصيل عند الحديث عن العينة.

٢-١ أهداف الدراسة الميدانية: تهدف الدراسة الميدانية إلى التحقق من مدى قيام مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها الدعوية، من خلال استقصاء الفئات المستهدفة في الاستبيان.

٢-٢ أهداف الاستبيان: يهدف الاستبيان إلى التحقق من مدى صحة فروض الدراسة.

٢-٣ عينة الدراسة: اختار الباحث عينة عمدية من القراء لهذه المجلة لأنها ستحقق أغراض الدراسة-إن شاء الله تعالى- وتتكون عينة الدراسة من طلاب قسم الدعوة بالجامعات الإسلامية السعودية والمشايخ والدعاة باعتبارهم من المهتمين بقراءة مجلة الدعوة ومن المتخصصين في موضوعات المجلة، والقادرين على تقويم مدى قدرة المجلة على تحقيق أهدافها.

وقد صمم الباحث استبانة للإجابة عن تساؤلات الدراسة الميدانية جعلها على أهداف المجلة التي رسمتها لنفسها، وهي أهداف المجلة التي تسعى الدراسة إلى تحقيق نتائجها، وهي على النحو الآتي:

الأول: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

الثاني: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

الثالث: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

الرابع: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

الخامس: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

السادس: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

السابع: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.

الثامن: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

وقد أعد الباحث أسئلة فرعية تنبثق من كل هدف، وتم تحديد حجم عينة الدراسة بعدد ٥٠٠ استبيان موزعة على أفراد العينة، تم الحصول على ٣٤٥ استبانة وبفحصها وجد أن ٢٠٩ استبانة منها تصلح لإجراء التحليل الإحصائي.

٢-٤ **الأساليب الإحصائية المستخدمة:** خصص هذا الجزء لمعالجة موضوع الدراسة من الناحية التطبيقية، حيث تم عرض وتحليل بيانات الدراسة، وذلك من خلال الأساليب الإحصائية المستخدمة، وعرض أداة الدراسة وصدق الأداة وثباتها، ثم تحليل البيانات واختبار فرضيات الدراسة، وأخيراً عرض النتائج والتوصيات وتم اختبار فرضيات الدراسة واستخلاص النتائج من البيانات التي تم جمعها باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة من خلال البرنامج الإحصائي (SPSS)، ومن خلاله استخدمت أساليب الإحصاء المناسبة لاختبار الفرضيات واستخلاص النتائج، وفيما يلي أهم الأساليب الإحصائية التي تم استخدامها:

١- الإحصاء الوصفي: يهدف الإحصاء الوصفي إلى تزويد مقاييس تلخيصية للبيانات المتوافرة عن عناصر العينة، حيث تم استخدام التكرارات والنسب المئوية

لوصف عينة الدراسة، بالإضافة إلى الوسط الحسابي والانحراف المعياري.

٢- اختبار T لعينة واحدة (One Sample T-test):

يستخدم هذا الاختبار لمقارنة المتوسطات الحسابية الفعلية لكل متغير من المتغيرات المستقلة مع المتوسط الحسابي الفرضي؛ وذلك لمعرفة فيما إذا كان الفرق بين المتوسط الحسابي الفعلي والمتوسط الحسابي الفرضي ذا دلالة إحصائية عند مستوى ثقة إحصائية (٥%)ويتم استخدام هذا الاختبار؛ وذلك لمقارنة درجة التأثير المحسوبة مع الوسط الحسابي الافتراضي لدرجة التأثير المقبولة والبالغة (٣) وهذا الرقم عبارة عن مجموع بدائل إجابات أفراد عينة الدراسة في الاستبانة (١+٢+٣+٤+٥)/٥.

اختبار كرونباخ ألفا للمصداقية (Cronbach Alpha):لقد تم استخدام اختبار الموثوقية كرونباخ ألفا لتبيان تناسق الأسئلة ولقياس مدى صدق وثبات أداة القياس، واختبار درجة مصداقية البيانات وثباتها، وتعد القيمة المقبولة إحصائياً لمعامل كرونباخ ألفا (٠،٦٠)أو(٦٠%)بلغت قيمة معامل ألفا لإجابات أسئلة الاستبانة على جميع الأسئلة(٩٦,١%)وهي نسبة ممتازة كونها أعلى من النسبة المقبولة(٦٠%)وهذا يعني توافر درجة كبيرة من المصداقية في إجابات الأسئلة.

٢-٥ خصائص عينة الدراسة: يلاحظ أن النسبة الأكبر من أفراد العينة يحملون الدرجة الجامعية البكالوريوس فما فوق(بكالوريوس - دبلوم عالي - ماجستير - دكتوراه) حيث بلغت نسبتهم (٩٢%) ممن شملهم الاستطلاع وهذا مؤشر جيد على أن أفراد عينة الدراسة على قدر كبير من التأهيل العلمي يؤهلهم على الإجابة على أسئلة الاستبيان، خصوصاً وأنه يتناول مدى تحقيق أهداف مجلة الدعوة السعودية لأهدافها، ومن ناحية التخصص العلمي نجد أنهم جميعاً مهتمون في مجال الدعوة، وهذا يدل على تناسب تخصصات العينة مع أهداف الدراسة.

جدول رقم (١) المتغيرات الديموغرافية:

البيان	الفئات	التكرار	النسبة المئوية
العمر	أقل من ٣٢	٢٠	١٠
	من٣٢إلى أقل من ٥٠	١٤٢	٦٨
	من ٥٠فأكثر	٤٧	٢٢
المجموع		٢٠٩	١٠٠
الجنس			
	ذكر	١٧٩	٨٦
	أنثى	٣٠	١٤
المجموع		٢٠٩	١٠٠
المستوى التعليمي			
	دبلوم عالي	١١٩	٥٧
	بكالوريوس	٧٤	٣٥
	اخرى	١٦	٨
المجموع		٢٠٩	١٠٠
الجنسية			
	سعودي	١٩٩	٩٥
	غير ذلك	١٠	٥
المجموع		٢٠٩	١٠٠

من تحليل المتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة نجد أن الفئة العمرية: (من ٣٢ الى أقل من ٥٠) تشكل النسبة الأكبر إذ تمثل (٦٨%) من إجمالي عينة الدراسة ، وتشكل بالإضافة إلى الفئة العمرية: (من ٥٠سنة فأكثر) نسبة (٩٠%) من إجمالي عينة الدراسة، وهذا مؤشر جيد على مدى إدراك المجيبين للمهام المكلفين بها ويدل على أن أغلب قراء مجلة الدعوة من الفئة العمرية الأكثر وعياً وإدراكاً بأمور الدعوة

إلى الله وبفهم أهداف مجلة الدعوة. ومن ناحية المستوى التعليمي نجد إن (٥٧%) من حاملي درجات الماجستير والدكتوراه و(٣٥%) من حاملي درجة البكالوريوس وبما يعني أن(٩٢%)من أفراد العينة يحملون مؤهلات بكالوريوس فأكثر، وهذا يؤيد خصائص الفئة العمرية السابقة أنهم الأكثر وعياً وإدراكاً بأمور الدعوة إلى الله وبفهم أهداف مجلة الدعوة.

ومن ناحية جنس القراء نجد أن(٨٦%)من عينة الدراسة رجالاً و(١٤%)نساء، وهذا يدل على حرص الرجال على القراءة، وأن النساء لهن اهتمام بالمجلة، مما يدل على أن موضوعات المجلة تناسب النساء أيضا.

كذلك اقتضت الدراسة الوقوف على جنسية القراء حيث بلغت نسبة العينة من السعوديين(٩٥%)وغير السعوديين(٥%)ممن وصلت إليهم الاستبانة حيث بلغ عدد من قام بتعبئة الاستبانة كاملة عشرة غير سعودي، مقابل مائة وتسعة وتسعون سعودياً، أي كل عشرون سعودياً يقابلهم واحداً غير سعوديا، وهذا يثبت أن مجلة الدعوة السعودية مرغوبة من غير أبناء بلدها، مما يدل على شعبيتها(١).

(١) ومما يؤكد علو شعبيتها أن كمية ما يوزع من أعداد مجلة الدعوة أسبوعيا المطبوعة ١٨٠٠٠ثمانية عشر ألفاً منها ما يتم إرساله خارجياً عن طريق البريد٨٩٠٣منها٥٢٨٠ Eباللغة الإنجليزية،وبالفرنسية٣٦٢٣ ومما يتم إرساله داخلياً عن طريق البريد ٧٨٠منها ٥١٠ باللغة الإنجليزية و٢٧٠باللغة الفرنسية. ما يتم طرحه للبيع في منافذ التوزيع محلياً ٣٥٠٠منها ٢٠٠٠باللغة الإنجليزية و١٥٠٠باللغة الفرنسية، وما يوزع على السفارات في الداخل والخارج والجامعات وبعض الهيئات والقطاعات الأهلية والحكومية بالداخل٤٠٠٠منها ٢٠٠٠باللغة الإنجليزية ٢٠٠٠اللغة الفرنسية، وما يسلم وزارة الشئون الإسلامية ٤٠٠منها ٢٠٠ باللغة الإنجليزية و٢٠٠ باللغة الفرنسية.

إجمالي الموزع ٩٩٩٠ انجليزي + ٧٥٩٣ فرنسي. وذلك حسب إفادة المجلة بخطابها رقم بدون وتاريخ بدون ولدى الباحث صورة منه.

٢-٦ تحليل أسئلة الدراسة :للإجابة على أسئلة الدراسة قام الباحث باحتساب المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المستجوبين على النحو الآتي:

السؤال البحثي: هل مجلة الدعوة السعودية تحقق أهدفها المرتبطة بالقضايا الدعوية ؟

تم اختيار مدى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لأهدافها المرتبطة بالقضايا الدعوية، حيث تم حساب المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المستجوبين والذي يقيس مدى تحقيق كل هدف من أهداف المجلة الثمانية (الجداول من رقم ١-٨) حيث تم حساب المتوسط العام للإجابات المتعلقة بكل هدف، ثم حساب متوسط الوزن لجميع المتوسطات باستخدام اختبار T لعينة واحدة. One Sample T-Test

- **معايير تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية:** من خلال نتائج الفصل الأول الإطار النظري للدراسة، والدراسة الميدانية في الفصل الثاني؛ توصل الباحث إلى بعض المحددات التي يمكن أن تشكل معايير أساسية، يمكن للباحث معها تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية، ويمكن الوقوف عليها من خلال الآتي:

مفهوم المنهج الذي تم الوقوف عليه في الإطار النظري للدراسة، وهو: الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصوراته، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين.

رعاية أهداف الصحافة الإسلامية التي تتلخص في الأمور الآتية:

تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط.

محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.

التصدي لأعداء الإسلام.

تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.

الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.

تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً.

ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة(١).

غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء(٢).

٣.رعاية وظائف الصحافة التي تتلخص في الأمور الآتية:

ثقافية.

دفاعية.

هجومية.

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م) ص٢٦.

(٢) انظر في جميع الأهداف:الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د. جواد راغب أيوب، رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث، ١٣٢-١٣٣.

المبحث الأول

نتائج الدراسة الميدانية لأهداف مجلة الدعوة السعودية

وقف الباحث في الفصل الأول على الأطر العامة لهذه الدراسة، وسيتم في هذا الفصل تقويم مدى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لأهدافها في إطار المعيار الذي أشار إليه الباحث سابقاً، ويمكن بيان ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

العناية بالقضايا الدعوية

يبين الجدول رقم (١) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الأول: العناية بالقضايا الدعوية يساوي(٣,٧٩)وهي أعلى من المعدل العادي(٣) وبانحراف معياري قدره(٠,٨٤) و قيمة.sig= ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

جدول رقم (١) اختبار T لعينة واحدة(One Sample T- Test)

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة.	٤,٣١	٠,٦٢٢	٠,٠٠
٢	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالمدعو.	٣,٩٤	٠,٧١٢	٠,٠٠
٣	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالداعي.	٣,٨٥	٠,٧٢٤	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية.	٣,٨٧	٠,٧٥٢	٠,٠٠
٥	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالأنشطة والبرامج الدعوية.	٤	٠,٧٦٩	٠,٠٠
٦	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالميادين الدعوية.	٣,٨٦	٠,٧٣٣	٠,٠٠
٧	توفر مجلة الدعوة للداعية حاجته الدعوية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٧٨	٠,٨٥٥	٠,٠٠
٨	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالوسائل الدعوية.	٣,٧٨	٠,٧٣٥	٠,٠٠
٩	تكتسب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها الممتع في معالجة القضايا الدعوية.	٣,٢٨	١,٠٧	٠,٠٠
١٠	ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين قراء المجلة.	٣,٣٤	١,٠٧٢	٠,٠٠
١١	عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلل من إقبال القراء عليها.	٣,٤٤	١,١٠٨	٠,٠٠
١٢	مجلة الدعوة السعودية مفيدة دعويا.	٣,٩٩	٠,٨٨٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٧٩	٠,٨٤	٠,٠٠

إن العناية بالقضايا الدعوية من قبل مجلة الدعوة السعودية ليس مستغرباً منها؛ حيث جعلت جلّ عنايتها في معالجة ما يطرح من قضايا الساعة، وهي المهمة المنوطة بالدعاة سواء بجهودهم الذاتية مع المدعوين أو بجهدهم المنظم مع المؤسسات الدعوية وعلى رأسها مجلة الدعوة، حيث تسهم في معالجة قضايا المجتمع المسلم وغير المسلم في إطار المسلمات والقيم النابعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- ومن خلال القيم الرفيعة النابعة من تلك المصدرين الرئيسيين والمصالح المعتبرة.

وقد بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٧٩) من أصل(٥) درجات، حيث أعد الباحث اثني عشر سؤالا فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة للهدف الأول: (العناية بالقضايا الدعوية)وهو من أهداف المجلة المعتبرة، وهذا انجاز كبير يحمد للمجلة.

المطلب الثاني

العناية بالبحوث الفقهية

يبين الجدول رقم(٢)أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثاني: العناية بالبحوث الفقهية يساوي (٣,٦٣) وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٩٢) و قيمة.sig = ٠٠,٠.وهذا يعني قبول فرض البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

جدول رقم (٢) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	مجلة الدعوة مفيدة في القضايا الفقهية.	٣,٧٦	٠,٨٥٦	٠,٠٠
٢	تتناول مجلة الدعوة قضايا فقهية معاصرة	٣,٨٦	٠,٧٩٤	٠,٠٠
٣	القراءة في مجلة الدعوة مهمة.	٣,٨٧	٠,٩٤٦	٠,٠٠
٤	تؤثر مجلة الدعوة في القراء عند تناول القضايا الفقهية.	٣,٦٤	٠,٨٣٩	٠,٠٠
٥	تطرح مجلة الدعوة بحوث فقهية مفيدة ومعاصرة.	٣,٧٢	٠,٨٧٣	٠,٠٠
٦	تؤثر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) تأثيرا سلبيا على قراءة المجلات الفقهية.	٤,٠٦	١,٠٣٦	٠,٠٠
٧	تكتسب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها الممتع في معالجة القضايا الفقهية.	٣,٢٧	٠,٩٦٣	٠,٠٠
٨	ضعف الجانب الفقهي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٠٧	٠,٩٣٥	٠,٠٠
٩	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلبي حاجته في القضايا الفقهية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٤٢	٠,٩٩٣	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٦٣	٠,٩٢	٠,٠٠

إن العناية بالبحوث الفقهية وهو أحد أهداف مجلة الدعوة السعودية، يدل دلالة واضحة على العناية بكل ما يخدم المسلم في حياته؛ حيث لم تغفل المجلة عن البحوث الفقهية وإخراجها للمجتمع في قالب صحفي مغري يجذب القراء؛ حيث

يجد القارئ ما يشبع نهمه الشرعي في تلك الوسيلة المهمة التي ستحقق هذه الغاية النبيلة، والتي تعتبر من أكثر الوسائل تأثيراً إذا أحسن استخدامها واشتملت على معالجة ناجعة لتلك الأدواء التي اجتاحت مجتمعاتنا البشرية، واستمدت علاجها من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهذا الدواء النافع - بإذن الله تعالى - يتطلب استخدم هذه المجلة واجتماع المخلصين من الدعاة الفاهمين للنصوص الوحيين وفق ما أراده الله تعالى منها لإصلاح المدعوين في معاشهم ومعادهم، وقد بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٦٣) من أصل (٥) درجات، حيث أعد الباحث تسعة أسئلة فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف تحت الهدف الثاني من أهداف المجلة المعتبرة، وهو العناية بالبحوث الفقهية وهذا انجاز مبارك يحمد للمجلة.

المطلب الثالث

العناية بالفتاوى الشرعية

يبين الجدول رقم(٣)أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثالث: العناية بالفتاوى الشرعية يساوي (٣,٥٥) وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٩٤)و قيمة sig. = ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض البحث وهو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

جدول رقم (٣) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالطرح الجيد للفتاوى الشرعية.	٤,٠٦	٠,٧٣٢	٠,٠٠
٢	تهتم مجلة الدعوة بالتنوع في الفتاوى الشرعية في كافة القضايا الدينية.	٣,٩١	٠,٨٢٤	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة مفيدة في مجال الفتاوى الشرعية.	٣,٩٤	٠,٨٣٦	٠,٠٠
٤	عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر.	٣,٠٧	١	٠,٠٠
٥	أواظب على قراءة مجلة الدعوة في الفتاوى الشرعية.	٣,٢٨	١,٠٢٩	٠,٠٠
٦	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلبي حاجته في مسائل الفتوى بما توفره من مادة علمية ثرية وعلماء موثوق بهم.	٣,٤٩	١,٠٦٦	٠,٠٠
٧	تتميز مجلة الدعوة بأسلوبها الممتع في معالجة مسائل الفتوى الشرعية.	٣,٥٦	٠,٩٣٩	٠,٠٠
٨	أثرت الفضائيات الإسلامية على القراء من قراءة مجلة الدعوة لضعف طرحها للفتاوى الشرعية.	٣,٥٣	٠,٩٥١	٠,٠٠
٩	أثر الانترنت على القراء من قراءة مجلة الدعوة لضعف طرحها للفتاوى الشرعية.	٣,٥٤	١,٠١٩	٠,٠٠
١٠	ضعف جانب الفتوى في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,١	١	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥٥	٠,٩٤	٠,٠٠

العناية بالفتاوى الشرعية واجب تمليه أمانة العلماء والمؤسسات الدينية، وقد وفق الله جل وعلا علماء هذه الأمة وكتابها المتخصصين، حيث سخرهم الله تعالى لخدمة عباده، ليبينوا لهم ما هم في حاجة إليه من الفتوى وشرح أحكام الدين، وبيان معانيه.

وعلى العلماء بالتحديد مسئولية كبيرة أمام الله في تبصير الناس وإرشادهم وبيان ما ينفعهم وما يضرهم، من خلال الوسائل الدعوية المتاحة، وقد حرصت مجلة الدعوة السعودية على إعطاء هذا الجزء المهم أولوية، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٥٥) من أصل(٥) درجات، حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالفتاوى الشرعية وهذا من وظائف المجلة.

المطلب الرابع

العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة

يبين الجدول رقم (٤) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الرابع: العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة يساوي (٣,٥١) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) ، وبانحراف معياري قدره (١,١٠) و قيمة .sig = ٠,٠٠وهذا يعني قبول البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

جدول رقم (٤) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تناقش مجلة الدعوة المذاهب والأفكار الهدامة بفكر متطور ومقنع.	٣,٦٨	١,٠١٢	٠,٠٠
٢	تناقش مجلة الدعوة المبادئ المخالفة بفكر متطور ومقنع.	٣,٥٧	٠,٩٩٣	٠,٠٠
٣	تعمل مجلة الدعوة على إظهار المذاهب الهدامة على حقيقتها الزائفة.	٣,٦٣	٠,٩٤٧	٠,٠٠
٤	تعمل مجلة الدعوة على إظهار المبادئ المخالفة على حقيقتها الزائفة.	٣,٦٧	٠,٩٠٦	٠,٠٠
٥	تحارب مجلة الدعوة المذاهب الهدامة والمبادئ المخالفة بموضوعية.	٣,٧١	٠,٩١٣	٠,٠٠
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣	١,٠٦٧	٠,٠٠
٧	مجلة الدعوة مفيدة في الرد على المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٦١	٠,٩٤٥	٠,٠٠
٨	لا أستغني عن قراءة مجلة الدعوة فهي تلبي حاجتي في الرد عل المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٣١	٠,٩٩١	٠,٠٠
٩	سحبت الفضائيات الإسلامية القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام.	٣,٢٨	١,٠٢٩	٠,٠٠
١٠	سحب الانترنت القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام.	٣,٦٢	٢,٢٧٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥١	١,١٠	٠,٠٠

العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة من القضايا المهمة التي تقع على عاتق أهل العلم، وهم أهل الذكر، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (١) ويقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(٢).

فلابد من مقاومة الأفكار الهدامة والمخالفة بالأساليب والوسائل المباحة، فالمقاومة الأولى والمهمة تكون بتحصين المدعوين بالعقيدة الصحيحة، وأخذ العلم الصحيح عن أهله، ولهذا اعتنت مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها وخاصة محاربة المذاهب الهدامة والمخالفة، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٥١) من أصل(٥)درجات؛ حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة وهذا من وظائف لمجلة.

(١) سورة النحل، الآية: (٤٣).

(٢) سورة النساء، الآية: (٨٣).

المطلب الخامس

الإشادة بالتاريخ الإسلامي

يبين الجدول رقم (٥) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الخامس الإشادة بالتاريخ الإسلامي يساوي(٣,٦٠) وهي أكبر من المعدل العادي(٣) وبانحراف معياري قدره(٠,٨٣) و قيمة.sig = ٠,٠٠وهذا يعني قبول البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

جدول رقم (٥) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالإشادة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٧٣	٠,٨٢٥	٠,٠٠
٢	تتناول مجلة الدعوة العديد من الجوانب المشرقة من التاريخ الإسلامي.	٣,٧٧	٠,٨٢٣	٠,٠٠
٣	تهتم مجلة الدعوة برجال التاريخ الإسلامي البارزين.	٣,٧	٠,٨٢٦	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة باستخلاص العبر والعظات من كفاح وطرق معايشة رجال التاريخ الإسلامي.	٣,٦٥	٠,٧٩٦	٠,٠٠
٥	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,١١	٠,٩٢٩	٠,٠٠
٦	قامت مجلة الدعوة بطرح العديد من الموضوعات المرتبطة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٦٥	٠,٨٠٢	٠,٠٠
٧	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا المتعلقة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٥٩	٠,٨٠٤	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٦٠	٠,٨٣	٠,٠٠

الإشادة بالتاريخ الإسلامي من القضايا المهمة التي تقع على عاتق المؤسسات التعليمية والدعوية؛ حيث إن التاريخ الإسلامي ذا حركة دائمة، وأفكار ومعتقدات الناس هي التي تمد التاريخ بالحركة والاندفاع، فكلما علم بها واحد يتفاعل معها بقية المجتمعات، حتى إذا أصبحت رأياً عاماً لدى الناس عامة انجرفت بسرعة عالية لتصنع تاريخاً له صداه، فلابد من أفكار جديدة تشيد بالتاريخ الإسلامي، وقد أثبتت الدراسات أن رجال الأمة المخلصين قادرين على الإشادة بتاريخها وتحريك

همم رجالات الدين والثقافة نحوه.

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما عماد تاريخ الأمة وحضارتها، ولم يقم بناؤها إلا بعد توفيق الله أولا ثم الاعتماد على المصدرين الأساسين اللذين ظلا المصدر الشامل لهذا التاريخ، والقاعدة التي ارتكز عليها.

ولهذا اعتنت مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها وخاصة في الإشادة بالتاريخ الإسلامي، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٦٠) من أصل(٥)درجات، حيث أعد الباحث سبعة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو الإشادة بالتاريخ الإسلامي، وهذا من وظائف المجلة.

التي تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزيين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله، والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه.

المطلب السادس

العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

يبين الجدول رقم (٦) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف السادس: العناية بالقضايا الأدبية واللغوية يساوي(٣,٣٣)وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره(٠,٩٣) و قيمة sig. = ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

جدول رقم (٦) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تخاطب مجلة الدعوة نخبة المثقفين المتدينين فقط ولا يشعر بها القارئ البسيط.	٣,٠٧	١,٠٤٥	٠,٠٠
٢	تناقش مجلة الدعوة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي .	٣,٣٣	٠,٩١١	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة لها حضور مميز لدى القارئ بسبب اهتمامها وطرحها العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية .	٣,٢٩	١,٠٣	٠,٠٠
٤	تناقش مجلة الدعوة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر.	٣,٣٨	٠,٩٧٤	٠,٠٠
٥	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا الأدبية من منظور إسلامي.	٣,٥٦	٠,٨٥٩	٠,٠٠
٦	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا اللغوية.	٣,٣١	٠,٨٨٥	٠,٠٠
٧	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلبي حاجته في تناول لقضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٢٥	٠,٩٢٩	٠,٠٠
٨	ساهمت مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها .	٣,٣٦	٠,٨٥٥	٠,٠٠
٩	ساهمت مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها.	٣,٣٨	٠,٩٠٧	٠,٠٠
١٠	تعالج مجلة الدعوة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم .	٣,٣٧	٠,٩١٧	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٣٣	٠,٩٣	٠,٠٠

إن العناية بالقضايا الأدبية واللغوية تعتبر من الأمور المهمة، وتأتي أهميتها بعد الاهتمام بالقضايا الدعوية، وقضايا التشريع، ومجلة الدعوة السعودية مجلة قوية

ووسيلة مهمة في إيصال دعوة الحق للخلق، ويقع عليها مسؤولية حث المتخصصين بالعناية بالقضايا الأدبية واللغوية، كونها لسان الأمة العربية والإسلامية، ولها الأثـــر العميق في تكوين صف الأمة الإسلامية والعربية على عقيدتها وشريعتها، وارتباطها الوثيق بها. ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية حيث بلغت النـــسبة المتوســـطة لإجابات القراء(٣،٣٣)من أصل(٥)درجات؛ حيث أعد الباحث عـــشرة أســـئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

ولقد أثبت الواقع التاريخي مدى الترابط والتلازم بين الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية وأدبها وانتشار كل منهما وازدهاره، وكل منهما لا يـــستغني عـــن الآخر لما يوجد فيهما من القوة والاستعداد للانتصار على من أراد محاربته، فكتاب الله تعالى أكد هدف الاهتمام بقضايا الأدب واللغة العربية، والاعتزاز بهما، فقد بين تعالى ذلك في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ (١).

(١) سورة يوسف، الآية: (٢).

المطلب السابع

العناية بالقضايا الاجتماعية

يبين الجدول رقم(٧) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف السابع: العناية بالقضايا الاجتماعية يساوي (٣,٥٠)وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٨٩) و قيمة .sig =٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.

جدول رقم (٧) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	ساهمت مجلة الدعوة في إيجاد حلول ناجعة لبعض القضايا الاجتماعية	٣,٧٣	٠,٨١٧	٠,٠٠
٢	مجلة الدعوة تناقش القضايا الاجتماعية المتنوعة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٦٧	٠,٨٢٦	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا الاجتماعية.	٣,٦٨	٠,٨٦٥	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الأسرة.	٣,٦٨	٠,٧٩٥	٠,٠٠
٥	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الشباب	٣,٥٨	٠,٨٧٩	٠,٠٠
٦	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة.	٣,٤	٠,٨٩٣	٠,٠٠
٧	تهتم مجلة الدعوة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة	٢,٩٩	١,٠٠٢	٠,٠٠
٨	تعالج مجلة الدعوة القضايا الاجتماعية بأساليب علمية ومنهجية رصينة.	٣,٥٣	٠,٩٠٤	٠,٠٠
٩	ضعف الجانب الاجتماعي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٢٢	٠,٩٩١	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥٠	٠,٨٩	٠,٠٠

والعناية بالقضايا الاجتماعية مطلب مشترك بين فئات المجتمع، ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية. لتسهم بدورها في معالجة ما تجده من القضايا الاجتماعية، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٥٠)من أصل(٥) درجات، حيث أعد الباحث تسعة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا الاجتماعية.

المطلب الثامن

العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية

يبين الجدول رقم(٨)أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثامن: العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية يساوي(٣,٢٦)وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٩١) وقيمة.sig =٠,٠٠ وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل وهو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والادبية.

جدول رقم (٨) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية.	٣,٢٣	٠,٩١٢	٠,٠٠
٢	تهتم مجلة الدعوة بالأنشطة العلمية.	٣,٣٦	٠,٩١٥	٠,٠٠
٣	تهتم مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الأدبية.	٣,١	٠,٩٢	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة بالأنشطة الأدبية.	٣,٢٣	٠,٨٧	٠,٠٠
٥	تهتم مجلة الدعوة بالأنشطة الاجتماعية.	٣,٣٦	٠,٨٧٣	٠,٠٠
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات العلمية والأدبية والرياضية قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٢٧	٠,٩٧٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٢٦	٠,٩١	٠,٠٠

العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية نوع من الأنشطة التي تبعث على النشاط الذهني وتحيي الحماس لدى قراء المجلة، ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٢٦) من أصل(٥) درجات؛ حيث أعد الباحث ستة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا العلمية والأدبية، وهو جهد إضافي يحسب للمجلة.

المبحث الثاني

تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية

من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى وجود بعض أوجه القوة وكذلك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة حيث يتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بأوجه الضعف وقد ركز الباحث على أوجه الضعف بغرض توجيه المسئولين عن إدارة مجلة الدعوة لتحسن وتطوير أدائها، وتتمثل هذه المجالات بالنسبة للهدف الأول وهو العناية بالقضايا الدعوية في أن هناك جوانب ضعف يوضحها الجدول رقم (٩).

جدول رقم (٩): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية	الوسط الحسابي
١	ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الدعوية .	٣,٢٨
٢	ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين قراء المجلة	٣,٣٤
٣	عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلل من إقبال القراء عليها.	٣,٤٤

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الدعوية ذلك أن اختيار الأسلوب عنصر مهم في جذب القراء.

وكذلك ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين قراء المجلة حيث طغت الموضوعات الأخرى على موضوعات الدعوة؛ ولذلك تدنى اهتمام المجلة بالجانب الدعوي، كذلك عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلل من إقبال القراء عليها، فالقارئ يتجه مع التوجه العام، والتوجه العام مع السائد في العصر، فعدم مواكبة العصر قد يؤخر أي عملية سواء كانت صحفية أو غيرها بما لا يخالف تعاليم الدين الحنيف.

ويخلص الباحث في الدراسة التقويمية للهدف الثاني (العناية بالبحوث الفقهية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٠).

جدول رقم (١٠): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية	الوسط الحسابي
١	ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الفقهية .	٣,٢٧
٢	ضعف الجانب الفقهي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٠٧
٣	ضعف مجلة الدعوة في تلبي حاجته في القضايا الفقهية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٤٢

وتتمثل جوانب الضعف في العناية بالبحوث الفقهية فيضعف العناية في الجانب الفقهي؛ بمعنى أن معالجتها للجانب الفقهي محدودة في موضوعات يسيرة لأساليب المجلة من خلال رئيس تحريرها ومحرريها.

.بمعنى أن أساليب المعالجة لم تكن وفق ما يتمناه القارئ، كذلك يتضح أن نسبة من القراء يرون أن المجلة لم تحظ بقراء جدد بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الفقهية، ويعتبر هذا الضعف مثير للانتباه، ولهذا فإن الأسلوب له كبير الأثر في شد انتباه المدعوين وبخاصة قراء المجلات العلمية والصحف، كذلك عدم تغطية الجوانب الفقهية التي تلامس حياة الناس؛ قلل من ذيوعها بين عامة القراء، وهذا الضعف التي وصلت إليه نتائج التحليل يحتاج إعادة نظر في سياسة المجلة.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الثالث (العناية بالفتاوى الشرعية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١١).

جدول رقم (١١): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية	الوسط الحسابي
١	عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر.	٣,٠٧
٢	عدم المواظبة على قراءة مجلة الدعوة في الفتاوى الشرعية.	٣,٢٨
٣	ضعف جانب الفتوى في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,١

وتتمثل جوانب الضعف في العناية بالفتوى الشرعية من خلال الأسئلة الفرعية المتمثلة في عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر؛ بمعنى أن المجلة طرقت هذا الموضوع المهم لدى القراء ولكن بطريقة تقليدية ولم تواكب المجلة عند استحضارها هذا الموضوع لروح العصر لا من حيث الأسلوب ولا اختيار الموضوعات ذات الاهتمام بشكل يشبع رغباتهم، وهذا قلل من قرائها، وكذلك مواظبتهم على قراءة المجلة بسبب عدم وجود الفتاوى الشرعية بشكل كاف.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الرابع (العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٢).

جدول رقم (١٢): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣
٢	ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات في الرد عل المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٣١
٣	سحبت الفضائيات الإسلامية القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام .	٣,٢٨

وتتمثل جوانب الضعف في تحقيق هدف محاربة المذاهب الهدامة والمخالفة من خلال الأسئلة الفرعية المتمثلة في ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة ، وضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات في الرد عل المذاهب الهدامة والمخالفة، وعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام ، بمعنى أن معالجتها لجانب مواجهة المذاهب الهدامة والمخالفة كان ضعيفاً وأن الجمهور يرغبون في أن تكون المواجهة أقوى من الواقع الفعلي للمجلة وأن المجلة لم تكن عند المأمول منها.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الخامس (الإشادة بالتاريخ الإسلامي) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٣).

جدول رقم (١٣): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف الاشادة بالتاريخ الإسلامي

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف الاشادة بالتاريخ الإسلامي.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي .	٣,١١

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي، ومما لا شك فيه أن التاريخ الإسلامي يحتاج إلى طرح أفكار ورؤى جديدة من أجل مواجهة القضايا والتحديات المعاصرة، كما يرمي ذلك الهدف إلى تعزيز العلاقات والتبادل العلمي بين العلماء، والباحثين في مجال التاريخ الإسلامي، وهذه دعوة للباحثين في كل أنحاء العالم للمشاركة بالخبرات والأبحاث العلمية القيمة، ومشاركة المجلة في تحقيق أهدافها، ووصول النسبة إلى(٣,١١) من (٥) هي في الحقيقة نسبة معقولة والقارئ يرغب في المزيد من ذكر التاريخ والإشادة به، حيث بعض القراء يستهويه التاريخ ويجد فيه المتعة، وفي اعتقاد الباحث أن اهتمام المجلة بالقضايا الأساسية يشفع لها كثيرا في علو نسبتها على بقية الموضوعات.

وفي الدراسة التقويمية للهدف السادس (العناية بالقضايا الأدبية واللغوية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٤).

جدول رقم (١٤): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.	الوسط الحسابي
١	تخاطب مجلة الدعوة نخبة المثقفين المتدينين فقط ولا يشعر بها القارئ البسيط.	٣,٠٧
٢	ضعف مجلة الدعوة في مناقشة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي .	٣,٣٣
٣	ضعف مجلة الدعوة في الحضور المميز لدى القارئ بسبب عدم اهتمامها وطرحها غير العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية.	٣,٢٩
٤	ضعف مجلة الدعوة في مناقشة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر .	٣,٣٨
٥	مجلة الدعوة غير مفيدة الى حد ما في تناول القضايا اللغوية.	٣,٣١
٦	ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات التي تناول القضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٢٥
٧	ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها .	٣,٣٦
٨	ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها.	٣,٣٨
٩	ضعف مجلة الدعوة في معالجة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم .	٣,٣٧

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: اهتمام مجلة الدعوة بعامة القراء، بينما تخاطب المجلة نخبة المثقفين المتدينين فقط. حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٧) من الذين يرون ذلك، ذلك أن النزول بقدر كبير إلى الأساليب التي يفهما القارئ البسيط في ثقافته قد يفقد المجلة قوتها، والمجلة لم تهمل تلك الفئة بل أعطتها حقها، إذ إن قرائها يختلفون على مستويات علمية متفاوتة وأكثرهم ممن يحملون الشهادات العالية، وكذلك مناقشة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي فقط. حيث بلغ الوسط الحسابي(٣٣،٣)من الذين يرون ذلك، وكذلك ضعف مجلة الدعوة في معالجة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣٧،٣) ممن يرون ذلك وقد يعزى ذلك لكثرة موضوعات الساعة التي ترى المجلة عدم فواتها، والمجلة لمن يتابع إصدارها تنوع في الطرح بما يتوافق مع ميول ورغبات أكثر القراء، كذلك عدم اهتمامها وطرحها

غير العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية، حيث بلغ المتوسط الحسابي(٣،٢٩) وقضايا الأمة الأدبية اللغوية ليست يسيرة الحكم فلابد من اتفاق المجامع اللغوية على كونها قضية تطرح لرأي العام وتحتاج علاج، وكذلك مناقشة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٣٨) وما قامت به المجلة يحقق الأهداف المرسومة لها، وذلك بتقديم رؤى علمية جادة توائم بين النظرة العلمية التراثية والمعاصرة لعلوم العربية وآدابها، والإفادة مما لدى أصحاب الاختصاص من تصورات ومقترحات تفيد في هذا المجال.

وكذلك مجلة الدعوة غير مفيدة إلى حد ما في تناول القضايا اللغوية، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٣١) فتناول القضايا اللغوية يحتاج متخصص في اللغة إضافة إلى رغبته في الطرح الصحفي ومع هذا المجلة لم تغفله نهائياً، وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٣٦) وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها. حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٣٨) وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات التي تناول القضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٢٥) فإن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وهي لغة العلم وهذان أمران لا ينفصلان في مسيرة أية أمة ترغب التقدم والرقي، فالعلم عرفته العربية عبر الحضارة العظيمة التي صدرتها إلى العالم في عصورها الزاهرة، وأما اللغة العربية فغذت به أرواح الشعراء والأدباء منذ عصر قبل الإسلام إلى الآن.

وبعد هذا، فإن العربية هي لغة الحياة لا غناء لواحد منا مهما تعددت لغاته عن التفكير بلغته الأم والتعبير بها، والمجلة لم تألوا جهدا في تحقيق هذا الهدف وذلك من خلال ما طرحته وما سوف تطرحه.

ومما لاشك فيه أن الاهتمام باللغة العربية وأدبها، من الضروريات وخدمتها من

العبادات التي أرجو أن تكون من القُرَب، ومهما وجد من قصور فإن هذا لا يعد عيباً ولا ينقص من جهدها المبذول مقابل ما يبذل بشكل كبير وفاعل في القضايا الأساسية كالقضايا العقدية والفقهية وغيرها.

وفي الدراسة التقويمية للهدف السابع:(العناية بالقضايا الاجتماعية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٥).

جدول رقم (١٥): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة.	٣,٤
٢	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة	٢,٩٩
٣	ضعف الجانب الاجتماعي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٢٢

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٤)وفي اعتقادي أن قضايا الطفل والمرأة رغم أهميتها إلا إنها تدخل ضمنا في الموضوعات العامة، فما يخص العموم يدخل الخاصة فيه، إلا الموضوعات ذات الخصوصية والموجهة للطفل والمرأة بالتحديد فإن النسبة التي وصلت إليها من الاهتمام جيدة.

كذلك اهتمام المجلة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث بلغ الوسط الحسابي(٢،٩٩) تؤكد هذه النسبة وجود اهتمام محدود بموضوع ذوي الاحتياجات الخاصة وأن هذا الاهتمام منوط بالمناسبات فقط. كما تؤكد هذه النتيجة افتقار محرري المجلة للمعرفة الواضحة بمسميات ومصطلحات الإعاقة الصحيحة مما قد يؤثر سلباً في اتجاهات القراء نحو الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، خاصة في ظلّ

وجود فجوة بين الإعلاميين والدعاة المتخصصين في مجال التربية الخاصة من حيث تبادل الآراء.

والاهتمام بقضاياهم ليس ترفاً إعلامياً، ويجب ألاّ يُنظر إليهم على أنهم شريحة صغيرة من المجتمع، بل هو واجب ديني ووطني وإنساني تمليه مصالح الوطن وحاجات ذوي الاحتياجات الخاصة وحقوقهم، وتأتي رياضة ذوي الاحتياجات الخاصة على رأس الأولويات التي ينبغي الاهتمام بها، عن طريق تغطية فعالياتهم عامة، وتخصيص برامج حوارية حولها، لتوضيح دورها في تأهيلهم وتحسين أوضاعهم النفسية، فضلاً عن إقامة الندوات والمحاضرات والأنشطة التثقيفية والإرشادية، لتوعية الناس بأهمية دورهم. كذلك اهتمام المجلة بقضايا بالجانب الاجتماعي، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٢٢) ومما لاشك فيه أن الجوانب الاجتماعية مهمة. والاهتمام الذي حصل رغم عدم كثرته جيد ويلائم أهمية الجوانب الاجتماعية وتنوعها وأثرها على القراء المهتمين بهذا الجانب.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الثامن: (العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٦).

جدول رقم (١٦): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية.	٣,٢٣
٢	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة العلمية.	٣,٣٦
٣	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الأدبية.	٣,١
٤	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة الأدبية.	٣,٢٣
٥	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة الاجتماعية.	٣,٣٦
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الرياضية.	٣,٢٧

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية، حيث بلغ الوسط الحسابي:(٣،٢٣) وكذلك إجراء المسابقات الأدبية، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،١) وكذلك المسابقات الرياضية، حيث بلغ الوسط الحساب (٣،٢٧)وإذا ما قورن بما تم تحقيقه في الجوانب الثلاثة يأتي اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية والأدبية والرياضية، بعد إعطاء القضايا الدعوية أولوية قصوى، حيث إن الهدف الأسمى لكل عمل دعوي هو الاهتمام بقضايا الدعوة، وخاصة الجانب الاعتقادي منه.

وفي اعتقادي أن المسابقات العلمية والأدبية والرياضية، رغم أهميتها إلا أنها لم تكن مهملة بشكل نهائي، ولربما لظروف الأمة وما تمر بها من عواصف، وكثرة الفتن التي تموج موج السحاب خلال هذه الفترة جعلت المجلة جل تركيزها على معالجة قضايا العقيدة وقضايا التشريع، ومشاركة الناس همومهم وتسكين أنفسهم جراء ما يدور في الآفاق من قضايا تحير العقول، والأنشطة العلمية هي تعمل جنباً إلى جنب مع المسابقات العلمية فهي لم تهمل حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٣٦) والأنشطة الأدبية حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٢٣) والأنشطة الاجتماعية، حيث بلغ المتوسط الحسابي: (٣،٣٦) وهو معدل لا بأس به، مع ما يشغل هم المجلة من الاهتمام بالقضايا الأخرى. ويرى الباحث أن ضعف الاهتمام بتلك القضايا أمر

منطقي لكون هذه المجلة ذات توجه إسلامي بحت، وهذا التوجه يتوافق مع سياسة المجلة، ومع أهداف الصحافة الدينية، كما جاء في الدراسة النظرية في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الأول، ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة(١)وعلى ذلك فإن الجهد الذي تقوم به المجلة رغم ما لديها من مسؤوليات أمر في غاية الأهمية، حيث إن تحقيق هذا الهدف يؤدي دوراً فاعلاً في مشاركة المجتمع وإيجاد حلول لما يعتريه من ضغوط وهموم.

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير،إبراهيم إمام،ط١، (القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م) ص٢٦.

المبحث الثالث

تقويم دلالات نتائج الدراسة الميدانية

تقويم نتائج الدراسة النظرية:

أوضحت الدراسة النظرية أن المنهج هو الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصوراته، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين.

وأن منهج الدعوة: يطلق على: الخطط العملية،والأصول والقواعد النظرية، الشرعية والعقلية، والمسالك الخلقية، المستعملة في نشر الدعوة الإسلامية، وأن المنهج يتكون من الخطط والنظم والأهداف والغايات، وبناء على ذلك فمناهج الدعوة خططها وطرائقها، تنطوي تحت مفهوم المناهج أساليب الدعوة ووسائلها وأهدافها.

كما اتضح من خلال نتائج القراء أن مفهوم مجلة الدعوة السعودية: هي التي تقدم مادة صحفية للقراء عموماً تفيدهم في أنفسهم وفي علاقتهم بالآخرين، وتبين لهم حقوقهم وواجباتهم، وتعالج قضاياهم ومشكلاتهم وتحذرهم مما يضرهم مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه، وتهتم بشئونهم واهتماماتهم المختلفة سواء الاهتمامات الفكرية والثقافية والروحية والترويحية، وتعتني بتعليمهم المهارات التي تفيدهم وتملأ أوقات فراغهم، مستخدمة في كل ذلك الوسائل والأساليب العلمية والعملية التي لا تتنافى مع مصالح المجتمع وقيمه.

كما استخلصت الدراسة أهم الأهداف التي يمكن أن تضاف إلى أهدافها المرسومة بأن تهدف هذه المجلة إلى تكوين وإعداد القارئ الصالح الواعي المستقل بشخصيته باعتداده وتمسكه بقيم مجتمعه ومثله، وذلك بتزويده بكل ما يساعده على الاعتداد بما عنده والمحافظة على حقوقه، وبإرشاده لأفضل الطرق التي تعينه على اختيار ما يلزمه من المستجدات العلمية والفنية للقيام بواجباته ومهامه على أفضل وجه، وخاصة فيما يتعلق برعايته لدينه الحنيف وقيمه ومجتمعه ومثله في ذاته

وفي أسرته، والهدف من ذلك كله بناء المجتمع الصالح الإيجابي والمستقل والبعيد عن التبعية.

كما انتهت الدراسة النظرية إلى أهم أهداف الصحافة الدينية التي تتمثل في النقاط الآتية:

تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط.

محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.

التصدي لأعداء الإسلام.

تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.

الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.

تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً.

ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة.

غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء.

وأكدت الدراسة النظرية أن وظائف الصحافة كثيرة، وبما أن المجلة هي إحدى أهم وسائل الاتصال المطبوع، والمجلة المتخصصة فرع منها، ومجلة الدعوة السعودية جزء من المتخصصة، فإن وظائفها تنبثق أغلبها من مهام الاتصال، وذلك على النحو الآتي:

وظيفة الإخبار والإعلام:

وظيفة الإخبار والإعلام مرتبطة بالإسلام في كافة شؤونه لارتباطه التام بالإسلام والتصاقه به في كل نواحيه، ذلك أن الإعلام يعني بناء الإنسان وبناء الحياة في كل جوانبها، وقد جاء الإسلام مخبراً عن شرع الله تعالى فيه الهدى والموعظة، قال تعالى: {هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾}(١).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٨).

قال شيخ الإسلام -رضي الله عنه- والمقصود ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبين له الشيء ويستبين(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ (٢)، ويعتبر البيان إخبار وإعلام للناس، وهذه الوظيفة من أهم وظائف الدعوة بل ومن أول أهدافها، ولأن مجلة الدعوة السعودية عليها واجبات ووظائف إعلامية فإن من أول مهامها توفير المعلومات للقارئ عن الظروف المحيطة بها، وبما أن المجلة موجهة للمدعو على اختلاف ثقافته وجنسه وجنسيته فعليه أن يرفع من مستوى اهتماماته فتحيطه علماً بآخر أخبار العالم الإسلامي ومآسيه (٣).

وظيفة الشرح والتفسير:

أخذ الله جل وعلا على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولا يكتموه، وذم كاتميه ليقوموا بتحقيق ذلك الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ (٤).

قال أبو السعود -رضي الله عنه-: "وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين، وإظهار ما منحوه من العلم للناس أجمعين، وحرمة كتمانه لغرض من الأغراض الفاسدة، أو لطمع في عرض من الأعراض الفانية الكاسدة مالا يخفى"(٥)

---

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية،٩/٦٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

٣) أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، إبراهيم محمد سرسيق، بدون ذكر رقم الطبعة،(مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، د، ت) ص٥٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: (١٨٧).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ٢/١٢٥.

وتعني هذه الوظيفة شرح المعلومات الموجهة إلى القارئ وتفصيلها كي يسهل عليه استيعابها وتمثلها والتمسك بها وعدم التخلي عنها، حتى تصبح وكأنها جزء من شخصيته، ويكون ذلك في "تحويل المصطلحات العلمية والفنية إلى مصطلحات الخبرة العادية، مع وجود براعة صحفية في المزج بين المعالجة الصحفية والمعالجة الأكاديمية لكي يفهم العمل الأصلي بعبارات سهلة"(١)باستخدام أشكال تحريرية متنوعة، وأساليب متنوعة، وحرفية عالية في الإخراج.

فالشرح والتفسير يوسع الإخبار والإعلام، كأن تقوم المجلة بتفسير ظاهرة شائعة ما في المجتمع.

وتبرز أهمية هذه الوظيفة "بعد أن انتشرت خلال عصرنا هذا عقائد مذهبية ومبادئ سياسيّة و اجتماعيّة متباينة صاحبها عدم اهتمام كثير من وسائل الإعلام بمهمة التفسير والشرح على أسس موضوعية علمية سليمة، فمهمة الصحافة هنا أن تفسر وأن توضح للقراء ما يجب أن تكون عليه حياته السياسية والأخلاقية واعتقاداته في شئونه الأخرى(٢)وهذا مما يتعين على وسائل الإعلام في الدول النامية أن تشرح وتحلل التيارات الفكرية والاجتماعية المعاصرة، وتبين مدى تعارضها أو انسجامها مع تقاليد وقيم مجتمعاتها بدون اللجوء إلى أسلوب التنفير الممل؛ بمعنى أن يكون العرض والتحليل موضوعين ومتوازيين وأن مرحلة النهوض ومسايرة ركب الحضارة قد يجر معه مشاكل ومعتقدات غربية يجب أن تتصدى لها وسائل الإعلام وتميز الغث من السمين فيها حتى لا ينساق شبابنا وراء التقليد الأعمى الذي قد يفسد من قيمه وتقاليده الطيبة، وقد أثبتت التجارب أن الرقابة والتشويش وغيرهما لا يمكن أن تحل المشكلة وإنما المعالجة الموضوعية والمناقشة الفعالة أجدى بكثير من

(١) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، بدون ذكر رقم الطبعة،(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢ م) ص ٦٤. بتصرف.

(٢) الصحافة إجلال خليفة، (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٦م) ص٩.

الأساليب القديمة (١).

وعلى مجلة الدعوة السعودية أن توضح على وجه الخصوص أن الأخلاق هي أساس بقاء أمتنا الحضاري وغيابها يعني غيابنا عن العالم عقدياً وسلوكاً وحضارياً، فإن انحطاط الأخلاق هو أول الانحطاط ومنتهاه، ولذلك وجه أعداء الدين كل وسائلهم التدميرية إلى الإسلام والمسلمين عن طريق الأخلاق، واستغلوا كل وسائل كيدهم وأساليب مكرهم وباطلهم لأجل أن يحيا شباب الأمة المسلمة حياة الموضات وليخرجوا من قالب الأخلاق إلى قالب الرذيلة؛ لأنهم بذلك أمنوا عودة الإسلام من جديد بالقضاء على أخلاق المنتمين له.

وظيفة التوجيه والإرشاد:

التوجيه والإرشاد وظيفة للرسل -عليهم السلام- وهي وظيفة الدعوة إلى الله تعالى قال جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (٢) فأخبر سبحانه أنه بعث هذا الرسول -صلى الله عليه وسلم- شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله، فعلم بذلك أن وظيفة الدعوة إلى الله هي تبليغ الناس الحق، وتوجيههم وإرشادهم إليه، وتحذيرهم مما يخالفه ويضاده، وانطلاقاً من رسالة الصحافة السامية المبنية على وظيفة الرسل عليهم السلام؛ فإن وظيفة التوجيه والإرشاد من أبرز وظائفها بوجه عام، إذ إنه لابد للصحافة بعد أن تفسر وتوضح وأن ترشد وتوجه حتى تكون مهمتها إيجابية(٣) وتلك هي الرسالة الاجتماعية للصحافة، فرسالة الصحافة توجيه الرأي

---

(١) انظر: الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير" دور الإعلام في توجيه الشباب، محمد عز الدين بطروخة، (أبحاث الندوة العلمية الخامسة المنعقدة في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض في عام ١٤٠٨هـ) ص٩٦- ٩٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٤٥ - ٤٦).

(٣) الصحافة، إجلال خليفة، مرجع سابق، ص٧.بتصرف.

العام وإرشاده نحو الأفضل(١) وعليها أن تقف دوما في جانب الحق والعدل والخير والفضيلة (٢).

وقد أوجبت المادة الأولى من ميثاق الشرف الإعلامي الذي أقره مجلس جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٨م على الإعلام أن يعمل على تأكيد القيم الدينية والأخلاقية الثابتة، والمثل العليا المتراكمة في التراث البشري، وأن ينشد الحقيقة المجردة في خدمة الحق والخير(٣) وذلك لأن الاتصال الجماهيري هو في أساسه تجسيد لثقافة الأمة وحضارتها، إذ لا يمكن أن يكتب له أي نجاح يذكر ما لم يكن انعكاساً صادقاً لهذه الثقافة أو الحضارة، ومن خلال ذلك تقوم وسائل الاتصال بتعميق المفاهيم الشائعة في المجتمع، وترسيخ القيم السائدة فيه، وتثبيت العلاقات القائمة بين شتى المؤسسات والجماهير فوسائل الاتصال لا تقدم إعلاماً فحسب، بل تقدم مواقف جادة، وتعكس من خلالها اتجاهات نحو الحياة، إنها تقدم للجماهير فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير من خلال الإعلام، أو من خلال الواقع والخيال، وعندها تتضافر العناصر الواقعية مع العناصر الخيالية، ويعمق كل منهما الآخر(٤) وذلك لأن جماهير القراء تستجيب عادة للمواد الإعلامية التي تتمشى مع اتجاهاتها ومعتقداتها وميولها وقيمها المثلى(٥) بوسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد، أو تدعم تلك القيم بالحجج والبراهين المرتبطة بمرجعية فكرية يثق بها القارئ، وتحصنه بتفنيد

---

(١) الصحافة الجامعية، أهميتها، أدوارها، وظائفها، وخصائصها" محاضرات دورة آفاق الصحيفة الثالثة في الفترة ما بين ١٩٨٨/١١/١٢م، محمود كامل الناقة، جامعة الكويت، إصدار خاص بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس آفاق.

(٢) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم امام، ص٦٨.

(٣) مجلة الدراسات الإعلامية: العدد ٣٨، ١٩٨٧م، ص٥٤.

(٤) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٤) ص٩٩-١٠٠. بتصرف.

(٥) الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير حسين، مرجع سابق، ص ٦٢. بتصرف.

حجج المعارضين والمهاجمين لتلك القيم، وتحذره بإثارة خوفه وقلقه من أن هناك خطراً محيطاً محدقاً إن هو تنازل عن تلك القيم و لم يعد يتمسك بها، وهذا مما يجعل أساليب الدفاع سواء كان بالتأييد أو التفنيد أكثر فاعلية، بل وقد يدرب نفسه على تقوية الحجج المضادة الجيدة، أو يذهب إلى أبعد من ذلك على ابتكار بعض الحجج الإضافية (١).

وعلى مجلة الدعوة السعودية أن تعري الساعين لإزالة القيم والمثل وتحذر القراء من الاستجابة لهم، وتنتقد سلوك وتصرفات من استجاب لهم " لأن محاربة الفساد وتعريته وكشف أوكاره واجبات إعلامية لا ينبغي التهاون بها، وأن السكوت عليه تقصير في هذه الواجبات يرقى إلى مرتبة الجريمة" (٢) وذلك "لوجوب التصدي للواقع الفاسد إعلامياً باعتبار ذلك من المهام الأساسية للإعلام الراشد تحقيقاً وأداء للوظيفة الاجتماعية (٣).

وبذلك تكون مجلة الدعوة السعودية من خلال وظيفة التوجيه والإرشاد عين ساهرة ومراقبة وناقدة ومحصنة ومحذرة لما يدور حول القارئ من أخطار ومؤامرات محيطة به.

وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية:

إن الثقافة هي البناء العلوي للمجتمع الذي يتألف من الدين والفلسفة والفن والأدب والتشريع والقيم العامة السائدة (٤).

---

(١) انظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان رشتي، مرجع سابق، ص٢٨٣- ٢٨٤، ولبرشرام: أجهزة الإعلام والتنمية، ترجمة محمد فتحي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠م) ص٥٩.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط٣، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١٠هـ) ص ١٩٩ – ٤٥١.

(٣) المرجع السابق ص ١٩٩ - ٤٥١.

(٤) معجم المصطلحات الإعلامية: انجليزي/ عربي، كرم شلبي، (القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩ هـ) ص ١٤٩.

وأما التنشئة الاجتماعية فهي عملية اكتساب الإنسان للمعارف والنماذج والقيم والرموز السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته، أو الطرق في السلوك والتفكير والشعور التي تخص الجماعات والمجتمع والحضارة حيث إن الشخص مدعو أن يعيش فيها وتبتدئ عملية الاكتساب هذه منذ الولادة وتستمر طوال الحياة ولا تعرف حداً لنهايتها إلا مع الموت (١).

فيجب أن تكون وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية وإيضاح الأساليب وتحليل مضامين العملية التربوية المنوطة بها أساساً، لاسيما أن هذه الوظيفة من أهم وظائف الصحافة إذ إنه يجب على الصحافة أن تقوم ببث الأفكار والمعلومات والتعريف بتاريخ وفلسفة القيم التاريخية والإسلامية التي يقوم عليها مجتمعنا للمحافظة على ثقافته، وتساعد على تطبيع أفراده وتنشئتهم على المبادئ القويمة(٢).

وظيفة الترويح والترفيه والتسلية:

الإعلام الترويحي هو الذي يعطي تنفيساً عن الانفعال بإلهاء القارئ عن مشكلاته وهمومه الخاصة (٣).

والمضمون الترويحي هو الذي يهدف إلى التسرية أو التخفيف من التوتر والهموم عن طريق إعطاء المتلقي برهة يشعر فيها بالراحة من مشكلاته

---

(١) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع العام: الفعل الاجتماعي، تعريب مصطفى دن شلي، غي روشيه، (بيروت، المؤسسة العربية ، ١٩٨٣م) ص١٦٥.

٢) انظر: دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، مرجع سابق، ص٨٢، ٨٥. "الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير محمد عز الدين بطروخة، " مرجع سابق، ص٩٣.

(٣) وسائل والمجتمع الحديث، وليام ريفرز وآخرون، ترجمة إبراهيم إمام (القاهرة، دار المعرفة، ١٩٧١م) ص٣١٥.

الشخصية(١).

ولقد أصبح الترفيه من الضروريات الحيوية التي تساعد على بناء شخصية وتقدم الإنسان المعاصر، ولقد أباحه الإسلام لما فيه من التخفيف على الفرد من مشاق الحياة، شريطة ألا يتعارض مع مبادئ الإسلام وقيمه وشرائعه، فقد ثبت في الصحيح عن حنظلة قال: كنا عِنْدَ رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- فوَعَظَنَا فذَكَّرَ النّارَ قال: ثمَّ جِئْتُ إلى الْبيْتِ فضَاحَكْتُ الصِّبْيانَ ولاعَبْتُ الْمرْأَةَ قال: فخَرَجْتُ فلَقِيتُ أبَا بكْرٍ فذَكَرْتُ ذلكَ له فقال: وأنا قد فعَلْتُ مِثْلَ ما تذْكُرُ فلَقِينا رسُولَ اللّه -صلى الله عليه وسلم- فقلت :يا رسُولَ اللّه نافَقَ حنْظَلَةُ فقال: مَهْ فحَدَّثْتُهُ بالْحديثِ فقال أبو بكْرٍ: وأنا قد فعَلْتُ مثْلَ ما فعَلَ فقال :يا حنْظَلَةُ ساعَةً وسَاعَةً ولَوْ كَانتْ تَكونُ قلُوبُكُمْ كما تَكونُ عنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكمْ الْمَلائكَةُ حتى تُسَلِّمَ عَلَيْكمْ في الطُّرُقِ"(٢).

فقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والنفسية أن الإنسان بحاجة إلى الانتعاش والتسلية والترويح من خلال برامج ترفيهية تجدد نشاطه وتبعث فيه المرح والاسترخاء وتبعد ذهنه عن ضغوط المجتمع الحديث ومشاكل الحياة اليومية والمنافسة في العمل والمشاكل العائلية (٣).

وبما أن مجلة الدعوة السعودية واحدة من وسائل الاتصال المتخصصة " فينبغي أن تتصف بالتوازن أو الاتزان فلا تسرف في الجد إلى حد العبوس، ولا تتطرف في الترفيه إلى حد العبث، وإنما ينبغي أن تسد الحاجات الإنسانية بما فيها من جوانب

---

(١) التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، (المنصورة، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ) ص١٨٥.

(٢) الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب" دور الإعلام في توجيه الشباب، منير ناصر، مرجع سابق، ص٢٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: فضْلِ دوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ في أُمُورِ الْآخرَةِ والْمُرَاقَبَةِ وجَوَازِ ترْكِ ذلك في بعْضِ الْأوْقَاتِ وَالاشْتِغَالِ بالدُّنْيَا ،حديث رقم: ٢٧٥٠ص١١٩١.

جادة وأخرى ضاحكة (١).

وظيفة الإعلان:

تعد هذه الوظيفة من الوظائف الرئيسية للصحافة عامة، وينبغي أن تهتم بها مجلة الدعوة السعودية أكثر لأن للقارئ الدور الأكبر في اختيار ما يلزمه، والإعلان وسيلة غير شخصية لتقديم الأفكار والسلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة ومقابل أجر مدفوع(٢).وبناءً على ذلك يجب أن تختار مجلة الدعوة السعودية الإعلانات التي تفيد القراء أنفسهم وعلاقتهم مع غيرهم، وما يلزمهم ويحتاجون إليه في شئونهم الخاصة والعامة.

تقويم نتائج الدراسة الميدانية:

استهدفت دراسة قراء مجلة الدعوة السعودية التعرف على آرائهم حول مدى تحقيق المجلة لأهدافها، ومدى حرص جمهورها على قراءتها، والموضوعات التي يفضل قراءها فيها، ومدى قبول القراء للأساليب التي تعالج بها القضايا المطروحة. وعلى ضوء ما انتهت إليه هذه الدراسة برز للباحث النتائج التالية:

تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لكافة أهدافها مع وجود بعض نقاط الضعف التي تحتاج إلى معالجتها من قبل القائمين على المجلة وتتمثل في تدني أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتمثلة تحت كل هدف من أهداف المجلة والتي تتمثل متوسطاتها الحسابية في أقل من (٣,٥) وذلك على النحو الآتي:

حتى تحافظ مجلة الدعوة على قرائها وتكتسب قراء جدداً عليها معالجة نقاط الضعف المذكورة سابقاً، وأن تنوع في أساليبها الدعوية، وأن تبحث عن الأساليب

---

(١) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، ٧٤.

(٢) الدعاية والإعلان قحطان بدر العبدلي وسمير عبد الرزاق العبدلي، (بيروت، دار العلوم ، ١٤١٣هـ) ص١٨ بتصرف.

الجديدة من حيث الشكل والمضمون، وهذا واضح على سبيل المثال في الهدف الأول فالجانب الدعوي الصرف لم يأخذ حقه بدليل عدم استقطاب المتخصص في مجالات الدعوة.

وتبين أن قراء مجلة الدعوة على مستوى عال من الوعي والثقافة له خصائصه التي تميزه عن غيره من قراء الصحف العامة، وأن أهداف المجلة ووظائفها تؤكد أن مجلة الدعوة مجلة نوعية متخصصة لها أهداف ثابته تعمل على تحقيقيها.

تمثلت أهم نتائج الدراسة في قبول كافة الفروض المتمثلة في الآتي :

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

توصلت الدراسة التقويمية إلى وجود بعض نقاط الضعف التي تحتاج إلى معالجة من قبل القائمين على المجلة.

وتتمثل نقاط الضعف في تدني أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتعلقة بكل هدف من أهداف المجلة والتي سبق ذكرها في الدراسة التقويمية.

الجمهور المستهدف

تؤكد كثير من الدراسات الإعلامية الحديثة على أن فاعلية الإقناع ترتبط بمراعاة طبيعة وخصائص الجمهور المستهدف(١) وقبل هذه الدراسات بينت السنة النبوية أهمية مراعاة أحوال المخاطبين، يدرك ذلك من ينظر في مضمون رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك المجاورين، وكيف خاطب كل أمة بما يتفق مع خصائصها العقدية الفكرية والثقافية (٢).

---

(١) انظر: البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١١هـ) ص١٩- ٢٠.

(٢) انظر: إعلام السائلين سيد المرسلين، محمد بن طولون، تحقيق محمود الأرناؤوط، (بيروت، الرسالة، ١٤٠٣هـ) ص٥٥ - ١٠٨.

الخاتمة

وتشتمل النتائج والتوصيات:

النتائج:

لقد استعرضت هذه الدراسة آراء قراء مجلة الدعوة السعودية حول مدى منهجها التي سارت عليه ومدى تحقيقها لأهدافها التي رسمتها لنفسها، والمنهج الإسلامي والتعريف به، والمستند الشرعي له، وأهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها، وقضايا الدعوة التي يحتاجها المدعو، ونشأة وأهداف المجلة وتاريخ نشأتها وأهدافها، ثم درس الباحث آراء القراء في المجلة، ثم ناقشت أهم نتائج الدراسة الميدانية، وقدمت نموذجاً أمثل لأهداف مجلة الدعوة من خلال تقويم نتائج دلالات الدراسة الميدانية، وقومت واقعها في ضوء تلك الدراسة، ولقد ظهر للباحث أثناء دراسته عدة نتائج، ومن أهمها وجد الباحث مجلة الدعوة مجلة رصينة في مجالها متوازنة في رؤاها المختلفة، إضافة إلا كونها زاخرة بالمسائل العلمية والنصائح الدعوية والفوائد الدقيقة المتنوعة، ولذا فالحاجة إليها ومثيلاتها قائمة في كل زمان ومكان وخاصة في ميدان الدعوة والاحتساب، حيث يجد فيها الدعاة، بفضل الله تعالى، ذخيرة هائلة تعينه بعد الله في القيام بدوره وواجبه الدعوى مع أصناف شتى من المدعوين، وسيقف الباحث على أبرزها على النحو الآتي:

أظهرت الدراسة الميدانية ارتفاع المستوى التعليمي لقراء مجلة الدعوة السعودية.

١. كشفت الدراسة أن هناك أساساً لاختيار المحرر، ومنها أن يكون ذا خبرة إعلامية وشرعية، ومن المهتمين بالقضايا الإسلامية.

٢. بينت الدراسة تنوع أهداف مجلة الدعوة السعودية.

٣. كشفت الدراسة اهتمام ٦٨% من قراء المجلة ممن تراوحت أعمارهم ما بين ٣٢إلى أقل من خمسين عاما.

ثم يليهم ممن تجاوز الخمسين عاما بنسبة ٢٢% وفي الدرجة الأخيرة القراء الذين تقل أعمارهم عن٣٢ عام بنسبة ١٠%.

٤. وأظهرت الدراسة الميدانية أن جنس القراء (٨٦%) من عينة الدراسة رجال، و(١٤%) نساء، كذلك اقتضت الدراسة الوقوف على جنسية القراء حيث بلغ نسبة العينة من السعوديين(٩٥%)وغير السعوديين(٥%).

٥. أظهرت الدراسة الميدانية أن الفئة العمرية (من ٣٢ إلى أقل من ٥٠) تشكل النسبة الأكبر إذ تمثل (٦٨%)من إجمالي عينة الدراسة، وتشكل بالإضافة إلى الفئة العمرية:(من ٥٠سنة فأكثر) نسبة (٩٠%) من إجمالي عينة الدراسة.

٦. كما أظهرت الدراسة الميدانية علو المستوى التعليمي والثقافي لجمهور مجلة الدعوة السعودية؛ حيث تبين أن معظم الذين تم تحاورهم مع الاستبانة من عينة الدراسة يحملون شهاداة جامعية مختلفة، وذلك على النحو الآتي: نجد أن(٥٧%) من أفراد العينة يحملون درجات الماجستير والدكتوراه، و(٣٥%) من أفراد العينة يحملون درجة البكالوريوس، وبما يعني أن (٩٢%) من أفراد العينة يحملون مؤهلات بكالوريوس فأكثر.

٧. أظهرت نتائج الدراسة أن هدف الاهتمام بموضوعات الدعوة من أكثر الأهداف عناية حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣،٧٩).

٨. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن أسلوبها في معالجة موضوعات الدعوة وكذلك عدم مواكبة الخطاب الدعوي لروح العصر لم يكسبها قراء جدد.

٩. أوضحت الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالبحوث الفقهية أخذ حقه في أغلب فروعه حيث بلغ المتوسط الحسابي (٦٣،٣).مع ملاحظة أن أساليب المعالجة كانت محدودة.

١٠. بينت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالفتاوى الشرعية من أهم أهداف المجلة حيث بلغ المتوسط الحسابي(٥٥،٣)ولكن لم تسجل نتائج الدراسة إشادة عالية به.

١١. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة بلغ المتوسط الحسابي(٣،٥١) حيث وجد ضعف محدود جد حسب رأي قرائها.

١٢. أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي قد بلغ المتوسط الحسابي(٣،٦٠) وقد رأى جمهور القراء أن المجلة لم تحق قدرا كبيرا من تلك العناية.

١٣. أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية قد بلغ المتوسط الحسابي(٣،٣٣) وقد اعتبر أغلب القراء أن العناية بهذا الهدف لم يكن كبيراً.

١٤. بينت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالقضايا الاجتماعية قد بلغ المتوسط (٣،٥٠)فقد وجد قراء المجلة الذين لهم اهتمامات بقضايا المرأة والطفل وذوي الاحتياجات الخاصة أن ما وصلت إليه نتائج ذلك الهدف لم يكن مرضياً.

١٥. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية بلغ المتوسط الحسابي(٣،٢٦) وقد اعتبره الباحث أمرا منطقياً؛ لكون المجلة ذات توجه إسلامي دعوي.

التوصيات:

بناء على مناقشة أهم نتائج الدراسة الميدانية وتقويم دلالاتها وما وجده الباحث خلال رحلته العلمية في أرجاء أهداف مجلة الدعوة السعودية، بدا للباحث توصيات من أهمها:

١. أهمية عناية المجلات الإسلامية وخاصة مجلة الدعوة السعودية بالتفسيرات والتحليلات لما يحدث في العالم، فلا ينبغي لصوت الإسلام أن يخرج على استحياء بل لابد من الجهر بالدعوة الإسلامية في الآفاق.

٢. على القائمين على إدارة مجلة الدعوة السعودية العمل على تحسين وتطــوير أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتعلقة بكل هدف من أهداف المجلة والتي سبق ذكرها في الدراسة التقويمية، وبما يحقق أهداف المجلة بفعالية.

٣. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجـــاد إلى إيجاد لجنة متخصصة من أصحاب العلم والخبرة الإعلامية لتحقيــق رغبـــات القراء لتزويدهم بالأفكار الساعية لتطوير المجلة.

٤. يوصي الباحث المسؤولين عن مجلة الدعوة السعودية باختيار المحررين أصحاب المؤهلات العليا والتخصصات الشرعية والإعلامية.

٥. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد لتعرف على القراء وخاصة من المداومين على قراءتها ومن يسعى للوصول إليها بمقترح من شأنه تطويرها.

٦. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد علـــى الموازنة في طرح الموضوعات وعدم طغيان موضوعات على موضوعات الدعوة وقضاياها.

٧. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة الـــسعودية بالـــسعي الجـــاد والاعتماد على التفسير والتحليل والتعليق والتوجيـــه وحلـــول المـــشكلات الموجودة.

٨. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة الـــسعودية بالـــسعي الجـــاد بدراسة تطوير المجلة وأساليب معالجاتها.

٩. يوصي الباحث بمواصلة البحث والدراسة القائمة على تحليل مضامين أعدادها، وبخاصة أيام الفتن.

١٠. يوصي الباحث المجلة أن تهتم بمخاطبة جميع فئات المجتمع وتعاملهم بالأســلوب الذي يناسبهم، بل ويتلاءم مع مستوياتهم وتحدد لهم دورهم الاجتماعي، وتحل لهم مشاكلهم الخاصة بها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. السنة المطهرة.

٣. أجهزة الإعلام والتنمية، ولبرشرام، ترجمة محمد فتحي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠م).

٤. الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م).

٥. أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، إبراهيم محمد سرسيق، بدون ذكر رقم الطبعة، (مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، بدون تاريخ نشر).

٦. إعلام السائلين سيد المرسلين، محمد بن طولون، تحقيق: محمود الأرناؤوط، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، الرسالة، ١٤٠٣هـ).

٧. الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير محمد حسين، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤م).

٨. الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٤م).

٩. الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير" دور الإعلام في توجيه الشباب، محمد عز الدين بطروخة، أبحاث الندوة العلمية الخامسة المنعقدة في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض في عام ١٤٠٨هـ).

١٠. البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١١هـ).

١١. التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، (المنصورة ، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ).

١٢. الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب" دور الإعلام في توجيه الشباب، منير ناصر.
١٣. دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، بدون ذكر رقم الطبعة،(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢ م).
١٤. الدعاية والإعلان قحطان بدر العبدلي وسمير عبد الرزاق العبدلي، (بيروت، دار العلوم ، ١٤١٣هـ).
١٥. الصحافة إجلال خليفة، (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٦م).
١٦. الصحافة الجامعية "أهميتها، أدوارها، وظائفها، وخصائصها" محاضرات دورة آفاق الصحيفة الثالثة في الفترة ما بين ١٩٨٨/١١/١٢م، محمود كامل الناقة، جامعة الكويت، إصدار خاص بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس آفاق.
١٧. مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٣٨، ١٩٨٧م.
١٨. مدخل إلى علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، تعريب مصطفى دن شلبي، غي روشيه، (بيروت، المؤسسة العربية ، ١٩٨٣م).
١٩. معجم المصطلحات الإعلامية، انجليزي/ عربي، كرم شلبي، (القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩ هـ).
٢٠. وسائل والمجتمع الحديث، وليام ريفرز وآخرون، ترجمة إبراهيم إمام (القاهرة، دار المعرفة، ١٩٧١م).
٢١. وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط٣، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١٠هـ).
٢٢. الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، مرعي مدكور،ط١،(القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧م).
٢٣. الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م).

٢٤. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق، د. عبدالرحمن عميرة، ط١، (بيروت عالم الكتب،١٤٠٧هـ).
٢٥. التوقيف على مهمات التعريف، الشيخ عبد الرؤوف المناوي، ط١، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ).
٢٦. خطبة الحاجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، (دمشق، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ).
٢٧. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، ط٢، (مكة المكرمة جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، ١٤١٣هـ).
٢٨. الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، ط١،(بيروت، الرسالة،١٤١٤هـ).
٢٩. الصحافة النسائية في مصر من سنة ١٩١٩م إلى ١٩٣٠م، خليفة إجلال، رسالة ماجستير لم تطبع بعد حسب علم الباحث.
٣٠. صحيح البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، ط٢، (الرياض، دار السلام،١٤١٩هـ).
٣١. صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، ط٢، (الرياض، دار السلام، ١٤٢١هـ).
٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، ط٢، (القاهرة، السلفية، ١٤٠٠هـ).
٣٣. لسان العرب، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ط١، (بيروت، لبنان، دار صادر،١٤١٠هـ).
٣٤. الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د. جواد راغب أيوب،

رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث.
٣٥. محاضرات في الإعلام ووظائفه، د. عمارة نجيب، بدون ذكر رقم الطبعة،(بدون معلومات النشر).
٣٦. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان،١٤٠٩ هـ).
٣٧. مدخل إلى علم الصحافة، د. فاروق أبو زيد،ط٢،(القاهرة، عالم الكتب،١٤١٨هـ).
٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بدون ذكر رقم الطبعة، (الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ).
٣٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،ط١،(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).
٤٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، (تركيا، المكتبة الإسلامية،١٣٩٢هـ).
٤١. معلم الصحافة والإنشاء، محمد خير الدرع، بدون ذكر رقم الطبعة، (دمشق، المكتبة الأموية، ١٩٧٣م).
٤٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، بدون ذكر رقم الطبعة، (دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ).
٤٣. منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد موسى، (بيروت، دار الكتب اللبناني،١٩٨٢م).
٤٤. مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، ط٣،(الكويت، وكالة المطبوعات،١٩٧٧م).
٤٥. منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ط١،(الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ).
٤٦. منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبد المنعم صابر،

العدد١٨٣ (من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٨هـ).

٤٧. وظائف التبليغ القرآني، أعلام الإنسان بالشرائع والمنهج لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، د. إحسان عسكر ط١، (مصر، دار الاتحاد العربي،١٤٠٤هـ).

البحث رقم (٧)

المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية

إعداد
د.عبدالله بن إبراهيم الطويل
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن مكة المكرمة حرسها الله كانت ولا زالت مقصداً للعلماء والدعاة وطلبة العلم من شتى أنحاء المعمورة،وكان المسجد الحرام من أوائل منارات العلم والمعرفة،ليس لأهل مكة فحسب، بل للمسلمين عامة. وكان الجوار بمكة منذ القرون الأولى(١)أمنية كثير من العلماء والدعاة والعباد، فمنهم من تحقق مقصده، ومنهم من لم يتيسر له ذلك.

وإن الناظر في تراجم المجاورين بمكة يجد الشوق الكبير لسكنى مكة، والمجاورة بحرمها الشريف، والفرح حين دخول الحرم المكي.

يقول المقري صاحب كتاب "نفح الطيب":((ولـمّا وقع بصري على البيت الشريف كدتُ أغيب عن الوجود))(٢).

وفي وصف أدقّ يقول محمد العبدري:((وفي يوم التروية دخلنا البلد الأمين مقر المجد الصميم، والشرف المكين، فخرُ بقاع الأرض كلها على مرّ السنين، فأقسم بالله أعظم يمين قسماً لا يكذب:ما حُرم سكناه إلا ذو حظٍ غبين))(٣).

---

(١) جاور بمكة عدد كبير من الصحابة رضي الله عنه وقد رتبهم محب الدين الطبري على حروف المعجم، انظر:القرى لقاصد أم القرى، محب الدين الحافظ أبي العباس الطبري،مكتبة البابي، القاهرة،ط٢ ، ١٣٩٠هـ، ص٦٦٢ .

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ،تحقيق، إحسان عباس،دار صادر،بيروت، ط١ ،١٣٨٨هـ،(١/٣٩) .

(٣) رحلة الرحلات.مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، د.عبدالهادي التازي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،مكة المكرمة، ط١ ، ١٤٢٦هـ(١/٨١)وغبين: أي ضعيف، انظر:القاموس المحيط،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨ ،١٤٢٦هـ ، مادة"غبن"ص١٢١٩ .

وقال محمد الناصري:((دخلت بفرحة كادت تطير منها القلوب، وانجلى ما كان خيّم عليّ من الأحزان والكروب، كيف ونحن بحرم جعله الله تعالى مكفراً لما سلف من الذنوب....يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها، موضع شرع الله تقبيله واستلامه، وقبلة كل نساك وإمامه، فسبحان من جعل أفئدة من الناس تهوي إليه))[1].

وبعضهم رأى مجاورته لمكة في المنام،فسارع بتحقيق ذلك في اليقظة كصنيع عثمان ابن حسن الدمياطي[2]، وبعضهم أكثر من دعاء الله تعالى أن يجاور بمكة فاستجاب الله له مثل محمد بن حمد الزبيري[3]، وهذا أمر يطول ذكر نماذجه نثراً وشعراً، وفيها يتضح مدى الشوق والحنين، والحب والتعظيم لبيت الله الحرام، بل لقد لفت انتباهي في بعض تراجم المجاورين في القرن الثالث عشر أن غاية همه، وأكبر همه هو الوصول إلى مكة، ومن ثم المجاورة ببيته.

لقد مارس المجاورون نشاطهم الدعوي في عدد من الأماكن في مكة المكرمة وفي خارجها، ففي مكة أقاموا الدروس والحلقات العلمية في شتى الفنون الشرعية، وفي غير الحرم كانت المدارس والأربطة، وفي خارج مكة كان لهم الدور الإيجابي الفاعل في نشر الدعوة الصحيحة في مختلف الأمصار، بل إن هذا الجوار-كما سيأتي-أسهم في نشر الدعوة السلفية التي أعلنها الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وانتشرت من نجد إلى بلاد العالم الإسلامي. من جانب آخر كان للمجاورين نشاط علمي تمثل في تصنيف عدد من المؤلفات، وفي مختلف الفنون والمعارف.

---

(١) رحلة الرحلات (٢/٤٥٨).

(٢) انظر:أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،مكة المكرمة،ط١ ، ١٤٢٦هـ ص٨٩ .

(٣) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون،عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ(٥/٥٠٨) .

لـــمّا رأيتُ ذلك؛ عزمتُ على جمع شتات هذا الموضوع، والاجتهاد في تدوين تلك الجهود الدعوية، زيادة على ذلك ما يلاحظ من قلة تخصيص الكتابات عـــن القرن الثالث عشر عموماً، والمجاورين خصوصاً(١)، ورغبة مني في مزيد تحديد فقد جعلته عن المجاورين بمكة لا المدينة،واخترت المجاورين في "القـــرن الثالـــث عـــشر الهجري"؛بناء على وصف المترجمين الصريح لهم بأنهم ممن جاوروا بالمسجد الحرام، وقد عنونته:"**المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية**".

وقسمت البحثَ إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة

التمهيد:وفيه التعريف بالمجاورة، ومدة الجوار، ومشروعيته.

المبحث الأول:سمات المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر.وفيه مطلبان:

المطلب الأول:أنهم علماء ودعاة وطلبة علم

المطلب الثاني:اشتهارهم بالعبادة، وحسن الخلق

المبحث الثاني:الجهود الدعوية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر، وفيـــه أربعة مطالب:

المطلب الأول:إقامة الدروس العلمية

المطلب الثاني:تصنيف المؤلفات النافعة

المطلب الثالث:إنشاء المكتبات، ونسخ مؤلفات السلف

المطلب الرابع:نشر الدعوة الصحيحة بعد المجاورة

المبحث الثالث:العوامل المساعدة للمجاورين لنشر دعوتهم، وفيه ثلاثة مطالب:

---

(١) مما كُتب عن المجاورين:"المجاورون ودورهم العلمي من خلال العقد الثمين" د.فوزي ساعاتي، وهو بحث مقدم إلى الندوة السادسة لتاريخ الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود، عام١٤٢٨هـــــ،وأيضاً بحث بعنوان"المجاورون بمكة وأثرهم العلمي خلال فترة٥٧٠- ٦٦٠ د.عبدالعزيز السنيدي، وهـــو بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية،عام١٤٢٦هـــ .

المطلب الأول:العوامل الدينية

المطلب الثاني:العوامل الاجتماعية

المطلب الثالث:العوامل الاقتصادية

الخاتمة.

وهي كتابة موجزة، وإلماحة سريعة، جازماً بأن موضوع"الجوار" لا يزال غضاً طرياً بحاجة إلى العديد من البحوث والدراسات حتى تصل به إلى مرحلة النـــضج، والموفق من وفقه الله.وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد :وفيه التعريف بالمجاورة، ومدة الجوار، ومشروعيته.

التعريف بالمجاورة:

المجاورة لغة:من"الجوار"بالكسر والضم، والكسر أفصح، كما قال الجوهري(١).

وقال الزبيدي-رحمه الله-:((والمجاورة:المساكنة والمقاربة...والجار هو الذي يجاورك بيتاً ببيت))(٢).

والمجاورة في الاصطلاح هي:النزول بجوار أحد الحرمين الشريفين رغبة في العبادة ونحوها، غير ملتزم بشرائط الاعتكاف (٣).

وهذا المصطلح وما قاربه هو الدارج في مصنفات أهل العلم، لاسيما تواريخ البلدان وتراجم الرجال؛ من ذلك:"جاور بالحرم الشريف"،"قدم مكة وجاور بها"،"قدم للحج وجاور"،"نزيل البلد الحرام"،"اختار الجوار بمكة"،"جاور بحرم الله"(٤).

---

(١) انظر:الصحاح،إسماعيل الجوهري،دار العلم للملايين،بيروت،ط٣ ،١٤٠٤هـ،مادة"جور"(٢/٦١٧).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،دار الهداية، مادة"جور"(١٠/٤٧٨).

(٣)انظر:لسان العرب،محمد بن مكرم بن منظور ،دار صادر، بيروت،ط١ ، ١٤٠٥هـ،مادة"جور"(٤/١٥٣)

(٤)انظر:تاريخ بغداد أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت (٣/١٦٤)(١٤/٤١٦)تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد الذهبي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١/٤٤، ٢١٣)سير أعلام النبلاء،محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبوعبد الله، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط ٩، ١٤١٣هـ،تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون (٣/١٩١)(٦/٣٩٦)الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني،تحقيق محمد عبدالمعيد ضان،نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية،١٣٩٢هـ (١/٣٣)شذرات الذهب في

وإذا أُطلق مصطلح"الجوار" فُيراد به غالباً: جوار الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة النبوية، وتنتهي المجاورة بخروجه من هاتين المدينتين أو وفاته.

وأدخل بعضهم في هذا المصطلح مساجد أخرى، من ذلك:

ما جاء في ترجمة عبدالفتاح مغيزل أنه جاور ببيت المقدس(١)،وأبو بكر الهروي مجاور المسجد الأقصى (٢)

وجاء في ترجمة محمد الأسناوي أنه جاور بالجامع الأزهر(٣)، وكذلك لاجين الأزهري(٤) بل وُصف بعضهم بأنه جاور بالنجف(٥).

مدة الجوار:ليس للجوار مدة محددة يلتزم بها المجاور؛ وإنما ذلك عائد إلى الهدف الذي يسعى صاحبه لتحقيقه فترة المجاورة، إذ منهم من يجاور لفترة قصيرة لا

أخبار من ذهب،شهاب الدين بن العماد الحنبلي،تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ،١٤١٩هـ (٥/٣٩٦).

(١) انظر:سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن مراد الحسيني، دار البشائر الإسلامية، عمّان، ط٣ ، ١٤٠٨هـ (١/٤٠١)وانظر:معجم المؤلفين،عمر بن رضا بن محمد راغب بن كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى، بيروت (٥/٢٧٨).

(٢) انظر:بغية الطلب في تاريخ حلب،عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر، بيروت(٢/٤٦٣).

(٣) انظر:حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، دار صادر، بيروت، ط٢ ،١٤١٣هـ (٢/٤٠) وانظر:(١/٣٤)و(٢/١٠٦) وانظر كذلك:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر (٤/٢٠٦) .

(٤) انظر:الدرر الكامنة(٤/٤١٦)وقد وقفت على أكثر من عشرين ترجمة لأعلام وُصفوا بأنهم جاوروا بالجامع الأزهر .انظر مثلاً كتاب :الأعلام، خير الدين الزركلي،دار العلم للملايين ، بيروت،ط١٦، ٢٠٠٥م(١/٩٤)(٤/٣٩)(٦/١٨٢)(٧/٦٢)(٧/٧٨) .

(٥) انظر:معجم المولفين(٥/١٨)(٩/٩٧، ١٨٠).

تتجاوز السنة(١)، ومنهم من جاور ثلاث سنوات(٢)، وسبع سنوات(٣)، وعشر سنوات(٤)، وعشرين سنة (٥)، ومنهم من جاور خمسين سنة (٦)، ومنهم من كان يكرر المجاورة فيجاور سنوات، ثم يرجع إلى بلده سنوات، ثم يعود للمجاورة مرة أخرى (٧). ومنهم من يجاور في آخر عمره حتى وفاته وربما ذلك رغبة من بعضهم أن يدفن في مكة أو المدينة (٨)، وترتب على هذه المجاورة أن استقر كثير منهم بمكة، وأصبح بالحجاز العديد من العوائل التي ينحدر نسبها إلى أصول مصرية أو شامية أو هندية.

مشروعية الجوار

وردت العديد من النصوص والآثار في فضل الجوار بمكة المكرمة والمدينة النبوية،من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:((إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت))(٩)، وفي رواية:((ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك))(١٠).

---

(١) انظر:شذرات الذهب (١٨٣/٦).

(٢) انظر:سير أعلام النبلاء(٥٩٢/١٧)(٥٣٧/١٨).

(٣) انظر:سير أعلام النبلاء(٣١٥/١٦).

(٤) انظر:تاريخ بغداد (٣٨٧/٨) .

(٥) انظر:تذكرة الحفاظ(١٣٨٢/١٤)

(٦) انظر:شذرات الذهب(١٥٤/٦)

(٧) انظر:شذرات الذهب(١٥٤/٦)حلية البشر(١٧/١)معجم المؤلفين(٨٦/١)

(٨)انظر:طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي،مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة،ط١ ، ١٤٠٢هـ(١٠٤٠/٢) الوافي بالوفيات،صلاح الدين الصفدي،دار إحياء التراث،بيروت،ط٢، ١٤٢٠هـ،(١٨٤/٨)

(٩)رواه أحمد (١٨٤/١٤)ورواه الترمذي في سننه،كتاب المناقب، باب فضل مكة ، (٢٠٧/٦) رقم٣٩٢٥ وحسنه .

(١٠) رواه الترمذي في سننه،كتاب المناقب، باب فضل مكة،(٢٠٧/٦)رقم٣٩٢٦ وحسنه .

كما ورد جملة من النصوص في فضل مكة، وما فيها من بركة وتكثير للأجر، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (1) وقوله عزّ وجل﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (2) وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (3)، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على فضل مكة وكذلك المدينة في أنهما لا يدخلهما المسيح الدجال (4)، ولا يقربهما الطاعون(5)، وتحرسهما الملائكة(6)، وأنّ الصاع مبارك فيهما (7)، ومضاعفة الصلاة بمسجديهما(8)، وجواز شدّ الرحال إليهما (9)، وهي نصوص دالة على عِظم الحرمين الشريفين.

---

(1) سورة البقرة، آية(١٢٦)

(2) سورة إبراهيم،آية(٣٥)

(3) سورة آل عمران،آية(٩٦)

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة(٢/٦٦٥)رقم١٧٨٢، ومسلم في صحيحه،كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب قصة الجساسة(٤/٢٢٦٥)رقم٢٩٤٣ .

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون(٥/٢١٦٥)رقم٥٣٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال (٢/١٠٠٤) رقم١٣٧٩

(6) رواه مسلم في صحيحه،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة(٤/٢٢٦٥)رقم٢٩٤٣

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيع، باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وسلم(٢/٧٤٩)رقم ٢٠٢٢

(8)رواه البخاري في صحيحه،كتاب الصلاة،باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة(١/٣٩٨)رقم١١٣٣، ومسلم في صحيحه،كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة(٢/١٠١٢)رقم١٣٩٤

(9) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة(١/٣٩٨٩رقم١١٣٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تُشدّ الرحال إلا لثلاثة مساجد(٢/١٠١٤)رقم١٣٩٧

ورغم هذا فلأهل العلم كلام حول مشروعية الجوار، وما يلحق به من أحكام، من ذلك ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول-رحمه الله-:((وأما المجاورةُ فليست واجبة باتفاق المسلمين، بل العلماء متنازعون هل هي مستحبَّة أم مكروهة؟ فاستحبها طائفة من العلماء من أصحاب مالك[١] والشافعي[٢]، وكرهها آخرون كأبي حنيفة[٣] وغيره، قالوا:......وأنه لا يأمن من مواقعة المحظور؛ فيَتَضاعف عليه العذاب. ولأنه يضيق على أهل البلد.

قالوا: وكان عمر يقول عَقِب المواسِم: يا أهل الشام شامكم، يا أهل اليمن يمنكم، يا أهل العراق عراقكم، ولأن المُقيم بها يفوتُه الحجّ التام والعمرة التامَّة؛ فإن العلماء مُتَّفقون على أنه إنْ أنشأ سَفَرَ العمرة من دُوَيرة أهله كان هذا أفضل أنواع الحج والعمرة.... والمقصود هنا أنَّ مِن العلماء مَن كَرِهَ المُجاورة بمكة لِمَا ذكر من الأسباب وغيرها، ولكن الجمهور يستحبونها في الجملة إذا وَقَعَت على الوجه المشروع الخالي عن المفسدة المكافئة للمصلحة أو الرَّاجِحة عليها.

قال الإمام أحمد، وقد سُئل عن الجوار بمكة، فقال: وكيف لنا به، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم-:((إنَّكِ لأحب البِقَاع إلى الله، وإنَّكِ لأحب إلي)). وجابر جاوَرَ مكة، وابن عمر كان يُقيم بمكة....... فإذا كانت أحبَّ البلاد إلى الله ورسوله، ولولا ما وَجَبَ عليه من الهجرة لما كان يسكن إلا إيَّاها، عُلِمَ أن المُقام بها أفضل إذا لم يُعارض ذلك مصلحة راجحة))[٤].

---

(١) انظر: المدخل،محمد بن محمد المالكي الشهير بابن الحاج،دار الفكر، بيروت،ط١ ، ١٤٠١هـ(٤/٢٤٠) وبلغة السالك،أحمد الصاوي، دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢ ، ١٤١٥هـ(٢/١٧٥).

(٢) انظر:المجموع شرح المهذب، شرف الدين النووي،دار الفكر، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٧م(٨/٢٠٧).

(٣) انظر:المبسوط،محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت،١٤١٤هـ(٣/١١٤).

(٤) جامع المسائل،أبو العَبَاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني،تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد ، الرياض، ط ١ ١٤٢٢هـ

إذن المجاورة مستحبة عند أغلب العلماء، ومن كرهها فلأحد أمور ثلاثة:

أولاً:خوفاً من التقصير في حرمتها، واعتياد المكان، والأنس به؛ مما قد يقلل من مهابتها وتعظيمها؛ ولذا أمر عمر رضي الله عنه من حج أو اعتمر بالرجوع لبلده.

ثانياً:الخوف من ارتكاب ذنب فيها، لأن المعصية فيها ليست كغيرها.

ثالثاً:أنه عند الإقامة فيها قد ينشغل البال بغيرها، وقال بعضهم:"تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر"(١)

(٣٤٤/٥)، ولشيخ الإسلام مصنف مستل من مجموع الفتاوى بعنوان"مسألة: المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة بمكة"تحقيق أشرف عبدالمقصود،دار أضواء السلف، الرياض،ط١ ، ١٤٢٢هـ، وانظر القرى لقاصد أم القرى، وفضائل مكة والسكنى بها، للحسن البصري،تحقيق سامي العاني،مكتبة الفلاح،الكويت، ط١ ،١٤٠٠هـ .

(١) انظر:إحياء علوم الدين،محمد بن محمد أبو حامد الغزالي،دار المعرفة، بيروت،(٢٤٣/١) .

المبحث الأول

سمات المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر

إن المتتبع لتراجم المجاورين في هذه الحقبة الزمنية سيلحظ تميزهم بسمات أهلتهم لنشر دعوتهم سواء أكان ذلك بمكة أم في بلدانهم بعد رجوعهم من فترة الجوار، وسأجعل الحديث عنها عبر مطلبين:

المطلب الأول

أنهم علماء ودعاة وطلبة علم

ربما يظن المطلع لأول وهلة على صفات المجاورين بأنهم أصحاب عبادة فحسب، وأنّ جلهم من عامة الناس؛ والحق غير ذلك؛ فإن غالب من وقفتُ عليهم هم من طلاب العلم الأفذاذ الذين كانت تمتلئ حلقاتهم العلمية بالمستفيدين، بل منهم العلماء الذين تولوا الإفتاء في بلدانهم، وبلغت شهرتهم الآفاق، ووصلت دعوتهم مختلف البلدان قبل أن يقرروا الجوار بمكة.

مع الإشارة إلى تنوع بلدانهم، واختلاف مذاهبهم، منهم:إبراهيم بن سعد المقري(١)، وأحمد الدمياطي(٢)، وعلي بن محمد المدّاح(٣)، ومحمد بن محمد شطا(٤)؛ كانوا من مشاهير علماء الشافعية بالجامع الأزهر بمصر، وكان يوسف السنبلاوي من ابرز فقهاء الشافعية في مصر في وقته(٥).

---

(١) انظر:مختصر نشر النور والزهر في تراجم فضائل مكة،عبدالله مرداد أبو الخير،تحقيق محمد سعيد العامودي،دار عالم المعرفة، جدة،ط٢، ١٤٠٦هـ، ص٥٣ .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص ٤٣٠.

(٣) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون،سعود بن عبدالعزيز الربيعة،الدار العربية للموسوعات، بيروت،ط١، ١٤٣٢هـ، ص٢٠٠ .

(٤) انظر:معجم المؤلفين(٣/٧٣) .

(٥) انظر:أعلام المكيين ص٥٢٦ .

وإبراهيم بن محمد الصنعاني،مالكي،مفسر مشهور،وواعظ معروف[1]،ويوسف بن محمد البطاح الأهدل من مشاهير فقهاء الشافعية في اليمن وخاصة في الفرائض كما أن له اهتماماً بالحديث والتاريخ [2].

وإسحاق بن محمد أفضل الدهلوي الحنفي، فقيه محدث،قرأ على علماء عصره بالهند، ولازم الشيخ عبدالعزيز الدهلوي وأجازه إجازة عامة[3]، ومن المجاورين الهنود ابنه يعقوب، وهو عالم محقق [4]، وحسين بن علي العظيم آبادي الحنفي من علماء الهند المشاهير [5]،وكذلك قطب الدين الدهلوي الحنفي، محدّث معروف،نشأ بدهلي، وشرع في طلب العلم على علمائها [6].

ومن بنغلاديش مشيئة الله بن عصمة الله الذي كان يعمل بالنيابة الشرعية في وظيفة صدر الصدور لمدة عشرين سنة، ثم طلب الإعفاء لأجل المجاورة بمكة [7]

وحسن بن إبراهيم بن عامر المغربي المالكي، كان فقيهاً ماهراً، تولى الإفتاء في مكة منذ وصوله لها عام ١٢٦٢هـ للمجاورة [8].

---

(١) انظر:البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني،دار المعرفة، بيروت(١/٤٢٢).

(٢) انظر:حلية البشر(١/١٦١٠).

(٣) انظر:نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،عبدالحي الحسني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،الهند، ط٢، ١٣٩٨هـ(٧/٩١١).

(٤) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٥١٧ .

(٥) انظر:الحياة العلمية في مكة المكرمة،د.آمال رمضان عبدالحميد، نشر مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة، ط١، ١٤٣٢هـ(٢/٦٠٠) وهي في الأصل رسالة علمية، استفدتُ منها كثيراً .

(٦) انظر:أنظر:أعلام المكيين ص٤٤٢ .

(٧) منائح الكرام في أخبار مكة وولاة الحرم، علي بن تاج الدين السنجاري،تحقيق جميل المصري،ط١، ١٤١٩هـ،(١/٤٦) .

(٨) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص١٨٠ .

ومن مالكية المغاربة أيضاً محمد بن محمد الرباطي التهامي كان مسنداً للرجال، وأديباً لغوياً معروفاً[1].

وعبدالخالق بن إبراهيم الحفظي كان مفتياً لعسير وقاضياً بها قبل أن يقرر الرحيل للمجاورة بمكة [2].

أمّا المجاورون من نجد فلا يقلون علماً وفقهاً عن غيرهم، فمحمد بن عبدالله بن حميد، من علماء الحنابلة، مؤرخ مشهور، درس على عدد من مشايخ عنيزة كالشيخ قرناس بن عبدالرحمن، وعلى مفتي نجد في حينه الشيخ عبدالله أبابطين، وعلى محمد السناني وغيرهم [3]، وحين وصل مجاوراً أصبح مفتياً للحنابلة بمكة [4]، على أن جملة من المجاورين النجديين كان غرضهم من الجوار ابتداء هو التواصل مع علماء الحديث لاسيما مع انتشارهم، وشهرة مكة آنذاك بهم، وخصوصاً مع اشتهار نشاط حركة الإجازات الحديثية التي يحرص عليها طلاب العلم [5]

وعبدالله بن سليمان بن عبيد الحنبلي،فبعد أن حفظ القرآن في صغره شرع في طلب العلم؛ فقرأ على علماء بلده كالشيخ عبدالعزيز الحصين وعثمان بن شبانة، ثم رحل إلى الدرعية وقرأ على علمائها كالشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وحمد بن معمّر وغيرهما، كل ذلك قبل أن يقرر الرحيل لمكة للمجاورة[6].

ومن مشاهير من جاور من النجديين عبدالله بن محمد بن صقيه الحنبلي الذي درس في عدد من مدن القصيم، فقد قرأ على عالم الرسّ الشيخ قرناس بن

(١) انظر:معجم المؤلفين(١١/٢٠٢)الأعلام(٧/٧٢) .

(٢) انظر:شذا العبير في تراجم علماء عسير،هاشم بن سعيد النعمي،نشر نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٣٨، والحياة العلمية بمكة(٢/٥٩٩) .

(٣) انظر:روضة الناظرين(٢/٢١٣)الأعلام(٦/٢٤٣).

(٤) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٦/١٨٩).

(٥) انظر:الحياة العلمية في مكة(٢/٦٣١) .

(٦) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٤/١٦٦) .

عبدالرحمن، كما تلقى العلم على يد قاضي بريدة الشيخ عبدالعزيز بن سـويلم، ثم عين قاضياً بها وخطيباً في جامعها الكبير(١).

ومنهم كذلك العالم الفقيه المدقق محمد بن سلطان الحنبلي، الذي نشأ في أسرة علمية، ثم قرأ على علماء مدينة الرياض كالشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه عبداللطيف، كما قرأ على قاضي الرياض عبدالرحمن بن عدوان (٢).

وأيضاً عثمان بن محمد بن سند الحنبلي الذي رحل طالباً للعلم إلى الزبير فأخذ من علمائها كالشيخ محمد بن سلوم وإبراهيم بن جديد، ثم رحل إلى بغداد فقـرأ على العالم علي السويدي (٣).

وقد كان الحرم المكي مشتهراً بتعدد المذاهب الفقهية، وانتشارها في ساحات المسجد الحرام، وهي ميزة قل أن توجد في مكان آخر.

---

(١) انظر:روضة الناظرين(١/٣٣٤)السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة،محمد بن حميد،مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٦هـ(٢/٦٢٤).

(٢) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/٥٤٤) .

(٣) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير ص٢٥٧.

المطلب الثاني

عِظم عبادتهم، وحسن أخلاقهم

إن من أبرز أهداف المجاورين في الحرم المكي هو العبادة بجميع أنواعها من صلاة وصيام وطواف وذكر وغيرها من الأعمال الصالحة، لما في ذلك من مضاعفة الحسنات وبركة المكان.

ومن هنا سعت همة الزُهّاد والعُبّاد والصالحين إلى الجوار؛ إذ يرون أن الحرم المكي هو أنسب الأماكن لمزيد من الطاعات والإقبال على الله تعالى، إضافة إلى ما تميزوا به من ورع وصلاح وحسن خلق، وأسوق نماذج مما اتسم به المجاورون في هذا الشأن.

فمنهم بشري بن هاشم الجبرتي فقد كان كثير العبادة والطواف بالبيت مع ما اشتهر به من زهد وورع [(١)]،وصالح الحريري الأفندي كان من خيار الناس في صلاحه وانعكافه على العبادة،كما اشتُهر بحسن أخلاقه، وجميل طباعه[(٢)]، وطاهر التكروري العباسي كان ذا صلاح وهيبة ووقار، ملازماً للعبادة حريصاً عليها [(٣)]، وعبدالله بن فايز أبا الخيل كان له أثناء مجاورته مدارسة في القرآن الكريم مع جماعة من أصحابه غالب ليالي السنة؛ يقرؤون إلى منتصف الليل قرابة عشرة أجزاء، وأحياناً يراجعون ما صعب عليهم فهمه في تفسير البغوي أو البيضاوي[(٤)]، ومحسب

(١) انظر:فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني ،تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٩٨٢م،(٢٣١/١)أعلام المكيين ص٣٣٤ .

(٢) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢١٣ .

(٣) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢٢٤ .

(٤) انظر:روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين،محمد بن عثمان القاضي،مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٢ ، ١٤٠٣ه(٣٣١/١) .

الدين السليماني كان ورعاً ناسكاً متزهداً مشتغلاً بالتدريس والعبادة(١)، ومحمد بن خضر البصري كان نجيباً صالحاً متواضعاً مواظباً على الاشتغال بالتدريس والعبادة(٢)، ومحمد بن محمود شطا كان عفيفاً، متواضعاً آية في الحفظ والضبط،متوقد الذهن، حادّ الذكاء (٣).

لقد كانت هذه السمات وتلك الصفات من أسباب انتشار دعوتهم، وكثرة الحضور لدروسهم، والاستفادة من نصحهم وعلمهم والاقتداء بهم؛ على أن من المجاورين في هذه الفترة من وقع في مزالق عقدية خطيرة حتّمت النكير عليهم من أهالي مكة ولاسيما من وقع في لوثة التصوف كإبراهيم بن صالح الرشيدي الذي اشتدّ النكير عليه إبّان جواره بمكة لما لديه من خرافات صوفية (٤) والمطلع على كتابه"عقد الدر النفيس"يتبين له مدى انحرافه(٥)، وهو من أبرز مشايخ الطريقة الإدريسية، وأحمد ابن إدريس الفاسي المغربي الذي يظهر في كتابه"السلوك"الكثير من المسالك الصوفية المنحرفة(٦)، بل هو صاحب الطريقة الأحمدية المعروفة في المغرب(٧)،وكذلك عبدالله بن حسين بن طاهر المالكي لديه تصوف يظهر في بعض مواعظه (٨).

---

(١) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٠١ .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٢٩٧ .

(٣) انظر:معجم المؤلفين(٣/٧٣)أعلام المكيين ص٥٦٤ .

(٤) انظر:حلية البشر(١/٢٠)أعلام المكيين ص٤٥١ .

(٥) انظر:الأعلام(١/٤٣) .

(٦) انظر:حلية البشر(١/١٩٨) .

(٧) انظر:الأعلام(١/٩٥)نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، أحمد الحضراوي المكي الهاشمي،تحقيق محمد المصري،نشر وزارة الثقافة بسوريا، ط١ ، ١٩٩٦م، ص١٨٥ .

(٨) انظر:أعلام المكيين ص٨٤ .

المبحث الثاني

الجهود الدعوية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر

الناظر في تراجم المجاورين في هذه الفترة الزمنية يلحظ تنوع الجهود الدعوية، وتعددها خاصة فيما يتعلق بالجانب العلمي؛ إذ إنّ غالب المجاورين- كما مرّ- هم من العلماء وطلبة العلم فكان لهم مشاركة علمية فاعلة في مكة بعامة، وفي الحرم المكي بخاصة، وسأحاول استقصاء جوانب الموضوع عبر المطالب التالية:

المطلب الأول

إقامة الدروس العلمية

إنّ من أسمى غايات المجاورة نشر العلم الشرعي، فليس الغرض الاستفادة العلمية فحسب، وإنما إفادة غيره منه، فيعلّم من يلقاهم بمكة، ويدرّس العلم الذي تخصص فيه.

وإنّ القادم لمكة المكرمة يجد الفرصة سانحة ومناسبة لنشر ما لديه من علوم شرعية، وتبلغيها للناس، ولاسيما مع كثرة الأعداد الوافدة للحرم المكي، وتنوع أجناسهم ومذاهبهم، ولقد تبين من خلال هذا البحث بأن جلّ من جاور في هذه الفترة قاموا بالتدريس والإفادة في المسجد الحرام، فكانت هناك مجالس ثابتة، وحلق متعددة، مع تنوع في فنون الدروس، وكثرة في حضورها من أهل مكة والوافدين إليها لحج أو عمرة، فمنهم:إبراهيم بن سعد المقري فقد جلس بالمسجد الحرام لتدريس القرآن الكريم، والتجويد، والقراءات حتى كثُر طلابه، وعمّ نفعه[1]،وكذلك عيسى ابن محمد بن عيسى الزبيري الذي درّس في الحرم المكي علم الفقه، وانتفع به خلق كثير، مع ملازمته للوعظ والتذكير[2]، وأحمد الدمياطي

(١) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٥٣، أعلام المكيين ص٨٨٩ .

(٢) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/٣٤٥)والحركة العلمية بين نجد والزبير ص٦٨ .

المصري كان يُسمّى بحمامة الحرم لكثرة دروسه، إذ كانت خمسة دروس في اليوم والليلة [1]،ومحب الدين السليماني كان يحضر عنده خلق لأخذ علم الحديث[2]، وكذلك محمد التهامي [3].

أمّا محمد نور الجبرتي فكان يجول بالبيت الحرام يحث صغار السن على حضور الحِلق العلمية مبيناً منافعها وثمارها [4].

وخصص بعض المجاورين دروسه لنشر الدعوة بين أهل بلده الوافدين لمكة لحج أو عمرة لمعرفته بلغتهم وعاداتهم وطبائعهم؛ منهم علي بن عبدالقادر قُدُس الجاوي؛ فقد جعل حلقته في الحرم المكي لأهل جاوه [5]، ومثله أحمد بن غفار سمبس الذي كان مع تدريسه لأهل جاوه كانوا يقدمون له الكثير من الهدايا التي أحضروها من بلادهم؛فكان ينفقها في حينها، ولا يمسك منها بشيء [6]، أمّا محمد مراد البنغالي فقد كان غالب من يحضر دروسه هم من الهنود، وكان يدرس علم الحديث [7].

لقد كان التدريس في المسجد الحرام هو السائد لدى المجاورين من العلماء وطلبة العلم، بل إن بعض المجاورين جعل له مكاناً خاصاً في الحرم المكي عُرف به مثل طاهر التكروري الذي كان درسه عند باب الزيادة، وكان يحضر عنده خلق كثير [8].

---

(١) انظر:نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر ص١٥٠ .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٥٢١ .

(٣) انظر:انظر:الأعلام(٧٢/٧) .

(٤) انظر:انظر:أعلام المكيين ص٣٣٦ .

(٥) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٣٦٩ .

(٦) انظر:أعلام المكيين ص٥٢٦،سير وتراجم، عمر عبدالجبار،دار تهامة، الرياض،ط٣، ١٤٠٣هـ، ص٧١

(٧) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٨٠ .

(٨) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢٢٤ .

كما أسهمت بيوت المجاورين في ازدهار الحركة العلمية، ((حيث فتح كثير من المجاورين بيوتهم لطلبة العلم، فكانت تقام فيها الدروس الخاصة التي كانت ذات الأثر البالغ في نفوس الطلاب بوجه اجتماعي مميّز، إذ الطالب الذي يتلقى عن شيخه في منزله يحدث له ذلك انطباع في نفسه بأبوة هذا الشيخ له وبقربه منه....فأدى ذلك إلى نوع من الترابط الاجتماعي العلمي بين الشيخ وطلبته، ولاسيما إذا كان هؤلاء من جالية غير عربية لم تندمج كلياً في المجتمع المكي))[(١)]،ومنهم مشيئة الله بن عصمة الله البنغالي الذي خصص بيته للتدريس [(٢)]، وكذلك الجنيد الجاوي فقد جعل من بيته مكاناً لتعليم الفقه واللغة العربية وتدريسها للطلاب القادمين من جاوه ولاسيما الذين يتحدثون باللغة الملاوية [(٣)].

أمّا عبدرب الرسول المصري وهو من مشاهير القرّاء فقد فتح مكتباً وخصصه لتعليم القرآن والقراءات[(٤)]، وأحمد بن شهاب الداغستاني كان يُدرّس في المدرسة السليمانية بمكة [(٥)].

---

(١) الحياة العلمية في مكة(٢/٦٢٣) .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٣٠٨ .

(٣) صفحات من تاريخ مكة، للمستشرق كرستيان ستوك، ترجمة د.علي بن عودة الشيوخ، نشر دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١ ،١٤١٩هـ(٢/٥٩٦) .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٨٩ .

(٥) انظر:معجم المؤلفين(٢/١٠١) .

المطلب الثاني

تصنيف المؤلفات النافعة

رغب كثير من المجاورين التصنيف إبّان وجودهم بمكة لأسباب متعددة منها:توفر المراجع العلمية المتنوعة في المكتبات ولدى الورّاقين حتى إنه مما اشتهر أن بعضهم إذا رام الحصول على كتاب فلم يستطع بعد جهد طويل فإنه يلجأ إلى الإعلان عنه في موسم الحج[1]، ومن الأسباب كذلك: شرف المكان وبركته، وهو مسلك مطروق عند علماء السلف؛ إذ منهم من صنف بعض كتبه وهو قبالة الكعبة يأتي من أشهرهم الإمام البخاري الذي قال:((صنفتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام))[2].

والحقُّ أن من صنف أثناء مجاورته كثير منهم:يوسف بن محمد الأهدل، فقد ألف في مكة كتابه"إفهام الأفهام بشرح بلوغ المرام،"وكذلك"شرح منظومة القواعد" [3]، ويوسف السنبلاوي عكف في المسجد الحرام على تأليف كتابه"العروس المجلية" وهي حاشية على متممة الآجرومية، كما أكمل شرح مسند الشافعي للسندي [4]، ومحمد الصنعاني ألف"حاشية على ابن ماجه"وكذلك مصنف

---

(١) انظر:إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة في القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري،وفاء المزروع، ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية،جامعة أم القرى،عام ١٤٢٦، ص٨٥ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني،دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ(٤٨٩/١)وانظر للاستزادة:طبقات العلماء والملوك،محمد بن يوسف، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء،ط١ ،١٩٩٣م(٢٦٦/١)والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،محمد بن أحمد الحسني الفاسي، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ(٤٤٤/٧) .

(٣) انظر:حلية البشر(١٦١٠/١) .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٥٢٦ .

لطيف بعنوان"التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف"(١)،وأحمد المرزوقي صنع "منظومة في الصرف"ورسالة في"الفلك"وشرح لــ"الآجرّومية"(٢)،ومحمد الكتبي ألف في مكة حاشية على شرح العيني(٣)،أمّا محمد السنوسي فقد صنف في مكة جلّ مؤلفاته منها"إزاحة الأكنّة في العمل بالكتاب والسنّة"و"نزهة الجنات في أوصاف مفسر القراءات"و"بغية السول في الاجتهاد والعمل بأحاديث الرسول"(٤)،وعثمان بن سند النجدي ألف في مكة "الشذرات الفاخرة في نظم الورقات الناضرة"و"الفائض في علم الفرائض"و"النخبة في أصول الحديث"وله نظم في أصول الفقه (٥)، كما قام محمد بن حميد وهو في مكة بصنع حاشية فريدة على المنتهى وشرحه لمنصور البهوتي (٦).

كما ألف بعضهم في المناسك مثل حسن بن إبراهيم بن عامر (٧)،وعبدالله بن حسين بن طاهر (٨).

وقام بعض المجاورين بالتأليف عن جواره بمكة، ورحلته الحجازية متحدثاً فيه عن تفاصيل سفرته وما لقيه في الطريق، ثم وصوله ومدى فرحه بذلك، منهم محمد الرباطي وعنون كتابه بــ"الرحلة الحجازية"(٩)،وأحمد بن عمار الجزائري وعنون

(١) انظر:فهرس الفهارس(٢/٨٣٠)معجم المؤلفين(١/٣١٩) .

(٢) انظر:الأعلام(٦/١٢٩)وأعلام المكيين ص٨٦٢ .

(٣) انظر:سير وتراجم ص٢٤٠ .

(٤) انظر:معجم المؤلفين(١١/١٤)وفهرس الفهارس(٢/١٠٤٠)والحياة العلمية بمكة(٢/٦٠٨) .

(٥) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/١٤٣)والتحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، محمد خليفة النبهاني، ط١ ، ١٤٠٦، ص٢١٠ .

(٦) انظر:الحياة العلمية في مكة(٢/٧٣٠) .

(٧) انظر:أعلام المكيين ص٨٢٦ .

(٨) انظر:انظر:الأعلام (٤/٨١) .

(٩) انظر:فهرس الفهارس(١/٢٧٩)الأعلام(٧/٧٢) .

كتابه بـ"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"[1]، وفي هذا الكتاب وجه ابن عمّار عتابه ولومه إلى حكام مكة الذين يغضون الطرف عما يجري في الحرمين من بدع منكرة بمناسبة ذكرى المولد النبوي [2]

كما قام بعض المجاورين بنوع مهم من التأليف وهو "الترجمة" من العربية إلى لغات أخرى؛ فقد عمد محمد بن نور الجبرتي بترجمة عدد من المؤلفات من العربية إلى الملاوية، منها ترجمة كتاب"الهدية السنية في العقيدة السلفية"للشيخ سليمان بن سحمان، كما ترجم كتاب"سلم المبتدئ"وهو في الفقه الشافعي[3]،وكذا صنع مشيئة الله البنغالي الذي ترجم مصنفاً في العقيدة من العربية إلى الفارسية [4]

لقد أسهم هؤلاء المجاورون بشكل كبير وبنصيب وافر من المصنفات العلمية التي كان لها التأثير العلمي على أهل مكة وغيرهم.

(١) انظر:أعلام المكيين ص١٥٠،وقد طُبع قسم من هذه الرحلة، ومخطوطته موجودة في المكتبة الوطنية بالجزائر، انظر:رحلة الرحلات (٣٩٢/١) .

(٢) انظر:رحلة الرحلات(٣٩٥/١) .

(٣) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٧٤، وسير وتراجم ص٣٠٢ .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٣٠٨ .

المطلب الثالث

إنشاء المكتبات، ونسخ مصنفات السلف

شارك المجاورون في هذه الفترة في دعم آخر للجانب الدعوي والحياة العلمية، إذ قاموا بجمع مصنفات أهل العلم، وتأسيس مكتبات خاصة لهم شاملة لشتى أنواع العلوم المطبوع منها والمخطوط، وكان هذا الصنيع لأجل الاستفادة منها أولاً، ثم لفتح المجال أمام طلاب العلم والمعرفة للتزود منها والاطلاع عليها.

من أبرزهم:عيسى الزبيري، فقد كان لديه بمكة مكتبة ضخمة تضمّ أكثر من عشرة آلاف كتاب[1]، وكذلك محمد الهديبي التميمي ترك في مكة مكتبة كبيرة فيها نفائس المصنفات، ونوادر المخطوطات على بعضها خطه[2]، وصالح الأفندي كان يملك في مكة مكتبة كبيرة، وكان قد أوقف جميع كتبه،وجعل مقرها"قبة خانة العثمانية"الكائنة بالمسجد الحرام[3].

ولـمّا كانت"الوراقة" أحد أهم الروافد العلمية لنشر الكتاب ولاسيما قبل ظهور الطباعة الحديثة فقد اجتهد بعض المجاورين، وقاموا بنسخ مؤلفات السلف إمّا بمقابل مادي أو ابتغاء وجه الله تعالى والتقرب إليه بنشر العلم النافع، مؤدين بذلك عملاً فريداً يتمثل في تزويد مكتبات مكة بالمصنفات التي علت شهرتها، وزادت الحاجة إلى الاطلاع عليها، والانتفاع بها، وقد كان لبعض المجاورين مكتبة خاصة لبيع الكتب مثل محمد الكناني الذي كان من أكبر تجار الكتب، ولديه مخطوطات

(١) انظر:الحركة العلمية بين نجد والحجاز ص٦٨ .

(٢) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/٥٠٨) .

(٣) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢١٣ .

نفيسة، وكان دكانه بباب السلام وهو مكان تجتمع فيه العديد من الدكاكين لبيع الكتب يعود بعضها لعقود بعيدة [١]

وقد انبرى لمهمة الوراقة من عُرف بحسن خطه، ودقة ضبطه،وعدالة دينه، منهم:حسن بن عامر الذي نسخ العديد من المصنفات بخطه، من أبرزها:صحيح البخاري[٢]،وكذلك عبدالله بن فايز أبا الخيل الذي اشتهر بخطه الجميل، نسخ بقلمه كتباً عديدة في الأصول والفروع والحديث والتفسير [٣]، ومحمد الكتبي نسخ بخط يده الكثير من المؤلفات لاسيما كتب المكيين مع ضبط تام، وتدوين هوامش مفيدة[٤] وصالح الحريري كتب العديد من الرسائل مع شهرته بالضبط التام [٥]،كما قام محمد بن حميد بنسخ كتاب"البلبل في أصول الفقه"في المسجد الحرام مشاهدة للبيت الحرام[٦].

لقد كان لنسخ الكتب من قبل المجاورين أثر في وفرتها من جهة ورخص ثمنها من جهة أخرى مما أدى إلى توافرها بين أيدي الناس، بل إن بعضها لازال موجوداً بخط هؤلاء في مكتبة الحرم المكي، واشتهر بأن من كان يريد نشر مؤلفاته، أو الاطلاع والبحث عن كتاب فعليه بالذهاب إلى مكة أو المدينة [٧].

---

(١) انظر:قصتي مع المكتبات، عبدالعزيز الرفاعي، دار الرفاعي، الرياض،ط١ ،١٤١٣هـ، ص١٢،عوامل الهجرة السكانية،د.مها اليزيدي،نشر مؤسسة السديري الخيرية، الرياض،ط١ ، ١٤٣٣هـ، ص٧٣

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٨٢٦ .

(٣) انظر:روضة الناظرين (٣٣١/١) .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٧٩٣، وسير وتراجم ص٢٤٠ .

(٥) انظر:أعلام المكيين ص٣٧٠ .

(٦) انظر:التطبيقات الدعوية في الرحلات العلمية لعلماء نجد،عبدالله بن زيد المسلم،إصدار الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ط١ ، ١٤٣٧هـ ص١٨٩ .

(٧) انظر:الحياة العلمية في مكة(٦٢٤/٢).

المطلب الرابع

نشر الدعوة الصحيحة بعد المجاورة

سعى جملة من المجاورين إلى نشر ما تحصلوا عليه من علم شرعي ودعوة صحيحة، فلما عادوا إلى أوطانهم كان أول ما بدؤوا به أن نشروا تلك العلوم؛ قياماً بواجب تبليغ الدعوة إلى الله، فمن هؤلاء:نيتو مير نثار علي الحنفي الذي تأثر خلال مجاورته بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، فكان لذلك أثر بعد عودته لبلده"الهند"فقام بالدعوة إلى التوحيد الخالص بين مسلمي منطقته، ونبذ الشرك، والتحذير من البدع والخرافات والمحدثات.وقد أثمرت دعوته بين أبناء مجتمعه وجنى ثمار ذلك والحمدلله(1)،وكذلك شرعة الله البنغالي تأثر أثناء جواره بمكة بدعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب والتي انتشرت حينها بمكة، فلمّا عاد إلى بلاده أخذ يطبق ما درسه داعياً للتوحيد، ومحذراً مما ينقضه،فعاد كثير من الناس إلى جادة الصواب،وكان هدف الشيخ شرعة الله هو تخليص المسلمين مما حل بهم، ودخل عليهم من العقائد الوثنية والهندوسية، والسعي لتوسيع رقعة الإسلام، واستمر على ذلك حتى وفاته رحمه الله(2).ومنهم أحمد بن عرفان الهندي الذي أُعجب بالدعوة السلفية من خلال آثارها بمكة المكرمة، فعندما عاد بعد جواره إلى إقليم"بنجاب"، حارب البدع والخرافات، وتقديس الأولياء والصالحين، وكثيراً من البدع التي ضربت أطنابها في قلوب المسلمين، ثم سرعان ما ذاع صيته واعتنق مبادءه السلفية آلاف من المسلمين، ثم أسس دولة مستقلة في بنجاب وما حولها حتى وصل نفوذها إلى منطقتي السند وبلوخستان وجزء من أفغانستان(3)، ويذكر

(1) انظر:أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، سمير عبدالحميد، ندوة الحج ص٤١٩ .

(2)انظر: الحياة العلمية بمكة(٢/٦٠٧) .

(3) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(١/٦٣) .

بعض المعاصرين أن القرن الثالث عشر هو وقت دخـــول الـــدعوة الـــسلفية إلى جزيرة"سومطرة"في إندونيسيا حين عاد عدد من الدعاة من مكة[1].

كما أن محمد السنوسي حين مجاورته التقى ببعض علماء الدعوة السلفية بمكة، وتأثر بآرائهم، وبنى عليها أصول دعوته حين عاد إلى ليبيا من الحثّ على التوحيد الخالص، ونبذ الشرك وأنواع البدع والخرافات كالتوسل بالصالحين، وحرص على نبذ التقليد والحث على الاجتهاد، ومع ذلك فقد شاب دعوته شيء من التـــصوف والتشدد [2].

وعبدالله المالكي الذي عكف أثناء جواره على تلقي العلوم الشرعية من علماء مكة فلمّا عاد إلى بلاده"حضرموت" قام بنشر العلم وإقامة مجالس الوعظ [3].

كما إن موسم الحج كان فرصة ينتهزها المجاورون للدعوة إلى الله بين الحجاج القادمين من مشارق الأرض ومغاربها،يبينون أفكـــارهم، ويـــشرحون مبـــادئهم بأسلوب دعوي رفيع، فاقتنع بذلك أشخاص لهم مكانتهم في ديارهم، فلما رجعوا نشروا تلك المبادئ والعقائد الصحيحة.

لقد كان تأثير الدعوة السلفية، وتحديداً الدعوة الإصلاحية واضحاً وظاهراً على مجاوري البلد الحرام.

---

(١) انظر:دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي،د.محمد بن عبدالله الـــسلمان، ص٨٠

(٢) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٤٣،معجم المؤلفين(١١/١٤) .

(٣) انظر:معجم المؤلفين(٦/٤٦)الأعلام(٤/٨١) .

٣

المبحث الثالث

العوامل المساعدة للمجاورين لنشر دعوتهم

ثمة أمور متعددة كان لها الدور الفاعل، والعامل المؤثر لإعانة المجاورين لاتخاذ قرار المجاورة، ومن ثم العزم على نشر الدعوة، وسأكتفي بذكر أبرز هذه العوامل، وهي مبثوثة في المطالب التالية:

المطلب الأول: العوامل الدينية

وأعني بذلك فريضة الحج تحديداً، لقد كان أداء شعيرة الحج قديماً يحيط به الكثير من التعب والنصب والخوف، ويقضي الحاج لأجل وصوله لمكة الشهور المتعددة؛ فإذا وصل الحاج لمقصوده فإنه بذلك يكون قد أنجز أمراً عظيماً ربما لا يكرره مرة أخرى.

قال ابن الصباح:((والله لقد دخلتُ مكة شرفها الله، فالحمد لله كثيراً كما هو أهله، والحمد لله الذي سلمنا من تلك المفاوز والقفار المهلكة، والجبال الموحشة.وكم من حاج ينتظره أهله وهو قد مات عطشاً، وكم من سلطان يتمنى النظر للكعبة الشريفة و لم يرها، وكم من أمير ووزير يريد المشي إليها ولا يُحمل،وكم من مذنب يريد أن يطهر ذنوبه بالوقوف بعرفة ولا يُعطى،وكم من واصل نصف الطريق و لم يبلغ...الخ))[1]، ولذا آثر العديد من الحجاج استثمار ذلك بالمجاورة بالبلد الحرام، ومن أبرز هؤلاء:حسين بن علي العظيم آبادي الذي سافر إلى مكة سنة ١٢٧٦هـ لأداء فريضة الحج فقرر المجاورة [2].

---

(١) رحلة الرحلات (١/١٦٧)بتصرف يسير .

(٢) انظر:الحياة العلمية بمكة(٢/٦٠٠) .

وممن حج وجاور أيضاً أحمد النحراوي[1]، وصنع الله الهندي [2]،وعبدالله بن طاهر [3]،وعثمان بن سند [4] وعيسى الزبيري [5]، وفراج الزبيري [6]، ومحب الدين السليماني [7]،،ومحمد بن سلطان النجدي [8] وغيرهم كثير.

(١) انظر: أعلام المكيين ص٩٦٤ .

(٢) مختصر نشر النور والزهر ص٢٢٤ .

(٣) انظر:الأعلام(٤/٨١) .

(٤) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/١٤٣) .

(٥) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير ص٦٨ .

(٦) انظر:السحب الوابلة(٢/٨١٣) .

(٧) انظر:أعلام المكيين ص٥٢١ .

(٨) انظر:روضة الناظرين(٥/٥٤٤) .

المطلب الثاني

العوامل الاجتماعية

كان للجانب الاجتماعي الدور الكبير عند بعض نزلاء الحرم المكي للمضي قُدُماً في قرار الجوار، والثبات عليه، وأعني بذلك الزواج من امرأة مكية فإن لهذا الأمر أثراً في بقاء المجاور بمكة، وإتمام مجاورته، ومن هؤلاء:إبراهيم بن سعد المقري الذي قرر الجوار بمكة بعد أن تزوج بإحدى نسائها [١]، وكذلك محمد مراد الدمياطي الذي قرر الجوار بعد أن تزوج من امرأة مكية، ورُزق منها بذرية [٢].

كما أن ثمة أمراً اجتماعياً كان له دور في تتمة الجوار وهو موافقة أسرة المجاور البقاء في مكة، وعدم الرجوع إلى بلدهم، ومن هؤلاء محمد حسين الكتبي الذي قدم من مصر إلى مكة بصحبة عائلته فقرروا جميعاً الجوار بمكة [٣]

كما أن للمكانة الاجتماعية المرموقة لبعض المجاورين عند العامة والخاصة دوراً في تشجيع واستمرار أمر المجاورة، فمحمد الشعّاب أصبح من أعيان مكة المشاهير[٤]، ومحمد مراد البنغالي صار مبجلاً عند عامة الناس وخاصتهم [٥].

---

(١) انظر:أعلام المكيين ص٨٨٩، نظم الدرر ص٤١، دروس من ماضي التعليم وحاضره، عمر عبدالجبار ص١٥٨ .

(٢) انظر:الحياة العلمية بمكة(٢/٦٠٣) .

(٣) انظر:سير وتراجم ص٢٤٠ .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٥٦٥ .

(٥) انظر:أعلام المكيين ص٨٤٩ .

المطلب الثالث

العوامل الاقتصادية

أسهم أهل مكة من أمراء وعلماء في تهيئة البيئة المناسبة للمجاورين، وتـــذليل العوائق، وإيجاد المناخ المناسب للاستفادة والإفادة، وتعهدوا لهم بالعناية والرعايـــة، وخصوصاً من الناحية الاقتصادية، إذ به يطمئن المجاور على معيشته ولاسيما مـــن رافقه أهله إلى مكة.

فقد أُسند إلى عدد من المجاورين جملة من الوظائف الدينية الملائمة لهم كالإفتاء والخطابة والإمامة والتدريس ونحو ذلك. فقد تولى محمد الكتبي وظيفـــة الإفتـــاء بالمسجد الحرام(١)،ومحمد الفتياني عُيـــــن مفتيـــاً وإمامـــاً وخطيبـــاً في المقـــام الحنفي(٢)،كما تولى حسن بن عامر إفتاء المالكية بمكة (٣)،وبعـــده كـــان محمـــد المرزوقي (٤)،وأحمد الدمياطي عُيـــن مفتياً للشافعية في عصره (٥)من ناحية أخرى فقد توظف عدد من المجاورين في مدارس مكة مثل أحمد الداغستاني عيّن مدرســـاً بالمدرسة السليمانية بمكة (٦)،ومحمد حسين الكتبي توظف بمدرسة الصولتية(٧) الـــتي أنشأها رحمة الله الهندي لتعليم الطلبة التجويد والقراءات(٨).

---

(١) انظر:أعلام المكيين ص٧٩٢ .

(٢) انظر:الأعلام(٦/٢٩٧).

(٣) انظر:أعلام المكيين ص٨٢٦ .

(٤) انظر:معجم المؤلفين(١٠/٣)الأعلام(٦/١٢٩) .

(٥) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٨٨ .

(٦) انظر:أعلام المكيين ص٤١٩، الأعلام(١/٢٤٧) .

(٧) أسسها رحمة الله الهندي على نفقته عام ١٢٨٥هـــ، ثم انتقلت إلى دار أحد الأمراء الهنود، وفي عام ١٢٩٠هـــ تبرعت امرأة هندية اسمها صولت النساء بمال لإقامة بناية للمدرســـة، فـــسميت المدرسة الصولتية نسبة إلى هذه المرأة المحسنة.انظر:الحياة العلمية في مكة(٢/٣٩٣) .

(٨) انظر:انظر:أعلام المكيين ص٨٨٩ .

كما أسهم تجار مكة وغيرهم بالأمر ذاته بإقامة الأربطة، والأماكن المناسبة لسكنى المجاورين مع ما يتبعها من مصروفات وإعاشة ونحوها؛ فعبدالله بن سرّاج الحنفي سكن إبّان مجاورته بإسكان المدرسة الداودية[1]، ومحمد بن حميد كان يسكن في أحد أربطة الحرم المكي[2] وقامت امرأة من الهند بشراء دار وجعلتها لأحد المجاورين[3]كما سكن محمد بن سلطان الحنبلي بأحد أربطة الحرم المكي [4].

وسعى بعض المجاورين إلى اجتهادات شخصية لتعينه على أمور معيشته؛ فكان عبدالله أبا الخيل يتعيش من نسخ الكتب[5]، وعمل محمد بن أحمد جاد الله المصري بالطوافة أحياناً [6]،ومحمد الهديبي عمل بالتجارة أول مجاورته [7].

لقد كان لهذه الأعمال التجارية، إضافة إلى ما تقدم من وظائف دينية وتعليمية في المسجد الحرام بل في مكة الأثر في إعانة المجاورين على صعوبة الحياة وتكاليفها،وكان لها الأثر في تشجيع غيرهم للقدوم للمجاورة والعيش في رحاب مكة.

(١) انظر:فهرس الفهارس(٧٥٢/٢) .

(٢) انظر:روضة الناظرين(٢١٣/٢)وعلماء نجد خلال ثمانية قرون(١٨٩/٦) .

(٣) انظر:نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر ص٨٢ .

(٤) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥٤٤/٥) .

(٥) انظر:الوراقة في منطقة نجد،د.الوليد الفريان،دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١ ،١٤٣٣هـ ص٩١ .

(٦) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤١٥ .

(٧) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير ص٢٤٦ .

الخاتمة

أحمد الله تعالى أن يسر إتمام هذا البحث، والحق أني استفدت كثيراً من قراءتي لسير هؤلاء المجاورين إذ عشت معهم أياماً طويلة رحمهم الله تعالى، وهو محاولة للوقوف على الجهود الدعوية والعلمية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر الهجري، وأضع أبرز النتائج على النحو التالي:

١- كثرة الممارسات الدعوية، وتنوعها، مما يدل على أن المجاورين قد شكلوا مظهراً دعويا فريداً، وأسهموا في حِراك علمي ودعوي.

٢- أن المجاورين قد عمّ نفعهم وخيرهم على أوطانهم بعد عودتهم، إضافة إلى المكانة الرفيعة في بلدانهم.

٣- تنوع المجاورين في فترة الدراسة من الناحية المكانية والمذهبية؛ إذ لم تكن المجاورة بمكة قاصرة على بلد أو مذهب معين.

٤- الأثر الواضح لدعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، في نشر بعض المجاورين لعقيدة السلف.

٥- عناية المجاورين بالتصنيف، وتلقي وإلقاء العلوم الشرعية إبّان وجودهم بالحرم المكي.

٦- أن غالب المجاورين في هذه الفترة من العلماء وطلبة العلم، وهم أيضاً من العباد والزهاد.

٧- أن العوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية كان لها أثر في زيادة أعداد المجاورين في مكة في القرن الثالث عشر الهجري.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة بأسماء المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر الهجري مرتبين هجائياً،ومذاهبهم، وبلدانهم،وسنة الوفاة.

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
١-إبراهيم بن سعد المقري	مصر	شافعي	١٢٩٠
٢-إبراهيم بن صالح الرشيد	السودان	شافعي	١٢٩١
٣-إبراهيم بن محمد الصنعاني	اليمن	مالكي	١٢٩٠
٤-أحمد بن إدريس الحسني	المغرب	مالكي	١٢٥٣
٥-أحمد بن عبدالرحمن النحراوي	مصر	شافعي	١٢٩١
٦-أحمد بن عبدالغفار سمبس	اليمن	شافعي	١٢٨٩
٧-أحمد بن عمار بن عبدالرحمن بن عمار	الجزائر	مالكي	١٢٠٥
٨-أحمد بن محمد الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٧٠
٩-أحمد بن محمد شهاب الدين	داغستان	شافعي	١٢٩٥
١٠-إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوي	الهند	حنفي	١٢٦٢
١١-بشري بن هاشم الجبرتي	اليمن	شافعي	١٢٦٧
١٢-الجنيد الجاوي	جاوه	حنفي	١٢٧٠
١٣-جان السليماني	جاوه	حنفي	١٢٦٧
١٤-حسن بن إبراهيم بن عامر	المغرب	مالكي	١٢٩٢
١٥-حسين بن علي العظيم آبادي	الهند	حنفي	١٢٩٤
١٦-شرعة الله البنغالي	بنغلاديش	حنفي	١٢٥٦
١٧-صنع الله الهندي	الهند	حنفي	١٢٣٧
١٨-صالح الحريري الأفندي	مصر	شافعي	١٢٩٢
١٩-صالح بن راوه	جاوه	شافعي	١٢٧٠

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٢٠-طاهر التكروري العباسي	اليمن	مالكي	١٢٧٠
٢١-عبدالله بن محمد بن صقيه	نجد	حنبلي	١٢٥٦
٢٢-عبدالله بن حسين بن طاهر	حضرموت	مالكي	١٢٧٢
٢٣-عبدالله بن محمد كوجك	بخارى	حنفي	١٢٩٧
٢٤-عبدالله بن فايز أبا الخيل	نجد	حنبلي	١٢٥١
٢٥- عبدالله بن سليمان بن عبيد	نجد	حنبلي	١٢٤١
٢٦-عبدالله بن سراج الرومي		حنفي	١٢٤٠
٢٧-عبدالخالق بن إبراهيم الحفظي	عسير	شافعي	١٢٨٣
٢٨-عبدالغني الجاوي	جاوه	حنفي	١٢٨٠
٢٩-عبدالرحمن بن محتشم المولوي	اليمن	مالكي	١٢٩٤
٣٠-عبدرب الرسول المصري	مصر	شافعي	١٢٩٣
٣١-عثمان بن حسن الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٦٥
٣٢-عثمان بن محمد بن سند	نجد	حنبلي	١٢٤٢
٣٣-عيسى بن محمد الزبيري	الزبير	حنبلي	١٢٤٨
٣٤-علي بن أحمد البهكلي	عسير	شافعي	١٢٦١
٣٥-علي بن عبدالقادر قدس	جاوه	شافعي	١٢٧٢
٣٦-علي بن أحمد الرهبيني	مصر	شافعي	١٢٩٣
٣٧-علي بن حمد المداح	مصر	شافعي	١٢٧٧
٣٨-فراج بن سابق الزبيري	الزبير	حنبلي	١٢٤٦
٣٩-قطب الدين الدهلوي	الهند	حنفي	١٢٨٩
٤٠-مشيئة الله بن عصمة الله	بنغلاديش	حنفي	١٢٩٩

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٤١-محب الدين السليماني	الهند	حنفي	١٢١١
٤٢-محمد بن أحمد جاد الحق	مصر	حنفي	١٢٨٩
٤٣-محمد بن محمد الرباطي التهامي	المغرب	مالكي	١٢٤٤
٤٤-محمد مراد الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٩٦
٤٥-محمد بن علي السنوسي	الجزائر	مالكي	١٢٧٦
٤٦-محمد بن سلطان النجدي	نجد	حنبلي	١٢٩٨
٤٧-محمد بن عبدالله بن حميد	نجد	حنبلي	١٢٩٥
٤٨-محمد بن سعد الفاسي	المغرب	مالكي	١٢٨٨
٤٩-محمد بن حسين الكتبي	مصر	حنفي	١٢٨١
٥٠-محمد نور الفطاني	جاوه	حنفي	١٢٧٣
٥١-محمد وقيل أحمد بن رمضان المرزوقي	مصر	مالكي	١٢٦١
٥٢-محمد نور الجبرتي	اليمن	مالكي	١٢٩١
٥٣-محمد بن خضر البصري	العراق	شافعي	١٢٦٠
٥٤-محمد بن محمود شطا	مصر	شافعي	١٢٦٦
٥٥-محمد بن صالح الشعاب	المدينة	حنفي	١٢٤٠
٥٦-محمد بن علي العمراني	اليمن	مالكي	١٢٦٤
٥٧-محمد بن حسين الفتياني	القدس	حنفي	١٢٨٠
٥٨-محمد بن صالح الكتبي	مصر	حنفي	١٢٩٥
٥٩-محمد مراد البنغالي	بنغلاديش	حنفي	١٢٨٠
٦٠- محمد بن حمد الهديبي	نجد	حنبلي	١٢٦١
٦١-نيتو مير نثار	الهند	حنفي	١٢٩٣

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٦٢-يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي	الهند	حنفي	١٢٨٣
٦٣-يوسف بن عبدالرحمن السنبلاوي	مصر	شافعي	١٢٨٥
٦٤-يوسف محمد البطاح الأهدل	اليمن	شافعي	١٢٤٦

مذاهب المجاورين

المذهب	العدد
الحنفي	٢٣
المالكي	١٣
الشافعي	١٩
الحنبلي	٩
المجموع ٦٤	

أصناف المجاورين حسب البلد

البلد	العدد
مصر	١٤
الهند	١٠
اليمن	٩
نجد	٧
جاوه	٦
بنغلاديش	٣
المغرب	٣
الجزائر	٢
الزبير	٢
العراق	١
السودان	١
داغستان	١
المدينة	١
القدس	١
بخارى	١
عسير	١
المجموع ٦٣	

المراجع

١ – إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة في القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري،وفاء المزروع، ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية،جامعة أم القرى،عام ١٤٢٦هـ.

٢ – الأعلام، خير الدين الزركلي،دار العلم للملايين، بيروت،ط١٦، ٢٠٠٥م.

٣ – أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،مكة المكرمة،ط١، ١٤٢٦هـ.

٤ – البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني،دار المعرفة، بيروت.

٥ – بغية الطلب في تاريخ حلب،عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

٦ – وبلغة السالك لأقرب المسالك،أحمد الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ه.

٧ – تاج العروس من جواهر القاموس،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،دار الهداية.

٨ – تاريخ بغداد أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩ – التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، محمد خليفة النبهاني، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٠ – تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد الذهبي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

١١ – التطبيقات الدعوية في الرحلات العلمية لعلماء نجد،عبدالله بن زيد المسلم،إصدار الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ.

١٢ – جامع المسائل،بو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني،تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٣- الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون،سعود بن عبدالعزيز الربيعة،الدار العربية للموسوعات، بيروت،ط١، ١٤٣٢ه.

١٤- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٥- الحياة العلمية في مكة المكرمة،د.آمال رمضان عبدالحميد، نشر مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة، ط١، ١٤٣٢ه.

١٦- دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي،د.محمد بن عبدالله السلمان.

١٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني،تحقيق محمد عبدالمعيد ضان،نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية،١٣٩٢ه.

١٨- رحلة الرحلات.مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، د.عبدالهادي التازي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ

١٩- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين،محمد بن عثمان القاضي،مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣ه.

٢٠- علماء نجد خلال ثمانية قرون،عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢١- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة،محمد بن حميد،مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٦هـ.

٢٢- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن مراد الحسيني، دار البشائر الإسلامية، عمّان، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٢٣- سير أعلام النبلاء،محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبوعبد الله، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة، بيروت،ط ٩، ١٤١٣هـ.

٢٤- سير وتراجم، عمر عبدالجبار،دار تهامة، الرياض،ط٣، ١٤٠٣هـ.

٢٥- شذا العبير في تراجم علماء عسير،هاشم بن سعيد النعمي،نشر نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٣٨، والحياة العلمية بمكة.

٢٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،شهاب الدين ابن العماد الحنبلي،تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٧- الصحاح،إسماعيل الجوهري،دار العلم للملايين،بيروت،ط٣، ١٤٠٤ه.

٢٨- صفحات من تاريخ مكة، للمستشرق كرستيان ستوك، ترجمة د.علي بن عودة الشيوخ، نشر دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٩- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي،مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة،ط١، ١٤٠٢هـ.

٣٠- طبقات العلماء والملوك،محمد بن يوسف، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء،ط١، ١٩٩٣م.

٣١- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،محمد بن أحمد الحسني الفاسي، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٢- عوامل الهجرة السكانية،د.مها بنت سعيد اليزيدي،نشر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الرياض،ط١، ١٤٣٣هـ.

٣٣- فضائل مكة والسكنى بها، للحسن البصري،تحقيق سامي العاني،مكتبة الفلاح،الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٣٤- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني،تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٩٨٢م.

٣٥- القاموس المحيط،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

٣٦- القرى لقاصد أم القرى، محب الدين الحافظ أبي العباس الطبري،مكتبة البابي، القاهرة،ط٢، ١٣٩٠ه.

٣٧- قصتي مع المكتبات عبدالعزيز الرفاعي،دار الرفاعي،الرياض،ط١، ١٤١٣هـ

٣٨- لسان العرب،محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ

٣٩- المبسوط،محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت،١٤١٤ه

٤٠- المجموع شرح المهذب، شرف الدين النووي،دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م

٤١- مختصر نشر النور والزهر في تراجم فضائل مكة،عبدالله مرداد أبو الخير،تحقيق محمد سعيد العامودي،دار عالم المعرفة، جدة،ط٢، ١٤٠٦هـ

٤٢- المدخل،محمد بن محمد المالكي الشهير بابن الحاج،دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤٠١هـ

٤٣- مسألة المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة بمكة،لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالسلام الحراني، تحقيق أشرف عبدالمقصود،دار أضواء السلف، الرياض،ط١، ١٤٢٢هـ

٤٤- معجم المؤلفين،عمر بن رضا بن محمد راغب بن كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى، بيروت

٤٥- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،عبدالحي الحسني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،الهند، ط٢، ١٣٩٨هـ

٤٦- نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، أحمد الحضراوي المكي الهاشمي،تحقيق محمد المصري،نشر وزارة الثقافة بسوريا، ط١، ١٩٩٦م

٤٧- نفح الطيب وغصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ

٤٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر

٤٩- الوافي بالوفيات،صلاح الدين الصفدي،دار إحياء التراث،بيروت،ط٢، ١٤٢٠هـ،

٥٠ - الوراقة في منطقة نجد،د.الوليد الفريان،دارة الملك عبـــدالعزيز، الريـــاض، ط١، ١٤٣٣هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قواعد النشر	٧
مقدمة العدد	٩
١/ دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم "دراسة تحليلية"	١١
٢/ بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل	٦٣
٣/ الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ " لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"	١١٩
٤/ منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي	٢٠٣
٥/ استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين "الاستراتيجية التضامنية أنموذجا"	٢٥٧
٦/ المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها	٣٢١
٧/ المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية	٤٠٩
فهرس الموضوعات	٤٥٣

بصيرة

بصيرة

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤيـــة :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرسـالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-

- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة والاحتساب
صندوق البريد :٤٨٤٧ الرمز البريدي :١١٤١٢ هاتف : ٩٦٦١١٢٥٨٥١٣٢..
البريد الإلكتروني : bsserah@gmail.com

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

بصيرة

العدد التاسع - شعبان ١٤٣٨هـ

٩ مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة



عناوين الأبحاث:

- إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر.
- المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين " تاريخها، أسبابها، موضوعاتها ".
- الاحتساب على المخالفات في الدعاء " دراسة في ضوء السنة النبوية ".
- نصوص الدعوة إلى الطاعة الواجبة في القرآن الكريم " دراسة دعوية ".

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

الجمعية السعودية
للدراسات الدعوية
Saudi association for da'wah studies

مجلة

الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد التاسع

شعبان ١٤٣٨هـ

المراســــلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ -الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢ -١١ -٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

ردمد: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعـد النشـر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١-أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢-أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣-أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤-أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥-أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦-أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧-أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨-أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١-توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢-تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣-توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١ – أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢ – يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية– والانجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤- أن يكون البحث مكتوباً علـــى برنـــامج (Microsoft Word) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صـــفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأســفل الصــفحة، لتكـــون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلـــك رقـــم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين علـــى الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريـــد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الـــذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم بيّن لنا مبادئ التعامل وأساليب القول والدعوة إلى الله تعالى، وقد جاء المنهج القرآني في الدعوة إلى الله ملخصا ومركزا في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[1].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ومن هذا المنطلق فإن الأبحاث العلمية الدعوية ينبغي أن يكون مدارها على هذا المنهج العلمي الرصين المعتمد على الكتاب والسنة.

وإن مجلة الدراسات الدعوية التابعة للجمعية السعودية للدراسات الدعوية أخذت على عاتقها السير في هذا الاتجاه بأبحاثها المحكمة مراعية النشر وفق أصول البحث العلمي.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وقد اشتمل هذا العدد (التاسع) على الأبحاث العلمية الآتية:

١. إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر.
٢. المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين "تاريخها، أسبابها، موضوعاتها".
٣. الاحتساب على المخالفات في الدعاء "دراسة في ضوء السنة النبوية".
٤. نصوص الدعوة إلى الطاعة الواجبة في القرآن الكريم "دراسة دعوية"

نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني bsserah@gmail.com، وتقديم الجديد النافع،،، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصى ونتواصل...

رئيس هيئة التحرير

أ٠د٠حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر

إعداد

- أ. د. حصه بنت عبدالكريم الزيد (الباحث الرئيس)

الأستاذ في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

- أ. د. الجوهرة بنت محمد العمراني

الأستاذ في قسم الدعوة، بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

- أ. د. أسماء بنت عبدالعزيز الداود

الأستاذ في قسم الدعوة، بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

شكر وتقدير

الحمد لله ذي المن والفضل والإحسان، حمداً يليق بجلاله وعظمتـــه. وصَلِّ اللهم على خاتم الرسل، من لا نبي بعده، ﷺ. ولله الشـــكر أولاً وأخيراً ،على حسن توفيقه، وكريم عونه، وعلى ما منَّ وفتح به علينّا من إنجاز لهذا المشروع البحثي، بعد أن يسّر العسير، وذلّل الصعب

وبعد

فإننا نتقدم بالشكر والعرفان بعد شكر الله سبحانه وتعالى لعمـــادة البحث العلمي بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن لدعمها لهذا المشروع الذي نسأل الله تعالى أن ينفع به.

والشكر موصول للجمعية السعودية للدراسات الدعوية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للتكرم بالتحكيم العلمي والنشر.

و نسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الكـــريم، وأن يجعله علماً نافعاً، ويسهّل لنا به طريقاً إلى الجنة

فريق البحث

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (٢).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (٣). أما بعد(٤):

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) خطبة الحاجة، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ص٨١٣، رقم الحديث ٨٦٨)، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، ص٢١٨٠، رقم الحديث ١٤٠٥)، صححه الألباني صحيح وضعيف سنن النسائي، ج٣، ص٣٠٨، محمد ناصر الدين الألباني، ط [د ر.ت)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية]. انظر: موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، بإشراف ومراجعة صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط [الرابعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار السلام، الرياض].

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال وأشرفها، وأفضلها عند الله، وهي وظيفة المرسلين ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(١)؛ وما من رسول ولا نبي إلا وهو داعية في قومه يدعوهم إلى الحق إخراجا لهم من الباطل إلى الهدى، وإنقاذا لهم من الضلال، ومن سخط الله تعالى وناره وعذابه إلى رضوان الله وجنته ونعيمه المقيم في الآخرة(٢).

وحيث إن رسالة الإسلام رسالة عالمية شاملة ممتدة بامتداد الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فإن الدعوة إليه ماضية إلى قيام الساعة يقوم بها ورثة الأنبياء من العلماء العاملين والدعاة المخلصين؛ الذين هداهم الله لمحبة هداية الخلق فنالوا بذلك شرف المهنة وان لم ينالوا شرف المكانة بالتبليغ ولعل هذا مما اختص الله به أمة نبينا محمد ﷺ بأن جعل الرسالة باقية إلى أن تقوم الساعة لحاجة البشرية إليها لإخراجها من ظلمات الشرك والوثنية والجهالة والخرافة والبدعة والمعصية إلى أنوار التوحيد والعلم والسنة والطاعة والانقياد لله رب العالمين وحده لا شريك له.

ولعظم مهمة الدعوة إلى الله تعالى، فإنه يتأكد تمتع من يقوم بها بمعارف ومهارات مخصوصة، وكون هذا الهدف يحمل قيمة عالية، ومقصداً عظيماً؛ يعود بالنفع على الأمة الإسلامية جمعاء، ويسهم في

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) للاستزادة انظر: نصوص الدعوة في القران الكريم " دراسة تأصيلية"، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ص ٣٣ وما بعدها، مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة، أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ص١٣ وما بعدها، دعوة الرسل إلى الله تعالى " غايتها وتاريخها "، د. محمد رجب شتيوي ص٦١ وما بعدها.

تكوين الدعاة وتأهيلهم؛ لمواجهة تحديات العصر في الداخل والخارج والتي ازدادت تعقيداً وتطوراً في ظل الانفتاح العالمي؛ مما ساعد على خروج دراسات علمية منهجية متخصصة؛ تُعنى بجانب إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر.

ويحتاج العمل الدعوي الناجح إلى كوادر مؤهلة تأهيلاً متكاملاً ومناسباً لمتطلبات الواقع المعاصر، وذلك يستلزم جهوداً واضحة وأسساً ثابتة تتفق عليها المؤسسات الدعوية المسؤولة عن تأهيل الدعاة والمتخصصين في هذا المجال، لضمان جودة المنتج الدعوي بإذن الله.

أولا: مشكلة الدراسة:

يحتاج العمل الدعوي الناجح إلى كوادر مؤهلة تأهيلاً متكاملاً ومناسباً لمتطلبات الواقع المعاصر، وذلك يستلزم جهوداً واضحة، وأسساً ثابتة تتفق عليها المؤسسات الدعوية المسؤولة عن تأهيل الدعاة والمتخصصين في هذا المجال، لضمان جودة المنتج الدعوي.

ومن هنا يمكن تحديد ملامح مشكلة الدراسة في الآتي:

١. اختلاف المنهجية المتبعة لإعداد الدعاة بين المؤسسات والجهات المسؤولة عن ذلك، وهو ما تكشفه الخطط الدراسية المقدمة في تلك المؤسسات، الأمر الذي يستلزم توحيد الجهود وتظافرها للاتفاق على أساسيات التأهيل الدعوي وفق احتياجات الواقع المعاصر.

٢. وجود بعض جوانب الضعف في التأهيل المهاري الدعوي لدى بعض المؤسسات الدعوية، تحتاج إلى الوقوف عليها ووضع الحلول المناسبة لمعالجتها، وقد كشفت ذلك دراسة " مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء

الممارسات التطبيقية لخريجات القسم" فيما يتعلق بالتأهيل الدعوي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وسعت الدراسة الحالية إلى اكتشاف واقع التأهيل الدعوي في مؤسسة أخرى وهي: (جامعة أم القرى بمكة) باعتبارها نموذجاً آخر لمقارنة النتائج، والوصول إلى تصور مقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر يتناسب مع مختلف فئات المجتمع والميادين الدعوية.

ثانيا: تساؤلات الدراسة:

أجابت الدراسة الحالية عن التساؤل الرئيس التالي: ما التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر؟

وتتمثل التساؤلات الفرعية للدراسة في التالي:

١. ما مفهوم الإعداد العلمي والعملي للداعية وأهميته في ضوء الواقع المعاصر؟
٢. ما متطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية؟
٣. ما متطلبات الإعداد والتأهيل العملي للداعية؟

ثالثا: أهداف الدراسة:

سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق الهدف الرئيس لها والمتمثل في: تقديم تصور مقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، وينبثق منه الأهداف التالية:

١. التعرف على مفهوم الإعداد العلمي والعملي للداعية وأهميته في ضوء الواقع المعاصر
٢. التعرف على متطلبات الإعداد و التأهيل العلمي للداعية.
٣. التعرف على متطلبات الإعداد و التأهيل العملي للداعية.

رابعا: الدراسات السابقة:

إن مما يزيد من مشقة هذا المشروع البحثي أن الدراسات السابقة في مجاله قليلة رغم ما تمثله من أهمية وخاصة في وقتنا المعاصر، ومما تم الوقوف عليه في هذا المجال خمس دراسات ساهمت في خدمة موضوع الدراسة الحالية ومنها:

دراسة بعنوان: (مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم)(١): دراسة ميدانية تهدف إلى التعرف على مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي لخريجات قسم الدعوة والاحتساب، على واقع الممارسات التطبيقية لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي لخريجات قسم الدعوة والاحتساب. استخدمت الباحثة فيها المنهج الوثائقي، والمنهج المسحي التقويمي. وكان من أبرز نتائج الدراسة التي جاءت في ثلاثة فصول: أن أبرز جوانب الضعف تمحورت في تأخر اكتساب الخريجات لمهارات: (فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة، ضعف الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية واستخدامها في العمل الدعوي، ضعف القدرة على التخطيط الدعوي، وكتابة المقالات والنشرات الدعوية)، وستستفيد الدراسة الحالية بإذن الله تعالى منها في وضع التصور المقترح.

(١) رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب للباحثة: نداء السويلم، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

دراسة بعنوان: (إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة)(١):

تهدف هذه الدراسة إلى:" التعرف على كيفية إعداد الداعية إلى الله تعالى إعداداً علمياً ودعوياً وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وتوضيح أوجه الاستفادة من هذا الإعداد في العصر الحاضر "، وجاءت في ستة فصول

الفصل الأول: الإعداد الإيماني للداعية ووسائل تحققه.

الفصل الثاني: الإعداد العلمي للداعية إلى الله.

الفصل الثالث: الإعداد السلوكي للداعية إلى الله.

الفصل الرابع: الإعداد النفسي للداعية إلى الله.

الفصل الخامس: الإعداد المهاري للداعية إلى الله.

الفصل السادس أوجه الاستفادة من إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة في العصر الحاضر، واستفادت الدراسة الحالية منها في الفصل الثاني المتعلق بمتطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية.

دراسة بعنوان: (ثقافة الداعية وأثرها في نجاح الدعوة)(٢):

لم يذكر في البحث أهدافاً ولم يقسم البحث إلى أبواب أو فصول وإنما ذكر أهمية الثقافة من خلال النقاط التالية:

١ - العقيدة ٢ - القرآن الكريم

---

(١) رسالة دكتوراه من إعداد: جلوس بنت فرج القحطاني في الدعوة والاحتساب،، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣هـ، إعداد الباحث: مصطفى أمين محمد، إشراف أ.د. أحمد محمد العسال، وحجم البحث ٧٦) صفحة، ولم يطبع.

٣ - السنة النبوية ٤ - الفقه وأصوله
٥ - اللغة العربية ٦ - الثقافة التاريخية
٧ - العلوم الإنسانية ٨ - العلوم الحديثة
٩ - الغزو الفكري.

والمنهج الذي اتبعه الباحث في بحثه هو المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي.

واستفادت الدراسة الحالية منها كذلك في الفصل الثاني المتعلق بمتطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية.

دراسة بعنوان: (شخصية الداعية بين التكوين والتطبيق)(١).

لم يتطرق الباحث لأهداف دراسته وقسمها لثلاثة فصول وهي كالآتي:

تمهيد: وفيه تعريف الداعية ومكانة الدعوة والداعية والحاجة إلى إعداد الدعاة، والفصل الأول: عن دراسة حياة الأنبياء عليهم السلام، الفصل الثاني: عن أساسيات تكوين الداعية، والفصل الثالث: عن مجالات عمل الداعية، ثم الخاتمة.

والمنهج الذي اتبعه الباحث هو المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي وتمحورت الاستفادة منها أيضا في الفصل الثاني المتعلق بمتطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية.

دراسة بعنوان: (ثقافة الداعية وأثرها في نجاح الدعوة)(٢):

---

(١) بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٤هـ، للباحث: مبارك بن حمد الحامد، إشراف د. أحمد محمد العسال، وحجم البحث ٢١٦) صفحة، ولم يطبع.

(٢) بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣هـ، إعداد الباحث: مصطفى أمين محمد، إشراف أ. د. أحمد محمد العسال، وحجم البحث ٧٦) صفحة، ولم يطبع.

لم يذكر في البحث أهدافاً ولم يقسم البحث إلى أبواب أو فصول وإنما ذكر أهمية الثقافة من خلال النقاط التالية:

١ -	العقيدة	٢ -	القرآن الكريم
٣ -	السنة النبوية	٤ -	الفقه وأصوله
٥ -	اللغة العربية	٦ -	الثقافة التاريخية
٧ -	العلوم الإنسانية	٨ -	العلوم الحديثة
٩ -	الغزو الفكري.		

والمنهج الذي اتبعه الباحث في بحثه هو المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي.

واستفادت الدراسة الحالية منها كذلك في الفصل الثاني المتعلق بمتطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية.

دراسة بعنوان: (شخصية الداعية بين التكوين والتطبيق)(١).

لم يتطرق الباحث لأهداف دراسته وقسمها لثلاثة فصول وهي كالآتي:

تمهيد: وفيه تعريف الداعية ومكانة الدعوة والداعية والحاجة إلى إعداد الدعاة، والفصل الأول: عن دراسة حياة الأنبياء عليهم السلام، الفصل الثاني: عن أساسيات تكوين الداعية، والفصل الثالث: عن مجالات عمل الداعية، ثم الخاتمة.

(١) بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٤هـ، للباحث: مبارك بن حمد الحامد، إشراف د. أحمد محمد العسال، وحجم البحث ٢١٦) صفحة، ولم يطبع.

والمنهج الذي اتبعه الباحث هو المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي وتمحورت الاستفادة منها أيضا في الفصل الثاني المتعلق بمتطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية.

دراسة بعنوان: (إعداد الداعية من خلال سورة فصلت)(١).

لم يحدد الباحث أهداف دراسته وقسمها إلى الفصول التالية:

تمهيد: واشتمل على لمحات عامة عن السورة، والدعوة إلى الله وظيفة الرسل والقرآن منهج سعادة البشر.

والفصل الأول: عن التعريف بالدعوة والداعية، والفصل الثاني: عن أساليب الدعوة في السورة، والفصل الثالث: مجالات الدعوة في السورة، والفصل الرابع: سمات الداعية في السورة، ثم الخاتمة.

أما المنهج الذي اتبعه الباحث فهو المنهج التحليلي والمنهج الاستنباطي، كما ركز الباحث من خلالها على تسليط الضوء على قضايا الدعوة في السورة واستنباط الدروس منها.

وتمت الاستفادة منها أيضا في الفصل الثاني المتعلق بمتطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية..

دراسة بعنوان: (صفات الداعية في ضوء سير دعاة النبي ﷺ)(٢).

---

(١) بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٧/ ١٤٠٨هـ للباحث: حمد بن ناصر العمار، إشراف د. يوسف محيي الدين أبو هلالة، وحجم البحث ٢٤٨) صفحة، وقد تم طباعة هذا البحث المكمل بعد تعديله، في دار إشبيليا للنشر والتوزيع، بعنوان " إعداد الداعية في ضوء سورة فصلت"، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

(٢) رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، للعام ١٤١٩هـ، من إعداد: أحمد بن علي الخليفي، إشراف أ. د. حمد بن ناصر العمار، وحجم الرسالة ٦٢٥)، ولم تطبع.

تكونت الدراسة من تمهيد وثلاثة أبواب، في الباب الأول تحدث عن دعاة النبي ﷺ ومهامهم، وفي الباب الثاني عن صفات دعاة النبي ﷺ، وفي الباب الثالث عن صفات الداعية في العصر الحاضر.

ومن أهم أهدافها: (معرفة أبرز صفات الداعية من خلال سير دعاة النبي ﷺ، ربط الدعاة في العصر الحاضر بالدعاة في عصر النبي ﷺ، معرفة كيفية بناء تلك الصفات حتى يتسنى للمسؤولين عن التخطيط الدعوي بناؤها في دعاة العصر الحاضر)، واتبع الباحث المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي. وتمت الاستفادة منها أيضا في الفصل الثاني المتعلق بمتطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية.

الفرق بين تلك الدراسات والدراسة الحالية:

المتأمل فيما سبق يجد أن هناك فرقاً بين تلك الدراسات والدراسة الحالية إذ أن تلك الدراسات تناولت جانباً من جوانب هذه الدراسة.

وهذه الدراسة تناولت إعداد الداعية سواء أكان إعداداً نظرياً أم إعداداً تطبيقياً مهاريا، وفق متطلبات الواقع المعاصر.

ووجود تلك الدراسات فيه دلالة على أهمية الموضوع والعناية بإعداد الداعية وتأهيله وأن تلك الدراسات تحدثت عن بعض أجزاء الموضوع، ومن خلال هذه الدراسة تم تقديم تصور مقترح لإعداد و تأهيل الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر.

تصميم و منهجية الدراسة

خامسا: منهج الدراسة:

تقتضي طبيعة هذه الدراسة استخدام المناهج البحثية الآتية:

المنهج الوثائقي: لقد تم اختيار هذا المنهج؛ وذلك تحقيقاً للاستفادة من بعض الوثائق المتعلقة بإعداد الداعية؛ لتغطية إجابة التساؤل: المتعلق بتحديد مفهوم إعداد وتأهيل الدعاة، ومتطلبات ذلك والمتمثل في الفصل الأول والثاني من الدراسة الحالية.

المنهج المسحي التقويمي: يُعنى "بجمع المعلومات، والبيانات عن ظاهرة، أو حدث، أو واقع ما؛ وذلك بقصد التعرف على الظاهرة، وذلك باستخدام أداة الاستبانة، لاستطلاع رأي أفراد العينة؛ لمعرفة آرائهم حول التأهيل العلمي والعملي للداعية، وذلك وفق نموذجين: النموذج الأول: يتعلق بطلاب قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، مستوى سابع بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والنموذج الثاني: يتعلق بالخبراء في المجال الدعوي، من أساتذة أقسام الدعوة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

سادسا: مجتمع وعينة الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة في: أعضاء هيئة التدريس بقسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وطلاب وطالبات قسم الدعوة بجامعة أم القرى.

وتم تحديد العينة بطلاب وطالبات جامعة أم القرى مستوى سابع، حيث يُدرس في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، في المستوى السابع مقرر: تدريبات عملية في الدعوة، وتم اختيار

عينة عشوائية من طلاب وطالبات المستوى السابع، للاستفادة من آرائهم عند وضع التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، ليكون دليلا إجرائيا مستقبلياً تستفيد منه المؤسسات المسئولة عن تأهيل الدعاة وفي مقدمتها جامعات المملكة العربية السعودية، التي تضم تخصصات دعوية.

سابعاً: إجراءات الدراسة الميدانية:

اتبع فريق البحث الخطوات التالية:

١. تم اعتماد نموذجي الاستبانات الخاصة بأعضاء هيئة التدريس والخريجات المطبقة في دراسة: "مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم" كمقياس(١)، نظراً لتماثل الدراستان في قياس واقع الإعداد والتأهيل الدعوي للخريجين.

تم حساب ثبات الأداة باستخدام معادلة ألفا كرونباخ في استمارة الاستبانة الخاصة بأعضاء هيئة التدريس والخريجين، بحساب قيمة معامل الثبات لكل جزء من أجزاء الاستبانة، ووجد أن قيم معاملات الثبات مرتفعة في كلا النموذجين؛ مما يدل على أنهما يتمتعان بدرجة عالية من الثبات، كما يتضح من الجدول التالي:

---

(١) ملحق رقم ١)، ٢)، ٣): قائمة بأسماء المحكمين، نموذجي الاستبانة الخاصة بأعضاء هيئة التدريس وخريجي قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى، ص٣٩٣-٤٠١.

جدول رقم (١) يوضح قيم معاملات الثبات لكل محور من محاور الاستبانة

في استمارة أعضاء هيئة التدريس

المحور	معامل الثبات
التأهيل الفكري	٠.٩٦٧
البناء المعرفي	٠.٨٩٣
التأهيل المهني الدعوي	٠.٩٨٤
كامل الاستبانة	٠.٩٧٥

جدول رقم (٢) يوضح قيم معاملات الثبات لكل محور من محاور الاستبانة

في استمارة الخريجين

المحور	معامل الثبات
التأهيل الفكري	٠.٩٢٠
البناء المعرفي	٠.٩١٥
التأهيل المهني الدعوي	٠.٩٥١
كامل الاستبانة	٠.٩٧١

٢. تم قياس صدق الاتساق الداخلي لاستمارات الاستبانة من خلال بيانات استجابات أفراد الدراسة في نموذجيها: النموذج الأول: المتعلق بأعضاء هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم

القرى، والنموذج الثاني: المتعلق بخريجي بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى؛ للتأكد من تماسك العبارات بالدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه، وذلك بحساب معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات المحور والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه، وقد أثبتت النتائج ذلك؛ حيث جاءت جميع معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى (٠.٠١) في كلا النموذجين، مما يشير إلى الاتساق الداخلي بين فقرات المحور والدرجة الكلية للمحور، كما يتضح من الجداول التالية:

جدول رقم (٣) يوضح معاملات الارتباط لكل عبارة من عبارات المحور بالدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه في استمارة أعضاء هيئة التدريس

م	معامل الارتباط		
	التأهيل الفكري	البناء المعرفي	التأهيل المهني الدعوي
١	٠.٨٥٥**	٠.٨٨٦**	٠.٧٥٣**
٢	٠.٨٩٠**	٠.٩٦٤**	٠.٨٣٩**
٣	٠.٩٠٧**	٠.٩٢١**	٠.٩٢٨**
٤	٠.٩٠٦**	٠.٨٦٣**	٠.٩١٧**
٥	٠.٩٣١**	٠.٨١٤**	٠.٨٦٤**
٦	٠.٩٢٩**	٠.٧٥٩**	٠.٩٤٩**
٧	٠.٩٤٤**	٠.٩٦٧**	٠.٧٨٠**
٨	٠.٩١٧**	٠.٩٤٧**	٠.٩١٠**
٩	٠.٧٥٤**	٠.٨٩١**	٠.٩٤٧**
١٠		٠.٩٥٠**	٠.٨٢٦**
١١		٠.٩١٠**	٠.٨٤٧**
١٢		٠.٩٦٥**	٠.٩٠٠**
١٣		٠.٧٩٨**	٠.٦٢٥**
١٤		٠.٧٨٦**	٠.٧٨٩**
١٥		٠.٦٩٤**	٠.٧٧٨**
١٦			٠.٧٢٤**
١٧			٠.٨٧٤**

(**) دالة عند ٠.٠١

جدول رقم (٤) يوضح معاملات الارتباط لكل عبارة من عبارات المحور بالدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه في استمارة الخرجين

م	معامل الارتباط		
	التأهيل الفكري	البناء المعرفي	التأهيل المهني الدعوي
١	٠.٧٨٤**	٠.٥٨٦**	٠.٧١٣**
٢	٠.٦٧٧**	٠.٧٢٩**	٠.٧٤٦**
٣	٠.٨١٦**	٠.٧٣٤**	٠.٧٨٦**
٤	٠.٧٩٨**	٠.٥٣١**	٠.٧٢٨**
٥	٠.٨٠٠**	٠.٦٧١**	٠.٧٩٦**
٦	٠.٨٢٠**	٠.٧٣١**	٠.٨١٦**
٧	٠.٨٣٧**	٠.٧٨٢**	٠.٧٦٦**
٨	٠.٧٦٦**	٠.٧٢٩**	٠.٧٩٦**
٩	٠.٧٣٤**	٠.٧٢٥**	٠.٨٣٦**
١٠		٠.٧٥٢**	٠.٦٩٧**
١١		٠.٦٠٨**	٠.٦٠٩**
١٢		٠.٧٧٦**	٠.٧٦٧**
١٣		٠.٦٣٨**	٠.٦٤٧**
١٤		٠.٦٥٢**	٠.٦٤٢**
١٥		٠.٦٠٣**	٠.٦٢٩**
١٦			٠.٧٠٥**
١٧			٠.٧٩٦**

(**) دالة عند ٠.٠١

٣. تم إرسال استمارات الاستبانة - الخاصة بأعضاء هيئة التدريس والخريجين - ورقياً وإلكترونياً لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، كما تمت زيارة قسم الطالبات ميدانياً لمتابعة

ذلك(١)، إلا أنه لم يستجب لذلك سوى القسم النسائي رغم التواصل المتكرر مع المسؤولين في القسم الرجالي، حيث بلغ العائد من الاستبانات: (١٦) استبانة خاصة بعضوات هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، و(١٥٨) استبانة خاصة بالخريجات.

٤. تم مراجعة البيانات بعد جمعها للتأكد من اكتمال الإجابات، وعدم تناقضها.

٥. تم تفريغ البيانات وتبويبها آلياً باستخدام برنامج (spss) الإحصائي.

كما تم تصميم استمارة التصور المقترح للجولة الأولى وعُرضت على الخبراء(٢)، للبدء في (جولات دلفي) لاعتماد التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، وقد تم توضيح تفاصيل نتائج (جولات دلفي) وتفسيرها في الفصل الرابع من الدراسة.

ثامنا: أساليب المعالجة الإحصائية:

استخدمت الدراسة مجموعة من الأساليب الإحصائية لمعالجة بياناتها، وهي كالآتي:

١. حساب التكرارات والنسب المئوية؛ لبيان نسبة الموافقة في استجابات أفراد عينة الدراسة.

٢. حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل فقرة من فقرات المحاور؛ لمعرفة اتجاهات استجابات أفراد العينة، وترتيب أولوية الفقرات داخل كل محور.

---

(١) ملحق رقم ٤): خطاب تسهيل مهمة، ص....

(٢) ملحق رقم ٥)، ٦): قائمة بأسماء الخبراء المشاركين في التصور المقترح، نموذج استمارة التصور المقترح في جولته الأولى، ص. ...

٣. معاملات ارتباط بيرسون، لمعرفة مدى الاتساق – الصدق – الداخلي لأداة الدراسة.

٤. معامل "ألفا كرونباخ"، لقياس ثبات الأداة.

تاسعا: تقسيمات الدراسة:

المقدمة: تشمل:

- مشكلة الدراسة.
- تساؤلات الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- المسح الأدبي.
- تصميم ومنهجية الدراسة.
- تقسيمات الدراسة.

الفصل الأول

مفهوم الإعداد العلمي والعملي للداعية وأهميته في ضوء الواقع المعاصر

يستلزم استيفاء جوانب إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر إدراك مفهوم الإعداد العلمي والعملي للداعية، ومعرفة أهمية ذلك، إلى جانب إيضاح مجالات الإعداد؛ للتوصل إلى تصور شامل منضبط للإعداد الدعوي موافق لما جاء في الكتاب والسنة.

لذا تناول هذا الفصل ثلاثة مباحث، جاءت كالتالي:

المبحث الأول

مفهوم الإعداد العلمي والعملي للداعية في ضوء الواقع المعاصر

لإعداد في اللغة: من الفعل عدّ، وأعدَّه لأمر كذا هيأه له، والاستعداد للأمر التهيؤ له(١). والعُدة: ما أُعد لأمر يحدث مثل الأهبة. يقال: أعددت للأمر عُدته(٢).

وأعده: هيّأه وجهزه، وعدّد الشيء: أحصاه، واستعد له: تهيأ له(٣).

ومن هذا يتبين أن لفظة الإعداد لفظة عربية أصيلة، وهي تدل على التهيئة، وأخذ الأهبة للأمر قبل وقوعه، وهذه الكلمة وردت في القرآن

---

(١) انظر: مختار الصحاح، ص٤١٦، محمد أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط[د(ر)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، دار ابن كثير، بيروت].

(٢) انظر: لسان العرب، ج٣، ص٢٨٤، ابن منظور، ط[الثالثة، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت].

(٣) انظر: المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٨٧، مجمع اللغة العربية، ط[د(ر.ت)، دار الدعوة، القاهرة].

الكريم بصيغ مختلفة(١)؛ فترد بصيغة الماضي، ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾(٢)، ووردت بصيغة المضارع ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾(٣)، كما وردت بصيغة الأمر، ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(٤).

والداعية في اللغة: اسم فاعل على وزن فاعله، يقول: دعاه، يدعوه فهو داع له، والداعية: صريخ الخيل في الحروب(٥). ويطلق على: الذي يدعو إلى دين أو فكرة(٦).

---

(١) إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، ص٢١، مرجع سابق.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) انظر: القاموس المحيط، ص١٢٨٣، مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط[الثامنة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت].

(٦) انظر: المعجم الوسيط، ج١، ص٢٨٧، مرجع سابق.

والداعية لفظ عام يشمل داعية الحق وداعية الباطل، كما جاء توضيح ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾(١).

والإعداد في الاصطلاح: إعداد أي شيء يعني تهيئته، وتجهيزه على النحو الذي ييسر استخدامه، والاستفادة منه إلى أقصى حد ممكن(٢).

والداعية في الاصطلاح: هو من يقوم بتبليغ الإسلام للناس، ويعلمه إياهم، ويُقصد بإعداد الداعية إلى الله تعالى علمياً وعملياً في ضوء الواقع المعاصر: الكيفية التي يتم من خلالها تأهيل من يقوم بعملية الدعوة إلى الله تعالى تأهيلاً شرعياً، وفنياً، وتطبيقاً منسجماً مع واقع الحياة؛ بناءً على بعملية الدعوة إلى الله عز وجل تأهيلاً شرعياً، وفنياً، وتطبيقاً منسجماً مع واقع الحياة بناء نصوص القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وسيرة السلف الصالح؛ للقيام بأعباء الدعوة على أحسن حال(٣).

ووفق هذا المفهوم تسعى المؤسسات الدعوية لإعداد الدعاة إلى الله عز وجل، وتهيئتهم لخدمة الدين وأهله، لإصلاح الأمة والنهوض بها لتحقيق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة؛ إدراكاً منها لأهمية ذلك الإعداد وهو ما تم إيضاحه في المبحث التالي.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) الموسوعة العربية لمصطلحات التربية وتكنولوجيا التعليم، ص ١٢٦، د. ماهر إسماعيل صبري، ط[الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، مكتبة الرشد، الرياض].

(٣) انظر: إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٥، مرجع سابق.

المبحث الثاني

أهمية الإعداد العلمي والعملي للداعية

الدعوة إلى الله تعالى أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولابد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم علي حد يصل إليه السعي(١).

والخوض في غمار الدعوة وميادينها فيما لا علم للداعي به، تترتب عليه آثار وخيمة، لأن العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح(٢).

وزاد العلم أساس لابد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة التساؤلات، وحلول المشاكل، إضافة إلى ذلك هو العدة التي بها يعلم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضاً يكون الداعية قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقناً في العرض، ومبدعاً في التوعية والتوجيه (٣).

وطبيعة مهمة الداعي خطيرة، ونظرة الناس إليه، واعتدادهم به، وأخذهم عنه يجعل أمر العلم أشد ضرورة للداعي إلى الله، لأن ما يقوم به من الدين، ومنسوب إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، وشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب اللازم له كان جاهلاً بما يريده، ووقع في الخبط والخلط، والقول على الله تعالى، ورسوله ﷺ بغير علم، فيكون ضرره أكثر من

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/١٥٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/١٣٠.

(٣) أصول الدعوة د. عبدالكريم زيدان، ص ١٣٥.

نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، لجهله بما أحله الشرع وأوجبه وبما منعه وحرمه"(١).

ومن أكثر الأمور التي يفتن بها عوام الناس التصرف الخاطئ الذي يصدر من بعض الجهلاء من أهل العبادة والصلاح؛ لأن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه، فيقتدون به على جهله (٢).

فهذا يقتدون به من أثر حاله، فكيف بالداعية الذي يوجههم بحاله ومقاله، إن افتتانهم به أكبر وأشد.

فالدعوة لا تقوم على ساق إلا إذا كانت مرتبطة بالعلم الشرعي، الذي يتسلح به الداعية في ميدان الدعوة، فإن هذا الأمر يتطلب الإعداد العلمي المسبق، كي تكون الدعوة على علم وبصيرة ونور، لا على جهل وضلال، فكم من داع إلى الله يفسد أكثر مما يصلح بسبب جهله بأصول الدعوة وأساسياتها وعدم الإحاطة بموضوعها، لذا فإن العلم ضروري للمسلم، وبخاصة لمن يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل، لأن العلم بما يدعو إليه الداعي شرط في صحة الدعوة(٣).

أ: الإخلاص في تعلم العلم:

إن الإخلاص شرط في قبول الأعمال كلها ومن جملتها العلم؛ وقد أمر الله بالإخلاص في الدين في قوله تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾(٤).

وفي قوله سبحانه: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ**

(١) طريق الهجرتين، لابن قيم الجوزية ص ٢٣١، ط/٢ دار ابن القيم للنشر ١٤١٤هـ.
(٢) انظر: مقومات الداعية الناجح، د. علي بادحدح ص ٥٨.
(٣) انظر: المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها، د. أحمد أبا بطين، ص ١٦٠.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢.

الدِّين﴾(١).

وذلك بإصلاح القصد، وإصلاح النية في طلب العلم.

فعلى الداعية أن ينوي بعلمه إزالة النقص، وذلك لأن الجهل نقص، فالله تعالى أخبر بأنه أخرجنا إلى الدنيا من بطون أمهاتنا جهلاء، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(٢).

وأن ينوي شرف العلم والعلماء، فإن الله يرفع بهذا العلم أقواماً ويضع به آخرين؛ لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾(٣).

وليعلم الداعية أن الأعمال بالنيات، كما في الحديث الذي رواه عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الأعمال بالنية، ولكل أمري ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه "(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: من طلب العلم ليجاري به السفهاء وليباهي به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النار"(٥).

---

(١) سورة الزمر، الآية ١١ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي غلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ١، ومسلم في كتاب الإمارة، باب إنما الأعمال بالنيات رقم ١٩٠٧.

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا رقم: ٢٦٥٤، وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به رقم ٢٥٩.

وهذا الحديث يوضح بأن على طالب العلم أن يصحح نيته في طلبه، فلا يكون إلا لله وحده، يبتغي به رضوانه، لا يرتفع به في أعين الناس.

ب) الحفظ:

على الداعية الحرص على حفظ ما تعلمه، وخاصة الأدلة من القرآن والسنة النبوية، ليدعم دعوته، ويضبط ما تعلمه إما بحفظه في صدره أو كتابته، فإن الإنسان عرضة للنسيان، فإذا لم يحرص على المراجعة وتكرار ما تعلمه، فإن ذلك يضيع منه وينساه(١).

ومن الطرق التي تعين على حفظ العلم وضبطه أن يهتدي الإنسان بعلمه؛ قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ**﴾(٢)

وقال: ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**﴾(٣).

فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظاً وفهماً، لعموم قوله: (زادهم هدى).

والحفظ وسيلة من الوسائل التي تساعد على تأهيل الداعية وإعداده علمياً.

جـ) إحضار القلب عند التعلم:

إن العديد ممن يحضر مجالس العلم وقلبه غافل؛ فإنه لا يستفيد من هذه المجالس العلمية غالبا، إذ لابد من إحضار القلب عند التعلم (٤).

---

(١) انظر: كتاب العلم، بن عثيمين، ص ٦٣

(٢) سورة محمد، الآية: ١٧ .

(٣) سورة مريم، الآية : ٧٦.

(٤) انظر: العلم فضله وآدابه ورسائله، للشيخ عبد الله الجبرين ص ٩ د.ط، أعده للنشر، د. طارق بن محمد الخويطر د.ت.

د) الحرص:

لابد للداعية أن يكون حريصاً على التعلم، ويكون في قلبه همة واندفاع إلى التعلم، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ حريصين على طلب العلم؛ فعن عكرمة رضي الله عنه وأرضاه، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما قبض رسول الله ﷺ وأنا شاب قلت لشاب آخر معي من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، ولنتعلم منهم، فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجباً لك يا ابن عباس ! أترى أن الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك ذلك وأقبلت أنا على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله، فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله فأجده قائلاً - أي نائماً- في منتصف النهار فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الرياح على وجهي التراب حتى يخرج، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله فأحببت أن أسمعه منك، فكان الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله واجتمع حولي الناس يسألوني فيقول هذا الفتى كان أعقل مني "(١).

---

(١) أخرجه الحاكم ١/١٨٨ رقم ٣٦٣) وابن سعد في الطبقات ٢/٣٦٧) واللغوي في المعرفة والتاريخ ١/٢٩٨) وصححه الحاكم. قال الحاكم عقب هذا الخبر: هذا الحديث أصل في طلب الحديث وتوقير المحدث.

وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه " لقد كان يبلغني عن الرجل من المهاجرين الحديث فآتيه فأجده قد قال – أي نام – أو استراح وقت القيلولة في منزله، فأجلس على بابه فاسأله عنه يعني إذا خرج"(١).

ومن هنا؛ فعلى الداعية أن يكون حريصاً في طلب العلم.

والحرص على أهم الوسائل التي تعين الداعية على تحصيل العلم.

ومما يجدر التأكيد عليه ؛ أن إعداد الدعاة إعداداً صحيحاً من أهم ما ينبغي على الأمة بمجموعها أن تتكاتف لتحقيقه، سعياً لنشر الإسلام بصورة صحيحة، وحماية المجتمع الإسلامي مما يشوبه من فساد عقائدي، أو تأثير أخلاقي، ورده لتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة كما جاءت في الكتاب والسنة.

وقد وردت أدلة من الكتاب والسنة تدل على أهمية إعداد الداعية للقيام بالعمل الدعوي، والتي يمكن إجمالها في التالي(٢):

١. الأمر بتخصيص طائفة للتفقه في الدين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٣)، وجاء في تفسير السعدي؛ أي ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، وفي هذا فضيلة للعلم، وخصوصاً الفقه في الدين، وأنه من

---

(١) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى رقم ٦٧٣) وذكره. ...... في تهذيب الكمال ١٧/٢٠.

(٢) انظر: إعداد الدعاة من خلال المتون العلمية، ص٤٨-٥٧، للباحث: ناصر بن حمد بن ناصر العمار، رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٣٢/١٤٣٣هـ، إشراف: د. علي الأحمد.

(٣) سورة التوبة، الآية:١٢٢.

أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمي له"(١)؛ ويُعد التفقه في الدين من أولويات إعداد الداعية إلى الله تعالى للقيام بهذه المهمة العظيمة.

٢. الأمر بتخصيص أمة تدعو إلى الخير:

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢)، جعل الله من تمام شكره وإقامة دينه أن يتصدى طائفة ممن تحصل بهم الكفاية، للدعوة إلى الخير، وهو الدين؛ أصوله وفروعه وشرائعة(٣). ولا يمكن أن يحدث ذلك بدون إعداد وتهيئة لهؤلاء الطائفة من الدعاة إلى الله عز وجل.

٣. حرص النبي ﷺ على تأهيل الدعاة وإعدادهم:

فَعَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٥٥، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن اللويحق، ط[الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت].

(٢) سورة آل عمران، الآية:١٠٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٩٧١.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص٥٠٨، رقم الحديث(٦٠٠٨) موسوعة الحديث الشريف: الكتب السنة، بإشراف ومراجعة صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط[الرابعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار السلام، الرياض].

فرغم المهام العظيمة التي أنيطت بالرسول ﷺ في مسيرة دعوته، إلا أن ذلك لم يشغله عن إعداد الدعاة إلى الله وتأهيلهم وإرشادهم لكيفية ذلك، في أكثر من حدث، حيث أنه عليه السلام بَعَثَ أبي موسى الأشعري وَمُعَاذًا رضي الله عنه إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»(١). فأرشد إلى أساليب دعوية في غاية الأهمية لضمان نجاح الدعوة وترك أثراً في نفوس المدعوين.

٤ . أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: قال في الحديث ولو آية: أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به رحمه الله"(٣).

فالتبليغ وسيلة دعوية لنقل الشريعة الإسلامية الصحيحة وهي مهمة الدعاة إلى الله تعالى بعد الرسل، وشرف عظيم تتحقق به خيرية الأمة، ولا يكون التبليغ إلا بعد التلقي والإعداد.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، ص٢٤٤، رقم الحديث(٣٠٣٨.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ص٢٨٢، رقم الحديث ٣٤٦١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٦، ص٤٩٨، ابن حجر العسقلاني، ط[د(ر)، ١٣٧٩م، دار المعرفة، بيروت].

المبحث الثالث

مجالات الإعداد العلمي والعملي للداعية

تعرف المجالات بانها الفئات الواسعة لأنواع نواتج التعلم التي يستهدف البرنامج التعليمي تَطويرها.

والمراد بها هنا الموضوعات الأساسية التي يحتاج الداعية إلى تعلمها لاسيما وانه قد جاء في النصوص الشرعية ما يشير إلى التأكيد على أهمية الإعداد العلمي والعملي للقائم على الدعوة إلى الله تعالى، لتحقيق نجاح الدعوة الإسلامية وانتشارها، ويتضح ذلك(١) من خلال النقاط التالية:

١. أهمية البصيرة في الدعوة:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢)، والبصيرة في الدعوة لا تكون إلا بالعلم.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية السابقة: "يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين: الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله: أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي"(٣)؛ وإذا كان العلم قبل العمل

---

(١) انظر: إعداد الدعاة من خلال المتون العلمية، ناصر بن حمد العمار ص٧٢-٨٢.

(٢) سورة يوسف، الآية:١٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٦١، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط[الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت].

ضرورياً، فإنه أشد ضرورة للدعوة إلى الله تعالى؛ حتى يؤدي الداعي رسالته على علم وبصيرة، في كل ما يأمر به وينهى عنه، منطلقاً في ذلك من الشرع الحنيف. فيكون الداعي على بصيرة بما يدعو إليه، وعلى بصيرة بحال المدعو، وعلى بصيرة في كيفية الدعوة(١).

٢. أمر الشريعة بالتزود بالعلم:

قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢)، قال الشيخ القاسمي رحمه الله في تفسير الآية: ". .ثم أمره باستفاضة العلم واستزادته منه: أي سله زيادة العلم. فإن مدده غير متناه. وهذا – كما قال الزمخشري: متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له، عندما علم من ترتيب التعلم، أي: علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم، وأدباً جميلاً ما كان عندي فزدني علماً إلى علم؛ فإن لك في كل شيء حكمة وعلما"(٣).

وهكذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستمر في الاستزادة من العلم والتحلي بآدابه ليترك ذلك أثراً في نفسه ودعوته للآخرين.

٣. تكريم الشريعة لأهل العلم:

إن للدعوة إلى الله تعالى رجالها المخلصين الذين اختارهم الله عز وجل وفضّلهم على سائر الخلق بما اختصهم به من دعوة الناس إلى ما

---

(١) زاد الداعية إلى الله، ص١٢، محمد بن صالح العثيمين، ط[الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الثقة، مكة المكرمة].

(٢) سورة طه، الآية:١١٤.

(٣) محاسن التأويل، ج٧، ص١٥٠، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط[الأولى، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت].

علموه من خير، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾(١) والاختيار هنا يقصد به الاجتباء والاصطفاء(٢).

وقد امتدح الله أهل العلم في أكثر من موضع في كتابه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٣)، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(٤). وحري بالدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا من السابقين في التحلي بالعلم بما جاء في الكتاب والسنة، فالعلم سلاح الدعاة في دعوتهم؛ إذ كيف لهم تبليغ ما لايعلمونه؛ فعلم الداعية متعدي إلى غيره، وخطأه لا يقتصر على نفسه، وذلك ملاحظ في العصر الحالي عند التهاون في نقل الأحاديث المكذوبة أو الضعيفة عبر وسائل التقنية الحديثة دون التثبت من صحة الحديث.

ولا يُغني التأهيل العلمي للداعية عن التأهيل العملي، إذ لابد من تلازمهما للتهيئة الشاملة للدعاة إلى الله عز وجل، وهو ما وضحته النصوص السابقة في عناية الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك، وقد كشفت نتائج كثير من الدراسات والأبحاث العلمية(٥) تمحور المشكلات التي تواجه الواقع المعاصر للدعوة في القصور في جانب:(البناء المعرفي، والتأهيل الفكري، والتأهيل المهني الدعوي)، وهو ما تسعى الدراسة

---

(١) سورة القصص، الآية:٦٨.

(٢) محاسن التأويل، ج٧، ص٥٣٢، مرجع سابق.

(٣) سورة فاطر، الآية:٢٨.

(٤) سورة الزمر، الآية:٩.

(٥) انظر: مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم، ص٥٩، مرجع سابق.

الحالية إلى وضع أساسيات ذلك عند تولي مسؤولية إعداد الدعاة وتأهيلهم في ضوء متطلبات الواقع المعاصر؛ ومن خلال هذا المبحث يمكن الإشارة إلى أبرز مجالات الإعداد العلمي والعملي للداعية وفق المعايير الأكاديمية

لمحتوى برامج بكالوريوس الدعوة ودبلومها في مؤسسات التعليم العالي وفق ما يلي:

أولا: مجالات التخصص:

وهي الموضوعات التي تعنى بالتخصص الدقيق في الدعوة، وهي تشمل في الإعداد الدعوي ثلاثة عشر مجالاً رئيساً كما يلي:

- المجال الرئيس الأول: الداعي.
- المجال الرئيس الثاني: المدعو.
- المجال الرئيس الثالث: موضوع الدعوة.
- المجال الرئيس الرابع: منهج الدعوة.
- المجال الرئيس الخامس: وسائل الدعوة وأساليبها وميادينها، وفيه ثلاثة مجالات فرعية، وهي:
  - المجال الفرعي الأول: وسائل الدعوة.
  - المجال الفرعي الثاني: أساليب الدعوة.
  - المجال الفرعي الثالث: ميادين الدعوة.
- المجال الرئيس السادس: تاريخ الدعوة وانتشار الإسلام
- المجال الرئيس السابع: الدعوة في القرآن والسنة، وفيه مجالان فرعيان، وهما:
  - المجال الفرعي الأول: الدعوة في القرآن
  - المجال الفرعي الثاني: الدعوة في السنة

- المجال الرئيس الثامن: الدعوة في السيرة النبوية
- المجال الرئيس التاسع: فقه الدعوة.
- المجال الرئيس العاشر: دعوات الأديان والفرق والتيارات المعاصرة
- المجال الرئيس الحادي عشر: الحسبة
- المجال الرئيس الثاني عشر: البحث العلمي في تخصص الدعوة.

المجال الرئيس الثالث عشر: التدريب العملي.

ثانيا: المجالات التأسيسية:

وهي الموضوعات التي تسهم في تأصيل الداعية شرعياً، وتزويده بالحد الأدنى من العلوم الشرعية، والتي لا غنى له عنها، وهي تشمل في بر امـــج الدعوة المجالات التالية:

ثانياً: المجالات التأسيسية

وشملت إحدى عشر مجالا رئيسا:

- المجال الرئيس الأول: القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مجالات فرعية، وهي:
  - المجال الفرعي الأول: التلاوة.
  - المجال الفرعي الثاني: الحفظ.
  - المجال الفرعي الثالث: التجويد.
- المجال الرئيس الثاني: التفسير.
- المجال الرئيس الثالث: علوم القرآن.
- المجال الرئيس الرابع: السنة النبوية، وفيه ثلاثة مجالات فرعية، وهي:
  - المجال الفرعي الأول: مصطلح الحديث.

- المجال الفرعي الثاني: الحديث.
- المجال الفرعي الثالث: تخريج الحديث.

- المجال الرئيس الخامس: العقيدة وعلومها، وفيه أربعة مجـــالات فرعية، وهي:
  - المجال الفرعي الأول: العقيدة.
  - المجال الفرعي الثاني: الأديان.
  - المجال الفرعي الثالث: الفرق.
  - المجال الفرعي الرابع: المذاهب والتيارات المعاصرة.
- المجال الرئيس السادس: الفقه.
- المجال الرئيس السابع: الفرائض.
- المجال الرئيس الثامن: أصول الفقه.
- المجال الرئيس التاسع: القواعد الفقهية.
- المجال الرئيس العاشر: مقاصد الشريعة.
- المجال الرئيس الحادي عشر: اللغة العربية: وفيه أربعة مجالات فرعية، وهي:
  - المجال الفرعي الأول: النحو.
  - المجال الفرعي الثاني: البلاغة.
  - المجال الفرعي الثالث: التحرير العربي.
  - المجال الفرعي الرابع: أدب الدعوة.

ثالثا: المجالات المساندة:

وهي الموضوعات التي تسهم في إعانة الداعية على فهم أوســـع لمـــا تتضمنه مجالات التخصص، مما يفيده في تصور القضايا المرتبطة بمعـــارف وعلوم أخرى على نحو أفضل،

وشملت أربعة مجالات رئيسة كما يلي:

- المجال الرئيس الأول: علم النفس الدعوي.
- المجال الرئيس الثاني: إدارة العمل الدعوي واقتصادياته.
- المجال الرئيس الثالث: تطبيقات التقنية الحديثة في الدعوة.
- المجال الرئيس الرابع: مناهج البحث

وتلكم أبرز المجالات التي يحتاج إليها الداعية في مراحل الإعداد العلمي والعملي والتي انبثقت من محتوى وثيقة المعايير الأكاديمية لمحتوى برامج بكالوريوس الدعوة ودبلومها في مؤسسات التعليم العالي والتي يجدر الاعتناء بها عند إعداد البرامج التعليمية لطلاب الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الثاني

متطلبات الإعداد والتأهيل العلمي للداعية

المبحث الأول

متطلبات التأهيل العقدي للداعية

أولاً: تعريف متطلبات التأهيل العقدي:

أ- متطلبات:

لغةً: المتطلّب اسم مفعول من الفعل تطلّب، (والتطلب الطلب مرة بعد أخرى، والتطلب طلب في مهلة)(١).

اصطلاحاً: كل أمر أساسي يطلب تحقيقه.

ب- التأهيل:

لغةً: أهلّه للأمر تأهيلاً أي جعله أهلاً ومستحقاً له(٢).

اصطلاحاً: إعداد وتهيئة الشخص المطلوب تأهيله أو تدريبه حتى يصل لهدف معين.

ج- العقدي:

لغةً: مادة (عقد) مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق؛ ففي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾(٣)، وتعقيد الأيمان إنما يكون بقصد

(١) لسان العرب، محمد بن منظور الإفريقي، ط١، دار صادر، بيروت، ج١، ص٥٥٩، باب طلب.

(٢) انظر: المرجع السابق، ج٦، ص٢٨، باب أهل.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨٩.

القلب وعزمه، وتقول العرب: (اعتقد الشيء بمعنى صلب واشتد)(١).

اصطلاحاً: للعقيدة بالمفهوم الاصطلاحي إطلاقان عام وخاص، فالعام هو (الحكم القاطع الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك لدى معتقده، سواء كان هذا الحكم مبنياً على أسس شرعية وعقلية سليمة، كالاعتقاد الحق أم لا، كالاعتقاد الباطل)(٢).

والعقيدة بمعناها الخاص هي: (أصول الدين وأحكامه القطعية من الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بالملائكة، والكتب المنزلة، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وسائر أمور الغيب الواردة بالنصوص الثابتة، ومنها فرائض الدين والأحكام القطعية)(٣)

المقصود بمتطلبات التأهيل العقدي إيضاح الأصول الإيمانية التي ينبغي تأصيلها عند الداعية ليكون مهيأً للدعوة إلى الله تعالى، وقد تم تسليط الضوء على الثلاثة أصول التي أفردها العلماء بالبحث، حيث كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يدرسها للطلبة والعامة؛ لتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة تجمع الدين كله، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهي التي يسأل عنها العبد في قبره(٤).

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، أ. د. صالح الفوزان، ط٤، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٧هـ، ص٩.

(٢) التلازم بين العقيدة والشريعة، أ. د. ناصر العقل، ط١، دار الوطن، ١٤١٢هـ، ص٩.

(٣) المرجع السابق، ص٩.

(٤) انظر: شرح الأصول الثلاثة ، الشيخ عبدالعزيز بن باز، وآخرون، ط١، دار ابن حزم، ص٥.

ثانياً: أهمية التأصيل العقدي للدعاة إلى الله:

تبرز أهمية التأهيل العقدي للداعية إلى الله من خلال النقاط التالية:

– العقيدة بمثابة الأساس الذي يبنى عليه جميع ما بعده، فإن صلحت صلح ما بعدها غالباً، وإن فسدت كان لزاماً فساد ما بعدها، فإن كانت عقيدة الداعية صافية نقية بنيت دعوته على أساس سليم، ونقل ذلك للمدعوين، أما إن كانت عقيدته فيها لبس فسيؤثر ذلك تباعاً على المدعوين، وقد حرص النبي ﷺ على التأهيل والإعداد العقدي للصحابة رضوان الله عليهم وهم يعدون دعاة إلى الله، حيث قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك...)(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (حديث ابن عباس هذا حديث عظيم، فهو أمر نبوي كريم بحفظ الدين، وبيان لنتيجة ذلك، وهو نصر الله تأييده، وحفظه لمن حفظ دينه، وقد اشتمل هذا الحديث على مسائل عقدية، تعد أصولاً عظيمة، ومن الإيمان بالله والإخلاص له بالعبادة والتوكل عليه، والاستعانة به، والقضاء والقدر، والاتباع لما جاء به رسوله)(٢).

– تحقيق الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام، حيث قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب القيامة عن رسول الله ﷺ، رقم ٢٥١٦، وقال عنه: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ص٥٦٧.

(٢) شرح الأربعين النووية، بدون رقم طبعة، مؤسسة الشيخ محمد العثيمين، ص١٥٤.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته (سبيلي)، وطريقتي ودعوتي، (أدعو إلى الله وحده لا شريك له (على بصيرة)، بذلك، ويقين عليم مني به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضا من اتبعني وصدقني وآمن بي (وسبحان الله)، يقول له تعالى ذكره: وقل، تتريها لله، وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه: (وما أنا من المشركين)، يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني)(١).

ثالثاً: تقرير العقيدة الصحيحة عند الدعاة إلى الله:

يرتكز التأهيل العقدي للداعية على تقرير ثلاثة الأصول ويقصد بها معرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام، فهي أصول العقيدة التي ينبغي أن يتم تقريرها من الكتاب والسنة، فإن أسست بشكل صحيح للدعاة إلى الله كان ما بعدها تابعاً لها؛ لذلك حرص العلماء عبر العصور على تأسيسها بشكل سليم عند الناس بشكل عام، وعند طلابهم بشكل خاص، وللأسف فإن بعض المنتسبين للدعوة في الوقت المعاصر يزهدون في تلك الأصول ظناً منهم أنها من الأمور الواضحة والسهلة التي لا تحتاج لبذل جهد في تعلمها، وفهمها، وهذا الزهد أوقعهم في كثير من الانحرافات العقدية، التي يشهد الواقع على تلبسهم بها، أو يزهدون في تقريرها من الكتاب والسنة، فبعض المعتزلة عند ردهم على الملاحدة استشهدوا بأدلة عقلية غير مستمدة من الكتاب والسنة، فكانت أدلتهم فيها ضعف وركاكة؛ ولذلك ينبغي على الدعاة الحرص على فهم تلك الأصول وتعلمها على يد العلماء الثقاة، والعمل بمقتضاها، ومثل هذا العلم

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج١٦، ص٢٩١.

(لا ينفع فيه التقليد، واجب أن يحصله العبد بدليله، والعبارة المشهورة عند أهل العلم: أنّ التقليد لا ينفع في العقائد، بل لابد من معرفة المسائل التي يجب اعتقادها بدليلها)(١).

الأصل الأول: معرفة الله سبحانه وتعالى، وهذه المعرفة تستلزم أموراً منها التعرّف على الله بأسمائه وصفاته، والتعرّف على الطريق الموصل لله، والتعرّف على ثمرة التزام هذا الطريق، والكثير من العلماء الذين تناولوا هذه المسألة، تناولوا أقسام التوحيد الثلاثة(٢):

١- توحيد الربوبية، يقصد به إفراد الله بأفعاله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)(٣)، وقد عرّف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذا التوحيد بقوله: (إفراد الله – عز وجل – بالخلق، والملك، والتدبير، فإفراده بالخلق أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤).

(١) شرح ثلاثة الأصول، الشيخ صالح آل الشيخ، تحقيق: عادل رفاعي، ط١، مكتبة دار الحجاز، مصر، ١٤٣٣هـ، ص٧.

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ، ص١٥ وما بعدها؛ انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح الشيخ محمد العثيمين، ط٤، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ، ص٩-٢٣؛ انظر: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، الشيخ أ. د. صالح الفوزان، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص٢١-٨٧.

(٣) الفتاوى الكبرى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ج٥، ص٢٨٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

. .وأما إفراد الله بالملك فأن يعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خـــالقهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١)...

وأما إفراد الله بالتدبير، فهو أن يعتقد الإنسان أنـــه لا مـــدبر إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(٢)(٣)، ورغم أنّ هذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه حتى المشركون الذين بعث فيهم النبي عليه الصلاة والســـلام، إلا أنّ الواقـــع يشـــهـــد بوجـــود من يعـــارض هذا القـــسم ومنهم*(٤):

أ- فلاسفة الشرق، حيث ينكرون وجود إله قائم بذاته، متميـــز عن غيره، غير حال فيه ولا:

مختلط به، ولا هو إيّاه، فالإله حسب معتقدهم هـــو عـــين وجـــود المخلوقات(٥)، فيكون شركهم بذلك شر من شرك اليهود والنصارى بل وحتى عباد الأصنام(٦)، فهم لا ينسبون الخلق الذي يعد أخص خصائص الربوبية لله، بل يعتقدون بالتنّسل والتولد غير المقصود، وينسبون التـــدبير

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١٨٩.

(٢) سورة يونس، الآيتان ٣١-٣٢.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، ط٤، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـــ، ج١، ص٩-١١.

(٤) * تم التفصيل بمن يعارض هذا القسم لقلة من تكلم عنهم بعكس توحيد الألوهية.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٥، ص١٢٢.

(٦) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، رسالة ماجستير مطبوعة، هيفاء هيفاء الرشيد، ط١، وزارة الصحة، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـــ، ص٤٥٣-٤٥٤.

والتسيير إلى الطاقة الكونية أو غيرها من المعتقدات المماثلة، وينفون وجود إله متمايز عن الخلق؛ وذلك لقولهم بوحدة الوجود وبالتالي فلا يمكن تحقيق الملك؛ لأنّ الملك لا يكون إلا بين متمايزين(١).

ب- الملاحدة، وأنواعهم متعددة، فمنهم النمط التقليدي الذي لا يقر بوجود إله، ومنهم اللا أدريون وهؤلاء لا يؤمنون بوجود الخالق، لكنهم أيضاً لا يقولون بعدم وجوده، فهم في حيرة متوقفون في شأن الخالق لا نفي ولا إثبات، وينكر بعضهم إمكانية معرفة الجواب؛ لعدم وجود أدوات التوصل أصلاً إلى مثل هذا الجواب، ومن الملحدين من يعتقد بوجود خالق لهذا الكون، لكنهم ينكرون صلة هذا الخالق بالكون عبر الوحي والرسالة، فالخالق في نظرهم خلق الكون ثم تركه(٢).

تأهيل الدعاة في جانب توحيد الربوبية أمر مهم، والأهم منه تجديد الخطاب العقدي ليكون مناسباً في (لغته، وترتيبه وأنماطه الاستدلالية لطبيعة المرحلة التي نعيشها)، فيجب أن يعرف الدعاة طرائق البرهنة على وجود الله، والرد على الاعتراضات بطريقة علمية محكمة(٣)؛ فالملحدون والمتأثرون بفلاسفة الشرق، وغيرهم وأشباههم هم جزء من أمة الدعوة، فيحتاجون إلى خطاب دعوي يناسبهم، وكذلك فإن عدداً من المسلمين

---

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، هيفاء الرشيد، ص٤٥٧-٤٦٢.

(٢) انظر: ميليشيا الإلحاد، أ. عبدالله العجيري، ط١، مركز تكوين، لندن، ١٤٣٥هـ، ص١٩-٢٠.

(٣) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، أ. د. حمد بن ناصر العمار، رسالة دكتوراه مطبوعة، ط٣، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ، ص٤٣-٨٦، والرسالة بمجملها عنيت بإيضاح أساليب الدعوة المناسبة للملاحدة والمتأثرين بهم من أبناء المسلمين واستمالتهم لنداء الله.

حول العالم يحتكون بهؤلاء مما يستلزم من الدعاة تثبيتهم عن طريق الرد على ما يسمعون من شبهات(١).

ويجدر بالدعاة إلى الله الاستفادة من الأدلة النقلية التي حوت في مضامينها العديد من الدلائل العقلية ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إذ كان كل من القسمين: وهو كونهم خلقوا من غير خالق، وكونهم خلقوا أنفسهم معلوم الانتفاء بالضرورة فإن الإنسان يعلم بالضرورة أنه لم يحدث من غير محدث وأنه لم يحدث نفسه، فلما كان العلم بأنه لا بد له من محدث، وأن محدثه ليس هو إياه علماً ضرورياً ثبت بالضرورة أن له محدثاً خالقاً غيره، وكل ما يقدر فيه أنه مخلوق فهو كذلك)(٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا

---

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد، العجيري، ص١١١.

(٢) سورة الطور، الآية ٣٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ، ج٣، ص١١٣.

أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم

فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أنّ الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أنّ الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى)(١).

٢- توحيد الألوهية، ويقصد به إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، وذكر العلماء أنّ من أخلّ في إثبات الربوبية كان إخلاله بالألوهية من باب أولى، وقد بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للدعوة إلى هذا التوحيد، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: (لا وثناً، ولا صنماً ولا صليباً، ولا طاغوتاً، ولا ناراً، ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل)(٣) فهذا النوع من التوحيد يستلزم عناية خاصة من الدعاة، لذا لابد من تأهيلهم عن طريق تعليمهم خطورة الشرك وما يترتب عليه من إحباط العمل، وعدم مغفرة الذنوب، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(٤).

---

(١) تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص٨١٦، والنماذج على ذلك كثيرة ومتعددة.

(٢) سورة النحل، من الآية ٣٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص٥٦.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٨.

قال ابن كثير رحمه الله: (لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به (ويغفر ما دون ذلك) أي: من الذنوب (لمن يشاء) أي من عباده)(١) وكذلك تعليمهم أنواع الشرك التي ذكرها العلماء، وأدلة كل نوع وأمثلته في الوقت المعاصر، فمن المهم أثناء تأهيل الداعية الحرص على ربط أمثلة الشرك بالواقع المعاصر؛ ليكون هناك اتفاق بين التنظير والتطبيق، وكذلك من المهم أيضاً تأهيل الدعاة على التفريق بين الحكم على الفعل بأنه شرك وبين تعيين أشخاص بأنهم مشركون، فلا يعني كون الفعل شركاً أن يكون فاعله بالضرورة مشركاً، فقد يكون هناك موانع تنفي ذلك عنه كالجهل وغيره(٢).

٣- توحيد الأسماء والصفات، ويقصد به إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته ﷺ من الأسماء والصفات، دون تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نزهه عنه نبيه ﷺ من صفات النقص والعجز التي تليق به سبحانه وتعالى(٣)، ومن أدلة هذا النوع قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٤).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (ليس كمثله شيء) أي ليس يشبهه تعالى، ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٣٢٥.

(٢) انظر: ضوابط تكفير المعين، أ. د. عبدالله الجبرين، ط٣، بدون دار نشر، ١٤٢٥هـ، ص٣-٤.

(٣) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص٩٨.

(٤) سورة الشورى، من الآية ١١.

فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده، بالكمال من كل وجه، وهو السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات البصير يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات وفيها رد على المشبهة في قوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١))(٢) فمن المهم إعداد الداعية في هذا الجانب حتى لا يقعوا دون أن يعلموا في التشبيه أو التحريف أو التعطيل أو التمثيل، وحتى يتمكنوا من الرد على الطوائف المنحرفة في هذا الباب.

الأصل الثاني: معرفة نبيه ﷺ، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:

الأول: معرفته نسباً. ... الثاني: معرفة سنه، ومكان ولادته... الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة. ... الرابع: بماذا كان نبياً ورسولاً؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم(٣) ، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧٥٤.

(٣) سورة العلق: ١-٥.

فَاهْجُرْ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر(١) فقام ﷺ فأنذر وقام بأمر الله عز وجل.... الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى النور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه)(٢). فإذا كان ما سبق واجب في حق المسلمين عامةً، فكيف هو الحال بشأن الداعية؟! وكذلك من المهم أن يعرف الداعية خطورة الغلو فيه ﷺ، فهو بشر عبد لله فلا يرفع إلى مترلة الألوهية، وهذه المعرفة تستلزم قبول ما جاء به عليه الصلاة والسلام والعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله:(وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح [والدنيا والآخرة]، وبها السعادة الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي)(٤).

الأصل الثالث: معرفة دين الإسلام بالأدلة، ينبغي أن يعرف الداعية

---

(١) سورة المدثر: ١-٧.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، ص١٢٢-١٢٣.

(٣) سورة الحشر، من الآية ٧

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨٥٠.

مفهوم دين الإسلام، وأدلته من الكتاب والسنة، خاصة أنّ أول سؤال قد يسأله المدعوين غير المسلمين ما معنى الإسلام؟ وماذا يتضمن؟ فيجب أن يعرف أنّ الإسلام (الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة لها أركان)(١) فالاستسلام الشرعي يكون بتوحيد الله، وإفراده بالعبادة، وهو المقصود هنا، أما الاستسلام القدري فلا حيلة للإنسان فيه، وليس هو المقصود هنا، والانقياد بالطاعة يكون بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، والبراءة من الشرك وأهله، تستلزم التخلي من معتقداتهم، ومراتب الدين الثلاث بعضها فوق بعض، ودليليها حديث جبريل المشهور(٢)، والدين الإسلامي هو الذي بعث الله به محمداً ﷺ، وجعله خاتمة الأديان، وأكمله لعباده، وأتم به عليهم النعمة، ومعرفة الدين لابد أن تكون مقرونةً بالدليل، إما من الكتاب أو السنة، فيجب على الداعية أن يكون عالماً بالدليل على ما يدعو الناس إليه، ليكون على بصيرة من أمر دينه، ويكون أكثر تأثيراً في المدعوين(٣).

رابعاً: أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة:

الأصل أنّ فطرة الإنسان على التوحيد، قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾(٤) فالفطرة التي فطر الناس عليها

(١) الأصول الثلاثة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الأكاديمية العلمية، ١٤٢٧هـ، ص٧.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول، ابن عثيمين، ص٦٨-٦٩.

(٣) انظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، الشيخ عبد الله الفوزان، موقع فضيلة الشيخ عبدالله الفوزان، ١٤١٧هـ، ص٩٤.

(٤) سورة الروم، الآية ٣٠.

هي: (معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره)(١) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾(٢)، وفي الحديث: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)(٣) لكن قد يطرأ على هذه الفطرة ما يغيرها، ومن ذلك:

– الأبوان، فالفطرة السليمة قد تتغير بسبب التربية السيئة، فإذا كان أبوه يربيه على اليهودية صار يهودياً، إذا كان نصرانياً صار نصرانياً، وهكذا حيث قال عليه الصلاة والسلام: (فأبواه يهودنه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٤).

– الجهل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾(٥))(٦) فالجاهل معرض للشبهات التي تزعزع

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ١٤١٩هـ، ج٣، ص٣٦٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم ٢٨٦٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم ٢٦٥٨. انظر: عقيدة التوحيد، الشيخ صالح الفوزان، ط١، دار العاصمة، الرياض، ص١٧.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم، دراسة وتحقيق: أ. د. ناصر عبد الكريم العقل، ط٧،، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ، ج٤، ص٥٦.

الإيمان وتنقصه، والجاهل يرتكب الخرافات والبدع التي تهدم الدين وتقوض أركان العقيدة، فما حصل للنصارى من تحريف للدين والتوراة والإتيان بالطامات الكبار من عقيدة التثليث وغيرها كان من ضمن أسبابه الجهل، فالجهل من أسباب الانحراف والضلال، ولذلك قال أهل العلم أنّ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية ويقوى بالعمل ويضعف بالجهل.

- هجمات المنصرين، فالمنصرين يشنون حرباً ضارية تستهدف زعزعة العقيدة في قلب المدعوين عامةً، والمسلمين بشكل خاص، وغرس العقيدة النصرانية المحرّفة عوضاً عنها، بل حتى إشغال المدعو إن لم يتيسر تنصيره بما يشكك في دينه ويزعزع يقينياته العقدية، وهم يستغلون ضعف الحصيلة العلمية عند عوام الناس فيما يختص بالإسلام أو النصرانية، وكذلك عدم معرفتهم بشبه المنصرين عرضاً ورداً(١).

- هجمات الإلحاد، رغم كونها ليست بقوة هجمات المنصرين إلا أنها باتت تلقي بعدد كبير من الشبهات التي قد تؤثر في بعض المدعوين، إن لم يجدوا عند الدعاة رداً مقنعاً عليها(٢).

- هجمات الفلاسفة الروحانيين، لهؤلاء خطر في هذا العصر غير ظاهر لعامة الناس؛ وذلك لتلبسهم بلباس العلم، ودخول بعضهم إلى العالم الإسلامي، ونشر فلسفاتهم إلى المدعوين دون أن يشعروا بخطرهم، خاصةً أنّ معظمهم ينشر معتقده وفلسفته الباطنية عبر بوابة التدريب، مما يجعل من الصعب على عامة الناس إدراك توجهه، وخطره على المعتقد؛ لذا كان

(١) انظر: التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، محمد المحممي، رسالة ماجستير مطبوعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، إشراف د. عبدالله العبدالكريم، ط١، مدار الوطن، ١٤٣٣هـ، الرياض، ص١١؛ ص٣٢٨.

(٢) انظر: ميليشيا الإلحاد، عبدالله العجيري، ص٢١ وما بعدها.

من الأهمية تأهيل الدعاة ليتمكنوا من مواجهة هؤلاء وكشف زيغهم وانحرافهم(١).

خامساً: نماذج لموضوعات الدعوة في مجال العقيدة في الكتاب والسنة

- التوحيد أساس دعوة الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢)(لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد) (٣)وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٤) (وبعث في كل أمة أي في كل قرن وطائفة رسولاً، وكلهم يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه) (٥).

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)(٦).

---

(١) انظر: حركة العصر الجديد مفهومها، ونشأتها، وتطبيقاتها، د. هيفاء الرشيد، رسالة دكتوراه مطبوعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، مركز التأصيل، جدة، ١٤٣٥هـ، ص٧ وما بعدها.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج٩، ص١٢.

(٤) سورة النحل، جزء من الآية ٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢، ص٦٢١.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، رقم ٣٤٤٣.

(وأولاد العلاّت: أولاد الضرّات من رجل واحد. يريد أن الأنبياء أصل دينهم واحد وفروعهم مختلفة، فهم متفقون في الاعتقاديات المسماة بأصول الدين كالتوحيد وسائر علم الكلام، مختلفون في الفروع وهي الفقهيات) (١)قال الشيخ ابن باز رحمه الله: (أعظم موضوع، وأهم موضوع هو موضوع العقيدة، موضوع التوحيد وضده، فالتوحيد هو الأمر الذي بعث الله من أجله الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وخلق من أجله الثقلين، وبقية الأحكام تابعة لذلك يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢)(٣).

- بيان عظيم منزلة التوحيد، جاء عن معاذ، قال: أنا رديف النبي ﷺ فقال: (يا معاذ) قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثا: (هل تدري ما حق الله على العباد) قلت: لا، قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) ثم سار ساعة، فقال: (يا معاذ) قلت: لبيك وسعديك، قال: (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك: أن لا يعذبهم)(٤).

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ، ج٥، ص٤١٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع وإشراف: د.محمد الشويعر، ط٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣٠-٣١.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي عليه الصلاة والسلام، رقم ٧٣٧٣، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك، رقم ٣٠.

- أمر الدعاة بالبدء بالتوحيد، فقد جاء عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن، قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم)(١) (وفيه أن الداعية يبدأ بالأهم فالأهم، فيبدأ بالتوحيد، وهو معنى قوله: (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)، وفي لفظ: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) واختلاف الروايات في الألفاظ يدل على أن المراد من الشهادتين توحيد الله وليس المراد النطق باللسان فقط، بدليل قوله في الرواية الأخرى: (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)، أي: توحيد الله، وفي اللفظ الآخر: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)، وليس المراد قولها باللسان، بل واعتقاد معناها كما في الحديث الآخر: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)، وفي لفظ: (إلى أن يوحدوا الله)، فذلك معناها)(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم ١٣٩٥، أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم ١٩.

(٢) شرح صحيح ابن حبان، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، الدرس رقم ٥.

- التحذير من الشرك وأنه سبب لحبوط العمل، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١) (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون"، يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم، بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره "لحبط عنهم"، يقول: لبطل فذهبَ عنهم أجرُ أعمالهم التي كانوا يعملون، لأنّ الله لا يقبل مع الشرك به عملا) (٢)فالرسل عليهم الصلاة والسلام على كمالهم، وعلو درجاتهم لو وقع منهم الشرك لبطل كل ما عملوه، وهذا من باب الافتراض وإلا فالرسل معصومون، ولكن فيه عظة وعبرة للمدعوين(٣).

(١) سورة الأنعام، جزء من الآية ٨٨.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج١١، ص٥١٤.

(٣) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ط١، ١٤٠٧هـ، ج١، ص٦٣٠.

المبحث الثاني
متطلبات التأهيل الشرعي للداعية

أولاً: مفهوم الشريعة:

لغةً: (موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب، والشريعة والشرعة، ما سنّ الله من الدين وأمر به كالصلاة والصوم، والحج، والزكاة، وسائر أعمال البر، مشتق من شاطئ البحر) (١).

وتطلق العرب الشريعة على مورد الناس للاستقاء، سميت بذلك لوضوحها وظهورها(٢).

فالشريعة في لغة العرب مدارها على الظهور والوضوح.

اصطلاحاً: كل ما شرعه الله لعباده من الدين، أي: من الأحكام المختلفة يطلق عليه مسمى شريعة(٣).

المقصود بمتطلبات التأهيل الشرعي أن يوضح للداعية إلى الله الأحكام المختلفة التي شرعها الله لعباده؛ ليكون مهيأً للدعوة إلى الله تعالى، وقد تم تسليط الضوء على جانب من العبادات، وآخر من المعاملات.

ثانياً: مزايا الشريعة الإسلامية وخصائصها:

أ- مزايا الشريعة الإسلامية، متنوعة وكثيرة جداً، وقد أفردت لها مؤلفات خاصة(٤)، لكن سيذكر في هذا المبحث نماذج من باب المثال لا الحصر.

---

(١) لسان العرب، مادة شرع، ج٨، ص١٧٦.

(٢) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ط١، دار المعارف، مصر، ص٣١٠

(٣) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ، ص٣٤.

(٤) انظر: الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ط٥، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٣٢هـ.

- أركان الإسلام الخمسة، من تأملها يجد أنّ فيها سعي لمرضاة الله سبحانه، والفوز بثوابه العاجل والآجل، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة فيها ثقة بخلف الله، ورجاء ثوابه، والصوم فيه تقوية للنفس على قوة العزيمة والصبر، والحج فيه الوفادة على الله، والتنوع في العبوديات.

- الحث على الاجتماع ونبذ الفرقة، يعلم كل عاقل أنّ منفعة هذه المسألة عظيمة، وما يترتب عليها من المصالح الدينية والدنيوية.

- الشريعة الإسلامية شريعة رحمة وإحسان، وهذا ما جذب من كانوا أعداء للإسلام ليدخلوا فيه.

- موافقة الشريعة للفطرة والعقل، فقد احتوت على الأحكام التي تقبلها الفطر والعقول السليمة، وتنقاد لها بوازع الحق والصواب.

- إباحة النفع وتحريم الضرر، ما جاءت به الشريعة من إباحة أنواع متعددة من المطاعم والمشارب، والأنكحة، والمعاملات التي تتبادل فيها المعاوضات بين الناس، ومنع ما فيه ضرر وظلم من لحم الخنزير والخمور، وغيرهما، وأنواع الربا والميسر.

- الحقوق التي شرعت بين الناس، كحق الوالدين، وحق الجار، فكلها حقوق تستحسنها الفطر والعقول السليمة، ويتم من خلالها تبادل المصالح والمنافع بحسب صاحب الحق ومرتبته.

- ما جاءت به الشريعة من تنظيم التركات والمواريث، فوضعها الله بنفسه بحسب ما يعلمه من قرب النفع، وما يحب العبد عادة أن يصل إليه ماله، مع إتاحة المجال للتبرع لجهات البر وتقييد ذلك بالثلث فأقل لغير الوارث.

- تشريع الحدود وتنوعها بحسب الجرائم، فالشرور لا يمكن أن تقاوم وتدافع دفعاً كاملاً إلا عن طريق الحدود الشرعية.

- تشريع الوثائق التي يتوثق بها أهل الحقوق، فبدونها يتعطل القسم الأكبر من المعاملات.

- تشريع الشورى، وهذا أمر أجمع العقلاء على استحسانه، وأنه سبب لسلوك أصلح الأحوال.

ب- خصائص الشريعة الإسلامية (١)

- الربانية، وهي لا تحتاج إلى إثبات مع ذوي الفطر السليمة فكل شيء ينطق بوجود الرب الخالق المصور، ويتفرع عنها ربانية الغاية، التي يقصد بها أنّ حسن الصلة بالله وابتغاء مرضاته هو هدف الإسلام، وربانية المصدر والمنهج ويقصد بها أنّ الإسلام منهج إلهي، والرسول ﷺ مبلغ عنه.

- الإنسانية، لم ترفع الشريعة الإسلامية الإنسان لمقام الألوهية، ولا هبطت به لمقام البهائم، ولكنها جعلته مخلوقاً متميزاً كرمه الله بالعقل، ولا تعارض بين الربانية والإنسانية، فالشريعة الإسلامية أتاحت المجال للعقل الإنساني في الاجتهاد في المسائل التي لم يرد فيها نص شرعي، من خلال الاستنباط والفهم.

- الشمول، فالشريعة الإسلامية تختص بأنها استوعبت كيان الإنسان

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص١٠٠وما بعدها؛ خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر الأشقر، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٢م، ص٣٥- إلى نهاية الكتاب؛ الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبدالرحيم المغذوي، ط١، دار الحضارة، الرياض، ١٤٢٩هـ، ج١، ص٢٦٣-٢٨٦.

كله، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾(١).

قال الطبري رحمه الله: (يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب)(٢).

- الوسطية، خصيصة الوسطية تجعل من الشريعة الإسلامية نظاماً فريداً متكاملاً في نظمه الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، فالإسلام دين التوسط والاعتدال حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾(٣).

قال القرطبي رحمه الله: (وسط الوادي: خير موضع فيه وأكثره كلأ وماء. ولما كان الوسط مجانبا للغلق والتقصير كان محمودا، أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم)(٤).

- الواقعية، فجاءت الشريعة بعبادات واقعية مع الأخذ بعين الاعتبار للقدرة المحدودة للإنسان، فلم يكلف ما يحرجه ويشق عليه، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾(٥).

---

(١) سورة النحل، من الآية ٨٩.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٩، ص٢٧٨

(٣) سورة البقرة، من الآية ١٤٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ج٢، ص١٥٤.

(٥) سورة الحج، من الآية ٧٨.

- الوضوح، الشريعة الإسلامية ليس فيها غموض أو أسرار أو إخفاء كما يوجد في بعض العقائد الأخرى، فالأصول الكبرى واضحة لا لخاصة من أتباعه وأنصاره فحسب بل لجمهرة المؤمنين به، وكذلك مصادرها، وأهدافها.

- الجمع بين الثبات والمرونة، فالثبات يتمثل في العقائد الأساسية التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام الشهير عندما سأل عن الإيمان، والأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، والمحرمات اليقينية كالسحر والخمر، وفي شرائع الإسلام القطعية في شؤون الزواج والطلاق وغيرهما، بينما المرونة تظهر فيما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها العملية.

- العالمية، فالعديد من النصوص الشرعية دلت على هذه الخاصية، حيث قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(١) فالشريعة تخاطب الثقلين بالتوحيد والعمل الصالح.

ثالثاً: الأساس الذي بنيت عليه الشريعة الإسلامية:

وُضعت الشريعة لتحقيق المصالح، وحفظها، وروعي في كل حُكم منها:

(إمّا حفظ شيء من الضروريات الخمس "الدِّينُ، والنفس، والعقل، والنسل، والمال"، التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة.

وإمّا حفظ شيء من الحاجيات، كأنواع المعاملات، التي لولا ورودها على الضروريات لوقع الناس في الضيق والحرج.

(١) سورة الفرقان، الآية ١.

وإمّا حفظ شيء من التحسينات، التي ترجع إلى مكارم الخلاق ومحاسن العادات.

وإما تكميل نوع من الأنواع الثلاثة بما يُعين على تحققه.

ولا يخلو بابٌ من أبواب الفقه - عبادات ومعاملات وجنايات وغيرها- من رعاية هذه المصالح، وتحقيق هذه المقاصد، التي لم توضع الأحكام إلا لتحقيقها.

ومعلوم أن هذه المراتب الثلاث تتفاوت في درجات تأكد الطلب لإقامتها، والنهي عن تعدي حدودها)(١).

رابعاً: أهمية الدعوة إلى الشريعة:

- الجمع بين تحقيق المصالح الدينية والدنيوية، فالشريعة جامعة لذلك، قال ابن تيميه رحمه الله: (إنّ الشريعة التي بعث الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم جامعة لمصالح الدنيا والآخرة)(٢).

- الداعية قدوة للمدعو، يحتذي به غالباً، ويسير على نهجه، فإن كان لا يحسن أداء العبادات، ولا يفقه مسائل المعاملات، فسيتعدى ذلك الضرر للمدعو غالباً، فلابد من دعوته أولاً لتعلم وتطبيق أحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية؛ ليكون قدوةً حسنة للمدعوين.

---

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، مقدمة المحقق، ص٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ج١٩، ص٣٠٨.

خامساً: الدعوة إلى تحكيم الشريعة:

عند تأهيل الداعية ينبغي أن يتيقن أنّ المسلم مأمور بطاعة الله ورسوله ﷺ، والتسليم لحكمهما وليس له أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(١).

و(التسليم لشرع الله في المسائل العلمية الاعتقادية، وفي المسائل العملية؛ فإنّ الدين يتضمن قسمين: اعتقادات، وأعمال، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)(٢) الهدى هو: العلم النافع، ودين الحق: العمل الصالح، (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمَاً) (٣)، (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (٤)، قال تعالى: (وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدَاً) (٥)، قال تعالى في تحكيم الرسول: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجَاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمَاً)(٦) لا بد من التسليم لحكم رسول الله ﷺ، وقبوله بانشراح صدر، وطيب نفس، لا يتحقق الإيمان كاملاً إلاّ بهذه الشروط:(حَتَّى يُحَكِّمُوك) وذلك بالإيمان به، وأنّ ما جاء به حق من عند الله، وأنّ ما حكم به في كل مسائل الدين هو الحق والعدل والصواب، فإنّه ﷺ إنما يحكم بشرع الله وحكمه، (مَنْ

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٢) سورة التوبة، من الآية ٣٣.
(٣) سورة الأنعام، من الآية ١١٤.
(٤) سورة الأنعام، من الآية ٧٥.
(٥) سورة الكهف، من الآية ٢٦.
(٦) سورة النساء، من الآية ٦٥.

يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه)(١)، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٢)، (ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجَاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمَاً)(٣).) (٤)ولا بد من تنبيه الداعية أنّ المقصود من التحاكم إلى الشريعة ليس هو مجرّد تحقيق الأمن والعَدالة بين الناس، بل لابدّ أن يكون تحكيم الشريعة تعبُّدا وطاعةً لله، فالّذين يحكّمون الشّريعة من أجل ما فيها من المصالح والعدل بين الناس فقط، فهذا لا يدلّ على الإيمان، لابد أن يكون تحكيم الشّريعة صادراً عن إيمان وتعبُّد لله عزّ وجلّ وطاعةً لله عزّ وجلّ؛ لأنّ هذا من التّوحيد، أمّا الذي لا يقبل من الشّريعة إلا المصالح الدنيويّة والعدالة الحاصلة بين الناس في هذه الدنيا فهذا لا يكفي(٥).

سادساً: نماذج لموضوعات الدعوة في مجال الشريعة في الكتاب والسنة:

أ- نماذج بعض العبادات:

- تعليم المدعوين طريقة الوضوء، فقد جاء عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: (يا رسول الله كيف الطهور ؟ فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل ذراعيه ثلاثا، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه،

---

(١) سورة النساء، من الآية ٨٠.

(٢) سورة الحشر، من الآية ٧.

(٣) سورة النساء، من الآية ٦٥.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، ط٢، دار التدمرية، ١٤٢٩هـ، ص١٢٥.

(٥) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ، ج٢، ص١٢٧-١٢٨.

ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا)، ثم قال: (هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم - أو ظلم وأساء -)(١).

- الأمر بالصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾(٢).

فالله أمر المسلمين بأن (أدُّوا الصلاة التي فرضها الله عليكم بحدودها "وآتوا الزكاة"... وأعطوا الزكاة أهلها الذين جعلها الله لهم من أموالكم، تطهيرًا لأبدانكم وأموالكم) (٣)وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم...)(٤) وقد حرص عليه الصلاة والسلام على تعليم المدعوين الصلاة بشكل عملي فقد أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة - امرأة من الأنصار قد سماها سهل — (مري غلامك النجار، أن يعمل لي أعوادا، أجلس عليهن إذا كلمت الناس) فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، فأمر بها فوضعت ها هنا، ثم رأيت رسول الله ﷺ صلى عليها وكبر وهو عليها، ثم ركع وهو عليها، ثم

(١) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، رقم ١٣٥، وقال الألباني: حسن صحيح دون قوله أو نقص فإنه شاذ، صحيح سنن أبي داود، ط١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣هـ، ج١، ص٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٣.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج٨، ص٥٤٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله ﷺ وشرائع الدين، رقم ١٨.

نزل القهقري، فسجد في أصل المنبر ثم عاد، فلما فرغ أقبل على الناس، فقال: (أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي) (١)فالداعية يجمع بين الدعوة إلى الله بالقول والفعل لتعليم المدعوين أمور دينهم. وبخصوص الزكاة فقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)(٢) وجاء عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن، قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم) (٣).

– نماذج لما يتعلق بالأسرة والمواريث

– اشتراط الولي في النكاح، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (٤) قال الطبري رحمه الله: (وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، رقم ٩١٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، رقم ١٥٠٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير، رقم ٩٨٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣٢

قول من قال: "لا نكاح إلا بولي من العصبة". وذلك أن الله تعالى ذكره منع الولي من عضل المرأة إن أرادت النكاح ونهاه عن ذلك. فلو كان للمرأة إنكاح نفسها بغير إنكاح وليها إياها، أو كان لها تولية من أرادت توليته في إنكاحها – لم يكن لنهي وليها عن عضلها معنى مفهوم، إذ كان لا سبيل له إلى عضلها. وذلك أنها إن كانت متى أرادات النكاح جاز لها إنكاح نفسها، أو إنكاح من توكله إنكاحها) (١)وقد جاء عن أبي موسى، أن النبي ﷺ قال: (لا نكاح إلا بولي)(٢).

– تنظيم مسائل الطلاق، قال تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) (دل على أنه إن طلق الرجل امرأته التطليقة الثالثة، بعد التطليقتين اللتين قال الله تعالى ذكره فيهما:" الطلاق مرتان" فإن امرأته تلك لا تحل له بعد التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجا غيره، يعني به غير المطلق) (٤)كان ابن عمر رضي الله عنهما، إذا سئل عمن طلق ثلاثا، قال: (لو طلقت مرة أو مرتين، فإن النبي ﷺ أمرني بهذا، فإن طلقتها ثلاثا حرمت حتى تنكح زوجا غيرك) (٥) قال ابن عبدالبر رحمه الله: (وأجمعوا أن من طلق امرأته طلقة أو طلقتين فله مراجعتها فإن طلقها

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٥، ص٢٦.

(٢) سنن أبي داود، باب في الولي، رقم ٢٠٨٥، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح أبي داود، ج٦، ص٣٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٠.

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج٤، ص٥٨٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب من قال لامرأته أنت علي حرام، رقم ٥٢٦٤.

الثالثة لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره كان هذا من محكم القرآن الذي لم يختلف في تأويله)(١).

- الاعتناء بتحديد مسائل المواريث، ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾(٢).

وجاء عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ، قال: (لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم) (٣)وجاء عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: (ألحقوا الفرائض بأهلها، فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر) (٤).

(قال العلماء: المراد بأولى رجل أقرب رجل مأخوذ من الولي بإسكان اللام على وزن الرمي وهو القرب وليس المراد بأولى هنا أحق بخلاف قولهم الرجل أولى بماله لأنه لو حمل هنا على أحق لخلى عن الفائدة لأنا لا ندري من هو الأحق قوله ﷺ رجل ذكر وصف الرجل بأنه ذكر تنبيها

---

(١) الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ج٦، ص٢٠٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، رقم ١٦١٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، رقم ١٦١٥.

على سبب استحقاقه وهو الذكورة التي هي سبب العصوبة وسبب الترجيح في الإرث ولهذا جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وحكمته أن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة بالقيام بالعيال والضيفان والأرقاء والقاصدين ومواساة السائلين وتحمل الغرامات وغير ذلك والله أعلم وهذا الحديث في توريث العصبات وقد أجمع المسلمون على أن ما بقي بعد الفروض فهو للعصبات يقدم الأقرب فالأقرب) (١).

- نماذج من المعاملات، (لما فرغ البخاري من بيان العبادات المقصود منها التحصيل الأخروي، شرع في بيان المعاملات المقصود منها التحصيل الدنيوي، فقدم العبادات لاهتمامها، ثم ثنى بالمعاملات لأنها ضرورية) (٢)ومن نماذج المعاملات المهمة في حياة المدعوين، والتي أقرها الشريعة الإسلامية، ونظمت بعض مسائلها البيوع، فالبيع (تفسيره شرعا فهو مبادلة المال بالمال على سبيل التراضي. وأما ركنه: فالإيجاب والقبول. وأما شرطه: فأهلية المتعاقدين. وأما محله فهو المال، لأنه ينبيء عنه شرعا. وأما حكمه: فهو ثبوت الملك للمشتري في المبيع، وللبائع في الثمن إذا كان تاما، وعند الإجازة إذا كان موقوفا. وأما حكمته: فهي كثيرة. منها: باتساع أمور المعاش والبقاء. ومنها: إطفاء نار المنازعات والنهب والسرق والطر والخيانات والحيل المكروهة. ومنها: بقاء نظام المعاش وبقاء العالم، لأن المحتاج يميل إلى ما في يد غيره، فبغير المعاملة يفضي إلى التقاتل والتنازع وفناء العالم واختلال نظام المعاش وغير ذلك. وثبوته بالكتاب

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج١١، ص٥٣.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١١، ص١٥٨.

لقوله تعالى: ﴿وأحل لكم البيع وحرم الربا﴾(١) والسنة، وهي: أن النبي ﷺ، بعث والناس يتعاملون فأقرهم عليه، والإجماع منعقد على شرعيته)(٢).

ومن أدلة تنظيم الشريعة لبعض مسائل البيه ما جاء عن عبد الله بن الحارث، رفعه إلى حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، - أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)(٣).

- نماذج للعقوبات على الجنايات، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾(٤).

قال ابن كثير رحمه الله: (حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها، لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه، فكان في ذلك حياة للنفوس)(٥).

وجاء عن النبي ﷺ، أنه قال: (كتاب الله القصاص)(٦) وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه يقول: (كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدية) فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، فمن عفي له من أخيه

(١) سورة البقرة من ٢٧٥.

(٢) عمدة القاري، العيني، ج١١، ص١٥٩.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما، رقم ٢٠٧٩، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، رقم ١٥٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٧٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٦٠.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب القصاص، باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص)، رقم ٤٤٩٩.

شيء﴾(١) فالعفو أن يقبل الدية في العمد) ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾(٢) (يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان) ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(٣) (مما كتب على من كان قبلكم) ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾(قتل بعد قبول الدية)(٤).

ومن حكمة الشريعة المساواة في القصاص بين الشريف والضعيف إن وصل الأمر للحاكم أو للجهة المسؤولة، وقد غضب النبي عليه الصلاة والسلام حينما أتى إليه أسامة رضي الله عنها شفيعاً للمرأة التي سرقت فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(٥).

---

(١) سورة البقرة من ١٧٨.

(٢) سورة البقرة:١٧٨.

(٣) سورة البقرة:١٧٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب القصاص، باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص)، القصاص)، رقم ٤٤٩٨.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، رقم ٣٤٧٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع يد السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم ١٦٨٨.

المبحث الثالث

متطلبات التأهيل الأخلاقي للداعية

أولاً: تعريف الأخلاق

لغةً: الخلق بالضم، وبضمتين: السجية، والطبع والمرؤة والدين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١) وجمعه أخلاق(٢).

اصطلاحاً: هيئة مستقرة في النفس – فطرية أو مكتسبة– ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة، والخلق منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم(٣).

ثانياً: متطلبات التأهيل الأخلاقي للداعية:

أهمية الإعداد الأخلاقي للداعية:

الإعداد الأخلاقي للداعية أمر في غاية الأهمية، فأعظم ما يكتسبه المؤمن بعد إيمانه بالله ورسوله خلق حسن، فالأخلاق مكانها في الإسلام معروف ومشهور، ف " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً "(٤).

و " ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق "(٥)

---

(١) سورة القلم، الآية ٤.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ط١، دار الجيل، بيروت، مادة خلق، ج٣، ص٢٣٦.

(٣) انظر: التعريفات، الجرجاني، ط٢، دار الكتاب العربي، ص١٣٦؛ الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ط٢، دار القلم، ج١، ص١٠.

(٤) أخرجه أبوداود في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه برقم ٤٦٨٤.

(٥) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب باب في حسن الخلق برقم ٤٨٠١.

وليس حسن الخلق للداعية مجرد فضيلة ومكرمة فحسب، وإنما هو شرط للنجاح والتفوق، وسبب لإقبال الناس عليهم وعلى دعوتهم، ويمكن القول: إن حسن الخلق هو واحد من أهم مؤهلات الدعاة، ومن دونها لا يمكن سلوك سبيل الدعوة رجال. ومن دعا إلى الله بغير أخلاق، كان ضرره على الدعوة أكبر من نفعه لها، ومن ثم كان رسول الله ﷺ يؤكد على أهميته للصحابة الكرام، ويحضهم على التجمل به، ويحببه إلى نفوسهم بأساليب شتى من قوله وفعله، إدراكاً منه ﷺ لأثره الكبير في تهذيب الطباع، وتزكية النفوس وتجميل الأخلاق. وقد كان للرفق والسماحة والكلمة الطيبة والإحسان إلى الناس والرحمة بهم وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، الأثر القوى في انتشار الإسلام في ربوع المعمورة، فقد روى لنا التاريخ أن كثيراً من الشعوب في جنوب آسيا إنما دخلوا في الإسلام نتيجة احتكاكهم بالمسلمين، وتعرفهم على أخلاقهم الفاضلة التي يتعاملون بها معهم، جعلهم يتأثرون بأخلاقهم ويتاسون بهم، الأمر الذي أدى إلى دخولهم في الإسلام جملة من غير إكراه ولا قتال.

والسلوك الحسن يحبب الداعية إلى الناس جميعاً حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، وكل من جالسه، أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك هدفه الدعوي بإذن الله تعالى، لأن الدعاة إلى الله لا يسعون الناس بأموالهم، ولكن ببسط الوجه وحسن الخلق، وعلى العكس من لم يتخلق بالخلق الحسن ينفر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من عمله وخبرته، لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم ولو كان ما يقوله حقاً، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً

غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ممتناً على عباده ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

ويتعين على كل داعية أن يتخذ الرسول ﷺ قدوة وإماماً، لقوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾**(٣)

ثالثاً: الوسائل المعينة على اكتساب الداعية للأخلاق الحميدة:

تقوية العقيدة الإسلامية في النفس:

إن تقوية معاني العقيدة في النفس يؤدي إلى انفتاح النفس وتقبلها لمعاني الأخلاق الإسلامية لأن هذه الأخلاق موصولة بالإيمان ومعاني التقوى، وهذه الصلة تشتد كلما قوى الإيمان في النفس ورسخت العقيدة فيها ،مما يجعل أخلاق المسلم الطيب ثابتة راسخة لا تزول ولا تضعف، لأنها موصولة بالقوي العزيز، قال تعالى: **(فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ)**(٤)، وللمؤمنين المتصلين به نصيب من العزة: **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)** (٥)

---

(١) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية :٢١.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٥) سورة المنافقون، الآية ٨.

وعزة المؤمن لا يقترن بها ذرة من كبر أو طغيان أو جبروت أو خيلاء أو عجب بالنفس، لأن عزة المؤمن قائمة على الإيمان بالله، والله وحده له الكبرياء والجبروت.

وهكذا تدوم الأخلاق وترسخ وتستمر، ما دامت قائمة على إيمان عميق وعقيدة قوية(١).

إذن فتعميق الإيمان في النفس وتقوية معاني العقيدة، وسيلة مهمة جداً للتخلق بالخلق الحسن، وللتخلي عن الخلق الرديء.

ب) العيش في البيئات الصالحة:

من وسائل اكتساب الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن العيش في البيئات الصالحة، وذلك لأن من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها ويتعايش معها، ما لديها من أخلاق وعادات وتقاليد وأنواع وسلوك، عن طريق السراية والمحاكاة والتقليد، وبذلك تتم العدوى النافعة أو الضارة.

فالإنسان الذي يجد نفسه في بيئة لهجتها الصدق، وخلقها الأمانة، وسلوكها الوفاء بالعهد والصدق في الوعد، يصعب عليه جداً أن يخرج على هذا الأسلوب من السلوك في الحياة، وإن كانت نفسه نزاعه بالأصل إلى غير ذلك، ثم إذا طال عليه العهد وهو ملتزم، بما تمليه عليه البيئة، وجد هذه الصفات الكريمة ذات جذور متغلغلة في نفسه (٢).

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٩٨

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة، ١/٢٠٠، د.ط)، دار القلم، دمشق، د.ت.

وأعظم من ذلك توجيه النبي ﷺ وبيانه أن الجليس الصالح كحامل المسك، إما أن تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة.

إذن فإن العيش في البيئات الصالحة من أهم الوسائل التي تساعد الداعية على اكتساب الأخلاق الحسنة والسلوك الجيد.

جـ) الممارسة التطبيقية للأخلاق الحسنة:

إن التدريب العلمي والممارسة التطبيقية ولو مع التكلف في أول الأمر، وقسر النفس على غير ما تهوى، من الأمور التي تكسب النفس تكون بمثابة الخلق الفطري، وحين تصل العادة إلى هذه المرحلة تكون خلقاً مكتسباً، ولو لم تكن في الأصل الفطري أمراً موجوداً (١).

فيتكلف الداعية الأخلاق التي يريد التخلق بها، كما لو أراد أن يكون حليماً فإنه يأتي به تكلفاً مراراً، حتى تألفه النفس وتعتاده، ويصير لها كالطبع وكا السجية.

ويؤيد ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين انفق كل شيء بيده: " ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر "(٢).

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١/١٩٧.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، في كتاب الجمعة، أبواب العمل في الصلاة، رقم: ١٣٨٣.

وضرب الرسول ﷺ مثلاً دل فيه على أن التدريب العملي ولو مع التكلف يكسب العادة الخلقية، حتى يصير الإنسان معطاءاً وغير بخيلاً، ولو لم يكن كذلك أول الأمر (١).

وحياة الرسول ﷺ مع أصحابه كلها قائمة على الممارسة التطبيقية والعبادات الدورية، والزكاة، والنفقات الواجبة والجهاد في سبيل الله من أمثلة الممارسة التطبيقية.

د) اتخاذ القدوة الحسنة:

وخير القدوة على الإطلاق رسولنا ﷺ، قال تعالى: (قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)(٢).

ففي هذا النص إرشاد عظيم من الله تبارك وتعالى للمؤمنين: أن يجعلوا رسول الله ﷺ قدوة حسنة لهم، يقتدون به في أعماله، وأقواله، وأخلاقه، وكل جزئيات سلوكه في الحياة، فهو خير قدوة يقتدي بها الدعاة.

والقدوة الحسنة هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالاً حسياً مشاهداً ملموساً يقتدى به، وقد يكون مثالاً حاضراً في الذهن بأخباره وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من سير وقصص وأنباء من أقوال وأفعال.

ومعلوم أن في فطرة الإنسان جبلاً قوياً للمحاكاة والتقليد، وهو الأمر الذي سهل عليه عملية اكتساب الأخلاق الحسنة.

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، د. عبدالرحمن حبنكة الميداني، ١٩٨/١.

(٢) سورة الأحزاب الآية :٢١.

فالقدوة الحسنة المتحلية بالفضائل الممتازة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال (١).

وقد اتخذ الإسلام القدوة الحسنة وسيلة من وسائله، لترقية المجتمعات المسلمة في سلم الكمال السلوكي عامة، ومنه الكمال الخلقي.

ومن القدوة الحسنة أيضا استحضاره سيرة أصحاب الكرام، المملؤة بالخير وكريم الأخلاق، لا سيما سيرة الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وسائر المهاجرين والأنصار.

رابعاً: نماذج من الدعوة إلى الأخلاق في الكتاب والسنة:

- الحث على الصدق، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾(٢) .

(عن نافع قال: قيل للثلاثة الذين خُلِّفوا: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، محمدٍ وأصحابه.... قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هَدَاني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوه)(٣).

وجاء عن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب

(١) انظر: أصول الأخلاق في القرآن، د. عمر يوسف حمزة، ص ٣٢٦، ط١، دار الخليج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة، ١/٢٠٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج١٤، ص٥٥٦-٥٥٩.

صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذابا) (١).

والصدق من الصفات التي عرف بها النبي عليه الصلاة والسلام، حيث لقبه قومه بالصادق الأمين، ولم يجرؤ أحد من أعدائه على وصفه بالكذب لما عرفوه عنه من الصدق والأمانة، فحري بالدعاة أن ينتهجوا نهجه عليه الصلاة والسلام، ويندرج ضمن الكذب الإخبار والتحدث بكل ما يسمع.

قال النووي رحمه الله: (والآثار التي في الباب ففيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط في كونه إثما والله أعلم)(٢).

- الحث على العدل والإحسان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾(٣)، (فيما يتعلّق بالعدل فإنّ الإحسان فوقه لأنّه إذا كان العدل يعني أن يأخذ الإنسان ما له ويعطي ما عليه، فإنّ الإحسان يعني أن يأخذ الإنسان أقلّ ممّا له وأن يعطي أكثر ممّا عليه،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، رقم ٦٠٩٤،أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم ٢٦٠٧.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١، ص٧٥.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٠

فالإحسان بذلك زائد على العدل، وإذا كان تحرّي العدل من الواجبات فإنّ تحرّي الإحسان ندب وتطوّع، وكلاهما مأمور به في قوله تعالى:(إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ) ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى الفضل مع العدل، فالعدالة لابدّ منها لضبط الأمور وإنصاف بعضهم من بعض)(١).

والعدل أنواع منها: إنصاف العباد حيث يقوم (المسلم بإنصاف الغير من نفسه أو ممّن يحبّ، حتّى لو كان هذا الغير مخالفا له في الرّأي، أو في الدّين، أو في المذهب، أو غير ذلك ممّا يقتضي التّحامل، أو يكون مظنّة للجور، ومن إنصاف النّاس كما يقول ابن القيّم: (أن تؤدّي حقوقهم وألّا تطالبهم بما ليس لك، وألّا تحمّلهم فوق وسعهم، وأن تعاملهم بما تحبّ أن يعاملوك به، وأن تعفيهم ممّا تحبّ أن يعفوك منه، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك أو عليها)(٢).

(العدل: هو القسط على سواء، وعلى هذا روي: بالعدل قامت السّماوات والأرض، تنبيها على أنّه لو كان ركن من الأركان الأربعة في العالم زائدا على الآخر أو ناقصا عنه على مقتضى الحكمة لم يكن العالم منتظما...والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخا، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكفّ الأذى عمّن كفّ أذاه عنك، وعدل يعرف كونه

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: د. صالح بن عبد الله بن حميد، ط٤، دار الوسيلة، جدة ج٢، ص٧٢.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص٥٧٧.

عدلا بالشّرع، ويمكن أن يكون منسوخا في بعض الأزمنة، كالقصاص وأرش الجنايات، وأخذ مال المرتدّ) (١).

والشريعة الإسلامية حثت على العدل حتى مع أكثر الأعداء بغضاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾(٢).

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيامُ لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصِّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدِّي، واعملوا فيه بأمري)(٣).

- الحث على الصبر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾(٤).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأنّ أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله... وكلما قويت الأذية قرب النصر،... فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها، صابراً على ما يدعو إليه

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٢٧٩٢.
(٢) سورة المائدة، الآية ٨.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٠، ص٩٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية ٣٤.

من دين الله عز وجل، صابراً على ما يعترض دعوته هو من الأذى، وهاهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول والفعل قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾(١)(٢).

فعلى الداعية أن يتأسى(برسول الله ﷺ، الذي أمره ربه بالصبر على الأذى أسوة بأولي العزم من الرّسل، قال تعالى: (فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)(٣) وقال عزّ من قائل: (أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ)(٤)، فهذا الصبر يجعله في معية الله تعالى، مصداقا لقوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٥)، كما يجعله من أهل محبته، فهو سبحانه القائل: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)(٦)(٧).

وقد حث ﷺ ابنته على الصبر واحتساب ابنها الذي كان يحتضر فجاء عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه إن ابنا لي قبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: (إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر، ولتحتسب)(٨).

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٢.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، ص٢٤.

(٣) سورة الأحقاف، من الآية ٣٥.

(٤) سورة الأنعام، من الآية ٩٠

(٥) سورة البقرة، من الآية ١٥٣

(٦) سورة آل عمران، من الآية ١٤٦.

(٧) نضرة النعيم، ج١، ص٣٧.

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ يعذب يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، رقم ١٢٨٤، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم ٩٢٣.

الفصل الثالث

متطلبات الإعداد والتأهيل العملي للداعية

يستلزم إعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر استقصاء واقع الإعداد والتأهيل الدعوي في المؤسسات التعليمية، من خلال دراسة ميدانية تكشف جوانب القوة والضعف في: (مجال البناء المعرفي، مجال التأهيل الفكري، مجال التأهيل المهني الدعوي).

وهو ما تم في الدراسة الحالية؛ جراء توزيع استبانات وفق نموذجين، استهدفت آراء: عضوات هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى، والخريجات(١)، ومن ثم مقارنة النتائج بنتائج الدراسة الميدانية المطبقة على خريجات قسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ويناقش الفصل الحالي نتائج الدراسة الميدانية، التي تُعد إجابة للسؤال الثاني من الدراسة: "ما متطلبات الإعداد والتأهيل العملي للداعية؟"؛ وذلك من خلال المباحث التالية:

---

(١) سبق عرض إجراءات الدراسة الميدانية في مقدمة الدراسة الحالية ص١٨.

المبحث الأول

واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي

تمهيد:

يرتكز الإعداد والتأهيل الدعوي على البناء المعرفي، الذي يُقصد به تزويد الداعية بالمعارف، والعلوم، والمرتكزات الأساسية للقيام بالعمل الدعوي؛ بما يُعدّ بمثابة التأصيل لعلم الدعوة؛ الأمر الذي يسهم في التأهيل الفكري، والمهني ؛ لذا يلزم العناية بشأن اكتساب الداعية للمهارات الأساسية في هذا المجال(١) عند وضع المقررات المعتمدة لأي برنامج تأهيلي دعوي.

وإدراكاً لأهمية التحديد الدقيق لجوانب القوة والضعف لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال البناء المعرفي من واقع الممارسات التطبيقية للخريجات تم استقصاء ذلك من مختلف الجوانب؛ من خلال:

تقييم عضوات هيئة التدريس؛ بحكم أنهم الجهة المعنية بقياس تطور الخريجة في المهارات الدعوية ومتابعتها خلال مرحلة الدراسة الجامعية.

التقييم الذاتي للخريجة؛ بحكم استشعارها للمهارات المكتسبة خلال فترة الدراسة.

ويتم في المبحث الحالي عرض نتائج ذلك الاستقصاء، وفق المطالب التالية:

---

(١) تم اعتماد مهارات البناء المعرفي، وفق ما توصلت له دراسة: مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم، ص٧٧، مرجع سابق.

المطلب الأول: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس:

عرضت الدراسة الميدانية النتائج في هذا المطلب بتناول جزئي: (البيانات الأولية لعينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس، واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس)، وذلك على النحو التالي:

أولاً: البيانات الأولية لعينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس:

كشفت الدراسة الميدانية البيانات الأولية لأفراد العينة: (الجنس(١)، الدرجة العلمية، سنوات الخبرة في مجال تدريس الطالبات، الجنسية(٢))، ويتضح تفصيل ذلك من الجداول والرسوم البيانية التالية:

جدول رقم (٥)

يوضح توزيع عينة عضوات هيئة التدريس وفق الدرجة العلمية

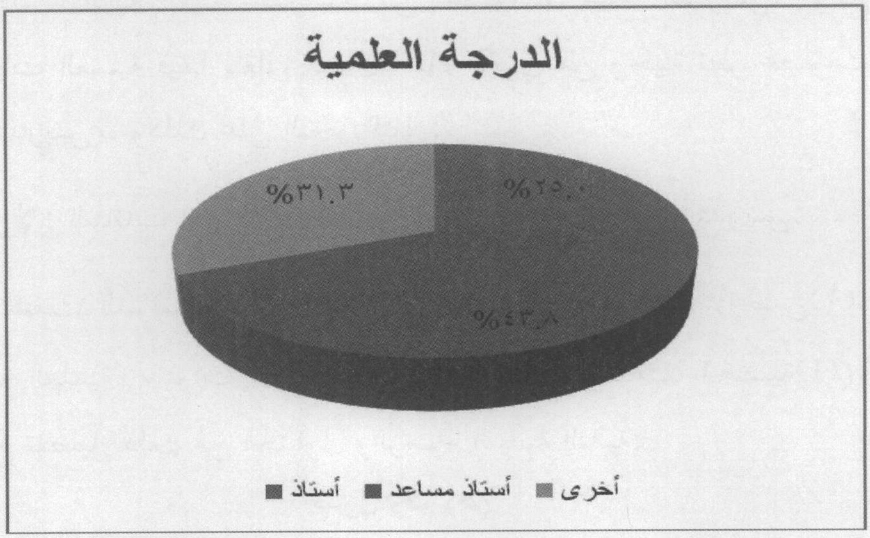
الدرجة العلمية	التكرار	النسبة
أستاذ	٤	٢٥
أستاذ مشارك	٠	٠
أستاذ مساعد	٧	٤٣.٨
أخرى	٥	٣١.٢
المجموع	١٦	١٠٠

(١) جميع أفراد العينة من الإناث، رغم بذل السبب للوصول للذكور من أعضاء هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى، وسبق توضيح أسباب ذلك في إجراءات الدراسة الميدانية في مقدمة الدراسة الحالية ص١٨.

(٢) جميع أفراد العينة من الجنسية السعودية؛ لذا لم يفرد لها وللجنس جدول ورسم بياني خاص.

الرسم البياني رقم (١)

يوضح توزيع عينة عضوات هيئة التدريس وفق الدرجة العلمية



يبين الجدول رقم (٥)، والرسم البياني رقم (١) توزيع عينة عضوات هيئة التدريس وفق الدرجة العلمية؛ حيث جاءت النسبة الأعلى في العينة لدرجة أستاذ مساعد (٤٣.٨) بالمئة؛ بحكم أنها هي الدرجة الأغلب لأعضاء هيئة التدريس، تلتها أخرى: ما بين معيد ومحاضر، بنسبة (٣١.٢) بالمئة؛ ثم درجة أستاذ، بنسبة (٢٥) بالمئة.

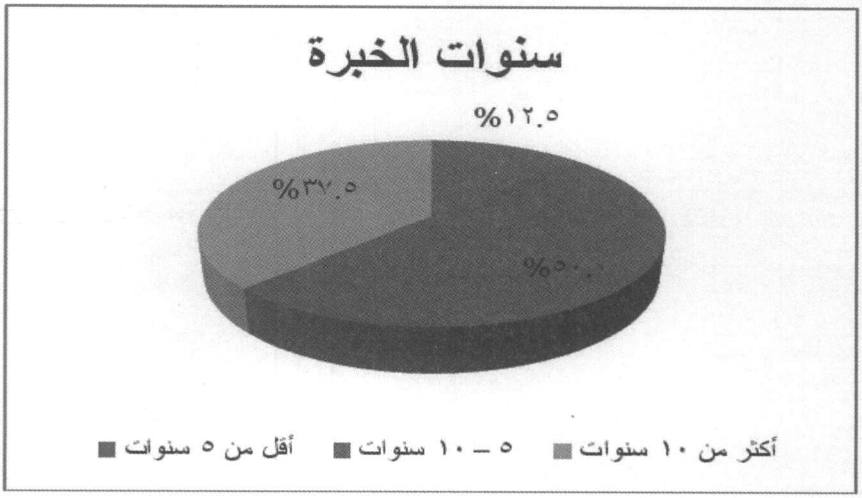
جدول رقم (٦)

يوضح توزيع عينة عضوات هيئة التدريس وفق سنوات الخبرة في مجال تدريس الطالبات

سنوات الخبرة	التكرار	النسبة
أقل من ٥ سنوات	٢	١٢.٥
٥ — ١٠ سنوات	٨	٥٠
أكثر من ١٠ سنوات	٦	٣٧.٥
المجموع	١٦	١٠٠

الرسم البياني رقم (٢)

يوضح توزيع عينة عضوات هيئة التدريس وفق سنوات الخبرة في مجال تدريس الطالبات



يوضح الجدول رقم (٦)، والرسم البياني رقم (٢) توزيع عينة عضوات هيئة التدريس وفق سنوات الخبرة في مجال تدريس الطالبات؛ حيث كانت النسبة الأعلى لمن كانت عدد سنوات خبرتهم في التدريس

تتراوح ما بين (٥- ١٠) سنوات بما نسبته (٥٠) بالمئة، تلتها نسبة من خبرتهم أكثر من (عشر) سنوات (٣٧.٥) بالمئة؛ وهو ما يُبنى عليه رأي من واقع خبرة واسعة في التدريس، ومعرفة وافية بقدرات خريجات قسم الدعوة، ومثلت من خبرتهم أقل من (خمس) سنوات (١٢.٥) بالمئة فقط.

ثانياً: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس:

كشفت الدراسة الميدانية جوانب قوة تطبيق قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لمهارات البناء المعرفي، وجوانب الضعف من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بالقسم، وهو ما يتضح من الجدول التالي:

جدول رقم (٧)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال البناء المعرفي

من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
١	معرفة أهمية الدعوة إلى الله وفضلها.	ك	٨	٤	١	٣	٠	٤.٠٦	١.١٨	٨١.٢	م٢
		%	٥٠	٢٥	٦.٣	١٨.٨	٠				
٢	وضوح أهداف ومقاصد الدعوة.	ك	٧	٤	٢	٣	٠	٣.٩٣	١.١٨	٧٨.٦	م٥
		%	٤٣.٨	٢٥	١٢.٥	١٨.٨	٠				
٣	معرفة ضوابط الدعوة.	ك	٦	٢	٥	٣	٠	٣.٦٨	١.١٩	٧٣.٦	م٨
		%	٣٧.٥	١٢.٥	٣١.٣	١٨.٨	٠				
٤	معرفة	ك	٧	٥	٢	٢	٠	٤.٠	١.٠	٨١.	م٢

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعيا ري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حـ د ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	أصناف المدعوين.	%	٤٣.٨	٣١.٣	١٢.٥	١٢.٥	٠	٦	٦	٢	
٥	معرفة وسائل الدعوة.	ك	٨	٣	٤	١	٠	٤.١ ٢	١.٠ ٢	٨٢. ٤	١
		%	٥٠	١٨. ٨	٢٥	٦.٣	٠				
٦	معرفة أساليب الدعوة.	ك	٧	٣	٦	٠	٠	٤.٠ ٦	٠.٩ ٢٨	٨١. ٢	م٢
		%	٤٣. ٨	١٨. ٨	٣٧. ٥	٠	٠				
٧	الإلمام بموضوعات الدعوة.	ك	٦	٤	٣	١	٢	٣.٦٨	١.٤٠	٧٣.٦	م٨
		%	٣٧.٥	٢٥	١٨.٨	٦.٣	١٢.٥				
٨	معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها.	ك	٤	٥	٤	١	٢	٣.٥٠	١.٣١	٧٠	١٠
		%	٢٥	٣١.٣	٢٥	٦.٣	١٢.٥				
٩	وضوح مناهج الدعوة.	ك	٥	٣	٤	٢	٢	٣.٤٣	١.٤١	٦٨.٦	١١
		%	٣١.٣	١٨.٨	٢٥	١٢.٥	١٢.٥				
١ ٠	معرفة خصائص	ك	٦	٤	٣	٣	٠	٣.٨١	١.١٦	٧٦.٢	٧
		%	٣٧. ٥	٢٥	١٨.٨	١٨.٥	٠				

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	الدعوة الإسلامية.										
١١	معرفة تاريخ الدعوة.	ك	٧	٦	٠	١	٢	٣.٩٣	١.٣٨	٧٨.٦	٥م
		%	٤٣.٨	٣٧.٥	٠	٦.٣	١٢.٥				
١٢	التأهيل العلمي الشرعي.	ك	٤	٤	٥	٠	٣	٣.٣٧	١.٤٠	٦٧.٤	١٢م
		%	٢٥	٢٥	٣١.٣	٠	١٨.٨				
١٣	الإلمام بالثقافة الإسلامية.	ك	٣	٣	٧	٣	٠	٣.٣٧	١.٠٢	٦٧.٤	١٢م
		%	١٨.٨	١٨.٨	٤٣.٨	١٨.٨	٠				
١٤	الإلمام بقواعد اللغة العربية.	ك	١	٢	٣	٦	٤	٢.٣٧	١.٢٠	٤٧.٤	١٥
		%	٦.٣	١٢.٥	١٨.٨	٣٧.٥	٢٥				
١٥	الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة	ك	٣	٠	١	٢	٣	٢.٧٧	١.٧٨	٥٥.٤	١٤
		%	٣٣.٣	٠	١١.١	٢٢.٢	٣٣.٣				

م	المهارة	درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
		موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	الإنجليزية .									
المتوسط الحسابي العام = ٣.٥٣، الانحراف المعياري العام = ١.٠٦، ونسبة موافقة = ٧٠.٦%										

لقد جاء الترتيب التنازلي لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال البناء المعرفي، التي اكتسبتها الخريجة أثناء الدراسة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بالقسم على النحو الآتي:

١. معرفة وسائل الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.١٢)، ونسبة موافقة (٨٢.٤) بالمئة.

٢. معرفة أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها، بمتوسط حسابي قدره (٤.٠٦)، ونسبة موافقة (٨١.٢) بالمئة.

٣. معرفة أصناف المدعوين، بمتوسط حسابي قدره (٤.٠٦)، ونسبة موافقة (٨١.٢) بالمئة.

٤. معرفة أساليب الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٠٦)، ونسبة موافقة (٨١.٢) بالمئة.

٥. وضوح أهداف ومقاصد الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٣)، ونسبة موافقة (٧٨.٦) بالمئة.

٦. معرفة تاريخ الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٣)، ونسبة موافقة (٧٨.٦) بالمئة.

٧. معرفة خصائص الدعوة الإسلامية، بمتوسط حسابي قدره (٣.٨١)، ونسبة موافقة (٧٦.٢) بالمئة.

٨. معرفة ضوابط الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٦٨)، ونسبة موافقة (٧٣.٦) بالمئة.

٩. الإلمام بموضوعات الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٦٨)، ونسبة موافقة (٧٣.٦) بالمئة.

١٠. معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها، بمتوسط حسابي قدره (٣.٥٠)، ونسبة موافقة (٧٠) بالمئة.

١١. وضوح مناهج الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٤٣)، ونسبة موافقة (٦٨.٦) بالمئة.

١٢. التأهيل العلمي الشرعي، بمتوسط حسابي قدره (٣.٣٧)، ونسبة موافقة (٦٧.٤) بالمئة.

١٣. الإلمام بالثقافة الإسلامية، بمتوسط حسابي قدره (٣.٣٧)، ونسبة موافقة (٦٧.٤) بالمئة.

١٤. الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية، بمتوسط حسابي قدره (٢.٧٧)، ونسبة موافقة (٥٥.٤) بالمئة.

١٥. الإلمام بقواعد اللغة العربية، بمتوسط حسابي قدره (٢.٣٧)، ونسبة موافقة (٤٧.٤) بالمئة.

وبتحليل نتائج الجدول رقم (٧) تبين التالي:

- انخفاض المتوسط العام ونسبة الموافقة العامة لمهارات مجال البناء المعرفي التي اكتسبتها الخريجات؛ حيث بلغا على التوالي (٣.٥٣)، (٧٠.٦) بالمئة؛ وفقاً لإجابة عينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس، كما

تجاوزت كافة المهارات حد المنتصف، عدا مهارة واحدة فقط - الإلمام بقواعد اللغة العربية - عُدت من جوانب الضعف؛ وهو ما يشير إلى تمكن القسم إلى حدٍ ما من تأهيل خريجاته دعوياً في المجال المعرفي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس.

- تقدُّم مهارة: (معرفة وسائل الدعوة) على بقية مهارات مجال البناء المعرفي؛ إذ جاءت في المرتبة الأولى، بنسبة موافقة بلغت (٨٢.٤) بالمئة، وهو ما يشير إلى اهتمام القسم بإدراك الخريجات للوسائل الدعوية لتبليغ الرسالة الدعوية وفق المنهجية الصحيحة.
- إلمام الخريجات لمهارات: معرفة (أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها، أصناف المدعوين، أساليب الدعوة)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة متساوية (٨١.٢) بالمئة؛ مما يُظهر تمكن القسم من تزويد الخريجات بالمهارات المعرفية اللازمة في مجال التخصص.
- الحاجة إلى التركيز على مهارات: (وضوح أهداف ومقاصد الدعوة، معرفة تاريخ الدعوة، معرفة خصائص الدعوة الإسلامية، معرفة ضوابط الدعوة، الإلمام بموضوعات الدعوة، معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة تتراوح ما بين (٧٨.٦- ٧٠) بالمئة؛ وذلك لأهميتها واعتبارها من المرتكزات في الإعداد الدعوي، خاصة ما يتعلق بوضوح أهداف ومقاصد الدعوة.

تراجع مراتب مهارات: (وضوح مناهج الدعوة، التأهيل العلمي الشرعي، الإلمام بالثقافة الإسلامية) على مستوى مجال البناء المعرفي؛ إذ جاءت في المراتب المتأخرة (الحادية عشرة، والثانية عشرة)، بنسبة موافقة (٦٨.٦، ٦٧.٤) بالمئة على التوالي؛ مما يشير إلى الحاجة

الشديدة لدراسة أسباب تدني مستوى تلك المهارات؛ التي تُعد مرتكزات للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى، ومحاولة تجاوزها.

- تدني مهارة: (الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية) بصورة كبيرة، إذ جاءت بنسبة موافقة منخفضة جداً قريبة من المنتصف (٥٥.٤) بالمئة؛ مما يكشف الحاجة الشديدة لعناية القسم بجانب إلمام الخريجين لمصطلحات دعوية باللغة الإنجليزية تسهل دعوتهم لغير الناطقين باللغة العربية.
- ضعف مهارة: (الإلمام بقواعد اللغة العربية)، إذ جاءت بنسبة موافقة (٤٧.٤) بالمئة فقط؛ الأمر الذي يستلزم التقويم لهذه المهارة، سيما أن هذه المهارة شرط أساسي لمزاولة العمل الدعوي في كافة الميادين الدعوية.

****

المطلب الثاني: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر الخريجات:

تناولت الدراسة الميدانية النتائج من خلال جزئي: (البيانات الأولية لعينة الدراسة من الخريجات، واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر الخريجات)، وذلك على النحو التالي:

أولاً: البيانات الأولية لعينة الدراسة من الخريجات:

كشفت الدراسة الميدانية البيانات الأولية لأفراد العينة: (العمر، سنة التخرج، التقدير عند التخرج، تأثير الدراسة في القسم على القيام بالعمل الدعوي في محيط الأسرة والمجتمع، الرغبة الذاتية عند الالتحاق بالقسم)، ويتضح تفصيل ذلك من الجداول والرسوم البيانية التالية:

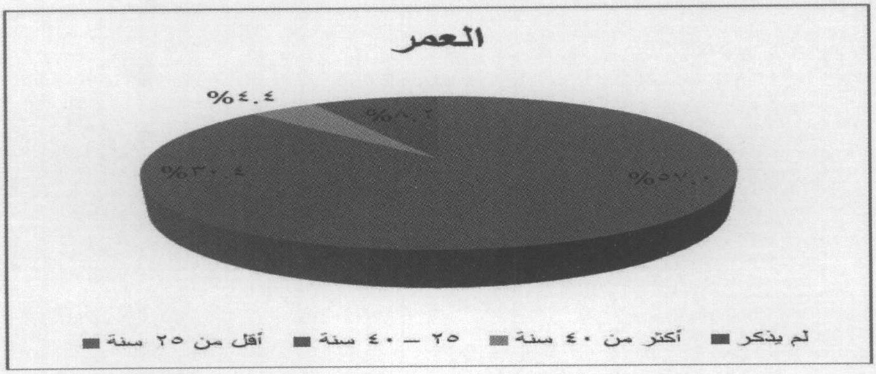
جدول رقم (٨)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق العمر

العمر	التكرار	النسبة
أقل من ٢٥ سنة	٩٠	٥٧
٢٥ – ٤٠ سنة	٤٨	٣٠.٤
أكثر من ٤٠ سنة	٧	٤.٤
لم يذكر	١٣	٨.٢
المجموع	١٥٨	١٠٠

الرسم البياني رقم (٣)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق العمر



يبين الجدول رقم (٨)، والرسم البياني رقم (٣) توزيع عينة الخريجات وفق العمر؛ حيث كانت نسبة من أعمارهن أقل من ٢٥ سنة (٥٧) بالمئة؛ نظراً لسهولة التواصل مع حديثات التخرج والمقبلات عليه[١] مقارنة بالخريجات القديمات اللاتي لا توجد آلية واضحة للتواصل معهن، وتلتها من تتراوح أعمارهن بين (٢٥- ٤٠)سنة بنسبة (٣٠.٤) بالمئة من مجموع أفراد العينة، في حين مثلت من تجاوزت أعمارهن ٤٠ سنة (٤.٤) بالمئة فقط، ووجدت ما نسبته (٨.٢) بالمئة من العينة لم تذكر أعمارهن.

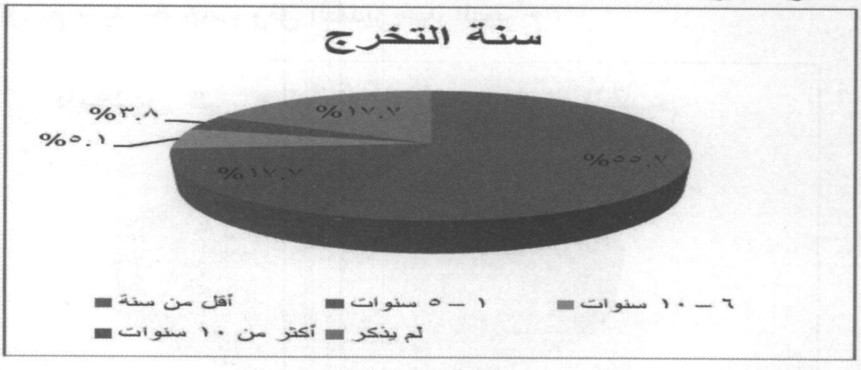
جدول رقم (٩)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق سنة التخرج

سنة التخرج	التكرار	النسبة
أقل من سنة	٨٨	٥٥.٧
١ — ٥ سنوات	٢٨	١٧.٧
٦ — ١٠ سنوات	٨	٥.١
أكثر من ١٠ سنوات	٦	٣.٨
لم يذكر	٢٨	١٧.٧
المجموع	١٥٨	١٠٠

الرسم البياني رقم (٤)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق سنة التخرج



(١) حيث تم توزيع الاستبانات على مجموعة من طالبات المستوى السابع؛ نظراً لاستكمالهن معظم المقررات الدراسية التي تتضمن مهارات الإعداد الدعوي.

يوضح الجدول رقم (٩)، والرسم البياني رقم (٤) أن نسبة حديثات التخرج هي الأعلى من بين عينة الدراسة؛ إذ بلغت (٥٥.٧) بالمئة؛ نظراً لما تم ذكره سابقاً من سهولة التواصل بهن، تليها من أمضين ما بين (سنة-٥ سنوات)، ومن لم تذكر سنة التخرج؛ إذ جاءا بنسبة متساوية (١٧.٧) بالمئة، وبلغت ما نسبته (٥.١) بالمئة من مضى على تخرجهن (٦- ١٠) سنوات، في حين لم تتجاوز نسبة من كان تخرجهن قبل أكثر من ١٠ سنوات (٣.٨) بالمئة من مجموع أفراد العينة من الخريجات.

جدول رقم (١٠)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق التقدير عند التخرج

التقدير	التكرار	النسبة
ممتاز	٥٠	٣١.٦
جيد جداً	٤٤	٢٧.٨
جيد فأقل	٧	٤.٤
لم يذكر	٥٧	٣٦.١
المجموع	١٥٨	١٠٠

الرسم البياني رقم (٥)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق التقدير عند التخرج



يتبين من الجدول رقم (١٠)، والرسم البياني رقم (٥) الذي يوضح توزيع عينة الخريجات وفق التقدير عند التخرج: تنوع نتائج التحصيل العلمي لعينة الدراسة من الخريجات، مما يعطي مصداقية أكبر لنتائج الدراسة الميدانية، وقد كانت نسبة الحاصلات على تقدير ممتاز هي الأعلى؛ حيث بلغت ما نسبته (٣١.٦) بالمئة، تلاها الحاصلات على تقدير جيد جداً بنسبة (٢٧.٨) بالمئة، وهو ما يظهر أن غالبية أفراد العينة من ذوات المعدلات المرتفعة، مما يعكس جدية النتائج، في حين جاءت نسبة الحاصلات على تقدير جيد فأقل (٤.٤) بالمئة، و(٣٦.١) بالمئة لم تذكر حصيلتهن العلمية عند التخرج، وهي نسبة تُعد عالية، تزيد عن ربع العينة.

جدول رقم (١١)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق تأثير الدراسة

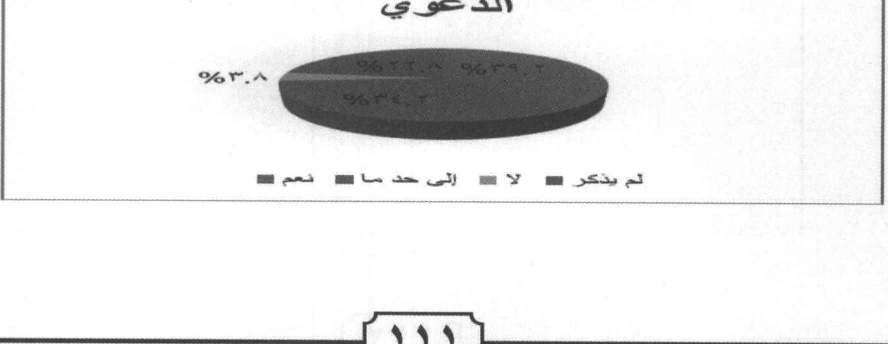
في القسم على القيام بالعمل الدعوي في محيط الأسرة والمجتمع

الاجابة	التكرار	النسبة
نعم	٦٢	٣٩.٢
إلى حد ما	٥٤	٣٤.٢
لا	٦	٣.٨
لم يذكر	٣٦	٢٢.٨
المجموع	١٥٨	١٠٠

الرسم البياني رقم (٦)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق تأثير الدراسة

في القسم على القيام بالعمل الدعوي في محيط الأسرة والمجتمع



يوضح الجدول رقم (١١)، والرسم البياني رقم (٦) أن الدراسة في القسم كان لها تأثير على القيام بالعمل الدعوي؛ حيث أفادت عينة الدراسة من الخريجات بنسبة (٣٩.٢) بالمئة أن الدراسة في القسم أسهمت بقيامهن بالعمل الدعوي في محيط الأسرة والمجتمع، في حين جاءت نسبة من أجابت إلى حدٍ ما (٣٤.٢) بالمئة، وبلغت نسبة من كانت إجابتهن لا (٣.٨) بالمئة فقط، ووجدت ما نسبته (٢٢.٨) بالمئة لم تذكر تأثير الدراسة على القيام بالعمل الدعوي.

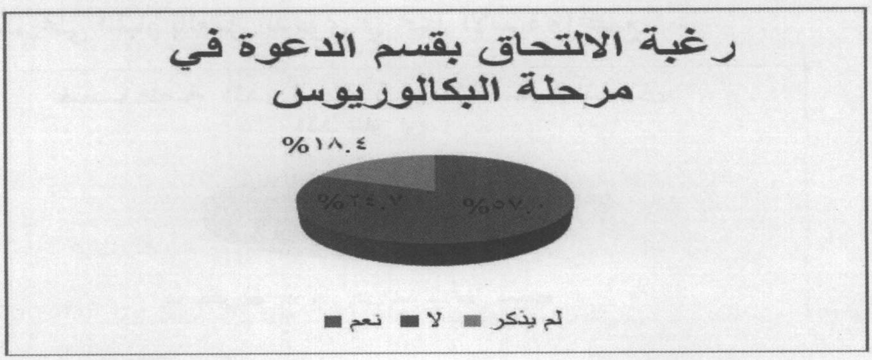
جدول رقم (١٢)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق الرغبة الذاتية الدعوية عند الالتحاق بالقسم

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	٩٠	٥٧
لا	٣٩	٢٤.٧
لم يذكر	٢٩	١٨.٤
المجموع	١٥٨	١٠٠

الرسم البياني رقم (٧)

يوضح توزيع عينة الخريجات وفق الرغبة الذاتية الدعوية عند الالتحاق بالقسم



يكشف الجدول رقم (١٢)، والرسم البياني رقم (٧) أن ما يقارب من ثلثي عينة الدراسة بنسبة (٥٧) بالمئة كان التحاقهن بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية نتيجة رغبة ذاتية دعوية، في حين جاءت نسبة من ألتحقن بالقسم بدون رغبة ذاتية دعوية ابتداءً (٢٤.٧) بالمئة، أي ما يقارب من ربع العينة؛ وقد يرجع ارتفاع نسبة غير الراغبات في القسم لتطبيق نظام بوابة القبول الإلكتروني؛ إضافة إلى عدم وجود معايير نوعية للقبول في القسم.

ورغم أن النتائج تُظهر أن عدم الرغبة الذاتية الدعوية للخريجات عند الالتحاق بالقسم لم تؤثر سلباً بصورة واضحة على معدلاتهن التراكمية، وقيامهن بالعمل الدعوي في محيط الأسرة والمجتمع، إلا أن ذلك لا بد أن يكون قد ترك أثراً سلبياً على مخرجات القسم في ضعف التحلي بصفات الداعية، والهمة في تبليغ الدعوة وفق المنهج الصحيح، نتيجة لتدني الدافع الذاتي الدعوي الذي يحمل على ذلك، وهو ما يُحمّل القسم أعباء كبيرة لتجاوز تلك المصاعب في التأهيل الدعوي للخريجات لتحقيق المأمول.

ثانياً: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر الخريجات:

كشفت الدراسة الميدانية جوانب قوة تطبيق قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لمهارات البناء المعرفي، وجوانب الضعف من وجهة نظر خريجات القسم، وهو ما يتضح من الجدول الآتي:

جدول رقم (١٣)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال البناء المعرفي

من وجهة نظر الخريجات

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
١	معرفة أهمية الدعوة إلى الله وفضلها.	ك	١٢٦	٢٤	٦	٢	٠	٤.٧٣	٠.٥٩١	٩٤.٦	١
		%	٧٩.٧	١٥.٢	٣.٨	١.٣	٠				
٢	وضوح أهداف ومقاصد الدعوة.	ك	١٠٢	٤١	١٢	٣	٠	٤.٥٣	٠.٧٢٠	٩٠.٦	٣
		%	٦٤.٦	٢٥.٩	٧.٦	١.٩	٠				
٣	معرفة ضوابط الدعوة.	ك	٨١	٦١	١٣	٢	١	٤.٣٩	٠.٧٤٦	٨٧.٨	٦
		%	٥١.٣	٣٨.٦	٨.٢	١.٣	٠.٦				
٤	معرفة	ك	٨٢	٦٠	١٤	١	١	٤.٤	٠.٧	٨٨	٥

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	أصناف المدعوين.	%	٥١.٩	٣٨	٨.٩	٠.٦	٠.٦	٠	٣١		
٥	معرفة وسائل الدعوة.	ك	٩٥	٤٨	١٣	٢	٠	٤.٤٩	٠.٧٠٣	٨٩.٨	٤
		%	٦٠.١	٣٠.٤	٨.٢	١.٣	٠				
٦	معرفة أساليب الدعوة.	ك	٩٨	٤٨	١١	١	٠	٤.٥٤	٠.٦٥٥	٩٠.٨	٢
		%	٦٢	٣٠.٤	٧	٠.٦	٠				
٧	الإلمام بموضوعات الدعوة.	ك	٦٠	٦٣	٢٥	٨	٢	٤.٠٨	٠.٩٢٤	٨١.٦	١٠
		%	٣٨	٣٩.٩	١٥.٨	٥.١	١.٣				
٨	معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها.	ك	٥٢	٥٩	٣٣	١٢	٢	٣.٩٣	٠.٩٧٨	٧٨.٦	١٣
		%	٣٢.٩	٣٧.٣	٢٠.٩	٧.٦	١.٣				
٩	وضوح مناهج الدعوة.	ك	٧٠	٥٥	٢٥	٦	٢	٤.١٧	٠.٩١٨	٨.٣ .٤	٩
		%	٤٤.٣	٣٤.٨	١٥.٨	٣.٨	١.٣				
١٠	معرفة خصائص	ك	٨٧	٤٥	٢١	٤	١	٤.٣٥	٠.٨٥٢	٨٧	٧
		%	٥٥.١	٢٨.٥	١٣.٣	٢.٥	٠.٦				

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	الدعوة الإسلامية.										
١١	معرفة تاريخ الدعوة.	ك	٦٠	٥٥	٣٤	٧	٢	٤.٠٤	٠.٩٤٤	٨٠.٨	١١
		%	٣٨	٣٤.٨	٢١.٥	٤.٤	١.٣				
١٢	التأهيل العلمي الشرعي.	ك	٦٠	٥٠	٣٥	٨	٥	٣.٩٦	٠.١٠٤	٧٩.٢	١٢
		%	٣٨	٣١.٦	٢٢.٢	٥.١	٣.٢				
١٣	الإلمام بالثقافة الإسلامية.	ك	٧٢	٥٧	٢١	٧	١	٤.٢٢	٠.٨٨٤	٨٤.٤	٨
		%	٤٥.٦	٣٦.١	١٣.٣	٤.٤	٠.٦				
١٤	الإلمام بقواعد اللغة العربية.	ك	٣٦	٦٣	٣٨	١٦	٥	٣.٦٩	١.٠٣	٧٣.٨	١٤
		%	٢٢.٨	٣٩.٩	٢٤.١	١٠.١	٣.٢				
١٥	الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة	ك	١٧	٢١	١٥	٩	١٨	٣.١٣	١.٤٦	٦٢.٦	١٥
		%	٢١.٣	٢٦.٣	١٨.٨	١١.٣	٢٢.٥				

م	المهارة	درجة الموافقة					المتوسط	الإنحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
		موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	الإنجليزية.									
المتوسط الحسابي العام = ٤.٠٧، الانحراف المعياري العام = ٠.٥٨٦، ونسبة موافقة = ٨١.٤%										

لقد جاء الترتيب التنازلي لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال البناء المعرفي، التي اكتسبتها الخريجة أثناء الدراسة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من وجهة نظر خريجات القسم على النحو التالي:

١. معرفة أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضله ا، بمتوسط حسابي قدره (٤.٧٣)، ونسبة موافقة (٩٤.٦) بالمئة.

٢. معرفة أساليب الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٥٤)، ونسبة موافقة (٩٠.٨) بالمئة.

٣. وضوح أهداف ومقاصد الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٥٣)، ونسبة موافقة (٩٠.٦) بالمئة.

٤. معرفة وسائل الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٤٩)، ونسبة موافقة (٨٩.٨) بالمئة.

٥. معرفة أصناف المدعوين، بمتوسط حسابي قدره (٤.٤٠)، ونسبة موافقة (٨٨) بالمئة.

٦. معرفة ضوابط الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٣٩)، ونسبة موافقة (٨٧.٨) بالمئة.

٧. معرفة خصائص الدعوة الإسلامية، بمتوسط حسابي قدره (٤.٣٥)، ونسبة موافقة (٨٧) بالمئة.

٨. الإلمام بالثقافة الإسلامية، بمتوسط حسابي قدره (٤.٢٢)، ونسبة موافقة (٨٤.٤) بالمئة.

٩. وضوح مناهج الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.١٧)، ونسبة موافقة (٨.٣.٤) بالمئة.

١٠. الإلمام بموضوعات الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٠٨)، ونسبة موافقة (٨١.٦) بالمئة.

١١. معرفة تـــاريخ الدعوة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٠٤)، ونسبة موافقة (٨٠.٨) بالمئة.

١٢. التأهيل العلمي الشرعي، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٦)، ونسبة موافقة (٧٩.٢) بالمئة.

١٣. معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٣)، ونسبة موافقة (٧٨.٦) بالمئة.

١٤. الإلمام بقواعد اللغة العربية، بمتوسط حسابي قدره (٣.٦٩)، ونسبة موافقة (٧٣.٨) بالمئة.

١٥. الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية، بمتوسط حسابي قدره (٣.١٣)، ونسبة موافقة (٦٢.٦) بالمئة.

وبتحليل نتائج الجدول رقم (١٣) تبين التالي:

- ارتفاع المتوسط العام ونسبة الموافقة العامة نوعاً ما لمهارات مجال البناء المعرفي التي اكتسبتها الخريجات؛ حيث بلغا على التوالي (٤.٠٧)، (٨١.٤) بالمئة؛ وفقاً لإجابة عينة الدراسة من الخريجات، كما تجاوزت كافة المهارات حد المنتصف؛ وهو ما يشير إلى تمكن القسم إلى حدٍ ما من تأهيل خريجاته دعوياً في المجال المعرفي من وجهة نظر الخريجات، مع وجود تباين بين رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات في مدى اكتساب عدد من المهارات؛ ففي الوقت التي ترى فيها عضوات هيئة التدريس عدم تمكن الخريجات بصورة مناسبة من تلك المهارة تؤكد الخريجات اكتسابهن لها، مثل: (وضوح أهداف ومقاصد الدعوة)، مع

وجود اتفاق بين الرأيين في تدني اكتساب عدد من المهارات مثل: (التأهيل العلمي الشرعي، الإلمام بقواعد اللغة العربية، الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية).

تقدُّم مهارات: (معرفة أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها، معرفة أساليب الدعوة، وضوح أهداف ومقاصد الدعوة) على بقية مهارات مجال البناء المعرفي؛ إذ جاءت في المراتب الثلاث الأولى، بنسبة موافقة تراوحت ما بين (٩٤.٦- ٩٠.٦) بالمئة، مما يدل على نجاح القسم في إيصال أهمية الدعوة وفضلها إلى خريجاته، وإدراكهن للأساليب الدعوية، وأهداف الدعوة ومقاصدها.

- إجادة الخريجات لمهارات: معرفة (وسائل الدعوة، أصناف المدعوين، ضوابط الدعوة، خصائص الدعوة الإسلامية)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة تراوحت ما بين (٨٩.٨- ٨٧) بالمئة؛ مما يكشف تمكن القسم من تزويد الخريجات بالمهارات المعرفية اللازمة في مجال التخصص.
- تراجع مراتب مهارتي: (التأهيل العلمي الشرعي، الإلمام بالثقافة الإسلامية، معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها) على مستوى مجال البناء المعرفي؛ إذ جاءت في المراتب المتأخرة (الثانية عشرة، والثالثة عشر)، بنسبة موافقة (٧٩.٢، ٧٨.٦) بالمئة على التوالي؛ مما يشير إلى الحاجة الشديدة لدراسة أسباب تدني مستوى تلك المهارات؛ التي تُعد مرتكزات للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى ومحاولة تجاوزها، خاصة التأهيل العلمي الشرعي الذي اتفقا عليه رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات.
- تدني مهارتي: (الإلمام بقواعد اللغة العربية، والإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية) بصورة كبيرة، إذ جاءتا بنسبة موافقة متدنية (٧٣.٨، ٦٢.٦) بالمئة؛ الأمر الذي يستلزم التقويم لهاتين المهارتين، في ضوء الاعتماد الكبير عليهما في دعوة الناطقين باللغة العربية وغير الناطقين بها.

المبحث الثاني

واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل الفكري

تمهيد:

يستلزم الإعداد والتأهيل الدعوي التأهيل الفكري، الذي يقوم على تطوير قدرات الداعية الفكرية؛ بما يمكنه من ضبط وتقويم العمل الدعوي؛ الأمر الذي يُسهم في إكسابه مهارات إبداعية في استحداث أفكار دعوية متقيدة بالإطار الفكري المستقى من الكتاب والسنة، وذلك في ضوء مناهج تأصيلية؛ لذا تتأكد حاجة الداعية لاكتساب المهارات الأساسية في هذا المجال(١) عند وضع المقررات المعتمدة لأي برنامج تأهيلي دعوي.

ويتم في المبحث الحالي عرض نتائج استقصاء آراء عضوات هيئة التدريس والخريجات بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى تجاه اكتساب خريجات القسم لمهارات التأهيل الفكري، وفق المطالب التالية:

---

(١) تم اعتماد مهارات التأهيل الفكري، وفق ما توصلت له دراسة: مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم، ص٦٧، مرجع سابق.

المطلب الأول: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل الفكري من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس:

وضحت الدراسة الميدانية جوانب قوة تطبيق قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لمهارات التأهيل الفكري، وجوانب الضعف من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بالقسم، وهو ما يتضح من الجدول التالي:

جدول رقم (١٤)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس

م	المهارة		درجة الموافقة: موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً	المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
١	استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله.	ك	٤	٧	٣	٠	٢	٣.٦٨	١.٢٥	٧٣.٦	١م
		%	٢٥	٤٣.٨	١٨.٨	٠	١٢.٥				
٢	التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وميادينها.	ك	٦	٣	٢	٣	٢	٣.٥٠	١.٥٠	٧٠	٧
		%	٣٧.٥	١٨.٨	١٢.٥	١٨.٨	١٢.٥				
٣	فقه الدعوة بالقرآن الكريم.	ك	٤	٣	٦	١	٢	٣.٣٧	١.٣١	٦٧.٤	٨
		%	٢٥	١٨.٨	٣٧.٥	٦.٣	١٢.٥				
٤	فقه الدعوة بالسنة النبوية.	ك	٤	٤	٥	٣	٠	٣.٥٦	١.٠٩	٧١.٢	٤م
		%	٢٥	٢٥	٣١.٣	١٨.٨	٠				

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
٥	استنباط الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة.	ك	٥	٣	٥	٢	١	٣.٥٦	١.٢٦	٧١.٢	٤م
		%	٣١.٣	١٨.٨	٣١.٣	١٢.٥	٦.٣				
٦	فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة (الحجاب، الاختلاط، المساواة، القوامة، الغزو الفكري،...).	ك	٤	٥	٤	٢	١	٣.٥٦	١.٢٠	٧١.٢	٤م
		%	٢٥	٣١.٣	٢٥	١٢.٥	٦.٣				
٧	استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها.	ك	٣	٤	٣	٣	٣	٣.٠٦	١.٤٣	٦١.٢	٩
		%	١٨.٨	٢٥	١٨.٨	١٨.٨	١٨.٨				
٨	التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة.	ك	٤	٦	٣	٣	٠	٣.٦٨	١.٠٧	٧٣.٦	١م
		%	٢٥	٣٧.٥	١٨.٨	١٨.٨	٠				
٩	التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر	ك	٤	٤	٧	٠	١	٣.٦٢	١.٠٨	٧٢.٤	٣
		%	٢٥	٢٥	٤٣.٨	٠	٦.٣				

م	المهارة	درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
		موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	المنحرف.									
المتوسط الحسابي العام = ٣.٥١، الانحراف المعياري العام = ١.١١، ونسبة موافقة = ٧٠.٢%										

لقد جاء الترتيب التنازلي لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل الفكري، التي اكتسبتها الخريجة أثناء الدراسة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بالقسم على النحو الآتي:

١. استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٣.٦٨)، ونسبة موافقة (٧٣.٦) بالمئة.

٢. التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٦٨)، ونسبة موافقة (٧٣.٦) بالمئة.

٣. التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر المنحرف، بمتوسط حسابي قدره (٣.٦٢)، ونسبة موافقة (٧٢.٤) بالمئة.

٤. فقه الدعوة بالسنة النبوية، بمتوسط حسابي قدره (٣.٥٦)، ونسبة موافقة (٧١.٢) بالمئة.

٥. استنباط الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٥٦)، ونسبة موافقة (٧١.٢) بالمئة.

٦. فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة (الحجاب، الاختلاط، المساواة، القوامة، الغزو الفكري،...)، بمتوسط حسابي قدره (٣.٥٦)، ونسبة موافقة (٧١.٢) بالمئة.

٧. التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وميادينها، بمتوسط حسابي قدره (٣.٥٠)، ونسبة موافقة (٧٠) بالمئة.

٨. فقه الدعوة بالقرآن الكريم، بمتوسط حسابي قدره (٣.٣٧)، ونسبة موافقة (٦٧.٤) بالمئة.

٩. استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها، بمتوسط حسابي قدره (٣.٠٦)، ونسبة موافقة (٦١.٢) بالمئة.

وبتحليل نتائج الجدول رقم (١٤) تبين التالي:

- انخفاض المتوسط العام ونسبة الموافقة العامة لمهارات مجال التأهيل الفكري التي اكتسبتها الخريجات؛ حيث بلغا على التوالي (٣.٥١)، (٧٠.٢) بالمئة؛ وفقاً لإجابة عينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس، كما تجاوزت كافة المهارات حد المنتصف؛ وهو ما يثبت نجاح القسم إلى حدٍ ما من تأهيل خريجاته دعوياً في المجال الفكري من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس.
- تقدُّم مهارة: (استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى، التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة) على بقية مهارات مجال التأهيل الفكري؛ إذ جاءتا في المرتبة الأولى، بنسبة موافقة بلغت (٧٣.٦) بالمئة، وهو ما يشير إلى اهتمام القسم إلى حدٍ ما بجانب إدراك الخريجات لأهمية دورهن الدعوي، إضافة إلى التأسيس في مجال العقيدة بصورة تؤهل للقيام بالعمل الدعوي.
- إلمام الخريجات نوعاً ما بمهارات: (التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر المنحرف، فقه الدعوة بالسنة النبوية، استنباط الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة، فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة،

التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وميادينها)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة تتراوح ما بين (٧٢.٤- ٧٠) بالمئة؛ إلا أن ذلك يحتاج إلى مزيد اهتمام للتمكن في مجال التأهيل الفكري.

- تدني مهارتي: (فقه الدعوة بالقرآن الكريم، استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها)، إذ جاءتا بنسبة موافقة (٦٧.٤، ٦١.٢) بالمئة على التوالي، رغم أنها من المهارات الأساسية التي تحتاجها القائمة بالدعوة إلى الله تعالى في المجتمع النسائي؛ لذا يلزم إعادة تقويم المقررات المعتمدة لتدريس طالبات القسم لاستيفاء تلك المهارات.

المطلب الثاني: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل الفكري من وجهة نظر الخريجات:

كشفت الدراسة الميدانية جوانب قوة تطبيق قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لمهارات التأهيل الفكري، وجوانب الضعف من وجهة نظر خريجات القسم، وهو ما يتضح من الجدول الآتي:

جدول رقم (١٥)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري

من وجهة نظر الخريجات

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
١	استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله.	ك	٩٧	٣٩	١٢	٦	٤	٤.٣٩	٠.٩٦٣	٨٧.٨	٣
		%	٦١.٤	٢٤.٧	٧.٦	٣.٨	٢.٥				
٢	التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وميادينها.	ك	٧٣	٥٩	١٩	٧	٠	٤.٢٥	٠.٨٣٧	٨٥	٨
		%	٤٦.٢	٣٧.٣	١٢	٤.٤	٠				
٣	فقه الدعوة بالقرآن الكريم.	ك	٨٨	٤٣	١٧	٩	١	٤.٣٢	٠.٩٢٤	٨٦.٤	٥
		%	٥٥.٧	٢٧.٢	١٠.٨	٥.٧	٠٠.٦				
٤	فقه الدعوة بالسنة النبوية.	ك	٨٦	٤٥	٢٢	٥	٠	٤.٣٤	٠.٨٣٥	٨٦.٨	٤
		%	٥٤.٤	٢٨.٥	١٣.٩	٣.٢	٠				
٥	استنباط	ك	٧١	٦١	١٥	٧	١	٤.٢	٠.٨	٨٥	٦م

م	المهارة		درجة الموافقة: موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً	المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
	الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة.	%	٤٦.٨	٣٨.٦	٩.٥	٤.٤	٠.٦	٧	٥٥	.٤	
٦	فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة (الحجاب، الاختلاط، المساواة، القوامة، الغزو الفكري،..).	ك	٨٨	٤٠	٢٠	٥	٥	٤.٢٧	١.٠١	٨٥.٤	٦م
		%	٥٥.٧	٢٥.٣	١٢.٧	٣.٢	٣.٢				
٧	استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها.	ك	٦٣	٤٩	٣٠	٩	٧	٣.٩٦	١.١٠	٧٩.٢	٩
		%	٣٩.٩	٣١	١٩	٥.٧	٤.٤				
٨	التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة.	ك	١٠٣	٣٤	١٧	٤	٠	٤.٤٩	٠.٧٨٨	٨٩.٨	١
		%	٦٥.٢	٢١.٥	١٠.٨	٢.٥	٠				
٩	التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر	ك	١٠٣	٣٤	١٦	٤	١	٤.٤٨	٠.٨٢٧	٨٩.٦	٢
		%	٦٥.٢	٢١.٥	١٠.١	٢.٥	٠.٦				

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	المنحرف.										
المتوسط الحسابي العام = ٤.٣٠، الانحراف المعياري العام = ٠.٧١٠، ونسبة موافقة = ٨٦%											

لقد جاء الترتيب التنازلي لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل الفكري، التي اكتسبتها الخريجة أثناء الدراسة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من وجهة نظر الخريجات على النحو التالي:

١. التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٤٩)، ونسبة موافقة (٨٩.٨) بالمئة.

٢. التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر المنحرف، بمتوسط حسابي قدره (٤.٤٨)، ونسبة موافقة (٨٩.٦) بالمئة.

٣. استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٤.٣٩)، ونسبة موافقة (٨٧.٨) بالمئة.

٤. فقه الدعوة بالسنة النبوية، بمتوسط حسابي قدره (٤.٣٤)، ونسبة موافقة (٨٦.٨) بالمئة.

٥. فقه الدعوة بالقرآن الكريم، بمتوسط حسابي قدره (٤.٣٢)، ونسبة موافقة (٨٦.٤) بالمئة.

٦. استنباط الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة، بمتوسط حسابي قدره (٤.٢٧)، ونسبة موافقة (٨٥.٤) بالمئة.

٧. فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة (الحجاب، الاختلاط، المساواة، القوامة، الغزو الفكري،...)، بمتوسط حسابي قدره (٤.٢٧)، ونسبة موافقة (٨٥.٤) بالمئة.

٨. التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وميادينها، بمتوسط حسابي قدره (٤.٢٥)، ونسبة موافقة (٨٥) بالمئة.

٩. استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٦)، ونسبة موافقة (٧٩.٢) بالمئة.

وبتحليل نتائج الجدول رقم (١٥) تبين التالي:

- ارتفاع المتوسط العام ونسبة الموافقة العامة لمهارات مجال التأهيل الفكري التي اكتسبتها الخريجات؛ حيث بلغا على التوالي (٤.٣٠)، (٨٦) بالمئة؛ وفقاً لإجابة عينة الدراسة من الخريجات، كما تجاوزت كافة المهارات حد المنتصف؛ وهو ما يشير إلى تمكن القسم من تأهيل خريجاته دعوياً في المجال الفكري من وجهة نظر الخريجات، مع وجود تباين بين رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات في مدى اكتساب عدد من المهارات؛ ففي الوقت التي ترى فيها عضوات هيئة التدريس عدم تمكن الخريجات بصورة مناسبة من تلك المهارة تؤكد الخريجات اكتسابهن لها، مثل: (فقه الدعوة بالقرآن الكريم)، مع وجود اتفاق بين الرأيين في تدني اكتساب مهارة: (استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها).
- تقدُّم مهارات: (التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة، التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر المنحرف) على بقية مهارات مجال التأهيل الفكري؛ إذ جاءتا في المرتبة الأولى، بنسبة متساوية مرتفعة (٨٩.٦) بالمئة، مما يدل على نجاح القسم في تأسيس طالبات القسم في الجانب العقدي.

- اكتساب الخريجات لمهارات: (استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى، فقه الدعوة بالسنة النبوية، فقه الدعوة بالقرآن الكريم، استنباط الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة، فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة، التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة تراوحت ما بين (٨٧.٨-٨٥) بالمئة؛ مما يشير إلى أن القسم يولي اهتمام بجانب تزويد الخريجات بالمهارات الفكرية اللازمة في مجال التخصص من وجهة نظر الخريجات، وإن كانت عضوات هيئة التدريس لا يؤيدن ذلك.
- تراجع مهارة: (استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها) على مستوى مجال التأهيل الفكري؛ إذ جاءت في المرتبة الأخيرة، وبنسبة موافقة (٧٩.٢) بالمئة؛ مما يشير إلى الحاجة لتقويم تلك المهارة التي يتطلبها الواقع المعاصر بحكم تسارع المستجدات في ضوء الانفتاح العالمي.

المبحث الثالث

واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل المهني الدعوي

تمهيد:

يستلزم الإعداد والتأهيل الدعوي التأهيل المهني الدعوي، الذي يقوم على تطوير قدرات الداعية المهنية الدعوية؛ بما يسهم في تنمية الحس الدعوي، و يمكن من الاستجابة لطبيعة العمل الدعوي؛ التي تقتضي استشراف الحاجات الدعوية الملحة للمدعوين، واتخاذ القرارات المناسبة فيما يتعلق بالوسائل والأساليب والمضامين الدعوية؛ وذلك من خلال تقديم معلومات نظرية وممارسة تدريبات تطبيقية في ضوء مناهج متخصصة في هذا الجانب؛ لذا تتأكد حاجة الداعية لاكتساب المهارات الأساسية في هذا المجال(١) عند وضع المقررات المعتمدة لأي برنامج تأهيلي دعوي.

ويتم في المبحث الحالي عرض نتائج استقصاء آراء عضوات هيئة التدريس والخريجات بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى تجاه اكتساب خريجات القسم لمهارات التأهيل المهني الدعوي، وفق المطالب التالية:

(١) تم اعتماد مهارات التأهيل المهني الدعوي، وفق ما توصلت له دراسة: مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم، ص٨٨، مرجع سابق.

المطلب الأول: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس:

بينت الدراسة الميدانية جوانب قوة تطبيق قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لمهارات التأهيل المهني الدعوي، وجوانب الضعف من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بالقسم، وهو ما يتضح من الجدول التالي:

جدول رقم (١٦)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
١	الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي.	ك	٣	٤	٥	٤	٠	٣.٣٧	١.٠٨	٦٧.٤	٣
		%	١٨.٨	٢٥	٣١.٣	٢٥	٠				
٢	التحلي بصفات الداعية.	ك	٢	٥	٤	٤	١	٣.١٨	١.١٦	٦٣.٦	٦م
		%	١٢.٥	٣١.٣	٢٥	٢٥	٦.٣				
٣	القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين.	ك	٢	٥	٢	٧	٠	٣.١٢	١.١٤	٦٢.٤	١٠
		%	١٢.٥	٣١.٣	١٢.٥	٤٣.٨	٠				
٤	القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه.	ك	٢	٤	٥	٥	٠	٣.١٨	١.٠٤	٦٣.٦	٦م
		%	١٢.٥	٢٥	٣١.٣	٣١.٣	٠				
٥	ممارسة	ك	٢	٣	٥	٥	١	٣	١.١٥	٦٠	١٢

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	الدعوة في مختلف الميادين.	%	١٢.٥	١٨.٨	٣١.٣	٣١.٣	٦.٣				
٦	القدرة على التخطيط الدعوي.	ك	٢	٢	٤	٣	٥	٢.٥٦	١.٤١	٥١.٢	١٦
		%	١٢.٥	١٢.٥	٢٥	١٨.٨	٣١.٣				
٧	إتقان فن الإلقاء والخطابة.	ك	٢	٤	٦	٤	٠	٣.٢٥	١	٦٥	٥
		%	١٢.٥	٢٥	٣٧.٥	٢٥	٠				
٨	إتقان فن الحوار وأدب الجدل.	ك	٢	٢	٥	٦	١	٢.٨٧	١.١٤	٥٧.٤	١٣
		%	١٢.٥	١٢.٥	٣١.٣	٣٧.٥	٦.٣				
٩	إتقان فن الإقناع والتأثير.	ك	٢	٣	٥	٦	٠	٣.٠٦	١.٠٦	٦١.٢	١١
		%	١٢.٥	١٨.٨	٣١.٣	٣٧.٥	٠				
١٠	الاستدلال بالآيات و الأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى.	ك	٢	٦	٤	١	٣	٣.١٨	١.٣٢	٦٣.٦	٦م
		%	١٢.٥	٣٧.٥	٢٥	٦.٣	١٨.٨				
١١	التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية.	ك	٣	١	٤	٣	٥	٢.٦٢	١.٥٠	٥٢.٤	١٥
		%	١٨.٨	٦.٣	٢٥	١٨.٨	٣١.٣				
١٢	كتابة المقالات والنشرات الدعوية.	ك	٢	٣	٢	٧	٢	٢.٧٥	١.٢٩	٥٥	١٤
		%	١٢.٥	١٨.٨	١٢.٥	٤٣.٨	١٢.٥				

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
١٣	التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي.	ك	١	١	١	٢	٣	٢.٣٧	١.٥٠	٤٧.٤	١٧
		%	١٢.٥	١٢.٥	١٢.٥	٢٥	٣٧.٥				
١٤	الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله- عز وجل-.	ك	٣	٤	٣	٥	١	٣.١٨	١.٢٧	٦٣.٦	٦م
		%	١٨.٨	٢٥	١٨.٨	٣١.٣	٦.٣				
١٥	استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله — عز وجل-.	ك	٤	٤	٤	٤	٠	٣.٥٠	١.١٥	٧٠	٢
		%	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٠				
١٦	التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي.	ك	٣	٥	٧	١	٠	٣.٦٢	٠.٨٨٥	٧٢.٤	١
		%	١٨.٨	٣١.٣	٤٣.٨	٦.٣	٠				
١٧	المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة.	ك	٣	٣	٥	٥	٠	٣.٢٨	١.١٢	٦٥.٦	٤
		%	١٨.٨	١٨.٨	٣١.٣	٣١.٣	٠				
المتوسط الحسابي العام = ٢.٩٩، الانحراف المعياري العام = ١.٠٠٢، ونسبة موافقة = ٥٩.٨%											

لقد جاء الترتيب التنازلي لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي، التي اكتسبتها الخريجة أثناء الدراسة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بالقسم على النحو الآتي:

١. التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي، بمتوسط حسابي قدره (٣.٦٢)، ونسبة موافقة (٧٢.٤) بالمئة.

٢. استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٣.٥٠)، ونسبة موافقة (٧٠) بالمئة.

٣. الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي، بمتوسط حسابي قدره (٣.٣٧)، ونسبة موافقة (٦٧.٤) بالمئة.

٤. المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٢٨)، ونسبة موافقة (٦٥.٦) بالمئة.

٥. إتقان فن الإلقاء والخطابة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٢٥)، ونسبة موافقة (٦٥) بالمئة.

٦. التحلي بصفات الداعية، بمتوسط حسابي قدره (٣.١٨)، ونسبة موافقة (٦٣.٦) بالمئة.

٧. القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه، بمتوسط حسابي قدره (٣.١٨)، ونسبة موافقة (٦٣.٦) بالمئة.

٨. الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٣.١٨)، ونسبة موافقة (٦٣.٦) بالمئة.

٩. الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٣.١٨)، ونسبة موافقة (٦٣.٦) بالمئة.

١٠. القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين، بمتوسط حسابي قدره (٣.١٢)، ونسبة موافقة (٦٢.٤) بالمئة.

١١. إتقان فن الإقناع والتأثير، بمتوسط حسابي قدره (٣.٠٦)، ونسبة موافقة (٦١.٢) بالمئة.

١٢. ممارسة الدعوة في مختلف الميادين، بمتوسط حسابي قدره (٣)، ونسبة موافقة (٦٠) بالمئة.

١٣. إتقان فن الحوار وأدب الجدل، بمتوسط حسابي قدره (٢.٨٧)، ونسبة موافقة (٥٧.٤) بالمئة.

١٤. كتابة المقالات والنشرات الدعوية، بمتوسط حسابي قدره (٢.٧٥)، ونسبة موافقة (٥٥) بالمئة.

١٥. التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية، بمتوسط حسابي قدره (١.٥٠)، ونسبة موافقة (٥٢.٤) بالمئة.

١٦. القدرة على التخطيط الدعوي، بمتوسط حسابي قدره (٢.٥٦)، ونسبة موافقة (٥١.٢) بالمئة.

١٧. التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي، بمتوسط حسابي قدره (٢.٣٧)، ونسبة موافقة (٤٧.٤) بالمئة.

وبتحليل نتائج الجدول رقم (١٦) تبين التالي:

- تدني المتوسط العام ونسبة الموافقة العامة لمهارات مجال التأهيل المهني الدعوي التي اكتسبتها الخريجات؛ حيث بلغا على التوالي (٢.٩٩)، (٥٩.٨) بالمئة؛ وفقاً لإجابة عينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس، وتجاوزت كافة المهارات حد المنتصف بنسب منخفضة، عدا مهارة واحدة فقط – التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في

العمل الدعوي - عُدت من جوانب الضعف؛ وهو ما يشير إلى تدني مستوى القسم في تأهيل خريجاته دعوياً في المجال المهني الدعوي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس.

- تقدُّم مهارتي: (التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي، استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى) على بقية مهارات مجال التأهيل المهني الدعوي؛ إذ جاءتا في المرتبتين الأولى والثانية، بنسبة موافقة بلغتا (٧٢.٤، ٧٠) بالمئة، وهو ما يشير إلى اهتمام القسم بتنمية مهارة العمل الجماعي لدى الخريجات، وتفعيل الدعوة إلى الله تعالى عبر وسائل التقنية الحديثة.
- الحاجة إلى التركيز على مهارات: (الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي، المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة، إتقان فن الإلقاء والخطابة، التحلي بصفات الداعية، القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه، الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى، الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله تعالى، القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين، إتقان فن الإقناع والتأثير، ممارسة الدعوة في مختلف الميادين)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة تتراوح ما بين (٦٧.٤- ٦٠) بالمئة؛ وذلك لأهميتها واعتبارها من المرتكزات الهامة في التأهل للعمل الدعوي، خاصة ما يتعلق بالرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي.
- تدني مهارات: (إتقان فن الحوار وأدب الجدل، كتابة المقالات والنشرات الدعوية، التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية، القدرة على التخطيط الدعوي) بصورة كبيرة، إذ جاءت بنسب موافقة منخفضة

جداً قريبة من المنتصف، تتراوح ما بين (٥٧.٤- ٥١.٢) بالمئة؛ مما يكشف الحاجة الشديدة لعناية القسم بجانب تأهيل الخريجين في تلك المهارات، التي تُعد من الاحتياجات الدعوية.

- ضعف مهارة: (التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي)، إذ جاءت بنسبة موافقة (٤٧.٤) بالمئة فقط؛ الأمر الذي يستلزم التقويم لهذه المهارة، سيما للراغبين في دعوة غير الناطقين باللغة العربية.

المطلب الثاني: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر الخريجات:

كشفت الدراسة الميدانية جوانب قوة تطبيق قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لمهارات التأهيل المهني الدعوي، وجوانب الضعف من وجهة نظر خريجات القسم، وهو ما يتضح من الجدول الآتي:

جدول رقم (١٧)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني من وجهة نظر الخريجات

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
١	الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي.	ك	٦٥	٥٨	٢٤	٩	٢	٤.١١	٠.٩٤٨	٨٢.٢	٦
		%	٤١.١	٣٦.٧	١٥.٢	٥.٧	١.٣				
٢	التحلي بصفات الداعية.	ك	٦٩	٥١	٣١	٦	١	٤.١٥	٠.٩٠٩	٨٣	٥
		%	٤٣.٧	٣٢.٣	١٩.٦	٣.٨	٠.٦				
٣	القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين.	ك	٥٧	٥٢	٣٦	١٢	١	٣.٩٦	٠.٩٧٧	٧٩.٢	٩
		%	٣٦.١	٣٢.٩	٢٢.٨	٧.٦	٠.٦				
٤	القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه.	ك	٥٩	٤٧	٤٩	٢	١	٤.٠٢	٠.٨٩٢	٨٠.٤	٧
		%	٣٧.٣	٢٩.٧	٣١	١.٣	٠.٦				

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
٥	ممارسة الدعوة في مختلف الميادين.	ك	٥٢	٤٧	٣٧	١٨	٤	٣.٧٩	١.١٠	٧٥.٨	١٣
		%	٣٢.٩	٢٩.٧	٢٣.٤	١١.٤	٢.٥				
٦	القدرة على التخطيط الدعوي.	ك	٥٤	٤٩	٣٩	١٤	٢	٣.٨٨	١.٠٢	٧٧.٦	١٢
		%	٣٤.٢	٣١	٢٤.٧	٨.٩	١.٣				
٧	إتقان فن الإلقاء والخطابة.	ك	٥٩	٤٤	٣٨	١٣	٤	٣.٨٩	١.٠٨	٧٧.٨	١٠ م
		%	٣٧.٣	٢٧.٨	٢٤.١	٨.٢	٢.٥				
٨	إتقان فن الحوار وأدب الجدل.	ك	٥٦	٤٤	٤٥	١٠	٣	٣.٨٩	١.٠٢	٧٧.٨	١٠ م
		%	٣٥.٤	٢٧.٨	٢٨.٥	٦.٣	١.٩				
٩	إتقان فن الإقناع والتأثير.	ك	٤٩	٤٥	٤٨	١٢	٤	٣.٧٨	١.٠٥	٧٥.٦	١٤
		%	٣١	٢٨.٥	٣٠.٤	٧.٦	٢.٥				
١٠	الاستدلال بالآيات و الأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله.	ك	٧٦	٤٣	٣٢	٦	١	٤.١٨	٠.٩٣٠	٨٣.٦	٤
		%	٤٨.١	٢٧.٢	٢٠.٣	٣.٨	٠.٦				
١١	التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية.	ك	٤٤	٤٨	٥٠	١١	٥	٣.٧٣	١.٠٤	٧٤.٦	١٥
		%	٢٧.٨	٣٠.٤	٣١.٦	٧	٣.٢				
١٢	كتابة المقالات والنشرات	ك	٣٦	٤١	٥٥	٢٢	٤	٣.٥٣	١.٠٦	٧٠.٦	١٦
		%	٢٢.٨	٢٥.٩	٣٤.٨	١٣.٩	٢.٥				

م	المهارة		درجة الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة	الترتيب
			موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق مطلقاً				
	الدعوية.										
١٣	التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي.	ك	١٢	١٦	١٨	١٠	١٥	٣	١.٣٨	٦٠	١٧
		%	١٦.٩	٢٢.٥	٢٥.٤	١٤.١	٢١.١				
١٤	الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله- عز وجل-.	ك	٨٢	٤٢	٢٦	٥	٣	٤.٢٣	٠.٩٦٥	٨٤.٦	٢
		%	٥١.٩	٢٦.٦	١٦.٥	٣.٢	١.٩				
١٥	استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله — عز وجل-.	ك	٨٩	٥٠	١٤	٤	١	٤.٤١	٠.٨٠٦	٨٨.٢	١
		%	٥٦.٣	٣١.٦	٨.٩	٢.٥	٠.٦				
١٦	التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي.	ك	٦٩	٥٩	٢٣	٥	٢	٤.١٩	٠.٨٩٠	٨٣.٨	٣
		%	٤٣.٧	٣٧.٣	١٤.٦	٣.٢	١.٣				
١٧	المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة.	ك	٥٣	٦٣	٣٢	٨	٢	٣.٩٩	٠.٩٢٧	٧٩.٨	٨
		%	٣٣.٥	٣٩.٩	٢٠.٣	٥.١	١.٣				
المتوسط الحسابي العام = ٣.٨٢، الانحراف المعياري العام = ٠.٧٢١، ونسبة موافقة = ٧٦.٤%											

لقد جاء الترتيب التنازلي لمهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي، التي اكتسبتها الخريجة أثناء الدراسة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من وجهة نظر خريجات القسم على النحو التالي:

١. استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٤.٤١)، ونسبة موافقة (٨٨.٢) بالمئة.
٢. الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٤.٢٣)، ونسبة موافقة (٨٤.٦) بالمئة.
٣. التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي، بمتوسط حسابي قدره (٤.١٩)، ونسبة موافقة (٨٣.٨) بالمئة.
٤. الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى، بمتوسط حسابي قدره (٤.١٨)، ونسبة موافقة (٨٣.٦) بالمئة.
٥. التحلي بصفات الداعية، بمتوسط حسابي قدره (٤.١٥)، ونسبة موافقة (٨٣) بالمئة.
٦. الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي، بمتوسط حسابي قدره (٤.١١)، ونسبة موافقة (٨٢.٢) بالمئة.
٧. القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه، بمتوسط حسابي قدره (٤.٠٢)، ونسبة موافقة (٨٠.٤) بالمئة.
٨. المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٩)، ونسبة موافقة (٧٩.٨) بالمئة.
٩. القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين، بمتوسط حسابي قدره (٣.٩٦)، ونسبة موافقة (٧٩.٢) بالمئة.
١٠. إتقان فن الإلقاء والخطابة، بمتوسط حسابي قدره (٣.٨٩)، ونسبة موافقة (٧٧.٨) بالمئة.

١١. إتقان فن الحوار وأدب الجدل، بمتوسط حسابي قدره (٣.٨٩)، ونسبة موافقة (٧٧.٨) بالمئة.

١٢. القدرة على التخطيط الدعوي، بمتوسط حسابي قدره (٣.٨٨)، ونسبة موافقة (٧٧.٦) بالمئة.

١٣. ممارسة الدعوة في مختلف الميادين، بمتوسط حسابي قدره (٣.٧٩)، ونسبة موافقة (٧٥.٨) بالمئة.

١٤. إتقان فن الإقناع والتأثير، بمتوسط حسابي قدره (٣.٧٨)، ونسبة موافقة (٧٥.٦) بالمئة.

١٥. التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية، بمتوسط حسابي قدره (٣.٧٣)، ونسبة موافقة (٧٤.٦) بالمئة.

١٦. كتابة المقالات والنشرات الدعوية، بمتوسط حسابي قدره (٣.٥٣)، ونسبة موافقة (٧٠.٦) بالمئة.

١٧. التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي، بمتوسط حسابي قدره (٣)، ونسبة موافقة (٦٠) بالمئة.

وبتحليل نتائج الجدول رقم (١٧) تبين التالي:

- انخفاض المتوسط العام ونسبة الموافقة العامة نوعاً ما لمهارات مجال التأهيل المهني الدعوي التي اكتسبتها الخريجات مقارنة ببقية المجالات؛ حيث بلغا على التوالي (٣.٨٢)، (٧٦.٤) بالمئة؛ وفقاً لإجابة عينة الدراسة من الخريجات، كما تجاوزت كافة المهارات حد المنتصف؛ مع وجود تباين واضح بين رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات في مدى اكتساب عدد من المهارات؛ ففي الوقت التي ترى فيها عضوات هيئة التدريس عدم تمكن الخريجات من تلك المهارة تؤكد الخريجات اكتسابهن لها، مثل: (الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى)، مع وجود اتفاق بين الرأيين في

تدني اكتساب عدد من المهارات مثل: (التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية، كتابة المقالات والنشرات الدعوية، التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي).

- تقدُّم مهارة: (استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى) على بقية مهارات مجال التأهيل المهني الدعوي؛ إذ جاءت في المرتبة الأولى، بنسبة موافقة بلغت (٨٨.٢) بالمئة، وهو ما يشير إلى اهتمام القسم بتنمية مهارة تفعيل الدعوة إلى الله تعالى عبر وسائل التقنية الحديثة، الأمر الذي اتفق عليه رأيي أفراد العينة من عضوات هيئة التدريس والخريجات.
- اكتساب الخريجات لمهارات: (الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله تعالى، التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي، الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى، التحلي بصفات الداعية، الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي، القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة تراوحت ما بين (٨٤.٦- ٨٠.٤) بالمئة؛ مما يعكس استشعار الخريجات اكتسابهن تلك المهارات الأساسية في مجال التأهيل المهني الدعوي.
- الحاجة إلى التركيز على مهارات: (المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة، القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين، إتقان فن الإلقاء والخطابة، إتقان فن الحوار وأدب الجدل، القدرة على التخطيط الدعوي، ممارسة الدعوة في مختلف الميادين، إتقان فن الإقناع والتأثير، التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية، كتابة المقالات

والنشرات الدعوية)؛ حيث جاءت بنسبة موافقة تتراوح ما بين (٧٩.٨- ٧٠.٦) بالمئة؛ وذلك لأهميتها واعتبارها من المرتكزات الهامة في التأهل للعمل الدعوي.

- تدني مهارة: (التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي)؛ إذ جاءت بنسبة موافقة (٦٠) بالمئة؛ مما يكشف الحاجة الشديدة لعناية القسم بجانب تأهيل الخريجين في تلك المهارة، خاصة الراغبين في دعوة غير الناطقين باللغة العربية.

الخلاصـــة:

من خلال استعراض الطرح السابق للمباحث الثلاثة من الفصل الثالث بمطالبه يمكننا أن نستخلص عدداً من النتائج المستقاة من مقارنة نتائج الدراسة الميدانية الحالية والدراسة الميدانية المطبقة على خريجات قسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من وجهة نظر كل من: عضوات هيئة التدريس، والخريجات، من خلال عرض عدد من الجداول التي توضح التباين في وجهات النظر، وذلك على النحو التالي:

أولاً: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي:

١. واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس:

جدول رقم (١٨)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال البناء المعرفي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بجامعتي الإمام وأم القرى

م	المهارة	جامعة الإمام			جامعة أم القرى		
		المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب	المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب
١	معرفة أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها.	٤.٥٠	٩٠	١	٤.٠٦	٨١.٢	٣م
٢	وضوح أهداف ومقاصد الدعوة.	٣.٧٥	٧٥	١١	٣.٩٣	٧٨.٦	٥م
٣	معرفة ضوابط الدعوة.	٣.٩٠	٧٨	٨	٣.٦٨	٧٣.٦	٨م
٤	معرفة أصناف المدعوين.	٤.١٠	٨٢	٦م	٤.٠٦	٨١.٢	٣م
٥	معرفة وسائل الدعوة.	٤.١٠	٨٢	٦م	٤.١٢	٨٢.٤	١
٦	معرفة أساليب الدعوة.	٤.٢٦	٨٥.٢	٢	٤.٠٦	٨١.٢	٢

م	المهارة	جامعة الإمام			جامعة أم القرى		
		المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب	المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب
٧	الإلمام بموضوعات الدعوة.	٤.٢٠	٨٤	٤	٣.٦٨	٧٣.٦	٨م
٨	معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها.	٤.٢١	٨٤.٢	٣	٣.٥٠	٧٠	١٠
٩	وضوح مناهج الدعوة.	٣.٨٩	٧٧.٨	٩	٣.٤٣	٦٨.٦	١١
١٠	معرفة خصائص الدعوة الإسلامية.	٤.١٥	٨٣	٥	٣.٨١	٧٦.٢	٧
١١	معرفة تاريخ الدعوة.	٣.٨٤	٧٦.٨	١٠	٣.٩٣	٧٨.٦	٥م
١٢	التأهيل العلمي الشرعي.	٣.٦٠	٧٢	١٣	٣.٣٧	٦٧.٤	١٢م
١٣	الإلمام بالثقافة الإسلامية.	٣.٧٠	٧٤	١٢	٣.٣٧	٦٧.٤	١٢م
١٤	الإلمام بقواعد اللغة العربية.	٣.١٠	٦٢	١٤	٢.٣٧	٤٧.٤	١٥
١٥	الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية.	٢.٦٧	٥٣.٤	١٥	٢.٧٧	٥٥.٤	١٤

١. وجود تقارب في تحصيل خريجات قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وخريجات قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى لمهارات الإعداد الدعوي في مجال البناء المعرفي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس، عدا مهارتي: (معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها، الإلمام بقواعد اللغة العربية)، إذ تدنت نسبة الموافقة على تمكن خريجات جامعة أم القرى من تلك المهارتين؛ وهو ما اتضح من مقارنة نسبة الموافقة لكل مهارة بين الجامعتين، الأمر

الذي يفتح المجال لتبادل الخبرة بين الجامعتين لتحسين التأهيل والارتقاء به.

٢. تقدُّم مهارات: (معرفة أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها، معرفة أصناف المدعوين، معرفة وسائل الدعوة، معرفة أساليب الدعوة) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال البناء المعرفي أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر عينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس؛ وهو ما يكشف النجاح في تأهيل الخريجات معرفياً في تلك المهارات الأساسية.

٣. تأخر مهارة: (الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال البناء المعرفي أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية في بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر عينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس؛ وهو ما يؤكد الحاجة إلى توحيد الجهود لمعالجة الضعف في ذلك، خاصة في ضوء الحاجة الماسة لوجود دعاة متمكنين من دعوة غير الناطقين باللغة العربية.

٢. واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال البناء المعرفي من وجهة نظر الخريجات:

جدول رقم (١٩)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال البناء المعرفي

من وجهة نظر الخريجات بجامعتي الإمام وأم القرى

م	المهارة	جامعة الإمام			جامعة أم القرى		
		المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب	المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب
١	معرفة أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها.	٤.٨٤	٩٦.٨	١	٤.٧٣	٩٤.٦	١
٢	وضوح أهداف ومقاصد الدعوة.	٤.٥٣	٩٠.٦	٢	٤.٥٣	٩٠.٦	٣
٣	معرفة ضوابط الدعوة.	٤.٣٥	٨٧	٦	٤.٣٩	٨٧.٨	٦
٤	معرفة أصناف المدعوين.	٤.٤١	٨٨.٢	٥	٤.٤٠	٨٨	٥
٥	معرفة وسائل الدعوة.	٤.٤٥	٨٩	٤	٤.٤٩	٨٩.٨	٤
٦	معرفة أساليب الدعوة.	٤.٤٧	٨٩.٤	٣	٤.٥٤	٩٠.٨	٢
٧	الإلمام بموضوعات الدعوة.	٤.٠٧	٨١.٤	٩م	٤.٠٨	٨١.٦	١٠
٨	معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها.	٤.٣٢	٨٦.٤	٧	٣.٩٣	٧٨.٦	١٣
٩	وضوح مناهج الدعوة.	٤.٠٧	٨١.٤	٩م	٤.١٧	٨٣.٤	٩
١٠	معرفة خصائص الدعوة الإسلامية.	٤.٢٥	٨٥	٨	٤.٣٥	٨٧	٧
١١	معرفة تاريخ الدعوة.	٣.٩٨	٧٩.٦	١١	٤.٠٤	٨٠.٨	١١
١٢	التأهيل العلمي الشرعي.	٣.٥٧	٧١.٤	١٣	٣.٦٩	٧٣.٨	١٢
١٣	الإلمام بالثقافة الإسلامية.	٣.٩١	٧٨.٢	١٢	٤.٢٢	٨٤.٤	٨
١٤	الإلمام بقواعد اللغة العربية.	٣.٢٣	٦٤.٦	١٤	٣.٦٩	٧٣.٨	١٤
١٥	الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية.	٢.٠٠	٤٠	١٥	٣.١٣	٦٢.٦	١٥

١. وجود تقارب في تحصيل خريجات قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وخريجات قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى لمهارات الإعداد الدعوي في مجال البناء المعرفي من وجهة نظر الخريجات، عدا مهارة: (معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها)، إذ تدنت نسبة الموافقة على تمكن خريجات جامعة أم القرى من تلك المهارة، في حين تدنت نسبة الموافقة على تمكن خريجات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من مهارتي: (الإلمام بقواعد اللغة العربية، الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية) ؛ وهو ما يظهر توافق رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات في جامعة أم القرى للحاجة في بذل الجهد لتحسين مهارة: (معرفة ميادين الدعوة ومجالاتها)، في حين يتضح تباين وجهة نظر عضوات هيئة التدريس والخريجات في جامعة الإمام في جانب التمكن من مهارة: (الإلمام بقواعد اللغة العربية).

٢. تقدُّم مهارات: (معرفة أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها، وضوح أهداف ومقاصد الدعوة، معرفة ضوابط الدعوة، معرفة أصناف المدعوين، معرفة وسائل الدعوة، معرفة أساليب الدعوة، الإلمام بموضوعات الدعوة، وضوح مناهج الدعوة، معرفة خصائص الدعوة الإسلامية) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال البناء المعرفي أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر

عينة الدراسة من الخريجات؛ وهو ما يكشف النجاح في تأهيل الخريجات معرفياً في تلك المهارات الأساسية.

٣. تأخر مهارة: (الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال البناء المعرفي أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر عينة الدراسة من الخريجات؛ وهو ما يعكس الحاجة إلى بذل الجهد لمعالجة ذلك الضعف.

ثانياً: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل الفكري:

١. واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل الفكري من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس:

جدول رقم (٢٠)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بجامعتي الإمام وأم القرى

م	المهارة	جامعة الإمام			جامعة أم القرى		
		المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب	المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب
١	استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى.	٤.١١	٨٢.٢	١	٣.٦٨	٧٣.٦	١م
٢	التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وميادينها.	٣.٨٥	٧٧	٣م	٣.٥٠	٧٠	٧
٣	فقه الدعوة بالقرآن الكريم.	٣.٨٥	٧٧	٣م	٣.٣٧	٦٧.٤	٨
٤	فقه الدعوة بالسنة النبوية.	٣.٨٥	٧٧	٣م	٣.٥٦	٧١.٢	٤م
٥	استنباط الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة.	٣.٧٥	٧٥	٦	٣.٥٦	٧١.٢	٤م
٦	فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة (الحجاب، الاختلاط، المساواة، القوامة، الغزو الفكري،..).	٣.٥٥	٧١	٨	٣.٥٦	٧١.٢	٤م
٧	استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها.	٣.٤٠	٦٨	٩	٣.٠٦	٦١.٢	٩
٨	التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة.	٣.٨٩	٧٧.٨	٢	٣.٦٨	٧٣.٦	١م
٩	التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر المنحرف.	٣.٧٠	٧٤	٧	٣.٦٢	٧٢.٤	٣

١. وجود تقارب في تحصيل خريجات قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وخريجات قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى لمهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس، عدا مهارتي: (استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى، فقه الدعوة بالقرآن الكريم)، إذ تدنت نسبة الموافقة على تمكن خريجات جامعة أم القرى من تلك المهارتين؛ وهو ما اتضح من مقارنة نسبة الموافقة لكل مهارة بين الجامعتين، الأمر الذي يفتح المجال لتبادل الخبرة بين الجامعتين لتحسين التأهيل والارتقاء به.

٢. حاجة كافة مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري للتعزيز في كلا الجامعتين من وجهة نظر عضوات التدريس؛ إذ لا توجد مهارة تتفق الجامعتين في تقدّم تأهل الخريجات لها، عدا مهارة واحدة فقط تقدمت خريجات جامعة الإمام فيها نوعاً ما: (استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى)، وهو ما يؤكد الحاجة للعناية بجانب التأهيل الفكري الدعوي لخريجي الأقسام الدعوية.

٣. تأخر مهارة: (استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل الفكري أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية في بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر عينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس؛ وهو ما يوضح الحاجة إلى توحيد الجهود لمعالجة الضعف في ذلك، خاصة في ضوء التسارع في تجدد القضايا المعاصرة والحاجة الماسة لاستيعابها، وفقه التعامل معها.

٢. واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل الفكري من وجهة نظر الخريجات:

جدول رقم (٢١)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري من وجهة نظر الخريجات بجامعتي الإمام وأم القرى

م	المهارة	جامعة الإمام			جامعة أم القرى		
		المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب	المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب
١	استشعار أهمية دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى.	٤.٤٣	٨٨.٦	٣	٤.٣٩	٨٧.٨	٣
٢	التمييز بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وميادينها.	٤.٠٨	٨١.٦	٧	٤.٢٥	٨٥	٨
٣	فقه الدعوة بالقرآن الكريم.	٤.١٣	٨٢.٦	٦	٤.٣٢	٨٦.٥	٥
٤	فقه الدعوة بالسنة النبوية.	٤.٢٢	٨٤.٤	٥	٤.٣٤	٨٦.٨	٤
٥	استنباط الفقه الدعوي من دعوة الرسل والدعاة.	٤.٢٧	٨٥.٤	٤	٤.٢٧	٨٥.٤	٦م
٦	فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة (الحجاب، الاختلاط، المساواة، القوامة، الغزو الفكري،..).	٣.٩٦	٧٩.٢	٨	٤.٢٧	٨٥.٤	٦م
٧	استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها.	٣.٥٢	٧٠.٤	٩	٣.٩٦	٧٩.٢	٩
٨	التفريق بين العقيدة الصحيحة والعقائد الباطلة.	٤.٥٤	٩٠.٨	١	٤.٤٩	٨٩.٨	١
٩	التفريق بين الفكر الإسلامي الصحيح والفكر المنحرف.	٤.٥١	٩٠.٢	٢	٤.٤٨	٨٩.٦	٢

١. وجود تقارب في تحصيل خريجات قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وخريجات قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى لمهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري من وجهة نظر الخريجات، عدا مهارة: (فقه الموضوعات الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة)، إذ تدنت نسبة الموافقة على تمكن خريجات جامعة الإمام من تلك المهارة؛ وهو ما اتضح من مقارنة نسبة الموافقة لكل مهارة بين الجامعتين، الأمر الذي يفتح المجال لتبادل الخبرة بين الجامعتين لتحسين التأهيل والارتقاء به.

٢. تقدّم كافة مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل الفكري في كلا الجامعتين من وجهة نظر الخريجات، عدا مهارة واحدة فقط تدنت نوعاً ما: (استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها)، وهو ما يظهر التباين الواضح بين وجهة نظر عضوات هيئة التدريس والخريجات.

٣. اتفاق رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات في تأخر مهارة: (استيعاب القضايا المعاصرة وكيفية مواجهتها)، وهو ما يعكس الحاجة إلى توحيد الجهود لمعالجة الضعف في ذلك، لا سيما وأن تلك المهارة تُعد من الأساسيات في التأهيل الفكري الدعوي.

ثالثاً: واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل المهني الدعوي:

١. واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس:

جدول رقم (٢٢)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس بجامعتي الإمام وأم القرى

م	المهارة	جامعة الإمام			جامعة أم القرى		
		المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب	المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب
١	الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي.	٣.٥٥	٧١	٣	٣.٣٧	٦٧.٤	٣
٢	التحلي بصفات الداعية.	٣.٥٣	٧٠.٦	٥	٣.١٨	٦٣.٦	٦م
٣	القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين.	٣.٦٠	٧٢	٢	٣.١٢	٦٢.٤	١٠
٤	القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه.	٣.٥٠	٧٠	٦	٣.١٨	٦٣.٦	٦م
٥	ممارسة الدعوة في مختلف الميادين.	٣.٢٥	٦٥	١٣	٣	٦٠	١٢
٦	القدرة على التخطيط الدعوي.	٣.١٦	٦٣.٢	١٥	٢.٥٦	٥١.٢	١٦
٧	إتقان فن الإلقاء والخطابة.	٣.٤٠	٦٨	٩	٣.٢٥	٦٥	٤
٨	إتقان فن الحوار وأدب الجدل.	٣.٣٠	٦٦	١٠م	٢.٨٧	٥٧.٤	١٣
٩	إتقان فن الإقناع والتأثير.	٣.١٠	٦٢	١٦	٣.٠٦	٦١.٢	١١

١٠	الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى.	٤.٠٥	٨١	١	٣.١٨	٦٣.٤	٩
١١	التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية.	٣.٣٠	٦٦	١٠م	٢.٦٢	٥٢.٤	١٥
١٢	كتابة المقالات والنشرات الدعوية.	٣.٢٠	٦٤	١٤	٢.٧٥	٥٥	١٤
١٣	التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي.	٢.٦٠	٥٢	١٧	٢.٣٧	٤٧.٤	١٧
١٤	الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله عز وجل.	٣.٣٠	٦٦	١٠م	٣.١٨	٦٣.٦	٦م
١٥	استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله عز وجل.	٣.٥٥	٧١	٣	٣.٥٠	٧٠	٢
١٦	التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي.	٣.٤٥	٦٩	٧م	٣.٦٢	٧٢.٤	١
١٧	المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة.	٣.٤٥	٦٩	٧م	٣.٢٨	٦٥.٦	٥

١. وجود تقارب في تحصيل خريجات قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وخريجات قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى لمهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس، عدا مهارات: (القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين، القدرة على التخطيط الدعوي، إتقان فن الحوار وأدب الجدل، الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى، التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية، كتابة المقالات والنشرات الدعوية)، إذ تدنت نسبة

الموافقة على تمكن خريجات جامعة أم القرى من تلك المهارات بصورة واضحة؛ وهو ما اتضح من مقارنة نسبة الموافقة لكل مهارة بين الجامعتين، الأمر الذي يفتح المجال لتبادل الخبرة بين الجامعتين لتحسين التأهيل والارتقاء به.

٢. حاجة كافة مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي للتعزيز في كلا الجامعتين من وجهة نظر عضوات التدريس؛ إذ لا توجد مهارة تتفق الجامعتين في تقدّم تأهل الخريجات لها، عدا مهارة واحدة فقط تقدمت خريجات جامعة الإمام فيها نوعاً ما: (الاستدلال بالآيات والأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى)، وهو ما يؤكد الحاجة للعناية بجانب التأهيل المهني الدعوي لخريجي الأقسام الدعوية.

٣. تأخر مهارات: (التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي، القدرة على التخطيط الدعوي، التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية، كتابة المقالات والنشرات الدعوية، إتقان فن الحوار وأدب الجدل) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية في بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر عينة الدراسة من عضوات هيئة التدريس؛ وهو ما يؤكد الحاجة إلى توحيد الجهود لمعالجة الضعف في ذلك، خاصة في ضوء الحاجة الماسة لوجود دعاة يمتلكون مهارات نوعية دعوية في التطبيق العملي.

٢. واقع التطبيقات العملية فيما يتعلق بمجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر الخريجات:

جدول رقم (٢٣)

يوضح مهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر الخريجات بجامعتي الإمام وأم القرى

م	المهارة	جامعة الإمام			جامعة أم القرى		
		المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب	المتوسط الحسابي	نسبة الموافقة	الترتيب
١	الرغبة الجادة والاستعداد للعمل الدعوي.	٣.٧٣	٧٤.٦	٧	٤.١١	٨٢.٢	٦
٢	التحلي بصفات الداعية.	٣.٨١	٧٦.٢	٥	٤.١٥	٨٣	٥
٣	القدرة على التعامل مع أصناف المدعوين.	٣.٦٥	٧٣	٨	٣.٩٦	٧٩.٢	٩
٤	القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه.	٣.٥٩	٧١.٨	٩	٤.٠٢	٨٠.٤	٧
٥	ممارسة الدعوة في مختلف الميادين.	٣.٤١	٦٨.٢	١٣م	٣.٧٩	٧٥.٨	١٣
٦	القدرة على التخطيط الدعوي.	٣.٢٣	٦٤.٦	١٥	٣.٨٨	٧٧.٦	١٢
٧	إتقان فن الإلقاء والخطابة.	٣.٧٤	٧٤.٨	٦	٣.٨٩	٧٧.٨	١٠م
٨	إتقان فن الحوار وأدب الجدل.	٣.٥٧	٧١.٤	١٠	٣.٨٩	٧٧.٨	١٠م

٩	إتقان فن الإقناع والتأثير.	٣.٤٩	٦٩.٨	١٢	٣.٧٨	٧٥.٦	١٤
١٠	الاستدلال بالآيات و الأحاديث المناسبة عند الدعوة إلى الله تعالى.	٣.٩٤	٧٨.٨	٢م	٤.١٨	٨٣.٦	٤
١١	التمكن من إجراء الأبحاث الدعوية.	٣.٤١	٦٨.٢	١٣م	٣.٧٣	٧٤.٦	١٥
١٢	كتابة المقالات والنشرات الدعوية.	٣.٠٦	٦١.٢	١٦	٣.٥٣	٧٠.٦	١٦
١٣	التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي.	١.٩٧	٣٩.٤	١٧	٣	٦٠	١٧
١٤	الاستفادة من وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله عز وجل.	٣.٨٦	٧٧.٢	٤	٤.٢٣	٨٤.٦	٢
١٥	استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله عز وجل.	٤.٠١	٨٠.٢	١	٤.٤١	٨٨.٢	١
١٦	التفاعل الإيجابي في العمل الدعوي الجماعي.	٣.٩٤	٧٨.٨	٢م	٤.١٩	٨٣.٨	٣
١٧	المبادرة بإقامة الأعمال الدعوية المناسبة.	٣.٥٦	٧١.٢	١١	٣.٩٩	٧٩.٨	٨

١. وجود تقارب في تحصيل خريجات قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وخريجات قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى لمهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر الخريجات، عدا مهارات: (القدرة على اختيار المنهج الدعوي المناسب، واستخدامه، القدرة على التخطيط الدعوي، كتابة المقالات والنشرات الدعوية، التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي)، إذ تدنت نسبة الموافقة على تمكن خريجات جامعة الإمام من تلك المهارات بصورة واضحة؛ وهو ما اتضح من مقارنة نسبة الموافقة لكل مهارة بين الجامعتين، الأمر الذي يفتح المجال لتبادل الخبرة بين الجامعتين لتحسين التأهيل والارتقاء به.

٢. تقدُّم مهارة: (استخدام التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر عينة الدراسة من الخريجات؛ وهو ما يكشف النجاح في تأهيل الخريجات مهنياً في تلك المهارة.

٣. تأخر مهارة: (التمكن من استخدام اللغة الإنجليزية في العمل الدعوي) وفقاً لنسبة الموافقة لاكتساب مهارات الإعداد التأهيلي الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي أثناء الدراسة في الأقسام الدعوية في بجامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأم القرى من وجهة نظر عينة الدراسة من الخريجات؛ وهو ما يؤكد الحاجة إلى توحيد الجهود لمعالجة الضعف في ذلك، خاصة في ضوء الحاجة الماسة لوجود دعاة

يمتلكون مهارات نوعية دعوية في التطبيق العملي.

٤. وجود تباين واضح في رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات في اكتساب مهارات التأهيل الفكري، والتأهيل المهني الدعوي، وهو ما يعكس أم المهارات التي يرى الخريجات أنهن اكتسبنها من الدراسة في القسم أو تعذر اتقانهن لها لم تكن واضحة في التقويم، وهو ما يستلزم منه إعادة آلية التقويم للخريجين لإمكانية توظيفه في خدمة التأهيل الدعوي.

الفصل الرابع

التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر

بناء على تطبيق (أسلوب دلفي)

"أصبح علم استشراف المستقبل اليوم من أهم العلوم الاستراتيجية للمؤسسات الكبيرة والدول التي تضع خططها المستقبلية بناء على قراءة لتطور أحوال الناس، والاهتمام بهذا العلم يزداد يوماً بعد يوم؛ حيث إن هذه الفعاليات هي بحق الحد الفاصل بين المؤسسات التي تبقى وتزدهر والأخرى التي تذوب وتندثر"(١)؛ ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتستشرف مستقبل إعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر في ضوء متطلبات الإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية سالفة الذكر في الفصلين الثاني والثالث؛ بقصد الارتقاء بجودة الأداء الدعوي.

وقد تم تطبيق أسلوب دلفي لأخذ آراء مجموعة من الخبراء في المجال الدعوي والأكاديمي في جولتين، ناقش الفصل الحالي نتائجها، وتوصل إلى تصور مقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، والذي يأتي إجابة للسؤال الرابع من الدراسة: "ما التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر؟"، وذلك من خلال المبحثين التاليين:

---

(١) "أهمية استشراف المستقبل"، د. غانم علوان الجميلي، ٢٤/رجب/١٤٣٢هـ-٢٦/يونيو/٢٠١١م)، العدد ١٥٧٠٧)، صحيفة الرياض.

المبحث الأول

تفسير نتائج (جولات دلفي)

تمهيد:

اعتمدت الدراسة الميدانية تطبيق أسلوب دلفي لاستشراف مستقبل إعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر؛ فتم تصميم استمارة للتصور المقترح بمراعاة متطلبات الإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية، بالاستفادة من الدراسة الميدانية في هذا الجانب، وذلك وفق المحاور التالية:

المحور الأول: صياغة رؤية، ورسالة، وأهداف التصور المقترح.

المحور الثاني: إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة ببناء البرنامج والإشراف عليه.

المحور الثالث: إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة بالإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية.

المحور الرابع: الصعوبات التي قد تواجه تنفيذ التصور المقترح، وسبل التغلب عليها.

وتم اختيار الخبراء في المجال الدعوي والأكاديمي بعناية بواقع (٨٠) خبيراً، استجاب منهم: (٢٦) خبيراً فقط، تم التواصل معهم إلكترونياً في جولتين(١)، شارك منهم: (٢٦) خبيراً في الجولة الأولى، و(١٧) خبيراً في الجولة الثانية(٢)؛ وذلك لظروف المشاركين، في ضوء حاجة الإجراء للمتابعة، والاستمرارية، وعصف الذهن، وبذل مزيد من الوقت والجهد؛ لتقديم رؤية قابلة للتطبيق والتنفيذ.

---

(١) ملحق رقم ٦)، ٧): نموذجي استمارات التصور المقترح في جولتيه الأولى والثانية.

(٢) ملحق رقم ٥): قائمة بأسماء الخبراء المشاركين في التصور المقترح، ص....

ويتم في المبحث الحالي عرض نتائج جولات التصور المقترح، من خلال ثلاثة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: نتائج الجولة الأولى وتفسيرها:

جاءت نتائج الجولة الأولى للتصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر موضحةً في جداول(١) على النحو التالي(٢):

المحور الأول: صياغة رؤية، ورسالة، وأهداف التصور المقترح.

جدول رقم (٢٤)

يوضح نتائج الجولة الأولى للمحور الأول: صياغة رؤية، ورسالة، وأهداف التصور المقترح

الصياغة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
رؤية التصور المقترح: تحقيق الريادة في إعداد الدعاة إلى الله على بصيرة.	٢.٧٣	٠.٤٥٢	٩١
رسالة التصور المقترح: تأهيل دعاة على منهج أهل السنة والجماعة من خلال بنية تعليمية متكاملة، تلبي احتياجات الدعوة، ومؤسساتها في الواقع المعاصر.	٢.٨١	٠.٤٩١	٩٣.٧
أهداف التصور المقترح: ١. تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح.	٢.٨١	٠.٤٠٢	٩٣.٧

(١) تم استعراض النتائج من خلال الجداول مع التفسير لها إجمالاً؛ حيث سيتم التفصيل الدقيق للتصور المتفق عليه في المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٢) تم التعامل مع النتائج كالتالي: قبول العبارات التي نسبة الموافقة لها من ٨٥) بالمئة فأعلى, حذف العبارات التي نسبة الموافقة لها أقل من ٧٥) بالمئة، إعادة تقييم العبارات التي كانت نسبة الموافقة لها أقل من ٨٥) بالمئة، أو أعيدت صياغتها من قبل بعض الخبراء المشاركين، أو تمت إضافتها من قبل عدد من الخبراء المشاركين.

٢. بناء لجان برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر.	٢.٦٩	٠.٥٤٩	٨٩.٧
٣. إعداد خطة علمية لبرنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر.	٢.٨١	٠.٤٩١	٩٣.٧

باستقراء الجدول رقم (٢٤) يتبين ارتفاع نسبة تأييد عينة الخبراء في المجال الدعوي والأكاديمي لرؤية التصور المقترح ورسالته، وأهدافه العامة؛ وذلك بنسبة تتراوح ما بين (٩٣.٧- ٨٩.٧) بالمئة، إلا أن بعض أفراد العينة قدّم اقتراحات في تعديل الصياغة لهذا المحور وبقية المحاور التالية، وتم أخذ ذلك في الاعتبار أثناء عرض التصور المقترح في جولته الثانية باختيار المناسب منها.

المحور الثاني: إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة ببناء البرنامج والإشراف عليه.

أ. تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح:

جدول رقم (٢٥)

يوضح نتائج الجولة الأولى للمحور الثاني: إجراءات تنفيذ هدف تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
المستفيدة من	المؤسسات التعليمية	١.اعتماد دبلوم خاص بإعداد الدعاة وتأهيلهم تحت مظلة الأقسام الدعوية في الجامعات.	٢.٧٧	٠.٤٣٠	٩٢.٣

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		٢.الاستفادة من الدعم المادي للكراسي العلمية الدعوية في الجامعات.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
	المؤسسات الدعوية	المؤسسات الدعوية التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد لاعتماد انضمام الدعاة التابعين للوزارة للبرنامج.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦

يكشف الجدول رقم (٢٥) رأي الخبراء تجاه إجراءات تنفيذ التصور المقترح فيما يتعلق بهدف تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح، سواء ما يتعلق بالمؤسسات التعليمية، أو المؤسسات الدعوية، وذلك على النحو التالي:

- ارتفاع نسبة الموافقة لإجراءات التنفيذ المتعلقة بالمؤسسات التعليمية، بنسبة تتراوح ما بين (٩٦- ٩٢.٣) بالمئة، فيما يتعلق ب: (اعتماد دبلوم خاص بإعداد الدعاة وتأهيلهم تحت مظلة الأقسام الدعوية في الجامعات، الاستفادة من الدعم المادي للكراسي العلمية الدعوية في الجامعات) مع إضافة عدد من المقترحات تخدم الهدف نفسه.
- ارتفاع نسبة الموافقة لإجراءات التنفيذ المتعلقة بالمؤسسات الدعوية التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، بنسبة (٩٦) بالمئة، مع إضافة عدد من المؤسسات الدعوية.

ب. بناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر:

جدول رقم (٢٦)

يوضح نتائج الجولة الأولى للمحور الثاني: إجراءات تنفيذ هدف بناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
بناء لجان برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر	لجنة التخطيط	١. بناء لجنة التخطيط من خلال التالي: أ. اختيار أعضاء متخصصين في جانب الإدارة والتخطيط الدعوي.	٢.٨١	٠.٤٩١	٩٣.٧
		ب. اختيار أعضاء لهم خبرة لا تقل عن خمس سنوات في مجال التخطيط.	٢.٦٩	٠.٤٧١	٨٩.٧
		ج. إعداد خطة تفصيلية للجان، مع إيضاح طبيعة عمل كل لجنة.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		د. إعداد خطة للطوارئ في حال تعذر تنفيذ بعض الأمور.	٢.٦٥	٠.٥٦٢	٨٨.٣
		٢.تشكيل لجان منبثقة من لجنة التخطيط، تتمثل في التالي: أ. لجنة القبول والتسجيل: متخصصون في الحاسب الآلي (مع إتقان برامج قواعد البيانات)، من مهامهم الآتي: (١) التأكد من انطباق شروط الانضمام للبرنامج في المتقدم، ويتمثل أبرزها في الآتي:			
		(أ) الحصول على درجة البكالوريوس كحد أدنى في التخصصات الشرعية باستثناء حفظة القرآن الكريم.	٢.٦٥	٠.٦٢٩	٨٨.٣
		(ب) المشاركة في العمل الدعوي في المؤسسات الدعوية.	٢.٦٢	٠.٥٧١	٨٧.٣

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		(٢) إنشاء ملف إلكتروني خاص بكل طالب.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		(٣) تسجيل كافة البيانات التي تيسر التواصل مع الطلاب.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		(٤) استلام الإثباتات المطلوبة ومطابقتها مع الأصل والاحتفاظ بنسخ منها.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		ب. لجنة المقابلات: متخصصون علم الدعوة، ومتخصص في علم تنمية الموارد البشرية، من مهامهم الآتي: (١) التعرّف على بعض جوانب شخصية المتقدم للبرنامج (الجدية- الانضباط- السمت الحسن...).	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		(٢) التأكد من خلفية المتقدمين للبرنامج العلمية.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		(٣) القيام بالمفاضلة بين المتقدمين إذا كان العدد كبيراً.	٢.٧٧	٠.٥١٤	٩٢.٣
		ج. لجنة الشؤون العلمية: متخصصون في العلم الدعوي ممن يحملون درجة أستاذ مساعد فما فوق، ولهم خبرة تزيد عن خمس سنوات في العمل الدعوي، من مهامهم الآتي: (١) تحديد الشروط التي ينبغي توافرها في الهيئة التدريسية.	٢.٨٨	٠.٤٣١	٩٦
		(٢) وضع توصيف عام لكل مقرر يتم إدراجه في الخطة الدراسية.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		(٣) رفع الاحتياجات والمتطلبات المادية (نوع القاعات الدراسية- صفات الأجهزة الإلكترونية التي يتطلبها البرنامج...) للشؤون الفنية.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		د. لجنة الشؤون الفنية: لا يشترط فيمن ينضمون لها تخصص دراسي معين، من مهامهم الآتي: (١) توفير المتطلبات المادية، ومتابعة الإجراءات المتعلقة بها، مثل: خدمات المواصلات، والحضانة.	٢.٨٥	٠.٤٦٤	٩٥
	لجنة التنفيذ	بناء لجنة التنفيذ من خلال التالي: ١. يتم اختيار أعضاء الفريق من المتخصصين في إدارة الموارد البشرية، مع متخصص في المحاسبة.	٢.٦٩	٠.٤٧١	٨٩.٧
		٢. تنفيذ الخطة المقترحة، مع إيجاد البدائل الممكنة في حال تعذر التنفيذ.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		٣. تقدير احتياج كل لجنة من الموظفين كماً ونوعاً.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		٤. متابعة سير العمل بشكل عام.	٢.٨١	٠.٤٩١	٩٣.٧
		٥. تحديد الاحتياج المادي والتكلفة التقريبية للبرنامج، شاملاً أجور العاملين مع المكافآت والحوافز.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
	لجنة التقويم	بناء لجنة التقويم من خلال التالي: ١. قبل انعقاد البرنامج: أ. الاجتماع مع أعضاء لجنة التخطيط، وتزويدهم ببعض المعايير التي يمكن السير على ضوئها لتحقيق جودة العمل.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		ب. الاجتماع بأعضاء الفريق، وبناء استمارة أو نموذج لكل لجنة، بناء على المهام الموكلة بهم، يتم تعبئتها من كل عضو وتسلم للجنة التقويم بعد انتهاء العمل.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ج. التأكد من تحقيق المبنى المقام فيه البرنامج لمعايير الجودة من حيث جاهزيته، وتوفر سبل السلامة فيه، بالتنسيق مع إدارة الأمن والسلامة.	٢.٨٥	٠.٤٦٤	٩٥

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		د. إعداد استمارات مبنية على معايير الجودة، لكل من القائمين بإعداد الدعاة، ونفس الدعاة المنضمون للبرنامج، وأعضاء فريق العمل، والمستفيدون من المخرجات.	٢.٨١	٠.٤٩١	٩٣.٧
		هـ. التأكد من استيفاء أساتذة المقررات لكل المحاور المطلوبة.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		٢. بعد انعقاد البرنامج: أ. فرز الاستمارات التي تم إعدادها سابقاً، وإظهار النتائج.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		ب. إظهار أوجه القوة، وأوجه الضعف ثم تزويد الجهات المنظمة للبرنامج بتقرير يحوي مقترحات لتحسين الأداء مستقبلاً.	٣	٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٦) رأي الخبراء تجاه إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة ببناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، وذلك على النحو التالي:

- ارتفاع نسبة الموافقة لمعظم إجراءات تنفيذ بناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، بما نسبته (٩٠) بالمئة فما فوق، فيما يتعلق ب: (لجة التخطيط، لجنة التنفيذ، لجنة التقويم)، مع تعديل مسميات اللجان، وإضافة بعض الإجراءات التي من شأنها الارتقاء بمستوى الأداء.
- تراجع نسبة الموافقة إلى ما دون (٩٠) بالمئة، في بعض إجراءات التنفيذ المتعلقة بلجنة التخطيط؛ الأمر الذي استلزم تعديلها وفق الآراء المقدمة، وإضافة عدد من الإجراءات المقترحة.

المحور الثالث: إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة بالإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية.

جدول رقم (٢٧)

يوضح نتائج الجولة الأولى للمحور الثالث:

إجراءات تنفيذ هدف إعداد خطة للإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
إعداد خطة علمية لبرنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر.	مقررات المستوى الأول	١.مقرر أصول الدعوة: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. أهمية الدعوة وحاجة الناس إليها.	٢.٨٥	٠.٤٦٤	٩٥
		ب. حكم الدعوة.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		ج. مصادر الدعوة الإسلامية.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		د. مظاهر الانحراف عن مصادر الدعوة.	٢.٧٣	٠.٦٠٤	٩١
		هـ. غاية الدعوة وأهدافها.	٢.٨٥	٠.٤٦٤	٩٥
		و. خصائص الدعوة.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		ز. أركان الدعوة. (الداعية- المدعو- الموضوع- الوسائل والأساليب).	٢.٨٥	٠.٣٦٨	٩٥
		ح. منهج الدعوة الإسلامية.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ط. ميادين الدعوة.	٢.٨٥	٠.٣٦٨	٩٥
		ي. مشكلات الدعوة وسبل التغلب عليها.	٢.٨٥	٠.٤٦٤	٩٥
		٢. الفكر الدعوي المعاصر وتطبيقاته: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم الفكر المعاصر وأهمية دراسته.	٢.٨٥	٠.٣٦٨	٩٥
		ب. جذور الفكر المعاصر.	٢.٦٥	٠.٦٢٩	٨٨.٣

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		ج. مصادر الفكر المعاصر.	٢.٦٩	٠.٥٤٩	٨٩.٧
		د. خصائص الفكر المعاصر.	٢.٧٣	٠.٥٣٣	٩١
		هـ. قضايا الفكر المعاصر، مثل: (المرأة – الأمن الفكري...).	٢.٨١	٠.٤٠٢	٩٣.٧
		و. أبرز الانحرافات في الفكر الدعوي المعاصر.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		٣. التطبيقات الدعوية للقواعد الفقهية: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم التطبيقات الدعوية للقواعد الفقهية.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ب. أهمية دراسة الداعية للقواعد الفقهية.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ج. التطبيقات الدعوية لبعض القواعد الفقهية الرئيسة.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		٤. فقه الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم فقه الدعوة وأهمية دراسته.	٣	٠	١٠٠
		ب. دراسة فقه الدعوة من خلال مجموعة من السور أو الآيات القرآنية.	٣	٠	١٠٠
		ج. دراسة فقه الدعوة من خلال مجموعة من الأحاديث النبوية.	٣	٠	١٠٠
		د. فقه الدعوة المتعلقة بالداعية.	٢.٨٨	٠.٤٣١	٩٦
		هـ. فقه الدعوة المتعلقة بالمدعو.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		و. فقه الدعوة المتعلقة بموضوعات الدعوة.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		ز. فقه الدعوة المتعلقة بالوسائل والأساليب.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		٥. تقنيات الدعوة إلى الله تعالى: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم التقنية وأهمية دراسته.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ب. ضوابط استخدام التقنية في الدعوة إلى الله تعالى.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		ج. أهم المواقع التي تخدم الداعية في الدعوة إلى الله نعالى.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		د. آلية الاستفادة من بعض البرامج والتطبيقات التقنية.	٣	٠	١٠٠
		٦. الخطابة: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم الخطابة.	٢.٩٢	٠.٣٩٢	٩٧.٣
		ب. تاريخ الخطابة وتطورها.	٢.٥٤	٠.٦٤٧	٨٤.٧
		ج. مهارات إعداد الخطبة.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		د. تطبيق عملي.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
	مقررات المستوى الثاني	١. توظيف اللغات في العمل الدعوي: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. أهمية توظيف اللغات في العمل الدعوي.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ب. تقسيم الشعبة لفئتين فئة الدعوة باللغة العربية، وفئة للدعوة باللغة الإنجليزية.	٢.٨١	٠.٤٠٢	٩٣.٧
		ج. الإلمام بقواعد كل لغة حسب الفئة التي يتم اختيارها، فإن اختار الطالب اللغة الإنجليزية فيعطى قواعدها.	٢.٦٩	٠.٦١٨	٨٩.٧
		د. الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية.	٢.٧٧	٠.٥١٤	٩٢.٣
		٢. إدارة العمل الدعوي: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. أهمية الإدارة وأسسها في العمل الدعوي.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		ب. مهارات إدارية يحتاجها الداعية في العمل الدعوي.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ج. العمل التطوعي (حقوق وواجبات).	٢.٩٢	٠.٣٩٢	٩٧.٣
		د. عرض وتحليل الأعمال التطوعية العالمية.	٢.٨٥	٠.٤٦٤	٩٥
		هـ. اقتصاديات العمل الدعوي.	٢.٨٨	٠.٣٢٦	٩٦
		ز. نماذج تطبيقية للإدارة الناجحة للعمل الدعوي.	٢.٨٥	٠.٣٦٨	٩٥
		٣. فقه الاختلاف في العمل الدعوي: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم الاختلاف، ومرادفاته.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		ب. أنواع الاختلاف (عقدي- شرعي...).	٢.٩٢	٠.٣٩٢	٩٧.٣
		ج. الأسس الشرعية للتعامل مع الاختلاف.	٢.٩٢	٠.٣٩٢	٩٧.٣
		د. مجالات الاختلاف في العمل الدعوي.	٢.٨٥	٠.٥٤٣	٩٥
		و. الائتلاف والاختلاف في العمل الدعوي.	٢.٧٧	٠.٤٣٠	٩٢.٣
		ز. نماذج تطبيقية للإدارة الناجحة للعمل الدعوي.	٢.٨١	٠.٤٩١	٩٣.٧
		٤. أنظمة العمل الدعوي في المملكة العربية السعودية: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. أسس العمل الدعوي في المملكة العربية السعودية.	٢.٨١	٠.٤٠٢	٩٣.٧
		ب. الإجراءات التي ينبغي اتباعها قبل تأسيس عمل دعوي.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		ج. نماذج من المؤسسات الدعوية: نشأتها وأنظمتها.	٢.٦٩	٠.٥٤٩	٨٩.٧
		د. تكليف الطلاب بزيارة ميدانين خلال الفصل الدراسي، وتقديم تقرير عن أوجه تعاونهم معهم، وفتح المجال للمبادرات التي يمكن التعاون معهم في إقامتها.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣
		٥. مشروع دعوي: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم المشاريع الدعوية.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		ب. الخطط التشغيلية والاستراتيجية.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		ج. تنفيذ مشروع دعوي جماعي.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣

يكشف الجدول رقم (٢٧) رأي الخبراء تجاه إجراءات تنفيذ هدف إعداد خطة للإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية، بواقع مستويين دراسيين، وذلك على النحو الآتي:

- ارتفاع نسبة الموافقة لمعظم إجراءات تنفيذ الخطة، بما نسبته (٩٠) بالمئة فما فوق، فيما يتعلق بمحاور مقررات المستويين الأول والثاني، مما يشير إلى مناسبتها وقابليتها للتفعيل والتطبيق.
- تراجع نسبة الموافقة إلى ما دون (٩٠) بالمئة، في بعض محاور مقررات المستويين الأول والثاني، المتعلقة بمقرر: (الفكر الدعوي المعاصر وتطبيقاته، الخطابة، توظيف اللغات في العمل الدعوي، أنظمة العمل الدعوي في المملكة العربية السعودية)؛ لذا تم استبعادها، وإضافة عدد من المحاور تم اقتراحها من قبل الخبراء.

المحور الرابع: الصعوبات التي قد تواجه تنفيذ التصور المقترح، وسبل التغلب عليها.

جدول رقم (٢٨)

يوضح نتائج الجولة الأولى للمحور الرابع: سبل التغلب على الصعوبات المحتملة لتنفيذ التصور المقترح

صعوبات تنفيذ التصور المقترح		سبل التغلب على الصعوبات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
صعوبات متعلقة بلجنة التخطيط	١. انشغال المتخصصين في جانب الإدارة والتخطيط بأعمال، ومهام أخرى.	١. التعاون مع جهات عملهم وتفريغهم للقيام بمهمة التخطيط أو احتساب مهمة التخطيط للجهات الدعوية أو الخيرية من ضمن نقاط الترقية.	٢.٧٧	٠.٥١٤	٩٢.٣
	٢. الإحجام عن الاشتراك في مثل تلك اللجان؛ لعدم وجود الحوافز المناسبة.	١. تحفيز القائمين بهذه اللجنة عن طريق صرف مكافآت مادية لهم، أو زيادة العلاوة السنوية بعد مخاطبة الجهات المختصة.	٢.٩٢	٠.٢٧٢	٩٧.٣

صعوبات تنفيذ التصور المقترح		سبل التغلب على الصعوبات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
صعوبات متعلقة بلجنة التنفيذ	١. ضعف المصروفات المالية المخصصة للمتطلبات المخطط لها.	١. التنويع في مصادر الميزانية، وعدم الاعتماد على إدارة البرنامج كمصدر وحيد، ويمكن تحقيق الاستفادة المادية من خلال جلب عقود الرعاية الإعلامية لبعض المؤسسات أو الشركات أو الشخصيات البارزة.	٢.٨٨	٠.٤٣١	٩٦
	٢. قلة خبرة بعض أعضاء فريق العمل؛ مما يعيق تحقيق ما تم التخطيط له.	١. التعاون مع مكاتب الجاليات، والاستفادة من الدعاة المتقنين للغة الإنجليزية في تدريس المقررات الإنجليزية. الاستشارات الدعوية.	٢.٧٣	٠.٤٥٢	٩١
		٢. عقد دورات تدريبية تطويرية لفريق العمل قبل البدء به.	٣	٠	١٠٠

صعوبات تنفيذ التصور المقترح		سبل التغلب على الصعوبات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
	٣. انشغال أصحاب الخبرة الدعوية من الأكاديميين في أعمالهم الرسمية في مختلف الجامعات السعودية، مما يعيق انضمامهم للجنة العلمية، وقيامهم بتأهيل المنضمين للبرنامج المقترح.	١. تفعيل برنامج الأستاذ الزائر بالتعاون مع الجامعات السعودية بحيث يخصص جزء من نصاب الأستاذ لخدمة البرامج الدعوية، مع صرف مكافآت تحفيزية لهم، أو احتساب عملهم كنقاط ترقية.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
صعوبات متعلقة بلجنة التقويم	١. اقتصار التقويم على فئة معينة. (إما القائمين على البرنامج أو المستفيدين من خدمات البرنامج).	١. الحرص على أن يكون التقويم اشتراكياً بين جميع الفئات المعنية، عن طريق توعية وتحفيز المعنين بأهمية المشاركة وإبداء الرأي.	٢.٨٥	٠.٣٦٨	٩٥
	٢. حصر التقويم في الأعمال الختامية.	١. ضرورة توجيه لجنة التخطيط بأهمية إشراك لجنة التقويم في بناء البرنامج، وألا يكون عملهم ختامياً فقط.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧

صعوبات تنفيذ التصور المقترح		سبل التغلب على الصعوبات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
	٣. قلة المتخصصين في جانب جودة البرامج الدعوية.	١. إقرار برنامج لتبادل الزيارات بين الجهات الدعوية، يتم من خلالها نقل خبرات إدارة البرامج الدعوية المتميزة للبقية، ثم تطويرها بما يتناسب مع كل برنامج.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧
		٢. تحفيز الأعضاء المتخصصين في الجودة على كتابة ونشر الأبحاث العلمية المتخصصة في جانب جودة البرامج الدعوية.	٢.٩٦	٠.١٩٦	٩٨.٧

يكشف الجدول رقم (٢٨) ارتفاع نسبة الموافقة على كافة سبل التغلب على الصعوبات المتعلقة بتفعيل لجان البرنامج بنسبة تتراوح ما بين (١٠٠- ٩١) بالمئة؛ مما يعكس جودة استقراء الصعوبات المحتملة لتنفيذ التصور المقترح وسبل مواجهتها.

المطلب الثاني: نتائج الجولة الثانية وتفسيرها:

جاءت نتائج الجولة الثانية للتصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر موضحةً في جداول على النحو الآتي:

المحور الأول: صياغة رؤية، ورسالة، وأهداف التصور المقترح.

جدول رقم (٢٩)

يوضح نتائج الجولة الثانية للمحور الأول: صياغة رؤية، ورسالة، وأهداف التصور المقترح

الصياغة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
رؤية التصور المقترح: تحقيق الريادة في إعداد الدعاة إلى الله تعالى علمياً وعملياً.	٢.٧٦	٠.٥٦٢	٩٢
رسالة التصور المقترح: تأهيل الدعاة من خلال بنية تعليمية، تلبي الاحتياج الفردي والمؤسسي للدعوة الإسلامية في الواقع المعاصر.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨
أهداف التصور المقترح: ١. تحديد الفئات والجهات المستفيدة من التصور المقترح.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨

باستقراء الجدول رقم (٢٩) يتبين ارتفاع نسبة تأييد الخبراء لرؤية التصور المقترح ورسالته، وأهدافه العامة بعد التعديل المقترح؛ وذلك بنسبة تتراوح ما بين (٩٨- ٩٢) بالمئة؛ وبذلك تم اعتماده في التصور المقترح في صورته النهائية.

المحور الثاني: إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة ببنـــاء البرنـــامج والإشراف عليه.

أ. تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح:

جدول رقم (٣٠)

يوضح نتائج الجولة الثانية للمحور الثاني: إجراءات تنفيذ هدف تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
تحديد الفئات و الجهات المستفيدة من التصور المقترح	المؤسسات التعليمية	٢.الاستفادة من الدعم لمشروعات الكراسي العلمية الدعوية في الجامعات السعودية.	٢.٧٦	٠.٥٦٢	٩٢
		٣. عقد شراكة مع عمادة خدمة المجتمع والجهات ذات العلاقة لدعم وإقامة الدبلومات والدورات في تأهيل الدعاة.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨
		٤. تقويم وتطوير البرامج الدعوية الموجودة في المؤسسات التعليمية وفق متطلبات الواقع.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨
	المؤسسات الدعوية	٢. المؤسسات الاجتماعية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية.	٢.٥٣	٠.٧١٧	٨٤.٣
		٣. الدعاة الأفراد غير الرسميين؛ كونهم يمثلون جزءاً من الواقع الدعوي.	٢.٧٦	٠.٤٣٧	٩٢

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		٤. وزارة الحج والعمرة.	٢.٦٥	٠.٦٠٦	٨٨.٣

يكشف الجدول رقم (٣٠) ارتفاع نسبة موافقة الخبراء على إجراءات تنفيذ التصور المقترح فيما يتعلق بهدف تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح، سواء ما يتعلق بالمؤسسات التعليمية، أو المؤسسات الدعوية، بنسبة تتراوح ما بين (٩٨- ٨٨.٣) بالمئة، وهي نسبة مناسبة لاعتماد التطبيق؛ لذا تم اعتمادهما في التصور المقترح بصورته النهائية، عدا ما يتعلق بتحديد: (المؤسسات الاجتماعية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية) ضمن المؤسسات الدعوية المستفيدة من البرنامج، تم استبعادها لتراجع نسبة الموافقة إلى ما نسبته (٨٤.٣) بالمئة.

ب. بناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر:

جدول رقم (٣١)

يوضح نتائج الجولة الثانية للمحور الثاني: إجراءات تنفيذ هدف بناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
بناء برنامج إعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر	لجنة التخطيط	١. بناء لجنة التخطيط من خلال التالي: ج. إعداد خطط بديلة عند الحاجة.	٢.٧٦	٠.٤٣٧	٩٢

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		د. تعيين إدارة تنفيذية للإشراف ودعم سير العمل.	٢.٨٨	٠.٣٣٢	٩٦
		٢. تشكيل لجان منبثقة من لجنة التخطيط، تتمثل في التالي: أ. لجنة القبول والتسجيل: متخصصون في الحاسب الآلي (مع إتقان برامج قواعد البيانات)، من مهامهم الآتي: (١) التأكد من انطباق شروط الانضمام للبرنامج في المتقدم، ويتمثل أبرزها في الآتي: (أ) الحصول على درجة البكالوريوس أو ما يعادلها كحد أدنى في التخصصات الشرعية.	٢.٧٦	٠.٥٦٢	٩٢
		ب. لجنة المقابلات: متخصصون علم الدعوة، ومتخصص في علم تنمية الموارد البشرية، من مهامهم الآتي: – التأكد من ثقافة وخبرة المتقدمين للبرنامج في العمل الدعوي.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		ج. لجنة الشؤون العلمية: متخصصون في العلم الدعوي ممن يحملون درجة أستاذ مساعد فما فوق، أو ما يعادلها، من مهامهم الآتي: - الإشراف العام على البرنامج من حيث: الدراسة، والاختبارات، والنتائج وغيرها.	٢.٨٨	٠.٣٣٢	٩٦
		د. لجنة الشؤون الفنية: لا يشترط فيمن ينضمون لها تخصص دراسي معين، من مهامهم الآتي: - التأكد من تهيئة وملاءمة مكان انعقاد البرنامج.	٢.٨٢	٠.٣٩٣	٩٤

يتضح من الجدول رقم (٣١) ارتفاع نسبة الموافقة على الإجراءات التي تم تعديلها وإضافتها للجنة التخطيط ضمن هدف بناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، وذلك بنسبة تراوحت ما بين (٩٨- ٩٢) بالمئة؛ مما يشير إلى مناسبتها للتطبيق؛ لذا تم اعتمادهما في التصور المقترح بصورته النهائية.

المحور الثالث: إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة بالإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية.

جدول رقم (٣٢)

يوضح نتائج الجولة الثانية للمحور الثالث:

إجراءات تنفيذ هدف إعداد خطة للإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
إعداد خطط علمية وعملية لبرنامج إعداد الداعية وتأهيله	مقررات المستوى الأول	١. الفكر الدعوي المعاصر وتطبيقاته: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: – سبل مواجهة الفكر الدعوي المعاصر.	٢.٥٣	٠.٧١٧	٨٤.٣
		٢. فقه الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: – فقه الدعوة في النوازل.	٣	٠	١٠٠
		– فقه الأولويات في الدعوة.	٢.٨٨	٠.٣٣٢	٩٦
		– فقه الدعوة في باب الفتن والتحديات.	٢.٨٢	٠.٥٢٩	٩٤
		٣. تقنيات الدعوة إلى الله تعالى: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: – مجالات توظيف التقنية في الدعوة إلى الله تعالى.	٢.٨٨	٠.٣٣٢	٩٦
		– عرض بعض التجارب في الدعوة إلى الله تعالى باستخدام التقنية، وتقويمها.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨
		٦. الخطابة: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: – التدريب على مهارة الإلقاء والخطابة.	٢.٨٨	٠.٤٨٥	٩٦
		– التدريب على مهارة الحوار والمناظرة.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨
		– التدريب على مهارة الإقناع والتأثير.	٣	٠	١٠٠
	مقررات المستوى الثاني	٢. إدارة العمل الدعوي: يستلزم استيفاؤه المحاور التالية: أ. مفهوم إدارة العمل الدعوي وأهميته.	٢.٨٨	٠.٣٣٢	٩٦
		ب. عناصر الإدارة في العمل الدعوي.	٢.٨٨	٠.٣٣٢	٩٦

الهدف العام	الأهداف التفصيلية	إجراءات التنفيذ	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الموافقة
		ج. أهم وظائف المنشأة وتطبيقاتها في العمل الدعوي.	٢.٨٢	٠.٣٩٣	٩٤
		د. الاتجاهات الحديثة للإدارة وتطبيقاتها في العمل الدعوي.	٢.٩٤	٠.٢٤٣	٩٨
		هـ. معايير النجاح الإداري في العمل الدعوي.	٢.٨٨	٠.٣٣٢	٩٦
		و. الموارد المالية للعمل الدعوي واستثمارها.	٣	٠	١٠٠

يبين الجدول رقم (٣٢) ارتفاع نسبة موافقة الخبراء على إجراءات تنفيذ التصور المقترحة فيما يتعلق بهدف إعداد خطة للإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية، بواقع المستويين الدراسيين، بنسبة تتراوح ما بين (١٠٠- ٩٤) بالمئة، وهي نسبة مناسبة لاعتماد التطبيق؛ لذا تم اعتمادهما في التصور المقترح بصورته النهائية، عدا ما يتعلق بمحور: (سبل مواجهة الفكر الدعوي المعاصر) ضمن مقرر: الفكر الدعوي المعاصر وتطبيقاته، تم استبعاده لتراجع نسبة الموافقة إلى ما نسبته (٨٤.٣) بالمئة.

المبحث الثاني

التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر

تمهيد:

سعت الدراسة الحالية إلى تقديم تصور مقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، يُسهم بإذن الله تعالى في تقديم رؤية مستقبلية لمشروع يخدم المجال الدعوي، ويرتقي به، وجاء هذا المبحث بعرض التصور المقترح في صورته النهائية بعد استقصاء آراء الخبراء والمتخصصين في المجال الدعوي والأكاديمي(١)، من خلال خمسة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: التعريف بالتصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر:

يتضح التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر من رؤيته، ورسالته، ومنطلقاته، وأهدافه، المتمثلة في التالي:

أولاً: رؤية التصور المقترح:

الريادة في إعداد الدعاة إلى الله تعالى علمياً وعملياً.

ثانياً: رسالة التصور المقترح:

تأهيل الدعاة من خلال بنية تعليمية، تلبي الاحتياج الفردي والمؤسسي للدعوة الإسلامية في الواقع المعاصر.

ثالثاً: منطلقات التصور المقترح:

تتمثل أبرز منطلقات التصور المقترح في الآتي:

١. اختلاف المنهجية المتبعة لإعداد الدعاة بين المؤسسات والجهات

---

(١) وهو ما اتضح من النتائج التفصيلية لتطبيق أسلوب دلفي في جولتيه الأولى والثانية، وذلك في المبحث الأول من الفصل الرابع من الدراسة الحالية.

المسؤولة عن ذلك، وهو ما كشفته الخطط الدراسية المقدمة في تلك المؤسسات، الأمر الذي يستلزم توحيد الجهود وتظافرها للاتفاق على أساسيات التأهيل الدعوي وفق احتياجات الواقع المعاصر.

٢. نتائج الدراسة الميدانية التي تؤكد الحاجة لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، وذلك من وجهة نظر كل من: عضوات هيئة التدريس والخريجات في جامعتي: الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى.

٣. وجود الرغبة الجادّة لدى بعض المؤسسات الدعوية في الاستفادة من المشروع في إعداد وتأهيل منسوبيها دعوياً، وهو ما اتضح من تواصل عدد من المؤسسات الدعوية مع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية (بصيرة) لتحكيم برامج تأهيلية للدعاة والإشراف عليها.

رابعاً: أهداف التصور المقترح:

تتمثل أهداف التصور المقترح فيما يلي:

١. تحديد الفئات والجهات المستفيدة من التصور المقترح، يتفرع منه التالي:

أ. المؤسسات التعليمية.

ب. المؤسسات الدعوية.

٢. بناء برنامج لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر، يتفرع منه اللجان الآتية:

أ. لجنة التخطيط.

ب. لجنة التنفيذ والمتابعة.

ج. لجنة التطوير والجودة.

٣. إعداد خطط علمية وعملية لبرنامج إعداد الداعية وتأهيله، يتضمن ما يلي:

أ. مقررات المستوى الأول.

ب. مقررات المستوى الثاني.

المطلب الثاني: إجراءات تنفيذ التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر

تتمثل إجراءات تنفيذ التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر فيما يلي:

- **إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة ببناء البرنامج والإشراف عليه:**

أولاً: تحديد الجهات المستفيدة من التصور المقترح:

١. المؤسسات التعليمية:

إجراءات التنفيذ:

١. اعتماد دبلومات خاصة بإعداد الدعاة وتأهيلهم تحت مظلة الأقسام الدعوية في الجامعات.

٢. الاستفادة من الدعم لمشروعات الكراسي العلمية الدعوية في الجامعات السعودية.

٣. عقد شراكة مع عمادة خدمة المجتمع والجهات ذات العلاقة لدعم وإقامة الدبلومات والدورات في تأهيل الدعاة.

٤. تقويم وتطوير البرامج الدعوية الموجودة في المؤسسات التعليمية وفق متطلبات الواقع.

٢. المؤسسات الدعوية:

إجراءات التنفيذ:

١. المؤسسات الدعوية التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

٢. الدعاة الأفراد غير الرسميين؛ كونهم يمثلون جزءاً من الواقع الدعوي.

٣.وزارة الحج والعمرة.

ثانياً: بناء برنامج إعداد داعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر:

١. لجنة التخطيط:

إجراءات التنفيذ:

١. بناء لجنة التخطيط من خلال التالي:

أ. اختيار أعضاء متخصصين في جانب الإدارة والتخطيط الدعوي.

ب. إعداد خطة تفصيلية للجان، مع إيضاح طبيعة عمل كل لجنة.

ج. إعداد خطط بديلة للاستفادة منها عند الحاجة.

د. تعيين إدارة تنفيذية للإشراف ودعم سير العمل.

٢. تشكيل لجان منبثقة من لجنة التخطيط، تتمثل في التالي:

أ. لجنة القبول والتسجيل:

متخصصون في الحاسب الآلي مع إتقان (برامج قواعد البيانات)، من مهامهم الآتي:

(١) التأكد من انطباق شروط الانضمام للبرنامج في المتقدم، ويتمثل أبرزها في الآتي:

(أ) الحصول على درجة البكالوريوس أو ما يعادلها كحد أدنى في التخصصات الشرعية.

(ب) المشاركة في العمل الدعوي في المؤسسات الدعوية.

(٢) إنشاء ملف إلكتروني خاص بكل طالب.

(٣) تسجيل كافة البيانات التي تيسر التواصل مع الطلاب.

(٤) استلام الإثباتات المطلوبة ومطابقتها مع الأصل والاحتفاظ بنسخ منها.

ب. لجنة المقابلات:

متخصصون في علم الدعوة، ومتخصص في علم تنمية الموارد البشرية، من مهامهم الآتي:

(١) التعرّف على بعض جوانب شخصية المتقدم للبرنامج: (الوسطية وسلامة المنهج، الجدية، الانضباط، السمت الحسن،...).

(٢) التأكد من ثقافة وخبرة المتقدمين للبرنامج في العمل الدعوي.

(٣) المفاضلة بين المتقدمين وفق المعايير المحددة.

ج. لجنة الشؤون العلمية:

متخصصون في العلم الدعوي ممن يحملون درجة أستاذ مساعد فما فوق، أو ما يعادلها، من مهامهم الآتي:

(١) تحديد الشروط التي ينبغي توافرها في الهيئة التدريسية.

(٢) وضع توصيف عام لكل مقرر يتم إدراجه في الخطة الدراسية.

(٣) رفع الاحتياجات والمتطلبات المادية للشؤون الفنية: (نوع القاعات الدراسية، صفات الأجهزة الإلكترونية التي يتطلبها البرنامج،...).

(٤) الإشراف العام على البرنامج من حيث: (الدراسة، والاختبارات، والنتائج وغيرها.

د. لجنة الشؤون الفنية:

لا يشترط فيمن ينضمون لها تخصص دراسي معين، من مهامهم الآتي:

(١) توفير المتطلبات المادية، ومتابعة الإجراءات المتعلقة بها، مثل: (خدمات المواصلات، والحضانة).

(٢) التأكد من تهيئة وملاءمة مكان انعقاد البرنامج.

٢. لجنة التنفيذ والمتابعة:

إجراءات التنفيذ:

بناء لجنة التنفيذ والمتابعة من خلال التالي:

١. يتم اختيار أعضاء الفريق من المتخصصين في الدعوة وإدارة الموارد البشرية، مع متخصص في المحاسبة.

٢. تنفيذ الخطة المقترحة، مع إيجاد البدائل الممكنة في حال تعذر التنفيذ.

٣. تقدير احتياج كل لجنة من الموظفين كماً ونوعاً.

٤. متابعة سير العمل بشكل عام.

٥. تحديد الاحتياج المادي والتكلفة التقريبية للبرنامج، شاملاً أجور العاملين مع المكافآت والحوافز.

٣. لجنة التطوير والجودة:

إجراءات التنفيذ:

بناء لجنة التطوير والجودة من خلال التالي:

١ .قبل انعقاد البرنامج:

أ. الاجتماع مع أعضاء لجنة التخطيط، وتزويدهم ببعض المعايير التي يمكن السير على ضوئها لتحقيق جودة العمل.

ب. الاجتماع بأعضاء الفريق، وبناء استمارة أو نموذج لكل لجنة، بناء على المهام الموكلة بهم، يتم تعبئتها من كل عضو وتسلم للجنة التقويم بعد انتهاء العمل.

ج. التأكد من تحقيق المبنى المقام فيه البرنامج لمعايير الجودة.

د. إعداد استمارات مبنية على معايير الجودة، لكل من القائمين بإعداد الدعاة، ونفس الدعاة المنضمون للبرنامج، وأعضاء فريق العمل، والمستفيدين من المخرجات.

هـ. التأكد من استيفاء أساتذة المقررات لكل المحاور المطلوبة.

٢ . بعد انعقاد البرنامج:

أ. فرز الاستمارات التي تم إعدادها سابقاً، وإظهار النتائج.

ب. إظهار أوجه القوة، وأوجه الضعف ثم تزويد الجهات المنظمة للبرنامج بتقرير يحوي مقترحات لتحسين الأداء مستقبلاً.

- إجراءات تنفيذ التصور المقترح المتعلقة بالإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية:

أولاً: مقررات المستوى الأول:

١. مقرر أصول الدعوة:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١ .تعريف علم الدعوة وأهميتها.

٢ . حكم تعلم علم الدعوة.

٣ . مصادر الدعوة الإسلامية.

٤ . مظاهر الانحراف عن مصادر الدعوة.

٥ . غاية الدعوة وأهدافها.

٦ .خصائص الدعوة.

٧.أركان الدعوة. (الداعية، المدعو، الموضوع، الوسائل والأساليب).

٨.منهج الدعوة الإسلامية.

٩ . ميادين الدعوة.

١٠ . مشكلات الدعوة وسبل التغلب عليها.

٢. مقرر الفكر الدعوي المعاصر - (الأديان، الفكر العقدي الوافد) - وتطبيقاته:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١ .مفهوم الفكر الدعوي المعاصر وأهمية دراسته.

٢ .مصادر الفكر الدعوي المعاصر وخصائصه.

٣ .قضايا الفكر الدعوي المعاصر، مثل: (المرأة، الأمن الفكري،...).

٤ .أبرز الانحرافات في الفكر الدعوي المعاصر.

٣. مقرر التطبيقات الدعوية للقواعد الفقهية:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١ .مفهوم التطبيقات الدعوية للقواعد الفقهية.

٢ .أهمية دراسة الداعية للقواعد الفقهية.

٣ .التطبيقات الدعوية لبعض القواعد الفقهية في ضوء فقه الواقع.

٤. مقرر فقه الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١ .مفهوم فقه الدعوة وأهمية دراسته.

٢ .دراسة فقه الدعوة من خلال مجموعة من السور أو الآيات القرآنية.

٣ .دراسة فقه الدعوة من خلال مجموعة من الأحاديث النبوية.

٤ .فقه الدعوة المتعلق بالداعية.

٥ .فقه الدعوة المتعلق بالمدعو.

٦ .فقه الدعوة المتعلق بموضوعات الدعوة.

٧ .فقه الدعوة المتعلق بالوسائل والأساليب.

٨ .فقه الدعوة في النوازل.

٩. فقه الأولويات في الدعوة.

١٠. فقه الدعوة في باب الفتن.

٥. مقرر تقنيات الدعوة إلى الله تعالى:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١. مفهوم التقنية وأهمية دراستها.

٢. مجالات توظيف التقنية في الدعوة إلى الله تعالى.

٣. ضوابط استخدام التقنية في الدعوة إلى الله تعالى.

٤. أهم المواقع التي تخدم الداعية في الدعوة إلى الله تعالى.

٥. عرض بعض التجارب في الدعوة إلى الله تعالى باستخدام التقنية، وتقويمها.

٦. آلية الاستفادة من بعض البرامج والتطبيقات التقنية.

٦. مقرر الخطابة:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١. مفهوم الخطابة.

٢. مهارات إعداد الخطبة.

٣. التدريب على مهارة الإلقاء والخطابة.

٤. التدريب على مهارة الحوار والمناظرة.

٥. التدريب على مهارة الإقناع والتأثير.

ثانياً: مقررات المستوى الثاني:

١. مقرر توظيف اللغات في العمل الدعوي:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١. أهمية توظيف اللغات في العمل الدعوي.

٢. تقسيم الشعبة لفئتين فئة الدعوة باللغة العربية، وفئة للدعوة باللغة الإنجليزية.

٣. الإلمام بحصيلة من المصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية.

٢. مقرر إدارة العمل الدعوي:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١. مفهوم إدارة العمل الدعوي وأهميته.

٢. عناصر الإدارة في العمل الدعوي.

٣. أهم وظائف المنشأة وتطبيقاها في العمل الدعوي.

٤. مهارات إدارة العمل الدعوي.

٥. الاتجاهات الحديثة للإدارة وتطبيقاها في العمل الدعوي.

٦. معايير النجاح الإداري في العمل الدعوي.

٧. مفهوم اقتصاديات العمل الدعوي وأهميتها.

٨. الموارد المالية للعمل الدعوي واستثمارها.

٩. العمل التطوعي (حقوق وواجبات).

١٠. عرض وتحليل الأعمال التطوعية العالمية..

١١. نماذج تطبيقية للإدارة الناجحة للعمل الدعوي..

٣. مقرر فقه الاختلاف في العمل الدعوي:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١. مفهوم الاختلاف، ومرادفاته.

٢. أنواع الاختلاف (عقدي- شرعي...).

٣. الأسس الشرعية للتعامل مع الاختلاف.

٤. مجالات الاختلاف في العمل الدعوي.

٤. مقرر أنظمة العمل الدعوي في المملكة العربية السعودية:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١. أسس العمل الدعوي في المملكة العربية السعودية.

٢. الإجراءات التي ينبغي اتباعها قبل تأسيس عمل دعوي.

٣. تكليف الطلاب بزيارة ميدانية خلال الفصل الدراسي، وتقديم تقرير عن أوجه تعاونهم معهم، وفتح المجال للمبادرات التي يمكن التعاون معهم في إقامتها.

٥. مشروع دعوي:

إجراءات التنفيذ:

يستلزم استيفاؤه المحاور التالية:

١. مفهوم المشاريع الدعوية.

٢. الخطط التشغيلية والاستراتيجية..

٣. تنفيذ مشروع دعوي جماعي.

المطلب الثالث: صعوبات تنفيذ التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر وسبل التغلب عليها:

تتمثل أبرز الصعوبات المحتملة لتنفيذ التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر وسبل التغلب عليها في التالي:

أولاً: الصعوبات المتعلقة بلجنة التخطيط:

١. انشغال المتخصصين في جانب الإدارة والتخطيط بأعمال، ومهام أخرى.

سبل التغلب:

التعاون مع جهات عملهم وتفريغهم للقيام بمهمة التخطيط أو احتساب مهمة التخطيط للجهات الدعوية أو الخيرية من ضمن ساعات التدريس أو نقاط الترقية.

٢. الإحجام عن الاشتراك في مثل تلك اللجان؛ لعدم وجود الحوافز المناسبة.

سبل التغلب:

تحفيز القائمين بهذه اللجنة عن طريق صرف مكافآت مادية لهم، أو زيادة العلاوة السنوية بعد مخاطبة الجهات المختصة.

ثانياً: الصعوبات المتعلقة بلجنة التنفيذ والمتابعة:

١. ضعف المصروفات المالية المخصصة للمتطلبات المخطط لها.

سبل التغلب:

التنويع في مصادر الميزانية، وعدم الاعتماد على إدارة البرنامج كمصدر وحيد، ويمكن تحقيق الاستفادة المادية من خلال جلب عقود الرعاية الإعلامية لبعض المؤسسات أو الشركات أو الشخصيات البارزة.

٢. قلة خبرة بعض أعضاء فريق العمل؛ مما يعيق تحقيق ما تم التخطيط له.

سبل التغلب:

١. التعاون مع مكاتب الجاليات، والاستفادة من الدعاة المتقنين للمصطلحات الدعوية باللغة الإنجليزية.

٢. عقد دورات تدريبية تطويرية لفريق العمل قبل البدء به.

٣. انشغال أصحاب الخبرة الدعوية من الأكاديميين في أعمالهم الرسمية في مختلف الجامعات السعودية، مما يعيق انضمامهم للجنة العلمية، وقيامهم بتأهيل المنضمين للبرنامج المقترح.

سبل التغلب:

تفعيل برنامج الأستاذ الزائر بالتعاون مع الجامعات السعودية بحيث يخصص جزء من نصاب الأستاذ لخدمة البرامج الدعوية، مع صرف مكافآت تحفيزية لهم، أو احتساب عملهم كساعات تدريس أو نقاط ترقية

ثالثاً: الصعوبات المتعلقة بلجنة التطوير والجودة:

١. اقتصار التقويم على فئة معينة: (إما القائمين على البرنامج أو المستفيدين من خدمات البرنامج).

سبل التغلب:

الحرص على أن يكون التقويم مشتركاً بين جميع الفئات المعنية، عن طريق توعية وتحفيز المعنين بأهمية المشاركة وإبداء الرأي.

٢. حصر التقويم في الأعمال الختامية.

سبل التغلب:

ضرورة توجيه لجنة التخطيط بأهمية إشراك لجنة التطوير والجودة في بناء البرنامج، وألا يكون عملهم ختامياً فقط.

٣. قلة المتخصصين في جانب جودة البرامج الدعوية.

سبل التغلب:

١. إقرار برنامج لتبادل الزيارات بين الجهات الدعوية، يتم من خلالها نقل خبرات إدارة البرامج الدعوية المتميزة للبقية، ثم تطويرها بما يتناسب مع كل برنامج.

٢. تحفيز الأعضاء المتخصصين في الجودة على كتابة ونشر الأبحاث العلمية المتخصصة في جانب جودة البرامج الدعوية.

المطلب الرابع: نتائج التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر:

يُستخلص من الطرح السابق للتصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر النتائج الآتية:

أولاً: ما يتعلق بتحديد الفئات والجهات المستفيدة من التصور المقترح:

١. أهمية العناية بجانب استهداف المؤسسات التعليمية والدعوية من المشروع؛ لإحداث التكامل، وتوسيع دائرة الاستفادة.

٢. ضرورة توظيف خبرة المؤسسات التعليمية في إعداد وتأهيل الدعاة في تفعيل المشروع، وتطويره لسد حاجة المجتمع في المجال الدعوي.

٣. الحاجة إلى تحديد الفئات والجهات المستفيدة من المشروع؛ لضمان جودة تصميم البرنامج الدعوي بما يتناسب مع الاحتياج.

ثانياً: ما يتعلق ببناء برنامج إعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر:

١. أهمية تحديد الضوابط والأنظمة للجان تفعيل برنامج إعداد الداعية

وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر بدقة وبصورة واضحة؛ لضمان توحيد آلية التفعيل، وتحقيق النتائج المرجوة مع اختلاف جهات التنفيذ.

٢.قيام البرنامج على الكفاءات النوعية من شأنه أن يُسهم في نجاحه، وتحقيق الغاية من بناءه.

٣. الحاجة للمتابعة والتطوير لا يقل عن حاجة التخطيط والتنفيذ لتحقيق الجودة والتوافق مع المستجدات المعاصرة.

ثالثاً: ما يتعلق بالإعداد والتأهيل العلمي والعملي للداعية:

١. السعي لتحقيق جودة في الإعداد والتأهيل الدعوي، من خلال العناية بالمنهجية العلمية، المبنية على أسس قوية مستقاة من مصادر معتمدة في البناء الدعوي، ساهم في انتقاءها أهل الخبرة والاختصاص.

٢. أهمية التكامل والتوازن بين البناء المعرفي والعلمي للداعية وتأهيله الفكري والمهني بما يتوافق مع متطلبات الواقع المعاصر.

المطلب الخامس: توصيات التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر:

تتمحور أبرز توصيات التصور المقترح لإعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر في التالي:

١. اعتماد معايير واضحة ومعلنة في الخطط التشغيلية لبرنامج إعداد وتأهيل الداعية وفق متطلبات الواقع المعاصر؛ للتحقق من مدى تنفيذ أهداف العمل وفاعليته وحاجته للتعديل.

٢. العناية بجانب اختيار الأعضاء المناسبين لتفعيل برنامج إعداد وتأهيل الداعية وفق متطلبات الواقع المعاصر، خاصة في مرحلة التأسيس؛ الأمر الذي من شأنه أن يبني منظومة فاعلة ومنتجة، قائمة على أسس قوية تعمل على بناء الصف الثاني من القائمين على إعداد وتأهيل الدعاة وفق الخطط والاستراتيجيات المرسومة.

٣. الاستفادة من التجارب الناجحة في مجال التخطيط الاستراتيجي لإعداد وتدريب القيادات الاستشارية، وذلك قبل تفعيل الخدمة وأثناءها.

٤. الاستفادة من التجارب الناجحة في مجال الإعداد وتأهيل الدعاة، وذلك قبل تفعيل الخدمة وأثناءها.

٥. إشراك قيادات المؤسسات الدعوية المميزة في وضع الخطط الاستراتيجية للإعداد والتأهيل الدعوي، وعقد اللقاءات المفتوحة لمناقشتها مع الجهات المستفيدة قبل اعتمادها، وذلك تهيئة لتطبيقها؛ لضمان نجاحها والتفاعل معها.

٦. التفعيل الإلكتروني لتوضيح آلية الإعداد والتأهيل الدعوي منذ بدء انطلاقة البرنامج لتيسير ضبطه، ونشر قيمه، وتوسيع دائرة الاستفادة

منه، وذلك في ضوء عصر التقنية الحديثة.

٧. العناية بجانب التحفيز للعاملين في مجال خدمة برنـــامج الإعـــداد والتأهيل الدعوي، وذلك بما يتناسب مع الإمكانيات، والجهود المبذولة من قبل العاملين، والاستفادة من المؤسسات المانحة في هذ الجانب.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات والصلاة والسلام على رسوله الكريم معلم البشرية، وعلى آله وأصحابه، أما بعد، فهذه أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

- إن الدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال وأشرفها، وأفضلها عند الله، وهي وظيفة المرسلين عليهم الصلاة والسلام.

- إن رسالة الإسلام رسالة عالمية شاملة ممتدة بامتداد الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فإن الدعوة إليه ماضية إلى قيام الساعة يقوم بها ورثة الأنبياء من العلماء العاملين والدعاة المخلصين؛ الذين هداهم الله لمحبة هداية الخلق فنالوا بذلك شرف المهنة وان لم ينالوا شرف المكانة بالتبليغ ولعل هذا مما اختص الله به أمة نبينا محمد ﷺ بأن جعل الرسالة باقية إلى أن تقوم الساعة لحاجة البشرية إليها لإخراجها من ظلمات الشرك والوثنية والجهالة والخرافة والبدعة والمعصية إلى أنوار التوحيد.

- ولعظم مهمة الدعوة إلى الله تعالى، فإنه يتأكد تمتع من يقوم بها بمعارف ومهارات مخصوصة، وكون هذا الهدف يحمل قيمة عالية، ومقصداً عظيماً؛ يعود بالنفع على الأمة الإسلامية جمعاء، ويسهم في تكوين الدعاة وتأهيلهم؛ لمواجهة تحديات العصر في الداخل والخارج والتي ازدادت تعقيداً وتطوراً في ظل الانفتاح العالمي؛ مما استلزم خروج دراسات علمية منهجية متخصصة؛ تُعنى بجانب إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر.

- يستلزم استيفاء جوانب إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر إدراك مفهوم الإعداد العلمي والعملي للداعية، ومعرفة أهمية

ذلك، إلى جانب إيضاح مجالات الإعداد؛ للتوصل إلى تصور شامل منضبط للإعداد الدعوي موافق لما جاء في الكتاب والسنة.

- الخوض في غمار الدعوة وميادينها فيما لا علم للداعي به، تترتب عليه آثار وخيمة، لأن العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح.

- طبيعة مهمة الداعي خطيرة، ونظرة الناس إليه، واعتدادهم به، وأخذهم عنه يجعل أمر العلم أشد ضرورة للداعي إلى الله، لأن ما يقوم به من الدين، ومنسوب إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، وشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه.

- ومن أكثر الأمور التي يفتن بها عوام الناس التصرف الخاطئ الذي يصدر من بعض الجهلاء من أهل العبادة والصلاح، لأن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه، فيقتدون به على جهله.

- لا يُغني التأهيل العلمي للداعية عن التأهيل العملي، إذ لابد من تلازمهما للتهيئة الشاملة للدعاة إلى الله عز وجل.

- يرتكز التأهيل العقدي للداعية على تقرير ثلاثة الأصول ويقصد بها معرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام.

- كما أن حسن الخلق للداعية ليس مجرد فضيلة ومكرمة فحسب، وإنما هو شرط للنجاح والتفوق، وسبب لإقبال الناس عليهم وعلى دعوتهم، ويمكن القول: إن حسن الخلق هو واحد من أهم مؤهلات الدعاة، ومن دونها لا يمكن سلوك سبيل الدعوة رجال. ومن دعا إلى الله بغير أخلاق، كان ضرره على الدعوة أكبر من نفعه لها

- والسلوك الحسن يحبب الداعية إلى الناس جميعاً حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، وكل من جالسه، أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك هدفه الدعوي بإذن الله

تعالى، لأن الدعاة إلى الله لا يسعون الناس بأموالهم، ولكن ببسط الوجه وحسن الخلق، وعلى العكس من لم يتخلق بالخلق الحسن ينفر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من عمله وخبرته.

- إن التدريب العلمي والممارسة التطبيقية ولو مع التكلف في أول الأمر، وقسر النفس على غير ما تهوى، من الأمور التي تكسب النفس تكون بمثابة الخلق الفطري، وحين تصل العادة إلى هذه المرحلة تكون خلقاً مكتسباً، ولو لم تكن في الأصل الفطري أمراً موجوداً.

- يستلزم إعداد الداعية وتأهيله وفق متطلبات الواقع المعاصر استقصاء واقع الإعداد والتأهيل الدعوي في المؤسسات التعليمية، من خلال دراسة ميدانية تكشف جوانب القوة والضعف في: (مجال البناء المعرفي، مجال التأهيل الفكري، مجال التأهيل المهني الدعوي).

- يرتكز الإعداد والتأهيل الدعوي على البناء المعرفي، الذي يُقصد به تزويد الداعية بالمعارف، والعلوم، والمرتكزات الأساسية للقيام بالعمل الدعوي؛ بما يُعدّ بمثابة التأصيل لعلم الدعوة؛ الأمر الذي يسهم في التأهيل الفكري، والمهني ؛ لذا يلزم العناية بشأن اكتساب الداعية للمهارات الأساسية في هذا المجال عند وضع المقررات المعتمدة لأي برنامج تأهيلي دعوي.

- وجود تقارب في تحصيل خريجات قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وخريجات قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى لمهارات الإعداد الدعوي في مجال التأهيل المهني الدعوي من وجهة نظر عضوات هيئة التدريس.

- وجود تباين واضح في رأيي عضوات هيئة التدريس والخريجات في اكتساب مهارات التأهيل الفكري، والتأهيل المهني الدعوي، وهو ما

يعكس أم المهارات التي يرى الخريجات أهن اكتسبنها من الدراسة في القسم أو تعذر اتقاهن لها لم تكن واضحة في التقويم، وهو ما يستلزم منه إعادة آلية التقويم للخريجين لإمكانية توظيفه في خدمة التأهيل الدعوي.

- أصبح علم استشراف المستقبل اليوم من أهم العلوم الاستراتيجية للمؤسسات الكبيرة والدول التي تضع خططها المستقبلية بناء على قراءة لتطور أحوال الناس، والاهتمام بهذا العلم يزداد يوماً بعد يوم؛ حيث إن هذه الفعاليات هي بحق الحد الفاصل بين المؤسسات التي تبقى وتزدهر والأخرى التي تذوب وتندثر.

هذا، وفي الختام، نحمد الله تعالى الذي يسر هذا البحث وأعان على إتمامه، وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة، (د.ط)، دار القلم، دمشق، (د.ت).

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

٣. أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، أ. د. حمد بن ناصر العمار، "رسالة دكتوراه مطبوعة"، ط٣، دار إشبيليا، الرياض.

٤. الاستذكار، ابن عبدالبر تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ،

٥. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط١، دار الحضارة، الرياض، ١٤٢٩ه.

٦. أصول الأخلاق في القرآن ، د. عمر يوسف حمزة، ط١، دار الخليج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

٧. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

٨. الأصول الثلاثة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الأكاديمية العلمية، ١٤٢٧هـ.

٩. أصول الدعوة د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ط ٢٠٠٢م

١٠. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، أ. د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١١. إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة. جلوس بنت فرج القحطاني. رسالة دكتوراه في الدعوة والاحتساب. قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عام ١٤٣٣/ ١٤٣٤هـ.

١٢. إعداد الداعية من خلال سورة فصلت، "بحث مكمل لنيل درجة الماجستير" من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٧/ ١٤٠٨هـ للباحث حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار، وقد تم طباعة هذا البحث المكمل بعد تعديله، في دار إشبيليا للنشر والتوزيع.

١٣. إعداد الدعاة من خلال المتون العلمية، ناصر بن حمد بن ناصر العمار، "رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٣٢/١٤٣٣هـ".

١٤. اقتضاء الصراط المستقيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية دراسة وتحقيق: أ. د. ناصر عبدالكريم العقل، ط٧،، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

١٥. أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ط١، ١٤٠٧هـ

١٦. البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه. د. ذوقان عبيدات وآخرون. ط د (ر)، ٢٠٠٥م، دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض.

١٧. التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، "رسالة ماجستير مطبوعة"، هيفاء الرشيد، ط١، وزارة الصحة، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

١٨. التعريفات، الجرجاني، ط٢، دار الكتاب العربي، ص١٣٦؛ الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ط٢، دار القلم.
١٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ
٢٠. التلازم بين العقيدة والشريعة، أ. د. ناصر العقل، ط١، دار الوطن، ١٤١٢هـ،
٢١. التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، محمد المحممي، "رسالة ماجستير مطبوعة"، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، ط١، مدار الوطن، ١٤٣٣هـ، الرياض.
٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط الأولى،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة، د (م).
٢٣. ثقافة الداعية وأثرها في نجاح الدعوة "بحث مكمل لنيل درجة الماجستير" من قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣هـ، إعداد الباحث: مصطفى أمين محمد، و لم يطبع.
٢٤. جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٥. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ(ط).
٢٦. حركة العصر الجديد مفهومها، ونشأتها، وتطبيقاتها، د. هيفاء الرشيد، "رسالة دكتوراه مطبوعة"، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، مركز التأصيل، جدة.

٢٧. خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر الأشقر، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت.
٢٨. الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٩. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ
٣٠. الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ط٥، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٣١. زاد الداعية إلى الله، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الثقة، مكة المكرمة.
٣٢. سنن ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن زيد القزويني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض، ط الثانية ١٤٠٤ه
٣٣. سنن أبي داود، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت طبعة عام ١٤١٦ه
٣٤. سنن الترمذي أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي دار الحديث، القاهرة مصر.
٣٥. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشوري دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ط الأولى ١٤١٧هـ.

٣٦. السنن الكبرى أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة بيروت، لبنان.

٣٧. سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق مكتب التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط الثانية ١٤١٢ه

٣٨. شخصية الداعية بين التكوين والتطبيق "بحث مكمل لنيل درجة الماجستير" من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٤هـ، للباحث: مبارك بن حمد الحامد، و لم يطبع.

٣٩. شرح الأربعين النووية، بدون رقم طبعة، مؤسسة الشيخ محمد العثيمين.

٤٠. شرح العقيدة الطحاوية، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، ط٢، دار التدمرية، ١٤٢٩هـ.

٤١. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، أ. د. صالح الفوزان، ط٤، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٢. شرح ثلاثة الأصول، الشيخ صالح آل الشيخ، تحقيق: عادل رفاعي، ط١، مكتبة دار الحجاز، مصر، ١٤٣٣هـ، ص٧.

٤٣. شرح ثلاثة الأصول، الشيخ عبدالعزيز بن باز، وآخرون، ط١، دار ابن حزم.

٤٤. صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب، القاهرة مصر، ط الأولى ١٤٠٧هـ

٤٥. صحيح سنن أبي داود، ط١، ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣هـ.
٤٦. صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، بيروت، لبنان ودار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان.
٤٧. صحيح وضعيف سنن النسائي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط د (ر.ت)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.
٤٨. ضوابط تكفير المعين، أ. د. عبدالله الجبرين، ط٣، بدون دار نشر، ١٤٢٥هـ
٤٩. طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزية دار ابن القيم للنشر ١٤١٤هـ.
٥٠. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، الشيخ أ. د. صالح الفوزان، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٥١. العلم فضله وآدابه ورسائله، للشيخ عبد الله الجبرين (د.ط) أعده للنشر، د. طارق بن محمد الخويطر (د.ت).
٥٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٣. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ
٥٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط د(ر)، ١٣٧٩م، دار المعرفة، بيروت.

٥٥. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح الشيخ محمد العثيمين، ط٤، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.
٥٧. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. ط الثالثة، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.
٥٨. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن عثيمين جمع وإشراف: د. محمد الشويعر، ط٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ
٥٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط الأولى، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٠. مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المكتبة العصرية، بيروت.
٦١. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د.عبدالكريم زيدان، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦٢. المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها، د. أحمد بن محمد بن عبدالله أبا بطين الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م الناشر: دار عالم الكتب الرياض ط الثانية ١٤١٢هـ.
٦٣. المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للذهبي دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
٦٤. المصباح المنير، الفيومي، ط١، دار المعارف، مصر.

٦٥. معجم اللغة العربية المعاصرة. د. أحمد مختار عبد الحميد. ط الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، عالم الكتب، د (م).

٦٦. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط د (ر.ت)، دار الدعوة، القاهرة.

٦٧. معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس الرازي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط د (ر)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الفكر، د (م).

٦٨. مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزي، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد الطبعة: ١سنة النشر ١٤٣٢هـ.

٦٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٧٠. مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم. نداء بنت سالم السويلم، "رسالة ماجستير" في الدعوة والاحتساب. قسم الدعوة والاحتساب. كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عام ١٤٣٣/١٤٣٤هـ.

٧١. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان.

٧٢. موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة. بإشراف ومراجعة صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ. ط الرابعة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م،دار السلام، الرياض.

٧٣. الموسوعة العربية لمصطلحات التربية وتكنولوجيا التعليم. د. ماهر إسماعيل صبري. ط الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، مكتبة الرشد، الرياض.

٧٤. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: د. صالح بن عبد الله بن حميد، ط٤، دار الوسيلة، جدة

٧٥. ميليشيا الإلحاد، أ. عبدالله العجيري، ط١، مركز تكوين، لندن، ١٤٣٥هـ.

البحث رقم (٢)

المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين
"تاريخها، أسبابها، موضوعاتها"

إعداد

د. عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الطويل
الأستاذ المشارك في قسم الدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن للنصيحة في الإسلام مكانة عظيمة، ومترلة مهمة، إذ هي عماد الدين وقوامه، وقد جعلها الشارع الحكيم من حقوق المسلمين فيما بينهم، بل إنه عليه الصلاة والسلام جعل الدين هو النصيحة(١)، وإن النصيحة لأئمة المسلمين ركن أساس في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، إذ هي من أهم أنواع النصيحة.

ولـمّا كان الجهل بأحكام نصيحة أئمة المسلمين، يفتح الباب أمام الجهّال للخوض فيه من غير دراية، اهتم العلماء بالتصنيف في هذا الباب مبينين حكمه وحكمته، وأسبابه وتطبيقاته صيانة للعلم من الدخلاء، وحماية للشريعة من أهل الأهواء، فألفوا العديد من المصنفات

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة(١/٧٤)رقم٧٤، ولهذا الحديث منزلة عظيمة عند العلماء في شرحه، والعناية به، قال المروزي رحمه الله: ((فجمعت هذه الكلمة كل خير يُبتغى ويؤمر به، وكل شرّ يُتقى ونُهي عنه)) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ(٢/٦٨١)، وللاستزادة انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ(١١/٥٠٠)، شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، ط٣، ١٤٢٥هـ، ص١١٨

(٢) انظر: أصول السنّة أحمد بن حنبل الشيباني، دار المنار، الخرج، ط١، ١٤١١هـ، ص٤٦، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد الحمدان، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ(١/١٦١) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن أبي العزّ الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٤هـ، ص٣٧٣.

التي توضح الطرائق الصحيحة للقيام بهذا الواجب الشرعي المهم، وتهدف إلى تقديم النصيحة لأئمة المسلمين، وبيان المسلك الشرعي الذي ينبغي سلوكه في إقامة الشرائع، وتولية الولايات، وتحصيل الأموال وإنفاقها، وبالحكم بين النّاس وإقامة الحدود، وحث الأمراء على التعامل مع شعوبهم بفضائل الأعمال، وغير ذلك، ومن عناية العلماء بهذا الموضوع أنهم جعلوا الحديث عنه بكل تفاصيله في مصنفات العقيدة، وأدرجوه ضمن منهج أهل السنّة ليكون علامة فارقة عن منهج الخوارج في دعوتهم للخروج على أئمة المسلمين.

قال ابن بطة رحمه الله: (اعتقاد الديانة بالنصيحة للأئمة، وسائر الأمة في الدين والدنيا، ومحبة الخير لسائر المسلمين)(١).

ومن هنا عزمتُ على جمع هذه المؤلفات، بعرض مسردها التاريخي، وأسباب تصنيفها، وأبرز موضوعاتها، ووسمته بـ **"المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين، تاريخها، وأسبابها، وموضوعاتها"**.

أسباب اختيار الموضوع:

١-كثرة المؤلفات التي دونها العلماء في مناصحة أئمة المسلمين.

٢- الجهل عند البعض بأحكام، وطبيعة مناصحة أئمة المسلمين.

٣- أن التعرف على محتوى هذه المؤلفات سبيل لمعرفة المنهج الصحيح في مناصحة أئمة المسلمين.

٤- الإسهام في إيجاد دراسة تخصصية تكون مرجعاً في المؤلفات المتعلقة بنصيحة أئمة المسلمين.

---

(١) الإبانة، أبو عبدالله عبيدالله بن بطة العكبري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٣٠٨.

أهداف البحث:

١- التعرف على حجم المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين.

٢- التعرف على نشأة وتاريخ التأليف في مناصحة أئمة المسلمين

٣- التعرف على أسباب التأليف في مناصحة أئمة المسلمين.

٤- التعرف على مضامين كتب مناصحة أئمة المسلمين.

٥- التعرف على منهج السلف في التأليف في باب مناصحة أئمة المسلمين.

حدود الدراسة:

يتناول البحث المصنفات المتعلقة بنصيحة أئمة المسلمين إلى نهاية القرن العاشر الهجري، ويرجع هذا التحديد لقلة المؤلفات بعد القرن العاشر في هذا الموضوع إذ أن غالب ما وقفتُ عليه هو مخطوطات(١) لـمّا تُطْبَعْ بعد، أو مؤلفات معاصرة وهي كثيرة(٢) وجلّها مستفاد مما كتبه السابقون.

منهج البحث:

اعتمدتُ في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي؛ وذلك بتتبع المصنفات المفردة في نصيحة أئمة المسلمين خلال حقبة زمنية محددة، ثم قمتُ بذكر المحتوى العلمي في هذه الكتب بعرض أبرز ما تضمنته، واشتملت عليه.

---

(١) من ذلك: "نصيحة السلاطين"، لمصطفى عالي الكليبولي، (ت١٠٠٩هـ)، و "براءة الذمة في نصيحة الأئمة" للحسن اليمني، (ت١٠٨٤هـ)، و"ثمار الأسماء في نصائح الملوك"، لأحمد عثمان زاده (ت١١٣٦هـ).

(٢) من ذلك: "إرشاد الأنام إلى كيفية مناصحة الحكام"، لفوزي بن عبدالله الأثري، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ، و"معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة"، د. عبدالسلام بن برجس العبدالكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

التعريف الإجرائي:

من خلال ما سبق يتبين بأن المقصود من عنوان البحث: المصنفات التي خصصها مؤلفوها للكتابة حول نصيحة ولاة الأمور، وأئمة المسلمين ببيان تاريخها، وأبرز أسبابها، وأهم موضوعاتها.

وقد جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة وثبت للمراجع، على النحو الآتي:

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: تاريخ التأليف في مناصحة أئمة المسلمين.

المبحث الثاني: أسباب التأليف في مناصحة أئمة المسلمين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وفرة النصوص الدالة على مشروعية مناصحة أئمة المسلمين.

المطلب الثاني: مكانة أئمة المسلمين في الشريعة الإسلامية

المطلب الثالث: طلبُ الحاكمِ من العالم التأليف في مناصحته.

المبحث الثالث: موضوعات مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين.

المطلب الأول: النصائح المتعلقة بأئمة المسلمين

المطلب الثاني: النصائح المتعلقة بعلاقة الحاكم مع المحكوم

المطلب الثالث: نماذج من نصائح العلماء لأئمة المسلمين.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

أسأل الله الإعانة والتوفيق في السر والعلن، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث:

يلاحظ من عنوان البحث بأن ما يحتاج إلى إبراز وتوضيح هما مصطلحان: مصطلح النصيحة، ومصطلح أئمة المسلمين.

أمّا **النصيحة:** ففي اللغة مأخوذة من نصح الثوب إذا خاطه، والناصح الخياط، وقيل: مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع(١)، (شبهوا تخليص القول والعمل من شوب الغش والخيانة بتخليص العسل من الخلط الذي فيه)(٢)، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: (النون والصاد والحاء أصل يدل على ملاءمة بين شيئين، وإصلاح لهما)(٣)، وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته، ونصحت له(٤).

والمناصحة لغة: مفاعلة؛ مأخوذة من النصح(٥).

أمّا النصيحة في الاصطلاح فقد عرفها العلماء بتعريفات متعددة تدور في معظمها حول ما ينبغي أن يراعيه الناصح من إرادة الخير بالمنصوح، وبذل الوسع في نصحه. فمن هذه التعريفات:

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، مادة "نصح" (٢/٦١٥).

(٢) أعلام الحديث "شرح صحيح البخاري"، حمد بن محمد الخطابي، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ (١/١٩٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، مادة "نصح"(٥/٤٣٥).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ، (٥/٦٣).

(٥) انظر: الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ(٤/٤١١).

١- تعريف ابن نصر المروزي رحمه الله: (النصيحة: عناية القلب للمنصوح له من كان)(١).

٢- تعريف أبي عمرو بن الصلاح رحمه الله: (النصيحة: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً)(٢).

٣- تعريف الخطابي رحمه الله: (النصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح)(٣)

وكلها تعريفات متقاربة وصحيحة يستخلص منها أن النصيحة مبناها الإخلاص للمنصوح؛ وهو ما يحمل الناصح على إرادة الخير للغير، ودرء الضر عنه في أمور دينه ودنياه، وفي أمور معاشه ومعاده(٤).

أمّا مفهوم النصيحة كما ورد في كتب مناصحة أئمة المسلمين فمنها ما ذكره الماوري، قال رحمه الله: (ثم إنّ كل ما نزّل الله في الكتاب، وأجرى على لسان رسوله، وأمر بأخذه واتباعه، ثم ما تواصى به الحكماء سلفهم لخلفهم، وأولهم لآخرهم من حكمة بالغة، أو كلمة نافعة، أو موعظة شافية، أو هداية مرشدة، فإنما هي نصيحة)(٥). وتعريف آخر ذكره ابن ابن رضوان المالقي رحمه الله قال:((النصح في الجملة فعل الشيء الذي به

(١) تعظيم قدر الصلاة، (٢/٦٩١)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٥/١٤٢).

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ(١/٢٢٢).

(٣) أعلام الحديث(١/١٨٩).

(٤) انظر: النصيحة شروطها، وآدابها، أ. د. عبدالرب نواب الدين، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٥م ص١٠.

(٥) نصيحة الملوك ص٥٦.

الصلاح)(١).

وأشير هنا إلى أن ثمة مَنْ فَرّقَ بين النصيحة والنصح كالجرجاني رحمه الله فقال:((النصيحة الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد، والنصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد)(٢)، فجعل النصيحة في الأقوال، والنصح في الأعمال، ولا وجه له؛ إذ إنهما في المعنى اللغوي متطابقان.

وأمّا تعريف أئمة المسلمين: فهم من أوجب الله طاعتهم من الأمراء والحكام والسلاطين والولاة(٣)، فمصطلح "أئمة المسلمين" يشمل الملوك والسلاطين والحكام والرؤساء والأمراء ونحو ذلك(٤).

ومن العلماء من شمل بذلك كل الولايات الكبرى والصغرى وهي ما تُسمى بالولاية بالمعنى العام.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: (ولاة الأمور هم كل من له ولاية على المسلمين؛ من السلطان الأعظم إلى الأمير؛ إلى جميع من لهم ولاية صغيرة أو كبيرة)(٥).

أمّا تعريف النصيحة لأئمة المسلمين -وهي المراد من هذه المصنفات-، فقد أكثر العلماء من هذا التعريف، وقد وقفت على أكثر

---

(١) الشهب اللامعة، ص١٤٦.

(٢) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٢٤١.

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ(١٢/٢٢٣).

(٤) وقد استعمل مؤلفو كتب مناصحة أئمة المسلمين كل هذه المصطلحات.

(٥) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ص١٤٩.

من عشرين تعريفاً، من أبرزها:

١- قال ابن منده رحمه الله: (وأمّا النصيحة لأئمة المسلمين، فحب صلاحهم، ورشدهم، وعدلهم، واجتماع الأمة عليهم، وكراهية افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن أراد الخروج عليهم)(١).

٢- قال الخطابي رحمه الله: (النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدْعَى لهم بالصلاح)(٢).

٣- وقال القاضي عياض رحمه الله: (وأمّا النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق، ومعونتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه، وتنبيههم على ما غفلوا عنه)(٣).

٤- وقال القرطبي رحمه الله: (والنصح لأئمة المسلمين ترك الخروج عليهم، وإرشادهم إلى الحق، وتنبيههم فيما أغفلوا من أمور المسلمين، ولزوم طاعتهم، والقيام بواجب حقهم)(٤).

٥- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والنصيحة لأئمة المسلمين

---

(١) الإيمان، أبوعبدالله محمد بن إسحاق بن مندة، تحقيق: د. علي الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، ص٤٢٤، وانظر: تعظيم قدر الصلاة(٦٩٣/٢) وجامع العلوم والحكم(٢٢٣/١).

(٢) أعلام الحديث(١٩٣/١).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ(٧٦/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ(٢٢٧/٨).

وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة)(١).

٦- وقال ابن حجر رحمه الله: (والنصيحة لأئمة المسلمين؛ إعانتهم على ما حُمّلوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسدّ خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، وردّ القلوب النافرة إليهم)(٢).

٧- وقال ابن رجب رحمه الله: (والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق)(٣).

من هذه التعريفات يتضح الاتفاق على عدة أمور في نصيحة أئمة المسلمين منها: حبهم، وحب صلاحهم، وجمع الكلمة عليهم، وكراهية من يخرج عليهم، وعدم إغرائهم بالمدح الكاذب، وإرشادهم -برفق- لجادة الصواب، ومناصرتهم عند البغي عليهم.

---

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، ط٢، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد القاسم (١/١٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ (١/١٣٨).

(٣)جامع العلوم والحكم، وانظر: شرح النووي على مسلم(٢/٢٤١).

المبحث الأول

تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين

المتتبع لتاريخ التصنيف في نصيحة أئمة المسلمين يجد أنها نشأت إمّا مع الكتابة في النصيحة بعامة، وإمّا مع الكتابة في السياسة الشرعية، وكانت في غالبها مضمنة في كتب العقائد والفقه، ونحو ذلك.

أمّا استقلالية التأليف في هذا المجال فمن الصعوبة تحديد تاريخ معين لذلك، لكنه لم يخلُ قرن من القرون من التأليف في هذا الموضوع ابتداءً من القرن الثالث إلى الوقت المعاصر؛ إذ الحاجة إليه ماسة، ومتجددة، وإن كان يقل في زمن ويكثر في آخر حسب الدواعي والبواعث.

ويلاحظ أن التأليف في هذا الباب شمل كل المذاهب الأربعة، فلم يقتصر على مذهب دون آخر، فمنهم الحنفي كنجم الدين الطرسوسي، والمالكي كالطرطوشي، والشافعي كالماوردي، والحنبلي كالفرّاء –رحم الله الجميع–

ففي القرن الثالث: كانت البداية الفعلية للتصنيف المستقل في نصيحة أئمة المسلمين حينما ألف شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع رحمه الله (ت٢٧٢هـ) كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك"(١) وكان قد كتبه نصيحة للخليفة العباسي المعتصم رحمه الله ، نصحه فيه بسياسة الناس بما في الكتاب والسنّة والعدل بين الرعية، كما أوصاه بالمسلك الوسط في كل الأمور إذ هو المتوافق مع طبيعة الإنسان.

وفي القرن الرابع: لم أقف على مصنف مستقل في هذا الموضوع، لكن ثمة إشارات مهمة في تضاعيف بعض الكتب مثل: "نشوار المحاضرة

---

(١) اعتنى بطباعته الأمير عبدالعزيز بن فهد، دار العاذرية، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

وأخبار المذاكرة"(١) للقاضي التنوخي رحمه الله (ت٣٨٤هـ) إلا أن هذا غير داخل في شرط البحث.

وفي القرن الخامس: تعددت المصنفات؛ فقام أبو منصور الثعالبي رحمه الله (ت٤٢٩هـ) بتصنيف كتابه الشهير "آداب الملوك"(٢)، وجعله في عشرة أبواب، جلّه نصائح ينبغي للحاكم مراعاتها مع جلسائه، وأعوانه، وضيوفه ونحو ذلك.

وألف أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله (ت٤٣٠هـ) كتاباً وسمه بـ "فضيلة العادلين من الولاة"(٣) استهله بأن من تولى مسؤولية الحكم فلابد له أن يراعي مصالح العباد، وأن يدرك أن الأمر جسيم، والواجب أن يقيم شرع الله بين رعيته، ثم قام بسرد تسعة وأربعين حديثاً وأثراً دالة على تأكيد هذا المعنى.

ولأبي الحسن الماوردي رحمه الله (ت٤٥٠هـ) مصنف شهير هو "نصيحة الملوك"(٤)، بل هو من أوسع ما كُتب في هذا الفن، باعث ذلك هو تمرس الماوردي رحمه الله في مجال السياسة والحكم، وقد أطال في نصائح تتعلق بفن الحكم، والإدارة، وبيان العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وواجبات كل منهما تجاه الآخر، كما قدم نصائح تتعلق بالسياسة المالية والاجتماعية والعقابية وغير ذلك، علماً أن الماوردي له مصنفات أخرى في هذا الشأن

---

(١) قام بتحقيقه مصطفى حسين عبدالهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) دار الغرب، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

(٣) قام الشيخ مشهور حسن سلمان بتحقيقه، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

(٤) قام خضر بن محمد خضر بتحقيقه، دار الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٣هـ.

منها "درر السلوك في سياسة الملوك"(١) ، كتبه خصيصاً لأحد الملوك كما سيأتي، كما ألف مصنفاً سماه "تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك"(٢)، اعتمد فيه على: (تقسيمات الفلسفة اليونانية للأخلاق مع محاولة التوفيق مع نصوص الكتاب والسنة)(٣).

ثم ألف أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي رحمه الله (ت٤٨٨هـ) كتابه "الذهب المسبوك في وعظ الملوك"(٤)، حشد فيه جملة من المواعظ المتعلقة بالعدل وآثاره الحسنة، وكذلك ذكر مواعظ عن اليوم الآخر، وما أعده الله للمحسنين.

وفي القرن السادس: استهل أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ) هذا القرن بتأليفه لكتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"(٥) الذي ألفه للملك السلجوقي محمد بن ملك شاه، وهذا واضح من مقدمة الكتاب الذي بدأه بقوله:((اعلم أيها السلطان...) وقد جعل له المؤلف مقدمة طويلة، ثم سبعة أبواب، ركّز في حديثه على ما يجب بين الحاكم ورعيته من العدل معهم، والكف عن ظلمهم، كما أوضح للحاكم أهمية العفو والتجاوز، ثم عاد ليذكر عشرة أصول قائمة على الإنصاف والعدل.

---

(١) قام فؤاد عبدالمنعم بتحقيقه، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) قام محيي هلال، وسرحان الساعاتي بتحقيقه، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(٣) أبو الحسن الماوردي وكتابه: نصيحة الملوك، فؤاد عبدالمنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ٢٠٠٩م.

(٤) قام أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري بتحقيقه، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ.

(٥) قام أحمد شمس الدين بضبطه وتصحيحه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

ولأبي بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)كتاب لطيف بعنوان "سراج الملوك"(١)، شرح فيه للحكام وولاة الأمور ما ينبغي عليهم فعله من الأمور التي لا تصلح شؤون الرعية إلا به، كما أوضح المنهج الرشيد في سياسة الملك، وقواعده السديدة سواء أكان ذلك في تدوين الدواوين، أم معاملة الجند، أم فيما يتعلق بأرزاق النّاس ورواتبهم، ونحو ذلك، كما تناول رحمه الله تحذيره الشديد من الظلم بين الرعية، وبيّن سوء عاقبته، علماً أن الطرطوشي جعل كتابه هذا في أربعة وستين باباً، قال في مقدمته:((إني نظرتُ في سير الأمم الماضية، والملوك الخالية، وما وضعوه في السياسات في تدبير الدول، والتزموه من القوانين في حفظ النحل، فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف، وحكماء الدول....))(٢).

كما ألف عبدالرحمن بن نصر الشيزري (ت٥٨٩هـ)كتاباً وسمه بـ "المنهج المسلوك في سياسة الملوك"(٣) أجاد المؤلف رحمه الله في ذكر نصائح مهمة للملوك جعلها في عشرين باباً، ركّز فيها على أهمية الملك العادل، وفضله، وحاجة الرعية له، كما فصل في أهمية الشورى وبيان صفات المستشارين، وتحدث عن أصول السياسة الشرعية والتدابير لكشف المظالم، ثم تحدث فيما ينبغي للحاكم من سياسة الجيوش ،وتدبير الجنود. وختم الكتاب بنصيحة لولي الأمر أن يخصص له مجالس للاستماع

---

(١) قام محمد فتحي أبوبكر بتحقيقه، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ

(٢) سراج الملوك، ص١١.

(٣) قام عبدالله الموسى بتحقيقه، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٤٠٧هـ

للمواعظ، وتقريب الوعاظ والنساك والمذكرين.

وختم ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ)مؤلفات هذا القرن في شأن نصح أئمة المسلمين بكتابه "الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء"(١)، وقد تضمن الكثير من النصوص من الكتاب والسنة المتعلقة بموضوع الكتاب، كما نصح الحكام بأهمية تعيين الأكفاء في الولايات العامة، وحثه على تفقد أحوال الرعية، وأن يكون له مجلس شوري لأخذ آراء العلماء، وأهل الحل والعقد والرأي السديد المخلصين لله ولرسوله من الذين لا يخافون في الله لومة لائم، وقد قسم كتابه إلى عشرة أبواب استهله ببيان شرف الولايات، وختمها بذكر أخبار الصالحين ومواعظهم، ثم منتخب من الأذكار والأدعية.

وفي القرن السابع: ظهرت العديد من المصنفات التي برز التصريح في عناوينها بالنصيحة منها: "النصيحة للراعي والرعية من الأحاديث النبوية والآثار المروية"(٢)، لأبي الخير التبريزي(ت٦٣٦هـ)، أوضح المؤلف في مقدمته أنه كتاب مختصر ذكر فيه-كما يقول- ما لا يستغني عنه الأمير والمأمور، والراعي والرعية، وجعله في خمسة أبواب حذر فيها من غش الرعية، وضرر الاحتجاب عنهم، وأطال في ذكر نصوص الرفق بالرعية، وتحريم ظلمهم. وقد اشتمل الكتاب على أكثر من خمسين حديثاً جلها في الصحيحين، وشمل أيضاً العشرات من الآثار المروية عن الصحابة والتابعين.

---

(١) قام د. فؤاد عبدالمنعم أحمد بتحقيقه، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٤٠٥هـ

(٢) قام عبدالله الأثري بتحقيقه والتعليق عليه، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١١هـ.

وللحافظ ضياء الدين المقدسي(ت٦٤٣هـ)، رسالة مهمة هي "نصيحة الملك الأشرف"(١). قال المحقق في مقدمتها:((فهذه رسالة علمية دعوية، تبين حقيقة المنهج الذي سار عليه علماء الإسلام السابقون في مناصحة الحكام أولياء الأمور، وتقديم حق النصح لهم، استجابة لأمر الله سبحانه، واتباعاً لسنة رسوله ﷺ)(٢). بدأ المقدسي كتابه بأنّ الله أوجب على المكلفين نصيحة الناس بعامة، ونصيحة السلطان بخاصة، ثم تحدث رحمه الله عما أوجبه الله على السلطان تجاه رعيته من الشفقة عليهم، والاهتمام بضعيفهم، وإزالة الضرر عنهم، ثم ساق المؤلف سبعة وعشرين حديثاً كلها تبين أهمية النصيحة، والعدل، والإنصاف، وتحذر من الظلم والحيف، ثم ختم كتابه بقصيدة وعظية(٣).

وفي القرن الثامن: وتحديداً بعد تجاوز منتصفه بسنوات ألف نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي (ت٧٥٨هـ)كتابه "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك"(٤) وقد جاء في افتتاحية الكتاب قوله:((ورأيتُ الواجب في هذا الزمان بذل النصيحة للسلطان بقدر الإمكان بتأليف كتاب يشتمل على فصول)(٥)، وقد جعله في اثني عشر فصلاً، ذكر فيها جملة من النصائح، وأنواع مصالح الملك، والسُبل التي بها يدوم الملك

(١) قام علي حسن عبدالحميد بتحقيقه والتعليق عليه.

(٢) نصيحة الملك الأشرف، ص٣.

(٣) من المصنفات في القرن السابع التي لا زالت مخطوطة "تبصرة الملوك وتذكرة السلاطين"، لمظفر بن محمد بن مظفر (ت٦٨٨هـ).

(٤) قام د. رضوان السيد بتحقيقه، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ

(٥) تحفة الترك ص١٣

بأحسن السلوك.

كما ألف محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي (ت٧٧٤هـ)نصيحة لأحد الحكام في مؤلف عنونه بـ "حسن السلوك الحافظ دولة الملوك"(١)، جعله في سبعة عشر فصلاً، افتتحه برجاء أن تنتفع الدولة بما في مضمون كتابه((من نصيحة جالبة لكل خلق شريف))(٢)، ثم تحدث بالتفصيل حول العدل، وتعريفه، والحث عليه، وساق النصوص الدالة على ذلك، كما أسهب في الحديث عن الولايات، وأركانها، وأهمية التثبت قبل التعيين والعزل. والكتاب ثري بنصوص الوحيين والآثار عن السلف.

ثم ألف عبدالله بن يوسف بن رضوان المالقي (ت٧٨٢هـ)كتابه "الشهب اللامعة في السياسة النافعة"(٣). ومما يميز هذا المصنف جمعه عدة علوم كالسياسة الشرعية، وعلم الاجتماع، وعلى الرغم أنه يركز على فترة زمنية محددة إلا أنه شمل على العديد من النصائح والمواعظ والعبر، وقد جعل كتابه-كما يقول المؤلف-على قسمين: قسم يشمل كلام الحكماء والفصحاء ونصائح وتذكيراً، وقسم يشتمل على حكايات الخلفاء ووزرائهم، وبيان فضلهم ونبلهم وعدلهم، وحسن سيرهم وكمال مروءتهم.

ثم قام موسى الزياني التلمساني (ت٧٩١هـ) بتأليف كتابه "واسطة

---

(١) قام فؤاد عبدالمنعم بتحقيقه، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ

(٢) حسن السلوك ص٥٣

(٣) قام د. علي النشار بتحقيقه، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤١٥هـ

السلوك في سياسة الملوك"(١)، وقد دونه تحديداً نصحاً لمن سيأتي بعده من في الحكم؛ يدل على ذلك ما جاء في مقدمة كتابه، إذ يقول رحمه الله: (فرأينا أولى ما نتحقق به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة إن شاء الله من بعدنا: وصايا حكمية وسياسية عملية علمية مما تختص به الملوك، وتنتظم بها أمورهم انتظام السلوك)(٢)، وقد نظم كتابه في أربعة أبواب جمع فيها حكماً، وقواعد، وأوصافاً، ونصائح، وختمه بما ينبغي أن يتحلى به الحاكم من الفراسة والفطنة ونحو ذلك.

وفي القرن التاسع: أُلفت العديد من مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين منها: "مآثر الإنافة في معالم الخلافة"(٣) لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي(ت١٨٢١هـ) الذي جعل كتابه في سبعة فصول، بين فيها تتابع الحوادث والأزمنة، يقدم نصائح للحكام عند كل جزئية يتحدث عنها بأسلوب لطيف، وعرض جميل، ثم ختم الكتاب بفصل عرض فيه أنواع العهود والعقود، علماً أن هذا الكتاب صنفه مؤلفه لأحد خلفاء بني العباس وهو "المعتضد بالله".

ثم ألف محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الخيربيتي (ت٨٤٣هـ) كتابه "الدرة الغرّاء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء"(٤). جعله المؤلف في عشرة أبواب، تحدث فيه عن الإمامة، وشروطها، وقواعدها، وآدابها، ثم قدم العديد من النصائح للحكام يبدأها بقوله: "ينبغي" ثم ختم كتابه

(١) مطبعة الدار التونسية، ١٨٦٢م.

(٢) واسطة السلوك ص٣.

(٣) قام عبدالستار أحمد فراج بتحقيقه، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٥م.

(٤) طبعته مكتبة نزار الباز، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

بمسائل متفرقة.

وخُتم هذا القرن بمؤلف لطيف هو "بدائع السلك في طبائع الملك"(١) لأبي عبدالله محمد بن علي الأصبحي الغرناطي المشهور بابن الأزرق(ت٨٩٦هـ)، جعله في مقدمتين فقط، استفاد في مقدمته الأولى المشتملة على عشرين مسألة من مقدمة ابن خلدون، أمّا في المقدمة الثانية فتحدث رحمه الله عن أهمية الولاية الشرعية، وأنواع السلاطين، ثم قام بنصح الحكام بإقامة العدل، وإقامة الولايات الدينية كالحسبة والفتيا والقضاء، ونحو ذلك(٢).

وفي القرن العاشر: ألف أبو حامد محمد بن أحمد المقدسي الشافعي(ت٩١٢هـ)كتابه الموسوم "بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية"(٣). والمؤلف وإن كان قد أكثر من النقل من غيره ككتاب "معيد النعم ومبيد النقم" للسبكي، و"الأحكام السلطانية "للماوردي؛ إلا أنه ينقل بتهذيب وترتيب، واستشهاد وافر

(١) قام د. علي النشار بتحقيقه، نشر وزارة الإعلام، العراق، ط١، ١٩٨٠م.

(٢) أشير هنا إلى أن ثمة مؤلفات أخرى في هذا القرن إلا أنها لا زالت مخطوطة لم تر النور بعد، منها: "النصائح الإيمانية لذوي الولايات السلطانية "لمحمد بن عبدالسلام الناشري، (ت٨٢١هـ) وكذلك "اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور "لنور الدين علي بن عبدالله السمهودي، (ت٨٤٤هـ) ومنها: "النصيحة الكلية في كل ما يتعلق بمصالح الراعي والرعية "لمحمد بن محمد بن خليل الأسدي، (ت٨٥٤هـ)، وأيضاً "النصائح الشريفة والمواعظ الظريفة في موعظة السلطان والخليفة "لعلي بن علوان الحمدي(ت٨٧٣هـ).

(٣) قام الباحث سالم الشمري بدراسة وتحقيق هذا الكتاب في أطروحته للماجستير، بقسم الدعوة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام١٤١٦هـ.

بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار عن الصحابة والتابعين، كما أكثر من النقل عن الشافعية إذ هو مذهبه، كما اتسم الكتاب بمنهجية واضحة في النصيحة والتوجيه والترغيب والترهيب، وقد جعل من حديث(الدين النصيحة)أصلاً لكتابه، بل رتب الكتاب على خمسة أقسام كما هي تقسيمات الحديث، وعلى كل فإن للكتاب قيمة علمية بارزة عند أهل التخصص(١)

وألف أبو الفضل محمد بن عبدالوهاب السنباطي المشهور بابن الأعرج(ت٩٢٢هـ)كتاباً وسمه بـ"تحرير السلوك في تدبير الملوك"(٢)، وهذا الكتاب صُنف وتم توجيهه لحاكم ظالم انتشر فساده حتى إنه ألغى الميراث، وصادر أموال الناس، فكان واجب العلماء نصحه وتذكيره، فكتب أبو الفضل هذا الكتاب يُبين له فيه أن أساس الملك، وثبات الملك هو التمسك بحبل الشريعة الغرّاء، والتزام نصوص الوحيين، والاعتماد على أمره ونهيه، وإقامة حدود الله التي من شأنها أن تمنع الناس من ارتكاب الجرائم، وأن تحفظ عليهم ضرورياتهم الخمس، كما نصحه أن يختار الأكفاء للمناصب والولايات العامة والخاصة، وأن يُعين من يراقب أعمالهم ويحاسبهم فإن أحسنوا شُكروا، وإن أساؤا عُزلوا، كما نصحه بالتحلي بالأخلاق الفاضلة كالتواضع والصدق والأمانة، وحذره من مساوئها كالكبر والظلم والعجب والغرور، وقد استفاد المؤلف كثيرا من كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي. رحم الله الجميع.

وألف علي بن عطية بن الحسن الهيتي الحموي الشافعي المعروف

(١) من المؤلفات في القرن العاشر التي لا تزال مخطوطة "الرتبة الفاخرة في نصائح الملوك، "لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي(ت٩٧٥هـ)

(٢) قام فؤاد عبدالمنعم أحمد بتحقيقه، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢م.

بالشيخ علوان(ت٩٣٦هـ)كتابه "النصائح المهمة للملوك والأئمة"(١)، أوضح في مجمله بأن النصر والتمكين والعزة للدولة تكون بالانتصار للضعفاء، والأخذ على أيدي المعتدين ، ثم بيّن فضيلة الإحسان والعدل في إقامة دعائم الدولة، وضرب لذلك أمثلة من سير الخلفاء الراشدين. وأشير بأن الكتاب غلب عليه الجانب الوعظي القصصي، كما نبه المؤلف على شيوع المسلك الصوفي على فكر كثير من دعاة ذلك الوقت، وعقد فصلاً أبان فيه مشروعية محبة الإمام، والدعاء له، ونصرته، ونصيحته ونحو ذلك، كما حث الحكام على إقامة شعائر الإسلام بعد الشهادتين، ويلاحظ على الكتاب مخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة في بعض المواطن، كما يوجد فيه بعض الأحاديث الضعيفة.

(١) قام الباحث موفق بن عبدالله العوض بتحقيق هذا الكتاب في أطروحته الماجستير، بقسم الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٨هـ.

المبحث الثاني

أسباب التأليف في مناصحة أئمة المسلمين

ظهر هذا النوع من التأليف لبواعث متعددة، وأسباب متنوعة، كتبها المؤلفون -غالباً- في مقدمة تواليفهم؛ فكشفوا من خلالها تفصيل ذلك، وسأتحدثُ عن هذه الأسباب عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: وفرة النصوص الدالة على مشروعية نصيحة أئمة المسلمين:

تضافرت النصوص الصريحة الصحيحة في بيان وجوب نصيحة ولاة الأمور، ووعظهم، وتذكيرهم من ذلك:

١- قوله ﷺ:(الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)(١).

قال ابن عبدالبر رحمه الله: (ففي هذا الحديث أن من الدين النصيحة لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون، فكل من واكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك إذا رجا أن يسمع منه)(٢).

٢- قوله ﷺ: ((إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))(٣).

(١) أخرجه مسلم، وسبق تخريجه ص١.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف بالمغرب، ط١، ١٣٨٧هـ (٢٨٥/٢١).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر(٩٩٠/٢)وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، دار الصديق، الطائف، ط١، ١٤٢١هـ (١٨٢/١).

٣- قوله ﷺ: ((ما استخلف الله خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله))(١).

٤- قوله ﷺ: ((إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه))(٢).

٥- قوله ﷺ: ((ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم))(٣).

لقد أدرك العلماء أنّ هذه النصوص دعوة لهم لتقديم النصح لمن ولاه الله أمر المسلمين، وأن أي تقصير في ذلك هو كتمان للعلم، وامتناع عن قول الحق، ولاسيما وأن عبارات السلف في وجوب مناصحة الحكام مشهورة معروفة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((أيتها الرعية إن لنا عليكم حقاً: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير)(٤).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((السلطان ظل الله في الأرض، فمن غشه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: بطانة الإمام وأهل مشورته (٢٦٣٢/٦) رقم٦٧٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الخراج، باب: في اتخاذ الوزير(٩٢/٣)رقم٢٩٣٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٦٦/٢) رقم٢٩٣٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: العلم عن رسول الله، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٣٤/٥) رقم٢٥٨٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٧٦٠/١).

(٤) الزهد، هناد السري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ(٦٠٢/٢).

ضل، ومن نصحه اهتدى)(١).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: (وأما مناصحة ولاة الأمور فلم يختلف العلماء على وجوبها إذا كان السلطان يسمعها، ويقبلها)(٢).

بل إن الشوكاني جعل من هجر الدخول على الحكام سبباً في تعطل الشريعة.

يقول رحمه الله: (ولا يخفى على ذي عقل، أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخلة الملوك، لتعطلت الشريعة المطهرة، لعدم وجود من يقوم بها، وتبدلت تلك المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة، وعم الجهل وطم، وخولفت أحكام الكتاب والسنة)(٣).

ولا شك في أن التصنيف هو من أبرز وأشهر وسائل المناصحة منذ القدم، بل هو أساس هذه الوسائل، وأكثرها نفعاً واستمراراً، فهو نصح لا ينقطع، وفضل دائم مستمر، وبالتأليف حُفظت الكثير من العلوم والمعارف في شتى الفنون، ولـمّا سُئل ابن الجوزي عن سبب انشغاله بالتأليف عن التدريس في أحد فترات عمره قال رحمه الله: (رأيتُ من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا يحصون ما خلقوا

(١) شعب الإيمان، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ (١٨/٦).

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقه الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م (٥٧٩/٨).

(٣) رفع الأساطين في حكم الدخول على السلاطين، محمد الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الجيل، اليمن ص٣٣.

بعد، ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر انتفاعاً بما يستفيدونه من مشايخهم)(١).

لأجل هذا كله سارع علماء المتقدمين والمتأخرين بجملة من التصانيف في هذا الشأن-كما تقدم- التي تحوي العديد من النماذج الشرعية لنصائح أئمة المسلمين، بالإضافة لتضمين كتبهم أبرز النصوص الدالة على مشروعية وجوب مناصحة أئمة المسلمين.

قال ابن الأزرق رحمه الله: (نصح الإمام، ولزوم طاعته فرض واجب، وأمر لازم، لا يتم الإيمان إلا به، ولا يثبت الإسلام إلا عليه)(٢).

وأشير هنا بأن وفرة النصوص الشرعية أضفت على هذه المصنفات سمة بارزة وهي المنهج الاستدلالي بالمصادر الشرعية، إذ أصبح هو النمط السائد في معظم هذه المصنفات، بالإضافة إلى مصادر أخرى(٣) كأقوال السلف، والشواهد التاريخية المأخوذة من سير الملوك السابقين، والحكم، والأمثال، والأشعار.

قال ابن رضوان المالقي رحمه الله: (وجمعتُ من سياسة الملوك الأقدمين، وسير الخلفاء الماضين، وكلمات الحكماء الأولين ما فيه غنية للخاطر)(٤).

---

(١) صيد الخاطر، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ص٢٠٧.

(٢) بدائع السلك في طبائع الملك، ص٢٥٥.

(٣) وهنا أقترح كتابة دراسة تُعنى بـ: "مصادر الاستشهاد في مؤلفات مناصحة ولاة الأمور" فهو عنوان جدير بالدراسة والبحث والتحليل.

(٤) الشهب اللامعة، ص٥٢.

المطلب الثاني: مكانة أئمة المسلمين في الشريعة الإسلامية:

جعل الله لأئمة المسلمين مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة تتناسب مع قدرهم، وعِظم مسؤوليتهم، وأهمية منصبهم، إذ إن منصب الإمامة وُضع لحراسة الدين، وسياسة الدنيا، والقيام بمصالح العباد والبلاد(١).

وأوجب الشارع الحكيم على المسلمين احترام الأمراء، وتوقيرهم، ونهى عن ذمهم، وانتقاصهم، والحط من قدرهم، بل لقد جاءت النصوص والآثار المؤكدة ما للحكام من أثر كبير في صلاح الأمة أو فسادها، ومما يدل على عِظم هذه المكانة ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٢).

والمراد بأولي الأمر في أصح أقوال العلماء والمفسرين أنهم الأمراء(٣)، فانظر كيف قرن الله طاعتهم بطاعته عز وجل وطاعة رسوله ﷺ.

٢- أن النبي ﷺ أكد على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، فقال:(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع

---

(١) انظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، ص٤٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ (٧/١٧١) وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ(٧/٣٢٨)، قال النووي رحمه الله: ((المراد بأولي الأمر: من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم)) شرح النووي على مسلم(١٢/٤٢٦).

أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)(١).

٣- عِظم منــزلة الإمام العادل، يقول ﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل.........الحديث))(٢).

فقد بدأ بذكر الإمام العادل لفضله، وعلو شأنه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ليس أحد أقرب منــزلة بعد الأنبياء من إمام عادل)(٣).

وقال ابن الملقن رحمه الله: (بدأ بالإمام العادل: لكثرة مصالحه، وعموم نفعه)(٤).

٤- الأمر بإكرام الحاكم المقسط، وتوقيره، فقد قال ﷺ:(إن من إجلال الله عزّ وجلّ: إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملَ لواء القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)(٥).

وفي الحديث الآخر: ((خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله عزّ وجلّ: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً، أو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، (٢٦١١/٦) رقم ٦٧١٨، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٦/٣) رقم١٨٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: من جلس ينتظر الصلاة، وفضل المساجد(٢٣٤/١)رقم٦٢٩، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة(٩٣/٣) رقم٢٤٢٧.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن الملقن الشافعي، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ(٤٧/٦).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤٤٦/٦).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الآداب، باب: في تنزيل الناس منازلهم(٤١١/٤)رقم٤٨٤٥، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود(٢، ٤٣٠)رقم٤٨٤٥.

دخل على إمامه يريد تعزيزه، وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه، وسلم من الناس))(١).

ولذا يقول سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء)(٢).

٥- التحذير من إهانة ولي الأمر، أو سبه، يقول ﷺ: ((من أهان سلطان الله أهان الله سلطانه))(٣)، وقال ﷺ: ((لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا))(٤)

قال ابن عبدالبر رحمه الله: (إن لم يكن يتمكن نصح السلطان، فالصبر والدعاء، فإنهم كانوا ينهون عن سبّ الأمراء)(٥).

وقد عقد كبار علماء السلف في مصنفاتهم أبواباً خاصة لهذا الأمر، ففي كتاب السنّة لابن أبي عاصم قال:(باب ما ذُكر عن النبي ﷺ من أمره بإكرام السلطان)(٦)، وفيه أيضاً:(فضل تعزيز الأمير، وتوقيره)(٧)، وتوقيره)(٧)، وفي كتاب "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ(٢٧٤)رقم ١٠١٥، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير(١١٦/٢)رقم٣٢٤٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٠/٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب الفتن، باب: ما جاء في الخلفاء(٥٠٢/٤)رقم٢٢٢٤، والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب، للمنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ(١٠١/١)

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٠٨/١١) وجوّد إسناده الألباني كما في ظلال الجنة(٢١٧/٢)رقم ١٠١٥.

(٥) التمهيد (٢٨٧/٢١).

(٦) السنة (٣٨٩/٢).

(٧) السنة (٤٩٠/٢).

السنّة":(فصل: في فضل الأمير)(١).

وعلى هذا الأساس انبرى هؤلاء العلماء للتأليف في نصحهم لأئمة المسلمين بتخصيص مؤلفات لذلك، إذ إنّ أئمة المسلمين أحق النّاس بتقديم النصح والتذكير لهم.

قال الماوردي رحمه الله: (فالملوك أولى النّاس بأن تهدى إليهم النصائح، وأخصهم بأن يخولوا بالمواعظ، إذ في صلاحهم صلاح الرعية)(٢).

وقال الشيرازي رحمه الله: (الحكام هم الرأس، والرعية هم الجسد، فلو أن الرأس جاهلة فإنها ستمزق جسدها بأسنانها)(٣).

بل إن هؤلاء العلماء خصصوا غالب مقدمة مصنفاتهم لإبراز مكانة أئمة المسلمين، وولاة أمرهم، وحشد النصوص الدالة على ذلك.

قال ابن الأعرج رحمه الله في افتتاحية كتابه: (الحمد لله الذي فضل ملوك الأمة المحمدية، وسلاطين الملة الأحمدية.....وقد وضح لذي الدراية والعرفان، وثبت عند أولي الرواية بالدليل والبرهان أن السلطة منزلة عالية معدودة.... بها مصالح الخواص والعوام)(٤)، ثم بين رحمه الله أنه لما رأى مهام ولاة الأمور وما يتحملونه من أعباء، وما أولتهم الشريعة من مكانة عظيمة قام بتأليف كتابه مؤكداً علو مكانتهم، ورفعة شأنهم(٥).

يقول صاحب كتاب "التاج في أخلاق الملوك" في مقدمته: (إنّ الله

---

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ(٢/٤٣٨).

(٢) نصيحة الملوك، للماوردي ص٢١.

(٣) نصيحة الملوك، للشيرازي ص٤٤.

(٤) تحرير السلوك، ص٢٣.

(٥) انظر: تحرير السلوك، ص٢٨.

عزّ وجلّ لما خصّ الملوك بكرامته، كرمهم بسلطانه، ومكّن لهم في البلاد، وخولهم أمر العباد، وأوجب على علمائهم تعظيمهم، وتوقيرهم، وتعزيزهم)(١).

وقريب من ذلك ما قاله القلقشندي رحمه الله في مقدمة كتابه "مآثر الإنافة" من بيان أنّ الإمارة هي المعول في حفظ الأمة، وسلامة حقوق الناس، ولذا ظهرت منزلة أئمة المسلمين، ولهذا السبب ألف كتابه خدمة منه-كما يقول-لمعالم الخلافة العليّة، وإبراز لأثرها في صلاح العباد والبلاد(٢).

فالرعية لا يستقيم أمرها إلا بوجود راعٍ كما يقول الماوردي رحمه الله(٣).

وأطال الشيزري رحمه الله في مقدمة كتابه "المنهج المسلوك" حول حاجة الناس، وافتقار الرعية لملك عادل، ثم أخذ يبيّن فضله، وواجب رعيته نحو توقيره، وتبجيله ونحو ذلك(٤).

إن غالب المؤلفات في نصيحة أئمة المسلمين جاءت مضمنة الإشارة إلى فضل الحكام، ومدى الحاجة إليهم، بل عدم الاستغناء عنهم.

قال ابن أبي الربيع رحمه الله: (السعادة العامة تكمن في تبجيل الملوك، وتعظيمها، وطاعتها)(٥)، وبنحوه قال الطرطوشي في "سراج الملوك"(٦).

الملوك"(٦).

(١) التاج في أخلاق الملوك، ص٣٦.

(٢) انظر: مآثر الإنافة (٤/١).

(٣) انظر: تسهيل النظر، ص١٦٧.

(٤) انظر: المنهج المسلوك، ص٥٤.

(٥) سلوك المالك، ص٧٤.

(٦) سراج الملوك، ص٤٤، وانظر: النصيحة للراعي والرعية ص٣٣.

بل لقد طبقوا ذلك في مصنفاتهم؛ فها هو الغزالي رحمه الله يقول في مقدمة كتابه": (اعلم يا سلطان العالم، ملك الشرق والغرب أنّ لله عليك نعماً ظاهرة....)(١)،

ويقول الماوردي رحمه الله: (الملك الفاضل، والسائس الكامل، الملك في جلالة مكانة وعلو مكانته)(٢).

ويقول ابن رضوان المالكي رحمه الله: (....وآبائه الخلفاء الأعلام الذين زها بهم الملك حين نشروا بالغرّ لواءه، وعمّروا بالعدل والأمان أرجاءه)(٣).

ولا شك أن هذا حرص منهم على انتقاء ما يليق بمكانة أئمة المسلمين، وإظهار التقدير والاحترام لأجل إيصال النصيحة لهم.

(١) التبر المسبوك، ص٦

(٢) نصيحة الملوك، ص١٧١، وانظر ص٢٢١.

(٣) الشهب اللامعة، ص٥١.

المطلب الثالث: طَلَبُ الحاكم من العالم التأليف في مناصحته:

إن الناظر إلى جملة مما سبق ذكره من المصنفات المتعلقة بمناصحة أئمة المسلمين يجد أنها كُتبت بطلب من ولي الأمر؛ من ذلك: كتاب "حسن السلوك" للموصلي، الذي ألفه بطلب من أحد ولاة الأمور لم يذكر المؤلف اسمه، وكذلك كتاب "درر السلوك" للماوردي ألفه بطلب من بهاء الدولة، وكتاب "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" لأبي القاسم بن رضوان المالقي ألفه بطلب من السلطان أبي سالم المريني وغير ذلك.

وهذا راجع -غالباً- إلى صلاح هؤلاء الحكام من ناحية، وإلى محبة العلماء لولاة أمرهم من ناحية أخرى، ولذا قال الماوردي رحمه الله في مقدمة كتابه: (فكتبنا كتابنا هذا نصيحة للملوك، وإظهاراً لمحبتهم، وإشفاقاً لهم على أنفسهم، ورعاياهم)(١).

وكذلك أبو حامد الغزالي رحمه الله الذي ألف كتابه "التبر المسبوك" خصيصاً للملك السلجوقي محمد بن ملك شاه، قال في مقدمته:((فينبغي أن يُعلم بأن من أعطاه الله درجة الملوك، وجعله ظله في الأرض، فإنه يجب على الخلق محبته، ويلزمهم متابعته، وطاعته)(٢) .

ولاشك في أن الحاكم بحاجة مستمرة لنصح رعيته ولاسيما نصيحة العلماء له، بل إن نصح الحكام يأتي في الأهمية مسبوقاً على نصح العامة لأنهم أولى الناس بها لعظيم مكانتهم، وكبير حقهم، وقوة أثرهم في الرعية. وبالتالي فلا غرابة أن يوجد هذا العدد الكبير من المصنفات الخاصة بالحكام وولاة الأمور.

---

(١) نصيحة الملوك، ص٣٠.

(٢) التبر المسبوك، ص٤٣.

المبحث الثالث

موضوعات المصنفات في مناصحة أئمة المسلمين

لا شك في أنّ الموضوع الأبرز، والقضية الكبرى هو: نصيحة أئمة المسلمين، وهو ظاهر في غالب عناوين هذه المؤلفات؛ استجابة للواجب الشرعي لأجل الحفاظ على نسيج الدولة، ومراعاة المصالح العليا بين الحاكم والمحكوم، واستقرار أمن البلاد وسعادة العباد،

أمّا الموضوعات التفصيلية التي بها تكونت هذه المصنفات، فقد شملت على نصائح تتعلق بالحاكم مباشرة، وآخر بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وثالث بذكر نماذج تطبيقية لنصائح العلماء لولاة الأمور(١).

المطلب الأول: موضوعات النصائح المتعلقة بالحاكم:

الحاكم هو المعني الأول في هذه المصنفات، وهو المقصود ولأجله تم تدوين هذه الكتب، فلا غرابة أن يكون جلُّ المحتوى هو نصائح موجهةً له، وخاصةً به، وقد لاحظتُ أنها على قسمين:

الأول: نصائح متعلقة بالحث على التحلي بمكارم الأخلاق، وفضائلها كالعفو والرفق والحلم والكرم والسخاء والصبر والتواضع ونحو ذلك.

---

(١) ثمة أمر رابع يتمثل في النصائح المتعلقة بأمور سياسية صرفة كالحديث عن الوزراء وطريقة تعيينهم، ومعاملة الجند، ومقابلة الضيوف، ونحو ذلك مما له طابع السياسة الشرعية، وللاستزادة يراجع: نصيحة الملوك٣٧- ٤٥، والذهب المسبوك، ص٤٦- ٦٦.، والتبر المسبوك ٨٣-٩٢، وسراج الملوك٦٦-٧٤، والمنهج المسلوك ٢٢٠- ٢٤٥، وحسن السلوك٣٤-٥٥، الدرة الغرّاء ص١٠٤، ١١٩، ١٤٣، ١٧٨، ٢١٧، ٢٣١.

قال الشيزري رحمه الله: (ينبغي للملك المنتصب لتدبير الرعية أن يتصف بالأوصاف الكريمة، ويتلبس بها، ويجعلها له خلقاً مطبوعاً، ولا يهمل منها وصفاً واحداً، إذ بها قوام دولته ودوام مملكته، وهي خمسة عشر وصفاً: العدل، والعقل، والشجاعة، والسخاء، والرفق، والوفاء، والصدق، والرأفة، والصبر، والعفو، والشكر، والأناة، والحلم، والعفاف، والوقار)(١)، ثم قام بشرحها، وذكر ما يتعلق بها من المصالح الكلية في تدبير الدولة.

ويقول ابن الأزرق رحمه الله وهو يقدم جملة من النصائح للحاكم:((أن يكون حليماً في موضع الحلم، فَهِماً في موضع الحكم، مقداماً في موضع الإقدام، ومحجماً في موضع الإحجام، مؤثراً للعفاف والعدل والإنصاف)(٢).

وقال الشيزري رحمه الله: (كل ملك لا يجتمع فيه ثلاث قوى فملكه مسلوب، القوة: الأولى: قوة الحلم وثمرتها العفو، والقوة الثانية: قوة حفظ الرعية وثمرتها عمارة المملكة. والقوة الثالثة: قوة الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات، وفي الجند الإقدام)(٣).

وبعضهم ركز جل حديثه على صفة معينة يراها الأكثر التصاقاً بوظيفة الحكام، يقول الطرطوشي رحمه الله: (الحلم أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من راحة السر، واجتلاب الحمد، وأحث الناس به السلطان لأنه منصوب لإقامة الخلق، فإن لم يكن معه

(١) المنهج المسلوك ص٢٤١، وانظر: الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء ص٥٩-٦٥.

(٢) بدائع السلك ص٢٧٩.

(٣) المنهج المسلوك ص٣٣٧، وانظر: ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٩٧، ٣١٠.

حلم وقع تحت عبء ثقيل)(١) .

الثاني: نصائح متعلقة بأمور تعبدية، كحث الحاكم على المواظبة على الصلاة مع جماعة المسلمين، والجلوس إلى العلماء والوعاظ، والإكثار من الطاعات، وسائر العبادات.

قال ابن الأعرج رحمه الله: (وعليك مراعاة العبادات الظاهرة كالجُمع والأعياد، والحج والجهاد)(٢).

وقال محمود الخيربيتي رحمه الله: (وعلى الملك أن يعبد الله تعالى بالإخلاص....ويشتغل بعد الفرائض والواجبات والسنن بنوافل الطاعات، وقراءة القرآن)(٣).

وقال:((وينبغي لصاحب الولاية أن يقبل المواعظ، وكلما رأى عالماً سأله أن يعظه)(٤).

---

(١) سراج الملوك ص٨١ بتصرف يسير، وانظر: درر السلوك، ص٦٤-٧١

(٢) تحرير السلوك ص٤٦

(٣) الدرّة الغرّاء، ص٢١٠، وللاستزادة انظر: التبر المسبوك، ص٦٥، والمنهج المسلوك، ص٧٤٤، وسراج الملوك، ص ٦-٢٨.

(٤) الدرة الغرّاء ص١٩٨ بتصرف يسير، وانظر: الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء ص٥٥، ٥٨.

المطلب الثاني: النصائح الخاصة بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم:

تـــميّز هذا النوع من النصائح بإبراز جانب مهم وهو طريقة التعامل والتناصح بين الراعي والرعية، ما الواجب للحاكم تجاه المحكـــوم؟ ومـــا الواجب للمحكوم تجاه الحاكم؟

أمّا الأول: فإن أكثر ما وقفتُ عليه تكراراً ،وبســـطاً، واســـتدلالاً، وتفصيلاً؛ هو نصيحة ولاة الأمور بتحقيق العدل بين الرعية، إذ هـــو أُسّ الملك وأساسه، بل لا يوجد من ألف في هذا المجال إلا وكـــان لموضـــوع العدل الحظُّ الوافرُ، والنصيبُ الأكبر؛ ولذا فإني سأفصل فيه، وأجمـــل في غيره.

لقد أكثر المؤلفون في هذا الباب من الاستدلالات التي تؤكد أهميـــة هذا الموضوع، ولا سيما أخبار الملوك السابقين الذين اتصـــفت ســـيرهم بالعدل، وبيان كيف كان حكمهم لرعيتهم على ضوء ذلك، ثم يذكر في الجانب الآخر كيف هو حال من ساد حكمه بالظلم(١)

قال ابن الأزرق رحمه الله بعد أن ساق جملة مـــن أركـــان وقواعـــد الملك:((والعدل هو أساس كل ما تقدم من الأركان، وقاعدة مبناها، وقد سبق أنه لا عمارة إلا بالعدل، فصار العدل أساس الجميع)(٢).

وقال الخيربيتي رحمه الله: (فينبغي للسلطان أو الملك أن يســـاوي بـــين المجهول الذي لا يُعرف، وبين المحتشم صاحب الجاه....ولا يُفضل أحدهما

(١) انظر: المنهج المسلوك، ص٥٦٦،، تحفة الترك، ص٢٤، الشهب اللامعة ص١٠٧، مآثر الإنافة(٢/ ٤٠، ٥٩)، الدرة الغراء ص١٦٥، بدائع السلك(١/ ٣٨٥)، تحرير السلوك ص٤١.

(٢) بدائع السلك، ص ٢٢٩، وانظر: الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء ص٤٥.

على الآخر لأجل أن أحدهما غني والآخر فقير)(١).

ثم قال رحمه الله: (فينبغي للملوك أن يعدلوا في الرعية بموجب الشرع؛ بألا يظلموا على الرعية بأنفسهم، ويمنعون الرعية عن أن يظلم بعضهم بعضاً، لأن الملك إذا علم ظلم الرعية بعضهم على بعض، وقدر على منع ذلك الظلم عنهم يكون ذلك الملك شريكاً معهم في الإثم. ...واعلم أيها السلطان أن ظهور العدل من كمال العقل)(٢).

بل إن الماوردي رحمه الله خصص فصلاً كاملاً للحديث عن العدل، ساق من خلاله الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على وجوب العدل، والتحذير من الظلم(٣).

قال الغزالي رحمه الله مخاطباً الحاكم:((....وأمّا الأخرى بينك وبين الخلق وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم)(٤).

وقال الشيزري رحمه الله ناصحاً الملوك بعامة بالعدل: (واعلم أن الرعية تستظمئ إلى عدل الملك استظماء أهل الجدب إلى الغيث الوابل)(٥).

وقال الطرطوشي رحمه الله موجهاً خطابه للحكام: (اجعل العدل سياستك تسقط عنك جميع الآفات المفسدة للسياسة، وتُقدم لك جميع الشرائط التي تقوم بها المملكة)(٦).

لقد أجمع مؤلفو كتب نصائح أئمة المسلمين بأن العدل تستقيم به

(١) الدرة الغرّاء، ص١٥٩.
(٢) الدرة الغرّاء، ص١٩٧.
(٣) انظر: نصيحة الملوك، ص٢٨٨.
(٤) التبر المسبوك، ص١٤.
(٥) المنهج المسلوك، ص١٦٣.
(٦) سراج الملوك، ص٥٢.

حال الرعية، وينتظم به أمن البلاد، وقد كتبوا الكثير من الجمل المختصرة الدالة على هذا المعنى مثل "العدل أشرف أوصاف الملك"(١) و "من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه"(٢) و "من استعمل العدل استغنى عن الشجاعة"(٣)و"أفضل الأزمنة أزمنة أئمة العدل"(٤) و"الملك العادل كالنهر الصافي"(٥) وغيرها.

إن تأكيدهم على مبدأ العدل، وسبل تحقيقه، وكثرة التفصيل والتكرار حوله ليس بمستغرب لأنهم رأوا فيه مثلاً أعلى للسلطان، ومستنداً قوياً لثبات الحكم واستمراره.

قال الغزالي رحمه الله: (فاعلم يا سلطان العالم أن ما كان بينك وبين الخالق سبحانه فإن عفوه قريب، وأمّا ما يتعلق بمظالم الناس فإنه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة، وخطره عظيم، ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك إلا ملك عمل بالعدل والإنصاف ليعلم كيف يطلب العدل والإنصاف يوم القيامة)(٦).

وقد أشاروا على الحكام بأبرز الوسائل التي من شأنها تحقيق مبدأ العدل، ومن أشهر ما نصحوا به: استشارة العلماء، ورعايتهم، ومراعاتهم، وتقريبهم، والاستفادة منهم(٧) ، بل —كما يعبر بعضهم—الشوق إلى رؤيتهم، والاستماع لنصحهم، وإرشادهم، ومشورتهم، وبالمقابل الحذر

---

(١) المنهج المسلوك، ص٢٤٢.

(٢) درر السلوك، ص٩٣.

(٣) درر السلوك، ص٩٤.

(٤) سراج الملك، ص٥٢.

(٥) سراج الملوك، ص٦١١

(٦) التبر المسبوك، ص١٣.

(٧) انظر: سراج الملوك، ص٢٩-٤٣، والمنهج المسلوك، ص٤٨٣.

من بطانة السوء(١).

كما بين المؤلفون في نصح أئمة المسلمين بأن من أعظم ما يجب على الولاة تجاه رعاياهم:

إقامة الشرائع، والحدود(٢)، وتعيين الأكفاء والأمناء(٣) ، وجمع الصدقات، واستثمار الثروات(٤)، والمتابعة والمراقبة(٥) ،والحرص على الشورى(٦) ، وتوفير الأمن والاستقرار(٧).

وأمّا الثاني: فهو تعامل الرعية مع الراعي.

لقد نبه كثير من المؤلفين في هذا المجال إلى أهمية، وضرورة طاعة أئمة المسلمين في غير معصية الله، فقد عقد التبريزي رحمه الله باباً جعله في طاعة من ولاه الله الأمر، فحثّ على الوفاء ببيعته، وامتثال أمره، واجتناب

---

(١) انظر: الدرّة الغراء ص١٤٨، وأشير هنا إلى أن ابن خلدون قد وجه نقداً لبعض مؤلفي كتب نصائح الملوك حول موضوع العدل بأن كل واحد منهم: ((يبوب للمسألة، ويستكثر من الأحاديث والآثار، وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزر جمهر و الموبذان وحكماء الهند، و المأثور عن دانيال وهرمس، وغيرهم من أكابر الخليقة، ولا يكشف عن التحقيق قناعاً، ولا يرفع البراهين الطبيعية حجاباً، إنما هو نقل و تركيب شبيه بالمواعظ)) مقدمة ابن خلدون، دار يعرب، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٦١.

(٢) انظر: سراج الملوك، ص٤٣، ص١٣٣، مآثر الإنافة (٥٨/١)(٢٩٨/٢)(١٨/٣). الدرّة الغرّاء ص١٢١، ١٤١، بدائع السلك(١٤/١)(١٤٧/٢).

(٣) انظر: تسهيل النظر، ص١٢٠، سراج الملوك، ص٦٣.

(٤) انظر: التبر المسبوك، ص٥١، المنهج المسلوك ص١٢٥، الدرة الغرّاء، ص٢٢٤، ص٢٧٢، بدائع السلك(١٤٢/٢).

(٥) انظر: تحفة الترك، ص٢٩، بدائع السلك(٣١٧/٢).

(٦) انظر: سلوك المالك، ص٤٤، آداب الملوك، ص ٥٨، الشهب اللامعة، فضيلة العادلين، العادلين، ص١٠٢، ص١٥٠، ١٦٠، سراج الملوك، ٧٣، حسن السلوك، ص٧٤.

(٧) انظر: الدرة الغرّاء ص١٨٢، بدائع السلك(٥٠٦/١).

معصيته، ما لم يأمر بمعصية الله، ثم سرد العديد من الآثار حول ذلك(١).

والشيزري رحمه الله خصص باباً في بيان افتقار الرعية إلى ملك عادل(٢)، ومما قال فيه:((لـمّا كانت الرعية ضروباً مختلفة، وشعوباً مختلفة متباينة الأغراض، والمقاصد والأوصاف والطبائع افتقرت ضرورة إلى ملك عادل يقوّم أودها، ويقيم عمدها، ويمنع ضررها، ويأخذ حقها)(٣) .

ومع تأكيد العلماء في هذه المصنفات على أهمية مناصحة الحكام؛ إلا إنهم جعلوا لذلك ضوابط استقوها من نصوص الوحيين، ومن آثار السلف رحمهم الله، ومن أبرز ما وقفتُ عليه مما حددوه من الضوابط:

١-الإخلاص لله تعالى: بأن يقصد بنصحه وجه الله عزّ وجلّ، ثم صلاح الحاكم في نفسه وفي حكمه(٤)، وهو ما عبر عنه ابن الأزرق رحمه الله بقوله: (أن يكون القصد صحيحاً)(٥).

قال ابن النحاس رحمه الله: (الداخل على الأمراء والسلاطين لقصد الإنكار والموعظة؛ يجب أن يكون قصده في ذلك خالصاً لله تعالى؛ فإنه يقدم على ذلك؛ وإنما قصده أن يكون كلامه سبباً لتعرّفه بالسلطان، وطلب المنزلة عنده، أو يكون قصده طلب المحمدة من الناس، وإطلاق الألسنة بالثناء عليه، والشكر لصنيعه، وتعمير قلوبهم بتوقيره عندهم،

---

(١) النصيحة للراعي والرعية ص٦٦، وانظر: سراج الملوك ص٣٩، ٤٤، ٤٨.

(٢) انظر: المنهج المسلوك ص١٦٠، بذل النصائح ٤٨.

(٣) المنهج المسلوك ص١٦٣، وانظر: ص٦٨٦.

(٤) انظر: درر السلوك للماوردي ص١١٧

(٥) بدائع السلك(٢/٤٨)، وانظر: تحرير السلك ص٣٤.

وتعظيمه، وأن يُقال عنه: إنه أغلظ للسلطان، وأقدم عليه الكلام، ولم يُبال فيصير مُعظّماً عند الناس، ويخشاه أبناء جنسه، إلى غير ذلك من المقاصد التي لا تنحصر؛ لتنوع الأغراض، وهذه مزّلة عظيمة يجب التفطن لها، والتنبه عليها، وتحقيق القصد قبل الوقوع فيها)(١).

٢- الإسرار في النصيحة: تناول المؤلفون هذا الضابط بإسهاب وتفصيل، وإذا كان الإسرار بالنصيحة حق لكل منصوح فلا ريب أنه في حق الحاكم أولى، إذ الجهر بالنصيحة مما يوغر الصدور، ويثير الأضغان، ويكون سبباً في ردّ الحق، وعدم تقبله.

قال الشيزري رحمه الله: (فإن ظهر لهم صواب في شيء خفي على الملك فينبغي أن يبينوه له سراً ليرجع إلى الصواب)(٢).

وقال غيره: (فإذا تكلم الملك كلمة غير موافق للحق؛ فلا يعترض على الملك في الحال، فإذا وجد فرصة في الخلوة يردّ ذلك الكلام)(٣).

وقد جعلوا هذا الضابط بناء على مصالح مرعية، وقبل ذلك أن له أصلاً في السنّة النبوية، ففي الحديث يقول ﷺ:(من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية، وليأخذ بيده، وليخلُ به، فإن قبلها قبلها، وإلا كان قد أدى الذي له والذي عليه)(٤)

فقوله: (وليأخذ بيده فليخلُ به) دليل أن النصح يكون سِراً.

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، محيي الدين أحمد النحّاس، مؤسسة الريان، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٥٧.

(٢) المنهج المسلوك ص٦٢٨، وانظر: ص٥٧٧.

(٣) الدرّة الغرّاء ص٢٢٠، وانظر: بذل النصائح ٧٨.

(٤) أخرجه الطبراني(٣٦٧/١٧) والحاكم في المستدرك(٣٢٩/٣) وقال صحيح الإسناد، وصحح الحديث الألباني كما في ظلال الجنة(٢٧٤/٢)رقم١٠٩٨.

ويؤكد ذلك أقوال الصحابة وأفعالهم، فمما ورد في ذلــك أن ابــن عباس رضي الله عنهما سُئل عن أمر السلطان بالمعروف، ونهيه عن المنكر؟ فقال:((إن كنت فاعلاً ولا بدّ، ففيما بينك وبينه)(١).

وقيل لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: ألا تدخل على عثمان فتكلمــه؟!فقال: ((أترون أني لا أكلمه حتى أسمعكم؟!!والله لقــد كلمتــه فيمــا بــيني وبينه))(٢).

والإسرار في النصيحة منهج رشيد، ومسلك صــحيح، إذ التشـــهير بنصح إمام المسلمين، أو إظهار ما لديه من أخطاء أمام الملأ لا جـــدوى منه ولا فائدة، بل له أضراره المتعددة.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: (ليس من منهج السلف التشهيرُ بعيوب الولاة، وذِكْرُ ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يُفضـــي إلى الفوضـــى، وعدم السمع والطاعة بالمعروف، ويفضي إلى الخوض الـــذي يضـــر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينه وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون بـــه، حـــتى يوجّـــه إلى الخير)(٣).

٣- اللين والترفق في النصيحة: وهو مطلوب مع كل أحد، لكنـــه مع الحاكم أشدّ تأكيداً لمكانته ومنـــــزلته في الشـــرع والعـــرف، وفي

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٦/٩٦)رقم٧٥٩٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بـــالمعروف ولا يفعله(٤/٢٢٩٠)رقم٢٩٨٩.

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، جمع وإشراف د. محمد الشويعر، موقع الرئاسة العامـــة للبحوث العلمية والإفتاء(٨/٢١٠).

الحديث:(الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه)(١) ، وقوله ﷺ: (إن الله يحب الرفق في الأمر كله)(٢) وقوله:(إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه)(٣).

قال الخيربيتي رحمه الله: (لا يرضى المنكر في الشرع، بل يقول للملك قولاً ليناً على وجه التأني، والاعتراض، في غير حالة غضب ليرجع الملك عن ذلك الكلام المنكر)(٤).

ومن الرفق به الدعاء له بالصلاح، إذ بصلاحه تنتظم مصالح العباد

قال ابن الأزرق رحمه الله: (ولا خفاء بأن الدعاء له بالصلاح من أهم المهمات على المسلمين لصلاحهم بصلاحه)(٥).

وقال القلقشندي رحمه الله وهو يعدد ما ينبغي للرعية تجاه الحاكم:((ومنها الدعاء للخليفة على المنابر، وهو رسم قديم. ورأيتُ في بعض التواريخ أن أول خليفة دُعي له على منبر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب(٤/٢٠٠٤) رقم٢٥٩٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله(٥/٢٢٤٢)رقم٥٦٨٧، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام(٤/١٧٠٦)رقم٢١٦٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق(٤/٢٠٠٣)رقم٢٥٩٣.

(٤) الدرة الغرّاء ص٢٢٠.

(٥) بدائع السلك(٢/٤٣) وانظر: أيضاً: (٢/٤٨، ١٢٣، ٢٤٢) سراج الملك، ص١٢٠.

(٦) مآثر الإنافة(٢/٢٣١)، وانظر: تحرير السلوك ص٤٤، النصائح المهمة ص٢٩.

وقد نص كثير من السلف على استحباب الدعاء للحاكم، وحثوا عليه، بل وطبقوه عملياً(١).

قال النووي رحمه الله: (الدعاء لأئمة المسلمين وولاة أمورهم بالصلاح، والإعانة على الحق، والقيام بالعدل ونحوه...مستحب بالاتفاق)(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض، وأحمد ابن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان)(٣).

وقال البربهاري رحمه الله: (إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة)(٤).

وبين ابن رجب الحنبلي رحمه الله أن من النصيحة لأئمة المسلمين الدعاء لهم بالتوفيق(٥).

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: (الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات، ومن النصيحة لله ولعباده)(٦).

---

(١) انظر: السنة أحمد بن محمد الخلّال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ(١/٨٣) التمهيد(٢١/٢٨٧) مجموع الفتاوى، (٢٧/٣١٥).

(٢) المجموع شرح المهذب، محيي الدين النووي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م(٤/٢٧٣).

(٣) السياسة الشرعية، أحمد بن عبدالحليم الحراني شيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ه ص٢١٧

وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(١/١٩٧).

(٤) شرح السنة، الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٨هـ، ص٥١

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/٥٣٥٣).

(٦) الفتاوى(٨/٢١٠).

المطلب الثالث: نماذج من نصائح العلماء لأئمة المسلمين:

اشتملت هذه المصنفات على جملة وافرة، ونماذج متعددة(١)، لتطبيقات عملية من نصح العلماء لولاة الأمور؛ برز فيها المنهج الشرعي الرشيد، والمسلك العلمي الصحيح، وإن تاريخ المسلمين حافل -ولله الحمد- بالنماذج المتميزة في هذا الشأن، على اختلاف البواعث التي قد يطلب الحاكم من العالم مناصحته ووعظه، أو أن يذهب العالم للحاكم ابتداء لغرض النصح والتذكير، وعلى كلٍ فهي مواقف يظهر فيها مكانة العلماء عند أئمة المسلمين، وتقريبهم، وتقديرهم، والاستجابة لنصائحهم، والتأثر بها، كما يظهر فيها تلطف العلماء في توجيه النصيحة، وحسن خطابهم.

النموذج الأول: أن سليمان بن عبدالملك رحمه الله لـمّا حجّ طلب أبا حازم، فلما حضر بين يديه، قال: عظني يا أبا حازم، قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان مثلك، وهو خارج عنك بمثل ما جاء إليك، ثم قال: يا أمير المؤمنين نزّه ربك في عظمته من أن يراك حيثُ نهاك، أو يفقدك حيث أمرك، فبكى سليمان بكاءً شديداً، فقام بعض جلسائه فقال: قد أسأت لأمير المؤمنين، فقال أبو حازم: أسكت، فإن الله أخذ على العلماء ميثاقهم ليبيـُنّنه للناس ولا يكتمونه(٢).

النموذج الثاني: دخل سفيان الثوري رحمه الله على أبي جعفر المنصور

(١) أفرد ابن الجوزي فصلاً كاملاً لنصائح العلماء للولاة، انظر: الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء ص٨٦.

(٢) انظر: سراج الملوك، ص٣٠، المنهج المسلوك، ص٧١٩، الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء، ص٤٤، الدرة الغرّاء، ص١٤٩

رَحِمَهُ اللَّهُ فقال يا أمير المؤمنين إني لأعلم رجلاً إن صلح صلحت الأمة، وإن فسد فسدت الأمة، فقال: من؟ قال: أنت(١).

النموذج الثالث: قال المبارك بن فضالة رَحِمَهُ اللَّهُ: وفدتُ على أبي جعفر المنصور، فلبثت عنده، إذ أُتي برجل فأمر بقتله، فقلت: يُقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر!، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أحدثك بحديث سمعته من الحسن؟! قال: وما هو؟ قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيثُ يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيقوم مناد ويقول: من له عند الله تبارك وتعالى يد فليقم. فلا يقوم إلا من عفا. فقال: والله لسمعته من الحسن؟ فقلت له: والله لسمعته منه فقال: خلوا عنه(٢).

النموذج الرابع: لـمّا حج هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ لقيه عبيد الله العمري في طوافه، فقال له: يا هارون! قال: لبيك يا عم! قال: كم ترى ههنا من الخلق؟ قال: لا يحصيهم إلا الله. قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسأَلُ عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تُسأَلُ عن جميعهم، فانظر كيف تكون. فبكى هارون وجلس(٣).

النموذج الخامس: دخل شبيب بن شيبة يوماً على المهدي ناصحاً له، فقال: يا أمير المؤمنين، الله قد أعطاك الدنيا، فأعط رعيتك قسطاً من طيب عيشك، فقال المهدي: وما الذي ينبغي أن تُعطى الرعية؟ فقال:

(١) انظر: سراج الملوك، ص٤٥، المنهج المسلوك، ٢٤٩، حسن السلوك، ص٦٦، بدائع السلك(١/٨٥).

(٢) انظر: التبر المسبوك، ص٢٤، بدائع السلك (١/٤٧٣).

(٣) انظر: سراج الملوك، ص٣٤، ٤٧.

العدل، فإنه إذا نامت الرعية في أمن منك نمت آمناً في قبرك، ثم قال: يـــا أمير المؤمنين احذر من يوم لا ليلة بعده، ومن ليلة لا يوم بعدها، واعـــدل ما استطعت فإنك تجازى بالعدل عدلاً، وزيّن نفسك بالتقوى، فإنـــك في الحسر لا يُعيرك أحد زينتـــه(١)

النموذج السادس: دخل ابن السمّاك على هارون الرشيد فقال له: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك، فـــلا ترض من نفسك إلا ما رضي به عنك، فإنك ابن عم رســـول الله ﷺ، وأولى الناس بذلك. يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلـــة مـــن أجله كان خليقاً أن يعتق نفسه. يا أمير المؤمنين من أذاقته الدنيا حلاوتهـــا بركون منه إليها، أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. يا أمـــير المـــؤمنين ناشدتك الله أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض، وقد دعيت إليها وليس لك فيها نصيب. يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك، وتحاسب وحدك، فاحذر المقام بين يدي الجبار(٢).

النموذج السابع: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الـــملك بـــن مروان وهو جالس على سريره، وَحَوله الأشراف من كل بطـــن وذلـــك بمكّة في وقت حجه في خلافَته فلمَّا بصر به قام إليه وأَجْلسهُ على ســـرير، وقعد بين يديه، قال: يا أبا محمد ما حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين اتَّقِ الله في حرم الله وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة واتَّق الله في أولاد المهـــاجرين والأنصار فإنَّك بهم جلست هذا الـــمجلس، واتق الله في أهـــل الثغـــور فإنـــهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحـــدك مســـؤول

(١) انظر: التبر المسبوك، ص٥٩، سراج الملوك، ص٣٢.

(٢) انظر: سراج الملوك، ص٢٩، وانظر: ص٣٨.

عنهم، وَاتَّقِ الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال: له أفعل(١).

(١) بدائع السلك(١/٣٩٧)

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد هذه الجولة المختصرة في مصنفات نصيحة أئمة المسلمين، أضع جملة من النتائج التي خلص إليها البحث، أوجزها فيما يلي:

أولاً: كشفت الدراسة أن المؤلفات في نصيحة أئمة المسلمين لها خصائص تميزها عن غيرها، وأنها احتوت على منهج فريد سار عليه العلماء في موضوعاتهم التي تطرقوا لها، مراعين فيه التوازن والاعتدال والتوجيه باستخدام أرقى الأساليب التي تتناسب ومناصحة إمام المسلمين.

ثانياً: بينت الدراسة أن التأليف في موضوع مناصحة أئمة المسلمين ابتدأ قديما، واستمر في جلّ القرون؛ إيماناً من هؤلاء العلماء بأهمية هذا الموضوع، وضرورة الكتابة فيه.

ثالثاً: أوضحت الدراسة أن ثمة أسباب متعددة كانت تمثل دافعاً للكتابة في هذا النوع من المؤلفات.

رابعاً: عرضت الدراسة جملة من النصوص الشرعية التي استشهد بها العلماء في مصنفاتهم، كما بينت ما ذكروه من ضوابط محددة عند نصح أئمة المسلمين.

خامساً: أبرزت هذه المصنفات ما لأئمة المسلمين من مكانة رفيعة، ومنزلة عالية، منحهم إياها الشارع الحكيم، لتتناسب مع أهمية وظيفته، وعِظم مسؤوليتهم.

سادساً: أبان البحث شيئاً مما تحويه هذه المصنفات من نماذج رائعة لسلفنا الصالح في نصيحة أئمة المسلمين؛ ظهر فيها الحكمة، والرفق، والحرص على الإصلاح، وإرادة الخير.

ثم أوصي الباحثين وطلبة العلم ولاسيما طلاب الدراسات العليا في الأقسام الدعوية بضرورة دراسة هذا الموضوع من جوانب متعددة، فإن هذا البحث المختزل هو خطوة في الطريق ليس إلا، وللمتعقب فضل الزيادة والتمحيص.

ومما اقترحه من موضوعات:

- "الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين. دراسة تحليلية".
- "مقارنة بين مصنفات المتقدمين والمتأخرين في موضوع مناصحة أئمة المسلمين".
- "مصادر الاستدلال في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، جمعا ودراسة".

كما أوصي بأهمية إحياء هذا النوع من الكتابة؛ بالبحث عن المخطوطات في هذا المجال التي لم تخرج للنور بعد.

ولمّا كان التراث الإسلامي يزخر بنصائح تطبيقية مؤصلة، موجة من العلماء لأئمة المسلمين؛ فإني أوصي كذلك بـ "دراسة تحليلية لنماذج من مناصحة العلماء لأئمة المسلمين"

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة، أبو عبدالله عبيدالله بن بطة العكبري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢- آداب الملوك، أبو منصور الثعالبي، دار الغرب، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٣- الاستذكار الجامع لمذاهب فقه الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤-إرشاد الأنام إلى كيفية مناصحة الحكام، فوزي بن عبدالله الأثري، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

٥- أصول السنّة أحمد بن حنبل الشيباني، دار المنار، الخرج، ط ١، ١٤١١هـ.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٧- أعلام الحديث "شرح صحيح البخاري"، حمد بن محمد الخطابي، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة،ط١، ١٤٠٩هـ.

٨- الإيمان، أبوعبدالله محمد بن إسحاق بن مندة، تحقيق: د. علي الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٩- بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي الأصبحي الغرناطي المشهور بابن الأزرق، وزارة الإعلام، العراق،ط١، ١٩٨٠م.

١٠- التبر المسبوك في نصيحة الملوك، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

١١- تحرير السلوك في تدبير الملوك، أبو الفضل محمد بن عبدالوهاب السنباطي المشهور بابن الأعرج، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢م.
١٢- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
١٣- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن الماوردي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
١٤- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٥- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، مكتبة الدار ،المدينة المنورة، ط١ ،١٤٠٦هـ.
١٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف بالمغرب، ط١ ، ١٣٨٧هـ.
١٧- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، محيي الدين أحمد النحّاس، مؤسسة الريان، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٨- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن الملقن الشافعي، دار النوادر، دمشق، ط١ ، ١٤٢٩هـ.
١٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢ ،١٤٠٥هـ.
٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٢١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ

٢٢- حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، دار الوطن، الرياض، ط١ ، ١٤١٦هـ

٢٣- درر السلوك في سياسة الملوك، أبو الحسن الماوردي، دار الوطن، الرياض، ط١ ، ١٤١٧هـ.

٢٤- الدرة الغرّاء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الخيربيتي، مكتبة نزار الباز، الرياض، ط١ ، ١٤١٧هـ.

٢٥- الذهب المسبوك في وعظ الملوك، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١ ، ١٤٠٢هـ.

٢٦- رفع الأساطين في حكم الدخول على السلاطين، محمد الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الجيل، اليمن.

٢٧- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٨- الزهد، هناد السري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١ ،١٤٠٦هـ.

٢٩- سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١ ،١٤١٤هـ.

٣٠- سلوك المالك في تدبير الممالك، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع دار العاذرية، الرياض، ط١ ،١٤٣١هـ.

٣١- السنة، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٣٢- السنة أحمد بن محمد الخلّال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١ ، ١٤١٠هـ.

٣٣- السياسة الشرعية، أحمد بن عبدالحليم الحراني شيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ط٢ ،١٤٠٧هـ.

٣٤- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١١، ١٤١٧هـ.

٣٥- شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، ط٣، ١٤٢٥هـ.

٣٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد الحمدان، دار طيبة، الرياض، ط١ ، ١٤٠٢هـ.

٣٧- شرح السنة، الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٨- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن أبي العزّ الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٤هـ.

٣٩- شعب الإيمان، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٠هـ.

٤٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٤١- الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء، عبدالرحمن بن الجوزي،، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٤٢- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، عبدالله بن يوسف بن رضوان المالقي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤١٥هـ.
٤٣- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ، ١٤٠٧هـ.
٤٤- صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الطائف، ط١، ١٤٢١هـ.
٤٥- صحيح الترغيب والترهيب، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.
٤٦- صيد الخاطر، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٤٧- فضيلة العادلين من الولاة أبو نعيم الأصبهاني، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
٤٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٤٩- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٥م.
٥٠- المجموع شرح المهذب، محيى الدين النووي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
٥١- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: وترتيب عبدالرحمن بن محمد القاسم ط٢، مكتبة ابن تيمية.
٥٢- مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، جمع وإشراف د. محمد الشويعر، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٥٣- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالسلام بن برجس العبدالكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
٥٤- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٥٥- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، دار يعرب، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.
٥٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٥٧- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١ ،١٤٠٧هـ.
٥٨- الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر
٥٩- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٢٤هـ.
٦٠- النصيحة شروطها، وآدابها، أ. د. عبدالرب نواب الدين، دار القلم، دمشق،ط١، ١٩٩٥م .
٦١- النصيحة للراعي والرعية من الأحاديث النبوية والآثار المروية، لأبي الخير التبريزي، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١١هـ.
٦٢- نصيحة الملوك، أبو الحسن الماوردي، دار الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٦٤- واسطة السلوك في سياسة الملوك، موسى بن يوسف الزياني التلمساني، مطبعة الدار التونسية، ١٨٦٢م.

رسائل جامعية:

١- بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية أبو حامد محمد بن أحمد المقدسي الشافعي، تحقيق: سالم بن طعمة الشمري ،رسالة ماجستير، قسم الدعوة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام١٤١٦هـ.

٢- النصائح المهمة للملوك والأئمة، علي بن عطية بن الحسن الهيتي الحموي الشافعي المعروف بالشيخ علوان، تحقيق: موفق بن عبدالله العوض ، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٨هـ.

البحث رقم (٣)

الاحتساب على المخالفات في الدعاء
"دراسة في ضوء السنة النبوية"

إعداد
د. زيد بن عبدالرحمن بن محمد العثمان
الأستاذ المساعد في قسم الحسبة والرقابة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣)(٤)، أما بعد .

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) تسمى هذه الخطبة بخطبة الحاجة، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يعلمها أصحابه رضي الله عنهم، أخرجه أبو داود في سننه، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، كتاب: النكاح، باب: في خطبة النكاح، رقم الحديث (٢١١٨)، ص: ٣٦٨، ورواه الترمذي في سننه، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، رقم الحديث (١١٠٥)، ص: ٢٦١، ورواه النسائي في سننه، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، كتاب: الجمعة، باب: كيفية الخطبة، رقم الحديث (١٤٠٤)، ص: ٢٣٠، وصححه الألباني.

أولا: أهمية الموضوع وسبب اختياره:

دعاء الله عبادة قولية، له منزلة في الدين علية، ليس لأحد، مهما بلغ، أن يستغني عنه؛ لحاجته لفضل ربه، وكريم عطائه، ودفع البلاء عنه، وقد امتن الله على من لازمه بالأجر العظيم، والثواب الجزيل، إذا كان دعاؤه خالصًا لله، موافقاً لهدي النبي ﷺ؛ ولذا كان لزامًا على الداعي أن يتحرى ما صح من الدعاء، وأن يجتنب كل ما يقدح فيه، ولقد حرص النبي ﷺ أن يعلم الناس المشرع من الدعاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الدعاء، كما يعلمنا السورة من القرآن......(١)، أي كما يهتم في التعليم غاية الاهتمام)(٢)، وقد بين ﷺ أن هناك من يقع منه الزلل والخطأ، ويعتدي في الدعاء، فقال: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»(٣).

قال القاضي عياض رحمه الله: « أذن الله في دعائه ، وعلَّم الدعاءَ في كتابه لخليقته، وعلَّم النبيُّ ﷺ الدعاءَ لأمَّته، واجتمعت فيه ثلاثةُ أشياء: العلمُ بالتوحيد ، والعلم باللغة ، والنصيحة للأمَّة ، فلا ينبغي لأحدٍ أن يعدلَ عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطانُ للناس من هذا المقام ، فقيَّض لهم قومَ سوء، يخترعون لهم أدعيةً، يشتغلون بها عن الاقتداء بالنَّبيِّ

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الدعاء، باب: ما تعوذ منه رسول الله ﷺ ، رقم الحديث "٣٨٤٠ " وقال الألباني حسن صحيح، ص: ٦٣٣

(٢) سنن ابن ماجة بشرح الإمام السندي، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ه، ٤/٢٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطهارة، باب الإسراف في الدعاء رقم الحديث "٩٦"، وصححه الألباني ص: ٢١.

ﷺ»(١).

ولذا رغبت في بحث هذه المسألة: «الاحتساب على مخالفات في الدعاء "دراسة في ضوء السنة النبوية"».

ثانياً: أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. التعرف على أنواع الدعاء وشروطه.

٢. التعرف على فضل الدعاء وآدابه .

٣. التعرف على مخالفات الدعاء وتطبيقات الاحتساب عليها

ثالثاً: تساؤلات الدراسة:

١. ما أنواع الدعاء ؟

٢. ما شروط الدعاء ؟

٣. ما فضل الدعاء ؟

٤. ما آداب الدعاء ؟

٥. ما مخالفات الدعاء ؟

٦. ما تطبيقات الاحتساب على المخالفات في الدعاء ؟

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي لم أعثر على دراسة علمية تناولت الاحتساب على المخالفات في الدعاء في ضوء السنة النبوية وإنما وجدت دراسات علمية ورسائل جامعية تناولت مسائل الدعاء في تخصصات مختلفة فمنها:

---

(١) نقلاً من الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، لابن علان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر الطبعة، ١/ ١٧.

١. الدعاء وأحكامه الفقهية(١)

تناولت مسائل الأحكام المتعلقة بالدعاء من الجانب الفقهي وهي مرجع في بابه فقد أجادت تحرير كثير من مسائل الدعاء.

٢. الدُّعاء ومنـزلتُه في العقيدة الإسلامية.(٢)

هذه الدراسة تناولت مسائل الدعاء المتعلقة بالجانب العقدي وقد تناول المخالفات العقدية التي تقع في الدعاء.

٣. الدُّعاء، للطَّبرانيِّ،(٣) تحقيق مخطوط

وهناك تراكمات علمية ألفت قديما وحديثا تتعلق بمسائل الدعاء المختلفة منها:

١. الدُّعاء للإمام الحسين إسماعيل المحامدي، تحقيق: عمر عبد المنعم نَشَرَتْه مكتبةُ ابن تيمية
٢. شأن الدُّعاء، للخَطَّابيِّ ، تحقيق: أحمد يوسف الدَّقاق نشرته دار المأمون للتُّراث.
٣. الدُّعاء لمحمَّد بن فضل بن غزوان الضَّبِّيّ، تحقيق: د. عبد العزيز سليمان البعيمي، وهو يجمع الأحاديث الواردةَ في عمل اليوم واللَّيلة.
٤. فقه الأدعية والأذكار للشَّيخ عبد الرَّزَّاق بن عبد المحسن البدر، نشرتْه دارُ ابن القيِّم
٥. الدُّعاءُ في الإسلام، سعيد الشَّيبانيّ، مكتبة دار المعرفة، تناول الدُّعاء الشِّركيِّ.

---

(١) رسالة علمية للباحثة خلود بنت عبد الرحمن المهيزع نالت بها درجة الماجستير في الفقه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهي رسالة مطبوعة طبعته دار الصميعي.

(٢) رسالة علمية للباحث: جيلان بن خضر العروسي نال بها درجة الماجستير من شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) تحقيق وتخريج: د. محمد سعيد محمد البخاري؛ وهو عبارةٌ عن رسالة علميَّة نال بها درجة الدُّكتوراه من جامعة أمِّ القرى– مكَّة المكرَّمة– وقد طبعتْه دارُ البشائر ١٤٠٧هـ،

٦. الدعاء، مفهومه، أحكامه، أخطاء تقع فيه لمؤلفه محمد بن إبراهيم الحمد. نسخة الكترونية.

خامساً: منهج الدراسة:

المنهج الاستقرائي: ويعرف بأنه:(هو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً)(١)،ولا يلزم من التتبع الاستقصاء، بل قد يكفي الباحث أن يدرس نماذج متنوعة، يستنبط منها كليات عامة(٢).وذلك لاستقراء النصوص الواردة في السنة النبوية المتعلقة بالدعاء التي من خلالها استطاع الباحث - بعد توفيق الله - من تحقيق أهداف الدراسة.

سادساً: تقسيمات الدراسة:

أولا: أهمية الموضوع وسبب اختياره .

ثانياً: أهداف الدراسة .

ثالثاً: تساؤلات الدراسة .

رابعاً: الدراسات السابقة .

خامساً: منهج الدراسة .

التمهيد: وفيه التعريف بمفردات عنوان الدارسة.

المبحث الأول: أنواع الدعاء وشروطه.

المبحث الثاني: فضل الدعاء .

المبحث الثالث: آداب الدعاء.

المبحث الرابع: مخالفات في الدعاء.

المبحث الخامس: تطبيقات الاحتساب على المخالفات في الدعاء.

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ، ص: ١٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٢.

التمهيد: التعريف بمفردات عنوان الدارسة:

أولاً: تعريف الاحتساب.

الاحتساب لغة:

(الاحتساب: مصدر من احتسب، والحسبة اسم من الاحتساب، وتأتي بعدة معانٍ، منها:

١-الحِسْبَةُ: مصدر احْتِسابكَ الأَجر على الله، تقول: فَعَلْتُه حِسْبةً، واحْتَسَبَ فيه احْتِساباً، و الاحْتِسابُ: طَلَبُ الأَجْر، والاسم: الحِسْبَةُ بالكسر، وهو الأَجْرُ. و احْتَسَبَ فلان ابناً له، أَو ابْنةً له، إِذا ماتَ وهو كبير، وفي الحديث من ماتَ له ولد فاحْتَسَبَه، أَي احْتسب الأَجرَ، بصبره على مُصيبتِه به، معناه: اعْتَدَّ مُصِيبَتَه به في جُملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها .

٢-وتأتي بمعنى الظن من حَسِبْتُ أَحْسِبُ، أي ظَنَنْتُ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(١) .

٣-وتأتي بمعنى الإنكار، تقول: احْتَسَبَ فلان على فلان: أَنكر عليه قَبِيحَ عمله ,وقد سَمَّتْ أَي العربُ حَسِيباً، وحُسَيْباً)(٢).

في الاصطلاح:

عرف العلماء الحسبة في الاصطلاح بعدة تعريفات، ولعل أنسبها لموضوع البحث هو تعريف الإمام الماوردي، فقال هي: أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر، إذا ظهر فعله(٣).

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١/٣١٠ -٣١٧

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي ،دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥هـ، ص: ٢٧٠.

ثانياً: تعريف المخالفات:

المخالفات في اللغة:

جمع مخالفة، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي (خلف).

ويطلق عليها في اللغة العديد من المعاني، منها:

١- الخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفةً خلافاً(١).

٢- خالفه إلى الشيء: عصاه إليه، أو قصده بعد ما نهاه عنه(٢).

٣- رجل خالفةٌ: أي كثير الخلاف(٣).

٤- واختلفا: لم يتفقا، وكل ما لم يتساو، فقد تخالف، واختلف(٤).

المخالفات اصطلاحاً:

عرفها العلماء بعدة تعريفات، وأقربها لموضوع البحث: ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى الله عنه(٥) .

تعريف الدعاء:

أصلُ كلمة الدعاء: مصدر من قولك: دعوتُ الشيء، أدعوه دعاء، أقاموا المصدرَ مقامَ الاسم، تقول: سمعت دعاء، كما تقول: سمعت صوتاً،

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٨/٥.

(٢) المرجع السابق، ٤٣٩/٥.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزي آبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ، ١٤١/٣.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية١٣٩٨هـ، ٢١٣/٢، وانظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٩/٥.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، دار الفكر، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥ه، ٤٠٩/٢.

وكما تقول: اللهمَّ اسمع دعائي، وقد يوضَع المصدرُ موضع الاسم؛ كقولهم: رجل عدل(١).

وقد ورد الدعاء في القرآن بعدَّة معان، نذكر منها:

١- العبادة: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(٢).

٢- الاستغاثة: قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣)

٣- التوحيد: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾(٤).

٤- النداء: قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ .

٥- القول: قال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾(٥).

٦- السؤال والطلب: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٦) .

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق - وبيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ه، ص٤. والدعاء للطبراني، تحقيق: د. محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ص٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٥) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

٧- الثَّناء: قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾(١)

معنى الدعاء في الاصطلاح

قال الخطابي رحمه الله: معنى الدعاء: استدعاء العبد ربَّه - عزَّ وجلَّ - العناية، واستمداده إيَّاه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرُّؤ من الحول والقوَّة؛ وهو سمة العبوديَّة، واستشعار الذِّلَّة البشريَّة، وفيه من الثَّناء على الله- عزَّ وجلَّ- وإضافة الجود والكرم إليه(٢).

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٢) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، ص٤. والدعاء، الطبري، ص: ٥٣.

المبحث الأول

أنواع الدعاء وشروطه

المطلب الأول: أنواع الدعاء:

كلّ ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء ، والنهي عن دعاء غير الله ، والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ، ودعاء العبادة(١)

فدعاء المسألة هو: طلب ما ينفع الدَّاعي، وطلب كشف ما يضرُّه، أو دفعُه(٢).

وأما دعاء العبادة: فهو شامل لجميع القربات: الظاهرة، والباطنة؛ لأنَّ المتعبِّدَ لله طالبٌ، وداع بلسان مقاله، ولسان حاله أن يتقبَّلَ اللهُ تلك العبادة، والإثابة عليها(٣).

والنوعان بينهما تلازم(٤).

المطلب الثاني: شروط الدعاء(٥):

يشترط لقبول الدعاء كغيره من سائر العبادات شرطان، هما:

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن، الشيخ السعدي، دار البصيرة، الإسكندرية، ص: ١٣٧.

(٢) بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق: هشام عطا، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ٥١٣/٣.

(٣) الاعتداء في الدعاء، سعود بن محمد العقيلي، كنوز إشبيليا، الرياض، نسخة إلكترونية، ص: ١٩.

(٤) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، ٥١٣/٣

(٥) وللاستزادة انظر: الدعاء وأحكامه الفقهية، خلود بن عبد الرحمن المهيزع، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ١/١١١-١١٨.

الإخلاص والمتابعة، فلا يقبل عمل من دونهما، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾(٢)، وقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فأمره رد»(٣)

يقول الفضيل بن عياض: تعليقاً على الآية: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه، وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم أجعل عملي كله صالحاً، وأجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئا(٤).

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) سورة الملك، الآية: ٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم الحديث " ١٧١٨ "، ٣/١٣٤٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١/ ٣٣٣-٣٣٤.

المبحث الثاني

فضل الدعاء

الدعاء عبادة لله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾(١)، فالآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة؛ فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار(٢).

وهذا ما بينه النبي ﷺ بقوله: «الدعاء هو العبادة»(٣).

قال الشوكاني رحمه الله: هذه الصيغة المقتضية للحصر من جهة تعريف المسند إليه، ومن جهة تعريف المسند، ومن جهة ضمير الفصل، تقتضي أن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة، وأرفعها، وأشرفها(٤).

وقد سماه الله ديناً، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾(٥).

والدعاء يحقق القرب من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، للشوكاني، دار القلم، بيروت، البعة الأولى، ١٩٨٤م، ص٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الوتر، باب: الدعاء، رقم الحديث " ١٤٧٩"، وصححه الألباني، ص: ٢٥٥.

(٤) تحفة الذاكرين، الشوكاني، ص٣٣.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه، وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق(١).

وقد بين سبحانه أن ترك الدعاء من الاعتداء، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾(٢).

قال الطرطوسي رحمه الله: يعني تاركي الدعاء، وهذا نهاية في الكرم، وغاية في الإفضال، أنه جعل إمساكك عن دعائه ومسألته التي فيها خلاصك، وصلاح دينك ودنياك، اعتداء منك(٣).

ولذا قال النبي ﷺ: « **ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء**»(٤).

والمراد بأكرم أي: أسرع ميلاً، وأنفع تأثيراً(٥).

وكان رسول الله ﷺ يأمر بالدعاء، وعدم غلبة العجز عنه، فيقول: «لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد »(٦).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ٨٧.

(٢) سورة الأعراف: ٥٥.

(٣) الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي إتيانه واجتنابه، الطرطوسي، اعتنى به: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ص: ١٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: فضل الدعاء، رقم الحديث " ٣٣٧٠"، وحسنه الألباني، ص: ٧٦٥.

(٥) سنن ابن ماجة بشرح السندي، ٤/٢٦٢.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث " ١٨١٨ " تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ١/٦٧١.

ويقول ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء»(١).

قال الشوكاني رحمه الله: فيه النهي عن أن يعجز الإنسان عن دعاء ربه، فإن ضرر ذلك لاحق به، وعائد عليه، وما أحسن ما علل به ﷺ هذا النهي بقوله: «فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد»، فإن هذه المزية يهتز لها كل طالب للخير، وينشط بسببها كل عارف بمعاني الكلام، ولا سيما أن الدعاء يرد القضاء، ويدفع القدر(٢).

فالمسلم يدعو الله حتى في أدق الأمور، يقول النبي ﷺ: «سلوا الله من فضله، فإن الله عز وجل يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»(٣).

أي: أفضل الدعاء انتظار الداعي الفرج بالإجابة، فيزيد في خضوعه، وتذلله، وعبادته التي يحبها الله تعالى، وهو المراد من قوله: «فإن الله يحب أن يسأل»(٤).

بل إن ترك الدعاء سبب في غضب الله على العبد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»(٥).

---

(١) راوه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث "٤٤٩٨"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة، الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣م، ١٠/٣٥٠.

(٢) انظر: تحفة الذاكرين، الشوكاني، ص: ٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك رقم الحديث" ٣٥٧١ "، ص: ٨١٢.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر الطبعة الأولى، ١٣٥٦ه، ٤/١٠٨.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: منه، رقم الحديث "٣٣٧٣ "، وحسنه الألباني، ص: ٧٦٥-٧٦٦.

وفي هذا رد واضح على من يقول إن الرضى والسكوت أفضل من الدعاء؛ لأن كل شيء بقضاء وقدر(١).

يقول عز الدين بن عبد السلام رحمه الله: من زعم أنا لا نحتاج إلى الدعاء، فقد كذب وعصى ، ويلزم أن يقول: لا حاجة بنا إلى الطاعة والإيمان؛ لأن ما قضاه الله من الثواب والعقاب، لابد منه ، وما يدري الأخرق الأحمق أن الله قد رتب مصالح الدنيا والآخرة على الأسباب

وبناء على ما سبق به القضاء، لا بغيره، لزمه أن لا يأكل إذا جاع، ولا يشرب إذا عطش ، ولا يلبس إذا برد ، ولا يتداوى إذا مرض ، ويقول في ذلك كله: ما قضاه الله فإنه لا يُرد .. وهذا ما لا يقوله مسلم، ولا عاقل ، وما أجرأ هذا الجنس من الجرأة على الله بإنكار الشرع، وما ركزه الله في الطبع(٢).

ويقول الصنعاني: فالعجب من الاشتغال بذكر الخلاف بين من قال التفويض والتسليم أفضل من الدعاء، فإن قائل هذا ما ذاق حلاوة المناجاة لربه، ولا تضرعه واعترافه بحاجته وذنبه(٣).

---

(١) انظر تفصيل المسألة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت، ٩٥/١١.

(٢) كتاب الفتاوى، للإمام العز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الفتاح، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ص٩٨-٩٩.

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الصنعاني، تحقيق: محمد بن عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩ه، ٢١٢/٤.

المبحث الثالث

آداب الدعاء

ينبغي للمسلم حينما يقصد ربه بدعائه أن يدرك أن هناك آداباً تلزمه حتى يكون عمله أقرب للكمال، قال الطرطوسي رحمه الله: «اعلموا- أرشدكم الله- أنَّ للدعاء آداباً مشروعة، وشروطاً مفروضة؛ فمن وفَّى وفِّي له، ومَن لزم تلك السِّيرة على شروط الأدب، أو شَكَّ نيل ما سأل، ومَن أخلَّ بالآداب استحقَّ ثلاثة خلال: المقت، والبعد، والحرمان»(١).

وفي هذا المقام نذكر جملة من الآداب التي وردت في سنة النبي ﷺ.

١- الطهارة عند الدعاء:

يعتبر الدعاء من سائر العبادات التي يستحب لها الطهارة، يدل على ذلك أنه لما طلب من النبي ﷺ أن يستغفر لأبي عامر في قصة استشهاده، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فقال: «اللهم اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أبي عَامِرٍ»(٢)، ولو دعا من غير طهارة جاز ذلك؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ على كل أَحْيَانِهِ(٣)، ويدخل في ذلك الدعاء.

قال النووي رحمه الله: هذا الحديث أصل في جواز ذكر الله تعالى بالتسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، وشبهها من الأذكار، وهذا جائز بإجماع المسلمين(٤).

---

(١) الدعاء المأثور، الطرطوسي، ص: ١٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة أوطاس، رقم الحديث " ٤٠٦٨"، ٤/١٥٧١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحيض، باب: ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم الحديث " ٣٧٣ " ١/٢٨٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ٤/٦٨.

٢- استقبال القبلة:

يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وهذه سنة النبي ﷺ حينما كان يقصد ربه بالدعاء، ففي يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، فاستقبل القبلة، ثم مد يده فجعل يهتف بربه(١).

وفي صلاة الاستسقاء، ثبت أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ إلى الْمُصَلَّى يُصَلِّي، وَأَنَّهُ لَمَّا دَعَا، أو أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ(٢).

وفي حجة الوداع، ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعاه ...(٣).

وإذا دعا المسلم ربه غير مستقبل القبلة، فجائز لفعل النبي ﷺ، فعن أَنَسَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: أتى رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ من أَهْلِ الْبَدْوِ إلى رسول اللَّهِ ﷺ يوم الْجُمُعَةِ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتْ الْمَاشِيَةُ، هَلَكَ الْعِيَالُ، هَلَكَ الناس، فَرَفَعَ رسول اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ يَدْعُو، وَرَفَعَ الناس أَيْدِيَهُمْ معه يَدْعُونَ(٤).

قال ابن حجر رحمه الله: إن الخطيب من شأنه أن يستدبر القبلة، وأنه لم ينقل أنه ﷺ لما دعا... استدار(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم الحديث " ١٧٦٣ "، ٣/١٣٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستسقاء، باب: استقبال القبلة في الاستسقاء رقم الحديث " ٩٨٢"، ١/١١٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ ، رقم الحديث " ١٢١٨"، ٢/٨٩٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستسقاء، باب: رَفْعِ الناس أَيْدِيَهُمْ مع الْإِمَامِ في الِاسْتِسْقَاءِ رقم الحديث " ٩٨٣"، ١/١١٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ١١/١٤٣.

٣- أن يكون الدعاء بعد عمل صالح:

يستحب لمن أراد الدعاء أن يسبقه بعمل صالح؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾(١).

بمعنى: فإذا فرغت من صلاتك، فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك(٢).

وقال عبد الله بن رضي الله عنهما: «إذا أردت أن تدعو، فقدِّم صدقة، أو صلاة، أو خير، ثم ادع بما شئت»(٣).

٤- الإلحاح في الدعاء:

يكون الإلحاح في الدعاء بتكراره مرتين، وثلاثاً، وقد ورد ما يدلُّ على تكرير النبي ﷺ للدُّعاء ثلاث مرات؛ فقد رَوَى ابنُ مسعود رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً(٤).

وَكما قالت عائشة رضي الله عنها في قصَّة سحره ﷺ: «دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا»(٥).

---

(١) سورة الشرح، الآيتان: ٧ — ٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت –سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، ٢٣٦/٣٠.

(٣) الدعاء المأثور، الطرطوسي، ص: ٢٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث"١٧٩٤" ١٤١٨/٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: السحر، رقم الحديث " ٥٤٣٠ "، ٥/ ٢١٧٤، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب السحر، رقم الحديث" ٢١٨٩"، ١٧٢٠/٤.

٥- الحرص على إطابة المطعم:

من الأمور التي يجب أن يدركها المسلم حينما يجتهد في دعائـــه، أن يسعى لأن يكون مطعمه حلالاً، فإن ذلك أدعى للاستجابة، قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبـــل إلا طيبـــاً، وإن الله أمـــر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقـــال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾(١)، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾(٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمـــد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»(٣).

وهذا استفهام وقع على وجه التعجب، والاستبعاد، ولـــيس صريحاً في استحالة الاستجابة، ومنعها بالكلية، فيؤخذ من هذا أن التوسع في الحرام، والتغذي به من جملة موانع الإجابة، وقد يوجد ما يمنع هذا المانع من منعه، وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعليـــة مانعاً من الإجابة أيضاً، وكذلك ترك الواجبات(٤).

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيـــب وتربيتها، رقم الحديث " ١٠١٥ " ٧٠٣/٢.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب، تحقيـــق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، -الطبعـــة الســـابعة، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٧م، ١٠٧/١.

٦- حضور القلب أثناء الدعاء مع اليقين بالإجابة:

ينبغي لمن دعا الله أن يدعوه بقلب حاضر، قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: «اعلم أن مقصود الدعاء هو حضور القلب ... والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، والعلم به أوضح من أن يذكر»(٢).

ويقول ﷺ: «ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»(٣).

يقول الإمام الزرقاني رحمه الله: لأن الداعي إذا لم يكن متحققاً في الرجاء، لم يكن رجاؤه صادقاً، وإذا لم يصدق رجاؤه، لم يكن الرجاء خالصاً، والداعي مخلصاً، فإن الرجاء هو الباعث على الطلب، ولا يتحقق الفرع إلا بتحقيق الأصل(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: (٦٦)، رقم الحديث "٣٤٧٩"، وحسنه الألباني، ص: ٧٩٠

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، النووي، دار الكتب العربي، بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص: ٣١٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت رقم الحديث"٢٦٧٩" ٢٠٦٣/٤.

(٤) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ه، ٤٨/٢.

المبحث الرابع

المخالفات التي تقع في الدعاء

المخالفة الأولى: الشرك في الدعاء:

من المخالفات التي تقع من البعض دعاء غير الله، من شجر، أو حجر، أو بشر، أو غير ذلك، فهذا شرك أكبر، مخرج من الملة، قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾(١).

وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»(٢).

المخالفة الثانية: دعاء صفات الله:

تعتبر الصِّفةَ غيرُ الذَّات في مقام النِّداء؛ ولهذا وجب في الدعاء مناداة الله تبارك وتعالى، المتَّصف بالصِّفات.

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما دعاء صفاته، وكلماته، فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي، وارحمني، وأغثني، أو أعني، أو يا علم الله، أو يا قدرة الله، أو يا عزة الله، أو يا عظمة الله، ونحو ذلك، أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا لذلك من صفات الله، وصفات غيره، أو يطلب من الصفة جلب منفعة، أو دفع مضرة، أو إعانة، أو نصراً، أو إغاثة، أو غير ذلك(٣).

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: باب: من أشرك في عمله غير الله، وفي نسخة باب تحريم الرياء، رقم الحديث "٢٩٨٥ "، ٤/٢٢٨٩.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة، ابن كثير، ص: ١/ ١٨١.

المخالفة الثالثة: دعاءُ الله بأسماء لم تَردْ في الكتاب، ولا في السُّنَّة:

الواجب على المسلم حينما يقصد ربه في دعائه، أن يلتزم ما ورد عن النبي ﷺ في تمجيد الله، وندائه.

قال الإمام الخطابي: ومما يسمع على ألسنة العامة، وكثير من القصاص، قولهم: يا سبحان - يا برهان - يا غفران - يا سلطان، وما أشبه ذلك، وهذه الكلمات، وإن كان يتوجه بعضها في العربية على إضمار النسبة بذي ، فإنه مستهجن، مهجور، لأنه لا قدوة فيه، ويغلط كثير منهم في مثل قولهم: يا رب طه - ويس، ويا رب القرآن العظيم، وأول من أنكر ذلك ابن عباس رحمه الله، فإنه سمع رجلاً، يقول عند الكعبة: «يا رب القرآن»، فقال: «مه! إن القرآن لا رب له، إن كل مربوب مخلوق»(١).

المخالفة الرابعة: تعليقُ الدُّعاء بالمشيئة:

ومن المخالفات التي تقع في الدعاء، وهي دارجة عند كثير من الناس، تعليق الدعاء بالمشيئة، وهذا أمر منهي عنه، فعن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَقُلْ أحدُكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنَّ اللهَ لا مكرهَ له». ولمسلم: «وليعظم الرَّغبة، فإنَّ اللهَ لا يتعاظمه شيء أعطاه»(٢).

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي، ص: ١٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: ليعزم المسألة فإنَّه لا مكره له، رقم الحديث "٥٩٨٠" ٥/٣٣٤، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت رقم الحديث " ٢٦٧٨"، ٤/٢٠٦٣.

فقولُ القائل: (اللهمَّ اغفر لي إن شئت)، كأنَّه يقول: لستُ محتاجاً إليك؛ إن شئتَ فاغفر لي، وإن لم تشأ فلست بمحتاج، وهذا فعلُ أهل التَّكبير، وأهل الإعراض عن الله؛ ولهذا حُرِّمَ هذا اللَّفظ.

وقولُه: «ليعزم المسألة»، هذا أحدُ أسباب المنع في الحديث؛ وهو أنَّ تعليقَه بالمشيئة يدلُّ على الفتور، وضعف الهمَّة، وقلَّة التعلُّق بالله تعالى؛ ولذا قال: ليعزم المسألة، أي: اسأل بعزم وقوَّة.

قوله: «فإن اللهَ لا مكرهَ له»، هذا السَّبب الثَّاني؛ لأنَّ تعليقَ الدُّعاء بالمشيئة، يوهم أنَّ اللهَ له مكره له، ويوهم النَّقصَ لله؛ فإنَّ اللهَ لا مكرهَ له(١).

المخالفة الخامسة: التكلف في السجع:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمولاه عكرمة: «فانظر السجع من الدعاء، فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»(٢).

قال ابن بطال رحمه الله: إنما نهى عن السجع فى الدعاء، _والله أعلم_؛ لأن طلب السجع فيه تكلف، ومشقة، وذلك مانع من الخشوع، وإخلاص التضرع لله تعالى(٣).

---

(١) انظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ، دار التوحيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ. ص٥١٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء، رقم الحديث"٥٩٧٨"، ٥/٢٣٣٤

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١٠/٩٨.

وقد عده القرطبي اعتداءً في الدعاء، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾(١): وهو أن يدعوَ بما ليس في الكتاب والسُّنَّة، فيتخيَّر ألفاظاً مفقَّرةً، وكلمات مسجوعةً، قد وجدها في كراريس لا أصلَ لها، ولا معوَّل عليها، فيجعلها شعارَه، ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ؛ وكلٌّ هذا يمنع من استجابة الدُّعاء(٢).

ويستثنى من ذلك الدعاء المسجوع اليسير، غير المتكلف فيه، كقوله ﷺ في غزوة الأحزاب: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب»(٣).

وكقوله ﷺ: « لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»(٤).

قال ابن بطال رحمه الله: هذا يدل أن نهيه ﷺ عن السجع، إنما أراد به من يتكلف السجع في حين دعائه، فيمنعه من الخشوع ...، وأما إذا تكلم به طبعاً من غير مؤنة، ولا تكلف، أو حفظه قبل وقت دعائه مسجوعاً،

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الشعب – القاهرة، ٢٢٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم الحديث "٢٧٧٥ " ١٠٧٢/٣.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الديات، باب: الدية كم هي ؟، رقم الحديث " ٤٥٤٧ " وحسنه الألباني ص: ٨٢١، ورواه النسائي في سننه، كتاب: القسامة، باب: ذكر الاختلاف على خالد الحذاء رقم الحديث " ٤٧٩٩ " وقال الألباني: صحيح بما قبله، ص: ٧٣٢.

فلا يدخل في النهي عنه؛ لأنه لا فرق حينئذ بين المسجوع وغيره؛ لأنه لا يتكلف صنعته وقت الدعاء، فلا يمنعه ذلك من إخلاص الدعاء والخشوع، والله أعلم(١).

وقال الغزالي رحمه الله: المكروه من السجع هو المتكلف؛ لأنه لا يلائم الضراعة والذلة، وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية، لكنها غير متكلفة(٢).

المخالفة الخامسة: ذكر أدعية لا تصح عن النبي ﷺ:

قد يعمد البعض على التزام أدعية لا تصح عن النبي ﷺ، إما أنها ضعيفة، أو أنها مكذوبة لم ترد، وأذكر منها:

١. « تَمَّ نورُك فهديت، فلك الحمد، عظم حلمُك فعفوتَ، فلك الحمد...».

٢. «يا مَن لا تراه العيون، ولا تخالطه الظُّنون... إلى أن يقول: يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار».

٣. «يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة.. إلى قوله: نسألك يا الله، أن لا تشوي خلقي بالنار».(٣).

المخالفة السادسة: الدعاء بلفظ اللعن والسب:

اللعن يعتبر من الدعاء، قال ابن حجر: ومعنى اللعن: الدعاء بالإبعاد

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١٠/٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١١/١٣٩.

(٣) انظر: تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ص٤٧٠.

من رحمة الله تعالى(١)، فاللّعن قد يراد به معناه الأصليُّ الذي هو الطَّردُ والإبعاد عن رحمة الله تعالى، وقد يراد به مُطْلَقُ السَّبِّ، والشَّتم، والتَّنقُّص، والدُّعاء على الشَّخص(٢).

وهناك أنواع من اللّعن تُخرج صاحبَها من الملّة؛ ومن ذلك:

لعن الله - سبحانه وتعالى-، أو أحد من ملائكته، ورسوله ودينه؛ فهذا كلُّه موجبٌ لردَّة صاحبه، وكفره؛ ومن أدلّة ذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيمن سبَّ الله تعالى: فإن كان مسلماً وَجَبَ قتلُه بالإجماع؛ لأنَّه بذلك كافرٌ مرتدٌّ، وأسوأ من الكافر(٤).

وأمَّا سبُّ نبيِّنا محمد ﷺ، فيقول الإمام أحمد رحمه الله: كلُّ مَن شتم النَّبيَّ ﷺ، وانتقصه مسلماً كان أو كافراً، فعليه القتل(٥).

وكذلك الحكمُ في سبِّ الملائكة، أو سائر الأنبياء ، كالحكم في سبِّ

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٠ /٤٦٥.

(٢) أحكام لعن الكافرين وعصاة المسلمين دراسة عقدية، أ. د سليمان بن صالح الغصن، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ص١٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول ،ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ٣/ ١١٢٠.

(٥) نقلاً من أحكام أهل الذمة، الإمام ابن القيم، تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري، رمادى للنشر، دار ابن حزم، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م، ٣/١٣٥٨.

نبيِّنا محمَّد ﷺ؛ ذكر ذلك القاضي عياض(١).

ومن أنواع اللَّعن: لعنُ المعيَّن من عصاة المسلمين:

لا يجوز للمسلم لعن أخيه المسلم، حتى ولو ارتكب ذنباً عظيماً، فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رجلاً كان على عهد النَّبيِّ ﷺ، كان اسمُه عبد الله، وكان يُلَقَّبُ حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشَّراب، فأتى به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهمَّ العنْه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوا الله ما علمت، إنَّه يحبُّ الله ورسوله»(٢).

وفي رواية: «لا تكونوا عوناً للشَّيطان على أخيكم »(٣).

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فقد نهى النبيُّ ﷺ عن لعنة هذا المعيَّن الذي كان يُكثر شرب الخمر، معلِّلاً ذلك بأنَّه يحبُّ الله ورسوله، مع أنَّه ﷺ لعن شارب الخمر مطلقاً؛ فَدَلَّ ذلك على أنَّه يجوز أن يُلعنَ المطلق، ولا تجوز لعنة المعيَّن الذي يحب الله ورسوله، ومن المعلوم أنَّ كلَّ مؤمن، فلابدَّ أنَّه يحبُّ الله ورسوله(٤).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، تحقيق: علي الجاوي، نشر البابي الحلبي، بدون طبعة ولا تاريخ.

٢/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة رقم الحديث "٦٣٩٨ "، ٦/٢٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة، رقم الحديث"٦٣٩٩ "، ٦/٢٤٨٩.

(٤) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ،تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ٤/٥٦٩

وقال ابنُ حَجَر رحمه الله: يُستفاد من ذلك منعُ الدُّعاء على العاصي بالإبعاد عن رحمة الله، كاللّعن(١).

المخالفة السابعة: تمني الموت:

قد يلجأ البعض عن نزول الابتلاء إلى تمني الموت، ظناً منه أن ذلك سيريحه مما ألمّ به، وهذا مما نهينا عنه، فعن أنس رضي الله عنه قال: النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لا بد فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً، لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»(٢).

وعن قيس رضي الله عنه قال: أتيت خبابًا، وقد اكتوى سبعًا، قال:....لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن أن ندعو بالموت لدعوت به(٣).

قال النَّوويُّ رحمه الله: فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به، من مرض، أو فاقة، أو محنة من عدو، أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما اذا خاف ضرراً في دينه، أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم(٤).

المخالفة الثامنة: الدعاء على الأهل والولد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٦٧/١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: نهي تمني المريض الموت، رقم الحديث " ٥٣٤٧ "، ٢١٤٦/٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: نهي تمني المريض الموت، رقم الحديث " ٥٣٤٨ "، ٢١٤٧/٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/٧-٨

من المخالفات التي يقع فيها البعض الدعاء على الولد، أو المال، أو الأهل، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، وعن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْعُوا على أَنْفُسِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَوْلَادِكُمْ، ولا تَدْعُوا على خَدَمِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا من اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ، فيها عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ »(١).

فالدعاء على النفس، أو الأهل والولد، قد يلحق الداعي الضرر، ويبعد عنه المصلحة؛ لأنها قد توافق ساعة استجابة.

المخالفة التاسعة: الدعاء بإثم، أو قطيعة رحم، أو الاستعجال في الاستجابة:

من موانع الاستجابة؛ الدعاء بإثم، أو قطيعة رحم، أو اليأس من الاستجابة لتأخرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل ، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال ؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: حديث جابر الطويل، رقم الحديث "٣٠٠٩" ٢٣٠٤/٤، ورواه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: النهي أن يدعو الإنسان على أهله وماله، رقم الحديث "١٥٣٢"، وصححه الألباني، ص: ٢٦٣ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم الحديث " ٥٩٨١ "، ٢٣٣٥/٥ وأخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له ، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي، رقم الحديث " ٢٧٣٥ " ٢٠٩٥/٤.

وهو أنه يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة؛ لما في ذلك من الانقياد والاستسلام، وإظهار الافتقار(١).

ويقول ابن القيم رحمه الله: ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه، أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة، فيستحسر، ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً، أو غرس غرساً، فجعل يتعاهده، ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه، تركه وأهمله(٢).

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١/١٤١.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ،ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٥.

المبحث الخامس

تطبيقات الاحتساب على المخالفات في الدعاء

المطلب الأول: الاحتساب على المخالفات في الدعاء المتعلقة بالعقيدة:

من الأمور التي يكره للعبد أن يفعلها حال دعائه: الإشارة بإصبعين(١)، وقد ثبت أن النبي ﷺ أنكر على من صنع ذلك، فقد رأى النبي ﷺ رجلاً يدعو بأصبعين فقال: «أحد أحد»(٢).

معنى قوله: «أحد أحد» أي أشر بأصبع واحدة؛ لأن الذي تدعو إليه واحد، وهو الله تعالى، وكرر للتأكيد في التوحيد، وإنما نهاه أن يشير بأصبعين؛ لأن الدعاء يجب أن يكون إما باليدين، وبسطهما على معنى التضرع والرغبة، وإما الإشارة بالواحدة على معنى التوحيد، والحكمة في النهي عنه أن يستعمل في التوحيد قلبه اعتقاداً ولساناً(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يشير بإصبعيه، فقبض إحدى إصبعيه وقال: إنما الله إله واحد(٤).

وهنا نرى أن ابن عمر رضي الله عنهما أنكر على ذلك الرجل، وغير بيده، وبين له الحكم الشرعي.

---

(١) انظر: شأن الدعاء، للإمام الخطابي، ص: ١٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، رقم الحديث " ١٤٩٩ "، وصححه الألباني، ص: ٢٥٧.

(٣) الدعاء وأحكامه الفقهية، خلود المهيزع، ١/ ١٤٤.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٠/٣٨٢

المطلب الثاني: الاحتساب على المخالفات في الدعاء المتعلقة بالابتلاء:

أولاً: الاحتساب على من دعاء بتعجل العقوبة:

قد يظن بعض المسلمين بأن الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا يكون كفارة له، إلا أن هذا من سوء الظن بالله الكريم الرحيم الغفور، فهو أرحم بعباده منهم، قال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١).

ولذا فقد أنكر النبي ﷺ على ذاك الرجل الذي دعا على نفسه بتعجيل العقوبة.

فعن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ عاد رجلاً من المسلمين، قد خفت(٢)، فصار مثل الفرخ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء، أو تسأله إياه؟» قال: نعم؛ كنتُ أقول: اللهمَّ ما كنتَ معاقبني به في الآخرة، فعجِّله لي في الدُّنيا.

فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله؛ لا تطيقه، أو لا تستطيعه؛ أفلا قلتَ: اللهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار»، فدعا الله له فشفاه(٣).

يقول النَّوويّ رحمه الله: في الحديث النَّهي عن الدُّعاء بتعجيل العقوبة،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٩.

(٢) قولُه: «قد خَفَت» أي: ضعف. شرح النووي على مسلم، ١٧/١٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، الرقم "٢٦٨٨" ٢٠٦٨/٤.

وفيه كراهية تمنِّي البلاء؛ لئلَّا يتضجَّر منه، ويسخطه، وربَّما شكا(١)ـــ

ولماذا يتعجَّل المؤمنُ العقوبةَ، وهو يقدم على مولى كريم، قد يَصفح ويعفو أصلاً، بدون أن يعاقبَه؛ ففيه نوع سوء ظنٍّ بالله؛ لذلك أرشد النَّبيُّ ﷺ إلى الدُّعاء الجامع المانع؛ وهو قولُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾(٢)(٣).

ثانياً: الاحتساب على من تمنى الموت لضر أصابه:

قد يمر بالمسلم من الابتلاء من مرض ونصب وغيره، مما يجعله يتمنى الموت من عظم ما يمر به، وهذا الأمر منهي عنه؛ لأن الإنسان لا يعلم ما يراد له، فعن أبي عبيد سعد بن عبيد مولى عبد الرحمن بن أزهر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يتمنَّى أحدُكم الموتَ؛ إمَّا محسناً؛ فلعلَّه يزداد، وإمَّا مسيئاً؛ فلعلَّه يستعتب»(٤).

ولذا نهى النبي ﷺ عمه رضي الله عنه حينما تمنى الموت، فقد دخل ﷺ على العباس رضي الله عنه، وهو يشتكي، فتمنى الموت، فقال: «يا عباس، يا عم رسول الله، لا تتمن الموت؛ إن كنت محسناً تزداد إحساناً إلى إحسانك خير لك، وإن كنت مسيئاً، فإن تؤخر تستعتب خير لك، فلا تتمن

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٣) الاعتداء في الدعاء، سعود العقيلي، ص: ٦١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التمني، باب: ما يكره من التمني، رقم الحديث "٦٨٠٨"، ٦/٢٦٤٤.

الموت»(١).

قال ابنُ حَجَر رحمه الله: وقد خَطَرَ لي في معنى الحديث أنَّ فيه إشارةً إلى تغبيط المحسن بإحسانه، وتحذير المسيء من إساءته؛ فكأنَّه يقول: مَن كان محسناً فليترك تَمَنِّي الموت، وليستمر على إحسانه، والازدياد منه، ومَن كان مسيئاً، فليترك تمنِّي الموت، وليقلع عن الإساءة؛ لئلّا يموت على إساءته؛ فيكون على خطر(٢).

وقد ذكر الشيخ السعدي رحمه الله مفاسد تمني الموت، حيث قال: «فإن في تمني الموت لذلك مفاسدَ منها: أنه يؤذن بالتسخط، والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر، والقيام بوظيفته، والصبر ينافي ذلك.

ومنها أنه يضعف النفس، ويحدث الخور والكسل، ويوقع في اليأس.

والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور، والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب، وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمني الموت جهل وحمق؛ فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت؛ فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ، وأهواله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مؤسسة قرطبة، مصر، رقم الحديث: "٢٦٩١٦"، ٦/٣٣٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/٢٢٢.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيامِ بها، وبقية عمر المؤمن لا قيمة له؛ فكيف يتمنى انقطاعَ عملٍ الذَّرَّةُ منه خير من الدنيا وما عليها.

وخصّ من هذا العموم قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه؛ فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب»(١).

ثالثاً: الاحتساب على من دعاء على نفسه أو ماله:

من الأمور المنهي عنها بالشريعة الإسلامية الدعاء على النفس، خاصة عند نزول البلاء، وقد احتسب النبي ﷺ في ذلك.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه»(٢).

ومنه ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر الطويل قال: سِرْنَا مع رسول اللّهِ ﷺ في غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وهو يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بن عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وكان النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ من الْأَنْصَارِ على نَاضِحٍ له، فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ، فَتَلَدَّنَ عليه

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ، ص: ١٥٦- ١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له، إذا حُضر رقم الحديث "٩٢٠" ٦٣٤/٢

بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فقال له: شَأْ لَعَنَكَ الله، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «من هــذا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟ » قال: أنا يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «أنزل عنه فلا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ ,لَا تَدْعُوا على أَنْفُسِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَوْلَـادِكُمْ، ولا تَـدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا من اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فيهـا عَطَـاءٌ فَيَسْـتَجِيبُ لَكُمْ»(١).

رابعاً: الاحتساب على من دعا على الحمى:

الإنسان في الدنيا يعيش بين ما أنعم الله عليه من نعمه وآلائه، وبـين ما يعرض له من ابتلاء ومحن، والمؤمن الحق يكون شـاكراً لله للنعمـاء، صابراً على الابتلاء، فعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله: العبد دائماً متقلب بـين أحكـام الأوامـر، وأحكام النوازل، فهو محتاج، بل مضطر إلى العون عنـد الأوامـر، وإلى اللطف عند النوازل، وعلى قدر قيامه بالأوامر، يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كمل القيام بالأوامر ظاهراً وباطناً، نالـه اللطـف ظـاهراً وباطناً، وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها، ناله اللطف في الظاهر، وقل نصيبه من اللطف في الباطن، فإن قلت: وما اللطف الباطن؟ فهو مـا يحصل للقلب عند النوازل مـن السـكينة والطمأنينـة، وزوال القلـق

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم الحديث "٣٠٠٩"٤/٢٣٠٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن كله خـير، رقـم الحديث " ٢٩٩٩ "، ٤/٢٢٩٥.

والاضطراب والجزع، فيستخذي بين يدي سيده ذليلاً، له مستكيناً، ناظراً إليه بقلبه، ساكناً إليه بروحه وسره، قد شغله مشاهدة لطفه به، عن شدة ما هو فيه من الألم، وقد غيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره لـــه، وأنه عبد محض، يجري عليه سيده أحكامه، رضي أو سخط، فإن رضـــي نال الرضا، وإن سخط فحظه السخط، فهذا اللطف الباطن ثمـــرة تلـــك المعاملة الباطنة، يزيد بزيادتها، وينقص بنقصانها(١).

ومن صور الاحتساب في هذا المجال، ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخـــل علـــى أم الســـائب، أو أم المسيب، فقال: مالك يا أم السائب، أو يا أم المسيب تزفزفين(٢)؟ قالـــت: الحمى، لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد»(٣).

قال القرطبي رحمه الله: وقوله: لا تسبي الحمى، مع أنها لم تصرح بسب الحمى، وإنما دعت عليها بألا يبارك فيها، غير أن مثل هذا الدعاء تضمن تنقيص المدعو عليه وذمه، فصار كالتصريح بالذم والسب(٤).

---

(١) الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعـــة الثانيـــة، ١٣٩٣ه، ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) معناه تتحركين حركة شديدة، أي ترعدين. شرح النووي على مسلم، ١٣١/١٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المـــؤمن فيمـــا يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، رقم الحديث " ٢٥٧٥ " ١٩٩٣/٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مســـتو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـــ، ٥٤٨/٦.

خامساً: الاحتساب على من سب الريح:

من الأمور المنهي عنها لعن الريح، فهي تسير بأمر من الله، وقد احتسب عليه السلام على من سبها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً لعن الريح، وقال مسلم: إن رجلاً نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنها، فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل، رجعت اللعنة عليه»(١).

فبين النبي ﷺ أن اللعن لغير مستحقه سبب في رجوع اللعن على قائلها، وهذا دليل على عظم اللعن، حتى وإن قصد بها الريح، فعن أُمِّ الدَّرْدَاءِ قالت: سمعت أَبَا الدَّرْدَاءِ يقول: قال رسول: ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ إذا لَعَنَ شيئاً صَعِدَتْ اللَّعْنَةُ إلى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إلى الأرض، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فإذا لم تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إلى الذي لُعِنَ، فَإِنْ كان لِذَلِكَ أَهْلًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ إلى قَائِلِهَا»(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في اللعن، رقم الحديث" ٤٩٠٨ "، وصححه الألباني، ص: ٨٨٨.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في اللعن، رقم الحديث " ٤٩٠٥ " وحسنه الألباني، ص: ٨٨٨

المطلب الثالث: الاحتساب على المخالفات في الدعاء المتعلقة بآداب الدعاء:

أولاً: الاحتساب على من ترك افتتاح الدعاء بحمد الله بما هو أهله، ثم الصلاة على النبي ﷺ:

الدُّعاء الذي تقدَّمه الذِّكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدُّعاء المجرَّد؛ فإن انضاف إلى ذلك إخبارُ العبد بحاله، ومسكنته، وافتقاره، واعترافه، كان أبلغَ في الإجابة وأفضل(١).

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ قاعد، إذ دخل رجل فصلى، فقال: اللهم اغفر لي ، وارحمني، فقال رسول الله ﷺ: «عجلت أيها المصلي ، إذا صليت فقعدت، فاحمد الله بما هو أهله ، وصل علي ثم أدعه»، ثمَّ صلَّى رجلٌ آخر بعد ذلك ، فحمد الله، وصلَّى على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أيها المصلي ادع تجب»(٢).

فقوله: «عجلت» أي: حين ترك الترتيب في الدعاء، وعرض السؤال قبل الوسيلة، وفيه دلالة على أن من حق السائل أن يتقرب إلى المسؤول منه بالوسائل قبل طلب الحاجة بما يوجب الزلفى عنده، ويتوسل بشفيع له بين يديه؛ ليكون أطمع في الإسعاف، وأرجى بالإجابة، فمن عرض السؤال قبل الوسيلة، فقد استعجل(٣).

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ه، ص١٢١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: ٦٥ رقم الحديث "٣٤٧٦"، وصححه الألباني، ص: ٧٨٩.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ٤/٢٤٨-٢٤٩.

ثانياً: الاحتساب على من خص نفسه بالدعاء:

فضل الله عظيم، وخيره عميم، ورحمته وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(١)، فيحسن للمسلم حينما يدعو ربه راجياً رحمته، خائفاً من عذابه، أن لا ينسى من يحب من والد وولد، ويعم بذلك عامة المسلمين.

وقد أنكر النبي ﷺ على ذلك الأعرابي الذي خص في دعائه نفسه دون غيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة، وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لقد حجرت واسعاً» يريد رحمة الله(٢).

قال ابن بطال رحمه الله: أما إنكار على الأعرابي الذى قال: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا ، بقوله: (لقد حجرت واسعًا)، ولم يعجبه دعاؤه لنفسه وحده ، فلأنه بخل برحمة الله على خلقه ، وقد أثنى الله على من فعل خلاف ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا﴾(٣)، وأخبر تعالى أن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض ، فينبغي للمؤمن الاقتداء بالملائكة والصالحين من المؤمنين؛ ليكون

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث " ٥٦٦٤"، ٥/٢٢٣٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

من جملة من أثنى الله عليه، ورضى فعله، فلم يخص نفسه بالدعاء دون إخوانه المؤمنين، حرصًا على شمول الخير لجميعهم(١).

ثالثاً: الاحتساب على رفع الصوت في الدعاء، والمبالغة فيه:

يعتبر رفع الصوت بالدعاء والنداء، والصياح من الاعتداء في الدعاء المنهي عنه(٢).

لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾(٣).

قال الطرطوشي رحمه الله: اعلموا، أرشدكم الله، أن الله أمر بإخفاء الدعاء، وأثنى على من أخفاه، فقال: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾(٤).

فإن قال قائل: ماذا أراد بالإخفاء؟ هل أراد إخفاءه عن الناس، وإن جهر به في الخلوات، أو أمر بالهمس بالشفتين، أو أراد إخفاءه في نفسه؟.

فالجواب: إن قوله (نداء خفياً) الظاهر أنه أراد الهمس بالشفتين؛ لأنه جاء الإخفاء من صفة النداء، ويقال: أخفى دعاءه عن قومه خالياً في جوف الليل، وناداه بقلبه سراً في نفسه، وقيل مخلصاً فيه، لم يطلع عليه إلا من ناجاه(٥).

ولذا أنكر النبي ﷺ على من رفع صوته بالدعاء، فعن أبي موسى

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٩/٢٢٠.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، ابن النحاس، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ه. ص: ٤٥٤.

(٣) سورة الأعراف: ٥٥.

(٤) سورة مريم: ٢-٣.

(٥) انظر: الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي، ص٩١.

الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فأشرفوا على واد، فجعل الناس يكبرون، ويهللون، ويرفعون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس اربعوا(١) على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا»(٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله جملة من فوائد إخفاء الدعاء، نذكر منها:

(**أحدها:** أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

ثانيهما: أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ لأن الملوك لا تُرفع الأصوات عندهم، ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي، فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

وثالثهما: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء، ولبه، ومقصوده، فإن الخاشع الذليل، إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد أنكر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى أنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعته إلى أن ينكسر لسانه، فلا يطاوعه بالنطق، وقلبه يسأل طالباً

---

(١) اربعوا: بهمزة وصل، وفتح الباء الموحدة، أي ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم. الديباج على مسلم، السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١/٦١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يكره من رفع الصوت في التكبير، رقم الحديث "٢٨٣٠"، ٣/١٠٩١، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر رقم الحديث "٢٧٠٤" ٤/٢٠٧٦.

مبتهلاً، ولسانه لشدة ذلته ساكتًا، وهذا الحال لا تأتي مع رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص)(١).

ويدخل في هذا الباب ما يفعله البعض، وخاصة أئمة المساجد عند دعاء القنوت من رفع الصوت بالبكاء، والتكلف في ذلك، يقول الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح والاشتغال بتحريرات النغم، إظهارًا للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال: أعجبوا من حسن صوتي وتحريري، ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القراء في هذا الزمان، يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال، وما ذاك إلا نوع لعب، فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدى سؤاله، وطلبه بتحرير النغم فيه، من الخفض، والرفع، والتطريب، والترجيع، كالتغني نسب البتة إلى قصد السخرية واللعب، إذ مقام طلب الحاجة التضرع، لا التغني، فاستبان أن ذاك من مقتضيات الخيبة والحرمان(٢).

رابعاً: الاحتساب على تعدد الألفاظ في الدعاء بلا حاجة:

من الأمور التي يحسن للمسلم أن يجتنبها حينما يناجي ربه ؛ التكلف في تفاصيل الكلام، والتطويل بالعبارات، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعجبه جوامع الكلم،

---

(١) وللاستزادة يرجع إلى كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٥/١٦.

(٢) نقلاً من فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، ١/٢٢٩.

ويدع ما بين ذلك»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي النبي ﷺ وأنا أصلي، وله حاجة، فأبطأت عليه قال: «يا عائشة، عليك بجمل الدعاء، وجوامعه»، فلما انصرفت، قلت يا رسول الله: وما جمل الدعاء، وجوامعه؟، قال:« قولي اللهم اني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك مما سألك به محمد، وأعوذ بك مما تعوذ منه محمد، وما قضيت لي من قضاء، فاجعل عاقبته رشدًا»(٢).

وعن ابن لسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهما أنَّه قال: سمعني أبي وأنا أقول: (اللهمَّ إنِّي أسألك الجنَّةَ، ونعيمَها، وبهجتَها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النَّار، وسلاسلها، وأغلالها، وكذا وكذا. فقال: يا بنيَّ، إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سيكون قومٌ يعتدون في الدُّعاء؛ فإيَّاك أن تكون منهم؛ إن أعطيت الجنَّة، أعطيتَها وما فيها، وإن أعذتَ من النَّار، أعذتَ منها وما فيها من الشَّرِّ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الوتر، باب الدعاء، رقم " ١٤٨٢ "وصححه الألباني، ص: ٢٥٥.

(٢) صحيح الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، الجبيل، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، رقم الحديث " ٤٩٧ "، ص: ٢٣٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، رقم الحديث "١٤٨٠"وقال الألباني: حسن صحيح ص: ٢٥٥.

وعن أبي نَعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بن مُغَفَّلٍ سمع ابْنَهُ يقول: اللهم إني أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عن يَمِينِ الْجَنَّةِ، إذا دَخَلْتُهَا، فقال: أَيْ بُنَيَّ، سَلْ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ من النَّارِ، فَإِنِّي سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إنه سَيَكُونُ في هذه الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ في الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ»(١).

قال الخطابي: ولْيَتَخَيَّرْ لدعائه، والثناء على ربه أحسن الألفاظ، وأنبلها، وأجمعها للمعاني؛ لأنه مناجاة العبد سَيِّدَ السادات، الذي ليس له مثل، ولا نظير(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطهارة، باب: الإسراف في الوضوء، رقم الحديث "٩٦ "، وصححه الألباني، ص: ٢١

(٢) شأن الدعاء، الخطابي، ص: ١٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ففي ختم هذا البحث المتعلق بالاحتساب على المخالفات في الدعاء _دراسة في ضوء السنة النبوية_ تبين عدة نتائج، أذكر منها:

١. إن الدعاء كغيره من العبادات، يشرط فيه أن يكون خالصاً صواباً.

٢. إن للدعاء آداب بينها النبي ﷺ، يحسن بالداعي أن ينهجها.

٣. حرص النبي ﷺ على تعليم الناس الصحيح من الدعاء.

٤. تحذير النبي ﷺ من المخالفات في الدعاء.

٥. مباشرة النبي ﷺ الاحتساب على من وقع منه مخالفة في الدعاء.

التوصيات:

١. أوصي الدعاة والخطباء تنبيه المسلمين بمسائل المخالفات التي تقع في الدعاء وتحذيرهم من الوقوع فيها.

٢. أوصي الجهات الرقابية على المساجد الاحتساب على المخالفات التي تقع في الدعاء من بعض الأئمة وتوضيح منهج النبي ﷺ في ذلك.

٣. أوصي بدراسة ميدانية حول مخالفات مسائل الدعاء في الحج والعمرة وسبل معالجتها.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.

٢- أحكام أهل الذمة ، الإمام ابن القيم، تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري، رمادى للنشر، دار ابن حزم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م.

٣- أحكام لعن الكافرين وعصاة المسلمين دراسة عقدية، أ. د سليمان بن صالح الغصن، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٤- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، النووي، دار الكتب العربي، بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥- الاعتداء في الدعاء، سعود بن محمد العقيلي، كنوز إشبيليا، الرياض، نسخة إلكترونية.

٦- بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق: هشام عطا، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٧- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ.

٨- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، للشوكاني، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م .

٩- تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠- التمهيد شرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، دار الفكر، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.

١٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ.

١٤- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الشعب، القاهرة .

١٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- الدعاء، الطبراني، تحقيق: د. محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧- الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي إتيانه واجتنابه، الطرطوسي، اعتنى به: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٨- الدعاء وأحكامه الفقهية، خلود بن عبد الرحمن المهيزع، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١٩- الديباج على مسلم، السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

٢٠- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الصنعاني، تحقيق: محمد بن عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٣٧٩هـ.

٢١- سنن ابن ماجة، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٢- سنن ابن ماجة بشرح الإمام السندي، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٣- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ابن علان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر الطبعة.

٢٤- سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٥- سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ,مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٦- سنن النسائي ,حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٧- شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق – وبيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

٢٨- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٢٩- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٣٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، تحقيق: علي الجاوي، نشر البابي الحلبي، بدون طبعة ولا تاريخ.
٣١- الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٣٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ، الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
٣٣- صحيح الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، الجبيل، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
٣٤- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.
٣٥- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦- صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع، ١٣٩٢هـ.
٣٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م .
٣٨- الفتاوى، للإمام العز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الفتاح، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
٤٠- الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
٤١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
٤٢- القاموس المحيط، الفيروزي آبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ .
٤٣- القواعد الحسان في تفسير القرآن، الشيخ السعدي، دار البصيرة، الإسكندرية.
٤٤- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
٤٥- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٤٦- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
٤٨- مصنف ابن أبي شيبة: تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٤٩- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.
٥٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٥١- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٥٢- الناسخ والمنسوخ، ابن النحاس، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٥٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

البحث رقم (٤)

نصوص الدعوة إلى الطاعة الواجبة في القرآن الكريم "دراسة دعوية"

إعداد

د. حسن بن يحيى ظافر الشهري

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية

بكلية التربية بالدوادمي، جامعة شقراء

ملخص البحث

يتلخص البحث في جمع النصوص القرآنية التي تضمنت الدعوة إلى الطاعة الواجبة وتفسيرها واستنباط الدروس الدعوية منها، وقد رصف الباحث ذلك في مقدمة وأربعة مباحث جاء الأول مشتملاً على آيات الدعوة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ وتفسيرها والدروس الدعوية المستنبطة منها، وضمن المبحث الثاني: آيات الدعوة إلى طاعة ولاة الأمر وشروحها والدروس الدعوية المستقاة منها، كما حوى المبحث الثالث: آيات الدعوة إلى طاعة الوالدين وبيانها والدروس الدعوية التي هدت إليها، وكَمُلَ الرصف بالمبحث الرابع الذي اشتمل على آيات الدعوة إلي طاعة الزوج وشرحها والدروس الدعوية المستنبطة منها، كما ذيل البحث بخاتمة فيها: النتائج والمقترحات والتوصيات، متبعة بفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات.

وقد اعتمد الباحث في شرح الآيات القرآنية على ثمانية تفاسير(١) بعد استعراض أقوال المفسرين عن كل آية يختار أقرب قول لموضوع البحث ويكتفي بذكره كيلا يطول البحث بذكر أكثر من قول لتفسير الآية.

(١) تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وتفسير القشيري، وتفسير القاسمي، وتفسير الزحيلي، وتفسير ابن عاشور، وتفسير السعدي، وتفسير الجزائري.

المقـــدمة

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومـــن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»(١).

قال تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(٢).

وقـــال تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾(٣).

وقـــال تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾(٤).

أما بعد:

فإن الحاجة إلى إبراز نصوص الدعوة إلى الطاعـــة الواجبـــة وبيـــان أحكامها وعرضها للناس وتعليمهم تدبرها من الأهمية بمكان حيث اتصل العالم بعضه ببعض وأصبح أعداء الإسلام يصلون إلى كل إنسان في قعـــر داره فيلبسوا عليهم دينهم بالشبه ويشعلون نار غضبهم بالتحريض ضـــد من وجبت عليهم طاعته ويرسمون لهم خطط التمرد والعصيان والعقـــوق ويشعرونهم بأن هذه الطاعة ليست من أصول الدين؛ مما تسبب في تـــرك

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، تحقيـــق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ح (٨٦٨)٥٩٣/٢، بـــدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

ما أمر الله تعالى بفعله ومخالفة نهج المصطفى ﷺ والخروج على ولاة أمر المسلمين والبعد عن العلماء وعقوق الوالدين وعدم طاعة الأزواج، ولعل هذا البحث يلقي الضوء على ما قد يعيد من ضل إلى صوابه ويظهر شيئاً من محاسن الإسلام لغير المسلمين فينفع الله به أبصاراً عمياً ويضيء به قلوباً غُلفاً، والله اسأل أن يتمم ذلك.

أهمية الموضوع: تتضح أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١- قلة تعظيم الناس لله تعالى والبعد عن طاعته كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾(١)

٢- فشو الانحرافات الفكرية - المخرجة عن طاعة الله ورسوله وطاعة الوالدين وولاة الأمر والنشوز على الأزواج لأتفه الأسباب - بين أبناء المسلمين وتجاوز ذلك إلى الإجرام الفعلي، مما يثير التساؤل الآتي: كيف أغفل هؤلاء الآيات القرآنية التي تأمر بالطاعة الواجبة؟

٣- أهمية بيان أنواع الطاعة - واجبة ومحرمة - ووجوب الالتزام بالواجبة منها وفق شرع الله تعالى ومنهج رسوله ﷺ.

٤- ضرورة بيان الحق وإقامة الحجة على المخالفين بنصوص القرآن الكريم.

٥- ضرورة تفعيل واجب الدعاة إلى الله تعالى في بيان الطاعة الواجبة على المسلم وتوعية الشباب لحمايتهم من الانحراف عن الجادة في هذا المجال وتفنيد شبه المغرضين والتحذير منها.

٦- أهمية حصر الآيات القرآنية التي تدعو إلى الطاعة الواجبة واستنباط ما فيها من دروس دعوية تنير طريق الداعية والمدعو على حد سواء.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

أهداف البحث:

٧- التعرف على مفهوم الطاعة.

٨- إبراز اهتمام القرآن الكريم بموضوع الطاعة.

٩- تجلية ما تضمنته آيات الطاعة من الدروس الدعوية؛ ليفيد منها الدعاة إلى الله تعالى في ميدان الدعوة.

١٠ - الخروج بتوصيات ومقترحات يمكن أن تسهم في الحد من الخروج على من وجبت طاعته.

تساؤلات البحث:

١- ما مفهوم الطاعة في اللغة والاصطلاح؟

٢- كيف اهتم القرآن الكريم بموضوع الطاعة؟

٣- ما الدروس الدعوية المستفادة من آيات الطاعة؟

٤- كيف يمكن الحد من الخروج على من وجبت طاعته في ضوء نصوص الطاعة في القرآن الكريم؟

أسباب اختيار الموضوع:

١- تزايد الحملات الشرسة التي يشنها أعداء الإسلام على المسلمين لإضعاف تمسكهم بدينهم وميلهم عن طاعة الله ورسوله - ﷺ - وخروجهم عن طاعة ولاة أمرهم وبعدهم عن العلماء والتقصير في حقوق الوالدين والتمرد على الأزواج، ولا سيما في ظل وجود وسائل التواصل الاجتماعي التي تمكنهم من الوصول إلى كل شخص صغير وكبير بأساليب تناسب حال كل منهم.

٢- كثرة الخروج في هذا العصر على من وجبت طاعته دون اعتبار للنصوص القرآنية الواردة في وجوب الطاعة.

٣- فشو الانحراف الفكري وتجاوزه إلى الإجرام الفعلي الغير مسبوق كقتل الوالدين، مما يدل على الجهل بهذه النصوص أو إنكارها.

٤- وجوب بيان الحق وإقامة الحجة على المخالفين في مجال الطاعة الواجبة.

٥- الحاجة لبيان الدروس الدعوية المستقاة من آيات الطاعة ليفيد منها الدعاة في ميدان الدعوة إلى الله .

٦- الرغبة الجادة في المشاركة بما يخدم دين الله ؛ لعل الله تعالى أن يجعل هذا العمل من العلم الذي ينتفع به صاحبه في الدنيا والآخرة، وينفع به الإسلام والمسلمين.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث عن دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع لم أجد من بحثه من هذا الجانب وإنما كان تناوله في بعض المؤلفات من جوانب فقهية أو تفسير موضوعي أو بيان عقيدة ضمن موضوعات متعددة و لم أجد من خصه بدراسة علمية دعوية متخصصة، ومن الدراسات القريبة لهذا البحث ما يلي:

١ - دراسة بعنوان: الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم - رسالة ماجستير من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث عبد العزيز بن محمد السحيباني - عام١٤١٤هـ، وكان تناوله للموضوع من جانب التفسير الموضوعي وشمل الطاعة الواجبة والمحرمة، ويختلف بحثي هذا بتركيزه على آيات الدعوة إلى الطاعة الواجبة في القرآن الكريم ودراستها دراسة دعوية يفاد منها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

٢ - مؤلف بعنوان: نصوص الدعوة في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية" أ. د. حمد بن ناصر العمار - طباعة دار إشبيليا للنشر والتوزيع - عام ١٤١٩هـ، وقد جاء هذا المؤلف في مقدمة وفصل تمهيدي ثم ستة فصول حسب موضوعات الدعوة، التي قام المؤلف بجمع نصوصها وهي: (الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والموعظة الحسنة، والبلاغ، والإصلاح) حيث صنفها الباحث، وشرحها وحدد مدلولاتها الدعوية، وعليه فيمكن للباحث أن يفيد منه في هذا البحث.

٣ - مؤلف بعنوان: الطاعة والمعصية في ضوء الكتاب والسنة - تأليف صفوت عبد الفتاح محمود هلال - طباعة دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - عام ١٤١٢هـ، وقد تحدث فيه المؤلف عن مصدر السعادة والشقاوة وذلك ببيان أهمية الطاعة وخطر المعصية واستدل ببعض الآيات والأحاديث النبوية على ما ذكره بشكل عام دون التطرق إلى الجانب الدعوي أو الاقتصار على نوع معين من أنواع الطاعة.

٤ - بحث بعنوان: الطاعة في القرآن الكريم - إعداد تركية محمد العتيبي وتراحيب محمد العتيبي ضمن بحوث ودراسات مكتب التربية العربي لدول الخليج وقد عرضا فيه مفهوم الطاعة في القرآن الكريم وأهميتها وأثرها وجاء ذلك في مبحثين، وشمل الطاعة الواجبة والمحرمة، ويفرق هذا البحث عن بحثهما أن الكلام هنا عن الطاعة الواجبة في القرآن الكريم دراسة دعوية، تختلف عن طرحهما تماماً.

الإضافة العلمية للبحث:

يأمل الباحث أن يفيد هذا البحث في بيان الطاعة الواجبة من نصوص القرآن الكريم التي دلت على وجوب ذلك ودعت إليه، كما

يرجون أن ينير طريق الدعاة إلى الله تعالى ويثير اهتمامهم بهذا الأمر باستنباط مضامين الدعوة إلى الطاعة الواجبة من النصوص القرآنية؛ ليفيدوا بذلك المسلمين على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة.

بيان مصطلحات عنوان البحث:

المراد بالنص: «نص القرآن ونص السنة أي: ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام»(١)

المراد بالدعوة: لكلمة الدعوة في اللغة معانٍ متعددة، كلها تدور حول: المعاني التالية: الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمع، والدعاء، والاستمالة.

فالدعوة: مصدر للفعل الثلاثي: «دعا يدعو، دعوةً، والدعوة هي: الطلب، يقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعاه إلى الشيء: حثّه على قصده: يقال: دعاه إلى القتال: ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثّه على اعتقاده وساقه إليه»(٢).

وتعريف الدعوة بمعنى النشر والبلاغ يغاير تعريفها بمعنى الدين أو الرسالة. فبمعنى النشر والبلاغ: قيل هي: «قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام عقيدة ومنهجاً وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة»(٣).

---

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ٩٧/٧، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ٢٨٦/١، ط٢، دون ذكر تاريخ الطبعة.

(٣) الدعوة إلى الله، خصائصها، مقوماتها، مناهجها، لأبي المجد نوفل، ١٨، دون ذكر الناشر، ورقم الطبعة تاريخها.

وبمعنى الدين أو الرسالة: قيل: «دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة»(١).

المراد بالطاعة: «طاع له يطوع طوعاً فهو طائع بمعنى أطاع وطاع يطاع»(٢).

وجاء في المعجم الوسيط: «الطاعة: الانقياد والموافقة وقيل لا تكون إلا عن أمر»(٣).

الطاعة في الاصطلاح: هي: «كل ما فيه رضى وتقرب إلى الله وضدها المعصية»(٤).

وقيل: «الطاعة: موافقة الأمر طوعاً»(٥).

وقيل هي: «انقياد القلب والجوارح للأحكام الشرعية، وامتثال أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ ومن أذن الله بطاعته من خلقه في غير معصية»(٦) والدعوة إلى ما تضمنه هذا التعريف هو المقصود من هذا البحث.

---

(١) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية/لمحمد الراوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض، ٣٩، ط٣، سنة١٤١١هـ .

(٢) لسان العرب لابن منظور٨/٢٤٠.

(٣) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ٢/٥٧٠، ط٢، دون ذكر تاريخ الطبعة.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت , دمشق ١/٤٧٧،ط١، ١٤١٠هـ.

(٥) التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١/١٨٢، ط١ ، ١٤٠٥هـ.

(٦) الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لعبد العزيز السحيباني، ١٤١٤هـ.

نوع البحث ومناهجه

نظراً إلى أن هذا البحث من البحوث التأصيلية النظرية، فإن المناهج التي يرى الباحث أنها تناسبه:

١ - المنهج الاستقرائي:

وهو: « تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً»(١)

وهذا المنهج يتناسب مع الدراسات الأصولية، وهو أحد المناهج المستخدمة في العلوم الشرعية، فهو يساعد في الوصول إلى بعض القواعد أو الأصول المنهجية أو الفنية المهنية لإنجاز بعض الأعمال، وعلى ذلك فاستخدام الباحث له يكون باستقراء و تتبع ما ورد في مشروعية وأهمية الطاعة الواجبة في القرآن الكريم، فهو ذو أهمية خاصة في اكتشاف العوامل الخفية، أي: السنن الكونية التي أوجدها الخالق وتتحكم في الأشياء الظاهرة (٢).

٢ - المنهج الاستنباطي:

لا يقتصر هذا المنهج على الدراسات الشرعية والقانونية، فهو يستخدم في دراسات غير تشريعية، «مثل بعض الدراسات المتصلة

---

(١)، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، ١٨٨، ط٣، سنة ١٤٠٨هـ، وانظر: البحث العلمي، د. عبد العزيز الربيعة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١/١٧٨، ط١، سنة ١٤١٨هـ .

(٢) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧٩، ط١، سنة ١٤١٥هـ ،بتصرف.

بالأساليب الدعوية الإقناعية أو الأساليب الأدبية وأساليب التعبير اللغوية وغيرها» (١).

وهو المنهج الذي: «ينطلق من الحقائق العامة أو القواعد العامة المتفق عليها ذات القوة التشريعية للوصول إلى المسائل الواقعية الفرعية التي تستمد حلولها من تلك الحقائق العامة» (٢)

فبعد جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع يكون تطبيق الباحث لهذا المنهج باستنباط الدروس الدعوية منها.

تقسيمات الدراسة

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، أهداف البحث، تساؤلات البحث، أسباب اختيار الموضوع، الدراسات السابقة، نوع البحث ومناهجه، وتقسيمات الدراسة.

المبحث الأول: آيات الدعوة إلى طاعة الله ورسوله - ﷺ - والدروس الدعوية المستنبطة منها

المطلب الأول: الآيات وشروحها

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ.

المبحث الثاني: آيات الدعوة إلى طاعة ولاة الأمر والدروس الدعوية المستنبطة منها

المطلب الأول: الآيات وشروحها.

---

(١) المرجع السابق٧٣.

(٢) المرجع السابق٧١.

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة ولاة الأمر

المبحث الثالث: آيات الدعوة إلى طاعة الوالدين والدروس الدعوية المستنبطة منها

المطلب الأول: الآيات وشروحها

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة الوالدين

المبحث الرابع: آيات الدعوة إلى طاعة الزوج والدروس الدعوية المستنبطة منها.

المطلب الأول: الآيات وشروحها

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة الزوج

الخاتمة: النتائج والمقترحات والتوصيات

المبحث الأول: آيات الدعوة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ والدروس الدعوية المستنبطة منها

إذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم بتدبر نجد أنها تدل كلها على وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ فتفصيل الأحكام والنهي عن المنكرات والأمر بالطاعات من أجل أن يطاع الله ورسوله ﷺ وفي المطلب الآتي عرض لآيات الدعوة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ وشروح بعض المفسرين لها:

المطلب الأول: الآيات وشروحها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(١)، أمر الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وعند الاختلاف يعرض ذلك على أوامر الله ورسوله ونهيهما ليستبين الحق ويُتبع الصواب(٢).

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩)

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،١٨٣، ط١ ،١٤٢٠هـ، بتصرف.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٢.

قال السعدي رحمه الله: «أي: في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإن طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح»(١). قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾(٢)، يأمر الله تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو: طاعته وطاعة رسوله ﷺ في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي: امتثال الأمر، واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتابعة(٣)، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

قال السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى عن حالة الظالمين، ممن في قلبه مرض وضعف إيمان، أو نفاق وريب وضعف علم، أنهم يقولون بألسنتهم، ويلتزمون الإيمان بالله والطاعة، ثم لا يقومون بما قالوا، ويتولى فريق منهم عن الطاعة تولياً عظيماً، بدليل قوله: وهم معرضون، فإن المتولي، قد يكون له نية عود ورجوع إلى ما تولى عنه، وهذا المتولي معرض، لا التفات له، ولا نظر لما تولى عنه، وتجد هذه الحالة مطابقة لحال كثير ممن يدعي الإيمان والطاعة لله وهو ضعيف الإيمان، وتجده لا يقوم بكثير من العبادات، خصوصاً: العبادات التي تشق على كثير من

(١) المرجع السابق ٨٦٧.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٣.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٧٨٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٧.

النفوس، كالزكوات، والنفقات الواجبة والمستحبة، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك»(١).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾(٢) إذا دعوا إلى الله تعالى أي: «دعوا إلى حكم الله ورسوله إذا فريق منهم معرضون يريدون أحكام الجاهلية، ويفضلون أحكام القوانين غير الشرعية على الأحكام الشرعية، لعلمهم أن الحق عليهم، وأن الشرع لا يحكم إلا بما يطابق الواقع، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه أي: إلى حكم الشرع مذعنين وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي، وإنما ذلك لأجل موافقة أهوائهم، فليسوا ممدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مذعنين، لأن العبد حقيقة من يتبع الحق فيما يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد على الحقيقة» (٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٧١.

(٤) سورة النور، الآيتان: ٥١ – ٥٢.

قال السعدي رحمه الله: «أي: إنما كان قول المؤمنين حقيقة، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، أن يقولوا سمعنا وأطعنا أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج، الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله، .... ولما ذكر فضل الطاعة في الحكم خصوصاً، ذكر فضلها عموماً، في جميع الأحوال، فقال: ومن يطع الله ورسوله فيصدق خبرهما ويمتثل أمرهما، ويخش الله أي: يخافه خوفاً مقروناً بمعرفة، فيترك ما نهى عنه، ويكف نفسه عما تهوى، واشتملت هذه الآية، على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى، وبقي الحق الثالث المختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير»(١).

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٢).

قال ابن عاشور رحمه الله: «تلقين آخر للرسول ﷺ بما يرد بهتانهم بقلة الاكتراث بمواعيدهم الكاذبة وأن يقتصروا من الطاعة على طاعة الله ورسوله فيما كلفهم دون ما تبرعوا به كذبا، ويختلف معنى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول بين معاني الأمر بإيجاد الطاعة المفقودة أو إيهام طلب

(١) المرجع السابق ٥٧٢

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

الدوام على الطاعة على حسب زعمهم، وأعيد الأمر بالقول للاهتمام بهذا القول فيقع كلاما مستقلا غير معطوف»(١).

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأمر تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهراً وباطناً، وبإيتاء الزكاة من الأموال التي استخلف الله عليها العباد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم، ممن ذكرهم الله لمصرف الزكاة، فهذان أكبر الطاعات وأجلهما، جامعتان لحقه وحق خلقه، للإخلاص للمعبود، وللإحسان إلى العبيد، ثم عطف عليهما الأمر العام، فقال: وأطيعوا الرسول وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من يطع الرسول فقد أطاع الله لعلكم حين تقومون بذلك ترحمون؛ فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة»(٣)، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(٤)، يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ١٨/٢٧٩،٢٨٠، الدار التونسية للنشر، دون ط، ١٩٨٤هـ .

(٢) سورة النور، الآية: ٥٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٧٣

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.

عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وتعبداً وذلاً وإخلاصاً لـــه، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة (١).

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢).

قال السعدي رحمه الله: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمـــان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبـــادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه، وقوله: إذا دعاكم لما يحييكم: وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام، ثم حذر عـــن عـــدم الاســـتجابة لله وللرسول فقال: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه؛ فإياكم أن تـــردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء»(٣).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٧٨بتصرف

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٣) المرجع السابق ٣١٨.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١)، يقول تعالى ذلك: «مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم ، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعته ومناصرته ومؤازرته ، والقيام بدينه ، وإبلاغه عنه ، وقبوله منه فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ .

هذه هي البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله ﷺ عند إسلامهم كما قالوا: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله»(٢)، «وليس المراد بذلك أنهم لفظوا ونطقوا بالعهد والميثاق، وإنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد التزموا طاعتهما، ولهذا قال: إذ قلتم سمعنا وأطعنا، أي: سمعنا ما دعوتنا به من آياتك القرآنية والكونية، سمع فهم وإذعان وانقياد. وأطعنا ما أمرتنا به بالامتثال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة»(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية٦/١٠٩، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٣)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٢٢٤.

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(١).

قال السعدي رحمه الله: «أي: كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه فقد أطاع الله تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول ﷺ لأن الله أمر بطاعته مطلقاً، فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقاً، ويمدح على ذلك. وهذا من الحقوق المشتركة فإن الحقوق ثلاثة: حق لله تعالى لا يكون لأحد من الخلق، وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك، وقسم مختص بالرسول ﷺ، وهو التعزير والتوقير والنصرة، وقسم مشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله ومحبتهما وطاعتهما»(٢).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٣).

قال السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى خبراً في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له، وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٨٠ – ٨١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٨٩.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٤ – ٦٥.

مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا بـــه ونهـــوا عنـــه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع، وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أمـــر بطاعتـــهم مطلقاً، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمـــر بـــذلك مطلقاً»(١).

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(٢)، «أي: كل من أطاع الله ورسوله على حسب حاله وقدر الواجب عليـــه من ذكر وأنثى وصغير وكبير، فأولئك مع الذين أنعم الله علـــيهم، أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة»(٣).

وبعد هذا العرض لنصوص الدعوة إلى طاعة الله ورســوله ﷺ في القرآن الكريم وبيان علماء التفسير لمعانيها الإجمالية، ندلف إلى المطلـــب الثاني المشتمل على عرض الدروس الدعوية المستنبطة من الآيات الكريمة.

(١) المرجع السابق ١٨٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٥.

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ:

١. الإخلاص والمتابعة من أهم ما ينبغي أن يتصف به الداعية إلى الله تعالى ويدعو إليه.

٢. يجب أن يتمثل الداعية ما يدعو إليه قولاً وعمل لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(١).

٣. القدوة الحسنة في طاعة الله ورسوله ﷺ من أهم صفات الداعية الناجح.

٤. احتراز الداعية من مخالفة طاعة الله ورسوله ﷺ يجنبه خصال النفاق.

٥. فلاح الداعية وفوزه باستجابته لأحكام الله تعالى، وطاعته لأوامر الله ورسوله ﷺ في المحبوب والمكروه.

٦. تركيز الداعية على ما يحبب الناس في طاعة الله ورسوله ﷺ أمر في غاية الأهمية.

٧. على الداعية أن يعلم أن مهمته البلاغ والنصح، أما الهداية فبيد الله تعالى.

٨. لا ينبغي للداعية أن يذهب نفسه حسرات إذا تولى المدعو ما لم يقصر في دعوته إلى الله تعالى.

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

٩. إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من أبرز الأعمال الدالة على طاعة الله ورسوله ﷺ، فيحسن بالدعاة إلى الله تعالى غرس حبهما في نفوس المدعوين.

١٠. طاعة الله ورسوله ﷺ والاستجابة لأوامرهما حياة للقلوب وسعادة في الدنيا والآخرة.

١١. تركيز الداعية على أسلوب الاستمرار في الدعوة وتجديد حب طاعة الله ورسوله ﷺ في نفوس المدعوين أمر في غاية الأهمية؛ لأن الإيمان يخلق في القلوب كما يخلق الثوب.

١٢. على الداعية الوفاء بالعقود والعهود والمواثيق والبيعة طاعة لله ورسوله ﷺ لأن ذلك أدعى في تأثيره على المدعوين وقبول دعوته وحب التعامل معه.

١٣. طاعة الله تعالى مبنية على طاعة رسوله ﷺ.

١٤. ليعلم الداعية أنه ليس بوكيل على الناس وإنما عليه البلاغ والدعوة.

١٥. لا يغتر الداعية بإشادة الناس ومدحهم والتظاهر بقبول ما يقول فليسوا كلهم على ذلك ولا يضره من خالف قوله عمله قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾(١).

١٦. توكل الداعية على الله تعالى وتفويض الأمر إليه من أهم المعززات لدعوته.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨١

١٧. ثقة الداعية بالله تعالى تجعله يزداد ثباتاً وعزيمة.

١٨. يكثر لجوء الناس إلى الداعية لحل خلافاتهم ومشكلاتهم فيحسن به انتهاز الفرصة وتحكيم شرع الله فيما شجر بينهم وحثهم على طاعة الله ورسوله ﷺ كما فعل يوسف عليه السلام مع أصحاب السجن، قال تعالى موضحاً ذلك: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾(١).

فعندما جاء إليه السجينان يسألانه بدأ بدعوتهما إلى التوحيد وبيان الحق قبل إجابتهما.

١٩. قبول الناس لدعوة الداعية، تكون بإذن الله تعالى وتوفيقه وليست ببراعة الداعية وجمال أسلوبه فلا يغتر بذلك وليشكر الله تعالى.

٢٠. على الداعية غرس حب طاعة الله ورسوله ﷺ في نفوس الناس، وحثهم على أهمية قبول حكمهما والتسليم بذلك ونفي الحرج من القلب لبلغوا تمام الطاعة وكمال الانقياد.

٢١. يتحتم على الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس عظيم مترلة من أطاع الله ورسوله ﷺ ومكانته يوم القيامة.

٢٢. على الدعاة إلى الله تعالى تعزيز الإيمان بالغيب وترغيب المدعوين بما يدخر لمن أطاع الله ورسوله ﷺ في الآخرة.

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣٩ – ٤٠.

المبحث الثاني
آيات الدعوة إلى طاعة ولاة الأمر والدروس الدعوية المستنبطة منه

بين العلماء المقصود بولاة الأمر قال العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «المراد بولاة الأمر: هم العلماء والأمراء والحكام ذوو السلطان»(١)وفي هذا المبحث يكون تناول النصوص القرآنية التي تضمنت الدعوة إلى طاعتهم وشروحها والدروس الدعوية المستنبطة منها، وذلك في مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: الآيات وشروحها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٢)

بعد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ «أمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(٣).

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز ، يرحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: د. محمد سعد الشويعر ٧/١١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٨٣.

وقد ربط الله طاعة ولاة الأمر بطاعة الله ورسوله وجعل العلاقة إيمانية وما رُبطَ بالإيمان ففعله واجب لأنه محقق له ودليل عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)، «هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقاً، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، ...ولكن هل يأذن لهم أم لا؟ ذكر لإذنه لهم شرطين: أحدهما: أن يكون لشأن من شئونهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له. والثاني: أن يشاء الإذن فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالآذن، فإذا كان له عذر واستأذن، فإن كان في قعوده وعدم ذهابه مصلحة برأيه، أو شجاعته، ونحو ذلك، لم يأذن له»(٢).

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٢)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٧٦

وهذا ينطبق على كل مسلم مع ولي أمره لأن ما خوطب به النبي ﷺ تخاطب به الأمة، بل إن النبي ﷺ بين ذلك بقوله: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(١).

كما بين ﷺ ارتباط طاعة ولي الأمر بطاعة الله ورسوله بقوله: « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً وإن قال بغيره فإن عليه منه»(٢).

قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣)، يخبر الله تعالى عن حالة المتخلفين عن الرسول ﷺ في الجهاد من المنافقين، ومن في قلوبهم مرض وضعف إيمان أنهم يقسمون بالله، لئن أمرتهم فيما يستقبل(٤)ليخرجن.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: السمع والطاعة ح ٢٩٥٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، ح ٢٧٩٧.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٣.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٧٢

ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾(١).

قال السعدي رحمه الله: «هذا من أو عاده تعالى الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل؛ فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً، ولا يخافون أحداً إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح، ومن كفر بعد ذلك التمكين والسلطنة التامة لكم، يا معشر المسلمين، فأولئك هم الفاسقون الذين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسباب المانعة منه، يدل على فساد نيته، وخبث طويته، لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك»(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٧٣

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة ولاة الأمر:

١. طاعة ولاة الأمر سبب أولي في حماية المجتمع المسلم من الفرقة والاختلاف ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١).

٢. طاعة ولاة الأمر من أهم عوامل نجاح الدعوة إلى الله تعالى لأنها تعد سياج منيع لحماية الدعوة والدعاة إلى الله تعالى وتذليل العقبات التي قد تعترضها، ومما يؤكد ذلك أن الجهاد أحد وسائل الدعوة إلى الله تعالى، ولا يمكن إقامته إلا تحت راية ولي الأمر المطاع.

٣. ضرورة ترسيخ مفهوم طاعة ولاة الأمر في نفوس المدعوين، لأن ذلك أصل شرعي أكده النبي ﷺ بقوله: « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال: بغيره فإن عليه منه»(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، ح٢٧٩٧.

٤. من مهام الدعاة الأساسية ترسيخ طاعة ولاة الأمر في نفوس المدعوين طاعة لله ورسوله ﷺ وتعبداً وإيماناً بالله تعالى وتطبيقاً عملياً لشرعة، ورداً للشبهة التي قد يشيعها بعض من ضعف إيمانه بأن طاعة الولاة والحكام من النفاق والتزلف.

٥. على الدعاة بيان أهمية الوفاء ببيعة ولاة الأمر، وخطر مخالفتها وأنه من أبرز صفات المنافقين.

٦. أهمية تركيز الداعية على ما يحبب الناس في طاعة ولاة الأمر لما يترتب عليه من صلاح الدين والدنيا.

٧. تجلية وعود الله للمؤمنين بالتمكين في الأرض والثواب الجزيل في الآخرة من الأساليب الدعوية المناسبة في حث الناس على طاعة الله ورسوله وما ينبني على ذلك من وجوب طاعة ولاة الأمر.

٨. واجب الدعوة إلى الله تعالى مناط بولاة الأمر من الدرجة الأولى وهذا يوجب طاعتهم وتوقيرهم طاعة لله تعالى ونصرة للحق ومساندة للقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

٩. الأمن أعظم نعم الله تعالى - بعد الإيمان - وأكبر محقق له؛ طاعة الله ورسوله ﷺ وطاعة ولاة الأمر،

قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١)،

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(٢).

) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٢) سورة قريش، الآيتان: ٣، ٤.

١٠. أفضل الأمم هي الأمة التي تعمل بطاعة الله ورسوله ﷺ وطاعة ولاة أمرها، وفي هذا رد على دعوى اليهود والنصارى الذين يقولون إنهم أبناء الله وأحباؤه كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾(١).

١١. لطاعة ولاة الأمر فوائد كثيرة – ينبغي على الدعاة تجليتها للناس – منها: تحقيق الإيمان بالله واليوم الآخر، وكسب الأجر والثواب الجزيل من الله تعالى، تحقيق الأمن العام وأمن الدعوة إلى الله تعالى خاصة، إقام أمور الناس بما يصلح دينهم ودنياهم، حل الخلافات الاجتماعية بحكمة لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢)، وضع الأمور في نصابها وتقدير القضايا بقدرها، فيها درء للمفاسد وجلب للمصالح، طاعة ولاة الأمر سد منيع في باب الفتن، وفيها حماية من إتباع الشيطان وخطوات الغواية.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

المبحث الثالث

آيات الدعوة إلى طاعة الوالدين والدروس الدعوية المستنبطة منها

المطلب الأول: الآيات وشروحها:

قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(١) أمر تعالى بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب فقال سبحانه وبالوالدين إحساناً أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما تعبداً لله بذلك، وإكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما، وللإحسان ضدان، الإساءة وعدم الإحسان، وكلاهما منهي عنه(٢).

وقال القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإحسان إلى الوالدين على وجه التدريج إلى صحبة فإنك أُمرت أولاً بحقوقهما لأنهما من جنسك ومنهما تربيتك، ومنهما تصل إلى استحقاق زيادتك وتتحقق بمعرفتك، وإذا صلحت للصحبة والعشرة مع ذوى القربى والفقراء والمساكين واليتامى ومن في طبقتهم - رُقّيت عن ذلك إلى استيجاب صحبته - سبحانه»(٣).

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم أوصى سبحانه بالإحسان إلى الوالدين، إثر تصدير ما يتعلق بحقوق الله - عز وجل - التي هي آكد الحقوق

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٧٨بتصرف

(٣) لطائف الإشارات (تفسير القشيري) لعبدالكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ٣٣٢/١، ط٣، ٢٠١٠م.

وأعظمها، تنبيها على جلالة شأن الوالدين بنظمها في سلكها بقول وبالوالدين إحساناً»(١).

وقال الزحيلي رحمه الله: «وبر الوالدين: طاعتهما في معروف والقيام بخدمتهما، والسعي في تحصيل مطالبهما والبعد عن كل ما يؤذيهما لأنهما السبب الظاهر في وجود الأولاد، وتربيتهم بالرحمة والإخلاص»(٢).

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾(٣).

بين السعدي رحمه الله في تفسيره: إن الله لما نهى عن الشرك به وأمر بالتوحيد وجعل ذلك قضاءً دينياً وأمراً شرعياً، « ذكر بعد حقه، القيام بحق الوالدين فقال: وبالوالدين إحساناً أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما أي: إذا وصلا إلى هذا السن الذي تضعف فيه قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف، فلا تقل لهما أفٍ وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية، ولا تنهرهما أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلاماً خشناً، وقل لهما قولا

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٣/١٠٣، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

(٢) التفسير المنير، أ. د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٥/٦٦، ط٢، ١٤١٨هـ.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٢٣ - ٢٥.

كريماً بلفظ يحبانه وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، أي: تواضع لهما ذلاً لهما ورحمةً واحتساباً للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد، وقل رب ارحمهما أي: ادع لهما بالرحمة أحياءً وأمواتاً، جزاءً على تربيتهما إياك صغيراً»(١).

قال القشيري رحمه الله: «وأمر بالإحسان إلى الوالدين ومراعاة حقهما، والوقوف عند إشارهما، والقيام بخدمتهما، وملازمة ما كان يعود إلى رضاهما وحسن عشرهما ورعاية حرمتهما، وألا يبدي شواهد الكسل عند أوامرهما، وأن يبذل المكنة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما....هذا في حال حياهما، فأما بعد وفاهما فبصدق الدعاء لهما، وأداء الصدقة عنهما، وحفظ وصيتهما على الوجه الذي فعلاه، والإحسان إلى من كان من أهل ودهما ومعارفهما»(٢).

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٣).

قال الجزائري رحمه الله: «أي: عهدنا إليه بواسطة الرسل إيصاءً ذا حسن وهو برهما بطاعتهما في المعروف وترك أذاهما ولو قل، وإيصال الخير بهما من كل ما هو خير قولاً كان أو فعلاً، وقوله تعالى: وإن

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٤٥٦

(٢) تفسير القشيري ، ٤/٢٥٠.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

جاهداك، أي: بذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي شيئاً من الشرك أو الشركاء فلا تطعهما»(١).

وقال القشيري - رحمه الله -: «أمر الله العباد برعاية حق الوالدين تنبيها على عظم حق التربية . وإذا كانت تربية الوالدين - وهي إن حسنت - فإلي حد يوجب رعايتهما فما الظن برعاية حق الله تعالى، والإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به من قبل ومن بعد؟!....وإن جاهداك على أن تشرك بالله فإياك أن تطيعهما، ولكن رد بلطف، وخالف برفق»(٢).

وقال السعدي رحمه الله: «أي: وأمرنا الإنسان، ووصيناه بوالديه حسناً، أي: ببرهما والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يعقهما ويسيء إليهما في قوله وعمله»(٣).

قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤).

قال القشيري رحمه الله: «إن جاهداك على أن تشرك بالله، أو تسعى بما هو زلة في أمر الله - فلا تطعهما، ولكن عاشرهما بالجميل؛ تخشين في

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٣/١٩٣، ط٥، ١٤٢٤هـ.

(٢) تفسير القشيري ، ٦ / ٨٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٢٧

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٥.

تلين، فاجعل لهما ظاهرك فيما ليس فيه حرج، وانفرد بسرك لله»(١).

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

قال السعدي رحمه الله: «هذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه الإحسان، ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة، وليست المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين، وإنما ذلك مدة طويلة قدرها: ثلاثون شهراً للحمل تسعة أشهر ونحوها والباقي للرضاع هذا هو الغالب»(٣)، وقد ضرب إسماعيل – عليه السلام – أجمل الأمثلة في طاعة الوالدين والبر بها حيث طلب منه والده أن يذبحه فبماذا أجاب يا ترى؟

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

(١) تفسير القشيري، ٦ / ١٩١.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٣)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٧٨١.

ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾. يعني لما عرض إبراهيم عليه السلام رؤياه على ابنه إسماعيل عليه السلام وبين له مراد الله تعالى: «أجابه إسماعيل عليه السلام معلناً الطاعة قائلاً: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني – إن شاء الله – من الصابرين أي: قال: إسماعيل: امض لما أمرك الله من ذبحي، وافعل ما أوحي إليك، سأصبر على القضاء الإلهي، وأحتسب ذلك عند الله – عز وجل – ، وبدأ تنفيذ أمر الله، فلما أسلما وتله للجبين أي: فلما استسلما وانقادا لأمر الله وأطاعاه، وفوضا أمرهما إلى الله، وأكب إبراهيم ابنه على وجهه حتى لا تأخذه العاطفة فيتردد في الذبح، أو ألقاه على جنبه، فوقع جبينه على الأرض والموضع الذي أراد ذبحه فيه: هو المنحر بمنى عند الجمار»(١)، نادى الله إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾(٢). يا له من طلب عجيب ويا لها من طاعة عظيمة، مهما بذل الولد من بر وطاعة والديه لن يبلغ مد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

---

(١) التفسير المنير، أ. د. وهبة الزحيلي، ٢٣/١٢٠، ١٢١.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٠٢، ١٠٨.

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة الوالدين:

١. من أولى البشر بالطاعة بعد الله ورسوله الوالدان لما لهما من الفضل على الإنسان، والإحسان إليهما من أهم الروابط الاجتماعية وترسيخ الداعية لهذا المفهوم في الناس يسهم في إيجاد مجتمع متماسك متراحم.

٢. من مهام الداعية إلى الله تعالى طاعة الوالدين وبرهما والإحسان إليهما والدعوة إلى ذلك؛ ومن أبر البر دعوقم إلي الله تعالى، ولنا في إبراهيم – عليه السلام – أسوة حسنة إذ قال الله تعالى عنه إنه قال لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾(١).

٣. الرفق واللين من أهم صفات الداعية وأحق الناس به الوالدان.

٤. الرحمة من أهم صفات الداعية وأحق بها الوالدان لما لهما عليه من فضل حيث إنهما السبب في وجوده بعد الله تعالى، وإن كانا كافرين.

٥. إيجاب رحمة الوالدين على الإنسان من باب المقابلة ورد الجميل حيث كانا يرحمانه وهو في حالة الضعف ولما انتقلت القوة إليه والضعف إليهما وجب رد المعروف بجنسه، حتى في الدعاء وقل ربي أرحمهما كما ربياني صغيراً.

٦. الدعاء للوالدين من أجمل أساليب الدعوة حيث أستعمله الرسل لأقوامهم والوالدين أحق بذلك.

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٤٣، ٤٤)

٧. من أساليب الدعوة الحوار والمجادلة وينبغي أن يكون مع الوالدين في أعلى درجات الأدب والهدوء وخفض الصوت وألطف عبارة حتى لا يجرح مشاعرهما برفع الصوت أو خشونة العبارة.

٨. الوفاء والصدق مع الوالدين من أهم أخلاق الدعاة فعليهم ترسيخ هذا الخلق لدى المدعوين حيث نرى بعض الشباب لا يبالي بالكذب على والديه لعلمه بأن حنانهما قد يجعلهما يقبلان كلامه دون النظر في صحته، ولأن الكذب عليهما من أخطر المزالق التي قد يقع فيها الشاب، لما في ذلك من عقوق ووقوع في المخاطر.

٩. مصاحبة الوالدين بالمعروف من الأمور المهمة وإن كانا غير مسلمين وقد تجلى ذلك في سير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والصالحين، ودل عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وواجب الدعاة ترسيخ ذلك في الناس حيث ظهر في عصرنا من يقتل والديه المؤمنين كأنه لا يعرف هذه النصوص.

١٠. إن واجب طاعة الأم وبرها مضاعف لأمور منها: تحملها معاناة الحمل والولادة والرضاعة - مدة طويلة - وضعفها وزيادة حنانها، وهذا يعطي فرصة للداعية لتوظيف المنهج العاطفي في دعوة الناس.

١١. لقد ضرب إسماعيل عليه السلام أجمل معالم طاعة الوالدين وأرقى أساليب البر والصدق والطاعة لله ثم لوالده، حيث إنه يمكن وصف العين التي تقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ

ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾(١) ثم لا تدمع بالعين الجافة.

١٢. الوالدان نعمة لا يعرفها إلا من فقدها ووجودهما أمن للداعية وإن كانا على الكفر، وقد اتضح ذلك في حياة النبي ﷺ عندما توفي عمه حيث كان يحميه ويعينه.

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

المبحث الرابع
آيات الدعوة إلى طاعة الزوج
والدروس الدعوية المستنبطة منها

المطلب الأول: الآيات وشروحها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا أمر من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن – رضي الله عنهن وأرضاهن – ، الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة»(٢).

وقال السعدي رحمه الله بعد سرد عدد من فوائد هذا التخيير: «ومنها: أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه»(٣). كما يدل على وجوب طاعتهن له ﷺ في مقام الرسالة ومقام الزوجية.

قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤٠١/٦

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٦٢

بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾(١).

قال السعدي رحمه الله: «وظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها فلهذا قال: فالصالحات قانتات، أي: مطيعات لله تعالى، حافظات للغيب، أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن، لا من أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ودنياه، ثم قال تعالى: واللاتي تخافون نشوزهن أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل، فعظوهن، أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضرباً غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، أي: فقد حصل لكم ما تحبون فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها ويحدث بسببه الشر، إن الله كان علياً كبيراً، أي: له العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات»(٢).

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٣٤ – ٣٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٧٧

وقوله تعالى: علياً كبيراً، يناسب المقام حتى لا يظن الزوج أنه بهذه الصلاحية مطلق الحرية في التطاول على الزوجة فذكره بعظمته - سبحانه وتعالى - ليخافه ويتقه في ذلك ولا يتجاوز الحد الذي يحصل معه المطلوب، وفي تشريع العقوبات على المخالفة دلالة على وجوب الطاعة.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

قال السعدي رحمه الله: « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة، ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والأشخاص والعوائد، وفي هذا دليل على أن النفقة والكسوة، والمعاشرة، والمسكن، وكذلك الوطء - الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق، وأما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً»(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٠١

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة إلى طاعة الزوج:

١. ينبغي للدعاة بيان فضل طاعة الزوجة لزوجها تعبداً لله تعالى ورجاء ما عنده، وما رتب الله عليها من الفضل العظيم والخير العميم.

٢. ضرورة بيان الدعاة لثمرات طاعة الزوجة لزوجها في مجال الحياة الزوجية ومجال الأسرة وبناء المجتمع.

٣. الداعية ليس من الملائكة واختلافه مع زوجاته - مهما كانت مترلته - أمر ممكن حيث حصل ذلك مع أفضل البشرية ﷺ وأعظم الدعاة، وصدر ذلك من أطهر النساء وأفضلهن - رضي الله عنهن - فشرع الله أسلوب الحوار لحل مثل هذه الخلافات بالحسنى.

٤. تعدد الخيارات في حلول المشكلات الزوجية فعلى الدعاة بيان ذلك كما أرشد إليه القرآن الكريم.

٥. الوعظ من أهم أساليب دعوة الزوجة إلى طاعة زوجها ومصالحته، قال السعدي - رحمه الله -: «فعظوهن، أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته»(١)

٦. الهجر أسلوب دعوي ناجح في استمالة قلب الزوجة لطاعة زوجها وحل يسبق الكي.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٧٧

٧. أسلوب الضرب غير المبرح ورد في القرآن الكريم في سياق دعوة الزوجة إلى طاعة زوجها مما يدل على وجوب الطاعة له واختلافه عن الجلد.

٨. الضرب أسلوب دعوي استصلاحي بخلاف الجلد الذي ورد في القرآن في سياق العقاب.

٩. أهمية أسلوب التدرج في دعوة الزوجة إلى طاعة زوجها كما جاء التدرج في أحكام الطلاق من الواحدة إلى الثالثة والتأديب من الوعظ إلي الضرب.

١٠. أسلوب التريث وعدم الاستعجال في قطع العلاقة الزوجية أمر في غاية الأهمية، ليراجع كل من الزوجين نفسه بهدوء وروية؛ لأن كل منهما يحتاج صاحبه فقد يعرض لأحدهما طلب يجعله يتناسى ما حدث، فحريٌ بالدعاة إلى الله تعالى بيان ذلك للناس.

١١. القوامة على النساء لا تعني البغي والإذلال لهن ولكن تعني الرعاية والتوجيه والدعوة إلي إقامة الحياة الزوجية على الوجه الأمثل للأسرة إذا تحققت طاعة الزوجة لزوجها، حيث قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾(١) وفي هذا دلالة على وجوب طاعة الزوجة لزوجها، وبيان الدعاة لذلك مهم جداً.

١٢. الزوجة «وظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها فلهذا قال: فالصالحات قانتات، أي: مطيعات لله تعالى، حافظات للغيب، أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها وماله، وذلك

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن»(١)، وهذا المفهوم ينبغي للدعاة إلى الله تعالى إشاعته بين الناس وترسيخه في أفهام المدعوين من النساء والرجال لتصلح به دنياهم وأخراهم وأسرهم ومجتمعاتهم.

١٣. وجوب إبراز حقوق الزوجة وأهمية العناية بأدائها؛ لأن طلب طاعة الزوجة لزوجها يستلزم وجوب أداء المقابل له من الزوج حيث الحياة الزوجية مبنية على تبادل المصالح بينهما، ومما يدل على ذلك سقوط النفقة في حال نشوزها وامتناعها عن استمتاع الزوج بها، وفي هذا العصر يلزم الدعاة إلى الله تعالى بيان النصوص القرآنية المتضمنة ذلك حتى يعرف كل من الزوجين ماله فيطالب به دون حيف، وما عليه فيؤديه دون تقصير ولا غلو.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د . عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٧٧.

الخاتمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده على ما من به عليّ من نعم عظيمة لا تحصى ولا تعد، ووفقني وأعانني على إتمام هذا البحث العلمي المتواضع الذي أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً ليّ ولوالدي وجميع من علمني ولكل من أعانني على إتمامه يوم لا ينفع مال ولا بنون.   أما بعد:

فقد خلص هذا البحث إلى النتائج والتوصيات والمقترحات التالية:

أبرز النتائج:

١ - تبين أن الطاعة قسمان واجبة ومحرمة.

٢ - أبرز البحث كبير اهتمام القرآن الكريم بالطاعة.

٣ - تجلت معظم ما تضمنته آيات الطاعة من الدروس الدعوية.

٤ - أبرز البحث أن الطاعة الواجبة من أصول الدين وأسسه المتينة التي لا يقوم إلا بها.

٥ - تبين أن طاعة ولاة الأمر ينبني عليها صلاح الدين والدنيا وحسن العاقبة في الآخرة.

٦ - تبين أهمية تركيز الدعاة على العناية بالحديث عن الطاعة الواجبة للحد من الخروج على من وجبت طاعته.

أبرز التوصيات:

١ - يوصي الباحث الدعاة إلى الله تعالى بتدبر القرآن الكريم وتناوله بالبحث والدراسة ففيه جميع الحلول المناسبة.

٢ - التركيز على تعلم أساليب القرآن الكريم الدعوية لتوظيفها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

٣ - التأمل الدقيق والعميق في كتاب الله المبين لتقوية حجة الداعية إلى الله وإثراء معرفته.

٤ - الحرص على استنباط الدروس الدعوية من القرآن الكريم وإفادة الناس بها في جميع الموضوعات.

أبرز المقترحات:

١ - يقترح الباحث تناول جميع أنواع الطاعة بالدراسة الدعوية.

٢ - تخصيص دروس ومحاضرات وندوات وإقامة مؤتمرات تتناول أنواع الطاعة.

٣ - تتبع الشبه التي تثار حول موضوعات الطاعة وتفنيدها من قبل علماء ودعاة مختصين.

٤ - أقترح إعداد دراستين علمية تتناول موضوع الطاعة من الجانب الدعوي والجانب الاحتسابي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ.

٢. البحث العلمي، د. عبد العزيز الربيعة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط١، سنة ١٤١٨هـ.

٣. التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، دون ط، ١٩٨٤هـ.

٤. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦. التفسير المنير، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.

٧. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت , دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القـــرطبي، تحقيـــق: سمـــير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربيـــة الســـعودية، ١٤٢٣هـــ/ ٢٠٠٣ م.
١٠.الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، محمد الراوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، سنة١٤١١هـــ .
١١.الدعوة إلى الله "خصائصها، مقوماتها، مناهجها" أبو المجـــد نوفـــل، بدون ذكر الناشر، ورقم الطبعة تاريخها.
١٢.صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخـــاري، تحقيـــق د. مصطفى ديب البغا، دار الشعب، القاهرة, ط١، ١٤٠٧هـــ.
١٣.صحيح الإمام مسلم، مسلم بن حجاج النيســـابوري، دار الجيـــل، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
١٤.ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبـــدالرحمن بـــن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، ط٣، سنة ١٤٠٨هـــ.
١٥.الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير بجامعة الإمـــام محمد بن سعود الإسلامية ، لعبدالعزيز السحيباني، عام ١٤١٤هـــ.
١٦.فقه الدعوة، د. عمارة نجيب، مكتبة المعارف، الرياض، شركة سعيد رأفت للطباعة، بدون ذكر رقم الطبعة، سنة ١٩٨٧م.
١٧.قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤١٥هـــ .
١٨.لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقـــي المصـــري، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـــ.

١٩. لطائف الإشارات(تفسير القشيري) لعبدالكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط٣، ٢٠١٠م.

٢٠. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

٢١. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: د. محمد ابن سعد الشويعر ٢٠١٠م.

٢٢. المدخل إلى علم الدعوة ، د. محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، سنة ١٤١٥هـ.

٢٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ط٢، دون ذكر تاريخ الطبعة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الباحث	الصفحة
قواعد النشر		٧
مقدمة العدد		٩
١/ إعداد الداعية في ضوء متطلبات الواقع المعاصر	أ. د. حصه بنت عبدالكريم الزيد (الباحث الرئيس) أ. د. الجوهرة بنت محمد العمراني أ. د. أسماء بنت عبدالعزيز الداود	١١
٢/ المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين "تاريخها، أسبابها، موضوعاتها"	د. عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الطويل	٢٢١
٣/ الاحتساب على المخالفات في الدعاء "دراسة في ضوء السنة النبوية"	د. زيد بن عبدالرحمن ابن محمد العثمان	٢٧٩
٤/ نصوص الدعوة إلى الطاعة الواجبة في القرآن الكريم "دراسة دعوية"	د. حسن بن يحيى ظافر الشهري	٣٣٣
فهرس الموضوعات		٣٨٧

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤيـــة :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرسـالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-

- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة والاحتساب
صندوق البريد :٤٨٤٧ الرمز البريدي :١١٤١٢ هاتف : ٠٩٦٦١١٢٥٨٥١٣٢..
البريد الإلكتروني : bsserah@gmail.com

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

VISION رؤية 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

العدد العاشر - رمضان ١٤٣٩هـ

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

عناوين الأبحاث:

- جهود الدعاة في إصلاح ذات البين
- منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية
- التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج"
- أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة
- منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد العاشر
رمضان ١٤٣٩هـ

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ردمك: ٣٨٨٤ـ١٦٥٨

رقم الإيداع ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢-١١-٠٠٩٦٦

بريد للجمعية الإلكتروني:

Bsserah1@gmail.com

قواعـد النشـر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١-أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢-أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣-أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤-أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥-أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦-أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧-أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨-أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١-توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢-تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣-توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين (العربية-والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس **(A4)**.

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج **(Word Microsoft)** متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ **Traditional Arabic**.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة **(A4)** وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠ ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله حمدا يليق بجلال الله وعظمته، وأصلي وأسلم على أشرف أنبيائه ورسله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الدعوة الإسلامية تقوم على أصول رئيسة منبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة، سواء ما تعلق بأركانها أو بسمات العاملين فيها أو بشروطها وآدابها، وكلّما تمسكت الدعوة في إطارها وفي تطبيقاتها بما ثبت عن الله عز وجل وعن رسوله الكريم ﷺ فإنها تكون ناجحة لأنها على النهج المستقيم، ولذلك فضّل الله الأمة المحمدية وشرفها على غيرها لقيامها بواجب الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ومن هذا المنطلق فإن الأبحاث العلمية الدعوية ينبغي أن يكون مدارها على هذا المنهج العلمي الرصين المعتمد على الكتاب والسنة.

وإن مجلة الدراسات الدعوية التابعة للجمعية السعودية للدراسات الدعوية أخذت على عاتقها السير في هذا الاتجاه بأبحاثها المحكمة مراعية النشر وفق أصول البحث العلمي.

وقد اشتمل هذا العدد (العاشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١. جهود الدعاة في إصلاح ذات البين.
٢. منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.
٣. التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج".

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٤. أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحـــراف الفكـــري وتطبيقاتـــه المعاصرة.

٥. منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية.

نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمـــع علـــى أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول المو ضوعات الر ئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم و نشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد المجلة الإلكتـــروني bsserah1@gmail.com، و تقديم الجديد النافع،،، و على طريق العلـــم والبحـــث والفضل نتواصى و نتواصل ...

رئيس هيئة التحرير

أ٠د٠حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

جهود الدعاة في إصلاح ذات البين

إعداد

د. عبدالله بن ناصر بن محمد العطني

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، جامعة المجمعة

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

إن الأمور المهمة التي يحرص عليها الدعاة إلى الله تعالى إصلاح ذات البين، حيث إنه يعمل على تأليف القلوب، وشيوع المودة والمحبة، وإنهاء القطيعة والخصومة بين المسلمين.

والإصلاح مصدر صلح "والصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد يقال صلح الشيء يصلح صلاحاً، ويقال صلح بفتح اللام"(١).

وقال ابن منظور رحمه الله: "والإصلاح: نقيض الإفساد. والمصلحة: الصلاح. والمصلحة واحدة المصالح. والاستصلاح: نقيض الاستفساد. وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت، والصلح: تصالح القوم بينهم. والصلح: السلم"(٢).

والإصلاح كلمة محببة إلى النفس "فمعنى الصلح دالّ على حسنه الذّاتيّ، وكم من فساد انقلب به إلى الصّلاح بحسنه؛ ولهذا أمر الله تعالى به عند حصول الفساد والفتن بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(٤). قالوا: معناه جنس الصّلح خير،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٣/٣٠٣.

(٢) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط/٣، دار صادر،: ١٤١٤هـ، ٢/٥١٧.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

فيعلم بهذا أنّ جميع أنواع الصّلح حسنة؛ لأنّ فيه إطفاء الثّائرة بين النّاس، ورفع المنازعات الموبقات عنهم"(١).

والبين بالفتح من الأضداد "يطلق على الوصل، وعلى الفرقة، ومنه ذات البين للعداوة والبغضاء وقولهم لإصلاح ذات البين أي لإصلاح الفساد بين القوم، والمراد إسكان الثائرة. وكلمة [بَيْن] ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بإضافته إلى اثنين فصاعدا أو ما يقوم مقام ذلك"(٢).

والبين المأمور بإصلاحه والسعي فيه يأتي في كلام العرب على وجهين متضادين:

"فيأتي بمعنى الفراق والفرقة، ويأتي بمعنى الوصل. وإصلاح ذات البين على المعنى الأوّل: يكون بمعنى إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتّسامح والعفو، أو بالتّراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحلّ عقدة الفرقة. أمّا إصلاح ذات البين على المعنى الثّاني، فيكون بمعنى إصلاح صاحبة الوصل والتحابب والتّآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدّع منها، وإزالة الفساد الّذي دبّ إليها بسبب الخصام والتّنازع على أمر من أمور الدّنيا"(٣).

ويمكن لنا أن نتبين جهود الدعاة في إصلاح ذات البين من خلال عدد من العناصر التي سنتحدث عنها من خلال هذا البحث، أسأل الله سبحانه أن يرزقنا العلم والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ، ٥/ ٢٩، ٣٠.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، ط/ المكتبة العلمية، ١/ ٧٠.

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٢، دار القلم، دمشق: ٢٠١٠م، ٢/ ٢٣٠.

المبحث الأول

حث الدعاة إلى الله على إصلاح ذات البين وبيان فضله

إن الدعاة إلى الله تعالى يعتنون دائماً بإصلاح ذات البين، وذلك لعظيم فضله، وعلو مكانته، وكثرة الدعوة إليه والحث عليه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾(١).

ففي الآية بيان عظيم الأجر والثواب لمن يصلح بين الناس، ويؤلف بين قلوبهم المتنافرة، ويجمع كلمتهم المتفرقة، وأن هذا الإصلاح هو الخير بعينه، والمأمور بفعله والقيام به.

قال الطبري رحمه الله: "لا خير في كثير من نجوى الناس جميعًا" إلا من أمر بصدقة أو معروف"، و"المعروف"، هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، "أو إصلاح بين الناس"، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به. ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال: "ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا"، يقول: ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر، أو يصلح بين الناس" ابتغاء مرضاة الله"، يعني: طلب رضى الله بفعله ذلك "فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا"، يقول: فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك عظيمًا، ولا حدَّ لمبلغ ما سمى الله "عظيمًا" يعلمه سواه"(٢).

وما من شك أن المعروف يدخل فيه الإصلاح بين الناس؛ لكن لأهميته جاء النص

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م، ٢٠١/٩.

عليه كما قال ابن عطية رحمه الله: "و«المعروف»: لفظ يعم الصدقة والإصلاح، ولكن خصّا بالذكر اهتماما بهما، إذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد، ثم وعد تعالى «بالأجر العظيم» على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضا الله تعالى"(١).

وقال الألوسي رحمه الله في بيان ذلك أيضاً: "وخص الصدقة والإصلاح بين الناس بالذكر من بين ما شمله هذا العام إيذانا بالاعتناء بهما لما في الأول من بذل المال الذى هو شقيق الروح وما في الثاني من إزالة فساد ذات البين وهى الحالقة للدين، وقدم الصدقة على الإصلاح لما أن الأمر بها أشق لما فيه من تكليف بذل المحبوب والنفس تنفر عمن يكلفها ذلك ولا كذلك الأمر بالإصلاح، والمراد من الإصلاح بين الناس التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف نعم أبيح الكذب لذلك"(٢).

ومما يحفز الدعاة إلى الله على الاهتمام بإصلاح ذات البين أن الأمر به جاء بعد الأمر بتقوى الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١﴾(٣). فعندما وقع الخلاف جاء التذكير بتقوى الله، وتذكير المسلمين بأهمية إصلاح ذات البين للمسارعة إليه والقيام به كشرط لتحقيق الإيمان بالله تعالى.

قال الزمخشري رحمه الله: "وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته، ليعلمهم أنّ كمال الإيمان موقوف على التوفر

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية: ١٤٢٢هـ، ١١٢/٢.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، ١٤٤/٥

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١.

عليها. ومعنى قوله ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم كاملي الإيمان"(١).

وقال السعدي رحمه الله: "أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع - من التخاصم، والتشاجر والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر، والأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن، ومن نقصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه"(٢).

وجاءت الدعوة إلى إصلاح ذات البين عند التفرق والتنازع بين جماعات المؤمنين، لرد البغي والعدوان من إحدى الطائفتين على الأخرى؛ فعند وقوع القتال يأتي واجب الدعاة على الله تعالى في تقريب وجهات النظر ومنع الاقتتال والتنازع، ومن موجبات إصلاح ذات البين التذكير بإخوة الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾(٣).

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط/٣، دار الكتاب العربي: ١٤٠٧ هـ، ٢/ ١٩٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م، ص ٣١٥.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩، ١٠.

قال ابن العربي رحمه الله:"هذا صحيح فإن العدل قوام الدين والدنيا. . ومن العدل في صلحهم ألاّ يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال فإنه تلف على تأويل وفي طلبهم له تنفير لهم عن الصّلح واستشراء في البغي وهذا أصلٌ في المصلحة"(١).

وقال القاسمي رحمه الله: "الاقتتال لا يكون إلا للميل إلى الدنيا، والركون إلى الهوى، والانجذاب إلى الجهة السفلية، والتوجه إلى المطالب الجزئية. والإصلاح إنما يكون من لزوم العدالة في النفس التي هي ظل المحبة، التي هي ظل الوحدة. فلذلك أمر المؤمنون الموحدون بالإصلاح بينهما، على تقدير بغيهما. والقتال مع الباغية على تقدير بغي إحداهما، حتى ترجع. لكون الباغية مضادة للحق، دافعة له"(٢).

ويبين القاسمي رحمه الله ارتباط إصلاح ذات البين بإخوة الإيمان فيقول: "وتسمية المشاركة في الإيمان أخوّة تشبيه بليغ، أو استعارة شبه المشاركة فيه بالمشاركة في أصل التوالد، لأن كلاّ منهما أصل للبقاء، إذ التوالد منشأ الحياة، والإيمان منشأ البقاء الأبديّ في الجنان. ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ أي إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله، وحكم رسوله.

وبيّن تعالى أن الإيمان الذي أقل مرتبته التوحيد والعمل، يقتضي الأخوة الحقيقية بين المؤمنين، للمناسبة الأصلية، والقرابة الفطرية، التي تزيد على القرابة الصورية، والنسبة الولادية، بما لايقاس، لإقضائه المحبة القلبية، لا المحبة النفسانية، المسببة عن التناسب في اللحمة. فلا أقل من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة، وأحد خصالها،

(١) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م، ٤/١٥٢.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨ هـ، ٨/ ٥٢٧.

فوجب على أهل الصفاء، بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للأخوة الحقيقية، الإصلاح بينهما، وإعادتهما إلى الصفاء"(١).

وقال ابن عاشور رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم، فالجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة.

وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين لأن شأن إنما أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما يترل مترلة ذلك؛ فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ مفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر. وقد تقرر ذلك في تضاعيف كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ"(٢).

وما من شك أن إصلاح ذات البين قاعدة عامة محكمة لصيانة المجتمع الإسلامي من التفكك والتفرق. ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح. والركون في هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته بإقرار العدل والصلاح. ولقد دلت الكثير من الأحاديث النبوية على أهمية ممارسة إصلاح ذات البين، والسعي في تحصيله والقيام به بكل سبيل، حيث رغب النبي ﷺ في الإصلاح بين الناس، وجعله أفضل من كثير من ألوان العبادات فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أَلا أُنبِئُكم بِدرجةٍ أَفضَلُ مِن الصلاةِ والصيامِ والصدَّقَةِ ؟) قالوا: بلى قال: (صَلاحُ ذَاتِ البَين، وفَسادُ ذَاتِ البَينِ هِي الحَالِقَة))(٣). أي "إنها لا تبقي شيئاً من الحسنات حتى لا تذهب بها كما يذهب الحلق

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي،. ٨/ ٥٢٩.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ، ٢٦/ ٢٤٣.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه، رقم ٢٥٠٩ وقال الألباني: صحيح.

بالشعر من الرأس ويتركه عارياً تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر"(١).

قال المناوي رحمه الله: "إصلاح الفساد بين القوم وإزالة الفتنة وإسكان الثائرة النائرة المستلزم إحياء النفوس غالبا وهي من حيث عموم نفعها أفضل من صدقة نفعها قاصر ومن ذلك ما لو كانت بين طائفتين فتنة فتحمل رجل مالا ليصلح بينهم أو أخذ من المياسير لذلك"(٢).

((فإن فساد ذات البين هي الحالقة)) أي الخصلة التي شأنها أن تحلق "أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر أو المراد المزيلة لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن وذلك لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير حتى أبيح فيه الكذب وكثرة ما يندفع من المضرة في الدنيا والدين بتشتت القلوب ووهن الأديان من العداوات وتسليط الأعداء وشماتة الحساد فلذلك صارت أفضل الصدقات"(٣).

وهي (الماحية والمزيلة للمثوبات والخيرات، والمعنى يمنعه شؤم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات والعبادات، وقيل: المهلكة من حلق بعضهم بعضاً أي قتل مأخوذ من حلق الشعر)(٤).

وقال الطيبي رحمه الله: "فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين،

---

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٨٩/١٩٦٩هـ، ٢/٢١١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٥٦هـ، ٢/٣٩.

(٣) المرجع السابق، ٣/١٠٦.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٩/٢٤٠.

وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله [الصائم] القائم المشتغل بخويصة نفسه، فعلى هذا ينبغي أن يحمل الصلاة والصيام على الإطلاق والحالقة على ما يحتاج إليه أمر الدين"(١).

كما جعله ﷺ سببا لدخول الجنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((والذي نَفْسِي بِيَده لا تَدْخُلُوا الجَنَّة حَتى تُسلِمُوا، ولا تُسْلِموا حَتَّى تَحَابُوا، وأَفْشُوا السَّلام تَحَابُوا، وإِيَّاكُم والبُغْضَةَ، فَإِنَّهَا هِي الحَالِقَةُ لا أَقُولُ لَكُم تَحْلِقُ الشَّعَر، وَلَكِن تَحْلِق الدِّينَ))(٢).

بل يصل الأمر إلى أن يجوز النبي ﷺ من الكذب رجاء الإصلاح، وكذلك ينفي أن يكون الساعي بالإصلاح كذابا فإن مفسدة الكذب - كثيرا - ما تكون أقل بمراحل من فساد ذات البين فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لا يحل الكذب إلا في ثلاث تحدثه الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس))(٣).

وعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً))(٤).

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ٤١٥/١.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: التحاب بين الناس، رقم ٢٦٠، وقال الألباني: حسن لغيره (التعليق الرغيب ٢٢٦/٣، ١٢/٤).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: إصلاح ذات البين، ١٩٣٩ وقال الألباني: صحيح دون قوله ليرضيها.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، رقم الحديث ٢٦٩٢، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب: تحريم الكذب وبيان المباح منه رقم ٢٦٠٥.

قال النووي رحمه الله: "ومعناه ليس الكذاب المذموم الذي يصلح بين الناس بل هذا محسن"(١).

قال بدر الدين العيني رحمه الله: "أو المراد: (ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، لأن فيه دفع المفسدة، وقمع الشرور ومعناه: أن هذا الكذب لا يعد كذباً بسبب الإصلاح، مع أنه ليخرج من حقيقته"(٢).

وكما ورد الحث على الإصلاح بين الناس في كلام النبي ﷺ قولاً ورد عملاً فقد قام بنفسه ليصلح بين الناس.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه ((أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم))(٣).

قال البدر العيني رحمه الله: "فيه: خروج الإمام مع أصحابه للإصلاح بين الناس عند تفاقم أمورهم وشدة تنازعهم. وفيه: ما كان ﷺ من التواضع والخضوع والحرص على قطع الخلاف وحسم دواعي الفرقة عن أمته، كما وصفه الله تعالى)(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها إلى

---

(١) شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ، ١٦/١٥٧.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ١٣/ ٢٦٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح، رقم الحديث ٢٦٩٣.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ١٣/٢٧٠.

الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق صدقة))(١).

قال النووي رحمه الله: "يعدل بين الاثنين أي يصلح بينهما بالعدل"(٢).

ومن أمثلة إصلاحه بين الناس في الخصومات ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: (أين المتألي على الله لا يفعل المعروف ؟) فقال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب))(٣).

ومعنى "يستوضعه": يسأله أن يضع عنه بعض دينه."ويسترفقه": يسأله الرفق "والمتألي": الحالف"(٤).

ويكفي الدعاة فخراً وشرفاً وحثاً لهم على ممارسة إصلاح ذات البين، وبذل الجهد فيه أن النبي ﷺ أخبر أن الله جل شأنه يصلح بين المسلمين.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتّى بدت ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمّي؟ قال: ((رجلان من أمّتي جثيا بين يدي ربّ العزّة، فقال أحدهما: يا ربّ خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله- تبارك وتعالى- للطّالب: فكيف تصنع بأخيك و لم يبق من حسناته شيء؟

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: فضل الإصلاح بين الناس، والعدل بينهم، رقم الحديث ٢٧٠٧، وأخرجه مسلم في الزكاة باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم ١٠٠٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، ٧/٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: هل يشير الإمام بالصلح برقم ٢٧٠٥، وأخرجه مسلم في المساقاة باب: استحباب الوضع من الدين رقم ١٥٥٧.

(٤) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، يحيى بن شرف النووي، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م، ص ٤١.

قال: يا ربّ فليحمل من أوزاري». قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثمّ قال: «إنّ ذاك اليوم عظيم يحتاج النّاس أن يحمل عنهم من أوزارهم. فقال الله تعالى للطّالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان. فرفع رأسه فقال: يا ربّ أرى مدائن من ذهب وقصورا من ذهب مكلّلة باللّؤلؤ لأيّ نبيّ هذا؟ أو لأيّ صدّيق هذا؟ أو لأيّ شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثّمن. قال: يا ربّ ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: بماذا؟.

قال: بعفوك عن أخيك. قال يا ربّ فإنّي قد عفوت عنه. قال الله- عزّ وجلّ- فخذ بيد أخيك فأدخله الجنّة. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: اتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإنّ الله تعالى يصلح بين المسلمين))(١).

إن من أعظم الأمور التي حث عليها الشارع الحكيم قضية إصلاح ذات البين؛ فإن الإصلاح مصدر الطمأنينة والهدوء، ومبعث الاستقرار والأمن، وينبوع الألفة والمحبة، إنه راحة النفوس وانشراح الصدور، ونصوص الشريعة كما ظهر وافرة كثيرة في فضل الإصلاح بين الناس، والبعد عن الشحناء والبغضاء، وهي تدل على أن الإصلاح من أفضل العبادات التي تقرب إلى الله سبحانه، فقد قال الأوزاعي رحمه الله: "ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار. وقال محمد بن المنكدر: تنازع رجلان في ناحية المسجد فملت إليهما، فلم أزل بهما حتى اصطلحا"(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٦) واللفظ له، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والمنذري في الترغيب ٣/ ٣٠٩ وأشار إلى تصحيح الحاكم وقال: أخرجه البيهقي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ٥/ ٣٨٥.

وعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: كنت جالسا مع محمّد بن كعب القرظيّ، فأتاه رجل فقال له القوم: أين كنت؟ فقال: أصلحت بين قوم، فقال محمّد بن كعب: أصبت. لك مثل أجر المجاهدين"(١).

إن الذي لا يقبل الصلح ولا يسعي فيه لهو ممن قست قلوبهم، وفسدت بواطنهم، وخبثت نياتهم، حتى كأنهم لا يحبون إلا الشر، ولا يسعون إلا في الفساد، ولا يجنحون إلا إلى الظلم؛ فالإصلاح عبادة جليلة وخلق جميل يحبه الله ورسوله ﷺ، وهو خير كله، وبالإصلاح تكون الأمة وحدة متماسكة، يعز فيها الضعف ويندر فيها الخلل ويقوى رباطها ويسعى بعضها في إصلاح بعض، وبالإصلاح يصلح المجتمع وتأتلف القلوب وتجتمع الكلمة وينبذ الخلاف وتزرع المحبة والمودة.

والدعاة إلى الله تعالى في ضوء هذه النصوص الشرعية هم أول من يبادر إلى إصلاح ذات البين، ويحرص على تطبيقه، والسعي فيه كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ١/١٠٩- ١١٠.

المبحث الثاني

حِرْصُ النبي ﷺ على إصلاح ذات البين

لقدِ اهتَمَّ الإسلامُ بالإصلاح اهتمامًا بالغًا، وخاصَّةً فيما يتعلَّق بِذَاتِ بَيْنِ المسلمين، فكان في حدِّ ذاتِه مقصدًا من مقاصده الكبرى، وغايةً من غاياته المثلى، جسَّد هذا الإصلاحَ النبيُّ ﷺ في واقع حياته، وبهَدْيِه القَوْلِيِّ والعَمَلِيِّ، مع الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم فحرص كلَّ الحرصِ على إيصالِ كلِّ نفعٍ حسيٍّ ومعنويٍّ لهم، ودفعِ كلِّ ضَرَرٍ وأذى عنهم، فنهاهم عن الاختلاف والتَّفرُّق والتَّشَتُّتِ، وأَمَرَهم بالبعد عن كلِّ أسباب الخصومة والعداوة والبغضاء، وقَطْعِ دابرِ الهجران والكفران، بأنواع شتَّى وطرقٍ متنوِّعة فاضتْ بها السُّنَّة النَّبويّةُ العَطِرَةُ، وذلك كلُّه رحمةً منه ﷺ ورأفةً بالخلق، واستجابةً للخالقِ جلَّ وعلا الآمرِ بالاجتماعِ والوِفاقِ.

وإذا كان النبي ﷺ هو قدوة الدعاة إلى الله وإمامهم، يتمثلون هديه ودله؛ فلقد كان ﷺ في المواقف المختلفة حريصاً كل الحرص على إصلاح ذات البين، ومن أمثلة ذلك:

أ/ الإصلاح بين متخاصمين في دَين: روى البخاري ومسلم عن عَبْد اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه: أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ(١).دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمَا، حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ(٢).حُجْرَتِهِ، فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: ((يَا كَعْبُ))، فَقَالَ: لَبَّيْكَ

---

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن أبي حدرد، واسمه سلامة، وقيل: عبيد بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن سنان بن الحارث بن عبس بن هوازن بن أسلم بن أفصى الأسلمي، أبو محمد، له ولأبيه صحبة، مات سنة إحدى وسبعين، وله إحدى وثمانون سنة، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٥٤.

(٢) سجف: بكسر المهملة، وسكون الجيم، وحكي فتح أوله، وهو الستر، وقيل: أحد طرفي الستر المفرج، انظر: فتح الباري، ابن حجر ١/٦٥٨.

يَا رَسُولَ اللَّه، فَأَشَارَ بِيَدِهِ: أَنْ ضَعْ الشَّطْرَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((قُمْ، فَاقْضِهِ))(١).

في هذا الحديث مثال للإصلاح بين دائن ومدين، حيث أمر الدائن بوضع شطر حقه، وأمر المدين بالمبادرة بالوفاء، وهذا من الصلح الجائز؛ لأن فيه مصلحة للطرفين.

ب/الإصلاح بين متبايعين: وذلك بحث البائع على الرفق والحط من الحق الذي له، روى البخاري ومسلم عن عمرةَ بنت عبد الرحمن(٢).قالت: سمعت عَائِشَةَ رضي الله عنها تقول: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ(٣).الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيْنَ الْمُتَأَلِّي(٤).عَلَى اللَّهِ لا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟))، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ))(٥).

في هذا الحديث الكريم الإشارة بالصلح، وإن كان الحق قد اتجه لأحد الخصمين،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٦٦/٥) ح (٢٧١٠) ، ومسلم في صحيحه (١١٩٢/٣) ح (١٥٥٨)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٢/ ١٤٥) ح (١٠٠٤).

(٢) هي: عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة بن عدس، من بني النجار، سيدة نساء التابعين، فقيهة، عالمة بالحديث ثقة، من أهل المدينة، صحبت عائشة أم المؤمنين، وأخذت الحديث عنها. ماتت سنة(٩٨) هـ، انظر: تقريب التهذيب (١٣٦٥)، والإعلام (٧٢/٥).

(٣) أي يطلب منه أن يضع عنه من حقه، ويسترفقه: أي يطلب منه الرفق به في ذلك، انظر: فتح الباري(٣٦٢/٥).

(٤) المتألي، بضم الميم، وفتح المثناة والهمزة، وتشديد اللام المكسورة، أي: الحالف المبالغ في اليمين، مأخوذ من الألية، بفتح الهمزة، وكسر اللام، وتشديد التحتانية-: وهي اليمين. انظر: فتح الباري ٣٦٢/٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري، ابن حجر (٣٦٢/٥) ح (٢٧٠٥)، ومسلم في صحيحه (١١٩٢/٣) ح (١٥٥٧)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١٤٥/٢) ح (١٠٠٣).

وليس هذا من قبيل الصلح الممنوع، ولهذا ترجم البخاري في صحيحه في كتاب الصلح على هذا الحديث: «باب: هل يشير الإمام بالصلح؟»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أشار بهذه الترجمة إلى الخلاف؛ فإن الجمهور استحبوا للحاكم أن يشير بالصلح، وإن اتجه الحق لأحد الخصمين، ومنع من ذلك بعضهم، وهو عن المالكية"(١).

وقد جاء عند ابن حبان ما يبين سبب الخصومة، فقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: بأبي وأمي، إني ابتعت أنا وابني من فلان ثمر ماله، فأحصيناه، لا والذي أكرمك بما أكرمك به، ما أحصينا منه شيئا إلا شيئا نأكله في بطوننا، أو نطعم مسكينا رجاء البركة، وجئنا نستوضعه، ما نقصنا، فحلف بالله لا يضع لنا شيئا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((تألى لا يصنع خيرا)) ثلاث مرات، قالت: فبلغ ذلك صاحب الثمر، فقال: بأبي وأمي، إن شئت وضعت ما نقصوا، وإن شئت من رأس المال، فوضع ما نقصوا))(٢).

ج/ **الإصلاح بين فئتين من المسلمين وحقن دمائهم**، سبق أن مر معنا قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ))(٣). وهو علم من أعلام النبوة، حيث تحقق ذلك عام الجماعة عام واحد وأربعين للهجرة(٤). حيث جمع الله فيه شمل الأمة، وحقن دماءها، فله الفضل والمنة، وقد بين ذلك البخاري، فيما رواه عن الحسن البصري، قال: «استقبل - والله- الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو ابن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين -: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر (٣٦٢/٥).
(٢) صحيح ابن حبان (٤٠٨/١١) ح (٥٠٣٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣٦١/٥ ح (٢٧٠٤).
(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك ٩٣/٦، والبداية والنهاية ١٨/٨، والكامل في التاريخ ٢٧١/٣.

قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة(١). وعبد الله بن عامر بن كريز(٢). فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما، وقالا له فطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال فمن لي بهذا ؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))(٣).

د/ إصلاح بين مزارعين في سقي الماء، روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير، أن الزبير كان يحدث: «أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا، إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة(٤). كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله ﷺ

(١) هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي، أبو سعيد: صحابي، من القادة الولاة، أسلم يوم فتح مكة، وسكن البصرة، وافتتح سجستان وكابل وغيرهما، وولي سجستان، وغزا خراسان ففتح بها فتوحا، ثم عاد إلى البصرة، فتوفي فيها سنة(٥٠) هـ، انظر: تهذيب الكمال (٧ /١٥٧)، والأعلام للزركلي ٣٠٧/٣.

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمن، أمير، فاتح، ولد بمكة، وولي البصرة في أيام عثمان سنه ٢٩ هـ، فوجه جيشاً إلى سجستان، فافتتحها صلحاً، وشهد وقعة الجمل مع عائشة، ولم يحضر وقعة صفين، مات بمكة، ودفن بعرفات سنة(٥٩) هـ، انظر: الأعلام، الزركلي ٩٤/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣٦١/٥ ح(٢٧٠٤).

(٤) شراج الحرة بكسر المعجمة، وبالجيم: جمع شرج بفتح أوله، وسكون الراء، مثل بحر وبحار- ويجمع على شروج أيضاً، وحكى ابن دريد: شرج بفتح الراء، وحكى القرطبي شرجة، والمراد بها هنا: مسيل الماء، انظر: فتح الباري (٤٤/٥).

للزبير: ((اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك))، فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: ((اسق، ثم احبس حتى يبلغ الجدر(١).فاستوعى(٢). رسول الله ﷺ حينئذ حقه للزبير، وكان رسول الله ﷺ - قبل ذلك- أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ(٣). الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾(٤).(٥).

وفي هذا الحديث أراد النبي ﷺ أن يصلح بين الزبير وخصمه بأن يسقي الزبير زرعه ولا يستوفي حقه، بل يرسل الماء لأخيه الأنصاري، فلما لم يرض بذلك أمر النبي ﷺ الزبير باستيفاء حقه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أمره - أولاً- أن يسامح ببعض حقه على سبيل الصلح، وبهذا ترجم البخاري في الصلح إذا أشار الإمام بالمصلحة، فلما لم يرض

---

(١) الجدْر: بفتح الجيم وسكون الدال المهملة هو المسناة، وهو ما وضع بين شربات النخل كالجدار، وقيل: المراد الحواجز التي تحبس الماء، وجزم به السهيلي، ويروي: الجدُر بضم الدال حكاه أبو موسى، وهو جمع جدار، وقال ابن التين: ضبط في أكثر الروايات بفتح الدال، وفي بعضها بالسكون، وهو الذي في اللغة، وهو أصل الحائط، انظر: فتح الباري ٤٤/٥.

(٢) أي: استوفى، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤٧/٥.

(٣) أي: أغضبه، انظر: المرجع السابق ٤٧/٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٤٢/٥) ح(٢٣٥٩، ٢٣٦٠)، ومسلم في صحيحه (١٨٢٩/٤) ح(٢٣٥٧)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١١١/٣) ح(١٥١٩).

الأنصاري بذلك استقصى الحكم وحكم به..»، ثم قال أيضاً: «وفيه أن للحاكم أن يشير بالصلح بين الخصمين، ويأمر به، ويرشد إليه، ولا يلزمه به إلا إذا رضي"(١).

ووجه دلالة الحديث على إصلاح ذات البين أن النبي ﷺ بدأ به قبل غيره، وهذا يدل على فضله، ورغبة الشارع فيه، وتطلعه إليه.

هـ/ الإصلاح بين الجماعات والقبائل، روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: ((أَنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ..))(٢).

دلّ هذا الحديث على أن النبي ﷺ لما علم باختلاف أصحابه بادر بالخروج إليهم من أجل الإصلاح، فحصل ذلك، وهذا يدل على فضل الإصلاح والمبادرة إليه، حتى لا يزيد الشقاق والاختلاف بين المسلمين.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وفي هذا الحديث: فضل الإصلاح بين الناس، وجمع كلمة القبيلة، وحسم مادة القطيعة، وتوجه الإمام بنفسه إلى بعض رعيته لذلك، وتقديم مثل ذلك على مصلحة الإمامة بنفسه"(٣).

و قال ابن المنير رحمه الله: "فقه الترجمة: التنبيه على جواز مباشرة الحاكم الصلح بين الخصوم، ولا يعد ذلك تصحيفاً في الحكم"(٤).

و/ الإصلاح بين المسلمين والكفار، روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: ((لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب علي بينهم كتابا، فكتب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤٨/٥، ٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٥٠/٥) ح(٢٦٩٠)، ومسلم في صحيحه (٣١٦/١) ح(٤٢١)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٨٨/١) ح(٢٤٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٩٨/٢.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٩٤/١٣.

محمد ﷺ، فقال المشركون: لا تكتب «محمد رسول الله»، لو كنت رسولا لم نقاتلك، فقال لعلي: ((امحه))، فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح، فسألوه: ما جلبان السلاح ؟ فقال: القراب(١) بما فيه))(٢).

في هذا الحديث دليل على جواز مصالحة المسلمين للكفار إذا كان في ذلك مصلحة ترجع عليهم، ولذا بوب البخاري في كتاب الصلح من صحيحه: «باب الصلح مع المشركين»، وأورد هذا الحديث.

إن كل التطبيقات العملية من النبي ﷺ في إصلاح ذات البين؛ لتؤكد للدعاة إلى الله تعالى أن الأمر من الأهمية بمكان، وأنهم لا يتحقق اقتداؤهم بالنبي ﷺ إلا إذا قاموا بإصلاح ذات البين، وبذلوا الجهد الجهيد في سبيل تحقيق ذلك، ولقد قال ربنا جل وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾(٣).

---

(١) القراب: شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف مغموداً، ويطرح فيه للراكب سوطه وأداته، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٢/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٥٧/٥) ح(٢٦٩٨)، ومسلم في صحيحه (١٤٠٩/٣) ح(١٧٨٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المبحث الثالث

ميادين إصلاح ذات البين ومجالاته التي يقوم بها الدعاة

إن ميدان إصلاح ذات البين واسع عريض، في الأفراد والجماعات والمجتمعات، والأزواج والزوجات، والكفار والمسلمين، والفئات الباغية والعادلة، في الأموال والدماء، والنزاعات والخصومات، وهذا يجعل على الدعاة إلى الله تعالى مسؤولية كبيرة في استيعاب هذه المجالات والميادين، وعدم الغفلة عن واحد منها. ومن أبرز ميادين إصلاح ذات البين ومجالاته التي يقوم بها الدعاة إلى الله تعالى استجابة لأمر ربهم، واقتداء بفعل نبيهم ﷺ:

أ/ **الإصلاح بين الزوجين:** كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾(١).

قال القاضي بن عطية رحمه الله: "وقوله ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ لفظ عام مطلق بمقتضى أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق ويندرج تحت هذا العموم أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة"(٢).

وقال الزمخشري رحمه الله: "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة. أو هو خير من الخصومة في كل شيء. أو الصلح خير من الخيور، كما أن الخصومة شر من الشرور"(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٢/١٢٠.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ١/٥٧١.

وقال بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالمراد الصلح بمعنى إصلاح ذات البين، والأشهر فيه أن يقال الإصلاح. والمقصود الأمر بأسباب الصلح، وهي: الإغضاء عن الهفوات، ومقابلة الغلظة باللين، وهذا أنسب وأليق بما يرد بعده"(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾(٢).

قال ابن عباس ومجاهد: "هما الحكمان إذا أرادا الإصلاح وفق الله بينهما وذلك إذا أمرهما الله سبحانه بتوفيقه فقد صلح أمرهما وأمر الزوجين فكل ما كان بعد ذلك فهو خير والأصل هي النية فإذا صلحت صلحت الحال كلها واستقامت الأفعال وقبلت"(٣).

ولقد جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يجدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: ((أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَت: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لإِنْسَان: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ))(٤).

ب/ الإصلاح بين الناس في الخصومات المالية:

ومن أعظم ميادين إصلاح ذات البين التدخل لإزالة الخصومات المالية التي تقع بين

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٥/ ٢١٥.

(٢) سورة النساء، الآية:٣٥.

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، ١/٥٤٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: نوم الرجل في المسجد، رقم ٤٤١، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم ٢٤٠٩.

الناس فإن المال مظنة المشاحة وكم سفكت بسببه الدماء وهتكت له الأعراض والتدخل لإصلاح ما يقع بين الناس بسببه عمل قدره الشرع ويسر له ما لم ييسر لغيره.

فعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِي رضي الله عنه قَالَ: ((تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ « أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِى الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا))(١).

و"تحملت حمالة بفتح الحاء ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة أي تكفلت مالا لإصلاح ذات البين، قال الخطابي رحمه الله: هي أن يقع بين القوم التشاجر في الدماء والأموال ويخاف من ذلك الفتن العظيمة فيتوسط الرجل فيما بينهم يسعى في ذات البين ويضمن لهم ما يترضاهم بذلك حتى يسكن الفتنة"(٢).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لا يَفْعَلُ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة، رقم ١٠٤٤.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي، نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة،ط/٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م| ٨٩/٥.

الْمَعْرُوفَ؟))، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ))(١).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه: أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمَا، حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: ((يَا كَعْبُ))، فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ: أَنْ ضَعْ الشَّطْرَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((قُمْ، فَاقْضِه))(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، فَقَالَ الَّذِي شرى الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، قال: فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلامٌ وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ قَالَ أَنْكِحُوا الْغُلامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا))(٣).

إن جهود الدعاة إلى الله تظهر في مثل هذه المواطن التي تنزع فتيل الخصام والتقاطع بسبب المال، وتجمع كلمة المسلمين من خلال المسامحة والتيسير على الآخرين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٥/٣٦٢) ح(٢٧٠٥)، ومسلم في صحيحه (٣/١١٩٢) ح(١٥٥٧)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٢/١٤٥) ح(١٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٥/٣٦٦) ح(٢٧١٠) ، ومسلم في صحيحه (٣/١١٩٢) ح(١٥٥٨)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٢/ ١٤٥) ح(١٠٠٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الأقضية، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، رقم الحديث ١٧٢١.

ج/ الإصلاح بين الطوائف المتناحرة من المسلمين:

ومن ميادين إصلاح ذات البين المهمة التي يقوم بها الدعاة إلى الله تعالى إصلاح ما يقع بين طوائف المسلمين المتناحرة وقد صدر الأمر بذلك صريحاً في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾(١).

قال الشوكاني رحمه الله: "والمعنى أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه كان على المسلمين يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للأخرى ثم أمر سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كل أمورهم بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين، أي أعدلوا إن الله يحب العادلين ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء، وجملة (إنما المؤمنون أخوة) مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإصلاح والمعنى أنهم راجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان قال الزجاج الدين يجمعهم فهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحواء (فأصلحوا بين أخويكم) يعني كل مسلمين تخاصما وتقاتلا وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٩، ١٠.

فوقهما بطريق الأول"(١).

وكذلك ورد الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾(٢).

"أي واتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولاتظالموا، ولاتخاصموا، ولاتشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه"(٣).

وعن أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ قَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِك. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ مِنْهُم: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْك. فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَه، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴾(٤).(٥).

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، (٤٢٦/٤).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٢٨٦/٢.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٥) رواه البخاري، كتاب: الصلح، باب: ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، رقم الحديث ٢٦٩١، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب: في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصبره على أذى المنافقين رقم ١٧٩٩.

وبالجملة فإنه مما يدل على فضيلةِ الإصلاح وأهميته في ممارسات وتطبيقات الدعاة إلى الله تعالى اتِّساعُ ميادينه ورحابة مجالاتِه؛ فَبِقَدْرِ ما تكثُر بين النَّـاس المنازعـاتُ، وترتفعُ في مجالسهم الخصوماتُ، ويتهدَّد بناء الأُسَرِ والبيوتَـات، وتَسـوء علاقـات الأفـرادِ والجمـاعاتِ، بقـدرِ ما تكثُر ميادينُ الإصلاح وتَتَّسِعُ حلولُـه وتتعـدَّدُ أساليبُه وطرقُه حتَّى إنَّه لَيَسَعُ النَّاسَ في دمائِهم وأموالهم وأقوالهم وأفعالهم وكلِّ ما يقعُ فيه الإفسادُ والاعوجاجُ وتَطولُه يَدُ البغيِ والإجرامِ.

إنَّه إصلاحٌ شاملٌ وعادلٌ يجمع بين متخاصِمين، ويقرِّب بين متباعدين، ويَمْحُو شحناءَ المتعادِيَين، يبدأ من الأهل وذَوِي الأرحامِ، ليعمَّ الأنسابَ والجيـرانَ والخِلَّان والإخوان إلى أن ينتهي بعموم الناس على اختلاف مشاربهم وطبائعهم بلا تخاذلٍ أو تهاونٍ، ودون تَعَلُّلٍ أو تَسويغ. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾(١). أي لا تَتَعَلَّلُوا بالأَيْمَانِ لتتركوا البرَّ والتَّقوى والإصلاح بين الناس.

وللإصلاحِ في الأسرة وبيتِ الزَّوجيةِ دورٌ في الحفاظ على كَيَانِهَا وأفرادِها قبل استِعْصَاء الحلول وتفـاقُمِ المُشـكِلاتِ. قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٢) سورة النساء، الآية:٣٥.

ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾(١).

وله بين أصحابِ الحقوق في الوصايَا والأوقاف والولاياتِ إسهامٌ في حفظِ عقودِهم ومعاملاتِهم ورعاية شؤونهم وصَوْنِها من الجَوْرِ والانحراف، ومِن تعرُّضِها للإهمال والضَّياع. قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾(٢). وقال في شأن اليتامى: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾(٣).

وأمَّا في نطاق جماعةِ المؤمنين وطوائفِ المسلمين فَلَهُ سُلْطَانُ الحُكْمِ عليهم وإلزامُهم بما يحفَظ عليهم وِئَامَهُمْ ويقوِّي أَوَاصِرَهُم ويدفعُهم إلى تقوى الله وطاعته كما في قوله في مطلع سورة الأنفال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾(٤).

وحتى في الحالات الشَّاذَّة التي قد يصل فيها الأمر إلى التَّقاطع والتَّدابر؛ بل إلى التَّقاتل والتَّناحُرِ، فإنَّ الله نَدَب إلى الإصلاح لما فيه من قطع السَّبيل على الأعداء، وحفظِ الأموال وحَقنِ الدِّماء، فقال جلَّ ذِكرُه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ٩.

وإذا كان إفسادُ ذاتِ البَيْنِ يَحلِقُ الدِّينَ، ويُذْكِي العَدَوات ويفرِّق بين الأحباب ويزيل وُدَّ الأصحاب، فإنَّ إصلاحَ ذاتِ البَيْنِ يُذهب وَغَرَ الصَّدْرِ، ويَلُمُّ الشَّمْلَ، ويعيدُ الوِئامَ ويُصلِح ما فَسَد على مَرِّ الأَيَّامِ؛ فهو لهذا مَبْعَثُ الأمنِ والاستقرار، ومَنْبَعُ الأُلْفَةِ والمحبَّة، ومصدرُ الهدوء والاطمئنان، وآيةُ الاتحاد والتكاتف، ودليلُ الأخوَّة وبرهانُ الإيمان. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(١).

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

المبحث الرابع

فقه إصلاح ذات البين

إن إصلاح ذات البين ليس بالأمر بالهين ولا باليسير، ولا يقوى عليه إلا من استجمع شروطاً وفقهاً حتى يقع إصلاحه على الوجه الشرعي المطلوب، ويحقق الغايات النبيلة من إصلاح ذات البين

إن تحقيق إصلاح ذات البين يحتاج إلى عزيمة راشدة، ونية خيرة، وإرادة مصلحة، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية، فإذا تحقق الإخلاص حل التوفيق، وجرى التوافق، وصفت النفوس، وساد الحب والوئام، ونال المصلح كرامة الأجر العظيم.

إن إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ، لهو جُهْدٌ وعملٌ لا غِنَى لجماعة المسلمين عنه، فحاجتُهم إليه وإلى من يقُوم به من المخلِصين، شيءٌ يُدْرِكُه مَن يعلم مقدارَ الثَّلْمِ الذي يُحدِثُه الفسادُ والإفسادُ بين المسلمين، ويعلمُ مقدارَ الشَّرخِ الكائنِ في الأمَّة بسبب الأدواء والأهواء المفرِّقَةِ لها، والقاضيةِ عليها وعلى وحْدَتِها، من أسباب التَّنازع ومُوَرِّثاتِ الفَشَلِ وذهابِ الهيبةِ، مِمَّا يُوهِنُ أمرَ الأمَّةِ في الدَّاخل، ويوهنُ شأنَها في الخارج مع غيرها من الأمَمِ الأخرى، قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾(١).

والمخلصُ منِ المصْلِحين والدعاة إلى الله تعالى يَمْتَثِلُ أمرَ الله ورسولِه في إصلاحه للمجتمع، وإصلاحِ ذاتِ بَيْنِ المسلمين، لا يَخرُجُ عن سُنَنِ التَّغييرِ الشَّرعيَّةِ، ويُوَظِّفُ ما في يده من وسائلَ دعويَّةٍ لهذا المقْصَدِ النَّبيلِ، ويستحضرُ معيَّةَ الله الخاصَّةِ لعباده الصَّابرين على المأمور والمحظورِ والمقْدُورِ، فهي معيَّةٌ مُتضَمِّنَةٌ إعانةَ الله جلَّ وعلا لمن حقَّقَ طاعتَه وطاعةَ رسولِه ﷺ. ونَيْلُ درجةِ الصَّلاةِ والصِّيامِ والصَّدقةِ بإصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، مَشروطٌ فيه قيامُه على العِلم والعدلِ المصحوبَيْن بالقصدِ الحَسنِ.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: "فالصُّلحُ الجائزُ بين المسلمين هو الَّذي يُعْتَمَدُ فيه رِضَى الله سُبحانه ورضَى الخصْمَيْنِ، فهذا أعْدَلُ الصُّلحِ وأحقُّه، وهو يَعْتَمِدُ العلمَ والعدلَ، فيكونُ المُصْلِحُ عالما بالوقائعِ، عارفًا بالواجبِ، قاصدًا للعدلِ، فدرجةُ هذا أفضلُ من درجةِ الصَّائم القائم..."(١).

وهذا سِرٌّ بَديعٌ في فقه الإصلاحِ؛ فإن إصلاح ذات البين عزيمة راشدة، ونية خيرة، وإرادة مصلحة، والأمة تحتاج إلى إصلاح يدخل الرضا على المتخاصمين، ويعيد الوئام إلى المتنازعين، إصلاح تسكن به النفوس، وتأتلف به القلوب، ولا يقوم به إلا عصبة خيرة من خلق الله، شرفت أقدارهم، وكرمت أخلاقهم، وطابت منابتهم، ولذا فإن للإصلاح فقه ومسالك دلت عليها نصوص الشرع وسار عليها المصلحون المخلصون من الدعاة إلى الله تعالى، ومنها:

١. استحضار النية الصالحة وابتغاء مرضاة الرب جل وعلا كما قال جل وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾(٢).

قال الرازي رحمه الله: "والمعنى أن هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة إلا أن الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله ولطلب مرضاته، فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من أعظم المفاسد، وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان

(١) إعلام الموقّعين، ابن قيم الجوزية، ١/١٠٩ ـــ ١١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

الله تعالى"(١).

وقال أبو حيان رحمه الله: "وفي قوله: ابتغاء مرضاة الله دليل على أنه لا يجزي من الأعمال إلا ما كان فيه رضا الله تعالى، وخلوصه لله دون رياء ولا سمعة"(٢).

إنه عمل عظيم وله - في نظر الشارع - مقام جليل؛ فاحتساب ذلك على الله عز وجل يبعث الهمم، ويقود إلى المسارعة والمسابقة في ذلك السبيل، ويمد القائم به بالصبر، والروح، والطمأنينة.

٢. تجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية فهي مما يعيق التوفيق في تحقيق الهدف المنشود، والدعاة في قيامهم بإصلاح ذات البين لا يحكمون بهواهم، ولا يبحثون عن منافع دنيوية، بل يبتغون وجه الله عز وجل.

٣. لزوم العدل والتقوى في الصلح، لأن الصلح إذا صدر عن هيئة اجتماعية معروفة بالعدالة والتّقوى وجب على الجميع الالتزام به، والتقيُّد بأحكامه إذعاناً للحقِّ وإرضاءً للضمائر الحيَّة كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط/٣، دار إحياء التراث العربي،: ١٤٢٠ هـ، ١١/ ٢١٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠ هـ، ٤/ ٦٦.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠.

٤. أن يكون المصلح عاقلاً حكيماً منصفاً في إيصال كلِّ ذي حقٍّ إلى حقّه مدركا للأمور متمتعا بسعة الصدر وبُعد النظر مضيقاً شقّة الخلاف والعداوة، محلاً المحبّة والسلام.

٥. سلوك مسلك السر والنجوى، ولئن كان كثير من النجوى مذموماً إلا أنه في هذا الموطن محموداً كما قال جل وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾(١).

٦. الحذر من فشو الأحاديث وتسرب الأخبار والتشويش على الفهوم مما يفسد الأمور المبرمة والاتفاقيات الخيرة، لأن من الناس من يتأذى من نشر مشاكله أمام الناس، وكلما ضاق نطاق الخلاف كان من السهل القضاء عليه. وهذا فقهٌ في الإصلاح دقيقٌ؛ لأنَّ فَشَلَ كثيرٍ منْ مَسَاعِي الصُّلْحِ فِبِسَبَبِ تَسَرُّبِ الأخبارِ وفُشُوِّ الأحاديث وتَشْوِيشِ الفُهُوم مِمَّا يعكِّر أجواء الاتِّصال، ويقضي على رُوح المبادرةِ والامتثالِ. وبالجملة فإن المحافظة على أسرار المتخاصمين من الأخلاق التي يجب على المصلح أن يأخذ بها، وألا يسمح لنفسه بالتفريط في شأنها. أما إذا احتاج إلى إفشاء شيء من ذلك لمن يعينه الأمر، أو لمن يمكن الإفادة من رأيه، فذلك داخل في الإصلاح.

٧. اختيار الوقت المناسب للصلح بين المتخاصمين حتى يؤتي الصلح ثماره ويكون أوقع في النفوس.

٨. أن يكون الصلح مبنياً على علم شرعي يخرج المتخاصمين من الشقاق إلى الألفة ومن البغضاء إلى المحبة.

٩. التلطف في العبارة واختيار أحسن الكلم في الصلح، ولقد جاءَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

ﷺ بيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: ((أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَت: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لإِنْسَان: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ فَجَاءَ فَقَال: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ))(١). وفيه دليل على الاستعطاف بذكر القرابة.

١٠. استحباب الرفق في الصلح وترك المعاتبة إبقاء للمودة، لأن العتاب يجلب الحقد ويوغر الصدور، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (رد الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن)(٢).

١١. البدء بالجلسات الفردية بين المتخاصمين لتليين قلبيهما إلى قبول الصلح مع الثناء على لسان أحدهما للآخر. فاللقاء الفردي بكل واحد من الأطراف ربما يحسن في بعض الأحيان؛ حتى لا يحصل الصراع والعراك في بداية الأمر؛ فيتعذر الإصلاح. فإذا حصل اللقاء الفردي كان ذلك سبباً لأن يقف المُصلِحُ على حقيقة الأمر، وما يريده كل طرف من الآخر.

١٢- أن يتصف بروح المبادرة، والحرص على نشر الخير من تلقاء نفسه، وعدم انتظار دعوة للتوسط، وليكن قدوته رسول الله ﷺ حين علم بخصومة بين أهالي قباء قال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم). فعن سهل بن سعد رضي الله عنه ((أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم))(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: نوم الرجل في المسجد، رقم الحديث ٤٤١، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم ٢٤٠٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ٣٨٤/٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح، رقم الحديث ٢٦٩٣.

١٣- أن يتحلى بالحلم وسعة البال والصبر والتأني وعدم العجلة. لأنه سيدخل بين أطراف متخاصمين والخصومة مظنة الظلم والاعتداء وطيش العقل وفلتان اللسان وليعلم أن مهمته مرهقة فليوطن نفسه على التحمل وسعة الصدر ولين الجانب ومقابلة الإساءة بالإحسان واحتمال ما يصدر من سفه وتطاول وترديد كلام. "إن المصلح -في الأغلب- سيدخل بين أطراف يقل عندها العدل والعقل، ويفشو فيها الظلم والجهل؛ فيحتاج -إذاً- إلى ضبط النفس، وسعة الصدر، واحتمال ما يصدر من سفه، وتطاول، وترديد كلام، وإطالة في المقدمات. فلا يحسن به أن يكون ضيق الصدر، قليل الصبر. وليعلم أن مهمته مرهقة؛ فليوطن نفسه على عقبات الطريق، وليداوِ كلوم النفوس بالهدوء، وسعة الصدر، ولين الجانب، ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ فإن تلك الصفات رقيةُ النفوس الشرسة، وبلسم الجراح الغائرة"(١).

١٤- أن يكون ذا علم شرعي عالم بما يحل ويحرم والشروط والأحكام خاصة في مجال الخصومة. وخبيرا في مجال التراع عالما بالوقائع محيطا بالقضية وملابساتها باحثا عن مسبباتها عارفا بطرق معالجة المشكلات ووضع الحلول والتسويات العادلة المقترحة سواء كانت في مجال المشاكل الزوجية أو العقار أو الديون.

١٥- أن يكون لطيفاً مع الناس وأن يحرص على استعمال الأسلوب الحسن والحكمة والبصيرة. والبعد عن العبارات الجارحة حتى مع العصاة فالتوبيخ والتعيير بالذنب مذموم والقصد من التلطف هو إصلاح العوج، وسد الخلل، وبيان الصواب و القيام بواجب الإصلاح من غير أذى.

١٦- أن يكون المصلح محايدا "وهذه من أهم الصفات وأكثرها تأثيرا في عملية الإصلاح لذا وجب أن يحرص على أن ينظر إليه الطرفان بوصفه شخص محايد لا يميل مع أيهما حتى لو كان احدهما قريبا أو صديقا أو ذا علاقة معه وإذا كانت لك علاقة

---

(١) معالم في إصلاح ذات البين، محمد بن إبراهيم الحمد، بدون ذكر تاريخ ودار النشر، ص ٥.

مع احدهما فيجب أن يوضح من البداية أن هذه العلاقة لا دخل لها ولا تأثير في هذا النزاع ويجب أن تسعى إلى ترسيخ هذا المفهوم لان الميل يفقدك الفاعلية والقدرة على الإقناع والتأثير"(١).

ولقد قامت مجموعة من علماء النفس بإجراء دراسة حول تأثير الوسيط المحايد في عملية الوساطة، وكان من بين النقاط التي تعرضت لها المجموعة " ذلك الأثر الكبير الذي يمكن أن يحدث إن نظر أحد الأطراف إلى الوسيط بوصفه غير محايد"(٢).

١٧- أن يتحرى العدل قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾(٣).

وذلك لأن كثيرا من الناس لا يعتمد العدل في الصلح بل يصلح صلحا جائرا ظالما فيصلح بين القادر المعتدي والخصم الضعيف المظلوم بما يرضى به القادر صاحب الجاه ويكون له فيه الحظ ويكون الإغماض والحيف على الضعيف ويظن أنه بهذا قد أصلح.

١٨- الدعاء وسؤال الله التوفيق: فمهما بلغ الإنسان من الكياسة والفطنة، والسياسة، وحسن التصرف - فإنه لا يستغني عن توفيق الله ولطفه، وإعانته؛ فليلجأ المصلح إلى ربه وليسأله التوفيق، والتسديد، واللطف، فإنه عز وجل يجيب من دعاه، ويعين من استعان به كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾(٤).

(١) فن الإصلاح بين الناس، فهد بن فريج المعلا البلوي، بدون ذكر تاريخ أو دار النشر، ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩-١٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

١٩- الحذر من اليأس: "فربما حاولت المحاولة الأولى، وبذلت وسعك في معالجة المشكلة - فأخفقت؛ فإن كنت قصير النَّفَس، ضيق العطن أيست من العلاج، وتركت المحاولة إلى غير رجعة. أما إذا أخذت بسياسة النفس الطويل، وتدرجت في مراحل العلاج مرحلة مرحلة - أوشكت أن تصل إلى مبتغاك؛ فاحذر -إذاً- من اليأس، وإن أعيتك حيلة فالجأ إلى أخرى، وإذا انسد عليك طريق - فاسلك غيرها"(١).

٢٠- الوضوح ولزوم الصدق والصراحة: والمقصود بالصراحة ههنا ألا يساير أحداً من الخصمين على باطل، وألا يَعِدَ أحداً منهما وعداً وهو غير قادر على إنفاذه، إلى غير ذلك مما يستلزم الوضوح والصدق. وليس من شرط ذلك أن يشتد المصلح، أو أن يواجه الخصوم بما يكرهون بحجة أنه صريح، بل يحرص على أن تكون صراحته مغلفة بالأدب واللياقة، وأن تكون كلماته خفيفة الوقع على أسماع المتخاصمين. كما لا ينافي الصراحةَ والصدق تنميةُ الخير، واستعمال المعاريض، والعبارات الواسعة التي تصلح وتقرب.

ويحسن بالمصلح أن يُذكِّر الأطراف المتخاصمة بالعاقبة؛ فيذكرهم بعاقبة الخصومة، وما تجلبه من الشقاق، وتوارث العداوات، واشتغال القلوب، وغفلتها عن مصالحها. ويذكرهم -كذلك- بالعاقبة الحميدة للصلح في الدنيا والآخرة، ويسوق لهم الآثار الواردة في ذلك ويسوق لهم قصصاً لأناس عفوا، فحصل لهم من العز، والخير ما حصل. وهكذا...فذلك يبعث النفوس إلى الإقصار عن التمادي في الخصام.(٢).

ولقد سئل سماحة العلامة ابن باز رحمه الله عن الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يقوم بإصلاح ذات البين فقال: "ينبغي أن يكون ذا حلم وتقوى لله وعمل صالح وإنصاف للنفس من النفس حتى يتوسط بين الناس بما أعطاه الله من العلم والبصيرة

(١) معالم في إصلاح ذات البين، محمد بن إبراهيم الحمد، بدون ذكر تاريخ ودار النشر، ص ٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٧.

والإنصاف والتواضع حتى يتوسط بين من زين لهم الشيطان الاختلاف والفرقة. ومن صفاته أن يكون جوادا كريما سخيا يستطيع أن يبذل المال في الإصلاح بين الناس، فالمصلح من صفاته الخلق الحسن والتواضع والجود والكرم وطيب الكلام وحسن الكلام وعدم سوء الكلام. ويتوسط بكلام طيب وأسلوب حسن ورفق وجود وكرم، إذا دعت الحاجة إلى وليمة أو مساعدة بذل حتى يتمكن من الصلح، ومما يتعلق بالصلح أيضا بذل المال ولو بطريق السلفة والقرض، يتحمل حمالة يقترض من بعض إخوانه ليصلح بين المتنازعين والمختلفين من قبيلتين أو قرابتين أو أخوين أو ما أشبه ذلك، قد يحتاج إلى بذل المال ولو بالاقتراض ويعطى من الزكاة إذا تحمل للإصلاح، فالمصلح بين الناس جدير بأن يساعد ويعان حتى ولو من الزكاة"(١).

وفي الحديث الصحيح عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: ((أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا))(٢).

ومن المهم أخيراً أن يدرك الداعية أن مهمته السعي في إصلاح ذات البين أما نيل التوفيق والنجاح في ذلك فمرده إلى الله تعالى؛ فما عليك أيها الداعية سوى بذل الوسع، واستنفاذ الطاقة، ثم بعد ذلك وطن نفسك على أن محاولاتك ربما لا تفلح؛ فلا

(١) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله http://www.binbaz.org.sa/

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة، رقم الحديث ١٠٤٤.

يكبر عليك ذلك، وأعلم بأنك مأجور مثاب، وليس من شرط الإصلاح إدراك النجاح، وليكن شعارك: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾(١).

وفي بيان فقه إصلاح ذات البين يجدر بنا أن نشير إلى قول بن القيم رحمه الله عندما قال: "الصلح نوعان: الأول: الصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالماً بالوقائع، عارفاً بالواجب، قاصداً للعدل، فدرجة هذا المصلح أفضل من درجة الصائم القائم.

والثاني: الصلح الذي يحل الحرام ويحرم الحلال، كالصلح الذي يتضمن تحريم بضع حلال، أو إحلال بضع حرام، أو إرقاق حر، أو نقل نسب أو ولاء عن محل إلى محل، أو أكل ربا، أو إسقاط واجب، أو تعطيل حد، أو ظلم ثالث وما أشبه ذلك، فكل هذا صلح جائر مردود"(٢).

ويدل على تحريم هذا الصلح جملة من الأدلة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾(٣). فقد أمر الله أن يكون الصلح بالعدل لا بالجور، وأمر بالقسط في ذلك، وأخبر عن محبته للمقسطين العادلين في أحكامهم.

٢- روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة، وعمرو بن

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) إعلام الموقعين، ابن القيم ١/١٠٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

عوف المزني رضي الله عنهم(١). أن رسول الله ﷺ قال: ((الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما))(٢).

دل هذا الحديث العظيم أن الأصل في الصلح الجواز، إلا إذا تضمن تحريم حلال أو تحليل حرام؛ فإنه لا يجوز ويكون من الصلح المحرم.

وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما(٣).أهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر - وهو أفقه منه-: نعم، فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي، فقال ﷺ: ((قل))، قال: إن ابني كان عسيفاً(٤). على هذا، فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجمَ، فافتديت منه بمائة شاة ووليدةٍ(٥). فسألت أهل العلم، فأخبروني أنما على ابني جلدُ مائة وتغريبُ عام، وأن على امرأة هذا الرجمَ، فقال ﷺ: ((والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ردٌ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها)) فغدا عليها، فاعترفت، فرجمها(٦).

---

(١) هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة - بكسر أوله ومهملة- بن بكر بن أفرك بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة، أبو عبد الله المزني، صحابي، مات في ولاية معاوية، انظر: تهذيب الكمال (١٧٣/٢٢)، وتقريب التهذيب ٧٤٢/١.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة: أبو داود في سننه (٣٠٤/٣) ح(٣٥٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢٠١/٤) ح (٧١٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٤/٦) ح(١١١٣٢).

(٣) هو صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زيد بن خالد الجهني المدني، صحابي، شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، له ٨١ حديثا، توفي في المدينة سنة (٧٨) هـ عن ٨٥ سنة، انظر: الأعلام للزركلي (٥٨/٣).

(٤) العسيف: هو الأجير، فتح الباري (١/ ١٥٦).

(٥) هي: الجارية والأمَةِ المملوكة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٢٥/٥).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٥٩/٢) ح(٢٥٤٩)، ومسلم في صحيحه (١٢١/٥) ح(٤٥٣١)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٥٢٩/١).

وهذا الصلح من الجور، كما ترجم عليه البخاري في كتاب «الصلح» من صحيحه: «باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود».

ووجه الشاهد من هذا الحديث: أنه لما اصطلح هذان الرجلان على إبطال الحدِّ في حق الزانيين رده رسول الله ﷺ، وحكم بينهما بكتاب الله، فجلد البكر منهما وغربه، ورجم المحصن وهي المرأة.

فيجب على من سعى بالصلح بين المسلمين أن يحرص على أن يكون صلحه بالعدل وأن يحذر من الجور، والظلم في الصلح، ومن تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فلا يراعي أحداً لجاهه أو ماله أو مكانته على حساب خصمه، حتى ينال الأجر العظيم الذي أعدَّه الشارع على الإصلاح.

وما ذكره ابن القيم في النوع الأول - وهو الصلح الجائز المشروع- قد قسمه العلماء إلى خمسة أنواع:

النوع الأول: الصلح بين المسلمين وأهل الحرب، كما في صلح الحديبية بين النبي ﷺ وأصحابه وبين كفار قريش.

النوع الثاني: صلح بين أهل العدل وأهل البغي من المسلمين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾(١).

النوع الثالث: صلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝٣٥﴾(٢).

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٩-١٠.

(٢) سورة النساء، الآية:٣٥.

النوع الرابع: إصلاح بين متخاصمين في غير المال، كإصلاح النبي ﷺ بين أناس من بني عمرو بن عوف في خصومة كانت بينهم.

النوع الخامس: إصلاح بين متخاصمين في الأموال، كإصلاحه بين المتخاصمين في الدين بأن يضع أحدهما نصفه ويوفيه الآخر حقه(١).

ومن شكّ أنه إذا التزم الدعاة إلى الله تعالى بفقه الإصلاح أثمر ذلك الثمرات والنتائج الطيبة والإيجابية والمحمودة.

---

(١) شرح الزركشي، على الخرقي ١٠٣/٥، المبدع في شرح المقنع ٢٧٨/٤، وحاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع ٥/ ١٢٩.

المبحث الخامس

أثر جهود الدعاة في إصلاح ذات البين

إن التنازع مفسد للبيوت والأسر، مهلك للشعوب والأمم، سافك للدماء، مبدد للثروات، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾(١).

فبالخصومات والمشاحنات تنتهك حرمات الدين، ويعم الشر القريب والبعيد، ومن أجل ذلك سمى رسول الله ﷺ فساد ذات البين بالحالقة التي تحلق الدين، فعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ: الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ))(٢).

إن الأمة تحتاج إلى إصلاح يدخل الرضا إلى المتخاصمين، ويعيد الوئام إلى المتنازعين، إصلاح تسكن به النفوس، وتأتلف به القلوب، إصلاح يقوم به عصبة خيرون، شرفت أقدارهم، وكرمت أخلاقهم، وطابت منابتهم.

وإصلاحُ ذات البَيْنِ، يقتضي - في كثير من الأحيان - تَنَازُلاً منَ المرء، فيما ليس بواجبٍ ديانةً، مطاوعةً منه لإخوانه، مع سِعَةِ صدْرٍ وحُسْنِ ظَنٍّ، ليرى ثمرةَ إصلاحِه في الدُّنيا قبل الآخرة، ومن أعظم ثمراتها السُّؤددُ بحقٍّ، إذِ السُّؤددُ والرِّفعةُ إنَّما تكون بالعلمِ والعملِ والتَّعليمِ والإصلاحِ والصَّبرِ والثَّباتِ.

ولهذا كان إصلاحُ ذاتِ بَيْنِ المسلمين وصلاحُ حالِهم، أفضلَ من درجةِ الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة، وذلك لما فيه من حُسْنِ المعاشرة والمناصحةِ والتَّعاون على البرِّ

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده، برقم ١٤١٢، وقال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه، ٢٩/٣.

والتَّقوى، وكان من أفضلِ الصَّدقاتِ التي يحبُّ اللهُ ورسولُه ﷺ مَوضعَها، ومن أنفعِ التِّجارةِ بين العبدِ وربِّه.

وصِلَةُ النَّاسِ بعضِهم ببعضٍ إذا تَفاسَدُوا، والتَّقريبُ بينهم - بالشَّرعِ الحنيفِ - إذا تَباعدوا، يستدعي وجودَ قَصْدٍ سليمٍ، ونيَّةٍ صالحةٍ صادقةٍ، إذْ لا يُوفَّق للإصلاح بين النَّاس إلاَّ من صَفَتْ سَريرَتُهُ، وحَسُنَتْ طَويَّتُه، قال اللهُ جلّ وعلا في الصُّلحِ بين الزَّوجين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾(١).

فإصلاحُ ذاتِ بَيْنِ المسلمين أكبرُ عندَ الله، وأعظمُ حرمةً من الإصلاح بين الزَّوجين؛ لأنَّ الإصلاحَ سببٌ لِلاعتصام بحبلِ الله وعدمِ التَّفرُّق بين المسلمين، كما أنَّ فسادَ ذَاتِ البَيْنِ ثُلْمَةٌ في الدِّينِ، قد سَمَّاه النبيُّ ﷺ الحالِقَةَ الَّتي تحلِقُ الدِّينَ، فعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟»؛ قَالُوا: بَلَى؛ قَالَ: «صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»(٢).

قال صاحب "عون المعبود" رحمه الله: أي: أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال ألفة ومحبة، وقيل: المراد بذات البين المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما بين، أي: فرقة، والبين من الأضداد الوصل والفرق. و"فساد ذات البين الحالقة" أي: هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر. وفي الحديث: حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها، لأن

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في إصلاح ذات البين، رقم الحديث ٤٩١٩، وقال محققه: إسناده صحيح.

الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها، نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصّة نفسه"(١).

قال البَاجي رحمه الله: "قال الأَخْفَشُ: أصلُ الحَالِقَةِ من حَلَقَ الشَّعْرَ، وإذَا وَقَعَ الفَسَادُ بَيْنَ قومٍ مِنْ حَرْبٍ أَوْ تَبَاغُضٍ حَلَقَهُمْ عَنْ البلادِ؛ أَيْ: أَجْلَتْهُمْ وفَرَّقتْهُم حَتَّى يُخْلُوهَا، وَيُحْتَمَلُ عِنْدِي أَنْ يُرِيدَ أَنَّهَا لا تُبْقِي شَيْئًا مِنْ الحَسَنَاتِ حَتَّى يَذْهَبَ بِهَا كَمَا يَذْهَبُ الحَلْقُ بِالشَّعْرِ مِنْ الرَّأْسِ حَتَّى يَتْرُكَهُ عَارِيًا"(٢).

فَعُلِمَ منَ الحديثِ أنَّ فسادَ ذاتِ الدِّين تحلق الدِّينَ وتهْلِكُه، وتستَأْصِلُه كما يَسْتَأْصِلُ الموسَى الشَّعْرَ، وذلك لكثرةِ ما يترتَّب عليه من الفساد والضَّغائنِ، وكثرةِ ما يُسَبِّب من العداواتِ، وتَشْتِيتِ القلوبِ وَوَهَنِ الأديانِ، وتسليطِ الأعداء وشَماتَةِ الحُسَّادِ، فلذلك صار مقابلُه - إصلاحُ ذات البَين - أفضلَ الصّدقاتِ.

والإصلاح سبب من أسباب رحمة الله ومغفرته. قال سبحانه: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾(٣).

وإصلاح ذات البين يزيل الشحناء والبغضاء كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾(٤).

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، ط/٢، دار الكتب العلمية،: ١٤١٥ هـ، ١٣/ ١٧٨.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ٢١٣/٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١.

يفصل الشيخ السعدي رحمه الله بعض الشيء ليوضح أثر الإصلاح على جمع الكلمة فيقول: (أصلحوا ما بينكم من التشاحن، والتقاطع، والتدابر، بالتوادد، والتحاب، والتواصل. فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم، والتشاجر والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البين، تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء، والتدابر"(١).

ويقول النسفي رحمه الله: (وقوله: ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال لألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به)(٢).

والسعي في الإصلاح والاستجابة له من علامات نضج الأخوة بين المؤمنين فبعد أن أمر تعالى بالإصلاح في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾(٣). نوه بأخوة المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٣١٥.

(٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط/١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ٥٤/٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾(١). (يعني أنهم إخوة في الدين كقوله تعالى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾(٢). وفي ذلك دليل على جواز إطلاق لفظ الأخوة بين المؤمنين من جهة الدين وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣). يدل على أن من رجا صلاح ما بين متعاديين من المؤمنين أن عليه الإصلاح بينهما)(٤).

والدعاة الهداة إلى الله تعالى يحرصون كل الحرص، ويبذلون كل الجهد لتحقيق هذه الثمار والآثار الحميدة من إصلاح ذات البين، مع مراعاة فقهها، وآدابها، مقتدين في ذلك ومهتدين بنبيهم ﷺ.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية:٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٤) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ٥/٢٨٥.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

٣. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م.

٥. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٢، دار القلم، دمشق: ٢٠١٠م.

٦. الأدب المفرد بالتعليقات، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، ط/١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ.

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٩. الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ط/١٥، دار العلم للملايين، بيروت: ٢٠٠٢ م.
١٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠هـ.
١١. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ط/٢، دار التراث، بيروت: ١٣٨٧ هـ.
١٢. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ.
١٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ.
١٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م.
١٥. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط/١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٦. تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، ط/١، دار الرشيد، سوريا: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٧. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٨٩هـ/١٩٦٩هـ.
١٨. تهذيب الكمال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبو محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.
٢٠. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.
٢١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٢٢. حاشية السندي على سنن النسائي، أبو الحسن نور الدين بن عبدالهادي السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط/٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)
٢٤. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، يحيى بن شرف النووي، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م.
٢٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ).

٢٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢٧. شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

٢٨. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.

٢٩. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥ هـ.

٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة الشيخ: عبد العزيز بن عبدالله بن باز، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

٣٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٣٤. فن الإصلاح بين الناس، فهد بن فريج المعلا البلوي، بدون ذكر تاريخ أو دار النشر.

٣٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٥٦هـ.

٣٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٣٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ.

٣٨. المبدع في شرح المقنع، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، (المتوفى: ٨٨٤هـ)، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.

٣٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨ هـ.

٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ.

٤١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٢.المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ/١٩٩٠ م.
٤٣.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١ م.
٤٤.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.
٤٥.معالم في إصلاح ذات البين، محمد بن إبراهيم الحمد، بدون كر تاريخ ودار النشر.
٤٦.معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٤٧.مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.
٤٨.المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
٤٩.الموقع الرسمي لسماحة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله
http://www.binbaz.org.sa/
٥٠.النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

البحث رقم (٤)

منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية

إعداد

د. لولوة بنت سليمان بن محمد الغنام

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد أمر الله سبحانه نبيه الكريم والداعي الأول ﷺ بالدعوة إليه، وفق منهج وسطي في كل شيء؛ فلا إفراط ولاتفريط، ولا غلو ولا جفاء، فكلا الطريقين مذمومين، ولا يمكن أن تكون الدعوة إلى الله مخالفة لمقاصد الشريعة وركائزها، فإن أي وصف لوسطية الدعوة لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية هو تغيير أو تحريف لمبادئها وأسسها.

فوسطية الدعوة تتجلى في عقيدتها وأحكامها وأخلاقها، وما تشمله من جوانب الحياة في كل زمان ومكان؛ إذ أن مبعث هذه الوسطية هو: كتاب الله سبحانه وسنة نبيه ﷺ، فتطبيقه كما جاء عن الله عز وجل يحقق الغاية التي من أجلها أنزل، وهذا ما كان عليه سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهو منهج أهل السنة والجماعة في فهمهم لحقيقة مراد الله جل شأنه في الدعوة إليه، وبهذا المنهج المعتدل كانت الدعوة تؤتي أكلها في كل حين، وهو ما يجب أن يظهره الإعلام للناس أجمع، ويأتي الإعلام الدعوي ليحقق هذا الهدف.

فالإعلام الدعوي يقوم على أسس راسخة وقواعد متينة لقيامه على الكتاب والسنة؛ فمنهما يستقي موضوعاته ومنهجه في بث الرؤية الإسلامية الحقة، وخاصة في وقتنا الحاضر مع الانفتاح الإعلامي بشتى قنواته المسموعة والمرئية والمقروءة، مع مايصاحبه من قوة في التأثير بالجماهير، وهو في الوقت ذاته يمتلك القدرة على حل جميع المشكلات في أي جانب من جوانب الحياة، لأنه يحترم العقل ويؤثر في العاطفة في تناغم يجذب أصحاب الفطرة السليمة الباحثة عن الحق.

ويعد هذه البحث وسيلة مساعدة يخدم الإعلام الدعوي وفق أسس علمية، يقوم على بيان أهمية الإعلام المنضبط بأسس الشريعة في بيان منهج الوسطية.

مشكلة البحث وأهميتها:

إن مشكلة البحث تتجلى في عدم وضوح المنهج الصحيح للإعلام بشكل عام عند تعزيز الوسطية؛ لذا يأتي هذا البحث لتجلية منهج الإعلام الدعوي في بيان المنهج الوسطي الذي يقوم عليه الإسلام، فقد انتشر الإسلام بشريعته السمحة سريعاً وبصورة كبيرة جراء وضوح مبادئه وموافقتها للفطرة، واستغل المناوؤن للإسلام هذه الصورة الحسنة له فألصقوا به ماليس منه؛ لأطماع سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ولذا لما ظهرت كثير من الدعوات الدينية المنحرفة على مر التاريخ تصدى لها العلماء الربانيون بكشف ضلالها وزيغها حتى لاتضلل العوام بشعارها ودعاويها.

وفي العصر الحاضر كثرت الدعوات المشبوهة وسهل عليها ترويج أفكارها المخالفة لمنهج الوسطية في الدعوة مع وسائل الإعلام الجديد كشبكة المعلومات الإلكترونية التي تعطي مجالاً للتخفي وراء شعارات براقة لا يكشف حقيقتها إلا من لديه حظ وافر من العلم والفقه بالأمور الشرعية، وقد جرّت هذه الدعوات على المسلمين كثيراً من المشكلات التي أضافت عبئاً على أهل العلم جراء السعي لكشف أمرها والتغلب على أثار إفسادها في مجتمعات العالم أجمع، ولهذا يأتي هذا البحث ليبين أهمية الإعلام الدعوي المنضبط بضوابط الشريعة ودوره في بيان وسطية هذا الدين العظيم وفق رؤية شرعية دقيقة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى مايلي:

١- بيان أهمية الإعلام الدعوي، وأهدافه.

٢- بيان أهمية منهج الوسطية، وأثاره.

٣- التعرف على منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

٤- بيان أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

تساؤلات البحث:

سيجيب هذا البحث - بمشيئة الله- عن التساؤلات التالية:

١- ما أهمية الإعلام الدعوي، وما أهدافه؟

٢- ما أهمية منهج الوسطية، وما أثاره؟

٣- ما منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية؟

٤- ما أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية؟

المصطلحات والمفاهيم:

- الإعلام:

يأتي معنى الإعلام في اللغة من مصدر الفعل الرباعي أعلمَ، يقال: أعلَمَ يُعلِمُ إعلاماً.. وأعلمتُه بالأمر: أبلغته إياه، وأطلعته عليه، واستعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمني الخبر فأعلمته إياه.

والإعلام في الاصطلاح هو: "نشر للحقائق والأخبار والأفكار والآراء بوسائل الإعلام المختلفة "(١).

- الدعوة:

الدعوة في اللغة: للدعوة في اللغة عدة معانٍ تدور كلها حول: الاستمالة، والتمني، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والنداء، والدعوة إلى الطعام، والأذان، والطلب، والحث، والاستعانة(٢).

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢/ ٤١٨.

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ١/ ١٩٤، وأيضاً: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٣٨/ ٤٦، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص١٢٨٢، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، ص٢٨٦.

فالفعل "دعو": "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك "(١).

وأما الدعوة في الاصطلاح فهي: "قيام من عنده أهلية النصح الرشيد، والتوجيه السديد من المسلمين، في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة"(٢).

- الوسطية:

الوسطية لغة: مأخوذة من مادة وسط، وهي كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين الطرفين. فوسط الشيء وأوسطه: أعدله، ووسط الشيء: ما بين طرفيه(٣).

أما اصطلاحاً فتأتي بنحو هذا: العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، ، وفي هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٤).

قال الإمام الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ) في معنى الوسط هنا: "الخيار.. "و" جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم"(٥).

ويمكن تعريف منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية اجرائياً بأنه: الأسس والقواعد التي يقوم عليها الإعلام الدعوي وطرقه في بيان ونشر المنهج الوسطي بين الناس.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٧٩.

(٢) الدعوة إلى الله، خصائصها ومقوماتها ومناهجها، د. أبو المجد السيد نوفل، ص١٨.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٧/٤٢٦- ٤٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣/١٤١، ١٤٢.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قواعد المعلومات تبين للباحثة: أن هذا الموضوع لم يطرح سابقاً؛ فغالب الدراسات تحدثت عن الإعلام بشكل عام أو عن وسطية الإسلام؛ إلا أن أهمها فيما وقفت عليه في هذا الموضوع مايلي:

- الإعلام الدعوي ودور وسائل الاتصال الحديثة في الدعوة الإسلامية، د. ياسر يوسف عوض الكريم.

تحدث الباحث في قرابة ٢٥ صفحة عن الإعلام الدعوي، والمنهج النبوي في البلاغ، وأهداف الإعلام الدعوي وضوابطه، وعن المسلمين والتقنية، وهو بهذا يختلف عن موضوعي كونه عاماً وهذا البحث عن منهج الإعلام في تعزيز منهج الوسطية على نحو خاص.

- الإعلام الحديث في المنظور الإسلامي؛ سالم السالم البراق(١).

تحدثت هذه الرسالة عن الإعلام بشكل عام والإعلام الإسلامي بشكل خاص، فبيّن الباحث أسس الإعلام الإسلامي وخصائصه، كما تناول واقع الإعلام الحديث ومؤثراته وأهدافه وآثار الإعلام الجديد في المجتمعات المسلمة، ثم وضح الباحث الموقف من الإعلام الحديث، وهي بهذا تختلف عن هذا البحث الذي يأتي لبيان منهج الإعلام في تعزيز منهج الوسطية تحديداً.

- مفهوم التفاعل الدعوي عبر الإعلام الجديد. معاذ إبراهيم عتيلي، محمد فيصل أشعري(٢).

---

(١) رسالة دكتوراه، المعهد العالي لأصول الدين بجامعة الزيتونة،١٤٢٢هـ.

(٢) بحث منشور في مجلة "بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة"، ص٢٦٧، المجلد ٢، العدد٣، ٢٠١٢م. ومنشور في موقع: http://www.academia.edu/٥٨٩٣٤٦٧/

يتحدث البحث عن أسس التفاعل الدعوي من خلال الإنترنت والشبكات الاجتماعية خصوصاً، والتي تقوم على: الإقناع، والجاذبية، والثقة، والاستيعاب. والتي عند تطبيقها يتمكن الداعية من استثمار التفاعل في تحقيق أهداف الدعوة إلى الله تعالى من خلال الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية. وبهذا تختلف عن هذا البحث الذي يبين منهج وسائل الإعلام بشكل عام في بيان وتعزيز منهج الوسطية.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي وهو: "الحكم على الكلي بما يوجد في جزيئاته جميعاً.. فالاستقراء يدرس بعض الجزئيات والظواهر بغية الكشف عن العلل والعلاقات التي تجمع بينها لنصل بهذا إلى معرفة القوانين العامة أو القضايا الكلية"(١).

والمنهج الاستدلالي الاستنباطي؛ وهو: "المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومسلم بها، إلى قضايا أخرى تتضمنها، وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة، ويتم هذا بواسطة القول أو بواسطة الحساب"(٢).

وستقوم الباحثة - بمشيئة الله- باستقراء نصوص الشرع وتطبيقاته فيما يتعلق بوسطية الدعوة، مع استنباط ما يتعلق بمنهج الإعلام في بيان ذلك وتعزيزه عند الناس.

تقسيمات البحث:

سيأتي هذا البحث - بمشيئة الله- في تمهيد ومبحثين، كما يلي:

---

(١) مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، د. فرج الله عبدالباري، ص٤٦.

(٢) مناهج البحث، غازي بن حسين عناية، ص٨١، ومناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص١٨.

التمهيد:

المطلب الأول: الإعلام الدعوي، أهميته، وأهدافه.

المطلب الثاني: منهج الوسطية، أهميته، وأثاره.

المبحث الأول: منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الأول: أسس الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الثاني: المنهج الشرعي للإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المبحث الثاني: أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الأول: أساليب الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الثاني: وسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

ثم خاتمة تحوي نتائج البحث، وأهم توصياته.

تمهيد

المطلب الأول: الإعلام الدعوي، أهميته، وأهدافه:

إن مفهوم الإعلام الدعوي يقوم على قاعدة بيّنة ثابتة وفق الأمر الإلهي للنبي ﷺ بالتبليغ، فأساس الإعلام الدعوي قائم على تبليغ الدين الإسلامي وماجاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فالدعوة والإعلام مرتبطان ببعضهما لاينفكان بأي حال من الأحوال لارتباطهما بعالمية الرسالة ووجوب نشرها وتبليغها، لذا فأهمية الإعلام الدعوي تنبع من أهمية الرسالة الإلهية التي أمر النبي ﷺ بإبلاغها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾(١)، قال السعدي رحمه الله (ت١٣٧٦هـ): "وأمره هنا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار، فقال: قُمِ ﴿أي﴾ بجد ونشاط فَأَنْذِرْ الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه"(٢).

وقد كان الإعلام الدعوي في صدر الإسلام يقوم على مايمكن توظيفه لتبليغ الدعوة من الوسائل والأساليب المتاحة؛ فاستخدم النبي ﷺ القول نثراً، والفعل قدوة ومنهجاً، من خلال الخطابة والحوار والمناظرة وكتابة الرسائل وإرسال الرسل وغشيان الندوات والأسواق واغتنام المواسم كموسم الحج، وغير ذلك مما يحقق مغزى الإعلام بالرسالة التي كلف بحملها ونشرها(٣).

وفي وقتنا الحاضر ومع تطور وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، واتساع

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١-٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص٨٩٥.

(٣) للاستزادة انظر: الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة.

مجالات استخدامها، وقوة إمكاناتها، وكثرة جماهيرها، واتساع نطاقها الجغرافي، أصبح توظيف هذه الوسيلة من الأهمية بمكان تبعاً لعمق تأثيرها، ومن هنا ظهر مصطلح الإعلام الإسلامي أو الدعوي الذي يمكن بيان مفهومه بأنَّه: "استخدام منهج إسلامي بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم متفقهون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المختصرة والأخبار الحديثة والقيم والمبادئ والمُثُل للمسلمين ولغير المسلمين في كل زمان ومكان في إطار الموضوعية التامة بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد لإحداث التأثير المطلوب"(١).

ومن خلال هذا التعريف يتبين أن الإعلام الدعوي يراعي سلامة المنهج والأسلوب، والشخص الإعلامي المؤهل، والرسالة الإعلامية القيمة، والهدف السامي البين الواضح؛ فهو إعلام ملتزم بالتصور الإسلامي تجاه الكون والفرد.

ويتفق خبراء الإعلام على أنَّ الإعلام إنَّما هو رسالة بما ينطوي عليه هذا التعبير من شعب مترابطة:

١- جهة البث والإرسال.
٢- جهة التلقي والاستقبال.
٣- موضوع البث أو محتوى الرسالة.
٤- حامل الرسالة.

والإسلام بطبيعته وبمقياس هذا المفهوم المتفق عليه رسالة إعلامية بالمعنى العلمي

---

(١) انظر: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم "دراسة في التفسير الموضوعي"، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، ص٣٥، نقلاً عن: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عبدالوهاب كحيل، ص٢٩.

للتعبير، فالله سبحانه وتعالى هو المرسل ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾(١)، والناس هم جهة التلقي والإرسال ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾(٢)، والحق هو مضمون الرسالة ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾(٣)، وحامل الرسالة هو رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾(٤)، وبهذا تكتمل أركان الإعلام الدعوي(٥).

كما أن مما يبين أهمية الإعلام الدعوي في الوقت الحاضر ظهور عدد من وسائل الاتصال ذات سمات إعلامية غير مسبوقة؛ من سهولة الاستخدام والمجانية والعالمية، كما أنها في الوقت ذاته تكفل سقفاً من الحرية غير المحدودة؛ مما ساهم في نشر عدد من الأفكار المنحرفة والمشوهة التي تستلزم بيانها وكشفها والرد عليها، خاصة مع بُعد بعض أبناء الأمة عن العلم الشرعي وسهولة تغريرهم بها.

إن الإعلام الدعوي ينبغي أن يواجه الإعلام الباطل الذي لا يألو جهداً في بث ونشر كل ماهو غث مما لاينفع أمة ولايبني جيلاً، والمجتمعات المسلمة بحاجة ماسة للتوجية الدعوي القائم على أسلوب فني واعي مبني على الحكمة وفهم الواقع.

ولما سبق ذكره من الأهمية يتضح أن أهداف الإعلام الدعوي كثيرة ومتنوعة ولكن يمكن جمعها إجمالاً في قاعدة: أن "كل ما يؤدي إلى الخير العام للإنسانية

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٩.
(٢) سورة سبأ، الآية:٢٨ .
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٥) الإعلام الإسلامي "دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص"، د. محمد موسى البر، ص٣٠١.

وتحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه ومراده في هذه الأرض والحياة؛ من العمارة والاستخلاف فهو أحد أهداف الإعلام الإسلامي في الدعوة إليه".

أما على وجه التفصيل فإن أبرز أهداف الإعلام الدعوي ما يلي:

- القيام بمهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بتعبيد الناس لله وحده لاشريك؛ بالدعوة للتوحيد وتصحيح العقيدة وبناء جوانبها بدون شائبة أو تشويه ببدعة أو غلو أو تفريط.
- بيان أركان الشريعة الإسلامية وأسسها ببرامج عملية واقعية قائمة على ربط مصادر الشريعة بممارسات المسلم اليومية.
- نشر الفضائل ومحاربة الرذائل؛ صيانة للأخلاق أن تمتهن وتضمحل مقابل زخم الإعلام السلبي.
- حماية المجتمعات من الجهل وأثاره؛ شرعياً ومعرفياً وأخلاقياً وفكرياً وأمنياً، والسعي في البناء المجتمعي القائم على توظيف إمكانات المسلم وفق المنهج الإلهي.
- معالجة القضايا المستجدة وفق رؤية شرعية واضحة وثابتة؛ انطلاقاً من فقه الواقع وبأساليب دعوية جذابة.
- استشراف المستقبل ببرامج تبني الجيل الجديد وتدرك حجم التحديات التي يواجهها أبناء المسلمين في ظل الظروف الإسلامية المعاصرة.
- التصدي لحملات تشويه الدين الإسلامي؛ ببيان ثوابته ومصادره وإبراز رموزه وقضاياه، مع حسن توظيف ما ثبت من التاريخ الإسلامي في الواقع.
- تكوين قاعدة جماهيرية تثق بمصداقية الإعلام الدعوي تجاه الأخبار والأحداث، بناء على قيامه على التجرد والصدق عند عرض الحقائق.
- الرد على المضامين العدائية لبعض وسائل الإعلام الخارجية تجاه قضايا المسلمين ومشكلاتهم.

المطلب الثاني: منهج الوسطية، أهميته، وأثاره:

الوسطية: "سلوك محمود - مادي أو معنوي - يعصم صاحبه من الانـــزلاق إلى طرفين مُتقابلين - غالبًا- أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي"(١).

فالتوسط خيار عدل يعصم المسلم من الزلل والانحراف عن جـــادة الصـــواب، وتتضح أهميته من خلال ما يلي:

- اختصت الشريعة الإسلامية بأنها وسط في كل شيء؛ فلا إفراط ولاتفريط، ولا غلو ولا جفاء، فكلا الطريقين مذمومين، لذا فمنهج الوسطية سمة تميزت بها الشريعة الإسلامية عن باقي الشرائع، فكل مخالفة لمنهج النبي ﷺ وسنته إفراطاً وتفريطاً هو مشابهة لمنهج اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾(٢).

قال الإمام الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـــ) في تفسير الآية: "يا أهل الكتـــاب مـــن النصارى لا تغلوا في دينكم، أي: لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنـــه تعـــالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء النصـــارى يبـــالغون في

---

(١) الوسطية: مفهومًا ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة. انظر: http: //www. alukah. net/culture/٠/٤٣٤١/#ixzz٤TAvg٦VQu

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

تعظيمه، وكلا طرفي قصدهم ذميم"(١).

- أُمر المسلم بسؤال الله الهداية للصراط المستقيم في صلاته يومياً بتكرار أم الكتاب في كل ركعة من ركعات الصلاة مما يبين أهمية هذا المنهج وأثره في الإعتدال بين الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾(٢).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ): "أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن (الصراط المستقيم)، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه"(٣).

- الأمر بالاستقامة على الطريق القويم؛ كما قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢ ﴾(٤)، فأمره بالبقاء على طريق الاستقامة والثبات عليه دون طغيان وهو أن يجاوز المقدار(٥).

- الوسطية تحقق التوازن بين الأمور بقدر يكفل الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة؛ وفي هذا قال الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ ﴾(٦).

---

(١) مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، الرازي، ١١/٢٧١.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١/١٧٠..

(٤) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، الرازي، ١٨/٤٠٧.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧٧.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية: "أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة. ولا تنس نصيبك من الدنيا أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً "(١).

- بين النبي ﷺ أن الغلو سبب للهلاك؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)).

فيستفاد منه تحريم الغلو من وجهين الوجه الأول تحذيره ﷺ، والتحذير نهي وزيادة والوجه الثاني أنه سبب لإهلاك الأمم كما من قبلنا، وما كان سببا للهلاك كان محرما

والغلو له أقسام كثيرة؛ منها الغلو في العقيدة، ومنها الغلو في العبادة، ومنها الغلو في المعاملة، ومنها الغلو في العادات، والناس فيها طرفان ووسط فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وكون الإنسان معتدلا لا يميل إلى هذا ولا إلى هذا، هذا هو الواجب؛ فلا يجوز التشدد في الدين والمبالغة، ولا التهاون وعدم المبالاة، بل يكون وسطا بين هذا وهذا.

- المسلم مأمور بعبادة الله وفق ماشرع؛ ففيها البشارة والنجاة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٢)، قال ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ):

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٢٥٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

"أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم"(١).

وعلى هذا المنهج المعتدل كان يسير السلف الصالح، فهم وسط بين أهل الفرق والأهواء، قال الإمام الشاطبي رحمه الله (ت٧٩٠هـ): "إن الحمل على التوسط هو الموافق لقصد الشارع، وهو الذي كان عليه السلف الصالح "(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨هـ) في تفضيل طريق أهل السنَّة والجماعة: "وكذلك في سائر أبواب السنَّة هم وسط، لأنه متمسكون بكتاب الله وسنَّة رسوله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"(٣).

- في الوسطية مخالفة لطريق الشيطان؛ قال ابن القيم رحمه الله (ت: ٧٥١هـ): "وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين"(٤).

وإذ تبينت أهمية الوسطية، وأن الشرع والعقل يدلان عليها، ظهرت أثارها العظمى والتي من أبرزها ما يلي:

- موافقة مراد الله جل شأنه، وهو المقصود من خلق الإنسان بعبادته سبحانه كما أمر دون زيادة ولا نقصان، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٧٥/٧.

(٢) الموافقات، الشاطبي، ٢٨٠/٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٧٥/٣

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ص١٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١١٢.

- إبراز سماحة الإسلام ويسره؛ وهذه من أبرز أثار الوسطية؛ فالدين الإسلامي بشريعته السمحة يقدم للبشرية منهجاً تطبيقاً يقوم على اليسر وفق إمكانات الإنسان ومعطيات الواقع في كل زمان ومكان في توازن مرن حكيم يقدر المصالح والمفاسد وفق أسس الشريعة ومرتكزاتها، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾(١).

فقد حط سبحانه ما فيه مشقة من التكاليف على عباده، إما بإسقاطها من الأصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم، أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل لا مشقة فيه، أو بمشروعية التخلص عن الذنب بالوجه الذي شرعه الله، وما أنفع هذه الآية وأجل موقعها وأعظم فائدتها(٢).

فإتباع الوسطية منهج رباني أمر الله به وأثنى على أهله، وذم الغالين في مناهجهم وطرائقهم إفراطاً وتفريطاً، والمسلم يتعبد لله بطاعته فيما أمر وباجتناب ما نهى عنه، وباختيار الوسطية منهجاً تحصل موافقة المنهج القائم على التيسير الذي أراده الله وبيّنه رسوله الكريم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿...يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ...﴾(٣).

قال الشوكاني رحمه الله (ت١٢٥٠هـ): "وقوله: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فيه أن هذا مقصد من مقاصد الرب سبحانه، ومراد من مراداته في جميع أمور الدين"(٤).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٣/٥٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) المرجع السابق، ١/٢١٠.

- بناء الشخصية الإسلامية المعتدلة؛ فالوسطية تكفل للمجتمعات المسلمة أفرادا معتدلين بسمات تقوم على الثبات على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتسعى في عمارة الأرض وبنائها وتحول دون إفسادها؛ مما يحقق الأمن المجتمعي الذي كفلته الشريعة الإسلامية لأبنائها.

- إصابة الحق والبعد عن الزلل؛ فالوسطية هي الخيار الحق الذي لامحيد عنه، وماسواه باطل منهجا وفكرا وسلوكا، وكل تأويل لنصوص الشريعة يخالف هذا المنهج الوسطي لاحجة له، ولايؤخذ به، فالحق في فهم الشريعة وفق مرادها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾(١).

والإلحاد هنا: وضع الكلام في غير مواضعه(٢).

- السلامة من أثار الغلو؛ فإن من أثار إتباع الوسطية مايستلزمه ذلك من البعد عن الغلو؛ ومايتبعه من التشديد تنطعا ومن التكفير واستباحة الدماء وما إلى ذلك مما ظهرت بعض صوره في الوقت الحاضر، وهذا يتطلب فهما وعلما بمقتضيات الوسطية ومستلزماتها في الشريعة، من أجل الوصول للتصور الشرعي الصحيح في قضايا الأمة ومشكلاتها.

- السلامة من الجهل واتباع الهوى والابتداع، ومايقتضيه التفريط في جنب الله تساهلا بحجة التيسير والتخفيف، ومن هنا ظهرت بعض المخالفات الشرعية بدعوى رفع الحرج جهلا أو تهاونا.

هذه بعض أثار منهج الوسطية، وهي غيض من فيض لما يحتويه هذا المنهج القويم من الخير العميم.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/١٨٣.

المبحث الأول

منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية

يقوم الإعلام الدعوي بدور كبير في نشر الوعي والعلم الشرعي في موضوعات شتى، ولأهمية المنهج الوسطي في الشريعة الإسلامية جاءت العناية به وفق أسس ثابتة ومنهج شرعي بين واضح؛ وذلك كما يأتي.

المطلب الأول: أسس الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية:

يقوم الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على أسس وقواعد ثابتة تحفظ حدوده وتمنعه من الزلل، وهي تأتي كمعيار ثابت لكل مسلم يمثل الإعلام الدعوي بصفة مؤسسية أو فردية من خلال قنوات الإعلام المختلفة كالفضائيات أو الصحف أو وسائل التواصل الإجتماعي، وذلك كما يلي:

أ- وحدة مصدر التلقي:

لكل إعلام مصادره التي يتلقى منها مضمونه العلمي ومنهجيته التي يسير عليها؛ وهي بمثابة المعيار الذي يلتزم به ولا يحيد عنه بقدر درجة مصداقية هذا المصدر ومدى موثوقيته، وفي هذا الجانب يأتي الإعلام الدعوي قائما على الكتاب والسنة باعتبارهما المصدرين الأساسيين بما يحتويان من أحكام وتشريعات صالحة لكل زمان ومكان، ولا توجد مصدرية أخرى تفوقهما قوة وموثوقية وشمولية على الإطلاق.

ولأن الإعلام الدعوي في سعيه لتعزيز منهج الوسطية يخاطب الإنسان المسلم وغير المسلم، فإن الكتاب والسنة أعظم مصدرين شاملين لما يحتاجه هذا الإنسان على اختلاف معتقداته وتوجهاته الفكرية، وهما مع اعتبار ماتفرع عنهما من الإجماع والقياس أفضل مايمكن أن يرتكز عليه الإعلام لشمولهما كل مايحتاجه البشر لاستخلافهم في هذه الأرض.

وهذا يجعل مصدرية التلقي الإعلامي واحدة عند كل مسلم، ويحقق الاجتماع

على أسس ومبادئ واحدة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(١).

ذكر المفسرون أن حبل الله هو: القرآن(٢).

فالقرآن الكريم يمثل المنهج الوسطي القويم بتشريعاته وتوجيهاته التي تؤدي بالمسلم للكمال والهداية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾(٣).

قال السعدي رحمه الله (ت١٣٧٦هـ): "أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"(٤).

وتأتي السنة مصدرا ثانيا للوسطية لاتنفك عن كتاب الله لتلازمهما في التشريع، قال تعالى: ﴿ ...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾(٥).

قال الشاطبي رحمه الله (ت٧٩٠هـ): "السنة راجعة في معناها إلى الكتاب؛ فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ ... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٧/٧٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص٤٥٤.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٧.

﴿٤٤﴾(١)، فلا تجد في السنة أمرا إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية"(٢).

فإذا التزم الإعلام الدعوي بهذه المصدرية في تعزيز منهج الوسطية تحقق له من الخير والتوفيق ما وعد الله به عباده المؤمنين، وبهما يستغني عن كل مصدر وضعي تتنازعه أهواء البشر وميولهم، كما أن وحدة مصدر التلقي تأتي بمثابة الميثاق الذي يجمع كل الإعلاميين المسلمين في أي زمان ومكان، ومن خلال أي قناة إعلامية قديمة كانت أو حديثة؛ ولاشك أن هذا يقلل من التخبط والتعثر الذي ينتج عن تعدد المصادر واضطرابها، كما أنه في الوقت نفسه يجمعهم على قواعد ثابتة يرجعون إليها حال التنازع للوصول للحق؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾(٣) .

إن جميع الأفكار والممارسات المفرطة في الغلو لا أصل لها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فكل ماجاء فيهما وسطي لا إفراط فيه ولاتفريط، وذلك في الجانب الإيماني والإنساني على حد سواء، فضلا عن النصوص الصريحة التي تحذر من هذا التوجه، وتبني عليه عقوبات تشريعية في الدنيا والآخرة؛ لما يفضي إليه من الإفساد في الأرض.

ب- قيامه على الحجة والبيان:

يقوم الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على الحجة والبيان؛ إذ أن التوجهات الفكرية الموغلة في التطرف إفراطا وتفريطا لاتتهاوى إلا بالحجة الصادعة،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) الموافقات، الشاطبي، ٤/٣١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

فالفكر يجابه بالفكر؛ وبالحجة الواضحة التي لا لبس فيها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾(١).

قال البغوي رحمه الله (ت٥١٠هـ): "بسلطان مبين: حجة بينة على صحة دعواكم "(٢).

وقال السعدي رحمه الله (ت١٣٧٦هـ): "أي بحجة وبينة ظاهرة"(٣).

فالحجة البينة تنقطع بها الشبهات بأقل الكلمات، قال ابن حزم رحمه الله (٤٥٦هـ): "ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العساكر الكبار والحجة الصحيحة لا تغلب أبدا، فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة"(٤).

وأعظم حجة أمر الله بها وأنزلها على عباده ماجاء في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ؛ فالقرآن والسنة حجة ودليل بين واضح إذا صح الفهم وفق مراد الله، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾(٥).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٢) معالم التتريل في تفسير القرآن، البغوي، ٣/٣٢

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص٤٢٢.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ١/٢٥

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

والإعلام الدعوي يرتكز عليهما في مصدريته وحجته؛ وذلك فيما يبثه من رسائل وتوجيهات في تعزيز منهج الوسطية، ولاينبغي للمدعو أن يتجاوزهما إلى غيرهما، قال أبو محمد بن حزم رحمه الله: "فلم يسع مسلما يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أن يأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق، وأما من فعله مستحلا للخروج عن أمرهما، وموجبا لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شك عندنا في ذلك"(١).

كما جاء الإسلام وسط في احترام العقل فأعطاه مكانته اللائقة به في التمييز بين الحق والباطل و لم يجعله في الوقت ذاته مهيمنا على الوحي لقصوره عن إدراك الغيبيات؛ لذا فإن العقل الصريح يوافق النقل الصحيح، والاحتجاج به ينفع عند دعوة المعتدين بعقولهم ممن لايؤمن بالكتاب والسنة من غير المسلمين أو ممن سقمت أفهامهم عن فهم مراد النقل من أبناء المسلمين، وهو مما يقوي الحجة الإعلامية في بث الرسالة الوسطية التي تعتمد التوازن بين النقل والعقل في ترسيخ المفاهيم العقدية والفكرية.

وفي قبول المدعو للحجة النقلية والعقلية سبب لسلامة الحال والمآل، فقد قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾(٢).

قال السعدي رحمه الله(١٣٧٦هـ): "فنفوا عن أنفسهم طرق الهدى، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع ﴿لهم﴾ ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ١/٩٩.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٠.

بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علما ومعرفة وعملا، والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم - في الإيمان- بحسب ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول"(١).

ولاشك أن الإعلام الذي يتبنى هذا التوجه المبني على الحجة إعلام يرتكز على أساس متين لايمكن زعزعته بالشبهات أو الشهوات؛ وهذا أدعى لثباته واستمراريته في خضم الزخم الإعلامي المفتوح في واقعنا المعاصر.

ج- الموائمة بين الهدف الشرعي والرؤية الإعلامية:

يرتكز الهدف الشرعي للإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على ماجاءت به الشريعة الإسلامية السمحة؛ وهو يسعى لتحقيق هذا الهدف وفق رؤية إعلامية منضبطة بضوابط هذه الشريعة؛ فكلاهما يحقق الأخر في منظومة متكاملة واضحة المعالم.

إن من أهداف الإعلام الدعوي إبراز وسطية هذا الدين في كافة مجالاته الشرعية والإنسانية والإجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك، وفق خطاب إعلامي يناسب كافة أصناف المدعوين، ويلامس احتياجاتهم وواقعهم، مع مراعاة أساليب الإعلام المؤثر وأسسه وتوجهاته المعاصرة وفق ثوابت الشرع، فإن غالب استخدامات وسائل الإعلام في صدر الإسلام جاءت انطلاقا من التوجيهات القرآنية، بل إن كتاب الله جل شأنه رسالة إعلامية ووسيلة إعلامية وهدف إعلامي في الوقت ذاته؛ لذا فإن الموائمة بين الهدف والرؤية الإعلامية ليست جديدة، بل هي أساس يجب أن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص٨٧٥.

يبنى عليه الإعلام الدعوي لتحقيق التكامل بين الرؤية والأهداف.

لذا لما بعث النبي ﷺ معاذا رضي الله عنهما دعاة إلى اليمن، قال: ((يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا))(١).

وهذا منهج دعوي نبوي يبرز وسطية هذا الدين القائم على اليسر والبشر والاجتماع ونبذ الاختلاف، كما أنه ﷺ قدم لهما توجيها واضحا في كيفية تبليغ هذا الدين، وهي الرؤية الإعلامية التي نحتاجها اليوم؛ فوضوح الهدف الشرعي عند تعزيز الوسطية لدى القائمين على الإعلام والمتلقين له على حد سواء من الأهمية بمكان؛ كونه يحدد طرق تحقيقه والمنهجية التي يسير عليها، ويجنب الجهة الإعلامية اتهامها بسوء القصد حال غموض الرؤية.

ولهذا ينبغي أن يكون الإعلام الدعوي على قدر كبير من المسئولية لعظم الهدف الذي يسعى إليه، فلا ينبغي أن يتأثر بالحراك الجماهيري دون دليل؛ فما يسمى بالرأي العام يخضع لميزان الشرع قبل تبنيه توجها إعلاميا، وفي مقابل ذلك ينبغي أن يأتي مؤثرا بوسطيته لا متأثرا بالمغريات المادية أو الأفكار المتطرفة وإن سعى معتنقوها لشرعنتها بحججهم الواهية.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، ح(٣٠٣٨).

المطلب الثاني: المنهج الشرعي للإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية:

يسير الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على منهج شرعي ثابت متوازن بين الأصالة والتجديد، وذلك كما يلي:

أ- بيان مفهوم ومجالات الوسطية في ضوء القواعد الفقهية والمقاصد الشرعية:

إن مفهوم الوسطية يتسع ليشمل الاعتدال والتوسط في العقيدة والشريعة وماتفرع عنهما من تطبيقات وممارسات وصور سابقة ومعاصرة في القول والعمل.

ولاشك أن هذه الوسطية ترتكز على النصوص الشرعية الدالة عليها من الكتاب والسنة، وهي أساس يقوم عليه الإعلام الدعوي؛ إلا أن المنهج الشرعي للإعلام الدعوي في سعيه لتعزيز الوسطية عند الناس يضيف لذلك مراعاة قواعد الشريعة الكلية ومقاصدها الكبرى فيما استجد من صور وتطبيقات وخاصة فيما لانص فيه أو فيما اختلف فيه من الأدلة؛ فمن خصائص هذه الشريعة الإسلامية شمولها وكمالها؛ ويتأتى هذا بمراعاة مقاصدها، وتخريج الجزيئات على الكليات، فمفهوم القاعدة الفقهية يبين أنها: "قضية كلية يدخل تحتها جزئيات كثيرة، وتحيط بالفروع والمسائل من الأبواب المتفرقة"(١).

لذا فإن ضبط القواعد الفقهية يساعد على تخريج أي مسألة مستجدة عليها؛ قال ابن رجب رحمه الله (ت٧٩٥هـ) في أهميتها للفقيه: "وتنظم له منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد وتقرب عليه كل متباعد"(٢).

لقد بدأت الحركة الفقهية بعد وفاة النبي ﷺ؛ فإذا حدث أمر، أو طرأت حادثة، أو أثيرت قضية، أو وقع نزاع، أو استجد بحث، رجع الناس والحكام إلى

---

(١) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ. د. وهبة الزحيلي، ١/٢٢.

(٢) القواعد، ابن رجب، ص٣.

العلماء والفقهاء والمجتهدين لمعرفة حكم الله تعالى في ذلك، وأحس العلماء بواجبهم نحو هذه الأمانة والمسؤولية الملقاة على عاتقهم، فنظروا في كتاب الله، فإن وجدوا فيه نصا صريحا بينوه للناس، وإن لم يجدوا رجعوا إلى السنة دراسة وبحثا وسؤالا، فإن وجدوا فيها ضالتهم المنشودة أعلنوها ووقفوا عندها، وإن لم يجدوا نصا في كتاب ولا سنة شرعوا في الاجتهاد وبذل الجهد والنظر في الكتاب والسنة وما يتضمنان من قواعد مجملة، ومبادئ عامة، وأحكام أصيلة، ومن إحالة صريحة أو ضمنية إلى المصادر الشرعية الأخرى، ويعملون عقولهم في فهم النصوص وتفسيرها، وتحقيق مقاصد الشريعة، وأهدافها العامة، ليصلوا من وراء ذلك إلى استنباط الأحكام الفقهية وبيان الحلال والحرام، ومعرفة حكم الله تعالى، وتكون من عملهم مجموعة ضخمة من الأحكام الشرعية والفروع الفقهية، التي ساهمت في تنظيم حياة الفرد والمجتمع والدولة، لتبقى مستظلة بالأحكام الشرعية في كل صغيرة أو كبيرة(١).

لذا فإن مراعاة الإعلام الدعوي لهذا المنهج من الأهمية بمكان؛ لما يلي:

- أن الوسطية سمة لهذا الدين العظيم؛ ومسائلها وأحكامها متجددة، وربما أسيئ فهم الشريعة عند الجهل بقواعدها ومقاصدها، وقصور فهم دلالات نصوصها؛ لذا فإن مراعاة هذا المنهج مما يسهم في إبراز معنى الوسطية الحقة عند إدراك جميع فروعها.

- أن الإعلام الدعوي إعلام ذو مسئولية كبرى، وحاجته للفقيه المتمكن أشد من حاجته للإعلامي وإن كان حاذقا في صنعته؛ وذلك لأن هدف الإعلام الدعوي شرعي بالمقام الأول، ورغم أهمية الجانب الفني للإعلام إلا أنه لايقارن بأهمية قيامه على محتوى علمي دقيق، وذلك لكونه مبلغا عن الله، ولاشك أن التكامل بين الجانبين هو مايثمر إعلاما متميزا ومؤثرا.

---

(١) انظر: القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ. د. وهبة الزحيلي، ١/١٩.

وربما تؤثر إيجابا الرسالة الدعوية التي تقوم على فقه شرعي متكامل وإن صاحبها قصور في الجانب الإعلامي؛ في حين أن ضرر الرسالة الدعوية التي بنيت على جهل أشد ضراوة على الدين والنفس وإن عرضت بقالب إعلامي إبداعي.

ب- معالجة معطيات الواقع ومشكلاته وفق ثوابت الشرع:

إن واقعية الشريعة من أبرز خصائصها التي تميزت بها، وهي تحقق في الوقت ذاته مفهوم الوسطية في كون الأحكام والتشريعات وسط بين قدرات الإنسان وواقعه ومتطلبات عبوديته لله جل شأنه، فالمنهج الشرعي للإعلام ينبغي أن يراعي واقعية الفرد وواقعية الدين، ويعالج مشكلات الواقع بما كفله الشرع من أحكام دون تغيير أو تحريف، وهذا سبيل تعزيز الوسطية.

كما ينبغي للإعلامي أن يكون ملما بالواقع، ومشكلاته، فقيها بواقع الجمهور وآمالهم وآلامهم، فينتقي الرسالة الإعلامية المناسبة لكل مجتمع وفق معطيات واقعه، في حين أن تجاهل الواقع يورث الجمود والانغلاق، ويجعل الخطاب الدعوي بعيدا عن حاجات الناس وتطلعاتهم.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله (ت١٤٢٠هـ): "... كثيرا من العلماء قد نصوا على أنه ينبغي على من يتولون توجيه الأمة ووضع الأجوبة لحل مشاكلهم: أن يكونوا عالمين وعارفين بواقعهم لذلك كان من مشهور كلماتهم: (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة (الواقع) المحيط بالمسألة المراد بحثها وهذا من قواعد الفتيا بخاصة وأصول العلم بعامة"(١).

ولذلك فإن العناصر الأساسية لهذا المنهج تشمل الآتي:

- الارتباط الوثيق بين فقه الواقع وفقه الشرع والموائمة بينهما؛ مما يورث منهجا

---

(١) سؤال وجواب حول فقه الواقع، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ص٢٩.

وسطيا معتدلا مؤثرا، ولايمكن فهم الواقع بشكل سليم دون فقه ثوابت الدين التي تحفظ الشريعة من التحريف والتشويه؛ كما أن من الخطأ القول بالتجديد مسايرة للواقع - ويقصد به تغيير الدين- فإن من الخطأ كذلك الأخذ بالتشديد عند قراءة الأحداث وتحليلها وإنزال الأحكام عليها.

- تعزيز الوسطية من خلال علاج كثير من المشكلات في واقعنا المعاصر، وعندما يكون الإعلام الدعوي بصيرا بهذا الجانب فإنه يسهم في بناء المنهج الشرعي اللازم لمواجهة دعاة الغلو والتطرف، كما أنه يقدم أنموذجا للتصور الإسلامي للكون والحياة، فتجاهل الإعلام الدعوي للمشكلات الحديثة وخاصة مايتعلق بالفكر والعقيدة يفاقم ضررها ويحول دون علاجها، وبسبب الغياب عن الواقع ربما تجرأ غير المختص لتقديم حلول بعيدة عن مقاصد الشريعة فتزداد المشكلة عمقا وضررا.

ج- مراعاة أخلاقيات المهنة الإعلامية:

يتميز الإعلام الدعوي بالالتزام بالأخلاق العالية انطلاقا من الثوابت الشرعية التي يقوم عليها؛ فالصدق والأمانة والتثبت والبحث عن المصلحة وسمو الهدف أسس منهجية وأخلاقية لامحيد عنها؛ والإعلام الفاضل يأخذ من المهنة أسمى مافيها من مبادئ وقيم من أجل رسالة إعلامية مؤثرة، في حين أنه يرفض كل مايخالف الشريعة من مساوئ الإعلام كالبحث عن الشهرة أو المكاسب المالية دون مراعاة لقاعدة المصالح والمفاسد مثلا، ويمكن إجمال أبرز هذه الأخلاقيات فيما يلي:

- الالتزام بالدقة والتثبت شرعيا وإعلاميا؛ فالإعلام سلاح ذو حدين ويمكن للرسالة الإعلامية المبنية على الشائعات والأكاذيب أن تؤثر سلبا على المجتمع بالفرقة والتنازع وإثارة الفتن؛ كما يمكن أن تؤثر في تغيير توجهات الناس وأراؤهم حول قضية معينة؛ والمسلم مأمور بالتثبت والتأني في شأنه كله ويتأكد ذلك عندما يكون الخطاب موجها لجماهير الناس لعظم حجم التأثير وخطره في استقرار المجتمعات وبناؤها.

إن المنهج الشرعي للإعلام الدعوي يقوم على ثوابت شرعية دقيقة مستمدة من الكتاب والسنة وتبعا لذلك ينبغي أن تكون وسيلة تبليغها قائمة على البيان والتثبت؛ فلا ترويج للشائعات ولابث للأحاديث المكذوبة أو الضعيفة ولا اعتماد على مصادر إعلامية مشبوهة، وضابط ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾(١).

إن الإفراط في نقل أخبار الواقع السيئ للمسلمين مثلا وتضخيم أثرها والمبالغة في وصف مشكلاتهم دون تقديم حلول لها قد يسهم في بناء نظرة تشاؤمية مفعمة باليأس مما قد يورث ردة فعل عنيفة أو مفرطة في الغلو، في حين أن تجاهل ذلك تفريط مذموم، فالمسلم مأمور بالوقوف على حاجات إخوانه والشعور بآلامهم والسعي في تفريج كرباهم، لذا فالمنهج الوسط هنا يجب أن يكون قائما على الدقة في تحديد الرسالة الإعلامية التي يرجى نفعها بدون إفراط أو تفريط.

- ضمان الحرية الإعلامية وفق ثوابت الشرع، فالإعلام الحديث بشكل عام يقوم على حرية لامحدودة في التعبير عن الرأي قد تعتدي أحيانا على خصوصيات الناس أو حقوقهم أو تسيئ لمجتمعاهم أو تضر بأمنهم؛ وذلك لقيامه على النظرة المادية القاصرة على هذه الحياة الدنيا بمتطلباها وغاياها، في حين أن الإسلام كفل الحرية للإنسان وفق مافطره الله عليه من عبودية خالصة له سبحانه دون تجاوز لما شرعه الله، إذ بذلك تستقيم الحياة وتستقر المجتمعات وتحفظ كرامة البشر، فقد حرر الإسلام الإنسان من عبودية الإنسان، وأعطاه حقه في التفكير للوصول للحقيقة، وكفل له حرية إبداء الرأي والتعبير عنه بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، وبين له طريق الحق فيما شرعه الله من أحكام، وتبعا لهذا فإن الحرية الإعلامية ينبغي أن تلتزم بحدود

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

الشريعة عند توجيه الناس؛ فهي وسط في تحقيق مستوى عال من الحرية عند بث الرسالة الدعوية للجماهير دون تجاوز مراد الله ورسوله ﷺ.

- البحث عن الحق لا الشهرة، وهو هدف الإعلام الدعوي الذي ينبثق من إخلاص العمل لله جل شأنه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾(١).

إذ أن مختلف الغايات الدنيوية للإعلام لاتعدو في الغالب أن تكون بحثا عن مكسب مالي، أو تحقيقا لتوجهات فكرية أو سلوكية يتم تحديدها سلفا، أوسعيا وراء شهرة يرجى من ورائها نفع مادي أو معنوي.

في حين أن الميزان العدل أن يكون العمل لله وحده قائما على الحق وإن قل ناصروه أو مؤيدوه تحقيقا لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: ((من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس))(٢).

إن السعي وراء الشهرة الشخصية للفرد خلل عقدي يخالف ما يقوم عليه الدين من الحث على خفاء العمل ونبذ الرياء، وفي الإعلام يشتد ضرره عندما يسيس ليرضي أهواء الناس بحثا عن مزيد من المتابعين، وفي سبيل تحقيق الوسطية وتعزيزها فإن المنهج الشرعي للإعلام الدعوي يقوم على إشهار الحق والدعاية له دون البحث عن حظوظ النفس التي قد تميل بالمرء عن جادة الطريق، وهذا المنهج كفيل بنيل ثقة الجماهير بالمحتوى الإعلامي للقناة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٤١٤)، في كتاب: الزهد، باب: منه، ٦٠٩/٤، وهو حديث صحيح.

- الموضوعية وعدم التحيز؛ ويقصد بالموضوعية بشكل عـام تجـرد الأفكـار والأحكام من الترعات الشخصية، وعدم التحيز مسبقا لأفكار، أو أشخاص معينين، فالهدف الأول والأخير هو التوصل إلى الحقيقة كما هي، مؤيدة بالأدلة والشـواهد، بعيدة عن المؤثرات الشخصية والخارجية، التي من شأنها أن تغير الموازين(١).

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾(٢).

والموضوعية الإعلامية لاتخرج عن هذا في عرض الحقائق كما هي دون اختـزال لبعضها دون بعض من أجل توجه شخصي معين؛ وإنما اتجه البعض للغلو بمثل هـذه الاقصائية لبعض النصوص الشرعية التي تأمر بالوسطية في المنهج والفكر.

---

(١) انظر: كتابة البحث العلمي، صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ص٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

المبحث الثاني

أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية

إن أساليب ووسائل الإعلام الدعوي يجمعها نظام واحد يعتمد على ماقامت عليه الشريعة الإسلامية في منهجها لبناء الوسطية وتعزيزها في الفكر والسلوك الإنساني، وهي تشمل أبرز الأساليب والوسائل المؤثرة وأكثرها قربا من المدعوين.

وينبغي للإعلام الدعوي أن يراعي في أساليبه ووسائله أن تكون منضبطة بضوابط الشرع، ومتجددة وفق معطيات الواقع، وملائمة لأصناف المدعوين كما سيأتي بيانه.

المطلب الأول: أساليب الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية:

تتعدد الأساليب وتختلف استخداماتها باختلاف المدعوين إلا أنها في غالبها تأتي ضمن أبرز الأساليب الدعوية التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾(١).

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت٧٥١هـ): "جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمتسجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن"(٢).

وسأذكر فيما يلي بعض تطبيقات ومحاور هذه الأساليب في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام الدعوي:

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ١/١٥٣.

أ- استخدام أسلوب الحكمة في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام الدعوي:

- يقوم أسلوب الحكمة على مبدأ الإقناع بالحجة والدليل، وهو مقتضى التربية القرآنية القائمة على إعمال العقل بالتدبر والتأمل، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾(١).

فمن الحكمة أن يقترن الخطاب الإعلامي بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة وفق دلالة ثابتة ومباشرة على مايطرح من قضايا تبين مجالات وسطية الإسلام عقيدة وشريعة، كما أن توظيف الحجة العقلية التي لاتعارض النص من الحكمة في تعزيز مفهوم الوسطية في أذهان الناس ووجداهم.

- من الحكمة مراعاة الدقة عند اختيار الدعاة المختصين في الخطاب الدعوي الوسطي؛ وهم السائرون على منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، وينبغي تأهيلهم إعلاميا قبل ظهورهم للجماهير، وتزويدهم بما يحتاجونه في سبيل تعزيز الوسطية من العلم بأركان الدعوة وتطبيقاها في الإعلام الحديث.

- من الحكمة مراعاة أصناف المدعوين؛ فتعزيز وبناء المنهج الوسطي عند الأطفال يختلف عن الخطاب الموجه للشباب أو لكبار السن أو للنساء أو للعلماء والدعاة أو المربين أو غيرهم، فينبغي مخاطبة كل صنف بما يناسبه ويلامس اهتماماته واحتياجاته بما يبين وسطية هذا الدين.

- إن معرفة معوقات الإعلام الدعوي وإدراك سبل التغلب عليها، وخاصة فيما يتعلق ببناء منهج الوسطية في المجتمعات المسلمة من الحكمة التي ينبغي تعلمها والتدرب عليها؛ فإن من الحكمة ما يمكن إدراكه بالتعلم، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه كان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

عن الشر مخافة أن يدركني".

- لايمكن حصر الميادين الإعلامية التي يمكن تعزيز منهج الوسطية من خلالها؛ لذا فإن من الحكمة معرفة أعظمها أثرا، وأكثرها جمهورا، بهدف توظيفها في الدعوة إلى الله، فإن التخصص وتوحيد الجهود في ميدان واحد يثمر عملا دعويا متقنا، وخاصة إذا كان تحت مظلة العمل المؤسسي، في حين أن التشتت قد يؤدي بالدعوة إلى التعثر وربما التوقف ولو بعد حين.

- إن فقه الواقع وحسن توظيف معطياته ومعالجة مشكلاته فيما يتعلق بالوسطية من الأهمية بمكان، وهو رأس الحكمة الإعلامية بالوقوف على ماتشتد إليه الحاجة وترك ماسواه من المسائل التي لاتفيد المسلمين.

- إن من الحكمة إنشاء وسيلة إعلامية متخصصة في تعزيز المنهج الوسطي، أو دعم الوسائل الموجودة ماديا ومعنويا.

ب- استخدام أسلوب الموعظة الحسنة في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام الدعوي:

- يعتمد أسلوب الموعظة الحسنة على كتاب الله جل شأنه؛ فهو المصدر الأول؛ كونه أنزل موعظة للناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾(١)، فمن القرآن الكريم يستمد الإعلام الدعوي موضوعات الموعظة وأحكامها وأساليبها، خاصة فيما يتعلق بتعزيز منهج الوسطية.

- تقوم الموعظة الحسنة على الترغيب والترهيب والموازنة بينهما؛ فهي وسط في ترغيب المرء بالثواب فلايقنط، وترهيبه بالعقاب فلايغتر، كما جاء السياق القرآني في

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾(١) والإعلام الدعوي مأمور بأن يلتزم هذا المنهج عند استخدامه أسلوب الموعظة الحسنة، فلا إفراط ولاتفريط، فالخطاب الدعوي وسط بين التخفيف والتشديد وفق مايقتضيه المقام.

- من مهام الإعلام الدعوي أن يقدم للناس دعاة وعاظا على علم وبينة، فلاتصح رواية الأحاديث المكذوبة، أو لي أعناق النصوص بهدف قوة التأثير، وهذا منهج السلف الصالح رحمهم الله فيمن يتصدر لتوجيه الناس، قال ابن الجوزي رحمه الله (ت٧٥١هـ): "كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء"(٢).

- يراعي الإعلام الدعوي إلتزام السنة في تحري الوقت المناسب للوعظ والمباعدة بين أوقاته؛ وهو منهج الوسطية في التخفف من الوعظ خشية الإملال، وفيه مراعاة ما قد يعتري النفس البشرية من الفتور، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: ((يتخوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا))(٣). قال ابن بطال رحمه الله: "وفى حديث عبد الله: ما كان عليه الصحابة من الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والمحافظة على استعمال سننه على حسب معاينتهم لها منه، وتجنب مخالفته لعلمهم بما فى موافقته من عظيم الأجر، وما فى مخالفته من شديد الوعيد والزجر"(٤).

- تظهر الوسطية في لغة الخطاب الإعلامي الدعوي بين التقعر والتشدق بالألفاظ

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٣٧-٤١.

(٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص١١١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ح(٦٨).

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١/١٥٤.

وبين إستخدام الألفاظ العامية، فالأصل أن يكون الخطاب بليغا دون تكلف، وهو الأجدر بإيقاع التأثير المقصود من الموعظة، وقد قسم الجاحظ رحمه الله ٢٥٥ه مراتب اللفظ من حيث الفصاحة إلى ثلاث مراتب: الغريب الوحشي، والفصيح، والسوقي المبتذل. وخيرها اللفظ الفصيح الذي يقع وسطا بين الغريب الوحشي والسوقي المبتذل.

ج- استخدام أسلوب الجدال بالتي هي أحسن في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام الدعوي:

- للإعلام الدعوي اتباع أسلوب المجادلة عند الحاجة إليها بشرط أن تكون بالحسنى؛ قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿.. وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: "من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"(١).

- يكثر في وسائل الإعلام الحديثة الجدل المذموم؛ والذي يكون إما بغير علم أو نصرة للباطل أو اتباعا لهوى أو إشغالا لدعاة أهل السنة والجماعة عن عملهم الدعوي؛ لذا تشتد الحاجة للحوار أو المجادلة بالحسنى في الإعلام الدعوي؛ ترسيخا لمفهوم الحوار المعتدل الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية.

- يحتاج دعاة الغلو والتطرف في الغالب لأسلوب الحوار والمجادلة بالحسنى لتفنيد ما ابتلوا به من شبه فاسدة ولكشفها أمام الناس، والإعلام الدعوي جدير بحمل هذه المسئولية العظيمة، وخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي والتي تتيح قنوات مفتوحة لمثل ذلك.

- إن مفهوم الوسطية لايعني التخاذل أمام مغريات وهجمات الشرق والغرب من

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦١٣/٤.

الأمم الكافرة بدعوى الحوار والتقارب الديني؛ فالوسطية الحقة والتي استحقت بها هذه الأمة خيريتها ومكانتها بين الأمم إنما جاءت من التوسط بين نقيضين من التساهل والتشديد، والمنهج المعتدل ماجاء عن الله جل شأنه ومابينته السنة النبوية بلا إفراط أو تفريط، وهذا أساس ومنطلق الحوار الإعلامي مع المخالف، وبه يتحقق المقصود من الدعوة إلى الله.

– تقوم المجادلة والمناظرة على الحجج والبراهين، ويسعى كل طرف إلى إثبات وجهة نظره بالحجة القاطعة، لذا فيجب أن يراعي الإعلام الدعوي شروط وآداب المجادلة والمناظرة؛ ومن ذلك: أن لايقوم بها إلا المتمكن في معرفة منهج الوسطية ومايضادها من دعاوى الغلو والتطرف، فإن ضعف العلم بالحجة يضر بالدعوة ويظهر المخالف قوي الحجة مما قد يوقع الناس في الالتباس بين الحق والباطل.

– يقوم الإعلام الدعوي على تجاهل القضايا غير الهامة أو التي لافائدة منها أو التي لايدركها جماهير الناس مما لاتبلغها أفهامهم، فلا يبرزها بالحوار أو الجدال، وفي المقابل يحرص على التوقف حال ظهور توجه المخالف نحو اللدد في الخصومة، وفي هذا حفظ للوقت والجهد، قال الأوزاعي رحمه الله (ت١٨٢هـ): "إذا أراد الله عز وجل بقوم شرا فتح عليهم الجدال، ومنعهم العمل"(١).

– يقوم الإعلام الدعوي على تنظيم سلسلة من البرامج الإعلامية التي تتبنى ثقافة الحوار في موضوع الوسطية في كافة وسائل التواصل الحديثة؛ مع مراعاة خصوصية كل وسيلة ومايناسبها من الحوار أو المناظرة أو الجدال بالتي هي أحسن.

هذه أبرز التطبيقات والمحاور التي ينبغي مراعاتها في أساليب تعزيز منهج الوسطية، والتي يمكن أن تشمل ماتفرع عنها من أساليب تناسب مجال الإعلام الدعوي.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، ١/٢٠٢.

المطلب الثاني: وسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية:

إن نشأة الإعلام الدعوي بدأ قديما في عهد النبي ﷺ، وقد استخدم عليه الصلاة والسلام كافة الوسائل المتاحة آنذاك لتبليغ الدعوة لكافة الناس، ومع تقدم الزمن وتطور التقنية ظهرت بعض الوسائل الحديثة جنبا إلى جنب مع الوسائل القديمة التي لازالت مؤثرة ومتجددة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أ- الخطبة:

من أوائل الوسائل الدعوية وأبرزها تأتي الخطب بأنواعها ومناسباتها قديما وحديثا؛ وأهمها خطبة الجمعة؛ كونها تتكرر أسبوعيا ويلزم الناس باستماعها وعدم التشاغل عنها ولو بمس الحصا، ولأنها تخاطب أعدادا كبرى من المدعوين فإن التعزيز الإعلامي للوسطية من خلالها من الأهمية بمكان، كما يمكن طرح جوانب عديدة للموضوع على مراحل متفاوتة مع الحرص على اغتنام الفرص بمعالجة مايستجد من أحداث، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت٧٥١هـ) عن هدي النبي ﷺ في الخطبة: "وكان مدار خطبه على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام، وذكر الجنة والنار والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه... وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم"(١).

ويأتي التعزيز للوسطية من خلال الخطبة متمثلا في اختيار الموضوعات الدالة عليها وحسن عرضها والحكمة في مراعاة أحوال المدعوين وتفاوتهم، كما أن تمثل الخطيب الوسطية في عقيدته وفكره هو خير داعية لهذا المنهج القويم، بل حتى الموازنة بين التطويل والتقصير والتلميح والتصريح وما إلى ذلك إنما هو من التوسط الذي أمر به المسلم، ومن هنا جاء منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام في الموازنة بين البشارة

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/١٨١.

والنذارة؛ قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾(١)، والموازنة بين المصالح والمفاسد؛ لأن الخطيب بحاجة إلى ذلك حتى يوازن بين مصلحة كلامه وما قد يترتب عليه، يقول العز بن عبد السلام رحمه الله (ت٦٦٠هـ): "معظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها"(٢).

لذا فإن العناية بالخطبة والإلمام بأدابها وشروطها يترك الأثر العميق على الأمة الإسلامية في معالجة قضاياها، ولهذا جعلها الله عبادة يؤديها المسلمون في بعض شعائرهم كالحج والعيدين والجمعة.

ب- الشعر:

لقد كان ولازال الشعر منظومة أدبية إعلامية مؤثرة؛ بدءا من المطولات والمعلقات وانتهاء بشعر الرجز السهل الحفظ والذي اشتهرت به المنظومات الشرعية، وفي وقتنا الحاضر يمكن للشعر أن يعزز مفهوم الوسطية بأبيات يسهل نشرها وتداولها بين الناس، فالأدب الإسلامي بغاياته السامية وقيمة العالية يسهم في بناء المجتمعات وتعزيز القيم وتصحيح المفاهيم وتفنيد الأفكار المنحرفة، لذا فهو وسيلة دعوية ينصرف حكمها إلى الضرورة أحيانا عند الحاجة للذب عن الإسلام وشعائره.

ج- الندوات والمؤتمرات:

تتميز الندوات والمؤتمرات بالمحتوى العلمي لها وبنوعية جمهورها المثقف، لذا فإن دورها الإعلامي يرتكز على ضوابط وأسس علمية ومنهجية تراعي خصوصيتها.

ويمكن للندوة والمؤتمر أن يعززا الوسطية وفق إطارهما المشترك في حدود الطرح

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، ص٨، وللاستزادة انظر: موضوعات خطبة الجمعة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٨٣.

والنقاش العلمي، فالندوة من خلال استضافة المختصين في موضوع الوسطية وأثارها من العلماء والدعاة وذوي الإختصاص الاجتماعي والنفسي والسياسي لمناقشة موضوع خطر الغلو والتطرف مثلا، وهذا مما يمكن بثه للجماهير خاصة عند معالجة الأحداث الطارئة والتي تستلزم كشف شبهاتها وبيان التصور الصحيح حيالها.

أما المؤتمر فهو وسيلة إعلامية يمكن للجامعات العلمية ومن في حكمها تفعيلها باستقطاب العلماء والأكاديمين للمشاركة بأبحاثهم وفق أحد موضوعات الوسطية، مما يسهم في الحراك العلمي المؤصل والمبني على ضوابط علمية دقيقة، وفي هذا إثراء لايخفى للمكتبة الإسلامية.

د- تأليف الكتب:

إن الواجب الدعوي للعلماء والدعاة يوجب تأصيل المنهج الوسطي من خلال تأليف الكتب العلمية في هذا الموضوع، وينبغي لعلماء الأمة ودعاتها أن ينبري منهم من يتصدى لهذا الباب بمؤلفات علمية أصيلة على منهج أهل السنة والجماعة، تستجلي بها الشبهات ويستبان بها الحق، وتكون مرجعا لكل من عصفت به الأهواء أن يتأمل أدلتها الشرعية وحججها العلمية فلا ينظر إلى غيرها.

وكتابة المصنفات والكتب العلمية وسيلة دعوية اتخذها علماء الأمة من سلفها الصالح، وهي في الوقت ذاته وسيلة إعلامية تناقلتها البلدان والأمصار بالحفظ والتدارس، وجدير بهذه الوسيلة أن تزداد العناية بها في الوقت الحاضر، فهي الطرح العلمي الأصيل الذي يجابه مايثار في وسائل التواصل الحديثة من زوبعات فكرية هشة لن تصمد طويلا أمامها.

ولأن موضوع الوسطية يهم عامة الناس، وغالب من اتسم بالغلو ممن تقل بضاعته بالعلم الشرعي فإن التأليف في هذا الجانب ينبغي أن يراعي أمورا مهمة، ذكر أبرزها السيوطي رحمه الله (٩١١ هـ) فقال: "وينبغي أن يتحرى في تصنيفه العبارات

الواضحة والموجزة، والاصطلاحات المستعملة، ولا يبالغ في الإيجاز بحيث يفضي إلى الاستغلاق، ولا في الإيضاح بحيث ينتهي إلى الركاكة، وليكن اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر"(١).

هـ- القنوات الفضائية:

لقد حققت البرامج الدعوية في القنوات الفضائية نجاحا ملموسا في استقطاب جماهيرها من المشاهدين؛ وهي وسيلة دعوية جديرة بالرعاية والاهتمام؛ لما للقنوات الفضائية من انتشار واسع، فلايخلو بيت من بعضها، ولأجل تنوعها واختلاف توجهاتها فإن الحاجة تزداد لبث برامج دعوية تعنى بالوسطية من خلالها، خاصة فيما يتعلق بكشف الشبهات المتعلقة بهذا الموضوع.

و- الشبكة العنكبوتية:

إن الإعلام الحديث المتمثل بالثورة التقنية والمعلوماتية المتبادلة من خلال الشبكة العالمية يمثل وسيلة دعوية واسعة الانتشار والتأثير تبعا للميدان الذي تنطلق منه، ويمكن القول أن هذه الوسيلة الحديثة حققت سبقا إعلاميا كبيرا بمميزاتها القائمة على السرعة وسهولة الاستخدام وسعة الانتشار، وتتيح هذه الشبكة التواصل مع الناس بمختلف توجهاتهم، وخاصة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تضم أصنافا شتى من المدعوين ممن يتفاوتون في سعة الفهم والإطلاع؛ لذا فإن تعزيز الوسطية يأتي بكل وسيلة تتيحها الشبكة العالمية من صوتيات ومرئيات وصور واتصالات مجانية وبث حي، كما يمكن معالجة الإنحرافات الفكرية من غلو وتطرف من خلال الحوار العلمي مع أصحابها في فضاء الانترنت.

إن عالمية الشبكة ساعدت على ظهور نمط جديد من الأفكار المشوهة التي تستند

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، ٢/٦٠١.

على فتاوى فردية من أشخاص مجهولين مما ساعد في ظهور مايسمى بالتحريض الإلكتروني القائم على الغلو، والذي يجب أن يقابله جهد حثيث لتفنيده وكشف مساوئه أمام الناس، فالتغرير بالجهلة لا يمكنه الصمود أمام الحجج القاطعة، ودعاوى الفكر المتطرف التي تبث أفكارها السلبية في المنتديات والغرف الصوتية لشباب الأمة يجب أن يكشف زيفها و تبين آثارها على الفرد والمجتمع.

الخاتمة

الحمدلله حمد الشاكرين، في كل وقت وحين، حمدا يليق بعظمته وجلاله سبحانه، وأشكره جل شأنه على مامن به علي من تيسير هذا البحث حتى تم بناءه، والذي أرجو أن أكون قد وفقت في تجلية بعض جوانبه، ثم أنه يحسن في ختام هذا البحث أن أبين بعض ماخرجت به من نتائج، وهي كما يلي:

- الدعوة والإعلام مرتبطان ببعضهما لاينفكان بأي حال من الأحوال لارتباطهما بعالمية الرسالة ووجوب نشرها وتبليغها.

- الوسطية تكفل للمجتمعات المسلمة أفرادا معتدلين بسمات تقوم على الثبات على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتسعى في عمارة الأرض وبنائها وتحول دون إفسادها؛ مما يحقق الأمن المجتمعي الذي كفلته الشريعة الإسلامية لأبنائها.

- الإعلام الدعوي في سعيه لتعزيز منهج الوسطية يخاطب الإنسان المسلم وغير المسلم، لذا فإن الكتاب والسنة هما أعظم مصدرين شاملين لما يحتاجه هذا الإنسان على اختلاف معتقداته وتوجهاته الفكرية.

- إن التوجهات الفكرية الموغلة في التطرف إفراطا وتفريطا لاتتهاوى إلا بالحجة الصادعة.

- هدف الإعلام الدعوي شرعي بالمقام الأول، ورغم أهمية الجانب الفني للإعلام إلا أنه لا يقارن بأهمية قيامه على محتوى علمي دقيق؛ وذلك لكونه مبلغا عن الله، ولاشك أن التكامل بين الجانبين هو مايثمر إعلاما متميزا ومؤثرا.

- إن معرفة معوقات الإعلام الدعوي وإدراك سبل التغلب عليها، وخاصة فيما يتعلق ببناء منهج الوسطية في المجتمعات المسلمة من الحكمة التي ينبغي تعلمها والتدرب عليها.

- تعزيز الوسطية يأتي بكل وسيلة تتيحها الشبكة العالمية من صوتيات ومرئيات

وصور واتصالات مجانية وبث حي، وهي ميدان واسع التأثير تتعدد فيه الأساليب الدعوية المؤثرة.

أما توصيات البحث فكما يلي:

- تكثيف الدراسات الإعلامية التي تعنى بمعالجة ظواهر الغلو والتطرف، وتعزيزها بدراسات ميدانية لأجل الوقوف على الواقع الدعوي الإعلامي وتحديد المشكلات والسعي لحلها، ثم تزويد المؤسسات المعنية بنتائج الدراسة للإفادة منها.
- أوصي أهل العلم والدعوة بالقرب من واقع الشباب ومحاورتهم فكريا فيما يطرح في شبكات التواصل الاجتماعي من شبهات يجب كشفها قبل انتشارها.

هذا وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، تقديم: أ. د. إحسان عباس، ط/ دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفرج، محمد بن مفلح بن محمد ، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي، ط/ عالم الكتب، بيروت.

٣. الإعلام الإسلامي "دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص"، محمد موسى البر، "بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية"، العدد العاشر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤. الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، عبدالله قاسم الوشلي، ط/٢، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا: ١٤١٤هـ.

٥. الإعلام في صدر الإسلام، د. عبداللطيف حمزة، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.

٦. البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، ط/ دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣هـ.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن مرتضى، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية.

٨. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط/ دار طيبة.

٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، ط/١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.
١٣. الجامع الصحيح، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.
١٥. الدعوة إلى الله "خصائصها، ومقوماتها، ومناهجها"، د. أبو المجد السيد نوفل، ط/١، مكتبة الحضارة العربية، الفجالة: ١٣٩٧هـ.
١٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ط/٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥ه /١٩٩٤م.
١٧. سنن ابن ماجة، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء الكتب العربية.
١٨. سؤال وجواب حول فقه الواقع، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/٢، المكتبة الإسلامية، عمان: ١٤٢٢هـ.

١٩. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٠. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم "دراسة في التفسير الموضوعي"، المتولي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، (رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية)، ماليزيا: ١٤٣٢هـ/٢٠١١ م.

٢١. فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، ط/١، دار ابن كثير، دمشق: ١٤١٤ هـ.

٢٢. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط/٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٦هـ.

٢٣. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبدالسلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩١ م.

٢٤. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ. د. محمد مصطفى الزحيلي، ط/١، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م.

٢٥. القواعد، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. كتابة البحث العلمي "صياغة جديدة"، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ط/٦، دار الشروق للنشر والتوزيع: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٧. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤ هـ.
٢٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنور: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٩. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط/ دار الوطن، الرياض: ١٤١٣هـ.
٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد المقري، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.
٣١. معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.
٣٢. المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم ، وآخرون، ط/ دار الدعوة.
٣٣. معجم مقاييس اللغة، ابن زكريا، أبو حسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٣٤. مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.
٣٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٦. مناهج البحث العلمي، بدوي، عبد الرحمن، ط/٣، وكالة المطبوعات، الكويت: ١٩٧٧م.

٣٧. مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، د. فرج الله عبد الباري، ط/١، دار الأفاق العربية، القاهرة: ٢٠٠٤م.

٣٨. مناهج البحث، غازي بن حسين عناية، ط/ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

٣٩. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، دار ابن عفان، الرياض: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٠. موضوعات خطبة الجمعة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤١٩هـ.

٤١. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، ط/٣، دار الحديث، القاهرة: ١٩٩٩م.

٤٢. الوسطية: مفهوما ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة.

http: //www. alukah. net/culture/٠/٤٣٤١/#ixzz٤TAvg٦VQu.

البحث رقم (٣)

التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج"

إعداد

د. طالب بن أحمد الهمامي

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب بشرورة، جامعة نجران

د. عبد الحافظ أحمد طه

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب بشرورة، جامعة نجران

المقدمة

الحمد لله، فالق الحب والنوى، هدي الناس النجدين، ففريقا هدي، وفريقا غوي، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيدنا محمد، الذي ما ترك شيئا يقربنا إلى الله إلا وأرشدنا إليه، ولا شيئا يبعدنا عن مرضاة الله إلا وحذرنا منه، فصلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه الأخيار البررة، ومن تبع نهجهم وسار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد، ،

فإن البحثَ قائم على دراسةِ الأفكار وانحرافِها عن المنهج السوي الرباني، أو دنوها منه، والسبب: لأن الأفكار يتولّد منها السلوك والقيم والأخلاق والأعمال، فما يُترجم إلى واقع عملي من الأفراد أو المجتمعات إنما هو في الأصل نتاجُ أفكارهم، وحصيلة نظرهم، وخلاصة آرائهم، التي قد تكون حقا أو باطلا، قريبةً من المنهج الرباني أو منحرفةً عنه.

ولهذا فالدراسات التي تُعني بالأفكار هي الأوْلي أن تُتجه إليها الأنظار، وتُقضي فيها الأوقات والأنفاس.

ووقع الاختيار على تأثير التحولات الفكرية في الدعوة، لأن الدعوة الإسلامية- بلا شك- تتأثر بتلك التحولات، سلبا أو إيجابا، فمن يتحول بفكره إلى سبيل الرشاد يضئ في سماء الإسلام المتوهجة بالنجوم والكواكب، ويكون للدعاة في الإشادة به عونا، لاسيما إن كان من أعلام الضلالة من قبل، ليغيظوا به الباطل وأهله، بل هو نفسه يتجه إلى محاربة الفكر الآثم الذي خرج منه، محاربة الواثق الذي يمتطي ذات الأسلحة ونفس الأدوات، وكما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(١).

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤.

أما من ينحرف بفكره إلى طريق الغي والضلالة فإنه يكون لشياطين الإنس ومنافقي الأمة هاديا وإماما، ومتنفسا ذا رائحة كريهة، يعطيهم مساحة للتقول على الإسلام بما هو منه برئ، لكنها النفوس المريضة، والقلوب التي ران عليها إثم المعصية، وبغي القول، ورجس الشيطان.

ومن ثم كانت الدراسة بعنوان (التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي).

الدراسات السابقة:

لم يتطرق أحد من الباحثين- بعد البحث والتدقيق- إلى الكتابة في موضوع التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي.

هذا مع العثور على دراستين سابقتين هامتين في مجال التحول الفكري بوجه عام.

الأولي بعنوان (التحولات الفكرية للدكتور حسن بن محمد الأسمري)(١)، وتكونت دراسته من تمهيد وقسمين.

ففي التمهيد تحدث عن التأصيل النظري للمصطلح، وفي القسم الأول كان حديثه عن أسباب الظاهرة، وذكر منها:

أولا: ثنائية الجهل والعلم.

ثانيا: المشروعات الفكرية.

ثالثا: الإعلام.

رابعا: عولمة التقلب.

خامسا: الأحداث الكبرى التي هزت العالم.

وفي القسم الثاني كان حديثه عن التقلبات- غير الحسنة- التي برزت في هذه المرحلة وهي خمس بنظره.

١- من إسلامي إلى إنساني.

---

(١) طبعها مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط/١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢- من التعبد إلى التخلق.

٣- من السنة إلى البدعة.

٤- من النشاط إلى الفتور.

٥- من المروءة إلى الإمعية.

أما عن علاج الظاهرة فإنه لم يفرد له قسما مستقلا خاصا به، وإنما جعل الحلول ضمن العرض، مشتبكة بالأسباب والظواهر.

وهذه الدراسة في مجملها تركز على التغيرات السلبية فقط، كما أشار إلى ذلك كاتبها(١)، وكما هو واضح من حديثه في القسم الثاني عن التقلبات الخمسة.

والثانية بعنوان (تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات) للأستاذ وليد بن عبد الله الهويريني(٢).

وتتكون الدراسة من مدخل وخمسة فصول.

وفي المدخل كان الحديث عن تحولات الإسلاميين من خلال مفهومها وأنواعها.

وفي الفصل الأول تتحدث الدراسة عن الأحداث والأسباب التي مهدت لظاهرة تحولات الإسلاميين.

وفي الفصل الثاني: كان الحديث عن التحولات السلبية.

الفصل الثالث: التحولات الملتبسة.

الفصل الرابع: التحولات الإيجابية.

الفصل الخامس: أبعاد تحولات الإسلاميين واستشراف آثارها.

ثم تتحدث الدراسة أخيرا عن أن رياح التغيير تأبي قولبة الإصلاح.

---

(١) التحولات الفكرية ص ٢١.

(٢) طبعته مكتبة مجلة البيان، الرياض ط/١: ١٤٣٣هـ.

وهذه الدراسة هي عبارة عن تقديم رؤية تحليلية للتحولات الفكرية التي عاشها الإسلاميون في السعودية الذين ينتسبون في منهجهم الشرعي ومنطلقاتهم الفكرية إلى المنهج السلفي، خلال الفترة الزمنية التي أعقبت ضربات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة وحتى ١٧ ديسمبر ٢٠١١م، وهو تاريخ اندلاع الثورة التونسية(١).

أسئلة البحث:

يتجاذب البحث أسئلة متنوعة منها:

١- ما تعريف التحولات الفكرية؟

٢- هل توجد أسباب معينة للتحول الفكري؟

٣- من هم أهم العلماء(٢) الذين تحولوا فكريا من دائرة الضلالة إلى الهدي؟

٤- ما آثار التحول الفكري على الدعوة الإسلامية؟

٥- كيف تتم معالجة التحولات الفكرية السلبية في ضوء القرآن والسنة؟

منهج البحث:

لقد تم استعمال المنهج الاستقرائي والتحليلي لمناسبته لأمثال هذه الدراسات التي تهتم بالجانب النظري، وذلك حيث قام الباحثان بتجميع ما يدور حوله البحث من

---

(١) تحولات الإسلاميين من لهيب سبتمبر إلي ربيع الثورات، ص ١٥.

(٢) قال ابن منظور: (والعلم نقيض الجهل، علم علما وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا. قال سيبويه يقول علماء من لا يقول إلا عالما، قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة و لم يكن على أول دخوله فيه ولو كان كذلك لكان متعلما لا عالما فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار عالم في المعنى كعليم فكسر تكسيره ثم حملوا عليه ضده فقالوا جهلاء كعلماء). انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة علم ٤١٦/١٢، دار صادر بيروت، ط/١.

أسباب وآثار وسبل علاج ومقاومة هذه الظاهرة وتحليل الأدلة والشواهد واستنطاقها وذلك بهدف التوصل إلى السبل الحقيقية لرصد ظاهرة التحولات الفكرية في الشخصية الإنسانية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وتشمل الدراسات السابقة للبحث، وأسئلة البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث وتقسيمه.

التمهيد وفيه تحرير مفهوم مصطلحات عنوان البحث.

أولا: معنى التحول.

ثانيا: معنى الفكر.

ثالثا: معنى الأثر.

المبحث الأول: أسباب التحولات الفكرية في الشخصية الإنسانية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: النشأة والتربية.

المطلب الثاني: البيئة والمجتمع.

المطلب الثالث: الخلل في منهج التلقي.

المطلب الرابع: وسائل الإعلام.

المبحث الثاني: آثار التحولات الفكرية على الدعوة الإسلامية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار التحولات الإيجابية على الدعوة الإسلامية

وفيه النقاط الآتية:

أولا: زيادة انتشار معتقد السلف في الأمصار الإسلامية.

ثانيا: تعزيز نقد التشيع على نطاق واسع.

ثالثا: تعزيز نقد الفكر الصوفي المنحرف على نطاق واسع.

المطلب الثاني: آثار التحولات السلبية على الدعوة الإسلامية

وفيه النقاط الآتية:

أولا: تمزيق الأمة الإسلامية وتفرقها.

ثانيا: الجدل والخصومات والمراء في الدين.

ثالثا: تقديس آراء الرجال لا تقديس الحق.

المبحث الثالث: سبل معالجة التحولات الفكرية السلبية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: وحدة مصدر التلقي.

المطلب الثاني: مجانبة أهل الأهواء والبدع.

المطلب الثالث: الالتفاف حول المجامع الرسمية والحذر من المجامع الأهلية المشبوهة والفتاوى الشاذة.

المطلب الرابع: المحافظة على الوحدة الفكرية.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته ومصادر البحث وفهارس موضوعاته.

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل فمن أنفسنا والشيطان، ونسأل الله تعالى أن يغفر لنا الزلات، ويجنبنا العثرات، ويتقبل منا الصالحات، ويحفظ أوطاننا وأمتنا من كل سوء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد

أضحى تحرير مفهوم المصطلحات المبهمة في عنوان البحث أمرا في غاية الأهميـــة، لكي يتعرف القارئ على وجهة البحث وأهدافه، إثر السيل المعرفي المتدفق الذي يسير حولنا في سرعة جارفة، ولذا سنقوم بتعريف ثلاثة مصطلحات لأهميتـــها في وضـــوح فكرة البحث.

أولا: معني التحوُّل:

التحول يعني التنقل والتجدد والحدوث، وهو مصدر وليس فعلا.

قال الإمام ابن منظور: (قال الأزهري: والتحويل مصدر حقيقي مـــن حَوَّلْـــت والحِوَل اسم يقوم مقام المصدر قال الله عز وجل: ﴿لا يَبْغُون عنـــها حِـــوَلاً﴾(١)، أي تَحْوِيلاً، وحالَ الشيءُ حَوْلاً وحُؤولاً وأَحال الأَخيرة عن ابن الأَعرابي كلاهما تَحَوَّل. والتَّحَوُّل التَّنَقُّل من موضع إلى موضع(٢)، أو من رأي إلى رأي.

ثانيا: الفكر:

يقال: (فكر) في الأمر فكرا، أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل بـــه إلى مجهول.

و(التفكير) إعمال العقل في مشكلة للتوصـــل إلى حلـــها(٣)، أو هـــو مجموعـــة الأساليب التي يتبعها العقل لمعرفة السبب واكتشافه(٤).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٨.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة حول ١١/١٨٤ باختصـــار كبير، دار صادر، بيروت، ط/١ بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجـــار، تحقيـــق: مجمع اللغة العربية مادة فكر ٢/٦٩٨، دار الدعوة.

(٤) فصول في التفكير الموضوعي "منطلقات ومواقف"، د. عبد الكريم بكار ص ١٣، دار القلم، دمشق، ط/٥: ١٤٢٩هـــ/٢٠٠٨م.

وعلي هذا فالتفكير عملية ذهنية عقلية يتم من خلالها التوصل لأمر ما، من خلال أساليب معينة، ومعطيات بعينها.

ثالثا: الأثر:

الأثر له ثلاثة معان الأول بمعني النتيجة وهو الحاصل من شيء، والثاني بمعني العلامة، والثالث بمعني الجزء(١).

والمعنى المقصود في البحث هو الأول.

والمقصود بالتحول الفكري في بحثنا هو: التغييرات الجذرية التي تعتري فكر الإنسان وعقله، نتيجة عوامل وبواعث، ويكون لها أثر واضح في سلوكه.

فهو أنماط من الاستدلالات العقلية التي قد تكون منطقية أو غير منطقية، فيتحول المرء بسببها من فكر إلى فكر، أو من اتجاه بعينه إلى آخر، أو من مذهب معين نشأ عليه إلى ما سواه.

وقد يكون التحول الفكري سلبيا لا إيجابيا، كما يقع لبعض الملحدين والعلمانيين والعقلانيين والحداثيين الذين نسمع كلامهم الكريه ليلا ونهارا.

وربما كان الانتقال إيجابيا، مثل أن يجنح المرء من تيار ضال إلى منهج السلف، كما وقع لبعض العلماء والدعاة الذين كانوا على مذهب التصوف أو التشيع، وخلاف ذلك، فهداهم الله تعالى إلى منهج السلف رحمهم الله.

وسوف يتم في هذا البحث إيضاح أثر التحول على الدعوة الإسلامية، أيما كان الأثر وأيما كانت قبلة المتحولين.

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبيارى ص ٢٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١: ١٤٠٥هـ.

المبحث الأول

أسباب التحولات الفكرية في الشخصية الإنسانية

للتحولات الفكرية أسباب متعددة، وبواعث متشعبة، يتأثر بها المتحول فكريا سواء كان تأثره بالإيجاب أو بالسلب، وقد يعجز الأريب عن إحصائها عددا، ومن أمثلتها: التضليل الإعلامي وخاصة الفضائيات والإنترنت، ودعم جهات خارجية وقوى دولية- كما حدث فيما يسمى بالربيع العربي، والجهل، والصحبة، وعوامل سياسية واقتصادية ونفسية، وغير ذلك، لكن لعل جميعها تعود إلى أسباب رئيسة أربعة، نفصلها في المطالب الآتية.

المطلب الأول: النشأة والتربية:

إن تأثير النشأة في الانحراف لا ينكره أحد، ولا يماري فيه عاقل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)).(١)

فما المجتمع إلا مجموعة من الأسر التي تربط فيما بينهم مجموعة من المصالح المشتركة المتشعبة، فإن صلحت الأسر صلح المجتمع، وإن فسدت فسد، لأنها كالقلب للجسد، بصلاحه يصلح، وعلي قدر عطبه يفسد.

وفي مقدمة البيئات وطليعتها التي تؤثر في سلوكيات الأولاد هي الأسرة، ولهذا فإن أنماط التربية لها آثارها الإيجابية أو السلبية على النشء، فالوالدان اللذان يقسوان على أولادهم القسوة الزائدة أو يدللانهم التدليل المطغي، أو يهملان تبعات الأمانة التي وهبهم الله إياها، وهي توجيه الأولاد، وإرشادهم، وحياطتهم، والأخذ بأيديهم نحو

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: معني كل مولود يولد على الفطرة، رقم ٢٦٥٨.

طريق الاستقامة، فهذا أو ذاك أو ذلك يُنبت في الولد انحرافات في الفكر، واضطرابات في السلوك، فقد يقسو الولد على والديه أوّلاً ويتمرد عليهما، ثم ينمو هذا المرض فيكون بدايةً لشر أكبر وجُرم أشد، وهو كراهية المجتمع كافة، ووسمُ أفراده بالكفر، ووصف حكام الأمة بالخروج من الملة.

وكم من شاب تحول فكره إلى التطرف والتشدد واللاوعي بمجتمعه والنقمة عليه وبغضه، بسبب سوء التنشئة والتربية، من فقده لمحبة أب، أو مداعبة أم، أو حنان أخ، أو تقصير في توجيه، أو تفكك أسري، أو من جراء سوء معاملة زوج لزوجته، أو الجور وعدم العدل بين الأولاد، فيولد بينهم الشقاق والنزاع.

إن الأولاد إن فقدوا النماذج المثلي في آبائهم والقدوات في أمهاتهم وفي ذوي القربى لهم ابتغوها في نماذج أخري خارجية يروها مثالية حية في نظرهم، لكنها نماذج ضالة مضلة، كاذبة جهولة، من مشايخ سوء يغرسون في نفوسهم التعصب والتطرف والانحراف وأفكار الشيطان.

يتسلل الولد إلى هذه البيئة الموبوءة فيلتف حوله أرباب الغواية، ومشايخ الضلالة، التفاف الأسد على فريسته، والسباع على الغنم، وقطاع الطرق على غنيمة باردة، فيغسلون عقله بما شذ من الآراء، وبطل من الأحكام، واندس من الروايات، ولأنه مسكين خاوي الوفاض تجده يقبل كل شيء، ويؤمن بكل رأي.

وتؤكد الإحصائيات الرسمية على أن كثيرا من المنحرفين فكريا، وممن آمن بالأفكار التكفيرية، أو من انغمس في وبال التفجير كانت العوامل الأسرية لها علاقة وطيدة بذلك.

ونستأنس هنا بما قال الدكتور ماجد بن محمد المرسال(١) عن الجذور التاريخية للانحرافات الفكرية وواقعها في مجتمع المملكة العربية السعودية: (إن الوزارة أجرت

---

(١) المستشار بوزارة الشؤون الإسلامية، المدير العام للإدارة العامة للتوعية العلمية والفكرية.

دراسة على ١٠٠ شاب شملت أبرز المنضمين إلى القوائم المعلنة من وزارة الداخليـــة، وبعد دراسة القائمة تبيّن أن أهم أسباب الانحراف الفكري لدي من شملتهم الدراســـة كان الجهل حيث إن نسبة ٧٨% من هؤلاء المنحرفين متسربون من التعليم ومؤهلاهم من الثانوية فما دون، ثم وجد أن صغر السن يشكل سبباً آخر مهماً حيث إن نســـبة تصل إلى ٧٥% من هؤلاء الشباب تقل أعمارهم عن ٣٠ ســـنة، وكـــذلك حداثـــة الاستقامة أو التديّن، حيث إن نسبة بلغت ٤٣% من هؤلاء الشباب هم ممن كانـــت لهم سوابق كالمخدرات وبمجرد أن يتوب أحدهم ويتدين يبيّن له قادة الفكر المنحرف ودعاته أن التكفير عن ذنوبه إنما يكون بالدخول في مثل هذه التنظيمات، وكذلك فإن نسبة كبيرة من هؤلاء الشباب لديهم عدم استقرار أسري إمـــا بـــاليتم أو انفصـــال الوالدين، أو غيره)(١).

ورأي د. محمد الدغيم(٢) الذي أعد دراسة بعنوان (الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية)(٣) (أن التنشئة الاجتماعيـــة التي تحتوي على مشكلات أسرية كالطلاق والغياب الطويل للأب عن المترل وســـوء معاملة الوالدين تجاه الأبناء والمعاناة الاقتصادية للأسرة، كلها عوامل لهـــا علاقـــة في انحرافات الأبناء الفكرية والسلوكية، إذ تـــبين أن معظـــم المشـــاركين في أحـــداث التفجيرات في المملكة العربية السعودية والكويت هم ممن انفصلوا عن أهلهم وتمـــردوا عليهم وخرجوا من بيوهم منذ فترة طويلة)(٤).

---

(١) أخبار المدينة، الثلاثاء، ٢٣ مارس ٢٠١٠م.

(٢) أستاذ مساعد بقسم علم النفس، كلية التربية الأساسية، الكويت.

(٣) دراسته حازت علي جائزة مجلس التعاون لدول الخليج العربية للبحوث الأمنية عام ٢٠٠٥.

(٤) جريدة الرياض، السبت ٢٢ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ ـ ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥م.

مما يؤكد ذلك كله أهمية قيام الأسرة بواجبها الديني والوطني أمام الله تعالى والمجتمع، بأن تعزز روح الانتماء لله وحده ثم لولاة الأمر، وتغرس في نفوس أولادها قيم البناء والعطاء والمسئولية.

المطلب الثاني: البيئة والمجتمع:

قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾(٢).

يقول الطبري رحمه الله: (لم يصدها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم)(٣).

وعلي عهد الخليفة المأمون الذي استعمل قوة السلطان في نشر مسألة خلق القرآن فجعل المجتمع يتأثر برأيه طوعا أو كرها.

ولم لا؟! وقد (أحاط به المعتزلة، وكان جل حاشيته من رجالهم، فأكرمهم وبالغ في إكرامهم.

والسبب في ميله إليهم أنه كان تلميذاً لأبي الهذيل العلاف، وأبو الهذيل من رؤوس المعتزلة)(٤)، كما هو معلوم.

وعن امتحانه للعلماء في مسألة خلق القرآن قال الإمام الذهبي رحمه الله: (أما مسألة القرآن، فما رجع عنها، وصمم على امتحان العلماء في سنة ثماني عشرة، وشدد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر ٤٧٢/١٩، مؤسسة الرسالة ط/١: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٤) خلق أفعال العباد، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ص ١٦، دار عكاظ، جدة، ط/٢.

عليهم، فأخذه الله)(١).

وأضاف الخليفة المأمون إلى فتنة خلق القرآن فتنة أخري كما ذكر الإمام شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي وهي القول: بتفضيل على بن أبي طالب رضي الله عنه على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما(٢).

وعلي هذا فإن المربي الناجح هو الذي يتخير لناشئته البيئة الصالحة التي تعزز فيهم التزام أمر الله وتعين عليه، وتنفرهم من مخالفة أمره ولا تروج لباطل أهل الزيغ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾(٣) .

وأي أمنٍ أعظم من أن يعلو صوت التوحيد فلا يسمع صوت سواه، ولا يضر بعد ذلك أن يكون المكان ﴿غَيْرِ ذِي﴾ طالما أن كلمة التوحيد ظاهرة وبيئة التربية صافية نقية لا صولة للشيطان فيها ولا جولة. وإن الذي يقيم مع ناشئته في مجتمعٍ تفشو فيه معالم الزيغ والضلالة والفسق والكفر ليس بذاك المربي وليس بذاك الحريص حقًا على تقرير عقيدة التوحيد في قلوب الناشئة، اللهم ما لم يكن مغلوبًا على أمره، قد استفرغ الوسع في تأمين البيئة البديلة(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي ٢٨٣/١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت ط/٩: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الإمام شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ٩/١، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط/٢: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٤) أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، د. وسيم فتح الله ص ٧٠.

فالبيئة المحيطة بالفرد لها النصيب الأوفر، والقدح المعلي، في تغييره إما إلى الأفضل أو الأسوأ.

نماذج من العلماء الذين تأثروا ببيئتهم التي نشأوا فيها:

أ- عمران بن حطان رحمه الله ت ٨٤هـ(١).

كان أولا من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جدا فأحبها، وكان هو دميم الشكل، فأراد أن يردها إلى السنة فأبت فارتد معها إلى مذهبها.

وهو القائل في قتل علي وقاتله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه أوفي البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا(٢)

وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل علي رضي الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها:

بل ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش خسرانا
إني لأذكره يوما فأحسبه أشقي البرية عند الله ميزانا(٣)

---

(١) هو ابن ظبيان، السدوسي البصري، من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج. قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسان الأعرج. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٢١٤، مصدر سابق.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٩/٦٤-٦٥، دار إحياء التراث العربي، ط/١: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٣) المرجع السابق ٩/٦٤-٦٥.

ب- الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله ت ٣٢٤هـ(١):

ومن أظهر من تأثر ببيئته التي عاش فيها: الإمام أبو الحسن الأشعري، فقد نشأ بالبصرة، وهي موئل الفكر الاعتزالي، كما نشأ في حجر أبي على الجبائي، زوج أمه، وكان من شيوخ المعتزلة وزعمائهم في عصره، وقد (أقام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماما)(٢).

ت- الإمام أبو محمد عبدالله بن يوسف الجويني رحمه الله والد إمام الحرمين ت ٤٣٨هـ(٣):

وقد كان إماماً في أكثر من فن، وألف في كثير من العلوم، والذي يهمنا هنا

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى أبو الحسن الأشعري، المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة، وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها، وكان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه من جامع المنصور، وقال بعض البصريين: ولد أبو الحسن الأشعري في سنة ستين ومائتين ومات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وذكر لي أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي أن الأشعري مات ببغداد بعد سنة عشرين، وقبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ودفن في مشرعة الروايا في تربة إلى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام وهي عن يسار المار من السوق إلى دجلة، وذكر أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أن أبا الحسن الأشعري مات في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال وله خمس وخمسون تصنيفا. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٤٦/١١، دار الكتب العلمية بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ

(٢) تبيين كذب المفتري بما نسب إلي الإمام أبي الحسن الأشعري، الإمام الحافظ ابن عساكر ص ٣٩، مطبعة التوفيق، دمشق، سنة ١٣٤٧هـ.

(٣) هو الإمام عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، أبو محمد: من علماء التفسير واللغة والفقه، من كتبه التفسير، والتبصرة ، وله رسالة إثبات الاستواء ، قال شيخ الإسلام الصابوني: لو كان الجويني في بني إسرائيل لنقلت لنا أوصافه وافتخروا به. وهو والد إمام الحرمين الجويني. انظر: الأعلام للزركلي ١٤٦/٤-١٤٧، دار العلم للملايين، ط/٥: ١٩٨٠م.

رسالته اللطيفة التي وضعها بعد رجوعه إلى مذهب السلف في جملة من مسائل العقيدة، وهي تحت عنوان (رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه البارئ عن الحصر والتمثيل والكيفية).

قال رحمه الله عن نفسه وتحيره في بداياته عندما كان على رأي المتكلمين في مسائل الأسماء والصفات وغيرها: (كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك الحرف والصوت، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول النزول بنزول الأمر، ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين، ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معني قائم بالذات بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعني القائم.

ممن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدري منزلة، مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين لأني على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلاء يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم، ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر، وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ

من قلبه في تقلبه وتغيره)(١).

حتي قال: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتي لطف الله).

ولطف الله به بأن هداه لمعتقد السلف قائلا في مختتم رسالته: (أن الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية.. . ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته فإنه يبقي ضائعا لا يعرف وجهة معبوده)(٢).

وبعد اشتغال ابنه أبي المعالي إمام الحرمين الشريفين بعلم الكلام الزمن المديد عاد إلى الينبوع الصافي في استمداد العقيدة: الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وقد سجل له الإمام الذهبي ذلك فنقل لنا أن الجويني قال: (يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به).

وقال أبو الفتح الطبري رحمه الله: (دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: اشهدوا على أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور)(٣).

ولقد عاد إمام الحرمين رحمه الله إلى مذهب السلف في الصفات وأقره في آخر حياته كما ذكر عنه الإمام الذهبي نقلا عن كتابه الرسالة النظامية(٤).

فإمام الحرمين عبد الملك رحمه الله قد سلك مسلك والده الإمام أبي محمد الجويني في إعلانه أن فهم السلف هو الحق وحده فيما يعتقد العبد نحو ربه سبحانه، وما سواه

(١) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وتتريه البارئ عن الحصر والتمثيل والكيفية للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: د. أحمد معاذ بن علوان حقي ص ٣٠، ٣١، دار طويق، الرياض ط/١: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤-٨٠.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٨/٤٧٤.

(٤) المرجع السابق ص ٤٧٢-٤٧٣.

باطل لا محالة لأنه إما تشبيه أو تعطيل أو توقف، وهو يشبه أباه في هذا الموقف بالجملة (ومن يشبه أبه فما ظلم)(١).

ث- الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ت ٧٥١هـ(٢).

من الأمور التي نص عليها الإمام ابن القيم صراحة بنفسه، أنه كان في بداية أمره قبل أن يلتقي بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ضائعا، وأنه كان واقعا في شراك المنطق والتصوف، حتى أتاح الله تعالى له هذا الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية، فترَوَّي من علمه، وتنوَّر بفقهه، وتحرر من التقليد الأعمى، وعرف مذهب السلف الصالح(٣).

يقول عن ذلك رحمه الله:

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، د. محمد أمان بن علي الجامي ص ١٦٤- ١٦٥، مكتبة الفرقان، ط/٣: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، ولد سنة ٦٩١ وسمع على التقى سليمان وأبي بكر بن عبد الدائم والمطعم وابن الشيرازي وإسماعيل بن مكتوم و الطبقة، وقرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي، وقرأ الفقه على المجد الحراني وابن تيمية، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية، وكان لأبيه في الفرائض يد فأخذها عنه وقرأ في الأصول على الصفي الهندي وابن تيمية، كان جرئ الجنان واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وكان له حظ عند الأمراء المصريين واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة فلما مات أفرج عنه، وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية ، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه. توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ١٣٧/٥، دائرة المعارف العثمانية، الهند: ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٣) التعليق المختصر علي القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن قيم الجوزية، ص ١٩-٢٠.

يــــاقَوْمُ واللهِ العَظِـــيمِ نَصِيـــــحةً مِـــنْ مُشْـــفِقٍ وأخٍ لَكُـــمْ مِـــعْوَانِ
جَرَّبْــــتُ هَـــذَا كُلَّـــهُ وَوَقَعْـــتُ فِـــي تِلْـــكَ الشِّـــبَاكِ وَكُنْـــتُ ذَا طَيَـــرَانِ
حـــتى أَتَـــاحَ لِـــيَ الإِلَـــهُ بِفَضْـــلِهِ مَـــنْ لَـــيْسَ تَجْزِيـــهِ يَـــدِي ولِسَـــانِي
حَبْرٌ أَتي مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا أَهْـــلاً بِمَـــنْ فَا اللهُ يَجْزِيهِ الذِّي هُوَ أَهـــْلُهُ مِنْ جَنَّةِ المَأْوَى
أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَـــار فَلَـــمْ يَـــرِمْ حـــتى أَرَانِـــي مَطْـــلِعَ الإِيـــمانِ(١)

فأخذت يدا شيخ الإسلام يد الإمام ابن القيم، فأمسكه و لم يتركه حتى أراه مطلع الإيمان، يعني أورده الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح، فتـــروّي منـــهما، وشـــرب منهما، وترك ما كان عليه من قبل من علوم هؤلاء، فهذا إنقاذ له وتيســـير مـــن الله تعالى(٢).

لأن الوقت الذي ظهر فيه رَحِمَهُ اللهُ كانت فيه فرق المعطلة لهم شأن عظيم، حيـــث كانوا قد استولوا (علي البلاد وعلي القضاء وعلي التدريس)(٣).

---

(١) متن القصيدة النونية، الإمام ابن قيم الجوزية، ص ١٤٣، مكتبة ابن تيمية، القـــاهرة، ط/٢: ١٤١٧هـــ.

(٢) التعليق المختصر علي القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن قيم الجوزية، ص ٥٧٥.

(٣) التعليق المختصر علي القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن قيم الجوزية، ص ٥٧٥.

ج- الشيخ على الطنطاوي رحمه الله ت ١٤٢٠هـ(١).

ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله نماذج من المبرَزين الذين تحولوا فكريا من النقيض إلى النقيض، حيث ترك تحولهم الإيجابي أثرا في نفوس الناس.

حيث قال رحمه الله: (ومن أعجب العجب أن والد الشيخ بهجت(٢) صوفي من غلاة الصوفية، القائلين بوحدة الوجود على مذهب ابن عربي وابن سبعين والحلاج، كما أن الشيخ خالد النقشبندي، المفسر الصوفي كان جده المدفون في سفح قاسيون هو الذي حمل الطريقة النقشبندية إلى دمشق، ومن تبع أمثال هذه الظاهرة في تاريخ علمائنا وأدبائنا وجد منها الكثير، ولعل من أغربها أن صاحب (الأغاني) أبا الفرج الأصبهاني، أموي النسب، شيعي المذهب، ومن أبنائي الأستاذ محمد سعيد المولوي، وهو سلفي العقيدة، وعمه شيخ المولوية وأبوه من مقدميها)(٣).

بل قال أ. على الطنطاوي عن نفسه وتأثره بالشيخ بهجت رحمهما الله رحمة

---

(١) الشيخ علي الطنطاوي اسمه علي مصطفى محمد الطنطاوي، من مواليد مدينة دمشق سنة ١٩٠٩م من أسرة ذات دين وعلم، فأبوه الشيخ مصطفى من أهل العلم وجده كذلك وخاله الأستاذ محب الدين الخطيب، الكاتب الإسلامي المعروف، والشيخ من خريجي كلية الحقوق في دمشق، وصار قاضيا شرعيا فيها ، ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٣م، وعمل مدرسا في كليتي اللغة العربية والشريعة في الرياض ومكة، وقدم العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية، وحقق العديد من كتب التراث، وله العديد من المؤلفات، توفي بجدة عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م. انظر: انظر: علماء وأعلام كتبوا في مجلة الوعي الإسلامي ٢٨٧/١ ، الإصدار الرابع عشر ١٤٣٢هـ/٢٠١١م ط/١ سنة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.

(٢) يقصد الشيخ محمد بهجت البيطار علامة الشام المتوفى سنة ١٩٧٦م.

(٣) رجال من التاريخ، الشيخ علي الطنطاوي ١٧٥/٢، دار البشير للثقافة، جدة، ط/١: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

واسعة- : (لقد وجدتُّ أن الذي أسمعه منه يصدم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد على ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد على الفلسفة اليونانية، وهي فلسفة بدائية، وكنت موقناً بما ألقوه علينا، وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجت يقول لي: (بأن ما عليه السلف هو الأسلم، وهو الأحكم)، وكنت قد نشأت على النفرة من شيخ الإسلام ابن تيمية والهرب منه؛ بل وبغضه، فجاء يعظمه لي، ويحببه إليّ، وكنت حنفياً متعصباً للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتمد على الدليل، لا على ما قيل، وتأثرت به، وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعاً به، ولكن لم يكن هذا التحول هينا ولا سهلا، وما كنت قط سهل القياد، ولا سريع الانقياد، بل ناضلت دون ما كنت أعتقده، وأمضيت عشرات من الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات)(١).

وفي خلاصة موجزة يوضح لنا كيف كان تحوله من النقيض إلى النقيض، ومن قناعته بفكر معين إلى ثباته على الحق فيقول: (ولقد عرضت في الجزء الأول من كتابي عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى ما مر على من أدوار: كيف نشأتُ مقلدا مؤولا كارها لشيخ الإسلام بن تيمية، ثم أثّر في الشيخ بهجت فغدوت سلفي العقيدة، متمسكا بالدليل، ثم صحبت الشيخ زاهدا الكوثري حينا فرجعت إلى ما كنت عليه، ثم أقمت عند خالي الأستاذ محب الدين في مصر، واقتربت من السيد رشيد رضا، فعاد أثر الشيخ بهجت في نفسي قويا، ثم ثبتُّ على ما أنا عليه)(٢).

---

(١) رجال من التاريخ، الشيخ علي الطنطاوي ٢/١٧١-١٧٢.

(٢) المرجع السابق ٢/١٧٢.

ح- د. عبد الرحمن الوكيل رحمه الله، وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ت ١٩٧١م(١):

نشأ د. عبد الرحمن الوكيل رحمه الله في بيئة صوفية منحرفة، يتنفس آراءهم ويوقن بما هم عليه من ضلالات وشركيات، واستغاثة بالأضرحة والموتى، وقد فصَّل القول عن ذلك في مقدمة كتابه (هذه هي الصوفية)، وكان مما قاله: (ما زلت أذكر، وأنا طالب في معهد طنطا الديني، ذلك الشيخ الشيبة يقسم لنا- وعيناه مخضلتان بالدموع- أن في ضريح عبد العال المجاور لضريح البدوي شعرة من رأس الرسول!، وأنها معين خير، وفيض بركة ويمن، ومطاف آمال، ومهوي رجاء!! وأذكر أنني حين سمعت حديثه، يؤكده بقسم غليظ، شعرت بقلبي، وكأنما يود أن ينشق عنه الصدر؛ ليهفو في صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها، ويكنها في مهجته، بل شعرت كأنما حملت الملائكة إلى بشري الخلود!!).

وقال: (وما زلت أذكر أيضاً أنني سألت الشيخ؛ ليطمئن قلبي.. .عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم؟ فأجاب- تولاه الله بما قدّم- : لقد وضعناها في زجاجة، وأقمنا حولها ذكر وإنشاد، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين.. وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنما هي من الله برهان ساطع!!

وأذكر- ويارب غفرانك- أن خرافة الشيخ هذه غمرتني بنشوة سكري

---

(١) تلقى تعليمه في الأزهر وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين و لم يكمل دراسته العليا لمرضٍ ألم به، رغم ما يتمتع به من سعة الاطلاع وقوة اللغة ووضوح المعنى وجمال البلاغة، في عام ١٩٣٦م التحق بجماعة أنصار السنة المحمدية بتزكية خاصة من السيدة نعمة صدقي صاحبة كتاب: التبرج، حيث شارك بعدها في أعمال الجماعة المختلفة، إلى أن أصبح وكيلا أولا للجماعة انظر: : موقع. https: //ar.wikipedia.org/wiki/

خلت فيها أنني أري الجنة، أو أنني صحابي يتلو عليه الرسول وحي الله!!)(١).

وقد منَّ الله عليه بالهداية، وأصبح سيفا مسلطا على الصوفية، يكشف عوارهم ويهتك سترهم عن قرب ومعرفة، باذلا لهم النصيحة، مخلصا لله فيها، بل قال: (لن أضع القلم- وحسبي الله إلا إذا أصميت الصوفية، وأدميت، أو إلا إذا تهدمت أنا، أو قضيت! فلن تخشي صولة الحق، سورة الباطل)(٢).

خ- الشيخ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي رحمه الله ت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م(٣).

وهو من أوائل من أدخل العقيدة السلفية إلى المغرب، وقام بالدعوة إلى الله في كثير من البلاد، وكان عالما فاضلا، ودرَّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان أول حياته تجانيا، ثم خلصه الله منها، ورد على أهلها، وكشف عوارها، ولقد توفي

---

(١) هذه هي الصوفية، د. عبد الرحمن الوكيل ص٤-٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٤: ١٩٨٤م.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٣) ولد المحدث اللغوي والأديب الشاعر الدكتور محمد تقي الدين الهلالي سنة ١٣١١هـ بقرية الفرخ من بوادي مدينة سجلماسة في المملكة المغربية، وكان والده وجده من فقهاء المغرب، ذهب الشيخ إلى الهند لتلقي علم الحديث والتقى هناك بالعلامة المباركفوري وأجازه، وسافر إلى مصر والتقى بالشيخ محمد رشيد رضا حيث أعطاه توصية للملك عبد العزيز الذي أكرم ضيافته وعينه مراقبا للتدريس في المسجد النبوي ثم انتقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي بمكة، ثم سافر إلى برلين ليحصل منها على الدكتوراه ثم عين مدرسا بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط سنة ١٩٦٨م ثم أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منتدبا بها من المغرب حتى سنة ١٩٧٤م ثم عاد إلى المغرب متفرغا للدعوة وله العديد من المؤلفات الجياد توفي سنة ١٩٨٧ في الدار البيضاء. انظر: علماء وأعلام كتبوا في مجلة الوعي الإسلامي ٢/٦٣-٦٤.

الشيخ العلامة في الدار البيضاء في المغرب سنة ١٤٠٧هـ(١).

فسبحان من هداه إلى عقيدة السلف، ليصبح بعد ذلك من دعاتها الأوائل في المغرب، وسافر كثيرا في البلاد لينشر معتقد السلف، باذلا في سبيل ذلك الغالي والنفيس من الأوقات والمال.

د- الأستاذ عبد المنعم الجداوي صاحب كتاب (كنت قبوريا)(٢):

كان أ. عبد المنعم الجداوي، المحرر بدار الهلال، من كبار الصوفية، الذين يضفون على مشايخهم الأموات ألوانا من الكرامات والخزعبلات، سواء صحت نسبتها إليهم أم لم تصح.

قال عن نفسه: (كنت من كبار معظمي القبور، فلا أكاد أزور مدينة بها أي قبر أو ضريح لشيخ عظيم إلا وأهرع للطواف به، سواء أكنت أعرف كراماته أو لا أعرفها، أحيانا أخترع لهم كرامات، أو أتصورها أو أتخيلها).(٣)

لكن بسبب مقابلته بـ د. محمد جميل غازي، تغيرت وجهته، من قبوري قح إلى عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم- وحكي قصته كاملة في كتابه (كنت قبوريا).

---

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان، الشيخ عبد العزيز بن باز ص٦٩-٧٠، ترتيب: عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار أصالة، الرياض ط/١: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٢) هو: أ. عبد المنعم محمد عيسى الجداوي، محرر وصحافي مصري وعضو باتحاد كتاب: العرب، و لوه قصائد نشرت في مجلة منبر الإسلام توفى بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

(٣) كنت قبوريا، أ. عبد المنعم الجداوي ص ٥، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ط/٤: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ذ- د. محمد جميل زينو رحمه الله- أستاذ الحديث في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة ت ٢٠١٠م(١).

من يقرأ كتاب (كيف اهتديت)، د. محمد جميل زينو، يتبين له كيف كانت

---

(١) ولندع الشيخ، رحمه الله يحدثنا عن نشأته فيقول: ولدت في مدينة حلب في سوريا عام ١٩٢٥م حسب الجواز، الموافق ١٣٤٤هـ، وعمري الآن ثلاث وسبعون سنة، ولما بلغت من العمر عشر سنين تقريباً دخلت في مدرسة خاصة وتعلمت القراءة والكتابة. انتسبت إلى مدرسة (دار الحفاظ) وبقيت فيها خمس سنوات حفظت خلالها القرآن غيباً نع التجويد، دخلت مدرسة في حلب كانت تسمى (الكلية الشرعية التجهيزية) وهي الآن الثانوية الشرعية، وهي تابعة للأوقاف الإسلامية، وكانت المدرسة تدرس العلوم الشرعية والعصرية: فقد درست فيها التفسير، والفقه الحنفي، والنحو، والصرف، والتاريخ والحديث وعلومه، وغيرها من العلوم الشرعية، وقد حصلت على شهادة المدرسة عام ١٩٤٨م، ونلت الشهادة الثانوية العامة، ونجحت في مسابقة بعثة الأزهر، لكنني لم أذهب لأسباب صحية، ودخلت دار المعلمين في حلب، وعملت مدرساً لمدة ٢٩ سنة تقريباً، ثم تركت التدريس، بعد استقالتي من التدريس جئت بعمرة إلى مكة عام ١٣٩٩هـ، وتعرفت على الشيخ عبد العزيز بن باز، وعرف أن عقيدتي سلفية، فاعتمدني مدرساً في الحرم المكي وقت الحج، ولما انتهى موسم الحج أرسلني إلى الأردن للدعوة إلى الله، فذهبت، ومكثت في مدينة " الرمثا " في جامع= = صلاح الدين، فكنت إماماً وخطيباً ومدرساً للقرآن، وكنت أزور المدارس الإعدادية وأوجه الطلاب إلى عقيدة التوحيد، فكانوا يتقبلونها بقبول حسن، وفي شهر رمضان من عام ١٤٠٠هـ جئت بعمرة إلى مكة، وبقيت إلى بعد الحج وتعرفت على طالب من طلاب دار الحديث الخيرية بمكة، وطلب مني أن أكون مدرساً عندهم لأنهم في حاجة إلى مدرسين، ولا سيما في مصطلح علم الحديث، فاتصلت بمديرها فأبدى استعداده، وطلب مني تعميداً من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فكتب إلى المدير يطلب منه أن أكون مدرساً عندهم، فدخلت المدرسة، ودرست الطلاب التفسير، والتوحيد، والقرآن الكريم وغيرها من الدروس، ومن فضل الله بدأت بإصدار رسائل صغيرة، مختصرة، وبسيطة، فكان لها قبول في جميع بلاد العالم، وقد ترجم بعضها إلى الإنجليزية، والفرنسية، والبنغالية، والإندونيسية، والتركية، والأوردية، وغيرها من اللغات، وسميتها : (سلسلة التوجيهات الإسلامية) وصلت إلى أكثر من عشرين رسالة طبع منها مئات الآلاف، وأكثرها مجانية، يجدها القارئ على ظهر غلاف الرسالة بأسمائها وأرقامها. انظر: الموسوعة الشاملة، شاشة المؤلفين.

جسامة التحولات الفكرية للشيخ، وأنه تنقل من عاصفة كادت تهلكه إلى أخري، بدأها بقوله (كنت نقشبنديا)(١)، ثم كيف انتقل إلى الطريقة الشاذلية(٢)، ثم انتقاده للتصوف وفرقه وطرقه، وهو انتقاد صادر من غواص في بحر الصوفية الهاوي حتى قال: (ولقد عشت بينها سنين طويلة، وحضرت مجالسها على اختلاف طرقها)(٣) ، ثم ذكر تأثره بجماعة التبليغ والدعوة، بل وخروجه معهم في مختلف البلدان(٤)، حتى كان المطاف به رحمه الله إلى عقيدة السلف بل قال موصيا: (وإني أنصح إخواني المسلمين أن يلتزموا بالدعوة السلفية، لأنها هي الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة)(٥).

ر- الشيخ عبد القادر بن مصطفي التلمساني رحمه الله(٦) وتحوله إلى عقيدة السلف:

بعد نقاشات دامت ثلاثة أيام في توحيد العبادة بين الشيخ عبد القادر- وكان من تجار جدة وأثريائها- والشيخ أحمد بن عيسي رحمه الله(٧).

يقول الشيخ عبد القادر: (شرح الله صدري للعقيدة السلفية، وأما توحيد الأسماء

---

(١) كيف اهتديت إلي التوحيد والصراط المستقيم، د. محمد بن جميل زينو ص ١٢، دار الفتح، الشارقة ط/١: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) المرجع السابق ص ١٧.

(٣) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة، د. محمد بن جميل زينو ص ٣، دار المحمدي، جدة ط/٤: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤) كيف اهتديت ص ٥٢.

(٥) المرجع السابق ص ٧٩.

(٦) لم يتم العثور له على ترجمة إلا بالقدر المذكور في البحث.

(٧) من مؤلفاته شرح علي النونية لابن القيم، طبع في جزأين، انظر: ترجمة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ في كتاب: علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام ٤٣٦/١ برقم ٥١، دار العاصمة، الرياض ط/٢: ١٤١٩هـ.

والصفات فلقد دام النقاش خمسة عشر يوما، بعدها اعتنقت مذهب السلف، وصرت آخذ التوحيد من منابعه الأصيلة الكتاب والسنة وأتباعهما من كتب السلف، فعلمت أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن عيسي)[١].

وعن الشيخ عبد القادر أخذ الشيخ محمد حسين نصيف وجيه جدة[٢] حيث قال: فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني[٣] ونفع الله بهما في نشر عقيدة السلف بمكة وغيرها.

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٤٣٩.

(٢) ولد سنة ١٣٠٢هـ، ومات أبوه وهو طفل فكفله جده لوالده الأفندي عمر نصيف، وكان ثاني اثنين هما أكبر أعيان جدة في ذلك الزمان، كان من العلماء الأجلاء، وصرف حياته المديدة الطويلة في جمع مكتبة تعد أثمن مكتبة خاصة في مدينة جدة، وقد آلت ملكيتها إلي الدولة، ويعد من مفاخر الأمم، رحمه الله ومن أعلام الدعوة السلفية في عصره، قد توفي سنة ١٣٩١م. انظر: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ، محمد علي مغربي ١/٢٠٩، الكتاب العربي السعودي رقم ٣٠، تهامة، جدة، السعودية.

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٤٤٠.

المطلب الثالث: الخلل في منهج التلقي:

المقصود بمنهج التلقي العام- كما عرفه أ. د. ناصر العقل حفظه الله: (الطريقة التي يستمد من خلالها الدين عموما، والعقيدة على وجه الخصوص، من حيث المصادر والأسلوب، ومنه: الطريقة التي يتم بها تلقي العلم)(١).

أما منهج التلقي الخاطئ فيمكن تعريفه بأنه الطريقة الخاطئة التي يستخدمها أهل الأهواء في فهم الدين والعقيدة، من حيث المصادر والأسلوب.

ونري الخلل في منهج التلقي سببا واضحا من أسباب التحول الفكري لأن له مظاهر متعددة وجُلَّها إن لم يكن جميعها ذات تأثير بالغ في شخصية الإنسان.

- فمن يعزل القرآن والسنة عن أنهما المصدر الرئيس في تلقي أمور دينه، ويبتدع له أصولا ومناهج يستمد منها معتقده.

- ومن يتخذ العقل له دليلا في كل شيء، مستغنيا به عن الشرع، فيحسن ما حسنه، ويقبح ما قبحه.

- ومن يأخذ العلم عن غير شيوخه، ويسير خلف الرويبضة.

- ومن ينعزل عن علماء الأمة المهتدين، ويزدري العلماء الربانيين ولا يعرف لعالم حقه وقدره.

- ومن يتخذ له شيخا يتعصب لرأيه فقط، ويوالي من أجله ويعادي من أجله.

إن جميع هذه الأصناف وأشباهها تقع لا محالة في وعاء وجود خلل في مصدر التلقي الأصيل للدين الإسلامي، وتؤثر سلبا بانحراف المسلم عن المنهج السوي.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (اتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة نصوص الشارع

---

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٢٩٧، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيليا، الرياض ط/١: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

لا يلتفت إلى قول من سواه بل ولا إلى نصوص الشارع إلا إذا وافقت نصوص قوله، فهذا والله هو الذي أجمعت الأمة على أنه محرم في دين الله و لم يظهر في الأمة إلا بعد انقراض القرون الفاضلة)(١).

والخلل في التلقي يورث الخلل في التطبيق، فهي نظرية نسبية، على قدر التوفيق في استمداد المنهج وصحة ينابيعه وروافده وسلامتها، يكون التطبيق محمودا، وعلي قدر الخلل ووجود الزوابع والجراثيم في بيئة التلقي، يكون التطبيق مذموما، والانحراف كبيرا، ودائرة الضلالة أشد.

ويظهر الخلل في مصدر التلقي:

- لدي فرقة الخوارج مثلا (بأهم أخذوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد، ففهموها على غير مرادها، وراحوا يكفرون المسلمين، ويستبيحون دماءهم وأموالهم، بغير حجة ولا برهان)(٢).

هذا بينما منهج أهل السنة هو جمع النصوص الواردة في المسألة، وعدم رد بعضها ببعض، أو الأخذ ببعضها وترك البعض، لئلا نكون مثل أمة اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (٣).

- ويظهر ذلك عند الروافض بصورة واقعية فيما حكاه البعض ممن كانوا يعتنقون الفكر الشيعي، ثم هداهم الله إلى السنة، بعد اكتشافهم الخلل في التلقي.

(قال أحدهم: من أسباب تركي للتشيع سب الصحابة حيث أن الله وصفهم بأنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ونحن نصفهم أنهم أبناء زنا ومخنثون، وقال ثانٍ:

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ٢٣٦/٢، دار الجيل، بيروت: ١٩٧٣م.

(٢) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ، أحمد بن عبد الرحمن الصويان ص ٧٢، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

كنا نعتقد أن الصحابة قد ارتدوا و لم يبقي على الإسلام إلا سبعة منهم ولا نذكر الصحابة إلا ونلعنهم ونتبرأ منهم ولا نعرف فضائلهم أو تضحياتهم)(١).

وقال آخر: (استغربت واندهشت من ثناء صاحبي السني على أهل البيت لأننا نعتقد أن أهل السنة يكرهون أهل البيت ويبغضونهم)(٢).

الإمام البرقعي ورفقاؤه الذين ثاروا على مذهب التشيع نتيجة الخلل في منهج التلقي:

نشأ البرقعي في بيت شيعي إمامي، واجتهد في تعلم مذهب الإمامية حتى أثني عليه بعض أبرز علماء المذهب بأنه (ذو قوة قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها)(٣)، ولذا نال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري من عدة مراجع في المذهب الإمامي.

وقد ذكر تأثره بمصطفي طبطبائي، وهو رجل تخرج من حوزات الشيعة في قم، وبلغ رتبة الاجتهاد عندهم، ثم ما لبث أن ترك التشيع ورماه رمي النواة العفنة(٤).

وهناك الأستاذ موسي الموسوي الذي أعلن عن عزمه على تصحيح مذهب الشيعة وكتب كتبا في هذا الاتجاه منها (الشيعة والتصحيح)، و (يا شيعة العالم

---

(١) موقع مهتدون، لماذا تركنا التشيع، تاريخ الولوج ٢/٤/١٤٣٨هـ. www.wylsh.com/contnent/talk١.php

(٢) المرجع السابق.

(٣) أعلام التصحيح والاعتدال، أ. خالد بن محمد البديو ص ٦٩، مكتبة الملك فهد الوطنية ط/١: ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٤) كسر الصنم أو ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن الكريم والعقل "نقض كتاب: أصول الكافي للكليني"، آية الله العظمي السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي، ترجمة: عبد الرحمن ملا زاده البلوشي ص ١٥ باختصار، دار البيارق، الأردن، عمان ط/١: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

استيقظوا)، وكتاب (الثورة البائسة) وغيرها من الكتب(١).

فهؤلاء وأشباههم كثير ممن ذُكروا في كتاب (أعلام التصحيح والاعتدال) في صفوف الشيعة وغيرهم ممن لم يذكروا إنما وجدوا خللا في الفكر الشيعي الضال الذي يُلبس على الناس الحقائق، فاستيقظوا بعد أن أدركوا أنهم في عماية عمياء.

وقد وضح لنا الإمام البرقعي عندما قام بنقد كتاب الكافي للكليني مصدر الخلل في فكر الشيعة، فكان مما قال: (لقد استقي معظم شعبنا- هنا في إيران- عقائده من كتاب الكافي وأمثاله، ثم إنك إذا أردت أن تبصرهم بالحق وتوجههم إلى العقائد الصحيحة أبوا عليك ذلك).

وقال أيضا: (إن علماء الشيعة مع قبولهم القرآن ونهج البلاغة وكتاب الكافي يعتبرون كل رواية نقلها أحد الرواة حجة؟ وأسوأ من كل هذا، هو أن هؤلاء العلماء غفلوا وقبلوا الخبر ونُقل بتوقيع الإمام القائم ويقولون إنه قال في توقيعه: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)(٢).

فمن الأسباب الواضحة في ضلال الشيعة وانحراف أتباعها هو اعتمادهم على كتاب الكافي الذي ادعوا زورا وبهتانا أنه كاف لهم !!! وقد أضلهم ضلالا مبينا.

وهذا يدل على ابتداع الفرق الضالة جميعها مناهج في التلقي تخالف منهج أهل السنة والجماعة، ومن وفقه الله للحق منهم أدرك ذلك واضحا جليا، وضوح الشمس في كبد السماء، لا تواريها سحابة.

---

(١) كسر الصنم أو ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن الكريم والعقل "نقض كتاب: أصول الكافي للكليني"، آية الله العظمي السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي، ترجمة: عبد الرحمن ملا زاده البلوشي ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠.

المطلب الرابع: وسائل الإعلام:

إن أعداء الإسلام يستخدمون وسائل وأساليب متعددة يستحوذون بها على قلوب الناشئة، منها الإعلام بأنواعه المسموع منه والمرئي والمقروء، وهناك فضائيات ومواقع ووسائل تواصل اجتماعي تبث سمومها بالليل والنهار.

فيجب التحذير وأخذ الحيطة من تلك الأبواق الإعلامية التي تشوه الحقائق، وتروج الأباطيل وتزخرفها للناس حتى تود أن تلبسها لباس الحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(١) .

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

المبحث الثاني

آثار التحولات الفكرية على الدعوة الإسلامية

لكل فكر أثر ونتيجة أو سلوك يصدر عنه، وقد يكون الأثر سلبيا أو إيجابيا، وهذا المبحث مخصص لرصد وتتبع بعض الآثار والنتائج المترتبة على التحول الفكري.

وسوف يكون حديثنا عبر مطلبين اثنين تحت كل منهما عناصره- كما في الآتي:

المطلب الأول: آثار التحولات الإيجابية على الدعوة الإسلامية:

أولا: زيادة انتشار معتقد السلف في الأمصار الإسلامية:

كان لتحول بعض العلماء من المذاهب التي تؤول الصفات إلى مذهب السلف الذي يري تمريرها كما وردت، وتفويض كيفيتها إلى اللهـ/عز وجل، أثر كبير في ترسيخ معتقد السلف بين جمهور الناس، وقناعتهم به، والتأكيد على أنه الحق الذي لا مرية فيه.

ذكر الإمام الذهبي رحمه الله عن الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله أنه كان (عجبا في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم) (١).

وقال الإمام الندوي رحمه الله: (... فوفق الله الإمام أبا الحسن الأشعري، فصار يفحم المعتزلة، ويقنع الشباب المتأثرين بعض التأثر، أو كل التأثر بالفكر المعتزلي الفلسفي، فكان يجيبهم كما يجيب معلم حاذق كبير أطفالا صغارا، وتلاميذ أحداثا)(٢).

وقام أبو الحسن الأشعري رحمه الله بتأليف مصنفات للدفاع عن معتقد السلف

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٥/٨٦.

(٢) في رحاب الدعوة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ١٥٨، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، دار الفارابي، دمشق، ط/١: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

رحمهم الله مثل كتابه الإبانة في أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين وغير ذلك.

وقال عنه الإمام الذهبي رحمه الله مؤكدا عودته إلى مذهب السلف في الصفات: (رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت. ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول)(١).

ولقد أرسي الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله دعائم العقيدة السلفية وقام بتبسيطها والرد على شبهات الفرق الضالة.

والشيخ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي- كما ذكرنا آنفا- هو من أوائل من أدخل العقيدة السلفية إلى المغرب.

وبعض المتحولين فكريا إلى مذهب السلف قام بطباعة الكتب التي تشري هذا المعتقد، فهذا هو الشيخ التلمساني الذي ذكرناه آنفا بعد أن هداه الله إلى معتقد السلف أخذ يطبع كتب السلف فطبع منها النونية للإمام ابن القيم، والصارم المنكي للإمام ابن عبد الهادي، والاستعاذة من الشيطان الرجيم للإمام ابن مفلح، والمؤمل إلى الأمر الأول للإمام أبي شامة، وغاية الأماني في الرد على النبهاني للإمام الآلوسي، وصار التلمساني من دعاة عقيدة السلف(٢).

وبعضهم تحول من الدعاء على علماء الدعوة السلفية ولعنهم إلى الدعاء لهم، وتعطير الأفواه والأجواء بذكر محاسنهم وفضلهم.

(كان يوجد في بعض مدن الهند عالم يدرس في المساجد وكان من عادته إذا انتهي من الدرس يدعو الله كثيرا وكان في دعائه أنه يدعو على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويلعنه.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٥/٨٦.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٤٤٠.

وكان ممن يحضر درسه طالب سعودي(١).

فكر الطالب السعودي كيف ينقذ هذا المدرس المسكين الذي ضللته الدعاية المضللة حتي وقع في هذه الورطة، فهداه تفكيره بإذن الله إلى الحيلة الآتية:

عمد إلى كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فنزع عنه الغلاف والورقة الأولي التي تحمل اسم المؤلف ثم تقدم إلى المدرس الهندي فطلب منه أن يقرأ هذا الكتاب ثم يخبره عن مضمونه وما رأيه فيه.

فأخذ المدرس الكتاب فقرأه فأعجب به فسأله الطالب في غد عن الكتاب فأخذ المدرس يثني على الكتاب ثناء عظيما، ويصفه بأنه من أحسن الكتب في بابه، فقال الطالب السعودي: إن مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن عبد الوهاب الذي تلعنه، فقدم له الغلاف والورقة المتروعة التي فيها اسم الشيخ، فاندهش المدرس فتندم وأخذ يدعو للطالب، ثم غير موقفه من الشيخ بل غير أسلوب الدعاء فجعل يدعو للشيخ آخر كل درس بدلا من الدعاء عليه فنسأل الله تعالى أن يعفو عنه.

ولقد لقيت هذه الدعوة من أعدائها مشاكل ومحنا لم تلق مثلها أية دعوة في العصر الحديث في الغالب ولكنها نجحت نجاحا لم يكتب لغيرها من الدعوات في الغالب.

فجزي الله صاحبها ومن حملها من بعده خير ما جازي به المصلحين. كما نسأله تعالى أن يثبت ملوك آل سعود وأمراءهم الذين كانوا لهذه الدعوة خير عون والذين قاموا بنشرها والدفاع عنها ونشر كتبها ولا يزالون كذلك تقبل الله منهم عملهم(٢).

ولا أحد ينسى دور الجامعات السعودية في الوقت الحاضر في نشر عقيدة السلف، خصوصا خريجي الجامعة الإسلامية، حيث تبنوا جامعات ومدارس ومراكز في الهند

---

(١) أغلب الظن أنه الشيخ عبد الله القرعاوي عندما كان يطلب العلم في الهند، والله أعلم.

(٢) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي ص ٤٥- ٤٦ باختصار يسير، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/٤.

وباكستان، وإندونيسيا والسنغال ونيجيريا، وغير ذلك، وكثير ممن درسوا في الجامعات السعودية خاصة الجامعة الإسلامية، حينما قدموا كانوا متأثرين بما هو سائد في بلادهم وبيئاتهم، وبعد دراستهم تحولوا إلى المذهب الحق، وكان لهم جهود كبيرة في مجتمعاتهم لربط الناس بعقيدة السلف رحمهم الله.

ثانيا: تعزيز نقد التشيع على نطاق واسع:

كثيرون ممن هداهم الله تعالى إلى أهل السنة قاموا بتصنيفات جياد، قاموا من خلالها بكشف عوار التشيع ونقده وتعريته بالنصوص الدينية، والدلائل التاريخية، والبراهين العقلية.

فقد بيّن الإمام أحمد الكسروي رحمه الله مثلا أن أول شيء اتسخ به التشيع هو طعنهم في الصحابة رضي الله عنهم قال عن الشيعة: (اجترأت على إساءة ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هذا أول ما توسخ به التشيع)(١)، ووضح فساد الزيارة عندهم فقال: (ويعتقد الشيعة في الزيارة ما يعتقدون في البكاء على الحسين، أي يحسبونها موجبة لغفران الذنوب، ودخول الجنة، ويزعمون أن الملائكة يستقبلون الزوار، ويبسطون أجنحتهم تحت أقدامهم.

فهذا من أشد الضلالات وأضرها، لأنه يصرف الناس عن التوجه إلى الله تعالى)(٢).

أما عن دعوي إمامهم الغائب فوضح أنها من الخرافات التي لا يقرها دين ولا عقل ولا تاريخ:

---

(١) التشيع والشيعة، أحمد الكسروي ص ٣٥، راجعه وصححه وعلق عليه: د. ناصر بن عبد الله القفاري، د. سلمان بن فهد العودة، ط/١: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٢) المرجع السابق ص ١١٤.

وقد أثني الكسروي على دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب، وأنها أثرت في طوائف المسلمين كلهم غير الروافض(١).

وقال: (نحتاج إلى كلام طويل لنوضح ضلال هذه الطائفة عن الدين، وتوغلهم في الكفر)(٢).

أما الإمام البرقعي فقد كسر القيود كلها في مجال النقد للفكر الشيعي الضال، حتي وصل إلى الجبل الأشم والصخرة الصلبة عند الشيعة وهو كتاب الكافي للكليني، فقام بنقد لاذع لهذا الكتاب الأم في عقيدتهم.

كما ناقش البرقعي بعضا من الإشكالات في مذهب الشيعة فقال مخاطبا علماءهم ومراجعهم الدينية: (لماذا لم يبين الله تعالى صراحة لرسوله ﷺ وللرعيل الأول من المسلمين في صدر الإسلام أن أصول الدين التي تزعمونها أنتم؟ لماذا لم يقل إن أصول الدين خمسة(٣)؟ تري هل ترك ذلك لعلماء إيران؟ كي يأتوا بعد ألف سنة ويفكروا ويفرضوا برأيهم وعقلهم وفكرهم أصولا للدين والمذهب؟!

أو لماذا لم يقل إن العدل من أصول الدين أو المذهب، حتى يجعل الإمامية العدل أصلا من الأصول؟

تري لماذا جعل صانعو المذهب الإمام أصلا للدين وعدم الإيمان بالإمام كفرا؟

مع أن الأئمة اعتبروا أنفسهم من أتباع الدين وكانوا كذلك، ولم يكونوا أصل الدين وفروعه، فهل كان على رضي الله عنه الذى صلى وصام أصلا من أصول الدين أم كان تابعا من أتباعه؟

لماذا صنع الذين يدعون محبة على وطاعته لأنفسهم مذهبا؟ ! وهل ادعى على

---

(١) التشيع والشيعة ص ١١.

(٢) المرجع السابق ص ١٢.

(٣) أصول الدين عند الشيعة الجعفرية الاثني عشرية خمسة: "التوحيد، النبوة، العدل، المعاد، الإمامة".

رضي الله عنه لنفسه أنه يأتي بمذهب؟ هل كان هو نفسه جعفريا أو زيديا أو صوفيا أو شيخيا؟ هل ادعي الإمام جعفر الصادق بأنه قد جاء بمذهب اسمه الجعفرية أم أن تجار الدين وضعوا مذهبا باسمه تقليدا لسائر المذاهب؟

أليس دين الله دينا واحدا ومسلكا واحدا وطريقا واحدا أم هو مئات المسالك والمذاهب؟(١)

ومما لا مراء فيه أن الدعوة الإسلامية قد أفادت من هذا النقد النافذ إفادة كبيرة، ولا أدل على ذلك من أعداد الشيعة الذين تحولوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

(أكد الداعية الإسلامي الكويتي الشيخ عثمان محمد الخميس أن أعدادا كبيرة من الشيعة الاثني عشرية بدأوا في التحول من المذهب الشيعي إلى أهل السنة والجماعة، وقال الخميس: إن هذا الكلام من واقع إحصاءات مثبتة لدينا بالتعاون مع دعاة وطلبة علم في السعودية والبحرين ودول الخليج.

وأضاف الخميس: إن عدد من تحولوا من الشيعة إلى السنة في الكويت بلغ ٤٠٠ شخص، وفي السعودية ٤٠٠٠ شخص، وفي البحرين ٧٠٠ شخص، وفي الأهواز عرب إيران تحول مائة ألف شيعي إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وفي داخل إيران بل في طهران وقم تحول العشرات من الشيعة إلى السنة، وهناك المئات من العراقيين الذين تحولوا ولكن لم يكشفوا عن أنفسهم خوفاً من ميلشيات القتل والإرهاب.

أما الذين تحولوا للسنة و لم يكشفوا عن أنفسهم فقال الشيخ الخميس: إن عددهم تجاوز الثلاثة آلاف شخص في السعودية وأربعمائة شخص في الكويت وألف ومائتين شخص في البحرين، والآلاف في منطقة الأهواز.

---

(١) كسر الصنم ص ٢٧ -٢٨ باختصار.

هذه الأرقام أعلنها الشيخ "الخميس" في محاضرته التي ألقاها في "أحدية" محمد الجبر الرشيد في الرياض والتي كانت بعنوان "لماذا الطائفية؟ " والتي ركز فيها على ضرورة دعوة الشيعة لمذهب أهل السنة والجماعة(١).

ثالثا: تعزيز نقد الفكر الصوفي المنحرف على نطاق واسع:

عندما تحول بعض الدعاة من التصوف الذي كان عليه إلى مذهب أهل السنة، أفاد الدعوة الإسلامية أيما إفادة في هذا الجانب، فليس الخبر كالمعاينة، وليس من راء كمن سمعا.

إن مخالطة هؤلاء المتحولين لمشايخ الصوفية سنين طويلة أورثتهم خبرة كافية عن المذهب تغنيهم عن قراءة آلاف الكتب عن التصوف وحقيقته، وإذا انتقدوا فهم المقدَّمون على من سواهم، وإن تحدثوا فهم أهل المعرفة لا غير.

فلقد انتقد الإمام ابن القيم رحمه الله كثيرا من كلام الصوفية الذي لا يتوافق مع منهج الوحي في كتابه الماتع (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، وتحدث الشيخ محمد جميل زينو عن التصوف في كتابه (معلومات مهمة عن الدين)، والذي أفرده في رسالة مستقلة جاءت بعنوان (الصوفية في ميزان الكتاب والسنة)، فذكر حوالي أربعة وعشرين من المسالك التي انحرف بها الصوفية عن منهج الإسلام سواء في مجال الاعتقادات أو الأعمال، بل ذكر أن العقل السليم يرفض هذه البدع التي توقع في الشرك والكفر(٢).

---

(١) الشبكة العنكبوتية، موقع موسوعة الرشيد، تاريخ الزيارة ٢٥/٣/١٤٣٨هـ، www.alrashead.net/index.php?partd=٩&derid=٧٣٢

(٢) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة ص ١٨، دار المحمدي، جدة، السعودية ط/٤: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

وقد تحدث في كتابه هذا عن أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وقصة الخضر عليه السلام وهل فيها خروج عن الشريعة الإسلامية، وقد ناقش الشبهات التي يستند إليهما من يحتفل بمولد النبي ﷺ وقال: (لا أحسب إيمانك وتقواك واتباعك لحبيبك محمد ﷺ وتقديم شرعه على هواك ورأيك وآراء الناس وأقوالهم، لا أحسب ذلك كله إلا يقول لك: (لاتحتفل)(١)، كما أشار إلى كتاب دلائل الخيرات، وهو منتشر في العالم الإسلامي، وبيَّن المخالفات الشرعية الكثيرة فيه.

وطالما يطلب الناس من دعاتهم البديل في قراءة الكتب التي يوصوهم بعدم قراءتها، وهذا ما سلكه الشيخ ابن زينو عندما قال: (عليك بقراءة كتاب (فضل الصلاة على النبي ﷺ) للشيخ إسماعيل القاضي، كما أن هناك كتابا جيدا اسمه (دليل الخيرات) لمؤلفه (خير الدين وانلي) جمع فيه صلوات وأدعية صحيحة يغنيك عن دلائل الخيرات)(٢).

أما كتاب د. عبد الرحمن الوكيل الموسوم ب (هذه الصوفية) فقد قام بتوجيه نقد كبير للتصوف المنحرف، حتى أورده هذا الأمر المهالك.

إلا أنه أصر خوض المعركة مع التصوف الفاسد، حتي يساهم في تجلية العقيدة من الرواسب التي علقت بها.

---

(١) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤.

المطلب الثاني: آثار التحولات السلبية على الدعوة الإسلامية:

أولا: تمزيق الأمة الإسلامية وتفرقها.

نهي الإسلام عن الفرقة والتشرذم والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١) ، وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢) .

لقد كان المسلمون أمة واحدة، لا فرقة بين نسيجها ولحمتها ولا خلاف، تعيش في سؤدد ومنعة، لما كانوا بالله معتصمين، وبهدي نبيهم مستمسكين، فلما ابتعدوا رويدا رويدا عن المنهج الرباني، دب الخلاف، ونشأ الشقاق، ونبت التراع، حتى صرنا فرقا شتى، ومذاهب متعددة، وشيعا متباينة، ابتداء من أول بدعة وقعت في الأمة الإسلامية وهي بدعة الخوارج، ومرورا بالروافض أفسد الفرق رأيا، وأضلها فكرا، وأقبحها اعتقادا، ثم فرق المرجئة والمعتزلة وغيرها، وحتى وقتنا هذا تظهر فرق، وتنبت جماعات، ونسمع عن مسميات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، كلها تدعي أنها جماعة المسلمين، وأن الحق معهم لا غير.

ونري بعض الناس يدعي (أن الاختلاف رحمة اعتمادًا على حديث موضوع: (اختلاف أمتي رحمة)(٣). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) قال الإمام السخاوي: (كثير من الأئمة ذكروا أنه لا أصل له). انظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ١/ ٧٠ دار الكتاب العربي.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدها. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾(١).

والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوي باطل ولا يصح بحال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعوي، يضاف إلى ذلك مخالفته للمعقول، فإنه لا يتصورَ عاقل أن الاختلاف رحمة، بعدما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بل وربما القتال والحروب التي كثيرًا ما ثارت بين الناس بسبب الاختلاف، حتى في بعض مسائل الفروع)(٢).

ولا يخفي على عاقل ضرر الاختلاف والفرقة خارجيا في نشر الدعوة الإسلامية.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: (وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائما على ساقه في أيامه في بلاد الروم والإفرنج وغيرها، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين على ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأي ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تداني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت.

فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة(٣).

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨- ١١٩.

(٢) أصول الإيمان في الكتاب والسنة ص ٣٩٣-٣٩٤ باختصار يسير، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط/١: ١٤٢١هـ.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٧/٨.

ثانيا: الجدل والخصومات والمراء في الدين:

من مناهج الكفار والمشركين وأتباعهم الصادين عن سبيل الله أنهم يكثرون من الجدال والمراء في مسائل الدين الاعتقادية والعملية، وهذا له أثر سيئ على الدعوة الإسلامية.

قال الله عز وجل: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾(١).

وقال أيضا في الآية التي تليها: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾(٢).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ))(٣).

يقول د. ناصر العقل موضحا أن السمة الغالبة عند أهل الأهواء هي استعمال المراء والجدال في الدين: (من أعظم أسباب رواج الأهواء والبدع: المناظرات والجدل والتخاصم فيها علنا أمام الأحداث والعامة والولاة، والجهلة وضعاف الإيمان، فضلا عن أهل الزيغ والنفاق والزندقة، فإنما يتغذون وتروج مذاهبهم بالجدال والخصومات، ولذلك لم يعرف الجدال والخصومات في الدين إلا حينما ظهرت الفرق- الخوارج والشيعة والقدرية وأهل الكلام- لأن أهل الحق لا يمارون ولا يتخاصمون ولا

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، ٤/٤٠٠، رقم ٤٨٠٢، وقال الألباني: حديث حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٥٥٣، رقم ٢٣٧.

يخاصمون في الدين)(١).

ومما لا شك فيه أن المراء والجدال له أثر سيئ على المجتمع، فيكثر التطاول بالألسنة بين المتجادلين، وربما تحدث القطيعة فيما بينهم، وقد يخرج بعضهم بعضا من الملة. ولهذا كان السلف ينهون عنه.

فالإمام ابن سيرين رحمه الله كان ينهي عن الجدال، إلا رجاء إن كلمته يرجع(٢)، وقال مالك: الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويورث الضغن(٣).

قال الإمام الذهبي رحمه الله: كان السلف يزجرون عن التعمق، ويبدعون أهل الجدال(٤).

ومما سبق تتضح المآلات السيئة للجدال في الدين والمراء فيه، وفتح المجال ليقول فيه من شاء ما شاء.

ثالثا: تقديس آراء الرجال لا تقديس الحق:

يُرفع الأذان في كل يوم وليلة بقول المؤذن في بداية الأذان وفي منتهاه (الله أكبر. الله أكبر)، وفي جميع صلواتنا شُرع التكبير في الانتقال من حركة إلى أخري، و كذلك في عيد الفطر وفي عشر ذي الحجة حتى آخر أيام التشريق.

ولعل من أهم الحكم وراء ذلك: أن لا نعظم أحدا إلا الله.

والمقصود بذلك أن أهل العلم قد يلتبس الحق عليهم بالباطل تارة، لأنهم ليسوا

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل ص ٣٢٩.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤/٦١٤.

(٣) المرجع السابق ٨/١٠٦.

(٤) المرجع السابق ٩/٣٣٤.

بمعصومين، والمشكلة في أشياعهم إن أصروا على اتباعهم في هذا الخطأ العلمي، حتى بعد معرفتهم عدم صحة كلام شيوخهم.

وقد وضع لنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته الماتعة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) الأسباب التي دعت العلماء إلى مخالفة بعض النصوص الشرعية، وقيَّدها بقيودٍ دقيقة رصينة.

قال رحمه الله: (يجب على المسلمين- بعد موالاة الله ورسوله ﷺ موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن. خصوصا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

إذ كل أمة- قبل مبعث محمد ﷺ فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما يتعمد مخالفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول وعلي أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه).(١)

بل إن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومسيرته العلمية ونقده لبعض الآراء في المذاهب الأربعة وغيرها، واختياراته وترجيحاته وتضعيفاته لمسائل بعينها، إن هذا ليُعد منه من أكبر النماذج وأعظم المُثل على تقديس الشيخ رحمه الله للحق وحده، وأنه لا

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ص ٩-١٠، المكتبة العصرية، بيروت.

يقدس صاحب مذهب مهما علا قدره، وعلى الرغم من تنويهه بفضله وسبقه وعلمه وعلو كعبه ومكانته.

ويوصى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الدعاة ومعلمي الناس الخير بالتعاون على البر والتقوى فيقول: (وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى.

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدا بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاة من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا مواليا ومن خالفهم عدوا باغيا؛ بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله؛ ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله؛ ويحرموا ما حرم الله ورسوله؛ ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله. وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهل ولا بهوي بل ينظر في الأمر فإذا تبين له الحق أعان المحق منهما على المبطل سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره؛ وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله).

إلي أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن مال مع صاحبه سواء كان الحق له أو عليه فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله، والواجب على جميعهم أن يكونوا يدا واحدة مع المحق على المبطل، فيكون المعظم عنده ممن عظمه الله ورسوله، والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله، والمحبوب عندهم من أحبه الله ورسوله، والمهان عندهم من أهانه الله ورسوله، بحسب ما يرضي الله ورسوله لا بحسب الأهواء)(١).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار ٢٨/١٥-١٧ باختصار يسير، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، ط/٣: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي غير النبي ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة، يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون) (١).

ومن يقرأ رسالة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الموسومة ب (رفقا أهل السنة بأهل السنة) يجد فيها موضوعا بعنوان: (بدعة امتحان الناس بالأشخاص)، ذكر فيه أن هذه بدعة منكرة حدثت في هذا الزمان، وإذا كانت نتيجة الامتحان الموافقة لما أراده الممتحِن ظفر بالترحيب والمدح والثناء، وإلا كان حظه التجريح والتبديع والهجر والتحذير(٢).

لقد قال على بن أبي طالب رضي الله عنه مبينا لنا الخطأ الشنيع الذي يعتري كل من يقدس أشخاصا وأفرادا بعينهم ويغض طرفه عن الحق.

روي اليعقوبي في تاريخه أن الحارث بن حوط الراني قال لعلي رضي الله عنه: (أظن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل، فقال: يا حارث! إنه ملبوس عليك، وإن الحق والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه)(٣).

يجب على الدعاة الصادقين أن لا يَعرفوا الحق بأهله، بل أهل الحق إنما يُعرفون بالحق.

ولقد عانت الأمة الإسلامية من ويلات الانحراف في هذا الأمر سواء بما سمعنا من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم ١٤٩/١، دار الكنوز الأدبية، الرياض: ١٣٩١هـ.

(٢) رفقا أهل السنة بأهل السنة ص ٣١٨، وهي رسالة ماتعة في تجسيد واقع بعض الدعاة في هذا الزمان وعلاج أزماتهم.

(٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهيب بن واضح ٢٤٨/٢، مطبعة ليدن: ١٨٨٣م.

ضغائن بين أتباع المذاهب الأربعة، أو بما ضل به الصوفية والروافض بتقديس مشائخهم وأصحاب العمائم عندهم الذين ضلوا وأضلوا. فمن أين كان انحراف التصوف عن سنن الإسلام القويم؟

إنها علل كثيرة، وأسباب متشعبة، لكن لعل من أهمها أنهم أمروا المريد بطاعة عمياء لشيخه، حتى وإن أخطأ.

أوهموا (أن الشيخ جاسوس القلوب يدخل ويخرج دون علم المريد، فأوجبوا على مريديهم أن يكونوا كالميت بين يدي المغسل أمام شيوخهم، وأمروهم إذا رأوا الشيخ يزني، عليهم أن يقدموا له الماء) لأن الحقيقة شيء آخر.

وحجروا عليهم التفكير الحر (ما أفلح مريد قال لشيخه لم !)(١).

وهذا عين ما عند الروافض الذين قالوا بالعصمة لأئمتهم، مما كان باعثا لدى بعض الباحثين في عقد مقارنات بين التصوف والتشيع.

وكم نقرأ في خبر من غبر من شحناء وبغضاء وغيبة وحقد وحسد وقعت في الحقل الدعوي نتيجة البعد عن تقديس الحق وحده.

هذه هي بعض الآثار السيئة المترتبة على التحول الفكري، وإن كانت الآثار أكثر من ذلك، لكن كان تعويلنا على الأهم منها.

فأكثر مخلفات التحول الفكري السلبي ونتائجه السيئة وآثاره المدمرة: إنما هو ضعف يسود الأمة، وتوهين لها أمام أعدائها، وتفرق قوتها، وذهاب ريحها.

بالإضافة إلى كثرة الجدال واللجاج والعناد والتعصب الذي يطفو على الساحة الدعوية، وهو يهدم أكثر مما يبني، ويدمر أكثر مما يعمر.

---

(١) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة ص ، ٢٧.

المبحث الثالث

سبل معالجة التحولات الفكرية السلبية

ما من داء إلا وله دواء، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، وإن التحول الفكري السلبي له معالجات وأدوية، وهي شافية كافية، من هُدي إليها فقد هُدي إلى صراط مستقيم، ونتحدث عن أهمها فيما يلي.

المطلب الأول: وحدة مصدر التلقي:

من دواعي العصمة للأمة الإسلامية من الانزلاق في مهاوي الضلالة، وغيابات الجب، ومدارك البدع، هو أن دينها مبني على الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف الصالح.

قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (دين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول)(٢).

والمناهج الأخرى المجانبة لهذا الطريق هي مناهج كاسدة خاسرة، هالكة ضالة، مضلة مفسدة.

(فأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم ١/١٤٩، دار الكنوز الأدبية، الرياض: ١٣٩١هـ.

الغالين)(١).

وهذا من رحمة الله تعالى وكمال حكمته، وتمام علمه بخلقه، فكم من المسائل التي يعجز الأريب عن الوصول إلى حكمة من وراء تشريعها، وإن وُفق إلى حكمة غابت عنه حكم، وجهل عللا، لكن يأتي العلم الحديث ليؤكد لنا صدق الله فيما قال، وصدق النبي ﷺ في بلاغه عن ربه عز وجل؟!.

فالعقول متفاوتة، متناقضة، متشاكسة، حتي في أوجه الاستحسان للأشياء واستقباحها، نجد فيما بينها تفاوتا وتغايرا، ولهذا إنما هي وسيلة لفهم مراد الله ورسوله، وإن وجد أناس يتوجهون بتلقيهم الدين من شيخ يتعصبون لكلامه، وييممون قبلتهم نحو اتجاهاته وترجيحاته وآرائه، فإن أهل السنة والجماعة إنما يعتقدون بأن العصمة منوطة برسول الله ﷺ فحسب، وأمَا وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى فقد دفنت العصمة بوفاته ﷺ.

قال الإمام مالك رحمه الله: (كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك، إلا صاحب هذا القبر ﷺ)(٢).

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله.

ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين، وهذا يلزم منه ما قبله لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولا ممن كان قبلهم فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولا بطريق الأولي، كالثوري

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء ص ٣٩٦.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٩٣/٨.

والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم، وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضاً.

فإن هؤلاء كلهم أقل كلاماً ممن جاء بعدهم، وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله)(١).

وكيف يكون هذا؟ !!! وفهم دلائل الكتاب والسنة (إنما يؤخذ من الصحابة رضي الله عنهم ففيهم تكلم الرسول ﷺ وعليهم نزل الكتاب، فهم أعلم الناس بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ خاصة بعد أن كثرت البدع، وقلّ العلم، وفسدت الفهوم، وهُجرت السنة)(٢).

ثم إنه ماذا يعني الإسلام في الأساس إلا أنه: الاستسلام والقبول وانشراح الصدر والإذعان لكل ما أمر به ونهي عنه الله ورسوله ﷺ، وهذا مقتضي الإيمان، ومقتضي قول العبد أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٣) .

وقضية وحدة التلقي هي الفيصل بين كمال الإيمان ونقصانه، أو إن شئت قلت هي فيصل بين إيمان ونفاق، وطاعة وفسوق.

قال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(١) .

---

(١) فضل علم السلف علي علم الخلف، الإمام ابن رجب الحنبلي ص ٦١، دار الصميعي، الرياض.

(٢) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ص ٥١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ، وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

ويقتضي اليقين بوحدة مصدر التلقي: التجرد للحق وحده، والتخلص من جميع شوائب النفس.

والدعاة هم أولي الناس بذلك، لذا كان واجبا عليهم أن يدعو بدعاء الرسول ﷺ الذي رواه الترمذي- في سننه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: (واسلُل سخيمة صدري)(٣).

ومعناه: أي غشه وغله وحقده(٤).

إن الدعاة إلى الله لهم في حاجة ماسة إلى الإخلاص والتجرد في طلب الحق وحده، ولم لا! وسيد الدعاة ﷺ حضر- قبل النبوة- حلف الفضول الذي نص على نصرة المظلوم حتى يردون له مظلمته ممن ظلمه، شريفا كان أو وضيعا، غريبا كان أو قريبا،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور، الآيات: ٤٧-٥١.

(٣) أخرجه الترمذي، باب: في دعاء النبي، صلي الله عليه وسلم ٥/٥٥٤، رقم ٣٥٥١، وقال أبو عيسي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الشيخ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٣٧٨/٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

غنيا أو فقيرا.

وهذا هو مشهد آخر من حياة سيد الدعاة ﷺ يربينا من خلاله على التجـــرد للحق وحده، حتى ولو أتى على لسان العدو، فعن قتيلة بنت صيفي الجهينية قالـــت: ((أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ، فقال يا محمد: نِعْم القومُ أنتم لـــولا أنكـــم تشركون، قال سبحان الله ! وما ذاك، قال تقولون إذا حلفتم والكعبة، قالت فأمهـــل رسول الله صلي الله عليه و سلم شيئا ثم قال: إنه قد قال، فمن حلف فليحلف بـــرب الكعبة، قال يا محمد: نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندا، قال سبحان الله، ومـــا ذاك، قال تقولون: ما شاء الله وشئت، قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئا ثم قال: إنه قد قال، فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت))(١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٧١/٦، رقم ٢٧١٣٨، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

المطلب الثاني: مجانبة أهل الأهواء والبدع:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا﴾(١).

وروي الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ في سبب نزول الآية عن الشعبي رَحِمَهُ اللهُ قال: (كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية ابن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر؛ وهو الذي قال: (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا)(٢).

إن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم ومعاشرتهم- كما قال د. ناصر العقل- (سبب لانتقال العدوى منهم، فإن المرء من جليسه، والإنسان مدني بالطبع يتأثر بمن حوله.. .... ومهما بلغ الإنسان من الاستقلالية بزعمه والاعتداد بنفسه والثقة بعقيدته، فإنه لا بد أن يتأثر بمن يخالطهم، خاصة أهل الأهواء، لأنهم يزينون ما هم عليه ويزينها الشيطان، فتبدو للإنسان غريبة جذابة، فهذا المأمون وهو من هو في اعتداده بنفسه تأثر بالجهمية، قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي: (خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ ثم قوي عزمه وامتحن الناس)(٣).

كذلك تأثر الخليفة الواثق بأحمد ابن أبي داود الذي كان قاضي القضاة آنذاك.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٢٦٢/١٩، مؤسسة الرسالة ط/١: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢٣٧/١١، وانظر: دراسات في الأهواء و الفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر العقل ص٣٦٣ باختصار يسير جدا.

قال الخطيب رحمه الله: (استولي أحمد بن أبي داود على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن، وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته).(١)

ولقد تأثر أبو طالب أثناء موته بأبي جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وقد أمراه أن يموت على دين الآباء والأجداد.

روي الإمام البخاري رحمه الله عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنهما أنه أخبره ((أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول لا إله إلا الله))(٢).

وهذا يدل على أن الشخص يتأثر بجلسائه ورفقائه، ومن يؤاكلهم ويؤانسهم، ويغدو معهم ويروح.

ويروي في ذلك الإمام البخاري في صحيحه عن أبي موسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة))(٣).

فإذا أراد الله بعبد من عبيده خيرا وفقه لمعاشرة أهل السنة وأهل الستر والصلاح

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣٠٧/١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند موته لا إله إلا الله، رقم ١٢٩٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب: الذبائح والصيد، باب: المسك، رقم ٥٥٣٤.

والدين ويرده عن صحبة أهل الهوى والبدع والمخالفين.

ويصور ذلك على بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ذكر صحبة رجل فقال:

لا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردي ... حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما المرء ماشاه
وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه
وللقلب من القلب ... دليل حين بلقاه(١)

وترك البيئة الفاسدة والمنبت السوء وتبديله بالذي هو أحسن واجب على جميع المتحولين فكريا إلى الحق، ويمكن الاستئناس هنا بما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتي راهبا فسأله فقال له: هل من توبة، قال لا: فقتله فجعل يسأل فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا...))(٢).

ومن ألوان الكتب الكثيرة المعاصرة التي تدلنا على أن القرب من أهل البدع ربما أوقع في البدع، واللصوق بأهل الأهواء قد يهوي بالمرء إلى مدارك السوء ومهاوي التهلكة، إن لم يحظ بتثبيت رباني، وتأييد إلهي- كتاب (حوار مع صديقي الشيعي) للمدعو: الهاشمي بن علي، وهو يحكي قصته في تحوله من السنة إلى الشيعة بواسطة صديق شيعي له وقعت بينهما حوارات ومناقشات ومساجلات في مدينة قابس، أدت في آخرها إلى قوله البغيض: (ثم تبين الصبح لذي عينين، فسبحان مغير الأحوال، إذ

---

(١) آداب الصحبة، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق: مجدي فتحي السيد ص ٤١، ٤٣، دار الصحابة للتراث، مصر، ط/١: ١٤٣٠هـ/١٩٩٠م،.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٧٠.

بينما أنا جاهل بكل عقائد الشيعة، بل كان في ذهني حولها نفور شديد، إذ بي أري الحقيقة ساطعة بعد أن أزال الضباب)(١).

وقال- وبئس القول- (ووجدتُ أن صفو الإسلام عند عقائد الشيعة، بعد ربط الخيوط مع بعضها، ووضع الصور إلى جانب بعض)(٢).

وبسبب ذلك المآل السوء ما يزال علماء السلف يحذرون من أهل الأهواء والركون إليهم ومجالستهم خوف الفتنة، ونذكر طرفا من أقوالهم فيما يلي:

- روي الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله- بسنده عن الحسن قال: (لا يمكن أحدكم أذنه من صاحب بدعة)(٣).

- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله على محمد ومن زوجه كريمته فقد قطع رحمها ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع)(٤).

وقال رحمه الله: (إن لله ملائكة يطلبون حِلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك لا يكن مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد

---

(١) حوار مع صديقي الشيعي، الهاشمي بن علي ص ١٥٢، مركز الأبحاث العقائدية.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢.

(٣) تاريخ بغداد، الإمام أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ٢٢٧/٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ٣٣٠/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

مع صاحب بدعة)(١).

وقال رحمه الله: (آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد)(٢).

- قال الإمام عبد الله بن عمر السرخسي رحمه الله: (أكلت عند صاحب بدعة أكلة، فبلغ ذلك الإمام ابن المبارك فقال: لا كلمتك ثلاثين يوما)(٣).

- قال القاسم النصرآباذي رحمه الله: (بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره الإمام أحمد بن حنبل(٤).وكان أحمد بن حنبل يكره للحارث المحاسبي نظره في الكلام، وتصانيفه الكتب فيه، ويصد الناس عنه(٥).

بل خص بعض علماء أهل السنة(٦) بتصنيف كتب عن هجر المبتدع، وتحذيرهم من مجالسته.

---

(١) الإبانة الكبرى، الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، ٤٥٩/٢، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التو يجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

(٢) شرح السنة، الإمام الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني ص ٦٠، دار ابن القيم، الدمام، ط/١: ١٤٠٧هـ.

(٣) الثقات، الإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ٨ /٣٥٠، دار الفكر، ط/١: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٤) تاريخ بغداد ١٠٤/٩.

(٥) المرجع السابق ١٠٤/٩.

(٦) انظر: مثلا رسالة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد بعنوان: هجر المبتدع.

المطلب الثالث: الالتفاف حول المجامع الرسمية والحذر من المجامع الأهلية المشبوهة والفتاوى الشاذة:

من السبل الهامة التي يحصّن بها المرء نفسه بل ويتحصن بها المجتمع بأثره من الانزلاق في مهاوي الغواية والضلالة، وأن يتحول من الطريق المستقيم إلى طريق الشيطان: الالتفاف حول المجامع الرسمية والأخذ باجتهادات علمائها في النوازل والمسائل الفقهية، لأن تلك المجامع قائمة على أصول علمية راسخة، وعلماؤها هم العلماء الرسميون المتخصصون، الذين يجب أن يؤخذ عنهم العلم، وهم جديرون بكل ثقة وإجلال.

ولا بد هنا من التحذير من الانسياق وراء الفتاوى الشاذة أو الصادرة عن مجامع غير رسمية، حيث إن فتاوى تلك المجامع يغلب عليها طابع الهوى أو المصالح الشخصية.

المطلب الرابع: المحافظة على الوحدة الفكرية:

إن الرابطة في المجتمع الإسلامي هي رابطة عقدية، وأخوة إيمانية، وعلي هذا فمهما رسخ الاعتقاد وقوي الإيمان عند أفراد المجتمع، قويت الأخوة والرابطة التي تشد بينهم.

وعلي هذا فالمحافظة على سلامة المعتقد ووحدته يتطلب المحافظة علـــى الناحيـــة الفكرية المؤثرة فيه، من أجل استدامة تلك الأخوة القائمة عليه وسلامتها من الترعات المخالفة وما ينتج عنها من فرقة وشتات(١).

والوحدة الفكرية المطلوب المحافظة عليها في المجتمع المسلم هي:

نشر وترسيخ العقائد والمبادئ والمعارف التي جاء بها الإسلام لدي أكبر عدد مـــن أفراد المجتمع، وجعلها أساس التربية والتعليم في مختلف مراحله، والإعـــلام في جميـــع مجالاته، لكي تكون قاسما مشتركا يؤمن به ويخضع لـــه الجميـــع، فينطلقـــون منـــه، ويرتكزون عليه في نشاطهم الفكري(٢).

وحينئذ يُؤتي المجتمع وأفراده حصانات فكرية ومناعات قوية تقيهم شر أهواء أهل الهوى، وضلالات أصحاب الضلالة.

يحتاج الأفراد في أي مجتمع أن يغذوا بالمعارف الإسلامية ليتحصنوا ضد الثقافـــات الوافدة، و الأفكار الهدامة، والآراء الباطلة، وليكونوا على حذر من المبتدعة وأصحاب الأهواء.

لكن في الحقيقة أن نشر تلك المعارف يحتاج إلى تضافر الجهود من أجل وصـــولها إلى أكثر فئات المجتمع وطوائفه.

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، د. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ص٤٨٤، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط/١: ١٤٢٠هـــ ٢٠٠٠م.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨٥.

- فللعلماء دور في نشر وسطية الإسلام بشتى الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، ويبرز دورهم أيضا في تعرية أصحاب الفرق الضالة، ونقدهم النقد البناء، وتبيين أخطائهم وعوارهم للناس.

- وللمساجد نصيب في توعية الرواد والمصلين وتحذيرهم من الفرق الضالة ومسالك المبتدعة.

- وللجامعات وللمدارس التعليمية دور في ترسيخ تلك المعارف بين طلابها وشبابها، واستحداث برامج للتوعية والإرشاد تخدم الوطن وتحمي مقدساته.

- وللإعلام دور في إعطاء نشر المعارف الإسلامية مساحة أوسع، واستخدام وسائل أكثر مرونة في وصولها إلى فئات المجتمع متعددة الثقافات في سهولة ويسر.

- وللأسرة دور في رضاعة أولادهم لتعاليم الإسلام السمحة، وتحصينهم من ضلالات المبتدعة، وتغذيتهم بالأفكار الصحيحة كتغذيتهم بالطعام والشراب، بل أشد، لأنها هي التي تقي الأنفس من التهلكة.

- وللأندية الرياضية دور في نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة من خلال برامج توعوية هادفة.

- وعلي ولاة الأمر أن يضربوا بيد من حديد لكل من تسول له نفسه بنشر السوء بين أفراد المجتمع، و على جميع من يعمل أو يشارك في تفريق المسلمين، وتشتيت وحدتهم.

وملاك القول أن نقول: على كل فرد من أفراد المجتمع أن يقرأ ويحصن نفسه، ويطبق ما علم على نفسه وأسرته، فزيادة المعرفة وقوة الإيمان يعتبران: حائط صد منيع، ضد الأفكار الفاسدة والآراء الضالة، التي تؤدي إلى فرقة المسلمين وذهاب ريحهم.

هذا والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

بعد الطواف في هذا البحث وجمع مادته وتحريرها جدير أن نقف مع أهم نتائجه وما خلص إليه وهى كالتالي:

١- رصد البحث ظاهرة التحول الفكري أو التقلب الفكري في الشخصية الإنسانية، وأكد على أن ثمة أسبابا متشعبة متضافرة تهوي بصاحبها إما إلى التحول السلبي، أو الإيجابي.

٢- البيئة والمجتمع لهما دور كبير في التأثير على حياة البعض في اتجاه التحول السلبي، وقد ذكر البحث الأدلة على ذلك كعمران بن حطان وغيره.

٣- للإعلام دور مشبوه في تزيين الباطل والترويج له من خلال أقلام مأجورة، وفضائيات مبيتة نيتها على الشر، ووسائل تواصل اجتماعي تعمل في سبيل ذلك بالليل والنهار.

٤- أومأ البحث إلى شخصيات كثيرة وقامات كبيرة تحولت بفكرها من حال سيئة إلى حال حسنة كابن قيم الجوزية والإمام عبد الله الجويني والد أبي المعالي وغيرهما.

٥- تأثير المتحولين إيجابيا في مجال الدعوة كان كبيرا وواضحا وملموسا وقد أشار البحث إلى أمثلة من التأثير كزيادة انتشار معتقد السلف، وتعزيز نقد التصوف المنحرف.

٦- لا ينسى عاقل دور الجامعات السعودية في الوقت الحاضر في نشر عقيدة السلف، خصوصا خريجي الجامعة الإسلامية، فحينما قدموا كانوا متأثرين بما هو سائد في بلادهم وبيئاتهم، وبعد دراستهم تحولوا إلى المذهب الحق، وكان لهم جهود كبيرة في مجتمعاتهم لربط الناس بعقيدة السلف رحمهم الله.

٧- كان لبعض المتحولين فكريا من التشيع إلى أهل السنة دور بالغ في تعزيز نقد التشيع وكشف عواره، وهتك أستاره، كما فعل البرقعي وأحمد الكسروي وغيرهما.

٨- أكثر مخلفات التحول الفكري السلبي ونتائجه السيئة وآثاره المدمرة على الدعوة: إنما هو ضعف يسود الأمة، وتوهين لها أمام أعدائها، وتفرق قوما، وذهاب ريحها. بالإضافة إلى كثرة الجدال واللجاج والعناد والتعصب الذي يطفو على الساحة الدعوية.

٩- من أهم الأسباب التي نحافظ من خلالها على مجتمعاتنا الإسلامية من التحول الفكري السلبي هي نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة بوسائل تصل إلى الجمهور العريض من الناس.

١٠- الالتفاف حول المجامع الرسمية وتجنب الأخذ بالفتاوى الشاذة أو المجامع المشبوهة له دور كبير في تحصين المجتمع من الوقوع في براثن الانحراف الفكري.

فهرس المصادر والمراجع

١. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، د. عبد الله بن عبدالرحمن الجربوع، ط/١، مكتبة أضواء السلف، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢. أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، د. وسيم فتح الله، بدون بيانات.

٣. أصول الإيمان في الكتاب والسنة، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٢١هـ.

٤. أعلام التصحيح والاعتدال، أ. خالد بن محمد البديو، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٥. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، محمد على مغربي، الكتاب العربي السعودي رقم ٣٠، ط/ تهامة، جدة.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد.

٧. تبيين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، الإمام الحافظ ابن عساكر، ط/ مطبعة التوفيق، دمشق: ١٣٤٧هـ.

٨. تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان، الشيخ عبد العزيز بن باز، ترتيب: عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، ط/١، دار أصالة، الرياض: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٩. التشيع والشيعة، أحمد الكسروي، راجعه وصححه وعلق عليه: د. ناصر بن عبدالله القفاري، د. سلمان بن فهد العودة، ط/١: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٠. تعريف عام بدين الإسلام، الشيخ على الطنطاوي، ط/١٤، دار الوفاء، القاهرة: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١. التعريفات، على بن محمد بن على الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ.

١٢. خلق أفعال العباد، لإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ط/٢، دار عكاظ، جدة.

١٣. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/ دار الكنوز الأدبية، الرياض: سنة ١٣٩١هـ.

١٤. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط/١، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٥. الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، محمد الغزالي، ط/٣، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٦. رجال من التاريخ، الشيخ علي الطنطاوي، ط/ دار البشير للثقافة، القاهرة: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٧. رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وتتريه البارئ عن الحصر والتمثيل والكيفية، الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق د. أحمد معاذ بن علوان حقي، ط/١، دار طويق، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٨. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ط/ المكتبة العصرية، بيروت.

١٩. سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٠. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتتريه، د. محمد أمان بن على الجامي، ط/٣، مكتبة الفرقان: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢١. الصوفية في ميزان الكتاب والسنة، د. محمد بن جميل زينو، ط/٤، دار المحمدي، جدة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

٢٢. علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، ط/٢، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٩هـ.

٢٣. فصول في التفكير الموضوعي "منطلقات ومواقف"، د. عبد الكريم بكار، ط/٥، دار القلم، دمشق: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٤. فضل علم السلف على علم الخلف، الإمام ابن رجب الحنبلي، ط/ دار الصميعي، الرياض.

٢٥. في رحاب الدعوة، الشيخ أبو الحسن الندوي، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ط/١، دار الفارابي، دمشق: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٦. كسر الصنم أو ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن الكريم والعقل "نقض كتاب أصول الكافي للكليني"، أبو الفضل آية الله العظمي السيد بن الرضا البرقعي، ترجمة: عبد الرحمن ملا زاده البلوشى ط/١، دار البيارق، الأردن: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٧. كنت قبوريا، أ. عبد المنعم الجداوي، ط/٤، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٨. كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم، د. محمد بن جميل زينو، ط/١، دار الفتح، الشارقة: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط/١، دار صادر، بيروت.

٣٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الإمام شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ط/٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣١. مسند أحمد بن حنبل، ط/ مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٣٢. مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، أبو أحمد محمد أمان بن على جامي علي، ط/٤، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٣٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط/ دار الدعوة، القاهرة.

٣٤. منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، سلسلة تصدر عن المنتدي الإسلامي، بدون رقم طبعة وتاريخ.

٣٥. هذه هي الصوفية، د. عبد الرحمن الوكيل، ط/٤، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٤م.

الدوريات ومواقع الإنترنت:

١. أخبار المدينة.

٢. جريدة الرياض.

٣. موقع مهتدون.

البحث رقم (٤)

أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة

إعداد

د. فاطمة بنت سعود بن سعد الكحيلي

قسم الدراسات الإسلامية، جامعة طيبة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد ﷺ عبده ورسوله. أما بعد:

شرع الله تعالى لعباده شريعة الإسلام السمحة، ليوحدوه ويعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[(1)] ووعد الله تعالى من أطاعه بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[(2)] وأخبرنا أنّ من عباده من لا يستجيب للهداية فينحرف عن الصراط المستقيم فيضل ويُضِل، وله أسبابه إما لشبهة عنده أو شهوة وهوى. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[(3)].

أهمية موضوع البحث:

إنّ وصية الله تعالى لعباده إتباع صراطه المستقيم، والحذر من إتباع السبل التي لا خير فيها للعبد في دنياه وآخرته، وفي زماننا الكثير من الاتجاهات المنحرفة فكريا التي تدعو الناس لإتباعها، وإقناعهم بأنّ من حق كل إنسان الحرية في اختيار معتقده وفكره وسلوكه، وهذا قولٌ باطل، ولا شك أنّ هذه الاتجاهات لها مخاطر عميقة وبعيدة المدى على مستوى الدولة والمجتمع والفرد، كما أنّ بعض تلك الاتجاهات تُفْسد عقائد الناس وتهدد أمنْ الدُول، وتقوض دعائم المجتمع، فهي لا تحقق الأمن النفسي والفكري

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

والسلوكي للأفراد، ولا التنمية الاقتصادية والثقافية والمجتمعية للدولة، فالشر فيها غالب.

وقد كتب الله تعالى وقدَّر أنَّ الحياة الدنيا مكانٌ للصراع بين الحق والباطل، وأنَّ التدافع بينهما سُنَّة كونية جارية؛ لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾[2].

وأمر الله تعالى عباده بأنْ يدعوا إلى سبيله لتكون كلمة الله هي العليا؛ وكلمة الباطل هي السفلى، ويجاهدوا في ذلك حق جهاده، لما في دفع الباطل وأهله؛ من تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، وبما أنَّ الباطل يصول ويجول، وأتباعه لهم شبهات وشهوات؛ لها تأثيرها على بعض الناس تضليلا وإفسادا لهم، كان لزاماً على أهل الحق أن يتوجهوا بالدعوة أولاً لدعاة الباطل، وأن يحتسبوا عليهم أولاً قبل غيرهم، لأن إصلاحهم ودلالتهم على الحق والخير؛ يعدوا منعاً للشر وسداً لبابه، كما يُعدوا حماية لعقائد الناس وفكرهم وسلوكهم.

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاحتساب في ذلك، من شعائر الدِّين العظيمة، التي تنال بها الأمة الخيرية، وتحقق عن طريقها ما يصلح أحوال الناس في كافة شؤونهم، فتستقيم لهم حياتهم بما يرضي الله تعالى وبما ينفعهم دنيا وأخرى.

أسباب اختيار موضوع البحث:

١ - رغبة الباحثة في التزود من علم الحِسبة، وأفضل الطرق وأحسنها لذلك هو الكتابة والبحث في هذا العلم.

---

(٤) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٥) سورة الحج، الآية: ٤٠.

٢ - للمحتسب الرسمي والمتطوع دور ومهمة عظيمة يقوم بها احتساباً تجاه الانحرافات الفكرية المعاصرة، وهذه المهمة تقوم على أسس شرعية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وجمع هذه الأسس في مؤلف مختصر يستفيد منه المحتسب مع ذكر أساليب ووسائل تعينه في تطبيق الاحتساب على مظاهر الانحرافات الفكرية.

٣ - الانحراف الفكري يعدُ من أكبر المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية وتؤثر في أمنها واستقرارها، خاصة بعد مظاهر السلوك العنيف لدى بعض المنحرفين فكرياً، ولا شك أنَّ للحِسبة والمحتسبين جهوداً تُبذل في هذا المجال، فتسليط الضوء عليها وإبرازها، وبيان أسسها وقواعدها، مطلب مبارك وعمل صالح، جعل الباحثة تختار موضوع (أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة).

أهداف الموضوع:

١ - الهدف الرئيس لهذا البحث هو بيان أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحرافات الفكرية المعاصرة، وما يندرج تحتهما، مع التأصيل الشرعي من الكتاب الكريم والسنة المطهرة لهذه الأسس والقواعد.

٢ - ذكر الأساليب والوسائل التي يتم تطبيقها في الاحتساب على الانحراف الفكري المعاصر.

٣ - تحديد مفهوم الانحراف الفكري، مع ذكر أسبابه وأنواعه.

٤ - جمع ما تفرق من الفوائد العلمية الموجودة في مؤلفات مطولة، وعرضها بأسلوب مختصر فيما يخص موضوع البحث.

منهج البحث:

البحث دراسة نظرية تعتمد المنهج الاستقرائي[1] في جمع المعلومات والبيانات

---

(١) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد الصيني، ص٧٣، ط/١، ١٤١٥ه، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المتعلقة بموضوع البحث، وتتبع جزئياتها بهدف الوصول لقواعد عامة يُستفاد منها في علم الاحتساب، كما يعتمد البحث على المنهج الاستنباطي الذي ينطلق من الحقائق العامة المتفق عليها ذات القوة التشريعية، وهي هنا أسس الاحتساب الشرعي وقواعده، وهدف هذا النوع من مناهج البحث هو: الوصول إلى قواعد نسترشد بها عند الاستنباط والتحليل لمسائل الحِسبة[1].

الدراسات السابقة:

الانحرافات الفكرية ليست حديثة النشأة، بل هي موجودة بوجود البشرية، ويتفاوت خطرها وضررها في كل زمان ومكان، وفي زمننا اشتد الخطر وارتفعت الأضرار لأسباب كثيرة لعل أبرزها سهولة تواصل العالم بعضه مع البعض، ولذلك كثرت المؤتمرات والمراكز[2] والمؤلفات والدراسات التي بحثت في شأن الانحرافات الفكرية، وسأذكر هنا بعض هذه الدراسات التي استفاد منها البحث وهي على نوعين:

النوع الأول: دراسات عن الانحرافات الفكرية وما يتعلق بها، ومنها ما يلي:

١ – دراسة بعنوان: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي[3].

٢ – دراسة بعنوان: الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي[4].

---

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد الصيني ، ص٧٩.

(٢) مؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي، والمؤتمر العلمي للحسبة، انتماء وطني وأمن فكري، ٢٧-١٤٣٩/٥/٢٩ه، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جامعة أم القرى. ومركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية، مركز الحرب الفكرية وهو: مركز عالمي يتبع وزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية ويختص بمواجهة جذور التطرف والإرهاب، وترسيخ مفاهيم الدين الحق.

(٣) محمد دغيم، ط١، ٢٠٠٦م، الأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربي، الرياض، وهو من البحوث التي فازت بجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي.

(٤) د. محمد الخطيب، ط١، ١٤٢٦ه، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

٣ - دراسة بعنوان: الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري[١].

٤ - دراسة بعنوان: نحو مجتمع آمن فكريا، أنموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري[٢].

النوع الثاني: دراسات في مجال الاحتساب وتطبيقاته المعاصرة على الانحراف الفكري، ومنها ما يلي:

١ - دراسة بعنوان: القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب[٣].

٢ - دراسة بعنوان: الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

٣ - دراسة بعنوان: تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية[٥].

٤ - دراسة بعنوان: الاستشراف المستقبلي لمجالات الاحتساب في المملكة العربية السعودية[٦].

---

(١) عبد الرحمن الحارثي، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: ١٤٣٣هـ.

(٢) عبد الحفيظ المالكي، أبحاث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (رسالة دكتوراه) جامعة الملك سعود كرسي الأمن الفكري، موقع: مكتبة صيد الفوائد، أوراق المؤتمرات العلمية.

(٣) د. علاء الدين الزاكي، رسالة دكتوراه، ط/ مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٤) د. ناجي حضيري، رسالة دكتوراه، ط/ دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٦هـ.

(٥) د. عبد العزيز التويجري، "بحث علمي محكم ميداني ضمن بحوث مؤتمر التطبيقات المعاصرة للحِسبة في المملكة العربية السعودية"، ٣-٤/٤/١٤٣٣ه، جامعة الملك سعود، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للحِسبة وتطبيقاتها المعاصرة.

(٦) د. عبد الله الدوسري، "بحث علمي محكم ضمن بحوث ندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، ١١-١٢/١٤٣١هـ.

٥ - دراسة بعنوان: دعوى الحِسبة في نظام المرافعات الشرعية السعودي[1].

يتضح من الدراسات السابقة أنَّ البحث له محوران، الأول يبحث في مفهوم الانحراف الفكري وما يتعلق به، والمحور الثاني يبحث في الاحتساب على الانحراف الفكري بذكر أسس الاحتساب وقواعده الشرعية والقانونية أو ما يُعرف بدعوى الحسبة، وبيان التطبيقات المعاصرة للحسبة في الوسائل والأساليب، وقد استفاد البحث من الدراسات السابقة في مباحثه ومطالبه.

مخطط البحث:

قسمت بحث (أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة) إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: مفهوم الانحراف الفكري وأنواعه وأسبابه.

المطلب الأول: مفهوم الانحراف الفكري.

المطلب الثاني: أنواع الانحراف الفكري.

المطلب الثالث: أسباب الانحراف الفكري.

المبحث الثاني: أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري المعاصر.

المطلب الأول: أسس الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر.

المطلب الثاني: أسس الاحتساب القانوني على الانحراف الفكري المعاصر وفق اللوائح المنِّظمة للحكم في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث: الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري.

---

(١) عبد الرحمن الحربي، "رسالة ماجستير في العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية"، ١٤٣٦هـ.

المطلب الأول: الأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري.

المطلب الثاني: الوسائل في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل فيه الصواب والحق، وأن ينفع به، وإن كان فيه خطأ وزلل فاستغفر الله وأتوب إليه، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم الانحراف الفكري وأنواعه وأسبابه

المطلب الأول: مفهوم الانحراف الفكري:

إنَّ مصطلح الانحراف الفكري من المصطلحات الحديثة المعاصرة، ولكن مضمونه قديم من الأزل، منذ اختلاف الأخوين قابيل وهابيل ابني آدم عليه السلام، فانحراف الفكر عن الصواب والمعقول والإنسانية لا يبقى حبيس الدماغ، بل يتعداه إلى سلوك وفعل يُترجم به فكره وما يؤمن به قلبه، وهذا موطن الخطورة، ولذلك قتل قابيل أخوه هابيل، فكانت أول جريمة قتل على الأرض، نشأت من انحراف في الفكر، سببه الحسد والحقد، آثاره مستمرة إلى يومنا هذا، تَضْعُف إذا قوي أهل الحق في دفعه، وتقوى إذا ضَعُف أهل الحق عن منعه.

مفهوم الانحراف الفكري:

مصطلح الانحراف الفكري مكون من كلمتين: انحراف وفكر.

معنى الانحراف في اللغة:

أصلها حَرَفَ، الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول، حد الشيء، والعدول عن الشيء، وتقدير الشيء، والأصل الأول وهو حد الشيء ومعناه: الطرف والشفير والحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴿١١﴾﴾[1] **أي يعبده في السراء ويترك العبادة في الضراء، وبئس ما فعل، والأصل** الثاني وهو العدول عن الشيء ومعناه: الانحراف عن الشيء، يُقال انحرف عنه انحرافاً، وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴿٤٦﴾﴾[3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٢/٩، ط/٣، دار صادر، بيروت، مادة: حرف. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٣/٢، ط/ دار الفكر، سوريا، مادة: حرف.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٦.

معنى الفكر في اللغة:

الفِكر هو: إعمال النظر والخاطر في الشيء، وجمعه أفكار، وهو: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني[1] وهو أيضا: إعمال العقل في المعلوم للوصول لمعرفة المجهول[2] ولا يمكن فصل الفكر عن التفكر، لأن التفكر هو حركة الفكر، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[3].

ومخرج التفكير ونتيجته يكون في السلب والإيجاب، وفي التفكير الحسن والتفكير السيء، وفي التفريط والإفراط وإذا اجتمعت الكلمتين الانحراف والفكر نتج مصطلح: الانحراف الفكري، فيتكون مفهومه كمصطلح؛ من مفهوم الكلمتين ودلالاتهما، وهذا أحد ضوابط تحديد المصطلحات وما تحمله من معاني.

تعدد تعريفات مصطلح الانحراف الفكري وتنوعها:

إنَّ سبب تعدد تعريفات الانحراف الفكري هو تنوع الجهة والمصدر الذي يُعرِّفه، فعلماء الاجتماع يختلفون في تعريفهم عن علماء القانون وهم بدورهم يختلفون عن علماء الطب وعلماء الشريعة وعلماء النفس في وصف الانحراف الحادث لفكر الإنسان الذي خلقه الله تعالى سويا مستقيما على الفطرة، فدخلت عليه مكتسبات داخلية وخارجية فأحدثت فيه الانحراف، وفيما يلي عدداً من تلك التعريفات:

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١/٥٨٨، ط/دار إحياء التراث، بيروت، مادة: فكر. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ، ص٢٤٢، ط/٥، المكتبة العصرية، بيروت، مادة: فكر.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٦٥، مادة: فكر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

١ - الانحراف الفكري هو: "الميل إلى غير الحق في أصول الدين فيما ينتجه عقل الإنسان من رأي"[(١)].

٢ - الانحراف الفكري هو:" ضد الاستقامة التي أمر الله بها ورسوله عليه الصلاة والسلام، والميل عن طاعتهما، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات والأخلاق"[(٢)].

٣ - "انحراف الأفكار أو المفاهيم أو المدركات عما هو متفق عليه من معايير وقيم ومعتقدات سائدة في المجتمع"[(٣)].

٤ - "كل فعل أو نشاط أو تصرف فيه خروج عن قيم ونظم وتقاليد المجتمع الأصلية، أو عن القيم الدينية والخُلقية أو معايير السلوك السوي"[(٤)].

٥ - "اختلال فكر الإنسان وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراته وتوجهاته للأمور الدينية والسياسية إما إلى الإفراط أو التفريط"[(٥)].

٦ - "الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهم الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية، مما قد يشكل خطرا على المنظومة الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية

---

(١) حماية المجتمع المسلم من الانحراف، عبد الله الزايدي، ٢٣٩/٧٧، مجلة البحوث الإسلامية، ط/الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء السعودية، الرياض: ط١٤٢٦هـ.

(٢) وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، سليمان العيد، ص٢٤٦، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مجلد ٢٨/٤، ١٤٢٠هـ.

(٣) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم، ص١٧، ط/١، الأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربي، الرياض: ٢٠٠٦م.

(٤) دور المربي ورجل الأعمال والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف، عمر التومي، ص١٥، ندوة: دور المواطن في الوقاية من الجريمة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

(٥) الوسطية في الإسلام، سعيد المغامسي، ص٤٠، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٣٨، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

والأمنية للفرد والمجتمع، ويهدد نظام الدولة وأمنها الوطني بكل مقوماته"[1].

٧ - "اعتداء ذو نزعة فردية أو جماعية ينعكس على الذات أو الآخر، ويسعى إلى إشاعة أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع أو القانون المدني الوطني أو الدولي، بغية التشكيك في العقائد والأهداف والنظم والمصالح، من أجل مكاسب محدودة أو موسعة، بطرق غير مشروعة، تؤدي إلى زعزعة الأمن بمختلف أبعاده"[2].

٨ - "الميل عن الصواب في طريق إعمال العقل في المعلومات مما يؤدي إلى الخطأ في التعرف على المجهولات"[3].

٩ - "ابتعاد الفرد أو الجماعة من المجتمع تدريجياً، وعن الاستقامة على صراط الله المستقيم، بفعل مؤثرات داخلية وخارجية، تجعل الفرد أو الجماعة في حالة صدام مستمر مع مجتمع الأمة الإسلامية"[4].

---

(١) نحو مجتمع آمن فكريا، أنموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري، عبد الحفيظ المالكي، ص١٧، أبحاث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (رسالة دكتوراه) جامعة الملك سعود كرسي الأمن الفكري، موقع: مكتبة صيد الفوائد، أوراق المؤتمرات العلمية.

(٢) الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، محمد الخطيب، ص٥، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٦هـ.

(٣) أسباب الانحراف الفكري عند الشباب، محمد السعيدي، ص٧، بحث مقدم لمؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي، انظر: www.themwl.org

(٤) تعريف الباحثة.

القواسم المشتركة بين التعريفات السابقة للانحراف الفكري:

١ - تشترك في وصف الانحراف الفكري بأنه حالة غير سوية ومرَضية تصيب الفرد أو الجماعة.

٢ - تشترك في وصف الانحراف الفكري بأنه يفسد العقائد والسلوكيات والقيم الأخلاقية الإنسانية.

٣ - تشترك في وصف الانحراف الفكري بأنه شديد الخطورة، وآثاره عنيفة على الفرد والمجتمع والدولة.

٤ - تشترك في أنها تهديد مباشر للقضاء على منظومة الأمن الشاملة (الأمن النفسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والوطني والدولي).

٥ - تشترك في أنها تؤدي إلى سوء الحال والمآل والخاتمة في الدنيا والآخرة؛ للفرد والجماعة إذا أصيبوا بالانحراف الفكري، إذا لم يوفقوا للتوبة الصادقة.

٦ - تشترك في الاتفاق على مرجعية واحدة معتمدة، ومعيار تُقاس عليه الأفكار المنحرفة وهو: مرجعية الكتاب والسنة التي تمثل عقائد المجتمع المسلم وأخلاقه وقيمه، مع مرجعية اللوائح والأنظمة والقوانين في الدولة.

المطلب الثاني: أنواع الانحراف الفكري:

تأتي أهمية هذا المطلب في أن التحرير والتصنيف لأنواع الانحراف الفكري يساعد كثيرا في تقسيم أسس الاحتساب الشرعية عليه، كما أنه يفيد في تقديم الوقاية والعلاج لكل نوع بما يناسبه ويحقق الهدف المنشود منه، ومن الأهمية بمكان التأكيد على نسبية مفهوم الانحراف الفكري، فما يعدُ انحرافا فكريا في المجتمع المسلم، لا يعــدُ في غــيره انحرافاً، والسبب الرئيس أنّ مرجعية ومعيار التصنيف للأفكار لنا نحن المســلمين هــو القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثم نظام الحكم في المملكة العربية السعودية بما فيه مــن قوانين وأنظمة، وكل دولة بنظامها.

أنواع الانحراف الفكري:

إنَّ الانحرافات الفكرية كثيرةٌ ومتنوعةٌ، بل ومتجددة في الظهور والتعدد والتلون، وهي من الفتن التي حذرنا رسول الله ﷺ منها، وثبت عــن الــنبي ﷺ قولــه: (افترقتِ اليَهودُ علَى إحدَى وسبعينَ فرقةً، فواحدةٌ في الجنَّةِ وسبعونَ في النَّارِ، وافترقتِ النَّصارى علَى ثِنتينِ وسبعينَ فرقةً، فإحدَى وسبعونَ في النَّارِ وواحدةٌ في الجنَّةِ، والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لتفترقَنَّ أمَّتي علَى ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً، واحدةٌ في الجنَّةِ وثِنتانِ وسبعونَ في النَّار، قيلَ يا رسولَ اللَّهِ: مَن هم. قالَ: الجماعَةُ)[1].

وقد عانت الأمة الإسلامية من الانحرافات الفكرية منذ عهد الخليفــة الراشــد عثمان بن عفان ﷺ بظهور أول فرقة ومذهب وهم الخوارج ثم تلتها فرقة ومــذهب التشيع، وهي مع الأسف أي الانحرافات الفكرية كثيرةٌ جداً، ومــن ســبر التــاريخ الإسلامي يجد أهم مسميات مختلفة، فمنهم فرق وطوائف ومذاهب، ومنهم جماعــات وتنظيمات وحركات، ومنها ما يكون الانحراف فيها في الجانب العقدي، ومنها مــا يكون انحراف فكري فقط في الأفكار، ومنها ما يكون انحراف في منهج الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن تصنيف ما سبق كما يلي:

---

(١) أخرجه ابن ماجة، رقم ٣٢٤١، وقال الألباني: حديث صحيح.

١ – تصنيف من ناحية الحكم عليها، وهي تنقسم إلى:

أ – انحرافات فكرية خطرة جدا قد تصل إلى حد الكفر، مثل: سب الذات الإلهية المقدسة، سب النبي المختارﷺ، وإنكار ثوابت شرعية في العقيدة والشريعة ثابتة بالأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

ب – انحرافات فكرية أقل خطورة ولا تصل إلى حد الكفر، لكنها ليست على الصراط المستقيم الذي شرعه الله تعالى لعباده، ومن ذلك: مخالفة المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، تفسير النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية على غير مراد الله تعالى ورسولهﷺ، وابتداع أمور ليست من الدِّين، ولا يتحقق بها الصلاح والإصلاح الذي هو من مقاصد الشريعة الإسلامية.

٢ – تصنيف من ناحية النوع، وهي تنقسم إلى:

فرق، ومذاهب، وطوائف، وجماعات، وتنظيمات، وحركات، واتجاهات.

وكل من سبق درجات ومنازل متفاوتة، فمنهم من غلا وتجاوز الحد الشرعي، ومنهم من دون الخطورة في الانحراف، ومنهم المقل في ذلك، ويجتمعون في أهم انحرفوا فكريا عن مفهوم الدِّين الإسلامي الصحيح سواءً في باب الثوابت الشرعية أو الفروع الشرعية(١).

---

(١) للاستزادة انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري، وأ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ص١٠، ط/ دار الصميعي، الرياض: ١٤١٣هـ، والمذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، ط/، المكتبة العصرية الذهبية، جدة: ١٤٢٧هـ، مذاهب فكرية معاصرة، محمود مزروعة، ط/١، مكتبة كنوز المعرفة، جدة: ١٤٢٥هـ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد مجموعة من المؤلفين بإشراف: مانع الجهني، ط/١، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض: ١٤٢٨هـ.

المطلب الثالث: أسباب الانحراف الفكري:

إنَّ الانحرافات الفكرية في تاريخ الأمة الإسلامية المعاصر هي في قمة نشاطها ونفث سمومها في الأفراد والمجتمعات المسلمة، ساعدها في ذلك التكنولوجيا الحديثة من وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة والكثيرة على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي(١)، فالفكرة الواحدة تنتشر في دقائق معدودة إذا تم الإعلان عنها بمهنية عالية وتِقَنية.

ولقد كتب الباحثون من أهل الاختصاص، وعُقِدت المؤتمرات والندوات والملتقيات لأجل مواجهة انتشار الأفكار المنحرفة، ولِلْحدِّ من شيوعها، عن طريق ذكر كافة الأسباب التي أدتْ إلى تأثر بعض الأفراد والجماعات بها، وهذه الأسباب عميقة ومتشابكة ومتنوعة، ويمكن عرض أسباب الانحرافات الفكرية في المجتمع المسلم وفق الآتي:

١ - أسباب فردية تتعلق بالفرد نفسه.

٢ - أسباب أسرية تتعلق بالأسرة.

٣ - أسباب مجتمعية تتعلق بالمجتمع.

٤ - أسباب تتعلق بالدور المطلوب من بعض المؤسسات في الدولة.

٥ - أسباب تتعلق بالنظام الدولي العالمي.

١ - الأسباب الفردية:

أ - قابلية النفس الإنسانية للانحراف والاستقامة، وربط ذلك بما يختاره الفرد لنفسه، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾

---

(١) للاستزادة انظر: مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الإسلام، بالشراكة بين الجامعة الإسلامية وجائزة الأمير نايف العالمية في الفترة ٢٢-٢٣/٨/١٤٣٨ه، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[1].

ب - وسوسة الشيطان للإنسان وتزين عمل السوء له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾[2] **ومسؤولية الفرد ألا يجعل للشيطان عليه سبيلا.**

ت - هوى النفس والإعجاب بالرأي، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3] **وهذا يدل على مرض القلب وفساده.**

ث - التقصير في فعل الواجبات الشرعية، وغلبة فعل المعاصي والكبائر على فعل الطاعات، ومن استقرأ أحوال المنحرفين فكرياً قديماً وحديثاً يجد حظهم من الاستقامة والطاعة ضعيف، في الغالب[4].

ج - الجهل الكبير في فهم حقيقة الدين الإسلامي، والمقصود بالجهل هنا هو: الفهم الخطأ للدِّين مع تفسير سطحي لنصوصه، فالمنحرفون فكريا لا يُعرف عنهم طلب العلم الشرعي من علماء ثقات مشهود لهم بالعلم والعمل الصالح، ومشهود لهم بالرسوخ في علم الشريعة، بل يتخذون أدعياء العلم المتعالمين مرجعاً شرعياً لهم.

ح - الفراغ الفكري وغلبة الكسل، وعدم العمل والإنتاج الإيجابي والمثمر الذي ينفعهم وينفع غيرهم.

---

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) انظر: الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري، عبد الرحمن الحارثي، ص٤٩، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، ١٤٣٣هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

خ – الطيش وخفة العقل والتسرع في الأحكام على الآخرين، وهذه الصفات هي محصلة مؤكدة لعدم تهذيب النفس بالتقوى، وقلة العلم، والأخذ بأسباب الاستقامة الدينية[(١)].

٢ – الأسباب الأسرية:

أ – سوء التربية والتنشئة الأسرية، إذا كانت البيئة التي ينشأ فيها الفرد مشحونة بالخلافات وعدم الاستقرار مع كثرة التراعات، والحرمان من الحقوق الجسدية والنفسية والفكرية، مع عنف أسري، فإن حصيلة هذه التنشئة الجنوح والانحراف لأفرادها، وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن جنوح الأحداث وانحرافهم الفكري بدايته من الأسرة[(٢)].

ب – عدم إشباع الحاجات الأساسية للفرد، فإن الأسرة هي الحاضنة الأولى للفرد ومنها يأخذ كل مقومات شخصيته، فإذا نشأ على العنف وجلد الذات وتحقيرها، ولم يجد تقديرا واحتراما في أسرته، ولم يرى رحمة وحبا فيها له، أنّى له بعد ذلك أن يرحم المجتمع إذا خرج له بهذا الحرمان مع انحراف فكري مكتسب، فقتل الناس وإراقة دمائهم لن تحرك فيه ساكنا[(٣)].

---

(١) للاستزادة في معرفة الصفات الشخصية للمنحرفين فكريا انظر: الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، ٣/٩٩، ط١، دار ابن عفان، الرياض: ١٤١٢هـ، واقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ١/١٤٨، ط/ مكتبة ابن رشد، الرياض، نحو مجتمع آمن فكريا، عبد الحفيظ المالكي، ص٣٤، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ص١٩، بحث علمي مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٢) للاستزادة انظر: دور الأسرة في انحراف الأولاد، الأسباب والعلاج، محمد النجيمي، ص١٤، ورقة مقدمة إلى ندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض ٢٠٠٤م.

(٣) انظر: التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف، سعيد المغامسي، ص٤٧، ط/١، مكتبة دار العلوم، المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ.

٣ – الأسباب المجتمعية:

أ – ضعف بعض المؤسسات التعليمية في القيام بدورها في تحصين الأفراد ضد الأفكار المنحرفة، فالبيئة المدرسية من مدير ومعلم وكتاب وتلميذ تحتاج إلى كثيرٍ من المراجعة والتجديد لأداء دورها بفعالية لتحصين المتعلمين ضد الأفكار المنحرفة(١).

ب – وجود فئة قليلة من المعلمين المنحرفين فكريا داخل بعض المؤسسات التعليمية في التعليم العام والعالي الأكاديمي، يقومون بتعليم فكرهم المنحرف والتأثير على المتعلمين، وهو ما صار يُعرف بالمنهج الخفي في التعليم الذي يتخذ المنهج المعلن ستاراً له، وهذا الفعل خيانة لأمانة التعليم والمتعلمين الذين اؤتمنوا عليها (٢).

ت – ضعف تعلق المنحرفين فكريا بأوطانهم، ضعفاً أدَّى إلى استغلالهم من جهات مشبوهة لتحقيق أهدافها في تدمير الشعوب والبلاد المسلمة بأيدي أبنائها، ولذلك قضية تعزيز الانتماء للوطن؛ من القضايا المعاصرة التي تستوجب غرس حب الوطن والانتماء إليه في مقررات التعليم(٣).

ث – الرفقة السيئة من أصحاب السوء ممن لديهم انحرافات فكرية وتوجهات خطرة، سواء في باب الأخلاق والقيم أو باب المعتقدات، فهذا النوع من رفقاء السوء يعدُ سبباً قوياً من أسباب الانحراف الفكري.

ج – الظلم الواقع على بعض المجتمعات الإسلامية في تحقيق متطلبات الحياة

---

(١) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم، ص٣٤.

(٢) انظر: محمد الخطيب، المنهج الخفي والمعلن اتفاقا واختلافا، ص١٠، بحث مقدم لملتقى أبها الثقافي، ١٤٢٥هـ.

(٣) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم، ص٣٦.

الأساسية، وما يرافق ذلك من قوة الشعور باليأس والإحباط في إصلاح الواقع، مع سلب حقوقهم السياسية والاجتماعية والمالية، وهم يعانون ضعف المعيشة في فقر ظاهر وحيلة للتكسب قد تكون منعدمة، وظلم يعجزون عن دفعه، إنَّ هذه المنظومة المتكاملة من الظلم والقهر والعجز قد تؤدي إلى الانحراف الفكري الذي يقود إلى هلاك الفرد والمجتمع[1].

ح - وجود جماعات وأحزاب في بعض البلدان الإسلامية تنتمي للمجتمع المسلم، يقول الشيخ صالح السدلان رحمه الله: " إنَّ دراسة فاحصة للجذور الفكرية للجماعات والأحزاب في حياة بعض المسلمين المعاصرة، تتطلب نظرة عميقة لهذه الفرق والجماعات والأحزاب الداعية إلى ذواتها حصراً، حيث تصور كل جماعة وفرقة وحزب إلى الناس أنها القائمة على الإسلام، وكل من عداها مخالف لها، وهذا التصور القاصر نراه عند الجميع مطرداً ومتفق عليه، ولهذا كان الجميع أهل فتنة وبدعة

وليس هذا الحكم صادراً فيهم عن رأي أو هوى، بل هو ما اتفق عليه أهل العلم من المحققين في أول فرقة وهي الخوارج، وحتى آخر فرقة ظهرت في هذا الوقت"[2].

٤ - أسباب تتعلق بالدور المطلوب من بعض المؤسسات في الدولة:

أ - ضعف بعض مؤسسات الدولة الاجتماعية في القيام بدورها بفاعلية مؤثرة ومغيرة في واقع حياة المجتمع، وهامشية بعض البرامج التي تقدمها مثل: المدارس والجامعات، المساجد، وزارة التنمية الاجتماعية، وزارة العمل، وجملة من المؤسسات ذات الطابع الخدمي الاجتماعي الذي يؤثر في حياة الناس بصورة مباشرة، ويعدوا المجتمع مقياساً لمدى إنتاجية تلك المؤسسات[3].

---

(١) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم ص ٣٦.

(٢) انظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ص٨-٢٠.

(٣) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص٣٥.

ب - مخالفة بعض وسائل الإعلام للأنظمة والقوانين الرسمية في الدولة، بلادنا الحبيبة المملكة العربية السعودية، فيصدر من بعض وسائل الإعلام تخريب ونشر للأفكار المخالفة لقيم المجتمع ومعتقداته، والتي تصطدم معه، وتشويه صورة العلماء الربانيين، وتلميع أصحاب الاتجاهات المنحرفة فكريا، وجعلهم قدوة لأفراد المجتمع، مما يجعل الناس في تناقض مستمر بين حبهم لدينهم ورغبتهم بالتمسك به ومعرفته، وبين الواقع المشاهد والمسموع لهم[1]، وفي الآونة الأخيرة ظهرت جهود مباركة لبعض أجهزة الإعلام في تعرية الانحرافات الفكرية، وبيان خطرها، مما ساعد على زيادة الوعي المجتمعي بضرر الانحراف الفكري، وكيفية الوقاية منه فيما يخص الناشئة والشباب.

ت - ضعف استفادة بعض فئات المجتمع خاصة فئة الشباب من المرجعية الشرعية الموقرة في الدولة من هيئة كبار العلماء في الرجوع إليها في كل ما يشكل عليهم في الأمور الشرعية، مع تصدر غير المؤهلين لتوجيه الناس وإرشادهم من: المثقفين والمفكرين، والوعاظ والقصاص، ممن سلبوا حق العلماء المعتبرين في توجيه الناس وتعليمهم دينهم[2]، وهم ليسوا من أهل الاختصاص بالعلم الشرعي، فذهبوا يفسرون النصوص الشرعية بغير علم ومعرفة، مما تسبب في اضطراب المعلومات وتشويه الحقائق لدى البعض من أفراد المجتمع.

٥ - أسباب تتعلق بالنظام الدولي العالمي:

يرى بعض الباحثين المتخصصين في مجال الإرهاب والتطرف أنَّ الانحرافات الفكرية المؤدية للإرهاب العالمي هي عمل خفي للنظام الدولي العالمي. يقول د. محمد

---

(١) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص٤١-٤٣.

(٢) العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف الأسس والمحددات، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص١٠-١٥، بحث علمي مقدم لمؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف، جامعة نايف للعلوم الأمنية: ١٤٣٦هـ، وبحث أسباب الانحراف الفكري عند الشباب، محمد السعيدي، ص١٥.

الخطيب:" فرضية الانحراف الفكري، إنَّ هناك صلة مباشرة بين هذا الانحـــراف ومـــا ينطوي عليه، وبين ما يسمى بالنظام العالمي، وأنَّ رسالة الانحراف الفكري الخفية هي أكبر مدى مما قد تظهر على السطح، وأنَّ الأصولية التي تتبناها العولمة ليســت بأقــل خطراً على الفكر الإنساني من الأصوليات الدينية...وعليه فإنــه في منظــور العولمــة ونظامها العالمي الجديد فإن أي فكر يقاوم مبدأها ووجودها وتياراها نظريا أو عمليــاً فهو متطرف أو إرهابي، عوضا أن تكون هي ذاتها بؤرة للتطرف والإرهاب"[(١)] وهذه فرضية لها مصداقيتها.

(١) الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، محمد الخطيب، ص٦٠.

المبحث الثاني

أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري المعاصر.

المطلب الأول: أسس الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر:

إنَّ شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووظيفة الاحتساب في ذلك، من أقوى الشعائر الدينية التي تقوم بمهمة الضبط الاجتماعي لسلوك المجتمع المسلم، فمن مقاصد الشريعة الكبرى تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهذه المصالح تتفاوت وتتعارض، والضابط الذي يصلح ذلك هو إحياء هذه الشعيرة العظيمة؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الأسس والقواعد الشرعية المثبتة في الوحيين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذه قاعدة في الحسبة: أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصدها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[(١)].. **وقد أخبر عن جميع المرسلين أن كلا منهم يقول لقومه:** ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾[(٢)] **وعبادته تكون بطاعته وطاعة رسوله، وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات، والقربات والباقيات الصالحات والعمل الصالح...وهذا الذي يُقاتَل عليه الخلق، قال تعالى:** ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[(٣)] وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٩

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

جلب منافعهم، والتناصر لدفع ما يضرهم ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمرٍ وناهٍ..وإذا كان لا بد من طاعة آمرٍ وناهٍ فمعلوم أن دخول المرء في طاعة الله ورسوله خير له"[1].

إنّ الانحرافات الفكرية المعاصرة معاول هدم لاستقرار الفرد والمجتمع والدولة، وإنّ من أعظم الواجبات وأهم المهمات؛ التصدي لتلك الانحرافات والداعين لها، وفي السياسة الشرعية في الإسلام العلاج النافع والدواء الشافي للقضاء بأمر الله تعالى على كل انحراف فكري يتسبب في إيقاع صور وألوان الأذى على كافة الناس.

تعريف أسس الاحتساب الشرعي:

الأُسس جمع، مُفردها أسْ وأسَاس، والهمزة والسين تدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت[2]، والأساس أصل البناء، وأُسُ الإنسان قلبه لأنه أول متكون في الرحم[3]، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴿١٠٨﴾﴾[4] فالتقوى هي أساس بناء المسجد، وهذا المعنى المعنوي لكلمة أساس، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[5] وهنا جاء التشبيه

---

(١) الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٧، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/١٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ١/١٤٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

بالبنيان المحسوس المشاهد.

يقول الطبري رحمه الله: "مَنِ ابْتَدَأَ أَسَاسَ بِنَائِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعُلِمَ مِنْهُ بِأَنَّ بِنَاءَهُ لِلَّهِ طَاعَةً وَاللَّهُ بِهِ رَاضٍ، أَمْ مَّنِ ابْتَدَأَهُ بِنِفَاقٍ وَضَلَالٍ وَعَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْهُ بِصَوَابِ فِعْلِهِ مِنْ خَطَئِهِ، فَهُوَ لَا يَدْرِي مَتَى يَتَبَيَّنُ لَهُ خَطَأُ فِعْلِهِ وَعَظِيمَ ذَنْبِهِ فَيَهْدِمُهُ، كَمَا يَأْتِي الْبِنَاءُ عَلَى جُرُفٍ رَكِيَّةٍ لَا حَابِسٌ لِمَاءِ السُّيُولِ عَنْهَا وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمِيَاهِ تَرَى بِهِ التُّرَابُ مُتَنَاثِرًا لَا تَلْبَثُ السُّيُولُ أَنْ تَهْدِمَهُ وَتَنْثِرَهُ؟ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يَعْنِي فَانْتَثَرَ الْجُرُفُ الْهَارِي بِبِنَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"[1].

إنّ كل منظومة فكرية ما لم تبنى على أساس رصين تهاوت أو كادت، فأساس كل شيء فكرة، وأساسها الخبرة العلمية والعملية[2]، وإنّ أسس الاحتساب الشرعية مبنية على الوحي الإلهي المعصوم عن كل خطأ، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[3] والذي مبتغاه تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

وهناك فرق بين مصطلحات: أسس وأصول وقواعد، فالأسس والأصول يشتركان في أنهما (الأرضية) التي يتم البناء عليها من قواعد وفروع وتطبيقات[4]، وفي هذا المطلب سأذكر أسس وأصول الاحتساب الشرعية التي هي المرجع والمقياس والمعيار في الحكم على أي فكرة، هل هي رشيدة أم منحرفة، ثم يليها أذكر القواعد الشرعية المبنية على تلك الأسس في كيفية التعامل مع الانحرافات الفكرية.

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٦٩٥/١١، ط/١، دار هجر للطباعة، القاهرة: ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١٧/١، ط/ مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٢٠١٠م، بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ١٥٦/١، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت: ٢٠١٠م.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٤) للاستزادة انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد سليم، ص٥١، ط/ دار العلم والثقافة، القاهرة: ٢٠١٠م.

مفهوم الاحتساب لغة واصطلاحا:

الاحتِساب والحِسبةُ لغةً مشتقة من مادة: حسب، والحاء والسين والباء أصول لأربعة أمور هي:

١ - العدُّ، فالحِسبة مصدر الاحتساب كالعِدَّة مصدر الاعتداد، ومنه احتساب الأجر في العبادات وعند المكروهات.

٢ - الكفاية، تقول: شيء حساب أي كافٍ.

٣ - الحِسبة بمعنى الإنكار، احتسب فلان على فلان بمعنى أنكر عليه قبيح عمله، قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ [١] أي جراد، وهو عذاب من الله عليهم لفعلهم المنكر.

٤ - الأحسب وهو الذي ابيضت جلدته من داء، والحاء هنا بالفتح وليس الكسر[٢].

والحِسبةُ في الاصطلاح:

"هي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله"[٣]. وعرَّفها ابن قيم الجوزية رحمه الله:" فخاصتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٤].

وعرَّفها ابن خلدون رحمه الله:" هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلاً له"[٥].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٠.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٣١٠، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٦٠.

(٣) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ١/ ٣٤٩، ط/١، دار الحديث، القاهرة ٢٠١٠م.

(٤) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، ص٢٤٠، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ص١٧٨، ط/٤، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ.

فالحِسبة أحد الولايات الشرعية المكلف بالقيام بها من وَلِي أمر المسلمين وحكم بينهم[1].

الشرعي: المقصود به أي مرجعه ومآله إلى الشريعة الإسلامية الغراء، الممثلة بنصوص الوحيين الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

أسس الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر هي:

١ - إنَّ القرآن الكريم والسنة المطهرة هما المصدران الأساسيان في الحكم على الأفكار والأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2] فتحكيم شريعة الله تعالى واجب، ونبذ كل ما عداها أوجب، وذلك تمام الإيمان وكماله.

يقول مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "فلا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بالله، ورضي حكمه في القليل والكثير، وتحاكم إلى شريعته وحدها في كل شأن من شؤونه، في الأنفس والأموال والأعراض، وإلا كان عابدا لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[3].

فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له، ومن خضع لغيره، وتحاكم إلى غير شرعه، فقد عبد الطاغوت، وانقاد له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ

---

(١) انظر: الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص٢٧، ط/١، دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٦هـ.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾[1] [2].

٢ - وجوب التحاكم إلى الكتاب الكريم والسنة المطهرة عند الاختلاف والتنازع في الحكم على الأفكار والأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾[3].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:" أقسم تعالى بنفسه الكريمة أهم لا يؤمنون حتى يحكّموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكوهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين"[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٢) انظر: موقع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مقالة: وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما عداه.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص١٨٤، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ.

إنَّ المتابع لأقوال وأفعال من انحرفوا فكرياً، يجد بوضوح ضعف حظهم وقلة فهمهم لقضية التحاكم إلى الكتاب والسنة فيما اختلفوا فيه[(١)]، عدا ما عند بعضهم من الهوى والعناد وخدمة جهات مشبوهة وإفساد في الأرض، دون أدنى خوف من الله تعالى فيما يرتكبونه من اعتداءات معنوية وجسدية، واستحلال حرمة الدم والمال والعرض.

٣ - أنَّ ولاية الحِسبة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الولايات الواجبة شرعاً، لقوله ﷺ: (والَّذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهَوُنَّ عن المنكرِ، أو ليوشِكَنَّ اللهُ يبعثُ عليكم عذابًا منه ثمَّ تدعونه فلا يستجيبُ لكم)[(٢)]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا كان جماع الدِّين، وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو المعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي ﷺ والمؤمنين"[(٣)].

٤ - تحقيق المقاصد الشرعية من الاحتساب على الانحراف الفكري مطلب شرعي معتبر، وقد بيَّن الإمام الشاطبي رحمه الله تلك المقاصد فجعلها على أربعة أنواع:

أ - قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً.

ب - قصده في وضعها للإفهام.

ج - وقصده وضعها للتكليف بمقتضاها.

د - وقصده دخول المكلف تحت حكمها[(٤)].

---

(١) انظر: الشبهات المثارة على الاحتساب الفكري، فهد العجلان، موقع صيد الفوائد.

(٢) الترغيب والترهيب، ٣/٢٣٠، رقم ٨٥٩٨٦، حكمه: صحيح.

(٣) الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص٣٧.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، ٢/٥، ط/١، دار ابن عفان، الرياض: ١٤١٧هـ.

وما ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله هو أمر متقرر عند العلماء، فالشريعة مقصود بها جلب المصالح للناس، ودرء المفاسد عنهم، ومقصود بها أيضا إفهام المخاطبين ما تضمنته من أحكام، وقصده أيضا تكليفهم بتلك الأحكام، والأمر الرابع هو امتثال العباد لكل ما تضمنته الشريعة من تشريع بما فيه الأمر والنهي.

إنّ تطبيق ما تقرر سابقاً على المنحرفين فكرياً سواءً كانوا في جانب الإفراط أو التفريط، أو في جانب الغلو في الدِّين أو الانفلات من الالتزام بالدِّين، يحقق المقاصد الشرعية الأربعة، كما يساعد كثيراً في المعالجة الفكرية وفي وضع الخطط المستقبلية للوقاية من وقوع أفراد المجتمع في الانحراف الفكري.

٥ - العلم بالواقع بكل أبعاده ثم الحكم عليه، فالمنحرفون فكريا ليسوا على مستوى واحد من الانحراف، بل بينهم تفاوت وتباين كبير جدا، فهم يختلفون من عدة نواحي؛ منها: مستوى العلم، مرتبتهم في الاجتهاد، مرتبتهم في التقليد، في منهج التأويل، في هل هم دعاة لفكرهم أم غير دعاة، هل هم مسلحون ويقاتلوا لأجل فكرهم، أم غير مسلحين، فهناك اعتبارات كثيرة تجب معرفتها شريعةً، حتى تكون الأحكام الصادرة على المنحرفين فكريا مبنية على الحجة والبرهان، وعلى مقتضى حال المحكوم عليه(١).

٦ - ضرورة ضبط المفاهيم والمصطلحات عند الاحتساب على مقالات وأقوال أصحاب الانحراف الفكري، فيكثر عند من أصاب فكرهم انحراف عن الصراط المستقيم خلل عميق في استعمال الألفاظ وفهم معانيها وما تدل عليه، فيحرفون

---

(١) الأسس والمحددات لمواجهة الانحراف الفكري، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص١٦، الغلو في الدِّين في حياة المسلمين المعاصرة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٧٠، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

النصوص الشرعية (الألفاظ) عن معانيها وفق رؤية فكرية خاصة بهم، فريقٌ منهم للغلو والإرهاب والتشدد في التدين، وفريقٌ آخر للتحرر من تكاليف الشريعة أمراً ونهياً فلا يبقى من الإسلام عندهم إلا اسمه[(١)].

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله منهج السلف رحمهم الله في التعامل مع المصطلحات فقال:" فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحمل حقاً وباطلاً، نسبوه إلى البدعة أيضاً، وقالوا إنما قابل بدعة ببدعة ورد باطلاً بباطل"[(٢)].

إن عناية القرآن الكريم بالمصطلحات وما تحمله من معاني عناية عظيمة جدا، تدل على أثر المفاهيم والمصطلحات في الفكر الإنساني وما يصدر عنه من سلوك. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ ﴾[(٣)] وكذلك الشأن في السنة، فقال ﷺ: (لا يَقولَّن أحدُكم خَبُثَتْ نفسي، ولكنْ لِيقُلْ لَقُسَتْ نفسِي)[(٤)(٥)].

---

(١) انظر: معركة النص، فهد العجلان، ص٢٥، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٤هـ، بدعة إعادة فهم النص، محمد المنجد، ص٥٦، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٧هـ.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، ١/٢٥٤، ط/ دار الكنوز الأدبية، القاهرة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب، رقم ٢٢٥٠.

(٥) انظر: ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، سعود العتيبي، ص٧، ط/١، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الرياض: ١٤٣٠هـ.

إنّ أسس الاحتساب الشرعي كثيرة منضبطة، فهي أصول كلية تُبنى عليها قواعد الاحتساب، ولأنّ مقام البحث اختصارٌ وتركيز فعرضتُ أهم هذه الأسس.

قواعد الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر:

مفهوم القاعدة لغة واصطلاحا:

القاعدة في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي قعد، ومعناه: الثبات والاستقرار[(١)].

وفي الاصطلاح: " هي أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته"[(٢)].

والقواعد الكلية كثيرة، ولها أنواع وفروع منها: القواعد الفقهية، القواعد الأصولية، قواعد المقاصد، والذي يهمنا في هذا المبحث هو كيفية تطبيق القواعد الشرعية الكلية في باب الاحتساب على الانحراف الفكري، وسأعرض مجموعة من القواعد كأمثلة للمراد من هذا المطلب.

أولا: قاعدة الأمور بمقاصدها:

الأصل في هذه القاعدة قوله عليه الصلاة والسلام:(إنما الأعمال بالنيات)[(٣)] ومعناها" إجمالا أن أعمال المكلف وتصرفاته من قولية، أو فعلية تختلف نتائجها وأحكامها الشرعية التي تترتب عليها باختلاف مقصود الشخص وغايته، وهدفه من وراء تلك الأعمال والتصرفات، أي إن الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما هو المقصود من ذلك الأمر"[(٤)].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣/٣٦٢.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ٢/٥٣. التعريفات، الجرجاني، ص٢١٩، ط/١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، رقم ١، وأخرجه مسلم، كتاب: الأمارة، رقم ١٩٠٧.

(٤) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي، ص٥١، ط/١، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

علاقة قاعدة الأمور بمقاصدها في الاحتساب:

يتم تطبيق هذه القاعدة الشرعية على المحتسب والمُحتسب عليه كالآتي:

١ - إنَّ صحة النية في الاحتساب للمحتسب الرسمي أو المتطوع واجبة شرعاً، فلا بد أن يكون قصده إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالا لأمر الله تعالى وابتغاء مرضاته، لا طلب المال أو الجاه أو المنصب، ويدخل في معنى المحتسب الرسمي كل الوظائف التي تؤدى بغرض جلب مصالح الناس ودفع المفاسد عنهم، والوظائف الحكومية داخلة في هذا الباب، ولو أنَّ كل موظف أخلص النية في عمله وأدَّى الواجب الذي عليه لما ظهر الفساد والظلم، ولما قلَّ العدل وضعف الإنصاف.

٢ - أماَّ المُحتسب عليه فإن كل لفظ صريح صدر منه سواءً كان مسموعاً بأي وسيلة من وسائل التقنية الحديثة المسموعة، أو لفظ مقروء ومكتوب، ويكون هذا اللفظ المسموع أو المقروء فيه مخالفة للشريعة الإسلامية سواء كانت في باب الاعتقاد أو المعاملات أو السلوك فإنه يُحتسب على القائل والكاتب ولا يُسأل عن قصده، لأن اللفظ الصريح لا يحتاج إلى نية[١].

ومن ينظر في وسائل التواصل الحديثة من تويتر، وفيس بوك، ويوتيوب، وواتس آب، وتيليغرام، يجد من بعض الناس تجاوزات شرعية كبرى قد تصل إلى حد خطر جداً، وعدم الاحتساب على ذلك أدَّى إلى وجود انحرافات فكرية متباينة المستوى بين أفراد المجتمع، فالاحتساب عليها منذ ظهورها هو أحد العلاجات لتجفيف منابع الانحرافات الفكرية.

ثانيا: قاعدة الضرر يُزال:

أورد العلماء رحمهم الله هذه القاعدة الشرعية العظيمة بعدة صيغ منها: لا ضرر

(١) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي ، ص٥٨.

ولا ضرار، الضرر لا يزال بالضرر، يزال الضرر بلا ضرر[1]، وأصل هذه القاعدة قوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)[2].

ومعناها "أنَّ كل ضرر يقع على شخص في نفسه، أو ماله، أو دمه فإنه واجب الإزالة، وبالنظر إلى لفظ لا ضرر ولا ضرار فإن معناه نفي الضرر والضرار، وهو نفي لما ليس بمنتف حقيقة، فيكون المراد النهي والتحريم"[3].

يقول الأصولي ابن النجار رحمه الله:" وهذه القاعدة فيها من الفقه ما لا حصر له، ولعلها تتضمن نصفه، فإن الأحكام إما لجلب المنافع أو لدفع المضار؛ فيدخل فيها دفع - أي ما يمس - الضروريات الخمسة؛ التي هي: حفظ الدين، والنفس، والنسب، والمال، والعرض"[4].

ويقول العلاَّمة ابن قيم الجوزية: "إنَّ حكمة الشارع اقتضت رفع الضرر عن المكلفين ما أمكن، فإن لم يمكن رفعه إلا بضرر أعظم منه؛ بقاه على حاله، وإن أمكن رفعه بالتزام ضرر دونه؛ رفعه به"[5].

علاقة قاعدة الضرر يُزال في الاحتساب:

هذه القاعدة أصلٌ في الاحتساب على كل ضرر ومفسدة تقع على المكلفين،

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ١/٤٤٨، رقم ١٩٠٩، درجة الحديث: صحيح.

(٣) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي، ص١٢٦.

(٤) شرح الكوكب المنير، محمد الفتوحي المشهور بابن النجار، ٤/٤٤٣، ط/١، وزارة الأوقاف، الرياض:١٤١٣هـ.

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه سعد، ٢/١١١، ط/ دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م.

حتى وإن لم يرد في الشريعة ما ينص عليها صراحةً، لأن المنصوص عليه أنَّ الضرر يُزال، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ليس المراد من الشرائع التي أنزلها الله مجرد ضبط العوام، بل المراد منها الصلاح باطناً وظاهراً "[1].

ويتم تطبيق هذه القاعدة في كل المجالات، وعلى كل الأفراد، كلاً بحسبه، فإذا ثبت أنَّ جهةً أو فئةً أو مجالاً يصدر منه ما يتسبب في وقوع الظلم والتعدي والإفساد، فإنه ينبغي الاحتساب عليه ومنعه من الاستمرار في الإفساد والإيذاء، خاصة في مجال الانحراف الفكري.

ثالثا: قاعدة الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير المعروف والمنكر:

هذه القاعدة أصلٌ في تعريف المعروف والمنكر، فالمعروف هو: ما ثبت كونه معروفاً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والمنكر هو: ما ثبت كونه منكراً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.يقول ابن حجر الهيتمي رحمه الله:" المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بواجبات الشرع، والنهي عن محرماته"[2].

علاقة قاعدة الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير المعروف والمنكر في الاحتساب:

إنَّ المحتسب الرسمي والمتطوع حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهو يستند في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ويجب عليه ذلك، ولا يجوز له شرعاً أن يحتسب وفق ميوله ورغباته، أو وفق استحسان عقله وتقبيحه، وهذا في جانب المحتسب، أمَّا في جانب المحتسب عليه عامةً، ومن عنده انحراف فكري خاصةً؛ فلا يجوز له أن يتخذ غير

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، ٤١١/١١، ط/ مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة: ١٤١٦هـ.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ١٤٦/٢، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٧هـ.

الكتاب الكريم والسنة المطهرة مصدراً لتقرير ما هو معروف وما هو منكر، كأن يجعل تطور ظروف الزمان والمكان عما كانت عليه في السابق سبباً لجعل المعروف منكراً، والمنكر معروفاً كمثل استحلال المال والنفس والعرض المحرمة شرعاً.

رابعا: قاعدة حاضر المنكر باختياره كفاعله:

ومعنى القاعدة لا يجوز للمسلم حضور المنكرات لغير ضرورة وحاجة، فإن حضر أماكن المنكرات باختياره ورضاه فهو في حكم من فعل المنكر، وقد وردت نصوص كثيرة تمنع مجالسة أهل المنكرات، لأنَّ في الجلوس معهم تقوية لشوكتهم، وتكثيرا لسوادهم، عدا ما في الاختلاط بهم من ضرر على تدين الإنسان واستقامته، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2] ودلالة الآيتين على المقصود والمراد واضحة وبينة.

علاقة قاعدة حاضر المنكر باختياره كفاعله في باب الاحتساب:

إنَّ الشرع يأمر باعتزال المنكرات وعدم الجلوس إلى أصحابها صيانة لتدين المسلم وثبات استقامته، وقد ظهر تساهل كثير من الناس بالجلوس لأصحاب المنكرات ممن ظهر انحرافهم الفكري سواءً كان في باب الاعتقاد أو المعاملات أو السلوك، فأصابهم

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

ضرر وتأثر بفكرهم المنحرف، فظهرت عند من تساهلوا بالجلوس مع أصحاب المنكرات الشبهات والشكوك في الثوابت الشرعية فضلاً عن فروع الشريعة، مما يستوجب بيان هذه القاعدة وتعليمها للناس ترغيباً وترهيباً بأنّ من حضر المنكر باختياره فهو كفاعله في الاحتساب عليه.

وهذه القاعدة من المسائل المهمة التي تناولها العلماء رحمهم الله تعالى بالتفصيل والاستدلال، فتطلب في مظانها(١).

خامسا: قاعدة شرط الاحتساب في ترك المعروف وفعل المنكر أنْ يكون ظاهراً(٢):

إنَّ الاحتساب يتعلق بالمنكرات الظاهرة المعلنة، لا المنكرات المخفية المستترة، لقوله ﷺ: (كلُّ أمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرينَ، وإنَّ منَ المُجاهرةِ أن يعمَلَ الرَّجلُ باللَّيلِ عملًا، ثُمَّ يصبِحَ وقد ستَرَه اللَّهُ، فيقولَ: يا فلانُ، عمِلتُ البارحةَ كذا وَكذا، وقد باتَ يستُرُه ربُّهُ، ويصبِحُ يَكشِفُ سترَ اللَّهِ عنهُ)(٣).

وتعريف الاحتساب ضابطه هو: أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وهذا القاعدة يُفرق فيها بين صلاحيات المحتسب الرسمي والمحتسب المتطوع.

علاقة قاعدة شرط الاحتساب في ترك المعروف وفعل المنكر أنْ يكون ظاهراً:

من صلاحيات المحتسب الرسمي أن يبحث عن أماكن المنكرات الظاهرة؛ فهذه

---

(١) للاستزادة انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٩/٢٤٩، ط/ عام، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

(٢) مسائل وقواعد في الاحتساب، عبد الله الوطبان، ص١٦، ط/١، دار المحتسب، الرياض: ١٤٣١هـ.

(٣) أخرجه البخاري، رقم ٦٠٦٩.

وظيفته المولّى عليها، ويضبطها ويرفعها لولي الأمر، وهذا ليس من صلاحيات المحتسب المتطوع[(١)]، ويُبنى على هذا أنه لا يجوز له التجسس والترصد وكشف المنكر المستور، فإن أظهر شخص ما؛ فكرة منحرفة أو دعا لمذهب ضال أو مبتدع وجاهر بذلك بأية وسيلة كانت، مسموعة أو مقروءة أو مشاهدة، فإنه يجب الاحتساب عليه وإنكار فعله ومجاهرته، بمنعه وفق اللوائح التنفيذية المنصوص عليها في نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادسا: قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

من القواعد الشرعية أنّ الدين مبناه على تحقيق مصالح العباد في الدارين[(٢)] وقد تتزاحم المصالح وتتعارض المفاسد وجاءت الشريعة مُبيِّنة لكيفية التعامل مع ذلك عند تعارض المفاسد والمصالح، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ومعنى هذه القاعدة إذا تعارضت المفسدة والمصلحة، يُقدِم المحتسب درء المفسدة على جلب المصلحة لأنها أولى بشرط ألاّ تكون المفسدة مرجوحة والمصلحة راجحة، وهذه من المسائل الخلافية، والراجح فيها ما سبق، والله تعالى أعلم[(٣)].

علاقة قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح في الاحتساب:

ومثال هذه القاعدة في باب الاحتساب على الانحراف الفكري، كأن يكون أحد الوالدين الأب أو الأم ممن لديه انحراف فكري أياً كان نوعه ودرجته وكان داعياً له، وكان الابن والبنت على خلافهما في الصلاح والاستقامة، فهنا تعارض واجب البر

---

(١) مسائل وقواعد في الاحتساب، عبد الله الوطبان، ص١٧-١٩.

(٢) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، ص٣١٧، الموافقات، الشاطبي، ٥/٣٠٠.

(٣) المرجع السابق، ٥/٣٣٦.

والإحسان للوالدين مع مفسدة الدعوة للانحراف، فإنه يجب على الابن والبنت درء مفسدة الانحراف وعدم الاستجابة لدعوة الوالدين، مع بقاء واجب البر والإحسان لهما، فإن الكفر لا يُسقِط البر، فكيف إذا كانا الوالدين مسلمين ولكن أصابهما انحراف فكري من ضلال أو ابتداع أو هوى.

إنَّ قيام الوالدين أو أحدهما بعدم الرضى عن الأبناء والغضب عليهم حال مخالفتهم لما هم عليه من انحراف لا يعتبر شرعاً، ولا يجب على الأبناء طاعتهم في المعصية، ويجب عليهم برهم والإحسان إليهم.

سابعا: قاعدة لا يشترط أن يكون المحتسبُ عدلاً مستقيماً:

من شروط الاحتساب المتفق عليها هي: الإسلام والتكليف والعلم والاستطاعة، وهناك شروط مختلف فيها منها: أنْ يكون المحتسب عدلاً مستقيماً، ويجب التفريق بين شروط الصحة وشروط الوجوب وشروط التولية[1]،فيجوز الاحتساب ممن يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، والأولى والأصوب أنْ يكون المحتسبُ عدلا مستقيماً، لكنه ليس شرطاً في وجوب الاحتساب للمتطوع، أماَّ المحتسب المولَّى فالعدالة شرط له، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[2] وقوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾[3].

(١) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص٨٨.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

تدل الآيات السابقة على أنَّ المطلوب من المسلم فعل أربعة أمور[1]؛ هي:

فعل المعروف، والأمر بفعل المعروف، وترك المنكر، والنهي عن فعل المنكر، فهذه أمور أربعة يجب فعلها عبادة لله تعالى، وكثيرٌ من الناس يخلط بينهما، فيجعل وجوب النهي عن المنكر مرتبط بترك الإنسان للمنكرات، ويجعل وجوب الأمر بالمعروف مرتبط بفعل المعروف، وهذا من الشبهات المثارة في هذا الباب[2] فينبغي التنبه لذلك.

علاقة قاعدة لا يشترط أن يكون المحتسبُ عدلاً مستقيماً في الاحتساب على الانحراف الفكري:

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي على كل مسلم لقوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[3] فجميع أفراد المجتمع المسلم يلزمهم إنكار المنكرات وفق مراتب الإنكار ودرجاته[4] حتى الفاسق منهم له أن يحتسب احتساب المتطوع، فأهل الانحراف أنفسهم يجب أن ينكر بعضهم على بعض انحرافهم، فلو أنكر عليهم من ليس منهم ولكنه لم يكن عدلاً مستقيماً، فإن فعله صواب وهو مأجورٌ عليه، وما يقوم به كثير من الناس من استنكار احتساب غير العدل لا يُعتد به شرعاً، لأنَّ في استنكارهم إضعاف للحِسبة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ما فيه من ترك للباطل كي يقوى دون إنكار.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٣٣، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩هـ.

(٢) شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ. د. فضل إلهي ظهير، ص١٥، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤١١هـ.

(٣) أخرجه مسلم، رقم ٤٩.

(٤) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص١٤١.

ثامنا: قاعدة كل قصدٍ يخالفُ قصد الشارع تبارك وتعالى فهو باطل:

ومعنى القاعدة أنَّ الشريعة التي شرعها الله تعالى لعباده غايتها ومقصدها تحقيق مصالح العباد، فإذا خالف المكلَّف ما أراده الله تعالى وتعارض قصده مع مقصود الشارع تعالى؛ فقصد المكلف يُعد باطلاً[1]، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله:" كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في تكاليف الشريعة ما لم تشرع له فعمله باطل"[2].

علاقة قاعدة كل قصدٍ يخالفُ قصد الشارع تبارك وتعالى فهو باطل؛ بالانحراف الفكري:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[4] إنَّما شرع الله شريعته للتيسير على عباده، ودلالتهم على ما يصلح حالهم في الدارين، ومخالفة تلك الشريعة هو اختيارٌ للعسر دون اليسر، ولفساد الحال دون صلاحه، فكيف يكون قتل النفس بتفجيرها، وضرب الجسد بالسياط، وتقييد الأطراف بالسلاسل، وشرب الخمور، والرقص والمعازف عبادة وتيسير، وهذا ظاهرٌ في كل من انحرف فكرياً وسلوكياً عن الصراط المستقيم، وأولها فقدان السكينة والطمأنينة وراحة البال وإنْ تظاهروا بغير ذلك، وثانيها اضطرابهم الفكري وتناقضهم فلا تجدهم على حالٍ ثابتة في الفكر والمعتقد، وثالثها كثرة تشعبهم وتفرقهم، ورابعها عداوتهم لبعضهم وتفرق قلوبهم، وغير هذا كثير، فلاحتساب على من أوقع نفسه بالمشاق والتهلكة ضرورة شرعية، يُستعان فيها بكل وسيلة وأسلوب.

---

(١) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين زاكي، ص٣٣٩.

(٢) الموافقات، الإمام الشاطبي، ٢/٢٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

تاسعا: قاعدة اعتبار المآل:

ومعنى القاعدة هو النظر في عواقب الأمور ونتائجها، وما تؤول إليه، فعلى المحتسب قبل احتسابه أن ينظر فيما يؤول إليه فعله وقوله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[(١)] فمنع الله تعالى سبَّ آلهة الباطل لأنَّ سبَّها سيؤدي إلى سبِّ الله تعالى، وقد امتنع النبي ﷺ عن قتل المنافقين وهو قادرٌ عليهم، لأنَّ قتلهم يؤول إلى مفسدة، قال رسول الله ﷺ: (أخاف أن يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه)[(٢)].

علاقة قاعدة اعتبار المآل:

هذه القاعدة من أهم قواعد الاحتساب، وينبغي لكل محتسب رسمي أو متطوع أنْ يكون فقيها بها، متعمقاً في جزئياتها لأنه كثيرٌ من المنكرات يُسْكَتْ عن الإنكار عليها لما لها من نتائج تخالف مقصود الشارع تعالى، ولا يجوز اعتبار هذه القاعدة عند كل منكر حتى لا يتعطل الاحتساب[(٣)]، وللعلاَّمة ابن قيم الجوزية في هذا الباب كلام ثمين معتبر[(٤)].

إنَّ المنحرفين فكريا هم جزء من المجتمع المسلم، وقد يكونوا من ذوي القربة للمحتسب، فقبل الاحتساب عليهم ينبغي النظر فيما يؤول إليه الاحتساب عليهم، فقطيعة الرحم والتنابذ بالألقاب وعقوق الوالدين، وزرع الشحناء والبغضاء، والتدابر

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) أخرجه البخاري، رقم ٤٩٠٥.

(٣) انظر: القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين زاكي، ص٣٤٥.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ٣/٤.

والتحاسد، كلها مما نهى الشرع عن وجوده في علاقات المجتمع المسلم فيما بينهم، ومن باب أولى أن تكون بين ذوي القرابة.

كما يدخل في قاعدة اعتبار المآل الاحتساب على ذوي الجاه والسلطان، فإنه ينبغي النظر في مآل الاحتساب عليهم، فإن كانت تؤدي إلى مفاسد أكثر من المصالح، فتركها أولى وأوجب.

فيما سبق تم ذكر تسعة قواعد شرعية للاحتساب، وهذا الباب كبيرٌ ومفصلٌ ولله الحمد في كتب الحِسبة والمحتسبين وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذكرته إنما هو قطرة من بحر، والشاهد في ذلك أنه عند القيام بالاحتساب لا بد من مراعاة أسس الاحتساب التي سبق ذكرها، مع علمٍ ومعرفة تامة بقواعد الاحتساب الشرعية، كي تثمر شجرة الاحتساب مجتمعاً صالحاً تقل فيه المنكرات ومنها الانحراف الفكري.

المطلب الثاني: أسس دعوى الحِسبة (الاحتساب القانوني) على الانحراف الفكري المعاصر وفق اللوائح المنظمة للحكم في المملكة العربية السعودية:

تعريف القانون:

"كلمة قانون هي اقتباس من اليونانية، إذ إن كلمة **Canon** تعني: العصا المستقيمة، ويعبرون بها مجازياً عن **Regula** ومنها إلى فكرة الخط المستقيم الذي هو عكس الخط المنحني أو المنحرف أو المنكسر، وهذا تعبير استعاري للدلالة على الأفكار التالية: الاستقامة والنزاهة والصراحة في العلاقات الإنسانية.

ويستخلص من هذا أن كلمة قانون، تستعمل معياراً لقياس انحراف الأشخاص عن الطريق المستقيم، أي عن الطريق التي سطرها لهم القانون لكي يتبعوه في معاملاتهم، والقانون والحق مفهومان مترابطان متلازمان بحيث لا يذكر أحدهما إلا ويتبادر إلى الذهن المفهوم الآخر، ويمكن القول: أن الحق هو ثمرة القانون ونتيجته، كما أن القانون يتمثل عملياً حين تطبيقه بما ينجم عنه من حقوق."[(١)].

ويعرف القانون بأنه:" مجموعة القواعد التي تنظم سلوك الأفراد في الجماعة، وتعمل السلطة العامة على تطبيق هذه القواعد من خلال توقيع الجزاء على من يخالفها. ويعرف أيضا: مجموعة قواعد السلوك العامة الملزمة للأفراد في المجتمع، والتي تنظم العلاقات والروابط، ويناط كفالة احترامها من خلال الجزاء الذي توقعه السلطة العامة على من يخالفها"[(٢)].

(١) المدخل إلى القانون، محمد منصور، ص٧، ط/١، منشورات الحلبي القانونية، بيروت ٢٠١٠م.

(٢) المدخل إلى القانون، محمد منصور ، ص٦.

دعوى الحسبة (الاحتساب القانوني):

دعوى الحِسبة تتكون من كلمتين، دعوى وحسبة، وتعريف دعوى لغة هو: من ادَّعَى يدعي، أي يطلب[1].

وتعريف الدعوى اصطلاحا هو: "قولٌ لدى القاضي يقصد به الإنسان طلب حقٍ قبل غيره، أو دفعُ خصمٍ عن حق نفسه"[2].وسبق تعريف الحِسبة لغة واصطلاحا.

وتعريف دعوى الحِسبة اصطلاحا هو: "قولٌ لدى القاضي ونحوه، يقصد به المحتسب طلب حق الله تعالى قِبَلَ المحتسب عليه"[3] وحق الله تعالى قد يكون خالصاً أو غالبا.

ودعوى الحِسبة تسمى أيضا دعوى المصلحة العامة وهي: "حق الله تعالى أي ما يتعلق به النفع من غير اختصاص أحد، فينسب لله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه، وهي من الدعوى التي يُقبل من أي مسلم رفعها؛ للدفاع عن حق من حقوق الله تعالى والعمل على إزالة المنكر"[4].

والسبب الدافع لدعوى الحِسبة هو: وقوع منكر متعلق بحق من حقوق الله تعالى الخالصة أو الغالبة، وذلك عندما يعجز المحتسب عن إزالة المنكر بكل ما يستطيع، أو يترجح عند المحتسب ضرورة رفع دعوى الحِسبة[5].

فدعوى الحِسبة تُرفع عند التمادي في فعل المنكر، والعجز عن تغييره، وظهور

---

(١) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ص٢٠٥، مادة: دعا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، عبد الرحمن بن قاسم ٣٨٩/٣٥.

(٣) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص١٤٩.

(٤) الوجيز في شرح المرافعات الشرعية في المملكة العربية السعودية، أحمد فؤاد، ص١٦، ط/١، الرياض: ١٤٢٥هـ.

(٥) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص١٤٩.

ضرر المنكر على المجتمع، مثل: الدعوة إلى أقوال وأفعال هي في باب الشريعة من الانحرافات الفكرية، التي قد لا يصلح معها الستر على المحتَسب عليه لتعدي ضرره، فيجوز عندئذ قيام المحتسب الرسمي والمتطوع برفع دعوى قانونية للجهات القضائية المختصة، على كل من يصدر منه مخالفة صريحة أو ضمنية للقوانين المنصوص عليها في النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، سواءً كان المخالف فرداً أو جماعة أو جهة، مواطناً كان أم مقيماً، وهذه تسمى دعوى الحِسبة أو دعوى المصلحة العامة، ويجوز أيضا تسميتها الاحتساب القانوني أو القضائي.

إنَّ دعوى الحسبة هي أحد الوسائل التي يتم من خلالها تحقيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وسيلة فعَّالة ومؤثرة، تهدف إلى حماية حقوق الأفراد في المجتمع ومن أعظم هذه الحقوق شأنًا، حق الأمن الفكري العام وسلامة الرأي العام للمجتمع من التأثر بالانحرافات الفكرية التي يبثها ويروج لها أدعياؤها.

أركان دعوى الحِسبة أو أسس الاحتساب القانوني:

١ - القاضي وهو: من يُعيِّنه الملك أو نائبه للفصل بين الخصومات بين الناس.

٢ - المُدعي وهو: كل مسلم سواء كان محتسب رسمي أو محتسب متطوع.

٣ - المُدعَّى عليه وهو: المحْتسب عليه الذي رُفعت الدعوى ضده ويدخل معه من يشاركه ويساعده ويدعمه.

٤ - المُدعى به وهو: وهو الأمر المحتسب فيه، وهو المطالبة بحق الله تعالى بالمحافظة على سلامة المعتقد والشريعة، وهو حق كل مسلم بالأمن الفكري وعدم التأثر بالانحرافات الفكرية.

٥ - طُرق الإثبات وهي:

أ - الإقرار وذلك أن يعترف ويُقر المُدعَّى عليه بما قاله أو فعله مما يُعد انحرافاُ فكريا عن صراط الله المستقيم.

ب - البيِّنةُ على من أدَّعى واليمين على منْ أنكر، أصل هذه القاعدة الشرعية القانونية قوله عليه الصلاة والسلام: (لو يُعطى الناس بدعواهم؛ لادعى قومٌ دماءَ قومٍ وأموالهم، ولكنَّ البيِّنة على من أدَّعى؛ واليمين على من أنكر)(١)(٢).

الأساس الأول في الدعوى القانونية هو أن يكون لدى المحتسب الرسمي أو المتطوع أدلة واضحة وصريحة ضد المدعى عليه في موضوع الدعوى وهي قضية الانحراف الفكري، فيتقدم بها طلباً لإقامة الحكم على المدعى عليه الذي صدر منه صراحة وبأدلة ثابتة شرعاً وقانوناً خروجه عنها، أو تطاوله عليها، أو التشكيك فيها، والتحريض على التمرد عليها، أو دعوة الناس إلى فكره ومعتقده، والانتصار له، باستخدامه لشتى الأساليب والوسائل التي تعبر عن الفكر والمعتقد، وهو يعلم أنه بذلك يخالف قانون الدولة المملكة العربية السعودية الذي ينص على أنَّ الشريعة الإسلامية هي مصدر الحكم.

إنَّ المحتسب الرسمي والمتطوع عندما يقيم دعوى قانونية مستوفية للشروط والأركان ضد كل صور الانحراف الفكري التي تصدر من أي مواطن أو مقيم على أرض المملكة، فإنه يساهم بدور متميز للقضاء على أية بادرة للانحراف الفكري.

ويحتاج المحتسب إلى الصبر والاستمرار والثبات، وإنَّ هذه الصفات الثلاثة أساسية لتحقيق النجاح في كل دعوى قانونية، فلا بد من أن يصبر المحتسب، ويثبت على طول

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الأقضية، رقم ١٧١١.

(٢) للاستزادة انظر: نصاب الاحتساب، عمر السنامي، تحقيق: د. مريزن عسيري، ط/١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة: ١٤٠٦هـ، الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سيد أبو سعدة، ط/١، مكتبة دار الأرقم، الكويت: ١٤٠٣هـ، معالم القربى في أحكام الحسبة، محمد القرشي ابن الأخوة، تحقيق: محمد شعبان، ط/ الهيئة العامة للكتاب، مصر: ١٩٧٦م.

المرافعات، والأخذ والرد، ويستمر في التعاطي مع كل متطلبات الدعوى، ويحتسب ذلك لله تعالى ولنصرة دينه، ولما فيه من تحقيق النفع للناس، ودفع الشر والضر عنهم، ثم المطالبة بتطبيق الحكم القانوني والقضائي إذا صدر في حق المدعى عليه، الذي ثبت عليه الانحراف الفكري أو الدعوة إليه، وعدم التساهل في ذلك.

مجالات الاحتساب وموقع الانحراف الفكري منها:

يقسم أهل الاختصاص بالحِسبة مجالاتها إلى ثلاثة مجالات هي(١):

المجال الأول: حقوق الله تعالى الخاصة، وفيها التوحيد ويقابله الابتداع، وفيها الحدود الشرعية ويقابله تجاوز الحدود باستباحة وتحليل الحرام، وفيها المعاملات الشرعية ويقابله المعاملات المحرمة في البيوع والعقود من الربا وغيره.

المجال الثاني: حقوق العباد الخالصة، مثل استيفاء الديون، واستغلال العين المملوكة وغيرها.

المجال الثالث: الحقوق المشتركة بين الله تعالى وبين العباد، وفيها حق غالب وحق خالص، الحق الغالب مثل تحريم قتل النفس، وعدة المرأة والحدود، والحق الخالص للعبد مثل القصاص والنفقة.

والانحرافات الفكرية الموجودة في زماننا تدخل في المجالات الثلاثة، وإن كان أبرزها ما كان في حق الله تعالى، فالبدع والتطاول على الثوابت الشرعية، وتحريف النصوص عن معانيها وما أريدت له، وأيضا الانحراف الفكري موجود في الحدود فقتل النفس بالتفجير، واستحلال المال الحرام بتفسيرات منسوبة للشريعة وهي منه براء، وغيرها.

---

(١) نحو مفهوم شامل للاحتساب، عبد الله الوطبان، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٧هـ.

وفيما يلي ذكر تطبيقات الحسبة من خلال مواد نظام الحكم في المملكة العربية السعودية، ويوجد أيضا تطبيقات للحسبة في نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيقات الحسبة من خلال مواد اللائحة التنفيذية لنظام الهيئة(١).

وإن بلادنا الحبيبة المملكة العربية السعودية بذلت جهودا جبارة ومتميزة للقضاء على الانحراف الفكري.

وفيما يلي بعض من نصوص الحكم في المملكة العربية السعودية:

النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية والصادر بالأمر الملكي أ/٩٠بتأريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ والذي نُشر في جريدة أم القرى في عددها ٣٣٩٧ بتأريخ ١٤١٢/٩/٢هـ، في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى والمكون من ثلاثة وثمانون مادة، تبين نظام الحكم وتشريعاته في المملكة العربية السعودية والتي منها ما يخص موضوع البحث، ما يلي:

المادة الأولى(٢): المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولغتها العربية.

المادة السادسة: يبايع المواطنون الملك على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

المادة السابعة: يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وهما الحاكمان على هذا النظام، وجميع أنظمة الدولة.

المادة الثامنة: يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل

---

(١) انظر: تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية، عبد العزيز التويجري، ص١٧-٤٧.

(٢) انظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء.

والشورى والمساواة، وفق الشريعة الإسلامية.

المادة الثانية عشرة: تعزيز الوحدة الوطنية واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

المادة الثالثة والعشرون: تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

المادة السادسة والعشرون: تحمي الدولة حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية.

المادة الخامسة والأربعون: مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء واختصاصاتها.

المادة السادسة والأربعون: القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية.

المادة الثامنة والأربعون: تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية، وفقا لما دل عليه الكتاب والسنة، وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

المادة الخامسة والخمسون: يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية طبقا لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية، والأنظمة، والسياسة العامة للدولة، وحماية البلاد والدفاع عنها.

المادة السابعة والستون: تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح، فيما يحقق المصلحة، ويرفع المفسدة في شؤون الدولة، وفق قواعد الشريعة الإسلامية، وتمارس اختصاصاتها وفقا لهذا النظام، ونظامي مجلس الوزراء ومجلس الشورى[1].

---

(١) انظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء.

المبحث الثالث

الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري

المطلب الأول: الأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري:

مفهوم التطبيق والمعاصرة:

تطبيق مفرد وجمعها تطبيقات، وأصله مشتق من الفعل: طبَّق. ومعناه: تطبيق الشيء على الشيء أي جعله مساوياً له، والمطابقة هي الموافقة، والتطابق يعني الاتفاق والمساواة، وطابقت بين شيئين أي جعلتهما على حذو واحد ولزقتهما[(١)].

المعاصرة في اللغة مأخوذة من العصر، ومعناه: المستجد الحادث الذي يقابل القديم، والجديد هو: الشيء الذي لا عهد لك به، وجدَّ الشيء جدةً أي حدث بعد أن لم يكن[(٢)].

مفهوم التطبيقات المعاصرة للحِسبة:

تطبيقات الحِسبة هي: " مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يمكن ممارستها في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية وآراء المسؤولين عن الشؤون الميدانية في الهيئة"[(٣)].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢١٠/١٠، مادة: طبق، الكليات، الكفوي، ص١٠٥.

(٢) المرجع السابق، ١١٢/٣، مادة: عصر.

(٣) تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية، عبد العزيز التويجري، ص٣، بحث علمي محكم ميداني ضمن بحوث مؤتمر التطبيقات المعاصرة للحِسبة في المملكة العربية السعودية، ٣-١٤٣٣/٤/٤هـ، جامعة الملك سعود، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للحِسبة وتطبيقاتها المعاصرة.

إنَّ التطبيقات المعاصرة للحِسبة هي: مجموعة الأساليب والوسائل المعاصرة؛ سواءً كانت مادية أم معنوية؛ والتي يتم تنفيذها وتطبيقها على كافة المنكرات القولية والفعلية، بهدف إزالتها أو التقليل من ضررها، لجلب المصالح النافعة للعباد في المعاش والمعاد.

مفهوم الأسلوب لغة واصطلاحا:

الأسلوب معناه لغة: الطريق والفن، والمذهب والوجه، فيقال: سلكت أسلوب فلان في كذا؛ أي طريقته، وأسلوب الكاتب أي طريقته في الكتابة(١).

والأسلوب اصطلاحا: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"(٢).والأسلوب في الاصطلاح يتغير معناه بحسب ما ينضاف إليه، فأساليب الكتابة تختلف عن أساليب الدعوة تختلف عن أساليب الحسبة، والمقصود هنا أساليب الحسبة وهي تعني: الفنون والكيفيات التي يسلكها المحتسب لتطبيق الاحتساب أو دعوى الحسبة(٣).

متطلبات الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري:

إنَّ الانحراف الفكري خطير جدا فهو يهدد مقومات الأمة الإسلامية في معتقدها وفكرها، والذي ينبني عليه السلوك الصادر من أفرادها، فكل سلوك يصدر عن عقيدة وفكر، كما أنه يهدد الأمن الوطني للدولة، لذلك فإن وقاية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري مطلب شرعي عالي الأهمية، وإنَّ معالجة الانحراف الفكري إذا وقع

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤٧٣/١، مادة: سلب.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧٣.

(٣) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص٢٩٠.

أيضا مطلب شرعي عالي الأهمية، ولا يصح أنْ تكون المعالجة ردود أفعال، أو هجمات استباقية، أو مسكنات وقتية، بل يجب أنْ تكون هناك خطط استراتيجية وجملة من الأمور هي متطلبات التطبيقات المعاصرة للاحتساب الفكري في الوسائل والأساليب، التي هي قنوات مرور المعالجة الفكرية للانحراف، وفيما يلي ذكر هذه المتطلبات:

١ - إنَّ بلادنا الحبيبة حفظها الله من كل سوء، لديها رؤية واضحة، بعيدة المدى وقصيرة المدى لمواجهة الانحراف الفكري إذا وقع، وللوقاية من وقوعه، فالحمد لله لدينا كدولة خططاً استراتيجية وقائية وعلاجية(١) وهذا ولله الحمد موجود بفضل الله تعالى ثم بفضل وجهود القيادة العليا الممثلة في خادم الحرمين الشريفين ملكنا الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى ذخراً للإسلام والمسلمين، واستمرار العمل على هذه الخطط والاستراتيجيات وتطويرها وفق المستجدات الحديثة يعدُّوا أهم المتطلبات.

---

(١) ولله الحمد فقد قامت بلادنا الحبيبة مشكورة بوضع خطط استراتيجية لمواجهة الانحراف الفكري والذي يُعد التطرف والإرهاب أحد صوره، وقد أثمرت تلك الاستراتيجيات في وقف تمدد التطرف والإرهاب وإضعافه، ومازال العمل مستمر في مواجهة باقي الانحرافات الفكرية.

للاستزادة في مجال استراتيجيات الأمن الفكري والوطني انظر: نحو استراتيجية وطنية لتكريس مفهوم الأمن الفكري في المجتمع قراءة استطلاعية تحليلية إعلامية، نعيم الحكيم، نحو مجتمع آمن فكريا "أنموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري"، عبدالحفيظ المالكي، التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية، سعيد القليطي، دور الأجهزة الأمنية في التعامل مع التطرف والإرهاب "حو استراتيجية للشراكة المجتمعية بين مؤسسات المجتمع والأجهزة الأمنية تعزيزا للأمن الفكري"، علي الجحني، كل ما سبق بحوث علمية محكمة في كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ٢٢-٢٥/٥/١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض. انظر: موقع صيد الفوائد، بحوث المؤتمر.

٢ – وجود برنامج وقائي للحماية من تعرض أفراد المجتمع للانحرافات الفكرية، وهو ما يعرف بالأمن الوطني، على أنْ يكون هذا البرنامج تفصيلي شامل لكل المواصفات ذات الجودة في المحتوى والأسلوب لتطبيق البرنامج الوقائي بمهنية وحرفية تؤتي اكلها وثمارها، وهذا البرنامج موجود ولله الحمد، وتطويره وتوسيع قاعدته لتشمل المجتمع بكل فئاته، مع متابعة كل المستجدات والمتغيرات الفكرية، يعدوا من أهم المتطلبات.

٣ – وجود برنامج علاجي تطبيقي لمن لديهم انحرافات فكرية، على أنْ يكون هذا البرنامج تفصيلي شامل لكل المواصفات ذات الجودة في المحتوى والأسلوب لتطبيق البرنامج العلاجي بمهنية وحرفية تؤتي أكلها وثمارها، وبرنامج المناصحة هو أحد البرامج العلاجية الناجحة التي تم تطبيقها على الفئة الضالة.

٤ – وجود معايير تقويم، وتقييم، وقياس، ورصد، ومتابعة، وتحليل، واستخلاص نتائج، للبرنامج الوقائي والعلاجي، يتمكن من خلالها أصحاب القرار والحكم في الدولة من إصدار القرارات والأحكام المبنية على رؤية واضحة مفسرة مستفادة من تلك المعايير، وهو بفضل الله تعالى موجود، والمطالبة باستمراره وتطويره مطلب وطني.

٥ – زيادة تفعيل دور الكفاءات الوطنية المخلصة، وشحذ هممها لتقديم كل ما لديه من جهد وعمل، للمشاركة والمساهمة في تحقيق الأمن الفكري.

الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة على الاحتساب الفكري:

١ – أسلوب الموعظة الحسنة:

ودليل هذا الأسلوب الحكيم قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[1].

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

والوعظ الحسن هو: "نصحٌ وتذكيرٌ مقترنٌ بتخويفٍ وترقيق."[(١)] وقد طبَّقت المملكة العربية السعودية هذا الأسلوب فأثمر تراجع الكثير ممن انحرفوا فكرياً وذلك عن طريق برنامج المناصحة والرعاية الذي أنشأته وزارة الداخلية[(٢)]، والموعظة الحسنة لها صور وأشكال كثيرة منها:

أ - القول الصريح اللين: ويكون بمواجهة صاحب الفكر المنحرف بقول صريح بأنَّ فكره الذي يُعبِّر عنه في قوله أو فعله إنَّما هو انحراف عن الصراط المستقيم، ومخالفة صريحة للشريعة الغراء، فبعض الناس يضْعُف استيعابه لنفسه، فلما تتم موعظته بلطف ولين، ويُبَّين له لوازم فكره، يحصل له نوع من الإدراك لخطورة فعله، وهذه ثمرة الرفق واللين في الموعظة، فليس كل من انتمى لفكر منحرف هو بالضرورة يعتقده ويؤمن به.

ب - الإشارة اللطيفة المفهومة: بعض الناس قد يتأثر بأفكار المنحرفين فكرياً دون أنْ يصل لمرحلة اعتقاد هذه الأفكار والموت من أجلها، فهذا تكفيه الإشارة اللطيفة المفهومة، واللبيبُ من الإشارة يفهم، ويتم تضمين هذه الإشارة ذكر الثمرات المريرة في الدنيا والآخرة لمن يحمل فكراً منحرفاً؛ ويتبعه سلوكاً أشد إجراما من فكره.

ج - التعريض والكناية المؤدية للغرض والتورية: وهذا النوع من الموعظة يُستخدم لمن تسمح لهم أنفسهم أن يتبنوا الأفكار المنحرفة أو حتى الدفاع عن أصحابها وأهلها بحجة حرية الرأي، أو فلنسمع ما عندهم، لمثل هؤلاء؛ فإن أسلوب التعريض والكناية

---

(١) وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ص٦٥، ط١/، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٠هـ.

(٢) انظر: موقع مركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية www.mncc.org.sa، جهود المملكة العربية السعودية في المعالجة الفكرية للإرهاب من خلال برنامج المناصحة والرعاية بوزارة الداخلية، فاطمة السلمي، بحث علمي محكم في كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.

الغير مباشرة قد يجدي نفعاً معهم.

د - التذكير بالنعم المستوجبة للشكر: فإنَّ تذكير أهل الأهواء والبدع والضلال والفكر المنحرف بنعم الله تعالى عليهم في الرزق والصحة والعافية، وأنَّ الله تعالى قادرٌ عليهم لا يُعْجزه شيءٌ في الأرض والسماء، وأنَّ محاربة ما شرعه الله تعالى من الأمر والنهي لعباده إنما هو لصلاح حالهم في المعاد والمعاش[1].

٢ - أسلوب الحوار والمجادلة والمناظرة:

إنَّ حوار أهل البدع والأهواء وذوي الاتجاهات المنحرفة فكرياً من أقوى الأساليب وأهمها في بيان الحق وكشف زيف الباطل، ولأنَّ دعاة الباطل ليسوا على مستوى واحد من العلم والمعرفة، فإنَّ الحوار معهم يكون على مستويات:

أ - الحوار السهل مع المبتدئين المتأثرين بمقولات المنحرفين فكرياً، فهؤلاء في بداياهم يستحسن معهم أسلوب الحوار غير المعقد، لكنه مبني على منهج علمي مقنع ومؤثر[2].

ب - الجدال والمجادلة بالتي هي أحسن، وهؤلاء يمثلون المستوى الثاني من المتأثرين بالاتجاهات الفكرية المنحرفة وقد اعتقدوا تلك الاتجاهات، فتراهم يجادلون عنها ويدافعون، فالمناسب لهم أسلوب المجادلة، وقرع الحجة بالحجة، وتفنيد البراهين والأدلة للوصول للحقيقة[3].

ج - المناظرة وهي عندما يصل الحال بين دعاة أهل الحق والاحتساب ودعاة أهل

---

(١) للاستزادة انظر: وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ص٦١-٧١.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد المغامسي، ص٣٢، ط/٤، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض: ١٤٢٨هـ.

(٣) انظر: مناهج الجدل، أ. د. زاهر الألمعي، ص٥٠، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

البدع والأهواء والضلال والانحرافات الفكرية إلى مرحلة التخاصم والتصادم، فهنا أسلوب المناظرة هو المناسب، والمناظرة تقوم على تأمل الشيء ومعاينته، والمباراة في النظر واستحضار ما يراه ببصيرته، والغالب في هذا النوع من الحوار وهو أسلوب المناظرة لا يقوم به إلا أهل البصيرة ممن ارتفعت درجاهم في العلم والعمل الصالح، لأنهم ببصيرتهم يفحمون خصومهم بفساد رأيهم وسوء فعالهم التي قد تخفى على كثير من الناس، ولكنها لا تخفى على أهل البصيرة من أنَّ المنحرفون فكرياً الغالب عليهم بغض الحق وكراهية انتشاره، والميل إلى اتباع الأهواء الدنيِّة[1].

د - المناقشة وهو حوار المحاسبة والاستقصاء، فيقوم دعاة الحق والحِسبة بمحاسبة دعاة الباطل المنحرفون فكريا على أقوالهم وأفعالهم المعلنة والمشهورة بين الناس، والتي منها في زماننا خيانة الوطن، والغدر به بالتعاون من الأعداء عن طريق إثارة الفتن والقلائل، وإشاعة الأكاذيب وترويج الشبهات في أوقات الشدة التي تمر بها البلاد.

إنَّ استقصاء كل تحركات وتصرفات أهل البدع والضلال والأهواء ممن انحرفوا فكرياً وتتبعها ثم مواجهتهم بها بأسلوب المناقشة لتجلية حقيقتهم أمام أنفسهم، يُعدوا أحد الأساليب الحكيمة في دعوتهم للرجوع للحق وامتثاله.

٣ - أسلوب العقوبات الحسية والمعنوية:

إنَّ أسلوب العقوبات الحسية والمعنوية باب كبير في فقه التعامل مع المخالفين لأهل السنة والجماعة[2] فإنه يُنظر في هذه العقوبات بحسب حال كل مخالف لوحده، فإنْ كانوا جماعة أو منظمة، أو جهة مؤسسية تعتمد التنظير والتخطيط، وصياغة

---

(١) الفرق المنهجي بين أهل السنة وأهل الأهواء، عبد العزيز العنقري، ص٢٠، ط/١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٣٠هـ.

(٢) انظر: فقه التعامل مع المخالف، أ. د. عبد الله الطريقي، ص٥٧-٨٥، ط/١، دار الوطن للنشر، الرياض: ٢٠١١م.

الأهداف والمرحلية في التطبيق لأجل نشر بدعهم وضلالهم وأفكارهم المنحرفة، فإنها تُقابل بالمثل؛ بمعنى أنْ تتولى جهة رسمية تنفيذ العقوبات الحسية والمعنوية، وتكون مرحلية ومراعية حال من كان يدعو لفكر منحرف مستقلا لوحده، وحال من يدعون كجماعة ومؤسسة، وأنْ يكون كل ذلك وفق الضوابط والقواعد الشرعية في التعامل مع المخالفين، فلا يجوز التعدي والاستطالة عليهم بغير وجه حق، ولأن القصد والغاية هو هدايتهم وصلاحهم[(١)].

وهذا النوع من العقوبات من اختصاصات الدولة حفظها الله، وهو يدخل ضمن مسؤوليات وزارة الداخلية، وزارة العدل، والنيابة العامة، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء وهيئة كبار العلماء.

أمثلة للعقوبات المعنوية:

أ - التشهير بهم، والإعلان عنهم بأسمائهم الصريحة بأنهم خارجون عن نظام الدولة[(٢)]، وعن اتباع شريعة الإسلام، ونشر ذلك بكل وسائل التواصل الاجتماعي، وباستخدام التقنية والتكنولوجيا في التشهير بهم، والتشهير بالمنحرفين فكريا لا يكون إلا بحكم قضائي كعقوبة تعزيرية، وموافقة من المقام السامي، لأن المسلم له حرمة في عرضه[(٣)].

---

(١) قواعد فقه التعامل مع المخالفين، سليمان الماجد، بحث الكرتوني بموقع الشيخ.

(٢) وهو ما يُعرف بالإعلان عن المطلوبين أمنيا ممن انحرفوا فكريا في القنوات الرسمية للدولة، ودعوة أفراد المجتمع للتبليغ عنهم.

(٣) انظر: جريمة التشهير وعقوبتها، عبد الرحمن الخليفي، ص٣٠، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٣٢هـ.

إنَّ قضية تعيين المخالفين لأهل السنة والجماعة في المعتقد والسلوك من أهل البدع والضلال والأهواء والمنحرفون فكرياً، والتشهير بهم، ليست قضية سهلة وبسيطة، ويتكلم فيها أي أحد، بل هي من القضايا التي تتولاها القيادة العليا في الدولة، ويساعدهم في ذلك أهل الاختصاص من المحتسبين الرسميين في الدولة، وأهل العلم والفضل ممن اشتهر عنهم حسن السيرة وصلاح العمل، وذلك حتى لا تنقلب المصالح إلى مفاسد، فلا بد من وزن عقوبة التشهير بميزان الشريعة والعقل والعرف.

ب – تحذير كافة أفراد المجتمع من التعامل معهم، والبيع والشراء لهم ومنهم، وخلق درجة من الخوف في حس المجتمع من هؤلاء المنحرفين فكرياً سواءً أكانوا في جانب التفريط أو الإفراط، الغلو أو الانفلات، وهذا ما يُعرف بالعزلة المعنوية، حتى يدركوا أنهم صاروا فئة غير مقبولة ومرفوضة في المجتمع المسلم، فهم نشاز فيهم.

ج – التواصي بين الناس بعدم حضور مجالس من عُرف عنهم انحرافهم الفكري، فإنَّ بعض هؤلاء قد يكون لهم نشاط اجتماعي وخدمة مجتمعية، أو مركز ومنصب مرموق، وهو في ذات الوقت من دعاة الأفكار المنحرفة عن هداية الصراط المستقيم، فيمتنع الناس عن حضور ندواتهم ومناقشاتهم وكل ما يتصل بهم، عقوبة لهم على إصرارهم على الضلال.

د – عدم شراء كتبهم، أو متابعة مواقعهم في تويتر، والفيس بوك، والتليجرام، والانستغرام، والسناب، وكل وسيلة إعلامية يستخدمها المنحرفون فكرياً تتم مقاطعتها، ودعوة الناس بالبعد عنها.

أمثلة للعقوبات الحسية:

أ – الفصل من العمل إنْ كانوا موظفين في الدولة، لأنه من خلال الرصد والمتابعة ثبت أنهم ينشرون فكرهم المنحرف لمن حولهم من زملاء العمل، وغايتهم تكثير سوادهم، وإظهار أنهم أغلبية وكثرة تؤمن وتعتقد بما يدعون إليه من بدع،

وضلال، وانحراف فكري، فيتم قطع الطريق على إفسادهم بفصلهم من العمل.

ب - حرمانهم من بعض حقوقهم المادية الوظيفية كأسلوب تعزير لهم، كحرمانهم من الراتب التقاعدي هذا بعد فصلهم، وإنْ كانوا على رأس العمل فيتم حرمانهم من البدلات والامتيازات المالية المقررة لكل موظف ولا يعدوا هذا ظلماً وبغياً عليهم، لأن اللوائح والأنظمة في مجال العمل تنص على منع استغلال الوظائف لنشر الأفكار والمعتقدات والتوجهات التي تُخالف نظام الدولة، وهي مخالفة لشريعة الله تعالى(١).

ج - سجنهم وحبسهم لحماية المجتمع من نشر سمومهم وأفكارهم المنحرفة، وواقع بعض المسجونين في قضايا الإرهاب والفكر المتطرف، وقضايا تغريب الدولة ونشر العلمانية والمذاهب الهدامة، يؤكد ضرورة وأهمية اتخاذ هذا الإجراء وهو السجن والحبس.

د - تقرير عقوبة الجلد عليهم بحسب الجرم الذي ارتكبوه، وهذا النوع من العقوبات المشروعة هو ما يُعرف بالحدود الشرعية التي جُعِلت للحفاظ على الضروريات الخمس لكل إنسان، وهي النفس والعرض والعقل والمال والدين، وما شُرعت هذه الحدود إلا لوجود أفراداً لا يستجيبون للحق ويتركون الباطل إلا إذا جُلدت ظهورهم، وأُدميت جلودهم، فساعتها يستفيقون ويعودون لرشدهم.

ه - نفيهم خارج البلاد وسحب جنسية البلد منهم، فتنقطع كل علاقة لهم بالمجتمع المسلم الذي سعوا إلى إفساده وتخريبه، وهذا النوع من العقوبات الحسية يكون لتلك الفئة ذات المنصب والجاه، والتي يتعذر سجنهم أو إقامة الحدود عليهم لوجود حصانة خارجية لهم، فمثل هؤلاء تتبع الدولة معهم نظام سحب الجنسية فلا يعودون ينتمون للوطن، وإن سُمح لهم بالدخول فليس للإقامة بل للزيارة.

(١) انظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، النظام الأساسي للحكم.

إنّ الأساليب التي يمكن للمحتسبين الرسميين والمتطوعين استخدامها لمواجهة وإزالة الانحرافات الفكرية أو التخفيف من أضرارها كثيرة ومتنوعة، ومنها: أسلوب الترغيب والترهيب، أسلوب عدم الالتفات للمستهزئين، وضرب الأمثال، وأسلوب استدعاء التاريخ وشواهده لمن انحرفوا فكريا وبيان خاتمتهم، وأسلوب التيقظ والانتباه، وأسلوب المدارة لا المداهنة، وأسلوب التخيير، وغيرها؛ مما نجده في المنهج النبوي الشريف في التعامل مع الانحرافات الفكرية، وكذلك منهج الخلفاء الراشدون، ومنهج أهل الاحتساب عبر التاريخ الإسلامي، مما يساعد على مواجهة الانحرافات الفكرية المعاصرة.

المطلب الثاني: الوسائل في التطبيقات المعاصرة للاحتساب علـى الانحـراف الفكري:

مفهوم الوسائل:

الوسيلة في اللغة: ما يتوسل به إلى الغير أو إلى الشيء، والجمع وسائل، ويختلف معناها بحسب ما تنضاف إليه[١]

فوسائل الدعوة هي:" ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي صـحيح"[٢] ووسائل الحِسبة هي:" كل ما يتوصل به المحتسب للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر من أسباب مادية أو معنوية لتحقيق المنهج المرسوم والأساليب المختارة"[٣].

والفرق بين الأساليب والوسائل، أنَّ الأساليب أعم والوسائل أخص، وكلاهمـا لا ينفك عن الآخر، فحيثما كان الأسلوب كانت الوسيلة، فهما كالصـورة بإطـار، فالصورة هي الوسيلة؛ والإطار هو الأسلوب، فلا يمكن تقديم الوسيلة وعرضها بدون أسلوب، وكذلك الأساليب لا تكون إلا مع وسيلة، فالتداخل بينهما وثيق الارتباط.

الوسائل في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري :

١ – وسيلة القول:

وسيلة القول هي أول الوسائل المادية وأكثرها تأثيرا، فعن طريقها بلَّغ الأنبيـاء والرسل عليهم الصلاة والسلام دعوتهم واحتسبوا فيها، **وهي** الوسيلة الأكثر ذكـراً في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فكم من آية ورد فيها قال، وقل، ويقولوا في أكثر مـن ثلاثمائة آية مع تصريفات القول ومشتقاته[٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١١/٧٢٤، مادة: وسل.

(٢) وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ص١٦.

(٣) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص٢٩١.

(٤) مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي. https://nashr.qurancomplex.gov.sa/site/

إنَّ الراصد والمتابع لأهل البدع والضلال، والأهواء والمنحرفون فكرياً، يجد أنهم ينشرون أفكارهم للناس ويبلغوهم إياها بأصواتهم؛ في زماننا عن طريق: القنوات الفضائية في البرامج الحوارية، وعن طريق قنوات خاصة بهم، وعن طريق قناة اليوتيوب والفيديو في الشبكة العنكبوتية، وعن طريق نسخ الروابط المسموعة ونشرها في برامج التواصل الاجتماعي، فعن طريق هذه الوسائل المنتشرة، يسمع الناس كل أقوالهم الداعية لفكرهم الشاذ المخالف، ومن تتبع منهجهم في الدعوة لفكرهم المنحرف بأصواتهم وجد ما يلي:

١ - العناية الفائقة باختيار الألفاظ، وانتقاء الجمل، التي يُعبِّرون من خلالها عن فكرهم ومعتقدهم المنحرف، وظهورهم بمظهر الناصح الأمين للناس، المشفق عليهم، والحريص على نقلهم إلى مصاف الأمم المتحضرة، والشعوب الحرة الراقية، وأنهم هم أهل الله وخاصته، وأهل البصيرة والوعي، والفهم العميق للدِّين وكيفية تطبيقه في الزمن المعاصر.

٢ - الاستدلال بالأدلة والبراهين وعرضها بأسلوب مقنع ومؤثر.

٣ - حسن المظهر في اللباس، وفخامة المنظر التي تُبهج النفوس، وهذا أكثر ظهوراً في جانب المنفلتين من التدين.

٤ - إتقان لغة الجسد المؤثرة في الآخرين، والتي تكون في حركات اليدين، ونظرات العينين، وطريقة الجلوس والقيام، ونبرات الصوت المتقنة في التعبير عن أفكارهم.

٥ - عدم الارتجال والاستعجال في برامجهم الصوتية التي يقدمونها لنشر انحرافهم، فهناك احتراف ومهنية عالية جداً في كل ما يقدمونه.

إنَّ الصفات السابقة لأقوال ذوي الاتجاهات المنحرفة فكرياً هي من الأسباب

القوية التي جعلت بعض الناس يتأثرون بهم، وجعلت البعض الآخر يفكـــرون فيمـــا يقولونه، وترك البعض الآخر متشكك حائر بين حبه لدينه وتمسكه بسنة نبيــــه ﷺ على جهل عنده بتفاصيل الشريعة، وبين ميله لأقوالهم[1].

إنَّ الحكمة في القول في الاحتساب على المنحرفين فكرياً، تُوجب بل تستلزم أنْ يكون الاحتساب بوسيلة القول على نفس المستوى بل وأكثر احترافية ومنهجية، لأنَّ ديننا عظيم، وهو دين الحق والهدى ويستحق أنْ نبذل في التعريف بـــه ونشـــره، ورد الشبهات عنه، كل ما يتوفر من أدوات ووسائل قديمة وحديثة.

آليات عملية لتطبيق وسيلة القول في الاحتساب الفكري:

أ - أنْ تتولى جهة رسمية كهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر، ومعاهـــد الدعوة، والجمعيات العلمية الدعوية والحسبية، وكراسي البحث العلميـــة، والقنـــوات الفضائية الرسمية للدولة، والقنوات الأخرى المعتدلة، ووزارة الثقافة والإعـــلام، ووزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وهيئة كبار العلماء، وخطب الجمعـــة والعيدين، والقطاع الخاص، أنْ يتولوا مسئولية الاحتساب على الانحـــراف الفكـــري بالقول المسموع عن طريق: تكليف فريق يتم تدريبه تدريباً عالياً، بحيث يكـــون مـــن يتصد لدعاة الباطل فئة متخصصة محترفة تمتلك كل عوامل التأثير والإقناع.

ب - أنْ يكون من ضمن عمل تلك الجهات الرسمية فريق للرصد والمتابعة، فـــأي شيء يبثه دعاة الباطل يتم رصده وتحليله والرد عليه بنفس المنهج والآلية[2]، حتى نصل

---

(١) للاستزادة انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منـــها، أ. د. ناصـــر العقل، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٨هـــ.

(٢) من الجهود المباركة لبلادنا الحبيبة في هذا المجال افتتاح مركز الحرب الفكرية وهـــو: مركـــز عالمي يتبع وزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية ويختـــص بمواجهـــة جـــذور التطـــرف والإرهاب، وترسيخ مفاهيم الدين الحق. وافتتاح المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف.

إلى مستوى الحصانة الكاملة للمجتمع من التأثر بكل دعوات أهل الباطل ممن انحرفوا فكريا.

والحقيقة الظاهرة كضوء الشمس أنَّ الجهود المبذولة من الجهات السابقة تستحق الشكر والإشادة، وأنَّ الله تعالى من فضله وكرمه عصم المملكة العربية السعودية وشعبها من أنْ يكون لدعاة الباطل موقعاً مؤثراً بين الناس.

ت - كل ما يتم تقديمه من برامج وفعاليات متنوعة ومختلفة تخاطب المنحرفين فكرياً يتم إيصاله إليهم، لكل فرد ولكل مجموعة أو حزب أو طائفة، أو أي انتماء على غير هدى من الله تعالى، لأنَّ القصد من كل الجهود، هو إعادهم إلى الحق والاستقامة على صراط الله المستقيم، وتحقيق الحياة الطيبة لهم في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

ث - الجهود الفردية وتكون كلاً بحسب حاله، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب في ذلك واجب على كل مسلم ومسلمة، وهذا الوجوب من أبجديات الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، فيسعى كل مسلم بتسميع الآخرين الحق والصواب في كل شبهة وباطل تصدر من أهل الضلال، عن طريق نقل البرامج والروابط المسموعة والمرئية الصحيحة والصادرة عن علماء ومصلحين مشهود لهم بالفضل والإمامة في الدِّين.

ج - استمرار إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات والمحاضرات والمواعظ والدورات العلمية ودروس إذاعة القرآن الكريم وإذاعة نداء الإسلام وبرامج القنوات التلفزيونية التي تنشر وتعزز مفاهيم الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخصيص موضوعاتها عن كيفية الاحتساب على أصحاب الانحراف الفكري، فهذا يعزز تحصين الرأي العام في المجتمع من أن يُصاب أو يتأثر بالانحرافات الفكرية.

ح - خطب الجمع وخطب الأعياد من الوسائل المهمة جدا لاجتماع عدد كبير من المسلمين فيها، فهي وسائل قوية لبيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وتعليم الناس فقه الاحتساب ومجالاته وأركانه، وطرق الاحتساب على الانحراف الفكري.

٢ – وسيلة الكتابة:

القصد من هذه الوسيلة هو مكاتبة المنحرفون فكرياً سراً وجهراً، ودعوتهم بالحسنى لتحقيق غاية استجابتهم للحق، ويكون عن طريق:

أ – إرسال رسائل مكتوبة إلى بريدهم الإلكتروني أو العادي.

ب – تكرار إرسال الرسائل المكتوبة بأسلوب الوعظ الحسن، والتذكير بالله تعالى، والترغيب بجنته، والترهيب من ناره، مع ذكر محاسن المحتسب عليه وفضائله، وثناء الناس عليه فيما قدم من خير لهم.

ج – تأليف الكتب التي ترد على كتب أهل الضلال وتبين زيف أدلتهم، وبطلان دعواهم، وهذه الطريقة موجودة منذ صدر الإسلام، ومؤلفات أهل السنة في بيان فرق الضلال ودعواهم كثيرة ولله الحمد والمنّة.

د – إهداء هذه الكتب للمنحرفين فكريا ودعوتهم للنظر فيها ومقارنتها بما عندهم، لعله يظهر لهم انحراف فكرهم.

٣ – وسيلة الردود وتفنيد الشبهات:

والمقصود بها الرد على كل شبهات الغلاة المتطرفين، والمفرطين المتحررين من الدِّين، وهذا منهج القرآن الكريم مع أهل الشبهات والشهوات، الرد على كل ما يوردونه من شبه وأباطيل قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1] وقوله ﷺ: (يحمِلُ هذا العِلمَ من كلِّ خلَفٍ عدولُه، ينفونَ عنهُ تحريفَ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

الجاهِلِينَ، وانتحالَ المبطلينَ، وتأويلَ الغالينَ)(١).

برنامج مقترح لتفعيل وسيلة الردود وتفنيد الشبهات:

إنَّ ردود العلماء وأهل الحسبة الربانيون على شبهات وأباطيل المنحرفون فكرياً؛ مبنية على الدليل من الكتاب والسُّنة، وعلى منهج الاستدلال في أصوله وقواعده، مما يصعب على عامة الناس من غير المتخصصين فهمه وإدراكه، بل قد يصعب على أهل الشبهات أنفسهم الذين لا نصيب لهم ولا حظ في العلم الشرعي إلا ندرة منهم، فتظل الشبهة عالقة في ذهن المنحرف فكرياً، وذهن عامة الناس الذين تأثروا بهم، وتصبح تلك الردود الشرعية التي بُذلت فيها الجهود حبيسة الكتب والمجلدات فاقترح:

أ – تبسيط لغة الردود الشرعية بما يتوافق مع المستوى المعرفي لعامة المسلمين، كأن تكون في صورة سؤال وجواب مرفق معه الآية والحديث.

ب – استخدام التقنية المعاصرة في إخراج الردود الشرعية على شبهات وأباطيل المنحرفين فكرياً بشكل جذاب وملفت للنظر، يجذب الناس للاطلاع عليها واقتناؤها، كمطويات وبطاقات، ورسائل واتس، وفيس بوك وجملة كبيرة من الوسائل الحديثة التي يعرفها المتخصصون بالدعاية والإعلان، ومما اشتهر إقبال الناس عليها.

ج – عمل المختصرات للردود في كتيبات صغيرة تحمل في الجيب والحقيبة.

٤ – وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة:

وهي كل التطبيقات الحديثة في التكنولوجيا المعاصرة، وهي منتشرة بين الناس، والتي هي وسيلة تسَّهل عليهم التواصل الاجتماعي وتبادل المعلومات والخبرات، وتعدوا من نعم الله تعالى على البشرية، فله الحمد والمنِّة.

إنَّ وسائل التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين، فعن طريقه يمكن نشر الشر لأكبر عدد من الناس، وعن طريقه أيضاً يمكن نشر الخير لأكبر عدد من الناس،

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، ١/١٤٥، ط/ مؤسسة المعارف: ١٤٠٦هـ.

والتجارب المعاصرة في ثورات الربيع العربي، وفي إرهاب المتطرفين من تنظيم داعش، وتنظيم القاعدة ودعوات التيارات العلمانية والليبرالية وغيرهم، يؤكد هذه الحقيقة؛ أنَّ وسائل التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين.

وتتم الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي في تطبيق الاحتساب على الانحراف الفكري في مجالين:

المجال الأول: على مستوى الدولة:

إنَّ من واجبات الدولة ضبط هذه الوسائل العالمية، وعدم تركها مفتوحة بلا قيود ولا ضوابط، لأنها جلبت الشرور للدول والشعوب، فالحرية مطلب إنساني مشروع، واحترام سيادة الدول ومعتقدات الناس أيضاً مطلب مشروع ومهمة الدولة هو إتاحة هذه التطبيقات للناس مع وضع قانون ملزم للجميع ينظم آلية التواصل الاجتماعي، وقد وضعت المملكة العربية السعودية بلادنا الحبيبة قوانين لذلك، فبيَّنت ما هو مسموح وما هو ممنوع، وشرعت العقوبات المناسبة لمن يخالف نظام الدولة ودستورها في هذا المجال[1].

المجال الثاني: على مستوى الشعب أفراداً وجماعات:

من الواجبات المقررة على الناس لضمان سلامتهم في أوطانهم، وسلامة دينهم لهم، أنْ يلتزموا بما تشرعه الدولة من قوانين خاصة بوسائل التواصل الاجتماعي، وأنْ يستشعروا هذه المسئولية والواجب المنوط بهم، وأنْ يتعبدوا لله تعالى بطاعة ولي الأمر فيما يحقق مصالحهم في دنياهم.

إنَّ التطاول على الذات الإلهية، وعلى مقدسات المسلمين، ونشر معتقدات أهل

---

(١) انظر: نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، المادة السادسة والسابعة والتاسعة، هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات.

البدع والضلال، والترويج للتيارات الفكرية المنحرفة، والطعن في ولاة الأمر من الحكام، وهمز العلماء ولمزهم، وتأليب الناس عليهم، كل ذلك ممنوع ومحظور تداوله، لأنه فتح لأبواب الفتن والشبهات، وإثارة الفتن والقلائل، وتفرقة الصفوف وتصدع العلاقات، وواجب الناس أنْ يستجيبوا لذلك، وأنْ يحتسبوا على كل من يصدر منه مخالفة للأنظمة، حتى تقوى شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفوس الناس، وتصير الحِسبة والاحتساب صفة ثابتة وغالبة على المجتمع.

إنَّ الوسائل التي يمكن للمحتسبين الرسميين والمتطوعين - كلا بحسب موقعه - استخدامها لمواجهة وإزالة الانحرافات الفكرية أو التخفيف من أضرارها كثيرة ومتنوعة، ومنها: وسيلة الدعاء لهم وعليهم، ووسيلة الهجر، والتهادي، والاستعانة بالأعوان، والتأليف بالمال، أو الجاه والنسب، ووسيلة الزيارة لهم، والسفر معهم، ووسيلة اغتنام الفرص للنصح والتوجيه، ووسيلة الصمت والصبر، ووسيلة الاتصال بأصحاب النفوذ والقرار لتنبيههم، ووسيلة الهبة، والوسائل غير هذه كثيرة ومتنوعة بل ومعاصرة تتوافق مع متطلبات العصر من التطور والتقدم في مجال التواصل، وكلها وسائل مشروعة تساعد المحتسبين والمتطوعين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، استجابةً لأمر الله تعالى وإتباعاً لهديه عليه الصلاة والسلام.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وله سبحانه عظيم الشكر والإحسان على فضله وكرمه، ومعونته وتيسيره على إنجاز هذا البحث المعنون له بي: أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري، وتطبيقاته المعاصرة.

إنَّ دعوة الناس لفعل المعروف الذي أمر الله تعالى به، والاحتساب عليهم عند فعل المنكر الذي نهى الله تعالى عنه، عملٌ صالحٌ، ومهمة عظيمة، هي وظيفة رسل الله تعالى وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، ومن أشد المنكرات خطراً وإثماً، المنكرات المتعلقة بالفكر الإنساني، فإنَّ الانحرافات الفكرية شديدة الخطورة، وآثارها مدمرة، وأقوى الأدلة على ذلك ما يحدث في العالم اليوم من إرهاب وتطرف، نتج عنه قتل وتشريد، وسفك لدماء الأبرياء، وأكل لحقوق الناس وضنك في المعيشة، مع ضلال وحيرة وتيه عن صراط الله المستقيم، تحرم الإنسان من الأمن النفسي والفكري، وبات الأمر شكوى وأنين عالمي في كل قُطْرٍ ومِصْر.

والمخرج الوحيد، والحل السليم، والمنهج القويم، للحال العالمي في باب الانحرافات الفكرية هو إقامة شريعة الله تعالى السمحة السهلة في واقع الحياة، وهي الوحيدة الكفيلة بإصلاح ما فسد على الأرض، والمملكة العربية السعودية بلادنا الحبيبة اتخذت خطوات كبيرة وجبارة، فيها الحكمة والرشد، وإتباع الشرع القويم في معالجة الانحرافات الفكرية، حتى صارت دولة يُقتدى بها في معالجة الانحرافات الفكرية، فأثمرت أعمالها تخفيف منابع الشر، وقتل بذوره قبل أن تنمو، فأكرمها الله تعالى بالأمن والأمان، وأسأل الله تعالى أن يديمه علينا، وأنْ يجعلنا جميعاً حكاماً ومحكومين ممن يعلي شريعة الإسلام ويحافظ عليها، ويدافع عنها.

وقد احتوى هذا البحث على بيان أسس وقواعد الاحتساب الشرعي على

الانحرافات الفكرية، وأسس الاحتساب القانوني على الانحرافات الفكرية، وهما آليات لكيفية القضاء على كل انحراف فكري عبر أساليب ووسائل هي تطبيقات معاصرة تساعد المحتسبين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لأداء هذه الفريضة العظيمة، شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نتائج البحث:

١ - إنَّ الانحرافات الفكرية موجودة منذ بداية البشرية، فهي قديمة وحديثة، توجد في كل زمان ومكان، وتتفاوت شدةً وضعفاً بحسب استجابة الناس لها، وبحسب قوة الحق أو ضعفه.

٢ - المقياس الأساسي والمعيار الحقيقي في الحكم على فكرة ما أو سلوك ما بأنه منحرف أو مستقيم، هو الرجوع للكتاب الكريم والسنة المطهرة فهما الفيصل في ذلك، لأن الانحرافات الفكرية نسبية تتعلق بالمرجعية العليا لكل نظام.

٣ - مفهوم الانحراف الفكري المعتمد والراجح لدى أهل العلم والمعرفة مع تنوع تخصصاتهم في الأمة الإسلامية هو البعد عن المفاهيم الصحيحة في الاعتقاد والتشريع للدين الإسلامي الحنيف.

٤ - تُعد الانحرافات الفكرية حالة مرضية تُفسد العقائد والسلوكيات والقيم الأخلاقية الإنسانية، وهي شديدة الخطورة وآثارها عنيفة على الفرد والمجتمع والدولة.

٥ - الانحرافات الفكرية تهدد منظومة الأمن الشاملة، الأمن النفسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والوطني والدولي.

٦ - الانحرافات الفكرية ليست نوعاً واحداً، ويمكن تصنيفها بحسب الحكم عليها وبحسب نوعها، فقد تكون شديدة الخطورة فتصل إلى حد الكفر، وقد تكون أقل من ذلك، وهي تظهر في أنواع متعددة ومسميات مختلفة، كالفرق والمذاهب والطوائف، والجماعات والتنظيمات والحركات والاتجاهات.

٧ - إنَّ الحِسبة ولاية من الولايات ونظاماً من الأنظمة، وهي فرضٌ على القائم بأمور الأمة يُعين لذلك من يراه أهلاً لذلك.

٨ - إنَّ شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الإسلام العظيمة التي هي بمثابة أداة ضبط في المجتمع المسلم، ضبط للأفكار والسلوك، تحفظ للمجتمع استقراره وأمنه الفكري.

٩ - إنَّ الاحتساب على الانحرافات الفكرية له أسس شرعية مهمة تعتمد القرآن الكريم والسنة المطهرة مصدراً أساسيا في الحكم على الأفكار والأقوال والأفعال.

١٠ - إنَّ الاحتساب على الانحرافات الفكرية له مقاصد شرعية تحقيقها يُعد مطلب شرعي معتبر.

١١ - ضرورة العلم بالواقع بكل أبعاده ثم الحكم عليه، فالمنحرفون فكريا ليسوا على مستوى واحد من الانحراف، بل بينهم تفاوت وتباين كبير جدا، فهم يختلفون من عدة نواحي؛ منها: مستوى العلم، مرتبتهم في الاجتهاد، مرتبتهم في التقليد، في منهج التأويل، في هل هم دعاة لفكرهم أم غير دعاة، هل هم مسلحون ويقاتلوا لأجل فكرهم، أم غير مسلحين، فهناك اعتبارات كثيرة تجب معرفتها شريعةً، حتى تكون الأحكام الصادرة على المنحرفين فكريا والاحتساب عليهم مبنية على الحجة والبرهان، وعلى مقتضى حال المحكوم عليه.

١٢ - إنَّ أصحاب الاتجاهات المنحرفة فكرياً ليسوا على درجة واحدة، ففيهم الجاهل المقلد، وفيهم المتعصب الحاقد، وفيهم المتورط الذي يتعذر عليه فراقهم، وفيهم من عرف الحق لكنه أضعف من أن يتركهم ويلتحق بأصحاب الحق، وغير ذلك من الأسباب التي جعلت بعض الناس يعتقد تلك الانحرافات الفكرية وينتسب لها، كل ذلك لا بد من اعتباره واعتماده عند الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحرافات الفكرية، وعند إصدار الحكم عليهم، فإن العدل أساس بقاء المجتمع، وأعظم العدل؛ العدل مع من ظلم نفسه.

١٣ - أنَّ الحِسبة علم قائم بذاته له مفهومه الخاص به، وله أركانه، ومجالاته، وأسبابه، وقواعده، وأنظمته، ولوائحه المقررة من قبل الدولة.

١٤ - إنَّ دعوى الحِسبة ودعوى المصلحة العامة والاحتساب القانوني كلها بمعنى واحد وتؤدي نفس الغاية والغرض.

١٥ - أنَّ الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري كثيرة ومتنوعة ومتجدده.

١٦ - من أساليب الاحتساب على الانحراف الفكري، أسلوب الموعظة الحسنة، أسلوب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، وأسلوب المناظرة، وأسلوب العقوبات الحسية والمعنوية.

١٧ - من وسائل الاحتساب على الانحراف الفكري، وسيلة القول، ووسيلة الكتابة، ووسيلة الردود وتفنيد الشبهات، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة.

١٨ - التدرج في الاحتساب على الانحرافات الفكرية يعدوا خطة استراتيجية، وهو ما قامت به مملكتنا الحبيبة المملكة العربية السعودية، فتدرجت في توجيه وإرشاد المنحرفون فكرياً، ثم محاورتهم ومناظرتهم ثم نصحهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، حتى إذا كان هناك فئة رفضت كل أشكال التعاون والتسامح فهنا الحزم والجد يعدوا واجباً شرعياً لحفظ الأرواح وصيانة الحقوق، فتكون العقوبات الحسية من التعزير بالقتل والحبس والجلد والنفي.

١٩ - إن الهدف الأساسي والغاية العظمى من الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو هداية الناس ودلالتهم على الحق ليتبعوه، وإنَّ الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في احتسابه على المنكرات، والاهتداء بهديه في ذلك يُعدُ من أنجح الأساليب في استجابة المنحرفين فكرياً ومنهجية التعامل معهم.

التوصيات:

١ - دعوة الجهات المسؤولة والمختصة للاستمرار فيما تقوم به من جهود متميزة في التوجيه والإرشاد والبيان لكافة أفراد المجتمع عن خطر الانحرافات الفكرية وعواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع والدولة، ومن هذه الجهات المعنية بالتوجيه والإرشاد والبيان: وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، وهيئة كبار العلماء، ومعاهد وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكراسي البحث العلمية المختصة بالحِسبة، ووزارة الإعلام وما يتفرع عنها من قنوات تلفزيونية، وإذاعات، ومجلات، وصحف ورقية والإلكترونية، ومطبوعات.

٢ - إعلاء شأن خطب الجمعة، والأعياد، والدروس العلمية بالمساجد، والمؤتمرات، والملتقيات، والمحاضرات، والندوات، التي تخاطب مباشرة أفراد المجتمع بكافة مستوياته، ودعمها وتطويرها لأداء دورها المثمر في تحقيق الأمن الفكري للمجتمع، وإزالة الانحرافات الفكرية.

٣ - إنَّ الوقاية من الانحرافات الفكرية مطلب مهم، ووجود جهة رسمية ترصد كل انحراف فكري منذ نشأته والتعامل معه بما ينبغي، يساعد كثيراً في زوال الانحرافات الفكرية في المجتمع.

٤ - نشر كتب السلف الصالح رحمهم الله تعالى خاصة كتب الحِسبة، والتي فيها الاحتساب على الانحراف الفكري في زمنهم، لنشر الوعي والمعرفة لكافة أفراد المجتمع، ويكون ذلك بأساليب ووسائل حديثة، يتحقق عن طريقها نشر علم وعمل السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

٥ - العناية بنشر سير المحتسبين وجهودهم العظيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع بيان الثمرات الطيبة والنتائج الحسنة لاحتسابهم، من هداية الناس وغلبة الصلاح على المجتمع.

٦ - الوقاية خيرٌ من العلاج، فبناء مناهج التعليم على أسس الوقايـــة والحمايـــة الفكرية مطلب مُلح مُلزم، واقترح أن يضاف للتعليم الجامعي مقرر: الأمن الفكـــري كمتطلب جامعي يتم تدريسه في كل جامعات المملكة، للوقاية من الانحرافات الفكرية والتأثر بها، وأن يكون للتعليم العام نصيبه من ذلك فهو مرحلة تأسيسية.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ط/١، دار الحديث، القاهرة: ٢٠١٠م.

٣. أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ١٤٢٥/٣/٣هـ، بحث علمي مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٤. أسباب الانحراف الفكري عند الشباب، محمد السعيدي، بحث مقدم لمؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي.

٥. الاستشراف المستقبلي لمجالات الاحتساب في المملكة العربية السعودية، عبدالله الدوسري، بحث علمي محكم ضمن بحوث ندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١١ - ١٤٣١/١٢هـ.

٦. الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، ط/١، دار ابن عفان، الرياض: ١٤١٢هـ.

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه سعد، ط/ دار الجيل، بيروت: ١٩٧٣م.

٨. اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط/ مكتبة ابن رشد، الرياض.

٩. الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم، ط/١، الأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربي، الرياض: ٢٠٠٦م.

١٠. الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، محمد الخطيب، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٦هـ.

١١. الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري، عبد الرحمن الحارثي، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: ١٤٣٣هـ.

١٢. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت: ٢٠١٠م.

١٣. بدعة إعادة فهم النص، محمد المنجد، ط١، ١٤٣٧ه، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

١٤. التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية، سعيد القليطي موقع صيد الفوائد، بحوث المؤتمر https://saaid.net

١٥. التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف، سعيد المغامسي، ط/١، مكتبة دار العلوم، المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ.

١٦. تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية، عبد العزيز التويجري، بحث علمي محكم ميداني ضمن بحوث مؤتمر التطبيقات المعاصرة للحِسبة في المملكة العربية السعودية، ٣ - ١٤٣٣/٤/٤هـ، جامعة الملك سعود، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للحِسبة وتطبيقاتها المعاصرة.

١٧. التعريفات، محمد بن علي الجرجاني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.

١٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩هـ.

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ.
٢٠. جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، دار هجر للطباعة، القاهرة: ١٤٢٢هـ.
٢١. جريمة التشهير وعقوبتها، عبد الرحمن الخليفي، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٣٢هـ.
٢٢. جهود المملكة العربية السعودية في المعالجة الفكرية للإرهاب من خلال برنامج المناصحة والرعاية بوزارة الداخلية، فاطمة السلمي، بحث علمي محكم في كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.
٢٣. الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ط/١، دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٦هـ.
٢٤. الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥. حماية المجتمع المسلم من الانحراف، عبد الله الزايدي، ط/ مجلة البحوث الإسلامية الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤٢٦هـ.
٢٦. الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد المغامسي، ط/٤، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض: ١٤٢٨هـ.
٢٧. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/ دار الكنوز الأدبية، القاهرة.
٢٨. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٨هـ.

٢٩. دعوى الحِسبة في نظام المرافعات الشرعية السعودي، عبد الرحمن الحربي، رسالة ماجستير في العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٣٦هـ.

٣٠. دور الأجهزة الأمنية في التعامل مع التطرف والإرهاب "نحو استراتيجية للشراكة المجتمعية بين مؤسسات المجتمع والأجهزة الأمنية تعزيزا للأمن الفكري"، د. علي الجحني، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ٢٢ - ٢٥/٥/١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.

٣١. دور الأسرة في انحراف الأولاد، الأسباب والعلاج، محمد النجيمي، ورقة مقدمة إلى ندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض: ٢٠٠٤م.

٣٢. دور المربي ورجل الأعمال والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف، عمر التومي، ندوة: دور المواطن في الوقاية من الجريمة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

٣٣. الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٣٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض: ١٤٠٧هـ.

٣٥. شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ. د. فضل إلهي ظهير، ط/١، دار المعارف، الرياض: ١٤١١هـ.

٣٦. شرح الكوكب المنير، محمد الفتوحي المشهور بابن النجار، ط/١، وزارة الأوقاف، الريا: ١٤١٣هـ.

٣٧. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/، المكتبة السلفية، القاهرة: ١٤٠٠هـ.

٣٨. صحيح سنن ابن ماجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض: ١٤٠٧هـ.

٣٩. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاؤه: ١٣٧٤هـ.

٤٠. ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، سعود العتيبي، ط/١، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الرياض: ١٤٣٠هـ.

٤١. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد الفقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢. العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف الأسس والمحددات، أ. د. عبد الرحمن اللويحق، بحث علمي مقدم لمؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض: ١٤٣٦هـ.

٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

٤٤. الفرق المنهجي بين أهل السنة وأهل الأهواء، عبد العزيز العنقري، ط/١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٣٠هـ.

٤٥. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد سليم، ط/ دار العلم والثقافة، القاهرة: ٢٠١٠م.

٤٦. فقه التعامل مع المخالف، أ. د. عبد الله الطريقي، ط/١، دار الوطن للنشر، الرياض: ٢٠١١م.

٤٧. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ط/ دار إحياء التراث، بيروت.

٤٨. قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد الصيني، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ.

٤٩. القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي، ط/١، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٥٠. لسان العرب، ابن منظور، ط/ دار صادر، بيروت.

٥١. اللغو في الدِّين في حياة المسلمين المعاصرة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، ط/ مؤسسة المعارف: ١٤٠٦هـ.

٥٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، عبد الرحمن بن قاسم، ط/ مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة: ١٤١٦هـ.

٥٤. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ، ط/ المكتبة العصرية، بيروت.

٥٥. المدخل إلى القانون، محمد منصور، ط/١، منشورات الحلبي القانونية، بيروت: ٢٠١٠م.

٥٦. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، ط/١، المكتبة العصرية الذهبية، جدة: ١٤٢٧هـ.

٥٧. مذاهب فكرية معاصرة، محمود مزروعة، ط/١، مكتبة كنوز المعرفة، جدة: ١٤٢٥هـ.

٥٨. مسائل وقواعد في الاحتساب، عبد الله الوطبان، ط/١، دار المحتسب، الرياض: ١٤٣١هـ.

٥٩. معالم القربى في أحكام الحسبة، محمد القرشي ابن الأخوة، تحقيق: محمد شعبان، ط/ الهيئة العامة للكتاب، مصر: ١٩٧٦م.

٦٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط/١، مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٢٠١٠م.

٦١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ط/ دار الفكر، سوريا.

٦٢. معركة النص، فهد العجلان، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٤هـ.

٦٣. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ.

٦٤. مناهج الجدل والمناظرة، أ. د. زاهر بن عواد الألمعي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٥. المنهج الخفي والمعلن اتفاقا واختلافا، محمد الخطيب، بحث مقدم لملتقى أبها الثقافي، ٦/١٤٢٥هـ.

٦٦. الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ط/١،، دار ابن عفان، الرياض: ١٤١٧هـ.

٦٧. مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الإسلام، بالشراكة بين الجامعة الإسلامية وجائزة الأمير نايف العالمية في الفترة ٢٢ - ٢٣/٨/١٤٣٨هـ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٦٨. موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف: علوي السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية: ١٤٣٣هـ.

٦٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد مجموعة من المؤلفين بإشراف: مانع الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/١،، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض: ١٤١٨هـ.

٧٠. نحو استراتيجية وطنية لتكريس مفهوم الأمن الفكري في المجتمع قراءة استطلاعية تحليلية إعلامية، نعيم الحكيم، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ٢٢ - ٢٥/٥/١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.

٧١. نحو مجتمع آمن فكريا، أنموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري، عبد الحفيظ المالكي، أبحاث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (رسالة دكتوراه) جامعة الملك سعود كرسي الأمن الفكري، موقع: مكتبة صيد الفوائد، أوراق المؤتمرات العلمية.

٧٢. نحو مفهوم شامل للاحتساب، عبد الله الوطبان، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٧هـ.

٧٣. نصاب الاحتساب، عمر السنامي، تحقيق: د. مريزن عسيري، ط (١) ١٤٠٦هـ، مكتبة الطالب الجامعي، مكة.

٧٤. الوجيز في شرح المرافعات الشرعية في المملكة العربية السعودية، أحمد فؤاد، ط/١، الرياض: ١٤٢٥هـ.

٧٥. وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم المغذوي، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٠هـ.

٧٦. الوسطية في الإسلام، سعيد المغامسي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٣٨، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

البحث رقم (٥)

منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية

إعداد

د. إبراهيم طلبة حسين

الأستاذ المشارك في قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين، وبعد:

فإن الشباب عماد حضارة الأمم، وسر نهضتها؛ لأنهم في سن الهمم المتوثبة، والجهود المبذولة، سن البذل والعطاء، والحركة والبناء، وغالباً ما يمثل الشباب النسبة العظمى من السكان، الأمر الذي يقتضي مزيداً من الاهتمام به، والاستثمار فيه، حيث يعتمد نمو خيرات هذه المجتمعات، وملاحقتها لمطالب التطور، وتفوق هيكل عملها وجودته؛ على مدى جدوى عنصر الشباب فيها، ولهذا السبب نفسه نجد أنه سرعان ما ينهار أي مجتمع وتضيع قيمه إذا ما وَهَنَ شبابه، وأغلقت دونه نوافذ العلم والخبرة، بينما تتقدم المجتمعات الأخرى وتسبق غيرها معتمدة على فارق الزمن في إطلاق هذه الطاقات لأقصى ما تستطيع، وكلما اغتنمت الدول طاقات شبابها في العلم والإنتاج وبناء الحضارة زاد إنتاجها وحققت أهدافها.

وما من شك أن الشباب في هذه الفترة يعاني من متغيرات حضارية أثرت على العديد من جوانب الفكر والثقافة، وأحدثت ارتباكاً لدى الشباب في كيفية استثمار طاقاته على الوجه الصحيح. إن التأزم الحضاري ومشكلاته وتقنياته ينصب تأثيره على الشباب في المقام الأول، والناظر المتأمل في نصوص الشريعة يجد أن الإسلام تبنى منهجاً متكاملاً لتوجيه طاقات الشباب على الوجه الصحيح، ليكون قادراً على مواجهة المتغيرات الحضارية من خلال التحصين والمناعة التي يضفيها منهج الإسلام على أتباعه وأبنائه من الشباب.

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١/ ضغط المتغيرات الحضارية المعاصرة على الشباب، وضرورة توجيه الشباب إزاء هذه المتغيرات.

٢/ أهمية فئة الشباب في أي مجتمع من المجتمعات لأنهم عماد النهضة.

٣/ تحصين فئة الشباب من الانحرافات الفكرية يمثل أهمية كبيرة لأنهم الفئة المستهدفة والتي يسهل اختراقها للنيل من ثوابت الأمة ووحدها.

٤/ تتعدد طاقات الشباب وتتنوع وتوجيه هذه الطاقات وتوظيفها توظيفاً صحيحاً يسهم في البناء الحضاري للأمة.

٥/ استقطاب فئة الشباب وتوجيههم يمثل أهمية كبيرة للمتخصصين في الشريعة والثقافة الإسلامية.

- أهداف البحث:

١/ الكشف عن أهم طاقات الشباب الكامنة، ومدى عناية الإسلام بالشباب.

٢/ إبراز منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب المتعددة.

٣/ التعرف على المشكلات والمتغيرات الحضارية الضاغطة على الشباب وعلاج الإسلام لها.

٤/ محاولة توظيف طاقات الشباب في البناء والنهوض الحضاري.

٥/ تحصين الشباب ضد الأفكار الهدامة والمتطرفة؛ ليكونوا أداة بناء للوطن، وسواعد فتية تعمل على رفعته وريادته.

- الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي تناولت بعض القضايا المتعلقة بالشباب، ولكنها بعيدة عن موضوع بحثي ومن ذلك:

١/ طاقات الشباب الجامعي الفلسطيني في ضوء تحديات العولمة، والمعلوماتية، واقتصاد المعرفة، رجاء زهير عسيلي، (٢٠٠٧)، وهو بحث أجري على مجموعة من الطلاب بكلية التربية بالجامعة الفلسطينية وركز فيه الباحث على القيم وتأثيرها وعلاقتها بالبيئة. في حين أن دراستي ستتطرق للشباب بشكل عام، ولا تختص بدراسة القيم بل طاقات الشباب المختلفة.

٢/ القيم لدى شباب الجامعة في مصر ومتغيرات القرن الحادي والعشرين، د. هاني محمد يونس، مجلة التربية المعاصرة، السنة العشرون. (٢٠٠٣م) وركز فيه الباحث على موضوع القيم أيضاً فقط وانحصرت دراسته في شباب الجامعة في مصر، بينما ستركز دراستي على استكشاف طاقات الشباب المختلفة وكيفية توجيهها وتوظيفها في ضوء المتغيرات الحضارية.

٣/ مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي، محجوب، عباس(١٤٠٦هـ): كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، قطر.

ركز فيه الباحث على المشكلة الجنسية تحديداً وتناول بعض الجوانب السياسية و لم يتطرق إلى المتغيرات الحضارية المعاصرة خاصة وأنه صدر قبل تسعة وعشرين عاماً.

بينما ستركز دراستي على مجمل طاقات الشباب ومنهج الإسلام في توجيهها كما ستتطرق دراستي لبعض المتغيرات الحضارية التي تواجه الشباب.

٤/ تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، محمد بن عبد الله الدويش، (٢٠٠١):الرياض، المملكة العربية السعودية. وهو كتاب تربوي دعوي و لم يرتبط بالجوانب الحضارية، و لم يتطرق لطاقات الشباب المختلفة وكيفية توجيهها وتوظيفها. وهذا ما ستبرزه هذه الدراسة مع الربط بالواقع الحضاري.

- **منهج البحث :**

سأستخدم في هذا البحث المنهج التكاملي حيث سأجمع بين:

- المنهج الاستدلالي في تأصيل قضايا الشباب ومعالجتها في ضوء الكتاب والسنة.
- المنهج التحليلي في تحليل طاقات الشباب وسبل توجيهها.
- المنهج الاستنباطي في كيفية توظيف طاقات الشباب في البناء الحضاري.

- **تقسيمات البحث:**

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وفيها:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف الموضوع.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.
- تقسيمات البحث.

تمهيد: ويشتمل على:

١/ تعريف مصطلحات البحث.

٢/ أهمية مرحلة الشباب واستثمار طاقاتهم.

المبحث الأول: منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في توجيه الطاقة العقلية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الثالث: منهج الإسلام في توجيه الطاقة البدنية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الرابع: منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الخامس: منهج الإسلام في توجيه الطاقة النفسية في ضوء المتغيرات الحضارية.

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً فأسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأرجو أن أكون قد وفّقت في المساهمة في معالجة جزء من قضايا الشباب التي لا تزال تحتاج على مزيد من البحث والدراسة، خاصة وأن الشباب هم ثروتنا الحقيقية، وأملنا في غدٍ مشرقٍ يحملون فيه رسالة الإسلام، ليكونوا صورة حقيقة معبرة

عن دينهم، ويأخذوا بيد أمتهم إلى النهوض الحضاري، والازدهار الفكري والمعـــرفي، لتتبوأ أمتنا مكانها - الحق - بين الأمم.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في عمادة البحث العلمي التي موّلت هذا البحث ودعمته، في إطار دورها الريادي للنهوض بالبحث العلمي؛ ليكون في خدمة المجتمع، والنهوض بشبابه.

والشكر والتقدير لكل من ساهم وأعان وشجع ودعم ونصح وسدد - فرحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي- وكان على الحق والخير معيناً.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد

١/تعريف مصطلحات البحث:

من الأهمية بمكان قبل الولوج إلى موضوع بحثنا أن نعرج على بيان أبرز مصطلحات البحث، ودلالاتها وتعريفاتها، حتى يظهر المقصود بموضوع البحث، ومن هذه المصطلحات ما يأتي:

أ/**منهج**: "طريق نهج: بيّن واضح والجمع نَهْجات ونُهُج ونهوج ومنهج الطريق وضحه، والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق: وضح واستبان والمنهاج: الطريق الواضح، وفي القرآن الكريم: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١). والنهج الطريق المستقيم"(٢). والمنهاج: "الطريق الواضح، والخطة المرسومة، والجمع مناهج، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، وأنهج الطريق: وضح واستبان"(٣). فالمنهج والمنهاج تعني: الطريق الواضح والخطة المرسومة، والطريق المستقيم.

وأما منهج في الاصطلاح: فهي "مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين، لبلوغ هدف معين"(٤).

فالمنهج "هو "الكيفية التي بها نقول شيئاً، أو نعلمه، أو نفعله طبقاً لمبادئ معينة، وحسب ترتيب معين". "وهو: الخطة أو التخطيط اللازم لشيء ما"(٥).

ولدى علماء المناهج المنهج هو: "علم التفكير، أو طريقة كسب المعرفة، أو أنه خطوات منظمة ومحدده يسلكها الباحث في معالجة موضوع ما، أو فن التنظيم

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) لسان العرب، محمد جمال الدين بن منظور، ٢/٢٠٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢/٩٥٧.

(٤) الموسوعة الفلسفية، د. عبدالمنعم الحفني، ص٤٧١.

(٥) مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، ص ١٦.

الصحيح لسلسة من الفكر العديدة من أجل كشف الحقيقة حين الجهل بها، أو البرهنة عليها حين العلم بها"(١).

ب/الإسلام: من الفعل أسلم أي: "انقاد، وصار مسلماً، كتسلم، والعدو: خذله، وأمره إلى الله تعالى: سلمه. وتسالما: تصالحا. وسالما: صالحا"(٢). "والاسْتِسْلامُ: الانْقِيادُ. والإِسْلامُ مِنَ الشَّرِيعَةِ: إِظهار الْخُضُوعِ وإِظهار الشّريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه"(٣).

والإسلام اصطلاحًا يطلق على معنيين: الأول: بمعنى التوحيد وأصول العقائد المشتركة بين جميع الأديان المنزلة من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾(٤).

ووصف الله تعالى أتباع الأنبياء بالإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾(٥).

والإسلام بهذا المعنى ضد الشرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

(١) مناهج البحث في العلوم الطبيعية وعلاقتها بالحضارة الإسلامية، السيد محمد السيد علي، ص٢٥.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١١٢٢/١.

(٣) لسان العرب، محمد جمال الدين بن منظور، ٢٩٤/٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية:٥٢.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾(١).

الثاني: بمعنى الدين الذي بعث به نبينا محمد ﷺ من الأصول والعقائد والتكاليف بالعبادات والتعاليم الخلقية، وتشريع المعاملات، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده في قوله تعالى:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢).

ومقصودنا في البحث المعنى الثاني للإسلام؛ فمنهج الإسلام: أي ما جاء من طرق واضحة مستقيمة في الشريعة الإسلامية من التزم بها لا يزيغ ولا ينحرف.

ج/توجيه: التوجيه من الفعل وجه و"الْوَاوُ وَالْجِيمُ وَالْهَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَابَلَةٍ لِشَيْءٍ. وَالْوَجْهُ مُسْتَقْبِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ وَجْهُ الرَّجُلِ وَغَيْرُهُ. وَوَاجَهْتُ فُلَانًا: جَعَلْتُ وَجْهِي تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، وَالْوِجْهَةُ: كُلُّ مَوْضِعٍ اسْتَقْبَلْتَهُ. وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ عَلَى جِهَةٍ"(٣). (وَجه) انْقَادَ وَاتبع يُقَال قاد فلان فلانا فَوجه انْقَادَ وَاتبع، وَإِلَى الشَّيْء توجه بِمَعْنى ولى وَجهه إِلَيْهِ (اتجه) إِلَيْهِ أقبل بِوَجْهِهِ عَلَيْهِ (تواجها) تقابلا والجمع: توجيهات(٤).

ومن هذا يظهر أن التوجيه مصدر وجَّهَ، أي وجَّهَ إلى إرشادات أو نُصح أو بيان اخْتَارَ تَوْجِيهاً يَتَلاءَمُ مَعَ تَكْوِينِهِ: اِتِّجَاهاً، تَوَجُّهاً، ويَحْتَاجُ إِلَى تَوْجِيهٍ سَلِيمٍ: أيْ إِلَى إرْشَادٍ، والتَّوجيهات: التَّعليمات التي يُزوِّد بها المسئول مرؤوسيه والتي ترسم كيفيّة تنفيذ الأعمال(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآية:١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية:٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٦/ ٨٨.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ١٠١٥.

(٥) المرجع السابق ٢/ ١٠١٥.

د/طاقات: جمع طاقة: "وأَطَقْتُ الشَّيْءَ إطَاقَةً قَدَرْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مُطِيقٌ وَالاسْمُ الطَّاقَةُ مِثْلُ الطَّاعَةِ مِنْ أَطَاعَ"(١). والطَّاقَة: "الْقُدْرَة وَمَا يَسْتَطِيع الإِنْسَان أَن يَفْعَله بِمَشَقَّة"(٢).

وعلى هذا فالطاقات كل ما يمكن الإنسان أن يفعله وله قدرة عليه؛ فالطاقة: "من الطوق، وهو ما استقل به الفاعل و لم يعجزه"(٣).

والطاقة: بالتحريك مصدر طاق، الوسع، والقدرة على الشيء"(٤).

وقد ترتبط هذه القدرة مع المشقة في فعل الشيء كما قال الكفوي: "الطَّاقَة: هِيَ اسْم لمقدار مَا يُمكن الإِنْسَان أَن يَفْعَله بِمَشَقَّة، وَذَلِكَ تَشْبِيه بالطوق الْمُحِيط بالشَّيْء فَقَوله تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾(٥). لَيْسَ مَعْنَاهُ مَا لا قدرَة لنا بِهِ بل مَا يصعب علينا"(٦). وقد تتعدد طاقات الإنسان فهناك الطاقة الإيمانية، والطاقة العقلية، والطاقة البدنية، والطاقة الجنسية، والطاقة النفسية إلى غير ذلك.

هـ/الشباب: والشباب من أهم المصطلحات التي تحتاج إلى بيان المراد بها، لكون البحث يدور عليها، ويمكننا القول بأن مفهوم الشباب يقصد به: الفتاء والحداثة، شب يشب شبابا وشبيبة. "الشَّاب من أدْرك سنّ الْبلُوغ وَلم يصل إِلَى سنّ الرجولة (ج)

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ٢/ ٣٨١.

(٢) المعجم الوسيط، ٢/ ٥٧١.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٢٣٥.

(٤) معجم لغة الفقهاء، قلعجي ص ٢٨٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٦) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٥٨٦.

شُبَّان وَهِي شَابة (ج) شواب (الشَّبَاب) الفتاء والحداثة وشباب الشَّيْء أَوله"(١).

والشاب: "اسم فاعل من شب، ج شباب وشبان وشبية، من كان في سن الشباب على اختلاف الأقوال: من خمس عشرة سنة إلى الثلاثين ما لم يبلغ عليه الشيب، أو من سن التاسعة عشرة إلى الرابعة والثلاثين، أو بين الثلاثين والأربعين"(٢).

وهناك مرادفات كثيرة لكلمة الشباب منها مثلاً مراهق، وفتى، وصبي، وهي كلمات لا تدل على مراحل عمرية محددة ومفصلة بقدر ما تشير إلى خصائص جسمية ونفسية لفترة من الحياة ، وهي تعني القوة والنشاط والحركة والحماس(٣).

فالشباب هو الفترة بين الطفولة وسن البلوغ، وهي فترة العطاء والانتعاش، وهو الشخص غير المتقدم في السن، وله جمال وخصائص الشباب من حيث الناحية البدنية والجسمانية(٤).

ويبدو من خلال المعجم اللغوي، أن الشباب في المعجم العربي، يدل على المرحلة التي يكون فيها الفرد في مظهر حسن، ووجه حسن، وجسد مفعم بالحيوية، في حين نجد المعجم الأجنبي يشير على أن المراهقة يستعمل كمرادف لمفهوم الشباب، لأن المرحلة العمرية التي تحدث ما بين الطفولة وسن الرشد يحصل فيها مجموعة من التغيرات النفسية والبيولوجية والاجتماعية.

وانطلاقاً من التحديد اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الشباب يمكننا القول أن معالم مفهوم الشباب من الصعب علينا إعطاؤه تعريفاً واحداً وتعريفاً جزمياً ونهائياً، حيث نجد عدم الاتفاق على تعريف موحد شامل، يعود لأسباب كثيرة أهمها اختلاف

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٤٧٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء ص ٢٥٥.

(٣) انظر: سوسيولوجيا الشباب المغربي، عبد الرحيم العطري ، ص ١٢- ١٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤.

الأهداف المنشودة من وضع التعريف وتباين المفاهيم.

كما أنه يمكن القول أن التقسيم الذي وضعه العلماء خصوصاً علماء النفس وعلماء الاجتماع للشباب يكرس هذا الاختلاف ويساهم في ترسيخه، على اعتبار أنهم لم يضعوا معايير ثابتة وموحدة يتم فيها التمييز بين فئة الشباب وباقي الفئات العمرية الأخرى. المهم هي أن الكل يتفق بأن الشباب يمثل القوة المحركة لكل شعب، وهو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمعات وتشكل هذه الفئة في كل المجتمعات الشريحة الأكثر تأثراً بالأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة، وهي الفئة الأكثر دينامية وتحركاً في المجتمع. فالشباب عبارة عن طاقات متجددة تساهم في تقدم المجتمع. وهو مفهوم يعبر عن خصائص تتمثل أساساً في القوة والحيوية والطاقة، والقدرة على التحمل وعلى الإنتاج في مرحلة معينة من عمر الفرد.

ومما يجب التأكيد عليه أن تحديد مرحلة الشباب في أي سن يبدأ؟ وفي أي سن ينتهي؟ من أكثر الصعوبات التي تواجه أي باحث، حيث إن مفهوم الشباب على المستوى السوسيولوجي(١). مفهوم ليس له حدود واضحة ومضبوطة، "فالحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدود اعتباطية فنحن لا نعرف أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكننا أن نقدر أين ينتهي الفقر ليبدأ الغنى"(٢). وتظهر هذه الصعوبة في تنوع المراحل العمرية للشباب، وتكمن المرجعية هنا أن مرحلة الشباب تعرف مجموعة من التغيرات في المرحلة التي حددنا فيها السن، فعلى مستوى البيولوجي يكون كل من الشاب والشابة قد استكملا نموهما الجنسي وقادرين على الإنجاب، وعلى المستوى القانوني الذي يحدد سن الرشد في ١٨ سنة، وعلى المستوى النفسي

---

(١) دراسة المجتمعات الإنسانية والمجموعات البشرية وظواهرها الاجتماعية.

(٢) الشباب العربي ومشكلاته، عزت حجازي، ص٢٧- ٢٨.

يكون الفرد قد تجاوز مرحلة المراهقة، ومن الناحية الاجتماعية يكون الفرد قادراً على أداء دور اجتماعي يسمح له بالوصول إلى مكانة اجتماعية من داخل المجتمع الذي ينتمي إليه.

وبالجملة "فالإنسان إذا بلغ السادسة عشر من عمره يسمى (شابا) حتى سن الأربعين ثم هو كهل حتى سن الستين، ومن ثم يسمى (هرما) حتى يموت. وهذه الحدود ليست موضع اتفاق ولا هي حدود بارزة كحدود الحجرات، في المترل ولكنها حدود وهمية كخطوط العرض والطول"(١).

والذي أراه وأميل إليه أن الشباب يطلق على تلك المرحلة من البلوغ حتى سن الأربعين وهي مرحلة بلوغ الأشد؛ حيث تشهد مرحلة الشباب التغيرات الجسمية والنفسية والعقلية المختلفة، وعدم القدرة على التفكير السليم المنطقي والاندفاع والحماس، وعدم القدرة على التحصين الفكري إلا من رحم ربي وعصم، وهي تلك الفترة التي تحتاج إلى عناية ورعاية وتوجيه وإرشاد حتى يستفاد مما حبى الله به الشباب من خصائص وطاقات، أما مرحلة ما بعد الأربعين فهي مرحلة الرشد والهدوء والقدرة على موازنة الأمور والترجيح، وأيضاً مرحلة الاستقرار النفسي والعقلي، وقد خص الله هذه المرحلة بالذكر في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾(٢).

قال الرازي رحمه الله: "وهذا هو السن - أي الأربعون- الذي يحصل فيه الكمال اللائق بالإنسان شرعاً وطباً، فإن في هذا الوقت تسكن أفعال القوى الطبيعية بعض

(١) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٠.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

السكون، وتنتهي له أفعال القوة الحيوانية غايتها، وتبتدئ أفعال القوة النفسانية بالقوة والكمال، فالبلوغ إلى الأربعين عبارة عن الوصول إلى آخر مدة الشباب، فهذا يدل على أن توجه الإنسان إلى عالم العبودية والاشتغال بطاعة الله إنما يحصل من هذا الوقت، وهذا تصريح بأن القوة النفسانية العقلية النطقية إنما تبتدئ بالاستكمال من هذا الوقت"(١).

وأكّد هذا ابن عاشور رحمه الله بقوله: "والأشد: حالة اشتداد القوى العقلية والجسدية، ووقته ما بعد الثلاثين سنة وتمامه عند الأربعين سنة فقوله: وبلغ أربعين سنة أي بلغ الأشد ووصل إلى أكمله"(٢).

وكما أكدت سابقاً أن الأمر نسبي يختلف من حال شخص إلى آخر؛ فربما شاب في مقتبل حياته، ويمتلك من الرشد والحكمة ما لا يوجد لدى من جاوز الأربعين، وربما من بلغ الأربعين يتعامل ونظرته للأمور، وتقييمه للمواقف والأحداث بعقل الشباب الصغير، ولكن الحكم هنا على الأعم الأغلب.

و/المتغيرات: والمتغيرات: جمع المتغير، وهو من تغيَّر إذا اختلف وقبل التغير(٣). والتغير هو الاختلاف في الصور، أو الأجزاء، أو الحقائق أو في إحداها، قال أبو البقاء الكفوي: "والتغيير هو عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى مثل تغيير الأحمر إلى الأبيض، والتغير إما في ذات الشيء، أو جزئه، أو الخارج عنه"(٤).

وعلى هذا فالمتغيِّرات: "الظَّواهر التي يمكن أن تتغيَّر أو تتحمَّل معاني وقيمًا

---

(١) تفسير الرازي، ٢٨/ ١٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/ ٣٣.

(٣) انظر: القاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط: مادة غير .

(٤) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص٢٩٤.

مختلفة"(١).

ز/الحضارية: الحضارة لغة: من الحضر والحضرة و الحاضرة وهي: خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار(٢).

ولقد استخدم ابن منظور الحضارة بمعنى الحضر وهو الاستخدام الوحيد، وقد أورد استخدامات أخرى للحضر بطريقة مختلفة، وهي: الحضور نقيض المغيب، وحضر حضورا حضارة. والحضر خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضر. الحاضر: الحي العظيم، والحاضر ضد المسافر(٣).

وبذلك تلاقت المعاني لتصب في حوض الإقامة في الحضر الذي يعني التفاعل المؤثر والمثمر(٤).

الحضارة اصطلاحاً: أوّل من توسّع في الكلام عن الحضارة والتفريق بينها وبين البداوة هو "عبد الرحمن بن خلدون" الّذي يرى أنّ الناس حين تخطّوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنُّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضُّر.

"ثمّ تزيد حالة الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/ ١٦٥٦.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤/١٩٧.

(٣) المرجع السابق ٤/١٩٧.

(٤) انظر: الحضارة العربية الإسلامية، د. طه خضر عبيد ص ١٤ ١٥.

الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها فيتّخذون القصور والمنازل ويُجرون فيها المياه ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من استجادة ما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان"(١).

والمتأمل في كلام "ابن خلدون" يجد أنّ كلمة "الحضارة" عنده لم تخرج عن معناها اللغويّ. وكلّ ما كان منه أن توسّع قليلاً في شرح حال أهل الحضر أو المدن والتمييز بينهم وبين البدو أهل البادية.

كما عرّف ول ديورانت الحضارة بأنها "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إذا ما أَمِنَ الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازهارها"(٢).

إنه لم يتفق الباحثون في التاريخ والاجتماع والحضارة على تعريف معين لها، وإنما اختلفت تعريفاتهم تبعاً لاختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومدارسهم، وجاء العرب المحدثون ليقول البعض منهم إن الحضارة: "هي عقائد دينية، وازدهار اقتصادي، وإنجازات إنشائية، وأنظمة تشريعية، وتضامن اجتماعي، وفق تقاليد وعادات موحدة، أو قوى حربية.

ومنهم من عدها بأنها: الإنجازات التي تحققت للبشرية، أو تحققها البشرية، من

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص ١٣٢.
(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/٢٠.

خلق وسلوك ومعارف، بينما يراها آخر بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصودا أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية. ويجدها آخر بأنها: البحث الفكري، والبحث الروحي(١).

وبعد استعراض مصطلحات البحث واحدة تلو الأخرى يجدر بنا أن نبرز المراد بعنوان البحث: **"منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية"** أن المراد به:

ما جاء به الإسلام من توجيهات وإرشادات لكي يوظف الشباب طاقاتهم المختلفة على تعدد أنواعها من طاقات إيمانية أو عقلية أو بدنية أو جنسية أو نفسية توظيفا صحيحاً يتفق وتعاليم الإسلام وينأى بهم عن التيارات المنحرفة والاتجاهات الخاطئة، ويكونوا لبنة صالحة في بناء أمتهم، والنهوض بها في شتى المجالات؛ في ظل التغير الدائم تقنياً وعلمياً وفكرياً، وفي ضوء مستجدات الحضارة الحديثة التي تتخطف الشباب يمنة ويسرة، وتشدهم ببريقها وزخرفها مما يلزم تكوين حائط صدّ يحصن الشباب ضد هذه المخاطر.

٢/أهمية مرحلة الشباب واستثمار طاقاتهم.

تعتبر مرحلة الشباب من أهم المراحل فالشّباب هو رأسمال الأمّة، وعدتها وعتادها، وحاضرها ومستقبلها، وهو ثروة الأمّة الّتي تفوق ثرواتها ومواردها كلّها، فإذا أدركت الأمّة كيف تحافظ على أغلى ثرواتها، وكيف تنمّيها وترعاها، وكيف توجّهها وتستفيد منها وتغيّرها، استطاعت أن تؤدّي رسالتها في الحياة تحقيقاً لسرّ وجودها، وتعميراً للأرض، وإثراءً للحياة، وسعادة للبشرية في دينها ودنياها، وإن لم تدرك ذلك كتب لها الشّقاء والتعاسة في دينها ودنياها.

---

(١) مفهوم الحضارة كما يصورها القرآن، سيف صفاء عبد الكريم الدوري، ص ٥.

"ولهذا كان الاهتمام بالشّباب ضرورة تفرضه مصلحة الشّباب من ناحية، والأمة من ناحية ثانية، وعلى الشباب أن يضع يده على ما أودع الله فيه من طاقات وإمكانات وقدرات عظيمة، وهو بحاجة إلى تربية تشمل جسمه وعقله وروحه وعواطفه وانفعالاته، وإلى علم يربطه بتراثه، وقيمه وأهداف مجتمعه"(١).

ورعاية الشباب على هذا الأساس تعدُّ عملية استثمارية على المدى البعيد، فعلى قدر ما نعطي الشباب، ونرعاهم ونعِدّهم الإعداد السليم، بقدر ما يعود هذا العطاء سخيّاً على شكل خبرات بشرية، أصبحت بحق هي ثروة العصر، وعدة الأمة في حاضرها، ومستقبلها، لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية، بهمة وعزم لا يلين في عالم سريع التغير(٢). ويمثل الشباب في كل أمة عمودها الفقري، وقلبها النابض، ويدها القوية التي تبني وتحمي، ومخزون طاقتها المتدفق الذي يملأها حيوية ونشاطاً، وهمزة الوصل التي تربط بين الحاضر والمستقبل، ومن هنا وجبت العناية بهم، والحرص على حسن تربيتهم وإعدادهم.

ويمكن أن نبرز أهمية مرحلة الشباب وأهمية استثمار طاقاتهم في النقاط التالية:

١/سرعة وتيرة التغيرات الحضارية: حيث يعتبر الشباب وقوداً لحركات التغيير في كل المجتمعات، لما يتمتعون به من حماسة القلب، وذكاء العقل، وحب المغامرة والتجديد، والتطلع دائماً إلى كل جديد، والثورة على التبعية والتقاليد، إلا ما كان ديناً قويماً، أو تراثاً صحيحاً.

"ونظراً لما يشهده العصر الحالي من التغيرات المتسارعة في كل مجالات الحياة، كالثورة المعلوماتية، والتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والقفزة الهائلة في

---

(١) مشكلات الشباب "الحلول المطروحة والحل الإسلامي"، عباس محجوب، ص ١٢.

(٢) انظر: الشباب في البادية الأردنية، د. محمود قظام السرحان، ص ٤.

نظم الاتصالات وفضائيات الإعلام، وغير ذلك من مظاهر التغير اللامتناهية، مما يسم حياتنا بعدم الثبات والاستقرار، من هنا وجب علينا أن نربي شبابنا التربية المرنة التي تعلمهم كيف يتعلمون لا ماذا يتعلمون؟، تربيهم كيف يتعاملون مع التكنولوجيا الحديثة بقيم الثقافة التليدة، كيف يضعون بصمتهم على الدنيا فيضيفون ويبدعون، بدل أن يكونوا عالة على أمم الغرب يستهلكون"(١).

ومما يدل على تنامي وسرعة التغيرات الحضارية والمعرفية، أن نشير إلى أن "الإنترنت دخل تونس كأول بلد عربي عام ١٩٩١، ثم تلتها الكويت عام ١٩٩٢، ثم مصر والإمارات عام ١٩٩٣، ولبنان والمغرب عام ١٩٩٤، فقطر وسوريا عام ١٩٩٦، ثم السعودية عام ١٩٩٩ وهكذا.

وتضاعف عدد مستخدمي الإنترنت عالمياً ست مرات من عام ٢٠٠٠م حتى عام ٢٠١١م، في حين تضاعف ٢٣ مرة في المنطقة العربية لنفس الفترة. وحسب إحصاء العام ٢٠١٥م تحتل الإمارات العربية المركز الأول بين الدول العربية من حيث نسبة المستخدمين للإنترنت من إجمالي عدد السكان حيث تبلغ ٩٣% تليها السعودية بنسبة ٦٥% ثم المغرب بنسبة ٦٠% ثم مصر بنسبة ٥٤% فالعراق بنسبة ٣٣%. وأن إجمالي أعداد مستخدمي الإنترنت من العرب كانوا ١٢٣ مليون في عام ٢٠١٥م"(٢).

وتعاني كثير من شركات العالم من تأثير الإنترنت على أداء موظفيها، حيث انخفض انخفاضاً ملحوظاً، لانشغال الموظفين بقضاياهم الشخصية، أو حتى الوصول إلى مواقع مشبوهة. وأورد تقرير إدارة استشارات شبكة (Management consultant web sense) مفاده أن "أكثر من رُبع الشركات البريطانية قامت بفصل موظفين لإساءتهم استخدام الإنترنت في الشركة، وقد جاء استعراض المواقع الإباحية في الدرجة

---

(١) شبابنا في عالم التغيير، نسرين حمزة عباس السلطاني، ص ٢.

(٢) انظر: موقع إنترنت وورلد ستاتس.http://www.internetworldstats.com

الأولى، تلاه برامج المحادثات(Chat) ثم البريد الإلكتروني. وفي البلاد العربية، وجدت دراسة أن ٩٣% من مستخدمي الإنترنت في مستشفى خاص، استخدموه استخداماً غير محمود أخلاقياً، و٤% لأغراض مختلفة و٣% للبحث العلمي"(١).

٢/ ازدياد الصراعات العقدية والمذاهب الفكرية؛ حيث نعيش في عصر الصّراعات العقدية، والمذاهب الفكرية ذات الطّابع السّياسي والحضاري والاقتصادي، وفي منطقة مستهدفة في عقيدتها، وتراثها، وتطلعاتها؛ وشبابها هم الذين يعكسون آثار الصراعات السياسية في تفكيرهم وسلوكهم، ومقاومتهم واستسلامهم، وإعجابهم ورفضهم. وبخاصة أننا نعيش في ظل المد الديمقراطي، والتعددية بكافة أشكالها وأنماطها.

والتّربية الاجتماعية السّليمة هي الّتي تؤدّي إلى تماسك المجتمع، واعتزاز شبابه بثقافته، وقيمه وأخلاقه، وتقاليده وعاداته، وهي الّتي تعصمه من الاتجاهات غير المرغوب فيها، والتّقاليد الوافدة، والمظاهر السّلوكية الشّاذة، والتفلّت من قيم المجتمع، وضوابطه السّلوكية والأخلاقية(٢).

٣/ الشباب ثروة بشرية: فإنّ الشّباب هو الثّروة البشرية، والطّاقة الإنتاجية الّتي تحتاج إلى تعليم موجّه، يستثمرها، ويزيد من قدراتها ومهاراتها على أسس علمية أخلاقية تربط بين العمل وما يستلزمه من أخلاقيات، وقيم توجهه لخير المجتمع ورخائه وسعادته. ففي التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام (٢٠٠٠م) أظهرت أرقامه أن من كان تحت عمر ١٥ سنة كانوا يشكلون ٣٨,٤% من إجمالي سكان الوطن العربي، ومن كانوا بين ١٥ و ٦٤ سنة كانوا يشكلون ٥٨,٤% من السكان، وما فوق ذلك

---

(١) المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، ص ٣٧٤.

(٢) انظر: مشكلات الشباب، أحمد حنفي، ص ٥٠.

كانوا يشكلون ٣,٢% من إجمالي السكان(١). في حين أن نسبة من هم دون الخامسة عشر من أعمارهم في الدول المتقدمة بلغت ٢٢% ومن هم بين ١٥ و٦٤ سنة بلغت ٦٧% ومن هم أكثر من ذلك بلغت ١١%.(٢).

ولقد نظرت العديد من دول العالم إلى الشباب كمشروع وطني وقومي، تتحدد من خلاله ملامح الحاضر والمستقبل، باعتباره مؤشراً بارزاً إلى قدرة الدولة، والمجتمع في توجيه المستقبل، والتمكن من إدارته بفاعلية عالية.

"إن الشباب يعد عنصراً أساسياً في العملية التنموية نماءً وإنماءً، وبه ومن خلاله نرى مستقبل الوطن، ورعاية الشباب على هذا الأساس تعد عملية استثمارية على المدى البعيد، فعلى قدر ما نعطي الشباب، ونرعاهم بقدر ما يعود هذا العطاء سخيّاً على شكل خبرات بشرية هي ثروة العصر، وعدة الأمة في قادم الأيام"(٣).

٤/الاستلاب الثقافي والهيمنة الأجنبية: عصرنا الذي نحيا هو عصر الانفتاح والتفجر المعرفي، وإن سرعة التقدم في أنظمة الاتصال الدولي والمواصلات وتطوير أنظمة المعلومات والأقمار الصناعية زاد من سرعة الانفتاح العالمي والتعاون الدولي مما جعل العالم يتجه نحو التوحد والتكتل كما حصل في أوروبا وألمانيا، وقد أصبح العالم بفضل ثورة الاتصالات والمواصلات قرية صغيرة في خريطة الكون، وأصبحت الهيمنة الثقافية من الدول القوية على البلدان النامية أمراً محققاً، وفي ظل هذا التطور تحولت التربية من شأن مجتمعي محدود إلى قضية كلية أو عالمية أو شأن دولي، وأخذت كبرى منظمات الأمم المتحدة «البنك الدولي، اليونسكو، اليونيسف، برنامج الأمم المتحدة

---

(١) انظر: سكان الوطن العربي "دراسة تحليلية"، منصور الراوي، ١/٣٦٠.

(٢) انظر: سكان العالم العربي حاضرا ومستقبلا، عبد الرحيم عمران، ص ١٤٧.

(٣) دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة، أحمد علي كنعان، ص ٧٨.

الإنمائي» على عاتقها تكوين تحالف دولي من أجل التربية للجميع.

وتجدر الإشارة إلى أن الصناعات الثقافية بأشكالها المختلفة تمثل غـزواً اقتصـادياً للوطن العربي، فضلاً عن الغزو الثقافي الفكري، وتنتشر السلع الثقافية الأجنبية انتشار النار في الهشيم في أوساط الشباب بصورة خاصة، ولا تمثـل الصـحف والـدوريات والكتب إلا جانباً ضئيلاً من هذه السلع.

أما كثرتها الكاثرة فتتجلى في الأفلام السينمائية وفي أدوات الموسيقى من أشـرطة وأسطوانات وآلات وغير ذلك من أجهزة الفيديو والتسجيل وأجهزة التصوير المتطورة فضلاً عن الألعاب الخاصة بالأطفال والشباب ولا سيما الإلكترونيـة منـها وسـائر مبتكرات الصناعات الثقافية الإلكترونية، "ويمثل هذا الغزو للمنتجات الثقافية تهديـداً حقيقياً للوطن العربي اقتصادياً وفكرياً فضلاً عن تأثيره في سائر أنماط السلوك وخاصة عبر القنوات الفضائية، إذ تسرب تمجيد العنف واستثارة الغرائز والشـهوات. ونحـن مصابون على نطاق الساحة العربية بعقدتي التصاغر والتكابر، التصاغر تجـاه الثقافـة الأجنبية، والتكابر تجاه الثقافة العربية الإسلامية، مما يشكل خطراً كبيراً علـى الهويـة الثقافية العربية ويعمل على خلخلة الانتماء"(١).

٥/حب الشباب للتغيير والقدرة على بناء المستقبل: إن التغيير سنة إلهية يقـوم عليها هذا الكون في كل مكوناته المادية والمعنوية، وتتأثر المجتمعات البشرية بسنة التغيير بشكل واضح وإن ظهر بطيئاً أحياناً، وبناء على ريادية الشباب لعملية التغـيير فـإن "حركات التغيير في التاريخ العالمي اتجهت إلى الشباب لتجعل منه وسيلتها، ومادتهـا، ومحل أفكارها، وإطار حركتها، ومنجم تضحياتها، ومن طبيعة الشباب أن يسـتهويه كل جديد، ويراوده كل أمل في التغيير وحسب تقرير البنك الدولي للتنمية البشـرية

(١) شبابنا في عالم التغيير، نسرين حمزة عباس السلطاني، ٢٠١٣م، ص ٢.

للعام ٢٠٠٧م، فإنه يعيش في البلدان النامية (١,٣ بليون شاب)، ويعلق التقرير على ذلك قائلاً:" إنه نظراً لوجود ١.٣ بليون شاب يعيشون حالياً في بلدان العالم النامية — وهو أكبر رقم تبلغه شريحة الشباب على مر التاريخ، لم يكن هناك وقت أفضل من الآن للاستثمار فيهم، حيث إنهم أفضل صحة وأوفر حظاً من التعليم مقارنة بالأجيال السابقة، وحيث إنهم يدخلون قوة العمل في ظل انخفاض عدد المُعالين بسبب تغيّر العوامل الديموغرافية. إلا أن من شأن الإخفاق في اغتنام هذه الفرصة لزيادة فعالية ما يتلقونه من تدريب ليلائم احتياجات سوق العمل، ولجعلهم مواطنين فاعلين في مجتمعاتهم أن يؤدي إلى تفشي حالة من الإحباط وخيبة الأمل، ومن ثمّ إلى توترات اجتماعية"(١).

وما دام أن الشباب يمثل هذا العدد من سكان الدول النامية والدول العربية جزء كبير منها، فهذا العدد يعطي الشباب قدرة التأثير على مستقبل المنطقة في حالة أن ينهض الشباب ليرسموا مستقبلهم من خلال مؤسسات تنظم طاقاتهم.

"وتعتبر المجتمعات العربية والإسلامية مجتمعات شابة قياساً إلى المجتمعات الغربية التي تتجه نحو الشيخوخة، ويمثل هذا المعطى حافزاً لأهل الإصلاح والتغيير من الدعاة والمصلحين لوضع البرامج الكفيلة باستثمار هذه الطاقات الشابة لتغيير الواقع الإسلامي أولاً ثم الواقع العالمي ثانياً، لحسم مستقبل شبابنا"(٢).

٦/مرحلة الشباب تتسم بالحماس والطاقة والحيوية والعطاء: فإذا رسمنا منحنىً بيانياً يمثل نسبة العطاء والحيوية في مراحل العمر، سنجد أن قمة هذا المنحنى في مرحلة الشباب، ففيها الدراسة والاجتهاد العلمي، وفيها العمل وتحصيل الرزق، وفيها الانخراط في العمل السياسي والاجتماعي، ولذا أوصى النبي ﷺ باغتنام هذه

(١) البنك الدولي: تقرير التنمية في العالم لعام ٢٠٠٧م، التنمية والجيل التالي، http://wbln٠٠١٨.worldbank.org/MNA/ArabicWeb.nsf.

(٢) شبابنا في عالم التغيير، نسرين حمزة عباس السلطاني، ص ٢.

المرحلة(١).

وقد ينتج عن الطاقة والحيوية حماسة واندفاع وهي تعلق وولع بالأمر يدعو إلى التشدد فيه، والجرأة والشجاعة في إنفاذه، فهو يبدأ بشعور وعاطفة وتعلق، ينبثق منه حينئذٍ تغير وسلوك نفسي يتولد من خلاله جرأة تترجم إلى شجاعة في إنفاذ الأمر وعدم التساهل أو الترخص فيه(٢).

وقد عبر ابن الأثير رحمه الله عن هذه الحماسة الزائدة، والاندفاع الغير محسوب لدى الشباب بقوله: " وَكَذَلِكَ الشَّبابُ قَدْ يُسْرِعُ إِلَى قِلَّةِ الْعَقْلِ لِماَ فيهِ مِنْ كَثْرَةِ المَيْلِ إِلَى الشَّهواتِ والإقدامِ عَلَى المضَارِّ"(٣).

٧/ ازدياد التغيرات النفسية والعقلية في مرحلة الشباب: ومما يؤكد أهمية مرحلة الشباب، وضرورة العناية بها ما يطرأ فيها من تغيرات نفسية وعقلية على الشاب "فعلى المستوى النفسي فإن الحاجة إلى الاستقلال والتمركز حول الذات تظهر بقوة عند فئة الشباب، فهم لا يرغبون بالبقاء في البيت أو الجلوس في صحبة الأهل مثل المرحلة السابقة التي كانوا فيها محبين للبيت والأهل أي: مرحلة الطفولة، فهم يرفضون أن تكون هناك سلطة عليهم سواء داخل مؤسسة العائلة أو خارجها، مما يجعلهم يفضلون البحث عن علاقات جديدة قريبة من سنهم بذريعة أن الكبار لا يفهمونهم ومتسلطين، وغالباً ما يحاولون إثبات وجودهم وتميزهم من خلال الأعمال التي يقومون بها، والتي تتصف بالجرأة والتهور أحياناً داخل ما يسمى بالنظام الاجتماعي للمجتمع، إنها فئة متصارعة مع ذاتها ومع المجتمع من أجل الوجود، فالشباب يتصف بأنماط

---

(١) انظر: الشباب المسلم في مواجهة التحديات، عبد الله ناصح علوان، ص ١٢.

(٢) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبد الله الدويش، ص ٢٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٢/ ٤٧٧.

سلوكية ترتبط بالتوترات بين الذات والمجتمع والنفور من الأشخاص ذوي السلطة المطلقة"(١).

ومن حيث المستوى العقلي، فإنه يمكن القول: "إن مرحلة الشباب تعرف نمواً في نسبة الذكاء بشكل حاد، وارتفاع في القدرة على الإبداع والتفكير بشكل متعمق في الموضوعات، بحيث ينمو الانتباه والتذكر، والتخيل لا على أساس آلي، كما كان من قبل، وإنما على استنتاج العلاقات الجديدة بين الموضوعات، ويصير التخيل خصباً مبنياً على الواقع والصور المجردة، غير محصور في نطاق الصورة الحسية، كما كان لدى الطفل"(٢).

إن كل الاعتبارات السابقة تؤكد بجلاء أهمية مرحلة الشباب وضرورة استثمارها في نهضة الأمة، وأهمية توظيف طاقات الشباب توظيفا صحيحاً وفق منهج الإسلام الصحيح.

فإن الشباب هم "الكتلة الحرجة التي تحمل أهم فرص نماء المجتمع وصناعة مستقبله، كما أنهم في الآن عينه يشكلون التحدي الكبير في عملية تأطيرهم وإدماجهم في مسارات الحياة الاجتماعية والوطنية والإنتاجية النشطة والمشاركة إنهم يشكلون العبء الذي تضيق به السلطات ذرعاً، وتخشاه أيما خشية، في الوقت نفسه الذي تقتصر فيه أيما تقصير في وضع الاستراتيجية الكفيلة بحين توظيف طاقاتهم الإنتاجية، وتوقهم إلى البذل والعطاء"(٣).

ومما ينبغي التأكيد عليه في هذا البحث أن فئة الشباب تختلف من حيث ظروفها وخصائصها وإمكاناتها وطموحاتها، وليسوا شريحة واحدة كما تروج لها بعض

---

(١) علم النفس النمو، عادل عز الدين الأشول، ص٦٦.

(٢) الشباب العربي ومشكلاته، عزت حجازي، ص٣٢.

(٣) الإنسان المهدور "دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، مصطفى حجازي، ص٢٠٣.

الأدبيات، "فتتوزع فئة الشباب بين الفئة المحظية المترفة وهي فئة قليلة، والفئة المنغرسة اجتماعياً ومدرسياً، وهي تمثل جيل النخبة من الشباب، وفئة طامحة لبناء مكانتها اجتماعياً بدأت تأخذ حظها من الفرص، وأخيراً فئة الشباب المهدور وهي الأكثر فئة حضوراً داخل المجتمع، والتي لا تدخل ضمن حسابات السلطة ومخططاتها، إلا في مجال القمع والردع. هذا وتشير بعض الدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بالشباب، اعتبرت على أنهم يختلفون من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، حيث تلعب الثقافة تأثيراً كبيراً على انتقال الأطفال إلى سن الشباب، فالأنثربولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان ككائن ثقافي"(١).

وإذا نظرنا بعين الحقيقة إلى فترة الشباب، وجدناها فترة التأثير والتأثر، والعطاء والبذل، "لأننا ونحن نعد الشباب نستثمر مواهبه، ونفجر طاقاته، ونستغلها في البناء والتعمير، ودفع العدو المغير، هي فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير والعناية والرعاية.. هي فترة وضع حجر الأساس، وكلما كان الأساس متينا كان البناء قوياً شامخ الذرى، وكلما كان الأساس ضعيفاً كان البناء هشًا سرعان ما يتحطم وينهار عند أول هبة ريح أو رشة مطر. إذن هي فترة لها ما بعدها، ومرحلة لها أثرها الخطير في المستقبل: سلباً أو إيجاباً. صلاحاً أو فساداً، سمواً أو هبوطاً"(٢).

وبعد هذا التمهيد جدير بنا أن نتعرف على أبرز طاقات الشباب، ومنهج الإسلام في توجيهها بما يتفق وشريعتنا الإسلامية، ولما فيه صالح المجتمعات، وبما يعود على الجميع بالخير والنفع العميم، في ظل المستجدات والتغيرات الحضارية المتسارعة المتلاحقة.

---

(١) الإنسان المهدور "دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، مصطفى حجازي، ص ٢٠٩.

(٢) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٠.

المبحث الأول

منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية في ضوء المتغيرات الحضارية

إن الإيمان من أهم الأمور في حياة الشباب، فكل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الإيمان الصحيح، وكم للإيمان الصحيح من الفوائد المغدقة، والثمار اليانعة، والخير المستمر، أمور لا تحصى، وفوائد لا تستقصى عاجلة وآجلة.

قال ابن القيم رحمه الله: "أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾(٢). وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية، ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقتهما، حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو الذي به تنال السعادة، وليس كذلك، بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدوا على نفوسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما الرسول ﷺ ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وآثارهم... "(٣).

إن جميع الرغبات التي يبحث عنها الإنسان ويفتش، ويتمناها في ليله ونهاره، وحله وترحاله؛ لا تتحقق إلا بإيمان صادق "فبالإيمان يحيا العبد حياة طيبة في الدارين، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، ويدرك جميع الغايات والمطالب، وينال ثواب الآخرة

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص ١٩١.

فيدخل جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وينجو من نار عذابها شديد وقعرها بعيد، وأعظم من ذلك كله أن يفوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم، وما ثمة مطلقاً نعيم أعظم ولا أكمل من هذا النعيم. وبالجملة فالخير كله فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والهلاك والدمار والشر كله إنما يكون بفقد الإيمان ونقصه"(١).

ويحمل الشباب بين جنباهم طاقة إيمانية كبيرة، تحتاج إلى توجيه وإرشاد حتى يستفاد من الطاقة الإيمانية على الوجه الصحيح، ويمكن لنا أن نتبين ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الحفاظ على الطاقة الإيمانية من الملوثات الفكرية.

ففي ظل الانفتاح الثقافي والفكري من خلال وسائل التقنية الحديثة ظهرت أفكار ودعوات إلحادية تشكك الشباب في ثوابت الدين وقواطعه، ومن ثمّ فمنهج الإسلام هو حماية الطاقة الإيمانية من التجاذبات الفكرية، والأخطار المحدقة بسلامة الإيمان من الانحراف في ظل ما يعرض في الوسائل المسموعة والمرئية، التي تبث سمومها في كل اتجاه مستغلة ما يشهده العالم من ثورة معلومات واتصالات سريعة، وتعدد وسائل الاتصال مع أطياف الشباب المختلفة.

وقد مدح الله عز وجل الشباب الذين حرصوا على حماية إيماهم من الملوثات، وقصّ علينا نبأهم وخبرهم فقال سبحانه مادحاً لهم: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، أ. د. عبد الرزاق عبد المحسن البدر، ص ٦.

لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: "فذكر تعالى أهم فتية -وهم الشباب-وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعثوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شباباً. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، و لم يسلم منهم إلا القليل"(٢).

فهؤلاء فتية.. فيهم شباب، وقوة ونضارة.. قد هدهم فطرهم السليمة منذ مطلع شباهم، قبل أن يمتد هم العمر، وينضح عليهم ما تفيض به بيئتهم من ضلالات وجهالات، وإذا هم يخرجون على مألوف قومهم، وينكرون ما عليه آباؤهم من كفر وإلحاد.

إن الشباب دائماً، مفعم بالحيوية والنشاط، حيث التفتّح للحياة، والقدرة على التفاعل معها.. فإذا ولّى الشباب فهيهات أن تتحرك في الإنسان رغبة إلى اتجاه غير الاتجاه الذي قطع فيه هذه المرحلة الممتدة من عمره..

وفى وصف القرآن الكريم لهم: «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً» إشارة إلى أهم اتجهوا إلى الله، ووضعوا أقدامهم على الطريق إليه، فاستقبلهم الله سبحانه وتعالى بألطافه على الطريق، ودفع هم إلى مرفأ الأمن والسلامة.. وهذا يعنى أنه مطلوب من الإنسان أن يتحرك نحو الغاية التي يقصدها، فإن كانت حركته على طريق الخير، وجد من الله سبحانه العون والسداد، وإن كان على طريق الضلال والفساد، تركه الله لهواه، وأسلمه لشيطانه..!

- وفى قوله تعالى: «وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً» - في هذا توكيد للعون الذي

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٣-١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٥/١٤٠.

أمدّهم الله به، منذ أن اتجهت قلوبهم إليه، وانعقدت نيّاهم على الإيمان به.

- وفى قوله تعالى: «إِذْ قاموا» إشارة إلى أن ما تتجه إليه القلوب، وتنعقد عليه النيّات- وإن كان مقدّمة طيبة من مقدمات الفوز والنجاح- سيظلّ جسداً هامداً، حتى تنفخ فيه الإرادة، وينضحه العمل، فإذا هو كائن سويّ الخلق، دانى القطوف. وهؤلاء الفتية، لم يقفوا عند حدّ النيّة، بل «قاموا» أي تحركوا، وعملوا، فربط الله على قلوبهم تلك التي اتجهت إليه، وشدّ على هذه النيّات التي انعقدت على الإيمان به..

وإذ يتجه الفتية إلى الله هذا الاتجاه القويّ الخالص من شوائب الشرك، وإذ تفيض قلوبهم إيماناً يباعد بينهم وبين قومهم، فلا يشاركوهم فيما هم فيه من ضلال الوثنية وسخافاتها- عندئذ يجدون أهم غرباء في قومهم، معرضون للسخط، والازدراء، ثم القطيعة، ثم الطرد، وربما القتل! إنهم قلة صالحة في مجتمع فاسد.. فليطلبوا لهم وجهاً في الأرض.. وإلا ساءت العاقبة، ووقع البلاء، وتعرضوا للفتنة في دينهم، الذي ارتضوه وآمنوا به. وتناجى الفتية فيما بينهم، وارتادوا مواقع النجاة والسلامة لهم، ولدينهم..(١).

وبين لنا القرآن كيف أن شغلهم الشاغل، وحرصهم الدائم كان أن يحموا إيماهم من الأمور الدخيلة، ومن الفتن التي تبعدهم عن الفلاح، وعن الملوثات التي قد تحيد بهم عن طريق الحق، وعن المؤثرات التي ربما تعصف بعقولهم فتخبو حرارة الإيمان في قلوبهم؛ حيث قال بعضهم لبعض عندما طلبوا الطعام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ٨/ ٥٩٨.

تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾(١).

وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أهم بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلوهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبداً، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم.

"وقد دلت هاتان الآيتان، على عدة فوائد: منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين. ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة، في دينهم وتركهم أوطانهم في الله. ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين"(٢).

إن من التوجيهات المهمة للشباب أن يحافظوا على طاقتهم الإيمانية، وأن يحفظوا الله تعالى في أمورهم كلها فإن الإيمان يزيد وينقص. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين، وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية... "(٣). فالإيمان يتفاوت قوة وضعفاً في القلوب. وشعب الإيمان بعضها أقوى وأعلى من بعض.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٧٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٧/٥٠٥.

حيث إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن بعض خصاله أعلى من بعض، وأن أهله يتفاوتون فيه قوة وضعفاً. "وعلى هذا القول السلف الصالح -رضوان الله عليهم- أهل الذكر الذين لازموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واستمدوا علومهم منهما"(١).

وواجب الشباب أن يحرصوا على كل ما يزيد طاقتهم الإيمانية، والبعد عن كل ما ينقصها؛ فالإيمان سبب قوى مؤثر في تخليص وتحصين القلوب والمجتمعات من الشرور الجاهلية الفكرية وغيرها. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: ((يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ))(٢).

فهذه وصية عظيمة من رسول الله ﷺ لابن عمه الغلام ابن عباس، وصية يتكفل الله سبحانه وتعالى لمن عمل بها أن يحفظه في أموره كلها، ومن جملتها أعز ما يملكه الإنسان إيمانه بربه، فيحفظه الله سبحانه وتعالى من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان(٣).

ولاشك أن الشباب في العصر الحاضر بحاجة ماسة إلى تعاهد إيمانه بالوصايا

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ص ٣٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة، ٤/٦٦٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في كتابه صحيح سنن الترمذي ٢/٣٠٩.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ص١٦٣.

النافعة، لما يواجهونه في حياتهم من التحديات وكثرة المغريات، ومن نعمة الله سبحانه وتعالى علينا أن بقيت وصايا رسول الله ﷺ محفوظة إلى هذا الزمان، وستبقى إلى أن يشاء الله، فعلينا أن ندرك هذه الوصايا جيداً ونعيها ونتعاهد بها شبابنا.

"ووصايا رسول الله ﷺ في مجال العقيدة فيها مادة غنية لتعاهد إيمان الشباب، فعلى سبيل المثال الوصية (احفظ الله يحفظك) مهمة للناس عامة وللشباب خاصة لأنهم معرضون أكثر من الكبار للتغير والانحراف، أضف إلى هذه الطبيعة ما استحدث في هذا العصر من وسائل الإغراء الموجهة للشباب خاصة. ومع هذا أيضاً فإنه يجب على أولياء أمور الشباب أن يكونوا عوناً لهؤلاء الشباب حتى يتمكنوا من تنفيذ هذه الوصية، وذلك يعني أن لا نتيح لهم وسائل المعصية ثم نطالبهم بتنفيذ هذه الوصية، بل لابد أن نبعدهم ونبعد عنهم كل ما هو سبب لمخالفة هذه الوصية الجليلة"(١).

إن الطاقة الإيمانية لا بدّ من المداومة على الحفاظ عليها ووقايتها من الانحرافات وتحصينها من الشبهات، وذلك بتعميق الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر في نفوس الشباب وغرس العقيدة السليمة، في أعماقهم لتكون مصدراً للسلوك الشريف، والمعاملة الصادقة، فالعقيدة هي سفينة النجاة وصمام الأمان، "ومما يقوي العقيدة ويعمق جذورها الصلاة على وقتها وفي جماعة، وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، وقراءة السيرة النبوية وسير الصحابة الأجلاء والسلف الصالح. ولابد من متابعته حتى لا ينحرف بها عن الجادة أو يخلطها بشيء من البدع والخرافات"(٢).

ويتضح مما سبق أن التربية الإيمانية "هي تنشئة المسلم على العقيدة الإسلامية الصحيحة وتعميق أصولها في نفسه (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) في جميع نواحي حياته ومختلف مراحل نموه في ضوء أساليب

---

(١) المنهج النبوي في التربية الإيمانية للشباب، أ. د. سليمان بن قاسم العيد، ص ١٨.

(٢) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٨.

وطرق التربية الإسلامية"(١).

ولما كان الحال كذلك من أهمية العلم في الصغر، فقد اهتم رسول الله ﷺ بتعليم صغار الصحابة رضي الله عنهم أمور العقيدة، ومما يدل على ذلك ما ورد عن جندب بن عبد الله قال: ((كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة(٢). فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً))(٣).

---

(١) التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحرافات، ص ٢٥- ٢٧.

(٢) حزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم الصحاح، الجوهري، ٢/٦٢٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة، المقدمة، باب: في الإيمان، ١/٢٣. والحديث صححه الألباني في كتابه صحيح سنن ابن ماجة، ١/١٦.

المطلب الثاني: توظيف الطاقة الإيمانية في الدعوة إلى الله تعالى:

مع المتغيرات الحضارية المتسارعة، وسرعة التقدم العلمي والتكنولوجي؛ فإن الشباب يجب عليهم أن يوظفوا طاقتهم الإيمانية، وحماسهم للدين في الدعوة إلى الله؛ خاصة في ظل تيسر وسائل الدعوة في العصر الحديث عبر منافذ متعددة، فإن من خير الأعمال التي يقوم بها المسلم الدعوة إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله﴾ أي: دعا عباد الله إليه، ﴿وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك"(٢).

وقال القاسمي رحمه الله: "أي لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد. وإنما قدم الدعوة إلى الحق والتكميل، لكونه أشرف المراتب، ولا لاستلزامه الكمال العلمي والعملي. وإلا لما صحت الدعوة. ويدخل في الآية كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة. لأن الدعوة الصحيحة هي الدعوة النبوية. ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق، وإيثاره على الخلق. وفي الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى لأن الدعوة إلى الله أحسن الأعمال. وكل ما كان أحسن

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٧/ ١٧٩.

الأعمال، فهو واجب"(١).

ولقد أعطى القرآن نماذج كثيرة لشباب حرصوا على بيان الحق والدعوة إليه، ومن ذلك ما قصه الله علينا من صنيع نبي الله إبراهيم عليه السلام من دعوة قومه إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، وأمام صيحته القوية العالية، انخلعت قلوب القوم، وخابت وخسرت أصنامهم.. قال سبحانه: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾(٢).

قال ابن عاشور رحمه الله: "والفتى: الذَّكَرُ الذي قَوِي شبابه. ويكون من الناس ومن الإبل. والأنثى: فتاة، وقد يطلقونه صفة مدح دالة على استكمال خصال الرجل المحمودة.

وهذا العمل الذي عمله إبراهيم – عليه السلام– عمله بعد أن جادل أباه وقومه في عبادة الأصنام والكواكب ورأى جماحهم عن الحجة الواضحة. وقول قومه من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين يدل على أنهم لم يخطر ببالهم أن يكون كبير الآلهة فعل ذلك، وهؤلاء القوم هم فريق لم يسمع توعد إبراهيم إياهم بأن يكيد أصنامهم والذين قالوا سمعنا فتى يذكرهم هم الذين توعد إبراهيم الأصنام بمسمع منهم"(٣).

إن الإسلام يرشد الشباب ويوجههم أن يوظفوا طاقتهم الإيمانية في تحقيق الدعوة إليه، وبيان الحق الذي يؤمنون به، حتى تكون لهم رسالة وطموح، وهدف وغاية.

"وإن الشباب لقادرون على ذلك إذا وجدوا العناية الفائقة، والتوجيه السديد، والمتابعة الدقيقة التي تراقب خطوهم، وتزيل العقبات من دروبهم. ونحن نرى كيف أن

(١) محاسن التأويل، القاسمي، ٨/ ٣٣٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥٩-٦٠.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧/ ٩٩.

المذاهب المختلفة تتلقف الشباب، وتحتضنهم بالجماعات، وتعدُّهم إعدادا، ليقوموا بمهمة الدعوة إليها والذود عنها، وهي في سبيل ذلك ترسم الخطط المحكمة، وتجند الطاقات الهائلة، وتنفق الأموال الطائلة، لتضمن بقاءها على أيد قوية، وعزائم ماضية فتية. وعلى الشباب أن يدركوا هذه الحقيقة، ويعوا تلك الغاية البعيدة المدى، وتكون همهم الملازم ينامون به، ويقومون به ويمشون به بين الناس، عاقدين عليه قلوبهم، حانين فوقه ضلوعهم"(١).

إنه بإمكان الشباب في العصر الحديث أن يستخدموا التقنية الحديثة، ووسائل التواصل الاجتماعي في نشر الهدى والخير، وتعميم الفضيلة بين الناس، وإصلاح الاعوجاج في التصرفات والسلوك، وتصحيح المفاهيم عن الإسلام، وإزالة الغبش والشبهات حول قضايا الإسلام، ومحاربة البدع والخرافات ليحققوا الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وهدى.

لقد أسند النبي ﷺ مهمةَ الدعوة في المدينة إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه و"كان شاباً في مقتبل العمر- فقام بواجبه على خير وجه، وبلغ من التوفيق والنجاح أن أهل المدينة يمكن القول أنهم قد أسلموا جميعاً على يديه"(٢).

فلقد رجع مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى مكة وأصبح الأمر أكثر استقراراً ، "ثم أتى ذلك الموسم الذي لقي فيه النبي ﷺ نفراً من الأنصار ، وكانوا رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً"(٣). فعرض عليهم الإسلام فآمنوا به وصدقوه، ثم جاء العام الذي بعده فوافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوا النبي ﷺ وبايعوه على بيعة

---

(١) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٢.

(٢) آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير، عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، ص ٣٨.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٤٢٨.

النساء فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه قال: إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، وقال: ((بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل النفس التي حرم الله، ولا ننتهب، ولا نعصي، بالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشينا من ذلك شيئا، كان قضاء ذلك إلى الله))(١).

فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان مصعب يسمى المقرئ بالمدينة، وكان مترله على أسعد بن زرارة، "وكان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض"(٢).

فكان رضي الله عنه أول من قدم على الأنصار في المدينة فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: ((أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم ، وكانا يقرئان الناس. ..))(٣).

فهو أول من هاجر إلى المدينة رضي الله عنه للإقامة بها ولتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، "فله الأوّليّة في الهجرة إلى المدينة من هذه الجهة"(٤).

ومن صور توظيف الطاقة الإيمانية في الدعوة ما كان من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وجهره بالقرآن أمام قريش وقد لاقى في سبيل ذلك ما لاقى؛ لكن حماسه الإيماني كان أكبر من أي إيذاء في سبيل تبليغ الدعوة، وإسماع المخالفين آيات القرآن.

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب: أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ، رقم ٣٨٩٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٤٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: مقدم النبي ﷺ، رقم ٣٩٢٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٧/ ٢٦١.

فعن محمد بن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: "كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سَمِعت قريش هذا القرآن يُجْهَرُ لَهَا به قط، فمن رجلٌ يُسْمِعُهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إنَّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دَعُوني، فإن الله سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضُّحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام، فقال رافعاً صوته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾(١). فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أُمّ عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أَثَّروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداءُ الله قط أهونَ عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم غَادَيْتُهم بمثلها غداً؟ قالوا: حَسْبُك، قد أسمعتهم ما يكرهون"(٢).

إن الدعوة والتعليم: زكاة العلم، وواجب على من تعلَّم العلم الشرعي أن يبلغه لغيره، وأن يساهم في هداية الكفار إلى الإسلام، وهداية العصاة إلى الاستقامة.

والشباب طاقة متوقدة وعماد تقوم عليه أركان الدعوة بعد العلماء الربانيين، وليس معنى توظيف الطاقة الإيمانية للشباب في الدعوة إلى الله أن يترك الباب مفتوحاً لكل من يريد؛ بل لا بدّ من وجود المؤهلات المناسبة، والمعرفة التخصصية، والخبرة المعرفية بسبل الدعوة وأساليبها ووسائلها ومناهجها، والاطلاع على غاياتها وأهدافها، ومعرفة أحوال المدعوين وفقه الدعوة.

إن الشباب لهم شأن؛ لأنهم عصب الأمة وقوتها بعد الله، ويرجى فيهم الخير

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ١ – ٢.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ٣/٣٥٥.

العظيم والنصر لدين الله في مستقبل الزمان إذا استقاموا وتثقفوا في الدين كما يرجى فيهم النفع للأمة والرفع من شأنها وإعلاء دين الله وجهاد أعدائه. وعلى الشباب واجب كبير في نصر الحق وأهله ومكافحة الباطل، وكشف زيغه.

"فالواجب على كل شاب مكلف أنه يهتم بدينه وأن يعتني به وأن يتفقه فيه من طريق الكتاب والسنة بواسطة العلماء المعروفين بالعلم والفضل وحسن العقيدة حتى يستقيم على دينه على بصيرة ويدعو إليه على بصيرة وحتى يدع ما حرم الله عليه على بصيرة. وطريق ذلك العناية بالقرآن الكريم حفظا وتدبرا وتعقلا والإكثار من تلاوته؛ لأنه صراط الله المستقيم وحبله المتين وذكره الحكيم ولأنه الهادي إلى كل الخير، وعلى الشباب أيضا وغيرهم من المسلمين أن يعتنوا بسنة رسول الله ﷺ وهي أحاديثه وسيرته ويتفقهوا فيها ويحفظوا ما تيسر منها ويدعوا الناس إلى ذلك؛ لأنها الوحي الثاني والأصل الثاني من أصول الشريعة بإجماع أهل العلم فجدير بأهل العلم من الشباب وغيرهم أن يعضوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالنواجذ وأن يتفقهوا فيهما وأن يهتدوا بهما إلى صراط الله المستقيم الموصل إليه وإلى دار كرامته وجنته وأن يسيروا على ذلك في المدارس والجامعات وفي الحلقات العلمية وغير ذلك من مجالس العلم مع سؤال علماء الحق عما أشكل عليهم في الأحكام"(١).

---

(١) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز، د. محمد بن سعد الشويعر، ١١٧/٥.

المطلب الثالث: الابتعاد بالطاقة الإيمانية عن مزالق الغلو والتشدد:

ومن منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية لدى الشباب الابتعاد بهم عن مزالق الغلو والتشدد، والتعسير؛ فليس معنى الإيمان: الشدة والعسر والتزمت والمشقة على النفس.

ولقد حرص الرَّسُول ﷺ فِي تَرْبِيَته لشباب الصحابة على التَّوَسُّط الَّذِي لا غلو فِيهِ وَلا جفَاء، وَذَلِكَ بِإِعْطَاء كل شَيْء حَقه، فَالنَّفْس لَهَا حظها من الْعِبَادَة وَالطَّاعَة وَلها حظها من الترويح والراحة. والجسد لَهُ حَقه وحظه من المأكل وَالْمشْرَب وأن لا يُكَلف مَا لا يُطيق والأهل من الزَّوْجَة وَالأَوْلاد لَهُم حَقهم من الرِّعَايَة الْعِنَايَة وَلكُل شَيْء حَقه. وَالإِسْلام أعْطى كل شَيْء حَقه.

وَالرَّسُول ﷺ سَار فِي تربية أَصْحَابه سيراً متوازناً لم يكلفهم مَا يغلبهم وَلم يكثر عَلَيْهِم فيُملهُم ويُسئِمهم. وَلم يُعْط جانباً على حِسَاب الجوانب الأُخْرَى بل توَسط لا إفراط فِيهِ وَلا تَفْرِيط، وَهَذَا الْمنْهَج هُوَ الأدعى للاستمرار وملازمة الاسْتقَامَة والمداومة على الْعَمَل وَهُوَ الْمنْهَج الشَّامِل الصَّالح لكل الْبشر.

"أما الإِسْلام فيتفرد بشمولية منهجه التربوي لهَذَا الْكَائِن وتوازنه، فيعالجه معالجة شاملة متوازنة لا تغفل عَن شيء: روحه وعقله وَجَسَده، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاول فِيهَا نشاطه منسجماً مَعَ مناخات العناصر الأُخْرَى، وَالَّذِي يخول لِلإِسْلامِ النجاح فِي هَذَا الْمِضْمَار أنه دين الله عز وَجل وَهُوَ الصَّانِع والمبدع والخالق لهَذَا الْكَائِن وبالتالي فهو أعلم وأخبر بصنعته وَهُوَ الْحقيق أَن يوجد المنهج الملائم مَعَ هَذِه الفطرة: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾(١).

ونتيجة لهَذِهِ الشمولية يتَوَصَّل الإِسْلام إِلَى استغلال كل طاقات هَذَا الْكَائِن بل يصل إِلَى الْحَد الأَقْصَى لهَذِهِ الطاقات؛ وَلذَلِك فَإِن استثمار الإسلام فِي عَهده الأول

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

للعدد الْقَلِيل من الْمُسلمين وَقدرته على الْوُصُول والاستفادة من الْحَد الأَقْصَى لطاقاتهم صنع الأَعَاجيب فِي عَالم الأَرْض وأمام جحافل الغثاء من البشر الذين لم تستطع مناهجهم أَن تستثمر طاقاتهم الفطرية المكنونة، فالكائن البشري هُوَ الْكَائِن البشري وَلَكِن النتيجة متباينة ومختلفة بَين مَنْهَج الإِسْلَام ومنهج النَّاس"(١).

إِن هَذَا التوازن والشمول الَّذِي تميز بِهِ الإِسْلَام دلّت عَلَيْهِ النُّصُوص الْكَثِيرَة فَعَن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَن النَّبِي ﷺ دخل عَلَيْهَا وَعِنْدهَا امْرَأَة قَالَ: من هَذِه؟ قَالَت فُلَانَة تذكر من صلاتها قَالَ: ((مَه، عَلَيْكُم بِمَا تطيقون فوَاللَّه لا يملّ الله حَتَّى تملوا)) وَكَانَ أحب الدّين إِلَيْهِ مادام عَلَيْهِ صَاحبه(٢). وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَن رَسُول الله ﷺ قَالَ: ((سددوا وقاربوا وَاعْلَمُوا أَنه لن يُدخل أحدكُم عمله الْجنَّة، وَإِن أحب الأَعْمَال أدومها إِلَى الله وَإِن قلّ))(٣). وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: ((كَانَ أحب الْعَمَل إِلَى رَسُول الله ﷺ: الَّذِي يَدُوم عَلَيْهِ صَاحبه))(٤). وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: سُئِلَ النَّبِي ﷺ: ((أَي الأَعْمَال أحب إِلَى الله قَالَ: أدومها وَإِن قلّ. وَقَالَ: اكلفوا من الأَعْمَال مَا تطيقون))(٥).

فترى من خلال الأَحَادِيث السَّابِقَة أَن النَّبِي ﷺ يهدينا إِلَى أَن الْقَلِيل المداوم عَلَيْهِ من الْعَمَل خير من الْكثير الْمُنْقَطع والقليل المستمر أحبّ إِلَى الله وَرَسُوله وَذَلِكَ

(١) طريق البناء التربوي الإسلامي، د. عقيل قاسم النشمي ص ٨٨، ٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان باب أحب الدين إلى الله أدومه، رقم الحديث ٤٣، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن رقم ٧٨٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٤، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب لن يدخل أحد الجنة بعمله رقم ٢٨١٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٢.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٥.

ما يتواءم مَعَ فطْرَة الإنْسَان وَقدرته، فَهُوَ أدعى لتطبيق شَريعَة الله دون حرج وَلا مشقة، وذلكم هُوَ الْيُسْر والسماحة، وَهُوَ الرِّفْق والتوسط وَهَذِه الصِّفَات من سمة الْمنْهَج الإسلامي الرباني، وَمن خَصَائِص التربية النَّبَوِيَّة. ثمَّ إِن التشدد والغلو والتنطع سَبَب للهلاك كَمَا كَانَ حَال السَّابقين الَّذين تشددوا فَشدد الله عَلَيْهِم وتنطعوا فهلكوا ويؤكد ذَلِك الرَّسُول ﷺ بقوله: ((هلك المتنطعون)) قَالَهَا ثَلَاثًا(١).

وَلَقَد كَانَ الرَّسُول ﷺ يسير مَعَ أَصْحَابه سيراً واقعياً بَعيداً عَن إِحْدَاث الْمَشَقَّة والحرج مِمَّا يباعد الْمُسلم عَن السَّآمَة والملل. روى البُخَارِيّ فِي صَحِيحه عَن أبي وَائِل قَالَ: كَانَ عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه يُذَكِّر النَّاس كل خَمِيس، فَقَالَ رجل: يَا أَبَا عبدا لرحمن لَوَدِدْت أَنَّك ذكرتنا كل يَوْم قَالَ أما إِنَّه يَمْنَعنِي من ذَلِك أَنِّي أكره أَن أُملكم وَإِنِّي أتخولكم بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِي ﷺ يَتَخَوَّلنَا بهَا مَخَافَة السَّآمَة علينا.(٢).

فَهَذَا الْهَدْي النَّبَوِيّ يتناسق مَعَ مَا تَقْتَضِيه سماحة الإِسْلام ويسره. وعندما رأى ﷺ فِي بعض أَصْحَابه جنوحاً عَن التَّوَسُّط وبعداً عَن السماحة واليسر ضبط ﷺ طاقتهم الإيمانية فردَّهم إِلَى سنته وهديه. فعَن أنس بن مَالك رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَة رَهْط إِلَى بيُوت أَزوَاج النَّبِي ﷺ يسْأَلُون عَن عبَادَة النَّبِي ﷺ فَلَمَّا أخبروا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوها. فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحن من النَّبِي ﷺ وَقد غفر لَهُ مَا تقدم من ذَنبه وَمَا تَأَخّر. قَالَ أحدهم: أما أَنا فأصلي اللَّيْل أبدا، وَقَالَ آخر: أَنا أَصوم الدَّهْر فَلا أفطر، وَقَال آخر: أَنا أعتزل النِّسَاء فَلا أَتزوّج أبدا، فجَاء رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: ((أَنْتُم الَّذين قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أما وَالله إِنِّي لأخشاكم وأتقاكم، وَلَكِنِّي أَصوم وَأُفْطر وأصلي وأرقد

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، رقم الحديث ٢٦٧٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياما معلومة، رقم الحديث ٧٠. وأخرجه مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الاقتصاد في الموعظة، رقم الحديث ٢٨٢١.

وأتزوج النِّسَاء فَمن رغب عَن سنتي فَلَيْسَ مني))(١).

فَهَذِهِ سنته ﷺ لَيْسَ فِيهَا غلو وَلَا إجحاف فِي حق النَّفس وإعطاء لكل شَيْء حَقه. وتوسط فِي الْأُمُور. وَلم يقرّ ﷺ من يشق على نَفسه بِالْعبَادَة ويتجاوز الاعْتِدَال. دخل مرّة ﷺ فَإِذا حَبل مَمْدُود بَين الساريتين فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبل؟ قَالُوا: هَذَا حَبل لِزَيْنَب فَإِذا فترت تعلّقت بِهِ فَقَالَ النَّبِي ﷺ: ((لا، حُلُّوه ليصل أحدكُم نشاطه فَإِذا فتر فليقعد))(٢).

وأقرّ ﷺ سلمَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما أنكر على أبي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تشدده وتقصيره فِي حق أَهله وَنَفسه، فَعَن أبي جُحَيْفَة عبد الله بن وهب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: آخى النَّبِي ﷺ بَين سلمَان وَأبي الدَّرْدَاء فزار سلمَان أَبَا الدَّرْدَاء فَرَأى أم الدَّرْدَاء متبذلة فَقَالَ: مَا شَأْنك؟ قَالَت: أَخُوك أبي الدَّرْدَاء لَيْسَ لَهُ حَاجَة فِي الدُّنْيَا فجَاء أَبُو الدَّرْدَاء فَصنعَ لَهُ طَعَاما فَقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِم. قَالَ: مَا أَنا بآكل حَتَّى تَأْكُل فَأكل فَلَمَّا كَانَ اللَّيْل ذهب أَبُو الدَّرْدَاء يقوم فَقَالَ لَهُ: نم. فَنَامَ ثمَّ ذهب يقوم فَقَالَ لَهُ: نم فَلَمَّا كَانَ آخر اللَّيْل قَالَ سلمَان: قُم الآن فَصَلَيَا جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ سلمَان: إن لِرَبِّك عَلَيْك حَقًّا وَإن لنَفسك عَلَيْك حَقًّا ولأهلك عَلَيْك حَقًّا فَأعْطى كل ذِي حق حَقه، فَأتى النَّبِي ﷺ فَذكر ذَلِك لَهُ فَقَالَ النَّبِي ﷺ: ((صدق سلمَان))(٣).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب: النكاح، باب: التغيب في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٣، ومسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم الحديث ١٤٠١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: ما يكره من التشدد في العبادة، رقم الحديث ١١٥٠، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته، رقم الحديث ٧٨٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم الحديث ١٦٦٨.

"ويؤكد ﷺ مَنْهَج التَّوَسُّط والاعتدال وَإِعْطَاء كل شَيْء حَقه بِلا غلو وَلا تَغْلِيب جَانب على آخر؛ فَأَبُو الدَّرْدَاء رضي الله عنه لما أقبل على الآخِرَة وآثر الْعِبَادَة والزهد وَغلب ذَلِك على حق أَهله وَجَسَده أنكر عَلَيْهِ أَخُوهُ سلمَان رضي الله عنه فالأخوة بَينهمَا تَقْتَضِي التناصح والتواصي بِالْحَقِّ. وَلما أخبر النَّبِي ﷺ قال: صَدَّق سلمَان فِي قَوْله لأَن هَذَا هُوَ الْحق والمنهج الَّذِي يجب أَن يتبع"(١).

ولما علم ﷺ أَن عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ رضي الله عنه يَصُوم النَّهَار وَيقوم اللَّيْل. دَعَاهُ وَقَالَ: "يا عبد الله ألم أُخبر أَنَّك تَصُوم النَّهَار وَتقوم اللَّيْل؟ " فَقلت: بلَى يا رسول الله قَالَ: "فَلا تفعل، صُم وَأَفْطر وقم ونم، فَإِن لجسدك عَلَيْك حَقًّا، وَإِن لعينك عَلَيْك حَقًّا، وَإِن لزوجك عَلَيْك حَقًّا، وَإِن لزورك ـ أَي ضيفك ـ عَلَيْك حَقًّا وَإِن بحسبك أَن تَصُوم كل شهر ثَلاثَة أَيَّام فَإِن لَك بِكُل حَسَنَة عشر أَمْثَالهَا، فَإِن ذَلِك صِيَام الدَّهْر كُله، فشددت فَشدد عَليّ". قلت يا رسول الله إِنِّي أجد قُوَّة قَالَ "فَصم صِيَام نَبِي الله دَاوُد عَلَيْهِ السَّلام وَلا تزد عَلَيْهِ" قلت: وَمَا كَانَ صِيَام دَاوُد عَلَيْهِ السَّلام؟ قَالَ: "نصف الدَّهْر" ـ فَكَانَ عبد الله يَقُول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصَة رَسُول الله ﷺ(٢).

فَهَذَا مَنْهَج النَّبِي ﷺ مَنْهَج اعْتِدَال وتوسط، وعَلى هَذَا ربَّى أَصْحَابه رضي الله عنهم فَنعم المربي وَنعم المربين(٣).

والابتعاد بالطاقة الإيمانية عن مزالق الغلو والتشدد ليس في أمور العبادة فحسب بل حتى في أمور الحكم على الناس وتكفيرهم وتفسيقهم. فقد يظن بعض الشباب، وقد

---

(١) وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، د. عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، ص ١٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب: حق الجسم في الصوم، رقم الحديث ١٩٧٥.

(٣) انظر: وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته ص ١٥٤.

أخذه الحماس الديني، وازدادت طاقته الإيمانية أن كل من يترك أمراً، أو يرتكب مخالفة، أو يقع في معصية يحكم بكفره، وهذا مزلق خطير يجب التنبه إليه، والحذر منه.

"فإنَّ للشيطان مدخلَين على المسلمين ينفذ منهما إلى إغوائهم وإضلالهم:

أحدهما: أنَّه إذا كان المسلمُ من أهل التفريط والمعاصي، زيَّن له المعاصي والشهوات ليبقى بعيداً عن طاعة الله ورسوله ﷺ.

والثاني: أنَّه إذا كان المسلم من أهل الطاعة والعبادة زيَّن له الإفراط والغلوَّ في الدِّين ليفسد عليه دينه، ومِن مكائد الشيطان لهؤلاء المُفْرِطين الغالين أنَّه يُزيِّن لهم اتِّباعَ الهوى وركوبَ رؤوسهم وسوءَ الفهم في الدِّين، ويُزهِّدهم في الرجوع إلى أهل العلم؛ لئلاَّ يُبصِّروهم ويُرشدوهم إلى الصواب، وليبقوا في غيِّهم وضلالهم، ومن سوء الفهم في الدِّين ما حصل للخوارج الذين خرجوا على عليٍّ رضى الله عنه وقاتلوه، فإنَّهم فهموا النصوصَ الشرعية فهماً خاطئاً مخالفاً لفهم الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا لَمَّا ناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما بيَّن لهم الفهمَ الصحيح للنصوص، فرجع مَن رجع منهم، وبقي من لم يرجع على ضلال"(١).

وحداثةُ السنِّ مظنَّةُ سوء الفهم يدلُّ لذلك ما رواه البخاري في صحيحه بإسناده إلى هشام بن عروة، عن أبيه أنَّه قال: ((قلت لعائشة زوج النَّبيِّ ﷺ وأنا يومئذ **حديث السنِّ**:

أرأيتِ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾(٢).

---

(١) بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً؟! ويحكم... أفيقوا يا شباب!!، عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ص ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوَّف بهما، فقالت عائشة: كلاًّ! لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوَّف بهما، إنَّما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يُهلُّون لِمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرَّجون أن يطوَّفوا بين الصفا والمروة، فلمَّا جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (١).(٢).

وعروة بن الزبير رضي الله عنه من خيار التابعين، وهو أحدُ الفقهاء السبعة بالمدينة في عصر التابعين، قد مهَّد لعُذره في خطئه في الفهم بكونه في ذلك الوقت الذي سأل فيه حديثَ السنِّ، وهو واضحٌ في أنَّ حداثةَ السنِّ مظنَّةُ سوء الفهم، وأنَّ الرجوع إلى أهل العلم فيه الخير والسلامة(٣).

وفي التحذير من التسرع في التكفير، والولوج فيه، يقول الغزالي رحمه الله محذراً: "والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه: الاحتراز من التكفير، ما وجد إليه سبيلاً. فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم"(٤).

ومن خلال ما سبق يظهر لنا بجلاء منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية لدى الشباب واستثمارها على الوجه الصحيح حتى لا يضلوا ويزلوا، أو يقعوا في مزالق ومخاطر من قبل من يستغل حماسهم الديني، وعاطفتهم الإيمانية، فيوظفها في خدمة أغراضه ومراميه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب العمرة، باب: يفعل في العمرة ما يفعل في الحج، رقم الحديث ١٧٩٠.

(٣) بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهادا؟! عبد المحسن البدر، ص ١٠.

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص ٨١.

المبحث الثاني

منهج الإسلام في توجيه الطاقة العقلية في ضوء المتغيرات الحضارية

إن العقل هو الذي يعطي الإنسان المعنى الصحيح لإنسانيته. والإسلام بتكاليفه وأحكامه، خاطب الإنسان.. كل إنسان.. من دون فصل أو تقسيم.. معتبراً إياه شيئاً واحداً، فلم يخاطب فيه جانباً دون الآخر و لم يعامله على أنه جسم حيّ متحرّك كسائر الحيوان.. ولا على أنه لطيف مجرد كالملائكة.. "بل وجّه إليه الخطاب بالتكليف، باعتباره إنساناً متكاملاً، وخاطبه بالترغيب والترهيب، اختباراً لحوّاسه ومواهبه وعقله، وأخبره بأنه إن أحسن فلنفسه، وإن أساء فعليها، وبأن المؤمن سيدخل الجنّة بجسده وعقله وروحه، وكلّ حواسّه، وأنّ الكافر سيدخل النار كذلك"(١).

وقد وبّخ الله تعالى الكافرين، بأنهم شرّ من دبّ على وجه الأرض، لأنهم كفروا، وجرّدوا أنفسهم من نعمة الانتفاع بالعقل، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾(٣). وأخبرنا عن حسرتهم يوم القيامة لعدم انتفاعهم بطاقة العقل في الدنيا فقال سبحانه مخبراً عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾(٤).

وهذا يؤكد لنا ضرورة الاستفادة بالطاقة العقلية لدى شبابنا، والحفاظ عليها؛ فإن

(١) أزمات الشباب "أسباب وحلول"، القاضي محمد أحمد كنعان، ص ٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الملك، الآيتان: ١٠-١١.

الشباب مفعم بالحيوية والطاقة، وعقله وقّاد، ويمتلك من المهارات والقدرات العقلية ما يحتاج أن يوظفه توظيفاً صحيحاً نافعاً للاستفادة القصوى مما حبى الله به الشباب من قدرات وإمكانيات عقلية، ويمكن أن نستجلي منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب العقلية من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: حماية الطاقة العقلية لدى الشباب من المهلكات والمفسدات:

يوجه الإسلام إلى حماية عقول الشباب من كل ما يضر بها، واستثمارها فيما يعود بالنفع على المجتمع بأكمله؛ ولذا حرم الإسلام الخمور والمخدرات بأنواعها، وكل ما يفسد العقل ويضر به. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾(١).

قال ابن عطيه رحمه الله: "والخطاب للمؤمنين جميعاً، لأن هذه الأشياء شهوات وعادات قد تلبس بها في الجاهلية وغلبت على النفوس فكان بقي منها في نفوس كثير من المؤمنين، فأما الْخَمْرُ فكانت لم تحرم بعد، وأما الْمَيْسِرُ ففيه قمار ولذة للفارغ من النفوس ونفع أيضا بوجه ما، وأما الأَنْصابُ وهي حجارة يذكون عندها لفضل يعتقدونه فيها، وقيل هي الأصنام المعبودة كانوا يذبحون لها وعندها في الجاهلية"(٢).

"والخمر أي: الشراب الذي خامر العقل، أي خالطه فستره؛ لأن الخمر تضيع العقل، وما دون السكر داع إلى ما يستكمله، فأقيم مقامه في الشرع الكامل"(٣).

فهذه المنكرات لها سلطانها المتسلط على النفوس، بما فيها من مغويات تدعو الإنسان إلى التحلل من سلطان العقل، وما يدعو إليه من وقار، وجدّ، لتحمله على

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٢/ ٢٣٢.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، ٤/ ٢٤٣.

أجنحة الخلاعة والعبث والمجون.. ومن وراء ذلك شيطان يستحثّ أهواء النفس، ويثير غرائزها الحيوانية الخسيسة.. فإذا لم يأخذ الإنسان حذره ويتجرد لحرب هذه المغويات المتسلطة عليه، ويلقاها بإيمان وثيق وعزم ثابت، غلبته على أمره، وأخذته من مقوده، وأقامته على هذا المرعى الوبيل، ليطعم منه، ويعيش عليه(١).

ومما يلحق بالخمر المخدرات وحرمتها ومنعها في الشريعة واضح ظاهر لما تفعله في عقول شبابنا من أضرار، ومسخ وتشويه، وركود وخمود؛ تجعل الشباب خامداً هامداً معطلاً لطاقته العقلية التي منحه الله إياها.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: ((نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر))(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الحشيشة حرام يجلد صاحبها كما يجلد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهي داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظاً ومعنى"(٣).

وقال أيضاً رحمه الله: "... وأما الحشيشة الملعونة المسكرة فهي بمنزلة غيرها من

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ٤/ ٢١.

(٢) رواه أحمد في كتاب: حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٢٦٠٩٤، وأبو داود في الأشربة برقم ٣٦٨٦ وابن أبي شيبة في الأشربة برقم ٩ والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب: الأشربة والحد فيها برقم ١٧٨٨٧. وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره دون قولها: ومفتر، فقد عده الحافظ صالح بن محمد البغدادي من تفردات شهر بن حوشب وهو ضعيف، لأنه لم يذكر في شيء من الحديث. وعده الحافظ الذهبي في "الميزان" من مناكيره. لكن حسن إسناده الحافظ ابن حجر في "الفتح" ١٠/ ٤٤! ونقل المناوي في "فيض القدير" ٦/ ٣٣٨ عن الحافظ العراقي أنه صحح إسناده. انظر: سنن أبي داود تحقيق: الأرنؤوط ٥/ ٥٢٩.

(٣) السياسة الشرعية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١١٦.

المسكرات، والمسكر فيها حرام باتفاق العلماء"(١).

وقال الزركشي رحمه الله: "وقد أجمع الفقهاء من أصحابنا وغيرهم على أنه يحرم تناول المسكر وعمم النبات"(٢).

وقال صاحب تهذيب الفروق: "واتفق فقهاء أهل العصر على المنع من النبات المعروف بالحشيشة التي يتعاطاها أهل الفسوق. . "(٣).

وإذا كان من الضروريات التي حرص الإسلام على المحافظة عليها حفظ النفس وحفظ العقل، فإنه في سبيل هذا حرم الموبقات والمهلكات المذهبات للعقل والمفسدات له؛ فإن أحداً من الناس لا يشك في أن سعادة الإنسان رهينة بحفظ عقله، لأن العقل كالروح من الجسد. به يعرف الخير من الشر، والضار من النافع، وبه رفع الله الإنسان ففضله وكرمه على سائر مخلوقاته، وجعله به مسؤولاً عن عمله، ولما كان العقل بهذه المثابة فقد حرم الله كل ما يذهبه حرمة قطعية. ومن أجل هذا حرم تعاطي ما يؤدي بالنفس وبالعقل من مطعوم أو مشروب واتفقت سائر المذاهب الإسلامية على تحريم المخدرات بجميع أصنافها.

والمادة المخدرة "هي كل مادة خام أو مستحضرة تحتوي على عناصر منبهة أو مسكنة من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية أن تؤدي إلى حالة من التعود أو الإدمان عليها مما يضر بالفرد والمجتمع جسمياً واجتماعياً ونفسياً......"(٤).

وقيل "هي مادة تسبب في الإنسان والحيوان فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، وقد

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٤٣/٣٤.

(٢) زهر العريش في تحريم الحشيش، بدر الدين الزركشي، ص ١١٩- ١٢٠.

(٣) تهذيب الفروق، محمد علي بن حسين المالكي، ٢١٤/١.

(٤) مجلة الجندي المسلم، ص ٥٢- ٥٣.

ينتهي إلى غيبوبة تعقبها الوفاة"(١).

وعرفها بعضهم بأنها: "كل مادة يؤدي تعاطيها إلى حالة تخدير كلي أو جزئي مع فقدان الوعي أو دونه، أو تعطي شعورا كاذبا بالنشوة والسعادة مع الهروب من عالم الخيال"(٢).

ويعرفها البعض الآخر: "كل مادة تعمل على تعطيل أو تغير الإحساس في الجهاز العصبي لدى الإنسان أو الحيوان، وذلك من الناحية الطبية، أما من الناحية الشرعية فهي كل مادة تقود الإنسان إلى الإدمان وتؤثر على الجهاز العصبي"(٣).

ورغم تعدد التعريفات للمخدرات بالنظر إلى البعد الذي تنتمي إليه قانونياً أم طبياً أم شرعياً فإن الجميع يتفق على خطورة المخدرات وأضرارها على الإبداع العقلي والفكري للناس عموماً وللشباب خصوصاً؛ فإن الشاب كثيراً ما يعاني في مواقف مختلفة من الشعور بالإحباط نتيجة فشله في تحقيق ما يطمح إليه من أهداف، ويتعمق هذا الشعور كلما اصطدم من صعوبات وعراقيل مما يشعره بالقلق والاكتئاب والعجز. "وعندئذ تنتاب شخصية الفرد حالة من عدم التوازن النفسي تجعله يبحث عن حلول بديلة تعيد لشخصيته هذا التوازن، بحيث يحقق الفرد ما لم يستطع أن يحققه في الواقع. في هذه الحالة قد يلجأ الفرد لتعاطي المخدر كي يقطع صلته بالواقع الذي لم يتح له تحقيق ما يطمح إليه، ويسبح في عالم من الخيال والأحلام يسمح له- ولو عن طريق الوهم والخيال- بإشباع رغباته وطموحاته"(٤).

---

(١) الموسوعة الميسرة، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢/٢٥.

(٢) أثر المخدرات على الأمة وسبل الوقاية منها، د. أحمد عطية بن علي الغامدي، ص ١٠.

(٣) النظرية الإسلامية لمكافحة المخدرات، د. محمد بن جمعة بن سالم، ص٢١.

(٤) قضايا الشباب في المجتمع المعاصر، د. محمد عباس نور الدين، ص ٦٠-٦١.

إنه منذ بزوغ فجر الإسلام وهو يؤسس للبشرية ما يحفظ عليها خصائصها، ويقيها ما يفسد عليها حياتها، ويدمر مستقبلها، ويبعدها عن التكريم الذي أنعم الله به عليها، ولذلك حذّر منذ البداية من أمهات القبائح والمفاسد، ومنابع الهلاك صوناً للبشرية ورعاية لمصالحها.

ولذلك حذّر وحرَّم وتوعَّد عليها برغم أنها لم تكن في بداية الدعوة الإسلامية بالخطورة التي وصلت إليها اليوم، وما ذلك إلا بعلم سابق، وحكمة بالغة، ورحمة بالعباد. ومن تلك الخبائث والمفاسد القبيحة المسكرات بأنواعها حفظاً للعقول في مجالات الحياة كلها. "لأن المس بالعقل معناه حصول الخلل في مركز القيادة والتدبير والفهم وفي معيار جلب المصالح، ودرء المفاسد، وإذا حدث خلل في العقل ضاع فهم الدين، وضاعت المصالح، واضطربت الحياة، وحلّ الفساد محل الصلاح، والانحراف محل الاستقامة، والضرر محل السلامة"(١).

ومن يشاهد في عصرنا كيف استيقظت البشرية على الخطر المحدق عندما انتشرت المخدرات، وصرخت بالويل والثبور وتداعت إلى وقفة كونية لمحاربتها والوقاية منها، يعلم يقيناً أن ما حذر منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما أوصوا به هو المخرج للبشرية، فلا أحد يحمي الإنسان من نفسه وهواه إلا رب العالمين في شريعته المعصومة الخاتمة التي دعت إلى حفظ العقل وحمايته من كل ما يغتاله ويغطيه، وذلك بتحريم كل مسكر ومفتر.

إن المخدرات تفقد عقل متعاطيها وتغطيه، وهو أشرف شيء كرم الله به الآدمي فهو بذلك ينزل نفسه منزلة البهائم وتشبه بالمجانين في تصرفاتهم مع ما ينتاب المدمن من نوبات صرع كثيرة لفقده أي قدرة على ملكية زمام نفسه بل يصبح عبداً للعقار "وتعتري المتعاطي للمخدرات آفات عصبية عرضية وإضرابية ناجمة عن التهاب السحايا

(١) مواجهة خطر المخدرات، د. محمد المدني بو ساق، ص ٨.

أو التهاب الدماغ وبالجملة فإن المتعاطي للمخدرات يصبح جسداً فاقداً لإرادة الحياة والنجاة محشواً بعاهات نفسية تفقده كل كرامة أو اعتبار، وتحمله على الأفعال الدنيئة والتصرفات القبيحة كالجبن والكذب والاستهانة بالقيم الأخلاقية والمثل العليا. وقد تذهب به المخدرات إلى مستوى أحط من الحيوان، وتحيط بمتعاطي المخدرات الآفات النفسية من كآبة وقلق وضيق وحيرة وتردد وكثرة الشكوى، وتقلب المزاج، وضعف الفهم، وفقد الذاكرة، وقلة التركيز وغير ذلك من العاهات والآفات والعقد"(١).

وتعاطي المخدرات مفسدة كبيرة لا يلحق ضررها العقل فحسب، بل يعم ضررها جميع الضروريات من دين ونفس وعقل ونسل ومال ومعلوم شرعاً أنه قد تقرر ضرورة حفظ هذه الضروريات وحمايتها والمحافظة عليها وعد كل اعتداء على واحدة منها جريمة من أشد الجرائم يستحق مرتكبها أشد العقوبات حماية للفرد وصيانة للمجتمع فكيف بالاعتداء على المقاصد الكلية جميعها، فقد بان لنا فيما تقدم خطورها وضررها على العقل والدين والصحة والأسرة والمجتمع، والمال "وبهذا يحصل القطع واليقين بتحريمها، ودفع ضررها بما يلائم ويناسب من العقوبات الرادعة"(٢).

---

(١) المنذرات في عقوبة المخدرات، محمد بن فهد الودعان، ص ٤١.

(٢) المخدرات في الفقه الإسلامي، أ. د. عبدالله بن محمد الطيار، ص١٠٢- ١٠٣.

المطلب الثاني: الاستفادة من الطاقة العقلية في العلم:

إن الطاقة العقلية لدى الشباب يجب أن يستفاد منها في زيادة التحصيل من العلم والطلب، والنصوص الشرعية كثيرة في بيان فضل العلم وتعلمه؛ فكما أن نمو الجسم بالطعام فإن نمو العقل بالعلم إذ بهذا يكون الإيمان عن إدراك أوسع وفهم أعمق واقتناع أتم؛ بل قرن سبحانه ذكر أولى العلم بذكره عز وجل، وذكر ملائكته، فقال جل شأنه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(١). وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(٢). وجعل الرفعة والتفاضل بالعلم والتعلم فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾(٣).

ولقد بوّب الطبراني في معجمه باباً سماه (باب حث الشباب على طلب العلم). وساق فيه جملة من الأحاديث منها ما جاء عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء))(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، وفيه مروان بن سالم الشامي، ضعفه البخاري ومسلم وأبو حاتم، وأخرجه السيوطي في "اللآلئ المصنوعة" ١/ ١٩٦ - ١٩٧ من طريق الطبراني، وأخرجه أيضا ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" ١/ ٨٢ من طريق خلف بن القاسم، وقال: وهذا إسناد فيه طلحة بن زيد وهو متروك، وصدقة بن عبد الله، وعبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم. وهما ضعيفان، وسعيد بن أحمد بن جعفر الفهري ما عرفته. وانظر تنزيه الشريعة ١/ ٢٥٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تحقيق: حسين أسد، ٢/ ٢٥٩.

ومن نماذج شباب الصحابة في استغلالهم لطاقتهم العقلية في العلم والتعلم ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما:

مع حرصه على ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته، ودعائه له صلى الله عليه وسلم كان مجتهدا في طلب العلم من فقهاء الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير قال فقال واعجبا لك أترى الناس يفتقرون إليك قال فترك ذلك وأقبلت أسأل فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول لا أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث فعاش الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فقال هذا الفتى كان أعقل مني))(١).

ومرحلة الشباب هي مرحلة القوة في طلب العلم والمذاكرة كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جمعت القرآن كلّه في ليلة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنِّي أخْشَى أنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمان، وأنْ تَمِلَّ فاقرأْهُ في شَهرٍ. فقلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي. قال: فاقْرأهُ في عَشْرةٍ قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي. قال: فاقْرأهُ في سَبْعٍ. قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي. فأبى))(٢).

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٤ / ٩٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب: إقامة الصلاة، باب: في كم يستحب أن يقرأ القرآن ١/ ٤٢٨ حديث ١٣٤٦، وابن حبان ٣/ ٣٣ رقم ٧٥٦، والنسائي في سننه الكبرى ٥/ ٢٤ رقم ٨٠٦٤، وأحمد ٢/ ١٦٣، وقال الألباني في كتابه صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٤٠٠ رقم ١١١٤.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله: "قلت لأبي: يا أبت، ما الحفاظ؟ قال: يا بني شباب كانوا عندنا من أهل خراسان وقد تفرقوا"(١).

ولعل من أبرز الأمثلة على تميز شباب الصحابة في العلم والحفظ والإتقان والمهارة ما كان من شأن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- عندما كلف بجمع القرآن الكريم فلقد كان شاباً عاقلاً متميزاً في كتابة الوحي والحفظ والإتقان.

فعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ السَّبَّاق، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه - وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الوَحْيَ - قَالَ: ((أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بالقُرَّاءِ فِي المَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ إلاَّ أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لأَرَى أَنْ تَجْمَعَ القُرْآنَ "، قَالَ أَبو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟» فقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ، «كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم؟» فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ...))(٢).

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠/ ٣٢٦، وابن عساكر في تاريخه ١٣/ ١١٢، والدارمي في السنن، المقدمة، نشر دار إحياء السنة النبوية.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ «من الرأفة»، رقم الحديث ٤٦٧٩.

فأبو بكر رضي الله عنه - استفاد من الطاقة العقلية لزيد بن ثابت رضي الله عنه - ونصّ على ذلك في قوله: "إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك" كما جاء في نص الحديث.

قال ابن بطال رحمه الله: "هذا يدل أن العقل أصل الخلال المحمودة كالأمانة والكفاية في عظيم الأمور؛ لأنه لم يصف زيدًا بأكثر من العقل، وجعله سببًا لائتمانه ورفع التهمة عنه؛ لقوله: إنك شاب عاقل ولا نتهمك"(١).

وقال القسطلاني رحمه الله: "ذكر له أربع صفات مقتضية لخصوصيته بذلك. كونه شابًّا فيكون أنشط لذلك، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان كاتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له"(٢).

لقد أبان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه عن الصفات التي جعلته يختار زيد بن ثابت رضي الله عنه لمهمة جمع القرآن الكريم حيث قال: "إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ، «كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ"(٣). ويمكن إيضاحها بما يلي:

١. إنه شاب يتوفر فيه النشاط والحماسة، فيكون أنشط لما يطلب منه، وحتى لا تفتر عزيمته أثناء العمل.

٢. إنه عاقل فطن يحسن التصرف، فيكون أوعى لما يعمله، وحتى لا يقع في عمله نقص أو خلل.

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٨/ ٢٦٤.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ١٠/ ٢٥٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: باب قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ «من الرأفة»، رقم الحديث ٤٦٧٩.

٣. إنه غير متهم في دينه لا يتطرق إليه تجريح أو تفسيق فلا يكون في عمله أدنى ريبة أو شك، وقد استشعر هو خطورة المهمة وضخامتها حيث قال: "فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ"(١).

٤. إنه أحد كتبة الوحي لرسول الله ﷺ، فلديه التجربة العملية والخبرة الميدانية أمام من نزل عليه القرآن ﷺ ويكفي بها مزية(٢).

ومن أسباب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه وهو شاب لجمع القرآن شهوده العرضة الأخيرة للقرآن، قال أبو شامة رحمه الله "قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف رضي الله عنهم"(٣).

إن مستوى الوعي عند الإنسان، يتحدّد بمستواه العلمي، فكلما ازداد علماً ازداد وعياً وفقهاً ومعرفةً، لذلك أرشد الله تعالى رسوله محمداً ﷺ، إلى طلب الزيادة في العلم فقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤). وهذا إرشاد للأمة كلها، وحثّ لها على تحصيل العلم، والاستزادة منه دائماً، وخاصة الشباب في عصرنا الحاضر الذي يعرف بعصر العلم. و"الشباب هم طلبة العلم في الغالب، فهم تلاميذ المعاهد والجامعات،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: باب قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ «من الرأفة»، رقم الحديث ٤٦٧٩.

(٢) انظر: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، د. علي بن سليمان العبيد، ص ٤٤.

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبوشامة، تحقيق: طيار آلتي قولاج، ص ٩٦.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

وهم المتخرجون وحملة الشهادات، وهم حاملو أمانة العلم، ومسؤولية تعليم الأجيال، فبمقدار علمهم يعلّمون، وعلى حسب مستواهم ومعرفتهم يدرّسون ويربّون، فكلما كان المستوى العلميّ لدى الشباب عاليا، كانت قدرتهم على الإعطاء أقوى وأكبر. إن المستوى العلمي للشباب قد تدنّى وهبط، وهذا ما قد يستغربه الكثيرون، وربما اعتبروه غير صحيح.. مستندين في ذلك إلى: وجود هذه الأعداد الكبيرة من المدارس والمعاهد والجامعات، على اختلاف اختصاصاتها العلمية، وإلى: الأفواج التي لا تكاد تحصى من الطلبة في بلاد المسلمين"(١).

وما من شك أن خطورة التعليم العالي في الوطن العربي تبرز بالنسبة للمستقبل القريب إذا أدركنا حجم الأعداد الهائلة التي تلتحق بالجامعات سنويا أو تستعد للالتحاق بها. إذ إن أعداد الطلبة المسجلين في التعليم قد تزايدت في جميع البلدان العربية في العقود الأربعة الماضية، ولكن بنسب تتفاوت من بلد إلى آخر إذ ارتفع عدد الطلبة من ٨٩٥ الف طالب عام ١٩٧٥، كما جاء في تقرير التنمية الثقافية الأول الذي أصدرته مؤسسة الفكر العربي بالتعاون مع المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا ومركز دراسات الخليج في نوفمبر ٢٠٠٨ ليصل إلى سبعة ملايين و١٦٤ الف طالب وطالبة عام ٢٠٠٦ بزيادة نسبتها ٨٠٠%. وارتفع عدد الجامعات العربية من ٢٣٠ جامعة عام ٢٠٠٣ ليصل إلى ٣٩٥ جامعة عام ٢٠٠٨. وارتفعت نسبة الإناث في التعليم العالي من ٢٨,٤% من مجموع الطلاب المسجلين لتصل إلى ٤٧,٨% عام ٢٠٠٦.

ومع ذلك فالتعليم العالي في الوطن العربي لم يتمكن من استيعاب أكثر من زهاء ١٥% من الشريحة العمرية (١٨-٢٣). مضيفا انه إذا كانت نسبة الالتحاق بالتعليم

---

(١) أزمات الشباب أسباب وحلول، القاضي محمد أحمد كنعان، ص ٦٤.

العالي في مصر، أكبر الأقطار العربية ٢٨٪ فإنها في دولة الاحتلال أكثر من ٤١٪ وفي الدول المتقدمة تزيد عن ٦١٪. مما يعني أن العالم العربي لم يبلغ على المستوى الكمي، الحد الذي يمكن عنده اعتبار أن الفجوة المعرفية هي في طريقها إلى التقلص. والسبب الرئيسي وراء ذلك إلى تراجع قدرة الدول العربية على الاستجابة إلى الطلب المتنامي للتعليم العالي، إضافة إلى مسألة الموارد المالية والتي تعتبر العامل الأساسي المحدد لتلك القدرة. مؤكدا على أن معدل ما ينفق على التعليم العالي في مجمل الدول العربية هو ١ر٣٪ من الناتج المحلي، مع وجود تفاوت بين الدول حيث تبلغ أعلى نسبة ٣ر٤٪ في الأردن وأقل نسبة ٤ر٠٪ في جيبوتي. إضافة إلى أن الأردن يحتل الأردن المرتبة الأولى في التعليم العام حسب تقدير البنك الدولي للعام ٢٠٠٨م(١).

ومن المناسب هنا أن نورد هذه الإحصاءات(٢).:

١- أعداد الطلاب ومعدل الالتحاق من فئة العمر الجامعي في الوطن العربي:

العام	أعداد الطلاب(مليون)	معدل الملتحقين من فئة العمر الجامعي
١٩٧٥	١.٠	-
١٩٩٦	٣.١	٩٪
١٩٩٨	٣.٦	١٥٪
٢٠٠٨	٧.١٦٤	٢٠٪

(١) انظر: محاضرة "التعليم العالي في الوطن العربي"، د صالح هاشم، الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية، والتي ألقاها بمنتدى عبد الحميد شومان الثقافي ٢٢-١٢-٢٠٠٨م، تقرير مجلة الرأي بتاريخ ٢٤-١٢-٢٠٠٨م.

(٢) انظر: التعليم في الوطن العربي أمام التحديات التكنولوجية، إبراهيم عبد الله الهجري، جامعة صنعاء، اليمن، ص ١٣.

٢- أعداد الجامعات العربية:

العام	أعداد الجامعات
١٩٥٠	١٠
١٩٧٠-١٩٧٩	٣٣
١٩٨٠-١٩٩٠	٥١
٢٠٠٨	٣٩٥

إن واجب المسؤولين الاستفادة من الطاقة العقلية للشباب، ومن عددهم الكبير في سلّم التعليم لتحقيق الرقي لأمتنا، والنهوض بها في ظل التقدم الحضاري والعلمي للدول الأخرى من حولنا حيث "إن العدد الضخم من الملتحقين بالتعليم سلاح ذو حدين فإن استطعنا أن نحقق تعليماً فعالاً ينسجم مع حاجات المجتمع ويلبي طموحات خطط التنمية، ويواكب التغيرات والتطورات العالمية، فإن كل ذلك سيحدث ثورة اجتماعية واقتصادية في غضون سنوات محددة، بشرط أن لا يبقى حال التعليم في العالم العربي على وضعه الراهن، فالعالم العربي يعيش تراجعاً مستمراً في دخله القومي، ويتوقع له مزيداً من التراجع بسبب عوامل عديدة داخلية وخارجية، إذ أن خريجي التعليم على مختلف مستوياتهم سيشكلون مزيداً من العبء على المجتمع بكامله، وبدلاً من أن يقودوه إلى الأمام فإنهم سيكونون قوة كابحة لتقدمه وتطوره، إن أهم ما يعيق التعليم هو ضعف الإنفاق عليه في العالم العربي، لذلك لابد من إعادة ترتيب الأولويات في الإنفاق ووضع العملية التعليمية في المراتب الأولى حتى يصبح للتعليم دلالته القيمية إذا أصبح هو هدف الشباب في ظل الفراغ التربوي، هو الحصول على الشهادة، وبالتالي

أصبح الأسلوب السائد هو أسلوب الحفظ والتلقين، وتغيب النقاش والحوار، ومن هنا ظهرت أمية الحضارة إن لم يكن التخلف الحضاري"(١).

إننا بحاجة ماسة إلى تأكيد أهمية العلم، والأخ بحظ وافر من المعرفة، وحفز الشباب إلى مزيد من التعلم، في ظل الزخم الشديد من وسائل التواصل الاجتماعي، وغزو الفضائيات، والانفتاح على شبكة المعلومات الدولية. والعلم هو السلاح الفعال لتحصين الشباب ووقايتهم من الانزلاق وراء الدعوات الهدامة أو الافتنان ببريق الحضارة الغربية الحديثة. إن الأفكار والثقافات الغربية تتسرب إلى نفوس الشباب وعقولها فتتركها فريسة للأوهام والاغتراب، وفي حال عدم قدرة أي أمة على تحصين شبابها سيكون مصيرها التبعية وبخاصة هذا الغزو الهائل من المعلومات المضللة وانتشار وتطور الاتصالات ولا سيما الفضائية التي دخلت معظم البيوت العربية دون استئذان لتعيث فيها فساداً.

"وعلى سبيل المثال، تصدر وكالة [رويتر] يومياً أكثر من ٤٠مليون كلمة تسوزع على أكثر من ٨٠دولة، في حين لا توجد وسائل إعلامية فعالة في العالم العربي تستطيع بموجبها المجابهة أو حماية الشباب. والخوف كل الخوف أن تصبح اللغة العربية هي اللغة الثانية أو الثالثة مع مرور الزمن، كما نلاحظ أن نسبة القراء في العالم العربي منخفضة عن الدول الأخرى، ولقد أصدر مركز الدراسات الوحدة العربية ومقره [لبنان] ملفاً إحصائياً على مدى عشرين عاما بين ١٩٦٥-١٩٨٥م، جاء فيه أن العالم العربي كان يصدر (٤٠٠٠) عنوان كتاب جديد عام ١٩٦٥م، ووصل العدد إلى (٧٠٠٠) عنوان جديد في ١٩٨٥م، ثم تراجع إلى أن وصل إلى ٢٨٠٠عنوان، هذا بالمقارنة مع [اليابان] تصدر سنويات ٣٥.٠٠٠كتاب، وشتان بين أنواع الكتب العربية والكتب اليابانية.

(١) شبابنا في عالم التغيير، نسرين حمزة السلطاني، ص ٦.

ونجد أيضاً أن الشباب العربي يمضي أكثر من ٤ ساعات يومياً في مشاهدة التلفزيون وقابلة للزيادة مع غزو المحطات الفضائية، وإن ٤٠-٦٠% من برامج التلفزيون العربية مستوردة وكثير منها لا يتناسب طبيعة هذه البلاد المسلمة، ويمكن القول عن هذه الحالة [بالغزو الثقافي المستورد] أي أن الإعلام العربي يستورد الغزو الثقافي عبر الأفلام والمسلسلات والبرامج والإعلانات والمستودعات إلى جانب المعلومات بمختلف صورها، كما أن البرامج التلفزيونية المحلية دون المستوى المطلوب ولا تساهم في تثقيف المواطن أو الشاب وزيادة وعيه وإدراكه"(١).

(١) الشباب بين الطموح والجروح مقالة على موقع: http://www.holol.net.

المطلب الثالث: توظيف الطاقة العقلية للشباب في تعليم الآخرين:

ومن منهج الإسلام في توجيه الطاقات الشباب العقلية أنه يوجههم للمشاركة المجتمعية، وإفادة المجتمع منهم من خلال القيام بعملية التعليم والتثقيف في المجتمع.

وكما أن "مرحلة الشباب قوة في التعلُّم، فهي قوة في التعليم أيضاً"(١). فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى رحمه الله قال: قلنا لزيد بن أرقم رضي الله عنه: حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: ((كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد))(٢).

وقد وجه القرآن الكريم أولئك الذين نالوا قسطاً من العلم أن يقوموا بواجبهم تجاه مجتمعهم فيعلموا الجاهل، ويرشدوا الحائر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(٣).

قال النسفي رحمه الله: "أي أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة؛ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها، وليجعلوا مرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم دون الأعراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس، فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى

---

(١) الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني، ص ٣٤.

(٢) أخرجه ابن ماجة، المقدمة، باب: التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١/ ١١ حديث ٢٥، والطبراني في الكبير ٥/ ١٦٩ رقم ٤٩٧٨، وابن الجعد في مسنده رقم ٦٨، وأحمد ٤/٣٧٠، والطيالسي رقم ٦٧٦، وقال الكناني في مصباح الزجاجة ١/ ٨: هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٦ رقم ٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثراً من الجهاد بالنضال"(١).

وقال السعدي رحمه الله مبيناً دلالات هذه الآية وفوائدها: "ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له. وأما اقتصار العالم على نفسه، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً. وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور"(٢).

وما يدل على أهمية توجيه الطاقة العقلية للشباب إلى تعليم الآخرين والاستفادة منها في ذلك، ما جاء عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شببه متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: ((ارْجِعُوا إلى أهْلِيكُمْ فعَلِّمُوهم ومُرُوهُم، وصَلُّوا كَمَا رأيْتُمونِي أصَلِّي، وإذَا حَضَرَتِ الصَّلاة فليؤذِّنْ لَكُمْ

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ١/ ٧١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٥٥.

أحَدَكُم، ثمَّ ليؤُمَّكُمْ أكبَرُكُم))(١).

قال ابن حجر رحمه الله: "واقتصار الصحابي على ذكر سبب الأمر برجوعهم بأنه الشوق إلى أهليهم دون قصد التعليم هو لما قام عنده من القرينة الدالة على ذلك ويمكن أن يكون عرف ذلك بتصريح القول منه ﷺ وإن كان سبب تعليمهم قومهم أشرف في حقهم لكنه أخبر بالواقع و لم يتزين بما ليس فيهم ولما كانت نيتهم صادقة صادف شوقهم إلى أهلهم الحظ الكامل في الدين وهو أهلية التعليم كما قال الإمام أحمد في الحرص على طلب الحديث: حظ وافق حقا"(٢).

ثم قال رحمه الله: "وفي الحديث أيضاً فضل الهجرة، والرحلة في طلب العلم وفضل التعليم"(٣).

وفي الحديث أن الإنسان مأمور بأن يعلم أهله ولهذا قال: ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم، يعلموهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ؛ فالإنسان ينبغي له أن يعلم أهله ما يحتاجون إليه إما أن يجعل جلسة خاصة لهم أو إذا جلسوا على الطعام أو على الشراب أو في انتظار النوم أو ما أشبه ذلك يعلمهم، ولا يقتصر على التعليم فقط قال: علموهم ومروهم فيعلمهم ويأمرهم، فلابد من تعليم الأهل ولابد من أمرهم وتأديبهم وتوجيههم.

وإننا الآن في واقعنا الحالي، وفي ظل المتغيرات الحضارية الراهنة، والصعوبات المعرفية المتجددة، والأنشطة الإعلامية الغربية المتربصة بأبناء المسلمين وشبابهم؛ أحوج ما نكون إلى جهود الشباب وطاقتهم العقلية؛ ليقوموا بعملية التعليم، والمشاركة المجتمعية في تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث ٦٠٠٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٢/ ١٧١.

(٣) المرجع السابق، ٢/ ١٧٢.

وتُعتبر مشاركة الشباب في قضايا المجتمع من أهمِّ الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، وتكتسب المشاركة المجتمعية أهميَّةً متزايدة يومًا بعد يوم؛ فهناك قاعدة مُسلَّم بها، مُفادها أنَّ الحكومات - سواء في البلدان المتقدِّمة أو النامية - لَم تَعُد قادرة على سَدِّ احتياجات أفرادها ومجتمعاتها؛ فمع تعقُّد الظروف الحياتيَّة، ازدَادت الاحتياجات الاجتماعية، وأصبَحت في تغيُّر مستمرٍّ؛ ولذلك كان لا بدَّ من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية، تقوم بملء المجال العام، وتُكمل الدور الذي تقوم به الجهات الحكوميَّة في تلبية الاحتياجات الاجتماعية، ويُطلق على هذه الجهة: "المُنظمات الأهليَّة وفي أحيان كثيرة يُعتبر دور المنظمات الأهلية دورًا سبَّاقًا في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وليس تكميليًّا، وأصبَح يضع خُططًا وبرامجَ تنمويَّة، تَحتذي بها الحكومات"(١).

إن الشباب دائماً لديه القوة والحيوية الفاعلة، وعندما نوجه الشباب إلى الاستفادة من قدراتهم العقلية في تعليم الآخرين فإن لهذا الأمر مردوداً إيجابياً على الشباب بإعلاء مكانتهم في المجتمع وإشعارهم بمسؤوليتهم تجاه بلدهم ووطنهم، وحثهم على بذل مزيد من الجهد والطاقة في سبيل خدمة أمتهم.

---

(١) مشاركة الشباب في قضايا المجتمع ودورها في الوقاية من المخدرات، محمود أحمد عبدالقادر علي، مقال على موقع الألوكة رابط الموضوع: http://www.alukah.net/publications_competitions/٠/٣٥٠٠٨/#ixzz٣uyxRSvg٦

المطلب الرابع: توظيف الطاقة العقلية للشباب في عمارة الأرض:

ومن توجيه الإسلام لطاقات الشباب العقلية حثهم على عمارة الأرض، واستخراج كنوزها، ومعرفة طرق تسخيرها وتذليلها لخدمة الإنسان. ففي الوقت الذي تعاني فيه الأمة الإسلامية من التراجع الحضاري والمعرفي أحوج ما تكون إلى طاقات شبابها العقلية لتحقيق عمارة الأرض وفق مراد الله وشريعته، ولتحقيق الريادة بين الأمم، والتمكين والاستخلاف في الأرض الذي عناه الله بقوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾(١).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢).

قال القرطبي رحمه الله: "أي جعلكم عمارها وسكانها. وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار. وقيل: المعنى ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها. وقال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب"(٣).

وقال أبو زهرة رحمه الله: "أي جعلكم تعمرونها فتنشئون فيها المباني والحدائق الغناء، والسين والتاء في كلمة (اسْتَعْمَرَكُمْ) معناهما التكليف لعباده أن يعمروها فهو سبحانه مظهرهم على ما جعلهم يسخرون السماوات والأرض بما قدره تعالى لهم"(٤).

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٦١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ٥٦.

(٤) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ٧/ ٣٧٢٣.

وقال ابن عاشور رحمه الله: "والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق. ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميرا للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض"(١).

وإذا كان بثّ الحياة في ميادين الكون بإصلاح شأنه، وتسخير ما فيه لما يخدم الإنسان ويحقّق رفاهيته وسعادته هو المقصود بإعمار الكون، ممّا يقتضي وصول الإنسان إلى ذروة الكمال المادي والمعنوي عن طريق تذليل ما في الكون واستثمار ما فيه، واستشعار عظمة خالقه، فمن المفترض أن يكون ذلك وفق منهج مستقيم، ورؤية واضحة. والشريعة هي المنهج الوحيد الذي تستقيم في ظلّه الحياة، وتستقيم في ظلّه النفوس، وتجد الفطرة في ظلّه السلام مع ذاتها، والسلام مع الكون الذي تعيش فيه وهذا مما تقتضيه حكمة خلق الإنسان وتكليفه، فالإنسان خلق لغايات وهو مكلّف بتحقيقها حسب ما بيّن له الخالق جلّ جلاله(٢).

إن العالم الآن من حولنا يتطور في كل المجالات بصورة متسارعة متلاحقة، والأمة الإسلامية متهمة بتراجعها الحضاري، وتأخرها العلمي، وانفصالها عن ركب التقدم المادي والعلمي والمعرفي، رغم أنها تملك قاعدة من الشباب كبيرة حبذا لو استفادت من طاقاتهم العقلية في رقيها ونهضتها؛ وتقديم نموذج فريد لعمارة الأرض، وتسخيرها، والتمكن من معطيات الكون وفق منهج الله سبحانه؛ فعمارة الأرض بمعناها الشامل تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارة إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهراً لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض. "إنّ مهمته تحقيق جامعة إنسانية فعّالة في

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢/ ١٠٨.

(٢) انظر: إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، ص ٢٥.

سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي، العمارة الكلية الشاملة لكل ما تتسع له كلمة العمارة من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية. فهي غاية وجود الإنسان وهدفه الأعظم، ولا سبيل له إلى حياة كريمة له إلا بالقيام بعملية الإعمار في مختلف الصعد، لتظهر كمالات الإنسان واستعداداته اللامحدودة في الحياة"(١).

ولضرورة العمارة سبب آخر، وهو طبيعة الطاقة الكامنة في الإنسان، وما أودع فيه البارئ من قوى، إذا ما تيسر لها أن تسير وفق هداية الوحي، فإنّها ستصنع الخارقات، وتسطر الآيات البيّنات. "فلا جدال في أنّ النفس البشرية طاقة عظمى من طاقات البناء والإعمار، ومصدر خصب من مصادر الحقّ والعدل والخير والجمال في هذا العالم إذا ما زكت وصفت وغدت موصولة الأسباب بفاطرها وموجدها؛ لأنّ صلتها بالله، واستمساكها بأسباب أنواره يجعلها موضع نظره، ومَنْ كَان موضع نظر الله تعالى أفيضَ عليه من صفات جماله وكماله ما يستطيع بها أن يمحق ظلام الدنيا وشرورها؛ فالإعمار ضروري لإظهار هذه القوى الإنسانية الراشدة، والطاقة التعميرية الهائلة"(٢).

إن الشباب بما حباه الله من طاقات عقلية يمكنه أن يقدم لنا نموذجا مثالياً في عمارة الأرض وتسخيرها، إذا ما وظّف طاقته في الاطلاع والعلم والمعرفة والبحث والإدراك لسنن الله في الكون واكتشافها؛ فلقد بثّ الله تعالى في الطبيعة عناصر كثيرة، يعدّ اكتشافها فرضاً على الإنسان، وتعدّ دراسة هذه العناصر ومعرفة خصائصها من الضروريات بالنسبة إلى الحياة الإنسانية، وكلها خاضعة لقوانين ثابتة منضبطة، "ومن هنا تتجلّى حكمة الله سبحانه وتعالى في صياغة نظام الكون على مستوى القوانين، وعلى مستوى الروابط المضطردة والسنن الثابتة؛ لأنّ صياغة الكون ضمن روابط

---

(١) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، ص٢٦، ٢٧.

(٢) إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، ص ٢٧.

مضطردة وعلاقات ثابتة هو الذي يجعل الإنسان يتعرّف على موضع قدميه، وعلى الوسائل التي يجب أن يسلكها في سبيل تكييف بيئته وحياته والوصول إلى إشباع حاجته. إنّ آيات عديدة تضع الجماعة البشرية المؤمنة في قلب العالم والطبيعة، وتدفعها إلى أن تبذل جهدها من أجل التنقيب عن السنن والنواميس في أعماق التربة، وفي صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذّرات، إنّنا بإزاء حركة حضارية شاملة تربط بين مسألة الإيمان ومسألة الإبداع والكشف، بين التلقي عن الله والتوغّل قدما في مسالك الطبيعة ومنحنياتها وغوامضها، بين تحقيق مستوى روحي عال للإنسان على الأرض وبين تسخير طاقات العالم لتحقيق الدرجة نفسها من التقدّم على المستوى المادي"(١).

إن الطاقة العقلية للشباب ينبغي أن توظف في مواجهة التحديات والمشكلات التي تواجه البشرية، وإزالة ما يعيق تقدمها، ولعل من النماذج الفريدة التي تحدث عنها القرآن في الاستفادة من الطاقة العقلية ما كان من ذي القرنين عندما استعمل عقله وما وهبه الله إياه في بناء السد عندما أخبره القوم بحاجتهم إلى ذلك لدفع الفساد من يأجوج ومأجوج، فأخذ بالأسباب، وعمل بها، واستفاد من ملكاته ومواهبه قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾(٢).

قال السعدي رحمه الله: "أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به

(١) حول تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، ص٧٧، ٧٨.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٩٤-٩٧.

يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل"(١).

وفي الربط بين صنيع ذي القرنين وأخذه بالأسباب، وبين ما يعود من فوائد بسبب ذلك قال الشيخ أبو زهرة: "وهكذا تتوارد أسباب العمل سبباً يتبع سبباً، أي يجيء من بعده تابعاً له، وهكذا مُكّن في الدنيا، إذ اتخذ سبيل الحق والعدل، يسلك الأسباب الموصلة بما آتاه اللّه من العلم والإدراك فإذا كان عادلاً منصفاً استقر حكمه، وانتظمت الأمور، وإذا انتظمت الأمور قويت الجماعة واستقامت الأخلاق وسادت الفضيلة وانتصرت في الحروب وإذا انتصرت أنصفت، وجلبت المصالح، ودفعت المضار، وهكذا تترادف الأسباب وتستقيم الأمور، وإنه بتوافر الخير واتخاذ الأسباب المكونة لدولة قوية عادلة، سار في الأقاليم فاتحاً ناشراً لواء والعدل، ولذا سار يجوس خلال الدول فاتحاً مظلاً الجماعات بلواء العدل"(٢).

وقد ربط القاسمي رحمه الله صنيع ذي القرنين هذا وبين سن الشباب، وأشار إلى أن من الدروس المستفادة استغلال حداثة السن في تحقيق ما يصبو إليه الإنسان من الرقي والتقدم وبلوغ معالي الأمور حيث قال:

"وقد أشار نبأ ذي القرنين إلى فوائد شتى. منها: الإشارة إلى القيام بالأسباب، والجري وراء سنة الله في الكون من الجد والعمل. وأن على قدر بذل الجهد يكون الفوز والظفر ومنها: وجوب المبادرة لمعالي الأمور من الحداثة. إذ من الخطأ التسويف

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٨٥.

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ٩/ ٤٥٧٨.

فيه إلى الاكتهال"(١).

إن حاجتنا لتوظيف طاقات شبابنا العقلية في إعمار الأرض تأتي أهميته لأن القرآن حين دعا إلى إعمار الكون نهى في الوقت نفسه أن يكون هذا الإعمار وسيلة عبث وصدّ وإعراض عن منهج الله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)﴾(٢). ما يدلّل على فشل الإعمار المادّي الذي لا يحقّق غايات الحياة ومقاصدها، فقد كذّب هؤلاء رسولهم فهلك كلّ إعمارهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾(٣). "إنّه لما طغى إنسان هذه الحضارات في الأرض واستكبر، وعلا وتجبّر، وظلم وتكبّر، وظنّ أن لن يقدر عليه أحد، وتحدّى سنن الله تعالى تحقّقت فيه تلك السنن العادلة التي لا تحابي أحدا، وقضت بهلاك هذه الحضارات، وما كان منها قائماً فمصيره إلى هلاك وزوال، فإعمار الأرض إن لم يقم على هداية الوحي وسننه فهو إلى زوال، لأنّ أيّ حضارة لا تقيم بنياها على تلك الأسس فكأنّما تبني حضارة يكابد إنساها بؤس العيش، وخواء الروح، وضلال الهدف والغاية، وسوء المنقلب والمصير، فهي لذلك حضارة الإفلاس على الرغم مما وصلت إليه من منجزات مادّيّة وتقنية"(٤).

ولتحقيق ما نصبوا إليه من تفعيل طاقات الشباب العقلية في عمارة الأرض لا بد من وجود مؤسسات داعمة لأفكار الشباب، وموجهة لعقولهم لتحقيق النفع والتقدم، وألا يترك الشباب سدى تتخطفهم أيدي الشر، وتعبث بعقولهم قوى الظلام، ما

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، ٧/ ٦٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٨-١٣٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٣٩.

(٤) إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، ص ٤٠.

أحوجنا إلى احتواء الأفكار والعقول، وتشجيع المواهب والملكات العقلية، وتقديم النموذج الفريد للتقدم الحضاري، لنثبت قدرتنا على مواجهة المتغيرات الحضارية، والمستجدات الفكرية، في عصر يموج بصراعات، ويمتلئ كل يوم بالجديد، ويفيض كل لحظة بالحديث والطارف في شتى مجالات المعرفة.

المطلب الخامس: استثمار الطاقة العقلية في الابتكار والإبداع الفكري:

عندما نتحدث عن الابتكار والإبداع الفكري من خلال الطاقة العقلية للشباب فلا ينبغي أن نغض الطرف عن أنه بفعل المتغيرات الحضارية الراهنة، وانتشار العولمة بكافة صورها وأشكالها، جعلت شبابنا مجرد مقلد للمنتجات الثقافية التي تفد إليه، وتقع بين يديه، وقتلت فيه روح الإبداع والابتكار والحيوية والنشاط، فكان مستهلكاً أكثر منه منتجاً، ومستقبلاً أكثر منه مرسلاً، ومفعولاً فيه أكثر منه فاعلاً، ومقوداً لا قائداً لعجلة الحياة.

ويشخص د. محمد عمارة هذه الإشكالية فيقول: "إن قمة مأزقنا الحضاري، هي: الفقر في "الإبداع".. والإسراف في "التقليد"!.. وإذا كان التقليد يصيب عقولنا بالكسل.. ويشيع روح "الاستهلاك" لبضاعة الآخرين، بدلاً من معاناة "الإنتاج"!.. ويعطي ملكات الإبداع "إجازة" تكرس الذبول والموات!.. فإن طوق نجاتنا من هذه المأساة هو: إحلال الإبداع والاجتهاد والتجديد محل الجمود والتقليد.. ولم ولن يكون هناك إبداع إلا إذا اكتشفنا خصوصيتنا الحضارية، وتميزنا الثقافي.. فالخصوصية هي داعية الإبداع.. والحاجة هي أم الاختراع!"(١).

إن من أكبر عومل قتل الإبداع والابتكار لدى الشباب وقوعهم في التقليد بدون روية أو تأمل، حيث إنه يضعف شخصية الإنسان ويقتل مواهبه. وثمة فرق جوهري بين التقليد الأعمى وبين الاستفادة المشروعة من تجارب الآخرين، فالتقليد الذي يتأتى بصورة عشوائية يمسخ الشخصية الأصيلة للإنسان، بمعنى أن الشاب الذي يظن بأنه من خلال تقليده لبعض التقليعات الغربية إنما يطور نفسه ونمط حياته فهو واهم قطعاً، لأنه بذلك يقتل جميع الإمكانيات الفردية الأصيلة التي تكمن في داخلة وتشكل شخصيته

---

(١) الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، د. محمد عمارة، ص ٨٠.

التي تميزه عن غيره من الناس وبذلك يكون نسخة مكررة لمئات وربما لآلاف النسخ التي لا تختلف عن غيرها من الشخصيات بأي شيء، بمعنى أن عنصر التفرد في شخصية الشاب أو الإنسان عموما قد انتهى تماما وهنا تكمن خطورة التقليد الأعمى.

فالتلاقح الإنساني في الفكر والتجريب الإيجابي متاح، بيد أن الأمر ينبغي أن لا يتحول إلى حالة تقليد تقتل مواهب الإنسان ومن ثم المجتمع، إذن ينبغي أن تكون هناك موازنة واضحة بين ما يمكن الاستفادة منه من الثقافات الأخرى وبين التمسك بقاعدة الأصالة التي تحمي شخصية الإنسان من المسخ وتصون قدراته الذاتية المتعددة وتحصنها من الضعف أو الانحراف في مهاوي الزلل أو السقوط في ساحة التقليد الأعمى، وهو ما يُلحق ضرراً عميقاً وفادحاً بالفرد وبالتالي بالمجتمع بصورة عامة.

ولهذا نرى تلك التأكيدات المتتالية التي يقدمها المصلحون والمختصون في هذا الجانب للشباب وغيرهم والتي تنصحهم بأهمية الوعي وأهمية صيانة المواهب الفردية وقدرات الذات بالاعتماد على الثقافة الأم وليس الثقافة الوافدة، وذلك من أجل صيانة الذات من الانجراف وراء حالات التقليد العشوائي

ولكي ننجح في استثمار طاقات الشباب العقلية واستغلالها في الإبداع والابتكار يجب أن لا نغفل عن إشكالية الفراغ لدى الشباب حيث إنها من المشكلات الكبرى، والعوائق الرئيسة أمام تفعيل عملية الإبداع والابتكار لدى الشباب، وقد حذر النبي ﷺ من عدم الاستفادة من نعمة الفراغ حيث جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ، مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ))(١).

قال الصنعاني رحمه الله: "وفيه تعظيم شأنهما بالإبهام أولاً، والتفسير ثانيًا، والمراد أن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، و"لا عيش إلا عيش الآخرة"، رقم الحديث ٢٤٥١.

من لم يستعملهما في ما لا ينبغي فقد غبن لكونه باعهما ببخس و لم يحمد ربه في ذلك"(١).

وقال ابن بطال رحمه الله: "معناه أن من حصل له الصحة والفراغ فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ومن شكره امتثال أوامره واجتناب مناهيه فمن فرط غبن، وفيه إخبار بأن المفرط في حق هاتين النعمتين كثير والرابح قليل"(٢).

ومما يستعان به على دفع الغبن: "أن يعلم العبد أن الله خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعمة الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فمنّ عليهم بصحة الأجسام، وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم وضاعف لهم الحسنات، و لم يضاعف عليهم السيئات، فمن أنعم النظر في هذا كان حرياً أن لا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه، إلا وينفقه في طاعة الله تعالى ويشكره على عظيم مواهبه"(٣).

ولا شك أنّ استغلال وقت الفراغ، وممارسة الفرد بطريقة ابتكارية إيجابية لوقت فراغه لها الأثر العظيم ليس على الفرد فحسب بل على المجتمع ككل، إذ فيه إبداع وانتقال من مرحلة شغل وقت الفراغ لمجرد الحفظ وعدم ضياعه إلى مرحلة استثمارية لوقت الفراغ والتعامل معه كسلعة ينتظر منها المجتمع مردوداً اقتصادياً، اجتماعياً مفيداً. فنحن من خلال النشاطات الممارسة في وقت الفراغ، ومن خلال الاعتناء بأوقات الفراغ، ومن خلال المحافظة على أوقاتنا عموماً نستطيع أن ننافس الغربيين في مجال الاختراع والإبداع، فنحن أولى منهم بقيادة العالم.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، ٣/ ٥١٠.

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١٠/١٤٦.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، الصنعاني، ٣/ ٣٩٨.

"إنَّ الماديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق، يُقَوِّمُون الوقت بالذهب، ويستقبلون أيامهم استقبالَ الشحيحِ للثروة الرائعة، إنهم يأخذون أنفسهم بالمحافظة على الزمن، وضبط المواعيد، وتقديس العمل لدرجة العبادة، وإنما يعبدون دنياهم. أما العناية بأوقات الفراغ أو فترات الراحة، فقد بلغت عندهم الغاية، لولا ما يشوبها من إطلاقٍ للشهوات، وإهدارٍ للقيم الأخلاقية. بهذا استطاع القوم أن يشيدوا حضارة مادية شاهقة، بقطع النظر عن بطلان أساسها الاعتقادي. أقاموا المدن الكبرى بعمائرها الباسقة، ومرافقها المريحة الممتعة والمنسَّقة المتنوعة، كما أسَّسوا الأكاديميات والمعامل، ودور العلم، ومعاهد الأبحاث، التي تطالعنا كلَّ يوم بجديدٍ في مجال العلم والاختراع والتكنولوجيا. وأنشأوا المصانع الهادرة الجبَّارة التي تُخرج الأعاجيب من معدات السِّلم والحرب، وتغمر أسواق العالم. إنَّ القوم مع إعراضهم عن الله استغلوا ساعات وجودهم ولحظات حياتهم، واستثمروا أوقات فراغهم وراحتهم، فوفاهم القدر أعمالهم فيها"(١).

في الوقت الذي غفلنا فيه عن توجيه طاقات شبابنا واستثمارها فأصبحنا في مؤخرة الأمم، بعيدين عن التقدم والريادة، مما جعل الآخرين يسموننا بالعلم النامي، والعالم الثالث، ونحن أولى وأحق بأن نكون العالم الأول بلا منازع.

"إنه مع تجدد الثقافات وانتشار العلوم والتقنية، اتجه بعض الشباب إلى الأخذ بزمام النتاج الثقافي الكاسد الذي يجسد ضعف الإيمان، ويهشم المبادئ، وصناعة قاتل الإبداع والعمل هو الفراغ، فهو سم الحياة، وقاتل الإبداع، ومبيد الطموح. . كيف لا يكون ذلك ونحن نشاهد ضعف واقع بعض الشباب اليوم، فهم إما على الطرق سائرون، أو على الشبكات العنكبوتية غافلون، أو عبر شاشات الفضاء غارقون، وما أقصده هو قضاء الوقت على ذلك أو غيره في غير المفيد. . إنه عندما يُفكر في القضاء

(١) الشباب والفراغ، علاء الزعتري، مقال بموقع http://www.alzatari.net

على الفراغ في حياة الشباب بمشاريع تحفظ أوقاتهم، وتجذب أنظارهم، وتفتق إبداعهم، يكون ذلك عوناً على المستقبل المشرق البراق الذي ينبئنا بقدوم حضارة قوية تسهم في دفع عجلة التقدم والبناء، وعلى ذلك ينبغي أن يكون المستقبل يهتم بجميع فئات الشباب، فالكل يُستفاد منه، والتطلع ليس لاستثمار المبدع والموهوب فقط، بل يكون ذلك لكل شاب حتى تتنوع الطاقات ويقتل الفراغ، ومن الملاحظ أن هناك بدايات جيدة في الاهتمام بالمبدعين على حسب المجالات، لكن الذي قد يتسبب في توقف وفتور هذه النهضة، هم الشباب الذين لا اهتمام لهم، بسبب سلوكياتهم، وضعف قدراتهم. . إن المتأمل في الأنشطة المقامة، والمشاريع التي تهتم بالشباب تهمش انتماء أكثر الشباب بحجة ضعف قدراتهم، أو عدم الاستفادة منهم، وهذا يشكل خطرا على المجتمع لأنهم قد يهدمون البناء، وينشرون الفساد، ويقللون من الرُّقي المنتظر"(١).

ولكي نعمل على تنمية الإبداع والابتكار لدى الشباب لا بدّ من القضاء على ظاهرة الإحباط حيث يؤكد علماء النفس بأن "ظاهرة قبول الإحباط والرضا به أكثر قوة عند الشباب، وهذا نتيجة لإفرازات الواقع الذي يعيشونه من كبت وعدم اهتمام، والمستقبل المنشود هو تخفيف المعاناة والتقليل من هذه الظاهرة، والواقع يشهد تعقيدا مركبا في حاجياته وصعوبة تحقيق متطلباته، إذ أنه من المتحتم على الحكومات والمؤسسات القضاء على مسببات هذه الظاهرة حيث أن على مقدمة ذلك البعد الديني والاستسلام لإملاءات أهل الهوى والزيغ، و البطالة التي تسيطر على واقعهم، والضغط الاجتماعي الذي لا يرحم أخطاءهم ولا يقف بجانبهم في الوقاية أو العلاج في احتياجاتهم معنويا وماديا ، وغير ذلك من بذور الإحباط التي نبتت بماء الواقع البئيس في حياتهم..

---

(١) الشباب وتطلعات المستقبل، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، https://saaid.net/Doat/abdullah

"ولا ينكر أحد الانفتاح الذي يتفاعل معه الشباب من الخطاب العاطفي الموجه له بالصوت والصورة، والتقنيات المؤثرة سلبا على عقولهم، حيث أنهم يتفاعلون مع معطياتها بشكل كبير لجاذبيتها وتوافق أهوائهم معها، ومن هنا ينبغي أن ننطلق في بناء الخطاب التربوي وتجديده من أجل أن يجسد متطلبات الشرع والحياة في حياة الشباب، ومن الضروري أن نبتعد عن الخطاب التقليدي بكل ضروبه، لأن ذلك لا يمثل تأثيرا في ظل هذا الكم الهائل من الثقافات المتجددة المؤثرة، والخطاب التربوي المبدع يمنع شبابنا من أن يكونوا لقمة سائغة لتيارات الفساد والانحراف. . وإننا نعجب من أموال طائلة تنفق على موائد طعام في حفل تكريم، أو مهرجان في ظرف ساعة، أو على مشاريع يظهر لنا منها الاسم ويذهب من جوفها المضمون، أو أي شيء ينفق في مشاريع تنتهي أهميتها بانتهاء زمنها، ومع أهمية ذلك لهم، نود أن يهتموا بالثروة الأقوى والأعظم، ويهيئوا لها ميزانيات ضخمة، تجمع الشتات الفكري والتربوي والتنموي لدى الشباب"(١).

إن الاتجاه إلى استثمار طاقات الشباب العقلية في الإبداع والابتكار إنما هو خطوة على وضع أقدامهم على طريق التميز الحضاري لأمتنا، "فإن الإيمان بخصوصية العصر هي الأخرى ذات دور تأسيسي في خلق دوافع الفاعلية وتحريك ملكات الإبداع. إن الذين لا يؤمنون بتميز حضارتهم عن الحضارات الأخرى يستعيضون عن الفاعلية والإبداع بنقل وتقليد ومحاكاة النماذج الحضارية الأخرى، ومذاهب الغير في التقدم وطرائق الآخرين في النهوض، كذلك الحال عند الذين لا يؤمنون بخصوصية عصرهم وتميز زمانهم عن عصور وأزمنة الأسلاف فسيكتفون بنماذج السلف في حل مشكلات التاريخ، وبطرائق القدماء في العيش، وبأنماطهم في التعامل مع وقائع المجتمعات التي عاشوا فيها، ومن ثم ستذبل فيهم ملكات الفاعلية وتتوارى الدوافع للإبداع. فالنماذج

(١) الشباب وتطلعات المستقبل، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، https://saaid.net/Doat/abdullah.

مسطورة في الكتب التراثية، والنقل والتقليد أكثر أمنًا عند البعض، وأخف من معاناة فاعلية الإبداع"(١).

ولا يغيب عن أذهاننا عند الحديث عن الطاقة العقلية للشباب أن نغفل أثر القراءة في الإبداع والابتكار فللقراءة أهمية في حياة الفرد والمجتمع، فهي تزود الأفراد بالخبرات وتنمي مداركهم وتهيئهم لخدمة المجتمع وتدفعهم ليكونوا رواداً في مجتمعهم ؛ فهي بلا شك العملية الأساسية في فهم التراث الثقافي والوطني، والاتصال بتراث الآخرين، ووسيلة للاتصال بباقي العلوم، وعن طريقها يشبع الفرد حاجاته، وينمي قدراته ويوسّع آفاقه.

"ومن يتأمل واقع المجتمعات العربية ومن يتابع الدراسات والتقارير التي أجريت في السنوات الماضية عن واقع القراءة وتأثيراتها يدرك التراجع الذي تشهده القراءة بشكل رهيب في كافة البلدان العربية يضاف إليه قلة عدد المكتبات وتضاؤل أعداد دور النشر. هذه مؤشرات خطيرة على الإهمال الذي تناله القراءة في زماننا من أبناء أمة أقرأ التي هي أول كلمة خاطب بها جبريل (عليه السلام) سيدنا محمد ﷺ وفي المقابل نجد الاهتمام الكبير بالقراءة بشتى أنواعها في المجتمعات الغربية وتشجيع الفرد على اقتناء الكتب والمجلات المختلفة وهذا الاهتمام تجده عند الفرد الغربي في صور متعددة منها استغلاله لوقته في تصفح كتاب أو مجلة في كل الأماكن التي فيها انتظار: عند الطبيب وفي الطوابير المختلفة، وحتى في حالات السفر أو التنقل داخل المدينة بالمواصلات العامة؛ بل وأيضاً في أوقات الراحة والاسترخاء في الحدائق وعلى الشواطئ وغير ذلك"(٢).

---

(١) الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، د. محمد عمارة، ص ٨٠.

(٢) القراءة ودورها في تنمية الشخصية الإبداعية والفكرية والأخلاقية، د. أماني زكريا الرمادي، ص ٥٠.

إن الخمول والإهمال الذي يتصف به الكثير من الناس في العالم العربي تجاه القراءة يهدد الأمة بحدوث عواقب خطيرة في المستقبل كفقدان الهوية وضياع الموروث التاريخي الأصيل وضمور الأمة عن إنتاج المعرفة والوصول إلى القدرات العالية في التصنيع والإنتاج وإيجاد الأعلام الفاعلين في شتى مجالات الحياة. من هذا المنطلق "فإن غرس بذور التجديد والإصلاح وتعويض ما فات يتم من خلال بناء الشباب العربي بناء سليماً وذلك بتعليمهم مهارات وأساليب القراءة الحديثة والسعي نحو نشر المكتبات وإعطاء المثقف العربي مساحة اكبر والتركيز على دور الوالدين في توثيق الصلة بين الطفل والقراءة منذ نشأته، كما إن هذه الانطلاقة تتطلب استراتيجية شاملة تتعاضد فيها أدوار جهات متعددة هي الأسرة والمدرسة والإعلام والمراكز الثقافية والجهات الحكومية."(١).

ومما هو جدير بالذكر أنه "لوحظ ارتفاع نسبة الاهتمام بالقراءة خارج مجال الكتب الدراسية بنسبة مئوية قدرها (٨٣.٠٢%).وتتوزعُ اهتمامات الشباب الجامعي فيما يتعلق بالقراءة بين الصحف والمجلات (١٩.٥٩%)، تليها في الأهمية الكتب الدينية (١٨.٨٨%)، فالقصص والروايات (١٧.٥٥%)، ثمَّ الكتب الثقافية (١٤.١٤%)، والكتب الأدبية (١١.٩٩%)، والكتب العلمية (١٠.٠٣%)، وتأتي قراءة الكتب السياسية في أدنى قائمة الاهتمام (٧.١٤%).وفي ضوء هذه النتائج ينبغي الاهتمام بتوفير متطلبات دعم القراءة كإحدى وسائل قضاء وقت الفراغ بين الشباب الجامعي عن طريق الاهتمام بالمكتبات العامة، والمكتبات المخصَّصة للطلاب بالجامعة، وتزويد هذه المكتبات بنوعيات منتقاة من الكتب في المجالات الثقافية المختلفة، والاهتمام أيضاً بتوفير الكتب الدينية ذات المحتوى الذي لا يجعل الشباب يتجهون اتجاهاً متطرفاً، بحيث يتمُّ ذلك على أساسِ برنامجٍ مدروسٍ لترشيد القراءات الخاصة

(١) القراءة وعلاقتها بالتنمية الفكرية والإبداع، عبد الله صالح حامد، ص ٨١.

ولا يشكِّلُ ذلك تدخلاً في الرغبات الذاتية للشباب، وإنَّما ينبغي العمل على إتاحة فرص أوسع للاختيار فيما يتعلق بالقراءة"(١).

إن الدور المؤثر للشباب في إغناء المجتمع بكل ما هو جديد ومبدع لغرض دفع الأمة للحاق بالتطور العالمي من خلال رعاية أصحاب المواهب وتوجيههم نحو العمل المبدع الذي يجعل من الشباب العقل الراجح. وإن مسألة الاهتمام بتنمية الطاقات البشرية وتوجيهها من أشد المطالب الحيوية في هذا العصر.

وما من شك أن "رعاية الموهوبين والاهتمام بهم ما هو إلا تجسيد حي لاعتبار الإنسان قيمة عليا بالمجتمع له الدور الكبير في بناء الوطن والدفاع عنه. والموهوبون في كل مجتمع الطاقة الدافعة نحو التقدم والبناء فعن طريقهم يمكن أن تصل الإنسانية إلى أعلى ما تطمح فيه في حقل المخترعات التي تنقل الإنسان من حالته المتخلفة إلى الحالة المتقدمة التي نسعى جميعاً للوصول إليها. فالموهوبون هم ذخيرة الوطن ومصدر سعادته وثروته وهم عدة الحاضر وقادة المستقبل في شتى الميادين وبهم ازدهرت الحضارة وتقدمت الإنسانية واستخدم الإنسان الذرة وغزا الفضاء وتوجيه الموهوبين الشباب وإرشادهم يعكس إيماناً مطلقاً بالحق المطلق لكل فرد في إتاحة الفرصة لتنمية قدراته إلى المستوى الذي توصله إليه إمكانياته"(٢).

وبالجملة فالشباب جماع القوة بمعانيها الشاملة والمتنوعة التي تغطي جوانب الحياة جميعاً، لما يتصفون به من صفات لا يشاركهم فيها غيرهم إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان،

---

(١) الشباب والفراغ، علاء الدين زعتري، مقال بموقع http://www.alzatari.net

(٢) آفاق جديدة في دراسة الإبداع، عبدالستار إبراهيم، ص ٥٠.

والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب.

"فالشباب هم المعتمد عليهم في الإنتاج والبناء؛ لأن الشباب يمتلكون القوة بأبعادها المختلفة العقلية والجسدية والنفسية، فهم الأقدر على الإنتاج والإبداع والتغيير، فهم الذين تسير بهم العملية التعليمية والمصانع والمزارع والتكنولوجيا الحديثة، "فأوساهير" الشاب الياباني هو الذي أدخل المحرك الأوروبي في الصناعة اليابانية، مما جعل اليابان تضع قدمها على طريق التقدم الصناعي. ويتمثل الهدف العام لليونسكو للعمل مع الشباب "ضمان وتعزيز مشاركتهم الكاملة في المجتمع على قدم المساواة مع الرجال، وأن يكونوا شريكاً ذا قيمة، لا سيما في تصميم المعرفة الاجتماعية، وتمكينهم من استخدام رؤاهم الإبداعية وتطلعاتهم في خدمة المجتمع والتنمية"(١).

ومن خلال ما سبق يكون قد استبان لنا منهج الإسلام في توظيف الطاقة العقلية للشباب من خلال العديد من الجوانب التي يجب أن تتكاتف الجهات والمؤسسات المختلفة في بلداننا إلى تحقيقها والعناية بها؛ ليمكن الاستفادة الحقيقة الفاعلة من طاقات الشباب.

---

(١) شبابنا في عالم التغيير، نسرين حمزة السلطاني، ص ٦.

المبحث الثالث

منهج الإسلام في توجيه الطاقة البدنية في ضوء المتغيرات الحضارية

مما شك فيه أن الشباب مظنة القوة، وهي أهم مرحلة من مراحل حياة الإنسان يتميز فيها بالقوة والشدة، وقد أشار الله سبحانه مبيناً هذا الأمر فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾(١).

قال الرازي رحمه الله: "أي مبناكم على الضعف، ثم قال تعالى: ثم جعل من بعد ضعف قوة فقوله من ضعف إشارة إلى حالة كان فيها جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما فهذه أحوال غاية الضعف، وقوله: ثم جعل من بعد ضعف قوة إشارة إلى حالة بلوغه وانتقاله وشبابه واكتهاله، وقوله: ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير. إشارة إلى ما يكون بعد الكهولة من ظهور النقصان والشيبة هي تمام الضعف، ثم بين بقوله يخلق ما يشاء أن هذا ليس طبعا بل هو بمشيئة الله تعالى"(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله: "ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظاما ثم يكسى لحما، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى. ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً، ثم مراهقاً، ثم شاباً. وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة. فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة"(٣).

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٥/ ١١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٦/ ٣٢٧.

والقوة البدنية للشباب لا بد من استغلالها والاستفادة منها فيما يعود بالنفع على المجتمع؛ فإذا كانت القوة البدنية دليل سلامة الصحة؛ فإن هذه الصحة جعلها النبي ﷺ نعمة لا بد من استغلالها كما جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ، مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ))(١).

قال الصنعاني: "فإن الشباب رمز النشاط وقوة الأعضاء على العبادة فليذكر سرعة زوالها وإنها نومة لا يندم إلا بعد يقظته منها. ويذكر أنه يتعقبها ضعف القوي وتخاذل الأعضاء، وأنه تعالى سيجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة"(٢).

وفي حاشية السندي على سنن ابن ماجة: "والمقصود بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ بل يصرفونهما في غير محالهما. فيصير كل واحد منهما في حقهم وبالا. ولو أنهم صرفوا كل واحد منهما في محله لكان خيرا لهم أي خير"(٣).

وإذا كانت الطاقة البدنية للشباب بهذه الأهمية فإن منهج الإسلام في توجيهها يظهر في المطالب الآتية:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، و"لا عيش إلا عيش الآخرة"، رقم الحديث ٢٤٥١.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، ٢/ ٥٢٤.

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجة، نور الدين السندي، ٢/ ٥٤٢.

المطلب الأول: المحافظة على الطاقة البدنية من المهلكات:

يوجه الإسلام الناس عامة والشباب خاصة بضرورة المحافظة على الطاقة البدنية التي هي نعمة من الله تعالى فالجسم هو مستودع الطاقة البشرية، ومصدر القدرة الحركية التي تساهم في مجال الخير والبناء وإعمار الأرض وإصلاحها. فما من عمل يؤدّيه الإنسان - سواء أكان تعبّدياً أم إصلاحياً وعمرانيّاً- إلاّ ويحتاج إلى قوة بدنيّة لممارسته، فالمصلّي والصائم والحاج والمجاهد والكاسب والمفكّر والتاجر والعامل والمُزارع والعالم وطالب العلم...إلخ، كلّهم يحتاجون إلى طاقة بدنية يصرفونها من أجل القيام بواجبهم وأداء دورهم، لانّ الطاقة البدنية هي الأداة والوسيلة التي يحقّق بها الإنسان غاياته وأهدافه.

والجسم هو مستودع هذه الطاقة ومصدر الحركة، بما يملك من أجهزة وأدوات مختلفة، كاليد والرجل والعين والأذن واللسان...إلخ. لذا كانت رعايته والحفاظ على صحته واجباً إنسانياً مقدّساً حيث إن من أجلّ النعم وأعظمها نعمة الصحة والعافية، ولأنها بهذا الشأن فقد قال النبي ﷺ: ((من أصبح منكم معافى في جسده آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))(١).

كما أنه ﷺ كان إذا أصبح وإذا أمسى سأل ربه تبارك وتعالى العافية: ((اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي اللهم أحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك من أن أغتال من تحتي))(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: من أصبح آمنا في سربه، حديث رقم ٣٠٠، وقال الألباني: حسن، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٣١٨

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: أبواب النوم، باب: ما يقول إذا أصبح، حديث رقم ٥٠٧٤، وقال محققه الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وإذا نظرنا إلى تشريعات الإسلام في هذا الجانب فسنجدها تحث العباد على المحافظة على الصحة والأبدان بوسائل شتى، ومنها: حل الطيبات وتحريم الخبائث فقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١).

وحرّم الله تعالى الخمر لأنها تذهب العقول وتضر بالأبدان فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(٢).

ويلحق بالخمر كل ما يضر صحة الإنسان من المخدرات بمختلف أشكالها وأنواعها، والتي تعتبر سموماً تبث وتنشر بين الشباب لا لمجرد الإدمان فحسب بل لإهلاك قوهم، وإضعاف صحتهم، وتوهين طاقتهم، وقد مدح الله تعالى طالوت في القرآن الكريم بأن الله أعطاه قوة في العلم، وقوة في الجسم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾(٣).

وقد وجه النبي ﷺ أحد شباب الصحابة وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلى أن يحفظ نفسه، ويحفظ دينه ويحفظ ربه؛ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠-٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية:٢٤٧.

اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: ((يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))(١).

قال ابن رجب رحمه الله:"مَنْ حفظ الله في صباه وقوته: حفظه الله في حال كبَره وضعف قوته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله، وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبةً شديدةً فعوتسب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغَر فحفظها الله علينا في الكبَر، وعكس هذا: أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيف ضيَّع الله في صغره فضيَّعه الله في كبَره"(٢).

ومن توجيه الإسلام وتشريعاته التي جاء بها للمحافظة على صحة الإنسان أيضاً الحث على النظافة والطهارة، وذلك لما للنظافة من أثر عظيم على صحة الأفراد والمجتمعات، وسلامة الأبدان ونضارتها، فهي عنوان المؤمنين، وسمة من سمات المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾(٣).

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))(٤).

ومن التوجيهات أيضاً حث الإسلام على ممارسة الرياضة المفيدة النافعة، وجعلها

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: منه، رقم الحديث ٢٥١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ١ / ١٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآية:٢٢٢.

(٤) أخرجه أحمد ١٢٣/١ برقم ١٠٠٦ والدارمي ٦٨٧ وأبو داود ٦١ و٦١٨. وقال الألباني: حسن صحيح، المشكاة ٣١٢ و ٣١٣، الإرواء ٣٠١، صحيح أبي داود ٥٥.

أداة لتقوية الجسم؛ لأنه يريد أن يكون أبناؤه أقوياء في أجسامهم وفى عقولهم وأخلاقهم وأرواحهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ))(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: ((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَتَتَرَّسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِتُرْسٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ حَسَنَ الرَّمْيِ، فَكَانَ إِذَا رَمَى يُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ نَبْلِهِ))(٢).

وعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: ((سَابَقْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَبَقْتُهُ. فَلَمَّا حَمَلْتُ مِنَ اللَّحْمِ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي. فَقَالَ: يَاعَائِشَة، هَذِهِ بِتِلْكَ))(٣).

وعَنْ أَبِي عَلِيٍّ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: "﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٤). أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))(٥).

وأكد الإسلام على حق البدن، فالبدن أمانة عند الإنسان، من واجبه أن يحافظ عليه ويلبي احتياجاته من الغذاء الكافي والنوم الكافي، والراحة والملبس اللائق النظيف

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث ٢٦٦٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: المجن ومن يترس بترس صاحبه، رقم الحديث ٢٩٠٢.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد والسير، باب: في السبق على الرجل، رقم الحديث ٢٥٧٨، وقال الألباني: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي ٤/٢٢٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، رقم الحديث ١٩١٧.

والمسكن اللائق والأثاث المريح، والمنكح الحلال والتداوي من المرض، والتمتع بما أحل الله من الطيبات في حدود العرف الاجتماعي الذي يكون سائرا وفق شريعة الله تبارك وتعالى. قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾(١).

وراحة الجسم الطبيعية، وحقه الفطري في النوم يكون بالليل، فبعض الشباب قد حولوا نهارهم إلى ليل، وليلهم إلى نهار، خاصة مع زخم العصر الحديث، وكثرة الشواغل والملهيات للشباب، والتقنيات الحديثة بالجوالات التي تأكل عقول الشباب، وتستهلك طاقاتهم فيسهرون إلى ساعات متأخرة من الليل فقد تفوت عليهم صلاة الفجر، وقد يذهبون لأعمالهم منهكين يعانون من الضعف والإرهاق، فلا يقدمون إنتاجاً، ولا يسدون فراغاً، هم والعدم سواء، وما كان هذا إلا لأن قلة النوم تنهك الجسم وتجعله معلولاً، وهذا يؤثر على الصحة العامة للجسم.

ولقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾(٣). وقال جل شأنه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾(٥).

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦١.

﴾(١).

وهذا الجسد: هو تلك الآلة الحركية التي تبذل جهداً وطاقة لمقاومة العالم المحيط بها حين الحركة وإنجاز الأعمال، فهي تصرف كثيراً من طاقاتها وقوتها الذاتية، فتشعر بالتعب بسبب اختلال معادلة التوازن بين قوى الجسم الذاتية، وبين القوى الطبيعية التي يتعامل معها، وشعور الجسم بالتعب يأتي من جرّاء البذل المتواصل للطاقة والجهد، ومن الاستهلاك الجسدي لهذه الطاقة ممّا يُضعف المقاومة، ويضطر الجسم إلى السكون والتوقف في مكان آمن مريح، ليعيد بناء نفسه من جديد، ويدفع عن ذاته مردودات الحركة وآثارها المرهقة، فيأوي إلى النوم.

"والنوم ليس اختراعاً بشرياً، ولا مصادفة جسدية فرضت نفسها على الإنسان، بل هو جزء من نظام الوجود المتقن الذي دبّره الصانع الحكيم سبحانه، ولو لم يكن النوم جزءاً من نظام الجسم، لكان هناك نقص وقصور في نظام التكوين، والتنظيم الجسدي عند الإنسان. فالنوم آية من آيات الله يتهيّأ لها الجسم بعد كل فترة زمنية، ليمارس الإنسان عملية غياب مؤقت عن الإحساس بمردودات العالم الخارجي التي ترهق الجسم وتتعبه، لإعطائه فرصة الاستراحة والبناء، واستعادة القوة التي افتقدها"(٢).

وقد حثّ القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة على الراحة والنوم والاستكانة في الليل، والقيلولة أثناء النهار، لتتّم للإنسان الراحة والسعادة في الحياة ولينقذ الإنسان نفسه من الجشع والشراهة في جمع المال والسعي والجهد المرهق الذي يذهب بصحته وراحته، ويعرّضه لكثير من الأمراض العصبية والنفسية والجسدية، فتضيع سعادته

(١) سورة النبأ، الآيات: ٩-١١.

(٢) النوم في الكتاب والسنة وأوجه الإعجاز العلمي في النوم الشرعي، د. عبد المحسن زبن المطيري، ص ٣٤.

ومتعته في الحياة. وحذّر الإسلام من الإسراف في النوم أو اللجوء إليه إلاّ بقدر ما يحتاج الإنسان منها، لئلا يتجاوز الإنسان حدّ الحاجة والاستراحة، فيستولي عليه الكسل والخمول، لأنّ الإنسان في نظر الإسلام كتلة من النشاط والإنتاج، وشحنة من عطاء الخير والإبداع، لا يجوز تعطيلها ولا العبث بها، لذا كَرِهَ الإسلام الخمول والفراغ وضياع الوقت والطاقة الإنسانية بالنوم والكسل.

المطلب الثاني: توظيف الطاقة البدنية في طاعة الله سبحانه:

والواجب على الشباب أن يأخذ بأسباب السلامة والعافيـة، وأن يحـافظ علـى صحته ويقوي بدنه، ويستغل صحة جسمه في طاعة الله، بدل أن يضيع طاقته البدنيـة في اللهو المعصية، وهناك الكثير من التوجيهات الشرعية التي ترشد الشباب إلى استغلال وتوظيف طاقتهم البدنية فيما يرضي الله سبحانه، حيث قـد يـأتي علـيهم وقـت لا يستطيعون فيه القيام بأعمال الطاعات كما كانوا وقت شبابهم، والعاقل مـن تنبـه لذلك فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: ((الْمُـؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَـى مَـا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَـذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))(١).

قال ابن هبيرة رحمه الله: "هذا الحديث يدل على أن من المؤمنين القوي والضعيف؛ فإن في كل خير؛ إلا أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وذلـك لأن المؤمن القوي ينفع نفسه وينفع غيره؛ وربما تعدت منفعته إلى أهله وقومه وإمة دهـره. والمؤمن الضعيف قد يقتصر بنفعه على نفسه، وأخاف على ضعفه أيضـا أن يضـعف على حفظ نفسه؛ ولأن المؤمن القوي يعرضه أن يكسر حزب الشيطان بقوله إذا قال، وبفعله إذا فعل"(٢).

وإذا كان بعض شراح الحديث(٣). فسر القوة هنا بالقوة المعنوية والنفسية والعزيمة فقط؛ فإن هذا لا يمنع أن ينضم إليها القوة البدنية أيضاً.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفـويض المقادير لله، رقم الحديث ٢٦٦٤.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ٨/ ٤٤.

(٣) انظر على سبيل المثال: شرح النووي على مسلم ٢٢/٦، وشرح محمد فؤاد عبد الباقي علـى مسلم، ٢١٥/١٦، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٧٦/٢، دليل الفالحين، ابن علان، ٣١٦/٢.

قال القاضي عياض رحمه الله: "القوة هنا المحمودة يحتمل أنها في الطاعة، من شدة البدن وصلابة الأسر، فيكون أكثر عملاً، وأطول قيامًا، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. وقد تكون القوة هنا في المنة وعزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المناكر، والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة"(١).

وقال أبو العباس القرطبيّ -رحمه الله-: "المؤمن القويّ البدن والنفس الماضي العزيمة الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات من الصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ما يُصيبه في ذلك، وغير ذلك مما يقوم به الدين، وتنهَض به كلمة المسلمين، فهذا هو الأفضل والأكمل، وأما من لم يكن كذلك من المؤمنين، ففيه خيرٌ من حيث كان مؤمنًا، قائمًا بالصلوات، مكثّرًا لسواد المسلمين، ولذلك قال ﷺ: "وفي كلّ خيرٌ"، لكنه قد فاته الحظّ الأكبر، والمقام الأفخر"(٢).

ومن التوجيهات أيضاً في اغتنام وتوظيف الطاقة البدنية في الطاعة ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ، مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ))(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: "وأما الحياة والصحة فإنهما نعمة دنيوية ولا تكون نعمة حقيقة إلا إذا صاحبت الإيمان وحينئذ يغبن فيها كثير من الناس أي يذهب ربحهم أو

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٨/ ١٥٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ٦/ ٦٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، و"لا عيش إلا عيش الآخرة"، رقم الحديث ٢٤٥١.

ينقص فمن استرسل مع نفسه الأمارة بالسوء الخالدة إلى الراحة فترك المحافظة على الحدود والمواظبة على الطاعة فقد غبن وكذلك إذا كان فارغا فإن المشغول قد يكون له معذرة بخلاف الفارغ فإنه يرتفع عنه المعذرة وتقوم عليه الحجة"(١).

لقد أراد ﷺ أن يبين لنا أن من أصحّ الله جسمه وفرغه من شواغل هذه الدنيا، فلم ينفق صحته ووقته في طاعة الله وعبادته فإنه مغبون.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "اعْلَم أَنه قد يكون الإِنْسَان صَحِيحا وَلا يكون متفرغا لِلْعِبَادَةِ لاشتغاله بِأَسْبَاب المعاش، وَقد يكون متفرغا من الأشغال وَلا يكون صَحِيحا، فَإِذا اجْتمعَا للْعَبد ثمَّ غلب عَلَيْهِ الكسل عَن نيل الْفَضَائِل فَذَاك الْغبن كَيفَ وَالدُّنْيَا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر"(٢).

إن صحة البدن والنفس وقوتهما، والفراغ أي خلو الإنسان من مشاغل العيش وهموم الحياة وتوفر الأمن والاطمئنان النفسي، نعمتان عظيمتان، لا يقدرهما كثير من الناس حق قدرهما، ولا ينتهزون فرصة وجودهما في الأعمال النافعة، بل يدعونها تمر دون فائدة، حتى إذا مرت وفاتت الفرصة، وتبدلت الصحة مرضاً، والقوة ضعفاً، والفراغ شغلاً، تنبهوا من غفلتهم، وشعروا بالندم، وأدركوا أنهم قد خسروا نعمة صحتهم وفراغهم، فغُبنوا، وحزنوا أشد الحزن على ما فرطوا فيه فكان مثلهم في ذلك كمثل التاجر الذي يبيع سلعته بخسارة، حتى إذا شعر بأنه قد نقص رأس ماله حزن وندم على ما وقع له بسبب غفلته. وتفريطه(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ، قال: ((إنَّ أوَّلَ ما يُسأل العبد عنه يوم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١/ ٢٣١.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ٢/ ٤٣٧.

(٣) انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ٥/ ٢٨٨.

القيامة مِن النعيم، فيقول له: ألم نصحَّ لك جسمَك، ونُرْويكَ من الماء البارد؟))(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾(٢). قال ابن مسعود رضي الله عنه: النعيمُ: الأمنُ والصحة(٣). وقال عليٌّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾(٤). قال: النعيم: صحَّةُ الأبدان والأسماع والأبصار، يسألُ الله العبادَ: فيما استعملوها؟ وهو أعلمُ بذلك منهم(٥). وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(٦).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ))(٧).

قال المناوي رحمه الله: "قوله: (اغتنم خمسا قبل خمس) أي افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء (حياتك قبل موتك) يعني اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فاقترض منك لك (وصحتك قبل

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن تفسير سورة التكاثر، ٣٣٥٨، وقال: غريب على أن إسناده لا يترل عن رتبة الحسن؛ لذا أورده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٣٩ وقال عنه: في صحيح سنن الترمذي: صحيح.

(٢) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في " تفسيره " ١٩٤٦١، ١٠/ ٣٤٦٠.

(٤) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٥) أخرجه: الطبري في " تفسيره " ٢٩٣٢٢، والبيهقي في " شعب الإيمان " ٤٦١٣.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: الرقاق، رقم الحديث ٧٨٤٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه» قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

سقمك) أي اغتنم العمل حال الصحة فقد يمنع مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد (وفراغك قبل شغلك) أي اغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر فاغتنم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان (وشبابك قبل هرمك) أي اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله (وغناك قبل فقرك) أي اغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيراً في الدنيا والآخرة فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها"(١).

إن كل ما سبق يؤكد لشبابنا أهمية استغلال الطاقة البدنية التي منحها الله إياهم في الطاعة، وفيما يرضي الله فمن سنة الله في خلقه أنه ستتبدل الأحوال فبعد القوة يأتي الضعف، ومن بعد الصحة يأتي المرض، ولشبابنا قدوة حسنة في نبيهم فيما جاء عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَـهُ: لِـمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله، وَقدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: ((أَفَلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْداً شَكُوراً))(٢).

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٢/ ١٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾ [الفتح: ٢]، رقم الحديث ٤٨٣٧.

المطلب الثالث: استغلال الطاقة البدنية في العمل والاكتساب:

إن من الأمور المهمة لمجتمعنا إعلاء قيمة العمل والاكتساب، وترك القعود والكسل، خاصة أن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة حرجة في اقتصادها ونموها، ولا يمكن أن تتحقق نهضة أو تقدم وريادة إلا على أيدي شبابها إذْ ينبغي أن يسارعوا إلى العمل لا أن يعيشوا عالة على غيرهم.

والطاقة البدنية للشباب من المهم جداً أن تتوجه إلى تفعيل وتكثير الأيدي العاملة، وتعلّم الحرف والمهن، والسعي في الأرض طلباً للرزق فمن خلال ذلك تجني الأمة ثمرات عظيمة، وفوائد كثيرة، وخيرات وفيرة.

فما قيمة قوة الأبدان وصحتها، وهي لا تكسب من يدها، وما قيمة الشباب الفتي القوي وهو يستهلك ولا ينتج، ويأخذ ولا يعطي، فيده هي السفلى، ويد غيره هي العليا.

إن التوجيهات الإسلامية في الكتاب والسنة وافرة في الحث على العمل والإنتاج والاكتساب والضرب في الأرض طلبا للرزق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾(١). ولم يكن القيام بالعبادة المفروضة سبباً معطلاً لشبابنا عن العمل والاكتساب قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾(٢).

وتحفيزاً للعمل والاكتساب والجد والنشاط أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ مِنْهَا يَعْنِي أَجْرًا وَمَا أَكَلَتْ الْعَوَافِي مِنْهَا- يعني الطير والسباع- فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ))(٣).

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، رقم الحديث ٢٣٣٥.

والإعمار والإحياء إما بالزرع أو حفر الآبار، أو بالبناء عليها، كبناء المصانع، والشركات المنتجة لما يلزم للناس، ونحو ذلك. وقال ﷺ: ((اليد العليا خير من اليد السفلى))(١)

وقال رسول الله ﷺ: ((لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي))(٢)

والعمل لكسب ما يحتاج إليه الإنسان من ربح ومال لتدور عجلة الحياة مطلب شرعي، وقد أخرج البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ))(٣).

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ".(٤). وعمل ﷺ في التجارة عند خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنَّ النبيَّ ﷺ: باع واشترى، وشِراؤه أكثر، وآجَر واستأجر، وإيجارُه أكثر، وضارب وشارك وتوكَّل، وتوكُّلُه أكثر، وأهدى وأُهدي إليه، ووهب واستوهب، واستدان واستعار، وضمن عامًّا وخاصًّا، ووقف وشَفَع، فقَبِل تارةً، وردَّ أخرى، ولم يعتب ولم يَغْضب، وحَلَف واستحلف، ومضى في يمينه

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم الحديث ١٤٢٧، وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، رقم الحديث ١٠٣٤.

(٢) أخرجه أبو داوود، كتاب: الزكاة، باب: من يعطى من الصدقة، وحد الغنى، رقم الحديث ١٦٣٤، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي ٣/٧٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث ٢٠٧٤. وأخرجه مسلم في الزكاة باب كراهة سؤال الناس رقم ١٠٤٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، رقم الحديث ٢٢٦٢.

وكفَّر أخرى، ومازح وورَّى ولم يقلْ إلاَّ حقًّا، وهو ﷺ الأسوةُ والقدوة"(١).

وأخبر سبحانه عن داود عليه السلام بقوله جل شأنه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾(٢).

قال القرطبي رحمه الله: "هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهلِ العقول والألباب، لا قول الجهلةِ الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شُرِع للضعفاء، فالسببُ سنةُ الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونَسَبَ من ذكرنا إلى الضعفِ وعدمِ المُنّة، فالصنعة يكف بِها الإنسان نفسه عن الناس"(٣).

وأخرج البخاري عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أكل أحدٌ طعامًا قطّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))(٤).

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مرَّ على النبي رجل فرأى الصحابةُ من قوته ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: "إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعفها فهو في سبيل الله"(٥).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/١٥٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/٣٢١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث ٢٠٧٢.

(٥) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير برقم ٢٨٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ١/٣٠١.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: "عمل الصحابة في الحرث والزرعِ بأيديهم، وخدمةُ ذلك بأنفسهم، فالامتهانَ في طلب المعاش للرجال والنساء: مِن فعل الصالحين، وأنه لا عار فيه ولا نقيصةَ على أهل الفضل"(١).

إن كل ما سبق يؤكد لنا ضرورة أن تتوجه طاقات الشباب للعمل والاكتساب، حتى تكثر الأيدي العاملة في المصانع والمؤسسات، وفي شتى المجالات، فتتقدم الأمة وتنهض، ويعمها الرخاء والخير، ويساهم شبابنا في بناء أمتهم ورفعتها، وتقدمها وازدهارها.

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٦/٤٩٠.

المطلب الرابع: تفعيل الطاقة البدنية في المشاركة المجتمعية:

ومن توجيه الإسلام للطاقة البدنية للشباب أن يحرصوا على مساعدة الآخرين في المجتمع من الضعفاء ممن يحتاجون إلى مساعدة ومعاونة؛ فإن هذا مأمور به في الشريعة قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم"(٢).

وقال ابن عاشور رحمه الله: "أي ليعن بعضكم بعضا على البر والتقوى. وفائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خلقا للأمة. وقوله: ولا تعاونوا على الإثم والعدوان تأكيد لمضمون وتعاونوا على البر والتقوى لأن الأمر بالشيء، وإن كان يتضمن النهي عن ضده، فالاهتمام بحكم الضد يقتضي النهي عنه بخصوصه"(٣).

وقال السعدي رحمه الله: "أي: ليعن بعضكم بعضا على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين. والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ﴾

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٢/ ١٢.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/ ٨٨.

وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويحرج. ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه"(١).

وهذه الآية تعتبر منطلقاً للشباب ليوظفوا طاقتهم البدنية في خدمة المجتمع ومعاونة الآخرين، فإن هذا له مردود إيجابي على الفرد والمجتمع، ويسهم في الأخذ بيد الضعفاء ومساعدتهم.

ولعل من النماذج التي يمكن أن تقدم للشباب في هذا الصدد ما كان من صنيع نبي الله موسى - عليه السلام - مع ابنتي الرجل الصالح عندما لم يرغبا في مزاحمة الرجال في سقي الماء، مع اضطرارهما للخروج للسقي ما كان من نبي الله موسى إلا أن أعانهما وكان شاباً فتياً في مقتبل عمره حتى أنهما عندما وصفاه لأبيهما وصفاه بالقوة والأمانة والقوة هنا هي المعبرة عن الطاقة البدنية موضوعنا في هذه النقطة، وقد ساق القرآن هذا الحدث؛ ليكون للشباب فيه عبرة وإفادة، وقدوة وسير على منوال الأنبياء. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾(٢).

قال ابن عطية رحمه الله: "فلما رأى موسى عليه السلام انتزاح المرأتين قالَ ما خَطْبُكُما أي ما أمركما وشأنكما، وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة في شر فأخبرتاه بخبرهما، وأن أباهما شَيْخٌ كَبِيرٌ فالمعنى أنه لا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه وأنهما

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢١٩.

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الأقوياء وأن عادتهما التأني حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى، وحينئذ تردان، وقالت فرقة كانت الآبار مكشوفة وكان زحم الناس يمنعهما، فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى، فعن هذا الغلب الذي كان منه، وصفته إحداهما بالقوة"(١).

وأجاد الزمخشري في بيان أهمية هذه المشاركة المجتمعية، والنجدة الفطرية، إذ من يملك القوة أعان من لا قوة له فقال: "وإنما فعل ذلك رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف والمعنى: أنه وصل إلى ذلك الماء، وقد ازدحمت عليه أمة من الناس، متكافئة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم، مع غنمهما مترقبتين لفراغهم. فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما، بقوة قلبه، وبقوة ساعده"(٢).

إن المرأة ضعيفة بطبعها، وبأصل تكوينها فبمجرد أن سمع موسى عذرهما سارع إلى معاونتهما- شأن أصحاب النفوس الكبيرة، والفطرة السليمة، وقد عبر القرآن عن هذه المسارعة بقوله: فَسَقَى لَهُما. أي: فسقى لهما مواشيهما سريعاً. من أجل أن يريحهما ويكفيهما عناء الانتظار "وفي هذا التعبير إشارة إلى قوته، حيث إنه استطاع وهو فرد غريب بين أمة من الناس يسقون- أن يزاحم تلك الكثرة من الناس، وأن يسقى للمرأتين الضعيفتين غنمهما. دون أن يصرفه شيء عن ذلك"(٣).

ولا تقتصر المشاركة المجتمعية على الجهود الفردية من الشباب فإن من المهم إيجاد قنوات ومؤسسات فاعلة في المجتمع تحاول الاستفادة القصوى من طاقات الشباب

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٤/ ٢٨٣.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٣/٤٠١.

(٣) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ١٠/ ٣٩٤.

البدنية وتوظيفها في خدمة المجتمع، ولعل الشباب لديه حماسة إلى المزيد من الجهد والمشاركة، ولكنة يحتاج إلى الأيدي التي تتلقفه، والجهة التي تتبناه وتوجهه.

إن العمل الاجتماعي والتنموي التطوعي من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، ويكتسب العمل الاجتماعي أهمية متزايدة يوماً بعد يوم، فهناك قاعدة مسلم بها مفادها أن الحكومات، سواء في البلدان المتقدمة أو النامية، لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، "فمع تعقد الظروف الحياتية ازدادت الاحتياجات الاجتماعية وأصبحت في تغيّر مستمر، ولذلك كان لا بد من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية تقوم بملء المجال العام وتكمّل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية، ويطلق على هذه الجهة "المنظمات الأهلية". وفي أحيان كثيرة يعتبر دور المنظمات الأهلية دوراً سباقاً في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وليس تكميلياً، وأصبح يضع خططاً وبرامج تنموية تحتذي بها الحكومات"(١).

ويمكن النظر للمشاركة المجتمعية على أنها قيام الشباب بدورهم دون أن يكونوا موظفين أو معنيين بالتأثير في الخدمات الحكومية، وفي التعاون لسد الحاجات المحلية علماً بأنها تأخذ أشكالا ومستويات مختلفة "فالمسؤولية الاجتماعية أهم المبادئ التي يرتكز عليها ارتباط الحقوق والواجبات لإشباع الاحتياجات وحل المشكلات حيث إن هذا الإشباع لا بد أن يرتبط بمدى مساهمة أهالي المجتمع واشتراكهم في الجهود المبذولة من ذلك أي أن نجاح جهود تنظيم المجتمع رهن بمدى مشاركة الأهالي في خطوات هذه العملية"(٢).

---

(١) الشباب والعمل الاجتماعي والتنموي التطوعي، جمعية تفلتواز حياة، مبادرات الشباب العربي مقال بموقع صيد الفوائد https://saaid.net/Anshatah/dole/٦٩.htm

(٢) طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، سيد أبو بكر حسانين، ص٢٩١.

إن المشاركة المجتمعية هي العملية التي يستطيع الشاب من خلالها أن يلمس له أثراً في الحياة الاجتماعية لمجتمعه وتكون لديه الفرصة لأن يشارك في وضع الأهداف العامة وكذلك أفضل الوسائل لتحقيق وإنجاز هذه الأهداف "وهذا يعني مسؤولية الأفراد والجماعات في المساهمة في تنمية مجتمعاتهم وبالمقابل مسؤولية المجتمع في إشباع احتياجات أفراده. ونظرا لأهمية المشاركة المجتمعية فإن بعض الدراسيين والباحثين يعدها وسيلة في ذاتها ويقدر فاعليتها بقدر ما تصبح إحدى الوسائل الرئيسة لتمكين المجتمع من أن يكون له دور قيادي في حركته نحو بلوغ أهدافه مع النمو والتقدم"(١).

وعموما يمكن القول إن المشاركة المجتمعية تحقق مجموعة من الأهداف أهمها:

- تزايد تماسك المجتمع .
- زيادة قدرات الشباب، وإكسابهم مهارات جديدة لتفعيل دور الإنسان وتحويله إلى قوة مؤثرة.
- نمو شخصية الشباب حيث تتجه للمحاكاة العملية التي يتعرضون لها، وللتجارب التي لها تأثير مباشر في حياتهم.
- مساهمة الشباب تدعم ترابط المجتمع وتجعله أبعد ما يكون عن التفكك والتداعي.
- مساهمة الشباب تعد تمكيناً لهم(٢).

والمشاركة المجتمعية مفهوم آخذ في الانتشار والتداول بين رجال التخطيط والإدارة اعتبارا من النصف الثاني من القرن العشرين وذلك على المستويين القومي والعالمي والمشاركة المجتمعية هدف ووسيلة فهي هدف لأن الحياة الديمقراطية السليمة

(١) تنمية المجتمع في الدول النامية، يونس الفاروق زكي، ص ٧٠.

(٢) انظر: منهاج خدمة المجتمع، نشأته وتطوره وأساليبه وخطواته ومنظماته، محمد كامل بطريق، ص ٢٠.

ترتكز على إشراك المواطنين مسؤوليات التفكير والعمل من أجل مجتمعهم، وهي وسيلة لأنه عن طريق مجالات المشاركة يتذوق الناس أهميتها ويمارسون طرقها وأساليبها وتتأصل فيهم عاداتها وتصبح جزء من سلوكهم وثقافتهم(١).

وتؤدي المشاركة المجتمعية في العملية التنموية دوراً مهماً يتمثل في المساعدة في تحديد الصعوبات والمشكلات التي تواجه حياة السكان مما يسهل في رسم السياسات لمعالجة المشكلات والصعوبات وزيادة أوجه التعاون والتنسيق بين مختلف الأطراف ذات العلاقة بالعملية التخطيطية التنموية .ومن الجدير بالذكر أن مبدأ المشاركة المجتمعية يعتبر العمود الفقري لطريقة تنظيم المجتمع وتعتمد على تكوين لجان متخصصة ذات جاذبية وفعالية تكون نواة لمشاركة أوسع من جانب المجتمع فوجود اللجان يعتبر ضرورة تمليها طبيعة المشاركة المجتمعية والذي يلعب العنصر البشري فيها دوراً مهماً بالإضافة إلى التوظيف الأمثل لهذا العنصر كذلك للموارد المختلفة للمجتمع المحلي(٢).

إن كل ما سبق يدعونا ويؤكد لنا أهمية تفعيل المشاركة المجتمعية للاستفادة من طاقات الشباب بمختلف أنواعها خاصة البدنية: فالشاب القوي لا شك أنه مساهم وفعال ونشيط، وتعتبر أيضاً تنفيثاً للشباب، وإشعاراً لهم بأثرهم الواضح في مجتمعهم، وترجمة حقيقية للدور المأمول منهم في المساهمة في نهضة أمتهم وبلدهم؛ وإشعارهم بمسؤوليتهم عن مقدرات وطنهم، ومكتسباته؛ مما ينعكس إيجاباً بساحتوائهم، وعدم تركهم للتيارات والاتجاهات الفكرية المنحرفة التي تستهويهم وتجذبهم وتميل بهم ذات اليمين وذات اليسار، واستنقاذاً لهم من المتغيرات الحضارية، والموجات المتصارعة من التقنيات الحديثة التي تشغلهم، وتعوقهم عن خدمة أمتهم ووطنهم.

---

(١) انظر: بين الإيجابية واللامبالاة في اتجاهات الفرد نحو العمل الجماعي، كامل ملكية، ص ٤٧.

(٢) انظر: طريقة تنظيم المجتمع، أحمد مصطفى خاطر، ص ٧٥.

المبحث الرابع

منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية في ضوء المتغيرات الحضارية

تعتبر الطاقة الجنسية من أهم وأخطر الطاقات لدى الشباب؛ لأنها مرتبطة بشهوة داخلية تلحّ على الإنسان لتفريغها وتصريفها، والشهوة ما تدعوا النفس إليه والفعل منه اشتهى؛ أي "توقان النفس إلى الشيء، وهي ما يغلب علي النفس محبته وهواه"(١). والشهوات من الأمور المحببة للناس عامة والشباب خاصة قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾(٢).

قال الزمخشري رحمه الله: "والله زينها لهم، لأنّا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها، وجعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها"(٣).

وهذه الأصناف المذكورة قد زين الله حبها للناس وغرسها في قلوبهم حتى صارت غريزة عندهم، ومن أحب شيئاً و لم يزين له يوشك أن ينفر منه، ومن أحبه وزين له فلا يكاد يرجع عنه، ولا يقبل فيه كلاماً، ولا يرى فيه عوجاً. "ولقد عبر القرآن عن هذه الأشياء بالشهوة مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها وإيذانا بشدة تعلق الناس بها، وللإشارة إلى أن حبها من طبيعة الإنسان الحيوانية، فإن الشهوة من صفات البهائم حتى يعتدل الإنسان في حبه لها. وليس ممنوعاً حب هذه الأصناف، ولكن الممنوع المبالغة

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ٢/٥٠٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٣٤٢.

والإسراف فيها حتى تطغى على الناحية الدينية ومظاهرها"(١).

وإذا انضاف إلى الطاقة الجنسية ضَعْف الإنسان أمامها؛ فذلك يؤكد خطورتها قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾(٢).

فمن أخطر الشهوات التي ركبت في الإنسان هي الشهوة والطاقة الجنسية؛ والتي لا يملك الإنسان نفسه أمامها فضلاً عن الشباب إلا بعد مجاهدة ومقاومة وفق توجيهات الشرع الحنيف.

قال السعدي رحمه الله: "ولرحمة الله التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه، وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته"(٣).

وقال القاسمي رحمه الله: "وقوله (خُلِقَ الإِنْسانُ ضَعِيفاً) أي عاجزاً عن دفع دواعي شهواته. فناسبه التخفيف لضعف عزمه وهمته وضعفه في نفسه. فالجملة اعتراض تذييليّ مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف في أحكام الشرع. قال طاووس: ضعيفاً أي في أمر النساء لا يصبر عنهن. وقال وكيع: يذهب عقله عندهن"(٤).

ومما يؤكد خطورة الطاقة الجنسية بالإضافة إلى ما سبق المتغيرات الحضارية المعاصرة التي صاحبها ازدياد المسارب التي تفتح باب الانحراف الجنسي وتهيئ الأذهان

---

(١) التفسير الواضح، د. محمود حجازي، ١/ ٢١٢.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، ص ١٧٥.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، ٣/ ٨٥.

له، ويزداد بذلك الأثر الذي تحدثه في مجتمعنا:الأزياء - السينما - دور اللهو- الفضائيات- الاختلاط العابث - الانفتاح المتسارع المحموم على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، مع سهولة الوصول لأي منتج بكل يسر، وفي أسرع وقت، وأي وقت. إنها ثورة الهوس الجنسي الذي لا يدع سفينة الشباب المسلم ترسو على بر الفضيلة؛ بل سيجعلها تتأرجح وتضطرب أمام عصف رياح الشهوة الجنسية، وهيجان موج القنوات الفضائية، وقوة تيار العري والتحلل والانحراف.

"إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظر الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري،... كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون!! وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة، فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيّد بقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة!! وهي تكاد تكون عملية تعذيب"(١).

وفي ضوء ما سبق يمكن لنا أن نتبين منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية للشباب من خلال المطالب الآتية:

---

(١) أخلاقيات العولمة، د. أحمد نور، ص ٨٢.

المطلب الأول: الاعتراف بالطاقة الجنسية للشباب وعدم مصادمتها:

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة، ينظر إليه جسماً وعقلاً وروحاً، وذلك من خلال تكوينه الفطري، ثم هو ينظم حياته ويعالجه على أساس هذه النظرة. فالإسلام لم ينظر إلى الإنسان نظرة مادية لا تتعدي هيكله الجسدي ومتطلباته الغريزية شأن المذاهب المادية في حين لم يحرمه حقوقه البدنية وحاجاته العضوية.

والإسلام بناء على تصوره لطبيعة الإنسان ولاحتياجاته الفطرية ولضرورة تحقيق التوازن في إشباعاته النفسية والحسية يعتبر الغريزة الجنسية إحدى الطاقات الفطرية في تركيب الإنسان التي يجب أن يتم تصريفها والانتفاع بها في إطار الدور المحدد لها شأنها في ذلك شأن سائر الغرائز الأخرى. ولا شك أن استخراج هذه الطاقة من جسم الإنسان أمر ضروري جداً، وبالعكس فإن احتزانها فيه مضر جداً وغير طبيعي، ولكن بشرط الانتفاع بها وتحقيق مقاصدها الإنسانية. وحين يعترف الإسلام بوجود الطاقة الجنسية في الكائن البشري، فإنه يحدد لهذا الكائن الطريق السليم لتصريف هذه الطاقة وهو طريق الزواج الذي يعتبر الطريق الأوحد المؤدي إلي الإشباع الجنسي للفرد من غير إضرار بالمجتمع.

لقد ذم القرآنُ الرهبانيةَ التي ابتدعها النصارى؛ لأنها تخالف الفطرة، وتعطل الحياة، وتصادم السنن، ولأنها طغيان في الميزان، ولذلك أنكر القرآنُ على الذين يحرمون زينة الله وطيباته: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾(١).

إن حب الشهوات والميل إليها فطرةٌ جُبل عليها الإنسانُ، وهي تقوم بحفظ الحياة وإنمائها، فكيف تذم وتهجر؟: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾(١).

فالإسلام لا يعرف الكبت؛ لأنه يعترف بالشهوات والغرائز والنوازع الفطرية عموماً، ولا يستقذرها، ولا يقوم نظامُه على قهرها وإلغائها، ولكنه ينظمها ويضبطها، وينبه الإنسانَ على استعداده للتسامي فوقها، والتطلع إلى ما هو أكبر من الدنيا وأحسن، إذ أتبعَ تقريرَ تلك الحقيقة، الدعوةَ إلى ما هو أسمى وأكبر، فقال: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٍ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾(٢).

والقرآن في أساليبه البيانية يقابلُ دوماً متاعَ الدنيا بنعيم الآخرة، لتحقيق التوازن في سلوك الناس حتى لا يسترسلوا في تناول شهوات الدنيا، ويستغرقوا فيها، فتشغلهم عن ذكر الله والآخرة، وعلى ضوء هذا نفهمُ ما ورد في ذم الشهوات وعيبها، فإنه لم يأت منعًا كاملاً لها، ولكنه ذم للطغيان فيها، ولو أخذ الإنسانُ منها بقدر المباح لما لحقه ذم أو عيب، قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾(٣).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"يعني بـ"الطيبات"، اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إيّاها، كالذي فعله القسِّيسون والرُّهبان، فحرَّموا على أنفسِهم النساءَ والمطاعمَ الطيِّبة، والمشاربَ اللذيذة، وحَبس في الصَّوامع بعضُهم أنفسَهم، وساحَ في الأرض بعضهم. يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيُّها المؤمنون، كما فعل

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٨٧-٨٨.

أولئك، ولا تعتدُوا حدَّ الله الذي حدَّ لكم فيما أحلَّ لكم وفيما حرم عليكم"(١).

وقد روى ابن جرير أيضاً في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآيات أن رهطاً من الصحابة قالوا: نقطعُ مذاكيرَنا ونتركُ شهواتِ الدنيا، ونسيح في الأرض كالرهبان. وعنه أيضاً أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني إذا أصبتُ من اللحم انتشرتُ وأخذتني شهوتي فحرمت اللحم؟ فأنزل الله تعالى ذكره الآية(٢).

إنَّ تعذيبَ الجسد، وتحميلَه ما لا يطيق ليس من مقاصد الإسلام، ولا من وسائله لبلوغ الكمال الإنساني؛ لأن المثال الذي يسعى الإسلام إلى تحقيقه، لا يخرجُ عن حدود الطاقة البشرية، كما قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾(٣).

ومن شذَّ عن هذا المنهج الوسط المعتدل عن هوى، أو خرج عنه لا يريد إلا الخير، وجب ردُّه إليه وتقويمُ سيره حتى يستقيم على الطريقة، إن الإسلامُ يمتاز عن غيره من سائر الأديان والمذاهب في سياسته للطاقة الجنسية بأنه دين وسط بين المذاهب الإباحية التي أطلقت للغريزة العنان، وبين الرهبانية التي تتجه إلى كبت الغريزة وقهرها، فالإسلامُ لا يعادي الجنس ولا يستقذره، ولكن يستجيب للضرورة الجنسية عن طريق نظام الزواج وتشريعاته، وينظم العلاقةَ بين الرجل والمرأة، ويضع التدابيرَ الصحية كالنظافة والاعتدال ونحوه بصراحة متناهية دون نفاق أو مواربة.

يقول علي عزت بيغوفيتش رحمه الله: "إن الإسلام لا يرفض الحياة الجنسية، لأنه

(١) جامع البيان، الطبري، ١٠/ ٥١٣.

(٢) المرجع السابق، ١٠/ ٥١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

يدعو إلى حياة طبيعية وسعادة الحب، بقدر ما يدعو إلى صحة البدن والقوة والشجاعة والجهاد وكسب المال، ولأنه يعارض الإعراض عن الدنيا كما يعارض الإسراف فيها. يطالبنا الإسلام بجني (الثمار السماوية) إضافة إلى (الثمار الأرضية) ويسمح للإنسان أن تمتد يداه -اللتان رفعتا إلى الله متذللة بالدعاء قبل قليل - نحو مسرات الدنيا، ولا تعلمنا الآدابُ الإسلامية الإلحاحَ في ذكر المحرمات؛ لأن الإسلام لا يسعى لإقامة جدار يحوط جميع الأنهار التي يمكنها إرواء العطش. ولا يطالب الإسلام بالقضاء على الشهوات، بل يطالب بالسيطرة عليها، ولا يسعى لقطع الشهوة الجنسية، لكنه يضع لها الضوابط والحدود"(١).

إن مطالبة الإنسان بأمور تتنافى مع طبيعته، وتخرج عن دائرة طاقته، مثل إتلاف البدن والإعراض عن الجنس وقطع الشهوة، يمكن أن تأتي بنتائج عكسية كانتشار الزنى بالطريقة التي نشاهدها في دول الغرب، فموقف النصرانية المعادي للحياة الجنسية أنشأ مشكلة الجنس، فهي في صدام أبدي مع متطلبات حياة عامة الناس.

"وفي حقيقة الأمر تكوّن المجتمع الأوربي تحت تأثير متزامن لفلسفتين متناقضتين: الفلسفة النصرانية المعادية كلياً للحياة الجنسية، والفلسفة المادية الداعية إلى التمتع بكل ما في هذه الدنيا الوحيدة، وبما أن الخيار النصراني مستحيل البلوغ في واقع الحياة - بغض النظر: اعترف هؤلاء بذلك أم لا - فإن الغلبة كانت من نصيب الفلسفة الثانية، وظل الإسلام أبداً يبحث ويجد طريق الوسطية في الحياة الجنسية شأنه في بقية أمور الحياة؛ لأن الإسلام كان وبقي فلسفة الممكن في الحياة"(٢).

وهذا الذي نبه عليه فلاسفةُ الغرب سبقهم إليه علماء الإسلام؛ يقول ابن الجوزي،

(١) المرأة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي، علي عزت بيغوفيتش، ص ١٥٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠.

وهو يقرر هذه الحقيقةَ، أي أن الرهبانية وقطع الشهوة، يمكن أن تأتي بنتائج عكسية: "واعلم أنه إذا دام تركُ النكاح على شُبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع: - فذكر منها النوع الأول وهو المرض بحبس الماء. ثم (النوع الثاني) وهو: الفرار إلى المتروك-، فقال: "فإن منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماءُ فأقلقوا وجاعوا فلامسوا النساء، ولابسوا من الدنيا أضعافَ ما فروا منه، فكانوا كمن أطال الجوعَ ثم أكل ما ترك في زمن الصبر. والنوع الثالث: الانحرافُ إلى صحبة الصبيان؛ فإن قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد"(١).

إن أبرز ما يميز منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية للشباب هو الاعتراف بها وإقرارها مما يجعل الشاب عند إشباع هذه الطاقة متوافقاً مع فطرته، لديه راحة نفسية، وسكينة داخلية لا أن يكون متصارعاً بين الدين والفطرة؛ وإنه لا يمكن أبداً أن تتعارض الفطرة مع الإسلام لأن كليهما من عند الله سبحانه قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢).

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، ١/٣٦١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

المطلب الثاني: تصريف الطاقة الجنسية بالطرق المشروعة:

إذا تقرر أن الإسلام لا يكبت الطاقة الجنسية لدى الشباب؛ فإنه حثّ على تصريف هذه الطاقة بالطرق المشروعة، والتي تتمثل في الزواج؛ حيث إن الزواج هو الطريق الفطري الذي يحقق للطاقة الجنسية هدفها الإنساني، فضلاً عن تحقيقه اللذة الآتية منها.

إن الإسلام يستجيب للطبيعة الجنسية، فهو يحض على الزواج، ويرغّب فيه، فعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلَوَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا، تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ؟ فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))(١).

قال القاضي عياض رحمه الله: "دليل على أن معظم المطلوب من النكاح الاستمتاع، وهو من الشباب أمكن، وفيهن ألذ؛ لما هن عليه من رونق الشباب ونشاط الصغر وطيب الأفواه، وما يرغب من النساء، وإظهار الرغبة في الاستمتاع الذى يتوفر عنه مساؤهن"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٥، وأخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم الحديث ١٤٠٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٤/ ٥٢١.

فحملهم على النكاح وندبهم إليه، "وقد كانت سُنَّة من مضى الإقبال على العبادة والانقطاع عن الأهل إلا أن محمداً ﷺ، جاء بالحنيفية السمحة فأمر بالعبادة وأذن في قضاء الشهوة حضاً على التحصين ورغبة في العفة وقطعاً للعلائق وتعرضاً لبقاء العمل إلى يوم القيامة وتحقيقاً لموعد الشارع؛ بمكاثرة الأمم يوم القيامة الأُمَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فإن أمة محمَّد- ﷺ - أعظم الأمم عدداً وأرفعهم رتبة"(١).

قال ابن حجر رحمه الله: "خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبرا إذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضا"(٢).

إن الزواج هو القناة الوحيدة المشروعة التي يسمح فيها بتفريغ الطاقة الجنسية، وقد ربط الإسلام بين الزواج وبين السكن ورحمة والمودة في بيت الزوجية كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: "من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك"(٤).

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وهذه آية ثانية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، ٢/ ٦٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٩/ ١٠٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٦/ ٣٠٩.

مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ"(١).

وقال السعدي رحمه الله: "فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة"(٢).

وإذا كان الإسلام جعل الزواج هو المخرج الوحيد للطاقة الجنسية؛ فإنه بذلك وقف وسطاً بين فريقين كلاهما جانبه الصواب في الموقف من الطاقة الجنسية:

الفريق الأول: مَنْ يُعْرِض عن الزواج، ويكبت طاقته الجنسية ظناً منه أن في ذلك قربى إلى الله تعالى، وهو لا يدري أنه مخالف للفطرة، سائر في غير اتجاهها، ولا محالة فقد ضل طريق الصواب؛ وخالف هدي النبيين والمرسلين، فليس التبتل وترك الزواج من دين الإسلام في شيء.

فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: ((جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))(٣).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١/ ٧٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٣٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٣، وأخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم الحديث ١٤٠١.

فأخبر النبي ﷺ أنه مع خشيته لله وتقواه إلا أن هذا لا يتعارض أبدا مع ما فطر الله عليه البشر من الرغبة في الطاقة الجنسية، وتصريفها عن طريق الزواج، وأراد ﷺ: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني. "ولمح بذلك إلى طريقة الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه. وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة؛ فيفطر ليقوى على الصوم، وينام ليقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل"(١).

ولم يشرع الإسلام التبتل والانقطاع وترك الزواج بدعوى أن هذه صورة من صور التقرب إلى الله تعالى فعن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: ((رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا))(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: شَكَا رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْعُزُوبةَ فقَالَ: أَلا أَخْتَصِي؟ فَقَالَ: ((لا، لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَصَى أَوِ اخْتَصَى، وَلَكِنْ صُمْ وَوَفِّرْ شَعَرَ جَسَدِكَ))(٣).

وعَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ائْذَنْ لَنَا فِي الاخْتِصَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَصَى وَلا اخْتَصَى، إِنَّ خِصَاءَ أُمَّتِي الصِّيَامُ))(٤).

قال البغوي رحمه الله: "الاختصاء، واعتناق السلاسل، وما أشبه ذلك مما كانت الرهبانية تتكلفه وتبتدعه، وضعت عن هذه الأمة"(٥).

---

(١) البدر التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعي، المعروف بالمغربي ٧/ ١٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء، رقم الحديث ٥٠٧٣، وأخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، رقم الحديث ١٤٠٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني برقم ١١٣٠٤ ١١/ ١٤٤.

(٤) شرح السنة، البغوي، ٢/ ٣٧٠.

(٥) المرجع السابق، ٢/ ٣٧١.

وقال القاري رحمه الله: "وعثمان بن مظعون أرسله جماعة من أهل الصفة ليستأذن لهم في الاختصاء ؛ لأنهم يشتهون النساء ولا طول لهم بذلك. يا رسول الله! ائذن لنا في الاختصاء، أي: سَلُّ الخصيتين لتزول عنا شهوة النساء، إذ من شأنها أنها تقطع عن كل خير وتجلب كل محنة وضير، ولذا قيل: ضاع العلم في أفخاذ النساء (فقال رسول الله: ليس منا)، أي: ممن يقتدي بسنتنا ويهتدي بطريقتنا (من خصى): بفتح الصاد، أي: سل خصية غيره وأخرجها (ولا اختصى)، أي: بنفسه بحذف "من" لدلالة ما قبله عليه يعني: ولا من سل خصية نفسه، وكل من هذين حرام وفي معناه إطعام دواء لغيره أو أكله إن كان يقطع الشهوة والنسل دائماً، (إن خصاء أمتي الصيام): فإنه يكسر الشهوة وضررها أي: قاطع للشهوة مع ما فيه من سلامة النفس من التعذيب وقطع النسل، ومن حصول الثواب بالصيام المقتضي لرياضة النفس المؤدية إلى طاعتها لأمر مولاها"(١).

وقد دلّ ما سبق على خطأ هذا الفريق الذي يرى كبت الطاقة الجنسية وعدم تصريفها؛ لأنه يصادم الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

الفريق الثاني: مَنْ يطلق العنان لطاقته الجنسية يصرفها كيفما اتفق معه، عن طريق الزنا والبغاء، والانفلات من قيود الشرع والدين، والسير قدماً في إشباع الغريزة متى هاجت؛ فهو والبهائم سواء، والوقوع في ذلك- والعياذ بالله- من أعظم المفاسد على الأفراد والجماعات، مع ما فيه من المخاطر والأمراض والأسقام، وفوق كل هذا الوقوع في الكبائر المحرمة مما يوجب التعرض لسخط الله تعالى.

وقد حرم الإسلام الزنا حيث قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ٢/ ٦٠٧.

سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾(١).

والزنا فعلة قبيحة متناهية في القبح. توجب النفرة عن صاحبه، والتفرقة بين الناس وَساءَ سَبِيلاً أي بئس طريقا طريقه. "فإنه غصب الأبضاع المؤدي إلى اختلاف أمر الأنساب، وهيجان الفتن غصبا من غير سبب. والسبب ممكن. وهو الصهر الذي شرعه الله"(٢).

والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه خصوصاً هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه.

"ووصف الله الزنى وقبحه بأنه ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ أي: إثما يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد. وقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلا﴾ أي: بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم"(٣).

ومما لا شك فيه أن فاحشة الزنا من أقبح الفواحش التي تؤدي إلى شيوع الفساد والأمراض الخبيثة في الأفراد والمجتمعات، وما وجدت في أمة إلا وكانت عاقبتها خسرا.

"فالزنا اشتمل على أنواع من المفاسد، أولها: اختلاط الأنساب واشتباهها، فلا يعرف الإنسان أن الولد الذي أتت به الزانية، أهو منه أو من غيره.

وثانيا: أنه إذا لم يوجد سبب شرعي لأجله يكون هذا الرجل لتلك المرأة، لم يبق

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، ٦/ ٤٥٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٤٥٧.

في حصول ذلك الاختصاص إلا التواثب والتقاتل.

وثالثها: أن المرأة إذا باشرت الزنا، استقذرها كل طبع سليم، وحينئذ لا تحصل الألفة والمحبة، ولا يتم السكن والازدواج..

ورابعها: أنه إذا فتح باب الزنا، فحينئذ لا يبقى لرجل اختصاص بامرأة، وحينئذ لا يبقى بين نوع الإنسان، وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب.

وخامسها: أنه ليس المقصود من المرأة قضاء الشهوة، بل أن تصير شريكة للرجل في ترتيب المترل وإعداد مهماته.. وهذه المهمات لا تتم إلا إذا كانت مقصورة الهمة على هذا الرجل الواحد، منقطعة الطمع عن سائر الرجال، وذلك لا يحصل إلا بتحريم الزنا... فثبت بما ذكرنا أن العقول السليمة تقضي على الزنا بالقبح"(١).

ولخطورة الزنا وحرمته حرص النبي - ﷺ على الإقناع العقلي لهذا الشاب الذي فارت غريزته، واشتدت طاقته، وطلب من النبي ﷺ السماح له في الزنا فأقنعه بأن هذا طريق غير مشروع لإشباع الرغبة الجنسية.

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁ قَالَ: ((إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ "قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٠/١٩٨.

ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))(١).

إن الإسلام في منهجه في توجيه الطاقة الجنسية للشباب جعل الطريق المشروع لتصريف هذه الغريزة هي الزواج الشرعي، وهذا يتطلب منا الآن في واقعنا المعاصر أن نيسر أمر الزواج للشباب، ولا نلهث وراء متطلبات الحضارة الحديثة، ونكلف الشباب ما لا يطيقون فيصبح طلب الزواج والعفة هماً لا يطاق، وعلقما مرّ المذاق، يعاني فيه الشباب ارتفاع التكاليف، ومشقة النفقات، وعندئذ نعطل الطريق المشروع تحت أوهام كاذبة، وتصورات باطلة، فنجعل الكماليات في بيت الزوجية فروض أعيان مما يضطر شبابنا لأن يقعوا فريسة الانحراف، ويخوضوا في الباطل ويتلبسوا به، لأننا بقصد أو بدون قصد صددناهم وأغلقنا أمامهم طريق الحق، خاصة وأن الوصول إلى الحرام والطرق غير المشروعة أبوابها مفتحة، وطرقها معبدة مذللة، ومنافذ الفتن تطرق أبواب الشباب، ولا ملجأ ولا ملاذ إلا الاعتصام بالله والتمسك بحبله، وسؤاله النجاة من الفتن.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٢٢٢١١، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، ٥٤٥/٣٦.

المطلب الثالث: البعد بالطاقة الجنسية عن المثيرات والمحفزات:

ومن منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية للشباب أن أمر بالبعد عن المثيرات والمحفزات التي تهيج الطاقة الجنسية وتثيرها، فيصبح إشباع الجنس هو الشغل الشاغل للشباب، ولقد أتى الإسلام ببعض التوجيهات التي تساعد على البعد عن المثيرات والمحفزات المختلفة، ومن ذلك الأمر بغض البصر قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعا"(٢).

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وغض البصر من أجل الأدوية لعلاج أمراض القلوب. وفيه حسم لمادتها قبل حصولها. فإن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس. ومن أطلق لحظاته، دامت حسراته"(٣).

وما من شك أن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، "ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٦/ ٤١.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، ٧/ ٣٧١.

أبلغ، ولهذا سماه الله حفظا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم يتحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن"(١).

قال ابن عاشور رحمه الله: "وفي هذا الأمر بالغض أدب شرعي عظيم في مباعدة النفس عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام أو ما عسى أن يكلفها صبرا شديدا عليها، والأمر بحفظ الفروج عقب الأمر بالغض من الأبصار لأن النظر رائد الزنى. فلما كان ذريعة له قصد المتذرع إليه بالحفظ تنبيها على المبالغة في غض الأبصار في محاسن النساء. فالمراد بحفظ الفروج حفظها من أن تباشر غير ما أباحه الدين"(٢).

وفي ضوء المتغيرات الحضارية الآن يدخل في هذا الباب الأمر بغض البصر عن مشاهدة الأفلام الإباحية، والمقاطع الفاضحة التي تنشر الخنا والرذيلة، وتؤجج الشهوة، وتروج للفاحشة، وتقتل الشباب في فكرهم، وتفسد عقولهم فيناموا ويصبحوا ولا همّ لهم إلا إجابة داعي الشهوة، والسير وراء الملذات، وإشباع النهم الجنسي، والاغتراف مما يظنونه مهدئاً لأعصابهم، ومريحاً لأبدانهم، وما وقع هذا إلا من البعد عن توجيه الإسلام بحفظ الطاقة الجنسية مما يثيرها ويحفزها. إن داعي الشيطان قريب من الإنسان، وكلما استسلم شبابنا لهواجس الشر، وخطرات النفس، وتزيين الشياطين من الإنس والجن، كلما وقعوا فريسة سهلة لداعي الهوى والشهوة.

فاستدامة النظر إلى العورات والمحرمات مما تعج به التقنية الحديثة، وينتشر عبر الوسائل المختلفة بكل سهولة بين يدي شبابنا فتلتهب فيهم الشهوات، وتدعوهم للوقوع في المحرمات، وإجابة منادي الجنس بأي وسيلة، وأي طريق؛ ولذا كان من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٦٦.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ٢٠٤.

توجيه النبي ﷺ أن لا يتمادى الإنسان في النظر إلى المحرمات فعن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: ((يا عليّ لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فإنَّ لكَ الأولى ولَيْسَتْ لكَ الآخِرَةُ))(١).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري))(٢).

ما أحوج الشباب إلى مثل هذه النصيحة، والتأكيد عليها لاجتماع شهواتهم وكثرة الفتن في هذا الزمان، وإذا كان الشاب غير متزوج، كانت الحاجة أشد، لما في النظر عليه من الخطر.

قال ابن القيم رحمه الله: "والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان. فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع. وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده"(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في نظر الفجأة رقم ٢٧٧٧ وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٠٨ رقم ٢٧٧٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الآداب، باب: نظر الفجاءة، رقم الحديث ٢١٥٩.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، ص ١٣٤.

المطلب الرابع: الاستعانة بالله على مغريات الطاقة الجنسية:

تلتقي الطاقة الجنسية عموماً، ولدى الشباب خصوصاً مع هوى النفس الأمارة بالسوء، والرغبة القلبية للإشباع والاستمتاع، والطواعية والاستجابة لوساوس الشيطان وهواجسه، ومن ثمّ فإن الشباب يتعرضون لمغريات عنيفة لضبط الطاقة الجنسية وحفظها عن الوقوع فيما حرم الله تعالى، وعندئذ فإن التوجيه الإسلامي في ذلك هو الاستعانة بالله تعالى، وطلب الثبات والعصمة حتى لا يتزلق الشاب في مستنقع الرذيلة ووحل الخطيئة.

وقد عرض القرآن الكريم نماذج وصوراً لفضل الاستعانة بالله، واستحضار خشيته والخوف منه سبحانه؛ ففي قصة يوسف عليه السلام دروساً مستفادة للشباب عند تعرضهم للمغريات والفتن كيف يكون اللجوء إلى الله هو المنقذ من الوقوع في الهاوية، وقد صور القرآن الكريم ما حدث بين نبي الله يوسف عليه السلام وامرأة العزيز أبلغ تصوير وأحسنه قال الله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فحاولته على نفسه، ودعته إليها، وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسنه وبهائه، فحملها ذلك على أن تجملت له، وغلقت عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها، فامتنع من ذلك أشد الامتناع"(٢).

لقد صبر يوسف عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه - وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله - ما أوجب له البعد

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٤/ ٣٧٩.

والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، "وجعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما منَّ الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله، واختصهم لنفسه"(١).

إن الشباب المسلم الحق الذي إذا جاءه هاجس الشيطان استعان بالله واستغاث به وحده قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة شاب نشأ في عبادة ربه، وأيضاً من تعرض لموقف فيه إغراء ودعوة لنزغات الشيطان، وتصريف للطاقة الجنسية في غير موضعها الشرعي وامتنع من ذلك خوفاً من الله وإجلالاً له سبحانه، واستحضاراً لعظمته، ووقوفاً عند أمره ونهيه.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٣٩٦.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٠-٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث ٦٦٠، وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، رقم الحديث ١٠٣١.

وقد أخبر نبينا ﷺ أن من يطلب العفة يبلغه الله إياها فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: ((مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ))(١).

إن شبابنا الآن أحوج ما يكونوا إلى الاستعانة بالله والاعتصام بحبله، والتمسك بهدي نبيه، في ظل ما يموج به العصر الحديث من فتن، وما تكثر فيه المغريات، وما تتعدد فيه السبل الداعية إلى الرغبات والنزوات، والشهوات والملذات، فيعصم الله من لجأ إليه واستعان به سبحانه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، رقم الحديث ١٤٦٩، وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، رقم الحديث ١٠٥٣.

المبحث الخامس

منهج الإسلام في توجيه الطاقة النفسية في ضوء المتغيرات الحضارية

إن الشباب نظراً لطبيعة المرحلة التي يعيشون فيها يمتلكون طاقات نفسية هائلة، تحتاج إلى استخراجها واستكشافها فيهم، وتحتاج كذلك إلى توظيف سديد لها حتى تؤتي الثمرة المرجوة منها، وقبل كل ذلك تحتاج إلى توجيه وإرشاد في ظل المتغيرات الحضارية المتسارعة التي تعبث بأفكار الشباب، والانفتاح الثقافي والمعرفي، والعولمة بضغوطها وتقنياتها المتقلبة والمتغيرة بين الحين والآخر، مما قد يساهم في التوظيف الخاطئ لهذه الطاقات، أو كبتها، وعدم اكتشافها، مما يعني حرمان الوطن من طاقات شبابه.

"ويتصف الشباب بصفات مختلفة منها الطاقة والحيوية الدافقة والاندفاع والسرعة والقلق وعدم الرضا والحماس، وهذه الصفات تزداد حدة في العصر الحديث بوجه عام، وفي المجتمعات النامية بوجه خاص فلا ينبغي أن نعتبر هذه الصفات ضارة؛ بل يجب الاستفادة منها بأقصى حد ممكن بشرط أن يتوافر الوعي بالطريق الذي يجب أن ينطلق منه الشباب، وهذا يلقي مسؤولية على المؤسسات المعنية بالشباب في إنماء الوعي بالحياة دون القضاء على القيم والمعاني المختلفة"(١).

ويمكن لنا أن نستوضح منهج الإسلام في توظيف وتوجيه الطاقات النفسية للشباب من خلال المطالب الآتية:

---

(١) العولمة والشباب من منظور اجتماعي، محمد سيد فهمي، ص ١٠٣.

المطلب الأول: الاستفادة من الطاقة النفسية بالتحفيز والترغيب:

إن النفس البشرية تميل إلى الترغيب والتشجيع والتحفيز، مما يجعل الشاب يعطي كل ما عنده، ويستخرج مكنون طاقته، ويستجمع كل إمكانياته لنيل المرغوب، والحصول على التحفيز المطلوب، ولقد كان من منهج الإسلام التحفيز الصادق والترغيب الحقيقي لدفع الشباب لإنجاز ما يطلب منهم.

إن مدح الشاب وتحفيزه لا يكلف شيئاً، ولكن له مفعول قوي في تنفيذ المطلوب والإقبال والعمل، ومن النماذج التطبيقية الدالة على ذلك ما كان من النبي - ﷺ في غزوة خيبر عندما أخبر أنه سيعطي الراية غداً لشخص يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ولم يقل سأعطيها لفلان مباشرة، فإن الجانب النفسي والتهيؤ والتطلع إلى معالي الأمور قبل التكليف بالمهام أمر في غاية الأهمية فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ». فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))(١).

إن النبي ﷺ حرص على التحفيز والتشجيع ليستجمع الشباب قوتهم ويقبلوا على المطلوب منهم بحماس حتى كان من عمر - رضي الله عنه- أنه تطلع لهذا الأمر

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، رقم الحديث ٣٧٠١.

كما جاء في رواية مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ((قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ - قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا))(١).

قال القاضي عياض رحمه الله: "قوله: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، بمعنى: تطاولت، وفى الرواية الأخرى: أي حرصت على ذلك حتى أظهرت وجهى وتصديت لذلك؛ ليتذكر مكاني فأعطاها، كما قال: "رجاء أن أدعى لها". وكما قال: "فما أحببت الإمارة إلا يومئذ"؛ وذلك للوصف الذى وصف به من يعطاها من حبه الله ورسوله وحبهما له"(٢).

إذًا لا بد من استفراغ الطاقات النفسية ببراعة التحفيز، وقوة الترغيب، وحسن التهيئة، حتى تهضم النفوس والعقول أهمية العمل، وضرورته، وأثره في الحياة، وبعد الممات. إننا كثيراً ما نظلم الشباب عندما نطلب منهم أموراً، ولا نصحبها ببعض معاني التحفيز، بل أحيانا نعمل على هدم الشباب وقتل معنوياتهم، وإخبات طاقاتهم.

لقد حرص النبي ﷺ في مواقف كثيرة من سيرته العطرة أن يرتقي بالشباب محفزاً لهم على أعمال الخير والبر، ومشعلاً لحماس طاقاتهم فلما أراد من أصحابه رضي الله عنهم البذل والإنفاق ربط ذلك بالمحفزات المختلفة؛ فعن زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا))(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث ٢٤٠٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٧/ ٤١٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير، رقم الحديث ٢٨٤٣، أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم الحديث ١٨٩٥.

وقال ﷺ: ((مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ))(١).

إلى غير ذلك من التوجيهات التي يظهر فيها منهج الإسلام باستغلال طاقة الشباب النفسية من خلال الترغيب والتحفيز للأعمال الصالحة النافعة؛ فإن من طبيعة النفس البشرية أنها تحب المدح والثناء والوعد بالخير، وانتظار المرغوب، عندئذ تسارع إلى فعل المطلوب، وتمام المقصود.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم الحديث ٢٧٧٨.

المطلب الثاني: بث الهمة العالية في نفوس الشباب:

إن الأمم جميعها تحتاج إلى أصحاب الهمم والطموح، فهم صناع الحياة، وقيادات المستقبل في أي أمة من الأمم في القديم والحديث، فلا يمكن أن يتحقق النهوض والتقدم والريادة إلا بالهمة العالية، والنفس الطموحة، الوثابة، والأمة الإسلامية تحتاج إلى بث الهمة العالية في نفوس الشباب لتعظم الاستفادة منهم، ومن طاقاهم.

وفي القرآن الكريم ما يدل على فضل أصحاب الهمم العالية ففضَّل الله أصحاب الهمم العالية والطموح والمثابرة على غيرهم وإن كانوا مسلمين من أصحاب الحسنى قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾(١).

وعن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))(٢). وهذا يبين همة هذا الصحابي، وعلو طموحه، وشدة رغبته في مرافقة النبي ﷺ.

وعَنْ حُسَيْنِ بن عَلِيٍّ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا))(٣).

قال الجرجاني رحمه الله: "والهمة: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق، لحصوله الكمال له أو لغيره"(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، رقم الحديث ٤٨٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٢٨٢٦ وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته ١٨٩٠ ١/٣٩٠.

(٤) التعريفات، الجرجاني، ص ٣٢٠.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "وما تقف همة إلا لخساستها، وإلا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدون، وقد عُرف بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثَّتْ سارت، ومتى رأيت في نفسك عجزًا فسل المنعم، أو كسلاً فسل الموفق، فلن تنال خيرًا إلا بطاعته، فمن الذي أقبل عليه ولم يرَ كل مراد؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرض من أغراضه؟"(١).

والسبب الذي يجعل كثيرًا من الناس يطلبون الأدنى من الأمور، ويقصدون ما لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا -فساد العلم، وكثرة الجهل، وضعف الهمَّة، فكلَّما صحَّ العلم، وانتفى الجهل، وصحَّت العزيمة، وعظمت الهمَّة؛ طلب الإنسان معالي الأمور، فبعض الناس همُّه لقمة يسدُّ بها جوعته، وشَربة روية تذهب ظمأه، ولباس يواري سوأته، ومن الناس من يكون مطلبه التمتع بمتاع الحياة الدنيا كحال طَرَفَة بن العبد، فقد قيل له: ما أطيب عيش الدنيا؟ فقال: "مطعمٌ شهيٌّ، وملبسٌ دفيٌّ، ومركب وطيٌّ"(٢).

إن الإنسان إذا علت همته علا اهتمامه وسمت تطلعاته، وبمقدار ذلك يسمو على الأهواء والشهوات والملذات الخاطئة، ويتعالى عن العبثية، ويأبى أن يعيش حياة الفراغ واللهو المطلق. وأمة يكون أبناؤها كذلك تستحق الحياة بجدارة، وتسير في طريق السعادة.

قال ابن القيم رحمه الله: "علو الهمة: أن لا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلا منه ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به، بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم: كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل

---

(١) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، ابن الجوزي، ص ١٠.

(٢) انظر: علو الهمة، محمد بن إسماعيل المقدم، ص ٢٠.

إليهم، فإن "الهمة" كلما علت بعدت عن وصول الآفات أليها وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان فإن الآفات قواطع وجواذب، وهي لا تعلو إلى المكان العالي فتجتذب منه، وإنما تجتذب من المكان السافل، فعلو همت المرء: عنوان فلاحه، وسفول همته: عنوان حرمانه"(١).

ولما كان الشباب في مقتبل أعمارهم ومسيرة حياتهم فهم الأجدر أن يحققوا ذلك في نفوسهم، فمع السعي لتحقيق العبودية الكاملة لله يسعون لاختيار هدف صحيح في حياتهم ويسعون لتحقيقه بجد واهتمام ليكونوا ذوي رسالة وأثر في هذه الحياة بما يرضي الله.

"ومن كان ذا همة كان له أهدافه العالية والسامية وسعيه الحثيث لتحقيقها، ومن يكن ذا همة واهتمام، يرتفع فوق سفاسف الأمور وتفاهاتها. ومن يكن ذا همة، يسمو على المعصية ووسوسة الشيطان. ومن يكن ذا همة، تكن قضايا أمته المصيرية وهموم مجتمعه وواجب وطنه عليه حاضرا في وعيه وحركته، فطبيعة النفس الإنسانية إن لم تهذب، أمارة بالسوء، تشد الإنسان إلى سفاسف الأمور ودنيئها، لما أنها مخالطة للجسد الذي أصله من طين من حمأ مسنون، بينما الروح في الإنسان ذات أصل علوي رباني تشد الإنسان نحو المعالي والخير والقمم السامية، فكان من أهم واجبات المرء كيف يسمو إلى تطلعات الروح وعليائها، ويتحرر من قيود النفس وشهواتها وسطوتها ودعواتها المتدانية"(٢).

إن ما مضى كله يؤكد أهمية الارتفاع بالهمة، والعلو بالاهتمامات لدى الشباب عناية خاصة. فكلما استطعنا أن نبث هذه الروح في شبابنا كنا أقدر على تقويمهم

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣/١٧٢.

(٢) صناعة الشباب، محمد سعيد حوى، ص ٢٠.

والارتقاء بهم والاستفادة من طاقاتهم، وكان ذلك عوناً لهم للارتقاء بأنفسهم وتحقيق كل خير لهم في حياتهم، وهذا ما تنبه إليه المربون والمؤدبون من قبل.

إن الشباب طاقة متجددة، وحيوية مفعمة بضروب النشاط والحركة؛ فضلاً عن العزيمة النفسية، والطاقة الروحية لديهم؛ فالواجب استثمارها، وتوظيفها وتوجيهها إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد، ولقد كان من دعاء النبي ﷺ أنه كان يستعيذ بربه من أسباب الضعف والعجز، فيقول:((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ))(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يتعوذ من الجبن، رقم الحديث ٢٨٢٣، وأخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره رقم الحديث ٢٧٠٦.

المطلب الثالث: توظيف الطاقة النفسية في الإيجابية والفاعلية:

إن الإيجابية والفاعلية في المجتمع من أهم الأمور التي نحتاجها الآن، في ظل انشغال كل إنسان بنفسه، والتعبير عن شخصيته خلف العالم الافتراضي وجدران وسائل التواصل الاجتماعي، وإن الشباب بما يملك من طاقة نفسية لديه القدرة على تحقيق الإيجابية، والمشاركة بفاعلية، لا أن يكون ريشة في مهب الريح يسير خلف كل ركب، وينعق وراء كل ناعق، ويهرف بما لا يعرف.

إن الطاقة النفسية لدى الشباب يجب أن تولد فيهم البعد عن الأنا والمسؤولية عن الذات فحسب؛ بل يجب أن يكون المسلم مهتماً بكل صغيرة وكبيرة في بلده ووطنه، حريصاً على فعل الصواب والدعوة إليه، والتنبيه إلى الخطأ، والتحذير منه. لقد نهى النبي ﷺ عن السلوك السلبي المقلد الذي لا يتخذ موقفاً؛ فعن حُذَيْفَة -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ((لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إن أَحْسَنَ الناس أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إن أَحْسَنَ الناس أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أساءوا فلا تَظْلِمُوا))(١).

إن شأن المجتمع المتحضر أن يكون أفراده إيجابيين يشاركون في بنائه بالرأي والعمل، "ففي النفس البشرية استعدادان متقابلان: السلبية والإيجابية، وهما اتجاهان متعارضان، ولكنهما موجودان جنباً إلى جنب في هذا الكيان الإنساني العجيب الذي خلقه الله على غير مثال. وكثيراً ما يؤتى البشر من سوء توجيههم في أحد هذين الاتجاهين أو في كليهما. ولقد نفذ الإسلام إلى هذين الخطين المتقابلين فصحح معيارهما بهمة فريدة تضع كل شيء في نصابه الحق، فتبدو الأمور طبيعية منطقية لا عوج فيها ولا انحراف"(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو،٣٦٤/٤، رقم ٢٠٠٧. وضعفه الألباني ضعيف الجامع الصغير ٦٢٧١.

(٢) الإسلام والطاقات المعطلة، الشيخ محمد الغزالي، ص ٣٢.

وإن من أعظم السبل التي تولد الإيجابية والفاعلية لدى الشباب الثبات على منهج واضح لا يتبدل بتبدل الزمان والمكان، "فالمسلم لا يصدق في مكان ويكذب في مكان آخر، ولا يعدِل مع أناس ويظلم غيرهم، والستر والحشمة في اللباس شيء ثابت وفي كل مناخ. إن أمورًا مثل الغش والخداع وغياب الإتقان، والنفور من النظام لا يمكن أن تأتي بنتائج إيجابية، بل تفسد الحياة اليومية، وتجعل الإنسان معطوبًا في بنيته الأخلاقية ووجوده الاجتماعي، ويجب الثبات على المبادئ والتمسك بها؛ لأنها تعطي المسلم الشجاعة والثقة في النفس والاحترام من الغير"(١).

ومن الإيجابية والفاعلية مشاركة المجتمع والآخرين ما يقومون به لا أن يكون الشاب منفصلاً منفصماً عن قضايا مجتمعه وبيئته "فربما يقوم شاب بعمل ما ويكون قادرًا على إنجازه، ولكنه إذا قام بهذا العمل مع شخص آخر أو أشخاص آخرين فإن الإنجاز سيكون أكبر والاستفادة أعم، وسيصبح العمل أكثر فاعلية. فالشخص التعاوني يقيم علاقاته مع الآخرين على أساس التكامل وتبادل التأثر والتأثير، والتعاونية مفهوم أكثر نضجًا وتقدمًا من الاستقلالية، وعلى كل حال فهو خيار لا يقدر عليه إلا الأشخاص المستقلون"(٢).

ومن الإيجابية لدى الشباب تصويب الأخطاء والممارسات المجتمعية، والنقد البناء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق الضوابط الشرعية، ومن الإيجابية والفاعلية الشعور بالمسؤولية المجتمعية تجاه قضايا الأمة، ومحاولة تصويب وتصحيح الأخطاء بالحسنى، بل والمسؤولية عن هداية وإصلاح أخطاء الآخرين.

إن الحياة تتطلّب من الإنسان أن يكون كريماً معطاءً لكي يكون إيجابيّاً فاعلاً مؤثراً فيما حوله، ولكن عندما يتطلّب الموقف كرماً أو تصدّقاً في مال أو علم، أو سعياً في

---

(١) الفاعلية، د. محمد العبدة، ص ١١.

(٢) العادات السبع، ستيفين كوفي، ص ٤٥.

حاجة ملهوف ما، أو إغاثة لمنكوب، أو تنفيساً لكرب مكروب إلخ...، يظهر جانب الشحّ والتقتير في النفس الإنسانية، ويدعو هذا الجانب الإنسان إلى البخل وعدم العطاء، ويزيّن له الشيطان ذلك من الخارج، لكن المسلم يتغلّب على هذه العوامل بما يملك من تعظيم للّه، وخضوع له، وحب للآخرة، "وتتطلّب الحياة من الإنسان أن يمتلك الشجاعة الأدبية التي تدفعه إلى قول الحق والصدع به، حتى يكون فاعلاً ومؤثّراً وإيجابياً، وتتولّد الشجاعة الأدبية عند المسلم من الغنى النفسي الذي يمتلكه والذي يتمثّل في تعظيم اللّه والخضوع له والخوف منه، فهو عندما يواجه موقفاً يتطلّب جرأةً وكلمة حق يتنازعه هاجسان: الأول: يطلب منه أن يقول الحق إرضاءً للّه، وخوفاً من عقابه إن لم يصدع بذلك الحق راجياً منه العون، الثاني: الخوف من غضب الناس، وانفضاضهم من حوله، وتأثر مصالحه الدنيوية؛ لكن المسلم يُغلّب الهاجس الأول بسبب الغنى النفسي الذي يملأ قلبه وعقله. إن الامتلاء النفسي الذي يولّده الإيمان بكل شعبه وفروعه هو الأصل في الغنى النفسي، والدافع للمسلم إلى الإيجابية والفاعلية والتأثير، لذلك نستطيع أن نؤكّد بأنه عندما تكون هناك نفس غنية بالإيمان سيكون هناك إيجابية وفاعلية وتأثير في مختلف دوائر الحياة"(١).

إن واجبنا يفرض علينا أن نتوجه إلى الشباب، ونعطيهم مزيداً من العناية والرعاية لاستخراج طاقاتهم النفسية الداخلية، وتوظيفها توظيفاً صحيحاً يعود بالخير على شبابنا، وعلى مجتمعاتنا؛ فإن المؤثرات المعاصرة تشد شبابنا إلى القعود والخمول، والكسل والركود، وانشغال كل فرد بنفسه، والسلبية تجاه كل شيء من حولنا، مما جلب لأمتنا التأخر الحضاري، والتراجع الفكري.

---

(١) كيف تكون إيجابيا فاعلا مؤثرا، غازي التوبة، ص ٣٥.

المطلب الرابع: تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي:

إن الطاقة النفسية لدى الشباب تولد لديهم السكينة والطمأنينة، التي تأتي من الارتباط بالله سبحانه، والتعلق به، والانشغال بذكره، وهذا ما يهدف منهج الإسلام أن يحققه في نفوس الشباب فمع التقنية الحديثة، والتقدم العلمي، والازدهار الحضاري طغت الماديات على تصرفات الناس، وبدأ الشباب يعيشون في عزلة، يقتلهم القلق والاضطراب، وينتشر بينهم الانتحار، في حين أن الطاقة النفسية في المنهج الإسلامي تمنحهم ما يحتاجون إليه من أمن نفسي، وسكينة ورضا.

وكما قال ابن القيم رحمه الله: "ففي القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته. وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته. وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه. وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه. وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا"(١).

إن حياة الإنسان لا تسير على وتيرة واحدة، ولا تمضي على نمط واحد، بل هي خليط من التجارب المتنوعة والانفعالات والعواطف المختلفة، فالإنسان قد يشعر بالحب حينًا، وبالكره حينًا آخر، ويشعر بالخوف والقلق تارة وبالأمن والطمأنينة وسكينة النفس تارة أخرى، ويشعر بالفرح والسرور بعض الوقت وبالحزن والكآبة في بعض الأحيان، وهكذا تمضي حياة الإنسان في تغير مستمر وتقلب دائم، ويعد القلق من الأحاسيس المؤلمة وأساس المتاعب النفسية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، حتى أصبح خاصية عامة وعالمية، ففي تقرير لمنظمة الصحة العالمية، أثبت «أن ٢٥ % من

---

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ٣/ ١٥٦.

سكان العالم يشعرون بالتوتر والخوف والإحباط، وتوقع السوء، وحدوث ما يهدد حياهم"(١).

إن الإسلام يوجه الشباب إلى الإقبال على الله تعالى، والبعد عن المعاصي، والانشغال بذكره وطاعته فعندئذ تتحقق لهم السكينة النفسية، والطمأنينة القلبية.

قال ابن القيم رحمه الله "كلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها. ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، الذى لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف. فذكره قوته وغذاؤه ومحبته، والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره، والالتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه، فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة"(٢).

وما من شك أن المواد المرئية والإعلامية عبر شبكة المعلومات الدولية، ومن خلال الوسائط المختلفة فيها الكثير من الأشياء التي تبث اليأس والقنوط والإحباط في نفوس الشباب، وتهوي بنفوسهم إلى دركات بعيدة من العزلة، والخوف من المستقبل، واستشعار القلق، والتوجس من الغد، وضياع الهدف، وظلامية الحياة.

في حين لا أنه لا يخفى ما تحدثه الطاقة النفسية في المنهج الإسلامي من السكينة والطمأنينة والتسامي، والتفاؤل، والأمل، والرغبة في صناعة المستقبل، والتطلع إليه

---

(١) القلق قيود من الوهم، د. عبدالستار إبراهيم، ص ١٣.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ١/ ٧١.

بنفس مشرقة يملؤها الإيمان، وتحوطها عناية الرحمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(١). وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾(٢).

ومن خلال ما سبق يكون قد اتضح منهج الإسلام في توجيه وإرشاد الطاقة النفسية للشباب لتؤتي أكلها، وتنتج ثمرتها، في وقت تحتاج فيه الأمة لكل طاقات شبابها، في ظل الطوفان الإعلامي، والتحديث التقني كل يوم، وكل لحظة، الذي يفتن الشباب، ويشدهم إليه، وما تزال حاجتنا ماسة للوعي بطاقات الشباب واستكشافها، والأهم من ذلك كله توظيفها التوظيف الصحيح الذي لا يخرج عن حدود الشرع، ويفيد المجتمع بأكمله، والأمة بأسرها، ويصون شبابها من الزيغ والانحراف، والضلال والفساد، ويكون شبابها أداة بناء لا معول هدم، وعامل استقرار غير مدفوع للفوضى والاختلاف، ويحافظ على مقدرات وطنه ومكتسباته، ويجتهد في بنائه ورقيه وازدهاره.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله، ويجعلنا أهلاً لنعمائه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،

فإن من نعم الله العظيمة أن أعان على إتمام هذا البحث وإنجازه فله الحمد الأولى في الأولى والآخرة، على تيسيره وتوفيقه، وإعانته وتسديده، ولقد خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات أوردها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

١/ أهمية مرحلة الشباب، حيث إن فيها من السمات والخصائص ما لا يتوفر في غيرها من مراحل عمر الإنسان، الأمر الذي يفرض ضرورة وأهمية العناية بهذه المرحلة العمرية إرشاداً وتوجيهاً، ونصحاً وتقويماً.

٢/ يموج العصر الحديث بجملة من المتغيرات الحضارية الفاعلة والمؤثرة في تصرفات الشباب، في ظل التقدم العلمي والتقني المتسارع، وازدياد ارتباط الشباب بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وشبكات التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص، وهذا يستدعي القيام بعملية التحصين والتوجيه لفئة الشباب، والحفاظ على طاقاتهم.

٣/ إن الشباب لديه العديد من الطاقات الفاعلة والمؤثرة كالطاقة الإيمانية، والطاقة العقلية، والطاقة البدنية، والطاقة الجنسية، والطاقة النفسية، وكل هذه الطاقات يمكن توظيفها في خدمة المجتمع، والرقي بالأمة، والمشاركة في ازدهارها الحضاري؛ لو تم توجيهها توجيهاً صحيحاً، وتم تحصين الشباب وحمايتهم مما يستهلك طاقاتهم.

٤/ تميز منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية لدى الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية، حيث أمر بالحفاظ على الطاقة الإيمانية من الملوثات الفكرية، وحث على

توظيف الطاقة الإيمانية في الدعوة إلى الله تعالى، مع ضرورة الابتعاد بالطاقة الإيمانية عن مزالق الغلو والتشدد، الذي يؤدي بدوره - عند الوقوع فيه- إلى عواقب وخيمة من التكفير والتفجير والتخريب، والعنف وعدم التعايش، وإراقة الدماء، وهذا ما يحذر منه الإسلام ولا يرضاه لشبابه. وكل ذلك في وقت تستغل فيه الجماعات المتطرفة الحماس الإيماني لدى الشباب لتحقيق مآربهم وأغراضهم.

٥/ كان منهج الإسلام في توجيه الطاقة العقلية لدى الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية واضحاً من خلال التأكيد على أهمية حماية الطاقة العقلية لدى الشباب من المهلكات والمفسدات، والحث على الاستفادة من الطاقة العقلية في العلم، ولكي يكون الشاب نافعاً لنفسه ولغيره؛ فقد كان توجيه الإسلام للشباب بتوظيف الطاقة العقلية في تعليم الآخرين؛ لتحقيق الفاعلية والمشاركة.

٦/ نظراً لأن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة ضعف وتراجع فكري وحضاري، فقد كان توجيه الإسلام للطاقة العقلية للشباب بضرورة توظيف هذه الطاقة في عمارة الأرض وتسخيرها، واستثمارها في الابتكار والإبداع الفكري؛ أملاً في تحقيق التقدم الحضاري من خلال سواعد الشباب وعقولهم وأفكارهم وإبداعهم.

٧/ جاء منهج الإسلام في توجيه الطاقة البدنية للشباب في ضوء المتغيرات الحضارية؛ ليؤكد على أهمية المحافظة على الطاقة البدنية من المهلكات، وأن يبتعد الشباب عن كل ما يضر بصحتهم وأبدانهم، في وقت يراهن فيه أعداء الأمة على إفساد الشباب وإهلاكهم بالسموم المختلفة التي يحاولون الترويج لها باستمرار.

٨/ إن ارتباط الشباب بالله من خلال العبادة والطاعة أمر في غاية الأهمية، ومن ثمّ كان من توجيه الإسلام للشباب استغلال طاقاتهم البدنية في الطاعة والعبادة، والانشغال بمرضاة الله ليؤدوا شكر نعمة الصحة التي أنعم الله بها عليهم.

٩/ العمل والإنتاج هو سبيل النهوض لأي أمة من الأمم، ولذا فمن صور توجيه

الطاقة البدنية الانصراف إلى العمل والاكتساب ليكون الشباب منتجاً، لديه القدرة على الاكتساب، وكذا أهمية تفعيل الطاقة البدنية في المشاركة المجتمعية، ليتعود الشباب على خدمة الآخرين وتقديم العون للمحتاجين والمساهمة في بناء الوطن بسواعدهم الفتية.

١٠/ يشهد العصر الحديث في ضوء متغيراته التقنية ازدياداً واضحاً، وانتشاراً واسعاً؛ لكل ما يلهب الجنس، ويحرك العواطف، ويهيج المشاعر والغرائز، ويستخرج الطاقات المكبوتة المدفونة، مع سهولة الوصول إليها مما يرهق الشباب من أمرهم عسراً، ويؤجج لديهم المشكلة الجنسية، ولذا كان من منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية في ضوء هذه المتغيرات الحضارية هو الاعتراف بالطاقة الجنسية للشباب وعدم مصادمتها، ووجوب تصريف الطاقة الجنسية بالطرق المشروعة.

١١/ حث الإسلام الشباب على ضرورة البعد بالطاقة الجنسية عن المثيرات والمحفزات، حتى لا يزداد توترهم، وتتبدد طاقاتهم، مع الاستعانة بالله على مغريات الطاقة الجنسية.

١٢/ في ضوء التغير الحضاري المتلاحق كان لا بدّ أيضاً من توجيه الشباب للاستفادة من طاقتهم النفسية، من خلال التحفيز والترغيب، وبث الهمة العالية في نفوس الشباب، مع ضرورة توظيف الطاقة النفسية في الإيجابية والفاعلية، وصولاً للسعادة والصحة النفسية، والطمأنينة القلبية، والأمن النفسي.

ثانياً: التوصيات:

١/ يوصي الباحث بضرورة وأهمية العناية والرعاية لمرحلة الشباب، والاقتراب منهم، حتى لا يقعوا فريسة لتيارات الشرّ، وقوى الظلام، التي تريد تخريب الديار والبلاد بأيدي الشباب وسواعدهم.

٢/ يوصي الباحث بتكثيف المحاضرات التوعوية الموجهة إلى الشباب عبر تنظيم وتنسيق بين الجهات المختصة، ويقوم بذلك العلماء والدعاة وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات، والمختصون كل في مجاله.

٣/ يوصي الباحث أن تعتني الجهات المعنية بالبحث العلمي بتوجيه المختصين للكتابة حول موضوعات وقضايا الشباب، حيث إن الدراسات المتخصصة حول قضايا الشباب ما زالت تحتاج إلى مزيد.

٤/ يوصي الباحث بعقد العديد من المؤتمرات والندوات والملتقيات والفعاليات التي تعالج وتناقش قضايا ومشاكل الشباب، واستكتاب المختصين في شتى المجالات، للمساهمة في زيادة درجة الوعي بأهمية قضايا الشباب ومعالجتها.

٥/ بوصي الباحث بإنشاء المزيد من المؤسسات الرسمية المحلية والدولية التي تستقطب الشباب تحت رعاية الدولة، وتعمل على توجيههم، والاستفادة من طاقاهم، وتحفيزهم إلى الالتصاق بالمجتمع، والمشاركة والفاعلية المجتمعية، ليكونوا جزءاً من نسيج الوطن. مع ضرورة الحوار المباشر وغير المباشر مع فئة الشباب، للتعرف على احتياجاهم، وسبل استفراغ طاقاهم في ضوء تعاليم الشريعة.

٦/ يوصي الباحث بالاستفادة من التقنية الحديثة، وعمل برامج تقنية موجهة لتوعية الشباب، والأخذ بأيديهم إلى سبل الرشاد، ومساعدهم على تصريف طاقاهم واستخراجها بالطرق المشروعة، وتوظيف طاقاهم المختلفة في خدمة دينهم وأوطاهم.

٧/ يوصي الباحث بإنشاء مؤسسات معنية بتيسير الزواج للشباب، ومعاونتهم

ودعمهم، مع حثّ المجتمع على تخفيض المهور، وتخفيف متطلبات الـزواج، لإشـباع الطاقة الجنسية للشباب الأمر الذي يحقق الاستقرار النفسي، وتحمل المسؤولية، والوقاية من الانحرافات السلوكية والخلقية.

٨/ يوصي الباحث بالتوسع في إنشاء النوادي في كل حي سكني، وكل قرية من القرى؛ وتحت رعاية الدولة، تكون مهمتها استقطاب وجذب الشباب، مع دعم هذه الأندية بالأنشطة والبرامج الموجهة لرعاية الشباب، واستفراغ طاقاتهم، وتوعيتهم فتكون هذه الأندية متنفساً للشباب، ومكاناً آمناً لممارسة الأنشطة الفكرية والاجتماعية والثقافية.

وختاماً:

فإن الشباب هم أمل الأمة، وسواعدها الفتية، وهم رجال المستقبل، وإن أعداء الإسلام يتربصون بشبابنا عبر الوسائل المختلفة، مما يوجب علينا الانتباه لشبابنا ووقايتهم وتحصينهم، والاستفادة من طاقاتهم، وربطهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم، والاعتزاز بدينهم والتمسك به.

حفظ الله شبابنا وأمتنا من كل سوء، وجعلنا أهلاً لحمل دينه ونشر دعوته إنه ولي ذلك والقادر عليه

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، د. محمد عمارة، ط/ نهضة مصر، القاهرة.

٢. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبدالرحمن الجربوع، ط/١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣. أثر المخدرات على الأمة وسبل الوقاية منها، د. أحمد عطية بن علي الغامدي، ط/ مطابع الثقافة، الرياض: ١٤٠٧هـ.

٤. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥. أخلاقيات العولمة، د. أحمد أنور، ط/١، مركز المحروسة للنشر، ٢٠٠٤م.

٦. آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير، عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، ط/١، دار الأوراق الثقافية: ١٤٣٥هـ.

٧. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني، ط/ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

٨. أزمات الشباب أسباب وحلول، القاضي محمد أحمد كنعان، دار البشائر، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الجزري، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤ م.

١٠. الإسلام والطاقات المعطلة، الشيخ: محمد الغزالي، ط/١، دار نهضة مصر.
١١. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥ هـ.
١٢. إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، "بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة التي يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي" العدد ٥٤، السنة١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١٣. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ مكتبة المعارف، الرياض.
١٤. آفاق جديدة في دراسة الإبداع، عبدالستار إبراهيم، وكالة المطبوعات، الكويت: ١٩٧٨م.
١٥. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط/ دار الوطن، الرياض: ١٤١٧هـ.
١٦. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، تحقيق: د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط/١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر: ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م.
١٨. الإنسان المهدور "دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، مصطفى حجازي، ط/٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: ٢٠٠٦م.
١٩. بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهادا ويحكم... أفيقوا يا شباب، عبدالمحسن بن حمد العباد البدر، ط/١، مطبعة سفير، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

٢١. البدر التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي، تحقيق: علي بن عبد الله الزبن، ط/١، دار هجر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٢. بين الإيجابية واللامبالاة في اتجاهات الفرد نحو العمل الجماعي، كامل ملكية، ط/ مصر: ١٩٨٩م.

٢٣. تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/ دار الغرب الإسلامي: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ م.

٢٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ.

٢٥. التربية الإسلامية للشباب، عبدالرحمن بله علي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: ربيع الآخر، رمضان ١٤٠١ هـ.

٢٦. التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحرافات، سعيد فالح المغامسي، ط/١، دار العلوم والحكمة، سوريا: ١٤٢٤هـ.

٢٧. تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبد الله الدويش، الرياض: ٢٠٠١م.

٢٨. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٩. التعليم في الوطن العربي أمام التحديات التكنولوجية، إبراهيم عبد الله الهجري، ط/ جامعة صنعاء، اليمن.

٣٠. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط/٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية: ١٤١٩هـ.

٣١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/ ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م.
٣٢. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.
٣٣. التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ط/١٠، دار الجيل الجديد، بيروت: ١٤١٣هـ.
٣٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ط/١، دار نهضة مصر، القاهرة: ١٩٩٧م.
٣٥. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٣٦. تنمية المجتمع في الدول النامية، يونس الفاروق زكي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة: ١٩٦٤م.
٣٧. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط/١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٣٨. تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، محمد علي بن حسين المكي، تحقيق: خليل المنصور، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٣٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ط/١، دار النوادر، دمشق: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤٠. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، ط/١، عالم الكتب، القاهرة: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٤١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.
٤٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.
٤٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، ط/٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٤٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
٤٥. جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، د. علي بن سليمان العبيد، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢١هـ.
٤٦. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، ط/ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٩٢هـ.
٤٧. حاشية السندي على سنن ابن ماجة، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، ط/ دار الجيل، بيروت.
٤٨. الحضارة العربية الإسلامية، د. طه خضر عبيد، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٤٩. حول تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، ط/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة: ١٩٩١م.
٥٠. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ط/٤، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م.
٥١. دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة، أحمد علي كنعان، ط/ كلية التربية، جامعة دمشق: ٢٠٠٤م.
٥٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥٣. زهر العريش في تحريم الحشيش، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، تحقيق: د. أحمد فرج، ط/٢، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٥٤. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط/ دار الفكر العربي.
٥٥. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط/ ١، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٥٦. سكان العالم العربي حاضراً ومستقبلاً، عبد الرحيم عمران، ط/ صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك.
٥٧. سكان الوطن العربي "دراسة تحليلية"، منصور الراوي، ط/ بيت الحكمة، بغداد: ٢٠٠٢م.
٥٨. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م.

٥٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ المكتبة العصرية، بيروت.

٦٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٦١. سوسيولوجيا الشباب المغربي، عبد الرحيم العطري ، ط/ دار النشر طوبس بريس، الرباط: ٢٠٠٤م.

٦٢. السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤١٨هـ.

٦٣. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر: ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٦٤. الشباب العربي ومشكلاته، عزت حجازي، "سلسلة عالم المعرفة"، الطبعة الأولى العدد ٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٦٥. الشباب المسلم في مواجهة التحديات، عبد الله ناصح علوان، ط/١، دار السلام، القاهرة: ٢٠٠٦م.

٦٦. الشباب في البادية الأردنية، د. محمود قظام السرحان، ط/ الأردن.

٦٧. شبابنا في عالم التغيير، نسرين حمزة عباس السلطاني، ط/ مكتبة جامعة بابل، العراق: ٢٠١٣م.

٦٨. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٩. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٧٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٧١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.
٧٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٣. صناعة الشباب، محمد سعيد حوى، ط/١، دار السلام للطباعة، القاهرة: ٢٠٠٧م.
٧٤. طَرِيق الْبناء التربوي الإسلامي، د. عقيل قَاسم النشمي، ط/٢، دَار الدعْوَة، الكويت: ١٤١٢هـ.
٧٥. طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، سيد أبو بكر حسانين، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م.
٧٦. طريقة تنظيم المجتمع، أحمد مصطفى خاطر، ط/ المكتب الجامعي: ١٩٨٤م.
٧٧. العادات السبع، ستيفين كوفي، ط/ مكتبة جرير، الرياض: ٢٠١١م.
٧٨. علم النفس النمو، عادل عز الدين الأشول، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة: ١٩٨٢م.
٧٩. علو الهمة، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ط/ دار الإيمان، الإسكندرية: ٢٠٠٤م.

٨٠. العولمة والشباب من منظور اجتماعي، محمد سيد فهمي، ط/ دار الوفاء، مصر: ٢٠٠٧م.
٨١. الفاعلية وعوامل تنميتها، د. محمد العبدة، سلسلة دروب النهضة، ط/ دار الصفوة: ٢٠٠٥م.
٨٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.
٨٣. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م.
٨٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٥٦ هـ.
٨٥. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط/٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٨٦. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، تحقيق: د. محمد عبد الله ولد كريم، ط/١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٢م.
٨٧. القراءة ودورها في تنمية الشخصية الإبداعية والفكرية والأخلاقية، د. أماني زكريا الرمادي، "مقال بالمدونة الرسمية لقسم المكتبات والمعلومات"، جامعة الإسكندرية فبراير ٢٠١٢ م.
٨٨. القراءة وعلاقتها بالتنمية الفكرية والإبداع، عبد الله صالح حامد، حولية الكتب والمكتبات والمعلومات في دولة الإمارات، ٢٠٠١م، العدد: ٤.
٨٩. قصة الحضارة، وول ديورانت، ترجمة: سهل محمد ديب، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢٠٠٥م.

٩٠. قضايا الشباب في المجتمع المعاصر، د. محمد عباس نور الدين، ط/ مطبعة فضالة، بدون تاريخ.
٩١. القلق قيود من الوهم، د. عبدالستار إبراهيم، ط/ دار الهلال، القاهرة.
٩٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٧ هـ.
٩٣. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ط/ دار الوطن، الرياض.
٩٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.
٩٥. كيف تكون إيجابياً فاعلاً مؤثراً، غازي التوبة، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة الكويت (العدد: ٥٣٢) ٢٠١٠م.
٩٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري، ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ.
٩٧. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود أبو محمد، ط/ مكتبة الإمام البخاري: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٩٨. مجلة الجندي المسلم، السنة الرابعة عشر، العدد ٤٦ ذو الحجة ١٤٠٧هـ.
٩٩. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، إصدار جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد ١٩، العدد: ٣٨، رجب ١٤٢٥ه أغسطس ٢٠٠٤م.
١٠٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط/مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٠١. مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر، ط/وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.
١٠٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ
١٠٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ.
١٠٤. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط/٥، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٠٥. المخدرات في الفقه الإسلامي د. عبد الله الطيار، ط/١، مكتبة التوبة، الرياض: ١٤٢١هـ.
١٠٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
١٠٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط/١، دار الكلم الطيب، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٠٨. المرأة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي، علي عزت بيغوفيتش، مقال بمجلة المجتمع، العدد ١١٠٩.

١٠٩. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو القاسم شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، تحقيق: طيار آلتي قولاج، ط/ دار صادر، بيروت: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١١٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن سلطان محمد الهروي القاري، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١١١. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩٠ م.

١١٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: أ. د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠١ م.

١١٣. مشكلات الشباب "الحلول المطروحة والحلّ الإسلامي"، عبّاس محجوب، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدّينية، دولة قطر، ربيع الأوّل، ١٤٠٦هـ العدد:١١.

١١٤. مشكلات الشباب، أحمد حنفي، ط/١، دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١١٥. المصباح المنير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.

١١٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط/ مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.

١١٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط/١، عالم الكتب، بيروت: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١١٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، ط/ إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٩. معجم لغة الفقهاء، د. محمد رواس قلعجي، ط/٢، دار النفائس، بيروت: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٢٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٢١. مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م.

١٢٢. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ط/ دار ابن كثير، بيروت.

١٢٣. مفهوم الحضارة كما يصورها القرآن، سيف صفاء عبد الكريم الدوري، ط/١، العراق: ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

١٢٤. مقدمّة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون، ط/ دار الجيل، بيروت.

١٢٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، ط/ مكتبة دار البيان، دمشق: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٢٦. مناهج البحث في العلوم الطبيعية وعلاقتها بالحضارة الإسلامية، السيد محمد السيد علي، ط/١، مجموعة النيل العربية، ٢٠١٠م.

١٢٧. مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، ط/١، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر: ١٤٠٧هـ.

١٢٨. المنذرات في عقوبة المخدرات، د. محمد بن فهد الودعان، ط/ الجمعية الخيرية الوطنية للوقاية من المخدرات، الرياض: ١٤٢٨هـ.

١٢٩. منهاج خدمة المجتمع "نشأته وتطوره وأساليبه وخطواته ومنظماته"، محمد كامل بطريق، ط/ مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة: ١٩٦٨م.
١٣٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.
١٣١. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، ط/ دار الفكر، دمشق: ١٩٨٢م.
١٣٢. المنهج النبوي في التربية الإيمانية للشباب، د. سليمان بن قاسم العيد، ط/١، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
١٣٣. مواجهة خطر المخدرات د. محمد المدني بوساق، ط/ رابطة العالم الإسلامي، "بحث مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة العاشر" مكة المكرمة: ٤ـ٦/١٢/١٤٣٠هـ.
١٣٤. الموسوعة الفلسفية، د. عبدالمنعم الحفني، ط/١، مكتبة مدبولي، القاهرة.
١٣٥. الموسوعة الميسرة، مجموعة من العلماء، ط/ وزارة الأوقاف الكويتية.
١٣٦. النظرية الإسلامية لمكافحة المخدرات، د. محمد بن جمعة بن سالم، ط/ دار المحمدية للنشر: ١٩٩٥م.
١٣٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٣٨. النوم في الكتاب والسنة وأوجه الإعجاز العلمي في النوم الشرعي، د. عبدالمحسن زبن المطيري، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، يصدرها مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت المجلد:٢٣ العدد: ٧٢ عام ٢٠٠٨م.
١٣٩. الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط/ مطبعة سفير، الرياض.

١٤٠. وقفات مع أحاديث تربية النبي لصحابته، د. عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ.

- **المواقع الإلكترونية:**

١. الشباب والعمل الاجتماعي والتنموي التطوعي، جمعية تفلتواز حياة، مبادرات الشباب العربي مقال بموقع صيد الفوائد https://saaid.net/Anshatah/dole/٦٩.htm

٢. الشباب والفراغ، علاء الزعتري، مقال بموقع http://www.alzatari.net

٣. الشباب وتطلعات المستقبل، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، مقال https://saaid.net/Doat/abdullah

٤. البنك الدولي: تقرير التنمية في العالم لعام ٢٠٠٧: التنمية والجيل التالي، http://wbln٠٠١٨.worldbank.org/MNA/ArabicWeb.nsf

٥. الشباب بين الطموح والجروح http://www.holol.net/

٦. مشاركة الشباب في قضايا المجتمع ودورها في الوقاية من المخدرات، محمود أحمد عبدالقادر علي، مقال على موقع الألوكة رابط الموضوع: http://www.alukah.net/publications_competitions

٧. موقع (إنترنت وورلد ستاتس). http://www.internetworldstats.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الباحث	الصفحة
قواعد النشر		٧
مقدمة العدد		٩
١/ جهود الدعاة في إصلاح ذات البين	د. عبدالله بن ناصر بن محمد العطني	١١
٢/ منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية	د. لولوة بنت سليمان بن محمد الغنام	٦٧
٣/ التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج"	د. طالب بن أحمد سالم الهمامي د. عبدالحافظ أحمد طه	١١٩
٤/ أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة	د. لولوة بنت سليمان بن محمد الغنام	١٨٩
٥/ منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية	د. فاطمة بنت سعود بن سعد الكحيلي	٢٧٣
فهرس الموضوعات		٤٣٩

بصيرة

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤيــة :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرسـالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-

- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة والاحتساب
صندوق البريد :٤٨٤٧ الرمز البريدي :١١٤١٢ هاتف : ٠٩٦٦١١٢٥٨٥١٣٢..
البريد الإلكتروني : bsserah@gmail.com

VISION رؤيــة
2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

بصيرة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

١١

العدد الحادي عشر - ذو الحجة ١٤٣٩هـ

عناوين الأبحاث:

- المسؤولية الدعوية "مفهومها، خصائصها، شروطها، عوامل تعزيزها"
- مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي
- معززات الأمن الفكري العربي لدى طالبات جامعة شقراء
- الدراسات الاستشراقية للسنة النبوية "دراسة مسحية نقدية"
- تنمية مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية
- التوجيهات الدعوية في قضايا علم المعاني في سورة نوح "دراسة بيانية"

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الحادي عشر
ذو الحجة ١٤٣٩هـ

Ⓒ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ردمك: ٣٨٨٤ - ١٦٥٨
رقم الإيداع ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢-١١-٠٠٩٦٦

بريد الجمعية الإلكتروني:

Bsserah1@gmail.com

قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١-أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢-أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣-أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤-أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥-أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦-أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧-أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨-أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١-توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢-تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣-توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية-والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس **(A4)**.

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج **(Word Microsoft)** متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ **Traditional Arabic**.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة **(A4)** وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠ ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إن أمانة الدعوة تخلّت عنها عدد من الكائنات وحملها الإنسان وما ذاك إلا لمناسبة تحمّله لهذه الأمانة، كم قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

ولهذا فإن من اللازم على المشتغلين بالدعوة إلى الله أن يكون لهم عناية فائقة بتأهيلهم لأنفسهم الإعداد الذي يمكنهم للقيام بمسؤوليتهم ومعرفة ما يحيط بهم، وأن يكون منطلق دعوتهم منبثقا من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لأن بهما النجاة والحياة.

وإن مجلة الدراسات الدعوية التابعة للجمعية السعودية للدراسات الدعوية أخذت على عاتقها السير في هذا الاتجاه بأبحاثها المحكمة مراعية النشر وفق أصول البحث العلمي.

وقد اشتمل هذا العدد (الحادي عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١. المسؤولية الدعوية "مفهومها، خصائصها، شروطها، عوامل تعزيزها".
٢. مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي.
٣. معززات الأمن الفكري العربي لدى طالبات جامعة شقراء.
٤. الدراسات الاستشراقية للسنة النبوية "دراسة مسحية نقدية".
٥. تنمية مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

٦. التوجيهات الدعوية في قضايا علم المعاني في سورة نوح "دراسة بيانية".

نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد المجلة الإلكتروني bsserah1@gmail.com، وتقديم الجديد النافع،،، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصى ونتواصل...

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

المسؤولية الدعوية

"خصائصها، شروطها، عوامل تعزيزها"

إعداد

د. هند بنت مصطفى بن محمد الطيب شريفي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وكرّمنا بحمل رسالة الهدى والسلام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه واقتفى أثره وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين... أما بعد،

فإن من أعظم الواجبات التي أوجبها الله عز وجل على بني آدم وكلّفهم بالقيام بها، وميّزهم بها على سائر خلقه: تحمّل التكاليف الشرعية ومسؤولية أدائها، فالمسؤولية هي أساس التكاليف الشرعية، وهي مناط المحاسبة، لذا اهتم الإسلام بإرساء هذه القيمة في نفوس بني آدم منذ فجر الإسلام، فحاسبه على الخير والشر؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(١).

ومما اختص الله به أمة الإسلام عن سائر الأمم: تكليفهم بالدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتميزت الأمة الإسلامية بهذه الميزة، ووصفها الله تعالى بها فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٢)، فالخيرية والأفضلية التي امتدح الله بها أمة الإسلام هنا تقتضي من المسلمين القيام بشرطها، و بالتكليف اللازم لها وهو: الدعوة إلى الله بكل أنواعها وفي جميع مجالاتها، كل بحسب مقدرته وعلمه.

والمسلم ليس مسؤولا عن نفسه فقط؛ بل أنه مسؤول عن غيره من الناس، لأنه من المكلفين بالأمانة التي قال عنها تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٣)، وهذا

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

يتضمن أمانة العمل وأمانة التبليغ، والسعي لكل ما فيه إصلاح وإعمار لهـذه الأرض، وقد بين تعالى أن أولى مهمات وواجبات البشر هو تحقيـق اسـتخلافهم في الأرض لتعميرها بما يرضي الله، فقال تعـالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾(١) .

وقد ملأ الشعور بالمسؤولية عن إصلاح الآخرين ودعوتهم إلى الله قلوب الرعيـل الأول، فكان أحدهم يستشعر عظم الأمانة والمسؤولية منذ لحظة انضوائه تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيبادر إلى دعوة أهله وقومه، حرصا منه على أداء الأمانة، ورغبة منه في الأجر والثواب من عند الله.

ونظرا لما أصاب الكثير من المسلمين في هذا الزمان من الضعف و التفريط والبعد عن الدين، والتكاسل في القيام بهذه المسؤولية الدعوية، أو الاعتقـاد بعـدم وجوبهـا وأهميتها أو عدم مناسبتها لهذا العصر الحديث والمنفتح على الأمم الأخـرى؛ أصـبح الكثير يردد قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾(٢)، وقوله عـز وجـل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾(٣)، مستدلا بها استدلالا خاطئا على مبدأ الحرية الدينية التي تقتضي -بمفهومهم الخاطئ- عدم دعوة الناس للحق، وتجنب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكـر، بـل تركهم و شأنهم فهم أحرار فيما يريدون و فيما يختارون، وهو فهم مغـاير لمقصـود الآيات الكريمة، فالدعوة إلى الله والدلالة على الخير دنيويا كان أو أخرويـا ليسـت معارضة للحرية الشخصية أو منافية لها، بل هي من علامات الإيجابية وحب الخير للغير و النصح لهم، ومن أجل توضيح وتأصيل هذه المسألة؛ حرصت الباحثة على الكتابة في موضوع: (المسؤولية الدعوية، خصائصها، شروطها، عوامل تعزيزها).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الكافرون، الآية: ٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

أسباب اختيار الموضوع:

١-الضرورة الملحة لبناء الإنسان الصالح، ولقيام المجتمع المسلم الصالح.

٢-التناقض الحاصل لدى كثير من المسلمين بين الإقرار بعناية الإسلام بالدعوة إلى الله وعظم أجرها، وبين المبادرة والشعور بالمسؤولية تجاه الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣-التقصير البين الواضح في حجم الجهود الدعوية المبذولة من أفراد المجتمعات المسلمة ومن مؤسساته، مع ضعف الدافعية الذاتية للدعوة إلى الله.

٤-الثمرات الزكية المرجوة من إصلاح أحوال العباد والبلاد عند القيام بهذه المسؤولية بشكلها الصحيح.

أهداف البحث:

تهدف الباحثة في تناولها للموضوع إلى الأهداف التالية:

- بيان مفهوم المسؤولية الدعوية، وأهميتها.
- ذكر نماذج ممن تحمل المسؤولية الدعوية في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- توضيح خصائص المسؤولية الدعوية.
- بيان شروط المسؤولية الدعوية.
- استخلاص أبرز عوامل تعزيز المسؤولية الدعوية الداخلية والخارجية لدى المسلمين.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

ينظر بعض المسلمين إلى الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنهما من جملة أعمال الخير التطوعية، التي يحق لهم فعلهما أو تركهما متى أرادوا،

ولكنهما في حقيقة الأمر من الواجبات التي اتفق العلماء على وجوبهما[1]، لأمر الله تعالى بهما كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]، بل قد ترقى في بعض الأحوال إلى الوجوب العيني[3]، وهذا يتطلب توافر الوازع الديني القوي في قلب المسلم، والذي يجعله يشعر بمسؤوليته، لذلك فإن التساؤل الرئيس في هذا البحث هو: ما المسؤولية الدعوية، وما خصائصها، وما شروطها، وما عوامل تعزيزها، ويتفرع عنه الأسئلة التالية:

١) ما مفهوم المسؤولية الدعوية؟

٢) ما أهمية المسؤولية الدعوية؟

٣) هل هناك نماذج لمن تحمل المسؤولية الدعوية؟

٤) ما خصائص المسؤولية الدعوية؟

٥) ما شروط المسؤولية الدعوية؟

٦) ما عوامل تعزيز المسؤولية الدعوية في نفوس المسلمين؟

الدراسات السابقة:

بعد التقصي والبحث في مظان الدراسات العلمية، وجدت الباحثة بعض

---

(١) وقد نقل العلماء وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي٢/ ٢٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ٤٨/٤، والحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨١، والحسبة "تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها"، أ. د. فضل إلهي ص ٤٣-٦٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) وهذه الأحوال هي: عند التعيين من قبل السلطان، وعند التفرد بالعلم بموجب الحسبة، وعند انحصار القدرة في أشخاص محددين، وعند تغير الأحوال وقلة الدعاة وكثرة المنكرات، انظر: الحسبة "تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها"، أ. د. فضل إلهي ص ٨٠-٨١.

الدراسات السابقة التي تقرب في عموم موضوعها من البحث الحالي، وهي كما يلي:

(١) المسؤولية الدعوية للمشرفة التربوية "دراسة ميدانية على عينة من المدارس الابتدائية في مدينة الرياض"[١].

وقد هدفت فيه الباحثة إلى توضيح صفات المشرفة التربوية الداعية في ميدان الإشراف التربوي، وأصناف المدعوات وأحوالهن، وموضوعات الدعوة ووسائلها في ميدان الإشراف التربوي، وتناولت في الجانب الميداني صفات المشرفة التربوية الداعية، وموضوعات الدعوة ووسائلها، والصعوبات التي تواجهها في ميدان الإشراف التربوي وسب علاجها.

والبحث الحالي يختلف عن الدراسة السابقة من حيث المضمون والمنهج، إذ أنها تتناول المسؤولية الدعوية كقيمة إسلامية من الجانب التأصيلي التنظيري.

(٢) المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم[٢].

وقد هدف الباحث إلى توضيح مفهوم المسؤولية في القرآن الكريم وخصائصها، وشروطها، ومناطها، كما بين أهدافها وأنواعها في جانب الاعتقاد والسلوك، وفي جانب الأسرة والمجتمع، كما تناول مفهوم الجزاء الإلهي في الدنيا والآخرة بجانبي الثواب والعقاب، وعلاقة الجزاء بالمسؤولية، وما سبق توضيحه في الدراسة السابقة يختلف عن موضوع المسؤولية الدعوية في البحث الحالي.

---

(١) العسكر، ندى إبراهيم، بحث تكميلي –غير منشور– لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب، العام الجامعي ١٤٣٣هـ/١٤٣٤هـ، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٢) أفضل، سجاد أحمد، رسالة ماجستير–غير منشورة–، العام الجامعي ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

(٣) المسؤولية "مفهومها، طبيعتها الفردية والاجتماعية"[(١)]، وقد هدف فيه الباحث إلى توضيح مفهوم المسؤولية من حيث هو ضرورة إنسانية واجتماعية وإنسانية، وتناول أبعادها ومنطلقاتها من المنظور الإسلامي، وبين أنواع المسؤولية ومستوياتها المترابطة، وما يرتبط بها من حقوق، وأما البحث الحالي فهو مخصص للمسؤولية الدعوية وما يتعلق بها.

منهج البحث:

للإجابة عن تساؤلات البحث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي[(٢)]، الذي يقوم على الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية وصفا لها، للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية، وهو منهج مكمل لمنهج الاسترداد التاريخي الذي يصف الظواهر في تطورها الماضي، حتى يصل بها إلى الوقت الحاضر، والباحثة حينما تستخدم المنهج الوصفي لا تقوم بحصر الظواهر والنصوص ووصفها جميعها، وإنما تقوم بانتقاء الظواهر والنصوص التي تخدم غرضها من الدراسة، ثم تقوم بتحليلها لاستنباط الحقائق العلمية منها، للوقوف على مفهوم المسؤولية الدعوية وخصائصها وشروطها، معتمدة على تحليل بعض نصوص القرآن والسنة وما يتوفر من دراسات ذات علاقة، لاستخلاص مضامين البحث المطلوبة.

تقسيم البحث:

يتضمن البحث مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقد تمت كتابة البحث وفق التقسيم التالي:

---

(١) الصرمي، د أحمد رزق، بحث منشور في مجلة القلم المحكمة، العدد الثالث، جامعة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، اليمن.

(٢) انظر: البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، د. عبد العزيز عبدالرحمن الربيعة، ص ١٨٠.

المقدمة وتتناول: أهمية الموضوع، وأسباب اختيـــاره، وأهـــداف البحـــث، ومشكلة البحث وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

المبحث الأول: المسؤولية الدعوية مفهومها، وأهميتها، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية الدعوية.

المطلب الثاني: أهمية المسؤولية الدعوية.

المطلب الثالث: نماذج تحمل المسؤولية الدعوية في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: خصائص المسؤولية الدعوية، وشروطها، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: خصائص المسؤولية الدعوية.

المطلب الثاني: شروط المسؤولية الدعوية.

المبحث الثالث: عوامل تعزيز المسؤولية الدعوية في نفوس المسلمين، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: عوامل ذاتية داخلية.

المطلب الثاني: عوامل مجتمعية خارجية.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

المسؤولية الدعوية، مفهومها، وأهميتها

كرم الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه، وأعطاه من القدرات والطاقات ما لم يعطه لغيره، وسخر له ما في السموات والأرض ليكون أقدر على حمل الأمانة التي تصدى لحملها والقيام بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١]، ومن أوجه تكريمه تعالى للإنسان أن جعله قادرا على حمل المسؤولية، وآتاه من الأسباب ما يجعل هذه المسؤولية محاسبة بعد التكريم، وتدقيقا بعد العطاء، وربط تعالى بين المسؤولية والتكاليف الشرعية، فالمسؤولية هي لب التكاليف الشرعية، حيث إنه لا قيمة للتكاليف الشرعية بدون مسؤولية ومحاسبة، ولذلك اهتم الإسلام بغرس قيمة الشعور بالمسؤولية وحمل الأمانة في نفوس بني آدم منذ بزوغ نوره ونزول دستوره، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢]، هذه المسؤولية التي سيحاسب عليها كل فرد في المجتمع، ولا يكاد يخلو منها أي مسلم عاقل مكلف، كما قال النبي ﷺ: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته)[٣]، وتفصيل ما سبق يأتي ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية الدعوية.

المطلب الثاني: أهمية المسؤولية الدعوية.

المطلب الثالث: نماذج تحمل المسؤولية الدعوية في القرآن والسنة.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم ٨٩٣.

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية الدعوية:

للوصول إلى المفهوم العام لمعنى (المسؤولية الدعوية) لا بد من تعريف المفردات لغة واصطلاحا، وبيانه كما يلي:

المسؤولية لغة:

لم تجد الباحثة كلمة (مسؤولية) بلفظها في معاجم اللغة العربية الأصلية، فالمسؤولية مفردة حديثة الاستعمال، لم ترد في استعمالات الفقهاء والعلماء الأقدمين، وإنما هو مصطلح حديث، وأصل اشتقاقها من مادة (سأل)، قال ابن فارس (ت٣٩٥): "السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال سأل يسأل سؤالا ومسألة. ورجل سؤلة: كثير السؤال"(١)، وسأله كذا وعن كذا وبكذا بمعنى واحد، وسأل سؤالا ومسألة: استخبره عنه، وسأل فلانا شيئا: استعطاه إياه، وأعطاه مسألته: قضى حاجته.(٢)

والسؤال في القرآن الكريم يأتي بمعنى: "استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال"(٣).

كما جاءت (المسؤولية) في القرآن الكريم بمعنى المحاسبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾(٤)، أي "قفوهم حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا ... يعني: أحبسوهم إنهم محاسبون"(٥).

ولم ترد كلمة (مسؤولية) في كتب الأقدمين بالمعنى الذي استعملت فيه حديثا،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ١٢٤.

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ٣٦٥/٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، ص ٢٢٥.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة٧/ ٧.

وإن كان معناها شائعا عندهم ب (أهلية[١] الأداء)، وهي: صلاحية الإنسان لأن تعتبر أقواله وأفعاله[٢]، وقد جاء في معجم لغة الفقهاء: "المسؤولية: من سأل، فهو مسؤول، والاسم مسؤولية وتعني: إلزام شخص بضمان الضرر الواقع بالغير نتيجة لتصرف قام به"[٣].

والمسؤولية: مصدر صناعي من مسؤول، يقال: تبعة المسؤولية تقع على عاتقي، وفلان يستطيع تحمل مسئوليات كبيرة، ومعنى ألقى المسؤولية على عاتقه: حمله إياها، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: مسئولية أخلاقية، وهي: التزام الشخص بما يصدر عنه قولا أو عملا، ومسئولية جماعية، وهي: التزام تتحمله الجماعة، ومسئولية قانونية، وهي: التزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقا للقانون، واللامسؤولية تعني: شعور المرء بأنه غير ملزم بعواقب أعماله[٤]، والمسئول من رجال الدولة: المنوط به عمل تقع عليه تبعته،

---

(١) انظر: المسؤولية "مفهومها، طبيعتها الفردية والاجتماعية وفق المنظور الإسلامي"، د. أحمد رزق الصرمي، ص٣٤٩.

(٢) الأهلية تعني الصلاحية، وتنقسم عند الأصوليين إلى قسمين: أهلية وجوب هي: صلاحية الإنسان لأن تثبت له حقوق وتجب عليه واجبات، وهي ثابتة لكل إنسان يوصف أنه إنسان، بغضّ النظر عن عمره، أو جنسه، أو عقله، أو صحته، وأهلية أداء وهي: صلاحية المكلف لأن تعتبر أقواله وأفعاله شرعا، بحيث إذا صدر منه عقد أو تصرف كان معتبرا شرعا، وترتبت عليه أحكامه، فأهليه الأداء هي المسؤولية، وأساسها في الإنسان التمييز بالعقل، انظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، من ص ١٣٥-١٣٦.

(٣) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، ١/٤٢٥.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، ٢/١٠٢٠، والمصدر الصناعي هو: "اسم أُضيف إلى آخره ياء مشددة وتاء مربوطة للدلالة على معنى مجرد، مثل: كَوْكَبيّة، وهمجيّة، وعُنصُريّة"، انظر: المرجع السابق ١/٣٢، فالمسؤولية مصدر صناعي من كلمة مسؤول، مثل الوطنية مصدر صناعي من كلمة وطن، والجاهلية من الجهل ...وغيره.

ويقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل[١].

والمسؤولية عند الفقهاء: إلزام شخص بضمان الضرر الواقع بالغير، نتيجة لتصرف قام به، والمسؤولية التعاقدية: ضمان الضرر الناشئ عن الإخلال بعقد، والمسؤولية التقصيرية: ضمان الضرر الناشئ عن الفعل الضار[٢].

المسؤولية اصطلاحا:

عرفت المسؤولية بعدة تعريفات تبعا للمجال وباعتبار ما تضاف إليه، وتدور قريبا من معانيها اللغوية: الالتزام، والتحمل، والتبعية، والمحاسبة، ومن تعريفاتها:

المسؤولية بوجه عام: "حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل، وتطلق أخلاقيا على: التزام الشخص بما يصدر عنه قولا أو عملا"[٣].

وعرفت بأنها: "ما يكون به الإنسان مسؤولا ومطالبا عن أمور أو أفعال أتاها"[٤].

وقد قال دراز في تعريفها: هي: "كون الفرد مكلفا بأن يقوم ببعض الأشياء، وبأن يقدم عنها حسابا إلى زيد من الناس"[٥].

كما عرفت (المسؤولية) بأنها: "الاستعداد الفطري الذي جبل الله عليه الإنسان، ليصلح للقيام برعاية ما كلفه به من أمور تتعلق بدينه ودنياه، فإن وفى ما عليه من الرعاية؛ حصل له الثواب، وإن فرط فيها؛ حصل له العقاب.[٦]

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٤١١/١.

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ٤٢٥/١.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص ٤١١.

(٤) المنجد في اللغة والأعلام، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي ص ٣١٦.

(٥) دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد دراز، ص١٣٦.

(٦) المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، ص١٥.

وعرفها الصرمي بأنها: "شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه عز وجل، حينما يفرط في القيام به ويتساهل في أدائه على الوجه الذي يستطيعه"(١).

كما عرف العناني المسؤولية في الإسلام بقوله: "كون الناس جميعا مأمورين من قبل الله سبحانه، بأن يرتضوا مجموعة القيم والمبادئ والتعاليم التي بلغها لهم خاتم النبيين منهاجا لحياتهم، فيرضاها الصفوة من الخلق مختارين، ويأباها غيرهم، ويكون على أساها الحساب والجزاء عدلا وفضلا"(٢).

والدعوة لغة:

مصدر للفعل (دعا)، ولها في اللغة عدة معان منها: النداء والتسمية والنسب،(٣) والطلب، والنداء، والحث، والسؤال، والإمالة، والابتهال إلى الله تعالى بالسؤال.(٤)

وجاء في المعجم الوسيط: دعا إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه(٥).

أما الدعوة اصطلاحا:

فقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨) بقوله: "الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم

---

(١) المسؤولية "مفهومها، طبيعتها الفردية والاجتماعية وفق المنظور الإسلامي"، أحمد رزق الصرمي، ص ٣٤٦.

(٢) التنمية الذاتية والمسؤولية في الإسلام، د. حسن صالح العناني، ص ٢٨.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٢ /١٢١.

(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ١/١٢٦.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١/٢٨٦.

فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد الله كأنه يراه"(١).

وعرفت الدعوة إلى الله بأنها "الدعوة إلى دينه الذي ارتضاه لعباده، والدعوة إلى سبيله هي: انتهاج تلك الطرائق التي رسمها الكتاب والسنة، وعمادها الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن".(٢)

كما عرفت الدعوة بأنها: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياه، وأمرهم به، والإنكار على من يخالفه، وقتال من يأبى الخضوع لحكمه".(٣)

وعرفت بأنها: "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل".(٤)

كما عرفت الدعوة بأنها: "تبليغ المسلم شرع الله تعالى للناس كافة، وبيانه لهم، وتذكيرهم به، باستخدام كل الطرق المشروعة، بقصد الهداية وإقامة الحجة، وتحقيق العبودية لله تعالى".(٥)

وعرفت أيضا بأنها: "قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم"(٦).

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٥/١٥٧-١٥٨.

(٢) الدعوة إلى الله تعالى "دراسة مستوحاة من سورة النمل"، أ. د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ص ١٣.

(٣) قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، عابد عبد الله الثبيتي، ص ٩٦.

(٤) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص١٧.

(٥) المدخل إلى الدعوة "دراسة تأسيسية تطبيقية"، د. عدنان خطاطبة، ص١١.

(٦) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم المغذوي، ص٤٩ .

وهناك تعريفات أخرى عديدة تبتعد وتقترب من التعريفات المذكورة، وخلاصتها أن الدعوة إلى الله هي: كل قيام المسلم بتبليغ دين الله تعالى، ونشره في العالمين، وحث الناس على الاستقامة عليهم، وبذل الأسباب المعينة على ذلك.

ومفهوم المسؤولية الدعوية من وجهة نظر الباحثة:

أهلية المسلم لأن يكون مطالبا شرعا بالقيام بالدعوة إلى الله، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو التكليف الذي يلزم المسلم تحمله من شعيرة الدعوة إلى الله، والسعي في أداء رسالتها والصبر على أعبائها، بما يستطيعه ويقدر عليه، وهو دافع ذاتي إيماني يحمل المسلم على القيام بالدعوة إليه تعالى وإلى سبيله، بتبليغ دين الله للناس وحثهم على فعل الخير واجتناب الشر، وصيانتهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، رغبة في ثواب الله، وخوفا من عقابه.

والمسؤولية الدعوية هنا شقان:

الأول: يتعلق بالمسلم الداعية، بمعنى تكليف الله تعالى له بالدعوة إليه تعالى وإلى دينه، وتحمله لهذه المسؤولية.

والثاني: يتعلق بالمدعو أيا كان، فهو مسؤول عن استجابته لهذه الدعوة التي بلغته، وقد وردت بعض آيات القرآن الكريم بهذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]، قال الإمام الطبري رحمه الله (ت ٣١٠): "لنسألن الأمم الذين أرسلت إليهم رسلي: ماذا عملت فيما جاءهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي؟ هل عملوا بما أمرهم به، وانتهوا عما نهيتهم عنه، وأطاعوا أمري، أم عصوني فخالفوا ذلك؟ (ولنسألن المرسلين) يقول: ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم: هل بلغتهم رسالاتي، وأدت إليهم ما

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦.

أمرهم بأدائه إليهم، أم قصروا في ذلك ففرطوا و لم يبلغوهم؟"[1]

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[2]، أمر تعالى نبينا ﷺ بأن يأخذ بالقرآن المترل عليه، فإنه الحق، وهو يهدي للحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم[3]، وقوله تعالى: (وسوف تسألون) أي: "وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟"[4]، فالسؤال والمحاسبة للطرفين كما تذكر الآية الكريمة.

وترتبط المسؤولية الدعوية بأنواع المسؤوليات الأخرى عند من قسمها إلى ثلاثة أقسام[5]، فهي مسؤولية شرعية من حيث قيام المسلم بواجبه وما كلفه الله تعالى به من الدعوة إلى سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مسؤولية أخلاقية تأمر المسلم الداعية بالتحلي بقيم الإسلام وأخلاقه الفاضلة، وحين تكون الأخلاق الإسلامية هي صفته اللازمة عندما يتعامل مع الناس، وهي مسؤولية اجتماعية حين يقوم الداعية بحماية نفسه ومجتمعه من المعاصي والموبقات، ويسعى لصلاح المجتمع، وارتقاء وطنه، وعزة أمته وقوتها.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ١٢/٣٠٥.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٣ – ٤٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة٧/٢٣٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٢١/٦١٠.

(٥) انظر: المسؤولية وطبيعتها الفردية والاجتماعية وفق المنظور الإسلامي، أحمد رزق الصرمي، ص ٣٥٤-٣٥٧.

المطلب الثاني: أهمية المسؤولية الدعوية:

أمة الإسلام خير الأمم، أمة خاتم الأنبياء والمرسلين، الأمة الداعية إلى الخير والبر، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، وأمة هذا وصفها؛ هي أولى الأمم بالجد والعمل وعمارة الأرض، وتحقيق العبودية لله، باتباع هدي الوحيين ومنهج الإسلام، وهي الأمة الهادية لغيرها إلى طريق الحق وسواء السبيل، وهذا لا يتحقق لها إلا عند قيامها بما خصها الله به من حملها لرسالة الإسلام للبشرية جمعاء، وعند قيامها بمسؤوليتها في هذا الشأن، وهذا المطلب يناقش -بعون الله- ضرورة تحقيق هذه الغاية.

والعناية بالفرد المسلم، بوصفه عنصرا أساسيا مسؤولا في القيام بشعيرة الدعوة إلى الله، يرتكز على أمور من أهمها ما يلي:

أولا: العلاقة المتينة بين المسؤولية الدعوية وبين شخصية المسلم، التي تتربى وتنقاد لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهذا له عدة اعتبارات:

أ - حاجة المسلم إلى معرفة منهج القرآن والسنة في غرس وتعزيز مسؤولية كل مسلم في الدعوة إلى دين الله وسبيله، وحاجته إلى تطبيقها نظرا لتجدد واستمرار احتياج المسلمين إلى الدعوة إلى الله، ولحالة ضعف التدين الذي تمر به كثير من المجتمعات الإسلامية، التي ألقت مصدر عزها وقوها وراء ظهرها، وفصلت بين تطبيق الدين في واقع الحياة وبين الواقع المعاش فعلا وحقيقة.

ب - أهمية معالجة موضوع المسؤولية الدعوية معالجة تأصيلية، بهدف ترسيخها وتعميقها، ليجد المسلمون بغيتهم في ثمارها، وما ينتج عنها عند قيامهم بهذه الأمانة من زيادة الإيمان، وصحة العزيمة، وقوة الإرادة ومضيها، وما تثمره من سلامة القصد، وصحة السلوك، وهذا لا يكون إلا عند الاهتداء بنور القرآن والسنة والاتساء بإمام الدعاة ﷺ.

ثانيا: إن واقع القيام بحق المسؤولية الدعوية بقواعدها ومنطلقاتها يعيش ضعفا

ووهنا كبيرا، بل إنه شبه مفقود في بعض المجتمعات المسلمة، رغم أن هذه المسؤولية كانت واضحة وبادية للعيان في آيات القرآن وسيرة النبي ﷺ، وسيرة صحابته الكرام وسلفنا الصالح، وهذا المعين لا ينضب بل يتجدد عطاؤه والانتفاع به، وهذا يؤكد ضرورة بعث روح المسؤولية الدعوية في أجيال المسلمين.

ثالثا: إن منهج الإسلام في تكليف المسلم ومحاسبته، وفي بناء شخصيته الإسلامية الفذة بناء ذاتيا من حيث الهداية الربانية للفطرة البشرية، وحرية الإرادة والاختيار؛ يؤكد مفهوم الحرية والجزاء في الإسلام، وأنه يقوم على عدل الله تعالى في حكمه، وهو القائل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾(١)، وهو عدل في قضائه عز وجل وحسابه.

ما سبق يؤكد أهمية المسؤولية الدعوية ومكانتها من الشريعة الإسلامية، ويضاف إليه ما يلي:

١ - تستمد المسؤولية الدعوية في الإسلام إلزاميتها من قوة الإيمان، فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم مكلف، بقدر استطاعته وقدرته، وهي جزء من أعماله التي يتقرب بها طاعة لله ولرسوله ﷺ، والتزاما بأمره تعالى وتكليفه الذي شرفه به عز وجل حين أمره بالتبليغ و الدعوة، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢)، وحين جعلها مهمة خاتم الأنبياء ومن تبعه من المسلمين، قال عز من قائل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٣)، وحين حمله المسؤولية العامة في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1]، فالمسؤولية الدعوية أمانة اختص الله المسلمين بها و كلفهم بحملها والقيام بها، "فالدعوة إلى الله واجبة على من اتبعه – أي الرسول ﷺ- وهم أمته يدعون إلى الله كما دعا إلى الله، وكذلك يتضمن أمرهم بما أمر به، ونهيهم عما ينهى عنه، وإخبارهم بما أخبر به، إذ الدعوة تتضمن الأمر، وذلك يتناول الأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر"[2].

وكذلك أوجب النبي ﷺ على المسلمين مسؤولية إصلاح الواقع المنحرف وتغييره بقوله: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[3]، بل إنه لم يتجاوز أو يترك التكليف بهذه المسؤولية حتى لو كانت موقفا عابرا على قارعة الطريق، فالمسؤولية الدعوية لا تتوقف، بل أنها مقترنة بحقوق وواجبات أخرى، قال ﷺ: (إياكم والجلوس على الطرقات»، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها»، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر)[4].

إن قوة اعتقاد المسلم بوجوب طاعته لأمر الله ورسوله؛ يدفعه لأداء حقوق المجتمع الذي يعيش فيه، حتى لو لم يكن هناك أجر دنيوي، فما عند الله خير وأبقى، ولا شك أن الدافع الديني والأجر الأخروي أقوى في قلب المؤمن من أي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٥/١٦٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات، رقم ٢٤٦٥.

دافع مادي أو دنيوي آخر، وأبلغ في الأثر على الفرد وعلى أفعاله وأخلاقه.

٢ - المسؤولية الدعوية تحقق مقاصد الشريعة بحفظ الضروريات الخمس، لأن مقصد المسؤولية الدعوية وغايتها؛ هو ذاته مقاصد الإسلام وغاياته، فدين الإسلام جاء بتحقيق المصالح وجلبها للناس، ودفع المفاسد والشرور عنهم، وكذلك فإن الدعوة إلى الله تهدف إلى تطبيق دين الإسلام بما فيه من جلب للمصالح ودفع للمفاسد، وأعلاها وأولها: أن تحفظ للإنسان دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، وقد "شرع الإسلام لكل واحد من هذه الخمسة أحكاما تكفل إيجاده وتكوينه، وأحكاما تكفل حفظه وصيانته"[(١)]، وبهذه الأحكام حفظ للناس ضرورياتهم، إيجادا لها بتشريعها ابتداء، ثم درء للمفاسد عنها كيلا يقع فيها الخلل أو العدم، وكلف المسلمين بالدعوة إلى الله وحملهم المسؤولية لهذه الغاية، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله (ت ٧٩٠): والحفظ لهذه المقاصد يكون بأمرين:

الأول: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم، فأصول العبادات -كالصلاة والزكاة والصوم والحج- راجعة إلى حفظ الدين من ناحية الوجود، والعادات -كتناول الطعام والشراب، واللباس والسكن- راجعة إلى حفظ النفس والعقل من ناحية الوجود، والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من ناحية الوجود، والجنايات راجعة إلى حفظ الجميع من جانب العدم، والذي يجمعها من جانب الوجود هو: الأمر بالمعروف، والذي يجمعها من جانب العدم هو: النهي عن المنكر[(٢)]، فهذه الضروريات الخمس لا تتحقق في واقع

(١) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ص ٢٠٠.

(٢) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ٢/٨-٩.

الناس وحياتهم إلا بالدعوة إلى الله وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر، فبها تحفظ المصالح، وبالقيام بها يدفع عنها الفساد والخلل، ولا تحيا المجتمعات حياة طيبة إلا إذا أقيمت فيها هذه الشعيرة العظيمة(١).

وقد قرر العلماء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين"(٢)، وهذه المصالح والمفاسد لا تختص بالمسلم فقط، إذ أن غير المسلم يحتاج إلى من يدعوه للإسلام على بصيرة، ويبلغه بلاغا مبينا، كما إن المسلم يحتاج إلى من يغرس في نفسه الفضائل وينميها، ويبني شخصيته على أصول الدين، ويحتاج إلى سياج متين يقيه ويحصنه من الشبه والانحرافات، التي تخدش دينه وأخلاقه، وكذلك يحتاج إلى علاج ما قد يشوب ويكدر صفاء إيمانه، من أمراض أصيب بها، أو أخطاء وقع فيها نتيجة جهله واتباعه لهواه، وهذا هو لب المسؤولية الدعوية وكيانها.

٣ - المسؤولية الدعوية وقاية اجتماعية؛ فهي تحمي المجتمع وأفراده من انتشار المعاصي والمنكرات ومن ثم استحقاق الوعيد الذي ذكره النبي ﷺ للمقصرين في أدائها: (مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)(٣)، فالغاية والمصلحة والمنفعة الناتجة من الدعوة مشتركة بين الفرد والمجتمع، وقيام المسلمين بمسؤولية الدعوة يحقق لهم النجاة جميعا، حيث لا يختص الهلاك أو النجاة بواحد دون الآخر، وهذا الأمر قد بينه أبلغ بيان حديث السفينة المعروف الذي وضح أن تبعة التحقيق أو التقصير في حمل المسؤولية الدعوية تشمل جميع أفراد المجتمع، قال ﷺ:

---

(١) انظر: فقه الاحتساب في تقديم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر، هند مصطفى شريفي، ص ٥.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢/٣٠٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٤٠٠٤، وقال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن ابن ماجة، ٢/٣٦٧.

(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا و لم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا)[1]، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، فهنا "حذر تعالى عباده المؤمنين ﴿فتنة﴾ أي: اختبارا ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع"[3].

ومما يؤكد الضرورة المجتمعية للمسؤولية الدعوية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]، وقد وضح أبو بكر الصديق رضي الله عنه مقصودها للمسلمين بقوله: (بعد أن حمد الله، وأثنى عليه: يا أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية، وتضعونها على غير مواضعها: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ ...وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب)[5]، فالشعور باشتراك المصير بين المجتمعات والأفراد تدفع المسلم ليأخذ على يد الظالم فينجو المجتمع كله.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم ٢٤٩٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة٤/٣٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، رقم ٤٣٣٨، وقال الألباني: صحيح، ص ٧٧٧.

٤ - إن القيام بالمسؤولية الدعوية من علامات صدق الانتماء للأمة الإسلامية، واستحقاق الخيرية التي اختصها الله بها دون الأمم الأخرى، وشعور المسلم بمسؤوليته الدعوية نحو مجتمعه يتوقف على مدى شعوره بالانتماء له وللأمة الإسلامية، وإدراكه سبب خيريتها، وكلما زاد الشعور داخل نفسه؛ كلما كان مستعدا للقيام بالمسؤولية وبمطالبها، وقد قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: (خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام)[٢]، "وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ الله عليه وسلم، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيا قبله ولا رسولا من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه"،[٣] وقيام المسلم بمسؤوليته الدعوية بما أوتي من علم وبالحكمة والموعظة الحسنة، هو مظهر من مظاهر ولائه وحرصه على إصلاح مجتمعه، وعدم اكتفائه بصلاح نفسه وصلاح أسرته.

٥ - تقوية العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم، فهم كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ آل عمران، رقم الحديث ٤٥٥٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة٢/٩٣-٩٤.

﴿اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، "أي: قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف"[2]، فهم أولياء ينصر بعضهم بعضا من خلال تعبدهم لله بأنواع العبادة، ومن قيامهم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبناء المجتمع المسلم لا يكتمل إلا على قاعدة ثابتة من العبادة، والدعوة إلى طاعة لله ورسوله ﷺ، فمن علامات المناصرة والتعاضد بين المسلمين: الحرص على نفعهم في أمور دينهم ودنياهم، كما قال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[3]، ومبدأ المسؤولية الدعوية "مبدأ إصلاحي تربوي يتيح لأكبر شريحة من المجتمع الإسلامي أن يعرف ما لا بد من معرفته، وأن تميز الحق عن الباطل، وأن تسعى لنبذ كل ما ليس منها ومن قيمها وأحكام دينها"[4]، وشعور المسلم بمسؤوليته نحو غيره –خاصة لمن تحت رعايته– يميل به إلى نشر الخير وتعميمه بين الناس.

ومن الصور البديعة التي ضربها النبي ﷺ، ما مثله لنفسه في حرصه على هداية قومه، وهو نموذج لقيام الداعية بمسؤوليته الدعوية وحرصه على صلاح مجتمعه قوله: (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل يترعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ٢٠٣/٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يظلم مسلم مسلما ولا يسلمه، رقم ٢٤٤٢.

(٤) قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودورها في تعميق مفاهيم الانتماء إلى الأمّة والمجتمع، د. شفاء علي الفقيه، ص ١٦٥.

آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها)،[1] فهنا شبه عليه الصلاة والسلام "تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سببا في الوقوع في النار؛ بتهافت الفراش بالوقوع في النار اتباعا لشهواتها، وشبه ذبه العصاة عن المعاصي بما حذرهم به وأنذرهم؛ بذب صاحب النار الفراش عنها"[2].

٦ – إن قيام المسلمين بمسؤوليتهم الدعوية هو من شروط العزة و التمكين لهم، وهذا التمكين لا يكون لمن أراد أن يصلح نفسه فقط؛ بل لمن سعى في تطهير المجتمع من أدران الشرك والمعاصي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[3]، كما أنه من مهمات الاستخلاف التي اختص الله بها أمة الإسلام حيث جعلها آخر الأمم يخلفون من كان قبلهم من الأمم ولا يخلفهم غيرهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾[4]، أي "يخلف بعضكم بعضا، واستخلفكم الله في الأرض، وسخر لكم جميع ما فيها، وابتلاكم، لينظر كيف تعملون، ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ في القوة والعافية، والرزق والخَلق والخُلق، ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ فتفاوتت أعمالكم، ﴿إن ربك سريع العقاب﴾ لمن عصاه وكذب بآياته ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن آمن به وعمل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، رقم ٦٤٨٣، و(حُجزكم) "جمع حُجزة وهي: معقد الإزار، وهو كناية عن حرصه ﷺ على منع أمته عن الإتيان بالمعاصي التي تؤدي بهم إلى الدخول في النار".

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٣١٨/١١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

صالحا، وتاب من الموبقات"[1].

كما امتن تعالى عليهم بأن جعلهم أمة وسطا عدولا وشهداء على غيرهم من الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]، قال الإمام الطبري رحمه الله (ت٣١٠) في تفسيرها: "كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطا .... لتكونوا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ، أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها، ويكون رسولي محمدا ﷺ شهيدا عليكم، بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي"[3].

٧ - مما يؤكد أهمية المسؤولية الدعوية: انحراف مفهوم الحرية في أذهان الناس، حيث يريد البعض ممارسة الحرية والتمتع بها دون قيد أو ضابط، ويرى متوهما أن في الدعوة إلى الله تقييدا لحريته، وينسى أن الحرية الحقة المقبولة عقلا وشرعا هي التي لا تعتدي على أحد، ولا تضر أحدا سواء بشكل مباشر أو بغير مباشر، ولا تكون الحرية كذلك إلا إذا كانت منضبطة بأخلاق الإسلام وقيمه وشرعه، لذلك لا بد أن يكون هناك من يوضح مفهوم الحرية المنحرفة ويعالج التسيب الأخلاقي والفوضى الدينية التي يدعو لها بعض الناس، خاصة مع ما ينتشر في بعض المجتمعات الإسلامية في هذا الزمان من التفريط، والبعد عن الدين، والتكاسل في القيام بهذه المسؤولية الدعوية،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٢٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٣/١٤٣-١٤٦.

أو الاعتقاد بعدم أهميتها ومناسبتها لعصرنا الحاضر المنفتح على جميع ثقافات العالم، مع المناداة بتطبيق مبدأ الحرية الدينية التي تقتضي -بفهمهم الخاطئ- ترك الناس يختارون لأنفسهم ما يريدون من قيم ومبادئ وديانة، فهي حريتهم الشخصية ما داموا لا يسببون الأذى لغيرهم، والحقيقة أن دعوة الناس إلى الخير وإلى الاستقامة على شرع الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، هو أمر رباني غايته إقامة مصالح الناس ودفع الفساد عنهم.

٨ - ومما يؤكد أهميتها: ما ساد في حياة الناس من الاستغراق في ملذات الحياة الدنيا وشهواتها، مع ما يعتري الناس من صعوبات ومتطلبات المعيشة في الحياة المادية والضغوط والأعباء التي أثقلت كواهلهم، والسعي باستمرار دون توقف للعب من الحياة الدنيا، واستحواذها على إدراك الناس ومعرفتهم لدورهم المطلوب ومهمتهم التي كلفهم بها رب العالمين، فطلب الرزق والجري خلف متع الحياة وحاجاتها يستنزف الوقت والتفكير، والتطلع المستمر نحو تحسين الأوضاع المعيشية، وإشباع الحاجات الخاصة بكل إنسان تغلب على نظرته وتفكره في حاجات المجتمع، وعلى شعوره بواجبه ومسؤوليته في إصلاحه ومعالجة قضاياه المتنوعة، لا سيما إذا صاحب ذلك ضعف في مكانة الدين في قلبه، وتغليب المصلحة الشخصية على مصلحة المجتمع والتملص من واجب الدعوة وإصلاح الناس.

٩ - إن قيام المسلم بمسؤوليته الدعوية باب من أبواب الصدقة والأجر من رب العالمين كما قال ﷺ: (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)(١)،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، رقم ٨٤.

كما إن القيام بالمسؤولية الدعوية من مكفرات الذنوب وأسبابها التي يفتن بها العبـــاد، كما قال ﷺ: (فتنة الرجل في أهله وماله وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)[1].

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٥٨٦.

المطلب الثالث: نماذج تحمل المسؤولية الدعوية في القرآن والسنة:

تعد قيمة المسؤولية - بأنواعها- في كل مجتمع من معايير السلوك الإنساني، والمجتمع المتحضر هو المجتمع الذي ينتشر بين أفراده الوعي بهذه القيمة ويلتزمون بها، حيث إن مفاهيم الارتقاء الحضاري مثل: العطاء، والتقدم، والنظام، والاحترام، والتكافل، .. وغيرها، ترتبط ارتباطا طرديا بازدياد الوعي والتحمل لهذه المسؤولية، كما أن البشر لا تستقر حياتهم وتتحقق مصالحهم في مجتمع تعيث فيه الفوضى والتخلي عن المسؤولية.

والإنسان - غالبا- يبحث عن قدوات مؤثرة، ينسج على منوالها، ويقتفي أثرها في القيام بالمسؤولية أيا كان مجالها، والمسلم كذلك بحاجة إلى نماذج لتحمل المسؤولية الدعوية، تدفعه لنشر الخير ولنصرة الحق وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه النماذج في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يلي:

أولا: نماذج تحمل المسؤولية الدعوية في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم العديد من النماذج التي ينبغي أن تحتذى في تحمل المسؤولية الدعوية، ومنها: نماذج الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فقد حفظ القرآن الكريم سيرهم الدعوية ومدى تحملهم لهذه المسؤولية وإخلاصهم في أدائها، كما بين لنا ما لاقوه في سبيل الدعوة إلى الله، وصبرهم على أنواع المشاق والصدود في سبيل إيصال الحق للناس، وتضحيتهم بالغالي والنفيس ابتغاء مرضاة الله، ومواجهتهم لأقوامهم وأهلهم في سبيل تبليغ دعوة الحق، ولم يثنهم ذلك عن قيامهم بالمسؤولية والأمانة التي حملهم الله إياها حتى بلغوا دين الله أبلغ بيان عليهم الصلاة والسلام، وجعلهم الله تعالى قدوة لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

وأحد نماذج تحملهم لمسؤوليتهم الدعوية: موقف نبي الله يوسف عليه السلام مع صاحبيه في السجن، فهو في أصعب الظروف وأشدها في السجن، ومع ذلك لم يتأخر عن القيام بمسؤوليته الدعوية، بل كان همه الدعوة إلى الله، فقام بواجبها عندما دعا صاحبيه في السجن إلى توحيد الله عز وجل لما رأى إقبالهما على الخير، وبين لهما بطلان ما هم عليه من ضلال، قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(١)، فأقبل "على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما، فقال: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾، أي الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه، ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هو جهل منهم، وتسمية من تلقاء أنفسهم، تلقاها خلفهم عن سلفهم، وليس لذلك مستند من عند الله، ولهذا قال: ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾، أي حجة ولا برهان، ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه، ثم قال تعالى: ﴿ذلك الدين القيم﴾، أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له، هو الدين المستقيم الذي أمر الله به، وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي فلهذا كان أكثرهم مشركين"(٢).

وممن ذكرهم القرآن الكريم في تحملهم المسؤولية الدعوية ومبادرتهم بالدعوة: الجن الذين آمنوا واستشعروا أمانة تبليغ الدعوة لقومهم، بمجرد أن وقر الإيمان في قلوبهم

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣٩ – ٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة٤/٣٣٣.

وسماعهم لكلام الله تعالى، فانصرفوا إليهم يدعوهم للخير والصلاح ويذكروهم برسالة الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]،

فدعوا قومهم من الجن "نصحا منهم لهم وإقامة لحجة الله عليهم وقيضهم الله معونة لرسوله ﷺ في نشر دعوته في الجن"[2]، وما كان هذا الفعل منهم إلا شعورا بالأمانة التي ألقيت على عاتقهم، وبمسؤوليتهم الدعوية.

وكذلك خلد القرآن ذكر أحد المؤمنين الذين علموا قدر المسؤولية التي حملهم الله إياها، فأدوها على أكمل وجه، وفازوا بذلك بالأجر العظيم والثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾[3]، فهذا المؤمن جاء ساعيا من أقصى المدينة "حرصا على نصح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رد به قومه عليهم، فقال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييدا لما شهد به ودعا إليه، فقال: ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرا﴾ أي: اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩ – ٣٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٧٨٣.

(٣) سورة يس، الآيات: ٢٠ – ٢٥.

أموالكم ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فلامه قومه و لم يقبلوا نصحه، فقال: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، هو الذي يستحق أن يعبد، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، ولهذا قال: ﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم﴾ لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، وجمع في كلامه بين نصحهم، والشهادة للرسل بالرسالة، والإخبار بتعين عبادة الله وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيمانه جهرا، مع خوفه الشديد من قتلهم، فقال: ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ فقتله قومه، وبقي رغم ذلك ناصحا لهم حتى بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته"[1]، كما تبين الآيات الكريمة.

ثانيا: نماذج تحمل المسؤولية الدعوية في السنة النبوية:

هناك نماذج سامقة من الدعاة من صحابة النبي ﷺ، الرعيل الأول في عهد النبوة، وممن جاء بعدهم من السلف، ومن المعاصرين، وقد احتلت الدعوة إلى الله مكانة كبيرة في قلوبهم، وتمثلوا صفتهم في اتباعهم للنبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

أما جيل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.فقد تضمنت مبايعتهم للنبي ﷺ: النصح للمسلمين، كما روى ذلك جرير رضي الله عنه فقال: (بايعت رسول الله ﷺ، فاشترط علي: (والنصح لكل مسلم)[3]، فقاموا رجالا ونساء بمسؤوليتهم في الدعوة،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص ٦٩٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الشروط، باب: ما يجوز في الإسلام من الشروط والأحكام والمبايعة، رقم ٢٧١٤.

اتباعا للأمر النبوي: (بلغوا عني ولو آية)(1)، كيف لا وقد كان قدوتهم عليه الصلاة والسلام كان داعيا لآخر يوم في حياته، فمضوا بعده على سيرته من الحرص على وجوه الخير كلها وأولها: الدعوة إلى الله، والصحابة هم خير هذه الأمة وأزكاها نفوسا، وأعلاها مترلة، وأعمقها فهما لمقاصد الشرع، وأعلمها بما كان عليه نبينا ﷺ، فهم قدوة لمن جاء بعدهم ممن يسير على خطاهم ويتبع منهجهم في الدعوة كما تلقوه من النبي ﷺ، فهم أولى الناس بعده بالاتباع.

ومن النماذج الزاكية التي كانت نجوما يقتدى بها: خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان لمساهماته الدعوية ومساندته للنبي ﷺ من أول يوم في الدعوة أثر بالغ في إنجاح الدعوة الإسلامية خاصة في مراحلها الأولى، تتجلى في مظاهر عديدة، كمبادرته إلى دعوة العديد من السابقين للإسلام، ودفاعه عن النبي ﷺ، ومرافقته له في الهجرة، ثم ملازمته له في المدينة، وأخيرا توليه الخلافة رضي الله عنه بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، مما لا يسع مقام هذا البحث لذكره.

وممن حفظ لهم التاريخ شعورهم القوي بالمسؤولية الدعوية والأمانة: ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه، حيث سعى للقاء النبي ﷺ وتحمل المشقة ووعثاء السفر ليكون رسول قومه ويحمل لهم الخبر اليقين، فقد روى أنس رضي الله عنه قصته فقال: (بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب فقال له النبي ﷺ: «قد أجبتك». فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك؟ فقال: «سل عما بدا لك» فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١.

الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: «اللهم نعم». فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر)[1].

ومن النماذج المضيئة أيضا في الشعور بالمسؤولية الدعوية والإيجابية، والمبادرة بتقديم ما يخدم الدين ما أخرجه البخاري (ت٢٥٦) في صحيحه عن الصحابية الأنصارية التي علمت مقدار المشقة التي تحصل للنبي ﷺ أثناء وقوفه خطيبا في الناس، لمدد متفاوتة قد تصل إلى ساعات، فجاءت وقالت: (يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه، فإن لي غلاما نجارا قال: «إن شئت»، قال: فعملت له المنبر)[2].

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: ما جاء في العلم وقوله تعالى: (وقل رب زدني علما)، رقم ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: النجار، رقم ٢٠٩٥.

المبحث الثاني

خصائص المسؤولية الدعوية وشروطها

إن تكريم الله تعالى لأمة الإسلام وجعلها ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ هو حق ويقين لا نقاش فيه، وقد عاش المسلمون في القرون المفضلة دهرا طويلا قائمين بحق هذه الخيرية وشرطها: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، ثم بدأ التراجع والتنازل عن هذه الخيرية والتقصير بمتطلباتها وشروطها، مما جعل المسلمين اليوم -إلا من رحم الله- أمة ضعيفة مجردة من أسباب القوة والحضارة بين الأمم، يتحكم بها أعداؤها ويفرضون عليها مطالبهم وثقافتهم، "ولم يعد خافيا أن حياة المسلمين اليوم لا تصلح مقياسا لتقييم التأثير العظيم لمنهاج الوحي في أمة الإسلام، اللهم إلا من زاوية عكسية، يتخذ فيها بعد المسلمين عن الدين سببا مباشرا لتخلفهم وضياعهم، برهان ذلك قانون الوحي نفسه"(١)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(٢)، وقد فقه سلفنا الصالح هذا القانون الإلهي، وقرروا آثاره على أنفسهم ومجتمعاتهم؛ فحققوا التغيير في أنفسهم وذواتهم قبل غيرهم، وساد في أنفسهم الكريمة شعور عظيم بالمسؤولية تجاه دينهم وأمتهم ودعوة الإسلام، ولم يقل أحدهم يوما من الأيام: إن هذه مهمة الأنبياء والعلماء وولاة الأمر فقط.

والمتأمل في نصوص الوحيين وسيرة السلف الصالح يجد أمر الله تعالى للمسلمين بفعل الخير مطلقا دون تحديد، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٣)، كما أن الدعوة إلى الخير مطلقة في قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ

(١) التنمية الذاتية والمسؤولية في الإسلام، د. حسن صالح العناني، ص ١٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٧.

﴿ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وهذا مما يقوي الشعور بالمسؤولية عموما والمسؤولية الدعوية بشكل خاص، كما يوضح أن للمسؤولية الدعوية خصائص تميزها عن غيرها من أنواع المسؤولية، كما أن لها شروطا تؤكد حكم وجوبها على المسلم، وتفصيل ذلك -بعون الله- كما في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: خصائص المسؤولية الدعوية.

المطلب الثاني: شروط المسؤولية الدعوية.

المطلب الأول: خصائص المسؤولية الدعوية:

كلف الله تعالى أمة الإسلام بشعيرة الدعوة إلى الله عز وجل، وحملها هذه المسؤولية بعد نبيها، فقال تعالى في وصف رسالة نبينا ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2]، وأمر المسلمين بالدعوة إلى سبيله في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، وجعلها خصيصة وميزة في الأمة الإسلامية وامتدحهم بها في كتابه، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[4]، فالخيرية و الأفضلية التي امتدح الله بها هذه الأمة يتطلب منها القيام بشرطها وبالتكليف اللازم لها وهو: الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل بحسب مقدرته وعلمه، وجعل لهذه المسؤولية خصائص متعددة من أبرزها ما يلي:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥ — ٤٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الخصيصة الأولى: ارتباط المسؤولية الدعوية بالجزاء من رب العالمين:

وعد الله تعالى المسلمين بالجزاء المترتب على قيامهم بمسؤولياتهم الدعوية أو على تقصيرهم فيها، فالله تعالى عندما كلف المسلمين بالدعوة إلى سبيله وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ألزمهم بأمره، فإن استجابوا وأطاعوا وانقادوا وأخذوا بالأوامر؛ استحقوا الجزاء الحسن، وإن كان موقفهم هو التخاذل والتهاون والعصيان، فإن هذا يترتب عليه الجزاء المسيء لهم، فالمؤمن المطيع لأمر الله المحسن في أعماله ينال رحمة الله وإكرامه، والعاصي لأوامره المخالف لها يستحق العقوبة، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[1]، وهذا الجزاء من الله هو جزاء دنيوي وأخروي، كما قال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]، ورحمة الله التي وسعت كل شيء، وثوابه للمحسنين من عباده وإكرامه لأهل الطاعة لا حد له، فهو يغلب جانب الرحمة والثواب ومضاعفة الحسنات في محاسبته لعباده، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

وهذا الترابط القوي وهذه العلاقة الوثيقة بين الجزاء والمسؤولية الدعوية يلزمان من يتحدث عن الدعوة ومسؤوليتها بذكر الجزاء في جانبي: الإحسان والتقصير، مثل وعده

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٢٣ – ١٢٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

تعالى بالنصر والتمكين لمن يقوم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]، وثنائه على القائمين بمسؤوليتهم الدعوية وعدهم من عباده الصالحين في قوله: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

وفي ذات الوقت تهديده تعالى للمقصرين باللعن والطرد من رحمته: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[3].

ورغم أن الجزاء المتعلق بمسؤولية الدعوة جزاء دنيوي وأخروي إلا أن المحاسبة عليه والمساءلة مرتبطة بالآخرة، إذ أن المقصر فيها -غير المعين من قبل ولي الأمر- ينجو من العقوبة التي يوقعها الحاكم وولي الأمر، إلا أنه يحاسب في الآخر على تقصيره فيما يجب عليه، و"الجزاء الأخروي دائما أعظم من الجزاء الدنيوي، ومن أجل ذلك يحس المرء بوازع نفسي قوي بضرورة العمل بأحكام الدين واتباع أوامره واجتناب نواهيه، فالجزاء الأخروي يجعل الإنسان يعتقد أنه لن يفلت من العقاب، فإذا أفلت منه في الحياة الدنيا؛ فلن يفلت منه في الآخرة، ولا يوجد مثل هذا باعث على اتباع التشريعات التي تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ"[4].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٣-١١٤.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ — ٧٩.

(٤) المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، د. عمر سليمان الأشقر، ص ٩٠.

الخصيصة الثانية: إن المسؤولية الدعوية شاملة واسعة النطاق:

فالدعوة إلى الله مسؤولية عامة تشمل كل مسلم[(١)]، كما تمتد لدعوة المسلم وغير المسلم أيضا، فالله تعالى كرم أمة الإسلام بأن جعلها شاهدة على غيرها من الأمم وهادية لها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٢)]، والمسلمون شهداء على الأمم السابقة بتبليغ أنبيائهم لهم بالرسالة، كما قال ﷺ: (يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، وأقل، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد، فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلكم قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[(٣)].

كما يوضح النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع تكليف المسلمين بالمسؤولية الواجبة عليهم في الدعوة إلى الله، بعد أن أشهدهم على قيامه بتبليغ الدين وحمل الأمانة، وذلك كما أخرج البخاري رحمه الله (ت٢٥٦) فقال: (خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «أتدرون أي يوم هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «أي شهر هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال «أليس ذو الحجة؟»،

---

(١) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد دراز، ص ١٤٦ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب: الزهد، باب: صفة أمّة محمد ﷺ، رقم ٤٢٨٤، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجة، ٢/٤٢٥.

قلنا: بلى، قال «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال «أليست بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟»، قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض)[1]، ومما يزيد من إعلام المسلمين بعموم هذه المسؤولية وتحميلهم أمانة التبليغ بعده: إشارته إلى قرب حلول أجله بقوله: (فلا ترجعوا بعدي كفارا).

الخصيصة الثالثة: تنوع أقسام المسؤولية الدعوية ومجالاتها:

تتنوع مجالات المسؤولية الدعوية لتشمل جوانب حياة المجتمع ومجالاته، ويمكن تقسيمها من حيث المكلفين بها إلى المجالات التالية:

أولا: المسؤولية الدعوية الفردية: وهي التي يكلف بها يحاسب عليها الفرد المسلم كل بحسبه، وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: مسؤولية ذاتية عن النفس، حيث يحاسب كل إنسان على صلاحه أو فساده في نفسه، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2]، قال الطبري رحمه الله (ت ٣١٠): "كل نفس مأمورة منهية بما عملت من معصية الله في الدنيا، رهينة في جهنم (إلا أصحاب اليمين) فإنهم غير مرتهنين"[3]، وقال تعالى عن مسؤولية السمع والبصر: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، رقم ١٧٤١.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٣٥/٢٤.

مَسْـُٔولًا﴾[١]، وقد عرف تعالى النفس البشرية طريق الخير وطريق الشر، وأودع فيها القدرة على الاختيار بين الطريقين: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٢]، فكل إنسان مسؤول محاسب عن نفسه، وهو المسؤول أولا وأخيرا عن تصرفاته وأقواله وما يتسبب به من تبعات قد تلحق غيره، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٣]، جاء في تفسيرها: "ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا ولا شرا في الدنيا، إلا آتاه الله إياه. فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر الله له سيئاته. وأما الكافر فيرد حسناته، ويعذبه بسيئاته...، وقال بعضهم: أما المؤمن، فيعجل له عقوبة سيئاته في الدنيا، ويؤخر له ثواب حسناته، والكافر يعجل له ثواب حسناته، ويؤخر له عقوبة سيئاته"[٤]، فالفرد يتحمل مسؤولية إصلاح نفسه وإقامتها على الصراط المستقيم ومنعها من الانحراف والانزلاق، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالنظر والتأمل فيما قدمت أيديهم وما أعدوا لآخرتهم لأنهم مسؤولون عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٥].

كما بين النبي ﷺ أن الإنسان سيسأل ويحاسب عن كل ما قدم، وما آتاه الله من الرزق والنعمة، فقال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[٦].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٧ – ٨.

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ – ٨.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٢٤/٥٥٠.

(٥) سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: في القيامة، رقم ٢٤١٧، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، ص ٥٤٥.

القسم الثاني: المسؤولية الفردية عن الغير، ويحاسب فيها المسلم تبعا لاستجابته لأمر نبينا محمد ﷺ في قوله: (بلغوا عني ولو آية)،[1] وقوله: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[2].

ولهذا القسم صور وأدوار متعددة، بينها لنا نبينا ﷺ في قوله: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته)[3]، والراعي هو: "الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه"[4]، فهذا الحديث أصل في جميع أنواع المسؤولية، ويتضمن من التفصيلات ما يوضح مسؤولية كل دور من الأدوار الاجتماعية التي يمكن أن يمر بها الإنسان، ويكون مسؤولا عن رعاية الغير، قال ابن بطال: "فكل من كان تحت نظره شيء فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته، فإن وفى ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر والجزاء الأكبر، وإن كان غير ذلك طالبه كل أحد من رعيته بحقه"[5].

ثانيا: المسؤولية الدعوية الأسرية، ويقصد بها الجهود التي تقوم بها الأسرة لحفظ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، رقم ٤٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم ٨٩٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢١٣/١٢.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود أحمد بدر الدين العيني، ١٩٠/٦.

أفرادها من الانحراف في ظل التحديات العقدية والأخلاقية والفكرية التي تواجهها، وأداء حقوق أفرادها بدعوتهم للخير والتناصح بينهم، وتعليمهم ورعايتهم، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[(١)]، "ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالا ونهيه اجتنابا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه"[(٢)].

ثالثا: المسؤولية الدعوية المجتمعية: وهي مسؤولية المجتمع في إقامة الدعوة إلى الله وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[(٣)]، فهذه هي ميزة الأمة المسلمة على غيرها من الأمم، وبقدر اتصاف المجتمعات المسلمة بهذه الصفة كان استحقاقهم لهذا المدح والثناء، قال أبو هريرة رضي الله عنه عن هذه الآية: (خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام)[(٤)]، فهم سبب في هداية غيرهم وتحصيلهم لأسباب سعادة الدنيا والآخرة، وعندما تقوم مؤسسات المجتمع التربوية والإعلامية بدروها الدعوي بشكل صحيح؛ فإنها تحقق الضبط المجتمعي الذي يقيم سياجا واقيا ضد الانحراف بأنواعه.[(٥)]

(١) سورة الشورى، الآية: ٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٨٧٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس﴾ آل عمران، رقم الحديث ٤٥٥٧.

(٥) انظر: أصول الأخلاق الإسلامية، د. خالد حامد الحازمي، من ص ٣٦٤-٣٨٠.

الخصيصة الرابعة: إن للمسؤولية الدعوية حدودا تتوقف عندها:

فلا يلزم المسلم الداعية الاستكثار والتكرار وإملال المدعوين عند عدم استجابتهم وصدودهم وإعراضهم، أو تكلف بعض الأساليب الإقناعية العقلية أو الاستثارة العاطفية بشكل مبالغ فيه، وقد قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾(١)، فالهداية أولا وقبل أي سبب هي نعمة ومنة من الرحمن الرحيم، يختار لها من يشاء من عباده ويحرم منها آخرين، ومهما بذل الداعية من جهود، وسلك من أساليب وبذل من أسباب الهداية ودلالتها؛ فإن التوفيق للإيمان هو من رب العالمين: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٢)، وقد قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٣)، ولن يستقيم قلب إنسان، أو يدخل كافر في دين الله أو يستجيب لأوامره إلا بعد هداية الله له وشرح صدره للحق، ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾(٤)، ورغم وضوح الحق وقوة الحجة وفهم الناس للدين؛ إلا أن هناك الكثير ممن يرفض دين الإسلام أو يمتنع عن الاستقامة، لا لأنه لا يعلم الدليل أو لا يفهم الحجة؛ بل لأن الله صرف قلبه عنه، أو لما في نفسه من الهوى والزيغ، وهنا تتوقف المسؤولية الدعوية فلا يلزم المسلم استجابة الناس ما دام قد أدى ما عليه، وبلغ الدعوة أفضل بلاغ وبيان، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(٥).

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٥) سورة النور، الآية: ٥٤.

المطلب الثاني: شروط المسؤولية الدعوية:

الإسلام دين المسؤولية فالله تعالى يجازي الإنسان ويحمله مسؤولية فعلـــه، وقـــد تضافرت نصوص الوحيين في توضيح هذه الحقيقة[١]، فمن عمل صالحا وأطـــاع الله، فالنفع يعود عليه بالجزاء الحسن، ومن أساء بترك الأوامر وفعل النواهي فعليه ضـــره، وهو الجاني على نفسه بذلك، والله يحاسب كل إنسان بما عمل، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[٣]، فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزله تعالى واتبع ما فيه؛ فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنـــة، والنجاة من النار، ومن عصى وضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء الســـبيل، فإنمـــا يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم[٤].

ومن عدل الله وفضله تعالى أنه يضاعف أجور من عمل الصالحات ويجزي بغـــير حساب، قـــال تعـــالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥]، وكل نفس تحمل كسبها يوم القيامة، لا يحمل خطيئاها عنها أحد مهما بلغت درجـــة

(١) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد دراز، ص ١٤٨ وما بعدها.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤١.

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٢٩٧/٢١.

(٥) سورة غافر، الآية: ٤٠.

قرابته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[(١)]، وهذه المحاسبة تشمل قيام المسلم بمسؤوليته الدعوية متى تحققت فيه شروط وجوبها.

والعقلاء من الناس يشعرون بأقدار متفاوتة من مسؤوليتهم تجاه بعض الأمور ومسؤوليتهم تجاه من حولهم، حيث إن "افتراض الشعور بالمسؤولية قائم لدى كل إنسان، إذ إننا كبشر لا نستطيع أن نتحلل منه تماما في حياتنا الواعية، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون حيوية هذا الشعور مختلفة من فرد إلى آخر"[(٢)].

ولا يخفى على المتأمل أن بعض الناس ينظر إلى الدعوة والاحتساب على أنها من جملة أعمال الخير التطوعية، التي يحق له فعلها أو تركها متى شاء، ولكنها في حقيقة الأمر من الواجبات التي اتفق العلماء على وجوبها، بل قد ترقى في بعض الأحوال إلى الوجوب العيني مادامت الشروط متحققة، وهذا من خلال أوامر الشريعة الإسلامية ومن خلال الاسترشاد بآيات القرآن والسنة الحاثة على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمقصود بشروط المسؤولية الدعوية: شروط التكليف بها، حيث إن وجوب الدعوة ثابت في الكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨): "أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها"[(٣)]، وللمسؤولية الدعوية عدد من الشروط التي بتوافرها يتحمل الفرد هذه المسؤولية، وهذه الشروط كما يلي:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٢) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ص ٥٠.

(٣) الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨١، وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

١ - التكليف بالبلوغ والعقل:

كرم الله تعالى الإنسان وميزه على سائر خلقه بالعقل الذي هو أجل النعم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١]، وجعله مناط التكليف، به يحاسب المسلم على أعماله ويلزم بتطبيق شرع الله، قال ﷺ: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل)[٢]، فالعقل والبلوغ هما أول شرطين في التكليف، فلا تكليف ولا مسؤولية على المجنون الذي لا عقل له، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الفهم والرشد.

والمسؤولية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعقل من جانبي الوجود والعدم، ولا يعد الإنسان مكلفا في الإسلام بأي واجبات – ومنها الدعوة إلى الله- إلا بعد بلوغه الرشد واكتمال العقل، حيث جعل الإسلام سن الرشد هو اكتمال العقل الإنساني وقدرته على الاختيار والإدراك وحسن التصرف، وبالتالي تحمل تبعة العمل والنتائج المترتبة عليه[٣]. وقد أمر الله المسلمين أن يحفظوا أموال اليتامى حتى يبلغوا مبلغ التكليف والرشد والعقل فيدفعوا إليهم أموالهم ويحسن تصرفهم فيها، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٤]، "قال الفقهاء: متى بلغ الغلام مصلحا لدينه وماله، انفك الحجر عنه، فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حدا، رقم ٤٤٠٣، قال الألباني: صحيح، ص ٧٩٠.

(٣) انظر: المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، ص ٢١.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦.

بطريقه"[1]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقد أجمع العلماء على أن الاحتلام في الرجال والنساء يلزم به العبادات والحدود وسائر الأحكام"[2]، فبلوغ الرشد مقترن بالتكليف وتحمل كافة المسؤوليات الممكنة ومنها المسؤولية الدعوية.

٢ - العلم:

فتكليف المسلم بالدعوة يرتكز على علمه بوجوب قيامه بها سواء أكان وجوبها عينيا أو كفائيا، تبعا لقدرته واستطاعته، وهذا من عدل الله تعالى ورحمته للعباد، فالحجة تقوم عليهم بالعلم، والله تعالى حين خلق الإنسان ووهبه العقل الذي يميز به بين ما ينفع وما يضر، و لم يكله إلى عقله بل أرسل إليه الرسل، و أنزل الكتب لئلا تكون للناس حجة، ولتقع عليه المسؤولية والجزاء بالعدل، "والقرآن يعلمنا أن أحدا لن يحاسب على أفعاله دون أن يكون قد أعلم مسبقا بأحكامها"[3]، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[4]، و"أيضا فإن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسا، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلى على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية"[5]، وفي الأحكام الشرعية المتعلقة بأصول الدين وفروعه لا "يثبت حكم الخطاب إلا بعد البلاغ، ولا يقوم التكليف مع الجهل وعدم العلم"[6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة٢/٢١٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٥/٢٧٧.

(٣) دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد دراز، ص ١٦٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٥) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٢/٤٩٣.

(٦) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، د. محمد الجيزاني، ص ٣٤٨.

وقد قام خاتم الأنبياء ﷺ بأتم البلاغ وأكمله لأمته، وأخبرهم بدقائق شريعة الإسلام، وأقام عليهم الحجة بذلك، وقال في مواطن عديدة: (اللهم هل بلغت)، "فالإعلام والبيان من أهم شروط المسؤولية، لأن بلوغ دعوة الرسل واجب لتستيقظ الضمائر الغافلة، ولكون المؤاخذة لا تقع إلا بعد إرسال الرسل و قيام الحجة، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]، وهذا لايتم إلا بإعلام الإنسان بما هو مفروض عليه فعلا أو تركا"[2]، فإن الله تعالى "ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذبا أحدا إلا بذنبه"[3].

٣- القدرة والاستطاعة:

وقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، فمن كان بوسعه القيام بالدعوة إلى الله لزمه ذلك؛ ومن لم يستطع فلا يلزمه، حيث إن "المسؤولية في الإسلام تعم الخلق، فلا يفلت منها أحد، فكل إنسان سيحاسب حسب أعماله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، سواء أكان نبيا رسولا، أو عبدا تقيا صالحا، أو ضعيفا مقصرا، أو فاجرا ظالما لنفسه، وسواء أكان حاكما أو محكوما، رجلا أو امرأة، فلو تتبعنا خطابات القرآن الكريم لوجدنا أنها موجهة إلى كل فرد من بني آدم على تفاوت مراتبهم ومراكزهم، فكل إنسان توفرت فيه شروط المسؤولية والتكليف فهو ملزم برعاية أوامر الله واجتناب نواهيه، وهذا ما قرره القرآن الكريم وأكده في آياته

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، ص٢٨.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٤٠٢/١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

البينات"[1]، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]، وهذا يعود إلى سعة مفهوم المسؤولية وامتدادها، فالمسؤولية "في الإسلام تعني أن المسلم المكلف مسئول عن كل شيء جعل الشرع له سلطانا عليه، أو قدرة على التصرف فيه، بأي وجه من الوجوه، سواء كانت مسئولية شخصية فردية، أم مسئولية متعددة جماعية"[3]، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[4]، فالمسؤولية الدعوية هي تكليف المسلم بما يقدر عليه ويستطيعه من العمل الدعوي والاحتساب الواجب عليه، بحيث لا يصح منه التفريط أو التساهل به، لأن "القدرة الشرعية لابد منها في التكليف، وذلك مثل اشتراط الاستطاعة في الحج، فهذه استطاعة شرعية تشترط في وجوب الحج، فمن كانت لديه الاستطاعة وجب عليه الحج، ومن لم توجد عنده هذه الاستطاعة لم يجب عليه الحج"[5].

والقدرة تتوقف عند الضرر المكروه المعتبر شرعا[6] الذي قد يلحق الداعية والمحتسب، خاصة عند الاحتساب على الآخرين باليد وباللسان، أما إنكار المنكرات بالقلب فهو واجب دائما ولا يسقط بأي حال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

---

(١) المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، ص ١٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦.

(٣) المسؤولية" مفهومها، طبيعتها الفردية والاجتماعية وفق المنظور الإسلامي"، د. أحمد رزق الصرمي، ص٣٥٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٥) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، د. محمد الجيزاني، ص ٣٤٥.

(٦) للاستزادة من موضوع الضرر المكروه شرعا انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "أصوله وضوابطه وآدابه"، د. خالد عثمان السبت، من ص ١٠٥-١٣٠.

(ت٧٢٨): "مما ينبغي أن يعرف أن الاستطاعة الشرعية المشروطة في الأمر والنهي لم يكتف الشارع فيها بمجرد المكنة ولو مع الضرر، بل متى كان العبد قادرا على الفعل مع ضرر يلحقه جعل كالعاجز في مواضع كثيرة من الشريعة، كالتطهر بالماء، والصيام في المرض، والقيام في الصلاة وغير ذلك، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٢)"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨): "فمن استقرأ ما جاء به الكتاب والسنة تبين له أن التكليف مشروط بالقدرة على العلم والعمل، فمن كان عاجزا عن أحدهما سقط عنه ما يعجزه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها"(٤)، وسعها"(٤)، ومراعاة المصالح والمفاسد في الدعوة إلى الله مرتبط بخصيصة الإسلام، الذي يراعي جلب المصالح وتحقيقها، ودفع المفاسد وتقليلها، قال ابن القيم رحمه الله (ت٧١٥): "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، ورحمة كلها... فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه"(٥).

٤- حرية الاختيار:

"تتأسس المسؤولية على قاعدة من الحرية الواعية، وهذا يعني أن كل فعل يصدر من المرء دون حرية واعية؛ لا تترتب عليه أي مسؤولية خلقية أو دينية، والمسؤولية تلازم صاحبها قبل صدور الفعل وأثنائه وبعده، وتعني أن صاحبها له شخصيته المستقلة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٨/ ٤٣٩.

(٤) المرجع السابق، ٢١/٦٣٤.

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ٣/٣.

في الفعل أو الترك، في القبول أو الرفض، وله قدرته على تنفيذ ما استقرت عليه إرادته"[1]، والمسؤولية الدعوية – كغيرها من المسؤوليات– تسقط عن فاقد العقل كما تسقط عن صاحب الإرادة المسلوبة، وقد رسم الله عز وجل للإنسان طريق الخير وطريق الشر وبين له عاقبة كل منهما، ومنحه حرية الاختيار والإرادة، فإن شاء التزم ما كلفه الله به وإن شاء فرط واتبع هواه قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2] .

"وهذه الإرادة التي منحها الله للإنسان واختصه بها هي الأساس الأول للمسؤولية والتكليف"[3]، فمسؤولية الإنسان مبنية على أساس اختياره لا إكراه فيها، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[4]، وكل عمل يعمله الإنسان له فيه حرية الاختيار، فإن اختار لنفسه طريق الهداية والصلاح فسيكون ثوابه على أساس هذا العمل، وإن اختار طريق الضلال فعقابه بناء على ما اختاره من عمل أهل الضلال، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[5] .

وقد حرص الإسلام حرصا كبيرا على إشعار الناس بحرياتهم وباستقلال إرادتهم، بغية فوزهم باختيار طريق النجاة والفلاح، لا عبثا بهم أو جرهم إلى التحلل والضوابط

(١) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ص ٥٠، وانظر: دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد دراز ص١٨٠ وما بعدها.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٣) المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، ص٢٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٥) سورة يونس، الآية: ١٠٨.

والأوامر، فالإنسان حر فيما يفعل وما يسير وما يدبر، وهذا الشعور يدفعه إلى الشعور بالمسؤولية، "ذلك أن الشعور بالمسؤولية لا يحقق وجوده إلا حين يؤسس على شعور آخر يسبقه، يتمثل في الشعور بالحرية، ففاقد الحرية لا يمكن أن يكون حرا في عزمه وإرادته، ومن ثم فإنه لا يمكن أن يكون قادرا على الشعور بمسؤوليته تجاه أسرته ومجتمعه ووطنه"(١)، وشعور الإنسان بحريته في إرادته تبعده عن الخضوع لأحكام الأغلبية من الناس إذا كانت على باطل، فلا يقلد كل ناعق، ولا يأتي إلا ما يرضاه ربه عنه.

ومنهج الشريعة الإسلامية في تكليفها للفرد أن تحرره من العبودية لغير الله تعالى، ثم "تبني شخصيته المسؤولة عابرة بها مراحل وأطوارا، فتشعره بوجوده أولا، وتؤهله للشعور بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه ثانيا، وتوجهه نحو المشاركة والبناء أخيرا"(٢)، فالداعية يشعر بمسؤوليته الدعوية دون إكراه من أحد، لأن بلوغه درجة عالية من الشعور بالحرية ينتقل بنفسه إلى الإيجابية والمسارعة إلى تأدية ما فرضه الله عليه دون شعور بالإكراه أو الإجبار على ذلك.

---

(١) تنمية الشعور بالمسؤولية عند أفراد المجتمع، د. عبد السلام رياح ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣.

المبحث الثالث

عوامل تعزيز المسؤولية الدعوية في نفوس المسلمين

تختلف نظرة الناس ومواقفهم تجاه المسؤولية الدعوية، وذلك يعود لأمرين:

أولهما: اختلاف ما يملكون من نوع التأهيل العلمي، والمجال التخصصي، والمستوى المعرفي لديهم، بوصف هذه الأمور من مكونات الخلفية الثقافية لدى أي إنسان، وهذا يؤثر في معرفة البعد الشرعي للمسؤولية الدعوية.

والثاني: درجة توافر الأنظمة والقوانين التي تفرق بين المسؤولية القانونية النظامية التي يحاسب عليها المرء في الدنيا، وبين المسؤولية الدينية الشرعية التي يحاسب عليها في الآخرة، وهذا بدوره يستند على عدة عوامل، مثل: الوازع الداخلي، ومستوى التدين، وقوة الانتماء للأمة الإسلامية وللدين، وعمق تقوى الله في القلب المؤمن، ثقافة المجتمع، والبيئة المحيطة، والتنشئة الأسرية .. وغيرها.

وهذه العوامل المتنوعة التي تعمل على تعزيز شعور المسلم بالمسؤولية الدعوية، يمكن عرضها من خلال جانبين رئيسين: الجانب الذاتي الداخلي في نفس الإنسان، والجانب الخارجي المتعلق بما حوله في مجتمعه، وتتأثر شخصيته الدعوية بهذين المجالين سلبا وإيجابا، وتفصيل ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: العوامل الذاتية الداخلية.

المطلب الثاني: العوامل المجتمعية الخارجية.

المطلب الأول: العوامل الذاتية الداخلية:

إن قيمة تحمل المسؤولية عموما والمسؤولية الدعوية خصوصا والشعور بأهميتها من القيم العليا التي تنهض بها المجتمعات وتستقيم أحوالها، وإذا اقتنع المسلم بها وطبقها، وعرف آثارها الإيجابية؛ حرص على القيام بها دون تراخ أو عجز، ومن العوامل الذاتية

التي تعزز شعور المسلم بالمسؤولية الدعوية ما يلي:

١ – تقوى الله تعالى واستقامة المسلم على شرعه، وصدقه ظاهرا وباطنا، ومطابقة أقواله لأفعاله، وتطبيقه لأوامر الله تعالى، واجتنابه لنواهيه، وتحليه بأخلاق الإسلام السامية في أقواله وأفعاله، ومدى حبه لتقديم الخير للآخرين، وبعده وتجنبه الذنوب والمعاصي، التي تؤثر فيه تأثرا سلبيا بليغا فتصده عن القيام بأمر الدعوة والحسبة، وتوقعه في الفتور، وتنتكس به عن طريق الحق.

ويقوى الإيمان ويزداد في قلب المسلم بتحقيقه لأركان الإيمان، وصدق التوكل والاستعانة بالله تعالى، وقوة تصديقه بعدالة الجزاء في اليوم الآخر، وأن الله عز وجل سيحاسبه على ما قدم في الدنيا وما كسبت يداه، وقد قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[1] .

٢ – قوة الوازع الديني في قلب المسلم، والذي يجعله يشعر بمسؤوليته، وأنها من الأمانة التي تحملها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2]، فهو ظلوم جهول إذا قصر في أدائها، وكلما كان الوازع الداخلي الديني أقوى وأعمق؛ كلما ظهر الشعور بالمسؤولية بصورة أكبر وأرقى، والحقيقة أن قوة الوازع الديني هو الذي يحث المسلم على التزام الأخلاق والقيم الإسلامية بشكل عام، بل إن الشعور بالمسؤولية الدعوية نابع من الإيمان بالله الذي يورث النفس سكينة وطمأنينة لا يجدها دونه، فتجده حريصا على دلالة غيره على طريق السعادة التي عرفها وحلاوة الإيمان الذي ذاقه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[3]، ورسولنا ﷺ

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣٩ – ٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) سورة البلد، الآية: ١٧.

خير قدوة في ذلك فما تحمل وصبر على الأهوال إلا لحبه الخير والهداية للعالمين.

إن الإيمان النابع من داخل العبد بأهمية الدعوة إلى الله، و شعوره بالمسؤولية التي كلفه الله بها، هو أكبر دافع و محفز له للقيام بالواجبات و المهام التي تقتضيها المسؤولية الدعوية، وعامل مهم يشد من أزره في صبره على مشاق هذه المسؤولية وما يترتب عليها من الأعباء، فيقين المسلم بأن الدعوة إلى الله و دلالة الناس على دينه أمر إلهي: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، يعزز المسؤولية الدعوية في نفسه ويبعث فيها همة العمل لدين الله.

٣ - علو همة المسلم وقوة إرادته، وثقته بموعود الله تعالى ونصره للمؤمنين، وهذا عامل مهم يعزز الشعور بالمسؤولية، ويحمي من الوقوع في اليأس الذي يعوق الدعوة، كما يحفظ من التخاذل أمام أهواء النفس أو أهواء أصحاب الشر والفساد، وقد حرص الله تعالى على أن يدفع الوهن عن أنفس المؤمنين فغرس الأمل في صدورهم بوعده بالنصر: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

ومن علامات علو همة المسلم: قوة غيرته على الحق، فالغيرة الصادقة تقوي من شعور صاحبها بمسؤوليته الدعوية، وتدفعه إلى الفضائل، وتنهض به إلى محاربة الفساد والمنكرات بكل صورها، أما ضعف الغيرة على الحق أو فقدها؛ فهي علامة خطيرة توقع الداعية في آفة الوهن والكسل والخوف الوهمي، وقد حذر النبي من ذلك في قوله: (لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول في حق إذا رآه، أو شهده أو سمعه)[3]، فالتخلي عن المسؤولية الدعوية من أعظم مظاهر الوهن وضعف الهمة، فكم من المسلمين من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم ١١٠١٧، وقال المحقق: صحيح على شرط مسلم.

يتقاعس عن الدعوة إلى الله مع توافر القدرة العلمية لديه، وحاجة المجتمع إلى علمه وجهده، وكم ينكص بعض الدعاة ويتراجعون عن مسؤوليتهم عند أدنى عقبة تعترض طريقهم، ويتوهمون الضرر والمفسدة مما يلاقوه من كلام الناس ولومهم وإعراضهم عن دعوتهم.

وكذلك من علو همة الداعية المسلم التي تقوي شعوره بمسؤوليته الدعوية: تعلق قلبه بالآخرة وانشغاله بها، وزهده في الدنيا ومتاعها، لأن تعلق قلب الداعية بالدنيا وزهرتها يلهيه ويشغله عن واجباته التي كتبها الله عليه، ومنها مسؤوليته في الدعوة وثبات قلبه على الصبر على ما يلاقيه في سبيل ذلك، ولا شك أن حب الدنيا لا يجتمع مع حب الآخرة.

٤ - مدى حرص المسلم على طلب العلم وتعلم أمور الدين، فإن من مقتضيات الإيمان بالله: العلم به وبأوامره التي أمر بها وبنواهيه التي نهى عنها، وهذا لا يكون إلا بتعلمها وفقهها، كما إن علم الداعية وفقهه للسنن الإلهية المتعلقة بالدعوة والجهاد في سبيله مما يؤدي إلى التزامه بما يجب عليه، مثل: أن طريق الدعوة فيه من الابتلاء والتمحيص للدعاة، قال تعالى: ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(١)، ومثل: أن الناس قد لا يستجيبون سريعا ومن المرات الأولى، فلا يفت في عضده عدم استجابتهم، فالهداية منة يمتن بها الله على من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٢).

وكذلك مما يجب على الداعية معرفته وتعلمه الشبهات التي تثار حول الدعوة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

وأهلها، وكيفية الرد عليها، لحماية نفسه من الوقوع في أسرها، وللرد على فئة المثبطين وأصحاب الشبهات[1].

٥ – قوة شخصية الداعية وثقته بنفسه، والبعد عن احتقار النفس وبخسها حقها، أو الشعور السلبي بعدم القدرة على التغيير للمنكرات، والشعور بأهمية دوره كداعية وأثره في صلاح مجتمعه، لأن شعور الداعية بالهزيمة النفسية والضعف يقتل الطموح ويفقد ثقة الداعية بنفسه، فإذا هو أقدم على عمل شك في مقدرته وارتاب في إمكانية نجاحه، وبالتالي يلجأ للتهرب من مسؤوليته في الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: عوامل مجتمعية خارجية:

من أبرز العوامل الخارجية التي تحيط بالمسلم في مجتمعه، وتعمل على تعزيز شعوره بمسؤوليته الدعوية ما يلي:

أولا: البيئة المجتمعية المصلحة، وقد جرت سنة الله في تعامله مع المجتمعات وأفرادها أنه يجزيهم حسب أعمالهم عاجلا أم آجلا، فمن آمن بالله وأطاعه واتقاه فتح عليه من خيرات الرزق؛ ومن طغى وتكبر وفسق وكذب؛ فسيجزيه سوء الجزاء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2]، وقيام أفراد المجتمع بمسؤوليتهم في إصلاح المجتمع يدفع عنهم العذاب والهلاك: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[3]، وأما عند التقصير في حق الله فإن العقوبة تعم الجميع عن إقرارهم للمنكرات وعدم دفعهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

(١) انظر مثلا: كتاب شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ. د. فضل إلهي.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٧.

﴿مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، ففي هذه الآية" حذر تعالى عباده المؤمنين ﴿فتنة﴾ أي: اختبارا ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع"[2]، ومن عوامل بناء البنية المجتمعية المصلحة: تربية وتعليم أفراد المجتمع على القيام بالمسؤولية الدعوية، وترديد ذكرها على أسماعهم مقرونة بالحجة والبرهان، والعمل على شعورهم وإحساسهم بأهميتها في قلوبهم وعقولهم، وإتاحة الفرصة لتطبيقها وممارستها في المناسبات الاجتماعية المتعددة.

ثانيا: التنشئة والتربية التي حصلت للفرد ونالها من جانب غرس قيمة المسؤولية و شعوره بدوره في الدعوة إلى الخير، وتربيته على أن أساس صلاح المجتمعات هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالتنشئة الأسرية والمجتمعية لها أثرها الكبير الواضح في توجيه المرء نحو الشعور بأنواع المسؤوليات، والقيام بما يجب عليه منها، أو إلى التفلت منها والتهاون بالواجبات، فيتأثر شعوره بالمسؤولية مع الخلفية التربوية التي تعرض لها، ومدى اهتمام الوالدين والمربين بغرس هذه القيمة في نفسه، وإتاحة الفرصة له لممارسة الدعوة، مع ما يصاحب ذلك من حسن تعامل المربين له، وسياسته بالعدل والمساواة وإشعاره بكرامته، وإيفائه حقوقه، فهذا كله مما يزيد من إيجابيته ورغبته في المشاركة في التقديم وتحمل المسؤولية، كما تتأثر شخصية المسلم الناشئ الدعوية سلبا وإيجابا بالقدوات التي يتبعها ويقتدي بها في مجال الدعوة، فتعزيز القيم في النفوس لا يتوقف عند مجرد المعرفة بها؛ بل إن أبلغ تأثير وتعزيز لها يكون عندما يتوافر النموذج القدوة، وكم يحدث من الآثار السلبية في الشعور بالمسؤولية عندما يختل سلوك القدوة، وكم تثمر التنشئة من الصلاح والخير عندما يرى الناشئ القدوات السامية الباذلة لنفسها

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة٤/٣٧.

ومالها في سبيل الدعوة إلى الله، ويتأسى بهذه القدوات ويسير على سيرتها في خدمة الإسلام!

ثالثا: الخبرات والتجارب الدعوية السابقة التي مر بها مع تقدمه في العمر واحتكاكه مع الآخرين في المجتمع، فهذه الخبرات لها تأثيرها البين في قيام الإنسان بمسؤوليته الدعوية، فيندفع للقيام بالدعوة إن كان هناك خبرات سارة واستجابة وسلامة من الأذى، والعكس من ذلك عندما يمر بتجارب تتسم بالابتلاء والصدود والهزيمة.

ومما يثري خبرات الناس الحياتية في مجال المسؤولية الدعوة: استشارتهم وإشراكهم في حمل الهم الدعوي واتخاذ القرارات المتعلقة بالعمليات الدعوية وبرامجها، فالشورى وسيلة من وسائل التفاعل الاجتماعي التي توجه الجماعة نحو الاستفادة من كل الطاقات الفكرية والقدرات الشخصية، وتمنع بعض الفئات المسيطرة من الاستبداد بالرأي أو استئثار بعضهم بالخير دون البعض الآخر، ولأهمية الشورى في تماسك المجتمع المسلم أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١)، فإذا تحقق لدى الفرد الشعور اليقيني بأن قيامه بالعمل مطلوب، وأن مشاركته متحققة، وأنه فرد مهم لا يستغنى عن رأيه وفعله؛ قوي شعوره بالمسؤولية وبادر إلى فعل الخير، وهذا الأمر مشهود به في مسيرة التاريخ الطويلة، فكلما اعتقد المرء أنه من صناع القرار والمشاركين في إصلاح المجتمع؛ كلما نمت لديه المسؤولية ودفعت به دفعا إيجابيا(٢).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) انظر: تنمية الشعور بالمسؤولية عند أفراد المجتمع، د. عبد السلام رياح، ص ٢٨.

رابعا: الثقافة السائدة في المجتمع ونظرة أفراده ومؤسساته للداعية إلى الله، ومدى توقير المجتمع واحترامه للعلماء والدعاة، ودرجة حرص مؤسسات المجتمع على بناء الأجيال بناء ربانيا مستقيما على شرع الله، وقيامها هي ذاتها بمسؤولياتها في نشر الدين والعلم، ومدى استبانة سبيل أعداء الإسلام وجهودهم الكبيرة المتتالية لمحاربة الإسلام وتشويه صورته والقضاء عليه والصد عنه، سواء عن طريق بعض القنوات الإعلامية المتنوعة، التي تظهر الإسلام كدين إرهابي رجعي متشدد، أو الحروب والفتن والقلاقل التي يثيرونها بين أبناء المسلمين لتفكيك وحدتهم وتقسيمهم ثم السيطرة عليهم، أو الغزو الفكري والثقافي ضد أبناء الإسلام منذ عشرات السنين، لزعزعة معتقداتهم وتلويث عقولهم بالأفكار الضالة المنحرفة، ولا شك أن هذا العامل له تأثير واضح في شعور المسلم بمسؤوليته الدعوية، وفي قدرته على القيام بهذه المسؤولية.

خامسا: نظر المسلم وتفكره في حال البشرية عموما، وفي حال المسلمين خصوصا وما آل إليه حالهم من التفكك والضلال، بسبب بعدهم عن دين الله، وتأمل انتشار الفساد الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي في أرجاء المجتمعات المسلمة، وانتشار أنواع الغلو والانحرافات الفكرية والمفاهيم الباطلة بين أفراده، فهذا كله مما يبعث قلب المسلم لتحمل المسؤولية الدعوية، والبذل والاجتهاد لإيصال رسالة الإسلام للناس، وهدايتهم إلى طريق الفلاح والصلاح.

والله المستعان وهو تعالى ولي التوفيق والقادر عليه

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر ووفق لكتابة هذا البحث، أسأله تعالى القبول والإخلاص والنفع للمسلمين، وخلاصته هي: أن الإسلام قد أقام مجتمعه على أسس وقواعد متينة تشد أركانه، وتحفظ كيانه بين بقية المجتمعات، وهذه الأسس والقواعد قد أعلت شأن أمة الإسلام على مر السنين بحفظ الله وتوفيقه، ومن أبرز هذه الأسس: تكليف جميع أفراد المجتمع بأمانة المسؤولية، فكل له دوره ومكانه وواجبه، وهي مسؤوليات متنوعة ذات أبعاد وأعماق مختلفة، ومن ضمن هذه المسؤوليات: (المسؤولية الدعوية)، ويقصد بها: أهلية المسلم لأن يكون مطالبا شرعا بالقيام بالدعوة إلى الله، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو التكليف الذي يلزم المسلم تحمله من شعيرة الدعوة إلى الله، والسعي في أداء رسالتها والصبر على أعبائها، بما يستطيعه ويقدر عليه، وهو دافع ذاتي إيماني يحمل الفرد على القيام بما كلفه الله به من الدعوة إليه تعالى وإلى سبيله، بتبليغ دين الله للناس وحثهم على فعل الخير واجتناب الشر، رغبة في ثواب الله، وخوفا من عقابه.

وقد استنبطت من خلال البحث النتائج التالية:

أولا: إن إحساس المسلم بمسؤوليته الدعوية نحو نفسه ونحو مجتمعه ركن مهم وأساس في حياته، وهو يصقله بالشعور بالواجب وبالانتماء، ويشبع روح الإيجابية وحب الخير لديه.

ثانيا: تفشي مظاهر المنكرات، وبعد الناس عن دين الله، وضعف التدين عند الكثير؛ مما يؤكد الحاجة الشديدة إلى قيام أفراد المجتمع المسلم كل منهم بمسؤوليته الدعوية، للحفاظ على كيان المجتمع وحمايته من الهلاك.

ثالثا: مما يؤكد أهمية المسؤولية الدعوية: علاقتها وتأثيرها في شخصية المسلم، واستنادها في وجوبها على القرآن والسنة المطهرة، وتحقيقها لمقاصد الشريعة الإسلامية،

وحفظها للضروريات الخمس، والأجر العظيم المترتب على القيام بها، ومما يؤكد أهميتها أيضا: تقويتها للانتماء للأمة الإسلامية، وكذلك تقوية الأواصر بين أفراد المجتمع، وحاجة المجتمعات لها في ظل انحراف مفهوم الحرية، واستغراق الناس في الشهوات والملذات.

رابعا: حفظ لنا تاريخ البشرية نماذج مضيئة في حمل أمانة المسؤولية الدعوية، وعلى رأسهم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، والصحابة الكرام رضي الله عنهم.

خامسا: للمسؤولية الدعوية خصائص تميزها، منها: ارتباطها بالجزاء من رب العالمين، وشموليتها لجميع المسلمين واتساع مجالها، وتنوع مجالاتها فهي فردية وأسرية ومجتمعية، وأن لها حدودا تتوقف عندها، حيث إنها تراعي المصالح والمفاسد وتحقيق مقاصد الشريعة.

سادسا: للمسؤولية الدعوية شروط توجبها على المسلم، هي: التكليف بالبلوغ والعقل، والعلم بوجوبها وبالأحكام المتعلقة بها، والقدرة والاستطاعة، وحرية الاختيار.

سابعا: يتفاوت الناس في شعورهم بالمسؤولية الدعوية واقتناعهم بأهميتها للفرد والمجتمع؛ وهذا يؤكد ضرورة استمرار الحاجة إلى لفت الأنظار لأهميتها خاصة عند مواجهة المغرضين وأهل الأهواء وأعداء الإسلام.

ثامنا: هناك عوامل ذاتية داخلية تعزز من شعور المسلم بالمسؤولية الدعوية، منها: قوة إيمانه بالله تعالى وبحكمته والثقة بموعوده، وحسن الظن به تعالى، والاستقامة على شرعه، وعلو همته، وحرصه على التفقه في العلم، ومما يعزز الشعور بها أيضا بعض العوامل الخارجية: البيئة المجتمعية التي تحيط بالمسلم، والتنشئة التي تعرض لها في سنين عمره، والثقافة السائدة في مجتمعه حول موضوع المسؤولية الدعوية، ثم حال المجتمعات المسلمة ومدى استقامتها على دين الله.

توصيات البحث:

١ - على الدعاة القيام بدراسات جادة، ووضع برامج عملية تسهم في إيقاظ الحس الدعوي لدى أفراد المجتمع المسلم -رجالا ونساء-، وتعمل على إزالة العقبات القائمة الحقيقة منها والوهمية.

٢ - ضرورة تربية النشء على الممارسة العملية للدعوة والقيام بحق الله تعالى لدفع الغربة عن أهل الإسلام.

٣ - القيام بدراسات تجريبية على برامج تطبيقية لتعزيز المسؤولية الدعوية لدى الشباب من الجنسين.

٤ - إعداد مقياس خاص بالمسؤولية الدعوية يبنى على منهجية علمية، والاستفادة منه في الكشف عن مواطن ضعف المسلمين في هذه القيمة، ليتم بعد ذلك علاجها بالطريقة المناسبة.

٥ - كتابة أبحاث ميدانية تكشف وجهة نظر المجتمع عن دور مؤسساته المتنوعة في تعزيز (المسؤولية الدعوية)، ومدى توافرها في نفوس أفراده.

والحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٣. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية "دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر"، أ. د. عبد الرحيم محمد المغذوي، ط/٢، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٤. أصول الأخلاق الإسلامية، د. خالد حامد الحازمي، ط/١، دار الزمان، المدينة المنورة: ١٣٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق ومراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، ط/ دار الجيل، بيروت: ١٩٧٣م.

٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "أصوله وضوابطه وآدابه"، د. خالد عثمان السبت، ط/١، كتاب المنتدى، لندن: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧. الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ط/١، دار الرشد، القاهرة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٨. البحث العلمي "حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه"، د. عبد العزيز عبدالرحمن الربيعة، ط/٢، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط/١، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، مصر: ١٣٠٦هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١١. التنمية الذاتية والمسؤولية في الإسلام، د. حسن صالح العناني، ط/١، دار

الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة: ٢٠١١م.

١٢. تنمية الشعور بالمسؤولية عند أفراد المجتمع، د. عبد السلام رياح، ط/١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٥. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١: ١٤٢٠هـ.

١٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.

١٧. دستور الأخلاق في القرآن "دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن"، د. محمد عبد الله دراز، تعريب: د. عبد الصبور شاهين، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٨. الدعوة إلى الله تعالى "دراسة مستوحاة من سورة النمل"، أ. د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٩. سنن الترمذي (الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/٢، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين

الألباني، ط/٢، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٢١. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء الكتب العربية.

٢٢. شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين النووي، ط/٢، دار إحياء التراث، بيروت: ١٣٩٢هـ.

٢٣. صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٤. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ط/١٢، دار القلم، دمشق: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بدر الدين العيني، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

٢٧. فقه الاحتساب في تقديم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر، د. هند مصطفى شريفي، بحث مقبول للنشر في مجلة بحوث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤٣٩/٣/٢٦هـ.

٢٨. قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودورها في تعميق مفاهيم الانتماء إلى الأمة والمجتمع، د. شفاء علي الفقيه، المؤتمر العلمي: فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن: ٢٠١١م.

٢٩. قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، عابد عبد الله الثبيتي،

ط/٢، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٣٠هـ.

٣٠. المدخل إلى علم الدعوة "دراسة تأسيسية تطبيقية"، د. عدنان خطاطبة، ط/١، عالم الكتب الحديث، الأردن: ٢٠١٦م.

٣١. المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، د. عمر سليمان الأشقر، ط/١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٣٢. مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠١ م.

٣٣. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤.

٣٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، مراجعة: محمد خليل عيتاني، ط/٢، دار المعرفة بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٥. المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، رسالة ماجستير غير مطبوعة، قسم التفسير وعلوم القران، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣٦. المسؤولية وطبيعتها الفردية والاجتماعية وفق المنظور الإسلامي، أحمد رزق الصرمي، مجلة القلم، جامعة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، العدد ٣، ٢٠١٥م. http: //alkalm.net/.

٣٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ط/٢، دار

النفائس للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، ط/١، دار عالم الكتب، بيروت: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

٤٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤١. المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، ط/٢، المكتبة الإسلامية.

٤٢. المنجد في اللغة والأعلام، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، ط/٢٦، دار المشرق بيروت.

٤٣. الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق وتخريج: الشيخ عبدالله دراز، ط/ المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٤٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة الإسلامية: ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٤٥. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ط/ دار الاعتصام، القاهرة.

البحث رقم (٢)

مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي

إعداد

د. طالب بن أحمد الهمامي

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم والآداب بشرورة، جامعة نجران

ملخص الدراسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذه الدراسة بعنوان (مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي) وقد قسمتها إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره وتساؤلات الدراسة والدراسات السابقة ومنهجيتي في هذه الدراسة.

وجعلت المبحث الأول بعنوان: الإعداد والتأهيل العلمي والفكري والمهاري، وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: الإعداد والتأهيل العلمي والإيماني، والثاني: الإعداد والتأهيل الفكري والمنهجي، والثالث: الإعداد والتأهيل المهاري والسلوكي.

وأما المبحث الثاني فهو بعنوان: الإعداد والتأهيل في المجال الأخلاقي وفيه مطلبان: الأول: في اكتساب الأخلاق الحسنة، والثاني: في التحذير من الأخلاق السيئة وطرق الوقاية منها.

وأما المبحث الثالث فهو بعنوان: الإعداد والتأهيل في مجال الوسائل والأساليب، وفيه مطلبان:

الأول: في مجال الوسائل، والثاني: في مجال الأساليب.

ثم ختمت الدراسة بخاتمة ضمنتها بأهم النتائج والتوصيات التي منها:

أن كل داعية بحاجة إلى التأهيل والإعداد لتجدد مسائل الدعوة ووسائلها، والتأهيل عبارة عن اتباع خطوات إجرائية باستطاعة الداعية تحصيلها إذا صدقت نيته وجاهد نفسه. ومنها: أن وصول الداعية إلى هدفه المنشود في الإعداد والتأهيل والتدريب يتحتم عليه ملازمة الصدق والإخلاص.

ومن أهم التوصيات: أن يعطى هذا الموضوع عناية المهتمين بالدعوة إلى الله لما له من فوائد جمة على الدعاة وتطويرهم. وأن يتواصى الدعاة فيما بينهم بالاستثمار الأمثل

للمجالات الدعوية وإعداد الدعاة وتأهيلهم.

ثم ذيلت الدراسة بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

سائلاً المولى القدير أن ينفع بهذه الدراسة الإسلام والمسلمين والدعاة خاصة، ليقتفوا منهاج النبوة وما كان عليه سلف الأمة في الإعداد والتأهيل ويسيروا على منوالهم، وأن يوفقنا لكل خير وهدى ورشاد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل للمؤمنين شرعةً ومنهاجاً وأبان للسالكين طريقاً ليس فيه اعوجاجاً، وأرشد التائهين إلى سبيله فدخل الناس في دينه أفواجاً، وصلى الله وسلم على رسول الهدى ومصباح الدجى الذي أرسله الله نوراً وهاجاً، وجعل سنته للسائرين بحراً ثجاجاً وطريقته للمصلحين قوة وحجاجاً وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فمجالات الإعداد والتأهيل للدعاة من أهم ما يجب الاهتمام به في واقعنا المعاصر، وذلك من أجل بناء جيل من الدعاة، يستطيع مواجهة التحديات المعاصرة، بروح عالية، ونفس قوية. وقد جاءت دراستي بعنوان ((مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي)).

أولاً: أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

١ - حاجة الساحة الدعوية المعاصرة إلى جيل من الدعاة مؤهلاً علمياً وتربوياً.

٢ - وجود الصعاب والعوائق في طريق الدعاة التي لا يمكن تجاوزها والتخفيف من تأثيرها في العمل الدعوي إلا بالتأهيل والإعداد المتميز.

٣ - إظهار المجالات التي يمكن من خلالها تأهيل الدعاة.

ثانياً: أسباب اختياري لهذا الموضوع:

١ - ضرورة الإعداد والتأهيل المؤصل من الكتاب والسنة.

٢ - حاجة الدعاة إلى الله للتأهيل والإعداد الدعوي.

٣ - تسليط الضوء على مجالات مهمة في الإعداد والتأهيل للداعية يمكن إفادة الدعاة منها في مسيرتهم الدعوية.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

١ - بيان مجالات الإعداد والتأهيل في الميدان الدعوي.

٢ - توضيح الوسائل والأساليب الدعوية المعاصرة وكيفية الإفادة منها في الدعوة إلى الله.

٣ - ذكر الخطوات العملية في الإعداد والتأهيل للدعاة إلى الله - تعالى -.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

- ما المجالات المهمة في إعداد وتأهيل الدعاة؟
- ما الخطوات التي يجب أن يسير عليها الداعية إلى الله في تأهيل نفسه وإعدادها في المجالات الدعوية؟
- ما وسائل اكتساب الأخلاق الحسنة واجتناب الأخلاق السيئة؟
- ما أهمية معرفة الداعية للوسائل الدعوية والأساليب المعاصرة في نشر الدعوة؟

رابعاً: الدراسات السابقة:

١ - دراسة بعنوان" كيفية إعداد الدعاة " د. أحمد غلوش، بحث مقدم للمؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، في الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٣ هـ.

وهذه الدراسة تتلخص في عدة نقاط:

الأولى- إقامة الدورات للتعليم والتدريب للدعاة.

الثانية - اختبار القدرات والاستعداد المبكر للطلاب لاختيار طلاب المؤهلين للدعوة.

الثالثة - إنشاء مدارس متوسطة وثانوية للدعاة بجانب الكليات المتخصصة.

وسوف أفيد منها خلال دراستي هذه بإذن الله، بيد أن دراستي تختلف عنها في المضمون والعناوين.

٢ - دراسة بعنوان" دور المؤسسات التربوية في إعداد الداعية، د. أمينة أحمد حسن، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لإعداد الدعاة، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٨ - ٢٢ - إبريل من عام ١٩٨٧ م.

وتعتني هذه الدراسة ببيان دور المؤسسة التربوية في إعداد الداعية وهو التخطيط العلمي لمنهج العمل في نشر الدعوة، ووضع خطة للدراسة ثم وضع خطة استراتيجية عامة لتنفيذ هذا البرنامج.

٣ - دراسة بعنوان "المرأة المسلمة المعاصرة - إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة - رسالة دكتوراه منشورة، للباحث: د. أحمد بن محمد أبابطين، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٢، ١٤١٢ هـ.

واقتصرت هذه الدراسة على طرق إعداد المرأة الداعية، ودراستي تهتم بعرض المجالات الدعوية والتأهيل فيها لجميع الدعاة.

٥ - دراسة بعنوان" منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر " بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، في جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية المقارنة، عام ١٤٢٦ - ١٤٢٧ هـ. للباحثة: حنان بنت أبوبكر فلاته.

وتختلف دراستي عن هذه الدراسات بأنها تهتم بالمجالات التي ينبغي إعداد الداعية وتأهيله في تحصيلها حتى يستقيم منهجه الدعوي.

٦ - إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحثة: جلوس بنت فرج القحطاني. للعام الجامعي ١٤٣٣/١٤٣٤ هـ. وتتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة.

وهي دراسة واسعة وشاملة في إعداد الداعية إعداداً نظرياً وإعداداً تطبيقياً، بينما دراستي فهي تختص بإلقاء الضوء على جوانب في المجالات والتأهيل الدعوي لم تتطرق لها رسالة(جلوس) وتميزت بالجدة والابتكار في المباحث التالية: الإعداد والتأهيل الفكري والمنهجي، والإعداد والتأهيل المهارى والسلوكي.

وكل دراسة تناولته من جهة مغايرة للأخرى، وهذا نتيجة لأهمية الموضوع والعناية به من قبل المختصين.

خامساً: مباحث الدراسة:

لقد جعلت هذا الموضوع في ثلاثة مباحث ومقدمة تتضمن مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي على النحو التالي:

المبحث الأول: الإعداد العلمي والفكري والمهارى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعداد والتأهيل العلمي والإيماني.

المطلب الثاني: الإعداد والتأهيل الفكري والمنهجي.

المطلب الثالث: الإعداد والتأهيل المهارى والسلوكي.

المبحث الثاني: الإعداد والتأهيل في المجال الأخلاقي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإعداد والتأهيل لاكتساب الأخلاق الحسنة.

المطلب الثاني: الإعداد والتأهيل لاجتناب الأخلاق السيئة.

المبحث الثالث: الإعداد والتأهيل في مجال الوسائل والأساليب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإعداد والتأهيل في مجال الوسائل.

المطلب الثاني: الإعداد والتأهيل في مجال الأساليب.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث.

سادساً: منهجية الدراسة:

اتبعتُ في هذه الدراسة: المنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، لأن طبيعة البحث تقتضي استخدامهما.

والله المستعان وعليه التكلان هو ربي نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولاً وآخراً.

المبحث الأول

الإعداد والتأهيل العلمي والفكري والمهارى

وفيه ثلاثة مطالب:

تتعدد مجالات الإعداد والتأهيل في العلم والمعرفة والمهارة على نطاقٍ واسعٍ، إذ هي مكمن السر في تفوق الداعية وبروزه وتمكنه من تبليغ الدعوة، ووصوله إلى الهدف المنشود وهو التأثير في المدعوين، وقد جعلت أهم هذه المجالات في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: الإعداد والتأهيل العلمي والإيماني:

سأوضح في هذا المطلب - الذي يتكون من مسألتين - أهمية إعداد الداعية إعداداً علمياً وإيمانياً، ولا شك أن العلم من أسباب زيادة الإيمان والقرب من الله تعالى، وكلاهما من أسباب التأثير في المدعوين.

المسألة الأولى: الإعداد والتأهيل العلمي.

يكفي الدعاة شرفاً أن الله اختارهم لنشر دعوته وتبليغ دينه، ولا يمكن للداعية أن يصل إلى مبتغاه في هذا المجال بدون العلم الشرعي المستقى من الكتاب والسنة وهدي السلف- رحمهم الله.

والعلم الشرعي هو الزاد الحقيقي للداعية، وهو روح الدعوة ولبها، ومعينها الذي لا ينضب، فبدون العلم ستصبح دعوته جزافاً من القول وضرباً من الخيال، وسيفسد أكثر مما يصلح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(١).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وتأمل أيها الداعية إلى الله قول الله تعالى: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي على بصيرة في ثلاثة أمور:

الأول: على بصيرة فيما يدعو إليه، بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه.

الثاني: على بصيرة في حال الدعوة ولهذا لما بعث النبي ﷺ، معاذاً إلى اليمن قال له: ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب"(١). ليعرف حالهم ويستعد لهم...

الثالث: على بصيرة في كيفية الدعوة قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(٢)(٣).

والدعاة بحاجة ماسة إلى الإعداد العلمي ليقتفوا آثار الصحابة رضي الله عنهم في العلم والدعوة.

ومن نماذج الإعداد والتأهيل العلمي الداعية المبارك معاذ بن جبل رضي الله عنه - الذي أرسله رسول الله ﷺ لأهل اليمن داعية وقاضياً ومفتياً ولم يتسنم هذه المهمة العظيمة إلا بعد أن تم إعداده إعداداً علمياً وإيمانياً، فقد كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام. قال النبي ﷺ في معاذ رضي الله عنه: إنه أعلم الناس بالحلال والحرام(٤)؛

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا رقم (١٤٩٦). ومسلم في كتاب: الإيمان،، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم (١٩).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) زاد الداعية، ابن عثيمين، (١٢). بحث منشور ضمن كتاب: الصيد الثمين لابن عثيمين.

(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٣٩٩٠)،. والترمذي في السنن رقم (٣٧٩٠) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٢٢٤).

وقال رسول الله ﷺ: ((خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبيّ، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة))(١).

ومعنى ذلك: أن معاذاً رضي الله عنه قد أعدّه الرسول ﷺ إعداداً علمياً وإيمانياً ومنهجياً وفكرياً وأخلاقياً، وحديث إرساله إلى اليمن يشهد على ذلك،(٢) فارتقى سلم المجد ووصل إلى مبتغاه وأفاد واستفاد دعوياً وعلمياً وإيمانياً، فكان مثالاً يحتذى به في الدعوة والبلاغ.

والعلم من المهمات العظيمة التي يجب على الداعية أن يتأهّل فيه ويسلك فيه طريقاً، لأن الحكمة المأمور بها في الدعوة إلى الله هي: العلم الصحيح الثابت، المثمر للعمل المتقَن المبني على ذلك العلم، فالعقائد الحقة، والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخاً تظهر آثاره على الأقوال والأعمال حكمة.

والأعمال المستقيمة والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد حكمة(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن:، باب: القراء من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم رقم (٤٩٩٩)، ومسلم في كتاب: الفضائل:، باب: من فضائل عبد الله رقم (٢٤٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة رقم (١٤٥٨)، مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم (١٩) وهذا الحديث يتضمن معالم الإعداد كلها حيث يشير إلى علمية معاذ الفذة حيث تم اختياره وفق مواصفات علمية تؤهله لهذه المهمة، وإعداده الفكري المنهجي حيث بين له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الأوليات ومقاصد الشرع المطهر والتيسير على الناس، وأشار الحديث للإعداد الإيماني والأخلاقي والسلوكي في تحذيره من دعوة المظلوم والبعد عن أخذ كرائم أموال الناس.

(٣) انظر: الدرر الغالية في آداب الدعوة والدعاة، عبد الحميد باديس، (٢٨) تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي، دار المنار، الخرج، السعودية ، بدون رقم الطبعة وسنة النشر.

ويمكن للداعية إلى الله أن يتحصل على العلم باتباع الخطوات(١) التالية:

١ – التدرج في العلم.

٢ – أخذ العلم عن الأشياخ وخاصة الراسخون في العلم.

٣ – القوة النفسية لطلب العلم وذلك بأن تكون لديه الرغبة والشوق للعلم والتحصيل.

٤ – التخصص في فن من فنون العلم.

٥ – الصبر على مشقة التعلم وعدم استعجال النتائج.

٦ – الحرص على تعاهد العلم ومناقشته مع أهله ومجالسة محبيه والبقاء في جو علمي كامل.

المسألة الثانية: الإعداد والتأهيل الإيماني:

لقد أنزل الله على رسوله ﷺ في محكم تنزيله آيات باهرات في الحث على التحلي بالإيمان قبل القيام بالدعوة وتبليغها للناس، فكانت هذه الإيمانيات هي الزاد الحقيقي لروح الداعية الأول ﷺ ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣﴾(٢).

ومما يدل على أهمية الإعداد الإيماني للداعية وأنه مجال عظيم يجب أن يتربى عليه الداعية إلى الله الأمر الرباني للنبيين الكريمين– موسى وهارون عليهما السلام وهي: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢﴾(٣)

(١) للاستزادة في هذا المجال انظر: الإبداع العلمي، د. أحمد القرني،(٤٣ ومابعدها) مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٣٥ هـ، وتكوين الخطيب، د. عبدالعزيز النفيعي(٢٥٨ ومابعدها)، ط ١، ١٤٣٧ هـ، الرياض.بدون ناشر.

(٢) سورة المزمل، الآيات: ١–٣.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٢.

وهذه الآية جمعت بين الإعداد العلمي والإيماني للداعية، قال الإمام الطبري رحمه الله: ((اذهب أنت وأخوك)) هارون ((بآياتي "يقول: بأدلتي وحججي، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرد في ضلاله وغيه، فأبلغاه رسالاتي ((ولا تنيا في ذكري)) يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مني عليكما نعماً جمة، ومنناً لا تحصى كثرة))(١).

والدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة الإلهية من أعظم ما يحتاج إلى القوة والعون الرباني، وكان ﷺ يربي أصحابه على ذلك فتعلموا الإيمان قبل العلم فازدادوا به إيماناً. قال جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: ((كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة(٢)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا))(٣).

ومن هنا يتبين أن باستطاعة الداعية أن يبني نفسه إيمانياً إذا عمل بهذه المقومات(٤) وهي:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري،(١٨ / ٣١٢) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

(٢) حزاورة : جمع الحزور بفتح الحاء المهملة وسكون زاي معجمة وفتح واو ثم راء وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزُم، وهو الذي قارب البلوغ. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٣٨٠) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية،بيروت، عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢/٥٥) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، عام النشر: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ولسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (٤/١٨٧)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/٢٢١) وعبدالله بن أحمد في السنة (٧٩٩) وابن ماجة في السنن برقم (٦١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة رقم (٦١).

(٤) انظر:تكوين الخطيب(٣٧ ومابعدها) مصدر سابق.

١ - الخلوة بالله وصدق اللجوء إليه. لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ...))(١)

٢ - البعد عن الذنوب والمعاصي.

٣ - التزود من العبادات.

قال ابن القيم رحمه الله - مبيناً أثر البناء الإيماني في حياة الداعية:

" وسئل الإمام أحمد رحمه الله فقيل له: ربما اشتد علينا الأمر من جهتك فمن نسأل بعدك ؟ فقال سلوا عبد الوهاب الوراق، فإنه أهل أن يوفق للصواب.

واقتدى الإمام أحمد بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنهم تجلى لهم أمور صادقة.

وذلك لقرب قلوبهم من الله ، وكلما قرب القلب من الله زالت عنه معارضات السوء ، وكان نور كشفه للحق أتم وأقوى ، وكلما بعد عن الله كثرت عليه المعارضات ، وضعف نور كشفه للصواب ، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب ، يفرق به العبد بين الخطأ والصواب.

وقال مالك للشافعي رحمهما الله في أول ما لقيَه: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢). ومن الفرقان النور الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل ، وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتم ، وبالله التوفيق " انتهى(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (٣).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم (٤ /١٩٧ – ١٩٨) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

المطلب الثاني: الإعداد والتأهيل الفكري والمنهجي:

أهم ما يتوجب على القائمين في توجيه الدعاة وإعدادهم هو التوجيه الفكري والمنهجي وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن والانحرافات الفكرية.

والمقصود بالإعداد الفكري هو: الصنعة العقلية وفق منهج الإسلام(١).

ومن هذا المنطلق جعلت معالم المنهج الفكري الوسط في أربع نقاط من وجهة نظري(٢)وهي:

الأولى: الاتباع وعدم الابتداع:

الاتباع لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من الهدى والعلم وعدم الابتداع في الشرع بما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ هو أعظم معالم المنهج الوسط، فالحق الذي بُعثَ به النبي ﷺ، هو هديه الذي قال عنه: ((أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل بدعة ضلالة))(٣). فكل ما خالف هديه فهو الخارج عن ذلك.

ولقد سطّر السلف الصالح منهجاً واضحاً في التزام منهج القرآن والسنة والاعتصام بهما، فهما النجاة في الدنيا والآخرة.

ولزوم اتباع السنة النبوية وعدم مخالفتها هو: المنهج الحق والسلامة والنجاة من المزالق والمعوقات في طريق الدعوة، ويؤيّد هذا ما قاله سهل بن حنيف رضي الله عنه يوم

---

(١) انظر: حقيقة الفكر الإسلامي، د.عبدالرحمن الزنيدي (١٤ وما بعدها) دار المسلم، الرياض، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.

(٢) وذلك للمبررات التالية: أن المنهج الوسط يقوم على الاتباع وهو التمسك بالكتاب والسنة ففيهما الهدى والعلم، ويقوم على فقه مقاصد الشريعة ففيها الحكمة والعقل والرشاد، وفقه المصالح والمفاسد فيها التقدم والإبداع ومواكبة العصر، وفقه المآلات فيها السلامة من الشرور والآفات والكوارث، وهي تشمل مجالات الدين كله.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة رقم (٨٦٧).

صفين وحكم الحكمين: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ، غَيْرَ هَذَا الأَمْرِ))(١).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "فوجه الشاهد منه أمران: قوله: (اتهموا الرأي) فإن معارضة (الظواهر) في غالب الأمر رأي غير مبني على أصل يرجع إليه، وقوله في الحديث وهو النكتة في الباب: والله ما وضعنا سيوفنا إلى آخره، فإن معناه: أن كل ما ورد عليهم في شرع الله مما يصادم الرأي فإنه حق يتبين على التدريج حتى يظهر فساد ذلك الرأي، وأنه كان شبهة عرضت وإشكالا ينبغي أن لا يلتفت إليه، بل يتهم أولاً ويعتمد على ما جاء في الشرع، فإنه إن لم يتبين اليوم تبين غداً، ولو فرض أنه لا يتبين أبداً فلا حرج، فإنه متمسك بالعروة الوثقى"(٢).

فيتبين من هذا التأكيد على المنهج الصحيح في الإعداد وهو عدم مخالفة السنة ، فالحق ما جاءت به السنة، وما سواها من الأعمال فهي بخلاف ذلك، حيث قال -عليه الصلاة والسلام: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))(٣).

الثانية: معرفة مقاصد الشريعة:

من معالم المنهج الوسط والطريق الواضح أن يفقه الداعية إلى الله مقاصد الشرع المطهر، ويطبق مفاهيمها في دعوته؛ حتى لا تختلف عليه الأمور وتضطرب عليه الأحكام.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية رقم (٤١٨٩).

(٢) الاعتصام، الشاطبي (٣/٢٧٠) تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤٢٩هـ.

(٣) أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب: باب: نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات رقم (١٧١٨).

فجاءت نصوص الوحيين تدل على هذا المنهج جملة وتفصيلاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(١)

ففي هذه الآية: دلالة واضحة على الحكم وهو الأمر بإقامة الصلاة، ومقصد الشارع منه النهي عن الفحشاء والمنكر، وغيرها كثير.

وهذا المنهج هو دأب العلماء الربانيين والدعاة المصلحين الذين يبلغون عن الله رسالاته ويدلون الخلق على الخالق وهم أرحم الخلق بعباد الله.

قال الشوكاني رحمه الله: "فالعالم المرتاض بما جاءنا عن الشارع الذي بعثه الله تعالى متمماً لمكارم الأخلاق، إذا أخذ نفسه في تعليم العباد، وإرشادهم إلى الحق، وجذبهم عن الباطل،...فيسّر ولم يُعسر، وبشَّر ولم يُنفر، وأرشد إلى ائتلاف القلوب واجتماعها، ونهى عن التفرق والاختلاف، وجعل غاية همه وأقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد، ودفع المفاسد عنهم، كان من أنفع دعاة المسلمين، وأنجع الحاملين لحجج رب العالمين، وانجذبت له القلوب ومالت إليه الأنفس، وتذلل له الصّعب وتسهّل عليه الوعر، وانقلب له المتعصب منصفاً، والمبتدع متسنناً، ورغب في الخير من لم يكن يرغب فيه..."(٢).

ولذا يتأكد أن من مقاصد الشريعة التي يجب أن يفقهها الدعاة أن جميع أصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما أشبه ذلك(٣).

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد علي الشوكاني، تحقيق: طارق بن عبدالواحد بن علي (٢٢٨)ط ١، ١٤٣٤ هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

(٣) انظر: الموافقات، الشاطبي (١٩/٢) تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧ هـ.

وهذه المقاصد الشرعية يأتي في مقدمتها حفظ الضرورات الخمس وجوداً وعدماً، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل - العرض - والمال.

وهي التي تقوم عليها حياة الناس، ويتوقف عليها وجودهم في الدنيا، بحيث لو فقدت لعمت الفوضى، وتعرض وجودهم للخطر والدمار، فكل ما تضمن حفظها فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة(١).

ومن هنا فإن إعداد الدعاة يكون بدارسة هذا المنهج، وفقه مضامينه، وتطبيقها في الواقع الدعوي المعاصر.

الثالثة: مراعاة المصالح والمفاسد:

مراعاة المصالح والمفاسد من معالم المنهج الوسط كما بين ذلك أهل العلم واتفقوا على أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، يعني أن الأمر إذا دار بين درء مفسدة وجلب مصلحة، كان درء المفسدة أولى من جلب المصلحة، وإذا دار الأمر أيضاً بين درء إحدى مفسدتين، وكانت إحداهما أكثر فساداً من الأخرى، فدرء العليا منهما أولى من درء غيرها، وهذا واضح يقبله كل عاقل(٢).

قال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله: "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما"(٣). ومن أمثلة ذلك:

---

(١) انظر: المستصفى، أبوحامد الغزالي، (١٧٤)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣ هـ، ، والفروق، للقرافي (٤/٧٠) طبعة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض. والموافقات، للشاطبي (٢/٣٤).

(٢) انظر : التحبير شرح التحرير للمرداوي (٨/٣٨٥١) تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ، وشرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي (٤/ ٤٤٧) تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٨هـ.

(٣) قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام (١٣٧) راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبع عام ١٤١٤ هـ.

* عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ورجل سأله فقال: أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم، فقال رسول الله ﷺ: ((اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم))(١).

ففي هذا الحديث نهى النبي ﷺ عن الخروج على الولاة وإن ظلموا، مع أن هذا الظلم الحاصل على الشخص مفسدة، ولكن لما كانت مفسدة الخروج على الولاة والظلمة عامة، تلحق الناس فتسفك دماءهم، وتنهب أموالهم، اعتبر دفع هذه المفسدة العامة وأهملت المفسدة الخاصة(٢).

ومذهب أهل السنة والجماعة استقر على حرمة الخروج على الحاكم المسلم الظالم، وهذا واضح من كتاباتهم، حتى أصبح عقيدة يدونونها ضمن عقائدهم(٣).

وهذا فقه دقيق على الداعية معرفته حتى لا يجر الأمة إلى الويلات والشرور، ولايؤول بها إلى الانحلال والتفسخ بحجة مراعاة المصالح، وبينهما المنهج الوسط العدل وهو الحق. والحق أحق أن يتبع، وعلى هذا تقاس بقية المسائل التي تعرض للداعية.

الرابعة: فقه المآلات:

النظر في المآلات من معالم المنهج الوسط وهو من أهم ما يجب إعداد الداعية عليه وتعريفه به، حتى لا يقع في الزلل والانحراف من حيث لا يشعر.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق رقم (١٨٤٦).

(٢) انظر: عارضة الأحوذي، ابن العربي (١٩/٧) دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (١٦٠/١) تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط ٨، ١٤٢٣ هـ، و الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ، (٣٨)، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن - الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ، شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي(٥٤٠/٢) تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض.طبع عام ١٤١٨ هـ، ومنهاج السنة، ابن تيمية(٥٢٩/٤-٥٣٠) تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

ويؤيد ذلك ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال:((لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ))(١)، فنظر ﷺ إلى مآل هذا الفعل الذي يحصل به تنفير قريش من الإسلام لضعف إيمانهم وحداثة إسلامهم، فترك هدم الكعبة وأبقاها على ما هي عليه من أجل هذه المصلحة العظيمة.

قال الشاطبي رحمه الله: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، سواءً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة وذلك؛ لأن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه الفعل مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه..."(٢).

فيلزم منه معرفة الداعية مآل مايدعو إليه، فكم من كلمة حق أريد بها باطل، وباستقراء النصوص الشرعية يجد الداعية نفسه أمام كم هائل من الأدلة التي تدل على اعتبار المآل، والتي يجب عليه أن يتأهّل في فقهها وتطبيقها في الواقع المعاصر.

ويؤيد هذا الفقه الاستقراء التاريخي للحوادث التي وقعت في تاريخ المسلمين منذ عهد الصحابة - رضي الله عنهم - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولّد على فعله من الشر أعظم مما تولّد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الحج، باب: فضل مكة رقم (١٥٨٣)، ومسلم كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها رقم (١٣٣٣).

(٢) الموافقات، الشاطبي (١٧٧/٥).

وغاية هؤلاء إما أن يَغْلبوا وإما أن يُغْلَبُوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة؛ فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم، وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم"(١).

(١) منهاج السنة، ابن تيمية (٥٢٧/٤ – ٥٢٩).

المطلب الثالث: الإعداد والتأهيل المهارى والسلوكي:

الدعاة إلى الله بحاجة إلى مهارات عملية ومبادئ سلوكية يقومون بها خلال مسيرتهم الدعوية، وأهم هذه المهارات والسلوكيات:

أولاً: التوازن والتكامل في حياة الداعية:

الداعية إلى الله الأصل فيه أن يسعى لأن يكون شخصية متكاملة وشامة بين الناس؛ وذلك بأخذه للدين كله من جميع جوانبه، فالتوازن في حياة الداعية مطلب مهم فلن يستطيع التأثير في المدعوين بدون ذلك.

وقد اهتم النبي ﷺ - بأصحابه ورأى ضرورة أن يعدوا إعداداً شاملاً، فتراه يعزز الجانب الإيماني الروحي عندهم، حين يقوي رابطتهم بالله - تعالى- الذي نصرهم وأعزهم، فيرجع الفضل كله إليه.

كما يريهم القدوة في نفسه فيصلي لله شاكراً حامداً بعد إتمام الفتح، ويعيش بدعوته كل لحظات حياته- وذلك من أهم مقتضيات الدعوة- إذ يحقق الانشغال بالدعوة من خلال انشغاله بالله - تعالى- تسبيحاً واستغفاراً وصلاةً، فذكر الله تعالى يحقق الاطمئنان القلبي للداعية، وهو ضروري لمواجهة الشدائد التي تنتظره في الطريق.

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١).(٢)

وكان من أهم متطلبات التوجيه والتربية للدعاة والذي اضطلع به أئمة الدعوة السلفية الاهتمام بالتوازن في حياة الداعية وإعداده وتأهيله في هذا المجال، فهذا إمام الدعوة في عصرنا الشيخ ابن باز رحمه الله يقول موجهاً الدعاة: ((وعليك أن تأخذ الإسلام كله ولا تأخذ جانباً دون جانب، لا تأخذ العقيدة وتدع الأحكام والأعمال،

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) انظر: حكمة الدعوة، رفاعي سرور (٤٠)، مكتبة القاهرة بدون سنة الطبع ورقم طبعة.

ولا تأخذ الأعمال والأحكام وتدع العقيدة، بل خذ الإسلام كله، خذه عقيدةً، وعملاً، وعبادةً، وجهاداً، واجتماعاً، وسياسةً، واقتصاداً وغير ذلك، خذه من كل الوجوه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾(١)(٢).

ولتحصيل التوازن في حياة الداعية عليه أن يعي فقه الأولويات، وهو فقه دقيق به يعرف الداعية خير الخيرين وشر الشرين.

ثانياً: مراعاة النفسيات والقدرات:

هذه المهارة يستطيع الداعية أن يتحصل عليها من خلال الممارسة، ومعرفة أغوار النفس البشرية، والاطلاع والتفهم لسنة النبي ﷺ وكيفية تعامله مع نفوس مختلفة وأفهام شتى، وهو الذي علمه ربه ما لم يكن يعلم، وذكّره بهذه المنة في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾(٣).

قال ابن سعدي رحمه الله: "ثم ذكر نعمته عليه بالعلم...ثم لم يزل يوحي الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقاماً من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها..."(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٢) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبدالعزيز بن باز (٣٦ - ٤٠)، ط ٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق (٢٠٠)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

ولا أدل على هذا العلم العظيم الذي حباه الله لنبيه ﷺ من معرفته ﷺ لقدرات أصحابه وإمكاناتهم، وفهمه لنفسياتهم ، فهذا خالد بن الوليد جعله للقيادة وإمارة الجيوش، وزيد بن ثابت لتعلم لغة القوم ومعرفتها، ومعاذ للقضاء والفتوى وتبيين الحلال والحرام للناس، وأبو هريرة للحفظ، وحذيفة صاحب السر، وأبو عبيدة أمين الأمة، فرضي الله عنهم وأرضاهم(١).

ويشهد لهذا الفقه والمراعاة للنفسيات والقدرات الأمثلة التالية:

* عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: ((تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف؟))(٢).

* وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ وفي رواية أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها)) قال: قلت ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين)) قال: قلت ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)) فما تركت أستزيده إلا إرعاءً عليه(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((جهاد في سبيل الله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور))(٤).

---

(١) للاستزادة انظر: الداعية ومعرفة أحوال المدعوين (القدرات والنفسيات) د. محمد الثويني، (٨)، بحث محكم في الدعوة إلى الله، جامعة القصيم.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام رقم (١٢)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل رقم (٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في باب: فضل الصلاة لوقتها رقم (٥٢٧)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم (٨٥).

(٤) أخرجه البخاري كتاب: الإيمان، باب: من قال إن الإيمان هو العمل رقم (٢٦)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم (٨٣).

فيتضح من هذه الأحاديث مراعاة من النبي ﷺ لأحوال الناس وقدراتهم في توجيه كل سائل إلى ما يناسبه ويستطيع عليه.

قال العيني رحمه الله مبيناً سبب اختلاف الأجوبة رغم اتحاد السؤال: "إنّ اختلاف الأجوبة في هذه الأحاديث لاختلاف الأحوال...ويقال: إنه قد يقال: خير الأشياء كذا، ولا يراد أنه خير من جميع الوجوه في جميع الأحوال والأشخاص، بل في حال دون حال"(١).

فمن هنا يتبين أن مراعاة اختلاف الناس وفهم نفسياتهم ومعرفة قدراتهم مهم في نجاح الدعوة، وهو من مهمات الداعية ودليل على حكمته؛ لأن الفرد هو حجر الزاوية في كل إصلاح مجتمعي وتربوي في الأمة.

ثالثاً: الرفق وحسن التعامل:

تدريب النفس على الرفق وحسن التعامل مع الناس من مهمات الداعية إلى الله، وقد جعلتها من ضمن المهارات السلوكية التي ينبغي للداعية أن يتخذها سلوكاً له في حياته الدعوية حتى يكون النجاح والتأثير لدعوته، كما هو هدي إمام الدعاة ﷺ.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: ((دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله فإنما بعثتم إسناد البعث إليهم على طريق المجاز لأنه هو المبعوث ﷺ -بما ذكر ، لكنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك إذ هم مبعوثون من قبله بذلك أي مأمورون وكان ذلك شأنه ﷺ

---

(١) عمدة القارئ للعيني (١/١٨٩) تقديم: محمد أحمد حلاق، ط ١، ١٤٢٤ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد رقم (٢٢٠).

- في حق كل من بعثه إلى جهة من الجهات يقول يسروا ولا تعسروا...وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه"(١).

ومن هنا فإن مخالطة المدعوين تحتاج هذا اللطف والرفق وحسن التعامل الذي كان له الأثر الكبير في قبول الحق والدعوة، وبإمكان الداعية أن يتحصل عليه بالممارسة وتهذيب النفس وترويضها.

ومما يدل على رفقه ﷺ ورأفته بالمدعوين أيضاً قوله: ((والذي نفس محمد بيده، لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني))(٢).

قال النووي رحمه الله: "وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم، وأنه كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين، وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها، وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم"(٣).

فالداعية الذي يريد بناء نفسه وإعدادها إعداداً مهارياً بحيث تصبح هذه المهارة جزءاً من سلوكه عليه أن يهتم بما سبق إيراده ويربي عليه نفسه ويوطنها على السلوك الراقي، والتميز في المعاملة، فهذا نهج الرسل عليهم السلام والدعاة الأوائل من سلفنا الصالح الذين أفنوا حياتهم في هذا السبيل.

(١) فتح الباري، ابن حجر (١ /٣٢٤ – ٣٢٥) ط٣، ١٤٢١هـ، مكتبة دار السلام، الرياض.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله رقم (١٨٧٦).
(٣) شرح صحيح مسلم، النووي (١٣ /٢٢) دار إحياء التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.

المبحث الثاني

الإعداد والتأهيل في المجال الأخلاقي

المجال الأخلاقي مجال رحب للداعية، فكم من الدعاة الأفذاذ الذين تزينوا بالأخلاق الكريمة ففتحوا القلوب بالابتسامة الصادقة واللفتة الحانية والكلمة الطيبة.

وما ظهرت عراقيل في مسيرة الدعوة الطويلة إلا بسبب الأزمات الأخلاقية التي تصدر من بعض الدعاة فكانوا شؤماً على العمل الدعوي كله.

ومن هنا يظهر أن تأهيل الداعية يكون في جانبين اكتساب الأخلاق الطيبة والعمل بها، وتجنب الأخلاق السيئة وسبل الوقاية منها، وجعلتها في مطلبين:

المطلب الأول: الإعداد والتأهيل لاكتساب الأخلاق الحسنة:

الأخلاق الحسنة زينة الدعاة، وسبب لمحبة الخلق لهم وقبول دعوتهم ، ولقد جاء في القرآن الكريم وصف النبي ﷺ وهو الداعية الأول -، بأوصاف عظيمة أهَّلْتْهُ لكسب قلوب الناس جميعاً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(١).

لذا كان من مجالات التأهيل والإعداد للداعية أن يتربى على القيم الأخلاقية الكبرى (الصدق والأمانة والشجاعة والصبر والعفة والعدل) فإن كانت لديه صفات جبلية ومفطور عليها فالحمد لله. وإلا فباستطاعته التدرب عليها واكتسابها والسعي إلى تحصليها. قال النبي ﷺ: ((مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ))(٢).

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: باب: الاستعفاف عن المسألة رقم (١٤٦٩)، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر رقم (١٠٥٣).

وكان النبي ﷺ يوجه أحد مسلمة الفتح - وهو السائب بن عبدالله رضي الله عنه إلى الاستمرار على ما كان عليه من التخلق بالأخلاق الحسنة وبذل المعروف والبر والصلة التي كان عليها في الجاهلية، فيقول له: ((ياسائب، انظر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية، فاجعلها في الإسلام، أقر الضيف، وأكرم اليتيم، وأحسن إلى جارك))(١).

ويمكن للداعية اكتساب الأخلاق الطيبة بعدة أمور:(٢)

أولاً: العقيدة والإيمان الراسخ بأن دين الإسلام هو دين الأخلاق والمثل العليا، فمتى صحت العقيدة واستقام الداعية على المنهج الوسط عندها تصبح الأخلاق الحسنة جزء من شخصية لإيمانه العميق بآثارها العظيمة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: العلم والمعرفة والتطبيق الصحيح لأخلاق الإسلام العظيمة.

ثالثاً: صحبة أهل الفضل والكبار والتخلق بأخلاقهم.

رابعاً: التجربة والممارسة والمجاهدة في فعل الأخلاق الحسنة والتلذذ بها.

خامساً: الدعاء وصدق اللجأ إلى الله بطلب الهداية لأحسن الأخلاق، وتجنب سيئها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم (١٥٥٠٥)، وصححه الحاكم في المستدرك رقم (٢٣٥٧) وقال:«هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه».

(٢) للاستزادة انظر: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، أ. د. عبدالله الرحيلي، مطبعة سفير الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.

المطلب الثاني: الإعداد والتأهيل لاجتناب الأخلاق السيئة:

يمكن للداعية أن يستصلح نفسه ويتعاهدها بين الفينة والأخرى كلما رأى من نفسه انقباضاً أو تخلقاً لصفة مشينة ومن هنا جاءت فكرة الإعداد وتأهيل للداعية في اجتناب مساوئ الأخلاق، ولو لم يكن في سوء الخلق والاتصاف بالمساوئ إلا بغض الخلق، والهم المصاحب، والحسرة والندامة، فهذا يجعل الداعية ينأى بنفسه عنها ويتجنبها.

ومن سبل العلاج والوقاية في التخلق بالأخلاق السيئة ما يلي:

أولاً: البعد عن الشهوات:

الشهوة المحرمة سبب كل خلق دنيء، فمن اتقى الله وابتعد عن شهوات نفسه عصمه الله من مساوئ الأخلاق.

حيث ذكر ابن القيم رحمه الله أثر الشهوة في سوء الخلق فقال: "والشهوة تحمله على الحرص والشح، والبخل، وعدم العفة، والنهمة، والجشع، والذل والدناءات كلها"(١).

ثانياً: معالجة الطباع السيئة:

معالجة الطباع السيئة أمر ليس بالسهل مما يتوجب على الداعية الاهتمام بنفسه وتزكيتها بالأخلاق الحسنة وتجنبها للأخلاق السيئة.

لحديث: ((إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه))(٢).

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/٣٢١ - ٣٢٢) تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ..

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٢٦٦٣) والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى رقم (٣٨٥) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٤٢).

فعليه ألا يغفل عن عيوب نفسه، بل يبادر بإصلاحها حتى لا تنشغل نفسه بعيوب الناس عن عيب نفسه، ويصبح لدعوته أقوى الأثر في قلوب الناس وتصرفاتهم.

قال الماوردي رحمه الله: "فهذّب أيها الإنسان نفسك بأفكار عيوبك، وانفعها كنفعك لعدوك، فإنّ من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ"(١).

وهكذا يكون الاستصلاح والمعالجة بوعظ النفس وأطرها على الأخلاق الحسنة أطراً، وتنفيرها من الأخلاق السيئة وقبح آثارها.

ومن النماذج في حياة الدعاة الإمام ابن حزم رحمه الله الذي سعى في استصلاح عيوب نفسه فأعانه الله، وفي هذا يقول متحدثاً عن تجربته مع نفسه، وعن محاولاته في التخلص من عيوبه، وعن النتائج التي حصل عليها من جرّاء ذلك: "كانت فيّ عيوب، فلم أزل بالرياضة، واطلاعي على ما قالت الأنبياء عليهم السلام والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وآداب النفس، أعاني مداواتها، حتى أعان الله - عز وجل - على أكثر ذلك بتوفيقه ومنّه"(٢).

فهذه سيرة عطرة ونبراس واضح لجميع الدعاة في تهذيب أنفسهم ومداواتها واستصلاحها، فالنفس أمّارة بالسوء إلا مارحم ربي.

ثالثاً: اجتناب أصحاب السوء:

الناس يتأثر بعضهم ببعض وهم كأسراب القطا، ومن صحب الأراذل لابد أن يأخذ من صفاتهم وطباعهم، فعلى الداعية النأي بنفسه عن أصحاب السوء.

قال بكر أبوزيد رحمه الله: "احذر قرين السوء، كما أن العرق دساس ، فإن "أدب السوء دساس" ، إذ الطبيعة نقالة، والطباع سراقة، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك، فإنه العطب والدفع أسهل

---

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي (٣٥٨) دار مكتبة الحياة، سنة الطبع ١٩٨٦م.

(٢) الأخلاق والسير، ابن حزم (٣٣)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.

من الرفع"(١).

ولا أضر على أخلاق الداعية وسلوكه وفكره ومنهجه من صاحب سوء أو بدعة أو هوى فهم أخطر من النار في الهشيم، والنصوص متكاثرة في ذم مجالستهم والأنس بهم، فضلاً عن آثار السلف الصالح في التحذير من الخلطة بقرين السوء، والفرار منهم أسهل على النفس من معالجة الأخطاء والزلات التي تقع على الإنسان بسببهم.

---

(١) حلية طالب العلم، بكر أبو زيد، (١٧١) دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٦ هـ.

المبحث الثالث

الإعداد والتأهيل في مجال الوسائل والأساليب

الوسائل والأساليب الدعوية هي الطريقة التي من خلالها يتم إيصال الدعوة للناس، وتحتاج من الدعاة إلى فقه وفهم في كيفية استخدامها والمشروع منها وغير المشروع، حتى يكون الداعية على بصيرة من أمره.

والإعداد في هذا المجال للدعاة سوف يكون الحديث عنه في مطلبين هما:

المطلب الأول: الإعداد والتأهيل في مجال الوسائل الدعوية:

المقصود بالوسائل الدعوية: هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور(١).

وإعداد الداعية وتأهيله لاستخدام الوسائل الدعوية المشروعة حتى يبلغ دين الله تعالى للعالمين من مهمات أهل العلم والدعوة، وعلى الدعاة أن يبلغوا دين الله بكل وسيلة، ما دامت الوسيلة مشروعة، كما جاء في القاعدة الفقهية أن "للوسائل أحكام المقاصد"(٢).

ومن أهم الوسائل الدعوية التي يجب أن يتدرب عليها الداعية ما يلي:

أولاً: الخطابة:

الخطبة هي المنبر الإعلامي الأول الذي أوصل من خلالها دعاة الإسلام رسالة الدين العظيمة، فشنفوا الأسماع بخطب رنانة تناقلتها الركبان وأثرت في المدعوين إلى يومنا هذا.

ويستطيع الداعية أن يتدرب على الخطابة وأن يصقل موهبته فيها بالإلقاء المحكم والفكرة المتزنة والرأي السديد.

---

(١) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، د. سعيد بن وهف القحطاني (١٢٦) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: الفروق، القرافي (٣ / ٣).

وترويض النفس على الخطابة يكون بعدة أمور(١):

١ - المحاكاة للبلغاء والفصحاء.

٢ - تعويد النفس على الإلقاء بصوت مرتفع وتغيير نبرات الصوت.

٣ - أن يغشى الجماعات والمحافل حتى يصبح لديه مـران وممارسـة لمواجهـة الجمهور.

٤ - الإلقاء مرتجلاً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ويستطيع الداعية إذا تأهّل في هذا المجال أن يقوم بعدة مناشط كلها تقوم على فن الخطابة والبيان وهي: الندوة والمحاضرة والدرس وغيرها.

ثانياً: الإعلام الجديد:

الإعلام الجديد أهميته للدعوة بمثابة الروح للجسد، والعملية الإعلاميـة مبناهـا الوحي المعصوم، وأساسها الكتاب والسنة، هذا من حيث التأصيل...ووظيفته الحقيقية إتاحة الفرصة أمام ذوي الرأي للإدلاء بآرائهم ووجهات نظرهم، إثـراءً للمناقشـة وتعبيراً عن وجهات النظر المختلفة، مع الالتزام بالمعـايير الإسـلامية للوصـول إلى الحقيقة.(٢).

وقد امتاز عصرنا الحاضر بوسائل اتصال فائقة؛ ذلّلت طريق التلاقي بين النـاس، ويسرت سبل التواصل؛ وسهلت قضاء المصالح بما لم يسبق إليه عصر ماضٍ، باستطاعة الداعية أن يسخرها في مجال الدعوة وتكون منابر هدى ومشاعل خير.

---

(١) للاستزادة انظر: الإعداد التطبيقي للدعوة، د. أسماء بنت عبدالعزيز الداود (٣٠) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٢) انظر: أصول الإعلام الإسلامي، أ. د. إبراهيم إمام (٣١ –٣٤ بتصرف) ط دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ الطبع.

وأشهر هذه الوسائل المعاصرة:

- شبكة الأنترنت:

تتعدد استخدامات هذه الشبكة وتكثر فيها التطبيقات والمواقع الإلكترونية أو ما يسمى بالعالم الافتراضي، مما يجعل تأهيل الدعاة على كيفية استخدامها واجباً، وهي سلاح ذو حدين إن لم نستخدمه في الدعوة ونشر الفضيلة وإلا كانت الأخرى.

وأهم برامج هذه الشبكة في إيصال الدعوة إلى الله:

مواقع التواصل الاجتماعي:

وهي صفحات الويب التي يمكن أن تسهل التفاعل النشط بين الأعضاء المشتركين في هذه الشبكة الموجودة بالفعل على الإنترنت(١).

ويمكن للداعية أن يتدرب على استخدامها في الدعوة إلى الله ونشر الخير، ومحاربة الفساد والمحافظة على القيم والمبادئ الدينية، لكثرة مستخدمي هذه الشبكات وسهولة التواصل من خلالها لجميع فئات المجتمع(٢).

- القنوات الفضائية:

القنوات الفضائية اليوم من وسائل العصر المؤثرة لانتشارها على مستوى العالم في عصر العولمة الجديد.

والقنوات الفضائية بما وصلت إليه هي وسيلة الاتصال الأكثر انتشاراً، والأوسع

---

(١) انظر: دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير، د بشرى الراوي،(٩٦)، كلية الإعلام جامعة بغداد، مجلة الباحث الإعلامي العدد ١٨، وأثر وسائل التواصل الحديثة على الدعوة، "الفيس بوك" نموذجاً دراسة نظرية إحصائية، عمار توفيق أحمد بدوي،(٦) بحث مقدم لمؤتمر "وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع" كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية.

(٢) للاستزادة انظر: شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة (تويتر أنموذجاً) دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود، د. فهد بن علي الطيار، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب- المجلد ٣١ – العدد (٦١)، الرياض، ١٤٣٦ هـ.

مدى، والأكثر جذباً وإغراءً لجمعها بين الصوت والصورة، والضوء واللون والحركة(١).

فتأهيل الداعية لاستخدام هذا الأسلوب في الدعوة من الأهمية بمكان.

ومن الآداب المرعية في هذا الجانب:

١ - معرفة أحوال المدعوين أو الشريحة المستهدفة وما يتعلق بهم لإيصال المعلومة لهم.

٢ - سلامة المضمون الذي سيطرح عليهم منهجاً وعقيدةً وتقديراً للمصالح ودرء للمفاسد.

٣ - قوة الأسلوب وجاذبية عرض الموضوع.

٤ - مهارة الأداء وفن العرض بالصوت والصورة.

٥ - الرغبة فيما عند الله والصدق في الدعوة إلى الله(٢).

---

(١)انظر: دراسات في الإعلام الفضائي، د. عاطف عدلي العبد وزميلته، (٩٧ – ٩٨)، دار الفكر العربي، ط ١، عام ١٤١٦ هـ. ومكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، أ. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي (١٢٣ – ١٥٦)، دار عالم الكتب، بالرياض، ط ١ عام ١٤٨١ هـ.

(٢) انظر: القنوات الفضائية، أ. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي(٤٥) وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض..

المطلب الثاني: الإعداد والتأهيل في مجال الأساليب:

الأساليب هي: الطرق الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته(١).

والمراد بالأساليب الدعوية: هي تلك الطرق في الكلام المفهوم للناس، واختيار لكل مقام مقال، سواءً من حيث الإيجاز والإطناب أو الترغيب والترهيب أو الرفق والشدة.

ومن هذه الأساليب التي يجب أن يتدرب عليها الداعية ما يلي:

أولاً: أسلوب الحكمة:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "فالحكمة كلمة تمنع من سمعها من المضي في الباطل، وتدعوه إلى الأخذ بالحق والتأثر به، والوقوف عند الحد الذي حده الله عز وجل"(٢).

إلى جانب ذلك تجب دراسة منهج القرآن في الدعوة الذي يقوم على استخدام الحكمة وهي: استخدام الأدلة العقلية مع غير المسلمين ومع المسلمين بالاستشهاد بأحداث التاريخ ومناهج البحوث الاجتماعية والعلمية في مجالات الكون والطبيعة والإنسان.

حيث نجد فعل الأمر: ((قل)) وردت ((٣٤٣)) مرة في القرآن الكريم من تأملها وسبر غورها وصنف مضامينها وتدبر مقول القول: وقف على منهاج متكامل في صيغ البيان وطرائق الأداء ومسالك إقامة الحجة في إحقاق الحق ودحض الباطل، وهذا لون رفيع من بلاغة القرآن يتضمن التوجيه إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعية من قوة العارضة والتمرس على صيغ الخطاب(٣).

---

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي (١٨) ط ١٠، مكتبة العبيكان، سنة الطبع ١٤٢٠ هـ.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبدالعزيز بن باز(٢٧)، مصدر سابق.

(٣) انظر: تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، أ. د. عبدالرب نواب الدين (٣٣٦) مجلة الجامعة الإسلامية العدد١٢٨ سنة ١٤٢٥هـ.

ثانياً: أسلوب الموعظة:

الموعظة الحسنة من أهم الأساليب الدعوية تأثيراً في نفوس السامعين؛ لأنها سياط كلامية تقرع بها أسماع المخاطبين وتهز قلوبهم وتدمع أعينهم وتهديهم إلى سبل النجاة، والناس بحاجة لها وبخاصة في زمن تكثُر فيه الصوارف عن الخير، إما بصورة مباشرة، وإما بصورة غير مباشرة، وبأسماء متعدِّدة.

ومما يدل على أهمية الوعظ في مقام الدعوة إلى الله الأوامر الربانية للنبي ﷺ حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾(١).

ومن أعظم ركائز الموعظة الحسنة الوعظ بآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ، ويأتي بعد ذلك الحكم النافعة، والقصص الحسنة، والقصائد الفصيحة، والتجارب الناجحة، والوعظ مجال رحب للداعية باستطاعته تأهيل نفسه وإعدادها بمثل هذا الأسلوب عن طريق حفظ مواعظ الأنبياء والرسل والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم، ففيها الغنية عن غيرها لالتزامها بمنهج التوحيد الخالص.

ثالثاً: الحوار والمجادلة:

المجادلة والمناظرة والحوار في مقام الدعوة إلى الله تكون بإقامة الحجة على ما جاءت به الرسالات السماوية، باعتبارها أسلوباً يحتاج إليه مع بعض المدعوين لإقناعهم بالحق.

والقرآن والسنة تزخر بالشواهد الدالة على أثر الحوار والمناظرة في الدعوة إلى الله ومنه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

والآية تدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك، وأما ما نُهي عنه من الجدل فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل والخطأ(١).

قال ابن عبد البر رحمه الله: "قال بعض العلماء: كل مجادل عالم وليس كل عالم مجادلاً، يعني: أنه ليس كل عالم يتأتى له الحجة ويحضره الجواب ويسرع إليه الفهم بمقطع الحجة، ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة، والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم"(٢).

ومن هذا كله فإن جميع الأساليب الدعوية الناجحة الأصيلة والمعاصرة، يمكن للداعية أن يربي نفسه على استخدامها بالممارسة لها، واستشعار الثمار الدعوية الناتجة عنها، والمرء عدو مايجهل.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/٢٨٦) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، ١٣٨٤ هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٣/٣٤)، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة الطبع، ١٩٨٤هـ.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر (٢/١٠٧)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م..

الخـاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فهذا البحث المختصر حول موضوع من الأهمية بمكان في إعداد الدعاة وتأهيلهم حتى يصبحوا قادرين على أداء المهمة المنوطة بهم، وقد خلصت لعدة نتائج هي:

أولاً: الداعية إلى الله هو الذي يكون حريصاً على الارتقاء بنفسه في مجالات التأهيل والإعداد ومن يتحر الخير يعطه.

ثانياً: أن الدعاة بحاجة إلى التأهيل والإعداد لتجدد مسائل الدعوة ووسائلها.

ثالثاً: أنه يمكن للداعية أن يتحصل على التأهيل بالممارسة والتدريب في جميع المجالات الدعوية.

رابعاً: وضوح المسؤولية المناطة بالقائمين على الدعوة سواءً في الجامعات أو وزارة الشؤون الإسلامية، وذلك بضرورة السعي الحثيث لتأهيل الدعاة وإعدادهم في جميع المجالات ليصبحوا قادرين على القيام بمهام الدعوة، وذلك بتأهيليهم في المجالات السابقة وعقد ورش تدريبية لإكسابهم مهارات دعوية جديدة في عصر متجدد.

خامساً: ضرورة الاهتمام بالمنهج الوسط عند إعداد الدعاة وتأهيلهم فهو صمام الأمان ضد الغلو والجفاء.

التوصيات:

وبعد هذه النتائج للبحث فإني أوصي بعدة توصيات:

١ - أن يعطى هذا الموضوع عناية المهتمين بالدعوة إلى الله لما له من فوائد جمة على الدعاة وتطويرهم، وتحديد مواطن القوة والضعف في العمل الدعوي المعاصر وتلافي الأخطاء.

٢ - تواصي الدعاة فيما بينهم بالاستثمار الأمثل للمجالات الدعوية وإعداد الدعاة وتأهيلهم، فكل من سار على الدرب وصل.

٣ - أهمية دراسة هذه المجالات من ناحية تطبيقية في الجامعات الأكاديمية ومواكبة التطور في العلم والمعرفة لتوافق رؤية المملكة ٢٠٣٠، وأن يحصل المرشح للدعوة إلى

الله على ماجستير مهني في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - الحرص على استقطاب المتميزين من الشباب والفتيات وتأهيلهم للدعوة.

٥ - ضرورة إيجاد مادة علمية متكاملة في تأهيل الدعاة وإعدادهم، وجعلها متطلب في التخرج لجميع التخصصات؛ لأن الدعوة يحتاجها الجميع.

وختاماً إن كان من قصور في هذا البحث فهو من طبيعتي البشرية، وإن كنت هديت للصواب فهو محض توفيق رباني، عسى الله أن يوزعني شكر نعمته، وهو ربي عليه توكلت وإليه أنيب.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإبداع العلمي، د. أحمد القرني، ط/١، مكتبة دار المنهاج، الرياض: ١٤٣٥ هـ.

٢. أثر وسائل التواصل الحديثة على الدعوة، "الفيس بوك" نموذجاً دراسة نظرية إحصائية، عمار توفيق أحمد بدوي.

٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (صحيح ابن حبان)، محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٨ هـ.

٤. أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، ط/ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، السعودية.

٥. الأخلاق الفاضلة "قواعد ومنطلقات لا كتسابها"، أ. د. عبدالله الرحيلي، ط/١، مطبعة سفير، الرياض: ١٤١٧ هـ.

٦. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ط/٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٣٩٩ هـ.

٧. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي، ط/ دار مكتبة الحياة: ١٩٨٦م.

٨. أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: طارق بن عبدالواحد بن علي، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٣٤هـ.

٩. أصول الإعلام الإسلامي، أ. د. إبراهيم إمام ، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.

١٠. الاعتصام، الشاطبي ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٩ هـ.

١١. الإعداد التطبيقي للدعوة، د. أسماء بنت عبدالعزيز الداود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض (بحث محكم).

١٢. إعلام الموقعين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١ هـ.

١٣. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، ط/ دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.

١٤. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض:١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٥. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤هـ.

١٦. تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، أ. د. عبدالرب نواب الدين، مجلة الجامعة الإسلامية العدد١٢٨ سنة ١٤٢٥ هـ.

١٧. تكوين الخطيب، د. عبدالعزيز النفيعي، ط/١، الرياض: ١٤٣٧ هـ.

١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

١٩. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط/١، دار طوق النجاة، الرياض: ١٤٢٢هـ.

٢١. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط/١، دار ابن الجوزي، الرياض: ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤ هـ.
٢٣. حكمة الدعوة، رفاعي سرور، ط/ مكتبة وهبة القاهرة.
٢٤. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٢٣هـ.
٢٥. حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٦ هـ.
٢٦. خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، ط/١٠ ، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٠هـ.
٢٧. الداعية ومعرفة أحوال المدعوين "القدرات والنفسيات"، د. محمد الثويني، (بحث محكم في الدعوة إلى الله، جامعة القصيم).
٢٨. دراسات في الإعلام الفضائي، د. عاطف عدلي العبد وزميلته، ط/١، دار الفكر العربي:١٤١٦هـ.
٢٩. الدرر الغالية في آداب الدعوة والدعاة، عبد الحميد باديس، تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي، ط/ دار المنار، الخرج، السعودية.
٣٠. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ط/٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٣١. دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير، د بشرى الراوي، كلية الإعلام جامعة بغداد، مجلة الباحث الإعلامي العدد٢٠١٢ ،١٨،
٣٢. زاد الداعية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (منشور ضمن كتاب الصيد الثمين من رسائل ابن عثيمين)، ط/١، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٣٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤١٥هـ.

٣٤. السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، ط/١، دار ابن القيم، الدمام: ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.

٣٥. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/١، دار الرسالة، بيروت: ١٤٣٠هـ.

٣٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، مُحَمَّد كامِل قره بللي، ط/١، دار الرسالة، بيروت: ١٤٣٠هـ.

٣٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٨م.

٣٨. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم الداراني، ط/١، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٢هـ.

٣٩. السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ.

٤٠. السنن الكبرى، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط/ مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٤١. شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة (تويتر أنموذجاً) دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود، د. فهد بن علي الطيار، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٣١ - العدد (٦١)، الرياض ، ١٤٣٦هـ.

٤٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط/٨، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٣هـ.

٤٣. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض: ١٤١٨هـ.

٤٤. شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط/٢، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ.

٤٥. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، ط/٢، دار الوطن، الرياض: ١٤٢٠هـ.

٤٦. صحيح سنن ابن ماجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤٢٠هـ.

٤٧. عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ابن العربي، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٨. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الإمام العلامة أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد العيني، تقديم: محمد أحمد حلاق، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٤ هـ.

٤٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط/٣، مكتبة دار السلام، الرياض: ١٤٢١هـ.

٥٠. الفروق، القرافي ، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٤هـ.

٥١. القنوات الفضائية، أ. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض.

٥٢. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٤١٤هـ.

٥٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ.
٥٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٦هـ.
٥٥. المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
٥٦. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ.
٥٧. المستصفى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م
٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبوعبدالله أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ.
٥٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٠. المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٣هـ.
٦١. المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، ط/ دار الحرمين، القاهرة.

٦٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر: ١٩٧٩م.

٦٣. معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط/١، دار الوفاء، المنصورة: ١٤١٢هـ.

٦٤. مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، أ. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٨١هـ.

٦٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية. تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.

٦٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، ط/٢، دار إحياء التراث، بيروت: ١٣٩٢هـ.

٦٧. الموافقات، الشاطبي تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، دار ابن عفان: ١٤١٧هـ.

٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات مجد الدين بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

البحث رقم (٣)

معززات الأمن الفكري لدى طالبات جامعة شقراء
"دراسة وصفية"

إعداد

د. منى بنت محمد بن عبدالعزيز السليم

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة شقراء

ملخص البحث

يتمحور موضوع الدراسة حول معززات الأمن الفكري لدى طالبات جامعة شقراء؛ والجامعات تعتبر من أهم محاضن الشباب في أخطر مراحلهم العمرية من ١٨ إلى ٢٣ سنة تقريباً، وجاء التركيز على فئة الفتيات لتنال حقها من الدراسة نظراً لقلة الدراسات على الفتيات مقارنة بالشباب. وتكمن أهمية الدراسة في كَوْن أمتنا تعيش عصر تواصل وتدفق للثقافات وتعدد لمنابع التلقي، وأخلاطاً متباينة من الأفكار والتصورات مما يتطلب على المحاضن التربوية للشباب مضاعفة الجهود لتعزيز الأمن الفكري عند الشباب، الحاجة إلى تحصين عقول الشباب وجعلها أبواباً موصدة أمام تحديات الأمن الفكري المعاصر. وأهم نتائج الدراسة: أن أهم الأسس التي يقوم عليها الأمن الفكري في كل بلد إسلامي هي: تطبيق الشريعة الإسلامية، وإصلاح العقيدة، وملازمة العمل الصالح، واجتماع الكلمة وطاعة ولاة الأمور بالمعروف، وأن من أهم معززات الأمن الفكري هي: تعزيز الاعتصام بحبل الله تعالى ولزوم جماعة المسلمين، وإبراز منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، وغرس الوطنية وطاعة ولي الأمر في نفوس الشباب، ويعتبر القسم الثاني من البعد الأول وهو (مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية في نفوس طالبات الجامعة - كما يتضح في اعتقاد الطالبة-) أعلى الأبعاد انتشاراً بين طالبات الجامعة، يليه البعد الرابع وهو(مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة) أعلى الأبعاد انتشاراً بين طالبات الجامعة بعد رسوخ العقيدة السليمة في نفوس الطالبات، يليه البعد الثالث وهو(مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة)، يليه البعد الثاني (وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة)، وأخيراً البعد الأول وهو(مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية في نفوس طالبات الجامعة - كما يتضح في دور الجامعة).

.الكلمات المفتاحية: معززات، الأمن، الفكري

Entellectual security boosters among students of Shaqra University (Descriptive study)

Abstract

The subject of current study the intellectual security boosters among the students of Shaqra University. Universities are considered the most important incubators of young people in the most dangerous stages of age from 18 to 23 years. The current study focused on girls because of the lack of studies of intellectual security for girls compared to young people. The importance of study: The fact that our nation lives in the communication era in which a flow for cultures, a multiplicity reception sources, and a mix of ideas and perceptions, it requires the redouble efforts of educational incubators of young to strengthen their intellectual security, The necessity to fortify the young minds to be able to face off the challenges of modern intellectual security. The main results of study: The most important foundations of intellectual security in every Islamic country are: the application of Islamic law, the reform of the faith, the continuance of good deed, the unification of the word and the obedience of virtue prefects. The most important intellectual security reinforcements are the firmed holding to the rope of Allah and Muslims, and the Highlight on Islamic approach regarding to the dealing with non-Muslims, the instilling both patriotism and the obeying of guardian inside the hearts of young. The dimensions of intellectual security questioner can be arranged in view of their Spread between university students as follows: The first dimension (the extent of firming of the pure truth faith in students' minds) in view of students beliefs, The fourth dimension (the level of feeling of national belonging and commitment to the obeying of guardian at university students), The third dimension (the extent of clarity of the approach of Islam at the university students regarding to the dealing with non-Muslims), The second dimension (the existence of awareness against the straying ideas and organizations among university students), finally, the first dimension in view of university rules.

keywords: Boosters, Security, Thought intellectual security

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. . أما بعد:

فلقد جاء الإسلام بالخير والرحمة والوسطية والاعتدال الذي يعطي العقل حرية التفكير ولا يحجب عنه الحقيقة، والإسلام بما حواه من هداية إلهية وتشريعات سماوية يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار.

إن المتأمل في عالمنا المعاصر ليرى دون عناء ما يعج به من المخاوف والقتل والجوع، ولقد تعرضت أمتنا الإسلامية عبر القرون وما زالت لغارات من أعدائها بقصد تشكيك أبنائها في عقيدهم ومسخ هويتهم وحملهم على الانسلاخ من مبادئهم وقيمهم وزعزعة أمنهم وذلك بما يلقيه أعداء الإسلام اليوم من شبهات وشهوات، ونحن نعيش اليوم في عصر تواصل نتج عنه تدفق للثقافات وتعدد لمنابع التلقي، فنرى أخلاطاً متباينةً واتجاهات مختلفة من الأفكار والتصورات، لذا كان لزاماً على المحاضن التربوية للشباب أن تدرُس هذه الأفكار وأن تصرِف عزمها إلى تحصين العقول والسعي إلى الحصانة الفكرية وجعلها أبواباً موصدة لتحديات الأمن الفكري المعاصر، ونجد الكثيرمن الباحثين يؤكد على أن ربط الفكر بالأمن في مفهوم (الأمن الفكري) يجعلنا أمام مصطلح من المصطلحات المهمة في هذا العصر خاصة مع ما يشهده العالم من تطور وتقدم، كان له الأثر الإيجابي والسلبي في بناء العلاقات والتواصل مع الأفكار والمعارف المختلفة.

إذن فالأمن الفكري تعبير دقيق يصوّر لنا غاية الاهتمام بفكر الإنسان، وحمايته من منهجي الإفراط والتفريط، أو قُل الغلو والانحراف، فالأمن الفكري كفيل بإذن الله بحفظ فكر الفرد المسلم وحمايته، وجعله في جادة الوسطية والاعتدال، لذلك يجب علينا

الاهتمام بكل ما يعززه وتدعيم هذه المعززات والتأكد من توافرها لدى ابناءنا وداخل مجتمعنا المسلم(١)، وقد أعلن أخيراً وزير التعليم - سابقاً- الدكتور عزام الدخيل عبر حسابه على «تويتر» تأسيس إدارة تعنى بقضايا الأمن الفكري في وزارة التعليم، إذ كتب في تغريدة قائلاً: (سعدتُ بالمشاركة اليوم في اللقاء العلمي للتوعية الإسلامية «الأمن الفكري»، وأعلنتُ تأسيس إدارة تُعنى بقضايا الأمن الفكري بوزارة التعليم)، وتتضح أهمية الأمن الفكري وضرورة تدعيم معززاته من اهتمام وزارة التعليم و عقد العديد من المؤتمرات حوله وكتابة العديد من الدراسات البحثية، ونشرت حوله الكثير من المقالات والكتابات في الصحف ووسائل الإعلام، فقد تبنت ومنذ ذلك الحين المؤسسات التعليمية خطوات في تحقيق ذلك تتضح كما يلي:

١- أعدت وزارة التعليم عام ٢٠٠٤م، مشروع «رعاية الفكر وتعزيز السلوك»؛ لرعاية المنتمين إلى المؤسسات التربوية معلمين ومعلمات طلاباً وطالبات، والعناية بالبيئة المدرسية وحمايتها من الفكر المنحرف.

٢- نشرت الصحف المحلية عام ٢٠٠٦م، بدء وزارة التعليم تنفيذ برنامج عن الأمن الفكري على مستوى السعودية.

٣- أعلنت الوزارة عام ٢٠٠٨م، إطلاق أضخم مشروع لمواجهة الانحرافات الفكرية في مدارس البنين والبنات باسم برنامج «الأمن الفكري» واتخذت شعاراً له «فكر آمن.. حياة مطمئنة»، بعد أن تم إخضاع المعلمين لدورات وبرامج تدريبية، وتم تشكيل لجنة لمتابعة برنامج حماية الأمن الفكري برئاسة نائب الوزير، وقد ألزمت وزارة التعليم المدارس كافة برفع تقارير ختامية إلى مكاتب إدارات التعليم التابعة لها عن تنفيذ البرنامج.

---

(١) الوسطية والأمن الفكري، محمد عدنان السمان، تم الاسترجاع في ٣يونيو ٢٠١٧ من: http://www.amnfkri.com/news.php?action=show&id=10156 فقرة ٤.

٤- وفي عام ٢٠١٥م أعلن وزير التعليم عن تأسيس إدارة تُعنى بقضايا الأمن الفكري بوزارة التعليم(١).

وأوصى العديد من الباحثين بضرورة الاهتمام بتعزيز الأمن الفكري داخل المؤسسات التربوية: مثل (السليمان، ٢٠٠٦م)(٢) أوصت بضرورة إدراج مادة بمسمى الأمن الفكري في كليات التربية. ورأت دراسة (الإمام والجوالدة، ١٤٣٠هـ)(٣) ضرورة زيادة العمل على توسيع المجال التطبيقي للدراسات بطبيعة الأمن الفكري ومدى تيسيره للعملية التعليمية والتفاعل الاجتماعي. وأكدت دراسة (شلدان، ٢٠١٣)(٤) على ضرورة تفعيل دوركليات التربية في تعزيز الأمن الفكري، في حين قدمت دراسة (محمد، ٢٠١٦)(٥) توصيات من اهمها:

١- التوسُّع في دراسة نظرية الأمن الفكري في الإسلام وربطه بمسألة التحصين العقدي.

---

(١) التعليم وإدارة الأمن الفكري، حسين سالم، ٢٠١٥م، الحياة، تم الاسترجاع في ٣ يونيو ٢٠١٧م من: http://www.alhayat.com/Opinion/Hassen-Bin-Salam/9141811 الفقرتين ٢ ، ٣.

(٢) دور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري، دراسة ميدانية على مدارس التعليم العام بمدينة الرياض، إبراهيم بن سليمان السليمان، ٢٠٠٦م، دراسة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في العلوم الإدارية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

(٣) المناخ الأسري وعلاقته بالأمن الفكري لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصرية، محمد صالح الإمام و فؤاد عيد الجوالدة، ١٤٣٠هـ، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

(٤) دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله، فايز شلدان، ٢٠١٣م، مجلة كلية التربية للدراسات الإسلامية، المجلد (٢١) ، العدد (١) ، ص٣٣ – ٧٣.

(٥) تعزيز الأمن الفكري بين الواجب والضرورة، الفاتح عبدالرحمن محمد، ٢٠١٦م ، بحوث، تم الاسترجاع في ١١ يونيو ٢٠١٧م من : http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-227985.htm

٢- تشجيع ودعم البحوث والدِّراسات في مجال الأمن الفكري، وترسيخ مقوِّماتها، على أن يتم ذلك في ضوء معايير وضوابط مثل تحديد مقوِّمات ومتطلبات الفكر الآمن ومعززاته.

كل ذلك دعى الباحثة الحالية للاهتمام بهذا المتغيرمتعدد التأثيرات الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية ومحاولة المشاركة في دعم الدولة لمعززاته عن طريق تحديد هذه المعززات داخل أحد المؤسسات التربوية في مجتمعنا متمثلة في كليات جامعة شقراء بمحافظة شقراء وتقصي توافر المعززات لتحديد جوانب القوة وتدعيمها والوقوف على جوانب الضعف ومحاولة إصلاحها وتقديم أداة بحثية تساعد في الحصول على معلومات دقيقة وواضحة حول الأمن الفكري وسبل تعزيزه وعليه جاءت هذه الدراسة بعنوان "مدى توافر معززات الأمن الفكري لدى طالبات جامعة شقراء".

وتتمثل مشكلة الدراسة الحالية في الحاجة الملحة للتعرف على مدى توافر معززات الأمن الفكري لدى طالبات جامعة شقراء؛ حيث الجامعات من أهم محاضن الشباب وتنمية أفكارهم الإيجابية نحو مجتمعاتهم، وجاء التركيز على فئة الفتيات لتنال حقها من الدراسة نظراً لقلة الدراسات على الفتيات مقارنة بالشباب.

وجاءت أسئلة الدراسة كما يلي:

س١: ما مفهوم معززات الأمن الفكري ؟

س٢: ما مدى توافر معززات الأمن الفكري لدى طالبات جامعة شقراء ؟

أهداف الدراسة:

١- تأكيد مفهوم الأمن الفكري في عقول فتياتنا.

٢- المساهمة في تحديد أهم المعززات للأمن الفكري والتركيز عليها.

٣- بَلْوَرة رؤية ثاقبة وموحَّدة لمعززات الأمن الفكري على مستوى جامعات المملكة.

٤- بناء أداة موضوعية تقيس مدى توافر معززات الأمن الفكري داخل مؤسساتنا التربوية.

٥- التعرف على أكثر المعززات انتشارا بين طالبات الجامعات وتدعيمها، والتعرف على أقل المعززات انتشارا ومحاولة إصلاحها وتدعيمها.

أهمية الدراسة: تفيد نتائج الدراسة الحالية كل من:

١- طلاب وطالبات الجامعة وتوعيتهم بأهمية تحصين عقولهم من الأفكار المتطرفة.

٢- الأسرة ودعمها في قيامها بدورها الحيوي في تعزيز الأمن الفكري لأبنائنا وسبل تحقيقه.

٣- المؤسسات التعليمية وحثها على ضرورة توافر الأنشطة المدعمة للأمن الفكري ومحاولة توظيف طاقات الطلاب والطالبات بطرق إيجابية تفيد المجتمع وتحصينهم بالأفكار الصحيحة وإبعادهم عن الأفكار الضالة.

٤- تزويد القائمين بالعمل في مؤسسات ووحدات ولجان الأمن الفكري بأداة علمية موضوعية لقياس معززات الأمن الفكري موضع الدراسة الحالية داخل المؤسسات التربوية، حيث لم تجد الباحثة - في حدود علمها - أداة لهذا الغرض.

حدود الدراسة:

١- أجريت الدراسة في إطار الحدود التالية:

٢- الحدود المكانية: اقتصرت الدراسة على كليات (التربية، والعلوم والآداب، والحاسب الآلي) لجامعة شقراء بمدينة شقراء.

٣- الحدود الزمانية: تمّ إجراء الدراسة خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي (١٤٣٧ - ١٤٣٨هـ).

٤- الحدود البشرية: تمثلت في طالبات كليات (التربية، والعلوم والآداب، والحاسب الآلي) لجامعة شقراء بمدينة شقراء.

٥- الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على رصد معززات الأمن الفكري الموضحة في الإطار النظري.

مصطلحات الدراسة:

أولا: تعريف الأمن الفكري:

يعد مصطلح (الأمن الفكري) مصطلحاً مركباً من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف قديماً في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، ولم يرد في معاجم اللغة العربية ولا في كتب العلماء؛ إلا أن مدلوله متفق عليه بين جميع العلماء ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة، بل هو مصطلح قدم قدم البشرية ذاتها من حيث معناه ومدلوله وإن كان يأخذ عند العلماء تسميات أخرى متعددة. ونظراً للحداثة النسبية للمصطلح فقد تباينت الرؤى حول المقصود به، ومما ورد في هذا الشأن واجتهد الباحثون في تحديده ما يلي:

١- ما ذكره الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - سابقاً- في تعريفه للأمن الفكري بأن:" يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية "(١).

٢- تعريف إمام المسجد الحرام الدكتور عبد الرحمن السديس، التعريف نفسه مع إضافة يسيرة في آخره تؤكد المرجعية إلى الكتاب والسنة فيقول: "أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة"(٢).

ثانيا: تعريف تعزيز الأمن الفكري:

يقصد به « تحصين فكر الفرد وعقله من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال ولاسيما في القضايا الفكرية التي تشكل مصدر تهديد للأمن» (٣). وهذا التعريف تتبناه الباحثة في الدراسة الحالية.

---

(١) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، أ. د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٥٧.

(٢) الأمن الفكري، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٧.

(٣) تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية، حسين السيد خطاب، ٢٠٠٩م، ص ٥.

منهج الدراسة: اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي.

خطة الدراسة:

يتألف مضمون هذه الدراسة من مبحثين ؛ تتفرع منهما مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول: الجانب النظري (معززات الأمن الفكري)

- المطلب الأول: معنى الأمن الفكري.
- المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها الأمن الفكري في كل بلد إسلامي.
- المطلب الثالث: معززات الأمن الفكري.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي (الدراسة الميدانية)

- المطلب الأول: إجراءات دراسة توافر معززات الأمن الفكري لدى طالبات جامعة شقراء.
- المطلب الثاني: نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها.

ثم تأتي الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته، والله أسأل أن يسدد الخطى ويُلهمنا التوفيق لما يحب ويرضى.

المبحث الأول

الجانب النظري (معززات الأمن الفكري)

المطلب الأول: معنى الأمن الفكري:

إن **مصطلح الأمن الفكري** مركب من كلمتين هما: الأمن، والفكر، لذلك سأعرف جزأي المصطلح كما يلي

أولا: تعريف الأمن في اللغة والاصطلاح:

أ - الأمن في اللغة: سكون القلب واطمئنانه.

قال ابن فارس: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان:

أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب.

والآخر: التصديق.

وقال الخليل: الأَمَنَةُ مِن الأمْن. والأمان إعطاء الأَمَنَة. والأمانة ضدُّ الخيانة.

يقال أمِنْتُ الرّجُلَ أَمْنًا وأَمَنَةً وأَمانًا، وآمنني يُؤْمنني إيمانًا. والعرب تقول: رجل أُمّانٌ، إذا كان أمينًا.

وعلى هذا، فالأمن في اللغة: « سكون القلب واطمئنانه بعدم وجود مكروه وتوقعه».

قال الراغب: «أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف».

ب - الأمن في الاصطلاح:

تعددت التعريفات الاصطلاحية للأمن باختلاف المنظور الذي ينظر إليه الباحثون عند تعريفهم للأمن، ومن تلك التعريفات:

تعريف الجرجاني، حيث عرّفه بأنه: «عدم توقع مكروه في الزمان الآتي».

ويمكن تعريف الأمن بالنظر إلى مقاصد الشرع بأنه: الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئنًا في نفسه، مستقرًا في وطنه، سالمًا من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله.

ويتضح من التعريف السابق أن الأمن لا يتحقق ما لم يكن هناك حفظ للضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها.

ثانيا: مصطلح الفكر، والأمن الفكري:

أ - تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح:

١ - الفكر في اللغة: تردد القلب، وتأمله.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال: تفكّر إذا ردد قلبه معتبرًا. ورجل فِكِّير: كثير الفكر».

وقال العلامة الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ : «الفكرة قوةٌ مُطرِقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان... قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني؛ وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها».

٢ - الفكر في الاصطلاح:

قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويقال: الْفِكْرُ تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الذِّهْنِ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَطْلُوبٍ؛ يَكُونُ عِلْمًا، أَوْ ظَنًّا». بينما قال جميل صليبا: «وجملة القول: إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها. فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس». في حين عرّفه د. الزنيدي بقوله: «الفكر في المصطلح الفكري - والفلسفي خاصة- هو: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات؛ أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها؛ أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري».

وبناءً على هذا، فمفهوم الفكر يشمل النظر العقلي، وما ينتج عن ذلك النظر والتأمل من علوم ومعارف.

ب – المراد بالأمن الفكري:

نظرًا لحداثة مصطلح الأمن الفكري فقد اختلفت عبارات الباحثين ووجهات نظرهم في تحديده وضبط مفهومه.

وسأورد شيئًا من تلك التعريفات:

١- « الأمن الفكري هو أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية».

٢- « أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنّة».

٣- « إنه سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية، والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة».

٤- « الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديدًا للأمن الوطني أو أحد مقوماته الفكرية، والعقدية، والثقافية، والأخلاقية، والأمنية».

وإذا أخذنا في الحسبان مفهوم الفكر من حيث شموله لنظر العقل، ومعقولاته، فإنه يمكننا تعريف الأمن الفكري بأنه:

الحال التي يكون فيها العقل سالمًا من الميل عن الاستقامة عند تأمله، وأن تكون ثمرة ذلك التأمل متفقة مع منهج الإسلام على وفق فهم السلف الصالح، وأن يكون المجتمع المسلم آمنًا على مكونات أصالته، وثقافته المنبثقة من الكتاب والسنّة.

فبهذا التعريف يكون الأمن الفكري شاملاً للفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، والموضوعات التي أنتجها العقل البشري، وكذلك شامل لفكر الفرد ومكونات فكر المجتمع، وأن الأمن الفكري لا يتحقق إلا بالالتزام بمنهج الإسلام على وفق فهم السلف الصالح(١).

---

(١) الأمن الفكري "مفهومه وضرورته ومجالاته"، إبراهيم بن عبد الله الزهراني، ورقة عمل مقدمة للاجتماع الدوري الخامس لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٢٠١١م، تم الاسترجاع في٢٤يونيو ٢٠١٧م من: http://www.assakina.com/news/news4/6302.html الفقرات:٤- ٦.

المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها الأمن الفكري في كل بلد إسلامي:

أولا: تطبيق الشريعة الإسلامية و إصلاح العقيدة، بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة ما سواه، والبراءة من الشرك وأهله وملازمة العمل الصالح.

والمقصود بتطبيق أحكام الشريعة؛ هي أن تكون هي المرجع في التصرّفات والأحكام والمعاملات، وأن تكون الأنظمة التي تضبط المجتمع المسلم في جميع المجالات متفقة مع أحكام الشرع ومبادئه وأصوله الكلية.

ومن شأن اختيار المنهج الإلهي نظاماً اجتماعياً؛ أنه يجنب المجتمع التفرّق والانقسام والتمزّق الذي يحدث عند اختيار منهج آخر من وضع البشر(١).

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾(٢).

فعلق سبحانه حصول هذه المطالب العالية: الاستخلاف في الأرض والتمكين للدين وإبدال الخوف بالأمن علق ذلك كله ووعد به إن تحقق أمران هما: عبادة الله سبحانه وتعالى، وترك الإشراك به: " يعبدونني لا يشركون بي شيئاً".

كما ربط تحقق الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم؛ بإخلاص التوحيد لله وحده لا شريك له: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٣) وقوله: (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أي لم

---

(١) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، http://shamela.ws/index.php/book/31563 ، ص ٦٣.

(٢) سورة: النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة: الأنعام، الآية: ٨٢.

يخلطوا عبادهم بشرك بل أخلصوا الدين لله رب العالمين.

وهذا هو الذي بعث الله به رسله كلهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١)، وهو حق الله على عباده، كما قال الرسول ﷺ: ((... فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...))(٢).

ونحن في هذه البلاد -بلاد الحرمين- أعزها الله بالإسلام، قد أنعم الله علينا بدعوة سنية سلفية، دعوة التوحيد التي قام بها الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود - رحمهما الله-.

فكان من ثمراتها زوال البدع والشركيات، وظهور السنة وأهلها وتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وقيام دولة تحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح، فذاق الناس طعم الأمن ونعموا به بعد سنوات الخوف والفرقة في جزيرة العرب، واجتمعت القلوب بعد تباغض، وعبد الناس ربهم فعمرت المساجد ووفد الحجاج إلى بيت الله الحرام من كل فج عميق في أمن ورخاء وطمأنينة، فاللهم لك الحمد على نعمة الأمن والإيمان.

ثانياً: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٣). نجد أن الله سبحانه وتعالى ربط بين حصول النصر على

---

(١) سورة: النحل، الآية: ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: التوحيد، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم ١٤٣.

(٣) سورة: الحج، الآيتان: ٤٠- ٤١.

الأعداء الذي يتوفر به الأمن للمسلمين وإقامة الصلاة التي هي ثاني أركان الإسلام، وإيتاء الزكاة، كما أن من أصول الإسلام ومبادئه؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قامت خيرية الأمة الإسلامية على هذا الأصل:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾(١)، وتحقيق هذا الأصل القرآني من أنجح الوسائل في إصلاح المجتمعات الإنسانية.

ذلك أن أثر الأديان والعقائد يضعف، ويقل الأتباع لما جاء فيها بمضي الزمن وتوالي العصور. ومن سنة الله في الخلق أن تتابع رسله وأنبياؤه وكتبه وشرائعه لإصلاح الخلق حتى تمت النعمة في رسالة خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، وبعد تمام الرسالات السماوية وختمها برسالة الإسلام؛ يصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة دائمة وباقية لإصلاح المجتمع المسلم كلما تقدّم العهد أو ظهرت بعض المنكرات.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له علاقة وثيقة بحفظ الأمن في المجتمع، فالجرائم تعد من المعاصي سواء أضرَّت بالأفراد أم أضرَّت بأمن المجتمع، والنهي عن ارتكابها أو التمادي فيها يسهم في تحقيق الأمن للفرد والجماعة، وما فشت الجريمة في مجتمع من المجتمعات إلا بسبب التهاون بالمعاصي وعدم النهي عنها وترك مرتكبيها حتى تقوى شوكتهم وتصبح لهم الغلبة على أهل المعروف، ويعد هذا المبدأ وقاية قبل أن تُطبَّق حدود الله على من يرتكبون الجرائم.

فالعقوبة في الإسلام ليست أول الوسائل في الإصلاح والتقويم؛ بل يسبقها تزكية النفوس بإقامة شعائر الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢).

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ص ٦٥-٦٦.

ثالثاً: اجتماع الكلمة والحذر من التفرق وطاعة ولاة الأمر بالمعروف وعدم الخروج عليهم:

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١). حيث شهدت النصوص الشرعية والوقائع التاريخية أن بين اعتصام الأمة بحبل الله واجتماعها علاقة وثيقة، كما أن بين بعدها عن الله وتفرّقها تلازم وترابط(٢).

إن طاعة ولاة الأمر من الأمراء والعلماء والرجوع إليهم في الملمات والنوازل، والأخذ عنهم والاستضاءة بعلمهم وفهمهم واستنباطاتهم ونظراتهم، هو السبيل لتحقيق أمن الجماعة بجميع فروعه، وعلى رأسه تحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع(٣).

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله في ذلك: لا ريب أن الله جل وعلا أمر بطاعة ولاة الأمر والتعاون معهم على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، فقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾(٤)(٥).

ويقول الرسول ﷺ: ((ستكون أثرة وأمور تنكرونها "، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال: "تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم))(٦).

وقد سأل سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله،

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) بناء المفاهيم ودراستها في ضوء في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً"، أ. د.عبد الرحمن معلا اللويحق ، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، ١٤٣٠ه، ص ٢٠- ٢٣.

(٣) الأمن الفكري ، د.عبد الرحمن السديس، مرجع سابق ، ص ١٠.

(٤) سورة: النساء، الآية: ٥٩.

(٥) بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة، د. محمد الشويعر، ط/٢، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤٢١هـ، ٩/٩٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٦٠٣.

أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس وقال رسول الله ﷺ: ((اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ماحُمِّلتم))(١).

فهذه النصوص تدل على وجوب الطاعة بالمعروف للإمام، وإن منع بعض الحقوق، واستأثر ببعض الأموال، بل ولو تعدى ذلك إلى الضرر بالجسم أو المال ونحوه من الأمور الشخصية، فعلى المؤمن القيام بما أوجبه الله عليه من الطاعة، وأن يحتسب حقه عند الله عز وجل طالما أنه مسلم، وذلك سداً لباب الفتن والمصائب على الأمة(٢).

ولهذا حرم الله معصية ولي الأمر إذا لم يأمر بمعصية، لما في ذلك من المفاسد، وحرم الخروج على إمام المسلمين وتفريق الكلمة وأمر بردع من سعى في ذلك، قال رسول الله ﷺ: ((من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر))(٣)، وقال ﷺ: ((من أتاكم وأمْرُكم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه))(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، رقم ٤٧٨٢.

(٢) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ، ص ١٩.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، رقم ٤٢٤٨، ص٥٩٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود، ٣/٨.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم ٤٧٩٨.

.٤٧٩٨

المطلب الثالث: معززات الأمن الفكري:

من خلال الاستقراء وتتبع النصوص يتبين أن تعزيز الأمن الفكري يكون بتعزيز عناصره التالية:

أولاً: تعزيز الاعتصام بحبل الله تعالى ولزوم جماعة المسلمين والتأصيل على الحق بضبط مصدر التلقي وضبط منهج الفهم:

إن الرؤية الإسلامية تربط أحكام الحياة كلها بالله مصدراً وغايةً، ولذلك فإن الله يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١)، فالفكر إنما ينضبط بارتباط العبد بالله، ولقد شهدت النصوص الشرعية والوقائع التاريخية أن بين اعتصام الأمة بحبل الله واجتماعها علاقة وثيقة، كما أن بين بعدها عن الله وتفرقها تلازم وترابط(٢).

وإن التأصيل وضبط مصادر المعرفة والتلقي أساس للأمن الفكري، فإن الاعتقاد وصحته، والعمل وسلامته، كل ذلك منوط بسلامة المصدر الذي أخذ منه الاعتقاد أو العمل، ولذلك فقد دلت النصوص على أهمية المصدر الذي يصدر عنه القول أو الاعتقاد أو العمل.

كما أن صحة الفهم أساس لسلامة الاعتقاد، فالضالون إنما ضلوا لفساد فهمهم، فما انحراف الخوارج على سبيل المثال إلا بسبب جهلهم بالقرآن وعدم فقههم له(٣).

ولأن صحة الفهم منوطة بوجود العلماء؛ فمن الواجب ربط العامة بالعلماء، فإن يُقبض العلماء يهلكوا، فمن الواجب السعي إليهم، والأخذ عنهم، فهم ورثة

---

(١) سورة:آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) بناء المفاهيم ودراستها في ضوء في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً"، أ. د.عبد الرحمن معلا اللويحق ، ص ٢٠ – ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣ – ٢٥.

الأنبياء، فمن أراد أن ينال شيئاً من إرث النبوة فعليه بمجالسة العلماء، والأخذ عنهم، والآخذ عن العلماء السالك في طريق العلم يسهل الله له طريقاً إلى الجنة(١).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة. .."(٢).، فالوسطية مطلوبة في التفكير، وفي الحكم على الأشياء، وفي منهج التفكير بالنظر في البدايات والمآلات، كذلك نطلب نظر الوسطية في التفريق ما بين الواقع والتنظير. فالواجب علينا أن نكون مؤثرين بالمنهج الوسطي، وأن نعمل في التأثير وفق المتاح، وأن لا نكون متفاعلين مع الأمور بطريقٍ غلط، كأن نكون محمِّسين بطريقة خاطئة(٣).

ثانياً: التحصين عن الباطل بالتحذير من الفرق الضالة ومن أعمال أهل الضلال ومن الابتداع في الدين.

ومنه التحذير من رأس الفرق الضالة كالخوارج، فعن سويد بن غفله قال: قال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلأن أخرّ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة))(٤)

---

(١) العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف، أ. د. عبد الرحمن معلا اللويحق، ٢٠١٥م ، ص ٢١ ، تم الاسترجاع في ٣يونيو ٢٠١٧م من: http://www.alukah.net/library/0/94109/

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم ٦٨٥٣.

(٣) الوسطية والاعتدال، د. صالح عبد العزيز آل الشيخ، ط/٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٢٧هـ، ص ٥٠- ٦٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٦١١.

والتحذير من أعمال أهل الضلال؛ ومنها الغلو وهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾(١)

وكذلك التحذير من الإحداث والابتداع في الدين، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((... فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"(٢). فأبان ﷺ أن البدعة ضلالة، لأنها إحداث في دين الله ما لم يشرعه الله ورسوله(٣).

وكذلك التحذير من التطرف المقابل بالاستخفاف بشعائر الدين ونشر المنكرات والتطاول على الثوابت فهي سبب لحلول العقوبات، فقد روت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: ((لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)) وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: ((نعم، إذا كثر الخبث))(٤).

ثالثاً: إبراز منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين على أساس من التعارف والتعاون والبر والتسامح والبراءة من الدين الباطل والحوار والدعوة للإسلام وتلقّي الحكمة والاستفادة من الحق الموجود عند الآخر:

القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ مليئة بالنصوص الشريفة التي تدل على

(١) سورة طه، الآية: ٨١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم ٢٠٠٥.

(٣) بناء المفاهيم ودراستها في ضوء المنهج العلمي، أ. د. عبدالرحمن اللويحق، ص ٢٦- ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: يأجوج ومأجوج، رقم ٧١٣٥.

ذلك، من ذلك: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾(١). ويقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾(٢).

وفي قصة حلف الفضول "حيث وقع هذا الحلف في ذي القعدة في شهر حرام، تداعت إليه قبائل من قريش، واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ، وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت" (٣).

ويقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾(٤). وغير ذلك من النصوص التي تبين منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين -وليس هذا مجال حصرها-.

مع التأكيد على فهم المدلول الشرعي لسماحة الإسلام لأن عدم فهمها يؤدي إلى الوقوع في المحظور، فتظهر طائفتان إحداهما تتساهل في المعاملة مع المخالفين في كل شيء، والأخرى تتشدد في المعاملة معهم، ومنهج الإسلام وسط في ذلك (٥).

---

(١) سورة:الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سورة:المائدة، الآية: ٢.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: أ.د. عمر عبد السلام تدمري، ط/٤، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٣هـ، ١/١٥٤- ١٥٥، وإسناده صحيح مرسل ويشهد له حديث الحميدي فيتقوى.

(٤) سورة: الممتحنة، الآية: ٨.

(٥) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبد الله اللحيدان، ط/١، دار الحضارة للنشر: ١٤٢٥هـ، ص٤٤.

رابعاً: غرس الوطنية وطاعة ولي الأمر في نفوس الشباب:

مفهوم الوطنية كما يعرفه أ.د. زيد الزيد: قيام الفرد بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام(١).

إن هذا الوطن شرف لصاحبه، ومصدر فخر واعتزاز لمن يدرك خصائصه؛ فالحكم بشرع الله والخير مع كل سائر والأمن رفيق كل مسافر، هذا غير تتابع النعم والاستفادة منها في توسعة الحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن وتيسير أداء الشعائر وإغاثة محتاجي المسلمين في كل مكان، فإذا كان حب الوطن مشروعاً؛ فحب هذا الوطن أكثر مشروعية، وأولى بالأفضلية، فحق على كل مواطن فُضِّل بهذه النعمة أن يحب هذا الوطن وأن يتقرب إلى الله بهذا الحب، وأن يتعبد الله بمساندة ولاته، والتكاتف مع أهله ومواطنيه لصلاح المجتمع وفلاحه في دينه ودنياه (٢).

ويشير كثير من الباحثين إلى أن قضية الأمن الوطني الكبرى تتمثل في المحافظة على الوحدة الوطنية للدولة، ولذلك جعلوا هذه الوحدة والاجتماع من معززات الأمن الفكري، وكذلك تنمية قيم الانتماء من خلال إبراز خصائص المملكة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية (٣).

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "وهذه الدولة السعودية دولة مباركة نصر الله بها الحق، ونصر بها الدين، وجمع بها الكلمة، وقضى بها على أسباب الفساد، وأمَّن الله بها البلاد، وحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله، وليست

---

(١) حب الوطن من منظور شرعي، أ.د. زيد عبد الكريم الزيد، ط/ مؤسسة الجميح الخيرية، الرياض: ١٤٣٧هـ، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٣) جهود الشيخ عبد العزيز بن باز في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الله بن دجين السهلي، ط/ مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، الرياض: ١٤٣٢هـ، ص ٧٤ – ٨١.

معصومة، وليست كاملة، كلٌّ فيه نقص فالواجب التعاون معها على إكمال النقص، وعلى إزالة النقص، وعلى سد الخلل، بالتناصح والتواصي بالحق والمكاتبة الصالحة، والزيارة الصالحة "(١).

كما أن طاعة ولي الأمر مطلب شرعي - كما سبق توضيحه في الأسس التي يقوم عليها الأمن الفكري- بنصوص الكتاب والسنة، وهي نتاج ارتباط شبابنا وفتياتنا بمصادر التشريع مباشرة وسلامة منهج التلقي.

وتخلص الباحثة الحالية من هذا المبحث النظري وتحليله ورؤيته التكاملية إلى الإجابة على السؤالين الأول والثاني كما يلي:

بالنسبة للسؤال الأول: ما الأسس التي يقوم عليها الأمن الفكري في كل بلد إسلامي ؟

فجاءت الإجابة عليه كما أوضحت الباحثة بالتحليل النظري في المطلب الثاني كما يلي:

أ- تطبيق الشريعة الإسلامية و إصلاح العقيدة، بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة ما سواه، والبراءة من الشرك وأهله وملازمة العمل الصالح.

ب- إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٢).

---

(١) بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة، د. محمد الشويعر، ٩/٩٨.

(٢) سورة: الحج، الآيات: ٤٠- ٤١.

ج- اجتماع الكلمة والحذر من التفرق وطاعة ولاة الأمور بالمعروف وعدم الخروج عليهم، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(١).

بالنسبة للسؤال الثاني: ما هي معززات الأمن الفكري ؟

فجاءت الإجابة عليه كما أوضحت الباحثة بالتحليل النظري في المطلب الثالث كما يلي:

تحددت معززات الأمن الفكري محور الدراسة الحالية في أربعة معززات هي:

أ- التأكيد على رسوخ العقيدة الإسلامية الصحيحة النقية لدى الطالبات.

ب- وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة.

ج- وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة.

د- الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة.

ونظرا لأهمية معززات الأمن الفكري السابقة ودورها في تحقيق مجتمع آمن مطمئن، أرادت الباحثة أن تقف على مدى توافر هذه المعززات لدى طالبات جامعة شقراء، وذلك عن طريق القيام بدراسة ميدانية على طالبات كلّيّات محافظة شقراء التابعة لجامعة شقراء. وهذا ما سيتم تناوله في الجزء التطبيقي - بإذن الله تعالى - واستعراض أهم الدراسات السابقة التي أجريت فيه للاستفادة منها في الدراسة الحالية كما يلي:

الدراسات السابقة:

دراسة (السليمان، ٢٠٠٦م) بعنوان: دور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري - دراسة ميدانية على مدارس التعليم العام بمدينة الرياض- وهدفت الدراسة إلى التعرف على دور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري من خلال: تفعيل دور الأسرة، وتوظيف المعلم، وتوجيه الأنشطة المدرسية، وتنفيذ الأساليب التربوية،

(١) سورة: آل عمران، الآية: ١٠٣.

والعلاقة بالمجتمع المحلي، والوقوف على أهم المعوقات التي تقلل من دور الأسرة، والتعرف على أسباب مشكلة الانحراف الفكري. وحاولت الدراسة الإجابة على الأسئلة:

س١: ما دور الإدارة المدرسية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب ؟

س٢: ما المعوقات التي تقلل من إسهام إدارة المدرسة في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب ؟

س٣: ما أسباب مشكلة الانحراف الفكري لدى الطلاب ؟

س٤: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات أفراد الدراسة حول متغيرات الدراسة حسب المرحلة الدراسية ؟

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وطبق الدراسة على عينة بلغ عددها (٣٦٨) من مديري المدارس بمدينة الرياض في المراحل التعليمية الثلاثة، وتوصل الى أهم النتائج التالية:

١-نسبة (٥٢.٢ %) من أفراد العينة من مديري المدارس يرون أن الحاجة كبيرة إلى تعزيز الأمن الفكري في المدارس.

٢-نسبة (٨٢.٦%) من أفراد العينة من مديري المدارس لديهم المام بالأساليب والإجراءات المتبعة لتعزيز الأمن الفكري بدرجات تتراوح بين متوسطة وكبيرة جدا.

٣-نسبة (٤٩.٠%) من أفراد العينة من مديري المدارس يطبقون الإجراءات المتبعة لتعزيز الأمن الفكري بدرجات تتراوح بين دائما وكثيرا.

٤-نسبة (٢١.٥%) من أفراد العينة من مديري المدارس تلقوا تدريبا حول مهارات وإجراءات تعزيز الأمن الفكري داخل المدارس.

وأوصى الباحث بمجموعة من التوصيات من أهمها ما يلي:

١-ضرورة سد النقص في أعداد المرشدين الطلابين بالمدارس حيث أظهرت الدراسة أن نسبة (١٨%) من مدارس العينة لم يتوافر فيها مرشدين طلابين.

٢-ضرورة إدراج مادة بمسمى الأمن الفكري في كليات التربية وكليات المعلمين التابعة لوزارة التعليم.

٣-التأكيد على تدريب المعلمين في مجال الأمن الفكري وذلك أثناء الخدمة أو حضور حلقات أو ندوات في تعزيز الأمن الفكري.

٤-التأكيد على تفعيل دور مؤسسات المجتمع المحلي في تعزيز الأمن الفكري.

دراسة (نور، ١٤٢٨هـ) بعنوان: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، وهدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الأمن الفكري، وبيان أهميته وخصائصه والوقوف على مخاطر فقدانه، ومحاولة إبراز دور التربية الإسلامية والمؤسسات التربوية في تعزيزه. واعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي و ذلك أثناء جمع المعلومات حول موضوع الدراسة، ومحاولة تحليل النصوص واستنباط التطبيقات التي تسهم في تعزيز الأمن الفكري. وخلصت الباحثة الى النتائج التالية:

١-أن الأمن بجميع أنواعه والأمن الفكري خاصة من المطالب الأساسية التي جاء الإسلام لتحقيقها.

٢-أن الأمن الفكري يعتبر بمثابة الرأس بالنسبة للجسد، مع باقي أنواع الأمن إذ بتحقيقه وتعزيزه تسلم باقي أنواع الأمن، وباختلاله يختل.

٣-أن السنة النبوية الشريفة جاءت فيها إشارات إلى اختلاف الأمن الفكري في المجتمعات في آخر الزمان.

٤-أن لكل المؤسسات التربوية الدورالهام الذي ينبغي أن تؤديه في تعزيز الأمن الفكري.

وتعتبر الدراسة الحالية استجابة لهذه النتيجة.

دراسة (الإمام والجوالدة، ١٤٣٠هـ) بعنوان: المناخ الأسري وعلاقته بالأمن الفكري لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصرية، وهدفت الدراسة إلى الإجابة على السؤال الرئيسي التالي:ماهي علاقة المناخ الأسريَ بتحقيق الأمن الفكري لدى

المراهقين ذوي الإعاقة البصرية، وذلك عن طريق إجراء الدراسة على عينة بلغ عددها (٨) طلاب من ذوي الإعاقة البصرية بمتوسط عمر (١٦.٦٥) وانحراف معياري(٢.١٢) وتوصلت الدراسة الى أهم النتائج التالية:

١- وجود اتساق بين الأبعاد والدرجة الكلية للمقياسين المناخ الأسري، والأمن الفكري.

٢- يؤثر المناخ الأسري تاثيرا ايجابيا على الأمن الفكري.

وقدمت الدراسة أهم التوصيات التالية:

١-توفير الحرية في إطار القيم الأخلاقية للأبناء للتعبير عن آرائهم.

٢-العمل على تزويد المجال التطبيقي للدراسات بطبيعة الأمن الفكري ومدى تيسيره للعملية التعليمية والتفاعل الاجتماعي.

٣-الدعوة لإجراء المزيد من الدراسات وتناولها لمتغيرات الدراسة الحالية على عينات مختلفة من الطلاب

دراسة (**الخرجي، ٢٠١٠ م**)، وتناولت الدراسة السؤال الرئيسي التالي: ما فاعلية المرشد الطلابي في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية ؟ واستخدم الباحث أداة لجمع المعلومات طبقت على عينة الدراسة من مدراء المدارس والمرشدين الطلابيين، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتوصل إلى أهم النتائج التالية:

١-أن المرشدين الطلابيين ومدراء المدارس موافقون بشدة على فاعلية المرشد الطلابي في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمتوسط (٤.٥٣- ٤.٢٢) على التوالي.

٢-أن المرشدين الطلابيين موافقون على الصعوبات التي تحد من فاعلية المرشد الطلابي في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمتوسط (٣.٦٩).

٣-أن المرشدين الطلابيين موافقون بشدة على الوسائل والأساليب التي يمكن أن تساعد المرشد الطلابي في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمتوسط (٤.٤٢).

وأوصت الدراسة بما يلي:

١-ضرورة نشر ثقافة ومضامين الأمن الفكري في المجتمع المدرسي.

٢-الاقتصارعند الترشيح للإرشاد المدرسي على المرشدين المتخصصين في الإرشاد فقط.

٣-الابتعاد عن تكليف المرشدين الطلابيين بأعمال ومهام ليست من اختصاصهم.

دراسة (**البراشي، ١٤٣٢هـ**) حيث طرح الباحث السؤال الرئيس التالي: ما دور الأمن الفكري في الوقاية من الإرهاب بالجمهورية اليمنية؟ وقد شرع في البحث عن الجواب عبر مجتمع الدراسة المكون من الضباط العاملين في الإدارة العامة لمكافحة الإرهاب بوزارة الداخلية وإدارة مكافحة الإرهاب بجهاز الأمن السياسي بالجمهورية اليمنية بصنعاء، وعددهم (١١٥) ضابطاً، ونظراً لمحدودية مجتمع الدراسة فقد اعتمد الباحث علي أسلوب المسح الشامل لأفراد الدراسة واعتبارها عينة عشوائية كبيرة وكغيره من الباحثين، فقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي مستخدماً الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات وتوصل إلى أهم النتائج التالية:

١-وجود أسباب متنوعة ومتداخلة للانحراف الفكري بحيث لا يمكن لسبب واحد حدوث الانحراف الفكري دون تكامله مع أسباب أخرى(دينية، سياسية، اقتصادية، تربوية، ثقافية، اجتماعية، شخصية).

٢- وجود علاقة قوية وواضحة بين الانحراف الفكري والإرهاب، فكلما زاد الانحراف بين أفراد المجتمع زادت العمليات الإرهابية أي أن الفكر المنحرف في أي مجتمع هو البيئة الخصبة لانتشار الإرهاب.

٣- تعد مؤسسات التنشئة الاجتماعية ممثلة بـ (الأسرة، المدرسة، المسجد) من أبرز المؤثرات المهمة في تعزيز الأمن الفكري للوقاية من الانحراف والإرهاب.

ومن أهـــم التوصيـــات:

١-إجراء دراسات ميدانية تهتم بالبحث عن الأسباب والعوامل التي تجعل بعـــض الشباب يتقبلون الفكر المنحرف بسهولة، وتكشف عن الدوافع والمـــؤثرات الحقيقيـــة وراء تدني قيم الانتماء والمواطنة لدى بعض شرائح المجتمع.

٢-الحرص على تطوير أنظمة التعليم ونشر الثقافة الأمنية في المجتمع.

٣-تعزيز قدرة الأجهزة الأمنية في مجال تحقيق الأمن الفكري.

٤-إعادة النظر في صياغة الرسالة الإعلامية وإصلاح الخطاب الـــديني المتشـــدد المخالف للكتاب والسنة ليكونا أكثر فاعلية وجدية في معالجـــة أســـباب الانحـــراف الفكري لدى أبناء المجتمع.

٥-إجراء المزيد من الإصلاحات السياسية والاقتصادية بما يكفل تلبيه تطلعـــات المواطنين ويضمن تحقيق المستوى المنشود من الاستقرار السياسي والتنمية.

دراسة (شلدان، ٢٠١٣م) بعنوان: دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله، وهدفت الدراسة إلى التعرف على هذا الدور وسبل تفعيله ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيـــث قام بإعداد استبانة اشتملت على ٤٢ فقرة موزعة على ثلاثة مجالات هي: ١- عضـــو هيئة التدريس، ٢- المناهج الدراسية، ٣- الأنشطة الطلابية. واشتملت عينة الدراســـة على (٣٩٥) طالبا وطالبة، في العام الدراسي ٢٠١١-٢٠١٢ م، وأظهرت النتائج مـــا يلي:

١-بلغت تقديرات الطلبة حول دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها (٧٢.٢٣).

٢-وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات العينة تعـــزى إلى متغير الجنس (ذكر- أنثى) في المجالين الأول والثاني لصالح الذكور.

٣-وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات العينة تعـــزى إلى

متغير الجامعة (الإسلامية - الأقصى) في جميع المجالات والدرجة الكلية لصالح الجامعة الإسلامية.

٤-عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات العينة تعزى إلى متغير المستوى الدراسي (الفرقة الثانية - الفرقة الرابعة).

٥-وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات العينة تعزى إلى متغير المعدل التراكمي (مقبول - جيد- جيد جدا - امتياز) في جميع المجالات والدرجة الكلية لصالح الامتياز.

وأوصت الدراسة بما يلي:

١-ضرورة تفعيل دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية لتعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها لتحصين الشباب من الفكر الضال.

٢-تمكين أعضاء هيئة التدريس من القيام بدورهم في توجيه الشباب نحو الأفكار السليمة والآمنة.

٣-تمكين الطالبات من التفاعل مع قضاياهن الفكرية والاجتماعية، وتشجيعهن على المشاركة في الأنشطة الطلابية لتعزيز الأمن الفكري لديهن.

دراسة (محمد،٢٠١٦م) بعنوان: تعزيز الأمن الفكري بين الواجب والضرورة، وتناولت الدراسة برامج التحصين العقدي وتعزيز الأمن الفكري من خلال ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: التحصين العقدي؛ مفهومه وكيفيته.

المبحث الثاني: الأمن الفكري؛ مفهومه، ضرورته ومجالاته.

المبحث الثالث: تعزيز الأمن الفكري بين الواجب والضرورة.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

١- تأصيل العقيدة في النفوس وتربية النشء عليها من أسباب تحصينهم من الشرور والفساد، وحماية أفكارهم من المذاهب الهدّامة، والآراء الضالّة، والمناهج البعيدة عن الهدى.

٢- التحصين العقدي يُقصدُ به: البناء العقدي المتين من خلال الفهم الناضج لمنهاج الله كتاباً وسنَّةً، ووقاية الفكر والعقل عن كلِّ ما يخلُّ بهما من الآراء الفاسدة، المخالفة لمنهج أهل السنَّة والجماعة في التلقي والاستدلال.

٣- الأمن الفكري هو أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكوِّنات أصالتهم، وثقافتهم النوعية، ومنظومتهم الفكرية.

٤- للمؤسسات الحكومية المختلفة دور كبير في توفير مبدأ التحصين العقدي وتعزيز الأمن الفكري.

٥- اختلال المفاهيم الصحيحة للإسلام، يسهم بصورة كبيرة في جميع المشاكل والاضطرابات المتعلقة بالأمن العام الناتج عن خلل في فهم حقائق الإسلام ومراميه.

وتوصلت الدراسة لمجموعة توصيات من أهمها ما يلي:

١- التوسُّع في دراسة نظرية الأمن الفكري في الإسلام وربطه بمسألة التحصين العقدي، والعمل على إيجاد وصف منهجي دقيق لمفهوم شامل للأمن الفكري يحد من سوء الفهم.

٢- أن تتبنَّى المؤسسات الحكومية ذات الصلة (وزارات الإرشاد والأوقاف، مجامع الفقه الإسلامي، وزارات التربية والتعليم،...) مشروعاً لبناء المفاهيم في ضوء الإسلام، بحسبان أنَّ ضبط المفاهيم والمصطلحات وتحديدها طريق لتحقيق الأمن الفكري.

٣- تشجيع ودعم البحوث والدِّراسات في مجال الأمن الفكري، وترسيخ مقوِّماتها، على أن يتم ذلك في ضوء معايير وضوابط تأخذ في الاعتبار:

أ-التأكيد على البحث عن العوامل الجوهرية المعززة والمهددة للأمن الفكري بمراعاة العوامل الثقافية والاجتماعية والإعلامية والاقتصادية والسياسية.

ب- تحديد مقوِّمات ومتطلبات الفكر الآمن وعوامل ترسيخه ونشره بين شرائح المجتمع.

ج- التعرُّف على مصادر ومناهج الفكر المنحرف: أسباب الانتشار والانجذاب،

والعزوف والانحسار، المحاذير والمخاطر، سبل الحد من جاذبيته، التحصين والحصانة للإيجابي والسلبي من الأفكار.

د- البحث في توفير مداخل نظرية لفهم ظاهرة الغلو والتكفير والتطرُّف بمفهومها الشامل، والإرهاب كانحرافات فكرية يتم مراعاتها كركائز أساسية لصياغة إستراتيجية.

٤- تشجيع ودعم تنفيذ دراسات تطبيقية لاستكشاف كافة المجالات المحتملة لسد كل الذرائع المفضية للتورط في الانحراف على مستوى الفكر أو السلوك.

٥- وأخيراً التأكيد على دور وأهمية الأمن الفكري ضمن منظومة الأمن الشامل للحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع وتنمية الوطن.

وتخلص الباحثة الحالية من العرض السابق للإطار النظري والدراسات السابقة حول الأمن الفكري وسبل تعزيزه بين أبناء المجتمع إلى ما يلي:

١-تنوعت وتباينت التخصصات العلمية التي تناولت تعزيز الأمن الفكري وأن هذا المجال ليس قاصرا على تخصص علمي مثل: تخصص الدراسات الاسلامية متمثلة في دراسات نور ١٤٢٨هـ، و شلدان ٢٠١٣م، والفاتح ٢٠١٦ م، والسمان ٢٠١٧م، والعلوم الإدارية متمثلة في دراسة السليمان ٢٠٠٦م، والعلوم الشرطية في دراسة البراشي ١٤٣٢هـ، والتربية الخاصة في دراسة الإمام والجوالدة ١٤٣٠هـ، والعلوم الاجتماعية في دراسة الخرجي ٢٠١٠م، مما يدل على تنوع الرؤى النظرية لتعزيز الأمن الفكري واهتمام الباحثين به في كافة التخصصات، الأمر الذي يستلزم بالضرورة تناول المتغير برؤية نظرية تكاملية دينامية حيث يؤثر ويتأثر بعدد كبير من المتغيرات الدينية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاقتصادية والبيئية وغيرها، وتعد الرؤية الدينية الشرعية من أشمل الرؤى عند تناولها للظواهر الحياتيه حيث جاء الإسلام صالح لكل زمان ومكان لذلك تناولت الدراسة الحالية معززات الأمن الفكري من الناحية الدينية.

٢-تباينت العينات المستخدمة في الدراسات السابقة بين المرشدين الطلابيين ومديري المدارس بمراحلها المختلفة كما في دراسات السليمان ٢٠٠٦م والخرجي

٢٠١٠م، وضباط الشرطة كما في دراسة البراشي ١٤٣٢هـ، وطلاب وطالبات الجامعة كما في دراسة شلدان ٢٠١٣ م، والطلاب ذوي الإعاقة البصرية كما في دراسة الإمام والجوالدة ١٤٣٠هـ، وقد طبقت الباحثة الدراسة الميدانية على عينة ممثلة لطالبات كليات جامعة شقراء بمحافظة شقراء.

٣-تنوعت أدوات قياس معززات الأمن الفكري حسب طبيعة الدراسات والأهداف البحثية وتخصصات الباحثين وجاءت الأدوات إما استبانات لقياس المعززات كما في دراسة السليمان ٢٠٠٦م، وشلدان ٢٠١٣م أو مقاييس كما في دراسة الجوالدة ١٤٣٠ هـ، لجأ الباحثين الى بناء الأدوات البحثية بأنفسهم حسب طبيعة كل بحث، وقد قامت الباحثة الحالية ببناء استبانة تتناسب مع الأهداف البحثية للدراسة الحالية.

٤-اتفقت معظم الدراسات السابقة في المنهج العلمي المستخدم في البحث حيث استخدمت أغلب الدراسات المنهج الوصفي التحليلي كما في دراسات السليمان ٢٠٠٦م، والخرجي ٢٠١٠م، والبراشي ١٤٣٢هـ، ونور ١٤٢٨هـ، مما يدل على ملاءمة هذا المنهج لطبيعة دراسة معززات الأمن الفكري، وسوف تستخدم الباحثة نفس المنهج في الدراسة الحالية.

٥-اتفاق نتائج الدراسات السابقة على دور المؤسسات التربوية المهم الذي ينبغي أن تؤدية في تعزيز الأمن الفكري مثل دراسات السليمان ٢٠٠٦م، ونور ١٤٢٨هـ، والخرجي ٢٠١٠م، و شلدان ٢٠١٣م، والفاتح ٢٠١٦م، والتوصيات بضرورة إجراء المزيد من الدراسات الميدانية والتطبيقية حول معززات الأمن الفكري داخل المؤسسات التربوية مثل الإمام والجوالدة ١٤٣٠هـ، وشلدان ٢٠١٣م.

وتعتبر الدراسة الحالية خطوة لمشاركة المؤسسات التربوية في تعزيز الأمن الفكري واستجابة لدعوات الباحثين بإجراء المزيد من الدراسات ؛ ولذلك حاولت الباحثة الحالية الوقوف على مقومات الأمن الفكري وأهم معززاته ورصد الواقع في ضوء عينة الدراسة الحالية.

المبحث الثاني

الجانب التطبيقي (الدراسة الميدانية)

المطلب الأول: إجراءات دراسة مدى توافر معززات الأمن الفكري لدى طالبات جامعة شقراء:

- منهج الدراسة وإجراءاتها:

منهج الدراسة: استخدمت المنهج الوصفي وذلك للتعرف على أكثر معززات الأمن الفكري انتشاراً بين الطالبات بجامعة شقراء وذلك كما يلي:

إجراءات الدرسة:

أولاً: التجربة الاستطلاعية

- عينة التجربة الاستطلاعية: تكونت من (١٠٠) طالبة من جامعة شقراء بمحافظة شقراء. وتم تطبيق أداة الدراسة في صورتها الأولية ونعرضها فيما يلي.

- أداة الدراسة: استبانة توافر معززات الأمن الفكري بين طالبات جامعة شقراء بالمملكة العربية السعودية:

قامت الباحثة بالبحث في الدراسات السابقة للاطلاع على أدوات قياس الأمن الفكري المنتشرة في الأبحاث والدراسات ووجدت الباحثة عدة أدوات متنوعة ومتباينة تضمنتها الدراسات السابقة تقيس الأمن الفكري وفقا لطبيعة كل دراسة وأهدافها البحثية ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- استبانة قياس الوعي بمعززات الأاامن الفكري لدى مديري المدارس في مراحل التعليم الثلاثة من إعداد إبراهيم بن سليمان السليمان ٢٠٠٦، جاءت الاستبانة ضمن دراسة الماجستير للباحث وتضمنت عدة أبعاد هي:

أ- الإلمام بالأساليب والإجراءات المتبعة لتعزيز الأمن الفكري.

ب- تفعيل الأنشطة المدرسية في تعزيز الأمن الفكري.

ج- تفعيل دور المعلمين وإشراكهم في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.

د- الأساليب التربوية المقترحة لتعزيز الأمن الفكري.

ه- الأسباب والبواعث التي تقف خلف مشكلة الانحراف الفكري.

و- أهم العوامل التي تقلل من دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري.

وقد تم قياس الأبعاد بأسئلة وفقا لمقياس تقدير خماسي تراوح بين (دائما، وغالبا، وأحيانا، ونادرا، وأبدا).

٢-استبانة فايز شلدان لقياس ٢٠١٣، للتعرف على دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله.

واشتملت الاستبانة على ٤٢ فقرة موزعة على ثلاثة مجالات هي:

أ- عضو هيئة التدريس.

ب- المناهج الدراسية.

ج- الأنشطة الطلابية.

٣-مقياس الأمن الفكري إعداد محمد صالح الإمام، و فؤاد عيد الجوالدة ١٤٣٠هـ، وتكون المقياس من (٧١ مفردة) قسمت على ثلاثة أبعاد كما يلي:

- البعد الأول (٢٤ مفردة) تقيس معززات الأمن الفكري.

- البعد الثاني (٢٧ مفردة) تقيس معوقات الأمن الفكري.

- البعد الثالث (٢٠ مفردة) تقيس مهددات الأمن الفكري.

وبعد اطلاع الباحثة على الأدوات السابقة، لاحظت تنوعها وتباينها نظرا لتباين كل من:

١-الأهداف البحثية من الدراسات.

٢-العينات وتباين البلدان المطبق عليها الأدوات.

٣-الأسئلة البحثية.

٤-المنهج المستخدم في الدراسات.

لذلك قامت الباحثة ببناء أداة الدراسة الحالية وهي **(استبانة لقياس مدى انتشار معززات الأمن الفكري بين طالبات الجامعة)** في ضوء الأهداف والأسئلة البحثية وأبعاد تعزيز الأمن الفكري المطلوب قياسها في الدراسة الحالية، وستعرضها كما يلي:

وصف الاستبانة: الصورة الأولية للاستبانة تكونت من (٢٨) مفردة تقيس أربعة أبعاد وفقاً للإطار النظري للبحث وهي:

البعد الأول: مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات وينقسم الى قسمين:

أ- كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية، المفردات (من ١- ٦).

ب- كما يتضح في نفوس طالبات الجامعة، المفردات (من ٢٢- ٢٨).

البعد الثاني: وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة، المفردات (من ٧-١١).

البعد الثالث: مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، المفردات (من ١٢-١٧).

البعد الرابع: مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى الطالبات (من ١٧-٢١).

ثم بعد إجراء التجربة الاستطلاعية تم حذف القسم الثاني من البعد الأول وهي المفردات من (٢٢- ٢٨).

لتصبح الاستبانة في صورتها النهائية (٢١ مفردة) (كما سيتم الشرح لاحقا مع نتائج التحقق من الصدق).

بدائل الإجابة:

يوجد أربعة بدائل للإجابة في كل الاستبانة وهي (دائما، غالبا، أحيانا، نادرا)، وتتراوح درجات الإجابة عليهن من (٤-١) على الترتيب، وعليه يتراوح المدى الكلي

للدرجات من (٢١-٨٤)، فيما عدا القسم الثاني للبعد الأول المفـردات (مـن ٢٢-٢٨) جاء في شكل أسئلة البديلين وهي (نعم أو لا) نظرا لطبيعة المتغير - رسوخ العقيدة في نفوس الطالبات - الذي يقيسه القسم وأنه لا يوجد فيه تدرج ولا تردد فإما رسوخ العقيدة أم عدم رسوخها، وتأخذ الطالبة درجة على الإجابة (نعم)، وصفر على الإجابة (لا) وعليه تراوح المدى الكلي للدرجات في هذ القسم من (صفر - ٧) درجات.

التحقق من صدق وثبات الاستبانة:

لحساب الصدق والثبات والتأكد من مدى ملائمة الاستبانة للاستخدام في البحث الحالي والتطبيق على طالبات الجامعة فقد أجريت تجربة استطلاعية للاستبانة وذلك بتطبيقها على (١٠٠) طالبة من طالبات جامعة شقراء بمحافظة شقراء، وذلك لمعرفة ما يلي:

١. تحديد ملاءمة المفردات للعينة.
٢. تحديد معاملات الصعوبة والسهولة للمفردات.
٣. تحديد زمن التطبيق المناسب للعينة الأصلية.
٤. تحديد الملاءمة اللغوية للمفردات.
٥. حساب الصدق والثبات للمقياس.
٦. اكتشاف أي عقبات قد تحدث أثناء التطبيق لتفاديها في التطبيق الفعلي.

أولا: حساب الصدق:

استخدمت طريقتين لحساب صدق الاستبانة:

أ- صدق المحكمين:

وذلك بعرض الاستبانة على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم ٥ محكمين (ملحق١)، وحساب نسبة اتفاق المحكمين على ملاءمة محتوى الاستبانة للطالبات

بجامعة شقراء بالمعادلة التالية:

نسبة الاتفاق بين المحكمين = (عدد المحكمين الذين اتفقوا على الاستبانة ÷ العدد الكلّي للمحكّمين) × ١٠٠ =(٥ ÷ ٥)× ١٠٠ = ١٠٠%

مما يدل على وجود درجة عالية من الاتفاق بين المحكمين على صلاحية تطبيق الاستبانة على طالبات جامعة شقراء في صورتها الحالية، بعد إجراء بعض التعديلات، حيث رأى بعض المحكمين صلاحية التطبيق بعد إجراء بعض التعديلات التوضيحية على بعض العبارات مثل :

- المفردة (٣) في البعد الأول: استبدال كلمة (الالتفاف) بـ (التجميع).
- المفردة (١١) في البعد الثاني: استبدال عبارة (القاعدة وداعش منظمات إرهابية خارجية بعيدة عن الإسلام) بـ (بعض الجماعات ذات المظهر الدعوي لها أغراض خارجية خاصة ولابد من التأكد من إرجاع معلوماتهم وتفسيراتهم إلى الكتاب والسنة).
- المفردة (١٥) البعد الثالث: استبدال عبارة (أستفيد من العادات الحسنة عند غير المسلمين) بـ (أستفيد من الحق الموجود عند غير المسلمين)
- تغيير عنوان البعد الأول في الاستبانة من (توافر تعزيز الاعتصام بحبل الله تعالى ولزوم جماعة المسلمين في الجامعة) إلى (مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية في نفوس طالبات الجامعة).

وقد قامت الباحثة بهذه التعديلات بما يتلاءم وطبيعة البحث وعينة البحث، ويمكن أن يرجع اتفاق جميع المحكمين على صلاحية استخدام الاستبانة في البحث الحالي، إلى الأسباب التالية:

- شمولية الاستبانة لمعززات الأمن الفكري كما عرضتها الأدبيات.
- بناء الاستبانة في ضوء الإطار النظري للبحث.
- الاستفادة من نتائج التجربة الاستطلاعية حيث تم حذف (٦ مفردات) وهي

مفردات القسم الثاني للبعد الأول من (٢٢– ٢٨)، حيث كان في الصورة الأولية قسمين: (ملحق ٢ الصورة الأولية للاستبانة)

القسم الأول: يقيس توافر معززات الأمن الفكري كما يتضح في دور الجامعة، والمقررات الدراسة، وتضمن المفردات (من ١– ٦).

القسم الثاني: يقيس توافر معززات رسوخ العقيدة الصحيحة النقية كما يتضح في نفوس الطالبات بالجامعة وتضمن المفردات (من ٢٢– ٢٨).

ووجدت أنه نظرا لتطبيق الاستبانة على طالبات الجامعة جاءت إجابات جميع الطالبات للقسم الثاني(نعم) حيث تكونت عندهن بالفعل العقيدة السليمة النقية بعناصرها الأساسية نظرا لوصول الطالبات لمرحلة عمرية تتميز بضرورة وضوح ورسوخ العقيدة واكتمال النضج الديني والأخلاقي، ولكونها تُدرَّس في جميع مراحل الدراسة بالمملكة العربية السعودية، لذلك تم حذف هذا القسم من البعد الأول لأنه غير مميز لعينة الدراسة وتندرج أسئلته تحت تصنيف الأسئلة السهلة بالنسبة لعمر العينة والتي تؤدي إلى خفض ثبات الاستبانة(١).

ب– صدق الاتساق الداخلي:

الطريقة الثانية التي استخدمتها لحساب الصدق وهي صدق الاتساق الداخلي عن طريق حساب معامل ارتباط بيرسون بين مفردات كل بعد والدرجة الكلية للبعد، ومعامل الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بعد والدرجة الكلية للاستبانة ككل وجاءت النتائج كما يتضح من الجدولين التاليين:

(١) علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري، فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي، القاهرة: ٢٠٠٨م، ص ٣٩٥.

جدول (١)

قيم معامل ارتباط بيرسون بين درجات المفردات والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه:

م	المفردات	معامل ارتباط بيرسون
البعد الاول	**مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية**	
١	تتبنى الجامعة سياسة واضحة تؤكد على العقيدة السليمة للطالبات.	0.804**
٢	تتوافر في المقررات الدراسية مقررات دينية تدعم أركان عقيدة المسلم الصحيحة.	0.664**
٣	تتوافر أنشطة دينية جذابة داخل الجامعة لالتفاف الطالبات حول الرسوخ على العقيدة الصحيحة.	0.910**
٤	يوجد دور فعال للإرشاد الديني في الجامعة يوجه الطالبات لضرورة الالتزام بالعقيدة الإسلامية	0.837**
٥	تشجعني الأنشطة الدينية بالجامعة بالانضمام إليها والمشاركة في أداء العبادات الإسلامية.	0.826**
٦	تنشر إدارة الكلية اللوحات الإرشادية التي تحث على الالتزام بأداء العبادات الإسلامية من (صلاة وزكاة وصوم وحج).	0.784**
البعد الثاني	**مدى وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة**	
٧	توجد توعية بالجامعة ضد الأفكار والمنظمات الإرهابية.	0.936**
٨	أشتقّ معارفي ومعلوماتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.	0.743**
٩	أتحقق من مصدر المعلومات وأعرضها على الكتاب والسنة قبل تبنّيها.	0.783**

١٠	اتّبع منهج السلف الصالح (وهو ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم والتابعيين ومن تبعهم بإحسان) والتزم طريقتهم في العبادات والمعتقدات.	0.794**
١١	القاعدة وداعش منظمات إرهابية خارجية بعيدة عن الإسلام.	0.777**
البعد الثالث	**مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة**	
١٢	أتعامل مع غير المسلمين على أساس التعارف والتعاون والبر والتسامح.	0.772**
١٣	أبتعد عن كل ما هو باطل ومخالف لتعاليم الدين الإسلامي أثناء احتكاكي بغير المسلمين.	0.608**
١٤	أعتز بديني وأفتخر بإظهار الشعائر الدينية خلال تعاملي مع غير المسلمين.	0.798**
١٥	أستفيد من العادات الحسنة الموجودة عند غير المسلمين.	0.586**
١٦	في اعتقادي أن البر والإحسان والتسامح مع غير المسلمين لا يتعارض مع عقيدة الولاء والبراء.	0.748**
١٧	أعتقد أن غير المسلمين من المدنيين والمعاهدين وأيضاً العسكريين في حال السلم تحرم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم.	0.545**
البعد الرابع	**مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة**	
١٨	أشعر بانتماء قوي لوطني المملكة العربية السعودية	0.643**
١٩	مستعدة أن أقدِّم الغالي والنفيس فداءً لوطني	0.599**
٢٠	أعتقد بوجوب طاعة ولي الأمر (ملك المملكة العربية السعودية) في العسر واليسر في غير معصية الله.	0.629**
٢١	أعتقد بأن الذهاب للقتال في مناطق الصراع معصية لولي الأمر ويأثم فاعله.	0.743**

جدول (٢)

قيم معامل ارتباط بيرسون بين الدرجات الكلية للأبعاد والدرجة الكلية للاستبانة:

م	الابعاد	معامل ارتباط بيرسون
١	مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية	0.609**
٢	وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة	0.812**
٣	مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة.	0.764**
٤	مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة	*0.664**

** معامل الارتباط دال عند مستوى دلالة (٠.٠١).

من الجدولين السابقين يتبين أن الاستبانة يتوافر بها الصدق المقبول علميا حيث جاءت جميع قيم معاملات الارتباط موجبة مرتفعة ودالة إحصائيا عند مستوى (٠.٠١) مما يدل على أن الاستبانة صالحة للتطبيق في الدراسة الحالية، ويتنبأ بارتفاع نسبة ثبات الاستبانة أيضا حيث يرتبط صدق وثبات الاستبانة ببعضهما وبمدى الارتباط بين مفردات الاستبانة(١).

ثانياً: ثبات الاستبانة:

قمتُ بحساب ثبات الاستبانة عن طريق استخدام معامل الفا كرونباخ، وجاءت نتائج ثبات الاستبانة بأبعادها الأربعة كما يتضح من الجدول التالي:

---

(١) علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري، فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي، القاهرة: ٢٠٠٨م، ص ٣٧٧- ٤٢٨.

جدول (٣)

قيم معاملات ثبات الفا كرونباخ للأبعاد الفرعية والاستبانة ككل:

م	الابعاد	معامل الفا كرونباخ
١	مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية	0.862
٢	وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة	0.944
٣	مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة	0.873
٤	مستوى الشعوربالانتماءالوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة	0.868
	الاستبانة ككل	0.885

يتضح من الجدول السابق أن الاستبانة على درجة عالية من الثبات ومقبول علميا للتطبيق على طالبات جامعة شقراء وقياس مدى توافر معززات الأمن الفكري لـــديهن والذي هو هدف الدراسة الحالية.

ثانياً: عينة البحث الأساسية:

يتكون مجتمع هذه الدراسة من (٦٧٤) طالبة من طالبات كليات جامعة شقراء بمحافظة شقراء (التربية، والعلوم والآداب، والحاسب الآلي) وتم اشـــتقاقهم بالطريقـــة العشوائية البسيطة، وتطبيق معادلة (ستيفن ثامبسون) لتحديد حجم العينة لتكون ممثلة للمجتمع الأصلي كما يلي:

خطأ! يتعذر إنشاء كائنات من تحرير رموز الحقول.

حيث n هو حجم العينة،N هو حجم مجتمع البحث، **خطـــأ! يتعـــذر إنشـــاء كائنات من تحرير رموز الحقول.** هي الدرجة المعيارية المقابلة لمستوى الدلالـــة ٠.٩٥ وتساوي ١.٩٦، **خطأ! يتعذر إنشاء كائنات من تحرير رموز الحقول.** هـــي نســـبة

الخطأ وتساوي ٠.٠٠٥، **خطأ! يتعذر إنشاء كائنات من تحرير رموز الحقــول.** هــي نسبة توفر الخاصية والمحايدة وتساوي ٠.٥٠.

و يتضح حجم العينة بعد تطبيق المعادلة كما بالجدول التالي :

جدول (٤)

حساب حجم العينة في ضوء معامل ثقة قدره (٩٥%) ومستوى معنوية قــدره (٥%)

الكليات	حجم الأصل الإحصائي	حجم العينة الفعلية بعد تطبيق المعادلة	نسبة العينة من حجم الأصل الإحصائي	النسبة المئوية للعينات من العينة الكلية
التربية	١٠٨٧	٢٨٤	%٢٦	%٤٢
العلوم والآداب	٩٣٧	٢٧٢	%٢٩	%٤٠
الحاسب الآلي	١٢٠	١١٨	%٧٥	%١٨
المجموع الكلي	٢١٤٤	٦٧٤	%٣١	%١٠٠

وقد تم اشتقاق العينة في إطار الحدود الزمانية والمكانية للدراسة:

الإطار الزماني: الفصل الدراسي الأول من العام ١٤٣٧- ١٤٣٨هـــ.

الإطار المكاني: كليات جامعة شقراء بمحافظة شقراء بالمملكة العربية السعودية.

المطلب الثاني: نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها:

بعد التأكد من صدق وثبات الاستبانة تم تطبيقها على عينة البحث الأساسية، وذلك للإجابة على سؤال الدراسة الثالث - مع العلم أنه تم الإجابة على السؤالين (١، ٢) في المبحث الأول نتائج التحليل النظري للدراسة - وينص السؤال الثالث على:

س ٣: ما مدى انتشار معززات الأمن الفكري بين طالبات جامعة شقراء ؟ وتم تصنيف المعززات إلى أربعة أبعاد:

١-مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية.

٢-وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة.

٣-مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة.

٤-مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة.

وللإجابة على السؤال استخدمت الباحثة الإحصاءات الوصفية وفقا للجداول التالية:

جدول (٥)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والرتب لاستجابات الطالبات على مفردات البعد الأول (مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية) مرتبة وفقاً للمتوسط الحسابي:

رقم العبارة	العبارات	التكرار	بدائل الإجابة في البعد الأول				المتوسط الحسابي	ترتيب العبارة
		النسبة%	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا		
١	تتبنى الجامعة سياسة واضحة تؤكد على العقيدة السليمة للطالبات.	التكرار	٩٩	١٧٠	٣٠٠	١٠٥	2.39	4
		النسبة	14.7%	25.2%	44.5%	15.6%		
٢	تتوافرفي المقررات الدراسية مقررات دينية تدعم أركان عقيدة المسلم الصحيحة	التكرار	130	140	310	94	2.45	2
		النسبة	19.3%	20.8%	46.0%	13.9%		
٣	تتوافر أنشطة دينية جذابة داخل الجامعة لالتفاف الطالبات حول الرسوخ على العقيدة الصحيحة.	التكرار	120	150	290	114	2.41	3
		النسبة	17.8%	22.3%	43.0%	16.9%		
٤	يوجد دور فعال	التكرار	80	180	305	109	2.34	6

رقم	العبارات	التكرار	بدائل الإجابة في البعد الأول				المتوسط	ترتيب
	للإرشاد الديني في الجامعة يوجه الطالبات لضرورة الالتزام بالعقيدة الإسلامية	النسبة	11.9%	26.7%	45.3%	16.2%		
٥	تشجعني الأنشطة الدينية بالجامعة بالانضمام إليها والمشاركة في أداء العبادات الإسلامية	التكرار	132	143	300	99	2.46	1
		النسبة	19.6%	21.2%	44.5%	14.7%		
٦	تنشر إدارة الكلية اللوحات الإرشادية التي تحث على الالتزام بأداء العبادات الإسلامية من (صلاة وزكاة وصوم وحج)	التكرار	100	160	290	124	2.35	5
		النسبة	14.8%	23.7%	43.0%	18.4%		
	المتوسط العام للبعد الأول						2.40	

* يشير مدى قيمة المتوسط (من ١ إلى أقل من ٢) إلى مستوى انتشار منخفض، و (من ٢ إلى أقل من ٣) إلى مستوى انتشار متوسط،، و(من ٣ إلى ٤) إلى مستوى انتشار مرتفع.

يتضح من الجدول رقم (٥) ما يلي:

١-إن تقديم الجامعة للأنشطة الدينية الجذابة المشجعة للطالبات على المشاركة فيها

جاء بمستوى متوسط وذلك لحصوله على متوسط حسابي (٢,٤٦).

٢-إن تعزيز الأمن الفكري داخل المقررات الدراسية بتوافر المقررات الدينية التي تدعم أركان عقيدة المسلم الصحيحة جاء أيضا بمستوى متوسط حيث بلغ المتوسط الحسابي (٢.٤٥).

٣-وقع توافر الأنشطة الدينية لالتفاف الطالبات حول العقيدة الصحيحة في المرتبة الثالثة، يليه تبنى الجامعة لسياسة واضحة تؤكد على العقيدة السليمة للطالبات ثم انتشار اللوحات الإرشادية التي تحث على الالتزام بأداء العبادات الإسلامية من (صلاة وزكاة وصوم وحج).

٤- حصلت عبارة " يوجد دور فعال للإرشاد الديني في الجامعة يوجّه الطالبات لضرورة الالتزام بالعقيدة الإسلامية " على أقل ترتيب بمتوسط حسابي (٢,٣٢).

وتتفق هذه النتائج مع نتائج الدراسات السابقة التي أكدت على دور عضو هيئة التدريس والمعلمين في تفعيل الأنشطة الطلابية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطالبات مثل دراسة: سليمان ٢٠٠٦، و شلدان ٢٠١٣، وكذلك التأكيد على ضرورة توافر معززات الأمن الفكري داخل المقررات الدراسية وتوصية بعض الباحثين مثل السمان ٢٠٠٦ بضرورة إدراج مادة بمسمى الأمن الفكري في كليات التربية وكليات المعلمين التابعة لوزارة التعليم، كما تتفق مع دراسة الخرجي ٢٠١٠ حيث يرى أنه لايزال توجد صعوبات تحد من فاعلية المرشد الطلابي في تعزيز الأمن الفكري داخل المؤسسة التعليمية.

وبناء على النتائج السابقة يتضح أن البعد الأول المتمثل في (**دور الجامعة في تعزيز الأمن الفكري**) جاء قريب من المتوسط حيث بلغ المتوسط الحسابي للبعد (٢.٤٠) وهو أكثر وضوحا في تقديم الأنشطة الجذابة للطالبات وتشجعيهن على المشاركة فيها وتدعيم الأمن الفكري داخل المقررات الدراسية وأن هذه السياسية ليست واضحة بدرجة كافية للطالبات ولا توجد اللوحات الإرشادية الكافية للحث على الالتزام

بالعبادات ؛ ويمكن أن يرجع ذلك إلى الأسرة والمجتمع ومراحـــل الدراســـة الســـابقة للمرحلة الجامعية، وأيضاً قلة المقررات الدينية في برامج الكليات حيث أقصـــى عـــدد لساعات المقررات الدينية ثمان ساعات في جميع برامج كليات الجامعة.

إضافة إلى إغلاق قسم الدراسات الاسلامية بكلية التربية بشقراء وما كان يمكـــن أن يقوم به من دور فعال في تعزيزالأمن الفكري داخل الجامعة.

جدول (٦)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والرتب لاستجابات الطالبات على مفردات البعد الثاني (وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة) مرتبة وفقاً للمتوسط الحسابي

رقم العبارة	العبارات	التكرار / النسبة %	متوسطات بدائل الإجابة في البعد الثاني				المتوسط الحسابي	ترتيب العبارة
			دائما	غالبا	أحيانا	نادرا		
٧	توجد توعية بالجامعة ضد الأفكار والمنظمات الإرهابية.	التكرار	١٨٠	٢٤٠	٢١٠	٤٤	2.82	1
		النسبة	26.7 %	35.6 %	31.2 %	6.5%		
٨	أشتقّ معارفي ومعلوماتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله	التكرار	170	220	200	84	2.71	5
		النسبة	25.2 %	32.6 %	29.7 %	12.5 %		

	محمد صلى الله عليه وسلم.							
٩	أتحقق من مصدر المعلومات وأعرضها على الكتاب والسنة قبل تبنّيها.	التكرار	185	215	195	79	2.75	3
		النسبة	27.4 %	31.9 %	28.9 %	11.7 %		
١٠	اتّبع منهج السلف الصالح والتزم طريقتهم في العبادات والمعتقدات	التكرار	173	233	198	70	2.76	2
		النسبة	25.7 %	34.6 %	29.4 %	10.4 %		
١١	القاعدة وداعش منظمات إرهابية	التكرار	170	240	170	94	2.72	4
		النسبة	25.2 %	35.6 %	25.2 %	13.9 %		

	خارجية بعيدة عن الإسلام.							
المتوسط العام للبعد الثاني							75.2	

يتضح من الجدول رقم (٦) ما يلي:

١-أنه توجد توعية بالجامعة ضد الأفكار والمنظمات الإرهابية بمستوى فوق المتوسط حيث جاء المتوسط الحسابي (٢.٨٢).

٢-جاء اتباع منهج السلف الصالح والتزام طريقهم في العبادات والمعتقدات في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢.٧٢) وهو مستوى فوق المتوسط أيضا، يليه التحقق من مصدر المعلومات وعرضها على الكتاب والسنة قبل تبنّيها بمتوسط (٢,٧٥).

٣- حصلت العبارتان " القاعدة وداعش منظمات إرهابية خارجية بعيدة عن الإسلام "، و" أشتقّ معارفي ومعلوماتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ" على أقل رتبتين الرابعة والخامسة بمتوسطين (٢.٧٢)، (٢.٧١) على الترتيب.

يتضح من النتائج السابقة أن البعد الثاني (**وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة**) وتوافر التوعية الكافية لدى الطالبات جاء بمستوى فوق المتوسط حيث بلغ المتوسط الحسابي لتوافر البعد (٢.٧٥) بنسبة أعلى في مفردات توافر التوعية العامة بالأفكار الضالة واتباع الطالبات السلف الصالح والتزام طريقهم في العبادات والعقائد وتحقق الطالبات من مصدر المعلومات قبل تبنيها، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة التي تؤكد على دور المؤسسات التربوية المهم الذي ينبغي أن تؤديه في تعزيز الأمن الفكري مثل دراسات السليمان ٢٠٠٦، نور ٢٠٠٧، والإمام والجوالدة ٢٠٠٨، و شلدان ٢٠١٣، والفاتح ٢٠١٦، والسمان ٢٠١٧. وترى الباحثة أنه يمكن أن يعزو ذلك إلى زيادة وعي العاملين بالجامعة بضرورة توعية الطالبات ضد هذه الأفكار الضالة وحثهن على تحرى مصدر المعلومات حتى لا تقع

الطالبات فريسة للفرق والجماعات المتطرفة التي تستهدف الإسلام، مع عدم تخصيص العاملين بالمؤسسات التربوية بأسماء فرق أو جماعات معينة بصورة محددة بل كانت التوعية عامة أكثر منها نوعية حيث الهدف الوصول بالطالبات إلى الأمن الفكري بتزويدهن بالأسس الدينية السليمة بعيدا عن الخوض في تفاصيل الأفكار الشائعة الضالة داخل فرق معينة، وأن توافر البعد الثاني بدرجة فوق المتوسط يشير إلى المحاولات الجادة من المؤسسات التربوية - متمثلة في جامعة شقراء - لنشر ثقافة الأمن الفكري.

جدول (٧)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والرتب لاستجابات الطالبات على مفردات البعد الثالث (مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة) مرتبة وفقاً للمتوسط الحسابي

رقم العبارة	العبارات	التكرار النسبة %	متوسطات بدائل الإجابة في البعد الثالث				المتوسط الحسابي	ترتيب العبارة
			دائما	غالبا	أحيانا	نادرا		
١٢	أتعامل مع غير المسلمين على أساس التعارف والتعاون والبر والتسامح.	التكرار	٢٣٣	١٩٧	١٩٨	٤٦	2.92	3
		النسبة	34.6 %	29.2 %	29.4 %	6.8%		
١٣	أبتعد عن كل ما هو باطل ومخالف لتعاليم الدين الإسلامي أثناء احتكاكي بغير المسلمين	التكرار	250	183	184	57	2.93	2
		النسبة	37.1 %	27.2 %	27.3 %	8.5%		
١٤	أعتز بديني وأفتخر بإظهار الشعائر	التكرار	252	160	141	121	2.81	5
		النسبة	37.4 %	23.7 %	20.9 %	18.0 %		

	الدينية خلال تعاملي مع غير المسلمين.							
١٥	أستفيد من العادات الحسنة الموجودة عند غير المسلمين.	التكرار	251	162	133	128	2.80	6
		النسبة	37.2%	24.0%	19.7%	19.0%		
١٦	في اعتقادي أن البر والإحسان والتسامح مع غير المسلمين لا يتعارض مع عقيدة الولاء والبراء.	التكرار	240	192	186	56	2.91	4
		النسبة	35.6%	28.5%	27.6%	8.3%		
١٧	أعتقد أن غير المسلمين كافة في حال السلم تحرم دماؤهم وأموالهم	التكرار	243	200	201	30	2.97	1
		النسبة	36.1%	29.7%	29.8%	4.5%		

	وأعراضهم .							
المتوسط العام للبعد الثالث							2.89	

يتضح من الجدول رقم (٧) ما يلي:

١-جاءت عبارة (أعتقد أن غير المسلمين كافة في حال السلم تحرم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم) في المرتبة الأولى وحصلت على متوسط (٢.٩٧) مما يدل على ارتفاع توافرها لدى العينة، حيث يتضح مدى زيادة وعي الطالبات بتحريم أموال وأعراض ودماء غير المسلمين في حال السلم.

٢-جاءت العبارات " أبتعد عن كل ما هو باطل ومخالف لتعاليم الدين الإسلامي أثناء احتكاكي بغير المسلمين " و " أتعامل مع غير المسلمين على أساس التعارف والتعاون والبر والتسامح" و " في اعتقادي أن البر والإحسان والتسامح مع غير المسلمين لا يتعارض مع عقيدة الولاء والبراء". في الرتب الثانية والثالثة والرابعة حيث حصلت العبارات على متوسطات حسابية مرتفعة ومتقاربة بلغت قيمتها (٢.٩٣)، و(٢.٩٢)، و (٢.٩١) على الترتيب، مما يدل على زيادة حرص الطالبات على البعد عن كل ما هو باطل في أثناء التعامل مع غير المسلمين وجعل أساس التعاملات هو التعاون والبر والتسامح لتقديم نموذج جيد عن الإسلام ووعيهن بأن ذلك لا يتعارض مع عقيدتنا الإسلامية السليمة.

٣-حصلت العبارتان " أعتز بديني وأفتخر بإظهار الشعائر الدينية خلال تعاملي مع غير المسلمين. " و" أستفيد من العادات الحسنة الموجودة عند غير المسلمين " على الرتبتين الخامسة والسادسة بمتوسطين قريبين بلغت قيمتهما (٢.٨١)، و(٢.٨٠) مما يدل على مستوى توافر قريب من الارتفاع ويشير إلى تفهم الطالبات بأسس التعامل مع غير المسلمين وضرورة الاعتزاز بالشعائر الدينية للإسلام والاستفادة من العادات الحسنة عند غير المسلمين مثل النظام والحرص والانضباط في العمل والالتزام بالمواعيد

وغيرها من العادات الجيدة المنتشر في معظم الدول الأجنبية.

يتضح من النتائج السابقة أن البعد الثالث (مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة) جاء بمستوى مرتفع حيث بلغ المتوسط الحسابي لتوافر البعد (٢.٨٩)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة مثل: نور ٢٠٠٧، و شلدان ٢٠١٣، والفاتح ٢٠١٦، والسمان ٢٠١٧ وترى الباحثة أن ذلك يرجع إلى حرص الطالبات على الالتزام بأسس الدين الإسلامي في التعامل مع غير المسلمين ؛حيث يوجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على تحريم دماء غير المسلمين في حالة السلم فمدح في كتابه الكريم إحياء النفس وذم قتلها وكذلك ضرورة حسن المعاملة مع غير المسلمين ومعاملتهم بالبر والقسط فقال تعالى: (أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴿٣٢﴾)(١)، ويقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾(٢)، وغير ذلك من النصوص التي تبين منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة مثل: عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة...)(٣). كل ذلك قد يكون سببا في جعل نسبة توافر هذا البعد الثالث ومفرداته أعلى من البعدين الأول والثاني.

جدول (٨)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والرتب لاستجابات الطالبات على مفردات البعد الرابع (مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر

(١) سورة: المائدة، الآية: ٣٢.

(٢) سورة: الممتحنة، الآية: ٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجزية والموادعة، باب: إثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم ٣١٦٦.

لدى طالبات الجامعة) مرتبة وفقاً للمتوسط الحسابي

رقم العبارة	العبارات	التكرار النسبة%	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	المتوسط الحسابي	ترتيب العبارة
١٨	أشعر بانتماء قوي لوطني المملكة العربية السعودية.	التكرار	٤١٠	١٥٥	٩٠	١٩	3.42	3
		النسبة	60.8%	23.0%	13.4%	2.8%		
١٩	مستعدة أن أقدِّم الغالي والنفيس فداء لوطني	التكرار	432	132	82	28	3.44	2
		النسبة	64.1%	19.6%	12.2%	4.2%		
٢٠	أعتقد بوجوب طاعة ولي الأمر (ملك المملكة العربية السعودية) في العسر واليسر في غير معصية الله	التكرار	435	120	70	49	3.40	4
		النسبة	64.5%	17.8%	10.4%	7.3%		
٢١	أعتقد بأن الذهاب للقتال في مناطق الصراع معصية لولي الأمر ويأثم فاعله.	التكرار	454	122	65	33	3.48	1
		النسبة	67.4%	18.1%	9.6%	4.9%		
المتوسط العام للبعد الرابع							3.43	

يتضح من الجدول رقم (٨) ما يلي:

١- حصلت عبارة " أعتقد بأن الذهاب للقتال في مناطق الصراع معصية لولي الأمر ويأثم فاعله " على الرتبة الأولى حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣.٤٨) وتعتبر بذلك أعلى مفردة في مفردات البعد والاستبانة توافرا بين الطالبات مما يدل على ارتفاع انتماء الطالبات لوطنهم المملكة العربية السعودية والتزامهم بطاعة ولي الأمر.

٢- جاءت المفردة الثانية " مستعدة أن أقدِّم الغالي والنفيس فداءً لوطني " والتي تقيس التضحية بالنفس في سبيل الوطن في المرتبة الثانية بمتوسط (٣.٤٤) مما يدل على مستوى مرتفع لتوافر هذا المعزز للأمن الفكري لدى الطالبات.

٣-أخذت العبارة ذات الصياغة المباشرة في قياس الانتماء للوطن " أشعر بانتماء

قوي لوطني المملكة العربية السعودية." على الرتبة الثالثة بمتوسط (٣.٤٢) ما يدل أيضا على ارتفاع الشعور بالانتماء للوطن لدى الطالبات وارتفاع نسبة توافر هذا المعزز لديهن وتأكيدا للنتيجتين السابقتين (١،٢).

٤-توافرت مفردة " أعتقد بوجوب طاعة ولي الأمر (ملك المملكة العربية السعودية) في العسر واليسر في غير معصية الله" بنسبة مرتفعة أيضا حيث حصلت على الرتبة الرابعة في هذا البعد وبلغ المتوسط الحسابي (٣.٤٠).

وبذلك يتضح أن هذا البعد قد حصل على الترتيب الأول بين بقية الأبعاد وحصل على أعلى نسبة توافر بمتوسط حسابي بلغ (٣.٤٣) مما يدل على أن **الانتماء للوطن من أهم معززات الأمن الفكري** وأكثرها انتشاراً بين الطالبات، و تتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات التي تناولت تعزيز الأمن الفكري وأكدت على أن من أهم معززات الأمن الفكري توافر الانتماء للوطن لدى الطلاب والطالبات مثل دراسات: محمد ٢٠٠٦، ونور ٢٠٠٧، والبراشي ١٤٣٢ هـ، وشلدان ٢٠١٣، وترى الباحثة أنه يمكن أن يفسر ذلك الارتفاع في معزز الانتماء للوطن لدى الطالبات إلى أن الإحساس بالانتماء للوطن والاستعداد للتضحية من أجله بكل غالي ونفيس والالتزام بطاعة ولي الأمر يجعل الإنسان يعيش حياة مستقرة آمنة متوافقة نفسيا محققا التقدم لنفسه ولأسرته ولوطنه. كذلك يرجع ارتفاع الانتماء الوطني إلى ما قاله الزيد ١٤٣٧هـ أن هذا الوطن شرف لصاحبه، ومصدر فخر واعتزاز لمن يدرك خصائصه؛ فالحكم بشرع الله والخير مع كل سائر والأمن رفيق كل مسافر، هذا غير تتابع النعم والاستفادة منها في توسعة الحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن وتيسير أداء الشعائر وإغاثة محتاجي المسلمين في كل مكان، فإذا كان حب الوطن مشروعاً؛ فحب هذا الوطن أكثر مشروعية، وأولى بالأفضلية، فحق على كل مواطن فُضِّل بهذه النعمة أن يحب هذا الوطن وأن يتقرب إلى الله بهذا الحب، وأن يتعبد الله بمساندة ولاته،

والتكاتف مع أهله ومواطنيه لصلاح المجتمع وفلاحه في دينه ودنياه(١).

(١) حب الوطن من منظور شرعي، أ. د. زيد بن عبدالكريم الزيد، ص٧٩.

جدول (٩)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والرتب لاستجابات الطالبات على أبعاد الاستبانة مرتبة وفقاً للمتوسط الحسابي

الأبعاد	التكرار	متوسطات بدائل الإجابات				المتوسط الحسابي	ترتيب البعد
	النسبة%	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا		
مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية	التكرار	١١٠.١٧	١٥٧.١٧	٢٩٩.١٧	١٠٧.٥٠	2.40	4
	النسبة	%16.35	%23.32	%44.39	%15.95		
وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة	التكرار	١٧٥.٦٠	٢٩٩.٦٠	١٩٤.٦٠	٧٤.٢٠	2.75	3
	النسبة	%26.05	%34.07	%28.87	%11.01		
مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة	التكرار	٢٤٤.٨٣	١٨٢.٣٣	١٧٣.٨٣	٧٣.٠٠	2.89	2
	النسبة	%36.33	%27.05	%25.79	%10.83		

مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة	التكرار	٤٣٢.٧٥	١٣٢.٢٥	٧٦.٧٥	٣٢.٢٥	3.43	1
	النسبة	%64.21	%19.62	%11.39	%4.78		

يتضح من الجدول رقم (٩) ما يلي:(١)

١- حصل البعد الرابع (مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة) على المرتبة الأولى حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي (٣.٤٣) وهي قيمة مرتفعة بالنسبة لاستجابات الطالبات وتدل على انتشار عال، ويمكن أن يرجع ذلك إلى أن الشعور بالانتماء يعد من الحاجات الأساسية بالنسبة للفرد خاصة الطالبات حيث يمدهن الإحساس بالانتماء لوطنهن بالإحساس بالأمن والأمان الذي يعتبر أحد الحاجات الأساسية للفرد لكي يشعر بالاستقرار والتوافق النفسي والتناغم مع المجتمع وتحقيق الدور الفعال فيه.

٢- بينما جاء البعد الثالث (مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة) في المرتبة الثانية، حيث بلغ المتوسط (٢.٨٩)، ويمكن أن يعزو ذلك إلى ارتفاع إحساس الطالبات بالانتماء والأمان والرغبة في المشاركة الفعالة في ركب التنمية المجتمعية وضرورة أن يكن قدوة ونموذج يحتذى بهن في التعامل مع غير المسلمين حيث يأخذن منهم ما يتفق وتعاليم الدين الإسلامي ويتركن ما يخالفه وهذا منهج الإسلام.

(١) يعتبر القسم الثاني من البعد الأول وهو (مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية كما يتضح في نفوس طالبات الجامعة) والذي تم حذفه كما سبق الإشارة لذلك أعلى الأبعاد انتشاراً بين طالبات الجامعة، حيث بلغت نسبة توافره ١٠٠% كمعدل انتشار بين الطالبات ولله الحمد.

٣- في حين جاء البعد الثاني (وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة) في المرتبة الثالثة، حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي (٢.٧٥)، وذلك نظراً لأن انتشار هذه الأفكار الضالة يعد خوار في بنيان الدولة الإسلامية ويجب على كل مسلم يشعر بالانتماء لوطنه ولديه منهج إسلامي واضح؛ أن يتصدى لمثل هذه الأفكار ويتأمل كل ما يرد إليه من معلومات ويرجعها للقرآن والسنة.

٤-وأخير البعد الأول وهو مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية (كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية) حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي (٢.٤٠)، حيث أوضحت إجابات الطالبات أن على الجامعة التأكيد والحرص على بذل المزيد من الجهد لدعم الأنشطة الدينية المدعِّمة للعقيدة الإسلامية الصحيحة وحث الطالبات على ضرورة الحفاظ على معتقداهن وعباداهن وتضمين ذلك في المقررات الدراسية، وضرورة تعزيز المشاركات في الجماعات الدينية داخل الجامعة مثل جماعة المصلى والجماعات التطوّعية وغيرها، والاهتمام بنشر اللوحات الإرشادية الدينية والتذكير الدائم بأداء العبادات وترسيخ العقائد في نفوس الطالبات.

٥-ملخص النتائج والتوصيات:

وتستخلص الباحثة من الدراسة الحالية النتائج التالية:

١-أن أهم الأسس التي يقوم عليها الأمن الفكري في كل بلد إسلامي هي: تطبيق الشريعة الإسلامية، وإصلاح العقيدة، وملازمة العمل الصالح، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتماع الكلمة وطاعة ولاة الأمور بالمعروف وعدم الخروج عليهم.

٢-أن من أهم معززات الأمن الفكري هي: تعزيز الاعتصام بحبل الله تعالى ولزوم جماعة المسلمين والتأصيل على الحق بضبط مصدر التلقي وضبط منهج الفهم، والتحصين عن الباطل بالتحذير من الفرق الضالة ومن أعمال أهل الضلال ومن الابتداع في الدين، وإبراز منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين على أساس من

التعارف والتعاون والبر والتسامح والبراءة من الدين الباطل، والحوار والدعوة للإسلام وتلقّي الحكمة والاستفادة من الحق الموجود عند الآخر، وغرس الوطنية وطاعة ولي الأمر في نفوس الشباب.

٣- جاء شعور الطالبات بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة مرتفعاً وأعلى معززات الأمن الفكري انتشاراً بين طالبات كليات جامعة شقراء بمحافظة شقراء.

٤- أقل المعززات انتشاراً (دور الجامعة في رسوخ العقيدة الصحيحة النقية للطالبات) حيث جاء بمستوى متوسط.

٥-توافر جميع معززات الأمن الفكري - موضع الدراسة الحالية - لدي طالبات كليات جامعة شقراء بمحافظة شقراء، بمستويات ما بين متوسطة ومرتفعة مما يدل على زيادة الوعي بالأمن الفكري لدى الطالبات.

أهم التوصيات:

١-أن على الجامعة التأكيد والحرص على بذل المزيد من الجهد لدعم الأنشطة الدينية المدعِّمة للعقيدة الإسلامية الصحيحة وحث الطالبات على ضرورة الحفاظ على معتقداتهن وعباداتهن وتضمين ذلك في المقررات الدراسية، وضرورة تعزيز المشاركات في الجماعات الدينية داخل الجامعة مثل جماعة المصلى والجماعات التطوّعية وغيرها، والاهتمام بنشر اللوحات الإرشادية الدينية والتذكير الدائم بأداء العبادات وترسيخ العقائد في نفوس الطالبات.

٢-تكثيف الجهود من قِبَل الجامعات والمسؤولين فيها للتصدي لكل ما يهدّد الأمن الفكري للشباب وإيجاد حصانة ذاتية لديهم.

٣-ضرورة إبراز منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين في السلم والحرب وتوضيح مفهوم الولاء والبراء.

٤-تنمية الحس الوطني في نفوس الشباب وربطهم بالعلماء والتأكيد على وجوب

طاعة ولي الأمر ولزوم الجماعة وتحريم الخروج عليه.

٥-إضافة مقرر يفصّل في معززات الأمن الفكري إلى جميع الخطط الدراسية للكليات في جامعات المملكة العربية السعودية ويكون مقرر إلزامي.

٦-إجراء المزيد من الدراسات الميدانية والتطبيقية حول واقع الأمن الفكري داخل مجتمعنا، وتوظيف نتائجها في ترسيخ مقومات ومعززات الأمن الفكري بين أبنائنا.

٧-التأكيد على تفعيل دور مؤسسات المجتمع المحلي عامة والمؤسسات التربوية خاصة في تعزيز الأمن الفكري.

٨-إتاحة الفرصة للطالبات للمشاركة والتفاعل مع قضاياهن الفكرية والاجتماعية، وتشجيعهن على القيام بالأنشطة الطلابية لتعزيز الأمن الفكري لديهن.

٩-دعم وتشجيع أعضاء هيئة التدريس للقيام بدورهم في توجيه الشباب نحو الأفكار السليمة والآمنة.

١٠- ضرورة توفير دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس في مجال الأمن الفكري وذلك أثناء الخدمة أو توفير الفرص لحضورهم الدورات أو الندوات الخاصة بتعزيز الأمن الفكري.

هذا والله أعلم، فما كان من صواب فمن الله وحده وله الحمد والشكر، وما كان من زلل أو خطأ أو نقص فهذا طبع البشر وأستغفر الله منه، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.

٣. الأمن الفكري "مفهومه، وضرورته، ومجالاته"، ورقة عمل مقدمة للاجتماع الدوري الخامس لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إبراهيم بن عبدالله الزهراني ٢٠١١م، تم الاسترجاع في ٢٤ يونيو٢٠١٧ من http://www.assakina.com/news/news4/6302.html

٤. الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة: ٢٠٠٢م.

٥. الأمن الفكري، د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، ط/١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ٢٠٠٥م.

٦. الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، أ. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، http://shamela.ws/index.php/book/31563.

٧. بناء المفاهيم ودراستها في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً"، أ. د. عبد الرحمن معلا بن معل اللويحق، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، بتاريخ ٢٢ - ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ.

٨. بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة، د. محمد بن

سعد الشويعر، ط/٢، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤٢١هـ.
٩. تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية، حسين السيد خطاب، ٢٠٠٩م.
١٠. تعزيز الأمن الفكري بين الواجب والضرورة، الفاتح عبد الرحمن محمد، ٢٠١٦م، بحوث، تم الاسترجاع في ١١ يونيو ٢٠١٧ من: http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-227985.htm
١١. التعليم وإدارة الأمن الفكري، حسين سالم، ٢٠١٥ م، تم الاسترجاع في ٣ يونيو ٢٠١٧ من: http://www.alhayat.com/Opinion/Hassen-Bin-Salam/9141811
١٢. جهود الشيخ عبد العزيز بن باز في تعزيز الأمن الفكري، د. عبدالله بن دجين السهلي، ط/ مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، الرياض: ١٤٣٢هـ.
١٣. حب الوطن من منظور شرعي، أ. د. زيد بن عبد الكريم الزيد، ط/ مؤسسة الجميح الخيرية، الرياض: ١٤٣٧هـ.
١٤. دور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري "دراسة ميدانية على مدارس التعليم العام بمدينة الرياض، دراسة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في العلوم الإدارية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية". إبراهيم بن سليمان السليمان، ٢٠٠٦م.
١٥. دور الأمن الفكري في الوقاية من الإرهاب "دراسة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في تخصص العلوم الشرطية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، بكيل بن محمد البراشي" ١٤٣٢هـ.
١٦. دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الامن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله، فايز شلدان ٢٠١٣م، مجلة كلية التربية للدراسات الاسلامية، المجلد (٢١)، العدد (١).

١٧. سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، ط/١، دار الحضارة للنشر: ١٤٢٥هـ.

١٨. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، ط/ دار السلام للنشر، الرياض: ١٤٢٠هـ.

١٩. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي ، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ.

٢٠. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: أ. د. عمر عبد السلام تدمري، ط/٤، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٣هـ.

٢١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط/٢، دار السلام، الرياض: ١٤١٩هـ.

٢٢. صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتبة المعارف للنشر، الرياض: ١٤١٩هـ.

٢٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم، ط/١، دار السلام، الرياض: ١٤١٩هـ.

٢٤. علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري، فؤاد البهي السيد، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة: ٢٠٠٨م.

٢٥. العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف، أ. د. عبد الرحمن معلا بن معل اللويحق، ٢٠١٥م، تم الاسترجاع في ٣ يونيو ٢٠١٧ من: http://www.alukah.net/library/0/94109/.

٢٦. فاعلية المرشد الطلابي في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية، "دراسة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في تخصص العلوم الاجتماعية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف

العربية للعلوم الأمنية"، محمد عبد العزيز عبد الله الخرجي ٢٠١٠ م.

٢٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بـــن منظـــور، ط/٣، دار صـــادر، بـــيروت: ١٩٩٤م.

٢٨. مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، أمل بنت محمد أحمـــد عبد الله نور ١٤٢٨ هـــ، بحث مكمل لنيل درجـــة الماجســـتير في تخصـــص الأصول الإسلامية للتربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

٢٩. المناخ الاسري وعلاقته بالامن الفكري لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصـــرية، "بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، كرسي الأمير نايف بـــن عبد العزيز لدراسات الامن الفكري بجامعة الملك سعود"، محمد صالح الإمام، وفؤاد عيد الجوالدة: ١٤٣٠هـــ.

٣٠. الوسطية والاعتدال، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط/٢، وزارة الشـــؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٢٧هـــ.

٣١. الوسطية والأمن الفكري، محمد عدنان السمان، (د.ت) تم الاسترجاع في ٣ يونيو ٢٠١٧ من: http://www.amnfkri.com/news.php?action=show&id=10156

الملاحق

ملحق رقم (١):

قائمة بأسماء المحكمين:

١- د. محمود عبد الحليم المنسي، أستاذ علم النفس التربوي كلية التربية، جامعة الإسكندرية.

٢- د. صفاء على أحمد عفيفي، أستاذ علم نفس التربوي كلية التربية جامعة عين شمس، جامعة الخرج.

٣- د. أماني محمد رياض عثمان البري، مدرس علم النفس التربوي كلية التربية، جامعة عين شمس.

٤- أ. نيفين صباح بيومي، مدرس مساعد علم النفس التربوي كليـــة التربيـــة، جامعة عين شمس.

٥- د. أمينة عبد الفتاح عبد الله، مدرس علم النفس التربوي كلية التربية، جامعة عين شمس.

ملحق رقم (٢):

استبانة توافر معززات الأمن الفكري بين طالبات جامعة شقراء:

استبانة توافر معززات الأمن الفكري بين طالبات جامعة شقراء

تتضمن استبانه توافر معززات الأمن الفكري بين طالبات جامعة شـــقراء علـــى

عبارات تصف مدى توافر وتواجد المعززات لدى الطالبات وتأثيرها عليهن وعلى تحقيق الأمن الفكري. يرجى قراءة كل عبارة وتحديد مدى انطباقها عليك وذلك بوضع العلامة (√) أمام اختيارك. يرجى الإجابة بدقة وأمانة، وشكراً لتعاونكن.

الباحثة أرجو تعبئة البيانات التالية:

الكلية /.... المستوى الدراسي.....

التخصص /... تاريخ التطبيق. .....

الابعاد	العبارات	نمط الاجابة			
أولا	مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية لدى الطالبات كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية.	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا
١	تتبني الجامعة سياسة واضحة تؤكد على العقيدة السليمة للطالبات.				
٢	تتوافر في المقررات الدراسية مقررات دينية تدعم أركان عقيدة المسلم الصحيحة.				
٣	تتوافر أنشطة دينية جذابة داخل الجامعة ؛ لالتفاف الطالبات حول الرسوخ على العقيدة الصحيحة.				
٤	يوجد دور فعال للإرشاد الديني في الجامعة يوجه الطالبات لضرورة الالتزام بالعقيدة الإسلامية.				
٥	تشجعني الأنشطة الدينية بالجامعة بالانضمام إليها والمشاركة في أداء العبادات الإسلامية.				
٦	تنشر إدارة الكلية اللوحات الإرشادية التي تحث على الالتزام بأداء العبادات الإسلامية من (صلاة وزكاة وصوم وحج).				
ثانيا	مدى وجود الوعي ضد الأفكار والمنظمات الضالة لدى طالبات الجامعة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا
٧	توجد توعية بالجامعة ضد الأفكار والمنظمات الإرهابية.				

٨	اشتق معارفي ومعلوماتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.				
٩	اتحقق من مصدر المعلومات وأعرضها على الكتاب والسنة قبل تبنّيها.				
١٠	اتّبعَ منهج السلف الصالح (وهو ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان) و التزم طريقهم في العبادات والمعتقد.				
١١	القاعدة وداعش منظمات إرهابية خارجية بعيدة عن الإسلام.				
ثالثاً	مدى وضوح منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين عند طالبات الجامعة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا
١٢	أتعامل مع غير المسلمين على أساس التعارف والتعاون والبر والتسامح.				
١٣	أبتعد عن كل ما هو باطل ومخالف لتعاليم الدين الإسلامي أثناء معاملاتي مع غير المسلمين.				
١٤	أعتز بديني وأفتخر بإظهار الشعائر الدينية خلال تعاملي مع غير المسلمين.				
١٥	أستفيد من العادات الحسنة الموجودة عند غير المسلمين.				
١٦	في اعتقادي أن البر والإحسان والتسامح مع غير المسلمين لا يتعارض مع عقيدة الولاء والبراء.				
١٧	أعتقد أن غير المسلمين من المدنيين والمعاهدين وأيضاً العسكريين في حال السلم تحرم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم.				
رابعاً	مستوى الشعور بالانتماء الوطني والالتزام بطاعة ولي الأمر لدى طالبات الجامعة	دائما	غاالبا	أحيانا	نادرا
١٨	أشعر بانتماء قوي لوطني المملكة العربية السعودية				
١٩	مستعدة أن أقدِّم الغالي والنفيس فداءً لوطني				

٢٠	أعتقد بوجوب طاعة ولي الأمر (ملك المملكة العربية السعودية) في العسر واليسر في غير معصية الله.				
٢١	أعتقد بأن الذهاب للقتال في مناطق الصراع معصية لولي الأمر ويأثم فاعله.				

* تابع القسم الثاني للبعد الاول: مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية كما يتضح في نفوس طالبات الجامعة

	أرجو الإجابة بنعم أو بلا:	نعم	لا
٢٢	أعلم أن الله خالق كل شيء وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.		
٢٣	أؤمن بوجود الملائكة وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.		
٢٤	أؤمن بتعدد الرسل وأن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والرسل وخاتمهم.		
٢٥	أؤمن بأن القرآن الكريم ناسخ لجميع الكتب السماوية قبله ومهيمناً عليها.		
٢٦	أعلم يقيناً أن كل إنسان سيحاسب على أعماله في اليوم الآخر.		
٢٧	أؤمن أن كل أمورنا بمشيئة الله عز وجل.		
٢٨	أعلم يقيناً أنه لو اجتمعت الإنس والجن لن يضروني أو ينفعوني بشيء إلا قد كتبه الله.		

*نظرا لاختلاف نمط الإجابة بين قسمي البعد الأول (مدى رسوخ العقيدة الصحيحة النقية) وهما:

القسم الأول: كما يتضح في دور الجامعة والمقررات الدراسية، المفردات (من ١- ٦).

القسم الثاني: كما يتضح في نفوس طالبات الجامعة، المفردات (من ٢٢- ٢٨).

تم وضع القسم الثاني في نهاية الاستبانة، وقد تم حذف هذا القسم في الصورة النهائية للاستبانة وفقا لنتائج التجربة الاستطلاعية.

البحث رقم (٤)

الدراسات الاستشراقية للسنّة النبوية

"دراسة مسحية نقدية"

إعداد

أ. د. محمّد علي قاسم العمري

الأستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك بالأردن

التمهيد

غني عن البيان أنّ السنّة كانت محل اهتمام الباحثين من المستشرقين لاعتبارات كثيرة، لعل منها كون السنّة قد شكلت القسط الأكبر من أدلة التشريع في الإسلام، بمعنى أنّها كانت محل الأنظار لتناولها مختلف ميادين الحياة الإنسانية، ففتحت بذلك الباب على مصراعيه لكل صاحب توجه أو ميل، وربما صاحب فضول...، إضافة إلى أنّ هناك نزعة عدائية للإسلام كانت غاية في الوضوح عند كثيرين من المستشرقين قد توجهت إلى تناول أصل السنّة، وهو الوحي، وطريقة التوثيق لها عند المحدثين، وفق رؤى عكست كثيراً من قناعات هؤلاء بين الرفض المطلق أحياناً، أو التشكيك أحياناً أخرى، وربما الإعجاب حيناً آخر.

إنّ دراسات المستشرقين كانت تعبيراً حياً لما كان ينبض به القلب في العالم الغربي خاصة، نظراً لما تمتلكه عقولهم من عداوة للإسلام، وضراوة الخصومة له على امتداد تاريخنا الإسلامي، ابتداءً من فتح المسلمين لبلاد الشام وما جاورها أيام الراشدين وإلى يومنا هذه، وهذا اللدد في الخصومة لا يزال يزداد يوماً بعد يوم، والتوجس من الإسلام والخشية من أهله يكبر في نفوسهم ساعةً بعد ساعة، رغم ما أصاب العالم الإسلامي من نكسات كادت تعصف بكل مقدراته وإمكاناته...، لكن علمهم بأنّ الإسلام يمتلك من الطاقات عجب، بحيث يبعث في النفوس كل الأمل، وهو الأقدر والأسرع على تجديد الحياة رغم الشعور بألم الجراح، وإن طال الزمن، فلا يأس مع الإسلام، مهما كانت ضراوة الألم، وما أسرع الشفاء ولو كان الجرح بالغاً، إذا جد المسلم أو اجتهد.

إنّ هذه القناعات عرفها الغربيون جيداً، وهي التي حملت الغربيين على ضرورة إعادة النظر في محاربة الإسلام، وطريقة التعامل مع المسلمين عقلاً ومنطلقات فكر، وطريقة نظر، وإنعام نظر في قيم المجتمع الإسلامي وتحركاته...، كل ذلك مع المعايشة للمجتمعات الإسلامية، وخاصة في ظروف زمنية مكنتهم من السيطرة على المسلمين،

ومن واقع الدراسة لواقع المقدرات الفكرية وما كتبه المسلمون على وجه خاص في فنون العلم المختلفة، وقد كان القوم على علم بأنّ المسلمين ما تركوا علماً إلا وقد كتبوا فيه، بل لا تكاد تجد موضوعاً يخطر على البال إلا ولهم فيه مدونات شتى، إذ ليس للمعرفة عند المسلمين حدود، وهذا ما تشهد به كنوز التراث التي تمّ ترحيلها نهباً واغتصاباً إن لم تكن سرقة إلى مكتبات أوروبا، وهذا ما تكفل المستشرقون بأعباء النظر فيه أعني منجزات ومكتسبات العالم الإسلامي، وما يعبر عن ثقافته...، وقد أدرك القوم أنّ مثل هذه الدراسات ربما كانت أيسر الطرق إلى فهم العالم الإسلامي، ومن ثمّ وضع السبل الكفيلة بالحد من سلطانه، وتبديد مقدراته.

أعدّ الغربيون خططاً محكمة للسيطرة على العالم الإسلامي، واشترك في ذلك الجندي الأميّ الذي لا يعرف إلا لغة القتل، والعالم الذي سخر كل طاقاته وإبداعاته للوصول إلى أهدافه، وهذا أخطر من سابقه؛ لأنّه يقتل بصمت حتى ليُخيّل إلى عدوه أنّه يلاطفه، وهذا ما حمل كثير من المسلمين على الإعجاب بكثير ممّا قدمه المستشرقون من نتاج علمي، وما بذلوه من جهود في ظاهرها خدمة المسلمين، وإن كانت دوافع الاستشراق أعمق من ذلك، فجل العاملين في الاستشراق إمّا من أهل السياسة، - وهم أضر النّاس بالنّاس- أو أهل تدين وتعصب مقيت، أو طامعين في مكاسب، ويندر أن شذ أحد من مثل هؤلاء، وإن وجد.

شكلت السنّة واحداً من ميادين البحث عند المستشرقين، واتسعت دائرة النظر في الحديث ودراساته على نحو لافت للنظر، فجاءت هذه الدراسة محاولة لدراسة واقع هذه الدراسات لا على وجه التفصيل، فلكل دراسة غايتها وخصوصيتها...، وما أطمع فيه في هذه الدراسة هو تشكيل نظرة كلية لمجموع هذه الدراسات، بهدف الوقوف على معرفة من كان من المستشرقين له عناية بالسنّة، وبيان عدد هؤلاء ما أمكن، ومواطنهم، ومذاهبهم الفكرية، والوقوف على من عُرف من هؤلاء بالتعصب، باعتبار ذلك واحداً

من المحركات لدراسة السنّة، وما اتسمت به منهجية هؤلاء في دراستهم للسنّة، وما دونوه من مصنفات في ذلك علّ ذلك كله يجعلنا أكثر تصوراً لكل الدراسات شكلاً ومضموناً، وعلى نحو تكون الحقيقة فيه أكثر وضوحاً، إذ الدراسات الجزئية - مع أهميتها- قد تظهر فيها الحقيقة أحياناً، وقد تخفى في أخرى، راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق.

على أنني في هذا السياق سأعتمد على أناس معروفين ممّن كتبوا عن المستشرقين، ممّن عاصرهم، بل عاشرهم، وكانوا على علم بلغة القوم ممّن ترجموا أعمال هؤلاء المستشرقين أو شاركوهم في بعض صنيعهم ممّن كان يقرأ لهم بعض المدونات الإسلامية بما يجعلنا أكثر طمأنينة إلى ما تمّ كتبه عن هؤلاء على اختلاف توجهاتهم.

أهميّة الدراسة: تنبع أهميّة الدراسة من كونها تشكل دراسة مسحية لواقع الدراسات الاستشراقية، بهدف إعطاء صورة أكثر شمولية عن هذه الدراسات والقائمين عليها، ومحاولة الكشف عن طبيعة ومنطلقات وتوجهات هؤلاء المستشرقين.

أسئلة الدراسة: من هم المستشرقون، وما هي أهدافهم من الدراسات الاستشراقية، ومن تولى دراسة موضوعات الحديث منهم، وما هي جنسياتهم، ومنطلقاتهم العقدية والفكرية وغيرها، وما طبيعة دراسة هؤلاء.

منهج الدراسة: هو منهج وصفي، الغرض منه الوقوف على كل ما تيسر من هذه الدراسات أو ما كتب حولها تبياناً للواقع بكل حيادية وموضوعية.

تقسيم الدراسة: تمّ تقسيم هذه الدراسة إلى تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: الباحثون في السنّة النبوية من المستشرقين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمستشرقين من حيث الأسماء والجنسيات

المطلب الثاني: بيان المنطلقات الفكرية لهؤلاء المستشرقين ومذاهبهم العقدية

المطلب الثالث: تقسيم المستشرقين من حيث التعنت والاعتدال

المبحث الثاني: كتابات المستشرقين في السنّة النبوية، وفيها خمسة مطالب:

المطلب الأول: اكتشاف المخطوطات وجمعها

المطلب الثاني: التأليف في كتب السنّة المتعددة

المطلب الثالث: الفهرسة والتصنيف

المطلب الرابع: الترجمة لبعض كتب السنّة

المطلب الخامس: النشر والتحقيق لبعض كتب السنّة

المبحث الثالث: الآراء النقدية للمستشرقين حول السنّة النبوية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ما قيل حول المنهج عند المحدثين

المطلب الثاني: ما فيل في وضع الحديث وتطور تدوينه

المطلب الثالث: ما قيل حول بعض المصنفات الحديثية

المطلب الرابع: تفنيد آراء المستشرقين في المباحث السابقة

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

المبحث الأول

الباحثون في السنّة من المستشرقين

لقد تمّ حصر من لهم علاقة بموضوع الحديث ودراساته من هؤلاء المستشرقين، فلوحظ أنّهم ينحدرون من جنسيات متعددة وينتمون إلى بلدان مختلفة؛ كما أنّ البعض منهم قد شغل مناصب سياسية، وأعمالاً إدارية وعلمية متنوعة مكنتهم من الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم التي ينشدونها من وراء دراساتهم للسنّة النبوية الشريفة.

كما بدا لي أنّ كثيراً من هؤلاء كانوا على درجة من التعصب إمّا ليهوديته، أو لنصرانيته، أو لبني جنسه، ومنهم من كان أقرب إلى الاعتدال، على أنّ بعضاً من هؤلاء قد ساهم بخدمة التراث الإسلامي ونشره وتحقيقه، ومنهم من ألف كتباً كانت غاية في الإساءة إلى الإسلام وعقيدة المسلمين، وهذا ما سيتم توضيحه وبيانه وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: أسماؤهم وجنسياتهم:

بالنظر إلى واقع الاستشراق والمستشرقين لوحظ أنّهم ينحدرون من جنسيات متعددة كما أنّهم ينتمون إلى بلدان مختلفة، لذا تمّ تقسيمهم وفق هذا الاعتبار على النحو الآتي:

أولاً: فرنسا، من أبرز المستشرقين الفرنسيين الذين كتبوا حول السنّة النبوية، وسيرة النّبي ﷺ، وكانت لهم جهود في نشر وترجمة بعض كتب علم مصطلح الحديث عدد يمثلهم: هربلو (١٦٢٥-١٩٦٥م) من مواليد باريس، وهوداس (١٨٤٠-١٩١٦م)، وأدريان بارتيملي (١٨٥٩-١٩٤٩م)، وإنتين دينيه (١٨٦١-١٩٢٩م)، ووليم مارسيه (١٨٧٤-١٩٥٦م)، ولؤي ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٠م)، وليفي بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٦م) وهو من مواليد الجزائر من أسرة يهودية، ودافيد ويل (١٨٩٨م)، وسالمون المتوفى سنة (١٩٠٧م)، وبيلاشارل المولود سنة (١٩١٤م)، ومكسيم رودنسون المولود في

باريس سنة (١٩١٥م)(١).

وجلّ عناية هؤلاء المستشرقين تمثلت بالعناية باللغات الساميّة من عربيّة وعبريّة إضافة إلى السريانية واليونانيّة واللاتينيّة والفارسيّة والتركيّة باختلاف ميول كل منهم، وشارك كثيرون في تدريس هذه اللغات في الجامعات الغربيّة وغيرها.

كما اعتنى بعضهم بدراسة التاريخ العربي الإسلامي وخاصة تاريخ المغرب العربي بحكم الصلة بين فرنسا وتلك البلدان، وتقلدّ بعضهم مناصب أكاديميّة عليا كهوداس الذي عُيّن عضواً في مجلس المعارف العامّة في اللجنة التاريخية بقسم تاريخ المغرب في مدرسة اللغات الشرقيّة بباريس، ومثله أدريان بارتيمي الذي تولى قنصل فرنسا في المشرق، ولؤي ماسينيون الذي عمل معيداً لكرسي علم الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا، ودافيد ويل الذي عمل أستاذاً للآثار الإسلاميّة في مدرسة اللوفر، وبيلاشارل أستاذ العربيّة في السوربون، واللغة والحضارة في جامعة باريس.

ومن هؤلاء من تقلدّ مناصب سياسيّة وعلميّة في بلدان العالم الغربي ومنهم: أدريان الذي تولى قنصل فرنسا في المشرق، وهوداس أستاذ العربيّة في الجزائر ومفتش التعليم فيها، ووليم مارسيه الذي عمل مديراً لمدرسة تلمسان التي أنشأها الفرنسيون لتعليم العربيّة لتخريج مساعدين لهم في إدارة الجزائر، وهي إحدى ثلاث مدارس أنشئت لهذه الغاية، وسالمون الذي عُيّن عضواً في المعهد الفرنسي في القاهرة والإشراف على البعثات العلميّة

(١) يراجع في الوقوف على تراجم من ذُكرت أسماؤهم من المستشرقين الفرنسيين المصادر الآتية: العقيقي، نجيب، المستشرقون، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف حتى اليوم ٢، ط/٣، درا المعارف، بمصر ١٩٤٦، الصفحات الآتية: هوداس، ص٢١٨، أدريان، ص٦٦٠، ولـيم مارسة، ص٢٧٤، ليفي بروفنسال، ص٢٧٦، دافيد، ص٣١٥، سالمون، ص٢١٠، بيلاشارل، ص٣٢٦، وانظر أيضاً: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٣، الصفحات الآتية: هربلو، ص٦٠٣.

إلى طنجة في المغرب.

على أنّ جلّ اهتماماتهم البحثية تمثلت في العناية بالمخطوطات، والتدريس ونشر الكتب وتحقيقها، فضلاً عن التأليف لكتب عن الإسلام، وأستحضر من هؤلاء: مكسيم رودونسون الذي ألف (الإسلام والرأسماليّة)، و (جاذبيّة الإسلام)، و(محمّد ﷺ)، و (إسرائيل والرفض العربي)، على أنّ إنتن دنيه قد أشهر إسلامه وتسمّى بناصر الدين، وهو رسام شهير له لوحات نفيسة عبّر من خلالها عن جمال الإسلام ومدى حبّه له، ودافع عنه من خلال تفنيد ادعاءات كثير من المستشرقين، ألف كتاب (محمّد رسول الله) بالاشتراك مع الكاتب الجزائري سليمان إبراهيم استعرضاه فيه سيرة المصطفى ﷺ.

ثانيا: الإنجليز، وممّن اهتمّ بالكتابة حول السيرة النبويّة والسنّة المطهرة: وليام بدول (١٥١٦-١٦٣٢م)، ووليام ميور (١٨١٩-١٩٠٥م)، ومرجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م)، وتوماس أرنود (١٨٦٤-١٩٣٠م)، ونيكلسون (١٨٦٨-١٩٤٥م)، والفريد جيوم المولود سنة (١٨٨٨م)، وجيمس ربونسون المولود سنة (١٨٩٠م)، والسير هاملتون جب المولود في الإسكندريّة (١٨٩٥-١٩٧١م)، ومونتجمري وات سنة (١٩٠٩م)(١).

تقلد العديد من هؤلاء مناصب علمية وأكاديميّة يهمنّا منها ما يخص العربيّة والإسلاميّة مثل: توماس أرنود الذي عمل أستاذاً زائراً في الجامعة العربيّة سنة (١٩٣٠م)، ونيكلسون الذي تولى كرسي توماس أدمز للغة العربيّة في جامعة كمبردج، والفريد جيوم

(١) يراجع في الوقوف على تراجم من ذُكرت أسماؤهم من المستشرقين الإنجليز المصادر الأتية: العقيقي، المستشرقون، الصفحات الآتية: وليام بدول، ص٧٢٠، وليام ميور، ص٤٩٢، مرجليوث، ص٥١٨، جيوم، ص٥٤٣، جميس ربونسون، ص٥٤٧، وانظر أيضاً: بدوي، موسوعة المستشرقين، وليام ميور، ص٥٧٩، مرجليوث، ص٥٤٦، نيكلسون، ص٥٩٣، جب هاملتون، ص١٧٥.

الذي عمل محاضراً للغة العربيّة في المعهد الملكي بلندن سنة (١٩٢٠م)، وأستاذاً للغات الشرقيّة في جامعة درهام، وأستاذاً زائراً للغة العربيّة في الجامعة الأمريكيّة ببيروت سنة (١٩٤٤م)، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربيّة بدمشق سنة (١٩٤٨م)، والمجمع العراقي سنة (١٩٤٩م)، وجيمس روبسون الذي عمل معيداً للعربيّة في جامعة جلاسجو ومحاضراً وأستاذاً للغة العربيّة في جامعة مانشتر سنة (١٩٤٩م)، وجيب الذي عمل أستاذ كرسي للعربيّة في جامعة لندن، وجامعة أكسفورد، وجامعة هارفرد في الولايات المتحدة، ومونتجمري الذي عمل رئيساً لقسم اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة في جامعة أدنبرة (١٩٤٧-١٩٧٩م).

لقد كان من هؤلاء من تولى رعاية الكنائس والحرص على التبشير بالنصرانيّة أمثال: وليام بدول، وقد عرف بحقده على الإسلام، ووليام ميور وكان موظفاً عمل مدة طويلة في الهند الشرقيّة، ومرجليوث الذي اتسمت كتاباته بالتعصب والبعد عن الموضوعيّة رغم سعة اطلاعه وكثرة كتاباته، وكذا مونتجمري وات الذي رعى عدّة كنائس في لندن وأدنبرة وجلّ عنايته بالإسلام كانت لغايات استشارية لدى القس الإنجليكاني في القدس.

أمّا الاهتمامات البحثيّة فقد تركزت على تعليم العربيّة والتاريخ الإسلامي والتصوف والعناية بكتب التراث تحقيقاً ونشراً فضلاً عن التأليف والمشاركة في تحرير دائرة المعارف الإسلاميّة. فقد ألف ميور شهادة القرآن على الكتب اليهوديّة والمسيحيّة، وألف مرجليوث محمّد ونشأة الإسلام، والسيرة النبويّة، والعلاقات بين العرب واليهود، وألف أرنولد الدعوة والإسلام، وكتاب الخلافة، والعقيدة الإسلاميّة، وجيب وله مؤلفاتة عدّة منها: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، وإلى أين يتجه الإسلام، وكتاب المحمّديّة، وله كتاب آخر في السيرة النبويّة. كما صنّف مونتجمري كتباً منها: محمّد في مكة، ومحمّد في المدينة، ومحمّد نبيّ ورجل دولة.

وقد ساهم بعض هؤلاء في نشر بعض الكتب وتحقيقها، كما فعل مرجليوث الذي

نشر كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء المعرّي وغيرها.

ثالثاً: المستشرقون الألمان، وهم كثر يعنينا منهم من لهم بموضوعنا صلة وهم: فلاشير (١٨٠١-١٨٨٨م)، وفايل (١٨٠٨-١٨٨٩م) مستشرق يهودي، ونودلكة (١٨٣٦-١٩٣١م) وهو شيخ المستشرقين الألمان، وكانت رسالته في الدكتوراه عن تاريخ القرآن الكريم، ويوليوس فيلهاوزن (١٨٤٤-١٩١٨م)، وزاخاو (١٨٤٥-١٩٣٠م)، وفيشر أوجست (١٨٦٥-١٩٤٩م) وكانت رسالته في الدكتوراه عن رواة ابن إسحاق، وميتفوخ (١٨٦٧-١٩٤٢م)، وكارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م) وله شهرة كبيرة وممّن أتقن العربية قراءة وكتابة، وكذا التاريخ الإسلامي والأدب العربي، وكرنكوف (١٨٧٢-١٩٥٣م)، وفستفلد (١٨٨٩-١٨٩٩م)، ورتر (١٨٩٢-١٩٧١م)، وورودي بارت المولود سنة (١٩٠١م)، وفرانزوزنتال المولود سنة (١٩١٤م)، وشاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م) المعروف بعنايته بالفقه الإسلامي(١).

ومن هؤلاء من تبوأ مكانة مرموقة بين أقرانه فشغل مناصب أكاديمية وعلميّة أمثال: فايل الذي أهتمّ باللغة العربيّة وتدريسها حتى في بعض الدول العربيّة كمصر، وفيشر الذي شغل كرسي اللغات الشرقيّة وخاصة العربيّة في جامعة ليبستك، وميتفوخ الذي انتخب

---

(١) يراجع في الوقوف على تراجم من ذُكرت أسماؤهم من المستشرقين الألمان المصادر الأتية: العقيقي، المستشرقون، الصفحات الآتية: فلاشير، ص٧٠٧، نودلكة، ص٧٨٣، زاخاو، ص٧٤٢-٧٤٣، فيشر، ص٧٧٢، ميتفوخ، ص٧٦٠، كارل بروكلمان، ص٧٧٨-٧٨٣، كرنكوف، ص٥٣٠، رتر، ص٧٩٦، فرانزوزنتال، ص١٠١٦، شاخت، ص٨٠٣، ريشر، ص٧٩١، وانظر أيضاً: بدوي، موسوعة المستشرقين، الصفحات الآتية: فايل، ص٣٩٠، نودلكة، ص٥٩٦، فيشر، ص٤٠٤- ٤٠٥، كارل بركلمان، ص٩٨- ١٠٠، كرنكوف، ص٤٧٣، فستفلد، ص٣٩٩، رتر، ص٢٧٧، شاخت، ص٣٦٦، وانظر أيضاً: موسوعة الأديان، المبحث الحادي عشر، نماذج من أسماء المستشرقين وفق جنسياتهم، للوقوف على تراجم كل من: فيلهاوزن، رودي بارت.

عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وبروكلمان الذي عُيّن أستاذاً للغة العربيّة والتاريخ والأدب الإسلامي في جامعات بورسلاو وكونسبرج (١٨٨٣-١٩٠٩م)، ورودي بارت الذي شغل أستاذ اللغة العربيّة والإسلاميات في جامعة توبنجن وهايدلبرج، وروزنتال الذي درس العربيّة في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة، وشاخت الذي انتدب لتدريس العربيّة بكليّة الآداب في الجامعة المصرية حتى عام (١٩٣٩م).

والاهتمامات البحثيّة التي كان يعنى بها هؤلاء المستشرقين تمثلت في أشهرها باللغة والتارخ الإسلامي، والدراسات القرآنيّة والحديثيّة، والفرق الإسلاميّة والسيرة النبويّة، فنودلكه ألف في تاريخ القرآن الكريم، واعتنى يوليوس فيلهاوزن بالفرق الإسلاميّة وتاريخها، فكتب عن الخوارج والشيعة وأحزاب المعارضين في الإسلام، والسيرة وكتباً أخرى حول النّبي ﷺ، ورودي بارت أهتمّ بترجمة معاني القرآن الكريم، وله محمّد والقرآن، والقرآن تعليق وفهرست.

على أنّ نفراً من هؤلاء قد اشتهر بالعناية بالتحقيق لكتب التراث الإسلامي وجمع المخطوطات ونشرها، وكان من أبرزهم: كارل بروكلمان صاحب كتاب تاريخ الأدب العربي الذي جمع فيه ما تمّ تأليفه عند المسلمين من معارف شتى مع الإشارة إلى أماكن وجود المخطوطة، وكرنكوف الذي نشر العديد من الكتب الإسلاميّة التي كان يعوزها الدقة، ورتر الذي أشرف على مجموعة كبيرة من الكتب المحققة يشكل دقيق، وروزنتال الذي ترجم ونشر مقدمة ابن خلدون، وتاريخ الطبري، وغيرها.

رابعاً: المستشرقون الروس، وهؤلاء بالنظر إلى غيرهم بخصوص موضوعنا قليل، ومنهم: شميث (١٨٧١-١٩٤١م)، وكريمسكي (١٩٨٦-١٨٩٢م)، وأنس خالدوف وقد تأخرت وفاته إلى ما بعد الربع الثالث من القرن العشرين(١).

---

(١) يراجع في الوقوف على تراجم من ذُكرت أسماؤهم من المستشرقين الروس المصادر الأتية: العقيقي، المستشرقون، أنس خالدوف، ص٩٧٢، وانظر أيضاً ترجمته: سليمان بن محمد الجار الله، جهود

ومن هؤلاء من شغل مناصب أكاديميّة علميّة وخاصة لصلتهم باللغة العربيّة والتاريخ الإسلامي مثل شميث مؤسس جامعة طشقند ورئيسها، وكريمسكي الذي شغل أستاذ اللغة العربيّة وآدابها في أكثر من جامعة. ومن مؤلفاتهم ما كان حول السيرة النبويّة كما في كتاب النّبي محمّد لشميث، وكذا في التاريخ مثل العالم الإسلامي ومستقبله، وتاريخ الإسلام لكريمسكي، وكانت لهم عناية بالمخطوطات جمعاً وفهرسة وإشرافاً ونشراً، وكان هذا العمل أظهر في صنع أنس خالدوف، ثمّ شميث.

خامساً: المستشرقون الهولنديون، وهؤلاء بالنظر إلى غيرهم فعددهم قليل لعلّ من أشهرهم: دوزي (١٨٢٠-١١٨٣م)، ودي يونج (١٨٣٢-١٨٩٠م)، ودي خويه (١٨٣٦-١٩٠٩م)، وآرنت فنسنك (١٨٨٢-١٩٣٩م)(١).

وجلّ عناية هؤلاء تمثلت بالعناية بالمخطوطات العربيّة والإسلاميّة جمعاً وفهرسة وتحقيقاً ونشراً، وخاصة لكتب التاريخ الإسلامي كفتوح البلدان للبلاذري وتاريخ الطبري وغيرها، لكن عناية فنسنك كانت قد انصرفت إلى خدمة علم الحديث فصنّف مع آخرين المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وكذا مفتاح كنوز السنّة، وكان من أشهر كتبه محمّد واليهود في المدينة.

سادسا: المستشرقون من بقيّة دول أوروبا، أمثال: شبرنجر النمساوي الأصل

الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص٣٥، وانظر أيضاً: موسوعة الأديان، المبحث الحادي عشر، نماذج من أسماء المستشرقين وفق جنسياتهم للوقوف على تراجم كل من: كريمسكي، شميث.

(١) يراجع في الوقوف على تراجم من ذُكرت أسماؤهم من المستشرقين الهولنديون المصادر الأتية: العقيقي، المستشرقون، الصفحات الآتية: دوزي، ص٦٦١، دي يونج، ص٦١٦، دي خويه، ص٦٦٣، وانظر أيضاً: بدوي، موسوعة المستشرقين، الصفحات الآتية: دوزي، ص٢٦٣، دي خويه، ص٢٢٩، فنسنك، ص٤١٧.

(١٨١٣-١٨٩٣م)، وجولد تسيهر المجري (١٨٥٠-١٩٢١م)، وهنري لامنس البلجيكي (١٨٦٢-١٩٣٧م)(١).

وهم من كبار المستشرقين عموماً، وإنّما ذكرتهم لارتباط مجهوداتهم بموضوع البحث، وقد شغل الأول منهم منصب عميد الكليّة الإسلاميّة في دلهي في الهند، وتنقل جولد تسيهر في عدد من البلدان العربيّة كمصر وسوريا وفلسطين، وصحب العلامّة طاهر الجزائري وهو من قرّاء المخطوطات العربيّة المعروفين، وجلّ عنايته كانت بالدراسات الدينيّة خاصة، كما عمل هنري لامنس معلماً في معهد الدروس الشرقيّة في الكليّة اليسوعية في بيروت. وجلّ عنايتهم تمثلت بالعناية بالمخطوطات ونشرها، وكتب هنري لامنس في السيرة النبويّة والراشدين ودولة بني أميّة.

سابعاً: الهند، ومن المستشرقين الهنود الذين كانت لهم بعض الإسهامات في دحض وتصحيح أخطاء المستشرقين في كتاباتهم المتعلقة بالسنّة النبوية الآتية أسماؤهم(٢):

- ليز وليم ناسو: (١٨٢٥-١٨٨٩م) تخرج بالعربية من جامعة دبل وأرسل كجندي للهند عام ١٨٤٦م، ثمّ أصبح من كبار الضباط عام ١٨٨٥م، وفي خلال تلك المدة حصل على الدكتوراه في الحقوق من دبلن والفلسفة من برلين، فعيّن مديراً لمدرسة كلكتا وترجماناً لحكومة الهند وخلف لمسدن في مطبعة كلكتا وأسهم في تحرير التيمس الهندية

---

(١) يراجع في الوقوف على تراجم من ذُكرت أسماؤهم من المستشرقين من دول أوروبية أخرى المصادر الأتية: العقيقي، المستشرقون، الصفحات الآتية: جولد تسيهر، ص٩٠٧- ٩٠٨، هنري لامنس، ص١٠٦٨، جان ريبكا، ص١٠٣٨، وانظر أيضاً: بدوي، موسوعة المستشرقين، الصفحات الآتية: جولد تسيهر، ص١٩٧- ٢٠٠، لامنس، ص٥٠٣، جان ريبكا، ص٢٧٥، شوفان، ص٣٧٨، وانظر أيضاً ترجمة جولد تسيهر: السلفي، محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، دار الداعي للنشر، مركز ابن باز بالهند، ط/٣، ١٤٢٠هـ، ص٤٣١.

(٢)يراجع في الوقوف على تراجم من ذُكرت أسماؤهم من المستشرقين الهنود المصادر الأتية: العقيقي، المستشرقون، الصفحات الآتية: ليزوليم ناسو، ص٧٨٤، ليوبولد فايس، ص٦٤٢.

والمجلات الآسيوية.

– ليوبولد فايس: أشهر إسلامه وتسمّى بمحمّد أسد وايس وأنشأ بمعاونة ولـيم بكتول الذي أسلم هو الآخر مجلة الثقافة الإسلامية في حيدر آباد الدكن عام ١٩٢٧م وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام.

ثامناً: إيطاليا، وممّن كتب حول السنّة النبوية من المستشرقين الإيطاليين:

– **كيتاني**: (١٨٦٩–١٩٣٥م) مستشرق ايطالي وأمير من آل كيتاني وهي أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديثة، ولد في روما في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٩م، واشتهر خصوصاً بكتابه حوليات الإسلام وهو أوسع تاريخ للإسلام في عصر النّبي محمّد ﷺ والخلفاء الراشدين، كان مشغوفاً بالعالم الإسلامي فراح يتعلم العربية والفارسية وبعض اللغات الشرقية الإسلامية الأخرى تحت إشراف اجنتسيو جويدي واسكيابرلي، وهما علمان في الاستشراق آنذاك، قام برحلات إلى البلاد العربية، وتوفي سنة ١٩٣٥م(١).

تاسعاً: أمريكا:

– **ماكدونالد**: (١٨٦٣–١٩٤٣م) مستشرق أمريكي الإقامة بريطاني المولد والتنشئة، ولد في جلاسجو عام ١٨٦٣م وتوفي في عام ١٩٤٣م، صرف نشاطاً كبيراً في التبشير المسيحي وفي إعداد المبشرين في مدرسة كندي للإرساليات التبشيرية، وإنتاجه العلمي يتسم بالوضوح في العرض؛ لكنّه خال من التعمق والتحصيل الجاد، وإلى جانب الدراسات في الحياة الدينية في الإسلام اهتمّ ابتداء من عام ١٩٢٠م بتاريخ العلوم في الإسلام. كان صديقاً وتلميذاً لنيكولسن، ثمّ رحل إلى برلين عام ١٨٩٠م وأخذ اللغات الشرقية على زاخاو، ثمّ قصد هارتفورد لتعلم اللغات السامية عام ١٨٩٣م وأسس فيها بعد طوافه الشرق الأندى مدرسة كنيدي للبعثات كما أشرف على القسم الإسلامي

(١) العقيقي، المستشرقون، ص٣٧٢، وانظر أيضاً: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٩٤.

سنوات طويلة وأنشأ بمعاونة صمويل زويمر مجلة عالم الإسلام وبمعاونة سارتون مجلة ايزيس(١).

على أنّ هناك مستشرقين من دول أخرى بذلوا جهوداً خدمة للمستعمر، ومنهم من ساهم بصورة كبيرة في الدفاع عن الإسلام والرد على كتابات المستشرقين كأولئك الذين ظهروا في الهند أمثال: جان رايكا (١٨٢٥-١٨٨٩م)، وليوبولد فايس وهم من المتأخرين الذين أعلنوا إسلامهم، وتسمّى بمحمّد أسد، كتب كثيراً وجلّ ما كتب كان تصحيحاً لأخطاء المستشرقين عن الإسلام.

---

(١) موسوعة الأديان، المبحث الحادي عشر، نماذج من أسماء المستشرقين وفق جنسياتهم.

المطلب الثاني: بيان المنطلقات الفكرية لهؤلاء المستشرقين ومذاهبهم العقدية:

ينطلق المستشرقون في توجيه دراساتهم نحو السنّة النبوية الشريفة من مذاهب فكرية متعددة المشارب، كما أنّهم ينحدرون من أصول عقدية متنوعة المخارج، إذ فيهم اليهودي المتطرف المتشدد ليهوديته الذي يرى أنّه لا دين تجب له السيادة على وجه الخليقة إلا دينه، ولا شعب يستحق الحياة على متنها إلا شعب الله المختار - على حد زعمهم-، وفيهم النصراني المتعجرف الذي تربى في أحضان الكنيسة، وترعرع في جيوب رجال الدين فيها حتى أصبح يرى أنّ الحق كل الحق معهم ويرفض الطرف الآخر - على الرغم- من قوة حجته ووجاهة دليله، كما أنّ فيهم الذي عطل عقله، وشغل ذهنه، ونزل إلى أدنى مستويات العبودية لغير الله جل وعلا، فعبد أفكاراً دخيلة مسمومة ملوثة بضروب عديدة وصنوف مديدة لا تمت لواقع السنّة النبوية بصلة، إذاً ماذا نتوقع من هذا وذاك؟ الإنصاف للسنّة النبوية أم الإجحاف؟

وقد كان من المنطلقات الفكرية والمذاهب العقدية التي ينطلق المستشرقون منها في دراستهم للسنّة النبوية الآتيةُ ذكرها:

أولاً: تحكيم العقل على النقل في دراستهم لنصوص السنّة النبوية، جرياً على منهج المنكرين لعامّة نصوص الوحي الذين مجدوا العقل، وجعلوه ضابطاً للنص النبوي ومهيمناً عليه، ولو صح. وقد ظهر هذا جلياً في دراسات بعضهم أمثال جولد زيهر الذي يرى أنّ المتكلم السنّي لم يستطع أن يسلك طريقة المعتزلة في تأويل القرآن ورد الأحاديث؛ ويقول: "لهذا نجم خطر التجسيم، وامتد بصفة خاصة في الحديث الذي نما بطريقة غير محدودة. واستشهد بأحاديث منها: ما جاء في موطأ مالك من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له

"(١).

ثانياً: القناعة باختلاق السنّة النبوية الشريفة وعدم التدوين لها في عهد النّبي ﷺ، وادعاء تأخر تدوينها إلى بداية القرن الثاني للهجرة.

لقد حاول كبير المستشرقين جولد زيهر تجاهل ما يُعد من مسلمات الأمور عند المسلمين وخاصة أهل الحديث منهم من أنّ الحديث قد كُتب في السطور كما حُفظ في الصدور في القرن الأول الهجري مروراً بعهده ﷺ، وعهد صحابته الكرام فما بعد، ولم ينتظر خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أمر بتدوين السنّة النبوية على الصعيد الرسمي للدولة. وممّا يؤكد ذلك أنّه أفرد في كتابه الشهير بـ (دراسات محمّدية) فصلاً خاصاً حول كتابة الحديث أتى فيه بأدلة كثيرة تُبرهن تأخر تدوينه إلى ما بعد القرن الأول الهجري، نذكر منها على سبيل المثال: ما يخص الوجود الحقيقي لصحف الحديث، حيث يقول: "إنّه ليس من الممكن التأكد ممّا إذا كان وجود ما يسمّى بالصحف أو الكتب يتفق مع الواقع أم أنّها صحف موضوعة اختلقها المتأخرون في مواجهة نفاة الحديث"(٢). فهو يلقي بظلال من الشك حول وجودها الحقيقي بعد إقراره بوجودها لغرضين اثنين "الأول: إضعاف الثقة باستظهار السنّة وحفظها في الصدور؛ لتعويل النّاس منذ القرن الهجري

(١) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، مكتبة الرشد، الرياض، ط/٢، ١٤١٨ هـ، ٢/٩٠. والحديث أخرجه مالك، موطأ مالك، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ط، كتاب: القرآن، باب: ما جاء في الدعاء، حديث رقم ٤٩٨، ١/٢١٤، وأخرجه أيضاً البخاري، صحيح البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط/٣، ١٤٠٧هـ، أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، حديث رقم ١٠٩٤، ١/٣٨٤.

(٢) د. ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص٦٦٢، نقلاً عن كتاب: دراسات محمّدية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ط١، ١٩٩١م.

الثاني على الكتابة. والآخر: وصم السنّة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين لها الذين لم يجمعوا منها إلا ما يوافق أهواؤهم ويعبر عن آرائهم ووجهات نظرهم في الحياة"(١). وسيأتي بسط الحديث حول هذه الأدلة وغيرها من شبه المستشرقين فيما يخص تدوين السنّة النبوية في المطلب الثاني من المبحث الثالث (الآراء النقدية للمستشرقين حول السنّة النبوية) إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: الشك في الدين الإسلامي ممثلاً بركنيه (الكتاب والسنّة)، إذ يدعي بعض المستشرقين بأنّ الإسلام ما هو إلا خليط من اليهودية والنصرانية، كما يدعي آخرون بأنّ النّبي ﷺ قد استمد العناصر الأساسية لحديثه من بعض الديانات السابقة له – على حد زعمهم–، وهذا ما قاله جب هاملتون: "إنّ تضخم كتلة الحديث كان نتيجة لقوة التيار الديني في القرون الأولى، حيث استمد محمّد أكثر عناصر حديثه من التراث الديني المسيحي بل البوذي"(٢). ومثله جولد زيهر فقد شكك في أصالة المصادر الإسلامية وقيمتها، كما عمل على إبطال مرجعية الإسلام الدينية التي رفضها رفضاً مبدئياً؛ ولهذا أرجع كل العقائد والشرائع التي جاء بها الإسلام إلى اليهودية أو المسيحية، أو العقائد والسلوك الديني للجاهلين. فالإيمان بالله الواحد والنبوة وبمرجعية التدين الإبراهيمي يهوديّ المصدر، كما أنّ الصوم مأخوذ عن اليهود وشعائر الصلاة ذات أصل مسيحي، أمّا الحج فقد استمده الإسلام من التقاليد الوثنية "التي حافظ عليها محمد، ولكنه كيَّفها مع متطلبات التوحيد؛ ولهذا فإنّ القيمة الوحيدة للرسالة الإسلامية عنده هي إنجاز النّبي ﷺ حين نجح في التأليف والجمع بين عناصر متعددة محتواه في أديان موجودة،

---

(١) د. صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص٢٤-٢٥، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ.

(٢) السلفي، محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، ص٤٣٣.

واستخدمها في تخليصه للدين والمجتمع وحياة القبيلة وصورة العالم من كل التصورات الرهيبة للوثنيين العرب(١).

رابعاً: الاتهام لأصول السنة وأقطابها الثلاثة، حيث قام المستشرقون بتناول أصول السنة النبوية الشريفة: الصحابة الكرام وعلى وجه الخصوص الصحابيين الجليلين أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما، إذ طعنوا بعدالتهم وشككوا بضبطهم، ونادوا بضرورة إخضاعهم لميزان الجرح والتعديل شأنهم شأن غيرهم من سائر الرواة، وأحاديث الصحيحين صحيحي البخاري ومسلم؛ لأنّهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، وقد تلقاهما علماء الأمّة بالقبول وأجمعوا على العمل بهما، وعلم الرجال وقواعد الجرح والتعديل، إذ اتهموه بأنّه علم قائم على أساس مراعاة أحد طرفي الحديث الإسناد وظاهر أحوال الرواة بشكل أكبر من مراعاة قواعد نقد متونه، ليس هذا فحسب، بل قالوا عنه: بأنّه منهج قائم على أساس الميول المذهبية في الحكم على الرواة جرحاً وتعديلا، بهدف فقد الثقة بحجيتها بدعوى أنّها أصبحت تراثاً قديما لا قيمة له عندهم.

ومن الشواهد على طعن المستشرقين بعدالة بعض الصحابة وضبطهم قول جونبول: "إنّ الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع أول الأمر، ولهذا نجد أنّ الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين النّاس"(٢). ويقول أيضاً: "وهناك قسم خاص من هذه الأحاديث التنبؤية وضعت في صورة أقوال نُسبت إلى محمّد تتعلق بفضائل وأماكن متعددة ونواحي في بلاد لم يفتحها المسلمون إلا في عصر متأخر، وعلى هذا لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفاً تاريخياً صحيحاً لسنّة النّبي، بل هي على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة

---

(١) السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط/٤، ١٤٠٥هـ، ص٦٦، والصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية، ٨٦/٢.

(٢) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة من السنة النبوية، ٩١/٢.

محمّد ونُسبت إليه عند ذلك فقط، ومع مضي الزمن لم يجرؤ أحد على الشك في صحة هذه الأحاديث ولم يصبح في الإمكان اعتبار رجال كأبي هريرة الذي يرجع إليه الفضل في تداول هذه الأحاديث من الكاذبين، بل سلم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح"(١). وسيأتي الحديث عن بقية الشواهد الأخرى المتعلقة بطعن المستشرقين بأحاديث الصحيحين، وعلم الرجال والجرح والتعديل في المبحث الثالث الآراء النقدية للمستشرقين حول السنّة النبوية.

خامساً: الريبة في منهجية الشيخين البخاري ومسلم في كيفية تخريج الأحاديث، واعتماد قواعد المتكلمين في الحكم على الأحاديث، فقد اعتمد المستشرقون في دراستهم النقدية لأحاديث الصحيحين قواعد المتكلمين وحاكموا أحاديث الصحيحين على أساسها، وهذا في الحقيقة يتنافى مع القواعد العلمية الصحيحة. والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال: ردهم لأحاديث الصفات، كحديث نزول ربّ العزة إلى السماء الدنيا الذي أخرجه البخاري في صحيحه من طريق مالك نفسه وقد سبق ذكره، بحجة أنّ المسلم السنّي ليس بوسعه وبمقدوره تأويل هذه الصفات الواردة في القرآن الكريم والسنّة النبوية كما هو الشأن عند المعتزلة من أصحاب الكلام والمنطق على حدّ زعمهم.

سادساً: اجتزاء النصوص وتحريفها وتحويرها حال الاقتباس منها، حيث كان المستشرقون يتصرفون فيها وفق الغرض الذي ينشدونه، وهذا فيه من التلبيس والتدليس على القارئ ما فيه، واتهام للأئمة العلماء فيما نقلوه ودونوه في كتبهم. ومن الشواهد على تحريف بعضهم للنصوص حال اقتباس منها: "زعم جولد زيهر أنّ الزهري اعترف اعترافاً خطيراً في قوله الذي رواه عنه معمر: "إنّ هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث"، وفي هذا النص الذي نقله تحريف متعمّد يقلب المعنى رأساً على عقب، وأصله كما في

(١) السلفي، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ص٤٤١.

طبقات ابن سعد: أنّ الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للنّاس ويظهر أنّه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكرتهم، ولا يتكلوا على الكتب، فلمّا طلب منه هشام بن عبد الملك وأصر عليه أن يملي على ولده ليمتحن حفظه، وأملى عليه أربعمائة حديث، خرج من عند هشام وقال بأعلى صوته: "يا أيّها النّاس إنّا كنّا منعناكم أمراً قد بذلناه الآن لهؤلاء، وإنّ هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث، فتعالوا أحدثكم بها فحدثهم بالأربعمائة الحديث" (١)، وقد رواه الخطيب بلفظ آخر وهو: "كنّا نكره كتاب العلم، أي، كتابته حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا أن لا نمنعه أحداً من المسلمين" (٢)، وفرق واضح بين قول الزهري كما روى جولد زيهر (أكرهونا على كتابة أحاديث)، وبين قوله كما رواه المؤرخون من أئمة الحديث: (أكرهونا على كتابة الأحاديث، فحذف (أل) من الأحاديث قلبت الفضيلة رذيلة، حيث كان النص الأصلي يدل على أمانة الزهري واخلاصه في نشر العلم وطلبه، فلم يرض أن يبذل للأمراء ما منعه عن عامّة النّاس إلا أن يبذله للنّاس جميعاً، فإذا أمانة هذا المستشرق تجعله ينسب للزهري أنّه وضع للأمراء أحاديث أكرهوه عليه"(٣).

وأمّا الشواهد على اجتزاء النصوص في دراسات بعضهم، أي، تجزئتها ووضعها في غير موضعها، وغياب النظرة الكلية في الحكم على الأشياء وفي طريقة التعامل مع بعض القضايا، ما رواه النسائي في سننه من حديث أنس - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجُعل قرة عيني في الصلاة"(٤)،

---

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ت: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/٢، ١٤٠٨هـ، ١٦٩/١.

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تقييد العلم، دار إحياء السنّة، د.ط، ١٠٧/١.

(٣) السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٢٢١-٢٢٢، بتصرف.

(٤) النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي الصغرى، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، ط/٢، ١٤٠٦هـ، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، حديث رقم ٣٩٤٠، ٦١/٧.

فالمستشرق مرجليوث حين استشهد بقول الرسول ﷺ في الحديث السابق أخذ منه الشطر الأول وهو: "إنّما حُبب إليّ من دنياكم النساء والطيب"، دون ذكر بقية الحديث وهو: "وجُعلت قرة عيني في الصلاة"، وهذه التجزئة للحديث تحقق له أمرين: الأول: إظهار الرسول ﷺ في الصورة الجنسية التي يحاول المستشرقون وضعه فيها، والثاني: عدم ذكر الصلاة لإبعاد السامعين عن تقدير مكانتها كما يراها الرسول ﷺ(١).

سابعاً: فرض الفكرة وتبييتها مسبقاً، ومن ثمّ بناء الاستنتاجات الخاطئة عليها، والاستدلال عليها بالأخبار والوقائع الشاذة، بل والواهية في كثير من الأحايين. ومن ذلك: "أنّ كيتاني، وهو من كبار المستشرقين الأوائل الذين كتبوا عن حياة الرسول ﷺ كان يعتمد منهجاً معكوساً في البحث، وهو أنّه كان يبيت فكرة مسبقة، ثمّ يجيء إلى وقائع التاريخ لكي يستل منها ما يؤيد فكرته ويستبعد ما دون ذلك، وهذا هو دأب معظم المستشرقين يبيتون فكرة ثمّ يستعينون بكل خبر يظفرون به ضعيفاً كان أو شاذاً أو موضوعاً، بل يقوون الضعيف ويعدونه حجة(٢) " .

ومن الشواهد على ذلك أيضاً جزم جولد زيهر بوجود حزبين متناضلين اتخذا من تعارض الأحاديث سبيلاً يضع من خلالها ما يشاء من الأحاديث ليُثبت قوة رأيه ووجهة نظره، والقصد من ذلك كله الوصول إلى النتيجة التي ارتضاها لنفسه وهي أنّ القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي في القرنين الأول والثاني الهجريين، حيث يقول: "وممّا لا شك فيه أنّ تدوين الحديث أصبح أمراً واقعاً وعامّاً إلا أنّه لم يخل من معارضة؛ لأنّ الخلاف النظري بين الرأيين المتعارضين حول النهي عن كتابة الحديث أو السماح به قد امتد إلى أحقاب طويلة لاحقة، ولا يزال إلى الآن،

---

(١) عويضة، وليد أحمد، مناهج المستشرقين التأويلية، ص٢٠-٢١.

(٢) الأعظمي، محمد مصطفى، المستشرق شاخت والسنة النبوية، ص٨٣، وإدريس، العيوب المنهجية، ص١٥-١٧، بتصرف.

وحتى بعد انتشار الطباعة الحديثة من يميل إلى حفظ الحديث شفاهاً ونقله بنفس الطريقة واستخدم كل فريق الأحاديث النبوية لتعزيز وجهة نظره(١)".

ثامناً: التشكيك في قيمة الأسانيد الحديثية بدعوى أنّها وجدت بشكل بدائي في نهاية القرن الأول، ثمّ تطورت في القرنين الثاني والثالث، ممّا تعتبر معه غير صحيحة ولا يمكن قبولها. ورائد هذه الفكرة هو المستشرق شاخت، إذ ادّعى أنّ الإسناد عند المسلمين إنّما بدأ بالظهور في أوائل القرن الثاني، أو أواخر نهاية القرن الأول الهجري، ليس هذا فحسب، بل توصل إلى نتيجة مفادها أنّ علماء الحديث أصبح من عادتهم خلال القرنيين الثاني والثالث الهجريين نسبة عباراتهم إلى الرسول ﷺ بذكر أسانيد اعتباطية تفتقر للتسويغ المنطقي الذي يدل على التنظيم والعناية، وأنّ الأسانيد قد تمّ تطويرها بشكل تدريجي من خلال التزوير والوضع. إذ كانت الأسانيد المتقدمة غير مكتملة (يعني: فيها إرسال، أو موقوفة، أو مقطوعة، أو منقطعة)، فتمّ ملء كل الفراغات فيها في وقت تدوين المصنفات المشهورة التي تُسمّى بالمجموعات التقليدية كالكتب الستة ومسند أحمد وأمثالها، والأسانيد العائلية مثل عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وبهز ابن حكيم عن أبيه عن جده، كلها مختلقة سنداً ومتناً، وكل حديث في إسناده راو مشترك (يعني الراوي الذي عليه مدار السند)، يدل أنّ ذلك الراوي هو الذي اختلق سند ذلك الحديث(٢).

تاسعاً: تحريف شاخت لمفهوم السنّة النبوية، إذ يدعي أنّ مفهوم السنّة قديماً عند المدارس الفقهية يعني: (الأمر المجتمع عليه في الأوساط العلمية يعني الأمر المجتمع عليه، أو

---

(١) الخطيب، عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسيهر ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١/٤٢.

(٢) إدريس، خالد بن منصور بن عبد الله، العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية، ص١٥- ١٧.

بمعنى آخر التطبيقات المثالية للجماعة، ويؤدي التسليم بهذه الحقيقة إلى أنّ مصطلح "السنة" لا علاقة له بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وقد بنت المدارس الفقهية القديمة مفهومها للسنّة وفقاً للمعنى القديم"(١). فهو بهذا التعريف الذي ابتكره قد خالف ما تعارف عليه علماء المسلمين قاطبة منذ أربعة عشر قرناً من أنّ السنّة النبوية هي أقوله ﷺ الصادرة عنه وأفعاله وتقريراته. وإذا كان شاخت قد رفض تماماً أن تكون السنّة لها علاقة بأقوال النّبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، فإنّ مرجليوث يبقى أهون منه شراً، إذ "استنتج أنّ مفهوم السنّة كمصدر للتشريع كان في بداية الأمر وانحصر مفهومه في الفترة المتأخرة فقط في أفعال النّبي ﷺ(٢)".

---

(١) المرجع السابق، ص١٥.

(٢) السلفي، محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، ص٤٣١.

المطلب الثالث: تقسيم المستشرقين من حيث التعنت والاعتدال:

إذا كان المستشرقون ممّن بحث في السنّة النبوية وكتب حولها ينحدرون من جنسيات متعددة وبلدان شتى، فإنّهم مع ذلك تجمعهم قواسم مشتركة وتربطهم روابط عديدة تجاه السنّة النبوية الشريفة، خاصة إذا علمنا أنّ كثيرين منهم قد قلد سابقه ودرج على شاكلته فيما كتبه حولها، بل كان في بعض الأحايين تلميذاً له قد تخرج على يديه في جامعة، أو في محفل من المحافل الدولية، أو كان أستاذاً وزميلاً معه فيها، ومن هذه الروابط: ظاهرة التعنت والعداوة للسنّة النبوية، ويقابلها ظاهرة الإنصاف لها، وبين هذه وتلك ظاهرة الحياد. من هنا كان لا بد من تقسيم المستشرقين وفق هذه الظواهر الثلاث إلى ثلاثة أقسام: المستشرقون المتعنتون، والمستشرقون المنصفون، والمستشرقون المحايدون. وسأتطرق في هذا المطلب لتعريف كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة، مع إعطاء نماذج توضيحية لكل قسم منها، وذلك على النحو الآتي:

القسم الأول: المستشرقون المتعنتون:

وهم الذين ظلموا الحقيقة، ولم يكلفوا أنفسهم أن يكونوا موضوعيين في طريقة تفكيرهم وفي توجيه أحكامهم نحو السنّة النبوية الشريفة، فقادهم التفكير الأعمى إلى مجانبة الحق والصواب فيما توصلوا إليه من نتائج ووجهات نظر حولها. ولربّما كان السبب الحقيقي من وراء دراستهم للسنّة النبوية الشريفة بهذه الطريقة المتعسفة التي ينقصها أدنى مستويات البحث العلمي وقواعده الرصينة هو حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين، فجالوا وصالوا خلال ديار المسلمين بحثاً وتفتيشاً وتنقيباً، وتقلدوا مناصب عديدة فيها، لكن ليس حباً في الإسلام والمسلمين، بل لأغراض وأحقاد دفينة تكمن في قيعان نفوسهم، فهم في حقيقتهم وواقع أمرهم لا يخلوا أحدهم أن يكون يهودياً متشدداً متطرفاً، أو نصرانياً قسيساً متعجرفاً تغذى بروح الكنيسة وتعاليمها، أو أعمى أغمض بصره وبصيرته عن نور الحقيقة، فضل الطريق، فتراه يأتي من هنا وهناك بأفكار ملوثة هي في

الحقيقة إفرازات عقيمة لا أصل لها في الواقع ويردها شاهد الوجود. ولنضرب مثالاً بسيطاً على ذلك: جولد زيهر الذي يُعد كبير المستشرقين ورئيسهم مكث في مكتبه الشهير في مدينة بودابست بألمانيا أكثر من ربع قرن للبحث والتأليف في شتى مجالات الحياة الإسلامية حتى ربت مؤلفاته على أربعين الآلاف مجلد في العلوم والفقه والفلسفة واللغة والأدب وما شابه ذلك، وارتحل إلى بعض الدول العربية مثل: سوريا وفلسطين والقاهرة، كلّ هذا ليس خدمة للإسلام والمسلمين، ولا يُتوقع من مستشرق يهودي موسوي أن يُسدي خدمة للإسلام والمسلمين.

ومن ضمن المستشرقين الذين وصفوا بالتعنت في دراسة السنّة النبوية والتعصب لبناة أفكارهم في تناول أصولها وركائزها الأساسية:

- **جولد زيهر**، وقد بدا تعنته واضحاً وتحامله جلياً في دراسة السنّة النبوية من خلال أبحاثه العديدة خاصة في بحثه الموسوم بـ "دراسات محمّدية"، وفي بحثه "دراسة عن النّبي ﷺ"، المنشور في المجلة الآسيوية البريطانية، وفي كتابيه المشهورين: "محاضرات في الإسلام" المطبوع في بمدينة هيدلبرج عام ١٩١٠م، و"العقيدة والشريعة في الإسلام". وأيضاً فيما كتبه حول السنّة النبوية في دائرة المعارف البريطانية. وممّا يؤكد ذلك: قول السباعي رحمه الله: "وقد صُنف تسيهر من المتعصبين من أشد النّاس خطورة وعداءً"(١).

وقول لقمان السلفي رحمه الله: "كان كثير الانتاج، مكنّه ذلك من الدس على الإسلام في كتاباته، وقد عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، قال الشيخ الغزالي: إنّه قرأ كثيرا من الأصول والمصنفات الإسلامية، لكنّه منذ قرأ وكتب لم يحمل بين جنبيه إلا

---

(١) السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص٤١.

فؤاد مترعاً بتكذيب الإسلام"(١).

وممّا يؤكد تعنت زيهر وتعصبه ليهوديته: أنّ إيمانه وقناعته الشخصية بمرجعية العهد القديم والفكر اليهودي جعلته يشكك بأصالة المصادر الإسلامية حينما زعم بأنّ ما جاء به النّبي ﷺ ملفق من أصول يهودية ومسيحية كما ذُكر سابقاً، ليس هذا فحسب، بل جعلته يشكك بعلماء الإسلام وسادتهم من الصحابة الكرام وتابعيهم وبمبلغ علمهم وأمانتهم، فنسب إليهم الوضع في حديث النّبي ﷺ حينما ادّعى بأنّ القسم الأكبر من الأحاديث إنّما كان نتيجة التطور الديني والسياسي والاجتماعي في القرنيين الأول والثاني، حيث يقول: "إنّ القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنيين الأول والثاني، وأنّه ليس صحيحاً ما يُقال من أنّه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنّه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج"(٢).

وقال أيضاً: "لا نستطيع أن نعزوَ الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إمّا قالها الرسول أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى"(٣). كما طعن بمدرات الرواية وأقطابها الرئيسة أمثال الصحابي الجليل راوية الإسلام أبي هريرة، والإمام الزهري أحد مشاهير التابعين وأعلامهم، ذلك أنّهم مدارات رئيسة دارت عليها الأحاديث، فإذا ما أفقد النّاس الثقة بأشخاصهم وبمبلغ علمهم ورواياتهم تحققت أغراضه المتمثلة بالطعن والتشكيك بالأحاديث المروية من طريقهم التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من السنّة النبوية الشريفة، والذي حمله على هذا كله هو تعصبه

---

(١) السلفي، محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، ص٤٣٢.

(٢) السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١٩٠.

(٣) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ٢/٥٥.

لفكره اليهودي واعتقاداته المتطرفة الخاطئة التي لا تمت للإسلام وأهله بصلة.

- **شاخت**، وهو الذي حمل رسالة جولد تسيهر في تعنته وتعصبه للسنّة النبوية الشريفة خاصة في كتابه الشهير الموسوم بـ "أصول التشريع المحمّدي"، يقول السلفي عنه: "من المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، انتخب عضواً في مجامع وجمعيات ونواد علمية كثيرة منها المجمع العلمي العربي بدمشق، هو من محرري دائرة المعارف الإسلامية، هو الذي حمل في العصر الحاضر رسالة جولد زيهر في الدس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه، وله مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي كله دس وتحريف على أسلوب شيخه جولد زيهر وهو كتابه أصول التشريع المحمّدي"(١).

وممّا يؤكد سير شاخت على خط شيخه زيهر في التعنت المقيت ليهوديته المتطرفة: "زعم في كتابه أصول التشريع المحمّدي أنّه لا يوجد حديث صحيح وخاصة من الأحاديث الفقهية، وفاق شاخت سلفه جولد زيهر إذ جعل من نظرة زيهر التشكيكية نظرة متيقنة في عدم صحة الأحاديث"(٢). كما يزعم شاخت أنّ الأحاديث نُسبت للنّبي ﷺ تدريجياً، فهي قبل أن تُنسب له كانت آراء للمذاهب الفقهية السائدة ومنسوبة للتابعين، وفي المرحلة الثانية نُسبت للصحابة، ثمّ نُسبت للنّبي ﷺ، ولهذا فهو يطلق على الإسناد بأنّه الجزء الأكثر اعتباطا من أجزاء الحديث، فهو يدَّعي بأنّه يمكننا أن نقول: إنّه كلما كان الإسناد متصلاً وتامّاً فإنّه يعني أنّه اخترع في مرحلة متأخرة ويصل بذلك إلى نتيجة مفادها أنّ كل أحاديث النّبي ﷺ لم يكن لها وجود أصلاً، بل اخترعت ووضعت خلال منتصف القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، فالأسانيد التي

---

(١) السلفي، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، ص٤٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٣٢.

نراها مع الأحاديث إنّما هي كلها موضوعة(١).

– **شبرنجر**، كان متحاملاً على النّبي ﷺ ويعزو إلى سياسته مع القبائل السبب في انتفاضها بعد وفاته فيما عُرف باسم الردة زاعماً أنّ النّبي ﷺ كان متسرعاً في الثقة بوفود القبائل الذين وفدوا عليه لإعلان إسلامهم، وينساق وراء الرأي القديم عند من كتبوا عن النّبي ﷺ من الأوروبي القائل بأنّ النّبي ﷺ كان مصاباً بهستيريا الأعصاب والرأس مفسرا عبقريته، وهذه الدعوى تجنبها حتى أشد المستشرقين عداوة للنّبي والإسلام، وهو مرجليوث، في المادة التي كتبها عن محمّد ﷺ في دائرة معارف الدين والأخلاق، ويبالغ في حكاية ما زعم من أنّ النّبي ﷺ ترضى آلهة العرب، ويحاول الحط من دور النّبي محمّد ﷺ في انتصارات الإسلام الهائلة واتساع رقعة دار الإسلام في فترة وجيزة جداً بأن يبالغ في تمجيد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذه العيوب تسود كل كتاب حياة محمّد وتعاليمه(٢).

– **هنري لامنس**، مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تامّاً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمهما، ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين(٣)، كما يعتبر هنري لامنس مثلاً على الانحرافات المنهجية التي يمارسها كثير من المستشرقين، يقول درمنغهم: "من المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال ميورو مرجليوث، ونولدكه، وشبرنجر، ودزي، وكيتاني، ومارسين، وغليوم، وجولد زيهر، وغودفروا وغيرهم، وفي النقد أحياناً فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص ومن المحزن أن لا تزال النتائج التي انتهي إليها

---

(١) الخطيب، عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسيهر ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، ١/٢٥.

(٢) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص٥٠٣.

المستشرقون سلبية ناقصة، ومن داعي الأسف أن كان الأب لامنس الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصباً وأنّه شوّه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام فعند هذا العالم اليسوعي أنّ الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً عن القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة بدلاً من أن يؤيد أحدهما الآخر"(١).

– **ماكدنالد،** ويُعد من أشدّ المتعصبين(٢).

– **موير وليم،** كان شديد التعصب للمسيحية ولهذا اشترك بحماسة شديدة في أعمال التبشير بالمسيحية التي كانت تقوم بها البعثة التبشيرية العاملة في مدينة أجرا بشمال الهند، وكان يعمل في هذه البعثة أيضاً بنشاط وافر كارل جوتليب بفاندر مؤلف كتاب ميزان الحق الذي هاجم فيه الإسلام بمنتهى العنف ودافع عن العقائد المسيحية فردّ عليه العالم المسلم السهرنبوري رحمه الله بكتابه إظهار الحق، وخاض وليم موير معركة التبشير هذه بكتاب بعنوان "شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية"، ومن أجل التبشير أيضاً ترجم كتابه هذا إلى اللغة الأوربية، وشرع في نشر عدة مقالات في مجلة كلكتا في عام ١٨٦٣م تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام، ومصادر السيرة النبوية، وحياة النّبي حتى الهجرة، وكلها كتبها بروح متعصبة خالية من الموضوعية، ومن أجل هدف تبشيري خبيث، وجمع هذه المقالات وأضاف إليها مقدمة طويلة عن المصادر وأصدر هذا كله في كتاب ضخم بعنوان: "حياة محمّد وتاريخ الإسلام" في ٤ مجلدات(٣).

---

(١) السلفي، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، ص٤٤٢.

(٢) السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم، ص٤٦.

(٣) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٧٩.

-**كازانوفا**، ويعتبر من أكثر المستشرقين المعاصرين تحاملاً على العقيدة والنّبوة الإسلامية، وقد بدت مرجعيته المسيحية القروسطية واضحة تماماً في كتابه: (محمّد ونهاية العالم). وقد سعى كازانوفا في هذا الكتاب إلى إثبات تأثر القرآن الكريم بالأناجيل بكل طريق. ويثبُت ذلك في قوله: "ونحن نعتقد أنّ محمدًا كان ينتمي إلى فرقة مسيحية تؤمن أن الزمان قد انتهى، وكانت لا تنتظر إلا قدوم نبي أخبر عنه المسيح، وهو يحمل اسم باراكليت، وهو الذي يقابل في العربية أحمد، وهي صيغة أخرى لاسم محمّد(١).

-**كارل بروكلمان**، المستشرق الألماني، وهو عالم بتاريخ الأدب العربي، وصنّف بالألمانية كتابه المشهور تاريخ الأدب العربي، وقد تُرجم إلى اللغة العربية، وهو كتاب قيّم عدّ فيه أسماء الأدباء المسلمين من كتاب وشعراء وعلماء على اختلاف علومهم، ويُعدّ كتابه من أهم مراجع المخطوطات العربية وأماكن وجودها في مكتبات العالم. وقد نهج بروكلمان منهج كازانوفا، فاتّهم النّبي محمّد ﷺ بأخذ تعاليم دينه عن اليهود والنصارى، مركزاً على المصادر اليهودية التي أخذ عنها فكرة الخطيئة الأصلية، فقال: "وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمّد على أساس القرآن وحده طبعاً، وليست المسألة مسألة نظام مرتب، إذ لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانبه، ولم يكن عالمه الفكري من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية، فكيّفه محمد تكييفًا بارعًا وفقًا لحاجات شعبه الدينية(٢).

-**لويس ماسينون**، المستشرق الفرنسي المعروف، وكان جاسوساً في الشرق، وقد بذل وكثير من أمثاله جهوداً كبيرة لتخريب العقل العربي والإسلامي وكان مستشاراً في وزارة المستعمرات الفرنسية، تخصص في التصوف الأعجمي لبعض الزنادقة كالحلاج وأمثاله(٣).

---

(١) موقع على النت، www.alukah.net، نقلاً عن كتاب: نبوة محمد، ص٢٢٢.

(٢) نبوة محمد، ص٢٦٤، نقلاً عن كتاب: تاريخ الشعوب، كارل بروكلمان، ص٦٨-٦٩.

(٣) ندوة حول المستشرقين: ما لهم وما عليهم، مجلة الفيصل السعودية، العدد الثالث، رمضان ١٣٩٧هـ، الصفحة ٢٤ وما يليها.

-**دي ساسي**، المستشرق الفرنسي الذي كان يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ عام ١٨٠٥م. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠م، كان دي وهو من ترجم البيان الموجه للشعب الجزائري آنذاك.

-**وهناك أيضاً**: ارنست رينان، الذي كان يعمل مخطّطا للاستعمار الفرنسي، ومرجليوث، يهودي إنجليزي ونيكلسون، وآربري، وفينسنك، ودوزي، وأرفنج، ودرمنغهم، ولودفيج، ومن المعاصرين برنارد لويس، يهودي يعرض الإسلام بطريقة ترعب جمهوره الغربي، فيجعله أكثر رفضاً للإسلام وتعاليمه(١).

القسم الثاني: المستشرقون المنصفون:

والمستشرقون المنصِفون هم الذين أَنصفوا أنفسهم قبل أن ينصفوا الحقيقة، وكانوا موضوعِيّين في طريقة تفكيرهم وفي توجيه أحكامهم نحو السنّة النبوية الشريفة؛ فقادهم التفكير المنصف إلى قول الحق والصواب فيما توصلوا إليه من نتائج ووجهات نظر حولها، بل أدى ببعضهم البحث عن الحقيقة إلى اعتناق الإسلام رغبة فيه دون رهبة. وهذا الصنف من المستشرقين ليس له هدف من دراسة السنّة النبوية إلا حب البحث والاستقصاء والوقوف على التراث العربي والإسلامي، واستجلاء الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جداً إذا ما قورن بالصنف الأول، وهم المتعنتون، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إمّا لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإمّا لجهلهم بالأجواء التاريخية وملابسات الأحداث على حقيقتها، وهؤلاء سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبيّن لهم، ولكنّهم كثيراً ما يتهمهم غيرهم من المستشرقين بالانحراف العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في

---

(١) www.starimes.com

مجاملة العرب والمسلمين والتقرب إليهم(١). ومن هؤلاء الذين وصفوا بالإنصاف في دراسة السنّة النبوية والأصالة والاستقصاء في تناول أصولها وركائزها الأساسية:

- **توماس آرنولد،** فهو من المستشرقين البريطانيين الذين وصفوا بالأصالة في عملية البحث والاستقصاء والمعاناة في الحصول على وثائقه من شتَّى المصادر، ومختلف الأقطار، ومختلف اللغات، كما يتجلَّى ذلك في كتابه: الدعوة إلى الإسلام، الذي أثبت فيه بما لا يدع مجالاً للشكِّ أن الإسلام لم ينتشر في العالم بحدِّ السيف، بل انتشر بالدعوة والحجَّة والإقناع، وأخلاق المسلمين، ولم يثبت في التاريخ قط أن شعبا من الشعوب، أو قبيلة من القبائل، أو حتى أسرة من الأسر أجبروا على التخلي عن دينهم، أو الدخول في الإسلام. كما اعترف بذلك بحق المؤرخ الفيلسوف الاجتماعي غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب)، وكذلك المستشرق البريطاني المعروف مونتجمري وات في كتابه (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر(٢).

- **غوستاف لوبون،** إذ يعتبر من خيرة الرجال المنصفين الذين أنجبتهم أوروبا المسيحية في العقود الأخيرة من القرن الماضي. كما يعتبر من أكابر المؤرخين الذين كتبوا عن الحضارة العربية والإسلامية، وذلك في كتابه الذي أصدره سنة ١٨٨٤م بعنوان: حضارة العرب. وقد تولى محمّد عادل زعيتر ترجمته إلى العربية ونشره سنة ١٩٤٥م. فقد انبرى لوبون في مقدمة كتابه للرد على أولئك المتعصبين المغرضين الذين يزعمون بأنّ الدين الإسلامي قد انتشر بحد السيف ليس إلاّ، وممّا قال: "إنّ القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام، فالمسلمون قد تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له، فذلك لما كان يتصف به العرب والمسلمون

---

(١) www.starimes.com.

(٢) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم محسن وآخرون، مكتبة النهضة، القاهرة، ط/٣، ١٩٧٠م، ص٧٠.

الغالبون من ضروب العدل، والذي لم يكن للنّاس عهد به، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى! لقد انتشر الإسلام بالدعوة، لا بحد السيف". وهو القائل: "لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب المسلمين"(١).

- **يوهان رايَسْكِه**، ذلك العصامي الألماني الذي كان ثمّن تفانيه في دراسة الأدب والتاريخ العربيين أن تعرض لاضطهاد فكري وعلمي من المتعصبين الذين ليست لدراستهم قيمة علمية، وممّا يؤكد ذلك قوله: إنّ ظهور محمّد ﷺ وانتصار دينه هما من أهمّ أحداث التاريخ الذي لا يستطيع العقل الإنساني إدراك مداها، ويدل ذلك على تدبير قوة إلهية قديرة.

-**يوليوس فلهوزن**، يقول: "إنّ عنصر النظام الذي أدخله محمّد ﷺ وسط كل تلك الفوضى، كان على كل حال سببًا في توحيد للقوى والعناصر لم يكن معروفًا حتى ذلك الحين، وكان أول ما استولى على قلبه اليقين بالله القادر على كل شيء، واليقين بيوم الحساب، وكان ذلك اليقين من القوة بحيث فاض عنها، فلم يجد بداً من أن يرشد إخوانه إلى نور الهدى وإلى الصراط المستقيم، ليخرجهم من ظلمات الحيرة وينقذهم من متاهات الضلال"(٢).

-**لودولف كريل**، وهو ممّن آمن بعظمة الإسلام وقيمه المثلى وكان من مقولاته: "فالقوة التي بناها محمّد ﷺ كانت سرعان ما تنهار مرة أخرى بعد موته إذا لم تكن قد بنيت على فكرة عليا"(٣).

---

(١) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص ٨.

(٢) www.djazairess.net.doat.com

(٣) المرجع السابق.

-**تيودور نولدكه**، ويُعدّ من كبار المستشرقين وكان إيمانه بسلامة الإسلام عقيدة وشريعة على درجة من الوضوح بحيث لا يخفى على قارئ كتبه، وممّا قال في هذا الشأن: "إنّ محمّدًا ﷺ كان على اقتناع بمهمّته لإنقاذ إخوته في الإنسانية من العذاب الأبدي بهدايتهم إلى العقيدة الصحيحة، ولكي يجعلهم مشاركين في السعادة السماوية"(١).

-**ليوبولد فايس**، أشهر إسلامه وتسمّى بمحمّد أسد وايس، وأنشأ بمعاونة وليم بكتول الذي أسلم هو الآخر مجلة الثقافة الإسلامية في حيدر آباد الدكن عام ١٩٢٧م وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام. إذ يقول: "إن أبرز المستشرقين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، وإنّ طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش"(٢).

-**مونتجومري واتّ**، حيث قال في كتابه: (محمّد في مكة): "إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أنّ محمّداً مدعٍ افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها، بل إنّه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمّد"(٣).

-**بوسورث سميث**، يقول في كتابه (محمّد والمحمّدية): "لقد كان محمّد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد، لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة، ولم يكن لديه جيوش مجيشة، أو حرس خاص، أو قصر مشيد أو عائد

---

(١) المرجع السابق.

(٢) www.saaid.net.doat.dali

(٣) www.wattpad.com

ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنّه حكم بالقدرة الإلهية فإنّه محمّد؛ لأنّه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها"(١).

– **السير موير الإنكليزي**، حيث يقول في كتابه (تاريخ محمد): "إنّ محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإنّ محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم"(٢).

– **إتينّ دينيه**، وهو مستشرق فرنسي، أشهر إسلامه وتسمّى باسم ناصر الدين دينيه، وهو مسلم يقرأ القرآن ويصلي، بل ويحج إلى بيت الله الحرام، ولم يكن اعتناقه للإسلام نتيجة تجربة أو تأثر بسيط، بل كان نتيجة بحث ودراسة تاريخية معمقة لجميع الديانات، وقد دافع عن الإسلام والمسلمين مفنداً افتراءات المستشرقين في كتابه الشهير محمّد رسول الله ﷺ الذي استعرض فيه حياة الرسول ﷺ منذ الولادة وحتى الوفاة بقلم صادق أمين(٣).

القسم الثالث: المستشرقون المحايدون:

ونقصد بهم: المستشرقين الذين بحثوا وألفوا في فنون عديدة من فنون السنّة النبوية الشريفة، كصنع الفهارس، وتحقيق المخطوطات، ونشر الكتب وترجمتها، وما شابه ذلك، بدافع الوقوف على كنوز التراث العربي الإسلامي وإبرازها للغير، دون مدح أو قدح فيما توصلوا إليه من خلال بحثهم الدؤوب. وهي جهود قيّمة تحسب لهم ويُشكرون عليها، وإن بدا فيها ما بدا من بعض الأخطاء والعيوب المنهجية التي كانت محل درس علماء

---

(١) المرجع السابق.

(٢) www.tawheedz.wordpress.com.

(٣) www.alfaisalmag.com

الحديث لاحقاً، فهي على أي حال تبقى جهداً بشرياً يعتريها ما يعتري الجهود البشرية من العيوب والنقائص، فالكمال لله ولرسوله. وسأرجئ الحديث عن النماذج الخاصة بهذا القسم في المبحث الثاني (كتابات المستشرقين في السنّة النبوية)، فقد خصص لإبراز جهودهم وجهود غيرهم من أصحاب القسمين الآخرين التي بُذلت في المجالات المشار إليها سابقاً وفي غيرها.

المبحث الثاني

كتابات المستشرقين في السنّة النبوية

تنوعت كتابات المستشرقين حول السنّة النبوية الشريفة وتعددت ما بين اكتشاف للمخطوطات وجمع لها، وما بين تأليف لبعض الكتب، أو فهرسة، أو ترجمة، أو نشر وتحقيق لها، وسأتطرق في هذا المبحث لهذه الجهود المتعددة، وذلك وفق المطالب الآتي ذكرها:

المطلب الأول: اكتشاف المخطوطات وجمعها:

ومن ضمن المستشرقين الذين كانت لهم جهود في اكتشاف بعض المخطوطات وجمعها الآتي ذكرهم:

- **ايتيان بارتليمي**: فقد عثر على رسالة النّبي ﷺ إلى المقوقس في تضاعيف أحد المخطوطات القبطية في صعيد مصر، وكتب بلين وهو مستشرق فرنسي أيضاً دراسة حولها ظهرت في المجلة الآسيوية بعد سنتين من كتابتها مع صورة سيئة منها، وقد أعلن بلين في دراسته هذه عن الثقة في أصالتها وتبعه المستشرق الألماني نولدكه بيد أنّ كايتناي الايطالي وسارجنت ومونتومري وات وغيرهم رفضوا تصديق خبر الرسائل والوفادات برمتها وكل هذا تعنت بارد منهم لم يستند إلى دليل(١).

- **جان ريبكا**: يعود الفضل إليه في جمع المخطوطات (١٨٨٦-١٩٦٨م)، حيث اشترى مخطوطات المجموعة الثانية عام ١٩٣٣م فيها كتاب مصابيح السنّة للبغوي(٢).

- **دافيد ويل**: من آثاره نبذة عن مخطوط مالكي في الحديث لعبد الله بن وهب

(١) السامرائي، قاسم، علم الاكتناه العربي الإسلامي، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط/١، ٢٠٠١.

(٢) عوني، عبد الرؤوف محمد، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط/١، ٢٠٠٤، ص٨٤.

القرشي المتوفى عام ١٩٣٥م والجامع لابن وهب الجزء الأول نص و٥٣ لوحاً، والجزء الثاني تعليق في مجلدين في المعهد الفرنسي بالقاهرة(١).

- **شبرنجر**: اكتشف الجزء الأول من الطبقات الكبرى لابن سعد بمكتبة خاصة بمدينة كاونبور، وأجزاء أخرى بدمشق(٢).

- **فايسفايلر**: له مخطوطات علم الحديث في استانبول (إسلاميكا ١٩٣٦م)(٣).

- **كارل بروكلمان**: من أشهر المعتنيين بالمخطوطات وأماكن تواجدها.

---

(١) العقيقي، المستشرقون، ص٣١٥.

(٢) عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص٥٧.

(٣) العقيقي، المستشرقون، ص٧٩٤.

المطلب الثاني: التأليف في كتب السنّة المتعددة:

ومن ضمن المستشرقين الذين كانت لهم جهود في تأليف عدد من كتب السنّة وعلومها الآتي ذكرهم:

– **ادوار زاخاو**: له مصادر تاريخ ابن سعد اشترك فيها مع هوروفيتش، وليبيرت، وسترستين وبروكلمان، ومايستر، وميتفوخ، وشواللي في نشر كتاب الطبقات لابن سعد في تسع مجلدات، وفيه دراسات نفيسة عن الحديث التاريخي لدى ابن سعد، والمجلد التاسع، الجزء الأول يشتمل على فهرس الأشخاص الذين ترجم لهم ابن سعد وضعه أحمد والي عام ١٩٢٠م، ويشتمل الجزء الثاني على فهارس أسماء البلدان والشعوب وأقوال النّبي والقوافي وسور القرآن التي جمعها زاخاو نفسه عام ١٩٢٨م، والجزء الثالث على ذيل للأعلام الذين ذكروا خارج الكتاب، طبع بعد وفاته، وقد اعتمد فتسفلد كتاب الطبقات لوضع مصنفه في جداول الأنساب(١).

– **الفريد جيوم**: له مدخل إلى علم الحديث مذيل بمعجم(٢).

– **بروفنسال**: كتب عن الرواية المغربية لصحيح البخاري(٣)، أو ما يسمّى بالإحصاء المغربي لصحيح البخاري في المجلة الآسيوية عام١٩٢٣م(٤) وهو تصوير بالزنكو غراف للإحصاء المغربي العتيق المعروف بإحصاء ابن سعدة الذي وضعه في مرسيه عام ٤٩٢هـ مع مقدمة وتذييل بدراسة ضافية(٥).

---

(١) العقيقي، المستشرقون، ص٧٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥٤٣.

(٣) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٢٨/١.

(٤) العقيقي، المستشرقون، ص٢٧٧.

(٥) المرجع السابق، ص٢٧٧.

- **شاخت**: له دراسات كثيرة نشرها في المجموعات والمجلات العالمية ودائرة المعارف الإسلامية وغيرها، ومنها: إعادة النظر في أحاديث الأحكام (المجلة الآسيوية البريطانية ١٩٤٩م)(١).

- **كارل بروكلمان**: ألف كتاب تراجم من روى عنهم محمد بن إسحاق للمغازي(٢)، ومن الدراسات التي أسهم فيها في دائرة المعارف الإسلامية البخاري، والعسكري، والبيهقي (دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ليدن ١٩١٣م)، وابن عساكر، وابن الجوزي، وابن اسحاق، وابن قتيبة والقسطلاني، (دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني ليدن ١٩٢٧م)، والنّووي (دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثالث ليدن ١٩٣٦م) (٣)، وكتب عن ابن حبان (دائرة المعارف الإسلامية ١/١٦٤)(٤).

- **تسفيتكوف**: ألف كتاب (محمّد والقرآن) الذي صدر عن مطبعة هيئة الأركان التابعة للفيلق العسكري التركستاني الثاني عام١٩١٢م. تمّ تخصيص فصل في هذا الكتاب عن السنّة وذلك في الصفحات ٢٥٨-٢٩٧، الفصل الثالث، السنّة ص٢٥٨. ونشأة وتأليف السنّة ص٢٥٩، الأحاديث ص٢٦٢، السنّة ص٢٦٧، الإسناد ص٢٧٥، رجال الإسناد ص٢٧٧، أنواع السنّة ص٢٨٥، الحديث المتواتر ص٢٨٥، الحديث المنقطع ص٢٩٠(٥).

- **ليو تولستوي**: قال الجار الله: "انتخب أحاديث سمّاها أحاديث محمّد ﷺ ترجمها من الإنجليزية: س. د. نيكولايف، سلسلة المفكرون الرائعون من جميع الأزمنة

---

(١) العقيقي، المستشرقون، ص٨٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص٧٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص٧٨٤.

(٤) سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/٣٨٠.

(٥) الجار الله، جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، ص٢٠-٢١.

والشعوب، نشرة بوسريدنيك، عدد٧٦٢، موسكو، مطبعة فيلده، عام١٩١٠م. وفي بداية الكتاب تمّ الإشارة إلى مصدر الأحاديث المختارة، وهو كتاب بالإنجليزية لأحاديث محمّد ﷺ ألفه عبد الله السهروردي في الهند، مستهلاً الكتاب بالآية القرآنية التالية: { يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ }(١). وقد انتخب ليو تولستوي الأحاديث الواردة في هذا الكتاب والمترجمة إلى اللغة الروسية باعتبارها تشتمل على حقائق عامّة تتسم بها كل التعاليم الدينية. تقول د. مكارم الغمري في استعراضها لتأثير الشرق العربي في فكر تولستوي وإنتاجه: "ويتصدر كتابات تولستوي عن الإسلام كتيب بعنوان: "أحاديث مأثورة لمحمّد".. ولم يكتف تولستوي بالتقديم للكتاب، بل - وكما أشير في المؤلفات الكاملة- قام بعمل تصحيحات به بتاريخ ١٣فبراير١٩٠٩م، غير أنّ هذه التصحيحات لم يحتفظ بها، وفي يوليو من العام نفسه قام تولستوي بإدخال الكثير من التعديلات، وأعاد صياغة بعض الأحاديث، وقد أبقى على ستة عشر حديثاً منها بختم مطبعة كوشيريفا بتاريخ ١١يوليو ١٩٠٩م وظهر الكتاب بعدها تحت عنوان: "أحاديث مأثورة لمحمّد" جمع تولستوي(٢). وله (حِكَم النّبي محمد ﷺ ترجمة سليم قبعين، تقديم وتعليق عبد المعين الملوحي، مع ملحق في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب حكم النّبي محمد ﷺ لتولستوي بقلم محمود الأرنؤوط. الطبعة الثانية، دار الملوحي للطباعة والنشرة والتوزيع، دمشق - سورية، ١٩٩٧م (٣).

- **جولد تسيهر**: كتب في كتابه الدراسات الإسلامية عن الترمذي، وعن النسائي،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٢) الجار الله، جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة ، ص١٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٨ - ١٩.

وعن أبي داود، وأرخ للبخاري، وكتب عن ختم البخاري، وترجم لمسلم(١). وقد تقرر هذا الكتاب منهاجاً في قسم دراسات الشرق، حيث قامت الجامعة بنشر ترجمة جديدة لهذا الكتاب مع تعليقات المستشرق برنارد لويس، وقد رد عليه كثير من المسلمين ومن أبرزهم الدكتور السباعي - رحمه الله- وأعدت بعض البحوث عنه في قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة(٢) .

- **جيمس روبسون:** ألف كتاب المدخل إلى علم الحديث عام ١٩٣٥م، والإسناد في الحديث عند المسلمين عام ١٩٥٣-١٩٥٤م، ومواد الحديث عام ١٩٥١م، والحديث ترتيب وفهرسة عام ١٩٥١م، والأساس الثاني للإسلام: الحديث عام ١٩٥١م، والغزالي والسنّة عام ١٩٥٥م، وصحيح مسلم عام ١٩٤٩م، وفي نشرة مكتبة ريلاندز ابن إسحاق والإسناد عام ١٩٥٥-١٩٥٦م، وسنن أبي داود عام ١٩٥٢م، وجامع الترمذي عام ١٩٥٤م، له ذم الملاهي لابن أبي الدنيا (مقالات في سماع الموسيقى، لندن ١٩٣٨م ثمّ ترجمه إلى الانجليزية)(٣)، وكتب عن أبي داود في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأوربية الثانية ومادة البخاري في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأوربية الثانية ١٢٩٦/١، وعن رواية صحيح مسلم(٤).

- **رتر**: له القرآن والحديث في مكتبات استانبول ١٩٢٨م(٥)، وله مقال "هل للسُّنة نصيب من الانحلال" أعمال الندوة الدولية لتاريخ الحضارة الإسلامية، المنعقدة في بوردو في ٢٥ إلى ٢٩ يونيو١٩٥٦م باريس ص١٦٧-١٨١ بالفرنسية وله ترجمة على

---

(١) سزكين، تاريخ التراث العربي، ٢٢٣/١، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٩١، ٣٠٠.

(٢) مطبقاني، مازن، موسعة المستشرقين، ص٨٧.

(٣) العقيقي، المستشرقون، ص٥٤٧.

(٤) سزكين، تاريخ التراث العربي، ٢٢٣/١، ٢٦٤، ٢٩١.

(٥) العقيقي، المستشرقون، ص٧٩٦.

الألمانية نشرت في كتاب فرانكفورت ١٩٦٠ص١٢٠-١٤٣ (١).

-**ريشير**: له في معهد اللغات الشرقية ببرلين كتاب الزواجر لابن حجر الهيثمي ١٩١١م، وأبو هلال العسكري ١٩١٥م، وحديث البخاري نشره في (الدراسات السامية ١٩٢٢م، ونشرة معهد اللغات الشرقية ببرلين ١٩٢٢)(٢)، وكتب ريشر عن العدد في صحيح البخاري، وملاحظات نقدية عن نص البخاري مع ترجمتها(٣).

- **شبرنجر**: من أهم إنتاجه العلمي كتاب "حياة محمّد وتعاليمه" خص الجزء الثالث منه بالقرآن والسيرة النبوية، والسنّة، وتفاسير القرآن وفيها يلخص المؤلف أرائه الرئيسة في الكتاب(٤)، وكتب مقالات عن سيرة النّبي ﷺ متعرضاً لأصول التعديل والتجريح عند رجال الحديث(٥). ومنذ أكثر من مائة عام كان شبرنجر قد جمع طائفة من المعلومات عن أقدم أشكال تدوين للحديث أي عمّا سُمّيَ صحيفة أو جزءاً أو حديثاً، ثمّ شرح جولد تسيهر هذه المعلومات وأضاف إليها غيرها(٦).

- **فايسفايلر**: له اسأمي شيوخ البخاري نشره(٧).

- **فايل**: كتب مقال اليهود والحديث (المجلة اليهودية ١٩٣٩)(٨).

---

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٧٩.

(٢) العقيقي، المستشرقون، ص٧٩٣.

(٣) سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/٢٢٨.

(٤) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٠.

(٥) عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص٥٧.

(٦) سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/١٥٣.

(٧) المرجع السابق، ١/٩٩.

(٨) العقيقي، المستشرقون، ص٧٩٤.

- **فستفنلد**: ألف حياة وكتب الشيخ أبي زكريا يحيى النووي بحسب مصادر مخطوطة "جيتنجن ١٨٤٩م، في ٧٨ص(١). وترجم لابن حبان البستي في كتابه عن المؤرخين العرب وفي طبقات الشافعية(٢)، وكتب عن الترمذي في كتابه عن المؤرخين العرب(٣)، وكتب عن النسائي في كتابه عن الشافعية(٤)، وكتب عن أبي داود في كتابه عن الشافعية(٥)، وترجم للبخاري في كتابه عن المؤرخين العرب ٦٢ وفي كتابه عن الشافعية(٦)، وترجم لمسلم في كتابه عن المؤرخين العرب(٧).

- **فنسنك**: له قيمة الحديث في الدراسات الإسلامية (العالم الإسلامي ١٩٢١)(٨)، وكتب عن الترمذي في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأوربية الأولى(٩)، وكتب عن النسائي في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأوربية الأولى(١٠)، وكتب عن أبي داود الطيالسي في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأوربية الأولى ٤،٧٦٧.(١١)

- **فشر**: حصل على الدكتوراه الأولى في نهاية ١٨٨٩م من جامعة هلة على نهر

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٠٠.
(٢) سزكين، تاريخ التراث العربي، ٣٨٠/١.
(٣) المرجع السابق، ٣٠٠/١.
(٤) المرجع السابق، ٣٢٨/١.
(٥) المرجع السابق، ٢٩١/١.
(٦) المرجع السابق، ٢٢٣/١.
(٧) المرجع السابق، ٢٦٤/١.
(٨) العقيقي، المستشرقون، ص٦٦٨.
(٩) سزكين، تاريخ التراث العربي، ٣٠٠/١.
(١٠) المرجع السابق، ٣٢٨/١.
(١١) المرجع السابق، ١٨٢/١.

الزالة برسالة عنوانها تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن اسحاق ونشرها في ١٨٩٠م وقد اعتمد عليها ابن اسحاق ونشرها في ١٨٩٠م، وقد اعتمد فيها على كتب الرجال خصوصاً ميزان الاعتدال للذهبي، ولم يكن قد طبع بعد فاعتمد على مخطوطات في برلين وجوتا(١).

– **فيوك**: كتب يوهان فيوك دراسة عن تاريخ رواية صحيح البخاري، وكتب عن مخطوط مهم لصحيح البخاري(٢).

– **كريمسكي**: كتاب سيرة محمّد ﷺ والكتابات عنه. هذا الكتاب يحتوي على دراسات ومقالات لكريمسكي، ويحتوي أيضاً على دراسات مترجمة من أعمال المستشرقين المعروفين دوزي وجولدتسيهر. اشتمل الكتاب على ثمانية فصول: الفصل الخامس منها: "القرآن والسنّة والأحاديث": بقلم أ. كريمسكي، ور. دوزي، بترجمة ف. إي كامنيسكي. وتحت عنوان السنّة (الأحاديث) تاريخ السنة، بقلم أ. كريمسكي ص١٤٥-١٥٨. وله كتاب في جهود الاستشراق الروسي في مجال السنّة والسيرة (ص: ١٦) احتوى الكتاب على مقدمة، وسبعة فصول:

الفصل الأول: الحديث والسنّة، معنى هذين المصطلحين وأهميتهما في الإسلام ص١-١٤.

الفصل الثاني: مواقف الأمويين والعباسيين ومعاصريهما من السنّة والحديث النبوي ص١٤-٢٨.

الفصل الثالث: نقد المسلمين أنفسهم للأحاديث وأهميته ص٢٨-٣٩.

الفصل الرابع: أساليب نشر وجمع الأحاديث ص٣٩-٥٢.

---

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٠٣.

(٢) سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/٢٢٧.

الفصل الخامس: تدوين الأحاديث، الكارهون والمؤيدون لتدوينها بين المسلمين ص٥٢-٦٠.

الفصل السادس: مراجع وأدبيات الأحاديث. الرأي الخاطئ بشأن نشوئها لدى المسلمين ص٦٠-٧١.

الفصل السابع: مجموعات الأحاديث الإسلامية (السنّية والشيعية) خصائصها المميزة ص٧١-٨١ (١)

- **من عروة إلى ابن إسحاق مع ابن هشام.** تأليف: أ. كريمسكي، الكتاب من إصدارات معهد لا زاريف للغات الشرقية، الإصدار١٣، موسكو، مطبعة فارواري، غاتسوك، ١٩٠٢م. وله كتاب تاريخ الإسلام، الجزءان (١-٢). تأليف: أ. كريمسكي، الكتاب من إصدارات معهد لازاريف للغات الشرقية في الاستشراق، الإصدار الثاني عشر، دار نشر فارواري غاتسوك، موسكو، ١٩٠٣م. وكتاب تاريخ العرب والأدب العربي. المدني والديني "القرآن، الفقه، السنّة، إلخ.."، الجزء الثاني، التاريخ من أقدم العصور، طبعة جديدة منقحة. تأليف: أ. كريمسكي، الكتاب من إصدارات معهد لازاريف للغات الشرقية في الاستشراق، الإصدار ١٥الجزء الثاني، موسكو، عام١٩١٢م.

- **لامنس:** له قرآن وحديث (مباحث العلوم الدينية ١٩١٠،١)(٢).

- **ماكدونالد:** من آثاره علم الكلام في الإسلام وهي دراسة اشتملت على مصطلحاته، وما جاء عنه في القرآن، والحديث، والتفسير، والمؤلفات الدينية واللغوية (دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢)(٣).

---

(١) الجار الله، جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، ص١٥.

(٢) العقيقي، المستشرقون، ص١٠٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٠٢.

- **مرجليوث:** من آثاره في مجلة العالم الإسلامي (الحديث ١٩١٢)(١).
- **مينسنج:** من آثاره الملزمة السادسة عشرة من مجموعة الحديث(٢).
- **نيولدكه:** ترجم لمسلم في كتابه تاريخ القرآن(٣).
- **وليم مارسه:** كتب عن أبي داود في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأوربية الأولى(٤).

---

(١) العقيقي، المستشرقون ، ص٥١٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٧٠.

(٣) سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/٢٦٤.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩١.

المطلب الثالث: الفهرسة والتصنيف:

ومن ضمن المستشرقين الذين كانت لهم جهود في مجال الفهرسة والتصنيف لبعض كتب السنّة وعلومها الآتي ذكرهم:

- **أنس خالدوف:** حظيت المخطوطات العربية بعمل رائع في فهرسة متعددة الأغراض من جزأين، قام بها فريق عمل من أساتذة المعهد بإشراف ومشاركة المستعرب الكبير أنس خالدوف، وقد استعرض د. خالدوف في مقدمة الفهرس الجهود السابقة في خدمة مخطوطات تلك الخزانة من فهرسة سابقة لمحتوياتها، والدراسات النقدية والأبحاث والمقالات العلمية حول تلك المخطوطات، والجهود التي تمّت في تحقيق ونشر بعضها، وقد أشار إلى هذه الجهود أيضاً عند مواطن إيراد هذه المخطوطات في داخل الفهرس. وأشار المشرف على إعداد الفهرس في تعريفه بالعمل الذي تمّ في إعداده وطريقة تصنيفه، وقد تمّ تصنيف الفهرس حسب الموضوعات بدءاً بالقرآن الكريم ثمّ الدراسات القرآنية، ثمّ الحديث. .. إلخ. والأصل في ترتيب المواد داخل كل عنوان حسب الترتيب الزمني، ويتم التعريف بالمخطوط من خلال إحدى عشرة معلومة، يأتي على رأسها عنوان المخطوط واسم مؤلفه واللذان يكتبان باللغة العربية. وإضافة إلى الفهرس الموضوعي للمخطوطات العربية وطريقة ترتيب المواد فيه والمعلومات التفصيلية المذكورة للمخطوطة، فقد اشتمل الفهرس على كشافات متنوعة: شملت قوائم بأسماء عناوين المؤلفات، وأسماء المؤلفين، وأسماء النساخ، وأماكن النسخ، وأسماء المتبرعين بالمخطوطات، وغير ذلك من كشافات مفيدة، ممّا أعطى ميزة لهذا الفهرس رغم اختصاره ليُعرِّف بشكل دقيق بالمخطوطات العربية في خزانة معهد الدراسات الشرقية. لقد تمّ إعداد وتأليف هذا الفهرس في السنوات ١٩٦٤-١٩٧١م، وقد كان تحرير هذا الفهرس في الأعوام ١٩٦٩-١٩٧١م. قسم الحديث من الفهرس يأتي في الصفحات ٦٦-٨٥ من الجزء الأول، ويشتمل على ٤٦٠ مخطوطة، تحت الأرقام التالية: (٦٩٩- ٨)، وذلك حسب ترقيم الفهرس. ويأتي ترتيب المواد فيه

حسب الترتيب الزمني قدر الإمكان، وعندما يورد كتاباً أساسياً مثل صحيح البخاري، يورد كل ما له صلة به من شروح وتعاليق ومختصرات بعد إيراده مباشرة، بغض النظر عن تاريخ تأليفها، وحتى في حال عدم وجود المصدر الأساس، فإنّ المخطوطات ذات الصلة به تذكر في مكانه المفترض في مقدمة الفهرس، استعرض المشرف على إعداده محتوياته بإجمال، ومن ضمن ما استعرضه مخطوطات قسم الحديث. (ص٧). المخطوطات الحديثية الواردة في الفهرس تمثل التصنيف في الحديث وعلومه منذ القرن الثالث الهجري، وفيما يلي استعراض لنموذج من عناوين تلك المخطوطات من بداية قسم الحديث، وحسب الترتيب الوارد في الفهرس، تحت الأرقام التالية: (٦٦٩-٧٤٨)، ويجدر التنبيه هنا أنّ ما يرد تحت بعض تلك الأرقام قد يكون أجزاءً أو نسخاً أخرى للكتاب:

. **الجامع الصحيح**، تأليف محمد بن إسماعيل البخاري.

. **الكواكب الدراري في شرح الجامع الصحيح للبخاري**، تأليف شمس الدين محمد الكرماني.

. **فتح الباري في شرح البخاري**، تأليف ابن حجر العسقلاني.

. **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث الباري**، تأليف أحمد بن إسماعيل الكوراني.

. **التوشيح على الجامع الصحيح**، تأليف السيوطي.

- **إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري**، تأليف أحمد القسطلاني. ومقدمة شرح تراجم (أبواب الصحيح) الباري، تأليف أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.

. **مختصر الصحيح**، تأليف عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي.

- **رسالة في الجامع الصحيح للبخاري**، تأليف أحمد بن محمد العدوي الخلوتي المعروف بالدردير الأزهري.

. **الرسالة المتعلقة على كتاب الصحيح للباري**، تأليف محمد علي بن طاهر الوتري.

. **تسمية من سمي من أهل البدر في الجامع للبخاري.**

. **الثلاثيات**، تأليف محمد بن إسماعيل البخاري.

. **مختصر الصحيح لمسلم**، تأليف عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.

. **الشمائل**، تأليف الترمذي.

. **شرح الشمائل**، للترمذي.

. **جمع الوسائل في شرح الشمائل**، تأليف علي القاري الهروي.

. **الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار**، تأليف أبي جعفر محمد ابن الحسن بن علي الطوسي.

. **الإفصاح عن معاني الصحاح**، وهو شرح على الجامع بين الصحيحين للحميدي، تأليف يحيى ابن محمد بن هبيرة.

. **أربعون حديثاً في الوعظ والخطب**، تأليف محمد بن علي بن ودعان

. **ومصابيح السنّة**، تأليف الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

. **الينابيع في شرح المصابيح**، تأليف أبي عبد الله عبد المؤمن بن أبي بكر ابن محمد التبريزي الزعفراني.

. **كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح**، تأليف محمد ابن إبراهيم المناوي.

. **مجالس الأبرار ومسالك الأخيار** (شرح على مصابيح السنّة)، تأليف أحمد بن عبد القاهر الرومي الأقحصاري.

. **شرح على مصابيح السنّة**، للبغوي.

. **مشكاة المصابيح**، تأليف محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب التبريزي.

. **شرح على مشكاة المصابيح**، تأليف السيد الشريف الجرجاني.

. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تأليف علي القاري الهروي.

- شرح على مشكاة المصابيح.

المخطوطات العربية للقسم الشرقي في المكتبة العلمية لجامعة سانت بطرسبرج.

فهرس مختصر، تأليف: أولغا فرالوفا، ت. دروجينا. تحرير: أولغا فرالوفا سانت بطرسبرج، ١٩٩٦م.

الفهرس باللغة الروسية، ونُشر بدعم من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي)(١).

– **شاخت**: له وبمعاونة شارل بيلا وبرنارد لويس الطبعة الجديدة من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (ليدن ١٩٥٧)(٢).

– **الورد**: وضع فهرساً لنحو عشرة آلاف مخطوط في عشرة مجلدات (برلين ١٨٨٧-٩٩) بلغ فيه الغاية فناً ودقة وشمولاً، المجلد الأول: سنة ١٨٨٧م، في ٤١٣ صفحة للعموميات ما عدا المقدمة، ٢، ٨٩، ٦٨٦ "الحديث، السنّة، القرآن(٣).

– **كارل بروكلمان**: له فهرس المخطوطات الشرقية خلا العبرية في مكتبة هامبورج الوطنية(٤). وتاريخ الأدب العربي بأجزائه الخمسة وهو المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها(٥).

– **ريشير**: له فهارس كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي، وكان قد نشره شواللي (شئو تجارت ١٩٢٥)(٦).

– **شارل بيلا**: عاون جوزيف شاخت وبرنارد لويس في نشر الطبعة الجديدة من

(١) الجار الله، جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، ص٤٠-٤٦.
(٢) العقيقي، المستشرقون، ص٨٠٤.
(٣) المرجع السابق، ص٦٨٠.
(٤) المرجع السابق، ص٧٧٩.
(٥) بدوي، موسوعة المستشرقين، ٩٨.
(٦) العقيقي، المستشرقون، ٧٩١.

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (ليدن ١٩٥٧)(١).

- **شوفان**: إنتاجه الرئيسي هو فهرست للمؤلفات العربية والمتعلقة بالعرب التي نشرت في أوروبا المسيحية من عام ١٨١٠م إلى عام ١٨٨٥م وقد قام بالإعداد لهذا الفهرس عشرين سنة وحرص على مشاهدة الكتب بنفسه، وإن كان مع ذلك عدد من الكتب قد زوده بعلامة بأنّه لم يطلع عليه واطلع على ما يقرب من سبعة آلاف مجلد من المجلات وبدأ الطبع في عام ١٨٩٢م وقسمه بحسب الموضوعات وصدر في اثني عشر مجلداً وكان المجلد العاشر في القرآن والسنّة(٢).

- **فنسنك**: في عام ١٩١٦م أعلن في مجلة ز مج ج٧٠ ص ٥٧٠ عن عزمه على وضع معجم مفهرس بحسب الألفاظ وبالترتيب الهجائي للأحاديث الواردة في كتب السنّة الصحاح الستة، وفي مسند الدارمي، وفي مسند أحمد بن حنبل، وفي موطأ الإمام مالك، فاستعان بثمانية وثلاثين باحثاً من مختلف البلدان للقيام بهذا العمل وأعانته مالياً أكاديمية العلوم في أمستردام، ومؤسسات هولندية أخرى، وعدد من أكاديميات بلاد أوروبية، وبدأوا في إعداد البطاقات لهذه المادة الهائلة من الأحاديث، ثمّ أصدر الجزء الأول في عام ١٩٣٦م من حرف االألف إلى حرف الحاء، ومن عام ١٩٤٢م صار هذا المشروع تحت رعاية الاتحاد الأكاديمي الدولي وتواصل ظهور باقي الأجزاء حتى اكتمل(٣). ثمّ على جانب ذلك أصدر متناً سهل التناول في الأحاديث النبوية الأولى مرتبة ترتيباً هجائياً عام ١٩٢٧م، وقد نقله إلى الحروف العربية فؤاد عبد الباقي تحت عنوان: "مفتاح كنوز السنة" عام ١٩٣٤م، والطبعة الأصلية ظهرت في حجم الربع في ليدن لدى الناشر بريل في

---

(١) المرجع السابق، ٣٢٧.

(٢) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٧٨.

(٣) بدوي، موسوعة المستشرقين ، ٤١٧.

١٨و٢٦٨ صفحة(١).

-كارسكايا: عمل ببليوغرافيا للأعمال الروسية في الدراسات العربية والإيرانية والتركية. الدوريات العلمية: ١٨١٨-١٩١٧م. وهو ل. ن. كارسكايا، من منشورات فرع معهد الاستشراق في سانت بطرسبرج التابع لأكاديمية العلوم الروسية، دار الأدب الشرقي للطباعة والنشر، موسكو، ٢٠٠٠م. وكتابه فهرسة للأبحاث والمقالات فيما له صلة بالدراسات العربية والإيرانية والتركية، والمنشورة في الدوريات والمجلات العلمية الروسية في المدة المحددة أعلاه، وهي تمثل الاستشراق في روسيا القيصرية منذ بداية الاستشراق النظامية إلى نهاية العهد القيصري. ورد ثلاث مقالات فقط تحت عنوان: الأحاديث، كلها للمستشرق أ. إي. شميدت، وذلك تحت الأرقام التالية: جهود الاستشراق الروسي في مجال السنّة والسيرة (ص: ٣٠) :

- **مقالة عن الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي:** ميزان الاعتدال في نقد الرجال. الأول (٤٨٦)، والثاني (٣٦٢)، القاهرة، ١٣٢٥هـ الموافق ١٩٠٨م.

مذكرات (تقارير) القسم الشرقي لجمعية الأثريات الروسية الإمبراطورية، عام ١٩١٠م، المجلد ١٩، ص٩٣-١٠٢. تناول فيها طرق جمع الأحاديث ونقد الأسانيد، وقائمة بأسماء أشهر جوامع الأحاديث وجامعيها، ومعلومات عن الذهبي وخمسة من مؤلفاته، وأهميتها بالنسبة للعلم.

- **دراسة في صحيح البخاري:** كتاب البيع وفيه باب السلم وباب الشفعة، ترجمة وتعليق ف. بيلتي، الجزائر ١٩١٠م.

- **مذكرات (تقارير) القسم الشرقي لجمعية الأثريات الروسية الإمبراطورية،** عام ١٩١٢م، المجلد ٢٠، ص١٠٢-١٠٩. تناول شميدت في تلك المقالة التعريف بصحيح

---

(١) المرجع السابق، ٤١٧.

البخاري ومحتواه ومصادره، وتشتمل على رأيه وملاحظاته على أحاديث الصحيح، ونظرية تطور الأحاديث.

ـ دراسة في كتاب الموطأ لمالك بن أنس: كتاب البيع، ترجمة وتعليق ف. بيلتي، الأستاذ في كلية القانون في الجزائر، ١٩١١م.

ـ مذكرات (تقارير) القسم الشرقي لجمعية الأثريات الروسية الإمبراطورية، عام ١٩١٣م، المجلد ٢١، ص١٠٤-١٠٧. تناول شميدت في تلك المقالة، الفرق بين صحيح البخاري والموطأ، ووصف الموطأ بكونه في جمع الأحاديث المخصصة للآراء الفقهية المعمول بها في المدينة. وهناك عنوان جانبي: النّبي محمد ﷺ، ص١٦٥-١٦٦، ورد الإشارة إلى عدة مقالات، تحت الأرقام التالية: ١٤١٩-١٤٢٤. كما تجدر الإشارة هنا إلى عنوان جانبي آخر في بداية سرد المقالات عن الإسلام، بعنوان: أعمال عامة، ص١٦٢-١٦٥، وتحت الأرقام التالية: ١٣٨٧-١٤١٨. يتم تناول السنة بشكل أو بآخر في بعض تلك الأبحاث(١).

– **وتشالك**: فهرس مكتبة برلين الوطنية للمراجع والفهارس تناول فيه عشرة آلاف مجلد وصف منها أقسامها وفروعها (برلين ١٩٣٠)، وذيل ابن سعد (الإسلام ١٩٢٢م والمجلة الشرقية الألمانية ١٩٥٥م)، وفهرس المكتبة العباسة (المكتبات ١٩٣٠م) وغريب الحديث لابن سلام (إسلاميكا ،٢٤٥،٢٣)(٢).

– **وهناك أيضاً المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، تأليف جماعة من المستشرقين بمساعدة محمد فؤاد عبد الباقي، حيث تمّ فيه فهرسة الكلمات البارزة في الأحاديث النبوية الشريفة الموجودة في تسعة مصنفٍ من المصنفات الحديثية هي: الكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وتمّ ترتيب الكلمات البارزة فيها تحت

---

(١) الجار الله، جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، ص٢٩.

(٢) العقيقي، المستشرقون، ص٦٤٠.

مواد، وذلك بعد ردها لجذرها الثلاثي، ثمّ ترتيبها في المعجم هجائياً وذلك بوضع الأحاديث التي تحوي الكلمات البارزة مشيراً بالرموز إلى أماكن وجودها في المصنفات الحديثية سابقة الذكر.

المطلب الرابع: الترجمة لبعض كتب السنّة:

ومن ضمن المستشرقين الذين كانت لهم جهود في ترجمة بعض كتب السنّة وعلومها الآتي ذكرهم:

- **الفريد جيوم:** ترجم كتاب القدر من صحيح البخاري عام ١٩٢٤م(١).
- **ليوبولد فايس:** ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس عام ١٩٣٥م(٢).
- **وليم مارسه:** ترجم جامع الأحاديث للبخاري في أربعة أجزاء وقد عاونه في الجزأين الأولين هوداس (باريس ١٩٠٢م) وبمعاونة ديسبرمت مجموعة من شمالي إفريقيا عام ١٩١٣م(٣).

---

(١) المرجع السابق، ٥٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤٢.

(٣) المرجع السابق، ٢٧٤.

المطلب الخامس: النشر والتحقيق لبعض كتب السنّة:

ومن ضمن المستشرقين الذين كانت لهم جهود في نشر وتحقيق بعض كتب السنّة وعلومها الآتي ذكرهم:

- **ادوارد زخاو:** من أهم الأعمال العربية التي قام بنشرها كتاب الطبقات الكبرى، اشترك مع هوروفيتش، وليبيرت، وسترستين، وبروكلمان، ومايستر، وميتفوخ، وشواللي في نشر كتاب الطبقات لابن سعد في تسعة مجلدات (ليدن ١٩٠٤-١٩٠٧م)(١).

- **ادوين كلفرلي** (١٨٨٢-١٩٧١م) في هرتفرد: حقق الإتحافات السنّية بالأحاديث القدسية للمناوي نسخة مزوقة نفيسة ١٢٤٥ (٢).

- **الفونس شوريز:** حقق مخطوطات في نيويورك تتكون من ١٧ مخطوطة عربية من أهمها الأربعون حديث للنووي نسخة ١١٤٢(٣).

- **كارل بروكلمان:** حقق كتاب تلقيح فهوم الأثر لابن الجوزي، ونال عليه الأستاذية (ليدن ١٨٩٢- برسلاو ١٨٩٣م)، وحقق كتاب الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي عن مخطوط ليدليبزيج ١٨٩٥م، واشترك في نشر كتاب الطبقات الكبير لابن سعد فحقق المجلد الثامن الخاص بسير النساء (ليدن ١٩٠٤م)(٤).

- **توماس كوشينفسكس:** حقق كتاب طبقات خليفة بن خياط حققه بمدينة جو تنجن بألمانيا الغربية عام ١٩٦٧م تقدم به للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة من

---

(١) عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص٤١.

(٢) عباس، محمد حسن سليمان، جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي، دار المعرفة، الإسكندرية، ط/١، ٢٠٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص٧٩.

(٤) العقيقي، المستشرقون، ص٧٧٨.

الجامعة(١).

- **جونبول:** طبع الجامع الصحيح في ليدن أربعة أجزاء ١٩٠٨م طبعة سيئة(٢).

- **دي خويه:** نشر كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وهي أقدم مخطوطات العرب في أوروبا، حيث يعود إلى سنة ٣٥٢هـ، وكتب له وصفاً (٣)، ونشر كتاب تهذيب الأسماء للنووي ليدن ١٨٧٤م، وطبقات الحفاظ للذهبي ليدن ١٨٧٤م(٤).

- **ديدرنج:** حقق كتاب الكنى والألقاب لأبي عبد الله الأصفهاني مع تعداد نسخة وفهارس مستفيضة له (أوبساله ١٩٢٧م)، وكتاب ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (ليدن ١٩٣١)(٥).

- **دي يونج:** نشر صحيح البخاري عام ١٨٦٢م، وكتاب الأنساب لأبي الفضل المقدسي (ليدن ١٨٦٥م)، والأنساب المتفقة في الخط لابن القيسراني (١٨٦٥م)، والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي (ليدن ١٨٨١م)(٦).

- **رتر:** نشر كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة عام ١٩٢٨م، وإصلاح الغلط في غريب الحديث لابن سلام عام ١٩٢٩م وابن سعد عام ١٩٢٩م(٧).

---

(١) عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص٧٣.

(٢) سزكين، تاريخ التراث العربي، ٢٢٨/١.

(٣) العقيقي، المستشرقون، ص٦٦٤، وبدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٣٥.

(٤) المرجع السابق، ص٦٦٤.

(٥) المرجع السابق، ص٩٠٠.

(٦) المرجع السابق، ص٦٦٢.

(٧) المرجع السابق، ص٧٩٧.

- **زتر ستين**: اشترك في تحقيق قسم من طبقات ابن سعد التي كان يشرف على إصدارها أستاذه أدورد سخاو، فحقق المجلد الخامس من "كتاب الطبقات الكبير" لمحمد بن سعد، وهو يشمل طبقة التابعين في المدينة، والصحابة والتابعين في سائر بلاد العرب (ليدن ١٩٠٥م)(١).

- **سالمون**: نشر مقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي متناً وترجمة، وهو أطروحته للدراسات العليا (باريس ١٩٠٤م)(٢).

- **شبرنجر**: حقق كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (كلكتا ١٨٥٦)(٣).

- **فرانز روزنثال**: حقق كتاب التوبيخ لمن ذم التاريخ(٤).

- **فستفنلد**: حقق كتاب طبقات الحفاظ لأبي عبد الله الذهبي في ٣ أجزاء ،١٨٣٣م، وكتاب تهذيب الأسماء لأبي زكريا يحيى النووي جيتنجن ١٨٤٢-١٨٤٧م، ويقع في ٨٧٨ص، وكان نشر قسماً منه قبل ذلك في عام ١٨٣٢م (٥)، وطبقات السيوطي (٦).

- **فلايخامير**: من أساتذة جامعة هاله من آثاره: نشر كتاب مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستي وفيه ترجمة ١٦٠٢ محدث من الصحابة إلى التابعين فأتباع التابعين

---

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٢٨.

(٢) العقيقي، المستشرقون، ص٢١١.

(٣) المرجع السابق، ص٦٣٢.

(٤) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، كتاب: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٩٨٦، ص

(٥) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٠٠.

(٦) العقيقي، المستشرقون ونشر التراث، ص٨٩.

محققاً على المخطوط الوحيد في مكتبة جامعة ليبزيج (المكتبة الإسلامية ١٩٥٩م)(١).

– **فلايش هامر**: نشر مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ١٩٥٩م(٢).

– **فلايشر**: نشر نثر الآلئ (المجموعة الثانية من مصنفات فلايشر)، وزوال الترح في شرح منظومة ابن فرح لابن عبد الهادي المقدسي نشر منها مصطلح الحديث بترجمة ألمانية (ليدن ١٩٩٥م)(٣).

– **كرنكوف**: نشر تاريخ البخاري والدرر الكامنة لابن حجر، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(٤).

–**كريل**: نشر الجامع الصحيح للبخاري ثلاثة أجزاء (ليدن ١٨٦٢). ونشر جوينبول الجزء الرابع ليدن(٥).

– **ليبيرت**: نشر كتاب طبقات ابن سعد ليدن ١٩٠٤م(٦).

– **ليز وليم ناسو**: حقق ونشر نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني ١٨٦٢م(٧).

– **منجانا**: كتب منجانا عن مخطوط مهم لصحيح البخاري، وقد نشر مستقلاً، ثمّ حقق قطعة منه في كمبردج عام ١٩٣٦م. وقطعة المستشرق منجانا أقدم مخطوطة للجامع

---

(١) المرجع السابق، ص٩٠٨.

(٢) المستشرقون وتحقيق التراث، ص٩١.

(٣) العقيقي، المستشرقون، ص٧٠٧.

(٤) المستشرقون ونشر التراث، ص٩٧.

(٥) العقيقي، المستشرقون، ص٧١٦.

(٦) المرجع السابق، ص٧٢١.

(٧) المرجع السابق، ص٤٨٥.

الصحيح، وهي نسخة من سنة ٣٧٠هـ برواية المروزي وهو أحد رواة الفربري نشرها منجانا في كمبردج عام ١٩٣٦م(١).

– **ميتفوخ**: اشترك في نشر الطبقات لابن سعد في تسعة مجلدات عام ١٩٠٤م(٢).

– **هوداس**: عاون وليم مارسه بترجمة جزء من صحيح البخاري وهو في أربعة أجزاء (باريس ١٩٠٢م)(٣).

– **وليم مارسه**: نشر كتاب التقريب والتيسير للنووي متناً وترجمة وشرحاً (المجلة الآسيوية ١٩٠٠م)، وصنف بمساعدة أخيه جورج مارسه المتخصص بتاريخ العرب والعمارة والنصوص القديمة الأبنية العربية القديمة في تلمسان عام ١٩٠٣م(٤).

---

(١) سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/٢٢٨.

(٢) www.ar.wikipedia.orgwiki

(٣) العقيقي، المستشرقون، ص٢١٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٧٤.

المبحث الثالث

الآراء النقدية للمستشرقين حول السنّة النبوية

تنوعت آراء المستشرقين حول السنّة النبوية حتى شملت نواح وقضايا عديدة كان من أبرزها:

المطلب الأول: ما قيل حول المنهج النقدي عند المحدثين:

طعن بعض المستشرقين في المنهج النقدي عند المحدثين بطعون عدة، ومنها على سبيل المثال: إنّه منهج تنقصه الدقة والحيطة والحذر الشديدين، يقول جب هاملتون: "ما قام به المحدثون من جهود تجاه السنّة المدونة هو عبث لقلة حذرهم وتدقيقهم"(١). كما اتّهموه أيضاً بأنّه منهج قائم على مراعاة أحد طرفي الحديث (الإسناد وظاهر أحوال الرواة) بشكل أكبر من مراعاة قواعد نقد متونه، إذ تعوزه قواعد البحث العلمي الرصينة، ورائد هذه الفكرة شبرنجر وشيخ المستشرقين وكبيرهم جولد زيهر، يقول شبرنجر: "الأصول والقواعد التي راعها البخاري لا يمكن أن تُسمّى نقداً إنّه كان ينظر إلى سلسلة الرواة فقط، فإن لم تكن منقطعة نظر في أحوال الرواة وسلوكهم، وكان له قاعدة أخرى وهي أنّه كان يرد كل حديث لم يكن يوافق آراءه المتعصبة، فرده للأحاديث لا يعني أبداً أنّه حديث غير صحيح، ولكنّه يتميز بأنّه لم يكن يقلد مذهباً معيناً في الفقه، بل كان يعتمد فقط على صحة الأحاديث المزعومة وعلى عدالة الرواة" (٢)، ويقول زيهر في كتابه الشهير (العقيدة والشريعة): "إنّ وضع الأحاديث المدلسة ألف خطراً كبيراً شمل جميع ميادين السنّة سواء ما تعلق منها بالعبادات أو المعاملات، ومن هنا استلزم من أولئك

---

(١) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، مكتبة الرشد، الرياض، ط/٢، ١٤١٨ هـ، ٢/١٤٩.

(٢) السلفي، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ص٤٦٩.

الذين يسعون إلى صحة الحديث فحص حال الراوي وسلسلة رواته، فاشترطوا عدالة الراوي وتقواه وأمانته، وبذلك فقد اهتموا بسند الحديث أكثر من اهتمامه بمتنه، ومن هنا جاءت تسمية الإسناد بقوائم الحديث وبـ"قيد الحديث"، وأصبح صحة سلسلة الرواة المعيار الحقيقي لصحة الحديث"(١).

وتبعهما في هذه الفكرة واقتفى أثرهما فيها كل من: كيوم، ونيكلسون، وميور، ونيوكولاس وإليك أقوالهم وآراؤهم حولها:

يرى كيوم إنّ المحدثين يبحثون في الأسانيد شكلياً دون الاهتمام بنقد متونها متهماً إمام المحدثين البخاري رحمه الله بأنّه كان يعتمد في تصحيح الأحاديث وقبولها على قناعته بسلسلة الرواة فحسب، ويقول: "متى اقتنع البخاري بتحديد بحثه في سلسلة الرواة في السند مفضلاً ذلك على نقد المتن صار كل حديث مقبول الشكل حتمياً بحكم الطبع"(٢). ويقول نيكلسون: "إذا كانت سلسلة الإسناد متصلة، وكان كل فرد من أفراده عدلاً من وجهة نظرهم، فحينئذ قبلوا الحديث وصار شرعاً واجباً، ولا يمكن بسبب الإيمان السؤال عن متن الحديث؛ لأنّه وحي إليه فلا يقبل أي نقد تاريخي"(٣). وينتقد ميور معاصر شبرنجر طريقة اعتماد الأسانيد في تصحيح الحديث لاحتمال الدس في سلسلة الرواة، ورغم أنّه مثل شبرنجر أقر بأنّ ثمّة مادة أصلية في الحديث، لكنّه اعتبر نصف أحاديث صحيح البخاري ليست أصلية ولا يوثق بها"(٤). ويقول في كتابه حياة محّمد بالانجليزية: "لقد اتضحت لنا طرق النقد التي اتخذها المحدثون، والشدة التي جعلوها

---

(١) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ٢/١٤٩، نقلاً عن كتاب: جولد زيهر العقيدة والشريعة، ص٥٠.

(٢) العمري، أكرم، موقف الاستشراق من السنّة، ص٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص٧٣.

(٤) المرجع السابق، ص٧٣.

نصب أعينهم حتى أسقطوا ٩٩% من الأحاديث، ولكن الأوروبيون ينخدعون إذا ظنّوا أنّ هذا النوع من النقد رغم ما فيه من الشدة كان كافياً لمعرفة حقيقة الأحاديث، إنّهم كان يكفيهم لصحة الحديث أن يكون رواته عدولاً مع اتصال السند إلى صحابي ولو كان المضمون يستبعده العقل، إنّهم لم يخوضوا أغمار النقد بحرية وشمول، بل أصبحوا متمسكين بتلك القاعدة الوحيدة، ولم يجرؤا على نقد الحديث بناء على الشهادات الداخلية"(١). كما يرى نيكولاس في كتابه (النظريات المحمّدية في الاقتصاد): "أنّ المحدثين تجاهلوا تماماً المحتوى، وأصبح جلّ اهتمامهم باتصال السند إلى الرسول ﷺ، فالحديث الذي سنده متصل يعتبر صحيحاً"(٢).

من هنا يقترح جيمس روبسون لنقد الأحاديث النبوية استعمال المنهج المستعمل لنقد نصوص الأناجيل مع أنّه قد صرح بنفسه أنّ هذا المنهج ليس متفقاً عليه بين الباحثين في كتب العهد القديم(٣). كما يرى جوينبل أنّ هناك تبايناً واضحاً في الحكم على الرواة من قبل نقاد الحديث، فهناك من ينص على توثيقهم، وهناك من ينص على تجريحهم، إذ يقول: "والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافاً بيّناً، فربما كان ثقة عند قوم، ولكن غيرهم كانوا يعدونه في منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذباً في روايته"(٤).

المطلب الثاني: ما قيل في وضع الحديث وتطور تدوينه:

---

(١) السلفي، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ص٤٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦٧.

(٣) المرصفي، المستشرقون والسنة، ص٥٢.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ٧/٣٣٥.

يرى كثير من المستشرقين بأنّ الحديث النبوي الشريف لم يُدون في عهد النّبي ﷺ، وإنّما تأخر تدوينه إلى بداية القرن الثاني الهجري، ليس هذا فحسب، بل يدعون أنّه كان نتيجة التطور السياسي والفكري في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ويستدلون على ادّعائهم هذا بأدلة عديدة تعوزها الأمانة والدقة، وهما متطلبان رئيسان من متطلبات البحث العلمي الرصين الذي يدعون التزامه وتطبيقه في أبحاثهم ودراساتهم خاصة تلك الدراسات التي تتعلق منها بالسنّة النبوية الشريفة، وهم في الحقيقة أبعد ما يكونون منه بعد ما بين المشرق من المغرب، أو بعد ما بين السماء والأرض.

وقد كان من جملة ما قيل من قبل هؤلاء المستشرقين حول تدوين الحديث ووضعه القضايا الآتية ذكرها:

القضية الأولى: حاول كبير المستشرقين جولد زيهر ورئيسهم تجاهل ما يعدّ من مسلمات الأمور عند أهل الحديث قاطبة وعند غيرهم من أنّ الحديث قد كُتب في السطور كما حُفظ في الصدور في القرن الأول الهجري مروراً بعهده ﷺ، وعهد صحابته الكرام فما بعد، ولم ينتظر خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أمر بتدوين السنّة النبوية على الصعيد الرسمي للدولة. وممّا يؤكد ذلك أنّه أفرد في كتابه الشهير بـ (دراسات محمّدية) فصلاً خاصاً حول كتابة الحديث أتى فيه بأدلة كثيرة تُبرهن تأخر تدوينه إلى ما بعد القرن الأول الهجري، نذكر منها على سبيل المثال: ما يخص الوجود الحقيقي لصحف الحديث، حيث يقول: "إنّه ليس من الممكن التأكد ممّا إذا كان وجود ما يسمّى بالصحف أو الكتب يتفق مع الواقع أم أنّها صحف موضوعة اختلقها المتأخرون في مواجهة نفاة الحديث"(١). فهو يلقي بظلال من الشك حول وجودها الحقيقي بعد إقراره بوجودها بغية التوصل إلى النتيجة التي يتوخى الوصول إليها ألا وهي وصم السنّة بالاختلاق والوضع على أيدي الصحابة الكرام - رضي الله عنهم وأرضاهم وحاشاهم من

(١) د. ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ص٦٦٢، نقلاً عن كتاب: دراسات محمّدية.

ذلك كله-.

القضية الثانية: يرى جولد زيهر أنّ وضع الحديث إنّما بدأ في جيل الصحابة ﷺ, حيث يقول: "ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إمّا قالها الرسول أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى"(١)، ومن الأدلة التي استدل بها على صحة ما أدّعاه الآتي: اعتراف أنس بن مالك الذي صاحب الرسول ﷺ عن قرب عشر سنوات عندما سُئل عمّا يحدث عن النّبي ﷺ هل حدثه به فعلاً، فقال: "والله ما كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً"(٢)، وبأنّ معاوية قال للمغيرة بن شعبة: "لا تهمل في أن تسب أصحاب علي وتضطهد من أحاديثهم، وعلى الضد من هذا أن تمدح عثمان وأهله وأن تقربهم وتسمع إليهم"(٣).

القضية الثالثة: يُنكر دوزي نسبة هذه التركة المجهولة من الأحاديث إلى الرسول ﷺ(٤).

القضية الرابعة: ويزعم شاخت خليفة جولد زيهر أنّه "لم يكن الاحتجاج بالأحاديث ذات الأسانيد المتصلة إلى رسول ﷺ معروفاً عند المدارس الفقهية في القرنين الأول والثاني الهجريين، وإنّما بدأ هذا الأمر مع نشأة حزب معارض يقوده الإمام الشافعي يرى ضرورة إسناد الاستدلالات الفقهية إلى أقوال الرسول ﷺ أو أفعاله، ممّا

---

(١) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ٢/٥٥، نقلاً عن كتاب: زيهر العقيدة والشريعة، ص٤٩.

(٢) الطبراني، أحمد بن سليمان، المعجم الكبير، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط/٢، ١٤٠٤هـ، حديث رقم ٦٩٩، ١/٢٤٦.

(٣) السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٤، ١٤٠٥هـ، ص١٩١.

(٤) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ٢/٩١.

أدى إلى ظهور أحاديث تفصيلية مكذوبة عن الرسول ﷺ من أجل إيجاد مصدر تشريعي لآراء الحزب الفقهية، إلا أنّ المدارس القديمة حاولت أن تقاوم هذا الحزب المعارض الجديد، ولكنّها رأت أنّ ذلك أصبح صعباً؛ للقبول العام الذي وجده في الأوساط العامة، ممّا أدى حسب رأي شاخت أن شاركت تلك المدارس أيضاً في الكذب والوضع على الرسول الكريم ﷺ حتى تضمن الانتصار في المناظرات العنيفة مع الخصوم والمخالفين.

وابتكر قاعدة؛ ليستدل بها على أنّ كثيراً من الأحاديث لم تكن إبان فترة الإسلام الأولى، ونص هذه القاعدة: "السكوت عن الحديث في موطن الاحتجاج دليل على عدم وجوده"، وإنّ أفضل سبيل لإثبات عدم وجود حديث ما في وقت من الأوقات، يكون بإثبات أنّ ذلك الحديث لم يستخدم دليلاً شرعياً في حجاج - يعني في مسألة خلافية- في الوقت الذي يكون الاستدلال به أمراً لازماً، هذا إذا كان الحديث نفسه موجوداً"، ويقول أيضاً: "من العسير أن يُعد أي من هذه الأحاديث صحيحاً فيما يتعلق بمسائل التشريع الديني"، والنتيجة النهائية التي هي خلاصة آراء شاخت في السنّة النبوية أنّه لا يمكن الحكم بصحة أي حديث من أحاديث الأحكام المروية بالسند إلى رسول الله ﷺ(١).

القضية الخامسة: يقول نيكلسون: "إنّ أهل الحديث تأييداً لمذهبهم في ضرورة إتباع ما تقرر من أحكام في القرآن بدئوا ينسبون كثيراً من القواعد والأحكام خطأ إلى رسول الله ﷺ وكانوا يضعونها في شكل قصص وأخبار عمّا قاله محمّد ﷺ"(٢).

القضية السادسة: تحامل في كتبه على السيرة النّبوية زاعماً أنّ كتب الأحاديث كلها موضوعة من أجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النّبي فلم يقم لكتب الحديث

---

(١) إدريس، العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية، ص١٣.

(٢) النملة، علي بن إبراهيم الحمد ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم ، ص١٢٥، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وكتب السيرة أي وزن وهو في هذا لا يسوق أي دليل قلبي أو عقلي ولايرجع إلى مصادر أخرى عن السيرة(١).

القضية السابعة: يقول ماكدونالدز: "لا شك في أنّ الأحاديث في ذاتها لا تعتبر أساساً يمكننا أن نبيّن عليه الحقائق التاريخية، وأنّها سجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية"، ويضرب أمثلة على الأحاديث المتناقضة، فيقول: "ونجد أحاديث تنص صراحة على أنّ محمداً كان لا يرضى عن الجدل في الدين بينما تجد أحاديث أخرى تصوره لنا مقبلاً على الجدل إقبالاً شديداً وكلا هذين النوعين مشكوك فيه على حد سواء، وربما كان النوع الأول من هذه الأحاديث قد وضعه الذين ظلوا مدة طويلة يرفضون تحكيم العقل في هذه الأمور ويقنعون بما يصل إليهم من طريق النقل"(٢).

---

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٠٤.

(٢) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوي، ٨٧/٢، ص٩٠.

المطلب الثالث: ما قيل حول بعض المصنفات الحديثية:

لعلّ ابرز ما قيل حول بعض المصنفات الحديثية دعوى جولد زيهر التي أثارها حول الكتب الستة وعلى رأسها الصحيحان، من أنّها تضم مجموعة من الأحاديث النبوية المبعثرة من هنا وهناك رأى مصنفوها أنّها صحيحة، والاعتراف بها أصولاً إنّما كان نتيجة من نتائج الأعمال النقدية التي قام بها علماء الحديث، ثمّ صارت هذه الكتب مراجع أكيدة لسنّة النّبي ﷺ وفي المقام الأول منها الصحيحان، وإليك نص دعواه:

يقول جولد زيهر: "لم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر أي خطر الوضع في الحديث ومن أجل هذا وضع العلماء علما خاصاً له قيمته، وهو علم نقد الحديث؛ لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث إذ أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة، ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليس كوجهات النظر عندنا تلك التي نجد لها مجالاً كبيراً في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها ووقف حيالها لا يحرك ساكناً، وكان من نتائج هذه الأعمال الاعتراف بالكتب الستة أصولاً وكان ذلك في القرن السابع الهجري فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة"(١).

(١)الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوي، ص١٤٨-١٤٩، نقلاً عن كتاب: جولد زيهر العقيدة والشريعة، ص٥٠.

المطلب الرابع: تفنيد آراء المستشرقين في المباحث السابقة:

وسأبدأ بتفنيد طعون المستشرقين المتعلقة بالمنهج النقدي عند المحدثين، وأولى هذه الشبهات تلك التي قيلت حوله بأنّه منهج تنقصه الدقة والحيطة والحذر الشديدين، وهذه الدعوى في الحقيقة لا أصل لها على أرض الواقع ويردها شاهد الوجود، فقد بذل علماء الحديث الغاليَ والنفيس في سبيل صيانة حديث النّبي ﷺ وتنقيته من عوامل الدغل والتحريف، فقعدوا قواعد ووضعوا ضوابط كفيلة بتحقيق سلامة النّص النبوي سنداً ومتناً، ومحلها كتب القوم، فهي شاملة لما يخص منها علوم الرواة والرجال جرحاً وتعديلاً، ولما يخص منها علوم المتن على السواء. وأمّا عن ادعائهم بأنّه منهج قائم على مراعاة أحد طرفي الحديث (الإسناد وظاهر أحوال الرواة) بشكل أكبر من مراعاة قواعد نقد متونه، فهي فرية من سلسلة افتراءات المستشرقين يريدون من خلالها اتّهام علماء الحديث بأنّهم يركزون في دراساتهم النقدية للسنّة النبوية على الشكل دون المضمون، وعلى القشور دون اللباب، أو على الوسيلة دون الغاية، وهذا الادعاء لا يسلم لهم أيضاً، بل "شمل المنهج النقدي عند المحدثين جميع الاحتمالات في جوانب الحديث من حيث السند والمتن، وأول الأمور في ذلك أداء الراوي للحديث فدرسوا أحوال الرواة دراسة متنوعة ومستوفية ودقيقة ووضعوا لهم شروطاً من حيث التوثيق والتضعيف، وأمّا عن منهجهم في نقدهم للمتون أو للحديث المروي ومدى صحته أو بتعبير آخر مدى ضبط الراوي، فهو منهج متشعب ومتطور، فتارة يقارنون بين الروايات وأخرى يعارضونها بالقرآن الكريم، ومرة يفحصون الكتابة من حبر وورق...، بل جعلوا من أمارة الحديث الموضوع مخالفته للعقل أو المشاهدة والحس مع عدم إمكان تأويله تأويلاً قريباً محتملاً، وأنّهم كثيراً ما يردون الحديث لمخالفته للقرآن أو السنّة المشهورة الصحيحة أو التاريخ مع تعذر التوفيق، وأنّهم جعلوا من أقسام الحديث الضعيف المنكر والشاذ ومعلل المتن ومضطرب المتن...، فجاءت أحكامهم على الحديث واضحة وجليلة شاملة لكل أنواعه من حيث قبوله ورده، فتدرجوا

في ذلك بدءاً من قمة الصحة فيما أسموه أصح الأسانيد وما حفه من قرائن، ثمّ مراتب الصحيح ثمّ الحسن لذاته، فالحسن لغيره، فالضعيف ضعفاً يسيراً، فالضعيف ضعفاً شديداً إلى الموضوع الذي لا تجوز روايته إلا على سبيل القدح فيه"(١). أضف إلى ذلك أنّ النقد الداخلي كان أول علوم الحديث وجوداً، وممّا يؤكد ذلك أنّه كان من أهم قوانين الرواية وجوداً في عهد الصحابة هو نقدهم للروايات وذلك بعرضها على نصوص وقواعد الدين، فإن وجد مخالفاً لشيء منها ردوه وتركوا العمل(٢).

وليس أدل على ذلك من استدراك عائشة رضي الله عنها على الصحابة وكثرة ما استدركته عليهم حتى ألف الإمام الزركشي كتاباً سمّاه (الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة)، وهذه الاستدراكات وإن بدا للدارس أنّها اجتهادات تبقى خاصة بها وأنّ الحق والصواب كان مع غيرها من الصحابة، فهي علامة دالة على اهتمام المحدثين بنقد المتن بدءاً بالصحابة الكرام فما بعد، وأنّ اهتمامهم بنقد متنه لا يقل شأناً وأهمية عن اهتمامهم بنقد سنده، فهما عندهم سواء بسواء.

ومن الشواهد العمليّة على ذلك: تعذيب الميت ببكاء أهله عليه إذ سمعت عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه الشيخان(٣) من حديث عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه "فقالت: رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد، ولكن قال: "إنّ الله ليزيد الكافر

---

(١) الأعظمي، مقدمة كتاب: التمييز للإمام مسلم، ص٢٣-٢٤.

(٢) د. نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ٥٣-٥٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: قول النبي: "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه "، ح١٢٨٨، ص٢٠٦، ومسلم، كتاب: الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، ح ٩٢٩، ص٦٤٣.

عذاباً ببكاء أهله عليه، وقالت: حسبكم القرآن { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ }(١).

وفي رواية أخرى فقالت عائشة: "يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنّه لم يكذب ولكنّه نسي أو أخطأ، إنّما مرّ رسول الله ﷺ على يهودية يبكى عليها فقال: إنّهم يبكون عليها وإنّها لتعذب في قبرها"(٢). ففي حديث ابن عمر هذا ما يخالف القرآن، والسنّة النبوية كذلك، ففي كثير من الأحاديث ما يثبت بكاء النّبي ﷺ على جماعة من الموتى وإقراره على فعل ذلك، فمحال أن يفعل ما يكون سبباً لعذابهم أو يقر عليه.

وقول عائشة رضي الله عنها هنا، "حسبكم القرآن" لا يعني أنّها تكتفي بالقرآن عن السنّة هذا محال، لكنّها تريد أنّ القرآن يكفي دليلاً على تخطئة راوي هذا الحديث بهذا اللفظ، ذلك أنّ نقله لم يأت به كاملاً كما قاله رسول ﷺ، بل روى بعضه ممّا أوقع في هذه المعارضة لكتاب اللهّ عزّ وجل وجعلّ أمّ المؤمنين ترد عليه ببيان النّص الكامل الذي تلفظ به الرسول ﷺ وبأنّ الحديث بذلك النّص المنقوص يخالف كتاب الله، وما خالف كتاب الله فأولى بالمؤمنين أن يدعوه ويعلموا أنّه ليس كلام رسول الله ﷺ(٣).

والشواهد على ذلك كثيرة محلها كتب القوم ممّا يؤكد أنّ هذه القواعد والضوابط قد أصلها الصحابة الكرام والتابعون ومن بعدهم من المحدثين تأكيداً على أهميّتها في مجال صيانة حديث النّبي ﷺ من عوامل الدغل والتحريف.

نعم نحن لا ننكر أنّ المحدثين توسعوا في نقد السند أكثر من توسعهم في نقد المتن وذلك لاعتبار ديني دقيق لاحظوه في السنّة عند الاكتفاء بصلاح الراوي وتقواه وعدالته ظاهراً وباطناً وضبطه وحفظه، فمتى توفرت العدالة بشروطها مع الضبط والحفظ والأمانة،

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز ، باب: الميت يعذب، ح٩٣٢، ٢/٦٤٣.

(٣) الدميني ، مقاييس نقد متون السنة ، ص٦٣.

والتحرج من التزيد والتغير كان احتمال الكذب والاختلاف بعيداً جداً(١)، بل إنّ النقد الداخلي كان أول علوم الحديث وجوداً، فقد كان من أهمّ قوانين الروايات في عهد الصحابة نقدهم للروايات، وذلك بعرضها على نصوص وقواعد الدين فإن وجد مخالفاً لشيء منها ردوه وتركوا العمل به(٢).

وأمّا عن ادّعائهم من أنّ علم الرجال والجرح والتعديل قائم على أساس الميول المذهبية والتضارب والتناقض فيما بين نقاده في توثيق بعض الرواة أو تضعيفهم، وتصحيح بعض الأحاديث أو تضعيفها، فيجاب عليه بأنّ الاختلاف الحاصل بين علماء الحديث في توثيق الراوي أو تضعيفه ليس سببه الميول المذهبية، بل سببه الاجتهاد وتباين وجهات النظر في أحوال الرواة حفظاً وضبطاً، ونسياناً ووهماً؛ ذلك أنّ علماء الجرح والتعديل انطلقوا في أحكامهم على الرواة من قواعد متينة وأسس رصينة محلها كتب القوم فهي شاهدة على ذلك؛ فلم يرد عنهم أنّهم اختلفوا في تضعيف ثقة متفق على عدالته وضبطه ولا حصل منهم أن اختلفوا في توثيق ضعيف متفق على ضعفه، إنّما حصل الاختلاف بينهم فيمن لم يرد فيه جرح ولا تعديل؛ لهذا قال الذهبي وهو من أئمة هذا الشأن: "لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة".

ومن الشواهد العملية على تباين وجهات نظر نقاد الحديث في الحكم على الراوي تبعاً لحاله من حيث الوثاقة أو عدمها: المغيرة بن زياد أبو هشام الموصلي، قال ابن حبان: "كان ممّن ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات، فوجب مجانبة ما انفرد من الروايات، وترك الاحتجاج بما خالف الأثبات، والاعتبار بما وافق الثقات في الروايات"

---

(١) الأعظمي، مقدمة كتاب: التمييز للإمام مسلم، ص٢٣-٢٤، وانظر: أبو شهبة، دفاع عن السنة، ص٣٣-٣٤ ، والأمين الصادق الأمين ، موقف المدرسة العقلية، ٢/١٥٠-١٥١.

(٢) نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث ، ص٥٣-٥٤.

(١)، وقال ابن عدي رَحِمَهُ اللهُ: "وعامّة ما يرويه مغيرة بن زياد مستقيم، إلا أنّه يقع في حديثه كما يقع هذا في حديث من ليس به بأس من الغلط، وهو لا بأس به عندي"(٢)، وهذا نص صريح منهما بأنّ المغيرة بن زياد قد وقع الخطأ والغلط في حديثه كغيره من الرواة، وانفرد ببعض الأشياء وخالف فيها غيره من الرواة الثقات، إلا أنّ ما وقع فيه من خطأ لم يكن الغالب على حديثه، بل الغالب عليه الصحة والصواب.

والمغيرة يُعدّ من الرواة المختلف فيهم، فلم تجتمع كلمة نقاد الحديث على توثيقه أو تجريحه، بل هناك من وثقه، وهناك من جرّحه ووهّاه، وهناك من توسط في أمره ونصّ على أنّه صدوق، لكنّه يخطئ وله أوهام. ومن الأئمة النقاد الذين وثقوا المغيرة بن زياد: وكيع بن الجراح، قال البخاري: قال وكيع: "كان ثقة"، وابن معين فيما نقله الدوري، وابن أبي خيثمة عنه أنّه قال: "ثقة ليس به بأس"، وعنه أيضاً أنّه قال: "ليس به بأس، له حديث واحد منكر"، والعجلي، وابن عمار، ويعقوب بن سفيان(٣). ومن الأئمة النقاد الذين نصّوا على أنَه صدوق: أبو حاتم الرازي، فيما نقله ابنه عنه أنّه قال: "هو صالح صدوق ليس بذاك القوي"، والنسائي، حيث قال: "ليس به بأس"، وابن عدي، حيث قال: "وهو لا بأس به "(٤)، وابن حجر، حيث قال في التقريب: "صدوق له أوهام"(١) ومن

---

(١) ابن حبان، محمد بن حبان، المجروحين، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط/١، ١٣٩٦، ٧/٣.

(٢) ابن عدي، عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٨هـ، ٦/٣٥٤.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط/١، ١٤٠٤هـ، ج١٠، ص٢٣٢.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، ١٠/٢٣٢.

الأئمة النقاد الذين جرّحوا المغيرة بن زياد: أحمد بن حنبل، فقد نصّ على أنّه ضعيف الحديث، أحاديثه أحاديث مناكير، وقال أيضاً فيه: "مضطرب الحديث"، وقال أيضاً: "كل حديث رفعه مغيرة بن زياد فهو منكر" وقال بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زراعه عنه فقالا: شيخ، قلت: يحتج به، قالا: لا، وقال أبو زرعة في موضع آخر: "في حديثه اضطراب"، وفي آخر: "ليس بالقوي"، وقال الدارقطني: "ليس بالقوي يعتبر به"، وقال يحيى بن سعيد القطان: "حديثه في التفهيم منكر"(٢).

رواياته: بلغ عدد روايات المغيرة بن زياد في كتب السنن، والمصنفات، والمعاجم حوالي ثمان وخمسون رواية، المتكلم فيها بالضعف ممّا تفرد به المغيرة، وخالف فيه غيره حوالي سبع روايات، ونسبتها حوالي ١٢% من مجموع رواياته، وهي نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بالروايات التي وافق فيها غيره من الرواة الثقات، ومنها الآتي:

الرواية الأولى: "ليس على النائم جالساً وضوء"، رواه مغيرة بن زياد عن عطاء عن ابن عباس موقوفاً عليه، وخالفه كل من ابن جريج، وعبد الملك فروياه عن عطاء مقطوعاً عليه، وممّن نبّه على ذلك من الأئمة النقاد يحيى بن سعيد القطان، فعن عمرو بن علي قال: "قلت ليحيى بن سعيد نا وكيع نا المغيرة بن زياد عن عطاء عن بن عباس، قال: "ليس على النائم جالساً وضوء حتى يضع جنبه"، فأنكره، وقال: هذا قول عطاء حدثنا ابن جريج عن عطاء"(٣).

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢١٤١٥هـ، ٥٤٣/١.

(٢) أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ت: وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٤٠٨هـ، ٤٤/٢، ٥٠٩، والمرجع السابق، ٢٣٢/١٠.

(٣) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٤٥/١، والعقيلي، ضعفاء العقيلي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب

ومن الشواهد التطبيقيّة على اتفاق نقاد الحديث على تضعيف الراوي تبعاً لحاله من الضعف الشديد وعدم الوثاقة: كثير بن سليم أبي هاشم. قال ابن حبان رحمه الله: "كثير بن سليم، أبو هاشم، من أهل الأيلة، وهو الذي يقال له: كثير بن عبد الله، يروي عن أنس، روى عنه قتيبة بن سعيد، كان ممّن يروي عن أنس ما ليس من حديثه من غير رؤيته، ويضع عليه ثمّ يُحدّث به، لا يحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاختبار"(١). وهذا يعني أنّه لا يجوز كتب حديثه ولا التحديث به إلا على جهة فحصه واختباره، من باب التأكد والاطمئنان، وملاحظة ما إذا كان لبعض أحاديثه أصل من رواية غير أنس من الصحابة – رضي الله عنهم–، وإلا فأمره واضح وحاله معروف، وأحاديثه عن أنس لا يُعتدّ بها؛ فجميعها باطلة لا تروى إلا من جهته، وأنس براء منها.

وهذا ما نصّ عليه أيضاً أبو حاتم الرازي، فقد سأله ابنه عبد الرحمن عن كثير، فقال: "ضعيف الحديث، منكر الحديث، لا يروي عن أنس حديثا له أصل من رواية غيره"(٢). كما نصّ عليه البخاري، حيث قال: "كثير أبو هشام أراه ابن سليم عن أنس منكر الحديث. وابن عدي إذ ساق له طرفاً ممّا رواه عن أنس ثمّ قال: "وعامّة ما يروى عن كثير بن سليم عن أنس هو هذا الذي ذكرت، ولم يبق له إلا الشيء اليسير، وهذه الروايات عن أنس عامّتها غير محفوظة"(٣). كما ضعّف كثيراً غير واحد من نقاد الحديث: ضعّفه

العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٠٤هـ، ١٧٥/٤، ورواية عبد الملك أخرجها: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ١٤٠٦، ١٢٣/١، من طريق هشيم قال: حدثنا عبد الملك عن عطاء أنّه قال: "من نام ساجداً أو قائماً أو جالساً فلا وضوء عليه، فإن نام مضطجعاً فعليه الوضوء".

(١) المرجع السابق، ٢٢٣/٢.

(٢) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ١٥٢/٧.

(٣) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٦٤/٦.

ابن المديني، وابن معين، وأبو داود والدارقطني. ونصّ النسائي والأزدي على أنّه متروك الحديث، وأبو زرعة على أنّه واهي الحديث(١).

وأمّا الرد على ما يتعلق بادّعاءاتهم حول تأخر تدوين الحديث ومن ثمّ اتّهام الصحابة بوضعه، فيجاب عليه ملخصاً بالآتي ذكره: فيما يتعلق بصحف الحديث نقول: إنّ معظمها قد نقلت بكاملها أو أجزاء منها، فمن ذلك صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي يشكك جولد زيهر في صحتها حُفظت في مسند أحمد بن حنبل(٢). وتُعد هذه الصحيفة من أشهر الصحف المكتوبة في العصر النبوي وتُسمّى بالصادقة، وقد صرح هو بكتابتها عن رسول الله ﷺ، حيث يقول: "ما يرغبني في الحياة إلا خصلتان الصادقة والوهطة، فأمّا الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ، وأمّا الوهطة فأرض تصدق بعا عمرو بن العاص كان يقوم عليها"(٣). وهناك صحف أخرى خاصة ببعض الصحابة تثبت بالدليل القاطع حصول الكتابة ووقوعها في عهد النّبي ﷺ من قبل بعض الصحابة، فمنها على سبيل المثال: صحيفة سمرة بن جندب جمع فيها أحاديث كثيرة ورثها عنه ابنه سليمان ورواها عنه(٤)، وهي على ما يظنّ الرسالة التي بعث بها سمرة إلى بنيه، وهي التي يقول فيها ابن سيرين: "في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير"، ونقل الحسن البصري مجموعة أحاديث منها، يقول يحي بن سعيد القطان: "إنّ أحاديث سمرة التي نقلها الحسن البصري يقال إنّه نقلها من كتاب"(٥). ومنها أيضاً صحيفة جابر بن عبد الله التي يرى مسلم أنّها في مناسك الحج، ويحتمل أن يكون في

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٧٢/٨.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، ١٥٨/٢.

(٣) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٨٤.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٣٦/٤.

(٥) الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي، ١١١/١.

بعض أحاديثها ذكر حجة الوداع التي ألقى فيها الرسول ﷺ خطبته الجامعة، ويوشك هذا الاحتمال أن يصبح يقيناً إذا عرفنا أنّ التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي كان يكبر من قيمة هذه الصحيفة، ويقول: "لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ منّي من سورة البقرة"، ممّا يدل على أنّها صحيفة كانت مشهورة معروفة بين النّاس(١). وصحيفة أبي بكر الصديق في الصدقات، وصحيفة علي بن أبي طالب في العقل وفكاك الأسير، وصحيفة زيد بن ثابت في الفرائض... وغيرها كثير.

وأمّا عن اتّهام زيهر للصحابة بالوضع فلا نستغرب هذا من أمثاله، فقد بلغت به الجرأة مبلغاً عظيماً إلى حدّ أن اتّهم مصدر الحديث الأول النّبي ﷺ، فزعم أنّ ما جاء به من عند الله ملفق من أصول يهودية ومسيحية، وهذا في الحقيقة وواقع الأمر إن دل على شيء فإنّما يدل على مدى استهتاره بما جاء النّبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن إلا وحي يوحى، وعلى سخريته بالصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان متناسياً حوادث الزمان التي سطرت عبر ثناياها الجهد والمآثر العظيمة التي بذلها الصحابة في الذب عن الإسلام وسنّة النّبي ﷺ من عبث العابثين ومكر الكائدين، فعدالة الصحابة أمر مقطوع به بنص القرآن والسنّة وإجماع المسلمين كما لا يخفى على ذي لُب نقي سليم.

ولو سلمنا جدلاً بصحة ما يدعيه زيهر من أنّ النّبي ﷺ لم يأت بالدين الحنيف من عند الله تبارك وتعالى، ولا من عند نفسه، بل نقل أصوله وفروعه من مختلف المصادر اليهوديّة والنصرانيّة، فأين علم هؤلاء في القرآن الكريم أولاً ثمّ في الحديث الشريف ثانياً؟

وينضاف إلى ذلك أنّهم لم يصرحوا بأنّ النّبي ﷺ قد أخذ منهم، فقد كانوا إذا سألهم النّبي ﷺ عن شيء ينكرون أنّه موجود عندهم في التوراة والإنجيل، وما تنكرّ أحد لأحد كما تنكرّ اليهود والنصارى لرسول الله ﷺ، فكيف نسلم لزيهر

(١) المرجع السابق، ١/١٧-١٨.

ومن مشى في ركابه وسلك مسلكه فيما ادعاه بعد هذه الحقائق؟

"والإسلام أغنى من كلّ ما سبقه بتشريعاته وأحكامه المختلفة في كلّ مجال من مجالات الحياة الدنيويّة أو الأخرويّة، فكانت أحكامه عامّة وشاملة، فقد تناول الإسلام في تعاليمه الدنيا والآخرة بكلّ استقصاء وشمول، أمّا التوراة فلم تتحدث عن الآخرة، كما أنّ النصرانيّة عقيدة كما يقال لا شريعة، أمّا الإسلام فعقيدة وشريعة، فهل من الممكن أن تكون ألوف الأحاديث التي تنظم الحياة العامّة والخاصة، وتكونت منها شريعة غرّاء مأخوذة من اليهوديّة والنصرانيّة...؟"(١).

قطعاً لا، فالعقل السليم يقرر حتماً أنّ هذه الأحاديث الفصيحة بألفاظها، الغنيّة بمعانيها، الشافية بمقاصدها ومراميها ما كانت لتؤخذ من أديان قد تلاعب بها أتباعها، فحرفوها تمشيّاً مع رغباتهم، وتبعاً لرغباتهم، بل هي ناطقة بصدق مصدرها.

"أضف إلى ذلك ما كان يتمتع به الصحابة وكبار تابعيهم من الوعي التام إلى جانب رسوخ همتهم في الحديث النبوي الشريف كل هذا ما ليمنعهم من السكوت على سولت له نفسه الدس والكذب في حديثه - ﷺ، فإذا كان الوضع قد حصل في النصف الأول من القرن الهجري الأول، فإنّما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين من طبقة التابعين وأتباع التابعين الذين حملتهم الخلافات السياسية والأهواء الشخصية على انتحال الكذب، أمّا من عُرف عنه الأمانة والصدق والإخلاص والتفاني في خدمة السنّة، فلا يمكن أن نتصور منه بعد ذلك الوضع في الحديث؛ لذا كانوا يضربون على الأحاديث كما تُضرب الدراهم، فكانت دار الضرب في العراق، لما كانت العراق قد ظهرت فيها الأحاديث الموضوعة بكثرة"(٢).

---

(١) محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس، ط/١ ١٤٢٠هـ، ص٩١.

(٢) الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، دار الفكر، بيروت، ط/١، ١٣٨٣هـ، ص١٩٣-١٩٤، بتصرف.

وأمّا بالنسبة للدليلين الذين استدلّ بهما زيهر على صحة ما ادّعاه، فقول أنس في الحقيقة ليس فيه دليل على الوضع والدسّ على النّبي ﷺ، بل فيه تأكيد على صفة الأمانة التي كانوا يتمتعون بها ووثوقهم بعضهم بعضاً حداً بلغ الشهرة، بل استفاض فيما بينهم، وهنا تبرز مسألة مرسل الصحابي، وهو ما يرويه الصحابي عن النّبي ﷺ ولم يسمعه منه إمّا لصغر سنه أو لتأخر إسلامه أو لغيابه عن حضور القصة أو ما شابه ذلك، ومراسيل الصحابة جميعها حجة عند أهل الحديث قاطبةً، بل لها حكم الموصول المسند، ولم يشذ عن الجمهور إلا أبو اسحق الاسفرائيني وجماعة يسيرة من الأصوليين، وخلافهم مع جمهور أهل الحديث غير معتبر، وإذا كنا نعدُّ مخالفة الراوي الثقة لمن هو أوثق منه في حديث واحد شذوذ، فكيف بمخالفة واحد أو اثنين في مقابلة الجمع الغفير من أهل النقد في الحديث في مبدأ دقيق من مبادئ علوم الحديث، وقد قيل إنّ مخالفة المعتبر تعتبر، بمعنى أنّ هذه المخالفة لو صدرت من إمام من أئمة الحديث كابن معين أو ابن المديني – على سبيل المثال– ممّن هم من أهل الصنعة فمخالفتهم تعتبر، وأمّا غيرهم فلا.

وأمّا عن قول معاوية للمغيرة فقد بيّن السباعي – رحمه الله– أنّ أصل العبارة كما أوردها الطبري: "لا تحجم عن شتم علي وذريته، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وإطراء شيعته عثمان والإدناء إليهم والاستماع منهم"(١)، فانظر كيف حرف هذا المستشرق لفظ "والإقصاء لهم" بلفظ "وتضطهد من أحاديثهم"، فإنّ كلمة أحاديثهم لا وجود لها في أصل النص، ولو فرضنا أنّها واردة فلا معنى لأحاديثهم هنا إلا كلامهم ومحاورتهم في مجالسهم لا

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ، ٢١٨/٣.

الأحاديث بمعنى الأقوال المنسوبة إلى رسول الله ﷺ (١)، وهذا النص على فرض صحته ليس فيه دليل على الوضع فلم يأمر معاوية المغيرة بوضع الأحاديث في سب علي وشيعته ومدح عثمان، وما زعمه تحميل للنص ما لا يحتمل(٢).

وأكتفي بهذا الرد على جولد زيهر، وباقي ما تبقى من أقوال غيره من المستشرقين الذين أوردنا أقوالهم سابقاً فيما يخص أقوالهم القائلة بتأخر تدوين الحديث واتّهام الصحابة بالوضع لا تختلف عمّا قاله اللهمّ إلا في تزويق الألفاظ وتنميق العبارات، فكلهم قد درج على شاكلته في هذه الإدّعاءات واقتفى أثره في كثرة الافتراءات.

وأمّا ما يتعلق بدعوى زيهر التي أثارها حول الكتب الستة وعلى رأسها الصحيحان، من أنّها تضم مجموعة من الأحاديث النبوية المبعثرة من هنا وهناك رأى مصنفوها أنّها صحيحة، والاعتراف بها أصولاً إنّما كان نتيجة من نتائج الأعمال النقدية التي قام بها علماء الحديث، فيجاب عليها بالآتي:

أولاً: في هذه الدعوى إنكار لجهود العلماء التي بذلوها خلال القرن الأول والثاني في سبيل صيانة السنّة النبوية وحفظها، فالمسلمون منذ عهده ﷺ إلى عهد أولئك العلماء الأعلام الذين قاموا بجمع أحاديث رسول الله ﷺ وتدوينها كانوا يبذلون من الجهود ما لا يوصف؛ لذا فالسنّة النبوية لم تكن مبعثرة كما يصفها زيهر، بل كان معظمها عملياً يطبقه المسلمون ويقيمون تعاليم رسول الله ﷺ على هداه، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين، أو على موطن الإسلام الأول، بل انتشرت سنّة رسول الله ﷺ في القرن الأول والقرون التالية وذاعت في الآفاق عندما حرر المسلمون الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام، وانتقلت السنّة العملية والقولية والتقريرية جيلاً عن جيل تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت في كتب مصنفة وفي أجزاء مبوبة في منتصف

---

(١) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ٢٠٥.

(٢) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ٢/٦٦.

القرن الثاني الهجري على أيدي كبار العلماء والحفاظ.

ثانياً: إنّ ما جمعه الشيخان "البخاري ومسلم" وغيرهما لم يكن مبعثراً متفرقاً، بل إنّ علماء القرن الثالث، ومنهم أصحاب الكتب الستة كانوا قد اتجهوا إلى اختيار ما اختاروا من الأحاديث من الكتب التي كانت قد دُونت قبلهم، وممّا كان محفوظاً لدى مشايخهم من أصحاب كتب الجوامع والمسانيد المعتمدة ورتبوها الترتيب الذي جاءت عليه، فمنهم من اقتصر فيها على إيراد الصحيح المجرد المنسوب إلى رسول الله ﷺ كالبخاري ومسلم، ومنهم من لم يقتصر فيها على الصحيح فقط، بل أورد فيها كل ما رأى أنّه أهل لإيراده وصالح للاحتجاج به كأصحاب السنن الأربعة، فجاء فيها الصحيح والحسن وحتى الضعيف، ولكن على ندرة وهو معروف الحال للمحدثين، وما صنيع أصحاب الكتب الستة هذا إلا انتقال في الترتيب والتأليف للأحاديث من مرحلة إلى مرحلة متقدمة، وهذا شيء لا يخفى على من له أدنى معرفة بتاريخ الحديث، أمّا من كان جاهلاً أو متجاهلاً فله أن يقول ما يحلو له(١).

هذا والله أجل وأعلى وأعلم

الخاتمة

وأسجل فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وهي على النحو الآتي:

أولاً: المستشرقون ينحدرون في جمهورهم من جنسيات متعددة، وينتمون إلى بلدان مختلفة المطالع.

ثانياً: المنطلقات الفكرية والعقدية التي ينطلق المستشرقون منها في توجيه طعونهم نحو السنّة النبوية الشريفة متعددة الأهداف ومتنوعة المقاصد كان من أبرزها الحقد على الإسلام ومحاولة تشويهه.

---

(١) الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٢٥٣-٢٥٤، ومحمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، ص١٥١.

ثالثاً: المستشرقون وإن كانوا ينحدرون من جنسيات متعددة وينتمون إلى بلدان مختلفة، إلا أنّهم تجمعهم قواسم مشتركة وروابط عديدة كان من أبرزها ظاهرة التعنت والعداء للسنّة النبوية الشريفة، وظاهرة الإنصاف لها، وظاهرة الحياد تجاهها.

رابعاً: تنوعت كتابات المستشرقين حول السنّة النبوية الشريفة وتعددت فكان من ضمنها: اكتشاف المخطوطات وجمعها، والتأليف للكتب الخاصة بها وبعلومها، والفهرسة والتصنيف، والترجمة، والنشر والتحقيق لبعض الكتب المتعلقة بها.

خامساً: تمخضت آراء المستشرقين النقدية عن شبهات وافتراءات عديدة نحو السنّة النبوية الشريفة كان من ضمنها اتّهام المنهج النقدي عند المحدثين بالقصور والبعد عن أسباب الحيطة والحذر، وقيامه على أساس التناقض والتضارب في الحكم على الرواة توثيقاً وتجريحاً، وعلى الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً، وكان من ضمنها أيضاً دعوى تأخر تدوين السنّة النبوية إلى بداية القرن الثاني الهجري، واتّهام الصحابة بوضعها واختلاقها، وكان من ضمنها أيضاً دعوى احتواء الكتب الستة على مجموعة من الأحاديث المبعثرة المتفرقة من هنا وهناك دون تدقيق وتمحيص في طريقة جمعها وعرضها، وقد تمّ تفنيد هذه الادعاءات بما هو مناسب.

سادساً: يُعد المستشرقون الألمان أكثر من كتب حول السنّة النبوية الشريفة وسيرة النّبي ﷺ، وهم أكثر اعتدالاً منة غيرهم، ثمّ يأتي من بعدهم المستشرقون الفرنسيين ثمّ البريطانيين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الاستشراق والدراسات الإسلامية "مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم"، علي بن إبراهيم الحمد النملة، ط/١، مكتبة التوبة: ١٩٩٨م.

٢. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٦م.

٣. اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، محمد لقمان السلفي، ط/٣، دار الداعي للنشر، مركز ابن باز، الهند: ١٤٢٠هـ.

٤. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٥. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ط/ إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١٥، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ.

٧. تقييد العلم، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط/ دار إحياء السنّة.

٨. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٤هـ.

٩. الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠. جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، سليمان بن محمد الجار الله، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

١١. جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، عبد الرؤوف محمد عوني، ط/١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة: ٢٠٠٤م.

١٢. جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي، محمد حسن سليمان عباس، ط/١، دار المعرفة، الإسكندرية: ٢٠٠٧م.

١٣. حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، ط/ مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
١٤. الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم محسن وآخرون، ط/٣، مكتبة النهضة، القاهرة: ١٩٧٠م.
١٥. الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسيهر ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
١٦. السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٣٨٣هـ.
١٧. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ط/٤، المكتب الإسلامي: ١٤٠٥هـ.
١٨. سنن النسائي الصغرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبد الفتاح أبو غدة، ط/٢، مكتب المطبوعات، حلب: ١٤٠٦هـ.
١٩. ضعفاء العقيلي، العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٤هـ.
٢٠. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع بن سعد، تحقيق: زياد محمد منصور، ط/٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤٠٨هـ.
٢١. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، د. ساسي سالم الحاج، نقلاً عن كتاب: دراسات محمّدية، ط/١، الجامعة المفتوحة، طرابلس: ١٩٩١م.
٢٢. العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ.
٢٣. علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي، ط/١، مكتبة الملك فهد، الرياض: ٢٠٠١م.
٢٤. علوم الحديث ومصطلحه، د. صبحي الصالح، ط/ مطبعة جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ.

٢٥. الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ.

٢٦. المجروحين، محمد بن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط/١، دار الوعي، حلب: ١٣٩٦هـ.

٢٧. المستشرقون والحديث النبوي، محمد بهاء الدين، ط/١، دار النفائس: ١٤٢٠هـ.

٢٨. المعجم الكبير، أحمد بن سليمان الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط/٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل: ١٤٠٤هـ.

٢٩. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط/٣، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٠. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٨هـ.

٣١. ندوة حول المستشرقين "ما لهم وما عليهم"، مجلة الفيصل السعودية، العدد الثالث، رمضان ١٣٩٧هـ.

٣٢. www.ar.wikipedia.orgwiki

٣٣. www.djazairess.net.doat.com

٣٤. www.saaid.net.doat.dali

٣٥. www.starimes.com

٣٦. www.tawheedz.wordpress.com.

٣٧. www.wattpad.com

البحث رقم (٥)

تنمية مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية

إعداد

د. حنان بنت منير المطيري

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح

جامعة المجمعة

ملخص البحث

يهدف البحث الحالي إلى تنمية مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية، واستخدمت الدراسة: المنهج شبه التجريبي؛ حيث تكون مجتمع الدراسة من جميع طالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، جامعة المجمعة بالمملكة العربية السعودية، وبلغ حجم عينة الدراسة (٣٠) طالبة من طالبات قسم الدراسات الإنسانية برماح؛ تم اختيارهم بطريقة عشوائية، ولتحقيق أهداف الدراسة؛ قامت الباحثة بإعداد استبانة لجمع المعلومات، وقد أظهرت نتائج الدراسة: وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الدعوة (التخطيط، التنفيذ، التفاعل) بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة لصالح التطبيق البعدي.

الكلمات المفتاحية: مهارات الدعوة – مواقع التواصل الاجتماعي.

Abstract

The present research aims to develop the skills of Claim of affinity through the social media for female students of the Department of Islamic Studies, the study used semi-experimental method. Where the society of the study consisted of all students of the Department of Islamic Studies at Faculty of Science and Humanities Studies at Barmah - University of Majma - Saudi Arabia, The sample size of the study was (30) female students of the Department of Humanities studies selected randomly. To achieve the objectives of the study, the researcher prepared a questionnaire to gather information. The results of the study showed that there were statistically significant differences in the skills of Claim of affinity (planning, implementation, interaction) between the average scores of the sample of the study in the pre-measurement and post-measurement of Claim of affinity silks questionnaire for the post-application.

Keywords: ElDawaa Skills – Social Websites

المقدمة

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

إن الدعوة إلى الله عز وجل؛ هي طريق كل نبي، ومهمة كل رسول، ويأتي في مقدمتهم فضلاً ومكانة: نبينا محمد ﷺ ؛ الذي قال عنه ربنا عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾(١) فقام بهذه المهمة على أكمل وجه، وأتم بيان، ثم تتابع بالتشرف بحمل لواء الدعوة من وفقه الله سبحانه وتعالى من: الصحابة، والتابعين، ومن سار على دربهم من الدعاة والمرشدين.

إن الداعية إلى الله هو أفضل وأحسن مكانة؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(٢)، ذلك أنه يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فهو من الفئة التي نالت الفلاح؛ قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٣).

وهذا الفلاح الذي ناله الدعاة إلى الله تعالى؛ لم يكن إلا لأنهم وهبوا حياتهم للدعوة إلى الله تعالى؛ باذلين في سبيل تبليغها كل غال ورخيص؛ مستخدمين ما أتيح لهم من وسائل بحسب كل زمان ومكان.

ولقد أدرك العلماء والدعاة أن الاهتمام بالدعوة، يتطلب تكاتف جهودهم؛ للتعرف على الواقع الحقيقي، ودراسة مشكلاته، وإيجاد الحلول الملائمة لها؛ بغية تحقيق الأهداف

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥-٤٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

المنشودة(١).

فمن خصائص الدعوة إلى الله: أنها تتلاءم مع بيئتها وواقعها في الوسائل، والطرق المشروعة، والمباحة؛ فقد استخدم الرسول ﷺ؛ كل الوسائل المشروعة والملائمة؛ لتبليغ دعوته؛ حيث اتخذ خاتماً عندما أراد أن يرسل الرسائل إلى بلدان العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه «لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ، قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا؛ فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»(٢).

وبذلك يتضح أن النبي ﷺ وظف كافة الوسائل المتوفرة في زمانه؛ لا يصال دعوته إلى الناس أجمع؛ وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: الوسائل لها أحكام المقاصد؛ فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات تابعة لها، ووسيلة المباح مباحة(٣).

وعلى هذا فإن وسائل الدعوة إلى الله تعالى تتعدد، كما أنها تختلف من زمان إلى آخر؛ ففي الماضي كانت الدعوة إلى الله محصورة في بدايتها على الخطاب المباشر، وتلاها الدعوة عن طريق الكتابة، ومن ثم ظهرت التسجيلات عن طريق الأجهزة المسموعة، وقد استفاد الدعاة من هذه الأداة في تسجيل الكثير من الدروس، والخطب، والمحاضرات،

---

(١) مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم، نداء بنت سالم عبدالعزيز السويلم، ٢٠١٣، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية)، ص٨٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: في اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً، ١٦٥٧/٣، رقم ٢٠٩٢.

(٣) القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد بن صالح العثيمين، ط/ مكتبة السنة، الرياض: ٢٠٠٠م، ص١٠.

والتي لاقت انتشاراً كبيراً، ومن ثم جاء التلفاز، ثم ظهرت الكثير من القنوات الفضائية؛ التي وظفها المسلمون في الدعوة إلى الله من خلال: بث البرامج الدعوية(١).

وبعد التطور الملاحظ في مجال التكنولوجيا والانتشار الواسع لأجهزة الحاسوب، وبروز شبكة الإنترنت؛ الذي جعل العالم يبدو قرية صغيرة؛ يمكن التواصل فيها مع مختلف المجتمعات، وبمختلف اللغات؛ الأمر الذي جعل منها وسيلة مجدية للدعوة إلى الله؛ إذ إنه من خلالها يتمكن العلماء والدعاة إلى الله من الاتصال بشريحة كبيرة من الأفراد في المجتمعات الإسلامية، وغير الإسلامية؛ لذا كان لابد من مجاراة هذا التطور في المجتمعات المعاصرة.

ولكي يستطيع العلماء والدعاة إلى الله استغلال هذه الوسيلة أمثل استغلال؛ لابد أن يجيدوا لغة الحاسوب؛ التي أضحت لغة العصر؛ إذ أصبح يطلق على من لا يجيد استخدام الحاسوب والاستفادة من تقنياته: أمياً.

لكل ما سبق أصبحت حوسبة البرامج والأعمال الدعوية عبر شبكة الإنترنت، والسعي لضم كل جهد يقوم به الدعاة في مجال الدعوة إلى الله إلى تلك الشبكة؛ أمراً لا مفر منه؛ خاصة وأن غير المسلمين وأرباب التوجهات المبطنة التي تنادي باسم الإسلام، وكذا أهل البدع على اختلاف مشاربهم؛ قد استغلوا شبكة الإنترنت لنشر أفكارهم ومعتقداتهم الباطلة(٢).

كما أن مواقع التواصل الاجتماعي؛ أصبحت بيئة مجتمعية افتراضية؛ تمكن الأفراد من إنشاء صفحة شخصية تسمى (بروفايل)؛ تتيح للأفراد نشر الصور والفيديوهات،

---

(١) الدعوة عبر المواقع الإسلامية "دراسة تحليلية"، إيمان سلاطنة، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الوادي، الجزائر) ٢٠١٤م ص ٢٨.

(٢) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وكيفية استخداماتها الدعوية، إبراهيم بن عبد الرحيم عابد، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية) ٢٠٠٦م، ص٩٨.

ومشاركتها مع أصدقائهم، وتبادل التعليقات حيال المواضيع المختلفة[(١)]؛ الأمر الذي يجعلها وسيلة دعوية فاعلة؛ إذا تم استخدامها بطريقة سليمة؛ لإرساء التفاعل الاجتماعي، والتواصل بين المسلمين وغيرهم؛ بغض النظر عن المسافات الجغرافية بينهم؛ فضلاً عن السعي لتعديل القناعات، وإيضاح الحقائق، وبناء الأفكار الصحيحة[(٢)].

وفي ضوء ما ورد: فإن استغلال الدعاة لمواقع التواصل الاجتماعي، وتطويعها، وتسخيرها؛ لإيصال الدعوة ونشرها في الأمصار؛ له مردود إيجابي؛ لا سيما في ظل ما يشهده العالم اليوم من تقدم تقني، وانفتاح فكري؛ مما يحمل الدعاة مسؤوليه كبيرة؛ لذا ينبغي على الدعاة: التخلي عن الطرق التقليدية إلى الطرق الحديثة؛ التي أثبتت مع مرور الزمن فاعليتها، وجدارتها؛ في الوصول إلى أكبر عدد، وبطريقة ممتعة، ومشجعة[(٣)].

أولاً: مشكلة البحث:

تحتل مهارات الدعوة بأنواعها المختلفة؛ مكانة كبيرة في إعداد الدعاة؛ إذ من خلالها يستطيع الدعاة نقل الرسالة، وتبادل ونقل كافة أنواع المعارف، والخبرات، والمعلومات مع غيرهم في جميع أنحاء العالم، ومع متغيرات العصر وتزايد دور وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي؛ أصبح على الدعاة اكتساب مهارات جديدة، إضافة إلى تنمية مهاراتهم

---

(١) استخدامات الشباب للشبكات الاجتماعية وتأثيرها على علاقاتهم في تبادل الخبرات المجتمعية، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة) ٢٠١٥م، ص٦٥

(٢) أثر استخدام الإنترنت على الفتيات في مجال الدعوة موقع (يتيوب) أنموذجاً "دراسة ميدانية في منطقة الرياض"، حصة بنت عبد الكريم الزيد، ٢٠١٢. مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٦٦، ص٣٤٣-٤٠٣.

(٣) وزير الشؤون الإسلامية يطالب الدعاة بالتعامل مع الإعلام الجديد، حمود الحمود، مقال نشر في جريدة الرياض، ٢٠١١م، العدد(١٥٦٧٥. http://www.alriyadh.com/635632

الأساسية في الدعوة؛ خاصة في مراحل إعدادهم الجامعي؛ التي تبين للباحثة من خلال خبرتها في مجال التدريس لطالبات قسم الدراسات الإسلامية برماح؛ وجود ضعف لدى الطالبات في مهارات الدعوة بكافة أنواعها؛ حيث إنهن يجدن صعوبة في اختيار التعبيرات والكلمات المناسبة عند الاتصال والتواصل معها أثناء المحاضرات، بالإضافة إلى ضعف قدرتهن على ترتيب أفكارهن ترتيبا منطقيا، متسلسلا؛ الأمر الذي أوجب بحث تنمية تلك المهارات في الدعوة إلى الله لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية، وهو ما تنطلق منه هذه الدراسة، مستفيدة في ذلك من الدراسات السابقة حول أهمية مواقع الشبكات التواصل الاجتماعي، والدعوة إلى الله، مثل: دراسة كلٍ من: (فهد على الطيار[١] ٢٠١٤م، على الورداني على عمر[٢]، ٢٠١٤م، صلاح الشريف ١٤٣٣هـ[٣]، إبراهيم عابد، ١٤٢٧هـ[٤]، كمال سالم النجار، ٢٠١١م[٥]).

---

(١) شبكات التواصل الإجتماعى وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر نموذجا"، (دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود، فهد على الطيار ٢٠١٤م. بحث منشور فى المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب ، ٣١ ٦١)، ص ١٩٣-٢٢٦.

(٢) آثار تدريس مقرر مهارت الإتصال إلكترونيا بنظام البلابورد على تنمية الجوانب المعرفية المرتبطة بالمقرر ورضا طلاب السنة التحضيرية بجامعة الإمام نحو توظيف البلاك بورد فى التدريس، علي الوردانى علي عمر ، مجلة العلوم التربوية،٢٠١٤ م الجزء الأول، ص ٤٤١-٤٧٢.

(٣) التفكير الإبداعى عند الدعاة، صلاح الشريف، (بحث تكميلى ضمن متطلبات الماجيستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ، ص٨٠.

(٤) عابد، مرجع سابق ص٤٥.

(٥) درجة ممارسة الدور التربوى للدعاة فى محافظات غزة فى ضوء المعايير الإسلامية من وجهة نظر طلبة الجامعة، كمال سالم النجار، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، ٢٠١١م ص ١٠٩.

وللتأكد من هذا التدني؛ أجرت الباحثة دراسة استطلاعية على عينة من طالبات قسم الدراسات الإسلامية قوامها (٣٠) طالبة، وتضمنت الدراسة الاستطلاعية: استبيان حول مواقع التواصل الاجتماعي ودوره في تعزيز مهارات الدعوة لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية؛ للتعرف على قدراتهن على الاتصال والتواصل مع الآخرين؛ وقد أكدت نتائج الدراسة الاستطلاعية: أن غالبية الطالبات لديهن تدني في مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي رغم أهمية وضرورة هذه المواقع للدعوة؛ حيث تؤثر مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام، وتبادل الأفكار والمعلومات؛ سواء بشكل مكتوب، أو مسموع، أو مرئي متعدد الوسائط.

وفى ضوء ما سبق: يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي الآتي:

كيف يمكن تنمية مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية؟

ثانياً: فروض البحث:

يسعى البحث الحالي للتحقق من صحة الفروض الآتية:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

وينبثق من الفرض السابق مجموعة من الفروض الفرعية:

١- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التخطيط في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٢- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التنفيذ في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٣- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التفاعل في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

١- دراسة (الرقب: ٢٠٠٥م)(١) **بعنوان: الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية"**. والتي هدفت إلى بيان الوسائل الحديثة في الدعوة الإسلامية، وضرورة الاستفادة من مكتشفات العلم المعاصر، وخاصة ما شهده هذا القرن؛ مما يعرف بثورة المعلومات، والاتصالات؛ التي تمكن الداعية المسلم من الوصول إلى ملايين الناس في كافة أنحاء المعمورة، سواء من: المسلمين، أم من غيرهم. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. ولتحقيق أهداف الدراسة؛ استخدم الباحث: الاستبانة كأداة لجمع المعلومات. وأسفرت نتائج الدراسة عن: أن الداعية المسلم يجب عليه أن يسلك كل وسيلة نافعة في إيصال الدعوة الإسلامية للناس، كما أن وسائل الدعوة الإسلامية ليست ثابتة؛ إذ إن الإسلام لم يجعل وسائل الدعوة أمراً محددًا لا يمكن تجاوزه، وأيضاً أن الداعية الناجح يأخذ بالتنوع في وسائله الدعوية، وبما يتناسب مع: الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال. غير أن هذه الدراسة قد أغفلت المهارات الدعوية اللازمة التي يجب توافرها في هذا البحر المائج من وسائل الاتصال المختلفة، وهو ماسوف نركز عليه في هذه الدراسة.

---

(١) الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، صالح الرقب ، (بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر المنعقد في ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٦-١٧ أبريل، ٢٠٠٥م، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة)، ٢٠٠٥ص٦٨.

٢- دراسة (الزيد: ٢٠١٢م)(١) بعنوان: "أثر استخدام الإنترنت على الفتيات في مجال الدعوة موقع (يتيوب) أنموذجاً "دراسة ميدانية في منطقة الرياض". والتي هدفت إلى: معرفة أهمية موقع (يوتيوب) في الدعوة إلى الله، وعلاقته بالتوجهات الدعوية على الفتيات السعوديات، كما هدفت إلى: معرفة مدى استخدام الفتيات لموقع يوتيوب. واستخدمت الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (١٤١) فتاة ممن تتراوح أعمارهن بين ١٨-٢٤ فأكثر. ولتحقيق أهداف الدراسة؛ استخدم الباحث: الاستبانة كأداة لجمع المعلومات. وتوصلت الدراسة إلى أن مفردات عينة الدراسة موافقات على استخدام موقع (يوتيوب) باستمرار، كما أكدن على موافقتهن على أن الفتيات غالباً ما يتأثرن بثلاثة جوانب من التوجهات الدعوية عن طريق موقع يوتيوب؛ وتتمثل في: التأثر بالأفلام الدعوية القصيرة، والمقاطع، والمحاضرات الدعوية المعروضة على موقع يوتيوب، كما اتفقت على أن موقع (يوتيوب) فرصة دعوية لدعوة الآخرين، وأن المحتوى الدعوي في موقع (يوتيوب) مشوق. وهي دراسة محدودة انصب موضوعها علي استخدام موقع (يوتيوب) فقط، وأغفلت الكثير من المواقع التفاعلية الهامة ذات الأثر الملحوظ وذات الشعبية الواسعة، مثل شبكة الفيس بوك Face book و تويتر Twitter و الواتس آب whatsapp وغيرها من مواقع التواصل وهو ما سوف نتعرض له في هذه الدراسة.

٣- دراسة الفهيد: (٢٠١٤م)(٢) بعنوان: معوقات استخدام دعاة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لوسيلة الإنترنت في الدعوة إلى الله". والتي هدفت إلى: إظهار ثمار استخدام الدعاة للإنترنت في الدعوة إلى الله في المملكة

---

(١) الزيد، مرجع سابق، ص٩٠.

(٢) الفهيد، مرجع سابق ٣٦٠.

العربية السعودية، واستخدمت الدراسة: المنهج (الوثائقي)، وتكونت عينة الدراسة من: (١٥٠) داعياً في منطقة الرياض، والمنطقة الشرقية، ومكة المكرمة التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. وأظهرت نتائج الدراسة ما يلي: أجمع علماء الأمة على أهمية الأخذ بوسائل الدعوة المشروعة والنافعة؛ لإبلاغ الدعوة، ونقلها للمدعوين، كما حققت الدعوة إلى الله عبر الإنترنت؛ أثراً ملحوظاً في مختلف نواحي الحياة: (الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية)، وكذلك اتفاق المسؤولين والمشرفين بالدرجة الأولى على: "احتياج الدعاة الرسميين؛ إلى مزيد من التأهيل، والتدريب؛ لاستخدام تلك الوسيلة. وهي دراسة عامة نبهت إلي أهمية الأخذ بالوسائل الحديثة ومنها الانترنت، غير أنها لم تعرض بصورة تفصيلية أيا من هذه الوسائل و لم تأخذ في الحسبان التطور الحاصل في وسائل التواصل الاجتماعي وهو ما سنحاول بيانه من خلال هذه الدراسة.

رابعاً: أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في التعرف على:

١- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٢- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التخطيط في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٣- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التنفيذ في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٤- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التفاعل في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

خامساً: تساؤلات البحث:

وينبثق من التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية:

١- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التخطيط في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي؟

٣- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التنفيذ في الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي؟

٤- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التفاعل في الدعوة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي؟

سادساً: منهج البحث:

تعد هذه الدراسة من الدراسات شبه التجريبية؛ التي بحثت في: تنمية مهارات الدعوة لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، جامعة المجمعة بالمملكة العربية السعودية؛ وذلك لمناسبته وطبيعة هذه الدراسة وأهدافها؛ حيث تم

إخضاع المتغير المستقل وهو: مهارات الدعوة إلى التطبيق، وقياس أثره في المتغير التابع وهو: مواقع التواصل الاجتماعي.

والذي يعرف بأنه: "المنهج الذي يهتم بدراسة المواقف التي تحدث وتحتاج أن تبحث تجريبياً، ولكن لعدم إمكانية الاختبار، أو التحديد العشوائي للأفراد، أو المجموعات موضع التجريب، وعدم إمكانية ضبط المتغيرات الخارجية؛ فإن هذا المنهج يعوزه الضبط الكامل"(١).

سابعاً: مجتمع الدراسة وعينتها:

تَكَون مجتمع الدراسة الحالية من طالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، جامعة المجمعة بالمملكة العربية السعودية والبالغ عددهن (٣٠)؛ نظرا لأهمية تنمية مهارات الدعوة لدى هؤلاء الطالبات.

وتم اختيار عينة الدراسة بالطريقة العَشْوائِيَّة البسيطة؛ حيث تم اختيار عَيِّنة عَشْوائِيَّةُ بسيطة ممثلة لمجتمع الدراسة؛ تكونت من (٣٠) طالبة من طالبات قسم الدراسات الإنسانية برماح؛ يمثلن مجتمع البحث.

ثامناً: أداة الدراسة:

اعتمدت الباحثة في دراستها على أداة الاستبانة: كأداة لجمع بيانات هذه الدراسة؛ لملاءمتها لطبيعة هذه الدراسة، من حيث: الجهد، والإمكانات، وانتشار أفراد مجتمع الدراسة في أماكن متباعدة ومختلفة؛ لأنها تعد من الأدوات الفعالة في جمع البيانات في

---

(١) المرشد في إعداد البحوث والدراسات العلمية، أبو القاسم عبد صالح، وأحمد الشيخ حمد؛ وسليمان يحيى محمد عبد الله؛ وعبد الوهاب محمد؛ وعلي الحاكم؛ وعفاف محمد؛ وعصام عبد الماجد، (مركز البحث العلمي والعلاقات الخارجية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا)، ٢٠٠١م ص١٧.

إطار الدراسات الوصفية؛ حيث تساعد في الحصول على المعلومات، وتتضمن: استخدام طالبات قسم الدراسات الإسلامية لمواقع التواصل الاجتماعي، وتعزيز مهارات الدعوة لديهن.

ويذكر سالم وآخرون(١) أن: "الاستبانة وسيلة لجمع البيانات من مجموعة من الأفراد، عن طريق: إجاباتهم عن مجموعة من الأسئلة المكتوبة حول موضوع معين، دون مساعدة الباحث لهم؛ وتستخدم لجمع حقائق ومعلومات عن موضوع معين".

ويضيف آخر:(٢) "أنها الاستمارة التي تحتوي على: مجموعة من العبارات المكتوبة، والمزودة بإجاباتها المحتملة، أو بفراغ للإجابة، ويطلب من المجيب عليها: الإشارة إلى ما يراه مهماً، أو ما ينطبق عليه منها، أو ما يعتقد أنها الإجابة الصحيحة".

تاسعاً: حدود البحث

تحددت حدود البحث الحالي فيما يلي:

- حدود مكانية: تمثلت في عينة من طالبات قسم الدراسات الإنسانية برماح؛ قوامها (٣٠) طالبة.
- حدود زمانية: الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ١٤٣٧/١٤٣٨هـ.
- حدود موضوعية: بعض مهارات الدعوة اللازمة لعينة الدراسة.

عاشراً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث:

---

(١) منهج البحث في العلوم السلوكية مع تطبيقات (SPSS)، سالم بن سعيد القحطاني؛ أحمد بن سالم العامري؛ ومعدي بن محمد آل مذهب؛ والعمر بدران بن عبد الرحمن، ط/٢، مكتبة العبيكان، الرياض: ٢٠٠٤م ص٦٧.

(٢) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح محمد العسّاف، ط/٢، دار الزهراء الرياض: ٢٠١٢م، ص٩٠.

المقدمة، وقد اشتملت على: أهداف البحث، ومشكلته، وتساؤلاته، وفروضه، ومنهجه، وأداته، وحدوده.

المبحث الأول: مهارات الدعوة إلى الله أهميتها وأنواعها.

المطلب الأول: مفهوم مهارات الدعوة.

المطلب الثاني: أهمية تنمية المهارات في الدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: أنواع المهارات الدعوية.

المبحث الثاني: مواقع التواصل الاجتماعي وأهميتها وأبرز تطبيقاتها.

المطلب الأول: تعريف مواقع التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: أبرز تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: إجراءات الدراسة الميدانية.

المطلب الأول: نتائج الدراسة الميدانية

المطلب الثاني: تحليل الدراسة الميدانية

المطلب الثالث مناقشة نتائج الدراسة الميدانية

المبحث الأول

مهارات الدعوة إلى الله أهميتها وأنواعها

تمهيد:

لقد كلف الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ وأتباعه؛ بدعوة الناس عامة، ونشر رسالة التوحيد الباقية في كل زمان ومكان، بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(٢)، كما حرص الرسول ﷺ على: تبليغ الدعوة إلى الله؛ ففي الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية"(٣)، كما أن النبي ﷺ بين أهمية الدعوة وجزالة أجر القيام بها حين بين فضل من اهتدى على يديه رجل؛ حيث قال ﷺ : ((فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم))(٤).

لقد كان الرسول ﷺ يبعث الدعاة إلى الناس؛ ليدعوهم إلى الله، أو يفقهوهم في أمور دينهم، ويعلموهم ويوجهوهم إلى طريق الحق.

إن الدعوة إلى الله رسالة السماء إلى الأرض، وهي منهج الإسلام السليم، فقد انتقاها الله وجعلها الطريق المؤدي إليه لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾(٥) وثم انتقاها لعباده، وجعلها

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٢٧٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي، رقم ٣٤٩٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

فريضة عليهم، ولم يقبل بغيرها[1] لقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

والدعوة إلى الله تكون بالأساليب المشروعة والمباحة، والأفكار الحديثة؛ حيث تطورت وسائل نقل المعلومات بشكل لافت للأنظار، وأصبحت في متناول الأيدي، وفتحت مجال الاتصال على المستوى المحلي والعالمي بشكل ليس له مثيل؛ فكان لزاماً على الدعاة أن يستفيدوا من تلك الوسائل؛ لنقل دعوة الإسلام بمجمله وتفصيله، ولعل أهم تلك الوسائل الحديثة نقل المعلومة عبر الشبكة العنكبوتية العالمية، وما تتضمنه من مواقع يأتي على ناصيتها: مواقع التواصل الاجتماعي[3].

ولا شك أن الداعية الناجح يطوع كافة الوسائل المتاحة؛ لنشر دعوته، واستمالة المؤيدين له؛ فهو يستغل كل ما يتوفر من وسائل حديثة، ومن مستجدات العصر في: الدعوة إلى الله؛ حيث يستطيع أن يدعو من خلال: القنوات الفضائية، ومن خلال: الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي، ولا يقتصر على وسائل بعينها دون الأخرى، شريطة الحفاظ على ثوابت الدعوة وأصولها؛ فالداعية المبدع هو: الذي يفضل التنوع في وسائله الدعوية، وبما يتلاءم مع الزمان، والمكان، والأحوال والظروف[4].

---

(١) المدخل إلى التدريب الدعوي، جمال الهليمي، ط/ مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ٢٠١٦م، ص٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) أثر وسائل التواصل الحديثة على الدعوة "الفيس بوك نموذجاً" دراسة نظرية إحصائية، ٢٠١٣م، بحث مقدم لمؤتمر" وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، ص١٠٩.

(٤) الرقب، مرجع سابق، ص٥٦.

وخلاصة القول: فإن الدعوة يجب أن لا تنفك بأي شكل من الأشكال عن هذا التقدم، ولا بد أن تتنوع أساليبها ووسائلها بحسب ظروف الزمان والمكان؛ إذ إن على الداعية أن يطوع التقنيات الحديثة لخدمة دعوته، وأن يواكب كل جديد يخدم تحقيق هدفه في الدعوة إلى الله تعالى؛ وحتى يستطيع مواكبة التطورات: عليه أن يسعى لتطوير ذاته، وتنمية مهاراته، وابتكار وسائل وأساليب تتلاءم مع عصره وزمانه وبما يتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء وأحكامها.

المطلب الأول: مفهوم مهارات الدعوة:

الدعوة لغة:

للدعوة في اللغة عدة تعريفات، منها: أنها مشتقة من الفعل دعا، والدعوة: المرة الواحدة من الدعاء، وقيل دعوت فلاناً وبفلان: ناديته، وصحتبه، ودعاه إلى وليمة، ودعاه إلى القتال، والنبي داعي الله، وهم دعاة الحق(١).

وترد أيضاً بعدة معان منها: معنى الاستغاثة، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته، ودعاةُ الأمير: ساقه، والدعاة قوم يدعون إلى بيعةٍ هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأدخلت الهاء للمبالغة(٢). وفي المعجم الوسيط: دعاه إلى الشيء أي: حثه على قصده(٣).

الدعوة اصطلاحا:

تم تعريف الدعوة بعدة تعاريف اصطلاحية؛ ويرجع ذلك إلى أمرين أساسيين، وهما: سعة مفهوم الدعوة، وشمول دلالته وعمق محتواه، وتنوع معايير العلماء والكتاب والمؤلفين لمعنى الدعوة؛ وذلك يرجع لاختلاف نظراتهم وفهمهم؛ فقد قيل هي: "الدعوة إلى الإيمان

---

(١) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ، ٢٥٧/١٤، أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: محمد السود، ط/ ، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩هـ، ٢٨٨/١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ، ٢٠٩/١٥.

(٣) (٢٨٦/١) بتصرف.

بالله، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به"(١). وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه.

كما تعرف الدعوة بأنها: مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه وتطبيقه، وتعرف أيضاً بأنها: قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان(٢).

كما عرفت الدعوة إلى الله أيضا بأنها:" الدعوة إلى دينه، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام، والخضوع والانقياد لله رب العالمين، من خلال: الاعتقاد بأركان الإيمان الستة، وتطبيق أركان الإسلام؛ فالدعوة إلى الله تعالى لا تعني الدعوة الفئوية، أو الحزبية، أو المذهبية؛ لأن الدعوات الضيقة لا تتناسب مع سعة الإسلام وجلال رب العالمين"(٣).

مهارات الدعوة:

وتعرف بأنها: مدى امتلاك الداعية للكثير من المهارات التي تعينه على إيصال دعوته، والتأثير في المدعوين: كالمهارات المعرفية، والاتصالية، والأدائية، وتتمثل المهارات المعرفية في: معرفته بشرع الله، وبصيرته في الدين(٤).

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم، ط١/، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٧م، ص١٥٧-١٥٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ١٥/١٥٧، المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني، ط/٣ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ، ص٣٤٦.

(٣) فقه الدعوة، بسام العموش، ط/٢، دار النفائس، عمان: ٢٠٠٥م، ص٧.

(٤) التأهيل الدعوي في المواقع الدعوية السعودية على شبكة المعلومات، عبد الله بن محمد بن عبدالله الناصر، ٢٠١١م، (بحث مقدم للندوة الأولى للمواقع الدعوية السعودية على شبكة المعلومات، الرياض)، ص١٤.

كما تعرف بأنها: مدى امتلاك الداعية للقدر الكافي من العلم المنبثق من كتاب الله، ومن سنة رسوله، ومعرفة أوضاع المدعوين، والفروق الفردية بينهم، وأيضاً معرفة المجتمع الذي يعيش فيه، والتعرف على عاداته، وتقاليده[(١)].

وتتمثل المهارات الاتصالية في: إتقانه مهارة التفاعل والتجاوب والإقناع، ومهارة الحوار، والتنويع في أساليب التواصل اللفظي، وغير اللفظي، في حين تتمثل المهارات الأدائية في: القدرة البيانية التي يتمكن من خلالها الداعية من إيصال دعوته للناس بكل وضوح، وإتقانه مهارة الإلقاء والخطابة، ومهارة حل المشكلات، ومهارة التعامل مع الجماهير ذوي الاحتياجات المختلفة، واستثمار المواقف لمصلحة الدعوة، وامتلاك مهارة استخدام وسائل الاتصال، والتقنيات الحديثة[(٢)].

---

(١) التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو "مفهومه، مجالاته، مقوماته"، د. هند مصطفى شريفي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٥٦، رمضان ١٤٣٣هـ.

(٢) د. شريفي، المرجع السابق، ص٢٥.

المطلب الثاني: أهمية تنمية المهارات في الدعوة إلى الله:

تتمثل أهمية تنمية المهارات في الدعوة إلى الله في: إعداد دعاة متخصصين؛ قادرين على إحداث التغيير المنشود، والمشاركة الفاعلة فيه، مستفيدين بذلك من دورهم القيادي في المجتمع؛ ليتمكنوا من نشر دعوتهم، وتطوير فكرهم؛ ليجاري تطورات العصر، وذلك من خلال: إدراكهم لواقع التحالفات السياسية، والمتغيرات الدولية، والاستفادة من التناقضات بين المحاور العالمية، وتسخيرها لخدمة الدعوة إلى الله، وكذلك إيجاد قنوات اتصال بين الدعاة؛ ليتسنى لهم: تبادل الخبرات والتجارب، عن طريق: عقد المؤتمرات والندوات، وتطوير قدرتهم على إيجاد برامج تهتم بمناقشة أوضاع المسلمين، والتحديات التي تواجههم، وتفعيل العمل الدعوي، عن طريق: تقديم الخدمات الصحية للمرضى بصرف النظر عن الدين، والمعتقد، من خلال: إنشاء مستشفيات، وصيدليات غير ربحية، كما تسهم المهارات الدعوية في: تطوير قدرة الداعية على تقديم محاضرات ودروس للشباب؛ لمحاربة الغزو الفكري، وإنشاء وكالات أنباء إسلامية، ومساندتها؛ بحيث تتسم بالشفافية والمصداقية(١).

إن طريق الدعوة إلى الله طريق صعب وتكتنفه العديد من العقبات الأمر الذي يتطلب أن يكون الدعاة أهلاً لحمل الرسالة، وقادرين على تجاوز كل العقبات؛ لذا فهم بحاجة ماسة إلى تدريب وتأهيل؛ يمكنهم من القيام بواجباتهم ومهامهم بالكفاءة المرجوة؛ وهنا تتضح أهمية التدريب في تنمية معارف ومعلومات الداعية، من خلال: تزويده بكل ما هو جديد في العلوم والمعارف المتعلقة بموضوعات الدعوة ووسائلها؛ لتجويد أدائه، فضلاً عن تزويده بمعلومات ومهارات حديثة تعينه على تأدية مهامه بكفاءة وجدارة،

---

(١) تطوير وسائل الدعوة في ضوء مواكبة العصرية للفكر الإسلامي، أحمد السمان عبيد المحمدي،، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، ٢٠١٣م، المجلد ٤، العدد ١٥.

وكذلك إمداده بمهارات معينة؛ تمكنه من القدرة على القيام بأعمال في المستقبل، وتوسيع مداركه بشكل مستمر، عن طريق: التعليم، والتطوير المتواصل(١). ولكي يتمكن الداعية من القيام بمهامه والأدوار المتصلة بهذه المهمة الرفيعة؛ لا بد من أن يتحلى بالعديد من السمات والمهارات والتي أشرنا إلى أغلبها فيما سبق؛ ذلك أن تحليه بها يمكنه من أداء دوره في مجال الدعوة إلى الله بفعالية تنتج أثراً في الآخرين، وتصل دعوته إلى أكبر قدر ممكن؛ محققاً في النهاية أهدافها(٢).

---

(١) مهارات التواصل لدى الداعية، مها غازي منور المغذوي، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية)، ٢٠١٢م ص٨٩.

(٢) دور الكليات الشرعية بمحافظات غزة في إعداد الداعية المربي وسبل تطويره، أحمد إبراهيم سليمان الزاملي، ٢٠١٦م. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ص٩٩.

المطلب الثالث: أنواع المهارات الدعوية:

لقد ظهرت مؤخرا مواقع تقوم على الحوار والجدل، وكذلك المنتديات، وساحات الحوار، وغرف الشات والدردشة؛ حيث أنها تساهم بدرجة كبيرة في تدريب الدعاة على الحوارات المفتوحة، وممارسة النقاشات والاستدلالات العلمية، ومعرفة خبرات المدعوين ومعارفهم حول الإسلام؛ لذا ينبغي على الداعية الذي يتخذ من الإنترنت منبراً لإيصال رسالته؛ أن يتحلى بمجموعة من السمات، من أهمها: الإنصاف، والأمانة، والوضوح، والصدق، واحتساب الأجر، والصبر على من يجهل عليه، واليقين بأن الهداية بيد الله، وعدم استعجال الثمرة، وهى الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلمون عامة، والدعاة إلى الله خاصة؛ كما يجب على الداعية عبر الإنترنت أيضاً: الإلمام بجميع الشبهات التي تثار حول المسائل والموضوعات التي يدعو إليها، والتي تنتشر بسبب الانفتاح في الشبكة العنكبوتية، التي تمتلئ بكل شيء، ونؤكد على أن أهم الصفات والسمات التي ينبغي على الداعية التحلي هما صفتي: الصبر، والحلم؛ فهما يعيناه على الاستمرار في طريق الدعوة، ويثمران في المدعويين؛ كما أن على الداعية عبر الإنترنت أن يولي فهم واقع الشباب، والإلمام التام بأحوالهم، ومعرفة اهتماماتهم عبر الشبكة اهتماما بالغاً(١).

ولمعرفة المزيد من التفاصيل حول أنواع تلك المهارات الدعوية التي ينبغي على الداعية التحلي بها؛ نتناول أبرزها على النحو التالي: (٢)

١- **مهارات الدعوة الفردية:** هي أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله؛ وتشير إلى اتصال الداعي بالمدعو بشكل مباشر؛ بغية النهوض به عقيدة وعبادة، وفهماً وأخلاقاً؛ لكي يتحلى المدعو بصفات الفرد المسلم، ويصبح سليم العقيدة، حسن

---

(١) الشهري، مرجع سابق، ٢٠١١م ص٣٤.

(٢) الزاملي، مرجع سابق، ٢٠١٦م، ص٤٦.

الخلق، مثقف الفكر، ينفع مجتمعه، يستثمر وقته بأعمال مفيدة، مرتب في أموره، مجاهد لنفسه.

٢- **مهارة استخدام أسلوب الحوار**: يعد أسلوب الحوار من الأساليب التي يوظفها الداعية في دعوته؛ والتي من شأنها أن تؤثر بشكل إيجابي في الدعوة؛ لذا يتوجب على الداعية أن يوظف أسلوب الحوار في تعليم الناس وتثقيفهم؛ لأنه من الأساليب التي لها تأثير واضح؛ حيث يبعد الملل، ويكشف الطاقات الكامنة لدى السامعين، ويطور شخصية طلاب العلم، وينمي قدرتهم على الإبتكار.

٣- **مهارة أسلوب الترغيب والترهيب**: يعد أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي أثبتت فاعليتها في الدعوة؛ لاستنادها على عنصري: الثواب، والعقاب؛ فالدعوة مقرونة بمبدأ الترغيب والترهيب، ويجب استخدامهما معاً؛ لتحقق الدعوة غاياتها، وما وجدت من أجله، وعليه: فينبغي على الداعية أن يوظف هذه المهارة في دعوته؛ لأن لها دوراً كبيراً في تسهيل إيصال الدعوة إلى المدعوين؛ فضلا عن تركها أثراً عميقاً في النفس البشرية.

٤- **مهارة ضرب الأمثال**: إن استخدام أسلوب ضرب الأمثال في الدعوة إلى الله؛ له أثر كبير في نفوس المدعوين، وعلى الداعية أن يمتلك مهارة ضرب الأمثال، ويوظفها في الدعوة، وذلك بأن يضرب الأمثال بما هو محسوس، وواقعي؛ ليقرب الصورة إلى أذهان السامعين.

٥- **مهارة استخدام الدعابة**: وتعني استغلال المواقف بقول، أو فعل يدخل الفرح إلى القلب، ويوجد في النفس ما يحقق للفرد الصفاء الذهني، والاتزان النفسي. فعلى الداعية أن يوظف مهارة الدعابة في الدعوة إلى الله؛ لأن تضمين المحاضرة أو الدرس بالدعابة من شأنه أن يقضي على الملل، ويبعث الفرح والسعادة والحيوية، ويقلل من الروتين، ولكن عليه أن لا يكثر من المزح؛ لكي يحافظ على هيبته، واحترامه أمام

الآخرين، ويأثر فيهم.

٦- **مهارة استخدام لغة الجسد:** تستخدم لغة الجسد؛ لإيصال المعاني، والمشاعر والأحاسيس عن طريق الإشارات، والحركات المنبعثة من الوجه، والعينينن، واليدين، وطريقة الوقوف والجلوس؛ ولذا على الداعية أن يوظف لغة الجسد في دعوته من خلال: حركات جسده كتعابير الوجه، وحركات الجسم؛ وفقاً لما يتطلبه الموقف.

٧- **مهارة استخدام التشويق:** الداعية متعطش دوماً للبحث عن وسائل تستهوي قلوب المدعوين، وتستميل عقولهم، وتشد انتباههم، نصرة لدعوته، ورغبة في ميل أكبر عدد ممكن؛ لذا يتوجب على الداعية الذي يجيد هذه المهارة أن يوظفها دعوته، وإن كان لا يجيدها فعليه أن يسعى جاهدا لتنمتها لديه؛ حتى يتمكن من استماله قلوب المدعوين، والتأثير فيهم، سواء استخدمها بشكل فردي، أو جماعي وفقاً للمنفعة.

٨- **مهارة استخدام التقنيات الحديثة:** الداعية الناجح هو الذي يوظف كافة الوسائل في إيصال دعوته؛ بما في ذلك استغلاله للتقنيات الحديثة في الدعوة إلى الله؛ حيث يدعو من خلال: القنوات الفضائية، ومواقع التواصل الاجتماعي؛ محاولا الخروج عن الأساليب التقليدية في الدعوة إلى الله؛ لأن أغلبها صارت مملة؛ فضلا عن أن جمهورها قل كثيراً، واستخدام الداعية للتقنيات والوسائل الحديثة في دعوته يمكنه من الوصول لأكبر شريحة ممكنة من الناس في وقت واحد؛ ولكن هذا الاستخدام مشروط بعدم المساس بثوابت الدعوة وأصولها؛ لذا يستطيع الداعية أن يستغل شبكة الإنترنت لنشر الدعوة عبر المواقع الإلكترونية التابعة للأشخاص، أو المؤسسات الدعوية، وأيضاً المكتبات الإلكترونية الكبيرة، علاوة على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة: كالفيس بوك، والتويتر، والواتس أب، وغيرها.

غير أن هذه الوسائل تقتضي لكي يتمكن الداعية من استخدامها؛ أن يطور من مهاراته وقدراته لاستخدام هذه الوسائل الحديثة التي تمكنه من إيصال دعوته خارج نطاق دولته؛ إذ من خلالها يستطيع أن يدعو كافة الناس للدين الإسلامي؛ ولهذا فإنه يتوجب على المؤسسات الدعوية؛ تسليح الدعاة بالعديد من المهارات؛ التي تجعلهم قادرين على القيام بعملهم الدعوي،(١) **يتوجب على الدعاة امتلاكها عند الدعوة إلى الله، وتتمثل فيما يلي:**

١- **مهارة التخطيط في الدعوة:** التخطيط في الدعوة هو تفهم الداعية لشمول أهداف دعوته ومقاصدها، وإدراكه الوسائل التي ينبغي أن يسلكها؛ لتحقيق هذه الأهداف، ثم وضع خطة محددة المعالم، ينظم جهوده على ضوئها، مراعياً الإمكانيات المتاحة له، والظروف المؤثرة في الواقع؛ بحيث تكون هذه الخطة مؤدية إلى تحقيق الأهداف المقصودة، سواء أكانت أهدافاً قريبة أم بعيدة، وبقدر ما يكون التخطيط منطقي يتواكب مع المعطيات والإمكانات الموجودة؛ بقدر ما يكون وسيلة من وسائل تحقيق الهدف من الدعوة(٢).

٢- **مهارة التنفيذ في الدعوة:** مهارة التنفيذ هي: إخراج وتحقيق الأمر من

---

(١) التأهيل الدعوي في المواقع الدعوية السعودية على شبكة المعلومات، عبد الله بن محمد بن عبدالله الناصر، (بحث مقدم للندوة الأولى للمواقع الدعوية السعودية على شبكة المعلومات، الرياض)، ٢٠١١م ص ١٤.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط/٢، دار الحضارة، الرياض: ١٤٣١هـ، ص٥٧، فن التخطيط وأثره في حياة الداعية، يحيى الخالدي، ط/١، دار القاسم، الرياض: ص٩٩، التخطيط في خدمة الدعوة إلى الله، خالد الصقير من ص ٢٢ - ٢٥، مجلة البيان، عدد (١٢٤) ذو الحجة، ١٤١٨هـ.

نطاق الفكر إلى نطاق العمل في الدعوة، ويحتاج إلى جهود متضافرة، وفي نفس الوقت إلى مهارات مكتسبة تتناسب مع حال كل مدعو.

٣- **مهارة التفاعل:** هي سلوك أفضل السبل والوسائل؛ لنقل الفوائد، والمعلومات، والمعاني، والآراء في الدعوة إلى أشخاص آخرين، والتأثير عليهم، وإقناعهم.

٤- التعرف على محاسن أساليب حل المشكلات.

٥- القدرة المهارية على الاستفادة من الخبرات التي أثبتت فاعليتها في الاتصال، والممارسة العملية لها.

٦- القدرة في التعرف على مصادر المعرفة المتنوعة[1].

وتعقيباً على ما تقدم ترى الباحثة: أنه يتوجب على الداعية أن يتحلى بجملة من المهارات الدعوية التي تعينه على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي؛ لنشر دعوته، والمتمثلة فيما يلي:

١- أن يتحلى بمجموعة من السمات، مثل: بالإخلاص، والصبر، والاحتساب.

٢- أن يدرك الداعية الواقع الذي يعيش فيه، وطبيعة الناس الذين يدعوهم؛ ليكون خطابه مناسباً لهم.

٣- أن يطلع على كل هو ما جديد في مجال تخصصه.

٤- أن يكون قادراً على استخدام التقنيات الحديثة، وتسخيرها لخدمة الدين الإسلامي.

٥- أن يكون الداعي قادراً على وضع خطة عمل دعوية واضحة؛ تعينه على إيصال دعوته بأفضل الوسائل، وأكثرها انتشاراً، وأجداها نفعاً.

---

(١) مهارات الاتصال لدى الدعاة ودورها في تحقيق الأمن الفكري، عبد الرحمن بن سعد أباحسين، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠١١م، ص١٨٣.

المبحث الثاني

مواقع التواصل الاجتماعي وأهميتها وأبرز تطبيقاتها

تمهيد:

إن لمواقع التواصل الاجتماعي أهمية بالغة؛ فهي تحظى بمكانة مميزة في نفوس روادها وتؤثر بشكل واضح في حياة الناس اليوم، من أهمها: الدور الاجتماعي، والدور الثقافي؛ إذ هما من أهم الأدوار التي تلعبها تلك المواقع في مختلف المجتمعات، وعلى مختلف الثقافات على المستوى: المحلي، والإقليمي، والعالمي، وأصبح تأثيرها يحتل الصدارة ضمن أحداث الساعة؛ نظراً لارتباط قطاع كبير من الأفراد بتلك الشبكات، حتى أصبح بمقدور أي فرد أن ينشئ موقع أو صفحات خاصة به على مواقع التواصل الاجتماعي بكل سهولة ويسر، ومن خلالها يلتقي بالأصدقاء القدامى، وينطلق ذلك من وعي الناس بأهمية هذه الشبكات، بغض النظر عن كونها خاصة، أو تابعة لمؤسسة، أو شركة، أو حتى دولة؛ لأن الهدف من إنشاءها واحد؛ مع الأخذ بعين الاعتبار الاستخدام السيئ لبعض الناس لمثل هذه المواقع والشبكات؛ ولم يقتصر تأثير تلك الشبكات على الناحية الاجتماعية والثقافية فحسب؛ بل أضحى تأثيرها على مختلف مجالات الحياة: الاجتماعية، والإدارية، والتسويقية، والاقتصادية، والثقافية، والبحثية، والعلمية(١)، وغيرها من المجالات.

المطلب الأول: تعريف مواقع التواصل الاجتماعي:

التواصل لغة:

التواصل لغة: من الاقتران، والاتصال، والصلة، والالتئام، والجمع، والإبلاغ، والإعلام، وأصل كلمة التواصل في اللغة الأجنبية Communication، والتي تعني: إقامة

---

(١) دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الموارد البشرية "دراسة استكشافية للمكتبات العامة"، أسامة عبيد، ص٧٨ /http://www.academia.edu/ 6452628

علاقة تراسل، وترابط، وإرسال، وتبادل، وإخبار، وإعلام، وهناك تشابها في الدلالة، والمعنى(1).

والتواصل في اللغة: الواو والصاد واللام أصل واحد يدل علي ضمِّ شيءٍ إلي شيءٍ حتي يَعْلَقَه (2)، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْرَان(3) وهو جميع أشكال التفاعل، والتكامل المنبثق عن الإحسان، والرفق، والرعاية، والعناية؛ استناداً إلى المعنى المتضمن لكلمة "صلة الرحم"؛ التي تعني عند عامة أهل العلم باللغة والتفسير والفقه والأصول: الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب، والأصهار، والعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم وإن بعدوا وأساءوا(4).

وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾(5)، ولقد وصلنا لهم القول؛ أي: القرآن، تابعناه موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزواجر، والدعاء إلى الإسلام". وأنزلناه شيئاً بعد شيء، ليصل بعضه ببعض... وتنزيله كذلك؛ ليكون أبلغ

---

(1) مهارات الاتصال، سعد المسعودي، ط/١، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة: ٢٠٠٧، ص٩.

(2) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ١١٥/٦.

(3) لسان العرب، ابن منظور ٧٦٢/١١.

(4) التواصل الاجتماعي "أنواعه، ضوابطه، آثاره، ومعوقاته، دراسة قرآنية موضوعية"، ماجد رجب العبد سكر، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة)، ٢٠١١م، ص ٦٧.

(5) سورة القصص: الآية: ٥١.

في التذكير، ولذلك قال: لعلهم يتذكرون، يعني: أن القرآن أتاهم متتابعاً، متواصلاً، وعداً ووعيداً، وقصصاً وعبراً، ومواعظ؛ ليتذكروا فيفلحوا(١)، فالتواصل مقترن بالقرآن.

والوصلة: الاتصال، والوصلة: ما اتصل بالشيء، قال الليث كل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة(٢).

التواصل اصطلاحا:

ويعرف بأنه: "عملية نقل الأفكار والتجارب، وتبادل الخبرات والمعارف والمشاعر بين الذوات، والأفراد، والجماعات، ويتأسس التواصل على عناصر هي بمثابة أركان ضرورية حتى يتم؛ وهذه العناصر هي: المرسل، والمتلقي، والشفرة؛ حيث يتفق في تسنينها كل من: المرسل، والمستقبل، والرسالة، والإعلام"(٣).

كما يعرف بأنه: "بناء علاقة بين فردين، أو دولتين، أو مجتمعين؛ مما يحقق المنفعة المتبادلة بين الطرفين"(٤).

وفي تعريف آخر التواصل هو: "عبارة عن تفاعل بين مجموعة من الأفراد والجماعات؛ يتم بينها تبادل المعارف الذهنية، والمشاعر الوجدانية، بطريقة: لفظية، وغير

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٥١٣/٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: وصل، ٤٤٩/٦.

(٣) مدى تمكن معلمي الرياضيات في المرحلة الابتدائية بمدينة عرعر من مهارات الاتصال اللفظي، هلال العنزي، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة)، ٢٠٠٩م، ص٣٤.

(٤) سكر، مرجع سابق، ص٧٨.

لفظية"[١].

كما يعرف بأنه: "عملية نقل الأفكار، وتبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات، ويقتضي التواصل بوصفه نقلاً إعلامياً: مرسلاً، ورسالة، ومستقبلاً، وشفرة، يتفق عليها كل من المتكلم والمستمع، وسياقاً مرجعياً، ومقصدية الرسالة"[٢].

الاجتماع لغة:

بالنظر في مادة جمع؛ نجد أن الجيم، والميم، والعين؛ أصلٌ واحد؛ يدل على تَضَام الشيء، يقال: جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً، والجُماع الأُشابَةُ من قبائلَ شتى[٣].

وفلان جماع لبني فلان؛ يأوون إليه، ويعتمدون على رأيه[٤].

كما يعني: "اجتماع الناس، وعدم تفرقهم، وجمع الأشياء بعضها إلى بعض، وكذلك الأمر الذي يحتاج إلى أن يجتمع الناس لأجله؛ وذلك لخطورته"[٥].

الاجتماع اصطلاحا:

عرف الاجتماع بعدة تعاريف، منها: مجموعة من الأفراد يربط بينها رابط مشترك؛

---

(١) التواصل اللغوي في الخطاب القرآني "دراسة في الاستئناف البياني"، حرزولي العزوزي (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج الخضر، باتنة، الجزائر) ٢٠١٣م.

(٢) السيماء والتواصل، ميساء صائب رافع، مجلة الباحث الإعلامي، العدد ٣٣-٣٤، ص١٨١-١٨٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ١/٤٧٩.

٤() المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط/٤، مكتبة الشروق الدولية، مصر: ٢٠٠٤م، ص١٣٥.

(٥) الإصلاح الاجتماعي وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي في ضوء نصوص الوحي، بكر مصطفى طعمة بني أرشيد، (بحث منشور، ٢٠١٠م).

يجعلها تعيش عيشة مشتركة؛ تنظم حياتها في علاقات منتظمة، معترف بها فيما بينهم(١).

أيضا الاجتماع: عبارة عن نسيج مكون من صلات اجتماعية؛ تلك الصلات التي يحددها الإدراك المتبادل بين الجانبين(٢).

مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي:

تتعدد وتختلف التعاريف المتعلقة بمواقع التواصل الاجتماعي، فقد عرفت على أنها: مساحات افتراضية متواجدة في شبكة الأنترنت؛ يتمكن من خلالها المستخدم من إنشاء صفحات شخصية، واستخدام الأدوات للتفاعل، بالإضافة إلى التواصل مع من يعرفونهم، كما أنها تساهم في طرح مواضيع وأفكار، وتعمل على مناقشتها(٣).

كما عرفت مواقع التواصل الاجتماعي على أنها:" مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت؛ تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي، يجمع أفرادها اهتماماً مشتركاً، أو شبه انتماء (بلد – مدرسة- جامعة- شركة...) يتم التواصل بينهم من خلال: الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية، ومعرفة أخبارهم، ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض. وهي وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، سواء أكانوا أصدقاء معروفين في الواقع، أم أصدقاء تم التعرف عليهم من خلال السياقات الافتراضية"(٤).

---

(١) المجتمع الإسلامي المعاصر، محمد المبارك، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٠هـ، ص١٢٣.

(٢) المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، ط/١، دار الأرقم، الكويت: ١٤٠٠هـ، ص٦٧.

(٣) المراهقون "وسائل الإعلام الاجتماعية ، والخصوصية"، ماري مادن وساندرا كورتيسي، ويورز جاسر، مركز بيو للأبحاث، جامعة هارفارد، الولايات المتحدة)، ٢٠٠٧م، ص ٩.

(٤) شبكة التواصل الاجتماعي وآثارها على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين، السيد أبو خطوة؛ وأحمد الباز، (المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد السابع، العدد ١٥.

وعرفت أيضا مواقع التواصل الاجتماعي بأنها: منظومة من الشبكات الإلكترونية؛ التي تتيح للمشترك فيها: إنشاء موقعه الخاص، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني بمستفيدين آخرين يتشاركون فيما بينهم باهتمام معين، وهواية محددة، أو من الممكن أن يكونوا قد تشاركوا مدة زمنية كأصدقاء الجامعة أو الثانوية(١).

ومما سبق يمكن تعريف مصطلح مواقع التواصل الاجتماعي بأنه: منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات، والهوايات نفسها.

---

(١) أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب: تجربة مجلس "شبابي علار أنموذجا"، حسني عوض، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس المفتوحة، القدس، فلسطين، ٢٠١١م، ص٥٦.

المطلب الثاني: أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله:

تعد مواقع التواصل الاجتماعي بمثابة خدمات تؤسسها وتبرمجها شركات كبرى لجميع المستخدمين والأصدقاء؛ لمشاركة الأنشطة والاهتمامات، وللبحث عن تكوين صداقات، والبحث عن اهتمامات وأنشطة لدى أشخاص آخرين، ومعظم الشبكات الاجتماعية عبارة عن: مواقع إلكترونية؛ تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين، مثل: المحادثة الفورية، والرسائل الخاصة، والبريد الإلكتروني، والفيديو، والتدوين، ومشاركة الملفات، وغيرها من الخدمات؛ لذا يلاحظ أن الشبكات الاجتماعية أحدثت تغيراً كبيراً في كيفية الاتصال والمشاركة بين الأشخاص والمجتمعات، وتبادل المعلومات؛ إذ أصبحت الشبكات الاجتماعية تجمع الملايين من المستخدمين، وتنقسم حسب الأغراض إلى شبكات تجمع أصدقاء الدراسة، وأخرى تجمع أصدقاء العمل، بالإضافة إلى شبكات التدوينات المصغرة(١).

وتكمن أهمية استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله تعالى؛ في كون هذه المواقع تتسم بسرعة عالية في إيصال البيانات، ونشر المعلومات، واستقبالها، وهي سرعة تفوق سرعة غيرها من الوسائل، فضلاً عن أن النشر المباشر على شبكة الإنترنت يكون أكثر انتشارا على مستوى العالم؛ مما يساهم في تحقيق أهداف الدعوة، وإيصال رسالتها إلى العالم؛ والتي منها الحث على الابتعاد عن بعض السلوكيات الخاطئة والمخالفة لتعاليم الشريعة الإسلامية، واستبدالها بسلوكيات إيجابية ومقبولة، أو تقديم تعريف للجوانب المشرقة في القيم الإسلامية، وغيرها الكثير من الاستخدامات الدعوية المختلفة التي يمكن تحقيقها من خلال: مواقع التواصل الاجتماعي(٢).

١() الدعوة إلى الله عبر الانترنت "أساليبها ووسائلها"، عبدالله الشهري، ط/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٣٢هـ، ص٢٣.

(٢) أ. د.حصة بنت عبد الكريم الزيد، مرجع سابق، ص٣٤.

المطلب الثالث: أبرز تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله:

شهد العالم في السنوات الأخيرة نوعاً من التواصل الاجتماعي بين الناس في فضاء إلكتروني افتراضي، قرب المسافات بين الشعوب، وألغى الحواجز والحدود، وزاوج بين الثقافات، وقد أطلق عليه بين البشرية (بمواقع التواصل الاجتماعي)؛ حيث ظهرت أنواع متعددة؛ استأثرت بجمهور واسع من المتلقين، ومن أبرزها ما يلي:

أولاً: شبكة الفيس بوك (Face book):

وهذه الشبكة: موقع مخصص للتواصل الاجتماعي، وتبادل الآراء، والحوارات، والأفكار، والصور، والفيديوهات، وذلك من خلال: وجود صفحة لكل شخص؛ تسمى ملف شخصي (profile)؛ يقوم من خلالها بتكوين صداقات عن طريق إرسال إذن صداقة إلى الملف الشخصي للصديق الذي يرغب بأن يكون صديق له؛ وعندما يتم القبول يصبحا أصدقاء، وهناك من يقوم بترشيحك لعدد من أصدقاءه؛ لتقوم بالتعرف عليهم، وبذلك تنشأ الصفحة الرئيسية الخاصة بك، والتي تسمى صفحة (Home)، ومن خلالها تتمكن من رؤية: الآراء، والتعليقات، والصور، والفيديوهات، والمجموعات التي يقوم بتحميلها، وإشراك غيرك من الأصدقاء بها، كما أنهم أيضاً يشاهدون نشاطاتك المختلفة من خلال الصفحة الرئيسة(١).

---

(١) موقع الفيسبوك ودوره في تطوير مجال النحت والتعلم عبر الإنترنت في ضوء متطلبات عصر المعرفة، بسمة نصيف، (بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي العربي السادس الدولي الثالث لتطوير برامج التعليم العالي في مصر والوطن العربي في ضوء متطلبات عصر المعرفة، المنصورة)، ٢٠١١م، ص٥٦

ويعرف بأنه: منظومة من الشبكات الإلكترونية؛ التي تتيح للمستخدم إمكانية إنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين، تجمع بينهم نفس الاهتمامات، والهوايات؛ بحيث تتيح للأفراد، أو المنظمات للتواصل فيما بينهم، ونقل الأخبار بالكتابة، أو بالصور، أو بالفيديوهات(١).

وعليه فإنه يمكن للداعية عمل صفحة فيسبوك خاصة به؛ لمخاطبة جماهيره، ونشر الدين الإسلامي، ويمكن تطويعه في مجال الدعوة من خلال ما يلي:(٢)

١- عمل مجموعات تدعو إلى الحث على الفضيلة، ونشرها بين الناس.

٢- مراسلة أصحاب الصفحات الموجودة لدى الداعية، وحثهم على القيم، والأخلاق الحميدة.

٣- التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم إلى الدين الإسلامي، وذلك بمعرفة لغة الطرف المخاطب؛ للتحاور معه، وإيضاح صورة الإسلام الصحيحة التي شوهها الغرب عبر الوسائل الإعلامية.

وترى الباحثة أن على الجهات التي تهتم بالدعوة أن تستفيد من موقع الفيسبوك؛ بأن تضيف لحساب الدعاة العديد من الأصدقاء؛ لإيصال الرسالة الدعوية، وكذا حث الدعاة من خلالها على التوجه نحو العمل الخيري؛ وتزويدهم بشكل دوري بالفعاليات والمناسبات أولاً بأول؛ ليكونوا في الحدث مباشرة؛ وهذا ما يميز هذه الوسيلة الفاعلة عن الإعلام التقليدي؛ إذ إن الفيس بوك يتميز بسرعة تحديث الخبر، ونزوله وقت حدوثه مباشرة؛ فيجعل المتلقي كأنه في وسط الحدث.

---

(١) وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة إلى الفيس بوك، فتحي عامر، ط/ دار العربي، القاهرة: ٢٠١١م، ص٥٣.

(٢) استخدامات برامج التواصل الاجتماعي في الدعوة الإيجابيات والسلبيات، راضي بن جميعان الشمري، (مقال منشور في جريدة الرياض، ٢٠١٦م).

ثانياً: شبكة تويتر Twitter:

تعد شبكة تويتر إحدى شبكات التواصل الاجتماعي التي اكتسبت شهرة كبيرة؛ حيث بلغ عدد مستخدميها في الوطن العربي حوالي (١،١) مليون مستخدم؛ ويرجع ذلك إلى كونها تسمح للمشاركين بالتعبير عن آرائهم، من خلال: الصوت، والصورة، ومشاركة الملفات، ومقاطع الفيديو، والوصول إلى كافة المشتركين في مختلف أنحاء العالم؛ وبهذا فإن شبكات التواصل الاجتماعي تعد وسيلة للتفاعل الاجتماعي بين المعلمين والمتعلمين، كما أنها فرصة لإنشاء صفحات على الشبكة؛ لتقديم الموضوعات، وإضافة التعليقات عليها[١]؛ وبلا شك فإن الداعية يجد فيها مبتغاه؛ حيث يستطيع أن يوصل رسالته عبرها، من خلال تغريداته، أو تعليقاته على ما ينشر، وما شابه.

ويعرف موقع تويتر بأنه[٢]: موقع شبكات اجتماعية؛ يقدم خدمة تدوين مصغر؛ إذ يسمح لمستخدميه بإرسال تحديثات التويتس Tweets عن حالتهم بحد أقصى (١٤٠) حرفاً للرسالة الواحدة؛ وذلك مباشرة عن طريق موقع تويتر، أو عن طريق إرسال رسالة نصية قصيرة SMS وتظهر تلك التحديثات في صفحة المستخدم، ويمكن للأصدقاء

---

(١) فاعلية شبكة التواصل الاجتماعي تويتر "التدوين المصغر" على التحصيل الدراسي وتنمية مهارات التعلم التعاوني لدى طالبات الصف الثاني ثانوي في مقرر الحاسب الآلي، نورة العتيبي، (المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية) ٢٠١٣م.

(٢) الحربي، مرجع سابق، ص٣٦، تصور مقترح لتوظيف شبكات التواصل الاجتماعي في التعلم القائم على المشروعات وأثره في زيادة دافعية الإنجاز والاتجاه نحو التعلم عبر الويب، أمل عمر، (المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، الرياض)، ٢٠١٣م، ص٥٧.

قراءتها مباشرة من صفحتهم الرئيسية، أو زيارة ملف المستخدم الشخصي، وكذلك يمكن استقبال الردود والتحديثات.

ويمثل تويتر إحدى منصات التواصل الاجتماعي التي كان لها قوة مؤثرة على مستويات عدة خلال الربع الأول من العام، ومن خلاله: يمكن التواصل مع أي إنسان في أي مكان وزمان.

ومن الإيجابي أن عدد من العلماء والدعاة أصبحت لهم صفحات فاعلة على تويتر؛ الأمر الذي يؤكد أنه يمكن توظيف هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله من خلال: عمل صفحات شخصية للكثير من العلماء والدعاة؛ لمخاطبة الجماهير، ونشر الدين والدعوة داخل العالم العربي والإسلامي وخارجه، ويمكن عمل النصيحة عن طريقه بأساليب كثيرة، من خلال: الكلمة القصيرة، ومن خلال: نشر مقاطع الأفلام التوعوية؛ التي تحمل في طياتها النصح، والتوجيه لجميع المدعوين(١).

ثالثا: اليوتيوب (YouTube):

تعتمد فكرة موقع اليوتيوب على تبادل ملفات الفيديو التي يتم تصفحها من قبل المستخدمين، من خلال: تحميلها عن الإنترنت بمختلف أنواعها، سواء: إعلامية، أو ثقافية، أو ترفيهية، أو شخصية، وبمقدور أي شخص في نفس الوقت أن يتسخدم نفس الرابط، أو الموقع، ولكن بحدود ألا تكون مسيئة، وألا تكون غير قانونية(٢).

إن موقع (اليوتيوب) ولما يتسم به من مميزات؛ حري بأن يكون منبرا من المنابر

---

(١) دور مواقع التواصل الاجتماعي في حل المشكلات التي تواجه طلاب التربية العملية واتجاهاتهم نحوها، محسن، الزهراني، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية)، ٢٠١٣م، ص٩٨.

(٢) The YouTube Effect: How YouTube Has Provided New Ways to Consume, Create, and Share Music ,Christopher Cayari (2011), International Journal of Education & the Arts Volume 12 Number 6 July 8.

الملائمة للدعوة؛ إذ يمكنه الوصول بكل يسر وسهولة إلى الهيئات، والمنظمات، والأفراد؛ لارتباطهم جميعاً بشبكة عالمية واحدة، ولكونه يتيح إمكانية تحقيق الاتصال، وتبادل المعلومات بين الأطراف المشتركة على الشبكة في وقت واحد؛ بخلاف الوسائل الإعلامية الأخرى: كالبث التلفزيوني، والصحف؛ فسهولة تعلم النشر الإلكتروني يمكن الجميع من التعامل معه، بالإضافة إلى ما يوفره من أساليب العرض، والإعلان المتنوعة ما بين النصوص المكتوبة، والصور، والرسوم، والصوت، وعروض الفيديو؛ حيث يعتبر اليوتيوب من الوسائل التي تمكن من ربط الصوت والصورة معاً؛ لذا يمكن تفعيله في البرامج الدعوية التفاعلية بالصوت والصورة، ونشر الكتب الشرعية، والخطب، والمواعظ، والفتاوي، والدروس؛ ليستفيد منها المسلمون في مختلف بقاع العالم(١).

وفي ضوء ما ورد؛ فإن اليوتيوب يعد بمثابة نافذة للدعوة إلى الله، من خلال: إنتاج مرئيات دعوية مناسبة، يتم بذل جهد في إعدادها وإخراجها إخراجا فنياً مناسباً، ثم نشرها على موقع اليوتيوب، الذي يتيح مشاركة الفيديو للملايين من البشر.

ومن الملاحظ امتلاء مواقع مشاركة الفيديو بالكثير من الدروس، والمحاضرات، والخطب، والمشاركات الدعوية الهادفة، من خلال: المتطوعين الذين يهدفون إلى الدعوة عبر الإنترنت؛ لذا يمكن من خلال مواقع مشاركة الفيديو للجهات التعليمية، أو الدعوية، أو الخيرية؛ أن توثق أعمالها بشكل بسيط بواسطة الكاميرا الشخصية؛ ثم رفعها على اليوتيوب؛ لتمكين كافة المهتمين من مشاهدتها، والتعليق عليها؛ وبهذه تصبح وسيلة دعوية وتعريفية بالجهات الدعوية ذات مفعول أسرع وأقوى(٢).

رابعاً: الواتس آب (whatsapp):

---

(١) الزيد، مرجع سابق، ص٤٥.

(٢) الزهراني، مرجع سابق، ص٦٧.

وهو عبارة عن برنامج تواصل اجتماعي، وشات، ودردشة؛ مرتكز على الارتباط بالشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، من خلال: الهواتف المحمولة؛ بحيث يستند على رقم الهاتف الشخصي(١).

ويمكن استخدم برنامج الواتس آب في التواصل عن طريق الرسائل القصيرة، أو المصورة، كما يمكن إرسال مقاطع فيديو عن طريقه، ويمكن أن تكون الدعوة عن طريقه لما عرف عنه من كثرة استخدمه وانتشاره بين الناس، وكونه وسيلة خصبة في الدعوة إلى الله تعالى، ولا نجهل النطاق الواسع لهذا النوع من التواصل(٢).

ويمكن الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي في ممارسة الدعوة إلى الله من خلال(٣):

١- إنشاء المواقع الإسلامية المتخصصة في مختلف المجالات؛ بحيث تتسم بجودة الإخراج، والمادة العلمية، والدعوية المقدمة.

٢- إنشاء المنتديات المفيدة، وإدارتها بشكل جيد، ومتابعتها باستمرار.

٣- إنشاء المدونات المفيدة، وتزويدها بما فيه خير وصلاح.

٤- إنشاء المجموعات البريدية، والتواصل الجاد والنافع.

٥- إنشاء غرف صوتية، والمشاركة فيها.

٦- كتابة المقالات، والقصص الملائمة.

٧- نشر المقالات والقصص والفتاوى، والكتب المفيدة عبر المواقع، والمنتديات.

---

(١) إيجابيات وسلبيات الواتس آب، محمد العبدلي، المعهد العلمي في القريات، متاح على الرابط: http://www.saaid.net/book/17/9418.pdf

(٢) الزهراني، مرجع سابق، ص٨٧.

(٣) الدعوة إلى الله بالكتابة، ظافر بن حسن آل جبعان، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ٢٠١٢م، ص١٢.

فمواقع التواصل الاجتماعي المستخدمة في الدعوة إلى الله عبر شبكة الإنترنت كثيرة، ويصعب حصرها؛ لكونها تتجدد بشكل مستمر؛ لذا سيتم الحديث عن بعضها ليس لأفضليتها وإنما لكثره انتشارها الواسع ومنها ما يلي[1]:

١- **مواقع مشاركة الفيديو**: يمكن للدعاة الاستفادة من هذا الموقع في: البث المباشر للمحاضرات، والدروس، والأنشطة الدعوية المختلفة، وفتح قنوات بث مباشر للدعوة إلى الله بكافة اللغات المتاحة، والتواصل الصوتي والمرئي مع أصحاب هذه اللغة، من خلال: دعاة مؤهلين في العلم الشرعي، ويجيدون اللغة بكل طلاقة.

٢- **مواقع مشاركة الصور**: يكمن توظيفها في نشر الصور الدعوية؛ التي لها تأثير كبير في النفوس البشرية: كنشر صور المساجد وغيرها من الرموز الإسلامية، ونشر صور تشير إلى عظمة الخالق، والتعليق عليها.

كما يمكن الدعاة من إنشاء معرض يحتوى على العديد من الصور عن مشروع دعوي، أو تطوعي، ويطلب من المهتمين بأنشطته زيارة المعرض، والتعليق على الصور، وبإمكان الداعية أن يرسل دعوة عامة لزيارة هذا النشاط عن طريق الفيس بوك أو البريد الإلكتروني.

٣- **المكتبات الإلكترونية**: يمكن للداعية تطويع هذا الموقع؛ لنشر المصحف، ونشر تفسيره بعدة لغات، وكذا نشر الكتب الإسلامية، وكتب العقيدة والسنة، والتفسير؛ لتجسيد عقيدة أهل السنة والجماعة في النفوس.

٤- **المواقع الدعوية العامة، والمواقع الشخصية للدعاة، والمشايخ، والمدونات**: يستطيع الداعية أن ينشئ موقعاً إلكترونياً رسمياً؛ بحيث يقدم الداعية أخبار دعوية، ويتواصل مع غيره من العلماء والدعاة للاستفادة من علمهم، ومن وسائلهم في

---

(١) الدعوة إلى الله عبر الإنترنت "أساليبها ووسائلها"، عبدالله الشهري ص٣٢.

الدعوة إلى الله بما من شأنه الاستفادة من كل وسيلة جديدة يحقق من خلالها إيصال رسالته إلى المدعوين بأبسط الطرق، وأشدها جذبا وفائدة.

٥- **الدعايات**: يمكن للداعية توظيف مواقع الدعايات في التقنية الحديثة؛ لخدمة الدعوة إلى الله، من خلال: الإعلان عن الأنشطة الدعوية المتنوعة عن طريق تلك المواقع، وعبر الرسائل الإلكترونية، وتصميم الدعايات المشوقة للمناشط الدعوية، وللمواقع الدعوية.

المبحث الثالث

إجراءات الدراسة الميدانية

يتناول هذا المبحث وصفا لأداة الدراسة، وكيفية تنفيذها، وبيان صدقها، وثباتها، وكذلك أنواع متغيرات الدراسة، وكيفية تنفيذها، وكيفية إعداد الاستبانة، والأساليب الإحصائية التي استخدمت.

تتضمن أداة الاستبيان: خمسة عشر مفردة؛ ومفردات الاستبانة تعكس مهارات الدعوة الإلكترونية؛ التي تتمثل في ثلاث مهارات أساسية، وكل مهارة تتضمن عدداً من المهارات الفرعية كما يلي:

أولاً: مهارة التخطيط: وتتضمن هذه المهارة مجموعة من المهارات الفرعية، كما يلي:

- وضع خطة لما يتم كتابته، وتحديد الهدف، وكيفية تحقيقه.
- اختيار الألفاظ المناسبة أثناء الاتصال والتواصل مع الآخرين كتابياً، أو شفهياً.
- كتابة الأفكار بوضوح، وبتسلسل منطقي.
- الكتابة بتسلسل منطقي مع مراعاة الدقة في التنظيم.
- اختيار التعبيرات المناسبة للمواقف المختلفة.
- ترتيب الجمل ترتيبا منطقياً، والربط بينها، واختيار الجمل الملائمة للاستخدام في مواقع التواصل الاجتماعي.
- اختيار عنوان ملائم ومناسب للمواضيع التي يتم التحدث فيها.

ثانيا: مهارة التنفيذ: وتتضمن هذه المهارة: مجموعة من المهارات الفرعية، كما يلي:

- تبادل المعلومات والأفكار مع الآخرين بشكل مسموع.
- تبادل المعلومات والأفكار مع الآخرين بشكل مكتوب.
- القدرة على الإبحار، مع وضوح الفكرة.

ثالثا: مهارة التفاعل: وتتضمن هذه المهارة مجموعة من المهارات الفرعية، كما يلي:

- الثقة بالذات، والقدرة على التواصل مع الآخرين.
- التفاعل الكتابي أثناء التواصل مع الآخرين.
- التعبير عن الأفكار لفظيا، وبشكل مرن دون الخوف من الأخطاء اللغوية.
- التعبير عن الأفكار بشكل مكتوب دون الخوف من الأخطاء اللغوية.

إجراءات صدق وثبات الأداة:

صدق الأداة يعني: التأكد من أنها سوف تقيس ما أعدت لقياسه، كما يقصد بالصدق: "شمول الاستبانة لكل العناصر التي يجب أن تدخل في التحليل من ناحية، ووضوح فقراتها ومفرداتها من ناحية ثانية؛ بحيث تكون مفهومة لكل من يستخدمها"(١).

وقد تأكدت الباحثة من صدق وثبات أداة الدراسة؛ بطريقتين:

١- الصدق الظاهري للأداة.

٢- صدق المحتوى.

الصدق الظاهري (الخارجي) للأداة:

تم عرض الاستبانة على مجموعة من المحكمين؛ حيث بلغ عددهم (٢٤) محكماً من ذوي الخبرة في هذا المجال؛ للتعرف على مدى وضوح عبارات الاستبانة، ووضوح التعليمات، ومدى مناسبتها لمستوى الطالبات، والخلفية المعرفية لديهن. وأكد المحكمون: وضوح التعليمات، ووضوح عبارات الاستبانة؛ بما يحقق الصدق الظاهري.

---

(١) د. العساف، مرجع سابق، ٢٠١٢م، ص٤٦.

صدق المحتوى:

بالنسبة لصدق المحتوى: فقد تم إعداد الاستبانة بناء على أسلوب منظم، وشامل، ودقيق، من خلال: استعراض البحوث والدراسات السابقة التي ساعدت الباحثة في صياغة عبارات الاستبانة، ومدى وملاءمتها للطالبات.

ثبات الاستبانة:

استخدمت الباحثة في تحديد مدى ثبات الاستبانة: طريقة إعادة الاختبار؛ حيث تم تطبيق الاستبانة على عينة من طالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح – جامعة المجمعة – المملكة العربية السعودية، ثم أعادت التطبيق مرة أخرى بعد أسبوعين، وحساب معدل الترابط بين التطبيقين؛ باستخدام معامل بيرسون لحساب الترابط بين التطبيقين.

الإجراءات التجريبية:

بعد الانتهاء من البناء النهائي لأداة الدراسة، والتأكد من عمليتي صدق وثبات أداة الدراسة؛ استكملت الباحثة الإجراءات اللازمة لتطبيق الاستبانة على عينة الدراسة، وقد قامت الباحثة بتنفيذ إجراءات البحث على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الإعداد:

- الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة المرتبطة بمواقع شبكات التواصل الاجتماعي، ومهارات الدعوة الإلكترونية.
- إعداد قائمة بمهارات الدعوة، وعرضها على المحكمين؛ للتعرف على آرائهم حول مدى ملائمة القائمة لأفراد الدراسة.
- إعداد استبانة حول تنمية مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

- اختيار عينة الدراسة من طالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، وبلغ قوامها (٣٠) طالبة.
- تطبيق الاستبيان على عينة البحث قبليا؛ لتحديد مستوى الطالبات في مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

المرحلة الثانية: مرحلة التطبيق:

- تم استخدام موقعي الواتس آب، وتوتير: كموقعين من مواقع التواصل الاجتماعي.
- عمل مجموعة عبر الواتساب.
- عمل حساب توتير؛ لإجراء التجربة عليه.
- تقسيم الطالبات إلى مجموعات للعمل من خلال: موقعي (الواتس آب، وتوتير)، وعرض المهام، والأنشطة عليهم.
- تقسيم جلسات التجربة بناء على المهارات: (التخطيط – التنفيذ- التفاعل).

جلسات مهارات التخطيط:

- قامت الباحثة في الجلسة الأولى: باستثارة تفكير الطالبات حول مواقع التواصل الاجتماعي، ومهارات الدعوة، وانطلقت الطالبات في توليد الأفكار، والتخطيط للمعلومات؛ حيث تم الطلب منهن أن تقوم كل طالبة بالبحث عن مفهوم الدعوة، وهل يمكن استخدام مواقع التواصل في الدعوة، وتقديم ملخص عما تم التوصل إليه، ومناقشة الطالبات في المعلومات التي تم الحصول عليها، وعمل ملخص لما تم التوصل إليه، وتكليفهن بنشره من خلال موقعي: الواتس آب، وتوتير، وتم اختيار (٥) مشاركات متميزة للمناقشة، وأخذ آراء الطالبات حولها، وهذا يعتبر بداية التدريب، لمعرفة الموضوع، وأخذ فكرة عنه، بعد ذلك في الجلسة الثانية: بدأ التطبيق؛ حيث تختار كل طالبة أي موضوع في الدعوة، وتضع

خطة؛ ليتم عرضها على المدعوين، وتحدد الهدف، وكيفية تحقيقه، تم التفاعل من الطالبات، وتم التطبيق والنشر، وفيالجلسة الثالثة: تم اختيار مقطع كتابي بعنوان: (داعية لا يعرف لغة من أسلموا على يديه)، تم طلب منهن إبداء آرائهن حوله؛ ومعرفة: هل ما تم صحيح؟ أم أن لديهن مقترحات أخرى؟ وقد تمت مناقشة الطالبات وأشرن إلى أهمية معرفة اللغة، واختيار الألفاظ المناسبة في الدعوة، وأنه يمكن نشر الدعوة بطرق كثيرة؛ إذ يمكن نشرها إما شفهيا عن طريق الصوت، أو كتابياً، وفي الجلسة الرابعة: تم نشر مقطع كتابي حول الدعوة؛ وكان فيه بعض الأخطاء، وطلب من الطالبات التعليق عليه، وملاحظة ما الذي ينقصه، وقد تم اكتشاف الخلل من قبل الطالبات؛ حيث تمت الإشارة إلى أن الفكرة لم تكتب بوضوح، ولا بتسلسل منطقي، وأن هناك خللا في تنظيم الأفكار، وقد طُلب من الطالبات: كتابة فقرة عن الدعوة، على أن يتم التركيز فيها على وضوح الفكرة، وتسلسلها المنطقي، وأن يحرصن على أن تكون الأفكار منتظمة، وفي الجلسة الخامسة: تم نشر مقطع كتابي؛ عبارة عن: موقف حصل لداعية، وطُلب منهن التعليق عليه، واختيار التعبيرات المناسبة لهذا الموقف، وكيف يتم نشر الموقف دعوياً؛ بتعبير مناسبٍ، وقد تم التعليق عليه والنشر، أما الجلسة السادسة: فتم نشر مقطع كتابي، وطُلب منهن وضع عنوان له؛ ليتم جذب القارئ، وقد تم اختيار أفضل العناوين؛ وتم نشرها معه.

جلسات مهارات التنفيذ:

في الجلسة السابعة: طُلب منهن كتابة مقطع كتابي دعوي، ومقطع صوتي، ونشره، وقد تم ملاحظة سهولة تبادل الأفكار، والمعلومات، من خلال: المواقع، وفي **الجلسة**

الثامنة: تم إعطائهن مقطعاً كتابياً طويلاً، وطلب منهن اختصاره، وإيجازه، ونشره، وهذا تدريب على الإيجاز مع وضوح الفكرة.

جلسات مهارات التفاعل:

في الجلسة التاسعة: تم نشر مقطع كتابي به أخطاء إملائية، وطُلب منهن النظر والتعليق حول: هل يوجد في المقطع خطأ؟ أم لا؟ ولوحظ أن أغلبهن لم ينتبهن للتلك الأخطاء، وفي هذا تدريب على تنمية المهارة في التفاعل دون الخوف من الأخطاء الإملائية، وأيضا: على أن التفاعل يبني الثقة، ويدرب الطالبة على اكتساب مهارات إضافية، وفي **الجلسة العاشرة:** تم نشر مقطع كتابي دعوي من إنشاء الطالبة، مع محاولة لرصد التفاعل من خلال عدد الردود وكثرتها عند النشر، وتعليمهن أن هذا هو: الأثر؛ وفي هذا إكساب للثقة لدى الطالبة، وفي **الجلسة الحادية عشرة:** تم طلب الآراء بعد تجربة نشر الدعوة عبر المواقع، ومعرفة: هل بالفعل تمت الاستفادة؟ وما أوجه التحسين؟ وبدأن الطالبات في المشاركة عبر موقعي التواصل، من خلال عرض تعليقاتهن، وقد كان التفاعل إيجابياً.

المرحلة الثالثة: مرحلة التقييم:

- تم تطبيق الاستبانة على أفراد البحث بعد الانتهاء من التجربة؛ للتعرف على أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية مهارات الدعوة لديهن.

أساليب المعالجة الإحصائية:

لتحقق الدراسة أهدافها، وللإجابة عن أسئلتها؛ استخدمت الباحثة: الأساليب الإحصائية المناسبة لتحليل البيانات التي تم جمعها، وذلك باستخدام: برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social)، ويرمز لهذا

المصطلح بالرمز: (SPSS). واختبار: (ت) لحساب الفروق بين الطالبات في القياس القبلي، والبعدي لأداة البحث.

المطلب الأول: نتائج الدراسة الميدانية:

يتناول هذا المطلب: عرض النتائج التي تم التوصل إليها، والتي تم جمعها من أفراد مجتمع الدراسة، من خلال أدوات الدراسة.

نتائج الفرض الأول:

تم استخدام اختبار(ت)؛ للمقارنة بين متوسطي درجات الطالبات (عينة البحث) في التطبيق القبلي، والبعدي في مهارات الدعوة، كما هو موضح في جدول رقم (١)؛ وذلك للتحقق من صحة الفرض الأول الذي ينص على: -

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

جدول رقم (١): اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في التطبيق القبلي والبعدي لمهارات الدعوة ككل

مهارات الدعوة	القياس	عدد الطالبات	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة (ت)	درجات الحرية	نوع الدلالة
	القبلى	٢٨	٣٦,٩٦	١٥,٥٣	٦,٩٥	٢٧	دال إحصائيا
	البعدى	٢٨	٦٢,١٤	١١,٣٤			

نتائج الفرض الثاني:

جدول رقم (٢): اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في التطبيق القبلي، والبعدي للمهارات الفرعية الدعوة (مهارة التخطيط)

مهارة	القياس	عدد الطالبات	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة (ت)	درجات الحرية	نوع الدلالة
التخطيط	القبلى	٢٨	١٣,٧٥١	٧,٣١٠	٥,٢٠٣	٢٧	دال إحصائيا
	البعدى	٢٨	٢٣,٢١٤	٧,٧٢٤			

نتائج الفرض الثالث:

جدول رقم (٣): اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في التطبيق القبلي، والبعدي للمهارات الفرعية الدعوة (مهارة التنفيذ)

مهارة	القياس	عدد الطالبات	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة (ت)	درجات الحرية	نوع الدلالة
التخطيط	القبلى	٢٨	١٣,١٧٩	٥,٠٥٦	٣,٠٠٦	٢٧	دال إحصائيا
	البعدى	٢٨	١٧,٥٣٦	٤,٣٣٣			

نتائج الفرض الرابع:

جدول رقم (٤): اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في التطبيق القبلي، والبعدي للمهارات الفرعية الدعوة (مهارة التفاعل)

مهارة	القياس	عدد الطالبات	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة (ت)	درجات الحرية	نوع الدلالة
التفاعل	القبلى	٢٨	١٠,٣٩٣	٤,٤٦٦	٦,٢٦٣	٢٧	دال إحصائيا
	البعدى	٢٨	٢١,٣٩٣	٧,٣٠١			

المطلب الثاني: تحليل الدراسة الميدانية:

يتضح من الجدول رقم (١): وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات عينة البحث في القياس القبلي، والبعدي في مهارات الدعوة؛ لصالح القياس البعدي؛ حيث جاءت قيمة (ت) (٦,٩٥) دالة عند مستوى (٠,٠١)؛ وهذا يؤكد صحة الفرض الأول.

ومن خلال استعراض نتائج فروض الدراسة؛ نجد أن الفرض الأول يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الدعوة بين: متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

و يتضح من الجدول رقم (٢): وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات عينة البحث في القياس القبلي، والبعدي في مهارات التخطيط؛ لصالح القياس البعدي؛ حيث جاءت قيمة (ت) (٥,٢٠٣) دالة عند مستوى (٠,٠١) وهذا يؤكد صحة الفرض الثاني.

حيث يشير الفرض الثاني إلى: وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات التخطيط بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي. وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أن الطالبات أصبحن قادرات على وضع خطة لما تم كتابته، وتحديد الهدف، وكيفية تحقيقه، واخترن الألفاظ المناسبة أثناء الاتصال والتواصل مع الآخرين: كتابيا، أو شفهيا، وكذا كتابتهن للأفكار بوضوح، وبتسلسل منطقي، مع مراعاة الدقة في التنظيم، واختيار التعبيرات المناسبة للمواقف المختلفة، بالإضافة إلى ترتيب الجمل ترتيبا منطقيا، والربط بينها، واختيار الجمل الملائمة، واختيار العناوين الملائمة والمناسبة للمواضيع التي يتم التحدث فيها؛ نتيجة استخدامهن لمواقع التواصل الاجتماعي. وقد ظهر هذا جلياً في التطبيق أثناء استخدام استراتيجية العصف الذهني؛ حيث تم استثارة تفكير الطالبات في كيفية التخطيط لما يتم القيام به؛ فقد قامت الباحثة بطرح تساؤل على الطالبات عبر (الواتس

آب) من أجل توليد الأفكار لديهن، والتعرف على مدى اختيارهن للكلمات والألفاظ، وترتيب وتنظيم الأفكار لديهن.

و يتضح من الجدول رقم (٣): وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات عينة البحث في القياس القبلي، والبعدي في مهارات التنفيذ؛ لصالح القياس البعدي؛ حيث جاءت قيمة (ت) (٣,٠٠٦) دالة عند مستوى (٠,٠١)؛ وهذا يؤكد صحة الفرض الثالث.

ويشير الفرض الثالث إلى: وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات التنفيذ بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي. وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى وجود تحسن في مهارة التنفيذ لدى الطالبات؛ حيث أصبحن قادرات على تبادل المعلومات، والأفكار مع الآخرين بشكل مسموع، وكذا تبادل المعلومات والأفكار مع الآخرين بشكل مكتوب، وكذا قدرتهن على الإيجاز مع وضوح الفكرة؛ فمن خلال الأنشطة والمهام التي قدمتها الباحثة للطالبات عبر: الواتس آب والتويتر؛ وجدت الباحثة: أن الطالبات أصبحن قادرات على تنفيذ الخطط التي قمن بكتابتها وتنظيمها في مهارة: التخطيط.

و يتضح من الجدول رقم (٤): وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات عينة البحث في القياس القبلي، والبعدي في مهارات التفاعل؛ لصالح القياس البعدي؛ حيث جاءت قيمة (ت) (٦,٢٦٣) دالة عند مستوى (٠,٠١)؛ وهذا يؤكد صحة الفرض الرابع؛ حيث يشير الفرض الرابع إلى: وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات التفاعل بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

وقد أشار جدول رقم (٤) إلى: وجود تحسن في مهارة التفاعل لدى الطالبات؛ حيث أصبح لديهن ثقة بأنفسهن، وقدرة على التواصل مع الآخرين، ووجود مؤشر يدل

على تحسن مستوى التفاعل الكتابي أثناء التواصل مع الآخرين؛ فمن خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وأهمها: التويتر والواتس آب؛ أصبحن الطالبات قادرات على التعبير عن الأفكار لفظيا وبشكل مرن، دون الخوف من الأخطاء اللغوية، وكذا التعبير عن الأفكار بشكل مكتوب دون الخوف من الأخطاء اللغوية.

المطلب الثالث مناقشة نتائج الدراسة الميدانية:

أشار جدول رقم (١) إلى أن تنمية مهارات الدعوة لدى الطالبات كان لصالح التطبيق البعدي؛ حيث أصبحن قادرات على التواصل، والتفاعل مع الآخرين، من خلال: تنظيم، وترتيب أفكارهم بشكل جيد، ومنظم.

وتتفق الدراسة الحالية مع دراسة عثمان، وحامد (٢٠١٦م)[١] التي هدفت إلى التعرف على أثر مواقع التواصل الاجتماعي في نشر الدعوة الإسلامية، وقد هدفت إلى تعليم وإرشاد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي إلي الآلية الفاعلة في الدعوة إلي الله تعالي، وكيفية إيصال الخبر وكلمة الحق والدعوة بالتي هي أحسن وبيان كيفية طرح الأفكار والبرامج الدعوية من خلالها، وأثر الموضوعات الدعوية المقدمة من خلالها. وقد تم استخدم المنهج الوصفي التحليلي وذلك بغية الحصول على المعلومات ذات الصلة. وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي أكثر قوة وفعالية في خدمة الدعوة إلي الله تعالي مقارنة بوسائل الدعوة الأخرى وذلك لأنها تتكون بسرعة وتنتشر عبر المكان والزمان، وتمكن وسائل التواصل الاجتماعي الدعاة إلي الله تعالي من توسيع دائرة دعوته والوصول إلى عدد كبير من المعارف كما إنه يوفر لهم الوقت والجهد والمال.

وتتفق هذه الدراسة مع ما أشار إليه إبراهيم عابد (١٤٢٧هـ)[٢] من أن استخدام الشبكة الدولية في الدعوة إلى الله تعالى يتضمن مجموعة من وسائل الدعوة؛ مما يساعد الداعية على استخدام جميع الوسائل المتاحة في عصره؛ من أجل الدعوة إلى الله؛ فتعتبر الوسائل الدعوية في الشبكة الدولية بمثابة امتداد لوسائل سابقة، فعلى سبيل المثال: البريد

---

(١) مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها في الدعوة الإسلامية، عامر على سعيد عثمان، فاطمة الزهراء آدم حامد (بحث ماجستير، جامعة غرب كردفان، كلية العلوم الإسلامية واللغة العربية، السودان: ٢٠١٦م)، ص ٤٥.

(٢) عابد، مرجع سابق، ص١٣٨.

الإلكتروني هو: صورة عصرية، وأسلوب حديث للمراسلات؛ حيث إن المراسلة تعتبر وسيلة أصيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، كما أن من وسائل الدعوة التي توفرها الشبكة: وسيلة الحوار مع الآخرين؛ إذ إن وسيلة الحوار لها أشكال عديدة؛ فقد يكون الحوار متزامناً، وقد يكون غير متزامن؛ فالحوار المتزامن هو: الذى يتم في نفس الوقت، وغيره من البرامج العديدة التي تتيح للداعية المخاطبة المباشرة لمجموعة من الناس في وقت واحد، أو تلك التي تكون بشكل انفرادي وخاص، أما الحوار غير المتزامن: فمن أهم أشكاله: المنتديات، وفيها يتحاور الملايين من البشر في كل ما يدور بذهن الإنسان من أمور الدين أو الدنيا، وهي مدخل جيد للداعية؛ من أجل التواصل مع الناس، ودعوتهم إلى الله، كما أن مجموعات النقاش؛ تتيح تبادل الخبرات في مختلف المواضيع، ومنها: المواضيع الدينية.

لذا: أسفرت نتائج الدراسة عن التأكيد على الدور الذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية مهارات الدعوة لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية؛ حيث تؤثر مواقع التواصل الاجتماعي تأثيرا كبيرا في تشكيل الرأي العام، وتبادل الأفكار والمعلومات؛ لذا أصبحت وسيلة اتصال هامة للأفراد المستخدمين لها؛ إذ يقومون بتحديث صفحاتهم، وينقلون عليها الآراء، والتعليقات، من خلال: تحميل الصور، ومقاطع الفيديو، أو الكتابة.

الخاتمة

استطاعت الدراسة أن تحدد بوضوح المتطلبات الأساسية في تنمية مهارات الدعوة لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية؛ لكي تلائم التطور العلمي والتقني الحاصل في وسائل التواصل الاجتماعي. وأعطت الدراسة مؤشرات ذات دلالة إحصائية (بين عينة الدراسة) علي أهمية التفاعل من خلال وسائل التواصل الاجتماعي لخدمة المنظومة الدعوية وتطبيقها؛ حيث أنها تؤثر بشكل فاعل تشكيل الرأي العام، من خلال عرض وتبادل الأفكار و الخبرات والمعلومات، ومناقشة القضايا التي تشغل بال المستخدمين في فضاء غير محدود؛ وبذلك أصبحت هذه الوسائل تتربع علي عقول الناس من غير منازع أو مكافئ.

نتائج الدراسة:

أسفرت نتائج الدراسة عما يلي:

١- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الدعوة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٢- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التخطيط في الدعوة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٣- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التنفيذ في الدعوة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

٤- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة التفاعل في الدعوة بين متوسطي درجات عينة الدراسة في القياس القبلي، والبعدي لاستبيان مهارات الدعوة؛ لصالح التطبيق البعدي.

توصيات البحث:

بناء على ما توصل إليه البحث من نتائج يمكن تقديم التوصيات الآتية:

١- تشجيع الدعاة على الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي، وما أوجدته من خدمات متعددة، وطرق متنوعة في الدعوة إلي الله تعالي.

٢- أن تعمل المؤسسات الدعوية على زيادة مستوى وعي الدعاة إلى الله عزوجل بأهمية مواقع التواصل الاجتماعي في الدعوة.

٣- إجراء المزيد من البحوث والدراسات في مجال: مهارات الدعوة.

٤- ضرورة العمل على زيادة وعي الطالبات بأهمية استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية كافة مهارات الاتصال لديهن.

٥- توجيه نظر القائمين على الدعوة إلى ضرورة تنمية مهارات الدعوة لدى طالبات الجامعة؛ لما لذلك من أهمية وتأثير مباشر على جميع الأنشطة.

٦- دراسة أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في التغلب على الصعوبات التي تواجه الداعية.

فهرس المصادر و المراجع

١. أثر استخدام الإنترنت على الفتيات في مجال الدعوة "موقع يتيوب أنموذجاً، دراسة ميدانية في منطقة الرياض"، حصة بنت عبد الكريم الزيد، مجلة الجامعة الإسلامية، ٢٠١٢م.

٢. أثر تدريس مقرر مهارات الاتصال إلكترونيا بنظام البلابورد على تنمية الجوانب المعرفية المرتبطة بالمقرر ورضا طلاب السنة التحضيرية بجامعة الإمام نحو توظيف البلاك بورد في التدريس، علي الورداني علي عمر، مجلة العلوم التربوية، ٢٠١٤م.

٣. أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب: تجربة مجلس شبابي علار أنموذجا، حسني عوض، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس المفتوحة، القدس ٢٠١١م).

٤. أثر وسائل التواصل الحديثة على الدعوة "الفيس بوك نموذجاً" دراسة نظرية إحصائية، (بحث مقدم لمؤتمر وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية ٢٠١٣م).

٥. أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، محمد السود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩هـ.

٦. استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في تحسين خدمات الطالب في الجامعات السعودية "تصور مقترح" فهد العبيري، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١٣م).

٧. استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية "دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر"، مريم نومار (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر ٢٠١٢م).

٨. استخدامات الشباب للشبكات الاجتماعية وتأثيرها على علاقاتهم في تبادل الخبرات المجتمعية، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ٢٠١٥م).
٩. استخدامات برامج التواصل الاجتماعي في الدعوة: الإيجابيات والسلبيات، راضي بن جميعان الشمري، مقال منشور في جريدة الرياض، العدد (١٤٣٧).
١٠. الأسس العلمية لمنهج الدعوة، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط/٢، دار الحضارة، الرياض: ١٤٣١هـ.
١١. الإصلاح الاجتماعي وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي في ضوء نصوص الوحي، بكر مصطفى طعمة بني أرشيد، (بحث منشور، ٢٠١٠).
١٢. إيجابيات وسلبيات الواتس أب، محمد العبدلي، (المعهد العلمي في القريات، متاح ٢٠١٣م).
١٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط/ القاهرة: ١٤١٩.
١٤. البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، (بحث موجود في الموقع: www.riyadhalelm.com/book/45/9-albsirah-fe-aldawah.pdf
١٥. تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين"دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية: العربية أنموذجاً، محمد المنصور، (رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية العربية في الدنمارك، الدانمارك ٢٠١٢م).
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، ط/٢، دار الهداية، الكويت: ١٣٨٥هـ .
١٧. التأهيل الدعوي في المواقع الدعوية السعودية على شبكة المعلومات، عبد الله

بن محمد بن عبد الله الناصر، (بحث مقدم للندوة الأولى للمواقع الدعوية السعودية على شبكة المعلومات، الرياض ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

١٨. التخطيط في خدمة الدعوة إلى الله، خالد الصقير، مجلة البيان عدد (١٢٤) ذو الحجة ١٤١٨هـ.

١٩. تصور مقترح لتوظيف شبكات التواصل الاجتماعي في التعلم القائم على المشروعات وأثره في زيادة دافعية الإنجاز والاتجاه نحو التعلم عبر الويب، أمل عمر، (المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، الرياض ٢٠١٣م).

٢٠. تطوير عملية إعداد الداعية في ضوء منهاج التربية الإسلامية في العصر الحاضر، حنان بنت أبو بكر فلاته، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية٢٠٠٦م).

٢١. تطوير وسائل الدعوة في ضوء مواكبة العصرية للفكر الإسلامي، أحمد السمان عبيد المحمدي، (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، ٢٠١٣م).

٢٢. التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو "مفهومه، مجالاته، مقوماته"، د. هند مصطفى شريفي، (بحث مقدم لجامعة طيبة بالمدينة المنورة ٢٠١١م).

٢٣. التفكير الإبداعي عند الدعاة، صلاح الشريف (بحث تكميلى ضمن متطلبات الماجيستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٣٣هـ).

٢٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد مرعب، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٠٠١م.

٢٥. التواصل الاجتماعي "أنواعه، ضوابطه، آثاره، ومعوقاته دراسة قرآنية موضوعية"، ماجد رجب العبد سكر، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١١م).

٢٦. التواصل اللغوي في الخطاب القرآني دراسة في الاستئناف البياني، حرزولي العزوزي، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر ٢٠١٣م).

٢٧. درجة ممارسة الدور التربوي للدعاة في محافظات غزة في ضوء المعايير الإسلامية من وجهة نظر طلبة الجامعة، كمال سالم النجار (رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين٢٠١١م).

٢٨. الدعوة إلى الله بالكتابة، ظافر بن حسن آل جبعان، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ٢٠١٢م.

٢٩. الدعوة إلى الله عبر الإنترنت "أساليبها ووسائلها"، عبدالله الشهري، ط/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٣٢هـ.

٣٠. الدعوة عبر المواقع الإسلامية " دراسة تحليلية"، إيمان سلاطنة، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الوادي، الجزائر ٢٠١٤م).

٣١. دور الكليات في الشرعية بمحافظات غزة في إعداد الداعية المربي وسبل تطويره، أحمد إبراهيم سليمان الزاملي، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١٦م).

٣٢. دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية، عبدالكريم الدبيسي، وزهير الطاهات، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(٤٠)، العدد(١)، ٢٠١٣م.

٣٣. دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الموارد البشرية: دراسة استكشافية للمكتبات العامة، أسامة عبيد، ٢٠١٢م، متاح على الرابط: http://www.academia.edu/6452628/_
٣٤. دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين الأردنيين على المشاركة في الحراك الجماهيري، حاتم العلاونة، ٢٠١٢م، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي السابع عشر بعنوان "ثقافة التغيير"، جامعة فيلادلفيا: كلية الآداب، متاح على الرابط: https://www.google.jo/url
٣٥. دور مواقع التواصل الاجتماعي في حل المشكلات التي تواجه طلاب التربية العملية واتجاهاتهم نحوها، محسن الزهراني، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية٢٠١٣م).
٣٦. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، ط/١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٦هـ.
٣٧. السيماء والتواصل، ميساء صائب رافع، (مجلة الباحث الإعلامي، ٢٠١٣م).
٣٨. الشبكات الاجتماعية خطر أم فرصة، بحث مقدم لشبكة الألوكة، المسابقة الثانية، سلطان الصاعدي، ٢٠١٢م، مجلة الدراسات والأبحاث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، متاح على الرابط: http://www.saaid.net/book/18/9542.pdf
٣٩. شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر أنموذجا"، "دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود"، فهد على الطيار، (بحث منشور في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب ٢٠١٤م).

٤٠. شبكة التواصل الاجتماعي وآثارها على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين، السيد أبو خطوة، وأحمد الباز، (المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد السابع، العدد ١٥).

٤١. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد البخاري، ط/١، دار ابن كثير، دمشق: ١٤٢٣هـ.

٤٢. صحيح مسلم، الحافظ مسلم النيسابوري، ط/١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٧هـ.

٤٣. فاعلية إثراء منهاج تكنولوجيا التعليم باستخدام الشبكة الاجتماعية Facebook في تنمية مهارات استخدام الحاسوب والإنترنت لدى طالبات المعلمات في الجامعة الإسلامية بغزة، تهاني فورة، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١٢م).

٤٤. فاعلية شبكة التواصل الاجتماعي تويتر "التدوين المصغر" على التحصيل الدراسي وتنمية مهارات التعلم التعاوني لدى طالبات الصف الثاني ثانوي في مقرر الحاسب الآلي، نورة العتيبي، (المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية ٢٠١٣م).

٤٥. فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٧م.

٤٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط/١، المكتبة السلفية، بيروت.

٤٧. فقه الدعوة، بسام العموش، ط/٢، دار النفائس، عمان: ٢٠٠٥م.

٤٨. فن التخطيط وأثره في حياة الداعية، يحيى الخالدي، ط/١، دار القاسم، الرياض.

٤٩. القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد بن صالح العثيمين، الرياض، مكتبة السنة، ٢٠٠٠م.

٥٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٥١. كلنا دعاة أكثر من (١٠٠) فكرة ووسيلة وأسلوب في الدعوة إلى الله تجارب العلماء والدعاة قديماً وحديثاً، عبد الله بن أحمد العلاف، مكة المكرمة، ط/ دار الطرفين: ٢٠٠٥م.

٥٢. لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٠٠٥.

٥٣. ماذا بعد تويتر والفيس بوك، خالد الزهراني، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٣٤هـ.

٥٤. مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، محمود حسن، ط/١، الدار العالمية للنشر والتوزيع: ٢٠٠٣م.

٥٥. المجتمع الإسلامي المعاصر، محمد المبارك، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٠هـ.

٥٦. المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، ط/١، دار الأرقم الكويت: ١٤٠٠هـ.

٥٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ط/١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤١٤هـ.

٥٨. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح محمد العسّاف، ط/٢، دار الزهراء، الرياض: ٢٠١٢م.
٥٩. المدخل إلى التدريب الدعوي، جمال الهليمي، ط/ مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ٢٠١٦م.
٦٠. المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني، ط/٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ.
٦١. المدخل في الاتصال الجماهيري، عصام الموسى، ط/١، مكتبة الكتاني، الأردن: ١٤٠٦هـ.
٦٢. مدى تمكن معلمي الرياضيات في المرحلة الابتدائية بمدينة عرعر من مهارات الاتصال اللفظي، هلال العنزي، (رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية٢٠٠٩م).
٦٣. المرشد في إعداد البحوث والدراسات العلمية، أبو القاسم عبد صالح، وأحمد الشيخ حمد، وسليمان يحيى محمد عبد الله، وعبد الوهاب محمد؛ وعلي الحاكم، وعفاف محمد، وعصام عبد الماجد، ط/ مركز البحث العلمي والعلاقات الخارجية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم: ٢٠٠١م.
٦٤. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط/٤، دار الدعوة، مصر: ٢٠٠٤م.
٦٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٩٧٩م.
٦٦. معوقات استخدام دعاة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لوسيلة الإنترنت في الدعوة إلى الله دراسة مسحية، د. هند بنت عبدالرحمن الفهيد، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ٢٠١٤م).

٦٧. منهج البحث في العلوم السلوكية مع تطبيقات (SPS)، سالم بن سعيد القحطاني، أحمد بن سالم العامري، ومعدي بن محمد آل مذهب، والعمر بدران بن عبد الرحمن، ط/٢، مكتبة العبيكان، الرياض: ٢٠٠٤م.

٦٨. مهارات الاتصال لدى الدعاة ودورها في تحقيق الأمن الفكري، عبد الرحمن بن سعد أبا حسين، ٢٠١١م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض: https://www.assakina.com

٦٩. مهارات الاتصال، سعد المسعودي، ط/١، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة: ٢٠٠٧م.

٧٠. مهارات الإعداد الدعوي في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام في ضوء الممارسات التطبيقية لخريجات القسم، نداء بنت سالم عبد العزيز السويلم، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية٢٠١٣م).

٧١. مهارات التواصل لدى الداعية، مها غازي منور المغذوي، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية٢٠١٢م).

٧٢. مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها في الدعوة الإسلامية، عامر على سعيد عثمان، فاطمة الزهراء آدم حامد، (بحث ماجستير، جامعة غرب كردفان، كلية العلوم الإسلامية واللغة العربية، السودان ٢٠١٦م).

٧٣. موقع الفيسبوك ودوره في تطوير مجال النحت والتعلم عبر الإنترنت في ضوء متطلبات عصر المعرفة، بسمة نصيف، (بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي العربي الدولي الثالث لتطوير برامج التعليم العالي في مصر والوطن العربي في ضوء متطلبات عصر المعرفة، المنصورة ٢٠١١م).

٧٤. وزير الشؤون الإسلامية يطالب الدعاة بالتعامل مع الإعلام الجديد، حمود الحمود، مقال نشر في جريدة الرياض، ٢٠١١م، العدد (١٥٦٧٥).
http://www.alriyadh.com/635632

٧٥. وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة إلى الفيس بوك، فتحي عامر، ط/ دار العربي، القاهرة: ٢٠١١م.

٧٦. وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، إبراهيم عابد، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٢٧هـ.

٧٧. وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية الإنترنت وكيفية استخداماتها الدعوية، إبراهيم بن عبد الرحيم عابد، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٦م).

٧٨. الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، صالح الرقب، (بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر المنعقد في ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٦-١٧ أبريل، ٢٠٠٥م)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠٠٥م).

البحث رقم (٦)

التوجيهات الدعوية في قضايا علم المعاني في سورة نوح
"دراسة بيانية"

إعداد

د. نواف أحمد الشوحة

د. نذير نبيل الشيرازي

قسم أصول الدين، كلية الشريعة جامعة اليرموك بالأردن

الملخص

تعرض هذه الدراسة تطبيقاً من تطبيقات الدراسات البينية، فقد جمعت بين علوم ثلاثة هي علم التفسير وعلم البلاغة وعلم الدعوة. استخرج الباحثان التوجيهات الدعوية من أساليب علم المعاني: كالإنشاء والخبر والتعريف والتنكير والقصر والفصل والوصل ونحوها في سورة نوح عليه السلام ؛ لِما اشتملت عليه من توجيهات دعوية كثيرة. وقد اعتمد الباحثان على المنهجين الاستقرائي والتحليلي. وكان من أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان: أهمية الدراسات البينية في العلوم الإسلامية، ومرونة الدرس البلاغي حيث شكلت قضايا علم المعاني في سورة نوح عليه السلام رافداً غزيراً للدرس الدعوي في مكوناته الثلاثة: الداعية والدعوة والمدعو، من حيث صفات الداعية وأساليب الدعوة وأحوال المخاطبين.

Abstract:

This study presents an application of inter-studies studies that combines three sciences: theology of interpretation, the science of rhetoric and the science of da'wa, where the researchers extracted guidance from the methods of meanings such as creation, knowledge, Many advocacy directives. The researchers relied on the inductive and analytical methods. The most important conclusions reached by the researchers were the importance of inter-studies in Islamic sciences and the flexibility of the rhetorical lesson, where the issues of the meanings of the meanings of Surah Nooh - peace be upon him - were a prolific reference to the religious study in its three components: preacher, The interviewers.

المقدمة

إنه من المعلوم أن أهم المقاصد التي أنزل من أجلها القرآن الكريم الهداية والإعجاز، وليست إحداهما مفصولة عن الأخرى، فالإعجاز القرآني - ولا شك - يؤدي إلى الهداية.

وإن من أعظم ما يؤدي هذين المقصدين البلاغة القرآنية التي انكشفت للمسلمين ولغيرهم، فكانت أهم العوائق التي حالت دون الإتيان بمثله أو بمثل بعضه، وكان هذا مضماراً واسعاً لإقناع الناس أن هذا القرآن من عند الله تعالى، لا من عند أحد من البشر.

وكما أن البلاغة القرآنية - بعلومها الثلاثة - كانت فيصلاً في قضية الإعجاز الذي هو أحد المقصدين العظيمين، فإنها لا يقل شأنها أيضا في المقصد الثاني وهو الهداية، فوجدناها تنير للدعاة طريقهم، وتبين أهدافهم، وتوجههم في مجالات الدعوة وأركانها وأساليبها وما يتعلق بها.

ولذا رأينا أن نخصص هذا البحث لدراسة التوجيهات الدعوية المستخلصة من قضايا علم المعاني، وقصرنا البحث على سورة نوح عليه السلام ، لما اشتهرت به السورة من تنوع دلالاتها على مفردات الدعوة وقضاياها.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية مفرداتها الأساسية الثلاثة: القرآن الكريم، والدعوة، وعلم المعاني أحد علوم البلاغة الثلاثة. ثم من بيان الصلات والعلائق بين العلوم الشرعية بما يسمى: الدراسات البينية، حيث إنه لاغنى لأحدها عن الآخر، ففي هذا البحث تم توظيف قضايا علم المعاني والدرس البلاغي في تثوير القضايا الدعوية التي يحتاجها الدعاة وفق أنموذجٍ علَمٍ في الدعوة، ألا وهو سيدنا نوح صلى الله عليه وسلم في سورة أستطيع أن أصفها بأنها سورة الدعوة.

أهداف الدراسة:

١. تأصيل القضايا الدعوية تأصيلاً قرآنياً.

٢. إظهار دور آخر للبلاغة القرآنية في أحد علومها – علم المعاني – غير الإعجاز القرآني، ألا وهو الدعوة إلى الله تعالى وهداية البشر؛ وذلك باستنباط القضايا الدعوية من قضايا علم المعاني.

٣. بيان أن الإعجاز القرآني المبني على البلاغة القرآنية – وإن كان مقصداً من مقاصد القرآن – إلا أنه يعد – من جهة ثانية – وسيلة لمقصد الدعوة والهداية.

٤. بيان إمكانية الإفادة من مفردات علم المعاني خصوصاً والبلاغة القرآنية عموماً وإثراء الدرس الدعوي.

٥. رفع ما اتهم به بعض المفسرين – زوراً وبهتاناً – من الجمود والانعزال عن الواقع؛ وذلك بالكشف عن جهود بعضهم في استنباط التوجيهات الدعوية التي تعد من ألصق الأمور بالواقع وحياة الناس.

٦. الكشف عن حيوية البلاغة القرآنية، وأنها ليست علماً جامداً قاصراً على القواعد والنظريات.

تساؤلات الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما التوجيهات الدعوية المفادة من قضايا علم المعاني في سورة عليه السلام؟

ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما التوجيهات الدعوية المفادة من أسلوبي الخبر والإنشاء في سورة عليه السلام؟

٢. ما التوجيهات الدعوية المفادة من أسلوبي التقديم والتأخير في سورة عليه السلام؟

٣. ما التوجيهات الدعوية المفادة من أسلوبي التعريف والتنكير في سورة عليه السلام؟

٤. ما التوجيهات الدعوية المفادة من أسلوب التقييد في سورة عليه السلام؟

٥. ما التوجيهات الدعوية المفادة من أسلوب القصر في سورة عليه السلام؟

٦. ما التوجيهات الدعوية المفادة من أسلوبي الفصل والوصل في سورة عليه السلام؟

حدود الدراسة:

تتمحور هذه الدراسة حول محور واحد من علوم البلاغة، هو علم المعاني، وستكون آيات سورة نوح عليه السلام ميدان الدراسة.

منهج الدراسة:

اتبع الباحثان في هذه الدراسة المنهجين الاستقرائي والاستنباطي؛ وذلك باستقراء مواطن علم المعاني وتفسيرها، ثم استنباط التوجيهات الدعوية منها.

الدراسات السابقة:

يظهر من عنوان البحث أنه يجمع بين ثلاثة علوم هي علم التفسير وعلم الدعوة وعلم البلاغة، وقد اطلعنا - حسب استطاعتنا - على قدر كبير من المؤلفات التي جمعت بين هذه العلوم، فكانت كثيرة متنوعة، وقد صنفتها على النحو الآتي:

أولاً: الدراسات التي أخذت أسلوباً من أساليب الدعوة، وبينت أثره في الدعوة إلى الله من خلال وجوده في القرآن الكريم.

ثانياً: الدراسات التي تناولت منهج مفسر من المفسرين في فهمه لآيات الدعوة.

ثالثاً: الدراسات التي تناولت قضايا الدعوة في سورة معينة.

رابعاً: الدراسات التي اختصت ببيان منهج نبي من الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى كما صوره القرآن الكريم.

خامساً: دراسات تناولت القضايا الدعوية عموماً من خلال قصة معينة.

سادساً: دراسات بينت أثر الدعوة في المجالات الاجتماعية أو المجالات الأخرى في سورة معينة.

سابعاً: دراسات تأصيلية في الدعوة، استخلصت من خلال موضوع من موضوعات القرآن الكريم.

ومن خلال النظر في هذه الدراسات يمكنني القول بأنه لا يوجد دراسة مستقلة استخلصت التوجيهات الدعوية من قضايا علم المعاني خاصة في سورة نوح عليه السلام.

التعريف بمصطلحات الدراسة:

*** التوجيهات الدعوية:**

* **التوجيهات**: جمع توجيه، وهي المعلومات التي يزود بها المتكلم المخاطبين في قضية معينة.

* **تعريف الدعوة**: أورد العلماء تعريفات كثيرة لمصطلح الدعوة، وبين هذه التعريفات تقارب كبير وتداخل كثير، ومن أشهر تعريفاتها أنها: (الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)(١)، وقيل: (هي الدعوة إلى توحيد الله، والإقرار بالشهادتين، وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ليكون الدين كله لله)(٢).

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٥/١٥٧-١٥٨، ط/٢، مكتبة ابن تيمية، بتصرف يسير.

(٢) توفيق الواعي، الدعوة إلى الله "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، ص ١٩، ط/١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مكتبة الفلاح، الكويت.

* وعلى هذا يكون تعريف **التوجيهات الدعوية:** مجموعة التعليمات والإرشادات التي يزود بها المتكلمُ[1] المخاطبَ في مجال الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح وفق طريقة الأنبياء - عليهم السلام -.

* **علم المعاني:** هو (وهو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال)[2].

وقيل: (هو علم يعرف به أحوال الكلام العربي التي تهدي العالم بها إلى اختيار ما يطابق منها مقتضى أحوال المخاطبين، رجاء أن يكون ما ينشئ من كلام أدبي بليغا)[3].

(١) أي: الداعي.

(٢) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٥٢/١.

(٣) حبنكة، البلاغة العربية، ص ١٠٧.

المبحث الأول

التوجيهات الدعوية في أسلوبي الخبر والإنشاء

إنه من المعلوم أن أسلوبي الخبر والإنشاء يحتويان مباحث بلاغية كبيرة ومفردات تفصيلية كثيرة، وسأعرض هنا للتوجيهات الدعوية المستفادة من مبحث كيفية إلقاء الكلام في باب الخبر، وللتوجيهات الدعوية من أسلوبي النداء والاستفهام في باب الإنشاء(١).

المطلب الأول: التوجيهات الدعوية في كيفية إلقاء الكلام:

كيفية إلقاء الكلام مبحث أساس من مباحث الخبر، تتجلى في مفرداته وأمثلته ملامحُ الإعجاز البياني بما يؤديه التركيب من رسائل بلاغية وتوجيهات دعوية، وسأكتفي بمثالين اثنين، للدلالة على المطلوب وحصول المقصود.

المثال الأول:

جاء التوكيد في مطلع السورة بقوله تعالى: {**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ**}(٢)، ويرى ابن عاشور أن التأكيد هنا ليس لرد إنكار ولا دفع شك، ويقول في ذلك: (افتتاح الكلام بالتوكيد للاهتمام بالخبر إذ ليس المقام لرد إنكار منكر، ولا دفع شك عن متردد في هذا الكلام. وكثيرا ما يفتتح بلغاء العرب أول الكلام بحرف التوكيد لهذا الغرض)(٣).

---

(١) اقتصرنا على ما ذكرنا من باب التمثيل والتنويع لا من باب الحصر والإحاطة، وهكذا الشأن في كل مباحث هذه الدراسة وفصولها، اقتصرت على ما فيه دلالة تطبيقية على المطلوب المراد من البحث؛ لعل الله ييسر من يكتب في هذه العنوان دراسة تفصيلية بيانية على جميع سور القرآن الكريم.

(٢) سورة نوح، الآية: ١.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٩/١٨٦.

والذي يظهر أنه لا مانع من أن يكون التأكيد هنا لرد إنكار المنكرين، ودفع شك المترددين، فإن سورة نوح من السور المكية، وإن المترددين والشاكّين حينئذ موجودون بكثرة، أضف إلى ذلك أن القصص القرآني بالذات كان مثار التشكيك من قبل المشركين حيث سموها أساطير الأولين، وزعموا أنه ﷺ اكتتبها من عند نفسه، ولذلك لا غرابة في أن تفتتح السورة بالتأكيد على إرسال نوح عليه السلام، رداً على من أنكر أو شك في صدق رسالة محمد ﷺ والتي كان من ضمنها إثبات القرآن الكريم، وإثبات ما فيه من قصص للأنبياء السابقين.

وفي هذا تثبيت لعقيدة الدعاة وإيمانهم بأن ما جاء في القرآن الكريم، وما جاء على لسان رسولنا الكريم ﷺ من قصص الأنبياء والمرسلين كله حق ثابت، فينطلق الداعية من هذا المنطلق، ولا يغرنه تشكيك المشككين ولا إنكار الكافرين الجاحدين.

وثمة درس آخر للداعية هنا، يكمن في إظهار حال المخاطبين إذا سمعوا مثل هذه الأخبار والقصص، وأنه يحتاج إلى أن يأتي لهم بكل ما يستطيعه من الحجج والبراهين التي تثبت دعوته ورسالته.

المثال الثاني: تأكيد الخبر في كلام نوح عليه السلام في قوله تعالى: {قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}(١).

جاء هذا الخطاب في بداية دعوة نوح عليه السلام قومَه إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى، والشأن في ذلك أن يكون خطابهم خطاب خالي الذهن، ولكن نوحاً عليه السلام لم يخاطبهم بخطاب خالي الذهن، بل أكد لهم كلامه بمجموعة من المؤكدات التي تلفت النظر: قال ابن عاشور: (فجمع في صدر دعوته خمسة مؤكدات، وهي: النداء وجعل المنادى لفظ يا قوم المضاف إلى ضميره، وافتتاح كلامه بحرف التأكيد، واجتلاب لام التعليل، وتقديم

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢.

مجرورها)[1]. وذلك لسببين؛ أولهما: أن نوحاً عليه السلام كان عالماً بحال قومه، وأنهم قد بلغوا من الشرك والطغيان وسوء الحال ما يجعل أي داعية يستبعد سرعة اهتدائهم واستجابتهم. وثانيهما: أن يكون هذا الخروج عن مقتضى الظاهر في إلقاء الخطاب دليلاً على حرص نوح عليه السلام على دعوته، وكأنه يريد أن يحيط كلامه بهالة من الأساليب التي من شأنها أن تشعر الآخر بصحة الكلام وصدقه.

ومما سبق يتبين لنا من التوجيهات الدعوية أن يتصف الداعية بصفة الحرص على هداية المخاطبين كما كان نوح عليه السلام حيث بدأهم بمجموعة كبيرة من المؤكدات التي تعينهم على امتثال الحق والوصول إليه. ويرشدنا النظم الكريم أيضا إلى وجوب اتصاف الداعية بالفطنة والذكاء في اختيار الألفاظ والتراكيب التي من شأنها أن تقرب الآخرين إلى الحق.

المطلب الثاني: التوجيهات الدعوية في أسلوب النداء

ورد أسلوب النداء في سورة نوح في مواطن كثيرة، منها:

١) نداء نوح عليه السلام لقومه في قوله تعالى: {قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}[2].

٢) نداء نوح عليه السلام ربه في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}[3] وفي قوله تعالى: {قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي}[4]، وفي قوله تعالى: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}[5]، وفي قوله تعالى: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ}[6]

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨٨/٢٩.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢.

(٣) سورة نوح، الآية: ٥.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢١.

(٥) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٦) سورة نوح، الآية: ٢٨.

ويلحظ هنا أن نوحاً عليه السلام استعمل لنداء قومه أداة النداء (يا)، ويتلخص الأمر الدعوي هنا في ثلاثة أمور دلنا عليها النظم الكريم؛ أولها: استعمال أسلوب النداء. وثانيها: استعمال حرف النداء (يا). وثالثها: مناداة نوح لقومه بعنوان القوم مع إضافتهم لنفسه.

وفي هذا من التوجهات الدعوية ما يأتي:

١) أن أسلوب النداء يدل بنفسه على نفسية المنادي وحرصه على تبليغ المنادى ما يراه مصلحة له وخيراً وفضلاً. وهكذا ينبغي أن يكون الداعية قد امتلأت نفسه وتشبعت روحه بالشفقة على المدعوين وحب الخير لهم.

وهذه صفة الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم رسولنا الكريم محمد ﷺ، فقد بلغت به الشفقة على قومه إلى حد أثر في جسده وتفكيره، حتى أنزل الله تعالى قوله: **{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}**(١) ، وقوله عز شأنه: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}**(٢).

٢) (يا) هو حرف نداء للبعيد أو للمتوسط البعد على حد قول بعض أهل العلم، فلمَ آثر نوح عليه السلام النداء ب(يا) على النداء بالهمزة أو (أي) مع أن قومه قريبون منه، فهم أمامه وهو خطيبهم والمتكلم معهم؟

الجواب: أن نوحاً عليه السلام قد جعل قومه في بعد معنوي، وهو بعد المكانة، تأليفاً لهم وترغيباً منه في امتثال مضمون ما سيناديهم به، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية، ينتقي من ألوان الخطاب ما يكون لقبول دعوته أنفع وأسرع في الاستجابة، ولا شك أن مخاطبة المدعو بما فيه رفع لمقامه ومكانته أدعى لقبول كلامك والاعتناء بمضمونه.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٣.

ولا يصح أن يكون النداء ب: (يا) للدلالة على بعد مكانهم من الدعوة وصدودهم عنها، أو لبعدهم عن رحمة الله تعالى بسبب تنكبهم طريق الدعوة؛ وذلك أن هذا النداء كان في بداية دعوتهم، حيث لا قبول ولا رفض، وإنما هو مجرد العرض والانتظار.

٣) ومما يدل عليه استعمال حرف النداء (يا) - وهو للبعيد أو لمتوسط البعد - إظهار المنادي اهتمامه بالمنادى به(١)، فإن المتكلم إذا أراد أن يطلب شيئاً ذا قيمة كبيرة، جمع له من الأساليب الكلامية ما يشعر السامع بأهمية الموضوع في نفسه، وأهميته في نفس المنادي والمتكلم. ولا شك في أنه لا أهم ولا أخطر مما ناداهم به نوح عليه السلام وهو الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى والخروج من الكفر والطغيان.

٤) أما عن مناداتهم بعنوان كونهم قومه؛ فهذا فيه من التأليف والترغيب، وإشعارهم بقربه منهم وصدقه معهم، ما يجعلهم -كما هو المفروض - يصدقون كلامه ويأخذونه على محمل الجد والاعتبار؛ وفي هذا الموضع توجيهان دعويان اثنان؛ أولها: أن يختار الداعية من الألفاظ ما يقرب قلوب المخاطبين منه. وثانيهما: أنه ينبغي على المدعوين أن يميزوا بين من كان حريصاً على مصلحتهم وإرادة الخير لهم، وبين من لم يكن كذلك، فنوح عليه السلام منهم، يعرفون نشأته وحياته وأخلاقه، وهذا كله كاف في مساعدتهم على تمييز صدق دعوته وأحقيتها.

المطلب الثالث: التوجيهات الدعوية في أسلوب الاستفهام:

ورد الاستفهام في سورة نوح عليه السلام في موضعين اثنين صدرا من داعية كبير، تجلى فيهما كثير من ملامح الدعوة إلى الله تعالى، وبيان ذلك ما يأتي:

المثال الأول:

---

(١) إبراهيم خليفة، تفسير سورة النساء، ص ١٠٢.

ما ورد في قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾(١).

فهذا الكلام هو استفهام مراد منه التوبيخ المصحوب بالبرهان على فساد عقيدتهم، يقول الطبري: (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ما لكم لا تخافون لله عظمة)(٢)، وبما أنه لا شيء عندهم يدفعهم ويسوغ لهم هذا الفعل الشنيع فإنهم يكونون قد استحقوا التوبيخ المفهوم من السؤال الموجه إليهم. قال أبو السعود: (إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا)(٣).

وقد جمع نوح عليه السلام في صيغة هذا السؤال من الأمور التي تبين بحق فظاعة فعلهم، ومما هو سبيل لتحريك عقولهم وتصريف مشاعرهم تجاه الحق، ومن ذلك:

أولاً: الإعلان باسم الله - تعالى شأنه وتعاظم جده - في ألفاظ السؤال، وفي هذا من التهييب ما فيه. كما فيه أن الداعية معني بمصارحة قومه بباطلهم وعنادهم وعدم مداهنتهم؛ ويظهر هذا من خلال ما يحمله الاستفهام من معاني الإنكار والتوبيخ والتقريع بحالهم وصفتهم.

ثانياً: تنكير (وقاراً)، والمعنى هنا: أن هؤلاء القوم لا يوقرون الله تعالى بأي نوع من أنواع التوقير، وجاء هذا العموم من كونها وقعت في سياق النفي على حد قول الأصوليين: إن النكرة في سياق النفي تفيد العموم.

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٣.

(٢) الطبري، جامع البيان، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٢٣/٦٣٥.

(٣) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٩/٣٨. وانظر: الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ٤/٦١٧.

وفي هذا درس للدعاة أن يفهموا حقيقة دعوتهم ومهماتها وترتيب أولوياتها؛ فإن نوحاً عليه السلام قد وصفهم بهذا الوصف وهو يعلم أنهم يدّعون عبادة الله تعالى، وأنهم يتقربون إليه من خلال أصنامهم التي عبدوها من دونه، وأن فعلهم هذا توقير لله تعالى على اعتبار أنهم وسائط له، وكأنه عليه السلام يقول: إن التوقير المطلوب هو التوقير الحقيقي وهو التوقير الموافق لشرع الله تعالى، وليس هو التوقير الذي تدّعونه وتشرعونه من دون الله تعالى(١).

ولذلك فإنه يجب على الدعاة أن ينبهوا المدعوين إلى الالتزام بشرع الله تعالى كما هو، دون ابتداع ولا اختراع.

المثال الثاني: ما ورد في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}(٢).

ولا شك أن هذا الاستفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى دلالات استلزامية تفهم من خلال سياق الآيات في محاوراته عليه السلام مع قومه.

وما سنذكره من التوجيهات الدعوية هنا إنما هو باعتبار صدوره من نوح عليه السلام(٣)، وأذكر منها:

---

(١) من الممكن أن ندرج هذا المثال في باب التعريف والتنكير، ولكنا آثرنا أن ندرجه هنا حتى لا يتباعد الكلام على خصوص الآية، ووضعنا هذا الكلام هنا لأنه جاء في حيز السؤال، وبما أن السؤال أريد منه التوبيخ كما ذكر ابن عاشور وغيره، فإن هذا يندرج على كل ما كان في حيز الاستفهام.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٥.

(٣) ثمة قول آخر للمفسرين حيث يرون أن لفظ الآية لا يمنع من أن يكون الاستفهام صادراً من الله تعالى، على اعتبار فيكون هذا الكلام اعتراضاً للمناسبة كما قال ابن عاشور في التحرير والتنوير، ٢٩/٢٠٢.

١) أن ما ذكره نوح عليه السلام من أمور أراد أن يستلب منهم الإقرار بها، يدل على سعة علمه عليه الصلاة والسلام، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية مطلعاً على آيات الله تعالى في خلقه، فانظر كيف ذكر لهم السماوات وما حوته من قمر وشمس، وذكر لهم خلق الإنسان وأنه نشأ منها ثم سيعود إليها، وانظر كيف تخلص من هذا الموضوع للكلام على نعم الله تعالى في أرضه، فهي البساط ومنها الفجاج، كل ذلك بأسلوب بديع يأخذ بتلابيب العقول ومكامن النفوس. وهو هنا يدعو إلى التفكر في آلاء الله تعالى ومخلوقاته، مستفيداً من أسلوب الاستفهام الذي يحرك العقول والنفوس.

٢) أنه استخدم الرؤية هناك (ألم تروا)، وسواء أكانت بصرية أو غير ذلك فإنها تدل على المقصود، وأرى أنها تصلح هنا للمعنيين معاً فإن قوم نوح عليه السلام رأوا وعلموا كونه دليلاً على صدق نوح عليه السلام في دعوته. وفي هذا توجيه للدعاة أن يفيدوا مما هو موضع اتفاق من الأمور المشاهدة والمحسوسة للوصول من خلالها إلى الأمور المختلف فيها.

٣) توجيه الخطاب إلى الجميع، لإشعارهم بأن ما خفي على بعضهم من هذه الأمور؛ فإنه - حتماً - لن يخفى على غيرهم، وفي هذا إرشاد لهم بأن يتعاونوا على ما فيه خيرهم وصلاحهم، بدل أن يكون اجتماعهم للإضرار بهم في دنياهم وآخرتهم.

المبحث الثاني

التوجيهات الدعوية في أسلوب التقديم والتأخير

عرضنا في المبحث السابق لبعض التوجيهات الدعوية في أسلوبي الخبر والإنشاء، وسنعرض هنا لمبحث يعد من أهم المباحث البلاغية، ولا داعي لتقسيم المبحث في مطلبين أحدهما للتقديم والآخر للتأخير، فإن تقديم ما حقه التأخير يستلزم تأخير ما حقه التقديم. يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: (إن ما يدعو بلاغياً إلى تقديم جزء من الكلام هو ذاته ما يدعو بلاغياً إلى تأخير الجزء الآخر. وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يكون

هناك مبرر لاختصاص كل من المسند إليه والمسند بدواع خاصة عند تقديم أحدهما أو تأخيره عن الآخر، لأنه إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان)(١).

المطلب الأول: تقديم شبه الجملة:

ومن الأمثلة التي وردت في سورة عليه السلام، تقديم {لَكُم}على عامله في قوله تعالى: {قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكم نَذِيرٌ مُبِينٌ}(٢).

قال ابن عاشور: (وتقديم {لَكُم} على عامله وهو: {نَذِيرٌ} للاهتمام بتقديم ما دلت عليه اللام من كون النذارة لفائدتهم لا لفائدته)(٣).

قلنا: ولا يقصد ابن عاشور هنا أن النذارة وهي نوع من أنواع الدعوة لا يفيد الداعية منها أبداً، وإنما يريد أن أكثر الناس حاجة إليها هم المدعوون؛ ولذلك جاء تقديم {لَكُم} على عامله الذي هو الداعي؛ لإعلام المدعوين أنهم هم أعظم المستفيدين من الدعوة، بها يصلحون دنياهم وآخرتهم، ولذلك فإن الداعية الذكي هو الذي ينبه السامعين إلى أن خير الدعوة سيعود عليهم.

قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}(٤).

وهذا بلا شك فن من فنون الدعوة، ونوع من أنواع الترغيب، فإن الناس إذا عرفوا أن النفع سيعود عليهم كان ذلك أدعى في قبول الدعوة وامتثالها.

---

(١) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٣٣.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨٨/٢٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

المطلب الثاني: تقديم المفعول به على الفاعل في قوله تعالى: { وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا }(١).

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: (أي: عصوا الرسول الناصح الدال على الخير، واتبعوا الملأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا خسارا أي: هلاكا وتفويتا للأرباح)(٢). ويقول ابن عطية في تفسير هذه الآية: (المعنى فلما لم يطيعوا ويئس نوح من إيمانهم قال نوح: رب إنهم عصوني واتبعوا أشرافهم وغواتهم، فعبر عنهم بأن أموالهم وأولادهم زادتهم خسارا أي خسرانا)(٣).

والمراد هنا بالمفعول الضمير المتصل في: (يَزِدْهُ) والفاعل هو: (ماله) و(ولده)، والذي يظهر أن علة تقديم المفعول هنا هو التأكيد على الاهتمام بشأن المدعو وأنه هو الخاسر الأكبر في مقام الدعوة، وفي هذه رسالة دعوية أخرى ضمن سلسلة رسائل كثيرة وجهها القرآن الكريم إلى المدعوين بأن الدعوة ما جاءت إلا من أجلهم، وأن ما أعطاهم الله تعالى من مال وولد فينبغي أن يكون معيناً لهم على قبول الدعوة.

وثمة رسالة دعوية أخرى وهي أن الإنسان قد يتنكب طريق الدعوة من أجل أولاده وأمواله، ظاناً أن الدعوة ستحول بينه وبين المال والولد، فجاء هذا التقديم هنا ليبين أن الإنسان ينبغي ألا يصده هؤلاء عن أن يقبل الحق، فإن الإنسان مأمور بأن يقي نفسه أولاً من النار ثم ينتقل بعد ذلك إلى غيره، وإذا لم يفعل ذلك فإنه هو الخاسر الأول والأكبر، فانظر إلى رسالة النظم التي أداها تقديم المفعول على الفاعل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢١.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٨٩.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٣٧٥/٥.

وللرازي كلام جميل في هذا المقام، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يعني هذان وإن كانا من جملة المنافع في الدنيا إلا أنهما لما صارا سببا للخسار في الآخرة فكأنهما صارا محض الخسار والأمر كذلك في الحقيقة لأن الدنيا في جنب الآخرة كالعدم فإذا صارت المنافع الدنيوية أسبابا للخسار في الآخرة صار ذلك جاريا مجرى اللقمة الواحدة من الحلو إذا كانت مسمومة سم الوقت)(١).

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٣٠/٦٥٥.

المبحث الثالث

التوجيهات الدعوية في أسلوب التعريف والتنكير

اختلاف النظم تعريفاً وتنكيراً من الأساليب البلاغية التي لها أثر كبير في اختلاف المعنى، فإن الكلمة لا تتقدم عنها مكانها في النظير اللغوي ولا تتأخر إلا لفائدة وثمرة، وسنذكر هنا بإذن الله أثر التعريف والتنكير في التأصيل للقضايا الدعوية.

المطلب الأول: التوجيهات الدعوية في أسلوب التعريف:

الفرع الأول: التعريف بالإضافة:

مما يلفت النظر في سورة نوح في باب التعريف بالإضافة، تلكم الإضافات الكثيرة من كلام نوح عليه السلام في دعوته لقومه، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ}(١)، وفي قوله تعالى: {قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}(٢) ، وفي قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}(٣) ، وفي هذا النوع من التعريف التوجيهات الدعوية الآتية:

١) في قوله تعالى: {أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ} إسناد القوم إلى اسم عليه السلام، وفي هذا إلهاب لمشاعره تجاه قومه فيصبح أشد حرصاً على دعوة قومه وطلب هدايتهم، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية: حريصاً أشد الحرص على هداية قومه، وهذا هي سنة الله تعالى في خلقه، فإنهم يحبون الخير للجميع، ولكنهم أشد ما يكون ذلك تجاه قومهم.

قال ابن عاشور رحمه الله: (وعدل عن أن يقال له: أنذر الناس إلى قوله: أنذر قومك إلهابا لنفس نوح ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته)(٤).

---

(١) سورة نوح، الآية: ١.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢.

(٣) سورة نوح، الآية: ٥.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨٧/٢٩.

٢) أن نوحاً عليه السلام لما نادى قومه أضافهم إلى شخصه، وهذا إشعار منه بأنه منهم وأنهم منه، ومن كان شأنه كذلك فإنه لن يكذب على قومه ولن يدلهم إلا على ما فيه مصلحة لهم. وهكذا ينبغي أن يكون الداعية، يختار من الألفاظ والعبارات ما يتألف به قلوب المدعوين، فيناديهم بما يشترك به معهم مما يحببه إليهم؛ ليكون الكلام أكثر قبولاً ووصولاً.

٣) أن نوحاً عليه السلام لما تكلم بالنتيجة بعد الدعوة أضافهم إلى نفسه فقال: {إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}(١) ، وهذا يبين ما في قلب نوح عليه السلام من الحسرة والتأسف على رفضهم دعوته، وكأنه يقول: إنه ما كان ينبغي لهم أن يرفضوا دعوتي فإنهم قومي وأنا منهم. وفي هذا الموطن يتبين لنا موضوعية نوح عليه السلام في بيان مفردات دعوته لقومه، وذلك بتشخيص الحال وبيان أن ما كان يظنه داعياً إلى القبول لم يجد نفعاً مع هؤلاء القوم الذين أصروا واستكبروا استكباراً.

الفرع الثاني: التعريف بالاسم الموصول

ومما ورد في سورة نوح عليه السلام التعريف بالاسم الموصول في قوله تعالى: **{وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا}**(٢)، ولم يقل: اتبعوا سادتهم أو كبراءهم أو قادتهم أو نحو ذلك، وفي هذا من التوجيهات الدعوية ما يأتي:

١) أن يعرف الداعية أن ما يحصله من المال والولد إنما هو نعمة من الله تعالى، لا حول له – أي: المخلوق – فيها ولا قوة. وفي التعبير بالموصول هنا توجيه للمدعوين بأن

---

(١) سورة نوح، الآية: ٥.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢١.

الأمر في الأموال والأولاد ليس كما يظنون، بل إن المال والولد قد يكون نقمة على أهله إذا كان صاداً لهم عن الحق واتباع طريق الأنبياء.

٢) أن يعرف الداعية أن هذه النعم قد تكون عائقاً له أمام قبول الدعوة وامتثالها. وأن يعلم الداعية أن أصحاب الأموال والأولاد أصحاب رأي متّبع وأنهم يؤثرون في المجتمع بسبب إمكانياتهم مقارنة باحتياجات الأفراد المجتمع وتعدد طبقاته، قال ابن عاشور رحمه الله: (وأدمج في الصلة أنهم أهل أموال وأولاد إيماء إلى أن ذلك سبب نفاذ قولهم في قومهم وائتمار القوم بأمرهم: فأموالهم إذ أنفقوها لتأليف أتباعهم قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}**(١)، وأولادهم أرهبوا بهم من يقاومهم)(٢).

فينبغي على الداعية أن يأخذ بالطرق الحكيمة والأساليب القويمة دعوة هؤلاء الأغنياء وأولئك الأتباع بما يتناسب مع حالتهم وطريقة عيشهم.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/٢٠٦-٢٠٧.

المطلب الثاني: التوجيهات الدعوية في أسلوب التنكير:

كثير من كلمات نوح عليه السلام جاءت بصيغة التنكير، وهذا يصور شيئاً من الحالة الدعوية التي كان يعيشها نوح عليه السلام مع قومه، وأكتفي بهذين المثالين للدلالة على المقصود:

المثال الأول: تنكير الكلمات الآتية وهي كما وردت في النظم الكريم: (أموالٍ) و(بنينَ)، و(جناتٍ)، و(أنهاراً).

جاءت هذه الكلمات في متعاطفات جملة جواب الشرط الذي سبق فعله في قوله تعالى: {**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**}(١)، والجواب في قوله تعالى: {**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**}(٢).

وبما أن المقام مقام ترغيب فإن نوحاً عليه السلام أراد أن يبين لقومه أنكم إن فعلتم ما أمرتكم به من الاستغفار(٣)، فإن الله عز وجل سيجزيكم هذه النعم الكبيرة التي لا تحصى ولا تعد، فيكون بذلك قد نبه على عظمة ما عند الله تعالى، فجناته وأنعامه ليست محصورة بعدد ولا يحصيها أحد، ونبه أيضاً على قضية غيبية وهي ما أعده الله تعالى لهم من النعيم يوم القيامة فأراد أن يحملهم على الإيمان بالآخرة بتشويق نفوسهم إلى ما فيها من نعيم وسعادة وخيرات، وأيضاً فإن هذا التنكير يدل على عظم معرفة الأنبياء بما عند الله تعالى مما أعده ثواباً وجزاءً.

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٠.

(٢) سورة نوح، الآيتان: ١١-١٢.

(٣) ليس المقصود هنا مجرد الاستغفار، وإنما هو استغفار خاص عن كفرهم وطغيانهم، وإنما هو هنا علامة على ترك الكفر والدخول في الإسلام، فعبر بالاستغفار عن الدخول في الإسلام استصحاباً لحالهم.

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية، عالماً بما عند الله، داعياً إليه، متفنناً في أسلوب دعوته، عارفاً بما من شأنه أن يستجلب عقول المخاطبين وخواطرهم. وقد أفدنا ذلك من التعبير بما سبق من النعم على سبيل التنكير الذي يكسر حد التقييد إلى الإطلاق التي تذهب الناس فيه كل مذهب.

المثال الثاني: التنكير في {وَقَارًا} في خطاب نوح عليه السلام لقومه، وذلك قوله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}(١).

قال أبو حيان رحمه الله في معنى هذه الآية: (الرجاء بمعنى الخوف، وبمعنى الأمل. قال أبو عبيدة وغيره: {لَا تَرْجُونَ} : لا تخافون، قالوا: والوقار بمعنى العظمة والسلطان. والكلام على هذا وعيد وتخويف. وقيل: لا تأملون له توقيرا أي: تعظيما. قال الزمخشري: والمعنى ما لكم لا تكونون على حال ما يكون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب)(٢).

والذي يظهر أن فائدة التنكير هنا أن نوحاً عليه السلام أراد أن يقرر لقومه بأنهم لا يوقرون الله تعالى أي توقير. وسبب ذلك الرد عليهم، فإنهم كانوا يشركون مع الله تعالى عبادة الأصنام التي جعلوها رموزاً للتقوى والصلاح ثم آل بهم الأمر إلى أن اتخذوها آلهة من دون الله تعالى أو مع الله تعالى، ولا شك أن من كان يفعل ذلك، فإنه ربما ظن أنه بهذه الطريقة يوقر الله تعالى ويعظمه، فجاء الرد من نوح عليه السلام بأنكم لا ترجون لله تعالى أي وقار وعظمة، وما تظنونه توقيراً واحتراماً هو عكس ذلك تماماً.

وفي هذا توجيه دعوي من نوح عليه السلام إلى التزام ما أنزل الله تعالى على رسله من عقائد وشرائع كما يريدها الله تعالى، لا كما يظنها الناس، فليس كل من يدعي تعظيم الله تعالى أخطأ، وليس كل من عبد الله تعالى أصاب في عبادته، بل المحق المصيب هو من

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٣.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ ١٠/٢٨٢.

آمن بالله تعالى وعبده كما أراد سبحانه، وكما شرع جل شأنه وسلطانه، فإن الدين ليس بالتشهي ولا بالتمني.

المبحث الرابع

التوجيهات الدعوية في أسلوب التقييد

يذكر علماء البلاغة تفصيلات كثيرة لأسلوب التقييد(١)، وسأكتفي منها بالتقييد ب: (إذا) والتقييد ب: (لو) والتقييد ب: (إن) سواء أكانت خرج النظم بها على مقتضى الظاهر أم على خلافه.

المطلب الأول: التقييد ب: (إذا):

يذكر علماء البلاغة أن (إذا) تستخدم: (**في كل ما يقطعُ المتكلمُ بوقوعه في المستقبل – ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها (الماضي) لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً –**)(٢).

وقد وردت في سورة نوح في قوله تعالى: {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(٣).

وكما هو ظاهر فإن استعمال (إذا) هنا دون (إن) جاء على بابه، فإن الكلام في الآية على الأجل الذي كتبه الله تعالى على عباده، يقول ابن جزي الغرناطي: (هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: {إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}(٤))(٥).

---

(١) كالتقييد بالنعت والبدل وعطف البيان وضمير الفصل والنواسخ وغيرها. انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١/١ وما بعدها.

(٢) الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٥١/١.

(٣) سورة نوح، الآية: ٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٤٩.

(٥) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ج ٢، ص ٤١٣.

وفي معنى الأجل هنا يقول الشوكاني: (أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب إذا جاء وأنتم باقون على الكفر لا يؤخر بل يقع لا محالة فبادروا إلى الإيمان والطاعة. وقيل: المعنى: إن أجل الله وهو الموت إذا جاء لا يمكنكم الإيمان، وقيل: المعنى: إذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب)(١).

وفي هذا الاستعمال من نوح عليه السلام من التوجيهات الدعوية ما يأتي:

١) الدلالة على يقين نوح عليه السلام بالقضايا العقدية وكمال إيمانه بالأمور الغيبية وبوعد الله تعالى، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية قوي الإيمان واثق العقيدة ثابت اليقين بكل ما جاء به الشرع من أمور مشاهدة أو غيبية. وقد أفدنا هذا من التعبير بـ (إذا) حيث قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ ﴾(٢). حيث إن إذا لا تستخدم إلا فيما هو متحقق الوقوع.

٢) بيان صدق الدعوى بالإخبار بها إخباراً يظهر من خلاله صدقها وحقيتها، فإن إلقاءها بهذه الطريقة التي تحمل التأكيد والإقرار يحمل السامع على الاهتمام بمضمونها والبحث في شأنها على أقل تقدير.

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق: ١٤١٤هـ، ٥/٣٥٦.

(٢) سورة نوح، الآية: ٤.

المطلب الثاني: التقييد ب (لو) في قوله تعالى: {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(١) :

مما هو معلوم أن (لو) تستعمل أداة امتناع لامتناع- كما هي كلمة كثير من أهل اللغة والبيان، ذكر الآلوسي في تفسير هذه الجملة ثلاثة أقوال:

الأول: أن يكون جواب (لو) مما يتعلق بأول الكلام، والتقدير على هذا يكون: (لو كنتم من أهل العلم لسارعتم لما آمركم به، لكنكم لستم من أهله في شيء، فلذا لم تسارعوا)(٢).

الثاني: أن يكون جواب (لو) مما يتعلق بآخر الكلام، ويكون التقدير على هذا: (لو كنتم من أهل العلم لعلمتم ذلك، أي: عدم تأخير الأجل إذا جاء وقته المقدر له)(٣).

الثالث: أن يكون الجواب محذوفاً لقصد التعليم(٤).

وما ذكره الآلوسي هنا هو مجمل ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية، والسؤال هنا: لم قيّد نوح عليه السلام الشرط ب(لو)، دون غيرها من أدوات التقييد؟

والجواب:

أولاً: أن نوحاً عليه السلام أراد أن يشعر قومه بأن حالهم التي كانوا عليها إبان بعثته صلى الله عليه وسلم تدل بكل وضوح وجزم على أنهم يجهلون ملك الله تعالى لآجالهم، فتصرفاتهم وكفرهم وطغيانهم مشعر – من جهة – بعدم اكتراثهم بمسألة الأجل، كما أن جهلهم بأن أجلهم بيد الله سبب في تنكبهم الطريق ومخالفتهم سبيل الأنبياء من جهة أخرى.

---

(١) سورة نوح، الآية: ٤.

(٢) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ١٥١.

(٣) الآلوسي، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ، ج، ص.

(٤) الآلوسي، روح المعاني، ج، ص.

ثانياً: أن نوحاً عليه السلام أراد أن يضيف إليهم أسلوباً آخر من أساليب الدعوة وهو الترهيب من الموت، الذي يعلم كل واحد من قومه أنه ليس لهم من دونه دافع، فهاهم الناس يموتون ويهلكون ولا يستطيعون أن يدفعوه عنهم. فانظر إلى براعة نوح عليه السلام في تذكيرهم بقضية لا جدال فيها ولا نقاش، فهم - وإن كان ظاهرهم يدل على الإنكار - إلا أنهم في قرارة أنفسهم يعترفون بما هو حقيقي ومشاهد ومتكرر أمام أعينهم. وهذا ما يسمى في علم الحوار مع الآخر بالانطلاق من الثوابت والمسلمات أو الانطلاق من المشترك المتفق عليه.

ونستطيع أن نلخص التوجيهات الدعوية بما يأتي:

١. ينبغي على الداعية أن يكون عارفاً بأحوال المخاطبين، لينتقي من الأساليب الدعوية ما يتواءم مع حالهم، يظهر هذا من خلال التعبير بـ (لو) الدال على أن قومه لا يعلمون.

٢. أن يصارح الداعية من يخاطبهم بحقيقة أمرهم إذا اقتضى الأمر ذلك، فإن في هذا إيقاظا وكشفاً لزيف ربما ظنوا أنه يخفى على غيرهم.

المطلب الثالث: التقييد ب (إن) في قوله تعالى: {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}(١) :

هذا هو الموطن الثالث من مواطن التقييد ب: (إذا) و(لو) و(إن)، وفي معنى الآية يقول الطبري: (يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح في دعائه إياه على قومه: إنك يا ربّ إن تذر الكافرين أحياء على الأرض، ولم تهلكهم بعذاب من عندك {يُضِلُّوا عِبَادَكَ} الذين قد آمنوا بك، فيصدوهم عن سبيلك، {وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا} في دينك {كُفَّارًا} لنعمتك)(٢).

(١) سورة نوح، الآية: ٢٧.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٦٤٢/٢٣.

والذي يظهر إن استعمال (إن) في هذه الجملة معقد من معاقد البلاغة، ويحمل في طياته الكثير من التوجيهات الدعوية التي يحتاجها الدعاة، فإنه من المعلوم أن (إن) تستخدم **(في الأحوال التي ينذُر وقوعها ووجب أن يتلوها لفظ (المضارع) لاحتمال الشك في وقوعه)**(١). ومن هذه التوجيهات:

١) تصوير حالة نوح عليه السلام النفسية عندما تكلم بهذا الكلام، فإنه مع رغبته الكبيرة في أن ينتقم الله تعالى لدينه من هؤلاء المجرمين الذين يريدون أن يقفوا في وجه الدعوة، إلا أنه كان على ثقة كبيرة من أن الله تعالى سيستجيب دعاءه عليهم، ولذلك جاء التعبير ب(إن) دون (إذا) للدلالة على أن تركهم أمر مشكوك فيه وغير متوقع.

٢) إن استعمال (إن) في قوله تعالى: {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ}(٢) فيه تهديد وتخويف سجله على نوح عليه السلام على قومه وعلى غيرهم من الأقوام الذين يعاندون رسل الله تعالى ومن سار على نهجهم من الدعاة والمصلحين، فهؤلاء لن يتركهم الله تعالى على ما هم عليه، بل إن الله عز وجل سيهلكهم، وهذه هي سنة الله تعالى في الأمم إذا تنكبت الطريق وضلت عن الجادة. وفي هذا توجيه للمدعوين بضرورة امتثال أمر الله تعالى حتى لا يقعوا في الهلاك والعذاب. كما يفيدنا أيضاً ضرورة معرفة الداعية بالسنن الإلهية التي لا تتخلف من إهلاك الأمم إذا ضلت وزاغت حتى وإن أمهلها الله تعالى فترات معينة لحكم وغايات هو يعلمها سبحانه وتعالى.

---

(١) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ١٥١.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٧.

المبحث الخامس

التوجيهات الدعوية في أسلوب القصر

مما هو معلوم أن طرق القصر كثيرة، ذكر منها السيوطي رحمه الله في إتقانه أربعة عشر طريقا(١)، أشهرها أربع طرق هي:

١) النفي والاستثناء، نحو، وما محمد إلا رسول.

٢) القصر بـ (إنما)، نحو: إنما يخشى الله من عباده العلماء.

٣) القصر بتقديم ما حقه التأخير، نحو قوله تعالى: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**}(٢).

٤) القصر بالعطف بـ: (لا) و(بل) و(لكن).

وقد ورد القصر في سورة نوح في صورتين اثنتين من هذه الصور الأربع، هما القصر بتقديم ما حقه التأخير، والقصر بالنفي والاستثناء.

المطلب الأول: القصر بالنفي والاستثناء:

ورد القصر بطريق النفي سورة نوح عليه السلام في مواطن عديدة هي:

١) قوله تعالى: { فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا }(٣).

٢) قوله تعالى: { قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا }(٤).

---

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج ٣، ص ١٦٧.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) سورة نوح، الآية: ٦.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢١.

٣) قوله تعالى: { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا }(١).

٤) قوله تعالى: { إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا }(٢).

٥) قوله تعالى: { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا }(٣).

قلت: أما الآيتان السادسة والحادية والعشرون فإنهما توضحان طبيعة المدعوين وحقيقتهم، وأنهم بلغوا من العتو والتمرد درجة متميزة ظاهرة، ففي الآية السادسة وهي قوله تعالى: { فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا }(٤). ، انقلب ما هو سبب للهداية - وهو دعاء نوح عليه السلام لقومه - إلى كونه سبباً للفرار، وهذا أمر فظيع في منطق الحق وصواب الواقع، فإنهم قد بلغوا من رفض الدعوة مبلغاً أصبحت فيه دعوتهم سبباً للفرار اقتراناً زمانياً وحُكمياً.

قال الطبري رحمه الله: (فلم يزدهم دعائي إياهم إلى ما دعوتهم إليه من الحقّ الذي أرسلتني به لهم {إلا فِرَارًا} يقول: إلا إدبارا عنه وهربا منه وإعراضا عنه)(٥).

وقال البيضاوي: {فلم يزدهم دعائي إلا فرارا}(٦) عن الإيمان والطاعة، وإسناد الزيادة إلى الدعاء على السببية)(٧).

وقد احتوى النظم الكريم في ثناياه ما يأتي:

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٤.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٧.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٨.

(٤) سورة نوح، الآية: ٦.

(٥) الطبري، جامع البيان، ٢٣/٦٣١.

(٦) سورة نوح، الآية: ٦.

(٧) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ٥/٢٤٨.

١) القصر المستفاد من طريق النفي والاستثناء(١)، وهذا للدلالة على أنهم كانوا على حالة واحدة هي الفرار من الدعوة، لا غير.

٢) أن هذا القصر دال على انقلاب عقلية هؤلاء المدعوين وانعكاس الحقائق عندهم، وهذا الصنف من المدعوين هو أصعب ما يمكن للداعية مواجهته، وفي هذا درس للدعاة وتدريب لهم، أنه من الممكن أن يجدوا من وصل إلى مرحلة قلبِ الحق باطلاً والباطل حقاً. ومن قلب الحقائق وتنكبها أنهم اتبعوا من لم يزده وولده إلا خساراً، ولم يتبعوا من يدعوهم إلى خيري الدنيا والآخر، وإلى ما فيه صلاحهم وصلاح أبنائهم(٢).

وأما الآيتان الرابعة والعشرون والثامنة والعشرون، فإن القصر فيهما يدل على حالة الغضب التي وصل إليها عليه السلام، وفي هذا من التوجيهات الدعوية ما يأتي:

١) أن الدعاة إلى تعالى إنما هم بشر يعتريهم من الغضب والفرح وغيرهما مما يعتري البشر، وها هو نوح عليه السلام قد وصل به الغضب إلى مرحلة دعا على قومه بأن لا يزيدهم الله تعالى إلا ضلالاً. وفي هذا توجيه للدعاة من أنهم إذا انتابهم الغضب واشتد بهم الحنق على قومهم فإن هذا لا يقلل من مقام الداعية ولا من شأنه، فإنما هو إنسان يفرح ويغضب، بل إن غضبه هنا ليس من أجل دنيا ولا مال بل هو من أجل الدعوة والرغبة في إيصالها للآخرين.

وفي المراد من الضلال هنا أقوال كثيرة أشهرها:

---

(١) الاستثناء هنا منقطع، قال ابن عاشور: واستثناء الفرار من عموم الزيادات استثناء منقطع. والتقدير: فلم يزدهم دعائي قربا من الهدى لكن زادهم فرارا كما في قوله تعالى حكاية عن صالح – عليه السلام – ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ [هود: ٦٣]. انظر: التحرير والتنوير، ١٢٤/٢٩.

(٢) تكلمت على معنى هذه الآية في مطلب التعريف بالموصولية، فأكتفي به خوفا من التكرار.

أولا: (الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم فيكون ذلك دعاء عليهم بعدم تيسير أمورهم)(١).

ثانياً: (الضلال بمعنى الهلاك كما في قوله تعالى { **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ** }(٢) ، وهو مأخوذ من الضلال في الطريق لأن من ضل فيها هلك فيكون المعنى أَهْلِكْهم)(٣).

ثالثاً: (هو على ظاهره أعني الضلال في الدين والدعاء بزيادته)(٤).

والذي يظهر أن هذا القول الأخير لا دليل عليه، أما القولان الأولان فإنهما مما يحتمله لفظ الآية ومما لا محذور فيه ولا اعتراض، وهو ما رجحه جمهور المفسرين(٥).

٢) أن هذا الدعاء من نوح عليه السلام ناجم من حرقته على الدعوة وحبه للهداية، وهذا الذي أوصله إلى حالة من الغضب بحيث يدعو على قومه بألا يزيدهم الله تعالى إلا شيئا واحدا فقط هو الضلال، ولا غير.

٣) كما نلحظ أن الآيات التي تكلمت على قصة نوح عليه السلام ليس فيها ما ينهاه عن فعله – أي: دعاءه – مما يدل على جوازه.

ومن خلال ما سبق يتبين من التوجيهات الدعوية أن يعرف الداعية أن الدعوة لا تبقى على حال واحدة فقط، بل إنها تتغير وتصعب وتشتد صعوبتها إلى درجة كبيرة،

---

(١) الآلوسي، روح المعاني، ١٥/٨٧.

(٢) سورة القمر، الآية: ٤٧.

(٣) المرجع السابق، ١٥/٨٧.

(٤) المرجع السابق، ١٥/٨٧.

(٥) انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٨٩.

وعندها فلا ينبغي للداعية أن يمل من دعوته ولا أن يتوقف، بل يستمر فيها معتمدا على الله تعالى في هداية من شاء إلى ما يشاء.

وأما الآية السابعة والعشرون وهي قوله تعالى: **{وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}**(١).

فقد جاءت أيضاً بصيغة النفي والاستثناء وهذا يفيد القصر، والمراد من كلام نوح عليه السلام على دلالة القصر(أي: بقاؤهم مفسدة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح عليه السلام ذلك، لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته ، فأغرقهم أجمعين ونجى نوحا ومن معه من المؤمنين)(٢).

وقال الشوكاني رحمه الله: (أي إلا فاجرا بترك طاعتك كفارا لنعمتك، أي: كثير الكفران لها، والمعنى: إلا من سيفجر ويكفر)(٣).

وقد ذكر ابن عاشور رحمه الله كلاماً جميلاً في مقام الدعوة والإصلاح أنقله بتمامه، قال رحمه الله: (وفي كلام نوح دلالة على أن المصلحين يهتمون بإصلاح جيلهم الحاضر ولا يهملون تأسيس أسس إصلاح الأجيال الآتية إذ الأجيال كلها سواء في نظرهم الإصلاحي. وقد انتزع عمر بن الخطاب من قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}**(٤) دليلا على إبقاء أرض سواد العراق غير مقسومة بين الجيش الذي فتح العراق وجعلها خراجا لأهلها قصدا لدوام الرزق منها لمن سيجيء من المسلمين)(٥).

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٧.

(٢) السعدي، تيسير الكريم المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ص ٨٨٩.

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ٣٦١/٥.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٤/٢٩.

المطلب الثاني: القصر بتقديم ما حقه التأخير:

قال الله تعالى: **{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا}**(١).

بالنظر إلى سياق الآيات نجد أن سباقها يدل على أن قوم نوح عليه السلام قد تنكروا لدعوته، وارتضوا طريق من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، وأنهم مكروا مكراً كباراً. وأما لحاقها فإنه يحدثنا عن دعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك والعذاب: **{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}**(٢). فأصبح عندنا سببان ظاهران لإهلاك قوم نوح ودخولهم النار. وهنا تأتي رسالة النظم الكريم بإعجازه البياني القويم، ليدل على أن كفرهم وطغيانهم هو السبب الوحيد في إغراقهم ودخولهم النار. قال ابن عاشور: (وقدم **{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ}** على عامله لإفادة القصر، أي أغرقوا فأدخلوا نارا من أجل مجموع خطيئاتهم لا لمجرد استجابة دعوة نوح التي ستذكر عقب هذا؛ ليعلم أن الله لا يقر عباده على الشرك بعد أن يرسل إليهم رسولا)(٣).

وفي هذا القصر من التوجيهات الدعوية ما ينبغي أن يوقف عنده وأن يلتفت إليه، فإن محاسبة الناس على أعمالهم فقط، هو منطق الحق، ومكمن العدل الإلهي الذي وصف به نفسه سبحانه، فالداعية يجب أن يغرس في نفوس المدعوين لواء العدل الرباني الذي يعدل به بين الخلائق في الدنيا والآخرة، وإن الخلائق إذا تمكنت معرفتهم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته كان ذلك أدعى إلى قبول الحق وامتثال الصواب. وقد أفدنا ذلك من

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٥.

(٢) سورة نوح، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/٢١٢.

قصر عذاب الكفار على سبب واضح ظاهر لا مرية فيه ولا جدال ولا اعتراض، فالله تعالى لم ولن يحاسبهم على خطيئات غيرهم، بل على خطيئاتهم فحسب.

هذا، وإن نظم الآية لم يقف عند الرسالة التي أداها أسلوب القصر، بل إن لفتة أخرى لا تقل بلاغة وبياناً عن سابقتها(١)، وهي أن الله تعالى أخر عذاب هؤلاء القوم إلى ما بعد دعوة نوح عليه السلام عليهم، قال ابن عاشور: (وإنما تأخر عذابهم إلى ما بعد دعوة نوح لإظهار كرامته عند ربه بين قومه ومسرة له وللمؤمنين معه وتعجيلا لما يجوز تأخيره)(٢).

قلت: وإضافة إلى ما ذكره ابن عاشور فإن في الحكمة شيئاً آخر، وهي أن الله تعالى ذكر دعاء عليه السلام على قومه؛ ليبين أن قومه قد بلغوا من الكفر والطغيان إلى درجة جعلت نبياً من الأنبياء يدعو عليهم بالهلاك والوبال، وإذا قارنّا مقدار شفقة نوح عليه السلام وغيره من الأنبياء على أقوامهم علمنا يقينا سوء حالة قومه التي جعلته يدعو عليهم بذلك الدعاء الذي لا يبتغي من أجله نوح عليه السلام إلا أن يهلك هؤلاء حتى لا يقفوا في وجه الدعوة إلى الله تعالى، وليس من أجل مصالح شخصية، ولا ردة فعل لخصوصيته، بل كان دعاؤه عليه السلام من أجل تسهيل أمر الدعوة، وإزالة جميع العوائق حتى وإن كانت عوائق بشرية.

(١) القرآن كله بليغ وكله أبلغ.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٢/٢٩.

المبحث السادس

التوجيهات الدعوية في أسلوب الفصل والوصل

مبحث الفصل والوصل من أهم علوم البلاغة العربية، فإن الكلام العربي لا يختلف وصلاً وفصلاً دونما ثمرة وغاية، بل إن العربي الفصيح لا يفصل كلامه أو يصله إلا ويريد من ذلك شيئاً في المعنى الذي ركبه في نفسه، يقول عبد القاهر: (واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه إنه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب)(١).

وكان قد بين رحمه الله سبب خفائه وغموضه فقال: (وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل والوصل،؛ ذلك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة)(٢).

ويقول المراغي رحمه الله عن الفصل والوصل: (هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها)(٣).

وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في مفردات تعريف الفصل والوصل، تبعاً لاختلافهم في قضايا هذا العلم، فمنهم من حصر الأمر في الواو خاصة، ومنهم من أجاز

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني، جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، ص ٢٣١.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٢.

(٣) المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ٢٠٠٢م، ص ١٩٣.

جريان الفصل والوصل في غير الواو من حروف العطف[١]. وقد جعلت الكلام عليه في مطلبين:

المطلب الأول: التوجيهات الدعوية في أسلوب الفصل:

المثال الأول:

الفصل بين قوله تعالى: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**[٢] وقوله تعالى: **{قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}**[٣].

نحن نعلم أن القول صورة من صور الإنذار، فكانت هذه الجملة في معنى البيان لجملة (أنذر قومك)، ويمكننا أن نعتبر قوله تعالى: **{قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}**[٤]. (استئنافا بيانيا لجواب سؤال السامع أن يسأل ماذا فعل نوح حين أرسل الله إليه أن أنذر قومك)[٥].

وقال الزمخشري رحمه الله: (أن أنذر أصله: بأن أنذر ، فحذف الجار وأوصل الفعل: وهي أن الناصبة للفعل ، والمعنى: أرسلناه بأن قلنا له أنذر)[٦].

---

(١) اشتهر القول بجريان الفصل والوصل في غير الواو من حروف العطف عن السكاكي رحمه الله، على حين أن ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر قصر الفصل والوصل في الواو من حروف العطف، انظر في ذلك: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٢٤ وما بعدها، و السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ١٤٥ وما بعدها.

(٢) سورة نوح، الآية: ١.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨٨/٢٩.

(٦) الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ٦١٥/٤.

وعلى كلا التوجيهين؛ فإن نظم الآية يدل على سرعة استجابة نوح عليه السلام لأوامر الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا توجيه للدعاة أن يباشروا تنفيذ أوامر الله تعالى في الدعوة، سواء أكان ذلك على سبيل دعوة الآخر إلى الإسلام، أو دعوة المسلمين أنفسهم إلى أحكام الإسلام وتشريعاته، ولو أن الدعاة أسرعوا في الاستجابة؛ لعم الخير وانتشرت الدعوة.

المثال الثاني:

وثمة فصل آخر لا يقل بلاغة عن الموضع الآنف الذكر وهو الفصل بين قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}(١). وما قبلها،

قال ابن عاشور رحمه الله: (جرد فعل (قال) هنا، من العاطف لأنه حكاية جواب نوح عن قول الله له: (أنذر قومك) [نوح: ١]، عومل معاملة الجواب الذي يتلقى به الأمر على الفور على طريقة المحاورات التي تقدمت في قوله تعالى: {قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها} في سورة البقرة [٣٠] تنبيها على مبادرة نوح بإبلاغ الرسالة إلى قومه وتمام حرصه في ذلك كما أفاده قوله: ليلا ونهارا وحصول يأسه منهم، فجعل مراجعته ربه بعد مهلة مستفادة من قوله: ليلا ونهارا بمنزلة المراجعة في المقام الواحد بين المتحاورين)(٢).

---

(١) سورة نوح، الآية: ٥.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/١٩٣.

المطلب الثاني: التوجيهات الدعوية في أسلوب الوصل:

ومن بديع ما جاء في أسلوب الوصل من معان دعوية وتوجيهات بلاغية ذلكم الوصل من قول نوح عليه السلام في قوله تعالى: {أَنُ اعْبُدُوا اللَّهَ واتَّقُوهُ وأَطِيعُونِ}(١)، فقد عطف: (اتَّقُوهُ) على: (أَنُ اعْبُدُوا اللَّهَ)، وعطف: (أَطِيعُونِ) عليه أيضاً.

ولا شك أن العطف هنا جاء في سدرة البلاغة ومنتهى الفصاحة، فقد جمع نوح عليه السلام في هذه المتعاطفات الثلاثة الدعوة كلها، فدعا أولاً إلى عبادة الله تعالى، ثم دعا إلى ترك المحرمات وكل ما من شأنه أن يغضب الله تعالى، وهذا هو مقتضى الأمر بالتقوى لأنها تحمل في ثنايا معناها البعد عن الشيء والحذر منه، ثم جاء العطف الأخير بالأمر بطاعة نوح نفسه على طريقة الوصل بحرف الواو.

ولربما يظنن ظان أن الوصل هنا جاء لاشتراك الجمل الثلاث في كونها إنشاء طلبياً؛ وهذا - وإن كان صحيحاً - إلا أن وراء هذا الوصل من المعنى ما وراه من المعاني التي ينبغي على المخاطبين والمدعوين أن يعلموها علم اليقين؛ وتوضيحها ما يأتي:

١. أن نوحاً عليه السلام أراد أن يبين لقومه أن طاعته هي عين العبادة والتقوى، وأنه لا يمكن أن تستقيم عبادة الله تعالى بمعزل عن طاعة رسله، فمن أطاع الرسل يكون قد أطاع الله تعالى.

٢. أن الرسل عليهم السلام لا يختلف دينهم وأحكامهم عن شريعة خالقهم، وكيف يكون ذلك وهم المبلغون عن الله والداعون إليه. وفي هذا رسالة كبيرة وعظيمة إلى الذين يتشدقون الآن ويدعون أنهم لا حاجة لهم بما جاء في سنة النبي ﷺ بحجة أنهم مكتفون بما ورد في القرآن الكريم. فلا أوضح ولا أصرح من هذا الأمر الذي جاء به نوح عليه السلام في

---

(١) سورة نوح، الآية: ٣.

الدعوة إلى طاعته عليه السلام عاطفاً ذلك بطريقة تثبت أن طاعة الأنبياء والرسل هي ركن ركين وأساس قويم لصحة الإيمان وثبوت الإسلام.

وفي ما سبق يقول الله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ، فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}(١). قال الشنقيطي رحمه الله: (صرح تعالى في هذه الآية الكريمة: أن اتباع نبيه موجبٌ لمحبته جل وعلا ذلك المتبع، وذلك يدل على أن طاعة رسوله ﷺ هي عين طاعته تعالى، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}(٢) ، وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}(٣)(٤).

وقال رحمه الله: (يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله ﷺ هي اتباعه ﷺ، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر؛ إذ لو كان محبا له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة)(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ١٩٩/١.

(٥) المرجع السابق، ١٩٩/١.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في مباحث هذه الدراسة نسجل النتائج الآتية:

١. أظهرت الدراسة أحد أدوار البلاغة القرآنية إضافة إلى دور الإعجاز هو الدعوة إلى الله تعالى في مقصد الهداية والإرشاد.

٢. بينت الدراسة مرونة المباحث البلاغية، وأنها ليست قواعد جوامدة أو نظريات جافة.

٣. أظهرت الدراسة إمكانية الإفادة من قضايا علم المعاني تحديداً في إثراء الدرس الدعوي.

٤. كشفت الدراسة عن ضرورة الدراسات البينية وأهميتها، حيث بينت سبل الإفادة من علوم: التفسير، والبلاغة، والدعوة.

٥. سورة نوح من السور المليئة بالتوجيهات الدعوية التي لا غنى للداعية عنها.

٦. أبرزت الدراسة من خلال قضايا علم المعاني كأسلوب النداء والاستفهام وطريقة إلقاء الخبر مجموعة من الصفات التي ينبغي على الداعية أن يتصف بها، كالحُرقة على المدعوين والاهتمام بهدايتهم.

٧. بينت الدراسة أهمية استخدام أساليب الترغيب والترهيب في الدعوة كما أفاده استعمال أسلوب التقديم والتأخير في سورة نوح.

٨. للتعريف والتنكير في كلام الدعاة فوائد بلاغية وثمار دعوية تحقق مراد المتكلم وتتناسب مح حال المخاطب.

٩. أكدت الدراسة على براعة النظم القرآني في استعمال (لو) و(إذا) و(إن)، حيث جاءت كل واحدة منها في موضعها الذي تستحق أن تكون فيه.

١٠. أوضح أسلوب القصر في آيات سورة نوح مجموعة من القضايا الدعوية العقدية والاجتماعية والنفسية، كالكشف عن نفسية المخاطب وحاله مع الدعوة، ونحوها.

١١. أظهر تحليل أسلوب الفصل الوصل في سورة نوح ، وأنه أول المطيعين لأوامر الله تعالى، كما أفاده أسلوب الفصل، وأفاد أسلوب الوصل عظمة الداعية ورفعة مكانته فجعل طاعته عبادة لله تعالى وتقوى.

١٢. بينت الدراسة ثراء النظم القرآني؛ وذلك باستخراج المعاني الكثيرة من الألفاظ القليلة ودلالة الأسلوب على مقاصد المتكلم وحال المخاطبين.

التوصيات:

١. عمل مؤتمرات وندوات لتوظيف العلاقة بين الدعوة الإسلامية والعلوم الإسلامية الأخرى.

٢. الكتابة في الدراسات البينية بين علوم البلاغة وعلوم الدعوة.

٣. الإفادة من توظيف القضايا اللغوية في إثراء الدرس الدعوي تأصيلاً وتطبيقاً.

٤. إعادة البحث في المصادر الإسلامية القديمة وتوظيف ما يتوافق منها مع مستجدات العصر الحديث.

هذا، والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه تعالى، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢. إرشاد العقل السليم، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ط/٥، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤. أنوار التنزيل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٨ هـ.

٥. البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس.

٧. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، ط/١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت: ١٤١٦هـ.

٨. تفسير سورة النساء، إبراهيم عبد الرحمن خليفة، د. ط، د. ت.

٩. تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد رضا، ط/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٦هـ.

١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، القاهرة: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط/ المكتبة العصرية، بيروت.

١٣. دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، عبد القاهر، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط/ مطبعة المدني، القاهرة: ١٩٩٢م.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ.

١٥. علم المعاني، البيان، البديع، عبد العزيز عتيق، ط/ دار النهضة العربية، بيروت.

١٦. علوم البلاغة، المراغي، أحمد مصطفى، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٢م.

١٧. فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ط/١، دار ابن كثير، دمشق: ١٤١٤هـ.

١٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٧هـ.

١٩. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ.

٢٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ.

٢١. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٢٢. مفتاح العلوم، السكاكي، يوسف بن أبي بكر، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

الرسائل الجامعية:

١. الترغيب والترهيب في سورتي البقرة وآل عمران، عوضية حسين محمد، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، عام ٢٠٠٢م.

٢. الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، أنواعه، مجالاته، تأثيره، رقية نصر الله، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، عام ١٩٩٥م.

٣. الحكمة و الموعظة الحسنة و أثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب و السنة، أحمد نافع سليمان المورعي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، عام ١٩٨٦م.

٤. الدعوة إلى الله في سورة الحج، عبد الله بن محمد الرشيد، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، عام ٢٠٠٤م.

٥. فقه الدعوة في قصة نبي الله يوسف عليه السلام في ضوء القرآن الكريم، عبد الرحمن بن سليمان الخليفي، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، عام ٢٠٠١م.

٦. منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، عام ١٩٨٢م.

٧. منهج الدعوة إلى الله من خلال سورة الشعراء، أحمد بشير محمد صالح، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، ليبيا، عام ٢٠١٤م.

٨. منهج الدعوة في القصة القرآنية، عمر صالح عيسى بطايحة، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة الجامعة الأردنية، الأردن، عام ٢٠٠٢م.

٩. منهج الشيخ كشك في تفسير آيات الدعوة جمعاً و دراسة، عبد الوهاب بابكر علي محمد ، رسالة دكتوراه، قُدمت في جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، عام ٢٠١٤م.

١٠. منهج موسى عليه السلام في الدعوة كما يصوره القرآن الكريم، بدر الدين الشيخ إلياس، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، عام ١٩٨١م.

١١. منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من القرآن والسنة المطهرة، حاسن بن علي صوان الغامدي، رسالة ماجستير، قُدمت في جامعة أم القرى، السعودية، عام ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الباحث	الصفحة
قواعد النشر		٧
مقدمة العدد		٩
١/ المسؤولية الدعوية "مفهومها، خصائصها، شروطها، عوامل تعزيزها"	د. هند بنت مصطفى بن محمد الطيب شريفي	١١
٢/ مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي	د. طالب بن أحمد سالم الهمامي	٨١
٣/ معززات الأمن الفكري العربي لدى طالبات جامعة شقراء "دراسة وصفية"	د. منى بنت محمد بن عبدالعزيز السليم	١٢٩
٤/ الدراسات الاستشراقية للسنة النبوية "دراسة مسحية نقدية"	أ. د. محمد علي قاسم العمري	٢٠١
٥/ تنمية مهارات الدعوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لدى طالبات قسم الدراسات الإسلامية	د. حنان بنت منير المطيري	٢٩٣
٦/ التوجيهات الدعوية في قضايا علم المعاني في سورة نوح "دراسة بيانية"	د. خالد نواف أحمد الشوحة د. نذير نبيل عبدالحميد الشرايري	٣٦٣
فهرس الموضوعات		٤١١

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤيــــة :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرسـالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-

- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة والاحتساب
صندوق البريد :٤٨٤٧ الرمز البريدي :١١٤١٢ هاتف : ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٥١٣٢
البريد الإلكتروني : bsserah@gmail.com

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

بصيرة

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

١٢
العدد الثاني عشر - ربيع الآخر ١٤٤٣هـ

عناوين الأبحاث:

- الوظيفية الدعوية للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها "الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجاً".
- اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه وكلماته.
- مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030م.
- الإرجاف ودور الدعاة في مواجهته.
- جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة في بعض المراكز الإسلامية (بريطانيا، مدريد، برلين).
- مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين "دراسة تحليلية".
- الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية جائحة كورونا.
- منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة

الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثاني عشر

ربيع الآخر ١٤٤٢هـ

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ – الرياض ١١٤١٢

هاتف: ٢٥٨٥٠٩٦-١١-٠٠٩٦٦

هاتف: ٢٥٨٥٠٩٣-١١-٠٠٩٦٦

بريد الجمعية الإلكتروني:

baserah@imamu.edu.sa

ردمد: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعـد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١-أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة والدراسات الإسلامية المعاصرة.

٢-أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣-أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤-أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥-أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦-أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧-أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨-أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١-توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢-تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣-توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (**A4**).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (**Word Microsoft**) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ **Traditional Arabic**.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (**A4**) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠ ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله حمدا يليق بجلال الله وعظمته، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام الدعاة والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لقد شرّف الله سبحانه الدعوة وأهلها والمشتغلين بها، كيف لا وهم يسعون جهدهم في دلالة الناس إلى رب الناس، وسوقهم إلى الفضيلة بالحسنى كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وكما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٢)

وإن من الأمور الفاضلة في مجال الدعوة: استثمار ميدان تأصيل علوم الدعوة وربطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل وانبثاقها منهما وعدم الحيدة عنهما قيد أنملة.

وقد أخذت مجلة الدراسات الدعوية التابعة للجمعية السعودية للدراسات الدعوية على عاتقها السير في هذا الاتجاه بأبحاثها المحكمة مراعية النشر وفق أصول البحث العلمي.

وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الثاني عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١. الوظيفية الدعويّة للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها "الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجا"

٢. اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

– رحمه الله – بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه وكلماته

٣. مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

٤. الإرجاف ودور الدعاة في مواجهته.

٥. جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية (بريطانيا، مدريد، برلين).

٦. مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين "دراسة تحليلية".

٧. الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا.

٨. منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة.

نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني baserah@imamu.edu.sa، وتقديم الجديد النافع،،، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصى ونتواصل...

رئيس هيئة التحرير

أ٠د٠حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

الوظيفية الدعويّة للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها

"الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجا"

إعداد

د. علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل – عليهم الصلاة والسلام – بقايا من أهل العلم يدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله تعالى أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه،وكم ضالٍّ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين(1) والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وخاتما للأنبياء والمرسلين، وهاديا ومبشرا ونذيرا في آخر الأزمان إلى يوم الدين، ومبعوثا بالرسالة العظمى الخالدة الخاتمة للناس أجمعين، الصالحة لكل زمان ومكان، حتى تقوم الساعة، ويحشر الناس لرب العالمين وبعد..

فبظهور النبي ﷺ ورسالة الإسلام أضاء الله جلّ وعلا في هذه الأرض مصابيح الخير والضياء التي لن تنطفأ حتى تقوم الساعة، فقد تخفت أحيانا وتضعف، وتقوى في أحيان أخرى وتسطع، لكن هذه الأمة المحمدية ورسالتها لا تزول ولا تحول، ثابتة على صراط الله المستقيم الذي أنعم الله به عليهم، من بين كلّ الديانات السماوية والأمم السابقة؛ فليست ولله الحمد أمة مغضوب عليها كـ (اليهود) ولا ضالّة كـ (النصارى) فاختارهم الله عز وجل لرسالته الخاتمة، واختار منهم خاتم الأنبياء ﷺ، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

---

(1) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم ٣/٩٢٧.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١)

فالتزام الأمة المحمدية بالإسلام وثباتها عليه واستمرارها في تجديده والدعوة إليه منحها هذه (الخيرّية) وجعلها النموذج الأفضل الذي أراده الله تعالى وأكرمه، كما أنّ هذه الخيرية مرهونة باستمرارها على المنهج الذي رسمه الله لها، فمتى ما تخّلت أو انحرفت عن دينها ورسالتها فقدت هذه الخيرية، وتخلفت عن بقية الأمم، فالضمان الوحيد لها في الاستمرار والعزة والبقاء وعدم السقوط والزوال؛ هو ثباتها واستمراها متمسكة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كما قال الفاروق رضي الله عنه فقال: (نحن أمة أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)(٢).

وهذه الخيرية والأفضلية دعوى قديمة(٣)، بين الأمم وأصحاب الديانات السماوّية؛ فاليهود والنصارى قد ادعوا أنهم الأفضل والأكمل بين البشر، وأن غيرهم من الأمم لا شيء كما قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٥٥.

(٣) فاليهود مثلا يعتقدون أنّهم الأفضل ويحتجون على المسلمين بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وليس في هذه، الآية: تفضيل لهم كما يزعمون، وإنما هو تذكير لهم بفترة سابقة كانوا فيها أفضل العالمين عندما كانوا ملتزمين بمنهج الله ثابتين عليه، لكن لما تنكبوا الصراط السوي، وسرت فيهم العلل، واختل سلوكهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وسفكوا الدماء، واتبعوا الشهوات والأهواء حتى عرفوا والعياذ بالله بقتلة الأنبياء، وخونة العهود، فقدوا تلك الأفضلية ونقلها الله منهم إلى الأمة المحمدية.

قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(١)، بل بالغ بعضـــه هؤلاء اليهود والنصـــارى في ذلك حتى ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(٢)، بل تمادوا في المبالغة فادعوا أن الجنة خاصة لهم ومقصورة عليهم دون البقية: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣)، حتى بلغت بهم الوقاحة منتهاها وطالبوا غيرهم بأن يصبحوا يهودًا أو نصـــارى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤)، فاختار الله الأمة المحمدية واصطفاها، وقيض الله لها بعد نبيها ﷺ من الاتباع والدعاة والمصـــلحين من شـرّفهم بحمل الأمانة، واختارهم بلا انقطاع في كل زمان لتجديد الدين وإحيائه؛ ويكفيهم ما خصّـــهم الله تعالى به أنهم ورثة الأنبياء؛ الذين يكتب الله الخير على يديهم، ويظهرون للناس في وقت الحاجة إليهم، إذا تكاثرت الفتن ورقّ

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

الدين واختلطت المفاهيم وهذا فضل من الله واصطفاء يخص الله به من يشاء وهو خاص بهذه الأمة المحمدية الخاتمة؛ أن أتباعها ودعاتها يقومون مقام الأنبياء(١).

وهؤلاء الدعاة والمصلحون في هذه الأمة المحمدية سلسلة مباركة متواصلة بدأت بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ومستمرة بأمر الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والمتأخرون منهم يقتفون سنن وطريقة المتقدمين فلا يغيرون ولا يبدلون، يسيرون على منهج سلفهم هذه الأمة الصالح رضي الله عنهم لأنّهم المعين الصافي الذي منه يستقون معالم تجديد الدعوة، والسير بها إلى مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، وهذا الضمان مقرر أنّ نجاة أهل آخر الزمان سيكون وفق ما كان عليه سلفهم الصالح في أول الزمان؛ كما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)(٢).

وهذا البذل والجهد والتجديد من المتأخرين حاجة ملحة وضرورية تؤكد بقاء الدين وخلوده وحفظ الله تعالى له وضمان نصرته على مرّ الأزمان رغم كل مايتعرض له من هجوم وتشكيك وضعف وحروب ومؤامرات آناء الليل وأطراف النهار، ولذلك كان فضل الله تعالى على هذه الأمة بما أخبر به ﷺ من حديث الأئمة المجددون وظهورهم عن أبي

---

(١) لأنه في الأمم السابقة كانت بنو إسرائيل تسوسها الأنبياء، كلما مات نبي خلفه نبي آخر، ثم جاءت الأمة المحمدية الخاتمة فجعل الله من خصائصها ومناقبها أنّ العلماء فيها هم ورثة الأنبياء ويقومون بدورهم فيجددوا لهذه الأمة أمر دينها كلما تراكمت عليه البدع والمحدثات كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، كما سيأتي تفصيله لاحقا بإذن الله تعالى.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٧٦٢.

هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَنْ يجدد لها دينها))[1]، فالحاجة اليوم ماسّة إلى دراسة سير هؤلاء المجددين من الدعاة والمصلحين من المتقدمين والمتأخرين، ليتيقن الداعية أن هذا السند المتصل المتين لم ينقطع ولن ينقطع، وليقف الداعية على حقيقة دعواتهم وكيف اختارهم الله ووفقهم وسددهم؛ فهم ورثة الأنبياء الذين تحملوا رفع راية البلاغ والإصلاح والتصحيح من بعده صلى الله عليه وسلم على هديه ووفق منهجه.

وجاءت هذه الورقات في هذه الدراسة في ذكر المتأخرين من هؤلاء الدعاة والمصلحين المجددين، وخصت الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية وأعلامها كنموذج مهم لهذه الفترة التاريخية المهمة من عمر الأمة، ليكون عنوان البحث بإذن الله تعالى: **"مكانة الدعاة والمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجا"**.

ويشتمل هذا البحث المختصر على مقدمة وثلاثة فصول جاءت على النحو التالي:

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، انظر: عون المعبود، العظيم آبادي ١١/٢٣١ وصححه الألباني، برقم ٥٩٩.

المبحث الأول

في تجديد الدعوة واستمراريتها ودوامها وأنها لا تنقطع

أولا: في معنى التجديد لغة واصطلاحا:

التجديد في اللغة: مأخوذ من جدَّد الشيءَ، إذا صيَّره جديدًا، يقال: تجدد الشيء صار جديدًا، واستجده أي صيره جديدًا، وتجديد الشيء: إرجاعه إلى الحالة الأولى التي كان عليها في استقامته وقوة أمره ويقابل الجديد الرث، والرثاثة: انحلال أجزاء الشيء وإشرافه على الاضمحلال، والتجديُد فيه طلبٌ واستدعاءٌ إذ التاء للطلب، فيكون تجديد الشيء يعني طلب جِدَّتِه بالسعي والتوسل إلى ما يجعله جديدًا، والجديد نقيض الخَلق والبِلى، وضد القديم، ويُقال لليل والنهار: الجديدان؛ لأنهما لا يبليان أبدًا، ومن معاني التجديد في اللغة: التعظيم والإجلال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[(١)]، أي: عظمته وجلاله وغناه، ومن معانيه كذلك الوسطية، ويقولون: جادَّة الطريق؛ أي: سواء الطريق ووسطه[(٢)].

ومن هنا ندرك أَنَّ التجديد لا يعني بحال الإتيان بجديد منقطع عما كان عليه الأمر أوَّلا، ولكن يعني: أَنَّ الشيء المجَدَّد قد كان في أول الأمر موجودًا وقائمًا، وللناس به عهدٌ، وأَنَّ هذا الشيء أتت عليه الأيام، فأصابه البِلى وصار قديمًا خَلِقًا، وأَنَّ ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة الأولى التي كان عليها قبل أنْ يبلى وَيَخْلق؛ فالتجديد إذًا لا يستلزم

---

(١) سورة الجن، الآية: ٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة جدد ٣/١٠٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة جدد ١/١١٤، والموسوعة الفقهية الكويتية ١٠/١١٥.

إقامة شيء جديد على أنقاض القديم، ولا يعني رفض القديم كله بحسبان نفود صلاحه، وأنه صار سلبا غير نافع يجب إلغاؤه والإتيان بجديد مغاير منقطع عنه أصلًا ووصفًا؛ فحقيقة التجديد: هي إعادة الأمر إلى ما كان عليه أوّلًا، وهو نوع من الإجلال لذلك الأمر والتعظيم له، على خلاف ما يعتقده كثير من سامعي هذا المصطلح ومُطْلِقيه[1].

والتجديد في الاصطلاح: تنوعت تعريفات الباحثين فيه ولكنهم متفقون على أنّه: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات، قال في مجالس الأبرار: (والمراد من تجديد الدين للأمة إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها، وقال فيه: ولا يعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه؛ إذ المجدد للدين لا بد أن يكون عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة ناصرًا للسنة، قاطعًا للبدعة وأن يعم علمه أهل زمانه)[2]، وقيل أنّ التجديد هو: (إحياء لما انهدم وتنمية له، وتطويع للوسائل والخبرات الحديثة؛ حتى تخدم ذلك الميراث الحضاري الذي يُراد إحياؤه وتجديده، لربط ماضي الأمة بحاضرها؛ حتى تتمكن من مسايرة عصرها دون أن تتخلى عن تراثها الذي ترتكز عليه في مواجهتها للتحديات الحضارية المعاصرة)[3].

---

(١) انظر: مفهوم تجديد الدِّين، محمد سعيد بسطامي ص ١٤، ط/١، دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(٢) سنن أبي داود مع عون المعبود، العظيم آبادي ١١/٣٩١.

(٣) فلسفة التجديد الإسلامي، محمد زرمان ص٢٢، ط/دار الصحوة، ط ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله في هذا السياق أنّ: (التجديد الديني يبدأ تحقيقه بإصلاح الدنيا، إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين كما هي، وإما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال، وإما من جهة تأييد سلطانه)(١)، فليس معنى تجديد الدين إذًا تبديله أو تغييره، وإنما معناه كما قال عباس حسني محمد: (إعادته إلى أصله وتنقيته من الأدران والأباطيل التي قد تعلق به بسبب أهواء البشر على مر العصور و " إعادة الدين إلى أصله " ليس معناه الابتعاد عن عصره الذي يعيش فيه، وإنما معناه الحكم على العصر الحديث طبقا لشريعة الله تعالي بعد تنقيتها من الأدران والأوهام التي يحاول بعضهم إلحاقها بها)(٢)، ومن خلال هذه التعريفات للتجديد نلاحظ أمورا مهمة(٣):

- أنّ هذا التجديد هو تنقية للدين مما يلحقه على مر السنين من أمور تخالفه وتخالف ماجاء عن الله جل وعلا وعن الرسول ﷺ وتخالف منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

- أنّ هذا التجديد فيه تعاطي ومواجهة للمتغيرات والمستحدثات التي تظهر في كل عصر لبيان حكم الله تعالى فيها، وفق كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

---

(١) تحقيقات وأفكار في القرآن والسنة، محمد الطاهر ابن عاشور ص ١١٢، ط/الشركة التونسية للتوزيع، تونس: ١٤٠٦هـ.

(٢) الفقه الإسلامي، حسني محمد عباس ص ١٧، ط/دار الثقافة، الإسكندرية: ١٩٦٧م.

(٣) التجديد في الفقه الإسلامي، محمد أحمد الطوابي ص ٩١ – ١١١ بتصرف، ط: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- أنّ هذا التجديد بمعناه المقبول شــرعا لا يعني أبدًا التخلص من القديم أو محاولة هدمه بل الاحتفاظ به وترميم ما بلى منه وإدخال التحسين عليه.

- أنّ هذا التجديد ليس هو اســـتخفاف بكل قديم، وفتح الأبواب لكل جديد بدعوى أن الجديد دائما يمثل الرقي والتقدم، والقديم يمثل التخلف والانحطاط، فهذه دعوى مرفوضة.

ثانيا: في تجديد الدعوة واستمراريتها ودوامها وأنها لا تنقطع:

بدأت الدعوة المحمدية لهذه الأمة المرضـــيّة على يد نبينا محمد ﷺ آخر الأنبياء والمرســـلين وخاتمهم، وبدأت غريبة ضـــعيفة منبوذة، حتى أظهرها الله على الدين كله، وما تركت بيت وبر ولا مدر إلا دخلته، فبلغ ﷺ الرســـالة وأدى الأمانة، ونصـــح الأمة، وجاهد في ســـبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فأتم الله به النعمة، وأكمل به الدين، ونشر العدل والخير في أرجاء المعمورة، حتى أعلن في آخر المطاف وعلى الملأ الأشهاد في خطبة حجة الوداع؛ تمام هذا الدين، واكتمال هذه الرســـالة، وأنّها صـــالحة لكل زمان ومكان كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1] يقول الامام ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكلّ شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف)[1].

وقد طمأن النبي ﷺ أمته جمعاء؛ أن دين الله محفوظ وغالب، وشريعة الاسلام دائمة وخالدة؛ رغم كل ماذكره ﷺ من ما ستتعرض له هذه الأمة الخاتمة من أحداث ومتغيرات وفتن ورقة في الدين وحصول الغربة والضعف والانكسار، وخاصة في آخر الزمان، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: ((بدأ الإسلام غريًبا وسيعود غريًبا كما بدأ، فطوبى للغرباء))[2]، لكنه ﷺ بشّر في الوقت نفسه بأنّ العاقبة للمتقين، وأنّ هذا الدين يضعف ولكنه لا يزول، وينكسر لكنه لا يفنى، وأن هذه الأمة ثابتة باقية لاتهلك حتى تقوم الساعة، فعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...وفيه، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال يا محمد: إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، أن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم...))[3].

وسئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة: ما معنى حديث النبي ﷺ: ((سألت ربي عزّ وجلّ ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلكنا بما

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٢٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريًبا، وسيعود غريًبا، وأنه يأرز بين المسجدين، برقم ١٤٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم ٢٨٨٩.

أهلك به الأمم فأعطانيها، فسألت ربي عَزّ وجلّ أن لا يظهر علينا عدوًا من غيرنا فأعطانيها، فسألت ربي أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها)) **فكانت الإجابة**: الحديث رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي واللفظ له، ورواه مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه، ومعنى الحديث: أن النبي ﷺ سأل ربه عَزّ وجلّ ثلاث مسائل لأمته: الأولى: ألا يهلكهم بما أهلك به الأمم من الغرق والريح والرجفة وإلقاء الحجارة من السماء وغير ذلك من أنواع العذاب العظيم العام. والثانية: عدم ظهور عدو عليهم من غيرهم فيستبيح بيضتهم. والثالثة: عدم لبسهم شيعًا، واللبس الاختلاط والاختلاف بالأهواء، والشيع: جمع شيعة وهي الفرقة. وقد أخبر النبي ﷺ أن ربه عَزّ وجلّ تفضل عليه واستجاب له في الأوليين ومنعه الثالثة؛ لحكمة يعلمها تبارك وتعالى(١).

والذي يصيب بعض المسلمين اليوم من قتل وتشريد وضعف وتسلط لا يتعارض مع هذا الحديث لأن المقصود أنّ جماعة المسلمين بعمومها؛ لا تستباح بالكلية، ولا تهلك بقحط يعمها جميعا، بل وقوع الاستباحة والقحط إن حصل فإنما يكون جزأي وفي نواحي، ولا تعمّ به البلوى فهذه الأمة لا تستأصل شأفتها جملة بل يبقى فيها من يثبتهم الله ويتجدد الأمر على يديهم كما قال ﷺ: ((لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقّ، لا يَضرّهم من خذلهم؛ حتى يأتيَ أمرُ الله وهم كذلك))(٢)، ولاتعارض بين الأمرين كما ذكر العلماء في الجمع بين حديث حصول الغربة، وبين حديث وجود الطائفة من

---

(١) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية، المجلد الحادي والعشرون، قسم العقيدة فتوى معنى: "سألت ربي عَزّ وجلّ ثلاث خصال.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، برقم ١٩٢٠.

الأمة المنصورة الظاهرة على الحق[1] ومن خلال فقه تلك النصوص وفهمها ندرك بيقين أنّ هذه الدعوة المحمدّية الخاتمة متجددة ومستمرة ودائمة لا تنقطع؛ وهذا الاستمرار والديمومة وعدم الانقطاع لا تتحقق إلا من خلال العلماء العاملين والدعاة المصلحين المجددين الذين يُحيون الدِّين في الأُمّة، كما بشّر بذلك النبي ﷺ.

فالنبي محمد ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتمهم كما جاء ذلك صريحا في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[2] وتؤكد هذا المعنى ماجاء في السنة النبوية المطهرة في قوله ﷺ: ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين))[3].

---

(١) كما ذكر الإمام ابن باز رحمه الله فقال: "لا منافاة بينهما: فالأول ظاهر من الواقع. وتمامه: فسيعود غريًبا كما بدأ فطوبى للغرباء، وفي رواية لغير مسلم: يحيون ما أمات الناس من سنتي، وفي رواية أخرى: الذين يصلحون ما أفسد الناس، والحديث الثاني يدل على بقاء الإصلاح والدعوة والعلم والتعليم، وفيه بشارة أن هنالك طائفة لا تزال ظاهرة على الحق، فالغربة لا تنافي الطائفة، ولا يلزم أن تكون بمكان واحد، والحق لا بد من بقائه حتى يخرج الدجال، وحتى تأتي الريح. ثم إن هذه الغربة قد تزداد في مصر من الأمصار وتقل في مصر آخر.. "، كتاب: فتاوى إسلامية جمع وترتيب: محمد المسند ١٣٦/٤ مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٠٣/٢٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين، برقم ٣٥٣٥ ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، برقم ٢٢٨٦.

وفي حديث استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما خرج ﷺ إلى تبوك واستخلفه فقال له علي: (أتخلفني في الصبيان والنساء؟) فقال ﷺ: ((ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))(١) فناسب أن يظهر بعده من أمته من يقوم بدور الدعوة والتبليغ وإقامة الحجة على الناس بداية من الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة(٢) ونهاية بمهديّ آخر الزمان(٣) لتتأكد بهذه السلسلة المتصلة الإسناد

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم ٣٧٠٦ وأخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم ٢٤٠٤.

(٢) وهم: الصديق أبي بكر، والفاروق عمر بن الخطاب، وذي النورين عثمان بن عفان، وأبي السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون هو مصطلح يشير للخلفاء الأربعة الأوائل الذين تعاقبوا على أمارة المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بما عُرف بالخلافة الراشدة، التي دامت ٣٠ عاما وهي الحقبة التاريخية من عمر هذه الأمة، والتي ما رأى التاريخ أجمل منها ولا أكثر عدلًا ورخاء بعد حُكم النبيّ صلى الله عليه وسلم.

(٣) وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز عن المهدي وظهوره فقال: "المهدي المنتظر صحيح، وسوف يقع في آخر الزمان قرب خروج الدجال، وقبل نزول عيسى عند اختلاف بين الناس، = = فيخرج المهدي ويبايع، ويقيم العدل في الناس سبع سنوات أو تسع سنوات، وينزل في وقته عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، هذا جاءت به الأحاديث الكثيرة، أما المهدي الذي يدعيه الرافضة فهذا لا أصل له، مهدي الشيعة الرافضة صاحب السرداب هذا لا أصل له عند أهل العلم، بل هو خرافة لا أساس لها ولا صحة لها، أما المهدي المنتظر الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، وهو من بيت النبي ﷺ، من أولاد فاطمة رضي الله عنها، وهو سمي النبي ﷺ محمد وأبوه عبد الله، فهذا حق، وجاءت به الأحاديث الصحيحة، وسيقع في آخر الزمان، ويحصل بسبب

حقيقة الاستمرارية والصلاحية لكل زمان ومكان شرعا وعقلا[1] وليتأكد بذلك أيضا أنّ هذه هي الأمة الوسط الشهداء على الأمم جميعا، وأنّ دينها هو الدين والرسالة السماوّية الخاتمة؛ التي لا يقبل الله غيرها كما جاء ذلك صـــريحا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

خروجه وبيعته مصالح للمسلمين، من إقامة العدل، ونشر الشريعة، وإزالة الظلم عن الناس، وجاء في الحديث: أنها تملأ الأرض عدًلا بعدما ملئت جورًا في زمانه وأنه يخرج عند وجود الفتنة بين الناس واختلاف على إثر موت الخليفة القائم، فيبايعه أهل الإيمان والعدل؛ لما يظهر لهم فيه من الخير والاستقامة، وأنه من بيت النبوة انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ رحمه الله.

(١) أما دليل العقل فهو أّننا إذا سَّلمنا أن رسالة الإسلام رسالة عاّمة للّناس جميًعا، وأنها باقية وصالحة لكل زمان ومكان، وأن الُنصوص محدودة والحادثات لا محدودة؛ فبالضَّرورة لا مفّر لك من إقرار فرضية الّتجديد آلة محّتمة لاستكشاف ُحكم الله في هذه الحوادث.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

المبحث الثاني

مفهوم المتأخرين من الدعاة والمصلحين والمقصود بهم

المقصود بالمتأخرين في البحث هنا؛ كلّ من جاء بعد القرون المفضّلة الثلاثة الأولى من أهل العلم والفضل والدعوة والإصلاح، وقد اصطلح البعض على تسميتهم بـ (المجدّدين) والمجددون جمع مجدّد وأصله من الكلمة (جدد) وأصل كلمة التجديد في اللغة من (الجِدّة) بالكسر ضد البلى، ومعنى التجديد: إعادة الشيء إلى وضعه قبل أن يصيبه البِلى أو الخَلق، أو إعادته إلى وجهه الصحيح، وهذا المعنى يمكن أن يوصف به تجديد الدين في الاصطلاح كما سبق التفصيل فيه(١).

وللباحثين اعتبارات ومعايير مختلفة؛ في تحديد المقصود بالمتأخرين، والمعيار الذي اختارته هذه الدراسة؛ للتمييز بين المتقدّمين والمتأخرين هو اعتبار الزمن وهو رأس سنة ثلاثمائة من الهجرة، فكلّ من جاء بعدها؛ فإنّه من المتأخرين **ليكون المقصود بهم هنا: (كلّ من جاء بعد المتقدمين من أصحاب القرون المفضّلة الثّلاثة الأولى، إلى يومنا هذا)** ومن خصائص هذا الدين؛ التي ميّزه الله تعالى بها على غيره من الديانات؛ أنّه دينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان، رغم ما قد يظهر على أهله وأتباعه من ضعف أو انحراف بين الفينة والأخرى، ولكن مع ذلك يبقى، وتبقى طائفة من أتباعه على الحق ظاهرين مادامت السماوات والأراضين؛ فإذا انعدموا واختفوا؛ لم يكن للحياة معنى، ولذلك لا

---

(١) في فقرة معنى التجديد لغة واصطلاحا، وانظر للزيادة: لسان العرب، لابن منظور، مادة جدد ١٠٦/٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة جدد ١١٤/١، والموسوعة الفقهية الكويتية ١١٥/١٠.

يخلوا زمان من وجود تلك الطائفة المنصـــورة الموفقةُ للحقّ، الثابتةُ عليهِ، ولا يزال أولئك العلماء الربانيين والدعاة المصـلحين والأئمة المجددين؛ الذين تزخر بهم الأمة عبر العصـور وفي سائر الأمصار، ممن أشار لهم الصادق المصدوق ﷺ في غير ما موضع، ومن ذلك قوله ﷺ: ((لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقّ، لا يَضـــرّهم من خذلهم؛ حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك))[1].

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، برقم ١٩٢٠.

المبحث الثالث

الأئمة المجددون والمقصود بهم وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَنْ يجدد لها دينها))[(١)]، والمقصود بالأئمة المجددين في الحديث أولئك الذين يقومون بواجب الدعوة إلى الله وتجديدها وتأصيل قضاياها وخطواتها؛ تأصيلًا شرعيًا وفق كتاب الله وسنةِ الرسول ﷺ رغبة منهم في: (إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات...)[(٢)]، والمجدد: (يبيّن السنة من البدعة، ويكثّر العلم، وينصر أهله، ويكسّل أهل البدعة ويذلهم)[(٣)]،والتجديد يحصل على حين فترة وضعف في الأمة، فيسخر الله لها؛ من يجمع أمرها، ويحفظ كلمتها، ويعلي العلم والعمل وبذلك لا ينقطع سندها عن الوحي، والتأصيل والمشروعية، وهؤلاء هم ورثة النبوة[(٤)].

وقد وقع مصداق ما أخبر به النبي ﷺ ولازال المجددون يظهرون في هذه الأمة

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: مايذكر في قرن المائة، برقم ٤٢٩١، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود ٢٣/٣.

(٢) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي ٢٣١/١١.

(٣) انظر: فيض القدير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م، ٣٥٧/٢.

(٤) قال الإمام ابن حجر عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء"، "هم أهل العلم، ووجود هؤلاء العلماء في عصور عدم الاضطرار إليهم مّنة من الله تعالى على الأمة لتحسين حالها، ووجودهم في حالة اضطرار الأمة عصمة من الله، ولطف بها، لإنقاذها من التهلكة، ومساعدةً لها على حمل الرسالة الخاتمة"، انظر: فتح الباري ٢٦٠/١٣.

الولودْ وفي كل مرحلةٍ من مراحلها، كلما دبّ الضعف والفتور فيها مع طول العهد ومرور الأيام لأنّه لما كان من طباع البشر أن يضعف تأثير الوحي في قلوبهم بطول الأمد على عهد النبوة، فيفسقوا عن أوامر الله وتشريعاته، وينصرفوا إلى ما يستجدّ من تشريعات شياطين الإنس والجنّ، كانت نعمة الله عليهم، وحمايته لهم، بأن يحيي قلوبهم، ويجدّد عهدهم بأمر ربهم؛ ويبعث فيهم بعد عصر النبوة العلماء المجددون، والأئمة المصلحون، والدعاة الصادقون، لأنّهم الورثة الشرعيّون للأنبياء والمرسلين، فيقومون بإصلاح مافسد، إقامة للحجة، وإبقاءً للناس على المحجة؛ إلى أن يقضي الله أمره: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1] وهؤلاء المجددون، ماضون على مرّ الزمن؛ إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ولايشترط أن يكون المجدّد واحدا في القرن، بل قد يتعدد المجددون؛ ويكون في القرن الواحد أكثر من مجدد، وهو يعمّ الأمة جميعها بدون استثناء؛ كما ذهب جمهور أهل العلم إلى ذلك[2].

وعليه فـــ (يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض دون

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) انظر في ذلك: بذل المجهود، الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ٢٠٢/١٧، وفيض القدير، المناوي ٣٥٧/٢، وعون المعبود، العظيم آبادي ٢٣٢/١١ وغيرها.

بعض منه)[١]، وهذا التجديد؛ لاينقطع أبدا حتى تقوم الســـاعة[٢]، وهو من خصوصيات هذه الأمة المحمدّية، ومن نعم الله تعالى عليها، فإّنه ُيقيض لها في كلّ فترة من الزمن؛ من أهل العلم والدعوة والجهاد، من يحمل هذه الأمانة، ويبلغ الرســالة،وكما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله؛ في خطبة كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسـل؛ بقايا من أهل العلم، يدعون من ضـل إلى الهدى، ويصبّرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصّــرون بكتاب الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه،وكم من تائه ضـالٍ قد هدوه، فما أحســن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر النـاس عليهم؛ ينفون عن كتـاب الله تحريف الغـالين، وانتحـال المبطلين وتأويـل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة)[٣].

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٩٥/١٣.

(٢) ومن حسـن الظنّ بالله، ومن عقيدة المسـلم الثابتة أنّ العاقبة للمتقين، وأنّ دين الله محفوظ، وهذه الأمة لا تجتمع على ضـلالة، وتبقى فيها البقية الباقية والطائفة المنصـورة،وكلما فترت ودبّ فيها الضـعف، أظهر الله فيه ومنها من يعيدها للجادة ويصـلح ما اعوج ويجد للناس أمر دينهم، فقد ظنّ البعض أن الإسـلام قد انتهى بانتقال النبي صـلى الله عليه وسـلم للرفيق الأعلى، أو بعد وفاة الصديق رضي الله عنه، أو باستشهاد عمر رضي الله عنه، أو بفتنة مقتل عثمان رضي الله عنه أو بطي صفحة الخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم أو انتهى بانتهاء بالدول المتعاقبة بعد ذلك، وغلبة المستعمر والصليبين فنقول وبلسان الواثق، أنّ الدين دين الله، وهذا الإسـلام باق ومتجدد ومحفوظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم ٩٢٧/٣.

ولقد مرّت الدعوة إلى الله تعالى، وواقع المسلمين، في بعض الفترات بابتلاءات ومحن، خَفَتَ فيها صوت الحقّ، ودخل اليأس في قلوب المؤمنين، وظنّ البعض أنّ الإسلام قد قُضي عليه، ومايلبث الأمر طويلا، حتى يقيّض الله للأمة ويهيأ لها من يعيد لها مجدها؛ وفق علم شرعيّ، ومنهج نبويّ، ينشر السنة، ويحارب الجهل والبدعة، ومن أبرز مواصفات من يُكرمه الله تعالى بذلك؛ ما يلي(١):

١- العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

٢- العمل الموافق الصواب على هدي وبصيرة باتباع دون ابتداع.

٣- مراعاة الأولويات في الدعوة فالأصول قبل كل شيء والعقيدة أولا.

٤- استخدام الوسائل والأساليب الدعوية المشروعة فالغاية لا تبرر الوسيلة.

٥- الصبر على تبعات الدعوة وتكاليفها.

وبمثل هذه الأصول الخمسة وغيرها يصبح هؤلاء المجددون أئمة يقتفى بهم ويستدل بأفعالهم وتظهر آثارهم في الدعوة والإصلاح، لأنّ العبرة بظهور الحقّ والدين، وهم النقلة الموثوقون له، لأنّ الحقّ لا يعرف دون وسطاء من الأنبياء أو ورثة الأنبياء، من العلماء المجددين؛ وأعيان الطائفة المنصورة؛ المصدّرون فيها، والمجددون لأمرها، وهم الذين يجب ممن يجب على الأمة اتباعهم، والأخذ عنهم، (فإن العصرَ إذا كان فيه عارفٌ بالسنة داع إليها فهو الحجة وهو الإجماع، وهو السواد الأعظم، وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سواها ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنّم وساءت مصيرا)(٢) بشرط أن يكونوا من

---

(١) انظر: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، د. عبد الله محمد المطوع ص ٢٤ ومابعدها بتصرف.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم ١/٧٠.

المعروفين والمشهود لهم لأنّ (العالم إذا لم يشهد له العلماء فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم)[1].

وعلى مقدمة هؤلاء المجددين الثقات من المتأخرين بعد القرون الثلاثة المفضلة هم الإمامين الجليلين الذين طارت بسمعتهم الركبان[2]، قديما شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني رحمه الله[3] **وحديثا** شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله وقبلهما وبينهما وبعدهما خلْق كثير، فسلسلة المجددين في هذه الأمة لا تنقطع بإذن الله تعالى، وبإخبار من رسول الله ﷺ.

(١) الاعتصام، الشاطبي ٧٣٨/٢.

(٢) والشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء كتاب: بعنوان: منن مشاهير المجددين في الإسلام "ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب"، والكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، وعدد الأجزاء: ١.

(٣) هو الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي، المولود سنة ١١١٥هـ نشأ في بيت علم، فوالده من علماء البلاد وقضاتها، وجده الشيخ سليمان كان مفتي البلاد، حفظ القرآن وطلب العلم قبل العاشرة، وعني بكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم وكان لهما الأثر الكبير في تكوينه، رحل في طلب العلم، وله مؤلفاته المشهورة، وقد أثمرت دعوته الإصلاحية وعمّ خيرها البلاد الإسلامية في فترة كان العالم أحوج مايكون إليها، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٠٤/١، ط/١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة: ١٣٩٨هـ، والإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته الشيخ ابن باز وغيرهما.

الفصل الثاني

الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية مكانتها وأهميتها عند المتأخرين

المبحث الأول

الجزيرة العربية خصائصها ومكانتها المتميزة وأهميتها للدعوة

الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة[1]، في المفاضلة والاختيار بين الأزمان والبلدان وسائر المخلوقات، والجزيرة العربية هذه البقعة من الأرض؛ لها مكانتها وخصوصيتها التي لا تخفى، كما أنّ لها دورها الريادي والقيادي بين سائر البلدان والأماكن، الدور الذي بدأ ببعثة النبي ﷺ وإرساله فيها وحولها، ولن ينتهي هذا الدور وتلك المكانة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، كما أنّ لها فضائل وخصائص تميزت بها عن غيرها من الأماكن والبلدان، ولها أسماء متعددةوكثيرة، أبرزها ماظهر في النصوص الشرعية كـ: (جزيرة العرب، وأرض العرب) وهما اسمان وردت بهما السنة النبوية، كما في قوله ﷺ: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلمًا))[2]،وجاء في حديث آخر

(١) يقول الإمام ابن قيم الجوزية: "وإذا تأملت أحوال هذا الخلق رأيت هذا الاختيار والتخصيص فيه دالًا على ربوبيته تعالى ووحدانيته،وكمال حكمته وعلمه وقدرته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو فلا شريك له يخلق كخلقه، ويختار كاختياره ويدبر كتدبيره، فهذا الاختيار والتدبير، والتخصيص المشهود أثره في هذا العالم من أعظم آيات ربوبيته وأكبر شواهد وحدانيته وصفات كماله وصدق رسله"، انظر: زاد المعاد، ابن القيم ١/٤٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، برقم ١٧٦٧.

عنه ﷺ: ((لا يبقين دينان في أرض العرب))[١]، ومن أسمائها أيضًا: بلاد العرب[٢].

والمقصـود بجزيرة العرب عند علماء اللغة: جاء في لسـان العرب: (الجزيرة: أرض ينجزر عنها المد وجزيرة العرب: ما بين عدن أبين إلى أطوار الشام، وقيل إلى أقصى اليمن في الطول، وأما في العرض فمن جدة وما والاها من شاطئ البحر إلى ريف العراق، وقيل: ما بين حفر أبي موسى[٣]، إلى أقصى تهامة في الطول، وأما العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة[٤]، وكل هذه المواضع إنما سميت بذلك لأن بحر فارس وبحر الحبش ودجلة والفرات قد أحاط بها... وهي أرض العرب ومعدنها)[٥]، وعرّف الفيروز آبادي جزيرة العرب بأنّها: (ما أحاط به بحر الهند وبحر الشـام، ثم دجلة والفرات، أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طوّلا، ومن جدة إلى أطراف ريف العراق عرضًا)[٦].

والمقصود بجزيرة العرب عند علماء البلدان وأهل الاختصاص:

قال ياقوت الحموي رحمه الله: (اختلف في تحديدها، وأحسن ما قيل فيها ما ذكره أبو المنذر هشام بن السائب مسندًا إلى ابن عباس، قال: اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة

---

(١) أخرجه مالك، كتاب: الجامع، باب: ماجاء في إجلاء اليهود من المدينة، برقم ١٦٢١ وصـححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٦١.

(٢) معجم البلدان، لياقوت الحموي ١٣٧/٢، وللأصفهاني كتاب باسم (بلاد العرب) من منشورات دار اليمامة.

(٣) والمراد بها حفر الباطن المدينة المعروفة اليوم.

(٤) السماوة: أرض صحراوية تقع غربي العراق، ويبرين: هي الإحساء المعروفة اليوم.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، باب: الراء فصل الجيم مادة جزر ١٣٣/٤.

(٦) انظر: القاموس المحيط، لفيروز آبادي، باب: الراء فصل الجيم، مادة جزر ٤٠٤/١.

أقسام قال: "وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر...: "قال: فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارها وأخبارها: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن)[١]، وذكر الأصمعي أنّها: (جزيرة العرب أربعة أقسام: اليمن، ونجد، والحجاز، والغور وهي تهامة)[٢]، وجاء فتح الباري: (قال الخليل بن أحمد: سميت جزيرة العرب لأن بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض العرب ومعدنها، وقال الأصمعي: هي ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن إلى ريف العراق طوًلا ومن جدة وما والاها من الساحل إلى أطراف الشام عرضًا)[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (جزيرة العرب هي من بحر القلزم (البحر الأحمر) إلى بحر البصرة (الخليج العربي) ومن أقصى حَجْـر باليمن إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل الشام فيها. وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله، فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا - العرب- سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينيه)[٤]، (وبناء على هذه التعاريف اللغوية وتعاريف المتخصصين فإن الجزيرة العربية هي البقعة من الأرض والمنطقة الواقعة في قلب العالم ومركزه والتي يحدها شمالا بلاد الشام والعراق وجنوبا بحر اليمن المعروف ببحر العرب وشرقا بحر البصرة المعروف بالخليج العربي وغربا بحر القلزم المسمى بالبحر الأحمر؛ فهي شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات، وتقع فيها هذه الأيام

---

(١) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ١٣٧/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٣٨/٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٤١/١٢.

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٦.

دول الخليج وبلاد اليمن، فالمكون الأساسي والأكبر والأقرب للتوصيف الحقيقي لها هي دولة: (المملكة العربية السعودية) حرسها الله بمكوناتها المختلفة في الحجاز ونجد وبلاد هجر والشمال والجنوب[١].

وللجزيرة العربية خصائصها الكثيرة والمتنوعة والمتميزة ومن أبرزها[٢] :

١- أنها اختيار الله سبحانه وتعالى لتكون أرض النبوات ومنطلق الدعوات ومهد الإسلام ومنطلق الرسالة المحمدية الخاتمة وعاصمتها الأولى وقاعدتها التي انطلقت منها إلى أرجاء المعمورة: فاختيار الله تعالى نوعا من الاصطفاء دون سائر البقاع والبلدان، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد

---

(١) وهذا من فضل الله على أهل هذه البلاد "المملكة العربية السعودية"، أعزها الله بالإسلام وحفظها من كل مكروه، وأدامها قاعدة صلبة للدعوة المحمدية والرسالة والسماوية، وأبقاها الله ذخرا للإسلام والمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٢) حتى وصل التميز بكثرة ما صنف فيها دون ماصنف عن مقدساتها وبلدانها، ومن المصنفات المنفردة عن هذه الجزيرة العربية على اختلاف مقاصد المؤلفين: جزيرة العرب للأصمعي، يذكره من ترجم له، جزيرة العرب مهد الحضارة الإنسانية، لمحمد معروف اللواليبي، مرآة جزيرة العرب، لأبي أيوب صبري باشا، جغرافية جزيرة العرب، لعمر رضا كحالة، رحلات في شبه جزيرة العرب، لجون لويس بوكهات، جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، تاريخ جزيرة العرب القديم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، عبدالله العثيمين، جزيرة العرب: مصير أرض وأمة، لمحمد ولد داداه، شبه جزيرة العرب، لمحمود شاكر، أرض المعجزات: رحلة في جزيرة العرب، لعائشة عبدالرحمن، جزيرة العرب في العصر الحديث، لصلاح العقاد، الجزيرة العربية: موطن العرب ومهد الإسلام، مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب في القرن العشرين، لحافظ وهبة، مشاهداتي في جزيرة العرب، لأحمد حسين، اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من الحضارة والعلم، جاكلين بيرين، ترجمة قدري قلعجي.

خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه ﷺ وجعله مناسك لعباده وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين خاشعين متذللين كاشفي رؤوسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا. وجعله حرمًا آمنًا لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر صيده ولا يختلى خلاه ولا تلتقط لقطته... فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده وأحبها إليه ومختاره من البلاد لما جعل عرصاتها مناسك لعباده فرض عليهم قصدها. وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين)[1].

وتاريخ هذه الجزيرة العربية حافل بالرسل والرسالات فهي مهد الرسالات السماوّية الأولى، فبعد أن نجى الله تبارك وتعالى نبَّيه نوحًا ومن معه في السفينة وأغرق الذين كذبوه من قومه بالطوفان، نزل الذين ءامنوا من السفينة يعبدون الله تعالى وحده وَيَعْمُرون الأرض،وكثرت ذرّية نوح الذين كانوا على دين آبائهم الإسلام،وكانوا يعبدون الله تعالى وحده ولا يشركون به شيئًا، ثم بعد أن طال الزمن عاد الفساد والجهل وانتشر، ورجع بعض الناس إلى الإشراك بالله وعبادة غيره، فبعث الله على أرض هذه الجزيرة العربية نبي الله هود عليه السلام وكانت رسالته: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[2]، فظهر في الأحقاف في صحرائها الجنوبية هود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]، وفي شمالها في ديار الحجر كانت نبي الله صالح

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم ١/٤٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]، وقد جعل الله تعالى عددًا من الأنبياء يأتون إلى جزيرة العرب، ويزورونها وتهفوا قلوبهم إليها كما أشار النبي ﷺ لذلك لما كان حاجًّا مر بثنية من الثنايا قال: (ما هذه الثنية)؟ قالوا: هذه ثنية كذاوكذا فقال ﷺ: ((كأني أنظر إلى موسى على جمل أحمر خطامه ليف له جؤار في التلبية) ثم مضى فمر ﷺ في موضع آخر فسأل عنه، فأُخبر، فقال ﷺ: (كأني أرى أخي يونس له جؤار في التلبية))[2].

ثم بدأت معالم هذا الدور القيادي والريادي للجزيرة العربية تظهر بظهور إبراهيم الخليل عليه السلام الذي جاءه أمر الله تعالى له بالتوجه إليها، وإلى واد غير ذي زرع، وإسكان بعض ذريته بها، لتكون مكة أم القرى بعد ذلك مأرز الإسلام ومهد الرسالة الخاتمة الباقية إلى قيام الساعة: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[3]، ليكون ذلك المكان الطاهر المقدس كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[4] فـ﴿جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم ١٦٦.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)] وترعرعت في هذا الوادي المبارك رسالة نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[(٢)] وحقق الله تعالى دعوة خليله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إذ قالا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[(٣)]، فخلد الله النبوة في هذه الجزيرة العربية بالنبي الخاتم محمد ﷺ المبعوث من ولد إسماعيل عليه السلام، لتكون أرضها بداية الخير ونهايته للعالمين.

٢- أنها تضم أعظم البقاع وتحتضن أشرف الأماكن في الأرض (الحرمين الشريفين) مكة والمدينة، كما أن فيها البقاع المشرفة عند جميع المسلمين بل عند جميع الديانات السماوية الصحيحة السابقة المرتبطة بمناسك شعيرة الحج: ففي هذه البقاع الطاهرة المقدسة ولد خير البشر، وعاش وبعث، وهاجر وتنقل بين بلدانها: يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني، وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين فجذبه

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد)[1]، فلقد اختار الله جزيرة العرب وجعلها قبلة المسلمين، يتوجهون إليها في اليوم والليلة خمس مرات: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2].

ووجه ﷺ المسلمين بالإتيان إليها، وقصدها أولا بأول، والتردد عليها حتى يبقى القلب متعلقا به، والجسد حاضرا فيها وقبل ذلك وبعده الوجهة إليها أيا كان موقع المسلم كما قال ﷺ: ((تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما تنفي النار خبث الحديد والذهب والفضة))[3]، وحفظ الله هذه الجزيرة العربية وحماها من الفتن، فقال ﷺ: (ما من بلد إلا ويسكنه الدجال إلا مكة والمدينة... يجعل الله تعالى على كل نقب من أنقابها جندًا من الملائكة في أيديهم السيوف ملتهبة يحرسونها) وأهلك الله كل من أردها وأراد أهلها بسوء كما حصل لأبرهة وجنوده لما أرادوا تدنيسها وهدم الكعبة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[4]،

---

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم ١/٤٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الحج، باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة، برقم ٨١٠ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١/٤٢٦. وأخرجه النسائي، كتاب: مناسك الحج، باب: فضل المتابعة بين الحج والعمرة، برقم ٢٦٣١ وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢/٢٤٠.

(٤) سورة الفيل كاملة.

وكذلك فعل الله تعالى قبلها وبين ليلة وضـــحاها بعاد قوم نبي الله هود عليه الســـلام، لما عتوا وتجبروا وأرادوا في هذه البلاد الفساد: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾(٢)، أقســـم الله تعالى في هذه الآيات الثلاثة من سورة التين بالمواضع الثلاثة المشرقة التي احتضنت اكبر الرسالات السماوّية، ففي الآية الأولى: (التين والزيتون) إشارة بلاد الشام وفلسطين حيث رسالة نبي اللهو كلمته عيسى عليه الصلاة والسلام، وفي الآية الثانية: (وطور سينين) إشارة للجبل المذكور في أرض سيناء الذي كلم الله عنده نبيهوكليمه موسى عليه السلام، وفي الآية الثالثة: (وهذا البلد الأمين) إشارة إلى أم القرى مكة بيت الله الحرام وقبلة المسلمين؛ التي بعث منها وفيها سيد ولد آدم خاتم الأنبياء المرسلين محمد ﷺ رحمة الله للعالمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن إشراقه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح كما أن مجيئه من طور سيناء هو ظهور نوره بموسى واستعلانه من جبال فاران هو ظهور نوره بمحمد ﷺ وبهذه الأماكن الثلاثة أقســـم الله في القرآن بقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾(٣) فبلد التين والزيتون هي الأراضـــي المقدســـة التي بعث الله تعالى منها المسيحوكان بها أنبياء بني إسرائيل، وأسري بمحمد ﷺ إليها، وظهرت بها نبوته، وطور سينين المكان الذي كلم الله فيه موسى بن عمران وهذا البلد الأمين هو بلد

(١) سورة الفجر، الآيات: ٦-٨.

(٢) سورة التين، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة التين، الآيات: ١-٣.

مكة التي بعث الله منه محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن)[1].

ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى مؤكدا ومبينا عظمة هذه البقاع وشرفها وزيتها وذاكرا طرفا يسيرا من ما أكرمها الله وخصّها به: (وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها)[2].

٣ – أنها في شريعة الإسلام بلد وأرض خاصة بالإسلام وأهله قاصرة عليهم لايجتمع فيها دينان، ولايستقر فيها الكفار منها بدأ الإيمان وإليها يأرز: فالجزيرة العربية هي مأرز الإيمان ومأوى المؤمنين كما قال ﷺ: ((إن الإسلام بدأ غريًبا وسيعود غريًبا كما بدأ، وهو يأرز إلى مابين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها))[3]، وقال ﷺ: ((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها))[4].

يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: (هذه الجزيرة حرم الإسلام فهي معلمه

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٣٣/٣.

(٢) انظر: الشفا بتعريف المصطفى، القاضي عياض ٦٢٢/٢.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريًبا وسيعود غريًبا وأنه يأرز بين المسجدين، برقم ١٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل المدينة، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، برقم ١٧٧٧.

الأول وداره الأولى، قصبة الديار الإسلامية وعاصمتها، وقاعدة لها على مر العصور وكر الدهور، منها تفيض أنوار النبوة الماحية لظلمات الجاهلية، ولذلك جاءت المنح المحمدية في صحيح السنة بما لهذه الجزيرة من خصائص وأحكام لتبقى هذه المنطقة قاعدة الإسلام دائمًا كما كانت قاعدته أوَّلا، ومعقل الإيمان آخرًا كما كانت سابقًا)[١].

فهذه الجزيرة خالصة وصافية للمؤمنين ولذلك قال ﷺ صراحة: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما))[٢]، ونهى ﷺ عن بقاء دينان في جزيرة العرب وأمر في آخر حياته بإخراج اليهود والنصارى منها[٣]، كما أنه ﷺ بشّر بأنّ هذه الجزيرة لاتخلو من التوحيد أبدا ولا تجتمع على الشرك معاذ الله فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))[٤]، وهذا حق ولله الحمد والمنّة متقرر بالنظر في التاريخ، وهو مشاهد إلى يوم الناس هذا، فلم تقع الجزيرة العربية في شرك جماعي يطبق عليها.

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله في شرح هذا الحديث: (المراد أن الشيطان يئس أن

---

(١) انظر: خصائص جزيرة العرب، د. بكر أبو زيد ص ٢٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، برقم ١٧٦٧.

(٣) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته أن تخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب فأخرجهم عمر رضي الله عنه من المدينة وخيبر وينبع واليمامة ومخاليف هذه البلد ولم يخرجهم من الشام بل لما فتح الشام أقر اليهود والنصارى بالأردن وفلسطين وغيرهما كما أقرهم بدمشق وغيرها"، انظر: كتابه مجموع الفتاوى ٦٣١/٢٨.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، برقم ٢٨١٢.

تجتمع الأمة كلها في الجزيرة – على الشــرك الأكبر)[١]، وبذلك يتأكد أنّ الجزيرة العربية كانت ولا تزال وستبقى بإذن[٢].

٣ – أنّ الله ميّزها بأن اختار الله لها ولأهلها لغة القرآن الكريم أعظم كتبه وأشـرفها وخاتمها اللغة العربية وخص أهلها من العرب بالفضـل والمزّية[٣] : كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٥].

فالجزيرة العربية وأهلها من العرب ولغتهم العربية الفصـــحى جاء بها خطاب رب

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن رجب ٢/٢٤٢.

(٢) يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى أيضًا: "ومن خصائص هذه الجزيرة المباركة أن الإسلام حين يضـــطهد في دياره خارجها، فإنه ينحاز إلى هذه الجزيرة ويأوي إليها فيجد كرم الوفادة بعد الغربة وطول المحنة"، انظر: كتابه خصائص جزيرة العرب ص ٣٧.

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم. . وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وإن كان هذا من الفضـل بل هم في أنفسـهم أفضـل، وبذلك ثبت لرسول الله صـلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا وإلا لزم الدور"، انظر: كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٤٨ ولابن القيم رحمه الله فصـل في الدليل على فضـل العرب، وللمقدسـي مسـبوك الذهب في فضـل العرب، وللهيتمي مبلغ الأرب في فخر العرب، اختصـــره الهيتمي من كتـاب: حـافـل، لحـافظ العراقي.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣-١٩٥.

العالمين إلى جميع المكلفين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[١]، يقول القرطبي عند هذه الآية: (يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم ونظيره: (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم كل من آمن صاروا عيالا عليهم لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الأمر والنهي وجميع ما فيه من الأنباء فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات ولذلك سمي عربيا)[٢]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة) الحديث، وقال الترمذي: (هذا حديث صحيح، وهذا يقتضي أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم، فيقتضي أنهم أفضل من ولد إسحق، ومعلوم أن ولد إسحق الذين هم بنو إسرائيل أفضل العجم، لما فيهم من النبوة والكتاب، فمتى ثبت الفضل على هؤلاء فعلى غيرهم بطريق الأولى)[٣]، ومن هنا كان هذا التشريف للعرب والعربية، هو تكليف لأهل الجزيرة؛ منطلق الدعوة ومأرز الإيمان؛ أن يقوموا بواجب تبليغ رسالة الإسلام، فقد آتاهم الله ما لم يؤت أحدًا من العالمين، وفضلهم على كثير من المخلوقين: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩٣/١٦.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٢/١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

المبحث الثاني: الدعوة الإصلاحيّة والمقصود بها وأهميتها عند المتأخرين:

ومن الأمور المقررة عند أهل العلم؛ أنّ لهذه الجزيرة العربية من العلم والعلماء والتجديد والمجددين أوفر نصيب عبر الزمان؛ ولقد كان كثير من أهل العلم يجاورون بمكة أو بالمدينة، وقلّ أن تجد عالما إلا دخل أرضها، وزارها وأقام فيها، ولعلّ ختام المسك في ذلك هي: **(الدعوة الاصلاحية)** دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؛ التي أنعم الله بها على هذه الجزيرة، وجدّد لها بها دينها.

والمقصود بالدعوة الإصلاحيّة كما عرفها بعض المتخصصين هي: (تلك الجهود الكبيرة، والأعمال الجليلة؛ التي قام بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ لتصحيح الأوضاع الدينيّة الفاسدة، والأحوال الاجتماعية المنحرفة؛ التي كانت سائدة في الجزيرة العربية بعامة، وفي وسطها؛ بخاصة إبان القرن الثاني عشر الهجري)(1)، وسبب اختيارها دون غيرها علاقتها المباشرة بأرضنا ووطننا ومنهجنا وكونها نموذج واقعي معاصر ولله الحمد يظهر مكانة المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها، من خلال عدد من العلماء والأئمة الذين راعوا في منهجهم السير على نحو مابدأ به الإمام المجدد؛ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وسانده في ذلك الإمام محمد بن سعود رحمه الله، وبيان ماكانَ لتلك الدعوة الإصلاحية؛ من قصب السبق في الدعوة إلى تعالى والتأثير في الجزيرة العربية خصوصا، وعلى العالم الإسلامي عموما حيث قامت هذه الدعوة المباركة؛ على تجريد التوحيد وحمايته، ونبذ الشرك ومحاربته، ونشر الخير والفضيلة، والتي تعاضد الإمامان عليها

(1) انظر: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، د. عبدالله محمد المطوع ص ١٠.

وتناصروا من أجلها؛ فالحق لابد له من قوة تنصره مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(١)]، واستمرت تلك الدعوة الإصلاحيّة المباركة وإلى يومنا هذا تسير على هدى وبصيرة، وفقه رشيد، وقيامها على الأصول الشرعية المعتبرة، مع ما خصّ الله تعالى به علمائها ودعاتها من توفيق وتسديد؛ حيث راعوا الفقه والبصيرة في كل مراحل دعوتهم وخطواتها، رغم تفاوت العادات واختلاف الناس في البيئات التي انتشرت فيها الدعوة وفي البقعة الواسعة من الجزيرة العربية – حفظها الله وحرسها من كل مكروه -.

وكانت هذه الدعوة الإصلاحية سبب في إنشاء هذه الدولة الشرعية التي بدأت أول مابدأت بالدعوة إلى التوحيد وقامت على الكتاب والسنة (وارتبطت بالدين والدعوة ارتباطا وثيقا، وظل هذا الارتباط قائما في كل عهودها، وقد وحدها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ في ظل هذا الرباط الوثيق بين الدولة والدين والدعوة، وتابع خلفاؤه من بعده الحفاظ على هذه الخصوصية، التي تنفرد بها المملكة بين بلاد العالم الإسلامي كله)[(٢)]، فكان لخصوصية هذه النشأة والارتباط بالدعوة، من أول يوم؛ الفضل في قيام هذا الدولة وانتفاع الإسلام والمسلمين بها، وبمنهجها الشرعيّ الأصيل؛ القائم على

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) انظر: مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ص ٧٧، ط/١، مركز البحوث والدراسات بوزارة الشؤون الإسلامية، الرياض: ١٤١٦هـ.

الكتاب والسنة؛ فلقد نصّ نظام الحكم في مادته الأولى: (المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ) وفي مادته السابعة: (يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة)، وجاء في المادة الثالثة والعشرون من الباب الخامس [الحقوق والواجبات]: (تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله)[(١)].

ولقد قامت هذه البلاد المباركة (**المملكة العربية السعودية**) كثمرة مباركة من ثمار هذه الدعوة الإصلاحية وامتدادا لها، وتغيّرت الأحوال في الجزيرة، فظهرت دولة التوحيد، وقبلة المسلمين، وراعية الحرمين الشريفين، والتي لها في قلوب المسلمين المكانة الخاصة (ولا يوجد بلد في العالم عليه من المسؤوليات والاحترام والتقدير والمحبة لدى الشعوب المؤمنة ما لهذا البلد؛ لما توفر فيه من خصائص ومميزات وما استقام فيه من عدل واطمئنان بفضل التطبيق الشامل لأحكام الشرع والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل يستغرب أن يكون الإسلام هو المصدر الوحيد الذي تستمد منه هذه الدولة شرعيتها ومصدر قوتها وتماسك شعبها ومبعث الخير العميم الذي يتفجر في أنحاء أرضها)[(٢)].

---

(١) انظر: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية، د. أحمد بن عبد الله بن باز، ط/٢، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٩هـ.

(٢) الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان ص ٥٩، ط/١، ١٤١٧هـ.

ولعلّ من أهم أسباب نجاح هذه الدعوة الإصلاحية؛ هو حرصها على وجود من يؤيدها، ويقف معها ويحميها وينصرها بالقوة والسلطان، وهذا الأمر يستند على سيرة النبي ﷺ وهديه؛ لما كان يعرض نفسه على القبائل ويطلب منهم النصرة للدعوة، ويقول لهم: ألا من رجل يحملني إلى قومه؟ فإنّ قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي، وهذا هو منهج الأنبياء قبله فلقد قال الله تعالى على لسان نبيّ الله لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1].

يقول الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله[2] إنّ بعض الدعاة لم يُقدّر الله لدعواتهم النجاح لأسباب كثيرة منها: عدم تيسير الناصر المساعد لهم، ويوضح رحمه الله تعالى؛ أهمية ارتباط الدعوة والداعية؛ بولاية تنصره، وقوة تسنده وتحميه فيقول: (معلوم أن

(١) سورة هود، الآية: ٨٠.

(٢) هو العالم الزاهد، والفقيه الداعية فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، ولد في الرياض سنة ١٣٣٠هـ وطلب العلم على كبار علماء زمانه مثل: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية، الذي لازمه في حلّه وترحاله، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان وغيرهم، تولى التدريس والقضاء، وله جهوده الكبيرة والكثيرة في العلم والدعوة والفتوى، وتقلّد مناصب عديدة كرئاسة الإفتاء، وهيئة كبار العلماء، ورئاسة المجلس التأسيسي للرابطة، ورئاسة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتوفي الخميس ١٤٢٠/١/٢٧هـ، وللتفصيل في سيرته انظر: ابن باز بين القرطاس والقلم، نجيب بن محمد الخطيب، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وعلامة الأمة ابن باز: دراسة في المنهج والعمل، سليمان بن عبدالله الطريم، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م وانظر انظر: موقعه على شبكة الانترنت وموقع ويكبيديا https: //ar. wikipedia. org.

الداعي إلى الله عز وجل؛ إذ لم يكن لديه قوة تنصر الحق وتنفذه، فسرعان ماتخبو دعوته وتنطفي شهرته، ثم يقلّ أنصاره، ومعلوم ما للسلاح والقوة من الأثر العظيم في نشر الدعوة، وقمع المعارضين ونصر الحق)[1] ونختم هذا السياق بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكذا ذلك بقوله: (الدين الحق لابدّ فيه من الكتاب الهادي، والسيف الناصر، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]. ..)[3]. وفي النهاية؛ فإنّ هذه الدعوة الإصلاحيّة في الجزيرة العربية وأئمتها المجددين، وعلى رأسهم الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ تأتي وبلا منازع على رأس دعوات الإصلاح؛ التي جاءت على منهج مرضيّ، وقامت بأثر عالميّ، ولذلك كُثر خصومها، وقد سلمها الله، وجعلها ذخرا للإسلام والمسلمين.

وظهور هذه الدعوة الإصلاحية على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي رحمه الله تعالى في القرن الثاني عشر الهجري في الجزيرة العربية؛ يبين لنا أنه على طول فترة التاريخ،وكلما فترت الأمة ودبّ فيها الضعف والاضمحلال، قيضّ الله لهذه الأمة من علمائها ودعاتها المصلحين، منارات هدى شامخة؛ يجددون للأمة أمر دينها، ويبعثونها من جديد قوية صلبة؛ بعد طول فترة وضعف، والاقتصار على الدعوة

(١) انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، الشيخ ابن باز ص ٤٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٥٣١.

الإصـــلاحية على يد الإمام المجدد الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب، ليس لقلة الإصـــلاح والمصلحون، بل هم كثيرون على مرّ العصور، وفي ومختلف الأنحاء، منهم من عُرف وذاع صيته، واشتهر أتباعه، ومنهم من قاموا بواجبهم ونفع الله بهم، ولكنْ لم يقدر الله لهم ظهورا وشيوعا، ولكنّ حقهم عند الله تعالى محفوظ، وإن لم يكن التاريخ عرفهم؛ فإنّ الله أعلم بهم وكفاهم ذلك.

الفصل الثالث

معالم من جهود الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية في تجديد الدعوة ونشرها

توطئة:

جاءت سيرة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ودعوته الإصلاحية كصفحة مشرقة للدعوة والداعية المسدّد، ولذلك كتب الله له القبول ونفع الله بدعوته أرجاء العالم الإسلامي على طوله، والدعوة النافعة هي التي تقوم على منهج رشيد وفقه سديد، يقوم على الكتاب والسنة، ومتابعة سلف هذه الأمة الصالح من الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ودعوة الشيخ وكتبه ورسائله وجهوده؛ مليئة بما يدلل على ذلك، بالإضافة إلى أنّ الشيخ هو أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن أكثر العلماء تأثرا بمنهجه ودعوته؛ فهو يسير على خطاه مراعيا مثل هذه البصيرة في الدعوة إلى الله التي يرى رحمه الله أنّ اتصاف الدعاة إلى الله بالبصيرة في دعوتهم فريضة شرعية، حيث يقول رحمه الله: (المسألة الثالثة: أن البصيرة من الفرائض)[1] وستظهر لنا واضحة في معالم التجديد والتسديد.

والمعالم جمع معلم، والمعلم كما قال ابن الأثير رحمه الله هـي: (ما جعل علامة للطرق والحدود، مثل أعلام الحرم والمعالم المضروبه عليه، وقيل المعلم الأثر)[2]، وقال صاحب مختار

(١) ويبّين حفيده الشيخ سليمان قصده بكون البصيرة من الفرائض فيقول: "ووجه ذلك أن اِتّباعه صلى الله عليه وسلم واجب، وليس أتباعه حقًا إلا أهل البصيرة، فمن لم يكن منهم فليس من أتباعه، فيتعين أن البصيرة من الفرائض"، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب: التوحيد، الشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٢٣، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣/٢٩٢.

الصحاح، أنّ المعلم هو: (الأثر يستدل به على الطريق)(١).

والمقصود بالمعالم هنا في هذا الفصل، هو تلك الطرق والعلامات البارزة لهذه الدعوة الإصلاحيّة المباركة والتي التزم بها مؤسسها وأنشأها عليها، وانطلق بدعوته من خلالها ومراعيا لها، وفق الحدود والضوابط والمنطلقات الشرعيّة، التي تساعده في نجاح دعوته، مراعيا ظروف الزمان والمكان والبيئة، واختلاف أحوال المدعوين وما ينفعهم؛ لأنّ (الداعية إلى الله يُخاطب جميع أصناف الناس، فيجب عليه أن يُحدّث كل طائفة من الناس بما هم في حاجة إليه وما ينفعهم)(٢).

أولا: الدعوة للتوحيد والعناية به قبل كل شيء:

فالتوحيد هو المعلم الأول والأهم؛ الذي يجب تقديمه والعناية به كما فعل الأنبياء عليهم السلام، فكانت الدعوة للتوحيد؛ أوّل ما بدأوا به دعوة أقوامهم؛ لذلك جاءت عناية الدعوة الإصلاحية دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهّاب بالتوحيد، وتقديم العناية به قبل كلّ شيء اتباعا واقتداء بدعوات الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ

---

(١) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي ص ٤٥٢.

(٢) كما يقول أ. د. فضل إلهي بأنّ: "الداعية إلى الله يُخاطب جميع أصناف الناس، فيجب عليه أن يُحدّث كل طائفة من الناس بما هم في حاجة إليه وما ينفعهم"، انظر: كتابه من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسّنة وسير الصالحين ص٦٠، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤١٧هـ.

حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢]، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (فكل الرسل الذين من قبل محمد ﷺ مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأنّ عبادة ماسواه باطلة)[٣].

فالعقيدة أولا وقبل كل شيء، وتقديم التوحيد هو الأصل المقرر الذي اتفقت عليه جميع الرسل، وبدأوا به قبل غيره يقول الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد: (فالدعوة إلى التوحيد هي الخطوة الأولى التي لا يصح تجاوزها إلى غيرها)[٤]، فتقديم التوحيد على غيره؛ هو الأصل المقرر، ونقطة البداية التي اتفقت عليها جميع الرسالات السماوية، وتوحدت عليها كلمة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام[٥].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢١.

(٤) انظر: أولويات الدعوة في منهج الأنبياء، د. زيد الزيد ص ٢٦.

(٥) ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "التوحيد هو مفتاح دعوة الرسل، وهو أول مايدخل به المرء في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب"، انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٣/٤٤٣.

يقول الشيخ صالح الفوزان: (من منهج الدعوة إلى الله أن يبدأ بالأهم فالأهم كما هي دعوة الرسل عليهم السلام، فالرسل أول ما يبدأون بإصلاح العقيدة؛ لأنها هي الأساس فإذا صحت العقيدة اتجهوا إلى إصلاح بقية الأمور؛ فاتجهوا إلى إصلاح المعاملات وإلى إصلاح الأخلاق والسلوك، أما قبل إصلاح العقيدة فلا يمكن أن تكون الدعوة ناجحة؛ لأنها لم تبن على أساس صحيحوكل شيء بني على غير أساس فإنه ينهار ولذلك اتجهت دعوات الرسل عليهم السلام أول ما اتجهت إلى إصلاح العقيدة)(١).

فالدعوة إلى التوحيد؛ هي الثابت المحكم الذي لا يتغير في دعوة النبي ﷺ وأتباعه؛ ولذلك جاءت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ اقتداء بدعوة النبي ﷺ معتنيه بـــ **(التوحيد ومحاربة الشرك)**وكان ذلك هو شغله الشاغل، الذي صرف فيه الأوقات، وواجه فيه القريب والبعيد، وألّف فيه كتبه ورسائله، وقام بحملاته الدعوية والعملية، ولحقه من جراء الثبات عليه؛ المصادمة والخصومات.

وظهر الإمام المجدد رحمه الله؛ بدعوته للتوحيد في وقت كان أهل نجد خصوصا والعالم الإسلاميّ من حولهم يعيش في فترة من لركود والضعف وانتشار البدع والخرافات والشركيات؛ التي عمّت؛ حيث برزت مظاهر الشرك، والتعلق بالقبور، واللجوء إلى غير الله، ففي بلدته العيينة وما حولها؛ كانت القباب والمشاهد وقبور الصحابة والأولياء، والتبرك بالأشجار والأحجار، وفي وسط هذا الظروف والأوضاع المظلمة، والجهل المدقع؛ ظهر هذا المجدد؛ وجعل مهمته الأولى والمقدمة هي الدعوة وبوضوح؛ إلى توحيد الله تعالى وتحقيق الشهادتين، ومحاربة الشرك، مع معرفته المسبقة إلى ماسيلقاه من المعارضة والأذى

---

(١) من محاضرته: "صفات الداعية الناجح"، انظر: كتابه: محاضرات في العقيدة والدعوة لصالح الفوزان، المجلد الثالث.

والتصلب؛ ولكّنه أدرك وللوهلة الأولى، ورغم كلّ ماكان يتوقعه من مواجهة وصعاب، أنّ الدعوة للتوحيد لا مساومة فيها وليست قابلة للتأخير، وسيبادر بإعلانها حتى لو حصل ماحصل[1]، ولذلك (كانت جريمة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هي أّنه جهر بدعوة التوحيد، وأّكد على الناس اجتناب الشرك وأنجاسه، وذّم الأوثان من دون الله، ونهى عن الحلف بغير الله والنذر لغيره، وعبادة القبور بكلّ تصريح ووضوح؛ فإنْ كان هذا ذنًبا؛ فيجب على كلّ مسلم أن يرتكبه بكلّ إخلاص)[2].

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: (رَفَع محمد بن عبد الوهاب شعار التوحيد، وحق له أن يفعل! فقدوجد نفسه في بيئة تعبد القبور، وتطلب من موتاها مالا يطلب إلا من الله سبحانه... وقد رأيت بعيني من يقبلون الأعتاب، ويتمسحون بالأبواب، ويجأرون بدعاء فلان أو فلان، كي يفعل كذاوكذا؛ ما هذا الزيغ؟ ما الذي أنسى هؤلاء ربهم؟ وصرفهم عن النطق باسمه والتعّلق به؟ وماذا يرجو العبيد من عبد مثلهم لا يملك لنفسه نفعاولا ضرا؟ إنه لو كان حيا ما ملك لهم شيًئا، فكيف وهو ميت؟)[3].

وعليه؛ فلقدكان هذا المعلم وهو؛ مسألة التوحيد واضحة وجلّية في دعوة الشيخ الإمام المجّدد رحمه الله؛ الدعوة الإصلاحّية في الجزيرة العربية، بل هو الأصل الأول الذي تقوم عليه

(١) ولقد بّين حفيده، شارح كتاب: التوحيد الشيخ سليمان بن عبد الله سبب ذلك بقوله: "لأن معرفة معنى هذه الشهادة هو أول واجب على العباد، فكان أول ما ُيبدأ به في الدعوة"، انظر: كتابه: تيسير العزيز الحميد ص١٢٣.

(٢) محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه، مسعود الندوي ص ١٥٣، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود: ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: مائة سؤال عن الإسلام، الشيخ محمد الغزالي ص ٣١٣، ط/٤، دار ثابت للنشر والتوزيع: ١٤١٠ هـ.

جميع تحركاته، ومراسلاته، ومؤلفاته، وقد بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجه في الدعوة؛ وبكلّ وضوح فقال: (أما ما نحن عليه من الدين فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وأما مادعونا الناس إليه فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطابًا لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وأما مانهينا الناس عنه فنهيناهم عن الشرك لذي قال فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾، وقوله لنبيه ﷺ على سبيل التغليظ؛ وإلا فهو مزه هو وإخوانه عن الشرك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾...)[1].

ونختم هذا المعلم؛ بهذا النداء الذي أطلقه الإمام الشوكاني؛ وهو أحد معاصريه فقال: (كم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وظّنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر

---

(١) انظر: الدرر السنية، جمع عبد الرحمن بن قاسم ٦٢/١ ومابعدها بتصرف، ط/٢، دار الإفتاء: ١٣٨٥هـ.

الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالما ولا متعلما ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا... فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أيّ درء للإسلام أشد من الكفر؟! وأيّ بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟! وأيّ مصيبة يصاب بها المسلمين تعدل هذه المصيبة؟! وأيّ منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا؟!)[1].

ثانيا: تقديم سد الذرائع في مسائل العقيدة:

فحماية التوحيد والسنة، والمنافحة عنهما، وإزالة العقبات التي تعترض طريقهما؛ هو مقصد مهم وأصيل؛ ولذلك جاءت الشريعة الإسلامّية؛ لتصون التوحيد؛ فمنعت من كل وسيلةٍ أو طريق يفضي إلى الإخلال به، وسدّت كل ذريعة تؤدي إلى خدشه والانحراف عنه، وللإمام ابن القيم رحمه الله كلاما نفيسا يؤكد أهمية هذا المعلم، ويربط بين المقاصد والأسباب والطرق: (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها؛ كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود؛وكلاهما مقصود؛ لكنه مقصودٌ قصد الغايات، وهي مقصودةٌ قصد الوسائل، فإذا حرَّم الرب تعالى شيئًا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقًا لتحريمه وتثبيتًا له ومنعا

(١) نيل الأوطار، الشوكاني ٤/٩٠.

أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء)(١).

ولذلك كانت من معالم دعوة الشيخ رحمه الله؛ حماية جناب التوحيد من كل قاذورات الجاهلّية،وكلّ ما يُفضي إلى الشرك، وهو مايسمى؛ بـــ **(سدّ الذرائع)**(٢)، وقد دلّت النصوص الشرعّية، وأقوال أهل العلم؛ على ذلك، وممن قال به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر ثلاثين شاهدا تدلل على اعتباره(٣)، وتوسع تلميذه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى؛ وذكر تسعة وتسعين دليلا عليها، ختمها بقوله: (ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة، وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهى، والأمر نوعان: أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهى نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين)(٤).

ولذلك جاءت دعوة الشيخ رحمه الله معطية معلم سد الذرائع المؤدية إلى الشرك في الأقوال والأفعال؛ حقّه ومستحقّه، ولهذا المعلم في تجديد الدعوة ونشرها اعتبار دقيق ومهم، خاصة في زمن انتشرت فيه الطرق والحيل والوسائل المفضية للشرك بالله، فكانت

---

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم ٣/١٤٧.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والذريعة: ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل: الذريعة: الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم"، انظر: كتابه: مجموع الفتاوى ٣ /١٣٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ١٣٨/٣.

(٤) إعلام الموقعين، ابن القيم ١٧١/٣.

هذه الدعوة الإصلاحية شامةٌ ظاهرةٌ، وعقبةٌ كؤود؛ أمام كلّ من تسول له نفسه التعدي على حمى التوحيد، وقد عقد الشيخ رحمه الله بابا في كتاب التوحيد بعنوان: (باب ماجاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسدّه كلّ طريق يوصل إلى الشرك) وأورد فيه من النصوص والمسائل ما يدعو لسدّ الذرائع[1]، كما عقد بابا آخر بعنوان: (باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما) وقال فيه: المسألة الرابعة عشرة: سد الذرائع[2] وتقرير هذه المعلم وهو سدّ باب الذرائع في أبواب التوحيد والمعتقد أمر مهم وملح تميزت به دعوة الشيخ الإمام المجدد رحمه الله، وخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة، التي انتشرت فيها المنكرات والبدع والخرافة، وانتشر الجهل، وضعفت الدعوة.

وأختم هذا المعلم المهم بمثال؛ يدّل على سدّه للذرائع في مسائل التوحيد والعقيدة، وموقفه الشرعي مثلا من التمائم التي تكون من القرآن الكريم، حيث اختلف العلماء فيها، فأجازها فريق ومنعها آخرون سدا لذريعة الوقوع في الشرك ومن هؤلاء الذين منعوها سدّا للذريعة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث يقول في كتابه

(١) ولقد أشار الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ عند تعليقه على هذا الباب، وذكره لحرمة السفر إلى بلاد المشركين، الوجه الخامس: أنّ سدّ الذرائع، وقطع الوسائل من أكبر أصول الدين، وقواعده، وقد رتّب العلماء على هذه القاعدة من الأحكام الدينية تحليلا وتحريما مالايحصى كثرة"، انظر: الدرر السنية ١٥٦/٧.

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب: التوحيد، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ١٢٢.

التوحيد: (التمائم شيء يعلق على الأولاد؛ يتقون به العين، لكنْ إذا كان المعّلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه)(١).

ويعّلق شـــارح كتاب التوحيد بقوله: (وهذا هو الصــــحيح - أي النهى عن تعليق التمائم من القرآن- لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل: الأول: عموم النهى ولا مخصـص للعموم، الثاني: سـد الذريعة فإنه يفضـى إلى تعليق ما ليس كذلك، الثالث: أنه إذا علق فلابد أن يمتهنه المعِّلق بحمله معه في حال قضـاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك)(٢)، وتقديم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته الإصـلاحّية لسـّد الذرائع في مسـائل العقيدة؛ ومنعه هنا من تعليق التمائم؛ حتى لو كانت من القرآن الكريم؛ هو من تمام فقهه ومراعاته لرقة دين الناس وسرعة تعلقهم بالأمور واختلاط ما هو من القرآن مع ما هو من غير القرآن، فرّجح المنع من باب حماية التوحيد وعدم خدشــه: (ولا شـــك أن منع ذلك ســـد لذريعة الاعتقاد والمحظور، لاســـيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصـــحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأنْ يكره في وقتنا هذا أولى وأجدر بذلك)(٣).

ثالثا: التمسك بالقرآن والسنة واتّباعهما:

القرآن والسـنة؛ هما مصـدر التشريع، وبحفظهما؛ يحفظ الله الدين، ولذلك تكّفل الله تعالى؛ كلما فترت الأمة وضـــعفت،وكلما قّلت العناية بهما؛ أن يبعث فيها من يجّدد

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب: التوحيد، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ١٢٢.

(٢) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ١٣٢، ط/١ المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ١٣٩٧هـ.

(٣) معارج القبول، الشيخ حافظ الحكمي ١/٤٦٩، ط/٣، مكتبة ابن رشد: ١٤٠٤هـ.

العهد بهما، ويحيي فيها الدعوة للتمسك والاعتماد عليهما؛وكان من أواخر من نصر القرآن والسنة ودعا إليهما؛ الإمام المجدد رحمه الله، الذي انتصر لهما في زمنه، والمطّلع على مؤلفاته ورسائله يرى اهتمامه وتقديره الكبير لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من خلال الاستشهاد الدائم بها، والاعتماد المستمر عليهما، وتدليله في جميع مايتبنى من آراء أو يرسل من رسائل، أو ما يقوم به من خطب وتوجيهات بهما؛ حتى تكاد بعض مؤلفاته أن تصبح جمعا للنصوص سواء من القرآن أو السنة النبوية، فلقد عقد في كتابه: (أصول الإيمان) فصلا كاملا بعنوان: "الوصية بكتاب الله تعالى"، كما عقد فصلا آخر كاملا؛ بعنوان: " تحريضه ﷺ على لزوم السنة "، ولذلك أمر الشيخ رحمه الله تعالى أتباعه بألا يكون في قلوبهم أجلّ من كتاب الله تعالى، كما أن علماء الدعوة كثيرا ما يطلبون من مخالفيهم الإتيان بدليل من القرآن أو السنة تؤيد آراءهم التي ناءوا بها الدعوة.

ولقد بيّن وبشكل واضح اعتقاده بالقرآن الكريم في رسالته إلى أهل القصيم بقوله: (وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ)(١)، وكان من دلالات اهتمامه بالسنة النبوية؛ العناية بكتبها، كما ظهر في اختصاره لـ (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) واختصاره لـ (سيرة الرسول ﷺ لابن هشام) وجمعه المعروف لكتاب " مجموعة الحديث النجدية " التي ضمنها أمهات النصوص الأحاديث النبوية؛ مثل ماجاء في الأربعين النووية وعمدة الأحكام ونحوهما، **ومن أهم معالم ودلالات عنايته ودعوته بتقديم القرآن والسنة، وتمسكه بهما، والحرص على اتباعها؛ مايلي:**

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/١٤.

١- تبني الإمام المجدد ودعوته الإصلاحيّة لمنهج أهل السنة والجماعة ونصرته له، وقيام دعوته عليه، ووقوفه المواقف المشهودة مع كل من خالف منهج أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء، حيث كان ذلك واضحا في دعوته العملية،وكتاباته العلمية، مبّينا لمعالم هذا المنهج وأصوله وموضوعاته، وواقفا ضد كلّ من يقلل من شأن السنة وأهلها، حتى عمت الدعوة الأرجاء وانتصر لها القاصي والداني.

٢- عناية الإمام المجدد ودعوته الإصلاحيّة في مصنفاته وجميع ما كتبه بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واهتمامه في بيان مكانتهما، واعتماده عليهما في كلّ ما يفعله ويقوله، ولذلك جاءت مصنفاته زاخرة ومليئة بنصوص الوحيين، كما هو واضح للعيان، ومهتمة بالدليل والاستشهاد بالمصدرين المهمين الأساسيين الكتاب والسنة، وهذا المعلم بارز فيه،وكتبه شاهد حاضر ومحفوظ على ذلك.

٣- قيام الإمام المجدد ودعوته الإصلاحيّة بالعناية بكل الصروح والمؤسسات التي تخدم القرآن والسنة وتدعو للتمسك بهما، وتعتني بدراستها وتدريسها،وكل ما نتج عن تلك الدعوة المباركة التي قامت على؛ إعلاء كلام الله تعالى، ورفع راية سنة رسول الله ﷺ مما هو واضح في مؤسسات هذا البلاد وأنشطتها المختلفة في الوزارات والجامعات والجهات ذات العلاقة، أدام الله عزها، والداعين لها، والمنافحين عنها، وأبقاها ذخرا للإسلام والمسلمين، ولنشر كتاب الله وسنة سيّد المرسلين(١).

(١) وآثار هذه الدعوة الإصلاحيّة في هذا الجانب أكثر من أن تُحصر، فقد امتدت واستمرت – والله الحمد والمنّة – إلى يوم الناس هذا كما هو واضح في هذه الدولة، والتي هي ثمرة من ثمرات هذه الدعوة المباركة، فالجامعات الشرعية وما فيها من كلّيات وأقسام تهتم بالقرآن والسنة وتدعو إليها ومن أبرز الموجود: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، والجامعة الإسلاميّة، وجامعة أم

رابعا: الحرص والاهتمام بوحدة المسلمين واجتماع كلمتهم:

مع أنّ معلم التوحيد لله ربّ العالمين قبل معلم توحيد الكلمة ومقدم عليها، ومع ذلك فتوحيد المسلمين واجتماع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم، والبعد عن كل معالم الفرقة والاختلاف مقصد من أجلّ المقاصد الشرعّية وأسماها، وهو من الأولويات الثابتة التي دعا لها النبي ﷺ وحرص الصحابة رضوان الله عنهم؛ على تحقيقها فيما بينهم، والخلاف شر مستطير، والاجتماع مطلب كبير؛ جاءت النصوص الشرعية واضحة في الدعوة إليه والنهي عن الفرقة والاختلاف كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، (وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر على دفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة)[2].

القرى، بالإضافة إلى جهود وزارة الشؤون الإسلامّية، وما تشرف عليه من مساجد ومراكز تهتم بالقرآن والسنة ودراستها ونشرها والتوعية بها، بالإضافة إلى المؤسسات المتخصصة في القرآن والسنة، الحكومية المدنية منها والعسكرّية، بالإضافة إلى المؤسسات الأهلية، والجهود الفردية المتعددة في ذلك.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/٢٨.

والأصل الأصيل، والمعلم الأساس الأول الذي قامت عليه الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية؛ دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ هو (توحيد الله تعالى) والذي يتضمن الدعوة إلى وحدة المسلمين، لأنّ البلاد والعباد كانت بأمسّ الحاجة لذلك، ولأنّ أيّ اجتماع لا يقوم على كلمة التوحيد فلن تجتمع لأفراده كلمة، وستبقى الخلافات تنخر في جسده، وإن تظاهر أفراده بالوحدة فـ (**كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة**)[١]، ولقد كان من معالم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تقديم الوحدة واجتماع الكلمة، والتحذير من الفرقة، خلافا لما يشيعه خصومها عنها، يقول الشيخ رحمه الله الأصل الثاني من الأصول الستة الواردة في رسالة له باسم: (ستة أصول عظيمة) (الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحًا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه من العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون)[٢].

---

(١) وآثرت ذكر هذ المعلم في معالم الدعوة الإصلاحيّة، كنوع من الرّد على خصوم الدعوة الذين يقولون أنّها فرّقت بين المسلمين، وشتت شملهم وأنّها جاءت للفرقة لا للوحدة، وهذا غلط بيّن، فإنه لا يتصور اجتماع الكلمة، إلا على كلمة سواء هي كلمة التوحيد، أما ما نشاهده اليوم من تجمعات وهمية لا تقوم على أساس راسخ، ومعتقد صحيح، فهي أوهام وسراب، أما الدعوة الإصلاحية المباركة فمنهجها لا يتغير وطريقها واحد أساسه وغايته: "كلمة التوحيد"، ومقصده وثمرته: "توحيد الكلمة".

(٢) انظر: شرح الأصول الستة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/١، دار البصيرة، الإسكندرية.

وقال الشيخ رحمه الله تعالى في بيان مسائل الجاهلية: (الثانية: أنهم - أي أهل الجاهلية - متفرقون في دينهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[(١)])،وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب)[(٢)]،وكانت مراعاة الشيخ لوحدة الكلمة واجتماع الصف واضحة في جميع مراحل دعوته وجاءت مؤلفاته ورسائله وأجوبته مليئة بالدعوة لذلك؛ ومن ذلك أنه سؤل رحمه الله عن معنى قول أهل العلم: إن اتفاق الأئمة حجة، واختلافهم رحمة، فمامعنى كون اختلافهم رحمة؟ فأجاب: (قولهم: اختلافهم رحمة: فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾... ولكن روي عن بعض التابعين أنه قال: ما أحسب اختلاف أصحاب الرسول ﷺ إلا رحمة للناس، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة، ومراده شيئا آخر غير مانحن فيه، ومع هذا فهو قول مستدرك، لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا: أنّ اختلافهم عقوبة وفتنة)، فالسعي إلى توحيد كلمة المسلمين، هدف مهم وكبير؛ والخطوة الأولى لتحقيقه هي أن يبنى على الاعتقاد الصحيح والتوحيد الراسخ،وكلّ من يريد تحقيق ذلك من غير هذا الوجه فهو مخطئ لأنه يخالف منهج النبي ﷺ الذي أقام الدولة الإسلامية الأولى في العهد الأول في مكة؛ فبدأ معهم بغرس التوحيد وتثبيت المعتقد؛ ولذلك اجتمعت كلمتهم وتوحدت صفوفهم، وثبتوا على ذلك رغم كلّ ما

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٢) انظر: مسائل الجاهلية، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

تعرضوا له، ولذلك قام المجتمع المسلم المثالي الأول على الاعتصام بحبل الله والاجتماع عليه.

وبفضل الله تعالى ومّنته؛ ثم بجهود هذه الدعوة الإصلاحية، توحدت أرجاء الجزيرة العربية المترامية بعد سنوات عجاف من الفرقة والتشتت، وهذا فضل الله (فكلمة التوحيد وحّدت الكلمة)وكلّ ما يقال غير هذا فإنّه خلاف للواقع، وصادر من حَسَدةٍ، وأصحاب أغراض معروفة.

خامسا: العناية بتأصيل الفقه الدعوي في التدرج ونحوه:

وقد أصّل الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لهذا المعلم ولهذا الفقه الدعويّ ودعا إليه كما هو واضح في دعوته ومصنفاته، ومارسه واقعا في سلوكه ومعاملاته، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد عند باب: (**الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله**) ومن فوائده: الحادية عشر: التنبيه على التعليم بالتدرج، الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم[(١)]، ويقول عند تفسيره قول تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ الفائدة السابعة والعشرون: القاعدة التي هي خاصية العقل وهي ارتكاب أدنى الشرين؛ لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين؛ لتحصيل أعلاهما)[(٢)].

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط/١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٢٣هـ.

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالةٍ بعث فيها إلى أهـــل سدير: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصــل إليه هذا الكتاب من الإخوان، ســلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فيجري عندكم أمور تجري عندنا من ســابق، وننصــح إخواننا إذا جرى منها شــئ حتى فهموها؛ وســببها أن بعض أهل الدين ينكر منكرا وهو مصــيب؛ لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شــئ يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْـلِمُون. وَاعْتَصِـمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَــفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾ ويذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صــار يحصــل بســببه افتراق لم يجز إنكاره، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم، والتفقه فيه؛ فإنكم إن لم تفعلوا صــار إنكاركم مضــرة على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه)(١)، ومما يدلل على عناية الدعوة الإصلاحية ومؤسسها بفقه الدعوة وتأصيله سيره على منهج النبي ﷺ في دعوته ومراعاة خطواته، حيث بدأ بما بدأ به النبي ﷺ؛ وهو دعوة قومه للتوحيد، حيث مكث ﷺ ثلاثة عشــر ســنة يغرســه وينشــره، وعلى تلك الخطى ســار المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ، فأقام دعوته على التوحيد، وبدأ به، وجاهد من أجله؛ حتى في كتاباته(٢).

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس: الرسائل الشخصية ص ٦١، والدرر السنية ٢/ ٢٠.

(٢) ويشــهد الشــيخ مســعود الندوي شــهادة الحق، وهو عالم حنفي من الهند لا تربطه بالدعوة، أيّ رابطة فيقول: "لقد اهتم الشيخ اهتماما بالغا في جميع كتبه ورسائله بالتوحيد. . ومع أنّ الشيخ

فهرس المصادر والمراجع

١- **الاعتصام**: الشاطبي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٢هـ.

٢- **إعلام الموقعين عن ربّ العالمين**: ابن القيم، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٧هـ.

٣- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: ابن القيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٤- **اقتضاء الصراط المستقيم**: شيخ الإسلام ابن تيمية، ط/٤، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٤هـ.

٥- **الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته**: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، من مطبوعات الإفتاء.

٦- **الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية**: أ. د. صالح بن غانم السدلان، ط/٢، دار بلنسية، الرياض.

٧- **أولويات الدعوة في منهج الأنبياء**: : أ. د. زيد بن عبدالكريم الزيد، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤٢٢هـ.

٨- **البداية والنهاية**: ابن كثير، ط/ دار الريان، القاهرة: ١٩٨٨م.

٩- **بذل المجهود في حل سنن أبي داود**، الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ط/١، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

كان يهتم بتصحيح العقائد أكثر من أيّ شيء آخر، ولكنْ مع ذلك فله مؤلفات عظيمة في الفقه والسيرة والحديث وغيرها"، انظر: كتابه محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه ١٥٢.

١٠- **تاريخ نجد المسمى: (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)**: الشيخ حسين بن غنام، ط/ مصطفى البابي الحلبي، مصر: ١٣٦٨هـ.

١١- **تحقيقات وأفكار في القرآن والسنة**، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ الشركة التونسية للتوزيع.

١٢- **تذكرة الحفاظ**: للإمام الذهبي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ.

١٣- **تفسير القرآن العظيم**: لإمام ابن كثير، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: ١٤٢٠هـ

١٤- **تفسير آيات من القرآن الكريم**، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من منشورات جامعة الإمام.

١٥- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط/١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٢٣هـ.

١٦- **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**: سليمان عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

١٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٣هـ.

١٨- **الجامع لأحكام القرآن**: القرطبي، ط/ دار إحياء التراث، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٩- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: شيخ الإسلام ابن تيمية، ط/١، دار العاصمة، الرياض

٢٠- **الدرر السنية**: جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط/٢، دار الإفتاء: ١٣٨٥هـ

٢١- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: ابن حجر العسقلاني، ط/ دار الجيل.

٢٢- **الدعوة الإصلاحية وأعلامها**: عبد الله محمد المطوع، ط/١، الرياض ١٤٢٠هـ

٢٣- **زاد المعاد في هدي خير العباد**: ابن القيم، ط/١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٢٤- **سنن أبي داود**: الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ط/ دار الفكر، بيروت.

٢٥- **سنن الترمذي**: الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ط/٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٩٨هـ.

٢٦- **شرح الأصول الستة**، محمد بن صالح العثيمين، ط/١، دار البصيرة، الإسكندرية.

٢٧- **شرح صحيح مسلم**: الإمام النووي، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٨- **صحيح الجامع الصغير**، الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٨هـ.

٢٩- **صحيح سنن الترمذي**، للألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٣٠- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: ابن القيم، ط/٣، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٨هـ.

٣١- **علماء نجد خلال ستة قرون**: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ط/١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة: ١٣٩٨هـ.

٣٢- **عون المعبود شرح سنن أبي داوود**: العظيم آبادي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٠هـ.

٣٣- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: الحافظ ابن حجر العسقلاني، ط/١، دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٣٤- **فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد**: الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ط/١، المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ١٣٩٧هـ.

٣٥- **الفقه الإسلامي**، حسني محمد عباس، ط/ دار الثقافة، الإسكندرية: ١٩٦٧م.

٣٦- **فلسفة التجديد الإسلامي**، محمد زرمان، ط/ دار الصحوة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣٧- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: للمناوي، ط/٢، دار المعرفة، بيروت: ١٣٩١هـ.

٣٨- **لسان العرب**، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، ط/ دار صادر، بيروت.

٣٩- **مائة سؤال عن الإسلام**: محمد الغزالي، ط/٤، دار ثابت للنشر والتوزيع ١٤١٠ هـ

٤٠- **مجموع الفتاوى**: شيخ الإسلام ابن تيمية، عبد الرحمن بن قاسم، ط/ مكتبة المعارف، الرباط.

٤١- **محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه**، مسعود الندوي، ط/ إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤٢- **مختصر سيرة الرسول** ﷺ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض: ١٤١٨هـ.

٤٣- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: ابن القيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.

٤٤- **مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية**: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ط/١، من مطبوعات مركز البحوث والدراسات بوزارة الشؤون الإسلامية ١٤١٦هـ.

٤٥- **مسائل الجاهلية**: **للشيخ محمد بن عبد الوهاب**، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة

٤٦- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**: الشيخ حافظ الحكمي ط/٣، مكتبة ابن رشد، الرياض: ١٤٠٤هـ.

٤٧- **المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية**، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٨- **مفهوم تجديد الدِّين**، محمد سعيد بسطامي، ط//١، دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٥هـ.

٤٩- **من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسّنة وسير الصالحين**: أ. د. فضل إلهي، ط/١، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، الرياض: ١٤١٧هـ.

٥٠- **من مشاهير المجددين في الإسلام (ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب**، أ. د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، من منشورات موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٥١- **منهاج السنة**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/١، مؤسسة قرطبة: ١٤٠٦هـ.

٥٢- **الموسوعة الفقهية الكويتية**: ط/٢، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، الكويت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٥٣- **النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية**، أحمد بن عبد الله بن باز، ط/٢، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٩هـ.

٥٤- **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير، ط/ دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة بدون.

٥٥- **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ﷺ**: الإمام محمد بن علي الشوكاني، ط/ دار الحديث، القاهرة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

البحث رقم (٢)

اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود –رحمه اللّه– بالدعوة إلى اللّه تعالى من خلال خطبه وكلماته

إعداد

د.عبدالله بن صالح بن عبدالله العبود

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية

المقدمة

[إن الحمد لله نحمده ونستعينه]، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، [من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] [أما بعد][(١)]:

فإن الدعوة إلى الله تعالى مهمة جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخير من قام بها وحملها نبينا محمد ﷺ وخَلَفه في القيام بها خلفاؤه الراشدون، وصحابته الكرام — رضي الله عنهم أجمعين — فقاموا بالأمانة خير قيام، وتبعهم على ذلك التابعون ومن تبعهم من العلماء الربانيين، والدعاة المصلحين، توارثوا العلم جيلا بعد جيل، وعملوا به؛ ودعوا إليه، ولا يزال هذا التوارث قائما إلى قيام الساعة.

وقد حمل همّ الدعوة إلى الله تعالى خلفاء وملوك على مرِّ التاريخ فأعادوا للإسلام هيبته

---

(١) هذه خطبة الحاجة وما بين المعقوفين من صحيح الإمام مسلم ٥٩٣/٢، وما كان من زيادة فتنظر في: سنن الترمذي ٤١٣/٣، وسنن النسائي ٨٩/٦، وسنن أبي داود ٢٣٨/٢؛ ومسند أحمد ٣٩٢/١؛ وسنن ابن ماجة ٦٠٩/١، وسنن الدارمي ١٩١/٢، والمستدرك على الصحيحين ١٩٩/٢. قلت: وكلهم رووا هذا المعنى سواء كان بزيادة أو نقص أو تغيير في ترتيب الألفاظ: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وسماها بعضهم خطبة الحاجة، وبعضهم تَشَهُّدَ الحاجة، ثم روى الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه بعد تلك الآيات الثلاث يتكلم بحاجته.

وجندوا أنفسهم لخدمة الدين وتعظيم شعائره فحفظ الله تعالى ذكرهم في التاريخ، والله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وكان في واقعنا المعاصر من قام بهذه الوظيفة خير قيام، وأسس دولة وملكا يهدف إلى تمكين الإسلام وعز المسلمين حتى أضحى من الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي، ومن أعظم ملوك المسلمين في العصر الحديث، جمع الله تعالى به الكلمة، وألف الله به قلوب الرعية في شبه الجزيرة العربية، وتجاوز ذلك التأثير خارج سلطانه، ولم يكن أمر هذه المهمة هينًا، أو يسيرًا في العصر الحديث بالذات حيث تطلب مواجهة قوىً دولية كبرى، ومذاهب وتيارات شتى في الحكم والسلطان - نشأت وظهرت في هذا العصر -، وأثرت في القادة والشعوب، ولكن الله أعانه في تحقيق المراد ويسر له مهمة الإنجاز الكبير من أجل دينه وأمته ورعيته، بعيدًا عن كل المؤثرات التي تحد من غاياته، أو تثير لديه الشك في قدرته على تحقيق الأهداف المنشودة.

لقد كانت المؤثرات والأحداث في القرن الرابع عشر، شديدة الوَقْع والتأثير في كثير من الحكام المسلمين، ملوكًا وقادة، فغيرت من تفكير بعضهم، وزرعت اليأس في قلوب الكثيرين.

فكانت الهجمة كبيرة في هذا القرن على البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب، وهي محنة الاستعمار بما يحمله من خراب للعامر من ديار الإسلام، ومن إفساد للعقول والنفوس بين شعوب الأمة الإسلامية.

وفي هذه الأجواء بذل الملك عبد العزيز رحمه الله جهده في جمع القبائل، والمناطق عوضا عن التشرذم، والتشتت الذي حرم شبه الجزيرة من سلطة موحدة، تخدم الأمن والإيمان وكافة مصالح أهلها.

ولقد أعاد هذا الملك في القرن الهجري الرابع عشر، سيرة ملوك المسلمين الصالحين وسلاطينهم، فقد كان كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ أساس ثقافته منذ بداية حياته، ووجه الأصلان "العظيمان" في الإسلام: القرآن الكريم والسنة النبوية، مقاصده وغاياته، وحكمت الشريعة أعماله وتصرفاته.

ولما تقدم؛ عقدت العزم مستعينا بالله ومتوكلا عليه في بيان اهتمام الملك الإمام عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله من خلال خطبه وأقواله، وقمت بوضع الخطة العلمية لهذا البحث على النحو الآتي:

أولًا: مشكلة الدراسة.

يبدو الخطاب الديني والدعوي في حديث الملك عبد العزيز العام، والخاص ظاهرا، فقد تميز خطابه الديني والدعوي بصدق الكلمة، والحرص على فهم الإسلام وتبليغ رسالته، وإدراك مقاصد الشريعة وأحكامها، وقد كان لديه من فقه الدعوة ما يغيب أحيانا عن بعض الدعاة؛ نظرا لثقافته وتربيته ونشأته النشأة الدينية.

وبالنظر إلى مجمل خطبه، وأحاديثه، ورسائله التي وجهها إلى عامة الناس، أو إلى الخاصة من أبنائه، وأتباعه، وعماله يكشف عن الداعية المسلم الصالح في ثياب ملك، فقد اجتمع له هدي القرآن، وقوة السلطان، وحقق الله له ما أراد من هداية العباد، وتوحيد البلاد، والتمكين في الأرض، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾ (سورة النور: ٥٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٥).

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في هذا الموضوع بالتعرف على اهتمامه بقضايا الدعوة وجهوده فيها من خلال خطبه، حيث تصاغ بالسؤال الرئيس الآتي:

ما أوجه اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية – الملك عبد العزيز – بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه؟

ثانيًا: أسئلة الدراسة.

تحاول الدراسة الحالية الإجابة عن السؤال الرئيس السابق وتندرج تحته الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما السيرة الشخصية للملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-، وما أهم جهوده وأعماله الدعوية؟

٢. ما أهم القضايا الدعوية التي تناولتها خطب الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله؟

٣. ما أهم ملامح عصر الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله -، وأثرها في الدعوة إلى الله؟

ثالثًا: أهمية الدراسة.

تنبع أهمية هذه الدراسة من الجوانب الآتية:

١. الحاجة إلى إبراز اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله تعالى؛ عرفانًا ووفاءً وشكرًا وتقديرا له ولجهوده في هذا المجال؛ وليكون أنموذجًا يحتذى، وأثرا يقتفى؛ وليعلم أبناء هذا الجيل سبب ما هم فيه من أمن وأمان.

٢. أن مما امتازت به هذه الدولة المباركة أن بيعة ملوكها قامت على الكتاب والسنة، منذ عهد المؤسس إلى اليوم في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (حفظه الله).

٣. أنه يتناول الحديث عن شخصية بارزة لها مكانتها في قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم حيث لعبت دورا بارزا ومهما في تأليف القلوب وجمع الكلمة وخدمة قضايا المسلمين وشؤونهم.

٤. ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، وبخاصة المتعلقة بدراسة القضايا الدعوية في خطب الملك عبد العزيز رحمه الله.

٥. ضرورة توثيق الإنتاج الفكري بشتى الوسائل والأساليب، للحفاظ على مكتسبات الأمة وتراثها، والدخول في مصاف مجتمع المعرفة وصناعة النشر المعلوماتي.

٦. يتوقع أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة المؤسسات الدعوية ومراكز البحث العلمي والمكتبات الحكومية والتجارية ودور النشر ومؤسسات الإنتاج الفكري وجميع المهتمين بهذا المجال في بناء خططهم الاستراتيجية.

رابعًا: أهداف الدراسة.

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الهدف الرئيس الآتي:

الكشف عن اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه.

وتندرج تحته الأهداف الفرعية الآتية:

١. التعرف على السيرة الشخصية للملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، وأبرز جهوده الدعوية.

٢. الكشف عن أهم ملامح عصر الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، وأثرها في الدعوة إلى الله.

٣. إبراز أهم القضايا الدعوية التي تناولتها خطب الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

خامسًا: حدود الدراسة.

تتحدد جوانب الدراسة بالآتي:

- الحدود الموضوعية:

تختص الدراسة الحالية في البحث عن الموضوعات الدعوية التي تناولتها خطب الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله).

- الحدود المكانية:

تقتصر الدراسة الحالية في البحث عن اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله تعالى.

- الحدود الزمانية:

الفترة الزمنية عهد الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله –.

سادسًا: مصطلحات الدراسة.

الدعوة إلى الله: " حث الناس على الخير، والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(١).

خطب الملوك: نماذج من الخطاب الديني والدعوي لملك المملكة العربية السعودية المؤسس عبد العزيز رحمه الله المراد الحديث عنه ويراعى في تلك النماذج أن تكون من أقوال الملك، وخطاباته في مراحل حياته، وأن تكون من أحاديثه وخطابه العام، وأحاديثه وخطابه لخاصته من الأبناء والجنود والأتباع أو الوافدين عليه، كما يراعي في الاختيار الأماكن التي وجه فيها الملك خطابه الديني والدعوي، والمناسبة التي صدر فيها الخطاب، ذلك أن الملك عبد العزيز رحمه الله كان يدعو إلى الله من خلال ولايته لأمور المسلمين، وإمارته عليهم، ومن خلال موقعه الديني، والسياسي، باعتباره ملكًا للملكة العربية السعودية، ونتيجة لذلك كانت دعوته غير محدودة في مكان أو مناسبة دينية، ولا كانت بصفة درس يلقى على الناس، ولكن كان يدعو إلى الله في خطابه العام أو الخاص أيا كان موضوع الخطاب، ومناسبته، وعلى اختلاف المكان، وتنوع فئات المخاطبين، وكان موقعه الديني، وموقعه السياسي، يتيح انتشار خطابه الديني والدعوي في كل مكان من شبه الجزيرة، وخارجها، وإلى كل المسلمين في العالم الإسلامي.

سابعًا: الدراسات السابقة.

كثيرة هي الدراسات التي تطرقت إلى موضوع الدعوة إلى الله تعالى عند ملوك المملكة العربية السعودية وجهودهم، وجهود الدولة في عهدهم، ولم يعثر الباحث على دراسات دعوية من خلال خطب الملك عبد العزيز، إلا أن هناك دراسات عامة لم تتطرق إلى الخطب من المنظور الدعوي، وهذه الدراسات يمكن أن يفيد منها الباحث، وهي على النحو الآتي:

الدراسة الأولى: دراسة سعود بن عبد العزيز الخلف ١٤٣٣هـ:

بعنوان (**معالم الوسطية في أقوال قادة المملكة العربية السعودية، الملك عبد العزيز وسعود وخالد وفهد – رحمهم الله –، وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز – حفظه**

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، دار الاعتصام، ط: ٩، ١٣٩٩هـ. ص ١٧.

الله) [1]:

قسّم الباحث دراسته إلى خمسة مباحث، تطرّق في **المبحث الأول**: إلى الوسطية في أقوال الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن- طيب الله ثراه-، وفي **المبحث الثاني**: الوسطية في أقوال الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله-، وفي **المبحث الثالث**: الوسطية في أقوال الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله -، وفي المبحث الرابع: الوسطية في أقوال الملك فهد - رحمه الله -، وفي المبحث الخامس: الوسطية في أقوال خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله-.

الدراسة الثانية: دراسة حامد معاوض الحجيلي ١٤٣٣هـ:

بعنوان (**جهود الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهر عن المنكر** " رسائله إلى عموم الأمة أنموذجا") [2]، حيث قسّم الباحث دراسته إلى مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، تناول في **المبحث الأول**: ترجمة موجزة عن الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود رحمه الله، **والمبحث الثاني**: رسائل الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **والمبحث الثالث**: التحليل العلمي لرسائل الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود رحمه الله.

---

(١) بحث محكم منشور، ضمن أبحاث ندوة: الوسطية منهج رباني ومطلب إنساني، كرسي الإمام محمد بن عبد الوهاب للوسطية ودراساتها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) بحث محكم منشور، ضمن أبحاث مؤتمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمستجدات العصرية، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود لدراسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الدراسة الثالثة: عبدالله بن صالح العبود ١٤٣٣هـ:

بعنوان (**عناية ملوك المملكة العربية السعودية بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** [(١)] ، تألفت الدراسة من مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة وقائمة بالمراجع وفهرس للموضوعات، تناول **المبحث الأول**: عناية المؤسس –رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **والمبحث الثاني**: عناية الملك سعود رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **والمبحث الثالث**: عناية الملك فيصل رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **والمبحث الرابع**: عناية الملك خالد رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **والمبحث الخامس**: عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **والمبحث السادس**: عناية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله –حفظه الله– بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

التعليق على الدراسات السابقة.

اتفق موضوع الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة من خلال الآتي:

١. تناولت الدراسة الأولى (الخلف)، والثانية (الحجيلي) موضوع أقوال الملوك والأمراء وخطبهم.

٢. كما تناولت الدراسة الثانية (الحجيلي) والثالثة (العبود) موضوعا من موضوعات الدعوة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واختلف من حيث:

١. إن الدراسة الأولى (الخلف) تناولت موضوع الوسطية في أقوال الملوك والأمراء وخطبهم، ولم تتناول موضوع الدعوة.

---

(١) بحث محكم منشور، ضمن أبحاث مؤتمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمستجدات العصرية، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود لدراسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢. أما الدراســة الثانية (الحجيلي) والثالثة (العبود) فتناولتا جانبا واحدا فقط من جوانب الدعوة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الدراسة هي أعم منهما.

٣. الشخصيات التي تناولتها الدراسة الثانية (الحجيلي) والدراسة الثالثة (العبود) تختلف عن الدراسة الحالية.

ثامنًا: خطة الدراسة.

تتكون الدراسة من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس فنية، وهي كالآتي:

المقدمة: وتشمل على:

أولًا: مشكلة الدراسة.

ثانيـًا: أسئلة الدراسة.

ثالـثا: أهمية الدراسة.

رابـعًا: أهداف الدراسة.

خامسًا: حدود الدراسة.

سادسًا: مصطلحات الدراسة.

سابعًا: الدراسات السابقة.

ثامنـًا: خطة الدراسة.

تاسعًا: منهج الدراسة.

التمهيد: السيرة الشخصية للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – رحمه الله –.

المبحث الأول: أبرز القضـــايا الدعوية التي تناولتها أقوال وخطب الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البلاغ ودعم الدعوة داخل سلطانه.

المطلب الثاني: البلاغ ودعم الدعوة خارج سلطانه.

المطلب الثالث: الاعتصام بالكتاب والسنة وجمع الكلمة ولم الشمل.

المبحث الثاني: أبرز وســـائل الدعوة لدى الملك عبد العزيز وعلاقتها بكلماته وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحقيقه مرجعية الدعوة.

المطلب الثاني: اهتمامه بنشر كتب السلف الصالح واطلاعه عليها ووقفها.

المطلب الثالث: الوسائل الإعلامية في عهده.

المبحث الثالث: نتائج الكفاح وثمراته.

الخاتمة: وتشمل على:

- نتائج الدراسة.
- التوصيات والمقترحات.

الفهارس: وتشمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر المراجع.
- فهرس الملاحق.
- فهرس الموضوعات.

تاسعًا: منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في الدراسة على منهجين:

المنهج الوصفي (الوثائقي): ويراد به " الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع -مشكلة البحث، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما

يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث "[١] .

المنهج الوصـــفي التحليلي: وهو الذي يصـــف ما كان ويفســـره، ويعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات المختلفة عند الجماعات[٢] .

وسوف يتخذ الباحث الخطوات الآتية في التعامل مع المادة العلمية للدراسة:

١/ عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في كتاب الله عز وجل بذكر سورها وأرقامها مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢/ عزو الأحاديث إلى مصـــادرها الأصـيلة المعتمدة من كتب الســـنة النبوية، فإن كان الحديث في الصـــحيحين أو أحدهما اكتفى الباحث بالعزو إليهما، أو أحدهما؛ لتلقي الأمة أحاديثهما بالقبول، وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما فيذكر الباحث ما يقف عليه من أقوال أهل العلم في بيان درجته.

٣/ توثيق النصوص والنقول من مصادرها الأصيلة.

٤/ ترجمة الأعلام التي سترد في هذه الدراسة غير المشهورين ترجمة موجزة.

٥/ شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية الواردة في الدراسة.

٦/ الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٧/ تذييل الدراسة بفهارس فنية على النحو المبين في الخطة.

---

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساف، ص ٢٠٦.

(٢) مناهج البحث في التربية وعلم النفس، جابر عبد الحميد جابر، وأحمد خيري كاظم، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨، ص١٢٦

التمهيـــــــد

السيرة الشخصية للملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله)

اسمه ونسبه:

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصـــل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن ســعود بن مقرن ابن مرخان، ينتهي نسـبه إلى بكر بن وائل من ربيعة، واشـتهرت عائلته بآل سـعود، وآل مقرن (١).

مولده:

ولد عبدالعزيز في قصر الإمارة بالرياض سنة ١٢٩٣هـــ، الموافق ١٨٧٦م، وفي كنف أمه سارة بنت أحمد السديري، وكانت الأم امرأة قوية ذات حسب ونسب وأخلاق عالية، كشأن النساء ذوات العفاف والدين، كان البيت الذي آوى عبد العزيز في طفولته الباكرة بيتًا يتصف بالورع والتقوى (٢).

تعليمه:

عهد به أبوه الإمام عبدالرحمن إلى القاضـــي عبدالله الخريجي، من علماء الخرج؛ فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سورًا من القرآن الكريم، وقرأه كاملًا على الشيخ محمد بن

---

(١) أحسن القصص (أو سيرة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود)، نظم: خالد ابن محمد الفرج، مخطوط ق:١٤هــــ، برقم: (٩٥٣,٨)، جامعة الملك ســعود-الرياض. ص:٧؛ صــفات الملك عبدالعزيز وسـيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، ندوة (الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز-رحمه الله- بالرياض١٤٢٠هـ) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ص: ٣

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين-بيروت. الطبعة:١٠، ١٩٩٩م، ص: ١٧؛ والملك عبدالعزيز آل سـعود أمة في رجل، عبدالله بن عبدالمحسـن التركي، (بحث منشـور على الشبكة العنكبوتية)، ص:٣٤

مصيبيح، ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ ابن عبداللطيف في كراسة صغيرة أعدها خصيصًا له (١).

نشأته:

نشـأ الملك عبد العزيز على التقى والورع، ونما جسـده كما نما علمه بما تعلمه من معلميه، وما تلقاه من أبويه، وقد كان حاد الذكاء، متوقد الذهن، كما تعلم ركوب الخيل، واستعمال السلاح، وهو في سن الصبا، وفضلا عن ذلك فقد أحاط بما حوله من ظروف الحياة التي كانت في شدتها، ورأى ما يعالجه أبوه الإمام عبد الرحمن من مشكلاتها، وتعلم على يديه أول دروس السياسة التي يلزم الحكام والأمراء والسلاطين تعلمها وممارستها (٢).

تنقل الإمام عبدالرحمن والد الملك عبدالعزيز في البادية، وجاور بعض قبائلها، وبدأ عبدالعزيز بألف البادية، ويجاري أبنائها في احتمال مكاره العيش، والصـبر على الظمأ والجوع والتعب وافتراش الأرض والتحاف السماء (٣).

حياته السياسية وتوليه الملك:

نشـأ الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن في بيئة ملك ومنعة، وتحت كنف والده الإمام عبدالرحمن آل سعود، فـ"منذ نعومة أظفاره وجهه والده إلى مختلف الأمصار والبلدان سفيراً عنه يفاوضـهم، ويختبر تقلبات الزمن وصـعاب الأمور، ويألف خشـونة الحياة، ويختبر تقلبات الزمن وطباع الناس، فذهب في مفاوضـات إلى حاكم قطر، وحين فاوض العثمانيون والده في الذهاب إلى الكويت كان هو المكلف بنقل أسـرته من الدوحة إلى الكويت، وشاهد بنفسه ما حصل بين الإخوة: محمد ومبارك وصباح، حكام الكويت،

(١) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ص:١٧

(٢) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص:٣٥

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص:١٨-٢٠

وتعلم الكثير عن السياسة والحكم"(١).

وبعد نضال شديد وكفاح قوي ومواقف مشهودة استطاع الملك عبد العزيز استرجاع ملك آبائه في جزيرة العرب، "حيث أدرك أن ما يريد تحقيقه ليس مجرد الرغبة في استعادة ملك الآباء والأجداد فقط، وإنما هو في الواقع تحرك يجب أن يكون من أجل البناء والوحدة، ونشر الأمن والسلام في ربوع المنطقة، وأن هذا لا يكون إلا بالتضحية الواعية، والإرادة القوية، والإيمان الكامل بالله"(٢).

وكان ذلك في ١٣٢٠هـ، الموافق: ١٩٠٢م، بعد أن حرر الرياض من حكم آل الرشيد، واستدعى، والده من الكويت لتولي الإمارة في البلاد؛ فتنازل له والده الإمام عبدالرحمن عن الحكم وتمت البيعة له (٣).

وكان استرداد الرياض عملًا بطوليًا من الملك عبد العزيز، لمعت فيه شخصيته أميرًا عالي الهمة، بعيد الغور، صاحب شجاعة وفداء قلَّ أنْ يكون له نظيرٌ، وقائدًا فذًا ملهمًا يستمد شجاعته وقدراته من ثقته بالله تعالى، وهذه السجايا والخصائص الشخصية للملك، هي التي أهلته بعد استرداد الرياض، لكل الأعمال الجليلة والإنجازات العظيمة في تاريخ العروبة والإسلام، هذه السجايا التي ظهرت في سيرته مع الناس تستحق أن تذكر؛ لأنها سجايا وخصال، وهبها الله للملك عبد العزيز (٤).

ولقد استطاع استرداد الرياض بأقل قدر من الخسائر في الأرواح والممتلكات، فلم يكن يقود جيشا، ولا كان يواجه جيشا، وكان من بين عناصر النجاح حكم أبيه السابق

---

(١) المرجع السابق، ص:٢١-٢٢

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، مرجع سابق، ص: ٧

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص:٣٢

(٤) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص:٦٢.

للرياض، ومقام أسرة آل سعود بين أهلها (١).

توحيده لجزيرة العرب:

لم يكن استرداد الملك عبد العزيز -رحمه الله- لعاصمة الدولة السعودية هو البداية، ولم يكن انتصاره في الرياض سوى الجولة الأولى في ملحمة امتدت عشرات السنين، وما كان في استطاعة أحد من الناس أن يسبر غور الملك وقت أن تنازل أبوه الإمام عبد الرحمن عن إمارة الرياض، ولعل خصومه قد تنبهوا إلى ظهور أمير قوي يناجزهم على ما تحت أيديهم من البلاد، ومن تحت سلطانهم من العباد، ولكنهم كانوا عاجزين عن تصور مدى التغيير الذي يمكن أن يحدثه هذا الأمير القوي في شبه الجزيرة العربية (٢).

وظل يرقب عن كثب أطراف البلاد المترامية، وما حل بها من تقطع وتشرذم، ونزاعات قبلية، وأطماع سياسية حالة دون استقرار البلاد، وأمنها، إضافة إلى ما حظي به الملك حب الناس له من حوله، وانعطافهم عليهم من كل الجهات، وسوء تقدير خصومه لقوته العسكرية، وحنكته السياسية، ودهائه في الحرب، فاستطاع استعادة غالب منطقة نجد للحكم السعودي، وقضى على نفوذ أكبر أعدائه في تلك المنطقة وهو ابن رشيد.

كما قام -رحمه الله- بإكرام العلماء، وقربهم في مجلسه، وأكرمهم، وعرف لأهل المقامات مكانتهم في قومهم، وامتد نفوذه ليحرر منطقة الاحساء بحنكة وحكمة من أيدي الحامية التركية في عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م).

واجتذب الملك عبد العزيز أهل الأحساء إلى جانبه بتأمينهم في مدينتهم، وكان أعيانهم قد كتبوا للملك عبد العزيز، يطلبون منه ضم الأحساء، لينهي معاناتهم مما كانوا يعيشونه من مصاعب اقتصادية وسياسية، كما استطاع أن يجتذب أهل القطيف إليه،

---

(١) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٦٤.

(٢) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٦٤.

فآثرت الحامية التركية الانسحاب [١].

وفي عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) سلم أهل حائل، وأمريها أمرهم إلى الملك عبدالعزيز بعد أن أمنهم على أرواحهم وأموالهم، وأعراضهم، وكان الحال مشابهًا في منطقة عسير، ونجران، وجيزان جنوب الجزيرة العربية [٢].

كان الملك عبد العزيز -رحمه الله- ينظر إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية، نظرة خاصة، لمكانتهما الدينية.

وكان- رحمه الله- يدرك ضرورة استتباب الأمن في كل شبه الجزيرة، وعلى وجه الخصوص في الحرمين الشريفين، وأهمية بذل الجهد، والطاقة في تيسير سبل الحج، والعمرة، والزيارة، واتخاذ الأسباب التي تعين المسلمين على أداء نسكهم، ويعتبر تحقيق ذلك واجبًا دينيًا، ونوعًا من أنواع الجهاد في سبيل الله، ويدرك أن أسلافه قد حققوا ذلك، وأن البلاد المقدسة وما جاورها كانت جزءا غاليا من الدولة السعودية، وأن ضمها إلى الأجزاء الأخرى؛ لتنعم بما نعمت به، مطلب مواطني تلك البلاد، ومطلب المسلمين كافة [٣].

ففي عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) كانت الحجاز والتي تحتضن مدينتي مكة والمكرمة، المدينة المنورة المقدستين تحت حكم الملك عبدالعزيز، فأمن ساكنيها، وأبقى على الجهاز الإداري العامل فيها، واجتمع بالعلماء فيها، وبايعوها على السمع والطاعة.

فقام فيهم ووعظهم وحثهم على تقوى الله تعالى، والسعي في مرضاته، واحترام الدماء، والأعراض، والأموال بغير حق شرعي، واتباع منهج الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، وقال مخاطبًا لهم: "أبشركم بحول الله وقوته، أن بلد الله الحرام في إقبال وخير، وأمن، وراحة، وإني- إن شاء الله تعالى- سأبذل جهدي فيما يؤمن

---

(١) تاريخ ملوك آل سعود، للأمير سعود بن هذلول، ص٩٨ وما بعدها، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ.

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، مرجع سابق، ص، ١٤.

(٣) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٧١-٧٢.

البلاد المقدسة، ويحل الراحة والاطمئنان بها "[١].

حينها تم للملك عبد العزيز لم شمل البلاد، وأصبح يلقب بملك الحجاز ونجد وملحقاتها، حتى عام ١٣٥١هـ، صدر مرسوم ملكي برقم: ٢٧١٦ في ١٣٥١/٥/١٧هـ، بالموافقة على تسمية الدولة باسم (المملكة العربية السعودية) ويلقب ملكها (ملك المملكة العربية السعودية) على أن يكون ذلك اعتبارًا من يوم الخميس ١٣٥١/٥/٢١هـ [٢].

اهتمامه (رحمه الله) بالدعوة والدعاة:

انصهرت سمات الدعوة في الملك عبد العزيز – رحمه الله – فكانت جزءا من كيانه يحرص عليها منذ تشبعت نفسه بدور أسرته في نصرة الدعوة، وأن كيان دولتهم لم يقم إلا على هذه الدعوة الناصرة لدين الله، وقد كان من كلمات الملك فيصل – رحمه الله –:

"البيت السعودي هو بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك"[٣].

" وكانت معرفة الملك عبدالعزيز بالدين وإخلاص للإسلام من الأمور التي جعلته يُعتبر من أعظم قادة المسلمين عبر التأريخ، وكان قادرًا على شرح القرآن وتفسيره بطريقة ممتازة مفهومة لدى أبسط رجال البادية وفي اعتقادي أنه قدم للعقيدة الإسلامية خدمة لم يقدم مثلها أي رجل من هذا الزمن"[٤].

كذلك كانت شخصية الملك عبدالعزيز الدعوية، والتي ما زالت آثارها، ومآثرها

---

(١) بلاغ عام من السلطان عبدالعزيز إلى أهل الحجاز، جريدة أم القرى، العدد ٥٢، بتاريخ: ١٣٤٤/٦/١١هـ. ص:١. نقلا عن موقع: مقاتل من الصحراء، الاصدار ١٥، (http://www.moqatel.com) الملحق رقم: ٢٦، بتاريخ: ١٤٣٦/٣/١٤هـ.

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، مرجع سابق، ص، ١٦.

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي ، ١ : ٣٠ .

(٤)الملك عبد العزيز والتعليم، عبد الله سعيد أبو راس ، وبدر الدين الديب: ط١، شركة العبيكان، الرياض، ١٤٠٧هـ. ص: ٢٢

ملموســـــة إلى اليوم من خلال خطبه وكلماته التي وثقها عنه من كانوا معه من علماء وكتاب، ومفكرين مسلمين وغير مسلمين.

ولذا يرى المتابع لجميع كلماته ونصائحه التي يرسلها للبلدان، ثم في خطبه في مواسم الحج وفي المناسبات، واهتمامًا كبيرًا بتأصيل هذه الأمور، ووجوب إخلاصها لله سبحانه؛ لأنها سمات عرفها تعليما في الصغر، ورسخت في عقله من الأبوين تربية وتعويدا، ومكنها المجتمع المتدين تطبيقا، وإنكارا على من يخطئ في العمل والتصــرف.. فاختزنت كل ذلك ذاكرته، ليبثها في الآخرين دعوة وتعريفات بحقائق دين الإســلام، ومن التفســير: أدرك ما جاء في كتاب الله ســبحانه، وفي المصــدر التشــريعي الأول في دين الإســلام: من أوامر ونواهي، وما تعنيه شريعة الله، من صفات الداعي إلى دين الله، الحريص على إنقاذ البشرية مما وقعوا فيه من مخالفات لأمر الله، وأمر رسله جميعا [١]، كما سيأتي.

وفاته (رحمه الله):

توفي الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن –رحمه الله– في يوم الاثنين ١٣٧٣/٣/٢هـ. في مدينة الطائف، ونقل جثمانه إلى الرياض حيث دفن في مقبرة العود [٢].

---

(١) الســمات الدعوية في شــخصــية الملك عبدالعزيز، محمد بن ســعد الشــويعر، بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (رحمه الله)، وزارة الشـؤون الاسـلامية والأوقاف والدعوة والارشـاد–الرياض. الطبعة: ١، ١٤٢١هـ. ص ص: (٩٠، ٩٢).

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، مرجع سابق، ص، ٢٢.

المبحث الأول

أبرز القضايا الدعوية التي تناولتها أقوال وخطب الملك عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله)

المطلب الأول: البلاغ ودعم الدعوة داخل سلطانه.

لم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبًا على هذه الأمة فحسب، بل كان واجبًا من قبل على الأمم المتقدمة، كما دل على ذلك القرآن الكريم في مواضع كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (١).

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثار طيبة على الفرد والمجتمع، ومنها على سبيل المثال:-

١- أنه سبب في الخيرية، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (٢) وفي هذه الآية مدح هذه الأمّة ما أقاموا ذلك واتصفوا به.

٢- أنه سبب في الفلاح لمن قام به، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)، والفلاح مترتب على الدعوة الى الخير والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص صفات المؤمنين، لقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)، فكان من أخص صفات المؤمنين: موالاة بعضهم بعضًا وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وأن ذلك من صفات الإيمان الذي به تستجلب رحمة الله تعالى للداعية والمدعو المستجيب، وفي ذلك أثر محمود على المجتمع المسلم كله، واستمرار للدعوة إلى الله تعالى التي تعتبر أساسًا وركنًا ركينًا للنجاة من الهلكة والعذاب.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة من الهلاك، فإنما تهلك المجتمعات، ويحق عليها العذاب، إذا كثر فيها الفساد، وطغى العباد، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم سبب نجاة المجتمع من الهلاك الذي ربما أصابه بسبب الذنوب الحاصلة، وتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى بالمعاصي من ارتكاب المحرمات، والإعراض عن الواجبات، وقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك مثلًا بديعًا حين قال: **(مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)** (٢).

٥- الأمر بالمعروف سبب في كسب الأجر الكبير، فمن أمر بصلاة مثلًا كان له مثل أجر من صلاها، ومن أمر بصدقة أو صوم أو حج أو نحو ذلك من الطاعات، الواجبات أو المستحبات، كان له من الأجر مثل أجر من فعلها ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الشركة، حديث رقم: (٢٤٩٣)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: ١، ١٤٢٢هـ.

غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شـــيء)) (١)، "والوعيد في هذا الحديث محمول على من لم يتب من الذنب "(٢)

ولذلك كانت "حياة الملك عبد العزيز -رحمه الله- تمثل ملحمة من الكفاح والنضال، خاضها، وقادها الملك الصالح عبد العزيز آل سعود في شبه الجزيرة العربية. لقد كان نضاله كله منذ بدأ في شبابه الباكر تحت راية التوحيد، باعتباره فريضة شرعية، والوحدة باعتبارها هدفًا سياسيا لشبه الجزيرة العربية"(٣).

وخلال أكثر من نصـــف قرن من حكم الإمام عبد العزيز ارتفعت منارة التوحيد، وقامت الوحدة في المملكة، وعرفت طريقها إلى التقدم والنمو والازدهار في جميع مجالات حياتها، وخلال حياة الملك ترســـخت قيم ومبادئ، ما تزال حية في نفوس أبنائه العظام، وما تزال آثارها ماثلة أمام الناس في شـــبه الجزيرة، وإذا كان الملك عبد العزيز رحمه الله قد نجح في توحيد المملكة تحت راية التوحيد، وأقام مملكة ينظر إليها المســـلمون باعتبارها نموذجا صحيحا للدولة الإسلامية المعاصرة، فإن ذلك النجاح لم يأت طفرة في حياة الملك عبد العزيز، بل ســـبقه من الجهد والجهاد ما ينبغي أن يعرف للأجيال الحاضـــرة، والقادمة من شباب الأمة الإسلامية كلها(٤).

---

(١) صـــحيح مســـلم ٢/٧٠٥، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصـــدقة ولو بشـــق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ، رقم الحديث ١٠١٧ .

(٢) ينظر: البخاري مع الفتح ١/١٩٣.

(٣) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، بتصرف يسير، مرجع سابق، ص:١٠

(٤) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص:١١

قال فيه العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (رحمه الله) (١): " وقد من الله على هذه البلاد بدعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، ومناصرة جد هذه الأسرة الإمام محمد بن سعود رحمه الله لهذه الدعوة، وحصل بذلك من الخير العظيم ونشر العلم والحق، ونشر الهدى، والقضاء على الشرك، وعلى وسائل الشرك، وعلى قمع أنواع الفساد من البدع والضلالات ما يعلمه أهل العلم والإيمان ممن سبر هذه الدعوة، وشارك فيها، وناصر أهلها؛ فصارت هذه البلاد مضرب المثل في توحيد الله والإخلاص له، والبعد عن البدع والضلالات، ووسائل الشرك حتى جرى ما جرى من الفتنة المعلومة التي حصل بسببها العدوان على هذه الدعوة وأهلها، ثم جمع الله الشمل على يدي الإمام تركي بن

---

(١) هو الإمام العالم المجدد عبدالعزيز بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز ولد في الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وكان بصيراً في أول طلبه للعلم ـ كما يقول ـ ويقول: ثم أصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦هـ فضعف بصري بسبب ذلك ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠هـ والحمد لله على ذلك. طلب العلم منذ الصغر، وحفظ القرآن قبل البلوغ، وتلقى العلوم الشرعية على جمع من العلماء ومنهم: الشيخ محمد بن عبداللطيف ابن عبدالوهاب، و الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، وغيرهم (رحمهم الله). كان معروفًا بالتقى والمسارعة إلى الخيرات وقضاء حوائج الناس بجاهه وماله، وعرف بالمواظبة على الطاعات منذ نعومة أظفاره، وكان شديد التعظيم للسنة، تولى القضاء سنة: ١٣٥٧هـ، ثم التعليم والافتاء فكان المفتي العام المملكة العربية السعودية في زمانه منذ عام ١٤١٤هـ إلى وفاته في: (١٤٢٠/١/٢٧هـ) رحمه الله، تتلمذ عليه خلق كثير منهم: الشيخ راشد بن صالح بن خنين، الشيخ العلامة عبدالله بن حسن بن قعود، سعد وَقّاص البخاريُّ. له الكثير من المؤلفات، والدروس والمحاضرات، وساهم في تأسيس العديد من المعاهد والمدارس الشرعية داخل المملكة وخارجها، ودافع عن السنة، ورد على أهل البدع، وناصر أهل الحق في شتى بقاع الأرض (رحمه الله).

انظر: الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله نموذج من الرعيل الأول، عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢١هـ. وشذرات البلاتين من سير العلماء المعاصرين، أبو الأشبال أحمد سالم المصري، دار الكيان للنشر-الرياض، ط:١، ١٤٢٦هـ. ص: ١١٨.

عبد الله بن محمد بن سعود والد الإمام فيصل بن تركي رحمة الله على الجميع، ثم على يد ابنه فيصل بن تركي، ثم على يد ابن ابنه عبد الله بن فيصل بن تركي ثم حصلت فجوة بعد موت الإمام عبد الله بن فيصل رحمه الله **فجاء الله بالملك عبد العزيز ونفع الله به المسلمين، وجمع الله به الكلمة، ورفع به مقام الحق، ونصر به دينه، وأقام به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحصل به من العلم العظيم والنعم الكثيرة، وإقامة العدل، ونصر الحق، ونشر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ما لا يحصيه إلا الله عز وجل**، ثم سار على ذلك أبناؤه من بعده في إقامة الحق، ونشر العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١).

لذا فإن الملك عبدالعزيز ما إن عادة إلى الرياض حتى بدأ في لم شتات الأمة على هدى من كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم، فاستجابت له الأمة، وسار بهم إلى بر الأمان في حركة توحيدية شملت معظمة أجزاء الجزيرة العربية، فتلاقت القيادة والأمة وأثمر ذلك التلاقي قيام دولة ثابتة الأركان شعارها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ودستورها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما إن تمكن (رحمه الله) من توحيد المملكة حتى بدأ في تأسيس قواعد نهضتها، ورسوخ قيمها، ومبادئها (٢).

لهذا لم يكن غريبًا أن تكون كلمات الملك، وتوجيهاته، وخطبه في المناسبات العامة معبرة أصدق تعبير عن شخصيته التي يملؤها الإيمان بالله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكان الملك لا يتردد في نصح شعبه، وتوجيه الموعظة إليهم، فقد آتاه الله حظًا وافرًا من العلم

---

(١) بيان حقوق ولاة الأمر على الأمة، من: إملاءات الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله)، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله)، تاريخ الاسترجاع: ١٤٣٦/٧/٢١هـ. الرابط: (http://www.binbaz.org.sa/node/8647).

(٢) مبادئ وتوجيهات تربوية مستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود، حنان صالح حكمي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى –كلية التربية ١٤١٨هـ. ص: ١٨

بالدين والدنيا [١].

ومن ذلك قوله (رحمه الله): فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يتقي الله في سره وعلانيته، وأن يحاسب نفسه، هل قام بما أو جب الله عليه وامتثل ما أمر الله به ورسوله، ووقف عند حدوده فلم يتجاوزها، أم هو منقاد مع شهواته وهواه، قد أعطى نفسه هواها، ولم ينهها عن ارتكاب المحرمات، فلو علم أنه موقوف ومسؤول عن جميع أعماله وأوقاله وأحواله؛ لخلا بنفسهن وحاسبها، واتقى الله سبحانه وبحمده، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

وهذا لازم لكل واحد بحسب قدرته، فإذا قام به بعض المعينين له سقط عن الباقين، وإذا تركوه أثموا وعوقبوا، فكونوا من تركه على حذر عظيم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليوشكن الله أن يعمكم بعذاب من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)** [٣].

فلا صلاح للخاصة والعامة في جميع القرى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...الخ [٤].

وفي موضع آخر يقول: (إن التناصح ضروري للمسلمين، ولكن يجب على المسلم ان لا ينسى نفسه ليكون لنصحه أثر في القلوب، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ

---

(١) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص:٣٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٩١/١)، وأبو داود في الملاحم: (٤٣٣٦)، والترمذي في التفسير: (٣٠٤٧)، وابن ماجه في الفتن: (٤٠٠٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقد اختلف في إرساله ووصله، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، برقم: (١١٠٥).

(٤) مختارات من الخطب الملكية، دارة الملك عبدالعزيز–الرياض. ١٤١٩هـ. (٢٨/١-٢٩)

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] فالواجب على المسلم ان يحرص على دينه وعلى نصيحة المسلمين، وأن يقدم الخير على الشر، كل هذا من الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2] والأمان جند من جند الله، والخوف جند من جند الله؛ فالإنسان لا يأمن إلا بأمن الله، ويجب ان تعتقدوا أن ما ترونه من الزمن الآن ليس هو إلا نعمة من الله أنعم بها على المسلمين فيجب علينا أن نشكر الله على هذه المنة الكبرى، والنعمة العظمى، وإن أشد ما يُخاف على المسلمين الشرك بالله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[3] وإن ذنب الشرك عظيم، وإنه محنة وبلاء، وإنه كفر وليس بعد الكفر ذنب، فيجب أن ينتبه المسلمون...)[4].

ولهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم الركائز الدعوية التي قامت عليها دعوة الملك عبدالعزيز آل سعود وأبنائه من بعده إلى يومنا هذا حيث اعتبرت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة أساسية في الحكم منذ ذلك الوقت، وهذه العناية منبثقة من شعور الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في استتباب الحكم، واستقرار الدولة الناشئة في ذلك الوقت، وتلك الحقبة من الزمن التي كانت فيها جزيرة العرب مضطربة تموج بها القلاقل والفتن من كل ناحية، وصوب كل اتجاه.

وتعود أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه فريضة فرضها الله على هذه الأمة، فكان واجبًا لا يسع المسلمين تركه كل بحسب علمه وقدرته.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٤) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٩٥).

قال ابن حزم (رحمه الله): اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم [١].

ومن ذلك دعوته (رحمه الله) للتحذير من الالحاد في الدين ومن الخروج على جماعة المسلمين، أو ارتكاب المحاذير الشرعية المختلف، حيث قال في إحدى خطبه: (إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفيه، ولا يسترسل في غوايته، وأحذركم من أمرين:

الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة، فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبدًا، ومن رأيت منه زيفًا عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا الشدة، ومن العقوبة إلا أعظمها.

الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها، فهؤلاء شأني معهم شأن "الديناميت" مع النار) [٢].

قال: (يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا، فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه، فيتجنب المعاصي والمنكرات، ويتبع أوامر الله عزوجل...إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم...فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم مورد الخير...) [٣].

---

(١) مراتب الإجماع، باب من الاجماع في الاعتقادات، لابن حزم الظاهري، طبع: مكتبة القدسي، ١٣٥٧هـ. ص: ١٧٦.

(٢) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٦٧).

(٣) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٨٦-٨٧).

المطلب الثاني: البلاغ ودعم الدعوة خارج سلطانه.

أجمعت الأمة على أن الدعوة إلى الله تعالى واجب على المسلمين، وقد تميزت هذه الأمة عن غيرها من الأمم السابقة بأنها أخرجت للعالمين بقصد تحقيق هذه الشريعة الربانية السمحة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

ومن هذا المنطلق، وإحساسًا بالمسؤولية الدينية اتجاه أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد سعى الملك عبدالعزيز إلى العمل على أداء هذا الواجب الشرعي من خلال ما وهبه الله من تمكين وسلطة في جزيرة العرب.

من ذلك قوله في لقائه الحجيج بالمسجد الحرام بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (وبعد: فإنه سيرنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من هذا البيت الحرام، في هذا اليوم المبارك، ونتناصح ونتواصى بالبر والتقوى وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله، وإخلاص العبادة له وحده، كما أمرنا ربنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢)، ندعو حجيج بيت الله الحرام لنبذ كل ما يخالف أمر الله، واتباع ما امر الله تعالى به، كما ندعو المسلمين لأن يجتمعوا بقلوبهم على كلمة الإخلاص، وأن يزيلوا ما بينهم من خلافات، وأن يعتصموا بحبل الله..)(٣).

ولم يقتصر حرصة على نشر هذه الشعيرة داخل البلاد فقط، بل سعى لدعم ونشر هذه الشعيرة في أنحاء العلم، وفي مختلف الدول الإسلامية وغيرها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (١٥٠-١٥١).

فقد كان –رحمه الله– مهتمًا بالدعوة إلى الله تعالى بشتى الطرق ومختلف الوسائل المشروعة، وذلك من خلال بيان المنهج الصحيح، والسعي وراء تحقيق أهداف الدعوة إلى الله، وظل يسعى تدعم ونشر الدعوة إلى الله خارج حدود سلطانه، كما ظل حريصًا على إبقاء الدعوة إلى الله فاعلة داخل البلاد وفي مختلف أرجائها.

وفي كلماته – رحمه الله – تبرز ما يخامر عقله، إذ في المؤتمر الإسلامي الذي عقد عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥م بمكة في ١٨ جلسة تقريبا، تحدث الملك عبد العزيز خلاله للوفود بكلمات تدل على أن الدعوة إلى دين الله، وتنقية الإسلام من المنكرات والبدع الدخيلة على تعاليمه، هي هاجسه والمسيطرة على مشاعره، فكان مما قاله لوفد علماء الهند(١): " أعترف أمام الله، وأمام المسلمين، بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الله الصحيح القديم الذي جاء به محمد ﷺ البعيد عن العقائد الوثنية، التي ليست من الإسلام في شيء وأن عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، شعائرنا هي شعائرهم، وأننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون، فيتحد العالم الإسلامي. نريد أن يكون اتحادنا قويا متينا، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعا تاما لأحكام القرآن والسنة" (٢).

إن الملك عبد العزيز كان يستشعر في مسعاه واجبًا دينيًا وخلقيًا، كان يمثله سلوكه الشخصي، منذ نعومة أظفاره، في طهارته وورعه وتقاه، فقد كان يرحمه الله قوي الصلة

(١)السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، محمد بن سعد الشويعر، ندوة علمية تحت عنوان " الدعوة في عهد الملك عبد العزيز " انعقدت في الرياض في ٢٣/ ٢/ ١٤٢٠ هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في عام ١٤٢٠هـ، الرياض، ص ٥٨-٥٩.

(٢)الملك الراشد (جلالة الملك المغفور له عبدالعزيز آل سعود)، عبد المنعم الغلامي، عناية: مؤيد الغلامي، دار اللواء، ط:٢، ١٤٠٠هـ. ص ٥٠.

بالله ﷻ لا ينام من الليل إلا قليله، وكان يقضـــي أكثره راكعا أو ســاجدا، يطلب العون من الله، ويستمد النصـر منه سبحانه، في كل أمر من أموره، وكان يؤمن إيمانا مطلقا بأنه لا يتوفر للعقيدة عزة وانتشــــار وخلود، إلا في ظل كيان آمن مطمئن، يقوم على رعايتها وتبليغها، والدعوة إليها، والدفاع عنها (١).

ويتضـــح ذلك في إحدى خطبه الجامعة بقوله: إنني أعمل جهد الطاقة، في ســـبيل إعلاء كلمة الله، ورفعة هذا الدين، وإحلال عقيدة السلف، وسنة رسول الله ﷺ وما جاء عن الخلفاء الراشـدين مكانها المناسب، وإنني مسـلم أحب جمع كلمة الإسـلام والمسـلمين وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، ويتحد شملهم، ويعلو شأنهم (٢).

---

(١) السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، محمد بن سعد الشويعر، مرجع سابق، ص: ٦٦.

(٢) المصحف والسيف، محيي الدين القابسي، دار الناصر للطباعة– الرياض، ط:٣، ١٤١٨ هـ، ص: ٣٥.

المطلب الثالث: الاعتصام بالكتاب والسنة وجمع الكلمة ولم الشمل:

سعى الملك عبدالعزيز منذ أن قدم بدأ مسيرته في استرداد ملك أجداده إلى العمل على توحيد الكلمة ولم الشمل، وتوحيد الصف، ونبذ الخلافات التشرذم والتقاطع والتدابر الذي كان يعم القبائل العربية في جزيرة العرب ذلك الوقت.

حيث عمل على جمع كلمة المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبين في كثير من المواقف والخطب به أنه لن يكون فلاح ولا نجاح للأمة إلا بالاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والسمع والطاعة، ومن ذلك:

١- الدعوة الدائمة في أغلب المناسبات للتمسك بالدين ونبذ الفرقة، والاعتصام بالسنة؛ من قال في بعض خطبه: (الإنسان عليه حقوق وواجبات، والأمر بيد الله، ماشاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وكلٌ بقضاء وقدر، وليس للإنسان في الأشياء حول ولاقوة، وما عليه إلا أن يعمل ولا ينظر إلى أقوال الناس؛ لأن محمد صلى الله عليه وسلم -وهو أفضل الخلق وصفوة الرسل ونبي الله وحبيبه وخاتم أنبيائه وأفضل أهل السماء والأرض-قد عابوا عليه، ولكن ذلك لم ينفعهم ولم يفدهم شيئًا، فقد نصره الله تعالى، وآواه وأعزه وخذل أعدائه، وإن من طرق الخير اتباع الأخيار، والأخيار هم العلماء العاملون، وهم مغناطيس القلوب متى ما عملوا بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإني أعتمد في جميع أعمال على الله وحده لا شريك له، واعتمد عليه في السر والعلن، والظاهر والباطن، وإن الله مسهل طريقنا. .. وأما نحن فلا عز لنا إلا بالإسلام ولا سلاح لنا إلا بالتمسك به، وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا، وبؤنا بغضب من الله، وإن الذي أريده وأطلبه منكم هو ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله، وهذه طريقتي التي أسير عليها والتي لايمكن أن أحيد عنها مهما تكلفت، وإني أحب أن أردد عليكم هذا لاعتقادي أنه كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض

أنبتت وأثمرت نباتها..) [١]

٢- الحث على تعاضد المسلمين وتماسكهم وعدم الاغترار بالحضارة الغربية المادية الزائفة، والعمل بالكتاب والسنة، وترك الاعجاب بدساتير الغرب المنتحلة.

حيث يقول في بعض خطبه في هذا الصدد: قال: (لقد جاءنا أشرف الأولين والآخرين النبي الكريم، فنور الله به علينا بكتابه، فكان سراجًا منيرًا يهدى الضالين ويرشد الغاوين، وبهدي هذا النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم- تمكن العرب من بسط سلطانهم على الأمصار الشاسعة الواسعة، وعلى نشر نفوذهم في مشارق الأرض ومغاربها بعد أن كانوا وليس لهم من الأمر شيء، والحقيقة أننا لم نكن شيء مذكورًا لولا هذا النبي العربي الكريم –صلى الله عليه وسلم- وهذا الدين الحنيف؛ فالإسلام هو الذي ينقذنا من كل المحن والكوارث، ويجنبنا من عذا الجحيم، ولا يكون المسلم مسلمًا إلا باتباع ما جاء عن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، الذين يفخر بهم كل إنسان، فإذا سار المسلمون على هذا المنهج كان النجاح حليفًا لهم في كل عمل من أعمالهم، أما إذا اختلفت النيات، وتغيرت النفوس، وتظاهر المسلمون بالإسلام-وهم في حقيقة الأمر وباطنة يهملون أوامره، ويتبعون مناهيه-فإن الله سبحانه وتعالى ينزل عليهم وابلًا من المحن والمصائب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[٢]، إن المسلمين لما انحرفوا عن كتاب الله وسن ة رسول صلى الله عليه وسلم سلط الله عليهم التخاذل والشقاق، "فتفرقوا أيدي سبأ" فعظمت ذنوبهم وخطاياهم عند الله تعالى، وها نحن نرى الحالة السيئة التي وصل إليها المسلمون عامة والعرب خاصة؛ فالاختلاف والأكاذيب والتخاذل كل ذلك من المسائل التي نهانا الله عن اتيانها، فلم نصغ لذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ

---

(١) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٦٣-٦٤).

(٢) سورة الرعد، الآية :١١.

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١)، فإذا أراد العرب إعادة مجدهم القديم فما عليهم إلا أن يعتصموا بحل الله، وأن يتمسكوا بما أمر الله به، أما ادعاء بأن الأغيار هم سبب هذه الفرقة وهذا التخاذل فما هو بصحيح؛ لأن المسلمين والعرب إذا كانوا على حالة من التعاضد والتكاتف فليس هناك من قوة في مقدورها مهاجمتهم وإذلالهم... يقول المسلمون والعرب أن سبب ضعفنا هو عدم سيرنا في الطريق التي سار عليها الغربيون في تمدنهم وحضارتهم، وأن دساتيرهم –أي الغربيين– وأنظمتهم في الكفيلة بتمدننا وتقويتنا، وهذا من أسخف الأقوال التي لا يزال يثيرها بعض الكتاب والخطباء، ويلوكونها بألسنتهم، ظن هؤلاء الناس أن حرية الغربيين ودساتيرهم كفيلة بإسعاد الناس أكثر مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، وهذا خطأ فاضح؛ فإن الدين الإسلامي قد كفل المساواة بين كافة المسلمين، وآخى بينهم أكثر مما جاء في الدساتير الغربية، وأية مساواة أعظم من تلك المساواة التي جاء بها الإسلام؟ فلم يجعل فوارق في الحقوق بين الملك والصعلوك، ولم يفضل أحدهم على الآخر إلا بالتقوى، فالمسلمون لا ينقصهم إلا الرجوع إلى عبادة الله وحده، عبادة خالصة لوجه الله تعالى، فإذا عبدنا الله –جل وعلا– حق عبادته زالت الضغائن من قلوبنا، فتوحدت نفوسنا، وسرت روح التآخي والتحابب بيننا...) (٢)

٣- حث المواطنين والمسلمين جميعًا على التآلف والتحابب ونبذ الأحقاد والضغائن، واستشعار مكانة وعظم الجوار لبيت الله الحرام.

حيث قال في إحدى كلماته ووصـــاياه لأهل الحرم: (وأوصـــيكم بالتحاب، فإنكم جيران بيت الله الحرام، وبلادكم هذه تتضاعف فيها الحسنات. ..)(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٧٢-٧٤).

(٣) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (١٠٠-١٠١).

المبحث الثاني

أبرز وسائل الدعوة لدى الملك عبدالعزيز وعلاقتها بكلماته

المطلب الأول: تحقيق مرجعية (١) الدعوة.

لقد كان تحقيق الملك عبد العزيز مرجعية الدعوة إلى الله تعالى، بالرجوع إلى الكتاب والسنة في نفسه رحمه الله أولا، وفي تأسيسه المملكة العربية السعودية، حتى جعله الله إماما للجماعة، ومرجعًا للدعوة والدعاة إلى الله على بصيرة، وصارت المملكة كذلك؛ فقد أدرك – رحمه الله – أنه لا بد للدعوة والبناء والعمران الإسلامي من تحقيق المراد الشرعي بالجماعة، أدرك ذلك بما أعطاه الله من تاريخه المجيد في السيادة، وحسن السياسة وتدبير

---

(١) المرجعية في اللغة: مصدر صناعي، كالقومية. وأصله (رجع) والرجوع العود إلى ماكان منه البدء، أو تقدير البدء مكانًا كان أو فعلًا أو قولًا؛ فالرجوع العود، والرجع الإعادة، ومنه عودة الشيء إلى الشيء، أو العودة إلى الحال السابقة، أو المكان، وهذا هو المعنى الأكثر استعمالًا، قال تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[هود:٤]، وقال عزوجل: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴾[العلق:٨]. والرجعى والمرجع والرجوع: مصادر، يقال: رجع إليه رجوعًا ومرجعًا. ورجعي، على وزن فعلى، والرجعى: مصدر، على فعلى، أي الرجوع والمرجع.

وفي الاصطلاح: ما تواضع عليه أهل العلم في استعمالهم لفظ (مرجع) أو (مرجعية) فيأتي بمعنى الأصل الذي يرجع إليه في علم، أو أدب، أو شأن من الشؤون، أو بمعنى الرد إلى المستند والأصل، وبمعنى المعاودة والمحاورة والجواب.

انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، دار إحياء التراث العربي–بيروت، (١٤٠٥هـ)، (١٢٤/٢٠). ومفردات غريب ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، دار القلم–دمشق، الطبعة: ٤، ١٤٣٠هـ. ص: (٣٤٢): وتهذيب اللغة للأزهري ١/ ٣٦٥. مادة (رجع). وتحقيق الملك عبدالعزيز (حمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز(رحمه الله) . ص: ٣٠٥. المرجعية: معناها وأهميتها وأقسامها، سعيد بن ناصر الغامدي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥٠) رجب: ١٤٣١هـ. ص: ٣٧٦.

الملك والرعية، وجودة الرأي والفكر، وبكونه بصيرا بالإسلام مقتنعا بصحة الدعوة السلفية إليه، وقيام آبائه وأجداده بنصره، فأدرك حاجة الأمة إلى تحقيق المرجعية الثابتة للدعوة إلى الله تعالى، بإقامة المراد الشرعي من الجماعة، بتأسيس المملكة العربية السعودية(١).

ويتبين ذبك جليًا من خلال خطبة وكلماته، فمن ذلك قوله-رحمه الله-: " الشريعة كلها خير، وإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل ووضع فيها ما أمرهم به وما نهاهم عنه.. والأمر لا يتم إلا بمسألتين:

الأولى: التوفيق.. والتوفيق لا يكون إلا بالله: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨](٢). والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئا.

والثانية: الاجتماع الائتلاف وهذان هما أساس كل شيء ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] (٣).

وكان من توفيق الله له، أن يدرك حاجة الأمة لإقامة مرجعية الدعوة، الجماعة بالمفهوم المراد شرعا، وقد وفقه الله قدرا وكونا، بتأسيس المملكة العربية السعودية وتوحيدها على توحيد الله بالعبادة، وتشييد بنائها بالعمل الصالح، ولقد من الله تعالى على أهل هذه المملكة العربية السعودية، ملكا وشعبا، بذلك على الخصوص (٤).

ومن ذلك أيضًا لفته الانتباه إلى أن التناصح بين الراعي والرعية ينبغي أن تكون على المنهج الذي بينه الرسول –صلى الله عليه وسلم-: قال (...وأنتم –بارك الله فيكم- تفهمون أن النعمة تمت من جميع الوجوه، وأعظمها نعمت التوحيد، وتحكيم الشريعة، ثم

---

(١) تحقيق الملك عبدالعزيز (حمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) الرياض: ٢١-١٤٢٠/٢/٢٤هـ. ص: ١٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨

(٣) المصحف والسيف، القابسي، مرجع سابق، ص: ٧٩.

(٤) تحقيق الملك عبدالعزيز (حمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق، ص: ٢١.

بعد ذلك ما أعطانا الله -سبحانه تعالى- من صحة في الأبدان والأمن في الأوطان، والرزق الواسع، ونحن اليوم في محل الخوف، والحقيقة أن الخوف الصحيح هو أن نحرص على جميع ما يرضى الله ربنا من أعمال وأقوال باطنة وظاهرة وننصح كما قال -صلى الله عليه وسلم-"**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**"(١).

وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-هو النصيحة الكبرى، من عمل بها نجا، ومن تركها هلك، ثم ما بينه علماء المسلمين حيهم وميتهم من الحق مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) (٢).

وقال أيضا في موطن آخر:

"..وهذا كتاب الله بين أيدينا، وهذا شرع الإسلام نتبعه، أما خوض الرجال فإن كان من جهة الدين واعتراضهم عليه فالحق ما جاء في كتاب الله، والذي يكتم الحق ملعون، وكل أمر خالف الدين متروك، أما عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين أو الأئمة الأربعة المهتدين، فإننا نتبعهم ومن كان عنده غير ذلك يبينه لنا حتى تقوم الحجة، وكل إنسان عنده نصيحة لنا من كتاب أو سنة فنحن مستعدون في جميع الأوقات سواء كانت من كبير أو صغير أو جليل أو حقير، ومن أرادنا على مخالفة شيء من ذلك فلا نقبله أبدًا، وقد أمرنا الله أن نتبع شريعة الإسلام، وأن نعض عليها بالنواجذ، ومن غضب علينا لاستمسكنا بديننا فليغضب كما يشاء.."(٣).

ومن المعلوم أنه مهما تحقق للداعي من صحة الدعوة إلى الله تعالى وسلامتها،

---

(١) سنن الترمذي، الإمام أبو عيسى الترمذي، كتاب البر والصلة، حديث رقم (١٩٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح، والألباني في إرواء الغليل، برقم: (٢٦)، (١/٦٢).

(٢) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (١٥٨-١٦٠).

(٣) المصحف والسيف، القابسي، مرجع سابق، ص ٨٠.

وإخلاص الداعي وبصـــيرته، لا بد له من تحقق مرجعية قوية في الواقع تحمي الدعوة، وتحافظ على مكتسباتها، وتسـند الدعاة إلى الله على بصيرة وتؤيدهم، وتفصـل في النزاع الذي لا بد من حصوله فيما بينهم، وإلا ضاعت الجهود وفشلت الدعوة، وتفرق الدعاة؛ فعلى هذا لا بد للدعوة من مرجع، أمير مطاع، وليس من شـرطه أن يكون معصـوما في كل ما يفعل ويقول، فالعصمة ليست لأحد غير الرسول ﷺ (١)؛ لقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: " **لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة** ".(٢)

وهذه المرجعية هي الجماعة وإمامها بمعناها المراد شرعا من النصوص الشرعية في الخبر عنها في الكتاب والسـنة، والحث على لزومها ولزوم إمامها كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم، في صحيحيهما، عن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– قال: (**كان الناس يسـألون رسـول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسـأله عن الشـر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسـول الله إنا كنا في جاهلية وشـر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شـر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشـر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر قلت: فهل بعد ذلك الخير من شـر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت: فماذا تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسـلمين وإمامهم قلت: فإن**

---

(١) تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق، ص: ٣٠٦.

(٢) وهذا القول مشـهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رواه الدارمي عن تميم الداري رضي الله عنه قال: " تطاول الناس في البناء في زمن عمر، فقال عمر رضي الله عنه: يا معشـر العريب: الأرض، الأرض، إنه لا إسـلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة ..." سنن الدارمي ٦٩/١، باب في ذهاب العلم، رقم الحديث ٢٥٧، ط٢، ١٤١٣هـ (الطبعة التركية)، كما ورد في الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، بتحقيق فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي٩١/١، رقم الحديث ٢٥١.

لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك [1]).

ففي هذا الحديث الشريف الخبر الصادق بحدوث دعاة كثيرين كثرة غلبت على عصرهم، حتى وصف بالشر بعد الخير تباعا للغالب، في قوله: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، فهم يتلبسون بمظهر الدعوة، ومن صفتهم أنهم أناس من جلدتنا أي ينتمون إلى نسبنا من العرب، ويتكلمون بألسنتنا العربية والإسلامية، ولكنهم في الحقيقة دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها، وفيه أن العاصم الذي يرجع إليه عند حدوث هؤلاء الدعاة هو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فلزوم ما عليه جماعة المسلمين وإمامهم، ولو كان الملتزم وحده منفردا باعتزاله تلك الفرق، ولو أن يعض على أصل شجرة من شدة الغربة، حتى يدركه الموت وهو على ذلك المنهج؛ لأنه منهج الجماعة وإمامهم[2].

وقال ابن مسعود –رضي الله عنه-: " **أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة** " [3].

لهذا "أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنه لا بد للدعوة والبناء والعمران الإسلامي من تحقيق المراد الشرعي بالجماعة، أدرك ذلك بما أعطاه الله من تاريخه المجيد في السيادة، وحسن السياسة وتدبير الملك والرعية، وجودة الرأي والفكر، وبكونه بصيرا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم: (٦٦٧٣).

(٢) تحقيق الملك عبدالعزيز (حمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق،ص: ٣٠٧.

(٣) المستدرك للحاكم: ٤/٥٥٥. والشريعة للآجري: ١/ ٢٩٩.

بالإسـلام مقتنعا بصـحة الدعوة السـلفية إليه، وقيام آبائه وأجداده بنصـره، فأدرك حاجة الأمة إلى تحقيق المرجعية الثابتة للدعوة إلى الله تعالى، بإقامة المراد الشـــرعي من الجماعة، بتأسيس المملكة العربية السعودية"[١].

(١) تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق، ص: ٣٠٧.

المطلب الثاني: اهتمامه بنشر كتب السلف الصالح واطلاعه عليها ووقفها.

كان الملك عبد العزيز من الشخصيات المحبة للقراءة والمطالعة، ولم تشغله أعباء الحكم وشؤون الدولة عن أن يخصص لنفسه وقتًا للقراءة والمطالعة في الكتب، كما أنه كان كثيرا ما ينتقى الكتب المتميزة في موضوعاتها وفي مختلف التخصصات الشرعية، وهذا الأمر بان أثره في ثنايا خطاباته، وخطبه للناس من خلال حثه الرعية على العلم والتعلم.

فقد كان (رحمه الله) مولعًا بحب القراءة والمطالعة في أمهات الكتب، ويخصص جزءًا من وقته لذلك في حله وترحاله، وحدث الشيخ يوسف ياسين في "الرحلة الملكية" حين أشار إلى أن السلطان كان ينادي إذا أخذ الركب في السير أحد طلاب العلم من أبناء الشيخ ليقرأ في صحيح مسلم، ثم يقرأ من تاريخ ابن الأثير ما يتعلق بالسيرة النبوية، ويتكرر هذا الموقف في أثناء الرحلة بقراءة كتاب الترغيب والترهيب، وكتاب الآداب الشرعية لابن مفلح، وهذا يعني أن الملك عبد العزيز (رحمه الله) كان يصطحب معه في سفره مجموعة من الكتب بقصد قراءتها، والافادة منها في قراءة جماعية، وأحيانًا قد يتخلى بنفسه للقراءة الفردية، ويمضى الحال على هذا المنوال طوال مدة السير(١).

وعلى الرغم من المهام العظام التي اضطلع بها الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في سبيل توحيد المملكة العربية السعودية وإرساء دعائم الأمن والنهضة الحضارية وانشغاله بذلك، إلا أنه كان على علاقة حميمة ووثيقة بالعلم والعلماء، وكان وثيق الصلة بالقرآن الكريم، وكان له ورد خاص به..، فإذا جاء المساء كانت له جلسة علم ومدارسة، اعتاد فيها أن يسمع من قارئ يقرأ عليه كتب العلم والتاريخ (٢).

---

(١) عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاعًا ونشرًا، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة (مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة) من ٢٥-١٤٢٠/١/٢٧هـ. ص: ٤

(٢) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك عبدالعزيز-المدينة المنورة. من ٢٥-١٤٢٠/١/٢٧هـ. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ص: ٢٤.

وكانت الكتب التي تتم قراءتها في مجلس الملك لا تقتصر على فن معين بل كانت متنوعة في مختلف الفنون الشرعية واللغوية والأدبية، وأدى حب الملك للقراءة والاطلاع إلى اعجابه بنفائس الكتب والعمل على طباعتها ونشرها على مؤنته الخاصة.

كما أنه (رحمه الله) أوقف عددًا كبيرًا من الكتب المخطوطة قبل ظهور الطباعة وانتشارها في المملكة، وبعد انتشار الطباعة اهتم الملك عبد العزيز بنشر كتب العلم إيمانًا منه بأهمية العمل الخيري، وزيادة الوعي الثقافي والديني، والسمو بالفكر الإسلامي، والارتقاء بالحركة العلمية المتنامية في ذلك العهد، وكان لنشأته الدينية الأثر البالغة في انتقاء الكتب النافعة، ونشرها، وجاءت أولى محاولات الطباعة في الهند وفي دلهي، وبومباي على وجه التحديد لوجود ثلة من علماء وأئمة الدعوة السلفية في تلك البلاد، ومن أقدم ما طبع في تلك الفترة: كتاب: روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام لابن غنام، وكتاب: الجواهر المنضدة الحسان(ديوان).

كما استمرت الطباعة بعد ذلك في مصر وكان من أشهر ما طبع في تلك الفترة: تفسير البغوي، والمغني لابن قدامة المقدسي، والشرح الكبير، ومجموعة أخرى من كتب التوحيد والعقيدة (١).

ولا شك أن الملك عبدالعزيز رحمة طيلة هذه الفترة اهتم اهتمامًا كبيرًا بطباعة كتب السلف، ونشرها، والحث على تعلمها وتعليمها.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) في ختمه لطباعة كتاب (المغني والشرح الكبير) في الفقه المقارن، لابن قدامة المقدسي (رحمه الله): "... ولا يسعنا إلا أن نعود في هذه الخاتمة إلى الثناء على مسدي هذا الخير العظيم إلى الأمة الإسلامية بالأمر بطبعه والانفاق عليه من ماله الخاص به، إمام السنة، ومحي عدل الخلفاء وعلوم الأئمة، مؤسس المملكتين وخادم الحرمين الشريفين عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك

(١) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، مرجع سابق، ص: ٢٥.

الحجاز ونجد. .. وكان قد أمرنا أولا بطبع خمسمائة نسخة منه فقط لتوزيعها على علماء نجد، وأذن لنا أن نطبع منه ما شئنا على حسابنا لأجل نشره في سائر الأمصار.." (١).

ومن خلال اهتمام الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بطباعة ونشر الكتب الإسلامية يتبين أن هذه الكتب كانت منتقاة بعناية واهتمام خاصة إذا عرفنا أن الطباعة في ذلك الوقت كانت مكلفة ومضنية، إضافة إلى ما تتطلبه من جهد ووقت كبيرين، ولعل من أبرز ما تتسم به الكتب المطبوعة في عهد الملك (رحمه الله) ما يلي:

١. التنوع في الموضوعات (العقيدة، التفسير، الحديث وعلومه، الفقه وأصوله، اللغة العربية وآدابها، التاريخ الإسلامي والجغرافيا، الأنساب، وغيرها)

٢. نشر كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)، وكتب تلامذته، بهدف نشر حقيقة دعوته، والرد على المعادين له (٢).

٣. الاهتمام بنشر كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى.

٤. الاهتمام بكتب المذهب الحنبلي ونشرها والعناية بطباعتها.

٥. الاهتمام الكبير بكتب العقيدة الإسلامية حيث شكت كتب العقيد بين الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) ما نسبته [٥٠ %] (٣).

ومن أبرز العناوين التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ما يلي (٤):

١. العقيدة: منهاج السنة لابن تيمية، الصواعق المرسلة لابن القيم، شرح الطحاوية

---

(١) المغني لموفق ابن قدامة المقدسي، ويليه الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد رشيد رضا، طبع: دار المنار-مصر. ١٣٤٧هـ. تصوير دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع: (٥١٨/١٢)

(٢) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، مرجع سابق، ص: ٥١.

(٣) عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاعًا ونشرًا، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص: ١٥

(٤) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، مرجع سابق، ص: ٥١. وعناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاعًا ونشرًا، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص: ١٥

لابن أبي العز، وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقيدة.

٢. التفسير: تفسير ابن كثير، وتفسير البغوي.

٣. الحديث: كتاب الزهد وكتاب السنة، للإمام أحمد، شرح تهذيب سنن أبي داود لابن القيم.

٤. الفقه وأصوله: المغني والشرح الكبير لابن قدامة، ومنتهى الإرادات لابن النجار، كشف القناع عن متن الإقناع للبهوتي، وروضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة.

٥. التاريخ: طبقات الحنابلة لأبي يعلى، البداية والنهاية لابن كثير، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبي الطيب المكي.

٦. مجموعة فتاوى ابن تيمية، ومجموع الرسائل والمسائل النجدية.

المطلب الثالث: الوسائل الإعلامية في عهده.

عمل الملك عبد العزيز (رحمه الله) على استغلال كل وسيلة مشروعة تساعد على نشر الدعوة في الجزيرة العربية، ولاقى في ذلك الكثير من العناء، سواء كان ذلك بإنشاء المدراس والمعاهد، والجامعات، وتشجيع التعليم بشقيه النظامي وغير النظامي، ومن خلال الملتقيات العلمية، والوسائل الاعلامية المتاحة في ذلك الوقت، كذلك من خلال منابر المساجد، والمواسم الدينية كالحج، كما حرص على الاهتمام بنشر الكتب الإسلامية التي تبين العقيدة الصحيحة الصافية، والمنهج القوية لسنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- بفهم السلف الصالح (رحمهم الله) كما مر.

وكان اهتمام الملك عبد العزيز (رحمه الله) بوسائل الإعلام المتاحة في عصره كبيرًا مع ما واجهه من مصاعب حيال استخدامها والاستفادة منها، ومن أهم تلك الوسائل:

١ – الخطابة:

فقد كان الإمام الملك عبدالعزيز من أولئك الخطباء المفوهين، يتحدث بلغة قريبة لفهوم المجتمع الذي يخاطبه، و"يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، ويتمثل بالأشعار، وقصص الأولين، ويورد آراء الحكماء"[١]، وكان رجل حكمة وحنكة، كما كان رجل سيف وسلطة "لا يعرف المداهنة ولا الرياء في مخاطبته وأحاديثه، بل يفحم خصمة"[٢].

ومع هذا فقد كان كلامه العادي مليئًا بالمجازات الذكية، والحكم والأمثال التي تجعل سامعه يود أنه لا يتوقف عن الحديث، وهذا الحديث الجذاب أيًا كان موضوعه هو

(١) أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، عبدالله العلي المنصور الزامل، المؤسسة التجارية للطباعة، بيروت-لبنان. الطبعة:١، ١٣٩٢، ص: ٢٤

(٢) المصدر السابق.

حديث مليء بالمعلومات التي تغنى المستمع وتأسره بمدى اتساعها وعمقها وفي كلمته المشهورة للرئيس الأمريكي (روزفلت) (١) بعد مقابلته له، قال: فهمت من الملك ابن سعود في عشر دقائق عن القضية الفلسطينية ما تعذر علي فهمه في عشرين سنة (٢).

٢ – التعليم:

الحق أن التعليم في بداياته سار على خطى رائدة، فلم يغفل جوانب التربية، ولم ينبهر الرواد الأول بالحضارة الغربية، بل عملوا على التوازن بين التقدم العلمي والدين؛ بتوجيهات من الملك مباشرة، وفي هذا الصدد يقول الملك عبدالعزيز(٣): (يقول كثير من المسلمين:

---

(١) وُلد روزفلت في الثلاثين من يناير عام ١٨٨٢م، في هايد بارك في نيويورك. وتلقى أول دروسه على يد مدرسين خصوصيين، ثم التحق بجامعة هارفارد (Harvard University)، وتخرج فيها عام ١٩٠٤م. وينحدر فرانكلين ديلانو روزفلت (Franklin Delano Roosevelt)، من أصل هولندي فرنسي، وهو الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية، وكان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي، تولى روزفلت منصب رئيس الولايات المتحدة من تاريخ ٤ مارس ١٩٣٣م إلى ١٢ أبريل ١٩٤٥م وذلك لأنه أعيد انتخابه أربع مرات متتالية، إذ توفي في العام الأول من ولايته الرابعة.

ويعد هو أطول الرؤساء الأمريكيين بقاءً في المنصب، ولا يستطيع أحد الآن كسر رقمه القياسي بسبب تعديل دستوري أُقر عام ١٩٥١م (التعديل الثاني والعشرون للدستور الأمريكي) (en) يحدد الفترات الرئاسية بفترتين فقط.

وفي فبراير (شباط) ١٩٤٥م، اجتمع الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت على ظهر المدمرة الاميركية «كوينسي»، التي نقلته إلى مؤتمر قمة يالطا، لإرساء قواعد السلام بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٥م. تاريخ الاسترجاع: ١٤٣٦/٨/١١هـ. رابط: (http://ar.wikipedia.org). وجريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: الثلاثاء ١٥ ربيع الثانى ١٤٢٦ هـ ٢٤ مايو ٢٠٠٥م، العدد: ٩٦٧٤.

(٢) مبادئ وتوجيهات تربوية مستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود، حنان صالح حكمي، مرجع سابق. ص: (٣٠-٣١).

(٣) الملك خالد بن عبدالعزيز (دراسة تاريخية وحضارية)، موقع: قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، بتاريخ: ١٤٣٦/٦/٦هـ، رابط الموقع: (http://www.kingkhalid.org.sa).

"يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وإن تأخرنا ناشئ عن عدم سيرنا في هذا الطريق"، وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمنا، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام، وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره.. إن المدنية الصحيحة هي التقدم والرقي، والتقدم لا يكون إلا بالعلم والعمل..) (١).

فقد وجد التعليم من الملك عبدالعزيز (رحمه الله) اهتمامًا كبيرًا فأسس المدارس بمختلف مراحلها التعليمية كما أسس الكليات، وتم تعيين المدرسين لها في مختلف التخصصات، وتم توفير الكتب الدراسية للطلاب، وجعل التعليم مجانا للجميع (٢).

ويمكن تحديد بداية النمط الثقافي الحديث في المملكة العربية السعودية بتوحيدها وظهور ميزانية ثابتة للبلاد، ففي سنة (١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م) أسس الملك عبدالعزيز آل سعود مديرية المعارف السعودية للقيام بالإشراف على مختلف شؤون التربية والتعليم في البلاد، وظهرت المدارس النظامية الحكومية، وأصبحت جميع مصروفات التعليم للطالب مجانية تدفعها الدولة تشجيعًا لهم (٣).

كذلك كانت الكتب المدرسية والأدوات الكتابية تقدم للطالب بدون مقابل، ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إن الملك عبدالعزيز وضع كل إمكانات الدولة وبذل كل غالٍ ورخيص في سبيل نشر العلم ومحو الأمية والقضاء على الجهل والتخلف وتثقيف الشعب،

---

(١) المصحف والسيف، القابسي، مرجع سابق، ص: ٩٦-٩٧.

(٢) سيرة الملك عبدالعزيز وملحمة التوحيد، عبداللطيف بن دهيش، (إصدار بمناسبة المئوية) دارة الملك عبدالعزيز-الرياض، ١٤١٩م. ص: ١٣.

(٣) مجلة أم القرى، العدد: (٦٦)، بتاريخ: ١٣٤٤/٩/١٩هـ، وزارة المعارف: التوثيق التربوي، نشرة نصف سنوية تصدرها وزارة المعارف، العدد: ٤٠، الرياض، مطابع دار الهلال، ١٤١٩هـ، ص: ٢٠.

بعد أن كان الجهل سائدا في عموم البلاد (١).

وفي ذلك يقول الملك عبدالعزيز: "..إذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في سائر العلوم المادية فإنهم لا يأتون ببدعة، بل يعتبرون محيين لعهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن وقدموا للإنسان خدمات لا تنكر.."(٢).

و الجدير بالذكر أن انتشار التعليم لم يقتصر في عهد الملك عبدالعزيز على تعليم الأولاد فحسب، بل اهتمت الدولة أيضا بتعليم البنات، فالنساء شقائق الرجال، والمرأة بحاجة إلى تعلم كل ما يلزمها في حياتها، ويهم مجتمعها من أمور دينها ودنياها، وبدأ فقد شجعت الدولة قيام المدارس الأهلية للبنات، ورعت القائمة منها، وذلك في كل مدن الحجاز ونجد، والمنطقة الشرقية والشمالية وغيرها، وكان عدد هذه المدارس يزيد عن مائتي مدرسة، ثم تم افتتاح أكثر من إحدى عشرة مدرسة أهلية منها أربع مدارس في مكة المكرمة، وثلاث مدارس في جدة، ومدرستان في الرياض، ومدرسة في الطائف، ومدرسة بالمدينة المنورة(٣).

٣ – الإعلام:

تعد الوسائل الإعلامية ذات أثر فعّال في نشر الدعوة إلى الله تعالى، ومن أجل ذلك استثمرت المملكة العربية السعودية تلك الوسائل خير استثمار منذ عهد مؤسسها الملك عبد العزيز –رحمه الله–، فاستخدمت الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية (٤).

ولهذا كان اهتم الملك عبد العزيز بالإعلام كوسيلة حديثة ومهمة وذات تأثير سريع

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، محمد الشثري، ص: ٢٣٩.

(٢) جزيرة العرب، حافظ وهبة، ص: ١٢٣.

(٣) تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، (بداياته، مسيرته، حاضره)، (إصدار بمناسبة المئوية) دارة الملك عبدالعزيز–الرياض، الطبعة:١، ١٤١٩م. ص: ٧٩.

(٤) جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله بن صالح العبود، طبع: عمادة البحث العلمي، ط٢ ، الجامعة الإسلامية–المدينة المنورة. (٢١٢/١–٢١٣).

وتوظيفها في الدعوة إلى الله، ونشر العلم، وتثقيف المجتمع، دليل على الوعي والنظر البعيد الذي تميز به (رحمه الله).

فنجد في الإعلام المقروء أن المملكة العربية السعودية بادرت للاهتمام به وسخرت جزءًا منه لخدمة الدعوة، ومن ذلك تخصيصها بعض المجلات لهذا الهدف، ومن ذلك مجلة الدعوة، ومجلة البحوث الإسلامية، ومجلة الجامعة الإسلامية، ومجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومجلة الرابطة، ومجلة التضامن الإسلامي، وغيرها العديد جدًا من المجلات المهتمة بشؤون الدعوة [١].

ونجد في الإعلام المسموع وقتها وجود الإذاعة، فقد استهلت الإذاعة إرسالها في عهد الملك عبد العزيز –رحمه الله– بكلمة منه في ١٣٦٨/١٢/٩هـ، ألقاها نيابة عنه سمو الأمير فيصل –رحمه الله–، واستمرت هذه الإذاعة في بثها بمقدار ٧-١٤ ساعة في الأسبوع مقتصرة على بعض البرامج الإذاعية، التي كان من أبرزها: بث القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ونشرات الأخبار والبرامج الثقافية [٢].

---

(١) تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص: ٢٤٨ وما بعدها.

بدأ تاريخ الإعلام في المملكة العربية السعودية بتاريخ الصحافة حيث أسست أول صحيفة وهي "أم القرى" عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، وبتاريخ الكتاب حيث صدر أول نظام للمطابع والمطبوعات عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م وبتطويرهما تأسست الإذاعة عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م. وتأسس التليفزيون عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م وبعد ذلك أخذت تتوالى سلسلة الإنجازات في مجالات الإعلام الأربعة مستهدفة خدمة المجتمع فكريا وثقافيا في إطار من الأخلاق القائمة على مثل وقيم الإسلام وآدابه. انظر: موقع قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، مؤلفات (مسار: وزارة الإعلام) الإصدار الأول.

الرابط: http://www.kingkhalid.org.sa بتاريخ: ١٤٣٦/٨/١٢هـ

(٢) جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله بن صالح العبود، مرجع سابق: (١/٢١٢-٢١٣).

ومن الأمثلة الحية التي تدل على توجيه وسائل الإعلام لخدمة شعائر الإسلام ما تبثه وزارة الداخلية خلال وسائل الإعلام المختلفة إذا دخل شهر رمضان على التأكيد بوجوب مراعاة حرمة هذه الشعيرة، مجازاة من يفطر علانية بسحنه إلى نهاية شهر رمضان، وإن كان مقيمًا رحل إلى بلده [(١)].

(١) جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الدعوة الإسلامية (ماضيًا حاضرًا)، ص:١١.

المبحث الثالث

نتائج الكفاح وثمراته

بعد توحيد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) للجزيرة العربية كان من أهم نتائج هذا الكفاح المبارك، وثماره أنه عُني (رحمه الله) بكل الوسائل التي تسهم في استقرار البلاد، ورخائها، ومن ذلك:-

١. دعوته إلى ضرورة التمسك بالعقيد الصحيحة، والتحذير من الشرك والالحاد، ومن ذلك قوله (رحمه الله) في بعض كلماته عن نفسه: (. . أما فإنني أعمل جهد طاقتي في سبيل إعلاء كلمة الدين، وإحلال عقيدة السلف الصالح في نفوس المسلمين..) [(١)].

٢. القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان حرص الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على هذه الشعيرة بالغة الأهمية والرعاية، وكان ينفذها بنفسه وبرجاله الذين معه، اعتقادًا منه أنها هي أس التمكين في الأرض، وصلاح كل أمر لا يكون إلا بها، ومن ذلك قوله: (إن التناصح ضروري للمسلمين.. فالواجب على المسلم أن يحرص على دينه، وعلى نصيحة المسلمين..؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**الدين النصيحة**.." [(٢)]) [(٣)].

٣. تطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الحدود، وهذا من أهم ما عمل عليه الملك عبدالعزيز، ولم يحابي فيه أحدًا، ولهذا كان لإقامة الحدود وتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد الأثر البالغ في استتباب الأمن واستقرار الحال.

٤. العدل بين الرعية، ولاشك أن العدل أهم دعائم الحكم في أي بلد، وتحت أي

---

(١) مختارات من الخطب الملكية، دارة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق: (٧٤/١)

(٢) تقدم تخريجه، ص: ٤٢

(٣) مختارات من الخطب الملكية، دارة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق: (٩٤/١-٩٦)

سلطان، ولهذا كان من منهج الملك عبدالعزيز (رحمه الله) العدل بين الرعية، وأخذ الحق من القوي للضعيف، ومن السيد للعبد على حد سواء، ولهذا كان يحث عماله على العدل كما قال في بعض خطبه: (..فيجب على ولاة الشريعة أن يجتهدوا في أداء الواجب، ويسهروا على مصالح الناس، وينظروا في خصوماتهم بروح العدل والإنصاف، وعلى الشعب أن يمتثل لأمر الله، فمن حُكم له حمد الله، ومن حكم عليه حمده، الأول يحمده لأخذه حقه، والثاني يحمده لأنه منعه من أخذ حق غيره..) (١).

٥. توطين أهل البادية، وإنشاء الهجر والقرى، فقد كانت سياسته (رحمه الله) تقريب أهل البادية من الحضر، وتوطينهم، وتقليل تلك الفجوة التي كانت دهرًا طويلا بينهم وبين أهل الحضر، والتي تسببت في الكثير من المشكلات الاجتماعية والأمنية، كما كان لهذا العمل فوائد كثيرة منها العمل على نشر التعليم بين أهل البادية، ومنحهم حياة معيشية كريمة تنقلهم من شظف العيش ومصاعب الترحال.

٦. نشر العلم والمعرفة من خلال إنشاء المدارس، وطبع الكتب، وتشجيع طلاب العلم على التعلم، والعناية بالعلماء، وهذه أكثر من أن تحصى في مختلف أرجاء البلاد.

٧. تأهيل العناصر البشرية المدربة من المواطنين داخل البلاد وخارجها، وتكليفهم بالقيام على مختلف مهام الدولة في الداخل والخارج، وفي مختلف الأنشطة الأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والتعليمية، والخدمية، وغيرها.

٨. رفع مستوى الحالة المعيشية للمجتمعات، وتنمية اقتصاد الدولة، والاستفادة من الثروات، مما جعل البلاد ترفل في الكثير من النعم، ووفرة الخير.

٩. إنشاء الأجهزة الحكومية المختلفة، وتنظيمها، والعمل على تعميمها في مختلف أرجاء البلاد لتسهيل حاجات الناس، وتلبية رغباتهم، وتنظيم أمورهم السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، وغيرها، وذلك من خلال:

---

(١) مختارات من الخطب الملكية، دارة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق: (١/١٠٠)

■ تنظيم أمور البلدية ووضع لوائح صالحة لها تمكنها مـــن القيام بواجباتها في خدمة البلد، والنظر في موازنة دخلها وخرجها، وفي المسائل الصحية والوسائل اللازمة لذلك.

■ النظر في نظام المحاكم الشرعية، وترتيبها بصورة تضمن توزيع العدل، وتطبيـــق الأحكام الشرعية.

■ تدقيق مسائل الأوقاف والنظر في أبو اب الصرف الشرعية.

■ النظر في حفظ الأمن داخل البلاد وترتيب الشرطة اللازمة لذلك.

■ تعميم التعليم الديني، والسعي في تعميم القراءة والكتابة.

■ النظر في المسائل المرقية للتجارة والمسهلة لسبلها، وترقية وسائل البرق والبريد.

■ تشـكيل لجان دائمة لحل المشـاكل الداخلية التي يُرجع فيها إلى العرف الذي لا تخالف أصلًا من أصول الشريعة المطهرة (١).

■ الاهتمام بالطرق وتذليل الصـــعاب أمام القوافل التجارية، وقوافل الحج والعمرة وغيرها، وكان ذلك الاهتمام من الملك عبدالعزيز (رحمه الله) دليلا على إدراكه لأهمية الطرق المسفلتة، والممهدة في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفي بناء الدولة الحديثة (٢).

١٠. العمل على أن تنعم البلاد بالاستقرار السياسي من خلال الحكم القائم على التسامح والحوار، والأخذ على يد الظالم، والعدل بين الناس.

١١. رعاية الحج وتأمين الحجيج، فقد كان من أول أعماله حين تســـلم الحجاز أن رتب أمور الحج، وما يحتاجه الحجيج من رعاية أمنية واجتماعية وغيرها.

---

(١) البلاد العربية السعودية، حمزة، فؤاد، مكتبة النصر الحديثة- الرياض. الطبعة:٢، ١٩٨٨هـ. ص ١٠١.

(٢)المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣هـــ/١٩٢٥م، إلى ١٣٧٣هـــ/١٩٥٣م)، فهد بن مرزوق اللحياني: (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية، ١٤٢٩هـ. ص: ٣٩٣.

١٢. اتخاذ الملك عبد العزيز (رحمه الله) عدة خطوات وتدابير عامة للاهتمام بالشـؤون الصـحية، فأبقى على الخدمات الموجودة قبل عهده، وعمل على تحسـينها وتطوير أدائهـا، وكان أكثر ما يهدد الصـحة في مكة الأمراض، لكونها منطقة مفتوحة للحجاج(١)، حيث أمر بإنشاء المستشفيات الصحية وتوفير المستلزمات والخدمات الصحية الحديثة.

١٣. الانفتاح على العالم الخارجي بضوابط الشرع.

١٤. نشـر الدعوة إلى الله على منهج الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح داخل البلاد وخارجها.

١٥. العفو والتسـامح، فقد عامل الملك عبد العزيز –منذ بدأ مسيرة توحيد البلاد– أبناء البيوتات العربية الكريمة ممن دخلوا معه في خصـوماته معاملة تليق به، وتعطيه خلودًا في التاريخ، فمثلا أمراء حائل الذين هم من أقوى الخصـوم أكرمهم، ولم يسـفك دم أحد منهم، وصـاهرهم، ومثل ما عامل هذه الأسـرة الكريمة عامل غيرها من الأسـر العربية الأخرى كالأشـراف، والأتراك، وغيرهم من أسـر الجزيرة العربية الأخرى، وكان حريصًا كل الحرص على محارم المسلمين ونسـائهم، غيورا على العرض، ولم يقبل من أحد من جنوده التطاول على أعدائه في هذا الجانب، فكسب الناس بأخلاقه وقيمه بعد توفيق الله له(٢).

---

(١) نيابة الأمير فيصل العامة في الحجاز في عهد الملك عبدالعزيز شيخة بنت صالح شعيب، (١٣٤٤هـ–١٣٧٣هـ/١٩٢٦م–١٩٥٣م) (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، ١٤٣٢هـ.ص: ٢٢٣.

(٢) لسراة الليل هتف الصباح (الملك عبدالعزيز–دراسة وثائقية)، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ط:٣، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٧م. ص:٦٥٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لا شك أن استعراض موضوع أوجه اهتمام الملك المؤسسة (رحمه الله) بالدعوة إلى الله في داخل المملكة وخارجها أوسع وأعمق من أن تفي به هذه الوريقات، وإنما أراد الباحث تسليط الضوء على بعض تلك المنعطفات الهامة في حياة المؤسسة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وما قام به من خدمة جليلة للدعوة الإسلامية السلفية في الجزيرة العربية، وخارجها.

فقد حكم الملك عبدالعزيز رحمه الله ثلاثة وخمسين عامًا، ولم تكن مدة حكمه مجرد زمن يقاس به الحكم والسلطان والملك فحسب، ولكنه كان زمنا لقيام الملك والمملكة، ولتوحيد دولة فرقتها الحروب والنزاعات القبلية، وللتصدي لقوى داخلية وخارجية في سعيها إلى الوقوف ضده، وكذلك لبدء نهضة عامة للمملكة، نقلتها من البداوة إلى الحضارة، ومن التخلف المادي والفكري إلى التقدم العلمي والحضاري، وجعلت مكانها في عالمها العربي والإسلامي، مكافئا ومساويا لقدرها الحقيقي، وبحسب ما اختصها الله به من ظهور الإسلام فيها، ووجود الحرمين الشريفين على أرضها(١).

ولعل من أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحث في ختام هذا البحث ما يلي:

أولًا: النتائج.

١-اهتمام الملك عبد العزيز (رحمه الله) الدائم بشؤون الدعوة إلى الله والتأكيد على هذا الهم الملازم له في حله وترحاله في كل مناسبة، والسعي تنشر المنهج السلفي الصحيح

(١) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص:٨

بين الناس.

٢-تولى الملك عبد العزيز (رحمه الله) الكثير من أمور الدعوة بنفسه، وخاصة في خطابه السنوي لأهل الموقف في يوم وعرفة وفي بعض مختلف المواقف التي ينتصب فيها للخطابة وتوجيه الرعية، وتقديم النصح لها، وكذلك في مخاطباته للوفود الدولية القادمة إلى المملكة.

٣-العمل الدؤوب على الرفع من شأن العرب والمسلمين، وحثهم على الافتخار بدينهم عقيدة وسلوكًا ومنهجًا في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والصناعية، وغيرها.

٤-عدم التمييز بين أفراد الرعية واعتبار الناس كلهم عنده سواء.

٥-استشعاره لخطر الالحاد في تلك الحقبة من الزمن، والتنبيه على خطره في بعض خطبه وكلماته، والتحذير من الوقوع فيه، وأنه لن يقبل صدوره من أحد كائنًا من كان.

٦-الدعوة إلى ترابط المسلمين، وتآلفهم وتعاضدهم وأن ذلك هو الأساس للنجاح والفلاح في الدرارين، والتحذير من الافتراق، وتلقف الشائعات، والسعي الدائم إلى توضيح ما أشكل على البعض مما قام به من أعمال أو أصدره من أوامر، وتقديم المبررات الشرعية والعقلية لذلك.

٧-التعامل السياسي المحكم مع مختلف القبائل العربية داخل الجزيرة العربية، والقدرة على فهم طبائعهم، وجلبهم لما فيه المصلحة العامة من خلال نشر العدل بينهم، ورد المظالم لأصحابها، وتوطين البدو، وتحسين الظروف المادية والثقافية لهم، وتقديم الخدمات العامة التي تلبي احتياجاتهم.

٨-اهتمام الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بنشر التعليم، والثقافة في مجتمع الجزيرة العربية، وإنشاء المدارس، والجامعات، وطباعة الكتب ونشرها، والحث على تعلم القراءة والكتابة، والعمل على محو الأمية في أوساط المجتمع البدوي من خلال مدارس محو الأمية.

٩-أن الملك عبدالعزيز (رحمه الله) كان -غالبًا- في خطابه للمجتمع يستخدم لغة سهلة ومبسط يفهمها العامي والمتعلم على حد سواء، وهذا دليل على ذكائه وفطنته لأحوال مخاطبيه.

١٠- قدرة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على ضبط النفس، والتعامل مع جفاة العرب بحنكة وسياسة، واستخدام اسلوب العفو والصفح فيما ليس فيه حق للغير، ولا هو مخالف للشرع.

١١- قدرة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على التحول أثناء خطابه من حال اللين إلى حال القوة، واستخدام الشدة في وقتها المناسب.

١٢- تفاني الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في العمل الخيري، وتلبية حاجات المحتاجين، ولو اقتضى الأمر أن يستدين لذلك، وهذا من إنسانيته واهتمامه بالرعية.

١٣- إدراك الملك عبد العزيز (رحمه الله) لأهمية انتشار العقيدة الصحيحة بين الناس، وأنها هي صمام الأمان الذي بدوره هو العامل الأهم للاستقرار في مختلف أرجاء البلاد، وهو ما ميز الحكم السعودي في تلك الفترة المضطربة.

ثانيًا: التوصيات.

١- القيام بدراسات دعوية لبيان الأساليب والوسائل التي استخدمها الملك عبد العزيز (رحمه الله) في التأثير على المجتمع داخل الجزيرة العربية.

٢- إعداد دراسات عن الجهود الدعوية عن الملك عبد العزيز خلال مسيرته المباركة.

٣- تسليط الضوء على كفاح الملك عبد العزيز (رحمه الله) في سبيل حماية الدعوة السلفية من الأعداء.

٤- إقامة دراسة حول اهتمام الملك عبد العزيز بنشر العقيدة السلفية في التعليم بمختلف مراحله.

٥- إعداد دراسة حول الإلحاد في عهد الملك عبدالعزيز وسبل محاربته.

٦- إعداد بحث عن العوامل التي أسهمت في انتشار المنهج السلفي في جزيرة العرب واستمراره، واستعراض المخاطر التي تواجه هذا المنهج، وسبل التصدي لها.

٧- تضمين المناهج الدراسية وخاصة الشرعية منها صور من جهود حكام المملكة العربية السعودية في نشر الدعوة إلى الله، والدفاع عن العقيد السلفية الصافية، وخاصة في العهد الأول لهذه الدولة المباركة.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: ١، ١٤٢٢هـ.

٢- **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١ هـ.

٣- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

٤- **سنن الترمذي** (الجامع الكبير)، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت. ١٩٩٨ م

٥- **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٦- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١١هـ.

٧- **تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة**، صالح بن عبدالله العبود، بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز(رحمه الله) الرياض: ٢١-٢٤/٢/١٤٢٠هـ.

٨- **أحسن القصص** (أو سيرة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود)، نظم: خالد بن محمد الفرج، مخطوط ق:١٤هـ، برقم: (٩٥٣,٨)، جامعة الملك سعود-الرياض.

٩- **الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله نموذج من الرعيل الأول**، عبد المحسن بن

حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢١هـ.

١٠- **شذرات البلاتين من سير العلماء المعاصرين**، أبو الأشبال أحمد سالم المصري، دار الكيان للنشر-الرياض، ط:١، ١٤٢٦هـ.

١١- **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة للنشر، ط:٢، ١٣٩٤هـ.

١٢- **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، شكيب أرسلان، دار الفضيلة-القاهرة.

١٣- **رجال عرفتهم**، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة. ٢٠١٣م.

١٤- **أسد الغابة: الملك الهُمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**، ناصر بن محمد الهماش آل عاصم،(١٤١٩هـ)، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.

١٥- **أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود**، عبدالله العلي المنصور الزامل، المؤسسة التجارية للطباعة، بيروت-لبنان. الطبعة:١، ١٣٩٢م.

١٦- **المرجعية: معناها وأهميتها وأقسامها**، سعيد بن ناصر الغامدي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥٠) رحب: ١٤٣١هـ..

١٧- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (١٤٠٥هـ).

١٨- **السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز**، محمد بن سعد الشويعر، ندوة علمية تحت عنوان "الدعوة في عهد الملك عبد العزيز(رحمه الله)" انعقدت في الرياض في ٢٣/ ٢/١٤٢٠ هـ، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد-الرياض. الطبعة: ١، ١٤٢١هـ.

١٩- **صفات الملك عبدالعزيز وسيرته**، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، ندوة

(الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله بالرياض١٤٢٠هـ) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٢٠- **عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاعًا ونشرًا**، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية (مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة) من ٢٥-٢٧/١/١٤٢٠هـ.

٢١- **لسراة الليل هتف الصباح** (الملك عبدالعزيز-دراسة وثائقية)، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ط:٣، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٢- **مبادئ وتوجيهات تربوية مستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود،** حنان صالح حكمي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى –كلية التربية ١٤١٨هـ.

٢٣- **مختارات من الخطب الملكية**، جمع إدارة دارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز-الرياض. رقم الطبعة: (بدون)، ١٤١٩هـ.

٢٤- **مراتب الإجماع**، باب من الاجماع في الاعتقادات، لابن حزم الظاهري، طبع: مكتبة القدسي، ١٣٥٧هـ.

٢٥- **المصحف والسيف**، محيي الدين القابسي، دار الناصر للطباعة- الرياض، ط:٣، ١٤١٨هـ.

٢٦- **المغني لموفق ابن قدامة المقدسي، ويليه الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة المقدسي**، تحقيق: محمد رشيد رضا، طبع: دار المنار-مصر. ١٣٤٧هـ. تصوير دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٢٧- مفردات غريب ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، دار القلم- دمشق، الطبعة: ٤، ١٤٣٠هـ.

٢٨- **الملك الراشد** (جلالة الملك المغفور له عبدالعزيز آل سعود)، عبد المنعم الغلامي، عناية: مؤيد الغلامي، دار اللواء، ط:٢، ١٤٠٠هـ..

٢٩- **الملك عبد العزيز والتعليم**، عبد الله سعيد أبو راس، وبدر الدين الديب: ط١، شركة العبيكان، الرياض، ١٤٠٧هـ. ص: ٢٢

٣٠- الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (بحث منشور على الشبكة العنكبوتية).

٣١- **الملك عبدالعزيز ووقف الكتب**، فهد عبدالله السماري، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك عبدالعزيز-المدينة المنورة. من ٢٥-٢٧/١/١٤٢٠هـ. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٣٢- **تهذيب اللغة**، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ودار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ.

٣٣- الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين-بيروت. الطبعة:١٠، ١٩٩٩م.

٣٤- **البلاد العربية السعودية**، فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة- الرياض. الطبعة:٢، ١٩٨٨هـ.

٣٥- **المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز** (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م إلى ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) اللحياني، فهد بن مرزوق: (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية، ١٤٢٩هـ.

٣٦- **سيرة الملك عبدالعزيز وملحمة التوحيد**، عبداللطيف بن دهيش، (إصدار بمناسبة المئوية) دارة الملك عبدالعزيز-الرياض، ١٤١٩م.

٣٧- **تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية** عبدالملك بن عبدالله بن دهيش،

(بداياته، مسيرته، حاضره)، (إصدار بمناسبة المئوية) دارة الملك عبدالعزيز-الرياض، الطبعة: ١، ١٤١٩م.

٣٨- **نيابة الأمير فيصل العامة في الحجاز في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٤هـ-١٣٧٣هـ/١٩٢٦م-١٩٥٣م)**، شيخة بنت صالح شعيب: (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، ١٤٣٢هـ.

٣٩- **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، جابر عبد الحميد جابر، وأحمد خيري كاظم، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

٤٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم: (٦٦٧٣).

٤١- **شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز**، خير الدين الزركلي.

٤٢- **جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية**، عبدالله بن صالح العبود، طبع: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة.

٤٣- **بلاغ عام من السلطان عبدالعزيز إلى أهل الحجاز**، جريدة أم القرى، العدد ٥٢، بتاريخ: ١٣٤٤/٦/١١هـ. ص: ١. نقلا عن موقع: مقاتل من الصحراء، الاصدار ١٥،(http://www.moqatel.com) الملحق رقم: ٢٦، بتاريخ: ١٤٣٦/٣/١٤هـ.

٤٤- **الملك خالد بن عبدالعزيز (دراسة تاريخية وحضارية)**، موقع: قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، بتاريخ: ١٤٣٦/٦/٦هـ، رابط الموقع: (http://www.kingkhalid.org.sa).

٤٥- **مؤلفات** (مسار: وزارة الإعلام)، موقع قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، الإصدار الأول. الرابط: http://www.kingkhalid.org.sa بتاريخ: ١٤٣٦/٨/١٢هـ

٤٦- **موقع ويكيبيديا** (الموسوعة الحرة)، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٥م. تاريخ الاسترجاع: ١٤٣٦/٨/١١هـ. رابط: (http://ar.wikipedia.org).

٤٧- جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: الثلاثاء ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ ٢٤ مايو ٢٠٠٥م، العدد: ٩٦٧٤.

البحث رقم (٣)

مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م

إعداد

د.عبير بنت خالد بن محمد الشلهوب

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

.

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أمّا بعد:

تسعى المملكة العربية السعودية في رؤيتها ٢٠٣٠ لتعزيز قيم متعددة في الشخصية الوطنية، حيث نصّ وصف برنامج تعزيز الشخصية الوطنية على (تعزيز قيم الوسطية، والتسامح، والإيجابية، والمثابرة) (١)؛ وحيث أنّ الدعاة إلى الله من أولى الناس بتعزيز القيم في نفوس المدعوين، وكذلك لكون أغلب المدعوين الذين يواجههم الدعاة السعوديون هم من أبناء الوطن، سعى هذا البحث لتسليط الضوء على مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

أهمية الموضوع:

- الحاجة لإيضاح مفهوم الإيجابية؛ لكثرة تداوله والحث على التحلي به مؤخرًا.
- ارتباط تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية، برؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، التي ينبغي على كل فرد في المجتمع أن يسهم بتحقيقها حسب قدرته واستطاعته، والدعاة إلى الله من أولى الناس بتعزيز الإيجابية؛ لاشتمال نواحيها على أمور حثت عليها الدعوة الإسلامية.
- كون المواطن السعودي أنموذجًا إسلاميًا يحتذى به غالبًا من قبل شعوب العالم الإسلامي؛ لوجود قبلة المسلمين، والمقدسات الإسلامية في بلاده، مما يزيد من مسؤولية الدعاة إلى الله تجاه تعزيز الإيجابية في شخصيته.

أسباب اختيار موضوع البحث:

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ https://vision2030.gov.sa/ar/programs/NCEP

- رغبة الباحثة بالمساهمة في موضوع يخدم رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.
- جمع مادة علمية ميسرة تعين الدعاة إلى الله على تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية.

أهداف البحث:

- تحديد المقصود بمفهوم الإيجابية.
- تسليط الضوء على جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية.
- إيضاح أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية.
- تحديد سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

تساؤلات البحث:

- ما المقصود بمفهوم الإيجابية؟
- ما جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية؟
- ما أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية؟
- ما سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة ٢٠٣٠؟

الدراسات السابقة:

○ الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها [1]، البحث نظري تأصيلي، لم يذكر فيه الباحث نوع المنهج المتبع، لكن من خلال تأمل الرسالة تبين أن الباحث جمع بين المنهجين الاستقرائي، والاستنباطي، وتم تقسيم الدراسة لثلاثة أبواب، عن المنهج الإسلامي في بناء الشخصية، والشخصية في الإسلام، وأمراض الشخصية وعلاجها في الإسلام.

وجه الاتفاق: كلاهما يتفقان في تسليط الضوء على بناء الشخصية.

وجه الاختلاف: البحث السابق تناول بإسهاب بناء الشخصية بشكل كامل في الإسلام، وبعض ما يعتريها من أمراض وكيفية العلاج، أما البحث الحالي فيسلط الضوء على مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

○ دور معلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية بمحافظات غزة في تعزيز سمات الشخصية المؤمنة وسبل تطويره [2]، تم توزيع استمارات الدراسة على خمسين طالب وطالبة، واستخدم الباحث المقابلة الشخصية لبعض المختصين في مجال التربية الإسلامية، **والدعاة** لتطوير دور معلمي التربية الإسلامية في تعزيز سمات الشخصية المؤمنة؛ كما استخدم المنهج الاستنباطي في استنباط سمات الشخصية المؤمنة من خلال آيات القرآن الكريم.

وجه الاتفاق: تتفق الدراسة السابقة مع البحث الحالي في كونهما يهدفان لتعزيز سمات الشخصية، حيث تهدف الدراسة الأولى لتعزيزها بشكل عام، أما البحث فيهدف لتعزيز

---

(١) التركي، ناصر عبدالله، "رسالة ماجستير، السعودية: كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

(٢) عمران، سلمان حسن، رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، الجامعة الإسلامية، ٢٠١٥م.

قيمة الإيجابية بشكل خاص في الشخصية السعودية، وأيضًا تتفقان في كون الباحث عدّ الدعاة إلى الله من الأشخاص المؤثرين في تعزيز السمات الشخصية.

وجه الاختلاف: طبيعة منهج وحجم الدراسة، فالدراسة السابقة رسالة ماجستير استخدم الباحث فيها المنهج المسحي حيث تنوعت أدوات الدراسة بين الاستمارة، والمقابلة، أما هذا البحث فمنهجه المنهج الاستقرائي الناقص، مع المنهج الاستنباطي، وهو من أبحاث الترقية القصيرة.

بعض مصطلحات البحث *(١):

○ **الإيجابية**: الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك (٢)*

○ **المسؤولية**: المسؤولية بشكل عام: حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته ... ويقصد بها (أخلاقيًا): التزام الشخص بما يصدر عنه قولًا أو عملًا(٣)، وللدعوة إلى الله تعريفات متعددة لكن يمكن أن يقال أنّ المقصود بالدعوة إلى الله حين تقديمها للمدعو المسلم: استخدام كافة الوسائل والأساليب المشروعة لحث المدعوين على تطبيق أحكام الإسلام، أو الثبات عليها؛ ليفوزوا بسعادة الدارين(٤)، فيكون المقصود **بالمسؤولية الدعوية**: التزام الداعية باستخدام كافة الوسائل والأساليب المشروعة لحث المدعوين على تطبيق أحكام الإسلام، أو الثبات عليها؛ ليفوزوا بسعادة الدارين.

○ **الداعي إلى الله**: (القائم بالدعوة، والمباشر لأدائها، والمزاول لمهامها سواءً أكان متطوعًا أو رسميًا فردًا كان أو جماعة) (٥)، ومما يجدر التنبيه إليه أنّ المقصود بالداعي إلى الله،

---

(١) لن تفصل الباحثة في التعاريف؛ لسهولة الوصول للمعاجم حاليًا.

(٢) ولم يتم تفصيل تعريف مصطلح الإيجابية هنا؛ لكون المبحث الأول فصّل في بيان مفهومها.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمع وإخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، (١/٤١١).

(٤) انظر: الدعوة فئة المتخصصين في غير العلوم الشرعية، أ.د. حمد العمار، (ص١٦).

(٥) المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، د.عبدالله المجلي، (ص١١).

كل مسلم ينقل أحكام الإسلام لغيره حسب قدرته واستطاعته، أو يطبقها مخلصًا في شؤون حياته ويكون قدوة لغيره، فالأم إن كانت تُعلّم أفراد أسرتها أي حكم من أحكام الدعوة الإسلامية فهي داعية، والموظف الذي يكون قدوة بأخلاقه، وتعاملاته فهو داعية، ويقاس على ذلك.

○ **تعزيز**: عزز فلانًا أي: قواه، دعمه، شدده، جعله عزيزًا، أمده، أيده [١]، والتعزيز: (الاجراء الذي يؤدي فيه حدوث السلوك إلى توابع إيجابية، أو إزالة توابع سلبية، الأمر الذي يترتب عليه زيادة إكمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة) [٢].

○ **الشخصية**: (صفات تميز الشخص من غيره ويقال فلان ذو شخصية قوية ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل) [٣]، وعند إطلاق مصطلح الشخصية فإن المعنى ينصرف لواحد من المعاني التالية [٤]:

١-الشخص أو الفرد حسب ما يظهر للآخرين، وهي مرتبطة بمفهوم القناع.

٢-مجموعة الصفات التي يكون عليها الفرد.

٣-الدور الذي يقوم به الفرد في حياته.

٤-صاحب المكانة الاجتماعية، أو من يحتل مركزًا كبيرًا في المجتمع.

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (١٤٩٢/٢).

(٢) دور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الإسلامية لدى طلابهم في محافظات غزة، عبدالكريم قشلان، "رسالة ماجستير"، (ص٧).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٤٧٥/١).

(٤) انظر: سيكولوجية الشخصية، د.سيد محمد غنيم، (ص٤٢-٤٣).

وقد ذكر أنّ تعريف الشخصية من أصعب الاصطلاحات فهمًا وتفسيرًا، ولكن يمكن أن يقصد به: البناء الخاص بصفات الفرد وأنماط سلوكه، الذي من شأنه أن يحدد لنا طريقته المتفردة في تكيفه مع بيئته، والذي يتنبأ باستجاباته [1].

فيكون المقصود من عنوان هذا البحث: التزام الداعية بدعم وتنمية الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك في المواطن السعودي على ضوء رؤية ٢٠٣٠.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الناقص [2]، حيث قامت الباحثة بتتبع واستقراء بعض من كتب عن مفهوم الإيجابية، وكيفية تعزيزه في الشخصيات.

والمنهج الاستدلالي الاستنباطي [3]؛ لضرورة التأمل الذهني لعدد من المعطيات ثم استنباط التصور العام عنها.

---

(١) انظر: تعريف الشخصية، أ.ناجح حمزة المعموري، جامعة بابل، محاضرة مفرغة، ٢٠١٤م، http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=13&lcid=38631

(٢) (وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها بالتتبع لما يعرض لها...وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة)، البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته، الربيعة، د.عبدالعزيز، (١٧٩/١). يختلف مفهوم المنهج الاستقرائي في العلوم الإنسانية نوعا ما عنه في العلوم الطبيعية، فيقصد بها غالبًا في العلوم الإنسانية التتبع، والجمع.

(٣) ربط العقل بين المقدمات والنتائج، أو بين الأشياء وعللها على أساس التأمل الذهني، انظر: البحث العلمي مناهجه وتقنياته، عمر، محمد زيان، (ص٤٩).

تقسيمات البحث:

المبحث الأول: مفهوم الإيجابية

المبحث الثاني: جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية

المبحث الثالث: أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية

المبحث الرابع: سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

الخاتمة

أهم النتائج

التوصيات

المبحث الأول

مفهوم الإيجابية

مفهوم الإيجابية لغةً: إيجابيّ مفرد، وهو اسم منسوب إلى إيجاب، عكسه سلبيّ، وهو مؤشِّر لتصرُّف حياد، ويقصد بالإيجابي أيضًا الإنسان العملي في مشاريعه، والذي يتّخذ خطوات إيجابيّة لحفظ السَّلام، والإيجابيَّات: كلُّ ما يصدُر من أمور ناجحة (١).

مفهوم الإيجابية اصطلاحًا: تنوعت تعاريف الإيجابية حسب النظرة لها، فمنهم من عرفها بتعاريف متوافقة مع المعتقد الإسلامي، ومنهم من خلط فيها معانٍ باطلة، وتفصيل ذلك كالتالي:

- قيل:(القدرة على الاضطلاع بالمسؤولية، واتخاذ القرار، والمضي به وبالآخرين إن لزم الأمر، إلى حيز التنفيذ، اشباعًا للحاجات في الواقع، وذلك في مواجهة المواقف الجديدة، ودون إضرار بالآخرين...) (٢).

في هذا التعريف عدّ المؤلف تحمل المسؤولية، وحسن اتخاذ القرار، والمواجهة مفهومًا للإيجابية، وتعتقد الباحثة أنّ مفهوم الإيجابية أكثر اتساعًا.

- وقيل: (خاصية مميزة للشخصية المسلمة...ما من إيجابية في مواجهة الحياة أقوى من الإقبال عليها؛ للتدبر والفهم... وأن الفرد الذي يقبل على الحياة هذا الإقبال هو الإيجابي فيها، وكذلك أيضًا من الإيجابية في الحياة التفتح على الآخرين، والاحتفاء بهم، ورعايتهم، ومشاركتهم أمور حياتهم) (٣).

فالمؤلف هنا لم يذكر التعريف كحد جامع مانع، بل استطرد على هيئة شرح، حيث جعل الإيجابية خاصية مميزة للشخصية المسلمة، وقد جعل الإيجابية تتمثل في الإقدام،

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٣/٢٤٠٠).

(٢) تصميم اختبار التوافق النفسي للراشدين، مجدي كمال عبيد، "رسالة ماجستير"، (ص٥٦).

(٣) المسؤولية الاجتماعية والشخصية، سيد محمد عثمان، (ص٨-١٠).

والمواجهة، والمشاركة الاجتماعية الفاعلة، وكل ما ذكره من الأمور المهمة التي تندرج في معنى الإيجابية.

○ وقيل: (هي التي تجعل من الإنسان ذلك الخالِق الصغير الذي خلقه الله على شاكلته، والتي تميز الإنسان حقًا عن سائر الكائنات الأخرى) [١].

ويتبين من هذا التعريف حجم الخلل العقدي الموجود فيه، حيث جعل المؤلف خِلقة الإنسان على شاكلة خلق الخالق تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، ولعل السبب في وجود هذا الخلل؛ كون المصطلح من المصطلحات المترجمة التي لم تنبع في البيئة العربية، ولا الإسلامية، بل هو ترجمة حرفية للجملة الإنجليزية (positive thinking)، التي تم الترويج لها تحت حركة الفكر الجديد، الذي يتبنى تعظيم القدرات البشرية الكامنة، وقوة أثر التفكير الإيجابي، وكونه المتسبب في تشكيل واقع الإنسان، وخلقه[٢]، بينما تبين النصوص الشرعية الأطوار التي يتقلب فيها الإنسان، وأنّ الغالب فيها الضعف لا القوة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾[٣]، أي: (الله الذي خلقكم) أيها الناس (من ضعف) يقول: من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشرًا سويًا، (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يقول: ثم جعل لكم قوة على التصرف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة، (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يقول: ثم أحدث لكم

---

(١) الإيجابية كمعيار وحيد وأكيد، صلاح مخيمر، (ص١٠-١١)، ذكر بعض المؤلفين أنّ مصطلح الإيجابية لم يكن له وجود في معاجم علم النفس، ودوائره ومعارفه، وأن أول من أدخل المصطلح مخيمر، صاحب الكتاب السابق.

(٢) انظر: حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها، د.هيفاء بنت ناصر الرشيد، (ص ٤٧).

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٤.

الضعف، بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم، وشيبة)[1]، فكيف يكون من هذا وصفه على شاكلة الخالق تعالى!!

- **ويقصد بالإيجابية في هذا البحث**، الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك.

فإصلاح النفس أي تزكيتها بالبعد عن الذنوب والمعاصي، والاستكثار من الطاعات، وإصلاحها، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[2]، (أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقّاها بطاعة الله، وعلاّها بالعلم النافع والعمل الصالح)[3]، ويكون ذلك مع الحرص على منهج الوسطية، كما علمنا خير الدعاة ﷺ بقوله: ((...وإنّ لنفسك حقا، ولأهلك حقا...))[4]، ونفع المجتمع أي: المسؤولية المجتمعية التي يقصد بها (مجموعة استجابات الفرد الدالة على اهتمامه بالجماعة التي ينتمي إليها، وفهمه لمشاكلها، ومشاركته في حلها)[5]، وتكون بطرق متعددة منها: نشر التفاؤل والأمل، والبعد عن الإرجاف، ومساعدة الناس وفق القدرة والاستطاعة، وقد جمعت الباحثة في التعريف بين الرغبة، والعمل، فلا قيمة للرغبة دون عمل على تحقيها.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٢٠/١١٨).

(٢) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٩٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري، كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، رقم ١١٥٣.

(٥) المسؤولية الاجتماعية "دراسة نفسية اجتماعية"، سيد أحمد عثمان، (ص١٢).

المبحث الثاني

جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية

أولًا: الجانب العلمي

اعتنت الدعوة الإسلامية بالعلم، فأول آية أنزلت على سيد الدعاة ﷺ كانت قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾(١)(٢)، فجاء الأمر بالقراءة التي تعد مفتاحًا للعلوم جميعها، حيث لا يمكن للمدعوين أن يعبدوا الله حق عبادته إلا بمعرفة مراده، وذلك يتحقق بقراءة القرآن، والأخذ عن خير الدعاة عليه الصلاة والسلام، وطريق ذلك العلم الشرعي، الذي يعد من أجلّ العلوم، حيث قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾(٣)، والنصوص في فضل العلم كثيرة جدًا، وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنّ العلم إذا أطلق في القرآن الكريم، والسنة المطهرة يراد به العلم الشرعي الذي يوصل إلى العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه(٤)، وهذا العلم الشرعي منه ما هو فرض عين على كل مسلم، وهو ما يتعلق بأوامر الله سبحانه ونواهيه، ومنه ما هو فرض كفاية إن قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين كتعلم الفرائض ونحوها(٥)، لكنّ هذا لا يعني أنّ العلوم الدنيوية ليس لها قيمة أو أهمية، فكل علوم الدنيا كالطب والهندسة وغيرهما مما ينفع الناس، لصاحبها من المثوبة بقدر نيته الصالحة في نفع الناس، والنهوض بمجتمعه، وأمته حتى لا تكون عالة على غيرها من الأمم، وهذه العلوم النافعة هي من فروض الكفايات التي يجب أن ينفر لها طائفة من

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٥٣١/٢٤)

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، (١٤١/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٨٠/٢٨).

المسلمين؛ ليغنوا مجتمعاتهم عن الحاجة إلى غيرهم، ومن نفر إليها مخلصًا لله تعالى فهو مشارك في رفع الحرج عن عموم المسلمين، وله من الأجر بقدر نيته الصالحة، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: (فالاشتغال بالعلوم الدنيوية التي تنفع المسلمين إن كان لله؛ أُجِرَ عليها، مع فائدتها العظيمة، وإن كان يتعلَّمها للدنيا ليستفيد في دنياه فهذا مباحٌ ولا يضرُّه ذلك. لكن العلوم الدينية أهم، فليأخذ منها بنصيبٍ، ويجتهد في تعلم دينه، والتَّفقه في دينه، ثم مع ذلك يتعلم ما ينفعه في دنياه إذا استطاع ذلك، وإذا جمع بين الأمرين فهو خيرٌ إلى خيرٍ... وإن صلحت نيته في علوم الدنيا كانت عبادةً، وإذا تعلَّمها للدنيا فليس له ولا عليه، تعلم شيئًا مباحًا، لا حرج عليه، لكن متى صلحت نيته وأراد بهذا نفع المسلمين وتقويتهم ضدّ عدوهم؛ جمع الله له الخيرين: الأجر، ومع ذلك النَّفع بهذا المتعلِّم) [(١)].

وقد اعتنت حكومة المملكة العربية السعودية عبر مرّ العصور بالعلم والتعليم، وكرست جهدًا كبيرًا للعناية بحفظ القرآن الكريم، ومظاهر اعتنائها بالقرآن الكريم متنوعة منها: مسابقة الملك عبدالعزيز الدولية لحفظ القرآن الكريم، ومسابقة الملك سلمان بن عبدالعزيز المحلية لحفظ القرآن الكريم أيضًا، ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية[(٢)]، وأعداد حفظة القرآن الكريم في المملكة تزداد عامًا تلو الآخر، وليس ذلك بمستغربٍ على بلاد جعلت دستورها القرآن الكريم، فطبقًا لإحصاءات عام ١٤٣٩هـ يبلغ عدد طلاب حلقات القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية الـ (٣٧٨٣٦٧) ألفًا[(٣)]، وتقدم الحكومة امتيازات وتسهيلات كثيرة لجمعيات تحفيظ القرآن، منها صرف إعانة سنوية لكل جمعية، ومنحها الأراضي لإقامة مقر عليها، وتخفيض رسوم الكهرباء على مقار

---

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، حكم وأهمية دراسة العلوم الدنيوية، https://binbaz.org.sa/fatwas/4092/%D9%85%D8%A7-%D8%AD%D9%83%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%8A%D8%A9

(٢) انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ، (ص٣٢) https://www.moia.gov.sa/Statistics/DocLib/الكتاب%٢٠الإحصائي%٢٠للعام%٢٠المالي%١٤٣٩١٤٣٨٢٠هـ.pdf.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٢.

الجمعيات، ومنح الدور النسائية أراضي لإقامة مقار لها؛ لذلك فقد بلغ عدد الطلاب الخاتمين للقرآن الكريم وفقًا لإحصائية عام ١٤٣٩هـ ال (٨٦٥٨) خاتمًا في المملكة العربية السعودية ولله الحمد والمنة(١).

وكذلك يسرت حكومة المملكة العربية السعودية تعلم العلوم الشرعية، وجعلت المقررات الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم المدرسية، ومقرر الثقافة الإسلامية أو ما يشابهه متطلبًا أيضًا في معظم الجامعات السعودية(٢)، ولها جهود مباركة في نشر العلم الشرعي في العالم بأسره(٣)، وكذلك لم تغفل العلوم الدنيوية التي تسهم في نهضة المجتمع، فقد زاد رقي التعليم في العصر الحاضر، فأصبح عدد الجامعات الحكومية (٢٨) جامعة موزعة على عدد من مناطق المملكة، بينما تجاوز عدد الجامعات والكليات الأهلية (٣٤)، ويبلغ عدد الطلاب والطالبات المقيدون في الدراسة في مؤسسات التعليم العالي حسب آخر إحصائية (١٦٢٠٤٩١) طالبًا وطالبة، بينما وصل عدد الخريجين والخريجات ل (٢٥٦٣٦٣) خريجًا وخريجة(٤).

وقد تصدرت المملكة العربية السعودية جميع الدول العربية مجتمعة في عدد براءات الاختراع التي سجلتها خلال ٢٠١٧م، إذ تمكن السعوديين والسعوديات من تسجيل (٦٦٤) براءة اختراع، وقد حققت بذلك الرقم أضعاف ما أنتجته عشر دول عربية وردت

---

(١) انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ، ص٣٢، https://www.moia.gov.sa/Statistics/DocLib/الكتاب%٢٠الإحصائي%٢٠للعام%٢٠المالي%١٤٣٩١٤٣٨٢٠هـ.pdf.

(٢) انظر: من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله، وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة (ص١٤٩-١٥٩).

(٣) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله العبود، (١/٣٦٣-٤٠٣).

(٤) انظر: الموقع الرسمي لوزارة التعليم، المملكة العربية السعودية، https://www.moe.gov.sa/ar/Pages/default.aspx ، خلاصة إحصائية للعام الدراسي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ.

في التقرير، حيث بلغ عدد براءات الاختراع التي حصلت عليها الدول "مصر، العراق، سوريا، لبنان، الجزائر، تونس، المغرب، السودان، اليمن، والأردن" مجتمعة (١٣٧) براءة اختراع، أي أنّ براءات الاختراع السعودية تفوق براءات الاختراع لدى أكثر من (٣٠٠) مليون نسمة تسكن الدول العربية العشر، وتعكس هذه النتائج قناعة شباب الوطن بقيمة العلم، ومكانة البحث العلمي، وتيقنهم أنّ الاختراع والابتكار من طرق الريادة لانسجامهما مع رؤية الوطن ٢٠٣٠، والتي وضعت ضمن مؤشراتها التركيز على البحث العلمي والابتكار والاختراع، وبالتالي فإنّ طلاب العلم من المبتكرين والمخترعين هم الكنز الحقيقي القادم للسعودية، والذي ستتمكن من خلاله من تحقيق الاقتصاد المزدهر بكافة مجالاته بإذن الله[١].

ثانيًا: الجانب الإيماني:

اعتنت الدعوة الإسلامية بتنمية جوانب الصلة بالله سبحانه، وزيادة الإيمان في نفس الداعية إلى الله والمدعوين؛ لذلك كانت سورة المزمل من أوائل السور التي نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتي حثت في مضامينها على التزود بالعبادات المنفردة التي تزيد صلة المؤمن بربه، كقيام الليل، وقراءة القرآن، والذكر، وغيرهم، قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره لسورة المزمل: (فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه...)[٢]، وختمت السورة بعدد من التوجيهات منها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[٣]، قال الإمام الطبري رحمه الله: ((وأقرضوا

---

(١) انظر: الموقع الرسمي لوزارة التعليم، https://www.moe.gov.sa/ar/news/Pages/664-cr.aspx

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ص٨٢٩).

(٣) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الله قرضًا حسنًا) يعني: بالنفقة في سبيله، وفيما أمر بالنفقة فيه، أو فيما ندب إليه...)[(١)]، وقد يصعب قياس وجود مثل تلك العبادات المنفردة في أي مجتمع؛ لكونها قائمة على الإخلاص، ولكن يمكن تتبع بعض مظاهرها كتشجيع ورعاية حكومة المملكة العربية السعودية لوجود الجمعيات الخيرية بمختلف فئاتها، حيث يبلغ عدد الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية حسب آخر إحصائية (٦٤٦) جمعية، منها (٤٦) جمعية نسائية محضة[(٢)]، وتحرص تلك الجمعيات على الارتقاء بالعمل الخيري وفق أعلى المعايير، حيث نال بعضها جوائز عن أفضل أداء خيري في الوطن العربي لعام ١٤٣٨هـ[(٣)]، ويسهم في دعم تلك الجمعيات تبرع المحسنين من أبناء هذا البلد المعطاء، حيث بينت إحدى الدراسات أنّ دوافع التبرع لدى السعوديين يأتي في أولها رغبة في الثواب من الله بمتوسط موافقة (٤,٩٤ من ٥)، وأنّ هذا التبرع مرتبط بسمات الشخصية السعودية، ووجود اتجاهات إيجابية لدى السعوديين نحو مؤسسات العمل الخيري[(٤)]، وقد تمّ تخصيص حسابات معتمدة في البنوك المحلية لدعم أعمال تلك الجمعيات، كرعاية الأيتام، وسقيا الماء، وكسوات المواسم، وغيرهم حسب طبيعة نشاط كل جمعية، وقد ساهم الشعب السعودي مؤخرًا في دعم لجنة رعاية

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، (٢٣/١٩٠).

(٢) انظر: أطلس الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الاجتماعية، وكالة الوزارة للتنمية الاجتماعية، ١٤٣٥هـ، (ص١٣-١٤ https://mlsd.gov.sa/sites/default/files/prints/41_AJK.pdf

(٣) انظر: صحيفة عكاظ الإلكترونية، محليات، جمعيات تفوز بجائزة أفضل أداء خيري، بتاريخ ١٠ شوال ١٤٣٨هـ، على الرابط https://www.okaz.com.sa/article/١٥٥٦٨٧٨

(٤) انظر: سلوك المتبرع السعودي دراسة وصفية ميدانية على عينة من المتبرعين بالنقد، د.ياسر الشهري، (ص٤، ص٧).

السجناء والمفرج عنهم فوصلت قيمة مساهمتهم في برنامج سداد لدفع إيجار مساكن أسر نزلاء السجون ل (٢,٥٦٣,٥٠٠) ريالًا في منطقة الرياض وحدها لعام ٢٠١٨م [(١)].

ولا يقتصر دعم حكومة وشعب المملكة العربية السعودية على أبناء الوطن فحسب، بل يمتد ليشمل كل المسلمين حول العالم، فقد أطلقت مؤسسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للأعمال الإنسانية، مبادرة لدعم تعليم أكثر من (٧٦) ألف طفل من اللاجئين الروهينجا، وذلك بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونسيف" ومجموعة البنك الإسلامي للتنمية، والتزمت بتقديم (٢٠) مليون دولار أمريكي خلال مشاركة وفد مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية في أعمال مؤتمر المانحين لصالح أزمة اللاجئين الروهينجا في مدينة جنيف[(٢)].

ثالثًا: الجانب الاجتماعي:

حرصت الدعوة الإسلامية على تنمية جانب المسؤولية الاجتماعية في النفوس، والتي يقصد بها: (مجموعة استجابات الفرد الدالة على اهتمامه بالجماعة التي ينتمي إليها، وفهمه لمشاكلها، ومشاركته في حلها)[(٣)]، وقد تضمنت سورة المدثر، وهي من أوائل السور المكية التي نزلت على سيد الدعاة عليه الصلاة والسلام، الأمر بالقيام بعدد من المهام أولها الإنذار، والدعوة إلى الله، وهي أمر متعلق بحق المدعوين، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۞ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۞ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۞ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۞

(١) الموقع الرسمي لتراحم، لجنة رعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم في منطقة الرياض، http://www.rpc.org.sa/Ar/27/Details.aspx

(٢) انظر: أبرز الأحداث والنشاطات خلال العام الهجري ١٤٣٩ هـ، بتاريخ ٣٠-١٢-١٤٣٩هـ، الموقع الرسمي لوكالة الأنباء السعودية، واس، على الرابط https://www.spa.gov.sa/1812045

(٣) المسؤولية الاجتماعية "دراسة نفسية اجتماعية"، سيد أحمد عثمان، (ص١٢).

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾[1]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: (تقدم أنّ المزمل والمدثر بمعنى واحد، وأنّ الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، وأمره هنا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار، فقال: {قم} [أي] بجد ونشاط {فأنذر} الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه)[2]، وحددت الدعوة الإسلامية مسؤوليات متعلقة بكل مسلم حسب القدرة والاستطاعة، فجاء عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته))[3]، ويقصد بالراعي: (الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وهو ما تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته)[4]، ومن هذا المنطلق أنشأت حكومة المملكة العربية السعودية الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهيأت لها ما يتناسب مع طبيعة عملها، حيث وصل عدد فروعها الرئيسة ل (٣٣) فرعًا موزعةً حول مناطق المملكة، وتم تقديم الدعم لتلك الرئاسة من عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، وحتى عصرنا الحالي، وتتقدم إدارة

---

(١) سورة المدثر، الآية: ١-٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ص٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم ٨٩٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم ١٨٢٩.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١٢/٢١٣).

الرئاسة بتقرير سنوي توضح فيه أبرز إنجازاتها السنوية، وما يتم تقديمه للمجتمع من مشاركة في حماية الحقوق الدينية، والدنيوية لأفراده(١).

ومن صور المسؤولية الاجتماعية أيضًا دعم ونشر ثقافة العمل التطوعي، حيث بدأ العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية على هيئة بعض الجهود الفردية، حتى تم إنشاء وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٠هـ، وتم إنشاء أول مركز للتنمية الاجتماعية، الذي قام بتشكيل لجان أهلية متخصصة للعمل التطوعي، وبعد تظافر الجهود الحكومية والأهلية في هذا المجال، صدرت لوائح تخدمه، وتشجع على استمراره والتوسع فيه، كلائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية الذي صدر عام ١٤١٠هـ، بقرار رقم (١٠٧) من مجلس الوزراء، والذي أنيطت مسؤولية تطبيقه بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم أصدرت الوزارة لائحة عمل الجمعيات والمؤسسات الخيرية وقواعدها التنفيذية عام ١٤١٢هـ، وتم إنشاء إدارة عامة للتنمية الاجتماعية، وإدارة عامة للمؤسسات والجمعيات الأهلية، تعملان على تنظيم جهود الأفراد والجماعات وتوجيههم للعمل المشترك مع الجهود الحكومية لمقابلة احتياجاتهم وحل مشكلاتهم والانتفاع بإمكاناتهم وطاقاتهم(٢)، وقد تم إنشاء الجمعية السعودية للعمل التطوعي (تكاتف) بترخيص من وزارة العمل والتنمية الاجتماعية عام ١٤٣٢هـ حيث تسعى لنشر ثقافة العمل التطوعي، وتعزيز مفهوم المواطنة الصالحة في المملكة العربية السعودية بين أفراد المجتمع، من خلال تقديم دورات توعوية متخصصة لجميع شرائح المجتمع، ثم يتم ربط الراغبين بالعمل التطوعي بالجهات المستفيدة من المتطوعين في جميع القطاعات، وتنظيم برامج تطوعية لخدمة المجتمع(٣)، وقد بينت وثيقة المملكة العربية

---

(١) انظر: موقع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على الرابط https://www.pv.gov.sa/Pages/PVHome.aspx

(٢) انظر: واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية والدور الإعلامي المأمول لتنميته دراسة وصفية نقدية، د.محمد عامر مظاهرة، مجلة طيبه، (ص١٩٩-٢٠٠).

(٣)انظر: الملف التعريفي لجمعية تكاتف على الرابط https://sv.org.sa/wp

السعودية ٢٠٣٠ أنّ عدد المؤسسات والجمعيات غير الربحية في الوقت الحالي أقل من (١٠٠٠) مؤسسة وجمعية، وأكدت الوثيقة على رغبة حكومة المملكة العربية السعودية على تطوير تلك المؤسسات والجمعيات، وتقديم كافة صور الدعم الحكومي لها، وأكدت على أن من أهدافها رفع عدد المتطوعين من (١١) ألف متطوع إلى مليون متطوع غير ربحي قبل نهاية ٢٠٣٠[١].

جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية التي تم ذكرها هي جوانب مترابطة، لا يمكن لأحدها أن ينفك عن الآخر، فلا قيمة للعلم دون عمل، ولن يكون العمل صحيحًا دون علم يبنى عليه، ولا يمكن لأفراد المجتمع أن ينهضوا إلا بوجود مسؤولية مجتمعية تجاه الآخرين.

---

(١) انظر: رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، ص٦٩، ص٧١.

المبحث الثالث

أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

○ **أهمية متعلقة بالداعية:**

١-الاقتداء بخير الدعاة عليه الصلاة والسلام، فقد كان أنموذجًا للشخصية الإيجابية، فقد كان صلى الله عليه وسلم متسمًا بكافة الأخلاق الحميدة، حريصًا على تعزيزها في نفوس من حوله، حيث قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: ((إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة)) (١)، فقام عليه الصلاة والسلام بتعزيز خصلتين عند المدعو، فيكون قيام الدعاة بتعزيز الأمور الحسنة في نفوس المدعوين فيه اقتداءٌ بخير الدعاة صلى الله عليه وسلم، إن أخلصوا النية.

٢-ما يحصل للداعية من الأجر والثواب، وذلك عن طريق ما يلي:

أ-حين يقوم الداعية إلى الله بدعم الإيجابية في نفوس المواطنين، يحصل له بإذن الله أجر إعانتهم وثباتهم على تلك الصفة الموافقة للمنهج الإسلامي، حيث قال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم)) (٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون عام طباعة، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، رقم ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، رقم ٤٢١٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم ٢٤٠٦.

ب- طاعة ومعاونة ولي الأمر، وما في وذلك عن طريق الإسهام في نشر برامج الرؤية ٢٠٣٠، وتفعيلها بين المدعوين من المواطنين، وغيرهم، وذلك لتأكيد الرؤية في مواطن متعددة على ضرورة العمل التكاملي، وضرورة عمل كافة أفراد المجتمع معًا يدًا بيد [١] .

٣-اعتناء الداعية إلى الله بشخصية المدعوين من حوله، يؤدي بإذن الله لتكوين شخصيات سوية متوازنة منقادة لأحكام الدعوة الإسلامية.

- **أهمية متعلقة بالمدعو:**

١-تثبيت التفكير، والسلوك الحسن عند المدعوين، عن طريق دعمهم، وتعزيز الإيجابية في نفوسهم.

٢-تحقيق الرضا في حياة المدعوين، فالتفكير، والسلوك الإيجابي يرفع من مستوى تقدير الذات ويجعله راضيًا مطمئنًا، بعيدًا عن الجزع.

- **أهمية متعلقة بالدعوة إلى الله:**

١-المساهمة في تحقيق أهداف الدَّعوة إلى الله تعالى، وذلك أنَّ الدَّعوة تسعى لتحقيق أمور متعددة متعلقة بالفرد والمجتمع، منها [٢]:

أ- النهوض بالمجتمع الإسلامي، عن طريق نشر العلم النافع، فالقيام بتعزيز الإيجابية في نفوس المواطنين يستلزم حثهم على العلم النافع، ويسهم هذا الأمر أيضًا في نشر العلم الشرعي بين المدعوين من أبناء الوطن، وقد اعتنت الدعوة الإسلامية بالعلم كثيرًا؛ وذلك لكونه القاعدة الصلبة التي يبنى عليها العمل؛ لذا قدمه الله – عزَّ وجلَّ- قبل العمل في قوله

---

(١) انظر: https://vision2030.gov.sa/ar/programs/NCEP#

(٢) انظر: أهداف الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، سليمان الدويش، رسالة دكتوراه (ص٦٤٤-٦٤٨)؛ انظر: الأسس العلمية لمنهج الدَّعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، أ.د.عبدالرحيم المغذوي، (١/ ٢٣٠-٢٥٤).

تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[1]ولهذا كتب البخاري- رحمه الله- بابًا في صحيحه بعنوان العلم قبل القول والعمل[2]، وكذلك فعل كثير من علماء السلف أيضًا نحو ذلك، وما ذاك إلا لخطورة القيام بالعمل قبل العلم به، فمن (دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال، وربما اغترّ به الجهال فسألوه فاغترّ هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضلّ وأضلّ)[3].

ب-محاولة إصلاح الناس حسب القدرة والاستطاعة، فقد قام جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام بمحاولة إصلاح الناس وفق ما يقتضيه حالهم حسب القدرة والاستطاعة، فقد قال تعالى على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[4] أي: (ليس لي من المقاصد إلاّ أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم) ثم قال:(وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدر عليه منها وبدفع المفاسد وتقليلها ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة، وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية)[5]، وكذلك هو الحال بالنسبة للدعاة أيضًا فإنهم يسعون لإصلاح الناس حسب قدرتهم واستطاعتهم، ولن يتمكنوا من تحقيق ذلك دون تعزيز الإيجابية في نفوس المواطنين.

٢-إبراز الدعوة الإسلامية بصورة حسنة أمام العالم، فدعم الإيجابية في الشخصية السعودية يسهم في انتشار مظاهر الأخلاق الحميدة في المجتمع، ويخفض من مستوى

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب: العلم، (٢٤/١).

(٣) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي، (ص١٠٥).

(٤) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ السعدي، (ص٣٨٧-٣٨٨).

السلوكيات السلبية، وبالتالي تتم نقل صورة حسنة عن الإسلام، والمجتمعات الإسلامية للمدعوين حول العالم، مما يساعد في انتشار تعاليم الدعوة الإسلامية.

المبحث الرابع

سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

وسائل وأساليب تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية متعددة منها:

أولًا: وسائل التواصل الاجتماعي، تتنوع وسائل التواصل الاجتماعي بين عدة تطبيقات مختلفة، ولكن أكثرها استخدامًا في المملكة العربية السعودية تطبيق (تويتر) حيث بلغ عدد مستخدميه من السعوديين لعام ١٤٣٨هـ، أكثر من ثلاثة عشر مليون مستخدم سعودي نشط (١٣,٨٠٠٠٠٠) أكثرهم من الرجال(١)، بينما جاء تطبيق (السناب شات) في المرتبة الثانية حيث بلغ عدد مستخدميه من السعوديين لعام ١٤٣٨هـ أكثر من ثمانية ملايين مستخدم (٨,٢٠٠٠٠٠) تتراوح أعمارهم ما بين (١٨-٤٠) عامًا أكثرهم من النساء(٢)، وكثرة المتابعين لمثل هذه التطبيقات ينبغي أن يلفت نظر الدعاة إلى الله لحسن تفعيلها في تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية، عن طريق إيجاد حسابات تواصل جذابة ومتوافقة مع ضوابط الدعوة الإسلامية، يتم فيها تشجيع المواطنين على التحلي بالإيجابية، والثناء على التصرفات المتعلقة بجوانبها، وإبرازها وإظهارها للعالم ككل، كإبراز عدد حفظة القرآن الكريم، وتسليط الضوء على التبرعات في السعودية، وبيان الأعمال التطوعية التي يقوم بها المواطنون.

---

(١) انظر: صحيفة المواطن الإلكترونية بتاريخ ٢٣/٤/٢٠١٨م، https://www.almowaten.net، وانظر إحصائية (the spectator index 2018) حساب في تويتر مهتم بنشر الاحصائيات العالمية https://mobile.twitter.com/spectatorindex?lang=ar

(٢) انظر: صحيفة مكة المكرمة الإلكترونية، إنفوجرافيك، بتاريخ ٢٥ شعبان ١٤٣٨هـ، على الرابط https://makkahnewspaper.com

ثانيًا: خطبة الجمعة، تظهر أهمية خطبة الجمعة لاتفاق الأمة على مشروعيتها، وأنها من أعظم مجامع المسلمين [(١)]، وهي لا تختص بحال دون حال أو زمن دون زمن، بل هي قائمة ثابتة في جميع الأحوال، مع إيجاب الإنصات لخطبتها، فيكون لما يطرح فيها من زاد أسبوعي تأثير نافع بإذن الله على جميع المستمعين بمختلف شرائحهم [(٢)]، فينبغي على خطباء الجمعة أن يضاعفوا الجهود لنشر وتعزيز الإيجابية في المجتمع السعودي، عن طريق إبراز الموجود منها، ومدحه، وتشجيعه، وحث المدعوين على اقتفاء الأثر الحسن.

ثالثًا: القدوة الحسنة، حين سأل أحد الصحابة رضوان الله عليهم عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام قالت: ((ألست تقرأ القرآن؟)) فقال: بلى، قالت: ((فإنّ خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن))[(٣)]، وقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مشتملةً على الحال والمقال، فقد لُقب قبل بعثه صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين، ودخل الكثير من مشركي العرب واليهود والنصارى في الإسلام تأثرًا منهم بحسن تعامله، وكريم خصاله، وكانت أفعاله عليه الصلاة والسلام مطابقة لأقواله، فما دعا إلى هدى إلاّ وكان أول من يفعله، وما نهى عن أمر إلاّ وكان أول ممتثل، والشواهد على ذلك كثيرة جدًا، منها لما كان لبس الذهب مباحًا للرجال أول الإسلام ثمّ نسخ، فأراد عليه الصلاة والسلام أن ينهاهم عن فعله، فقال في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما:((إنّي اتخذت خاتمًا من ذهب فنبذه وقال: إنّي لن ألبسه أبدًا)) فنبذ الناس

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (٣٦٥/١).

(٢) انظر: خطبة الجمعة دراسة دعوية، د.سليمان الحبس، (ص٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم ٧٤٢.

خواتيمهم[١] ففي هذا الحديث دلالة على أهمية الدعوة بالقدوة، فعندما نبذ الرسول عليه الصلاة والسلام خاتمه وأعلم الناس بأنّه لن يلبسه أبدًا نبذوا خواتيمهم مباشرة، وفي هذا دلالة عظيمة على أنّ تأثير الفعل أبلغ من القول[٢]، فالتطبيق العملي أوقع في النفس، وأدعى للإقناع من الكلام النظري، فالمدعو إذا رأى جوانب الإيجابية مطبقة أمامه في شخصية وتصرفات الداعية إلى الله كان ذلك أهدى لعقله، وأجذب لقلبه من قراءة تلك المبادئ مسطورة في كتاب، أو سماعها في خطبة[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم،١٢٥٥، رقم ٧٢٩٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحة في أول الإسلام،٩٣٥، رقم ٥٤٧٣.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ، (٢٧٥/١٣).

(٣) انظر: الإعلام في صدر الإسلام، د.عبداللطيف حمزة، (ص٦٩).

الخاتمة

الحمد لله على التمام، فقد تناول هذا البحث بشكل مقتضب مفهوم الإيجابية، وجوانبها، وأهميتها، مع ذكر بعض سبل تعزيزها في الشخصية السعودية، وقد توصل البحث لعدد من النتائج أبرزها ما يلي:

- يقصد بالإيجابية في هذا البحث، الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك.
- الإيجابية في الشخصية السعودية تشتمل على ثلاثة جوانب: الجانب العلمي، والجانب الإيماني، وجانب المسؤولية المجتمعية.
- جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية هي جوانب مترابطة، لا يمكن لأحدها أن ينفك عن الآخر، فلا قيمة للعلم دون عمل، ولن يكون العمل صحيحًا دون علم يبنى عليه، ولا يمكن لأفراد المجتمع أن ينهضوا إلا بوجود مسؤولية مجتمعية تجاه الآخرين.
- لتحقيق الإيجابية أهمية كبيرة متعلقة بالداعية إلى الله، والمدعو، وكذلك الدعوة إلى الله.
- تفعيل وسائل التواصل الاجتماعي لتسليط الضوء على جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية من أهم سبل تعزيز الإيجابية.

التوصيات:

- تقوى الله سبحانه وتعالى، والإخلاص في العمل، فتحقيق ذلك والسعي له كفيل بنشر الإيجابية بإذن الله.
- تسليط الضوء على سبل تعزيز الإيجابية بشكل أكثر توسعًا؛ حيث لم يتم التطرق لعدد كبير منها نظرًا لضيق المساحة المخصصة للبحث.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأسس العلمية لمنهج الدَّعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، المغذوي، أ.د.عبدالرحيم ط/١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٩هـ.
٢. الإعلام في صدر الإسلام، حمزة، د.عبداللطيف، ط/١، دار الفكر، بيروت.
٣. أهداف الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، الدويش، سليمان، "رسالة دكتوراه، السعودية، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، الرياض: ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.
٤. الإيجابية كمعيار وحيد وأكيد، مخيمر، صلاح، ط/١، دار الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٨٤م.
٥. البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته، الربيعة، د.عبدالعزيز، ط/٣، الرياض: ١٤٢٤هـ.
٦. تصميم اختبار التوافق النفسي للراشدين، عبيد، مجدي كمال، "رسالة ماجستير، مصر: كلية التربية، عين شمس"، ١٩٨١م.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٨. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠-٢٠٠٠م.
٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/١ دار طوق النجاة، بيروت: ١٤٢٢هـ.

١٠. جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله العبود، ط/١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ.

١١. حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها، الرشيد، د.هيفاء بنت ناصر، ط/١، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة: ١٤٣٥هـ.

١٢. خطبة الجمعة دراسة دعوية، الحبس، د.سليمان، ط/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٢٦هـ.

١٣. الدعوة "فئة المتخصصين في غير العلوم الشرعية"، العمار، أ.د. حمد بن ناصر، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٥هـ.

١٤. دور معلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية بمحافظات غزة في تعزيز سمات الشخصية المؤمنة وسبل تطويره، عمران، سلمان حسن، "رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، الجامعة الإسلامية"، غزة: ٢٠١٥م.

١٥. دور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الإسلامية لدى طلابهم في محافظات غزة، قشلان، "عبدالكريم، رسالة ماجستير، فلسطين: كلية التربية، جامعة الأزهر"، ٢٠١٠م.

١٦. رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م.

١٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط/٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ).

١٨. سلوك المتبرع السعودي دراسة وصفية ميدانية على عينة من المتبرعين بالنقد، الشهري، د.ياسر، د. صالح الزهراني، ط/١، غصن ثمار المعرفة، الرياض: ١٤٣٨هـ.

١٩. سيكولوجية الشخصية، غنيم، د.سيد محمد، ط/١، دار النهضة العربية، القاهرة: ١٩٧٨م.

٢٠. الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، التركي، ناصر عبدالله، "رسالة ماجستير، السعودية: كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، الرياض: ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م.

٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

٢٢. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس، ط١/، وزارة الشؤون الدينية: ١٤٠٣هـ.

٢٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط/١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤١٦هـ.

٢٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥. المسؤولية الاجتماعية دراسة نفسية اجتماعية، سيد أحمد عثمان، ط/١، دار الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٧٣م.

٢٦. المسؤولية الاجتماعية والشخصية، عثمان، سيد محمد، ط/١، دار الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٧٠م.

٢٧. المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، المجلي، د.عبدالله، ط/١، دار الحضارة، الرياض: ١٤٣٠هـ.

٢٨. معجم اللغة العربية المعاصـــرة، عمر، د أحمد مختار عبد الحميد، ط/١، دار عالم الكتب، القاهرة: ١٤٢٩هـ.

٢٩. المعجم الوســيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمع وإخراج: إبراهيم مصـــطفى وآخرون، ط/٢، دار الدعوة، القاهرة.

٣٠. من جهود المملكة العربية الســعودية في الدعوة إلى الله، وكالة الوزارة المســاعدة لشؤون الدعوة، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض: ١٤١٩هـ.

٣١. المنهاج شـرح صـحيح مسـلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ).

٣٢. واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية والدور الإعلامي المأمول لتنميته دراسـة وصـفية نقدية، مظاهرة، د.محمد عامر، مجلة جامعة طيبه: العلوم التربوية، م (٢)، (٤)، ١٤٢٧هـ.

المواقع الإلكترونية:

- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، https://binbaz.org.sa
- الموقع الرسمي لوزارة التعليم، https://www.moe.gov.sa/ar/news/Pages/664-cr.aspx
- موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ، https://www.moia.gov.sa/Statistics/DocLib/الكتاب%٢٠الإحصائي%٢٠للعام%٢٠المالي%١٤٣٩١٤٣٨٢٠هـ.pdf

البحث رقم (٤)

الإرجاف ودور الدعاة في مواجهته

إعداد

د. خديجة بنت عبدالله بن محمد البشر

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعدُ:

تمر المجتمعات الإسلامية اليوم بتحديات كبيرة تعترض مسيرتها نحو الوصول لأهدافها المتمثلة في تحقيق وحدانية الله جل وعلى وعبادته وإقامة شـــرائعه على الوجه الأكمل، وتحقيق الأمن ورغد العيش لمواطنيها. وإن من أهم هذه التحديات التي تواجه المجتمع المســلم في تحقيق هذه الأهداف وجود فئة من المتربصــين من الأعداء وأصــحاب الأهواء يحاولون زرع الفتن وإثارة الفوضـــى بهدف شـــق الصـــف والإخلال بالأمن عبر أراجيف كاذبة أو تعميمات جائرة يطلقها هؤلاء المرجفين ويبثونها لعامة الأمة. وإن من مســـؤولية الدعاةِ اليومَ في مجتمعاتنا الإســـلامية مواجهةَ هذا الخطر العظيم، والوقوفَ وقفة قويَّة لمواجهته، وإيقافِ نفوذه، والحدِّ من تمدُّده، والعملَ على استئصال جذوره، وكسرِ شوكته، وإماتةِ قوى أهله. وقد جاءت هذ الدراسةُ لتُسهم بجزء يسير في تبيين حقيقة الإرجاف، وبيانِ خطره، ووسائله، وواجب الدعاة في مواجهته.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١- ظهورُ بعض الْمُرجِفين، واجتهادُهم في نشـــر الكذب والباطل بهدف نشـــر الفوضى في المجتمعات الإسلامية.

٢-حاجةُ المجتمَعِ الماسَّةُ لكشف المرجِفين الذين يبغون الفساد في الأرض.

٣-خطورة الإرجاف على الفرد والمجتمع.

٤ – ظهور وسائل التِّقْنِيَة الحديثة، وتنوعها، وسهولة الحصول عليها، وانتشارُها؛ ما يسَّر لأهل الباطل الوصولَ لشرائح المجتمع، ونشرَ الإرجافِ بينهم.

٥- تعدد الفرص أمام الدعاة لنشــر الخير بين الناس، وتحذيرِهم من أهل الباطل، من خلال وسائل التواصل الاجتماعيّ، وغيرها من الوسائل الحديثة.

أهداف الدراسة:

١- بيانُ مفهوم الإرجاف.

٢- التعرف على أقسامُ المرجِفين وأساليبُهم ووسائلُهم.

٣- تحديد أبرز مجالات الإرجاف.

٤- إبراز دور الداعية تُجاهَ الإرجاف.

تساؤلات الدراسة:

١- ما مفهومُ الإرجاف؟

٢- ما أقسامُ المرجِفين وأساليبُهم ووسائلُهم؟

٣- ما هي مجالات الإرجاف؟

٤- ما دور الداعية تُجاهَ الإرجاف؟

منهج الدراسة:

قامت الدراسة على المنهج الاستقرائيّ الذي "يعتمد على جمع المادَّة العلمية، واستقراءِ النصوص، وتصنيفها؛ للوصول إلى قواعدَ وأحكامٍ عامَّة"(١)، تتبَّعت الباحثةُ من خلاله دورَ الدعاة في مجابهة الإرجاف، والوسائل والأساليب الدعوية المستخدَمة في ذلك.

الدراسات السابقة:

بعد الاطِّلاع والقراءة، توصَّلت الباحثةُ إلى ندرة الدراسات في هذا الجانب المهمِّ من جوانب الدعوة إلى الله، على أن الباحثة لم تجد في هذه الدراسات القليلة مَن أَفرَد الموضوع بشكل شامل في مباحثَ ومطالبَ محدَّدةٍ؛ إذ تناولته هذه الدراساتُ بأسلوب غيرِ مباشر، وفي تخصُّصات مختلفة، أو بشكل عامٍّ، لم تعالج المشكلة، ولم تبيِّن موقف الدعاة منها، ومن هذه الدراسات ما يلي:

---

(١) كيف تكتب بحثًا ناجحًا؟ د. صباح عبد الله با فضل، ص٣١، ط/١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

١ – أساليب مواجهة الشائعات [(١)]:

كتاب منشور جاء على هيئة مباحثَ تتناول موضوع الشائعات من الناحية الأمنية، بينما ستتناول الباحثة في دراستها الجانب الدعويَّ تُجاهَ الإرجاف والمرجفين، وآثارَه من النواحي الاجتماعية والدينية والأمنية، إضافةً للوسائل والأساليب المستخدَمة في ذلك، وتتشابه هذ الدراسةُ مع دراسة الباحثة فيما يخصُّ الجانب الأمنيَّ فقط.

٢ – دور الداعية في محاربة الشائعات [(٢)]:

كتاب يتناول تعريف الشائعات، وتاريخَها، وأنواعَها، والأمثلةَ على ذلك، وبيانَ خطرها، وأثرِها على المجتمع، ومصدرِها، وموقف المسلم منها، والضوابط الشرعية في نقل الأخبار، والتثبُّت، ومنهج الداعية في محاربتها. ومن الواضح عدمُ تشابه مباحث هذا الكتاب مع موضوع دراسة الباحثة؛ إذ إنها تتناول الشائعاتِ التي تختلف عن الإرجاف؛ فكلُّ إرجاف يندرج تحت الشائعات، وليس كل شائعة إرجافًا؛ إذ إن الإرجاف أخصُّ، والشائعاتِ أعمُّ.

وقد تحدَّث الكتاب عن الشائعات بشكل عامٍّ، وعن انتشارها وتاريخها، ووسائل نقلها؛ لكنه لم يتناول دور الدعاة في مجابهة الشائعات إلا بشكل عامٍّ، وفي جزئية صغيرة في آخر الكتاب.

٣ – الإشاعة ومخاطرها التربوية من منظور إسلامي [(٣)]:

رسالة ماجستير تمَّ فيها تعريف الإشاعة، وتحديدُ أنواعها وأهدافها، وكيفيةِ انتشارها، ودورِ وسائل الإعلام في محاربتها، وبيانُ خطرها، وكيفيةِ الوقاية منها. وقد تم تناول

---

(١) ساعد العرابي الحارثي وآخرون، ط/١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٢) عبد الرحمن الطوخي عبد الرحمن عقل، إمام وخطيب مسجد المستشفى المركزي بالقناطر الخيرية، ط/١، وزارة الأوقاف، مصر.

(٣) مبارك عبد الله المفلح، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، تخصص التربية في الإسلام، الأردن، رسالة ماجستير، ١٤١٥هـ.

موضـــوع هذه الدراسـة من خلال منظور تربويٍّ يتعلَّق بالآداب والفضـائل، الأمرُ الذي يجعله مختلفًا عن موضوع الباحثة، الذي يتناول الإرجاف من زاوية دعوية متخصِّصة.

٤ الإرجاف دراسة قرآنية [١]:

رسـالة ماجسـتير اشـتملت على أربعة فصـول، تحدَّث فيها الباحث عن مفهوم الإرجاف، وآثاره، وكيفية مكافحته، وذكر المرجفين منذ بَدْءِ الخليقة حتى العصر الحاضر، كما تحدَّث عن أشـكال الإرجاف وآثاره. وقد تناول الباحث الإرجاف والمرجفين من جانب شـرعيٍّ دون الجانب الدعويِّ، ولم يتطرَّق لدور الدعاة وأهل العلم في كشـف الإرجاف، وهو ما ستوضِّحه الباحثة في دراستها هذه، بإذن الله تعالى.

تقسيمات الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في مقدِّمة، وتمهيد، وأربعةِ مباحثَ، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدِّمة: وفيها بيانُ أهمية الموضـوع، ومنهج الدراسـة، وأهدافها، وتسـاؤلاتها، وتقسيماتها.

التمهيد: مفهوم الإرجاف.

المبحث الأول: أقسام المرجفين وأساليبُهم ووسائلهم.

المبحث الثاني: مجالات الإرجاف.

المبحث الثالث: دور الدعاة تُجاهَ الإرجاف.

الخاتمة: وتشتمل على أهمِّ النتائج والتوصيات.

---

(١) حمزة عبد الفتاح قاسم، إشراف محسن سميح الخالدي، جامعة النجاح في نابلس، فلسطين، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير، ٢٠١٦ م.

التمهيد

مفهوم الإرجاف

الإرجاف لغةً: يقال: "رَجَفتِ الأرض والقلبُ، والبحرُ رجَّافٌ لاضطرابه، وأَرجَف الناس في الشيء إذا خاضوا فيه واضطربوا"[1]، "وأرْجَفَتِ الناقةُ: جاءَتْ مُعْيِيَةً مُسْتَرْخِيَةً أُذُناهَا تَرْجُفُ بهما، و- القومُ: خاضوا في أخبار الفتن ونحوها"[2]، "والإرجاف: واحد أراجيف، وهو الخوض في الأخبار السيّئة"[3].

أما الإرجاف اصطلاحًا: "فهو إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به"[4]، "والمرجفون قوم يتلقَّفون الأخبار، فيتحدَّثون بها في مجالسَ ونوادٍ، ويُخبرون بها من يسأل ومن لا يسأل"[5].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد فارس زكريا القزوينيُّ الرازيُّ، تحقيق: محمد هارون، كتاب الراء، باب الراء والجيم، مادة رجف ٢/٤٩١، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

(٢) انظر: القاموس المحيط، أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، باب الفاء فصل الراء، مادة رجف،٣-١/ ٨١٢، ص٨١٢، ط/٢، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهريُّ، الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، باب الفاء، فصل الزاء، مادة رجف، ٤/ ١٣٦٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبوعبد الله محمد أحمد القرطبيُّ، تحقيق: أحمد البردوني، ١٤/ ٢٤٦، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد عاشور، ٢١/ ٣٣٠، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

فالإرجاف عبارةٌ عن نشـــر الكذب بين الناس؛ بهدف تخويفهم وإحداث البَلْبَلة بينهم، وإضعاف قوَّتهم.

قال الشـــيخ الســـعديُّ رحمه الله في تفســـيره: "أي: المخوِّفون الْمُرهِّبون، الْمُحدِّثون بكثرتهم وقوَّتهم، وضعف المسلمين"(١).

وقد أخذت الأراجيف في العصــر الحاضــر أشــكالاً شــتَّى، منها نشــرُ الأكاذيب والشائعات التي تتضمَّن اتِّهامًا أو انتقاصًا للأشخاص والكِيانات؛ بهدف تشويه السُّمعة، أو بهدف زعزعة ثقة المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الإسلامية، وبمجتمعاتهم وقادتهم وعلمائهم (٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن اللويحق، ٦٧١، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

(٢) انظر: اســـتخدام التقنيات الحديثة في الشـــائعات، ورقة عمل مقدمة لندوة أســـاليب مجابهة الشائعات، ذياب موسى البداينة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٢ هـ.

المبحث الأول

بواعث الإرجاف وأساليب المرجفين ووسائلهم

المطلب الأول: بواعث الإرجاف:

يمكن استنتاج بواعث الإرجاف من خلال طبيعة المرجِفين وأهدافهم. ويمكن تصنيف المرجفين إلى أربعة أقسام بحسب بواعث الإرجاف كما يلي:

١-عدوٌّ يتربَّص بالأمَّة، وينتظر فرصته لبثِّ سمومه في المجتمع وأكاذيبه، وهم فئة تنشط في وقت الأزمات السياسية والاقتصادية التي تمرُّ بها الأمَّة [١]؛ بهدف زعزعة الأمن والاستقرار ونشر الفوضى ونشر البدع والأفكار الهدَّامة.

٢-فاسقٌ استمرأ الكذب ليحقِّق من وراء ذلك مكاسبَ شخصيةً دنيوية، ضاربًا بالمصالح العليا للأمَّة عُرْضَ الحائط، وهؤلاء عادَةً لا تمثِّل لهم القيمُ الإسلامية الْمَبْنيَّة على الصدق في التعامل والتسامح والمنافسة الشريفة أيَّ قيمةٍ تُذكَر إن كانت ستمنعهم من تحقيق مكاسبَ أو أمجادٍ شخصية.

٣-صالحٌ يريد إنكار المنكر؛ ولكنه بحُسن نيَّة يُسهم في نشره، وهؤلاء فئة ليست بالقليلة في المجتمع؛ ولكنهم في المقابل فئة يَسهُل تقويمهم عبرَ النُّصح والإرشاد.

٤-جاهلٌ لا يُدرِكُ أبعاد وعواقب الإرجاف، فتراه يتحدَّث بكلِّ ما سمع، ويُعيد إرسال ما يصله من وسائطَ لمن يعرف ومن لا يعرف بدون تفكير ولا تمحيص، فيتسبَّب بإضرار نفسه وإضرار غيره. وهذه الفئةُ من الناس هم الأدوات التي ترتكز عليها الفئاتُ الأخطر في النوع الأول والثاني.

---

(١) انظر: الشائعة والأمن، ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، مهدي علي دومان، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٢هـ.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الأقسام في حادثة الإفك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾[(١)].

قال الطبريُّ رحمه الله في تفسيره عن هذه الآية[(٢)]: "إن الذين جاؤوا بالكذب والبهتان (عصبةٌ منكم)؛ أي: جماعةٌ منكم أيها الناس، وقولُه: (والذي تولَّى كِبْرَه منهم)، يقول: والذي تحمَّل مُعظَم ذلك الإثمِ والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه" أي: إن الذين قالوا بهذا البهتان العظيم والكلام الشنيع على أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها هم قوم ينتسبون إلى المسلمين، بعضُهم زَلَّ به القَدَمُ وأغواه الشيطان؛ ليتحدَّث بذلك، وبعضُهم سَمِعه وصدَّقه، وهؤلاء من القسم الثالث، ومنهم بدأ الكلام به، وتواطأ على إشاعته عن سوء نيَّة؛ تحقيقًا لأهدافه الخبيثة، وهم القسم الأول.

---

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبريُّ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليُّ، ١٩/ ١١٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

المطلب الثاني: أساليب الإرجاف ووسائله:

تنوَّعت أساليب الإرجاف ووسائلُه عبر التاريخ الإسلاميِّ، متَّخذةً صورًا شتَّى، اجتهد المرجفون من خلالها إلى الوصول لأهدافهم الدنيئة وغاياتهم الخبيثة، ولقد أوضح الله تعالى جملة من أساليب المرجفين مجموعةً في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾(١).

قال الإمام القرطبيُّ رحمه الله في تفسيره: "الخَبَالُ: الفساد والنَّمِيمةُ وإيقاعُ الاختلاف والأراجيف"(٢).

ومن أساليبهم: إشاعةُ المنكَر من الأقوال والأفعال؛ إيذاء المؤمنين في دينهم وعقيدتهم؛ قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاريُّ الخزرجيُّ، شمس الدين القرطبيُّ، ٨ /١٥٦، تحقيق: البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: 1384هـ/ 1964م.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

قـال الطبريُّ – رحمه الله –: "الأذى من اليهود قولُهم: (إن الله فقير ونحن أغنياء)، وقولهم: (يد اللَّه مغلولة)، وما أشـبه ذلك من افترائهم على الله، ومن النصـارى قولهم: المسيح ابن اللَّه، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله"(١).

ومن أساليبهم في الإرجاف وإيذاء المؤمنين: التناجي والتهامُس والهمز واللمز في أعراض المؤمنين؛ مثل ما ورد في حادثة الإفك التي ذُكِرت آنفًا، والتي استغلَّها المنافقون للإرجاف والتقوُّل على عِرْض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكذلك التناجي والتهامس؛ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢).

قال السـعديُّ رحمه الله في تفسـيره: أي: "تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر والخديعة، وطلب السـوء من الشـيطان، الذي كَيْدُه ضـعيفٌ، ومَكْرُه غيرُ مفيد؛ (لِيَحزن الَّذِينَ آمَنُوا)، هذا غاية هذا المكر ومقصده" (٣).

ومن أساليبهم أيضًا في الإرجاف: إشاعة سوء الظنّ بالله وبوعده بين المؤمنين في المواقف الحرجة، وإشاعةُ الهزيمة بين صفوف المؤمنين؛ قال تعالى واصفًا حالَهم في ذلك: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/٤٥٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٣) تيسـير الكريم الرحمن في تفسـير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصـر بن عبد الله السـعدي، ص ٨٤٦، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسـسـة الرسـالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ (١).

قال القرطبيُّ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)؛ أَيْ: شَكٌّ وَنِفَاقٌ. (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا)؛ أي: باطلاً من القول... قالوا يوم الخندق: كيف يَعِدُنا كنوزَ كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرَّز؟! وإنما قالوا ذلك لَمَّا فشا في أصحاب النبيِّ ﷺ من قوله ذلك عند ضرب الصخرة"(٢).

أما وسائل الإرجاف، فقد اختلفت وتبدَّلت عمَّا كانت عليه قبل ظهور وسائل الاتصال الحديثة؛ فقبل ظهور وسائل الاتِّصال الحديثة كانت الأراجيف تُتَناقل وتَنتشر بطريقة مباشرة بين الأشخاص؛ مما جعل انتشارها بطيئًا ومحصورًا - في الغالب - بالمجتمع المحليّ؛ ولكن بعد ذلك أصبح انتشار الأراجيف يتسارع شيئًا فشيئًا مع التقدُّم في وسائل الاتِّصال والإعلام، فقد بدأ عصر الإعلام الحديث منذ اختراع الطباعة في القرنِ الخامسَ عَشَرَ الميلاديِّ، ثم صدور الصحف والمجلاَّت الدورية بدايةً من القرنِ السابعَ عَشَرَ الميلاديِّ، ثم ظهور الراديو والتلفزيون والهاتف الثابت في القرن الماضي، وانتهاءً بعصر الإنترنت الذي جعل العالم قريةً صغيرة، وما تلاه من ظهور الجيل الجديد من الهواتف النقَّالة التي تحمل العديد من تطبيقات التواصل الاجتماعيِّ المختلفة(٣).

ويتميَّز الإنترنت عن غيره بأنه مجال خصب لانتشار الإرجاف، واتِّساع رقعته عالميًّا خلال لحظات لا تتعدَّى الثوانيَ، وذلك من خلال تطبيقاته المختلفة؛ مثل: البريد

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٢-١٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٤ /١٤٧.

(٣) انظر: نشأة وسائل الإعلام وتطورها، إبراهيم عبد الله المسلمي، ط/١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م.

الإلكتروني، والفيس بوك، وتويتر، وسناب شات، وغيرها من الوسائل التي تَنقُل الأراجيفَ، وتروِّج لها بالصوت والصورة والمحادثات التفاعلية المباشرة بين الناقل والمتلقِّي.

ومما يَزيد الأمرَ سوءًا: أن هذه الوسائل تتيح اشتراك الأفراد في هذه التطبيقات بأسماء وهمية، تجعلها مَرتَعًا خصبًا للمرجفين، يعملون من خلالها بحُرية، بعيدًا عن القيود الدينية والاجتماعية التي تَحكُم المجتمع المسلم، فيرسلون أخبارًا مفبركة كاذبة حول الأوضاع السياسية أو الاقتصادية، أو شن الحملاتِ على كل ما له علاقةٌ بدين الأمَّة ومعتقداتها، ومحاولات إسقاط رموزها الدينية والسياسية من العلماء والحكَّام.

المبحث الثاني

مجالات الإرجاف

تنوَّعت وسائل التِّقْنيَة الحديثة، وتطوَّرت تطوُّرًا سريعًا لمس العالمُ من خلاله نقلةً كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات في وقت قصــير جدًّا مقابلَ التغيير الهائل والســريع في العالم، حيث شكَّلت هذه الوسائلُ شبكة سريعة في الاتِّصال بين الناس في شتَّى بقاع الأرض، دون حواجزَ أو حدودٍ، فصيَّرت العالم كأنه قريةٌ صغيرة في الاتِّصال.

ويوازي هذا التنوُّع في هذه الوســائل تنوُّعَ المســتخدِمين لهذه الوســائل، فمنهم أهلُ الخير، والباحثون عنه، وناشروه، ومنهم أهلُ الشرِّ الذين يمثِّلون تهديدًا للفرد، ومعاول هدم لعقيدة المجتمع المسلم، وعاداته، وتقاليده الأصيلة. وقد استغلَّ أهل الأهواء هذه الوسائل في ترويع وتخويف الآمنين وتضليلهم، وذلك من خلال الإرجاف وما يبثُّونه من الأكاذيب والادِّعاءات الباطلة في كافَّة جوانب المجتمع المســلم الاقتصــادية والأمنية، والتعرُّض لولاة أمور المسلمين، وعلماء الأمَّة الراسخين في العلم؛ بهدف نشر الفساد وزعزعة المجتمع.

ويناقش هذا المبحثُ المجالاتِ التي دائمًا ما تكون موضوعًا خصبًا لدعاة الإرجاف، وهي الإرجاف في الجوانب الاقتصــادية والأمنية في المجتمع، والإرجافُ بهدف إشــاعة الفاحشة في المجتمع المسلم، إضافةً إلى الإرجاف المتعلِّق بولاة الأمر وعلماء الأمَّة.

المطلب الأول: الإرجاف المتعلِّق بالمجال الاقتصادي:

في بداية العصر الإسلاميّ كانت العمليات الاقتصادية محدودةً، وتقتصر على عمليات بيع وشراء الحاجات الأساسية؛ مثل الغذاء والملبس والمسكن، ومع ذلك فقد ظهر الإرجاف في الجانب الاقتصاديّ بصور شتَّى، بيَّنها الله تعالى في كتابه الكريم؛ قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾(١).

في هذه الآية يبيِّن الله تعالى أن ثَمَّةَ إرجافًا من الشيطان، وتخويفًا من الإنفاق؛ كما جاء في تفسير البَغَويِّ، قال: "أي: يخوِّفكم بالفقر، يقال: وعدتُه خيرًا ووعدتُه شرًّا، قال الله تعالى في الخير: (وعدكم الله مغانمَ كثيرة) وقال في الشرِّ: (النارُ وَعَدها الله الذين كفروا)، فإذا لم يُذكَر الخيرُ والشرُّ، قلتَ في الخير: وعدتُه، وفي الشرِّ: أَوْعدتُه، والفقرُ سوءُ الحال وقلَّة ذات اليد، وأصلُه من كَسْرِ الفَقَار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوِّفكم بالفقر، ويقول للرجل: أمسكْ عليك مالكَ؛ فإنك إذا تصدَّقتَ به افتقرتَ، (ويأمركم بالفحشاء)؛ أي: بالبُخل ومنع الزكاة، وقال الكَلْبيُّ: كلُّ الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا، (والله يَعِدُكم مغفرة منه)؛ أي: لذنوبكم، (وفضلاً)؛ أي: رزقًا خَلَفًا، (والله واسع) غنيٌّ (عليم)"(٢).

ومع بداية القرن العشرين بدأت الدول في استخدام العمليات الاقتصادية المعقَّدة التي تعتمد على الموازنة بين الإنتاج والتصدير والاستيراد، وقد سعت كلُّ الدول إلى الاستقرار

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرَّاء البغويُّ الشافعيُّ، ١/ ٣٧٢، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

الاقتصاديِّ الذي تظهر ملامحه في ثبات أسعار السلع والموادِّ عند مستويات معيَّنة، ومع ذلك فإن ثَمَّةَ فئةً معيَّنة من الناس يَسعَون لزعزعة هذا الاستقرار عبر الإرجاف، وبثِّ الخوف في أوساط العامَّة من خلال نشر الإشاعات المتعلقة بالوضع الاقتصاديّ، أو من خلال التشكيك بالقيم التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلاميُّ.

وفيما يلي سوف نستعرض هذه الأنماطَ من الإرجاف في المجال الاقتصاديِّ:

١ - التخويف من الانهيار الاقتصادي على مستوى الدولة:

القلق في بعض الحالات من الأحداث الاقتصادية الْمُتَرَدِّية مطلبٌ لتلافي الخسائر، ومعالجة المشكلات التي قد تؤدِّي في حال إهمالها إلى تدهور الحالة الاقتصادية للدولة - لا قدَّر الله -. ولا شكَّ أن نقد ذلك الوضع المتردِّي ومعالجته هو من اختصاص أهل الاقتصاد العارفين به وبخفاياه، الذين لديهم تقديرُهم المبنيُّ على الخبرة والدراسة. لكن في كثير من الأحيان يروِّج بعض المرجفين عن وجود انهيار اقتصاديٍّ يَحدُث بسببه هلعٌ بين التجَّار والعامَّة، ويؤدِّي إلى عدم الاستقرار في الأسعار، ويتضرَّر بسببه كثير من الأسر ذاتِ الدخل المحدود.

ويَدخُل في الإرجاف في المجال الاقتصاديّ بثُّ الإشاعات الكاذبة المتعلِّقة بقطاع العَقَار والأسهم، وغيرها من القطاعات التي تتأثَّر أسواقها بشكل كبير بالمؤثِّرات الخارجية والأوضاع السياسية والأمنية، ليس في الدولة فحسبُ؛ بل على المستويينِ: الإقليميِّ والعالمي.

ويعتمد المرجفون في بثِّ الإشاعات الاقتصادية الْمُضِرَّة - سواءٌ بقصد أو بدون قصد - على وسائلَ عديدةٍ، أبرزُها وسائلُ الاعلام المقروءة والمسموعة، أو من خلال وسائل التواصل الاجتماعيِّ التي تُسهم في نشر الذُّعر بين الناس بسرعة أكثرَ، وانتشارٍ أكبرَ.

٢ – الإرجاف المتعلِّق بالتعاملات المالية الإسلامية:

من خصائص النظام الاقتصاديِّ الإسلاميِّ أنه نظام خاضع للتشريع الإلهيِّ الذي يقوم على مبادئَ وقيمٍ أخلاقية، تراعي الكسب الحلال في الكَمِّ والنوع والتنافس الشريف، والابتعاد عن التعاملات المحرَّمة؛ كالرِّبا بكل أشكاله وأنواعه وصوره؛ عن جابرٍ، قال: (لَعَنَ رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – آكِلَ الرِّبَا، ومُؤْكِلَهُ، وكاتبَه، وشاهِدَيْهِ)، وقال: (هم سَوَاءٌ) (١).

ويدَّعي بعضُ المرجفين أنه لا يمكِن فصلُ العلاقة بين المعاملات الربوية والمعاملات المصرفية، وأن المعاملاتِ الربويةَ ضرورةٌ للمؤسَّسات المصرفية الإسلامية، وأنها بغيره لن تستطيع دفع الحركة التِّجارية، وأن التعاملاتِ الماليةَ بين الناس وبين المؤسَّسات المالية ستكون صعبةً بدونها (٢).

ومن وسائل المرجفين في نشر مثل هذه الأباطيل: الكتاباتُ الصحفية، وتناقُلُها كمقالات في وسائل التواصل الاجتماعيِّ بين العامَّة؛ للتَّلبيس عليهم في دينهم.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله ،٣/ ١٢١٩ رقم ١٠٦/ ١٥٩٨، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) انظر: الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، عمر بن عبد العزيز المترك، تحقيق: بكر أبو زيد، ط/٢، دار العاصمة، الرياض: ٢٠١٠.

المطلب الثاني: الإرجاف المتعلِّق بالمجال الأمني:

الأمن من الحاجات الأساسية التي لا غنى عنها للمجتمع، ويَخضَع الأمن للجوانب النفسية التي تجعله هشًّا مقابل الأراجيف [١]، لذا؛ يسعى المرجفون لاستغلال الأحداث التي تمرُّ بالمجتمع؛ مثل الحروب والأزمات السياسية الاقتصادية؛ للإخلال بالأمن الداخليّ، وإشاعة الفوضى.

وعادةً يَنتِج من بثِّ الأراجيف بين أفراد المجتمع حالاتٌ من الهلع والخوف على النفس والمال والعِرض، وقد يستغلُّ هؤلاء المرجفون بعض الأحداث الفردية التي يتمُّ فيها الإخلال بالأمن، وكسر النظام والقانون، بإرسالها إلى القنوات الإعلامية المعادية؛ ليتمَّ تضخيمها على أنها حالة عامَّة، والأسوأ من ذلك إذا تمَّ تناقلها من خلال وسائل التواصل الاجتماعيِّ المختلفة على أنها حقيقة مَحْضَة، بدون أن تجد من يكذِّبها، ويوقف هؤلاء المرجفين لينالوا جزاءهم المستحَقَّ.

ولا يقتصر الأمر على حالة الفوضى فقط؛ بل إن الأمر يتعدَّى ذلك إلى فقدان الثقة فيما بين الأجهزة الأمنية والمواطنين، وهو أحد الأهداف التي تسعى لتحقيقها الجهات المعادية.

ومن صور الأراجيف التي لها علاقة بالجوانب الأمنية: تبادلُ الأخبار ومقاطع الفيديو التي تُظهِر سرقة السيارات والمحلاَّت التِّجارية، والاعتداءَ على الأشخاص، والمشاجراتِ الفرديةَ والجماعية، والاعتداء على المسؤولين في المؤسَّسات الحكومية والخاصَّة. كل هذه الأراجيف، وإن كان بعضُها صحيحًا، فإنه يتمُّ تضخيمها لتؤثِّر في عقل المتلقِّي، وتجعلَه يعيشُ حالة من الاضطراب النفسيِّ تقوده في النهاية للاستسلام والانهزام أمام هذه الأراجيف [٢].

---

(١) انظر: الشائعة والأمن، "ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، مهدي علي دومان، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية"، الرياض: ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق.

ومن أعظم ما يقترفه هؤلاء المرجفون في وقت الحرب: أنهم يرفعون من شـــأن أعداء الأمَّة بذِكر قوَّتهم، وتجهيزات جيوشـهم، مقابل الإقلال من شـأن البلاد التي يعيشـون على ترابها، ويَرفُلون في خيراتها، وهدفُهم الحطُّ من معنويات الجنود، وبثُّ الخوف في نفوس المواطنين.

المطلب الثالث: الإرجاف المتعلّق بالمجال الأخلاقي:

يسعى المرجفون والسُّفهاءُ إلى هتك أستار الناس عبر نشر صور أو مقاطع فيديو لأشخاص آخرين، ونشرِها عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ؛ ليتمَّ تداولها بين عامَّة الناس، وسواءٌ كانت هذه الصور والفيديوهات حقيقيةً أو مفبركة، فإنها تدخل في موضوع إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. أخرج أحمدُ عن ثَوْبَانَ عن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: ((لا تُؤْذُوا عباد الله، وَلا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فإنَّه من طلب عَورَة أَخِيه الْمُسلم، طلب الله عَوْرَته حَتَّى يَفْضَحهُ فِي بَيته)[2]. وأخرج البُخَارِيُّ في الأَدَب، عن عَليّ بنِ أبي طَالبٍ قال: (الْقَائِلُ الْفَاحِشَةَ وَالَّذِي يُشيع بها فِي الإِثم سَوَاء))[3].

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٣٧/ ٨٨، رقم ٢٢٤٠٢، ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ٨/٨٧، كتاب: الأدب، باب: مثل المؤمن من أهل الايمان.

(٣) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، وقال حسن الإسناد، باب من سمع بفاحشة فأفشاها رقم ٢٤٧/٣٢٤، ص،١٣٣، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

وجاء في "الدُّر المنثور" للسيوطيِّ رحمه الله، قال: وَأخرج ابنُ أبي حَاتِم عن خَالِد بنِ مَعْدانَ قال: (من حدَّث بِمَا أَبْصرت عَيناهُ وَسَمِعت أُذنَاهُ، فَهُوَ من الَّذين يحبُّونَ أَن تشيع الْفَاحِشَة فِي الَّذين آمنُوا) (١).

ويَعمِد المرجفون إلى إظهار المجتمع المسلم وكأنه مجتمع عمَّ فيه الفساد، وقلَّ فيه الخير، فيُخيَّل للسامع أن أهل الخير والصلاح قلَّة في المجتمع؛ بل ويعمدون إلى تضخيم أخطاء الصالحين لطمس معالم الخير في الأمَّة.

ويَهدُف المرجفون من نشر ذلك إلى بثِّ اليأس والقُنوط في قلوب الناس من الإصلاح، وإقناعهم بفساد المجتمع وانتشار المعاصي، وأسوأُ من ذلك إذا تسلَّل القنوط إلى قلوب المصلِحين من الدعاة الذين يؤمَّل منهم الوقوفُ في وجه هذه الأراجيف، وبيان بطلانها للناس. وقد حذَّر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أصحاب الأحكام المتعجِّلة القائلين بهلاك الناس أنهم على خطر عظيم؛ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إذا قال الرجل: هَلَك الناسُ، فهو أَهلَكهم) (٢).

قال ابن الأثير رحمه الله: "ومعناه أن الغالين الذين يُؤيسون الناس من رحمة الله يقولون: هَلَك الناس؛ أي: استوجبوا النار بسوء أعمالهم، فإذا قال الرجل ذلك، فهو الذي أوجبه لهم، لا اللهُ تعالى"(٣). وقال القاضي عياض رحمه الله: "وقيل: معناه في أهل البدع والغالين الذين يُؤيسون الناس من رحمة الله، ويوجبون لهم الخلود بذنوبهم، إذا قال ذلك في أهل الجماعة، ومَن لم يقل ببدعته"(٤).

---

(١) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيُّ، ٦/١٦١، دار الفكر، بيروت، د.ت.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن قول: "هلك الناس"، رقم ٢٦٢٣.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيُّ الجزريُّ بن الأثير، ٥/ ٢٦٩، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبيُّ السبتي، أبو الفضل، ٢/٢٦٩، ط/ المكتبة العتيقة ودار التراث.

المطلب الرابع: الإرجاف المتعلِّق بولاة الأمور من الحكَّام والعلماء:

لولاةِ أمر المسلمين مكانتُهم في الأمَّة؛ فبهم - بعد عون الله تعالى - يستتبُّ الأمن، وبسلطانهم يتمُّ الاستقرار، وعلى ضوء توجيهاتهم تنتظم البلاد وتزدهر. وطاعةُ وليِّ أمر المسلمين من أهمِّ الواجبات التي أَمَرَ الله عزَّ وجلَّ بها في كتابه الكريم، وسنَّة نبيِّه ﷺ وعلى ذلك سار صحابته الكرام رضي الله عنهم والسَّلَفُ الصالح - رحمهم الله تعالى - قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(١).

قال الشيخ صالحُ بنُ فوزانَ الفوزانُ: "أولو الأمر هم العلماء والأمراء، فالعلماء هم أولو الأمر من ناحية أنهم يبلِّغون عن الله - سبحانه وتعالى - ما وَرِثوه عن نبيِّهم محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - من العلم، كما قال ﷺ: ((إن العلماء ورثة الأنبياء)) (٢)، فالعلماء لهم شأن في الأمَّة؛ لأنهم ورثة الأنبياء...، والقسم الثاني من ولاة الأمور هم الأمراء، الذين يتولَّوْنَ السُّلطة، فهؤلاء يجب احترامهم، ويجب طاعتهم بالمعروف"(٣).

قال الشيخ السعديُّ رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما، الواجبِ والمستحبِّ، واجتنابِ نَهْيِهما، وأَمَر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكَّام والْمُفْتين، فإنه لا يستقيم للناس أمرُ دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم؛ طاعةً لله ورغبةً فيما عنده؛ ولكن بشرط ألاَّ يأمروا بمعصية الله"(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه، رقم ٢٦٨٢، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ١٨٢/٦.

(٣) انظر: الموقع الرسميَّ لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/2018

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ١٨٣.

إن وجود ولاة الأمر في الأمَّة فيه مصلحةٌ عظيمة يتحقَّق بها حفظُ الدين، واستتباب الأمن، وصلاح الأفراد لِما فيه خيرُ دينهم ودنياهم؛ ولذلك يحرص أعداء الأمَّة وأهل الأهواء والإفساد - بشتَّى الوسائل وكافَّة الطرق – على بثِّ الفوضى في الأمَّة، وزعزعة أمنها واستقرارها، من خلال الإرجاف الذي يستهدف تأليب الناس على ولاة أمورهم، محاولين بذلك فكَّ اللُّحمة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، الذي قد يؤدِّي - لا سمح الله - إلى التفرُّق والاختلاف، الذي يُضعف الأمَّة، ويُذهب قوَّتها وهَيبتها.

لذا؛ شدَّد الرسول ﷺ على ضرورة الاجتماع على إمام واحد، والتمسُّك بالبَيعة والسمع والطاعة لوليِّ الأمر في غير معصية الله؛ قال ﷺ: ((مَن خَلَع يدًا من طاعة، لَقِيَ اللهَ يومَ القيامة ولا حُجَّةَ له، ومن مات وليس في عُنقه بَيْعةٌ، مات مِيتةً جاهلية)) (1).

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة، عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم1851.

المبحث الثالث

دور الدعاة تُجاهَ الإرجاف

يُعتبَر دورُ الداعية في الإسهام في تحصين المجتمع المسلم ضدَّ الأراجيف والمرجفين دورًا محوريًّا، يَنطلِق من قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)، ومن قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٢).

وثَمَّةَ جُملةٌ من الأعمال والأنشطة التي يمكِن للدُّعاة القيامُ بها؛ للوقوف أمام المرجفين، ويتأكَّد هذا الدور من النظرة الجليلة التي ينظر بها أفراد المجتمع للداعية على أنه القُدوة، وأنه الموجِّهُ الأول الذي يمكِن له أن يقدِّم النُّصح والإرشاد، البعيدُ كلَّ البُعد عن الأهداف الشخصية والمصالح الدنيوية.

إن من أهمِّ الأمور التي يجب أن ينطلق منها الداعية في مواجهة دعوات الإرجاف: فَهْمَ النصـــوص التي وردت في كتاب الله تعالى، التي تبيِّن موقف الإســـلام من الإرجاف والمرجفين، وتحذير المؤمنين من هذا العمل المرفوض شرعًا وعقلاً، فينبغي أن يوضِّح الداعية للناس أن الإرجاف عمل محرَّم، وأن الله تعالى نَسَـبه للمنافقين؛ قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

قال الطبريُّ رحمه الله في تفسير هذه الآية: "قال تعالى ذِكْرُه: لئن لم يَنتهِ أهل النفاق الذين يستترون بالكفر، ويُظهرون الإيمان، (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يعني: رِيبةً من شهوة الزِّنا، وحبِّ الفُجور"(١).

كما ينبغي للداعية أن يبيِّن للناس خطر إرجاف المؤمنين، الذي يَهدُف إلى تخويفهم وتخذيلهم؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٢).

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية: أي: الذين توعَّدهم الناس بالجموع، وخوَّفوهم بكثرة الأعداء، فما اكترثوا لذلك؛ بل توكَّلوا على الله، واستعانوا به، (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)"(٣).

كما بيَّن الله تعالى صراحةً أن منهج أهل الإرجاف يقوم على تخذيل أهل الإيمان، وبثِّ الفُرقة والخلاف بينهم؛ قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٤).

قال الإمام الطبريُّ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: "أي: لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادًا وضُرًّا، ولذلك ثبَّطتُهم عن الخروج معكم"(٥).

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٢٠/٣٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ١٤١ /٢، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩ هـ.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٤٨٣/ ١١.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾: "أي: ولأَسرعوا السَّيْرَ والمشيَ بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة"... وقال عن قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾:"أي: مطيعون لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يَستنصِحونهم وإن كانوا لا يَعلَمون حالهم، فيؤدِّي إلى وقوع شرٍّ بين المؤمِنين وفساد كبير"(١).

وعلى الداعية أن يحذِّر من انتقاص المؤمنين بقصد تحبيطهم، والتقليل من أعمالهم؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "هذه أيضًا من صفات المنافقين: لا يَسلَم أحدٌ من عَيبهم ولَمْزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدِّقون يَسلَمون منهم، إن جاء أحدٌ منهم بمال جزيلٍ قالوا: هذا مُراءٍ، وإن جاء بشيء يسير، قالوا: إن الله لغنيٌّ عن صدقة هذا"(٣).

قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: "وجُملةُ أمرِهم أنهم في المسلمين كالزَّغَل في النقود، يَرُوج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنَّقد، ويَعرِف حالَه الناقدُ البصير من الناس، وقليلٌ ما هم، وليس على الدِّين أَضَرُّ من هذا الضَّرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قِبَلهم، ولهذا جَلَّى الله أمرهم في القرآن، وأوضح أوصافهم، وبيَّن أحوالهم، وكرَّر ذكرهم لشدَّة المؤنة على الأمَّة بهم، وعِظَم البَليَّة عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٠/ ٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٠/ ٤.

والتحرُّز من مشابهتهم والإصغاء إليهم؛ فكم قَطَعوا على السالكين إلى الله طريق الهدى، وسَلَكوا بهم سُبُل الرَّدى، وَعَدُوهم ومَنُّوهم؛ ولكن وَعَدُوهم الغرورَ، ومنُّوهم الويلَ والثُّبور"(١).

ومن الأمور التي يجب أن يتنبه لها الداعيةُ، وينبِّه عليها عامَّةَ الناس: وجوبُ الصبر والتثبُّت، والرجوع إلى كتاب الله وسنَّة رسوله، وإلى أهل العلم، فيما يتعلَّق بالأمور التي تُهِمُّ الأمَّة، ويدور حولَها اختلاف، وأخذٌ وردٌّ، وتشكيكٌ وتخوين من قِبَل المرجفين؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(٢).

قال الشيخ السعديُّ رحمه الله في تفسير هذه الآية: "هذا تأديبٌ من الله لعباده عن فِعلهم هذا غيرِ اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمَّة، والمصالح العامَّة، ما يتعلَّق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبةٌ عليهم – أن يتثبَّتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر؛ بل يردُّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنُّصح والعقل والرَّزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدَّها، فإن رأوا في إذاعته مصلحةً ونشاطًا للمؤمنين، وسرورًا لهم، وتحرُّزًا من أعدائهم، فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحةٌ، أو فيه مصلحة ولكن مَضَرَّته تزيد على مصلحته، لم يُذيعوه؛

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، ص ٤٠٨، ط/٢، دار السلفية، القاهرة: ١٣٩٤هـ.

(٢) سورة النساء، الآية (٨٣.

ولهذا قال: (لَعَلِمَه الذين يستنبطونه منهم)؛ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة"[1].

وعلى الداعية أن يذكِّر العامَّة ويحذِّرَهم من تصديق كلِّ ما يُقال وما يُتداول من إشاعاتٍ وأراجيفَ تَمَسُّ الأشخاص أو المسؤولين أو العلماء من غير دليل ولا بُرهان يُسنِد ذلك ويصدِّقه؛ قال الحقُّ – تبارك وتعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[2]، ففي الآية أمرٌ من الله – عزَّ وجلَّ – بالتبيُّن من الأخبار، فإن قامت قرائنُ وأدلَّةٌ من خارجٍ، تدلُّ على صِدْقه، عَمِل بدليل الصِّدق، ولو أَخبَر به من أَخبَر[3].

وهناك جملة من الأمور التي تعين الدعاة على التصدِّي للشائعات، والوقوفِ أمامَها، وحضِّ الناس على ذلك، ومنها ما يلي:

١- يومُ الجمعة يومٌ فَضيل، أكرم الله به عباده المؤمنين، وجعله من أفضل أيامهم؛ قال رسول الله ﷺ: ((خيرُ يومٍ طَلَعت عليه الشمسُ يومُ الجمعة، فيه خُلِق آدمُ عليه السلام وفيه أُدخِل الجنَّةَ، وفيه أُخرِج منها))[4]، وقد شرع الله تعالى فيه خُطبة الجمعة، التي يتوجَّب على الداعية أن يستغلَّها في النُّصح والتوجيه، وتعليمِ الناس ما يُهِمُّهم من أمور دينهم، وأمرِهم بالمعروف ونهيِهم عن المنكَر، وبيانِ الحقِّ، وتصحيح ما يتلقَّاه الناس من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ص ١٩٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ١/٣٦٨، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة، رقم ٨٥٤.

أخبار مغلوطة، وأراجيفَ مشـــبوهةٍ، ويبيّنوا لهم أهداف هذه الأراجيف، وخطرَها على الأمَّة، وأن الْمَخرَج منها هو عدمُ الخَوض فيها، وردُّها إلى أهل العلم والصلاح.

٢-على أئمَّة المساجد - وهم على رأس الدعاة اليومَ - أن يكونوا واعينَ بالأحداث والمســـتجدَّات التي تطرأ على المجتمع، وما يتناقله الناس حولَها من أخبارٍ ووقائعَ، وأن يصحِّح لهم تلك الأخبارَ، إن كانت ملفَّقةً وعاريةً من الصحة، وأن يبيِّن لهم أهمية توحيد الصـفِّ، ويبيِّن لهم عواقبَ التَّشَـرذُم والتفرُّق، وعليه أن يتخلَّلَهم بالنُّصـح والإرشـاد، من خلال الكلمات عقبَ الصلوات، أو التعاون مع المؤسَّسات الرسمية؛ لاستضافة الدُّعاة، وإقامة الندوات والدَّوْرات التي تُعْنى بمكافحة الأراجيف، وسُبل مواجهتها.

٣-الاطِّلاعُ على المستجدَّات في وسائل الإعلام التقليدية المختلفة؛ مثل الصحف والمجلاَّت والإذاعة والتلفزيون، ورصدُ ما يَرِدُ فيها من أخبار ومعلومات مضـلِّلة حول ما له علاقةٌ بالدين والتشريع الإسلاميِّ، أو ولاة أمور المسلمين من حكَّامٍ وعلماءَ، والمشاركةُ في هذه البرامج، والتفاعل الإيجابيُّ معها، والتحاورُ مع أصـحاب الفكر الْمُضـادِّ؛ لكشــف مغالطاتهم، وفضـــح ادِّعاءاتهم وأكاذيبهم، وقَبل ذلك دعوتُهم للحقِّ بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤-المشاركة الفعَّالة في وسائل التواصل الاجتماعيِّ المختلفة؛ لمواجهة المرجفين، التي من أهمِّها تطبيقُ (تويتر) و (فيس بوك) و (سناب شات)، وغيرها من التطبيقات التفاعلية التي يشترك فيها ملايين الناس حول العالم، على أن المشاركة في هذه التطبيقات تستوجب التقيُّد بالآداب الإســـلامية في الحوار القائم على الإقناع، والتحلِّي بالصـــبر والأناة، وأن يكون قدوةً في كلِّ مشـــاركاته التي يتوجَّب عليه فيها التركيزُ على الجوانب الدعوية، ومواجهةُ كلِّ ما من شأنه تفتيتُ المجتمع من خلال الأراجيف والشائعات، وعدمُ الخَوض في الأمور الهامشية التي لا تُفيد الأمَّة.

٥-على الجهات المسؤولة عن الدعوة في البُلدان الإسلامية أن تُعِدَّ الداعية إعدادًا لائقًا، يمكِّنه من التعامل مع هذه الأراجيف وكيفية مواجهتها، ومن ذلك إعدادُه أولاً من الجانب الشرعيِّ والعَقَديِّ، ثم بالمهارات الأساسية في مجال الإعلام والاتِّصال والسياسة والاقتصاد والأمن؛ ليكون قادرًا على مقارعة المرجفين بالحُجَّة، وردِّ شُبَهِهم فيما يتعلَّق بالجوانب الشرعية والاقتصادية والسياسية والأمنية. ويمكِن القيام بهذا الإعداد من خلال إقامة الدَّوْرات الدراسية التأهيلية، بالتعاون مع الجهات ذات العلاقة بالجوانب الاقتصادية والسياسية والأمنية في البلاد.

٦-على الداعية أن يشارك أفراد المجتمع في مجالسهم ونواديهم ومناسباتهم، وأن يتبادل الحوار معهم فيما يخصُّ الشائعاتِ التي تمسُّ عقيدةَ المجتمع، وعاداتِه، وأخلاقَه الإسلامية، وبيان الحقيقة لهم، وتحذيرهم من الوقوع في أعراض إخوانهم المؤمنين، وعلمائهم، ومن وَلِيَ أمرهم، وأن الأصلح لهم يكون بإماتة الباطل والمنكَر، وعدم نشره وإشاعته بين الناس.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، نَحمَد الله الذي يسَّر كتابتها، فله الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهه، وكريم فضله، وعظيم إحسانه.

هذا وإن من أبرز نتائج هذه الدراسة وتوصياتها ما يلي:

أولاً: النتائج:

١-أن الإرجاف يعني الكذبُ، وإثارةُ الفوضى والفساد في المجتمع.

٢-أن عاقبةُ وإثم الإرجاف يكون في الدنيا والآخرة.

٣-آثار المرجفين السيّئة تكون على الفرد والمجتمع.

٤-أن من أهداف المرجفين نشرَ الفوضى والخوفِ في البلاد.

٥-من الممكن أن يُستفاد من وسائل التِّقْنيَة الحديثة في دعوة المجتمع لما ينفعهم، وتحذيرِهم من كلِّ ما يَضُرُّهم، وتحذيرِهم من المرجفين وغيرهم من أهل الفساد.

٦-بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحوار الهادئ البنَّاء، نصل بالمدعوِّين من جميع فئات المجتمع إلى الحقِّ، وكشف الحقائق عن المغرِضين من المرجفين وأهل الفساد.

٧-أن الولاة والعلماء لهم فضلُهم ومكانتهم في المجتمع، وعلى قَدْرِ تقدير هذه المكانة لهم من أفراد المجتمع ومعرفة فضلهم تكون قوَّةُ المجتمع، واستقرار البلاد، واستتباب الأمن. لذا؛ إذا استهدف المرجفون هذه القاماتِ، فإنهم يَهدُفون إلى نشر الفساد، وبث الفوضى في البلاد.

ثانيًا: التوصيات:

١- على الدعاة تكثيفُ الجهود في توجيه فكر أفراد المجتمع بالتثبُّت في تلقِّي الأخبار، والحرصِ على معرفة مصادرها؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾(١).

٢- لا بدَّ من توعية المدعوِّين بالموقف المتعيَّن عليهم فِعلُه، وهو الحرص على تبليغ الجهات الرسمية الْمَعنيَّة تُجاهَ المرجفين الذين يقصدون بأفعالهم التدمير للبلاد والعباد، العاملين على نقض تماسك المجتمع واستقراره.

٣- في هذا العصر الذي تطوَّرت فيه وسائل التِّقْنيَة الحديثة تطوُّرًا سريعًا في التواصل بين الناس على مختلف أشكالهم وثقافاتهم ودياناتهم، وتنوُّع أفكارهم، يتعيَّن على الداعية اغتنامُ وسائل التِّقنيَة الحديثة في توجيه الناس للخير، وكشفُ كيد أهل الضلال من المرجفين وغيرهم، وحثُّهم على التثبُّت في نقل المعلومات

٤- لا بدَّ للدعاة من استعمال أفضل الأساليب في حثِّ المجتمع على التآلف والتماسك، وطاعة ولاة الأمر، وعدم الخروج عليهم؛ طاعةً لله، واتِّباعًا لمنهج نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

٥- يتعيَّن على الداعية بيانُ فضل أهل العلم، وإبرازُ مكانتهم في الإسلام، وتحذيرُ الناس من النَّيل من أعراضهم؛ فلحوم العلماء مسمومة، وإن من اجتهد منهم وأصاب فله أجران، ومن أخطأ منهم فيبقى له فضلُه ومكانته، وله أجر اجتهاده.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإرجاف دراسة قرآنية، إعداد حمزة عبد الفتاح قاسم، إشراف محسن سميح الخالدي، "جامعة النجاح في نابلس، فلسطين، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير"، ٢٠١٦ م.

٢. أساليب مواجهة الشائعات، ساعد العرابي الحارثي وآخرون، ط/١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض: ١٤٢٢هـ.

٣. استخدام التقنيات الحديثة في الشائعات، "ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، ذياب موسى البداينة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية"، ١٤٢٢هـ.

٤. الإشاعة ومخاطرها التربوية من منظور إسلامي، مبارك عبد الله المفلح، "جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، تخصص التربية في الإسلام، الأردن، رسالة ماجستير"، ١٤١٥هـ.

٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩ هـ.

٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

٨. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيُّ الجزريُّ، ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، تحقيق: بشير عيون، ط/١، مكتبة الحلواني.

٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريُّ، تحقيق: أ. د. عبدالله عبد المحسن التركي، ط/١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٠. الجامع الكبير، سنن الترمذيِّ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذيُّ، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٨م.

١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبيُّ، تحقيق: أحمد البردوني، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ.

١٢. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيُّ، ط/ دار الفكر، بيروت.

١٣. دور الداعية في محاربة الشائعات، عبد الرحمن الطوخي عبد الرحمن عقل، إمام وخطيب مسجد المستشفى المركزي بالقناطر الخيرية، ط/١، وزارة الأوقاف، مصر.

١٤. الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، عمر بن عبد العزيز المترك، تحقيق: بكر أبو زيد، ط/٢، دار العاصمة، الرياض: ٢٠١٠م.

١٥. الشائعة والأمن، ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، مهدي علي دومان، ط/ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية: ١٤٢٢هـ.

١٦. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريُّ الفارابيُّ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط/٤، دار العلم للملايين، بيروت: ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

١٧. صحيح البخاريِّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريُّ الجعفيُّ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر،

شــرح وتعليق د. مصــطفى ديب البغا، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.

١٨. طريق الهجرتين وباب الســعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ســعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، ط/٢، دار السلفية، القاهرة: ١٣٩٤هـ.

١٩. القاموس المحيط، أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط/٨، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٠. كيف تكتب بحثًا ناجحًا، د. صباح عبد الله با فضل، ط/١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض: ١٩٩٨م.

٢١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحســن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، كتاب الأدب، باب مثل المؤمن من أهل الايمان، ط/ مكتبة القدسي، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٢. مدارج الســالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نســتعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ســعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصــم بالله البَغداديُّ، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

٢٣. المسند الصحيح المختصر، أبو الحسن مسلم بن الحجَّاج القشيريُّ النيسابوريُّ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبيُّ السبتي، ط/ المكتبة العتيقة ودار التراث.

٢٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البَغويِّ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرّاء البغويُّ الشــافعيُّ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

٢٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد فارس زكريا القزوينيُّ الرازيُّ، تحقيق: محمد هارون، كتاب الراء، باب الراء والجيم، مادة رجف، ط/ دار الفكر: ١٣٩٩هـ.

٢٧. الموقع الرسميُّ لمعالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء. https://www.alfawzan.af.org.sa › node

٢٨. نشأة وسائل الإعلام وتطورها، إبراهيم عبد الله المسلمي، ط/١، دار الفكر العربي، بيروت: ٢٠٠٥.

٢٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيُّ الجزريُّ، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

البحث رقم (٥)

جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية (بريطانيا ،مدريد ،برلين)

إعداد

د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن الحمدان

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة

في كلية العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة المجمعة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدالله ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3]، أما بعد[4]:

فإن التعرف على حقيقة وتاريخ الدعوة والمنتمين إلي الإسلام في تلك البلدان محل الدراسة ليكون ذلك سبيلًا لمعرفة الطرق والأساليب المستخدمة من قبل الدعاة في دعوة غير المسلمين واستمالة قلوبهم وانتشالهم من براثن الشرك والوثنية إلى دين الاسلام الذي تعبدنا الله ﷻ بإيصاله إلى الخلق.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) انظر: سنن ابن ماجة: ٦٠٩/١، رقم (١٨٩٢)، وتسمي هذه الخطبة عند العلماء: خطبة الحاجة، وصححه الألباني.

أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- عدم وجود دراسة علمية في بعض المراكز الإسلامية محل الدراسة تبين جهود المملكة العربية السعودية وعنايتها بالدعوة للإسلام.

٢- الحاجة إلى إبراز جهود الدعاة إلى الله ﷻ في المراكز الإسلامية.

٣- الحاجة إلى إبراز أفضل الوسائل والأساليب المؤثرة والمستخدمة في الدعوة الى الله ﷻ في المراكز الإسلامية.

٤- الحاجة إلى إبراز جهود المملكة ودعمها لتلك المراكز وسد القصور.

ثانيًا: مشكلة البحث:

نتيجة للضخ العقائدي العدائي ضد دين الإسلام والمنتمين إليه اجتهدت هذه الدولة المباركة المملكة العربية السعودية مشتركة مع بعض دول الخليج في إنشاء مراكز دعوية في بعض دول العالم ليكون لها وظيفة في حفظ شعيرة الإسلام والدعوة اليه، وخصوصًا في تلك الدول التي يتوارد عليها أبناء المسلمين إما للدراسة أو للعمل أو للسياحة أو للتجارة، وذلك ليظهروا ما هم عليه لغيرهم مما يعتنقونه من الدين الصحيح، ولكي يؤثروا ولا يتأثروا، ولما في تلك الدول من قلة المسلمين عملت المملكة العربية السعودية وغيرها إما لوحدها أو مشاركة مع بعض الدول في هذه المراكز لكسب غير المسلمين من خلال دعوة المعتنقين لبعض الديانات غير الصحيحة إلى الإسلام، واستمالة قلوبهم، وانتشالهم من براثن الشرك والوثنية إلى دين الإسلام الصحيح، وفق المنهج الصحيح على قواعد أصيلة وركائز ثابته.

ثالثًا: أهداف البحث:

١- التعرف على جهود المملكة العربية السعودية في نشأة المراكز الإسلامية.

٢- بيان بداية تاريخ الدعوة إلى الله ﷻ في المراكز الإسلامية (بريطانيا، ودريد، وبرلين).

٣- الكشف عن أبرز القضايا الدعوية في المراكز الإسلامية.

٤- الوقوف على معوقات الدعوة إلى الإسلام في المراكز الإسلامية.

رابعًا: الدراسات السابقة:

لم أقف على أي دراسة متخصصة تبين جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية محل الدراسة في هذا الموضوع، وبعد الانتهاء من البحث وجدت رسالة علمية في مرحلة الدكتوراه تحت عنوان: (الدعوة الى الله في إسبانيا دراسة ميدانية تقويمية) في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية في المعهد العالي للدعوة والاحتساب في عام ١٤٣٩هـ، وهذه الدراسة تختلف عما سوف أقوم به بحسب خطة البحث التي تم تدوينها اختلافا كليًا، فتلك الدراسة لم تتطرق لجهود المملكة العربية السعودية البتة، ومن الممكن الاستفادة منها في بعض الموضوعات من حيث النشأة فقط، والأصل في ذلك هو ما استفاد منه الباحث من التقارير المعدة من قبل القائمين على المراكز الإسلامية موضوع الدراسة، وسوف يقوم الباحث بمعالجة وإبراز جهود المملكة العربية السعودية الدعوية، وبيان بداية نشأة هذه المراكز وتاريخها، والكشف عن أبرز القضايا الدعوية، والوقوف على معوقات الدعوة فيها، وهو الجديد في هذا البحث.

خامسًا: منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي، ويعرف المنهج الاستقرائي بأنه: (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعًا، أو هو: انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته [١].

ويعرف المنهج التاريخي بأنه: (الطريقة أو الأسلوب أو ما يمكن به إجابة على سؤال عن الماضي بواسطة مجهود علمي كبير يبذله الباحث متمثلًا في محاولته لاستنتاج العلاقة بين الأحداث، والربط بينها، مستنداً في ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه) [٢].

فطبيعة هذه الدراسة لهذا الموضوع تقتضي استخدام بعض المناهج العلمية؛ لأنه الطريق المأمول للوصول إلى المعرفة، وذلك لجمع جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في المراكز الإسلامية، وما يخص البحث المتعلق بنشأة وتاريخ الدعوة وأبرز القضايا الدعوية وجهود الدعاة ومعوقات الدعوة في المراكز الإسلامية.

سادسًا: خطة البحث:

المقدمة، وتتضمن الآتي:

أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانيًا: مشكلة البحث.

ثالثًا: أهداف البحث.

رابعًا: الدراسات السابقة.

خامسًا: منهج البحث.

سادسًا: خطة البحث.

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: عبد لرحمن حسن حنبكة الميداني، ١٨٨.

(٢) المدخل الى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح العساف، ص٢٨١.

المبحث الأول: نشأة المراكز الإسلامية.

المطلب الأول: نشأة المراكز الإسلامية في (بريطانيا ومدريد وبرلين)

المطلب الثاني: جهود تلك المراكز وبرامجها.

المطلب الثالث: مصادر الدعم وأبرز شخصياتها.

المبحث الثاني: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية.

المطلب الأول: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في بريطانيا.

المطلب الثاني: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في مدريد.

المطلب الثالث: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في برلين.

المبحث الثالث: أبرز القضايا الدعوية في المراكز الإسلامية.

المطلب الأول: إثبات توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: قصور الديانات الأخرى عن الوفاء بالحاجات الإنسانية.

المطلب الثالث: إثبات بطلان الديانات الأخرى.

المبحث الرابع: معوقات الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية.

المطلب الأول: جهود المنظمات المشبوهة في الصد عن الإسلام.

المطلب الثاني: حملات التشويه لدين الإسلام.

المطلب الثالث: قلة الإمكانات المادية والبشرية.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: نشأة المراكز الإسلامية

المطلب الأول

نشأة المراكز الإسلامية في (بريطانيا، ومدريد، وبرلين)

لقد كان في نشأة المراكز الإسلامية جهد بارز في نشر وتبليغ الدعوة إلى الله ﷻ، ومما لا يمكن نفيه أن بعض أو أكثر هذه المساجد والمراكز والمدارس والجمعيات الإسلامية تبذل جهدًا حثيثًا لتلبية احتياجات الجاليات الإسلامية ولإنجاح برامجهم، ولكن عدم التنسيق فيما بينهم جعل محصلة النتائج في الساحة الدعوية هزيلة.

إذا نظرنا نظرة متأنيةً على واقع المراكز الإسلامية في الغرب نجد أن هناك مساجد ومدارس ومراكز إسلامية وجمعيات مختلفة الاتجاهات، ومع أن التعددية في حد ذاتها ليست ظاهرة سيئة حسب رأيي، إلاّ أنّ هذه المؤسسات الإسلامية بسبب التعصب أحيانا وعدم التعاون فيما بينهم أحيانا أخرى، لم تتحقق الأهداف على المستوى المطلوب، وكانت الثمار التي جنيت من تلك الجهود التي بذلها القائمون على هذه المؤسسات الإسلامية قليلة جدًا نظرًا للمدة الزمنية والفرص المتاحة في الغر، .وهذا ما لاحظه الباحث حين زيارته للمراكز الإسلامية، وشاهده على أرض الواقع(١).

وبالجملة، هناك نمو كمي مطرد في عدد المساجد والمراكز والمدارس والجمعيات الإسلامية، وكذلك في عدد المسلمين أنفسهم في الغرب وهذا مؤشر خير، ولكن هذا النمو الكمي لا يرافقه –مع الأسف– نمو كيفي بصورة مطردة.

صحيح أنه يوجد تنسيق بين بعض هذه المراكز والمنظمات، ولكن لا يوجد تنسيق عام بينها جميعًا، وهذا من الأسباب الرئيسة لضعفها، ولعل مرد هذا التباعد إنما هو مشكلة التحزب والتعصب، وحب الرئاسة والزعامة، فنجد أن كثيرا منهم يتعصبون لجماعتهم، والزعماء يسعون للحفاظ على رئاستهم، ولذلك تذهب فرص التعاون والتكامل سدى،

---

(١) هذا ما لمسه الباحث حين زيارته للمراكز الإسلامية موضوع الدراسة.

لذلك يجب على الدول الإسلامية والعلماء والباحثين الإسلاميين والكتّاب أن يولوا موضوع الدعوة والمراكز الإسلامية في الغرب اهتمامًا لائقًا وذلك لكي تلبي هذه المؤسسات احتياجات الجاليات المسلمة في الخارج من أجل نشر الدعوة والقيم السمحة للإسلام.

وسنحاول أن نستعرض نشأة المراكز الإسلامية في (بريطانيا، ومدريد، وبرلين) في الآتي:

أولًا: المراكز الإسلامية في بريطانيا:

تعود فكرة تأسيس ونشأة المركز الثقافي الإسلامي ومسجد لندن المركزي إلى العقد الأول من القرن الماضي، وقد بدأت بمطالبة مستمرة من بعض المسلمين من أصول هندية للحصول على منحة أرض لذلك الهدف، من حاكم حيدرً آباد حينذاك، ثم اعتنق الإسلام اللورد "هيدلي" (ت ١٩٣٥م)، وخاطب هو بدوره الحكومة البريطانية في هذا الأمر، وكاتب المسؤولين البريطانيين حتى استقر الأمر على موافقة الحكومة البريطانية على ذلك سنة ١٩٣٦م، ثم أصدرت الحكومة البريطانية أيام حكومة "حرب تشرشل" قرا رها بذلك في العام ١٩٤٠، وتم تقديم الموقع الحالي في منطقة "ريجنتس بارك Regents Park"، هدية تقديرية لجهود المسلمين في الحربين، وحتى يتمكنوا بسهولة من إدارة شؤونهم الدينية وعباداتهم الإسلامية(١)[(١)].

وبعد استقلال الكويت تحركت أربع دول وهي (السعودية، والكويت، وباكستان، ولبنان)، وفي عام ١٩٦٧م جاء الملك فيصل –رحمه الله– وعُرض عليه المشروع وأعطاهم ما يقارب (٢,٠٠٠٠٠٠) مليونين جنيه إسترليني، ووضع مسابقة دولية لوضع تصميم للمشروع، وتم اختيار مشروع ثم حدثت مشاكل قانونية مع أحد المصممين ولم يبدأ فعليًا إلا بعد وفاة الملك فيصل عام ١٩٧٥م، وانتهى بناء المشروع عام ١٩٧٩م، ونقص عليهم

---

(١) انظر: التقرير الذي أعده مدير المركز الإسلامي في بريطانيا الدكتور أحمد الدبيان، لمحة تاريخية عن تأسيس المركز، ص٦.

بعض المبالغ، ونظرًا لتغير الأسعار تقدموا بطلب بعد استقلال الإمارات، وأكمل المبلغ الشيخ زايد آل نهيان، ويتكون المبنى من ثلاثة أجنحة، وفي عهد الملك فهد -رحمه الله- في عام ١٩٩٢م تبرع بالمكتب الإداري الموجود الآن، وفي عام ٢٠٠١م تم بناء السور والبوابة الخارجية بمشاركة من السعودية وعمان والكويت والإمارات وقطر، و منذ تأسيسه يقوم بالعديد من المهام، ويعد الإسلام ثاني أكبر ديانة في المملكة البريطانية المتحدة، ويتزايد المسلمون فيها بشكل ملحوظ، وفقًا لتعداد المملكة المتحدة في عام ٢٠١١م، ويعيش أكثر من ٢,٧ مليون من المسلمين في إنجلترا وويلز حيث يشكلون ٥,٠٪ من تعداد السكان العام و٩,١٪ من الأطفال دون سن الخامسة، ويتركز معظمهم في لندن، ومانشستر وغلاسكو، ولكن يسكن لندن ما يقارب ٤٣٪ منهم.

وأغلب المسلمين في المملكة مهاجرين أو من أصول تعود لشبه القارة الهندية التي تشمل الهند وباكستان وأفغانستان وإيران، ومن بعدها الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومن ثم دول أخرى مثل ماليزيا ونيجيريا. كما يوجد عدد متزايد من البريطانيين يعتنقون الإسلام سنويا، حيث كتبت صحيفة "اند بند نت" في يناير ٢٠١١م أن العدد الحقيقي للبريطانيين المعتنقين للإسلام يمكن أن يكون حوالي ١٠٠ ألف بريطاني مسلم، وذلك نقلا عن دراسة جديدة لمجموعة "فيث ما ترز الفكرية" ٦٦٪ منهم نساء، كما قدرت الدراسة ذاتها عدد معتنقي الإسلام في سنة ٢٠١١ بـ٥,٠٠٠معتنق.

كانت لبريطانيا صلة بالحروب الصليبية في بلاد المشرق العربي، وهكذا بدأ أول احتكاكها بالمسلمين، وبدأت علاقة بريطانيا بالمسلمين في العصر الحديث مع احتلال بريطانيا للعديد من الشعوب الإسلامية، وهجرة بعض المسلمين من تلك المستعمرات إلى بريطانيا، ومن أوائل الهجرات جماعات من عدن عملوا في المهن البحرية في سنة (١٢٨٧هـ-١٨٧١م)، واستقروا في مدينة (كارديف)، وتوالت هجرات من مناطق إسلامية أخرى، فأتت هجرات من قبرص ومن شمال وشرقي إفريقيا، وزاد عدد المسلمين في بريطانيا في

أعقاب الحرب العالمية الأولى، وقدمت هجرات إسلامية إلى بريطانيا من يوغسلافيا، وألبانيا وبلاد شرقي أوروبا ومن الهند وباكستان، وعندما ازدادت حاجة بريطانيا للأيدي العاملة ازدادت هجرة العمال المسلمين إليها، ووصل عدد المسلمين في بريطانيا أكثر من مليون مسلم، وينتشر المسلمون في مناطق ومدن عديدة من بريطانيا، ويعمل المسلمون في القطاعات الصناعية، ومنها الصناعات المعدنية وبعض الخدمات الشاقة، وهناك فئة تعمل بالتجارة، كما يوجد الآلاف من الأطباء المسلمين والمهندسين والعلماء ، ويعمل الآلاف في سلك التعليم(١).

ثانيًا: المراكز الإسلامية في مدريد:

أُنشأ المركز الإسلامي في إسبانيا عام ١٩٩٢م، وأقيم على أرض تصل مساحتها إلى نحو(١٣) ألف متر مربع منحتها الحكومة الإسبانية في أواخر الثمانينيات لصالح رابطة العالم الإسلامي، تم تصميم المركز على أحدث طراز معماري فريد، بساحات واسعة، وموقع متميز، وإطلالة جميلة جعلت منه مشعل نور في مدينة مدريد ومنبر ثقافة تتجه له الأنظار وتسلط عليه الأضواء، وقد تم بناء المركز الثقافي الإسلامي في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود –رحمه الله–، ووضع لبناته الأولى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود–حفظه الله– أمير منطقة الرياض (آنذاك) والعاهل الإسباني الملك "خوان كارلوس الأول".

ومن أبرز جهود وأنشطة المركز الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف، وبيان محاسنه ومحامده، وإقامة شعائره اليومية، وتوعية المسلمين الجدد، وتوزيع الكتب والمطويات التوعوية والتعريفية، التي من شأنها رفع الحس الديني وتصحيح الأخطاء العقدية ودعوة غير المسلمين من عامة الشعب الإسباني.

---

(١) انظر: التقرير الذي أعده مدير المركز الإسلامي في بريطانيا، د. أحمد الدبيان ص٦.

كما يقدم المركز أنشطة اجتماعية وإعلامية تهدف إلى تكوين العلاقات مع الإعلام الإسباني والمشاركة في الحوارات وتنظيم المشاركات الدعوية وزيارة الطلاب والعلماء من مختلف دول العالم (١).

ثالثًا: المراكز الإسلامية في ألمانيا:

شُيّد المركز الإسلامي في ألمانيا عام ١٩٢٨م، وأنشأ فيه أول مسجد للمسلمين في برلين، وهو ذلك المسجد القائم الآن في برلين الغربية، ويُذكر أن عدد المسلمين في ألمانيا يتجاوز ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم، معظمهم من المهاجرين الأتراك، ويرجع أول وجود للسكان المسلمين في ألمانيا إلى عام ١٧٣٩ في عهد الملك (فريدريك) الأول ملك بروسيا، وسبق ذلك تأسيس أول مسجد في مدينة "بوتسدام" عام ١٧٣١، وكان مخصصًا للجنود الأتراك.

ويبلغ عدد المسلمين من العرب حوالي (٢٥٠) ألف نسمة، يقيم معظمهم في الولايات الغربية؛ حيث تتوفر فيها فرص العمل. وقد اعتنق الإسلام من الألمان حتى الآن حوالي (١٠٠) ألف شخص. ويُقدّر عدد المسلمين الألمان الذين لهم حق المشاركة في الانتخابات بنحو مليون مواطن، يشكلون أقل من ٢٪ من إجمالي الناخبين في ألمانيا، ويصل عدد المساجد وأماكن الصلاة في ألمانيا إلى (٢٢٠٠) مسجدٍ ومُصلّى، تابعة في معظمها إلى مؤسسات دينية تركية نتيجة للعدد المتنامي للمسلمين الأتراك الذين يمثلون غالبية الجاليات الإسلامية في أوروبا، فيما يصل عدد المساجد ذات المآذن والقباب (الشكل التقليدي للمسجد) في ألمانيا إلى ما يزيد عن (١٤٠) مسجدٍ، ويُشار إلى أن مسجد الفتح المقام في مدينة "مانهايم" عام ١٩٩٥م يُعدّ أكبر المساجد في ألمانيا(٢).

---

(١) انظر: المركز الإسلامي الثقافي في إسبانيا، رابطة العالم الإسلامي نسخة محفوظة ٢٧ ديسمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

(٢) حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته (برلين) ومقابلة الشيخ عبدالصمد اليزيدي، الذي

ولقد تبين للباحث حين زيارته للمراكز الإسلامية أن نشأتها كانت قديمة، وانتشار الإسلام كان موجودًا ولكن بشكلٍ محدود، حيث كان معدوم البرامج والتطوير لعدم وجود الدعم المادي، والإمكانيات البشرية، ولانتشار الديانة النصرانية وقوتها في ذلك الوقت، ولعدم وجود رغبة وقبول لدى الحكومات بالمسلمين؛ لأن وجودهم يُشكل خطرًا بنظرهم، إلا أنه في الآونة الأخيرة وبسبب توفيق الله ﷻ لبعض الدول الإسلامية التي رأت أن نشر الإسلام من الأمور الحتمية التي تقتضي تبليغ دين الله ﷻ لجميع الناس دون استثناء، فكان من الواجب على ولاة الأمر -وفقهم الله- الاهتمام بذلك، فقاموا بالدعم المادي والمعنوي الذي ساعد على انتشار ونشر الدعوة على أكمل وجه.

تحدث عن نشأة المركز الإسلامي، بتاريخ ١٣/١/٢٠١٩م.

المطلب الثاني

جهود المراكز الإسلامية وبرامجها

إن هذه المراكز الإسلامية لها جهودًا منذ تأسيسها، ولقد حملت على عاتقها نشر الدعوة بجميع أشكالها، وبيان محاسن الإسلام في شتى المجالات، ولها عدة نشاطات تقوم به وبرامج مستمرة طوال العام ويختلف النشاط والبرامج من دولة لأخرى بحسب الحاجة والمناسبة، وأيضًا حسب تخطيط كل دولة، ولهذا سوف نبرز دور كل دولة على حدة، وذلك على النحو التالي:

أولًا: جهود المراكز الإسلامية وبرامجها في بريطانيا:

بدأ مشروع المركز الثقافي الإسلامي في بريطانيا منذ عام ١٩٤٤م، وذلك بعد أن منحت الملكة الأرض للمسلمين وتشكلت لجنة لغرض تشييد المركز، والذي بدأ فيه المسلمون الباكستانيون والهنود الموجودين في بريطانيا عام ١٩٦٢م، بعد استقلال الكويت تحركت أربع دول، وهي (السعودية والكويت وباكستان ولبنان)، وفي عام ١٩٦٧م جاء الملك فيصل -رحمه الله-وعُرض عليه المشروع وأعطاهم ما يقارب (٢٠٠٠٠٠٠) مليونين جنيه إسترليني، ووضع مسابقة دولية لوضع تصميم للمشروع، وتم اختيار مشروع ثم حدثت مشاكل قانونية مع أحد المصممين، ولم يبدأ فعليًا إلا بعد وفاة الملك فيصل —رحمه الله- عام ١٩٧٥م، وانتهى المشروع من البناء عام ١٩٧٩م، ونقص عليهم بعض المبالغ ونظرا لتغير الأسعار تقدموا بطلب بعد استقلال الإمارات، وأكمل الشيخ زايد آل نهيان المبلغ، والمركز عبارة على ثلاثة أجنحة، وفي عهد الملك فهد -رحمه الله- في عام ١٩٩٢م تبرع بالمكتب الإداري الموجود الآن، وفي عام ٢٠٠١م تم بناء السور والبوابة الخارجية بمشاركة من السعودية وعمان والكويت والإمارات وقطر، ومنذ تأسيسه يقوم المركز بعددٍ من المهام والأنشطة، ولقد حمل العاملين فيه على عاتقهم الدعوة الى الله ﷻ وإبراز الهوية الإسلامية بصورة تُرغِّب غير المسلمين بالدخول في الإسلام، وذلك من حيث الدور الذي يقوم به

مجلس الأمناء والذي يضم ٢٤ أربعة وعشرين دولة من خلال سفرائها، ويرأس المركز شخصية سعودية فاعلة فُوِّضت له الصلاحيات وهو الدكتور: أحمد بن محمد الدبيان، مندوب وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، والذي تم الانفراد به ومقابلته في مكتبه ببريطانيا، حيث ذكر لنا نشاط وبرامج هذا المركز من حيث علاقاته بدولة بريطانيا، والاستفادة منه بحل المشكلات التي تحدث من الجاليات الغير مسلمة، وذلك بوضع الدورات المناسبة لتحسين السلوك الذي تشتكي منه الدولة، وأيضًا دورات للمسلمين وتكون في المسجد أو في المركز وذلك بتفعيل الملتقيات والمحاضرات والدروس يوميًا أو أسبوعيًا أو شهريًا أو سنويًا ، كما تقام الصلوات الخمس في مسجد المركز ودرس يومي، وأيضا أسبوعي يجتمع فيه جميع المسلمين من جميع الجنسيات واللغات ويكون للرجال وللنساء، وتشمل أنشطة المركز الإسلامي أيضا تقديم خطبة الجمعة وخطب العيدين باللغة الإنجليزية والعربية، كما يوجد مكتبة تظم العديد من الكتب الإسلامية والبريطانية، ويتم التعاون الوثيق مع الجامعات البريطانية لتزويد الباحثين والطلبة بالمعلومات الحقيقية عن الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى توزيع المطبوعات والكتب الإسلامية ونسخ القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والعربية، والمركز له اتفاق تعاون مع كثير من الدول (اليونيسكو) في المغرب مع رابطة العالم الإسلامي، ووزارة الشؤون الإسلامية في السعودية، ووزارة الشؤون الإسلامية في الكويت، والمشيخة في روسيا، والأزهر في مصر. وللمركز تعاون مع وزارة الداخلية والخارجية البريطانية وهيئة الجمعيات البريطانية، والآن أصبح المركز له علاقة مميزة مع الحكومة البريطانية، وأعطى دورات عن الإرهاب والتوعية بأهمية التسامح، ودورات أُخرى في جميع العلوم، ويوجد في المركز حوار [1].

(١) انظر: التقرير المعد من المركز الإسلامي في بريطانيا، د.أحمد الدبيان، ص٣.

ثانيًا: جهود المراكز الإسلامية وبرامجها في مدريد:

يقوم المركز الإسلامي في مدريد منذ تأسيسه بالعديد من المهام فقد حمل على عاتقه الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف وبيان محاسنه ومحامده، وإقامة شعائره اليومية وتوعية المسلمين الجدد وتوزيع الكتب والمطويات التوعوية والتعريفية، التي من شأنها رفع الحس الديني وتصحيح الأخطاء العقدية ودعوة غير المسلمين من عامة الشعب الإسباني. ويرأس هذا المركز الدكتور سعود بن عبدالله الغديان، وهو مندوب وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، كما أن من أنشطة المركز الإسلامي تقديم خطبة الجمعة وخطب العيدين باللغة الإسبانية، والتعاون الوثيق مع الجامعات الإسبانية لتزويد الباحثين والطلبة بالمعلومات الحقيقية عن الإسلام والمسلمين، وإرساء التعاون بين مكتبة المركز والمعاهد العلمية والجامعات الإسبانية لتزويد الباحثين والطلبة بالخدمات البحثية، بالإضافة إلى توزيع المطبوعات والكتب الإسلامية ونسخ القرآن الكريم باللغتين الإسبانية والعربية، كما يحرص المركز بصفة دورية ومستمرة على إقامة سلسلة من الندوات والمحاضرات والدروس الثقافية والأدبية التي تهم الجالية المسلمة والمهتمين بالثقافة العربية من الجمهور الإسباني[١].

ويسعى المركز والعاملون فيه إلى حمل رسالة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالة الإسلام في شتى المجالات، وبجميع الطرق والأساليب دون المصادمة مع الجاليات غير المسلمة عن طريق الحوار والملتقيات والندوات من خلال الجهود الدعوية التي تبين للخصم سماحة هذا الدين وأن ما يلصق به من اتهامات ليس لها أصل في الإسلام، وهذا مما دعا كثير من الجاليات غير المسلمة أن تقرأ عن الإسلام ثم تدخل فيه [٢].

---

(١) انظر: المركز الثقافي الإسلامي في مدريد.. شاهد علاقات تاريخية بين المملكة وإسبانيا، جريدة الرياض، ١٤٣٣هـ، العدد (١٦١٠٥) نسخة محفوظة ٢٢ ديسمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

(٢) أخذ الباحث هذه المعلومات حين زيارته (مدريد) ومقابلة الداعية عبد الصمد رومرو الذي تحدث عن الدور الفعال الذي يقوم به المركز الإسلامي.

ثالثًا: جهود المراكز الإسلامية وبرامجها في برلين:

المركز الإسلامي في برلين هو المسجد أو المؤسسة الإسلامية وتسمى دار الإسلام، أسسها محمد صديق، وقد ولد محمد صديق سنة ١٩٤٤م في مدينة برلين، ودرس في جامعة أم درمان الإسلامية من آخر سنة ١٩٦٧-١٩٧٠م ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، فدرس في كلية الدعوة وأصول الدين من سنة ١٩٧٠-١٩٧٤م وتخرج منها، ثم رجع إلى ألمانيا بلاده، وقبل أن يبدأ العمل رافق جماعة التبليغ وأسس الجمعية سنة ١٩٨١م في مدينة "آخن" في دار مستأجرة، وانتقلت الجمعية إلى مقرها الجديد سنة ١٩٨٣م (١).

ومن هذا المركز الذي تأسس على يد محمد صديق انطلقت الدعوة إلى الإسلام وبيان محاسنه وتعاليمه، وهو الذي يهتم بحياة المسلمين بألمانيا، ويوفر لهم معلومات عن مواقيت الصلاة ومواعيد الأعياد، كما يقدم فيه معلومات عن الإسلام وشعائره وأركانه الخمسة بالنسبة لمن يريد ممارسة الشعائر الدينية، ويعيش في ألمانيا حوالي أربعة ملايين مسلم أي ما يعادل خمسة بالمائة من مجموع السكان. وبالرغم من أنهم أقلية في ألمانيا، إلا أن للمسلمين حضورًا في الحياة العامة وفي المجال الإعلامي وخاصة الإلكتروني منه.

وهناك عدد من المواقع التي تعنى بالإسلام وحياة المسلمين، مثل موقع "إسلام دوت دي إيه" أو موقع المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، وتتوجه برامج وأنشطة هذه المواقع للجمهور الألماني من المسلمين وغير المسلمين، فبالنسبة لغير المسلمين تحاول هذه المواقع التعريف بأركان الإسلام الخمسة بطريقة مبسطة، بالإضافة إلى بنك معلومات تضم أحاديث

(١) انظر: التقرير المعد من المركز الإسلامي في برلين: ص١٥. كما أخذ الباحث هذه المعلومات حين زيارته (برلين) ومقابلة الداعية عبد الصمد اليزيدي الذي تحدث عن الدور الفعال الذي يقوم به المركز الإسلامي.

نبوية باللغة الألمانية تصل إلى أربعمائة حديث. كما تقدم هذه المواقع خدماتها بأشكال مختلفة إما كنصوص مكتوبة أو كمواد سمعية وبصرية.

وتتجلى أهمية هذه المواقع الإلكترونية الإسلامية في القيام ببعض الجهود الإعلامية التي يفتقدها المسلمون في الإعلام الألماني، كإعلان مواعيد الصلاة حسب توقيت كل مدينة ألمانية، وكذا الإعلان عن مواعيد حلول الأعياد الإسلامية، إذ يمكن للمسلم الألماني أن يحمّل مواقيت الصلاة بالنسبة لمدينته لمدة عام كامل، وتطرح هذه المواقع على المسلمين أفكارًا بديلة لمنح الزكاة، عن طريق التبرع لمؤسسات خيرية داخل البلاد، كما لا تسمح الظروف لكثير من المسلمين في ألمانيا بالاحتفال بعيد الأضحى المبارك عن طريق ذبح الأضحية، فتقترح هذه المواقع على المسلمين طرقًا بديلة، كالتبرع بالمال لشراء أضحية العيد لبعض الفقراء في الدول الإسلامية الأخرى [1].

وتحاول المواقع الإسلامية في ألمانيا أن تستوعب النقاش حول الإسلام واندماج المسلمين في المجتمع الألماني، فتنقل تلخيصًا لحلقات تلفزيونية ناقشت موضوع الإسلام في الإعلام الرسمي الألماني، وتفتح باب النقاش حولها، ومن جهة أخرى تعلن المواقع الإسلامية عن آخر الكتب الصادرة حول الإسلام والمسلمين في ألمانيا، والتي غالبًا ما تكون كتبًا مؤيدة لرؤية الموقع، إذ لا يتناول الموقع الكتب التي تنتقد الإسلام.

وتقدم المواقع عروضًا دينية وألعابًا للأطفال، كما تحتضن إعلانات تجارية تستهدف المسلمين في ألمانيا، كالإعلان عن ملابس الحجاب، أو تعليم اللغة العربية أو ألعاب تثقيفية للأطفال أو تبرعات مالية أو صدقات أو إغاثة غذائية أو إغاثة صحية، وعلى هذه فإن الدوافع التي جعلت هؤلاء يعتنقون الإسلام مختلفة، فقد تكون بداعي البحث عن معنى الوجود، أو الزواج من رجل أو امرأة مسلمة، أو لإيجاد إجابات عن أسئلة نابعة من التجربة الشخصية في حياته أو بسبب تجارب خاصة ومشاكل وأزمات تعرضوا لها، ومع اختلاف

---

(١) انظر: المرجع السابق، التقرير المعد من المركز الإسلامي في برلين، ص٢٠.

الأسباب وتنوع أنماط الشخصيات التي قررت تغيير معتقدها الديني، وبما أن العديد من الألمان يُعانون من أزمات نفسية وفكرية، وبدأ البعض منهم يبحث عن طرق وأساليب تمنحهم الراحة، فوجدوا بغيتهم في الإسلام؛ لأنه يُقدم لهم تصورا واضحًا وشاملًا عن الحياة، وسواءً تعلق الأمر بالملبس أو المأكل، أو الشعائر، أو العلاقة بين الجنسين، فإن للإسلام أجوبة عن كل هذه القضايا(١).

ولقد تبين للباحث حين زيارته لتلك المراكز الإسلامية على أرض الواقع أن لهم جهودًا عظيمة لنشر الإسلام، ودور كبير في استخدام وسائل الدعوة الحديثة عبر الشبكة العنكبوتية، كما لهم عدة نشاطات متنوعة تستهدف المسلمين وغير المسلمين، كما لهم برامج تطويرية أسهمت في الترغيب بدخول الإسلام.

---

(١) المرجع السابق، التقرير المعد من المركز الإسلامي في برلين، ص٢٠ بتصرف.

المطلب الثالث

مصادر دعم المراكز الإسلامية وأبرز شخصياتها

تبين للباحث حين زيارة تلك الدول والاطلاع على المراكز الإسلامية ومقابلة المسؤولين من الدعاة والاستفسار عن أهم مصادر الدعم لهم تحدثوا عن الدعم وبعض الدول الذين يمدونهم بشي مقطوع سنوي أو دعم متواصل حسب قدرة كل دولة مما يساعد تلك الدول في الدعوة الى الله ﷻ رغم أن هذا الدعم لا يغطي الاحتياج إلا أنه يسد بعضها بعضًا (١)، ومن هذه الدول ما يلي:

مصادر دعم المركز الإسلامي في بريطانيا:

١. المركز الإسلامي في المملكة المتحدة له مصادر عدة منها ما يلي:

٢. تمويل من مجلس الأمناء سنوي بمبالغ مقطوعة، والذي يضم ٢٤ أربعة وعشرين دولة.

٣. تمويل مستمر وهي عبارة عن أوقاف من المملكة العربية السعودية.

٤. استثمارات وهي عبارة عن أسهم في شركات قديمة بدأها الدكتور أحمد الدبيان.

٥. دعم عن طريق بعض المطبوعات التي تباع لصالح المركز الإسلامي.

٦. تبرعات من الجالية المسلمة عن طريق شبكة الانترنت منذ سنة ٢٠١٧م.

٧. دخل من بعض أنشطة نشاط المركز الخدمية.

وأسهمت مع المملكة العربية السعودية عدد من الدول العربية والإسلامية في دعم المركز، ومنها دولة الإمارات العربية المتحدة منذ سنة ١٩٧٩م، وسلطنة عمان التي من جهودها بناء السور الداخلي ١٩٧٩ ثم بناء السور الخارجي ٢٠٠٣م، ودولة الكويت التي

---

(١) حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته لبريطانيا، ومقابلة الدكتور أحمد الدبيان، بتاريخ ٥/١٢/٢٠١٩م.

دعمت جميع أنشطة المركز منذ عام ٢٠١٠م، ودولة قطر التي تولت الترميمات وإصلاح المبنى سنة ٢٠١٢م [١].

مصادر دعم المركز الإسلامي في مدريد:

المركز الإسلامي في مدريد له مصادر عدة منها ما يلي

١. تمويل ودعم من الحكومة السعودية في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز(رحمه الله) خدمة منه للإسلام والمسلمين في مملكة إسبانيا.

٢. تمويل من بعض الدول الإسلامية لتغطيت الحاجة.

٣. دعم عن طريق التبرعات والمساعدات من بعض الدول.

٤. الدعم الأسبوعي عن طريق التبرعات من المسلمين بعد صلاة الجمعة [٢].

وقد أسهمت المملكة العربية السعودية وتساهم بدعم المركز الإسلامي بصورة مستمرة ماديا أو معنويا كما يأتي بعض الدعم من المشاريع الاستثمارية التي يقوم بها المركز، ودعمٌ آخر من بعض الدول والتبرعات العينية والنقدية.

مصادر دعم المركز الإسلامي في برلين:

المركز الاسلامي أو المسجد أو الجمعية في برلين لها عدة مصادر منها ما يلي:

١. التمويل من بعض دول الخليج (السعودية، والكويت، والإمارات، وعمان، وقطر).

٢. جمع التبرعات في المساجد وبعض التجار في برلين.

(١) انظر: التقرير لمحة تاريخية عن المركز الإسلامي في لندن، ص١٤.

(٢)حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته لمدريد ومقابلة الداعية عبد الصمد رومرو، بتاريخ ١١/١٢/٢٠١٩م.

٣. دعم بعض المحسنين عبر موقع أون لاين.

٤. العائد المادي من نشاطات المركز ودوراته التدريبية [١].

ونظرًا لجهود المملكة العربية السعودية فإنها تقوم بالدعم المعنوي عن طريق السفارة، وتوزيع بعض الإعانات على الجمعيات الإسلامية في برلين، كما تقوم بتوزيع المصاحف والكتب النافعة.

---

(١)حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته لبرلين ومقابلة الشيخ عبدالصمد اليزيدي، بتاريخ ١٣/١٢/٢٠١٩م.

المبحث الثاني

تاريخ بداية الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية

المطلب الأول

تاريخ بداية الدعوة للإسلام في بريطانيا

بدأت الدعوة في بريطانيا قبل سنة ١٩٣٥م عندما تم جمع التبرع من حاكم حيدر آباد الذي كان من أصول هندية حينذاك، ثم اعتنق الإسلام (اللورد هيدلي ت ١٩٣٥م) وخاطب هو بدوره الحكومة البريطانية في هذا الأمر، وكاتب المسؤولين البريطانيين حتى استقر الأمر على موافقة الحكومة البريطانية على ذلك سنة ١٩٣٦م، ثم أصدرت الحكومة البريطانية أيام حكومة حرب "تشرشل" قرا رها بذلك في العام ١٩٤٠م، وتم تقديم الموقع الحالي في منطقة "ريجنتس بارك Regents Park"، هدية تقديرية لجهود المسلمين في الحربين، وحتى يتمكنوا بسهولة من إدارة شؤونهم الدينية وعباداتهم الإسلامية(١).

إن الدعوة في المركز الإسلامي في بريطانيا له عدة نشاطات: منها أن الصلوات الخمس والجمع والأعياد تقام في المسجد التابع للمركز باستمرار، ويحضر أداء هذه الشعائر التعبدية آلاف من المسلمين قد يصل عددهم إلى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف مصل أيام الجمعة، كما يصل عددهم في العيد إلى حوالي ٢٠٠٠٠عشرين ألف، ويقوم المركز بعدد من المناشط الدينية والدعوية المختلفة، مثل: المحاضرات والدورات ونشر الكتب والدروس وتحفيظ القرآن الكريم، وبعضها أسبوعي، وأُخرى شهري، ويرأس القسم الشيخ "خليفة عزت"(٢)، كما اطلع الباحث على ما قام به المركز من جهود جبارة منذ بداية الدعوة في هذا المركز، ودوره البارز من خلا الأنشطة الدعوية التي يقوم بها المتنوعة التي يستفيد منها المسلم وغير المسلم.

---

(١) لمحة تاريخية عن المركز الإسلامي، د.أحمد الدبيان، ص٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٧-١٨.

المطلب الثاني

تاريخ بداية الدعوة للإسلام في مدريد

الحقيقة أن تاريخ دخول الإسلام إلى إسبانيا قديمًا منذ تاريخ الفتح الإسلامي لإسبانيا عام ٩٢هـ بعد وفاة النبي ﷺ، حيث انطلقت جيوش المسلمين تجاهد في سبيل الله ﷻ، وتفتح البلاد وتدعو إلى الإسلام، ففتحوا بلاد فارس والشام والعراق ومصر وأفريقيا، وأصبح المسلمون يطمحون في مواصلة فتح الأندلس وكانت المحاولة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كما ذكر ذلك ابن عذاري في كتابه (البيان المغرب)، (أن أول من دخلها عبدالله بن نافع بن عبد القيس، وعبدالله بن الحصين الفهريان من جهة البحر في زمن عثمان رضي الله عنه)(١).

وقد سبق للمسلمين غزو بعض الجزر المقابلة لإسبانيا، فقد ذكر الإمام الذهبي في أحداث سنة ٨٩هـ حينما (جهز موسى بن نصير ولده عبدالله ففتح جزيرتي ميورقة ومنورقة)(٢)، ثم تدرج الفتح حتى عصر الولاة عام ٩٥ الى ١٣٨هـ، حيث وصل عبدالرحمن الداخل وتولى حكم الأندلس، واستغرق هذا العصر حوالي ٤٢ سنة بعد موسى بن نصير وطارق بن زياد، وقد واجه هذا العصر مهمات كثيرة، ولم يكف الجهاد بالسيف وإنما كان لابد من الجهاد بالقلم ونشر الإسلام بين سكان الأندلس(٣)، ثم جاء بعد ذلك عصر الإمارة ١٣٨-٣١٦هـ بعد سقوط الخلافة الأموية، وهزيمة الأمويين من العباسيين، ثم عاد عبدالرحمن الداخل مرة أخرى واستأنف سيره نحو المغرب الأقصى لدخوله الأندلس، ودخلها في غرة ربيع الأول ثم نزل بقرية طرش من كوة البيرة(٤).

ثم جاء عصر الخلافة من ٣١٦- ٤٠٠هـ، حينما تولى عبدالرحمن الناصر الحكم وأعلن الخلافة الأندلسية فأنهى بذلك عهد الإمارة واستمر الحكم نصف قرن(٥)، ثم جاء عصر

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ص٢/٤.

(٢) انظر:التاريخ الإسلامي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د. عبدالرحمن الحجي،ص١٣٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٣٥.

(٤) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ص٢/٤.

(٥) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي (التاريخ الأندلسي من الفتح

الطوائف من ٤٠٠-٤٨٤هـ الذي عاشت فيه الأندلس سنوات صعبه من الفرقة والتنافس، حيث خرجت فيها عدة دويلات مستقلة ،ثم جاء عصر المرابطين من ٤٨٤-٥٢٠هـ واستمرت حتى جاء عصر الموحدين من ٥٢٠-٦٢٠هـ، وكان زعيمهم هو أبو عبدالله المهدي محمد بن تومرت الذي رحل إلى طلب العلم في الأندلس قبل القرن الخامس، ثم عاد إلى الشمال الأفريقي، وبدأ دعوة الناس إلى التمسك بالدين وتطبيقه ، ثم جاء بعد ذلك عصر مملكة غرناطة من ٦٢٠-٨٩٧هـ حيث بعد ضعف الموحدين وضياع العديد من المدن الرئيسة جاء ابن الأحمر وهو أبو عبدالله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي، وكانت دعوته للم الشمل، فاجتمع عليه ثم كانت بيعته أميرًا لمملكة غرناطة(١).

وهذا مما يبين بأن بداية تاريخ الدعوة في مدريد كان قديمًا، ولوجود بعض الظروف الخاصة بهذه البلاد كان المسلمون أقلية فيها، وبعد نشأة المركز الإسلامي وإسهام بعض الدول في نشأته أظهر دوره المتميز بعد توارد الدعم المادي والمعنوي الذي ساعد في نشر الإسلام بصورته الحقيقية.

الإسلامي وحتى سقوط غرناطة)، ص٣١٦.

(١) انظر: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، محمد عبدالله عنان، ص٤.

المطلب الثالث

تاريخ بداية الدعوة للإسلام في برلين

بدأت الدعوة في برلين قبل ما يقارب ٢٠٠ سنة حينما كانت هناك لقاءات بين المسلمين والمسيحيين، وكان المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا يقوم بتنظيم الدعوة وخصوصًا في برلين، وفي الحروب الصليبية التي اشترك فيها الألمان كان يوجد اتصال دبلوماسي بين ملوك الأندلس والألمان، ودرس (مارتن لوثر) القرآن برغم التراجم المحرفة و تأثر (غوته) بتعاليم الإسلام، وبدأ الاستشراق بما بذله (يعقوب كريستمان) من تعلم اللغة العربية وألف كتبًا فيها وافتتح كرسي لها في جامعة (هيدلبرج) سنة ٩٩٩هـ/١٥٩٠م)، وازداد عدد المستشرقين ولم تجتمع الجماهير الألمانية بالجماهير المسلمة إلا إبان الحرب العالمية الأولى عندما تحالف الألمان مع الأتراك العثمانيين وتغيرت فكرة الألمان عن الإسلام، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى أطلق سراح بعض الأسرى المسلمين ففضل الكثير منهم العيش في ألمانيا، كما توافد على ألمانيا عدد من التجار والعمال المسلمين، وأخذ عدد قليل من الألمان يعتنقون الإسلام، وبعد الحرب العالمية الثانية قدمت من شرق أوروبا موجة من اللاجئين المسلمين، وهرب جنود مسلمين من الجيش السوفيتي إلى ألمانيا، كما هاجر العديد من الأتراك من الاتحاد السوفيتي إلى ألمانيا الغربية، وهاجر إلى ألمانيا العمال الأتراك والمغاربة واليوغسلافيون، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الطلاب المسلمين الذين يدرسون في الجامعات الألمانية، ويقدر عدد المسلمين في ألمانيا بأكثر من ٣ ملايين مسلم، وينتشر المسلمون بالمناطق الصناعية وفي منطقة برلين، وأخن، وهانوفر وفرانكفورت وميونخ ونورنبرغ وهامبورغ ويشكل عدد المسلمين ٣٪ من سكان ألمانيا[١].

ويوجد في ألمانيا حوالي ٤٠٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، وعشرات من المراكز الإسلامية، التي توجد في معظم الدول الألمانية التي تهدف إلى توثيق الأخوة الإسلامية

---

(١) انظر: الإسلام والمسلمون في ألمانيا، سيد عبدالمجيد أبكر، ص١١.

وتزويد المسلمين بالكتب الإسلامية، وفتح المدارس الإسلامية، وترجمة أمهات الكتب الإسلامية إلى الألمانية وإصدار الدوريات الإسلامية والحفاظ على الهوية الإسلامية.

كما يوجد في ألمانيا أكثر من ٣٠٠ مسجد منتشرة في المدن الألمانية الكبرى، ويتلقى المسلمون تعليمهم الإسلامي في بعض المدارس الملحقة بالمساجد أو المراكز الإسلامية أيام العطلات، وبلغة الجالية التي شيدت المسجد أو المركز، وهي غير كافية وينقصها توحيد البرامج الدراسية (١).

وهذا مما يبين بأن تاريخ الدعوة في برلين قديم، ولكن لقلة المسلمين وقلة الداعمين ولعدم وجود من يتولى زمام الدعوة ولوجود الحروب الصليبية ولقلة المساجد كان انتشار الإسلام قليلا، ولما ازداد عدد المسلمين وجاء من يتولى شؤونهم ونشأ المركز الإسلامي وتواردت عليهم الأيادي النشطة من الدعاة أصبح المركز له شهودٌ عظيم في نشر الإسلام، وتبليغ رسالة النبي ﷺ.

---

(١) حصل الباحث على هذه المعلومات من التقرير الذي تم إعداده في المركز الإسلامي بألمانيا، ص١٣.

المبحث الثالث

أبرز القضايا الدعوية في المراكز الإسلامية

المطلب الأول

إثبات توحيد الألوهية

تظهر الديانات في تلك البلدان محل الدارسة بأن الغالبية منهم يعتنق المسيحية، التي كانت سابقا ديانة سماوية منزلة من عند الله ﷻ، ولكن لما دخلها التحريف والتبديل وجاء الإسلام ناسخًا لها، رغم أن الإله عندهم الأقانيم الثلاثة هو الأب والابن وروح القدس، كما يقرون بأن الإله عندهم ذات تجردت من الصفات البشرية، كالحب والرضا والغضب والكراهية والسخط وما أشبه ذلك، فما دامت الآلهة متصفة بهذه الصفات فلا يجوز أن تكون آلهة، لأنها لم تتخلص من الشهوات والرغبات والذي لم يتخلص من الشهوات والرغبات كيف يكون إلهًا [1].

ومما يلاحظ في هذا التصور السخيف أنه شبيه إلى حد بعيد بما تتصوره بعض الفرق الإسلامية الضالة كالجهمية والمعتزلة وغيرهما في قضية الصفات الإلهية، حيث نفوا جميع الصفات الذاتية لله ﷻ بحجة أنها تشبه صفات المخلوقين، ولم يدركوا أن الله ﷻ لا يماثله شيء لا في ذاته وأفعاله ولا في أسمائه وصفاته، وكل ما ثبت له من صفات فهو على ما يليق بجلاله ﷻ، لا يدل ذلك على نقصه بل يدل على كماله ﷻ، لأن صفاته ﷻ صفات كمال مختصة به، لا يشاركه فيها غيره، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]. وكثير من القساوسة ينكرون وجود إشارة إلى رسول الله محمد ﷺ في الكتاب المقدس، رغم أن الله ﷻ أثبت ذلك وهو أصدق القائلين، وأكد على أن

---

(١) تم أخذ الإجابة من الدعاة العاملين في ميدان الدعوة في تلك المراكز الإسلامية.

(٢) سورة الشورى، ١١.

أهل الكتاب يعلمون جيدًا أن محمدًا ﷺ هو النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، وأن الذي جاء به من ربه (القرآن الكريم) هو الحق ولكن أهل الكتاب يغالطون، ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بالتوراة إلى بني إسرائيل، وجاء المسيح عيسى عليه السلام معترفًا ومقرًا بها [1].

فنبوة محمد ﷺ موجودة في التوراة والإنجيل، وهذا ما أكده الله سبحانه وتعالى، بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[3]، وهذا يثبت بأن تلك الأوصاف باقية وإلا لما أمكنهم أن يعرفوه كما يعرفون أبناءهم، فهو إذن مكتوب عندهم، غير أن اليهود والنصارى حرفوا النصوص الدالة على نبوته ﷺ.

ولذا سعت تلك المراكز الإسلامية بالدعوة إلى التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ وفق المنهج الشرعي الصحيح، وسعت إلى بيانه للناس بكل وسيلة وأسلوب وبشتى الطرق المقنعة، وقد أثبتت التقارير التي أعدها الدعاة في المراكز الإسلامية توافد عدد كبير في الدخول في الإسلام مما يدل على قناعتهم بهذا الدين الخاتم لوضوح شعائره وأركانه ومبادئه

---

(١) انظر: النصرانية في ميزان العقل والإسلام، محمد سليم الفاضلي، ص١٦.

(٢) سورة البقرة: ١٤٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧

التي جاءت من لدن حكيم خبير، والتي لا يتطرق إليها التحريف والتبديل، والتي ليست من صنع البشر، وهذا يظهر جليًا حين يستمعون لكلام الله ﷻ في القرآن الكريم، فإنه يطرق القلوب والأسماع، وتشرئب له النفوس مما يجعل الاستجابة أقرب، واعتناق الإسلام والانتماء إليه أولى، فالعقيدة بوجوده تعالى ﷻ لازمة من لوازم المعنى الإنساني وضرورة عقلية للإنسان في تفسير وجود هذا العالم، إذ بدون هذه العقيدة يظل السؤال الذي آثاره القرآن يحير القلوب والألباب، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾(١).

إذن لا بد من إثبات السبب الحقيقي الأول الذي ليس قبله شيء، والذي يتصف بأنه الخالق والمدبر ﷻ للأشياء، وأنه العليم الحكيم المريد المختار القادر على كل شيء ﷻ، وإن كل خصائص الكائنات وجميع سنن الكون ونواميسه وقوانينه ليست إلا مخلوقه مقدرة والله ﷻ مسيطر عليها وليس جزءًا منها وليس هو سبب من جملة الأسباب أو علة من العلل، فالأسباب والعلل والقوانين والنواميس كلها مخلوقة خاضعة فهي من خلقه وتقديره سبحانه وتعالى (٢)، قال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(٣). وعلى هذا فإن أمر إثبات توحيد الألوهية ينشأ عليه الطفل منذ ولادته إلى أن يكبر، إلا أنه بسبب تأثير ما عليه الوالدين من الديانة الفاسدة تكون النشأة، ولذا كانت الديانة المنتشرة في تلك البلدان هي النصرانية مما اضطر أن يتضاعف الجهد في المراكز الإسلامية في نشر الإسلام بجميع الوسائل حتى يدخل الناس في دين الله ﷻ أفواجًا.

---

(١) سورة الطور: ٣٥ – ٣٦.

(٢) انظر: النصرانية في ميزان العقل والإسلام، محمد سليم الفاضلي ص١٦٢-١٧٣بتصرف.

(٣) سورة الفرقان: ٢.

المطلب الثاني

قصور الديانات الأخرى عن الوفاء بالحاجات الإنسانية

مما لا شك فيه أن جميع الديانات غير الإسلام ينتابها القصور وعدم الكمال في كل شيء، وإن أظهرت بعض الآداب ومكارم الأخلاق وبعض الصفات الحميدة التي تعد من ذخائر الإنسـانية في هذه الحياة بأوامرها ونواهيها، غير إنها لم تسـتوف ما يجب أن يكون فيها من شـرائع وقوانين لضـمان العدل والأمن بين الناس، وذلك لوجود النقص الكبير؛ لأن الأصـل يكمل في الدين ولذا أثبت الله ﷻ ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[(١)].

ولذا نجد أن مجتمعات العصر الحديث كالمجتمعات السابقة الساذجة التي جعلت كل مجتمع مقصورًا على نفسه، ولم تكن فيها مصالح الأمم متشابكة، ولهذا لا تصلح الديانات السابقة لأن تكون دين الإنسانية شريعة وعقيده؛ لأنها خالية من وجود إله حق، وشريعتها مقصورة على آداب وأخلاق لا تتسع للمعاملات وغيرها [(٢)].

كما أن أكثر أهل الديانات المحرفة لا يعرفون من أصل ديانتهم إلا الاسم فقط، وهم يعتقدون أنها هي العقيدة الصحيحة، وليست عقيدة تدعوا إلى الإيمان بالله، ولهذا فإنهم يقبلون أي دعوة إلى أي دين إذا ظهر لهم صوابه وصحته، وقد آمن عدد كبير منهم واتبع الإسلام بعد أن عرف حقيقة الإسلام وأدرك في عقله أن الموجد لهذا الكون هو الله ﷻ، وسرعان ما يتقبلون دين الله الإسلام بعد عرضه عليهم وقناعتهم به [(٣)].

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) أصلح الأديان للإنسان عقيدة وشريعة، عبد الغفور عطار، ص٤٢.

(٣) مجلة الفاروق الصادرة عن الجامعة الفاروقية بكراتشي، باكستان العدد التاسع (رجب، شعبان، رمضان) ١٤٠٧هـ، ص٤٥.

إن الإنسان في هذه الحياة يطلب السعادة بالمعنى المناسب له، وهو شعور النفس بالرضا والبهجة ،والإنسان يصل إليه من طريق قبول الحياة والاجتهاد في تشكيلها بحسب معايير فكره ومطالب شعوره وواقع حياته، وهو يحاول أن يفهم الآلام ويتغلب عليها بالفهم والصبر والمعالجة الحكيمة، مع الإيمان بمعنى هذه الحياة والحكمة من كل ما فيها ،وقد نتج عن ذلك الشعور فراغ في نفوس المثقفين في هذه البلدان، وتحاول المسيحية جاهدة أن تملأ هذا الفراغ وأن تجذب لها هؤلاء المترددين على الكنائس، وفي سبيل ذلك تتبنى المسيحية بعض الطقوس المنحرفة والاحتفالات حتى تتقرب أكثر من الشباب، وحتى لا تبدو لهم شديدة البعد عما ألفوه، وما شاهدوا عليه أهليهم وذويهم، ومما يساعد المسيحية في نضالها هذا ما تغدقه دول الغرب على مراكز التبشير بالمسيحية من مال ومعدات ونفوذ(١) .

ولذا فإن حاجة البشرية إلى الدين لإسلامي الصحيح هي فوق كل حاجة؛ لأن فيها السعادة في الدارين؛ بل أن الحاجة أعظم من كل شيء، وهو مطلب كل من يعتنق الإسلام فهو دين حياة يعيش فيه المسلم مكرم ومنعم وسعيد، وهذا ما تبذله تلك المراكز الإسلامية في جل عملها وبرامجها وأنشطتها.

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، ص١٨٦-١٨٧ بتصرف.

المطلب الثالث

إثبات بطلان الديانات الأخرى

إن أي دعوة غير الإسلام باطلة، ومهما ظهرت تلك الديانات في صورة الثوب الجديد، وأنها الحق فهي باطلة لعدم وجود ما يثبت وجودها، وإن أظهر المثقفون في كتبهم بأنها من المعارف، ورموها بأنها دين واتهموها بأنها أخلاق فهي في حقيقتها غثاء مهما سعوا أيضا لترجمتها في كتاباتهم التي أخذوها من الكتب الإنجليزية فليس الفكر الأوروبي هو مقياس المعارف، ولا سيما بعد أن نقلت بمنتهى الأمانة ما كتبه علماء هذه النحلة فهي نظرة صاحب النحلة ذاتها وليست نظرة كاتب ولا باحث وشتان ما بين باحث يفهم ويستنتج وعالم متخصص في نحلته يقدمها بعقله ومشاعره وتصوراته ودليله، إن النقل عن أصحاب الديانة أولى علميًا وأوثق من النقل عن علماء أوروبا أولئك الذين تغطرسوا فجعلوا عقلهم هو ميزان المعارف، وصدَّقهم بعض الذين عشقوا أوروبا البارقة، إن العالم الإسلامي لا ينبغي له أن يتجرد عن دينه وهو ينظر في مسائل مقارنة الأديان؛ لأن العالم الأوروبي نفسه الذي يدعي حيدة العلم لا يفعل هذا بل إنه يجعل عقيدته هي أساس التقويم للأمور العقدية، فإذا ما أضيف إلى هذا أن العالم الإسلامي صار لديه المصدر الأول لأي دين أو نحلة أو ملة صار من الحتم عليه علميا أن يجعل أفكار أوروبا خلف الظهر، فهي ليست مصادر أصلية أو حتى ثانوية؛ بل هي أهواء يلبسونها ثوب العلم وهم أدعياء كذبة يلبسون الباطل بالحق(١).

ولذا كانت جهود تلك المراكز الإسلامية ظاهرة في اثبات الحق والدعوة إليه، حيث أصبحت تلك المنابر تبين الحق بدليله وتوضح الأصول الشرعية بمعانيها وتبرز جهود الإسلام بشتى صوره، ورغم قلة الإمكانيات إلا أنها تعمل بكل طاقاتها لنشر الدين الصحيح، وتسعى جاهدة من أجل إخراج الناس من الظلمات الى النور.

---

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، ص١٨٨.

المبحث الرابع

معوقات الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية

هناك عوائق كثيرة تواجه المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين، وتأتي في مقدمتها من المعوقات التي أطلع عليها الباحث من خلال زيارته لتلك الدول ما يلي:

١. التشتت وعدم وحدة الصف: إن السمة الغالبة عليهم هي الفرقة وغياب الموقف الواحد في كثير من القضايا حتى في المناسبات الدينية، مثل الاختلاف في صوم رمضان وعيد الفطر وما شابه ذلك.

٢. التمييز العنصري والديني اللذان يتسببان كذلك في إيجاد مشكلات معقدة وخطيرة، أهمها قلة التعليم والفقر نظرًا لارتفاع معدل العطالة بين أبناء المسلمين والعمل بأجور متدنية، وأدت هذه المشكلات المستعصية إلى ظهور ظروف معاناة بالغة التعقيد ثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا. ففي مجال التعليم تعد الجالية المسلمة في أسفل السلم لعدة اعتبارات منها جهل الكبار والجيل الأول وعدم اهتمامهم بتعليم أبنائهم والعناية بهم، وأيضًا عدم دعم الحكومات للمدارس الإسلامية حيث لم تستفيد من الدعم الحكومي إلا القليل منهم، وهذا يرجع لسياسة التمييز التي ذكرناها آنفًا، خاصة إذا ما قارناهم بالمهاجرين الآخرين من نفس البلدان كالسيخ والهندوس، ووجود بعض الجاليات العربية الذين فاقوا المسلمين بكثير وعلموا أبناءهم.

٣. يواجه المسلمون كذلك مشكلات كثيرة في مجالات الأسرة والزواج والطلاق والميراث؛ نظرًا لعدم وجود قانون للأحوال الشخصية، ويعانون كذلك من عدم وجود مقابر منفصلة خاصة بهم؛ بل يخصص لهم جانب في المقابر العامة، لذلك يقوم المسلمون بشراء أرض لجعلها مقابر لموتاهم

المسلمين، وبعضهم يفضلون إرسال موتاهم إلى بلدانهم المسلمة التي هاجروا منها.

٤. إيذاء مشاعر المسلمين والسخرية منهم وخصوصا في أداء العبادات.
٥. قيام المنصرين في تحريض الحكومات على الجالية الإسلامية بأنهم مصدر إزعاج لهم.
٦. قلة الموارد المالية التي تعد من الأسباب المهمة والمعوقات في المراكز الإسلامية مما يقلل من النشاط الدعوي في تلك المراكز الإسلامية.
٧. قلة الكوادر البشرية التي تغطي جميع الاحتياجات في المراكز الإسلامية، وسبب ذلك قلة الموارد المالية.
٨. قلة الترجمة لبعض الكتب التي توضح مبادئ الإسلام وشعائره في تلك البلدان (١).

ومهما وجدت هذه المعوقات في تلك المراكز الإسلامية إلا أن الدعاة إلى الله ﷻ يبذلون ما في وسعهم في تجاوز هذه المعوقات بكل ما لديهم من قدرات مادية ومعنوية لنشر الإسلام بصورته الحقيقية.

---

(١) اقتبس الباحث هذه المعوقات من خلال زيارته وتبادل الحديث مع الدعاة في تلك المراكز الإسلامية محل الدراسة.

المطلب الأول

جهود المنظمات المشبوهة في الصد عن الإسلام

إن نظرة المجتمعات الغربية عمومًا والقوى المعادية على وجه الخصوص تجاه الإسلام والمسلمين هي القلق والخوف من هذا الدين الذي بدأ يشكل بنظرهم خطرًا زاحفًا على أوروبا والغرب عامة مما يسمى Islamophobia ولا يزال هذا الشعور القلق والعدواني ينمو يوما بعد يوم ولاسيما بعد أحداث سبتمبر الأخيرة، ورغم أن السلطات الحكومية والرسمية في هذه البلدان لا تظهر هذا الشعور، بل على العكس تظهر وتصرح بتفهمها لحقيقة الإسلام ودور المسلمين الفاعل في هذه البلاد وحقوقهم، ولكن هناك من ينمي روح العداء هذه، ويتهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب، وينادي بطرد وإبعاد الأجانب من هذه البلاد وخاصة المسلمين منهم كالحزب القومي البريطاني الذي يؤجج روح هذا العداء ويستعدي السلطات وفئات المجتمع على المسلمين، ويحاول إثارة الكراهية ضدهم بكافة الوسائل والأساليب(١).

وفي حين نرى أن المؤسسات التبشيرية تكثف جهودها سعيًا لاستقطاب أصحاب الديانات غير الإسلام التي تعاني من افتقادها لإشباع الحاجات الضرورية للإنسان نرى ضعفًا من قبل المؤسسات الدعوية الإسلامية في هذا الجانب، يقول د. أحمد شلبي رئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة: (لقد رأيت أن المسيحية الأوربية قد درست هذا الوضع ورأيتها تضع الشباك لتصطاد هؤلاء ولتجذبهم إلى حوزتها؛ بل رأيتها مسيحية يمكن أن نسميها المسيحية وهي تتبنى بعض طقوس التي لا يحس الناس بالفارق الكبير بين الدين الذي ألفوه وبين الدين المسيحي الذي يدعون إليه ويجذبهم ويفتح لهم أبوابه، رأيت الدعاة يملؤون كل مكان، ورأيت الكنائس تنتشر ورأيت المستشفيات والمدارس المسيحية تجذب الناس، ورأيت ملايين النسخ من الإنجيل باللغات

---

(١) انظر: المرجع السابق، تقرير المركز الإسلامي، ص٨.

المحلية توزع مجانًا بنشاط كبير، ورأيت الصحف والمجلات والنشرات المسيحية معروضة هنا وهناك في وضع جذاب وقد كتب فوقها "خذ نسخة مجانًا"، وعلى العموم رأيت زحف المسيحية على هذه البقاع لتأخذ مكان كل بلد أوربي، يا الله لقد هالني ذلك ولم يكن الوقت يتسع لي لأكافح لخدمة الإسلام ولم أكن مستعدًا لهذه الجولة الطويلة، وأقسم لقد انفرطت من عيني الدموع وأحسست أن عبئًا كبيرًا يوضع على عاتقي ولم أجد وسيلة للتخلص منه إلا بكتابة هذه السطور لألقي العبء على من يستطيع حمله وتدبير أمره[(١)].

ومهما بلغت جهود تلك المنظمات في الصد عن الإسلام إلا أن تلك المراكز الإسلامية قد أعدت العدة في تفنيد ومقاومة تلك الدعوات الباطلة الذي أظهرها الخصوم، وسعى في صدها المراكز الإسلامية بجميع الوسائل والأساليب.

---

(١) المرجع السابق، مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، ص ١٩٤-١٩٥.

المطلب الثاني

حملات التشويه لدين الإسلام

إن انتشار الفرق الباطلة وقوة دعوتها التي يظنها كثير من المسلمين وغير المسلمين أنها تمثل الإسلام الصحيح ويقعون في حبائلها، وتتمثل قوة حلات التشويه في هذه البلدان من خلال مؤسساتهم الكبيرة ذات الامكانات الهائلة التي تجذب إليها الناس، ومن خلال قنواتهم الفضائية التي يبثون من خلالها برامجهم على الهواء بعدة لغات عالمية من محطة إرسال على مدى ثلاث ساعات يوميًا عبر أربعة أقمار صناعية، وتوجه بصفة خاصة إلى الجمهور، وهذه البرامج تسبب أضرارا بالغة لتعاليم الإسلام الحقيقية والدعوة الإسلامية.

وكما تعمل وسائل الإعلام المملوكة والمهيمن عليها من القوى المعادية للإسلام والمسلمين على تعزيز هذا العداء وهذه الكراهية، ولقد غرست النصرانية بذورها في صفوف المؤسسات، كما تحمل في طياتها الكراهية والحقد على الإسلام، وتنفث بكل ما تستطيع من قوة سموم الشكوك ضد الدين الإسلامي الحنيف، وأهم الشكوك ما يلي:

١. إن الإسلام دين محمد لا صلة له بالإله الحقيقي للنصارى.
٢. إن الإسلام أباح للرجال تعدد الزوجات.
٣. لبس المرأة السواد وحجبها عن حقها في الحياة.
٤. الإسلام عدو اليهودية والنصرانية [١].

ورغم قوة الحملات التشويهية ضد الدين الإسلامي إلا أننا نجد بسبب حسن تعامل المسلمين وتعاطفهم مع غير المسلمين، وشرح وبيان حقيقة الدين الإسلامي، نجد أنهم يتوافدون على الإسلام وأهله بالسؤال عن حقيقة هذا الدين، والاطلاع والقراءة عنه مما جعل الكثير من أعداء الإسلام يعرفوا حقيقة هذا الدين، وأنه منزل من عند الله ﷻ، وأن

---

(١) انظر: المرجع السابق، رابطة العالم الاسلامي، ص٧١.

محمدًا ﷺ مرسل من عند الله ﷻ، ختم به الرسالات، وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وهذه هي حقيقة الإسلام أنه دين حياة ودين سلوك ودين حضارة.

المطلب الثالث

قلة الإمكانات المادية والبشرية

لا شك أن هناك تسابقًا محمومًا بين المؤسسات الإسلامية والمنظمات التنصيرية في الدعوة إلا أنه لا يوجد أي تكافؤ في جانب الإمكانات المادية، ومن الضروري التأكيد على توفير الكوادر الدعوية المؤهلة للتعامل مع المتغيرات على الساحة الدعوية لا سيما خارج ديار الإسلام وفي بلاد الأقليات والدول المغيبة عن الإسلام، فمسألة التدريب وتنمية الخبرات والمهارات وغير ذلك من متطلبات الدعوة تحتاج إلى تمويل سخي وكافي للمؤسسات من أجل إعداد الدعاة وتدريبهم، وهذه مسالة هامة للغاية وتشغل بال المهتمين بقضايا الدعاة وشؤونهم، فعلى سبيل المثال: ضرورة إيفاد الدعاة المؤهلين إلى مناطق مختلفة من أنحاء العالم التي يحتاج الناس فيها إلى معرفة الإسلام أو إلى تصحيح مفاهيمهم الخاطئة عن الإسلام أو دفع بعض الشبهات التي يثيرها خصوم الإسلام.

وبسبب قلة الإمكانيات المادية والبشرية ظهرت الكثير من المشكلات وخصوصا في التعليم؛ لأن التعليم أيضًا يحتاج الى مبالغ مادية، كما برزت أيضا مشكلات أخرى، أهمها الفقر والعطالة وإقصاء المسلم من الوظائف القيادية والمناصب الكبيرة في الدولة، ويعيش كثير من المسلمين في أفقر أحياء تلك البلدان، وتسببت هذه الظروف في ارتفاع مستوى الجريمة، إلا أن بعض تلك الحكومات تستنجد ببعض تلك المراكز الإسلامية في إقامة بعض الدورات التدريبية، من أجل توعية من يتم القبض عليهم في تلك الجرائم [(١)].

إن الدعوة في ديار غير المسلمين وخصوصًا ما تقوم به المراكز الإسلامية في البلدان محل الدراسة بحاجة إلى توفير وسائل حديثة من جنس الوسائل الموجودة في تلك المناطق وإلا أصبحت الدعوة عاجزة عن مواكبة ما لدى خصوم الإسلام من وسائل، فضلا عن

---

(١) انظر: المرجع السابق، تقرير المركز الإسلامي د.أحمد الدبيان، ص١٢.

ضرورة وجود دعم لتلك المراكز الإسلامية تشتمل على كوادر ووسائل وتقنيات تساعد على تفعيل العملية الدعوية، ومن المؤكد أن مسألة تمويل مشاريع الدعوة من العقبات الكبرى التي تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية، فما أكثر الحقول الخالية من الدعاة إلى الله ﷻ، نظرًا للنفقات الباهظة التي تحتاجها عملية إيفاد الدعاة إلى تلك المناطق، حيث وأن الناس في تلك الأماكن الخالية من الدعاة بحاجة إلى التعرف على الإسلام لإنقاذهم من الظلمات إلى النور[1].

ولذا فإن المسؤولية تقع على عاتق المسلمين أفرادًا وجماعات وحكومات، فيجب تخصيص موارد مالية ثابتة للإنفاق على الدعاة وكفالتهم، وينبغي أن تتضافر جهود المحسنين من المسلمين والمؤسسات الخيرية الإسلامية في تبني مشاريع تخدم التخطيط الدعوي في تلك المناطق التي تحتاج إلى الدعاة خارج ديار الإسلام في تلك المراكز الإسلامية وغيرها.

(١) تم الحصول على هذه المعلومات من بعض الدعاة في تلك المراكز الإسلامية.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على ما يسر وأعان، وله الشكر والثناء على إنجاز هذا البحث حتى وصل إلى نهايته، حيث أخذ البحث جهدًا كبيرًا في التنقل بين المراكز الإسلامية في تلك البلدان محل الدراسة، ومقابلة بعض المسؤولين والدعاة في تلك المراكز حتى خرج هذا البحث بهذه الصورة، فما كان فيه من صواب فمن الله ﷻ وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان واستغفر الله ﷻ، ويحسن في نهاية هذا البحث تقديم شيئًا من النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:

أولًا: النتائج:

١. أظهرت هذه الدراسة أن قيادات المراكز الإسلامية لهم جهود دعوية في نشر الدعوة.
٢. بينت الدراسة أن المملكة العربية السعودية لها جهود بارزة في دعم المراكز الإسلامية ماديًا ومعنويًا.
٣. بينت الدراسة أن الدعاة إلى الله ﷻ في المراكز الإسلامية يبذلون جميع أنواع الطرق والأساليب لنشر الدعوة.
٤. بينت الدراسة وجود جهود مباركة وتنسيق وتعاون ملموس بين العاملين لخدمة الدعوة الإسلامية في تلك المراكز وبين الحكومات والشعوب.
٥. بينت الدراسة وجود عدد من الديانات في بريطانيا ومدريد وبرلين التي زارها الباحث وهي تمثل غالبية الشعوب، كما يوجد عدد من الطوائف التي تنتسب للإسلام مثل: (الصوفية والشيعة).
٦. بينت الدراسة بأن موضوعات الدعوة في بريطانيا ومدريد وبرلين محل الدراسة تدور حول (العقيدة والشريعة والأخلاق).

٧. بينت الدراسة أن ميادين الدعوة في المراكز الإسلامية تكون غالباً في المساجد أو المستشفيات أو المؤسسات التعليمية أو السجون أو الساحات العامة.

٨. بينت الدراسة أن الموارد المالية في بريطانيا ومدريد وبرلين محل الدراسة لا تغطي مشاريع الدعوة، ولذا يحتاجون الى الدعم المادي والمعنوي لكي يقومون بالدعوة خير قيام.

٩. بينت الدراسة أن المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين تعمل وفق ما لديها من إمكانيات، وقدرات مادية وبشرية.

ثانيًا: التوصيات:

١. يوصي الباحث المنتمين لهذه المؤسسات والمراكز والمنظمات رؤساء ومرؤوسين أن يتقوا الله ﷻ في أنفسهم وفي المسلمين، وأن يتركوا كل ما يسبب الفرقة بينهم، وأن يعتصموا بحبل الله ﷻ ويتعاونوا في كل ما فيه مصلحة للدعوة وأهلها.

٢. يوصي الباحث إلى ضرورة عقد الاجتماعات والدورات التدريبية للقائمين على المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين، وتبادل الخبرات والتجارب ودراسة المشاكل المستجدة التي تعترض مسيرة الدعوة، ووضع العلاج المناسب لها.

٣. يوصي الباحث بالاهتمام بالدراسة والتخطيط لكل عمل دعوي يتنوع فيه أساليب الخطاب لفئات المجتمع، والبعد عن الارتجال، وأن تستثمر كل الإمكانيات، وتوزع المسؤوليات وتحفز الهمم فيما يخص الدعوة.

٤. يوصي الباحث على توطين العلاقة بين الدعاة في المراكز الإسلامية، فتكون علاقة حب وإخاء وتعاون وتكامل، ولا يعمل كل مركز لهدم الآخر أو اتهامه.

٥. يوصي الباحث بضرورة تطوير وتحديث أساليب الدعوة، وخاصة في الجانب الإعلامي سواء كان صحيفة أو إذاعة أو تلفزيون أو وسائل الاتصال الحديثة.

٦. ضرورة دعم تلك المراكز دعمًا ماديًا ومعنويًا حتى تؤدي دورها على أكمل وجه.

٧. يوصي الباحث على زيادة البرامج الدعوية التي تستهدف غير المسلمين وخصوصًا عبر الشبكة العنكبوتية.

٨. يوصي الباحث قيادة المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين على أن يقوموا بتكوين هيئة عليا تقوم بالإشراف والتنسيق بين الدعاة في المراكز الإسلامية، وتدرس أوجه التحديات التي تواجههم في الوقت الحاضر.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله ﷻ أن ينفعني فيما كتبت وبينت وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أحمد ديدات بين القاديانية والإسلام، يوسف العاصي الطويل، ط١-٢٠٠٢م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٢. الأديان القديمة في الشرق مع ترجمة لكتاب البوذية، د. رؤوف شلبي، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٩٨م دار الشروق، القاهرة.

٣. الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، أ. د. صالح بن غانم السدلان، دار بلنسية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٤. البحث عن منفذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات، فالح مهدي، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة.

٥. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، د.عبدالرحمن الحجي، دار القلم، دمشق ط٧، ١٤٣١هـ.

٦. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل السامرائي، ود. عبد الواحد طه، د. ناطق مصلوب، الناشر دار الكتب الجديدة، ط١، ٢٠٠٠م.

٧. تقرير مختصر عن جهود المركز الثقافي الإسلامي في لندن، د. أحمد بن محمد الدبيان، عام ٢٠١٨، في ٧٩ صفحة.

٨. الجالية العربية في إسبانيا، عبد الواحد أكمير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٩. الدعوة إلى الإسلام في اليابان، رسالة الدكتوراه، د. أحمد بن علي الخليفي، كلية الدعوة والاعلام، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،١٤٢٧هـ.

١٠. الدعوة إلى الله، "خصائصها ومقوماتها ومناهجها"، د. أبو المجد نوفل، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مكتبة وهبة، القاهرة.

١١. الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد بن حامد آل عثمان الغامدي، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الطرفين، الطائف.

١٢. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، أ. د.عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠١٧.

١٣. الرعاية السعودية للأقليات الإسلامية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، د. زيد بن عمر العيص، النشر العلمي، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٢٢هـ.

١٤. الديانات القديمة، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٥. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د.عبدالرحمن بن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٦. العبادات في الأديان السماوية عبد الرزاق رحيم صلال الموحي، ط١، ٢٠٠١م، الناشر: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق.

١٧. فصول في أديان الهند (الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية) وعلاقة التصوف بها، د. محمد ضياء الرحمن الاعظمي، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.

١٨. فلسفة الهند القديمة (ثقافة الهند) محمد عبد السلام الرامبوري، ديسمبر ١٩٥٣م.

١٩. في أصول العقائد والأديان، سوسنة سليمان، طبع برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة في بيروت سنة ١٨٨٦م.

٢٠. لمحة تاريخية عن تأسيسية المركز الثقافي الإسلامي ومسجد لندن المركزي، د. أحمد بن محمد الدبيان، عام ٢٠١٣م، (تقرير في ١٣صفحة).

٢١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي طبعة ١٤١٢هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

٢٢. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٣. المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ط٣، ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٤. مقابلة أجراها الباحث مع د. أحمد بن محمد الدبيان رئيس المركز الثقافي الإسلامي في لندن في تاريخ ٢٠١٩/١٢/٥م.

٢٥. مقابلة أجراها الباحث مع د. عبدالصمد اليزيدي رئيس المركز الإسلامي في برلين، في تاريخ ١٣/ ١٢/ ٢٠١٩م.

٢٦. مقابلة أجراها الباحث مع د عبدالصمد رومرو، في المركز الإسلامي في مدريد، في تاريخ ١١/١٢/ ٢٠١٩م.

٢٧. مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى د. أحمد شلبي، ط٥، ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية.

٢٨. المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم، د. عبد المحسن بن سعد الداود، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، الهيئة العربية للكتاب، الرياض.

٢٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع الجهني، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٣٠. النبي الخاتم والدين الكامل ومالها من أهمية في تاريخ الأديان والملك، أبو الحسن الندوي، الناشر المجمع الاسلامي العلمي، الهند.

٣١. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تعليق: أبي عبد الرحمن صلاح محمد بن عويضة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

البحث رقم (٦)

مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين
"دراسة تحليلية"

إعداد

الأمير/ د. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية المعاصرة

بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

لا يحتاج المطِّلع على رسائل حسن البنا [1] خصوصا، وأعضاء جماعة الإخوان المسلمين عموما الكثير من ملاحظة ليتبين بها كيف ربطت الجماعة سلوكياتها وممارساتها عبر أكثر من تسعين عامًا من العمل السياسي بهدف أوحد أولا وأخيرا وهو الاستيلاء على الحكم والسلطة.

وربما ليس عيبا أن يسعى أي حزب أو حركة سياسية للوصول للسلطة وتبوء مراكز الحكم، إذا كان ذلك عبر القنوات السياسية المشروعة دونما عنف أو إرهاب، إنما المرفوض رفضا قاطعا هو ما اتبعته جماعة الإخوان المسلمين عبر تاريخها الطويل وهو تغطية أهدافها السياسية بغطاء ديني، ورفع شعارات إسلامية براقة مثل " الحكم بما أنزل الله"، " تطبيق الشريعة "، "الإسلام هو الحل"، وهي بلا شك كلمات حق أرادت بها جماعة الإخوان المسلمين باطلا، وهو: تطويع هذه المبادئ لتحقيق أهدافها السياسية والسلطوية البحتة.

الأخطر من ذلك بكثير هو تحريض حسن البنا وأعضاء جماعته أثناء حياته ومن بعده مرشدي الإخوان المختلفين على استخدام القوة، واللجوء لممارسة العنف لتحقيق

(١) هو: حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي، ولدفي المحمودية إحدى قرى مصر ١٩٠٦م وتوفي ١٩٤٩م، وأنهى الدراسة بكلية دار العلوم ١٩٢٧م، وعين مدرسا بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية وهناك التقى ستة من أصدقائه، هم حافظ عبد الحميد، احمد الحصري، فؤاد إبراهيم، عبد الرحمن حسب الله، إسماعيل عز، وزكي المغربي أسسوا معه جماعة الإخوان المسلمين، وكان مرشدها الأول، قتل سنة ١٩٤٩م أثناء خروجه من مقر جمعية الشبان المسلمين في يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩م، انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ص (١٤٣)، ط(١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

هدف الوصــول للســلطة وإقصــاء الغير، مما أدى لتخريب وتدمير مجتمعات إســلامية، واستحلال حرمات أهلها.

نســتطيع في هذا الصــدد أن نقرر أنه لم يحظ شــعار ديني من الشــعارات التي رفعتها الجماعات المتأسـلمة، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المســلمين بالمتاجرة من أجل الوصــول لســدة الحكم مثل شــعار (الخلافة الإســلامية)، حيث شــكّلت اســتعادة الخلافة محور ســياســات وخطابات حســن البنا طوال حقبة الثلاثينيات الميلادية، وبينما كانت مصــر تغلي بالنضـــال ضـــد الاحتلال البريطاني، كانت جُل مؤتمرات واجتماعات الإخوان المسلمين تنحرف بالقضية كلها نحو ضرورة التركيز على استعادة الخلافة الضائعة.

ونحن نرى بدورنا بطلان مثل هذه الدعاوى واعتبارها فقط ســبيلاً للوصــول لســدة الحكم، والسيطرة على مراكز اتخاذ القرار.

ولا شــطط من الزعم بكون الخلافة ليســت من أصــول الاعتقاد وفي ذلك يقول الجرجاني (١) رحمه الله: "إن الخلافة ليست من أصول الديانات والعقائد"(٢).

أما الإخوان المســلمون لم يكن الأمر عندهم كذلك بل اعتبروا الخلافة قضــية يوالون عليها ويعادون، وما تلك الممارســات التي اتســمت بالقتل في ميادين مصــر المختلفة إلا

(١) السيد علي بن محمد بن علي، عالم الشرق، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني. من أولاد محمد بن زيد الداعي، ولد سنة ٧٤٠هـــ، كان علامة مشهورا في الآفاق، ذكر الشوكاني مؤلفاته، وقال: كان مقريا مفتيا، أخذ عنه الأكابر، وهو والســعد التفتازاني حجتان في العلوم، عند علماء العجم ونبلاء الروم، وجرى بينهما مباحثات في مجلس تيمور الأعرج، ثم اختلف الناس في أن أيهما محق، وهذا الاختلاف دائر بين أهل العلم في جميع الأزمنة، ومال علماء الروم إلى ترجيح جانب الشـريف، وافتخر الناس بأخذ العلوم منه. توفي سنة ٨١٤، أو سنة ٨١٦ في شيراز. انظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، البخاري القِنَّوجي، ص (٣٩٦:٣٩٧)، ط (١)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

(٢) انظر: شرح المواقف، الشريف الجرجاني، (٣٧٦/٨)، ط (١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

دليلا دامغا على أنهم نهجوا نهج ســـابقيهم في عهود الدولة العثمانية أولئك الذين دافعوا عن الخلافة ظاهرا، وما أرادوا باطنا إلا الاستئثار بالحكم والتحكم في رقاب العباد.

أهمية البحث:

١-قلة الدراسات الأكاديمية الخاصة بتحليل شعار كان ولا يزال يمثل العمود الفقري في أدبيات جماعة الإخوان المسلمين وهو (شعار الخلافة)، على الرغم من اعتبارها واحدة من أهم القضايا الفكرية، والسياسية على مستوى العالم الإسلامي.

٢-إبراز أهم القضـــايا الســياســية المتصــلة بفكرة الخلافة في فكر وأدبيات جماعة الإخوان المسـلمين، مع توضيحها ومناقشـتها مناقشـة علمية متأصـلة، لكي يسـتفيد منها الباحثون المهتمون بالفكر الإسلامي.

أهداف البحث:

١-تســـليط الضـــوء على ظروف نشـــأة قضـــية الخلافة في ثقافة جماعة الإخوان المسلمين، عارضا أهم المراحل التاريخية التي صاحبت هذه القضية، مع طرح أهم المحطات التي مرت بها هذه النشأة.

٢-الكشف عن الفكر السياسي الدافع لتبني شعار الخلافة كواحدة من أهم قضايا جماعة الإخوان المسلمين الفكرية، مناقشا أهم القضايا المرتبطة بها.

أسئلة البحث:

١- هل كانت استعادة الخلافة هدفا أصيلا من أهداف جماعة الإخوان المسلمين؟

٢- هل كان طنين اســتعادة الخلافة واحدة من إفرازات الصـــراع بين القوى الإســـلامية المختلفة في مجتمعات المسلمين؟

٣- كيف كانت أحوال الأمة الإسـلامية عموما والعربية خصـوصـا مؤشـرا على أن فكرة استعادة الخلافة لم تكن إلا متاجرة مكشوفة من الداعين لذلك؟

منهج البحث:

أما المنهج المتبع في الدراسة، فهو منهج التحليل، إذ يهتم بتحليل ظروف وعوامل نشأة تيار الإسلام السياسي وتبنيه لفكرة استعادة الخلافة الإسلامية، والذي برز بقوة في فترة مبكرة من القرن العشرين.

كما يحلل الأسباب المختلفة التي كانت وراء هذا التوجه، والطرق التي تميزت بها هذه الظاهرة مع البحث التأصيلي لأسبابها المختلفة.

الدراسات السابقة:

لا شك أن الظاهرة محل الدراسة " مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين دراسة تحليلية " تناولتها مجموعة من الأبحاث والدراسات أسهمت في إثراء موضوع البحث بشكل علمي، لكني حرصت من خلال هذه الإسهام على تجنب أخطاء ما وقع فيه الآخرون، إضافة لإسهامي بجهد متواضع في تسليط الضوء على ظاهرة ينبغي الوقوف عليها وتحليلها كانت ولازالت تمثل إشكالية في مفهوم جماعات الإسلام السياسي عموما وجماعة الإخوان المسلمين خصوصا.

فتسليط الضوء على مفهوم الخلافة كشعار رفعته جميع جماعات الإسلام السياسي لتبرير سعيها الحثيث نحو السلطة والرياسة، وما أفرزته من صراعات سلطوية لاسيما ما وقع في البواكير لم يتناوله بحث أكاديمي مستقل، ولا دراسة علمية متكاملة، وكل ما تم أن الظاهرة تناولتها مؤلفات متعددة كجزء من مادة علمية متكاملة، أو دراسة تفصيلية عن جانب من جوانبها.

يأتي على رأس هذه المصنفات التي ركزت في جزء ليس بالصغير على الظاهرة محل الدراسة في وقت مبكر ما يلي:

م	عنوان الدراسة	المؤلف	نوع البحث	الطبع	الاتفاق	الاختلاف
(١)	حلف الشيطان الإخـــــوان المســـلمـين وتحالفاتهم (١)	أحمـــد البكري	مؤلف	٢٠١٨م	١-أسس حسن البنا عن طريق إثارة مشاعر الجماهير تجاه الخلافة الإسلامية إمبراطورية العنف والإرهاب التي عانت منها الأمة على مدى عقود متطاولة. ٢-مثل تنظير سيد قطب لفكرة الخلافة الإسلامية بذور التكفير والإرهاب التي اعتمدت عليها جميع طوائف الإسلاموفوبيا، وكانت البذور التي نبتت منها جميع أفكار التكفير التي أحرقت المجتمعات وهددت أمن العباد. ٣-لم تكن مهادنات جماعة الإخوان المسلمين لبعض الأنظمة إلا خطة كرّ وفرّ كما أكد على ذلك جميع المنظِّرين لفكر الجماعة وعلى رأسهم سيد قطب. ٤-لم يكن من أهداف جماعة الإخوان المسلمين نصرة الإسلام والمسلمين بقدر ما سعوا لتحقيق مصالحهم من وراء هذا الطرح على مدار العقود الماضية.	١-واحدة من الأحداث التاريخية المهمة التي لعب الإخوان على وترها في نشأتهم وتمددهم هي سقوط السلطنة العثمانية – المسماة في أدبياتهم الخلافة الإسلامية –. ٢-حرص حسن البنا والمنظرين من بعده وعلى رأسهم سيد قطب على تكريس فكرة استخدام العنف بداعي استعادة الخلافة الإسلامية والتمكين لفكر الإخوان المسلمين. ٣-اختلفت سياسة جماعة الإخوان المسلمين باختلاف سياسات الأنظمة القائمة رغبة منها في المداهنة و النفاق كسبيل أساسي في وجدان الجماعة من سبل الوصول للسلطة والتحكم في مراكز اتخاذ القرار . ٤-كانت العقيدة مطية الخطاب في كثير من الأحيان كما هو الحال لدى ممارسي الإسلام السياسي في الغالب الأعم.

(١) حلف الشيطان الإخوان المسلمين وتحالفاتهم، أحمد البكري، ط (١)،٢٠١٨م، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٢)	تحولات الإخوان المسلمين تفكك الأيديولوجية ونهاية التنظيم[1]	حسام تمام	مؤلف	٢٠١٠م	١-مثلت فكرة عودة الخلافة الإسلامية عقيدة في وجدان الإخوان المسلمين كان ولاؤهم وبراؤهم عليها باعتبارها ركنا من أركان الديانة. ٢-لم يغب فكر السلطة واعتلاء كرسي الحكم لحظة عن فكر الإخوان المسلمين من حسن البنا لنهاية عصر مبارك. ٣-سياسة التودد والاستمالة من جماعة الإخوان المسلمين تجاه الأنظمة القائمة – ظاهريا -لم تكن إلا ستارا لتحقيق الأغراض الوصولية لهذه الجماعة	١-تزييف الحقائق وستر الأهداف الحقيقية للجماعة منهجا أسس له حسن البنا ونظر له كل قيادات الإخوان المسلمين عبر العقود المتطاولة. ٢-تيار التجديد الذي قدمه الإخوان المسلمون في كثير من الفترات لاسيما عصر مبارك لم يكن إلا مهادنة أرادوا منها الوصول الناعم لسُدة الحكم وهو ما مكنت له ثورة يناير ٢٠١١م. ٣-انخدع المسلمون بسياسات الود الظاهر من جماعة الإخوان المسلمين، وانساقوا وراء مضامين لم تثمر إلا ما أراده المرشدون وكانت الخيبة أظهر ما جناه الإسلام بسبب سطحية التعامل مع المعطيات السياسية والمستجدات المجتمعية

من هنا جاء هذا البحث ليُسهم بدوره في إثراء حقل الأبحاث الأكاديمية متناولا ظاهرة كانت ومازالت قليلة الظهور حتى في المصنفات التي وضعت لتعالج جانب من الجوانب المتعلقة بنشأة تيار الإسلام السياسي، أو تتكلم عن تاريخها، أو حقبة فيها.

جاء البحث بمقدمة اشتملت على توطئة عامة لموضوع البحث، تبع المقدمة بيان أهمية البحث الذي يغوص في الظاهرة لكشف أبعادها، ثم أهداف البحث للتعرف على

(١) الإخوان المسلمين تفكك الأيديولوجية ونهاية التنظيم، حسام تمام، ط (٢)، ٢٠١٠م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

الأسـباب الحقيقة وراء تبني جماعة الإخوان المسـلمين لشـعار الخلافة، وتبع ذلك أسـئلة البحث التي سيتم ربطها بالنتائج بعد الانتهاء من البحث.

عناصر البحث

المبحث الأول: يتناول كيف كان شعار الخلافة الإسلامية واحدًا من أهم الشعارات التي رفعتها وتاجرت بها جماعة الإخوان المسلمين خصوصا، وجماعات الإسلام السياسي عموما.

المبحث الثاني: يتناول كيفية اقتراب جماعة الإخوان المسلمين من تحقيق ما سعوا إليه عبر تاريخهم الطويل وهو الوصول للسلطة، من خلال استغلال مفردات العمل السياسي التي أتاحتها لهم بعض الأنظمة وعلى رأسها نظام الرئيسين محمد أنور السادات والرئيس محمد حسني مبارك.

من هنا جاء هذا البحث ليُسهم بدوره في إثراء حقل الأبحاث الأكاديمية متناولا واحدة من أهم الظواهر التي وضعتها جماعات الإسلام السياسي على رأس قائمة الأهداف التي تدعو إليها، كسبا لمزيد من التأييد في الشارع الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى مساعدتها على الصعود مستغلة شعار لطالما كان له التأثير الأعظم في نفوس جماهير المسلمين.

المبحث الأول

الإخوان المسلمون والمتاجرة بشعار إحياء الخلافة الإسلامية

المطلب الأول:

السياق الاجتماعي لنشأة الجماعة وأثره في تبني فكرة عودة الخلافة:

كان حسن البنا واحدًا من كثير هالهم سقوط السلطنة العثمانية باعتبارها ممثلة الخلافة، من حيث كونها نوعًا من الحكم ينشأ ويزول ويتغير، وبين الإسلام كدين مطلق ثابت لا اعوجاج فيه ولا دين بعده، واختلط لديه الجزع لسقوط السلطنة بما بدا له خطرٌ يهدد الإسلام ويفرض العمل لإنقاذه.

وتداخل في ذهنه انقلاب كمال أتاتورك (١) على السلطنة العثمانية وانتشار ما اعتبره موجة إلحاد وعلمانية مضادة للدين، فكانت الخلافة – التي هي نظام حكم وليست مبدًا دينيا – في تصوره شعيرة إسلامية ينبغي على المسلمين التفكير فيها والاهتمام بأمرها (٢).

حدد حسن البنا مسار حركة جماعة الإخوان المسلمين على السلم التطوري، حيث ذهب المرشد الأول إلى أن الطريق للغاية البعيدة – استعادة الخلافة – يتم من خلال

---

(١) مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس لتركيا ومؤسس جمهورية تركيا ولد ١٨٨١/٥/١٩م في حي هاتونياكوجا قاسم باشا. التحق بمدرسة الرشدية المدنية العلمانية بسالونيك، ثم في ١٨٩٣م التحق بالرشدية العسكرية، ثم المدرسة الرهبانية الثانوية العسكرية. تخرج ١٩٠٥م برتبة رئيس أركان حرب مواصلا التعليم في الأكاديمية الحربية. كانت صلته بيهود الدونمة مثارة دومًا وقد اعترف توينبي أن دما يهوديا يسري في عروقه. اعتلى عرش الرئاسة ١٩٢٣/١٠/٢٩م وأحدث فظائع بعد ذلك حيث ألغى الخلافة وفرض العلمانية على نظام الدولة والغي الاحتفال بالعيدين، وألغى الآذان باللغة العربية، وأغلق المساجد، وسن قانون يجرم ارتداء الحجاب وواجه المخالفين بالحبس والنفي، وأغلق المساجد وغير ذلك من الفظائع. انظر: مصطفى كمال أتاتورك، أحمد صبري هيبة، ص (٩:١٨)، بدون طبعة، ٢٠١٤م، نشر جامعة بنها، الدقهلية.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون بين التاريخ والمستقبل كيف كانت الجماعة وكيف تكون، وحيد عبد المجيد، ص (١٣)، ط (١)، ٢٠١٠م، الأهرام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

غايات أخرى قصيرة تبدأ بدعوة الأفراد ثم الأسرة ثم المجتمع عند هذا الحد ستتحقق الغاية البعيدة [(١)].

ولتحقيق هذه الغايات القصيرة المدى والمتوسطة والبعيدة لابد من العمل على مراحل ثلاثة:

الأولى: التعريف بالفكرة واختيار الكوادر القادرة على تحويلها لواقع على الأرض.

الثانية: تكوين هيكل تنظيمي قوي، وإعداد الكوادر وتعبئة الموارد.

الثالثة: الجهاد لاستعادة الخلافة وبسط أستاذية الإسلام على العالم على حد تعبير حسن البنا [(٢)].

لطالما أكد حسن البنا في البداية أن هدف جماعته دعوى يتلخص في الرجوع للكتاب والسنة، وتطهير العقول من الخرافات والأوهام، وهي الأهداف التي لا تختلف أبدًا عن أهداف أي جمعية خيرية، لكن حسن البنا يعود فيؤكد:" **أيها الإخوان أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزبا سياسيا، ولا هيئة موضوعية الأهداف محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد تسري في قلب هذه الأمة تنجيه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله** "[(٣)].

ما نود أن نؤكده هنا في خضم إثبات هيكلية هدف الخلافة لتحقيق مطامع منشودة منذ البداية أن الهدف السياسي لم يغب لحظة عن ذهن المرشد الأول، ونظرة سريعة على

---

(١) انظر: الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين، أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله، ص (١٧٧:١٩٨)، ط (١)،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٠)، ط (١)، ٢٠١٤م، دار وليد للطباعة والنشر، القاهرة.

(٣) انظر: حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين، رفعت السعيد، ص (٦٥)، ط (١)، ١٩٨٦م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

اللائحة التنظيمية لجماعة الإخوان نرى حقيقة ما أراده حسن البنا من العمل الحزبي، وخوض غمار السياسة.

فاللائحة الأولى الصادرة ١ جمادي الأولى ١٣٤٩هـ/٢٤/٩/١٩٣٠م

تنص بوضوح على أن:

المادة الأولى: الهيئة التي تم إنشائها تسمى " **جمعية الإخوان المسلمين**".

المادة الثانية: "**هذه الجمعية لا تتعرض للشؤون السياسية أيا كانت، ولا للخلافات الدينية**".

المادة الثالثة:" **تهدف الجمعية لإصلاح حال المسلمين في فروع حياتهم الخلقية والاجتماعية، من خلال الدفاع عن الإسلام في حدود القانون** ".

المادة الخامسة عشر:" **على الرئيس أن ينذر أي عضو يخرج على آداب الجمعية، وله أن يخرجه لغلق باب المناقشة، ولا يجوز للعضو التعرض للسياسة** ".

المادة الثانية والأربعون:" **لا يجوز تعديل أي شيء من هذا القانون إلا بموافقة ثلاثة أرباع مجلس الإدارة، ولا يجوز بحال من الأحوال تغيير المواد الثانية والثالثة والسادسة** "(١).

وهكذا لا نجد في اللائحة الأولى أية ذكر لمصطلح مرشد أو إمام وإنما رئيس مجلس إدارة، وأن الدفاع عن الإسلام يحكمه القانون، وأن العضو إذا تكلم في السياسة فلرئيس مجلس الإدارة طرده من الجلسة، وأن الجمعية نفسها لا تملك حق تغيير مادة الابتعاد عن السياسة.

---

(١) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ص (٩٥:٩٦)، ط (١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

في التعديل الصادر على هذه اللائحة في يناير ١٩٣٢م

يختفي مصطلح رئيس مجلس الإدارة ليحل محله مصطلح المرشد العام الذي له أن يختار نائبا يكون رئيسا للفرع [١].

وفي المادة الأولى يختفي مصطلح " **جمعية** " ليحل محلة مصطلح " **جماعة الإخوان المسلمين**" [٢].

وبينما كان في اللائحة الأولى ممنوعًا على العضو الكلام في السياسة أثناء الاجتماع وأنه يجوز للرئيس إخراج العضو؛ نجد التعديل قد نص في المادة السادسة عشر على: "**لا يعلو الصوت بالنقاش، ولا يقاطع المتكلم، ويتجنب الجدل والمراء وإطالة القول في غير فائدة، وتحترم رياسة الجلسة ويستمع لها ويستأذن منها** " [٣].

في التعديل الصادر على اللائحة ١٩٣٥م المقررة في ١٩٣٢م تقرر الآتي:

١- في المادة الأولى تم إحلال اسم " **هيئة الإخوان المسلمين** "محل " **جماعة الإخوان المسلمين**" [٤].

٢- المادة الثامنة والعشرون تقرر بكل وضوح إنشاء " **لجنة سياسية** " بل وتعتبرها من اللجان الأساسية بمكتب الإرشاد العام [٥].

---

(١) انظر: كلمة حق، عمر عبد الرحمن، ص (٣١)، ط (١)، ١٩٧٧م، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعه أمين عبد العزيز، ص (١٠٣).

(٣) انظر: حسن البنا الذي لا يعرفه أحد، حلمي النمنم، ص (٢٨)، ط (١)، ٢٠١١م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٤) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ص (١٠٦).

(٥) انظر: المرجع السابق ص (٣١٢).

٣-المادة الرابعة والثلاثون تنص بوضوح - فج - على أن: مهمة اللجنة السياسية " **دراسة التيارات السياسية العامة والخاصة في الداخل والخارج، ودراسة الحوادث السياسية الطارئة، وتحديد موقف الإخوان منها وتقديم المقترحات التي توجه لمكتب الإرشاد بهذا الخصوص** "(١).

إذا لم يكن الأمر في البداية إلا مناورة مرحلية، فبالنظر إلى ما تم تعديله في المرحلتين التاليتين لا يسعنا إلا القول بأن هدف العمل السياسي كان هدفا مرحليا، لاسيما وأن التغيير اللائحي تم في عهد المرشد الأول الذي كان مسؤولاً عن الموقف المبدئي الرافض للعمل السياسي، بل والخوض في الخلافات بكافة أشكالها، ومهاجمة العمل الحزبي كسبيل من سبل الوصول للحكم.

فالذي أعلن الرفض ابتداءً هو من قام بالتعديل انتهاءً، بما يعني أن النهاية كانت نصب العين منذ البداية، ولم يكن الرفض الابتدائي للفكرة إلا مرحلة اقتضتها الظروف والوقائع

لما لم يساعد الواقع حسن البنا في تحقيق المراد؛ بل وقضت مفردات الأمة الرازحة تحت الاحتلال من أقاصي الشرق لأقاصي الغرب ومن شمالها لجنوبها من جهة، ولهجمة الثقافة الغربية المتمثلة في التعليم الأجنبي، وانتشار القومية من جهة ثانية، وتناحر مراكز القوى في الأمة من جهة ثالثة على تبوء مركز الخليفة حيث تصارع ملوك الدول العربية والإسلامية فيما بينهم كل يزعم أنه الخليفة، حيث طلبها الملك حسين بن علي في فلسطين ١٩٢٤م لنفسه وبايعه عليها علماء فلسطين، كما طلبها لنفسه الملك فؤاد الأول في مصر في نفس العام، ونازعهم عليها ملك الأفغان أمان الله، وانقسم المسلمون واحتدمت معارك كلامية وفقهية حول مدى شرعية الخلافة، ونشط العلماء والسلفيون في مصر لعقد مؤتمر في ١٩٢٥م، لإعلان الملك فؤاد الأول خليفة للمسلمين وفشل فشلا ذريعا في تحقيق هدفه بسبب وقفة الزعماء السياسيين في مصر ضد دعوة خلط الدين

---

(١) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز ص (٣١٣).

بالسياسة وعلى رأسهم مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس وزراء مصر آنذاك، الذي أعلن إعجابه بمصطفى كمال أتاتورك الذي أنهى الخلافة في تركيا وصاغ بعبقريته تركيا الحديثة وهو الأمر الذي أغضب حسن البنا وهاجم بسببه موقف النحاس باشا هجوما ضاريا(١)، فلما وجد حسن البنا شكل الواقع حوله هكذا حرص على تأكيد استخدام القوة وترسيخ هذا الإرهاب في نفوس أتباعه.

وينبغي في هذا المقام التفريق بين دعوة الإسلام لاستخدام القوة – وهي دعوة حق – لرِفعة المسلمين وعزتهم وحمايتهم والدفاع عن بَيْضَتِهم في مواجهة أعدائهم –، وبين هذا الإرهاب الذي أدى لتخريب وحدة المسلمين وتمزيق صفوفهم، وتصفية حسابات سياسية ضيقة.

فإذا رفض المجتمع هذا الطرح وأبى أن يكون تابعا لأفكار الجماعة ومنهجها، فقد جاز لهم أن يدفعوا ذلك بما يروه حقا، والحق عندهم أن المعارض لهم ثائر ظالم، وبناءً عليه فإن الرد عليه أيا كان شكله مأذونا فيه، ولهم استخدام ما يرونه حقا للدفع والذَّب عن الحق الذي يعنون به أنفسهم ولا غير، ولا غرابة فهذا طرحهم وفي ذلك قال حسن البنا: "**فإن ثُرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم أنتم الثائرين الظالمين**"(٢).

وتراه يصرح بمنتهى التبجح بأن إمكانية الصدام قائمة وبقوة مع السلطات إذا لم تقبل دعوة الجماعة وتنصاع لتوجيهاتها " **لماذا لا أحمل هؤلاء القادة من المسلمين مسؤولية هذه التبعة – نصرة الدين في مواجهة التحلل والإباحية –، وأدعوهم في قوة إلى أن**

(١) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، (٢/٤٤:٤٧)، ط (٢)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، دار الحمامي للطباعة، الإسكندرية.

(٢) انظر: تنظير الإخوان المسلمون لأنفسهم بما سبق في مجلة المسلمون، العدد (٩)، السنة (١)، ١٩٥٢/٧م، ذي القعدة ١٣٧١هـ، مقال (ركائز دعوة الإسلام)، ص (٣٣).

يتكاتفوا على صد هذا التيار، فإن استجابوا فذاك وإلا كان لنا شأن آخر، وقد صح العزم على هذا وبدأت التنفيذ "[1].

بدأ هذا العزم المشار إليه بتهديد صريح مفاده أن الوقوف في وجه دعوتهم ما هو إلا إلقاء باليد للتهلكة، وأن دعوتهم ستسحق في طريقها كل معارض باغض رافض هكذا كان الخطاب: " **إن الحركة الإسلامية اليوم في مدها ولابد أن تبلغ الشاطئ، والذين يقفون في طريقها سوف يدفعهم مَوْجُهَا مع الزبد، أو تهوي بهم مواقفهم إلى القاع، وإن القوى التي تملكها الحركة اليوم قوى من شأنها أن تخط في التاريخ خطا جديدا غدًا أو بعد غدٍ** "[2].

لم يكن غريبًا بعد هذه النبرة أن نراهم يوطنون أنفسهم على مواجهات فعلية على أرض الواقع، ويعلنون صراحة أنه على أعضاء الجماعة مواجهة الحكام الطغاة والمقصود بالطغاة في منطقهم كل حاكم تسوِّل له نفسه الوقوف في وجه دعوة الإخوان المسلمين، أو أن تسول له نفسه الحيلولة دون انتشار الدعوة ومدها، فها هو حسن الهضيبي[3] يعلنها صريحة مدوّية: " **أيها الإخوان: إنَّ دعوة الإخوان المسلمين لم تعد دعوة محلية في حدود الوطن الصغير، وإنما غدت دعوة عالمية تشمل الإسلام العالمي بأسره، وتوقظ في المسلمين روح العزة، فهي اليوم عُنوان ابتعاث لا نوم بعده، وتحرر لا عبودية معه،**

---

(١) انظر: مجلة المسلمون، العدد (٢)، السنة (٢)، ١٩٥٢/١٢م، ربيع ثاني ١٣٧٢هـ، مقال (موجة الإلحاد والإباحية في مصر)، حسن البنا، ص (٣٧).

(٢) انظر: مجلة المسلمون، العدد (٤)، السنة (٣)، ١٩٥٤/٢م، جمادي الآخرة ١٣٧٣هـ، مقال (مع الحركة الإسلامية)، رئيس التحرير سعيد رمضان، افتتاحية المجلة.

(٣) هو حسن إسماعيل الهضيبي، من أعلام القضاة بمصر، والمرشد العام للإخوان المسلمين بعد حسن البنا. ولد ١٨٩١م في القليوبية بمصر، وتعلم القرآن بكتاب القرية والتحق بالأزهر، ثم تحول للدراسة المدنية حي التحق بالمدرسة الخديوية وحصل على شهادة التخرج ١٩١٥م. عمل بالمحاماة بعد التخرج، ثم بالقضاء بمدينة قنا ١٩٢٤م، وتنقل في عدة بلدان حتى استقر بالقاهرة، وارتقى لمرتبة مستشار ممتاز بمحكمة النقض العليا، لكنه استقال من القضاء بعد اختياره مرشدا عاما للإخوان المسلمين. توفي صباح يوم الخميس ١٩٧٣/١١/٨م. انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، (٢٣٣/١، ٢٤٣)، ط (٨)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار البشير، القاهرة.

وعلم لا جهل وراءه، ولم يعد من السـهل على أي طاغية أن يحول دون انتشـار هذه الروح وامتدادها "[1].

لقد أراد الإخوان المسلمون –ولا شك من الصدام المستمر مع الهيئات الحاكمة– إقامة كيان مواز في الدولة، وطرح أنفسهم كحل بديل إن لم يكن حلا رئيسيا.

كوَّن حسن البنا في سبيل ذلك النظام الخاص: وهو نظام كما جاء على لسان أحد قياداته:" **تنظيم سري داخل الجماعة مهمته الأولى والأخيرة التصفية الجسدية للخصوم وليست له أية مهام دعوية أو سياسية، وليس لعضو النظام الخاص إبداء الرأي أو الإفتاء أو مناقشة الأوامر التي تصدر له من المرشد مباشرة، وليس له الحق في البت في الأثر السياسي لأيٍّ من هذه الأعمال التي يطلبها المرشد، فهي أمور متروكة تمامًا لحكمة المرشد العام وفقهه** " [2].

كان هدف هذا النظام الأساسي توجيه ضربات موجعة لرموز المجتمع الجاهلي – مصطلح لطالما تم استخدامه في مؤلفات مُنظِّرهم الأول سيد قطب [3] – ولكل من يرون

---

(١) انظر: مجلة المسلمون، العدد (٨)، السنة (٢)، ١٩٥٣/٦م، شوال ١٣٧٢هـ، مقال (هذا القرآن)، حسن الهضيبي، ص (٤).

(٢) حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ، ص (٣٣)، ط (١)، ١٩٨٩م، دار الاعتصام، القاهرة.

(٣) سيد قطب بن إبراهيم: أديب مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط ١٩٠٦/١٠/٩م.
تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٩٣٤ م، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقبا فنيا للوزارة. أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا ١٩٤٨: ١٩٥١م ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية، وبني على هذا استقالته ١٩٥٣في العام الثاني للثورة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم ١٩٥٣: ١٩٥٤م وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب التكفيرية ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه ١٩٦٦/٨/٢٩م. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٤٧/٣: ١٤٨)، ط (١٥)، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.

أنه يعوق اســتكمال مرحلة التمكين لتحقيق الغايات، وقد كان لهم في ذلك أولوية وفقه خاص، كما قرر أحد قيادات هذا النظام حين قال: **"كانت حركات اضـطرارية لمواجهة عدوان وبأقل قدر ممكن من العنف، وبأكبر قدر مستطاع من تجنب الضحايا، وكل ذلك في إطار الالتزام الشرعي بفريضة الجهاد في سبيل الله"** (١).

لابد أن يكون الكادر الإخواني المختار للنظام الخاص كادرا متميزا عقليا وبدنيا، ويطبق أركان البيعة كاملة، وعندما يقع عليه الاختيار يبايع المرشد في حضور قائد النظام الخاص، وبمجرد أخذ البيعة عليه ينقطع عن الاجتماعات العادية في الشعب، حتى إذا ما تم القبض عليه في مهمة ما يمكن التبرؤ منه بسهولة (٢).

وكان أول ما يكلف به العضو الجديد فيما يعلن رغبته في الجهاد في سبيل الله أن يُكلَّف بشراء مسدس على حسابه الخاص، ولم يكن الانضمام للنظام الخاص بالشيء اليسير فالشخص المرشح يمر بسبع جلسات بمعرفة المكوِّن، وهو يعني: الشخص الذي يقوم بتكوين أعضاء النظام وتبدأ هذه الجلسات بالتعارف الكامل على المرشح ثم جلسات روحية تشمل الصلاة والتهجد وقراءة القرآن ثم جلسة للقيام بمهمة خطرة، وتكون بمثابة الاختبار حيث يطلب من الشخص كتابة وصيته قبلها، ويستتبع ذلك البيعة التي كانت تتم بمنزل في حي الصليبية، حيث يدعى الشخص المرشح للبيعة والشخص المسؤول عن تكوينه إضافة لعبد الرحمن السندي، حيث يدخل الثلاثة لغرفة البيعة التي تكون مطفأة الأنوار فيجلسون على فرش على الأرض في مواجهة شخص مغطى جسده تمام من قمة رأسه لقدمه برداء أبيض يخرج يديه ممتدتين على منضده منخفضة عليها مصحف، ويبدأ هذا الشخص المغطى بتذكير المرشح بآيات القتال وظروف سرية هذا

---

(١) انظر: النقط فوق الحروف، الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، ص (١٥٢)، ط (٢)، ١٩٨٩م، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٣).

الجيش، ويؤكد عليه أن البيعة أصبحت ملزمة وخيانتها تؤدي لإخلاء سبيله من الجماعة، ويخرج هذا الشخص مسدسا من جيبه ويطلب من المرشح تحسس المصحف والمسدس والقسم بالبيعة، وبعدها يصبح المرشح عضوا في الجيش الإسلامي[1].

هكذا نجد أنه منذ اللحظة الأولى اختلطت فكرة الدعوة مع فكرة الوصـــول للحكم لدى قيادات الجماعة، ولم يكن حســـن البنا يؤســـس لجماعة دعوية، تدعو لصـــحوة إسـلامية، لكنه كان يؤسـس لجماعة تفرض حكما إسـلاميا حيث آمنت جماعة الإخوان بنظرية التمكين بالقوة، وليس التمكين بالدعوة، مما يعني أن بذرة العنف والتطرف وجدت في فكر جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها [2].

تطورت توجهات الإخوان المســـلمين نحو فكرة العنف لتحقيق الهدف – الوصـــول للســـلطة – بعد تأثرهم بكتابات أبي الأعلى المودودي، الذي تعد أفكاره أحد الروافد الأولى النظرية التي تسيطر على الفكر الإخواني فيما يخص إقامة الدولة الإسـلامية، حيث أنشأ الجماعة الإسلامية في الهند، ودعا لإقامة الدولة الإسلامية وسيادة التشريع الإسلامي كأسلوب حياة، مؤكدا على مبدأ الحاكمية الذي تأثر به بشكل خاص سيد قطب الذي كان له أكبر الأثر في وصـول تأثير فكر المودودي لجماعة الإخوان المسـلمين خصـوصـا والعالم العربي عموما، حيث اسـتقى من أفكاره مفهوم جاهلية المجتمع، ودور الصـفوة في إرساء مفهوم المجتمع الإسلامي[3]، وأدخل مصطلحًا جديدا في كتابه " معالم في الطريق "

---

(١) انظر: الإخوان والسـلفين الماضـي والحاضـر، عبد الناصـر يونس، ص (١٦)، ط (١)، ٢٠١٢م، دار كلمات عربية، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٣).

(٣) انظر: الحركات الإسلامية المعاصرة في المشرق العربي دراسة تاريخية سياسية، بشار حسن يوسف، ص (٥٥٢)، ط (١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، نشر جامعة الموصل، الموصل.

وهو جاهلية المجتمع وتكفير الحاكم، وطالب بإيجاد حركة إسلامية تواجه جاهلية اعتقادية تصورية تقوم عليها أنظمة واقعية عملية، تسندها سلطات ذات قوة مادية ومن ثم مواجهة ذلك كله بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، وأنها لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان، أي أن سيد قطب دعا إلى تكوين الجماعة المؤمنة الفريدة التي تنفصل عن هذا المجتمع الجاهلي شعوريا وتسعى إلى تغييره جذريا بالوسائل التي تراها مناسبة، وعلى رأس ذلك الوسائل غير السلمية، وإلى هذا الرأي انتهى سيد قطب حيث قال:" **كان أمامنا المبدأ الذي يقره الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ وكان هذا الاعتداء قد وقع علينا بالفعل عام ١٩٥٤م بالاعتقال والتعذيب، فلم يكن في أيدينا من وسائل رد الاعتداء التي يبيحها ديننا إلا القتال والقتل، أي: بمعنى رد الظلم الواقع على الأمة الإسلامية "**[(١)]، وعلى الرغم مما جاءت به كتابات الهضيبي المرشد الثاني للجماعة الذي تولى قيادتها من ١٩٥١م، إذ أعلن رفضه لكتابات سيد قطب في كتابه " دعاة لا قضاة " لتشكل نوعًا من الهدوء والاستقرار الذي رسم منهجيا حدود القطيعة ما بين الخطاب الإخواني والخطاب الجهادي، إلا أن هناك جيلاً كبيرا من الإخوان تأثروا بفكر وكتابات سيد قطب.

مما سبق يتضح أن القوة مثلت محورا أساسيا في البناء الفكري لجماعة الإخوان المسلمين الذي أعلى شأنه حسن البنا، الذي ركز من الناحية النظرية على أهمية بناء القوة، وتوسع في بيان أبعادها وضرورة الأخذ بأسبابها، وقد ترجم من الناحية العملية هذا الاهتمام بصور واضحة في طريقة تكوين وتنظيم جماعة الإخوان المسلمين، إذ سعى منذ البداية على بث روح الجندية والفداء والجهاد في صفوفها، وهو ما كان واضحا في تكوين فرق الرحلات مرورا بالجوالة، وصولا إلى النظام الخاص أو الجهاز السري الذي يمثل الجناح العسكري للجماعة، ولم تكن فكرة عودة الخلافة والدفاع عن المجد التليد والعز المسلوب

---

(١) انظر: معالم في الطريق، سيد قطب، ص (٣٩)، ط (١٠)،١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت.

إلا مطية لتبرير إرهاب الجماعة أولا، واعتبار وصولها للحكم عز ومجد للأمة، أي أن الأمر بِرُمَّته لم يكن إلا غطاءً تلفحت به الجماعة عبر تاريخها من أجل الوصول للحقيقة المستورة به وهو الوصول للسلطة والسيطرة على مراكز اتخاذ القرار.

المطلب الثاني:

الرهان على شعار عودة الخلافة في مضمار السباق السياسي للوصول للسلطة:

الفرع الأول: الخلافة في منهج حسن البنا إرهاب محتمل:

شكلت فكرة استعادة الخلافة كسبيل أساسي ومنهج محوري وهدف استراتيجي لتسلم السلطة لجماعة الإخوان المسلمين محور خطابات ورسائل حسن البنا بشكل خاص، وسياسات الإخوان المسلمين بشكل عام، ففي الفترة الأربعينية من القرن الماضي وبينما كانت مصر تغلي تحت وطأة الاحتلال الإنجليزي كانت مؤتمرات الإخوان المسلمين تجنح بالقضية برمتها نحو ضرورة التركيز على استرجاع الخلافة الضائعة، في استغلال صارخ لظروف الدولة من أجل التأثير على الجماهير المتعطشة لأي سبيل تتخلص من خلاله من الاحتلال، فكان طرح هذه القضية في هذا التوقيت من عمر التاريخ سبيل لطرح الجماعة نفسها كبديل عن الأنظمة القائمة، التي كانت سببا مباشرا بضعفها من جهة، ولتناحرها فيما بينها من ناحية أخرى.

لم يفصح حسن البنا من خلال رسائله المتعددة عن المرشح كخليفة للمسلمين آنذاك، إلا أن نفاق الجماعة لكل الأنظمة التي عاصرتها في فترات السلم تجلى في ترشيح حسن البنا للملك فاروق لهذا المنصب مداهنة ونفاقا – لاحظ انقلاب الجماعة على الملك المذكور أعقاب ثورة ١٩٥٢م – حيث تجده يقول: "**كان المسلمون في الخلافة يرجعون إلى الخليفة فأين هو الآن؟ لابد أن نعمل جميعا على إيجاده** "(١)، ثم يعلن أن الأمل متعلق بالملك فيقول: " **إن لنا في جلالة الملك المسلم أيده الله أملا**"(٢)، ثم يعلن أن الجماعة ما هي إلا جنود الخليفة المنتظر المخلصين فيقول: " **إذا كان قد ضم القرآن**

---

(١) انظر: فريدة ملكة مصر تروي أسرار الحب والحكمة، فاروق هاشم، ص (٤٤)، ط (١)، ١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.

(٢) انظر: خيول الظلام قطر والإخوان المسلمين والشرق الأوسط الجديد، علي الصراف، ص (٥٨)، ط (٢)، ٢٠١٧م، إي، لندن.

إلى قلبه ومزج به روحه، فإنه لا يخدم نفسه في الدنيا والآخرة فحسب ولكنه يريد أن يؤسس مصر على أفضل المناهج ويسلك بها أقرب الطرق للخير، وهو بذلك يكسب ولاء أربعمائة مليون مسلم في آفاق الأرض، تشرئب أعناقهم وتهفو أرواحهم إلى الملك الفاضل، الذي يبايعهم على أن يكون حامي المصحف، فيبايعونه على أن يموتوا بين يديه جنودا للمصحف، فعلى بركة الله يا جلالة الملك ومن ورائك أخلص جنودك "(١).

ثم بمناسبة تولي فاروق سلطاته الدستورية، انهمر سيل الإخوان المسلمين لساحة قصر عابدين، بعد أن أصدر المرشد العام الأوامر للفرقة العسكرية بالزحف رافعين أعلامهم يهتفون: " **الله أكبر والحمد لله، الإخوان المسلمون يبايعون الملك المعظم، نبايعك على سنة الله ورسوله "**(٢).

مثل حسن البنا امتدادا طبيعيا لأساتذته أصحاب الباع الطويل في هذا الميدان أمثال محمد رشيد رضا (٣) الذي قال: " **الخلافة الإسلامية هي الحكومة المثلى التي بدونها لا يمكن أن يتحسن حال البشرية، فهي خير دولة ليس بالنسبة للمسلمين فحسب**

---

(١) انظر: فاروق وسقوط الملكية، لطيفة سالم، ص (٦٩٦)، ط (٢)، ١٩٩٦م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٢) انظر: الملك فاروق والخلافة الإسلامية، أمل فهمي، ص (١٠١)، ط (٢)، ٢٠١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) ١٨٦٥م، وتعلم فيها وفي طرابلس. رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، فلازم محمد عبده وتتلمذ له، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. أنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٩٢٠ م فأقام في مصر مدة. توفي فجأة في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة ودفن بها عام ١٩٣٥م. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٢٦/٦).

ولكن بالنسبة لسائر البشر "[١]، والإيراني المتشيع جمال الدين – الموسوم زورا بالأفغاني – حيث قال:" **واعتصموا بحبل الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي والعربي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية** "[٢].

ثم يأتي أبو الأعلى المودودي الأب الروحي للجماعات الإسلامية عموما وجماعة الإخوان المسلمين خصوصا، حيث كان على اتصال وثيق بحسن البنا وسيد قطب – منظر الإخوان الأعظم –، فتراه يتكلم عن الحكم باسم الله فيقول: " الدولة الإسلامية تقوم على أساس حاكمية الله الواحد –، فالأمر والتشريع والحكم كلها مختصة بالله وحده وليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو شعب ولا حتى النوع البشري كله، وإنما تكون لحاكم يقوم بوظيفة خليفة الله، فليس لأحد أن يأمر أو ينهى من غير أن يكون له سلطة من الله "[٣].

من عباءة هؤلاء الداعين لحكم ديني بحت يشبه ما ساد باسم الإنجيل في القرون الوسطى بأوروبا، ذاك الحكم الذي غلفه التعصب والعنف والتشنج المصاحب لسلوك الكنيسة، وهو ما كان من الإخوان الذين دافعوا عن فكرة الحكم الإسلامي بعنف أحرق مجتمعات المسلمين، وتسبب في شيوع أفكار التكفير والتطرف التي تعاني منها خير أمة أخرجت للناس ليومنا هذا.

---

(١) انظر: الخلافة، محمد رشيد رضا، ص (١١٦)، بدون طبعة ٢٠١٣م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

(٢) انظر: جمال الأفغاني الأعمال الكاملة، محمد عمارة، ص (٣٤٢)، بدون طبعة ١٩٧٩م، دار الفكر الحديث، بيروت.

(٣) انظر: نظرية الإسلام السياسية، أبو الأعلى المودودي، ص (٧١)، بدون طبعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، دار الفكر، بيروت.

لم يكن حسن البنا كسابقيه داعيا لإقامة الخلافة والوصول للسلطة بتقعيد القواعد في المؤلفات والرسائل فحسب، وإنما أضاف الجديد الذي لم يُسبق إليه وهو الدعوة للعنف بكل صراحة وبجاحة، إذا اصطدمت مفردات المجتمع بما عقد الإخوان المسلمون العزم عليه.

لم يرسخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فكرة الخلافة في وجدان عناصر جماعته، ويفرد لها مساحات كبيرة في رسائله التي كان يبثها وسط أتباعه وحسب، بل طالب أتباعه بالسعي لإقامة الحكومة الإسلامية ولو كان بخيار العنف، ففي ثنايا كلامه عن تحقيق الأهداف يقول:" **هناك وسائل إضافية لابد من الأخذ بها وسلوك سبيلها، منها السلبي ومنها الإيجابي، ومنها ما يتفق مع عُرف الناس ومنها ما يخرج عن هذا العُرف ويخالفه ويناقضه، ومنها ما فيه لِين ومنها ما فيه شِدة، ولابد أن نروِّض أنفسنا على تحمل ذلك كله حتى نضمن النجاح، وقد يُطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها**"(١).

وهكذا تجده يوطِّن النفوس على الغريب غير المألوف، ويهيئ النفوس للخروج على النظم والاصطدام بالناس الذين سيكون ردة فعلهم الطبيعية الرفض والمناكفة لما لم يألفوه، ضاربا بعرض الحائط هدي الدين الذي يفترض أنه يتكلم باسمه.

فعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً» (٢).

فلا بأس عنده من الصدام وتعريض أمن واستقرار المجتمعات للإرهاب طالما كان الإخوان المسلمون يسيرون في الطريق المرسوم نحو استعادة الخلافة والسيطرة على السلطة.

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، (المقدمة)، باب(النهي عن الحديث بكل ما سمع)، (٩/١)، ح(١٤).

ولا يحسبن أحد تفسيرنا هذا شططًا أو تعسفًا، وأنه تأويل يحقق أغراضًا من إثبات زيف ما دعت إليه الجماعة فقط من أجل السلطة والملك، فها هو حسن البنا يعود بنفسه فيفسر ما ذكره بالأعلى على سبيل الإجمال بشيء من الوضوح والصراحة فيقول:" **سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام، وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الزعماء والرؤساء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجوهكم كل الحكومات والسلطات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطاتكم، وأن تضع العراقيل في طريقكم** "(١).

لست أدري أي جهاد في سبيل الله، فإذا كان الجهاد سلميا لتطبيق مبادئ يعتقدها حسن البنا فلن ينكر عليه أحد طالما لم يطل الأذى أحدًا بسبب سلميته في نشر دعوته، لكنه ولا شك يقصد أن الجهاد المزعوم سيكون مسلحًا عنيفًا – وقد كان – لذا سينكر علماء الدين الرسميين – على حد تعبيره – ذلك ولا شك باعتبار أن رفع السلاح لنشر الدعوة في وجه أية أحد كائنا من كان؛ ما هو إلا إرهاب ولا مسمى آخر له، إلا أن يقف الكفار في وجه الدعوة بوسائل العنف في دار الكفر فحينئذ يكون لجهاد الطلب محل من الإعراب، بخلاف ذلك لا نكون إلا أمام جماعة إرهابية كما هو حالهم لا مشاحة في ذلك.

ثم تراه لا يتركنا نحتار في شأن جهاده وجماعته في سبيل الله فيقول:" **يتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إحداث ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟**

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (٨٩).

ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسـائلين في حيرة بل إني أنتهز هذه الفرصـة فأكشـف اللثام عن الجواب السـافر لهذا في وضـوح وفي جلاء فليسـمع من يشـاء: أما القوة فشـعار الإسـلام في كل نظمه وتشـريعاته والقرآن الكريم ينادي في وضـوح وجلاء ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [(١)].

فالسبيل الوحيد الذي يستطيع المجتمع المصري خصوصا والدولي عموما تجنب العنف المحتمل والصـدام المتوقع الذي أشـار إليه حسـن البنا - فيما سـبق - هو فقط المطاوعة والمسـايرة، فمتى طاوع الشـعب المصـري أطماع الإخوان المسـلمين ورغبتهم المحمومة في الاستيلاء على السلطة جنَّب نفسه الإرهاب البديل والجهاد المزعوم.

هكذا أشـار حسـن البنا عليهم في رسـائله حيث قال:" **إن الحلم الذي حشـدت له جماعة الإخوان المسـلمين وباقي جماعات الشـباب ولابد أن يأتي يوما تمتلك فيه الشجاعة ما يمكنها من مراجعته والنظر فيه اتقاء لمزيد من الأزمات والصدامات**"[(٢)].

هكذا فقط متى تركت الشعوب الإخوان المسلمين يحققون حلمهم الأعظم بدون أن يعترضوا طريقهم مكنهم ذلك من تجنب الأزمات والصدامات، لكن لو سولت نفس أي من الشـعب أو النظام اعتراض طريق الإخوان المسـلمين وإثنائهم عن مواصـلة ما عقدوا العزم عليه: فالمواجهة المحتومة بانتظارهم وفي ذلك يقول حسـن البنا:" **فإن ثُرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسـنا وكنتم أنتم الثائرين الظالمين**"[(٣)].

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١١٠).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١٢٢).

(٣) انظر: تنظير الإخوان المسـلمون لأنفسـهم بما سـبق في مجلة المسـلمون، العدد (٩)، السـنة (١)، ١٩٥٢/٧م، ذي القعدة ١٣٧١هـ، مقال (ركائز دعوة الإسلام)، ص (٣٣).

لم يكن الأمر ليتعلق فقط بالتلويح بورقة العنف بدون أن يكون ذلك مبررا تبريرا يغرر بالمغفلين والمغيبين من أعضاء الجماعة نفسها أولا، ومن الشعب ثانيا، لذلك تراه يتكلم عن الخلافة باعتبارها ركنا من أركان الدين ينبغي بذل سويداء القلوب في سبيل الدفاع عنها، والحفاظ عليها حين قال:" **إن الإخوان المسلمين يعتقدون أنَّ الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين الأمم الإسلامية، وأنها شعيرة يجب التفكير فيها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله** "(١).

بإمعان النظر في النص السابق تجد أن اعتبار الإخوان الخلافة باعتبارها شعيرة لم يكن ليكفي فقط غطاءً لتبرير الإرهاب المحتمل: الذي تكلَّم عنه حسن البنا كسبيل لاسترجاعها والدفاع عنها، إذ كان لابد لها من موقع آخر في دين الله يكون من القوة بمكان من جهة، ويبرر العنف الذي طالما لوَّح به حسن البنا لاستخدامه في هذا السبيل من جهة أخرى؛ لذا تراه في موضع آخر يقول:" **الإخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدي الإسلام الحنيف كما فهموه، وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من أركانه** "(٢).

أمعن النظر في هذا الاختيار الثاني وهو اعتبار الخلافة ركنا من أركان الإسلام، تجد أنه بخلاف محاكاته في ذلك لعقيدة الشيعة الذين يعتبرون الإمامة ركنا من أركان الدين، يضع الخلافة في موضع يستطيع أن يجاهد عليه؛ فيكون العنف المحتمل لاستردادها مبررًا، ثم تجده يسبق ذلك كله بمصطلح غاية في الخطورة وهو " **هدي الإسلام الحنيف كما فهموه** ".

فهمت هذه الأمة أنه لا دين إلا ما فهمه رسول الله ﷺ وأصحابه الغُرُ الميامين عملا بقول رسول الله ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي**

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١١٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١١٢).

الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»[١]، لكن حسن البنا يطرح هذا المنطق النبوي أرضًا ويقيم عوضًا عنه مبدًا خاصا به وبجماعته وهو " **الإسلام الذي فهموه** "، ومن الإسلام الذي فهموه: قول حسن البنا:" **الأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الأمة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالا للشك في أن مِن أوجبِ الواجبات على المسلمين الاهتمام بالتفكير في أمر خلافتهم منذ تحورت عن مناهجها ثم أُلغيت بتاتا إلى الآن** "[٢]، فحسن البنا فهم أن النبي ﷺ أوجب نصب الإمام، وأن إجراءات هذا التنصيب مما نص عليه النبي ﷺ، ونحن-بدورنا- نقول :أنه بحق فهمه يخصه هو وجماعته لا دخل لدين الله فيه، وإلا فأين تلك الأحاديث المزعومة التي تبين طريقة التنصيب، وتتكلم عن أحكام هذا الإجراء.

لقد ترك رسول الله ﷺ الكلام في مسألة التنصيب وإجراءاته لأنه قطعا كان يعلم أن لكل زمان ومكان إجراءات تناسبه، وأوضاع تتوافق مع متغيرات العصر وأحوال المكان، وهذا من الفقه الذي مرده للناس هم أعلم بشؤون دنياهم وما يصلح أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية و إلى ما هنالك؛ طالما لم يصطدم ذلك بما هو معلوم من الدين بالضرورة، لكنهم – الإخوان المسلمون – أصحاب الفهم المختلف والفقه المغاير، وإن شئت فقل المطامع والشهوات تلك التي تفضي بصاحبها لفقه يوافق مبتغاه

---

(١) أخرجه بن ماجة، كتاب (الفتن)، باب (افتراق الأمم)، (١٣٢٢/٢)، ح (٣٩٩٢). قال الألباني: "إسناده جيد " في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، (٤٨٠/٣)، ح (١٤٩٢).

(٢) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١١٩).

وهواه وهو بالضبط ما اعترى حسن البنا الذي قال:" **لهذا جعل الإخوان المسلمون الخلافة والعمل على إعادتها على رأس مناهجهم** "(١).

أي: لأنه بدون هذا الفهم السقيم والفقه المعلول لا يمكن أن تكون الخلافة على رأس أولويات المسلم، إنما الأولوية في إشاعة العدل وحراسة الدين أيا كان الطريق المؤدي لذلك، ومن ذلك صلاح أحوال المسلمين واستقامة معايشهم، حيث هذه العدالة الاجتماعية هي المفضية للعدل الأكبر وحفظ الدين وأحكامه بالتكاتف والتعاون والتعاضد.

بعد أن أصَّل حسن البنا لهذه الفكرة باعتبارها سبيل الصعود – كما سبق – كانت المرحلة التالية وهي تقديم الإخوان المسلمين أنفسهم كبديل للحكومات الحزبية، والأنظمة المختلفة – ديمقراطية، ليبرالية، علمانية، نيابية، ملكية – فتراه يقول:" **إن الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات من ينهض بهذا العبء، أو يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية فلتعلم الأمة ذلك** "(٢).

مدلول الخطاب واضح لا يحتاج كثير تعليق " **فلتعلم الأمة ذلك** " أي: فلتعلم الشعوب أن الإخوان المسلمين هم البديل الأمثل بل البديل الوحيد، لأنهم الفصيل الوحيد القادر على النهوض بهذا العبء، والقادر على الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية – على حد تعبيره – هذا هو مقتضى الخطاب بدون هوى ولا تعنت.

يبقى السؤال كيف يمكن للإخوان المسلمين الصعود على درجات السُّلم – الحكم والسلطة – في ظل الأوضاع السياسية الراهنة حيث إقامة الخلافة وسط هذا الجو السياسي الدستوري في مصر و لا يمكن لمخالفة هذه الأنظمة وغيرها لما ينبغي أن تكون عليه صورة الخلافة؟.

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١٢٠).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١١٣).

معلوم أن الإخوان لا يتوقفون أبدا عن تطويع كل الظروف لتناسب مبتغاهم، حتى ولو كانت بعيدة كل البعد عن روح الشرع؛ الذي ينادون ليل نهار بنصرته وتسييده؛ فترى حسن البنا يقفز على كل هذه الأوضاع بخطاب سافر يعلن فيه الآتي:" **يعتقد الإخوان المسلمون أن النظام الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام وهم لا يعدلون به نظاما آخر**"(١).

ترى لو كان النظام القائم يختلف عن الحكم الدستوري ألم يكن سيكون رأي حسن البنا أن هذا الحكم هو الأقرب للإسلام، وما ذاك إلا لتطويع كل الأدوات حتى ولو لم يكن لها حظ في الإسلام، من أجل تحقيق الحلم وإصابة الهدف وهو الجلوس على كرسي السلطة والتربع على مقاليد الحكم.

هذا هو المنهج الذي ورثه حسن البنا لأتباعه من بعده، والذي عمل فيما بعد سيد قطب على تطويره وترقيته لنجد أنفسنا في مواجهة الجيل الثاني من إصدار الإخوان المسلمين، هذا الإصدار الذي أصل بامتياز لمنهج التكفير والخروج على الأنظمة وأصبح هذا هو الدأب والديدن.

الفرع الثاني: الخلافة بين تكفير سيد قطب ومهادنة حسن الهضيبي:

المسألة الأولى: سيد قطب والخلافة " الإرهاب المؤكد ":

لم يكن كلام حسن البنا عن الخلافة كلامًا عن فكرة شخصية، أو مبدأ يدعو إليه داعية إلى الله على وجه العموم، إنما كان يتكلم عن دعوة تخصه، وجماعته من أصولها الحكم، وأن هذه الدعوة تتطلب جهادا وقتالا - كما سبق القول -، وكأنه يتحدث عن دين جديد كان مكلفا هو بتبليغه للعالم، ليس هذا فحسب بل والسيطرة السياسية

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١١٣).

والعســكرية على العالم أجمع لنشــر هذا الأمر، وما فكرة أســتاذية العالم بعد الكلام عن الخلافة الإسلامية عنا ببعيد [1].

أكملت فكرة الخلافة المشـــوار لنقطة معينة - في التاريخ - لكنها لم تكتمل لعدم وصولها لمرحلة الأستاذية المزعومة التي يفترض أن حسن البنا وجماعته سيستكملونها.

جاء سيد قطب ليستكمل أفكار مرشده الأول باستكمال المشوار؛ لكنه إضافة لذلك أسس لفكر جديد لم يسبق إليه: وهو تكفير المجتمعات الإسلامية الحاضرة جمعاء، ليس هذا فحسب؛ بل وهدم صرح الخلافات السابقة جميعها-راشدة وأموية وعباسية- لا ليطرح نفسه كبديل؛ بل ليطرح نفسه خيارًا وحيدًا وأساسيًا لا بديل عنه.

الحقيقة أن طوام سيد قطب أكبر وأعظم من أن يتم جمعها في مؤلف واحد؛ فضلا عن أن يكون بحثا واحدا، إنما يحتاج الأمر للكثير والكثير لكشف العوار؛ لكني سأبذل جهدي لعرض الخطوط العريضة من هذه الطوام التي تؤكد الفكرة، وتعضد الهدف من بحثي هذا سائلا الله عز وجل السداد والرشاد.

قد تكون البداية معتبرة عندما ننطلق من قول سيد قطب في الظلال:" **إن الإسلام إعلان عام لتحرير الإنســـان من العبودية للعباد، فهو يهدف ابتداءً لإزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر، وعبودية الإنسان للإنسان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحرارا لكن هذه الحرية ليس معناها أن يجعلوا إلههم هواهم، أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيدا للعباد، وأن يتخذوا بعضهم أربابا من دون الله**" [2].

هكذا نجد سيد قطب يتحدث عن نظام لا عبادة فيه من العباد للعباد، ونحن نسأل بدورنا ببراءة أين وجد الإخوان المسلمون عبادا منا يعبدون بعضهم بالسجود والركوع، أو

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (٢٥٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٦)، ط (١٠)، ١٩٨٢م، دار الشروق، بيروت.

بتعظيم شأنهم على شأن الخالق؟، إنه يتكلم عن أسطورة لا وجود له إلا في خياله المريض، ذاك الخيال الذي سوَّل له أن الإسلام الحق لن يتحقق إلا بإزالة الحكومات والأنظمة كما قال، تلك الأنظمة القائمة على عبودية الإنسان للإنسان، وهنا يظهر السؤال معنا مرة أخرى هذا السؤال الذي سيظهر معنا كثيرا وكثيرا جدا أين تلك الأنظمة التي عبدت الخلق لها وأمرتهم بترك عبادة الله الواحد الديان؟ وستكون الإجابة سريعة لغير المتعمقين: إنه يقصد من اتخذوا إلههم هواهم، أو من اختاروا لأنفسهم عبادة العباد واتخذوا بعضهم أربابا من دون الله، ليقفز السؤال مرة تلو الأخرى وأين هذا النموذج من مجتمعات المسلمين.

إن الإنسان أي إنسان وهو يقترف الذنب عموما يكون قد غلب هواه إيمانه وعبادته أيعني هذا أن يكون كافرا كما زعم سيد قطب، كلا قطعا فسريعا ما يعود لإيمانه بالإقلاع عن الذنب وتركه، وهو في دائرته الأولى – مصاحبا للذنب – لا يعدو عن كونه فاسقا لا كافرا مرتدا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَلَعَ مِنْ عَلَيْهَا رَجَعَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ**» (١).

هكذا يقرر النبي ﷺ في جلاء ووضوح أن مرتكب الكبيرة – أعظم من غلبه الهوى وتلبس بالمعصية – لا يكون كافرا، إنما لا يعدو عن أن يكون عاصيا تلبس بالمعصية ثم رد إليه بإقلاعه عن المعصية.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب (السنة)، باب (الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)، (٢٢٢/٤)، ح (٤٦٩٠)، وأخرجه الترمذي، كتاب (الإيمان)، باب (ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن)، (١٥/٥)، ح (٢٦٢٥)، قال الألباني: " صحيح " في (صحيح الجامع الصغير وزيادته)، (١٦٢/١)، ح (٥٨١).

فمن غلبه الهوى صار عاصيا هكذا ينبغي أن نفهم مع من نصنف من غلبه هواه لا أن نكفره وننزع عنه رداء الإسلام بالكلية.

في النهاية نحن بشر استخلفنا الله في الأرض لنعمرها، وأعطانا عقولا نفكر بها ونعمر ما نراه مناسبا لحياتنا - بدون هدم للثوابت أو إنكار ما علم من ديننا بالضرورة - في الأرض، وأرسل إلينا الرسل للهداية، وبانتهاء عصر الرسل تركت لنا أمور الدنيا لننظمها من منطلق «**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**»[(١)]، ولا يمكن أن يكون تدخلنا بقوانين تنظيم حياتنا فيما يخص المرور والتعليم والصحة ودواوين الدولة المختلفة، وربما أخذنا بنظام برلماني رئاسي، أو ملكي أو على حسب ظروفنا وأحوالنا لا يمكن أن يحسب ذلك علينا باعتبارنا عباد هوى، أو أننا سلبنا حق التشريع من الله العلي القدير ومنحناه لأنفسنا، هذا هو الذي لا يدعيه إلا صاحب هوى وغرض كسيد قطب، الذي ما أراد من وراء تكفيره للمجتمعات إلا طرح نفسه وجماعته كواسطة بين الله وخلقه.

ليس أغرب من مناقضته لنفسه عندما يقرر بنفس القلم أنه يمكن لأي دولة تنتمي للإسلام أن تأخذ من القوانين الوضعية ما تهواه بحجة تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وبحجة أنها لا تتنافى مع أصول الإسلام، ولو كانت متصادمة لأصوله ونصوصه حيث يقول:" **فإذا انتهينا من وسيلة التوجيه الفكري، بقيت أمامنا وسيلة التشريع القانوني لتحقيق حياة إسلامية صحيحة تكفل فيها العدالة الاجتماعية للجميع، وفي هذا المجال لا يجوز أن نقف عند مجرد ما تم في الحياة الإسلامية الأولى، بل يجب الانتفاع بكافة الممكنات التي تتيحها مبادئ الإسلام العامة وقواعده المجملة، فكل ما أتمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الإسلام، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس، يجب ألا نحجم عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا؛ مادام يحقق**

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الفضائل)، باب(وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره – صلى الله عليه وسلم – من معايش الدنيا على سبيل الرأي)، (١٨٣٦/٤)، ح(٢٣٦٣).

مصلحة شرعية للجميع، أو يدفع مضره متوقعه؛ ولنا في مبدأ المصالح المرسلة وسد الذرائع وهما مبدآن إسلاميان صريحان ما يمنح ولي الأمر سلطة واسعة لتحقيق المصالح العامة في كل زمان ومكان "[1].

طبقا لتقعيده هذا فإن أصول التشريعات إذا لم تخالف أصول الإسلام، وتصطدم بتشريعاته فإنها لا تحرم وهذا يعني: أن تلك القوانين إذا اصطدمت بنصوص الإسلام – كتابا وسنة – لا أصوله فلا بأس من العمل بها، وإذا خالفت فروع تلك القوانين أصول الإسلام فلا بأس أيضا من العمل بها، فالمحظور فقط عنده هو مخالفة أصول القوانين لأصول الإسلام، وما بخلاف ذلك جائز.

بهذا التأصيل والتقعيد الذي يعتمده سيد قطب تنفتح أبواب التلاعب بدين الله على مصراعيها لكل راغب في العبث بالإسلام والأمة، فيمكنه جلب ما يريد من القوانين الجائرة تحت ستار هذه التأصيلات التي وضعها هو بنفسه، ولقد كان هو –وانطلاقا من هذه القواعد– يأخذ بالاشتراكية الغالية؛ حيث توصل إلى أن الدولة بيدها انتزاع الملكيات من الأفراد وإعادة توزيعها من جديد، ولو قامت على أسس إسلامية.

هكذا يرى سيد قطب جواز قيام نظام ينسخ ما قرره الإسلام في الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون عليه من حرمة أموال المسلمين، وما ذاك إلا لأنه – في زعمه – لا يصطدم بأصول الإسلام.

ترى أين هذا التأصيل والتقعيد مما قرره حين قال:" **إن هذا الدين ليس إعلانًا لتحرير الإنسان العربي، وليس رسالة خاصة بالعرب، إن موضوعه هو الإنسان، ومجاله هو الأرض، وهذا الدين يريد أن يرد العالمين إلى الله، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره، والعبودية الكبرى في نظر الإسلام هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من**

---

(١) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (٢٦١)، ط (٥)، دار الشروق، القاهرة.

البشـــر، وهذه هي العبادة التي يقرر أنها لا تكون إلا لله، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه من هذا الدين "[(١)].

بإمعان النظر نجد أنه ليس ثمة شـيء إلا التنافر والتضـاد فيما يخص الخلافة المزعومة والسـلطة المسـتهدفة، وما ذاك إلا لأنه يريد التدليل على مجتمع غير موجود إلا في خياله وخيال جماعته من جهة، ولرغبته المحمومة في التدليل على أنهم يمثلون النظام الإسـلامي الذي لن تتحقق عبادة الله الحقة إلا في ظله، وإن شـئت فاسـتمع له وهو يقرر أن العالم سيصبح فيه كيانين: الكيان الأول يمثل الكيان الجاهلي: وهو جميع الأنظمة التي سينطلق الإسـلام ليحطمها بالقوة، والكيان الثاني ولا شـك: هو المجتمع المسـتقل المتميز الذي لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية.

ترى من ذا الذي سيمثل الكيان الثاني سوى سيد قطب وجماعته باعتبارهم الفئة التي لديها فقه المرحلة ولا غيرهم حيث قال:" **انطلاق المنهج الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سـلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضـاع البيئة....وهذه كلها هي التي ينطلق الإسـلام ليحطمها بالقوة كي يخلو له وجه الأفراد من الناس...... يتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية، لأن الحاكمية فيه لله وحده، وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلا "**[(٢)].

إذن في سبيل إقامة ما يصبو إليه الإخوان المسلمون من السلطان الخاص بفكرتهم لا بأس من بسط الصدام على المعمورة بأسرها، وقد أحيا الله الجيل الحالي ليرى بأم عينيه ما نظر له سيد قطب في مؤلفاته، فلقد أحدث الإخوان المسلمون من الفساد والإرهاب في المجتمعات التي وطئتها أقدامهم ما يعلمه القاصي والداني.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٤١).

يستطرد سيد قطب في عرض آرائه الإرهابية وأفكاره المشوهة عن المجتمع المثالي الذي يرى أنه سيمثله هو والطليعة التي يراها جند الله في أرضه فيقول:" **إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تُؤْثِر فيه ألا تهاجم الإسلام، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية، ورضي أن يدعها وشأنها، ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام....ولكن الإسلام لا يهادنها إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية، ضمانا لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة.**

وعبادة الله وحده لا تتحقق في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي إلا في ظل النظام الإسلامي، والإسلام ليس مجرد عقيدة، إنما هو منهج يتجمع في منهج تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس، والتجمعات الأخرى لا تمكنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوق للتحرر العام.

فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة عن الجهاد فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ، مسألة مقررات حركة لا مسألة مقررات عقيدة، بل الأمر أن الإسلام فكرة انقلابية ومنهاج انقلابي يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعد، ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكرته ومنهاجه العملي.

ومن هنا تعرف أن لفظ المسلم وصف للحزب الانقلابي العالمي الذي يكونه الإسلام وينظم صفوفه ليكون أداة في إحداث ذلك البرنامج الانقلابي الذي يرمي إليه الإسلام، والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي عن تلك الحركة الدائبة المستمرة التي يقام بها للوصول إلى هذه الغاية وإدراك هذا المبتغى "[1].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٤).

هكذا تجده يقرر عدة مبادئ كافيه وحدها لحرق الأرض بمن عليها، فالعالم معسكر يعادي الإسلام الذي يمثله هو وجماعته ولا شك، وبناء عليه ينبغي العمل على استئصال شأفة كافة الأنظمة العالمية وليست العربية فحسب، بل العالم جميعه مجتمع لن يهادنه الإسلام، بل ويتحتم عليه العمل لإزالة هذا المجتمع من جذوره.

الجهاد في عقيدة سيد قطب شعيره لا يمكن أن تتوقف أبدا، وينبغي استمرارها بلا هوادة أو مهادنه، والتوقف لفترة في حسابات سيد قطب ما هو إلا توقف لخطة إعادة التعبئة والتخطيط ومراجعة الحسابات، وهذا مرده للمنهج الحركي – كما سماه سيد قطب – لا يعود لعقيدة، وما ذاك إلا لأن الإسلام دين يدعم الانقلابات ويزكيها، ليس هذا فحسب بل الإسلام نفسه دين انقلابي كما سماه – بئست التسمية –، والجهاد درع الانقلاب وسلاحه، حتى يدرك الإخوان المسلمون غايتهم بحكم الدنيا، وتتحقق نبوءة كبيرهم الذي علمهم السحر – حسن البنا – ويصبحون أساتذة العالم.

يستمر سيد قطب في طرح منهجه المشوَّه، ورؤاه الشاذة فيعلن بعد أن قرر أن الإسلام دين الانقلابات أن الربوبية لله تعني الثورة الشاملة على حكم البشر أجمعين حيث يقول: " **إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور، أو بتعبير آخر: مرادف الألوهية فيه للبشر فيصورة من الصور...ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر، ومصدر السلطات فيه هم البشر، هو تأليه البشر، إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله، وطرد المغتصبين له، الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب، ويقوم الناس منه مقام العبيد.. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض، أو بتعبير القرآن ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾، وقيام مملكة الله في الأرض، وإزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده وسيادة الشريعة الإلهية وحدها،**

وإلغاء القوانين البشـرية. والمهزومون روحيا وعقليا ممن يكتبون عن الجهاد الإسـلامي ليدفعوا عن الإسـلام هذا الاتهام يخلطون بين منهج هذا الدين وبين النص على استنكاره الإكراه في العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تَحُول بين الناس وبينه..... ويتحدث عن سمات الجهاد الإسلامي فيقول: " **السمة الأولى: أنه تواجه جاهلية اعتقادية تصـورية، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية تسـندها سـلطات ذات قوة مادية وعلى الحركة أن تواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسـلطات القائمة عليها، تلك التي تَحول بين جمهرة الناس وبين التصـحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبدهم لغير ربهم الجليل.**

السمة الثانية: بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسـلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها "(١).

وهكذا بعد أن قرر سـيد قطب كون الإسـلام دين الانقلابات، وأن الربوبية معناها الثورة الشـاملة على الأنظمة القائمة في الأرض جميعها، تراه يقرر أن لواء هذا الأمر معقود على القيادة المسلمة الجديدة التي هي ولا شك جماعة الإخوان المسلمين ومن والاهم، فهم فقط أصـحاب النظرية والفهم الثاقب؛ كما قرر سـيد قطب في نصـوصـه التي تطفح بها مؤلفاته.

في طرح آخر يحمل نفس المضـامين تراه يقول:" **لم يكن بد أن ينشـأ تجمع مُرَّكب آخر غير التجمع الجاهلي منفصـل ومسـتقل عن التجمع الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسـلام إلغاؤه – قاعدة ومنطلق فكر التكفير والهجرة – وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة، وأن يخلع كل من يشـهد أنه لا إله إلا الله وأن**

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٧).

محمدا رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي – بناءً عليه فمن لم ينضم لركب الإخوان في ذلك فهو عضو في التجمع الحركي الجاهلي – ومن قيادة ذلك التجمع في أي صورة كانت، سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسدنة والسحرة والعرافين ومن إليهم، أو في صورة قيادة سياسية واجتماعية واقتصادية، وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلامي الجديد – الإخوان المسلمين – وفي قيادته المسلمة – المرشد وأهل التنظير – "[(١)].

قد يظن القارئ أن الأمر لا يعدو عما نظَّر إليه سيد قطب من جاهلية المجتمع العالمي جميعه بما في ذلك المجتمعات الإسلامية – أو المسماة زورا بذلك في زعمه – وأن على الجماعة المسلمة العمل على إزالة هذه الجاهلية والإتيان على بنيانها من القواعد، وأن هذا الإرهاب – المسمى زورا جهادًا في سبيل الله – منوط بالتجمع الإسلامي الجديد – على حد تعبيره – التمسك به واعتباره منهجا تقوم بسواعده قواعد الإسلام الصحيح – الانقلابي–، لكن الواقع المرير قضى بانتهاج سيد قطب منهجا لم يكن ليتخيل أكثر المعارضين والمتشائمين أن يقْدِم عليه أحد – فضلا عن أن يكون مسلما – وهو إطلاق سهام التشكيك والتضليل وغير ذلك مما لا يمكن تخيله على جميع الخلافات السابقة، ولم تسلم خلافة من الخلافات من سهام سيد قطب المارقة ولا حتى الراشدة.

لقد بلغ الشطط بسيد قطب أنه أراد أن يأتي على بنيان كل خلافة سابقة، ليطرح نفسه وجماعته باعتبارهم المنتصرين للفكرة الإسلامية الصحيحة التي لا تشوبها شائبة من الشوائب التي علقت بكل خلافة مضت، ولم تسلم من هذا التصور الفاجر ولا حتى الخلافة الراشدة، تلك الخلافة التي يعجز أي باحث عن تصور كيف سوَّلت لسيد قطب نفسه تصويب سهام النقد لخلافة أثنى عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – بشكل

---

(١) انظر: معالم في الطريق، سيد قطب، ص (٥٠)، ط(٦)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الشروق، القاهرة.

خاص، ليس هذا فحسب؛ بل وأمرنا أن نقتفي آثارها ونتمسك بهديها، **فعن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ ﷺ، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**[(١)].

أولا: طعون سيد قطب في الخلافة الراشدة:

يقول سيد قطب متهما عثمان بن عفان ﷺ بأن تصوره للحكم قد تغير، وأنه يحمل قرابته على رقاب الناس:" **هذا التصور - يقصد تصوره للحكم الذي صال وجال لإثباته في النصوص السابقة - لحقيقة الحكم قد تغير بدون شك على عهد عثمان، ولقد كان من سوء الطالع أن تدرك الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ضعفت عزيمته عن عزائم الإسلام، وضعفت إرادته عن الصمود لكيد الحكم بن أبي العاص، وكيد أمية من ورائه** "[(٢)].

هكذا نصب سيد قطب نفسه كأحد غلاة الروافض - وإن أبى من أبى -، فهو يرى ما يرونه من عدم أهلية عثمان بن عفان ﷺ للحكم، ليس هذا فحسب بل إنه جود على مذهبهم فقرر كونه شيخا خرفا يسهل التلاعب به، تغلب عليه الحَكَم بن أبي العاص

---

(١) أخرجه ابن ماجة، (مقدمة الكتاب)، باب (اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين)، (١/١٥)، ح(٤٢). قال الألباني: "صحيح " في (صحيح الجامع الصغير وزيادته)، (١/٤٤٩)، ح(٢٥٤٧).

(٢) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (١٨٦).

وعلى الأمة – جيل الصحابة – التي أجمعت على اختياره خليفة، وهو في هذا يقرر كون الحكم بن أبي العاص مجرم أثيم لا خلق له ولا دين، ومن هذا المنطلق اتخذه سلما للطعن في الخليفة الراشد.

ونحن بدورنا لا نجد أفضل مما قرره شيخ الإسلام في الرد على هذه الهرطقات في جوابه على الرافضي في زعمه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه آوى عمه الحكم بن أبي العاص حيث قال: **"كان من مسلمة الفتح وكانوا ألفي رجل "**.....**إلى قوله: " ولم تكن الطلقاء تسكن المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة، وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه، قالوا: "هو ذهب باختياره "، وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح، ولا لها إسناد يعرف به أمرها "**(١).

وقال أيضا رحمه الله:**" وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه كما تقدم، وقالوا هو ذهب باختياره، والطرد هو النفي "**.... **إلى أن قال: " وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عذر رجلا بالنفي لم يلزم أن يبقى منفيا طول الزمان، فإن هذا لا يعرف في شيء من الذنوب، ولم تأتِ الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفيا دائما، بل غاية النفي المقدر سنة، وهو نفي الزاني والمخنث حتى يتوب من التخنيث، فإن كان تعزير الحاكم للذنب حتى يتوب منه فإذا تاب سقطت العقوبة عنه، وإن كانت على ذنب ماض فهو أمر اجتهادي ولم يقدر فيه قدر ولم يوقت فيه وقت "**(٢).

ثم قال في فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه التي لا تكاد تحصى:**" والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وثنائه عليه "**.....**إلى أن قال: " وأمثال ذلك مما يوجب**

---

(١) انظر: منهاج أهل السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٦/٢٦٥)، ط (١)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٢) انظر: المرجع السابق، (٦/٢٦٦).

العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين - رضـــي الله عنهم ورضـــوا عنه - فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسـناده، ولا يعرف كيف وقع، ويجعل لعثمان ذنب لا يعرف حقيقته، بل مثل هذا مثل الذين يعارضـون المحكم بالمتشـابه، وهذا من فعل الذين في قلوبهم زيغ، الذين يبتغون الفتنة، ولا ريب أن الرافضة من شرار الزائغين الذين يبتغون الفتنة، الذين ذمهم الله ورسـوله.....وبالجملة فنحن نعلم قطعا أن النبي ﷺ لم يكن يأمر بنفي أحد ثم يرده عثمان معصية لله ورسوله ولا ينكر ذلك عليه المسلمون "[1].

وبعد أن اجتهد سيد قطب وبذل وسعه للطعن في الخليفة الراشد الثالث ذي النورين رضي الله عنه بتتبع الروايات الساقطة والآثار الباطلة، انتقل لطامته الكبرى التي قرر من خلالها أن الثورة التي قادها ابن سـبأ اليهودي كانت أقرب لروح الإسـلام من عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث يقول:" **وأخيرا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق بالباطل، والخير بالشـــر، ولكن لابد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإســـلام أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت أقرب لروح الإســلام واتجاهه من موقف عثمان، أو بالأدق من موقف مروان ومن ورائه بنو أمية "**[2].

هكذا يتضـح التشـوه الفكري لدى سـيد قطب في نظرته للحكم في أبهى صـورة، فالثورة الجاهلية التي قادها رافضـي خارجي على عثمان هي الأقرب لديه لروح الإسـلام، والخليفة الراشـــد بخلافته التي أجمعت عليها الأمة المختارة في أطهر قرونها هي الأبعد عن روح الإسلام، فياله من تشوه فكري وتطرف منهجي وانحراف عقدي لا نظير له.

من هنا تعرف أن السـلطة والسـيادة التي أرادها سـيد قطب له ولجماعته هي تلك الخلافة التي هي على منهاج الخوارج والروافض، لا تلك التي يتمناها كل مســـلم رزقه الله

---

(١) انظر: منهاج أهل السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٦/٢٦٨).

(٢) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (١٨٩).

فطرة سليمة ونية خالصة في نصرة الإسلام نظما وشعوبا، لا نصرة مذهب أو رأي أو جماعة.

ثانيا: طعون سيد قطب في الخلافة الأموية:

مهما كان سيأتي على لسان سيد قطب في شان الخلافة الأموية، ومن بعدها العباسية يستطيع القارئ الكريم تصوره بلا غرابة، فمن سولت له نفسه طعن الخلافة الراشدة لم تكن لتمنعه من رمي ما سواها بأبشع مما سبق، فقد قرر سيد قطب أن الخلافة الأموية لم تكن إلا مجرد حفنة من الملوك الظلمة، وزمرة من النهاب والإقطاعيين حيث يقول: " **فلما جاء بنو أمية نهبوا الناس، وأقطعوا الأرض لذويهم، فكانوا ملوكا ظلمة، لا خلفاء راشدين**" (١).

لم يدرك سيد قطب الذي لا يعرف الحق من الباطل، والكذب من الصدق، الذي يصرح بكل مهترئ من الروايات، وباطل من الآثار، وساقط من المذاهب أن هؤلاء من خير القرون التي شهد لها النبي ﷺ حيث قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» (٢).

لم يدرك أن هؤلاء هم الذين فتحوا الأرض ونشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلموا الناس العدل.

لم يدرك أنه بتصديره هذه الصورة الشوهاء؛ يؤكد مطاعن أهل الرفض والزندقة، ومطاعن سائر أعداء الإسلام من اليهود والنصارى المبشرين، والمستشرقين والمستعمرين.

عندما نمعن النظر في جوهر السهام التي أطلقها سيد قطب صوب الخلافة الأموية لا نجدها إلا متأثرة باشتراكيته البغيضة التي آمن بها، وأرادها منهجا للحكم الذي يراه هو يمثل المعسكر الإسلامي – في زعمه – ذاك المنهج الذي كشف عن وجهه القبيح في

---

(١) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (٩٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب (الفضائل)، باب (فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، (١٩٦٣/٤)، ح (٢٥٣٣).

كتابه " **معركة الإسلام والرأسمالية** " حين قال:" **وفي يد الدولة أن تنتزع من الملكيات، وأن تأخذ من الثروات بنسب معينة، كل ما تجده ضروريا لتعديل أوضاع المجتمع من الآفات: آفات الجهل، وآفات المرض، وآفات الحرمان، وآفات التطرف، وآفات الأفراد والجماعات، وسائر ما تتعرض له المجتمعات من الآفات؛ بل في يد الدولة أن تنتزع الملكيات والثروات جميعا، وتعيد توزيعها على أساس جديد، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام، ونمت بالوسائل التي يبررها، لأن دفع الضرر عن المجتمع كله أو اتقاء الأضرار المتوقعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقوق الأفراد، فنظرية الإسلام في التكافل الاجتماعي لا تجعل هناك تعارضا بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، وكل ضرر يصيب المجتمع يعده الإسلام ضررا يقع على كل أفراده، ويحتم على الدولة أن تقي هؤلاء الأفراد من أنفسهم** "(١).

هكذا تجده يسير على خطا ماركس وهيجل وغيرهما من الاشتراكيين.

كيف يدعي هذا الرجل ما يدعيه من انتصاره هو وحزبه لفكرة الإسلام الصحيح وهو ينتهك مبادئه ويحطم أسسه، ولا يمانع في استيراد مبادئ متفق على مجافاتها لأصول الإسلام الصريحة، وإلصاقها بالإسلام وكأنها دين محكم لا تشابه فيه.

ثالثا: طعون سيد قطب في الخلافة العباسية

لم تسلم قطعا الخلافة العباسية من طعنات سيد قطب المسمومة، فبعد أن اتهم عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخرف ومحاباة بني أمية، وتركيز الثروات في يد أكابر أقربائه، مما حوَّل المجتمع المدني في عهد عثمان لمجتمع رأسمالي بحت، تغوَّل بعد ذلك في عهد الخلافة الأموية - التي لا يراها سيد قطب دولة خلافة- يلتفت للخلافة العباسية؛ فتراه يسوق خطبة

(١) انظر: معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، ص (٤٣:٤٤)، ط(١٣)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.

مكذوبة للمنصور - كما هي عادته من الاعتماد على الأباطيل والأكاذيب - الذي قضى على دولة الرفض والإلحاد، فكان بذلك درعا حمت الأمة الإسلامية آنذاك من شر ما كان يعلم مدى ما كان سيسببه من البلايا إلا الله فيقول: **"وبذلك خرجت سياسة الحكم نهائيا عن دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام "**[(١)].

هكذا يرى سيد قطب أن الأمور عندما آلت للعباسيين خرجوا بها من دائرة الإسلام للكفر.

ترى ما الذي تركه سيد قطب للأمة بعد هدم كل الثوابت التاريخية، والطعن في الأكابر، أين هي الخلافة التي يدعو سيد قطب إليها إذا كانت كل النماذج السابقة بهذا القبح.

إننا لو تصورنا أن الأمور فيما مضى على ما ذهب إليه سيد قطب؛ لحق لنا أن نقرر فشل الخلافة كنظام حكم، ولا نبحث عن إقامتها تارة أخرى أبدا، وكيف عسانا نتمسك بنظام للحكم لم تجنِ منه الأمة إلا الرأسمالية البغيضة، والظلم الأسود، والإقطاعية الجائرة، والمجافاة لروح الإسلام، ثم الكفر بخروج الحكم عن دائرة الإسلام في عهد العباسيين.

غريب أمر سيد قطب الذي يدعو لنظام حكم ثبت فشله بامتياز - بقلمه وفي تصوره واعتقاده - لكنها الأنا البغيضة، وحب التفرد والإتيان بما لم يسبق إليه.

لقد أراد سيد قطب أن يؤسس لحكم يكون فيه الإخوان المسلمون سادة الناس وكبراءهم، ولا شطط إن قررنا أنه أراد نظاما يكون هو وجماعته فيه آلهة، ولم لا وهم وحدهم من يمثلون الفكر الصحيح عبر التاريخ، وأنه لم يسبقهم أحد لفهم كنه الحكم الإسلامي الصحيح، وأنهم متفردون في فهم مراد الله ورسوله.

---

(١) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (٢٠٠).

لقد أسست أفكار سيد قطب لكل الشرور المستطيرة، ولم تنقلب مجتمعات المسلمين رأسا على عقب إلا باعتناق كثير من الشباب المغرر به تلك الأفكار القطبية السوداء المقيتة، ولا نبالغ إن قررنا أنه لم يظهر بعد سيد قطب شر إلا وكان له فيه اليد الطولى والفضل المعلى ويكفيك في هذا المقام قول أيمن الظواهري الذي قال: "**إن أفكار سيد قطب تمثل نواة الحركة الجهادية المعاصرة** "[1].

المسألة الثانية: تنظير الجماعة ومهادنة ما بعد سيد قطب:

لا ينبغي في كل مراحل طرح رؤى الجماعة وتوجهاتها فيما يخص الخلافة والسلطة أن نطرح أرضا طرح ورؤى حسن البنا للقضية، ذاك الطرح الذي مثل القاعدة التي انطلقت منها كل الأفكار، مع اختلاف حدة الطرح الدائر بين الصدام والمهادنة، فأفكار سيد قطب التصادمية الداعية صراحة لمواجهة أنظمة العالم أجمع لم تكن بمنأى عن دعوة حسن البنا الصريحة لحمل السلاح، والإعداد للمقاتلة حين قال:" **الدعوة لها ثلاث مراحل هي: مرحلة الدعاية والتعريف، ومرحلة التكوين وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف، ومرحلة التنفيذ**"[2].

تلك المرحلة التي حددها حسن البنا حين قال في إجابته على سؤال متى يبدأ غزو الإخوان؟: " **في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيا بالإيمان والعقيدة، وجسميا بالتدريب....في هذا الوقت طالبوني أن أخوض بكم لجج البحار، واقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، وإني فاعل إن شاء الله، ألفوا الكتائب وأقبلوا على الدروس وسارعوا إلى التدريب** "[3].

(١) انظر: فرسان تحت راية النبي، أيمن الظواهري، ص (١١)، ط(١)، بدون دار نشر.

(٢) انظر: رسائل البنا، حسن البنا، ص (١٥٩).

(٣) انظر: رسائل البنا، حسن البنا ص (١٦٢).

وهكذا فإن استخدام القوة في منهج حسن البنا لإسقاط النظم السياسية والاجتماعية مسألة وقت، وما ذاك إلا لأن طلب الحكم وممارسة السياسة هي الإسلام، والمطالبة بالحكم والحكومة ركن من أركان الإسلام – بحسب زعمه – حيث يقول:" **إذا قيل لكم إلام تدعون؟ فقولوا إلى الإسلام، والحكومة جزء منه.**

فإن قيل لكم هذه سياسة؟ فقولوا هذا هو الإسلام، نحن دعاة حق نعتقده ونعتز به، فإن وقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندافع عن أنفسنا وكنتم أنتم الظالمين "(١).

هكذا انطلق سيد قطب من هذه القواعد في تكفيره وإرهابه الذي أفصح عنه – كما سبق عرضه –، وهكذا كانت انطلاقة كل منظري الإخوان المسلمين مع اختلاف نبرة الخطاب التي كانت تختلف باختلاف مفردات الواقع، الذي كان يمكِّن أحيانا رؤوس الإخوان من الصدح بتكفيرهم وإرهابهم دون أدنى مواربة، كما كان الحال مع سيد قطب والتلمساني(٢) الذي نجده في كتابه " **ذكريات لا مذكرات** " ينقل عن حسن البنا تهديده بإعلان الحرب على كل من لم يستجب لدعوة الإخوان المسلمين فيقول:" **نحن حرب**

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص (١٦٨).

(٢) عمر عبد الفتاح بن عبد القادر مصطفى التلمساني، ولد بالقاهرة ١٩٠٤م. تخرج من الحقوق ١٩٣٣م، وكان أول محامي ينضم لجماعة الإخوان المسلمين، وكان من المقربين لحسن البنا وصاحبه في أغلب أسفاره. تولى منصب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين بعد وفاة المرشد الثاني حسن الهضيبي ١٩٧٣/١١م. من مؤلفاته: شهيد المحراب عمر بن الخطاب، الخروج من المأزق الإسلامي الراهن، الإسلام والحكومة الدينية، آراء في الدين والسياسة، أيام مع السادات، قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر، من فقه الإعلام الإسلامي، يا حكام المسلمين ألا تخافون الله. توفي ١٩٨٦/٥/٢٢م، الموافق الثالث عشر من رمضان ١٤٠٦هـ، عن عمر ٨٢ سنة. انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، (٦٥٧/٢:٦٦٩).

على كل زعيم أو رئيس أو هيئة لا تستجيب لدعوتنا، وسنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق"(١).

ثم يؤكد التلمساني نفسه على أنه متى اعترضت القوى المختلفة سبيل الإخوان المسلمين لتحقيق الهدف المنشود – الخلافة والحكم – فإن مصيرهم الحرب حيث يقول: **"إننا نجاهد في سبيل إنقاذ الإنسانية من كل شرورها بالدعوة إن قبلوا، أما إن أبوا فليس إلا الكفاح الحربي بيننا "**(٢).

هكذا هم دائما كأنهم يقولون للأنظمة إن بذلتم إلينا الود وهادنتمونا كنا حربا عليكم، وإن عاملتمونا بما نستحق من العقوبة كنا سلما لكم.

لقد تحقق للإخوان المسلمين في الفترة الساداتية(٣) ما لم يتحقق من سنوات حيث أخرجهم من المعتقلات، ورد عليهم أملاكهم وأموالهم التي صادرها عبد الناصر، وأطلق أيديهم في الدعوة لمواجهة الأفكار الاشتراكية والناصرية لاسيما في الجامعات المصرية، وكانت لهم حظوة مكنتهم من مخاطبة رئيس الجمهورية بخطاب صادر من التلمساني جاء فيه: **" يا سيادة الرئيس إننا مسلمون مصريون يهمنا أول ما يهمنا أن يكون شعبنا آمنا مستقرا هادئا في ظل تشريع الله، وإن مصلحة هذه الأمة أن يطبق فيها شرع الله، ولا**

---

(١) انظر: ذكريات لا مذكرات، عمر التلمساني، ص (٦٩)، بدون طبعة، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (٦٩).

(٣) رئيس مصر، ولد في قرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية ١٣٣٧هـ/١٩١٨م، ودرس في مدرسة الأقباط، ثم مدرسة فؤاد الأول، وتخرج في الكلية الحربية، واشترك في الحركات الوطنية خلال السنوات السابقة للثورة، واعتقل وسجن، وعين وزيرا للدولة، ورئيسا لتحرير جريدة الجمهورية، ورئيسا لمجلس الأمة، ونائبا أول لرئيس الجمهورية. وعقب وفاة جمال عبد الناصر في ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠ انتخب رئيسا لمصر، حتى اغتيل من قبل عناصر عسكرية من جماعة الجهاد في السادس من أكتوبر ١٩٨١م. انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، ص (٤٥٣)، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

أكون مغاليا إذا قلت إن تطبيق شـرع الله في مصـر سـيكون فاتحة خير لجميع المنطقة من أولها إلى آخرها، وهناك يسعد الحاكم ويسعد المحكوم ويطمئن الحاكم ويرتاح"[1].

لو تصورنا ما جاء في هذا الخطاب من التوجيه لرئيس مصر آنذاك لعلمنا كيف كان السـادات معهم كريما رحيما، وهنا كان التصـعيد في الخطاب، وهذا دأبهم وديدنهم مع الأنظمة، متى كانت ودودة رحيمة جنت من وراء ذلك تصـعيدًا محتمًا أحيانا ومؤكدا أحيانا أخرى، ومتى عاملتهم بما يستحقون من التضـييق والعقوبة خفتت أصـواتهم ورفعوا راية المهادنة.

لأجل هذا المبدأ عمل منظرو الإخوان المسـلمين في الفترة الناصـرية على التبرؤ من توجهات سيد قطب لا لعقيدة وبصيرة بفحش ما كان عليه سيد قطب ولكن لاختلاف تناولهم لتوجيهات مرشدهم الأول طبقا لمفردات المرحلة، فلقد وجدوا أن تنظير سيد قطب للمرحلة الثانية التي نص عليها المرشـد الأول والخاصـة بشـن الحرب على الأنظمة وهي: التعبئة والشحن للمواجهة ستكلفهم إن لم تكن قد كلفتهم بالفعل خسارة قواعدهم على الأرض، ومن هنا تلت فترة تصـعيد سـيد قطب فترة مهادنة قادها المرشـد الثاني حسـن الهضـيبي، وقواعد الإخوان معه من أمثال زينب الغزالي وغيرها، حيث تجد حسـن الهضـيبي يعلن التبرؤ من توجهات سيد قطب، معتبرا أنها خارجة عن فكر الجماعة الوسطي حيث قال: **" لقد كان مما ابتلى به الإخوان المسـلمون في سـجونهم ومعتقلاتهم ما أظهره البعض بتكفير المسـلمين أو التشـكيك في حقيقة إسـلامهم وإيمانهم، ولقد سـارع**

---

(١) انظر: أيام مع السادات، عمر التلمساني، ص (٣٧)، ط(١)، ١٩٨٤م، دار الاعتصام، القاهرة.

الإخوان المسلمون رغم قسوة سجنهم ومعتقلاتهم لتصحيح هذا الفهم، لا رهبة من أحد ولا زلفى لأحد "(١).

بل وصل الأمر بحسن الهضيبي مسايرة للمرحلة كما هي عادتهم أن يوصي الإخوان بترك العمل السياسي والتخلي عن التدخل في السياسة حيث قال: **"أيها الإخوان المسلمون أوصيكم بتقوى الله، وقراءة القرآن، وعدم التدخل في السياسة"**(٢).

لم يكن الأمر من الهضيبي إلا مهادنة سياسية ومناورة؛ رأى أنها واجبة في أعقاب قنابل سيد قطب التي كانت قد أوشكت على الانفجار في وجه التنظيم.

الحقيقة أن حسن الهضيبي إنما كان يعتنق أفكار سيد قطب بكل ما تحمله من توجهات وعقيدة الخوارج الغلاة، ومن قبلها مبادئ المرشد الأول فيما يخص الطريق المؤدي للسلطة والحكم لاسيما وقد ثبت مبايعة جماعة الفنية العسكرية لحسن الهضيبي بشهادة أيمن الظواهري في كتاب " **فرسان تحت راية النبي**"، وهو الأمر الذي طلب الهضيبي كتمانه وعدم إعلانه حتى إذا انكشف أمر الفنية العسكرية كانت جماعة الإخوان المسلمين في مأمن، وإذا نجحت في المهام المنوطة بها - اقتحام الكلية الفنية العسكرية والاستيلاء على الأسلحة والانتقال لمواجهة قوات الأمن بداعي إحداث انقلاب - يكون الإخوان المسلمون قد أحسنوا استغلال التنظيمات المسلحة لمشاغلة قوات الأمن في الحكومات وصرف نظرها من أجل التمدد والتوسع داخل مفاصل الدولة ومؤسسات المجتمع حتى تتحقق غاية الوصول للسلطة.

من هنا نعرف أن المهادنات التي أطلقها منظرو الإخوان لم تكن إلا مناورة اقتضتها المرحلة كما فعل حسن الهضيبي، وليس أدل على ذلك من عودة المرشد الثالث عمر

---

(١) انظر: دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، ص (١١)، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

(٢) انظر: قراءة في كتاب دعاة لا قضاة، د. صلاح الصاوي، ص (١٥)، كتاب إليكتروني.

التلمساني الذي خلف حسن الهضيبي بخطاب العنف - كخيار استراتيجي لخطة المرشد الأول للوصول للسلطة - كما كان عليه الحال مع المرشد الأول وسيد قطب، فخطاب الإخوان المسلمين فيما يخص الخط الذي رسمه مرشدهم الأول ينبغي ألا يفهم على ظاهره أبدا كما فعلت زينب الغزالي في كتابها " **أيام من حياتي** " عندما تكلمت عن فكرة الدعوة السرية التي تمتد لثلاثة عشرة عاما كما فعل الرسول الأكرم ﷺ[1].

هكذا بعد التكفير والإرهاب الذي يعتبرونه جهادا في سبيل، يعودون فيتكلمون عن سرية الدعوة واستكانتها، وما ذاك إلا لأن استراتيجية الجماعة في سبيل الوصول للسلطة اقتضتها ظروف المرحلة، وهو أمر معلوم من منهج الجماعة أصبح لا يخفى على القاصي والداني.

(١) انظر: أيام من حياتي، زينب الغزالي، ص (٢٣)، ط (١)، بدون تاريخ نشر، دار كنوز، القاهرة.

المبحث الثاني

الإخوان المسلمون والسلطة "رحلة الصعود والأفول "

المطلب الأول:

الإخوان المسلمون والسادات " الإفراج المشروط ":

بدأ العهد الساداتي بداية مختلفة كلية عما كان عليه الحال في العهد الناصري، ليس أدل على ذلك من كلام السادات نفسه عن نظرته للإخوان المسلمين حيث قال: **"سمعت الكثير عن الإخوان المسلمين وكنت أتصور أنها جماعة دينية هدفها الوحيد الإصلاح الخلقي، وإحياء قيم الإسلام، لكني بعد أن سمعت لحسن البنا؛ بدأ مفهومي يتغير بعض الشيء، فقد كان الرجل يتكلم عن الدين والدنيا معا بأسلوب جديد لم نألفه من رجال الدين"**(١).

هكذا بدأ العهد الساداتي برغبة صادقه في إعلاء دولة العلم والإيمان معا، حيث كانت للسادات رغبة ملحة في مواجهة التيارين اليساري والناصري لاسيما في الجامعات بين أوساط الطلاب، ولم يكن أفضل من الإخوان لهذه المهمة في ذاك التوقيت، فتم عقد صفقه مع عمر التلمساني مرشد الإخوان المسلمين آنذاك تقضي بالسماح للجماعة بالعمل الدعوي دون الانخراط في العمل السياسي نظير الإفراج عن المعتقلين، وعدم الملاحقة الأمنية، وقد قبل التلمساني ذلك وسار الأمر كما خطط له السادات فلم يمضي عامان إلا وكانت التيارات الدينية قد سيطرت على اتحادات الطلاب في كل جامعات مصر تقريبا(٢).

---

(١) انظر: البحث عن الذات، محمد أنور السادات، ص (٣٦)، ط (١)، ١٩٧٨م، نشر المكتب المصري الحديث، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٨).

حاول عمر التلمساني استغلال هذه الهدنة التي منحت الإخوان المسلمين فرصة جديدة، فتبرأ أولا من توجهات وتفسيرات سيد قطب حيث قال:" **ومما سهل للطغاة فرص المهاجمة والاتهام؛ تعرض البعض لتفسير القرآن على غير علم، وحسب الهوى، وهو الأمر الذي طهر الله منه الإخوان المسلمين، ذلك أنهم لم يتلقوا تفسيرا معينا عن إمامهم الشهيد، ولا غيره وكل عمدتهم في التفسير ما حوته كتب التفسير المعتمدة :كابن كثير، والقرطبي، والفخر الرازي، والطبري والألوسي والكشاف، ومن على مثل هؤلاء الفحول الأعلام، وبهذا كان يأمرهم الإمام الشهيد حسن البنا"**(١).

لم يكن هذا الكلام بلا شك عن قناعة وإنما كان – كالعادة – هدفا مرحليا رغبة في الاعتراف الرسمي بالجماعة من قبل الدولة، وهو ما لم يتمكن الإخوان المسلمون من تحقيقه بشكل كامل، فقد كان السادات متسامحا مع نشاط الجماعة واعترف بوجودها في المجال العام، ولكنه لم يوافق على إعطائها الشرعية القانونية (٢).

جدير بالذكر أن الإخوان المسلمين وعلى رأسهم مرشدهم الثالث عمر التلمساني لم تتخل لحظه عن حلم الحكم والسلطة بدليل ظهور الوجه القبيح لعمر التلمساني تجاه السادات بعد ما تأكدت الجماعة أن الأمر لم يكن ليعدو اتفاقية حقق بها السادات مكتسبات سياسية دون أن تحقق الجماعة من ورائها ما تحلم به وتصبو إليه وهو الاعتراف بها، ليمثل هذا الاعتراف نقطة الانطلاق نحو الصعود السياسي، ومباشرة الحقوق الدستورية، عندئذ انكشف الوجه الآخر الذي تمثل في قول التلمساني عن السادات نفسه:"**كان من بين ما أثار السادات علينا في خطابه الركيك أننا رفضنا القوانين**

(١) انظر: أيام مع السادات، عمر التلمساني، ص (٢٦).

(٢) انظر: صراع على الشرعية الإخوان المسلمون ومبارك ١٩٨٢: ٢٠٠٧م، هشام العوضي، ص (٧٦:٧٧)، بدون طبعة،٢٠٠٩م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الوضـعية، وطالبنا بتطبيق الشـريعة الإسـلامية، ويا له من ذنب عند السـادات فظيع "[(١)].

وقد أكد عبد المنعم أبو الفتوح على ثورية خطاب الإخوان المســـلمين في مواجهة الســـادات فقال: **"كان خطابنا صـــارخا ثوريا في نقد النظام الحاكم، وفي دعوته لتطبيق شرع الله، في حين كان خطاب غيرنا يبدو فيه الميل للنظام "**[(٢)].

وفي موضـع آخر تكلم عن بداية نهاية أحلام الجماعة فيما يخص العمل السـياسـي، بعد أن آلت الجماعة على نفسـها نقض ما تم الاتفاق عليه من الاكتفاء بالعمل الدعوي وترك التدخل في الشؤون السـياسـية حيث قال: **" أسـفرت الأمور عن تضـييقات على الأنشطة والمعسكرات الطلابية، بل بدأت تصادر المطبوعات الطلابية التي كانت تمر قبل ذلك بيسر وسهولة، وبعد توقيع معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني ١٩٧٩م، بدأت حملة قوية ضد الحركة الإسلامية، وبدأ الصدام يحتدم، وبدت سياسة التضييق الأمني دليلا على تغير الأجواء بين السادات والحركة الإسلامية عموما "**[(٣)].

وهكذا بان أن أحلام الجماعة بممارسـة العمل السـياسـي طغت على توجهاتهم، وأن ما عقده التلمسـاني مع السـادات لم يكن إلا ضـرورة فرضـها الواقع حتمت على الجماعة الدخول في مرحلة التكيف المؤقت مع البيئة السياسية القائمة.

الحقيقة أن فكرة الخلافة والحكم لا يمكن الظن بأنها غابت ولو لحظة عن فكر جماعة الإخوان المســـلمين في هذه الفترة من عمر التاريخ، بل يمكن القول أن الجماعة كانت تتمدد وتنكمش في خطابها – كما علمنا – طبقا لمفردات الواقع وظروف المرحلة، وفي

(١) انظر: أيام مع السادات، عمر التلمساني، ص (٢٢).

(٢) انظر: عبد المنعم أبو الفتوح شـــاهد على تاريخ الحركة الإســـلامية في مصـــر ١٩٧٠: ١٩٨٤م، حسام تمام، ص (٥٥)، ط (٢)، ٢٠١٢م، دار الشروق، القاهرة.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (١١٠).

هذا السياق يقول حسام تمام [(١)]: **" شكل موضوع الدولة لدى الإسلاميين يكاد يكون ثابتا، بل إن أيديولوجيا الإسلام السياسي قامت على فكرة الدولة الإسلامية منذ سبعينات القرن الماضي أكثر مما قامت على مفهوم سياسي واجتماعي آخر "**[(٢)].

ويخطئ خطأ فاحشًا من يظن أن الإخوان المسلمين من الممكن أن ينفصلوا فعليا عن فكرة استعادة الخلافة واستعادة السلطة، لمجرد ابتعادهم عن التنظير لهذا الهدف في فترة من فترات عمر التنظيم، لأن هذا لا يعد إلا خطة كما ذكر سيد قطب في أدبياتهم، التي تمثل بالنسبة لهم التراث الحقيقي، ولأن الفكرة الأممية مكون رئيسي في المشروع الإخواني منذ أنشأ حسن البنا الجماعة ١٩٢٨م.

قال حسام تمام: **"تطغى الرؤية الأممية للإخوان المسلمين عند تصورهم لدور مصر، فالرؤية الأممية مكون مهم في المشروع الإخواني منذ أنشأ البنا الجماعة ١٩٢٨م كرد فعل على انهيار الخلافة العثمانية، ثم أنشا قسم الاتصال مع العالم الخارجي ليضع الفكرة موضع التطبيق، وفي الستينات والسبعينات لعب الإخوان الذين هاجروا خارج مصر في العالم العربي كما في أوربا دورا مهما في تأسيس الفروع**

---

(١) حسام تمام ١٩٧٢: ٢٠١١م، من أبرز الخبراء العرب في شؤون الإسلام السياسي، يعد تمام مؤسس أول مرصد متخصص لدراسة الحركات الإسلامية. بدأ عمله الصحفي بجريدة " آفاق عربية " وشغل منصب مدير تحرير قطاع الحركات الإسلامية أبرزها " مع الحركات الإسلامية لاين "صدر له عدة كتب وترجمات في الحركات الإسلامية أبرزها " مع الحركات الإسلامية في العالم: رموز وتجارب وأفكار " و " تحولات الإخوان المسلمين: تفكك الأيديولوجية ونهاية التنظيم "كان محاضرا في جامعة زيورخ وساهم في العديد من الإصدارات المتخصصة في الشرق الاوسط، بالتعاون مع عدد من الجهات البحثية الأوربية. انظر: الترجمة بمقدمة كتاب الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، ط (٢)، ٢٠١٣م، دار الشروق، القاهرة.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، حسام تمام، ص (١٦٣)، ط (٢)، ٢٠١٣م، دار الشروق، القاهرة.

الإقليمية لحركة الإخوان المسلمين وهي الفروع التي تولى مصطفى مشهور مرشد الجماعة لاحقا، مهمة تجميعها تحت قيادة الجماعة الأم في مصر باسم التنظيم الدولي للإخوان المسلمين عام ١٩٨٢م، وهكذا يمكن الجزم أن قسما مهما من الإخوان لا يزالون يفكرون بمنطق الخلافة الإسلامية ويتجاوزون حدود مصر حين يتعلق الأمر بالقضايا الإسلامية لاسيما بالقضية الفلسطينية، ورغم إصرارهم على كونهم جزءا من الحركة الوطنية المصرية إلا أن الجذور الأممية لا تزال كامنة منذ مرحلة تنشيط التنظيم الدولي للإخوان في الثمانينيات ويجري استحضار شعار البنا عن مفهوم أستاذية العالم الذي يشير إلى هدف استعادة الخلافة الإسلامية كتعبير عن الرؤية العالمية في فكر الإخوان كجزء من المشروع السياسي للحركة على الرغم من أن هناك تحولات مهمة طالت التنظيم والأيديولوجيا الإخوانية مع مطلع الألفية الجديدة "(١).

في أواخر العهد الساداتي بدأت الجماعة تستقوي بالمفردات المتاحة، وتستغل الآثار الاجتماعية التي ترتبت على سياسة التحرير الاقتصادي التي اتبعها السادات كالبطالة والفقر وانحسار الخدمات، حيث مثلت لها هذه الآثار أرضا خصبة للحركة والتعبئة، واستفادت من ركائز اجتماعية وثقافية وفكرية متاحة دعمتها وشجعتها (٢).

أدى الصدام الذي انتهى به العهد الساداتي بين الجماعة والجهات الأمنية لخروج الفكر القطبي من بياته الشتوي، هذا الفكر الذي لم يغب كخيار استراتيجي دائم في وجدان الجماعة، حيث ظهرت وبقوة جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية مما كان له الأثر المباشر في اغتيال رأس النظام آنذاك الرئيس محمد أنور السادات.

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، حسام تمام، ص (١٧٨:١٧٩).

(٢) انظر: دراسات نقدية في علم الاجتماع، عبد الباسط عبد المعطي، ص (٤٣٤)، ط(١)، ٢٠١٤م، دار العين للنشر، العين.

وهكذا تلخصت الفترة الساداتية في الآتي:

١-قبول عمر التلمساني لعرض السادات لم يكن إلا خطة استراتيجية فرضتها مفردات الواقع السياسي، كان الهدف منها إعادة بناء التنظيم، وتجنيد أعضاء جدد بعد فترة الاعتقال الطويلة التي صاحبت العصر الناصري لنهايته، حيث أخرجهم السادات بشكل تدريجي وأعاد إليهم ممتلكاتهم وأموالهم المصادرة، وسمح لهم بإقامة ندواتهم وإعادة مطبوعاتهم واللقاءات العامة، وممارسة كل الأنشطة.

٢-الهدف الأسمى للجماعة كان نيل الاعتراف الرسمي من الدولة بالجماعة، لتبدأ الجماعة في الانطلاق نحو استعادة الحكم - الخلافة والسلطة في الفكر - ولما لم يحدث ذلك أظهرت الجماعة ما أخفته - تقية - من البداية - الرغبة في الاستيلاء على السلطة - وعادت لتتحرك انطلاقا من قواعدها القطبية، وعندما علت الأصوات بانتقاد السادات تصدى لها بالحبس والتحفظ في السجون تارة أخرى، وهو الأمر الذي أعاد جماعة الإخوان المسلمين لممارسة العنف ومن ثم اغتيال رئيس مصر محمد أنور السادات في السادس من أكتوبر ١٩٨١م.

المطلب الثاني:

الإخوان المسلمون ومبارك " الصعود نحو السقوط ":

رغم تعامل الرئيس محمد حسني مبارك مع جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها جماعة محظورة، إلا أنه اتبع أسلوبا جديدا في التعامل معها يختلف عن عبد الناصر والسادات، فقد سمح لكوادرها بممارسة العمل السياسي، وتأسيس الجمعيات الأهلية، والترشح في النقابات المهنية.

أحسن الإخوان المسلمون استغلال الفرص المحدودة لهم في عهد مبارك، من خلال تكوين شبكة علاقات قوية مع القوى المدنية والسلفية على حد السواء، فكانت الطرف المعارض على حساب الجميع (١).

يمكن القول أنّ علاقة الإخوان المسلمين بالدولة المصرية في عهد مبارك مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التجاهل والتسامح منذ اغتيال الرئيس السادات١٩٨١م

كان الهدف الرئيسي للدولة هو تفكيك حالة التوتر التي أعقبت الاغتيال، على أن يتضمن ذلك خلق شرعية جديدة للحكم تقوم في جوهرها على فكرة المصالحة الوطنية، والتفاعل مع القوى السياسية المصرية الرئيسية، وقد أدى ذلك لتمتع الإخوان المسلمين بقدر واسع من حرية الحركة والتعبير، دون أن يصل ذلك للاعتراف الرسمي بشرعية وجودهم" (٢).

---

(١) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٩).

(٢) انظر: دليل الحركات الإسلامية في العالم، ضياء رشوان، ص (٤٢)، بدون طبعة، ٢٠٠٦م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.

في تلك المرحلة استطاع الإخوان دعم وجودهم السياسي والشعبي بمصر، ومدوا نفوذهم لقطاعات مؤسسات سياسية عريضة مثل: مجلس الشعب، والنقابات المهنية، واتحاد الطلاب بالجامعات المصرية، ونوادي هيئات التدريس.

بانتهاء انتخابات مجلس الشعب ١٩٨٧م كانت قوة الإخوان قد تنامت في ظل تحالفهم مع حزبي العمل والأحرار تحت شعار " **الإسلام هو الحل** ".

المرحلة الثانية: التخوف والاحتكاك:

في هذه المرحلة بدأت الدولة إيقاف زحف الإخوان المسلمين داخل النقابات المهنية عن طريق تجميد بعضها وإثارة المشكلات داخل بعضها الآخر، والتي بدأ الإخوان يتصرفون خلالها باعتبارهم شبه قوة شرعية في البلاد (١).

في هذه المرحلة وتحديدا عام ١٩٩٢م استطاع الإخوان المسلمون السيطرة على مجلس نقابة المحامين الذي ظل حكرا طيلة تاريخها على التيارين الليبرالي والحكومي، مما زاد من تخوف الدولة منهم، وفي منتصف العام نفسه اندلعت الموجة الأكثر شراسة للعنف الإسلامي الذي قام بها كل من الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، والتي أخذت الدولة على الإخوان ما أسمته عدم إدانتهم لها والاكتفاء ببيانات عامة فضفاضة، وهكذا انتقلت علاقة الإخوان بالدولة منذ ١٩٩٣م وحتى قبيل ثورة يناير ٢٠١١م لمرحلة جديدة.

المرحلة الثالثة: التدهور والصدام

دخلت الدولة في مواجهه واسعة مع الجماعة في الوقت الذي كانت قد انتشرت فيه في قطاعات المجتمع السياسي والنقابي (٢).

---

(١) انظر: دليل الحركات الإسلامية في العالم، ضياء رشوان، ص (٤٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (٤٢).

وقد تزامن ذلك مع موجة العنف الإسلامي الواسعة الحادة الأمر الذي رأت فيه الدولة وجهين لظاهرة واحدة: هي الصحوة الإسلامية التي لم يكن فيها ثمة فروق بين جماعة الإخوان وجماعات العنف الإسلامي.

أيقن مبارك كون جماعة الإخوان المسلمين هي المسؤولة عن عمليات العنف التي طالما عانت منها البلاد، وأنه ما من جماعة إرهابية إلا وخرجت من عباءة الإخوان، ففي قوله لمحررة صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية عن الجماعات الإسلامية جاء:" **أنها غير مقلقة ونحن اعتدنا على ذلك بمصر، دعيني أقول لك بكل صراحة إن مشكلة الإرهاب برمتها في الشرق الأوسط هي منتج ثانوي للإخوان المسلمين حتى الجهاد وحزب الله في لبنان وحماس بفلسطين كلهم خرجوا من مظلة الإخوان المسلمين، إنهم يعلنون إدانتهم للعنف، ولكن الحقيقة أنهم مسؤولون عن كل عمليات العنف، وسيأتي الوقت الذي سينكشفون فيه** "(١).

هكذا أدى التصور الصحيح لمبارك لمراجعة كوادر الجماعة لمنطلقاتها السياسية فيما يخص الدولة والحكم، وقد عملت هذه المراجعات على تصور عمل إسلامي جديد في منطلقاته اجتمع عليه ما يربو على المائة وخمسين شخصية إخوانية، وقد نتج عن ذلك وثيقة تحت عنوان " **نحو تيار إسلامي جديد** " جاء فيها:" **إن كثيرًا من الداعين للإسلام والمتحدثين عن مبادئه وقيمه ونُظُمه وثقافته يتحدثون عن عبارات عامة وغامضة عما يسمونه الحل الإسلامي، وعن منهج الله مقابل المناهج البشرية، وعن الحاجة إلى أسلمة الحياة وأسلمة المعرفة وأسلمة العلوم، ثم لا يزيدون، ولا يعرضون على الناس عناصر هذا المنهج، ومكونات ذلك الحل، ووسائل وضعه موضع التنفيذ**"(٢).

---

(١) انظر: الحالة الدينية في مصر، نبيل عبد الفتاح، ص (١٧٧)، بدون طبعة، ١٩٩٥م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.

(٢) انظر: رؤية إسلامية معاصرة "إعلان مبادئ"، أحمد كمال أبو المجد، ص (٦)، بدون طبعة، ١٩٩١م، دار الشروق، القاهرة.

واستمرارا لرغبة الإخوان المسلمين في تحييد النظام السياسي من أجل المضي قدما في هدوء – ولو مؤقتًا – لتحقيق مساعيها تقدَّم أبرز كوادرها وهو عصام العريان – القيادي البارز في جيل الوسط والعضو السابق بمجلس الشعب – وطالب الجماعة بمراجعة قواعدها الفكرية خاصة في أعقاب أحداث ٢٠٠١/٩/١١م جاء فيها:" **آن الأوان لتطوير برامج الإخوان المسلمين وخِطط عملهم لاعتماد المصالحة مع النظام الحاكم والمشاركة مع القوى السياسية، وهذا شرط أساسي للإصلاح، فلا يمكن أن يتم إصلاح دون تحقيق نوعٍ من الهدوء في العلاقة بين الإخوان المسلمين والنظم الحاكمة** "[١]، وعن كيفية إبرام مصالحة مع النظام ووسائل تلك المصالحة يرى العريان الآتي:" **إن الوسائل مطروحة للتفكير فيها بعمق ومنها على سبيل المثال دعوة النظام الحاكم في مصر، بعد أن أعلن في بداية التسعينيات أنه ليس على استعداد لتكرار تجربة الجزائر في مصر، إلى دراسة تجربة المغرب الذي يتمتع باستقرار سياسي، واستطاع أن يستوعب التيار الإسلامي، وأن يحيد التيارات الأخرى الرافضة للأوضاع " كالعدل والإحسان " مع الاعتراف بالطبع بأن مصر لها خصوصيتها**"[٢].

لا شك أنه أصبح غنيًا عن البيان أن كل محاولة تهدئة من الإخوان المسلمين لا تعدو عن كونها مهادنة مرحلية وخطة – كما سماها سيد قطب –، فالتاريخ أصبح محفوظًا ومثل هذه الاستراتيجيات أصبحت لا تخفى على كل كَيِّس فَطِن.

من هنا تتابعت المبادرات الداعية للتهدئة من الكوادر القيادية الإخوانية، ومن هذه المبادرات المهمة تلك التي أطلقها مختار نوح – أمين الصندوق السابق لنقابة المحامين، والعضو السابق بمجلس الشعب عن الجماعة – والتي جاء فيها:" **إن الأزمة بين الإخوان**

---

(١) انظر: رؤية إسلامية معاصرة "إعلان مبادئ"، أحمد كمال أبو المجد، ص (٦).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (٦).

والدولة تتلخص في وجود رسائل زائفة بين الطرفين، فالحكومة لديها رسائل مفادها أن الإخوان طلاب سلطة يريدون الحصول على الحكم بأي طريقة، وأنهم يُعِدون أنفسهم كبديل للنظام، بينما تصل إلى الجماعة رسائل مفادها أن النظام يسعى لاستئصالها تمامًا، وأن كلتا الرسالتين غير صحيحة، فلا الحكومة تريد استئصال الجماعة، ولا الجماعة تريد الوصول للسلطة، أو تُعِد نفسها بديلاً عن النظام، وتلك الرسائل تصل من خلال عدة طرق بعضها حسن النية ولكنه مليء بالأخطاء، والبعض الآخر سيء النية يأتي من داخل أجهزة الأمن، حيث هناك كثيرون لا يريدون لهذه الأزمة أن تُحَل، ولا لهذا الملف أن يُغَلق وبالتالي فهم يقومون بدورهم في إزكاء روح الفتنة بين الطرفين "(١).

وبمثل هذه المبادرات سبق عبد المنعم أبو الفتوح بإعلان نبذ الجماعة لفكرة العنف كسبيل من سبل تحقيق الأهداف - يقصد الوصول للسلطة -، وكذلك ترك الجماعة للعمل السري وإعلان كونها جماعة علنية حيث قال:" **وأتصور أن نبذ فكرة استخدام العنف تم داخل الجماعة تدريجيًا، ومع دخولها في العمل العام حتى انحسرت تماما إلا - ربما - في قناعات مستترة لبعض الأفراد القليلين الذين لا يجدون سبيلاً لنشرها داخل الجماعة، فضلاً عن الدعوة إليها علانيةً، وقد تم هذا الحسم بتدرج وهدوء، ولم تضطر الجماعة فيه لتكرار ما فعله الأستاذ حسن الهضيبي مع فتنة التكفير في نهاية الستينيات.**

أما القطع مع العمل السري، وحسم قضية علنية الجماعة ورفضها للسرية فقد تم بشكل رسمي ومكتوب عام ١٩٨٧م، حيث اجتمعت كل قيادات الجماعة من

(١) انظر: التيار التجديدي في الإخوان المسلمين، جمال سلطان، ص (٣٦)، ط(٢)، ٢٠٠٢م، المنار الجديد، القاهرة.

مسؤولي المحافظات لأعضاء مكتب الإرشاد، وتداولنا هذه القضية وظهر ما يشبه الإجماع على الإقرار بعلنية الجماعة ورفض العمل السري، وخرجنا منها بوثيقة رسمية مكتوبة عرفت باسم " جماعة الإخوان المسلمين جماعة علنية "، أقرَّ بها مكتب الإرشاد، وأرسلت لكل أقسام الجماعة، ومكاتبها الإدارية للالتزام بما جاء فيها"(١).

وهكذا يلاحظ المتابع لمسار حركة الإخوان المسلمين – في مراحلها المختلفة – أنها حاولت جهدها تقديم أفكار جديدة في وثائق وبيانات موجهة للأمة مفادها – ولا شك– تعطيل العمل لتحقيق الحلم القديم – السلطة –، وطرح فكرة الخلافة نهائيا من الخطاب الإخواني، والعمل لأجل السلطة في إطار العمل الحزبي وتداول السلطة، حيث كان من أهم المتغيرات واتجاهات التحول داخل الجماعة فيما يخص تداول السلطة، وقد كان السؤال المطروح دوما وماذا لو وصلت جماعة الإخوان المسلمين لحكم مصر هل يسمحون بالتعددية في ظل وجود أحزاب مخالفة لهم في الفكر والتوجه؟.

في هذا الإطار أجاب عصام العريان فقال:" **هناك إمكانية لتداول السلطة بين كل التيارات الموجودة التي تلتزم بالدستور والقانون، وهنا لا تكون ثمة مشكلة في تبادل السلطة، وأضاف إن الابتكار الغربي لمسألة تداول السلطة لابد من النظر إليه بإيجابية، وبحث إمكانية الإفادة منه لمنع الصراعات التي عرفتها المجتمعات قديما وحديثا حول الوصول للسلطة** "(٢).

---

(١) انظر: عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠: ١٩٨٤م، حسام تمام، ص (١٢٩: ١٣٠).

(٢) انظر: التيار التجديدي في الإخوان المسلمين، جمال سلطان، ص (٣٩).

هكذا أكد هذا الجيل على الانخراط في العمل السياسي بمفرداته على الأرض، والتخلي – ظاهريًا – عن فكرة الخلافة التي طالما سيطرت على أفكار ومبادئ حسن البنا، وأصَّل وقعَّد لها سيد قطب حتى تسببت في خراب المجتمعات، وانهيار أمن البلاد.

وفي ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية في نهاية عهد مبارك استغل الإخوان المسلمون ذلك مما أدى لزيادة نشاطاتهم، واستطاعت الجماعة أن تكسب أعدادًا كبيرة من مؤيديها، وكرَّست في الحس العام المشترك للمصريين أنها أكثر القوى التي دفعت ضريبة النضال، واكتسبت شعبية واحترام عدد كبير من الجماهير، ومكنتها الأجواء العامة بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م من الوصول للحكم الذي حلمت به كثيرا، وعملت له أمدًا طويلاً منذ نشأتها، لكنهم سرعان ما انهاروا بالرغم من جهادهم الطويل لأجل هذه اللحظة لعدم قدرتهم على استيعاب مركبات الدولة المختلفة، وأطيافها المتعددة ورغبتها في الاستئثار بالتحكم في مفاصل الدولة، مع استبعاد عناصر الخبرة والكفاءة والرغبة في الاستحواذ على أَزِمَّة الأمور دون سائر أطياف الدولة المصرية فكان تحقيقهم لحلمهم القديم ليس إلا صعودا سريعا نحو السقوط.

الخاتمة

النتائج:

١- مشكلة استعادة الخلافة والحفاظ عليها بعد الاسترداد ظلت هاجسًا مقلقًا في خطاب الإسلام السياسي عموما وخطابات جماعة الإخوان المسلمين على وجه الخصوص كما كان ذلك بين في خطابات ورسائل المرشد الأول حسن البنا وكل مرشدي الجماعة عموما وإن داهن البعض كحسن الهضيبي، واحتلت كذلك مساحات كبرى في كتابات منظِّريهم وعلى رأسهم سيد قطب وعبد القادر عودة.

٢- مسألة الانفصال عن السلطنة العثمانية أو الخلافة عموما لم تكن بدعة أتى بها مصطفى كمال أتاتورك ليست لها سوابق تاريخية، بل كانت تواصلا مع تقاليد التاريخ الحقيقي العميقة في ممارسة الخلافة التي تجمع بين السلطتين الدينية والسياسية التي امتدت من عصر الخليفة العباسي الرشيد (٧٨٦: ٨٠٨م/١٧٠: ١٩٣هـ) إلى عصر عبد الحميد الأول السلطان العثماني (١٧٧٤: ١٧٨٩م/١١١٨: ١٢٠٤هـ)، أي حوالي عشرة قرون ميلادية وإحدى عشر قرنا هجريا، في هذه الفجوة الزمنية الكبيرة تحولت الخلافة إلى رمز ديني لا فعالية له في الواقع السياسي، حيث في هذه الفترة تحولت السلطة الفعلية من أيدي الخلفاء وممثليهم لبعض حكام الأقاليم الذين تمتعوا بقدر من الاستقلال الذاتي مع الاعتراف بسلطة الخليفة العباسي في بغداد، فقامت دولة بني طاهر ومؤسسها طاهر بن حسين الخراساني قائد جيوش المأمون ضد أخيه الأمين، وعاصمتها مرو بخراسان في الفترة من ٨٢٠: ٨٧٢م، ثم قامت دولة بني الأصفر في الفترة من ٨٧٦: ٩٠٨م، وقامت دولة بني سامان على أنقاض دولة بني الأصفر في خراسان واستمرت حتى ٩٩٩م، وهكذا تقضي السوابق التاريخية بجواز قيام الدول طالما تحققت وحدة الإسلام، وقد كانت مصر

سباقة لذلك عندما استقلت مع اعتراف رمزي بسلطة الخليفة العباسي تحت حكم ابن طولون.

٣-الحق أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة المزعومة في منهج الإخوان المسلمين، تلك الخلافة التي لم يكن ثمة هدف منها إلا الاستيلاء على الحكم والتحكم في مراكز اتخاذ القرار، فالأمر جميعه لم يعدو عن كونه خططًا سياسيةً صرفة لا شأن للدين بها.

٤-لم تكن الحركة العثمانية التاريخية إلا ملكا أو سلطنة اندرجت تحت عنوان الخلافة، وهي ليست من الخلافة في شيء حقيقة، وما أصاب الأمة من تمزق وتشرذم في الحقيقة لم يكن إلا جَرَّاء منهجها السياسي في أواخر عهدها، ومن مقتضيات البصيرة أن تتمسك الأمة بسلطتها الشعبية التي دخلت في يدها، ولا تفرط في هذه النعمة العظيمة بأي طريقة كانت، وأن تحافظ عليها بكل قواها، وأن تسعي في إرجاعها إلى وضعها الأصلي الطبيعي.

٥-لا يصح قطعًا تقييد الحكومات التي هي مضطرة لتدبير شؤون ومصالح العباد حسب مقتضيات الزمان والمصلحة العامة بأقوال الفقهاء الجامدة، والناس لم يكونوا مقيدين بمذهب أحد من المجتهدين في أوائل الإسلام، إذ كانوا يسألون أحد المجتهدين عن حكم مسألة ثم يسألون غيره في اليوم التالي عن مسألة أخرى، ويعملون بقول من يحقق مصلحة دنياهم، وما ادعى مجتهد لزوم عمل الناس باجتهاده، والكل كان يعلم بفطرته وأحكام دينه البيِّنة أنه لا صلاحية لأحد لوضع الأحكام برأيه المجرد باسم الشريعة سوى الشارع الأعظم.

٦-من يتتبع حركة تنظيم الإخوان منذ تأسيسه في أواخر العشرينيات حتى يومنا هذا، يرى أن العنف جزء لا يتجزأ من استراتيجية التنظيم في سبيل الوصول إلى السلطة، وما قد يتغير هو شكل هذا العنف الممارس تجاه المعارضين لنهجهم، والغطاء الذي يتخذه

في سـبيل تبرير هذا العنف أو التملص منه عبر إلصـاقه في تنظيمات صـغيرة، لكنها على كل حال هي أدوات في يد التنظيم، وتظهر خطورة أيديولوجية في كونها دســـتورا لكثير من التنظيمات الإرهابية، مثل داعش والقاعدة.

التوصيات:

١- ينبغي أن تُولِي الحكومات الإسلامية المختلفة اهتماما خاصا بالشباب لاسيما الفئة العمرية الصغيرة التي تتراوح من ١٥: ٢٥سنة، حيث تمثل هذه الفئات خمس سكان العالم، فتحتضنهم سياسيا عن طريق المؤتمرات والندوات الثقافية والدعوة عند بلوغ السن المناسب للمشاركة السياسية، ولا يترك الشباب فريسة لجماعات الإسلام السياسي لإشباع النهم وملء الفراغ السياسي.

لقد أقر المجتمع الدولي بأهمية مشاركة الشباب في النظم السياسية، بما في ذلك عدة اتفاقيات دولية، وقرارات صادرة عن الأمم المتحدة وانسجاما مع هذه الالتزامات تم وضع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للشباب كقوة إيجابية لتحقيق التغيير الاجتماعي التحوّلي، ويهدف إلى المساعدة على تحسين المشاركة السياسية للشباب.

٢- ينبغي التأكيد على أن المعرفة المطلوبة لتنظيم شؤون الدنيا مستقلة منطقيا عن المعرفة الدينية، وهي ليست ذات مكونات ثابتة، وأنها تتغير بتغير ظروف البشر وتغير أجهزتهم المفاهيمية، وعلى افتراض وجود أمر إلهي بتنظيم شؤون الدنيا على نحو معين، فإن هذا الأمر ينبغي فهمه على أنه أمر شرطي، لا مطلقا، حسبما تمليه علينا الظروف التاريخية، وهو ما يفتح باب الاجتهاد واسعا أمام العقل على أساس مبدأ العدالة والمصالح المرسلة التي سبق واتبعها الفقهاء من قبل.

٣- لا ينبغي للأنظمة الإسلامية أن تترك أمر سقوط الإسلام السياسي للظروف والوقت، بل ينبغي توعية الشعوب بفشل هذا الفكر، وبيان كونه لا يحمل مشروعا نهضويا كما يزعم أصحابه بالأبحاث العلمية والمكاتبات تارة والمناظرات تارة أخرى، وألا تخلو مناهج التعليم من التنظير لهذه القضية الخطيرة حتى يقع في وجدان النشء ما ينبغي عليهم اعتقاده تجاه هذا التيار، إذ أثبتت السنوات الأخيرة، أن المشروع في بنيته الرئيسة متهافت لدرجة لا تؤهله ليكون مشروعا للحكم يقدم البديل للدولة العربية المتأزمة، على العكس

أظهرت التجربة الإسلاموية أن المشروع الذي حملته حركات الإسلام السياسي يزيد الواقع مأساة، إذ هو منفصل بقدر كبير عن متطلبات الواقع وما يمليه، ويميل في معظمه للشعاراتية والتبجح الخطابي الذي لا تدعمه برامج ومشاريع واضحة للتحديث.

٤- يجب على العلماء بشقي العلم: - شرعي وتطبيقي- العمل بجد على بيان ظلامية الفكر الإسلاموي بين السياسي والدعوي، وبيان كون هذه القوى الظلامية تقف دوما، في كل مراحل التاريخ دون حركة التطور البشري محاولة جهدها أن تلجم قوى التطور وتشل فيها عصب الحياة والحركة كي تستبقي التاريخ في مرتكز مصالحها الخاصة رغم مناقضاتها لمصالح الشعوب، ورغم أن الشعوب هذه نفسها هي التي تصنع لتلك القوى الظلامية مصالحها.

٥- ينبغي تركيز المراكز البحثية والهيئات العلمية على التنظير للاستبداد الديني، وبيان كونه أشد أنواع الاستبداد خطورة؛ لأنه قائم على الوثوقية العمياء، وعلى نهج التهويل لزرع الرعب الذي تتغذى منه في النفوس، تمهيدًا للإطباق على المجتمع وإخضاعه للسيطرة المطلقة؛ والديكتاتورية الدينية أخطر أنواع الديكتاتوريات لأن لها جرعة زائدة في العنف والإرهاب والتعصب الذي لطالما عانت الأمة منه، ولم يأت إلا بمزيد من تراجع سمعة الإسلام كديانة على المستوى العالمي.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ط(٢)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، دار الحمامي للطباعة، الإسكندرية.

٣- الإخوان المسلمون بين التاريخ والمستقبل كيف كانت الجماعة وكيف تكون، وحيد عبد المجيد، ط(١)، ٢٠١٠م، الأهرام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٤- الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، حسام تمام، ط(٢)، ٢٠١٣م، دار الشروق، القاهرة.

٥- الإخوان المسلمين تفكك الإيديولوجية ونهاية التنظيم، حسام تمام، ط(٢)، ٢٠١٠م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٦- الإخوان والسلفيين الماضي والحاضر، عبد الناصر يونس، ط(١)، ٢٠١٢م، دار كلمات عربية، القاهرة.

٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ط(١)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت.

٨- الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ط(١)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، دار الإرشاد، بيروت.

٩- الأعلام، الزركلي، ط(١٥)، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ط(١)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١- أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ط(١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

١٢- أيام مع السادات، عمر التلمساني، ط(١)، ١٩٨٤م، دار الاعتصام، القاهرة.

١٣- أيام من حياتي، زينب الغزالي، ط(١)، بدون تاريخ نشر، دار كنوز، القاهرة.
١٤- البحث عن الذات، محمد أنور السادات، ط(١)، ١٩٧٨م، نشر المكتب المصري الحديث، القاهرة.
١٥- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، البخاري القِنَّوجي، ط(١)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
١٦- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا، ط(١)، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، مطبعة المنار، القاهرة.
١٧- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بركلمان، ترجمة: نبيه فارس، ومنير البعلبكي، ط(٧)، ١٩٧٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
١٨- تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١٩- التيار التجديدي في الإخوان المسلمين، جمال سلطان، ط(٢)، ٢٠٠٢م، المنار الجديد، القاهرة.
٢٠- جمال الأفغاني الأعمال الكاملة، محمد عمارة، بدون طبعة ١٩٧٩م، دار الفكر الحديث، بيروت.
٢١- الحالة الدينية في مصر، نبيل عبد الفتاح، بدون طبعة، ١٩٩٥م،مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.
٢٢- الحركات الإسلامية المعاصرة في المشرق العربي "دراسة تاريخية سياسية"، بشار حسن يوسف، ط(١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، نشر جامعة الموصل، الموصل.
٢٣- حسن البنا الذي لا يعرفه أحد، حلمي النمنم، ط(١)، ٢٠١١م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٢٤- حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين، رفعت السعيد، ط(١)، ١٩٨٦م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

٢٥- حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ، ط(١)، ١٩٨٩م، دار الاعتصام، القاهرة.

٢٦- حكام مصر، محمود فوزي، ط(١)، ١٩٩٧م، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة.

٢٧- حلف الشيطان الإخوان المسلمين وتحالفاتهم، أحمد البكري، ط(١)،٢٠١٨م، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٨- خاطرات جمال الدين الأفغاني، محمد المخزومي، ط(٢)، ١٣٨٥هـ، دار الفكر الحديث، بيروت.

٢٩- الخلافة، محمد رشيد رضا، بدون طبعة ٢٠١٣م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

٣٠- خيول الظلام قطر والإخوان المسلمين والشرق الأوسط الجديد، علي الصراف، ط(٢)، ٢٠١٧م، إي، لندن.

٣١- دراسات نقدية في علم الاجتماع، عبد الباسط عبد المعطي، ط(١)، ٢٠١٤م، دار العين للنشر، العين.

٣٢- دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

٣٣- دليل الحركات الإسلامية في العالم، ضياء رشوان، بدون طبعة، ٢٠٠٦م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.

٣٤- ذكريات لا مذكرات، عمر التلمساني، بدون طبعة، دار الاعتصام، القاهرة.

٣٥- رؤية إسـلامية معاصـرة "إعلان مبادئ"، أحمد كمال أبو المجد، بدون طبعة، ١٩٩١م، دار الشروق، القاهرة.

٣٦- زعماء الإصـلاح في العصـر الحديث، أحمد أمين، ط(٤)، ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٣٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط(١)، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٨- سـنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، بدون طبعة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

٣٩- السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ط(١)، ٢٠١٤م، دار وليد للطباعة والنشر، القاهرة.

٤٠- شـرح أصـول اعتقاد أهل السـنة والجماعة، الطبري الرازي اللالكائي، ط(٨)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار طيبة، السعودية.

٤١- شـرح المواقف، الشريف الجرجاني، ط(١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بدون طبعة، المكتب الإسلامي، دمشق.

٤٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، بدون طبعة، دار إحياء التراث، بيروت.

٤٤- صـراع على الشـرعية الإخوان المسـلمون ومبارك ١٩٨٢: ٢٠٠٧م، هشـام العوضي، بدون طبعة،٢٠٠٩م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٤٥- عبد المنعم أبو الفتوح شـاهد على تاريخ الحركة الإسـلامية في مصـر ١٩٧٠: ١٩٨٤م، حسام تمام، ط(٢)، ٢٠١٢م، دار الشروق، القاهرة.

٤٦- العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ط(٥)، دار الشروق، القاهرة.
٤٧- العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ط(١)، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٨- فاروق وسقوط الملكية، لطيفة سالم، ط(٢)، ١٩٩٦م، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٤٩- فرسان تحت راية النبي، أيمن الظواهري، ط(١)، بدون دار نشر.
٥٠- فريدة ملكة مصر تروي أسرار الحب والحكمة، فاروق هاشم، ط(١)، ١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.
٥١- الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين، أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله، ط(١)، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م، مكتبة وهبه، القاهرة.
٥٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط(١٠)، ١٩٨٢م، دار الشروق، بيروت.
٥٣- قراءة في كتاب دعاة لا قضاة، صلاح الصاوي، كتاب إليكتروني.
٥٤- كلمة حق، عمر عبد الرحمن، ط(١)، ١٩٧٧م، دار الاعتصام، القاهرة.
٥٥- الماسونية بلا قناع، أبو صادق، بدون طبعة، ١٩٦٧م، دار البصري، بغداد.
٥٦- مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، بدون طبعة، ١٩٩٩م، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
٥٧- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ط(١)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق.
٥٨- مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة محمد حرب عبد الحميد، بدون طبعة، ١٩٧٨م، دار الأنصار، القاهرة.
٥٩- مصطفى النحاس، عباس حافظ، بدون طبعة، ٢٠١٣م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

٦٠- مصطفى كمال أتاتورك، أحمد صبري هيبة، بدون طبعة، ٢٠١٤م، جامعة بنها، الدقهلية.

٦١- معالم في الطريق، سيد قطب، ط(١٠)،١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت.

٦٢- معالم في الطريق، سيد قطب، ط(٦)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الشروق، القاهرة.

٦٣- معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، ط(١٣)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.

٦٤- الملك فاروق والخلافة الإسلامية، أمل فهمي، ط(٢)، ٢٠١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٦٥- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، ط(٨)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار البشير ، القاهرة.

٦٦- منهاج أهل السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ط(١)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٦٧- نظرية الإسلام السياسية، أبو الأعلى المودودي، بدون طبعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، دار الفكر، بيروت.

٦٨- النقط فوق الحروف "الإخوان المسلمون والنظام الخاص"، أحمد عادل كمال، ط(٢)، ١٩٨٩م، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

البحث رقم (٧)

الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا

إعداد

د. خالد بن عبدالله بن ناصر الخميس

الأستاذ المساعد في قسم الحسبة والرقابة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين...أما بعد:

فإن من فضل الله على أمة الإسلام أن أنزل عليهم أفضل الكتب وأرسل إليهم أفضل الرسل وجعل شريعة الإسلام خاتمة الأديان إلى قيام الساعة، فأودع المولى جل وعلا في كتابه وسنة نبيه ﷺ كل ما تحتاجه البشرية في معاشها ومعادها، صالحة لحكم حياة الناس على مر العصور قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(٢) وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظَنا رسولُ اللهِ ﷺ مَوعظةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ فقلنا يا رسولَ اللهِ إنَّ هذه لموعِظَةَ مُوَدِّعٍ فماذا تعهَدُ إلينا ؟ فقال: (**تركتُكم على البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ، ومن يَعِشْ منكم فسَيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرَفتُم من سُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ المهديِّينَ الرَّاشدينَ، وعليكم بالطاعةِ وإن كان عبدًا حبشيًّا عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ فإنما المؤمنُ كالجملِ الأَنِفِ كلما قِيدَ انقَادَ**)(٣)، ومن كمال النعمة والتوفيق من هُدي إلى تطبيق شريعة الإسلام في كل شؤون حياته سواء أفراد أو مجتمعات، ومن فضل الله علينا في بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية أنها الدولة الرائدة بين الدول الإسلامية في تطبيق الشريعة الإسلامية والالتزام بها في كافة المجالات والميادين،

---

(١) سورة النحل، الآية: (٨٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٣) أخرجه ابن ماجة، كتاب: السنة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٣)، ص٦، الطبعة (١)، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ٣٢/١، الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.

طبقًا للمادة السابعة من النظام الأساسي للحكم حيث تنص على أنه: "يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله. وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة"(١)، وتعد الحِسْبة من الفرائض الشرعية التي عنيت بها المملكة، ومن تطبيقاتها الحسبة الوقائية القائمة على أصول شرعية وهي سد الطرق الموصلة للمحظور (٢)، كقاعدة سد الذرائع، واعتبار المآلات، وغيرها من القواعد الشرعية، وحيث قامت المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا بأعمال عظيمة وتاريخية شهد لها القاصي والداني رأيت أهمية الكتابة في هذا المجال تحت عنوان: "**الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا**"

التعريف بمصطلحات البحث:

الحسبة: لكلمة الحسبة في اللغة عدة معان جاء ذكرها في كتب اللغة، ومن تلك المعاني: طلب الأجر لوجه الله (٣)، وحسن الكفاية والنظر (٤)، وفلان حَسَنُ الحِسْبة بالأمر، إذا كان حسَنَ التدبير (٥).

ولعل المعنى الثاني والثالث هو مقصود الباحث ويتناسب مع عنوان البحث.

---

(١) النظام الأساسي للحكم، المادة السابعة.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٣١٥/١، الطبعة، (٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٣) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الماوردي، تحقيق: د. أحمد البغدادي، ص٣١٥، الطبعة (١)، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ، والأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص٢٨٤، الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق: علي هلالي، ٢٧٥/٢، مادة: حسب، الطبعة (٢)، طبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٤م.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ٦٠/٢، مادة: حسب، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ.

وأما الحسبة في التعريف الاصطلاحي، فلها أيضًا تعريفات عدة ومتنوعة سواء من العلماء المتقدمين أو المتأخرين، وهي في الغالب تدور حول أساس الحسبة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه التعريفات:

- ما جاء في كتاب الأحكام السلطانية للإمامين الماوردي والقاضي أبي يعلى الحنبلي رحمهما الله هي: "هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله"[(١)].
- وقيل هي: "عبارة عن المنع عن منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر"[(٢)].
- وقيل هي: "فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقًا للشرع الإسلامي"[(٣)].
- رقابة إدارية تقوم بها الدولة لتحقيق المجتمع الإسلامي، بردهم إلى ما فيه صلاحهم وإبعادهم عما فيه ضررهم وفقًا لأحكام الشرع [(٤)].

ولعل التعريف الاصطلاحي الأخير هو الأقرب إلى مقصود الباحث من عنوان البحث.

---

(١) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الماوردي، تحقيق: د. أحمد البغدادي، ص٣١٥، الطبعة (١)، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ. والأحكام السلطانية، لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص٢٨٤، الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، ص٤١، دار الحديث، القاهرة.

(٣) أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د.محمد كمال إمام،ص١٦، الطبعة (١)، دار الهداية،١٤٠٦هـ.

(٤) نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز المرشد، ص١٥، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بدون سنة الطبع.

الوقائية: لغة وقاه الله وَقْيًا ووقايةً وواقيةً: صانه [١] ومنها: حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره، والتوقي: جعل الشيء وقاية مما يخاف [٢] قال تعالى (مالهم من الله من واق) [٣].

وأما الوقائية في الاصطلاح يمكن تعرف بأنها: إجراءات تهدف للوقاية مما نهى الله عنه من أقوال وأفعال لتحقيق المصالح ودرًا للمفاسد [٤].

جائحة: المراد بالجائحة الشدَّة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سَنَةٍ أو فتنة [٥]، والجائحة في اصطلاح الفقهاء: ما أذهب الثمر أو بعضه من آفة سماوية [٦]. وقيل: الجائحة تكون بالبرد يقع من السماء إذا عظُمَ حجْمُه فكثر ضرره، وتكون بالبرد المحرق أو الحرّ المفْرِط حتى يبطل الثمن [٧]. وهذا المعنى يشير إلى الانتشار الواسع للجائحة وعدم القدرة على السيطرة عليها لعظم الأضرار المترتبة عليها.

كورونا: هي مجموعة كبيرة من الفيروسات التي يمكن أن تصيب الحيوانات والبشر على حدٍ سواء، حيث تسبب أمراض الجهاز التنفسي، سواء التي تكون خفيفة مثل نزلات البرد الشائعة، إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٥/٤٠١، الطبعة، (٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: عبدالحميد حمدان، ص٣٣٩، الطبعة (١)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ.

(٣) سورة الرعد، الآية: (٣٤).

(٤) تدابير الدولة للوقاية من الجريمة، منى سمير أبو عريبان، ص١٢، "بحث ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٨هـ".

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ٢/٤٣١.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى وآخرون، ص١٤٥.

(٧) لسان العرب ابن منظور، ٢/٤٣١.

والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس) ويسبب كورونا المكتشف مؤخرًا مرض فيروس كورونا كوفيد – ١٩[١].

التعريف الإجرائي:

حسن النظر والتدبير في اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة العربية السعودية من آثار جائحة كورونا.

أهداف البحث:

١-التعرف على أهم مصطلحات البحث.

٢-تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية.

٣-التعرف على مجالات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية تجاه الأمراض المعدية في ظل جائحة كورونا، وإجراءاتها.

٤-التعرف على المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا في المملكة العربية السعودية.

تساؤلات البحث:

١- ما مفهوم الحسبة الوقائية؟

٢- ما مجالات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا؟

٣- ما إجراءات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا؟

٤- ما المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا؟

---

(١) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية.

الدراسات السابقة:

أولاً- بحث بعنوان: **(المسـؤولية الدعوية تجاه الأمراض المعدية كورونا أنموذجًا)** إعداد د.رائد بن فؤاد باجوري، ١٤٤١هـ، وهو بحث صغير الحجم، حيث قام الباحث بتقسيم البحث إلى مبحثين الأول تناول فيه التعريف بمصطلحات البحث، وفي المبحث الثاني تناول أوجه المسؤولية الدعوية تجاه الأمراض المعدية مثل الحث على الالتجاء إلى الله والتعلق به سبحانه، وحسن الظن بالله، والاستغفار والتوبة، والأخذ بالتعليمات والإرشادات من قبل الجهات الصحية حال تفشي الأمراض والأوبئة.

أوجه الاتفاق:

يتفق البحث مع الدراسة السابقة فيما يتعلق بالتعريف بمصطلح كورونا، حيث سيتم تناول ذلك عند التعريف بمصطلحات الدراسة فقط.

أوجه الاختلاف:

أن البحث سيتناول الحديث عن الحسبة الوقائية تجاه الأمراض المعدية ومجالاتها في المملكة العربية السعودية مع بيان تطبيقات ذلك خلال جائحة كورونا التي غزت العالم في عام ٢٠٢٠م.

ثانيًا- دراسة بعنوان: **(تدابير الدولة للوقاية من الجريمة دراسة فقهية)** إعداد: منى سمير أبو عريبان [(١)]، حيث تناولت الباحثة تأصيل مصطلح التدابير الوقائية وتطبيقاتها في الشريعة الإسلامية، ثم تحدثت عن تدابير الدولة في الوقاية من الجريمة في المجال الاقتصادي، والاجتماعي، والأمني.

---

(١) بحث ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٨هـ.

أوجه الاتفاق:

يتفق البحث مع الدراسة السابقة فيما يتعلق بتأصيل مصطلح الحسبة الوقائية، حيث تناولت الباحثة التدابير الوقائية وهذا المعنى يشمل الحسبة الوقائية.

أوجه الاختلاف:

أن البحث سيتناول الحسبة الوقائية تجاه الأمراض المعدية حال وقوع الأزمة، بينما الدراسة السابقة تناولت الحديث عن التدابير الواقية من الجريمة، ودور الدولة في ذلك في حال الرخاء وليس عند حصول الأزمة أو الكارثة. أيضًا الباحث سيتناول الحديث عن الأمراض المعدية والدراسة السابقة تناولت الحديث عن الجريمة.

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الاستقرائي وهو أحد المناهج المستخدمة في العلوم الشرعية وهو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعًا [١] وذلك عن طريق استقراء وتتبع ما ورد في الحسبة الوقائية تجاه الأمراض المعدية ومجالاتها في المملكة العربية السعودية، وتطبيقات ذلك على جائحة كورونا التي اجتاحت دول العالم في عام ٢٠٢٠م.

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبد الرحمن الميداني، ص١٨٨، الطبعة (٣) دار القلم، دمشق،١٤٠٨هـ.

تقسيمات البحث:

التمهيد: تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا في الشريعة الإسلامية.

المبحث الأول: الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في المجال الشرعي والعلمي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الشرعي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال العلمي في ظل جائحة كورونا.

المبحث الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في المجال الصحي والاجتماعي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الصحي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الاجتماعي في ظل جائحة كورونا.

المبحث الثالث: الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في المجال الأمني والاقتصادي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال التجاري في ظل جائحة كورونا.

المبحث الرابع: المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: المسؤولية الشرعية للأفراد تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: المسؤولية الشرعية للمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في ظل جائحة كورونا.

الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا في الشريعة الإسلامية

للحديث عن تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية يحسن بنا الإشارة إلى التعريف الإجرائي للحسبة الوقائية في هذا البحث حيث تم تعريفها بأنها: حسن النظر والتدبير في اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة العربية السعودية من آثار جائحة كورونا.

ولذا يظهر لنا من خلال التعريف اشتماله على مسألتين:

المسألة الأولى: حسن النظر والتدبير.

المسألة الثانية: اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة من آثار جائحة كورونا.

ولذا سأنطلق من خلال هاتين المسألتين لتأصيل مفهوم الحسبة الوقائية، حتى يظهر للقارئ الكريم العلاقة الوثيقة بين مفهوم الحسبة الوقائية والإجراءات التي قامت بها حكومة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله لمواجهة جائحة كورونا.

المسألة الأولى: حسن النظر والتدبير.

وهذه المسألة تتعلق بتصرفات ولي الأمر على الرعية وفق المصلحة الشرعية التي تجلب المصالح لهم وتدرأ المفاسد عنهم، ولذا فالقاعدة الفقهية التي تتناسب مع هذا المعنى ما يلي:

القاعدة الأولى: "يتصرف الولاة بما هو أصلح للمولى عليه، درءا للضرر والفساد، وجلبًا للنفع والرشاد"[1].

---

(١) القواعد الكبرى، العز بن عبدالسلام، ٢/١٥٨، تحقيق: كمال نزيه وزميله، الطبعة، (١)، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ.

القاعدة الثانية: "كل من ولي ولاية الخلافة فما دونها إلى الوصـــية لا يحل له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو درء مفسدة"[١].

ومعنى القاعدتين أن تصـرف كل من ولي من أمور المسـلمين شـيئًا، ولو كان يسـيرًا سـواءً كانت ولاية عظمى، أو ولاية دون ذلك، يجب أن يكون تصـرفه فيها مبنيًا على المصلحة العامة، ومن أمثلة المصلحة العامة حسن النظر والتدبير في شـؤون الرعية وقت الأزمات بما يعود عليهم بالنفع والصلاح، ولذا فإن من حسن النظر والتدبير في شـؤون الناس في وقت الأزمات ومنها عند انتشـار الأمراض والأوبئة كما هو حاصل هذه الأيام وضـع الأنظمة والتعليمات والإرشـادات للحفاظ على سـلامة أفراد المجتمع ووقايتهم من الأمراض أو العدوى، وغيرها.

وأصل هذه القاعد ودليلها:

١. قوله تعالى: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾[٢]

ووجه الدلالة من الآية، أن الأصل في تصرفات الولاة ومقصودهم تجاه الرعية، منوط بالمصلحة فيجتهد ويبذل كل ما في وسعه حتى تصلح أحوالهم، وتستقيم منافعهم [٣] سواء تعلق ذلك بمصـلحة الدين أو النفس أو العقل، أو العرض أو المال، ولن يتحقق ذلك إلا بجلب كل ما فيه نفعهم ودرء كل ما فيه مضرتهم.

---

(١) الذخيرة، القرافي، تحقيق: محمد بوخبزة، ١٠/٤٣، الطبعة (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

(٢) سورة هود، الآية: (٨٨).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، ص٨٠٢، الطبعة (١) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٢.ولقوله ﷺ: **(ما مِن أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ لا يَجْهَدُ لهمْ وَيَنْصَحُ، إلاَّ لَمْ يَدْخُلْ معهُمُ الجَنَّةَ)** (١).

ووجه الدلالة من الحديث التحذير من غش المسلمين من قبل من قلده الله تعالى شيئًا من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم ودنياهم، وأن الواجب على من ولي شيئًا من أمور المسلمين عامًا أو خاصًا، أن ينصح لهم، ويحفظ حقوقهم، ويقيم العدل بينهم، ويسعى في تحقيق مصالحهم، ودرء المفاسد عنهم (٢).

وعلاقة الحسبة الوقائية بالقاعدتين، أن من واجب الحاكم القيام على شؤون الرعية بما يحقق مصالحهم ويدفع عنهم ما يضرهم ويفسد أمورهم، في جميع الأوقات والأحوال ومن ذلك وقت الأزمات بأن يجتهد في ذلك قد الاستطاعة مع مراعاة حسن النظر والتدبير، ويدخل في ذلك: (٣)

١. أن يصرح الإمام للرعية ويُعْلمُهُم بالأمر الذي يضرهم ستره وإخفاؤه عنهم؛ ليتأهبوا له، ويعدوا له العدة.

٢. وضع الأنظمة والسياسات ما تدعو إليه مصلحة المسلمين وحاجتهم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم (٤٧٣١)، ص٨٢١، الطبعة (١)، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٢) قاعدة التصرف على الرعية منوط بالمصلحة "دراسة تأصيلية تطبيقية فقهية"، د. ناصر الغامدي، ص١٨١، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٦) محرم ١٤٣٠هـ.

(٣) المرجع السابق، ص١٨٧.

ولذا قامت المملكة العربية السعودية، بالتصريح لعموم المواطنين والمقيمين بخطورة فيروس كورونا وأهمية الحذر واتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة للوقاية منه، وكذلك تم تطبيق بعض الأنظمة والسياسات للمصلحة العامة.

المسألة الثانية: اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة من آثار جائحة كورونا.

وهذه المسألة تتعلق بالآليات والإجراءات الوقائية التي يسلكها ولي الأمر للإسهام في صيانة المجتمع من المفاسد والمخاطر قبل وقوعها، أو تخفيفها وتحجيمها بعد وقوعها، ولذا فالقاعدة الفقهية التي تتناسب مع هذا المعنى **قاعدة: (سد الذرائع)** ومعناها: "كل عمل ظاهر الجواز يتوصل به إلى محظور"(١)، وقيل: هي "التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة"(٢).

ومعنى القاعدة أن كل وسيلة مباحة مفضية إلى مفسدة غالبًا، ومفسدتها أرجح من مصلحتها يجب منعها (٣) قال شيخ الإسلام: "كل فعل أفضى إلى المحرم كثيرًا، كان سببًا للشر والفساد، فإذا لم يكن فيه مصلحة راجحة شرعية، وكانت مفسدته راجحة نُهي عنه"(٤).

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، عناية: محمد عطا، ٣٣١/٢، الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

(٢) الموافقات، الشاطبي، عناية: مشهور آل سلمان، ١٨٣/٥، الطبعة (١)، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٧هـ.

(٣) قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية، عابد الثبيتي، ص١٥٦، الطبعة (١)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٨هـ.

(٤) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٢٨/٣٢، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

وأصل هذه القاعدة ودليلها:

١. قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾[١].

ووجه الدلالة من الآية أن الله سبحانه وتعالى نهى آدم وزجه عن القرب من الشجرة؛ سدًا لذريعة الأكل منها، قال ابن جزي [٢] رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ " النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب سدًا للذريعة فهذا أصل في سد الذرائع"[٣].

وقال الإمام الشوكاني [٤] رحمه الله: "النهي عن القرب فيه سدّ للذريعة وقطع للوسيلة"[٥].

١. وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ – وأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: (**إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ، والْحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَنْ وقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلا وإِنَّ**

(١) سورة البقرة، الآية: (٣٥).

(٢) ت (٧٤١هـ).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، اعتنى به: محمد سالم هاشم، ١/٦٢، الطبعة (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

(٤) ت (هـ).

(٥) تفسير فتح القدير، الإمام الشوكاني، ١/٧٢، الطبعة (١)، دار الخير للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ.

لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ)(١).

وفي الحديث دلالة على مشروعية سد الذرائع، بالابتعاد عن مواطن الشبهات التي قد تفضي إلى الوقوع في المحرمات.

وقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي قراره رقم ٩٦/٩/د٩ بشأن سد الذرائع وكان مما نص عليه القرار: "سد الذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية، وحقيقته: منع المباحات التي يتوصل بها إلى مفاسد أو محظورات"(٢).

ومن خلال هذه القاعدة وأدلتها يتبين لنا أن الإجراءات الوقائية داخل في قاعدة سد الذرائع وهذا ينسجم مع الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية المواطنين والمقيمين من جائحة كورونا، حيث تفوقت في الحفاظ على صحة المواطنين والمقيمين وسلامتهم من جائحة كورونا من خلال القيام بإجراءات وقائية استباقية وحازمة في شتى المجالات، ومن الأمثلة على الإجراءات الوقائية:

١. منع التجول.
٢. التباعد الاجتماعي.
٣. منع التجمعات العائلية وغير العائلية.
٤. تعليق صلاة الجمعة والجماعة في المساجد.
٥. تعليق الحضور لمقرات العمل الحكومية والأهلية.
٦. تعليق الدراسة في المدارس والجامعات ومعاهد التدريب.

---

(١) أخرجه البخاري، كتب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)

(٢) الدورة التاسعة المنعقدة في أبوظبي١-٦ ذي القعدة ١٤١٥هـ، ونشر هذا القرار في مجلة المجمع الفقهي في عددها التاسع، ٣/٥.

٧. إغلاق الأسواق والمحلات التجارية.

وكل هذه الممارسات والمناشط مباحة في أصلها بل مشروعة، إلا أن المصلحة تقتضي المنع كإجراء احترازي وقائي للإسهام في منع انتشار فيروس كورونا، والحد من الآثار المترتبة على ذلك.

ومما يؤيد هذه الإجراءات الوقائية ما جاء في النظام الأساسي للحكم حيث تنص المادة الثانية والستون على أنه: " للملك إذا نشأ خطر يهدد سلامة المملكة، أو وحدة أراضيها، أو أمن شعبها ومصالحه، أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء مهامها، أن يتخذ من الإجراءات السريعة ما يكفل مواجهة هذا الخطر. وإذا رأى الملك أن يكون لهذه الإجراءات صفة الاستمرار فيتخذ بشأنها ما يلزم نظاما"[١].

❁ ❁ ❁

(١) النظام الأساسي للحكم، المادة الثانية والستون.

المبحث الأول

الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية

في المجال الشرعي والعلمي في ظل جائحة كورونا

المطلب الأول:

الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الشرعي في ظل جائحة كورونا:

تمهيد:

عندما نتحدث عن الحسبة الوقائية من الجانب الشرعي في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا، فإن ذلك يعني الحديث عن الموضوعات المتعلقة بالشريعة مثل الصلاة والزكاة والحج والعمرة وغير ذلك من القضايا الشرعية، ومرجع ذلك الجهات العليا في الدولة ومن أهمها هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، لأن ولي الأمر أسند إليها الفتوى في الأمور الخاصة والعامة، والنوازل الكبرى، حيث ساهمت هيئة كبار العلماء بإصدار الفتاوى الشرعية ضمن إجراءات الحسبة الوقائية لأفراد المجتمع في ظل جائحة كورونا بناء على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات وغير ذلك، وقد جاء النص على ذلك في تنظيم هيئة كبار العلماء بأن تتولى الهيئة(١):

١- إبداء الرأي فيما يحال إليها من ولي الأمر من أجل بحثه وتكوين الرأي المستند من الأدلة الشرعية فيه.

٢- التوصية في القضايا الدينية المتعلقة بتقرير أحكام عامة ليسترشد بها ولي الأمر وذلك بناءً على بحوث تجيء تهيئتها وإعدادها طبقًا لما نص عليه في هذا الأمر واللائحة المرفقة له (٢).

(١) هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٢) تنظيم هيئة كبار العلماء المادة الثالثة.

كما جاء النص في لائحة العمل في هيئة كبار العلماء على آلية مناقشة الموضوعات التي تتعلق بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية والأنظمة العامة التي تحال للهيئة بأن تشرك في البحث معها واحدًا أو أكثر من المتخصصين في تلك العلوم من غير أن يكون لهم حق التصويت[1]، ولذا فإن فتاوى هيئة كبار العلماء تصدر عن مجلس علمي يضم في عضويته نخبة من العلماء الراسخين في العلم، والمتخصصين في المجالات المتعددة والمتنوعة، وأهم القضايا الشرعية التي واجهت هيئة كبار العلماء تجاه جائحة كورونا تعليق الصلاة في المساجد وتعليق إقامة صلاة الجمعة والجماعة في المساجد. ولا شك أن هذه المسألة من المسائل الهامة والكبرى التي تحتاج إلى بذل الجهد والوسع في بيان الدليل الشرعي ومن ثم تنزيل تلك الأدلة على الواقع المعاصر، وفيما يلي سنتناول إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الشرعي ضمن الإجراءات الاحترازية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا:

الفرع الأول: تعليق صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد.

صلاة الجماعة من آكد الواجبات على الرجال حضرًا وسفرًا، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3] ووردت أحاديث كثيرة في بيان فضل صلاة الجماعة منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(صَلاةُ الجَمَاعَةِ أَفضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ درَجَةً)**[4]، ولذا ففضل صلاة الجمعة والجماعة عظيم لما لها من الفوائد الكثيرة والمنافع العظيمة على الفرد والمجتمع،

(١) انظر: لائحة العمل في هيئة كبار العلماء (الفقرة رقم ١٠).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٠٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٤٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها وإنها فرض كفاية، حديث رقم، ٦٥٠.

ولكن من رحمة الله بعباده أنه لا يكلفهم إلا ما في وسعهم، فأباح سبحانه وتعالى التخلف عن الجمعة والجماعة عند حصول الخوف من المرض أو الضرر في النفس أو المال أو غير ذلك ومما يدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **(مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنِ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ -قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ- لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى)** [(١)]، ونظرًا لما يعيشه العالم بسبب جائحة كورونا ذلك المرض الذي قرر الأطباء ضرره على الإنسان، وسرعة انتشاره بين الناس، وكثرة الوفيات فقد أصدرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بيانًا اشتمل على جواز إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد ونص البيان ما يلي: [(٢)]

"الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد اطلعت هيئة كبار العلماء في دورتها الاستثنائية الخامسة والعشرين المنعقدة بمدينة الرياض يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٢ / ٧ / ١٤٤١هـ على ما يتعلق بجائحة كورونا وسرعة انتشارها وكثرة الوفيات بها واطلعت على التقارير الطبية الموثقة المتعلقة بهذه الجائحة المشمولة بإيضاح معالي وزير الصحة لدى حضوره في هذه الجلسة التي أكدت على خطورتها المتمثلة في سرعة انتقال عدواها بين الناس بما يهدد أرواحهم وما بينه معاليه من أنه ما لم تكن هناك تدابير احترازية شاملة دون استثناء فإن الخطورة ستكون متضاعفة مبينًا أن التجمعات تعتبر السبب الرئيس في انتقال العدوى.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: التشديد في ترك الجماعة، حديث رقم (٥٥١)، ص٩١، الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ١/١٦٤، الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٢) قرار رقم (٢٤٧) في ٢٢ /٧ /١٤٤١ هـ.

وقد استعرضت هيئة كبار العلماء النصوص الشرعية الدالة على وجوب حفظ النفس من ذلـك قول الله عز وجـل: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[2].

وهاتان الآيتان تدلان على وجوب تجنب الأسـباب المفضـية إلى هلاك النفس، وقد دلت الأحاديث النبوية على وجوب الاحتراز في حال انتشار الوباء كقوله ﷺ: **(لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ)** [3] وقوله ﷺ: **(فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الأَسَدِ)** [4]، وقوله ﷺ: **(إذا سَمِعْتُمْ بالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فلا تَدْخُلُوها، وإذا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بها فلا تَخْرُجُوا مِنْها)** [5]، وقد تقرر في قواعد الشريعة الغراء أنه: "**لا ضرر ولا ضرار**"[6]. ومن القواعد المتفرعة عنها: "**أن الضرر يدفع قدر الإمكان**"[7].

وبناء على ما تقدم فإنه يسـوغ شـرعًا إيقاف صـلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المسـاجد والاكتفاء برفع الأذان، ويسـتثنى من ذلك الحرمان الشـريفان، وتكون أبواب المسـاجد مغلقة مؤقتًا، وعندئذ فإن شـعيرة الأذان ترفع في المسـاجد، ويقال في الأذان:

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٩٥).

(٢) سورة النساء، الآية: (٢٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا هامة، حديث رقم (٥٧٧١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الجذام، حديث رقم (٥٧٠٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: ما يُذكر في الطاعون، حديث رقم (٥٧٢٨).

(٦) القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، أ. د. صـالح بن غانم السـدلان، ص٤٩٣، الطبعة (٢)، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٧) المرجع السابق، ص٥٠٨.

صَـــلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ [1] لحديث بن عباس أنه قال لمؤذنه ذلك ورفعه إلى رســـول الله ﷺ، وتصلى الجمعة ظهرًا أربع ركعات في البيوت.

ومن فضـل الله تعالى أن من منعه العذر عن صـلاة الجمعة والجماعة في المسـجد فإن أجره تام لعموم قوله ﷺ: (**إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَـــحِيحًا**)[2] هذا وتوصـــي هيئة كبار العلماء الجميع بالتقيد التام بما تصـــدره الجهات المختصـــة من الإجراءات الوقائية والاحترازية والتعاون معها في ذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[3] والتقيد بهذه الإجراءات من التعاون على البر والتقوى، كما أنه من الأخذ بالأسـباب التي أمرنا الشـرع الحنيف بامتثالها بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى.

كما نوصي الجميع بتقوى الله عز وجل والإلحاح في الدعاء وكثرة الاستغفار، قال الله تعـــــالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾[4] والقوة هنا تشـمل : سعة الرزق، وبسط الأمن، وشمول العافية.

نسـأل الله تعالى أن يرفع هذا الوباء عن عباده، وأن يجزي خادم الحرمين الشـريفين وسمو ولي عهده الأمين وحكومتنا الرشـــيدة خيرًا لما يبذلونه من جهود مشـــكورة، وتدابير

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الصلاة في الرحال في المطر، حديث رقم (٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسـير، باب: يُكتب للمسـافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، حديث رقم (٢٩٩٦).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٢).

(٤) سورة هود، الآية: (٥٢).

وإجراءات ساهمت – بفضل الله عز وجل – في الحد من تأثير هذا الوباء المنتشر عبر العالم.

كما نسأله سبحانه أن يحفظ الجميع بحفظه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.أ.هـ

وبناءً على ذلك فقد أصدرت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد التعليمات لمنسوبي المساجد من الأئمة والمؤذنين والمراقبين بشأن تعليق صلاة الجمعة والجماعة في المساجد في المملكة إلى إشعارٍ آخر ضمن الاحترازات الوقائية من جائحة كورونا، ويدخل ضمن ذلك تعليق صلاة التراويح وصلاة العيد في حال استمرار الجائحة.

الفرع الثاني: الصلاة على الميت في المقبرة عوضًا عن المسجد وجواز صلاة أقارب الميت صلاة الغائب على ميتهم في بيوتهم.

الصلاة على الميت شرعها سبحانه وتعالى تكريمًا لأرواح المسلمين الذين انتقلوا من دار العمل إلى دار الحساب، وهي شعيرة عظيمة منَّ الله تعالى بها على عباده المؤمنين، فهي مظهر من مظاهر المحبة الإيمانية بين المسلمين، ففيها الدعاء من المسلم لأخيه المسلم، واتباع لجنازته حتى يدفن،(٢) وقد جاء التأكيد على هذا المعنى في الحديث الصحيح (**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ**)(٣).

---

(١) سورة يوسف، الآية: (٦٤).

(٢) انظر: أركان الإسلام، أ. د .عبدالله بن محمد الطيار، ص٩٤، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم (٢١٦٢).

والصـــلاة على الميت فرض كفاية إذا قام به البعض ســـقط الإثم عن الباقين، لأنه الثابت من فعل النبي ﷺ وقوله (١).

ونظرًا لأهمية الأخذ بالإجراءات الاحترازية بســـبب جائحة كورونا وجهت وزارة الشـؤون الإسـلامية والدعوة والإرشـاد بمنع إقامة صـلاة الجنازة في المسـاجد وأن تقام في المقابر وبعدد محدود منذ بداية ظهور وباء كورونا في ظل الإجراءات الاحترازية الاسـتباقية التي عملت عليها الوزارة مواكبة لجهود الدولة لمنع انتشـــاره،(٢) وتماشـــيًا مع الإجراءات الاحترازية الحالية، فقد افتى سماحة مفتي عام المملكة العربية السـعودية بجواز الصـلاة على الميت بعد تجهيز وتكفينه في المقبرة، عوضًـا عن المسـجد، كما أنه يشـرع لأقارب الميت بالصـلاة على الجنازة صـلاة الغائب، نظرًا لتعذر الحضـور ولو تعددت البيوت لكثرة اقاربه حتى لا يحصل الاجتماع الذي قد يتسبب في انتشار وباء فيروس كورونا المستجد(٣).

الفرع الثالث: إقامة صلاة العيد في البيوت.

صلاة العيد من شعائر الإسلام الظاهرة، ومعالم الدين العظام، التي شرعها الله لعباده، لبركتها وفضـلها، ففيها يجتمع أهل الإسـلام، ويتجلى فيها معاني التقوى والإيمان، ويظهر الناس فرحهم بإتمام شـهر الصـيام والقيام، فعلها رسـول الله ﷺ وواظب عليها، وأمر بها، وأخرج لها النساء والصبيان، لحديث أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ**

(١) انظر: وكالة الأنباء السعودية (واس) بتاريخ ١٤٤١/٨/٢٠هـ.

(٢) موقع وزارة الشؤون الإسلامية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٤٤١/٨/٢٢هـ.

(٣) انظر: أركان الإسلام، أ. د . عبدالله بن محمد الطيار، ص٩٤.

فِي الْفِطْرِ وَالأَضْحَى: الْعَوَاتِقَ وَالْحُيَّضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلاةَ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ)(١).

أما حكم صلاة العيدين فللعلماء فيها ثلاثة أقوال فقال بعض العلماء: إنها سنة، وقال بعض العلماء إنها فرض كفاية، وقال آخرون إنها فرض عين، (٢) وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم صلاة العيدين فأجابت اللجنة: "صلاة العيدين: الفطر والأضحى، كل منهما فرض كفاية، وقال بعض أهل العلم: أنهما فرض عين كالجمعة؛ فلا ينبغي للمؤمن تركها"(٣).

وفي ظل الظروف الحالية التي تعيشها بلادنا المباركة، بسبب جائحة كورونا، فقد اختلف العلماء المعاصرين بشأن مشروعية أداءها في البيوت، وقد أفتى سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ بمشروعية أداء صلاة العيد في البيوت حيث يقول حفظ الله: " أما صلاة العيد إذا استمر الوضع القائم ولم تمكن إقامتها في المصليات والمساجد المخصصة لها فإنها تصلى في البيوت بدون خطبة بعدها، وسبق صدور فتوى من اللجنة الدائمة للفتوى جاء فيها: (ومن فاتته صلاة العيد وأحب قضاءها استُحب له ذلك فيصليها على صفتها من دون خطبة بعدها)(٤) ، فإذا كان القضاء

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العيدين، باب: اعتزال الحيض المصلى، حديث رقم (٩٨١)، وأخرجه مسلم واللفظ له، كتاب: صلاة العيدين، باب: إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى، وشهود الخطبة مفارقات للرجال، حديث رقم (٨٩٠).

(٢) للاستزادة انظر: زاد المسلم من كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمهما الله، جمعه ونسقه: محمد بن رياض الأحمد، ص٢٢٢، الطبعة (١)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية للإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدّويش، ٢٨٤/٣، الطبعة (١)، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

(٤) للاطلاع على نص الفتوى: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية للإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدّويش، ٣٠٥/٣.

مستحبًا في حق من فاتته الصلاة مع الإمام الذي أدى صلاة العيد بالمسلمين، فمن باب أولى أن تكون إقامتها مشـــروعة في حق من لم تُقم صـــلاة العيد في بلدهم لأن في ذلك إقامة لتلك الشعيرة حسب الاستطاعة، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: **(وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ)**[2] . أ.هـ[3]

ومن خلال هذه الفتوى نجد أنها تتوافق مع إجراءات الحســـبة الوقائية في المجال الشرعي، التي اتخذتها المملكة للمحافظة على سلامة المواطنين والمقيمين من خطر العدوى بفيروس كورونا المستجد.

الفرع الرابع: تعليق العمرة والزيارة لمكة المكرمة والمدينة المنورة.

تعد العمرة من شـــعائر الإســـلام الكبرى التي حث عليها الدين الحنيف ورتب على أداءها الأجر والمثوبة، وتكفير الذنوب، فقد ورد في الحديث المتفق على صـــحته عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(العُمْرَةُ إلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ)** [4]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسـول ﷺ : **(تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ)**[5]، ومما يعظم شأن

---

(١) سورة التغابن، الآية: (١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: العيدين، باب: اعتزال الحيض المصلى، حديث رقم (٩٨١)، ص١٥٨. أخرجه مسلم، كتاب: صلاة العيدين، باب: إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى، وشهود الخطبة مفارقات للرجال، حديث رقم (٨٩٠)، ص٣٥٥. واللفظ له.

(٣) وكالة الأنباء السعودية (واس) بتاريخ ١٤٤١/٨/٢٤هـ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: وجوب العمرة وفضلها، حديث رقم (١٧٧٣)، ص٢٨٥، ورواه مسلم، كتاب: الحج، باب: فضل الحج والعمرة، حديث رقم (١٣٤٩)، ص٥٦٩.

(٥) أخرجه النســـائي، كتاب: مناســـك الحج، باب: فضـــل المتابعة بين الحج والعمرة، حديث رقم (٢٦٣١)، ص٣٦٥، الطبعة (١)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـــ. وصححه

العمرة في حياة المسلمين أن الصلاة في المسجد الحرام يعدل مائة ألف صلاة للحديث الذي رواه ابنِ الزُّبيْرِ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: (**صلاةٌ في مَسْجِدي هذا أَفضَلُ مِن أَلْفِ صَلاةٍ فيما سِوَاهُ إلا المَسجِدَ الحَرَامَ، وصلاةٌ في المسجدِ الحَرَامِ أَفضلُ من صلاةٍ في مسجدِي هذا بمائةِ صلاةٍ**)[1] قال ابن جاسر[2] رحمه الله : "حَسَبْنا ذلك فوجدنا صلاة واحدة عن ست وخمسين سنة وستة أشهر إلا يومًا واحدًا، وحسبنا صلاة يوم وليلة فوجدناها عن مائتي سنة واثنتين وثمانين سنة وستة أشهر إلا خمسة أيام، فحق لمثل هذا الحرم الشريف أن تشد إليه الرحال وتتلف فيه أنفس الرجال فضلاً عن الأموال"[3]. وغير ذلك من الفضائل التي ورد ذكرها في السنة النبوية، إلا أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح والحفاظ على صحة وأمن قاصدي الحرمين الشريفين من مقاصد الشريعة الإسلامية لذا فقد أصدرت وزارة الداخلية بيانًا بشأن تعليق العمرة والزيارة مؤقتًا وفيما يلي نص البيان:

"صرح مصدر مسؤول بوزارة الداخلية، بأنه انطلاقًا من حرص حكومة المملكة على دعم الجهود العالمية والمنظمات الدولية وبالأخص منظمة الصحة العالمية لوقف انتشار فيروس كورونا الجديد (COVID-١٩) ومحاصرته والقضاء عليه، وامتدادًا لقرارها القاضي

الألباني، صحيح سنن النسائي، ٢/٢٤٠، الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ. أخرجه الترمذي، أبواب الحج، باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة، حديث رقم (٨١٠)، ص٢٠٢، الطبعة (١)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم (١١٩٠)، أخرجه ابن ماجة واللفظ له، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ، حديث رقم (١٤٠٤)، ص٢٠١. وصححه الألباني في صحيح سنن أبن ماجة، ١/٤٢١.

(٢) ت (١٤٠١هـ).

(٣) مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، عبدالله بن جاسر، ١/٢٣٩، الطبعة (٢)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.

تعليق الدخول لأغراض العمرة وزيارة المسـجد النبوي الشـريف موقتًا من خارج المملكة، وقرارها تعليق الدخول بالتأشيرات السياحية للقادمين من الدول التي يشكل انتشار فيروس كورونا الجديد منها خطرًا، وتعليق اسـتخدام المواطنين السـعوديين ومواطني دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بطاقة الهوية الوطنية للتنقل من وإلى المملكة، فقد تقرر بناءً على توصية اللجنة المعنية بمتابعة مستجدات الوضع لفيروس كورونا الجديد (COVID-١٩)، بإيقاف العمرة مؤقتًا للمواطنين والمقيمين في المملكة، على أن يتم مراجعة هذا القرار بشكل مستمر وإيقاف العمل به متى ما انتفت الأسباب التي دعت إليه.

ويأتي هذا القرار الوقائي ضـمن التدابير الاحترازية التي دأبت حكومة المملكة على اتخاذها للحد من انتشـار وباء فيروس كورونا (COVID-١٩) ومنع وصـوله إلى الحرمين الشريفين اللذين يشهدان تدفقًا دائمًا وكثيفًا للحشود البشرية، مما يجعل من مسألة تأمين تلك الحشود أهمية قصوى.

كما يأتي اتسـاقًا مع الإجراءات الاحترازية التي تتخذها السـلطات السـعودية لمنع انتشـار الفيروس في المملكة، واستكمالاً للجهود التي تم اتخاذها، والرامية إلى توفير أقصى درجات الحماية لسلامة المواطنين والمقيمين" أ.هـ(١).

وجاء تأييد هيئة كبار العلماء لهذا القرار بأنه موفق وتقضـي به المصـلحة الشـرعية الداعية للمحافظة على نفوس الناس ودينهم وعقولهم وأموالهم ونسـلهم وجاء في بيان الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء: "إن هذه الإجراءات الاحترازية التي تراجع بشكل مستمر في ضوء المعطيات داخليًا وخارجيًا تتفق والقواعد الشرعية بدفع الضرر بعد وقوعه بطرق الوقاية الممكنة، ورفع الضرر بعد وقوعه بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره"(٢).

---

(١) وكالة الأنباء السعودية (واس) ١٤٤١/٧/٩هـ.

(٢) المرجع السابق ١٤٤١/٧/٩هـ.

كما أكد مجمع الفقه الإسلامي الدولي في توصيات الندوة الفقهية الطبية الثانية لهذا العام[١] التي بعنوان: **(فايروس كورونا المستجد (كوفيدا -١٩) وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية)** ما يؤكد أهمية الأخذ بالتدابير الاحترازية من خلال تعليق العمرة والزيارة للحرمين الشريفين لمنع انتشار فايروس كورونا وجاء النص على ذلك في التوصية السابعة ونصها: "يؤكد الأطباء والمختصون أن التجمعات تؤدى إلى الإصابة بفيروس كورونا ولذلك لا بد من الأخذ بالأسباب، والابتعاد عن التجمعات بجميع أشكالها وصورها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[٢] ويشمل ذلك جواز إغلاق المساجد لصلاة الجمعة والجماعة وصلاة التراويح، وصلاة العيد، وتعليق أداء المسلمين للحج والعمرة، وتعليق الأعمال، وإيقاف وسائل النقل المختلفة، ومنع التجوال، وإغلاق المدارس والجامعات والأخذ بمبدأ التعليم عن بُعد وأماكن التجمع الأخرى، وغيرها من صور الإغلاق)[٣].

---

(١) بتاريخ ٢٣ شعبان ١٤٤١هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: (٧١).

(٣) موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي الرسمي الإلكتروني على شبكة الانترنت.

المطلب الثاني:

الحسبة الوقائية للمملكة في المجال العلمي في ظل جائحة كورونا:

عندما نتحدث عن جانب الحسبة الوقائية في الجانب العلمي خلال جائحة كورونا فإن مقصود الباحث الإجراءات الاحترازية التي عنيت بها المملكة للحفاظ على سلامة المواطنين والمقيمين من الأمراض والحد من انتشار داء كورونا، حيث إن الجانب العلمي يشمل كل ميادين التعليم والتدريب كالمدارس والجامعات والمعاهد الحكومية والأهلية وكذلك المساجد سواء الدروس العلمية أو حلقات تحفيظ القرآن الكريم، فإن هذه تدخل ضمن الجانب العلمي، ولاشك أن التعليم منزلته عالية وفضله عظيم لأنه يُعتبَر الركن الأساس لقوة الأمة الذي تمتلكه اليوم، فبه تصنع الآلات، وتستخرج الثروات، وتستثمر الطاقات، وتزدهر الصناعات، ويزداد وعي المجتمع، وتستمر التنمية البشرية والصناعية، وبالتالي ازدهار المجتمع وتطوره، وحسبنا أن نذكِّر هنا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]، وفي الحديث الشريف قول الرسول ﷺ: **(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)**[3] وقوله ﷺ: **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ**

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٩).

(٢) سورة المجادلة، الآية: (١١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، حديث رقم (٧١)، وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، حديث رقم (١٠٣٧).

وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)(١).

ومع كل هذا الفضل والمكانة للعلم والتعلم، وعناية المملكة العربية السعودية بذلك إلا أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وفيما يلي سنتناول جانبًا من الحسبة الوقائية في المجال العلمي كتدابير احترازية قامت بها حكومتنا الرشيدة للحفاظ على سلامة وصحة المواطنين والمقيمين من فايروس كورونا ومن ذلك:

الفرع الأول: تعليق الدراسة في التعليم العام والجامعات والمعاهد الحكومية والأهلية.

حيث أعلنت وزارة التعليم أنه وفقًا للإجراءات الوقائية والاحترازية الموصى بها من قبل الجهات الصحية المختصة في المملكة العربية السعودية، وذلك في إطار جهودها الحثيثة للسيطرة على فيروس "كورونا" الجديد(COVID19) ومنع دخوله وانتشاره، وانطلاقًا من الحرص على حماية صحة الطلاب والطالبات والهيئة التعليمية والإدارية في التعليم العام والجامعي وضمان سلامتهم؛ فقد تقرر تعليق الدراسة مؤقتًا في جميع مناطق ومحافظات المملكة اعتبارًا من يوم الاثنين ١٤/ ١٤٤١/٧هـ حتى إشعار آخر.

ويشمل القرار مدارس ومؤسسات التعليم العام والأهلي والجامعي والمؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني الحكومية والأهلية.

ووجه معالي وزير التعليم بتفعيل المدارس الافتراضية والتعليم عن بُعد خلال فترة تعليق الدراسة، بما يضمن استمرار العملية التعليمية بفاعلية وجودة.. إلخ"(٢).

ومن خلال هذا الإعلان الذي أصدرته وزارة التعليم يظهر لنا جليًا عناية وزارة التعليم بسلامة وصحة الطلاب والهيئة التدريسية والإدارية، وهذا أحد مقاصد الشريعة وهو حفظ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: في فضل العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، ص٥٢٣، الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ. وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ٤٠٧/٣.

(٢) موقع وزارة التعليم الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت، وكالة الأنباء السعودية (واس) ١٤٤١/٧/١٣هـ.

النفس البشرية، وهذا يدخل في باب الحسبة الوقائية في المجال العلمي حيث علَّقت الوزارة حضور الطلاب إلى مقاعد الدراسة وكذلك الهيئة التدريسية والإدارية ولإيضاح أهمية جانب الحسبة الوقائية في المجال العلمي يظهر من خلال الإحصائيات التي توضح أعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في جميع مراحل الدراسة في التعليم العام والجامعي، ولا شكن أن للإحصائيات أهمية كبيرة؛ لأنها تعد من الأدوات الأساسية لاتخاذ القرارات في شتى المجالات، وبالتالي تسهم في وضع الخطط الاستراتيجية للدول لمعرفة الاحتياجات والتحديات، ومن ثم وضع الحلول اللازمة لتجاوز المشكلات[1]، وعندما نوظف علم الإحصاء في القضايا الكبرى التي تواجه المجتمعات فإن القرارات تكون مبنية على رأي واضح ومدروس وبالتالي تكون اتخاذ القرارات مبكرة وبشكل تدريجي دون الوقوع في خسائر فادحة في القوة البشرية والمادية. وفيما يلي عرض توضيحي لأعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في جميع مراحل الدراسة في التعليم العام والجامعي:

أولاً: عدد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في التعليم العام (الحكومي والأهلي).

م	عدد الطلاب والطالبات	عدد المدرسين	عدد الإداريين
	٥٥٢٢٩٠٦	٤٧٥٩٠٣	١٠٥٦٦٦
المجموع	٦١٠٤٤٧٥		

(١) انظر: لماذا نهتم بالإحصائيات، د. عبدالله الردادي، مقال في جريد الشرق الأوسط، الأثنين ١٣ رمضان ١٤٣٩هـ، العدد رقم (١٤٤٢٦).

ثانيًا: عدد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسـية والإدارية في التعليم الجامعي (الحكومي والأهلي).

م	عدد الطلاب والطالبات	عدد المدرسين	عدد الإداريين
	١٦٢٠٤٩١	٨٥٤٠٩	٨٠١٦٢
المجموع	١٧٨٦٠٦٢		

وبذلك يصبح المجموع الكلي لأعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في جميع مراحل الدراسة في التعليم العام والجامعي: (٧٨٩٠٥٣٧) سبعة ملايين وثمان مائة وتسعون ألف وخمس مائة وسبعة وثلاثون فردًا [١].

ومن خلال هذه الإحصائية ندرك أهمية الحسبة الوقائية في المجال التعليمي حيث يبلغ أعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية ربع سكان المملكة العربية السعودية تقريبًا، ولا شك أن حماية هذه النسبة من القوة البشرية يحتم اتخاذ القرارات المبكرة وبصفة عاجلة لتفادي خسائر فادحة في المجال التعليمي لا قدر الله، للحد من انتشار فايروس كورونا بين الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية، والذي سيكلف الدولة مبالغ طائلة لا قدر الله لمعالجة المصابين. ولكن بحمد الله وتوفيقه وبقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان، تم تدارك ذلك باتخاذ القرارات الحكيمة بتعليق الدراسة في جميع المراحل التعليمية في المملكة العربية السعودية، فالحمد لله أولاً وآخرًا.

(١) إحصائية وزارة التعليم لعام ١٤٣٨-١٤٣٩هـ. انظر: موقع وزارة التعليم الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

الفرع الثاني: تعليق الدروس العلمية، والمحاضـــرات وحلقات تحفيظ القرآن الكريم والدور النسائية.

لا يخفى مكانة المسجد في الإسلام ورسالته، وأنه من أبرز ميادين التعليم منذ عهد رسول الله ﷺ وعهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وعلى مر العصور إلى وقتنا الحاضر ولازالت بيوت الله تعالى تمارس وظيفة التعليم والتربية والدعوة حتى تخرج فيها أبرز علماء الأمة بعد الصحابة والتابعين، وبقية القرون المفضلة من فقهاء وقضاة ودعاة إلى الله تعالى، الذين ملأوا الدنيا علمًا، وعمروها عملاً ودعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإن مما تتميز به بلاد الحرمين الشريفين ويدعو للفخر حلق القرآن الكريم المنتشرة في جميع مدن ومحافظات ومراكز وقرى المملكة التي انتشر خيرها، وعمَّ نفعها(١).

ونظرًا لانتشار حلق العلم ومدارس تحفيظ القرآن الكريم في أنحاء المملكة فقد قضت المصلحة إلى تعليق جميع المناشط العلمية من دروس ومحاضرات وحلق لتحفيظ القرآن الكريم للوقاية من جائحة كورونا وحفاظًا لمرتاديها من الأمراض والأوبئة، ولذا فقد أصدرت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد قرارًا بتعليق الدروس العلمية، والبرامج الدعوية، والمحاضرات، والدراسة في الدور النسائية، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم في جميع جوامع ومساجد المملكة اعتبارًا من يوم الإثنين الموافق ١٣/ ٧/ ١٤٤١هـ (٢).

يتضح لنا فيما سبق أهمية الحسبة الوقائية في المجال العلمي، حيث عنيت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بجانب الوقاية والأخذ بالاحترازات الوقائية ويمكن توضيح هذه الأهمية من خلال عرض إحصائية تقريبية (٣) لأعداد الطلاب التابعين

---

(١) انظر: وظيفة المسجد في المجتمع، أ.د.زيد بن عبدالكريم الزيد، ص٥١، الطبعة (١) دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٢) موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

(٣) الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ. إصدار إدارة الإحصاء بوكالة التخطيط والتطوير بوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ص٣٢-٣٤.

للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والكادر التعليمي والإداري وأعداد الطالبات في الدور النسائية مع الكادر التعليمي والإداري وذلك على النحو التالي:

أولاً: الطلاب التابعون للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والكادر التعليمي والإداري في المملكة.

م	عدد الطلاب	عدد المدرسين	عدد الموجهين	عدد الموظفين
	٣٧٨٣٦٧	٢٠٠٨٠	١٦٩٢	١٥٣٢١
المجموع	٤١٥٤٦٠			

ثانيًا: الطالبات التابعات للدور النسائية لتحفيظ القرآن الكريم والكادر التعليمي والإداري في المملكة.

م	عدد الطالبات	عدد المدرسات	عدد الموجهات	عدد الموظفات
	٦٨١٨١٢	٢٩٠٩٣	١٧٨٥	١٩٩٩٦
المجموع	٧٣٢٦٨٦			

المجموع الكلي تقريبًا لجميع منسوبي الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والدور النسائية مع الكادر التعليمي والإداري: (١١٤٨١٤٦) مليون ومائة وأربع وثمانون ألف ومائة وستة وأربعون فردًا.

ومن خلال هذه الإحصائية التقريبية يظهر لنا جليًا أهمية تعليق الدروس العلمية والمحاضرات وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، والدور النسائية لتحفيظ القرآن الكريم في جميع جوامع ومساجد المملكة عملاً بالتدابير الاحترازية.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية

في المجال الصحي والاجتماعي في ظل جائحة كورونا

المطلب الأول:

الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الصحي في ظل جائحة كورونا:

المجال الصحي يعد أهم المجالات في جاب الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا لأن الموضوع يتعلق بالأمراض المعدية ووزارة الصحة في المملكة هي الجهة المختصة لمواجهة جائحة كورونا بالإضافة إلى مساندة القطاعات الحكومية الأخرى، وجهود وزارة الصحة في مكافحة فايروس كورونا كانت جهودًا جبارة بدءً من الاستعداد لمواجهة الفايروس باتخاذ كافة الإجراءات الاحترازية، وإصدار النصائح والإرشادات الطبية للمواطنين والمقيمين والمسافرين، كما أصدرت الوزارة دليلاً صحيًا للتعامل مع الحالات المشتبهة، وتجهيز كافة الفحوص المخبرية لها، كما عملت على إعداد ملف متعدد الوسائط شامل كل المعلومات التي تتعلق بالفايروس، كما استخدمت الوزارة التقنيات الحديثة لتقديم الاستشارات الطبية المجانية على مدار الأربع وعشرين ساعة، وتوفير وصفات طبية إلكترونية للمرضى، وتوصيلها إلى منازلهم مجانًا لتجنيبهم من الحضور الشخصي إلى المستشفيات والمراكز الطبية(١)، بالإضافة إلى عقد مؤتمر صحفي كل يوم لاطلاع المجتمع السعودي على مستجدات فيروس كورونا بكل وضوح وشفافية، ومن خلال هذا المطلب سنتناول إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي في ظل جائحة كورونا بشيء من التفصيل.

---

(١) انظر: وزارة الصحة جهود تشكر، هاجر الدوسري، مقال في صحيفة الوطن أون لاين، ٢٤ فبراير ٢٠٢٠، وكالة الأنباء السعودية (واس) ٨ شعبان ١٤٤١هـ.

الفرع الأول: العزل الصحي.

العزل في اللغة بفتح العين وسكون الزاي: هو التنحية، قال ابن فارس في مقاييس اللغة: العين والزاي واللام أصل صحيح يدل على تنحيةٍ وإمالة. تقول عَزَلَ الإنسانُ الشيءَ يعزِلُه، إذا نحَّاه في جانب، وهو بمَعْزِلٍ وفي مَعزِلٍ عن أصحابه، أي في ناحية عنهم [١]. ويقال: عزل المرضى عن الأصحاء: أنزلهم في مكان منعزل اتقاء العدوى [٢].

أما العزل في الاصطلاح الطبي فصل الشخص المصاب أو المشتبه بإصابته بمرض معدي بطريقة تحول دون انتشار العدوى ويكون العزل إما في المستشفى، أو عزل منزلي [٣]. بمعنى عزل المصابين بمرض معد عن الأشخاص الأصحاء.

ولقد وضع الإسلام تعاليم واضحة لعزل المرضى المصابين بداءٍ معدٍ في البيوت أو المستشفيات، وعدم السماح لهم بالاختلاط بالآخرين، وعلى المريض أن يراعي مسؤولية الحفاظ على صحة الناس بعدم الاختلاط بهم والالتزام بالعزل الصحي، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله : (**لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ علَى مُصِحٍّ**)[٤]، وطرق العدوى متعددة إما بواسطة التنفس كما في أمراض الجهاز التنفسي كالأنفلونزا والسل الرئوي، أو عن طريق الملامسة كالجدري والجذام، أو عن طريق المعاشرة الجنسية كما في الأمراض التناسلية كالإيدز والزهري والسيلان، وغيرها من الأمراض، لذا فإن العناية بعزل المصابين بالأمراض

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون ٣٠٧/٤، الطبعة (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٣٩٩هـ.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص٥٩٩.

(٣) دليل الحجر الصحي والإقامة المنزلية تحت المراقبة لمرض كورونا كوفيد ١٩، المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا هامة، حديث رقم (٥٧٧١).

المعدية[1] "ضرورة حتمية حثَّ عليها الإسلام ليصون الحياة، ويبقى على سلامتها، ويدفع عن الإنسان الأذى والمكروه، وما يعكر صفو الحياة ويعطلها"[2].

لذا فإن العزل الصحي من التدابير الاحترازية والوقائية الهامة فعلى المرضى جميعًا أن يُقدِّروا خطورة الحالة التي هم فيها، ولا يؤذوا الناس ويكونون سببًا في إصابة جماهير الناس من جراء الاختلاط بهم [3] لأن ذلك داخل في الإفساد في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[4].

ولذا فإن من إجراءات الحسبة الوقائية التي اتخذتها وزارة الصحة العزل الصحي للأفراد المصابين بفايروس كورونا وهيئت جميع الإمكانات المادية والبشرية لمساعدة الأشخاص المصابين، كما خصصت عدد من المستشفيات لاستقبالهم وتوفير العناية الطبية اللازمة لهم.

الفرع الثاني: الحجر الصحي.

الحجر في اللغة بفتح الحاء وسكون الجيم: هو المنع، قال ابن فارس في مقاييس اللغة: الحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد وهو المنع والإحاطة على الشيء.، فالحَجْر حَجْر الإنسان، ويقال حَجَر الحاكمُ على السفينة حجرًا، وذلك منْعُه إيَّاه من التصرف في ماله [5].

---

(١) انظر: الصحة الوقائية في الإسلام، د. مروان القدومي، ص١٩٨، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٢م. التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث، إعداد: إيمان بنت عبدالعزيز المبرد، بحث ماجستير مقدم لقسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ، ص٦٦.

(٢) الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبدالله، ص٨٤، الطبعة (١)، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، العراق، ١٤١٠هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٨٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٥٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون ١٣٨/٢، الطبعة (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٣٩٩هـ.

أما الحجر في الاصطلاح الطبي الحد من تحرُّكات الأصحاء الذين اختلطوا بمن أصيب بمرضٍ سارٍ خلال فترة القابلية للعدوى (١).

وقد عرف المسلمون الحجر الصحي منذ عهد النبي ﷺ ففي الحديث الصحيح قال ﷺ **(الطَّاعُونُ(٢) رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ)**(٣) وهذه أول إشارة إلى الحجر الصحي على مستوى الحياة البشرية في تاريخ الطب الوبائي، والحديث يفيد أن يبقوا الناس بتلك الأرض ولا يغادروها؛ حتى لا يكونوا ناقلين للمرض وموسعين انتشاره محدثين وباءً عامًا من جراء التنقل بين المدن والأقطار(٤).

ومن ذلك مرض الجذام (٥) وهو من الأمراض الفتاكة والخطيرة التي قال عنها رسول الله ﷺ: **(فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الأَسَدِ)** (٦).

قال في كشاف القناع: " ولا يجوز للجُذَماء، مخالطة الأصحاء عموما، ولا مخالطة أحد معين صحيح إلا بإذنه، وعلى ولاة الأمور منعهم من مخالطة الأصحاء، بأن يسكنوا في مكان مفرد لهم ونحو ذلك (٧).

---

(١) الموسوعة الطبية الفقهية، د. أحمد محمد كنعان، ص٧٠٤، الطبعة (١)، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣) الطاعون: هو مرض معدٍ شديد الخطورة تسببه بكتيريا، وينتقل عن طريق البراغيث؛ حيث كان يعد من الأمراض الوبائية شديدة الانتشار، والذي أودى بحياة الملايين في السابق. موقع وزارة الصحة الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا أبو اليمان، حديث رقم (٣٤٧٣).

(٤) الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبدالله، ص٧٨.

(٦) الجذام : عِلَّة تتأكل منها الأعضاءُ وتتساقط. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص١١٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الجذام، حديث رقم (٥٧٠٧).

(٧) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، ١٢٦/٦، نشر دار الكتب العلمية.

وعلى سبيل الأخذ بوسائل الوقاية فقد تم تطبيق مبدأ الحجر الصحي الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٤٧ وتاريخ ١٤٣٣/٨/٧هـ في ظل جائحة كورونا للأشخاص القادمين من خارج المملكة، وللأشخاص الذين خالطوا أشخاصًا أصيبوا بفيروس كورونا وهو يعد من الحسبة الوقائية في المجال الصحي، وللحجر الصحي إجراءات وتعليمات لابد من الالتزام بها والذي يعنينا في هذا البحث **الإجراءات الواجب اتخاذها أثناء الحجر الصحي وهي على النحو التالي:**(١)

١-متابعة الحالة الصحية للأشخاص تحت الحجر مرتين يوميًا باستخدام النموذج المرفق

٢-التأكد من اتباع العامليين والاشخاص تحت الحجر للإجراءات الوقائية من غسل اليدين ولبس الكمامة الطبية.

٣-استخدام الأواني ذات الاستخدام الواحد للأكل والشرب.

٤-تطهير جميع الأسطح المكشوفة والأدوات التي يتم لمسها بشكل يومي بالمطهرات المعتمدة من وزارة الصحة ومن قبل أشخاص مدربين مع الحرص على ارتداء القفازات والكمامة التنفسية والرداء الطبي أثناء التنظيف.

٥-عند الحاجة لغسل ملابس الأشخاص تحت الحجر يتم استخدام أدوات الحماية الشخصية (القفازات والكمامة التنفسية والرداء الطبي) واستخدام الماء الدافئ والمنظفات لأطول وقت ممكن ثم القيام بتجفيفهما باستخدام مجفف الملابس.

٦-التأكد من تهوية غرفة الحجر الصحي بشكل جيد.

٧-التخلص الآمن من النفايات الطبية.

---

(١) دليل الحجر الصحي والإقامة المنزلية تحت المراقبة لمرض كورونا كوفيد ١٩، المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.

٨- يتم إبلاغ المشرف عن الحجر الطبي في حال وجود ارتفاع بدرجة الحرارة أو ظهور أي أعراض تنفسية للأشخاص تحت الحجر أو العاملين في منطقة الحجر ليتم التقييم الطبي وإكمال الإجراءات اللازمة.

الفرع الثالث: منع التجول.

المقصـــود بمنع التجول هو منع الأشـــخاص غير المصـــابين ولم تظهر عليهم علامات الإصـابة بفايروس كورونا من الخروج من منازلهم وهم عامة أفراد المجتمع، والهدف من ذلك هو حماية أفراد المجتمع من الإصـابة أو مخالطة المصـابين بفايروس كورونا لتحقيق مصـلحة عظيمة وعامة وهو دفع الخطر عن المجتمع، وهذا من الاحترازات المهمة، والتي تدخل في باب الحسبة الوقائية في الجانب الصحي، ونشير هنا إلى الأمر الملكي الصادر بشأن منع التجول الجزئي لعموم المواطنين والمقيمين في جميع مناطق المملكة العربية السـعودية، بتاريخ ١٤٤١/٧/٢٧هـ وجاء في الأمر الملكي:

منع التجول للحد من انتشـار فيروس كورونا الجديد ابتداءً من السـابعة مسـاءً وحتى الساعة السادسة صباحًا لمدة (٢١) يومًا من مساء الإثنين ٢٨ رجب ١٤٤١هـــ، الموافق ٢٣ مارس ٢٠٢٠م.

وقد تضـمن الأمر الكريم للجهات المعنية حث المواطنين على البقاء في منازلهم خلال المدة القادمة وبخاصـة فترة منع التجول، وعدم الخروج إلاّ في حالات الضـرورة القصـوى في الفترة التي لا يسري فيها المنع، إذ إن المحافظة على الصحة العامة باتت من أهم الواجبات على أبناء هذا الوطن ومن يقيم على أرضـــه، وعليهم أن يؤدوا واجبهم بالبقاء في منازلهم، وعدم تعريض أنفسهم وبلادهم لخطر تفشي هذه الجائحة (١).

ولذا فإن حظر التجول بمثابة الإجراء الوقائي الصـحي لكافة أفراد المجتمع للوقاية من جائحة كورونا.

(١) وكالة الأنباء السعودية (واس)، ٢٨ رجب ١٤٤١هـ.

الفرع الرابع: فرض العقوبات (١)على الأشخاص المصابين في حال تعمد نقل العدوى إلى الآخرين.

من إجراءات الحسبة الوقائية في الجانب الصحي لمنع الإصابة بمرض كورونا فرض العقوبات على الأشخاص المصابين في حال تعمد نقل العدوى إلى الآخرين، وهذا الذي ينص عليه نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز)، حيث تنص المادة الثامنة عشرة من النظام أنه يحظر على المصاب في متلازمة العوز الوقائي مخالفة الإرشادات الوقائية التي تقررها الجهات الصحية، وعليه الالتزام بعدم تعمد نقل العدوى إلى غيره، وحيث ثبت علميًا أن فيروس كورونا سريع الانتشار وسريع العدوى، بل أوسع انتشارًا من متلازمة العوز الوقائي المناعي المكتسب (الإيدز)، فإن من يخالف نص المادة الثامنة عشرة الواردة في النظام يعرض صاحبه إلى العقوبة المغلظة وهي:

١-غرامة مالية لا تتجاوز مائة ألف ريال.

٢-أو السجن مدة لا تتجاوز خمس سنوات.

٣-أو بكلتا العقوبتين (الغرامة والسجن) (٢).

ونلحظ هنا التشديد في العقوبة المقدرة للمخالف؛ لأن مصلحة الجماعة منوطة بالعقوبة تشديدًا وتخفيفًا، فإذا اقتضت مصلحة الجماعة التشديد شُدِّدت العقوبة، وإذا اقتضت المصلحة التخفيف خُفِّفت العقوبة، لذا فهي تقاس بمقدار جسامة الجريمة،

---

(١) المقصود بالعقوبة: هي الألم الذي يلحق الإنسان مستحقًا على الجناية. الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٦٩/٣٠.

(٢) انظر: المادة الرابعة والعشرون من نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) وحقوقهم وواجباتهم.

والجريمة هنا هي نقل عدوى المرض للآخرين مما قد يتسبب في الوفاة لا قدر الله، وبذلك يكون الجزاء من جنس العمل [1].

الفرع الخامس: فرض العقوبات على الأشخاص المخالفين لتعليمات العزل أو الحجر الصحي.

من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي، فرض العقوبات على الأشخاص المخالفين لتعليمات العزل أو الحجر الصحي؛ لأن العقوبة فيها منفعة للجماعة والفرد، وحماية المجتمع من الأخطار وذلك على النحو التالي:

١-غرامة مالية لا تزيد على مائتي ألف ريال.

٢-أو السجن لمدة لا تزيد عن سنتين.

٣-أو بكلتا العقوبتين [2].

---

(١) انظر: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، د. راوية بنت أحمد الظهار، ص٦٥، ٧٦، الطبعة (١)، من منشورات جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٦هـ. المادة الرابعة والعشرون من نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) وحقوقهم وواجباتهم.

(٢) موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٢ /١٤٤١/٩هـ.

الفرع السادس: توعية المجتمع بالإرشادات الوقائية وإصدار الأدلة الإرشادية للتعامل مع جائحة كورونا.

أ- التوعية:

كثفت وزارة الصحة جهودها التوعوية للمجتمع لبيان آلية التعامل مع فيروس كورونا المستجد، وأوضحت أهمية التقيد بالاحتياطات الوقائية ومن أهمها:

١. المداومة على غسل اليدين بالماء والصابون لمدة ٢٠ ثانية.

٢. المداومة على غسل اليدين بالماء والصابون لمدة ٢٠ ثانية.

٣. تغطية الفم، والأنف عند السُعال والعطاس.

٤. ضرورة البقاء في المنزل، وتجنب الاختلاط بالآخرين.

٥. شرح أعراض الإصابة بالفيروس، ومن أبرزها: الحمى، والسعال، وضيق في التنفس.

٦. ضرورة التوجه إلى أقرب مركز صحي عندما تظهر أعراض الإصابة بالفيروس.

٧. تجنب الاتصال بالحيوانات (حية، أو ميتة)، أو المنتجات الحيوانية، أو التردد على أسواق تداول الحيوانات.

٨. تجنب الاتصال بأشخاص مصابين بأعراض تنفسية [١]

ب- إصدار الأدلة الإرشادية الوقائية:

نشر المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها عبر حساباته في مواقع التواصل الاجتماعي، وموقعه الإلكتروني عددًا من الأدلة الإرشادية الوقائية الخاصة بفيروس (كورونا) الجديد، تتضمن الخطوات الواجب اتباعها عند السفر، وفي أماكن التجمعات،

---

(١) موقع وزارة الصحة الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

والمســـاجد، وأماكن العمل، وفي المدارس، والجامعات، وداخل المنازل ومن الأمثلة على ذلك ما يلي [١]:

١. التدابير الوقائية من كورونا كوفيد-١٩ في المدارس.
٢. التدابير الوقائية من كورونا المستجد كوفيد-١٩ في الجامعات.
٣. دليل التعامل مع فيروس كورونا المستجد-١٩ للعاملين في القطاع الصحي.
٤. الدليل الإرشادي (الحجر الصحي – العزل الطبي).
٥. دليل الإجراءات الوقائية للعاملين في المنافذ.
٦. دليل التعامل مع حالات الوفاة لمصابين فيروس كورونا المستجد.
٧. الدليل الإرشادي (إجلاء المواطنين من خارج المملكة).
٨. دليل التعامل مع حالات عدوى فايروس كوفيد-١٩.

الفرع الســـابع: وضـــع إجراءات وقائية من فيروس كورونا للمجمعات والأســـواق التجارية.

ومن إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي، ألزمت وزارة الشؤون البلدية والقروية المجمعات والأسـواق التجارية [٢] بعدد من الإجراءات الوقائية في سـبيل الحد من انتشـار فيروس كورونا ومن تلك الإجراءات:[٣]

١. تطبيق معايير النظافة والتطهير ولا تقتصر على توفير المعقمات.
٢. تطهير دورات المياه والحنفيات.
٣. تطهير مناطق ألعاب الأطفال.
٤. تطهير المصاعد الكهربائية والمداخل والمقابض.

---

(١) انظر: المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.

(٢) وهذه الإجراءات قبل الأمر بإغلاق المجمعات والأسواق التجارية.

(٣) الحساب الرسمي لأمانة منطقة الرياض على تويتر بتاريخ ١٠ مارس ٢٠٢٠م.

٥. تطهير عربات التسوق.

٦. التثقيف بالإجراءات الوقائية في الشاشات الداخلية والخارجية.

٧. توفير الصابون والمناشف الورقية.

٨. تطهير الأدوات المستخدمة والأسطح الملامسة.

ويظهر لنا من خلال العرض السابق لإجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي الجهود العظيمة والكبيرة التي بُذلت في المجال الصحي، لما تشتمل عليه من حسن إدارة للأزمة، وسرعة التنفيذ، وتقديم كامل الدعم المالي والبشري لاحتواء جائحة كورونا، والتعامل معها بكل مهنية وكفاءة.

المطلب الثاني:

الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الاجتماعي في ظل جائحة كورونا:

تُعد العلاقات الاجتماعية من الجوانب المهمة في حياة الناس، لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، فلا يمكن أن يعيش الإنسان وحيدًا في هذه الحياة الدنيا بدون أن يتعرف على الآخرين أو يخالطهم، أو يعاشرهم لما في ذلك من المصالح الدينية والدنيوية، ولذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(١) قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسيره: "أي يخبر الله – تعالى ـــ أنه خلق آدم من أصل واحد وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله – تعالى ـــ بث منهما رجالاً كثيرًا ونساء، وفرّقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف ولحوق الأنساب"(٢).

ولذا ترتب على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم عدد من الواجبات والحقوق التي يجب القيام بها على الوجه الأكمل كما حث عليها ديننا الحنيف وهذه الواجبات تبدأ من بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الآخرين، وغير ذلك من الحقوق، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ،**

---

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، ص٨٠٢، الطبعة (١) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

وإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ) (١) وفي الحديث يظهر عدد من الجوانب المهمة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض وهي تمثل جملة من الحقوق الشرعية التي يجب القيام بها.

ومما يميز المجتمع السعودي بشكل عام التكافل الاجتماعي والترابط بين الأسر، والتواصل الدائم مع الآخرين مما يجعل التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع السعودي في غاية الأهمية كالزيارات بين الأقارب، وحضور المناسبات في الأعياد والأعراس، وغيرها من المناسبات، إلا أنه في ظل الظروف التي يعيشها العالم بسبب جائحة كورونا فقد اتخذ ولي الأمر عدد من الإجراءات الاحترازية للوقاية من انتشار فيروس كورونا وهذه الإجراءات تدخل في باب الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي وسنتناول في هذا المطلب عدد من هذا الإجراءات.

الفرع الأول: فرض التباعد الاجتماعي ومنع التجمعات بجميع صورها وأشكالها.

استمرارًا للجهود التي تبذلها الدولة حرسها الله في تخفيف آثار فيروس كورونا ومنع انتشاره فقد تم فرض التباعد الاجتماعي ومنع التجمعات العامة بين الأسر والأقارب والعائلات للمصلحة العامة والأخذ بالاحترازات الوقائية، ولذا فقد صدر بيانٌ من وزارة الداخلية بهذا الشأن ونص البيان:

"صرح مصدر مسؤول في وزارة الداخلية بأنه وفقًا للإجراءات الوقائية والاحترازية التي أوصت بها الجهات الصحية المختصة في المملكة العربية السعودية، في إطار الجهود الحثيثة للسيطرة على فيروس كورونا الجديد(COVID19) ومنع انتشاره، وانطلاقًا من الحرص على حماية صحة المواطنين والمقيمين وضمان سلامتهم، فقد تقرر اعتبارًا من يوم الجمعة ١٨ رجب ١٤٤١هـ الموافق ١٣ مارس ٢٠٢٠م، تعليق إقامة المناسبات في صالات

(١) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم (٢١٦٢).

الأفراح أو الاستراحات أو قاعات المناسبات والفنادق، حيث تتولى إمارات المناطق متابعة تطبيق القرار.

وتدعو وزارة الداخلية الجميع إلى الالتزام بتنفيذ القرار حرصًا على حماية صحة المواطنين والمقيمين، والتزامًا بالإجراءات الوقائية الاحترازية الضرورية"(١).

وتعد هذه المرحلة الأولى من مراحل الإجراءات الوقائية في المجال الاجتماعي، حيث تلي هذه المرحلة مراحل أخرى للتأكيد على ضمان نجاح هذه الإجراءات لمنع التجمعات البشرية.

الفرع الثاني: صدور لائحة الحد من التجمعات.

من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي إصدار لائحة الحد من التجمعات، التي تهدف إلى فرض التباعد الاجتماعي، ومنع التجمعات التي تمثل العامل الرئيس في انتشار الفيروس وبالتالي حصول العدوى المسببة لفيروس كورونا، ولا شك أن هذا من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي لأن الاجتماع واللقاء بالآخرين من أقوى صور العمل الاجتماعي بين الناس، كالزيارة، وحضور مناسبة وغير ذلك؛ ولمنع وقوع الضرر على أفراد المجتمع جاءت لائحة الحد من التجمعات (٢) وهي على النحو التالي:

أولاً: تهدف اللائحة إلى فرض التباعد الاجتماعي وتنظيم التجمعات البشرية التي تكون سببًا مباشرًا لتفشي فيروس كورونا المستجد، والحد منها بما يضمن الحيلولة دون تفشي الفيروس وفقد السيطرة عليه واحتوائه.

(١) وكالة الأنباء السعودية (واس) بتاريخ ١٤٤١/٧/١٧هـ.

(٢) موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٤ /١٤٤١/٩هـ.

ثانيًا: يقصد بالتجمعات لأغراض تطبيق هذه اللائحة، أي تجمع لأكثر من أسرة واحدة، أو أي تجمع بحسب ما أشير إليه في البند (ثالثًا) من هذه اللائحة يتكون من (٥) أشخاص فأكثر في حيز واحد أو محدد ولا يربطهم علاقة سكنية واحدة.

ثالثًا: تُمنع التجمعات بكافة صورها وأشكالها وأماكن حدوثها، وتشمل ما يلي:

ـــ التجمعات العائلية: (أي تجمع داخل المنازل أو الاستراحات أو المزارع لأكثر من أسرة).

ـــ التجمعات غير العائلية: (أي تجمع داخل المنازل، أو الاستراحات أو المزارع أو المخيمات أو الشاليهات أو المناطق المفتوحة لأهل الحي الواحد أو غيره، ونحوها).

ـــ التجمعات في المناسبات الاجتماعية: (مناسبات الأفراح، والعزاء، والحفلات، والندوات، والصالونات، ونحوها).

ـــ التجمعات العمّالية: (أي تجمع من فئة العمال داخل المنازل أو المباني التي تحت الإنشاء، أو الاستراحات أو المزارع ونحوها، خلاف مساكنهم).

. التجمعات في المحلات التجارية المصرح لها: (أي تجمع للمتسوقين أو العاملين داخل أو خارج المحل التجاري بما يتجاوز الأعداد المنصوص عليها في الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية).

رابعًا: يتوّلى ضبط التجمعات بجميع صورها وأشكالها وأماكن حدوثها سواءً داخل الأحياء أو المدن أو خارجها، وحدات أمنية تخصص لهذا الغرض، إضافة إلى الجهات المشرفة على منشآت القطاع الخاص.

خامسًا: يُعد مخالفًا لأحكام هذه اللائحة أيضًا كل من حضر التجمع محل المخالفة أو دعا إليه أو تسبب فيه.

سادسًا: تنشر الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية – وأي تحديث يجرى عليها – والمخالفات المتعلقة بها والعقوبات المترتبة عليها في وسائل الإعلام الرسمية.

سـابعًا: على جميع الأفراد والكيانات من القطاعين العام والخاص، التقيد التام بالتعليمات المعتمدة المتصلة باشتراطات السلامة الصحيّة وقواعد التباعد الاجتماعي ومنع التجمعات بجميع صورها وأشكالها وأماكن حدوثها.

ثامنًـــــا: على كل من يَعلم عن أي تجمع مخالف لأحكام هذه اللائحة، إبلاغ الجهة المختصـــة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني (٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء منطقة مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم.(911)

ومن خلال عرض اللائحة السابقة يظهر لنا الإجراءات الوقائية في المجال الاجتماعي، والتي تؤكد أهمية منع التجمعات العائلية وغيرها لحماية أفراد المجتمع من جائحة كورونا.

الفرع الثالث: اعتماد تصـــنيف المخالفات والعقوبات المقررة لمخالفة لائحة الحد من التجمعات.

إضـافة إلى ما سـبق من إجراءات الحسـبة الوقائية في المجال الاجتماعي، تم اعتماد تصـــنيف يتعلق بالمخالفات والعقوبات المترتبة على مخالفة لائحة الحد من التجمعات، ويعد هذا الإجراء إجراء وقائي اقتضته مصلحة الجماعة:(١)

١. التجمع العائلي داخل المنازل أو الاســتراحات أو المزارع لأكثر من أســرة، ولا يربطهم علاقة سكنية واحدة، العقوبة (١٠,٠٠٠) ريال.
٢. التجمع غير العائلي داخل المنازل، أو الاســـتراحات أو المزارع أو المخيمات أو الشـــاليهات أو المناطق المفتوحة لأهل الحي الواحد أو غيره، ونحوها، العقوبة (١٥,٠٠٠) ريال.
٣. التجمع في مناســبات الأفراح، والعزاء، والحفلات، والندوات، والصـــالونات، ونحوها، العقوبة (٣٠,٠٠٠) ريال.

---

(١) موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٤ /١٤٤١/٩هـ.

٤. أي تجمع من فئة العمال داخل المنازل أو المباني التي تحت الإنشاء، أو الاستراحات أو المزارع ونحوها، خلاف مساكنهم، العقوبة (٥٠,٠٠٠) ريال.

٥. أي تجمع للمتسوقين أو العاملين داخل أو خارج المحل التجاري بما يتجاوز الأعداد المنصوص عليها في الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية، العقوبة (٥,٠٠٠) ريال عن كل شخص زاد عن الأعداد المنصوص عليها بما لا يزيد عن (١٠٠,٠٠٠) ريال.

٦. تكرار أي من المخالفات المشار إليها في الفقرات من (١ ــ ٥) للمرة الأولى، مضاعفة العقوبة الموقعة في المرة الأولى مع إغلاق منشآت القطاع الخاص لمدة (٣) أشهر.

٧. تكرار أي من المخالفات المشار إليها في الفقرات من (١ . ٥) للمرة الثانية:

أ- مضاعفة العقوبة الموقعة في المرة الثانية على منشآت القطاع الخاص مع إغلاقها لمدة ٦ أشهر.

ب- إحالة المسؤول للنيابة العامة.

كما أوضح المصدر أن حضور أي من التجمعات محل المخالفة، المشار إليها في الفقرات من (١ــ ٥) أو الدعوة لها أو التسبب فيها، سيكون عقوبتها (٥,٠٠٠) ريال، وأن تكرارها (للمرة الأولى) سيضاعف المبلغ إلى (١٠,٠٠٠) ريال، وفي حال تكرارها (للمرة الثانية) سيتم إحالة المخالف للنيابة العامة.

ويظهر للقارئ الكريم التصنيفات الواردة في مخالفات التجمعات وعقوباتها بأنها حازمة ومشددة، والهدف من ذلك صيانة النفس البشرية من المخاطر والتهديدات، ومن أخطرها وباء كورونا المنتشر لذا اتخذت الدولة هذه الإجراء الوقائي ضمن إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي للحماية من فيروس كورونا.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية

في المجال الأمني والتجاري في ظل جائحة كورونا

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال التجاري في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول:

الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا.

الأمن كلمة خفيفة على اللسان، عميقة في الوجدان، وهو مطلب الناس أجمعين، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش مطمئنًا على نفسه ودينه وعرضه دون توفر الأمن، وقد قال المصطفى ﷺ: **(مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا** (١) **فِي سِرْبِهِ** (٢) **مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ** (٣) **لَهُ الدُّنْيَا)** (٤)، والمراد من الحديث: المبالغة في حصول الأمن ولو في بيت تحت الأرض (٥). فالنبي ﷺ جعل حيازة الدنيا بالحصول على الأمور الواردة في

---

(١) آمنًا: أي غي خائف من عدو. انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، ٩/٧، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ط،د.ت.

(٢) سربه: المشهور كسر السين أي في نفسه وقيل السرب الجماعة فالمعنى: في أهله وعياله وقيل: بفتح السين أي: في مسلكه وطريقه، وقيل: بفتحتين أي في بيته. ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٩/٧.

(٣) حيزت: ضمت وجمعت. ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ٦٨/٦، الطبعة (١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد، باب: في الوصف من حيزت له الدنيا، حديث رقم (٢٣٤٦)، ص٥٣٦، وحسنه الألباني، ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٩/٧.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ١٠/٧.

الحديث وجعل في مقدمتها حصول الأمن، فبدونه لا يستلذ العيش، ولا يستطاب الغذاء، ولا يهنأ الإنسان بحاجاته (١).

ومما يدل على أهمية الأمن دعاء أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة بتوفر الأمن قبل توفر الرزق، قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٢).

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: لقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوءة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة (٣).

ومن هنا نعلم أن ثبات الأمن وتأكيده ، وتوفير الأمان وتعميمه هو المرتكز والأساس لكل عوامل البناء والتنمية، وتحقيق النهضة الشاملة وبدون ذلك يستوطن الخوف وتعم الفوضى ويشيع الضياع فتفقد الأمة أساس البناء وأسباب البقاء(٤)، وعندما نتأمل النصوص النبوية نجد أنها تحث على أهمية إشاعة الطمأنينة والأمن والسرور في قلوب الناس، وأنه من أحب الأعمال إلى الله فعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (**أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ ، تَكشِفُ عنه كُربةً ، أو تقضِي عنه دَيْنًا ، أو تَطرُدُ عنه**

---

(١) ينظر: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، أمل محمد نور، ص٢٧، بحث تكميلي مقدم لقسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٢٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/٧١٥، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط،د.ت.

(٤) أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن دراسة تأصيلية، عبدالعزيز الجوهر، ص٧٣.

جوعًا ... الحديث)[1] وإدخال السرور والأمان إلى نفوس الناس يتأكد في زمن الكوارث والأزمات وذلك بإشاعة الأمن والطمأنينة في نفوسهم، ونقل الأخبار الإيجابية الداعية للتفاؤل والأمل، حتى تقوى النفوس وتصبح صامدة أمام المشكلات بكل عزم وصبر، وفي ظل جائحة كورونا يتأكد أهمية الأمن والتفاؤل، لأن الشعور بالأمن والتفاؤل يعكس آثارًا إيجابية على الصحة النفسية للإنسان، ومنها طمأنينة النفس وراحة القلب، والنظرة الإيجابية لكل محنة.

ومن هنا ندرك أهمية الحسبة الوقائية في المجال الأمني، حيث اتخذت الدولة إجراءات وقائية حازمة وقوية للحفاظ على أمن المجتمع في ظل جائحة كورونا وأبرز الجهات الحكومية التي لها دور كبير في مجال الحسبة الوقائية في المجال الأمني هي النيابة العامة، حيث سخرت جميع إمكاناتها وطاقاتها للتصدي لكل المخالفات والشائعات، واتخاذ كافة الإجراءات النظامية اللازمة تجاهها؛ لحماية المواطنين والمقيمين من كل ما من شأنه المساس بالأمن والنظام العام، وسنتعرف على بعض هذه الإجراءات فيما يلي:

الفرع الأول: منع إنتاج الصور ومقاطع الفيديو المخالفة لأمر منع التجول.

منع التجول في المملكة العربية السعودية صدر بأمر ملكي للحفاظ على سلامة المواطنين والمقيمين على أرض المملكة، ولذا فإن من الواجب على كافة أفراد المجتمع الالتزام بذلك وتطبيقه وفق ما جاء في بيان حظر التجول، إلا أنه وجد بعد الممارسات الخاطئة مثل التصوير أو انتاج مقاطع الفيديو المخالفة لأمر منع التجول ونشرها والتي تعد من المخالفات الكبيرة التي قد تتسبب في الإخلال بالأمن أو التحريض عليه، ونظرًا لأهمية

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله وزميله، رقم الحديث (٦٠٢٦)، ١٣٩/٦، طبعة دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم (٩٠٦)، ٥٧٤/٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ.

المحافظة على الأمن واستتبابه فقد أصدرت النيابة العامة بيانًا يمنع انتاج الصور ومقاطع الفيديو المخالفة لأمر منع التجول وجاء في البيان:

"إنتاج صور أو مقاطع فيديو لمخالفات أمر منع التجول، أو التحريض عليه، ونشره عبر وسائل التقنية المعلوماتية، يُعد جريمة كبيرة موجبة للتوقيف ويُعاقب مرتكبها طبقًا للمادة السادسة من نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية بالسجن إلى ٥ سنوات وغرامة إلى ٣ ملايين ريال، دون أن تطال المساءلة للمُبلغين"(١).

الفرع الثاني: الأمر بالقبض على من ثبت مخالفته لأمر منع التجول من خلال التصوير أو نشر مقاطع الفيديو.

من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني، القبض على الأشخاص الذين ثبت مخالفتهم أمر منع التجول، حيث "أفادت النيابة العامة أنه بناءً على ما تم رفعه من قبل وحدة الرصد في النيابة العامة بشأن تداول مقطع فيديو مصور عبر وسائل التواصل الاجتماعي، يتضمن محتواه قيام فتاة بإنتاج مقطع فيديو مصور فيه تحريض على مخالفة الأمر الملكي الصادر بحظر التجول. وبناءً على ما تقتضيه المصلحة العامة، فقد أصدرت النيابة العامة أمرها بتحريك الدعوى الجزائية العامة، استنادًا إلى المادة (١٧) من نظام الإجراءات الجزائية، ومباشرة إجراءات الاستدلال طبقًا للمواد (٢٤، ٢٧، ٢٨) من ذات النظام، بعد القيام بإجراءات البحث والتحري والتحقق من صحة المقطع ونسبته لمن ظهرت به، والقبض على المعنية فيه واستكمال الموجب النظامي بحقها (٢).

---

(١) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) الموقع الإلكتروني الرسمي لجريدة الرياض على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠٢٠م.

الفرع الثالث: حظر بث الشائعات ونشرها بين الناس، وعقوبة مشددة للمخالف.

يعد بث الشائعات وترويج الأخبار الكاذبة من الاعتداء والظلم للمجتمع، لأن فيها إثارة للبلبة وبث الذعر بين الناس بأخبار كاذبة، وهذا فيه خطر عظيم على أمن المجتمعات لأنه قد يترتب على ذلك ردة فعل عند البعض مما قد يتسبب في اختلال المنظومة الأمنية في المجتمع لذا فإن من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني يتطلب حظر الشائعات وتشديد العقوبة على المخالفين، وفي سياق التدابير الاحترازية للنيابة العامة لحفظ الأمن صرح مصدر مسؤول في النيابة العامة أنه بناءً على ما تم رفعه من قبل وحدة الرصد بشأن قيام أحد الأشخاص بإنتاج محتوى معلوماتي يتضمن شائعات وأخبار مجهولة المصدر عن فيروس كورونا المستجد كوفيد ١٩ ماسة بالنظام العام ونَشَر تلك الشائعات عبر وسائط التواصل الاجتماعي، وعطفًا على ذلك صدر توجيه معالي النائب العام بالبحث والتحري عن المعني بالإجراء والقبض عليه واستكمال المقتضى النظامي بحقه، وبتحليل الأدلة الرقمية والمعرفات المعلوماتية تم القبض عليه وانتهى التحقيق معه بتوجيه الاتهام له بإنتاج شائعات وأخبار مجهولة المصدر ماسة بالنظام العام متعلقة بفيروس كورونا وزعزعة الثقة في متانة ومناعة الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية المتخذة من قبل الجهات المختصة وأحيلت كامل أوراقه إلى لمحكمة المختصة والمطالبة بعقوبته بالسجن لمدة تصل خمس سنوات وغرامة تصل ثلاثة ملايين ريال ومصادرة الأجهزة المستخدمة في الجريمة ونشر الحكم بعد ثبوت الإدانة على نفقة المحكوم عليه، طبقًا للمادة السادسة من نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية.

وأكد المصدر أن النطاق الشخصي للعقوبات المقررة لهذه الجريمة تطال كذلك كل من اشترك فيها بالاتفاق أو المساعدة أو التحريض والنطاق الموضوعي لها بذات العقوبة

يسري على كل من أنتج أو أعدَّ أو أرّسل أو خَزَّن عن طريق الشبكة المعلوماتية أو أحد أجهزة الحاسب الآلي ما من شأنه المساس بالنظام العام (١).

الفرع الرابع: توعية المجتمع بأهمية أخذ المعلومة من المصادر الرسمية لها.

ومن الإجراءات الوقائية في المجال الأمني توعية المجتمع بأهمية أخذ المعلومة من مصدرها الرسمي والتأكيد على ذلك؛ للبعد عن المعلومات الخاطئة، والأخبار الكاذبة، لاسيما أن جميع الجهات الحكومية لديها مواقع إلكترونية وحسابات في مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة أن لكل جهة حكومية متحدث رسمي يناط به التصريح بالمعلومات والبيانات الرسمية الموثوقة، وتوضيح الصورة للناس والمعنيين في كل ما ينشر أو يقال في جميع المجالات المتعلقة بالجهة، لذا يمكن الاعتماد عليهم في أخذ المعلومة الصحيحة، لاسيما في أوقات الأزمات والكوارث لأن أي معلومة خاطئة تصل للجمهور في ظل الأزمات ربما تخلف آثارًا سلبية على الحياة العامة، والنظام العام، لذا وجهت النيابة العامة على حسابها الرسمي في تويتر رسالة للمجتمع تؤكد على أهمية أخذ المعلومة من المصادر الرسمية: "استقاء المعلومة من مصدرها الرسمي مطلب وطني يرسخ التوعية المجتمعية ويعزز الأمن المعلوماتي، فلا تكن شريكًا في إشاعة الأخبار مجهولة المصدر الماسة بالنظام العام عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي من شأنها تصعيد مستوى الهلع لدى المجتمع؛ نأيًا بالنفس عن المساءلة الجزائية"(٢).

وهذا من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني، للإسهام في صيانة أمن المجتمع من المنغصات، وخاصة خلال جائحة كورونا وحظر منع التجول، فالكثير من فئات المجتمع لا شك يقضي وقته بالساعات على الأجهزة الذكية، ويستقبل عبر منصات التواصل الاجتماعي كمًا هائلاً من الأخبار والمعلومات والإحصاءات وقد تكون مجهولة

---

(١) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٨ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٣ مارس ٢٠٢٠م.

المصدر، والنسبة العالية من مستخدمي الأجهزة الذكية للأسف يقوم مباشرة بتحويل هذه الرسائل قبل التأكد من صحتها ومصدرها، مما يسهم في نقل الأخبار المغلوطة وغير الصحيحة.

الفرع الخامس: الأمر بالقبض على شخصين مارسا سلوكًا مضرًا بالصحة.

تقوم النيابة بجهود كبيرة في متابعة كل ما يتم تداوله على منصات التواصل الاجتماعي لرصد جميع السلوكيات الممنوعة، والمجرمة شرعًا ونظامًا للحفاظ على أمن المجتمع، وصد كل ما من شأنه التأثير على الحياة العامة، والنظام العام، لذا قامت النيابة العامة بالقبض على شخصين قاما بشرب سائل تعقيم غير مخصص للتناول الإنساني أو الاستهلاك الآدمي وفيما يلي نص البيان الصادر من النيابة العامة بهذا الخصوص: " أكدت النيابة العامة أنه وفقًا لما تم رفعه من وحدة الرصد لديها بشأن قيام شخصين بشرب سائل تعقيم غير مخصص للتناول الإنساني أو الاستهلاك الآدمي وتصوير ذلك ونشره على وسائل التواصل الاجتماعي وتضليل المتلقي على أنه يقي من مرض كورونا، والترويج لذلك وكان كل منهما قد اقترف فعلته بشكل مستقل عن الآخر.

فصدر بشأنهما توجيه النيابة العامة إلى الجهة المختصة بالبحث والتحري عنهما والتعرف على هويتها والقبض عليهما على الفور وإحالتهما إلى النيابة العامة لاستكمال إجراءات التحقيق بحقهما وإحالتهما للمحكمة المختصة.

ويُعد ما قاما به من سلوك مادي محل تجريم شرعًا ونظامًا، لما ينطوي عليه من الجناية عمدًا على النفس وتعريضها للتهلكة، ومخاطبة غرائز الأطفال وإثارتها بما يزين لهم سلوكًا مضر بالصحة العامة، ونشر ما من شأنه المساس بالنظام العام، والمجرم طبقًا للمادة السادسة من نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، والمقرر بشأنهما عقوبات صارمة من السجن

مدة تصل إلى خمس سنوات، وغرامة مالية تصل إلى ثلاثة ملايين ريال، فضلاً عن خرقهما لأحكام نظام حماية الطفل والعقوبات المترتبة على ذلك"(١).

ويظهر من خلال ما ورد في بيان النيابة العامة أن السلوك الذي قاما به الشخصين يمس بالنظام العام ولذا فإن من إجراءات الحسبة الوقائية معاقبة من يقوم بمثل تلك التصرفات لمنع أي تجاوزات أو مخالفات مستقبلاً في هذا المجال.

الفرع السادس: حظر نشر الوثائق أو المعلومات السرية أو إفشاء أي منها.

الحفاظ على الأمن مسؤولية عظيمة يجب أن يدرك كل مواطن ومقيم أهمية ذلك والحذر من زعزعة الأمن بأي وسيلة كانت، ومن ذلك نشر الوثائق أو المعلومات السرية للدولة،(٢) لأن "للدولة الحق في حماية معلوماتها وصيانة أسرارها وإحاطة بياناتها بسياج منيع يحقق لها ولرعاياها الأمن المعلوماتي بصورة أولية والأمن بكافة أشكاله وصوره"(٣) لذا يجب أن يكون المجتمع على قدر المسؤولية ويمنعوا مثل هذه التصرفات المخالفة للأنظمة والتعليمات، لاسيما في أوقات الأزمات، ولذا وجهت النيابة العامة عبر حسابها الرسمي في تويتر حظر مثل هذه المخالفات كإجراء احترازي لمنع الوقوع فيها: " يُحظرُ نشرُ الوثائقِ أو المعلوماتِ السريةِ أو إفشاءِ أيِّ منهما، وتُعد من الجرائم الكبيرة الموجبة للتوقيف، وتَتصلُ بظرفٍ مُشددٍ إذا ارتُكبت ممن يَشغلُ وظيفةً ذاتَ طابعٍ سرِّيْ" (٤)

---

(١) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) وعرفت أسرار الدولة بأنها: "المسائل المتعلقة بجميع شؤون الدولة سواء كانت أمنية، أو تشريعية، أو قضائية، أو إدارية التي يجب الحفاظ عليها، وجعلها في طي الكتمان حماية للدولة، وكيانها، وسيادتها". جرائم انتهاك أسرار الدفاع عن البلاد، جابر المراغي، ص٣٠، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.

(٣) المسؤولية الجنائية في الإعلانات التجارية "دراسة تأصيلية مقارنة"، المستشار القانوني عبدالعزيز العبيد، ص٢٤٢، الطبعة (٢)، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، ١٤٣٧هـ.

(٤) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٢ مايو ٢٠٢٠م.

وقد نصت المادة الخامسة من نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشائها مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد مقررة نظامًا، يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على عشرين سنة أو بغرامة لا تزيد على مليون ريال أو بهما معًا، كل من:

١. نشر وثائق أو معلومات سرية أو أفشاها.
٢. دخل أو شـــرع في الدخول إلى أي مكان أو موقع غير مأذون له الدخول فيه؛ بقصد الحصول على وثائق أو معلومات سرية.
٣. حصل بأي وسيلة غير مشروعة على وثائق أو معلومات سرية.
٤. حاز أو علم – بحكم وظيفته – وثائق أو معلومات رسمية سرية فأفشاها أو أبلغها أو نشرها دون سبب مشروع مصرح به نظامًا.
٥. أتلف– عمدًا – وثائق سرية أو أساء استعمالها وهو يعلم أنها تتعلق بأمن الدولة أو بأي مصلحة عامة، وذلك بقصد الإضرار بمركز الدولة العسكري أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي.
٦. أخل بالمحافظة على سرية المعلومات والوثائق (١).

كما نصــت المادة الســابعة من النظام أنه يراعى عند تطبيق العقوبة الواردة في المادة (الخامســة) من هذا النظام؛ التناســب بين الجريمة والعقوبة، مع مراعاة الظروف المخففة والمشددة للعقوبة، ويعد من الظروف المشددة ما يلي:

١. إذا ارتكبت الجريمة في زمن الحرب.
٢. إذا ارتكبت الجريمة لمصــلحة دولة أجنبية، أو لأحد ممن يعملون لمصــلحتها بأي صورة وعلى أي وجه وبأي وسيلة، سواء بطريق مباشر، أو غير مباشر.
٣. إذا كانت الوثيقة أو المعلومة مهمة وذات درجة سرية عالية.

---

(١) نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشائها المادة الخامسة.

٤. إذا كان الضرر الذي أصاب الدولة بسبب إفشاء الوثيقة أو المعلومة السرية جسيمًا.

٥. إذا ارتكبت الجريمة بقصد الإضرار بالدولة.

٦. إذا ارتكب الجريمة من يشغل وظيفة ذات طابع سري.

٧. إذا ارتكب الجريمة من يشغل وظيفة عليا [١].

ونلحظ من خلال عرض المادتين الخامسة والسابعة من نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشائها مدى خطورة الإقدام على مثل هذه التصرفات؛ لكونها تتعلق بالأمن الوطني، والنظام العام، للمملكة وسياساتها ومصالحها، لاسيما في الظروف غير الطبيعية كانتشار الأوبئة والأمراض في المجتمع، حيث تحرص الدولة على كتمان ما يصدر منها من قرارات وإجراءات يمكن أن يضر الإفشاء بها[٢] المصلحة العامة، ولهذا كان من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا التأكيد على حظر نشر الوثائق أو المعلومات السرية أو إفشاء أي منها.

(١) نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشائها المادة السابعة.

(٢) انظر: الحماية الجنائية لأسرار المهنة، أحمد سلامة، ص١١٠، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٨م.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال التجاري في ظل جائحة كورونا.

التجارة تعد من أهم الوسائل الضرورية في حياة الناس، لأنها المصدر الأساسي للحصول على السلع من المأكل والمشرب والملبس والمسكن، وكل ضروريات الحياة، كما تعد التجارة قديمة قدم الزمن لأنه لا يتصور أن يوجد تجمع بشري بدون نشاط تجاري يلبي احتياجاتهم المختلفة، ولذا فالتجارة ضرورة من ضرورات الحياة والبقاء والتمتع بما أحل الله تعالى لعباده المؤمنين ولذا شرع الله تعالى البيع قال تعالى : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1] وفي الحديث الشريف قال ﷺ: **(لأنْ يأخذَ أحدُكم حبلَهُ على ظهْرِهِ فيأتي بحزمةٍ منَ الحطبِ فيبيعُها فيكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ خيرٌ مِنْ أنْ يسألَ الناسَ أعطوْهُ أوْ منعوهُ)**[2]. وقال ﷺ: **(الذهَبُ بالذهَبِ وَزنًا بوَزنٍ، والفِضَّةُ بالفِضَّةِ وَزنًا بوَزنٍ، والبُرُّ بالبُرّ مِثلاً بمِثلٍ، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ مِثلاً بمِثلٍ، والتمرُ بالتمرِ مِثلاً بمِثلٍ، والمِلحُ بالمِلحِ مِثلاً بمِثلٍ، وبيعُ الذهَبِ بالفِضَّةِ كيفَ شِئتُم يدًا بيدٍ، والبُرُّ بالشَّعيرِ كيفَ شِئتُم يدًا بيدٍ، والمِلحُ بالتمرِ كيفَ شِئتُم يدًا بيدٍ)** [3].

ولذا فالتجارة تسهم في نماء المجتمعات وتطورها، وزيادة الناتج المحلي، وتقليل نسبة البطالة، وتعزز قدرة الدول العسكرية، والإنتاجية، والتكنلوجية، وكذلك الاكتفاء الذاتي من المواد الغذائية، وغير ذلك من المنافع والمكاسب، وتعد المملكة العربية السعودية من الدول التي تعنى بالجانب التجاري عناية كبرى لمكانتها الاقتصادية في العالم، ولكونها تتمتع بأنظمة متقدمة ومتطورة في القطاع التجاري إلا أنه في ظل جائحة كورونا التي عصفت

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم (١٤٧١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة والمزارعة، باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا، حديث رقم (١٥٨٧).

بدول العالم فقد اتخذت المملكة عدد من إجراءات الحسبة الوقائية في الجانب التجاري في ظل جائحة كورونا وهذا ما سنتعرف عليه فيما يلي:

الفرع الأول: إغلاق المجمعات التجارية وجميع الأنشطة داخلها.

تعتبر المجمعات التجارية في وقتنا الحاضر مقصد الكثير من الأسر والعائلات في المملكة لتغطيتها كافة الاحتياجات تحت سقف واحد، كالملابس والأحذية وأدوات التجميل والعطورات، بالإضافة إلى المطاعم والمقاهي وألعاب التسلية والترفيه، بل أصبحت ملتقى للكثير من الأسر، وقضاء أوقات الفراغ والاستجمام، لما تتميز به تلك المجمعات التجارية من جمال التصميم، وروعة التنفيذ وتوفر جميع الخدمات الصحية والتقنية والأمنية، إلا أنه في ظل جائحة كورونا فقد اتخذت المملكة عدة إجراءات احترازية لمنع تفشي فيروس كورونا ومن ذلك المجال التجاري لذا أصدرت وزارة الشؤون البلدية والقروية قرارًا **"بإغلاق المجمعات التجارية وجميع الأنشطة داخلها بما فيها المطاعم وأماكن ألعاب الأطفال باستثناء محلات السوبر ماركت والصيدليات"**(١) ويُعد هذا الإجراء من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري للحفاظ على صحة المتسوقين وسلامتهم.

الفرع الثاني: التحذير من استغلال الأوضاع الراهنة لإدخال الغش التجاري على السلع عالية الطلب.

الأصل في التجارة أن تقوم على الصدق والأمانة، وأن تخلوا من الغش والتدليس بجميع صورة وأشكاله، ولذا جاءت الشريعة بتحريم الغش والتحذير منه، "لأنه خديعة وخيانة، وضياع للأمانة، وفقد الثقة بين الناس، وكل كسب من الغش فإنه حرام، لا يزيد صاحبه إلا بعدًا من الله"،(٢) وقد تبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع، أما الأدلة من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم

(١) الحساب الرسمي لأمانة منطقة الرياض على تويتر بتاريخ ١٥ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صال العثيمين، جمع وترتيب: فهد السلمان، ٢٠/٢٥٥، الطبعة (١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

﴿بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾(١) ووجه الدلالة من الآية أن الله "ينهى عبادة المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالمغصوب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة"(٢).

وفي السنة المطهرة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ مرَّ على صرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: (**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**) (٣). وقال ﷺ: (**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**) (٤). ووجه الدلالة في الحديث حث الرسول ﷺ على الصدق والأمانة في المعاملات المالية من بيع وشراء، وأن هذا من الأسباب التي تؤدي إلى البركة والفوز بمرضاة الله، وفي المقابل نهى المصطفى ﷺ عن الكذب والخديعة وكتمان العيوب لأنها قد تؤدي إلى محق البركة وسخط الله (٥).

وقد أجمع العلماء على تحريم الغش بل عدَّه بعض العلماء كبيرة من الكبائر، قال ابن حجر الهيتمي (٦) رحمه الله: "فذلك أعني ما حكي من صور ذلك الغش التي يفعلها التجار، والعطارون، والبزازون، والصواغون، والصيارفة، والحياكون، وسائر أرباب البضائع، والمتاجر، والحرف، والصنائع كله حرام شديد التحريم، موجب لصاحبه أنه فاسق غشاش،

---

(١) سورة النساء، الآية رقم (٢٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص١٧٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من غشَّنا فليس منا)، حديث رقم (١٠٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: البيوع، باب: الصدق والبيان في البيع، حديث رقم (١٥٣٢).

(٥) الغش التجاري في النظام السعودي والفقه الإسلامي، فارس الحقباني، بحث تكميلي غير منشور مقدم للمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ. ص٨٧.

(٦) ت (٩٧٣هـ).

خائن يأكل أموال الناس بالباطل، ويخادع الله ورسوله وما يخادع إلا نفسه، لأن عقاب ذلك ليس إلا عليه"(١).

وفي ظل جائحة كورونا فإنه للأسف الشديد يوجد بعض ضعاف النفوس من المستثمرين ممن يتقن الاستثمار في الظروف الصعبة والأزمات لجني أموالاً طائلة بالغش والتدليس واستغلال حاجة الناس ويطبق قاعدة (الأزمات تصنع الثروات)، وهذا منتشر في بلاد العالم ولذا فإن المملكة العربية السعودية تعي تمامًا مثل هذه الممارسات واتخذت التدابير الاحترازية للحد من ذلك حيث أصدرت النيابة العامة تحذيرًا للمستثمرين في جميع المجالات بأن "**انتهاز قوة شرائية أو طلب متزايد أو حاجة سوقية تجاه منتجات معينة، لظرفٍ قائم أو متطلباتٍ وقتية، أو ضرورةٍ استثنائية، واستغلالُ ذلك في إدخال الغش على هذه المنتجات جريمة تنهض تجاهها المساءلة الجزائية المشددة**"(٢).

كما نصت المادة الثانية من نظام مكافحة الغش التجاري أنه يعد مخالفًا لأحكام هذا النظام كل من:(٣)

١. خدع- أو شرع في الخداع- بأي طريقة من الطرق في أحد الأمور الآتية:

أ- ذاتية المنتج، أو طبيعته، أو جنسه، أو نوعه، أو عناصره، أو صفاته الجوهرية.

ب- مصدر المنتج.

ت- قدر المنتج، سواء في الوزن، أو الكيل، أو المقاس، أو العدد، أو الطاقة، أو العيار.

٢. غش أو شرع في غش المنتج.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي، ١/٤٦٤، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٢) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٧ مارس ٢٠٢٠م.

(٣) نظام مكافحة الغش التجاري المادة الثانية.

٣. باع منتجًا مغشوشًا، أو عرضه.

٤. حاز منتجًا مغشوشًا بقصد المتاجرة.

٥. صنع منتجات مخالفة للمواصفات القياسية المعتمدة، أو أنتجها أو حازها، أو باعها، أو عرضها.

٦. استعمل آنية، أو أوعية، أو أغلفة، أو عبوات، أو ملصقات، مخالفة للمواصفات القياسية المعتمدة، وذلك في تجهيز أو تحضير ما يكون معدًّا للبيع من المنتجات.

٧. عبأ منتجًا، أو حزمه، أو ربطه، أو وزعه، أو خزنه، أو نقله، بالمخالفة للمواصفات القياسية المعتمدة.

٨. استورد عبوات، أو أغلفة، أو مطبوعات تستعمل في الغش، أو صنعها، أو طبعها، أو حازها، أو باعها، أو عرضها.

٩. استورد منتجًا مغشوشًا.

كما نصت المادة السادسة عشرة من النظام بأنه "يعاقب بغرامة لا تزيد على خمسمائة ألف ريال، أو السجن مدة لا تزيد على سنتين، أو بهما معًا، كل من ارتكب إحدى المخالفات المنصوص عليها في المادة (الثانية) من هذا النظام"(١).

وهذا الإجراءات من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري وهو التحذير من الغش في السلع وفرض العقوبات المشددة على المخالفين لضمان صحة المستهلك وسلامته.

(١) نظام مكافحة الغش التجاري المادة السادسة عشرة.

الفرع الثالث: التحذير من استغلال الأوضاع الراهنة لاحتكار بعض أنواع السلع للتحكم في الأسعار.

الاحتكار هو حبس الطعام للغلاء[١] بحيث يعمد المحْتَكِر إلى شراء ما يحتاج إليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد إغلاءه عليهم[٢]وهو محرم في الإسلام للحديث الذي رواه سعيد بن المسيب عن رسول الله ﷺ: **(لا يَحْتَكِرُ إلاَّ خَاطِئٌ)**[٣]، ولذا فإن جانب الحسبة الوقائية في المجال التجاري تتأكد في هذا المجال لدفع الظلم عن الناس، وحمايتهم من جشع التجار وفي هذا الصدد يقول ابن الأخوة القرشي -رحمه الله- : "وإذا رأى المحتسب أحدًا قد احتكر من سائر الأقوات، وهو أن يشتري ذلك في وقت الغلاء، ويتربص ليزداد في ثمنه ألزمه بيعه إجبارًا؛ لأن الاحتكار حرام"[٤] ولاشك أن الاحتكار ينجم عنه الغلاء في الأثمان بسبب قلة الإنتاج مما يلحق بالناس الشدة والعنت في معاشهم، وتظهر آثار الاحتكار بصورة مخيفة في وقت الأزمات، فإن الناس قد يصيبهم الخوف والهلع بسبب نقص الأرزاق، ولذا عالج الإسلام ظاهرة الاحتكار بعدة وسائل نجملها فيما يلي:[٥]

١. تحريم الاحتكار.

---

(٢) التعريفات، للجرجاني، ص٢٦.

(٣) الحسبة في الإسلام، لابن تيمية، تحقيق: سيد بن محمد بن ابي سعدة، ص٢٣، الطبعة (١)، نشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت، ١٤٠١هـ.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة والمزارعة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، حديث رقم (١٦٠٥)، ص٧٠٢.

(٥) معالم القربة في طلب الحسبة، لابن الأخوة القرشي، ص٧٤، الطبعة (بدون) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٦) انظر: الاحتكار وموقف التشريع الإسلامي منه دراسة مقارنة بين النظم الاقتصادية والإسلام، إعداد: موسى محمد الطيب، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠١-١٤٠٢، ص٩٨.

٢. شـــجع الجلب (الاســـتيراد) والركبان الذين يأتون من أماكن قريبة وما ذلك إلا ليكثر العرض ويرخص السعر.

٣. منع تلقي السـلع قبل نزولها السـوق؛ خشـية احتكارها من قبل المحتكرين وإلحاق الضرر بأهلها.

٤. منع بيع الحاضـــر (ســـاكن البلد) لأهل البادية لأن ذلك مظنة إلحاق الضـــرر بالناس.

٥. الإجبار على البيع لكل من بيده سلعة هو ليس بحاجة لها.

٦. التسعير حتى لا يكون هناك مجال لاستغلال الناس وإلحاق الضرر الغبن بهم (١).

ونظرًا للظروف التي يمر بها العالم بســـبب جائحة كورونا، والحاجة إلى فرض موقف جاد من الدولة حتى لا يتضـــرر المجتمع باحتكار صـــنف أو أصـــناف من الأغذية أو الاحتياجات الطبية أو الصـناعية أو الزراعية، فقد أصـدرت النيابة العامة بيانًا تمنع فيه من ارتكاب أي تصرف قد يلحق الضرر بالأسعار، حيث نص البيان على أنه : "يُحظر على المنشآت التي تُمارس أعمالاً تجارية أو زراعية أو صناعية أو خدمية استغلال تداعيات وقتية أو أحداث عالمية أو مُعطيات اسـتثنائية لأجل القيام بمُمارسـات مفتعلة توجد انطباع غير صـحيح ومضـللاً وتوحي بعجز غير حقيقي بشـأن السـلع أو الخدمات لأجل التحكم في الأسـعار"(٢) وهذا إجراء من إجراءات الحســبة الوقائية في المجال التجاري في ظل جائحة

(١) يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية: فإذا كان الناس يبيعون سـلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم وقد ارتفع الســـعر إما لقلة الشـــيء وإما لكثرة الخلق فهذا إلى الله، فإلزام الخلق أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق، وأما الثاني فمثل أن يمتنع أرباب السـلع من بيعها مع ضـرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل، ولا معنى للتســـعير إلا إلزامهم بقيمة المثل، فيجب أن يلتزموا بما ألزمهم الله به، الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، ص٢٤.

(٢) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٥ مارس ٢٠٢٠م.

كورونا، بالإضافة إلى تطبيق الأنظمة التي تحمي الأسواق من الاحتكار ومن ذلك نظام المنافسة الذي يهدف إلى حماية المنافسة العادلة وتشجيعها ومكافحة الممارسات الاحتكارية وتحجيمها ومن المواد التي تنص على منع الممارسات الاحتكارية المادة السادسة من النظام حيث تنص على أنه "يحظر على المنشأة أو المنشآت التي تتمتع بوضع مهيمن في السوق أو جزء مهم منه؛ إساءة استغلال هذا الوضع للإخلال بالمنافسة أو الحد منها، ومن ذلك ما يأتي:

١. بيع السلعة أو الخدمة بسعر أقل من التكلفة الإجمالية؛ لإخراج منشآت من السوق أو تعريضها لخسائر جسيمة، أو إعاقة دخول منشآت محتملة.
٢. تحديد أسعار أو شروط إعادة بيع السلع أو الخدمات، أو فرضها.
٣. تقليل الكميات المتاحة من المنتجات أو زيادتها؛ لأجل التحكم بالأسعار وافتعال وفرة أو عجز غير حقيقي.
٤. التمييز في التعامل بين المنشآت في العقود المتشابهة بالنسبة إلى أسعار السلع وبدل الخدمات أو شروط بيعها وشرائها.
٥. رفض التعامل مع منشأة أخرى دون سبب موضوعي، وذلك من أجل الحد من دخولها السوق.
٦. الاشتراط على منشأة الامتناع عن التعامل مع منشأة أخرى.
٧. تعليق بيع سلعة أو تقديم خدمة بشرط تحمل التزامات أو قبول سلع أو خدمات تكون بطبيعتها، أو بموجب الاستخدام التجاري، غير مرتبطة بالسلعة أو الخدمة محل التعاقد أو التعامل الأصلي"(١).

ويعاقب كل من يخالف أي حكم من أحكام المادة أعلاه:

١. بغرامة لا تتجاوز (١٠%) من إجمالي قيمة المبيعات السنوية محل المخالفة، أو بما لا يتجاوز (عشرة ملايين) ريال عند استحالة تقدير المبيعات السنوية.

---

(١) نظام المنافسة، المادة السادسة.

٢. إن عاد المخالف لارتكاب مخالفته؛ فللجنة أن تضاعف الغرامة المحكوم بها في المرة الأولى، ويُعد المخالف عائدًا في حال ارتكاب المخالفة نفسها قبل مضي مدة (ثلاث) سنوات من تاريخ صدور القرار بالمخالفة الأولى.

٣. ينشر القرار الصادر بالمخالفات الواردة في هذه المادة على نفقة المخالف في صحيفة محلية تصدر في مقر إقامته، أو في أي وسيلة إعلامية أخرى مناسبة (١).

الفرع الرابع: تفعيل دور الرقابة الميدانية لمنع الاحتكار والمغالاة في الأسعار.

العمل الرقابي الميداني في المجال التجاري ضرورة ملحة للمجتمع؛ لضبط الأسعار ومنع الاحتكار، والحيلولة دون تعرض المستهلك للتدليس والغش التجاري، والتضليل والخداع بكافة صوره وأشكاله، وضمان سلامة وجودة السلع الاستهلاكية(٢) وهذا من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري لدفع الضرر عن الناس، وأبرز الجهات الحكومية التي تقوم على هذا العمل وزارة التجارة حيث قدمت جهودًا كبيرة وعظيمة للحفاظ على استقرار أسعار الأسواق في المملكة والتأكد من توفر السلع الرمضانية، ومكافحة الاحتكار وغلاء الأسعار، وفيما يلي سوف أعرض نماذج من الجهود الرقابية لوزارة التجارة لمنع الاحتكار والمغالاة في الأسعار:

١. ضبط عمالة مخالفة تُخزّن ٥٤ طن من البصل داخل فلة سكنية لبيعه لاحقًا بأسعار مرتفعة (٣).

---

(١) نظام المنافسة، المادة التاسعة عشرة.

(٢) انظر: الرقابة وحماية المستهلك، د. أسامة خيري، ص٣٦-٣٧، الطبعة (١)، دار الراية للنشر والتوزيع، عمَّان، ٢٠١٥م.

(٣) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر بتاريخ ١٨ مايو ٢٠٢٠م.

٢. فرع وزارة التجارة بالجوف ينفذ ٨٥٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية[١].
٣. فرع وزارة التجارة بالقصيم ينفذ ٢٠٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية [٢].
٤. فرع وزارة التجارة بالحدود الشمالية ينفذ ١٠٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية [٣].
٥. فرع وزارة التجارة بتبوك ينفذ ٩٥٣ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية [٤].
٦. فرع وزارة التجارة بحائل ينفذ ١٨٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية [٥].
٧. فرع وزارة التجارة بالمنطقة الشرقية ينفذ ٣٨٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية [٦].
٨. فرع وزارة التجارة بمكة المكرمة ينفذ ٢٥٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية [٧].
٩. فرع وزارة التجارة بمكة المكرمة من جولاته الرقابية يضبط مستودعًا لتخزين ٢٨٠ طنًا من الأرز بغرض رفع سعره [٨].
١٠. فرع وزارة التجارة بمكة المكرمة من جولاته الرقابية يضبط مستودعًا لتخزين ٢٨٠ طنًا من الأرز بغرض رفع سعره [٩].

---

(١) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.
(٢) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.
(٣) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.
(٤) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.
(٥) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.
(٦) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.
(٧) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.
(٨) المرجع السابق، بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٠م.
(٩) المرجع السابق، بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٠م.

١١. وزارة التجارة تستخدم نظامًا إلكترونيًا لرصد الأسعار بشكل مباشر، بأيدي المراقبين، في كافة مدن المملكة، ثم يتم تحليل الأسعار ومقارنتها مع جميع المناطق والدول المجاورة ومن ثم اتخاذ الإجراءات مباشرة [(١)].

١٢. فرع وزارة التجارة ببريدة من خلال جولاته الرقابية تم ضبط وافدين يقومون بتسويق الكمامات بأسعار مرتفعة، ويشترطون البيع بدون فواتير، حيث ضبط بحوزتهم أكثر من ٤٠ ألف كمامًا [(٢)].

١٣. وزارة التجارة بالرياض تنفذ ٩٦٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية [(٣)].

١٤. الفرق الرقابية بتبوك تقبض على عمالة تستغل الأزمة بتخزين ٤ آلاف صندوق طماطم خارج السوق؛ لبيعها بأسعار عالية [(٤)].

١٥. المتحدث الرسمي لوزارة التجارة: ١٧٠ طن من الخضروات ضبطتها الفرق الرقابية، كان الهدف من إخفاؤها بيعها بسعر أعلى، كما تم ضبط ١٩ مليون عبوة معقم وكمامة [(٥)].

١٦. الفرق الرقابية برفحاء تقبض على عمالة قامت بتخزين ١٨٠٠ طبق بيض بغرض استغلال الأزمة وبيعها بسعر مرتفع [(٦)].

---

(١) المرجع السابق بتاريخ ٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٢) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر بتاريخ ١ مايو ٢٠٢٠م.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ٣٠ أبريل ٢٠٢٠م.

(٤) المرجع السابق، بتاريخ ٢٤ أبريل ٢٠٢٠م.

(٥) المرجع السابق، بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠٢٠م.

(٦) المرجع السابق، بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠٢٠م.

١٧. الفرق الرقابية برفحاء تقبض على عمالة قامت بتخزين ١٨٠٠ طبق بيض بغرض استغلال الأزمة وبيعها بسعر مرتفع (١).

١٨. فرع وزارة التجارة بتبوك تضبط شاحنة محملة بكميات كبيرة من الطماطم، تم إخفاؤها خارج موقع سوق تبوك للخضار؛ لبيعها بعد رفع سعرها (٢).

١٩. الفرق الرقابية بوزارة التجارة بالتعاون مع الحملة الأمنية المشتركة بالرياض تقبض على وافد قام بتخزين ٢٣٨ ألف كمامة لاستغلال الأزمة وبيعها بسعر مرتفع (٣).

٢٠. التجارة تضبط ٦ شاحنات محملة كميات كبيرة من البصل تم إخفاؤها خارج موقع سوق الخضار لبيعها بعد رفع سعرها (٤).

ومن خلال هذا العرض لجهود وزارة التجارة لمكافحة الاحتكار والمغالاة في الأسعار خلال جائحة كورونا نلحظ أن الاحتكار والمغالاة في الأسعار شملت أهم احتياجات المواطنين والمقيمين، وهي الفواكه والخضروات والكمامات والمعقمات والبيض، وأوضحت وزارة التجارة أنه تم تطبيق الإجراءات النظامية في حق المخالفين.

وهذه الإنجازات التي تحققت تمت بفضل الله تعالى ثم بفضل الجولات الرقابية الميدانية لوزارة التجارة وهي داخلة في إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري.

❁ ❁ ❁

---

(٦) المرجع السابق، بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠٢٠م.

(٢) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ أبريل ٢٠٢٠م.

(٣) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر، بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠٢٠م.

(٤) المرجع السابق، بتاريخ ١٢ أبريل ٢٠٢٠م.

المبحث الرابع

المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا

المطلب الأول:

المسؤولية الشرعية للأفراد تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في ظل جائحة كورونا:

الفرع الأول: مسؤولية الفرد المكلف تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.

إن حفظ النفس البشرية من الكليات الخمس التي أمرت الشريعة بحفظها، وبحفظ الصحة تتحقق بقية الكليات الخمس، والحياة هبة من الله تبارك وتعالى، ونعمة عظمى حيث يتهيأ الإنسان لعمارة الأرض والخلافة فيها، ويعيش لعبادة الله تعالى، والعمل على مرضاته، لذا فهو مكلف مأمور بحفظ نفسه، مسؤول عنها محاسب على تقصيره فيها،[(١)] قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾[(٢)]، قال المفسرون: "السؤال عن الأمن والصحة"[(٣)] وقال تعالى: ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[(٤)] ولذا فإنّ السؤال يوم القيامة سيكون للفرد عن نفسه أولاً قبل أيّ أحد غيره: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[(٥)] وعن أبي بَرْزَة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) انظر: التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث، إيمان بنت عبدالعزيز المبرد، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) سورة التكاثر، الآية: (٨).

(٣) فتح القدير، الإمام الشوكاني، ٥/٥٧٧.

(٤) سورة طه، الآية: (١٥).

(٥) سورة مريم، الآية: (٩٥).

(لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاهُ)[٦].

فالمسؤولية هنا من خلال الآيات والأحاديث نجد أن الإنسان مطالب بحفظ نفسه وجوارحه ومن أهم طرق حماية النفس حفظها من الآفات والأمراض، والبعد عما يضرها، وعندما نتحدث عن مسؤولية الفرد تجاه إجراءات الحسبة الوقائية من جائحة كورونا فإن الفرد مطالب شرعًا ونظامًا بالالتزام بكل التدابير الاحترازية التي اتخذتها الدولة لصيانة نفسه من فيروس كورونا، ومن ذلك الالتزام بالطرق الصحية للوقاية من العدوى، والبعد عن الأماكن التي هي مظنة للإصابة بالفيروس كالتجمعات، ومخالطة الآخرين، كما يتأكد أهمية التباعد الاجتماعي، والمكوث في البيت، والالتزام بمنع التجول خلال هذه الفترة، لاسيما أن الدولة حرسها الله وفرت كل الاحتياجات، من الغذاء والعلاج والدواء والإرشادات الصحية والنفسية، حتى يبقى الشخص معفى في بدنه آمنًا في سربه.

الفرع الثاني: مسؤولية أولياء الأمور تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.

الوالدان الأب والأم عليهم مسؤولية كبيرة وعظيمة تجاه أولادهم من الذكور والإناث، ومن تلك المسؤوليات التنشئة الصالحة، وحسن الرعاية، والحث على فضائل الأعمال والنهي عن ضدها، وغرس المبادئ الفاضلة، ومتى صلح الولد واستقام أمره ورشد كان خيره لنفسه ولوالديه ولمجتمعه، قال ﷺ **(أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ الأَعْظَمُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا ، وَوَلَدِهِ وَهِيَ**

---

(٦) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: في القيامة، حديث رقم (٢٤١٧)، ص٥٥٠-٥٥١. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[١].

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: "الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه، فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه"[٢]. ويدخل في ذلك رعاية الأولاد والمحافظة عليهم من الأمراض والأسقام والعدوى، فكما أنه مطالب بحماية نفسه كذلك مطالب بحماية من هم تحت مسؤوليته، وعندما نتحدث عن مسؤولية أولياء الأمور تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا تكون من خلال المساهمة في توعية أفراد الأسرة بالالتزام بالإرشادات الصحية التي تصدرها الجهات الصحية، والجهات الحكومية الأخرى، وقد جاء التأكيد على مسؤولية ولي الأمر بحماية من تحت ولايته في ظل الظروف الراهنة من خطر الإصابة أو العدوى من فيروس كورونا عبر حساب النيابة العامة في تويتر بأن "الطفل ومن في حكمه لا يعون بمخاطر عدم التقيّد بتعليمات الوقاية، وتنعقد مسؤولية الالتزام بذلك والبقاء في المنزل وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى تجاه الأب أو من يقوم مقامه، ومخالفة ذلك يعرضك للمُساءلة الجزائية وفقًا لنظامي الحماية من الإيذاء وحماية الطفل"[٣] ولذا فإن من أهم الإرشادات الوقائية للأطفال التي يتوجب على ولي أمره العناية بها:

١. تعليم الأطفال أهمية النظافة الشخصية.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، حديث رقم (٢٤٠٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١٣/١٤٠، الطبعة (١)، طباعة مكتبة الفيحاء بدمشق، نشر مكتبة دار السلام بالرياض، ١٤١٨هـ.

(٣) الموقع الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٠م.

٢. غسـل اليدين بعد ملامسـة الأسـطح والأجسـام الملوثة بالماء والصـابون مدة ٢٠ ثانية.

٣. غسل اليدين بعد استخدام دورة المياه وقبل تناول الطعام.

٤. تغطية الفم، والأنف عند السُعال والعطاس.

كما ينبغي على الآباء أن يكونوا على معرفة ودراية قدر الإمكان بطبيعة المرض وكيفية الوقاية منه ليتمكنوا من شرحها للأطفال بعبارات يسهل عليهم فهمها واستيعابها، وعلى الآباء عدم المبالغة في التخوف من أي خطر على صحتهم أو صحة أطفالهم وبث الطمأنينة في نفوسهم، ومنحهم الاهتمام والعناية والقرب منهم وخاصة في أوقات الأزمات، كما ينبغي إبراز الجهود العظيمة التي تبذلها الدولة لسلامة الموطنين والمقيمين من الأمراض والعدوى، وأهمية اتباع كامل الإرشادات والتعليمات التي تصدرها الجهات المختصة وأنها واجبة التنفيذ على الجميع، ومن أهم الإرشادات التي ينبغي التأكيد عليها وخاصة للأبناء البالغين أهمية الالتزام بحظر التجول، والبعد عن التجمعات، والتزام التباعد الاجتماعي، ومتابعة كل ما يصدر عن الجهات الرسمية عن كورونا والبعد عن الإشاعات والأخبار الكاذبة.

الفرع الثالث: مسؤولية العلماء تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.

العلماء هم أهل الحكمة والفقه في الدين، وأعرف الناس بما صح عن النبي ﷺ وما جاء عنه المتبعون لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والسلف الصالح على هدى وبصيرة(١)، وقد نوه الله تعالى بالعلماء ، وبين الرسول ﷺ منزلتهم ، فالعلماء هم أخشى الناس لله ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ١ /٦٨، الطبعة (٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ. أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، أ. د. ناصر العقل، ص١٢، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤١٩هـ.

﴿ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(١) كما جعلهم الله مرجع الأمة ، وذلك بالرجوع إليهم في جميع الحوادث ، فقد ائتمنهم الله على وحيه وتنزيله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٣) وجعلهم الله هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(٤)، وولاة الأمور الواردة في الآية تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام ، والعلماء وطلبة العلم ؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها(٥).

ومع شدة جائحة كورونا التي أشغلت الناس، وملأت أوقاتهم بالتفكير والخوف والسؤال، نجد أن مسؤولية العلماء تتأكد في مثل هذه المحنة، لأن العلماء الربانيون هم أمنة هذه الأمة عند الشدائد بعد الله، ومصدر الطمأنينة، ومبعث الأمل، ولعل أوضح الأمثلة لذاكرة كل مسلم ما حصل للصحابة بعد بلوغهم خبر وفاة النبي ﷺ، فمنهم من دهش، ومنهم من أقعد، ومنهم من أنكر موته، واضطرب حالهم، لكن الله تعالى استنقذ الأمة

---

(١) سورة فاطر، الآية: (٢٨).

(٢) سورة النحل، الآية: (٤٣).

(٣) سورة النساء، الآية: (٨٣).

(٤) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٥) العلم، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد السليمان، ص١٩، الطبعة (١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٠هـ.

بموقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما قال مقولته المشهورة: (**أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ**) ثم تلى قول الله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ﴾[1] ، تقول عائشة رضي الله عنها راوية الحديث: (**وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلاَّ يَتْلُوهَا**)[2].

فهذا الموقف من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- من أعظم المواقف، لأن النبي ﷺ بالنسبة لأبي بكر كل شيء، كان صاحب رسول الله، وموطن سره، ومبشرًا، ومطمئنًا، وصهرًا، وقائدًا ، وهاديًا ومع ذلك وفقه الله تعالى لهذا الصبر والثبات العظيمين، كما أن هذا الموقف يؤكد مكانة العلماء وأهميتهم في الأمة ومسؤوليتهم في أوقات الأزمات والمحن، وأنهم من أسباب الثبات والعبور إلى بر الأمان؛ ولذا فإن الثغرة التي عليها العلماء لا يسدها غيرهم، وفيما يلي سأذكر بعض المجالات المهمة التي تؤكد مسؤولية العلماء تجاه إجراءات الحسبة الوقائية خلال جائحة كورونا :

١-توجيه الناس بأهمية السمع والطاعة لولي الأمر فيما يأمر به وينهى عنه للمصلحة العامة، وألا ينازع في ذلك، كتعليق الصلاة في المساجد، وتعليق الجمعة والجماعة، وأن ذلك مبني على فتوى صادرة من هيئة كبار العلماء.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه، حديث رقم (١٢٤٢).

٢- بيان الأحكام الشرعية التي ارتبطت بجائحة كورونا كتعليق الصلاة في المساجد، وتعليق الجمعة والجماعة، وبيان أحكام الصلاة في البيوت، وكذلك الأحكام المتعلقة بالصيام وصلاة التراويح وزكاة الفطر وصلاة العيد.

٣- ومن المسائل المهمة التي يجب الاعتناء بها من جهة العلماء أن لا يجعلوا الاختلاف بينهم في بعض المسائل والنوازل خاصة ما يتعلق بجائحة كورونا سببًا للتفرق وتشتيت القلوب، والقدح أو الطعن، بل الواجب السعي في معرفة الحق والاجتهاد في تنفيذه والعمل به والتعاون على ذلك، وأن يُحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، سواءً وافقه أو خالفه، وإذا ظهر من أحد من أهل العلم مخالفة بينة لدليل شرعي صريح، فإنه يجب نصحه ويبيَّن له الدليل الشرعي بأقرب الطرق، وأحسنها (١).

٤- حث الناس على الصبر والمصابرة في هذه الشدة، وأهمية اللجوء إلى خالقهم عن طريق الدعاء والضراعة إليه لكشف غمتهم، ورفع البلاء عنهم.

٥- الرد على من يشكك أو يقلل من أهمية الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الدولة لمصلحة الوطن والمواطن، وأنه يجب على كل شخص يعيش على هذه الأرض الطيبة أن يكون نموذجًا في الإخلاص لوطنه، من خلال الالتزام بالأنظمة والتعليمات وعدم مخالفتها.

ومما يحسن ذكره هنا بيان جهود علمائنا حفظهم الله خلال جائحة كورونا، حيث قاموا بمسؤوليتهم تجاه الدين والوطن حق القيام، فعمدوا إلى تعويض خطب الجمعة على المنابر والمحاضرات في المساجد بالتواصل مع الناس عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، والتطبيقات الإلكترونية، وبذلوا ما في وسعهم لبيان الأحكام الشرعية، وما يلزم العلم به للضرورة في ظل جائحة كورونا.

---

(١) انظر: رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف، الشيخ عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالله آل مسلم، ص٣٣-٣٦، الطبعة (١)، دار التوحيد للنشر الرياض، ١٤٢٩هـ.

المطلب الثاني:

المسؤولية الشرعية للمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في ظل جائحة كورونا.

الفرع الأول: السمع والطاعة لولي الأمر.

دلت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب طاعة ولي الأمر للمحافظة على اتفاق الكلمة واجتماع الأمة قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[١].

قال ابن حجر رحمه الله[٢] في بيان المقصود بأولي الأمر: "ورجح الإمام الشافعي[٣] رحمه الله الأول أي هم الأمراء...واحتج له: بأن قريشًا كانوا لا يعرفون الإمارة، ولا ينقادون إلى أمير، فأُمروا بالطاعة لمن ولي الأمر"[٤]وقال ﷺ: (**عَلى المَرْءِ المُسْلِم السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيما أَحَبَّ وكَرِهَ، إلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طاعَةَ**)[٥].

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٢) ت (٨٥٢هـ).

(٣) ت (٢٠٤هـ).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، عناية الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، ٢٥٤/٨، الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، الحديث رقم (٧١٤٤)، وأخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، الحديث رقم (١٨٣٩).

وســاق الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع الفقهاء على وجوب طاعة ولي الأمر حيث يقول في الفتح: "أجمع الفقهاء على وجوب طاعة الســلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتســكين الدهماء (١).. ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته"(٢).

فالسمع والطاعة لولي الأمر لها شأنٌ عظيم في الإسلام، لأنها أعظم المناصب قدرًا، وأشرفها مكانة لما فيها من حفظ الدين، وإقامة الحدود، وتحصين الثغور، ورعاية لمصالح الأمة، والقيام بشؤون حياتهم الدينية والدنيوية، وتظهر أهمية وضرورة السمع والطاعة لولي الأمر في الأزمات والأوقات الحرجة، لأنها تعظم المســؤوليات، وتتضــاعف التكاليف، وتتعدد الواجبات؛ ولذا فإنه تجب مناصــرة ولي الأمر، والذب عنه، وعدم القدح فيه، والدعاء له، والوقف معه أمام كل من نازعه الأمر، وفي ظل جائحة كورونا قام ولاة الأمر حفظهم الله ونوابهم بجهود عظيمة من الاحترازات الوقائية والإجراءات الطارئة على جميع المســتويات ســواء الشــرعية أو الصــحية أو الأمنية أو التجارية، وكذلك على المســتوى الداخلي أو الخارجي وكل ذلك للمحافظة على صحة المواطن والمقيم على أرض المملكة، ولذا يمكن أن نجمل مسؤولية المجتمع تجاه ولي الأمر فيما يلي:

١. **الدعاء لولي الأمر بالتوفيق والتسديد في أقواله وأعماله وقراراته**، وفي الحديث الصحيح قال ﷺ: **(خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ.. الحديث)** (٣)

---

(١) الدهماء: الجماعة من الناس، لسان العرب، ابن منظور، ٢١١/١٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١٣/٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك، حديث رقم (١٨٥٥).

والصلاة هنا بمعنى الدعاء، أي: تدعون لهم ويدعون لكم [(١)] وفي هذا السياق يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز -رحمه الله-: "ومن النصيحة الله ولعباده الدعاء لولاة أمور المسلمين وحكامهم بالتوفيق والهداية والصلاح في النية والعمل وأن يمنحهم الله البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير وتذكرهم به. وهذا حق على كل مسلم في كل مكان في هذه البلاد وفي غيرها الدعوة لولاة الأمر بالتوفيق والهداية وحسن الاستقامة وصلاح البطانة وأن يعينهم الله على كل خير وأن يسدد خطاهم ويمنحهم التوفيق لما فيه صلاح العباد والبلاد"[(٢)].

٢. **الالتزام التام بكل التعليمات والتوجيهات** التي صدرت عن ولي الأمر والجهات المختصة، وسائر الأنظمة التي فيها مصلحة المجتمع للوقاية من فيروس كورونا المستجد، وقد أكد سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ على أهمية الالتزام بالتوجيهات والتعليمات حيث يقول سماحته: "في هذا الخصوص: " فالواجب على جميع المواطنين والمقيمين السمع والطاعة لتوجيهات ولاة الأمر وعدم المخالفة، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[(٣)].

وقوله ﷺ **(مَن يُطِعِ الأمِيرَ فقَدْ أطَاعَنِي، ومَن يَعْصِ الأمِيرَ فقَدْ عَصَانِي)** [(٤)] وكل شخص خالف الأنظمة التي أقرها ولي الأمر ولم يلتزم بتنفيذها كالتجول أثناء الحظر، أو تسبب في نقل الوباء إلى الآخرين متعمدا أو استخدم وسائل التواصل الاجتماعي

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٢٢/١٢، الطبعة (٥)، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٠هـ.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، جمع وترتيب: د.محمد الشويعر، ٥٦/٦، الطبعة (١)، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، حديث رقم (٢٩٥٧)، وأخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٨٣٥).

للسخرية والتنقيص من جهود الجهات الأمنية والصحية أو التحريض بخرق الأنظمة فهو آثم"(١).

٣. **الدعم والمساندة** كل في مجاله واختصاصه، سواءً كان مسؤولاً أو غير مسؤول كل يقدم ما في وسعه واستطاعته، صغر أو كبر، لدعم الجهود المبذولة في مكافحة فيروس كورونا في جميع المجالات، فمثلاً في المجال الاقتصادي سمعنا عدد من شركات القطاع الخاص قامت بدعم صندوق الوقف الصحي بوزارة الصحة، وهذه مبادرة سامية تحسب للقطاعات المساهمة، وتشجع القطاعات الأخرى للإسهام بما يتيسر، ويمكن أن يكون الدعم في المجال الشرعي كالنصح والتوجيه للمجتمع بأهمية السمع والطاعة لولي الأمر وبيان الآثار الإيجابية عند الالتزام بالتعليمات والإرشادات الصحية، ويمكن أن يكون الدعم في المجال الاجتماعي للمتضررين من الحجر المنزلي، من خلال الدعم النفسي والمعنوي لتجاوز الأزمة الراهنة، وبيان بعض المهارات السلوكية للتخفيف من الضغوط النفسية، أو الاجتماعية.

(١) وكالة الأنباء السعودية واس، بتاريخ ١٤٤١/٨/٨هـ.

الفرع الثاني: حظر تداول الشائعات.

الشائعة هي الخبر ينتشر ولا تَثَبُّتَ فيه (١) وعادة ما تكون أقوال وأحاديث وروايات يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها ودون التحقق من مصدرها، (٢) ويعتمد مدى انتشارها على شرطين أساسيين:(٣)

١. **الأهمية**: أهمية الموضوع التي تدور حوله الشائعة بالنسبة للمستمع أو القارئ أو المشاهد لوسائل الإعلام أو المتابع لوسائل التواصل الاجتماعي.

٢. **الغموض**: وهو غموض الموقف لدى الجمهور، وذلك لانعدام الأخبار الموثوقة بشأنها، أو اقتضابها أو تضاربها أو عدم الثقة أو عدم صياغتها بشكل واضح أو عدم المقدرة على فهمها من قبل الناس، أو وجود رقابة عليها.

وهذا ما يحصل في غالب المجتمعات، أن الشائعات تشتمل على هذين العنصرين الأهمية والغموض، فإذا انعدم أحدهما أو كلاهما فإن الشائعة لا يلتفت إليها، وتفقد تأثيرها.

---

(١) المعجم الوسيط، ص٥٠٣.

(٢) انظر: الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، محمد عبدالقادر حاتم، ص١٨٠، الطبعة (٢)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩هـ، نقلًا عن بحث ماهية الشائعة: التطور التاريخي، د.علي الجني، ص٢٣٢، بحث مقدم في ندوة أساليب مواجهة الشائعات، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٣) الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار منوجهة نظر الصحفيين الأردنيين، إعداد: رضا صباح المفرجي، بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ص٣٢.

وللشـــائعات أنواع، ولعل من أخطرها ما يتعلق بالأوبئة والأمراض وانتشـــارهما وخطورتهما وتخويف الناس منها، مما يثير البلبة والفزع وترويع الآمنين في دورهم وبلدانهم [(١)].

ولذا فإن الإسلام عالج الشائعات، ووضع الحلول العملية التي تحول دون انتشارها وذلك من خلال التثبت والتبين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[(٢)] كما وجه ديننا الحنيف سؤال أهل الاختصاص والدراية والمعرفة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾[(٣)]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله - في تفسير هذه الآية: " هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم غير اللائق ، و أنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة و المصالح العامة ؛ ما يتعلق بسرور المؤمنين أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا و لا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم ؛ أهل الرأي و العلم و العقل الذين يعرفون المصالح و ضدها. فإن رأوا في

---

(١) انظر: الإســـلام والشـــائعة، د.ســـاعد الحارثي، ص١٢، بحث مقدم في ندوة أســـاليب مواجهة الشائعات، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٢) سورة الحجرات، الآية: (٦).

(٣) سورة النساء، الآية: (٨٣).

إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم: فعلوا ذلك. فان رأوا ليس من المصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه"(١).

ولذا فإن بث الشائعات والانسياق وراءها خطر عظيم على أمن الأفراد والمجتمعات، وخاصة في الظروف الطارئة والأزمات، كحالنا في هذه الأيام في مواجهة جائحة كورونا، فإن الشائعات تكثر ويتم تداولها على نطاق واسع من فئات المجتمع، نظرًا لما تتميز به الشائعة الإلكترونية من سرعة الانتشار، وتفاعل الناس معها، وتأثيرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ومن أمثلة الشائعات التي قد تجر وبالاً على المجتمعات في ظل الأزمات، إشاعة نقص سلعة من السلع الرئيسية في الأسواق فيقوم الناس بالتهافت على الأسواق لشراء تلك السلعة بكميات كبيرة مما يتسبب في نقص في المعروض، وبالتالي ارتفاع كبير في الأسعار، ولولا تلك الشائعة لظلت الأسعار في وضعها الطبيعي، ولذا قامت أجهزة الدولة بمسؤوليتها أمام الشائعات، من خلال متابعة مصادرها ومحاسبة المتسبب في نشرها، ومن أهم الأجهزة الحكومية النيابة العامة، حيث أوضحت في حسابها الرسمي في تويتر خطورة مثل هذه الأعمال وأن عقوبتها من العقوبات المشددة، وجاء بيان ذلك عبر حسابها الرسمي في تويتر بأن: "إنتاج الشائعات التي من شأنها المساس بالنظام العام، أو إعدادها أو إرسالها عن طريق الشبكة المعلوماتية، جريمة يعاقب مرتكبها بالسجن مدة تصل خمس سنوات، وبغرامة تصل إلى ثلاثة ملايين ريال"(٢). ولذا يمكن أن نُجمل وسائل حظر تداول الشائعات من خلال الإجراءات التالية:

١. الإسهام في توعية المجتمع وخاصة المستهدف من خلال بيان أضرار الشائعات وخطورة تناقلها، والآثار المترتبة عليها، حتى نبني مجتمعًا صلبًا عصيًا أمام الشائعات لمنع تداول الشائعات ومنع انتشارها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص١٩٠.

(٢) الموقع الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٣ مارس ٢٠٢٠م.

٢. أهمية التثبت والتبين عند تداول الشائعات في المجتمع، والوقف ضدها بالعقل والحكمة والمسؤولية.

٣. عدم الخوض في الشائعات وعدم نقلها للآخرين.

٤. رد الأمر إلى أهل الاختصاص؛ لتشخيص الشائعة ونفيها، وبيان الحقيقة وتأكيدها.

٥. إحسان الظن في القائمين على مصالح المجتمع، والذب عن أعراضهم، وتعزيز ثقة الناس بهم.

الفرع الثالث: تفعيل جانب الرقابة المجتمعية.

المقصود بالرقابة المجتمعية تعاون المواطنون والمقيمون بالإبلاغ عن المخالفات التي تحصل في المرافق العامة في المجتمع من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل أفراد المجتمع رعاية لمصالح الناس والحفاظ على المنافع وتنميتها، ودفع المضار وتقليلها، وهي واجبة على كل فرد من أفراد المجتمع كل على حسب استطاعته قال تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(١) وقال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(٢) ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا جمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون

(١) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٢).

بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، وللناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه) أ.هـ(١).

ويتأكد جانب الرقابة المجتمعية في ظل الظروف الراهنة التي يعيشها مجتمعنا لمكافحة فيروس كورونا، حيث إن من المسؤوليات التي تقع على المجتمع التعاون على البر والتقوى ومن أبواب التعاون على البر مساندة جميع الجهات المسؤولة في الدولة للقيام بواجباتها تجاه مكافحة فيروس كورونا على أكمل وجه؛ حتى يتحقق للمجتمع السلامة وتجاوز مرحلة الخطر بأمان، ومن أوجه التعاون الإبلاغ عن كل مخالفة للأنظمة والتعليمات التي أصدرتها الجهات المختصة في جميع المجالات سواء في الجانب الأمني أو الصحي، أو التجاري، أو الاجتماعي أو الشرعي، أو غير ذلك، وقد أولت الجهات المختصة جانب الرقابة المجتمعية عناية خاصة من خلال حث أفراد المجتمع على القيام بالإبلاغ عن أي مخالفات، أو ممارسات تخالف الأنظمة والتعليمات عن طريق الوسائل المتاحة سواء بالاتصال، أو الكتابة، أو استعمال التطبيقات الإلكترونية وكل ذلك لتظافر الجهود والتعاون على منع المخالفات والتصدي لها، لاسيما في أزمة فيروس كورونا التي عصفت بجميع دول العالم.

وفيما يلي سأعرض عدد من التصريحات الحكومية التي تحث المجتمع على الإبلاغ عن المخالفات وهي تعد من الرقابة المجتمعية:

أولاً: وزارة الداخلية:

١. حذرت وزارة الداخلية من التجمعات العمالية سواءً داخل المنازل أو المباني التي تحت الإنشاء، أو الاستراحات، أو المزارع وبينت العقوبات المترتبة عليها، ثم أكد بيان وزارة الداخلية على الإبلاغ عن أي مخالفة وذلك النحو التالي: "على كل من يعلم عن أي تجمع مخالف إبلاغ الجهة المختصة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني

(١) الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٩.

(٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم (911)"[١].

٢. كما حذرت وزارة الداخلية من أي تجمع للمتسوقين أو العاملين داخل أو خارج المحل التجاري بما يتجاوز الأعداد المنصوص عليها في الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية، كما أوضح البيان العقوبات المترتبة على المخالفة، وجاء في البيان الإبلاغ عن أي مخالفة وذلك النحو التالي: "على كل من يعلم عن أي تجمع مخالف إبلاغ الجهة المختصة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني (٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم (911) "[٢].

٣. وفي بيان آخر حذرت وزارة الداخلية عن التجمعات العائلية داخل المنازل أو الاستراحات أو الشاليهات أو المزارع لأكثر من أسرة لا يربطهم علاقة سكنية واحدة، وبينت العقوبات المترتبة على ذلك، وحث البيان الإبلاغ عن أي مخالفة وذلك النحو التالي: "على كل من يعلم عن أي تجمع مخالف إبلاغ الجهة المختصة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني (٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم (911) "[٣].

ثانيًا: وزارة التجارة:

١. حثت وزارة التجارة في تغريدة لها على حسابها في تويتر على أهمية الإبلاغ عن المخالفات وجاء فيها: " الإبلاغ عن المخالفات التجارية عبر القنوات الرسمية يُسرّع

---

(١) الموقع الرسمي لوزارة الداخلية على تويتر بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٠م.

(٢) المرجع السابق، بتاريخ ١٩ مايو ٢٠٢٠م.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ١٧ مايو ٢٠٢٠م.

عمليات الضبط والإيقاع بالمخالفين ويحمي المستهلكين وذلك عن طريق الاتصال بالرقم (١٩٠٠) أو عن طريق تطبيق بلاغ، أو عن طريق قنوات التواصل الاجتماعي"(١).

٢. وفي تغريدة أخرى لوزارة التجارة تؤكد على أهمية الإبلاغ عن المخالفات وجاء في التغريدة: " وتحث وزارة التجارة عموم المستهلكين إلى الإبلاغ عن المخالفات من خلال تطبيق بلاغ، أو عبر مركز البلاغات على الرقم (١٩٠٠) أو الموقع الرسمي لوزارة التجارة على الإنترنت"(٢).

٣. وفي تغريدة أخرى لوزارة التجارة دعوة للإبلاغ عن المخالفات حيث جاء فيها: " تدعو وزارة التجارة للإبلاغ عن مخالفات المغالاة في الأسعار عبر تطبيق (بلاغ تجاري) أو عبر مركز البلاغات على الرقم (١٩٠٠) أو الموقع الرسمي لوزارة التجارة على الإنترنت"(٣).

ثالثًا: وزارة الشؤون البلدية والقروية:

١. جاء في أخبار الوزارة على موقعها الرسمي على الإنترنت شكر للمواطنين والمقيمين بشأن مشاركتهم في الإبلاغ عن المخالفات وجاء في الخبر: " ثمنت وزارة الشؤون البلدية والقروية التزام المواطنين والمقيمين بتفعيل الرقابة المجتمعية، من خلال الإبلاغ عن أي تجاوزات أو مخالفات للتعليمات والاشتراطات الصحية التي أصدرتها للحد من انتشار فيروس كورونا، مشيرة إلى أنه تمت خلال الأسبوعين الماضيين معالجة أكثر من ٧٠ ألف بلاغ عبر خدمة.

وأشارت الوزارة إلى أهمية الرقابة المجتمعية في هذه المرحلة الحساسة كإجراء فعال لدعم الرقابة الميدانية من قبل المختصين في الأجهزة التنفيذية، والتي تأتي في إطار الإجراءات

---

(١) الموقع الرسمي لوزارة التجارة على تويتر بتاريخ ٢٢ إبريل ٢٠٢٠م.

(٢) المرجع السابق، تويتر بتاريخ ٢٢ مايو٢٠٢٠م.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ٤ إبريل٢٠٢٠، وكذلك بتاريخ ١٥ إبريل ٢٠٢٠م.

الاحترازية التي أقرتها حكومة خادم الحرمين الشريفين " يحفظه الله "للحد من انتشار فيروس كورونا الجديد كوفيد١٩ والتقليل من عدد الإصابات"(١).

٢. وفي تصريح لمعالي وزير الشؤون البلدية والقروية الأستاذ ماجد الحقيل يبين فيه أهمية الرقابة المجتمعية حيث جاء فيه: " الرقابة تعتمد على عنصرين مهمين في كل دول العالم: الرقابة الأولى هي الجولات الرقابية والميدانية، ولكن في كل العالم يتم الاعتماد على الرقابة المجتمعية ... ومع وجود صوت المواطن والمقيم نحن أقوى، ونستطيع أن نصل إلى المشاكل، وإغلاقها في فترة بسيطة جدًّا"(٢).

٣. وفي تغريدة للوزارة على حسابها في تويتر تدعو فيها المواطن والمقيم بالإبلاغ عن المخالفات حيث جاء فيها: " عزيزي المواطن والمقيم ساهم معنا بالتصدي لجائحة كورونا من خلال الإبلاغ عن أي مخالفة تلاحظها بمحلات الأغذية والمطاعم وما في حكمها على رقم البلاغات (٩٤٠) (٣).

٤. كما دعت الوزارة في أحد الأخبار المنشورة على موقعها الرسمي على الإنترنت أهمية الإبلاغ عن محطات الوقود غير الملتزمة بتركيب شاشات عرض أسعار الوقود وجاء في الخبر: " وتهيب وزارة الشؤون البلدية والقروية بالجميع للإبلاغ عن المحطات المخالفة عبر مركز البلاغات البلدي (٩٤٠) (٤).

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أهمية الرقابة المجتمعية للجهات الحكومية وعلاقتها بمسؤولية المجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.

---

(١) موقع وزارة الشؤون البلدية والقروية الإلكتروني الرسمي على الإنترنت.

(٢) صحيفة سبق الإلكترونية بتاريخ ١٢ شعبان ١٤٤١هـ.

(٣) الحساب الرسمي لوزارة الشؤون البلدية والقروية على تويتر بتاريخ أبريل ٢٠٢٠م.

(٤) موقع وزارة الشؤون البلدية والقروية الإلكتروني الرسمي على الإنترنت.

الخاتمة

الحمد لله على فضـــله وإحســـانه الذي أعانني على إنجاز هذا البحث، وفيما يلي أعرض أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. تعدد تعريفات المفهوم اللغوي للحسبة، والأقرب منها إلى مقصود البحث أن الحسبة تعني حسن النظر والتدبير.

٢. تعددت تعريفات الحسبة في الاصطلاح، وهذا يرجع إلى مقصود كل باحث..

٣. تعريف الحســبة الوقائية في هذا البحث: "حســن النظر والتدبير في اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة العربية الســـعودية من آثار جائحة كورونا".

٤. تعدد مجالات الحسبة الوقائية لمواجهة جائحة كورونا.

٥. بروز دور هيئة كبار العلماء في ظل جائحة كورونا وخاصـــة في المجال الشـــرعي، من خلال إصدار الفتاوى اللازمة لمواجهة وباء كورونا.

٦. ساهمت وزارة التعليم في إجراء ات الحسبة الوقائية في المجال العلمي من خلال تعليق الدراسة في المدارس والجامعات والمعاهد الحكومية والأهلية لمنع انتشار فيروس كرورنا.

٧. قامت وزارة الصـــحة بدور عظيم وكبير في المجال الصـــحي لمكافحة وباء كورونا من خلال عدة إجراءات متنوعة ومتعددة لتوعية المجتمع للوصـــل إلى أعلى مســـتوى من الحذر والحيطة من خطر وباء كورونا المستجد.

٨. كما قامت وزارة الشـــؤون البلدية والقروية بجهود كبيرة من خلال الرصــــد البيئي للمحلات والأســـواق للتأكد من تطبيق وســـائل الســـلامة الصـــحية والبيئية لتلك المحلات والأسواق، وإصدار عدد من التعليمات للوقاية من الإصابة بفيروس كورونا.

٩. قدمت وزارة الداخلية والنيابة العامة بدور جبار وعظيم في المجال الأمني من خلال التوجيه والتحذير من مخالفة الأنظمة، بالإضافة إلى الرصد والمتابعة لكل ما يخل بالأنظمة والتعليمات المتعلقة بجائحة كورونا بكل حزم، وإحالة المخالفين للجهات المختصة لتطبيق الأنظمة عليهم.

١٠. ساهمت وزارة التجارة بحماية المستهلك من آثار جائحة كورونا من خلال التصدي للتصرفات المخالفة للأنظمة الاقتصادية في المملكة وتكثيف الرقابة الميدانية في أسواق الجملة والتجزئة للتأكد من توفر السلع ومنع الغش التجاري بكل صوره وأشكاله.

١١. أهمية إسهام الأفراد والمجتمع في المسؤولية الشرعية تجاه إجراءات الحسبة الوقائية التي قامت بها الدولة، وتتلخص في السمع والطاعة، ومحاربة الشائعات والالتزام الكامل بالأنظمة والتعليمات التي تصدرها الجهات المختصة للمحافظة على سلامة الجميع من وباء كورورنا.

١٢. قدمت المملكة العربية السعودية نموذجًا عمليًا راقيًا إنسانيًا لجميع دول العالم في عناية المملكة وقدرتها الفائقة والمهنية في إدارة الأزمة، وعنايتها الكبيرة بالمواطنين والمقيمين، وسرعة اتخاذ القرارات الجريئة مع الحزم في تطبيقها مما تحقق بذلك نجاحات مبهرة وعظيمة في مواجهة جائحة كورونا، ولذا ستظل المملكة في مقدمة الدول في القدرة على حسن الإدارة في أوقات الكوراث والأزمات.

ثانيًا: التوصيات:

١. يوصي الباحث بالإسهام في المزيد من البحوث والدراسات في جميع المجالات لدراسة جائحة كورونا من جميع الجوانب للخروج بنتائج وتوصيات يعود أثرها بالنفع والفائدة على المجتمع.

٢. يوصي الباحث بأهمية دراسة الرقابة المجتمعية وتطبيقاتها في ظل جائحة كورونا.

٣. يوصي الباحث بأهمية دراسة الرقابة الميدانية وآثارها على المجتمع.

٤. يقترح الباحث تخصيص جهة معينة تعنى بالبحوث العلمية، لرصد كل ما يُكتب أو يؤلف في موضوع جائحة كورونا لتيسر الوصول إليه مستقبلاً من قبل الباحثين والمهتمين.

٥. يقترح الباحث رصد الجهود الرقابية للجهات الحكومية في مواجهة جائحة كورونا.

٦. يوصي الباحث بتنمية المهارات الشخصية في ظل الأزمات والظروف غير الطبيعية.

وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن "دراسة تأصيلية"، عبدالعزيز الجوهر، بحث تكميلي مقدم لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في تخصص التشريع الجنائي الإسلامي، ١٤٢٨هـ.

٣. أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤١٩هـ.

٤. الاحتكار وموقف التشريع الإسلامي منه دراسة مقارنة بين النظم الاقتصادية والإسلام، إعداد: موسى محمد الطيب، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠١-١٤٠٢هـ.

٥. الأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، رقم الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ.

٦. الأحكام السلطانية، أبو يعلى الماوردي، تحقيق: د. أحمد البغدادي، رقم الطبعة (١)، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ.

٧. أحكام القرآن، ابن العربي، عناية: محمد عطا، رقم الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٨. أركان الإسلام، أ.د. عبدالله بن محمد الطيار، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ.

٩. الإسلام والشائعة، د. ساعد الحارثي، "بحث مقدم في ندوة أساليب مواجهة الشائعات"، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رقم الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.

١٠. أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال إمام، رقم الطبعة (١)، دارالهداية،١٤٠٦هـ.

١١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة.

١٢. التحرير والتنوير، ابن عاشور التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط،د.ت.

١٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، نشر دار الكتب العلمية بيروت.د.ط،د.ت.

١٤. تدابير الدولة للوقاية من الجريمة، منى سمير أبو عريبان، بحث ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٨هـ.

١٥. التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث، إيمان بنت عبدالعزيز المبرد، بحث ماجستير مقدم لقسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ.

١٦. التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، اعتنى به: محمد سالم هاشم، رقم الطبعة (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٧. التعريفات، الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، رقم الطبعة (٣) بيروت، ١٤١٧هـ.

١٨. تفسير فتح القدير، الإمام الشوكاني، رقم الطبعة (١)، دار الخير للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ.

١٩. التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: عبدالحميد حمدان، رقم الطبعة (١)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رقم الطبعة (١) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٢١. جامع الترمذي إشراف ومراجعة الشيخ صالح آل الشيخ، رقم الطبعة (الأولى)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٢. جامع الترمذي، رقم الطبعة (١)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٣. جرائم انتهاك أسرار الدفاع عن البلاد، جابر المراغي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٤. الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، تحقيق: سيد بن محمد بن ابي سعدة، رقم الطبعة (١)، نشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت، ١٤٠١هـ.

٢٥. الحماية الجنائية لأسرار المهنة، أحمد سلامة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٦. دليل الحجر الصحي والإقامة المنزلية تحت المراقبة لمرض كورونا كوفيد ١٩، المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.

٢٧. الذخيرة، القرافي، تحقيق: محمد بوخبزة، رقم الطبعة (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٨. الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، محمد عبدالقادر حاتم، رقم الطبعة (٢)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩هـ،

٢٩. رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالله آل مسلم، رقم الطبعة (١)، دار التوحيد للنشر الرياض، ١٤٢٩هـ.

٣٠. الرقابة وحماية المستهلك، د.أسامة خيري، رقم الطبعة (١)، دار الراية للنشر والتوزيع، عمَّان، ٢٠١٥م.

٣١. زاد المسلم من كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمهما الله، جمعه ونسقه: محمد بن رياض الأحمد، رقم الطبعة (١)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٣٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، رقم الطبعة (٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٣. الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٤. سنن ابن ماجة، إشراف ومراجعة الشيخ صالح آل الشيخ، رقم الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣٥. سنن أبي داود، رقم الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ،

٣٦. الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، إعداد: رضا صباح المفرجي، بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.

٣٧. شرح صحيح مسلم، النووي رقم الطبعة (٥)، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٠هـ.

٣٨. الصحة الوقائية في الإسلام، د. مروان القدومي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٢م.

٣٩. صحيح سنن ابن ماجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رقم الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.

٤٠. صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رقم الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.

٤١. صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رقم الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.

٤٢. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبد الرحمن الميداني، رقم الطبعة (٣) دار القلم، دمشق،١٤٠٨هـ.

٤٣. الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبدالله، رقم الطبعة (١)، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، العراق، ١٤١٠هـ.

٤٤. الغش التجاري في النظام السعودي والفقه الإسلامي، فارس الحقباني "بحث تكميلي غير منشور مقدم للمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ".

٤٥. الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وأخوه، رقم الطبعة (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٤٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، رقم الطبعة (١)، طباعة مكتبة الفيحاء بدمشق، نشر مكتبة دار السلام بالرياض، ١٤١٨هـ.

٤٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، رقم الطبعة (١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

٤٨. القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، أ.د. صالح بن غانم السدلان، رقم الطبعة (٢)، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٤٩. كتاب العلم، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد السليمان، رقم الطبعة (١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٥٠. كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، نشر دار الكتب العلمية.

٥١. لسان العرب، ابن منظور، رقم الطبعة، (٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٢. ماهية الشائعة: التطور التاريخي، د.علي الجني، بحث مقدم في ندوة أساليب مواجهة الشائعات، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رقم الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٥٣. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٥٤. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، جمع وترتيب: فهد السلمان، رقم الطبعة (١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٥٥. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر رقم الطبعة (١)، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٥٦. مختار الصحاح، الإمام الرازي، ص٥٤٧، مكتبة لبنان، بيروت.
٥٧. المسئولية الجنائية في الإعلانات التجارية دراسة تأصيلية مقارنة، المستشار القانوني. عبدالعزيز العبيد، رقم الطبعة (١)، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، ١٤٣٧هـ.
٥٨. معالم القربة في طلب الحسبة، ابن الأخوة القرشي، رقم الطبعة (بدون) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٥٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى وآخرين، رقم الطبعة (٢)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول.
٦٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، رقم الطبعة (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٣٩٩هـ.
٦١. مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، أمل محمد نور، بحث تكميلي مقدم لقسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.
٦٢. مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، عبدالله بن جاسر، رقم الطبعة (٢)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.
٦٣. المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، د.راوية بنت أحمد الظهار، رقم الطبعة (١)، من منشورات جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٦هـ.
٦٤. مناهج المسلم، لأبي بكر الجزائري، رقم الطبعة (٦)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ.
٦٥. الموافقات، الشاطبي، عناية: مشهور آل سلمان، رقم الطبعة (١)، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٧هـ.
٦٦. الموسوعة الطبية الفقهية، د. أحمد محمد كنعان، رقم الطبعة (١)، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، الناشر وزارة الأوقاف الكويتية، ١٩٨٣م.
٦٨. وظيفة المسجد في المجتمع، أ.د. زيد بن عبدالكريم الزيد، رقم الطبعة (١) دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

الأنظمة:

١. النظام الأساسي للحكم.
٢. نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) وحقوقهم وواجباتهم.
٣. نظام المنافسة.
٤. نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشائها
٥. نظام مكافحة الغش التجاري.

المقالات:

١. لماذا نهتم بالإحصائيات، للكاتب: د. عبدالله الردادي، مقال في جريد الشرق الأوسط، الأثنين ١٣ رمضان ١٤٣٩هـ، العدد رقم (١٤٤٢٦).
٢. وزارة الصحة جهود تشكر، هاجر الدوسري، مقال في صحيفة الوطن أون لاين، ٢٤ فبراير ٢٠٢٠م.

المواقع الإلكترونية:

١. موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي الرسمي الإلكتروني على شبكة الانترنت.

٢. موقع منظمة الصحة العالمية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

٣. موقع هيئة كبار العلماء الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

٤. موقع وزارة التعليم الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

٥. موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

٦. موقع وزارة الشؤون البلدية والقروية الإلكتروني الرسمي على الإنترنت.

٧. موقع وزارة الصحة الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

٨. موقع النيابة العامة في حساب توتير على شبكة الإنترنت.

٩. موقع وكالة الأنباء السعودية الرسمي على شبكة الإنترنت.

١٠. موقع صحيفة سبق الإلكترونية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

١١. موقع صحيفة الوطن أون لاين الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

١٢. موقع جريدة الرياض الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

البحث رقم (٨)

منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة

إعداد

د. علي بن يحيى جابر الفيفي

عضو هيئة التدريس بالبرامج المشتركة

جامعة الملك خالد

المقدمة

الحمد لله المتفرد بالعلم التام، والحكمة الكاملة، والتدبير المتقن الدقيق لكل شؤون الحياة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، المؤيد بالوحي المبين، وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فنظرًا لما شاع في هذا الزمن من مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاة، وما ترتب على ذلك من المآسي والمصائب التي فرَّقت الأمة، وشتت شملها، وأضعفت قوَّتها، ومكَّنت أعداءها المتربصين بها من النيل منها: تحت ضغط فتنة الثورة على الولاة والطعن فيهم!، والخروج عليهم!! بدعوى الظلم والاستبداد والفساد.. ونشطت بعض من الطوائف والأحزاب في الأمة!!، واشتعلت الحروب الطاحنة بينها!!، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون!، وازداد الظلم!، وعمت الفتنة وطمت!!، وانحرف الخارجون على الولاة والطاعنون فيهم عن المنهج الشرعي: في المسلك والوسيلة، والدعوة والاحتساب، وطريقة الإنكار، وأسلوب النصيحة المأمور بها شرعًا.

فلهذا وغيره مما عُلِمَ من خطر مخالفة المنهج الحق في مسألة التعامل مع ولاة أمور الأمة وقادتها، رأيتُ أن بيان المنهج الحق – منهج أهل السنّة والجماعة – في التعامل مع الولاة، هو مطلب شرعي يجب أن يُرفع سنامه، ويُعلى مقامه، ويُؤَسَسَ بنيانه على أصول الشريعة المحْكَمَة، وسِيَر السلف الصالح المبْرَمَة، وليُعلم أنه يقوم على ضوابط شرعية، وآداب مرعية؛ لتنجو بذلك الأمة من فتن توالت، ومحن على أبنائها تتالت، وما ذاك إلا بثورات تقوم وتتكرر في حقب وأزمنة مختلفة، وظروف متشابهة أو متباينة، وكلها أو أغلبها تخالف المنهج القويم، والمسلك الحكيم، وترفع شعار الطعن في الولاة بسبب أخطاء تقع، أو تقصير يحصل، أو تجاوز يظهر من الولاة هنا أو هناك.. وكل من سلك مسلك الثائرين فقد خالف منهج أهل السنّة والجماعة، وتَنكَّبَ طريق الهُدى والرشاد الذي سلكوه في التعامل مع الولاة وما يصدر منهم.

ومن المعلوم أن ما ينسب إلى الوالي قد يكون أمرًا أو أمورًا وقعت حقًا، أو وقع بعضها، إما بسبب منه، أو من غيره، فهو ومن معه ليسوا معصومين، وقد يكون في خطئه وما حصل منه متأولاً، أو متعمدًا.. ولكن السؤال الأهم: هل كل ما سبق يبيح الطعن في الوالي وإثارة الناس عليه؟!، والخروج على المنهج الواضح الجلي الذي رسمه علماء الأمّة الأجلاء جيلاً بعد جيل تَقَيُّدًا بالنصوص الشرعية، واقتداءً بالسير المرضية لعلماء الأمة ودعاتها من السلف الصالح، ومن تبعهم واقتدى بهم إلى عصرنا الحاضر.

وقد يكون ما يُنسب إلى الوالي ويتهم به لم يحصل منه قط!، أو حصل والصواب معه، أو حصل وهو من باب السياسة الشرعية التي يراها، وقد لا يراها غيره.. إلى آخر ما يقع من الاختلاف في الأمور التي يُطعن بها على الولاة.

وفي كل ما سبق – وغيره – يبقى الطعن في الولاة منكرًا عظيمًا، وبابَ شر كبير، لا يفتحه على الأمة إلا من قلَّ فقهه، وطاش عقلُه، وسَقِمَ فهمُه، وداخلته الأهواءُ المضلّة، فلم يأخذ بمحكمات النصوص، ولم يرجع إلى الراسخين في العلم ممن يزنون الأمور بميزان الشرع الحكيم، ويقدّمون درء مفسدة الطعن في الولاة – أو الإنكار العلني عليهم – على مصلحة إنكار المنكر الذي وقعوا فيه.

ذلك أن الطعن في الولاة، وإثارة الناس عليهم، هي من المفاسد الكبرى التي تؤدي إلى سفك الدماء، وانتهاك الحرمات، وضعف شوكة الأمة، وتمكين الأعداء منها.. فهل هناك مفسدة على الدين والأمة أكبر من هذه؟!.

وحيث إن الطعن في الولاة، والخروج عليهم بهذا الحجم من الضرر والخطر، وذلك لا يكون إلا ممن خالف منهج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الولاة، ومن باب النصح لله، ولرسوله، وللأئمة المسلمين وعامتهم، فقد استخرتُ الله عز وجل ورأيتُ أن أكتب بحثًا مختصرًا في بيان منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة؛ ليكون دليلاً على المطلوب، وموفيًا بالمقصود إن شاء الله، وأسال الله الإعانة والتوفيق والسداد.

وقد قسَّـــمته بعد هذه المقدمة إلى مدخل، وتمهيد، وســـتة مباحث تُبيِّن منهج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الولاة، ثم خاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المدخل: في بيان مفهوم مفردات البحث.

المبحث التمهيدي: في بيان مميزات منهج أهل السنّة في التعامل مع الولاة.

وأما المباحث الأصيلة في هذا الموضوع، فهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: توقير الوالي وطاعته.

المبحث الثاني: الدعاء للوالي بالصلاح والسداد والمعافاة.

المبحث الثالث: مناصحة الوالي سرًا، وعدم التشهير به.

المبحث الرابع: موافقة الوالي وإعانته على الخير، ومفارقته في المنكرات.

المبحث الخامس: الصبر على ظلم الوالي وجوره.

المبحث السادس: الإنكار على الطاعن في الوالي، وبيان المفاسد المترتبة على ذلك.

الخاتمة، وفيها: أهم نتائج البحث، وتوصياته.

ثم فهارس البحث.

مدخل: في بيان مفردات البحث:

يحسن بالباحث أن يوضح مفهوم مفردات عنوان البحث؛ ليكون ذلك مدخلاً مساعدًا على فهم المقصود، وهذه المفردات هي:

- مفهوم المنهج.
- مفهوم أهل السنّة.
- مفهوم التعامل مع الولاة.

أولاً: مفهوم المنهج:

المنهج في اللغة:

مصدر ميمي من نَهَجَ، ينهَجُ مَنْهَجًا، ومِنْهَجًا ومِنْهاجًا، ويقال: طريقٌ نَهْجٌ بَيِّنٌ واضِحٌ... وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ، وصار نَهْجًا واضِحًا بَيِّنًا.

والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. واسْتَنْهَجَ الطريقُ: صار نَهْجًا.

وقال العباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «... وتَرَكَكُم على محجة بيِّنة، وطريقٍ ناهِجةٍ» (١) أَي: واضحةٍ بَيِّنَةٍ.

ونَهَجْتُ الطريقَ أَبَنْتُه وأَوضَحتُه. وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي: يَسلُكُ مَسلَكَه.

والنَّهْجُ الطريقُ المستقيمُ. ونَهَجَ الأَمْرُ وأَنهَجَ لُغتانِ إِذا وضَحَ (٢).

ويقول ابن فارس رحمه الله: "النون والهاء والجيم أصلانِ متباينان:

الأوّل: النَّهْج: الطّريق. ونَهَج لي الأمْرَ: أوضَحَه. وهو مُستقيم المِنْهاج، والمَنْهج:

---

(١) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ٥/٤٣٣، ط/٢، المجلس العلمي بالهند، ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة (ن هـ ج)، ٢/ ٣٨٣.

الطَّريق أيضًا، والجمع المناهج.

والآخر: الانقطاع، وأتانَا فلانٌ يَنْهَج، إذا أتى مبهورًا منْقَطِع النَّفس. وضربت فلانًا حتى أُنْهِج، أي سقط [1].

فيكون المنهج في اللغة له معنيان متباينان: الأول: الطريق الواضح. والثاني: البُهر والانقطاع. والأول هو المقصود في هذا البحث.

فيكون معنى المنهج في اللغة: الطريق الواضح، والخطة المرسومة، والطريقة الواضحة المعروفة.

وأما المنهج في الاصطلاح: فأقرب ما يمكن أن يُعرَّفَ به في هذا البحث، أنه: الهَدْيُ المتَّبَعُ، والسنّةُ المأثورةُ، والطريقة المرسومة التي انتهجها السلف الصالح في التعامل مع الولاة.

ثانيًا: مفهوم أهل السنّة والجماعة:

مصطلح أهل السنة والجماعة يطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول: معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدا الرافضة، فيقال: هذا رافضي وهذا سني، وهذا اصطلاح العامة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني، فإنما معناه لست رافضيًا" [2].

والثاني: معنى خاص، ويراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع، ويخرج به سائر المخالفين لأهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، كالخوارج، والجهمية، والمرجئة، والشيعة، وغيرهم [3]، وهذا المعنى هو المراد؛ لأن القصد هو: تعريفهم بما يُميّزهم عن

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٥/٢٨٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٣/٣٥٦.

(٣) انظر: تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، دراسة نقدية في ضوء عقيدة السلف، د. عفاف بنت حسن مختار، ١/٢١-٢٢، ط/٣، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

غيرهم، فلا ينسب إليهم خارج عنهم، ولا يخرج منهم داخل فيهم (١).

وقد تظافرت تعاريف العلماء لأهل السنة محققة المقصد المشار إليه آنفًا، فمن ذلك قول أبي محمد ابن حزم رحمه الله: "وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة رضي الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم "(٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه "(٣).

وقد عرّف جلال الدين السيوطي (٤) أهل السنة بالتعريف السابق إما نقلاً له أو موافقة لابن الجوزي رحمهما الله في كتابه: (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع) (٥).

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد عرَّف أهل السنّة بالشعار الذين يتميزون به عن الفرق الأخرى المخالفة لهم، فقال رحمه الله: "وشعار هذه الفرق - المخالفة لأهل السنة - مفارقة الكتاب والسنة والإجماع. فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من

---

(١) انظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، أ. د. إبراهيم الرحيلي، ١/ ٣٦.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، ٢/٩٠، ط مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٣) تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، ١٧، ط/١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٤) توفي عام ٩١١هـ، وابن حزم توفي عام ٤٥٦هـ.

(٥) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ٨٨، تحقيق: د. ذيب القحطاني، ط ١٤٠٩هـ.

أهل السنة والجماعة "(١).

وعرّفهم علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله بقوله: "فأهل السنة المحضة السالمون من البدع الذين تمسكوا بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الأصول كلها، أصول التوحيد، والرسالة، والقدر، ومسائل الإيمان وغيرها. وغيرهم من خوارج، ومعتزلة، وجهمية، وقدرية، ورافضة، ومرجئة ومن تفرع عنهم، كلهم من أهل البدع الاعتقادية "(٢).

ومما سبق يمكن تعريف أهل السنة والجماعة بالمعنى الخاص بأنهم: المتمسكون بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه علماء الأمة في العقائد والأقوال، والعبادات الباطنة والظاهرة، المتبعون للسلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان من أئمة الهُدى المشهود لهم بالإمامة في الدين قولاً وعلمًا وعملاً، ويدخل فيهم العامّة المقلدون لهم، دون من رُمي ببدعة، أو شُهِر بلقب غير مرضي كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والمعتزلة، ونحوهم (٣).

ثالثا: مفهوم التعامل مع الولاة:

التعامل مع الولاة يكون بإحدى طريقتين:

الأولى: الطريقة الشرعية، وهي طريقة السلف، وهي منهج أهل السنة والجماعة الذي ساروا عليه، وأثبتوه في كتب العقيدة تأكيدًا على مدى فهمهم واعتنائهم بهذه المسألة

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣/ ٣٤٦.

(٢) الفتاوى السعدية، عبدالرحمن ناصر السعدي، ص٦٣، ط/٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٣) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، د. ناصر بن علي الشيخ، ١ /٢٩، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

الخطيرة جدًا؛ لما يترتب على الإخلال بها من المفاسد والمصائب.

والثانية: طريقة المبتدعة وأهل الأهواء: من الخوارج، والمعتزلة، والرافضة وغيرهم.

فالأولى: واجبة وجوبًا مؤكدًا، والثانية: محرمة تحريمًا مشدَّدًا.

وأما معنى الولاة في اللغة: فجمع والي، من وَلِيَ الأَمْرَ... ووَلِيَ الْوَالِي الْبَلَدَ،

ووَلِيَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ وِلايَةً فِيهِمَا... ووَلاَّهُ الأمير عمل كذا، ووَلاَّهُ بيع الشيء. وتَوَلَّى العمل تَقَلَّده... ووليتُ فلانًا أمر كذا وكذا إذا قلَّدته وِلايَتَهُ.

ويقال: وِلايةً ووَلايةً، فهو والٍ، والمفعول مَوْلِيّ.

ووَلِيَ البلدَ: حَكَمَه وتسلَّط عليه. ووَلِيَ شئونَ البلادِ رئيسٌ شديد.

ووَلِيَ الشّيءَ أو وَلِيَ عليه: مَلَك أمرَه وقام به.

والوَلِيُّ ضد العدو، يقال: تَوَلاَّهُ، وكل من وَلِيَ أمر واحد فهو وَلِيُّهُ.

وَالْمَوْلَى: الْمُعْتِقُ، وَالْمُعْتَقُ، وَابْنُ الْعَمِّ، وَالنَّاصِرُ، وَالْجَارُ، وَالْحَلِيفُ. وَالْوَلاءُ: وَلاءُ الْمُعْتِقِ. وَالْمُوَالاةُ ضِدُّ الْمُعَادَاةِ.

قال ابن السكيت: (الوِلاية) بالكسر السلطان، و (الوَلاية) بالفتح والكسر النُّصْرَةُ. وقال سيبويه: (الولاية) بالفتح المصدر وبالكسر الاسم [1].

وبهذا يتضح أن المراد بالولاة في هذا البحث جمع والٍ، وهو: من يتولَّى شؤون الرعية، ويُدَبِّرُ أُمورها، ممن ثَبَتَتْ له الوِلاية بطريق معتبر عند أهل السنّة والجماعة.

وسواءً سمي: خليفة، أو حاكمًا، أو ملكًا، أو أميرًا، أو سلطانًا، أو رئيسًا.. فالعبرة بما يجب له من السمع والطاعة في المنشط والمكره، وما يجب عليه من الاجتهاد، وحسن

---

(١) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة (و ل ي)، ٣٤٥، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت:، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ولسان العرب، ١٥/ ٤٠٦- ٤١٥. ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار، ٢٤٩٥/٣، ط/، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م.

النظر في مصالح رعيته، بما يحقق لهم المصالح الدينية والدنيوية بقدر وسعه وطاقته.

وبعد أن بينا مفهوم مفردات البحث، نُبيِّن باختصــار مميزات منهج أهل السـنّة في التعامل مع الولاة؛ لعل الله أن يجعل في ذلك دعوة إلى الحق وبيانًا له.

المطلب التمهيدي

مميزات منهج أهل السنّة في التعامل مع الولاة

يتميز أهل السـنة والجماعة في التعامل مع الولاة عن غيرهم من الفرق الأخرى، وما ذاك إلا لتميز منهجهم عن مناهج أهل الأهواء والبدع بمميزات واضـحة وجلية، ذلك أنه يقوم على أسس متينة، وبعيدة عن حظوظ النفس وأهوائها.. فمن تلك الأسس التي يقوم عليها:

١. الخضوع التام للنصوص والآثار والتمسك بها.
٢. الفهم الصحيح والدقيق لأحكام الشريعة ومقاصدها.
٣. وزن الأمور بميزان الشرع الحكيم طاعة لله تعالى، وتقيّدًا بنصوص الشرع.
٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السـنة والجماعة له ضـوابط وآداب، ويراعى فيه: درء المفاسد، وتحقيق المصالح، وترتيب مراتبه، والقدرة، والنتيجة، والآثار المترتبة على الأمر والنهي.

وهذه الأسس وغيرها جعلت منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاة يتميز بعدة مميزات من أهمها:

الميزة الأولى: الصدق:

وهذه ميزة عظيمة، فالصـدق منجاة، والصـدق يهدي إلى البر وإلى كل خير، ومن لازم الصـدق في أقواله وأفعاله وتعاملاته كُتِبَ في السـماء صـدِّيقًا كما قال ﷺ: ((إن الصـدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصـدق حتى يكون

صديقًا...)) وفي رواية مسلم: ((يُكتب صدّيقًا)) (١).

والصـدق يكون في البيعة، وفي الوفاء بها، وفي السـمع والطاعة لولي الأمر في العسـر واليسر، والمنشط والمكره، وفي النصيحة الصادقة له والإخلاص في ذلك، وفي الصبر على الأثرة، وعلى الظلم والجور إذا وقع من الوالي، وفي عدم منازعته الأمر ما لم يقع منه كفر بواح فيه من الله برهان، وفي الصحيح يقول ﷺ: ((ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالطَّاعَةُ لِذَوِي الأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)) (٢).

الميزة الثانية: وضوح المنهج واتساقه مع أصول أهل السنّة.

وهذه الميزة من أهم ما يتميز به منهج أهل السـنة والجماعة في مسـألة التعامل مع الولاة، فهو منهج واضح وصريح، ومرتكز على أصول أهل السنة والجماعة، ولا أدل على ذلك من كونه مسطرًا في كتب العقيدة والأصـول (٣)، حيث يعدُّونه أصـلاً من الأصـول المقررة في كتب العقيدة، يدرسـونه للأبناء، ويوصـون به الأتباع، وينكرون على من خالفه كائنًا من كان؛ لأنهم يعتقدون وجوب العمل به، وحُرمة مخالفته، يقول الشـيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: "الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا

---

(١) أخرجه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾، وما ينهى عن الكذب، ٢٥/٨، برقم (٦٠٩٤). ومسلم في باب: قبح الكذب وحسن الصدق، ٢٠١٢/٤، برقم (٢٦٠٧).

(٢) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١٦٢/١، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) كشرح السنّة للبربهاري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، والعقيدة الطحاوية، لأبي جعفر الطحاوي، والعقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وستة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وغيرهم، رحمة الله على الجميع.

ولو كان عبدًا حبشيًّا.

فبين الله له هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟! "(١).

الميزة الثالثة: الثبات:

فمنهج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الولاة هو منهج ثابت لا يتغير عبر الأزمان؛ فتجد أقوال السلف في الفتن المتعلقة بالخروج على الولاة، وطريقة الإنكار عليهم، وما يتعلق بذلك من مسائل، تجدها موافقة لأقوال علماء أهل السنة في العصور المختلفة، والأمصار المتباعدة دون أن يكون بين أولئك العلماء تواصل مباشر، أو اطلاع متزامن بما يحدث هنا أو هناك من تلك المسائل والقضايا.

كما تجد أقوال أهل السنة في العصور المتأخرة مطابقة لأقوال من سبقهم من أهل السنة في هذا الباب.

فالسلف اتبعوا النصوص والآثار، وفهموا المعاني والأخبار، والخلف اقتدوا بسلفهم، واتبعوا ولم يبتدعوا، وعلموا أنه منهج قائم على النصوص والآثار التي تجتمع بها كلمة الأمة.

بينما الفرق المخالفة لأهل السنة تجد أقوالهم متضاربة، ومواقفهم متناقضة، أو متغيرة بين موقف وآخر، حتى أن الفرقة الواحدة تفترق وتتشظى إلى عدة فرق يُكفر بعضها بعضًا!!. نسأل الله السلامة والعافية، والثبات على الحق.

الميزة الرابعة: العدل:

فأهل السنّة كما يُبينون حقوق الولاة على الرعية، فهم أيضًا يبينون ويوضحون حقوق الرعية على الوالي، فلكل حقوق واجبة، وعليه واجبات واضحة، بل من بديع

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ٦/٢٦٤، ط/٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

فعلهم أنهم جعلوا حقوق الوالي عشـرة، وواجباته – التي هي حقوق الرعية عليه – عشـرة. فأما حقوق الوالي على الرعية: فالحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرًا وباطنًا، في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، إلا أن يكون معصية.

والثاني: بذل النصيحة له سرًا وعلانية (١).

والثالث: القيام بنصرته باطنًا وظاهرًا ببذل المجهود في ذلك لما فيه نصر المسلمين وإقامة حرمة الدين، وكف أيدي المعتدين.

والرابع: أن يُعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره...

والخامس: إيقاظه عند غفلته، وإرشـاده عند هفوته، شـفقةً عليه، وحفظًا لدينه وعرضه، وصيانةً لما جعله الله إليه من الخطأ فيه.

والسادس: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارجي يُخاف عليه منه، ومن كل شيء يُخاف عليه منه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن ذلك من آكد حقوقه وأوجبها.

والسابع: إعلامه بسيرة عماله: الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة بسببهم لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته.

والثامن: إعانته على ما تحمله من أعباء الأمة ومساعدته على ذلك بقدر المكْنَة.

والتاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة، وانتظام أمور الملة.

والعاشـر: الذب عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن، والسـر والعلانية. يقول ابن جماعة بعد أن أورد حقوق الوالي العشـرة: "وإذا وفت الرعية بهذه الحقوق العشرة الواجبة، وأحسنت القيام بمجامعها والمراعاة لموقعها، صفت القلوب،

---

(١) أي: أن يكون الناصح صادقًا ومخلصًا في سره وعلانيته، وليس المعنى: نصيحة الوالي علنًا، فإن نصيحة الوالي لا تكون إلا سرًا.

وأخلصت، واجتمعت الكلمة وانتصرت "[١]. وأما حقوق الرعية على الوالي، فهي عشرة أيضًا، الأول: حماية بيضة الإسلام والذب عنها.

والثاني: حفظ الدين على أصوله المقررة، وقواعده المحررة.

والثالث: إقامة شعائر الإسلام... والرابع: فصل القضايا والأحكام...

والخامس: إقامة فرض الجهاد بنفسه، وبجيوشه أو سراياه وبعوثه...

والسادس: إقامة الحدود الشرعية على الشروط المرعية...

والسابع: جباية الزكوات والجزية من أهلها، وأموال الفيء والخراج، وصرف ذلك في مصارفه الشرعية...

والثامن: النظر في أوقاف البر والقربات، وصرفها فيما هي له من الجهات، وعمارة القناطر وتسهيل سبل الخيرات.

والتاسع: النظر في قسم الغنائم وتقسيمها، وصرف أخماسها إلى مستحقيها.

والعاشر: العدل في سلطانه، وسلوك موارده في جميع شأنه [٢].

فمنهج أهل السنة يقوم على بيان حقوق الوالي وواجباته، وحقوق الرعية وواجباتها؛ ليقوم كل طرف بما يجب عليه، فيتحقق العدل والنصر والتمكين، ويعم الاستقرار والرخاء، وتسود المحبة والتراحم والتعاون بين الراعي والرعية.

الميزة الخامسة: الوسطية:

الوسطية هي من أخص خصائص أهل السنة والجماعة في جميع أمور الدين وأحكامه

---

(١) انظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، ٦١-٦٤، ط/ دار الثقافة، الدوحة: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) انظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ٦٤- ٦٩.

[1]، وهي مما يتميزون به في باب التعامل مع الولاة، فهم وسط بين طائفتين: الأولى: طائفة تظلم الوالي وتعاديه، وتتهمه بكل فساد يقع، أو خلل يحصل، وترى أنه سبب الشر والفساد.

فهذه الطائفة تدين بالخروج على الوالي إذا حصل منه منكر، أو ظلم أو جور، أو أي أمر مما تعتقد هي أنه مخالف لأوامر الدين!، وترى ذلك واجبًا شرعيًا! وجهادًا مشروعًا في سبيل الله!!، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة، ومن سلك منهجهم.

فالخوارج يرون الخروج على ولاة الجور من أوجب الواجبات!، فيكفرون الوالي!، ويخلعون بيعته، ويخرجون عليه بالسيف!!، كما أنهم يُكفرون من لم يكفر الوالي إذا كفروه!!، فيسفكون الدماء!، ويستبيحون الحرمات!، ويشقون عصا الطاعة، ويفارقون جماعة المسلمين بسبب جهلهم وغلوهم!!.

بل إن هذه الطائفة تخرج على ولاة العدل كما تخرج على ولاة الجور!، فقد خرجوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتلوه مظلومًا محصورًا في بيته!!.

كما خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروه!!، وقتلوه غدرًا وظلمًا وهو خارج لصلاة الفجر!! [2].

وأما المعتزلة فهم أيضًا يدينون بالخروج على الوالي الجائر ويوجبون قتاله، وقتال المخالفين لهم في أصولهم، وقد جعلوا ذلك أصلاً من أصول معتقدهم، ويُسمّونه الأمر

---

(١) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، ط/١، دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. وعقيدة أهل السنة والجماعة، مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ٧٢، ط١ دار ابن الجوزي ١٤٣٩هـ.

(٢) وقد خرجوا على أئمة عدل آخرين، كأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، انظر: الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: خليل المنصور، ٢/٢٧٣-٢٧٤، ط، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. وكذلك خرجوا على الملك العادل عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل كما وقع في معركة السبلة التاريخية، فرغم إكرامه لقادتهم، وعرضه عليهم أن تكون بينهم وبينه محكمة شرعية إلا أنهم لم يقبلوا بذلك!! وأصروا على القتال حتى هزمهم الله.

بالمعروف والنهي عن المنكر!! [(١)].

يقول الأشعري رحمه الله تعالى حاكيًا قولهم: "فقالت المعتزلة: إذا كنا جماعة، وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا، عقدنا للإمام ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد، وفي قولنا في القدر وإلا قتلناهم، وأوجبوا على الناس الخروج على السلطان على الإمكان والقدرة إذا أمكنهم ذلك وقدروا عليه "[(٢)].

والطائفة الثانية: هم المداهنون المتخاذلون، " الذين سكتوا عن ظلم الولاة، وتركوا نصحهم، والإنكار عليهم، بل ربما زيَّنوا لهم باطلهم، وسوَّغوا لهم ظلمهم، وفسادهم، وربما أنكروا على من ينكر عليهم "[(٣)]. فهذه الطائفة لا تأمر بمعروف!، ولا تنهى عن منكر!، ولا تقيم لدين الله وزنًا!، ولا ترفع بشرعه رأسًا!، فهي طائفة مداهنة للوالي ومخادعة له!، لا يهمهم إلا إشباع رغباتهم وشهواتهم بالتملق للولاة الظلمة!، والتقرب منهم!.

وأسوأ من هذه الطائفة وأخبثُ نفوسًا، وأشدُّ ضررًا على الإسلام وأهله، الطوائف الباطنية الذين يُقدسون الأئمة! ويَدَّعُون لهم العصمة!! كالرافضة والنصيرية والدروز، غير أن هؤلاء يجب أن لا يُحسبوا على أهل الإسلام، وإن ادعوا الإسلام كذبًا وزورًا.

وأما أهل السنة والجماعة فقد هداهم الله لما اختلف فيه من الحق، فأوجبوا السمع

والطاعة للوالي في غير معصية الله، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه وتعالى، ولكنهم لا ينزعون يدًا من طاعة، ولا يُفَرِّقُون جماعة

---

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنّة منها، عواد بن عبدالله المعتق، ٢٧٣- ٢٧٤، ط٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ٤٦٦، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، ط/٣، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا، ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠ م.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد الحمد، ٨٣-٨٤.

المسلمين، ويناصحون الولاة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وينكرون على الولاة إذا وقعوا في المنكر وفق الضوابط الشرعية، والآداب المرعية دون إعلان أو تشهير.

ومع أنهم يصبرون على الوالي إذا وقع منه جور أو ظلم، إلا أنهم لا يُزَيِّنُون له الباطل، ولا يسوغون له أفعاله المخالفة للشرع، بل يناصحونه ويبينون له الواقع والحكم الشرعي نصحًا له، وشفقة عليه من تبعات فعله.

الميزة السادسة: **الحكمة في معالجة ما يصدر من الولاة** مما تميز به منهج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الولاة: الحكمة في معالجة ما يصدر من الولاة من الأخطاء والمنكرات، فقد تميز أهل السنّة والجماعة بتوقير الوالي واحترامه وإجلاله، فإذا وقع منه أمر يحتاج إلى توجيه وتنبيه، أو نصح وإرشاد، أو وعظ وتذكير، لم يُشهروا به، ولم يجاهروا بالإنكار عليه، وإنما يجعلون ذلك لمن هو بنصحه أولى وأعرف، ممن يسمع الوالي قوله، ويثق بنصحه وصدقه وإخلاصه، فيتحقق المقصود بدون إثارة أو تشهير.

وإذا لم يقبل الوالي النصيحة فإنهم يرون أن ذمّة الناصح قد برئت، وأمر الوالي إلى الله تعالى، ولا يثيرون على الأمة فتنة أكبر من فتنة ما وقع فيه الوالي من المنكر.

وإذا كان الوالي غشومًا ظلومًا قد يقتل من ينصحه أو ينكر عليه!، فإنهم لا يوجبون على أحد أن يُعرض نفسه للهلاك بالتعرض له بالنصح والإنكار، ولكن لو قام بذلك أحد احتسابًا لله، ورجاءً لما عنده، وقتله الوالي فإنهم يشكرون له مقامه، ويعدّون فعله جهادًا، وقتله شهادة، كما قال ﷺ عندما سأله رجل، أي الجهاد أفضل؟، فقال: ((كلمة حق عند سلطان جائر))[1]، وعن جابر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله))[2]، فأهل

---

(١) مسند الإمام أحمد، ١٢٦/٣١، برقم (١٨٨٣٠)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم، ٢١٥/٣، برقم (٤٨٨٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٠٨) وفي السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٤).

السنّة لا يجبنون عن قول كلمة الحق والصدع بها، ولكنهم حكيمون في تعاملهم، هدفهم: تحقيق المقصود، وحصول الثمرة المرجوة بما ينفع الأمة، ويزيل المنكر بالطريقة المشروعة؛ لأن نصيحة الوالي والإنكار عليه عبادة يجب أن يراد بها وجه الله تعالى، ونفع الأمة، والإصلاح في الأرض، فيجب أن تكون الطريقة مشروعة، والعمل وفق هدي السلف الصالح.

وأهل السنّة يرون أن الوالي أحد ثلاثة:

الأول: بر تقي عادل يخشى الله ويتقيه، ويعدل في الرعية ويُشفق عليها، ويرفق بها. فهذا يدينون له بالسمع والطاعة، ويحبونه وينصرونه، ويقدمونه على أنفسهم في الدعاء بالصلاح والثبات، والنصر والتمكين، والتوفيق والسداد.

والثاني: فاسق ظلوم، غشوم، مستأثر.

فهذا يناصحونه، وينكرون عليه بحسب الإمكان والقدرة سرًا، ويبغضون فعله، ويدعون الله في خواصهم بزوال شرّه، وكف أذاه، ومع هذا يُطاع فيما ليس معصية، ولا يرون الخروج عليه أبدًا، بل يدينون لله تعالى بالصبر، والدعاء، والتضرع.

والثالث: الوالي الكافر:

فهذا يرون وجوب خلعه، ولكنهم ينظرون في أمره وفق ضوابط وشروط:

أولها: يجب أن يكون كفره ظاهرًا واضحًا صريحًا، بواحًا فيه من الله برهان (١).

ثانيًا: أن يكون الدليل المستدل به على كفره دليلاً قطعيًا لا خلاف فيه ولا تأويل.

ثالثا: القدرة على إزالته وخلعه، وتنصيب والٍ مسلم عدل عادل مكانه، دون أن يترتب على ذلك مفاسد كبرى كسفك الدماء، وانتهاك الحرمات ونحو ذلك، فإن لم

(١) كما في حديث عبادة بن الصامت في الصحيحين: « وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحًا، عندكم من الله فيه برهان»، وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

يقدروا على ذلك، فإنهم لا يُلقون بالمسلمين في فتنة وشر، وإنما يصبرون، ويدعون الله في كف بأسه، وإزالة شره عن المسلمين [1].

وبعد هذا التمهيد في بيان مميزات منهج أهل السـنة في هذا الباب، ننتقل إلى بيان وتوضيح منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة من خلال المباحث الآتية.

(١) انظر: المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ١٦. ومجموعة الرسائل الجابرية، ٢٩.

المبحث الأول

توقير الوالي وطاعته

يجب على الرعية توقير الوالي وطاعته، واحترامه وتبجيله، وعدم سبّه أو انتقاصه أو الحط من قدره، وكل هذا واجب شرعًا، وفيه مصالح دينية ودنيوية؛ لأنه يورث مهابة الوالي في نفوس الرعية، فتنكف عن الشر والفساد، والبغي والعدوان نفوس أهل الشر والأذية [١].

والشرع الحكيم أوجب توقير الوالي وطاعته؛ لما في ذلك من ضبط المصالح العامة ورعايتها، ولما يتحقق للناس من مصالح دنياهم وأخراهم، يقول سهل بن عبدالله التستري: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء؛ فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأُخراهم"[٢].

فتوقير الوالي وطاعته، ومعاملته بالاحترام والإجلال والإكرام، والتعبّد لله بذلك ديانة هو مما قرره علماء الإسلام في أقوالهم المشهورة، ومصنفاتهم المنشورة، ليؤكدوا بذلك منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاة بما توجبه النصوص الشرعية، والتوجيهات النبوية الحافلة في هذا الباب، يقول العلامة ابن جماعة رحمه الله تعالى: "الحق الرابع: أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم، ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم

الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم، فليس

---

(١) انظر: فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة، د. خالد بن علي العنبري، ٢٠٢، ط دار المنهاج، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، ٥/٢٦٠، ط دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

من السنة [(١)].

وتوقير الوالي وطاعته مما يُرَسِّخُ هيبته في نفوس الرعية، والناس في هذا الزمن أحوج ما يكونون إلى مهابة الوالي وقوة سلطانه؛ لما يتحقق بذلك من ردع السفهاء، وحفظ الأمن، وسلامة البلاد والعباد من أفعال المتهورين والعابثين، يقول صاحب الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء: "وسلطان هذا الزمان يجب أن يكون أوفى سياسة، وأَتَمَّ هيبة، لأن أُناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فإن زماننا هذا زمان السفهاء والأشقياء، وإذا كان السلطان - والعياذ بالله - بينهم ضعيفًا، أو كان غير ذي سياسة وهيبة، فلا شك أن ذلك يكون سبب خراب البلاد، وأن الخلل يعود على الدين والدنيا، ولم يكن لذلك السلطان في أعين الناس خطر، ولا يسمعون كلامه، ولا يطيعون أمره، ويكون الخلق عليه ساخطين" [(٢)]. وهذا الكلام في القرن التاسع الهجري!، فكيف بزماننا هذا الذي تنتشر فيه الإثارة والإشاعة والفتنة في سويعات معدودة عبر وسائل التقنية، وشبكات التواصل الاجتماعي.

وتوقير الوالي وطاعته أوجبه الشرع وأمر به من طريقين:

الأول: الأمر بطاعته وتوقيره واحترامه، والتأكيد على ذلك.

والثاني: النهي عن كل ما يُفضي إلى التفريط في توقيره واحترامه وإجلاله، من سبٍّ، أو انتقاص، أو تأليب عليه، ونحو ذلك [(٣)].

وقد بيَّن علماء الأمة الأجلاء المصالح العظيمة، والمقاصد الشرعية الحكيمة لما أمر به الشرع المطهر من توقير الولاة وطاعتهم وإجلالهم، والنهي عن ضد ذلك من السبِّ والانتقاص ونحوه، يقول الدكتور عبدالسلام بن برجس وفقه الله: "ومن تأمل النصوص

---

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ٦٣.

(٢) الدرة الغراء، محمود إبراهيم الخيربيتي، ٢٢٣-٢٢٤، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض.

(٣) انظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالسلام بن برجس، ٤١ وما بعدها، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

الواردة في هذا الباب: علم أن الشـــارع إنما أمر بتوقير الولاة وتعزيرهم، ونهى عن ســـبِّهم وانتقاصِهم؛ لحكمة عظيمة، ومصلحة كبرى" [١]، ثم أورد ما ذكره الإمام القرافي في كتابه: الذخيرة، حيث قال: "قاعدة: ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختُلِفَ عليهم – أو أهينوا – تعذرت المصلحة..."[٢].

فطاعة الوالي وتعظيمه وتوقيره هو ما كان عليه ســـلف الأمة الصـــالح، وهو منهج واضح ومتبع عند أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا؛ لأنه المنهج الحق، فهم يتعاملون مع الوالي على وفق ما جاء في نصـــوص الشـــرع، فيدينون له بالســـمع والطاعة في المنشـــط والمكره، وفي العسر واليسر، وأثرة عليهم، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فإنهم يرون أنه لا سمع له ولا طاعة؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصـــية الخالق، وإنما تكون الطاعة بالمعروف.. ولكنهم مع ذلك لا ينزعون يدًا من طاعة، ولا ينازعون الأمر أهله، ولا يرون أن الوالي يتحمل مسؤولية كل منكر وفساد، وإن كان – هو وأعوانه – يتحملون المسؤولية الكبرى، ولكن كل مســـلم عليه واجب ومســـؤولية يجب أن يقوم بها بحســـب قدرته واستطاعته دون أن يثير فتنة، أو يقوم بعمل تكون مفسدته أكبر من مصلحة ما قام به [٣]، فأهل السنة يرون طاعة الوالي وتوقيره من حقوقه الواجبة على الرعية، يقول ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "أما حقوق السلطان العشرة: فالحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرًا وباطنًا، في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، إلا أن يكون معصية [٤].

وقال طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من الســـنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشـــيبة، والســـلطان،

---

(١) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالسلام بن برجس ٤٤.

(٢) الذخيرة، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، ١٣/٢٣٤، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م. وكان القرافي رحمه الله تعالى يقول: لا يتقدم الوالي في إمامة صلاة الجنازة ولا غيرها؛ لأن ذلك مُخِلٌّ بأُبَّهَتِهِ.

(٣) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، د. محمد الحمد، ٧٧.

(٤) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ٦١- ٦٢.

والوالد "(١).

قال البغوي رحمه الله تعالى: "قلت: إذا اجتمع قوم، فالأمير أولاهم بالتقديم، ثم العالم، ثم أكبرهم سنًا... "(٢).

فطاعة الوالي المشتملة على التوقير والاحترام والتقدير هي أول حقوقه على الرعية وأكبرها، وأعظم الواجبات عليهم نحوه؛ " لأن الطاعة من أعظم الأسس والدعائم لانتظام أمور الدول والجماعات، وتحقيق أهدافها ومقاصدها الدينية والدنيوية "(٣)؛ وما لم يكن للوالي طاعة كاملة، وتوقير تام، وإجلال واحترام فلن تستقيم الأمور، كما قال الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه: "إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة..."(٤).

فطاعة الوالي واجبة بنصوص شرعية ثابتة وصحيحة، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة)) (٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عليك السمع والطاعة في

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ٤١/١٣، ط٢ المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٢) المرجع السابق، ٤١/١٣، وتكملة كلامه: " ولا ينبغي للعالم أن يتقدم أباه وأخاه الأكبر؛ لما عليه من حق الوالد والأخ الأكبر ". فما أجمل الأدب عندما يسود في المجتمع.

(٣) فقه السياسة الرعية، ٢٠٤- ٢٠٥.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي، دراسة وتحقيق: فواز أحمد زمرلي، ١٢٧/١، ط/١، مؤسسة الريان، دار ابن حزم ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٩).

عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك))[١].

وغير ذلك من النصوص الكثيرة، والتي سيرد بعضها في طيات هذا البحث.

كما أن أهل السنة والجماعة ينكرون على من يتخذ من أخطاء الولاة سبيلاً للإثارة والإرجاف، وتنفير الناس عن توقير الوالي وطاعته، ويرون أن فعل ذلك هو عين المفسدة التي تؤدي إلى حصول الفتنة بين الناس؛ لأن إثارة النفوس على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، فيتمرد الناس على كلامهم وتوجيهاتهم فيحصل الشر والفساد.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وألا يُتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور؛ فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس... فالواجب أن ننظر ما سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه، وأن يعرف العواقب.

وَلْيُعْلَم أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، بل العبرة بالحكمة... [٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٦).

(٢) معاملة الحكام، ٤٤- ٤٥، نقلًا عن: حقوق الراعي والرعية، مجموعة خطب الشيخ، ولم أجد النص في الضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

المبحث الثاني

الدعاء للوالي بالصلاح والسداد والمعافاة

من منهج أهل السنة والجماعة الدعاء للولاة بالصلاح في أمورهم الخاصة والعامة، والسداد في أقوالهم وأفعالهم، والاستقامة والمعافاة، وبصلاح البطانة والحاشية والجلساء، ويرون أن الوالي أحق الناس بإخلاص الدعاء له؛ لأن صلاح الوالي وسداد أقواله وأفعاله مصلحة كبرى، يتعدى نفعها، ويعمُّ خيرها البلاد والعباد، فبصلاح الوالي تصلح الرعية، ويعم النفع والفائدة سائر ولايته.

والدعاء للوالي بالصلاح والسداد دليل على فقه الداعي وسلامة ديانته، واتباعه للسنة وطريق السلف الصالح، يقول الإمام البربهاري رحمه الله: "وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة – إن شاء الله–" (١).

ثم يستشهد بقول الفضيل بن عياض رحمه الله: "لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان" (٢).

قال ابن المبارك رحمه الله معلقًا: "يا معلم الخير من يجزي على هذا غيرك"، ومراده:الثناء على الفضيل، لأنه لم يُرِدْ أن يخص نفسه بالدعوة المستجابة لو كانت له بل أراد أن يجعلها لمن يعم نفعه إذا صَلُحَ، وهو السلطان (٣).

وقال البربهاري بعد أن أورد عبارة الفضيل: "فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر

(١) شرح السنة، الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، ٥١، ط/١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨هـ. وغاية المنّة على شرح السنة، تحقيق: جمعة بن صالح، ٢٤٣-٢٤٤، ط/١، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع الهرم- الجيزة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٢) المرجع السابق، ٥١.

(٣) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. عبد الرزاق البدر، ١١، ط/٢، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، الرياض ١٤١٧هـ.

أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين" (١).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لابْنِ الكَلْبِيِّ والمظَفَّرِ رَسُولَي الخليفة: "أرى طاعته في العسر واليسر، والمنشط والمكره والأثر، وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار، والتأييد، وأرى له ذلك واجبًا عليَّ" (٢).

ويُروى عنه نص عبارة الفضيل السابقة رحمهما الله (٣).

وقد بَيَّن أبو عثمان الصابوني عقيدة السلف أصحاب الحديث فيما يتعلق بالدعاء للولاة فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق، والصلاح وبسط العدل في الرعية"(٤).

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عندما ذكر منهج أهل السنة والجماعة وسبيلهم مع ولاة أمورهم قال: "... وينصحون لهم، ولا يدعون عليهم، بل يدعون لهم بالصلاح والمعافاة... (٥).

و لما سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ هل من مقتضى البيعة الدعاء لولي الأمر؟. أجاب بقوله: "من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر، ومن النصح: الدعاء له بالتوفيق والهداية، وصلاح النية و العمل، وصلاح البطانة؛ لأن من أسباب صلاح الوالي ومن أسباب توفيق الله له: أن يكون له وزير صدق يعينه على الخير، ويذكره إذا نسي، ويعينه إذا ذكر، هذه

(١) شرح السنّة، ٥١. وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٢/٣٤، ط دار المعرفة، بيروت.

(٢) السنّة، أبو بكر الخَلَّال، تحقيق: د. عطية الزهراني، ٨٢-٨٣، ط/١، دار الراية، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(٣) انظر: غاية المنّة، ٢٤٥. والمعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٤.

(٤) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، محمد الخميس، ١٤٤، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٩هـ.

(٥) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور، ٦.

من أسباب توفيق الله له "[1].

فالدعاء للولاة من منهج أهل السنة والجماعة، بل هو من السنة المتبعة المتلقاة عن السلف الصالح جيلاً بعد جيل، ولا يخالف في ذلك إلا أهل الضلال والجهل ممن لا يقيسون الأمور إلا بعقولهم القاصرة، وأهوائهم الضالة، وشهوات نفوسهم المريضة.

وبعض الضلال والجهال ينكرون على الذين يدعون في خطبة الجمعة لولاة الأمور ويقولون: هذه مداهنة، هذا نفاق، هذا تزلف، وغير ذلك من العبارات، فيرد عليهم الشيخ صالح الفوزان حفظه الله مستنكرًا هذا الفهم الضال فيقول: "سبحان الله! هذا مذهب أهل السنة والجماعة، بل من السنة الدعاء لولاة الأمور؛ لأنهم إذا صلحوا صلح الناس، فأنت تدعو لهم بالصلاح والهداية والخير، وإن كان عندهم شر، فهم ما داموا على الإسلام فعندهم خير... وما عندهم من المعاصي والفسق، فهذا إثمه عليهم، ولكن عندهم خير أعظم، فيُدعى لهم بالاستقامة والصلاح فهذا مذهب أهل السنّة والجماعة [2].

فهذا نزر يسير من أقوال أهل السنة يُبين منهجهم فيما يتعلق بالدعاء للوالي بالصلاح والسداد، والاستقامة والمعافاة، والعدل في الرعية، وتيسير الأمور له؛ ليستطيع القيام بواجباته على أكمل وجه، وأقوالهم في هذه المسألة – وغيرها- مما يتعلق بالولاة متوافقة، وبعضها متطابقة، ومنهجهم واضح ومطرد، ومؤلفاتهم مليئة بالحض على ذلك والتأكيد عليه، تحقيقًا للمصلحة، وديانة وتعبدًا بفعل ذلك.

وهم يزيدون على الدعاء للوالي، والحض عليه، وتعليم الناس ذلك، بالإنكار على من لا يدعو للوالي، فضلاً عمن يدعو على الوالي!، فإنهم يبدعونه ويرونه صاحب هوى، مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

وقد سئل علامة أهل السنّة في هذا العصر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله عمن

---

(١) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٢.

(٢) غاية المنّة على شرح السنة، ٢٤٥.

يمتنع عن الدعاء للوالي؟، فقال: "هذا من جهله وعدم بصيرته؛ لأن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات، ومن النصيحة لله ولعباده... فالمؤمن يدعو للناس بالخير، والسلطان أولى من يُدعى له؛ لأن صلاحه صلاح للأمة، فالدعاء له من أعظم الدعاء، ومن أهم النصح: أن يُوَفَّقَ للحق وأن يعان عليه، وأن يصلح الله له البطانة، وأن يكفيه الله شرَّ نفسه، وشرَّ جلساء السوء، فالدعاء له بالتوفيق والهداية، وبصلاح القلب والعمل، وصلاح البطانة من أهم المهمات، ومن أفضل القربات" (١)، ثم استشهد بما يُروي عن الإمام أحمد والفضيل بن عياض مما أوردناه آنفًا.

ويقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "ولا يجوز الدعاء عليهم – الولاة –؛ لأن هذا خروج معنوي، مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهُدى والصلاح، لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنّة والجماعة، فإذا رأيتَ أحدًا يدعو على ولاة الأمور فاعلم أنه ضالٌّ في عقيدته، وليس على منهج السلف... فالذين يدعون على ولاة أمور المسلمين ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك الذين لا يدعون لهم، وهذا علامة أن عندهم انحرافًا عن عقيدة أهل السنة والجماعة" (٢).

ويقول: "أما مذهب أهل الضلال وأهل الجهل فيرون هذا – الدعاء لولاة الأمر– من المداهنة والتزلف، ولا يدعون لهم، بل يدعون عليهم!" (٣).

---

(١) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٣- ٢٤.

(٢) غاية المنّة على شرح السنة، ٢٤٥.

(٣) المرجع السابق، ٢٤٦.

المبحث الثالث

مناصحة الوالي سرًا، وعدم التشهير به

كل من وَلِيَ من أمور المسلمين شيئًا وجبَ عليه الاهتمام والحرص والاجتهاد فيما وليه من أمور المسلمين التي سيُسأل عنها بين يدي الله عز وجل، ووجبتْ له النصيحة على من يصل إليه، ويطّلع على أفعاله، ويستطيع نصحه دون مضرة أو مفسدة.

والولاة هم أحوج الناس إلى النصيحة الصادقة والخالصة والهادفة؛ لما يَلُونَ من المهام الجسام، والمسائل العظام، وغني عن القول: أنهم غير معصومين، وأنهم بشر يصيبون ويخطئون، وتقع عليهم أحوال البشر من: الخطأ، والنسيان، والجهل ببعض المسائل، والهموم والأحزان وغيرها.

ولا يزال الولاة في حاجة إلى نصيحة المخلصين، وإرشاد المتقين، ونصيحتهم بالطريقة الشرعية وفق هدي السلف الصالح، ويجب على الناصح أن يتحلى بالإخلاص والتعقل، والرفق واللين، والتفنن في أسلوب النصيحة وطريقة عرضها؛ لتحصل النتيجة المرجوة بعون من الله وتيسير (١).

ونصيحة الولاة لا يقوم بها كل أحد، وإنما تقع على عاتق العلماء الربانيين المتمكنين، وعلى أهل الحل والعقد من المقربين من الوالي، وكل من يرى أن الوالي يقبل منه، وتكون بالأسلوب الأنسب، والطريقة الأوفق، قبولاً ورفقًا ولينًا، وبعدًا عن الإخشان والتشديد، ولا يكون فيها إعلانٌ أو تشهير. فليس من منهج أهل السنة والجماعة نصيحة الولاة على أعواد المنابر، أو عبر الوسائل العامّة، فإن ذلك مسلك خاطئ؛ لما يترتب عليه من الآثار السلبية على الدعوة والدعاة والمجتمع كله.

فالمسؤولية الكبرى، والواجب الأعظم في القيام بواجب النصيحة للوالي يقع على

---

(١) انظر: فقه السياسة الشرعية، ٢٠٥.

عاتق علماء الأمة، ودعاتها المخلصين، وهو من أعظم حقوق ولاة أمور المسلمين على الرعية، ومن النصح الواجب لهم، الذي أمر به الإسلام وحث عليه [١]. فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: ((الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)) [٢]، والنصوص والآثار في هذا الباب كثيرة.

قال ابن بطال رحمه الله: "والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقين، والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه. وأما إن خشي الأذى فهو في سعة منها" [٣].

وقال النووي رحمه الله مبينًا معنى النصيحة لولاة الأمور: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم"[٤].

وقال أبو سليمان الخطّابي رحمه الله: "ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يُغَرُّوا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح".

قال النووي رحمه الله: "وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين: الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور، وحكاه أيضا الخطَّابي"[٥].

وقال ابن مفلح رحمه الله: "ولا ينكر أحد على سلطانٍ إلا وعظًا له وتخويفًا، أو تحذيرًا

---

(١) انظر: الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم، في باب: بيان أن الدين النصيحة، ٥٥.

(٣) شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطال القرطبي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ١/ ١٢٩، ط ٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٣٨/٢، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـ.

(٥) المرجع السابق، ٣٨/٢-٣٩.

من العاقبة في الدنيا والآخرة، فإنه يجب، ويحرم بغير ذلك. ذكره القاضي وغيره.

والمراد: ولم يخف منه بالتخويف والتحذير، وإلا سقط وكان حكم ذلك كغيره"(١).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين: التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يُحرِّكُ فتنة يتعدّى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء. قال: والذي أراه المنع من ذلك... قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يتعرض للسلطان فإن سيفه مسلول وعصاه "(٢).

وقال ابن النحَّاس رحمه الله: "ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد، بل يَوَدُّ لو كلَّمه سرًا، ونصحه خفية من غير ثالث لهما"(٣).

وما ذكره ابن النحاس رحمه الله هو المتقرر في نصيحة الولاة عند أهل السنة، قال الشوكاني رحمه الله: "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل -كما ورد في الحديث- يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة، ولا يُذل سلطان الله"(٤).

فهذا هو السبيل الأرشد والمتبع في نصيحة الوالي والإنكار عليه، بأن تكون النصيحة سرًا، والإنكار سرًا، ويكون كل ذلك بألطف عبارة، وأجمل إشارة، وتكون تلميحًا دون تصريح أو تجريح، فإن ذلك لم يشرعه الله في حق أطغى الطغاة، من قال: أنا ربكم الأعلى!!، وقال: ما علمتُ لكم من إله غيري!!، فقد قال لموسى وهارون عندما بعثهما

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: إياد بن عبداللطيف القيسي، ١٧١، ط بيت الأفكار الدولية.

(٢) المرجع السابق، ١٧٢.

(٣) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، محيي الدين أبو زكريا النحاس، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، ٧٦، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م.

(٤) السيل الجرار، ٩٦٥، محمد علي الشوكاني، ط/١، دار ابن حزم.

إلى فرعون: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾، (سورة طه:٤٣-٤٤). فأمرهما بلطف القول ولينه أثناء وعظهما ودعوتهما لفرعون؛ مع أنه طاغٍ متجبر!، كافر بالله منكر لعبوديته!، مدعٍ للألوهية!!، مصر على كفره وجحوده، واستعباده للخلق من دون الله!!.

وهذا الأسلوب القرآني الحكيم في مخاطبة المدعو، هو ما يجب أن يسلكه الدعاة والناصحون في مخاطبة المدعوين عمومًا، ومخاطبة الولاة خصوصًا؛ لما للولاة من المكانة والجاه، والسطوة والقدرة؛ ولما يُتوقع منهم من الأنفة والنفور وعدم القبول ممن لا يُحسن عرض النصيحة في قالب حسن جميل تقبله النفوس وتأنس به.

ومما يجب التنبيه عليه: "أنه ينبغي أن يراعى عند إرادة نصح ولاة أمور المسلمين من الملوك والرؤساء وغيرهم، الأوقات المناسبة، والأساليب الحسنة، فيذكرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، بأدب ولطف، ورفق ولين، وأن يراعى في ذلك مكانتهم في الأمة، وعلو قدرهم فيها، حتى لا تنتهك حرمتهم، ولا يُنتقص من قدرهم، فإن ذلك أحرى بالقبول، وحصول المقصود"(١).

قال سفيان الثوري رحمه الله: "لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر وينهى، رفيق بما يأمر وينهى، عدل" (٢).

وروى أبو محمد الخلال عن أسامة بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا: "لا ينبغي لأحد أن يأمر بالمعروف حتى يكون فيه ثلاث خصال: عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهى، رفيقًا فيما يأمر،

(١) الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، ٦٦.

(٢) شرح السنة، البغوي، ١٠/٥٤.

رفيقًا فيما ينهى" (١).

فهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة الولاة، وهو وسط بين طائفتين ضالتين:

"إحداهما: الخوارج والمعتزلة الذين يرون الخروج على السلطان إذا فعل منكرًا.

والأخرى: الباطنية الذين أضفوا على حكّامهم قداسة، حتى بلغوا بهم مرتبة العصمة"(٢). فأهل السنة يرون وجوب النصيحة للوالي، وإنكار المنكرات التي تقع من الولاة، ولكنهم يلتزمون بالضوابط الشرعية التي وردت في السنة المطهرة، وكان عليها السلف الصالح، "ومن أهم ذلك وأعظمه قدرًا أن يناصح ولاة الأمر سرًا فيما صدر عنهم من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر، وفي مجامع الناس؛ لما ينجم عن ذلك – غالبًا – من تأليب العامّة، وإثارة الرعاع، وإشعال الفتن" (٣).

يقول العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر ; لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع.

ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يُوَجَّهَ إلى الخير"(٤).

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان، قال بعض الناس لأسامة ابن زيد ألا تكلم عثمان وتناصحه فيما يقوله الناس من التهم التي يتهمونه بها؟، فأخبرهم أنه يناصح عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سرًا بينه وبينه، وأنه لا يحب أن يفتح باب فتنةٍ بالمجاهرة بالإنكار على الوالي. ففي

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ١٨٨. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو يعلى الحنبلي تحقيق: محمد الأمين مصطفى، ١٠٨-١٠٩، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(٢) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، ١١٠.

(٣) المرجع السابق، ١١١.

(٤) مجموع فتاوى الشيخ، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، ٨/ ٢١٠.

الصحيحين عن أبي وائل، قال: قيل لأسامة لو أتيت فلانًا – عثمان رضي الله عنه – فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أُسْمِعُكُمْ، إني أُكَلِّمُه في السر دون أن أفتح بابًا لا أكون أَوَّلَ مَن فَتَحَهُ "، هذا لفظ البخاري.

وفي رواية مسلم: فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أُسْمِعُكُمْ؟، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أَوَلَ مَنْ فَتَحَهُ [1].

قال القاضي عياض رحمه الله: "مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام؛ لما يخشى من عاقبة ذلك. بل يتلطف به وينصحه سرًا، فذلك أجدر بالقبول"[2].

وقال القرطبي رحمه الله: "يعني: أنه كان يجتنب كلامه بحضرة الناس، ويكلمه إذا خلا به، وهكذا يجب أن يعاتب الكبراء والرؤساء، يعظمون في الملأ إبقاءً لحرمتهم، وينصحون في الخلاء أداءً لما يجب من نصحهم... وقوله: ((والله لقد كلمته فيما بيني وبينه)) يعني: أنه كلمه مشافهة، كلام لطف، لأنَّه أتقى ما يكون عن المجاهرة بالإنكار والقيام على الأئمة؛ لعظيم ما يطرأ بسبب ذلك من الفتن والمفاسد"[3].

وقد بيَّن العلماء الأجلاء خطورة الإنكار العلني على الولاة وما يترتب على ذلك من الفتن المفاسد، وفي هذا يقول عدد من أئمة الدعوة السلفية [4] رحمهم الله: "وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات، التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام، فالواجب فيها: مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح،

---

(١) صحيح البخاري، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، ٤/١٢١ برقم (٣٢٦٧). ومسلم في باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، ٤/٢٢٩٠، برقم (٢٩٨٩).

(٢) فتح الباري، أحمد بن حجر العسقلاني، ١٣/٥٢، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) المفهم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، ٦/٦١٩، ط/١، دار ابن كثير، والكلم الطيب، دمشق: ١٤١٧ هـ /١٩٩٦ م.

(٤) وهم: الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ عُمَر بن سَليم، والشيخ عبدالله العنقري. انظر: معاملة الحكام، ١١٢-١١٣.

من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس"(١).

وقد بينوا أن من اعتقد أن الإنكار على الولاة علنًا هو من إنكار المنكر الواجب على الناس إنكاره فقد وقع في غلط فاحش، وجهل ظاهر، فقالوا: "واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نوَّر الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح، وأئمة الدين"(٢).

ويقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأنكروا على عثمان علنًا عظمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما بأسباب ذلك، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذِكْرِ العيوب علنًا، حتى أبغض الكثيرون من الناس وَلِيَّ أمرهم وقتلوه "(٣).

وعن عياض بن غنم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: ((من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْدِهِ علانيةً – يعني: النصح –، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قَبِلَ منه فذاك، وإلا كان قد أَدَّى الذي عليه)) (٤).

"وهذا الحديث أصل في إخفاء نصيحة السلطان، وأن الناصح إذا قام بالنصح على

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٢/١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ١٢/١٢٠.

(٣) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٦. ومجموع فتاوى ابن باز، ٨/ ٢١١.

(٤) مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ٢٤/٤٩، برقم (١٥٣٣٣)، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م. وكتاب السنة لابن أبي عاصم، ٢/ ٥٢١، برقم (١٠٩٦)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ. وقال الألباني: فالحديث صحيح بمجموع طرقه.

هذا الوجه، فقد برئ، وخلت ذمته من التبعة "(١)، وفيه فوائد ومسائل يجب أن يعقلها الدعاة والناصحون فيما يتعلق بنصيحة الوالي، منها:

أولاً: السرية التامة في مناصحة الوالي.

ثانيًا: براءة ذمّة الداعية، أو المحتسب، أو الناصح إذا أدى النصيحة على الوجه الذي بيّنه الرسول ﷺ في هذا الحديث.

ثالثًا: من خالف التوجيه النبوي في طريقة نصح الولاة (٢)، فقد خالف هدي المصطفى ﷺ الذي وَجَّهَ به الأمة في هذه المسألة الخطيرة، وقد خالف علماء الأمة الذين تلقوا التوجيه النبوي بالسمع والطاعة، والامتثال التام، والقبول الصادق له، وبيَّنوا خطورة مخالفة هذا المسلك الحكيم في نصح الوالي إذا حصل منه خطأٌ، أو منكر، أو ما شابه ذلك.

وبهذا نعلم أن مناصحة الوالي سرًا، وعدم التشهير به من الحقوق الواجبة للوالي على رعيته، يقوم بها من هو لذلك أهل: ديانة وفقهًا ومكانة، يؤديها بالطريقة المثلى، والأسلوب الأنسب حالاً ومقالاً ومضمونًا.

---

(١) مفهوم الخروج على ولي الأمر في ضوء الكتاب والسنة ومنهج الصحابة والأئمة، والرد على أهل الأهواء والفتنة، د. محمد بن غيث، مقالات شبكة بينونة للعلوم الشرعية، ١٠.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل الجابرية في مسائل علمية وفق الكتاب والسنّة النبوية، عبيد بن عبدالله الجابري، ٣٤، ط/١، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

المبحث الرابع

موافقة الوالي وإعانته على الخير، ومفارقته في المنكرات

المقصود هنا بيان منهج أهل السنة في التعامل مع الوالي عندما يأمر بمعروف، وعندما يفعل منكرًا، أو يأمر به.

فمنهج أهل السنّة والجماعة واضح، وقائم على النصوص الشرعية التي تأمر بطاعة الوالي ونصرته في كل ما يأمر به مالم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، إنما الطاعة في المعروف.. ولكنهم لا ينزعون يدًا من طاعة الوالي في المعروف، ولا يشقون عصا الطاعة، ولا يفارقون الجماعة، ولا يُؤَلِّبُون على الوالي، ولا يَدْعُون عليه؛ وإنما يدعون اللهَ له بالصلاح والهداية والتوفيق لكل خير، ويناصحونه فيما يرونه منكرًا بقدر الوسع والطاقة بالأسلوب الأنسب، والطريقة المثلى دون إثارة أو تشهير.

فأهل السنّة والجماعة يوافقون الوالي ويتعاونون معه على البر والتقوى، وعلى فعل الخير وما فيه مصلحة للعباد والبلاد وإن كان ظالمًا فاجرًا؛ لأن هدفهم الوحيد تحصيل المنافع وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير، وترغيبه فيه، ودعوته إليه بكل وسيلة ممكنة، فيشاركون الولاة الظلمة في كل ما فيه خير ونفع وفائدة للأمة، ويفارقونهم في الشر والظلم والمنكرات (١).

وأهل السنة يرون أن ما يصدر عن الوالي المسلم له ثلاث صُوَر (٢):

الأولى: أن يأمر بما هو طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ فتجب طاعته في ذلك، وهي طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فبين- يعني: النبي ﷺ- أن أميره إنما تجب طاعته في المعروف الذي أمر الله به ورسوله لا في كل ما يأمر به"(٣).

والصورة الثانية: أن يكون ما يأمر به الوالي من موارد النزاع ومسارح الاجتهاد،

---

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها، ٨٥.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل الجابرية، ١٨- ١٩.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ٢/٢٣٤، ط/ ٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

فتجب طاعته فيه طاعة لله عز وجل ورسوله ﷺ، وجمعًا للكلمة، فإذا عزم ولي الأمر على أمر معين فيه خلاف بين أهل العلم، والأدلة محتملة متساوية، فالواجب أن يطاع ولا ينازع جمعًا لكلمة أهل الإسلام الذين تحت ولايته.

الصورة الثالثة: أن يكون ما أمر به الوالي معصية لله تعالى!، فهذا لا سمع له ولا طاعة، يقول إمام أهل السنّة في هذا العصر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "فطاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله... والواجب طاعتهم في المعروف، أما إذا أمروا بمعصية الله، سواء كان الآمر أميرًا، أو ملكًا، أو عالما، أو رئيس جمهورية، أو غير ذلك، فلا طاعة له في ذلك، كما قال الرسول ﷺ: ((إنما الطاعة في المعروف))"[1]. ولكن الواجب في هذه الحالة أمران:

الأول: بغض المعصية التي أمر بها الوالي وإنكارها بالقلب، وباللسان إن أَمِنَ من مفسدة تترتب على الإنكار باللسان.

والثاني: ألا يُذاع خطأ الوالي، ولا يُشْهَر غلطُهُ، ولا يُشَنَّع عليه في الملأ؛ لما يترتب على ذلك من المفاسد والفتن في الدنيا والدين [2]، بل يُدعى له بالصلاح والهداية، وأن يُنَوِّرَ اللهُ بصيرته، ويهدي قلبه، ويُصلح حاله، وأن يُريه الحق حقًا

ويرزقه اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه.

كما يُدعى له أن يرزقه الله البطانة الصالحة الناصحة، التي تعينه على الخير وتدله عليه، وتذَكِّره إذا نسي، وتُنَبِّهُهُ إذا غفل.

وإذا توجهت القلوب إلى الله تعالى وتعلّقت به، وأخلصت وابتهلت، فإنه لطيف

---

(١) بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة، ٤، ط/٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٤هـ. والحديث أخرجه البخاري في باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ٦٣/٩، برقم (٧١٤٥)، ومسلم في باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ١٤٦٩/٣، برقم (١٨٤٠).

(٢) انظر: مجموعة الرسائل الجابرية، ١٩.

بعباده يجيب دعوة من دعاه، لا سيما من كان مضطرًا، ودعا لغيره بخير، والوالي أحق من دُعِيَ له بالخير والصلاح والاستقامة.

وفي هذه الصورة لا بد أن يُحْذَرَ ممن يُزَيِّنُ الخروج على الوالي بالكلام، ونشر المثالب والتشهير بأخطائه في المجالس!؛ "لأن هذا مسلك الخوارج القعدية الذين يُحرضون على ولاة الأمر في مواطن مختلفة... فهذا ليس مسلك أهل السنة والجماعة، بل هو مسلك الخوارج القعدية خاصة. وسمّوا قعدية؛ لأنهم قاعدون عن رفع السيف ويكتفون بالتحريض بالكلام" (١)، وهؤلاء وإن لم يدعوا إلى الخروج على الوالي؛ إلا أنهم قد يثيرون غيرهم ممن لا يقيس الأمور بميزان الشرع الحكيم، ولا يفقه ضوابط الاحتساب على المنكرات، ومراعاة المصالح والمفاسد المترتبة على إنكار المنكر.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والقعدية قوم من الخوارج كانوا يقولون بقولهم، ولا يرون الخروج بل يُزينونه" (٢).

وقال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القعدية: "فالقعدية قومٌ الخوارجُ كانوا يقولون بقولهم، ولا يرون بالخروج، بل يَدْعُونَ إلى آرائهم، ويُزينون مع ذلك الخروج ويُحَسِّنونه"(٣).

وخلاصة الأمر: أن الوالي إذا أمر بمعصية الله تعالى ودعا إلى ذلك، فإن ذلك فتنة لا يتصدى لها إلا علماء الشريعة الراسخون في العلم، فيناصحونه سرًا، ويعظونه سرًا، وينكرون عليه ما وقع فيه من منكر وفق الضوابط الشرعية، والآداب المرعية، مراعين في ذلك تحقيق المصالح، ودرء المفاسد، دون أن يثيروا في الأمة فتنة تجرُّ إلى مفاسد أكبر.

وأقرب مثال في هذا المقام ما حدث في عصر الإمام أحمد، فقد أَكْرَهَ الوالي الناسَ على القول بخلق القرآن، وامتحن العلماء فمن أجاب إلى القول بخلق القرآن أُطلق سراحه،

(١) مجموعة الرسائل الجابرية، ١٩-٢٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٣٢/١.

(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي، ٣٣٢/١، ط١ دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ.

ومن لم يجب إلى القول بخلق القرآن سجن وصُفِّد في الأغلال وعُذِّب!!، "وأهريقت دماء جم غفير من العلماء بسبب ذلك، وفُرض القول بخلق القرآن الكريم على الأمة، وقُرِّرَ ذلك في كتاتيب الصبيان إلى غير ذلك من الطامات والعظائم" [1].

فكان موقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله موقف العالم الصابر المحتسب، فلم يتوان عن قول الحق، بل صدع به، وتحمَّل تبعات ذلك: من السجن، والتصفيد في الأغلال والضرب الشديد، والتهديد بالقتل!.

وفي الوقت نفسه لم يُحَرِّض على ولي الأمر، ولم يأمر أتباعه بالخروج عليه، بل نهاهم عن ذلك، وحذَّرهم أشد التحذير من فتنة الخروج على الوالي، فعلى "الرغم من أنه ابتلي بتلك المحنة العظيمة – محنة القول بخلق القرآن – على يدي المأمون، فالمعتصم، فالواثق، إلا أنه لم يخرج عليهم بالسيف، ولا أذن لأحد بذلك" [2] فقد قال حنبل رحمه الله: "اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم، وفشا – يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك – ولا نرضى بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر، وقال: ليس هذا بصواب، هذا خلاف الآثار"[3].

فبالرغم مما كان يراه الإمام أحمد ويعلمه من ظلم الوالي، وإشهاره المنكر، وإكراهه الناس على فعله!، إلا أنه رجَّحَ "مصلحة الطاعة والجماعة، وحقن دماء المسلمين على

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ١٠/٥٥٩، ط/١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. ومعاملة الحكام، ٨.

(٢) المذهب الحنبلي: دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١/٣٦٥، ط/١، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ١٧١-١٧٢.

مصلحة المواجهة والخروج والثورة على الخليفة. وأن هذا الموقف إنما هو الالتزام بالوصية النبوية الغالية، والوقوف عند حدود ما دلت عليه الآثار، وما سنَّهُ رسول الله ﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمناصحة للخلفاء ولغيرهم على الوجه المشروع" (١).

فكان بموقفه هذا مثالاً للتقيد بالسنّة في التعامل مع الوالي عند ما يأمر بمعصية، فلم ينزعه الهوى، ولم تستثره عاطفة الغيرة والإنكار، بل ثبت على السنة وصبر، فكان يأمر بطاعة وليّ الأمر، ويجمع العامّة عليه، ويقف كالجبل الشامخ في وجه من أراد مخالفة المنهج النبوي، والسّير السّلفيّة، انسياقًا وراء العواطف المجرّدة عن قيود الكتاب والسنة، أو المذاهب الثوريّة الفاسدة (٢).

وقد سبق ذكر أقواله في السمع والطاعة للوالي في السر والعلانية، والمنشط والمكره والدعاء له بالتوفيق والتسديد والتأييد في الليل والنهار.

---

(١) المذهب الحنبلي: دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، ١/٣٦٥.

(٢) انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ١٠/٥٥٩

المبحث الخامس

الصبر على ظلم الوالي وجوره

الولاة صنفان: ولاة عدل، وولاة جور:

فأما ولاة العدل: فهم مبشـــرون بالجنة، وبالرفق من الله عز وجل، وهم أكثر الناس أجرًا، وأعلاهم منزلة، وأرفعهم قدرًا. وهم أنفع الناس عملاً في مصـــالح العباد، وحفظًا لدينهم من عادية كل منحرف ضالٍ يبغي في الأرض الفساد.

بركة عدلهم تعُم الرعية، خيرهم مأمول، وشرهم مأمون، وراية عدلهم مرفوعة يأوي إليها كل ضعيف ومظلوم، ويراها كل ظالم وباغٍ سيفًا عليه مسلول.

يقول العز بن عبدالســـلام رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأجر الإمام الأعظم أفضـــل من أجر المفتي والحاكم؛ لأن ما يجلبه من المصالح ويدرأه من المفاسد أتم وأعم.. [(١)]

ثم يُبين رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع المســـلمين على أن الوالي أعظم الناس أجرًا، وأجلُّهم قدرًا إذا عدل، فيقول: "وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجرًا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام، لأنهم يقومون بجلب كل صالح كامل، ودرء كل فاسد شامل. فإذا أمر الإمام بجلب المصالح العامة ودرء المفاسد العامة، كان له أجر بحسب ما دعا إليه من المصالح العامة، وزجر عنه من المفاسد ولو كان ذلك بكلمة واحدة لأجر عليها بعدد متعلقاتها "[(٢)].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ أيضـا: "وأجمع المسـلمون على أن الولايات من أفضـل الطاعات، فإن الولاة المقســـطين أعظم أجرًا وأجلُّ قدرًا من غيرهم، لكثرة ما يجري على أيديهم من إقامة

---

(١) قواعد الأحكام في مصـالح الأنام، عز الدين بن عبد السـلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف، ١/١٤٢، ط مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ١٤١٤ هـ.

(٢) المرجع السابق، ١/١٤٣.

الحق ودرء الباطل، فإن أحدهم يقول الكلمة الواحدة فيدفع بها مائة ألف مظلمة فما دونها، أو يجلب بها مائة ألف مصلحة فما دونها، فيا له من كلام يسير وأجر كبير"(١).

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل...)) (٢)، فالإمام العادل أول المبشرين بهذه البشرى العظيمة من الأصناف السبعة المذكور في الحديث، يقول ابن حجر رحمه الله: "والمراد به صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين فعدل فيه... وأحسن ما فسر به العادل: أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط، وقدمه في الذكر لعموم النفع به "(٣).

ويقول ابن رجب رحمه الله: "وأول السبعة: الإمام العادل: وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن؛ وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإن الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين. وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صَلُحَ صلحت الرعية كلها. وقد رُوي أنه ظل الله في الأرض؛ لأن الخلق كلهم يستظلون بظله، فإذا عدل فيهم أظله الله في ظله"(٤). وقد أخرج الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل،

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف ، ١٤٢/١.

(٢) أخرجه البخاري في باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ١/ ١٣٣، برقم (٦٦٠). ومسلم في باب: فضل إخفاء الصدقة، ٧١٥/٢، برقم (١٠٣١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ١٤٤/٢-١٤٥.

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن ابن شهاب الدين ابن رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله، ط/٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢هـ ٥٩/٤.

وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا » [1]، "فالعدل واجب في كل شيء لكنه في حق ولاة الأمور أَوكد وأولى وأعظم؛ لأن الظلم إذا وقع من ولاة الأمور حصلت الفوضى والكراهة لهم حيث لم يعدلوا...))[2]، وقيام الوالي بالعدل في الرعية، والرفق بهم، ومراعاة مصالحهم هو حسنة كبرى لا يدانيه في ذلك أحد من الناس.

وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتُصَلُّوْنَ عليهم ويُصَلُّوْنَ عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة)) [3].

ففي هذا الحديث الثناء على أئمة العدل، وبيان مكانتهم عند الله، وعند الناس، وبيان أن خيرهم يتعدى نفعه، ويعم فضله، فتصلح الرعية، وتسود المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية. وفيه بيان ضرر أئمة الظلم والجور، وما يتسببون به من الشر والفساد.

وفي الحديث بيان طريقة التعامل مع شرور الوالي وظلمه، والتأكيد على التفريق بين كُرْهِ المعصية، ونزع اليد من الطاعة ومنابذة الوالي والخروج عليه.

فَكُرْهُ المعصية واجب على كل مسلم، فلا يجوز لمسلم الرضا بالمعصية أو قبولها؛ لأن من فعلها أو أمر بها حاكم، أو عالم، أو أمير، أو كبير، أو غيره.

وأما نزع اليد من الطاعة ومنابذة الوالي والخروج عليه فحرام تحريمًا مشدّدًا؛ ما لم يقع منه كفر بواح لا خلاف فيه، ببرهان من الله صريح وواضح.

يقول القرطبي رحمه الله في شرح الحديث: "أي: تدعون لهم في المعونة على القيام بالحق

---

(١) صحيح مسلم، ١٤٥٨/٣، برقم (١٨٢٧).

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، ٧٠٥/١، ط دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

(٣) كتاب الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم، ١٤٨٢/٣، برقم (١٨٥٥).

والعدل، ويدعون لكم في الهداية والإرشـاد وإعانتكم على الخير، وكل فريق يُحب الآخر لما بينهم من المواصـلة، والتراحم، والشـفقة، والقيام بالحقوق كما كان ذلك في زمن الخلفاء الأربعة، وفي زمان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، ونقيض ذلك في الشـرار لترك كل فريق منهما القيام بما يجب عليه من الحقوق للآخر؛ ولاتّباع الأهواء، والجَورِ والبُخل والإسـاءة، فينشأ عن ذلك التباغض والتَّلاعن، وسائر المفاسد"(١).

ويقول الشـيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "يعني ولاة الأمور سـواء أكان الإمام الكبير في البلد، وهو السلطان الأعلى أم كان من دونه.

هؤلاء الأئمة الذين هم ولاة أمورنا ينقسـمون إلى قسـمين: قسـم نحبهم ويحبوننا..؛ لأنهم يقومون بما أوجب الله عليهم من النصـيحة لمن ولاَّهُم الله عليه... فهؤلاء الأئمة الذين قاموا بما يجب عليهم محبوبون لدى رعيتهم... تدعون لهم ويدعون لكم. تدعون لهم بأن يهديهم الله ويصلح بطانتهم، ويوفقهم للعدل إلى غير ذلك من الدعاء الذي يُدعى به للسـلطان، وهم يدعون لكم: اللهم أصـلح رعيتنا، اللهم اجعلهم قائمين بأمرك وما أشـبه ذلك.

أما شـرار الأئمة: فهم ((الذين تبغضونهم ويبغضونكم)) تكرهونهم؛ لأنهم لم يقوموا بما يجب عليهم من النصـيحة للرعية، وإعطاء الحقوق إلى أهلها، وإذا فعلوا ذلك فإن الناس يبغضونهم، فتحصل البغضاء من هؤلاء وهؤلاء؛ تحصل البغضاء من الرعية للرعاة؛ لأنهم لم يقوموا بواجبهم، ثم تحصل البغضاء من الرعاة للرعية؛ لأن الرعية إذا أبغضت الوالي تمردت عليه وكرهته، ولم تطع أوامره ولم تتجنب ما نهى عنه، وحينئذ ((تلعنونهم ويلعنونكم)) والعياذ بالله؛ يعني يسـبونكم وتسـبونهم، أو يدعون عليكم باللعنة وتدعون عليهم

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤/٦٥.

باللعنة"(١).

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: ((ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: « لا، ما صلوا »، وفي رواية: "إنه يُستعمل عليكم أمراء، فَتَعْرِفُوْنَ وتُنْكِرُوْنَ، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع »، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟، قال: "لا، ما صلوا"، أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه)) (٢).

قال القرطبي رحمه الله: "قوله: ((ستكون أمراء فتَعرِفُون وتُنكِرُون))؛ أي: يعمل الأمراءُ أعمالاً منها ما تعرفون كونه معروفًا، ومنها ما تعرفون كونه منكرًا فتنكرونه.

وقوله: ((فمن عرف برئ))؛ أي: من عرف المنكر وكرهه بقلبه، بدليل الرواية الأخرى، فتُقَيَّدُ إحداهما بالأخرى؛ يعني: أنَّ مَن كان كذلك فقد برئ - أي تبرأ من فعل المنكر ومن فاعله. وقوله: ((ومن أنكر فقد سلم))؛ أي بقلبه، بدليل تقييده بذلك في الرواية الأخرى، أي: اعتقد الإنكار بقلبه وجزم عليه بحيث لو تمكن من إظهار الإنكار لأنكره، ومَن كان كذلك فقد سَلِم من مؤاخذة الله تعالى على الإقرار على المنكر... وقوله: ((ولكن مَن رضي وتابع))؛ أي: من رضي المنكر وتابع عليه، هو المؤاخذ والمعَاقَبُ عليه وإن لم يفعله"(٣).

إذن: الصنف الثاني من الولاة هم: ولاة الجور والظلم، فما هو واجب الرعية في التعامل معهم؟

الجواب بدقيق العبارة، وواضح الكلام، ودليل الشرع نصًا صريحًا، وتطبيقًا عمليًا من

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، ٣/٦٤٧- ٦٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا، ٣/١٤٨١، برقم (١٨٥٤).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤/٦٤.

سلف الأمة الصالح، وعلمائها الأتقياء، أهل العلم الراسخ، والفهم العميق، والديانة الصادقة، والبصيرة النافذة، هو: الصبر على ظلم الوالي وجوره، مع مناصحته سرًا، والإنكار عليه بالطرق الحكيمة ممن هو لذلك أهلٌ ولديه قدرة نفسية وعلمية، وأَمِنَ المفسدة والضرر والأذى على نفسه، وعلى غيره.

وهذا القول هو ما تؤيده دلائل الشريعة ومقاصدها، والأحاديث غير ما سبق كثيرة في هذا المعنى، فعن جنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به، سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا: ((أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله»، قال: "إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان)) (١).

وقال ﷺ: ((إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟، قال: "أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم)) (٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد.

وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث.

ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة

---

(١) أخرجه البخاري في باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها»، برقم (٧٠٥٥)، ومسلم في باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في باب: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» برقم (٧٠٥٢).

وترك قتالهم "[١].

وعن أبي الحارث قال: "ســـألت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل- في أمر كان حدث ببغداد، وهم قوم بالخروج، فقلت: "يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟، فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: سبحان الله، الدماء، الدماء، لا أرى ذلك، ولا آمر به، الصـــبر على ما نحن فيه خير من الفتنة، يُســـفك فيها الدماء، ويُســـتباح فيها الأموال، ويُنتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه؟، يعني أيام الفتنة، قلت: والناس اليوم، أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟. قال: وإن كان فإنما هي فتنة خاصـة، فإذا وقع السـيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل، الصبر على هذا، ويسلم لك دينك خير لك. ورأيته يُنكر الخروج على الأئمة، وقال: الدماء، لا أرى ذلك، ولا آمر به"[٢].

وقد ســـبق ذكر كلامه رحمه الله تعالى، وموقفه الواضـــح في منع وإنكار الخروج على الوالي مهما حصل منه من الظلم والجور في المبحث السابق، وسيأتي معنا في المبحث الآتي بعض الأقوال التي تُبين أن مفسدة الخروج على الإمام الجائر أعظم بكثير من أي مصلحة تُرجى في الخروج عليه.

ومما يجب على الأمة مع الصـــبر على ظلم الوالي وجوره: الإنكار القلبي، والتمســـك بالدين، والثبات على الحق، والابتهال إلى الله عز وجل ودعائه: أن يصلح

الراعي والرعية، وأن يبدل الحال إلى الأفضل، وأن يتهموا أنفسهم بالتقصير في جنب الله تعالى، وأن يُجددوا التوبة، ويُكثروا من الاسـتغفار، والتضـرع إلى الله بكشـف البلاء، ويُذَكِّرُوا الناس بقول الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الروم: ٤١]، يقول الشـوكاني

---

(١) منهاج السـنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشـاد سـالم، ٤/ ٢٢٩ -٥٣٠، ط/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

(٢) السنة، أبو بكر الخلال، ١٣٢/١.

رَحِمَهُ اللَّهُ: "والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه، سواء كان راجعًا إلى أفعال بني آدم من معاصيهم، واقترافهم السيئات، وتقاطعهم، وتظالمهم، وتقاتلهم، أو راجعًا إلى ما هو من جهة الله سبحانه وتعالى بسبب ذنوبهم: كالقحط، وكثرة الخوف، والموتان، ونقصان الذرائع، ونقصان الثمار... والباء في ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: للسببية، وما: إما موصولة أو مصدرية لِيُذِيقَهُم بعض الذي عملوا (اللام) متعلقة بظَهَرَ، وهي لام العلة، أي: لِيُذيقهم عقاب بعض عملهم، أو جزاء بعض عملهم، لعلهم يرجعون عما هم فيه من المعاصي، ويتوبون إلى الله" (١)،وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٠]. يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها" (٢).

ويقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم، وفيما يحبون ويكون عزيزًا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون"(٣).

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: "إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧٦] (٤).

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ٢٦٣/٤، ط/١، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق: ١٤١٤هـ.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥٣٨/٢١، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ٧٥٩، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

(٤) منهاج السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥٢٩/٤.

المبحث السادس

الإنكار على الطاعن في الوالي، وبيان المفاسد المترتبة على ذلك

من منهج أهل السنة والجماعة الإنكار على الطاعنين في الولاة، بل يعدّون الطاعن في الولاة من الخوارج، سواءً كان ذلك بالقول، وهو الطعن في الوالي، والتحريض والإثارة عليه، وإساءة الظن به.

أو بالفعل، كالقتال، والمظاهرات، والثورات!، والتفجيرات!!، وهذا أعنف الخروج وأشده ضررًا، وأعظمه فتنة، وأخطره آثارًا ومفاسد على المجتمع والأمة عامة.

أو بالاعتقاد، فلو اعتقد أنه يجوز الخروج على الوالي، أو يجب الخروج عليه بسبب ما وقع فيه الوالي من المعاصي والمنكرات التي هي دون الكفر المخرج من الملّة، فمن اعتقد ذلك في نفسه ولو لم يُشهر القول والفعل، فإن أهل السنّة يعدونه على مذهب ومعتقد الخوارج.

فمذهب الخوارج يبدأ بالطعن في الولاة، ويتسلسل في مراحل شديدة الخطورة على الدين، والفرد، والمجتمع كله، وهي:

أولاً: تكفير المسلمين، فهم يكفرون الوالي بالمعصية!، ثم يرون الخروج عليه!؛ لأنه أصبح كافرًا في معتقدهم!، ثم يكفرون من لم يوافقهم في تكفيره!!.

ثانيًا: الخروج عن طاعة الوالي ومنابذته بالسيف!!.

ثالثًا: استباحة دماء المسلمين بعد تكفيرهم!!.

فالطاعن في الولاة لا يخرج بالسيف إلا بعد أن يخرج بالكلام والمعتقد الذي انطوى عليه قلبه!، يقول الشيخ صالح الفوزان عن مذهب الخوارج: "حتى لو اعتقد بقلبه وما

تكلم وما عمل شيئًا، صار خارجيًا في عقيدته ورأيه الذي ما أفصح عنه[(١)]. وقد سئل فضيلته: هل الخروج على الأئمة يكون بالسيف فقط؟، أم يدخل في ذلك الطعن فيهم، وتحريض الناس على منابذتهم والتظاهر ضدّهم؟.

فأجاب: "الخروج على الأئمة يكون بالسيف وهذا أشد الخروج، ويكون بالكلام، بسبهم وشتمهم والكلام فيهم في المجالس وعلى المنابر، هذا يهيج الناس، ويحثهم على الخروج على ولي الأمر، وينقص قدر الولاة عندهم، فالكلام فيه خروج... وكذلك إذا سبَّه - أي: سبَّ الوالي - هذا مذهب الخوارج، هم الذين يسبّون الأئمة ويتكلمون فيهم، ويهيجون الناس عليهم، هذا مذهب الخوارج [(٢)].

فأهل السنّة والجماعة يشددون في الإنكار على من يطعن في الولاة، أو يخرج عليهم، ولا يبررون فعله مهما كان خطأ الوالي وظلمه، فقد أورد الآجري رحمه الله تعالى الأثر الذي رواه سويد بن غفلة عن عمر رضي الله عنه قال: ((لا أدري لعلك أن تُخَلَّفَ بعدي فأطع الإمام، وإن أُمِّر عليك عبد حبشي مجدع، وإن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر ينقصك في دنياك فقل: سمعًا وطاعة، دمي دون ديني »، ثم قال مفسرًا المعنى: "يحتمل والله أعلم أن نقول: من أُمِّر عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو عجمي، فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقا لك، أو ضربك ظلما لك، أو انتهك عرضك، أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه))[(٣)].

فأثر عمر رضي الله عنه، وتوضيح الآجري رحمه الله، وما سبق ذكره من كلام العلامة صالح

---

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمَّة، أ. د. صالح الفوزان، الجمع والإعداد: محمد بن فهد الحصين، ٩/١، ط/٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) الإجابات المهمة في المشاكل الملمَّة، أ. د. صالح الفوزان، الجمع والإعداد: محمد بن فهد الحصين ٣١/١.

(٣) الشريعة، محمد بن الحسين الآجُرّيُّ، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، ١/ ٣٨١، ط/٢، دار الوطن، الرياض ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩ م. وقد بيّن رحمه الله في تتمة كلامه: أنه لا يجوز طاعة الوالي في معصية الله، ولو هدد بقتل

الفوزان حفظه الله – وغيره من العلماء –، ما هو إلا دليل واضح على منهج أهل السنة والجماعة في الإنكار على الطاعنين في الولاة، فضلاً عمن يرى الخروج ويُعلنه ويدعو إليه!.

ويمكننا أن نُعرف الطعن في هذا المقام بأنه: القول المسيء لمقام الوالي، والمثير للفتنة والبلبلة في المجتمع سواءً كان ذلك بنشر العيوب والمثالب وتضخيمها، أو بإثارة الناس وتأليبهم على عدم السمع والطاعة له، بدعوى الإهمال والتقصير منه، أو الجور والظلم، والاستئثار، والاستبداد، وغير ذلك مما يُطعن به في الولاة.

ولا يخفى أن الأقوال تتحول إلى أفعال في الغالب، فالطعن بالقول يُسبب إثارة الناس، ومع تصاعد الإثارة وانتشار عدم الثقة بالوالي، وإساءة الظن به، تكون النتائج وخيمة على الأمة والمجتمع، فقد يصل الأمر إلى:

- نزع اليد من الطاعة.
- ومفارقة الجماعة.
- والعصيان والتمرد والخروج على الوالي.

وينتج عن ذلك إذا حدث – لا قدّر الله – مفاسد كبرى، منها:

سفك الدماء، وقتل الأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم، وانتهاك الحرمات، وتدمير مقدرات الأمة وحضارتها، وضعف شوكتها، وطمع الأعداء فيها، وتمكّنهم منها؛ لأن الأعداء يتربصون بالأمة ضعفًا، أو فتنة تصيبها، أو اقتتالاً يُعْوِز الأطراف المتقاتلة إلى طلب النصرة والدعم منهم!!؛ لِيُنَفِّذُوا خططهم المرسومة، وليحققوا آمالهم المكتومة، ويبثُّوا سموم أفكارهم المذكية لنار الفتنة، والمطيلة لأمدها، والمبقية لسوء الظن والفهم لدى

من لا يفعل ما أمر به من المنكر والحرام، فيقول المسلم: « دمي دون ديني »، أي: أَصْبُرُ على القتل، ولا أفعل ما حرَّم الله تعالى.

الطرفين، وخاصة في هذا الزمن الذي أصبح التدخل في شؤون الأمة من قبل أعدائها يُفرض عليها فرضًا باسم حقوق الإنسان!، وباسم المنظمات الدولية!، وقرارات مجلس الأمن!!... دون أن يكون للأطراف المتنازعة أدنى قدرة على الرفض أو الرد، أو عدم القبول لما يقرره أعداء الأمة الأقوياء الذين يصنعون الأحداث ويؤججونها، ثم يستثمرونها.. وإن وقعت فتنة في الأمة دون أن يصنعها الأعداء فإنهم يُذْكون نارها، ويُوَجِّهُونَ بوصلتها، ويلعبون على متناقضات الأطراف لينهكوا كلا الطرفين؛ ليتحقق لهم بذلك التسليم والاستسلام لفرض إرادة أعداء الأمة عليها دون أي إمكانية للمقاومة، وما قصة ملك الروم مع معاوية أيام الفتنة مع علي رضي الله عنهما عنا ببعيد، فقد استغل ملك الروم ذلك الخلاف الذي وقع بينهما، وطمع في ضم بعض الأراضي التي كان معاوية قد فتحها.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأَصْطَلِحَنَّ أنا وابن عمي عليك، ولأُخْرِجنَّك من جميع بلادك، ولأضَيِّقَنَّ عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة"(١).

ولا شك أن الأعداء في هذا الزمن أشدًا حرصًا، وأكثر طمعًا في السيطرة على الأمة، ونهب ثرواتها، وإضعاف قوتها، لا سيما بعد أن أصبح العالم كأنّه قرية واحدة، يمكن السيطرة عليه، والتحكم فيه: من خلف البحار والمحيطات عبر القنوات وشبكات التواصل، وأنظمة السيطرة والتحكم، وإن احتاج الأمر إلى تحريك الأساطيل، وأسراب الطائرات، واستخدام أفتك الأسلحة، وأضخم القوات برًا وبحرًا وجوًا، فلن تتردد القوى

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٨/ ١٢٨.

الكبرى المتَوَثِّبَة من الانقضاض على أي فريسة يحين يومها!!.

فالطعن في الولاة والخروج عليهم لا يأتي بخير أبدًا، وإنما يأتي بالشر والفتنة والاقتتال، وقد عُلِم ذلك بالآثار الثابتة، والأقوال الموَثَّقَة، والأحداث المؤْلِمَة التي مرت بها الأمة في تاريخها قديمًا وحديثًا من مقتل الخليفة الثالث عثمان، ثم الخليفة الرابع علي رضي الله عنهما إلى عصرنا هذا، الذي رأينا فيه من مفاسد الثورات والخروج على الولاة، وأهوال المصائب المترتبة على ذلك ما لا يمكن وصفه ولا تسطيره!، كما لا يمكن تدارك أضراره وآثاره على مستوى الأقطار والأمصار كل قطر على حدة، أو على مستوى الأمة كافة!!، ولا يمكن المقارنة بين الحال قبل الثورات وبعدها مهما كان فساد الحاكم الذي قامت عليه الثورة!!، فإن الثورة والخروج على الوالي لا ينتج عنه إلا المفاسد العظيمة! التي لا يعلم مداها قدرًا وزمانًا ومآلاً إلا الله عز وجل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يُبين منهج أهل السنّة في مسألة الخروج على الوالي: "ويعلمون أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بصلاح العباد في المعاش والمعاد، وأنه أمر بالصلاح ونهى عن الفساد، فإذا كان الفعل فيه صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده رجحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه رجحوا تركه. فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. فإذا تولى خليفة من الخلفاء... فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يُوَلَّى غيره كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأي فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته (١).

ويقول رحمه الله: "ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ; لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل

(١) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤/ ٢٢٧ -٥٢٨.

بظلمهم بدون قتال ولا فتنة... ولعلَّه لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته"(١).

وقد أجمع علماء الأمة وعقلاؤها على أن مفسدة الطعن في الوالي والخروج عليه أعظم من مصلحة ذلك، إذا قيل إن في ذلك مصلحة ما!.

يقول ابن القيّم رحمه الله: "النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر..."(٢).

إلى أن يقول رحمه الله: "ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فَطَلَبَ إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه... ولهذا لم يأذن - النبي ﷺ - في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه "(٣). " وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تَوَلَّدَ على فعله من الشر أعظم مما تَوَلَّدَ من الخير... وغاية هؤلاء إما أن يَغْلِبُوا وإما أن يُغْلَبُوْا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة... فلا أقاموا دِيْنًا ولا أَبْقَوْا دُنْيا "(٤).

ويقول أبو جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى، وهو يُبين ما يعتقده أهل السنة في التعامل مع الولاة وإن حصل منهم جور أو ظلم: " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله

(١) المرجع السابق، ٣/٣٩١.
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، ٣/١٢، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ /١٩٩١م.
(٣) المرجع السابق، ٣/١٢.
(٤) منهاج السنة، ٤/٥٢٨.

عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة "[(١)].

وقد عَلِمَ كل من له بصيرة يرى بها الأمور على حقيقتها أن الطعن في الولاة، والثورة عليهم، لا يقوم بها ولا يؤججها إلا أصحاب الأهواء والأطماع الدنيوية، ممن يخالفون منهج أهل السنّة والجماعة في طريقة التعامل مع الولاة بأصنافهم المختلفة.

فالطعن في الوالي المسلم والخروج عليه ليس إنكار منكر بطريقة مشروعة، بل هو إثارة فتنة، وفتح باب شر عظيم على المسلمين، وهو منكر أكبر من المنكر الذي يقع من الوالي.

فما يترتب على إنكار المنكر له أربع درجات:

الأولى: أن يزول المنكر، ويخلفه ضده من المعروف والخير والصلاح.

والثانية: أن يَقِلَّ المنكر وإن لم يَزُلْ بجملته.

والثالثة: أن يخلفه منكر مثله.

والرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ أي: منكر أكبر، وفساد أعظم مما كان.

يقول ابن القيّم رحمه الله: "فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة ""[(٢)]. فالطعن في الوالي والخروج عليه تكون نتيجته منكر أكبر وفساد أعظم، فيكون محرمًا تحريمًا مشدّدًا.

فهل يَعْقِلُ هذا من يطعنون في ولاة أمور المسلمين؟!، ويثيرون الفتن في المجتمعات الإسلامية؟!!.

وهل يعتقدون أنهم سيقيمون دولة الإسلام على جماجم الموحدين!!، وبإثارة الفتنة بين ظهراني المسلمين، وفي عقر دارهم؟!!.

سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم، وجهل كبير، وضلال مبين.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، ٥٨٣-٥٨٥، ط/٣، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٣/١٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده على جزيل فضله، وعظيم تيسيره، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، وقدوة للعاملين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد، ففي ختام هذا البحث أود أن أذكر أهم النتائج والتوصيات التي أسأل الله أن ينفع بها.

أولا: أهم النتائج:

١. المقصود بالمنهج في البحث، هو: الهَدْيُ المتَّبَعُ، والسنّةُ المأثورةُ، والطريقة المرسومة التي انتهجها السلف الصالح في التعامل مع الولاة.

٢. التعامل مع الولاة يكون بإحدى طريقتين: الأولى: الطريقة الشرعية، وهي طريقة السلف، وهي منهج أهل السنة والجماعة الذي ساروا عليه... والثانية: طريقة المبتدعة وأهل الأهواء... فالأولى: واجبة وجوبًا مؤكدًا، والثانية: محرمة تحريمًا مشدَّدًا.

٣. المقصود بالوالي في هذا البحث هو: من يتولَّى شؤون الرعية، ويُدَبِّرُ أُمورها، ممن ثَبَتَتْ له الوِلاية بطريق معتبر عند أهل السنّة والجماعة.

٤. يتميز أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاة عن غيرهم من الفرق الأخرى، وما ذاك إلا لتميز منهجهم عن مناهج أهل الأهواء والبدع بمميزات واضحة وجلية، من أهمها: الصدق، والوضوح، والثبات، والعدل، والوسطية، والحكمة في معالجة ما يصدر من الولاة.

٥. يجب على الرعية توقير الوالي وطاعته، واحترامه وتبجيله، وعدم سبّه أو انتقاصه أو الحط من قدره، وكل هذا واجب شرعًا، وفيه مصالح دينية ودنيوية... فطاعة الوالي وتعظيمه وتوقيره هو ما كان عليه سلف الأمة الصالح، وهو منهج واضح ومتبع عند أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا؛ لأنه المنهج الحق، فهم يتعاملون مع الوالي

على وفق ما جاء في نصوص الشرع.

٦. من منهج أهل السنة والجماعة الدعاء للولاة بالصلاح في أمورهم الخاصة والعامة، والسداد في أقوالهم وأفعالهم، والاستقامة والمعافاة، وبصلاح البطانة والحاشية والجلساء، ويرون أن الوالي أحق الناس بإخلاص الدعاء له؛ لأن صلاح الوالي وسداد أقواله وأفعاله مصلحة كبرى، يتعدى نفعها، ويعمُّ خيرها البلاد والعباد، فبصلاح الوالي تصلح الرعية، ويعم النفع والفائدة سائر ولايته. وهم يزيدون على الدعاء للوالي، والحض عليه، وتعليم الناس ذلك، بالإنكار على من لا يدعو للوالي، فضلاً عمن يدعو على الوالي!، فإنهم يبدعونه ويرونه صاحب هوى، مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

٧. الولاة هم أحوج الناس إلى النصيحة الصادقة والخالصة والهادفة؛ لما يَلُونَ من المهام الجسام، والمسائل العظام... ونصيحة الولاة لا يقوم بها كل أحد، وإنما تقع على عاتق العلماء الربانيين المتمكنين، وعلى أهل الحل والعقد من المقربين من الوالي، وكل من يرى أن الوالي يقبل منه، وتكون بالأسلوب الأنسب، والطريقة الأوفق، قبولاً ورفقًا ولينًا، وبعدًا عن الإخشان والتشديد، ولا يكون فيها إعلانٌ أو تشهير.

٨. ليس من منهج أهل السنة والجماعة نصيحة الولاة على أعواد المنابر، أو عبر الوسائل العامّة، فإن ذلك مسلك خاطئ؛ لما يترتب عليه من الآثار السلبية على الدعوة والدعاة والمجتمع كله.

٩. السبيل الأرشد والمتبع في نصيحة الوالي والإنكار عليه، أن تكون النصيحة سرًا، والإنكار سرًا، ويكون كل ذلك بألطف عبارة، وأجمل إشارة، وتكون تلميحًا دون تصريح أو تجريح، فإن ذلك لم يشرعه الله في حق أطغى الطغاة من قال: أنا ربكم الأعلى!، وقال: ما علمتُ لكم من إله غيري!!.

١٠. أهل السنّة والجماعة يوافقون الوالي ويتعاونون معه على البر والتقوى، وعلى فعل

الخير وما فيه مصلحة للعباد والبلاد وإن كان ظالمًا فاجرًا؛ لأن هدفهم الوحيد تحصيل المنافع وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير، وترغيبه فيه، ودعوته إليه بكل وسيلة ممكنة، فيشاركون الولاة الظلمة في كل ما فيه خير ونفع وفائدة للأمة، ويفارقونهم في الشر والظلم والمنكرات.

١١. أهل السنة يوجبون طاعة الوالي إذا أَمَرَ بِأَمْرٍ فيه طاعة لله ورسوله، ويرون ذلك طاعة لله، وكذلك إذا أَمَرَ بأمر فيه خلاف بين أهل العلم فيرون طاعته.. أما إذا أمر بمعصية فيرون أنه لا سمع له ولا طاعة؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكنهم لا ينزعون يدًا من طاعة، ويطيعونه فيما سوى ذلك مما ليس معصية لله تعالى.

١٢. الولاة صنفان: ولاة عدل تجب طاعتهم وحبهم ونصرتهم، والدعاء لهم والثناء عليهم. وولاة جور، تجب طاعتهم أيضًا في غير معصية الله، والصبر على جورهم؛ لما في الخروج عليهم من المفاسد العظيمة التي هي أكبر بكثير من مفاسد جورهم وظلمهم، ويُدعى لهم بالصلاح والهداية، وقد يُبغضون لما فيهم من الجور والظلم، وفعل المنكرات، وقد يدعو المسلم في خاصته بزوال شرهم وظلمهم، ولكن لا يجوز الخروج عليهم ومنابذتهم بالسيف أبدًا.

١٣. يجب على الأمة مع الصبر على ظلم الوالي وجوره: الإنكار القلبي، والتمسك بالدين، والثبات على الحق، والابتهال إلى الله عز وجل ودعائه: أن يصلح الراعي والرعية، وأن يبدل الحال إلى الأفضل، وأن يتهموا أنفسهم بالتقصير في جنب الله تعالى، وأن يُجدِّدُوا التوبة، ويُكثروا من الاستغفار، والتضرع إلى الله تعالى بكشف البلاء.

١٤. من منهج أهل السنة والجماعة الإنكار على الطاعنين في الولاة، بل يعدّون الطاعن في الولاة من الخوارج، سواءً كان ذلك بالقول، أو بالفعل، أو بالاعتقاد... فهم يشددون في الإنكار على من يطعن في الولاة، أو يخرج عليهم، ولا يبررون فعله

مهما كان خطأ الوالي وظلمه.

١٥. الطعن في الولاة تكون له نتائج وخيمة على الأمة والمجتمع، فقد يصل الأمر إلى: نزع اليد من الطاعة، ومفارقة الجماعة، والعصيان والتمرد والخروج على الوالي.

١٦. من أعظم المفاسد المترتبة على الطعن في الولاة والخروج عليهم: سفك الدماء، وقتل الأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم، وانتهاك الحرمات، وتدمير مقدرات الأمة وحضارتها، وضعف شوكتها، وطمع الأعداء فيها، وتمكّنهم منها... والأعداء في هذا الزمن أشدًا حرصًا، وأكثر طمعًا في السيطرة على الأمة، ونهب ثرواتها، وإضعاف قوتها، لا سيما بعد أن أصبح العالم كأنّه قرية واحدة، يمكن السيطرة عليه، والتحكم فيه.

١٧. الطعن في الولاة والخروج عليهم لا يأتي بخير أبدًا، وإنما يأتي بالشر والفتنة والاقتتال، وقد عُلِم ذلك بالآثار الثابتة، والأقوال الموَثَّقَة، والأحداث المؤْلِمَة التي مرت بها الأمة في تاريخها قديمًا وحديثًا.

١٨. قد عَلِمَ كل من له بصيرة يرى بها الأمور على حقيقتها أن الطعن في الولاة، والثورة عليهم، لا يقوم بها ولا يؤججها إلا أصحاب الأهواء والأطماع الدنيوية، ممن يخالفون منهج أهل السنّة والجماعة في طريقة التعامل مع الولاة بأصنافهم المختلفة.

فالطعن في الوالي المسلم والخروج عليه ليس إنكار منكر بطريقة مشروعة، بل هو إثارة فتنة، وفتح باب شر عظيم على المسلمين، وهو منكر أكبر من المنكر الذي يقع من الوالي؛ لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة، فيكون محرمًا تحريمًا مشددًا.

ثانيًا: التوصيات:

١. فأوصي نفسي وإخواني المسلمين بتقوى الله تعالى، والتمسك بمنهج السلف الصالح، أهل السنّة والجماعة، ومن دعته نفسه لما يخالف منهجهم فعليه أن يتهم نفسه، وأن يسأل الله الثبات على الحق.

٢. أوصي ولاة أمور المسلمين بتقوى وطاعته وخشيته في السر والعلن، وأن يحكّموا شرع الله عز وجل ويتمسكوا بدينه بقدر الوسع والإمكان؛ لينالوا بذلك خَيْرَيْ الدنيا والآخرة، ففي الدنيا قد جعلهم الله أعلى الناس مكانة وقدرًا، وفي الآخرة ليكونوا تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين جلَّ في علاه.

وختامًا: أسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وموافقًا لسنة نبيه الأمين، وأن يجعله متقبلاً ومباركًا ونافعًا لي ولجميع المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإجابات المهمة في المشاكل الملمَّة، الشيخ صالح الفوزان، الجمع والإعداد: محمد بن فهد الحصين، ط/٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: إياد بن عبداللطيف بن إبراهيم القيسي، ط بيت الأفكار الدولية.

٤. الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيِّل، خرج نصوصه وأحاديثه، خالد بن قاسم الردّادي، ط/١، دار السلف للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ.

٥. الأصول الستة، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، قام بالصف والفهرسة أبو أيوب السليمان، ١٤٢٧هـ.

٦. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، أ. د. محمد الخميس، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٩هـ.

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩١م.

٨. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: خليل المنصور، ط دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. ذيب القحطاني، ط ١٤٠٩هـ.

١٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي يعلى الحنبلي تحقيق: محمد الأمين

مصطفى، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

١١. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٢. بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة وبيان ما يترتب على الإخلال بذلك، الشيخ عبد العزيز بن باز، ط/٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٤هـ.

١٣. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، ط دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

١٤. تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، ط/١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٥. تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، دراسة نقدية في ضوء عقيدة السلف، د. عفاف حسن مختار، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٦. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، محيي الدين أبو زكريا النحاس، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م.

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

١٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

١٩. الجامع المسند الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط/١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢٠. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي، دراسة وتحقيق: فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، ط

دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ط ٢، دار العاصمة، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٣. الدرة الغراء، محمود إبراهيم الخيربيتي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض.

٢٤. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لمجموعة من العلماء، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٥. الذخيرة، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٦. السنّة، أبو بكر الخَلاَّل، تحقيق: د. عطية الزهراني، ط/١، دار الراية، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢٧. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، ط/١، دار ابن حزم.

٢٨. شرح السنة، الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، ط/١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨هـ.

٢٩. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط٢ المكتب الإسلامي دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٠. شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣١. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: مجموعة من العلماء، ٣٧٩، ط ١، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٢. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطال القرطبي، تحقيق: ياسر بن

إبراهيم، ط ٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

٣٣. الشريعة، محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، ط/٢، دار الوطن، الرياض ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩ م.

٣٤. طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة، بيروت.

٣٥. عقيدة أهل السنة والجماعة، مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ط/١، دار ابن الجوزي ١٤٣٩هـ.

٣٦. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﵃، د. ناصر بن علي الشيخ، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٧. غاية المنّة على شرح السنة، تحقيق: جمعة بن صالح، ط/١، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع الهرم- الجيزة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣٨. الفتاوى السعدية، عبدالرحمن السعدي، ط/٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٩. فتح الباري، أحمد بن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٠. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن ابن شهاب الدين ابن رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله، ط/٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢هـ.

٤١. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط/١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق: ١٤١٤ هـ.

٤٢. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.

٤٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، للعلامة علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ط مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٤. فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة، د. خالد بن علي

العنبري ط دار المنهاج، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٤٥. قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. عبد الرزاق البدر، ط/٢، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، الرياض ١٤١٧هـ.
٤٦. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف، ط مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٤٧. كتاب السنة لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٤٨. لسان العرب، محمد بن منظور، ٣١٤/١، ط/١، دار صادر، بيروت.
٤٩. مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: د. محمد بن سعد الشويعر.
٥٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٥١. مجموعة الرسائل الجابرية في مسائل علمية وفق الكتاب والسنّة النبوية، عبيد بن عبدالله الجابري، ط/١، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٥٢. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٥٣. المذهب الحنبلي: دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٣ هـ.
٥٤. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٥٥. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/١، مؤسسة الرسالة،

١٤٢١هـ/٢٠٠١ م.

٥٦. المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج، تحقيق: فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٧. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/٢، المجلس العلمي بالهند، ١٤٠٣هـ.

٥٨. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالسلام بن برجس العبد الكريم، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

٥٩. المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنّة منها، عوَّاد بن عبدالله المعتق، ط٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٦٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار، ط/١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.

٦١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٢. المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أسئلة أجاب عليها العلامة عبدالعزيز بن بار، ط مؤسسة الشيخ الخيرية.

٦٣. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، ط/١، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٦٤. مفهوم الخروج على ولي الأمر في ضوء الكتاب والسنة ومنهج الصحابة والأئمة، والرد على أهل الأهواء والفتنة، د. محمد بن غيث، مقالات شبكة بينونة للعلوم الشرعية.

٦٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، ط/٣، دار فرانز شتايز بمدينة فيسبادن، ألمانيا: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٦٦. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/١، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

٦٨. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط/١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٦٩. موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، د. إبراهيم الرحيلي، ط/١، مكتبة العلوم والحكم المدينة، ودار العلوم والحكم سوريا، ١٤٣١هـ.

٧٠. وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، ط/١، دار الراية للنشر والتوزيع: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الباحث	الصفحة
قواعد النشر		٧
مقدمة العدد		٩
١/ الوظيفية الدعويّة للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها "الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجاً"	د. علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي	١١
٢/ اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه وكلماته	د. عبدالله بن صالح بن عبدالله العبود	٧٥
٣/ مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م	د. عبير بنت خالد بن محمد الشلهوب	١٣٩
٤/ الإرجاف ودور الدعاة في مواجهته	د. خديجة بنت عبدالله بن محمد البشر	١٧٢
٥/ جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية (بريطانيا، مدريد، برلين)	د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن الحمدان	٢٠٨
٦/ مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين "دراسة تحليلية"	الأمير/ د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن عبدالعزيز آل سعود	٢٥٥
٧/ الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا	د. خالد بن عبدالله بن ناصر الخميس	٣٣٢
٨/ منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة	د. علي بن يحيى جابر الفيفي	٤٣٧
فهرس الموضوعات		٥٠٦

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤيــــة :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرســالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-

- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة والاحتساب
صندوق البريد: ٤٨٤٧ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٦ / ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٣
البريد الإلكتروني: baserah@imamu.edu.sa

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثالث عشر

ربيع الآخر ١٤٤٤هـ

المراســـــلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ – الرياض ١١٤١٢

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٦

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٣

بريد الجمعية الإلكتروني:

baserah@imamu.edu.sa

ردمك: ١٦٥٨ ـ ٣٨٨٤ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعــد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة والدراسات الإسلامية المعاصرة.

٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية-والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (**A٤**).

٤- أن يكـون البحـث مكتوبـاً علـى برنـامج (**Word Microsoft**) متوافـق مـع الإصـدارات الحديثـة، وأن يكـون حجـم خـط مـتن البحـث مقـاس ١٦، وحجـم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ **Traditional Arabic**.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة (**A٤**) وكذلك (٥) سـم مـن أعلـى وأسـفل الصـفحة، لتكـون الكتابـة علـى مسـاحة قـدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠ ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

انطلاقاً من حرص الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في مواصلة رسالتها العلمية في دعم وتأصيل الدراسات الدعوية الرامية لترسيخ مبدأ الوسطية السمحاء الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها، والذي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفق منهج قائم على نبذ الأفكار والأطروحات الحزبية، وتجلية المفاهيم المغلوطة عن الدعوة إلى الله تعالى والقائمين عليها، وتقديم دراسات نوعية متخصصة، وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الثالث عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١) العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.

٢) مسؤولية الدعاة في المملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا.

٣) المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة رضي الله عنه.

٤) المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).

٥) معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة نظرية.

٦) معالجات التطرف في السنة النبوية.

نتطلع أن تكون هذه الأبحاث العلمية إضافة مميزة للعاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالي، والباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات

الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني baserah@imamu.edu.sa، وفق اشتراطات النشر العلمي،،،

وفقنا الله وإياكم لكل خير ...

رئيس هيئة التحرير

أ. د خالد بن هدوب المهيدب

الفهرس

الموضوع	الباحث	الصفحة
قواعد النشر		٧
مقدمة العدد		٩
الفهرس		١١
١/ العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى	د. أمل بنت محمد العجلان	١٣-٨٠
٢/ مسؤولية الدعاة في المملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا	د. عبد العزيز بن محمد الحمدان	٨١- ١٤٢
٣/ المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة رضي الله عنه	د. مسعود بن بشير المحمدي	١٤٣-٢١٠
٤/المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)	د. سويلم بن حاضر العتيبي	٢١١- ٢٨٨
٥/ معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة نظرية	د. حسن بن يحيى ظافر الشهري	٢٨٩-٣٣٠
٦/ معالجات التطرف في السنة النبوية	د. سعد بن عبيد الرفدي	٣٣١-٤٠٤

البحث رقم (١)

العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد
د. أمل بنت محمد العجلان
الأستاذ المساعد في قسم الدعوة
بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب
في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (١).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (٣).

أما بعد(٤):

فلقد كان قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة كما في حديث عبدالله بن مسعود. رضي الله عنه – قال: علمنا النبي ﷺ خطبة الحاجة (الحمد لله نحمده ونستعينه)، وقد صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ص٣٠٦ [كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح] حديث رقم (٢١١٨) ، ص ٣٦٨.

يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾[1]، من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم، مما يدل على الجهد العظيم الذي بذله المصطفى ﷺ حتى تحقق له مراد ربه، فأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، وهداها إلى صراط مستقيم، واليوم تشتد الحاجة لإنقاذ الأمة، وإبعادها عن ظلمات الجهل والتخلف إلى نور العلم والإيمان.

ومن أجل ذلك فقد اجتهد الدعاة والمصلحون لتحقيق هذا الهدف العظيم وتنوعت أساليبهم ووسائلهم واجتهاداتهم الدعوية وفقاً لذلك، ولذا كان من الصفات الواجب توفرها في الدعاة ليقوموا بهذه المهمة الكبيرة والشرف العظيم إظهار العزة في الدعوة.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية الموضوع من ارتباطه بثلاثة جوانب عظيمة هي:

- القرآن والسنة النبوية المطهرة، فهما الوحي المعصوم، ومصدر الشرع، وهداية الله للعالمين.
- الدعوة، وقد تولاها الله بنفسه حيث قال تعالى: في سورة يونس: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٥ ﴾[2]، ثم جعلها وظيفة الأنبياء والمرسلين حين قال عزوجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[3]، بل إنها من أحسن الأقوال وأشرفها بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

---

(١) سورة النصر، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة يونس، الآية:٢٥

(٣) سورة النحل، الآية :٣٦.

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1]، كما قد ربط خيرية هذه الأمة بقيامها بهذا الواجب في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[2].

- العزة، وهي صفة من صفات الداعية،كما أنها يمكن أن تكون من الأساليب الناجحة في الدعوة، ولأهمية التزام الداعية بتلك الصفة أو اتخاذه هذا الأسلوب رأيت أن أذكره هنا،كما أن هناك توافق بين معني العزة والدعوة إذ من العزة أن يقوم المسلم بإظهار دينه والدعوة إليه، ومن أساليب الدعوة إظهار العزة، ولهذا تكون العلاقة بين الدعوة وإظهار العزة علاقة عموم وخصوص.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فتكمن فيما يلي:

- عدم وضوح المفهوم الشرعي للعزة في الدعوة مما يجعل بعض الدعاة يتخلون عن تلك الصفة، لذا ساغ ذكر مشروعية العزة وأنواعها وضوابطها، ثم أثرها على الدعوة.
- تطلعت في واقع عالمنا الإسلامي، فوجدت أن بعض المسلمين قد ضعفوا أو استكانوا، وتسلطت عليهم قوى البغي والعدوان، وتداعت عليهم قوى الباطل كتداعي الأكلة إلى قصعتها كما أخبر الصادق الأمين ﷺ حين قال: ((يوشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله ، وما

(١) سورة فصِّلت، الآية :٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية :١١٠

الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)[١]، ولابد للمسلم من إبراء ذمته بالمشاركة للتخلص مما أصاب هذه الأمة من ضعف.

- إغفال عدد ممن كتبوا في مجال الدعوة للعزة كصفة يجب أن يتحلى بها الدعاة أو كأسلوب في الدعوة.

ثانياً: أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى ما يلي:

- توضيح السند الشرعي للعزة في الدعوة.
- بيان أنواع العزة في الدعوة.
- إبراز ضوابط العزة عند الدعاة.
- إلقاء الضوء على آثار العزة على الدعوة.

ثالثاً: الدراسات السابقة :

باستعراض الدراسات السابقة في هذا المجال لاتكاد توجد دراسة علمية متخصصة في موضوع العزة في الدعوة ،لكن هناك من الدراسات تحدثت عن جوانب نفسية أخرى في الدعوة كتأليف القلوب في الدعوة[٢]، والفتور في حياة الداعية[٣]، والإيجابية في حياة الداعية[٤].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، حديث رقم (٤٢٩٧٠)، ص٧٦٩.

(٢) تأليف القلوب في الدعوة لعبد العزيز الروضان: ١٤١٩ هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام.

(٣) الفتور في حياة الداعية لعثمان محمد دفع الله، مجلة معالم الدعوة الإسلامية في جامعة أم درمان

(٤) الإيجابية في حياة الداعية لمحمد أحمد الراشد، دار البشير، جدة.

وكل هذه البحوث وغيرها وإن كانت في نفس المجال إلا أنها لم تتناول موضوع الدراسة وهو العزة ،مما يثبت أن هذا الموضوع لم يحظ حتى الآن باهتمام الباحثين في تخصص الدعوة ولذلك يرجي أن تقدم مثل هذه الدراسة المقترحة إضافة جديدة لمكتبة التخصص وخدمة للباحثين في هذا المجال .

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

في هذه الدراسة ستسعى الباحثة إلى الإجابة على مجموعة من التساؤلات تمثل الإجابة عليها في النهاية أهداف البحث، وهذه التساؤلات هي:

- ما مشروعية العزة؟
- ما أنواع العزة؟
- ما الضوابط الشرعية للعزة عند الدعاة؟
- ما آثار العزة في الدعوة؟

خامساً: منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة وصفية، لأنها تستهدف وصفاً لظاهرة ما سواء كانت في صورة كيفية أو كمية، وتهتم بوصف الأوضاع و الأحوال القائمة في مجتمع ما(١)، والظاهرة التي تسعى الباحثة لدراستها هي العزة في الدعوة وفي إطار هذا النوع من البحوث ستستخدم الباحثة المنهج الوثائقي الذي هو الجمع المتأني والدقيق للسجلات و الوثائق ذات العلاقة بموضوع و مشكلة البحث ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل

(١) انظر: أساليب ومنهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية لأحمد الصباب، دار البلاد، جدة، ط ٣: ١٤١٩هـ، ص ٤٥.

بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث الأصلية [(١)]، وسيكون ذلك بالعودة للمصادر الأصلية التي اهتمت بالعزة في الدعوة و أبرز آثارها .

سادساً: التعريف بمفردات عنوان البحث:

أولاً: العزة

في اللغة: تأتي العزة بمعنى المشقة، وتأتي بمعنى الأنفة والحمية كما وتأتي بمعنى التشدد والتكبر، وتأتي أيضاً بمعنى الغلظة[(٢)] مما سيرد ذكره في أنواع العزة من حيث المعنى[(٣)] .

في الاصطلاح: لم تجد الباحثة خلال اطلاعها من قام بالتعريف الاصطلاحي لمعنى العزة إلا من خلال تكرار وإعادة ما تم ذكره في المعنى اللغوي كالقول بأن العزة هي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب[(٤)] ، أو بأنها القوة والغلبة والحمية والأنفة[(٥)] .

ثانياً: الدعوة

في اللغة: تأتي الدعوة بمعنى النداء والطلب والدعوة للطعام والدين أو المذهب حقاً كان أم باطلاً[(٦)] .

في الاصطلاح:

تطلق الدعوة في الاصطلاح ويراد بها أحد هذه المعاني:

---

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية للدكتور صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ص٢٠٦.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط١، بيروت، ج ٥، ص ٣٧٤.

(٣) كما في صفحة ٣٢.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج١٥ ص٢١٩.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ج٢، ص٥٩٨.

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج١٤، ص ٢٥٧.

أولاً/ الدين: ومنه تعريف الأستاذ محمد الراوي في كتابة الدعوة الإسلامية دعوة عالمية بأن الدعوة إلى الله هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافيًا لصلاح الدين والآخرة [(١)].

ومنه أيضاً تعريف الدعوة في كتاب التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته فقال إن الدعوة هي نداء الحق للخلق ليوحدوا المعبود ويعبدوا الواحد حنفاء لله غير مشركين به متبعين غير مبتدعين [(٢)].

ثانياً / النشر والتبليغ: ومنه تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله– للدعوة: (هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا . وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، والبعث بعد موته ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه) [(٣)].

ثالثاً / التعريف الاجرائي للعزة في الدعوة :

كافة الأعمال والأقوال والأحوال التي يقوم بها الداعية ليرفع نفسه ودعوته عن كل أسباب الذل والمهانة.

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لمحمد الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣: ١٤١١هـ، ص٣٩.

(٢) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، لعبد رب النبي أبو السعود، دار التوفيق، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٢.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، ط ١ : ١٤١٦هـ ، ج ١٥ ، ص ١٥٧.

سابعاً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل على:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف الدراسة.
- الدراسات السابقة
- تساؤلات الدراسة.
- منهج الدراسة.
- التعريف بمفردات عنوان البحث.
- تقسيمات الدراسة.

المبحث الأول: مشروعية العزة.

المطلب الأول: منزلة العزة في الإسلام.

المطلب الثاني: طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة.

المبحث الثاني: أنواع العزة.

المطلب الأول: أنواع العزة من حيث المعنى.

المطلب الثاني: أنواع العزة من حيث المصدر.

المطلب الثالث: أنواع العزة من حيث المدح والذم.

المبحث الثالث: ضوابط العزة في الدعوة.

المطلب الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع عند الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة عند الدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة عند الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع: أثر العزة على الدعوة

المطلب الأول : وجوب تحديد مفهوم العزة

المطلب الثاني : الوضوح في الدعوة

المطلب الثالث : العزة بحسب المقدرة

المطلب الرابع : مشروعية الهجرة عند الحاجة إليها

المطلب الخامس : كسب الرزق

المطلب السادس : الحرص على تحبيب الدعوة بالعزة

المطلب السابع : الولاء والبراء

المطلب الثامن : فتح باب الأمل بالتوبة

المطلب التاسع : الستر عند الخطأ

المطلب العاشر : الحوار مع المدعو

الخاتمة:

النتائج والتوصيات

المبحث الأول

مشروعية العزة

توطئة:

لقد جاءت بعض الشواهد الشرعية الدالة على مشروعية العزة ،سواءً كانت شواهد قرآنية تشتمل على صفة العزة صراحة أم ضمناً، أو أحاديث شريفة قولية كانت أم حكاية عن أفعال يرويها أحد الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ.

وستذكر الباحثة هذه الشواهد لتكون بمثابة مقدمات وإرشادات لبيان منزلة العزة في الإسلام، ثم تبين طرق القرآن الكريم والسنة النبوية في تقرير هذا الأمر العظيم على النحو التالي:

المطلب الأول: منزلة العزة في الإسلام: ويحتوي على أربعة مسائل:

١- ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى.

٢- العزة صفة من صفات القرآن الكريم.

٣- العزة صفة للرسول ﷺ وسائر المؤمنين.

٤- كثرة ورود العزة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة: ويحتوي على عدة طرق:

١- أسلوب النهي الصريح عن المهانة والذل.

٢- أسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي إلى العزة.

٣- أسلوب الأمر بما يستوجب العزة.

٤- أسلوب استعراض الأمم السابقة التي استجابت لدعوة الحق واستشعرت العزة.

المطلب الأول

منزلة العزة في الإسلام

المسألة الأولى: ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى

ارتبطت العزة باسم من أسماء الله الحسنى، فالله هو العزيز وهو المعز، لأنه الغالب لكل شيء، بل هو الذي ليس كمثله شيء، وإذا كان سبحانه هو الموصوف بالعزة التامة المطلقة فهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده، وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– أن عزة المولى سبحانه متضمنة لعزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر والغلبة [(١)] .

ومما يُعلم أن لكل اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته تأثيراً معيناً في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتطلبه استشعر ذلك وتجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه، فالعبد الذي يعلم أن الله هو العزيز والمعز، يعلم أن الله مانعه من أعدائه، ولن يصلوا إليه إلا بإذنه تعالى، فلا يذل ولا يخنع لكافر، لأن الذلة للمخلوق ليست من أخلاق المسلم أو صفاته، فمن تولاه الله وكان في حماه لا يصح أن ينكس رأسه أو يهبط عن المستوى الرفيع الذي وضعه الله فيه.

كما أن على المسلم أن يسعى للاتصاف والتحلي بذات الصفة (العزة) ،على ما يليق به، فذلك يقوي عزيمته، ويرفع معنوياته، ويشعره أن الله سنده، فيمضي في حياته مرفوع الرأس، معتزاً بربه، فهو في معترك الحياة وبين مشكلاتها المتعددة يحتاج لمن يعزه ويشد من أزره، ولذلك كانت عزة الله للمؤمنين خير سند وأفضل عون تشد من أزرهم وتقوي عزيمتهم.

---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص٤٣٤.

المسألة الثانية: العزة صفة من صفات القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو منهج الإسلام، فمن اتبعه اهتدى في طريقه ونجح في دعوته وعصمه الله من الضلال، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ (١) بل لقد وصفه الله عز وجل بالعزة فقد أعزه لأنه كلامه وحفظه من الباطل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ (٢)، يقول الطبري – رحمه الله – : (وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلاً أو تحريفاً أو تغييراً من إنسي وجني وشيطان مارد) (٣)، فعزيز أي يصعب مناله ووجود مثله، فهو منيع الجناب، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، فلا الشيطان يستطيع أن يأتي بمثله، وممتنع عن الناس أن يقولوا بمثله، لأن كل عزيز نفيس.

المسألة الثالثة: العزة صفة للرسول ﷺ وللمؤمنين:

مدح القرآن الكريم الرسول ﷺ ومؤمني هذه الأمة حين وصفهم بالعزة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

حيث يأتي الله سبحانه ورسوله والمؤمنين إلى جانبه ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم عظيم لا يكرمه إلا الله، وأي تكريم بعد هذا التكريم!!

وهذا يوضح كلام ابن كثير – رحمه الله –حين قال:(أخبر تعالى بأن العزة كلها لله

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن للطبري، دار هجر للطباعة، مصر، ط١ :١٤٢٢، ج٢٠، ص٤٤٣.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وحده لا شريك له ولمن جعلها له عند تفسير قوله: ﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1])[2].

كما وصفهم أيضاً بـ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[3]، أي جانبهم لين على المؤمنين غليظ على الكافرين، ويترفعون كذلك عن الاعتناء بما عند الكافرين من العزة الكاذبة التي لا يعبأ بأمرها الدين، كما أدب الله تعالى بذلك نبيه الكريم في قوله عز وجل: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾[4]، ويقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه متعززاً على خصمه وعدوه)[5].

المسألة الرابعة: كثرة ورود العزة في القرآن والسنة:

يكثر ورود العزة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويتنوع هذا الورود، فقد يأتي بلفظ العزة ومعناها أحياناً، أو بمعنى العزة دون لفظها أحياناً أخرى، ومن ذلك :

أولاً: النصوص التي ورد فيها لفظ العزة ومعناها: ورد في القرآن الكريم العزة كاسم من أسماء الله الحسنى في سبعة وثمانين موضعاً، وقرن بالحكيم في سبعة وأربعين موضعاً، وقرن بالعليم في ستة مواضع، وبالرحيم في ثلاثة عشر، وبالقوي في ستة مواضع،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، ط١ :١٤٢، ص٥٤٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص١٠٥١.

وبالغفار وبذي انتقام والحميد ثلاثاً ثلاثاً، وبالغفور مرتين والوهاب والمقتدر والجبار مرة مرة[1].

كما ورد إثبات العزة كلها لله في أربعة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[2]، وورد بلفظ رب العزة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[3]، وجاء القسم بعزة الله في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٨٢﴾﴾[4] ولم يرد المعز بلفظ الاسم، وإنما جاء بلفظ الفعل في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[5].

---

(١) شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة عبد العزيز الصغير، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ص١٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة ص، الآية: ٨٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

ثانياً: النصوص التي ورد فيها معنى العزة دون لفظها، وهي كثيرة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١- الأمر بالصدع بالدعوة:

قال ابن القيم - رحمه الله -: وأقام بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله تعالى مستخفياً، ثم أنزل عليه ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾[(١)]، فأعلن بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين[(٢)]، والصدع فيه معنى القوة والوضوح والصلابة، وهكذا المسلم حينما يدعو إلى ربه دعوة الواثق من قوله فهو يعلو بدعوته، بل ويرفع بها صوته، لا يخجل ولا يستحي من عرض دينه أو الحديث عنه.

٢- المضي قدماً في الدعوة رغم المساومات. ومن ذلك الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وسيد من سادات مكة وذلك في بداية الدعوة الإسلامية، فيروي ابن هشام في السيرة أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السعة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها، فقال النبي ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال له عتبة ما قال، حتى إذا فرغ قال له: أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال:

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٣ :١٤٠٦هـ، ج١، ص٨٦.

نعم. قال: فاسمع مني، قال: أفعل. فأخذ الرسول يتلو من سورة فصلت، حتى انتهى إلى الآية ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[(١)] [(٢)].

وقد كان تصميم رسول الله ﷺ على المضي في الدعوة تصميماً قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات، حيث عرض عليه عدة أمور هي الملك والمال والسيادة والجاه والدواء، وكلها عروض سخية جداً لا يستطيع أن يقاومها صاحب دنيا ولا يمكن أن يردها عاقل إن كان باحثاً عن متاع الدنيا وزينتها، إذ يخبره أنه ماضٍ بدعوته رغم تلك المساومات لأنه نبي لا مدع للنبوة ولا طالب ملك ولا رئاسة ولا مال، وأن ما يأتيه هو الملك من عند الله سبحانه، فيرجع بعدها عتبة مذعوراً متعجباً من تلك الأنفة والكبرياء والعزة حتى قال قومه إنه عاد بغير وجهه الذي ذهب به فقالوا.. (سحره والله محمد) حقاً إنها القوة المستمدة من عزة الله عز وجل.

٣- بذل الجهد في كسب العيش للاستغناء عن الناس. قال رسول الله ﷺ : (ما من نبي إلا وقد رعى الغنم)[(٣)]، رعى الأنبياء للأغنام منذ صغرهم، واعتمادهم في مكسبهم على أنفسهم يشعر بأهمية اعتماد الداعية إلى الله على نفسه، وأن لا يتعلق بما في أيدي الناس، لأنه لو تعلق أو مالت نفسه إلى ما في يد غيره لجامله[(٤)] وخضع له وهان عنده، والدعوة لا خضوع فيها، أو مهانة، فالداعية يربأ بنفسه أن يعيش على صدقاتهم وأعطياتهم، ولن يتقبل الناس من ذل عندهم أو خضع. ومنه ما ذكره البخاري

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مؤسسة علوم القران، ج ١، ص٢٩٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، حديث رقم (٢٢٦٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥: ١٤٢٨هـ، ص٤٠٣.

(٤) فقه السيرة لزيد الزيد، دار التدمرية، الرياض، ط٣، ١٤٢٨هـ، ص٧٦.

- رحمه الله - في باب ما قيل في الرماح: (وجعل رزقي تحت ظل رمحي)[1] ثم قال ابن حجر - رحمه الله -: في هذا الحديث إشارة إلى فضل الرمح وإلى حل الغنائم لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في غيرها من المكاسب، ولهذا قال بعض العلماء إنها أفضل المكاسب، ثم قال: والحكمة في الاقتصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف أن عادتهم جرت بجعل الرايات في أطراف الرمح، فلما كان ظل الرمح أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق[2]. ولذا فلا شك أن الذي يعين الداعية على إظهار تلك العزة هو أن يملك زمام نفسه، ويطلب رزقه بنفسه، وأن يتغلب على هواه، ويسيطر على شهواته وأن يؤثر ما عند الله على ما عند الناس، وأن ييأس مما في أيديهم، فإذا ما كان كذلك استطاع أن يعتز بدينه ويجهر بكلمة الحق دون أن يخشى من الناس.

٤- إظهار العزة عند الجهاد: كما حرم الإسلام على المسلم أن يهون أو يستذل أو يستضعف وأمره بإظهار العزة والإباء والكرامة، فإن أولى مكان وزمان لتظهر فيه تلك الخلة واضحة هو الجهاد.

ولذا فقد حذر عليه الصلاة والسلام من عاقبة الذل والهوان عند ترك الجهاد بقوله: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[3]، فليس المراد في هذا الحديث الشريف ذم من اشتغل بالحرث واهتم بالزرع وإنما المراد ذم من اشتغل بالحرث ورضي بالزرع حتى صار ذلك أكبر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح، حديث رقم (٢٩١٣)، ص ٥٣٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ج٦، ص٩٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة، وصححه الألباني، حديث رقم (٣٤٦٢)، ص٦٢٣.

همه وقدم هذا الانشغال بالدنيا على الآخرة، وعلى مرضاة الله تعالى، لاسيما الجهاد في سبيل الله وترك ما يكون به إعزاز الدين فلم يجاهد في سبيل الله بماله ولا بنفسه ولا بلسانه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[(١)].

وقد ظهرت تلك القوة والشدة والغلبة جلية في غزوات النبي ﷺ أثناء جهاده مع المشركين في العزة والإقدام على الجهاد ثم في العزة أثناء الجهاد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر. ما ذكر في غزوة أحد حين عصا الرماة أمر الرسول ﷺ وانقلبت الدائرة على المسلمين، وصعد رسول الله ﷺ فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال أفي القوم محمد؟ فقال الرسول ﷺ (لا تجيبوه) فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: (لا تجيبوه) فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر –رضي الله عنه – نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقي الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: أعل هبل، فقال النبي ﷺ : (أجيبوه) قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال النبي ﷺ (أجيبوه) قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال)[(٢)] وأبو سفيان لم يتوقع أن يكونوا أحياء ولا يجيبوه بما يعرفه عنهم من عزة وغلبة وشدة، ثم بقوله ﷺ أجيبوه إظهار عزة المسلم كخلق من أخلاق الرسول ﷺ وافتخاره، بما يحمله من عقيدة دون فخر أو استعلاء.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم (٤٠٤٣) ص٧٣٤.

ويمثل ذلك نستدل بما حدث في غزوة حنين في السنة الثامنة كما في صحيح البخاري كان يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[1] .

٥- قيام الصحابة بما يدل على العزة: إن المتأمل لمعنى العزة بفهم صحابة رسول الله -رضي الله عنهم - والتابعين لهم بإحسان وإدراكهم لمعنى العزة وفقاً لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ليجد فيها العزة الواجب الاتصاف بها ، ومن ذلك :

أ- الحرص على إسلام عمر الفاروق -رضي الله عنه - :فقد روى عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه - قول: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)[2] .كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه - (ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر)، وقال صهيب - رضي الله عنه -: (لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به)[3] .

وفي ذلك مشروعية إغاضة الكافر وإدخال الكآبة والحزن عليه، ولكن بدون اعتداء عليه، فإن عمر - رضي الله عنه - بادر إلى الجهر بالإسلام والصلاة بجوار الكعبة فأصاب قريشاً من ذلك كآبة وحزن وأسى لا يوصف، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا ﴾[4]، ويقول عز وجل:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ حديث رقم (٤٣١٥)، ص٧٧٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، حديث رقم (٣٦٨٤)، ص٦٧٠.

(٣) روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، مكتبة دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ، ص٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾[(١)]. ولقد كان لمنزلة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ومكانته ومما عرف عنه من قوة الشخصية السبب الأكبر لحرص النبي ﷺ عليه، فقد كان يدعو الله سبحانه وتعالى دعوة خاصة لعمر وأبي جهل أن يهدي إليه أحبهما للإسلام، فعن عمر –رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب، قال وكان أحبهما إليه عمر)[(٢)] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب)[(٣)].

ب- وقوف المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – على رأس رسول الله ﷺ لما قدم عليه رسول قبيلة قريش قبل صلح الحديبية، يقول ابن حجر- رحمه الله – : فيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها، من ترهيب العدو ولا يعارض النهي عن القيام على رأس الجالس ونحوها، لأنه محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبرياء[(٤)].

قال الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – : فالقيام على الرجل منهي عنه، اللهم إلا إذا دعت الحاجة لذلك، كأن يخاف أن يعتدي عليه أحد فلا بأس أن يقوم عليه القائم، وكذلك إذا قام عليه الرجل إكراماً له في حال يقصد فيه إكرامه وإهانة العدو مثل

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب –رضي الله عنه، رقم الحديث: (٣٦٨١)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ص٨٣٥، وقد صححه الألباني.

(٣) سنن ابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٠٥)، مكتبة المعارف، الرياض: ط٢: ١٤٢٩هـ، ص٣٤، وقد صححه الألباني.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٥، ص٣٤٠.

ما حصل من المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – في صلح الحديبية[1]. ومثل ذلك أيضاً في صلح الحديبية ما فعله الصحابة. رضوان الله عليهم. حيث كان عليه الصلاة والسلام إذا تنخم تلقوا نخامته بأيديهم ثم يمسحون بها وجوههم وصدورهم[2] مع أنهم ما كانوا يفعلون ذلك في العادة لكنهم رغبوا من ذلك إظهار عزة النبي ﷺ وإغاظة العدو بذلك.

ج- موقف أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – مع والدها:

بعد أن نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية قدم أبو سفيان إلى المدينة لمحاولة تجديد العهد وتوثيقه، فذهب لبيت ابنته أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – زوج النبي ﷺ ، وعندما هم بالجلوس على فراش الرسول ﷺ سحبته أم حبيبة من تحته وطوته بعيداً عنه، فقال أبو سفيان: أراغبة بهذا الفراش يا بنية عني؟ أم بي عنه، فأجابته: بل به عنك لأنه فراش الرسول ﷺ؛ وأنت رجل نجس غير مؤمن، فغضب منها وقال أصابك بعد شر فقالت: لا والله بل خير، فهذه المرأة المؤمنة أعطت أباها المشرك درساً في الإيمان وهي أن عزة الانتساب لهذا الدين فوق كل عز وشرف، وكما أصاب هذا الموقف أبا سفيان بالخيبة فقد خاب مسعاه أيضاً عندما قابل الرسول ﷺ وأبى عليه تجديد الصلح فعاد إلى مكة، ولم يحقق ما يريد.

د- التجمل عند مقابلة الوفود، فقد تزايدت الوفود على رسول الله ﷺ، حتى زادت على السبعين وفداً، حسب ما ذكره عامة أهل السير، فمنهم من يريد رد السبايا والمأخوذين، ومنهم من جاء يريد أخذ الأمان لنفسه ولقومه، ومنهم من جاء يباهي أو يفاخر أو يناظر أو يجادل، ومنهم من جاء ليبدي رغبته في الإسلام، ومنهم من جاء

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ج١، ص٢٦١.

(٢) انظر: روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، ص١٤٠.

مسلماً ويرغب أن يعرف تعاليم الإسلام [(١)]. وقد كان الرسول ﷺ يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة والكرم والأخلاق الفاضلة، فيجيزهم بما يرضيهم ويرغبهم في الإسلام، ويعلمهم الإيمان والشرائع ليعلموا من خلفه[(٢)]. فقد ورد في صحيح البخاري – رحمه الله – أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أخذ جبة من حرير تباع فأتى بها النبي ﷺ، فقال يا رسول الله، اشتر هذه تجمل بها للعيد والوفود، فقال: (إنما هذه لباس من لا خلاق له) [(٣)]. والشاهد من الحديث عدم إنكار النبي ﷺ على عمر – رضي الله عنه – قوله تجمل بها للعيد والوفود، ففيه مشروعية التجمل للعيد وللجمعة ولملاقاة الوفود والرؤساء والأعيان. كما أن الاهتمام بلبس الثياب الجميلة والنظيفة ليس من الكبر والغرور في شيء، بل هي مما أمر بها الإسلام وحث عليها، فقد قال ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال، والكبر بطر الحق وغمط الناس)[(٤)].

٦- الحرص على مخالفة اليهود والنصارى ووجود أحكام خاصة للتعامل مع أهل الذمة: ومن ذلك ما يرويه ابن عباس– رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا: فقالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله فيه بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه، إلا أنه أمر بعد ذلك بمخالفة اليهود بأن يصام العاشر ويوماً قبله وهو التاسع أو يوماً بعده وهو الحادي عشر، لأن اليهود يفردون اليوم العاشر فتحصل

---

(١) انظر: روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، ص١٨٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التجمل للوفود، حديث رقم (٣٠٥٤) ص٥٦٠.

(٣)صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب في العيدين والتجمل فيه، حديث رقم (٩٤٨) ص١٧٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم (٩١)، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ص٦٦.

مخالفتهم بصيام يوم قبله أو يوم بعده، قال (فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع)[1]. ومما يُعلم أيضاً أن أهل الذمة قد رضوا بالعيش والاستقرار في بلاد المسلمين ورضوا بسيادة وحكم الشريعة الإسلامية ودانوا بذلة لحكم الدولة الإسلامية، فدفعوا الجزية ولا يحق لهم التطاول ببناء الكنائس والمعابد في بلاد الإسلام وقد جاء في الشروط العمرية: (وألا نضرب ناقوساً إلا ضرباً خفيفاً في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليباً)[2] وكل تلك الأحكام أتت لتبرهن وتدلل على عزة المسلمين وقوتهم وضعف وهوان كل من يعلن عدم رغبته في دخول هذا الدين العزيز.

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، حديث رقم (٢٦٣٦) ص٥٠٩.

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ج٢، ص١١٤.

المطلب الثاني

طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة

الطريقة الأولى: أسلوب النهي الصريح عن المهانة والذل:

فقد أمر الله عز وجل بالإقدام والاحتمال والثبات في مواطن الضعف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾(1)، أي لا تضعفوا عن ابتغائهم(2). كما قال عز وجل: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾(3)، يقول ابن كثير –رحمه الله–: [(فلا تهنوا) أي لا تضعفوا عن الأعداء (وتدعو إلى السلم) أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم](4). ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾(5)، يقول الطبري رحمه الله: (ولا تضعفوا بالذي نالكم عن عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم)(6). في هذه الآيات الكريمة أدب قرآني عظيم، وتوجيه رباني كبير لكل من آمن وجاهد وصبر، يحثهم فيه على عدم الهوان الذي ينافي العزة ويضادها، وينهيها ويقضي عليها، فهو أمر للمؤمنين بالثبات على العزة حتى في الأوقات العصيبة، لتبقي العزة

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج٧، ص٤٥٤.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٧٢٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القران للطبري، ج٦، ص٧٨.

ملازمة لهم، لا تنفك عنهم في الضراء والسراء، في الفرح والحزن، في الحرب والسلم في النصر والهزيمة، ومن ذلك قوله ﷺ : (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها)(١) فمعالي الأمور هي التي تدل على شرف الإنسان وعزته ورفعته عن السفاسف وهي الأمور الرديئة أو التافهة التي تقلل من قيمة المرء وتهينه وتذله.

الطريقة الثانية: أسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي للعزة:

حين ينهي الشارع عن الحرام فهو ينهي عن كل الطرق الموصلة إليه، وحين يأمر بالواجب فهو يأمر بالسبل الموصلة إليه، ومن ذلك حين أراد أن يدل المسلمين عامة والدعاة بصفة خاصة إلى الطريق الذي يصون عزتهم ويحصنهم ضد الهوان، فقد قال:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ (٢) أي تخزون به عدو الله وعدوكم. فالقوة بدنية كانت أو علمية تجعل صاحبها في موطن هيبة أو اقتدار فلا يسهل أن يهان أو يعتدى عليه من قبل غيره.

الطريقة الثالثة: الأمر بما يستوجب العزة، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ (٣) يقول ابن كثير – رحمه الله– في تفسيره :(يقول تعالى آمرًا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به) ثم يذكر قول ابن مسعود – رضي الله عنه – فيقول : (ما زال النبي ﷺ متخفياً حتى نزلت

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، دار الراية، الرياض، رقم الحديث ٨٠٢٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ فخرج هو و أصحابه)[(١)] ، فالصدع يحمل معنى القوة والوضوح والصلابة، أي بلّغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت لأحد، ذلك الأمر الذي يوجب العزة، فالقرآن الكريم يريد أن يرى في نفس المؤمن الاعتزاز بهذا الدين.

وقد نجد في هذه الأيام بعض الشباب المسلم ـ هدانا الله وإياهم للحق ـ قليل الثقة بدينه يستحي من ذكر الله سبحانه وتعالى في المجالس بل يستحي حتى من الصلاة على النبي ﷺ يجامل المجاملات الكثيرة على حساب هذا الدين، ويظهر ذلك كثيراً عندما يكون المسلم أو المسلمة في بلد كفر أو بيئة غير مستقيمة، فنجدهم يفقدون العزة ويحرصون على إخفاء هويتهم الإسلامية، فالمقصود بالصدع إذن هو أن يبلغ الدعاة رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً سواه ويجهرون بكلمة الحق وبحكمة وعقل دون أن تأخذهم لومة لائم، فتكون غايتهم من وراء ذلك أن يظهروا العزة التي منحهم الله وأن ما شرعه الله هو الحق الذي يجب أن يكون منهجاً يسير على الناس في حياتهم. فعلى ذلك يكون أصل العزة هو الصدع والإعلان والإعلام والإظهار، لذا كان لزاماً على كل مجتمع مسلم أن يبرز شعائر الدين وعقائده، فيجعل لذلك محلاً واسعة في حياته، واهتماماً بالغاً لا يقل عن الاهتمام بالجوانب الأخرى، وهو ما من شأنه أن يسهم في النهوض بالأمة وتبوءها مكان الريادة بين الأمم.

الطريقة الرابعة: تكفل الله عز وجل برزق عبده وأجله ونصره على أعدائه هو أمر له بالعزة: الله عز وجل هو الركن الشديد الذي يركن إليه العبد كلما حزبه أمر، يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾[(٢)]، وقال

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص١٠٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ۝١٥٠﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾[(٢)]، ولذا يقول الطبري – رحمه الله – في ولاية الله للذين آمنوا نصيرهم و ظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه[(٣)]. ففي مجموع هذه الآيات وغيرها من كتاب الله ما يقوي عزيمة المؤمن ويرفع من معنويته ويشعره بأن الله سنده فيقطع حياته مرفوع الرأس عزيزاً بعزة الله له كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)]، فلا يذل لمخلوق مهما علا شأنه وارتفع مقامه، فليست الذلة للمخلوق من خلق المسلم لأن من تولاه الله وكان في حماه لا يصح أن ينكس رأسه أو يخضع لأحد. لكن قد يضعف الإنسان ويذل بسبب منصب أو جاه أو مال فيرسل له عز وجل رسالة عاجلة بقوله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾[(٥)]، فلا مبرر للضعف والاستكانة، لأن الرزق من الله ليس لمخلوق فيه دخل فلا يستطيع أن يزيد أو يمنعه أو لينقصه ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾[(٦)]، وكذلك الأجل والأعمار بيد الله سبحانه فليس لأحد فيها علاقة ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾[(٧)]،ومثل الرزق والأجل النصر على الأعداء، فمرده إلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٠.

(٢)سورة محمد، الآية: ١١.

(٣)جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج ٤، ص٥٦٣.

(٤)سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥)سورة الزُّمر، الآية:٣٦.

(٦)سورة الذاريات، الآية:٢٢.

(٧)سورة آل عمران، الآية:١٤٥.

الله فهي تجري بقضاء الله وقدره ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[(١)]، فإذا عرف الداعية أن الله قد تكفل برزقه وأجله ونصره على أعدائه واستشعر (لا إله إلا الله) تغلب على ضعفه البشري الناتج على خوفه عن هذه الأمور، فتعلو همته في الدعوة وتقوى عزيمته على تحمل مشاقها وتكاليفها، ثم تعلق بالخالق واستمد عزته من ذلك.

الطريقة الخامسة: استعراض الأمم السابقة التي استجابت لدعوة الحق واستشعرت العزة، وتمردت على الذل والهوان، فنالت العزة في الدنيا والآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[(٢)]. يقول أبو جعفر الطبري ـ رحمه الله ـ: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قتل منهم من حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم، (وما ضعفوا)، يقول وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم، (وما استكانوا) يعني ومازالوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم، ولكن مضوا قدماً على بصائرهم ومنهاج نبيهم، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة لله وإتباعاً لتنزيله ووحيه، (والله يحب الصابرين) يقول: والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله في جهاد عدوه لا من فشل ففر عن عدوه، ولا من أنقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات، ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه[(٣)].

(١) سورة آل عمران، الآية:١٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج٦، ص١١٧.

ففي ذلك الثناء في الآية الكريمة السابقة لمن لم يضعف ولم يستكن تحريض للمسلمين يقوم على نبذ الضعف والمهانة والحرص على العزة رغم المشاق والمصاعب التي قد تعترض طريق المسلم. ومن ذلك أيضاً الثناء على تلك العزة الإيمانية التي بدت جلية لسحرة فرعون، فقد جاءوا لنصرة فرعون، ثم لما عرفوا الحق آمنوا بالله ولم يستحوا من الحق، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾[(١)]، فتحولت قلوبهم من منتهى الكفر والضلال إلى منتهى اليقين والإيمان، فآمنوا بعد أن كانوا من المحاربين لله ورسوله، وحسن إيمانهم بل إنهم ثبتوا أمام تهديد فرعون، وذلك التهديد الشديد، فكان ردة فعلهم قوية مليئة بالقوة والثبات واليقين في الله عز وجل.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٤٤-٥٠.

المبحث الثاني

أنواع العزة

توطئة:

العزة صفة عامة شاملة واسعة النطاق، تتمثل في العزة لله عز وجل، أو العزة من الله عز وجل وهذه تكون لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين، كما قد تكون ممدوحة يؤمر بها شرعاً، وقد تكون مذمومة نهى عنها الشارع.

لذا ستذكر الباحثة – بإذن الله – أنواع العزة باعتبارات عدة، حتى يتجلى معناها بصورة أوضح، وذلك على النحو التالي:

- المطلب الأول: أنواع العزة من حيث المعنى.
- المطلب الثاني: أنواع العزة من حيث المصدر.
- المطلب الثالث: أنواع العزة من حيث المدح والذم.

المطلب الأول

أنواع العزة من حيث المعنى

العزة خلق محمود وهي من أعظم أخلاق الإسلام، فالمسلم لا يهان ولا يستضعف ولا يستخف به، وأعظم ما يعتز به المسلم دينه وكتاب ربه عز وجل، فهي في الأصل حرص المسلم على ألا يُغلب، ولكنها قد تأتي في معانٍ أخرى في النصوص الشرعية.

أولاً: العزة بمعنى المشقة: وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1]، أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، فقد جاء بالحديث الصحيح (إن الدين يسر)[2] فشريعته ﷺ كلها سهلة وسمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله عليه تعالى.

ثانياً: العزة بمعنى الأنفة والحمية: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[3]، فإذا وعظ المخطئ في قول أو فعل بأن قيل له: اتق الله وارجع إلى طريق الحق والصواب، أبى وامتنع بسبب ما فعله من إثم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم (٣٩)، ص٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

ثالثاً: العزة بمعنى التشدد والتكبر: وذلك مثل قول الرسول ﷺ لعائشة – رضي الله عنها – : (هل تدرين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا ،قال: تعززا ألا يدخلها إلا من أرادوا)[١] .

رابعاً: العزة بمعنى الغلظة: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[٢] ، وقد ذكر هنا العزة على الكافرين بعد الذلة على المؤمنين ،حتى لا يتوهم السامع أن الذلة إنما كانت لضعفهم وهوانهم.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، حديث رقم (٣٢٢٥)، ص ٦١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

المطلب الثاني

أنواع العزة من حيث المصدر

بعد استقراء النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية وجدت الباحثة أن العزة تتنوع من حيث المصدر إلى:

أولاً: عزة الله عز وجل [1]:

الله عز وجل هو العزيز، والعزيز اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه الممتنع فلا يغلبه شيء، وهو القوي الغالب لكل شيء، وليس كمثله شيء، وهو سبحانه العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز، وهو سبحانه القوي القاهر، قد عز كل شيء فقهره وهو غير موجود النظير والمثل جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهو المعز الذي يهب العز لمن يشاء من عباده. وعزته سبحانه تشمل المعاني الثلاثة للعزة وهي:

الأول: عزة القوة، وهي صفة العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت.

الثاني: عزة الامتناع، لأنه الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع.

الثالث: عزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي مقهورة لله، خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته [2] ،كما قد نفى الذل عن نفسه عز وجل ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ

---

(١) وقد سبق بيان ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى في ص١٢.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى لحصة الصغير، ص١٧٢.

يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾[1].

ثانياً: العزة بدين الله عز و جل:

كما أن الله عز وجل هو العزيز فهو (المعز) إذ يوصف بالعزة التامة المطلقة يهب العز لمن يشاء من عباده، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]. فالله عز وجل هو الميسر لأسباب المنعة، لأنه يعز من شاء من أوليائه فإما أن يبسط حالهم ويعلي شأنهم، وقد يمتحنهم في الدنيا، ويثيبهم على الصبر عليه، وقد يبسط الرزق لأعدائه ويعلي أمرهم في الدنيا ولهم في الآخرة العقاب الأليم، فالمطيع لله عزيز وإن كان فقيراً ليس له أعوان، والعاصي وإن ظهر بمظهر العز فقلبه حشوه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه بالشهوات.

ولذا فيجب أن نؤكد أن العبرة ليست بظهور مظاهر العزة، لكن العبرة بسلامة المنهج وموافقته لأصل العقيدة. وعلى المسلم أن يفطن إلى ألا يظن أن هذه العزة منه وله، بل عليه أن يعلم أنها من عند الله، فليحسن التعبد له. فإذا رأى عزته ثم رأى إعجاب الناس بما عنده من عزة فعليه ألا يُعجب بنفسه، بل إن الناس قد أعجبهم الجميل الذي أظهره الله منك ولم يعلموا بقبيح عندك قد ستره الله عنهم، فلنشكره . تعالى . جميعاً على هذا الستر ولا نغتر، وكما قال ابن القيم رحمه الله : (لا تحسب أن نفسك

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

هي التي ساقتك إلى فعل الخيرات، بل اعلم أنك عبد أحبك الله فلا تفرط في هذه المحبة فينساك)[1].

فإذا تساءلت عن الجمع بين أن العزة لله جميعاً ثم تكون العزة في نصوص أخرى لرسوله ﷺ والمؤمنين فيقال: قد يعترض معترض فيقول: كيف نجمع بين قول الحق سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، والجواب أنه لا تنافي بين الآيتين، لأن العز الذي هو للرسول ﷺ والمؤمنين هو في الحقيقة ملك ومخلوق لله وعزه سبحانه هو المصدر لكل عز، ومن ثم يكون عز الرسول ﷺ والمؤمنين مستمد من عز الله عز وجل، وعلى هذا فالعز كله لله، والعزة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلا إذا استظلت بظل الله واحتمت بحماه.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، دار ابن كثير، دمشق، ص ٣٠٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

المطلب الثالث

أنواع العزة بين المدح والذم

جاءت النصوص الشرعية لتمدح إظهار العزة تارة وتذمها تارة، فهي إن كانت لله ورسوله وللمؤمنين فهي الممدوحة، وأما إن كانت للكافرين فهي في الحقيقة ذم وذل ومهانة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾[(١)]، فكما تكون العزة خلق حميد إذا قامت على الحق والعدل، واستمدها صاحبها من حمى ربه لا من سواه، فكذلك تكون أحياناً كاذبة أو خلق ذميم حين تقوم على البغي والفساد، فعزة الكافرين تعزز كاذب وكل عز ليس بالله فهو ذل، وعلى هذا الأساس تكون العزة شرعية أو غير شرعية، فإذا اعتز المرء بدينه ورفع نفسه عن المهانة فهو لا يريق ماء وجهه ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، سالماً من ألم الهوان، متحرراً من الأهواء، أما غير الشرعية فهي التي ترتبط بالكفر والفسق والنسب ونحوها كالاعتزاز بالجاه والمنصب أو بالكثرة سواء بالمال والعدد، أم بجمال الخلقة أو الثبات وهذه كلها مذمومة، وهنا لابد أن نفرق بين العزة كمطلب شرعي والكبر المنهي عنه، ليحذر المسلم من إيقاع نفسه مواطن الذم والخطأ، فالعزة تأتي من الاعتزاز بالله سبحانه وتعالى ومن التزامه بالمنهج الصحيح، فهو وإن كان لا يرى له على أحد فضل، ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل لله الذي جعله يقوم بهذه الدعوة، أما الكبر والغرور فهو نيل شهوات النفس بالترفع عن خلق الله والتكبر عليهم والافتخار والتطاول على الغير.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨١.

المبحث الثالث
ضوابط العزة في الدعوة

توطئة:

لا تخفى أهمية العزة بعدما وضحنا مشروعية العزة وأنواعها، لكنها تحتاج إلى أن تقنن بضوابط وشروط حتى تكون نافعة وبناءة بإذن الله، فالداعية ربما يدخل في نفسه العجب، ويورثه قيامه بالدعوة شعوراً بالترفع والعزة عليهم، فإذا التزم بضوابط العزة زال عنه ذلك الشعور، وفيما يلي أبرز تلك الضوابط:

- **الضابط الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع عند الدعوة إلى الله.**
- **الضابط الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة عند الدعوة إلى الله.**
- **الضابط الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة عند الدعوة إلى الله.**

الضابط الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع

هذا الضابط هو الضابط الأكبر الذي تندرج تحته كل الضوابط إذ لابد للمسلمين من مرجعية يتفقون عليها ويقفون عندها، وهذه الأمور لا تتحقق إلا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[1]، والأصل أن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم، أي أنها تفيد كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : (دين الإسلام مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة)[2] .ولما كان للعزة هذه المنزلة العظيمة وجب أن تكون مبنية على هذه الأصول كتاب الله وسنة نبيه بالإضافة إلى ما أجمعت عليه الأمة، والمتدبر للقرآن الكريم يجده زاخراً بآيات العزة فمنها آيات بينات ذكرت ذلك بالتصريح والعموم، ومنها ما تحدثت عنها بالإشارة والتلميح، وكذلك السنة النبوية المطهرة اشتملت على كثير من الأحاديث التي تدعو للعزة سواء بقوله ﷺ أو بفعله مما قد تبين فيما سبق[3] . فالاعتزاز بدين الله يتحقق بالانقياد لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة والاستسلام لهما والإذعان لذلك.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ،ج٢٠ ، ص١٥٩ .

(٣) انظر المبحث الأول ص ١٤.

فالواجب هو تدبر كتاب الله ثم العمل بما جاء به وطاعة الأوامر التي جاءت بالسنة النبوية، واجتناب نواهيها، وتصديق ما فيها، هذا مع الرجوع لكتب السلف الصالح للانتفاع بها ومعرفة الطرق التي نستنبط بها الأحكام من أدلتها.

الضابط الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة

من الأمور التي يجب أن ترتكز عليها العزة العلم، أي العلم بشريعة الله عز وجل، فالعلم هو أساس العزة، ولا يمكن أبداً للعزة أن تتم على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل إلا إذا كانت مبنية على العلم، فكل عزة بلا علم لابد أن يكون فيها تكبر وغرور، ولنبين أهمية قيام العزة على علم لابد أن نعرض حال بعض المسلمين اليوم الذين رغبوا أو أرادوا في العزة دون علم وبصيرة فأخطأوا في ذلك، وقلبوا معنى العزة الواضح في المنظور الإسلامي إلى الاستعداء والتخويف لمن لا يستحق التخويف كالعدوان الذي يمارسه الأفراد بغياً على الإنسان في دينه ودمه وماله وعرضه لأن ذلك عمل إجرامي كبير، وانتهاك لحرمة الأنفس المعصومة والأموال المحترمة، ولعل أبرز أسباب ذلك الاستعداء والتخويف هو الغلو والتطرف في فهم مصطلح العزة، والجهل بحقيقة ذلك الدين الذي ينظر للمخالف على أنه مريض نعالجه بالحوار والإقناع ليرجع عن مخالفته لا على أنه عدو يجب قتاله، لأن الغلو والتشدد والتطرف في فهم العزة الصحيح يقود إلى العنف، ولقد أرشدت النصوص الشرعية الصحيحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى التقيد في الدعوة بالمنهج الصحيح المعتدل للعزة والنهي عن كل ما فيه تطرف وغلو وتنطع. كما أن مجرد التخشين في الدعوة لا يوافق معنى العزة، فلا يصح أن نقول للظالم (يا ظالم، يا من لا يخاف الله) لأن ذلك يحرك فتنة، وفيه تنفير يقلل من أفراد هذه الدعوة ولا يعزها، ألم

يقل تعالى لموسى وهارون عليهم السلام ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾(١).

على الداعية أن يبين الفرق بين العزة الشرعية والعزة الغير شرعية ويوضح للمدعوين الفرق بين صور العزة الشرعية التي تتمثل بالاعتزاز بالله تبارك وتعالى والاعتزاز بالانتساب للإسلام والاعتزاز برسولنا محمد ﷺ ، وإظهار العزة على الكافرين وخفض الجناح للمؤمنين ، وصور العزة الغير شرعية كالاعتزاز بالآباء و الأجداد أو القبيلة أو الاعتزاز بالمال والعدد أو الاعتزاز بجمال الهيئة أو الثياب.

الضابط الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة

الحكمة هي إصابة الحق بالقول والعمل، وقد حث الله عز وجل الدعاة على الحكمة عند الدعوة:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾(٢). والعزة صفة للداعية، ولذا فيجب أن يكون الداعية حكيماً في اتصافه بها، فعليه مثلاً اختيار الأسلوب المناسب في الموقف المناسب والحالة المناسبة، لأن ما يصلح لحالة من الأحوال، أو لمعالجة موقف من المواقف أسلوب لا يصلح لغيره، فما يتخذه من أساليب مع دعوة المسلم يختلف عما يتخذه مع غير المسلم، وما يتخذه في الشدة يختلف عن الرخاء، وفي الترغيب بخلاف الترهيب، ولذا تتنوع مظاهر الحكمة في العزة على حسب طبيعة الموقف الدعوي ولكن أبرزها:

١– العمل بالعزة:

أي تطبيق ما يقول على نفسه أولاً، وأن يكون قدوة حسنة فيما ينصح به من فضائل أو ينهى عنه من رذائل، فالعمل بالبر أولاً قبل الدعوة إليه، مصداقاً لقوله تعالى:

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، ولقد ورد الذم كثيراً وعظيماً لمن يخالف قوله فعله، ولمن لا يلحق القول الفعل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[2]، فالقدوة الحسنة لها أثرها في النفوس، وإن وافق الفعل القول كان ذلك أبلغ في الفهم والمعرفة وفي القبول والإقبال على هذه الدعوة، وهذا يعني أن يبدأ الداعية بنفسه فالمخالفة بين القول والفعل من أسباب عدم قبول الأمر، وحصول أثره، ومن هنا قال تعالى على لسان نبي من الأنبياء: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾[3]، فالداعية هو أول من يجب عليه أن يعتز بدينه، وتظهر عليه علامات تلك العزة.

٢- احترام المدعو وتقديره:

ومع إظهار الداعية لعزته يجب أن يقدر المدعو ويحترمه، فينبغي أن نؤكد على إظهار الاحترام المتبادل وإعطاء كل ذي حق حقه والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطبه بعبارات لائقة وألقاب مستحقة وأساليب مهذبة، ومن ذلك أيضاً عدم مواجهة أحد بعينه، فلا يؤدب ولا يزجر إن كان في الدعوة العامة ما يكفي، وقد كان النبي ﷺ يسلك هذا الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله ﷺ (ما بال أحدكم) فإن ذلك أدعى في قبول الحق والاستجابة له، والعزة ليست للذات والاستعلاء على الناس، وإنما هي للعقيدة، فالعبد إن رزق العزة في دعوته فقد رزق الاستعلاء على هذه الدنيا الزائلة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الصف، آيات: ٢-٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٨.

٣- عدم الإفراط والتفريط في الأخذ بالعزة:

فلا إفراط بتخويف وإرعاب وإرهاب لغير المسلمين ولا تفريط بفقدان الاعتزاز بهذا الدين وأهله وقد تم توضيح قضية عدم الإفراط بالضابط الثاني، أما التفريط فيكون ذلك بالتشبه بالكفار ومحاولة تقليدهم، أو عدم إنكار المنكر أو حتى الوقوع في المعاصي مع الأقران، وإننا نلاحظ في هذا العصر مدى تأثر بعض الشباب بالحضارة الغربية، وإن هذا الحب للغرب أو للبلاد الكافرة والإعجاب بنظمها وقوانينها يجعل شبابنا يحب أفكارهم ولغاتهم وحياتهم حتى ولو لم تكن جيدة، وكلنا أصبحنا نتعجب من جيل اليوم الذي ينزل القرآن بلغته ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾[1]، ثم يتفاخر بلغته الأجنبية أمام العرب، والأدهى والأمر من ذلك كتابة الكلمات العربية بحروف أجنبية.

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

المبحث الرابع

أثر العزة على الدعوة

توطئة:

لا يخفي على عاقل أن كل فعل من الأفعال ، وكل عمل من الأعمال إنما تعرف أهميته وقيمته من ثمراته المترتبة عليه، ومن آثاره التي يتركها ، وإن من أبرز آثار العزة في الدعوة إلى الله ما يلي:

- المطلب الأول : وجوب تحديد مفهوم العزة
- المطلب الثاني : الوضوح في الدعوة
- المطلب الثالث : العزة بحسب المقدرة
- المطلب الرابع : مشروعية الهجرة عند الحاجة إليها
- المطلب الخامس : كسب الرزق
- المطلب السادس : الحرص على تحبيب الدعوة بالعزة
- المطلب السابع : الولاء والبراء
- المطلب الثامن : فتح باب الأمل بالتوبة
- المطلب التاسع : الستر عند الخطأ
- المطلب العاشر : الحوار مع المدعو

المطلب الأول

وجوب تحديد مفهوم العزة

إن تحديد المفاهيم أمر في غاية الأهمية، إذ لا يستطيع المرء أن يحكم على أمر من الأمور قبل أن يتصوره، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ومن حكم قبل أن يعلم ماهية الأمر أو يحدد مفهومه فقد أخطأ خطأً فاحشاً.

وإذا أريد فهم لفظ من الألفاظ الشرعية، فلا بد من الرجوع إلى أمرين هما اللغة العربية التي تكلم بها الشارع ومقصود الشارع من الألفاظ(١) .

لهذا كله كان من الواجب على الدعاة إل الله ـ تعالى ـ العلم بحقائق الأشياء و إدراك المفاهيم – ما أمكن – بل والحرص عند إطلاق الألفاظ الشرعية، لأن تلك الالفاظ صارت مصادر للخلاف بين الناس، والعزة أحد تلك المفاهيم الواجب بيانها للاختلاف الناس حولها ما بين مفّرط و مفَرط حيث يقول ابن القيم – رحمه الله – :(وكل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميمين كالجود الذي يكتنفه البخل والتبذير، والتواضع الذي يكتنفه الذل والمهانة والكبر والعلو، فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخلقين الذميمين)(٢) .

فيجب على الدعاة تحديد مفهوم العزة الصحيح رغبةً في تصحيح الخطأ وإزالة اللبس وكشف الغموض، وبيان بأنها خُلق بين خُلقين أحدهما الكبر والآخر هو الذل والهوان، ومحاولة ربطها في الحق وبالحق، والتي يكون فيها صاحبها عزيزاً ولو كان فقيراً أو مظلوماً لأنه يعتز بعزة الله تبارك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، فهذه هي العزة المقصودة لأنها اعتزاز بمن يملكها وإذعان له وانتساب لشرعه وهديه ودعوته .

---

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر لعبد الرحمن اللويحق ط١٤١٩:١، ص٩١٠

(٢) مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص٣٠٩.

المطلب الثاني

الوضوح في الدعوة

يعلم الجميع أنه كلما كانت الدعوة واضحة ـ باختلاف اطلاقات وأنواع الدعوة ـ كان القائم عليها والداعي لها واثقًا من صحتها معتزاً بها، ولقد كان من أبرز آثار العزة على الدعوة وضوحها.

فالدعاة لا يخوضون في ظلمات ولا يسيرون متخبطي الخطى ولا يعتمدون على اجتهاداتهم الفردية ولا ينهلون من فراغ، لأنها دعوة تقوم على العلم والبصيرة والهدى والرشاد، يقول تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[١].

يقول الشيخ القاسمي – رحمه الله–: (دل قوله تعالى [عَلَىٰ بَصِيرَةٍ] على مزِّية هذا الدين الحنيف ونهجه الذي انفرد به، وهو أنه لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه ادعى وبرهن، وحكى مذاهب المخالفين، وكرّ عليها بالحجة، وخاطب العقل واستنهض الفِكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيه من الإحكام والاتقان على أنظار العقول ، وطالبها بالإمعان فيها لتصل إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه)[٢] فإذا أدرك الداعية هذا الوضوح إدراكاً كاملاً انطلق بدعوته بكل ثقة وعزة حتى يصل للنتيجة المؤملة والمرجوة من دعوته.

والعلاقة بين الوضوح والعزة علاقة سبب ونتيجة، فلأن الدعوة كانت واضحة كان يحق للداعية أن يعتز بها، ولأن الداعية يعتز بدعوته كان يجب أن تكون واضحة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي، دار الفكر، بيروت، ط٢: ١٩٧٨ م، ج٩، ص٢٩٥.

المطلب الثالث

العزة حسب المقدرة

من لطف الله عزوجل بعباده ألا يكلفهم فوق طاقتهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (1) ، يقول القرطبي - رحمه الله- : (نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عباده من أعمال القلب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف و في مقتضى إدراكه وبنيته).

ولهذا فقد جعل شرط الاستطاعة في جميع الأحكام الشرعية، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-إن مدار الشريعة على قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (2) المفسر بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (3) ، وعلى قول النبي ﷺ : (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) (4) (5) .

والعزة في الدعوة إلى الله كسائر الأحكام الشرعية التي يشترط لها القدرة والاستطاعة، فلا تجب إلا على من يقدر ويستطيع، ولهذا ورد في الحديث الشريف (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (6) ، كما

(1) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(2) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(3) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(4) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٧٢٨٨)، ص ١٣١٩.

(5) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، ج٣٨، ص ٢٨٤.

(6) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٤٩)، ص ٥٢.

جاء أيضاً (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان إلا حبة خردل)[١] .

لذا فالقاعدة العامة التي لابد لكل داعية من معرفتها ،حتى يعرف القدر الواجب عليه من إظهار العزة هو التفريق محبة المعروف وكره المنكر وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفعلي، لأن المحبة القلبية للمعروف والكراهية القلبية للمنكر لا مندوحة لمسلم بأي حال من الأحوال وليس وراء ذلك من الإيمان شيء، أما الإنكار أو الأمر الفعلي فهو بحسب الطاقة والاستطاعة، إما باليد أو اللسان وهي الحدود العليا للاستطاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي بهما يستطيع الداعية أن يظهر عزته أو أن يعبر عنها بكل ما أوتي من قوة وعلم، أو الاختصار على الأدنى من الاستطاعة كما في المحبة والكره القلبي الذي يجب ألا يتركه الداعية بأي حال من الأحوال.

ومن المعلوم للجميع أن ما يتيسر للداعية من أفعال أو أقوال يظهر بها عزته بدعوته في ظل الحكومات الإسلامية قد لا يتيسر مثله في حكومات الكفر.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٥٠)، ص ٥٢.

المطلب الرابع

مشروعية الهجرة عند الحاجة إليها

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(١)، من المعلوم أن الهجرة لإعلاء كلمة الله هي دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام ،بل إنها برهان لصلاح العبد واستقامته، إلا أن الهجرة تعد أيضا تعد آثار العزة على الدعوة، إذ أنها سبب لتفريج كربة الداعية ، ونيل العزة والكرامة ،وحصول الخيرات، حيث يتيسر له بهجرته أن يُظهر تلك الدعوة ويجاهر بها ،فالداعية سيستطيع أن يجد حينها ،–بتوفيق الله– أرض خصبة لنبتة الطيب ،بخلاف تلك الأرض الجرداء التي تركها بهجرته، وسُيظهر العزة بدينه حين يقيم شعائر دينه بيسر وسهولة، كما ستفتح الهجرة للدعوة مجالات رحبة لم يجدها الداعية بوطنه الأول ،كأن يتمكن من أن يتجه لصلاة الجمعة والجماعة في المساجد بيسر وسهولة، بينما ربما كان من الصعب عليه القيام بذلك في بلده الأول، ولا أدل على ذلك من أن رسول الله ﷺ لم يحصل لدعوته العزة والمنعة لها ولأتباعها إلا بعد أن هاجر للمدينة المنورة ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾(٢) أي مكان تكون له فيه المنعة من تعذيب الكفار و أذاهم وسعة في الرزق وعزة وخير للدعوة.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

المطلب الخامس

كسب الرزق

إذا كان الشارع قد رخص للمحتاج أو الفقير أن يعرّض حاجته للناس ،أو أجاز له أن يطرق أبواب المسألة، فإن ذلك مما لا ينبغي للدعاة أن يسلكوه بحال من الأحوال، بل يجب عليهم أن يتعففوا ،ولا يظهروا للناس فقرهم وقلة حالهم ،وعليهم أن يستروا ذلك ويكتموه إتصافاً بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾[(١)] حتى يرزقهم الله عز وجل بما وعدهم به رسوله الكريم ﷺ :(ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)[(٢)] ولذا فعلى الداعية أن يجتهد ليعتمد على نفسه بطلب أسباب الرزق ،امتثالاً للأمر بأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها ،كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[(٣)]، فيطرق أسباب الرزق الحلال، ثم يوطن نفسه على الرضا باليسير ،حتى يصل إلى درجة الاستغناء عن الخلق ،كما قال عليه الصلاة والسلام :(وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)[(٤)] ولا أدل على ذلك من قوله ﷺ لأصحابه: (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم)، فقال أصحابه: وأنت ؟ فقال: (نعم كنت

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم (١٤٦٩) ، ص ٢٧٣، و صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر، حديث رقم (١٠٥٣) ، ص٤٦٧.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، حديث رقم (٢٣٠٥)، ص ٥٢١، قال الألباني: حديث حسن.

أرعاها على قراريط لأهل مكة)[١] فرعي الرسول ﷺ الغنم جعله يستغني عما في أيدي الناس ويعتمد عليهم في ذلك فتبقى قيمته وترتفع منزلته ،ويبتعد عن الشبة والتشكيك فيه، ولذا نجد أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانوا يؤكدون ذلك لأقوامهم بقولهم : ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾[٢] ، ولا شك أن اعتماد الداعية على الكسب الحلال يكسبه الحرية التامة ،والقدرة على الدعوة والصدع بها، ولذا قال رسول الله ﷺ :(ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده)[٣] فصاحب الدعوة لن تكون لدعوته أي قيمة في الناس، و لن يحق له أن يعتز بتلك الدعوة إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته، أو على أساس من عطايا الناس ،ولذا كان الداعية أحرى الناس بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي حتى لا يكون لأحد من الناس عليه منة أو فضل، فيعوقه ذلك من أن يصدع بالدعوة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، حديث رقم (٢٢٦٢)، ص ٤٠٣.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم (٢٠٧٢)، ص ٣٧٣.

المطلب السادس

الحرص على تحبيب الدعوة بالعزة

كان للعزة في الدعوة أثر عظيم في فتح قلوب العباد وترغيبهم في الاستجابة لدين الله، فجذب قلوب كانوا من ألد أعداء هذا الدين فاستظلوا بظله الظليل لأن الناس تميل للعزة والترفع وتأنف من الذل والهوان.

ولا يخفى على من يقرأ في السيرة المطهرة حديث :(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن)[١] وقد كان ذلك في فتح مكة ، وذلك لعلم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه رجل يحب الفخر والاعتزاز بالنفس ،ولم تكن هذه الجملة إلا استمالة منه لأبي سفيان ـرضي الله عنه ـ لأنه لم يكن هناك حاجة لدخول بيته مادام بإمكانه أن يدخل داره هو ليكون آمناً.

فإذا علم المدعو أن هذا الدين هو دين العزة والقوة، واستمد بتمسكه بهذه الدعوة قوته من قوتها وعزته من عزتها ناسب ذلك ما جُبِلت عليه نفوسهم البشرية من نيل لذلك ورغبةً فيه. فالدعوة موجهة لتلك النفس البشرية، ويجب النظر لها بواقعية تراعي طبيعتها وما جُبِلت عليه ، لأنها كانت تعتز بأيام الجاهلية بقبيلتها أو نسبها أو عِرقها فجاء النبي ﷺ ورباهم على أن يغيروا مسار تلك العزة إلى العزة بالله ومنهجه وشرعه فهو حين سمعهم ينادي بعضهم ياللأنصار ياللمهاجرين أجابهم:(دعوها فإنها خبيثة)[٢] وقال

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خير مكة، حديث رقم (٣٠٢١)، ص ٥٤٢، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما يُنهى من دعوى الجاهلية، حديث رقم (٣٥١٩)، ص ٦٤٥.

(ماهذا، دعوى أهل الجاهلية ؟)[1] ، فلا اعتزاز إلا بالإسلام ولا انتماء إلا إلى الإسلام. ولأن هذا الدين هو دين العزة والرفعة كان متسقا مع الفطرة البشرية فإن من مهمة رجال الدعوة أن يحسنوا عرض هذا الدين للبشر من جهة صفاتهم وأساليبهم في عرض الدعوة، فليس أحد من الناس يعلم بهذه الدعوة وعزتها إلا وأحب أن يستجيب لها ويطيع أوامرها ما لم تعرض له عوارض الحسد والكبر ونحوها.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (٢٥٨٤)، ص ١٢٤٦.

المطلب السابع

الولاء والبراء

نهى الله ـ عز وجل ـ المؤمنين عن مولاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)، ومن يفعل ذلك فقد سلك الطريق الخاطئ وانحرف عن الطريق الصحيح وذلك الوعيد الشديد الذي ورد في قوله عز وجل :[وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ (٢) أي أنه قد انقطع عن الله وليس له في دين الله نصيب لأن موالاة الكافرين لا يجتمع مع الإيمان، وأن هذه العقيدة ،أعني عقيدة الولاء والبراء من أبرز آثار العزة على المؤمنين بصفة عامة والدعاة بصفة خاصة ،إذا يجب عليهم أن يظهروا العزة على الكافرين والذلة وخفض الجناح للمؤمنين، فعلى الداعية

أن يُري الكافر من نفسه عزة وقوة واستعلاء ،لا كبراً ولا بطراً ،بل إظهاراً لقوة هذا الدين وعزته، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣)، فهم رحماء في ما بينهم إلا أنهم أشداء على الكفار وأقوياء في مواجهتهم، وفي مقابل ذلك يكون من أعتز بالكفار من يهود أو نصارى أو تقرب منهم أو فضلهم على إخوانه المؤمنين به صفة من صفات النفاق، لقوله

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

المطلب الثامن

فتح باب الأمل أمام المدعو بالتوبة

لقد أثنى الله على التائب من الذنب في قوله ـ تعالى ــ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾[(١)]، ويقول ـ عزوجل ــ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[(٢)] ،كم قد حث على التوبة وشجع عليها بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٢٥﴾[(٣)]، ولقد كانت التوبة والرجوع إلى الحق من أجل الأخلاق التي دعا إليها الإسلام ،بل وحث على الالتزام بها ،فالمسلم دائم الخطأ، ولهذا فهو بحاجة مستمرة إلى تجديد تلك التوبة ، والرجوع إلى الحق . ولقد كان فتح باب الأمل أمام المدعو بالتوبة من آثار العزة في الدعوة، فالتوبة من آثار العزة على المدعو، لأن الإنسان ضعيف معرض للخطأ في كل زمان ومكان، حيث يقول الرسول ﷺ :(كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[(٤)] ، والتوبة هي الطريق الوحيد للرجوع والاستقامة والتقوى ،ومن ثم إظهار المدعو لعزته بدينه ، لأنه لو لم يفتح الله أمام خلقه هذا الباب لأدى ذلك لعدم نجاة أحد منهم ، كما يؤدي أيضاً إلى الطغيان والتجبر حين ييأس العصاة من التوبة والمغفرة ، فعلى الدعاة ألا ييأسوا مدعويهم من الصلاح والهدى، و لا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ٤٩، حديث رقم (٢٤٩٩)، ص ٥٦٣، قال الألباني: حديث حسن.

أن يقنطوهم باستحالة رجوعهم للاستقامة التي هي الطريق لعزتهم بدينهم، كما ينبغي أن يكونوا شديدي الحرص على هداية مدعويهم مهما بدر منهم من تحد وعناد ومناصبة بالعداء القولي أو الفعلي تجاه الدعوة و الدعاة[١].

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الاسلامية لعبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط١: ١٤٢٩هـ، ص٥٧١

المطلب التاسع

الستر على المدعو عند الخطأ

كان منهج السلف في الدعوة اللطف في النصيحة لا القبح في الفضيحة، فينبغي للداعية أن يستر على المدعو، لأن في الستر نوع من تأليف قلبه والحفاظ على عزته وهيبته عند الآخرين، كما أن المدعو أولى الناس بالستر حتى يقبل على استجابة الدعوة ويقلع عن تلك المعصية.

فإن وقعت المعصية و رأى الداعية وجوب بيانها والنهي عنها، فيكون ذلك بلطيف النصيحة ، دون تهجم أو تجريح أو قدح أو ذم أو استنقاص أو هتك ستر، لأن المقصود هو إخماد ذلك المنكر والحول دون انتشاره في المجتمع وليس العدوان على المدعو أو ذمه أو التقليل من شأنه ،وفي مثل هذا كان رسول الله ﷺ يعلمنا أن نقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا أو يقولون كذا وكذا ومنه ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: النبي ﷺ : (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلاتهم) فاشتد قوله في ذلك حتى قال: (لينتهين عن ذلك قوم أو لتخطفن أبصارهم)(١) ، ويقول ﷺ (لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة)(٢).

فالداعية إلي الله أخ للمدعوين، يحفظ عليهم حياتهم وأسرارهم، ويصلح من شأنهم، ولا يهتك أسرارهم ،فيهتدي بهدي رسول الله – ﷺ –وذلك بأن يحافظ على عزة مدعويه وكبريائهم فيغض الطرف عن زلات مدعويه ويحفظ أعراضهم ،لأن البوح بأسرارهم أمام

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، حديث رقم (٧٥٠)، ص ١٤٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله –تعالى– عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة، حديث رقم (٢٥٩٠)، ص ١٢٤٨.

الناس ، واطلاع الآخرين على عوراتهم من التشهير والفضيحة الذي تأباه النفوس وتنفر منه الطباع [1].

(١) انظر: الأسس العلمية للمغذوي، ص ٥٧٢.

المطلب العاشر
الحوار مع المدعو

إن من يُعمل نظره في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة سيجد أن الأساس الذي تبنى عليه الدعوة هو الحوار وليس الإجبار، قال تعالى :﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (١)، ولا أدل على أن الحوار من أبرز أساليب دعوة المدعو من قوله تعالى:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (٢) فهذه الآية تصرح بأن الحوار أو المجادلة بالتي هي أحسن قد تكون في مواطن كثيرة هي الأسلوب الأمثل والسبيل الأنجح لاستجابة المدعو، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في حواراته مع مشركي مكة أو اليهود والمنافقين الموجودين في المدينة ،بل لقد كان الحوار سنة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مع أقوامهم. والحوار مع المدعو أحد آثار العزة على الدعوة، إذ به احترام للمدعو واعتراف بقدره، كما أن فيه تقدير لعزة المدعو واعتراف بكيانه واحترام لوجهة نظره ومناقشتها وتفنيدها بالأدلة الشرعية فيصحح الخطأ وتقوم المسيرة.

فالاختلاف بين البشر أمر فطري وظاهرة صحية، ثم أن المدعو بحوار الدعاة معه يعرف تقديرهم واحترامهم له، فيزول ما به من تعصب وحمية، فيُقبل على الحق الذي لديهم، ويتقبل أن يمد يده فيمسك بأيدي هؤلاء الدعاة ليوصلوه إلى الطريق القويم وعندها يدرك النقص الذي لديه ويتدارك الخطأ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

كما أن في الحوار عزة للدعوة في حد ذاتها إذ ان في ذلك الحوار بيان لمسائلها الدقيقة وتوضيح لمقاصدها الصحيحة التي ليس فيها مجال للخطأ أو الاجتهادات البشرية الخاطئة.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلام والسلام على النبي الأمي إمام المرسلين وسلم تسليماً كثيرا، فلله الحمد والمنة أولاً وآخراً على إتمام هذا البحث. فبدأت الدراسة بمقدمة والتي لا غنى للباحث عنها، وتضمنت العناصر الرئيسية الواجب توافرها في البحث العلمي، ثم تناولت أربعة مباحث كالتالي:

فالمبحث الأول تناول مشروعية العزة، وقد تبين ذلك من خلال منزلة العزة في الإسلام ثم طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة ، والمبحث الثاني في أنواع العزة وقد تم تقسيمها لأنواع العزة من حيث المصدر، والمعنى، وأخيراً المدح، والذم ، وكان المبحث الثالث في ضوابط العزة في الدعوة، أما المبحث الرابع فقد كان في آثار العزة على الدعوة.

وإذا بلغ هذا البحث نهايته فإنه من المناسب أن أذكر أهم النتائج:

ـ مما يدلل على منزلة العزة في الإسلام ارتباطها باسم من أسماء الله الحسنى وكانت صفة للقرآن وكثرة ورودها في القرآن والسنة.

ـ جاءت طرق كثيرة في الشرع لتقرير حقيقة العزة كأسلوب النهي الصريح عن المهانة والذل وأسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي للعزة وما يستوجبها .

ـ يجب أن نعتمد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع عند الدعوة .

ـ للعزة عدة آثار على الدعوة منها كالوضوح ومشروعية الهجرة عند الحاجة إليها والحوار مع المدعو والستر عليه.

وأما أهم التوصيات هي:

ـ أوصي نفسي وجميع أهل الدعوة بتقوى الله في السر والعلن فهي وصية الأولين والآخرين.

ــ توصي الباحثة المتخصصين في علم الدعوة وطلاب العلم في كليات وأقسام الدعوة الذين يدرسون في مرحلة الماجستير والدكتوراه بأن يقوموا بالبحث والتوسع في الكتابة بالجوانب النفسية للدعاة ،و أن يهتموا كثيرا بالكتابة في علم النفس الدعوي

ـــ توصي الباحثة كليات وأقسام الدعوة بمزيد عناية بتحرير الألفاظ الشرعية وإيضاح معانيها.

المصادر والمراجع:

بعد كتاب الله - تعالى – (القران الكريم) يكون ترتيبها في الهجائية على النحو التالي:

- أحكام أهل الذمة لابن القيم، دار الحديث ،القاهرة .
- أساليب ومنهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية لأحمد الصباب، دار البلاد، جدة، ط ٣ : ١٤١٩هـ
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبدالرحيم المغذوي ، دار الحضارة، الرياض، ط١ : ١٤٢٩ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ
- الإيجابية في حياة الداعية لمحمد أحمد الراشد ، دار البشير، جدة.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ،دار مكتبة الحياة ، بيروت.
- تأليف القلوب في الدعوة لعبدالعزيز الروضان : ١٤١٩ هـ ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام.
- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، لعبد رب النبي أبو السعود، دار التوفيق ، القاهرة، ط١: ١٤١٢هـ.
- الترغيب والترهيب للمنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار ابن حزم ، بيروت ،ط ١ :١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، دار هجر، مصر ،ط١ ،١٤٢٢هـ .
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لمحمد الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣: ١٤١١هـ.
- روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، مكتبة دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ.

- زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٣ : ١٤٠٦هـ.
- سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف ، الرياض، ط٢: ١٤٢٩ هـ.
- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار السلام، الرياض، ط١ ، ١٤٢٠هـ.
- سنن الترمذي ، مكتبة المعارف ، الرياض، ط١.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، الرسالة، ط١١ ، ١٤١٧هـ .
- السيرة النبوية لابن هشام ، مؤسسة علوم القران ، ج١
- شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة عبدالعزيز الصغير، دار القاسم، الرياض، ط١ ، ١٤٢٠هـ .
- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، دار الوطن ، الرياض: ١٤٢٦هـ.
- صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥ ،١٤٢٨هـ .
- صحيح مسلم، دار الأرقم، بيروت، ط١ ، ١٤١٩هـ.
- طبقات المفسرين لأبي فضل السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ،دار ابن كثير ،دمشق .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ،دار الريان للتراث ، القاهرة ،ط٢ ،١٤٠٧هـ .
- الفتور في حياة الداعية لعثمان محمد دفع الله ، مجلة معالم الدعوة الإسلامية في جامعة أم درمان.
- فقه السيرة لزيد الزيد، دار التدمرية، الرياض، ط٣، ١٤٢٨هـ.
- فوات الوفيات والنيل عليها، محمد شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م .
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط١، بيروت.

- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة: ١٤١٦هـ .
- محاسن التأويل للقاسمي ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢: ١٩٧٨ م
- مدارج السالكين لابن القيم ، دار الكتاب العربي ،بيروت
- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية للدكتور صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط١، ١٤١٦هـ
- مشكلة الغلو في الدين لعبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤١٩هـ
- المعجم الكبير للطبراني، دار الراية ، الرياض.
- معجم المؤلفين لعمر كحالة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق، القاهرة،.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لصالح بن حميد وآخرين ، دار الوسيلة ،جدة ،ط١، ١٤١٨هـ
- نزهة الأعين النواظر لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

البحث رقم (٢)

مسؤولية الدعاة في المملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا

إعداد
د. عبدالعزيز بن محمد بن عبد الرحمن الحمدان
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة في كلية العلوم والدراسات الإنسانية
جامعة المجمعة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[(1)]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(2)]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[(3)]، أما بعد[(4)]:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بكل ما يتوافق مع حياة الناس في كل زمان ومكان، كما أكدت الشريعة الإسلامية على المحافظة على حياة الناس بشتى الطرق من خلال المحافظة على الضرورات الخمس التي فيها سعادة للبشرية،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) انظر: سنن ابن ماجة: ٦٠٩/١، رقم (١٨٩٢)، وتسمي هذه الخطبة عند العلماء: خطبة الحاجة، وصححه الألباني.

فحفظ الدين يعد من أسس بناء المجتمعات، وحفظ النفس التي تتقلب بنعم الله ﷻ المستمرة من حيث المحافظة عليها وعلى كل ما يؤثر فيها من الأمراض وغيرها، وحفظ النسل من كل ما يعتدي عليها من الأمور المحرمة ويؤثر فيها، وحفظ المال الذي يسعد به الإنسان في حياته، ويُسخره للعون في الحلال وترك ما يشوبه من المحرمات، وحفظ العقل الذي هو مناط التكليف من كل شيء يؤثر عليه ويضيعه، وهذه الضرورات لا شك أنها تُبنى عليها كثير من الأحكام الشرعية التي تعد الصلة بين العبد وربه، ولذا فقد أولى الشارع الحكيم الاهتمام بكل افراد المجتمع بما يكفل للناس حياتهم، وحفظ حقوقهم الدينية والدنيوية، ويضبط معايشهم وصحتهم وواجباتهم المنوطة بهم، وهذا ما لا نجده في الشرائع الأخرى، وهو الذي سعى إليه الدعاة إلى الله ﷻ في توعية الناس عامة والمسلمين خاصة لتحذيرهم، وتوعيتهم ،وانقاذهم من هذه الجائحة الخطيرة التي غزت المسلمين دون سابق علم بها وأصبحت تفتك ببعض أفراد المجتمعات دون وجود أي دواء طبي؛ إلا دواء الشريعة الذي يزرع الطمأنينة الإيمانية في نفوس البشر، ولذا كان من اهتمام الدعاة إلى الله ﷻ تبصير الناس، وتوجيههم وإرشادهم إلى الخير بكل أنواعه، وتحذيرهم وإنقاذهم من الشر بكل أنواعه والسعي في دلالة الناس على كل ما يحفظ حياتهم ويسعد معايشتهم ويلين قلوبهم بكل قول حسن، ولذا كان الدعاة إلى الله ﷻ هم أحسن الناس قولا في دعوتهم في الرخاء والشدة وفي الصحة

والسقم يقول تعالى مادحًا لهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

ومن الأمور الواجبة التي يقوم بها الدعاة إلى الله ﷻ تبصير الناس وتوعيتهم حين حلول الوباء والأمراض المتفشية في المجتمع، وتعليقهم بالله ﷻ، والدعوة إلى استخدام جميع الوسائل الوقائية الشرعية، والتقيد بالأنظمة والتعليمات، وبما ينشر من الوسائل الوقائية الطبية، ومشاركة الجهات المعنية في بث الطمأنينة في نفوس المجتمع، ومساندة وزارة الصحة ممثلة في الأطباء والطاقم الصحي الذين يبذلون نفوسهم وأوقاتهم ويعملون على قدم وساق من أجل حماية الناس من تلكم الأمراض.

أولًا: مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في أن هذه الجائحة (كورونا) لها أحكامها الشرعية الخاصة المستجدة التي يجب بيانها من خلال كيفية أن هذه المحنة فيها من المنح الشي الكثير، والتي يظهر الاستفادة منها أثناء هذه الجائحة، وذلك من خلال الرخص الشرعية في أبواب الفقه ومن حيث بيان مفهوم هذه الجائحة الشرعي، ووظيفة الدعاة إلى الله ﷻ في تبيين الضوابط الشرعية، والأعذار المبيحة للرخصة والأحكام المتعلقة بأركان الإسلام وشؤون حياة المجتمع.

---

(1) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

ثانيًا أهمية البحث:

١. تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال بيان وظيفة الدعاة إلى الله ﷻ في إظهار الأحكام الشرعية المترتبة على هذه الجائحة.

٢. وتأتي الأهمية في بيان صلاحية الشريعة في كل زمان ومكان من خلال القواعد الشريعة الثابتة.

٣. تظهر الأهمية من خلال قيام الدعاة في إبراز الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه الجائحة المستجدة ومواكبتها للواقع.

٤. وتكمن الأهمية في قيام الدعاة إلى الله ﷻ في وضع العلاج، والوقاية المناسبة من خلال الأحكام الشرعية في المسائل المستجدة التي لم يسبق بحثها بشكل خاص.

٥. وتتجلى أهمية هذه الدراسة في بيان مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى إلى إظهار استيعاب الشريعة الإسلامية لكل النوازل والمستجدات على مر العصور.

٦. وتنبثق أهمية هذه الدراسة من خلال بيان الدعاة إلى الله تعالى إلى الأحكام الشرعية المهمة المتعلقة بأركان الإسلام، وشؤون حياة المسلمين.

ثالثًا: أسباب اختيار البحث:

١. عدم وجود دراسة علمية تختص بمسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا.

٢. الوقوف على وظيفة الدعاة إلى الله ﷻ ومسؤوليتهم في توعية المجتمع فيما يخص جائحة كورونا.

٣. بيان أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان في ظل وجود الأزمات، وفي زمن وجود جائحة كورونا.

٤. بيان وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في توضيح الأحكام الشرعية في الوقاية من جائحة كورونا.

٥. بيان وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في التأصيل الشرعي لجائحة كورونا وفق الضوابط الشرعية.

رابعًا: أهداف البحث:

١. التعرف على وظيفة الدعاة إلى الله تعالى ومسؤوليتهم تجاه جائحة كورونا.

٢. التعرف على وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في بيان الأحكام الشرعية الخاصة لجائحة كورونا المستجدة وفق الكتاب والسنة.

٣. التعرف على مجالات الدعاة في بيان طرق معالجة الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات وشؤون الحياة في ظروف جائحة كورونا.

٤. التعرف على التأصيل الشرعي لبيان مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا المستجدة.

٥. التعرف على استيعاب الشريعة لكل النوازل والمستجدات على مر العصور.

٦. التعرف على أساليب ووسائل الدعاة إلى الله تعالى المستخدمة وفق القرآن الكريم، منذ فجر التاريخ على يد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وستظل هي الأداة في توعية وتوجيه المجتمع وتبليغ الدعوة إلى تعالى إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها[١].

خامسًا: الدراسات السابقة:

هناك أبحاث تناولت المسؤولية الدعوية تجاه جائحة كرونا، ومن أبرزها: المسؤولية الدعوية تجاه الأمراض المعدية كورونا أنموذجاً، للمؤلف: رائد بن فؤاد باجوري، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢١م، لكنه لم يُفصل في تناول أبعادها الإرشادية والوقائية، والفردية والمجتمعية والحكومية. ولم أقف على أي دراسة تأصيلية تفصيلية متخصصة تبين مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا بشكل أعم وأدق، وبعد البحث والتقصي وجدت بعض الأبحاث الطبية المنشورة عن منظمة الصحة العالمية في موقعها الألكتروني، وحضرت المؤتمر المتعلق ببعض الجوانب الفقهية وأصول الفقه في كلية الشريعة في دولة الكويت في يومي ٢٩-٣٠/٥/٢٠٢٠م، حيث وقفت على أوراق هذا المؤتمر تحديدًا، ويتفق البحث مع أوراق المؤتمر فيما يتعلق بتعريف جائحة كورونا حيث سوف يستفيد الباحث من ذلك في التعريف بمصطلحات البحث.

---

(١) وبذلك نفهم معنى كون المعجزة الخاتمة لنبينا محمد ﷺ(القرآن الكريم) المعجزة البيانية والتي يسعى الدعاة إلى الله ﷻ إلى الاستدلال بها في هذه الجائحة وطمأنة الناس بها.

سادسًا: منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والذي يعرف بأنه:" تتبع الجزئيات كلها، أو بعضها؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعًا"(١)، وذلك من خلال جمع المعلومات حول موضوع الدراسة وخلال استقراء مفهوم مصطلحات البحث، وأهميته، ومسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا، فطبيعة هذه الدراسة تقتضي استخدام المنهج العلمي هو الطريق المأمون للوصول إلى معرفة كل ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة.

سابعا: خطة البحث:

المقدمة، وتتضمن الآتي:

أولًا: مشكلة البحث.

ثانيا: أهمية الموضوع.

ثالثا: أسباب اختياره.

رابعا: أهداف البحث.

خامسًا: الدراسات السابقة.

سادسًا: منهج البحث.

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن الميداني، ص١٨٨.

سابعًا: خطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم مصطلحات البحث:

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مفهوم الدعاة والدعوة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: مفهوم جائحة كورونا في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا:

المطلب الأول: نشأة وبيان أهمية حقيقة وباء كورونا.

المطلب الثاني: مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا.

المطلب الثالث: وظيفة الدعاة في بيان طرق الوقاية الشرعية من الأمراض.

المبحث الثالث: مسؤولية الدعاة الوقائية تجاه جائحة كورونا:

المطلب الأول: مسؤولية الدعاة الوقائية في المسائل الشرعية.

أولًا: الأذان للصلاة المفروضة.

ثانيًا: أداء الصلاة المفروضة جماعة.

ثالثًا: إخراج الزكاة المفروضة.

رابعًا: الصيام.

خامسًا: ما يتعلق بالحج.

المطلب الثاني: المسؤولية الدعوية المجتمعية في التوعية الوقائية تجاه جائحة كورونا.

أولا: توعية الناس على الأخذ بتوجيهات وزارة الصحة.

ثانيا: توعية الناس على التداوي بالمشروع.

ثالثا: توعية الناس على النظافة.

رابعا: توعية الناس على العناية بالجسم.

المبحث الرابع المسؤولية الوقائية الحكومية تجاه جائحة كورونا:

المطلب الأول: مسؤولية السمع والطاعة لولي الأمر.

المطلب الثاني: المسؤولية الأمنية.

المطلب الثالث: مسؤولية وزارة التجارة.

المطلب الرابع: مسؤولية وزارة التعليم.

المطلب الخامس: مسؤولية هيئة كبار العلماء.

المطلب السادس: مسؤولية وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

المطلب السابع: وزارة العدل

المطلب الثامن: وزارة الصحة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم مصطلحات البحث

المطلب الأول

مفهوم المسؤولية في اللغة والاصطلاح

أولًا: مفهوم المسؤولية في اللغة: مشتقة من الفعل الثلاثي: (سأل) يسأل فهو مسؤول، والمسؤولية هي الاسم وتعني التبعة أي المطالبة، أو المؤاخذة[(١)].

ثانيًا: مفهوم المســؤولية في الاصطلاح: هناك من عرفها بالمؤاخذة على فعل أو قول، ومنهم من قال بأنها: تحمل الشخص نتائج تقصيره، ومنهم من عرفها بأنها: التزام الشخص بالعمل المنوط به، ومنهم من عرفها بأنها: حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزما بتبعاتها المختلفة[(٢)].

ويظهر من هذا المفهوم هو الالتزام والتحمل بأي عمل يناط به المرء في هذه الحياة وخصوصا في الأمور التي تتعلق بحياة الناس ويكون الشخص مناطًا بها وعالقا بذمته أداءها على أحسن وأكمل وجه، وخصوصًا في هذا الوقت الذي ظهر فيه هذا الوباء فإن المسؤولية تكون عظيمة، وبيان الحقيقة وتوعية الناس تكون أعظم لمن تولى هذه المسؤولية.

---

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ١/١٣٣.

(٢) انظر المسؤولية الخلقية، د. أحمد الحليبي، ص٦.

المطلب الثاني

مفهوم الدعاة والدعوة في اللغة والاصطلاح

أولًا: مفهوم الدعاة اللغوي: لفظ (دعاة) مأخوذ من الفعل دعا، يدعو، ادع، ومصدر دعاء، دعوة، ومدعاة، دعوى فهو داع، والمفعول مدعو، ودعي. ودعا إلى الأمر: حث على اعتقاده، ونادى به، إذا سمح لكم بالدخول البيت. ودعت الحاجة إلى ذلك: اقتضت، تطلبت. وقيل دعاة: اسم، ودعاة جمع داعي، وقيل جمع داع، وقيل جمع داعية، وجمع مدعاة، والمدعاة هي الدعوة(١).

ثانيًا: مفهوم الدعاة في الاصطلاح: قيل هم القائمون بالدعوة، وقيل: المبلغ للإسلام والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه(٢).

وعلى هذا يتبين أن مسؤولية الدعاة عظيمة في ظل وجود هذه الجائحة وفي تبليغ الناس ما ينفعهم والتحذير عما يضرهم.

ثالثًا: مفهوم الدعوة اللغوي: لها معان متعددة كلها تدور حول (الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمع، والدعاء، والاستمالة). فالدعوة: مصدر للفعل الثلاثي: دعا يدعو، دعوة.

---

(١) انظر المرجع السابق، لسان العرب، ابن منظور ١/٢٤٠.

(٢) انظر المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص٤١، بتصرف.

والدعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء، وبكسر الدال: الدعوة في النسب. والدعي: من تبنيته، ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء والأدعية[(١)].

رابعًا: مفهوم الدعوة الاصطلاحي: فكلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تتضمن: الإسلام أو الرسالة، أو على عملية نشره وتبليغه وبيانه للناس، والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد[(٢)].

وقيل الدعوة بمعنى النشر والبلاغ: وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد المسلم ربه ﷻ كأنه يراه[(٣)].

وقيل: إن الدعوة إلى الله: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة[(٤)]. وقيل: إن الدعوة إلى الله: إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين[(٥)].

---

(١) انظر: الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، الجوهري، ٦/٢٣٣٦-٢٣٣٨، ومختار الصحاح، الرازي، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص٢٠-٢١.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٥/١٥٧-١٥٨.

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص١٧.

(٥) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص٢١.

وقيل الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة: أي أنها الدين الذي بعث به الله ﷻ الرسل جميعا، وتجدد على يد محمد ﷺ خاتم الرسل، كاملًا وافيًا لإصلاح الدين والدنيا والآخرة [1].

وقيل بأن معنى الدعوة إلى الله: نداء الحق للخلق، ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله ﷻ غير مشركين به، متبعين غير مبتدعين [2].

وعلى هذا تجتمع المسؤولية والدعاة والدعوة لبيان الحاجة الماسة لتوعية وتوجيه النصيحة لعلاج النفوس، وبيان العلاج الوقائي في التحذير من كل ما هو ضار للناس، وفق الأحكام الشرعية.

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، الشيخ محمد الراوي، ص٣٩، بتصرف.

(٢) انظر: التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، د. محمد الأحمدي أبو النور، ص١٠.

المطلب الثالث

مفهوم جائحة كورونا في اللغة والاصطلاح

أولًا: المفهوم العام للفظ جائحة:

اسم فاعل من جاح، والجمع منها جائحات وجوائح يقال اصابته جائحه: أو بليه أو تهلكة أو داهية، ويقال داهية: مصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله. ويقال سنة جائحة: أي جدبة أو غبراء أو قاحلة. والمصدر اجتياح: يقال اجتاح البلاد: بمعنى دخولها غصبًا وقهرًا، واكتساحًا، ويقال المراد بالجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة[(١)].

ثانيًا: مفهوم كورونا في اللغة:

هو مرض معد من سلالة فيروسات كورونا (كوفيد- ١٩)[(٢)]. وعلى هذا فإن معنى الجائحة يوضح الشدة والنازلة التي تحل على كل شيء يخص المرء في نفسه وحياته.

ثالثًا: مفهوم جائحة عند أهل الفقه: بأنه ما أذهب الثمر أو بعضه بآفة سماوية[(٣)].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٣١/٢.

(٢) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية https://www.whoint/ar

(٣) انظر: المعجم الوسيط، ص١٤٥.

أمر بوضع الجوائح لحديث جابر، «أن النبي ﷺ أمر بوضع الجوائح»، والمعنى انه ﷺ **نهى عن أخذ صدقة مما تبقى من المحصول المصاب بآفة سماوية**[(١)].

رابعًا: مفهوم كورونا في الاصطلاح: بعد البحث والتحري لم أعثر على مفهوم خاص، لأن اللفظ في أصله غير عربي، ولكن عرَّفته منظمة الصحة العالمية بأن: علم فيروسات كورونا هو سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عددًا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس)، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس) فيروس كورونا هو اختصارًا كوفيد-١٩، ويُعرف أيضًا باسم المرض التنفسي الحاد المرتبط بفيروس كورونا المستجد ٢٠١٩، وقيل :هو مرضٌ تنفسي إنتاني حيواني المنشأ، يُسببه فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم: ٣/١١٩١، رقم (١٥٥٤).

(٢) انظر موقع منظمة الصحة العالمية. https://www.whoint/ar

وقيل هي: الأمراض التي تنتج من الإصابة بعدوى بعامل مسبب، يمكن انتقاله من إنسان لإنسان، أو من إنسان لحيوان، أو من حيوان لحيوان، أو من البيئة للإنسان والحيوان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[1].

وعرفها بعض الباحثين بأنها: "كل مرض ينتقل من كائن إلى آخر بطريق ميكروبي"[2]، ويدخل الميكروب نفسه إلى جسم إنسان آخر فيحمل المرض دون أن تظهر عليه أعراضه، ويدخل إلى جسم ثالث فتحصل له بسبب دخوله مناعة تقاوم الميكروب وتقضي عليه، وهذا كله بيد الله سبحانه وتعالى وحده، فهو النافع والضار، وهو الذي إن أذن للميكروب أعدى، وإن لم يأذن لم يُعدِ، بل يكون مفيدًا للجسم[3].

وعليه فإن مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تتمثل في أمرين:

أولًا: تحمل الدعاة هذه الأمانة في توعية وتوجيه الناس، وتبليغهم خطر هذا المرض وطرق الوقاية الشرعية منه.

ثانيًا: إن في تقصير الدعاة، وعدم القيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى للحفاظ على الأنفس والأموال تجاه جائحة مرض كورونا التي تنزل بالأمة وتفتك بها ينالهم نصيب من الإثم، كما يجب عليهم أن يوضحون للمدعوين الدليل الشرعي من الكتاب والسنة، في مثل هذه الأحوال من الأخذ بالاحتياطات والاحترازات

---

(1) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية https://www.whoint/ar

(2) جناية نقل الأمراض المعدية، أحمد آل طالب، ص ٣. بتصرف.

(3) العدوى بين الطب وحديث المصطفى، د. محمد البار، ص٢٦ بتصرف.

الشرعية والطبية، وماذا يجب أن يكونوا عليه من الوقاية وطرق الحفاظ على الأنفس والأموال التي تعد من ضروريات الحياة التي جاءت الشريعة الإسلامية بالمحافظة عليها.

التعريف الإجرائي لهذه الدراسة:

هو تحمل الدعاة إلى الله ﷻ المسؤولية في توعية وتوجيه المدعوين وبث الطمأنينة لهم، وإنقاذهم، وتحذيرهم من خطر هذا الوباء المستجد بكافة الطرق الشرعية، واتخاذ الإجراءات الوقائية التي تحفظ عليهم حياتهم.

المبحث الثاني

مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا

المطلب الأول

نشأة وبيان أهمية حقيقة وباء كورونا

نشأة مرض كورونا الذي لم يكن يعرف في جميع دول العالم، بل لم يكن هناك أي علم بوجوده، وآثاره حيث بدأ بالظهور والانتشار في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر/٢٠١٩م[١].

وقد انتشر هذ الداء وزاد انتشاره على غالبية دول العالم ، وأصبح يفتك بحياة البشرية رغم قيام بعض الدول بوضع الاحتياطات والاحترازات للحد من انتشار هذا المرض إلا أن بعض الدول لم تبالي ولم تضع له أهمية إلا بعد أن تفشى هذا الداء، وأصبح الأموات لديهم بالآلاف، وفقدت السيطرة عليه وأصبح يفتك فيهم كما أظهرت وسائل الاعلام، وأما البعض الآخر فقد أخذت بالاحتياطات اللازمة ووضعت الاحترازات مما قلل من انتشاره رغم وجوده، ولكن أصبح يلحظ أن الوفيات في ازدياد في جميع دول العالم بسبب تفشي هذا المرض، ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض[٢].

---

(١) ومرض كورونا الذي صنف من قبل منظمة الصحة العالمية في أيام كتابة البحث عام ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية.https://www.whoint/ar

وتبرز أهمية وحقيقة هذا المرض بشكل ملفت من المعاناة التي تظهر لبعض الناس من خلال الأعراض التي تصيبهم في الحمى والإرهاق والسعال الجفاف، وما يعاني به بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق، أو الإسهال، وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجيًا حتى تشتد حدة المرض لدى بعض الأشخاص وخصوصًا الذين يعانون من بعض الأمراض في صعوبة التنفس، وتزداد احتمالات الإصابة بهذا الفيروس في كبار السن، والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري وغيرها من الأمراض التي أصبحت تظهر لنا بين الفترة والأخرى من جراء هذا الفيروس.

إن وظيفة الدعاة تتلخص في توعية الناس وتوجيههم التوجيه الصحيح، خصوصاً عندما يداهم الناس هذا الوباء، وما فيه من الخوف، والوساوس والهلع، فهم بحاجة ماسة إلى جرعات إيمانية تثبتهم وتقلل من هلعهم، وتزرع في نفوسهم الطمأنينة، وتبين لهم الأحكام الشرعية في مثل هذه الحالات وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التوكل على الله ﷻ والأخذ بالأسباب الشرعية والنظامية، والاحترازات الوقائية والعلاجية في الحد من انتشار هذا المرض.

المطلب الثاني

مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا

إن مسؤولية الدعاة عظيمة وتعظم في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الداء من خلال تبيين الحق للناس من خطر هذه الجائحة في هذا الوقت خصوصًا وقد أصبح هذا الداء يفتك بالصغير والكبير والذكر والأنثى والمسلم وغير المسلم، ولذا يسعى الدعاة إلى الله ﷻ في وضع بعض الاحترازات الشرعية الوقائية لهذا المرض من خلال ما يلي:

١. تنبيه المدعوين على عدم الدخول والخروج من المدينة الذي فيها المرض، والابتعاد عن الشخص المريض واستخدام جميع وسائل العلاج المناسب لهذا الداء.

٢. تنبيه المدعوين على تنظيف اليدين بالماء والصابون وفركهما لقتل الفيروسات.

٣. تنبيه المدعوين بوضع ما يمنع من انتشار الرشح للآخرين كالمناديل وغيرها.

٤. تنبيه المدعوين على الطهارة الكاملة والتباعد أثناء التواجد في الأماكن في جميع الأحوال.

٥. تنبيه المدعوين بعدم الخروج والاختلاط بالناس وخصوصًا في الأماكن المزدحمة العامة كالأسواق وغيرها.

٦. تنبيه المدعوين إلى عدم الاستماع إلى الوسائل الإعلامية التي تنشر الخوف والإرجاف والهلع.

٧. تنبيه المدعوين على من لديه شيء من أعراض مرض الكورونا عليه أن يحجر على نفسه حتى يشفى من هذا المرض.

٨. تنبيه المدعوين على من لديه أعراض مرض كورونا الاتصال بالجهة المعنية وهي وزارة الصحة لكي يضعوا الدواء على الداء ويحمي نفسه والأخرين.

٩. تنبيه المدعوين على الاستماع إلى التحذيرات النظامية التي تصدرها بعض الجهات المعنية ذات الاختصاص.

١٠. تنبيه المدعوين على أخذ الحيطة والحذر من نقل هذا الفيروس للآخرين.

١١. تنبيه المدعوين على الأخذ بالتدابير الوقاية التي تصدر من جهات الاختصاص.

١٢. تنبيه المدعوين الأخذ بالتدابير الوقاية من مصدرها الأساسي الذي هو الأعلم بتفاصيل هذا الداء.

١٣. تنبيه المدعوين إلى التباعد الجسدي، ومنع التجمعات العائلية وغيرها.

١٤. تنبيه المدعوين على السمع والطاعة لولاة أمر هذه البلاد المباركة فيما يخص هذه الجائحة وغيرها(١).

(١) وجميع هذه التوجيهات والتنبيهات تلخصت في الإجراءات التي أقرتها ونفذتها الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية، وكان للعلماء الدور البارز على المنابر وفي مختلف وسائل الإعلام في

المطلب الثالث

وظيفة الدعاة في بيان طرق الوقاية الشرعية من الأمراض

إن مسؤولية الدعاة تعني تحمل الأمانة في بيان الطرق الشرعية من قبل الدعاة إلى الله ﷻ في تقديم ما فيه سعادة ونجاة للبشرية، والقيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ تجاه هذا الجائحة من مرض كورونا التي نزلت بالأمة، وتفشت في جميع المجتمعات، وسمع بها الداني والقاصي وتضرر منها جميع المسلمين وغيرهم، لذا وجب على الدعاة إلى الله ﷻ أن يظهروا وظيفتهم الشرعية في توعية وتوجيه المدعوين، والمجتمع بشتى الوسائل الوقائية الشرعية وبث الطمأنينة في نفوس المدعوين من خلال الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة الذي تطمئن إليها النفوس، وتسلم بكل ما جاء فيها، وذلك من خلال ما يلي:

أولًا: حث الناس على التوكل الله ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

ويقول النبي ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا»[2].

=التوعية بكل ذلك.

(1) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(2) أخرجه الإمام أحمد، ٣٣٢/١، رقم (٢٠٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن صحيح".

ثانيًا: حث الناس على التعلق بالله ﷻ والالتجاء إليه ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١).

يقول النبي ﷺ: «سبعة يظلهن الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه»(٢).

ثالثًا: حث الناس إلى أن الابتلاء سنة إلهية:

يقول الله ﷻ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾(٣).

ويقول النبي ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»(٤).

رابعًا: حث الناس على حسن الظن بالله ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾(٥).

وقال النبي ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني»(٦).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٧١٥/٢، رقم (١٠٣١).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٤) أخرجه البخاري، ١١٤/١١٤، رقم (٥٦٤٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٦) أخرجه البخاري، ١٢١/٩، رقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم، ٢٠٦١/٤، رقم (٢٦٧٥).

خامسًا: حث الناس على زرع الطمأنينة في الناس:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

ويقول النبي ﷺ: (البر ما سكنت إليه النفس وأطمأن إليه القلب)[2].

سادسًا: حث الناس على التوبة إلى الله ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

يقول النبي ﷺ في الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا عباي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»[4].

سابعًا: حث الناس على عبادة الله وشكره:

يقول الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ٢٧٩/٢٩، رقم (١٧٧٤٣). وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم، ١٤٩٤/٤، رقم (٢٥٧٧).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٦.

ثامنًا: حث الناس على الايمان بالقضاء والقدر:

يقول الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[(١)].

وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن يصيبه»[(٢)].

تاسعًا: حث الناس على الاستغفار:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٣)].

ويقول النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[(٤)].

عاشرًا: حث الناس على الاستشفاء بالقرآن الكريم:

يقول الله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٤٨٤، رقم (٢١٤٤).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٤/٢٠٧٥، رقم (٢٧٠٢).

يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[١].

ويقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك»[٢].

الحادي عشر: حث الناس على الصبر:

يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣].

قوله ﷺ: «لا يصيب المؤمن من مصيبة، حتى الشوكة، إلا قص بها من خطاياه، أو كفر بها من خطاياه»[٤].

الثاني عشر: حث الناس على السمع والطاعة لولي الأمر:

يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[٥].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٤/١٧٢٧، رقم (٢٢٠٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٥

(٤) أخرجه مسلم، ٤/١٩٩٢، رقم (٢٥٧٢).

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩

وقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»[١].

الثالث عشر: الأخذ بالأمور الاحترازية من الأذكار والأدعية:

دعاء الخروج من المنزل: قال ﷺ: «من قال -يعني- إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان »[٢].

دعاء تحصين النفس: قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: « من نزل منزلًا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، ٣/١٤٦٩، رقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٧٧٩، رقم (٣٤٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وقال الألباني: =حديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٧٦٩، رقم (٣٣٨٨).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا نزل منزلا، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٧٨١، رقم (٣٤٣٧).

ومن جوامع دعاء الأنبياء – عليهم السلام- ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ»[1] حين قالوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سيئ الأسقام»[3].

الرابع عشر: تصحيح الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية في الاستدلال:

فلذا نجد بعض الناس يتساهلون في الأخذ بالاحترازات والاحتياطات فيضعون هذه الآية في الاستدلال، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[4]، وهذا الاستدلال خاطئ وفي غير محله خصوصا في هذه الجائحة؛ لأن الأصل هو الأخذ بالأسباب وهذا لا يمنع بأن كل شيء مكتوب علينا في هذه الحياة ويلزم

---

(1) أخرجه البخاري، ٦/٣٩، رقم (٤٥٦٣).

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود ص ٢٣٨، رقم (١٥٥٤).

(4) سورة التوبة، الآية: ٥١.

الأخذ بسبل الوقاية مهما كانت، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

المبحث الثالث

مسؤولية الدعاة الوقائية تجاه جائحة كورونا

المطلب الاول: مسؤولية الدعاة الوقائية في المسائل الشرعية.

أولًا: الأذان للصلاة المفروضة:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ تظهر في هذا الوقت لبيان تلك المسائل المتعلق بالأذان، وطريقته تعليم المدعوين من المؤذنين عامة وأفراد المجتمع خاصة وتوجيههم وفق ما ذكره أهل العلم حتى يكونوا على علم بواقع شؤون حياتهم في هذه الجائحة من خلال بعض المسائل الفقهية، ومنها:

- **(صلوا في رحالكم أو بيوتكم أو في الرحال: متى يقال وأين موضعها في الأذان وكم يقولها وماذا يرد السامع؟):**

فقد ثبت في الصحيحين من طريق عبيد الله ﷺ قال حدثني نافع بن عمر رضي الله عنهما: «أذن ابن عمر في ليلة باردة، ثم قال: صلوا في رحالكم، فأخبرنا أن رسول الله ﷺ كان يأمر مؤذنا يؤذن، ثم يقول على إثره: «ألا صلوا في الرحال» في الليلة الباردة، أو المطيرة في السفر»[(١)]، فقلت هذا هو الموطن الأول يكون بعد الانتهاءِ من الأذان، والموطن الثاني: ما ثبت عند عبدالرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار أن عمرو بن أوس روى أن رجلًا من ثقيف أخبره أنه سمع مؤذن النبي ﷺ في ليلة مطيرة يقول: «حي على الصلاة حي على

---

(١) أخرجه البخاري، ١٢٩/١، رقم (٦٣٢)، وأخرجه مسلم، ٤٨٤/١، رقم (٦٩٧).

الفلاح صلوا في رحالكم»[(١)]، فيكون هذ الموطن بعد قول حي على الصلاة حي على الفلاح، وقد نص الإمام الشافعي -رحمه الله- في كتابه "الأم" على جواز كلا الأمرين، ولكن كونه بعد الأذان أحسن ليظل الأذان على موضعه ونظامه[(٢)]، وأيضا هو رأي العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-.

- **(هل يقولها مرة أو مرتين؟):**

ورد هذا (مرة) وورد (مرتين) وكلاهما في الصحيح.

- **(ماذا يقول السامع إذا قال المؤذن: صلوا في رحالكم أو صلوا في بيوتكم أو في الرحال):**

أن يقول السامع قياسًا عند حي على الصلاة حي على الفلاح: (لاحول ولا قوة الا بالله)، وهذا ما أكده الشيخ زكريا الأنصاري -رحمه الله- [(٣)].

ثانيًا: أداء الصلاة المفروضة جماعة:

إن المسؤولية على الدعاة إلى الله ﷻ في بيان هذا الركن العظيم أمر واجب وخصوصًا فيما صدر من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية حال انتشار هذا الوباء من منع إقامة الجماعة والجمعة للصلوات في المساجد، والاكتفاء بصلاتها في البيوت بعد استقراء نصوص الشريعة الإسلامية ومقاصدها وقواعدها

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ١/٥٠١، رقم (١٩٢٥) وصححه الألباني، الإرواء، ٢/ ٣٤١ - ٣٤٢.

(٢) انظر: مسند الإمام الشافعي، ١/١٠٩.

(٣) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري، ١/١٣٠.

وكلام أهل العلم في هذه المسالة وبموجب قرارها رقم (٢٤٦) في ٢٢/ ٧/ ١٤٤١هـ في دورتها الاستثنائية الخامسة والعشرين المنعقدة في مدينة الرياض، فإن هيئة كبار العلماء تبين ما يلي:

- **حرمة صلاة الجماعة والجمعة في ظل هذه الجائحة:**

١. يحرم على المصاب شهود الجمعة والجماعة لقوله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»[١] ولقوله ﷺ «اذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منه»[٢].

٢. من قررت عليه جهة الاختصاص إجراءات العزل فإن الواجب عليه الالتزام بذلك، وترك شهود صلاة الجماعة والجمعة، ويصلي الصلوات في بيته أو موطن عزله، لما رواه الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال: «كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ إنا قد بايعناك فارجع»[٣].

٣. من خشي أن يتضرر أو يضر غيره فيرخص له في عدم شهود الجماعة والجمعة لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[٤]، وفي كل ما ذكر إذا لم يشهد الجمعة فإنه يصليها ظهرا أربع ركعات.

---

(١) أخرجه مسلم، ١٧٤٣/٤، رقم (٢٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري، ١٣٠/٧، رقم (٥٧٢٩).

(٣) أخرجه مسلم، ١٧٥٢/٤، رقم (٢٢٣١).

(٤) سنن ابن ماجة، ٤٣٠/٣، رقم (٢٣٤٠)، وانظر: القواعد الفقهية الكبرى، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ص٤٩٣ =

- **الصلاة على الميت في ظل هذه الجائحة:**

إن الله ﷻ شرع صلاة الميت تكريمًا للمسلم، وقد أثبت الشارع الحكيم أن هذا من حق المسلم على المسلم كما ثبت عن النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست .... وذكر منها: وإذا مات فأتبعه»[(١)].

ولذا فإن الصلاة على الميت حكمها فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وبسبب هذه الجائحة فقد وجهت وزارة الشؤون الاسلامية والدعوة والإرشاد بمنع إقامة الصلاة في المساجد والاكتفاء بالصلاة على الأموات في المقابر فقط، وهذا من الاحتياطات والاحترازات الواجبة للحفاظ على الأنفس ومن انتشار هذا الوباء وتفشيه بين أفراد المجتمع.

- **صلاة العيدين في ظل هذه الجائحة:**

إن صلاة العيدين من شعائر هذا الدين وهي فرض كفاية على القول الراجح وهو قول علماء هذه البلاد وفقهم الله، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين إلا أنه في ضل هذه الجائحة وبسبب قفل المساجد والمصليات فإنه يجوز الصلاة في البيوت بدون خطبة بعدها وهذا قياس على من فاتته صلاة العيد وأحب قضاءها[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم، ١٧٠٥/٤، رقم (٢١٦٢).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش،٣٠٥/٣.

ثالثًا: إخراج الزكاة المفروضة: أي تقديم الزكاة وتأخيرها في ظل هذه الجائحة، وصرفها للجهات الرسمية:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ تظهر من خلال بيان الأحكام الشرعية لهذا الركن العظيم وما يجب أن يبين للمدعوين فيما يخص الزكاة، ومسائل جواز تعجيلها لعام أو عامين مع اكتمال الشروط الموجبة للزكاة أو جواز تأخيرها بشروط ضيقه ذكرها أهل العلم منها تعذر الوصول إلى المال حقيقة أو حكمًا، أو القدرة على تحويله للمستحق ويقدر بقدره وبأقل مدة ممكنه بسبب جائحة كورونا، أو جواز الصرف من الزكاة في تكاليف علاج من أصيب بمرض كورونا إذا كان فقيرًا فيعطى بقدر الحاجة إذا لم تستطع الدولة دفع تكاليف علاج ، ومثله ابن السبيل المصاب بكورونا، ويجوز صرف الزكاة مباشرة للجهات الرسمية، وهي تقوم بدورها في صرفها على أهل الزكاة الذين ذكرهم الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1].

رابعًا: الصيام أثناء الجائحة:

إن المسؤولية على الدعاة إلى الله ﷻ تظهر في واجب توعية المسلمين فيما يخص من يجب عليه الصيام؟ وهم عموم المسلمين ممن توفرت فيهم الشروط التي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

ذكرها أهل العلم من الإسلام والبلوغ والعقل والقدرة والصحة والإقامة، وجواز فطر المريض المصاب بكورونا أو غيره بحسب العذر الذي يبيح له الفطر باستشارة طبيب مسلم كفء ثقة، كما لا يجوز شرعا أن يفطر الطبيب المعالج لمرض فيروس كورونا في نهار رمضان إلا إذا وجد مقتضى شرعي يبيح له الفطر لورود الأدلة الشرعية في ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (1).

خامسًا: الحج والعمرة أثناء الجائحة:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى في تبيين حقيقة هذا الركن العظيم تظهر واضحة من خلال وجوب الحج لمن توافرت فيه الشروط الشرعية، من القدرة المالية والبدنية والاستطاعة من وجود الزاد والراحلة، ويسمح له من قبل الجهات الرسمية بمنح التصريح لأداء مناسك الحج والعمرة، ولكن بسبب ظهور هذه الجائحة ولمنع انتشار هذا المرض، ولما يترتب على المخالطة وعدم القدرة على التباعد عند أداء مناسك الحج والعمرة من أضرار تتلخص في انتشار الوباء، فقد صدر بيان من وزارة الداخلية بين فيه حرص المملكة العربية السعودية على دعم

(1) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

الجهود العالمية والمنظمات الدولية لوقف انتشار فيروس كورونا فقد تم تعليق الدخول للعمرة لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعلى هذا فإن استمر الوضع فإن مناسك الحج يكون تبعا للأمر السابق في المنع فيسقط وجوب الحج إذا خشي من انتشار العدوى بهذا المرض لعدم توفر حينئذ شرط الاستطاعة، ويجوز إيقاف التصريح بالحج أو العمرة لمدة وجود هذا المرض أو دعت الحالة الصحية لذلك، مع أن الحج باقي في ذمة من لم يحج وباقي أيضا بأقل عدد تتحقق فيه فرضية هذه الشعيرة بما لا يؤدي إلى تفشي هذا المرض، ولذا فإن على الدعاة إلى الله ﷻ أن يبنوا حقيقة ذلك وفق الأدلة الشرعية في ضوء الكتاب والسنة، كما دل على ذلك في كتابه العزيز، فقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١)، وقوله ﷺ حينما سئل عن أركان الإسلام في حديث جبريل، فقال: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» (٢).

وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ يجب عليهم أن يبينوا للناس هذه المسائل الشرعية التي تخص أمور دينهم وخصوصًا في هذه الجائحة حتى يكونوا على علم في كيفية أداء عبادتهم والتقرب إلى الله ﷻ على الوجه الشرعي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) أخرجه مسلم، ١/٣٦، رقم (٨).

المطلب الثاني: المسؤولية الدعوية المجتمعية في التوعية الوقائية تجاه جائحة كورونا:

أولًا: توعية الناس على الاخذ بتوجيهات وزارة الصحة

إن مما لا شك فيه أن الدعاة مسؤولون أمام الله ﷻ في بيان الحق للناس والدعوة إليه وخصوصا فيما يتعلق بحياتهم الدينية والدنيوية، وتبرز مسؤوليتهم في هذا الوقت، وهم على ثغر عظيم في مجتمعاتهم؛ لأن لهم منابر ووسائل يصلون بها إلى المدعوين عامة، وإلى المرضى خاصة، ويتوجب الأمر عليهم لكي يتعاونوا مع إخوانهم العاملين في وزارة الصحة في إنقاذ من أصيب بهذا الداء الفتاك والمرض العضال من خلال التوعية والتوجيه وبيان كل ما فيه مصلحة لهذا المجتمع، فلذا نجح هذا الجهد وأثمر هذا التعاون وخرج بنتائج طيبة -بإذن الله تعالى-، من حيث ربطهم بالوصايا النبوية في عدم نشر العدوى والوباء الذي ينتشر بين الناس، وطلب الالتزام بالتوجيهات والتعليمات التي تبث في الروح الصحة والحفاظ على الأنفس من هذه الجائحة[١]

ومن ذلك ما يلي:

١/ العزل الصحي:

أوضح الإسلام الطريقة الصحيحة في العزل الصحي وعدم السماح بالاختلاط مع المرضى للحفاظ على صحة الناس وسلامتهم وهذا الذي أشار

---

(١) إجابة اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية المجلد الرابع عشر (العقيدة).

إليه النبي ﷺ: «إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»[1]، وقال ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»[2]، وقال ﷺ في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»[3].

كما لهم أن ينبهوا الناس على الالتزام بعدم الخروج من المنازل والمكوث فيها خوفًا عليهم من العدوى، وأن يلتزموا بالاحتياطات الطبية للحفاظ على الأنفس من هذا الداء من لبس الكمامات والقفازات، وتناول بعض المضادات من الفواكه والخضروات وما جاء في الشرع من الطيبات المباحة التي تكون بعد الله ﷻ سببًا من أسباب الشفاء والذي نسأل المولى ﷻ أن يكشف هذا البلاء ويرفعه عن البلاد والعباد.

٢/ الحجر الصحي:

لقد عرف الحجر الصحي من عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد قال ﷺ في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»[4]، وقال أيضا ﷺ: «فر

---

(١) أخرجه البخاري، ١٣٠/٧، رقم (٥٧٢٩).

(٢) أخرجه مسلم، ١٧٤٣/٤، رقم (٢٢٢١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد، ٢١٢/٣، رقم (١٦٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٤) أخرجه الإمام أحمد، ٢١٢/٣، رقم (١٦٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

من المجذوم فرارك من الأسد»[1]، وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة في الحجر الصحي تكون وفق الإرشادات التي أوصت بها وزارة الصحة بالتنبيه على المدعوين بالالتزام بالإرشادات الصحية والاحتياطات الوقائية من لبس القفازات والكمامات وغسل اليدين بصفة دائمة ولبس الواقي، والتخلص من الأوساخ والنظافة الدائمة والمتابعة الصحية حتى زوال العارض، وغير ذلك من الأمور التي تساعد على الحفاظ على الصحة.

ثانيًا: توعية الناس بالتداوي المشروع:

ولعل هذه المسؤولية ألصق بالتي قبلها، وهي أن التداوي لا ينافي كذلك التوكل على الله ﷻ والنبي ﷺ يقول: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»[2]، وقوله ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»[3]، وإثبات القضاء والقدر، والتوكل على الله ﷻ، والإيمان بأن ذلك من الأمور المفطور عليها البشر؛ لأن الإنسان يعلم أن كل شيء بقضاء الله ﷻ وقدرته، وأن الله ﷻ يبتلي من يشاء من عباده، كما قال النبي ﷺ: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[4]، وهذا من باب قضاء الله

---

(١) أخرجه البخاري، ١٢٦/٧، رقم (٥٧٠٧).

(٢) أخرجه مسلم، ١٧٢٩/٤، رقم (٢٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري، ١٢٢/٧، رقم (٥٦٧٨).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: السنة، باب: في القدر، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود ص ٧٠٥، رقم (٤٧٠٠).

وقدره، والله ﷻ يبتلي من يشاء من عباده، وقد تقدم أن هذا الأصل العظيم ثابت بالكتاب والسنة، ويؤيده العقل والفطرة؛ فالمنافع الدينية والدنيوية جاءت بالحث على التداوي المشروع، ولقد نهى الشارع الحكيم بالتداوي الممنوع المحرم فقال ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام»[(١)]. فالدعاة إلى الله ﷻ منهجهم حث المدعوين وجميع أفراد المجتمع على استخدام الأدوية المباحة التي يوصي بها الزملاء في وزارة الصحة والتي فيها النفع الكثير في الحفاظ على الصحة والأنفس البشرية.

ثالثًا: توعية الناس بالنظافة:

إن مما يعرفه كل عاقل وتطيب به النفوس هو النظافة التي حث عليها ديننا الحنيف سواء النظافة الحسية أو النظافة المعنوية، وتتأكد النظافة في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الوباء، وتظهر مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ في توعية المدعوين وحثهم على النظافة لأهميتها؛ ولأنها هي الأصل الأصيل في الحفاظ على سلامة الإنسان وصحته، وهذا الذي يوصي به إخواننا في وزارة الصحة، ويسعى إليه الدعاة إلى الله ﷻ في توعية الناس والحث على الالتزام بالنظافة العامة، والنظافة الخاصة المتعلقة ببعض العبادات التي لا تصح بغيرها، ولذا جاء الحث عليها في أعظم ركن وهي الصلاة في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الأدوية المكروهة، وقال الألباني: حديث ضعيف، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ص ٥٨٢، رقم (٣٨٧٤).

﴿بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾[1]، ويقول ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء -، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء -، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقيا من الذنوب»[2].

ومن الأحاديث الواردة في النظافة والتطهير والتي تدل على أهمية العناية بنظافة الجسد، قول النبي ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»[3] وقوله ﷺ: «طهروا أفنيتكم»[4]، وغيرها من الأحاديث الدالة على أهمية النظافة التي تعد من الأمور التي حث عليها الإسلام الذي هو دين النظافة والصفاء والنقاء، وهو الذي يحتم على جميع أفراد المجتمع أن يلتزموا به في جميع شؤون حياتهم اليومية.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) أخرجه مسلم، ٢١٥/١، رقم (٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم، ٢٠٣/١، رقم (٢٢٣).

(٤) المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، ٢٣١/٤، رقم (٤٠٥٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم(٢٣٦).

رابعًا: توعية الناس على العناية بالجسم:

تبرز مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ في توجيه المدعوين وأفراد المجتمع عمومًا بما جاءت به الشريعة في إيضاح العناية بالجسم، ولذا قيل: "العقل السليم في الجسم السليم"، ونجد أن الأحاديث الدالة على العناية بالجسم وتطهير الجسد من الأوساخ كثيرة لا تحصى ، وعلى هذا فقد كان منهج النبي ﷺ يعني بتربية أصحابه ﷺ من جميع النواحي الجسدية والنفسية والاجتماعية، وكان يحثهم على العناية بصحة أجسامهم وبقوتها حتى يمتلكون القدرة على تحمل مسؤوليات الجهاد في سبيل الله ﷻ لنشر الدعوة الإسلامية، فعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[(١)].

وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ تتضاعف في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الوباء وزادت فيه حالات الوفاة جراء الإهمال من بعض المدعوين في عدم العناية بأجسادهم ونظافتهم رغم سهولة الحصول على جميع وسائل النظافة من أدوات العناية بالجسد والتي أمر الشارع الحكيم باستخدامها والحرص على العناية بها، ولذا يقوم الدعاة إلى الله ﷻ إلى بيان حقيقة تلك العناية وطلب الالتزام بها من قبل المدعوين حتى يحصل لهم النجاة من الأمراض، والسلامة من الأوجاع في كل زمان ومكان حبًا منهم لإخوانهم المسلمين، ومن باب حِب لنفسك ما تحبه للآخرين ، وهذا هو منبع حسن تعاون الدعاة إلى الله ﷻ مع الجهات المعنية في وزارة الصحة وغيرها.

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٠٥٢/٤، رقم (٢٦٦٤).

المبحث الرابع

المسؤولية الوقائية الحكومية تجاه جائحة كورونا

المطلب الأول

مسؤولية السمع والطاعة لولي الامر.

إن من المعروف والثابت شرعًا السمع والطاعة في المنشط والمكره لولي الأمر، ولقد جاء الحث على ذلك في كتاب الله ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[(١)]، وفي سنة النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»[(٢)]، ولذا ينبغي السمع والطاعة فيما يصدره ولي الأمر وخصوصًا في هذه الجائحة؛ لأنه هو أعلم بمصلحة العباد والبلاد وعلى جميع المواطنين والمقيمين الاستجابة لما يصدر من ولي الأمر وعدم المخالفة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٤/٥٠، رقم (٢٩٥٧)، وأخرجه مسلم، ٣/١٤٦٦، رقم (١٨٣٥).

المطلب الثاني

المسؤولية الأمنية

لقد أوضحت وزارة الداخلية عددًا من التعليمات التي تحفظ في حقيقتها حياة البشر من خلال عدة أوامر كان القصد منها عدم انتشار الأمراض، ومنها هذه الجائحة، وفق الإجراءات الآتية:

١. حظر التجوال في جميع مناطق المملكة بحسب كل مدينة، وجعلت لها وقتًا محددًا للخروج من أجل شراء الأغراض اللازمة من المواد الغذائية والدوائية وغيرها، وذلك للحفاظ على عدم انتشار هذا الوباء.

٢. حظر التجمعات العائلية والتجمعات العمالية سواء داخل المنازل أو الاستراحات أو المباني، وفرضت غرامات لمن خالف ذلك تتفاوت بحسب كل مخالفة، وذلك من أجل عدم انتشار هذا الوباء.

٣. حظر التجمعات داخل الأسواق والمحلات التجارية، وحددت عددًا في بعض المواطن لا يجوز أن يتجاوزها العاملون فيها مع اتخاذ الإجراءات اللازمة من التباعد والكشف عند الدخول ولبس الكمامات والقفازات الواقية، وفي حال مخالفة ذلك يحاسب بعقوبة رادعه قد يكون عقوبة مالية للمواطنين أو عقوبة مالية وترحيل للمقيمين، وهذا من باب منع انتشار هذا الوباء.

٤. حظرت وزارة الداخلية من نشر المقاطع المسيئة التي تسبب الخوف والهلع للناس والشائعات الكاذبة فيما يخص هذا الوباء.

٥. حثت وزارة الداخلية المواطنين والمقيمين على التبليغ عن كل من خالف تلك التعليمات بالاتصال على الرقم الموحد.

٦. حذرت وزارة الداخلية من نشر الوثائق أو المعلومات السرية التي تزعزع الأمن وتنشر الفوضى.

٧. حضرت وزارة الداخلية من يتعمد نشر هذا الوباء بين أفراد المجتمع بعقوبة صارمة بالسجن، والغرامة إن كان من المواطنين أو المقيمين يضاف إلى ذلك للمقيمين الترحيل ومغادرة البلاد وعدم دخولها مرة ثانية.

٨. وجهت وزارة الداخلية إلى أهمية أخذ المعلومات والإجراءات من المصادر الرسمية، أي من الجهات الرسمية عبر مواقعها الالكترونية في مواقع الاتصال المعروفة لكل جهة رسمية[١].

---

(١)انظر: موقع وزارة الداخلية الالكتروني على شبكة الإنترنت، في تاريخ ١٤٤١/٩/١٤هـ.

المطلب الثالث

مسؤولية وزارة التجارة

لقد قامت وزارة التجارة بواجبها تجاه هذه الجائحة وذلك للحفاظ على الأرواح، فأغلقت المحلات التجارية والأسواق والمجمعات التجارية التي قد تكون سببًا في انتشار هذا الوباء من خلال التجمعات، وقد سمحت ببعض محلات السوبر ماركت والصيدليات بعد أخذ الاحترازات والاحتياطات الوقائية للمحافظة على صحة وسلامة المتسوقين، كما حرصت الوزارة على متابعة تلك الأسواق بدقة، وحذرت من استغلال هذه الجائحة بالغش أو التدليس على المستهلكين أو استغلالهم برفع الأسعار أو احتكار السلع، ولذا كان هناك متابعة ميدانية، ووضعت الوزارة رقم موحد للتبليغ عن أي استغلال أو غش أو تدليس أو انتهاء صلاحية مواد، وحثت الوزارة جميع العاملين لديها بمتابعة الأسواق وإصدار الغرامات على كل مخالف، وذلك للحفاظ على حياة المجتمع كافة(١).

---

(١)انظر: موقع وزارة التجارة عبر شبكة http://www.spa.gav.sa.

المطلب الرابع

مسؤولية وزارة التعليم

سعت وزارة التعليم للحفاظ على سلامة المتعلم والمعلم في جميع المراحل التعليمية من الطلاب والطالبات سوء من المواطنين أو المقيمين في التعليم الحكومي أو الأهلي في المدارس والجامعات والمعاهد ومراكز التدريب، وذلك من خلال تعليق الدراسة والاكتفاء بالتعليم عن بعد، كل ذلك من باب الاحترازات الوقائية لعدم انتشار المرض وتفشيه بين الطلاب والطالبات والمعلمين وهيئة التدريس، ومن باب درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومن باب الوقاية خير من العلاج، كما سعت الوزارة بكل طاقاتها في متابعة تنفيذ الإجراءات الوقائية من هذا الوباء وعدم انتشاره في المجتمع التعليمي مساهمة منها في حفظ الأنفس البشرية[١] .

---

[١]انظر: موقع وزارة التعليم عبر شبكة الانترنت، http://www.moe.gav.sa، بتصرف.

المطلب الخامس

مسؤولية رئاسة هيئة كبار العلماء

سعت هيئة كبار العلماء ممثلة برئيسها وأعضائها في بيان الحق، لأنهم أهل الحل والعقد، وقد أخذ الله ﷻ على أيديهم الميثاق والعهد لتبيننه للناس ولا تكتمونه، فعظمة مسؤوليتهم في هذه الجائحة في إصدار الفتوى، وتعليم الأمة ما ينفعها في العبادات والسياسة الشرعية وفي كل ما يخص حياة الأفراد والمجتمع ويحفظ عليهم حياتهم، وفي كل ما يرتبط بهذه الجائحة من المسائل المستجدة التي يجهلها كثير من الناس، فصدرت منهم الفتوى في اتخاذ الاحترازات الوقائية من منع أداء الصلوات في المساجد، وأداءها في المنازل، والتباعد في أداء الصلاة، كل ذلك سعيا في الحفاظ على الأنفس البشرية[1].

---

(١) انظر: موقع رئاسة دار البحوث العلمية والافتاء، http://www.alifta.gav.sa، بتصرف.

المطلب السادس

وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والارشاد

سعت وزارة الشؤون الإسلامية منذ أن أصدرت الفتوى بمنع أداء الصلوات والجُمع والجماعات، فحرصت على أخذ جميع الاحترازات والاحتياطات ووضعت الخطط في الحفاظ على تلك الأماكن من انتشار هذه الجائحة، فدشنت حملات تعقيم المساجد بصفة مستمرة وإغلاقها وعدم تمكين أحد من الدخول فيها الا المؤذنين للنداء بالأذان فقط، وبعد الأذن بالصلاة فيها أخذت بالاحترازات الوقائية من تعقيم المساجد وفتح النوافذ وتعقيم السجاد وتغيير التالف منها كل ذلك حفاظًا على سلامة من حضر إلى المساجد لأداء الصلاة فيها، وحتى لا ينتشر هذا الوباء[1].

---

(١) انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية عبر شبكة الانترنت، http://www.mola.gav.sa، بتصرف.

المطلب السابع

مسؤولية وزارة العدل

سعت وزارة العدل بكل إمكانياتها فيما يخص التقاضي والإصلاح بين الناس وتسهيل القضايا، والرفع عن الموقوفة خدماتهم، ومنع الحضور الكلي للوزارة والمحاكم والإدارة التابعة لها، وأخذت بتسيير الأمور عن طريق (أونلاين)؛ بل فتحت باب التقاضي عن بعد لكي تسهل على الناس وتيسر إنهاء القضايا وفض الخصومة بين المتقاضين، وجعلت بوابة (ناجز) للرد على جميع الاستفسارات، وعدم تعطيل المعاملات كل ذلك سعيًا منها في الحفاظ على سلامة الأنفس البشرية وعدم تفشي الأمراض[١].

(١) انظر: موقع وزارة العدل عبر الشبكة الانترنت http://www.moj.gav.sa.

المطلب الثامن
وزارة الصحة

سعت الوزارة بكل ما لديها من طاقات في جميع المجالات الطبية في حمل لواء الحماية النفسية والجسدية والروحية من الحفاظ على الأنفس البشرية بكل ما لديها من قدرات وإمكانيات، وتشغيل الكوادر الطبية ليلًا ونهارًا، والتضحية بأنفسهم من أجل علاج المرضى والمحافظة على سلامتهم، ونشر الاحترازات والتوعية من خلال وسائل الاعلام وبيان الحالات المصابة والمتعافية والمتوفاة بصفة يومية، وتوجيه الإرشادات وحث المجتمع على الأخذ بالاحتياطات الوقائية وعدم الخروج إلا لحاجة ماسة للحفاظ على صحة الإنسان وسلامته من هذا الوباء، ولقد بذلت الوزارة جهودا عظيمة علمها القاصي والداني في اتخاذ جميع سبل الوقاية وعدم تفشي هذا الوباء، فلهم منا الدعاء على ما قاموا به في حفظ الأنفس البشرية ورعايتها الرعاية الصحية الدائمة [1].

---

(١) انظر: موقع الوزارة عبر شبكة الانترنت http://www.moh.gav.sa.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على تيسير وتدوين هذا البحث الذي أبرزت من خلاله مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ في انتهاز الفرصة واستغلالها في الدعوة إلى الله ﷻ، ومعالجة عقول المدعوين وأفراد المجتمع وقلوبهم بالتوعية والتوجيه الشرعي في بيان دواء الأبدان والعقول من الأدلة الشرعية وفق ما جاء في كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبعض أقوال السلف الصالح ﭫ، ومن خلال إبراز وتعاون الدعاة إلى الله ﷻ، والمشاركة مع وزارة الصحة وبعض الجهات المعنية في بيان حقيقة هذا المرض ووضع الدواء الروحي وطمأنة المجتمع ونزع الرهبة منهم، وبيان بعض المسائل الشرعية التي فيها صلاح المدعوين وأفراد المجتمع، واتخاذ الأسباب الوقائية من لزوم الناس مساكنهم، وإيقاف كثير من شؤون حياتهم من الجماعة والجمعة في المساجد، والرحلات الداخلية والخارجية، والتجمعات، والحضر الكلي والجزئي على المدن والمحافظات، وإغلاق المدارس والجامعات والدوائر الحكومية والأسواق التجارية والمطاعم والكوفيات وغيرها في ظل تفشي جائحة كورونا الداء الذي بذلت الدولة وفقها الله ﷻ كل ما فيه مصلحة للمجتمع.

ويسرني أن أشكر مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده محمد بن سلمان —حفظهما الله– على ما قاموا به من جهود سمع بها الداني والقاصي في المحافظة على أرواح الناس، واتخاذ الاحترازات الشرعية والنظامية، ووقوف جميع أجهزة الدولة ضد هذا الوباء والبلاء الذي أسأل الله ﷻ أن يرفعه عن البلاد والعباد، وأن يمتع الجميع بالصحة والعافية ويحسن بي في نهاية هذا البحث بيان بعض النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:

أهم النتائج:

١. إن الشريعة الإسلامية أتت لتحقيق مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، وفي مقدمة هذه المصالح الحفاظ على الكليات الخمس (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل (العرض)، وحفظ المال)، والعلاج من كورونا أو الوقاية منه يندرج تحت هذه الكليات.

٢. أمر الإسلام بالعلاج والتداوي من المرض، كما أمر بالوقاية من جميع العلل والأسقام الروحية والجسدية، والعلاج من كورونا أو الوقاية منه يندرج تحت هذا الأمر الذي يُثاب فاعله ويعاقب تاركه.

٣. كورونا من النوازل والمستجدات الذي يحتاج إلى استنباط أحكام شرعية جديدة تحد من انتشاره، وهنا تأتي مسؤولية العلماء والدعاة في استنباط هذه الأحكام من النصوص الشرعية، ومن ذلك الحكم الشرعي في التداوي منه أو الوقاية منه، ويندرج في ذلك التباعد الجسدي حتى عند أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد، أو التباعد في أداء مناسك الحج والعمرة، أو التباعد في مختلف المرافق والأماكن العامة.

٤. أثبت أهل الاختصاص أن كورونا وباءٌ معدي، وسريع الانتشار، وفتاك، وبناءً على ما توصل إليه أهل الاختصاص تأتي مسؤولية الجهات الرسمية والمجتمعية والدعاة في وضع كافة الإجراءات لعلاج هذا الوباء والحد من انتشاره، والتوعية بالتقيد بهذه الإجراءات وتنفيذها، باعتبارها عبادة يؤجر عليها العبد إن أخلص النية في ذلك لله تعالى.

٥. قدمت الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية أنموذجًا فريداً في التعامل مع جائحة كورونا، والحد من انتشاره، وتخفيف منابعه بمختلف الوسائل الممكنة، وفي مختلف مناطق المملكة.

٦. كان للعلماء والدعاء في المملكة الدور البارز في توعية الناس بخطر هذا الوباء، وإرشادهم إلى اتخاذ كافة التدابير والاحترازات، والالتزام بالإجراءات الوقائية التي حددتها الجهات الرسمية، في مختلف وسائل الإعلام وشبكة التواصل الاجتماعي.

التوصيات:

١. يوصي الباحث الدعاة باغتنام

٢. المناسبات في الدعوة إلى الله ﷻ وخصوصا في هذه الجائحة؛ لأن الناس متعطشة إلى الذي يؤلف القلوب، ويبعث فيها الطمأنينة.

٣. يوصي الباحث الدعاة إلى الله ﷻ إلى تحمل المسؤولية، واستغلال الفرص ونشر الدعوة بكل والوسائل والطرق الشرعية.

٤. يوصي الباحث الدعاة إلى الله ﷻ بالاستمرار في التعاون مع وزارة الصحة ومد الجسور فيما بينهما، وخصوصًا في المعالجة الشرعية التي تخص أفراد المجتمع.

٥. أُوصي الباحثين بإجراء بحوث في جميع التخصصات الشرعية حتى يشارك المجتمع في معالجة هذه الجائحة وفق الاختصاصات الشرعية التي يحتاجها جميع أفراد المجتمع.

٦. يوصي الباحث جميع أفراد المجتمع من السعوديين والمقيمين بالأخذ بالتوجيهات النظامية والاحترازات الوقائية للحفاظ على الأنفس البشرية التي تعلنها وزارة الصحة.

٧. يوصي الباحث الجهات التعليمية ووزارة الشؤون الإسلامية بوضع مؤتمر يدرس جميع ما يخص هذا الوباء للخروج من هذه المحنه بمنح يستفيد منها المسلمون.

٨. يوصي الباحث بالأخذ بالوسائل الشرعية الوقائية والتمسك بها للحصول على الفلاح في الدارين.

٩. يوصي الباحث بتكاتف أجهزة الدولة ومساهمتها كل في اختصاصه لرفع هذا البلاء والوباء عن البلاد والعباد.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٣ ،١٤١٣هـ .

٢. أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٨٦م.

٣. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د.عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة ٢٠٠٨م/١٤٢٩ هـ ،للنشر والتوزيع، الرياض، ط/٥ .

٤. أصول الدعوة ، د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط/ ٧ ،١٩٩٣م.

٥. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، حققه ودقق أصوله، وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٨ م.

٦. جامع البيان: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط١.

٨. حاشية معالم الدعوة والحسبة، د. أحمد بن علي الخليفي، الرياض، بدون اسم الدار، ورقم الطباعة وتاريخ النشر.

٩. الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، الشيخ محمد الراوي، دار الوسيلة، السعودية، الرياض، ط١.
١٠. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، العلامة عبدالعزيز بن باز، طبع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض،١٤٢٩هـ .
١١. ديوان الشافعي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١.
١٢. زاد الداعية إلى الله، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ١٤٢٩هـ
١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بيروت.
١٤. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، تحقيق صدقي محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٥. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
١٦. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
١٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٨. ضوابط المعرفة، وأصول الاستدلال بالمناظرة، عبدالرحمن الميداني، (دار القلم: دمشق، ط٣، ١٤٢٥هـ).

١٩. العدوى بين الطب وحديث المصطفى، د. محمد علي البار، دار الفتح، الأردن، عما، ط١.

٢٠. فتح الباري: أحمد بن حجر العسقلاني، دار المنار، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، موافقة للطبعة التي حققها الشيخ عبد العزيز بن باز.

٢١. لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر.

٢٣. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محد البغدادي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط٧.

٢٤. المدخل لعلم الدعوة، د.محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط/ ١، ٢٠٠٢م.

٢٥. مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت،١٤٠١هـ.

٢٦. مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، مكتبة لينة، الطبعة الأولى، تم النشر ١٩٨٩م.

٢٧. مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، محمد الغزالي، دار النهضة، مصر، ط/ ٣.

٢٨. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وآخرين، دار طيبة، السعودية، الرياض، ط١.

٢٩. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج إبراهيم مصطفى وآخرين، ط٢، المكتبة الإسلامية للطباعة النشر، إستانبول.

٣٠. نضرة النعيم في مكارم الأخلاق الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح، الناشر دار الوسيلة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣١. هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، أ. د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، دار الحضارة، الرياض ط ١، ١٤٢٤هـ.

المواقع الإلكترونية:

٣٢. https://www.whoint/ar

٣٣. binbaz.org.sa

٣٤. www.alefta.gov.sa

٣٥. موقع وزارة الداخلية الالكتروني على شبكة الانترنت. http://www.moi.gav.sa

٣٦. موقع هيئة كبار العلماء الالكتروني على شبكة الانترنت. http://www.alwatanvoice.com

٣٧. موقع وزارة التعليم على شبكة الانترنت. http://www.moe.gav.sa

٣٨. موقع وزارة الصحة الالكتروني على شبكة الانترنت.
http://www.moh.gav.sa
٣٩. موقع وزارة الشؤون الإسلامية الالكتروني على شبكة الانترنت.
http://www.mola.gav.sa
٤٠. موقع وزارة العدل الالكتروني على شبكة الانترنت.
http://www.moj.gav.sa
٤١. موقع وزارة التجارة الالكتروني على شبكة الانترنت.
http://www.spa.gav.sa

البحث رقم (٣)

المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة رضي الله عنه

إعداد

د. مسعود بن بشير بن ربيع المحمدي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة

الملخص

هذا بحث بعنوان: الدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة ﵁، تحدثت فيه عن حنظلة ﵁ وذكرت حديثه في ذلك وشرحه، ثم ذكرت الدروس المستفادة للداعية من خلال الحديث، ثم الدروس المستفادة للمدعو من خلال الحديث أيضاً، وكذلك أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة ﵁، ودروس أخلاقية مستنبطة من الحديث. وتم التفصيل لبعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة ﵁ على امتداد أربعة مباحث هي موضوع البحث.

وكانت أبرز نتائج البحث:

١) اتضح أن حديث حنظلة من الأحاديث التي بينت وفصلت الحوار الدعوي بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين حنظلة ﵁ من جهة، وبين حنظلة والصديق ﵁ من جهة أخرى.

٢) توصلت إلى شرح بعض الدروس المستفادة -أيضاً- خاصة بالمدعو من خلال حديث حنظلة ﵁ حيث إنه ركن أساس من أركان الدعوة، وهو الذي من أجله أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب .

٣) قد تم بيان أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة ﵁.

٤) كما تم -بعون الله تعالى- تجلية الدروس الأخلاقية التي يستفيدها الدعاة من خلال حديث حنظلة ﵁.

Abstract

This is a research entitled: The advocacy lessons learned from Hanzala's speech, in which she talked about Hanzala and mentioned his talk and explanation, and then mentioned the lessons learned for the preacher through the talk of Hanzala Then the lessons learned for the invitee through the talk of Hanzala , then the methods and means of advocacy through the talk of Hanzala , and moral lessons through the talk of Hanzala. The appropriate methods and means of advocacy have been demonstrated by the talk of Hanzala.

The most prominent results of the research were:

١) It became clear that Hanzala's hadith was one of the hadiths that clarified and separated the da'wa dialogue between the Prophet and Hanzala on the one hand, and Between Hanzala and the friend on the other.

٢) Some of the lessons learned for the advocate were detailed through the talk of Hanzala over the course of four investigations that are the subject of the research.

٣) I have come to explain some of the lessons learned, too, especially for the invitee through the hadith of Hanzala, as it is a cornerstone of the call, for which God sent the apostles and downloaded the books.

٤) With the help of Allah, the moral lessons that preachers benefit from through the hadith of Hanzala have also been learned.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن فقه الدعوة من خلال حديث حنظلة ﷺ من الأمور التي ينبغي للدعاة أن يوجهوا أنظارهم إليها، حيث إن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للدعوة إلى الله تعالى.

وحديث حنظله ﷺ الذي اخترته للدراسة هنا تضمن مسائل دعوية كثيرة، حيث إن هذا الحديث قد بين الحوار من أجل فهم الدعوة ومحاولة الاستقامة على مبادئها كما سمعها وفهمها حنظلة ﷺ من نبينا صلى الله عليه وسلم هذا من ناحية، ثم إن حنظلة ﷺ استشكل فهم حالة جرت له وهي أنه يجد عند مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليمه وتفقيهه له يشعر أن هذه اللحظات هي أعلى درجات السمو الروحي، والمقامات الإيمانية، أما إذا عاد للأهل والأولاد والضيعات وشُغل بذلك تغير حاله فحكى حنظلة ﷺ هذا للصديق ﷺ فصدق على ما قاله حنظلة ﷺ فذهبا إلى إمام الدعاة صلى الله عليه وسلم وحدثاه عن الحالتين من خلال حوار دعوي يوحي بالحرص على التطبيق والتنفيذ بكل ما يؤدي إلى الثبات على الحالة التي يكونون فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين لهما ما يطمئن القلوب بقوله: "لو تكونون على الحالة التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة"، وهذه هي مرونة الدعوة وعظمتها، ولتوضيح هذا كله بصورة أوسع والاستفادة منه دعوياً أردت الكتابة في هذا الموضوع، وسوف أبين فيه التعريف بحنظلة ﷺ وبالحديث المروي عنه، كما سأبين -بعون الله تعالى- الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة ﷺ، والدروس المستفادة منه للمدعو، وكذا الدروس الأخلاقية التي يستفيدها الدعاة من حديث حنظلة ﷺ، والله أسأل أن يوفقني في بحثي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية موضوع البحث:

١) ترجع أهمية موضوع البحث إلى وجود بعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

٢) كما ترجع أهمية موضوع البحث –أيضاً– إلى وجود بعض الدروس المستفادة للمدعو من حديث حنظلة رضي الله عنه.

٣) في حديث حنظلة وحواراته مع النبي –صلى الله عليه وسلم– أهمية كبيرة للتعرف على أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

٤) كما ترجع أهمية موضوع البحث إلى وجود دروس أخلاقية يستفيدها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

أهداف موضوع البحث:

١) التعريف بحنظلة رضي الله عنه وبالحديث المروي عنه ليستفيد الدعاة من ذلك.

٢) تفصيل بعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

٣) شرح بعض الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة.

٤) بيان أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

٥) تجلية الدروس الأخلاقية التي يستفيدها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

حدود البحث:

سيقتصر الباحث في هذا الموضوع على الحديث عن (الدروس الدعوية المستفادة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه دراسة تحليلية)

الدراسات السابقة:

هذا الحديث قد شرحه جميع من شرح صحيح الإمام مسلم من الشراح كالنووي والقرطبي والقاضي عياض والأُبي، كما شرحه جمع ممن شرح سنن الترمذي كالمباركفوري وابن

العربي، ولم أجد دراسة متخصصة مستقلة في علم الحديث تناولت حديث حنظلة دراسة علمية في بحث علمي، غير أن هناك مقالات ومحاضرات في شرح هذا الحديث شرحاً عاماً موجزاً يتضمن ذكر فوائد مستنبطة من الحديث، ثم إنه بالبحث في المكتبات لم أعثر على بحث مؤلف بهذا العنوان يتحدث عن حديث حنظلة والدروس الدعوية المستفادة منه.

تساؤلات البحث:

من هو حنظلة ﷺ؟ وما الحديث المروي عنه؟

ما الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة ﷺ ؟

ما الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة ﷺ ؟

ما أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة ﷺ ؟

ما الدروس الأخلاقية التي يستفيدها الدعاة من خلال حديث حنظلة ﷺ ؟

منهج البحث:

سيستخدم الباحث في بحثه المنهج الآتي:

١) المنهج الاستقرائي:

ويكون بتتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به للوصول إلى كلام عام يستفيده الدعاة من خلال حديث حنظلة ﷺ .

٢) المنهج الاستدلالي:

ويكون بالتدليل على كل ما أطرحه من خلال حديث حنظلة ﷺ أو الأفكار أو الآراء أو النصوص الشرعية المنقولة من الكتاب والسنة أو من أقوال أهل العلم الثقات.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات والفهارس.

١) المقدمة : وتشمل:

أهمية موضوع البحث – أهداف البحث – حدود البحث – الدراسات السابقة – تساؤلات البحث – منهج البحث – خطة البحث.

٢) التمهيد : التعريف بحنظلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبالحديث المروي عنه.

٣) المبحث الأول: الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المطلب الأول: حرص الداعية على العلم والذكر من خلال حديث حنظلة.

المطلب الثاني: الاهتمام بسؤال أهل الذكر.

المطلب الثالث: مقارنة الداعية بين حالة القلب أثناء درس العلم وبين مطالب الأهل.

المطلب الرابع: الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل.

المطلب الخامس: الترويح عن النفس لقوله ﷺ ساعة وساعة.

٤) المبحث الثاني: الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المطلب الأول: الرفق في إجابة المدعو

المطلب الثاني: العناية بتبشير المدعو وعِمارة قلبه بالطمأنينة.

المطلب الثالث: تنبيه المدعو إلى معالي الأمور.

المطلب الرابع: الثناء على المدعو.

المطلب الخامس: تثبيتُ المدعو على الخير

المطلب السادس: مراعاة حال المدعو بتوجيهه إلى ما يروح به عن نفسه.

٥) المبحث الثالث : أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه:

المطلب الأول: أساليب الدعوة خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

المطلب الثاني: الوسائل الدعوية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

٦) المبحث الرابع: دروس أخلاقية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه:

المطلب الأول: غرس الإيمان وقِيمهِ في نفوس المدعوين.

المطلب الثاني: تزكية القلوب وصفاء النفوس بذكر الدار الآخرة.

المطلب الثالث: الدعوة للوسطية.

المطلب الرابع: سماحة الإسلام.

٧) الخاتمة : وتشتمل على.

نتائج البحث.

توصيات البحث.

٨) الفهارس:

فهرس المراجع .

فهرس الموضوعات.

التمهيد: التعريف بحنظلة رضي الله عنه وشرح موجز للحديث المروي عنه

أولاً : التعريف بالصحابي حنظلة رضي الله عنه :

هو: حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ الْمُرَقَّعِ بْنِ صَيْفِيٍّ الْأُسَيِّدِيُّ التَّمِيمِيُّ الكوفي، يكنى أبا ربعي، من بنى أسيد بن عمرو بن تميم، من بطن يُقال لهم بنو شريف، ويقال له: حنظلة بن ربيعة،- والأول هو الأكثر، بل قال ابن منده عن الثاني: "ليس بصحيح"، وَهُوَ ابْنُ أَخِي أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ[(١)].

قال النووي: "(الأسيدي) ضبطوه بوجهين، أصحهما وأشهرهما: ضم الهمزة، وفتح السين، وكسر الياء المشددة، والثاني كذلك إلا أنه بإسكان الياء، ولم يذكر القاضي إلا هذا الثاني"[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: "روى عن النبي ﷺ، وكتب له، وأرسله إلى أهل الطائف - فيما ذكر ابن إسحاق-، وشهد القادسيّة، ونزل الكوفة، وتخلّف عن علي يوم الجمل، ونزل قرقيسياء حتى مات في خلافة معاوية"[(٣)].

ثانياً : شرح موجز للحديث المروي عن حنظلة رضي الله عنه.

نص الحديث :

روى مسلم في صحيحه بسنده عن حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، وكان من كُتّاب رسول الله - ﷺ- قال: "لقيني أبو بكر رضي الله عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: "نافق حنظلة". قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله -ﷺ- يُذَكّرنا بالنار والجنة

---

(١) معرفة الصحابة لابن منده (٣٧٤/١)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٨٥٤/٢)، الاستيعاب (٣٧٩/١) برقم ٥٤٨، أسد الغابة (٨٤/٢) برقم١٢٨٠

(٢) المنهاج (٦٥/١٧)

(٣) الإصابة (١١٧/٢) برقم ١٨٦٤

حتى كأنّا رأي عين؛ فإذا خرجنا من عند رسول الله -ﷺ- عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيعات، فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فوالله إنّا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله -ﷺ-قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله -ﷺ- وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذَكّرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيعات، نسينا كثيرا. فقال رسول الله -ﷺ- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثلاث مرات"[(١)].

وفي لفظ آخر لمسلم، عن حنظلة قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَعَظَنَا، فَذَكَّرَ النَّارَ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلَاعَبْتُ الْمَرْأَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَافَقَ حَنْظَلَةُ فَقَالَ: «مَهْ» فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ»"[(٢)].

وأخرجه ابن ماجة عن أبي بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، عَنْ سُفْيَانَ الثوري، عَنِ سعيد بن إياس الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النهدي، عَنْ حَنْظَلَةَ به، وفيه: "فَقُمْتُ إِلَى أَهْلِي، وَوَلَدِي فَضَحِكْتُ، وَلَعِبْتُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، فَخَرَجْتُ،

---

(١) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا (٢١٠٦/٤) ح (٢٧٥٠).

(٢) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا (٢١٠٧/٤) ح (٢٧٥٠)

فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: نَافَقْتُ، نَافَقْتُ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ: إِنَّا لَنَفْعَلُهُ، فَذَهَبَ حَنْظَلَةُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ" الحديث(١).

وأخرجه الإمام أحمد عن أبي أحمد الزبيري، قال حدثنا سفيان الثوري، عن الجريري، عن أبي عثمان، عن حنظلة، بنحوه(٢)، وإسناده صحيح لغيره(٣). وعند الترمذي بإسناد حسن(٤): أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ- وساق نحوه(٥).

وأخرجه البزار، وأبو يعلى، وابن حبان من طريق عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَأَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا مَا نُحِبُّ فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا فَخَالَطْنَاهُمْ أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الْحَالِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُظِلَّكُمْ

---

(١) سنن ابن ماجة: أبواب الزهد، باب المداومة على العمل (١٤١٦/٢) ح ٤٢٣٩، وصححه الألباني (٢٣٩/٩).

(٢) مسند أحمد (٣٩٠/٣١) ح: ١٩٠٤٥، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) فيه: محمد بن عبد الله الأسدي أبو أحمد الزبيري الكوفي (ت ٢٠٣هـ)، ثقة ثبت، إلا أنه قد يخطئ في حديث الثوري من التاسعة، روى له: (ع)" تقريب التهذيب (ص٤٨٧) برقم٦٠١٧، وقد توبع متابعة تامة من الفضل بن دكين، فإسناده صحيح لغيره.

(٤) فيه: جعفر بن سليمان الضبعي أبو سليمان البصري (ت ١٧٨هـ)، قال الحافظ: " صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع، من الثامنة، روى له: (بخ م ٤)" تقريب التهذيب (ص١٤٠) برقم٩٤٢

(٥) سنن الترمذي (٢٤٧/٤)، ح: ٢٥١٤، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٤/٦).

بِأَجْنِحَتِهَا وَلَكِنْ سَاعَةً وساعة"[1]. واللفظ لابن حبان، وعند غيره: لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الْخَلاءِ"، وإسناده صحيح[2].

غريب الحديث:

(**كأنّا رأيُ عين**) قال القاضي عياض:"كذا ضبطناه بالضم، أي كائناً بحال من يراها بعينه، ويصح النصب على المصدر، أي يراها رأى عين"[3].

(**عافسنا الْأَوْلَاد، والزوجات، والضيعات**) قال ابن الأثير: "أَيِ المعايشَ، والمعَافَسَة: المعَاجَةُ، والمِمَارسةُ، والملاعَبة"[4]. قال الحميدي: "أَي خالطنا، وانتهزنا الفرصة فِي ذَلِك. وَيكون بالصَّاد وَالسِّين، وَيُقَال: عافصت الرجل أَخَذته على غرَّة"[5].

وقال الزمخشري: الضَّيْعَة: "الصناعة، والحرفة؛ يُقَال للرِّجَال: ما ضيعتك؟ وَتجمع ضيَاعًا، وضيعا"[6].

---

(1) مسند البزار (١٣/٤٦٧) برقم ٧٢٥٣، مسند أبي يعلى (٥/٣٧٨) برقم٣٠٣٥، صحيح ابن حبان (٢/٥٥) برقم٣٤٤.

(2) ليس فيه إلا عنعنة قتادة، وهو وإن كان مشهورا بالتدليس إلا أن سماعة من أنس لا خلاف في ثبوته، سواء صرح به أو لم يصرح. تعريف أهل التقديس (ص ٣٤) برقم ٩٢.

(3) إكمال المعلم (٨/٢٥٠).

(4) النهاية (٣/١٠٨)، و(٣/٢٦٣).

(5) تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٤٩٣).

(6) الفائق في غريب الحديث (٣/٥).

(مَه) قال الحميدي: هَا هُنَا بِمَعْنى: (مَا) والْخَبَر وَالْهَاء لِلْوَقْف[1] وقال القاضي عياض: "وقد يحتمل هنا للزجر، والتعظيم للأمر"[2].

(ولكن يا حَنْظَلَةُ سَاعةً وَسَاعَةً) قال السيوطي: "قال أبو البقاء: "يجوز النَّصب على معنى تذْكُر ساعةً، وتلهُو ساعةً، والرفع على تقدير: لنا ساعةٌ، ولله ساعةٌ". وقال الحكيم في نوادره: "أي: ساعة للذكر، وساعة للنفس"[3].

شرح الحديث:

قال القرطبي: "يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله- ﷺ- اشتغلوا بهذه الامور، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا يجدونها عند سماع موعظة رسول الله- ﷺ- ومشاهدته"[4].

قال النووي: "قال الهروي وغيره: معناه: حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به، أي عالجنا معايشنا وحظوظنا....

قوله (نافق حنظلة) معناه أنه خاف أنه منافق؛ حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي -ﷺ-ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق: إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقا، فأعلمهم النبي -ﷺ- أنه ليس بنفاق وأنهم لا يُكلفون الدوام"[5].

---

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٤٩٣).

(٢) إكمال المعلم (٨/ ٢٥٠).

(٣) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٦٠٣).

(٤) المفهم (٧/ ٥٤).

(٥) المنهاج (١٧/ ٦٧).

قال ابن رجب: "لما تقرَّر عند الصحابة -رضي الله عنهم-أنَّ النفاق هو اختلافُ السرِّ والعلانية، خشي بعضهم على نفسه أنْ يكونَ إذا تغير عليه حضورُ قلبه ورقتُه وخشوعه عندَ سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أنْ يكونَ ذلك منه نفاقاً"[(١)].

وقول النبي- ﷺ: « وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ».

قال القرطبي: "وقول أبي بكر ﷺ: "والله إنا لنلقى مثل هذا" ردٌّ على غلاة الصوفية الذين يزعمون دوام مثل تلك الحال، ولا يُعرّجون بسببها على أهل ولا مال، ووجه الردِّ أن أبا بكر ﷺ أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، ومع ذلك فلم يدَّعِ خروجا عن جبلة البشرية، ولا تعاطى من دوام الذِّكْر وعدم الفترة ما هو خاصَّة الملائكة"[(٢)].

ثم قال: "وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربَّه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يُفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب". كذا الكمال، وما عداه تُرهاتٌ وخيال"[(٣)].

قال الطيبي: "أي: قال ثلاث مرات ساعة يكون في الذكر والحضور، وساعة في معافسة الأزواج وغيرها، وفي ذلك تقرير على الحالة التي كان حنظلة عليها وأنكرها، ومن ثمة ناداه باسمه تنبيها على أنه كان ثابتا على الصراط المستقيم، وما نافق قط أي: النفاق العرفي وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وإنما أراد بقوله: نافق حنظلة، إما المعنى اللغوي،

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٢٦٢/٣).

(٢) المفهم (٧/ ٥٤).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٥٤).

وهو أن يكون عنده -ﷺ- على حالة وعند غيره على حالة أخرى، وإما التشبيه الحالي؛ لأن حاله يشبه حال المنافق لعدم استمراره على مقام المواقف"[(١)].

وقال على ملا القارئ: "يعني لا يكون الرجل منافقا بأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور، فمن ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم، ويحتمل أن يكون قوله: ساعة وساعة للترخيص، أو للتحفظ، لئلا تسأم النفس عن العبادة.

وحاصله أن يا حنظلة هذه المداومة على ما ذكر مشقة لا يطيقها كل أحد، فلم يكلف بها، وإنما الذكر يطيقه الأكثرون، أن يكون الإنسان على هذه الحالة ساعة، ولا عليه بأن يصرف نفسه للمعافسة المذكورة وغيرها ساعة أخرى، وأنت كذلك فأنت على الصراط المستقيم، ولم يحصل منك نفاق قط كما توهمته، فانته عن اعتقاد ذلك، فإنه مما يدخله الشيطان على السالكين، حتى يغيرهم عما هم فيه، ثم لا يزال يغيرهم كذلك إلى أن يتركوا العمل رأسا"[(٢)].

وقال السندي: " نبّههم على أنّ الحضور لا يدوم عادةً، وعدمه لا يضرّ في وجود الإيمان في القلب والغفلة، إنّما تنافي الحضور فلا يلزم منها عدم الإيمان، (ساعةً) يكون الحضور لينتظم به أمر الدّين وساعةً تكون الغفلة لينتظم بها أمر الدّين والمعاش، وفي كلٍّ منهما رحمةٌ على العباد"[(٣)]. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/١٥٥٠).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/١٥٥٠).

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجة (٢/٥٦٠).

المبحث الأول

الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

هذا المبحث سأتحدث فيه من خلال عدة مطالب :

المطلب الأول

حرص الداعية على العلم والذكر من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

ينبغي على الداعية الحرص على طلب العلم، وهذا لن يكون إلا بمجالسة العلماء من خلال مجالس العلم، كما كان يجلس حنظلة مع سيدنا رسول الله ﷺ، لسماع العلم منه، فكان يرشدهم إلى ما ينفعهم في الدين والدنيا، فيعظهم ويرشدهم ويفتيهم، وكان حنظلة حريصاً على مجلس العلم هذا، لأنه كان يجد فيه السعادة والتزود الروحي، الذي يحتاجه حنظله رضي الله عنه، لأن الملائكة تحف مجالس العلم، قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوتِ اللّه يتلون كتاب اللّه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم اللّه فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[١].

معنى يتدارسونه: يشمل هذا ما يناط بالقرآن من تعليم وتعلم، ومدارسة بعضهم لبعض في العلم والتفسير.

نزلت عليهم السكينة: أي: ما يسكن إليه القلب من الطمأنينة والوقار والثبات وصفاء القلب.

---

[١] رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٠٧٤/٤) ح: ٢٦٩٩.

غشيتهم الرحمة: أي: غطتهم. وحفتهم الملائكة: أحاطت بهم. ومن بطأ به عمله: أي: من أخره عمله السيئ وتفريطه في العمل الصالح لم ينفعه في الآخرة شرف النسب وفضيلة الآباء ولا يسرع به إلى الجنّة، بل يقدم العامل بالطاعة ولو كان عبدا حبشيا على غير العامل ولو كان شريفا قرشيا[(١)].

ونعني بمجالس الذكر كل مجلس يذكر فيه الله سبحانه وتعالى، بِتعلُمِ دينه مِنْ تعلم لمسائل التوحيد ومسائل الأحكام الشرعية، ومن مجالس الذكر مجالس الوعظ والإرشاد، ومن مجالس الذكر تلاوة القرآن وذكره سبحانه وتعالى وفق هدي النبي ﷺ. فمجالس العلم، ومجالس الوعظ والإرشاد، ومجالس تلاوة القرآن وتعلمه، كل هذه من مجالس الذكر، فليس المقصود بمجالس الذكر أن يجتمع قوم فيذكرون ذكراً معيناً فهذا ليس هو المقصود، بل المقصود كل مجلس فيه ذكر الله تعالى، بموعظة أو علم أو تلاوة قرآن أو ذكر لله جل وعلا وفق هدي النبي ﷺ.

ثم إنك إذا نظرت في حديث حنظلة رضي الله عنه وجدت أنه يذكر أن مجالس النبي ﷺ كانت مجالس ذكر لله تبارك وتعالى، ويعني بذلك مجالس التعليم والوعظ والإرشاد والإفتاء وذكر الله تعالى، فهذه المجالس ينبغي على الداعية أن يحرص على إقامتها فيُنوع في عمله الدعوي، فمرةً يكون مجلسُهُ مجلس وعظ، ومرة يكون مجلسهُ مجلس تعليم للأحكام العقدية والأحكام الفقهية، ومرة يكون مجلسه مجلس تلاوة للقرآن وتدارسه وتعليمه، ومرة يكون مجلسه مجلس موعظة، وهكذا، اقتداءً بالنبي ﷺ، وهذا ما دل عليه حديث حنظلة رضي الله عنه الذي بين أيدينا.

ومن خلال مجالسة حنظلة والصديق رضي الله عنهما لسيدنا رسول الله ﷺ نجد أن النبي ﷺ يرشد حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهما في الحديث المذكور أنهما لو بقوا على

---

(١) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (١/١٠٧).

حالهم التي كانوا عليها حين مجالستهم للنبي ﷺ لصافحتهم الملائكة وهم في الطرقات وعلى فرشهم، وكان الصحابة يعيشون تلك الساعات المباركة في رحاب سيد الخلق في مجالسه ﷺ، فيزداد بذلك إيمانهم وتخشع نفوسهم، وترتاح قلوبهم، حتى أعلنوا ذلك لرسول الله ﷺ فبين لحنظلة والصحابة بأنهم لو استمروا على هذه الحالة كما كانوا عنده لصافحتهم الملائكة.

ومن الأعمال الصالحة التي يزداد بها إيمان الداعية: كثرة ذكره لله عز وجل، وذكر الله سبحانه وتعالى ينبغي ألا يفارقه الداعية، فهو زاده في سفره وحضره، وفي ليله ونهاره، وهو الزاد الذي لا يُكلف مؤنة حمله ولا اصطحابه، بل هو النور الذي يجعل قلب الداعية نيراً وطريقه نيراً، ولذلك قال النبي ﷺ في هذا الحديث "ولو كنتم على الحال الذي كنتم معي وفي الذكر..."[(١)] ولاحظ هنا جملة الذكر، يرشدهم النبي ﷺ وهم الصحابة خير الدعاة، إلى أهمية التزود بالذكر لله تبارك وتعالى.

ومما يزيد الداعية إيماناً أن يحرص على طلب العلم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر:٢٨]، قال السعدي رحمه الله: "فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته"[(٢)]. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران:١٨]، وذكر سبحانه وتعالى علو منزلة أهل العلم، قال تعالى:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٨٨).

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة:١١]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر:٩]، فلا يستوي من يعلم ومن لا يعلم في أمور كثيرة وأعظمها الإيمان بالله تبارك وتعالى(١)، فمتى زاد الداعية علماً بالله وأسمائه وصفاته وحقه، وزاد علماً بالنبي ﷺ في سيرته وشريعته، وزاد علماً بأحكام هذا الشرع، كان هذا الداعية عظيم الإيمان.

والوسائل كثيرة في زيادة الإيمان من الصلاة، والصيام، والصدقة وغير ذلك، ومن وسائل زيادة الإيمان: مجالسة الصالحين، فمجالسة الصالحين يزداد بها الإيمان، ولذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "وجبت محبتي للمتجالسين فيّ"(٢)، والمتجالسون في الله وعدهم الله بمحبته، ولا يحصل على محبة الله إلا من كان عظيم الإيمان. والأعمال الصالحة كثيرة، وكل عمل صالح يزيد الإيمان.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨٩/٧).

(٢) مسند أحمد (٣٥٩/٣٦) ح:٢٢٠٣٠.

المطلب الثاني

الاعتناء بسؤال أهل الذكر.

رجوع الداعية إلى العلماء فيما أُشكل عليه هذا أمر واجب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [سورة النحل:٤٣]، وهذا ما فعله حنظلة والصديق رضي الله عنهما حينما سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالتهما معه أثناء الدرس والذكر وحالتيهما حينما يكونا مع الأهل .

ونلاحظ هنا أن حنظلة ﷺ عزم على أن يرجع إلى النبي ﷺ، ويسأله عن ما جدّ لديه من تغير الحال ولما لقي أبا بكر وافقه أبو بكر ﷺ على أهمية الرجوع إلى النبي ﷺ، وسؤاله عما جدّ لهم من الحال، وتغير حال القلوب، وفي هذا: الرجوع إلى العلماء، فإن الداعية ولو كان ذا علم فإن هناك من هو أعلم منه يُفِيدُ الداعيةُ من علمه، والمدعو لا بد أن يكون له عناية بهذا الأمر، فيرجع في مسائل الدين كلها إلى العلماء أصحاب البصيرة بشرع الله، يرشدونه ويوجهونه، ولو أن الداعية اعتمد على فهمه ومعرفته ولم يرجع للعلماء؛ لحصل منه التخبط في كثير من مسائل الدين، وما أكثر الأخطاء الواردة والصادرة عن أفهامٍ لم ترجع إلى العلماء.

فالرجوع إلى العلماء يحفظ المسلم به دينه، فيعبد الله على بصيرة، ويكون اعتقاده مبنياً في كل مسألة دقت أو جلت على ما أنزل الله، وعلى ما جاء عن رسول الله ﷺ، فيرجع الداعي هو والمدعو إلى العلماء الربانيين، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، هم الذين يكشفون الشبهات، ويميزون بين الحق والباطل، ولا يلتبس عليهم بإذن الله الأمر، وإنما ينهلون من معين القرآن ومعين السنة على فهم السلف، فتصدر عنهم التوجيهات النافعة التي تزيل الشبهات وتكشف الأمور الملتبسات.

وفي هذا الحديث وجد حنظلة وكذلك أبو بكر رضي الله تعالى عنهما أنهما كانا يجدا عظيم زيادة الإيمان في مجالستهما للنبي ﷺ وكيف أنهما كانا عظيما التأثر بتذكيره صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة والنار، ثم إنهم إذا رجعوا إلى أهليهم وعافسوا النساء والصبيان والضيعات شعروا بنقصان الإيمان، هذه مسألة أُشكلت على الصديق خير الناس بعد رسول الله ﷺ، كما أشكلت من بعده على حنظله، فماذا فعل الصديق وحنظله؟ ذهبا إلى الرسول ﷺ وأخبراه عما يُشكل عليهما، فالنبي ﷺ أرشدهما إلى أنه لابد من ساعة وساعة.

فعودة أبي بكر وحنظله رضي الله عنهما إلى النبي وسؤاله يستفيد منها الدعاة إلى أنه لابد أن يرجعوا إلى العلماء في المسائل العظام التي تشكل على أحد الدعاة، فيسألون أهل العلم ويصدرون عن رأيهم.

(قال أبو بكر بن العربي: إن القلب لا يثبت على حال، وإن العبد ليؤمن وتتواتر عنده الآيات حتى يتمكن من قلبه ويواظب العمل الصالح حتى تتمرن عليه جوارحه، ويواصل الذكرى حتى تطمئن نفسه ثم تعروه حالة أو تطرأ عليه غفلة، فإذا به زل عن هذه المرتبة، فلا يزال يعود إلى ذكراه وعمله الصالح حتى يرجع إلى ما كان عليه)(١).

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٢١٢/١).

المطلب الثالث

مقارنة الداعية بين حالة القلب أثناء درس العلم وبين مطالب الأهل.

من هنا ينبغي على الداعية أن يتفقد أحوال قلبه فلا يغتر بأنه يعمل أعمالاً صالحات، بل لابد أن يطالع ما في قلبه، ويفتش في جنبات قلبه، فينظر كيف صلاح قلبه، وعليه المقارنة بين حالة القلب أثناء درس العلم والطاعة والذكر وبين حالته حينما يؤدى مطالب الأهل، كما فعل حنظلة ﵁، فحينما قارن ووجد اختلافاً ذهب إلى الرسول ﷺ ليوضح له ذلك، ومن هنا فعلى الداعية أن يكون له حظ من الذكر وهو يؤدي مطالب الحياة، فلا ينسى ذكر الدار الآخرة وما فيها من الحشر والنشر والصراط والميزان، وليعلم أنه لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩]، وليتذكر أنه لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب منيب كما قال في سورة ق: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [سورة ق:٣٣]، وأن الخشية لله مقرها القلب، وأن التوكل على الله وحسن الظن به ورجاءه ومحبته وتعظيمه وإجلاله والحياء منه كل ذلك محله القلب، فمتى صلُح القلب وعمُر بهذه الأعمال الصالحة وسلم من الآفات، من الحقد والحسد والغل والأهواء كلها، فإنه بذلك يصلح ويكون قلبا صالحا فتصلح جوارح الداعية كما قال النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلُحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله..."(١).

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٢٠/١) ح: ٥٢، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) ح:١٥٩٩.

المطلب الرابع

الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل.

إن الإسلام دينُ العلم فلا يُعبد الله تعالى إلا على بصيرة ولذلك نجد قوله تعالى في أوائل ما أُنزل على النبي ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق: ١-٥].

والإسلام دِينٌ يعتني بأتباعه، بأن يُعلمهم الأحكام فيكونون عابدين لله تعالى، متوجهين إليه بقلوبهم، قاصدين له بأعمالهم بعلم، وهذا ما نجده في تربية النبي ﷺ لأصحابه، فإنه ﷺ يحثُ مرة على طلب العلم «من يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[(١)]، ومرة يُثني على طالب العلم ويذكر فضلهُ وأجره «إن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم»[(٢)]، ومرة يثني على مُعلم الناس الخير «معلم الناس الخير يستغفر له من في السماوات والأرض»[(٣)]، ويذكر ﷺ فضل العلماء ليكون من الأمة علماء كما قال: «العلماء ورثة الأنبياء»[(٤)] كل هذا تربية للأُمة على أن تكون أمة علم.

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٢٥/١) ح: ٧١، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (٧١٩/٢) ح: ١٠٣٧.

(٢) أبو داود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٤٨٥/٥) ح: ٣٦٤١، الترمذي: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥) ح: ٢٦٨٢، وابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١) ح: ٢٢٣، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي (١٨٢/٦).

(٣) الحاشية السابقة.

(٤) الحاشية السابقة.

فالعلم بالله ودينه الذي ارتضاه لأمة الإسلام هو الذي يميز أهل الإسلام، فلا طلاسم ولا خزعبلات ولا خرافات في دين الإسلام، ولذلك فإننا نجد في حديث حنظلة ﵁ هذا أن أبا بكر وحنظلة رضي الله عنهما لما أشكل عليهم ما خطر لهم من مسألة، رجعوا إلى النبي ﷺ وفي هذا طلب العلم وأخذه عن أهله، وكذلك النبي ﷺ تلقى سؤالهم بالرفق والحلم، وأجابهم وفي هذا حُسن تعليم العلم والعناية بالتعليم.

ومما يستفيده كل داعية في الوقت الحاضر من خلال حديث حنظلة ﵁: الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل، ونتأمل هنا أن حنظلة ﵁ ذكر لأبي بكر ﵁ أنه إذا عاد إلى أهله بعد أن كان في إيمان عظيم يعمر قلبه إذا عاد إلى أهله وعالج أمور حياته ولاعب زوجه وذريته أحس أن إيمانه نقص، فقال له أبو بكر إنه يجد مثل ذلك، فرجعا إلى النبي ﷺ وسألاه، فالنبي ﷺ لم يرشدهما إلى أنه يجب عليهما البقاء على الحالة التي كانوا عليها عنده، بل إنه أرشدهما ﷺ إلى أنه لابد من ساعة وساعة، فساعة يقومون بحق أهليهم ويروحون عنهم ويصلحون شؤون حياة معيشتهم، وساعة يكونوا في مجالس الذكر يزداد فيها الإيمان، وتقبل فيها النفوس على ذكر الآخرة، فهذا الاعتدال وهذه الوسطية لابد أن تكون في حياة الداعية ظاهراً يلمسها مِن حاله، ويلمسها من حوله مِن حاله، فالداعية الموفق هو الذي يعطي كل ذي حق حقه مع استزادته في كل خير من كل باب.

في هذا الحديث أنه ينبغي للداعية أن يُحسن إلى زوجه وذريته، فلا ينبغي للداعية أن يعرض عما لزوجه وولده من الحق، وأن يعرض عن الإحسان إلى من هم تحت ولايته، فلا تعارض بين عنايته بالدعوة إلى الله وتفريغه جُل وقته في خدمتها، وبين إحسانه إلى أهله، فالداعية قدوته رسول الله ﷺ، فهو خير الدعاة، وأصدق الدعاة، وأخلص الدعاة إلى الله كان يُحسن إلى أهله ﷺ، ويتلطف معهم، ويشعرهم بمحبته لهم، ويحرص على إكرامهم،

والسيرة ملأى بذلك، ويقول: «خيركم خيركم لأهله»[(١)]، والداعية الذي يريد أن يحقق الاقتداء برسول الله ﷺ عليه أن يأخذ بكل ما جاء عنه ﷺ في سيرته، خاصة في معاملة الناس من أهلين وأصحاب وجيران وذوي رحم وعموم الناس، ونجد أن النبي ﷺ كان يسابق عائشة كما في الحديث[(٢)]، وكان يمازح زوجاته كما في الحديث[(٣)]، وكان يحمل أُمامة حفيدته[(٤)]، ويمازح الصغار حينما قال لأنس "يا ذا الأذنين"[(٥)]، وكان يحسن صلى الله عليه وسلم إلى قرابته ويتلطف معهم.

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (٦٣٦/١) ح: ١٩٧٧، وصححه الألباني (٤٧٧/٤).

(٢) أبو داود: كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل (٢٢٤/٤) ح:٢٥٧٨، النسائي: كتاب عشرة النساء، باب مسابقة الرجل زوجته (١٧٧/٨) ح:٨٨٩٣، ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (٣٩٧/٣) ح: ١٩٧٩، وغيرهم، وصححه الألباني (٤٧٩/٤).

(٣) من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجليه في حجري، والأخرى في حجرها، فعملت لها حريرة، أو قال: خزيرة فقلت: كلي، فأبت فقلت: لتأكلي، أو لألطخن وجهك، فأبت، فأخذتُ من القصعة شيئا فلطختُ به وجهها، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد مني، فأخذتْ من القصعة شيئا فلطختْ به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك). النسائي (٨/ ١٦٢) ح: ٨٨٦٨.

(٤) البخاري: كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة (١٠٩/١) ح: ٥١٦، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة (٣٨٥/١) ح: ٥٤٣.

(٥) أبو داود: كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح (٣٥١/٧) ح: ٥٠٠٢، الترمذي: باب ما جاء في المزاح (٣٥٨/٤) ح: ١٩٩٢، وغيرهما، وصححه الألباني (٤٩٢/٤).

فالمؤمن يحيا حياته في وسطية يطلب الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص:٧٧].

قال السعدي: " استمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك"[١].

ومن هنا فينبغي على الداعية أن يحرص على ما يصلح معاشه، فلا يجعل الدعوة شاغلة له عن طلب الرزق الحلال، فطلب الرزق الحلال في عفة يجعل الداعية عزيزاً ليس بحاجة لأحد، فمتى قام الداعية بدعوته إلى الله تعالى وقد أمن لنفسه ما يكون معاشاً صالحاً له، هذا يكون أشرح صدراً للدعوة، وأحسن بالاً في قيامه بمهام الدعوة والتعليم، لكن الداعية الذي يحتج بالدعوة وربما ينظر إلى ما في أيدي الناس، أو يتحرى أو يرجو أن يحسن الناس إليه بشيء، فهو مشتغل برأيه في دعوتهم، هذا أضر بنفسه وبدعوته، فينبغي على الداعية أن يقتدي بأصحاب النبي ﷺ، ففي هذا الحديث قال الصحابي "فإذا عدنا إلى منازلنا عافسنا الزوجات والأولاد والضيعات"[٢]، والضيعات هي الحرف والصنعات وما يصلح الإنسان به معاشه، وهذا يدل على أنهم كانوا ينتهجون الاعتدال في حياتهم، هم مع رسول الله ﷺ ينصرونه ويفيدون من علمه، وينشرون علمه ودعوته ﷺ، وهم كذلك يكتسبون المعاش الحلال يستعينون بها على القيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا إن اتباع المسلم لمنهج الكتاب والسنة يجعله وسطياً فلا غلو ولا تفريط، وهذا التوازن علمه الرسول ﷺ لحنظلة بقوله له : "ساعة وساعة".

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٢٣).

(٢) سبق تخريجه.

المطلب الخامس

الترويح عن النفس لقوله ﷺ ساعة وساعة

حينما كان الصحابيان الجليلان أبو بكر خير الصحابة، وحنظله كاتب وحي رسول الله ﷺ، يذهبان إلى بيتيهما فكانا يروحان عن أنفسهما بملاعبة الصبيان وملاعبة الزوجات، وحينما أخبرا النبي ﷺ لم ينكر عليهما ذلك بل أرشدهما إلى مشروعيته وأنه عونٌ على الثبات على مزيد من فعل الخيرات، ولذلك قال النبي ﷺ لهما: "...ولكن ساعة وساعة"[(١)]، فلابد أن يكون للداعية حظ من الترويح، يروح عن نفسه، فالنفس لها إقبال ولها إدبار، فمتى رأى الداعية من نفسه الإقبال على طاعة الله تبارك وتعالى، فإنه يغتنم ذلك ويفيد من إقبال نفسه فيجتهد في الطاعة، وإذا رأى من نفسه الكسل والملل والإدبار فإنه ينبغي أن يفسح لها ويخفف عنها بإن يفيد مما أباح الله تعالى له من الترويح المباح، فهذا ينشط النفس إلى عطاء متجدد لفعل الخيرات، والاجتهاد في طاعة الله تبارك وتعالى.

(وقوله: "ساعة وساعة" معناه: ساعة لقوة اليقظة وساعة للمباح وإن أوجبت بعض الغفلة. وهذا لأن الإنسان لو حقق مع نفسه ما بقي فلا بد للمتيقظ من التعرض لأسباب الغفلة ليعدل ما عنده، ومن أين يقدر على الأكل والشرب والجماع من يرى الأمر كأنه معاين، وإن من الغفلة لنعمة عظيمة، إلا أنها إذا زادت أفسدت، إنما ينبغي أن تكون بمقدار ما يعدل.)[(٢)]. (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة. ساعة وساعة) يعني ساعة للرب عز وجل، وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم. (وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها، أن الله

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/٢٢٩-٢٣٠).

عز وجل له حق فيعطي حقه عز وجل، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله عز وجل براحة، لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها مل وتعب، وأضاع حقوقاً كثيرة. وهذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيف)[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين (٢/٢٣٦).

المبحث الثاني

الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة ﷺ.

سأتناول الحديث في هذا المبحث عن الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة ﷺ. وذلك من خلال عدة مطالب تتمثل فيما يلي:

المطلب الأول

الرفق في إجابة المدعو

نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه حنظلة وأبو بكر رضي الله عنهما يستفسران عما وجداه من فقدان ونقصان الحالة الإيمانية التي كانا يجِدانها في مجلس رسول الله ﷺ ومجالسته، كان النبي ﷺ رفيقاً في استيضاحه منهما ورفيقاً في جوابه رحيماً فيه، فأرشدهما إلى أن القلوب لا تكون على حال واحدة، وأنه لابد للنفوس من راحة وترويح، ولذلك قال لهم: «ولكن ساعة وساعة»[1] وهذا النهج النبوي لا بد أن يأْخُذ به الداعية؛ فيُعامِل بالرفق من يسأله، سواء كان المدعو ذا علم غزير مثل أبي بكر الصديق وحنظلة رضي الله عنهما أو كان السائل جاهلاً ليس له علم يُذكر، فالرفق يؤلف قلب المدعو ويجعله أكثر انتفاعاً بالنصيحة وبالتوجيه، وأعظم محبة للداعية، وإقبالاً على ما يدعو إليه.

وينبغي على الداعية أن يكون رفيقاً في تفهم ما لدى المدعو من إشكالات، وتفهم لاختلاف آراء المدعوين، فيعالج بحلم وأناة كل ما يلقيه إليه مدعو من المدعوين، ولا يتأتى للداعية أن يكون موفقاً في معالجته إلا إذا اتصف بالحلم والأناة، وهاتان الصفتان هما لب

(١) سبق تخريجه.

الرفق وأساسه، قال تعالى في نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩][(١)].

ولا شك أن المدعو تختلف أسئلته عما يحتاج إليه في أمر دينه، فهو يسأل عن مسائل الاعتقاد، كما يسأل عن مسائل إصلاح الأخلاق والسلوك، كما يسأل عن مسائل متعلقة بالفقه في العبادات والمعاملات، كما يحرص على أن يسمع من الداعية توجيها يُعينه على تجاوز معضلة، أو تفريج همٍ أو غمٍ نزل به، كل هذا يوجب على الداعية أن يكون رؤوفاً رحيماً بهذا المدعو، مُقتديًا برسول الله ﷺ الذي وصفه ربه سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨]، كما أن المدعوين تختلف أفهامهم، فمنهم من هو حاذق الفهم، ومنهم من هو أقل من ذلك، فكان لزاماً على الداعية أن يراعي الفروقات الفردية بين المدعوين في استيعابهم وفهمهم، كما أن المدعوين يختلفون في استجابتهم لما يوجه به الداعية، ولا يمكن للداعية أن يتعامل بتوفيق ونجاح في دعوته مع كل المدعوين، ولا يمكن له أن تُثْمِرُ دعوته ما يؤمله إلا إذا تحلى بصفات كثيرة من أعظمها وأبرزها الرفق الذي أساسه الرحمة والحلم.

والرفق يجمع بين خصال كثيرة إذا وُجِدتْ في الداعية كان من الرفقاء في دعوتهم، فالحلم والأناة من أُسس الرفق، فلا يكون الإنسان رفيقاً إلا إذا كان صاحب أناةٍ وحلم، ولينُ الجانب من أُسس الرفق وكذلك الرحمة والرأفة، والرفق متى كان في الخطاب الدعوي

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص ٢١).

وفي المعاملة الدعوية أثمر ونفع، فهاهُم جمع من اليهود يدخلون على النبي ﷺ ويقولون له: السام عليك، وفي آخر الحديث بعد أن دعت عليهم عائشة رضي الله تعالى عنها قال النبي ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»[1].

---

(1) البخاري: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (١٢/٨) ح:٦٠٢٤.

المطلب الثاني

العناية بتبشير المدعو وعِمارة قلبه بالطمأنينة

لما جاء حنظلة ﷺ يشكو إلى النبي ﷺ ما وجد مما حسبه غفلة، بشرهُ النبي ﷺ وبشر أبا بكر بأن ما وجداه ليس من الغفلة، ولا من الإعراض عن الخير، وإنّما ما وجداه طلبٌ لِما هو فطري، وهو الترويح عن النفس بعد أن كانت في اجتهاد في ذكر الأخرة، وبشرهما النبي ﷺ بأنهما من أهل الإيمان وليسا من المنافقين.

فحنظلة جاء إلى النبي ﷺ وقال: (نافق حنظلة) فسأله النبي ﷺ مستوضحاً منه فقال له: «مه»، وذكر له أبو بكر الصديق مثل ما ذكر له حنظلة، فأخبرهما أن القلوب لها أحوال، وأن الحالة التي كانا فيها في بيوتهما أمرٌ فطري، وهو من الترويح المباح، وليس ذلك من النفاق، وحاشاهما رضي الله عنهما من النفاق.

(وقوله: (نافق حنظلة) إنكار منه على نفسه لما وجد منها في خلوتها خلاف ما يظهر منها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فخاف أن يكون ذلك من أنواع النفاق، وأراد من نفسه أن يستديم تلك الحالة التي كان يجدها عند موعظة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يشتغل عنها بشيء)[(١)].

وفي هذا درس دعوي ينبغي أن يُعامل بهِ المدعو، وأن يجدهُ المدعو، فالبشارة للمدعو بأنه من أهل الخير والفلاح تزيد حالهُ صلاحاً، وتزيدهُ إيماناً، وتُثبته على ما هو عليه من الخير والفضل، وأما تقنيط المدعُو بِأن يُخوف دائماً من ذنوبه لا يُذكر لهُ ما يُبشر به فهذا خلاف هدي النبي ﷺ، فالله أرسل رسوله بشيراً ونذيراً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ

---

(١) المفهم (٦٦/٧).

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:٤٥]، فلا بد من قرن أسلوب التبشير والنذارة.

والبشارة للمدعو لها صورٌ كثيرة، منها الثناء عليه بما هو قائم به من أعمال صالحة، ومنها تذكيره بعظيم ثواب ما هو قائمٌ بِه من الأعمال الصالحة، ومنها ذِكرُ أحوالِ أهل زمانِ المدْعُو من أهلِ الفضلِ والصلاح، كيف أن الله أحسن إليهم واستفاض الثناءُ عليهم في الناس، إلى غير ذلك من صور تبشير المدعو.

المطلب الثالث

تنبيه المدعو إلى معالي الأمور

نجد في حديث حنظلة أن النبي ﷺ قال لهم: «لو تدُومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فُرشكم» الحديث[1]، (معناه لو أنكم في معاشكم وأحوالكم كحالتكم عندي لأظلتكم الملائكة لأن حال كونكم عندي حال مواجيد وكان الذي يجدونه معه خلاف المعهود إذا رأوا الأموال والأولاد ومعه ترون سلطان الحق وتشاهدونه وترق أنفسكم)[2] وفي هذه الجُزئية –أيضاً– من الحديث تنبيهٌ لحنظلة إلى التماس معالي الأمور، فالمطلب العظيم أن يكون الإنسان في زيادة من إيمانه ويقينه مع أن الترويح لا يُنافي ذلك، لكن هذا الحث النبوي دليلٌ على أنه ينبغي للداعية أن يحُثّ المدعو على طلب معالي الأمور في دينه، وفي تحقيق التوحيد وزيادة الإيمان، فإذا كان هناك مدعو من المدعوين مجتهد في صلاة الجماعة وأداء السنن الرواتب؛ فإنه يُحثُّ على قيام الليل فإن كان مُعْتنِياً بذلك كله يُحثُّ على كثرةِ الذكر وكثرةِ الصدقة وهكذا، وحتى في بيان الهدف والمراد فإنه يحثُّ على طلب الدرجات العُلى من الجنة، ويُحثُّ على طلب الفردوس الأعلى من الجنة، ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى من الجنة»[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فيض القدير للمناوي (٥/٣١٠).

(٣) ابن حبان (٣/٢٣٨) ح: ٩٥٨.

وفي جانب المعاملات يحثُّ المدعو على التحلي بأحسن الأخلاق وأفضلها من الجُود والكرم والإيثار، وهكذا يحثُّ على معالي الأمور ليُحصِّل الأفضل والأحسن فيكون في ترقي في درجات الهداية.

المطلب الرابع

الثناء على المدعو

لقد بشّر النبي ﷺ حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهما أنهُما ليسا من أهل النفاق، وبشرهما بأنهما من أهل الإيمان، وفي هذا ثناء على أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهما، وهذا الثناء له أثر بالغ في تثْبِيت المدعو على الخير، وحثِهِ على الاستزادة في طلب المزيد من الصلاح والهداية وتحقيق التقوى، ولا يُعارض هذا ما جاء عن النبي ﷺ في منع الثناء على الرجل في وجهه ومن ذلك حديث: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»(١) وحديث: «قطعت عنق صاحبك»(٢) حينما أثْنى صحابي على صحابي آخر، فإن النبي ﷺ ثبت عنه أنه أثْنى على كثير من أصحابه وهم حضور عنده ﷺ، مثل ثنائهِ على أُبي(٣)،

(١) مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (٢٢٩٧/٤) ح: ٣٠٠٢.

(٢) البخاري: كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلا كفاه (١٧٦/٣) ح: ٢٦٦٢، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (٢٢٩٦/٤) ح: ٣٠٠٠.

(٣) من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم له: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [سورة البينة]» قال: وسماني؟ قال: «نعم» فبكى. البخاري: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب أبي بن كعب (٣٦/٥) ح: ٣٨٠٩، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بن كعب (١٩١٥/٤) ح: ٢٤٦٥.

وثنائهِ على علي: «لأُعْطِينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»[(١)]، وثنائهِ ﷺ على عثمان «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»[(٢)]، وثناؤه على عمر «لو سلك عمر فجاً لسلك الشيطانُ فجاً آخر»[(٣)]، وثناؤه على ابن مسعود[(٤)] رضي الله عنهم، وغير ذلك.

والجمع بين أحاديث النهي والثناء على أصحابه ﷺ أنه لا حرج في الثناء على الرجل في وجهه إذا كان مأموناً عليه الفتنة، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر[(٥)].

والداعيةُ يُفِيدُ من هذا القول للعلماء في جواز الثناء على الرجل في وجهه إذا أُمِنتْ عليه الفتنة، بأن يُثني على المدعو إذا رأى في ذلك تحفيزاً لهُ على فعل مزيد من الخير وتثبيتاً له.

---

(١) البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب (١٨/٥) ح: ٣٧٠٢، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (١٨٧٢/٤) ح: ٢٤٠٧.

(٢) الترمذي: باب في مناقب عثمان (٦٢٦/٥) ح: ٣٧٠١، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٠١/٨).

(٣) البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب (١١/٥) ح: ٣٦٨٣، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (١٨٦٣/٤) ح:٢٣٩٦.

(٤) مثل حديث ابن مسعود: أنه كان يجتني سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد». مسند أحمد: (٩٨/٧) ح: ٣٩٩١، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٥) فتح الباري (٣٩٦/١٢).

المطلب الخامس

تثبيتُ المدعو على الخير

إن الكلمات التي مِدادُها الود والرحمة والمتلألئة بذكر مناقب المدعو والإشادة بما هو عليه من التوفيق هذا كله له أثرٌ في تثبيتِ المدعو على الخير، فالمدعو توسوس له نفسه بالسوء، والشيطان يدعوه إلى السوء، ولابُد من كلمات من الداعية تُثبته بالثناء عليه وبتألفه، ونجد أن النبي ﷺ أثْنى على حنظلة ثناءً زادهُ ثباتاً فبيّن لهُ أنه على طريق الخير في ملازمته لرسول الله ﷺ، وملازمته مجالس النبي ﷺ، وسماعه الحديث وكتابته لكتاب الله يُمليه النبي ﷺ عليه، وأن ما حصل له من حال وجد فيها تغير قلبه لا يُنافي ما هو عليه، فهذا الثناء من النبي ﷺ تثبيت لحنظلة؛ ولذلك ينبغي على الداعية أن يُلقي من كلماته الموفقة ما يثبتُ به قلوب المدعوين فلا يجفوا عليهم بكلام يشعرهم بالنقصان والتقصير في أمور دينهم، وإنما يُوجهُ لهم الخطاب الدعوي برفق في سياق يستجلب القلوب ويتألفُها، ويثبتها على الخير بالثناء بصُورهِ المختلفة.

المبحث الثالث

أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سأتناول هذا المبحث من خلال مطلبين :

المطلب الأول

أساليب الدعوة خلال حديث حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ينبغي على الداعية ان يُفيد من النصوص القرآنية والنصوص النبوية، في كيفية الدعوة إلى الله، والوسائل التي ترشد إليها هذه النصوص، فإن الرجوع الى هذه النصوص والإفادة منها من كل وجه، وفي الدعوة خاصة، وفي معرفة أساليب الدعوة ووسائلها من أعظم أسس النجاح والتوفيق في الدعوة الى الله، ولذلك أجد أنه من المناسب أن ألقي الضوء على ما في هذا الحديث النبوي وهذه القصة (حنظلة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من أساليب ووسائل.

الأسلوب الأول: أسلوب الموعظة:

من يقرأ هذا الحديث يجد أنه أشار إلى أن مجالس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فيها الوعظ من ترغيب وترهيب، فهو يذكرهم بالجنة والنار، يرغبهم في الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، ويحذرهم من النار وما يقرب إليها من قول وعمل، فإن حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في نص الحديث: (إذا كنا عندك فتذكرنا بالجنة والنار فكأنا نراها رأي عين)، وهذا التذكير هو الوعظ والإرشاد بجانبيه الترغيب والترهيب، وهكذا كانت مجالسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها الموعظة الحسنة التي تعتمد مخاطبة القلوب وإثارة عواطفها بذكر اليوم الآخر؛ لتشتاق القلوب إلى الجنة فتجتهد في العمل الصالح، وتخاف القلوب من النار، فتنفر من كل عمل يدخل صاحبه النار.

فينبغي على الداعية أن يُفيد من هذا الأسلوب النبوي، أسلوب الموعظة، فيجعل مجالسه الدعوية سواءً كانت مجالس في تعليم العلوم الشرعية أو مجالس في الإفتاء أو مجالس

في تعليم القرآن، ينبغي أن يعتني بجانب الموعظة فيعض بالترغيب والترهيب، فإن هذا الأسلوب يسوق القلوب إلى الله، ويجلوا عنها صدى الغفلة وآفات التعلق في الدنيا وحب شهواتها المحرمة.

الأسلوب الثاني: أسلوب مراعاة مقتضى الحال:

الداعية الذي لديه حكمة ويتصف بالصفات المؤهلة لتوفيقه ونجاحه في دعوته يعرف ويدرك أحوال المدعوين، كما يدرك ما ينبغي من تصرف، وكيفية إرشاد، في كل حادثة وكل موقف يحصل بينه وبين المدعوين، أو بينه وبين أحدهم، أو بين المدعوين أنفسهم، فلا بد من مراعاة مقتضى الحال، ومراعاة مقتضى الحال تعني: أن يكون لكل مقام مقال، ولكل حادثة حديث يناسبها، ولكل مدعو معاملة بما يناسب حاله، فمن المدعوين من يحتاج إلى التفصيل في الوعظ والإرشاد في بيان الأحكام، ومنهم من يكفي في إلهامه وإرشاده وتعليمه الإيجاز والاختصار، ومن المدعوين من يحتاج إلى حجج في إقناعه للعمل بالعمل من الأعمال الصالحة، أو تجنب ما يشينه، ومن المدعوين من يحتاج إلى إثارة عاطفته ليعمل بما يوجه إليه، ومنهم من يحتاج إلى إثارة تفكيره وإعماله لعقله، وتدبره، ومن المدعوين من يناسب معه الإعراض أو الزجر أو المعاتبة، كما أن المواقف والحوادث تختلف، فإن الداعية قد يعمل بأسلوب من الأساليب في حادثة ما؛ لأنه لا يناسب في تلك الحادثة إلا الأخذ بهذا الأسلوب أو ذاك، مثل أن يمر به موقف يجب فيه أن يكون واعظاً مرغباً ومحذراً، وقد يكون مرة يحتاج في موقف من المواقف إلى الزجر والنهي مع الغلظة والشدة، وكل هذا من مراعاة مقتضى الحال، وما يناسب كل حادثة بعينها.

وعند تأمل حديث حنظلة هذا نجد أن النبي ﷺ، علم من أبي بكر وحنظلة من خلال حالهما ومن خلال مقالهما، حرصهما الشديد العظيم على أن يكونا في أحسن أحوال قلوبهم خشية وذكرى وورعا وتقوى، فالنبي ﷺ راعى هذه الرغبة وهذا الحرص لدى هذين الصحابيين الجليلين، ولكنه نبههما إلى أن للنفس حق وللقلب حق، فلابد أن تأخذ

النفس قسطها من الراحة ويروح عنها، وكذا القلب يأخذ قسطه من الراحة ويروح عنه، وهذا يجعل المسلم يراعي حالة نفسه، وحال قلبه، فكل حال يعامل المسلم قلبه فيها بما يناسب حسب توجيهات الشرع، وكذلك فإن النبي ﷺ نبه هذين الصحابيين الجليلين إلى أنهما مؤهلان لأعلى المقامات، ويعيشانها حقا بصدق عند جلوسهم مع النبي ﷺ.

الأسلوب الثالث: أسلوب التعليم:

الإسلام كما أشرت دين العلم، يتلقى المسلم أحكام الإسلام من خلال التعلم، والتعلم يكون تعلماً للآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، وفهمها وتطبيقها، وتعلمٌ أيضا بالاقتداء بأهل الفضل والعلم والصلاح، وتعلمٌ بالانتفاع بتوجيهات العلماء والدعاة إلى الله، ونجد في هذا الحديث حرص الصحابة على طلب العلم، فبمجرد أن أشكل على أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهما مسألة تغير حال قلوبهما، عادا أو رجعا إلى إمام العلماء وخير الأنبياء ﷺ فسألاه فأجابهما صلى الله عليه وسلم، وإجابته ﷺ كانت إجابة واضحة مفصلة، تزيل الإشكال وتكشف آثاره.

فلذلك النبي ﷺ في هذا الحديث استعمل أسلوب التعليم، فعلم الصحابيين أن القلوب لها أحوال والنفوس لها أحوال وأن اختلاف أحوالها ما بين زيادة إيمان ونقصه، واختلاف أحوالها من إقبال أو ميل إلى طلب الدنيا، لا يضر بإيمان المؤمن، ولا بإسلامه، فالمسلم على خير في كل حال، فما دام أنه مستقيم على طاعة الله فهو على خير، وأن أخذه بالمباح من الترويح لا حرمة فيه، ولا حرج عليه فيه.

ثم بين لهم النبي ﷺ أعلى المقامات، وبين أنه لا يمكن للإنسان أن يدوم على تلك المقامات الإيمانية التي يجدها في مجالس الذكر والعلم، لأن هذا الإنسان ضعيف، وأنه لو دام على تلك المقامات لصافحته الملائكة في الطرق وعلى الفرش.

وكذلك في هذا الحديث إرشاد النبي ﷺ الصحابة إلى طلب معالي المقامات الإيمانية، فهو حقيقة لم ينههم ﷺ عن طلب تلك الحال، ومحاولة استدامتها لكنه أشار بقوله ﷺ:

(ولكن ساعة وساعة) إلى أن الإنسان لا تثريب عليه إذا تفاوتت وتباينت أحوال قلبه من ميل إلى الترويح، أو اجتهاد في طاعه الله، فهذه الساعات التي فيها الترويح يفيد منها المسلم في أن يجتهد في غيرها من الساعات، في طلب وتحصيل أعلى المقامات الإيمانية، وهكذا ينبغي على الداعية أن يأخذ بأسلوب التعليم، فيعلم ويبين ويوضح المسائل صغيرها وكبيرها، ولا يمل من التعليم، ويلقي إلى الناس مسائل العلم إلقاء واضحاً بيناً ينتفع به المدعو.

الأسلوب الرابع: الحكمة في الدعوة إلى الله:

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه والحكمة في الدعوة أسلوب أرشد إليه القرآن، قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، فالدعوة بالحكمة تتضمن ان يكون الداعية رفيقاً رحيماً، على بصيرة، يدعو كل مدعو بما يناسب حاله، ويتدرج في الدعوة، ويحلم في موضع الحلم، ويغلظ في الأسلوب في موضع الغلظة والشدة، فيدعو إلى الله تعالى في كل ما تعنيه كلمة الحكمة في الدعوة الى الله، فهو يشد ويغلظ حينما تكون الشدة مناسبة للمقام، ولحال المدعو، ويظهر رأفته ورحمته حينما تدعو حال المدعو لذلك، ويهجر حينما يكون الهجر نافعاً، ويعاتب حينما يكون العتاب علاجاً نافعاً، ويقدم على الإنكار حينما يكون الإنكار لا يضر به وبدعوته، ويعرض عن المدعو إذا كان الإعراض نافعاً لهذا المدعو، وسببا في إنكار المنكر، وهكذا.

ويراعي حال المدعوين، فمن المدعوين من يناسبه التعليم، ومن المدعوين من يناسبه المجادلة، ومنهم من يناسبه الوعظ والإرشاد، ومراعاة كل مدعو، ودعوته بأسلوب الدعوة المناسب لحاله، هذا كله من الحكمة.

قال السعدي رحمه الله: "ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"(١).

ونجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ دعا إلى الله بحكمة في هذا الموقف الدعوي، إذ جاءه حنظلة متخوفاً من تغير حال قلبه، حتى أنه اتهم نفسه بالنفاق، ووافقه أبو بكر على هذا التخوف، وإتهام نفسه بالنفاق، أو أن المقصود النفاق اللغوي، فالنبي ﷺ قابل تخوف هذين الصحابيين بأن يطمئنهما ويبشرهما بأنهما من أهل الإيمان، وأنه لا خوف عليهما ولا هما يحزنان.

ثم انتقل النبي ﷺ إلى بيان سبب هذا التغير، وأنه لا يضر بإيمانهما، ولا ينقص قدرهما عند الله، وأرشدهما إلى ما اختصت به هذه الشريعة من السماحة، ومراعاة حال القلوب والأنفس، وكل هذا من الحكمة.

فينبغي على الداعية إذا جاءه سائل يسأله، أو من لديه شبهة أو من لديه إشكال في مسألة من مسائل الاعتقاد والإيمان، أو مسألة من مسائل القيم والأخلاق، أو مسالة من مسائل العبادات، أن يقابل سؤال السائل في إجابة تغرس فيه مزيداً من المحبة لهذه الدين، والثبات عليه، ولا يقتصر الداعية في جوابه على كشف الشبهة، وإزالة الإشكال، بل ينقل المدعو إلى تفهم حقائق الدين، ومعرفة محاسن الشريعة ومقاصدها؛ ليغرس في نفس هذا المدعو البصيرة في محاسن هذا الدين وقيمه ومبادئه، ويبصره بهذه المقاصد والمحاسن؛ ليتأسس لديه علم نافع، ومعرفة ثاقبة لهذا الدين، وحسن مقاصده، وعظيم محاسنه، وهذا كله من الحكمة في الدعوة إلى الله.

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٢).

الأسلوب الخامس: أسلوب الحوار:

الحوار هو أسلوب دعوي، يحاور به الداعية المدعو من خلال مناقشة ما لدى المدعو من آراء وأفكار، والمقصد من الحوار هداية المدعو إلى ما هو خير له في الدنيا والآخرة، ببيان الحق فيما سأل عنه وحاور حوله وفيه، فمن المدعوين من لا يقبل النصيحة إذا جاءت وعظاً، ومن المدعوين من يحب أن يعمل عقله في كل مسألة تلقى إليه، ويحكم عقله، ومن المدعوين من يحب أن يكون مقتنعاً بما يدعى إليه، فإذا وجد الداعية أحداً من هذه الأصناف من المدعوين، فإنه ينبغي عليه أن يفيد من أسلوب الحوار، ويناقش ويحاور المدعو، فيعرض الأدلة على صحة ما يقوله، ويسمع من المدعو الإشكالات، أو إن كان عنده شبهات يناقشها ويدحض تلك الشبهات، ويرد عليها بالأدلة الشرعية، حتى يتقبل المدعو ما يدعوه الداعي إليه، وتزول عن ذهنه الشبهات وتنجلي، وهذا موجود في السنة كثيراً، فقصة الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنا فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: «ادنه» فدنا منه قريبا. قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن

فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1]. فالنبي ﷺ لم يزجر الشاب ويطرده، وإنما حاوره بأسئلة :أتحب هذا لأمك، أتحب هذا لأختك... إلخ. ثم اقتنع الشاب.

وهكذا جرى حوار بين النبي ﷺ مع عدد من الصحابة، فهذا الحديث الذي بين أيدينا، –حديث حنظلة– نجد أن النبي ﷺ حاور حنظلة ﵁، ففي أول الأمر بين له أنه لو كان حاله يدوم على تلك الحالة التي هو عليها حين مجالسة النبي ﷺ، لصافحته الملائكة في الطرق وعلى الفرش، لكن القلوب تتغير أحوالها وتكل وتمل، ثم النبي ﷺ أشار إلى مسألة أخرى، وهي أن لا بد للقلب من الراحة والترويح، وهذا كله من الحوار، وينبغي على الداعي أن يفيد من ذلك في دعوته لله تعالى، فيعمل أسلوب الحوار الذي أشار إليه هذا الحديث.

---

(١) مسند أحمد (٣٦/٥٤٥) ح: ٢٢٢١١، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

المطلب الثاني

الوسائل الدعوية من خلال حديث حنظلة ﷺ

الوسيلة الدعوية: هي ما يتوصل به إلى عرض الدعوة وبيان أهدافها، وتكون الوسيلة مادية أو معنوية، وليس هذا مجال الحديث عما يتعلق بالتأصيل لمسألة وسائل الدعوة، وحسبي في هذا المبحث أن أذكر ما أرشد إليه الحديث من وسائل دعوية:

الوسيلة الأولى: زيارة العلماء:

وهذه الوسيلة ينتفع بها الداعية، وينتفع بها المدعو، فأما الداعية فإن زيارته للعلماء تزيده عِلماً وبصيرة في معرفة كيفية الدعوة، وتحديد المقصد منها، ومعرفة وسائلها، ومعرفة أصناف المدعوين، وما يناسب كل صنف، وزيارة العلماء تنفع الداعية في تعليمه الأحكام العقدية، والأحكام الفرعية، وعموم مسائل الدين، والتعرف على محاسن الشريعة ومقاصدها.

فزيارة العلماء كلها خير، وتجعل الداعية بصيراً بكيفية معالجة كل ما يجد ويشكل عليه في طريق دعوته، وذلك من خلال عرض تلك الإشكالات على العلماء، فيرشدونه إلى هدي القرآن وهدي النبي ﷺ، وهدي سلفِ الأمة، ومن هذا أن عتبان بن مالك ﷺ استزار النبي صلى الله عليه وسلم في بيته فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله، أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سأفعل إن شاء الله»، فأتاه فصلى في بيته[(١)].

---

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت (١/٩٢) ح: ٤٢٥.

وزيارة العلماء نافعة للمدعو، فإن زيارة المدعو للداعية ذو العلم الغزير، تنفعه في تعليمه أحكام الشريعة، وفي تثبيته على الاستزادة من الخير، ومجانبة المعاصي والذنوب، وفي التوبة إلى الله من كل خطيئة، وفي إصلاح قلب المدعو وطهارته من الأهواء والأدواء كلها، فمن زار العلماء سلم ونجا من الأهواء بأنواعها، والفتن بأنواعها، والأدواء بأنواعها، فإن كل إنسان مُعرض للفتنة، ولكن لا ينجو من الفتن، ولا ينجو من الأهواء والأدواء، إلا من رجع إلى الكتاب والسنة وهدي السلف، وهذا لا يتأتى للمسلم إلا بالرجوع إلى العلماء، الذين يُبينون له نصوص الكتاب والسنة وفِقهها، على فهم السلف ووفق فهم السلف.

ونجد في حديث حنظلة رضي الله عنه هنا أن أبا بكر رضي الله عنه وحنظلة اتفق رأيهما على العودة إلى النبي ﷺ، ورجعا الى النبي ﷺ وزاراه، وقبل ذلك كانا في مجلسه، فهذا يدل على أن هذه الوسيلة نافعة لأهل العلم، ونافعة لعموم الناس فأبو بكر من أعظم الصحابة وأغزرهم علماً، وحنظلة كاتب وحي رسول الله ﷺ على علم غزير، وإذا كان هذا نافع للعلماء من الصحابة، فهو نافع للعلماء الذين في زماننا هذا، ونافع للدعاة الذين في زماننا وكذلك نافع لعامة المسلمين، أعني زيارة العلماء في كل زمان.

الوسيلة الثانية: ضرب الأمثال:

ضرب الأمثال ورد في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٥]، في غير آية من كتابه، ويمثِّل الله الأمثال للناس، ويشبّه لهم الأشباهَ ليتذكروا، وليعتبروا بها ويتعظوا[(١)]، والنبي ﷺ ضرب الأمثال لأصحابه في أحاديث كثيرة

(١) انظر: جامع البيان (١٦/٥٦٧).

منها قوله: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم» الحديث[1]، ومنها أنه سألهم صلى الله عليه وسلم بقوله: «أخبروني عن شجرة، مثلها مثل المؤمن»[2]، وغير ذلك، وهناك أحاديث كثيرة في ضرب الأمثال.

فضرب الأمثال وسيلة دعوية جاءت في الكتاب والسنة، ولابد للداعية أن يفيد منها في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، وهنا في حديث حنظلة أشار النبي ﷺ إلى وسيلة ضرب الأمثال من خلال قوله: «لو تكونوا على مثل ما أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة» الحديث[3]، ففي هذه الجزئية من الحديث: النبي ﷺ يضرب لهم مِثالاً للحال التي يتطلبون أن يكونوا عليها، وكيف لو كانوا عليها كيف يكون حالهم.

الوسيلة الثالثة: الترويح:

ذكرتُ من قبل أن النبي ﷺ كان يُداعب أصحابه ويمازحهم، ويمازح أهله وذريته وأصحابه رضي الله عنهم جميعاً، ولا شك أن ما يفعله النبي ﷺ حق، ولذلك قال له الصحابة -كما بينت من قبل-: (إنك لتمازحنا)؟ قال: (نعم، وإني لا أقول إلا حقًا)[4]. وهذا يعني أنه لا يمازحهم صلى الله عليه وسلم إلا لتنبيههم إلى ما ينفعهم، وتحذيرهم مما يضرهم، فيؤخذ من هذا أن الممازحة والمداعبة -وهما صورتان من صور الترويح- وسيلتان من وسائل الدعوة، فالترويح بكل صوره المباحة، يمكن أن يكون وسيلة دعوية إذا كان الداعية قد التزم في أخذه بوسيلة الترويح بما جاء من الهدي النبوي، ولم يكن مخالفاً لشيء

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (٢٧/١) ح: ٧٩، ومسلم: كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (١٧٨٧/٤) ح: ٢٢٨٢.

(٢) مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٢١٦٥/٤) ح: ٢٨١١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

من هديه صلى الله عليه وسلم في الممازحة، فلا يكون مخالفاً لشيءٍ من هديه صلى الله عليه وسلم في الترويح، فلا يكون ترويحه صارفاً عن طاعة ولا مثبطاً عنها، ولا داعياً إلى معصية، وليس فيه أذية لأحد، وليس فيه مخالفة أمر من أوامر الله ورسوله ﷺ، ولا تقليل من شأن شعيرة، ولا مساس بها، وهكذا.

وقد تحدث الامام ابن القيم رحمه الله عن الترويح المباح وما فيه من دفع مفاسد وجلب مصالح، ثم ذكر شيئاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الترويح عن أمنا عائشة وذكر الأحاديث في ذلك(١).

ثم قال "وهل الاستعانة على الحق بالشيء اليسير من الباطل إلا خاصة الحكمة والعقل؟ بل يصير ذلك من الحق إذا كان مُعِينًا عليه، ولهذا كان لَهْوُ الرجل بفرسه وقوسه وزوجته من الحق، لإعانته على الشجاعة والجهاد والعفة، والنفوس لا تنقاد إلى الحق إلا ببِرْطيلٍ، فإذا بُرطِلَتْ بشيء من الباطل لتبذل به حقًّا، وُجُوْدُه أنفعُ لها وخير من فوات ذلك الباطل، كان هذا من تمام تربيتها وتكميلها. فليتأمل اللبيب هذا الموضع حق التأمل، فإنَّه نافعٌ جدًّا، والله المستعان"(٢).

فمتى كان الترويح منضبطا وأحسن الداعية في استعماله النية، فإنه يكون وسيلة دعوية مشروعة.

ونجد أن حنظلة رضي الله عنه في هذا الحديث ذكر هو وأبو بكر رضي الله عنهما أنهما ينصرفان إلى بيوتهما بعد الجلوس مع النبي ﷺ، فيُعافِسان الأزواج والأهلين والضيعات، وهذا يتضمن الترويح بأنواعه، من ممازحة ومداعبة ونحو ذلك، فالنبي ﷺ أقرهُما على ذلك، ونبههما إلى أن هذا الترويح يكون عوناً على طاعة الله تعالى، وتجديداً للاجتهاد في العمل بطاعة الله تبارك وتعالى، والاستزادة من الأعمال الصالحة التي يتقوى بها الإيمان، فأشار النبي ﷺ إلى

---

(١) الكلام على مسألة السماع (١/٢٣٥-٢٣٦).

(٢) المرجع السابق (١/٢٣٧).

أن الإنسان إذا أحسن النية في الترويح، فقصد أن هذا الترويح يعينه ويعين من حوله ممن يمارس معهم ولهم الترويح، فإنه يكون ذلك من باب العون على الطاعة، ومما لا حرج فيه، ومما ينفع المسلم في إيمانه ولا يضره.

المبحث الرابع

دروس أخلاقية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

سأتناول هذا المبحث من خلال عدة مطالب تتمثل فيما يلي:

المطلب الأول

غرس الإيمان وقِيمهِ في نفوس المدعوين

كما أوضحت من قبل فإن التوحيد هو أول ما ينبغي للداعية أن يعتني بالدعوة إليه، فيُبين مسائله ويحذر مما يضاده أو يضاد كماله، فالدعوة إلى التوحيد هي دعوة رسل الله عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، ومن الدعوة إلى التوحيد الدعوة إلى الإيمان بالله جل وعلا وأسمائه وصفاته، وبيان حقه سبحانه وتعالى، والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الدعوة غرس القيم الإيمانية، وتربية النفوس على اليقين بالله سبحانه وتعالى؛ فاليقين بالله جل وعلا من أعظم ما يُعْطاهُ العبد، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم «فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية»[(١)]، ومن اليقين اليقينُ بالجنة والنار، وهذا كله الذي ذكرته موجودٌ في حديث حنظلة، فهو ما كان يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم من تقوية إيمان الصحابة ويقينهم، وتذكيرهم بالجنة والنار، ولذلك كانوا يعيشون مع النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه كأنهم يرون الجنة والنار رأي العين.

(١) النسائي: كتاب عمل اليوم والليلة، باب مسألة المعافاة (٣٢٧/٩) ح: ١٠٦٥٨، والترمذي: أبواب الدعوات (٥٥٧/٥) ح: ٣٥٥٨، وقال الألباني: حسن صحيح (٥٨/٨).

فعلى الداعية أن يُفيد من هذا في أن يكون هدفهُ الأعظم والأسمى الدعوة إلى الإيمان بالله جل وعلا، وتحقيق كمال الإيمان من خلال المواعظ بالتذكير بالجنة والنار، والمتتبع لسيرة النبي ﷺ يجد أنه عليه الصلاة والسلام في كثير من مواعظه وخطبه وتعليمهِ ﷺ يُذكّر بالجنة ونعيمها ويرغب في الاجتهاد في طلب الدرجات العُلا منها، كما يحذر من النار، ويحذر من الأعمال والأقوال التي تقرب إلى النار، ومن أمثلة تذكيره ﷺ في خطبه أنه كان يقول: «أنذرتكم النار»(١) كان يقولها كأنهُ مُنذِرُ الجيش، وكذلك ﷺ في خطبةٍ خطبها حينما حصل الكسوف والخسوف ذكر الجنة وذكر النار(٢)، ومرةً وعظ الصحابة وعلمهم من الفجر إلى المغرب يقطع ذلك الوعظ بالصلاة(٣)، كان يُذكر بالجنة والنار عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان يُرغب عليه الصلاة والسلام في حثه أصحابه على طلب الدرجات العُلا من الجنة، ومن ذلك حديثه عن أهل الجنة من هم وما صفاتهم، وحديثه عن أهل النار وما صفاتهم.

---

(١) مسند أحمد (٣٤٩/٣٠) ح: ١٨٣٩٩، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) البخاري: كتاب العلم (٢٨/١) ح: ٨٦، ومسلم: كتاب الكسوف (٦٢٢/٢) ح: ٩٠٤.

(٣) ونص الحديث: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا»، أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٢١٧/٤) ح: ٢٨٩٢.

المطلب الثاني

تزكية القلوب وصفاء النفوس بذكر الدار الآخرة

القلب هو المضغة التي بصلاحها تصلح الجوارح وبفسادها تفسد الجوارح وبصلاح هذه المضغة تصلح الأعمال وبفسادها تفسد الأعمال حتى قال النبي ﷺ «ألا إنّ في الجسد مضغة» الحديث[(١)]، وأشار ﷺ إلى صدره فقال «التقوى ها هنا»[(٢)] فلابد أن يعتني الداعية بإصلاح قلبه، ويتفقد أحواله، وكذلك المدعو لا بد أن يعتني بصلاح قلبه، ويتفقد أحوال قلبه، فما الذي جعل حنظلة يتفكر ويتدبر ويسأل هذا السؤال؟ لم يدفعه لذلك إلا ملاحظته لحال قلبه، فإنه حينما كان عند النبي ﷺ يجد من زيادة الإيمان ما لم يجده حينما رجع إلى داره، وعافس الأولاد والضياع والزوجات، فمراقبته لحال قلبه أوجبت لديه أن يسأل هذا السؤال للنبي ﷺ عن سبب تغير حال قلبه.

فنأخذ من هذا الحديث أنه ينبغي للمسلم أن يتفقد أحوال قلبه، والقلبُ سمي قلباً لكثرة تقلبه، فهو يتقلب. وليتذكر الداعية أن قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء، كما في الحديث[(٣)]. فالواجب أن يحرص الإنسان على تزكية قلبه وتنقيته من كل الأهواء والأدواء، وأن يعْمُر قلبه بصالح الأعمال، أعمال التوحيد من التوكل على الله وحسن الظن به ورجائه وخوفه والحياء منه وإجلاله سبحانه وتعظيمه، وأن يعمر المسلم قلبه بحب الخير للمسلمين وحسن الظن بهم، ومجانبة أذيتهم والحقد عليهم، وسوء الظن بهم،

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٢٠/١) ح: ٥٢، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) ح:١٥٩٩.

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (١٩٨٦/٤) ح: ٢٥٦٤.

(٣) مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٠٤٥/٤) ح: ٢٦٥٤.

وبهذا يصلح القلب عامراً بطاعة الله تبارك وتعالى، فمتى كان قلب الداعية صالحاً سليماً منيباً كان وعظه وتعليمه أكثر نفعاً للناس، ومتى كان المدعون أصحاب عناية بقلوبهم، كانت المواعظ تؤثر فيهم، والتعليم لمسائل الدين ينفعهم.

ومن الموضوعات التي ينبغي أن يُعتنى بها أيضاً موضوع الحث على الاجتهاد في طلب الآخرة، وهذا لن يتأتى إلا بتزكية القلوب وصفاء النفوس، فقد كان النبي ﷺ في مواعظه وتعليمه وسائر مجالسه يحثُ الصحابة على الاجتهاد في طلب الآخرة، ويحثهم على التسابق فيما يُبلغُهم رضوانه سبحانه وتعالى، وينالون به أعلى الدرجات في الجنة، فهو عليه الصلاة والسلام في حديث حنظلة هنا يُبين عليه الصلاة والسلام لحنظلة أنه لو دام حنظلة في حالِه الإيمانية على ما كان عليه عند النبي ﷺ، قبل أن يخرج من عنده لصافحته الملائكة في فِراشه وفي طريقه، فهذا التوجيه النبوي فيه حث لحنظلة على أن يسعى في أن يكون غالب أحواله كذلك، ولم يُلزمهُ النبي ﷺ بأن يكون حاله كذلك على الدوام، فهذا مُتعذر فإذاً حثُّ الإنسان على أن يجتهد في طلب الآخرة، هذا ظاهرٌ في هذا الحديث.

وكذلك نجد النبي ﷺ يذكرهم بالجنة والنار ليجتهدوا في طلب النجاة والفلاح يوم القيامة، ويجتهدوا في تحصيل نجاتهم من النار، ولذلك قال له حنظلة هنا: (إننا حينما نكون عندك فتذكرنا بالجنة والنار فكأننا نراها رأي العين)(١)، وهذا يلين القلوب ويزكيها ويصفي النفوس ويطهرها بالخوف والوجل وطلب العفو من الغفور الرحيم، هذا دليلٌ على أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر من ذكر الجنة، ويحُثُّ على طلبها، ويكثِرُ من ذكر النّارِ، ويحُذر منها، وينبغي أن يركز الداعية على هذا الهدف، وهو حث المسلمين على التسابق في طلب ثواب الآخرة والنجاة من عذاب الآخرة.

---

(١) سبق تخريج الحديث.

المطلب الثالث

الدعوة للوسطية

من خصائص هذه الأمة أنها أمة وسطية كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، قال القرطبي: "أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم"[(١)] ، فالأمة الإسلامية أمة وسط في اعتقادها، وفي عبادتها، وفي تعامل بعضها مع بعض، وتعاملها مع غيرها من الأمم، ووسطية في قيمها وأخلاقها.

فالدعوة إلى الوسطية موضوع مهم، ينبغي أن يعتني كل داعية بالدعوة إليه، كما ينبغي على كل مدعو أن يحرص على تحصيله، وإننا نجد في حديث حنظلة هذا أن النبي ﷺ أرشد حنظلة وأبا بكر إلى مراعاة الحالين: حال حينما يكونون في مجالس الذكر ومع النبي ﷺ، وما يحصل مِنْ عظيم زيادة الإيمان، وحال حينما يكونون في الأهلين فيُعافِسون الضيعات والأولاد والزوجات، وهاتان الحالتان الأولى منهما حالة الكمال، والحالة الثانية الحالة الفطرية العادية، فالإسلام لم يمنع مما فُطرت عليه النفوس من حُبها لما جبلت عليه، من حب الشهوات المباحة، وطلب متاع هذه الدنيا والتلذذ به.

وبهذا يتبين أن الإسلام دين الوسطية لا يحرم ما فطرت النفوس على حبه، من الشهوات المباحة وملاذ الدنيا، كما أنه لا يأمر الإنسان المسلم بأن يكون على حال الكمال في زيادة الإيمان في كل أحواله، فالنفس لها أحوال، والقلوب لها أحوال، ما بين ضعف إيمان وقوة إيمان، وما بين غفلة وبين يقظة، وما بين انشغال بدنيا، وما بين اجتهاد في طلب الآخرة، وذكرٍ لها، والمطلوب أن يكون المسلم في عموم حاله طالباً لآخرته ولا

---

(١) تفسير القرطبي (١٥٤/٢).

تُلهيه الدنيا، وهذه الوسطية هي التي هدف النبي ﷺ إلى الإرشاد إليها من خلال هذا الحديث، فقد نبه حنظلة وأبا بكر أنهما على خير وأنهما على طريق الوسطية، وأنهما على ذكرٍ للآخرة، ولكن تتفاوت حالات إقبال القلب، وإقبال النفس على كمال الاجتهاد في ذكر الآخرة.

المطلب الرابع

سماحة الإسلام

كما أن الإسلام دين الوسطية فهو دين السماحة، يترك للنفس البشرية مجالاً أن تجد ما تلهو به من اللهو المباح، مما يخفف عنها ويجعلها بعد ذلك تُقبل على الطاعات، وهذا من سماحة الشريعة فلا رهبانية في الإسلام.

الإسلام دين يراعي أحوال النفس البشرية، كما يراعي حال الإنسان في بدنه، فإنه لا يكلف المريض والعاجز ما يكلفُهُ الصحيح في بدنه، وكذلك النفس تكون مقبلة أحياناً على الطاعة فيجتهد الإنسان في طلب الآخرة، وتكون النفس أحيانا ما في مللٍ وتثاقل، فلابد لها من لهو يخفف عنها ما تجده من مشقة وثقل، وهذا ملمحٌ عظيم تظهر من خلاله سماحة هذه الشريعة. فالشريعة الإسلامية لم تحرم على الإنسان أن يستمتع بدنياه فيما أحله الله تعالى وأباحه، وما أكثر المباحات، ولم تحرم على المسلم أن يلهو لهوًا مُباحًا يخفف به عن نفسه ويجعلها أقرب إلى نشاطٍ متجدد في طاعة الله سبحانه وتعالى.

ونلاحظ في حديث حنظلة أن النبي ﷺ لم ينكر على حنظلة وأبي بكر ما يفعلانه من الاشتغال بالحِرف والتجارة ومُعافسة الأولاد والزوجات، بل إنه ﷺ نبههُما إلى مشروعية ذلك، وأنه لا بد لهما منه فقال «ولكن ساعة وساعة»[1] وبين لهُما أن الإنسان يعجزُ بطبيعته على الثبات على حال زيادة الإيمان، التي تكون في مجالس الذكر، وذكر الجنة والنار، وهذا كله بيان لسماحة الشريعة الإسلامية، وقد كان سيد الخلق ﷺ يُمازح زوجاته ويمازح بعض ذريته ويمازح أصحابه ﷺ، وكان يضحك ﷺ، وكان يتبسم عليه الصلاة والسلام، وكل هذا من سماحة الشريعة الإسلامية ولكن لا ينافي حال الكمال.

---

[1] سبق تخريج الحديث.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد :

فهذه أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، والتوصيات:

أولاً: أبرز نتائج البحث:

١- عظم شأن حديث حنظلة في إعداد الداعية.

٢- اشتمل هذا الحديث على توجيهات نبوية كريمة تهدي الدعاة إلى ما تزكو به أنفسهم وتصلح به قلوبهم.

٣- اشتمل الحديث على توجيهات إذا أخذ بها الداعية سلك منهج الوسطية والاعتدال في شأنه كله.

٤- يرشد الحديث إلى أنه ينبغي على الدعاة أن يبينوا سماحة الإسلام ورحمته ووسطيته وبيان صور ذلك.

٥- يؤكد الحديث على أن التواصل الوثيق بين الدعاة ومن يدعونهم من أهم أسس نجاح الدعوة الوسطية.

٦- هذا الحديث يرشد إلى وجوب العناية بحسن التعليم وكل أسلوب ووسيلة تثمر حصول ذلك.

٧- الترويح مشروع وأباحه الشرع للداعية والمدعو بضوابط شرعية.

٨- للداعية الإفادة من الترويح كوسيلة دعوية في إيناس المدعو مما يعين المدعو على الثبات على الخير والاستزادة منه.

ثانياً : أهم توصيات البحث:

١- دراسة الأحاديث التي تظهر وسطية الشريعة وسماحتها دراسة دعوية يفيد منها الدعاة في بيان محاسن الشريعة ومقاصدها.

٢- إعداد الدراسات الدعوية لسِيَر الصحابة رضي الله عنهم التي تظهر وسطيتهم والإفادة من هذا في مجال الدعوة.

٣- إعداد دراسات للحديث النبوي تبين أنواع الترويح المباح الذي يمكن أن يستفيد منه الدعاة كوسيلة دعوية في تبليغهم الدعوة إلى الله تعالى.

٤- دراسة الأحاديث التي توضح خصائص مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم العلمية والوعظية وصفتها ليستفيد منها الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى.

٥- إعداد المزيد من الدراسات في بيان نظرة الإسلام للدنيا ليستفيد الدعاة إلى الله تعالى من ذلك في بيان وسطية هذا الدين وترغيب الخلق في الالتزام بأحكامه

٦- حبذا أن يعتني الباحثون في علم الدعوة إلى الله تعالى بمزيد من دراسة الأحاديث التي أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى سماحة الشريعة الإسلامية ويسر أحكامها والإفادة من تلك الدراسات في مجال إعداد الدعاة إلى الله وإثراء علم أساليب الدعوة ووسائلها.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠ هـ)، المحقق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥- أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد- السعودية، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٦- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٧- تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار- عمان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٨- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، حقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٩- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١١- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة- القاهرة- مصر، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد- سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٣- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٤- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٥- حاشية السندي على سنن ابن ماجه =كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، دار الجيل- بيروت، د.ط.

١٦- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض- السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٧- سنن ابن ماجه = جامع السنن، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، علق عليه: عماد الطيار، وياسر حسن، وعز الدين ضلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي أبو داود السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٩- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم

عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢٠- سنن النسائي = السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، أبو عبد الرحمن النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢١- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٢- صحيح ابن حبان = المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٣م.

٢٣- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٤- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي— بيروت، د.ط.

٢٥- صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.

٢٦- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.

٢٧- صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.

٢٨- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة- لبنان، ط٢، د.ت.

٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٣١- قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، رسالة الدكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ.

٣٢- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، د.ط.

٣٣- الكلام على مسألة السماع، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

٣٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٥- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧ هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، دار القبلة- جدة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣٧- مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨م- ٢٠٠٩م.

٣٨- معرفة الصحابة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٩- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير،

دمشق- بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٤٢- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، النبلاء للكتاب، مراكش- المغرب، ط١.

٤٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

البحث رقم (٤)

المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)

إعداد

د. سويلم بن حاضر العتيبي

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠م)، ويتناول البحث في إطار ذلك مفهوم التنمية المستدامة في النظم الوضعية وفي الإسلام، موضحا إن التنمية التي يدعو الإسلام لتحقيقها هي تنمية شاملة لجميع مناحي الحياة ومجالاتها، وهي أمر واجب على كل مسلم باعتبارها عبادة وطاعة لله عز وجل، وهو ما يعكس أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهدافها في ضوء الواقع المعاصر وما نصت عليه رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، كما يتناول البحث في إطار ذلك أيضا مدى عناية القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من مصادر الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة فضلا عن بيان الأسس والأساليب الدعوية التي تساعد الدعاة إلى الله عز وجل على تعزيز التنمية وتحقيق أهدافها، وقد توصل الباحث من خلال دراسته لعدد من النتائج، أبرزها: أن الدعوة الإسلامية قد أولت التنمية المستدامة عناية كبرى، وقدمت لتحدياتها الحلول الوقائية والعلاجية التي تجعل للإسلام قصب السبق في تقرير مبادئ التنمية المستدامة وأهدافها قبل غيره من الأديان، وأن التنمية المستدامة في الدعوة الإسلامية ذات أسس وأهداف سامية تعني بتنمية الإنسان روحيا وأخلاقيا وفكريا وحضاريا باستخدام أساليب مناسبة لتحسين جوانب التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، أن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) تعد من أهم الركائز التي ترتكز عليها وتنطلق منها المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في الواقع المعاصر، وأن مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل لا تقل عن مسؤولية غيرهم من أبناء الأمة في تعزيز التنمية المستدامة والعمل على تحقيق أهدافها. كما أوصت الدراسة بعدد من التوصيات، أبرزها: مناشدة علماء الأمة وجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداله في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد والمغالاة والتعسير على

الناس في شئون حياتهم، فالمنهج الوسطي هو المنهج الذي رضيه الله تعالى للأمة وهو أيضا ذات المنهج الذي اتخذته رؤية المملكة (٢٠٣٠) أساسا ومنطلقا لتحقيق التنمية المستدامه والوصول لأهدافها، كما أوصت أيضا بضرورة تعزيز التعاون والشراكة بين وزارة الشؤون الإسلامية وغيرها من المؤسسات الدعوية والوزارات والمؤسسات المعنية بالبيئة في الدول الإسلامية وغيرها؛ من أجل القيام بمبادرات مشتركة تؤصل لأهمية الدعوة الإسلامية ودورها في الحفاظ على البيئة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

Abstract

This study aims to identify the responsibility of preachers to God Almighty towards promoting sustainable development and achieving its goals in the light of the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (2030 AD). Comprehensive development for all walks of life and its fields, which is a duty of every Muslim as it is worship and obedience to God Almighty, which reflects the importance of advocacy responsibility towards achieving its goals in light of contemporary reality and what is stipulated in the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (2030), as the research deals with in this context Also, the extent to which the Holy Qur'an, the Prophet's Sunnah and other sources of Islamic da'wah care for sustainable development, as well as a statement of the foundations and advocacy methods that help preachers to God Almighty to promote development and achieve its goals. Sustainable development has taken great care, and presented to its challenges preventive and curative solutions that make Islam the forerunner in deciding the principles and objectives of sustainable development before other religions, and that sustainable development is sustainable development in

the Islamic call with lofty foundations and goals concerned with the development of human beings spiritually, morally, intellectually and civilly by using appropriate methods to improve aspects of sustainable development and achieve its goals, that the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (2030) is one of the most important pillars on which it rests and the advocacy responsibility towards achieving sustainable development in reality Contemporary, and that the responsibility of the preachers to God Almighty is no less than the responsibility of other sons of the nation in promoting sustainable development and working to achieve its goals. The study also recommended a number of recommendations, most notably: an appeal to the nation’s scholars and all those working in the field of calling to God Almighty to take the approach of moderation and moderation of Islam in all fields of Islam, and not to be exaggerated and difficult for people in their life affairs. It is also the same approach taken by the Kingdom’s Vision (2030) as a basis and a starting point to achieve sustainable development and reach its goals. It also recommended the need to strengthen cooperation and partnership between the Ministry of Islamic Affairs and other advocacy institutions, ministries and institutions concerned with

the environment in Islamic countries and others; In order to carry out joint initiatives that root the importance of the Islamic call and its role in preserving the environment and achieving sustainable development goals.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن قضايا التنمية المستدامة(١) بمختلف جوانبها قد احتلت مكاناً بارزا في كافة المجتمعات وحظيت باهتمام بالغ من قبل العلماء والباحثين والمفكرين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والفكرية باعتبارها محورا أساسيا لمستقبل البشرية والوسيلة المثلى لتحقيق حياة أفضل للشعوب والمجتمعات، فهي عملية ضرورية وحيوية لتحريك المجتمعات ونقلها من وضع إلى وضع أفضل يبدأ من المجتمع وتنتهي لصالحه.

ولما كانت المملكة العربية السعودية - حفظها الله ووفق قادتها- في مصاف دول العالم التي تسعى لتحقيق التنمية المستدامة في شتى الجوانب والمجالات، فقد أولت رؤية المملكة المباركة (٢٠٣٠) اهتماما بالغا بقضايا التنمية المستدامة ودعت لتحقيق أهدافها من خلال عدد من المحاور التي ترتكز على أسس الدعوة الإسلامية وتنطلق من مبادئها، الأمر الذي عبر عنه القادة – حفظهم الله – بقولهم: "نحيا وفق مبادئنا الإسلامية... يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا

---

(١) التنمية المستدامة- كما عرفتها اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية- هي: "التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون أن تقوض قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء باحتياجاتها"، المبادئ الأخلاقية المتعلقة بتغير المناخ: تقارير اللجنة العالمية لأخلاقيات المعارف العلمية والتكنولوجية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (٢٠١٠- ٢٠١٥)، ص (٢٩)، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ٢٠٢٠م.

وقراراتنا وتوجهاتنا .لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه ... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافيّة مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات" (١).

فالمنهج الذي تبنته القيادة الرشيدة لتحقيق التنمية هو منهج الإسلام القائم على الوسطية وإتقان العمل والانضباط والتسامح والعدالة والشفافيّة، ما يعني أن نقطة انطلاقتنا في العمل على تحقيق التنمية المستدامة ستكون بتلك المبادئ، وهو أيضا ما يبرز أهمية مسؤولية الدعاة إلى الله في تدعيم هذا الجانب الذي أكد عليه ولاة الأمر وجعلوه في أولى اهتمامات الرؤية، ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ " المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)"، وفيما يلي عرض للنقاط التي اشتملت عليها مقدمة الدراسة:

أولا: أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث وأسباب اختياره في عدة نقاط، أوجزها فيما يأتي:

(١) أهمية التنمية المستدامة ومدى حاجة البشرية إلى منهج الدعوة الإسلامية في تحقيقها، وخاصة أن النماذج والتطبقات التنموية الوضعية لم تتمكن من تلبية متطلبات التنمية وتحقيق أهدافها على النحو الأمثل.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

(٢) صلتها القوية بواقع أمتنا العربية والإسلامية على وجه العموم، وبلادنا بصفة خاصة، فالتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها من أهم ما تتبناه المملكة العربية السعودية وتسعى رؤية المملكة (٢٠٣٠) للوصول إليه.

(٣) ما أوصت به العديد من المؤتمرات المعنية بالبيئة والتنمية، فقد أوصى أعضاء المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة بضرورة تعزيز دور المؤسسات الدينية والدعوية وتعاون أبنائها مع غيرهم من أبناء المؤسسات المجتمعية الأخرى لتحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها [(١)].

ثانيا: أهداف البحث:

لقد وضعت لهذا البحث جملة من الأهداف تتمثل فيما يأتي:

(١) التعرف على مفهوم التنمية المستدامة في النظم الإسلامية والوضعية.

(٢) بيان أوجه أهمية التنمية المستدامة ومكانتها في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠).

(٣) إبراز أوجه عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من المصادر الدعوية.

(٤) تسليط الضوء على مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

---

(١) ينظر: التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، ص (١٣- ١٥)، أعمال المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة، الرباط، المملكة المغربية، ٢، ٣ ، أكتوبر، ٢٠١٩م.

(٥) بيان أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

(٦) الكشف عن أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

ثالثا: تساؤلات البحث:

يطرح هذا البحث عددا من التساؤلات التي يسعى الباحث للإجابة عليها، ومن أبرزها ما يأتي:

(١) ما هو مفهوم التنمية المستدامة في النظم الإسلامية والوضعية؟

(٢) ما أوجه أهمية التنمية المستدامة ومكانتها في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠)؟

(٣) ما أوجه عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وفقا لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من المصادر الدعوية؟

(٤) ما مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)؟

(٥) ما هي أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟

(٦) ما هي أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدمة؟

رابعا: الدراسات السابقة:

لقد تبين للباحث من خلال البحث والتنقيب وجود بعض الدراسات التي تناولت الحديث عن التنمية المستدامة بشكل أو آخر ، ولعل من أبرزها ما يأتي:

(١) التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، مجلة البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧م.

وتهدف هذه الدراسة إلى الاستدلال على معرفة الإسلام لفكرة التنمية المستدامة لموارد البيئة من خلال بعض الآيات القرآنية، وكيف نَصَّ الله تعالى في القرآن الكريم على ضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية وحمايتها، وقد خلصت الباحثة لعدة نتائج، أبرزها: أن العالم لم يعرف مصطلح التنمية المستدامة إلا حديثاً، أما الإسلام فقد أشار إلى ذلك من خلال الآيات القرآنية، بينما دراستي تهدف إلى معرفة الإسلام للتنمية المستدامة من خلال جميع المصادر الدعوية لا من خلال القرآن الكريم فحسب، فضلا عن بيان مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهميتها في تحقيقها في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

(٢) التنمية المستدامة ودورها في استشراف مستقبل الدعوة على ضوء رؤية ٢٠٣٠م، إعداد/ أحلام بنت محمد عبد الرحيم الدويخ، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٤١-١٤٤٢هـ.

وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم تصور مقترح لاستشراف مستقبل الدعوة الإسلامية ؛ من أجل التنمية المستدامة على ضوء رؤية ٢٠٣٠م، وذلك من خلال الكشف عن أهم مجالات التنمية المستدامة في العمل الدعوي، والتعرف على وسائل وأساليب تحقيق التنمية المستدامة للعمل الدعوي في المؤسسات الدعوية، وبيان مؤشرات الأداء في العمل الدعوي على ضوء رؤية ٢٠٣٠م، وقد خلصت الباحثة لعدة نتائج، أبرزها:أن التنمية المستدامة تتميز بمبادئ وخصائص جعلت جميع الدول في العالم تتنافس

في تطبيق أهدافها وتبني الخطط التي من شأنها التطوير والابتكار عبر الوسائل والأساليب المعززة، وأن مجالات التنمية المستدامة للعمل الدعوي تتجلى في ثلاثة مجالات، هي: المجال الدعوي الميداني، والمجال الإداري، والمجال المالي.

ويلاحظ على هذه الدراسة أنها عنيت- كما يتضح من عنوانها- بالحديث عن دور التنمية المستدامة في تحقيق النمو والنهوض بمستقبل الدعوة، وذلك من خلال بيان مجالات التنمية المستدامة في العمل الدعوي سواء أكانت تتعلق بالجانب الميداني أم بالجانب المالي والإداري للمؤسسات الدعوية فضلا عن بيان الوسائل والأساليب التي تساعد على تحقيق التنمية المستدامة دخل هذه المؤسسات وفي العمل الدعوي على وجه العموم، بينما دراستي تهدف إلى بيان مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة، وأهمية المسؤولية الدعوية في الواقع المعاصر تجاه تحقيقها وخاصة في ضوء ما دعت إليه رؤية المملكة (٢٠٣٠م)، فضلا عن بيان الأسس والأساليب الدعوية التي يجب على الدعاة إلى الله اتباعها لتلبية متطلبات التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها؛ **ولذا فالجديد في دراستي يتمثل فيما يلي:**

- إظهار مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وذلك من خلال نصوص القرآن والسنة وغيرهما من المصادر الدعوية التي تدل على ذلك.

- بيان مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠م).

- التعرف على أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

- تسليط الضوء على أبرز الأساليب الدعوية التي تساعد الدعاة إلى الله في العصر الحاضر على أداء واجبهم تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدمة.

خامسا: منهج الباحث:

إن الفكرة الرئيسة لهذا البحث هي بيان مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)، ولعل من أبرز مناهج البحث التي تساعد على الوصول لذلك ما يأتي:

(١) المنهج الاستقرائي[(١)]: وذلك باستقراء النصوص الشرعية التي تضمنت الحديث عن التنمية المستدامة والمعاني الدالة عليها، وأقوال الدعاة وعلماء المسلمين فيها.

(٢) المنهج الاستنباطي[(٢)]: وذلك بالنظر والتدبر في النصوص الشرعية المتعلقة بالتنمية المستدامة واستخراج ما يتعلق منها بالمسؤولية الدعوية تجاه تحقيق هذه التنمية، مع مراعاة التسلسل بين القضايا من أجل الوصول إلى ما يترتب عليها من نتائج.

سادسا: خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على: أهمية الدراسة، وأهدافها، وتساؤلاتها، ومنهج الباحث في إعدادها ثم خطتها.

المبحث الأول: تحرير المصطلحات وضبط المفاهيم.

---

(١) المنهج الاستقرائي هو: "منهج علمي يقوم على التتبع لأمور جزئية بالملاحظة، وهو إما استقراء تام: يقوم على حصر جميع الجزئيات، أو ناقص: يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة وإجراء الدراسة عليها لإصدار أحكام عامة"، مناهج البحث العلمي تطبيقات ادارية واقتصادية، تألبف/ د. أحمد حسين الرفاعي، ص (٨٤: ٨٦)، دار وائل للطباعة، عمان- الأردن، ط ٦، ٢٠٠٩م.

(٢) المنهج الاستنباطي: "منهج علمي يستند إلى مجموعة من الحدود الأولية والتعريفات والبديهيات وينتقل منها- في إطار مجموعة من قواعد الاشتقاق الصارمة- إلى ما يترتب عليها من نتائج أو نظريات"، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف/ د. محمد محمد القاسم، ص (٥٨)، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، "بتصرف".

المبحث الثاني: عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهمية تعزيز المسؤولية الدعوية تجاه تحقيقها.

المبحث الثالث: أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة.

المبحث الرابع: الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة.

الخاتمة:

وتشتمل على:

-أهم النتائج.

- أهم التوصيات.

- فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

تحرير المصطلحات وضبط المفاهيم

تحديد المصطلحات المفاهيم أمر له أهميته ومكانته بالنسبة للبحث العلمي؛ ذلك أنها تشكل أحد أهم ركائزه، ومن جهة أخرى فكثيراً ما تتعدَّد المفاهيمُ الخاصَّة ببعض المصطلحات المستخدمة في الأبحاث؛ ولذا فالأولى هو تحرير المصطلحات تحديد المفاهيم والمعاني التي تتفق أو تتناسب مع أهداف البحث وإجراءاته، وهو ما يمكن للباحث تناوله على النحو الآتي:

أولا: المسؤولية الدعوية:

مصطلح المسؤولية الدعوية كما يتضح من لفظيه مركب بياني طرفاه (المسؤولية، الدعوة)، ويمكن للباحث التعريف به على النحو الآتي:

(١) المسؤولية:

المسؤولية في اللغة مصدر صناعي تعود أصوله إلى الجذر سأل، ويطلق في اللغة ويراد به عدة معان، أبرزها: ما يناط بالمرء من أعمال، فيقال: "المسؤول المنوط به عمل تقع عليه تبعته، والمسؤولية حال من يسأل عن أمر تقع عليه تبعاته"(١).

وأما المسؤولية في الاصطلاح فهي: "حالة للمرء يكون فيها صالحاً للمؤاخذة على أعماله ملزماً بتبعاتها المختلفة"(٢).

---

(١) المعجم الوسيط، إعداد/ مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، باب "السين" مادة "سأل" (١/٤١١)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤١٥هـ، ٢٠٠٤م.

(٢) العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، تأليف محمد عبد الرحمن بيصار، ص (٢٤٨)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٠م.

ويتبين للباحث من هذين النصين أن المسؤولية تتمثل في صلاحية الفرد للقيام بواجب ما حسب قدرته واستطاعته من غير مشقة ولا تكلُف، فضلا عن محاسبته عليه إذا أخلَّ به تركاً أو تقصيراً.

(٢) الدعوة:

أصلها من الثلاثي "دعا"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به النداء والاستعانة والاستغاثة فيقال: "دعا الرجل: ناداه... ودعا الشخص: استعان به، ودعا اللهَ : استغاث به"(١).

وأما الدعوة في الاصطلاح الدعوي فهي: "قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة وفق المنهج القويم وبما يتناسب مع أصناف المدعوين ويلائم أحوال المخاطبين"(٢).

وهكذا، بعدما تبين معنى المسؤولية والدعوة يمكن للباحث أن يضع حدا للمسؤولية الدعوية، **فأقول**: هي: "ما يناط بالدعاة إلى الله ويقع على عاتقهم من أعمال وتكليفات تجاه نشر الإسلام وتبليغه للناس في جميع أنحاء المعمورة من أجل الأخذ بأيديهم للفوز بسعادة الدارين"(٣).

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مادة: (دعو)، (١/ ١٩٤)، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٧م.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، تأليف/ أ.د. عبد الرحيم محمد المغذوي، ص (٤٩)، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣١هـ،٢٠١٠م.

(٣) تعريف الباحث.

وأعني بالمسؤولية الدعوية في هذه الدراسة: ما يتحمله الدعاة إلى الله عز وجل وما يناط بهم من واجبات تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).

ثانيا: التنمية المستدامة:

التنمية المستدامة هي جوهر هذا البحث وإحدى أهدافه، والمصطلح - كما يتضح من لفظيه- مركب بياني طرفاه (التنيمة، والاستدامة) ويمكن للباحث التعريف به على النحو الآتي:

(١) التنمية:

أصلها من "نما"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معان أبرزها الكثرة والزيادة، يقول ابن فارس: "النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، يقال: نمى المال: أي زاد، والنامية: الخلق، لأنهم ينمون، أي يزيدون"(١).

كما تطلق الكلمة في اللغة ويراد بها التطوير والرفعة والعلو، فيقال: "نمَّى الأمرَ: أي طوّره، ونمى ذاكرته: أي أنعشها وقواها"(٢)، ويقال أيضا: "نمى الشيء: رفعه وأعلى شأنه، يقال فلان ينميه حسبه أي يعلي شأنه ويرفعه"(٣).

هذه أبرز معاني الكلمة في اللغة ويتبين للباحث منها أن التنمية ترتكز على عدد من المعاني الإيجابية فهي إنعاش وتطوير للشيء على نحو يقتضي زيادته ويحقق رفعته وعلو شأنه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مادة: "نمى"، (٥/ ٤٧٩، ٤٨٠)، دار الفكر، دمشق- سوريا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف/ د. أحمد مختار عمر، وآخرون، مادة:"نمى"، (٣/ ٢٢٨٩)، عالم الكتب، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٣) المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة: "نمى"، (٢/ ٩٥٦).

وأما عن معنى التنمية في الاصطلاح فقد تعددت فيه أقوال العلماء؛ وذلك نظرا لتعدد مجالاتها وكثرة أنواعها، ولعل من أبرز التعاريف وأجمعها تعريف الأمم المتحدة، حيث عرفت التنمية بأنها: "عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرهم والأفراد جميعهم على أساس مشاركتهم النشطة والحرة والهادفة في التنمية وفي التوزيع العادل للفوائد الناجمة عنها"(١).

وقيل هي: "عملية شاملة مستمرة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية تهدف إلى تحقيق تقدم مستمر في حياة الأفراد ورفاهيتهم، وذلك من خلال مساهمة جميع أفراد المجتمع في تحقيها وعلى أساس التوزيع العادل لعائداتها"(٢).

ويلاحظ على هذه التعريفات أنها عرفت التنمية باعتبار أهدافها وهي التحسين المستمر لرفاهية المجتمعات البشرية في المجالات الاقتصادية والثفافية والسياسية والاجتماعية، ولكنها أغفلت أهم جوانب التنمية وهو الجانب الديني، فالتنمية وفقا لهذه التعريفات هي عملية مادية خالصة لا علاقة لها بالدين ولا بالأخلاق، رغم أن البعد الديني بما يتضمنه من زكاة الروح والقلب وما يترتب على ذلك من آثار طيبة على الجوارح هو الركيزة الأساسية لانطلاق جميع العمليات الاقتصادية والسياسية وغيرها مما يستهدف تحسين الحياة الإنسانية.

---

(١) إعلان الحق في التنمية، الأمم المتحدة، ص (٣)، مكتب المفوض السامي، الأمم المتحدة، بدون تاريخ.

(٢) إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة تأليف/ خالد مصطفى قاسم، ص (١٩)، إصدار جامعة الدول العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٧م.

(٢) **الاستدامة:**

الاستدامة هي ثاني المصطلحات التي يقوم عليها مصطلح التنمية المستدامة، وأصلها من أدام، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معان، أبرزها المواظبة على الشيء والاستمرار فيه، فيقال: "المداوَمَةُ على الأمر: المواظبة عليه"(١).

كما تطلق الكلمة في اللغة ويراد بها الرفق والتأني، فيقال: "أدام الأمر واستدامه واستدمت الأمر إذا تأنيت فيه"(٢)، ويقال أيضا: "فلا تَعْجَلْ بأمرك واستدمه ... فما صلّى عصاك كمستديمِ: أي ما قوّم أمرك كالمتأنِّ"(٣).

هذه معانى الاستدامة في اللغة ويتبين منها أنها تعني الاستمرار في الشيء والمواظبة عليه دون انقطاع مع مراعاة التأني في ذلك، فأي مورد حتى يستدام لابد من التأني في التعامل معه.

وأما عن معنى الاستدامة في الاصطلاح فهي : "ضمان عدم قلة الاستهلاك مع مروو الزمن وتدفقه وتحقيق المصلحة العامة"(٤).

وبعد، فهذه أبرز معاني التنمية والاستدامة، وأما عن التنمية المستدامة كمركب بياني فقد عرفتها اللجنة العالمية للتنمية والبيئة بأنها: "التنمية التي تلبي احتياجات الجيل

---

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة: "دوم"، (١٢/ ٢١٣)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

(٤) لسان العرب، مرجع سابق، مادة:"دوم"، (١٢/ ٢١٣).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، مادة: "دوم" (١/ ٧٩٠).

(٤) الاستدامة التحديات والفرص، تأليف/ د. عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، ص (١٢)، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٠م.

الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها"(١).

وقيل هي: "السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ في الاعتبار قدرات النظام البيئي الذي يحتضن الحياة وإمكاناته"(٢).

ويتبين من هذين التعريفين أن التنمية المستدامة في جوهرها وحقيقتها تحسين وتطوير للأحوال المعيشة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية للفرد والمجتمع، دون المساس بحق الأجيال القادمة في تلبية احتياجاتها، ولكن يؤخذ على ما جاء في هذين التعريفين الفصل بين التنمية المستدامة ومنظومة القيم الأخلاقية، فضلا عن تجاهل أثر العقيدة في نجاح التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، وهو ما يدفع للبحث عن معنى التنمية المستدامة في الإسلام.

مفهوم التنمية المستدامة من منظور إسلامي:

تعددت تعريفات التنمية المستدامة لدى أهل الإسلام، ولعل من أبرز التعريفات التي تعكس مفهومها لدى علماء المسلمين تعريف المؤتمر الأول لوزراء البيئة والذي عقد في جدة بالمملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٢م، حيث عرف التنمية المستدامة بأنها: "عملية متعددة الأبعاد تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة والبعد البيئي من جهة أخرى وتهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشرية القائمة عليها من منظور إسلامي، وتؤكد على أن الإنسان مستخلف في الأرض له حق الانتفاع بمواردها دون حق ملكيتها ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن والسنة النبوية

---

(١) اللجنة العالمية للتنمية والبيئة: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل، ص (٨٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الشريفة على أن يراعي في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر دون إهدار حق الأجيال اللاحقة ووصولا إلى الارتفاع بالجوانب الكمية والنوعية للمادة والبشر"(١).

ويتضح للباحث من هذا التعريف أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر دقة شمولا، فالنظرة الإسلامية للتنمية المستدامة توجب ألا تتم بمعزل عن الضوابط الشرعية والأخلاقية المستمدة من نصوص القرآن والسنة، كما يتضح منه أيضا أن مهمة التنمية المستدامة في الإسلام هي توفير متطلبات البشرية حاليا ومستقبلا، سواء أكانت مادية أو روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعية.

إذن فمفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يزاوج بين المتطلبات المادية والروحية، وليس مقتصراً على المادة فقط، فالإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى استدامة مادية وروحية وثقافية واجتماعية.

---

(١) العالم الإسلامي والتنمية المستدامة: الخصوصيات والتحديات والإلتزامات، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، جدة- المملكة العربية السعودية، خلال الفترة من (١٠- ١٢/ ٦/ ٢٠٠٢م)، ص (١٣٨)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢م.

ثالثا: التعريف برؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) وعلاقتها بالتنمية المستدامة:

الرؤية كما عرفها الباحثون هي: "تصور مستقلي طموح يبنى على خلفية من التجارب والخبرات والإمكانات واستثمارها والاستفادة منها في تحقيق الاهداف والغايات"[(١)].

وأما عن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) فهي: "رؤية القيادة الكريمة لاستغلال مكامن قوتّنا التي حبانا الله إياها لنكون في مقدمة مصاف دول العالم، حيث نمتلك موقعاً استراتيجياً مميزاً واقتصاداً قوياً وعمقاً عربيّاً وإسلاميّاً"[(٢)].

وثمة علاقة واضحة بين التنمية المستدامة ورؤية المملكة (٢٠٣٠) فالتنمية من أهم وأبرز أهداف الرؤية ، حيث: "تهدف إلى الارتقاء بمستقبل المملكة العربية السعودية مع التركيز على الاستدامة كمحور أساسي في التخطيط، وقد وُضعت الاستدامة ضمن أهم جهود رؤية السعودية ٢٠٣٠ منذ إطلاقها، والآن تستهل المملكة العربية السعودية حقبة جديدة بإعلان استهدافها للوصول إلى الحياد الصفري بحلول عام ٢٠٦٠م. ويأتي هذا الإعلان في إطار طموحات الرؤية الأوسع نطاقًا لتسريع عملية الانتقال الطاقي، وتحقيق أهداف الاستدامة، وقيادة موجة جديدة من الاستثمارات في هذا المجال"[(٣)].

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠): دراسة مرتكزاتها من القيم الثقافية والإسلامية، إعداد/ د. محمد أحمد الدش، ص (٨٥٣)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة- جمهورية مصر العربية، ع (١٢٧)، ٢٠١٩م.

(٢) الموقع الرسمي للرؤية: https://www.vision٢٠٣٠.gov.sa/ar/v٢٠٣٠/overview/.

(٣) المرجع السابق.

وتسعى الرؤية المباركة لتحقيق التنمية المستدامة وأهدافها من خلال ثلاثة محاور رئيسية وهي ما يأتي:

(١) مجتمع حيوي: يُعدّ الوصول إلى مجتمع حيوي في المملكة ركيزة أساسية في تحقيق الرؤية وإرساء أساس قوي للازدهار الاقتصادي، فالهدف هو الوصول إلى مجتمع يعيش كل مواطن فيه حياة سعيدة ومُرضية بمستوى معيشي يضمن بيئة صحية وآمنة للعائلات، ويوفر التعليم والرعاية الصحية بمستوى عالمي، إلى جانب ذلك تشجع الرؤية المواطنين بأن يعتزوا بهويتهم الوطنية وتراثهم الثقافي، وأن يعيشوا القيم الإسلامية وفق منهج الوسطية والاعتدال.

(٢) اقتصاد مزدهر: يوفر الفرص للجميع من خلال بناء نظام تعليمي منسجم مع احتياجات السوق، ويجهّز الشباب من الجنسين بالمهارات اللازمة لوظائف المستقبل، إلى جانب توفير فرص اقتصادية لرواد الأعمال والمشاريع الصغيرة بالإضافة إلى الشركات الكبيرة.

(٣) وطن طموح: يسعى لتطبيق مبادئ الكفاءة والمساءلة على جميع المستويات من أجل تحقيق الرؤية، بما في ذلك بناء حكومة فاعلة وشفافة وخاضعة للمساءلة وعالية الأداء تضمن التمكين للجميع (١).

وفي ضوء السياق ذاته أكدت القيادة الرشيدة على أهمية تعاون مؤسسات المجتمع وأبنائه على تحقيق الأهداف التي تبنتها تلك المحاور وعلى رأسها تحقيق التنمية المستدامة في شتى المجالات، حيث تقول: "الوطن الذي ننشده لا يكتمل إلا بتكامل أدوارنا، فلدينا جميعا أدوار نؤديها سواء كنا عاملين في القطاع الحكومي أو الخاص أو غير

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، ص (١٣).

الربحي .وهناك مسؤوليات عديدة تجاه وطننا ومجتمعنا وأسرنا وتجاه أنفسنا كذلك .في الوطن الذي ننشده، سنعمل باستمرار من أجل تحقيق آمالنا وتطلعاتنا، وسنسعى إلى تحقيق المنجزات والمكتسبات التي لن تأتي إلا بتحمّل كل منا مسؤولياته من مواطنين"(١).

ويتضح من هذا النص أن تحقيق الرؤية وما تتضمنه من أهداف تتعلق بالتنمية المستدامة وغيرها هي مسؤولية على عاتق جميع أفراد المجتمع ومؤسساته، مما يعني — كما سيبدو في المبحث القادم- أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء ما نصت عليه هذه الرؤية المباركة.

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، ص (٦٨، ٦٩).

المبحث الثاني

عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهمية تعزيز المسؤولية الدعوية تجاه تحقيقها

المتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية ومصادرها يرى بوضوح مدى عنايتها بالتنمية المستدامة والحرص على بيان مقوماتها وأسسها وأبرز الأساليب المسهمة في تحقيقها، وهو ما يؤكد ضرورة تعزيز المسؤولية الدعوية في العصر الحاضر تجاه تحقيق التنمية وأهدافها، وهذا ما يمكن للباحث تناوله على النحو الآتي:

أولا: عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة:

لم تدع الدعوة الإسلامية شيئا مما يحتاج إليه الناس في كل عصر ومصر إلا وقد بينته، وأقامت الحجة والبراهين على مدى مشروعيته، سواء أكانت تلك الحجج من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أم من مصادر الدعوة والتشريع الأخرى، مما يجعلنا نجزم بأن الدعوة الإسلامية هي أول من اعتنى بالتنمية المستدامة وأكدت على ضرورة الاهتمام بالبيئة الطبيعية لا من حيث الامتناع عن تلويث مواردها واستنزافها والإفساد فيها وغير ذلك مما يحول دون تحقيق أهداف التنمية المستدامة فحسب، بل وبصورة إيجابية أيضا من خلال الحث على الأخذ بمقومات التنمية والدعوة إلى الاستدامة النباتية والحيوانية والمائية وغيرها، وذلك بالمحافظة عليها وحسن التعامل معها وتنمية مواردها واستثمارها والعمل على تحقيق التوازن البيئي على المدى الطويل الذي تتحقق به عمارة الأرض والاستخلاف فيها.

والمتأمل في كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وغيرهما من مصادر الدعوة يجد أنها تزخر بالكثير من النصوص والشواهد التي تؤكد عنايتها بالتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، فقد دعا القرآن الكريم في غير موضع إلى ضرورة إعمار الأرض– باعتباره كما سيبدو في المبحث القادم من أبرز أسس التنمية المستدامة– فقال الله جل شأنه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١)، فقد دلت هذه الآية على حكمة الله عز وجل مراده من إيجاد الناس في الأرض وهو إعمارها على نحو يفيد الدوام والاستمرارية فالإعمار لا يختص بجيل بعينه، بل كل الأجيال المتعاقبة في كل زمان ومكان مطالبة بإعمار الأرض والأخذ بمقتضيات التنمية المستدامة والعمل على تحقيقها (٢).

كما دعا القرآن الكريم أيضا إلى عدم الفساد في الأرض فقال الله جل شأنه ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٣)، ففي هذه الآية نهي واضح عن الفساد بغض النظر عن صورته ومدى حجمه، وهو ما أشار إليه الإمام

(١) سورة الروم، الآية (٩).

(٢) ينظر: التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، ص (٢٧)، مجلة البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧م.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٨٥).

القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية مؤكداً أن الفساد يرتبط مباشرة بالسلوك الإنساني تجاه الموارد لجلب المنافع والمصالح، فقال: "إن الله نهى عن كل فساد قل أو كثر بعد كل صلاح قل أوكثر نهي عن الشرك وسفك الدماء والهرج في الأرض، وأمر بلزوم الشرائع بعد إصلاحها، بعد أن أصلحها الله ببعثه الرسل"(١).

ويتبين من الآية الكريمة ومما جاء في هذا النص نهى القرآن الكريم عن الفساد في الأرض بجميع صوره وأشكاله وبغض النظر عن حجمه ومدى جرمه، وذلك لأنه من أبرز المهددات التي تعوق التنمية المستدامة وتحول دون تحقيق أهدافها.

ويقول الله جل شأنه ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢)، ففي هذه الآية نهي عن الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب ودعوة إلى الوسطية والاعتدال في ذلك على نحو يحقق استدامة الموارد ويضمن حق أجيال الحاضر والمستقبل في الانتفاع بها.

كما اشتملت السنة النبوية المطهرة على العديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنمية المستدامة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة من أجل ضمان استمراريتها صالحة للحياة حتى قيام الساعة، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الغرس والتشجير والزرع باعتبار ذلك من أهم ركائز التنمية المستدامة وأبرز مقوماتها،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (٧/ ٢٢٦)، دار الكتب المصرية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٣٨٤هـ.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية (٣١).

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: { **من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه** } (١).

وعن أبي النجاشي مولى رافع بن خديج، قال: سمعت رافع بن خديج بن رافع عن عمه ظهير بن رافع، قال: "لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقا. قلت: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق، قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: {**ما تصنعون بِمَحَاقِلِكُمْ ؟**} قلت: نؤاجرها على الربيع وعلى الأوسق من التمر والشعير، قال: {**لا تفعلوا. ازْرَعُوهَا، أو أَزْرِعُوهَا، أو أمسكوها**}. قال رافع: قلت سمعا وطاعة"(٢).

ولم ينته الأمر على أمر المؤمنين بضرورة زراعة الأرض وعدم تركها للبوار والتصحر وغيرهما مما يعوق تحقيق التنمية ويؤثر سلباً على موارد البيئة فحسب، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك خيبر لليهود قبل إجلائهم منها ليزرعوا أرضها مقابل شطر ما

---

(١) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الحرث والمزارعة، باب: ما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة، (٣/ ١٠٧)، حديث رقم (٢٣٤٠)، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب: ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة، (٣/ ١٠٧)، حديث رقم (٢٣٣٩).

يخرج منها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : "أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها" (١).

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتداء على ممتلكات الآخرين فقال: {**من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبعين أرضين**}(٢)، ففي هذا النص أيضا دلالة واضحة على تحريم الاعتداء على الأراضي المملوكة للغير لما في ذلك من ظلم وإفساد في الأرض مما يحول دون الوصول للتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها.

وهكذا، فكل الشواهد تؤكد على مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأسسها منذ اللحظة الأولى لظهور الدعوة وانتشارها، فإذا كان المجتمع الدولى ومؤسساته المعنية بحقوق الإنسان والبيئة قد فطنت مؤخرًا في رؤيتها للتنمية المستدامة لحقوق الأجيال القادمة، والتحذير من الممارسات التي تقوم بها بعض الأنظمة والتي تؤثر سلبًا على تلك الأجيال فإن الدعوة الإسلامية منذ وقت مبكر لم تهملهم، ولنا في الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خير شاهد ودليل، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب معاملة النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر، (٥/ ١٤٠)، حديث رقم (٤٢٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، (٤/ ١٠٧)، حديث رقم (٣١٩٨).

خيبر"(١)، والشاهد في هذا النص أن قوله رضي الله عنه: "لولا آخر المسلمين" فيه تأكيد على مراعاته في إدارته للثروات والموارد لآخر المسلمين بحفظ حقوقهم فيما غنموه في عهده.

كما تتجلى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة أيضا من خلال التأكيد على رعاية حقوق الورثة في مال المورث حال حياته، فلا ينفق ماله - ولو كان في باب الصدقة- على نحو يتسبب في ضياع أولاده وذريته، فعن عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: {لا}، قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: {لا، الثلث، والثلث كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس}"(٢).

وقد أدرك فقهاء الأمة تلك المعاني وصاغوها في مؤلفاتهم بتعبير حكيم فسموه "الأمل الفسيح"، ومن ذلك قول الإمام الماوردي: "اعلم أن ما تصلح به الدنيا حتى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب الغنيمة لمن شهد الواقعة، (٤/ ٨٦)، حديث رقم (٣١٢٥).

(٢) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، (٣/ ١٢٥٠)، حديث رقم (١٦٢٨)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتئمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرعت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح"(١).

ثم يوضح معنى الأمل الفسيح وما يتضمنه من حق الأجيال القادمة في غرس الأجيال الحاضرة، فيقول: "أمل فسيح يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه، ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه بحياة أربابه، ولولا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الأول حتى يصير به مستغنيًا؛ لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه من منازل السكنى وأراضي الحرث، وفي ذلك من الإعواز، وتعذر الإمكان ما لا خفاء به، فلذلك ما أرفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال إلا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها، وصارت تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما أبقاه الأول من عمارتها، ويرمم الثالث ما أحدثه الثاني من شعثها، لتكون أحوالها على الأعصار ملتئمة، وأمورها على ممر الدهور منتظمة، ولو قصرت الآمال ما تجاوز الواحد حاجة يومه، ولا تعدى ضرورة وقته، ولكانت تنتقل خرابًا لا يجد فيها بلغة، ولا يدرك منها حاجة"(٢).

وهكذا، فإن الدعوة الإسلامية عبر تاريخها ومراحلها سواء أكانت في عصر النبوة أم في عصر الخلافة الراشدة أم فيما لحقه من العصور لم تغفل عن عنايتها بالتنمية

---

(١) أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ص (١٣٣)، دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٨٦م.

(٢) المرجع السابق، ص (١٤٤، ١٤٥).

المستدامة والدعوة إليها وبيان الأسس التي ترتكز عليها وتضمن- بإذن الله تعالى- تحقيق أهدافها ومقاصدها.

ثانيا: أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية (٢٠٣٠):

وانطلاقا من هذه المعاني فإن أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في العصر الحاضر لا تقل بأي حال من الأحوال عما تقدم من أهمية العناية بها عبر مراحل الدعوة الإسلامية في عصورها المختلفة.

ولما كان الهدف من هذا البحث هو بيان المسؤولية الدعوية في الواقع المعاصر تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)، فجدير بالذكر أن القيادة الرشيدة قد دعت جميع أبناء الوطن للعمل معاً لتحقيق هذه الرؤية المباركة، مما يؤكد مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف الرؤية سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غير ذلك، وهو ما أكد عليه مدير الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الاسلامية والدعوة والإرشاد بمنطقة الرياض بقوله: "رؤية ٢٠٣٠ تتميز بأنها ليست خطة اقتصادية فحسب؛ بل هي خطة تحول شاملة سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، بما يحقق طموح القيادة الرشيدة في نهضة الوطن وتطوره، وتنمية المواطن وتقدمه، ورفاهيته وسعادته إن شاء الله تعالى... رؤية بهذه السعة والطموح لا يمكن أن تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، فهذه الدولة المباركة قائمة على أسس راسخة من تحقيق الدين لله تعالى، وتحكيم شريعته، والدعوة إلى الحق والهدى بالتي هي أحسن، لذا فإنَّ

المؤسسات الدينية والدعوية كافة معنية بهذه الرؤية، ويقع على عاتقها نفس المسؤولية الوطنية وهذا ما دعا إليه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله في كلمته بمناسبة إقرار الرؤية حيث قال بعد ثناءه عليها: "آملين من أبناءنا وبناتنا المواطنين والمواطنات العمل معًا لتحقيق هذه الرؤية المباركة"(١).

ومما يعكس أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء الرؤية أيضا تأكيد القيادة الرشيدة على أن جميع محاور الرؤية المباركة وأهدافها التنموية ترتكز على أسس الدعوة الإسلامية وتنطلق من مبادئها، الأمر الذي عبر عنه القادة – حفظهم الله – بقولهم: "نحيا وفق مبادئنا الإسلامية... يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا .لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه ... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافيّة مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات" (٢).

والشاهد في هذا النص أن المنهج الذي تبنته القيادة الرشيدة لتحقيق التنمية في شتى مجالاتها هو منهج الإسلام القائم على الوسطية وإتقان العمل والتسامح والانضباط والعدالة والشفافيّة، ما يعني أن نقطة انطلاقتنا نحو هذه الرؤية في العمل على تحقيق التنمية المستدامة ستكون بتلك المبادئ، وهو أيضا ما يبرز أهمية المسؤولية المترتبة على

---

(١) العريفي: رؤية ٢٠٣٠ لا تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، صحيفة سبق الإلكترونية، بتاريخ ٣٠/ مايو/ ٢٠١٧م.

(٢) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

المؤسسات الدعوية ومن يعمل بها في المساهمة في تدعيم هذا الجانب الذي أكد عليه ولاة الأمر – حفظهم الله – وجعلوه في أولى اهتمامات الرؤية.

كما تتجلى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه التنمية المستدامة أيضا لطالما نظرنا إليها في ضوء مستجدات الواقع المعاصر وما تقتضيه من ضروة تعاون جميع مؤسسات الدولة على وجه العموم والمؤسسات الدعوية على وجه الخصوص لتحقيق أهداف التنمية ومقاصدها، فقد كانت التنمية في السابق عملاً تهتم به الدولة فحسب، حيث كانت تعمل على التخطيط والتنفيذ لإحداثها إلا أن الاشكاليات التي لازمت إسقاط برامج وخطط التنمية عملياً الى أرض الواقع أثبتت أن التخطيط القومي المركزي لبرامج التنمية يعجز عن مرعات أولويات و خصوصيات المجتمعات والمنظمات، ولا يستصحب معه رؤية هذه المجتمعات للحلول المناسبة من وجهة نظر المستفيدين؛ ولذا أصبحت المؤسسات الدعوية تؤدي دوراً كبيراً في التنمية وتعاظم دورها كمكمل للجهود الحكومية في تحقيق أهدافها [(١)].

ومما يعكس أهمية المؤسسات الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة أيضا ما أوصت به المؤتمرات المعنية بالبيئة والتنمية من ضرورة تعاون المؤسسات الدعوية والدينية على وجه العموم مع غيرها من الجهات المعنية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ومقاصدها، ومن ذلك ما أوصى به المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة بالرباط من

---

(١) ينظر: دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية، إعداد/ عاطف عبد الواحد الجاك إدريس، ص (٢-٦)، كلية الدرسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم- السودان، ١٤٣٦هـ،٢٠١٥م.

ضرورة العمل مع المؤسسات ذات الطابع الديني في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، فقد اعتبر المشاركون في إعلان الرباط حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة: "اعتماد استراتيجية تفعيل العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، والدعوة لتأسيس الشبكة الإسلامية للعمل البيئي والتنمية المستدامة، وسيلة لضم الجهود وتبادل التجارب من داخل العالم الإسلامي ومن خارجه مع المنظمات الدولية والوطنية ومع المنظمات الأهلية على اختلاف أديانها وثقافاتها في مجتمعات الدول الأعضاء وخارجها، وتشجيع البحث العلمي في الموضوع، وتأطير الدعم المطلوب للمؤسسات ذات الطابع الديني العاملة في مجال حفظ البيئة والتنمية المستدامة، وأكدوا على أن التحديات البيئية تتناسق مع الإجابات الأساسية ذات الصلة بتحديات الحفاظ على البيئة في النصوص الدينية ومبادئ التربية والتنشئة الاجتماعية في كل المعتقدات والثقافات على اختلافها، ملتزمين بالعمل على تعزيز الفهم والقدرة على التواصل البيئي لدى المفتين والعلماء وكذلك الأئمة والدعاة والخطباء ورجال الوعظ الديني" (١).

ويري الباحث، أن ثمة أمور أخرى تؤكد على أهمية وضرورة تفعيل المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة وعلى رأسها عجز نماذج وتطبيقات التنمية الغربية عن تلبية متطلباتها وتحقيق أهدافها، بل أفرزت العديد من النتائج السلبية التي تستدعي الوقوف عندها، فقد انقضت عقود من التنمية ولازالت الدول النامية أو المتخلفة تعاني أزماتها ولم تحقق تقدماً ملحوظاً في معظم المجالات السياسية أوالاقتصادية بل إنها تراجعت في كثير من هذه النواحي إلى مستويات من الممارسة والأداء والفعالية أدنى مما كانت

---

(١) التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، مرجع سابق، ص (١٣– ١٥)، بتصرف.

عليه، وبعد تبنيها لنمط التصنيع الاوروبي على حساب الزراعة مما أدى إلى نوع آخر من التبعية تتمثل في الاعتماد على استيراد الغذاء، وأسهم في تفاقم الأزمات الاقتصادية المتتالية وانتشار المجاعات في بعضها وانخفاض مستوى المعيشة للغالبية العظمى من المواطنين في البعض الآخر (١).

فلهذا السبب وغيره مما تقدم ذكره من تأكيد رؤية المملكة على ضرورة التعاون تجاه تحقيق أهدافها وعلى رأسها التنمية المستدامة ومروراً بتوصيات المؤتمرات ووصولاً للواقع المعاصر وما يعانيه من أزمات فنحن في أمس الحاجة إلى ضرورة تحقيق المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

---

(١) يراجع: نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، تأليف/ د. نصر محمد عارف، ص (٢٣، ٢٤)، دار القارئ العربي، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٩٩٢م؛ معوقات التنمية المستدامة في دول العالم الإسلامي، إعداد/ سمر خيري مرسي، (المقدمة)، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي، مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الاسلامي، جامعة قالمة (٣-٤ ديسمبر ٢٠١٢م).

المبحث الثالث

أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة

يرتكز منهج الدعوة الإسلامية على مجموعة من الأسس والمبادئ التي تنطلق منها مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة وما تقتضيه من حفاظ على البيئة وموارد الطبيعية مع ضرورة تنميتها وتطويرها على نحو يضمن حق الأجيال القادمة في التمتع بها، ولعل من أبرز هذه الأسس كما يراها الباحث ما يأتي:

أولا: العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية هي أولى موضوعات الدعوة إلى الله عز وجل، والأساس الأول الذي ترتكز عليه جملة الأحكام التشريعية ومنظومة القيم الأخلاقية في الإسلام، سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غيرها مما دعا إليه الإسلام وسعى لتحقيق.

والمتأمل في كتاب الله عز وجل يجد الكثير من النصوص التي تؤكد على مكانة البعد العقدي وأهميته في تحقيق التنمية المستدامة، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١)، وقال الله جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي السَّماواتِ

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . . وَفِي خَلْقِكُمْ وَما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [(١)]، فهذه المشاهد البيئية في كمها وكيفها تبين حقيقة ظاهرها المادي وبعدها العقدي المتمثل في شهادتها على وجود الله ووحدانيته، وهو ما يؤكد أهمية الحفاظ عليها والعمل على تنميتها بطريقة مستدامة تضمن حق الأجيال القادمة فيها.

كما تتجلى أهمية العقيدة الإسلامية- كأساس من أُسس الدعوة تجاه التنمية المستدامة- لطالما نظرنا إليها في ضوء العلاقة بين الطرفين، فالتنمية المستدامة وفقا للمفهوم الإسلامي تنبثق من أصل العقيدة الإسلامية التي يتحاكم إليها في العبادات والمعاملات، وينتج عن هذا أن التحاكم يعود إلى الضمير أو الوازع الديني الذي يعمره الإيمان لا إلى القوانين كما في التنمية المستدامة وفقا للمناهج الغربية والنظم الوضعية، فهي في الإسلام تخضع للنظام الرباني وتمثل جزء من عقيدة المسلم وإيمانه وطاعته لربه، فالالتزام بما حث عليه الإسلام من عدم الإسراف والتبذير والعدل والمساواة والتكافل وعدم الإسراف في الأرض ما هي إلا طاعة لله عز وجل وعبادة، قال الله تعالى: "وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ"[(٢)].

وتأسيساً على ذلك فإن التنمية في الإسلام تقوم على إحالة سعي الإنسان في الدنيا إلى عبادة، تتضمن تحصيل العلم بطائع المخلوقات وخصائصها والمحافظة على

---

(١) سورة الشورى، الآية (٢٩).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

الطبيعة والرفق بها وتطهير وإصلاح ما فسد فيها وتزكيتها، وذلك بالتعامل معها وفق منهج الله والعقيدة الإسلامية (١).

وعليه، فإن العقيدة الإسلامية هي أولى الأسس الذي يرتكز عليه المنهج الدعوي نحو التنمية المستدامة وتنطلق منه مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهدافها، فبالعقيدة الإسلامية يتعرف الإنسان على طبيعة البيئة وأهميتها باعتبارها أحد الشواهد على وجود الله عز وجل ووحدانيته، وبالعقيدة أيضاً تتحول مواقف الإنسان مع البيئة وتعامله معها والحفاظ على مواردها من مجرد عادة أو طاعة للقوانين إلى عبادة لله عز وجل وطاعة.

ثانيا: الكائن الإنساني:

الإنسان هو أساس برامج التنمية المستدامة وهدفها وغايتها كما أنه القائم بها وصانعها والمستفيد الأول منها، لذلك أعلت نصوص القرآن الكريم مكانة الإنسان واهتمت به وبتنمية قدراته، باعتباره أهم عنصر من عناصر البيئة، بل إن البيئة نفسها مسخرة لخدمته، كما ميز الله الإنسان عن غيره بأن جعله مفضلاً على كثير من مخلوقاته، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٢).

---

(١) فلسفة التربية (رؤية تربوية إسلامية)، تأليف/ إبراهيم أحمد عمر، ص (٦٢، ٦٣)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة– جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٩٩٢م.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

وانطلاقا من هذه المكانة وهذا التكريم الذي منحه الله عز وجل للإنسان فإن الواجب عليه هو شكر الله عز وجل على كافة نعمه وآلائه سواء أكانت تتعلق بالحفاظ على البيئة ومواردها الطبيعة أم غيرها، فالواجب هو شكر النعمة بعدم الإسراف أو الإفساد فيها والحفاظ عليها بما يضمن الانتفاع بها وصيانتها لأجيال الحاضر والمستقبل.

كما أن الله عز وجل قد أودع في الإنسان طاقات كثيرة منها القدرة العقلية على التعليم والقدرة الجسدية على العمل والتنفيذ والإبداع والإرادة الحرة، ليستخدمها في عمارة الأرض وسخر له ما في الكون من مخلوقاته ونعمه مما يوجب على الإنسان البحث في تلك الموارد والانتفاع بها وعدم إهدارها بل حفظها وصيانتها تحقيقاً للتوازن البيئي وحفظاً لأنواعها والتمسك بكافة التشريعات والقيم الإسلامية التي تساعد على تنميتها ودفع الضرر والفساد عنها بما يضمن كفايتها للأجيال الحاضرة والقادمة على حد سواء (١).

ثالثا: مبدأ الاستخلاف:

أصل الاستخلاف من خلف، وهو مجئ الشيء بعد الشيء ليحل محله ويقوم مقامه، يقول ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والخلف: ما جاء بعد، وإنما سميت خلافة لأن الثاني يجيء بعد الأول قائما مقامه. وتقول: قعدت خلاف فلان، أي بعده"(٢).

---

(١) دراسة العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، مرجع سابق، ص (١٣١، ١٣٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: "خلف"، (٢/ ٢١٠)،

وأما عن الاستخلاف في الاصطلاح: "تمكين الله للبشر عامة و لبعضهم خاصة في إحلالهم محل من قبلهم"(١).

والاستخلاف من أهم وأبرز المبادئ التي أكدت عليها نصوص القرآن الكريم في غير موضع، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٣)، وقال جل شأنه على لسان موسى عليه السلام مخاطبا قومه: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

ففي هذه النصوص وغيرها دلالة واضحة على أن الله عز وجل خلق الإنسان واستخلفه في الأرض وسخرها لها؛ ليعمرها ويستثمر خيراتها، ولذا: فإن ضبط سلوك الإنسان في تعامله مع البيئة وثرواتها يؤدي إلى تحقيق الاستخلاف فيها بالمحافظة عليها

---

(١) مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. عبد الله ب إبراهيم الناصر، ص (٣٣)، قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م.

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٣) سورة فاطر، الآية (٣٩).

(٤) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٢٩).

وصيانتها من الملوثات التي تضربها وعدم الإسراف والجور في استغلالها حتى نورثها سليمة قادرة على الإنتاج للأجيال القادمة.

وتؤكد إحدى الباحثات على أن التنمية المستدامة لا تأتي دون ارتكازها على الاستخلاف، فتقول: "الحفاظ على البيئة وتنميتها واجب مقدس على كل مستخلف فيها وليس توصية مؤتمر تنتهي بانفضاض المؤتمرين، ولا صيحة دوى بها عالم رغم قوة حججه ووضوح بيانه، بل هو تشريع إلهي ملزم به عباده يحسابهم على تركه أو إهماله"[1].

وعليه، يمكن فهم علاقة الاستخلاف بالتنمية المستدامة في ضوء المبادئ الآتية:

(١) أن الإنسان وصي على الأرض لا مالك لها.

(٢) أنه أمين عليها ومسؤول عن إدارتها واستثمارها وتنميتها والمحافة عليها من التدريب والتخريب.

(٣) أن البيئة بمواردها الطبيعية حق للأجيال القادمة.

رابعا: مبدأ التسخير:

التسخير في اللغة من سخر أي ذلل، يقول ابن فارس: "السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على استذلال. من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيء، وذلك إذا ذلله لأمره وإرادته"[2].

---

(١) الإسلامية وحماية البيئة، إعداد/ د. آمنة نصير، ص (٩٠)، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ع (٧٦)، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة: "خلف، (٤/ ٢٣٣).

وأما التسخير في الاصطلاح فهو: "إجراء الشيء على مقتضى غرض ما سخر له"(١).

والمقصود بالتسخير باعتباره أحد الأسس التي يرتكز عليها المنهج الدعوي وتنطلق منه مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة ومقاصدها هو التسخير الكوني، وهو ما دلت عليه العديد من النصوص منها قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّماوَاتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

وكما هو واضح من هذه الآيات فقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يُسخر للإنسان كل ما في الكون من مخلوقاته ونعمه، ولا شك أن مجيء الخطاب في هذه الآيات عاماً دليل على مقصد المولى أن تكون نعمه، وما منَّ به على عباده لينتفعوا به من موارد الطبيعة وخيرها، هو للناس والأجيال أجمعين في كل عصر، لا لجيل محدد، ولا لأناس بعينهم؛ وهو عين ما تهدف إليه التنمية المستدامة وتسعى لتحقيقه.

ومن جهة أخرى فإن كل شيء مما سخره الله عز وجل للإنسان إنما يعمل وفقا لأوامر الله عز وجل وإرادته، وهو ما دل عليه معنى التسخير وأشار إليه قوله جل شأنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّماوَاتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾، أي أن جميع المسخرات مملوكة

(١) التوقيف على مهمات التعريف، للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، (١/ ٩٦)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط ١، ١٤٤٠هـ.

(٢) سورة الجاثية، الآيتان (١٢، ١٣).

لله عز وجل تعمل وفق إرادته وحكمته، فإن شاء جعله مسخرة للإنسان ونعمة من نعم الله عليه، وإن شاء سخرها عليه وجعلها نقمة ووبالاً، وهذا يبرهن على أن العلاقة التسخيرية بين الإنسان والكون أو البيئة لها مظهران: التسخير المادي للبيئة والتسخير الروحي، فالبيئة قد سخرت للإنسان مادياً بجعل العناصر التي تتكون منها البيئة الطبيعية قابلة لتلبية الحاجات المادية للإنسان، وحصوله على منافعها وهو ما يتطلب منه السعي فيها وتنميتها والحفاظ عليها بما يضمن حق الأجيال الحاضرة والقادمة في الانتفاع بها (١).

خامسا: الحفاظ على التوازن البيئي:

التوازن البيئي كما عرفه الباحثون هو: "ذلك الجزء من البيئة التي تسود مكوناته علاقات متبادلة متناسقة ومتكافئة تتجدد باستمرار، تؤدي في نهاية المطاف إلى بقاء الحياة واستمرارها"(٢).

وكما هو واضح من هذا التعريف فإن التوازن البيئي هو الوضع الوسط الذي يسود بين مكونات الكون والذي بفضله تعمل وتتفاعل هذه المكونات وتقوم بينها علاقات متوازنة، من أجل الوصول إلى الغاية العظمى هو بقاء الحياة واستمرارها، على

---

(١) ينظر: الإسلام والبيئة، إعداد/ إبراهيم علي حسن، ص (٩٤)، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ع (١)، القاهرة- جمهورية مصر العربية،

(٢) التوازن البيئي من منظور إسلامي، إعداد/ د. أحمد حطاب، ص (٤٤)، مجلة جامعة محمد الخامس، المغرب، ع (٤٦)، ١٩٩٩م.

مدار العصور ولكل الأجيال.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه المعاني في غير موضع من آياته، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾(١)، وقال الله جل شأنه: ﴿ اللهُ الذي أَنْزَلَ الكتابَ بالحَقِّ والمِيزان ﴾ (٢).

ويعد الحفاظ على التوازن البيئي أحد الأسس الدعوية التي تنطلق منها مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة، ذلك أنه لا سبيل للحياة إذا لم يكن هناك توازن في نظام الترابط البيئي، فإذا تغاضى الإنسان عن وحدة الكون وتخلى عن أمانة الاستخلاف، فإنه يخل بالميزان الذي جعله الله كضامن لاستمرار الحياة في هذا الكون. والميزان هنا لا يجب أن يدركه الناس فقط بمعنى وزن الأشياء المادية. فكل نشاط يقوم به الإنسان للتعامل مع البيئة يجب أن يكونا موزونين ليتلاءما مع هذه البيئة ومواردها (٣).

ويرى الباحث، أن من أهم وأبرز ما يساعد الإنسان على تحقيق هذا التوازن ما يأتي:

(١) سورة الحجر، الآية (١٩).

(٢) سورة الشورى، الآية (١٧).

(٣) ينظر: التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، إعداد/ د. مصطفى دسوقي كسبة، ص (٧٣)، ملخصات بحوث المؤتمر الدولي: التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة، جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٨م.

(١) عدم الإفساد في الأرض أثناء التعامل مع مواردها، وهو مادل عليه قول الله جل شأنه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(١).

(٢) عدم الإفساد في الأرض بظلم الآخرين وبخس حقوقهم، يقول الله جل شأنه على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(٢).

فالفساد بمعناه البيئي يكون بالإسراف وعدم التوازن والاعتدال في استخدام موارد البيئة والتعامل معها، أو التعامل معها على نحو فيه ظلم لأجيال الحاضر ويضر بقدرة أجيال المستقبل على الحصول على احتياجاتهم.

سادسا: مبدأ التعمير:

التعمير في اللغة من عَمَرَ، يقول ابن فارس: "العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان... ومن الباب عِمَارةُ الأرضِ، يقال عَمَّرَ الناسُ الأرضَ عِمَارَةً، وهم يَعْمُرُونَهَا ... وَاسْتَعْمَرَ اللَّهُ – تعالى – الناسَ في الأرضِ لِيُعَمِّرُوهَا "(٣).

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية (٦٠).

(٢) سورة، هود، الآية (٨٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة: "عمر"، (٤/ ١٤١).

وأما عن التعمير في الاصطلاح فهو: "تعمير الأرض بأنواع البناء والغرس والزرع"(١).

والإعمار هو أحد غايات خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾(٢)، ويقول الله جل شأنه على لسان صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(٣)، ففي هذه الآية دليل على وجوب العمارة بجميع صورها واشكالها، يقول الإمام القرطبي: " ومعنى ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: جعلكم عمارها و وَسُكَّانَهَا"(٤).

قلت: وليس هناك أدق من مفهوم التعمير للتعبير عن التنمية في مفهومها الإسلامي إذ ليس المقصود من ذلك هو التعمير المادي الحسي، بل التعمير بمعنى التطوير والتنمية، وقد ذهب الفقهاء إلى أن التعمير أو التنمية بالمفهوم الدقيق واجب على كل مسلم كما يشير إلى ذلك القرطبي في تفسير هذه الآية (٥).

---

(١) التحرير والتنوير، (١٢/ ١٠٨).

(٢) سورة الروم، الآية (٩).

(٣) سورة هود، الآية (٦١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٩/ ٥٦).

(٥) المرجع السابق، (٩/ ٥٧).

كما تتجلى مكانة التعمير وأهميته كأحد أسس الدعوة الإسلامية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة من خلال عدة أمور، أبرزها ما يأتي:

(١) أن العمارة تعد واجباً شرعياً يجب على كل إنسان القيام والمحافظة عليه قدر طاقته واستطاعاته ووفقا لقدراته وإمكاناته.

(٢) اكتشاف المواد وتجديدها وتعظيم الاستفادة منها.

(٣) أن العمارة تستلزم بذل الجهد والعمل الجاد المتقن.

(٤) أنها تشمل أنشطة إنسانية مستدامة ومتنوعة، كالزارعة والصناعة والتعليم.

(٥) أنها تعتمد على الإنسان وقدراته وعلى تنظيم العمل والاستفادة من الموارد [١].

سابعا: مبدأ محدودية الموارد:

لقد أقر القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من نصوصه وآياته، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٢]، ويقول جل شأنه: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

---

(١) ضوابط الانتاج في الاقتصاد الاسلامي وأثرها على الانتاج والانتاجية، إعداد/ خالد بن سعد المقرن، ص (٤٠، ٤١)، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

(٢) سورة القمر، الآية (٤٩).

عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾(١)، ففي هايتن الآيتين إشارة إلى أن الأشياء لم تخلق عبثا وأن الكم والكيف ضمان للتوازن والتناسق.

ويؤكد الله عز وجل عن محدودية الماء باعتبارها عصب الحياة وأساسها الحياة : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ. وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ . فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(٢).

ففي هذه الآيات أيضا دليل على محدودية المورد الأول للبيئة والحياة، يقول العلامة ابن السعدي: " ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معداً في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلاً حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ إما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدروا عدمها، ماذا

---

(١) سورة الحجر، الآية (٢١).

(٢) سورة المؤمنون، الآيات من (١٧- ١٩).

يحصل به من الضرر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[1].

وعليه، فالواجب هو الاستغلال الأمثل للماء وغيرها من الموادر بالعدالة في التوزيع نبذ الإسراف بشتى صوره، بمعنى أن تستغل النظم البيئية استغلالاً علمياً رشيداً ومستداماً، وفقاً لمنهج "الوسطية"، فلا إفراط أو تفريط، بما يضمن تحقيق تنمية مستدامة.

وبعد، فهذه أبرز الأسس التي يرتكز عليها منهج الدعوة الإسلامية وتنطلق منها مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها، والملاحظ مما جاء فيها أنها أسس ربانية ذات منطلقات إسلامية تبرز علو شأن التنمية المستدامة في الإسلام وتميزها عما نادى به الفكر الوضعي في ثقافته المعاصرة؛ وهذا يعكس لنا الحكمة من وراء تأكيد القيادة الرشيدة -حفظهم الله- في رؤية المملكة (٢٠٣٠م) على تبني منهج الإسلام وهديه في تحقيق التنمية، الأمر الذي عبروا عنه بقولهم: "يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه ... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (١/ ٥٤٩). مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافيّة مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"[١].

فهذا النص يعكس مدى حرص القيادة الرشيدة على تبني منهج الدعوة الإسلامية في تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في جميع المجالات.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

المبحث الرابع

الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة

أصل الأسلوب من "سلب"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معان أبرزها الطريق والمذهب، فيقال: "سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه"[١].

وفي ضوء السياق ذاته عرف الدعاة إلى الله عز وجل الأساليب الدعوية بأنها: "عرض ما يراد عرضه من معاني وأفكار ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينه"[٢].

والمتأمل في مصادر الدعوة [٣] يجد العديد من الأساليب المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة وأهدافها، ولعل من أبرزها كما يرى الباحث ما يأتي:

---

(١) المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة "سلب" ص (٤٤١).

(٢) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها ومناهجها، تأليف الدكتور أبو المجد نوفل، (١/ ١٨٩)، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة- القاهرة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٣م.

(٣) مصادر الدعوة هي: "ما يستقي منها الدعاة دعوتهم، والمنطلقات التي ينطلقون منها في عملهم، ويسيرون على ضوئها، تتمثل مصادر الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح والتجارب بشكل عام للدعاة وغيرهم"، المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، تأليف/ د. عبد الله بن محمد المجلى، ص (٢٤١)، مجلة الدراسات الدعوية، ع (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ

أولا: الترغيب:

عرف الدعاة إلى الله الترغيب الدعوي بأنه: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة ، وقبول الحق والثبات عليه"[(١)].

والترغيب الذي أعنية في هذا المقام هو الترغيب في الحفاظ على موارد البيئة ومقومات التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من نصوص السنة النبوية المشرفة، فمن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {**ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**}[(٢)]، ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: {**من زرع زرعا فأكل منه الطير أو العافية كان له به صدقة**}[(٣)].

فيتبين من هذين النصين مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته للحفاظ على الثروة حماية الغطاء النباتي والموارد الزراعية، وذلك من خلال تشجيع المسلمين على النهوض بعملية التشجير، المتمثلة في غرس الأشجار وزراعتها وترغيبهم في ذلك ببيان الفضل والثواب المرتب على ذلك، وهو ما وجه إليه أحد الباحثين حيث علق على هذين الحديثين بقوله: "ففي كلا الحديثين ترغيب في الغرس والتشجير وفلاحة الأرض، وجعل ثواب ذلك أجراً عظيماً، فكل ما يصاب من ثمار الأشجار والزروع هو

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص (٧٤٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٣/ ١٠٣)، حديث رقم (٢٣٢٠).

(٣) المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، وآخرون، (٢٧/ ٩٢، ٩٣)، حديث رقم (١٦٥٥٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، وقال محققوه: "إسناده حسن".

صدقة ينميها الله عز وجل لصاحبها إلى يوم القيامة، بما في ذلك ما تصيبه أحياء البيئة من طير وسباع وحيوان ودواب وحشرات"[1].

ومن مظاهر ذلك أيضا قوله صلى الله علسه وسلم: {**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته**}[2].

فالشاهد في هذا الحديث أيضا أنه صلى الله عليه وسلم يرغب في الحفاظ على الماء باعتبارها عصب الحياة وإحدى لوازم التنمية وتحقيق استدامتها وذلك من خلال الترغيب في حفر الأنهار وشق القنوات وجعلهما من جملة الصدقات التي يلحق ثوابها المؤمن يوم أن يلقى الله عز وجل.

ومن مظاهر الترغيب أيضا ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {**من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق**}[3]، أي هو أحق بها، قال القزاز: "الموات الأرض التي لم تعمر، شبهت العمارة بالحياة وتعطيلها بفقد الحياة. وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم مالك عليها لأحد

---

(١) ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، إعداد/ د. محمد عبد القادر الفقي، ص (٩)، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول القيم الحضارية في السنة، الأمانة العامة لندوة الحديث، بدون تاريخ.

(٢) سنن ابن ماجه، للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة، تحقيق/ الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، باب ثواب معلم الناس الخير، (١/ ٨٨)، حديث رقم (٢٤٢)، دار إحياء الكتب العربية، وقال محققه: "إسناده حسن".

(٣) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، (٣/ ١٠٦)، حديث رقم (٢٣٣٥).

فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكه، سواء أكانت فيما قرب من العمران أم بعد"(١).

ويتبين من هذا النص ومما جاء في الهدي النبوي مدى ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الأخذ بمقومات التنمية والحرص عليها، حيثُ حث على إحياء الأرض الموات وزراعتها وإصلاحها وتنميتها، وذلك بتشجيع الناس على إحياء الأرض مقابل تمليكهم إياها، وفي ذلك توسيع لحركة الجد والنشاط في المجتمع، وفتح لباب العمل في استصلاح الأراضي والزراعة وما يتعلق بها، وخلق فرص للعمل في هذا الجانب المهم للمجتمع، فضلا عن محاربة البوار والتصحر وغيرهما مما يعوق عملية التنمية المستدامة ويحول دون تحقيق أهدافها.

ثانيا: الترهيب:

وقد عرفه الدعاة إلى الله بأنه: "كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"(٢).

وكما هو الحال بالنسبة للترغيب فإن الترهيب يُعد أيضاً من أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والمقصود به هنا هو التخويف والتحذير من المساس بمقومات التنمية المستدامة أو ارتكاب أي من المحظورات التي تحول دون تحقيقها، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن حُبشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {**من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار**}(٣)، ومِنَ المعلوم أن السدر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (٥/ ٢٣)، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٣٧٩هـ.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص (٧٤٨).

(٣) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الأدب، باب في قطع السدر، (٤/

ينبت في الصحارى ويصبر على العطش ويقاوم الحر، وينتفع الناس بتفيؤ ظلاله والأكل من ثماره إذا اجتازوا الفيافي في سفر أو في رحلة أو في بحثهم عن الكلأ والمرعى، والوعيد بالنار لمن قطع سدرة يدلّ على تأكيد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعية، لما توفره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثّله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر الضرورية لسلامة الحياة والإنسان وضمان التنمية وتحقيق استدامتها.

وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق**، والظل }(١)، و(الملاعن): جمع ملعنة، وهي مواضع اللعن. والمراد بالموارد: المجاري، والطرق إلى الماء، واحدها مورد، يقال: وردت الماء إذا حضرته لتشرب. والورد: الماء الذي ترد عليه. (وقارعة الطريق): أي الطريقة التي يقرعها الناس بأرجلهم ونعالهم، أي يدقونها ويمرون عليها... وهي وسط الطريق. (والظل): أي ظل الشجرة وغيرها"(٢).

ولا يخفى ما في هذا النص من ترهيب وتحذير ووعيد لمن وقع في تلك الموبقات فهي تحرم الآخرين من الاستفادة من كميات كبيرة من الماء، كما أن ممارسة هذه

---

٣٦١)، حديث رقم (٥٢٣٩)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ، وقال الإمام الألباني: "حديث صحيح"، ينظر: صحيح سنن أبي داود، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، (٣/ ٢٨٦)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ.

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب: المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها، (١/ ٧)، حديث رقم (٢٦)، وقال العلامة الألباني: "حديث حسن"، صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، (١/ ١٩).

(٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، تأليف أبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، (١/ ٤٧)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ.

السلوكيات (أي: التبول والتبرز في الموارد) تتسبب في إفسادها، فالتبول أو التبرز في الماء الراكد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية وسرعة تكاثرها وانتشارها(١)، وغير ذلك مما يضر بالماء والبيئة ويعوق التنمية من جميع جوانبها ويحول دون تحقيق أهدافها، ولذا فقد توعد صلى الله عليه وسلم من يعتدي على الماء باللعن والطرد من رحمة الله عز وجل.

ثالثا: القدوة الحسنة:

أسلوب القدوة الحسة من أهم الأساليب الدعوية ، وذلك لما له من أثر مقصود وغير مقصود على المدعو، فضلاً عما يعكسه من سلوكيات الداعي وأخلاقه.

وتعد القدوة الحسنة من أهم الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة وأهدافها، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شاهد ودليل على ذلك، حيث ضرب أروع المثل في التحلي بالأخلاق الحسنة والسلوكيات الإيجابية المسهمة في رعاية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، فعن أنس رضي الله عنه قال: " "كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل - أو كان يغتسل - بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد"(٢)، ومن ذلك أيضا ما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها أنها: "كانت تغتسل هي والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد يسع ثلاثة أمداد، أو قريبا من ذلك)(٣)،

---

(١) المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، إعداد/ د. عدنان أحمد البار، ص (١٠٤، ١٠٥)، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ع (١١) ١٩٩١م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: الوضوء بالمد، (١/ ٥١)، حديث رقم (٢٠١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب: القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر، (٢/ ٢٠٢)، حديث رقم (٣٢١).

وكان أبو جعفر عند جابر بن عبد الله هو وأبوه وعنده قوم فسألوه عن الغسل، فقال: يكفيك صاع، فقال رجل: ما يكفيني. فقال جابر: (كان يكفي من هو أوفى منك شعرا، وخير منك)[1]، يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

والشاهد في هذه النصوص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قدوة لأهل بيته ولغيرهم من الأمة في الحفاظ على الماء والاقتصاد في استخدامه حتى ولو كان ذلك من أجل الوضوء والعبادة، وقد كان لفعله صلى الله عليه وسلم خير قدوة وأسوة لجابر بن عبد الله رضي الله عنه ولمن دخلوا عليه يسألونه عن الغسل وسيظل هكذا لكل من اقتدى بهديه صلى الله عليه وسلم وتخلق بأخلاقه، مما يؤكد أهمية القدوة الحسنة كأسلوب دعوي في الحفاظ على موارد البيئة وتحقيق التنمية المستدامة وأهدافها.

رابعا: لفت الأنظار:

والمقصود هو لفتَ الدعاة إلى الله عزوجل أنظار المدعوين للبُعد الجمالي للبيئة، وخلق روحاً من التآلف بينها وبينهم، من خلال الإحساس بما تنطوي عليه من متعة وبهجة وسرور، وكل ذلك لاستشعار قيمتها والمحافظة عليها فضلا عن تنميتها، ولنا في كتاب الله عز وجل خير شاهد ودليل على ذلك، حيث قال الله جل شأنه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ . وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[2]، والبهيج هو: "الشيء المشرق الجميل الذي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الغسل بالصاع ونحوه، (١/ ٦٠)، حديث رقم (٢٥٢).

(٢) سورة ق، الآيتان (٦، ٧).

يدخل البهجة والسعادة والسرور إلى من نظر إليه، وهذا الوصف يدل على دقَّة صنع الله تعالى"[١].

ويقول الله جل شأنه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٢]، وقال تبارك اسمه ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]، فهذه الآيات تشير إلى أن الله تعالى خلق الفضاء، والأرض، والبحار، والأشجار، ومصادر المياه، وغيرها من مظاهر البيئة وعناصرها، سليمة نقية طيبة نافعة للإنسان، بل إن هذه الآيات أضفت على هذه المذكورات بعداً جمالياً وذوقياً، لتنبّه الإنسان على ضرورة مراعاة هذا الخلق النقي الجميل، والحرص على استمراره وتنميته، والمحافظة عليه[٤].

وقال أيضاً مفصِّلاً بعض هذه النعم: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ

(١) تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (٢٦/ ٢٨٩)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٨٤م.

(٢) سورة الحج، جزء من الآية (٥)

(٣) سورة النحل، الآيتان (١٣، ١٤).

(٤) ينظر: الآيات والأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطويرها، إعداد/ بكر مصطفى طه، (ص٩١)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م،

الأَنْهَارَ. وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(١).

فمن هذه الآيات ندركُ مكانة البيئة في الإسلام، وأنَّ الله تعالى منح الإنسان الموارد الكونية والبيئية النافعة له، فيسرها له للانتفاع بها في أغراض شتَّى، وجعل هذه الأغراض المادية سبيلاً من سبل الإعانة على الحياة، وعرض البعد الجمالي والمشرق للبيئة وحث الإنسان على ضرورة مراعاة هذا الخلْق النقي الجميل، والحرص على استمراره وتنميته، والمحافظة عليه، وكذا تكفُّل الله تعالى بحفظ النوع والسلالة لجميع المخلوقات، وجميع ما على ظهر الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

خامسا: النهي عن الإسراف:

الإسراف هو: " تجاوُزُ الحدِّ في النفقة، أو أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة "(٢).

ويعد النهي عن الإسراف من أهم الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من الشواهد، منها قول: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٣)، وقال الله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات (٣٢- ٣٤).

(٢) التعريفات، للشريف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص (٢٤)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٣١).

أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(١) .

ففي هاتين الآيتين دعوة للوسيطة والاعتدال ونهي واضح عن الإسراف باعتباره من أبرز الآقات التي تحول دون تحقيق التنمية، فقد: "أحل الله لعباده الأكل والشرب مما لم يحرمه ونهاهم عن الإسراف والتبذير، وهو الأساس الذي يقوم عليه مفهوم التنمية المستدامة، أي الوسطية في الاستغلال والانتفاع بالثروات والموارد الطبيعية دون إسراف أو تبذير، وهو ما يحفظ حقوق الأجيال القادمة بالانتفاع مما انتفع به من قبلهم"(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {**كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، في غير مَخِيلَةٍ ولا سَرَفٍ**} (٣)، ففي هذا الحديث أيضا نهي واضح عن الإسراف؛ لما له من أضرار على حياة الناس ومعاشهم، يقول ابن حجر: "هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف"(٤).

سادسا: النهي عن الفساد والتحديز منه:

يعد الفساد- بجميع صوره وأشكاله – من أخطر الآفات التي تُهدد الأمم والمجتمعات؛ ولذلك لما يترتب عليه من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية لا يمكن أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٤١).

(٢) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. سهيل زغدود، وآخرون، ص (١٦)، مج (٦)، ع (١)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩م.

(٣) المسند، (١١/ ٣١٢)، حديث رقم (٦٧٠٨)، وقال محققوه: "إسناده حسن".

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (١٠/ ٢٥٣).

يتأتي معها أي نوع من التنمية؛ ولذا فإن النهي عن الفساد والتحذير من الوقوع في جرائمه يعد من أهم وأبرز الأساليب الدعوية المسهمة في القضاء على هذه الظاهرة والاتجاه نحو طريق التنمية والتقدم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(١)، وقال الله جل شأنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢)،

فالملاحظ أن الآيتين تناولتا موضوع الإفساد في الأرض، وجاء بصيغة النهي في قوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وعدم الإفساد في الأرض هو الركيزة الأساسية للفكر التنموي المستدام، فالإفساد يضر بحقوق الأجيال الحاضرة والقادمة، وهو من أكثر الأفعال المنهي عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية، لأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض يجب عليه الحفاظ عليها وصونها لا الإفساد فيها (٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٨٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

(٣) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص (١٧).

سابعا: الحث على الإيجابية:

الإيجابية كما عرفها الباحثون هي: "ترويض النفس على العمل الدؤوب بدون ملل بعيدا عن السلبية في مجالات الحياة، ومواجهة الصعاب بما يضمن خدمة المجتمع استجابة للتطور في إطار النظرة الإنسانية لله وللكون وللحياة"(١).

والحث على الإيجابية- وفقا لهذا المعنى- والدعوة للتحلي بها يعد من أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من النصوص الدعوية، فمن ذلك قول الله جل شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { **إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة ليغرسها** }(٣)، ففي الحديث النبوي الشريف دعوة من رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الغرس والزرع والتشجير، ولأهمية هذا العمل في الإسلام دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القيام به حتى وإن قامت الساعة، والغرس والزرع والتشجير من أهم أعمال المحافظة على البيئة والمحيط الحيوي للإنسان والتي بدورها تسهم في تنمية الفكر التنموي المستدام لدى عامة الناس"(٤).

---

(١) الإيجابية في التربية الإسلامية، تأليف/ توجان محمد الحوراني، ص (١١)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣م.

(٢) سورة الجمعة، الآية (١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٢٠/ ٢٥١)، حديث رقم (١٢٩٠٢)، وقال محققوه: " إسناده صحيح".

(٤) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص (١٧).

وبعد، فهذه أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة كما أشارت إليها نصوص الوحيين الشريفين وأكدت عليها كتابات الدعاة إلى الله عزوجل وغيرهم من أهل العلم، ولا يسع الباحث في هذا المقام سوى التأكيد على بعض الضوابط التي ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل مراعاتها أثناء استخدام هذه الأساليب وغيرها مما يسهم في تحقيق التنمية المستدامة، وهي ما يأتي:

(١) مراعاة أحوال المدعوين، وذلك باختيار أنسب الأساليب الدعوية ملائمة لظروفهم وأحوالهم الإيمانية والنفسية والسلوكية، فلا يصح الحث على الإيجابية أو الترغيب في حقيق أي نوع من التنمية والتقدم لدى شخص متورط في جرائم الفساد وبراثنه، بل الأولى نهيه عن ذلك وحثه أولا على الإقلاع عنه.

(٢) التحلي بالقدوة الحسنة، فقد أثبتت نتائج البحث حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استخدام هذا الأسلوب، ومدى أهميته في الحفاظ البيئة وتحقيق أهداف التنمية، ولذا فالأولى بالدعاة إلى الله عز وجل الاقتداء والتأسي بنبينا صلى الله عليه وسلم، وموافقة أفعالهم لأقوالهم، فقد أنكر الله عز وجل على أهل الإيمان مخالفة ذلك فقال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [١].

(١) سورة الصف، الآيتان (٢، ٣).

(١) التحلي بالوسطية والاعتدال في الخطاب الدعوي على وجه العموم، بغض النظر عن الأساليب المستخدمة في عرض الخطاب وطريقة إلقائه، فإن المتأمل في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠) يجد بوضوح مدى تأكيد القيادة الرشيدة- حفظهم الله وسدد خطاهم- على ضرورة الوسطية والاعتدال لتحقيق محاور الرؤيا وأهدافها سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غيرها، حيث تقول: "يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا .لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافيّة مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"(١).

فهذا النص يعكس مدى حرص القيادة الرشيدة حفظهم الله على أن تكون الوسطية هي المنهج المستخدم تجاه تحقيق أهداف الرؤية المباركة سواء أكانت تتعلق بالتنمية أم غيرها، ولذا فالواجب على الدعاة إلى الله بل والبشرية كلها أن تتحلى بالوسطية وغيرها مما تدعو إليه الرؤية المباركة من قيم ومبادئ.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تنجلي الظلمات، وبفضله وتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، وبعد:

فإن النهوض بالأمة والارتقاء بحياة أبنائها يعد من أعظم المسؤوليات التي تقع على عاتق الدعاة إلى الله عز وجل؛ ولذا فقد جاء هذا البحث لكي يُسلط الضوء على المسؤولية الدعوية تجاه تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في ضوء ما نصت عليه رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م، وقد تبين مما جاء فيه أن التنمية المستدامة التي يدعو الإسلام لتحقيقها هي تنمية شاملة لجميع مناحي الحياة ومجالاتها، وهي أمر واجب على كل مسلم باعتبارها من جوانب العبادة، فعبادة الله تعالى كما تكون بالصلاة والصيام والزكاة والحج تكون أيضًا بإعمار الأرض وإصلاحها والحفاظ على مقومات الحياة على نحو يضمن حق الأجيال الحاضرة والقادمة في الاستفادة منها و الاستمتاع بها، ولذا فقد أولت الدعوة الإسلامية التنمية المستدامة رعايتها وجاءت نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية وحياة السلف الصالح لتوضح الأسس والأساليب التي يجب على الدعاة إلى الله اتباعها لتعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، ولقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات، يمكنه تصنيفها وسردها على النحو الآتي:

أولا: النتائج:

(١) أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يعد أكثر شمولا من الأنظمة الوضعية، فالتنمية المستدامة في الإسلام تنمية شاملة للإنسان الذي يؤدي وظيفته في القيام بأعباء الاستخلاف في الإرض وإعمارها، وهي واجبة على كل مسلم باعتبارها جانب من جوانب العبادة والطاعة لله عز وجل.

(٢) أن الدعوة الإسلامية قد أولت التنمية المستدامة عناية كبرى، وقدمت لتحدياتها الحلول الوقائية والعلاجية التي تجعل للإسلام قصب السبق في تقرير مبادئ التنمية المستدامة وأهدافها قبل غيره من الأديان،المتصفح والمتمعن في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يعجز أمام هذه الحقائق المدهشة التي نادت بالتنمية المستدامة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

(٣) أن التنمية المستدامة في الدعوة الإسلامية ذات أسس وأهداف سامية تعني بتنمية الإنسان روحياً وأخلاقياً وفكرياً وحضارياً باستخدام أساليب مناسبة لتحسين جوانب التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها.

(٤) أن المملكة العربية السعودية تسعى لتعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها عبر رؤية مستقبلية، مسترشدة في ذلك بمنهج الدعوة الإسلامية الذي يتسم بالوسطية والاعتدال في كافة مناحي الحياة وجوانبها.

(٥) أن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) تعد من أهم الركائز التي ترتكز عليها وتنطلق منها المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في الواقع المعاصر.

(٦) أن مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل لا تقل عن مسؤولية غيرهم من أبناء الأمة في تعزيز التنمية المستدامة والعمل على تحقيق أهدافها.

ثانيا: التوصيات:

(١) أوصى علماء الأمة وجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداله في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد والمغالاة والتعسير على الناس في شئون حياتهم، فالمنهج الوسطي هو المنهج الذي رضيه

الله تعالى للأمة وهو أيضا ذات المنهج الذي اتخذته رؤية المملكة (٢٠٣٠) أساساً ومنطلقاً لتحقيق التنمية المستدامه والوصول لأهدافها.

(٢) تعزيز التعاون والشراكة بين وزارة الشؤون الإسلامية وغيرها من المؤسسات الدعوية والوزارات والمؤسسات المعنية بالبيئة في الدول الإسلامية وغيرها؛ من أجل القيام بمبادرات مشتركة تؤصل لأهمية الدعوة الإسلامية ودورها في الحفاظ على البيئة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

(٣) تنظيم ندوات وبرامج دعوية بصفة مستمرة لجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله تتناول أسس التنمية المستدامة وأساليب تحقيقها مؤشرات نجاحها، والاستعانة بالخبراء والتخصصين والاستفادة من التجارب الآخرين في هذا الشأن.

(٤) تفعيل دور مراكز للدراسات والبحوث والجامعات من أجل إعداد الدراسات المتخصصة في مجال البيئة ومعالجة قضاياها المختلفة من تلوث ٍ، أو تصحر، أو استنزاف الموارد، وغير ذلك من القضايا التي تعوق التنمية المستدامة وتحول دون تحقيق أهدافها.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٣. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٤. المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٥. سنن ابن ماجه، للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

٦. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ.

٧. صحيح سنن أبي داود، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ.

ثانيا: المراجع:

١. إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة تأليف/ خالد مصطفى قاسم، إصدار جامعة الدول العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٧م.

٢. أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٨٦م.

٣. الاستدامة التحديات والفرص، تأليف/ د. عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٠م.

٤. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، تأليف/ أ.د. عبد الرحيم محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣١هـ،٢٠١٠م.

٥. الإسلام والبيئة، إعداد/ إبراهيم علي حسن، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ع (١)، القاهرة- جمهورية مصر العربية،

٦. الإسلام وحماية البيئة، إعداد/ د. آمنة نصير، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ع (٧٦)، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٧. إعلان الحق في التنمية، الأمم المتحدة، مكتب المفوض السامي، الأمم المتحدة، بدون تاريخ.

٨. الآيات والأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطويرها، إعداد/ بكر مصطفى طه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م.

٩. الإيجابية في التربية الإسلامية، تأليف/ توجان محمد الحوراني، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣م.

١٠. التعريفات، للشريف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ.

١١. تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٨٤م.

١٢. التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، مجلة البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧م.

١٣. التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، إعداد/ د. مصطفى دسوقي كسبة، ملخصات بحوث المؤتمر الدولي: التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة، جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٨م.

١٤. التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. سهيل زغدود، وآخرون، مج (٦)، ع (١)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩م.

١٥. التوازن البيئي من منظور إسلامي، إعداد/ د. أحمد حطاب، مجلة جامعة محمد الخامس، المغرب، ع (٤٦)، ١٩٩٩م.

١٦. التوقيف على مهمات التعريف، للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط ١، ١٤٤٠هـ.

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٨. التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، أعمال المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة، الرباط، المملكة المغربية، ٢، ٣ ، أكتوبر، ٢٠١٩م.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٣٨٤هـ.

٢٠. الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها ومناهجها، تأليف الدكتور أبو المجد نوفل، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة- القاهرة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٣م.

٢١. دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية، إعداد/ عاطف عبد الواحد الجاك إدريس، كلية الدرسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم- السودان، ١٤٣٦هـ،٢٠١٥م.

٢٢. ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، إعداد/ د. محمد عبد القادر الفقي، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول القيم الحضارية في السنة، الأمانة العامة لندوة الحديث، بدون تاريخ.

٢٣. رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).

٢٤. رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠): دراسة مرتكزاتها من القيم الثقافية والإسلامية، إعداد/ د. محمد أحمد الدش، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة- جمهورية مصر العربية، ع (١٢٧)، ٢٠١٩م.

٢٥. ضوابط الانتاج في الاقتصاد الاسلامي وأثرها على الانتاج والانتاجية، إعداد/ خالد بن سعد المقرن، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

٢٦. العالم الإسلامي والتنمية المستدامة: الخصوصيات والتحديات والإلتزامات، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، جدة- المملكة العربية السعودية، خلال الفترة من (١٠- ١٢/ ٦/ ٢٠٠٢م)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢م.

٢٧. العريفي: رؤية ٢٠٣٠ لا تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، صحيفة سبق الإلكترونية، بتاريخ ٣٠/ مايو/ ٢٠١٧م.

٢٨. العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، تأليف محمد عبد الرحمن بيصار، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٠م.

٢٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، تأليف أبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ

٣٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٣٧٩هـ.

٣١. فلسفة التربية (رؤية تربوية إسلامية)، تأليف/ إبراهيم أحمد عمر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٩٩٢م.

٣٢. اللجنة العالمية للتنمية والبيئة: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩م.

٣٣. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

٣٤. المبادئ الأخلاقية المتعلقة بتغير المناخ: تقارير اللجنة العالمية لأخلاقيات المعارف العلمية والتكنولوجية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (٢٠١٠- ٢٠١٥)، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ٢٠٢٠م.

٣٥. المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، د. عدنان أحمد البار، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ع (١١) ١٩٩١م.

٣٦. المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف/ د. محمد محمد القاسم، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٧م.

٣٨. المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، تأليف/ د. عبد الله بن محمد المجلى، مجلة الدراسات الدعوية، ع (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ

٣٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف/ د. أحمد مختار عمر، وآخرون، عالم الكتب، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٤٠. المعجم الوسيط، إعداد/ مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤١٥هـ، ٢٠٠٤م.

٤١. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق- سوريا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٢. مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. عبد الله ب إبراهيم الناصر، قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ٢٠١٣م.

٤٣. مناهج البحث العلمي تطبيقات ادارية واقتصادية، تأليف/ د. أحمد حسين الرفاعي، دار وائل للطباعة، عمان- الأردن، ط ٦، ٢٠٠٩م.

٤٤. الموقـــــــــــــــع الرسمـــــــــــــــــي للرؤيـــــــــــــــــة:
٢٠٣٠.gov.sa/ar/v٢٠٣٠https://www.vision
.//overview

٤٥. نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، تأليف/ د. نصر محمد عارف، دار القارئ العربي، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٩٩٢م.

٤٦. معوقات التنمية المتسدامة في دول العالم الإسلامي، إعداد/ سمر خيري مرسي، (المقدمة)، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي، مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الاسلامي، جامعة قالمة (٣-٤ ديسمبر ٢٠١٢م).

البحث رقم (٥)

معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة نظرية

إعداد

د. حسن بن يحيى ظافر الشهري

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية

بكلية العلوم والدراسات الإسلامية بالدوادمي-جامعة شقراء

ملخص البحث

يعرض هذا البحث موضوع: معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام، ويهدف إلى التعرف على مفهوم الحسبة والقصص، وإبراز أهمية دراسة معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام، والتعرف على أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية، واستنباط الدروس المتعلقة بالحسبة من تلك القصص.

وقد عمد الباحث إلى عرض الآيات القرآنية التي تضمنت أربعاً من قصص موسى عليه السلام من خلال المنهجين: الاستقرائي والاستنباطي، وقد تكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: قصص موسى عليه السلام الاحتسابية، والمبحث الثاني: أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية، والمبحث الثالث: الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب.

وقد توصل البحث إلى نتائج منها: أن الاحتساب يحقق جميع أنواع الأمن- الفكري والسلوكي والمعيشي والأخلاقي، وتبين في البحث أهمية التطبيق العملي والتدريب الميداني في مجال الحسبة كما اتضح أن ما وضعه العلماء من شروط للاحتساب وصفات المحتسب وأدآبه، وضوابط المنكر قد تجلت في قصص موسى عليه السلام، وأن الاحتساب من أصول الدين وأسسه المتينة التي لا يقوم إلا بها، وأنه من مهام الرسل من أولهم إلى آخرهم - عليهم السلام-.

الكلمات المفتاحية: معالم، حسبة، قصص.

Abstract

This research presents the theme of the features of Hesba in the stories of Moses (Pbuh), aims to learn about the concept of Hesba and stories, to highlight the importance of studying the features of Hesba in the stories of Moses (Pbuh), to learn about the methods of Moses (Pbuh) and to draw lessons related to the account from those stories.

The researcher presented the Qur'anic Verses, which included ٤ stories of Moses (Pbuh) through the inductive and inferstive approaches, and consisted of an introduction, three investigations and a conclusion, the first research: the stories of Moses (Pbuh) and the second: The Methods of Moses (Pbuh) and the third: Lessons learned from the stories of Moses in the field of calculation.

The research found conclusions, including that calculation achieves all kinds of intellectual, behavioral, living and moral security, and found in the research the importance of practical application and field training in the field in the field of Hesba, as it became clear that the conditions set by scientists to calculate the recipes and literature of the account, and the controls of vice were manifested in the stories of Moses (Pbuh) that the calculation of the origins of religion and its solid foundations, which he does only, and that it is the tasks of the apostles from the first to the end - peace be upon them.

Keywords: Landmarks, Hesba, Stories.

المقدمـــة

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[2].

أما بعد:

فإن المتأمل في قصص موسى عليه السلام يلحظ أن له مواقف احتسابية قصها علينا القرآن الكريم، يمكن في هذا البحث عرض بعضها وبيان أساليب موسى عليه السلام في ذلك واستنباط الدروس المستفادة منها، ويكون تناول الموضوع من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: عرض أربعاً من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية من خلال الآيات القرآنية.

المحور الثاني: أساليب موسى عليه السلام في الاحتساب.

المحور الثالث: الدروس المستنبطة من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١-جمع الآيات القرآنية المتضمنة قصص موسى عليه السلام الاحتسابية وعرض تفسيرها.

٢- ضرورة معرفة أساليب الأنبياء والرسل-عليهم السلام- في مجال الاحتساب

---

(١) صحيح مسلم، لمسلم بن حجاج النيسابوري، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ح(٨٦٨)٢/٥٩٣، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

والاقتداء بهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[1] ومنها قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

٣- أهمية استنباط ما في قصص موسى عليه السلام من دروس احتسابية تنير طريق المحتسب والمحتسب عليه.

أسباب اختيار الموضوع:

١-اهتمام القرآن الكريم بقصص احتساب موسى عليه السلام وإيرادها بأسلوب شيق.

٢-كثرة الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر موسى عليه السلام واشتمالها على صور من احتسابه عليه السلام.

٣-ضرورة بيان احتساب الأنبياء والرسل-عليهم السلام- والاستفادة من ذلك في حياتنا.

٤-لم أجد من تناول قصة موسى عليه السلام في مجال الحسبة بهذه الصورة.

أهداف البحث:

١-عرض الآيات القرآنية التي تضمنت قصص موسى عليه السلام الاحتسابية وبيان تفسير العلماء لها.

٢-بيان أساليب موسى عليه السلام في الاحتساب والإنكار.

٣-استنباط الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الحسبة وتجليتها للاستفادة منها.

تساؤلات البحث:

١-ما قصص موسى عليه السلام الاحتسابية الواردة في القرآن الكريم؟

٢-ما أهم أساليب موسى عليه السلام في مواقفه الاحتسابية؟

٣-ما الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب؟

---

(١) سورة الأنعام الآية (٩٠).

حدود البحث:

نظراً لكثرة قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم، واشتمالها على جوانب احتسابية وهذا البحث لا يحتمل تناولها كلها فقد اكتفى الباحث بتناول أربعاً منها، وهي:

أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبط.

ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء.

ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل.

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث عن دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع لم أجد من بحثه من هذا الجانب وإنما كان تناوله في بعض المؤلفات من جوانب فقهية أو تفسير موضوعي أو بيان عقيدة ضمن موضوعات متعددة أو استنباط فوائد من قصة موسى عليه السلام ولم أجد من خص قصص موسى عليه السلام الاحتسابية بدراسة علمية متخصصة في مجال الحسبة.

الإضافة العلمية للبحث:

يأمل الباحث أن يعرض مواقف موسى عليه السلام الاحتسابية من خلال الآيات القرآنية، ويجلي أساليبه عليه السلام في مجال الاحتساب، ويستنبط الدروس الاحتسابية منها.

تقسيمات البحث: وقد انتظم البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، وقد جاءت الخطة على النحو الآتي:

المقدمة

المبحث الأول: قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبط.

ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء.

ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل.

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر.

المبحث الثاني: أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

نوع البحث ومناهجه:

نظراً لكون البحث تأصيلي نظري، فإن المناهج التي يرى الباحث أنها تناسبه.

١-المنهج الاستقرائي: وهو: «ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها، بالتتبع لما يعرض لها، والاستعانة بالملاحظة في هذه الجزيئات المختارة، وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة»(١)، وهذا المنهج يتناسب مع الدراسات الأصولية، وهو أحد المناهج المستخدمة في العلوم الشرعية، فهو يساعد في الوصول إلى بعض القواعد أو الأصول المنهجية أو الفنية المهنية لإنجاز بعض الأعمال(٢)وعلى ذلك فاستخدام الباحث له يكون باستقراء وتتبع ما ورد في القرآن الكريم من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

٢-المنهج الاستنباطي: هذا المنهج يستخدم في الدراسات الشرعية والقانونية، وفي غيرها «مثل بعض الدراسات المتصلة بالأساليب الدعوية الإقناعية أو الأساليب الأدبية وأساليب التعبير اللغوية وغيرها»(٣)، وهو المنهج الذي: «ينطلق من الحقائق العامة أو القواعد

---

(١) البحث العلمي، د. عبد العزيز الربيعة، مكتبة الملك فهد، الرياض،١/١٧٨-١٧٩، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢)انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧٩، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل٧٣.

العامة المتفق عليها ذات القوة التشريعية للوصول إلى المسائل الواقعية الفرعية التي تستمد حلولها من تلك الحقائق العامة»(١).

تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح

الحسبة في اللغة: له عدة معان منها:

١- طلب الأجر: فنقول: فعلته حسبة، واحتسب فيه احتساباً، والاسم الحسبة، وهو الأجر(٢).وقد قال النبي-ﷺ-:(من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه)(٣).

٢-الإنكار: فيقال: احتسب فلان على فلان، أي أنكر عليه قبيح عمله(٤).

٣-الاختبار: فيقال: احتسب فلان فلاناً، اختبره، وسبر ما عنده(٥).

---

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل٧١.

(٢) انظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت مادة(حسب)، ٣١٤/١، ط١، ١٤١٠هـ، والقاموس المحيط، لمجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مادة(حسب)، ٧٤/١، ط٥، ١٤١٦هـ.

(٣) صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، دار الشعب، القاهرة، حديث رقم (١٩٠١)، ٣٣/٣، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٣١٧/١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٣١٧/١.

٤-الظن: من حَسِبْتُ أَحْسِبُ، أَي ظَنَنْتُ(١)،ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾(٢).

٥-حسن التدبير، فيقال: وإنه لحسن الحسبة في الأمر، أي: حسن التدبير والنظر فيه(٣).

٦-الاعتداد، فيقال: «فلان لا يحتسب به، أي: لا يعتد به»(٤).

الحسبة في الاصطلاح: وردت تعريفات عدة للحسبة في معناها الاصطلاحي ومنها:

١-«أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله(٥).

٢-الحسبة: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس»(٦).

٣-الحسبة: «عبارة عن المنع من منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١/٣١٤.

(٢) سورة الزمر آية (٤٧).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، ١/٣١٦-٣١٧.

(٤) أساس البلاغة، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، مادة(حسب)،٨٣، بدون ذكر رقم الطبعة، ١٤٠٢هـ.

(٥) الأحكام السلطانية، لعلي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٦٣، بدون ذكر رقم الطبعة، وسنة الطبع.

(٦) معالم القربة في أحكام الحسبة، لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق المطيعي، مصر، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٥١، ط١، ١٩٧٦م.

المنكر»(١).

٤-الحسبة: «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»(٢).

٥-الحسبة: «رقابة إدارية، تقوم بها الدولة، عن طريق وال مختص، على أفعال الأفراد وتصرفاتهم؛ لصبغها بالصبغة الإسلامية، أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وفقاً لأحكام الشرع، وقواعده»(٣).

٦-الحسبة: «ممارسة عملية الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»(٤)، وبالمقارنة بين تلك التعريفات للحسبة، يتضح أن هناك من اشتمل تعريفه على الجانب الرسمي، والتطوعي، إلا أن هناك من اقتصر على الجانب الرسمي فقط. مما يمثل تضييقاً لمفهوم الحسبة الواسع، والشامل، كما بينه الشرع المطهر، لذا فإن أولاها تعريف الماوردي-يرحمه الله-للأسباب التالية:

١-شمول المحتسب الرسمي، والمتطوع.

٢-سلامة أساسه؛ لارتكازه على جوهر الحسبة، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

٣-انضباط عبارته؛ لإحاطته بكنه الحسبة.

---

(١) إحياء علوم الدين، لمحمد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ٢/٤٥٥د.ط،١٤١٩هـ.

(٢) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٣٩٨بدون رقم الطبعة، ١٩٨٢م.

(٣) نظام الحسبة في الإسلام، لعبد العزيز بن محمد بن مرشد، رسالة ماجستير من المعهد العالي للقضاء، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٦، ١٣٩٣هـ.

(٤) شروط المحتسب وآدابه حافظ عابد إلهي، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٠، ١٤٠٦هـ.

٤-سلامة أسلوبه حيث استوحاه من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة(١).

تعريف القصص: القَصُّ: «فعل القاصّ إذا قَصَّ القِصَصَ، والقِصّة معروفة، ويقال: في رأْسه قِصّةٌ يعني الجملة من الكلام، ونحوُه قوله تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾(٢)، أَي نُبَيّن لك أَحسن البيان، والقِصّة: الخبر، وهو القَصَصُ، وقصّ عليّ خبرَه يقُصُّه قَصاً، وقَصَصاً أَوْرَدَه، والقَصَصُ: الخبرُ المَقْصوص»(٣).

---

(١) انظر: الحسبة-تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها-، فضل إلهي، باكستان، نشر إدارة ترجمان الإسلام،٢٠، ط٧، ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة يوسف الآية رقم (٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور٧/٧٣-٧٤.

المبحث الأول

قصص موسى عليه السلام الاحتسابية في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، قال السعدي يرحمه الله: «أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به، وجاءك في هذه السورة الحق اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس، وموعظة وذكرى للمؤمنين، أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها »(٢)، وموسى عليه السلام ممن يقتدي به في إنكار المنكر لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(٤)، وموسى عليه السلام مكنه الله في الأرض من بين بني إسرائيل واختاره لنفسه فكان عليه السلام يبادر في الاحتساب، وقصصه كثيرة، وقد اجتمع فيها الجانب الدعوي والاحتسابي، وسوف أقتصر على عرض أربع قصص تبرز فيها معالم الحسبة أكثير من غيرها وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) سورة هود الآية (١٢٠).

(٢) تفسير السعدي١/٣٩٢.

(٣) سورة الأنعام (٩٠).

(٤) سورة الحج الآية (٤١).

أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبطي: ظهرت في قصة احتساب موسى عليه السلام على القبطي أركان الحسبة وبعض أساليبها ودرجات الإنكار، فالمحتسب (موسى عليه السلام) والمحتسب عليه (القبطي) والمحتسب فيه (منكر الاقتتال) والوسيلة (اليد) والدرجة والأسلوب (التغيير باليد، والتوبيخ)، وقد عرض الله تعالى قصة احتساب موسى عليه السلام على القبطي وخصمه الإسرائيلي في قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾(١)، قال السعدي-يرحمه الله- في تفسير الآيات: «ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار، فوجد فيها رجلين يقتتلان، أي: يتخاصمان ويتضاربان، هذا من شيعته، أي: من بني إسرائيل، وهذا من عدوه، القبط، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته موسى عليه السلام، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغاً يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان، فوكزه موسى عليه السلام، أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي، فقضى عليه، أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى عليه السلام، فندم موسى عليه السلام على

(١) سورة القصص الآيات (١٥-١٩).

ما جرى منه، وقال: هذا من عمل الشيطان، أي: من تزيينه ووسوسته، إنه عدو مضل مبين، فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال، ثم استغفر ربه، قال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، -خصوصاً للمخبتين، المبادرين للإنابة والتوبة-، كما جرى من موسىعليه السلام، فقال موسىعليه السلام: رب بما أنعمت عليَّ، بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، فلن أكون ظهيراً، أي: معيناً ومساعداً، للمجرمين، أي: لا أعين أحداً على معصية، وهذا وعد من موسىعليه السلام، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرماً، كما فعل في قتل القبطي، وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر، ولما جرى منه قتل الذي هو من عدوه، أصبح في المدينة خائفاً يترقب هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسىعليه السلام من بني إسرائيل، فبينما هو على تلك الحال، فإذا الذي استنصره بالأمس، على عدوه يستصرخه على قبطي آخر، قال له موسىعليه السلام: موبخاً له على حاله، إنك لغوي مبين، أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة، فلما أن أراد أن يبطش، موسىعليه السلام، بالذي هو عدو لهما، أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسىعليه السلام، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطي، قال له القبطي زاجراً له عن قتله: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض؛ لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق، وما تريد أن تكون من المصلحين، وإلا فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسىعليه السلامعن قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسىعليه السلامفي هاتين القضيتين، حتى تراود ملأ فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك، وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسىعليه السلام بما

اجتمع عليه رأي ملئهم، فقال: ....يا موسى إن الملأ يأتمرون، أي: يتشاورون فيك، ليقتلوك فاخرج، عن المدينة، إني لك من الناصحين، فامتثل نصحه»(١).

ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء:

سبق في تعريف الحسبة أن من معانيها طلب الأجر، ولقد اعتاد موسى عليه السلام على فعل الخير ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف والمبادرة في ذلك لطلب الأجر من الله تعالى، ولما خرج من مصر بعد حادثة الأقباط دعا الله تعالى أن ينجيه من القوم الظالمين، والآيات الآتية: تقص علينا خروجه ووجهته وقصة احتسابه عليه السلام في مدين، قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾(٢)، قال ابن كثير -يرحمه الله تعالى- في تفسير الآيات: «ولما توجه تلقاء مدين، أي: أخذ طريقاً سالكاً مهيعاً فرح بذلك، قال: عسى ربي أن يهديني سواء

(١) تفسير السعدي - (١ / ٦١٣)

(٢) سورة القصص الآيات (٢١-٢٨)

السبيل، أي: إلى الطريق الأقوم، ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجُعل هادياً مهدياً، ولما ورد ماء مدين، أي: ولما وصـــل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر ترده رعاء الشــاء، وجد عليه أمة من الناس، أي: جماعة، يســقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان، أي: تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا، فلما رآهما موســـى عليه السلام، رق لهما ورحمهما، قال: ما خطبكما، أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟، قالتا: لا نســقي حتى يصــدر الرعاء، أي: لا يحصــل لنا ســقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وأبونا شيخ كبير، أي: فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى، فسقى لهما»(١).

ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل:

إن البحث عن معبود أمر فطري في الإنسان وإذا صاحب طلب المعبود جهل ضل صاحبه كما قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل لما طلبوا أن يجعل لهم إلهاً ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾(٢)، ولما كان بنو إسرائيل حديثي عهد بدين ولازال الجهل فيهم هو الغالب طلبوا ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾(٣) وقد بين الله ذلك الطلب وجوابه في قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ

(١) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،٦/٢٢٦، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٣٨)

(٣) سورة الأعراف الآيات (١٣٨)

يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾(١)، قال القاسمي في تفسير الآية: « فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ أي : يواظبون على عبادتها ويلازمونها، قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً أي : صنماً نعكف عليه كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ أي : أصنام يعكفون عليها، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ أي : شأن الألوهية وعظمتها ، وأنه لا يستحقها إلا الله وحده، ثم قال: « إِنَّ هَؤُلاء يعني عَبْدة تلك التماثيل (مُتَبَّرٌ)أي : مهلك، مَّا هُمْ فِيهِ، أي : من الشرك ، وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، أي : عبادة الأصنام ، وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى، فإنه كفر محض»(٢)، ثم قال: «أي: موسى، مذكراً لقومه نعمه تعالى عليهم ، الموجبة لتخصيصه تعالى بالعبادة : أَغَيْرَ اللّه أَبْغِيكُمْ إِلَهاً أي : أطلب لكم معبوداً»(٣)، ولما ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه وأستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، حدثت لهم فتنة السامري فأخبر اللهُ موسى عليه السلام بذلك قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾(٤)، ووصف الله فتنة قوم موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٥)، وعاد موسى عليه السلام إلى قومه بالألواح غاضباً أسفاً ووجد القوم قد ضلوا، وعرض الله تعالى

(١) سورة الأعراف الآيات (١٣٨-١٤١)

(٢) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، بدون ذكر دار النشر، ٢٨٤٦، ط١، ١٣٧٦هـ.

(٣) المرجع السابق الصفحة٢٨٤٨.

(٤) سورة طه الآية (٨٥).

(٥) سورة الأعراف الآيتان (١٤٨-١٤٩).

غضب موسى عليه السلام وأسفه وغيرته على دين الله وإنكاره الشديد لذلك المنكر المتعلق بالتوحيد، بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَ لَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١)، وقد عاتب موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام وأخذ يجره بلحيته ورأسه من شدة الغضب لدين الله، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾(٢)، ثم رجع موسى عليه السلام يحاور قومه ويبحث أسباب هذا الافتتان، يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾(٣)، وبعد هذا الحوار انتقل موسى عليه السلام إلى بحث السبب والاستفهام عن هذا المنكر الشنيع ومعرفة الدافع له لدى السامري، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٠)

(٢) سورة طه الآيات (٩٢-٩٤)

(٣) سورة طه الآيات (٨٦-٩١)

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝٩٦ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۝٩٧ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾(١)، بعد أن عرَفَ موسى عليه السلام السبب ودوافع المنكر، عمل على إزالة ذلك المنكر من الوجود ليزول من قلوب القوم التي أُشربت حب العجل كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ﴾(٢)، قال السعدي -يرحمه الله- في تفسير الآيات: «فعل موسى عليه السلام ذلك، فلو كان إلهاً، لامتنع ممن يريده بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونسفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة؛ لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له »(٣) .

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر: عزم موسى عليه السلام أن يذهب إلى الخضر ليطلب منه العلم لما أخبره الله به، حيث «ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحط به موسى عليه السلام، فأحب الذهاب إليه»(٤) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾(٥)، فقرر موسى عليه السلام الذهاب إليه

(١) سورة طه الآيات (٩٥-٩٨)

(٢) سورة البقرة الآيات (٩٣)

(٣) تفسير السعدي١/٥١٢.

(٤) تفسير ابن كثير،١٧٣/٥.

(٥) سورة الكهف الآية (٦٠)

مهما كلفه الأمر، ففعل، والآيات الآتية: تعرض لنا بعضاً من فصول تلك الرحلة العلمية العظيمة وما تخللها من مسائل علمية عملية ومواقف احتسابية قال تعالى:﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾(١)، آتيناه رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله، وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى عليه السلام، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية، والأصولية؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى عليه السلام قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ؟ أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي،

---

(١) سورة الكهف الآيات (٦٥-٧٨)

وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام ، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك؛ ولكنك لن تستطيع معي صبراً، أي: لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟! أي: كيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟.

فقال موسى عليه السلام: ستجدني إن شاء الله صابراً، ولا أعصي لك أمراً، وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر.

فحينئذ قال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً أي: لا تبتدئني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها! أي: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك، سيبينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى عليه السلام: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً، أي: عظيماً شنيعاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الخضر: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى عليه السلام نسياناً فقال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً، أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي أيها الخضر الشدة عليه، فسمح عنه الخضر، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً، أي: صغيراً، فقتله الخضر، قال موسى عليه السلام: أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً، وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحداً؟!

وكانت الأولى من موسى عليه السلام نسياناً، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر، فقال له الخضر: معاتباً ومذكراً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟!، فقال موسى عليه السلام: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة ، فلا تصاحبني، أي: فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي، قد بلغت من لدني عذراً، أي: أعذرت مني، ولم تقصر، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، أي: استضافاهم، فلم يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، أي: قد عاب واستهدهم، فأقامه الخضر، أي: بناه وأعاده جديداً، فقال موسى عليه السلام: لو شئت لاتخذت عليه أجراً؟، أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجرة؟!، وأنت تقدر عليها؟(1).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١١/١١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م، وتفسير ابن كثير، ١٧٦/٥، وجامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،٦٢/١٨، ط١، ١٤٢٠هـ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط دار الفكر، بيروت، ١٨٣/١٠، ١٩٩٣م، وانظر: تفسير السعدي، ٤٨٢/١.

المبحث الثاني: أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية

تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح

الأسلوب في اللغة: «الأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، والفن، والأسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلانٌ في أساليب من القول، أي أفانين منه، ويجمع أساليب، وهي: الفنون المختلفة»(١).

الأسلوب في الاصطلاح: هو «الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه»(٢)، وقيل: «عرض ما يراد عرضه من معان، وأفكار، وقضايا، في عبارات، وجمل مختارة؛ لتناسب فكر المخاطبين، وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من المقال»(٣).

وقد استعمل موسى عليه السلام أساليب عدة منها:

أولاً: أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة: تستعمل الحكمة بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، وأحكم الأمر فاستحكم ومنعه عن الفساد(٤).

قال أبو بكر بن دريد-يرحمه الله-: «كل كلمة وعظتك، وزجرتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح، فهي حكمة»(٥).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة(سلب) ٤٧٣/١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٣٠٣/٢، ط٣، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) المرأة المسلمة المعاصرة، لأحمد أبا بطين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ٥٢٣، ط٢، ١٤١٢هـ.

(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ١٤١٥، ومختار الصحاح، للرازي (مادة حكم) ٦٢.

(٥) جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد، ٢٩٣.

وقال الإمام النووي-يرحمه الله-الحكمة: «عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله-تعالى-المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك»(١).

وقد تجلت حكمة موسى عليه السلام في كثرة استفهامه قبل احتسابه كما ورد ذلك في الآيات السابقة حين استفهم عن سبب ذود الرعا الغنم عن الماء، وسؤاله الخضر عن سبب قتل الغلام، وخرق السفينة وإقامة الجدار بلا أجرة، وغير ذلك.

ثانياً: أسلوب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن:

المراد بالحوار في اللّغة: «مصدر حاوره إذا راجعه في الكلام، وجاوبه»(٢)، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾(٣).

الجِدالُ والمجادلة: «المفاوَضَةُ على سَبيلِ المنازَعة والمغالَبة، وأصله: مِن جَدَلْتَ الحَبلَ: إذا أحكَمْتَ فَتْلَه»(٤).

ويراد بالحوار، والجدال في الاصطلاح: «مناقشة بين طرفين، أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حُجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول، والرأي»(٥).

---

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم١/١٣٣.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة(حور)، ٤/٢١٧.

(٣) سورة الكهف الآية (٣٧).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ٢٨/١٩٤.

(٥) التعريفات للجرجاني، مادة(جدل) ١٠٠، وانظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد، دار المنارة، جدة، ٦، ط١، ١٤١٥هـ.

حيث إن من أسباب فعل المنكر، وترك المعروف: الخطأ، والجهل، والشهوة، والشبهة، واتباع الهوى، والكبر، والعناد، فموسى عليه السلام استعمل أسلوب الحوار، والمجادلة بالتي هي أحسن، حتى يصوب المخطئ، ويعلم الجاهل، ويجلي الحق لصاحب الشبهة، ويقيم الحجة على المعاند، لعلمه عليه السلام أن الحوار من أنجح الأساليب في مجال الاحتساب، وقد اعتمد موسى عليه السلام في حواراته على الاستفهام بأنواعه ويتضح ذلك جلياً من الآيات الآتية: استعمل موسى عليه السلام أسلوب الاستفهام في الاحتساب لطلب الأجر كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾(١)، واستعمل الاستفهام للإنكار على بني إسرائيل حين طلبوا الإله ليعبدوه تقرباً إلى الله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

كما استعمله عليه السلام لبحث سبب القول المنكر من قومه، قال عليه السلام: ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾(٣)، ومعرفة السبب الذي منع أخاه هارون من اتباعه حين ضل القوم ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾(٤)، واستعمل عليه السلام الاستفهام عن سبب إخلاف القوم وعد الله تعالى وسبب ذلك: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾(٥)، كما استعمل عليه السلام الاستفهام في الإنكار على

(١) سورة القصص الآية (٢٣).

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٤٠).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٠).

(٤) سورة طه الآيتان (٩٢-٩٣).

(٥) سورة طه الآية (٨٦).

السامري وسبب ذلك المنكر الكبير والجرم العظيم الذي ارتكبه، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾(١)، واستعمل عليه السلام الاستفهام مع الخضر ﴿فقَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾(٢) ، ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾(٣)، ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾(٤) .

ثالثاً: أسلوب التعرف على المحتسب فيه: لقد ظهر أسلوب التعرف على المحتسب فيه في احتساب موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(٥)، وقوله تعالى:﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾(٦) وقوله عزوجل: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾(٧)، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾(٨)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾(٩) .

رابعاً: أسلوب التعريف والتعليم: ويقصد بهما تعريف المحتسب عليه، وتعليمه الحكم الشرعي لما ارتكب من منكر، وبيان فضل ما ترك من معروف، فقد يكون جاهلاً، أو

(١) سورة طه الآية (٩٥).

(٢) سورة الكهف الآية (٧١).

(٣) سورة الكهف الآية (٧٤).

(٤) سورة الكهف الآية (٧٧).

(٥) سورة القصص الآية (٢٣).

(٦) سورة طه الآية (٩٥).

(٧) سورة الكهف الآية (٧١).

(٨) سورة الكهف الآية (٧٤).

(٩) سورة الكهف الآية (٧٧).

ناسياً، وقد تجلى ذلك في احتساب موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾(١).

خامساً: أسلوب الترغيب والترهيب من الله تعالى: يظهر استعمال هذه الأساليب من قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾(٢)، «فلما رجع موسى عليه السلام إلى قومه وهو غضباناً أسفاً، أي: ممتلئ غيظاً وحنقاً وغماً، قال: لهم موبخاً ومقبحاً لفعلهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً، وذلك بإنزال التوراة»(٣).

سادساً: أسلوب الغلظة في القول: لقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب مع الإسرائيلي الذي تسبب في قتل موسى عليه السلام للقبطي واستعمله مع قومه عندما عبدوا العجل، ويتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾(٤)، وقوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾(٥)، وقوله سبحانه﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ

---

(١) سورة طه الآيات (٩٧-٩٨).

(٢) سورة طه الآية (٨٦).

(٣) تفسير السعدي (١ / ٥١١).

(٤) سورة القصص الآية (١٨).

(٥) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾(١)، «فلما رجع موسى إلى قومه وهو غضبان أسف، أي: ممتلئ غيضاً وحنقاً وغماً، قال لهم موبخاً ومقبحاً لفعلهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ، وذلك بإنزال التوراة»(٢)

سابعاً: أسلوب المبادرة: تجلى استعمال موسى عليه السلام أسلوب المبادرة بالاحتساب في دفع القبطي الذي تقاتل مع الإسرائيلي ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٤).

ثامناً: أسلوب العفو: وقد استعمل موسى عليه السلام أسلوب العفو مع القبطي الذي قاتل الإسرائيلي للمرة الثانية لما استعطفه وطلب العفو منه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾(٥)، وعفوه عليه السلام عن أخيه هارون عليه السلام وطلب العفو له من ربه، وقد بين الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟

(١) سورة طه الآية (٨٦).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٥١١).

(٣) سورة القصص الآية (١٥).

(٤) سورة القصص الآية (٢٤).

(٥) سورة القصص الآية (١٩).

يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١).

تاسعاً: أسلوب التهديد والتخويف: وهذا الأسلوب آخر اجراء يمارسه المحتسب؛ لنهي مرتكب المنكر باللسان ويليه الاحتساب باليد، وإيقاع الفعل، فيقال له: إن لم تنته لأضربنّك، أو لأوذينّك، أو لأخبرنّ بك السلطات لتسحبك، وتعاقبك على فعلك، وينبغي أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلاً، وشرعاً، ونظاماً(٢)، وقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب، كما فعل مع القبطي حيث إن كلامه يوحي بتهديد موسى عليه السلام له وأنه خاف منه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾(٣).

عاشراً: أسلوب التغيير باليد: وقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب في أكثر من موضع من احتسابه عليه السلام، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾(٤)، وعندما سقى للرعاء كما في قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

(١) سورة الأعراف الآيتان (١٥٠-١٥١).

(٢) انظر: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الأمة، لعبد العزيز المسعود،١/٥٢٥-٥٢٦

(٣) سورة القصص الآية (١٩).

(٤) سورة طه الآية (٩٧).

فَقِيرٌ﴾(١)، وعند عتابه لأخيه هارون عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾ (٢).

(١) سورة القصص الآية (٢٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٠).

المبحث الثالث

الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب

١-تجلى في احتساب موسى عليه السلام تطبيق درجات إنكار المنكر وهي: الإنكار بالقلب والإنكار باللسان والتغيير باليد، كما ظهرت أركان الحسبة جليه في قصص موسى عليه السلام الاحتسابية، وهي: المحتسب-وآدابه، والمحتسب عليه، والاحتساب ذاته-ودرجاته، ما يجعل قصص موسى عليه السلام سراجاً منيراً يُستضاءُ به في مجال الحسبة.

٢- تجلى في قصص موسى عليه السلام أهمية طلب العلم والاستزادة للمحتسب والذي يعد من أهم صفات المحتسب، قال الشيخ السعدي-يرحمه الله تعالى: « في هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، فمنها: فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم»(١)، ومن الأمور المعلومة المقررة، أن من حالات الاحتساب أن يكون الاحتساب بالتعليم، وخاصة لمن يرتكب المنكر أو يقع فيه جاهلاً، وإن جهالة المحتسب فيما يأمر به، أو ينهى عنه، قد توقعه في الخطأ.

٣- تبين من قصة موسى عليه السلام صفة القوة والأمانة كما في قوله تعالى ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾(٢)، وهي من أهم صفات المحتسب.

٤- يستفاد من قصص موسى عليه السلام تعيُن الفرضية العينية على من تفرد بالعلم بموجب الحسبة، كما فعل عليه السلام مع القبطي والسقي للرعاء، وانحصار القدرة فيه عليه السلام .

(١) تفسير السعدي (٤٨٢/١) وانظر: تفسير القرطبي (١١ / ١١).

(٢) سورة القصص الآية (٢٦).

٥- تبين من قصص موسى عليه السلام وجوب التغيير باليد لمن توفرت فيه شروط ذلك، كما في قول الله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾(١).

٦- تجلت في قصص موسى عليه السلام صفة المحتسب المثالي وهي: الشفقة والرحمة كما في قوله تعالى ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ (٢)، قال ابن كثير-يرحمه الله تعالى-في تفسيره: «فلما رآهما موسى عليه السلام، رق لهما ورحمهما، قال: ما خطبكما؟، أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟، قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وأبونا شيخ كبير، أي: فهذا الحال الملجيء لنا إلى ما ترى، فسقى لهما»(٣).

٧- يستفاد من قصص موسى عليه السلام ضرورة توقف المحتسب إذا ذُكر بالله أو تبين له سبب مقنع في ظهور ما ينكره، كما فعل موسى عليه السلام مع القبطي الثاني، ومع أخيه هارون عليه السلام .

٨- من أهم صفات المحتسب التثبت وعدم الأخذ بالظنون وقد ظهرت تلك الصفة في قصص موسى عليه السلام يبين ذلك كثرة استفهاماته عليه السلام قبل أن يباشر الاحتساب من أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾(٤)، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾(٥).

---

(١) سورة طه الآية (٩٧).

(٢) سورة القصص الآية (٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير، ٦/٢٢٦.

(٤) سورة طه الآية (٩٥).

(٥) سورة الكهف الآية (٧٤).

٩-يستفاد من قصص موسى عليه السلام أهمية التعلم بالتطبيق العملي في حياة المحتسب قبل أن يمارس العمل في الميدان، حيث طلب موسى عليه السلام من الخضر أن يعلمه، فعلمه بالتطبيق العملي دون شرح نظري، كما ورد في قوله تعالى:﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾(١).

١٠-أهمية اعتبار مالآت الأمور في مجال الاحتساب إذا علم المحتسب ذلك، أو غلب على ظنه حصول المآل المتوقع، ويتضح ذلك من خرق الخضر عليه السلام للسفينة وقتله الغلام وإقامة الجدار لما يعلم من المآلات المناسبة لذلك.

١١-يستفاد من قصص موسى عليه السلام أن المحتسب يختلف عن القاضي بكون المحتسب ينبغي أن يبادر ولو لم يستعدى، أما القاضي فيلزم أن يستعدى إليه ولا يبادر، كما ظهر ذلك في سقيه عليه السلام للرعا، والإنكار على بني إسرائيل وإنكاره عليه السلام على الخضر، وافساد الخضر للسفينة دون طلب أصحابها، وقتله الغلام دون طلب والديه، وإقامة الجدار دون طلب اليتيمين.

١٢- يستفاد من قصص موسى عليه السلام أهمية الحوار وضرورة تفعيله في مجال الاحتساب وعدم أخذ المحتسب عليه دون تثبت وتعرف، ويتضح ذلك من كثرة حوارات موسى عليه السلام واستفهاماته، مع الخضر عليه السلام والرعاء والسامري وهارون عليه السلام وبني إسرائيل.

١٣-من ثمرات الاحتساب أنه يحقق الأمن الاجتماعي والفكري والسلوكي والأخلاقي والمعيشي ويظهر ذلك جلياً في احتساب موسى عليه السلام على السقي للرعاء حيث نتج بسببه أن أمن موسى عليه السلام من القوم الظالمين، ووجد المأوى والعمل الوظيفي والزوجة،

---

(١) سورة الكهف الآيات (٦٦-٧٠).

قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾(١).

والاحتساب يحمي من الانحراف الفكري بسبب الشبه، فقد قال قوم موسى عليه السلام له أجعل لنا إلاهاً كما لهم آلهة فمنعهم، وانطلت عليهم شبهة السامري بعبادة العجل، فأزاله موسى عليه السلام وبين لهم الحق في ذلك.

١٤-تجلت أهمية التحلي بصفة الصبر للمحتسب وضرورة تمالك الأعصاب وتحمل الغيرة على الدين التي قد تفقد المسلم صوابه أحياناً، ولا تدفعه شدة كره المنكر إلى الوقوع في منكر أكبر، وقد ظهرت تلك الأهمية في اشتراط الخضر على موسى عليه السلام الصبر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾(٢)، لكن حرص موسى عليه السلام وصلاحه وطهارة نفسه وحبه للخير وشفقته على الغير وكراهة المنكر سبب في مجانبته تحمل الموقف، وقد كان موسى عليه السلام يتحمل أقصى الأذى من قومه قال تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي

(١) سورة القصص الآيات (٢١-٢٨).

(٢) سورة الكهف الآيات (٦٦-٧٠).

رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(١)، ويصعب عليه عليه السلام تحمل رؤية المنكر يمارس، قال رسول الله ﷺ: «رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»(٢)، وقال ﷺ: « يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما»(٣).

١٥- ضرورة صبر المحتسب في مجال طلب العلم ولا يستغرب من العالم بعض التصرفات التي قد تخالف ما عنده من العلم حتى يعرف سبب ذلك؛ لأن العالم قد يفعل أو يقول مالا يراه المحتسب مناسباً لمصلحة يعرفها العالم، كما فعل الخضر مع الغلام وخرق السفينة وبناء الجدار.

---

(١) سورة الصف الآية (٥).

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، ح٣١٥٠، ٢٢/٨.

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي: الناس أعلم فيكل العلم إلى الله تعالى، ح١٢٢، ٤٢/١.

الخاتمـة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده على ما من به عليّ من نعم عظيمة لا تحصى ولا تعد، ووفقني وأعانني على إتمام هذا البحث العلمي المتواضع الذي أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً ليّ ولوالدي وجميع من علمني ولكل من أعانني على إتمامه يوم لا ينفع مال ولا بنون.

أما بعد:

فقد خلص هذا البحث إلى النتائج والتوصيات والمقترحات التالية:

أبرز النتائج:

١- تبين أن قصص موسى عليه السلام كثيرة، وكل قصة تختلف عن غيرها.

٢- أبرز البحث كبير اهتمام القرآن الكريم بقصص موسى عليه السلام.

٣- تجلت في هذا البحث كثير من الدروس الاحتسابية الواردة في قصص موسى عليه السلام التي تناولها البحث.

٤- أبرز البحث أن الاحتساب من مهام الرسل-عليهم السلام- ومن أصول الدين وأسسه المتينة التي لا يقوم إلا بها.

٥- تبين أن إتلاف موسى عليه السلام للعجل أثمر صلاح حال بني إسرائيل في الدين والدنيا حيث قضاء على الشرك بذلك.

٦- بين البحث أن ما وضعه العلماء من شروط للاحتساب وصفات المحتسب وضوابط المنكر قد تجلت في قصص موسى عليه السلام.

٧- تبين في البحث أهمية التطبيق العملي والتدريب الميداني في مجال الحسبة، كما فعل الخضر في تعليم موسى -عليهما السلام-.

٨-تجلى في البحث أن الاحتساب يحقق جميع أنواع الأمن- الفكري والسلوكي والمعيشي والأخلاقي وغيرها..

٩- تجلى في البحث أن بعض المصالح ظاهرها منكر، فعلى المحتسب أن يتثبت ويتحلى بصفة الحكمة.

١٠-تبين في البحث ضرورة وجود محتسبين في المجتمع؛ لأن ذلك أمان من الانحراف ومنع لظهور المنكرات.

أبرز التوصيات: يوصي الباحث:

١-بتناول قصص الأنبياء-عليهم السلام-بالبحث والدراسة في مجال الحسبة.

٢-بالتركيز على تعلم أساليب الرسل-عليهم السلام- في مجال الحسبة.

٣- بالحرص على استنباط الدروس الاحتسابية من قصص الرسل-عليهم السلام- في القرآن الكريم وإفادة الناس بها؛ ليتوارث الأجيال ثقافة التواصي بالحق.

٤-يوصى بضرورة تدريب المحتسب عملياً وملازمته لمتمرس في ميدان الحسبة.

أبرز المقترحات:

١- يقترح الباحث تناول جميع قصص موسى عليه السلام بالدراسة في جانب الحسبة.

٢- يقترح تخصيص دروس ومحاضرات وندوات ودورات تدريبية تتناول بيان الحسبة في قصص الأنبياء-عليهم السلام- عامة وفي قصص موسى عليه السلام خاصة؛ لأنها ثرية بما يعين على الاحتساب في جميع المواقف ولجميع المسلمين.

٣- يقترح إعداد دراسة علمية في موضوع احتساب الرسل-عليهم السلام-.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. أثر الأمر بالمعروف والنهي في حفظ الأمة، لعبد العزيز المسعود، دار الوطن، ط١، ١٤١٣هـ.

٢. الأحكام السلطانية، لعلي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، وسنة الطبع.

٣. إحياء علوم الدين، لمحمد الغزالي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، بدون رقم الطبعة،١٤١٩هـ.

٤. أساس البلاغة، لمحمود الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، ١٤٠٢هـ

٥. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤١٥هـ.

٦. البحث العلمي، د. عبد العزيز الربيعة، مكتبة الملك فهد، ط١، ١٤١٨هـ.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمد الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

٨. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

٩. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
١٣. جمهرة اللغة، لمحمد بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.
١٤. الحسبة-تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها-، فضل إلهي، باكستان، نشر إدارة ترجمان الإسلام، ط٧، ١٤٢٠هـ.
١٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.
١٦. شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، ليحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ،١٣٩٢هـ.
١٧. شروط المحتسب وآدابه حافظ عابد إلهي، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٦هـ.
١٨. صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغاء، كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٩. القاموس المحيط لمجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٦هـ.
٢٠. قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٢. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

٢٣. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، ١٤١٥هـ.

٢٤. المرأة المسلمة المعاصرة، لأحمد أبا بطين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٥. معالم القربة في أحكام الحسبة، لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق المطيعي، مصر، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٦م.

٢٦. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٢م.

٢٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، بدون ذكر سنة الطبع.

٢٨. نظام الحسبة في الإسلام، لعبد العزيز بن محمد بن مرشد، رسالة ماجستير من المعهد العالي للقضاء، في جامعة الإمام، ١٣٩٣هـ.

البحث رقم (٦)

معالجات التطرف في السنة النبوية

د. سعد بن عبيد الرفدي

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية

بكلية التربية – جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز.

الملخص:

التَّطرُّف آفة مستشرية في المجتمعات قديماً وحديثاً؛ لذا كان محل معالجات شريعة الله تعالى التي بَعَثَ بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وخاتمهم محمد ﷺ، وقد حذَّر نبينا محمد ﷺ من التطَّرف بأقواله وأفعاله -كما سيأتي معنا في هذا البحث إن شاء الله تعالى- ، وأرشد ﷺ إلى الطريق الصَّواب في الأقوال والأعمال حتَّى لا يقع الإنسان في التطَّرف والغلوِّ، ويكون ذلك سجيّة للمجتمعات والأفراد.

وبما أنَّ التَّطرُّف في زماننا المعاصر أضحى أكثر اتساعاً، وأصحابه أكثر جُرْأة -سواء المتشدّدون أو المتساهلون-؛ لذا تم العمل في هذا البحث على جمع طائفة من النصوص الحديثية الشريفة التي عالجت التطرف بنوعيه، وحصل التركيز على المعالجات من خلال مطالب أربعة: هي وأد الأفكار غير السليمة، والتنبيهات النبوية على دوافع التطرف والتحذير منها، والتحذير من تقليد الأمم الأخرى في الدِّين والأخلاق، والتوجيهات النبوية الشريفة الآخذة بالتيسير المنضبط.

وقد تمّت الدراسة على أساس الشرح الموضوعي للأحاديث الشريفة المنتقاة لهذه الموضوعات، مع تحليل مضامينها، وذكر مقاصدها في تشخيص الإشكالية ثم المعالجة قدر الإمكان، ثم ختمت الدراسة بطائفة من النتائج والتوصيات تم تضمينها في الخاتمة.

المقدمة

ولأن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هي الخاتمة، فإن تلك المعالجات -كما هو أيضاً حال الشريعة كلها- صالحة لكل الأوقات والأزمان، ابتداء من وقت البعثة إلى أن يأتي أمر الله، فالله سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤]، ومن خلقه ذلك الإنسان الذي يتجاذبه الخير والشر، والانضباط والتفلت. ولأن الاستقامة لا تتحقق إلا مع الخيرة والانضباط الشرعي والاستمساك بشريعة الله تعالى، ونبذ الهوى، والتحرز من نزغات الشيطان؛ لذا حفلت النصوص الشريعة بالتوجيهات الكريمة الموجِّه والآمرة والناهية والزاجرة والمرغبة، ليبقى الإنسان المسلم في حالة من التوازن والاعتدال بعون الله تعالى.

والبحث الذي أقصد إلى تحريره يتركز على نوع معين من حالات الإنسان وهو (التطرف) الذي أجد التعريفات تحصره في جانب الغلو والتشدد، مع أن اللغة العربية تعطيه مدلولاً أوسع من ذلك كما سيأتي في التعريف بعد قليل.

كما أن التناول المعاصر للتطرف يتجه في معظمه إلى الغلو والتشدد، وهذا في الواقع أحد الطرفين، أما الطرف الآخر فهو الإفراط والتساهل، وهو تطرف أيضاً، فيتحصل بذلك أن (التطرف) بالمنظور الشمولي له يعني الخروج عن الاستقامة وحد الاعتدال، وأخص الاعتدال الشرعي فيما يخص قضايا الدين ومسائله.

وهذا هو المفهوم الذي سأعتمده في إجراء الدراسة الموضوعية على طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة المعالجة لمظاهر التطرف والانحراف تشدداً أو تساهلاً، بعون الله تعالى.

الأهمية وأسباب الاختيار:

تكمن الأهمية وأسباب الاختيار في الآتي:

١- المرجعية الشرعية لنصوص السنة المشرفة، وبما أنها مبيّنة للقرآن الكريم وشارحة له، فإن معالجاتها صالحة لكل زمان ومكان.

٢- شمول المعالجات النبوية للجانبين: الوقائي والعلاجي، والتزامهما يعني السلامة من الإشكالات الحاضرة في عهد النبوة، ومما يأتي بعد ذلك .

٣- تناولت المعالجات النبوية إشكالات: عبادية، وسلوكية وفِكرية وعلمية، وهذا ملحظ شمولي آخر للمعالجات النبوية، وينبغي الاستفادة منه عند تصدي العلماء والمصلحين لمعالجة الإشكالات المستجدة.

٤- الرغبة الذاتية للباحث في إجراء دراسة موضوعية تحليلية للنصوص الحديثية ذات الصلة بمعالجات التطرف.

٥- الإسهام بإضافة عمل علميّ للمكتبة الإسلامية.

تساؤلات البحث:

التساؤل الرئيس للبحث هو: كيف كانت المعالجات النبوية للتطرف الفكري؟ ويتفرع عنه التساؤلات التالية:

(أ) ما المعالجات النبوية لوأد الأفكار غير السليمة؟

(ب) ما دوافع التطرف التي نبهت إليها السنة النبوية وحذرت منها؟

(ت) ما موقف السنة النبوية من تقليد الأمم الأخرى في الدّين والأخلاق؟

(ث) ما التوجيهات النبوية الآخرة بالتيسير المنضبط؟

الأهداف:

يمكن تحديد أهداف البحث في الأمور التالية:

١. بيان موقف السنة من الأفكار غير السليمة.

٢. كشف دوافع التطرف والتحذير منها وفق التنبهيات النبوية الشريفة.

٣. إيضاح موقف السنة المشرفة من تقليد الأمم الأخرى في الدِّين والأخلاق

٤. بيان التوجيهات النبوية الآمرة بالتيسير المنضبط.

حدود البحث:

المعالجة النبوية للتطرف واسعة، وتتطلب كَمًّا كبيراً من البحوث؛ لاستيعاب موضوعاتها على نحو مستفيض ومستوعِب، ومن طبيعة البحوث المحكّمة ألَّا تحتمل مثل هذه التوسعات، ولذا آثرت تحديد الموضوع في الآتي:

١. انتقاء طائفة من الأحاديث النبوي الشريفة ذات الصلة المباشرة بمعالجات التطرف، وحرصت على ألَّا تنزل درجة الأحاديث عن الحسن، فاذا نزلت بينت ذلك في الحكم على الحديث.

٢. الاقتصار على موضوعات أربعة، وهي: وأد الأفكار غير السليمة، ودوافع التطرف، وتقليد الأمم في الدِّين والأخلاق، والتيسير المنضبط؛ لشعوري بأنَّ هذه من أهم القضايا في المعالجات من جهة، ولأنَّ مادتها العلمية تشتمل على تحديد مصادر التعلم الشرعي وكيفيته، وتتطرق للوسطية كذلك.

٣. اعتماد طريقة الشرح الموضوعي للأحاديث المنتقاة في معالجات التطرف قدر الإمكان.

تعريف التطرف:

(التطرف) وجذره في اللغة يرجع إلى (طرف) يحمل معنى سرعة التحوّل، كحركة جفني العين السريعة، كما يتضمن معنى الانصراف عن الشيء[١]، ومن مدلولاته أيضاً المَلَل والرغبة في التغيير وعدم الاستمرار على حالة واحدة، يقال للرّجل (طِرْف) إذا كان

---

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي ٢٤/٧٠، ٧٥ مادة (طرف).

لا يثبُتُ على صُحْبة أحدٍ لِمَلَله[١]، ومن معانيه المهمّة أيضاً: الجانبان المتضادان، فالطَّرف جانب الشيء وحدُّه وحرفه[٢].

وعند النظر في التعريف الاصطلاحي فإن معظم من تكلم فيه من المعاصرين يتجه إلى الغلو والتشدد، ومن ذلك قول خالد العكّ: "فالمتطرف في الدِّين هو: المتجاوز حدوده، والجافي عن أحكامه وهديه. فكل مغالٍ في دينه متطرفٌ فيه، مجف لوسطيته ويُسْره"[٣]. وهذا في الواقع أحد الطرفين، أما الطرف الآخر فهو الإفراط والتساهل، وهو تطرف أيضاً، لأن المعنى الذي أراه دقيقاً للتطرف هو: مجاوزة حدّ الاعتدال[٤]، وعدم التوسّط الذي وسم الله تعالى به هذه الأمة في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣]، قال الطبري: "وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"[٥]. ومما أكّد لي شمول مفهوم (التطرف) للتشدد والتساهل كلمة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "التطرف: هو الأخذ

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي ٢٤/٧٢ (طرف).

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٤٤٧ مادة (طرف). والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٥١٧.

(٣) عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء الكتاب والسنة، للعك خالد عبد الرحمن، ص ١٥-١٦.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار وآخرين ٢/١٣٩٦ (تطرف).

(٥) تفسير الطبري ٢/٦٢٧.

بالرخص التي لا وجه لها ولا دليل عليها"(١)، ولاشك أن الأخذ بهذه الرخص إنما هو تطرّف نحو التفريط.

الدراسات السابقة:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المعالجات مبثوثة في المصادر الأصيلة لدى شراح الحديث النَّبوي، وقد تمَّ الاعتماد كثيراً على أقوالهم، بالإضافة إلى اجتهادات العلماء في المصادر العقدية القديمة منها والحديثة، وفيما يخص الدراسات المباشرة، فقد وقفت على رسالة علمية هي : "ظاهرة التطرف في المجتمع الباكستاني أسبابها وآثارها وعلاجها في ضوء السنة النبوية"، رسالة دكتوراه أعدها: حافظ نثار رانا(٢)، وركز الباحث فيها على مفهوم الغلوّ وحكمه، وتاريخه، ثم تتناول مظاهر الغلو في العصر الحديث وفي باكستان على وجه التحديد، ثم تحدَّث عن أسباب الغلو في العصر الحديث وآثاره، وبعد ذلك تناول علاج هذه الظاهرة من خلال عناصر ثلاثة: المسؤول عن العلاج، ووسائل العلاج، وواجب المصابين بهذه الظاهرة، والواضح أنَّ وجه الرسالة مع أنَّها جيدة، إلَّا أنَّها تختلف عن مراد الباحث الذي يريد أن يجعل المعالجات النَّبويَّة هي الأساس في التعامل مع التطرف.

منهج البحث وإجراءاته:

وفقاً للمادة الأوّلية للبحث ظهر لي أنَّ المنهج الاستقرائي يعين على تتبع المعالجات في الموضوعات الأربعة الآنفة، ولمّ أطرافها، وتوصيفها، ثم الانتقال إلى المنهج التحليلي لبيان مقاصدها، مع الاستعانة بالمنهج الاستدلالي في المواطن التي تستلزم ذلك.

أبرز الإجراءات في البحث:

(١) دروس الشيخ عبد العزيز بن بارز ١٣/١٧ (المكتبة الشاملة).

(٢) منشورة على الرابط: https://n٩.cl/u٨٤qz.

سلكت في كتابة البحث الإجراءات التالية:

١. عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها؛ بذكر: اسم السورة، ورقم الآية، وكتابتها وِفْقَ الرسم العثماني.

٢. توثيق الأدلة والنُّقول من مصادرها الأصلية.

٣. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما؛ اقتصرت عليهما بذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، وإن كان في غيرهما؛ خرَّجته من مظانه من كتب السنة.

٤. الحَكْم على الأحاديث صحةً وضعفًا، فإن كان أحد الأئمة نصَّ على درجة الحديث اكتفيت بحكمه، وإلَّا حكمت على درجته - حسب ما يظهر لي - مستدلًا بأقوال أهل العلم في ذلك.

٥. التعريف بالألفاظ الغريبة التي يرِد ذكرها في البحث.

٦. الإشارة إلى فقه الأحاديث، وشرح الحديث شرحًا موضوعيًا.

خطة البحث:

أولاً: المقدمة، وتشمل: الأهمية وسبب الاختيار، وتساؤلات البحث، وأهدافه، وحدوده، وتعريف التطرف، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وتقسيمات البحث.

ثانياً: المطلب الأول: وأد الأفكار غير السليمة .

ثالثاً: المطلب الثاني: التنبيه النبوي إلى دوافع التطرف والتحذير منها.

رابعاً: المطلب الثالث: التحذير من تقليد الأمم في الدين والأخلاق.

خامساً: المطلب الرابع: توجيه الأمة إلى التيسير المنضبط شرعاً.

خامساً: الخاتمة.

المطلب الأول

وأد الأفكار غير السليمة

تقدم أنَّ التطرف فعل فِكْر، يتبعه فعل جوارح، وتطبيقات تبدأ صغيرة ثم لا تزال تتعاظم حتى يتسع الخرق على الرَّاقع، والإسلام في أوّل أمره كان بحاجة إلى وجود دعوته أولاً، ثم وجود أتباعه وبقائهم؛ لأنَّهم العناصر التي ستحمل هذه الشريعة وتبلغها، وأي تصرف غير مدروس ستنتج عنه إشكالات كبيرة.

وهو أمر فطن له النَّبيُّ ﷺ، فعمل على استبعاد ما يؤدّي إليه منذ بدْء الدَّعوة، ولعلَّ أوّل شيء عالجه النَّبيُّ ﷺ: نزع فكرة الاستعجال من أذهان الصحابة رضي الله عنهم، فهم مؤمنون حقّاً، ومتمسكون حقّاً، لكن يرد على الذِّهن أن يصل صاحب الحقِّ إلى النتيجة على الفور أو في وقت قريب للغاية، وهذا خلاف السّنة الكونية، وبخاصة في مجال الأفكار وإعداد المجتمع المسلم.

وقد طرأت فكرة الاستعجال هذه لنفرٍ من صحابة النَّبيِّ ﷺ في مكة –وإن لم يصرحّوا بها–، قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرَّجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن

دينه، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنَّكم تستعجلون»(١).

وينبغي أمام هذه الأحاديث الشَّريفة أن يتأمل فيها المرء ويتدبر، فالدعاء مُخُّ العبادة، وهو من أشرف الأمور التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه عزّ وجل، والصَّحابة الكرام في مكة المكرمة كانوا في حالة ضعف، يتسلط عليهم كفارها بالتعذيب والتضييق والمقاطعة وغير ذلك من صنوف المحاربة، ومنهم من استشهد تحت التعذيب أمثال سمية رضي الله عنها(٢)، ولكن الرَّسول ﷺ لفت أنظارهم إلى الصَّبر والتَّسلّي بما كان يحدث للمؤمنين في الأمم قبلهم، ثم بشرهم بانتشار الإسلام، وختم الحديث بجملة «ولكنكم تستعجلون»، وهنا موطن المعالجة التي نحن بصددها.

فالدعوة تتطلب إعداداً قوياً ومتيناً، مع أخذ كافة أسباب التحرز والبعد عن مواطن الإشكالات قدر الإمكان، وهذا ما يفسر المرحلة السِّرية في الدَّعوة التي امتدت ثلاث سنواتٍ(٣) على الأشهر، وليس ثَـمَّة وسيلة للإعداد المتين كالصَّبر؛ لأنَّ المرحلة التَّالية بعد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/٢٠١) رقم (٣٦١٢).

(٢) سمية أم عمار بن ياسر، عذّبها آل بني المغيرة على الإسلام، وهي تأبى غيره حتى قتلوها، وكان رسول اللّه ﷺ يمرّ بعمار وأمه وأبيه وهم يعذّبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: «صبرا يا آل ياسر، موعدكم الجنّة»، وهي أول شهيدة في الإسلام، وجاءها أبو جهل بحربة في قبلها فقتلها، وماتت قبل الهجرة رضي الله عنها. ينظر: الاستيعاب (٤/١٨٦٤)، والإصابة في معرفة الصحابة (٨/١٩٠).

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٧/١.

الظهور والانتشار تتطلب صبراً لا يقل عن هذا، فهنالك كثرة الأعداء، وأعباء نشر الدعوة، وفتن المال وزخرف الدنيا، فلولا الصبر الأول، لما حصل الصبر الثاني.

وفي هذا المشهد لو أنَّ المسلمين اعتادوا إن حصل لهم إشكال دعا لهم رسول الله ﷺ، ولم يتعوّدوا على الصبر وتحمّل المشاق، لما أمكنهم تحمل أمانة الرسالة وتبليغها.

إذاً فالحكمة من قول النَّبيِّ ﷺ: «ولكنكم تستعجلون» تشير – والله أعلم – إلى رغبةٍ لدى الصَّحابة رضي الله عنهم في حصول النَّصر السَّريع والتَّمكين السريع بجهد يسير دون عناء، ولكن السُّنة الكونية قائمة على أنَّ استعجال النتائج أساس الإشكال، وما جاء عاجلاً فُقِد سريعاً، والعرب تُكَني العجلة "أم الندامات"(١)، فهي تفقد الإنسان الكثير من ضرورات الإعداد والتهيئة، ومن كان حاله كذلك سَهُل عليه التنازل عن مكتسباته عند أول امتحان، وأحوال العرب المرتدين عقب وفاة النَّبيِّ ﷺ مباشرة خير شاهد.

فالنَّبيُّ ﷺ لم يترك الدُّعاء، بل نهى عن الاستعجال في الإجابة، قال الإمام ابن بطَّال: "وفيه من الفقه: أنَّ النبي ﷺ لم يترك الدعاء في ذلك على أنَّ الله أمرهم بالدعاء أمراً عامّاً بقوله:﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وبقوله: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[الأنعام: ٤٣] إلَّا أنَّه ﷺ علم من الله أنَّه قد سبق من قدره وعلمه أنَّه يجرى عليهم ما جرى من البلوى والمحن؛ ليؤجروا عليها على ما جرت عادته في سائر أتباع الأنبياء من الصَّبر على الشدة في ذات الله، ثم يعقبهم بالنصر، والتأييد، والظفر، وجزيل الأجر، وأمَّا غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلة تنزل بهم؛ لأنَّهم لا يعلمون الغيب فيها، والدعاء من أفضل العبادة"(٢).

---

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (٢٣/٥).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢٩٧/٨).

وقال الإمام العيني: "هذا لا يدل على أنَّه دعا لهم بل هذا يدل على أنَّهم لا يستعجلون في إجابة الدعاء في الدنيا، على أنَّ الظاهر منه ترك الاستعجال في هذا الوقت ولو كان يجاب لهم فيما بعد"(١).

وفيه أيضًا: علامة من علامات النُّبوّة، لأنَّه ﷺ أخبرهم بما سيكون في المستقبل، قال الإمام ابن بطَّال: "وفيه: علامات النُّبوة، وذلك خروج ما قال ﷺ من تمام الدِّين، وانتشار الأمر، وإنجاز الله ما وعد نبيه ﷺ من ذلك"(٢).

وهذه الفكرة -أعني فكرة استعجال النَّتائج- نوع من البُعد عن الاعتدال، فهي مخالفة لمنهج النبوة، ومخالفة للسنة الكونية، وهي ارتباط الأسباب بالمسببات في هذه الدنيا، فكان من تربية النَّبيِّ ﷺ لصحابته رضي الله عنهم ولأمته أيضاً: عدم استعجال النتائج، والعمل وفق نظام الأسباب والمسببات، مع الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه، والثبات على القيم والمبادئ.

ولعلَّ قول الله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام: ٦٧] يتضمَّن نوعاً من هذا التوجيه، فمن دلالاته: "أنَّ لكلِّ خَبَرٍ أَخْبَرَ الله تعالى به من وعد أو وعيد مستقراً في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره في الدنيا وفي الآخرة"(٣)، فلا مكان لاستعجال الأمر أو استبطائه، فكلُّ وعدٍ آتٍ في أوانه.

ويدخل في هذا الباب قضية الاستعجال في القرارات دون دراستها، وهو أمر رفضه النَّبيُّ ﷺ يوم العقبة، جاء في الخبر: أنَّ العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري رضي الله عنه قال: "يا

---

(١) عمدة القاري (١٠٠/٢٤).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢٩٧/٨).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١٢٩/٢).

رسول الله، والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ غداً على أهل منى بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّا لم نُؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»(١).

واقتراح الصحابي الجليل العباس بن عبادة رضي الله عنه واضحُ الاستعجالُ فيه، وربما كان دافعه ما ورد في القصة من نداء الشيطان (أَزَبُّ العَقَبةِ)(٢) ينذر قريشاً بأنَّ النَّبيَّ ﷺ اجتمع مع هؤلاء النَّفر على حربهم، ولأنَّه اقتراح في غير محله، بل هو خطر للغاية، لذلك لم يقبل به النَّبيُّ ﷺ، وعالجه بطريقتين: الأولى: أنَّه نبَّههم إلى ضرورة الالتزام بالتوجيهات الشرعية في مثل هذه الأمور البالغة الخطورة وتركها لمرجعيتها، فقال ﷺ: «إنا لم نؤمر بذلك». والثانية: تقديم الحل المنطقي السريع، وهو «ارجعوا إلى رحالكم»، وفي هذا جانب تعليمي سأعرِّج عليه في مطلبٍ قادم بإذن الله تعالى.

---

(١) القصة رواها: ابن سعد في طبقاته (١/١٩٠) ولفظه: "فانفضوا إلى رحالكم"، وإسنادها ضعيف جداً، فيه الواقدي، قال الحافظ في التقريب (ص٤٩٨): "متروك مع سعة علمه".

وأخرجها الطبري في تاريخه (٢/٣٦٤) بإسنادين أحدهما ضعيف والآخر حسن، واللفظ له.

وأخرجها الإمام أحمد في المسند (٢٥/٨٩) رقم (١٥٧٩٨)، وابن حِبَّان كما في الإحسان (١٥/٤٧١) رقم (٧٠١١)، والطبراني في الكبير (١٩/٤٦) رقم (٩١) كلهم من طريق محمد ابن إسحاق، قال: حدثني معبد بن كعب بن مالك، عن أخيه عبد الله، عن أبيه وغيره بمعناها. هذا الإسناد حسن، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٤٥): "رواه أحمد، والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع".

(٢) أَزَبُّ العَقَبةِ: هذا اسم شيطان وهو الحَيَّةُ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٤٣).

ولا يفوتني التنبيه إلى أنَّ استعجال أغلب الرُّماة رضي الله عنهم للغنيمة وعدم الالتزام بالأمر النَّبوي يوم أحد[١] نتج عنه انقلاب الحال من نصرٍ ظاهر، إلى خسارةٍ وجراح، ويلحظ هنا أنَّ ظرف المسلمين يوم أحد كان أفضل حالاً من ظرفهم يوم العقبة الثانية، فعلى سبيل الافتراض؛ لو أنَّ أولئك النَّفر سلُّوا سيوفهم وقاتلوا أهل مِنًى لما بقي منهم أحد، ولفقد رسول الله ﷺ، وفقدت الدعوة أيضاً.

خلاصة الأمر: أنَّ استعجال النَّتائج قبل تحصيل الأسباب والعدّة الكافية خروج عن حدِّ الاعتدال، وكذلك اتخاذ القرارات المتعجِّلة دون تفكير عميق ودراسة جيدة أيضاً خروج عن حدّ الاعتدال، ولو أنَّ الإنسان انتهج هذه الطريقة لأدّى به ذلك إلى التطرف حتماً، إمَّا التساهل أو التشدد، وهذا ما يدفعني للقول: إنَّ المعالجة النَّبوية لهذين الأمرين على هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٦٥/٤) رقم (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: "جعل النَّبيُّ ﷺ على الرَّجَّالَةِ يوم أحد -وكانوا خمسين رجلاً- عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزموهم»، قال: فأنا والله رأيت النِّساء يشتددن، قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهنّ، رافعات ثيابهنّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟! قالوا: والله لنأتينَّ النَّاس فلنصيبنّ من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين". وينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حِبَّان (٢٢١/١).

النحو الذي ورد في الحديث والخبر نبهت الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى التزام الاعتدال، وهو ما التزموه وساروا عليه فيما بعد(١).

ولما انتقل رسول الله ﷺ والمهاجرون إلى المدينة المنورة، وأصبح لهم بها داراً مع الأنصار، وأَمِنوا بعد خوف، وصار أمر العبادة موضع تنافس بين المسلمين، وهنا بدت إشكالية أخرى خارجة عن حدّ الاعتدال، ويبدو أنّها تكررت في أكثر من شخص وأكثر من حادثة ووصلت إلى حدّ التطبيق، أذكر رواياتها أولاً، ثم أعرج على المعالجة:

الحديث الأول: عن أنس بن مالك ﷺ قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النَّبيِّ ﷺ، يسألون عن عِبادة النَّبيِّ ﷺ، فلما أُخْبِرُوا كأنَّهم تَقَالُّوهَا(٢)، فقالوا: وأين نحن من النَّبيِّ ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أمَّا أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أَمَا والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٣).

---

(١) فائدة: جاء في تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣١/١٦): "قيل: العجلة من الشيطان، إلا في ستة مواضع: أداء الصلاة إذا دخل الوقت، ودفن الميت إذا حضر، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، وإطعام الضيف إذا نزل، وتعجيل التوبة إذا أذنب".

(٢) تَقَالُّوهَا: أَيِ اسْتَقَلُّوها، وَهُوَ تَفاعُلٌ مِنَ القِلَّة. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٠٤/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧) رقم (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (١٠٢٠/٢) رقم (١٤٠١).

الحديث الثاني: عن مجاهد بن جبر قال: "دخلت أنا ويحي بن جعدة على رجل من الأنصار من أصحاب الرَّسول ﷺ، قال: ذكروا عند رسول الله ﷺ مولاةً لبني عبد المطلب، فقال: إنَّها تقوم الليل وتصوم النهار، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لكنّي أنا أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، فمن اقتدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني، إنَّ لكلِّ عمل شِرَّةً[١] ثم فَترَةً[٢]، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضَلَّ، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى»[٣].

---

(١) الشِّرَّة: النشاط والرغبة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٥٨).

(٢) الفترة: أي وَهْنًا وَضَعْفًا. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (٨/ ٣٣٣٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٨/٤٥٧) رقم (٢٣٤٧٤) واللفظ له، عن يحي بن سعيد عن جرير عن منصور عن مجاهد به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٩٣): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح".

وجاء اللفظ المرفوع من الحديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، فأخرجه الإمام أحمد (١١/٥٤٧) رقم (٦٩٥٨)، والحارث ابن أبي أسامة في مسنده (١/٣٤٢) رقم (٢٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧) رقم (٥١)، والبزار في مسنده (٦/٣٣٧) رقم (٢٣٤٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/٢٦٦) رقم (١٢٣٦)، وابن حِبان في صحيحه (١/١٨٧) رقم (١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي (٤/٢٤٣) رقم (٢٤٥٣)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/٤٣٤) رقم (٦٥٥٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/٢٦٩) رقم (١٢٤٢)، وابن حِبان في صحيحه (٢/٦٢) رقم (٣٤٩)، وتمام في فوائده (٢/٢٩) رقم (١٠٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي عقب الحديث: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/٣٤٧) رقم (٧٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٣١٨) رقم (١٠٧٧٦) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

الحديث الثالث: عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ ﵁ قال: "زَوَّجَنِي أبي امرأة من قريش، فلمَّا دخلت عليّ جعلت لا أنحاش لها[١]، مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كَنَّتِهِ[٢] حتَّى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرِّجال أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفاً[٣]، ولم يعرف لنا فراشاً، فأقبل عليّ فَعَذَمَنِي[٤] وعضّني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتَها[٥] وفعلتَ وفعلتَ، ثم انطلق إلى النَّبيِّ ﷺ فشكاني، فأرسل إليّ النَّبيُّ ﷺ

وأخرجه أيضًا في الكبير (٢٨٤/٢) رقم (٢١٨٦) ومن طريقه أبو نُعيم في معرفة الصحابة (٦١٨/٢) رقم (١٦٧٤) من حديث جعدة بن هُبيرة ﵁.

وأخرجه الطبراني أيضًا في الكبير (٢٢٢/٨) رقم (٧٨٨٣) من حديث أبي أمامة ﵁. فالحديث صحيح، صححه الترمذي والهيثمي كما سبق.

(١) لا أنحاش لها: أي لا أكترث بأمرها. الدلائل في غريب الحديث (١١٠٨/٣).

(٢) الكَنَّةُ، امرأة الابن وامرأة الأخ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٦/٤).

(٣) الكنف: هو الوعاء، ومعناه: أنَّه لم يدخل يده معها، كما يدخل الرجل يده مع زوجته في دواخل أمرها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٤/٤).

(٤) العذم: أي الأخذ باللِّسان، وأصل العذم: العضُّ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٠/٣).

(٥) العضل: المنع، أراد أنَّك لم تعاملها معاملة الأزواج لنسائهم، ولم تتركها تتصرف في نفسها، فكأنك قد منعتها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٥٤/٣).

فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار؟» قلت: نعم، قال: «وتقوم الليل؟» قلت: نعم، قال: «لكنّي أصوم وأُفْطِرُ، وأصلي وأنام، وَأَمَسُّ النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني»[١].

الحديث الرابع: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "دخلت امرأة عثمان بن مظعون، -واسمها خولة بنت حكيم- على عائشة وهي بَذَّةُ الهيئة[٢]، فسألتها عائشة: ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم اللَّيل، ويصوم النهار، فدخل النَّبيُّ ﷺ، فذكرت عائشة ذلك له، فلقي النَّبيُّ ﷺ عثمان بن مظعون، فقال: «يا عثمان، إنَّ الرَّهبانية[٣] لم تكتب علينا، أَمَا لك فِيَّ أسوة حسنة؟! فوالله إنِّي لأخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده»[٤].

(١) أخرجه أحمد في المسند (٨/١١) رقم (٦٤٧٧) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (١٩٦/٦) رقم (٥٠٥٢) من طريق المغيرة بن مقسم الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) بَذَّةُ الهيئة: أي هيئة سيئة رديئة، رثَّة اللبسة. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١١٠/١)، ولسان العرب (٤٧٧/٣).

(٣) الرَّهبانية: هي من رهبنة النصارى. وأصلها من الرهبة: الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٨٠/٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٠/٧) رقم (١٢٥٩١)، ومن طريقه أحمد في المسند (٧٠/٤٣) رقم (٢٥٨٩٣)، وابن حبان في الصحيح (١٨٥/١) رقم (٩) واللفظ له، والطبراني في الكبير (٣٨/٩) رقم (٨٣١٩) عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها به. وهذا الإسناد صحيح، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٧/٤): "إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين".

الحديث الخامس: عن أبي جحيفة ﷺ قال: "آخى النَّبيُّ ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً[١]، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإنِّي صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلمَّا كان اللَّيل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمْ، فلما كان من آخر اللَّيل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النَّبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال النَّبيُّ ﷺ: «صدق سلمان»[٢].

وبتحليل هذه الأحاديث الشريفة نجد أمامنا طائفة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم نظرت إلى الجانب العبادي بنوع من المبالغة.

وقد أشارت الأحاديث السابقة إلى عدم الغلوّ في العِبادة، والاقتصاد فيها، وأنَّ ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ هو التوسط في الأمور كلها، ففي قوله ﷺ: «إنَّ لكل شيءٍ شِرَّة» معناه: إنَّ لكلِّ شيءٍ من الأعمال الظاهرة والأخلاق الباطنة طرفين: إفراطًا وتفريطًا، فالمحمود القصد بينهما[٣].

---

(١) مُتَبَذِّلَةً: التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/١١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (٣/٣٨)، رقم (١٩٦٨).

(٣) شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن الطيبي (١١/ ٣٣٧٤).

كما أوضحت الأحاديث بجلاء أنَّه ليس المراد ترك الأفضل والأكمل في العِبادة، بل المقصود الاعتدال، حتى لا يُؤدِّي التشدد والتعمّق إلى ترك الأفضل، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن المنير أنَّه قال: "ليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنَّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة"(١).

ويتجلّى المنهج النبوي الشريف في قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ومؤدّاه الاعتدال والتوسط، فلا إفراط ولا تفريط، قال الإمام النووي: "وفيه دليل على الحثِّ على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًّا بالصلاة؛ بل هو عامٌّ في جميع أعمال البر"(٢).

والذي تدل عليه النُّصوص الآنفة هو أنَّ المعالجة النَّبويَّة حصلت لهم سواء لأولئك النفر الثلاثة الذين يُشْعِرُ الحديث أنَّهم همُّوا بالتشديد على أنفسهم ولم يفعلوا؛ لأنَّ الخبر وصل إلى النَّبيِّ ﷺ في الوقت ذاته، أو للَّذين شَدَّدوا على أنفسهم بالفعل، ومنهم: عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو الدرداء رضي الله عنهم، فكانت المعالجة النبوية وفق الآتي:

- المبادرة إلى وأد الفكرة كما هو ظاهر في حديث النفر الثلاثة، وكان ذلك على نحو مباشر للنفر الثلاثة، كما سبق في الأحاديث السابقة.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٩٤/١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٠/٦-٧١).

- المسارعة إلى منع استمرارية الخطأ، فالنَّبيُّ ﷺ بادر إلى مخاطبة النَّفر الذين شرعوا في تطبيق فكرتهم المتشددة، ذات الصبغة الرهبانية، ولم يقبل استمرارها مطلقاً، بل حذَّر من مغبة المداومة عليها، فنبَّه إلى أنَّ من كُتِبت عليهم الرهبانية لم يستطيعوا القيام بها، وكذلك غيرهم سيقعون في الإشكالية نفسها، ثم إنَّ الخروج عن جادّة الاستقامة سيوصل قطعاً إلى التطرف تشدداً أو تساهلاً، وكِلا الأمرين ذميم.
- تقديم القدوة من نفسه ﷺ، سواء بذكر أعماله ﷺ الدالة على الوسطية وعدم التشدد والمغالاة، أو بالتصريح بذكر القدوة كما في حديث عثمان بن مظعون رضي الله عنه.
- لفت أنظار الصحابة رضي الله عنهم إلى ضرورة التعلم ومعرفة الحكم الشرعي في مثل هذه الأمور الدينية، فهذه الأمور لا تقبل الرأي المجرد، بل لابد فيها من المستند الشرعي، وإلَّا خرجت إلى حدِّ الغلوّ والتشدد، ومن مظاهرها الرهبانية التي صرح النَّبيُّ ﷺ برفضها كما في حديث عثمان بن مظعون، وفي عموم قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣] توجيه كريم للصحابة وللأمة من بعدهم على ضرورة الرجوع إلى أهل العلم قبل الشروع في مثل هذه الأعمال التي لا مساغ فيها للرأي المجرّد.
- تأكيد النَّبيِّ ﷺ على وسطية الإسلام، وَبَدَا ذلك في إخباره عن نفسه: «لكنِّي أصوم وأُفْطِر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، وكذلك في تصديقه لسلمان الفارسي رضي الله عنه الذي قال: "إنَّ لربِّك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعطِ كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه".

- توجيه النَّبيِّ ﷺ هؤلاء الصحابة الكرام والأمة من بعدهم إلى ضبط نوازع النَّفس، وحملها على الحق، مع التحذير البيّن جداً من مجاراتها، وذلك جليّ في قوله ﷺ: «إنَّ لكلِّ عمل شِرَّةً ثم فَترَةً، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضَلَّ، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى».
- تعليم النَّبيِّ ﷺ أمَّته أنَّ الإنسان في الدِّين بين أمرين لا ثالث لهما: إمّا السنة والاهتداء، أو البدعة والضلالة، ونحن نجد مصداق ذلك في حال المسلمين، فالخوارج مالوا إلى البدعة فضلوا(١)، والمعتزلة أيضاً ابتدعوا في العقيدة فضلّوا(٢)، والرافضة أكثروا من الابتداع حتى خرج كثير منهم عن دين الله تعالى أو صاروا قاب قوسين أو أدنى منه(٣)، وهكذا الأمر دواليك مع عامة الفرق القديمة والحديثة التي خرجت عن السنة إلى البدعة.

هذا ما يتعلق بالمعالجة، ولكن بشأن تحليل التوجه المتشدد لدى هؤلاء الصحابة الكرام يمكن أن يقال:

- إنَّ النفر الثلاثة لم يَتَنَبَّهوا إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ في كلِّ أحواله الدّينية مشرِّعٌ، ومن ثم فالنظر إلى عبادته على نحوٍ منفرد، وإلى خصوصية النَّبيِّ ﷺ في أنَّ الله غفر له ما

---

(١) ينظر: الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، للصلابي، ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) ينظر: كتاب (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار) للعمراني، نشر مؤسسة أضواء السلف بالرياض.

(٣) ينظر: السنّة للخلال ٣/٤٩٣ ونقل في هذا الموضوع تكفير الإمام أحمد لشاتم أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهما. ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٤٧٤، ٥٠٠.

تقدّم من ذنبه وما تأخر بمعزل عن حالة التشريع؛ نظرة غير سليمة، وهي منشأ الإشكال.

- حينما يخطو الإنسان الخطوة الأولى نحو التشدد فإنَّه لن يتوقف عندها، بل سينطلق منها إلى الثانية، وهي إشكالية كذلك، وهذا ما صرّح به سعد بن أبي وقاص ﵁، قال: «رَدَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التَّبَتُّلَ(١)، ولو أذن له لاختصينا»(٢). ولا يخفى أنَّ الاختصاء محرّم في الإسلام، ولكن ربما لم يكن هذا الحُكْم معلوماً في ذلك الوقت، إلَّا أنَّ الذي يهمنا هو أنَّه خطر على الأذهان في وقت مبكر، وهي خطوة أشد من سابقاتها.

ولا يخفى أنَّ التربية النبوية الشريفة، مع الاستعداد التام لدى الصحابة للانقياد والاتباع، وَأَدَتْ تلك الأفكار والتصرفات في مهدها، واختفت فكرتها طوال وقت النبوّة من مجتمع الصحابة، ولكنَّها ظهرت في آخر عهد النبوة لدى شخص أسلم ولم يكن له حظ من التربية النبوية، هذا الشخص ظهر عليه التعالم، حتى إنَّه تطاول على مقام النبوة، جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﵁: "بعث علي بن أبي طالب ﵁ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بِذُهَيْبَةٍ(٣) فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ(٤)، لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل،

---

(١) التَّبَتُّل: الانقطاع عن النساء وترك النكاح. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٩٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء (٧/٤) رقم (٥٠٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (٢/١٠٢٠) رقم (١٤٠٢).

(٣) ذُهَيْبَةٍ: هي تصغير ذهب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٧٣).

(٤) أديم مقروظ: أي مدبوغ بالقرظ وهو ورق السلم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤٣).

فقال رجل من أصحابه: كنَّا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «أَلَا تَأْمَنُونِي وأنا أمين مَن في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»، قال فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كَثُّ اللحية، محلوق الرأس، مُشَمَّرُ الإزار، فقال: يا رسول الله، اتقِ الله، قال: «ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»، قال: ثم وَلَّى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعلَّه أن يكون يصلي»، فقال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «إنِّي لم أومر أن أَنْقُبَ قلوب النَّاس ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ، فقال: «إنَّه يخرج من ضِئْضِئِ(١) هذا قوم يتلون كتاب الله رَطْبًا(٢)، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّمية»، وأظنُّه قال: «لئن أدركتهم لأَقْتَلَنَّهم قتل ثمود»(٣).

وفي الحديث بيان جواز قتال الخوارج؛ لأنَّهم غَلَوا وتشدّدوا، وهذا الغلوُّ والتّشدد يؤدي إلى مفاسد كبيرة، مثل شقِّ عصا المسلمين، وسفك دماءهم، والفساد في الأرض، قال الإمام ابن بطَّال: " قال المهلب وغيره: أجمع العلماء أنَّ الخوارج إذا خرجوا على الإمام العدل وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف؛ أنَّ قتالهم واجب، وأنَّ دماءهم هدر، وأنَّه لا يتبع منهزمهم ولا يجهز على جريحهم. قال مالك: إن خيف منهم عودة أجهز على جريحهم وأتبع مدبرهم، وإنما يقاتلون من أجل خروجهم على الجماعة"(٤). والخوارج إنَّما

---

(١) ضِئْضِئِ: أي أصلِه ونسلِه وعقبه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٦٩).

(٢) رطباً: أي ليناً لا شدة في صوت قارئه. النهاية في غريب الحديث (٢/٢٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء (٤/١٣٧) رقم (٣٣٤٤)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/٧٤١) رقم (١٠٦٤).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/٥٨٤).

صاروا إلى ما صاروا إليه بالغلوّ في فهمهم لنصوص الكتاب والسنة، فجاءت المعالجة النَّبويَّة بقتالهم وكفِّ شرِّهم حتى لا يؤدي هذا الغلو إلى مفاسد أكبر.

ولعلَّ سؤالاً يرد هنا: لماذا لم يستوقفه النَّبيُّ ﷺ ويحاوره كما هو شأنه في كثير من المواضيع، فلعلَّ الإجابة عنه –والله أعلم– وفق الآتي:

- استغلَّ هذا الرجل المقولة التي أعقبت تقسيم الذُّهْيبَةِ، فأفصح عما في صدره بعد سماعه لبيان النَّبيِّ ﷺ، فدلَّ ذلك على أنَّه مُتعنِّتٌ ومتعالم، وليس مستعداً للتراجع عن رأيه.
- النقاش مع هذا الرجل ربما كان سيتفرع عنه حوارات أخرى لا تحمد عقباها، ولذا –والله أعلم– أغلظ له النَّبيُّ ﷺ الجواب، وقطع مادة الكلام في هذا الأمر.
- يدلُّ الحديث على أنَّ الرَّجل أراد فقط أن يسجل موقفاً ويظهر أفضليته على الآخرين بهذه المقولة، ولم يتأثر بردّ النَّبيِّ ﷺ بل سارع بالمغادرة في مظهر يشعر بسوء أدبه مع النَّبيِّ ﷺ، أي: أنَّه أساء قولاً وفعلاً، وهذا ما دفع خالد بن الوليد رضي الله عنه للاستئذان في قتله، والله أعلم.
- يظهر من الحديث تعليم النَّبيِّ ﷺ لأمته ألَّا يهدروا الوقت مع هذه الفئة من النَّاس، إذ لا نتيجة ترجى منهم، بل وجّه ﷺ إلى الحسم الشديد إن هم أظهروا الخروج وشق عصا الطاعة، وعدم الرأفة بهم.

وقد دلت الأحداث التي وقعت أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعد ذلك أنَّهم عامل هدم وافتراق للأمة، وأشعلوا فتناً عظيمة، تضمنتها كتب التاريخ، وما تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في وقتنا الحاضر إلا امتداد للفكر الخارجي، على زيادة سوء فيه.

ولكن تجدر الملاحظة أنَّ هذه الدعوات الخارجية تجمع أصحاب الفكر مع المخدوعين، وقد دلت محاورة عبدالله بن عباس رضي الله عنه لأهل حروراء على أنَّ أصحاب الفكر

لا يتراجعون، بينما المخدوعون تراجعوا وقبلوا الحقَّ[1]، ولا شك عندي أنَّ النَّبيَّ ﷺ تعامل مع صاحب الفِكر بهذه الطريقة، ولو كان مخدوعاً أو متأثراً ظاهرياً بفِكرةٍ لكان الأمر مختلفاً والله أعلم، فمثل هذا النوع يرجى صلاحه.

(١) قصة محاورة ابن عباس رضي الله عنه للحرورية أخرجها الإمام أحمد (٢٤/٥) رقم (٢٨١١) مختصرة، والنَّسائي في الكبرى (٤٨٠/٧) رقم (٨٥٢٢)، والطبراني في الكبير (٢٥٧/١٠) رقم (١٠٥٩٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤١/٦): "رواه الطبراني، وأحمد ببعضه، ورجالهما رجال الصحيح". وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣/٣).

المطلب الثاني

التَّنبيه النَّبويُّ إلى دوافع التَّطرُّفِ والتحذير منها

تضمَّن المطلب الأول إشارات إلى بعض دوافع التطرف وهي التَّعالم وحب الظهور، وهي مستنبطة من دلالات الأحاديث الشريفة، ولكن بين أيدينا أحاديث شريفة تَنُصُّ صراحة على بعض تلك الدوافع، وأذكر منها على سبيل المثال أربعة أحاديث:

الحديث الأول: حديث أبي جحيفة عبدة السوائي ﵁ قال: "لغط قومٌ قرب النَّبيِّ ﷺ، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله، لو بعثت إلى هؤلاء بعض من ينهاهم عن هذا، فقال: «لو بعثت إليهم فنهيتهم أن لا يأتوا الحجون لأتاه بعضهم وإن لم يكن له به حاجة»[(١)].

والمتأمل في هذا الحديث يلحظ أمرين يسببان التطرف عند الإنسان:

الأول: التحاور الذي لا يوصل إلى نتيجة، فكلمة (لغط) تدل في أصلها على الكلام غير المفهوم[(٢)]، والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ طبيعة الكلام الدائر والذي سمَّاه أبو جحيفة "لغطاً" لم يكن ذا وجهة محددة، وإنَّما هو مرادّة وتجاذب غير مفيد ولا مفهوم ولا بيّن، وهذا حاصل عند العديد من المتناقشين، يترادّون الكلام دون فائدة تُذكر.

الثاني: نزوع النفس إلى المخالفة وطلب الممنوع، ويظهر -والله أعلم- أنَّ النَّبيَّ ﷺ أراد أن يُنَبِّه الأمة إلى أمر مَن يكثر النقاش بلا هدف، وليس لديه غاية مقصودة لها منفعةٌ

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٥٧/١) رقم (٦٩)، والطبراني في الكبير (٨٦/١٨) رقم (١٥٩)، والخطَّابي في العزلة (ص٥٨)، وأبو نُعيم في الحِلية (٣٤٧/٤) واللفظ له، كلهم من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة. في إسناده الأعمش وقد عنعنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦/١): "رواه الطبراني، رجاله رجال الصحيح".

(٢) انظر: لسان العرب ٣٩١/٧ مادة (لغط).

شرعية، ثم يتطبع بهذا الخُلُق، وهو خُلُقٌ يؤدّي لا محالة إلى سلوك السبل البعيدة عن الجادة والاستقامة.

وإن كان الصحابة يستدركون على أنفسهم ويبادرون بالرجوع والتخلي عمَّا لا يرضاه الرسول ﷺ؛ فإنَّ النَّاس من بعدهم ليسوا كذلك، بل إنَّ واقع الحال اليوم يؤكد أن هذين الأمرين: الثرثرة غير المفيدة ولغير ما غاية، والنزوع إلى المخالفة؛ سببان رئيسان للانحراف الفكري، ومن ثم التطرف غلواً أو تفريطاً.

الحديث الثاني: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: "لا تَعَلَّمُوا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك، فالنار النار"(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١/١٧٠) رقم (٢٥٤)، وابن حِبَّان كما في الإحسان (١/٢٧٩) رقم (٧٧) من طريق يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن أبي الزبير عن جابر به. قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص٧٢): "أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد صحيح". وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٣٧): "هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم".

وجاء الحديث عن جمعٍ من الصحابة رضي الله عنهم، فأخرجه الدارمي (١/٣٧٤) رقم (٣٧٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه الترمذي (٤/٣٩٢) رقم (٢٦٥٤) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنه (١/١٧٠) رقم (٢٥٣) بنحوه.

وأخرجه أيضاً (١/١٧٤) رقم (٢٥٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه أيضاً (١/١٧٥) رقم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه البزار في مسنده (١٣/٤٨٧) رقم (٧٢٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه.

وفي الحديث تحذير شديد من العمل لغير الله تعالى، وهو سلوك غير سبيل المؤمنين، فالرياء محبط للعمل، ويستحق تاركه العذاب؛ لأنَّه صرف شيئاً من العبادة لغير الله تعالى فاستحقّ بذلك النَّار، وقد جاء الكتاب والسُّنّة بالتحذير من ذلك والتَّشديد فيه[1].

والمماراة تعني المجادلة والمحاجة على سبيل التشكيك، لا على سبيل طلب الحق[2]، فكأن هذا الرجل حينما يماري السفهاء يقول لهم: "أنا عالم، وأنتم لستم بعالِمِين، وأنا خيرٌ منكم"[3].

لفظة (يُباهي) جاء بدلها في لفظ آخر للحديث: (يجاري) وبين اللفظين معنى مشترك وهو المفاخرة والمغالبة والمراءاة[4].

والمراد بـ «يصرف وجوه الناس إليه»: جعل العلم وسيلة لتحصيل المال والجاه، وفيه معنى حب الرئاسة والتعاظم على الناس وبخاصة العوام أو المريدين[5].

وهذه المعاني تنطوي على جملة دلالات كلها من جنس التطرف:

= وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وأسانيدها كلها لا تخلو من كلام، لكن بكثرة طرقها يقوي بعضها بعضاً.

(١) ينظر: شرح حديث «ما ذئبان جائعان»، وجامع العلوم والحكم كلاهما للحافظ ابن رجب – رحمه الله – فقد توسَّع في ذكر الأدلة وأقوال السَّلف في ذلك.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/٦٨١).

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (١/٣٢١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٢٦٤)، وتاج العروس للزبيدي (٣٧/٢٤٠-٢٤١) مادة (بهو).

(٥) انظر: المفاتيح شرح المصابيح للمظهري (١/٣٢١).

فالمراء المقصود في هذا الحديث معصيةٌ لا ريب، ف (الأنا) البغيضة –وهي فاشية عند كثير من الناس اليوم– ظاهرة فيها: أنا أعلم، أنا أفضل، أنا خير، كل هذه المعاني تَنْطِقُ بها حالُ الذي يماري السفهاء الذين ليس لديهم عِلْم[١]، وهو تصرف لا تقبله الشريعة مطلقاً، فالعلم لا يبرر تفضيل النفس على الآخرين، بل يعلّم التواضع ولين الجانب والإحسان في التعليم، ورسولنا ﷺ خير قدوة.

وتعود (الأنا) البغيضة للظهور مرة أخرى عند (التباهي) بالعلم، وهنا ثلاثة أخلاق رديئة: الكِبر، والفخر، والرياء، وكلها تَنُمُّ عن إشكالية فكرية شديدة لدى طالب العلم هذا، فهو لا يريد بعلمه وجه الله تعالى، وإنَّما يتعلم لِحظِّ نفسه، ولتحصيل مكانة اجتماعية في الدنيا وسمعة بين الناس، وهذا نوع من المعاصي الذي يستحق فاعلها العقوبة إن لم يتب منها.

وتظهر الإشكالية الفكرية أيضاً في مقصد هذا الإنسان من طلب العلم: «يصرف وجوه الناس إليه»، فما تَعَلَّمَ إلَّا لغايات دنيوية: المال والرياسة وخدمة الأتباع وغير ذلك.

والذي يبدو من هذا الحديث الشريف أنَّ النَّبيَّ ﷺ صوَّرَ حالة فكرية لدى أشخاص من أمته يطلبون العلم الشرعي على هذا النحو، الذي هو تطرف فكري باعتباره خروجاً عن حدِّ الاستقامة، ابتدأ بفساد نية هؤلاء الأشخاص، وترتب عليه انحرافات أخرى عديدة، مثل: الرِّياء، والكِبر، والتَّفاخر، والتَّعالم، والتَّعاظم، وتحقير العوامّ، وتصيد أموال الناس بغير حق.

وجاءت صورة المعالجة النبوية الشريفة من جهتين –والله أعلم–:

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/٣٢١).

الأولى: تصوير الحالة الرديئة لهذه الفئة من الناس، وهي حالة قديمة متجددة، بل كثيرة في واقعنا المعاصر، فهم متطرفون منحرفون سيئوا الأخلاق، تقبيحاً لهذه الحال، وتنفيراً منها، لعلهم يرجعون عنها، وليلفظهم المجتمع المسلم ولا يقيم لهم وزناً إن هم بقوا على تلك الحال.

الثانية: توعدهم بالنار، قال الإمام الطبري: "هذه وجوه ليس في شيء منها له رضى -يعني لله تعالى-، ولا هو مما أقَرَّ به ولا ندب إليه، بل زجر عنه ونهى، فحظ طالبه منه التقدم على معصية الله، والمتقدم على معصية الله النار أولى به، إن لم يعف الله جل ثناؤه عنه بفضله"(١).

وقال الإمام الفيومي: "فمَن يطلب بالعلم الرِّياسة على الخلق، والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعوا له ويصرفوا إليه وجوههم، وأن يُظهِر للناس زيادة علمه على العُلماء أو ليعلوا به عليهم ونحو ذلك، فهذا وعيده النَّار؛ لأنَّ قَصْد التكبر على الخلق في نفسه محرم، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان"(٢).

وربما يقال: لماذا كانت المعالجة بهذه الشدة: التصوير الذي يكشف رداءة حال هؤلاء، والوعيد بالنار؟

فالجواب -والله أعلم-: أنَّ هذه الفئة عرفت مما تعلمته أنَّ الإخلاص شرطُ عملِ كل مسلم، وأنَّ خُلُق العلماء التواضع ولين الجانب، وأنَّ هذه الأخلاق التي وقعوا فيها واستمرؤوها محرّمة، ومع ذلك لم يعملوا بما علموا، بل اتّبعوا أهواءهم، وفضّلوا الدنيا على الآخرة، فكان التشديد بحقهم أليق، لعله يكون لهم رادعاً وصارفاً عما هم فيه.

---

(١) تهذيب الآثار للطبري (٢/٨٠٣).

(٢) فتح القريب المجيب للفيومي (٢/٣٧).

وأيضاً يقال هنا: هذا النوع من المخالفات والانحرافات تتشربها النفوس حتى تراها حسنة، فلا يرجع صاحبها عنها إلا من تداركته رحمة الله، وإذا نظرنا إلى مجريات تاريخ المجتمعات الإسلامية وما ظهر فيها من اتجاهات وفِرق منحرفة لوجدنا حظ منظريها وعرّابيها من هذا الحديث كبير والعياذ بالله.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة ﷺ قال: "خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيّها النَّاس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[(١)].

وفي الحديث ما يدل على كراهة المسائل وذمّها، ولكن بعض النَّاس يزعم أنَّ ذلك كان مختصاً بزمن النَّبيِّ ﷺ لما يخشى حينئذٍ من تحريم ما لم يُحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أمن بعد وفاته ﷺ، ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب آخر، وهو الذي أشار إليه ابن عباس ﷺ بقوله: "ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن، فإنَّكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه"[(٢)]. ومعنى هذا: أنَّ جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لابدَّ أن يبيّنه الله تعالى في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسوله عنه، فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال، فإنَّ الله تعالى أعلم بمصالح عباده منهم، فما كان فيه هدايتهم ونفعهم، فإنَّ الله لابُدَّ أن يبينه لهم ابتداء من غير سؤال، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (٢/٩٧٥) رقم (١٣٣٧).

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/٢٠) وإسناده ضعيف مسلسلٌ بالضعفاء، لكن معناه صحيح، لذلك استدلَّ به الحافظ ابن رجب في أكثر من موضع من كتبه، والله أعلم.

لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء:١٧٦]، وحينئذٍ فلا حاجة إلى السؤال عن شيء، ولا سيّما قبل وقوعه والحاجة إليه، وإنَّما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله، ثم اتباع ذلك والعمل به، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يُسأل عن المسائل، فيحيل على القرآن"(١).

وفيه أيضاً: أنَّ المنهي عنه كثرة السؤال، أو التكلّف والتنطّع في الأسئلة والتطّرف فيها، والاختلاف عليه ﷺ؛ لأنّ الاختلاف عليه ﷺ موجب للهلاك ولو من غير كثيرة، وليس المقصود ترك الأسئلة بالكليّة(٢)، فإنَّ السؤال من أجل العلم والعمل له مشروع وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣].

ويقرّر الحديث الشريف هنا الصفة التشريعية للنَّبيِّ ﷺ، ومقتضاها أنَّه ﷺ سيبيِّن كل ما يُحتاج إليه من أمر الشريعة وفق أمر الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]، وعليه فإنَّ هذا الحديث يُنَبِّه الأمة إلى جملة من أسباب التطرف والانحراف عن الجادّة، ومن ثم الهلاك، وهي -والله أعلم-:

١. الاستعجال على النَّبيِّ ﷺ، ذلك أنَّ التشريع ينزل من الله سبحانه وتعالى بلسان عربي مبين، والرسول ﷺ يبلغه، وهو ظاهر الحكم والتوجيه فيما نزل فيه، وبما أنَّ خطاب الحديث الشريف عام لجميع الأمة، ففيه تنبيه إلى أنَّه من شأن بعض النفوس أن تتطلع إلى تفاصيل إضافية، أو افتراض قضايا لم تقع، أو لا يحتملها النص والتوجيه الشرعي، فيحصل لديها دافع الاستعجال والإكثار من التساؤلات، وهو أمر لا ينبغي للمسلم أن يقع فيه بحضرة النَّبيِّ ﷺ؛ لما قد يؤدّي إليه من

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (ص٢٢٤).

(٢) ينظر: طرح التثريب (١١٧/٢)، مرقاة المفاتيح (١٧٤٠/٥).

التشديد، ولما قد يُظن أنَّ في التشريع شيء من النقص، فإذا وردت هذه الخواطر على الأذهان كانت سبباً في التطرف والانحراف.

والذي يظهر لي –والله أعلم– أنَّ هذه الصورة لا تخص المهاجرين والانصار رضي الله عنهم –وإن كان الخطاب يشملهم– فقد تبيَّن من التربية النَّبويَّة وما أخبرت به سيرتهم العطرة أنَّهم كانوا بعيدين عن ذلك، ولكن يأتي الصحابي من القبائل العربية خارج المدينة وهو مسافر فيكثر السؤال، أو يسأل عن أمر تشريعي يؤدّي إلى التشديد كما في الحديث السابق، حيث قال الصحابي: "أفي كلِّ عامٍ يا رسول الله؟"، فجاء التوجيه النَّبوي الشريف بالمنع من هذه التساؤلات، لما تؤدّي إليه من تشديد ومن ثم عجز عن القيام بالأمر، وإنَّما الدين يسر.

وربما كان من مقاصد الحديث الشريف –والله أعلم– قطع ألسنة المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام، ولا يريدون الخير للمسلمين، ولا يبعد من مثل هؤلاء أن تصدر عنهم تلك السؤالات غير المشروعة، أو الاختلافات على النَّبيِّ ﷺ، وينسحب الأمر على كلِّ مَن يأتي بعد الرعيل الأول، فالحديث مانع لهم من التساؤل والاختلاف المؤدّي إلى التشكيك، وهو الذي دأبت عليه فرقة الخوارج وبخاصة نافع بن الأزرق الذي كان يتعمّد السؤال عن المتشابه(١)، وكذلك صَبِيغُ بْنُ عِسْلٍ الذي أكثر من السؤال عن القدر(٢)،

---

(١) له مسائل عن ابن عباس في غريب شعر العرب ومتشابه القرآن، مطبوع باسم: "مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه"، رواية أبي بكر الختلي وأبي طاهر العلاف، تحقيق الدكتور أحمد الدالي، نشر مؤسسة الجفّان والجابي بقبرص عام ١٤١٣هـ.

(٢) قصة صبيغ وسؤاله عن القدر أخرجها الإمام مالك في الموطأ (٢/٤٥٥) رقم (١٩) بإسنادٍ صحيح، والقصة مشهورة في كتب العقيدة.

وتتابع أهل الأهواء من بعدهم على هذا المنوال، فتطرفوا بُعداً عن الشريعة: إمّا غلواً كحال الخوارج، أو تفريطاً كحال ابن عربي وأشباهه.

٢. الاعتراض على التشريع، وهذا مفهوم من قول النَّبيِّ ﷺ: «كثرة اختلافهم على أنبيائهم»، قال علي بن أحمد الحرّالي: "والاختلاف: انتقال من الخلاف وهو تقابل بين اثنين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه"(١)، وهنالك حادثة على عهد النَّبيِّ ﷺ توحي بالاعتراض، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أنَّ رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النَّبيِّ ﷺ، فقضى أنَّ دِيَةَ ما في بطنها غُرَّةٌ، عبدٌ أو أمةٌ، فقال وليّ المرأة التي غَرِمَتْ: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يُطَلّ(٢)، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّما هذا من إخوان الكهان»(٣).

٣. التعنت والتنطّع(٤)، وهو أمرٌ أكرمَ اللهُ سبحانه وتعالى الصحابةَ بالبعد عنه، والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ النَّبيَّ ﷺ حذَّر منه حرصاً منه على صحابته الكرام وعلى سلامة دينهم، وتخويفاً للأمة عموماً من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل الذين

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/٤).

(٢) (يُطَلّ) أي: يُهدر. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/١٣٦. وفي المكتبة الشاملة (بطل) بالباء وهو خطأ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الكِهانة (٧/١٣٥) رقم (٥٧٥٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين، باب دية الجنين، ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني (٣/١٣٠٩) رقم (١٦٨١).

(٤) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص١٣٥، ١٣٩).

شدّدوا على أنفسهم في قصة البقرة، وتنطّعوا وعاجزوا في الأسئلة، فشدد الله تعالى عليهم حتى كاد أن يعجزهم، وتلاعبوا بعد ذلك في الأحكام وتحايلوا عليها، وهذا باب واسع من أبواب الاختلاف على الأنبياء، فكانت النتيجة العقوبات القاسية: اللعن، والمسخ، والقتل.

وأما المعالجات النبوية فيمكن إيضاحها -والله أعلم- في الآتي:

أ. التنبيه إلى مقام النُّبوّة، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ مشرّع، ولا يخفى أنَّ الشريعة كانت تأتي منجّمة وفق نزول القرآن الكريم الذي فيه العام والخاص، والمطلق والمقيد(١)، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك، فيجب الإيمان بأنَّ الشريعة ستكمل في الحين الذي قدّره الله تعالى، وقد تمّ ذلك بنزول قوله تعالى:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، كما قرّر النَّبيُّ ﷺ الصحابة على كمال تبليغه في حجة الوداع، وأشهد الله تعالى عليهم: «ألا هل بلغت، قالوا: نعم، قال: اللهم

(١) (المطلق) هو: "المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه". و(المقيّد) هو: "المتناول لمعَيَّن، أو لغير معيَّن موصوفٍ بأمرٍ زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه". [روضة الناظر لابن قدامة ص١٠١ ، ١٠٢].

اشهد»[1]. ومن ثم لا ينبغي أن يتعجَّل أحدٌ شيئاً لم يرد فيه توجيه، وإنَّما عليه التروي، والوثوق بكمال تبليغ النبي ﷺ.

والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ فكرة التعجَّل عموماً تحمل في طيَّاتها سوء ظنّ، وربما انطوت على جانب -ولو يسير- من التباهي بالسؤال الذي يأتي لغير حاجة، لاسيِّما مع وجود اليهود في المدينة المنورة الذين كانوا يأتون ويتساءلون لغرض التعجيز أو التنطّع أو الإساءة، فربما خشي النَّبيُّ ﷺ على أحد من المسلمين أن يتأثَّر بطريقتهم، فمنع ذلك وحذر منه.

ب. التذكير بحالات الإهلاك في الأمم السابقة التي اختلفت على أنبيائها، ويُلمح من اقتران ذكر كثرة المسائل، والاختلاف على الأنبياء، أنَّ كلَّ واحد منهما مهلك من جهة، وأنَّ أحدهما يؤدّي إلى الآخر من جهة أخرى، فتلك الأمم كانت تقف في وجه الأنبياء وتعارضهم بكثرة المسائل التي لا تعنيهم ولا يمكن الوصول إليها وبخاصة مسائل الغيب وصفات الربّ تبارك وتعالى وأحوال يوم القيامة[2]، مصحوباً بالعزم على مخالفة النبيّ ﷺ، ومثل هذه الحالة تستحق العذاب العاجل والآجل وفق ما يقدره الله سبحانه وتعالى.

ومن شأن هذا التذكير والتحذير، أن يبتعد مجتمع الصحابة أولاً ثم الأمّة المسلمة من بعدهم عن مثل هذه الطريقة المهلكة التي ينشأ عنها الافتراق وفساد الاعتقاد.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٧٦/٢) رقم (١٧٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٣٠٧/٣) رقم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: السراج المنير للعزيزي (١٦٨/٣)، وشرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص١٣٥).

وقد نبّه المناوي أنَّ هذا الحديث الشريف، لا يشمل اختلاف الأئمة المجتهدين في الفروع، فإنَّهم جميعاً مُتَّبِعون للكتاب والسنة، ومجتهدون في فهم دلالات النصوص والقياس عليها، وهذا الفهم وتلك المقاييس المستندة إلى النَّصِّ الشرعي يحصل فيها الاختلاف، ولا ضير فيه بإذن الله(١)، وإنَّما هو من التوسعة على هذه الأُمّة، وأدلّ شاهد على ذلك أداء بعض الصحابة لصلاة العصر في الطريق إلى بني قريظة، وآخرون صلَّوها في بني قريظة بعد فوات وقتها، وما لامَ النَّبيُّ ﷺ أحداً منهم، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: "قال النَّبيُّ ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يُصَلِّيَنَّ أحد العصر إلَّا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرِد منّا ذلك، فذكر للنَّبيِّ ﷺ، فلم يُعنّف واحداً منهم"(٢).

الحديث الرابع: حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: "أنّ نفراً كانوا جلوساً بباب النَّبيِّ ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج كأنَّما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: «بهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنَّما ضَلَّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنَّكم لستم ممّا هاهنا في شيء، انظروا الذي أُمِرتم به فاعملوا به، والذي نهيتم عنه فانتهوا»(٣).

والحوار الذي دار بين الصحابة رضوان الله عليه كان في مسألة القَدَر، والإشكالية التي يمكن عزوها إلى التطرف تظهر -والله أعلم- في الآتي:

---

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (١/٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة (٥/٨٢) رقم (٤٠٠١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١/٤٣٤) رقم (٦٨٤٥) واللفظ له، وابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب في القدر (١/٦٣) رقم (٨٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/٧٩) رقم (١٣٠٨). قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/١٤): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".

١. الخوض فيما لا يدركه العقل، فالصحابة رضي الله عنهم -وبعض الروايات تتحدث عن أربعين منهم- خاضوا في مسألة القدر هذه، والقَدَر المستَقْبَل من الغيب الذي خفي عنا ، لذا استوقف النبي صلى الله عليه وسلم الجارية التي قالت: "وفينا نبيّ يعلم ما في غَدٍ"، فقال لها: "لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين"(١)، وقد نصّت الآيات الكريمة على أن هنالك قضايا غيبية كثيرة أخبر الله تعالى أنَّه خلقها وقدَّرها وأخفى علمها، منها مفاتح الغيب الخمسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾[لقمان: ٣٤].

٢. خروج الحوار عن المنهج الشرعي، فالنِّقاش كما يظهر من مجمل روايات الحديث الشريف خرج عن حدِّ النقاش المفيد إلى التنازع، وهو ما صرحت به بعض ألفاظ الحديث، أي أنهم وصلوا إلى حدّ التناظر والخصومة، وكانت آيات القرآن الكريم هي مستند كل طرف من أطراف النزاع، جاء في بعض الروايات: "هذا ينزع آية، وهذا ينزع آية"(٢)، فبدت آيات القرآن الكريم متعارضة، وهذا ما يفسر قول النَّبيِّ ﷺ: «أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض»، ومثل هذه الطريقة مفضية إلى ما هو أشد: أن يصير بعض أطراف النزاع إلى الجحود؛ لأنَّ الكلام كلّه في شيء مما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا سبيل للعقل إليه كما تقدم، وهذا ما وقع للقدرية فيما بعد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنَّ القوم تنازعوا في عِلَّة فعل الله سبحانه وتعالى لما فعله، فأرادوا أن يثبتوا شيئا يستقيم لهم به تعليل فعله بمقتضى قياسه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف (١٥/٢) رقم (٩٤٦).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١٧٧/١).

سبحانه على المخلوقات، فوقعوا في غاية الضلال؛ إمَّا بأنَّ فعله ما زال لازماً له، وإمَّا بأنَّ الفاعل اثنان؛ وإمَّا بأنَّه يفعل البعض، والخلق يفعلون البعض، وإمَّا بأنَّ ما فعله لم يأمر بخلافه، وما أمر به لم يقدر خلافه وذلك حين عارضوا بين فعله وأمره، حتى أقر فريق بالقدر وكذبوا بالأمر، وأقر فريق بالأمر وكذبوا بالقدر، حين اعتقدوا جميعاً أنَّ اجتماعهما محال، وكل منهما مبطل بالتكذيب بما صدق به الآخر"(١).

ويمكن بيان المعالجة النبوية لهذه المسألة –والله أعلم– في الآتي:

أ. التذكير بما يجب على المسلم فعله أو تركه في مسائل الغيب، وعدم الخوض فيما ليس من شأنه، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: «بهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟»، فالأصل في المسلم التسليم لأمر الله تعالى، وإن ظهر له شيء من حِكمة تقدير الله ذلك فذلك خير، وإن لم يظهر له فليس له أن يتعمق وينقّب؛ لأنَّه لن يستطيع إلى ذلك سبيلاً، يقول الإمام ابن بطّة: "فَلَا يَنْبَغِي للمخلوق التطلع إِلَى مَا لَا سَبِيل إِلَى مَعْرِفَته فَلَا يسْأَل عَن الْحِكْمَة فِي القدر وسر الله فِيهِ فَالْوَاجِب الْإِيمَان وَالتَّسْلِيم ورد مَا اسْتشْكل من حكمه إِلَى الله تَعَالَى دون أَن يجْهد نَفسه للسؤال عَن الْحِكْمَة والسر فِيهِ"(٢)، وعلى هذا منهج السلف رضوان الله عليهم: الإمساك عن مسائل القدر، ولما أراد الحسن البصري رحمه الله –وهو من كبار التابعين– أن يشرح مسائل القدر ويتعرض لأولئك المجادلين فيه: "لامه أهل العلم؛ لأنهم –والله أعلم– خافوا أن يكون في ذلك تقويةٌ مَا لبدعة القدريَّة مما

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١٦٧/١).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٢٥/٣).

يجرُّ كثيراً من النَّاس إلى مقالتهم، وفوق ذلك رأوا أنَّ في الشرح والتفسير مخالفةً لصنيع الكتاب والسنَّة من الإجمال، وأنَّه ربَّما أَدَّى إلى الاختلاف والافتراق في الدين، فَكَفَّ رحمه الله تعالى عن ذلك"(١).

ب. بيان المنهج الشرعي في التعامل مع آيات القرآن الكريم، وهو المنهج التكاملي التوافقي، جاء في بعض ألفاظ الحديث: «وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وأمَّا الطريقة التي شاهدها النَّبيُّ ﷺ وأغضبته فقد كانت معارضة آية بآية، وهذا هو مفهوم (الضرب)، ونتيجة مثل هذا النقاش -لو استمرّ- الإيمان ببعض الآيات، وتعطيل بعضها الآخر، وربما جحود شيء من معاني الآيات القرآنية الكريمة(٢)، وربما تطور الأمر أكثر من ذلك فصار هذا قَدَرِيّاً وذاك جَبْرِيّاً، ولذا منع النَّبيُّ ﷺ من النِّقاش، فمظهر الغضب الذي بدا على محياه ﷺ، وسؤاله الإنكاري؛ يفيدان ذلك بوضوح.

ت. بيان المنهج الشرعي في الفهم والتعلّم، وهذا تابع في بعضه لمنهج التعامل مع آيات القرآن الكريم، ويضاف هنا أنَّ ذلك التعامل ينبغي أن يكون عن علم تامّ وفهم دقيق، وعند عدم العلم بالشيء، وخصوصاً في مثل قضايا القدر وعموم الغيبيات؛ يتوقف الإنسان، ويسأل العالم به، جاء في بعض الروايات: «ما عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا لَا، فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ»، وكأنَّ النَّبيَّ ﷺ يعاتبهم أن لم يرجعوا إليه ويسألوه عما جرى بينهم، فإما أن يخبرهم به أو يصرفهم عنه، وفق المصلحة الشرعية ومقتضى الحكمة، والأظهر هنا -والله أعلم- الصرف عن هذه المسائل؛ لأنَّه لو كان هنالك مصلحة شرعية في الشرح والتفصيل لبادر إليه

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله للمعلِّمي (١٦٩/٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٨٥/٢).

المصطفى ﷺ ولما تأخر عنه، فعدم تعرضه لذلك يؤكد أنَّ المصلحة الشرعية في الاشتغال بما أُمر به الإنسان، دون الذي لم يؤمر به، والله أعلم.

المطلب الثالث

التَّحذير من تقليد الأمم في الدِّين والأخلاق

سبق معنا قضيتين حذَّر النَّبيُّ ﷺ فيهما أمَّته من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، وهما: ضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض، والاختلاف على الأنبياء، وفيما تقدم غنية عن الإعادة في هاتين القضيتين، وسأورد هنا ثلاثة أحاديث أخرى تحذِّر صراحة من اتباع تطرفات الأمم الأخرى في الدِّين والأخلاق، وهي:

الحديث الأول: عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ «فَمَنْ؟»[(١)].

من الواضح جداً أنَّ معرفة النَّبيِّ ﷺ بطبائع النُّفوس تصل إلى حدِّ الإعجاز النبوي، وهذه الصورة المرسومة في هذا الحديث الشريف إنَّما هو حديث عن طبع التقليد والتغيير الذي يقع للأمم حينما لا تلتزم بثوابتها وقيمها، وربما يكون في بعض الحالات نزوعاً إلى عادة قديمة مع غياب المعرفة الشرعية الدقيقة في الأمر، كما في حديث الحارث بن مالك أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "لما افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج بنا معه قبل هوازن، حتى مررنا على سدرة الكفار، سدرة يعكفون حولها ويدعونها ذات أنواط، قلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنَّها السنن، هذا كماقالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٦٩/٤) رقم (٣٤٥٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٠٥٤/٤) رقم (٢٦٦٩).

تَجۡهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنَّكم لتركبن سنن من قبلكم»(١).

قال الحافظ ابن رجب: "فالتشبه بالمشركين والمغضوب عليهم والضالين من أهل الكتاب منهي عنه ولا بد من وقوعه في هذه الأمة كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ..، قال ابن عيينة: "كان يقال من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى". ووجه هذا: أنَّ الله ذم علماء اليهود بأكل السحت، واكل الأموال بالباطل والصد عن سبيل الله، وبقتل النبيين بغير حق، وبقتل الذين يأمرون بالقسط من النَّاس، وبالتكبّر عن الحق وتركه عمداً خوفاً من زوال المأكل والرياسات، وبالحسد وبقسوة القلب، وبكتمان الحق، وتلبيس الحق بالباطل، وكل هذه الخصال توجد في علماء السوء من أهل البدع ونحوهم، ولهذا تشبهت الرافضة باليهود في نحو من سبعين خصلة، وأمَّا النصارى فذمّهم الله بالجهل والضلالة، وباللغو في الدين بغير الحق، ورفع المخلوق إلى درجة

---

(١) أخرجه الإمام الشافعي في السنن المأثورة (ص٣٣٨) رقم (٤٠٠)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٦٨٢/٢) رقم (١٤٤٣)، والحميدي في المسند (٩٨/٢) رقم (٨٧١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٨/٢١) رقم (٤٠١٥٨)، وأحمد في المسند (٢٢٥/٣٦) رقم (٢١٨٩٧)، والترمذي في الجامع (٤٩/٤) رقم (٢١٨٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٠/١٠) رقم (١١١٢١)، وابن حبان كما في الإحسان (٧٤/٦) رقم (٤٩٠٠) واللفظ له، وإسناده صحيح، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

لا يستحقها، حتى يدعى فيه الإلهية، واتباع الكبراء في التحليل والتحريم، وكلُّ هذا يجد في جهال المسلمين المنتسبين إلى العبادة من هذه الأمة"(١).

قلتُ: وإنَّما ذمَّ الله تعالى اليهود والنَّصارى لوقوعهم في الإفراط والتفريط، لذلك نهى الله تعالى عن اتباع سبيلهم حتى لا يقع المسلمون بما وقعوا فيه، ولهذا وصفهم الله تعالى في كتابه بأنَّهم أمَّة وسطاً، حيث قال سبحان:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدولاً، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ومما لا شك فيه -والله أعلم- أنَّ الحديث الشَّريف يصور أخطر حالات التطرف عند الإنسان، وهي التقليد العام الأعمى، وتتمثل في حالة التفريط في المعتقدات، وفي الأخلاق، بل يستغرق كذلك التصرفات السلوكية العادية التي من المفترض أن يكون لكلِّ إنسان سمتٌ خاصٌّ به، وكل ذلك ناشئ عن الإعراض عن الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مَنْ أعرض عن الكتاب وعارضه بالمعقولات، لابُدَّ له من كتمان أو كذب أو تحريف أو أمية، مع عدم علم، وهذه الأمور كلها مذمومة، دلّ ذلك على أنَّ هؤلاء مذمومون في كتاب الله، كما ذمَّ الله أشباههم من أهل الكتاب، وأنَّ هؤلاء وأمثالهم دخلوا في قوله ﷺ الذي ثبت عنه في الصحيح، الذي قال فيه: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»"(٢).

---

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص٤٣-٤٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/٢٢٧).

وتأتي المعالجة النبوية من خلال إنكار هذه الحالة المزرية وتعيير أهلها وتوبيخهم، وتقبيح فعلهم(١)، الأمر الذي يعني النهي عن اتباع الأمم الأخرى غير المسلمة أو التشبّه بهم، فالحق والباطل لا يجتمعان، ومن مال بهواه إلى تلك الأمم وشرائعها وأخلاقها فلابدّ أن يترك دينه بقدر ذلك الميل.

وذِكْرُ النَّبيِّ ﷺ لـ «جُحْرَ الضب» إنَّما هو -والله أعلم- للمبالغة في التوبيخ من جهة، والمبالغة في تصوير التقليد الأعمى، قال الإمام المناوي: "وخصَّ جُحْرَ الضب لشدة ضِيقه، ومع ذلك فإنَّهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم مناهجهم لو دخلوا في مثل ذلك الضيق الرديء لوافقوهم"(٢).

وما هذا النهي وذاك التقبيح إلا لتبقى الأمّة المسلمة محافظة على صبغتها وشخصيتها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾[البقرة: ١٣٨]، وتبقى لها الرِّيادة والمكانة الرَّفيعة بين الأمم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحديث يتناول الأغلب من أفراد أمة الإسلام، ولا يشمل الجميع، فالطائفة المنصورة تسلم من ذلك كله، يقول النَّبيُّ ﷺ: «لا تزال طائفة مِن أمتي ظاهرين على الحقّ، لا يضرهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(٣).

الحديث الثاني: حديث أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها: "أنَّ أمَّ حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «إنَّ

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البرّ (٣/٤٦٥).

(٢) فيض القدير للمناوي (٥/٢٦١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (٣/١٥٢٣) رقم (١٩٢٠).

أولئك إذا كان فيهم الرَّجل الصَّالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"(١).

في الحديث إشارة للنهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن التصوير؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى الغلوِّ فيها مستقبلاً، قال الإمام ابن بطَّال: "فيه نهيٌ عن اتخاذ القبور مساجد، وعن فعل التصاوير. قال المهلب: وإنَّما نهى عن ذلك -والله أعلم- قطعاً للذريعة، ولقرب عبادتهم الأصنام، واتخاذ القبور والصورة آلهة"(٢).

و(التوحيد) هي القضية الرئيسة في هذا الحديث الشريف، حتى وإن لم تذكر على نحو صريح، ولكن الحديث يتناول مشهداً رأته أمهات المؤمنين أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما بأرض الحبشة، رأتا كنيسة فيها تصاوير، والمعهود في الكنائس أن توضع فيها صور يزعمون أنَّها لعيسى وأمه مريم عليهما السلام، بالإضافة إلى تماثيل لهما، وكذلك صور لرجال عندهم يسمونهم (قِدّيسين)، والمتعارف عندهم عند الدُّخول إلى الكنائس الركوع أمام تلك التصاوير والتماثيل على هيئة انحناءة الرأس، وهو نوع من العبادة لغير الله تعالى، فهؤلاء جمعوا بين عدة أمور تدل على التطرف المؤدّي إلى الكفر والعياذ الله تعالى:

أولاً: اتخاذ تلك التصاوير المحرّمة، وكان الغرض أن "يأتنسوا بِرُؤْيَة تِلْكَ الصُّور ويتذكَّروا أفعالهم الصَّالِحَة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عند قُبُورهم"(٣)، حتَّى دخلهم بعد

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (١/٩٣) رقم (٤٢٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٥) رقم (٥٢٨).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢/٨٢).

(٣) عمدة القاري للعيني (٤/١٧٤).

حينٍ تعظيم هؤلاء، ثم لما تقادم عليهم العهد عبدوهم من دون الله، فكانت التصاوير، وهي محرّمة ابتداءً، ذريعة إلى محرّم أعظم وهو الكفر بالله تعالى.

ثانياً: اتخاذ واسطة بين هؤلاء وبين الله تعالى، ويظهر ذلك من الاستعانة بتلك التصاوير في بداية الأمر؛ لتكون دافعاً لهم على العبادة والاجتهاد، وهو خطأ وانحراف عقدي بحدِّ ذاته، وهذا هو سبب ضلال المشركين وكل من شاكلهم على هذه الحال، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾[الزمر: ٣].

ثالثاً: تغليب الأهواء على شرع الله تعالى، فاتخاذ التصاوير إنَّما هو من اتباع الهوى، وبناء القبور على المساجد كذلك اتباع للهوى، وعدم الرجوع إلى شريعة الله تعالى والالتزام بها اتباع للهوى أيضاً، وما زال لهم الحال في اتباع الهوى حتى خرجوا عن التوحيد إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية.

وتبدو المعالجة النبوية –والله أعلم– فيما يأتي:

١. تحريم تصوير الآدميين على سبيل التعظيم، وجمهور العلماء على تحريم ذوات الأرواح مطلقاً[١]؛ لعموم الحديث الشريف: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ»[٢]، وأحاديث أخرى. والحديث الذي بين أيدينا يشير –والله أعلم– إلى إحدى حِكَم تحريم تصوير الآدميين

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٢/١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد (٧/٦١) رقم (٥٣٤٧) من حديث أبي جحيفة ﷺ.

لأجل التعظيم، وبخاصة ما كان على هيئة التماثيل، وهي سد ذريعة عبادة هذه التصاوير من دون الله تعالى.

٢. تحريم اتخاذ المساجد على القبور، فقد وصف النَّبيُّ ﷺ فاعلي ذلك بأنهم «شرار الخلق»، وإنَّما سُمُّوا بذلك لضلالهم، وسَنِّهم لمن بعدهم الغُلُوّ في قبور صالحيهم، حتى أفضى بهم ذلك الغلو إلى عبادتها، وهو عامٌّ فيمن فعل فِعْلهم من هذه الأمة، وأي زجر وأي تغليظ وتقريع وتعيير أبلغ من هذا؟!(١).

ومما يرد على الذِّهن في تحريم اتخاذ المساجد على القبور؛ أنَّ المسجد للعبادة، فإذا كان مبنيّاً على قبر يعتقد العامّة في صاحبه أنَّه صالحٌ أو مباركٌ؛ فإنَّ هذا التجاور يعجل في الانحراف العقدي، ويجعل عبادة الناس لتلك القبور وتعظيمها ميسراً، لذا كان التحريم والزجر، واللّعن كما سيأتي في الحديث التالي.

الحديث الثالث: عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: "لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا"(٢).

وهذا الحديث مماثل للحديث الثاني، فإنَّه يتعلَّق بتوحيد الله تعالى ومنع الشرك.

وتتجلى صورة النهي في التحذير من البناء على القبور وتصوير الصور من أجل سدِّ الطرق الموصلةِ إلى التشدد والغلوِّ، فيقعوا فيما حرَّم الله تعالى من الشرك، قال الإمام

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل (١٦٩/٤) رقم (٣٤٥٣-٣٤٥٤).

القسطلاني: "فحذَّر النَّبيُّ ﷺ عن مثل ذلك سدًّا للذريعة المؤدية إلى ذلك[1]"، وهو الغلوُّ في تعظيم هذه القبور والوقوع في الشرك، فتظهر معالجة النَّبي ﷺ لهذا الموقف ابتداءً قبل أن تقع فيه أمَّته، والتحذير من اتخاذ سُبُل من غلو في تعظيم صالحيهم من اليهود والنَّصارى.

وقد علم النَّبيُّ ﷺ أنَّ الأمة تعظّمه لما له من الخصائص التي امتنَّ الله تعالى عليه بها، فهو خليل الرحمن، وهو رسول الله، وهو المبعوث رحمة للعالمين، وهو أكمل النَّاس خُلقاً، وقد أُمِروا بغضِّ الصَّوت عند مناجاته، وإجابته إذا دعاهم، وغير ذلك من السَّجايا التي تدفع بعض النَّاس إلى تجاوز الحدّ الشرعي في التعظيم والاحترام.

وبما أنَّ نوازع النَّفوس نحو المبالغة متواتر بين بني الإنسان لدى الأمم السابقة منها واللاحقة، ولدى فئات من هذه الأمة؛ لذا عالج النَّبيُّ ﷺ هذه القضية الأخيرة قُبيل وفاته ﷺ بخمسة أيام، فشدَّدَ النَّهي والتَّحذير، وذكر صنيع الأمم السابقة على سبيل الإنكار والتقبيح، وصرَّح بلعنهم، والملعون مطرود من رحمة الله.

والغاية من ذلك -والله أعلم- منع الوسائل الموصلة إلى الشِّرك، فمِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم لن يعبدوا قبر النَّبيِّ ﷺ، ولكن فكرة التعظيم مع الحماسة واردة عند جيل التابعين، فقد قال فتىً لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد. فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا"[2]، ولا

---

(١) إرشاد الساري للقسطلاني (١/٤٣٠).

(٢) أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/٢٣١) والإمام أحمد في المسند (٣٨/٣٥٨) رقم (٢٣٣٣٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢٣٣) رقم (٢١٥)، والطبري في تفسيره (٢٠/٢١٥) قال محققوا المسند: "حديث صحيح".

يزال بالنَّاس النزوع إلى المبالغة والتطرف حتى يأتي مَن يبدأ بتعظيم القبر، ومع جريان الأيام يعتاد الناس ذلك مع ازدياد المبالغة حتى يصلوا حتماً إلى الشرك، وقد وقع ذلك مما نراه اليوم لدى المتصوفة الغلاة، ولدى الشيعة الرافضة وغيرهم من أهل المبالغات البدعية، والإحداث في الدِّين ما ليس منه.

وهنالك معالجة أخرى تمثلت في (لعن تلك الأمم) التي اتخذت قبور الأنبياء مساجد، واللَّعن يجعل المسلم يتوقف عند حدود النُّصوص الشرعية، ويستذكر حقائقها ودلالاتها، فهو ابتداءً لا يريد أن يقع في دائرة اللَّعن هذه التي تجعله مع الكفرة في دائرة واحدة، كما أنَّه يستحضر ما علم من الشَّريعة أنَّه ليس عند قبر النَّبيِّ ﷺ مصلحة من مصالح الدِّين وقربة إلى رب العالمين إلا وهي مشروعة في جميع البقاع، فلا ينبغي أن يكون صاحبها غير معظم للرَّسول ﷺ التعظيم التام والمحبة التامة إلا عند قبره، بل هو مأمور بهذا في كل مكان(١)، ولذا كان من سمت السَّلف الصَّالح وكل من سار على هديهم أن يستقبلوا قبر النَّبيِّ ﷺ بالسَّلام فقط، وإذا ما أرادوا الدُّعاء التفتوا إلى القِبلة(٢).

(١) الإخنائية لابن تيمية (ص٣٦٥).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٤٤٤).

المطلب الرابع

توجيه الأمة إلى التَّيسير المنضبط شرعاً

من كمال الشريعة، التيسير على العباد، ودفع المشقة عنهم، نصَّ على ذلك كتاب الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقد تواترت كلمات العلماء والمجتهدين في بيان تيسير الشَّريعة الإسلامية، وبخاصة عند حديثهم عن الرّخصة والعزيمة في العديد من الأحكام الشرعية، وعُرِفَ ذلك من عمل النَّبيِّ ﷺ، وفيما يخص النص على التيسير في السُّنّة المشرفة فأختار من جُملة ما ورد فيها؛ الأحاديث الآتية:

الحديث الأول: عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين، أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس منه"(١).

الحديث فيه إشارة إلى التيسير على النَّاس وعدم الغلوِّ والتشديد، وهذا التيسير مشروطٌ بألَّا يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان النَّبيُّ ﷺ أبعد النَّاس عنه، قال الإمام ابن بطَّال: "ما لم يكن إثماً في أمور الدين، وذلك أنَّ الغلوَّ في الدِّين مذموم، والتشديد فيه غير محمود"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٠)، ومسلم في صحيحه -واللفظ له-، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله (١٨١٣/٤) رقم (٢٣٢٧).

(٢) شرح صحيح البخاري (٤٠٥/٨).

والحديث هنا يعالج هذه الإشكالية وهي الغُلُوّ التي تمثل الجانب الأكبر من التطرف بين الناس، وقد تقدم معنا التحذير من مظاهر عديدة كان الغلو والتشدد سبباً إليها، وربما أوصل إلى الكفر.

والمعالجة النّبويّة هنا تكمن في التيسير المنضبط، فقد كان النَّبيُّ ﷺ مقصوداً من الصحابة بالمشورة والتوجيه والإرشاد، ويبدو من ظاهر كلام أمِّ المؤمنين عائشة t أنَّ الصَّحابة كانوا يعرضون عليه أموراً فيها اختيارات، فيختار النَّبيُّ ﷺ الأيسر لهم الذي لا يوقعهم في الحرج، فعلى سبيل المثال: في قصر الصلاة في السفر حال الأمن، قال ﷺ: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»[١].

ومع حالة التيسير العامة التي انتهجها النَّبيُّ ﷺ وعلّمها أمّته، تنبّهنا أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى تقيد هذا العام بعدم المخالفة الشرعية، يقول الإمام ابن بطال: "ما خُيِّر رسولَ الله ﷺ أصحابُه بين أن يختار لهم أمرين من أمور الدنيا على سبيل المشورة والإرشاد إلا اختار لهم أيسر الأمرين ما لم يكن عليهم في الأيسر إثم؛ لأنَّ العباد غير معصومين من ارتكاب الإثم"[٢].

ومن هذا الباب كان النَّبيُّ ﷺ يمنع الصحابة من التَّشديد على أنفسهم، ومثال ذلك منعه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه من مواصلة الصيام، قال: "أُخْبِرَ رسولُ الله ﷺ أنّي أقول: والله لَأَصُومَنَّ النهار، وَلَأَقُومَنَّ الليل ما عشتُ. فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي، قال: «فإنَّك لا تستطيع ذلك، فصم وَأَفْطِرْ، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإنَّ الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر»، قلت: إنِّي أُطِيقُ أفضل من ذلك، قال: «فصم يوماً

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها (٤٧٨/١) رقم (٦٨٦).

(٢) شرح صحيح البخاري (٤٠٥/٨).

وَأَفْطِرْ يومين»، قلت: إِنِّي أُطِيقُ أفضل من ذلك، قال: «فصم يوماً، وَأَفْطِرْ يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام»، فقلت: إِنِّي أُطِيقُ أفضل من ذلك، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «لا أَفْضَلَ من ذلك»"(١).

وفي الجُمْلة فإنّ التّوجيه النّبويّ الكريم يتلخَّص في الأخذ بالأرفق والأيسر، وترك التكلف وطلب ما لا يطاق، وفي ذلك تعَبُّد لله تعالى، كما قال الإمام ابن القيم: "باسمه البَرِّ اللطيفِ المحسنِ الرفيقِ، فإنَّه رفيقٌ يحبُّ الرِّفق، ... لِما فيه من روح التعبُّد باسم الرفيق اللطيف، وإجمام القلب به لعبوديَّةٍ أخرى، فإنَّ القلب لا يزال يتنقَّل في منازل العبوديَّة، فإذا أخذ بترفيه رخصةِ مَحْبُوبِه استعدَّ بها لعبوديَّةٍ أخرى، وقد تقطعه عزيمتُها عن عبوديَّةٍ هي أحبُّ إلى الله منها، كالصائم في السفر الذي ينقطع عن خدمة أصحابه، والمفطر الذي يضرب الأبنية، ويسقي الرِّكاب، ويضمُّ المتاع"(٢).

وممَّا ينبغي التنبيه إليه أنَّ التَّيسير الذي اصطبغت به الشريعة الإسلامية، لا يكون إلَّا وفق النصّ من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، وأن تُفهمَ تلك النّصوص وفق الضوابط والقواعد الأصولية ومن قِبل أهل الاجتهاد، ولا يكون التيسير بالهوى أو مجاراة رغبات الناس، فذلك من الإثم الذي لا يقبله الرسول ﷺ، بل هو خروج عن الجادة والاستقامة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم الدهر (٣/٤٠) رقم (١٩٧٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقّاً (٢/٨١٢) رقم (١١٥٩).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/٤٩).

الحديث الثاني: عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، قال: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»(١).

في الحديث وصيته ﷺ لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما بالتيسير على النَّاس وترك التشدد والغلو في الدَّعوة إلى الله تعالى، ولا سيَّما لمن كان حديث عهدٍ بإسلام، قال القاضي عياض: "فيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور، والرِّفق بالنَّاس، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة والتنفير لقلوبهم، لا سيّما فيمن كان قريب العهد به، وكذلك يجب فيمن قارب حد التكليف من الأطفال ولم يتمكن رسوخ الأعمال في قلبه ولا التمرن عليها، ألَّا يشدد عليه ابتداءً؛ لئلّا ينفر عن عمل الطاعات، نعم وكذلك يجب للإنسان في نفسه في تدريبها على الأعمال إذا صدقت إرادته ألّا يبتدئها أولاً إلّا بتدريج وتيسير، حتى إذا أنست بحاله ودامت عليها، ينقلها لحال آخر، وزاد عليها في عمل أكثر من الأول، حتى يرى قدر احتمالها، ولا يكلفها ما لعلها تعجز عنه ولا يدوم عليه"(٢).

والوصية في هذا الحديث الشريف تدخل في إطار التيسير العام المنضبط الذي شرعه لنا الله تعالى ورسوله ﷺ، ولكن الخطاب هنا إلى اثنين من ولاته ﷺ، معاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، وخصّهما بهذه الوصية -والله أعلم-؛ لأنَّه من شأن الأمارة أن يكون فيها شدة وحزم، والنَّاس حديثو الإيمان، بل وفيهم من ليس بمؤمن (أهل كتاب)، فالعمل المناط بمعاذ وأبي موسى الأشعري ذو شقين: تعليمي للمؤمنين، ودعوى لغير المؤمنين، والحاجة إلى التيسير المنضبط قائمة في الحالتين، والقاسم المشترك أن كلا الفئتين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب (٦٥/٤) رقم (٣٠٣٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٣٥٩/٣) رقم (١٧٣٣).

(٢) إِكمَالُ المُعْلِمِ بفوائد مسلم (٣٧/٦).

تشتركان في الحاجة إلى الاستئناس والتيسير، وهذا ما يفسر ابتداء النَّبيِّ ﷺ بالتيسير والتبشير، والتعقيب عليهما بالنهي عن التعسير والتنفير، وصياغة هذه الجملة فيها مقابلة معنوية كما قال الإمام الطيبي: "إذا الحقيقة أن يقال: بشروا ولا تنذروا، واستأنسوا ولا تنفروا، فجمع بينهما ليعم البشارة والنذارة الاستئناس والتنفير"(١).

وهنالك إشكالية ضمنية تعيق التيسير والتبشير أشار إليها النَّبيُّ ﷺ -والله أعلم- في قوله: «وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»، ذلك أنَّ الاختلاف مؤدٍّ حتماً إلى التشديد والتنفير، لما يعكسه من صورة ضبابية عن الدعوة وأحكامها، الأمر الذي يوقع حديثي الإسلام في حيرة، ويدفع غير المسلمين إلى التوقف عن القبول.

فالمعالجة النبوية هنا ظهرت في التوجيه أولاً إلى التبشير والتيسير ثم التحذير مما يؤثر عليهما.

وهنالك معالجة أخرى تفهم -والله أعلم- من عموم هذا النَّصّ، ومن قول النَّبيِّ ﷺ لمعاذ في حديث آخر: «إنَّك تأتي قوماً أهل كتاب»(٢)، هي ضرورة فهم العالم والداعية للواقع، فالتيسير والبشارة مرتبطة بواقع الناس وأحوالهم، وما الذي يناسبهم من التيسير، وما الذي يتألَّفهم ولا ينفرهم، ومتى تكون النِّذارة ضرورية ومواتية، شريطة أن يبقى ذلك في إطار الشريعة ونصوصها.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي (٢٥٩٠/٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٩٨/٣) رقم (٢٠٧١)، والدارمي في المسند، كتاب الزكاة، باب في فرض الزكاة (١٠٠٥/٢) رقم (١٦٥٥)، وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة (٣٤/٣) رقم (١٥٨٤)، والترمذي في جامعه، أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة (١٣/٢) رقم (٦٢٥)، والنسائي في السنن، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (٢/٥) رقم (٢٤٣٥)، وابن ماجه في السنن، أبواب الزكاة، باب فرض الزكاة (٥/٣) رقم (١٧٨٣). قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

الحديث الثالث: عن الأزرق بن قيس أنَّه قال: "كنَّا بالأهواز نقاتل الحرورية، فبينا أنا على جرف نهر، إذا رجل يصلي، وإذا لجام دابته بيده، فجعلت الدابة تنازعه، وجعل يتبعها، قال شعبة: هو أبو برزة الأسلمي، فجعل رجل من الخوارج يقول: اللهم افعل بهذا الشيخ، فلما انصرف الشيخ قال: إنِّي سمعت قولكم، وإنِّي غزوت مع رسول الله ﷺ سِتّ غَزَوَاتٍ، أو سبع غَزَوَاتٍ، أو ثمان، وشهدت تَيْسِيره، أَنْ كُنْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدَعَهَا تَرْجِعُ إِلَى مَأْلَفِهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ"(١).

وفي لفظٍ آخر للإمام البخاري فيه زيادة: قال أبو برزة: "ما عنّفَني أحد منذ فارقتُ رسول الله ﷺ"(٢).

في الحديث بيان أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه لحال النَّبيِّ ﷺ في غزواته مع أصحابه، فكان أحسن النَّاس تعاملاً ﷺ مع أصحابه، فينقل حاله أنَّه شهد تيسيره في ستٍّ أو سبع أو ثمانِ غزواتٍ، وفي هذا ردٌّ على غلوِّ الخارجي الذي جعل يدعو على أبي برزة لمَّا رآه يتبع دابته حتى لا تنفلت منه، مع بيان أنَّ هذا ليس منهج النَّبيِّ ﷺ.

والغرض من إيراد هذا الحديث هنا هو: بيان سلبيات حالة الجهل ومثالب الغلوّ والتطرف، وإشكالية تصدّي أمثال هؤلاء للحُكم على الآخرين، وأسوأ منه التصدي للفتوى، ويلحظ على هذا الرجل الخارجي أو الذي يرى رأيهم كما في الرواية الأخرى؛ أن جعل من نفسه مفتياً، مع جهله وسوء خلقه، فبادر إلى سَبّ الصحابي أبي برزة رضي الله عنه والدّعاء عليه، ولو كان لديه عقل وعلم، لتأنّى قليلاً واستفسر قبل أن يبادر إلى ما قال.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة (٦٤/٢) رقم (١٢١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا (٣٠/٨) رقم (٦١٢٧).

والمتأمل في موقف أبي برزة الأسلمي ﷺ يجد معالجة راقية جداً، يتجلى فيها أثر التربية النبوية: ويمكن إجمالها في الآتي:

١. ترفُّعُ أبي برزة ﷺ عن سلوك الخارجي، فلم يجاره في التعنيف ولا الدعاء الذي تفوَّه به، بل يظهر أنَّه ترفّع عن الخطاب المباشر مع ذلك الرجل ابتداءً.

٢. علّمّ أبو برزة ﷺ الحاضرين ما جهلوه، فذكر لهم سيرة النَّبيِّ ﷺ المتواترة في التيسير، مؤكّداً ذلك بذكر عدد الغزوات.

٣. أظهر عُذْره في لحاقة بالفَرَسِ وهو في الصَّلاة وإمساكه بزمامها ثم إكمال الصلاة، وهو دفع المشقة عن نفسه لو تركها تذهب، وهو عِلْمٌ تعلّمه من رسول الله ﷺ، ومن حقِّ المسلم أن يعمل بهذا التيسير، ويدفع المشقة عن نفسه.

٤. إشعار أبي برزة ﷺ جماعةَ المسلمين الحاضرة إلى الأخذ على يد أمثال هؤلاء من الغلاة، وعدم إتاحة الفرصة لهم للتصدّي للفتوى والحكم على النَّاس، ويفهم ذلك من قوله ﷺ: "ما عنّفَني أحد منذ فارقتُ رسول الله ﷺ". وبما أنَّ الصَّلاح في هذه الجماعة كان هو الأصل والأعمّ لذلك ظهرت استجابتهم على الفور، فقد ذكر الحميدي أنَّهم قالوا للرجل: "مَا نرى الله إِلَّا مخزيك، سببتَ رجلاً من أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ"(١).

(١) الجمع بين الصحيحين للحميدي (٥٦٧/١).

الخاتمة

القضية الفكرية والسلوكية إشكالية بشرية، تستفزها الأهواء والرغبات والوساوس، فتأخذ بها ذات اليمن وذات الشمال، وتأتي الرِّسالات السماوية لتحافظ على الاستقامة الفكرية والسلوكية، ولتعالج ما انحرف منهما فوصل إلى حد التطرف المتشدد أو التطرف المفرّط، وفي السُّنَّة النبوية معين لا ينضب من تلك المعالجات، وأبرز ما توصل إليه الباحث من النتائج هو:

أولاً: التطرف لا يتوقف عند حدّ الغلو، فهو يشمل الإفراط والتشدد، كما يشمل التفريط والتساهل، والمدلول اللُّغوي واضح في هذه الدلالة.

ثانياً: لم يخلُ زمن بشري – فيما ظهر لي من الاستقراء العام – من طروء التطرف إلى الفكر والسلوك البشري، ولكن إذا توفرت له المعالجة الناجعة كما هو حال المعالجات النبوية الشريفة؛ فإنَّه يتوقَّف عند حدود الفكرة، ثم يحصل التراجع عنها، وإذا كانت المعالجات ضعيفة أو غير موجودة؛ فإنَّها تتطور إلى حدِّ الانتشار.

ثالثاً: وجود تطبيقات غير سليمة للفكر والسلوك في عهد النُّبوَّة فيه فائدة عظيمة، أهمُّها صدور تلك المعالجات النَّبويّة الشريفة التي منعت استمرارها، وهي معالجات ينبغي على كل مُرَبٍّ ومفكّرٍ مسلم أن يحيط بها، ومن ثَمَّ يستعين بها في معالجة ما يواجهه من حالات تطرف تَعْرِض له.

رابعاً: وجود الإيمان القوي والقناعة التَّامة بكمال التشريع ووفائه بكل ما يصلح حال الإنسان؛ كفيل بتحجيم التطرّف فكرةً كان أم تطبيقاً أوّلياً، وبعد ذلك التراجع عنها. ولكن الإشكالية تبقى موجودة مع ضعف الإيمان وضعف القناعة بالمعالجات الشرعية، وهو ما أدّى إلى شيوع البدع والانحرافات فيما بعد.

خامساً: المعالجات تتطلب تضافر الجهود، ويظهر ذلك من مبادرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ لإخبار النَّبيِّ ﷺ بما سمعْنَ ورأيْنَ، وكذا تصرف سلمان الفارسي وعمرو بن

العاص رضي الله عنهما، وبهذا يكون المجتمع بكافة أفراده متعاوناً على الاستقامة، ورافضاً للتطرف بكافة أطيافه.

سادساً: معرفة دوافع التطرف تعين على تحديد مكامن الإشكالية، ومن ثَمّ المعالجة المباشرة لتلك الدوافع.

سابعاً: التيسير في الإسلام سمة من سماته، ولكن الأدلة والتطبيقات النبوية الشريفة تدلّ على أنَّه ليس منفتحاً على مصراعيه كما يزيِّن بعض الناس لأنفسهم ذلك، بل هو تيسير ضمن حدود الشريعة، ولا يخرج بحال من الأحوال إلى الحرام، إلَّا في حالات الضرورة التي تقدّر بقدرها، وينتهي بانتهاء الضرورة.

وإذا ما كان من توصية؛ فيظهر لي أنَّ معالجات التطرف في السُّنة باب واسع، له جوانب عدة، وما هذا البحث إلاً بعض جوانبه، ويمكن للباحثين النظر في الجوانب الأخرى، أو أخذ الموضوع وفق دراسة موضوعية: كمعالجة التَّطرف في أركان الإسلام، ومعالجة التطرف في الإيمان بالله، ومعالجة التطرف في مقام النُّبوّة، ومعالجة التطرف في الأموال، فالذي بدا لي -والله أعلم- أنَّ هذه الموضوعات يمكن أن تُبْحَث، وفي السُّنَّة مادة ثرية لها، والله أعلم.

تنويه:

البحث مدعوم من قبل عمادة البحث العلمي بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، برقم ٢٠٠٩٤/٠٢/٢٠٢٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإبانة الكبرى، لابن بطة علي بن إسماعيل، تحقيق فوقية محمود، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧ هـ.

٢. الأحكام الوسطى، لابن الخراط، عبد الحق بن عبد الرحمن، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد، ١٤١٦هـ.

٣. أخبار مكة، للأزرقي محمد بن عبد الله، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت.

٤. الإخنائية (الرد على الإخنائي)، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق أحمد العنزي، ط١، دار الخراز، جدة، ١٤٢٠هـ.

٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للقسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر، ط٧، مصر- المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣ هـ.

٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، بيروت – دار الجيل، ١٤١٢ هـ.

٧. الإصابة، لابن حجر أحمد بن علي، تحقيق عادل معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٨. الأفراد، للدراقطني علي بن عمر، عناية جابر السريع، ط١، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق ناصر العقل، ط٧، دار عالم الكتب، لبنان، ١٤١٩هـ.

١٠. إِكمال المُعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط١، مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ.

١١. الأمالي، لابن بشران عبد الملك بن محمد، عناية عادل العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨ هـ.

١٢. الإيمان، لابن منده محمد بن إسحاق، تحقيق علي الفقيهي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٣. البحر الزخار: البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.

١٤. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد، تحقيق وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

١٥. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: للإمام الحارث بن أبي أسامة، المنتقي: نور الدين علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، ط١، المدينة المنورة - مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٤١٣ هـ.

١٦. تاج العروس، للزبيدي محمد مرتضى، تحقيق مجموعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥ – ١٤٢٢هـ.

١٧. تاريخ ابن معين يحيى بن معين، تحقيق أحمد سيف، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٨. تاريخ الرسل والملوك، للطبري محمد بن جرير، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٧٨ هـ.

١٩. التاريخ الكبير، للبخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد الدباسي، ط١، الناشر المتميز، الرياض، ١٤٤٠هـ.

٢٠. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار)، للعراقي عبد الرحيم بن الحسين، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ.

٢١. الترغيب والترهيب، لقوّام السنة إسماعيل بن محمد، تحقيق أيمن شعبان، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ.

٢٢. تعظيم قدر الصلاة: المروزي، محمد بن نصر، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، المدينة المنورة –مكتبة الدار، ١٤٠٦ هـ.

٢٣. التعيين في شرح الأربعين، للطوفي سليمان بن عبد القوي، تحقيق أحمد عثمان، ط١، مؤسسة الريان بلبنان، والمكتبة المكية بمكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

٢٤. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري محمد بن جرير، تحقيق عبد الله التركي، ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ التمهيد، لابن عبد البر

٢٥. تقريب التهذيب: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ط١، سوريا، دار الرشيد، ١٤٠٦هـ.

٢٦. تهذيب الآثار (مسند عمر)، للطبري محمد بن جرير، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، ط١، بيروت –دار ابن كثير، ١٤٢٩ هـ.

٢٨. جامع المسانيد والسنن، لابن كثير إسماعيل بن عمر، تحقيق عبد الملك الدهيش، ط٢، دار خضر للطباعة ببيروت، ١٤١٩هـ.

٢٩. الجامع، لمعمر بن راشد -مع مصنف عبد الرزاق-، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٣٠. الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن الرازي، ط١، الهند - طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٢٧١ هـ.

٣١. جزء الألف دينار، للقطيعي أحمد بن جعفر، تحقيق بدر البدر، ط١، دار النفائس، الكويت، ١٤١٤ هـ.

٣٢. الجمع بين الصحيحين، للحميدي محمد بن فتوح، تحقيق علي البواب، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣٣. حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم عبد الرحمن بن محمد، ط٣، ١٤٠٨ هـ.

٣٤. الحجة في بيان المحجة، لقوّام السنة إسماعيل بن محمد الاصبهاني، تحقيق محمد المدخلي، ط٢، دار الراية، الرياض، ١٤١٩ هـ.

٣٥. حدائق الروح والريحان، للهرري محمد الأمين، عناية هاشم مهدي، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٣٦. الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دمشق- دار المأمون، - دمشق، ١٩٩٠م.

٣٧. حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد الله، مطبعة السعادة، مصر.

٣٨. الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، للصلابي علي بن محمد، دار المعرفة، بيروت.

٣٩. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد سالم، ط٢، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١ هـ.

٤٠. دروس الشيخ عبد العزيز بن بارز (المكتبة الشاملة).

٤١. دلائل النبوة، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ.

٤٢. ذم النميمة، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق بشير عيون، ط١، مكتبة دار البيان، دمشق ومكتبة المؤيد بالرياض، ١٤١٣ هـ.

٤٣. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، للمعلِّمي عبد الرحمن بن يحيى، تحقيق عثمان علي، ط١، دار عالم الفوائد، ١٤٣٤ هـ.

٤٤. الزهد، لابن المبارك عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر محمد الزعبي بالاتفاق مع مجلس إحياء المعارف بالهند.

٤٥. السراج المنير، للعزيزي علي بن أحمد. ط١، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، ١٣٠٤ هـ.

٤٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٤٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ط١، الرياض - دار المعارف، ١٤١٢ هـ.

٤٨. السنة: ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، بيروت - المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

٤٩. السنة، لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو، تحقيق محمد الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ.

٥٠. السنة، للمروزي محمد بن نصر، تحقيق سالم السلفي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

٥١. السنن الكبرى، للنسائي أحمد بن شعيب، تحقيق حسن شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ.

٥٢. السنن المأثورة، للشافعي محمد بن إدريس، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

٥٣. السنن، لابن ماجه محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية وفيصل البابي الحلبي.

٥٤. السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق شعيب الآرناؤوط ومحمد قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ

٥٥. السنن، للترمذي محمد بن عيسى، تحقيق بشار معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.

٥٦. السنن، للدارقطني علي بن عمر، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤٢٤ هـ.

٥٧. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان البستي محمد، عناية عزيز بك وآخرون، ط٣، الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٧ هـ.

٥٨. السيرة النبوية: لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٥٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي هبة الله بن الحسن، تحقيق أحمد الغامدي، ط٨، دار طيبة، السعودية، ١٤٢٣هـ.
٦٠. شرح الأربعين النووية، للشيخ ابن عثيمين محمد بن صالح، دار الثريا للنشر.
٦١. شرح السنة، للبغوي الحسين بن مسعود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامية، دمشق وبيروت، ١٤٠٣ هـ.
٦٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، للحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ.
٦٣. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز محمد بن علاء الدين، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد الله التركي، ط١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ.
٦٤. شرح صحيح البخاري، لابن بطال علي بن خلف، تحقي ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٦٥. شرح مشكل الآثار، للطحاوي أحمد بن محمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٦٦. الشريعة، للآجري محمد بن الحسين، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
٦٧. شعب الإيمان، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق محمد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١ هـ.
٦٨. صحيح ابن حبان (التقاسيم والأنواع)، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق محمد سونمز وخالص دمير، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣ هـ.
٦٩. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٧٠. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، عناية زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، حلب، ١٤٢٢هـ

٧١. صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ

٧٢. الصمت، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق أبو إسحاق الحويني، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ.

٧٣. الضعفاء الكبير، للعقيلي محمد بن عمرو، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

٧٤. الطبقات الكبرى، لابن سعد محمد بن سعد بن منيع، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٧٥. طرح التثريب في شرح التقريب: العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم، الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

٧٦. العلل الكبير (ترتيب علل الترمذي الكبير)، للترمذي تحقيق صبحي السامرائي وآخران، ط١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

٧٧. العلل المتناهية، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، ط٢، إدارة العلوم الأثرية، باكستان، ١٤٠١ هـ.

٧٨. العلل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد، تحقيق سعد الحميد وآخرون، ط١، مطابع الحميضي، ١٤٢٧ هـ.

٧٩. عمدة القاري، للعيني محمود بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٠. فتح الباري: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٨١. فتح الباري: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ.

٨٢. فتح القريب المجيب، للفيومي حسن بن علي، تحقيق محمد آل إبراهيم، ط١، مكتبة دار السلام بالرياض، ١٤٣٩هـ.

٨٣. الفوائد المنتقاة عن الشيوخ، للحربي علي بن عمر، تحقيق تيسير أبو حميد، ط١، مؤسسة الوطن، السعودية، ١٤٢٠هـ.

٨٤. الفوائد: أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ.

٨٥. فيض القدير، للمناوي عبد الرؤوف بن علي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

٨٦. القضاء والقدر، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق محمد آل عامر، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١ هـ.

٨٧. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٨٨. كشف الأستار عن زوائد البزار: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ.

٨٩. لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، عناية اليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٩٠. مجمع الزوائد، للهيثمي علي بن أبي بكر، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٩١. المخَلِّصيّات، لمحمد بن عبد الرحمن المخلِّص، تقيق تبيل جرار، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ١٤٢٩هـ.
٩٢. مدارج السالكين، لابن القيم محمد بن أبي بكر، ط٢، دار عطاءات العلم بالرياض ودار ابن حزم ببيروت، ١٤٤١ هـ.
٩٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: القاري، علي بن سلطان الملا، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.
٩٤. المستخرج، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق، محقق في رسائل جامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٣٥ – ١٤٣٨ هـ.
٩٥. المستدرك على الصحيحين، للحاكم محمد بن عبد الله، تحقيق مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.
٩٦. المسند (البحر الزخار)، للبزار أحمد بن عمرو، تحقيق محفوظ زين الله وصبري الشافعي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٨ – ٢٠٠٩ م.
٩٧. المسند (سنن الدارمي)، للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق حسين أسد، ط١، دار المغني للنشر، السعودية، ١٤١٢ هـ.
٩٨. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، مصر، دار هجر، ١٤١٩هـ.
٩٩. مسند الحارث (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث)، انتقاء نورد الدين الهيثمي، تحقيق حسين الباكري، ط١، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، ١٤١٣ هـ.

١٠٠. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي المكي، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، ط١، دمشق، دار السقا ١٩٩٦م.

١٠١. مسند الشاميين، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي السلفي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١٠٢. المسند، لأبي يعلى أحمد بن علي، تحقيق حسين أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ.

١٠٣. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ

١٠٤. المسند، للحميدي عبد الله بن الزبير، تحقيق حسين أسد، ط١، دار السقيا، دمشق، ١٩٩٦م.

١٠٥. المسند، للروياني محمد بن هارون، تحقيق أيمن يماني، ط١، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤١٦ هـ.

١٠٦. المسند، للشاشي الهيثم بن كليب، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠ هـ.

١٠٧. المسند، للطيالسي سليمان بن داود، تحقيق محمد التركي، ط١، دار هجر، مصر، ١٤١٩ هـ.

١٠٨. مصابيح السنة، للبغوي الحسين بن مسعود، تحقيق يوسف المرعشلي وآخرون، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ١٤٠٧ هـ.

١٠٩. مصباح الزجاجة، للبوصيري أحمد بن أبي بكر، تحقيق محمد الكشناوي، ط٢، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١١٠. المصنف، لابن أبي شيبة عبد الله بن محمد، تحقيق سعد الشثري، ط١، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٣٦ هـ.

١١١. المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق دار التأصيل، ط٢، ١٤٣٧ هـ.

١١٢. المعجم الأوسط، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق طار محمد وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.

١١٣. معجم الصحابة، لابن قانع عبد الباقي البغدادي، تحقيق صلاح المصراتي، ط١، كتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨ هـ.

١١٤. المعجم الكبير، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١١٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار وآخرون، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٩ هـ

١١٦. المعجم، لابن الأعرابي أحمد بن محمد، تحقيق عبد المحسن الحسيني، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٨هـ.

١١٧. معرفة السنن والآثار، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق عبد المعطي قلعجي، مصور عن جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي – باكستان، نشر دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٢ هـ.

١١٨. معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق عادل العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩ هـ.

١١٩. المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري الحسين بن محمود، تحقيق لجنة بإشراف نورالدين طالب، ط١، دار النوادر، ١٤٣٣ هـ (من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية).

١٢٠. المفردات، للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، تحقيق صفوان الداودي، ط١، دار القلم والدرر الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٢هـ

١٢١. مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ

١٢٢. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد سالم، ط١، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦ هـ.

١٢٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٠٤ — ١٤٢٧ هـ.

١٢٤. الموطأ: للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت – دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦ هـ.

١٢٥. النكت والعيون، للماوردي علي بن محمد، تحقيق السيد عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت

١٢٦. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير المبارك بن محمد، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الرابع عشر

ربيع الأول ١٤٤٥هـ

المراســــلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ – الرياض ١١٤١٢

هاتف: ٢٥٨٥٠٩٦-١١-٠٠٩٦٦

هاتف: ٢٥٨٥٠٩٣-١١-٠٠٩٦٦

بريد الجمعية الإلكتروني:

bsserah@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمك: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

قواعـد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والرقابة والدراسات الإسلامية المعاصرة.

٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبد الوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (**A٤**).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (**Word Microsoft**) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ **Traditional Arabic**.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة (**A٤**) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠ ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

انطلاقاً من حرص الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في مواصلة رسالتها العلمية في دعم وتأصيل الدراسات الدعوية الرامية لترسيخ مبدأ الوسطية السمحاء الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها، والذي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفق منهج قائم على نبذ الأفكار والأطروحات الحزبية، وتجلية المفاهيم المغلوطة عن الدعوة إلى الله تعالى والقائمين عليها، وتقديم دراسات نوعية متخصصة، وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الرابع عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١) الإعداد والتخطيط للنصيحة.

٢) وسائل الفكر التنصيري المعاصر (دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها).

٣) توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى.

٤) علماء الشريعة وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع.

٥) منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي.

٦) حديث عمرو بن عبسة – رضي الله عنه- "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة" (دراسة دعوية).

٧) حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

نتطلع أن تكون هذه الأبحاث العلمية إضافة مميزة للعاملين في حقل الدعوة إلى

الله تعالي، والباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني baserah@imamu.edu.sa، وفق اشتراطات النشر العلمي،،،

وفقنا الله وإياكم لكل خير ...

رئيس هيئة التحرير

أ. د خالد بن هدوب المهيدب

الفهرس

الموضوع	الباحث	الصفحة
قواعد النشر		٧
مقدمة العدد		٩
١/ الإعداد والتخطيط للنصيحة.	د. عبد المحسن بن عثمان الباز	١٣-٦٢
٢/ وسائل الفكر التنصيري المعاصر (دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها).	د. عبد الله بن علي المبارك	٦٣- ١١٤
٣/ توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى.	د. عبير بن خالد الشلهوب	١١٥-١٤٤
٤/ علماء الشريعة وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع.	د. محمد بن سرار اليامي	١٤٥- ١٩٤
٥/ منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي.	د. سهل بن عبيد الله الحربي	١٩٥-٢٤٦
٦/ حديث عمرو بن عبسة – رضي الله عنه- "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة" (دراسة دعوية).	د. عبد المجيد بن حسن بخاري	٢٤٧-٣٠٢
٧/ حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.	د/ فهد بن إبراهيم بن حاضر	٣٠٣-٣٧٢

البحث رقم (١)

الإعداد والتخطيط للنصيحة

إعداد

د. عبد المحسن بن عثمان الباز

الأستاذ المساعد بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

(الجودة) منهج شرعي ومسلك نبوي ..ضلت عنه الإنسانية زمنا ..ثم عادت مؤخرا لتلتفت إليه ..وتنادي به في كافة نشاطاتها ..وبدأت الجهات العلمية والتدريبية على المستوى العالمي تتدارس موضوعات : الجودة ، والجودة الشاملة ، وإدارة الجودة ..ونحوها من الموضوعات التي تعنى بضمان انتاج مخرجات تتسم بأعلى قدر ممكن من الإتقان والإحسان ..وتلقى هذه المعارف والمفاهيم رواجا كبيرا على كافة المستويات الاقتصادية والإدارية والاجتماعية وحتى التربوية .

ولما كانت الدعوة إلى الله، والنصيحة الدعوية على وجه الخصوص من أجلّ الأعمال التي اختارها الله تعالى لصفوة خلقه وهم أنبياؤه ورسله عليهم السلام ومن تبعهم بإحسان؛ فإن الحديث عن تجويد وتحسين وإتقان أدائها من أهم الأمور وأوجب الواجبات.

وقد وفق الله تعالى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية الدعوة والإعلام بإقامة هذا المؤتمر المبارك حول (النصيحة) سعيا منها إلى تأطير مفاهيم وسبل الجودة والإتقان لهذه العبادة الجليلة.

وهذا البحث يعالج عنصرا واحدا من العناصر التي تسهم في تحقيق الجودة والتحسين والإتقان للنصيحة، وهو عنصر (الإعداد والتخطيط للنصيحة) حيث يتناول البحث مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة، ومشروعيته، وأهميته، ويسرد البحث بعض الشواهد التطبيقية على هذا المنهج من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف الأمة، ثم يركز على مجالات هذا الإعداد والتخطيط و ملامح من كيفيته، ويختم بأنواع هذا الإعداد والتخطيط، وبالله المعونة ومنه الهدى والسداد .

Research Summary

(Quality) .. a legal approach and a prophetic path .. Humanity strayed from it for a long time .. Then it returned recently to turn to it .. and call for it in all its activities .. And the scientific and training bodies at the global level began to study topics: quality, total quality, and quality management .. And other topics that are concerned with ensuring the production of outputs that are characterized by the highest possible degree of perfection and benevolence.. These knowledge and concepts are very popular at all economic, administrative, social and even .educational levels

And since the call to God, and the advocacy advice in particular, is for the actions that God Almighty chose for the elite of His creation, and they are His prophets and messengers, peace be upon them, and those who follow them in goodness; Talking about improving, improving and mastering its performance is .one of the most important things and duties

And God Almighty has enabled the Imam Muhammad bin Saud Islamic University, represented by the College of Da'wah and Media, to hold this blessed conference on "advice" in an effort to frame the concepts and methods of quality .and mastery of this great worship

This research deals with one of the elements that contribute to achieving quality, improvement, and mastery of advice, which is the element (preparation and planning for advice), where the research deals with the concept of preparation and planning for advice, its legitimacy, and its importance. The nation, then focuses on the areas of this preparation and planning and the features of how it is, and concludes with the types of this preparation and planning, and God is the aid and guidance and guidance from Him.

١-المقدمة:

الحمد لله الذي أفاض على عباده الرحمات فأرسل إليهم رسلاً من أنفسهم يمحضونهم النصح ويهدونهم سبل الرشاد ، والصلاة والسلام على أنصح الخلق للخلق؛ الذي عظَّم شأن النصيحة حتى جعلها هي الدين فقال ﷺ (الدين النصيحة)[١] فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ... فإن المتأمل لسير الدعاة إلى الله تعالى ، وعلى الأخص مواقف النصح التي جرت في سيَرهم ، بدءاً بأنبياء الله تعالى ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ؛ ثم من تبعهم بإحسان إلى هذا الزمان ؛ من الدعاة إلى الله تعالى على بصيرة، السائرين على نهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، يجد أن النصيحة التي بذلها هؤلاء القدوات في مواقفهم الدعوية لم تكن . فيما يظهر . قولاً مرتجلاً يعتمد على ما عنّ في ذهن الناصح لحظة إسداء النصيحة "عفوَ الخاطر" ؛ بل يترجح أن النصيحة الدعوية كانت في مواقف عديدة معدة سلفاً بقدر من الإعداد ،ولو للحظات من التأمل الذهني، ومخطط لها بشيء من التهيئة المسبقة . طالت هذه التهيئة أو قصرت . بما يتناسب مع طبيعة المدعو وطبيعة الموضوع الدعوي، وطبيعة البيئة الدعوية التي تُدار فيها هذه النصيحة؛ الأمر الذي كان له أثره الأقوى في هداية المدعوين وإقناعهم أو إقامة الحجة عليهم، ولا شك أن العادة قد جرت بأن نصيحة الداعية لصاحب ولاية أو جاه، أو صاحب شبهة دقيقة، أو شهوة متجذرة؛ قد تتطلب منه قدرا من التهيئة والإعداد وانتقاء الألفاظ والأساليب وحسن ترتيب المضامين ونحو ذلك .. بقدر أكمل من نصيحة هذا الداعية لسوى هذه

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، من حديث تميم الداري رضي الله عنه ، [بيروت . دار ابن حزم . ط ١|لأولى ١٤١٦هـ] كتاب : الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة ، (ح٥٥) (١/٧٥) .

الأصناف،كمن هم دون الداعية في المنزلة النسبية أو العرفية أومن له عليهم ولاية ، أو من هم متلبسون بشبهات أو شهوات أقل عمقا وتجذرا .

وعلى سبيل المثال ؛ نجد فيما سطره لنا القرآن الكريم من خبر نصيحة نبي الله إبراهيم عليه السلام أباه آزر أنموذجاً واضحاً لترتيب المضامين والأساليب بخطوات متسلسلة وإتقان بديع للترقي بذلك المدعو ، وتجنب ما يشغله عن الانتفاع بالنصيحة قبل اكتمالها بأساليب عدة منها الإجابة على ما قد يعنّ له من شبهات أو غيرها من عوائق التلقي قبل أن تقفز إلى ذهنه وتسيطر عليه وتشغله عن الاستيعاب ؛ وغيرها من ملامح الإعجاز البياني البديع في سبك هذه النصيحة ؛ مما يشهد بتأييد الله تعالى لنبيه عليه السلام وحسن تسديده له ، كما قد يوحي . خاصة في شأن غير الأنبياء عليهم السلام . بشيء من الإعداد والتخطيط المسبق للنصيحة الدعوية قبل عرضها حتى لو كان ذلك الإعداد . كما أسلفنا . لبضع لحظات ، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾[(١)] فخاطبه بغاية التلطف بلفظ (يا أبت) ، ثم لم يُسَمّ الأصنام بأسمائها التي يعرفها أبوه آزر ؛ بل أضاف لها وصفاً جديدا على هذا المنصوح لافتا انتباهه ؛ ومثيراً فضوله للإنصات طلبا للاستفصال ، ليضمن الناصح . بذلك . حرص المنصوح على الاستمرار في سماع بقية النصيحة أياً كانت ، ولعل إبراهيم عليه السلام تفطن إلى عائق من عوائق الانتفاع بالنصيحة وهو أنه من غير المعتاد أن يتولى الابن نصيحة أبيه ، بل جرى العرف على العكس!! ؛ لذا بادر الناصح إبراهيم عليه السلام إلى تحييد هذا العائق قبل أن يعمل عمله في صرف المنصوح عن الانتفاع بالنصيحة ؛ فبادر عليه السلام أباه ببيان المبرر الذي دفعه لمبادأة أبيه بالنصح ؛ فأوضح له

(١) سورة (مريم/٤١-٤٢) .

أن الدافع لنصحه ليس الاستهانة بعلو مكانة الأب النسبية ، ولا تجاهل ما هو عليه من السبق في العمر والخبرات ، بل المبرر : وحي إلهي من الله تعالى أوحى به إلى إبراهيم عليه السلام ، ومعارف لدنيّة لا قبل للبشر بالإحاطة بها إلا بوحي من الله تعالى يوحيه إلى رسله: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ (١)..إلى آخر هذه النصيحة الدعوية البليغة التي ظهر فيها التسلسل البديع المنبئ عن حسن الإعداد ، فضلاً عن الإلهام والتوفيق من الله تعالى لهذا النبي الكريم القدوة في نصحه ودعوته .

وهذا صفوة الخلق صلوات ربي وسلامه عليه يوم الحديبية يعُدّ للموقف الدعوي والنصيحة الدعوية إعدادا ماديا محسوسا وليس إعداداً قوليا فحسب ؛ فيهيئ البيئة المحفزة على قبول النصيحة ، لتكون النصيحة أعمق تأثيرا وأكثر مواءمة مع طبيعة المدعو ؛ وقد كان الموقف يتطلب وعظ قريش وإسداء النصيحة لهم بأن يحذروا من التعرض لبطش الله تعالى بصدهم من يقصد بيته الحرام للعمرة أو الحج ، وكانت قريش قد أرسلت له ﷺ . فيمن أرسلت للمفاوضة . (الحلس بن علقمة الكناني ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : (هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدي في وجهه) فبعثوا الهدي ، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، قد أكل أوتاره من طول الحبس في محله رجع ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى! ، فقال يا معشر قريش

(١) سورة (مريم /٤٣).

!! ، قد رأيت ما لا يحل صدّه : الهديَ في قلائده قد أكل أوتاره من طول الحبس عن محله ، فقالوا : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك ....) [1]

وهكذا نشأ الرعيل الأول من مدرسة النبوة، فهذا فاروق هذه الأمة عمر ﷺ حين فجع مع من فجع بأمر وفاة النبي ﷺ وبلغه أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وقد خطبهم سعد بن عبادة ﷺ في شأن تولي الأمر بعد رسول الله ﷺ ؛ قال عمر ﷺ : (فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زوّرت [2] في نفسي مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحدّ [3] فقال أبو بكر ﷺ : على رسلك يا عمر! ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم مني وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته ، أو مثلها ، أو أفضل حتى سكت)[4] قال ابن حجر – رحمه الله – : (زورت مقالة : أي هيأتها وصورتها في نفسي) [5] .

---

(١)الإمام أحمد ، المسند [بيروت . مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤٢١هـ . بتحقيق شعيب الأرنؤوط] برقم (١٨٩١٠) (٢١٤/٣١) وصححه الألباني ، تحقيق الألباني لفقه السيرة لمحمد الغزالي [دمشق . دار القلم . ط السابعة ١٩٩٨م] (ص٣٢٦)

(٢) التزوير تهيئة الكلام وتقديره ، انظر : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، الزاهر فى معانى كلمات الناس [بيروت – مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤١٢ هـ] (٤٢٠/١) .

(٣)الحدّ : الحدُّ والحدّة سواء ، من الغضب ، انظر : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [بيروت . المكتبة العلمية . ط ١٣٩٩هـ] (٩٠٩/١) .

(٤)ابن هشام ، السيرة النبوية [بيروت . دار الجيل . ١٤١١هـ] (٨٠/٦) .

(٥)ابن حجر ، فتح الباري [بيروت . دار الفكر . بتحقيق محب الدين الخطيب وتعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز] (١٢٨/١).

ولا شك أن الإتقان والإعداد المسبق من أبجديات هذا الدين العظيم المحكم، قال تعالى : ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾[1] وقال جل من قائل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [2]

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث ليلقي الضوء على مقوم أحسبه من أهم مقومات نجاح النصيحة الدعوية ألا وهو: **الإعداد والتخطيط للنصيحة** من حيث المقصود بهذا الإعداد وأدلة مشروعيته وشواهده ومجالاته وأنواعه.

٢-مشكلة البحث وأهميته :

تتجلى مشكلة البحث في ظاهرة ضعف تقبل كثير من المدعوين للنصيحة الدعوية ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [3] رغم اشتمالها أحياناً على بعض ما يجب من توفر النصوص والبراهين ونحوها، وقد يرجع هذا الإعراض لأسباب منها عدم تنبه بعض الدعاة -وفقهم الله- لأهمية التخطيط للنصيحة قبل عرضها على المدعو – ولو للحظات – لتحقيق مستوى أعلى من مناسبتها للمدعو من حيث الأسلوب وانتقاء وترتيب الشواهد والهوية الدعوية المناسبة وصولا – بإذن الله تعالى- إلى قدر أعلى من التأثير والإقناع .

كما يؤكد أهمية الموضوع ما دلت عليه النصوص من وجوب إتقان النصيحة والعناية بتجويدها والسعي لبلوغها الغاية والمقصد منها، فنصوص الأمر بالدعوة تأتي مقرونة بالضوابط التي تزيد فرصة تقبلها والانتفاع بها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

---

(١) سورة (البقرة /١٩٥) .

(٢) سورة (الأنفال /٦٠) .

(٣) سورة (يوسف/١٠٣) .

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾(1)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ (2).

٣- أهداف البحث :

يهدف البحث إلى ما يلي :

١- بيان مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة .

٢- بيان مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة وأهمية هذا الإعداد .

٣- استعراض شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله.

٤- عرض مجالات الإعداد والتخطيط.

٥- بيان أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة.

٤- تساؤلات البحث:

سيجيب البحث – بإذن الله عن التساؤلات التالية:

١- ما مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة ؟

٢- ما مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة ؟

٣- ما مدى أهمية هذا الإعداد ؟

٤- ما شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله ؟

٥- ما مجالات الإعداد والتخطيط ؟

---

(1) سورة (النحل /١٢٥) .

(2) سورة (النور /٥٤) .

٦- ما أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة ؟

٥- الدراسات السابقة :

حفلت المكتبة الإسلامية – بفضل الله تعالى- بالعديد من المؤلفات والأبحاث المتعلقة بالنصيحة في القديم والحديث ، مثل كتاب (النصيحة الولدية/ وصية أبي الوليد الباجي لولديه /لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت٤٧٤هـ) ، وكتاب (الفرق بين النصيحة والتعيير/ للإمام الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة (٧٩٥هـ)، واتجهت بعض الكتابات لشرح حديث "الدين النصيحة" مثل كتاب (النقول الصريحة في شرح حديث الدين النصيحة /لأبي يوسف محمد زايد/ط ١٤٢٧) وكتاب (الرسالة الفصيحة في فهم حديث الدين النصيحة/عبد العلي بلامين) ، كما نظمت جامعة الإمام ممثلة في كلية الدعوة والإعلام مؤتمرا عالميا بعنوان (مؤتمر "النصيحة .. المنطلقات والأبعاد" خلال الفترة من ٢٧-٢٩ محرم ١٤٣٤هـ.) تلقت فيه اللجنة العلمية للمؤتمر قريبا من أربعمائة بحث حول المحاور التي وضعتها اللجنة العلمية المنظمة للمؤتمر ، كان من بين تلك الأبحاث : الصورة الأولية لبحثي هذا (**الإعداد والتخطيط للنصيحة**)حيث نال استحسان اللجنة ، وتشرفت بعرضه في إحدى جلسات المؤتمر لتميزه في موضوعه ، ولا شك ان هذا التراكم العلمي الغزير لموضوع النصيحة له دلالة واضحة على أهمية الموضوع ، إلا ان الباحث لم يعثر – في حدود اطلاعه- على أي بحث تناول موضوع (التخطيط للنصيحة) وفقا لطريقة التناول التي سلكها هذا البحث.

٦-منهج البحث:

يقوم هذا البحث على:

١-المنهج الاستقرائي وهو: الحكم على الكل بما يوجد في جزئياته جميعا .. فالاستقراء يدرس بعض الجزئيات والظواهر بغية الكشف عن العلل والعلاقات التي تجمع بينها لنصل

بهذا إلى معرفة القوانين العامة او القضايا الكلية[1]، وسيوظف الباحث هذا المنهج عند استقراء شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله.

٢- والمنهج الاستدلالي الاستنباطي: وهو المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومسلم بها إلى قضايا أخرى تتضمنها وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة [2] وسيوظف الباحث هذا المنهج عند الحديث عن مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة وأهميته ومجالات وأنواع الإعداد للنصيحة.

٧-تقسيمات البحث :

وقد جاءت خطة هذا البحث في مقدمة وخمس مباحث ، على النحو التالي :

مقدمة البحث:[وتشمل أهمية الموضوع ، ومشكلته البحثية وسبب اختياره ، وأهدافه، وتساؤلاته ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث وتقسيماته]

المبحث الأول: مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة .

المبحث الثاني: مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة وأهميته .

المبحث الثالث: شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله.

المبحث الرابع: مجالات الإعداد والتخطيط.

المبحث الخامس: أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) د . فرج الله عبدالباري ، مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة ، (ص٤٦).

(٢) غازي بن حسين عناية ، مناهج البحث (ص٨١) .

المبحث الأول

مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة

الإعداد: العين والدال (عدّ) أصل صحيح واحد، لا يخلو من العدّ الذي هو الإحصاء، ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشيء ... والعُدّة : ما أعدّ لأمرٍ يحدث ، يقال أعددت الشيء أعدّه إعداداً ، واستعددت للشيء وتعدّدت له [١] ، قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[٢]الإعداد هو التهيئة والإحضار[٣].

والتخطيط: الخاء والطاء أصل واحد ، وهو أثر يمتد امتداداً ، فمنه خط الكاتب ، وخط الزاجر ، قال تعالى : ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٍ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾[٤] ، قالوا هو الخط ، ومنه الخِطَّة: وهي الأرض يختطها المرء لنفسه ، ومنه الخُطّة وهي الحال ، يقال هو بخُطة سوء ، ويقال: في رأس فلان خُطْيَةٌ ، قيل : إنما هي خُطّةٌ وهي أمر يُخَطّ ويؤثَّر [٥] وفي الحديث . في يوم الحديبية . (لا يسألوني خُطّة يعظِمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) [٦] وفي

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة [بيروت . دار الفكر . ط١٣٩٩هـ . بتحقيق عبدالسلام هارون] (٢٩/٤) .

(٢) سورة (الأنفال / ٦٠) .

(٣)ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، [تونس . الدار التونسية للنشر . ط١٩٨٤م] (٥٥/١٠) .

(٤) سورة الأحقاف (آية رقم /٤) .

(٥) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، [مرجع سابق] (١٥٤/٢) .

(٦) صحيح البخاري ، [القاهرة . دار الشعب . ط الأولى ١٤٠٧هـ] كتاب : بدء الوحي ، باب : الشروط في الجهاد والمصالحة ، (٢٥٣/٣)

الحديث أيضاً: (أنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها)(١) أي أمراً واضحاً في الهدى والاستقامة) (٢)، والخُطّة كالخط كأنها اسم للطريقة (٣).

والتخطيط يدخل اليوم في علوم الإدارة والتنمية البشرية (٤) ، ومن معاني التخطيط ـ في هذه العلوم ـ أنه : (وضع الفروض أو الافتراضات المتعلقة بالمستقبل فيما يتعلق بتحديد الأنشطة الواجب القيام بها من أجل تحقيق النتائج المرجوة) (٥) ، فهو إذاً (التقرير المقدم لما يجب عمله ، وكيف يمكن عمله ، ومتى يمكن عمله ومن الذي يقوم بالعمل ، وكذلك هو الافتراضات لما ستكون عليه الأحوال في المستقبل ، ثم وضع خطة تبين الأهداف المطلوب الوصول إليها ، والعناصر الواجب استخدامها لتحقيق الأهداف ، وكيفية استخدام هذه العناصر ، وخط السير ، والمراحل المختلفة الواجب المرور بها ، والوقت اللازم لتنفيذ الأعمال) (٦) .

والنصيحة: النون والصاد والحاء أصل يدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما أصل ذلك: الناصح: الخياط، والنِّصاحُ: الخيط يخاط به، .... ومنه النصح والنصيحة خلاف الغش، وتوبة نصوح: صحيحة ليس بها خروق ولا ثلمة، وناصح العسل: الخالص الذي لا

---

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

(٢) الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [– بيروت ، المكتبة العلمية ـ ١٣٩٩هـ] (١١٧/٢) .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب [بيوت ـ دار الفكر ـ ط الأولى ١٤١٠هـ] (٢٨٧/٧) .

(٤) يرى علماء الإدارة أن العملية الإدارية تقوم على التخطيط ثم التنظيم ثم التوجيه ثم الرقابة ثم التقويم ، انظر مثلاً : كامل المغربي ، أساسيات الإدارة ، [الأردن ـ دار الفكر ـ ط١٩٩٥م] (ص١٩) .

(٥) عبده ناجي ، الإدارة العامة (مدخل إداري) [القاهرة ـ دار النهضة ـ ط١٤١١هـ] (ص٧٩) .

(٦) د. محمد البشير محمد عبدالهادي ، دور الإدارة التربوية في تخطيط وتنظيم وتوجيه حلقات القرآن الكريم ، [ط الأولى ـ ١٤٢٩هـ] (ص١٣) .

يتخلله ما يشوبه[1]، قال الخطابي : النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصح في اللغة: الخلاص؛ يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع [2].

ومما لا يخفى أن النصيحة تتضمن ما يقوم به الداعية من "مبادرات " لتبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة ، كما تتضمن ما يقوم به المحتسب من "ردود أفعال شرعية " لأمر الناس بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهيهم عن المنكر إذا ظهر فعله .

التعريف الإجرائي لـ الإعداد والتخطيط للنصيحة في هذا البحث:

لا شك أن من معاني "الإعداد" : التهيئة المسبقة وتصوير ما يراد قوله أو فعله أو تهيئته قبل الشروع فيه ولو للحظات ،كما إن "التخطيط" . فيما يظهر . قد يكون جزءا من الإعداد وهو أخص منه من جهة تركيزه على تحديد الأهداف وما يلزم لتحقيقها والمراحل التي يجب سلوكها مع تحديد من يقوم بالمهمة ؟ومتى ؟ ، ولا شك أن من معاني "النصيحة" : التوجه للمنصوح بما يحقق له الخير في شأن دينه ودنياه ؛ بدءً بموقف دعوي أو حسبي واحد محدود الزمان والمكان ، ومحدود الهدف والمستهدف بالنصيحة وموضوعها ، ومرورا بالبرامج قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى التي تصب في هذا الإطار ،ووصولاً إلى المعنى العام للنصيحة التي هي الدين . كما عبر الرسول الكريم ﷺ وهي وظيفة المسلم طوال حياته ، يعيش دهره ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

---

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة [مرجع سابق] (٥ /٤٣٥) .

(٢) أبو سليمان الخطابي ، معالم السنن [حلب . المطبعة العلمية – ط الأولى ١٣٥١ هـ] (٤٨٦/٢) .

وعلى ضوء ذلك فإن الإعداد للنصيحة في هذا البحث سينحصر في مفهوم إجرائي محدد هو: (**التهيئة المسبقة للأقوال والأفعال والظروف المصاحبة قبل أو قبيل الشروع في موقف النصيحة الدعوية أو الحسبية المحدود، من حيث الناصح والمستهدف بالنصيحة وموضوعها ووسائلها وأساليبها، ومن حيث الزمان والمكان والأهداف والخطوات، تحقيقاً لمقتضى الحكمة والبصيرة**).

المبحث الثاني

مشروعية وأهمية الإعداد والتخطيط للنصيحة

تتضح مشروعية الإعداد للنصيحة من خلال جوانب عدة منها:

١. ما شرعه الله تعالى من "ضرورة مراعاة طبيعة المدعو" حال الدعوة والنصيحة وما يتطلبه ذلك . غالباً . من حسن الاستعداد.

فلقد شرع الله تعالى لعباده القيام بالدعوة إلى دينه والنصيحة لعباده، ولكنه جل وعلا لم يأذن لهم أن يشرعوا بالدعوة كيفما اتفق دون ضوابط تستلزم الإعداد، بل ضبط سبحانه القيام بهذا الواجب بضوابط لا يجوز التغافل عنها؛ فقال سبحانه مخاطبا حبيبه ﷺ . وأمته في ذلك تبع له . : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[١] .. ثم أردف سبحانه بضوابط هذه الدعوة فقال سبحانه: ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[٢] ولا شك أن تحقيق الحكمة في الخطاب قد لا يتأتى دائماً للداعية إذا كان يشرع في الخطاب دونما تهيؤ أو إعداد ، أو يعمد إلى ما يعنّ في باله عفو الخاطر ، بل ربما يحتاج . غالبا . إلى لحظات تأمل وإعداد قبل الشروع قد تطول أو تقصر ، يتأمل فيها في موضوع النصيحة وظروفها وأدواتها ، وفي طبيعة المنصوح والأسلوب الأمثل لمخاطبته ، قال ابن القيم (رحمه الله) في بيان هذه الآية : (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق ؛ فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق "الحكمة" والقابل

(١) سورة (النحل /١٢٥) .

(٢) سورة (النحل /١٢٥) .

الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى "بالموعظة الحسنة"، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب ، والمعاند الجاحد "يُجادل" بالتي هي أحسن)[1].

٢. ما شرعه المولى جل وعلا لرسوله ﷺ وأرشده ﷺ إليه من "ضرورة اتصاف الداعي ودعوته بالبصيرة " ووجوب الاستمرار في طريق الدعوة إلى الله تعالى ، ولكنها ليست أي دعوة ! ؛ بل هي الدعوة المنضبطة بضابط {البصيرة} التي تستلزم ـ غالبا ـ حسن الإعداد والتهيؤ للدعوة قبل الشروع بها ، قال جل من قائل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[2] .أي على علم (لا على جهل ..على بصيرة فيما يدعو إليه ، بأن يكون عالما بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه ..وعلى بصيرة في حال المدعو .. وعلى بصيرة في كيفية الدعوة..)[3]

كما بيّن جل وعلا مسؤولية الرسول ﷺ وأتباعه السائرين على نهجه وأنها البلاغ، ولكنه جل وعز ضبط هذا البلاغ بوصف دقيق فهو ليس مجرد بلاغ يجيء عفو الخاطر، بل هو بلاغ "مبين" فقال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[4] أي : (الموضح للحق) [5] الكافي المؤيد بالحجة الساطعة[6] الموصل للغاية .وقال جل وعلا:

---

(١) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ، [بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ب ط] (١/١٥٣).

(٢) سورة (يوسف / ١٠٨) .

(٣) الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) ،زاد الداعية إلى الله [الرياض ـ الجمعية السعودية للدراسات الدعوية ط الأولى ١٤٣٠هـ]ص٣،٢.

(٤) سورة (النور/٥٤) .

(٥) أحمد بن عجيبة ، البحر المديد [بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط الثانية ١٤٢٣هـ] (٤/٢٩) .

(٦) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، [مرجع سابق] (٥/٢٠٣) .

﴿ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(١)، قال الشيخ عطيه سالم رحمه الله . :(أي البيان الذي يصحبه الإقناع ، ويثمر الاستجابة)(٢) ، وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾(٣)، قال الإمام الماوردي :(إنه البيان الكافي في كل غرض مقصود) (٤).

وإذا كان الداعية أو المحتسب يعلم من نفسه أن دعوته وحسبته قد تفتقر إلى البصيرة والحكمة والبيان ما لم يتهيأ ويعدّ لها ؛ فالواجب عليه أن يعدّ لها ويتهيأ لها وفقاً لما قرره أهل العلم من أن (ما لا يتم الواجب إلا به وهو مقدور للمكلف فهو واجب) (٥).

٣. ما أمر الله تعالى به من وجوب الإحسان والإتقان في كل شأن من شؤون المسلم ومن ذلك النصيحة الدعوية والحسبية بأركانها الأربعة : القائم بها ، والمستقبل لها ، وموضوعها ، وطريقة ادائها ، وما يستلزمه هذا الإحسان والإتقان من لوازم قد يكون من أجلها الإعداد المسبق والتهيؤ الكافي ، قال جل وعلا: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾(٦) فمن معاني الإحسان هنا : الإتقان في أداء الفرائض وغيرها من القربات ؛ كالإتقان في الإنفاق في سبيل الله من الطيبات بلا منّة ، وحسن الظن بالله في حسن الخَلَفْ(٧) (وإن من أعظم

---

(١) سورة (إبراهيم /٤) .

(٢) أصول الخطابة والإنشاء[مدينة رسول الله ﷺمكتبة التراث . ط الأولى١٤٠٨هـ] ص٢٠.

(٣) سورة(ص/٢٠).

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير[بيروت . المكتب الإسلامي . ط الرابعة ١٤٠٧](١١٢/٧).

(٥)الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام [بيروت . دار الكتاب العربي – ط الأولى . ١٤٠٤ هـ ، بتحقيق الشيخ عبدالرزاق عفيفي] (١٠٣/١) .

(٦) سورة (البقرة/١٩٥) .

(٧) انظر : محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان [بيروت . دار الفكر للطباعة و النشر .١٤١٥ هـ] (١٧٤/١) .

النفقة نفقة العلم)[1] الذي يبلغه ويعلمه ويسعى إلى تطبيقه بين الناس "في الدعوة" ، أو يلزم الناس بمقتضاه "في الحسبة" ،وهو حقيقة النصيحة الدعوية والحسبية التي ينبغي أن تُسدى بإحسان وإتقان .

كما إن مما لا شك فيه أن طلب الإتقان والإحسان يستلزم . غالباً . الإعداد الجيد والتهيئة المسبقة ، قال ﷺ : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[2] .

وإذا كان الجهاد في حقيقته وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله فإن موقف القتال يتطلب إعداداً مسبقاً لضمان جودة الأداء ؛ ولذا أمر الله تعالى بالإعداد له فقال : ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3] بل يرشد المولى جل وعلا نبيه ﷺ وجيش المسلمين ويهيئهم تهيئة مسبقة للتصرف الصحيح عند حلول موقف دخول وقت الصلاة أثناء الحرب فيقول عز وجل : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[4] ، وبهذا الإعداد الدقيق المفصل المسبق يسلم الجيش المسلم من

---

(١) ذكر ذلك الحسن البصري ، ونقله عنه ابن تيمية ، مجموع الفتاوى [الرياض . عالم الكتب . ١٤١٢هـ] (٤٢/٤) .

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها ، محمد الشيباني ، الجامع الصغير وزيادته ، [بيروت . عالم الكتب . ط١٤٠٦هـ] (برقم ١٨٨٠) (٣٨٣/١) وحسنه الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته،[بيروت . المكتب الإسلامي – ط الثالثة١٤٠٨هـ]برقم (١٨٨٠) (٣٨٣/١).

(٣) سورة (الأنفال / ٦٠).

(٤) سورة (النساء / ١٠٢).

فوات الصلاة ومن فوات أخذ الحذر والحيطة من مكر الكافرين[1] ، ومن القلق والارتباك الذي يصاحب المفاجآت والمواقف التي لم يسبق الإعداد لها ، ولا شك أن (الجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان)[2]، فجهاد النصيحة والبيان إذا يشرع فيه الإعداد ، كما هي الحال في جهاد السيف والسنان ، بل ربما النصيحة أسبق وأولى .

٤ . تهيئة المولى جل وعلا رسله وأنبيائه وتزويدهم بالطرق الأنجع والترتيب الأنفع للمضامين ليسلكوها في نصيحتهم ، لئلا يفجأهم موقف النصيحة وردة فعل المنصوح بما لم يتهيئوا له ومن ذلك إعداد الله نبيه موسى عليه السلام وأخاه هارون عليه السلام لنصيحة الطاغية فرعون بأسلوب الخطاب وترتيب مضامينه ، قال تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ وهنا يتذكر الناصح المعوقات التي قد تعرض له ويسترشد بشأن الخطة المناسبة فيما لو حصل هذا العائق : ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ ، وهنا يأتيه التوجيه والإعداد للمسلك الأنجع شعورا وتطبيقا : ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ فلا بد من رباطة الجأش من الناحية الوجدانية ، ثم إتقان الأداء المهاري وترتيب المضامين وإعداد الحجج ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾[3].

---

(١) انظر : جميل أبو العينين ، أصول الإدارة من القرآن والسنة [بيروت . دار الهلال . الطبعة الأولى ٢٠٠٢م] (ص١٣٥) .

(٢) ابن قيم الجوزية ، القصيدة النونية ((الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)) [بيروت . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ] (ص٥) .

(٣) سورة (طه/٤٤ـ٤٨).

٥ . حرص قدوة الدعاة ﷺ على الإعداد لنصيحته ، تارة باستثمار الظروف والمشاهد التي تعرض للمنصوحين حين تتهيأ ، وتارة بتهيئة الظروف المكانية والزمانية ،.وتارة بترتيب المضامين بما يحقق الإقناع ويمنع عوائق الاستجابة قبل نشوئها ، وتارات أخرى بأنواع أخرى من الإعداد .

فنراه –على سبيل المثال– صلوات ربي وسلامه عليه يستثمر مشهدا لجدي ميتٍ ذاهب الأذنين ، قد هان على أهله حتى رموه بعيدا ، يراه الصحابة وهم بصحبة المصطفى ﷺ فيوظف ﷺ هذا المشهد في نصيحته لهم أحسن توظيف ،ويجعله أداةً من أدوات الإعداد لنصيحته لتثبت وتترسخ في عقول وقلوب المنصوحين (١) فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– (مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ (٢) فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ (٣)مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ (أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ). فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَىْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ « أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ). قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ !! فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ: (فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ)(٤).

كما نلحظ أنه ﷺ لا يكتفي باستثمار الظروف والمواقف المناسبة للنصيحة ، بل يسعى إلى صنع هذه الظروف وتهيئتها إعدادا لنصيحته ، فنراه مثلا يحرص أحياناً على أن

---

(١) هذه التقنية يسميها المختصون في التنمية البشرية وعلوم التأثير والإقناع :(محاكاة الخبرة الحالية) .

(٢)كنفته: جانبه أى أحاط به الناس من جانبه، انظر: النووي، شرح صحيح مسلم[بيروت . دار إحياء التراث العربي – ط الثانية ، ١٣٩٢](٩٣/١٨) .

(٣) الأسكّ: صغير أو ذاهب الأذنين سواء من أصل الخلقة أو مقطوعها [انظر : المرجع السابق : الموضع نفسه] .

(٤) مسلم ، صحيح مسلم[مرجع سابق] كتاب : الزهد والرقائق باب :١ ح(٧٦٠٧)(٢١٠/٨).

لا يشرع في النصيحة والتوجيه قبل أن يتوثق أولاً من تهيئة الظروف المناسبة للانتفاع بالنصيحة والتخلص من الصوارف كالأحاديث الجانبية التي تشغل السامع، ومن شواهد ذلك تكليفه بعض الصحابة أن "يستنصتوا" له الناس قبل بدئه ﷺ بالنصيحة ،فقد روى البخاري من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ :(اسْتَنْصِتِ النَّاسَ!!) ، فَقَالَ ﷺ:(لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)[١] .كما طلبﷺ ذلك من بلال رضي الله عنه في آخر يوم عرفة [٢] .

وكذلك نراه ﷺ يهيئ الظروف المكانية، والنفسية للنصيحة الدعوية بشكل أكثر وضوحا في موقف سابق لهذا الموقف بكثير، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٣] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حَتَّى صَعِدَ عَلَى الصَّفَا فَهَتَفَ :« وَاصَبَاحَاهُ ». فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِى يَهْتِفُ؟ قَالُوا : مُحَمَّدٌ. قَالَ : فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ :« يَا بَنِى فُلاَنٍ يَا بَنِى فُلاَنٍ يَا بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِىَّ؟ ». قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ :« فَإِنِّى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ »)[٤] . فصعوده ﷺ على مكان مرتفع ، ثم ترتيب المضمون الدعوي بتقديم ما

---

(١) البخاري، صحيح البخاري[مرجع سابق]كتاب: العلم، باب: الإنصات للعلماء ح١٢١(١/٧٧).

(٢) روى المنذري أنه ﷺ (وقف بعرفات وقد كادت الشمس أن تؤوب ، فقال : (يا بلال ! أنصت لي الناس) انظر: المنذري ، الترغيب والترهيب[بيروت . دار الكتب العلمية . ط الأولى] كتاب الحج ، ح(٧)(٢/٢٠٣) ، وقال عنه الألباني: صحيح لغيره ،(صحيح الترغيب والترهيب ح١١٥١(٢/١٦).

(٣) سورة (الشعراء /٢١٤).

(٤) البيهقي، السنن الكبرى [الهند . مجلس دائرة المعارف النظامية . ط الأولى١٣٤٤هـ] ح(١٨١٨١)(٩/٧).

يمكن المنصوحين من استحضار الصورة الذهنية الإيجابية المستقرة لديهم عن الناصح من جهة صدقه وأمانته وتمام نصحه ؛ وذلك من خلال مثال الخيل التي تخرج من سفح الوادي ، ولا يخفى أن هذا المثال له أثر فاعل في تجنب صارف التكذيب قدر الإمكان من جهة كما إن له أثر بملء النفس بمشاعر الحذر والترقب والاهتمام ونبذ الدعة واللامبالاة ، ...إلى غير ذلك من الجوانب التي ساهمت في التهيئة لهذه النصيحة لتحقق المراد منها .سواء في بنائها أو في الظروف المحيطة بها .

ثم نراه أيضاً صلوات ربي وسلامه عليه في موقف آخر يهيئ الظروف للنصيحة بشكل متقن ، إذ يصنع "وليمة" للمنصوحين ، ويكرمهم في بيته ، حتى إذا امتلأت قلوبهم يقينا بمحبته ﷺ لهم ، وشفقته عليهم ،وحرصه على تحقيق الكرامة لهم . بشكل عملي وليس مجرد دعوى . ساق لهم نصيحته المعدّة لهم الرامية إلى كرامتهم الأبدية في أوجز عبارة ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(١) ، قال : جمع النبي ﷺ أهله فاجتمع له ثلاثون فأكلوا وشربوا ، قال : فقال لهم : (من يضمن عني ديني ومواعيدي ؛ ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي ؟) فقال رجل . لم يسمه شريك . : (يا رسول الله أنت كنت بحراً ،من يقوم بهذا ؟) قال: ثم قال الآخر ، قال : فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي رضي الله عنه : أنا)(٢).

(١) سورة (الشعراء/٢١٤) .

(٢) مسند الإمام أحمد، بتحقيق أحمد شاكر وحمزة أحمد الزين[مرجع سابق] ح(٨٨٣) (٢/١٦٥-١٦٦) وحسّن الشيخ أحمد شاكر إسناده ، انظر هامش المسند (٢/١٦٥) وجوّد الهيثمي إسناده وقال : إسناده جيد وله طرق ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد [القاهرة /بيروت . دار الريان للتراث العربي / دار الكتاب العربي ط١٤٠٧هـ](٩/١١٣) .

٦. إعداد النبي ﷺ لدعاته وأمرهم بالتهيؤ، وتزويدهم بالوصايا اللازمة لنجاح الدعوة والنصيحة.

لم يكتف النبي ﷺ بتمثل القدوة للصحابة في الإعداد للنصيحة ليأتسوا به، بل حرص ﷺ على توجيههم توجيها مباشرا بأن يُعدّوا لنصيحتهم الدعوية وأن يتجنبوا مسلك العشوائية في النصح، وأن يحسنوا التهيؤ فيقدموا ما حقه التقديم، ويؤخروا ما حقه التأخير ، فهذا معاذ رضي الله عنه حين بعثه ﷺ إلى اليمن يقول: (حين بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « إِنَّكَ تَأْتِى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ».

كما وجّه ﷺ صهره علياً رضي الله عنه حين أرسله على رأس الجيش يوم خيبر ، وهيأه بالخطوات التي ينبغي أن يتدرج فيها قبل اللجوء للقتال ، فعن سَهْلُ بن سعد رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ(لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ) ، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى ، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ ، فَقَالَ :(أَيْنَ عَلِيٌّ؟) ، فَقِيلَ : يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ!! ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ ؛ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ !!، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ : (أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟) ، فَقَالَ ﷺ:(انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ،وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)(١)

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري[مرجع سابق] كتاب : الجهاد ، باب :فضل من أسلم على يديه رجل ح(٣٠٠٩)(١٤٢٧/١).

٧ . إنكار النبي ﷺ على من سلك مسلك العشوائية في النصيحة ولم يتبع الخطوات المتدرجة الصحيحة في تصحيح الخطأ وإسداء النصيحة ، ومن شواهد ذلك ما رواه عباد بن شراحيل رضي الله عنه قال : (قدمت مع عمومتي المدينة فدخلت حائطا من حيطانها ففركت من سنبله !!، فجاء صاحب الحائط! فأخذ كسائي ، وضربني؛ فأتيت رسول الله ﷺ أستعدى عليه ، فأرسل إلى الرجل ، فجاءوا به : فقال ﷺ :(ما حملك على هذا ؟) ، فقال : يا رسول الله ! إنه دخل حائطي فأخذ من سنبله ففركه ، فقال رسول الله ﷺ :(ما علمته إذ كان جاهلا ، ولا أطعمته إذ كان جائعا ، اردد عليه كساءه !) ، وأمر لي رسول الله ﷺ بوسق أو نصف وسق)(١) ، وهنا نلحظ أن الصحابي صاحب الحائط أراد أن يقتص من هذا الذي اعتدى على ممتلكاته ، وربما أراد أيضا أن يقدم له نصيحة عملية ودرسا قاسيا في احترام ممتلكات الآخرين ، ولكنه أخطأ الطريق ، فلم يهيئ للنصيحة ما تحتاج من التهيئة ، حيث لم يفطن إلى خصوصية حال هذا المخطئ الذي تلبس بالجهل والجوع الشديد ، مما يجعله بحاجة إلى نوع خاص من النصيحة تتمثل . كما نص المعصوم ﷺ . في البدء في تعليمه أولاً ، ثم في إطعامه وتخليصه من هذا الجوع الذي ربما غلب عليه وصرفه حتى جعله لا يحسن الفهم ولا التصرف الصحيح ،ثم بعد إزالة صوارف الانتفاع بالنصيحة ؛ له بعد ذلك أن ينصحه ويوبخه باعتدال ، وهذا ما فات على صاحب الحائط رضي الله عنه ، كما نلحظ أيضا أن النبي ﷺ لم يعاقب صاحب الحائط لأنه صاحب حق ،، بل اكتفى بتوجيهه للمسلك الأصوب في النصيحة وتصحيح الأخطاء .

---

(١) رواه النسائي ، سنن النسائي [حلب . مكتب المطبوعات الإسلامية – ط ١٤٠٦] ، برقم (٥٤٠٩) ،(٨/٢٤٠) ، وصححه الألباني ، صحيح سنن النسائي[بيروت ــ المكتب الاسلامي ــ ط الأولى ١٤٠٩هـ]برقم(٥٤٠٩)، (١١/٤٠٩) .

-أهمية التخطيط للنصيحة :

تتضح أهمية التخطيط للنصيحة من خلال ما سبق من الجوانب السبعة لمشروعيتها وحرص النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺم على التخطيط والتهيئة للموقف الدعوي قبل الشروع فيه .

كما تظهر أهمية التخطيط للنصيحة من خلال ما نتج عن استصحاب النبي ص وصحابته الكرام لهذا المعنى من نتائج طيبة في قبول الرعيل الأول من هذه الأمة ومن بعدهم لدعوة الحق وقناعتهم بها وتأثرهم بمضامينها النافعة ، حتى وصلتنا هذه الدعوة اليوم بعد قرون وهي لا تزال غضة طرية ثبتنا الله عليها حتى الممات بواسع لطفه ورحمته .

المبحث الثالث

من شواهد الإعداد والتخطيط للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله تعالى

إن المتأمل لمواقف النصيحة التي ساقها القرآن الكريم وصحيح السنة والآثار عن دعوات أنبياء الله تعالى ورسله ومن سار على نهجهم من قدوات الدعاة يجد العديد من الشواهد التي تؤكد حرصهم على التهيؤ للنصيحة وحسن الإعداد لها قبل عرضها على المنصوح، كما يتلمس من حشد هذه الشواهد بعض الملامح التي يسترشد بها من رام الاقتداء بصفوة الخلق من الأنبياء ومن اتبعهم بإحسان في شأن إعدادهم وحسن تخطيطهم لنصيحتهم الدعوية، ومن ذلك:

١ ـ ما كان من نوح عليه السلام حين أعد نصيحته لقومه لتكون لطيفة المأخذ ، مشتملة على إقناع العقل مع استمالة الوجدان والعاطفة ، مع الحرص على دفع صوارف القبول قبل أن تبرز وتفسد أثر النصيحة ، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾(١).

وهنا نلحظ أنه ـ رغم كونه مؤيدا من الله بسلطان الوحي ـ إلا أنه هيأ نفسه على ما يبدو على أن يتجنب استعمال أسلوب "الأمر" المباشر ، وأن يستعيض عنه بأسلوب " الْعَرْضِ وَالتَّحْضِيضِ"(٢) (فقال لهم مخاطبا بألطف خطاب – كما هي طريقة الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم –: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله تعالى، فتتركون ما أنتم مقيمون عليه،

---

(١) سورة(الشعراء/١٠٥ـ١١٠).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/١٠٥).

من عبادة الأوثان، وتخلصون العبادة لله وحده)[١] ، ذلك أن أسلوب "الأمر" ثقيل على نفس المنصوح ، لأنه يتضمن الاستعلاء مهما حسنت نية الناصح ، ولذا عرف الأصوليون "الأمر" بأنه :(طلب الفعل على جهة الاستعلاء..بخلاف الدعاء والالتماس)[٢] ، ثم تابع عليه السلام .. ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ... وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾[٣] (أي علمتم أني أمين لكم وتعلمون أني لا أطلب من دعوتكم إلى الإيمان نفعا لنفسي)[٤] وهو . عليه السلام . يرتب بذلك نصيحته فيدفع عنهم صارف التشكيك في نصحه لهم وإرادة الخير لهم ، وصارف التسلط فهو ليس مندفع لدصهم عما ألفوه من تلقاء نفسه ، بل هو رسول مكلف بحمل رسالة الخالق الحكيم العليم جل وعلا لهم وهو مخاطب بها مثلهم فلا مزية له عليهم ..ثم أعاد عليهم قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[٥] (وكرر ذلك للتأكيد عليهم، وتقريره في نفوسهم لأن التقوى والطاعة أساس الدين، لكن جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم، وعلة الثاني حسم طمعه عنهم .. ولما أبهرهم عليه السلام بحججه الساطعة المتأبية على الطعن ، لم يجدوا إلا أن يوردوا شبهة واهية خارجة عن موازين العقل والنقل كونها غاية في السقوط ، فقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[٦] فكان لحسن

---

(١) ابن سعدي ، تيسير الكريم الرحمن [مرجع سابق] (٥٩٤/١)

(٢) علي بن محمد الآمدي – الإحكام في أصول الأحكام [بيروت – دار الكتاب العربي . الطبعة الأولى ، ١٤٠٤](١٥٨/٢).

(٣) سورة(الشعراء/١٠٧– ١٠٩) .

(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير [مرجع سابق] (١٦٧/١٩) .

(٥) سورة(الشعراء/١٠٨) .

(٦) سورة(الشعراء/١١١) .

تهيئته عليه السلام وجودة عرضه لنصيحته أعظم الأثر في قطع الأعذار وإقامة الحجة وبيان المحجة ، وهداية من كتب الله لهم الهداية وإن كانوا قلة لحكمة أرادها الله .

٢ . ما سبق إيراده في التقديم من شأن نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، وشأن النبي المصطفى ﷺ في ما يلحظ من حسن المدخل ودقة السبك المنبئ عن جودة الإعداد للنصيحة قبل عرضها .

٣ . ونطوي صفحات التاريخ لنصل في سجل ركب الدعاة إلى أحد تلاميذ مدرسة النبوة وهو الفاروق رضي الله عنه الذي كان يحرص على الإعداد للنصيحة فيزوّرها ويهيئها قبل عرضها . كما أسلفنا . بل ونراه رضي الله عنه يحرص على عدم طرح النصيحة قبل استكمال تهيئة الظروف المناسبة لقبولها والانتفاع بها وإبعاد الصوارف التي تحجب التأثر بها والقناعة بحججها وبراهينها ، ومن شواهد ذلك : ما روي عنه رضي الله عنه(أنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام، فقيل له: تتابع في هذا الشراب، فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان، سلام عليك، وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو: " بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[1] ثم ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذرني عقابه، فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته ، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم

(١) سورة(غافر ١–٣) .

أحدكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه)[١].

وهنا نجد أن الفاروق ﷺ قد حرص على حسن الإعداد والتخطيط للنصيحة من جوانب عدة، منها:

أ . كانت مخالفة المنصوح من قبيل الشهوات وليست من الشبهات ، فالغالب فيها العاطفة وليس العقل ، فهو بحاجة إذا إلى مخاطبة العاطفة والوجدان ابتداءً بالوعظ وإظهار التودد ، ولذا نراه ﷺ لم يبدأ كتابه بالحجج العقلية على تحريم الخمر ، أو بالتهديد بإيقاع الحد الشرعي . وهو الخليفة . ، بل نراه بدأ بإظهار التودد والاحترام فقال :(سلام عليك، وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو) .

ب . لم ينشيء له نصيحة من إنشائه فيلزمه بمضمونها ، بحيث يظن أنه يمارس الوصاية عليه ، بل نراه اختار الاستشهاد بكلام من يملك الخلق ولأمر جل وعلا ، لتكون النصيحة مسموعة تحفظ للمنصوح وجاهته ، إذ هي توجيه من ملك الملوك للناصح والمنصوح معا .

ج . إن أعظم الموعظة كلام الله تعالى، وفيه من البركة وقوة التأثير المعجز ما يفوق التصور، ومن حكمة الفاروق ﷺ أن وضّف قوة تأثير النص القرآني المعجز في نصيحته ليزيدها قوة وتأثيرا.

د . حرص ﷺ على تجنب صوارف الانتفاع بالنصيحة فأمر حامل الرسالة أن يحذر من دفع الكتاب للمنصوح وهو في حال لا تمكنه من الانتفاع بالنصيحة كحالة السكر التي

---

(١) رواه أبو نعيم، حلية الأولياء [بيروت . دار الكتاب العربي . الطبعة الرابعة، ١٤٠٥] (٩٧/٤) ،ومحمد بن أحمد القرطبي ، تفسير القرطبي [بيروت- دار احياء التراث العربي . ١٤٠٥ هـ](٢٩١/١٥).

تصرف الفهم والتأثر والانتفاع ، وهذا من حسن التخطيط والتهيئة للنصيحة من جهة تهيئة البيئة المناسبة للانتفاع بالنصيحة .

هـ . بعد استكماله للأسباب المادية المتمثلة في كتابة الكتاب وإرسال الرسول وتزويده بما يلزم لنجاح النصيحة ، لجأ إلى المقوم الأهم والأعظم من مقومات الانتفاع بالنصيحة ، ألا وهو الدعاء ، (..ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة .. هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه) [١] فما الهداية للتوبة إلا منحة إلاهية تطلب من الواحد الأحد سبحانه بعد بذل الأسباب الدنيوية.

---

(١) سبق تخريجه ص٢٠.

المبحث الرابع

من مجالات الإعداد والتخطيط (وفقا لأركان النصيحة)

لعل مما سبق من الشواهد الدالة على مشروعية وأهمية الإعداد والتخطيط للنصيحة يتضح أن الإعداد والتخطيط للنصيحة يسري في مجالات متعددة يمكن تناولها من خلال الأركان الأربعة التي تتألف منها النصيحة وهي: الناصح، والمنصوح، وموضوع النصيحة وطريقة أدائها وسيلة وأسلوبا :

أ) . الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلق بالناصح:

١ . أن يتفقد الناصح قبل أداء النصيحة **نيته** وقصده وما يقوم في قلبه فيما بينه وبين الله تعالى أولا، ثم فيما بينه وبين نفسه ثانيا ، ثم فيما بينه وبين المنصوح ثالثاً فيعقد قلبه فيما بينه وبين الله تعالى على أنه يريد القيام بالنصيحة محبة لله تعالى وغيرة لحقه جل وعلا، وكذا تعظيما لأمره ونهيه، وعملا بكتابه جل وعلا، وتطبيقا لسنة نبيه ﷺ، يدفعه لذلك الذل والانكسار للواحد القهار الذي إذا رضي أنعم وأدهش بالعطايا ، وإذا غضب ربما حلم وربما بطش بالظالم ، وقد يمتد شؤم المعصية وعقوباتها ليشمل الساكت عن النصيحة المقر لها ، فيندفع الناصح للنصيحة خوفا على نفسه ورجاء فيما عند الله ،يحدوه يقينه أنه لا يضمن النجاة في الدنيا والآخرة إلا المصلحون القائمون بواجب النصيحة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾[١].

. ثم يعقد قلبه فيما بينه وبين نفسه بأنه هو المسكين المحتاج للتقرب إلى الله تعالى بعبادة النصيحة، ليغتنم جزيل ثوابها تكفيرا عن ذنوبه وسيئاته وتقصيره في شكر نعم الله تعالى والقيام بحقه جل وعلا، وكذا يغتنمها رفعة لدرجاته، وتقييدا لنعم الله عليه وعلى من يحب.

(١) سورة(هود/١١٧).

ثم يعقد قلبه فيما بينه وبن المنصوح، بأن هذا المنصوح عبد من عباد الله الذين يريد الله لهم الهدى والرحمة ، فيسعى الناصح لهداية هذا العبد ورحمته مسارعة في رضى الله وتحقيق مراده ، لأن الله يحب من يرحم عباده ويكرمهم ويسعى في هدايتهم ، ويعوضه أضعاف ذلك من فيض رحماته وكرمه وهدايته لهذا الناصح ، كما إن المنصوح عبد قد زل ويحتاج من يسدده ، وقد يزل الناصح فيحب أن يسخر الله له من يرحمه ويسدده ، ومن دفع الثمن نال المثمن ، من كمال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه من الستر والتسديد وتمام النصيحة .

٢ . أن يتفطن الناصح في مظهره ومخبره وهيئته وسمته قبل أداء النصيحة للخلق، ويعلم أن من آداب النصيحة – وليس من شروطها – أن يسعى الناصح ليكون قدوة للمنصوح وغيره تجنبا للوعيد الوارد في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[1].

٣ . أن يكون على **علم** بمراد الله تعالى ورسوله ﷺ في شأن موضوع النصيحة التي يعد لإسدائها للمنصوح وأنها يقينا من المأمورات أو المنهيات الشرعية مما يحبه الله جل وعلا ويرضاه، أو مما يبغضه يقينا ويأباه.

٤ . الرفق واللين وإظهار المحبة والشفقة على المنصوح

٥ . أن يتوثق قبل أداء النصيحة من تلبس المنصوح بما يوجب النصيحة من جهة تحقق وقوعه في التقصير، على علم وإرادة.

٦ . الصبر واحتمال الأذى مهما جهل المنصوح على الناصح، أو تأخرت الاستجابة أو تطلبت النصيحة بذل المزيد من الوقت والجهد والمال.

---

(١) سورة (البقرة/٤٤).

ب) . الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلق بالمنصوح:

١. إنزال المنصوحين منازلهم.

٢ . مخاطبة المنصوحين على قدر عقولهم.

٣ . مراعاة أحوال المنصوحين بتجنب الإملال وتقديم النصيحة الأولى بالتقديم والتغافل عن بعض المخالفات مؤقتا وفقا لقاعدة المصالح والمفاسد.

٤ . مراعاة أصناف المنصوحين وأحوالهم وانماطهم وسيأتي شيء من الإيضاح لهذا العنصر عند الحديث عن الإعداد المتعلق بالوسائل والأساليب.

ج) . الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلق بموضوع النصيحة:

١ . أن يتوثق الناصح حال إعداده للنصيحة أن الموضوع الذي يريد النصح فيه من الأوامر الشرعية المتروكة أو النواهي الشرعية المقترفة بصريح نصوص الكتاب والسنة وفتاوى أهل العلم على فهم السلف الصالح، لا مجرد أذواق أو عوائد.

٢ . ومن ثم يتوثق من إعداد نصيحته وصياغتها بحيث تتضمن من الأدلة الشرعية أو البراهين العقلية ما يكفل إقناع العقل والتأثير على الوجدان وتمرين الجوارح ليتحقق تغير السلوك ، وليتحقق إدراك المنصوح أن الاستجابة للنصيحة إنما تكسبه "شرف" الامتثال لمراد الله ورسوله ، لئلا يقذف الشيطان في قلبه أن هذه الاستجابة تورثه "ذل" الخضوع لهوى الناصح وتحكماته.

٣ . أن يتوثق الناصح –بعد معرفته مرتبة المخالفة –من المقام الأنسب وهل المقام مقام حسبة تصل للإغلاظ او مقام دعوة ونصيحة مبنية على الرفق واللين أو مقام تغافل لا يحسن الخوض فيه ولا التدخل في شأن صاحبه .

٤.ترتيب الأولويات ومعرفة مراتب الأوامر والنواهي: أولا من جهة موجبات النصيحة ، فقد يرى الناصح في اللحظة الواحدة في شأن المنصوح الواحد عددا من موجبات النصيحة

، ولا شك أن حشد كل تلك النصائح في نصيحة واحدة قد توصل رسالة سلبية للمنصوح مفادها أن هذا الناصح يرى المنصوح مجرد حشد من المخالفات لا يُرى فيها بصيص من خير ، وكفى بهذا الشعور عائقا عن الاستجابة للنصيحة ، وهنا يبرز المنهج النبوي في ترتيب الأولويات والبدء بالأهم وتأجيل المهم(ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ) ثم قال ﷺ(فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ) وهذه النتيجة قد تتطلب وقتا حتى تتحقق على مستوى تلك الجماعة من أهل اليمن ..ويظهر من السياق أنه ليس من الحكمة الانتقال للخطوة اللاحقة في اللحظة ذاتها ..بل ربما يحسن التريث ..حتى إذا تحقق المراد على مستوى مرضي من الفئة المستهدفة جرى الانتقال بهم للخطوة التي تليها وهي (فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)(١).

. ومن ترتيب الأولويات ما يتعلق بترتيب عناصر النصيحة ، ومن ذلك :

(أ) مناسبة البدء أحيانا بالثناء على الجوانب الإيجابية من صفات المنصوح ، ثم موضوع النصيحة بأوجز العبارات ، ثم الختم بالهوية الإيجابية ، (نظرية الشطيرة) كأن ترى مبتلى بالتدخين فتقول :أعجبني فيك حرصك على الصلاة وبرك بوالديك و....ولو عافاك الله من عادة التدخين المحرمة الضارة لاستكملت كثيرا من جوانب الخير، وأنت أهل لهذه الكمالات فأنت عالي الهمة المحب لله ورسوله ال......، وأصل ذلك ما سلكه النبي ﷺ

(١) البخاري ، صحيح البخاري [مرجع سابق] كتاب : الزكاة ، باب : وجوب الزكاة[ك٢٤/ب١/ح١٣٩٥](٦٣٥/١)

في نصيحته لعبدالله بن عمر ﷺ حين قال (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ؛ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) (١).

(ب) وكذلك مناسبة تضمين النصيحة محاور تخاطب المنصوح بكافة مكوناته: عقله ووجدانه وحواسه ، كما فعل سيد الناصحين ﷺ حين جاءه الشاب الذي يستأذنه في الزنا ، فعن أبي أمامة قال : إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه ! فقال : ادنه . فدنا منه قريبا . قال : فجلس . قال أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أتحبه لأختك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال أتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم ! اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)(٢).

وهنا يلحظ أن النبي ﷺ خاطب كافة مكونات الشاب الثلاثة : فخاطب عاطفة الشاب وغيرته(أتحبه لأمك..لأختك..ودعى له ..بما يبرهن على تمام المحبة والشفقة : (..اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه..) وخاطب عقل الشاب بمحاورته بالقياس العقلي المنطقي(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ..لأخواتهم..) وخاطب حواسه (أدنه..فوضع يده

(١) البخاري، صحيح البخاري [مرجع سابق] كتاب: الصلاة [ك١٥/ب٦/ح ١١٢١] (٥٠٩/١).

(٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير [مرجع سابق] برقم (٥٤١٤)،(٣٦٢/٤) ،وصححه الألباني ،السلسلة الصحيحة (٣٧٠)(٦٤٥/١)

عليه..وفي رواية فمسح على صدره..) ونتج عن ذلك تغير سلوكي كامل في لحظات وجيزة (فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)

(ج) البدء بمخاطبة المكوّن الأكثر سيطرة على المنصوح حال أداء النصيحة، ولعل في قصة الشاب آنفة الذكر أوضح شاهد، فقد جاء الشاب ولم يكن المسيطر الأقوى عليه العقل والشبهات ، بدليل أنه جاء يطلب الإذن بالزنا لتوثقه من حرمته ، إذا فالمسيطر الأكثر عليه كان الشهوة والعاطفة ، ولذا بدء النبي ﷺ بمخاطبة عاطفته (ادنه..أتحبه لأمك..) وهو سؤال يثير العاطفة والغيرة ، ثم بعد ذلك يجيء دور مخاطبة المكون الآخر وهو العقل (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) ولكون العاطفة تحتاج إلى جهد لاستثارتها والتأثير عليها ناسب التكرار لتعميق الشعور وإحضار الصور الذهنية المستقبحة ودمجها مع الفعل المراد التحذير منه ، حتى صار التفكير في الزنا ملازما لصورة الأم والأخت والبنت والعمة والخالة وهن يتعرضن للإكراه على الزنا وكفى بهذه الصور منفرا عن هذا الفعل المشين ...وبالتكرار تقترن هذه الصورة بتلك حتى تلازمها..فتطفئ لذتها ..وتحيلها وحلا مستقذرا من القبائح التي تثير الغيرة والأنفة ...وكلما تذكر الشهوة ولذتها ؛ قفزت تلك الصورة المستقبحة لمحارمة فكدرت عليه لذته المحرمة ...فلا يكاد يقدر على فصلها ..وبهذا يتحقق المراد .

٤ . التوثق من اشتمال صياغة النصيحة على المحاور الأساسية المؤدية لغرض النصيحة ، ويمكن ذلك . كما يذكر خبراء التنمية البشرية وتوجيه السلوك . بالإجابة على أسئلة :لماذا؟ وماذا ؟ وكيف ؟ وماذا لو ؟ [1] بمعنى أن تحفز المنصوح أولا ببيان السبب الذي يدفعه لاستماع النصيحة وما سيجنيه من الثمرات إن استجاب للنصيحة (لماذا؟)، ثم تفصل له الأدلة والبراهين التي تقنعه وتستميله بشأن موضوع النصيحة(ماذا؟) ، ثم وتوضح له وتطبق

(١)انظر: المهندس محمد عاشور، مذكرة التأسيس والنظريات العامة لتدريب المدربين[غير مطبوع](ص١١) .

امامه إن امكن الطرق العملية التطبيقية التي يسلكها وفق مقتضى النصيحة(كيف؟) ، وأخيرا تجعله هو الذي يحمل هم الدعوة والنصيحة فتسوق له الأسئلة وتطلب منه أن يقترح الطرق التي يستطيع هو القيام بها وأن يوجه المحيطين به ليقوموا بها لتحقيق مقتضى تلك النصيحة ممن يستطيع الوصول لهم وفق إمكاناته(ماذا لو؟) .

د) . الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلق بوسائل وأساليب النصيحة:

ترتبط وسائل وأساليب إسداء النصيحة ارتباطا وثيقا بطبيعة المنصوح ومنزلته العرفية أو النسبية بالنسبة للناصح ،ونوع وطبيعة موجب النصيحة موضوعا وحكما وحجما وتكررا ،

١ . فمن جهة الوسائل: ينبغي للناصح . قبل إسداء النصيحة . أن يتأمل ويحسن الإعداد والتخطيط واختيار الوسيلة الأنسب، هل يخاطب المنصوح مشافهة؟ أو يكتب له رسالة موقّعة باسم الناصح ؟ أو يجعلها موقعة باسم مجهول ؟ وهل الأنسب أن تكون رسالة ورقية ؟ أو إلكترونية ؟ على هاتفه المحمول ؟ أو على بريده الإلكتروني وهل تكون موجهة له خاصة أو على شكل المجموعات البريدية والرسائل الجماعية التي لا يظهر منها أنها تستهدف شخصا بعينه .... أو غيرها ؟وهل يستعيض عن ذلك كله بإهدائه كتابا أو تسجيلا صوتيا أو مرئيا أو عرضا مشوقا يحقق المراد من مقتضى النصيحة؟

كما إن من جوانب الإعداد والتخطيط المتعلق بوسائل النصيحة تهيئة الظروف المكانية والزمانية وصناعة أو توظيف الأدوات والنماذج والظروف التي تزيد النصيحة تأثيرا وإقناعا وقبولا .

٢ . ومن جهة الأساليب: ينبغي له أن يحسن التخطيط والإعداد للأسلوب الأمثل لإقناع المنصوح واستمالته ، هل يكتفي بالتلميح والإشارات البعيدة بحركة أو قول أو تمثيل ...أم يخاطبه بالحكمة والبرهان . بمعناها الخاص . ببيان الحق بدليله دون توجيه مباشر ؟وذلك

حين يرى أن المنصوح شخص مستجيب قابل ذكي ، أم يعمد إلى الترغيب والتحفيز إذا كان المنصوح قابلا عنده نوع غفلة وتأخر ويتصف بالميل للمغامرة وعدم الاكتراث بالعواقب، أم يستعمل الترهيب والتخويف إذا كان كسابقه ولكنه يتصف بالميل للأمان والسلامة ، أم يجنح للجدال بالتي هي أحسن إذا كان معاندا جاحدا ، أم يجادله بغير الحسنى إذا أظهر الظلم والبغي وأساء الأدب ؟[1].

ومما يذكر في مقام الإعداد للنصيحة المتعلق بالأساليب:

(أ) إعداد الابتسامة والبشر في وجه المنصوح طيلة أداء النصيحة، متنقلا بين ابتسامة المحب إلى ابتسامة المشفق ، وحتى ابتسامة المغضب ، قال كعب بن مالك ﷺ حين تخلف عن غزوة تبوك (فَجِئْتُهُ . يعني رسول الله ﷺ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ)[2] وقد نص الإمام ابن حزم على أهمية التبسم والبشاشة حال النصيحة إذ يقول (..ومن وعظ

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، [مرجع سابق] (١٥٣/١) ، و د . فضل إلهي ، من صفات الداعية اللين والرفق [باكستان . إدارة ترجمان الإسلام . ط الثانية ١٤١٢هـ] (ص٤٠) وقد أجاد علماء النفس المسلمون في التوظيف الدعوي لما يسمى بـ(الدوافع أو الدافعية) و(الحوافز النفسية) وأهدافها من تحقيق اللذة أو تجنب الألم ، وأنهما يجتمعان في كل شخص مع شيء من الميل لتغليب أحدهما ونتيجة لذلك يتكون النمطان الاقترابي والابتعادي للشخصية، انظر: دكتور محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس [القاهرة . مكتبة الشروق . ط العاشرة ٢٠٠٨م](ص١٦٩) ، ود . عبدالعزيز النغيمشي ،علم النفس الدعوي[دار المسلم ـالرياض . ط الأولى١٤١٥هـ](ص١٠٩) ، والأستاذ حسن الجوني ،افهم نفسك وافهم الآخرين[دار وجوه . الرياض . ط الأولى ١٤٢٩هـ] (ص١٤-٢٧) .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري [مرجع سابق] ، كتاب : المغازي ، باب :حديث كعب بن مالك [ك٦٧ب٧٥ح٤١٥٦] (١٦٠٣/٤) .

ببشر وتبسم ولين ، وكأنه مخبر برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة..)[1] .

(ب) البدء بمواضع الاتفاق ومحاولة إبرازها : فإن المنصوح حين يعرض له الناصح عددا من مواضح الاتفاق ويقرره عليها ويكون رده بالإيجاب ، يسهل عليه أن يسترسل في الإيجاب ، فيرد بالإيجاب والاستجابة لموضوع النصيحة ، ولك أن تتخيل حال المنصوح المشرك بالألوهية المقر بالربوبية مثل كفار قريش حين تخاطبه بقول الله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾[2].

(١) ابن حزم الأندلسي، مداواة النفوس [بيروت ـ اللجنة الدولية لترجمة الروائع ـ ط ١٩٦١م] ،(ص٥٥) .

(٢) سورة الشورى، آية: ١٥.

المبحث الخامس

أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة

يمكن تقسيم أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة وفقا لما يلي:

(أ) الإعداد اللحظي: ويكون من حيث مدة الإعداد لحظيا، وكذلك من حيث مدى النصيحة وختام موقف النصح قد لا يستغرق سوى لحظات، بمعنى أن يتيح الناصح لنفسه فرصة لحظات قبل إسداء النصيحة للمنصوح ليعد نصيحته من حيث الجوانب الأربع التي سبقت الإشارة إليها في المبحث الرابع،أو بعضها، ثم يدخل في موقف النصيحة اللحظي الموجز ، وقد يصلح هذا النوع لموجبات النصيحة العارضة الصادرة من منصوح مستجيب قابل ذكي لا يخالف الحق ولا يأباه، وهنا لا يتطلب المقام سوى التذكير أو قدرا محدودا من الوعظ والإقناع .

(ب) الإعداد قصير المدى: ويكون من حيث مدة الإعداد قصيرا قبل اللقاء بالمنصوح، ومن حيث مدى النصيحة قد يتطلب لقاء واحدا أو أكثر من لقاء ووسيلة وأسلوب، ويصلح غالبا لمن كان موجب النصيحة لديه باعثه الشهوات التي تتطلب قدرا من الوعظ والتذكير والتكرار لتعميق العاطفة، وربما تنويع الوسائل والأساليب.

(ج) الإعداد متوسط المدى: ويكون من حيث مدة الإعداد والتخطيط متوسطا بين الطول والقصر ، ومن حيث المدى يتعدى المعدل المعتاد إذ قد يتطلب تقسيم النصيحة أو التدرج بها على مدى لقاءات أكثر وبتوظيف وسائل وأساليب وظروفا أكثر ، وقد يناسب هذا النمط لمنصوح قد تسللت إليه بعض الشبهات إضافة للشهوات مما يتطلب إعدادا

خاصا للحجج العقلية والأدلة والبراهين ونحو ذلك ، وفتحا لمجال الحوار والجدل للتوثق من تخلص المنصوح من جميع شوائب الشبهة قدر الإمكان .

(د) الإعداد بعيد المدى : ويكون من حيث مدة الإعداد والقائمين به أكثر طولا وروية ، وقد يتطلب استشارة بعض المختصين ، ومن حيث مداه يكون طويلا يستهدف التخطيط لنصيحة يتطلب قطف ثمارها بذل الجهد على مدى أيام أو أسابيع و شهور أو ربما سنوات ، وقد يصلح هذا النوع لحالات مخصوصة من المنصوحين الذين تتجاذبهم عوامل ومؤثرات عديدة ومتنوعة ،أو يكتنف اللقاء بهم بعض المعوقات ، وربما تتطلب نصيحتهم البدء أولاً بتحقيق الألفة الكاملة مع المنصوح وطمأنته إلى حسن النوايا وسلامة القصد من الناصح ، مرورا بطمأنته إلى كثرة مواطن الاتفاق بينه وبين الناصح ،وتمام حسن الظن به .. ونحو ذلك ممن الخطوات المتدرجة والمخطط لها بإتقان وفق طبيعة احتياج المنصوح .

كما إن هذا النمط من التخطيط والإعداد للنصيحة قد يناسب النصيحة الجماعية التي يكون المنصوحون فيها حشدا من البشر متنوعي المستويات والمشارب، وقد يكتنف النصيحة ظروفا متنوعة ومتداخلة، ومن أمثلة ذلك أن يرى الناصح أهل بلدة أو ناحية من المسلمين قد تعلقوا بصخرة أو شجر أو قبر أو جن أو غيره يعتقدون فيها شيئا من النفع أو الضر من دون الله، في بلد لا تحكم بشرع الله، وهم إلى ذلك في حال من الفقر والعوز والخوف والجهل والفرقة واختلال الأمن..... ونحو ذلك من الظروف المتداخلة . فهل يليق أن يبادر الناصح بنصيحته بمجرد رؤية هذا المشهد من مشاهد الانحراف العقدي فيأمرهم مثلا بتدمير وإزالة وقطع هذا المزار ..أم يزيلها بنفسه من بلدتهم ..أم أن الحكمة قد تقتضي التخطيط والإعداد لإزالتها من قلوبهم أولا ليتولوا هم إزالتها من أرضهم ..لابد من

التروي والاستشارة والاستخارة ..والاستنارة بتجارب السابقين ..وما نجح منها وما أخفق ....هل من الحكمة البدء بمهاجمة الباطل ..أم قد تقتضي الحكمة التخطيط لنصيحة طويلة المدى يوضح فيها الحق مع تجاهل الباطل "مؤقتا" لئلا يكون استعجال المواجهة سبيلا إلى هزيمة الحق في مواجهة الباطل قبل استكمال إعداد القوة العلمية والإيمانية والمادية والسلطانية اللازمة لإزالة الباطل ، استجابة لأمر المولى جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[١].

(١) سورة (الأنفال/٦٠) .

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد، فلعل مما سبق ذكره يمكن الخروج بعدد من **النتائج**، منها:

١ . مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة قبل المبادرة بها، وأن هذا الإعداد من مقتضيات ما ضبط الله به عبادة النصيحة من وجوب كونها على بصيرة وبأساليب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن لتحقق ما أمر الله به من البلاغ المبين الموصل للغاية الربانية وهي هداية الخلق ورحمتهم، وليس مجرد إقامة الحجة عليهم.

٢ . أن الإعداد والتخطيط للنصيحة كان شأن قدوات الدعاة من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان بنص كتاب الله تعالى وصحيح السنة والآثار.

٣ . أن التخطيط والإعداد للنصيحة يشمل مجالات عدة منها ما يتعلق بالناصح والمنصوح وموضوع النصيحة وطريقتها.

٤ . أن التخطيط والإعداد للنصيحة أنواع بحسب طبيعة موقف النصح والمنصوح وموضوع النصيحة، إذ من التخطيط والإعداد ما يكون لحظيا، ومنه ما يكون قصير المدى أو متوسط او بعيد المدى، ولكل حال ما يناسبها.

كما إن هذا الطرح قد يستوجب عددا من **التوصيات** منها:

١ . لفت انتباه الدعاة والمحتسبين إلى ضرورة التهيأة للنصيحة الدعوية والحسبية ، وأن يتيحوا لأنفسهم الفرصة ولو للحظات للإعداد والتخطيط لنصيحتهم الدعوية من حيث ترتيب مضامينها وحسن انتقاء شواهدها ووسيلتها وأسلوبها و.........

٢ . أن يتوجه الباحثون والمختصون إلى إعداد قوالب لبعض الخطط الدعوية المقترحة لعدد من مواقف النصيحة المختلفة لتكون بين يدي الدعاة والناصحين

٣ . إنشاء مراكز علمية وبحثية واستشارية تقدم الخطط المقترحة لما يرفع لها من مواقف النصح المتداخلة التي تحتاج إلى قدر من التخطيط متوسط وطويل المدى هذا وما كان من صواب فمن العليم الوهاب وحده ، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان وأستغفر المولى جل وعلا من كل خطل أو زلل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم

١ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير[بيروت . المكتب الإسلامي . ط الرابعة ١٤٠٧]

٢ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى [الرياض . عالم الكتب . ١٤١٢هـ] (٤٢/٤

٣ ابن حجر ، فتح الباري [بيروت . دار الفكر . بتحقيق محب الدين الخطيب وتعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز]

٤ ابن حزم الأندلسي ، مداواة النفوس [بيروت – اللجنة الدولية لترجمة الروائع – ١٩٦١م]

٥ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، [تونس . الدار التونسية للنشر . ط١٩٨٤م]

٦ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة [بيروت . دار الفكر . ط١٣٩٩هـ . بتحقيق عبدالسلام هارون]

٧ ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة[بيروت . دار الكتب العلمية . ب ط]

٨ ابن منظور ، لسان العرب [بيوت . دار الفكر . ط الأولى ١٤١٠هـ]

٩ ابن هشام ، السيرة النبوية [بيروت . دار الجيل . ١٤١١هـ]

١٠ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [بيروت . المكتبة العلمية . ط ١٣٩٩هـ]

١١ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، الزاهر فى معانى كلمات الناس [بيروت – مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤١٢ هـ]

١٢ أبو سليمان الخطابي ، معالم السنن [حلب . المطبعة العلمية – ط الأولى ١٣٥١ هـ]

١٣ أبو نعيم ، حلية الأولياء [بيروت . دار الكتاب العربي . الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥]

١٤ أحمد بن عجيبة ، البحر المديد [بيروت . دار الكتب العلمية . ط الثانية ١٤٢٣هـ]

١٥ الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته،[بيروت . المكتب الإسلامي – ط الثالثة١٤٠٨هـ]

١٦ الألباني ، صحيح سنن النسائي[بيروت . المكتب الإسلامي . ط الأولى . ١٤٠٩هـ]

١٧ الإمام أحمد ، المسند [بيروت . مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤٢١هـ . بتحقيق شعيب الأرنؤوط]

١٨ الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، [القاهرة . دار الشعب . ط الأولى ١٤٠٧هـ]

١٩ الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، [بيروت . دار ابن حزم . ط ا|لأولى ١٤١٦هـ]

٢٠ الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام [بيروت . دار الكتاب العربي – ط الأولى . ١٤٠٤ هـ ، بتحقيق الشيخ عبدالرزاق عفيفي]

٢١ البيهقي ، السنن الكبرى [الهند . مجلس دائرة المعارف النظامية . ط الأولى١٣٤٤هـ]

٢٢ الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [– بيروت ، المكتبة العلمية . ١٣٩٩هـ]

٢٣ جميل أبو العينين ، أصول الإدارة من القرآن والسنة [بيروت . دار الهلال . الطبعة الأولى ٢٠٠٢م]

٢٤ حسن الجوني ،افهم نفسك وافهم الآخرين[دار وجوه . الرياض . ط الأولى ١٤٢٩هـ

٢٥ عبدالعزيز النغيمشي ، علم النفس الدعوي[دار المسلم ـالرياض . ط الأولى١٤١٥هـ]

٢٦ عطية سالم ، أصول الخطابة والإنشاء[مدينة رسول الله ﷺمكتبة التراث . ط الأولى١٤٠٨هـ]

٢٧ علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد [القاهرة /بيروت . دار الريان للتراث العربي / دار الكتاب العربي ط١٤٠٧هـ]

٢٨ فضل إلهي ، من صفات الداعية اللين والرفق [باكستان . إدارة ترجمان الإسلام . ط الثانية ١٤١٢هـ]

٢٩ كامل المغربي ، أساسيات الإدارة ، [الأردن . دار الفكر . ط١٩٩٥م]

٣٠ محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان[بيروت . دار الفكر للطباعة و النشر .١٤١٥ هـ]

٣١ محمد البشير محمد عبدالهادي ، دور الإدارة التربوية في تخطيط وتنظيم وتوجيه حلقات القرآن الكريم ، [ط الأولى . ١٤٢٩هـ]

٣٢ محمد الشيباني ، الجامع الصغير وزيادته ، [بيروت . عالم الكتب . ط١٤٠٦هـ]

٣٣ محمد بن أحمد القرطبي ، تفسير القرطبي[بيروت- دار احياء التراث العربي . ١٤٠٥ هـ]

٣٤ محمد بن صالح العثيمين ،زاد الداعية إلى الله [الرياض . الجمعية السعودية للدراسات الدعوية ط الأولى١٤٣٠هـ]

٣٥ محمد عاشور ، مذكرة التأسيس والنظريات العامة لتدريب المدربين [غير مطبوع]

٣٦ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس [القاهرة . مكتبة الشروق . ط العاشرة ٢٠٠٨م]

٣٧ المنذري ، الترغيب والترهيب[بيروت . دار الكتب العلمية . ط الأولى ،]

٣٨ النسائي ، سنن النسائي [حلب . مكتب المطبوعات الإسلامية – ط ١٤٠٦]

٣٩ النووي ، شرح صحيح مسلم[بيروت . دار إحياء التراث العربي – ط الثانية، ١٣٩٢]

٤٠ وهبة الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج[دمشق- دار الفكر المعاصر. الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ]

البحث رقم (٢)

وسائل الفكر التنصيري المعاصر، دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها

إعداد

د/ عبد الله بن علي المبارك

ملخص الدراسة

الهدف الرئيس للدراسةِ: تهدف الدراسة إلى بيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر من خلال التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهجين: الوثائقي، والوصفي، وذلك لتحقيق أهداف الدراسة.

أبرز نتائج الدراسة: يعد التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس" من أبرز التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية، فقد بلغ عدد مرات تثبيت التطبيق على الهواتف الذكية أكثر من ١٠٠ مليون مرة من خلال متجر "جوجل بلاي"، كما يعد تطبيق "الكتاب المقدس للأطفال" من أبرز التطبيقات التي بذل فيها المنصرون جهوداً كبيرة للعمل على تنصير هذه الفئة المهمة في المجتمع، وهي فئة الأطفال، فقد بلغ عدد مرات التحميل لهذا التطبيق من متجر "جوجل بلاي" أكثر من ٥٠ مليوناً، ويعد تطبيق التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" من أبرز التطبيقات، وقد قام بتحميله أكثر من ١٠ ملايين مستخدم على متجر "جوجل بلاي"، ومن الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استهداف الأطفال في المقام الأول، وكذلك استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية، وكذلك استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية.

توصيات الدراسة: يوصي الباحث بالكتابة في الموضوعات التالية: مدى وعي الأسر المسلمة بمخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وذلك من خلال دراسة ميدانية، والكتابة في المصادر المعاصرة لتمويل العمل التنصيري، ومقارنتها بالماضي، ويوصي الباحث بمتابعة الأطفال من قِبَل أسرهم، وخصوصاً مراقبة استخدامهم تطبيقات الهواتف الذكية، ولذلك للحد من المهددات الفكرية، وعلى رأسها التطبيقات التنصيرية، كما

يوصي الباحث بإنشاء مرصد علمي يعنى بالدراسات التنصيرية، وخصوصاً ذات الصلة بوسائل الفكر التنصيري المعاصر، ويوصي الباحث الجهات ذات العلاقة، وخصوصاً الجامعات بإقامة المؤتمرات في مجال وسائل الفكر التنصيري المعاصر، وخصوصاً استخدام التقنية في العمل التنصيري.

الكلمات المفتاحية: وسائل الفكر التنصيري المعاصر، وسائل التنصير، تقنيات التنصير، التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

Abstract

Main Objective: the study aims to clarify and explain the methods of contemporary Missionary Thought by defining the highlighted Missionary applications on smartphones and showing their risk dimensions.

Methodology: the researcher used two approaches: documentary and descriptive, to achieve the objectives of the study.

The highlighted results of the study: The missionary application: "The Bible" is one of the most prominent missionary applications on smartphones. The number of the installed application on smartphones has reached more than ١٠٠ million times through "Google Play" store. In addition, the application of "Children's Bible" is one of the most prominent applications in which the missionaries did great efforts to evangelize this important category in society, namely: the children category, whereas the number of installing this application on "Google Play" store has reached more than 50 million times. The missionary application "Great Book" is one of the most prominent applications, as this application was downloaded by more than ١٠ million users on "Google Play" store. Some of the important dimensions of risks of the missionary applications on smartphones are targeting children in the first place, the missionaries exploiting the multimedia in the missionary

applications, and the missionaries using various resources to expand the dissemination of the missionary applications.

Study Recommendations: the researcher recommends writing on the following topics: the extent to which Muslim families are aware of the risks of the missionary applications on smartphones, through the field study, writing about the contemporary sources of financing missionary work and comparing them with the past. The researcher recommends that the children shall be monitored by their families, especially monitoring their use of the applications of smartphones, and therefore to reduce the thought threats, especially the missionary applications. The researcher also recommends establishing a scientific observatory concerned with missionary studies, especially those related to the methods of contemporary missionary thought. The researcher recommends the relevant authorities, especially universities, hold conferences in the field of the methods of contemporary missionary thought, especially using technology in missionary work.

Keywords: Methods of Contemporary Missionary Thought, Methods of Missionary, Technologies of Missionary, Missionary Applications on Smart Phones.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد:

أولاً: أهمية الدراسة:

إن هذا العصر نشهد فيه تطوراً منقطع النظير في كثير من المجالات، وفي مقدمتها مجال الاتصالات اللاسلكية، وتحديداً الهواتف الذكية، حيث كانت- تلك الهواتف- في بادئ نشأتها لا تعدوا عن كونها أجهزة بسيطة تقتصر على إجراء المكالمات، وتلقي الرسائل النصية فقط.

ولكن في الوقت الحالي غير الهاتف الذكي الطريقة التي يعيش بها الإنسان في العديد من مناحي الحياة، وتحول إلى جهاز متطور يمكن من خلاله إنجاز العديد من الوظائف، من اتصالات، وتسويق، وترفيه، وإعلام(١)، مما يجعل له أهمية كبيرة.

وقد مرت الهواتف في بدايتها بمراحل، ففي العام: ١٩٨٢م ظهر الجيل الأول للاتصالات اللاسلكية، وكانت تستخدم في الاتصالات التليفونية، وكانت الهواتف آنذاك كبيرة الحجم باهظة الثمن، وتدعم المكالمات الصوتية فحسب، وفي التسعينيات الميلادية ظهر الجيل الثاني من الهاتف المحمول، وكان من أبرز ميزاته الرسائل القصيرة، ثم بعد ذلك جاء الجيل الثالث الذي يشكل نقلة نوعية في الهاتف المحمول الذي يتيح التواصل بطرق متقدمة، وبسرعات عالية، ويتيح نقل الصوت، والصورة، ومشاهدة البث التلفزيوني، إضافة إلى العديد من الخدمات الأخرى(٢)، وقد واصلت التقنية تطورها، ونموها سنة بعد سنة.

ولذلك كان متوقعاً أن ينمو سوق الهواتف الذكية العالمي بنسبة: ١٢٪ في عام:

---

(١) انظر: الإعلام الجديد، المفاهيم، والوسائل، والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ص٢٨٧.

(٢) انظر: الإعلام الجديد، الإعلام البديل، د. حسنين شفيق، ص٢٦٤- ٢٦٦.

٢٠٢١م، وذلك وفق تقرير لشركة (كاناليس) المختصة في أبحاث التكنولوجيا، والهواتف الذكية، حيث أوضح التقرير أنه من المتوقع أن تصل شحنات الهواتف الذكية العالمية إلى: ١،٤ مليار وحدة هذا العام[١].

وفي دراسة تم إجراؤها على: أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإسبانيا، وذلك من قبل شركة "آبيجي" المتخصصة في صنع الواجهات البرمجية للتطبيقات، أوضحت نتائجها أن: ٨٢٪ من مستخدمي التطبيقات في الهواتف الذكية لا يستطيعون الاستغناء عن التطبيقات ليوم واحد، وأوضحت الدراسة أن: ٩٣٪ ممن استطلع رأيهم في الدراسة في إسبانيا لا يستطيعون قضاء يوم واحد دون التطبيقات، فيما يرى النصف ممن شملتهم الدراسة في أمريكا أنهم لا يستطيعون البقاء أكثر من أربع ساعات دون تطبيقاتهم الأساسية، وأظهرت النتائج أن: ٥٣٪ في المائة ممن شملتهم الدراسة لا يستغنون عن استخدام تطبيقاتهم حتى أثناء قيادة مركباتهم[٢]، مما يوضح الأهمية الكبيرة لهذه التطبيقات لدى المستخدمين.

ومن المعلوم أن التنصير ظاهرة متجددة، ومتطورة، ويكمن ذلك التطور في الأهداف، وتوسيع الوسائل، والعمل على استغلال الأساليب العصرية، بحسب البيئات التي يتوجه إليها التنصير[٣]، كما أن الفكر التنصيري لم يغفل عن جهوده السابقة التي

---

(١) انظر: نمو سوق الهواتف الذكية العالمي بنسبة ١٢٪ خلال ٢٠٢١م، جريدة اليوم السابع.
https://www.youm٧.com

(٢) انظر: ٨٢٪ من مستخدمي الهواتف الذكية لا يستغنون عن التطبيقات، جريدة الاقتصادية.
https://www.aleqt.com/٢٨/٠٢/٢٠١٣/article_٧٣٥٢٧٨.html

(٣) انظر: التنصير، مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، د. علي بن إبراهيم النملة، ص٥.

يعتمد عليها، إلا أنها جاءت بثوب حديث يتسم بالتجديد، وخصوصاً في الوسائل(١)، لذلك لم تعد الوسائل التقليدية للتنصير ذات فائدة كبيرة في تحقيق أهداف الفكر التنصيري المعاصر(٢).

لذا يلاحظ حالياً أن وسائل الفكر التنصيري المعاصر في تطور سريع، ومستمر، وجاءت "التطبيقات التنصيرية" في الهواتف الذكية أحد أبرز صور ذلك التطور، ويعزى تركيز المنصرين على تلك التطبيقات نظراً لما تمتاز به من خصائص مهمة تجعلها في مقدمة الوسائل المعاصرة ذات التأثير العالي.

ومن المعلوم أن جهود المنصرين- في الترويج للنصرانية- مستمرة في كل زمان، ومكان، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسير الآية: "ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام، واتّباعِهم(٣)".

لذا فمن الأهمية بمكان أن يتم تناول أبرز ما توصل إليه الفكر التنصيري المعاصر في وسائله، وذلك عن طريق الكشف عن أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية،

---

(١) انظر: التنصير في المراجع العربية، دراسة، ورصد وراقي للمطبوع، د. علي بن إبراهيم النملة، ص٦٦.

(٢) انظر: النشاط التنصيري في منطقة الخليج، أهدافه، وأبعاده، وسبل مقاومته، إبراهيم بن مسعود المالكي، ص٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي، ٩٣/٢.

بالإضافة إلى إلقاء الضوء على ما تكتنفه تلك التطبيقات من مخاطر.

وذلك لأن كشف وسائل الفكر التنصيري المعاصر- وخصوصاً التطبيقات التنصيرية- يعد من النصيحة الشرعية التي توالت النصوص الشرعية في التأكيد عليها، فقد حكى الله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف:٦٢].

ويعد كذلك من التواصي بالحق، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

قال مقاتل بن سليمان -رحمة الله-: "(وتواصوا بالحق): يعني بتوحيد الله- عز وجل-، (وتواصوا بالصبر): يعني على أمر الله- عز وجل- فمن فعل هذين كان من الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، فليسوا من الخسران في شيء، ولكنهم في الجنان مخلدون(١)".

بالإضافة لكون الكشف عن وسائل الفكر التنصيري المعاصر- وخصوصاً التطبيقات التنصيرية- ينطلق من أهمية، وفضل الدعوة إلى الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

وكذلك ينطلق من أهمية التحذير من كل الدعوات المضادة للدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾[البقرة:١٣٥]، ومعنى الآية: "لا نريد ما دعوتم إليه من اليهودية، والنصرانية(٢)".

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، ٨٢٩/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ٤٤٨/١.

ومن خلال ما سبق عرضه جاءت فكرة هذه الدراسة، والتي جاءت تحت عنوان: **"وسائل الفكر التنصيري المعاصر، دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها"**، سائلاً المولى الإعانة، والتوفيق.

ثانياً: مصطلحات الدراسة:

١- الهواتف الذكية: جمع هاتف ذكي، ويقصد بالهاتف الذكي: "الهاتف المحمول الذي يتضمن وظائف متقدمة أكثر من مجرد إجراء مكالمات هاتفية، وإرسال رسائل نصية [١]".

٢- تطبيقات الهواتف الذكية: التطبيقات جمع تطبيق، والتطبيق: هو برنامج مصمم لأداء، أو إجراء مجموعة من الوظائف من خلال الهاتف الذكي، ويعمل التطبيق على أجهزة الهواتف المحمولة التي تعمل بأنظمة التشغيل مثل: آي أو إس، ونظام: آندرويد[٢].

٣- التنصير: يقصد بالتنصير: "الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية[٣]".

ثالثاً: أسباب اختيار الدراسة:

١- التطور السريع للفكر التنصيري في العالم، وخصوصاً ما يتعلق بوسائل التقنية، والاتصالات، والتي يأتي في مقدمتها إنشاء تطبيقات تنصيرية للهواتف الذكية، مما يؤكد الحاجة لمتابعة هذا التطور، ورصده.

٢- ارتفاع مخاطر وسائل الفكر التنصيري المعاصر، والتي تأتي التطبيقات التنصيرية في

(١) تطبيقات الهواتف الذكية من قبل طالبات كلية علوم الحاسب، والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دراسة وصفية، مسفرة بنت دخيل الخثعمي، ص٧٨.

(٢) انظر: استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في المكتبات العربية، دراسة تحليلية للنتاج الفكري العربي، د. سرفيناز أحمد حافظ، ص١٢٧.

(٣) التنصير في المراجع العربية، دراسة، ورصد وراقي للمطبوع، د. علي بن إبراهيم النملة، ص٢٧.

الهواتف الذكية أبرز صوره، وتعزى تلك المخاطر نظراً لكون المنصرين يركزون على فئة الأطفال، كما أنهم يعتمدون على جهات ذات دعم دائم تساعدهم في التوسع في أنشطتهم، بالإضافة لاعتمادهم في إنشاء التطبيقات على الوسائط المتعددة ذات الجاذبية العالية، مما يؤكد أهمية تكاتف الجهود في كشف تلك المخاطر.

٣- مساندة العاملين في حقل مواجهة التنصير، وذلك عن طريق الكشف عن أبرز وسائل الفكر التنصيري المعاصر، والذي يأتي في مقدمتها التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وذلك لوضع الخطط المدروسة للحد من مخاطر تلك التطبيقات.

٤- ملاحظة الباحث- عند قيامه بتدريس مقرر التنصير- قلة المراجع الحديثة للتنصير، وخصوصاً المرتبطة بوسائل الفكر التنصيري المعاصر، مما شجع الباحث على القيام بهذه الدراسة.

رابعاً: أهداف الدراسة:

تقوم الدراسة على هدف رئيس وهو: بيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر من خلال التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها، ويتفرع عن هذا الهدف الأهداف التالية:

١. التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وبيان خصائصه.
٢. التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال"، وبيان خصائصه.
٣. التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، وبيان خصائصه.
٤. إلقاء الضوء على مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية.
٥. التعرف على مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية.
٦. بيان مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية.

خامساً: أسئلة الدراسة:

تقوم الدراسة على سؤال رئيس وهو: ما التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية والتي تعد أبرز وسائل الفكر التنصيري المعاصر؟، وما أبعاد مخاطرها؟، ويتفرع عن هذا السؤال ما يلي:

١. ما التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"؟، وما خصائصه؟
٢. ما التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال"؟، وما خصائصه؟
٣. ما التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"؟، وما خصائصه؟
٤. ما مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية؟
٥. ما مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية؟
٦. ما مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية؟

سادساً: الدراسات السابقة:

إن الدراسات في مجال التنصير- بشكل عام- كثيرة، ولا يمكن حصرها، إلا أن الدراسات السابقة في مجال وسائل، وأساليب الفكر التنصيري المعاصر قليلة جداً، بالإضافة لقدمها، وتأسيساً على ما سبق لم يجد الباحث دراسة تناولت: وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

وقد جاءت الدراسات السابقة متنوعة الأهداف، فمنها ما تهدف إلى التعرف على تحليل أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، ومنها ما تهدف إلى كشف أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، وذلك من خلال دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١-١٤٢٠هـ، ومنها ما تهدف إلى التعرف على التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، ومنها ما تهدف إلى

تسليط الضوء على التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، من خلال دراسة عقدية، ومنها ما تهدف إلى تسليط الضوء على التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ومنها ما تهدف لدراسة بعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، ومنها ما تهدف إلى الكشف عن وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، ومنها ما تهدف إلى إلقاء الضوء على القنوات الفضائية العربية التنصيرية.

وفيما يلي يستعرض الباحث الدراسات السابقة بشكل مفصل:

- **أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، دراسة تحليلية، للباحثة: إنعام بنت محمد عقيل، وهذ الدراسة عبارة عن رسالة لمرحلة الماجستير، وقدمت في العام الجامعي: ١٤٢٤-١٤٢٥هـ، وذلك إلى شعبة العقيدة، بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية، وهدفت لما يلي:**

١- الإسهام في كشف مخططات المنصرين عبر الإنترنت، وتحذير المسلمين منها.

٢- الوقوف على أهم الجهود التي تبذل في مواجهة التنصير عبر هذه الشبكة.

٣- دراسة منهجهم في عرض العقائد، وبث الشبهات، وأهدافهم، وأبرز القضايا التي يركزون عليها.

٤- معرفة المصادر التي يعتمدون عليها من خلال مواقعهم، وكتبهم.

٥- الرد على بعض الشبهات التي لم يسبق الرد عليها.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى الكشف عن أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، من خلال دراسة تحليلية، بينما الدراسة المقدمة من الباحث فإنها تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات

التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

- **أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١–١٤٢٠هـ، للباحث: نور الدين عوض بابكر، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة لمرحلة الدكتوراه، وقدمت في العام الجامعي: ١٤٢٢–١٤٢٣هـ، وذلك إلى قسم الدعوة، والاحتساب، بكلية الدعوة، والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، وجاءت أهدافها كما يلي:**

١- الكشف عن أساليب النصارى التي يستخدمونها في الصد عن الإسلام، وإعاقة حركة انتشاره في كينيا، ومدى اهتمامهم بهذه الأساليب، وحجم انتشارها في المدن الكينية الكبيرة.

٢- البحث عن الأساليب، والوسائل، والطرق المناسبة لمواجهة النشاط التنصيري، ومدى الاهتمام به، وحجم انتشاره، رغبة في إفساح المجال للدعوة الإسلامية في المنطقة.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى بيان أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، من خلال دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١–١٤٢٠هـ، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

- **التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، للباحث: سوهيري إلياس نور الدين، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير قدمت في العام الجامعي: ١٤٠٤–**

١٤٠٥هـ، وذلك إلى قسم الإعلام، التابع للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، وتهدف الدراسة لما يلي:

١- التعرف على التنصير في إندونيسيا.

٢- التعرف على واقع الإعلام في إندونيسيا.

٣- بيان أثر التنصير على الإعلام.

٤- التعرف على موقف المسلمين من التنصير.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى التعرف على واقع التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

●**التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، دراسة عقدية، للباحث: محمد بن موسى المجممي، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير قدمت في العام الجامعي:١٤٣٢ /١٤٤٣هـ، وذلك إلى قسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية، وتهدف الدراسة لما يلي:**

١. بيان واقع العمل التنصيري على الشبكة العالمية باستخدام الخدمات التفاعلية.

٢. إيضاح كيفية استغلال المنصرين لكل وسيلة من هذه الوسائل التفاعلية.

٣. إيضاح أهم الشبه التي يثيرها المنصرون في هذه الخدمات، والطرق المستخدمة في ذلك.

٤. بيان، وتقييم الجهود التي يبذلها المسلمون في صد هذه الهجمات التنصيرية.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى بيان واقع التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية من خلال دراسة عقدية، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

●التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) للباحث: د. علي بن سعيد عثمان، وهذه الدراسة عبارة عن بحث محكم منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، في العدد: ٢، للعام: ٢٠١٤م، وهذه المجلة تابعة للجامعة الإسلامية بغزة، وهدفت هذه الدراسة لما يلي(١):

١- التعرف على مفهوم التنصير، وعوامله، وأهدافه، ووسائله.

٢- التعرف على كيفية استخدامات التنصير للشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ووسائله.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى وصف التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

●دراسة لبعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، دراسة وصفية، للباحث: د. خالد بن عبدالله القاسم، وهذه الدراسة عبارة عن بحث محكم منشور في حولية كلية أصول الدين، والدعوة، بالمنوفية، بجامعة الأزهر، بجمهورية مصر العربية، وذلك في العدد/٢٦، في سنة: ٢٠٠٧م، وتهدف الدراسة لما يلي:

---

(١) لم يورد أهدافاً للدراسة، وقام الباحث باستنتاج الأهداف من خلال تقسيمات الدراسة.

١- التعرف على الإنترنت، وطبيعتها، وإيجابيات الإنترنت في المواقع الدعوية.

٢- التعرف على سلبيات الإنترنت في المواقع الدعوية.

٣- بيان الجهود التنصيرية عموماً، وأهداف المنصرين، والجهود التنصيرية عبر الإنترنت.

٤- بيان كيفية تواصل المواقع التنصيرية مع جمهورها، ومدى توظيفها للوسائط المتعددة.

٥- التعرف على اللغات المستخدمة في المواقع التنصيرية.

٦- بيان أهداف المواقع التنصيرية، والموضوعات التي يناقشونها في تلك المواقع.

٧- بيان الأساليب المتبعة للمواقع التنصيرية لتحقيق أهدافها، ومعرفة مدى الإنصاف عند تلك المواقع.

٨- التعرف على الجمهور المستهدف للمواقع التنصيرية، ومدى تفاعل مجتمع الإنترنت معهم، ومعرفة كيفية تمويل المواقع التنصيرية.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى دراسة بعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، دراسة وصفية، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

●وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، للباحثة عبير بنت محمد عاتي، وهذه الدراسة عبارة عن بحث تكميلي لمرحلة الماجستير، قدم في العام الجامعي: ١٤٣٠-١٤٣١هـ، وذلك إلى قسم الثقافة الإسلامية، بكلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، وهدفت الدراسة لما يلي:

١- اليقظة لنشاطات المنصرين، وتكثيف المراقبة عليهم بشتى الوسائل، وتبليغ العلماء، والمشايخ المختصين بكل ما يكشف في ذلك.

٢- توسيع نشاط الدعوة إلى الله تعالى في أوساط النصارى من المقيمين في بلاد الإسلام، وغيرهم.

٣- العمل على إحباط جهود النصارى.

٤- فضح أعمال المنصرين وكشف خططهم.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى بيان وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

●القنوات الفضائية العربية التنصيرية، دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، للباحث: تركي بن خالد الظفيري، وهذه الدراسة عبارة عن بحث لمرحلة الماجستير، قدم في العام الجامعي: ١٤٢٦/١٤٢٧هـ، وذلك إلى قسم الثقافة الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية، وجاءت أهدافها كما يلي:

١- التعريف بالقنوات الفضائية العربية التنصيرية، وفضح أهدافها، وبيان خطورتها.

٢- بيان وسائل المنصرين في القنوات الفضائية العربية التنصيرية.

٣- بيان سبل مواجهة القنوات العربية التنصيرية.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى الكشف عن القنوات الفضائية العربية التنصيرية، في ضوء العقيدة الإسلامية، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في

الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

●**الإعلام التنصيري الموجه للطفل من خلال قناة (سات-٧) الفضائية، دراسة تحليلية، للباحثة: فضة بنت سالم العنزي، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة لمرحلة الماجستير، وقدمت في العام الجامعي: ١٤٢٧هـ، وذلك إلى قسم الثقافة الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية:** وهدفت الدراسة بشكل عام إلى التعرف على محتوى عملية التنصير تجاه الأطفال من خلال ما يبث من برامج تنصيرية عبر قناة (سات-٧)، ويتفرع عن هذا الهدف ما يلي:

١- اكتشاف الوسائل التي من خلالها تحاول قناة (سات-٧) نشر الدين النصراني.

٢- بيان العقائد النصرانية التي يحاول برنامج السنابل تثبيتها لدى الأطفال.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى التعرف على محتوى عملية التنصير تجاه الأطفال من خلال ما يبث من برامج تنصيرية عبر قناة (سات-٧)، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

سابعاً: منهج الدراسة:

١- استخدم الباحث في هذه الدراسة: "**المنهج الوثائقي**"، والذي يعرف بأنه: "وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق، والمسجلات مع بعضها بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة، أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية، أو الحاضرة، أو عن الدوافع، والصفات، والأفكار

الإنسانية[1]".

٢- كما استخدم الباحث في هذه الدراسة: **"المنهج الوصفي"**، والذي يقوم على دراسة الواقع، ووصفه وصفاً دقيقاً من خلال عدة طرق، ومنها: التعبير الكيفي الذي يصف الظاهرة، ويوضح خصائصها[2].

وقام الباحث بتوظيف المنهجين من خلال التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان خصائصها، والتعرف على أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

ثامناً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وفيها: أولاً: أهمية الدراسة، ثانياً: مصطلحات الدراسة، ثالثاً: أسباب اختيار الدراسة، رابعاً: أهداف الدراسة، خامساً: أسئلة الدراسة، سادساً: الدراسات السابقة، سابعاً: منهج الدراسة، ثامناً: تقسيمات الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وخصائصها، وفيه:

المطلب الأول: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وخصائصه.

المطلب الثاني: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال"، وخصائصه.

المطلب الثالث: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، وخصائصه.

المبحث الثاني: أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وفيه:

---

(١) أصول البحث العلمي، ومناهجه، د. أحمد بدر، ص٢٤٨.

(٢) انظر: البحث العلمي، مفهومه، وأدواته، وأساليبه، أ.د. ذوقان عبيدات، وآخرون، ص١٨٠.

المطلب الأول: مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية.

المطلب الثاني: مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية.

المطلب الثالث: مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية:

الخاتمة، وفيها: النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وخصائصها

تمهيد:

لقد جاءت التطبيقات التنصيرية كأحد أبرز وسائل الفكر التنصيري المعاصر، ويلاحظ في فضاء تطبيقات الهواتف الذكية أنه توجد المئات من التطبيقات التنصيرية[1]، لذا حرص الباحث على اختيار التطبيقات الأشد خطراً، والأكثر انتشاراً؛ وذلك استناداً على عدد مرات التحميل لتلك التطبيقات من قبل المستخدمين، ووجد الباحث- حين استكشاف التطبيقات التنصيرية- أن هنالك ٣ تطبيقات تنصيرية تعد الأبرز على الاطلاق، إذْ تراوحت مرات التثبيت لتلك التطبيقات ما بين ٥ ملايين تثبيت، إلى ١٠٠مليون تثبيت على الهواتف الذكية وحدها.

وسوف يقوم الباحث باستعراض تلك التطبيقات التنصيرية من خلال التعريف بكل تطبيق، وبيان خصائصه، وفق ثلاثة مطالب، حيث جاء المطلب الأول: تحت عنوان: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وخصائصه، والمطلب الثاني: جاء تحت عنوان: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال" وخصائصه، والمطلب الثالث: جاء تحت عنوان التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" وخصائصه.

---

(١) من الأمثلة على التطبيقات التنصيرية: تفسير الإنجيل للكنيسة القبطية، الكتاب المقدس الدراسي، الكتاب المقدس في عام، آية كل يوم من الكتاب المقدس، الكتاب المقدس بالشواهد، مركز دراسات الكتاب المقدس، الكتاب المقدس كاملاً، عالم الكتاب المقدس، تفسير الإنجيل للكنيسة القبطية، الكتاب المقدس المسموع، تأملات يومية من الكتاب المقدس، موسوعة الكتاب المقدس، الكتاب المقدس (العهد القديم)، آيات الكتاب المقدس، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الإنجيل باللغة العربية، آية الكتاب المقدس اليومية.

المطلب الأول

التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وخصائصه

التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس": هو عبارة عن تطبيق إلكتروني، تنصيري، مختص بالكتاب المقدس، ويتم تثبيته على الهواتف الذكية من خلال منصات تحميل تطبيقات الهواتف الذكية[(١)].

ويعد تطبيق: "الكتاب المقدس" أبرز التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية، والذي بذل فيه المنصرون جهوداً كبيرة ومنقطعة النظير، لجذب الناس للدخول في النصرانية.

فقد بلغ عدد مرات تثبيت التطبيق على الهواتف الذكية أكثر من ١٠٠ مليون مرة من خلال متجر "جوجل بلاي" المختص بتحميل التطبيقات على نظام "آندرويد"[(٢)].

وفي الموقع الرسمي للتطبيق أوضح أن عدد النسخ المثبتة بشكل عام تتجاوز ٥٠٠مليون نسخة، سواء على الأجهزة الذكية، أو اللوحية، وغيرهما، كما تقدم هذه النسخة بشكل مجاني اعتماداً على الشركاء، وبشكل خالٍ من الإعلانات، وتدعم نظامي: "أي أو إس"، و: "أندرويد"، ويتيح موقع التطبيق عَدَّاداً رقمياً يوضح عدد مرات التحميل

---

(١) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس".

https://www.youversion.com/the-bible-app

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، متجر جوجل بلاي.

https://play.google.com/store/apps/details?id=com.sirma.mobile.bible.android

للتطبيق[1].

وأما بشأن خصائص التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس" فإنه يمتلك العديد من الخصائص، التي عمل المنصرون على إيجادها، وتطويرها، وذلك لجعلها ذات جاذبية عالية، ويعرض الباحث فيما يلي ملخصاً لأبرز تلك الخصائص، وذلك في سياق ترويجهم لهذا التطبيق التنصيري[2]:

١. استخدام التطبيق بشكل مجاني.
٢. إمكانية الاستماع الصوتي للكتاب المقدس.
٣. إمكانية إنشاء قوائم الصلوات النصرانية.
٤. احتوائه على أكثر من ٢٠٠٠ إصدار من ترجمات الكتاب المقدس.
٥. إمكانية تنزيل إصدارات محددة لاستخدامها بدون الحاجة للاتصال بشبكة الإنترنت.
٦. إتاحة تصميم الكتاب المقدس للمستخدم من خلال: تمييز النص، والعلامات المرجعيّة، والشارات، والملاحظات.
٧. المشاركة مع الأصدقاء، وإجراء محادثات معهم.
٨. استخدم بطاقات الصلاة لتتبع الصلوات.
٩. تنظيم قوائم الصلاة بسهولة.

---

(١) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس".
https://www.youversion.com/the-bible-app

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، متجر جوجل بلاي.
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.sirma.mobile.bible.android

١٠. إمكانية القيام بصلوات خاصة، أو مشاركتها مع الأصدقاء.

١١. إتاحة الاحتفال بطلبات الصلاة التي قام الأصدقاء بالاستجابة لها.

١٢. إمكانية تعديل الكتاب المقدس من خلال تكوين صور جذابة لأعداد الكتاب المقدس، وتمييز النصوص بألوان مخصصة، ووضع علامات مرجعيّة للتذكير، والبحث عن الأعداد المفضلة في الكتاب المقدس.

١٣. إمكانية إنشاء ملاحظات: شخصية، أو عامة يمكن مشاركها مع الأصدقاء.

١٤. إمكانية مشاركة الأعداد مع الأصدقاء عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، والبريد الإلكتروني، والرسائل النصيّة القصيرة.

١٥. إتاحة المزامنة السحابيّة من خلال حساب مجاني يمكن من خلاله الاطلاع على كل الملاحظات، والنصوص المميزة، والإشارات المرجعيّة، والخطط على أي جهاز مدعوم.

١٦. سهولة القراءة من خلال ضبط الإعدادات المرتبطة بالخطوط، والمسافات بين الكلمات، وحجم النص.

١٧. إتاحة تطبيق "الكتاب المقدس" بأكثر من ٦٥ لغة، من بينها اللغة العربية.

١٨. إتاحة عمل خطط للقراءة.

المطلب الثاني

التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال" وخصائصه

التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال": هو عبارة عن تطبيق إلكتروني، تنصيري، مختص بنشر الكتاب المقدس، من خلال استهداف فئة الأطفال، ويتم تثبيت هذا التطبيق على الهواتف الذكية من خلال منصات تحميل تطبيقات الهواتف الذكية(١).

ويعد تطبيق "الكتاب المقدس للأطفال" من أبرز التطبيقات التي بذل فيها المنصرون جهوداً كبيرة، للعمل على تنصير هذه الفئة المهمة في المجتمع، وهي فئة الأطفال.

فقد بلغ عدد مرات التحميل لهذا التطبيق من متجر "جوجل بلاي" أكثر من ٥٠ مليوناً، وأوضح مطور التطبيق التنصيري في الصفحة التعريفية- التي يروج فيها لهذا التطبيق التنصيري- أن هذا التطبيق يحوي قصص الكتاب المقدس، من خلال أكثر من ٤٠ مغامرة تفاعلية تساعد الأطفال على فهم القصة الكلية التي يحكيها الكتاب المقدس، كما يأتي تطبيق الكتاب المقدس بتصفح ملائم للأطفال، ويساعدهم على إيجاد، واختيار أي قصة يريدونها، ثم يقوم بقراءتها عليهم بصوت مسموع بأسلوب سردي لطيف(٢).

وبين مطور هذا التطبيق التنصيري- في سياق الترويج لهذا التطبيق التنصيري- أن كل قصة تحوي رسوماً متحركة مسلية، وتفاعلية تجذب الأطفال، بالإضافة لوجود قصص مختارة تحتوي على ألعاب، وأنشطة، ومسابقات، ومكاسب مصممة لتساعد الأطفال على

---

(١) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال".

https://www.youversion.com/the-bible-app-for-kids/

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي.

https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US

التعلم، والفهم، والاحتفاظ بمفاهيم مهمة في الكتاب المقدس(١).

وفي الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال" يظهر أنه يدعم نظامي: "آي أو إس"، ونظام "آندرويد"، وهو متوفر بأكثر من ٦٠ لغة، وهو مثبت على أكثر من ٩٠مليون جهاز فريد في جميع أنحاء العالم(٢).

وأما بشأن خصائص التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال": فقد جاء التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال" بالعديد من الخصائص التي تركز في المقام الأول على فئة الأطفال، ويعرض الباحث فيما يلي ملخصاً لتلك الخصائص، وذلك في إطار ترويجهم لهذا التطبيق التنصيري(٣):

١- يُتاح الكتاب المقدس من خلال كتب سمعية ذات رسوم متحركة.

٢- يحتوي على تطبيق قراءة للأطفال، وهو تطبيق يساعد الأطفال الصغار على تعلم القصص الكتابية، وصقل مهارات القراءة لديهم.

٣- يحتوي على قصص مكتوبة للأطفال، ورسوماً متحركة تُـفَعَّـل باللمس.

٤- سهولة التصفح، ومناسبته للأطفال.

٥- يحتوي على رسوم توضيحية كتابية ملونة.

---

(١) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي.
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US

(٢) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال".
https://www.youversion.com/the-bible-app-for-kids/

(٣) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي.
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US

٦- يحتوي على قصص كتابية للأطفال تتجاوز ٤٠ قصة مسلية، وتفاعلية.

٧- يحتوي ألعاباً مصممة لمساعدة الطفل على تذكر ما تعلمه.

٨- يحتوي تحديات ومسابقات كتابية تسمح للأطفال الحصول على جوائز.

٩- متوفر بلغات عدة منها: العربية، والإنجليزية، والإندونيسية، والألمانية، والإسبانية، والفليبينية، والفرنسية، والإيطالية، والهولندية، والبولندية، والبرتغالية، والرومانية، والتركية، والروسية، والفيتنامية، والفارسية، والأوردية، والهندية، والتايلندية، والكورية، والصينية المبسطة، والصينية التقليدية، واليابانية.

المطلب الثالث

التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"[١]، وخصائصه:

التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم": هو عبارة عن تطبيق إلكتروني، تنصيري، مختص بنشر الكتاب المقدس، ويتم تثبيته على الهواتف الذكية من خلال منصات تحميل تطبيقات الهواتف الذكية[٢].

ويعد هذا التطبيق التنصيري من بين التطبيقات المجّانية التي تعمل على نظام: "آي أو إس"، ونظام "أندرويد"، وفي سياق ترويج مطور هذا التطبيق التنصيري للتشجيع على استخدامه ذكر أنه يُشكّل اختباراً ثرياً من ناحية وسائل الإعلام الأطفال حيث يُساعد- على- حد زعمه- على إحياء الكتاب المقدّس بالنسبة إليهم بالفيديوهات، والصور، وذلك من خلال سلسلة الكتاب العظيم المصوّرة، بالإضافة إلى ألعابٍ تفاعليّة[٣]، وهذا

(١) لاحظ الباحث اختلاف مسمى التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" بين متجري "أندرويد"، ومتجر "آب ستور"، ففي متجر: "أندرويد"، جاء مسمى التطبيق: "الكتاب العظيم"، وفي متجر "آب ستور" ذي النسخة العربية، جاء تحت مسمى: "كتابي للأطفال"، مع التطابق في الخصائص، والأيقونات، ومما يؤكد أنه تطبيق واحد، ومصدره واحد، مع اختلاف الاسم فقط، قام الباحث بالرجوع للموقع الرسمي للتطبيق، وجاء التطبيق تحت مسمى: "الكتاب العظيم"، وقد يعزى ذلك الاختلاف في تسمية التطبيق في متجر "آب ستور" إلى محاولة تمرير هذا التطبيق التنصيري بهذه التسمية التي يظن من ظاهرها سلامة هذا التطبيق.

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، متجر جوجل بلاي.
https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android

(٣) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم".
https://ar.superbook.cbn.com/app

التطبيق قام بتحميله أكثر من ١٠ ملايين مستخدم على متجر "جوجل بلاي[١]".

وأضح مطور هذا التطبيق التنصيري أن كلَّ المحتوى هو جزءٌ لا يتجزَّأ من الكتاب المقدس، لذا بإمكان الأطفال أن يتفاعلوا بسهولة معه في سياق الكتاب المقدس، ويتضمّن هذا التطبيق أيضاً لمحات عن أشخاص، وأماكن، وأدوات من الكتاب المقدس، بالإضافة إلى تأمين أجوبة كتابيّة لأسئلة شائعة لدى الأطفال[٢].

وفيما يتعلق بخصائص التطبيق التنصيري "الكتاب العظيم": فقد جاء التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" بالعديد من الخصائص ذات الجاذبية العالية، وذلك لضمان التأثير على أكبر عدد ممكن، وفي إطار ترويجهم لهذا التطبيق يورد الباحث أبرز خصائصه[٣]:

١- مجاني التثبيت.

٢- يتضمن فيديوهات، وصوراً متنوعة من الكتاب العظيم.

٣- يحوي ٢٦ حلقة مجانية من سلسلة الكتاب العظيم.

٤- يتيح محتوى الكتاب المقدس للأطفال التفاعل مع كل فصل من الكتاب المقدس بسهولة.

---

(١) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، متجر جوجل بلاي.
https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android

(٢) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم".
https://ar.superbook.cbn.com/app

(٣) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم، متجر جوجل بلاي.
https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android

٥- يحتوي أجوبة كتابية لمئات من الأسئلة الشائعة بين الأطفال.

٦- يتضمن لمحات عامة عن أشخاص، وأماكن وجدت في الكتاب المقدس.

٧- يمكن البحث عن أجوبة كتابية لأسئلة مهمة للأطفال، مثل: أسئلة حول الحياة، ويسوع، والكتاب المقدس.

٨- يحوي ألعاباً شيقة مثل لعبة البحث عن الكلمات، ولعبة ملأ الفراغ، والعديد من الألعاب الأخرى.

ويضاف لخصائص هذا التطبيق التنصيري ما يلي(١):

٩-يدعم العديد من اللغات في مقدمتها: العربية، والإسبانية، والإنجليزية، والبرتغالية، والروسية، والرومانية، والصينية المبسّطة، والفارسية، والفرنسية، والهندية.

---

(١) انظر: التطبيق التنصيري: "كتابي للأطفال"، متجر: "آب ستور".

https://apps.apple.com/ae/app/superbook-kids-bible/id٦٠٦٣٧٨٠٣٠?l=ar

المبحث الثاني

أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية

تمهيد: بعدما استعرض الباحث- في المبحث الأول- التعريف بأبرز صور وسائل الفكر التنصيري المعاصر- والتي جاءت التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية أبرزها- وكذلك بيان خصائصها، وجد الباحث أنه من الأهمية بمكان رصد أبعاد مخاطر تلك التطبيقات، وذلك لإفادة العاملين في حقل مواجهة التنصير بتلك الأبعاد التي تشكل مرتكزات في التطبيقات التنصيرية.

فيلاحظ أن تلك التطبيقات تركز على استهداف للأطفال، وتقوم كذلك بالتركيز على الوسائط المتعددة، بالإضافة لقيامها باستغلال الموارد المتنوعة في تحقيق أهدافها، والتوسع فيها.

وسوف يكشف الباحث تلك المخاطر من خلال ثلاثة مطالب، حيث يتناول في المطلب الأول: مخاطر استهداف الأطفال في التطبيقات التنصيرية، وفي المطلب الثاني: يتناول مخاطر استغلال الوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية، وفي المطلب الثالث: يستعرض مخاطر استغلال الموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية.

المطلب الأول

مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية

إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استهداف الأطفال في المقام الأول، ويعزى ذلك الأمر لأهمية هذه المرحلة العمرية.

فتعد بداية الطفولة فترة تكوينية مهمة من حياة الإنسان، حيث يتم وضع البذور الأولى في مستقبل حياة الطفل، كما تمكن أهمية تلك المرحلة لأن ما يحدث فيها من نمو، وما يكتسبه الطفل من معلومات، ومهارات، وعادات، وسلوكيات يصعب تقويمها، أو تعديلها، ويعزى ذلك الأمر لكون الممارسة المستمرة، والمتكررة لسلوك ما تزيد من نسبة ثبات هذا السلوك، ورسوخه(1)، وهذه النقاط السابقة تبين بوضوح مخاطر استهداف المنصرين للأطفال.

وحالياً فإن العديد من الدراسات السابقة تؤكد وجود عدة أضرار تصاحب استخدام الأطفال للهواتف الذكية، وقد تلجأ بعض الأمهات إلى ترك أطفالها لساعات طويلة أمام شاشة الهاتف الذكي؛ وذلك لتوفير متسع من الوقت للعمل، والاسترخاء بعيداً عن صخب الأطفال، إلا أن هذه الأمر له تبعات خطيرة تتمثل في ظهور العديد من الأضرار على المستويات التربوية، والاجتماعية، والصحية(2)، وكذلك العقدية.

ومع الفوائد الكثيرة التي وفرتها التقنيات الرقمية في العصر الحالي للأطفال وخاصة في مجالات التعليم صاحبها في ذات الوقت- وفي ظل الاستخدام غير الواعي- سلبيات

---

(1) انظر: علم نفس النمو، من الطفولة إلى المراهقة، د. هشام أحمد غراب، ١٢٩.

(2) انظر: التأثيرات السلبية لاستخدام الهواتف الذكية على الأطفال من وجهة نظر الأمهات، أسماء باسم، وإيمان عبدالرحمن، ص٩.

ومخاطر عديدة[١]، ويأتي في مقدمتها استغلال تلك التطبيقات في تنصير الأطفال.

ولاحظ الباحث من خلال النظر في التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية تركيزها على شقين مهمين للتأثير على الأطفال، فالشق الأول: يقوم على استغلال القصص في نشر التنصير، ويأتي الشق الثاني: عبر الترويج للتنصير عن طريق الألعاب الإلكترونية.

ويعزى تركيز المنصرين على القصص في نشر التنصير من خلال التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية نظراً لما تمتاز به القصص بشكل عام من خصائص جذابة.

فتعد القصة من أحب الألوان للأطفال، ومن أقربها إلى أنفسهم، كما أنها تعد من طرق التوجيه، وتقوم بإمداد الطفل بالخبرات، وتنمي الفكر لديه، وتمده بالعديد من المعلومات، وتقوم بإثراء الخيال لديه، بالإضافة إلى التسلية، والترويح، والترفيه[٢].

بالإضافة لامتياز قصص الأطفال بقوة الرسوخ في الذاكرة مما يستدعي الوعي الشديد لما يتلقاه الطفل من قصص[٣]، ويؤكد خطورة استغلال المنصرين للقصة في سبيل التأثير على الأطفال.

وأما ما يتعلق بتركيز المنصرين على الألعاب الإلكترونية لنشر النصرانية بين الأطفال؛ فيعزي ذلك الأمر لما تتمتع به الألعاب الإلكترونية من شعبية كبيرة لدى الكثير من الفئات، وفي مقدمتها فئة الأطفال.

---

(١) انظر: تربية الطفل المصري في العصر الرقمي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل، أ.د. جمال علي الدهشان، ص٩٨.

(٢) انظر: فاعلية استخدام قصص الأطفال كمصدر للتعبير الفني في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طفل ما قبل المدرسة، العنود بنت سعيد أبو الشامات، ص٣٥-٣٨.

(٣) انظر: قصص الأطفال، أصولها الفنية، وروادها، د.محمد حسن عبدالله، ص٦.

وفي الوقت الحالي تدر أسواق ألعاب الفيديو عائدات كبيرة سنوياً، حيث سيبلغ حجم سوقها العالمي خلال العالم ٢٠٢١م ما مقداره ١٥٤،٦ مليار دولار أمريكي، وتصدرت الصين سوق ألعاب الفيديو حيث بلغ حجم سوقها ٤٩،٣ مليار دولار، ومن المتوقع أن يرتفع إلى ٧١،٢ مليار دولار في ٢٠٢٥م، متقدمة بفارق كبير عن أمريكا التي احتلت المركز الثاني هذا العام حيث بلغ حجم سوقها ٣٠،٤ مليار دولار، ثم تلتها اليابان التي يتوقع بأن تحقق ١٨،٢ مليار دولار خلال ٢٠٢١م(١).

إن الانتشار الواسع للألعاب الإلكترونية، وزيادة الساعات التي يقضيها الأطفال في اللعب أدى إلى استنفار المربين، وعلماء النفس، والاجتماع للبحث حول آثارها في مختلف المجالات، فلا يمكن التعامل مع اللعبة الإلكترونية كوسيلة تسلية بريئة، بل هي وسيلة إعلامية تتضمن العديد من الرسائل ذات الأهداف المحددة على مختلف أنواعها سواء الدينية، أو السياسية(٢).

ويرى الباحث أن الأمر مختلف مع الألعاب الإلكترونية في التطبيقات التنصيرية من حيث درجة الخطورة، إذ هي الأشد خطورة على الإطلاق؛ وذلك لكونها تستهدف في المقام الأول أطفال المسلمين، بالإضافة لعدم التفاتها للكسب المادي؛ نظرا لتمويل تلك التطبيقات من قبل العديد من الجهات التنصيرية، وبالتالي فإن هذه الألعاب الإلكترونية متاحة للأطفال بشكل مجاني، ولا يتم طلب دفع الأموال مقارنة بالألعاب الأخرى، مما يؤدي إلى زيادة انتشارها بين هذه الشريحة المهمة.

---

(١) انظر: جريدة الاقتصادية، ١٥٤ مليار دولار حجم سوق ألعاب الفيديو في ٢٠٢١م ثلثها للصين.
https://www.aleqt.com/٢٥/٠٨/٢٠٢١/article_٢١٥٨٨١١.html

(٢) انظر: أثر الألعاب الإلكترونية على السلوكيات لدى الأطفال، دراسة وصفية تحليلية على عينة من الأطفال بالجزائر، مريم قويدر، ص ١٤، ١٥.

المطلب الثاني

مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة

في التطبيقات التنصيرية

يبذل المنصرون قصارى جهدهم في سبيل التنصير، وذلك عن طريق استخدام أحدث الوسائل المعاصرة ذات الجاذبية العالية، مقارنة بالتنصير التقليدي الذي يعتمد على الكتب، أو المطويات، لذا جاءت التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية تحوي العديد من أنواع الوسائط المتعددة، والتي تضمن أكبر تأثير على المتلقين.

ومفهوم الوسائط المتعددة يقوم على استخدام الحاسب الآلي في الدمج بين النص، والتصاميم، والرسم، والصور، والفيديو، والصوت، وأي نوع آخر من الأشكال الاتصالية(١)، وبطبيعة الحال فإن الهواتف الذكية تعد من صور الحاسب الآلي المصغرة.

ويلاحظ في التطبيقات التنصيرية حرصها على نشر النصرانية، وذلك من خلال استخدام أشكال مختلفة من الوسائط المتعددة، كاستخدام الصور، والفيديو، للترويج للكتاب المقدس، وكذلك استخدام الرسوم المتحركة، والصوت.

فعلى سبيل المثال يعزى تركيز المنصرين على استخدام الصورة في إيصال المحتوى التنصيري في التطبيقات التنصيرية، نظراً لما تمتاز به من خصائص مهمة.

فالصورة تستخدم كمصدر للحصول على المعلومات، والحقائق، كما أنها تقوم بالعمل على تكوين المفاهيم العقلية، ولا تقل الصورة في أهميتها التعلمية عن الوسائل التعليمية الأخرى(٢).

والصورة لها مكانة كبيرة، وخصوصاً في المجال التعليمي فهي تعد من مصادر

---

(١) انظر: الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ص١٣٠.

(٢) انظر: استخدام الصور التعليمية في تنمية مهارة الكتابة، نور طائفة، ص٩٠.

المعرفة، وتشكل لغة عالمية لها قدرة كبيرة على التعبير، ولهذا يتم استغلال الصورة في التعليم بصفتها وسيلة اتصالية فعالة، وقادرة على التأثير(١).

كما تلعب الصورة حالياً دوراً شديد الأهمية، أكثر من أي وقت مضى؛ لأن الإعلام الحالي هو إعلام وسائط متعددة، وتمتاز الصورة بقوة التأثير على الآخرين(٢).

ويعد هذا العصر الراهن بأنه عصر الصورة؛ لكونها أبرز الأدوات المعرفية، ولقدرتها على مخاطبة العديد من شرائح المجتمع، فهي لا تحتاج جهداً ذهنياً لفهمها، لذا أصبحت وسيلة اتصالية فعالة تقوم بترجمة ما يريد الانسان أن يوصله من أفكار(٣)، مما يوضح سبب تركيز المنصرين عليها في الوقت الحالي، وخصوصاً في التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

---

(١) انظر: أهمية الصورة في العملية الاتصالية، دراسة تحليلية سيميولوجية على عينة من صور كتاب القراءة للسنة الأولى من الطور الابتدائي، كروشي إشراق، وعيشوش جوهر، ص أ.

(٢) انظر: الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ص٣٣٩.

(٣) انظر: أهمية الصورة في العملية الاتصالية، دراسة تحليلية سيميولوجية على عينة من صور كتاب القراءة للسنة الأولى من الطور الابتدائي، كروشي إشراق، وعيشوش جوهر، ص أ.

المطلب الثالث

مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية

بطبيعة الحال فإن الفكر التنصيري لا يمكن أن ينهض دون موارد متنوعة تمكنه من تحقيق أهدافه، وتساعده في التوسع في نشاطاته التنصيرية، وخصوصاً في التطبيقات التنصيرية، وهذا البعد يوضح حجم الخطر المحدق، ولا تعني الموارد الاقتصار على الموارد المالية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الموارد البشرية، وغيرها.

ولذا فقد أشار المؤتمر التنصيري الذي عقد في سنة ١٩٨٧م إلى منهجية التخطيط الاستراتيجي للتنصير حيث جاءت الاستراتيجية ذات الرقم ١٧ تحت مسمى: "حشد الموارد"، وأوضح المؤتمر أن أفضل الخطط المرسومة تكون عديمة الفائدة من دون توفر الموارد المناسبة، وقام بطرح عدد من الأسئلة التي تشمل تحديد القوى البشرية التي يمكن من خلالها تنفيذ الخطط، وتحديد الموارد المالية التي يحتاجها العمل التنصيري، ومن أين ستأتي، بالإضافة لتحديد التسهيلات، أو المعدات التي يحتاجها العمل التنصيري لتحقيق أهدافه، وأوضح أن الإجابة على هذه الأسئلة تمثل استثماراً عظيماً للوقت والطاقة(١).

وفي إحصائية أعدها المنصر: د. ديفيد باريت، المختص بإحصائيات العمل التنصيري في عام ٢٠٠٣م تضمنت احصائيات لسنة ١٩٧٠م، ومنتصف سنة ٢٠٠٠م، ومنتصف سنة ٢٠٠٣م، وتوقعاً مستقبلياً لسنة ٢٠٢٥م، والجدول التالي يوضح أبرز ما

---

(١) انظر: التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري المنعقد في ١٩٧٨م، ص٦٨٤.

جاء فيها[1]:

أشكال الدعم للعمل لتنصيري	سنة ١٩٧٠م	منتصف ٢٠٠٠م	منتصف ٢٠٠٣م	توقعات لسنة ٢٠٢٥
المنظمات التي ترسل المنصرين	٢،٢٠٠	٤،٠٠٠	٤،١٥٠	٦،٠٠٠
المنصرين المحليين المتفرغين	٢،٣٥٠،٠٠٠	٥،١٠٤،٠٠٠	٥،٢٥٥،٠٠٠	٦،٥٠٠،٠٠٠
المنصرين المحليين المتفرغين الأجانب	٢٤٠،٠٠٠	٤٢٠،٠٠٠	٤٣٤،٠٠٠	٥٥٠،٠٠٠
التبرعات لأغراض الكنيسة	٧٠ بليوناً	٢٧٠ بليوناً	٣٢٠ بليوناً	٨٧٠ بليوناً
الحواسيب المستخدمة في التنصير	١٠٠٠	٣٣٢ مليوناً	٤٠٠ مليوناً	١،٥ بليوناً
عدد الأناجيل المطبوعة	٢٥،٠٠٠،٠٠٠	٥٣،٧٠٠،٠٠٠	٦٢،٠٠٠،٠٠٠	١٨٠،٠٠٠،٠٠٠

ويتواصل الدعم المستمر للعمل التنصيري في عصر التقنية التي جاءت التطبيقات التنصيرية أبرز صوره.

فقد أشار التطبيق التنصيري على الهواتف الذكية: -"الكتاب المقدس"-، في الموقع الرسمي له بأن هنالك ٢٥ شريكاً داعماً له، وتتنوع تلك الشراكات ما بين شراكات مع الجمعيات التنصيرية، وشركات مع جهات تكنولوجية مختصة بالتنصير الإلكتروني، وشراكات مع دور لنشر الانجيل، وترجمته[2].

كما يركز المنصرون على الموارد البشرية التي يمكن من خلالها ترجمة الإنجيل إلى العديد من اللغات الحية.

وذلك انطلاقاً من كون الترجمة من أبرز الوسائل التي يركز عليها المنصرون لتحقيق

(١) انظر: إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣م، مجلة الكوثر الكويتية، ص٣٤، نقلا عن المجلة الدولية لبحوث الإرساليات:

international bulletin of missionary research

(٢) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس".

https://www.youversion.com/bible-partners/

أهدافهم، وخصوصاً ترجمة التراث الكنسي، وفي مقدمته ترجمة الإنجيل[1]، وهذا ما يتم ملاحظته في التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

(١) انظر: التنصير في المراجع العربية، دراسة ورصد وراقي للمطبوع، د. علي بن إبراهيم النملة، ص٩٦.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسوله محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أشكر الله تعالى على إنجاز هذه الدراسة العلمية التي جاءت تحت عنوان: **"وسائل الفكر التنصيري المعاصر، دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها"**، حيث قام بالتعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان خصائصها، واستعرض أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

كما أن الباحث لا يدَّعي الكمال فيما قدم؛ نظراً لكونه جهد بشري يعتريه النقص، والقصور، ويرجو الباحث- من الله تعالى- أن يستفاد من هذه الدراسة، ونتائجها، وتوصياتها في الانطلاق إلى أبحاث أخرى في هذا المجال المهم، والسريع التطور، وفيما يلي يعرض الباحث ما توصل إليه من نتائج، وتوصيات:

أولاً: النتائج:

١-يعد التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس" من أبرز التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية، والذي بذل فيه المنصرون جهوداً كبيرة ومنقطعة النظير، لجذب الناس للدخول في النصرانية، فقد بلغ عدد مرات تثبيت التطبيق على الهواتف الذكية أكثر من ١٠٠ مليون مرة من خلال متجر "جوجل بلاي"، وفي الموقع الرسمي للتطبيق أوضح أن عدد النسخ المثبتة بشكل عام تتجاوز ٥٠٠مليون نسخة، سواء على الأجهزة الذكية، أو اللوحية، كما أن التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس" يمتلك العديد من الخصائص، التي عمل المنصرون على إيجادها، وتطويرها، وذلك لجعلها ذات جاذبية عالية.

٢-يعد تطبيق "الكتاب المقدس للأطفال" من أبرز التطبيقات التي بذل فيها المنصرون جهوداً كبيرة، للعمل على تنصير هذه الفئة المهمة في المجتمع، وهي فئة الأطفال، فقد بلغ عدد مرات التحميل لهذا التطبيق من متجر "جوجل بلاي" أكثر من ٥٠ مليوناً،

كما جاء التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال" بالعديد من الخصائص التي تركز في المقام الأول على فئة الأطفال.

٣-يعد تطبيق التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" من أبرز التطبيقات وقد قام بتحميله أكثر من ١٠ ملايين مستخدم على متجر "جوجل بلاي" وفيما يتعلق بخصائص هذا التطبيق فقد جاء بالعديد من الخصائص ذات الجاذبية العالية، وذلك لضمان التأثير على أكبر عدد ممكن.

٤-إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استهداف الأطفال في المقام الأول، ويعزى ذلك الأمر لأهمية هذه المرحلة العمرية، فتعد بداية الطفولة فترة تكوينية مهمة من حياة الإنسان، حيث يتم وضع البذور الأولى في مستقبل حياة الطفل، كما تمكن أهمية تلك المرحلة لأن ما يحدث فيها من نمو، وما يكتسبه الطفل من معلومات، ومهارات، وعادات، وسلوكيات يصعب تقويمها، أو تعديلها، وهذه النقاط السابقة تبين بوضوح مخاطر استهداف المنصرين للأطفال.

٥-إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية، حيث يبذل المنصرون قصارى جهدهم في سبيل التنصير، وذلك عن طريق استخدام أحدث الوسائل المعاصرة ذات الجاذبية العالية لذا جاءت التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية تحوي العديد من أنواع الوسائط المتعددة، والتي تضمن أكبر تأثير على المتلقين.

٦-إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية وتساعده تلك الموارد في التوسع في نشاطاته التنصيرية، وخصوصاً في التطبيقات التنصيرية، وهذا البعد يوضح حجم

الخطر المحدق، ولا تعني الموارد الاقتصار على الموارد المالية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الموارد البشرية، وغيرها.

ثانياً: التوصيات:

- يوصي الباحث بالكتابة في الموضوعات التالية:

١- مدى وعي الأسر المسلمة بمخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وذلك من خلال دراسة ميدانية.

٢- المصادر المعاصرة لتمويل العمل التنصيري، ومقارنتها بالماضي.

- يوصي الباحث الجهات المعنية بالتواصل مع الشركات ذات الصلة بتطبيقات الهواتف الذكية مثل شركة: أبل، وجوجل، وذلك لوضع قيود على المحتوى التنصيري، وذلك انطلاقاً من حق التدين الذي يضمن للمسلم حماية دينه من أي مؤثرات خارجية.
- يوصي الباحث ببذل المزيد من الجهود في نشر الدين الإسلامي باللغات الحية، مع الاستفادة من التقنيات المعاصرة، وعلى رأسها تطبيقات الهواتف الذكية.
- يوصي الباحث بمتابعة الأطفال من قِبَل أسرهم، وخصوصاً مراقبة استخدامهم تطبيقات الهواتف الذكية، ولذلك للحد من المهددات الفكرية، وعلى رأسها التطبيقات التنصيرية.
- يوصي الباحث بإنشاء مرصد علمي يعنى بالدراسات التنصيرية، وخصوصاً ذات الصلة بوسائل الفكر التنصيري المعاصر.
- يوصي الباحث الجهات ذات العلاقة، وخصوصاً الجامعات بإقامة المؤتمرات في مجال وسائل الفكر التنصيري المعاصر، وخصوصاً استخدام التقنية في العمل التنصيري، ومن

الأهمية أن تتناول تلك المؤتمرات- في محاورها- عدة أمور من أهمها: رصد الوسائل المعاصرة للفكر التنصيري، وتطورها، وكيفية تمويلها، وقياس أثرها على المجتمعات

المسلمة، والتعرف على مدى وعي الأسرة المسلمة بتلك الوسائل.

مراجع الدراسة:

- **القرآن الكريم.**
- أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، دراسة تحليلية، إنعام بنت محمد عقيل، رسالة لمرحلة الماجستير، العام الجامعي: ١٤٢٤-١٤٢٥هـ، شعبة العقيدة، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- أثر الألعاب الإلكترونية على السلوكيات لدى الأطفال، دراسة وصفية تحليلية على عينة من الأطفال بالجزائر، مريم قويدر، رسالة ماجستير، ٢٠١١م، قسم علوم الإعلام، والاتصال، كلية العلوم السياسية، والإعلام، جامعة الجزائر، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية.
- إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣م، مجلة الكوثر الكويتية التابعة لجمعية العون المباشر، العدد/٤٢، آبريل ٢٠٠٣م، مطابع القبس التجارية، الكويت.
- أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١-١٤٢٠هـ، نور الدين عوض بابكر، رسالة لمرحلة الدكتوراه، العام الجامعي: ١٤٢٢-١٤٢٣هـ، قسم الدعوة، والاحتساب، كلية الدعوة، والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- استخدام الصور التعليمية في تنمية مهارة الكتابة، نور طائفة، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩م، قسم تعليم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة مولانا، جمهورية إندونيسيا.
- استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في المكتبات العربية، دراسة تحليلية للنتاج الفكري العربي، د. سرفيناز أحمد حافظ، العدد: ٢٣، ٢٠١٩م، مجلة بحوث في علم

المكتبات، والمعلومات، جامعة القاهرة، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية.

- أصول البحث العلمي، ومناهجه، أحمد بدر، ط/٩، ١٩٩٦م، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- الإعلام التنصيري الموجه للطفل من خلال قناة (سات-٧) الفضائية، دراسة تحليلية، فضة بنت سالم العنزي، رسالة ماجستير، العام الجامعي ١٤٢٧هـ، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- الإعلام الجديد، الإعلام البديل، حسنين شفيق، ط/بدون، ٢٠١٠م، دار فكر، وفن للطباعة، والنشر، والتوزيع، جمهورية مصر العربية.
- الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ط/١، ٢٠٠٨م، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمَّان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- أهمية الصورة في العملية الاتصالية، دراسة تحليلية سيميولوجية على عينة من صور كتاب القراءة للسنة الأولى من الطور الابتدائي، كروشي إشراق، رسالة ماجستير، ٢٠١٧م، قسم علوم الإعلام، والاتصال، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية.
- البحث العلمي، مفهومه، وأدواته، وأساليبه، أ.د. ذوقان عبيدات، وآخرون، ط١٧، ٢٠١٥م، دار الفكر، عمَّان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- التأثيرات السلبية لاستخدام الهواتف الذكية على الأطفال من وجهة نظر الأمهات، أسماء باسم، وإيمان عبد الرحمن، بحث مقدم استكمالاً لمساق البحث الإعلامي، ٢٠١٧م، قسم الصحافة المكتوبة والإلكترونية، كلية الإعلام، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- تربية الطفل المصري في العصر الرقمي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل، جمال

علي الدهشان، ٢٠١٨م، المؤتمر الدولي الأول لكلية رياض الأطفال، كلية رياض الأطفال، جامعة أسيوط، جمهورية مصر العربية.

- تطبيقات الهواتف الذكية من قبل طالبات كلية علوم الحاسب والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مسفرة بنت دخيل الخثعمي، دراسة وصفية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد: ٩، العدد: ١، ٢٠١٦م، عمَّان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط/٢، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر، والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، ط/١، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث، بيروت، الجمهورية اللبنانية.
- التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية دراسة عقدية، محمد بن موسى المجممي، ١٤٣٣/١٤٣٢هـ، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، علي بن سعيد عثمان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، العدد: ٢، المجلد: ٢٢، ٢٠١٤م، الجامعة الإسلامية، غزة.
- التنصير في المراجع العربية، دراسة ورصد وراقي للمطبوع، علي بن إبراهيم النملة، ط/٢، ١٤٢٤هـ، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، للباحث: سوهيري إلياس نور الدين، رسالة ماجستير، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ، قسم الإعلام، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري المنعقد في ١٩٧٨م، ط/بدون، ١٩٧٨م، دار مارك للنشر، الولايات المتحدة الأمريكية.
- التنصير، مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، علي بن إبراهيم النملة، ط/بدون، ١٤١٣هـ، دار الصحوة للنشر، والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، ط/٢، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- دراسة لبعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، دراسة وصفية، خالد بن عبدالله القاسم، العدد/٢٦، ٢٠٠٧م، حولية كلية أصول الدين، والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
- علم نفس النمو، من الطفولة إلى المراهقة، د. هشام أحمد غراب، ط/١، ٢٠١٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية.
- فاعلية استخدام قصص الأطفال كمصدر للتعبير الفني في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طفل ما قبل المدرسة، العنود بنت سعيد أبو الشامات، ١٤٢٨هـ، رسالة ماجستير، قسم المناهج، وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- قصص الأطفال، أصولها الفنية، وروادها، محمد حسن عبدالله، ط/بدون، تاريخ النشر/بدون، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- القنوات الفضائية العربية التنصيرية، دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، تركي بن خالد الظفيري، رسالة ماجستير، ١٤٢٧/١٤٢٦هـ، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- النشاط التنصيري في منطقة الخليج، أهدافه، وأبعاده، وسبل مقاومته، إبراهيم بن

مسعود المالكي، رسالة دكتوراه، العام الجامعي: ١٤٢٩هـ، قسم العقيدة، كلية الدعوة، وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

- وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، عبير بنت محمد عاتي، بحث تكميلي لمرحلة الماجستير، العام الجامعي: ١٤٣٠-١٤٣١هـ، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الموقع الإلكترونية(١):

- ١٥٤ مليار دولار حجم سوق ألعاب الفيديو في ٢٠٢١م ثلثها للصين، جريدة الاقتصادية:

https://www.aleqt.com/٢٥/٠٨/٢٠٢١/article_٢١٥٨٨١١.html

- ٨٢٪ من مستخدمي الهواتف الذكية لا يستغنون عن التطبيقات، جريدة الاقتصادية:

https://www.aleqt.com/٢٨/٠٢/٢٠١٣/article_٧٣٥٢٧٨.html

- التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، متجر جوجل بلاي:

https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android

- التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي:

https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US

- التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، متجر جوجل بلاي:

https://play.google.com/store/apps/details?id=com.sirma.mobile.bible.android

- التطبيق التنصيري: "كتابي للأطفال"، متجر: "آب ستور":

https://apps.apple.com/ae/app/superbook-kids-

---

(١) قام الباحث بالتأكد من عمل جميع الروابط الإلكترونية، وكانت آخر مرة في: ١٤٤٤/٥/٩هـ.

bible/id٦٠٦٣٧٨٠٣٠?l=ar

- الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم":

https://ar.superbook.cbn.com/app

- الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال":

https://www.youversion.com/the-bible-app-for-kids/

- الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس":

https://www.youversion.com/the-bible-app

- نمو سوق الهواتف الذكية العالمي بنسبة ١٢٪ خلال ٢٠٢١م، جريدة اليوم السابع:https://www.youm٧.com

البحث رقم (٣)

توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى

د.عبير بنت خالد الشلهوب
الأستاذ المشارك في قسم الدعوة
المعهد العالي للدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

مستخلص البحث

يهدف البحث للتعرّف على مفهوم ونماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية، وأنواعها، وإيضاح إيجابياتها وسلبياتها، وقد تم توظيف المنهج الاستقرائي الناقص، وقد بيّن البحث أنّ نماذج توظيف الدردشة التفاعلية مع المدعو المسلم كثيرة منها: التذكير بمواعيد الصلاة، ونشر الأذكار والأدعية، والاستماع للقرآن الكريم وتفسير الآيات مع ترجمة القرآن لأكثر من لغة، وستجني الجهات الدعوية بإذن الله الكثير من الثمرات والفوائد منها: الوصول لأكبر شريحة من المدعوين حول العالم إن تم تصميم وبرمجة روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل مناسب، وتوصي الباحثة بأن تقوم الجهات الدعوية بتوظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في مواقعها الإلكترونية وحسابات وسائل التواصل الرسمية التابعة لها.

الكلمات المفتاحية: (روبوتات الدردشة–الذكاء الاصطناعي–الدعوة إلى الله).

Research Abstract: The research aims to identify the concept and types of interactive chatbots, highlight the examples for employing interactive chatbots in calling upon Allah, and explain the pros and cons of the same. Incomplete induction approach was utilized. The Research shows that the examples for employing interactive chatbots with the so-called "Muslim" are many, including: reminding of Prayer times. If interactive chatbots are designed and programmed properly, the Dawa entities will reap great benefits. The Researcher recommends that the Dawa entities employ interactive chatbots on their websites and official social media accounts.

Keywords: (chatbots - artificial intelligence - calling upon Allah)

المقدمة

قام النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله تعالى مستخدماً كافة الوسائل المباحة والمتاحة في عصره عليه الصلاة والسلام، فلما أراد أن يراسل ملوك الروم لدعوتهم إلى الإسلام قيل له: أنّ الروم لا يقرؤون إلا كتاباً مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقشه: كمحمد رسول الله، فكأنما أنظر إلى بياضه في يده"(١)، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فينبغي على كل داع إلى الله أن يبذل الجهد في استخدام كافة الوسائل المباحة والمتاحة في عصره؛ لإيصال الدعوة للناس كافة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ت:١٤٢١هـ): (والوسائل ليس لها حد شرعي، فكل ما أدى إلى المقصود فهو مقصود ما لم يكن منهياً عنه بعينه، فإن كان منهياً عنه بعينه فلا نقربه... وليس من اللازم أن ينص الشرع على كل وسيلة بعينها يقول: هذه جائزة؛ لأنّ الوسائل لا حصر لها، ولا حد لها، فكل ما كان وسيلة لخير فهو خير)(٢)، وفي عصرنا الحالي برزت تقنيات الذكاء الاصطناعي(٣) في شتى المجالات المختلفة، وتم توظيفها في خدمة عدد من التخصصات،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، (١٥٧/٧)، رقم ٥٨٧٥؛ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم، (١٦٥٧/٣) رقم ٢٠٩٢.

(٢) لقاء الباب المفتوح سلسلة لقاءات بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين وطلابه، الطيار، (٤٩/١٥).

(٣) (جزء من علوم الحاسب يهدف إلى تصميم أنظمة ذكية تعطي نفس الخصائص التي نعرفها بالذكاء في السلوك الإنساني) مقدمة في الذكاء الاصطناعي، القاضي، ص١٦.

والدعاة إلى الله هم أولى الناس بتوظيفها في العصر الحالي؛ للإسهام بإيصال الدعوة لكافة شرائح المدعوين، فتناول هذا البحث أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي، حيث سلّط الضوء على توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية(١) في الدعوة إلى الله.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أ-من حيث ذاته لتعلقه بأحد تقنيات الذكاء الاصطناعي الذي برز استخدامه مؤخراً في شتى المجالات، واختصرت تطبيقاته الكثير من الجهد والوقت لتحقيق الأهداف المرجوة منها، والدعاة إلى الله هم أولى الناس بالإفادة من تلك التقنيات؛ لسعيهم لوصول الدعوة إلى شتى أنحاء العالم.

ب-من حيث زمنه لتعلقه بواقع العالم المعاصر وما يشهده من انتشار جائحة كورونا (كوفيد-١٩)، ثم ظهور المتحورات ومنها: (أوميكرون)(٢)، مما يستلزم الأخذ بجميع الاحتياطات الاحترازية، وتقليل التواصل المباشر مع الآخرين ما أمكن، وهذا يقتضي أن يستفيد الدعاة إلى الله من بعض تقنيات الذكاء الاصطناعي، مثل:روبوتات الدردشة التفاعلية؛ لإيصال الدعوة إلى الله للمدعوين دون الحاجة للقاء المباشر بهم.

ج-ارتباط توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي ببعض برامج رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، حيث يتضمن برنامج التحول الوطني تطوير الأنظمة الحكومية، وتحسين الخدمات المقدمة للمواطنين، والتوسع في التحول الرقمي والحلول التقنية، ومن أهداف برنامج التحول

---

(١) سيتم شرح مفهوم الدردشة التفاعلية في تمهيد هذا البحث.

(٢) انظر: الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، كورونا | وحدة تنسيق الدعم-ACU (acu | sy.org)، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

الوطني تسهيل ممارسة الأعمال، وبالتالي فإنّ توظيفها في الدعوة إلى الله من قبل المؤسسات والجهات الدعوية سيسهم بإذن الله في تحقيق الهدف[1].

أهداف البحث:

الهدف الرئيس:إبراز نماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى.

١-التعرّف على مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية وأنواعها.

٢-تسليط الضوء على نماذج توظيف الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.

٣-إيضاح إيجابيات وسلبيات توظيف الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.

تساؤلات البحث:

١-ما المقصود بربوتات الدردشة التفاعلية؟ وما أنواعها؟

٢-ما نماذج توظيف ربوتات الدردشة التفاعلية مع المدعو المسلم؟ وغير المسلم؟

٣-ما إيجابيات وسلبيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله؟

الدراسات السابقة:

١-**توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة السنة**، أفلح كاشور، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم علوم الحديث، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، عام ١٤٣٦هـ، حيث تناول البحث ما يتعلق بعلم مصطلح الحديث، وسلّط الضوء على أقسام الحديث من حيث القبول والرد، وتناول شروط قبول الحديث، وكذلك أهم أسباب اختلاف مناهج العلماء في نقد الحديث، وبيّن مشكلة الطرق التقليدية في

---

(١) انظر: الموقع الرسمي لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، برنامج التحول الوطني - رؤية السعودية ٢٠٣٠(vision٢٠٣٠.gov.sa) ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

نقد الحديث، وسلّط الضوء على حل المشكلة باستخدام تقنيات الحاسوب الحديثة، وأخيراً أفرد فصلاً كاملاً لبيان كيفية توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي لخدمة السنة النبوية، وقد توصل البحث لعدد من النتائج منها: أنّ توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي يقدم الكثير من الحلول في مجال الدراسات الإسلامية وتحقيق التراث الإسلامي، وكذلك دقة النتائج إلى حد كبير لاستيعاب كل المصادر والمراجع مما يزيد في نسبة الصواب ودقة الأحكام المتعلقة بالتصحيح والتضعيف، وقد جاء من ضمن توصيات البحث أن تتبنى جامعة المدينة العالمية مشروع جمع السنة بالتنسيق مع هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية وغيرها من المؤسسات الإسلامية.

يظهر الفرق جليّاً بين البحث السابق والحالي، فالسابق سلّط الضوء بشكل عام على الحديث ونقده ومعظم المسائل المتعلقة بهذا العلم مع تطرقها للطرق التقليدية في نقد الحديث، ثم بيّن أوجه الإفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة السنة ولم يتطرق لروبوتات الدردشة التفاعلية، بينما البحث الحالي سلّط الضوء على روبوتات الدردشة التفاعلية من حيث مفهومها، وأنواعها، وآلية توظيفها مع المدعوين، وأبرز إيجابياتها وسلبياتها.

٢-توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام بنت عبدالله الحربي، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام١٤٣٩-١٤٤٠هـ، تم تقسيم البحث لأربعة فصول، الفصل الأول: تاريخ الذكاء الاصطناعي وخصائصه، والثاني: نماذج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، والثالث: ميادين توظيف تقنيات الذكاء

الاصطناعي في الدعوة إلى الله، والرابع: إيجابيات وسلبيات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله.

يكمن الفرق بين البحث السابق والحالي في كون السابق تناول تقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل عام، وتم تناول الدردشة التفاعلية (الشات بوت)[1] في ثمانية أسطر بينما سلّط البحث الحالي الضوء بشكل موسع على روبوتات الدردشة التفاعلية من حيث مفهومها، وأنواعها، وآلية توظيفها مع المدعوين، وأبرز إيجابياتها وسلبياتها.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي الناقص[2]، حيث قامت الباحثة بتتبع واستقراء بعض ما كُتب عن روبوتات الدردشة التفاعلية، وكيفية توظيفها في الدعوة إلى الله.

تقسيمات البحث: المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وتساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

التمهيد: مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية وأنواعها.

المبحث الأول: نماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: إيجابيات وسلبيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) سيتم شرح مفهوم الدردشة التفاعلية في تمهيد هذا البحث.

(٢) وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها بالتتبع لما يعرض لها...وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة. انظر: البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته، الربيعة، (١٧٩/١). يختلف مفهوم المنهج الاستقرائي في العلوم الإنسانية نوعاً ما عنه في العلوم الطبيعية، حيث يقصد به غالباً في العلوم الإنسانية التتبع، والجمع.

التمهيد

مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية وأنواعها

أولاً: مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية

مفهوم روبوت لغةً: كلمة غير عربية مترجمة [١]، ويقصد بها: الإنسان الآلي، فأي جهاز تحرّكه آلة داخليّة ويُقلِّد حركات الإنسان، ويكون مبرمجًا على القيام بأعمال معقّدة [٢] يسمى روبوتاً.

اصطلاحاً: آلة تتم برمجتها إلكترونياً؛ للقيام بأعمال محددة بحيث تستشعر المؤثرات من حولها، وتستجيب لها بقدر من الذكاء، وروبوت المحادثة هو أحد تطبيقات الذكاء الاصطناعي يستخدم معالجة اللغة الطبيعية للتحدث مع مستخدم بشري سواء بالصوت أو عبر الرسائل النصية، ويتم استخدامه في عدة مجالات [٣].

---

(١) أصل كلمة روبوت من الثقافة التشيكية، حيث اشتقت الكلمة من روبوتا التي جاء ذكرها في مسرحية للكاتب رسوموفي يونيڤرزالني روبوتي (Roboti Univerzální Rossumovi) وترمز إلى العمل الجبري أو القسري... وأداء المهام بشكل متتابع وبشكل إلزامي، ومخترع الكلمة الأصلي هو يوسف شابك، أخ للكاتب التشيكي كارل شابك. انظر: هندسة المنهج واستشراف مستقبل الابتكار التكنولوجي في العصر الرقمي، الشامي، (ص١٧٦-١٧٧).كان أول استخدام لكلمة روبوت باللغة الإنجليزية عام ١٩٢٣م في لندن في عرض افتتاح لعبة مسرحية، ثم صاغ إسحاق إسيموف أحد خريجي جامعة كولومبيا مصطلح الروبوتات عام ١٩٤٥م، انظر: الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، موسى، حبيب، (ص٣٨).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد عمر، (١/١٣٠).

(٣) انظر: الموقع الرسمي لمعجم المصطلحات التقنية، مبادرة ثينك تك (Think Tech) للاقتصاد الرقمي، بإشراف من وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، على الرابط https://techtionary.thinktech.sa/، (كلمة روبوت)، بتاريخ ١/٥/١٤٤٤هـ.

مفهوم الدردشة لغةً: مشتقة من الفعل دردش، (يُدردش، دَرْدشةً، فهو مُدَرْدِش ...دردش القومُ: تحدّثوا حديثًا خفيفًا في أمور شتّى)[1].

اصطلاحاً: نوع من الاتصال الرقمي يحدث عبر شبكة الإنترنت بين شخصين أو أكثر... ويمكن إجراء ذلك الاتصال بشكل كتابي أو صوتي أو مرئي، مع إمكانية تبادل المستندات[2].

مفهوم التفاعلية لغةً: (تفاعلَ يتفاعل، تفاعُلاً، فهو متفاعِل، تفاعل الشَّيئان: أثَّر كلٌّ منهما في الآخر... تفاعل مع الحدث: تأثَّر به، أثاره الحدثُ فدفعه إلى تصرُّفٍ ما...)[3].

اصطلاحاً: اتصال متبادل بين مستخدم بشري وبين أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي[4].

التعريف الإجرائي: أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي الذي تتم برمجته من قبل مالك بشري؛ ليقوم بالتواصل أو الرد على الأسئلة الموجهة له بطريقة تحاكي التواصل أو الرد البشري.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد عمر، (٧٣٦/١).

(٢) انظر: دراسات وبحوث في الإعلام والصحافة، بيرق الربيعي، (ص٢٨).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد عمر، (١٧٢٥/٣).

(٤) انظر: الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، موسى، حبيب، (ص٦٤).

ثانياً: أنواع روبوتات الدردشة التفاعلية

تختلف أنواع روبوتات الدردشة تبعاً لاختلاف الهدف من تصميمها، ومعظم تلك الروبوتات تندرج ضمن أحد هذه الأنواع [١]:

١-روبوتات (**Chatting bot**): يقوم هذا النوع على المحادثة باستخدام الذكاء الصناعي، بحيث يقوم المستخدم بطرح الأسئلة المكتوبة، ليقوم الروبوت بالإجابة بحسب بنك الأسئلة الذي تم إدراجه فيه من قبل المصمم، وإن لم يجد الإجابة يتم تحويل المستخدم لشخص بشري.

٢- روبوت (**Crawler**): ويسمى كذلك بالعنكبوت أو الزاحف، ويعتمد على البحث عن اهتمامات المستخدم في المواقع الإلكترونية ثم يقدم نتائجاً معتمدة على تلك الاهتمامات، ويتم استخدامه من قبل محركات البحث للحصول على بيانات من المواقع الأخرى، وقد تم دعمه من قبل شركات متعددة من أشهرها: شركة جوجل[٢]، ويعد روبوت مساعد التسوق الشخصي (ebay chatbots) [٣]، نموذجاً لهذا النوع من الروبوتات.

٣-روبوت (**Transactional**): نموذج تفاعلي للاتصال بين طرفين، أحدهما بشري، والآخر روبوت ويكون معتمداً على قاعدة بيانات يقوم بالرد من خلالها، أو واجهة لبرمجة التطبيقات.

---

(١) انظر: المرجع السابق، (ص٣٨-٤١).

(٢) انظر: المرجع السابق ، (ص٣٩).

(٣) انظر: الموقع الرسمي لآي بوتس على الرابط، https://www.ebayinc.com/ بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

٤-روبوتات (Informational bots): حيث تتم برمجتها لتقوم بإرسال رسائل معينة كل فترة زمنية محددة لكل مشترك.

٥-روبوت (Menu based): يعتمد على اختيارات معينة من قائمة محددة حيث يقوم المستخدم بالاختيار بينها[1].

---

(١) انظر: الموقع الرسمي لتجمع مشرفي المعلوماتية العرب، بإشراف: د. عدنان مصطفى البار، على الرابط تجمع مشرفي المعلوماتية العرب بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

المبحث الأول

نماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله

المطلب الأول

نماذج توظيف الدردشة التفاعلية مع المدعو المسلم

قامت الباحثة بالاطلاع على عدد من نماذج الدردشة التفاعلية الدعوية الموجودة عبر تطبيق "التيليجرام"(١)، وكل تلك النماذج لا تتبع لجهة دعوية رسمية، فهي اجتهادات فردية لبعض الأشخاص بل إنّ بعضها لا يعرف من مالكه والقائم ببرمجته! ولذلك لم تضع الباحثة روابط تلك النماذج حتى لا تعد تزكية لها، خاصة مع عدم القدرة على تحليل بنك الأسئلة الذي تم برمجته في الدردشة ومدى موافقة الإجابات المرسلة لمنهج أهل السنة والجماعة، فتم الاكتفاء بذكر فكرة وجودها؛ حتى تستفيد الجهات الدعوية من توظيفها، وموضوعاتهاكالتالي:

أولاً: التذكير بمواقيت الصلاة:

يقوم روبوت الدردشة التفاعلية بعد برمجته بإعلام المشتركين بمواقيت الصلاة في أهم مدن المملكة العربية السعودية مثل: مكة المكرمة أو المدينة النبوية أو مدينة الرياض، فيتم إرسال رسالة لكل مشترك عند دخول وقت كل صلاة بشكل يومي، وتتبع أهمية

---

(١) تيليجرام أو تلغرام (بالإنجليزية: Telegram) هو تطبيق للتراسل الفوري، حرّ ومجانيّ ومفتوح المصدر جزئيًا ومتعدد المنصات ويُركز على الناحية الأمنية. مستخدمو تيليجرام يمكنهم تبادل الرسائل بإمكانية تشفير عالية بما في ذلك الصور والفيديوهات والوثائق حيثُ يدعم كافّة الملفات). الموقع الرسمي لتطبيق التيليجرام، https://web.telegram.org/z/ ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٥هـ. ليس بالضرورة أن ترتبط روبوتات الدردشة التفاعلية بتطبيق التيليجرام؛ لكنه التطبيق الأكثر تفعيلاً لها في المملكة العربية السعودية.

التذكير بمواقيت الصلاة من ارتباطها بأوكد الأعمال البدنية فرضية، وأحبها إلى الله عزوجل[(١)]، فقد جاء عن أبي عمرو الشيباني، يقول: حدثنا صاحب – هذه الدار وأشار إلى دار – عبد الله، قال: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال: حدثني بهنّ، ولو استزدته لزادني)) [(٢)]، قال ابن بطّال –رحمه الله– (ت:٤٧٤هـ): (في حديث عبدالله أنّ الصلاة لوقتها أحب إلى الله من كل عمل، وذلك يدل أنّ تركها أبغض الأعمال إلى الله بعد الشرك...وفيه: أنّ البدار إلى الصلاة في أول أوقاتها، أفضل من التراخي فيها؛ لأنّه إنما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال إلى الله إذا أقيمت لوقتها المستحب الفاضل)[(٣)]، فيمكن للجهات الدعوية أن تفعّل على صفحتها الرسمية الأوقات المحدّثة للصلوات، ويمكنها كذلك أن تطرح خدمة الدردشة التفاعلية لمن يرغب بالاشتراك بحيث يقوم الروبوت التفاعلي بتذكير المدعوين المشتركين بأوقات الصلاة في مدنهم.

ثانياً: نشر الأذكار والأدعية:

يقوم روبوت الدردشة التفاعلية بعد برمجته بعرض خيارات رقمية للمشتركين بحيث يمثل الضغط على أحد الأرقام ذكراً محدداً أو مجموعة أذكار، مثل: أذكار الصباح وأذكار المساء، وكذلك يتضمن خيارات لمجموعة من الأدعية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو

(١) انظر: رسالة في مواقيت الصلاة، العثيمين، (ص٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم الحديث ٥٢٧، (١١٢/١)؛ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث ١٣٩، (٩٠/١).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطّال، (١٥٦/٢).

السنة النبوية، ويمكن للمشتركين أن يحددوا وقتاً ثابتاً يقوم من خلاله الروبوت بشكل يومي بإرسال الذكر أو الدعاء فيه، وتنبع أهمية نشر الأذكار والأدعية الصحيحة من أهمية الذكر فقد ذكر ابن القيم-رحمه الله- (ت: ٧٥١هـ) أكثر من مائة فائدة لذكر الله تعالى يجنيها الذاكر، ومن أعظمها ذكر الله تعالى لمن ذكره(١)حيث قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾(٢)، قال السعدي-رحمه الله- (ت:١٣٧٦): (فأمر تعالى بذكره ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره...)(٣). تقوم روبوتات الدردشة التفاعلية بمهمة تذكير المدعوين بالأذكار والأدعية خاصة مع انشغال البعض بأعمالهم اليومية؛ لذا فإنّ من المناسب أن تستفيد الجهات الدعوية من مثل تلك الروبوتات؛ لنشر كل ما يفيد المدعو ويعينه على الذكر.

ثالثاً: الاستماع للقرآن الكريم وتفسير الآيات مع ترجمة القرآن لأكثر من لغة:

يتضمن روبوت الدردشة بعد برمجته قائمة أوامر تحتوي على المصحف كاملاً، أو تحديد بعض الآيات، مع خيارات القراءة أو الاستماع، وكذلك خيارات لتفسير القرآن الكريم من أمهات كتب التفسير، وإمكانية الترجمة لأكثر من لغة، ولا يخفى على مسلم أهمية وفضل قراءة القرآن الكريم فقد أمرنا بذلك سيد الدعاة عليه الصلاة والسلام حيث جاء عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...»(٤)، فإذا (كان يوم القيامة

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، (٤٢/١).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٧٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم الحديث ٢٥٢، (٥٥٣/١).

جعل الله عز وجل ثواب هذا القرآن شيئاً قائماً بنفسه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى، فإنّ القرآن إذا تلاه الإنسان محتسباً فيه الأجر عند الله فله بكل حرف عشر حسنات يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى)(١)، فهذا الأجر العظيم يمكن أن يتضاعف ويمتد لأزمنة طويلة بإذن الله إن قامت الجهات الدعوية بتفعيل روبوتات الدردشة التفاعلية المصممة لخدمة القرآن الكريم ونشر تفسيره بين المدعوين على اختلاف جنسياتهم وعقائدهم، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...»(٢).

رابعاً: تخريج الأحاديث النبوية وشروحها:

يصمم روبوت الدردشة التفاعلية لتخريج الأحاديث النبوية، وإضافة شروحها المعتمدة، وهذا الأمر يربط المدعوين بالمصدر الثاني من مصادر التشريع، ويسهم في منع انتشار الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، لذلك يجدر بالجهات الدعوية أن يُفعّلوا مثل هذه الروبوتات عبر مواقعهم الرسمية.

خامساً: نشر أحكام الحج والعمرة والإجابة عما يتعلق بهما من استفسارات:

يقوم روبوت الحج والعمرة بالرد على جميع الاستفسارات المتعلقة بأحكام الحج والعمرة، ويقوم أيضاً بالربط بين حملات الحج والحجاج التابعين لها، مما يرفع من جودة الخدمات المقدمة للحجاج أو المعتمرين، ويسهم في تحقيق أهداف رؤية المملكة العربية

---

(١) شرح رياض الصالحين، العثيمين، (٦٣٧/٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث: ١٦، (٢٠٦٠/٤).

السعودية ٢٠٣٠ حيث يهدف برنامج خدمة ضيوف الرحمن لتوفير أفضل الخدمات لقاصدي الحرمين الشريفين (١).

سادساً: دليل الداعية إلى الله:

صُمم روبوت الدردشة للمساعدة في إعداد الدعاة إلى الله حيث يزود المشتركين بكل ما يتعلق بأركان الدعوة إلى الله وميادينها، وبعض التطبيقات التي تساعد على ترجمة اللغات، وأرقام مفاتيح الاتصال ببلدان العالم، وقنوات فيها عدد من المواد النافعة الصوتية والمرئية، فيتم عرض عدد من الاختيارات ليضغط المشترك على الموضوع الذي يرغب بعرضه والإفادة منه. وأهمية مثل هذا الروبوت نابعة من أهمية وفضل إعداد الداعي إلى الله الذي لا أحد أحسن من قوله إن قرن دعوته بعمل صالح حيث قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (٢)، قال الإمام الطبري -رحمه الله- (ت:٣١٠هـ): (ومن أحسن أيها الناس قولاً ممن قال ربنا الله ثمّ استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به)(٣).

---

(١) انظر: الموقع الرسمي لبرنامج خدمة ضيوف الرحمن، على الرابط https://www.vision٢٠٣٠.gov.sa/ar/v٢٠٣٠/vrps/darp/ ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٤٢٩/٢٠).

المطلب الثاني

نماذج توظيف الدردشة التفاعلية مع المدعو غير المسلم

أولاً: الإعجاز العلمي:

يتضمن الروبوت المتعلق بموسوعة الإعجاز العلمي أقساماً متعددة تظهر للمشترك على هيئة قائمة منسدلة يختار منها ما يرغب بالاطّلاع عليه، فبعضها متعلق بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والبعض الآخر تناول الإعجاز في السنة النبوية، ومثل هذه الموضوعات تشد انتباه المدعو غير المسلم خاصةً إن كان من العلماء في تخصصه، لكن ينبغي التنبيه على ضرورة الحذر عند نشر الأبحاث العلمية التي تربط بين النظريات العلمية وبين القرآن الكريم أو السنة النبوية، والحرص على دقة الانتقاء، فقد يكون الضرر أكبر من النفع إن ثبت لاحقاً بطلان النظرية أو عدم صحتها والتي تم ربطها مع بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية ؛ لذلك لابد من النقل عن المراكز الموثوقة، ويمكن الإفادة من مركز دراسات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١).

ثانياً: البطاقات الدعوية:

يحتوي هذا الروبوت على مجموعة كبيرة من البطاقات الدعوية بعدد من اللغات الجاهزة للنشر في وسائل التواصل الاجتماعي، وتشتمل على قائمة منسدلة يمكن للمشترك الاختيار بين أقسامها، فالضغط على أحد الأقسام ينشر آية مع ترجمة تفسيرها، والبعض حديثاً مع ترجمة شرحه، والبعض الآخر محاسن الإسلام المختلفة خاصة ما يتعلق منها بأحكام الأسرة وبر الوالدين التي تفتقدها المجتمعات غير المسلمة. ويمكن أن تستفيد

---

(١) الموقع الرسمي للمركز على الرابط

https://units.imamu.edu.sa/colleges/iqssis/Pages/default.aspx ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

الجهات الدعوية من روبوتات الدردشة التفاعلية في نشر وتوزيع البطاقات المعدة سابقاً فمثل هذه الوسيلة مناسبة للمدعو الذي يرغب بمعلومة سريعة، ولا يميل للقراءة المفصّلة.

ثالثاً: استطلاعات الآراء:

لم تجد الباحثة فيما اطلعت عليه من روبوتات للدردشة التفاعلية روبوتاً مختصاً باستطلاع آراء غير المسلمين، والتعرّف على المعوقات التي تمنعهم من الدخول في الإسلام، لذا يجدر بالجهات الدعوية أن يفعّلوا مثل هذا النوع من روبوتات الدردشة لما لها من قيمة وأهمية، فالمدعو غير المسلم يجيب خلالها بأريحية، ويدلي برأيه الحقيقي.

تجدر الإشارة لإمكانية إفادة الجهات الدعوية من منصات(١) متعددة لتصميم روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل ميّسر مع دعم تلك المنصات للغة العربية، منها:

١-**منصة سمات بوت** (SmatBot)(٢): حيث يمكن من خلالها تصميم روبوت دردشة تفاعلي متخصص بشكل ميسر ثم ربطه بالموقع الإلكتروني أو بأحد تطبيقات التواصل الاجتماعي المتنوعة.

٢-**منصة شات فيول** (Chatfuel)(١): حيث يمكن من خلالها كذلك تصميم روبوت بشكل ميسر دون حاجة لكتابة أكواد برمجية، ويتم ربطه بصفحة فيسبوك ماسنجر(٢)، ويتطلب وجود حساب في تطبيق الفيسبوك (٣) لاستخدامه.

---

(١) المنصة هي: بوابة إلكترونية تُعنى بتقديم الخدمات التفاعلية التي تختلف وفق طبيعة ونشاط هذه المنصة إلى جانب المعلومات التي يتم تقديمها من خلالها، وتختلف عن الموقع الإلكتروني في كونها تابعةٌ دائماً لمؤسسة عامة أو خاصة. انظر: سياسة المنصات الرقمية الوطنية، وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، مسودة ٢.١، ص٥.

(٢) انظر: الموقع الرسمي لمنصة سمات بوت على الرابط SmatBot | الذكاء الاصطناعي Chatbotلجميع احتياجات عملك، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

المبحث الثاني

إيجابيات وسلبيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله

المطلب الأول

إيجابيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى

ستجني الجهات الدعوية بإذن الله الكثير من الثمرات والفوائد إن تم تصميم وبرمجة روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل مناسب، ولعل من أهم تلك الثمرات [٤]ما يلي:

١-الوصول لأكبر شريحة من المدعوين حول العالم، فيمكن لأي شخص أن يراسل روبوتات الدردشة، ويستفيد من المحتوى الذي تمت برمجته فيها.

٢-إمكانية توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية والإفادة منها من غير المتخصصين بالتقنية، فقد تمت الإشارة سابقاً لبعض المنصات التي يمكن من خلالها برمجة روبوتات الدردشة التفاعلية دون الحاجة لوجود مختص بالتقنية.

---

(١) انظر: الموقع الرسمي لمنصة شات فيول على الرابط :Chatfuelحل التطبيق chatbot الرائدة في العالم لفيسبوك رسول وإينستاجرام، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

(٢) انظر: فاعلية روبوتات الدردشة التفاعلية لإكساب المفاهيم الرياضية واستبقائها لدى تلاميذ الصف الأول إعدادي، الفار، شاهين، (ص٥٦٢).

(٣) تطبيق الفيسبوك (Facebook) تطبيق مجاني من أشهر وأقدم تطبيقات التواصل الاجتماعي في العالم، يتيح للمشتركين تكوين صداقات وتبادل الملفات في عالم افتراضي، ويتيح إنشاء مجموعات تعليمية، وهو في تجدد مستمر، انظر: أثر خصائص موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" في تحسين مهارات الأكاديميين في مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني بغزة، ماجد نبيل، (ص٧).

(٤) انظر: النشرة التعريفية للشات بوت، إصدار: شركة التحول الرقمي اكس تند شريك اجتماعي لرؤية المملكة العربية السعودية، (ص٨-١٠).

٣-ترشيد الإنفاق المادي من جهتين، الجهة الأولى: كون بعض المنصات التي يمكن من خلالها تصميم روبوتات الدردشة التفاعلية مجانية، والجهة الثانية: يمكن لتلك الروبوتات بعد برمجتها أن تؤدي مهام طاقم عمل متخصص بالرد على إجابات المدعوين خاصة المكرور منها.

٤-حفظ أوقات القائمين بالدعوة إلى الله، ومساعدتهم على تركيز جهودهم وأولوياتهم في الدعوة إلى الله، بحيث يتولى روبوت الدردشة الإجابة على مدار اليوم على أسئلة المدعوين، ويزودهم بما يحتاجونه من ردود عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي.

٥-إمكانية استخدام روبوتات الدردشة التفاعلية في جميع أيام العام؛ لتوافرها المستمر وعدم تعرضها لمرض أو تعب [١].

٦-نشر العلم الشرعي بين المدعوين، حيث يمكن برمجة روبوتات الدردشة لتزويد المشتركين بالكتب والمنشورات النافعة، قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- (ت: ١٤٢٠هـ): (ويجب أن تحرص على نشر العلم بكل نشاط وقوة، وألاّ يكون أهل الباطل أنشط في باطلهم، وأن تحرص على نفع المسلمين في دينهم ودنياهم...)[٢].

٧-مزاحمة أهل الباطل في وسائلهم، قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عند حديثه عن الإنترنت: (زاحم أهل الباطل حتى يتبينَ الحق)[٣].

٨-تفادي الأخطاء البشرية التي قد تصدر أثناء الحوار وجهاً لوجه مع المدعو المخالف فينقلب الحوار إلى جدال بسبب التسرع أو عدم انتقاء الألفاظ المناسبة.

---

(١) انظر: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، الحربي، (ص١٠٨).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز، (٦/٦٦).

(٣) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تفسير سورة الشورى، الشريط رقم ١١، على الرابط، موقع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٥هـ.

المطلب الثاني

سلبيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى

لتوظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله بعض السلبيات منها ما يلي:

١-ضرورة ارتباط روبوتات الدردشة التفاعلية بشبكة الإنترنت عند استخدامها مما يعيق عملها عند انقطاع الاتصال بشبكة الإنترنت أو تعطلها.

٢-لا يمكنها سدّ مكان الداعي إلى الله في الجوانب المعنوية، فليس لديها إحساس بالمدعوين ولن تتمكن من إظهار التعاطف معهم، فمثل تلك الأمور المعنوية لا يمكن برمجتها [١].

٣-لا يمكن لروبوتات الدردشة التفاعلية تقدير مصلحة المدعوين واحتياجاتهم والتعامل معها بحكمة، فهي لا تميز بين الصحيح والأصح، والمهم والأهم، فكل أمر يختاره المدعو سيعرض له، أمّا الداعي إلى الله فيتعامل غالباً بحكمة، ويقوم بمراعاة أحوال المدعوين أثناء إجابته لاستفساراتهم [٢].

---

(١) انظر: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، الحربي، (ص١١١).

(٢) انظر: المرجع السابق، (ص١١٣).

الخاتمة

أحمد الله تعالى أن يسّر إتمام هذا البحث الذي تناول توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله، وأسأل الله أن يجعله عملاً صالحاً متقبلاً إنّه سميع مجيب الدعوات، وقد ظهرت بعض النتائج من أبرزها ما يلي:

١-بيّن البحث أنّ روبوتات الدردشة التفاعلية هي: أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي الذي تتم برمجته من قبل مالك بشري؛ ليقوم بالتواصل أو الرد على الأسئلة الموجهة له بطريقة تحاكي التواصل أو الرد البشري.

٢-أظهر البحث أنّ لروبوتات الدردشة التفاعلية أنواعاً متعددة منها: الروبوتات القائمة على المحادثة باستخدام الذكاء الاصطناعي، بحيث يقوم المستخدم بطرح الأسئلة المكتوبة، ليقوم الروبوت بالإجابة بحسب بنك الأسئلة الذي تم إدراجه فيه من قبل المصمم، وإن لم يجد الإجابة يتم تحويل المستخدم لشخص بشري.

٣-بيّن البحث إمكانية إفادة الجهات الدعوية من منصات متعددة لتصميم روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل ميّسر مع دعم تلك المنصات للغة العربية، منها: منصة سمات بوت، ومنصة شات فيول.

٤-أظهر البحث أنّ الجهات الدعوية ستجني بإذن الله الكثير من الثمرات والفوائد إن تم تصميم وبرمجة روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل مناسب، ولعل من أهم تلك الثمرات: الوصول لأكبر شريحة من المدعوين حول العالم.

التوصيات:

أ-للجهات الدعوية:

١-أن تقوم الجهات الدعوية بتوظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في مواقعها الإلكترونية وحسابات وسائل التواصل الرسمية التابعة لها.

٢-عقد دورات تدريبية للقائمين بالدعوة إلى الله لتدريبهم على استخدام بعض تقنيات الذكاء الاصطناعي وآلية توظيفها في الدعوة إلى الله.

٣- أن تسعى المؤسسات الدعوية لرفع فرص تطوعية عبر منصة تطوع الرسمية لإتاحة الفرصة للراغبين بالتطوع ممن لديهم خبرة تقنية.

ب-للقائمين بالدعوة إلى الله:

- أن يحرص القائمون بالدعوة إلى الله على تطوير مهاراتهم التقنية بشكل مستمر.

ج-للمدعوين:

-أن يحرص كل من لديه خبرة تقنية من المدعوين على التعاون مع المؤسسات الدعوية.

د-لطلاب الدراسات العليا:

١-أوصي طلاب الدراسات العليا بتسليط الضوء على الوسائل التقنية الحديثة وآلية توظيفها في الدعوة إلى الله.

٢-القيام بعمل بحوث استشرافية لتوظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في المؤسسات الدعوية.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

-أثر خصائص موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" في تحسين مهارات الأكاديميين في مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني بغزة. نبيل، ماجد. رسالة ماجستير، فلسطين: كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٨م.

- البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته. الربيعة، د.عبدالعزيز بن عبدالرحمن. ط٣: الرياض، د.ن، ١٤٢٤هـ.

-توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله. الحربي، ابتسام بنت عبدالله، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير، السعودية: المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام١٤٣٩-١٤٤٠هـ.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: د.عبدالله التركي، ط١، المدينة المنورة: دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ.

-دراسات وبحوث في الإعلام والصحافة. الربيعي، بيرق. ط١، الأردن: دار أمجد للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

-الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر. د. عبدالله موسى، د. أحمد حبيب. ط١، القاهرة: المجموعة العربية للتدريب، ٢٠١٩م.

-رسالة في مواقيت الصلاة. العثيمين، الشيخ: محمد بن صالح. ط١، الرياض: مدار الوطن، ١٤٣٣هـ.

- سياسة المنصات الرقمية الوطنية، وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، مسودة ٢.١.

-شرح رياض الصالحين. العثيمين، الشيخ: محمد بن صالح، ط١، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.

-شرح صحيح البخاري لابن بطّال. ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

-فاعلية روبوتات الدردشة التفاعلية لإكساب المفاهيم الرياضية واستبقائها لدى تلاميذ الصف الأول إعدادي. الفار، أ.د إبراهيم عبد الوكيل، د.ياسمين محمد شاهين. مجلة تكنولوجيا التربية-دراسات وبحوث: الجمعية العربية لتكنولوجيات التربية، مصر. عدد يناير، ٢٠١٩م، ٥٤١-٥٧١.

-لقاء الباب المفتوح سلسلة لقاءات بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين وطلابه. الطيار، أ.د عبدالله. ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٥هـ.

-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ.

-مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. ابن باز، الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله. تحقيق: محمد بن سعد الشويعر، ط١، الرياض: دار القاسم، ١٤٢٠هـ.

-معجم اللغة العربية المعاصرة. عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد. ط١، مصر: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.

- مقدمة في الذكاء الاصطناعي. القاضي، زياد. ط١، عمان: مكتبة المجتمع العربي، ١٤٣١هـ.

-النشرة التعريفية للشات بوت، إصدار: شركة التحول الرقمي اكس تند شريك اجتماعي لرؤية المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠١٩م.

- هندسة المنهج واستشراف مستقبل الابتكار التكنولوجي في العصر الرقمي. الشامي، د.غادة بنت شاكر. ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٤١هـ.

-الوابل الصيب من الكلم الطيب. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. تحقيق: سيد إبراهيم، ط٣، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩م.

المواقع الإلكترونية:

-الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تفسير سورة الشورى، الشريط رقم ١١، على الرابط، موقع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، بتاريخ ٦/٥/١٤٤٤هـ.

-الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، كورونا | وحدة تنسيق الدعم-ACU (acu-sy.org) | ، بتاريخ ٦/٥/١٤٤٤هـ.

- الموقع الرسمي لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، برنامج التحول الوطني - رؤية السعودية ٢٠٣٠(vision٢٠٣٠.gov.sa) ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٧هـ.

-الموقع الرسمي لمنصة شات فيول على الرابط :Chatfuelحل التطبيق chatbot الرائدة في العالم لفيسبوك رسول وإينستاجرام، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

-الموقع الرسمي لمركز الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، على الرابط https://units.imamu.edu.sa/colleges/iqssis/Pages/default.aspx ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٤هـ.

-الموقع الرسمي لمنصة سمات بوت على الرابط SmatBot | الذكاء الاصطناعي Chatbotلجميع احتياجات عملك، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

- الموقع الرسمي لمعجم المصطلحات التقنية، مبادرة ثينك تك (Think Tech) للاقتصاد الرقمي، بإشراف من وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، على الرابط https://techtionary.thinktech.sa/، بتاريخ ١٤٤٤/٥/١هـ.

-الموقع الرسمي لآي بوتس على الرابط، https://www.ebayinc.com/ بتاريخ ١٤٤٤/٥/٥هـ.

-الموقع الرسمي لتجمع مشرفي المعلوماتية العرب، بإشراف: د. عدنان مصطفى البار، على الرابط تجمع مشرفي المعلوماتية العرب بتاريخ ١٤٤٤/٥/٥هـ.

البحث رقم (٤)

علماء الشريعة

وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع

إعداد

د. محمد بن سرار اليامي

أستاذ مشارك

كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة نجران

المملكة العربية السعودية

الملخص

مِمَّا لَا شَكَّ فيه أن معرفة أحكام الشَّرِيْعَة والعلم بها من الأمور الضرورية التي لا يسع المسلمون جهلها؛ حَتَّى تمكنهم من أداء ما فرض الله عليهم عَلَى علم وهدًى وبصيرة، وذلك عن طريق معرفة أحكام الدين والعناية به؛ مِمَّا جعل لعلماء الشريعة مكانة عالية لا تطاولها مكانة، وآثارًا متنوعة عَلَى الفرد والمجتمع ككل، ومن هذِهِ الآثار الأثر الثقافي عَلَى الفرد والمجتمع. وهذا ما يتناوله موضوع هذا البحث، الذي هو بعنوان: "علماء الشريعة وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع". وقد اشتمل هذَا البحث عَلَى مقدمة وفيها: أهمية البحث وأسباب اختياره وأسئلته وأهم الدراسات السابقة التي تناولته، وتمهيد وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث، وثلاثة مباحث، تناول المبحث اَلْأَوَّل مكانة علماء الشريعة وحقوقهم ومهامهم في ضوء الإسلام، وذلك من خلال ثلاثة مطالب، ثم تناول المبحث الثَّانِي تعليم الناس الشريعة؛ حكمه والحكمة منه وشروطه، وذلك في ثلاثة مطالب، ثم تناول المبحث الثَّالِث أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد والمجتمع، وذلك في مطلبين. واختُتم البحث بخاتمة اشتملت عَلَى أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات الافتتاحية: الأثر – الثقافة – العلماء –الشَّرِيْعَة – الفرد – المجتمع.

Abstract

There is no doubt that knowledge of the provisions of Islamic Shariah is a necessity that no Muslim can ignore. Indeed, such knowledge is indispensable for a Muslim to be able to knowledgeably and insightfully perform the religious rituals imposed thereupon by almighty Allah. It is for that specific reason that whoever acquires such knowledge assumes a lofty status that those who didn't seek this type of knowledge can't aspire to reach. Attaining such knowledge, however, will not only have a beneficial impact upon the individual but also upon the community at large. The impact of such knowledge is mainly cultural, and its reach extends beyond the mere individual to involve society as a whole. It is this unique impact that prompted this researcher to choose this topic as a subject for this research paper, entitled "Shariah scholars and their cultural impact of upon the individual and upon society".

This research paper consists of an introduction, containing the significance of this research, the reasons for choosing this topic as a research subject, the research problems, and the previous studies which addressed the same topic, a preface, which contains an overview of the research title vocabulary, and three chapters of which the first chapter addresses the lofty status, rights, and duties of shariah scholars under the Islamic faith over three themes, the second chapter addresses how to educate the people on Islamic shariah, the provisions and the rationale thereof as well as the conditions therefor over three themes, while the third chapter addresses the cultural impact of scholars upon the individual and the community over two themes. The conclusion of the research contains the key results and recommendations.

Key words: Impact-Culture- Scholars-Shariah-The Individual-The Community

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وحجة الله على الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا، أما بعد:

فإن العلم بأحكام الله الشرعية أمر ضروري على كل مسلم ومسلمة في كل ما لا يسعهما جهله، ليتمكن المسلم من أداء فرائض ربه على هدى وبصيرة.

ولا يمكن للمسلم أن يفهم دينه ويعمل به، إلا إذا عرف أحكامه، وأولاه اهتمامه وعنايته، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال أهل العلم الذين تحصلوا من العلم والمعرفة والضبط ما يؤهلهم للقيام بدور التربية والتعليم والوعظ، ونحو ذلك.

ولعلماء الشريعة في الإسلام منزلة رفيعة ومكانة مرموقة لا يمكن إنكارها، وكذا لعلماء الشريعة حقوق وعليهم واجبات، وأيضًا في الوقت ذاته يقع على عاتقهم مهام ومسؤوليات تجاه هذه الأمة وتجاه أفرادها.

وآثار علماء الشريعة على الفرد والمجتمع كثيرة ومتنوعة، ويأتي في مقدمتها الأثر الثقافي، وفي هذا البحث –إن شاء الله– أتناول بشيء من التفصيل والإسهاب موضوع علماء الشريعة وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع، فأسأل الله أن ينفع به ويجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة. والحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

أما أهمية البحث وأسباب اختياره فيظهر من خلال النقاط التالية:

١- أهمية إبراز مكانة علماء الشريعة.

٢- بيان حقوق علماء الشريعة ومهامهم في ضوء الإسلام.

٣- حكم تعليم الناس الشريعة، والحكمة منه وشروطه.

٤- بيان الأثر الثقافي على الفرد والمجتمع.

أسئلة البحث:

١- ما مكانة علماء الشريعة في الإسلام؟

٢- حقوق علماء الشريعة، ومهامهم، ومسؤولياتهم في الإسلام؟

٣- ما حكم تعليم الناس الشريعة؟

٤- ما الحكمة من تعليم الناس الشريعة وما شروط ذلك؟

٥- ما الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع؟

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: كتاب أثر العلماء في توعية المجتمعات الإسلامية، تأليف: عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم، ويقع الكتاب في ٣٧ صفحة، ويختلف عن دراستي في أن دراستي تناولت الأثر الثقافي للعلماء على الفرد والمجتمع، وهي الفكرة الرئيسة التي لم يتناولها المؤلف في كتابه.

الدراسة الثانية: كتاب أثر العلماء في مشروع النهضة، تأليف: د. يحيى بن إبراهيم اليحيى، ويقع الكتاب في ٨٩ صفحة، وقد تناول فيه المؤلف قضية العناية بأمر العلماء والرجوع إليهم في العلم والتعليم وفي السياسة والحكم لتحقيق مشروع النهضة الإسلامية، ولكن تختلف دراستي عن الكتاب في أن دراستي تناولت الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع، وهو الأمر الذي لم يُطرق في الكتاب المذكور.

خطة البحث:

- **المقدمة**، وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره، أسئلة البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث، منهج البحث، إجراءات البحث.

- **التمهيد وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث.**

- **المبحث الأول: مكانة علماء الشريعة وحقوقهم ومهامهم في ضوء الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: مكانة علماء الشريعة في الإسلام.

المطلب الثاني: حقوق علماء الشريعة.

المطلب الثالث: مهام علماء الشريعة ومسؤولياتهم.

المبحث الثاني: تعليم الناس الشريعة؛ حكمه والحكمة منه وشروطه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم تعليم الناس الشريعة.

المطلب الثاني: الحكمة من تعليم الناس الشريعة.

المطلب الثالث: شروط تعليم الناس الشريعة عند أهل الاختصاص.

- **المبحث الثالث: أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد والمجتمع، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد.

المطلب الثاني: أثر علماء الشريعة الثقافي على المجتمع.

- **الخاتمة:**

وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

– الفهارس:

وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في دراستي المنهج التحليلي، والاستقرائي، وذلك بطريقة تأصيلية من خلال دراسة موضوعات البحث ومسائله على ما جاء بشأنها من نصوص شرعية في الكتاب والسنة، وعلى فهم علماء الأمة وسلفها لهذه النصوص.

إجراءات البحث:

جاءت إجراءات البحث على النحو الآتي:

١- إثبات الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني، وعزو الآيات الكريمة إلى سورها وذكر أرقامها وذلك بجانب الآية.

٢- تخريج الأحاديث من مظانها المعتمدة، ونقل حكم العلماء المتخصصين إن أمكن، باذلاً الجهد في التحقق من ذلك إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه بذكر المرجع ورقم الحديث.

٣- الرجوع إلى المصادر الأصيلة فيما يخص موضوع البحث، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وترتيبها حسب التسلسل التاريخي قدر الوسع.

٤- تذييل البحث بفهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

وختامًا أسأل الله ﷻ أن يوفقني ويسددني ويلهمني الرشاد والصواب.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث

أولاً: التعريف بالأثر لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف أثر لغة:

الأثر: العلامة، وجاء في مقاييس اللغة: "الْهَمْزَةُ وَالثَّاءُ وَالرَّاءُ، لَهُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: تَقْدِيمُ الشَّيْءِ، وَذِكْرُ الشَّيْءِ، وَرَسْمُ الشَّيْءِ الْبَاقِي"(١).

والأثر: بقيّة ما ترى من كُلّ شيء، وأُثْرُ السَّيف: ضَرْبَتُهُ(٢).

ب- تعريف أثر اصطلاحاً:

لم أقف على تعريف اصطلاحي للأثر بالمعنى المراد في هذا البحث، فغالبًا ما يُطلق مصطلح الأثر، ويراد به ما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، كما هو مشهور في كتب الاصطلاح، والمعنى الاصطلاحي للأثر لا يخرج عن المعنى اللغوي، بل إن المعنى اللغوي أكثر شمولاً، ومن أحد معاني الأثر التي هي مجال هذا البحث أنه: النتيجة وما يترتّب على الشيء.

ثانيًا: التعريف بالثقافة لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف الثقافة لغة:

يرجع اشتقاق كلمة ثقافة من "ثقف"، الثاء والقاف والفاء، وهو إقامة دَرْءِ

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٥٣).

(٢) انظر: العين (٨/ ٢٣٦، ٢٣٧)، المعجم الوسيط (١/ ٥).

الشيء[1]، وتستعمل في معان كثيرة منها:

١- الحِذْق، والخفة، والفطنة، والفهم، يقال: ثقف فلان ثقفاً وثقفا وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فطناً فهماً[2].

٢- وبمعنى الظفر والإدراك، وسرعة الأخذ والتعلم، نحو قوله تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾ [الأنفال: ٥٧]؛ أي: إن تظفر بهم في الحرب، ونحو طلبناه وثقفناه في مكان كذا؛ أي: أدركناه، ونحو ثقفت العلم أو الصناعة في أقصى مدة: إذا أسرعت أخذه[3].

ب- تعريف الثقافة في الاصطلاح:

عُرفت الثقافة في الاصطلاح بأنها: "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء"[4].

ثالثًا: تعريف الأثر الثقافي مركبًا:

يمكن تعريف الأثر الثقافي على أنه النتيجة الملموسة لتأثير شيء ما على هوية وتصورات وقيم جماعة بشرية أو أمة من الأمم.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/٣٩٥)، ودرء الشيء: ميله، قال الفيروز آبادي في القاموس (١/١٤): الدرء: الميل والعوج في القناة ونحوها.

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (٣/١٢٥)، تاج العروس للزبيري (٦/٥١).

(٣) انظر: أساس البلاغة للزمخشري (ص ٤٦).

(٤) المسألة الثقافية في الوطن العربي، د. محمد عابد الجابري (ص ٢١٣).

رابعًا: التعريف بالعلماء لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف العلماء لغة:

العلماء: جمع عالِم، والعالم: اسم فاعل من عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض جَهِلَ[(١)].

ب- تعريف العالم اصطلاحًا:

تعددت تعريفات العالِم عند المختصين، فقيل: "العالم: اسم وضع لذوي العلوم من الملائكة والثّقلين أي الجنّ والإنس"[(٢)].

وأبرز ما قيل في تعريفه أنه: "من دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام"[(٣)].

خامسًا: تعريف الشريعة لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف الشريعة لغة:

الشَريعَةُ: مَشْرَعَةُ الماءِ، وهو موردُ الشاربةِ. وقد شَرَعَ لهم يَشْرَعُ شَرْعاً، أي سن[(٤)].

ب- تعريف الشريعة اصطلاحًا:

الشَّريعة والشّرائع: "كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال"[(٥)].

---

(١) ينظر: العين (٢/ ١٥٢)، تهذيب اللغة (٢/ ٢٥٣)، مقاييس اللغة (٤/ ١٠٩).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١١٥٧).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨).

(٤) ينظر: العين (١/ ٢٥٣)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٢٣٦)، مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦).

سادسًا: تعريف علماء الشريعة مركبًا:

لم يستخدم العلماء -ولاسيما الأصوليون- مصطلح "عالم الشريعة" بالمعنى المتعارف عليه في القرون المتأخرة، ولكن اشتهرت في القرون المتقدمة مصطلحات أخرى كالفقيه والمفتي والمجتهد، وما شابه ذلك، وقد ذهب كثير من الأصوليين إلى أنه لا فرق بين "المجتهد" و"المفتي"، وأن "المجتهد" هو "المفتي"(١).

يقول الشوكاني: "وَأَمَّا الْمُفْتِي فَهُوَ الْمُجْتَهِدُ ... ومثله قول من قال: إن المفتي الفقيه"(٢).

وقد عُرف عالم الشريعة بتعاريف، منها:

تعريف ابن السبكي عن والده، قال: "هو من هذه العلوم ملكة له وأحاط بمعظم قواعد الشرع ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع"(٣).

وقيل هو: "الذي يبذل وسعه لاكتساب حكم شرعي ظني عملي من أدلته التفصيلية"(٤).

وهذه التعاريف السابقة هي -عند التأمل- تنطبق على الفقيه، فلا يدخل فيها المحدث أو المفسر وغيرهما ممن لا يشملهم تعريف الفقيه، وأقرب ما وقفت عليه في تعريف عالم الشريعة بشكل شمولي أنه: "البالغ العاقل، ذو ملكة يدرك بها المعلوم"(٥)، وهذا هو

---

(١) أدب المفتي والمستفتي (ص: ٢٧)

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٢٤٠)

(٣) الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع (٣/ ٨٣).

(٤) المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول (ص: ٢٤١)

(٥) الأصل الجامع (٣/ ٨٢).

التعريف المختار في هذا البحث؛ حيث إنه تعريف موجز، ولا يختص بالفقيه فقط، بل يشمل الفقيه وغيره.

سابعًا: التعريف الإجرائي لعنوان البحث:

بناءً على ما سبق يمكن تعريف عنوان البحث إجرائيًا على أنه: "النتيجة الملموسة لأثر علماء الشريعة على هوية وتصورات وقيم الفرد والمجتمع".

ثامنًا: الفرق بين علماء الشريعة وبين المفكرين والخطباء والوعاظ:

قد يختلط على بعض الناس التفريق بين العلماء وبين من قد يشتبه فيهم في الظاهر، كالمفكرين أو الخطباء أو الوعاظ أو من على شاكلتهم.

ولا يعني هذا التفريق الحط من قدر المفكرين أو الخطباء أو الوعاظ، بل لكل هؤلاء الاحترام والتقدير، ومنزلتهم بين الناس مرموقة، وأثرهم في الأمة لا يمكن إنكاره، ولكن منزلة العلماء لا يدانيها منزلة؛ لما يحملونه في صدورهم من علم، ولما منَّ الله جَلَّ وَعَزَّ به عليهم من قرائح علمية يتمكنون بها من القيام بدور عظيم، وهو بيان حكم الله تعالى في المسائل التي قد تشتبه على الناس، فيزيلون الغمامة، ويرفعون الجهالة، ويُعَبِدُون الناس لله رب العالمين.

وللتفريق بين العالم والمفكر تجد أن:

المفكر: هو مصطلح جديد على الثقافة الإسلامية، بل هو جديد على الثقافة العالمية أيضًا، فلم يكن هذا المصطلح من المصطلحات المستخدمة في القرون المتقدمة، ثم شاع استخدامه مؤخرًا ليعبر عن طائفة من المجتمع تقوم بالتأمل والتفكر في ظروف وأحوال المجتمع، وتُعمِل العقل في الأمور والعلوم لتصل إلى نتيجة أو حل أو قرار(١).

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٧٣٣).

وقد عُرِّف المفكر بأنه: "من يعمل العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول"(١).

والمفكر يعرف شيئاً عن كل شيء، يعني أنه يعرف أساسيات ومبادئ أغلب العلوم، وربما ليس على دراية بأدق تفاصيل العلوم. وهذه المقومات لا تؤهله لأن يكون متخصصًا في فن بعينه، بحيث يطلق عليه عالم، فالعالم هو الذي أحاط بكل جزئيات وتفاصيل العلم الذي يحمله، كعالم الشريعة، أو الفلك، ونحو ذلك.

والمفكر عادة ما يميل إلى الاهتمام بما يخدم المجتمع من أمور عامة، كالسياسة والاجتماع والاقتصاد وما شابه ذلك، ولذلك ينسب عادة للفن الذي يخدم المجتمع من خلاله، فيقال: المفكر السياسي، المفكر الاجتماعي، المفكر الاقتصادي.. إلخ.

وقد شاع مؤخرًا استخدام مصطلح "مفكر إسلامي"، وهو مصطلح حديث رده بعض العلماء، وقبله بعضهم، قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ¬ عن مصطلح "فكر إسلامي" و"مفكر إسلامي": "كلمة "فكر إسلامي" من الألفاظ التي يحذر منها، إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر. أما "مفكر إسلامي" فلا أعلم فيه بأساً لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم، يكون مفكراً"(٢).

وأما التفريق بين العالم والواعظ، فالواعظ هو الذي يقوم بوظيفة الوعظ، والوَعْظُ: هو "النُصْحُ والتذكيرُ بالعواقب"(٣).

والواعظ هو الذي ينصح الناس ويذكرهم بالعواقب ويرغبهم في الآخرة ويزهدهم في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته.

---

(١) المرجع السابق (٣/ ١٧٣٤).

(٢) فتاوى أركان الإسلام (ص: ٢٠٠).

(٣) الصحاح تاج اللغة (٣/ ١١٨١).

والوعظ هو أحد أساليب الدعوة إلى الله جَلَّ وَ عَزَّ، وهو جزء من مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

قال الله تعالى لنبيه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[(١)].

ولم يعد مصطلح الواعظ مستخدمًا في هذه الأيام، فقد أطلق عليه اليوم اسم الداعية، وتغير المسميات لا ينفي جوهر الوظيفة، فالداعية هو الذي يعظ الناس ويذكرهم بالآخرة، وعادة ما يكون للواعظ أو الداعية أسلوبًا جذابًا يؤثر به على الناس؛ ليرقق قلوبهم، وهذه المقومات التي يحملها الواعظ أو الداعية لا تؤهله للقيام بدور العا لم الشرعي، فالعا لم الشرعي -كما تقدم- هو الذي أحاط بمعظم قواعد الشرع ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ليبين للناس أحكام الله جَلَّ وَعَزَّ.

وأما التفريق بين العا لم الشرعي والخطيب، تجد أنه لا يختلف دور الخطيب كثيرًا عن دور الواعظ أو الداعية، فالخطيب هو الذي يقوم بدور الوعظ والدعوة إلى الله جَلَّ وَ عَزَّ، ولكن يتميز عن غيره بكونه مفوه الكلام، منمق الأسلوب، مزخرف العبارات.

وقد ورد عن الصحابة -رضوان الله عليهم- التفريق بين العالم والخطيب، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وكثير معطوه قليل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨)، ومسلم برقم (٢٨٢١).

سؤاله، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرا، وإن من بعدكم زمانا كثير خطباؤه قليل علماؤه، كثير سؤاله قليل معطوه"[1].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

المبحث الأول

مكانة علماء الشريعة

وحقوقهم ومهامهم في ضوء الإسلام

المطلب الأول: مكانة علماء الشريعة.

للعلماء في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فطاعتهم قُرنت بطاعة الله جَلَّ وَعَزَّ وطاعة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعطاء بن السائب أنهم فسروا ﴿أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ بأنهم: "أهل العلم"(١).

وقال الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهذا ثناء عظيم من الله جَلَّ وَعَزَّ على العلماء ومكانتهم؛ لكونهم يخشونه حق خشيته فهم العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر(٢).

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٥٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

وقد استنبط الإمام ابن القيم رحمه الله من هذه الآية فضل العلماء وشرف منزلتهم فقال: "وفي ضمن هذه الشهادة الإلهية الثناء على أهل العلم الشاهدين بها وتعديلهم، فإنه سبحانه قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، واستشهد بهم جل وعلا على أجل مشهود به، وجعلهم حجة على من أنكر هذه الشهادة، كما يحتج بالبينة على من أنكر الحق، فالحجة قامت بالرسل على الخلق، وهؤلاء نواب الرسل وخلفاؤهم في إقامة حجج الله على العباد"(١)، وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه، واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء"(٢).

وقال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وفي الآية أن "الله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان"(٣).

والأدلة من السنة في بيان مكانة العلماء وشرف منزلتهم كثيرة، منها:

١- عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٩).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٤١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٤٦).

يورثوا دينارا ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»(١).

٢- عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»(٢).

٣- عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهلَ السموات والأرضين، حتى النملةَ في جحرها، وحتى الحوت - لَيُصلُّون على معلِّم الناس الخيرَ»(٣).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "العلماء هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء؛ بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجةُ الناس إليهم أعظمُ من حاجتهم إلى الطعام والشراب"(٤).

وقد حثت الشريعة الإسلامية على وجوب توقير علماء الشريعة؛ لما لهم من منزلة رفيعة، ومكانة عظيمة، وقد ورد في وجوب توقيرهم، والحث على تبجيلهم الكثير من النصوص الشرعية، منها:

١- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٤١)، والترمذي برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه برقم (٢٢٣)، وأحمد برقم (٢١٧١٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٦٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٨٥).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨).

المقسط»[1]، وإن كان ذلك في حامل القرآن، فما بالك بحامل القرآن، وحامل العلم!!

فتوقير العلم والعلماء هو من إجلال الله تعالى وتعظيمِ شريعته، وامتثالِ أمره.

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[2].

فالأمة التي لا تقدر علماءها ولا تجعلهم في أسمى وأعلى مكانة؛ هي أمة لديها خلل في تفكيرها، وتراجع في قيمها ومبادئها وأخلاقها.

قال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المشهورة: "وعلماء السلف من السابقين، ومَن بعدهم من التابعين، أهلُ الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذَكَرهم بسُوءٍ، فهو على غير السبيل"[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٥٧)، وأبو داود برقم (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٣) العقيدة الطحاوية (ص: ٨٢).

المطلب الثاني

حقوق علماء الشريعة

أما حقوق علماء الشريعة على الأمة فكثيرة، وقد تقدم إيراد بعضها في مطلب سابق، وأزيد عليها ما يلي:

١- التوقير والاحترام:

وهذا كان ديدن السلف الصالح رحمهم الله، فقد كانوا يعرفون قيمة وقدر العالم، وكانوا يعطونه من التقدير والاحترام ما يستحقه، فقد ورد أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخذ بركاب ناقة زيد بن ثابت ﷺ وقال: "هكذا أُمرنا أن نفعل لعلمائنا وكبرائنا"(١).

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: "مشى أبي مع بغلة الشافعي، فبعث إليه يحيى بن معين، فقال له: يا أبا عبد الله، أما رضيت إلا أن تمشي مع بغلته؟ فقال: يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر كان أنفع لك"(٢).

٢- عدم الوقيعة فيهم، والتنقص من قدرهم:

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: "علامة آهل البدع الوقيعة في أهل الأثر"(٣).

فقد اشتهر بين السلف الصالح رحمهم الله أن الوقيعة في أهل العلم، والتنقص من قدرهم هو علامة على الابتداع وانحراف السلوك.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٤).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤٠٦).

(٣) العلو للعلي الغفار (ص: ١٩٠).

٣- عدم الاستخفاف بهم:

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: "حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلاطين والإخوان، فإن من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته"(١).

٤- الإقرار والاعتراف لهم بالفضل والجميل:

فإن هذا الإقرار هو من باب الوفاء للعالم بحقِّه، وبغيره لن يُعطى العالمُ شيئًا من حقوقه؛ لأنّ هذا الإقرار يستلزمُ عند كل العقلاء قدرًا من التقديم والتقدير بحسب ذلك التقدُّمِ والتميُّزِ؛ ولأنّ عدم الإقرار به لن يدع للعالم عند الجاحد لتقدّمه وتميُّزه أيَّ داعٍ للتقديم والتقدير.

٥- الدعاء لهم:

لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وقد كان الفضلاء من أهل العلم يدعون للعلماء، قال الميموني: "سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم سحرًا، أحدهم الشافعي"(٢).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: "قلت لأبي: يا أبة أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال لي: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف، أو منهما عوض"(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥١).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤٠٦).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٤٠٦).

المطلب الثالث

مهام علماء الشريعة ومسؤولياتهم

وكما أن لعلماء الشريعة حقوق على هذه الأمة، فكذلك عليهم مهام ومسؤوليات، منها:

أولاً: التفاعل مع المجتمع بالتربية، والتعليم، والكتابة والتأليف.

فالواجب على العلماء أن يبلِّغوا رسالة الله تعالى، بكافة الوسائل التي يمكنهم استخدامها في ذلك لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فنشر رسالة الله ﷻ تقتضي من العالم أن يجاهد بلسان وقلمه في سبيل نشر العلم الشرعي بين جميع طبقات المجتمع.

ثانيًا: أن يكونوا قدوة صالحة للمجتمع.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقد حذر النبي ﷺ من خطورة القدوة السيئة، فقال عليه السلام: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»(١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٧)، ومسلم برقم (٢٩٨٩).

ثالثًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[(١)].

ومن لوازم ذلك: التصدي للمبتدعين، والفساق، والمنحرفين، والمغالين والجافين، وأصحاب الشبهات والشهوات؛ فهذا من أوجب الواجبات وأهم المسؤوليات التي تقع على عاتقهم، فهم حائط الصد الذي يقف حارسًا للشريعة، مدافعًا عنها، وباذلاً الجهد في بيانها وإبرازها.

رابعًا: عدم كتمان العلم عن الناس:

لقوله ﷺ: «مَن سئل عن علمٍ فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[(٢)].

وكان الصحابة يخافون من كتم أي علم أخذوه عن الرسول ﷺ، فقد حدَّث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنس بن مالك "أن النبي ﷺ ومعاذٌ رديفُه على الرَّحْل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، قال: «يا معاذ»، قال: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، ثلاثًا، قال: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٥٨)، والترمذي برقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه برقم (٢٦٤)، وأحمد برقم (٧٥٧١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٤٩).

من قلبه إلا حرَّمه الله على النار»، قال: "يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ " قال: «إذًا يتكلوا»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّمًا"(١).

خامسًا: الصدع بكلمة الحق:

وهذا من أبرز مسؤوليات العالم تجاه أمته، فإنه قد تقع بالأمة فتن وشبهات، لا يستطيع الجاهل فيها أن يميز بين الحق والباطل، فيجب على أهل العلم قول الحق ولو أغضب غيرهم، فلا ينظرون إلى رد غيرهم، بل ينظرون إلى ربهم الذي سيحاسبهم على قولهم.

وقول كلمة الحق له ضوابط ومعايير، فالأمر ليس على عواهنه، ومن أبرز تلك الضوابط:

١- أن تكون كلمة الحق مبنية على دلائل علمية وشرعية ثابتة.

٢- أن يصاحب قول كلمة الحق الموعظة الحسنة والحكمة البليغة؛ لقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل: ١٢٥].

٣- إن تطلب المقام المجادلة لإثبات كلمة الحق، فلابد أن يكون الجدال مع المخالف بالتي هي أحسن؛ لقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

٤- اختيار الزمان والمكان الملائم لقول كلمة الحق.

٥- التفصيل في مقام النطق بكلمة الحق، فإن كان المقام مما يخاطب به جموع الناس، فتكون النصيحة على العموم، فلا توجه لشخص بعينه، أو أفراد بعينهم، بل تكون النصيحة بالعموم لقول النبي ﷺ: «ما بال أقوام ...»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣)، ومسلم برقم (١٤٠١).

أما إن كانت النصيحة لذي سلطان فلابد أن تراعى الضوابط التي وضعها العلماء في ذلك الشأن؛ فتكون المناصحة بالرفق واللين والأسلوب الحسن، وألا تكون علانية، فقد روى ابن أبي عاصم في السنة عن عياض بن غنم أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه»(١).

قال الإمام النووي: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي ¬: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح ... انتهى"(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم (١٠٩٦)، وقد صحح إسناده الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٥٢١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨).

المبحث الثاني

تعليم الناس الشريعة

حكمه والحكمة منه وشروطه

المطلب الأول: حكم تعليم الناس الشريعة.

إن تعليم الناس شريعة رب العباد هو من أوجب الواجبات، وآكد المهام المناطة بالعلماء، "فيقول تعالى: -منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم- ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿طَآئِفَةٌ﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي: القاعدون ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]، أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما"(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٥).

ويجب على العلماء أن يقوموا بتطبيق أحكام الله تعالى على مصالح العباد في كل زمان ومكان على مقدار علمهم في المساجد والمعابد والمنتديات العامة، وفى المحافل عند سنوح الفرصة.

فإذا هم فعلوا ذلك كثر في الأمة الخير، وندر فيها وقوع الشر، وائتلفت قلوب أهليها، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، وسعدوا في دنياهم وآخرتهم[1].

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (٤/ ٢٣).

المطلب الثاني

الحكمة من تعليم الناس الشريعة

تبرز الحكمة العظيمة من تعليم الناس الشريعة من قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فعبادة الله سبحانه وتعالى وامتثال أمره، وأداء الفرائض، ولزوم الطاعات، واجتناب النواهي والموبقات هو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله عز وجل الإنس والجن، ولا يتم ذلك على الوجه الأكمل والطريق الأمثل إلا من خلال تعليم الناس شرائع الدين المختلفة.

وتعليم الناس الشريعة يكون بتعلم أصولها وفروعها، ومن أخص ذلك: تعلم الفقه في دين الله تعالى، ليكون الإنسان على بصيرة من دينه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الفقه في الدين: فهم معاني الأمر والنهي، ليستبصر الإنسان في دينه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فقرن الإنذار بالفقه؛ فدل على أن الفقه ما وزع عن محرم، أو دعا إلى واجب، وخوف النفوس مواقعه، المحظورة"[١]. وقال النووي رحمه الله تعالى: " والتفقه في الدين، والحث عليه ... قائد إلى تقوى الله تعالى"[٢].

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ١٧١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٨).

المطلب الثالث

شروط تعليم الناس الشريعة عند أهل الاختصاص

أما الشروط التي وضعها المختصون للعالم الذي يتصدى لتعليم الناس الشريعة، فقد تباينت فيها آراؤهم، فمنهم من جعلها شرطين، ومنهم من جعلها أربع، وعند التأمل نجد أنها تدور في فلك واحد ولكن بعبارات مختلفة.

فقد ذهب الآمدي إلى أنهما شرطان، فقال:

"الشرط الأول: أن يعلم وجود الرب تعالى وما يجب له من الصفات، ويستحقه من الكمالات، وأنه ... حي، عالم، قادر، مريد، متكلم، حتى يتصور منه التكليف، وأن يكون مصدقا بالرسول وما جاء به من الشرع المنقول بما ظهر على يده من المعجزات والآيات الباهرات، ليكون فيما يسنده إليه من الأقوال والأحكام محققا.

الشرط الثاني: أن يكون عالما عارفا بمدارك الأحكام الشرعية، وأقسامها، وطرق إثباتها، ووجوه دلالاتها على مدلولاتها، واختلاف مراتبها، والشروط المعتبرة فيها على ما بيناه، وأن يعرف جهات ترجيحها عند تعارضها، وكيفية استثمار الأحكام منها، قادرا على تحريرها وتقريرها والانفصال عن الاعتراضات الواردة عليها.

وإنما يتم ذلك بأن يكون عارفا بالرواة وطرق الجرح والتعديل والصحيح والسقيم، لا كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وأن يكون عارفا بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ في النصوص الإحكامية، عالما باللغة والنحو"(١).

وذهب الشاطبي إلى أنهما أربع، فقال:

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ١٦٢، ١٦٣).

"قال بعض العقلاء لا يسمى العالم بعلم ما عالما بذلك العلم على الإطلاق، حتى تتوفر فيه أربعة شروط أحدها أن يكون قد أحاط علماً بأصول ذلك العلم على الكمال.

والثاني: أن تكون له قدرة على العبارة عن ذلك العلم.

والثالث: أن يكون عارفاً بما يلزم عنه.

والرابع: أن تكون له قدرة على دفع الإشكالات الواردة على ذلك العلم"(١).

وقد زاد الشاطبي شرطًا خامسًا في كتابه الاعتصام، وهو شهادة العلماء له بالعلم وجواز التعليم، فقال: "والعالم إذا لم يشهد له العلماء، فهو في الحكم باق على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم، أو على شك، فاختيار الإقدام على هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى؛ إذا كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيره، ولم يفعل وكان من حقه ألا يقدم إلا أن يقدمه غيره، ولم يفعل"(٢).

وقد أفاد الإمام ابن القيم رحمه الله شرطًا طيبًا وهو اليقين الذي يدفع الشبهات، فقال: "إن العالم الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه، ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة "(٣).

وبناءً على ما تقدم، يمكن إجمال ما ذكره العلماء في شروط العالم أنها سبعة شروط:

أولا: أن يكون مسلمًا بالغًا عاقلاً.

ثانيًا: أن يكون عالما بأغلب أحكام الكتاب والسنة.

---

(١) الإفادات والإنشادات (ص: ١٠٧).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٧٣٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

ثالثًا: أن يكون على علم بمسائل التوحيد، وما يجب لله ﷻ.

رابعًا: أن يكون عالمِا بلسان العرب ومسائل الأصول وغير ذلك من مهمات العلم كالإجماع والناسخ والمنسوخ.. إلخ.

خامسًا: أن تكون له قدرة على دفع الإشكالات الواردة على ذلك العلم.

سادسًا: أن يشهد له العلماء بالعلم وجواز التعليم.

سابعًا: أن يكون لديه اليقين الذي يدفع الشبهات.

المبحث الثالث

أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد.

أولاً: الأثر الفكري:

١- تصحيح العبادة:

لما كانت العبادات وكيفية أدائها توقيفية، يُرجع في بيانها إلى الشَّارع الحكيم، احتاج الناس إلى الأنبياء والمرسَلين عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الذين يتلقَّوْن عن الله جَلَّ وَعَزَّ أوامرَه ونواهيَه عن طريق الوحي؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النحل] أي: "ولقد بعثنا أيُّها النَّاس في كلِّ أُمَّة سلفتْ قبلكم رسولًا، كما بعثنا فيكم، بأن: اعبدوا الله وحدَه لا شريكَ له، وأفْرِدوا له الطَّاعةَ، وأخلِصوا له العبادةَ"[1]، والعلماء هم المبلغون عن الله جَلَّ وَعَزَّ وعن رسله، فتصحيح العبادة يعد من أبرز آثار العالم على تلميذه، فالعالم يقوم على تصحيح العبادة لطالب العلم من خلال تعليمه صفة الصلاة، والحج والصيام، ومقدار الزكاة وكيفية إخراجها ... إلخ وهذه مزية عظيمة وأثر جليل للعالم الشرعي على طالب العلم.

٢- تقديم التربية السليمة:

لاشك أن الإنسان يحتاج إلى التربية السليمة، والتي تعتبر رئيسة وهامّة في تحسين حياته،

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٨٨).

والارتقاء بها، ونهضته هو ومجتمعه على حدٍّ سواء، والتربية السليمة تعني إكساب الفرد كافّة أنماط التفكير الإيجابيّة، والمرجعيّات الحسنة المتوارثة سواء الدينيّة أم الاجتماعيّة، والتي يجب عليه استعمالها من أجل التصرّف في كافّة المواقف التي تواجهه، والتربية عنصر هامّ جدّاً وفعّال، سواء على المستوى الفرديّ وعلى المستوى الجماعيّ، فإن صلح الفرد صلح المجتمع، إذ إنّ المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يرتبطون فيما بينهم بعلاقات مختلفة وهامّة.

ومن هنا يبرز أثر علماء الشريعة على طالب العلم، فإن العالم يقدم لتلميذه التربية السليمة التي تُقَوِّم سلوكه، وتهذب أخلاقه، وتحمله على جميل الأفعال، والاتصاف بأفضل السجايا والخصال.

٣- تقديم البناء العلمي للأفراد:

يقع على عاتق العالم مهمّة خلق بيئة جيّدة لطالب العلم، حيث يؤثّر بذلك على طلابه ومستوى الاستيعاب والتحصيل، بالإضافة إلى انعكاس تصرُّفاته على سلوك طالب العلم.

وعالم الشريعة يعد بمثابة المزوّد والناقل الأول للمعرفة، وهو الذي يضمن عمليّة تلقّي المعلومات المختلفة بالشكل الصحيح، وذلك بالاستعانة بالكثير من المصادر والوسائل التي تؤدي بدورها إلى تمكين طالب العلم من استيعاب العلم ونقله لغيره لاحقًا.

وهنا يظهر الأثر الثقافي لعالم الشريعة على طالب العلم؛ فالعالم يقوم بدوره كمعلم، فينشر العلم بين الطلاب، ويشرح غرائبه، ويحل غوامضه، ويبين عجائبه، فيذلل لطالب العلم صعاب المسائل، ودقائقها، مما قد يشكل على طالب العلم، فيستفيد الطالب علمًا غزيرًا ينفعه في دنياه وآخرته.

٤- القدوة الحسنة والسمت الطيب:

يُمثّل عالم الشريعة في نظر طُلّابه قدوةً ونموذجاً يُحتذى به، حيث يقضي طلاب العلم جُزءاً كبيراً من يومهم مع المعلّم، فيتأثرون بسلوكيّاته إلى حدّ كبير، سواء كانت إيجابيةً أم سلبيّة، إذ لا يقتصر دوره على التدريس فقط، يل يشمل التربية الأخلاقيّة أيضاً، وتقديم المعونة والاهتمام للطلاب.

وهنا يظهر الأثر الثقافي لعالم الشريعة على طالب العلم؛ فيتحلى الطالب بالسمت الحسن، والمظهر الطيب والسلوك الوسطي الصحيح، والتؤدة، والترفع عن مسالك أهل الكبر الغرور.

أما أثر العالم على غير الأفراد غير المتخصصين، فيكون بما يلي:

١- تقديم الفتوى والنصيحة:

والفتوى من الأمور الخطيرة التي لها منزلة عظيمة في الدين؛ فالمفتي خليفة النبي ﷺ في أداء وظيفة البيان، والمفتي مُوَقِّع عن الله تعالى؛ ونظرًا لخطورة الفتوى، فإن الأفراد يلجئون للعالم لاستفتائه في أمور دينهم ودنياهم، فيقوم العالم بوظيفته في ذلك الشأن.

٢- تقديم القدوة الحسنة:

وتعني القدوة هنا أن يكون عالم الشريعة مثالًا يحتذى به في أفعاله وأقواله وسمته وهديه وجميع تصرفاته، وقد نبَّه القرآن الكريم على قضية القدوة الحسنة في مسائل التربية، فقال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقد كان النبي ﷺ -ولا يزال- قدوة للمسلمين جميعًا، والقدوة الحسنة التي يحققها عالم الشريعة بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام بكلِّ ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

ولأثر القدوة في عملية التربية، وخاصة في مجال الاتجاهات والقيم، كان الرسول ﷺ هو قدوة المسلمين، وقد استطاع بفضل تلك القدوة أن يحمل معاصريه قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال فقط، وإنما بالسلوك الواقعي الحي، وقد حرصوا على تتبع صفاته وحركاته، ورصدها والعمل بها، وما ذلك إلا حرصًا منهم على تمثل أفعاله ﷺ، لقد كان المثل الأعلى لهم، قد تمثلت في الرسول ﷺ صفات جليلة جعلت منه قدوة بالفعل[1].

والقدوة الحسنة التي يمثلها عالم الشريعة هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالًا حسيًّا مشاهدًا ملموسًا يقتدي به، وقد يكون مثالًا حاضرًا في الذهن بأخباره، وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بأقواله وأفعاله.

فالعلماء بأخلاقهم وسلوكياتهم يمثلون القدوة الحسنة للفرد المسلم، وما ينتج عن العالم من أخلاق وسلوكيات سواء كانت علمية أو عملية تنعكس بشكل مباشر على شخصية الفرد المسلم؛ فصلاح الفرد من صلاح العالم؛ لأن عيون الناس معقودة على العالم، فالحسن عندهم ما يصنعه العالم، والقبيح ما يتركه ويتجنبه.

وهنا يظهر الأثر الثقافي لعالم الشريعة؛ من خلال اكتسب الأفراد السلوكيات الحميدة، والمبادئ والقيم التي تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

٣- الصبر على أذاهم:

لا يخلو زمان أو مكان من أفراد يطلقون ألسنتهم بالسب والتجريح في العلماء وأهل الفضل، فيأتي دور العالم في التوجيه والبيان وتقديم النصح للأفراد، ودعوتهم باللين ووعظهم بالموعظة الحسنة التي تنفعهم في الدنيا والآخرة، ومجادلة المخالف منهم بالتي هي أحسن، وإذا لم يجدِ هذا الأمر، جاء الأمر بالصبر على أذاهم وتحمل ما يصدر عنهم من ضرر أو مكروه.

---

(١) ينظر: نضرة النعيم (١/ ١٤٣).

المطلب الثاني

أثر علماء الشريعة الثقافي على المجتمع.

إن الأثر الثقافي للعلماء في المجتمع الإسلامي هو أثر لا يمكن إنكاره، ويمكن إيراد أبرز الآثار على النحو التالي:

أولاً: لم شمل المسلمين وجمع كلمتهم على إمامهم صاحب البيعة الشرعية:

وهذا من أبرز الآثار التي يتركها العالم في مجتمعه وأمته، فإن العالم العامل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقوم بواجبه الذي أمره به نبيه ﷺ، وهو النصح لأئمة المسلمين، وعامتهم، والنصح لأئمة المسلمين بينه الإمام النووي بقوله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح.... انتهى"(١).

وقول الإمام الخطابي الذي أورده النووي يدل على أثر العالم في مجتمعه، ومدى توفيقه بين عوام المسلمين الذي يمثلون المجتمع الإسلامي بكافة أطيافه وألوانه وبين سلطان المسلمين، فصلاة المسلمين وجهادهم وأداء صدقاتهم للحاكم المسلم هو من باب لم الشمل وجمع الكلمة بين الحاكم والمحكوم.

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨).

ثانيًا: تعبيد الناس لله رب العالمين:

وهذا من الآثار العظيمة للعلماء، فالعالم هو الذي يسخر علمه في سبيل دعوة الناس إلى دين الله جَلَّ وَعَزَّ، فبهم يأمن الناس من الضلال والجهل، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»(١).

ثالثًا: تعميق الود والإخاء في المجتمع الإسلامي:

فحولهم تلتف الأمة؛ لما لرأيهم من مكانة رفيعة، ومنزلة عالية؛ حيث إنهم يقومون بواجب إحياء التضامن الإسلامي، وتقوية أواصر الإخوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾[آل عمران: ١٠٣].

إن أثر العلماء ومكانتهم على المجتمع الإسلامي هو أثر لا يمكن إنكاره، فهم الذين يعمقون الود والإخاء في المجتمع الإسلامي، وحولهم تلتف الأمة؛ لما لرأيهم من مكانة رفيعة، ومنزلة عالية.

رابعًا: تقديم الفتوى والنصح للمجتمع في دينه:

لما كان العلماء ورثة الأنبياء، وهم الذين بسببهم يهتدي الناس للحق والنور، تكرَّر الوعيد مشددًا على المفتين أن لا يحرِّفوا العلم الذي ورثوه، وأن لا يكتموه، وأن يتقوا الله في الناس، وأن يجتهدوا في إرشادهم ودلالتهم للحق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤]. وهذه الآية وإن كانت خاصةً في علماء بني إسرائيل، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، وهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله أو حرَّفه وزوَّره، فإن أعظمَ ما يجبُ حفْظُه وبيانُه وحمايتُه هو دِينُ الله وكتابُه الخاتمُ الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، والذي لن يقبلَ الله من أحدٍ دِينًا سواه.

ولما كان حفظ الدين أهمَّ مقاصد الشريعة، فلا يمكن أن تترك الشريعة هذا المقصد عُرضةً للضياع أو التحريف، ففي ضياعه ضياع للمقاصد الأخرى، وخراب لنظام الحياة بأسره. ولا بد أن يقيم الله أُناسًا تقوم بهم الحجة خلفًا عن الرسل، وهم كثيرون ولله الحمد، فينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ولقد كان علماء الأمة وأئمتها على هذا القدر من المسؤولية والتقوى لله تعالى عبر العصور والأزمنة، حتى حفظ الله تعالى بهم دينه، فوصل إلينا خالصًا من كل شائبة.

خامسًا: سحب اليأس والقنوط من نفوس المجتمع:

فمن أثر العلماء في المجتمع أنهم يعملون على تعميق وزرع الآمال في نفوس الأجيال بتجاوز هذه الحال التي آل إليها المجتمع من الفرقة والتشتت، والوهن والتردي.

سادسًا: إزالة المعوقات الفكرية والثقافية التي تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق مجتمع متماسك، على أساس الدين والعقيدة الصحيحة:

فإن المجتمع الإسلامي يواجه دائمًا وأبدًا هجمات شرسة تريد أن تنال من دينه وعقيدته، وتريد أن تخلخل إيمان المجتمع، وتهز ثقته بربه وبوعده لهذه الأمة بالنصر والغلبة مهما كثر الخبث، وتفشت الأمراض في هذه الأمة، فيأتي هنا دور العلماء في بث روح

الطمأنينة في نفوس الناس، ونشر روح التفاؤل بنصر الله جَلَّ وَعَزَّ لعباده المخلصين الصادقين، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]. وكذا مواجه الانحرافات الفكرية التي تصيب المجتمع من آن لآخر، فيقوم العلماء بدورهم بالتصدي باللين تارة والشدة تارة أخرى للمشككين والمنحرفين الذين يشككون الناس في دينهم وعقيدتهم.

سابعًا: تذليل التحديات التي يواجهها المجتمع:

يتعرض المجتمع لتحديات كثيرة في مسيرة الحياة سواء كان ذلك من داخل المجتمع نفسه، أو من خارجه، فأما التحديات من داخل المجتمع فتتجسم في التفرق والتشتت وضياع القيم وغياب الهوية الصحيحة، وأما التحديات التي من خارج المجتمع فتتمثل في المحاولات المستمرة والمستميتة في الطعن في ثوابت المجتمع، والتقليل من شأنه، وغرس قيم اليأس والإحباط بين أفراده، ولذلك احتاج المجتمع إلى من يواجه به التحديات الداخلية والخارجية، وذلك من خلال ترسيخ العقائد الصحيحة، والعمل على سيادة الدين، ونشر مبادئه، وكذا العمل على تفعيل الطاقة الكامنة في نفوس الأفراد نحو العمل والإنتاج والوعي والتفاعل، وبذلك تتجدد ثقة المسلمين بمهمتهم القيادية الكبرى، وتتلاشى عوامل الانهزام الفكري والنفسي، وتزول أعراض الشعور بالنقص، وشيوع الضعف والخور، والإخلاد إلى الراحة والاستكانة إلى المتاع العاجل والتعلق بالأهواء والشهوات، وبالتالي يعود المجتمع إلى قيادة الركب الحضاري النيّر الذي فتح العقول والقلوب، ورفع لواء الكرامة والعدالة والحرية، وبسط راية العلم والمعرفة والسلام في أرجاء المعمورة.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث، أشير إلى أبرز النتائج والتوصيات:

النتائج:

١- العلم بأحكام الله الشرعية هو أمر ضروري على كل مسلم ومسلمة في كل ما لا يسعهما جهله.

٢- حثت الشريعة الإسلامية على وجوب توقير علماء الشريعة؛ لما لهم من منزلة رفيعة، ومكانة عظيمة، فهم الموقعون عن الله جَلَّ وَعَزَّ وعن رسوله ﷺ.

٣- احترام علماء الإسلام وتوقيرهم دليل على صحة إيمان الأمة وسلامة إسلامها.

٤- إن تعليم الناس شريعة رب العباد هو من أوجب الواجبات، وآكد المهام المناطة بالعلماء.

٥- يجب على العلماء أن يقوموا بتطبيق أحكام الله تعالى على مصالح العباد في كل زمان ومكان على مقدار علمهم في المساجد والمعابد والمنتديات العامة، وفى المحافل عند سنوح الفرصة.

٦- عبادة الله ﷻ وامتثال أمره، وأداء الفرائض، ولزوم الطاعات، واجتناب النواهي والموبقات هو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله ﷻ الإنس والجن

٧- تباينت الشروط التي وضعها المختصون للعالم الذي يتصدى لتعليم الناس الشريعة، فمنهم من جعلها شرطين، ومنهم من جعلها أربع، وعند التأمل نجد أنها تدور في فلك واحد ولكن بعبارات مختلفة.

٨- حقوق علماء الشريعة على الأمة كثيرة، منها: التوقير والاحترام، عدم الوقيعة فيهم، والتنقص من قدرهم، عدم الاستخفاف بهم، الإقرار والاعتراف لهم بالفضل والجميل، الدعاء لهم.

٩- يقع على عاتق علماء الشريعة مهام ومسؤوليات تجاه هذه الأمة، منها: التفاعل مع المجتمع بالتربية، والتعليم، والحسبة، والكتابة والتأليف، أن يكونوا قدوة صالحة للمجتمع، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عدم كتمان العلم عن الناس، التصدي للمبتدعين، والفساق، والمنحرفين، وأصحاب الشبهات، الصدع بكلمة الحق.

١٠- لعلماء الشريعة أثر بيّن على الأفراد، فإن العلماء بأخلاقهم وسلوكياتهم يمثلون القدوة الحسنة للفرد المسلم، وما ينتج عن العالم من أخلاق وسلوكيات سواء كانت علمية أو عملية تنعكس بشكل مباشر على شخصية الفرد المسلم.

١١- أثر العلماء ومكانتهم على المجتمع الإسلامي هو أثر لا يمكن إنكاره، فهم الذين يعمقون الود والإخاء والتضامن في المجتمع الإسلامي، وحولهم تلتف الأمة؛ لما لرأيهم من مكانة رفيعة، ومنزلة عالية.

التوصيات:

١- يوصي الباحث وسائل الإعلام بطرح جاد لقضية الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع.

٢- يوصي الباحث الجهات المعنية بضرورة دراسة وبحث مسألة الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع، وتكوين قاعدة بيانات بحثية بهذا الشأن.

٣- يوصي الباحث العلماء والأكاديميين بضرورة بحث وتحقيق التراث الذي يتناول أمثال تلك المسائل المهمة.

٤- يوصي الباحث بطرح موسوعة علمية تسعى إلى إبراز الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع، ونشر ذلك بين الباحثين والمختصين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، (بيروت – دمشق – لبنان، المكتب الإسلامي).

٢. أدب المفتي والمستفتي، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر، ط٢، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٣. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، ط١، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، ط١، (دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

٥. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، (بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٦. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، المؤلف: حسن بن عمر بن عبد الله السيناوني المالكي (المتوفى: بعد ١٣٤٧هـ)، ط١، (تونس، مطبعة النهضة، تونس، ١٩٢٨م).

٧. الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط ١، (السعودية، دار ابن عفان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

٩. الإفادات والإنشاءات، المؤلف: إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي أبو إسحاق، المحقق: محمد أبو الأجفان، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م).

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية).

١١. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م).

١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م).

١٣. تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ط١، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م).

١٤. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م).

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

١٧. جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، (المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م).

١٨. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).

١٩. السنة، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).

٢٠. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي).

٢١. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (صيدا – بيروت، المكتبة العصرية).

٢٢. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، ط٢، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

٢٣. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م).

٢٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

٢٥. صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (الناشر دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ).

٢٦. صحيح سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٢٧. صحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٢٨. صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

٢٩. العقيدة الطحاوية، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ).

٣٠. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط١، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٣١. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، د. ط، (دار ومكتبة الهلال، د. ت).

٣٢. فتاوى أركان الإسلام، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط١، (الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ).

٣٣. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ط١، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٣٤. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

٣٥. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط١، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م).

٣٦. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ –١٩٩٥م).

٣٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م).

٣٨. المسألة الثقافية في الوطن العربي، محمد عابد الجابري، ط٢، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م).

٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م).

٤٠. المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول، المؤلف: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، ط٢، (مصر، المكتبة الشاملة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م).

٤١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، د. ط، (دار الدعوة، د. ت).

٤٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، د. ط، (بيروت، دار الكتب العلمي، د. ت).

٤٣. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٤٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ط٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

٤٥. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط٤، (جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع).

البحث رقم (٥)

منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي

د. سهل بن عبيد بن عبد الله الحربي

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الملخص

منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي

يهدف هذا البحث إلى بيان منهج الداعية في الجمع بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي، وعرض أبرز معالم المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره، والتحذير من مخاطر مخالفة الداعية في تطبيقاته لأقواله التي يدعو إليها، وبيان أهمية مطابقة فعل الداعية لقوله وتأثيره، ثم الوقوف على نماذج مختارة من تطبيقات الصحابة وأعلام السلف للأقوال عمليا. واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج النقدي، ومنها خلص إلى نتائج البحث والتي من أبرزها: الأقوال دون الأفعال في الدعوة منزوعة التأثير، والخطأ الأكبر أن تخالف أفعال الداعية أقواله، أي يقول الشيء ويفعل عكسه، ويناقض حاله كلامه؛ فهذا إفشالٌ للدعوة وإفسادٌ للناس، حيث إن امن أبرزها إذا خالف فعله قوله، كان أداة للهدم والتضليل، أكثر من كونه أداة للبناء والهداية. كما أن الفعل أكثر تأثيرا في المدعوين، وإن تأثير الكلمات سرعان ما يزول إذا لم يدعمه الفعل ويقويه؛ ذلك أن الناس مجبولون على التأثر بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وهذا ما يجب على الدعاة جميعا العلم به والتركيز عليه.

ويوصي الباحث الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا والباحثين في الدراسات الشرعية، بتتبع ورصد مظاهر وسلوكيات الانفصام بين الأقوال والأفعال في مختلف الميادين الحياتية، وتقديم المعالجات الإيمانية والتربوية لها.

الكلمات المفتاحية: المنهج ـ الداعية ـ الأقوال ـ التطبيقات ـ الأثر.

Abstract

The preacher's approach between sayings, their practical applications, and their advocacy effect

The aim of this research is to explain the preacher's approach in combining sayings and their practical applications and their advocacy effect, and to present the most prominent features of the Prophet's applied approach to sayings and its impact, and to warn against the dangers of the preacher's violation in his applications to his sayings that he calls for, and to show the importance of matching the preacher's act to his saying and its impact, then standing on selected models From the applications of the Companions and the flags of the predecessors to the sayings in practice. The researcher used the descriptive inductive approach, the analytical approach, and the critical approach, from which he concluded the research results, the most prominent of which are: the words without the actions in the call without influence, and the biggest mistake is that the actions of the preacher contradict his words, that is, he says the thing and does the opposite, and his condition contradicts his words; This is a failure of the call and corruption of people, as if the preacher contradicts his saying, it was a tool for demolition and misleading, rather than a tool for construction and guidance. Also, the action has more influence on the invited, and the effect of the words quickly disappears if the act does not support and strengthen it; This is because people are tempted to be affected by actions more than they are by words, and this is what all preachers should know and focus on. The researcher recommended academics, graduate students and researchers in Sharia studies, to track and monitor the manifestations and behaviors of schizophrenia between words and actions in various fields of life, and to provide faith and educational treatments for them.

Keywords: curriculum - preacher - sayings - applications - impact.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما على رسولنا الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، الذين قدموا النفس والنفيس نصرة لهذا الدين، وعلى الذين اتبعوهم بإحسان غير مبدلين ولا مبتدعين. أما بعد:

فالدعوة إلى الله تبارك وتعالى أعظم مهمات رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهي وسيلة وسبيل لتحقيق توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦]. وهي الميزة التي فضّل الله تعالى بها هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وأمر الله تعالى عباده بها وحثهم عليها فقال: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧]، لذا كان الداعية إلى الله تعالى العامل بما يدعو إليه، من أحسن الناس قولًا، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، بل إن الداعية له أجره من الله الكريم، وله كذلك أجر من دعاهم إلى الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئًا»(١).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤).

ولا ينكر عاقل افتقار أبناء الأمة في زماننا هذا إلى التطبيق العملي لما يلقى على أسماعهم من مثل وأخلاقيات، فقد تشبع أفراد الأمة من الدروس النظرية والخطب والدروس والمقالات عن القيم والأخلاقيات والمثل والفضائل وغيرها، بيد أنهم قلما يرون النموذج الإنساني الذي يترجم ذلك التنظير إلى أعمال وأفعال وممارسات محسوسة ملموسة، وهو ما يؤثر سلبا في قناعاتهم وتطبيقهم لما يسمعون أو يقرؤون، ويقلل من فاعلية الداعية وتأثير دعوته في الناس.

بل إن كثيرا ما يرى أفراد الأمة بعض الدعاة، ليس فقط لا تطابق أفعالهم أقوالهم، بل يرونهم يفعلون عكس ما يقولون، مما يأتي على جهودهم في الدعوة من القواعد، ولا تثمر دعوتهم ثمرة، ولا يخطون على طريق التأثير في الناس خطوة.

وفي هذا البحث فإني حاولت جاهدًا بيان عناية الإسلام الشديدة حرصًا منه على نجاح الدعوة والداعية بمطابقة أفعال المسلم عامة والداعية خاصة لأقواله وتنظيره، وتأكيده على أهمية ذلك في بناء الأمم والمجتمعات، وفي نجاح الداعية ودعوته، وتوفيقه على سبيل إحداث التأثير في الآخرين، وقبول الناس وتطبيقهم لما يحثهم عليه من تعاليم إسلامية ومثل وفضائل، ما داموا يرونه يطبق ما يقول، ويترجمه حقيقة ملموسة على أرض الواقع.

تساؤلات البحث:

تتمحور تساؤلات هذا البحث حول التساؤل الرئيس الآتي: ما أهمية مطابقة الداعية فعله التطبيقي لقوله النظري وأثر ذلك دعويًا؟

وتتفرع عن هذا السؤال الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

١. ما أبرز معالم لمنهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره؟

٢. ما المخاطر المترتبة على مخالفة الداعية في تطبيقاته لأقواله التي يدعو إليها؟

٣. ما أهمية مطابقة فعل الداعية لقوله عليه وعلى الدعوة وتأثيره؟

٤. كيف كانت تطبيقات الصحابة وأعلام السلف للأقوال عمليا؟

أهداف البحث:

١. عرض أبرز معالم المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره.

٢. التحذير من مخاطر مخالفة الداعية في تطبيقاته لأقواله التي يدعو إليها.

٣. بيان أهمية مطابقة فعل الداعية لقوله وتأثيره.

٤. الوقوف على نماذج مختارة من تطبيقات الصحابة وأعلام السلف للأقوال عمليا.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية القضية التي يعالجها، فالبحث يعالج قضية من الأهمية بمكان، يغفل عنها كثير من المربين والدعاة والمعلمين، وهي ضرورة مطابقة أفعالهم لأقوالهم ودروسهم وتنظيرهم، وإلا لبارت جهودهم وخاب بذلهم، وكانت كلماتهم وعظاتهم محض حروف تتناثر في الهواء، لا تحل في قلب مستمع، ولا تؤثر في نفس متابع.. فتبرز أهمية هذا البحث وتظهر من خلال لفت انظار الجميع إلى أهمية الفعل المطابق للقول مع القول، وان الفصل بين الفعل والقول في الدعوة، هو من أكبر أسباب فشل الدعوة والداعية.

سبب اختيار الموضوع:

لعل السبب الرئيس في اختياري لهذا الموضوع هو ما أشاهده من الهوة الواسعة بين أقوال كثيرٍ من الدعاة وأفعالهم، فمنهم من يتحدث عن الزهد في الدنيا وزينتها، وهو لا يترك

زينة منها إلا وتعلق بها، ومنهم من يتحدث عن التواضع وخفض الجناح للمؤمنين وهو ينضح كبرا واستعلاء، وهكذا.. وقد رأيت بعد متابعة واستقصاء أن ذلك من أهم أسباب عزوف الناس الدعوة والدعاة، وآليت أن أكتب في هذا الأمر، منبهًا على خطورته، وملفتًا أنظار إخواني من أهل الدعوة إلى هذا الأمر الخطير، ليكونوا على حذر منه، وليكونوا من المبادرين إلى فعل ما يقولون من مثل وقيم ومكارم أخلاق.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على أي دراسة مماثلة لموضوع بحثه هذا، حيث وكل المتوفر فيه عبارة عن مقالات قصيرة جدًا في بعض المواقع الإسلامية على الشبكة العنكبوتية، ومع البحث والتحري لم يقف الباحث على أي دراسة علمية او كتاب شامل لموضوع هذا البحث.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه هذا على المناهج العلمية الآتية:

المنهج الوصفي الاستقرائي: وهو أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة، أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة.(١) كما وأنه من المناهج الاساسية في البحوث الوصفية وتعتمد الطريقة الاستقرائية على تجميع البيانات، والحقائق الجارية عن موقف معين، فقد استقرأ الباحث الأدلة والشواهد التي ينبني عليها التطبيق العملي لأقوال الداعية وتأثيره الدعوي.

المنهج التحليلي: وهو "المنهج الذي يمكّن الباحث من القيام بتحليل الظاهرة التي يتم دراستها، ويقوم بالمقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى التي تتعلق بها، لكي يتم تفسيرها

---

(١) ينظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته، رجاء وحيد جويدي، دار الفكر، دمشق، ط١، سنة ٢٠٠٠م. ص١٨٥.

وتحليلها واستنتاج الحلول بشكل مدروس"(١)، ومن هذا المنهج سأقوم أيضًا بتحليل النصوص، ومن ثم الخلوص إلى آراء وثيقة تبنى عليها استنتاجات هذه الدراسة.

المنهج النقدي: وهو المنهج الذي يعني "التمييز بين الجيد أو الصحيح وغيره، أو بين الايجابي والسلبي في الموضوع أو المحتوى المدروس، وإظهار ذلك مسوغًا بأدلته ومستندًا فيه إلى أصول الفن العلمي الذي ينتمي إليه البحث وإلى مسلماته؛ تقويمًا له، وحكمًا عليه، وتعاملًا معه بما يلزم علميا"(٢). ووفق هذا المنهج قمت بنقد مخالفة الأقوال النظرية للأعمال التطبيقية عند بعض الدعاة ومدى مخالفتها للمنهج الإسلامي.

خطة البحث:

ملخص البحث.

مقدمة البحث.

تمهيد: التعريف بمفردات البحث.

المبحث الأول: أهمية مطابقة أفعال الداعية العملية لأقواله وأثره الدعوي.

المبحث الثاني: المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وأثره الدعوي.

المبحث الثالث: نماذج من التطبيقات العملية للأقوال عند الصحابة وأعلام السلف.

المبحث الرابع: مخاطر مخالفة تطبيقات الداعية لأقواله التي يدعو إليها.

---

(١) البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، محمد شفيق، المكتبة الجامعية- مصر، ٢٠٠١م، ص ١١١.

(٢) أسس مناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص في العلوم الإسلامية والعربية، علي بن عتيق الحربي، الناشر المتميز للطباعة والنشر-الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص ١٣١.

الخاتمة، وتتكون من:

- نتائج البحث.
- التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بمفردات البحث

تعريف المنهج: في اللغة: إنَّ الحروف الأصلية لهذه الكلمة هي: (ن هـ ج)، وهذه المادة تدور حول معنى الطريق، يقول ابن فارس: "نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج، الطريق ... والآخر: الانقطاع"(١).

وتشير معاجم اللغة إلى أن المنهج هو: الطريق الواضح، والسلوك البين، والطريق المستقيم، يقال: نَهَجَ الطريق نهجًا: وضح واستبان، ونهج الطريق: بيّنه وسلكه، ونهج نهج فلان: سلك مسلكه، والمنهاج مثله، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ المائدة: ٤٨، واستعمل حديثًا بمعنى: "الخطة المرسومة"، ومنه: منهج الدعوة أو منهاج الدعوة، ومنهج الدراسة أو منهاج الدراسة ..إلخ، والجمع "مناهج"(٢)

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٦١/٥).

(٢) ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (٦٣٠ – ٧١١هـ) تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ٤٥٥٤/٢، ٤٥٥٥، دار المعارف، القاهرة، د. ق. ت. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ١/ ٢١٨ دار الجيل، بيروت، د.ق.ت. المعجم الوسيط، ٢ / ٩٩٥ مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٣، د. ت. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب / السيد محمود خاطر ص٦٨١ المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط ٧، ١٩٥٣م. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ٢ / ٦٢٧ المكتبة العلمية، بيروت، د. ق. ت. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق وضبط / محمد سيد كيلاني ص٥٠٩ دار المعرفة، بيروت، د. ق. ت. أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٤٦٧–٥٣٨هـ)، ص٦٦٠،٦٥٩، دار صادر، بيروت، د. ق. ت.

والمقصود هنا بالمنهج المعنى هو الدالُّ على الطريق[١].

في الاصطلاح: عرف العلماء والمفكرون المنهج بعدد من التعريفات تتقارب في كثير من معانيها، ولا تبتعد عن الدلالة اللغوية، ومن هذه التعريفات: المنهـج هو " النظام والخطة المرسومة للشيء"[٢]. ويتناول عبد الخالق رشيد المنهاج بتعريفه بأنه عبارة عن منْظومة متكاملة ومتناسقة على هيئة مجموعة من المبادئ سواء أكانت نظرية أو إجراءات تطبيقية يُهدف من خلالها تنظيم حقل معرفي معين بهدف تفعيل نتائجه مستقبلاً. [٣].

ويتضح من خلال الجمع بين هذين التعريفين وبين الدلالة اللغوية لكلمة " المنهج " أن المنهج هو: الطريق الواضح الذي يسلك بنظام دقيق وخطة مرسومة تتناسب مع طبيعة الهدف المراد الوصول إليه، حقًا كان الهدف أم باطلًا بحسب ما يضاف إليه المنهج. ولذلك فهذان التعريفان يتسمان بسمة العموم. ومن ناحية الاصطلاح الشرعي "الطريق المستقيم الواضح في الدين"[٤].

وأما من الناحية الفلسفية: "خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسيَّة؛ بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها"[٥].

---

(١) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، (ج١/ص٣٤٦).

(٢) مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وبعض رجالها، د. عبد الخالق إبراهيم إسماعيل، صـ٧٦. مؤسسة النجوم الهاشمية، الزقازيق، ط الثانية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م وكذا: المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني صـ٤٥ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٣) ينظر: مناهج التحليل اللغوي، لعبد الخالق رشيد، جامعة وهران- الجزائر، (د.ت)، ص (٣).

(٤) القرطبي، أحكام القرآن (٢١١/٦)، والألوسي، روح المعاني (١٥٣/٢).

(٥) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٣٩٩هـ (ص١٩٥).

وأما من الناحية العلمية التجريبية: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تُهَيْمِن على سَيْرِ العقل، وتُحَدِّد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة".

ويمكن تعريف المنهج تعريفًا عامًّا فيُقال: "هو مجموعة الركائز والأسس، التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة؛ لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كلٌّ منهم"(١).

وهناك من التعريفات ما جعل المنهج سبيلًا للوصول إلى الحقيقة فقط ومن هذه التعريفات ما يأتي:

* المنهج هو " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم "(٢).

* المنهج هو " البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة "(٣).

وخلاصة هذه التعريف يبني الباحث على وفقها هذا التعريف الإجرائي: الطريق واضح المعالم الذي من خلاله يتم تحديد القواعد والمبادئ والقيم الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، والتي يسير على وفقها الداعية لمطابقة فعله العملي التطبيقي قوله النظري.

---

(١) السديس، د. عبد الرحمن، العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن والخمسون (ص٣٠٠).

(٢) مناهج البحث العلمي، د / عبد الرحمن بدوي ص٤، دار النهضة المصرية، القاهرة، د. ق ١٩٦٣م.

(٣) مناهج البحث العلمي في الإسلام، د / غازي حسين عناية، ص٨١ دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

التطبيقات:

في اللغة: التطبيقات جمع تطبيق، والتطبيق مصدر للفعل "طَبَّقَ".

وهذه المادة لها معانٍ، والذي يتوافق مع هذا البحث هو معنى: التساوي والموافقة.

يُقال: تطابق الشيئان، بمعنى: تساويا، والـمُطابَقةُ: الـمُوافَقة. والتَّطابُق: الِاتِّفَاقُ(١).

وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حَذْوٍ واحدٍ، وألزقتهما.

ومطابقة الفرس في جريه: وضع رجليه مواضع يديه.

وأطبقت الشيء: غطيته، وجعلته مُطْبَقًا، ومنه قولهم: لو تطبقت السماء على الأرض ما فعلت كذا(٢).

التطبيقات في الاصطلاح: عرفت بأنها: "إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علميَّة أو قانونية أو نحويّة، يقوم الباحث فيها بتطبيق المسائل على النظريات، ويسعى لتطبيق التعليمات طبقًا للقانون"، فهو: إجراء تعليميّ يهدف لتحفيز التعلّم من التجارب(٣).

أما المطابقة: فهي من قولنا تطابق الشيئان إذا توافقا وتساويا، فالمطابقة الموافقة، والتطابق الاتفاق، وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد، وألزقتهما، وهذا الشيء وَفق هذا ووفاقه، وطباقه وطابقه بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وطابَقَه علَى الأمْرِ: جامَعَهُ ومالأَه(٤).

القول: هو الكلام، تَقول: قَالَ يَقُول قَوْلًا، أي تكلم كلاما، وهو أيضا: الرأيُ

---

(١) مناهج البحث العلمي في الإسلام، د / غازي حسين عناية، صـ٨١.

(٢) الجوهري، الصحاح، (ج٤، ص١٥١٢).

(٣) ينظر: عمر؛ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج٣، ص١٣٨٧).

(٤) لسان العرب، جـ١٠/ ٢٠٩ – المعجم الوسيط، جـ٢/ ٥٥٠ – معجم ديوان الأدب، جـ٢/ ٣٨٩ – الصحاح، جـ٤/ ١٥١٢ –تاج العروس، جـ٢٦/ ٦١ – مختار الصحاح، صـ ١٨٨ –

والمعتقَد، والمراد به هنا الكلام الصادر عن الداعية في وعظه للناس وإرشادهم [1].

الفعل: مصدر فعل يفعل، بمعنى عمل يعمل فهو عامل، والفِعْل: كِنَايَة عَن كل عَمَلٍ مُتَعَدٍّ أَو غير مُتَعَدٍّ، والمراد به هنا: كل ما يصدر عن الداعية من أعمال[2].

في ضوء ما سبق يمكننا القول: إن المراد من قولنا: مطابقة فعل الداعية لقوله: أي توافُق ما يصدر من الداعية من أعمال وسلوكيات مع الكلام النظري الموجه منه للمدعوين في كتبه ودروسه ومواعظه.

(١) تهذيب اللغة، جـ٩/٢٣٠ – لسان العرب ، جـ١١/٥٧٢ – تاج العروس ، جـ٣٠/٢٩٢ –المعجم الوسيط ، جـ٢/٧٦٧.

(٢) مقاييس اللغة، جـ٤/١٤٥ – المحكم والمحيط ، جـ٢/١٦٣ – لسان العرب ، جـ١١/٥٢٨.

المبحث الأول

أهمية مطابقة أفعال الداعية العملية لأقواله وأثره الدعوي

إن الداعية الناجح الناجي هو الذى إذا أمر بخير كان أول الناس مبادرة إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣] وإذا نهي عن شيء كان أول الناس بعدًا عنه واجتنابًا له، كما قال شعيب لقومه في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾[هو: ٨٨] قال الشيخ الشنقيطي: ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن نبيه شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أنه أخبر قومه: أنه إذا نهاهم عن شيء انتهي هو عنه وأن فعله لا يخالف قوله، ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الإنسان يجب عليه أن يكون منتهيا عما ينهي عنه غيره، مؤتمرًا بما يأمر به غيره(١).

إن الدعوة بالأفعال هي أساس القبول عند الناس.. والذي يعمد إلى إصلاح الناس بالأقوال دونما فعال منه تدل على صدقه في دعواه، وتؤكد إخلاصه لما يدعو إليه، فإنما هو كالطبيب الذي يداوى الناس وهو عليل، يسعى لشفائهم من أسقامهم وهو مثقل بالأوجاع والسقام.

وما أحسن القائل:

ما أقبح التزهيد من واعظ ... يزهد الناس ولا يزهد ...
لو كان في تزهيده صادقا ... أضحى وأمسى بيته المسجد ...

---

(١) أضواء البيان ، جـ٢/١٩٧.

إن رفض الناس فما باله ... يستفتح الناس ويسترقد ...

الرزق مقسوم على من ترى ... يسعى له الأبيض والأسود(١)

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم ...

فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم ...

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم (٢)

فكلما كان الداعي إلى الله تعالى أو الآمر الناهي مطبقا لما يقول في عقيدته وفي عباداته ومنهج حياته كان حريًّا أن يُقبَلَ قوله، وتسمع كلمته، ويكون له تأثير طيب على المجتمع(٣).

ذلك أن تطبيق الداعية لما يلقي على الناس من مواعظ ومثل مكارم أخلاق، هو الذي يعطى أقواله القوة والفاعلية، فلا قيمة للكلمة إذا لم يكن صاحبها موقنا بها، وعلامة ذلك اليقين، ترجمته لما يقول، وتجسيده للقول أفعالا ملموسة، وإلا فإن كلامه محكوم عليه بالموت وعدم الفاعلية، مهما كان رصينا قويا، فهمها كانت الكلمة طنانة رنانة، فلا قيمة لها، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها. ولن يؤمن إنسان بما يقول حقا إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيما واقعيا لما ينطق.. عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم

---

(١) تفسير ابن كثير ،جـ١/٢٠٥ – تفسير القرطبي ، جـ١/ ٣٦٧ – جامع بيان العلم وفضله، جـ١/ ٦٧١ – الأغاني للأصفهاني ، جـ٤/٧٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، جـ ٦٧٤/١ – تفسير القرطبي، جـ٣٧١/١ – لطائف المعارف لابن رجب، ص ٧٨.

(٣) ينظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، صـ ١٦٩.

يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق.. إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها.. إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة، لأنها منبثقة من حياة وعن أهمية الفعل في حياة الناس والمدعوين، يقول مصطفى صادق الرافعي: لو أقام الناس عشر سنين يتناظرون في معاني الفضائل ووسائلها، ووضعوا في ذلك مئة كتاب، ثم رأوا رجلًا فاضلًا بأصدق معاني الفضيلة، وخالطوه وصاحبوه؛ لكان الرجل وحده أكبر فائدة من تلك المناظرة، وأجدى على الناس منها، وأدل على الفضيلة من مئة كتاب ومن ألف كتاب، ولهذا يرسل الله النبي مع كل كتاب منزل؛ ليعطي الكلمة قوة وجودها، ويخرج الحالة النفسية من المعنى المعقول، وينشئ الفضائل الإنسانية على طريقة النسل من إنسانها الكبير[(١)].

فليحرص كل داعية محب لدعوته، أن تكون دعوته للناس بأفعاله أكثر من دعوته لهم بأقواله، فالتطبيق العملي لما يقول، هو الأهم في تحفيز المدعوين إلى فعل ما يدعوهم إليه ويحثهم عليه، فإن كانت الأقوال تدرك بالأسماع إن كانت منطوقة، وبالأبصار إن كانت مكتوبة، فإن الأفعال تدرك بالقلوب والأرواح، ومن ثم فإنها الأهم والأقوى في حمل الناس على ما يريده الداعية.. وذلك ما نص عليه أبو حامد الغزالي، فبعد أن أكد على أهمية وضرورة موافقة العمل للقول، علل ذلك بقوله: لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئًا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به[(٢)].

---

(١) وحى القلم، مصطفى صادق الرافعي، جـ٣/ ٣٨

(٢) إحياء علوم الدين، جـ١/ ٥٨.

المبحث الثاني

المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره الدعوي

للفعل أثره البالغ والناجع في المدعوين ، في تأثرهم ، في استجابتهم ، في تنفيذهم لما يوعظون ويؤمرون به ، بل ومسارعتهم إليه وليس أدل على ذلك مما حدث يوم الحديبية ، فلما صدَّ المشركون الرسولَ (ﷺ) وأصحابَه عن البيت الحرام، حينما أرادوا العمرة عام الحديبية، وبعد إبرام الصلح مع قريش "فَلَمّا فَرَغَ مِنْ قَضِيّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمّ احْلِقُوا"، فَوَاَللّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ حَتّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرّاتٍ، فَلَمّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أُمّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النّاسِ، فَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ: "يَا رَسُولَ اللهِ.. أَتُحِبّ ذَلِكَ؟ أُخْرُجْ ثُمّ لا تُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتّى تَنْحَرَ بُدْنَك وَتَدْعُوَ حَالِقَك فَيَحْلِقَكَ) فقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمّا رَأَى النّاسُ ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمّا"(١).

ففي هذه القصة دلالةٌ ظاهرةٌ على التفاوت الكبير بين تأثير القول وتأثير الفعل؛ ففي حين لم يتغلب القولُ على هموم الصحابة وتألُّمِهم مما حدث؛ فلم ينصاعوا للأمر، نجدهم بادروا إلى التنفيذ؛ اقتداءً بالرسول (ﷺ) حين تحوَّل أمرُهُ القَولي إلى تطبيقٍ عمليٍّ؛ حتى كاد يقتل بعضهم بعضًا"

*كان النبي (ﷺ) يدرك بما حباه الله من نور النبوة أن الناس تتأثر بالأفعال أكثر من تأثرها بالأقوال، ذلك أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت: ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة، ومن ثم يكون الفعل أيسر وأقصر الطرق في إقناع الناس

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، بابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، جـ١٩٣/٣، ح٢٧٣١ – مسند أحمد، حـ٢٥١/٣١.

والتأثير فيهم، وإيصال المعاني المرادة إليهم، فليس بغريب إذن أن نجد النبي (ﷺ) لا يدعو إلى خير إلا كان أول من يفعله، ولا ينهي عن شيء إلا كان أول من يجتنبه ويحذره.. حتى قال الجلندى ملك عمان: "والله.. لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه كان لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهي عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعد"(١) ، قال الإمام الشاطبي: وإنما كان (ﷺ) خلقه القرآن لأنه حكَّم الوحي على نفسه حتى صار في عمله وعلمه على وفقه، فكان للوحي موافقًا قائلًا مذعنًا ملبيًا واقفًا عند حكمه ، وهذه الخاصة كانت من أعظم الأدلة على صدقه فيما جاء به، إذ قد جاهر بالأمر وهو مؤتمر، وبالنهي وهو منتهٍ، وبالوعظ وهو متَّعظ، وبالتخويف وهو أول الخائفين، وبالترجية وهو سائق دابة الراجين، وحقيقة ذلك كله جعلُهُ الشريعةَ المنزلة عليه حجةً حاكمة عليه، ودلالة له على الصراط المستقيم الذى سار عليه (ﷺ)(٢).

فلما رأى الناس رسول الله (ﷺ) يحول هذا المنهج الرباني والنبوي في حياتهم إلى منهج عملي تعلقت به القلوب، فالقلوب تتعلق بالجمال كأمر فطري جبلي، فكيف بمن جمع الله له الجمال والكمال خَلقًا وخُلقًا؟ ، ورأى الناسُ الرسول الكريم (ﷺ) تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة كلها ، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها ، ورأوها متمثلة فيه، ولم يقرؤوها في كتاب جامد، بل رأوها في بشر متحرك، تحركت لها نفوسهم، هفت لها مشاعرهم، حاولوا أن يقتبسوا قبسات منه، كلٌّ بقدر ما يطيق ، فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، كان هاديًا ومربيًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، جـ١/٤٨٤ – الروض الأنف ، جـ٧/٥١٦ – الخصائص الكبرى للسيوطي، جـ٢/٢٢.

(٢) الاعتصام للشاطبي صـ٨٥٥.

والقارئ في سيرة النبي المصطفى (ﷺ) وسنته المطهرة يدرك دون عناء حرص النبي (ﷺ) على الفعل قبل القول.. وعنايته بتطبيق النصوص الواردة على نفسه أولًا، وتحويلها إلى واقع يلمسه الناس ويشاهدونه في شخصه العظيم.

لقد استطاع النبي (ﷺ) أن يجسد ذلك المنهج الرباني واقعًا ملموسًا، وأن يترجم مُثله وأخلاقياته من كونها نظرية إلى واقع عملي مشاهد.. فجاءت سيرته (ﷺ) مليئة بالأفعال المطابقة والسابقة للأقوال، وكثيرة هي المواقف التي ظهر فيها استخدام النبي (ﷺ) الفعل العملي في تربية أصحابه – رضي الله عنهم – كأسلوب متميز عن باقي الأساليب الدعوية، وآثر فيها الفعل على القول.. وسأقتبس هنا بعضًا من النماذج من سيرته (ﷺ) التي تؤكد ذلك:

– ما رواهْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ (ﷺ) خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ - فَنَبَذَهُ وَقَالَ: (إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا) فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ(١)... قال ابن بطال –رحمه الله– "دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْفِعْل أَبْلَغ مِنْ الْقَوْل"(٢).

فلم يحدثهم النبي (ﷺ) في الأمر؛ لعلمه أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع متساوون أمام الرؤية بالعين بالعين؛ ولذا قام النبي (ﷺ) بالفعل أمامهم، فما كان منهم إلا الامتثال والاقتداء بفعله (ﷺ).

– وفي حنين، وجنود المسلمين يفرون والأعداء يرشقونهم بالنبل، هل كان قائدهم ومربيهم يكتفي بوعظهم بالثبات في مثل هذا الموقف؟ إن مئات الكلمات والمواعظ والخطب الرنانة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ (ﷺ)، جـ٩/٩٦ح ٧٢٩٨.

(٢) فتح الباري، ١٣/٢٧٥.

في الثبات لا تفعل فعله (ﷺ)، لا سيما والجنود في حالة من الخوف والهلع، إنهم في حاجة في مثل هذا الموقف إلي القائد المربي، الذي يرجعهم إلى الجادة التي انحرفوا عنها، بالفعل لا بالقول.

فهذا هو العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه – شاهد عيان يروي ماذا فعل القائد المعلم المربي في ذلك الموقف الحرج قال : شهدت مع رسول الله (ﷺ) يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله (ﷺ) فلم نفارقه ورسول الله (ﷺ) على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله (ﷺ) يركض بغلته قبل الكفار ، قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله (ﷺ) أكفها إرادة آلا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ) أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس – وكان رجلا صيتا – فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صوتي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا. فَقَالُوا يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ[(١)].

وعند البخاري (فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ ثُمَّ قَالَ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ)[(٢)].

– وفى خطبة الوداع ينهي النبي (ﷺ) عن الثأر، تلك العادة الجاهلية القبيحة وعن الربا، ولكنه لم يكتف بالقول، بل أكد موعظته بالفعل، فبدأ في ذلك بأهله وخاصته.. إذ قال النبي (ﷺ) في هذه الخطبة: (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسيّر، باب غزوة حنين، جـ٥/١٦٦ح ٤٧١٢.

(٢) صحيح البخاري، بَاب مَنْ صَفَّ أَصْحَابَهُ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَاسْتَنْصَرَ، جـ٧/٤٢٩ح ٢٩٣٠.

هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، ودماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحرث ــ كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل ــ وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله)(١).

– ومن أبرز الأمثلة في السيرة النبوية الشريفة أيضًا على كونه (ﷺ) كان كثيرًا ما يؤثر الفعل على القول ليقتدي الناس به، موقفه في بناء المسجد، حيث كان يشارك الصحابة في الحفر ونقل التراب، ورفع البناء، وكانوا يرتجزون أثناء عملهم بقولهم:

لئن قعدنا والرسول يعملُ ..... لذاك منا العمل المضللُ(٢)

– وكذلك موقفه في حفر الخندق حول المدينة، عندما سمع بقدوم الأحزاب لاستئصال شأفة المسلمين في المدينة، وكان له قسم مثلهم يباشر الحفر معهم بيده، ويحمل التراب على كتفه، وإذا استعصت عليهم مشكلة سارعوا إليه (ﷺ) يلتمسون منه حلًا لها بمعوله، فكان هذا كله دافعًا للصحابة على العمل، ومقويًّا لهممهم وعزائمهم، فلم يكسلوا أو يتوانوا، حيث يرون قائدهم ورسولهم معهم في خندقٍ واحد، يعمل كما يعملون، ويأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون، وينام على مثل ما ينامون، وما زادهم ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا(٣).

---

(١) سنن ابن ماجة، باب حجة رسول الله (ﷺ)، جـ٢/١٠٢٢ح ٣٠٧٤ – صحيح ابن خزيمة، باب صفة الخطبة يوم عرفة، جـ٤/٢٥١ح ٢٨٠٩.، هذا لفظ ابن ماجه، وله شاهد آخر مثل سياق المؤلف عن عمرو بن الأحوص عند أبى داود [٣٣٣٤]، والترمذى [٣٠٧٨]، والبيهقى [١٠٢٤٥]، أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ١٩: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٩٥٠ [١٤٧] ١٢١٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، جـ١/ ٤٩٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثاني صـ٣٠٨ وما بعدها – تاريخ الطبري، جـ٢/٦٢٠ – السيرة النبوية لابن كثير، جـ٣/٣١٢ – سبل الهدى والرشاد، جـ٥/٥٥ – الرحيق المختوم، صـ٤٠٢.

ولما وجد النبي (ﷺ) أن الفوارق الطبقية بسبب الأحساب والأنساب من العادات الجاهلية التي مازالت موروثة وباقية في الأمة الإسلامية، وأن الموالي – وهم الذين جرى عليهم الرق ثم تحرروا – ينظر إليهم على أنهم طبقة أدنى من طبقة السادة... وكان من عادات الجاهلية أنهم لا يزوجون إلا الأكفاء من بني العم أو غيرهم ، وهذا الأمر خطير للغاية على البنية الاجتماعية لأنه يقلل الزواج في المجتمع فيكثر بذلك الفسَاد ، كما أنه يخلق نوعًا من الفرقة من خلال التمايز بين أفراد الأمة الواحدة ، لما وجد النبي (ﷺ) أراد (ﷺ) أن يحطم تلك الفوارق وينهي تلك النظرة ، ويهدم كل أنواع التمييز العنصري، ويؤكد على أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا لأبيض على أسود إلا بمقدار القرب من الله سبحانه وتعالى بالإيمان الصادق والعمل الصالح والخلق الفاضل والسلوك المستقيم ، وعلى أن الناس سواسية كأسنان المشط ، فماذا فعل النبي (ﷺ) ؟ هل اكتفى بالوعظ والكلام؟ كلا.. لقد بدأ النبي (ﷺ) بنفسه وأهله، فقد كان زيد بن حارثة من الموالي فرأى النبي (ﷺ) أن يزوج زيد المولى من زينب بنت جحش الحسيبة النسيبة، وزوج ضباعة ابنة عمه الزبير بن عبد المطلب، الحسيبة النسيبة، من المقداد بن الأسود، وهو من الموالي ليعلم الناس أن المسلم كفء للمسلمة بصرف النظر عن الاختلافات العرقية والطبقية فلا تفاضل إلا بالتقوى، وليبطل تلك الفوارق الطبقية المزعومة إبطالًا عمليا بادئًا بنفسه وأسرته (1).

ومن ذلك مشاركته في غالب المعارك التي أمر صحابته بالخروج إليها، ومن ذلك قيامه الليل حتى تورمت قدماه، وصيامه المتتالي طوال حياته، وإنفاقه الذي فاق كل تصور في الكرم والجود، وتواضعه مع الكبير والصغير والقريب والبعيد، ورحمته ولينه مع أصحابه الذين آزروه ونصروه، مطبقا بذلك ما كان يدعو الناس إليه من حسن العبادة ونبل الخلق،

(١) انظر تفسير القرطبي ص١٨٧، ج١٤–و التفسير المنير د.وهبة الزحيلي ص٣٤/ج٢.

ولين الجانب، فلم تكن دعوته أبدًا أقوالًا مرسلة، وكلمات ومواعظ لا محل لها من واقعه وعمله، بل كانت أعماله مطابقة لأقواله، بل وسابقةً لها.

لكل ذلك تسابق الصابة إلى الدخول إلى ما يدعو إليه، ثم سارعوا إلى تنفيذ وتطبيق كل نصوص دينه –كتابًا وسنةً– واقعًا ملموسًا، فكان ذلك التطبيق سببًا رئيسًا لانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ذلك أنهم لما ترجموا نصوص الوحي المبارك إلى واقع عملي ملموس رآه الناس فانبهروا بصدقهم وأمانتهم وتواضعهم وحسن تآخيهم وزهدهم في الدنيا وتفانيهم في خدمة الناس والعمل من أجل الآخرة، فدخل الناس في دين الله أفواجا.

المبحث الثالث

نماذج من التطبيقات العملية للأقوال عند الصحابة وأعلام السلف

واقتداءً من الصحابة برسول الله (ﷺ) حرص الصحابة والتابعون وصالحو هذه الأمة على مطابقة الفعل للقول، وأدركوا تمامًا أهمية أن يكون الداعية فعالًا لما أمر الناس بفعله، منتهيًا عما أمر الناس بالانتهاء عنه، فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان إذا نهي الناس عن شيء، ليس فقط يكون أول من ينتهي عنه، بل إنه يأمر أهله أيضا أن يكونوا من أول الناس انتهاء عما نهي عنه، وفعلا لما أمر به.

فكان (رضوان الله عليه) إذا نهي عن شيء دخل من حينه إلي أهله فقال: إني نهيت عن كذا وكذا والناس إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقعوا وإن هبتم هابوا وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع في شيء مما نهيت عنه الناس إلا أضعفت له العقوبة لمكانه مني فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر(١).

ولما دعا عمر الناس عام المجاعة إلى التقشف والاقتصاد في المأكل ، لم يكتف بأقواله تلك في حمل على ما أراد ، بل جاءت أفعاله مطابقة لأقواله ، وشارك الناس شدتهم ، فحرم على نفسه اللحم والسمن حتى يأكله الناس وما يأتيه طعام إلا ويأمر أن يحمل إلى الناس ، وشارك عمر الناس أمرهم حتى قالوا : لَوْ لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ الْمَحْلَ عَامَ الرَّمَادَةِ لَظَنَنَّا أَنَّ عُمَرَ يَمُوتُ هَمًّا بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ (٢)، وعن أنس بن مالك قال: تَقَرْقَرَ بَطْنُ عُمَرَ قَالَ: وَكَانَ يَأْكُلُ الزَّيْتَ عَامَ الرَّمَادَةِ وَكَانَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهَا السَّمْنَ، قَالَ: فَنَقَرَ بَطْنَهُ بِإِصْبَعِهِ وقال: تُقَرْقِرُ أو لا تُقَرْقِرُ ، ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس(٣).

---

(١) مصنف عبد الرزاق، جـ١١/٢٤٣ح ٢٠٧١٣.

(٢) طبقات ابن سعد، جـ٣/٢٣٩ –كنز العمال (٣٥٨٩٠) — تاريخ دمشق، جـ٤٤/ ٣٤

(٣) كنز العمال (٣٥٨٩٠) – الزهد لأحمد بن حنبل، صـ٩٦/ ٦٠٨ –

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ): " إِنَّ النَّاسَ قَد أَحسَنُوا القَولَ كُلُّهُم، فَمَن وَافَقَ قَولُهُ فِعلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ، وَمَن خَالَفَ قَولُهُ فِعلَهُ فَإِنَّمَا يُوبِّخُ نَفسَهُ (١). وقال علي (رضي الله عنه): قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم(٢).

وكان عتبة بن أبي سفيان يقول لمؤدب ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بك؛ فالحسن عندهم ما صنعتَ، والقبيح عندهم ما تركتَ، وعلِّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روِّهم من الشعر أعفَّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكِموه؛ فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم(٣).

ويحدثنا عبد الواحد بن زيد عن أهم أسباب النجاح في مسيرة الحسن البصري الدعوية فيقول: ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء يكون أسبق الناس إليه وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعد الناس منه، هكذا كان الحسن البصري.. وهكذا عرفه من حوله، قدوة للناس بالفعل قبل القول، وقال خالد بن صفوان، قال: لقيت مسلمة بن عبد الملك فقال: يا خالد، أخبرني عن حسن أهل البصرة؟ قلت: أصلحك الله، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قبلي به: أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولا بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهي عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنيا

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك، صـ٢٥ح٧٥ — الزهد لأبي داود، صـ١٧٤ح١٧٩.

(٢) ينظر: فيض القدير، جـ٦/٤٠٤ – تفسير الرازي، جـ٣/ ٤٨٨ — البحر المحيط لأبي حيان، جـ١/ ٢٩٧.

(٣) العيال لابن أبي الدنيا، صـ٥١٧ – العقد الفريد ، جـ٢/٢٧٢.

عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه، قال: حسبك، كيف يضل قوم هذا فيهم[١]، وقال إبراهيم النخعي: كانوا إذا أتوا الرّجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صــلاته وإلى حاله ثمّ يأخذون عنه[٢].

ويخرج بنا مالك بن دينار من هذه المشاهدة الفردية إلى القانون العام لهذه الظاهرة فيقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا[٣]، وقال الشافعي: "من وعظ أخاه بفعله كان هاديا[٤]، وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه[٥]، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْكَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ فَإِذَا أَمَرْتَ بِشَيْءٍ فَكُنْ أَوَّلَ الْفَاعِلِينَ لَهُ الْمُؤْتَمِرِينَ بِهِ، وَإِذَا نَهَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَكُنْ أَوَّلَ الْمُنْتَهِينَ عَنْهُ[٦].

يقول الشاطبي: إذا وقع القول بيانا فالفعل شاهد له ومصدق[٧]، وكان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس ، ويقول: أخاف من مقت الله[٨]، أي يخاف ألا تكون فعاله

(١) حلية الأولياء، جـ١٤٧/٢ - تاريخ الإسلام للذهبي، جـ٥٨/٧ - سير أعلام النبلاء، جـ٥٧٦/٤.

(٢) سنن الدارمي، جـ ٣٩٨/١ح ٤٣٥- حلية الأولياء، جـ٢٢٥/٤ -اتحاف المهرة، ابن حجر، جـ٤٠٣/١٨ح ٢٣٧٨٥٠.

(٣) شعب الإيمان، جـ٢٩٨/٣، ح ١٧٠٠ مختصر شعب الإيمان، القزويني، صـ٤٥ -حلية الأولياء، جـ٢٨٨/٦.

(٤) الطبقات الكبرى، الشعراني، جـ٤٤/١.

(٥) فيض القدير، جـ٧٨/١.

(٦) لوامع الأنوار الإلهية، جـ٤٣١/٢.

(٧) الموافقات، الشاطبي، جـ٨٥/٤

(٨) تفسير ابن جزي، صـ٣٧٠

على قدر كلامه ، ألا توافق أفعاله أقواله الموافقة المرجوة فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٣]

وما أجمل مقولة عمر بن الخطاب ﷺ: "رحم الله امرأ أمسك فضل القول، وقدم فضل العمل"(١).

ولإدراك الإمام أحمد بن حنبل لعظيم أثر الفعل في حياة الناس، تحمل ما تحمل الأذى في فتنة خلق القرآن، ولما ذهب إليه أبو جعفر الأنباري وهو في محنته، وأخذ يعينه ويحثه على الثبات لأنه هو رأس الناس، وفعله سيكون مؤثرا، بل فيصلا في قناعات الناس، فرح ابن حنبل كثيرا بكلامه وطلب منه أن يعيد عليه ما قاله، يقول أبو جعفر الأنباري: لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى المَأْمُوْنِ، أُخبرتُ، فَعَبَرْتُ الفُرَاتَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الخَانِ، فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَّيْتَ. فقلت ليس هذا عناء قال فقلت له يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك فوالله إن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله فإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق كثير من الناس، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ولا بد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء، فجعل أحمد يبكي وهو يقول ما شاء الله ما شاء الله، قال ثم قال لي أحمد يا أبا جعفر أعد علي ما قلت، قال فأعدت عليه، قال فجعل يقول ما شاء الله ما شاء الله(٢).

وقال ابن الجوزي: "لقيت جماعة من علماء الحديث، يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه إن وقع خطأ. ولقيت عبد الوهاب الأنماط فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنت

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة ، جـ١/ ٤٥٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء، جـ٢٣/١.

أقرأ عليه أحاديث الرقائق فيبكى ويتصل بكاؤه. ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متفننًا محققًا، وربما سئل عن المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما، ففهمت في تلك الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول"(١).

ويضيف ابن الجوزي صورًا أخرى لبعض علماء زمانه الذين لم يحظوا من العلم إلا بصورته دون معناه، فكأنه يتحدث عنا من وراء الغيب، إذ يقول: "رأيت أكثر العلماء مشتغلين بصورة العلم دون فهم حقيقته ومقصوده، فالقارئ مشغول بالروايات، عاكف على الشواذ يرى أن المقصود نفس التلاوة، ولا يتلمح عظم المتكلم، ولا زجر القرآن ووعده، وربما ظن أن حفظ القرآن يدفع عنه، فتراه يترخص في الذنوب، ولو فهم لعلم أن الحجة عليه أقوى ممن لم يقرأ... والمحدث يجمع الطرق، ويحفظ الأساليب ولا يتأمل المنقول، ويرى أنه قد حفظ على الناس الأحاديث، فهو يرجو بذلك السلامة، وربما ترخص في الخطايا ظنًا منه أن ما فعل في خدمة الشريعة يدفع عنه.. فالله الله في العمل بالعلم فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذة الدنيا، وخيرات الآخرة، فقدم مفلسًا مع قوة الحجة عليه"(٢).

ويقول ابن القيم: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون اليها الناس بأقوالهم ويدعونهم الى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا

---

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص ١٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤٩.

منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق(١).

هكذا كان سلف الأمة في الحرص والحث على الفعل قبل القول، وهذا ما يجب ألا يغيب عن ذهن الداعية أو من يرغب أن يكون قدوة، عليه أن يتذكر دائما أن الناس تنظر أفعله وتراقبها، وتعرضها على أقواله، فإن وافقت تأثروا به إيجابا وكان له الأجر، وإلا تأثروا سلبا وكان عليه الوزر.

إن التزام الداعية بالفعل قبل ومع القول ضرورة تربوية، فقد يكون من الميسور صياغة برنامج تربوي أو رسم خطة محكمة لتنمية المواهب والطاقات الإنسانية، وقد يكون في حدود الإمكان إخضاع فئات بشرية لهذه البرامج والخطط الطموحة ولكن ذلك كله سيظل حبرا على ورق ما لم يرافقه سلوك بشري يترجمه إلى واقع معيش ومن هنا كانت الحاجة إلى انتصاب القدوات في المجتمع الإسلامي ماسة، فهي ضرورة تربوية لا يمكن تجاوزها والقفز عليها، ذلك أنه على قدر التزام الموجه بما يدعو إليه يكون تأثيره في قلوب الآخرين وهو ما أرشد إليه ابن عباس رضى الله عنه حين قال : إذا حدث الرجل القوم فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه(٢)، بل إن التأثير يكون أبلغ وأشد إذا ما سلك الداعية سبيل الفعل ، وقدم فعله على قوله... وقد قيل : فعل من حكيم في ألف رجل أنفع من موعظة ألف رجل في رجل(٣).

---

(١) الفوائد، لابن القيم، صـ٦١.

(٢) حلية الأولياء، جـ٩/٦٢- مصنف ابن أبي شيبة، جـ٥/٣٢٨ ح .٢٦٥٧٣

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، جـ٢/٤٥ - فيض القدير، جـ١/٧٨ .

المبحث الرابع

مخاطر مخالفة تطبيقات الداعية لأقواله التي يدعو إليها

مما لا شك فيه أن حرص الداعية على ترجمة أقواله إلى أفعال ملموسة، أمر من الأهمية بمكان ذلك أن الإنسان بفطرته يحب أن يرى أمام ناظريه من يجسد له الفضائل واقعا ملموسًا ومن يقدم له الصورة الحية لما يلقى على مسامعه من توجيهات وإرشادات ومثل ونصائح، ومن يترجم له المثل والأخلاقيات من كونها نظرية إلى واقع عملي، فبدون هذا التطبيق العملي تصبح التوجيهات كتابة على ماء، وعبارات تتناقلها ذرات الهواء من هذا إلى هذا، دون أن يكون لها على أرض الواقع العملي وجود.

ولعل هذا هو السر في إنزال المولى عز وجل رسالاته إلى خلقه على رسل من جنس البشر، مترجمين لما تشتمل عليه الرسالات من مثل وقيم وأخلاقيات، حتى يكون ذلك داعيا لهم وحافزا لتنفيذ ما يؤمرون به، ولولا ذلك ما كان للفضائل مثول ووجود على أرض الواقع.

إنه لمن الخطأ أن تكون بضاعة الداعية القول أو الكلام فقط، أي الأقوال دون الأفعال، فلا يفعل ما يدعو إليه، والخطأ الأكبر أن يأتي بخلاف ما يدعو إليه، أي يقول الشيء ويفعل عكسه، ويناقض حاله كلامه، وتخالف أفعاله أقواله، فتلك طامة وأي طامة. وقد لام الله على هؤلاء وأمثالهم، الذين خالفت أفعالهم أقوالهم في كتابه الكريم.. من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٣] قال الطبري: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله، لم تقولون القول الذي لا تصدّقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) ، عظم مقتًا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون(١)، وقال الشنقيطي: فِي الْآيَةِ الْأُولَى إِنْكَارٌ عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ

(١) جامع البيان، جـ٢٣/٣٥٠

مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ بَيَانُ شِدَّةِ غَضَبِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ عَلَى مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ[١]. وقال السعدى : أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به .. فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أن من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل، ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه[٢].

إن هذه الآية الكريمة إذ تلوم على من تخالف أفعاله أقواله ومواعظه، فإنها تخبر وتنبئ بكل وضوح عن خطورة موقف من يفعل ذلك أمام ربه عز وجل فتقول (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) أي من يخالف قوله فعله، هو ممقوت من الله مقتا كبيرا، فهو ليس مقت فحسب، بل مقت كبير.

ولعل تلك العاقبة الوخيمة مردها إلى ما ينطوي عليه هذا الفعل من أمور كلها خطر:

- الأول: أنّ من يفعل ذلك هو شخص متناقض عنده ازدواجية في شخصيته، شخصية في القول، وأخرى في الفعل، أي هو إنسان غير سوي في شخصيته.
- الثاني: أنه يشكك الناس في صدق ما يدعو إليه، بل ويصدهم عن سبيل الخير صدا، فهو إلى إضلالهم وضرهم أقرب منه إلى هدايتهم ونفعهم.
- الثالث: تشكيك الناس في وعظ غيره من الدعاة، مهما كان مؤثرا حسنا، إذ كلما سمع أحدهم داعية يقول خيرا، ويعظ برا وهديا، حدثته نفسه، إن هي إلا أقوال،

(١) أضواء البيان، جـ ٨/١٠٤

(٢) تفسير السعدى، ص٨٥٨.

لعله مثله مثل فلان، كلام، بل أفعال، وأقوال لا تتجاوز الحناجر.. وهكذا، فلا تؤثر في الناس موعظة، ولا تجذب أفئدتهم إلى طريق الحق مقولة.

- وقوله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤]، ففي هذه الآية يلوم الله ويعيب على اليهود، إذ كانوا يأمرون غيرهم بالبر والمعروف، وليس لأنفسهم نصيب من ذلك البر وهذا المعروف، يأمرون الناس ولا يفعلون هم ما يأمرون به، ثم يصف ربنا هذا الفعل بأنه مناف للعقل والمنطق.

ففي الآية إشارة إلى ضرورة القدوة فيمن يتصدى لأمر الناس بالخير، فلا بد أن يكون من أسرعهم إلى فعله، وهذا هو العقل بعينه لذا ختمت الآية بقوله تعالى:(أَفَلا تَعْقِلُونَ)[1].

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير- أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قَصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم؛ فتنتبهوا من رَقدتكم، وتتبصروا من

(١) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، رؤية في تحديد المقاصد والوسائل، د. عويض بن محود العطوي، صـ١٠.

عمايتكم[١]، وفي ذلك يقول الرسول الكريم: (مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرَقُ نَفْسَهُ)[٢].

ويؤكد ابن عاشور عند تفسير هذه الآية، أنها فيها بيان لكَمَالِ خَسَارِهِمْ وَمَبْلَغِ سُوءِ حَالِهِمُ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ حَتَّى صَارُوا يَقُومُونَ بِالْوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ كَمَا يَقُومُ الصَّانِعُ بِصِنَاعَتِهِ وَالتَّاجِرُ بِتِجَارَتِهِ لَا يَقْصِدُونَ إِلَّا إِيفَاءَ وَظَائِفِهِمُ الدِّينِيَّةِ حَقَّهَا لِيَسْتَحِقُّوا بِذَلِكَ مَا يُعَوَّضُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاتِبَ وَرَوَاتِبَ فَهُمْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى حَالِ أَنْفُسِهِمْ تُجَاهَ تِلْكَ الْأَوَامِرِ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا النَّاسَ[٣].

- ولقد أكد الله تعالى في كتابه الكريم على أهمية العمل وموافقته للقول، وأن القول وحده لا يكفى، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣] ،قال ابن كثير وغيره : يقول تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ)،أي: دعا عباد الله إليه، (وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ، وهو في نفسه مهتد ، وهي عامة في جميع الأئمّة

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ١/٢٤٦.

(٢) ينظر: الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم جـ٤/٢٩٣ح٢٣١٤– المعجم الكبير للطبراني، جـ٢/ ١٦٥ح١٦٨١ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٧/١١٣٣، وفي صحيح الترغيب والترهيب، جـ١/٣٠ح١٣٠.

(٣) التحرير والتنوير، جـ١/٤٧٤.

والدعاة إلى الله تعالى ، ورسول الله(ﷺ) أولى الناس بذلك[1]، قال الزمخشري: وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد، الدعاة إلى دين الله[2] .

إن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ.

وليس أدل على قبح صنيع الداعية حين تخالف أقواله أفعاله من تشبهه في ذلك بالمنافق، الذي يقول شيئا، وتأتي أفعاله مناقضة لأقواله، قال تعالى متحدثا عن المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾[النساء: ٦٠]، فهم يقولون بألسنتهم أنهم مؤمنون بالله ورسوله وما أنزل إليه، ثم يريدون أن يتحاكموا إلى غير منهج الله ، مناقضين بذلك أقوالهم، فالإيمان عندهم لا يتجاوز الأقوال ، وقد جاءت أفعالهم لتنبئ عن كذبهم، وعن حقيقة ما في صدورهم. والداعية الذي تخالف أفعاله أقواله–وإن كنا لا نتهمه بالنفاق– إلا أنه متشبه بأهله، إذ يفعل ما يخالف قوله.. ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾[النور: ٤٨].

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٧/١٧٩ – تفسير الثعلبي، جـ٨/ ٢٩٦ –المحرر الوجيز ،جـ٥/١٥ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ١٥/٣٦٠.

(٢) الكشاف، جـ٤/١٩٩.

وإذا كانت موافقة الفعل للقول من أكبر عوامل التأثير في الناس ، ومن أعظم الأدلة على صدق الداعية ، وإيمانه بما يقول ، مما يعنى عظم ثوابه عند الله تعالى فإن مخالفة فعل الداعية لأقواله من عظيم الذنب ، ذلك أنّ من وعظ النَّاس ، وأظهر علمه للخلق ، ثم لم يَتَّعظ صار ذلك الوَعْظُ سببًا لرغبة الناس في المعصية؛ لأن الناس يقولون : إنه مع هذا العلم لولا أنه مُطّلع على أنه لا أصل لهذه التخويفات، وإلاّ لما أقدم على المعْصية ، وإذا كان الوَاعِظ زاجرًا عن المعصية ، ويأتي بفعل يوجب الجَرَاءة على المعصية ، فكأنه جمع بين المتَناقضين (١) .

وعليه فإن من أكبر معاول الهدم على طريق الدعوة مخالفة فعل الداعية لعمله ، فهو باب للتضليل واستسهال الناس للمعصية ، ومخالفة أوامر الدين ونواهيه، فلا غرو أن يطلق عليه ابن الحاج : " السم القاتل " إذ يقول في كتابه المدخل: الْغَالِبَ عَلَى النُّفُوسِ الاقْتِدَاءُ فِي شَهَوَاتِهَا وَمَلْذُوذَاتِهَا وَعَادَاتِهَا أَكْثَرُ مِمَّا تَقْتَدِي بِهِ فِي التَّعَبُّدِ الَّذِي لَيْسَ لَهَا فِيهِ حَظٌّ فَإِذَا رَأَتْ ذَلِكَ مِنْ عَالِمٍ وَإِنْ أَيْقَنَتْ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ أَوْ مَكْرُوهٌ أَوْ بِدْعَةٌ تُعْذِرُ نَفْسَهَا فِي ارْتِكَابِهَا لِذَلِكَ إنْ سَلِمَتْ مِنْ سُمِّ الْجَهْلِ تَقُولُ: لَعَلَّ عِنْدَ هَذَا الْعَالِمِ الْعِلْمَ بِجَوَازِ ذَلِكَ لَمْ نَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَوْ رَخَّصَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقَعُ لَهُمْ، وَهُوَ كَثِيرٌ مُشَاهَدٌ فَإِذَا رَأَتْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ يَرْتَكِبُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأَقَلُّ مَا فِيهِ مِنْ الْقُبْحِ الاسْتِصْغَارُ وَالتَّهَاوُنُ بِمَعَاصِي اللَّهِ -تَعَالَى-، وَهُوَ السُّمُّ الْقَاتِلُ... فَيَكُونُ هَذَا الْعَالِمُ الَّذِي يَتَعَاطَى شَيْئًا مِنْ الْمَكْرُوهَاتِ أَوْ الْبِدَعِ سَبَبًا لِعَطَبِ مَنْ يَرَاهُ مِمَّنْ هُوَ أَقَلُّ مِنْهُ رُتْبَةً فِي الدِّينِ لاقْتِدَائِهِ بِهِ وَاسْتِسْهَالِهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.(٢)

(١) اللباب لابن عادل الحنبلي، جـ٢/٢٩ .

(٢) المدخل، لابن الحاج ، جـ١/١١٣.

لذلك فقد توعد الله على لسان نبيه (ﷺ) من خالف فعله قوله، بعظيم العقاب وصور موقفه يوم القيامة فى صورة مثيرة ورهيبة ومخيفة فقال عليه الصلاة والسلام: (يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ القيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْه أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأمُرُ بالمعْرُوفِ وَتنهي عَنِ المنْكَرِ؟ فيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالمعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وأَنْهَي عَنِ المنْكَرِ وَآتِيه)(١).

وقال رسول الله (ﷺ):(مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَلَمْ يَعْمَلْ هُوَ بِهِ لَمْ يَزَلْ فِي ظِلِّ سُخْطِ اللَّهِ حَتَّى يَكُفَّ أَوْ يَعْمَلَ مَا قَالَ، أَوْ دَعَا إِلَيْهِ)(٢).

وخرج أبو نعيمٍ الحافظ من حديث مالكِ بنِ دينارٍ عَنْ ثُمامةَ عن أنس بْنِ مالكٍ، قال: قال رسـول الله (ﷺ) (أَتَيْتُ لَيْلَةَ أَسْـري بِي عَلَى قوْمٍ تُقْرَضُ شِـفاهُهُمْ بِمقاريضَ مِنْ نارٍ ، كُلَّما قُرِضَـــتْ عادتْ ، قُلْتُ : مَنْ هؤلاء يَا جِبْرِيْلُ؟ ، قال : هَؤلاءِ خُطَبَاءُ أَمَّتِكَ الذينَ يقُولُونَ ولا يَفْعلُون ويقرؤون كِتَابَ اللَّهِ ولا يعملُون بِه(٣) .

هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، جـ٤/٢١ح ٣٢٦٧ – صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، بَابُ عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهي عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ، جـ٨/٢٢٤ ح ٠٦٧٤

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ، جـ٢/٧ من طريق الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الفتن، باب فيمن يأمر بالمعروف ولا يفعله (٢٧٦/٧): "فيه عبد الله بن خراش وثقه ابن حبان وقال: يخطئ، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات. والحديث في جزء ٧ ص ٢٧٦

(٣) مسند أحمد، جـ٢٠/ ٢٢٣ – شعب الإيمان، جـ٤/٢٤٤ح٤٩٦٦. و أخرجه ابن أبي داود فى المصاحف (٤٤٠/١، رقم ٣٥٨ طبعة وزارة الشئون الإسلامية بقطر)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٨٣/٢، رقم ١٧٧٣) وأخرجه أيضًا: أبو نعيم فى الحلية (٣٨٦/٢).

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أعرض سريعا لأهم النتائج، وأجدر التوصيات:

أولا: النتائج:

١. لقد استطاع النبي ﷺ أن يجسد المنهج الرباني واقعًا ملموسًا، وأن يترجم مُثله وأخلاقياته من جانبها النظري إلى واقع عملي مشاهد؛ فجاءت سيرته ﷺ مليئة بالأفعال المطابقة والسابقة للأقوال.

٢. الإسلام دين يعنى بالأفعال والأقوال، ولا يفصل أبدا بين القول والفعل، فلا خير في قول لا يصدقه العمل؛ لعلمه أن الناس تتأثر بالأفعال أكثر من تأثرها بالأقوال؛ ذلك أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة.

٣. تطبيق الداعية لما يلقي على الناس من مواعظ ومثل مكارم أخلاق، هو الذي يعطى أقواله القوة والفاعلية، فلا قيمة للقول إذا لم يقوم بترجمة تطبيقية لما يقول، وتجسيده للقول أفعالا ملموسة.

٤. الأقوال دون الأفعال في الدعوة منزوعة التأثير، والخطأ الأكبر أن تخالف أفعال الداعية أقواله، أي يقول الشيء ويفعل عكسه، ويناقض حاله كلامه؛ فهذا إفشالٌ للدعوة وإفسادٌ للناس، حيث إن الداعية إذا خالف فعله قوله، كان أداة للهدم والتضليل، أكثر من كونه أداة للبناء والهداية.

٥. الفعل أكثر تأثيرا في المدعوين، وإن تأثير الكلمات سرعان ما يزول إذا لم يدعمه الفعل ويقويه؛ ذلك أن الناس مجبولون على التأثر بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وهذا ما ينبغي على الدعاة جميعا العلم به والتركيز عليه.

٦. الداعية الذي يريد النجاح والتوفيق في دعوته، يحرص دائمًا على ترجمة التنظير إلى واقع ملموس، فذلك أدعى لقبول دعوته، والتزام الناس بما يدعوهم إليه من مُثل، وأخلاقيات، وفضائل.

٧. مثلما كان الصحابة والسلف وأئمة هذه الأمة أنموذجًا عملياً لتطبيق الأقوال وترجمتها عمليًا؛ فإن الحاجة اليوم ماسة إلى انتصاب القدوات في المجتمع الإسلامي، والدعاة هم الأجدر على القيام بهذه المهمة.

ثانيا: التوصيات:

- يوصي الباحث الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا والباحثين في الدراسات الشرعية، بتتبع ورصد مظاهر وسلوكيات الانفصام بين الأقوال والأفعال في مختلف الميادين الحياتية، وتقديم المعالجات الإيمانية والتربوية لها.

- يوصي الباحث الدعاة والمربين أن يحرصوا كل الحرص على أن يراهم مدعويهم فاعلين مؤثرين بأفعالهم وأعمالهم على أرض الواقع، وذلك بالحضور العملي والفاعل في كل موقع يرى الناس من خلاله جهودهم وأفعالهم.

- يوصي الباحث الدعاة أن يبتكروا ويبدعوا من أجل خلق ميادين ومجالات لتفعيل أقوالهم على أرض الواقع، ولا يكتفون بالخطب الرنانة والدروس المؤثرة.

- يوصـــي الباحث الدعاة والمربين تربية الأجيال والنشء لا ســيما دارســي العلوم الشـــرعية الذين يغلب أن يكون عملهم مســـتقبلا الدعوة إلى الله، على تقديم الأفعال على الأقوال، وان تكون أفعالهم أكثر من أقوالهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الأمين وعلى آله واصحابه الغر الميامين

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م .
- الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) ط١، دار الراية – الرياض، ١٤١١ – ١٩٩١.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.
- أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧–٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، د.ق.ت.
- أسس مناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص في العلوم الإسلامية والعربية، علي بن عتيق الحربي، الناشر المتميز للطباعة والنشر-الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.
- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، طبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، ط٢، دار الفكر، بيروت.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، رؤية في تحديد المقاصد والوسائل، د. عويض بن حمود العطوي، بحث علمي منشور ضمن سلسلة المحتسب للاستشارات (٨)، ١٤٣٢هـ.
- البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته، رجاء وحيد جويدي، دار الفكر، دمشق، ط١، سنة ٢٠٠٠م.
- البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، محمد شفيق، المكتبة الجامعية- مصر، ٢٠٠١م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، دار الفكر – بيروت؟
- تاج العروس، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- تاريخ الطبري، أبو جعفر بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، ط٤، دار المعارف، القاهرة.
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ١٤١٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. - التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط٤، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدى، (ت ١٣٧٦هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت٣١٠ هـ) ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـــ)، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١هــ)، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٩٣٨.
- حلية الأولياء وطبقات الأصـــفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصـــبهاني، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـــ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ) ط١، دار العصماء، دمشق، ١٤٢٧هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـــ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- الزهد لأبي داود السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هــ)، أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس وقدم له وراجعه: فضـــيلة الشـــيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، ط١، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

- الزهد والرقائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
- الزهد، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
- سبل الهدى والرشاد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، (ت١٤١٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، دار الفكر – بيروت.
- سنن أبي داود، للحافظ المتقن أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت ٢٧٥هـ)، دار الكتاب العربي . بيروت.
- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ)، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، طبعة دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

- السيرة النبوية لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هــ)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠ هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، ط٢، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ)، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب، مد ناصر الدين الألباني، ط ٥، المعارف، الرياض.
- صحيح مسلم (الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

- صـــيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفي: ٥٩٧هـ)، بعناية: حســن المســاخي ســويدان، دار القلم: دمشــق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن ســعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصــري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـــ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م؟
- الطبقات الكبرى= لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشَّعْراني، أبو محمد (المتوفى: ٩٧٣هـ).
- العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية — بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- العلامة الشـيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصـولي، د. عبد الرحمن السـديس، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن والخمسون.
- العيال، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن ســفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشــي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـــ)، ط١، دار ابن القيم، الســعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـــ)، دار الكتب العلمية —بيروت، ١٤١٨ هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن محمد العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، د.ق.ت.
- الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي—بيروت.
- الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة: الأولى.
- كنز العمال، علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي، (٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص بن على بن عادل الدمشقي الحنبلي، (ت ٨٨٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ..

- لطائف المعارف فيما لمواســـم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـــ)، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، ط٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وبعض رجالها، د. عبد الخالق إبراهيم إسماعيل، مؤسسة النجوم الهاشمية، الزقازيق، ط الثانية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ئ٩٩٤م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٣٩٩هـ.
- المحرر الوجيز في تفســـير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م؟
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١٤١٥ – ١٩٩٥، تحقيق: محمود خاطر.

- مختصر شعب الإيمان للبيهقي، المؤلف: عمر بن عبد الرحمن القزويني أبو المعالي، ط٢، دار ابن كثير – دمشق، ١٤٠٥.
- المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، (ت: ٧٣٧هـ) دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د. ق. ت.
- المصنف، أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني، (ت ٢١١هـ)، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠ هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٣، د.ط.د.ت.
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، دكتور أحمد مختار عمر، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، (ت ٣٩٥هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢.

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني.

- مناهج البحث العلمي في الإسلام، د / غازي حسين عناية، صـ٨١ دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م.

- مناهج البحث العلمي، د / عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، د. ق ١٩٦٣م.

- مناهج التحليل اللغوي، عبد الخالق رشيد، جامعة وهران- الجزائر، (د.ت).

- المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- وحي القلم، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦).

البحث رقم (٦)

حديث عمرو بن عبسة –رضي الله عنه–
"كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة"
(دراسة دعوية)

إعداد:

د. عبد المجيد بن حسن بن مهدي بحَّاري

أستاذ مساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

المستخلص

يهدف البحث إلى بيان الدروس الدعوية المتعلقة بكل من؛ الداعي والمدعو وموضوع الدعوة وأساليبها من حديث عمرو بن عبسة ﵁ "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة". واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي، وتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة. وتوصل البحث إلى عدد من النتائج؛ أبرزها: أن من الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة ﵁: العلم بأحوال المدعوين، والصبر والتفاؤل وحسن الظن بالله، واتخاذ المساعد في الدعوة، والبدء بدعوة الأقربين، وتعليم المدعو القدر الذي يستطيع حفظه وفهمه. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو: الاستعداد الفطري، والسعي في طلب الحق والهداية، والحرص والتزود في طلب العلم منه، والتأدب في طلب العلم، والدعوة إلى الله بعد العلم. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة: الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، وإثبات النبوة، والنهي عن الصلاة في أوقات معلومة، وحماية الله لنبيه ﷺ وحفظه له، والإخلاص لله والثناء عليه وتمجيده. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة: الدعوة إلى الصلاة والوضوء والنوافل، والخشوع في الصلاة، وصلة الأرحام، والعدل، الصدق والأمانة. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة: أسلوب حسن التعليل، وذكر الخاص بعد العام، والتشبيه، والقصر والاختصاص، والترغيب، والحوار، والمقارنة، والقصة، والتقديم والتأخير، والاستفهام، والاستعارة والكناية.

الكلمات المفتاحية: (عمرو بن عبسة- الدروس الدعوية- الداعي- المدعو- موضوع الدعوة- أسلوب الدعوة)

The hadith of Amr bin Absa, -may Allah be pleased with him-,"I used to think that people were upon misguidance during Jahiliyyah. " A study of Da'awh (Islamic Calling).

ABSTRACT

The research aims to clarify the lessons of Da'awah (Islamic Calling), related to the caller and the person being called, and the subject of the calling and its methods, from the hadith of Amr bin Absa, may Allah be pleased with him "I used to think that people were in error during the Jahiliyyah. " The research used the deductive descriptive method, and the research consisted of an introduction, four topics and a conclusion. The research reached a number of results. The most prominent of which is that among the da'awah lessons related to the caller in the hadith of Amr bin Absa: Knowledge of the conditions of the people being called, patience, optimism, good faith in Allah, having an assistant in Da'awa, starting by inviting the relatives, and teaching the invitee the portion he can easily memorize and understand. Among the lessons of Da'awah related to the invitee: innate readiness, striving in seeking truth and guidance, diligence and equiping oneself in seeking knowledge from him, politeness in seeking knowledge, and calling to Allah after knowledge attainment. Among the Da'awah lessons related to the subject of the call: Calling to monotheism and rejection of polytheism, establishing proof of prophethood, prohibition of praying at known times, Allah's protection and preservation of His Prophet, sincerity with Allah, praising and glorifying Him, and among the Da'awah lessons related to the aspect of Sharia: Calling to prayer, ablution, supererogatory prayers, and reverence in prayer, maintaining kinship ties, justice, sincerity of speech and caution against lying, and among the da'awah lessons related to the methods of da'awah: Methods of good reasoning, mentioning the special after the general, analogy, shortening and specialization, encouragement, dialogue, comparison, explanation, increasing statement, appeal, story, submission and delay, interrogative, metaphor, euphemism, metaphor, and narration

Keywords: (Amr bin Absa - Da'awah Lessons - the caller - the invitee - the subject of the calling - method of the calling)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين..وبعد...

فإن الدعوة إلى الله هي وظيفة ومهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم صفوة خلق الله وأفضل الناس وأكملهم، وارتباط الدعوة بهم لها دلالة واضحة على شرفها وفضلها، وقبل ذلك فالدعوة تنسب إلى الله سبحانه ويكفي بذلك شرف ومكانة.

والدعوة إلى الله مصدرها الوحي المنزل من عند الله (كتاب الله وسنة رسولهﷺ) فهذان المصدران هما أساس كل العلوم، والسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الدعوة، وقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم، فكان أعظم الناس فصاحة وبياناً ولغةً وأسلوباً وأخلاقاً، ومن خلال دعوته وحواراته مع المدعوين استنبط العلماء أساليب الدعوة وموضوعها وأخلاق الدعاة، واستفادوا من ذلك عبر الأزمنة والعصور، فهو القدوة والأسوة صلوات الله وسلامه عليه، الذي أُمرنا الله بالاقتداء به والتأسي بسنته، كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١، ولقد كان للنبي ﷺ حوارات مع المدعوين كثيرة لخصت لنا جمال الأسلوب، وفن العبارة، وروعة الصياغة. ومن هذه المواقف الدعوية قصة الصحابي الجليل عمرو بن عبسة رضي الله عنه حينما قدم على النبي ﷺ يريد الإسلام، ونظراً إلى أن الموضوع لم يبحث فيه في الجانب الدعوي مع أهميته، رأى الباحث أن يدرس هذا الحديث، ويستنبط هذه القصة الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي والمدعو وموضوع الدعوة وأساليبها، راجيا من الله تعالى العون والسداد والهدى والرشاد، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الكاتب والقارئ، إنه أكرم مسؤول سبحانه وتعالى، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في النقاط الآتية:

علاقة هذه الدراسة بالمصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

تضمن الحديث الكثير من الدروس والعبر، التي يستفيد منها الدعاة إلى الله في طريق دعوتهم؛ ليتحقق بذلك كمال الاقتداء بالنبي ﷺ.

اشتمل الحديث على جملة من الدروس الدعوية، المتعلقة بالداعية والمدعو وموضوع الدعوة والوسائل والأساليب.

كما أن هذه الدراسة تفيد المدعوين في الحرص على طلب العلم والتأدب فيه، والسعي في طلب الحق والهداية.

أسئلة البحث:

انطلاقاً من أهمية هذا البحث، فإن الباحث يسعى إلى الإجابة عن سؤال البحث الرئيس وهو: ما الدروس الدعوية في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة"؟

يتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

ما الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

ما الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

ما الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

ما الدروس الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

بيان الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

الوقوف على الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

ذكر الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

الكشف عن الدروس الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

الدراسات السابقة:

هناك دراسة واحدة، وقف عليها الباحث، وهي بعنوان:" المسائل العقدية المتعلقة بحديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه دراسة عقدية، للباحث/ فهد بن محمد الساعدي، منشور في مجلة كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، مصر، ع١١٠، عام ١٤٣٩هـ،

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي، والذي يعرف بأنه: "استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن، وقوة القريحة"(١)، واستخدم طريقة التوثيق في الحاشية. وذلك بذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه، وعند تخريج الأحاديث؛ فإذا كان الحديث مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما يكتفي بعزوه إليهما، وأما إذا كان في غيرهما؛ فيذكر مختصر الحكم عليه صحةً أو ضعفاً.

تقسيمات البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

مقدمة.

---

(١) التعريفات للجرجاني، ص: (٢٢).

التمهيد وفيه: نص الحديث وبيان الكلمات الغريبة وترجمة عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

المبحث الرابع: الدروس الدعوية لمتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

خاتمة.

قائمة المراجع.

التمهيد

أولاً: نص حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه:

قال عمرو بن عبسة السلمي: "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضَلالة، وأنهم لَيْسُوا على شيء، وهم يَعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يُخبر أخبارًا، فَقَعَدتُ على راحلتي، فقدِمتُ عليه، فإذا رسول الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَءاءٌ عليه قومه، فتَلطَّفتُ حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نَبِيٌّ» قلت: وما نَبِيٌّ؟ قال: «أرسلني الله» قلت: وبِأَيِّ شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَّد الله لا يُشرك به شيءٌ»، قلت: فمن معك على هذا؟ قال: «حُرٌّ وعَبْدٌ»، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال -رضي الله عنهم- قلت: إني مُتَّبِعُكَ، قال: «إنك لن تستطيع ذلك يَوْمَك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بِي قد ظهرت فأتني». قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة حتى قدم نَفرٌ من أهلي المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قَدِم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سِرَاعٌ، وقد أراد قومُه قتلَه، فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أَتَعْرِفُني؟ قال: «نعم، أنت الذي لَقَيْتَنِي بمكة» قال: فقلت: يا رسول الله، أخبرني عما عَلَّمَك الله وأَجْهَلُهُ، أخبرني عن الصلاة؟ قال: «صَلِّ صلاةَ الصبح، ثم اقْصُرْ عن الصلاة حتى ترتفع الشمس قِيْدَ رمح، فإنها تَطْلُعُ حين تَطلُعُ بين قرني شيطان، وحينئذ يَسجدُ لها الكفار، ثم صلِ فإن الصلاة مشهُودةٌ محضُورةٌ حتى يَسْتَقِلَّ الظِّلُ بالرُّمْح، ثم اقْصُرْ عن الصلاة، فإنه حينئذ تُسْجَرُ جهنم، فإذا أقبل الفيء فَصَلِّ، فإن الصلاة مشهُودةٌ محضُورةٌ حتى تُصلي العصر، ثم اقْصُرْ عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تَغْرُبُ بين قَرْنَيْ شيطان، وحينئذ يسجدُ لها الكفار» قال: فقلت: يا نبي الله، فالوضوء حدثني عنه؟ فقال: «ما مِنكم رجلٌ يُقَرِّبُ وضوءه، فيتمضمض ويستنشق فيستنثر، إلا خرَّت خطايا وجهه من

أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه، إلا خرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين، إلا خرَّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ومجَّدَه بالذي هو له أهل، وفرَّغَ قلبه لله تعالى، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يومَ ولدَتْه أمه». فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول! في مقام واحد يُعطى هذا الرجل؟ فقال عمرو: يا أبا أُمَامة، لقد كَبِرَتْ سِنِّي، ورقَّ عظمي، واقترب أجلي، وما بِي حاجة أن أَكْذِبَ على الله تعالى، ولا على رسول الله ﷺ لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا -حتى عدَّ سبع مرات- ما حدَّثْت أبدًا به، ولكني سمعته أكثر من ذلك"[(١)].

ثانياً: شرح الكلمات الغريبة:

جُرَءاءٌ عليه قومه: من الجرأة، وهي الإقدام على الشيء، أي متسلطين عليه غير هائبين له[(٢)].

خرت: أي سقطت وذهبت[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم الحديث ٨٣٢، (٥٦٩/١)، والإمام أحمد في المسند: رقم الحديث ١٧٠١٩، (٢٣٧/٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الصلاة، جماع أبواب الساعات التي تكره فيها صلاة التطوع، باب ذكر الخبر الذي يجمع النهي عن الصلاة في جميع هذه، رقم الحديث ٤٠٧٥، (٦٣٣/٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٤٤/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٥٣/١).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٢/ ٦٤٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢١/٢).

الخياشيم: جمع خيشوم، وهو أقصى الأنف، أو رقاق في أصل الأنف بينه وبين الدماغ، أو ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم رأسه، أو: عروق في باطن الأنف(١).

بين قرني شيطان: أي ناحيتي رأسه. والمراد التمثيل. معناه: أنه حينئذ يتحرك الشيطان ويتسلط(٢).

يقرب وضوئه: يحضر الماء الذي يتوضأ به(٣).

فينتثر: أي يستخرج ما في أنفه بالنفس، أي طرح من أنفه الأذى، والنثرة: طرف الأنف(٤).

ثالثاً: التعريف بالصحابي: عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه:

هو عمرو بن عبسة ابن عامر بن خالد، أبو نجيح السلمي، نزيل حمص، وأخو أبي ذر لأمه، قدم على النبي ﷺ مكة، فكان رابع من أسلم، ورجع ثم هاجر فيما بعد إلى المدينة، له عدة أحاديث، وهو من بنى سليم، وكان يقال له: ربع الإسلام، لأنه حين أسلم قيل للنّبيّ ﷺ: من اتبعك على هذا الأمر؟ فقال رسول الله ﷺ: حر وعبد، فالحر: أبو بكر، والعبد: بلال. فكان «عمرو بن عبسة» يقول: لقد رأيتني وإني لربع الإسلام، فلما أسلم عمرو رجع إلى بلاده، أرض بنى سليم، فلم يزل هناك حتى مضت بدر وأحد

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (١٩١٢/٥)، ولسان العرب لابن منظور (١٧٨/١٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٧٥/٢).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٥/٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٩/٥)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (١٩١٢/٥).

والخندق، والحديبيّة وخيبر، ثم قدم على رسول الله ﷺ فلما قبض رسول الله ﷺ سكن الشام بعده، وتوفي بحمص، وكانت وفاته في أواخر خلافة عثمان[1].

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر (٨/ ٦٩)، والمعارف لابن قتيبة (١/ ٢٩٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٥/٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٢٢/٥).

المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي

الداعية إلى الله هو المعلم والناصح والواعظ والمرشد والموجه والمربي والمبلغ، وهو طبيب القلوب، الحريص على نفع الناس وهدايتهم، الراجي لهم الخير والثواب في الدنيا والآخرة. وفي حديث عمرو بن عبسة ﷺ جملة من الدروس التي يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى، والتي تتجلى في النقاط الآتية:

١- العلم بأحوال المدعوين: وهذا من أهم الأمور التي ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يفقهها ويعرفها قبل أن يشرع في دعوة الناس؛ فيجب عليه أن يعرف أحوالهم وظروفهم، وما هو الدين الذي هم عليه، وأي شيء يعبدون! حتى يستخدم لهم الوسائل التي تناسبهم في الدعوة إلى الله، فلكل قوم دعوة تناسب حالهم، ولكل صنف من أصناف المدعوين وسيلة توافقهم دون غيرهم.

ويشهد لذلك أنه ﷺ: حينما أرسل معاذاً إلى اليمن بين له حال القوم الذين سيذهب إليهم؛ أنهم أهل كتاب، ولم يرسله هكذا، فعلم بذلك معاذ أنهم أهل علم بالكتاب؛ "لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب، وإنما نبهه على هذا؛ ليتهيأ لمناظرتهم، ويعد الأدلة لإفحامهم؛ لأنهم أهل علم سابق، بخلاف المشركين وعبدة الأوثان"(١).

ولذلك لما قدم عمرو بن عبسة على رسول الله ﷺ بين له أنه أرسل بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحدَ الله.

قال الأُبِّي: (قد صح أن جواباته ﷺ تكون بحسب السائل، وبحسب الزمان والحال، فتخصيص الرحم بالذكر يحتمل لمراعاة حال العرب فيها، أو أن غيرها من الفرائض لم يكن

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/١٨١).

فرض)[1]، وهذا يدل على أنه ﷺ كان على علم بحال هذا المدعو، وعلى دراية ومعرفة بما هو عليه وقومه.

قال ابن دقيق العيد: (إجابة عمرو رضي الله عنه إلى الإسلام بسبب ما ذكره النبي ﷺ؛ من الإرسال بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، والتوحيد لله، من باب الاستدلال بالقرائن، من الأفعال والأحوال والأقوال، وهي من الطرق المفيدة للعلم اليقيني، لا سيما مع كثرة القرائن، وطول الأزمنة)[2].

٢- حرص الداعية على المدعو وخوفه عليه: حرص الداعية على المدعوين من الأمور التي ينبغي للدعاة إلى الله تعالى العناية بها، لا سيما في زمن الشدة وغلبة أهل الباطل، وضعف الدعوة، وقلة الناصر لها، وقد ظهر ذلك الحرص على المدعوين من سيد الخلق -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- في دعوته، وفي حياته كلها. وقد أثنى الله -سبحانه وتعالى- على حرصه وشفقته بالمدعوين بقوله:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨.

كما يتجلى حرصه ﷺ وشفقته حين طَلب منه عمرو بن عبسة رضي الله عنه أن يبقى معه في مكة، فقال له: "إنك لا تستطيع ذلك لضعف شوكة المسلمين، ونخاف عليك من أذى كفار قريش"[3]؛ لأنه كان في أول الإسلام، وقبل قوته، وقد ذكر أنه لم يكن معه على الإسلام حينئذ إلا حر وعبد، فخاف عليه لغربته أن تهلكه قريش أو تفتنه[4]

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (٢٢٦/١٠).

(٢) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤٤٧/٤).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٦/٦).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٢٠٧/٣) ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي، (٣٤٢/٤).

٣- الصبر في الدعوة إلى الله: ويشمل جانبين:

الأول: تحمل الأذى في سبيل تبليغ الدين: الداعية إلى الله بحاجة ماسة إلى خُلق الصبر؛ في طريق دعوته، وقد أخبرنا الله تعالى عن حال الأنبياء مع قومهم، وما لاقوه من الصدود والتكذيب والعذاب والتنكيل والسب والشتم، وهم الأسوة والقدوة للدعاة. فقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذاريات: ٥٢.

ويظهر لنا صبر النبي ﷺ في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه من عدة أمور:

١- قوله: "جُرءاء عليه قومه"، من الجرأة، وهي الإقدام والتسلط، وقيل: غضاب ذوو غم، عِيل صبرهم حتى أثر في أجسامهم[١].

٢- قوله عليه الصلاة والسلام: "ألا ترى حالي وحال الناس" ويراد به المؤمنون الذين لقوا العذاب والشدة من المشركين[٢].

الثاني: الصبر في تعليم المدعو: ويظهر ذلك جلياً في تعليمه ﷺ لعمرو بن عبسة رضي الله عنه الصلاة والوضوء، وفي صبره على الأسئلة التي سألها، وإجابته عليها ﷺ برحابة صدر وسعة علم وتواضع ورفق، فحري بالدعاة إلى الله أن يصبروا على تعليم المدعوين، وأن يترفقوا بهم، ويحلُموا عليهم، ولا يكلوا ويملوا؛ فإن التعليم يحتاج إلى صبر ورفق وتواضع.

٤- التفاؤل وحسن الظن بالله: التفاؤل مطلب شرعي وصفة ممدوحة يحبها الله ورسوله ﷺ، وقد حث عليه الإسلام ورغب فيه، وأمر به. فمهما مرت الدعوة إلى الله بظروف صعبة؛ فإن نصر الله قريب.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٥/٦).

(٢) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤١٥/٤).

فهذا رسولنا ﷺ في شدة الألم والمصاب وشدة جرأة وتسلط قومه عليه، كما وصف عمرو بن عبسة رضي الله عنه ذلك، فيقول له: (فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)، فهذه الثقة لا تصدر إلا من رجل بلغ غاية التفاؤل وحسن الظن بالله، فحري بالدعاة إلى الله التأسي والاقتداء بسيد البشر والداعية الأول ﷺ؛ حيث قال: (وأحب الفأل الصالح)(١)، وفي ذلك أيضاً: (معجزة للنبي وهي إعلامه بأنه سيظهر، فكان كما أخبر)(٢).

٥- اتخاذ الداعي مساعداً له في دعوته: الدعوة إلى الله بحاجة إلى التعاون والتكاتف والتآزر، والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه، ويد الله مع الجماعة(٣)، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة. فقد كان له مساعدون في إبلاغ هذه الدعوة من الصحابة السابقين الأولين في الإسلام؛ مثل: أبو بكر الصديق وبلال وغيرهم، ولما سأل عمرو بن عبسة النبي ﷺ عن مساعديه في الدعوة بقول: (فمن معك على هذا؟) أجابه بأن معه أبا بكر وبلالاً – رضي الله عنهم–.

فالصحابة رضوان الله عليهم شمروا عن سواعدهم بمجرد إسلامهم وبدأوا بالدعوة إلى الله، وتعاونوا مع النبي ﷺ في تبليغ هذا الدين، ولا شك أن لتعاون الدعاة أثر عظيم في نجاح الدعوة، وبركة كبيرة على الإسلام وأهله.

ولاتخاذ الداعية مساعداً له في دعوته شواهد كثيرة من الكتاب والسنة؛ فمن ذلك: أن موسى –عليه السلام– طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون مساعداً ومناصراً له في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الفأل، رقم الحديث (٥٤٣٢) (١٣٥/٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، رقم الحديث (٤٢٢١) (١٧٤٦/٤).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي (٣٤٢/٤).

(٣) حديث صحيح في أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم الحديث: (٢١٤٣)، (٤٦٦/٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

دعوته، فقال عز وجل: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ القصص: ٣٤، وأخبر عن عيسى -عليه السلام- بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ الصف: ١٤، قال ابن كثير: (أي: معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ قال الحواريون-وهم أتباع عيسى عليه السلام-:(نحن أنصار الله) أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به، وموازروك على ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام. وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: "من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي"(١) حتى قيض الله -عز وجل- له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه وآزروه وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه؛ وفوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله ﷺ: الأنصار، وصار ذلك علما عليهم، رضي الله عنهم، وأرضاهم)(٢).

٦- البدء بدعوة الأقربين: على الداعية إلى الله أن يبدأ بدعوة الأقربين، وهذا من أبر البر، وأوجب الواجبات، فهم أحق الناس بدعوته، وهذا هو منهج القرآن حيث أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالبدء بدعوة الأقربين فقال له: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤.

---

(١) حديث صحيح في أخرجه أحمد: (٣٤٧/٢٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٦٣). (١٣٣/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٣/٨).

ويستنبط من قوله ﷺ لعمرو بن عبسة: (ارجع إلى قومك)، أولاً: أنه خاف عليه، وثانياً: أراده ﷺ أن يدعو قومه طيلة بقائه بينهم إلى أن يظهر رسول الله، ويعلمهم ما تعلم من أمور الدين.

قال ابن الجوزي: (ثم رجع إلى بلاد قومه بني سليم، فلم يزل مقيماً هنالك حتى مضت بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر، ثم قدم بعد ذلك على النبي ﷺ المدينة ونزلها[١])، ولذا كان همّ الدعوة ملازماً لصحابة رسول الله ﷺ لا يفارقهم أبداً. ويظهر لنا حرص عمرو رضي الله عنه وهمته العالية، واستعداده الفطري في بحثه عن الحقيقة، والاستعداد للتضحية والبذل والعطاء فداءاً للإسلام بقوله (فإني متبعك)، ولهذا كان من السابقين الأولين في الإسلام.

٧- تعليم المدعو القدر الذي يستطيع حفظه وفهمه: قدم الصحابي الجليل عمرو بن عبسة رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وطلب منه مصاحبته وتعليمه أمور الدين، (وكان من حسن تربيته ﷺ لأصحابه أنه كان يعلمهم من العلم ما يستطيعون حفظه، وقد يسمع الصحابي الحديث الواحد أكثر من مرة حسب الوقائع والأزمان، فبين عليه ﷺ أوقات الصلوات في صورة مبسطة، وبين له الأوقات التي نُهي عن الصلاة فيها وسبب المنع)[٢].

فينبغي للداعي أن يراعي حال المدعوين أثناء دعوتهم وتعليمهم ما يستطيعون حفظه وفهمه، فيتدرج معهم، ولا يكثر عليهم؛ حتى يعطيهم من العلم ما يفيدهم. فعلى قدر استعدادهم لقبول العلم يكون تعليمهم، فكان النبي ﷺ يخاطب المدعوين على قدر

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر لانن الجوزي (ص ١٠٠) والمعارف لابن قتيبة (١/٢٩٠).
(٢) كنوز رياض الصالحين للعمار (٧/٥٠).

فهمهم، قال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يُكذّب اللهُ ورسولُه)[1]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)[2].

ولذلك كانت إجابات النبي ﷺ تختلف باختلاف الأشخاص؛ فعندما يسأله الصحابة عن أفضل الأعمال مثلاً؛ فمرة يقول للسائل: "الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله"[3]، ومرة يقول: "إيمان بالله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم"حج مبرور"[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، رقم الحديث (١٢٦)، (٣٧/١).

(٢) أخرجه مسلم: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم الحديث (١٢)، (١١/١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً، رقم الحديث (٧١١٨)، (١٥٦/٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث (١٤٣)، (٨٨/١).

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو

المدعو هو محور الدعوة، والمتلقي للرسالة، والسامع للنصيحة، والمستقبل للموعظة. فكل إنسان بلغه خطاب الدعوة -سواءً كان ذلك بالدعوة المباشرة أو عن طريق التلفاز أو المذياع أو خطبة الجمعة أو سماع مواعظ القرآن- فهو مدعو.

ولأهمية المدعو أولاه النبي ﷺ العناية الكاملة، وحرص على هدايته، وجاهد من أجل إبلاغه الدعوة رجاء هدايته.

وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الكثير من الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو يجملها الباحث في الآتي:

١- الاستعداد الفطري للمدعو: إن الإنسان بطبعه وفطرته محب للخير، مقبلٌ على ما ينفعه من أمور دينه ودنياه، وهناك كثير من المدعوين من يكون على فطرة سليمة، واستعداد لقبول الحق والخير إذا تبين له؛ فالحق والخير موافق للفطرة التي ولد عليها الإنسان؛ قال ابن القيم: (وهو سبحانه خلق عباده على الفطرة، وكل مولود فإنما يولد على الفطرة التي فطر الخلائق عليها، ولكن الآباء والكافلين للمولودين يخرجونهم من الفطرة، ويعدلون بهم عنها، ولو تركوهم لما اختاروا عليها غيرها، ولكن أخرجوهم عن سنن الحنيفية وأفسدوا فطرهم وقلوبهم، وهكذا بالأضداد والأغيار يخرج بعض المخلوقات عن سنن الإتقان والحكمة، ولولا تلك الأضداد والأغيار لكانت في مرتبتها كالمولود في فطرته)(١).

وقال في موضع آخر: (وإنما بعثت الرسل بتكميل هذه الفطرة، وإعادة ما فسد منها إلى الحالة الأولى التي فطرت عليها، وإنما دعوا إلى القيام بحقوقها ومراعاتها؛ لئلا تفسد

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية (ص: ١٤٣).

وتنتقل عما خلقت له... وهل الأوامر والنواهي إلا خدم وتوابع ومكملات ومصلحات لهذه الفطرة؟[1]

ويتجلى لنا الاستعداد الفطري لعمرو بن عبسة ﷺ بقوله: (رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأيت أنها آلهة باطلة، يعبدون الحجارة والحجارة لا تضر ولا تنفع، قال: فلقيت رجلًا من أهل الكتاب، فسألته عن أفضل الدين؟ فقال: يخرج رجل من مكة، ويرغب عن آلهة قومه، ويدعو إلى غيرها، وهو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه[2].

قال ابن دقيق العيد: (إن الدليل الذي استدل به من أنها لا تضر ولا تنفع، دليل قاطع على بطلان إلاهيتها وعبادتها)[3].

وقال ابن الجوزي: (هذا أمر يدرك ببداية العقول، وهو أن عبادة حجر لا يضر ولا ينفع، لا معنى له، ثم ذل من يعقل لمن لا يعقل، وخدمة من يفهم لمن لا يفهم[4].

فالواجب على الدعاة إلى الله أن يستثمروا الجانب الفطري عند المدعوين، ويحاولوا الوصول إليه بالوسائل والأساليب المناسبة، فإن الناس متهيئون للإيمان، ولكن ينقصهم من يكشف لهم عن أماكنه[5]

٢- السعي في طلب الحق والهداية: ينبغي لكل إنسان أكرمه الله بالعقل وميزه به عن سائر المخلوقات أن يبحث عن الحق والهدى، وأن يسعى في طلب ذلك أين ما كان، فهذا

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية (ص: ٣١٩).

(٢) السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون لابن برهان (١/٢٦٦)، والخصائص الكبرى للسيوطي (١/٤٤).

(٣) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٣٩٩).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين للجوزي (٤/١٩٦).

(٥) رسائل الرافعي لأبي رية ص: ٩٠.

عمرو بن عبسة ﵁ يذكر لنا قصة البحث عن الحق والهداية بعد أن علم بفساد آلهة قومه فيقول: (فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين)، فقال: (يخرج رجل من مكة فيرغب عن آلهة قومه، ويدعوهم إلى غيرها، وهو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه)، فلم يكن لي همّ إلا مكة آتيها، فأسأل: هل حدث فيها أمر؟ فيقولون: (لا)، فأنصرف إلى أهلي وأهلي من الطريق غير بعيد، فأعترض الركبان خارجين من مكة، فأسألهم: هل حدث فيها خبر أو أمر؟ فيقولون: (لا)، فإنّي لقاعد على الطريق إذ مرّ بي راكب، فقلت: (من أين جئت؟) قال: (من مكة)، قلت: (هل حدث فيها خبر؟) قال: (نعم، رجل رغب عن آلهة قومه، ودعا إلى غيرها)، قلت: (صاحبي الّذي أريد)، فشددت راحلتي، فجئت منزلي الّذي كنت أنزل فيه، فسألت عنه فوجدته مستخفيا بشأنه[(١)].

٣- الاستجابة للحق والخير إذا تبين له ذلك: من الواجب على المدعو أن يستجيب للخير والحق والهدى إذا تبين له ذلك، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤، فهذا الصحابي الجليل عمرو بن عبسة ﵁، بمجرد أن تبين له الحق، وعلم صدق النبي ﷺ، وصدق ما يدعو إليه، قال له: ما أرسلك به أشهدك أني آمنت بك، وصدقت أفأمكث معك أم ماذا ترى؟[(٢)]

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٥٤٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١١٩٣/٣)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٥٧)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (٣٧٨/٤) والخصائص الكبرى للسيوطي (٤٤/١)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي (١٢٢/١).

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٥٧)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (٣٧٨/٤) الخصائص الكبرى للسيوطي (٤٤/١)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي (١٢٢/١).

٤- الحرص على طلب العلم والتزود منه: ينبغي على المدعو أن يتعلم العلم الشرعي، وأن يتفقه في دين الله، وأن يسأل أهل العلم والبصيرة، وأن ينهل من معين الكتاب والسنة. فهذا عمرو بن عبسة بعد أن وفقه الله تعالى إلى طريق الهداية؛ جاء يسأل النبي ﷺ عن أمور الشريعة، ويتعلم منه ما يحتاجه من أمور الدين، فقال له: (أخبرني عن الصلاة)، فلما علمه ﷺ الأمور المتعلقة بالصلاة؛ قال له: (يا رسول الله، فالوضوء حدثني عنه)، فعلمه ﷺ كيفية الوضوء وفضله، وكل ما يتعلق به، وهذا يدل دلالة واضحة على حرصه رضي الله عنه على تعلم أمور دينه، وما ينفعه في الدنيا والآخرة.

٥- التأدب في طلب العلم: على المدعو أن يتأدب مع شيخه، ومن يعلمه حتى يحصل على الفائدة المرجوة، فإن الأدب قبل العلم، وعليه أن يحسن في طريقة السؤال. ويتجلى لنا ذلك الأدب من الصحابي الجليل عمرو بن عبسة رضي الله عنه من عدة وجوه:

أولاً: حينما أراد أن يسأل النبي ﷺ فقال له: (يا رسول الله)؛ وهذا فيه قمة الأدب، فقد ناداه برسول الله، ومناداة المعلم بالاسم المحبب له فيه أدب واعتراف بمنزلته ومكانته.

ثانياً: قال له: (عما علمك الله) وهذا فيه اعتراف بفضل المعلم واحترامه وإعطائه المكانة التي يستحقها، وتقدير ما عنده من العلم.

ثالثاً: قوله: (وأجهله) فنسبة الجهل إلى نفسه يظهر فيه التواضع والتأدب والتقدير للمعلم.

٦- وجوب التأكد من شخصية وعلم الداعية قبل أخذ العلم عنه: من الواجب على المدعو أن يتحرى الأخذ عن العلماء الثقات والدعاة الموثوقين والمعروفين بالتأصيل العلمي القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفق فهم السلف الصالح، كما كان عليه أن يتأكد من شخصية الداعية قبل أخذ العلم عنه. فهذا عمرو بن عبسة سأل النبي ﷺ قبل أن

يأخذ العلم عنه فقال له: (ما أنت؟) أي ما حالك وشأنك، قال النووي: (لم يقل من أنت؛ لأنه لم يسأله عن ذاته، وإنما سأله عن صفاته، والصفات مما لا يعقل)[(١)].

وفي بعض الأصول (من أنت) لأنه سؤال عمن يعقل، قال: (أنا نبي) من أنبياء الله تعالى، قلت له: (وما نبي؟) أي وما معنى قولك (أنا نبي؟) قال: (أرسلني الله) تعالى إلى كافة الخلق، وفي قوله (وما نبي) سؤال عن النبوة، وهي من جنس ما لا يعقل؛ لأنها معنى من المعاني، فقلت له: (وبأي شيء أرسلك؟) قال: (أرسلني بصلة الأرحام)[(٢)].

وأيضاً حينما حدث عمرو أبا أمامة –رضي الله عنهم– بهذا الحديث، قال له أبا أمامة متثبتا منه ومتأكداً (يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟).

٧– طاعة المدعو للداعي إذا أرشده إلى ما فيه المصلحة والمنفعة: إن على المدعو أن يستجيب لأمر الداعية إذا أرشده إلى ما فيه المصلحة والمنفعة له، وقد أرشد النبي ﷺ عمرو بن عبسة رضي الله عنه بعد إسلامه بأن يرجع إلى قومه ويبقى عندهم إلى أن يسمع بظهوره ﷺ، فأجاب لأمر النبي وأطاعه في ذلك، فرجع إلى قومه وأقام عندهم سنين طويلة، إلى أن سمع بظهوره ﷺ، فقدم عليه المدينة، مع أنه كان حريصاً بعد إسلامه على البقاء معه ﷺ، وطلب منه أن يبقى معه، ولكن النبي ﷺ طبق القاعدة الشرعية (درء المفاسد مقدم على

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٥/٦).

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (٢٢٥/١٠)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي (١٧٦/٣).

جلب المصالح)(1)، وهذا من فقهه صلوات الله وسلامه عليه، فإذا كان بقاؤه في ظاهره مصلحة؛ فإنه قد يترتب عليه مفسدة أعظم؛ من الإيذاء والتعذيب، وقد يصل إلى إزهاق النفس، وقد حرصت الشريعة على حفظ الضروريات الخمس، ولهذا شواهد كثيرة في السنة النبوية؛ فلما اشتد البأس والإيذاء للصحابة في مكة أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم أمرهم بالهجرة إلى المدينة. فينبغي للدعاة إلى الله أن يكونوا شديدي الحرص في النظر في عواقب الأمور، وما يترتب عليها من المصالح والمفسد، وأن يفقهوا واقع مجتمعاتهم، ولا يأمروا وينهوا إلا بناءً على ما تقتضيه المصلحة والمفسدة.

٨- الدعوة إلى الله بعد تعلم العلم: إن من أوجب الواجبات على المدعو أن ينشر العلم الشرعي، وأن يدعو إلى الله بعد أن وفقه الله إلى الخير والهدى، وهكذا ينتشر العلم ويقل الجهل، فزكاة العلم تعليمه، فبعد أن كان مدعواً يصبح داعياً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢، ففي هذا الآية بيان لفضيلة العلم والفقه في الدين، وأن من تعلم علماً؛ عليه نشره في الناس، ونصيحتهم فيه؛ فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره(2).

---

(١) قال تقي الدين الحصني: الضرب الثالث: أن يكون الفعل مشتملًا على مصالح ومفاسد، فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك، وإن لم يمكن ذلك؛ فإن كانت المفسدة أو المفاسد أعظم من المصلحة أو المصالح؛ فإنه ينهى عن هذا الفعل لدفع هذه المفسدة، وهذا النوع هو المراد بقاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، انظر: القواعد للحصني (٣٤٦/١)، والأشباه والنظائر لابن الملقن (٣٠/١)، والموافقات للشاطبي (٤٦٥/٣)، ومقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٢١١/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص: ٣٥٥).

وقال ﷺ في حجة الوداع بعد خطبته المشهورة؛ التي شملت بيان شعائر الدين كله، وجمع من الصحابة معه ينظرون إليه، يتعلمون العلم والعمل منه: "ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه"(١).

وقد ظهرت دعوة عمرو بن عبسة رضي الله عنه بعد أن تعلم العلم من النبي ﷺ أولاً بعد رجوعه إلى قومه ثم بعد أن جاء إلى المدينة وتعلم الصلاة والوضوء منه ﷺ، وكذلك ذكر قصته كاملة لأبي أمامة رضي الله عنهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ طرب مبلغ، رقم الحديث (٦٧)، (٢٤/١). ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم الحديث (٣٢٦٥)، (١٣٠٥/٣).

المبحث الثالث

المسائل الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

موضوع الدعوة هو الإسلام بكل ما جاء به من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق، وقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه ويعلمهم جميع أمور الإسلام والدين بطريقة متوازنة وأساليب متنوعة، ويتجلى ذلك في كثير من أحاديث النبي ﷺ، ومنها حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

وتتجلى لنا الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في هذا الحديث من عدة جوانب:

الجانب الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بجانب العقيدة:

١- الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك: اعتنى النبي ﷺ بجانب الدعوة إلى التوحيد أيما عناية، واهتم به أشد اهتمام، وبذل في سبيله الغالي والنفيس حتى قال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"(١)، وما ذلك إلى لعظم التوحيد وكبير شأنه؛ فمن أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وهو الغاية من خلق الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

وقد ظهر هذا الاهتمام في دعوة النبي ﷺ لعمرو بن عبسة رضي الله عنه حينما قال له: "وأن يوحدوا الله لا يشركوا به شيئاً".

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، رقم الحديث (٢٥)، (١٤/١) ومسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم الحديث (٥٦)، (٥٢/١).

وهكذا كان ﷺيدعو إلى التوحيد طيلة حياته ويعلمه أصحابه ويربيهم عليه، ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟" قلت: (الله ورسوله أعلم)، قال: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري يا معاذ ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟" قلت: (الله ورسوله أعلم). قال: "أن لا يعذبهم". وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ القصص: ٧٤، فالرسل كلهم دعوا قومهم إلى توحيد الله وعبادته وحده.

فعلى الدعاة إلى الله سبحانه أن يعتنوا بالدعوة إلى التوحيد، وأن يهتموا بذلك، اقتداءً برسول الله ﷺ في دعوته.

٢- الدعوة إلى كسر الأوثان: والأوثان جمع وثن، وهو كل ما عبد من دون الله، سواء كان حجراً، أو شجراً، وسواء كان على صورة آدمي أم لا[(١)].

فهذا الحديث صريح في وجوب تكسير الأصنام وتحطيمها، فهذا مما أرسلت به الرسل، سواء كانت معبودةً؛ كاللات والعزى، أو لم تكن معبودةً، فالكل يجب إزالته والبراءة منه[(٢)].

ولما فتح ﷺ مكة كسر ما فيها من الأوثان، وطمس الصور[(٣)].

فإن الأوثان تستحق الإهانة، وأن تكسر؛ كما كسر خليل الله إبراهيم -عليه السلام- الأصنام، وكما حرق كليم الله موسى -عليه السلام- العجل ونسفه، وكما كان

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (٢٢٥/١٠).

(٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ١ (١٨/٣٣).

(٣) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار لمحمد عمر (ص: ٣٥٢).

نبينا ﷺ يكسر الأصنام، ويهدم بيوتها، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فإهانتها من تمام التوحيد والإيمان(١).

قال ابن القيم: (وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له)(٢).

قال ابن دقيق العيد: (كسر الأوثان" يحتمل أن يراد الحقيقة إذا كانت الأوثان، هي الأصنام، بمعنى تفريق أجزائها، ويحتمل أن يراد به المجاز؛ بمعنى إبطال عبادتها وإذهاب حرمتها(٣).

٣- إثبات النبوة: من كمال عدل الله وفضله ورحمته أنه أرسل إلى الأمم رسلاً مبشرين ومنذرين، وختم الرسالة بنبيه محمد ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٥، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ المزمل: ١٥. ففي هذا إثبات للنبوة، فيجب الإيمان بجميع الأنبياء؛ كما قال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ البقرة: ٢٨٥

وعندما سأل عمرو بن عبسة رضي الله عنه النبي ﷺ بقوله: (ما أنت؟) فرد عليه "أنا نبي" فقال له: (وما نبي؟) فقال له رسول الله ﷺ: "أرسلني الله".

فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٦٥

---

(١) الإخنائية أو الرد على الإخنائي لابن تيمية (ص: ٢٢١).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية (ص: ٤٨١).

(٣) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤٠٢/٤).

فالواجب على الدعاة إلى الله العناية بهذا الأصل العظيم، وإقامة الحجة والبرهان عليه، وتعليمه المدعوين وترسيخه في نفوسهم.

٤- النهي عن مشابهة الكفار في أعيادهم: فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، معللا ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار، "ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها. ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسما لمادة المشابهة بكل طريق، ويظهر فوائد ذلك؛ بأن من الصابئة المشركين اليوم ممن يظهر الإسلام ويعظم الكواكب، ويزعم أنه يخاطبها بحوائجه، ويسجد لها، وينحر ويذبح"(١).

فإذا كان في هذه الأزمنة من يفعل مثل هذا، تحققت حكمة النبي ﷺ في النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، سدا للذريعة، وكان فيه تنبيه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها، مما يكون كفراً أو معصيةً بالنية، ينهى المؤمنون عن ظاهره، وإن لم يقصدوا به قصد المشركين، سدا للذريعة وحسما للمادة(٢).

والمراد بقرني الشيطان جانبا رأسه؛ وذلك أنه يدني رأسه من الشمس حين طلوعها، فيكون الساجد من الكفار للشمس كالساجد له، وحينئذ يتمكن هو وجنوده من أن يلبسوا على المصلي صلاته، فلذا نهى عن الصلاة وقتئذ صيانة لها(٣).

وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ أنه قال: "تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (٢١٨/١).

(٢) المرجع السابق(٢١٨/١).

(٣) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود للسبكي (١٧٤/٧).

حتى إذا صارت بين قرني شيطان قام، فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا"(١).

فجعل النبي ﷺ هذه الصلاة صلاة المنافقين، وقد ذم الله صلاتهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٤٢](٢).

٥- حماية الله لنبيه وحفظه له: يظهر للمسلم حماية الله تعالى لنبيه وعنايته به ورعايته له، وذلك في حياته كلها، وقد حمى الله جميع الأنبياء ودافع عنهم، وهو سبحانه يحمي أولياءه الصالحين ويدافع عن الذين آمنوا، ولا سيما من يدعون إلى دينه وشريعته، ويعرفون الناس بربهم، فلهم منه سبحانه معية خاصة، كما قال سبحانه لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ طه: ٤٦.

وقد ظهرت حماية الله لنبيه في مواطن كثيرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ الأنفال: ٣٠

وحينما سأل عمرو بن عبسة القادمين من المدينة، ما فعل ذلك الرجل؟ قالوا: (الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله) "بأنواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم في كتب السير (فلم يستطيعوا ذلك) بل رد الله كيدهم في نحرهم، وحفظ نبيه من ذلك"(٣)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر، رقم الحديث (١٠٢١)، (١/٣٤٣).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/٤٥٥)، وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (٢/٢٤٧).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي (٤/٣٤٣).

٦- مصدر العلم هو الله سبحانه: الله سبحانه وتعالى هو مصدر العلم والمعارف كلها، ومع مكانة الأنبياء وعظيم فضلهم، وشرف مكانتهم إلا أنه سبحانه هو الذي امتن عليهم بفضله ورحمته، وأكرمهم بالعلم، كمال قال سبحانه لنبيه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣، كما طلب ﷺ زيادة العلم من ربه بقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ طه: ١١٤، ويشهد لذلك قول عمرو بن عبسة رضي الله عنه لما طلب من النبي ﷺ أن يعلمه، فقد نسب العلم إلى الله فقال: (يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله).

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى إبراز هذا المعنى للمدعوين وبيانه لهم، وتعليمه إياهم، وتذكيره بهم دائماً، فالله سبحانه هو مصدر لكل خير، ومنبع كل المعارف، والقرآن الكريم هو المصدر لكل خير ومنبع كل المعارف.

٧- الإخلاص لله والثناء عليه وتمجيده: للإخلاص شأن عظيم في حياة المسلم؛ فهو أهم شروط قبول الأعمال، والأعمال التي يستعظمها الناس لا وزن لها عند الله إذا فقدت الإخلاص، فهو روح كل عمل، وقد علم النبي ﷺ عمرو بن عبسة رضي الله عنه الإخلاص وحثه عليه بقوله: "فإن هو قام فصلى، فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه).

فحري بالدعاة إلى الله تعليم المدعوين الإخلاص لله في العبادة، وتعظيمه سبحانه، وتمجيده والثناء عليه، ولا سيما في الصلاة التي هي أعظم العبادات والطاعات، ويبين لهم أن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له، وموافقاً لسنة نبيه ﷺ.

٨- الملائكة الكرام يشهدون الصلوات: من أعظم نعم الله على عباده أن شرع لهم الصلوات الخمس وغيرها من النوافل، ولعظيم قدرها عند الله تشهدها الملائكة وتحضرها، كما قال سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ الإسراء: ٧٨، أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار(١).

وقد بين ﷺ هذا المعنى لعمرو بن عبسة رضي الله عنه بقوله: "ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة"، أي تشهدها الملائكة ويحضرونها، وتكتب أجرها؛ وذلك أقرب إلى القبول وحصول الرحمة(٢)

الجانب الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة:

كان رسول الله ﷺ يدعو إلى العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها، فهي من أركان الإسلام وقواعده، كما كان يدعو إلى حسن المعاملات، ومكارم الأخلاق، وتظهر لنا دعوته في مواطن كثيرة من حياته؛ إما بالتعليم أو التوجيه أو النصيحة أو بالإنكار والاحتساب على من قصر فيها أو ضيَّعها، وتتجلى لنا الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة في عدة نقاط:

١- الدعوة إلى الصلاة: للصلاة مكانة عظيمة في الإسلام، فهي الركن الثاني بعد الشهادتين، وقد فرضها الله تعالى في السماء في رحلة الإسراء والمعراج، بخلاف جميع العبادات؛ فقد فرضت في الأرض، ولعظيم شأنها ومكانتها كانت أول شيء علمه النبي صلى الله لعمرو بن عبسة رضي الله عنه، وفصل له فيها، وبين له أوقاتها، فقال له: "صل صلاة الصبح" (أي الفجر)، وذلك لما لصلاة الفجر من مكانة عظيمة في الإسلام، كما

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (١٤٨/٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٦/٦)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين للجوزي (١٩٦/٤)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الامين (٢٢٩/١٠).

قال ﷺ:"تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده، بخمس وعشرين جزءاً، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر" ثم يقول أبو هريرة: -رضي الله عنه- فاقرءوا إن شئتم: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(سورة الإسراء: ٧٨)[١]، ثم بين له وقت صلاة الظهر والعصر والمغرب، وحثه عليها، فالصلوات الخمس تكفر السيئات التي قبلها، كما في قصة الرجل الذي أصاب من امرأة قبلة[٢]، والذي أصاب حداً[٣]، وطلب من النبي ﷺ أن يقيمه عليه، فإن الصلاة هي أفضل أعمال البدن، وهي تذهب السيئات"[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، فحري بالدعاة إلى الله أن يعتنوا بدعوة الناس إلى الصلاة، والمحافظة عليها، وإقامتها مع الجماعة في المساجد، وأن يبينوا لهم أوقاتها، وعظيم فضلها ومكانتها، وأنها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، رقم الحديث (٦٣٠)، (١٣١/١)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم الحديث (١٠٦٨)، (٣٧٠/١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم الحديث (٥١٢)، (١١١/١)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ ، رقم الحديث (٥٠٧٠)، (٤/ ٢١١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، رقم الحديث (٦٤٥١)، (٨/ ١٦٦)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ ، رقم الحديث (٥٠٧٢)، (٤/ ٢١١٧).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٦/٦)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين للجوزي (١٩٦/٤)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (٢٢٩/١٠).

هي الفرق بين المؤمن والكافر(١)، وأن من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً، ولا برهاناً، وكان مع فرعون وهامان وأبي بن خلف، كما ورد ذلك عن النبي ﷺ (٢).

٢- الدعوة إلى الوضوء: للوضوء مكانة سامية ورفيعة في الإسلام؛ لأنه ركن من أركان الصلاة؛ ولأنه طهارة يتطهر بها المؤمن، وسبب لتكفير السيئات، وقربة إلى الله تعالى، وهو شطر الإيمان(٣)، وعلامة أهل الإيمان يوم القيامة(٤).

ولعظيم شأن الوضوء علمه النبي ﷺ عمرو بن عبسة رضي الله عنه أحسن تعليم، وفصل له طريقة الوضوء من أولها إلى آخرها، وبين له فضله ومكانته، وما يترتب عليه من الأجور العظيمة والحسنات الكثيرة، فقال له: "ما منكم رجل يقرب وضوءه، فيتمضمض، ويستنشق، ويستنثر، إلا خرت خطايا وجهه، وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمر الله، إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرت

---

(١) كما قال ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"، حديث صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم الحديث: (٢٦١٢)، (١٤/٥) وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم الحديث (١٠٧٥)، (٣٤٢/١).

(٢) المعجم الكبير للطبراني، رقم الحديث (١٣٥٩١)، (٦٧/١٣)، والحديث ضعيف؛ انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني، برقم (٢٨٥١)، (ص٤٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم الحديث (٣٥٤)، (٢٠٣/١).

(٤) كما قال ﷺ: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، رقم الحديث (١٣٥) (٣٩/١) ومسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم الحديث (٣٨٨)، (٢١٦/١).

خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه، إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين، إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء".

وعن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ – أو فيسبغ – الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء"، رواه مسلم، وزاد الترمذي:"اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين"(١).

"وقد جمع في هذا الحديث بين طهارة الظاهر بالوضوء، وطهارة الباطن بالتوحيد، وسؤال التوبة، والتطهر من الذنوب والآثام، وأخبر ﷺ أن ثواب هذا العمل دخول الجنة من أي أبوابها شاء"(٢). فينبغي للدعاة إلى الله أن يبينوا هذا الفضل العظيم والثواب الكبير الذي يحصل عليه المؤمن عندما يتوضأ، وهذا فضل ومنة من الله سبحانه وتعالى على عباده.

٣- الدعوة إلى النوافل بعد الفرائض: إن على الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس فضل النوافل من صلاة وصيام وغيرها؛ لما لها من الأجر الكبير، والثواب الجزيل، فهي سبب لمحبة الله؛ كما جاء في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"(٣)، ولقد حث النبي ﷺ عمرو بن عبسة على صلاة الضحى، وبين له أنها مشهودة محضورة، وحثه على

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم الحديث (٣٧١)، (٢٠٩/١)، والترمذي في أبواب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء، رقم الحديث (٥٢)، (١٠٩/١).

(٢) تطريز رياض الصالحين للنجدي (ص: ٦٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث (٦١٤٧)، (١٠٥/٨).

السنن الرواتب بقوله: "فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر".

٤- الدعوة إلى الخشوع في الصلاة: ومن الأمور التي ينبغي للدعاة إلى الله أن يعتنوا ببيانها للمدعوين، ويرشدوهم إليها، ويحثوهم عليها؛ هي الخشوع في الصلاة، وأن يستشعر المرء وقوفه بين يدي الله، وإقباله عليه، فللخشوع أثر كبير في تربية النفس وتزكيتها، وقد أثنى الله تعالى على الخاشعين في صلاتهم بقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ المؤمنون: ١ - ٢.

وقد رد النبي ﷺ ذلك الصحابي الذي لم يحسن صلاته، وقال له: "ارجع فصل فإنك لم تصل" ثلاث مرات، ثم علمه النبي ﷺ كيفية الصلاة الصحيحة والطمأنينة والخشوع فيها، ولذلك كان تعليمه وإرشاده لعمرو بن عبسة رضي الله عنه بشأن الخشوع واضحاً وظاهراً؛ حينما قال له: "فإن هو قام فصلى، فحمد الله، وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله".

قال الشيخ ابن عثيمين: فلا بد من ملاحظة هذا القيد؛ لأن من الناس من يصلي، ولكنه ينصرف من صلاته ما كتب له إلا عشرها أو أقل؛ لأن قلبه غافل، وكأنه ليس في صلاة؛ بل كأنه يبيع ويشتري، أو يعمل أعمالاً أخرى حتى تنتهي الصلاة(١).

الجانب الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الأخلاق:

للأخلاق مكانة سامية ورفيعة في الإسلام، فقد عظم من شأنها ﷺ، حتى أنه حصر بعثته في الدعوة إليها بقوله: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(٢).

---

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين (٣/٣٣١).

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (١٤/٥١٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٤) والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/٦٧٠) ومكارم الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٧).

فاعتنى بها رسول الله ﷺ أيما عناية، وكان يغرسها في نفوس أصحابه، ويعززها فيهم، ويربيهم عليها، وقد رتب عليها الإسلام الأجور العظيمة والدرجات العالية في الجنة حيث قال ﷺ: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا"(١).

وتتجلى أهمية الدعوة إلى الأخلاق من حديث عمرو بن عبسة في النقاط الآتية:

١- الدعوة إلى صلة الأرحام: وقد ظهر وتجلى لنا عناية النبي ﷺ بصلة الأرحام، والدعوة إليها؛ حينما سأله عمرو بن عبسة رضي الله عنه بم أرسلك؟ فقال:"بصلة الأرحام.."، وقد قرنها بالتوحيد ليدل على أهميتها وعظيم شأنها، وعلو مكانتها، ولهذا شواهد كثيرة من السنة النبوية، فقد حث النبي ﷺ غير واحد من الصحابة على صلة الأرحام؛ فمن ذلك ما رواه البخاري أن رجلا قال: (يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة)؛ فقال النبي ﷺ: "تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم"(٢).

قال الأبي: (قد صح أن جواباته ﷺ تكون بحسب السائل، وبحسب الزمان والحال، فتخصيص الرحم بالذكر يحتمل لمراعاة حال العرب فيها، أو أن غيرها من الفرائض لم يكن فرض(٣). فحري بالدعاة إلى الله توجيه الناس وإرشادهم إلى أهمية صلة الأرحام، وما لهذا الخلق من مكانة عظيمة في الإسلام، فقد قال ﷺ: "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله"(٤).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث (١٩٩١)، (٤/٤٧٥). وأحمد (٢٩/٢٦٧) وابن حبان في صحيحه (٢/٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث (١٣٤٤)، (٨/٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث (٤٧٤١)، (٤/١٩٨١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم، رقم الحديث (٤٧٣٩)، (٨/٥).

٢- العدل: وقوله ﷺ: معي في دعوتي (حر وعبد) فيه دليل على عالمية الرسالة وأنها لجميع الناس وللعالمين أجمعين، كما قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١؛ وأنه لا فرق بين عربي ولا عجمي، ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، وهذا فيه دليل على العدل بين الناس. ولهذا عبر النبي ﷺ بقوله: "حر عبد"، ليجلي مكانة الأخلاق في الإسلام وليكون أوقع في نفسه عظمة هذا الدين القائم على العدل، وأن الناس كلهم سواسية لا فرق بينهم، وهذا المعنى حاضر في دعوة النبي ﷺ، فقد أذاب جميع الفوارق بين الناس (من نسب أو بلد أو لون أو طائفة)، واجتمعوا كلهم على الإسلام لا فرق بينهم إلا بالتقوى، فكان مع النبي ﷺ الحبشي؛ كبلال، والعربي؛ كأبي بكر، والفارسي؛ كسلمان، والرومي؛ كصهيب، وغير ذلك.

فالواجب على الدعاة إلى الله إبراز خلق العدل في الإسلام، وأن الناس يتفاضلون بالأعمال عند الله لا بالأنساب، كما قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.

٣- الصدق والأمانة: على الدعاة إلى الله أن يتحلوا بالصدق والأمانة في دعوتهم؛ فهم القدوة للمدعوين، ومحط أنظار الناس، ينظرون إليهم بعين التقدير والإجلال، وعليهم أن يتحروا الصدق في نقل الأحاديث، والتثبت من ذلك، ويظهر لنا ذلك في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه من وجهين:

١- قال أبو أمامة رضي الله عنه (يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول! في مقام واحد يعطى هذا الرجل)، فقال عمرو: (يا أبا أمامة، لقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسول الله (كحب الشهرة والمحمدة)، لو لم أسمعه

من رسول الله ﷺ إلا مرة، أو مرتين، أو ثلاثا حتى عد سبع مرات، ما حدثت به أبدا، ولكني سمعته أكثر من ذلك".

قال ابن دقيق العيد: قوله: (لقد كبر سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسوله) فيه أمران:

أحدهما: ذكر الموجبات لعدم الكذب، والمقتضيات للصدق.

والثاني: انتفاء الموجب للكذب بعد قيام الموجب للصدق، وعدم معارضة مانع لتلك الموجبات[(١)].

٢- قوله (وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة)، فقلت: (ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟)، فقالوا: (الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك).

---

(١) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٦).

المبحث الرابع

الدروس الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية

الدعاة إلى الله تعالى بحاجة ماسة إلى اختيار أفضل وسائل وأنسب أساليب للمدعوين، لما لذلك من أثر عظيم في نجاح الدعوة وإقناع المدعوين بخطابهم ومواعظهم والتأثير عليهم. ولقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم؛ فكانت عباراته قليلة الألفاظ، كثيرة المعاني، تنساب عذوبةً وجمالاً ورقةً وروعة بيان، تحمل الثناءات الجميلة، والألفاظ البراقة.

ويتجلى لنا روعة أساليبه ﷺ وتنوعها من حديث عمرو بن عبسة في النقاط الآتية:

١- أسلوب حسن التعليل: أسلوب حسن التعليل من الأساليب البلاغية لدى العرب، ويعرف حسن التعليل بأنه: (أن يدّعى المتكلم لوصف علّةً مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسن وطرافة، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمى إليه جمالاً وشرفاً)[١]، وقيل هو: (أن يستبعد المتكلم صراحةً أو ضمناً علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة مستملحة تناسب الغرض الذي يقصد إليه"[٢]. فكان هذا من أساليب العرب في كلامهم. وقد استخدم ﷺ أسلوب حسن التعليل في مواقف عديدة من الحديث:

أولاً: حينما أمر النبي ﷺ عمرو بن عبسة بالرجوع إلى قومه بعد إسلامه، وعدم البقاء معه معللاً ذلك بقوله: "ألا ترى حالي وحال الناس؟" وكانوا وقتها جرآء على النبي ﷺ، وعلى كل من أسلم.

ثانياً: نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، معللا بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار.

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي (ص: ٣٠٦)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنووي (١١٥/٧).

(٢) البلاغة العربية للدمشقي(٣٨٧/٢).

ثالثاً: نهى ﷺ عن الصلاة قبيل الظهر، معللا ذلك بقوله:"فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل".

رابعاً: قول النبي ﷺ: "فإنها مشهودة محضورة"، وتفسيره بحضور الملائكة، ويمكن أن يكون فيه تنبيه على علة المنع في وقت الكراهة؛ لأن الملائكة لا تشهد، ولا تحضر عند عبادة الكفار؛ لأنه لما علل الإباحة بالشهود والحضور، دل على انتفاء العلة في حالة المنع، وإلا لما اختصت الإباحة بحالة الشهود(١).

خامساً: حينما رد النبي ﷺ على سؤال عمرو بن عبسة فأجابه بأنه نبي، وعندما سأله قال له: (وما نبي؟) أجابه ﷺ معللاً فقال: "أرسلني الله".

٢- أسلوب ذكر الخاص بعد العام: من أساليب العرب في الكلام ذكر الخاص بعد العام للدلالة على أهمية الخاص وفضله(٢)، وقد جاء هذا الأسلوب في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه عندما جاء إلى النبي ﷺ في المدينة وبدأ يسأله فقال: (أخبرني عما عَلَّمَك الله وأَجْهَلُهُ، أخبرني عن الصلاة؟)، فذكر الصلاة وحدها بعد دخولها في جملة ما علم الله نبيه ﷺ ويجهله عمرو رضي الله عنه.

٣- أسلوب التشبيه: والتشبيه من أساليب العرب في كلامها، وهو: عقد مقارنة ماثلة بين أمرين أو أكثر، قُصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض قصده المتكلم(٣). ويتميز أسلوب التشبيه بتقريب المعاني إلى أفهام المخاطبين، عن طريق إظهار صفته، ومقارنتها بصفة أقرب إلى ذهنه(٤)، وكان النبي ﷺ يبين لأصحابه ما اشتبه عليهم

---

(١) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٤).
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٣/٢٠٠).
(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي (٢١٤).
(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للنحلاوي (٢٤٩).

بالتشبيه وضرب المثل، بما يشهدونه بأبصارهم أو يتذوقونه مما يقع تحت حواسهم حتى يفهموه[١]، وقد جاء هذا الأسلوب في حديث عمرو بن عبسة ﵁ بقوله ﷺ: "فإن هو قام فصلى، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ومجَّدَه بالذي هو له أهل، وفرَّغَ قلبه لله تعالى، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يومَ ولدَتْه أمه".

وقوله: "حتى يستقل الظل بالرمح"، فإن الظل إذا كان تحت القائم، كان شبيها باستقلال الحامل بالمحمول، فاستعير له لفظه بالمشابهة، ويكون من قولهم (استقل فلان بالأمر)، و(فلان لا يستقل بهذا الأمر)، أي: قام به، أو لا يقوم به[٢].

٤- أسلوب القصر والاختصاص: القصر والاختصاص من أساليب العرب في الكلام، ويعرف القصر بأنه: "تخصيص شيء بشيء بطرق مخصوصة"[٣]. وجاء هذا الأسلوب في حديث عمرو بن عبسة ﵁ عندما استدل بضلالة قومهم بدليل واحد؛ وهو أنهم كانوا يعبدون الأصنام، فقال ﵁: (كنت أنا، أظن أن الناس على ضلالة وهم يعبدون الأصنام)، واستخدمه أيضاً في سؤاله عن صفة النبي ﷺ في قوله: (ما أنت؟)، وقوله: (فالوضوء حدثني عنه).

٥- أسلوب الترغيب والحض: من الأساليب التي لها تأثير في الدعوة أسلوب الترغيب والترهيب، ويعرف الترغيب بأنه: "طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه"، كما يعرف بأنه: "هو الخطاب المفيد بحمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى، لنيل السعادة في الدنيا والآخرة[٤]. والترغيب هو الأمر الذي يحبب المدعو في الخطاب

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة، (١٠٩).

(٢) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٤).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٣/٥) وعلم المعاني لعتيق (ص: ١٤٦).

(٤) هداية المرشدين لعلي محفوظ (ص: ١٩٢).

حرصاً على هدايته، وطمعاً في استجابته. ويتميز أسلوب الترغيب بأنه أسلوب يخاطب الإنسان على ما فطره الله تعالى من الرغبة إلى اللذة والنعيم المقيم، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير. فإن الإنسان مطبوع على عاطفة حب الثواب، وخوف العقاب صادر عن طبيعته التي خلقه الله عليها من الفطرة الإنسانية، وهو أسلوب واضح يفهمه جميع الناس(١).

فقد استخدم النبي ﷺ الترغيب في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه في بيانه لفضل الوضوء والصلاة في قوله: "فإنها مشهودة محضورة" وقوله في الوضوء "إلا خرَّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء"، وقوله: "إلا خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء" وقوله: "إلا خرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء"، وقوله: "إلا خرَّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء"، وقوله: "إلا انصرف من خطيئته كهيئته يومَ ولدَتْه أمه".

٦- أسلوب الحوار في الدعوة: ويعرف الحوار بأنه: "الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى الحقيقة"(٢). ويتميز أسلوب الحوار الدعوي بإثارة انتباه المدعوين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، كما يتميز بحض المدعوين على إعمال الفكر للجواب، ليكون هذا الجواب أوقع وأقرب في النفس(٣). وقد استخدم النبي ﷺ الحوار كأسلوب دعوي في النقاش الذي دار بينه وبين عمرو بن عبسة رضي الله عنه عندما جاء إليه، وقبل الإسلام في مكة، وفي لقائه معه عندما قابله في المدينة بعد الهجرة.

---

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة (٨١).

(٢) أدب الحوار للخياط (ص: ١٢).

(٣) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة (ص: ٩٢).

٧- أسلوب المقارنة: وهذا الأسلوب يعمد فيه المتكلم إلى الموازنة بين أمرين أو أكثر، مثبتًا أوجه التشابه، أو الاختلاف بعد عرض الخصائص والمميزات[(١)]. وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب المقارنة في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه في قوله: "أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله"، وكذلك عند قوله: "فإنها تَطْلُعُ حين تَطلُعُ بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار"، وكذلك "فإنه حينئذ تُسْجَرُ جهنم"، وقوله: "فإنها تَغْرُبُ بين قَرْنَيْ شيطان، وحينئذ يسجدُ لها الكفار"، وكذلك عند قوله: "حرٌ وعبد".

٨- أسلوب القصة: والقصة عبارة عن حكاية يتم كتابتها بتسلسل الأحداث التي تضمنها حكاية مكتوبة مستمدة من الواقع أو الخيال أو من الإثنين معاً[(٢)]. فقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه بالقصة؛ لما لها من تشويق للسامع، ولها أثر كبير في توجيه المدعوين وترسيخ المقصود في نفوسهم؛ ليترك في نفوسهم، فقد كان لأسلوب القصة في الحوار النبوي مميزات كثيرة؛ منها: إيقاظ انتباه السامع دون توان أو تراخ، فتجعله دائم التأمل في معانيها، متابع لمقتضاها. ويمتاز هذا الأسلوب بإقناع التفكير بموضوع القصة، وبساطة الأسلوب، وتفصيله، ومناسبته بجميع فئات الناس[(٣)]. وحديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه عبارة عن قصة كاملة بتسلسل أحداثها؛ من أول بحثه عن الحقيقة إلى نهاية القصة.

٩- أسلوب التقديم والتأخير: كان من سنن العرب وأساليبها في الكلام أسلوب تقديم الكلام وتأخيره[(٤)]، ومما يدل عليه الحصر والاختصاص، كأن يحصر الخبر في مبتدأ،

---

(١) فن التحرير العربي للشنطي (ص: ٢٦٦).
(٢) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة (ص: ١٩٤).
(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للنحلاوي (٢٤٣).
(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها للرازي (ص: ١٨٩).

مثل قوله في الحديث: (فالوضوء حدثني عنه) فقدم الجار والمجرور في محل نصب المفعول، فجعله مبتدأ، والجملة في محل رفع خبر.

وكذا قوله: (جرآء عليه قومه) حال منه؛ أي يجترئون عليه من الجرأة، وهو شدة الإقدام على إذايته، وهو مرفوع على أنه خبر مقدم وقومه مبتدأ مؤخر على مذهب البصريين[١].

وقوله عليه السلام: "ثم إذا غسل وجهه إلا خرجت" فيه تقديم وتأخير، وفصل بين حرف العطف والمعطوف بالشرط، والتقدير: إلا خرجت الخطايا من وجهه وفيه[٢].

١٠- أسلوب السؤال والجواب (الاستفهام): فأسلوب السؤال والجواب من أفضل أساليب التي تستخدم لإيصال المعلومات إلى الغير. ويعرف السؤال بأنه:(طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل[٣]، كما يعرف بأنه: (تناول الحديث بين طرفين أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف)[٤].

ويتميز أسلوب الحوار الدعوي بمخاطبة العاطفة وإقناعها عن طريق سرد الكلام[٥]. فقد كان النبي ﷺ يستخدم أسلوب السؤال والجواب في الدعوة والتعليم، فمن ذلك الحوار الذي دار بينه ﷺ وبين عمرو بن عبسة رضي الله عنه عندما جاء إليه مستفتياً في مسائل الدين، فبدأ عمرو بن عبسة سؤال النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يجيبه، ويشرح له، وكذلك أول ما لقيه

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين(٢٢٥/١٠) والإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤١٢/٤).

(٢) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤٣١/٤).

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي (٧١).

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للنحلاوي (٢٠٦).

(٥) المصدر السابق (٢٠٧).

بمكة بدأ بسؤاله (ما أنت؟)، فأجابه ﷺ بقوله: "أنا نبي"، فسأله (وما نبي؟)، فأجابه "أرسلني الله"، فسأله (بأي شيء أرسلك؟)، فأجابه بقوله: "بصلة الأرحام، وكسر الأوثان"، وكذلك سؤاله حينما قدم المدينة بقوله: (يا رسول الله أتعرفني؟)، فأجابه النبي ﷺ بقوله: "نعم! أنت الذي لقيتني بمكة".

١١- أسلوب الاستعارة والكناية: الغرض من الكناية المبالغةُ والبعد عن المباشرة، والمبالغة في الصفة أو الصفات، سبيل الى تثبيتها في نفوس المتلقّين(١). وقد ظهرت الكناية في قصة عمرو بن عبسة عند قول النبي ﷺ له: "خرت خطاياه": أي: سقطت، وهو كناية عن مغفرة الذنوب(٢).

وقوله "خرت" من الخرور، أبلغ من جرت من الجري، ورواية خرت أبلغ من خرجت، وإنما كان كذلك؛ لأن في (خرت) دلالة على الجري وزيادة، لما في الخرور في الأجسام من الدلالة على السقوط، والنقل المقتضي للسرعة، من جهة طلب الهوي بنقل هذا المعنى بالاستعارة إلى الخطايا(٣)، والتعبير بالخرير كذلك استعارة لمغفرتها، يصورها بالقذارة العالقة بالجسد، والتي تستلزم من الإنسان الحرص على دوام تطهيرها بالوضوء(٤).

وعند قوله: فإنها تطلع بين قرني شيطان، قيل: إن ذلك استعارة وكناية عن إضراره، لما كانت ذوات القرون تسلط بقرونها على الأذى استعير للشيطان ذلك(٥).

---

(١) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» لقاسم (ص: ٢٥١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٤٦٣/٢)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الامين(٢٣١/١٠).

(٣) الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤٤٥/٤).

(٤) كنوز رياض الصالحين للعمار(٤٢/٧).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٢٠٨/٣).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، أبرزها:

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة ﵁: العلم بأحوال المدعوين، والصبر والتفاؤل وحسن الظن بالله، واتخاذ المساعد في الدعوة، والبدء بدعوة الأقربين، وتعليم المدعو القدر الذي يستطيع حفظه وفهمه.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو: الاستعداد الفطري، والسعي في طلب الحق والهداية، والحرص والتزود في طلب العلم منه، والتأدب في طلب العلم، والدعوة إلى الله بعد العلم.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بجانب العقيدة: الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، وإثبات النبوة، والنهي عن الصلاة في أوقات معلومة، وحماية الله لنبيه ﷺ وحفظه له، والإخلاص لله والثناء عليه وتمجيده.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة: الدعوة إلى الصلاة والوضوء والنوافل، والخشوع في الصلاة، وصلة الأرحام، والعدل، الصدق والأمانة.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الأخلاق: الدعوة إلى صلة الأرحام، والعدل، والصدق والأمانة.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة: أسلوب حسن التعليل، وذكر الخاص بعد العام، والتشبيه، والقصر والاختصاص، والترغيب، والحوار، والمقارنة، والقصة، والتقديم والتأخير، والاستفهام، والاستعارة والكناية.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن برهان الدين، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، الدين: السيرة الحلبية–إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الإخنائية أو الرد على الإخنائي، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، جدة، ١٤٢٠هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.
- ابن دقيق العيد، محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري: الإلمام بأحاديث الأحكام، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، دار المعراج الدولية–دار ابن حزم، الرياض/بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي: الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي: مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ابن قتيبية، عبدالله بن مسلم الدينوري: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤.
- ابن كثير، بو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٤٣١هـ.
- ابن ملقن، سراج الدين عمر بن علي الأنصاري: الأشباه والنظائر، دار ابن القيم، الرياض، ١٤٣١هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، الأنصاري الرويفعى الإفريقى: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- أبو رية، محمود: رسائل الرافعي، دار المعارف، مصر، ١٩٣٤.
- أبو غدة، عبد الفتاح: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٧هـ.

- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني: دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٧٧هـ.
- أرشيف ملتقى أهل الحديث.
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية
- الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الأدب المفرد بالتعليقات، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن_تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.
- الجرجان، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- الحصني، أبوبكر بن محمد عبدالمؤمن: القواعد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله الشعلان، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ..
- خياط، عبدالعزيز: أدب الحوار، للخياط، وزارة الثقافة، ٢٠٠٧..
- الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني: البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ.
- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣.
- الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ.
- الرافعي، صطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت.).
- السبكي، محمود بن محمد: المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، مطبعةالاستقامة، مصر، ١٣٥١هـ.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم: كشف اللثام شرح رياض الصالحين، تحقيق: نور الدين طالب، الطبعة محفوظة، ٢٠٠٧م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي: الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.
- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ .
- الشَّعْراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفيك الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، ١٣١٥هـ.
- الشنطي: محمد صالح: فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية ط٥، ١٤٢٢هـ
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ.
- عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤٢١هـ
- عتيق، عبدالعزيز: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٣٠هـ.

- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد: شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- العمار، حمد بن ناصر بن عبدالرحمن: كنوز رياض الصالحين، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٣٠.
- قاسم، محمد أحمد: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني».
- القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبتي: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ١٤١٩هـ.
- القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٧هـ.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣ (د.ت.)
- محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، تحقيق: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج، الرياض، ٢٠٠٩.
- محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر: مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، ١٤١٩هـ.

- محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي: تطريز رياض الصالحين، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- النحلاوي، عبدالرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، سوريا، ط٢، ١٤١٧هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢.
- النووي، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- الهاشمي، السيد أحمد: جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ.

البحث رقم (٧)

حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام

إعداد

د. فهد بن إبراهيم بن سعد بن حاضر

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الملخص

هذا البحث في حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام كما جاءت في القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الصحيحة، وكما أثبتها السلف الصالح -رضوان الله تعالى عليهم-، وقد جمعت فيه ما يتعلق بهذه القضية من أدلة، وأقوال للعلماء المسلمين، والباحثين، والمفكرين من المسلمين، وغير المسلمين، وتم ذلك من خلال تناول موضوع مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام، ومكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام. والعلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام .وحدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالفرد .وحدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالمجتمع.

وتطرق الباحث لعدد من القضايا حول هذه المسألة؛ وما يتعلق بها، وخرج الباحث بنتائج مهمة في هذه القضية منها: أن مفهوم الكرامة الإنسانية يتجه إلى تقدير الآخرين، واحترامهم من خلال عدم انتهاك حريتهم، والتعدي على خصوصيتهم بأي شكل من الأشكال؛ ويعد هذا واجبًا تمليه قيمة الكرامة الإنسانية، فانتقاص الحرية هو انتقاص للكرامة.

Summary:

This research deals with the limits of the relationship between personal freedom and human dignity in Islam, as it is said in Holy Qur'an and true Sunnah of the Prophet, as well as proven by Righteous Ancestors, May Allah –the Almighty- be pleased with them. I have collected in this research evidences and statements related to this case by Muslim Scholars, Researchers, and Muslim and non-Muslim Intellectuals, by addressing the concept of personal freedom and human dignity in Islam, Position of personal freedom and human dignity in Islam, the relationship between personal freedom and human dignity in Islam, the limits of the relationship between human dignity and personal freedom related to the individual, And the limits of the relationship between human dignity and personal freedom related to the society.

The researcher has tackled the cases on this issue and related to it. He has come up with important findings, including: The concept of human dignity tends to value and respect others, by not violating their freedom, and invading their privacy in any way; this is a duty dictated by the value of human dignity, as the derogation of freedom is the derogation of dignity.

المقدمة

الحمد لله وحده، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ أما بعد :

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وكرّمه أكمل تكريم، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[(١)]. ومن أعظم التكريم أن وهبه الله سبحانه وتعالى العقل الذي من خلاله يملك القدرة على التفكر والتدبر، وبه مكنه الله سبحانه وتعالى من القدرة على الاختيار و حرية الإرادة، فإما أن يكون عبدًا شاكرًا لمن وهبه، أو عبدًا كافرًا بمن وهبه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾.[(٣)]ومن منطلق ما وهبه الله سبحانه من حرية أصبح الإنسان بها مسؤولًا عن تصرفاته، وذلك من مظاهر تكريم الله للإنسان وتفضيله له على كثير من المخلوقات، والكرامة الإنسانية في الإسلام لجنس الإنسان فهي شاملة كل فرد من أفراده من دون استثناء وتقييد يستوي في ذلك المسلمُ الذي يؤمن بالقرآن وبالسنَّة، وغير المسلم ، كما سيأتي بيانه في مباحث هذه الدراسة.

والإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية؛ والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية؛

---

(١)سورة الإسراء، آية ٧٠–٧١.

(٢) سورة الإنسان، آية ٣.

(٣) سورة الشمس، آية ٧–١٠.

حرية الإقامة، وحرية الانتقال، وحرية التدين، وحرية الفكر والرأي؛ ولذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان؛ فليس لإنسان أن يتحكم في غيره .(١)

- **أهمية الدراسة:**

١- زيادة الاهتمام بقضايا الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، لارتباطها بأمن واستقرار الفرد والمجتمع. فمع أهمية الجهد العلمي الذي بُذل من الباحثين في تناول قضايا الحرية وقضايا الكرامة الإنسانية؛ فإن عدم إفراد قضية حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام ببحث مستقل يبين حدودها جعل من الواجب أن يتم تناول هذه القضية ببحث مستقل.

٢- حماية الحرية الشخصية في إطار الكرامة الإنسانية تعزز لدى الفرد المسلم وغير المسلم الشعور بالأمن؛ وتدفعه إلى التعبير عن مشاعر التسامح، والرغبة في التواصل مع غيره بما يحقق السلم والأمن، والتعايش، والازدهار في إطار مجتمع يسوده جو من التكافل والتكامل.

٣- تُعد العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من القضايا التي لم يتم تناولها بالقدر الكافي من الدراسة والبحث، وبيان مظاهر تفوق الإسلام على جميع القوانين الوضعية من خلال وضعه للحدود التي من شأنها حفظ كرامة الإنسان وحريته الشخصية.

٤- إن من لوازم حق الكرامة ومتطلباتها أن يحترم الإنسان كرامة الآخرين، وألا تكون ممارسة الإنسان لحريته الشخصية مجالًا للتعدي على حرية الآخرين، وحفظ كرامته في حضرته، وألّا يهان في غيبته، سواء كان هذا الإيذاء معنويًّا أو حسيًّا، فكما حرم الإسلام الإيذاء البدني؛ حرّم الإساءة اللسانية أيضًا من الهمز، واللمز، والتنابز بالألقاب، والسخرية، والغيبة،

(١) انظر: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ص١٨٧-١٨٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

والشتم، وسوء الظن بالناس، وما إلى ذلك من المعاملات المحرمة في الإسلام.

٥ - إن مفهوم حدود الحرية الشخصية اليوم تتنازعه العديد من العقائد والاتجاهات الفكرية التي قد تسير بالإنسان إلى ميادين سِمَتها التباعد، أو التباين، ومع تطور الحضارة الغربية المعاصرة و ما تحمله من مظاهر تقدم وازدهار ونمو، إلا أنه ما زالت ضئيلة أمام ما يحمله دين الإسلام من قيم إنسانية سامية تعزز من حريته الشخصية، وتحفظ كرامته الإنسانية.

- **أهداف البحث:**

١- بيان مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

٢- بيان أهمية الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية في الإسلام.

٣- بيان العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

٤- بيان حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام المرتبطة بالفرد.

٥- بيان حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام المرتبطة بالمجتمع.

- **تساؤلات البحث:**

١-ما مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام؟

٢-ما أهمية الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية في الإسلام؟

٣-ما العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام؟

٤-ما حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام المرتبطة بالفرد؟

٥–ما حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام المرتبطة بالمجتمع؟

- بيان بالإضافة العلمية لهذه الدراسة:

وأظهرت هذه الدراسة ما يلي:

١ – مشروعية العناية بالحرية الشخصية، وأهميتها في الشريعة الإسلامية؛ وأهمية ربطها بحفظ كرامة الإنسان؛ وسلامة دينه وفطرته.

٢ – المبادئ الأساسية لبناء علاقة صحيحة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

٣ – حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد، وحدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع.

- **الدراسات السابقة:**

لم يجد الباحث دراسة مستقلة تناولت حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، فقد بحثت فيما تناوله العلماء والباحثون والمفكرون في موضوع الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية وما جاء في كلامهم عن حفظ الإسلام للحقوق، أما الدراسات المعاصرة فقد تناولت جوانب أخرى من جوانب الحرية الشخصية، أو الكرامة الإنسانية، وبعد اطلاع الباحث على الدراسات الأقرب من موضوع الدراسة وجدها على النحو التالي:

أ– حدود وضوابط الحرية في الإسلام–دراسة مقارنة مع المفاهيم المعاصرة، إبراهيم الأمين يوسف، رسالة دكتوراه غير منشورة.(١)

---

(١) رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

وتناول الباحث في هذه الدراسة:

١- مفهوم الحرية بشكل عام، ومفهوم الحرية الشخصية بشكل خاص.

٢- أنواع الحرية وما يتعلق بأحكام الرقيق في الإسلام، والحرية الاجتماعية، والاقتصادية، وما يتعلق بالحرية الشخصية المترابطة بتصرفات الفرد؛ كالتملك وأحكامه في الإسلام، أو السفر وأحكامه.

ب- مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية-رؤية في الموازنة بين الحريات الشخصية والمصالح العامة، د. بشير عبدالعالي شمام. بحث علمي محكم منشور.(١)

وتناول الباحث في هذه الدراسة:

١- بيان كيف وازن الإسلام بين الحرية الشخصية والمصالح العامة.

٢- إن الإسلام لم يصادر حريات الأفراد باسم المصلحة العامة، ولا أهدر المصلحة العامة باسم صيانة حريات الأفراد من خلال بيان مفاهيم الحرية وأسسها في الغرب وفي الإسلام.

فهذه الدراسات لم تتناول العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بشكل مباشر من خلال وضع حدود لهذه العلاقة مبنية على مبادئ دين الإسلام وقيمه. فالذي يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات هو:

١ - أن تلك الدراسات لم تتناول موضوع حدود العلاقة بشكل مباشر ومحدد، ودراستي محددة بالعلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية.

---

(١) بحث علمي محكم منشور، مجلة الشريعة والقانون، جامعة إفريقيا العالمية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية العدد الثاني عشر، ٢٠٠٨م.

٢- لم تتطرق تلك الدراسات لحدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية؛ من خلال الوقوف على المبادئ الرئيسة التي تبنى عليها هذه العلاقة.

منهج البحث:

قام الباحث في هذه الدراسة باستخدام منهجين من مناهج البحث العلمي، وهما :

١- منهج الاستدلال والاستنباط: وهو ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها[١]. ويستند المنهج الاستنباطي إلى: "مجموعة من الحدود الأولية، والتعريفات، والبديهيات، والمصادرات، وينتقل منها في إطار مجموعة من قواعد الاشتقاق الصارمة إلى ما يترتب عنها من نتائج أو نظريات".[٢]

٢- المنهج الاستقرائي: "وهو ما يقوم على التتبع لأمور جزئية مستعينًا على ذلك بالملاحظة، والتجربة، وافتراض الفروض لاستنتاج أحكام عامة منها ."[٣]

واستخدم الباحث هذا المنهج بنوعيه: الاستقراء التام: "وهو ما يقوم على حصر جميع الجزئيات للمسألة التي هي موضوع البحث، والتتبع لِمَا يعرض لها، مع الاستعانة بالملاحظة في جميع جزئيات المسألة. والنوع الثاني الاستقراء الناقص: "وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها، بالتتبع لِمَا يعرض لها، والاستعانة بالملاحظة في هذه الجزئيات المختارة؛ وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل

(١) مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، ص١٨-٨٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

(٢) المدخل إلى مناهج البحث العلمي، د. محمد محمد قاسم، ص٥٨، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

(٣)- مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، ص١٨، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

تحت الدراسة".[1]

● تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل:

١- أهمية الدراسة، وأسباب اختيارها.

٢- أهداف الدراسة.

٣- تساؤلات الدراسة.

٤- الدراسات السابقة.

٥- منهج الدراسة.

٦- تقسيمات الدراسة.

التمهيد: ويشمل مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام، ومكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

المبحث الأول: العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

المبحث الثاني: حدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالفرد.

المبحث الثالث: حدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالمجتمع.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

---

(١) البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، ص١٧٩، الجزء الأول، مكتبة العبيكان، الطبعة السادسة، ١٤٣٣هـ.

التمهيد

ارتبط مصطلح الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بحقوق الإنسان في المواثيق والمعاهدات والنصوص القانونية؛ كون رعاية الحرية الشخصية وحفظ كرامة الإنسان أصل الحقوق، وأُولى الواجبات، وقد تم تداول مصطلح الحرية الشخصية ومصطلح الكرامة الإنسانية وفق عدد من المفاهيم التي اجتهد في صياغتها مجموعة من العلماء والباحثين والمفكرين وفق منطلقاتهم الدينية، أو الفكرية، أو القانونية.

إن الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بمفهومهما العام أو الخاص تضمنتهما قيم الإسلام وتشريعاته، فهما قيمتان أساسيتان حفظهما الإسلام للإنسان؛ أيًّا كان هذا الإنسان مسلمًا، أو كافرًا، أبيضاً أو أسوداً، فالحرية في حقيقتها مرتبطة بالكرامة الإنسانية، وهذا الارتباط يكون واضحًا في جانب الممارسة، سواءكانت هذه الممارسة عملية، أو معنوية ذهنية.

وفي هذا التمهيد بيان لمفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، ومكانتهما في الإسلام؛ من خلال الوقوف على عدد من التعريفات والمفاهيم التي بينت ذلك.

أولًا: مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية:

١-مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام:

معلوم أن الإنسان في شريعة الإسلام هو محور الاهتمام، ومحل العناية؛ فلأجله جاء هذا الدين، وهو المخاطب به، ولحياته المكرمة جاءت أحكام الإسلام مراعية لحاجاته، فهو مكرَّمٌ من جهة خالقه لمجرَّد إنسانيته، وهذه قاعدة عامة في الإسلام؛ فكل تشريعات الإسلام المتعلقة بالإنسان تتوافق مع هذه القاعدة ولا تتناقض معها. وحفظ الحقوق من أعظم التكريم و"كل ما كان من حقوق الله -سبحانه وتعالى- فلا خيرة للمكلَّف، وأما ما كان من حق

العبد في نفسه فله فيه الخيرة".[1]

والتكريم الإلهي الذي يعمّ الناس كافةً بصرف النظر عن أصله وفصله، ودينه وعقيدته، ومركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعية مستمدٌّ من قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[2]. و"الكرامة الإنسانية هي مصدر الحقوق الأساسية كلها؛ وهي التي تميزه عن سائر المخلوقات"[3]؛ "فالإسلام أولى الوجود المادي والمعنوي للإنسان أهمية كبرى؛ فقد أكد على الصلاح والإصلاح للوجود المعنوي الذي يتميز به"[4]. وأقر حرية الذات، حرم الاعتداء على الإنسان بالقتل، أو الضرب، كما حرم الاعتداء على ماله بسرقته، أو غصبه، أو نهبه، أو أخذه بغير رضاه، ولا أن يُعتدى على عرضه بانتهاكه، أو قذفه، بل لا يجوز أن تُمتهن كرامته، أو يؤذي أحاسيسه ومشاعره. ومصدر هذه الحرية كتاب الله -سبحانه وتعالى- الذي خلق الإنسان، ومنحه الحياة، وأمره بعدم الخضوع لغيره سبحانه، وكرمه بالعقل، فجعله أفضل مخلوقاته، وأمر ملائكته بالسجود له[5] . وهذا هو أصل الكرامة الإنسانية.

فتعريف الحرية الشخصية يرتبط بتعريف الكرامة الإنسانية من عدة وجوه، فهي عكس

---

(١) الموافقات، الامام الشاطبي، الجزء الثاني، ص٢٦٢، تحقيق مشهور أبوعبيدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن عفان، الرياض.

(٢) .سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٣) الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، عبدالعزيز التويجري، ص٨-٩، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة إيسيسكو، الطبعة الثانية.

(٤) خصائص التشريع الإسلامي، الدريني، ص٩٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ.

(٥) انظر كفالة الحريات في الإسلام، فالح بن عبدالرحمن بن فالح الصغير، رسالة دكتوراه غير منشورة: قسم السياسة الشرعية، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦م، ص٥٩.

العبودية، أو الرق، أو كما تسميها القوانين الحديثة بجريمة الاتجار بالبشر، فحفظها حفظ للكرامة الإنسانية؛ وما يندرج تحت مصطلح العبودية من تصرفات مجرمة، " وهذا ما تدل عليه مقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مخاطبًا فيها عمرو العاص -رضي الله عنه-: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا"(١)، فهي تدل على أن الأصل اليقيني الذي يثبت لكل إنسان يوجد على وجه الأرض أنه حر طليق الإرادة في تصرفاته واختياراته من غير خضوع لإرادة أحد من البشر، ولا تكون تصرفاته مملوكة لأحد من الناس". (٢)

فعرفة كلمة الحرية بأنها:" كلمة أُخذت من وصف الحر؛ فالحر والحرية متلاقيان في المؤدى وإن كانت الحرية وصفًا؛ والحر موصوف؛ والحر حقًّا هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية، ويضبط نفسه، فلا تتدلى إلى سفاسف الأمور؛ ولا ينطلق وراء أهوائه وشهواته؛ ولا يكون عبدًا لها؛ فالحر يبتدئ بالسيادة على نفسه؛ وإطلاق إرادته وعقله من قيود شهوته.

وإذا كان الحر هو الذي يضبط نفسه؛ ولا يذل ويأنف من أن يهضم حق نفسه؛ وبالتالي لا يعتدي على حق غيره؛ فالحر لا يمكن أن يكون معتديًا؛ لأنه يسيطر على أهوائه وشهواته؛ ولأنه يعطي غيره ما يعطيه نفسه؛ ولأنه يحس بالمعاني الإنسانية التي يجب أن يلتزمها بالنسبة لغيره؛ حقًّا وصدقًا هو الذي يقدر الحرية في غيره كما يقدرها في نفسه". (٣)

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن القيم الجوزية، ص٩٩، تحقيق، حلمي محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م،دار ابن خلدون، الأردن.

(٢) فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام، سلطان بن عبدالرحمن العميري، ص٦٩، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م،المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة.

(٣) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ص١٨٧-١٨٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

وعُرِّفت الحرية الشخصية من خلال تعريف (النفس) بأنها: "الحالة التي يكون فيها الإنسان مالكًا لتصرفات نفسه واختياراته من غير ارتهان لإرادة أحد من الخلق، ولا خضوع له، ويمكن أن نعرِّف الحرية النفسية بأنها وضع قانوني يعطي الشخص الحق الكامل في تصرفاته، واختياراته في تدبير شؤون حياته"(١). وعرِّفت من جهة أخرى بأنها: "هي أن يكون تصرف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة تصرفًا غير متوقف على رضا أحد آخر"(٢). وعرَّفها آخرون بأنها: "صفة الرشد التي تجعل الشخص أهلًا لأن يتحمل الالتزامات، ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة من بيع وشراء وهدية ورهن".(٣)

وعرِّفت الحرية الشخصية (الذاتية) بأنها: "الحالة التي يكون الإنسان فيها مالكًا لتصرفات نفسه، واختياراته من غير ارتهان لإرادة آخر من الخلق، ولا خضوع له، أو أنها وضع قانوني يعطي الشخص الحق الكامل في تصرفاته، واختياراته في تدبير شؤون حياته(٤)، أو تصدق بأن يكون تصرف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة تصرفًا غير متوقف على رضا أحد آخر."(٥)

(١) فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ص١٦٧.

(٢) مقاصد الشريعة، الإمام الطاهر بن عاشور، ص٣٩٠، تحقيق محمد الطاهر المساوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ –٢٠٠١م، دار النفائس ، الأردن.

(٣) الحرية في الإسلام، محمد الخضر حسين، ص٢٤، الطبعة الاولى، ٢٠٢١م، مؤسسة هنداوي، لندن، بريطانيا.

(٤) فضاءات الحرية، ص١٦٨.

(٥) مقاصد الشريعة، الطاهر بن عاشور، ص٣٩.

٢- مفهوم الحرية في الكتابات الغربية الحديثة:

يتجه مفهوم الحرية الشخصية في الكتابات الغربية الحديثة إلى مجموعة الحقوق التي تتصل بالفرد، وهي حق الأمن، وحرمة المسكن، وحق الإقامة والتنقل.[١] فعرِّفت "بأن يكون الشخص قادرًا على التصرف في شؤون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته، آمنًا من الاعتداء عليه في نفس، أو عرض، أو مال، أو مأوى، أو أي حق من حقوقه على ألّا يكون في تصرفه عدوان على غيره".[٢] وجاء في مقدمة اتفاقية الحقوق المدنية، والسياسية، والحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية سنة ١٩٦٦م ما يلي: "إن الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة الدولية وبحقوقها المتساوية التي لا يمكن التصرف بها بشكل ما استنادًا للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة على أساس الحرية والعدالة والمساواة"[٣].

إن مفهوم الحرية في الكتابات الغربية الحديثة يعني غياب العقبات والعراقيل أمام طريق الاختيارات التي قد يقرر الإنسان السير عليها، ليس طريق الاختيارات الفعلية فقط؛ وإنما طريق الاختيارات الكامنة أيضًا، ولقد كانت حرية الفرد ولا تزال أي مسألة الحدود التي لا يجوز لسلطة الدولة -علمانية كانت أو دينية- عادة تجاوزها، فهي الباعث للنقاش، وللصراع

---

(١) انظر: الإسلام والحرية الشخصية-رؤية مقارنة، عبدالله يسري عبدالغني، ص١٠١، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد السبعون، ٢٠٠٧م.

(٢) السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبدالوهاب خلاف، ص٣٨، دار القلم، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٣) اتفاقية الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة ١٩٦٦م، موقع الأمم المتحدة. https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights.

الفلسفي حول مفهوم الحرية وحدودها وقد تبلورت مسألة الحرية وتفرعت دلالاتها في التاريخ الأوربي الحديث .[1]

ومسألة الحرية في الفكر الغربي تجاوزت عدة حدود، وانتهت إلى التأكيد بأن الحرية عبارة عن ممارسات واقعية خاصة يحدد مفهومها أصحاب القوة والسلطة والمال الذين يمارسون إكراهًا خفيًّا قد يتخذ صورًا تبلغ من الدقة والخفاء درجة لا يشعر بها الضحية عند ممارسة عمله، وهو ما يحصل فعلًا في المجتمعات الديمقراطية؛ حيث تسيطر الدولة والمؤسسات الرأسمالية على أدوات الاتصال والتعليم والتثقيف؛ مما يجعل لها نفوذًا عظيمًا على عقول الجماهير، وتكييف أذواقها؛ مما يكفل إدارة اللعبة السياسية في الإطار المحدد لها، وبالإضافة إلى هذا العامل الخارجي -ولعله الأهم- سواء أكان عائدًا إلى سيطرة الاندفاعات والنزوات أم غياب الوعي، ونقص المعرفة.[2]

ثانيًا: مكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام:

اختصَّ الله -عزَّ وجل- الإنسان من بين خلقه بأنْ كرَّمه وفضَّلَه وشرَّفه، فللإنسان شأنٌ ليس لسائر المخلوقات؛ فقد خلَقَه البارئُ تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته إكرامًا له، وإظهارًا لفضله، واتَّخذ -سبحانه- من هذا الإنسانِ الخليلَ والكليمَ والولِيَّ والخواصَّ والأحبار، وجعله مَعْدِنَ أسراره، ومَحلَّ حكمته، وموضِعَ مثوبته.

و قد بين الإسلام مكانة الحرية الشخصية و الكرامة الإنسانية في عدة جوانب هي:

---

(١) انظر مسألة الحرية في مدونة ابن عاشور، جمال الدين دراول، ص١٤٢، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: الحرية الشخصية في إطار الحريات العامة، د. بشير عبدالعالي شمام، ص١٠٥ -١٠٦، مجلة التنوير المعرفي، مجلة علمية مُحكَّمة، العدد السابع، ٢٠٠٩م، الخرطوم السودان.

أولًا: حسن الخلق:

إنَّ تكريم الإنسان في القرآن هو تكريم لِذَاته الإنسانية قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (١)، وتكريمٌ لِدَوره في إعمار الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢)، فهذا التَّكريم هو اسم جامعٌ لكلِّ الخَيْر، والشَّرَف، والفضائل.

ومن إكرام الله للإنسان أنْ أوجَدَه بعدما لم يكن شيئًا مذكورًا، ولا يُعرف له أثر؛ قال -عزَّ وجلَّ- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾(٣)،ومن كرامة الإنسان أنْ خلَقَه الله مَجْبولًا على الإيمان؛ قال -سبحانه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾(٤).

ومن مظاهرها أن الإنسان كرمه الله -تعالى- بحسن الصورة من بين سائر المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٥)، وذكّره بإحسان هذا الخلق، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾(٦).

---

(١) سورة التغابن، آية ٣.

(٢) سورة هود، آية ٦١.

(٣) سورة الإنسان، آية ١.

(٤) سورة الروم، آية ٢٠.

(٥) سورة التين، آية ٤.

(٦) سورة الانفطار، الآيات ٦ – ٨.

ثانيًا: الخلافة وإعمار الأرض:

تعكس خلافة الإنسان في الأرض أسْمَى مراتب التَّكريم الإلَهي؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (١) ، ولِتَحقيق هذه الخلافة سخَّر الله سبحانه وتعالى للإنسان السَّماوات والأرض وما بينهما؛ قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾(٢)، وذكَر نِعَمَه على بني آدم، وأنَّه سخَّر لَهم ما في السماوات وملائكة تَحُوطهم، وتجرُّ إليهم منافِعَهم، وما في الأرض عامٌّ في الجبال، والأشجار، وتعكس خلافة الإنسان فيها أسْمَى مراتب التَّكريم من الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ .(٣)

والخلافة الإلهية هي أكبر كرامة، وأعظم مكانة يتحلى بها الإنسان على الأرض، ولما كان الله سبحانه وتعالى متصفًا بصفات الكمال؛ إذًا لا بد أن يكون خليفته صاحب شرف وكرامة.

ثالثًا: العقل والقدرة على الإدراك:

أكد ذلك القرآن الكريم وفصَّله؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ

---

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) سورة لقمان، آية ٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية ٣٠.

وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١)، فكان العقل الذي ميز الله به الإنسان هو أسمى مظاهر تكريمه؛ ليتفكر ويتدبر في خلق الله؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢)، فبه اطلع على ما شاء الله من العوالم السماوية، والآيات الكونية التي أدركها، وما زال يدركها مستقبلًا مما يتيح الله له إدراكها، وسبر أغوارها، والاطلاع عليها. كما كرّمه بالكلام والإفصاح، وتعلُّم اللغات، والكتابة والنطق، وعلّمه ما لم يكن يعلم، مصداقًا للهدي القرآني؛ قال تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾(٣)، وقال تعالى ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.(٤)

رابعًا: تسخير الكون للإنسان:

سخر الله عز وجل للإنسان ما في السماوات وما في الأرض، وهداه إلى التفكير بعقله وإدراكه والسعي بعمله إلى البحث في أسرار الكون، واستجلاء آفاقها، فحقق هذا التقدم المذهل، وتوصل إلى هذه الكشوف والاختراعات التي سمت بحياة الإنسان وبقدره، فحقق بها إرادة الله فيه كما أكد ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾(٥).

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩٠.

(٣) سورة الرحمن، آية ١-٤.

(٤) سورة النساء، آية ١١٣.

(٥) سورة الجاثية، آية ١٣.

المبحث الأول

العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية

جاء الإسلام ليؤكد على أصالة الكرامة الإنسانية، وليرسّخ في الإنسان إحساسه بكرامته، وليقوي تمسكه بها، وصونه لها، وذوده عنها؛ لإنها جوهر إنسانيته، ولُبّ بشريته، وأساس حياته. فقد راعت المبادئ الإسلامية أن الإنسان أكرم الخلق، وأنه يحمل الأمانة العظمى، وأنه مستخلَف عن الله -تعالى- في الأرض ليعمّرها، وليقيم الموازين بالقسط، وليعبد الله وحده لا يشرك به أحدًا، فكان الإسلام باعثًا للكرامة الإنسانية، وحافظًا لها، بما جاء به من مبادئ سامية تصون للإنسان حرمتَه، وترعى كرامته.

وفي هذا البحث يبين الباحث أن الحرية الشخصية ترتبط بالكرامة الإنسانية بثلاثة روابط رئيسة، الأول هو رابط المصلحة، والثاني هو رابط الضرر، والثالث المسؤولية. وهذه الروابط الثلاثة هي ما تتشكل منها حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بشكل عام في الإسلام. إلا أن هذه الحدود تختلف في نوعها ومحدداتها باختلاف ما ترتبط به، ومن هنا يعتقد الباحث أنها ترتبط بجهتين رئيستين: حدود ترتبط بالفرد مباشرة، وحدود ترتبط بالمجتمع.

وهذه الروابط الرئيسة الثلاثة للعلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية؛ سواء كانت الحرية الشخصية تتعلق بحرية الرأي، أو حرية التعبير، أو حرية التصرف؛ فعندما تتسبب الحرية الشخصية في فوات مصلحة أو حدوث ضرر سواء كانت هذه المصلحة للفرد أو للجماعة دينية أو دنيوية؛ هنا يكون التعدي على الكرامة الإنسانية؛ لأنه سبق الحديث عند التعريف بالكرامة الإنسانية في الإسلام أن المراد بها حفظ مكانة الإنسان من التعدي المعنوي أو المادي، ولا شك أن تفويت مصلحة للإنسان أو التسبب في وقع الضرر عليه هو أوضح

صور التعدي على كرامته. ولدفع الضرر وحفظ المصلحة لا بد أن يتحلى الفرد بالمسؤولية تجاه نفسه ومجتمعه، وفيما يلي بيان هذه الروابط الثلاثة:

أولًا: رابط حفظ المصلحة:

الحرية الشخصية في الإسلام مرتبطة برعاية المصلحة، ودرء المفسدة، وهذه من مقتضيات الكرامة الإنسانية وجوهرها، والمصلحة هنا يُنظر لها من عدة جوانب: "الجانب الأول: قيمة المصلحة في ذاتها من حيث كونها معتبرة أو ملغاة أو مرسلة أو وهمية. فمقاصد الشارع في وضع الشريعة ثلاثة أقسام أحدها أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالث: أن تكون تحسينية".(١)

فإن درء المفاسد مصالح؛ بل إنها مصالح من باب أَولى؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، و"القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد؛ وتعارضت المصالح والمفاسد؛ " .(٢)

فالشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الفرد والجماعة معًا، "إن الشارع -عز وجل- قاصد لمصالح العباد؛ والأحكام العادية تدور حيثما دارت، فترى الشيء الواحد يُمنع في حال لا تكون فيه مصلحة؛ فإذا كان فيه مصلحة جاز؛ كالدرهم بالدرهم إلى أجل يمتنع في المبايعة، ويجوز فيه القرض، وبيع الرطب باليابس يمتنع حيث يكون مجرد غرر وربا من غير

---

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الجزء الثاني، ص٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الجزء الثامن والعشرون، ص١٢٩، تحقيق، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

مصلحة، ويجوز إذا كان فيه مصلحة راجحة"[1]. والمصالح قد تتعارض و لو ترك لكل واحد الحرية المطلقة لاستأثر بالمصالح دون غيره، "ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما؛ بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين" .[2]

والقدرة مناط التكليف في الإسلام في فروض الأعيان، وفروض الكفاية؛ "ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن منهم نفس الشرع يوجب ذلك، ومثال ذلك أن من عاشر إنسانًا من الفضلاء والعقلاء، وفهم ما يؤثره ويكرهه في كل ما ورد وصدر، ثم سنحت له مصلحة أو مفسدة لم يعرف قوله، فإنه يعرف بمجموع ما عهده من طريقته، وألفه من عادته أن يؤثر تلك المصلحة، ويكره تلك المفسدة".[3]

ولذا فإنه لا يجوز لمن لا علم له بالقضايا المعروضة للنظر أن يدلي فيها برأيه بدعوى الحرية الشخصية؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾.[4]

والمصالح تختلف وتتنوع باختلاف الأشخاص وتنوع الحاجات "فالمصالح أربعة أنواع:

---

(١) الموافقات، الشاطبي، الجزء الثاني، ص٣٠٥.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، الجزء الثاني، ص١٩٣، المكتبة العامة بيروت.

(٣) قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، ص ١٨٩، الجزء الثاني، دار المعرفة ، بيروت.

(٤) سورة النساء، آية ٨٣.

اللذات وأسبابها؛ والأفراح وأسبابها، والمفاسد أربعة أنواع: الآلام وأسبابها، والغموم وأسبابها، وهي منقسمة إلى دنيوية وأخروية؛ ومن أفضل لذات الدنيا لذات المعارف وبعض الأحوال"(١). "وأعني بالمصالح ما يرجع إلى قيام حياة الإنسان وتمام عيشه؛ ونيله ما تقتضيه أوصافه الشهوانية والعقلية"(٢). و"المصلحة: هي جلب المنفعة أو دفع المضرة"(٣).

والإسلام عظم من شأن رعاية مصالح العباد، والعدل والإحسان لهم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾(٤). "وهذه هي أجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها، والزجر عن المفاسد بأسرها"(٥). وقد أجمع العلماء على أن الشريعة قد جاءت لمراعاة مصالح العباد في العاجل والآجل، وأن مقاصد الشريعة جاءت لتحقيق السعادة الحقيقية لهم في الدارين، ولم يشذ عن هذا الإجماع أحد ممن يُعتد بقوله(٦) . و"إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها،

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، الجزء الأول، ص١١-١٢، دار المعرفة، بيروت.

(٢) الموافقات، الشاطبي، الجزء الثاني، ص٢٥، تحقيق عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت.

(٣) روضة الناظر، الامام عبدالله ابن قدامة، ص٣٤٥، تحقيق د.شعبان محمد اسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، المكتبة التدمرية، الرياض.

(٤) سورة النحل، آية ٩٠.

(٥) قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، الجزء الثاني، ص١٨٩، الطبعة لأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) انظر الأحكام في أصول الأحكام، الإمام علي الآمدي، الجزء الثالث، ص٤١١، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، دمشق.

ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة، وإن أُدخلت فيها بالتأويل".[١]

ثانيًا: رابط دفع الضرر:

ترتبط العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من حيث نفي الضرر "وهو نفي فكرة الثأر لمجرد الانتقام، لأن هذا يزيد في الضرر ويوسع دائرته، فمن أتلف مال غيره مثلاً لا يجوز أن يقابل بإتلاف ماله، لأن في ذلك توسعة للضرر بلامنفعة ، وذلك بخلاف الجناية على النفس أو البدن مما شرع الله فيه القصاص، لأن الجنايات يقمعها إلا عقوبة من جنسها ".[٢]

و الضرر تتعدد صوره فهو يربط بكل ما يمكن أن يؤذي الإنسان في دينه أو بدنه أو نفسه أو أهله، فهو تجاوز على الحقوق و العدوان عليها قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [٣]،" أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم، والاعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ أي: لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتداء اعتداؤهم".[٤] والعدوان لا يكون على الكرامة الإنسانية من خلال ظلم الناس فمن صوره " الإخلال بالعدالة في

---

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، الجزء الثالث، ص١٤.

(٢) المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٩٧٩، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، دار القلم، دمشق.

(٣) سورة المائدة، آية ٦٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ١٤٤، الجزء الثالث.

المعاملة "(١)، أو " الاعتداء في قول أو فعل أو حال".(٢)

والقرآن الكريم ذكر كلمة الضرر في عدة مواضع؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾(٣)،وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾.(٤)

والرسول محمد ﷺ حذر من الضرر كله؛ لِمَا يمثله من تعدٍّ على الحقوق التي كفلها الإسلام للخلق، "فعن عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار"(٥)؛ "فهو داخل تحت أصل قطعي في هذا المعنى فإن الضرر والضرار مبثوث منعه في الشريعة كلها في وقائع جزئيات وقواعد كليات".(٦)

---

(١) مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٥٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف المناوي، ص٥٠٨، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، عالم الكتب ، القاهرة.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٣١.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١) مختصرًا، وأحمد (٢٨٦٥) باختلاف يسير.

(٦) الموافقات، الشاطبي، الجزء الثالث، آية ٨.

وعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ، قال: "لا ضرر ولا ضرار؛ من ضار ضاره الله ومن شاق شاق الله عليه" .[١] و"الضرر بالضم والفتح: كل ما كان سوء حال وفقر وشدة في بدن فهو ضر بالضم؛ وما كان ضد النفع فهو بفتحها. والضرر فعل الواحد، والضرار فعل الاثنين؛ فالضرر إلحاق مفسدة بالغير مطلقًا؛ والضرار: مقابلة الضرر بالضرر، وفسره بعضهم بألا يضر الرجل أخاه ابتداء ولا جزاء"[٢]."والذي يصح في النظر: أن ليس لأحد أن يضر بأخيه سواء ضره أم لا؛ إلا أن ينتصر ويعاقب إن قدر؛ بما أبيح بالحق؛ وليس ذلك ظلمًا ولا ضرارًا إذا كان على الوجه الذي أباحته الشريعة"[٣].

ثالثًا: رابط التحلي المسؤولية:

لفظ المسؤولية من الألفاظ المحدثة التي يراد بها التبعة، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل؛ أي من تبعته، وقيل المسؤولية ما يكون به الإنسان مسؤولًا ومطالبًا عن أمور أو أفعال أتاها. والمسؤولية عند أرباب السياسة: الأعمال التي يكون الإنسان مطالبا بها".[٤]

والمسؤولية يُعبَّر عنها في الإسلام بالتكليف أيضًا "فهي تعني كون الفرد مكلَّفًا بأن يقوم

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١) واللفظ له، وأحمد (٢٨٦٥) مطولاً.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي،ص١٣٦،الجزء الأول، المكتبة العلمية بيروت، ولسان العرب، محمد ابن منظور الأنصاري،ص٤٤-٤٥،الجزء الثامن،الطبعة الثامنة، ١٤١٤هـ، دار صادر ،بيروت.

(٣) بهجة قلوب الأبرار، الشيخ عبدالرحمن السعدي،ص٤٩،تحقيق عبدالرحمن الدريبي، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ،مكتبة الرشد.

(٤) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، ص١٣٨، تحقيق عبدالصبور شاهين، الطبعة الأولى، ١٤٤٦هـ، مؤسسة الرسالة، الرياض.

ببعض الأعمال وبأن يقدم عنها حسابًا إلى غيره وينتج عن هذا التحديد أن فكرة المسؤولية تشتمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسؤول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسؤولية قبل كل شيء هي استعداد فطري؛ إنها هذه المقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة".(١)

وقد عبَّر عنها المتقدمون أيضًا بالأهلية، وهي صلاحية الإنسان لأن تعتبر أقواله وأفعاله، وهذه الأهلية نوعان: قاصرة: باعتبار قوة البدن وذلك ما يكون للصبي المميز قبل أن يبلغ أو المعتوه بعد البلوغ؛ فإنه بمنزلة الصبي من حيث إن له أصل العقل وقوة العمل بالبدن، وليس له صفة الكمال في ذلك حقيقة ولا حكمًا؛ والكاملة: تُبنى على قدرتين قدرة فهم الخطاب وذلك يكون بالعقل، وقدرة العمل به وذلك بالبدن. ثم يُبتنى على الأهلية القاصرة صحة الأداء، وعلى الكاملة وجوب الأداء وتوجه الخطاب به؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ .(٢)

وقبل التمييز والتمكن من الأهلية لا وجه لإثبات التكليف بالأداء؛ لأنه تكليف، وممارستها مسؤولية ما لا يطاق و"الاستعداد الفطري الذي جبل الله -تعالى- عليه الإنسان ليصلح للقيام برعاية ما كلفه به من أمور تتعلق بدينه ودنياه؛ فإن وفَّى ما عليه من الرعاية جعل له الثواب؛ وإن كان غير ذلك جعل له العقاب(٣) . وقد نفى الله -تعالى- ذلك بهذه

---

(١) انظر: معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي-حامد صادق قنيبي، ص٤٢٥، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٣) انظر المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الشافعي،ص٤٧، الطبعة الأولى،١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات، القاهرة.

الآية"[١]. وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾[٣]، وقال ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" .[٤]

والمسؤولية ملازمة للواجب "فيراد بالمسؤولية الشعور بأداء الواجب، والإخلاص في العمل، وليست المسؤولية مجرد الإقرار؛ فإن الجزم بالشيء لا يعطي صفة المسؤولية، وإنما يجد المتحسس بها أن هناك واجبات لا بد من الانقياد إليها؛ بغض النظر عن النتائج؛ فإن إنقاذ الغريق مما يشعر الشخص بالمسؤولية في إنقاذه إذا كانت له القدرة على الإنقاذ؛ وإن دفع الظلم ممن له القدرة على دفع الظلم يجب على ذلك الشخص أن يدفع عن المظلوم وهو مسؤول عن الترك، فالمسؤولية تختلف بلحاظ الأفراد وبلحاظ المجتمعات".[٥]

ومن المسؤولية تطبيق المساواة القائمة على العدل فهي مبدأ رئيس تقوم عليه خدمة المجتمع في الإسلام، فقد اعتبر الإسلام مبدأ المساواة عقيدة أساسية يجب أن يدين بها المسلم، وأن يحرص عليها، ويتصف بها، ويطبقها في حياته كلها، وجعل ذلك أساسًا ومبدأ تقوم عليه حياة الناس، فقال –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٦]. فالناس

---

(١) أصول السرخسي، للإمام أحمدابي سهيل السرخسي، ص٣٤٠، تحقيق أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية. بيروت.

(٢) سورة الحجر، آية ٩٢-٩٣.

(٣) سورة القيامة، آية ٣٦.

(٤)أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) مطولاً .

(٥) انظر: أصول السرخسي، الجزء الثاني ص٣٤٠، دار المعرفة، بيروت.

(٦) سورة الحجرات، آية ١٣.

جميعًا متحدرون من أب واحد، وأم واحدة، وأن تقسيمهم كذلك ليتعارفوا ويتمازجوا، ويحب بعضهم بعضًا، وليتكاملوا لصالح الجماعة كلها، والبشرية كلها.

كما قام هذا المبدأ على أمر آخر؛ وهو تمييز الإنسان على سائر المخلوقات، باعتباره أسماها وأكرمها عند الله، (ولقد كرمنا بني آدم)؛ أي تكريم الجنس البشري كله، ولم يخص فردًا دون آخر. كما شملت عنده المساواة بين الذكر والأنثى، وهم متكاملون بعضهم من بعض، ولا فضل لأي منهما على غيره؛ بل الفضل في ذلك للخالق: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[١]، فليس بينهم فرق في جوهر الطبيعة، أو في الأصل، وهم جميعًا مسؤولون ومثابون أو معاقبون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾.[٢]

لقد أوجب الإسلام تطبيق حق المساواة، والتمسك به في جميع نواحي الحياة، ونادى بالعمل به في الحقوق المدنية، والمسؤولية، والعقاب، وفي جميع الحقوق العامة. ومن أجل هذا يعتبر الإسلام بني البشر جميعًا متساوين في طبيعتهم البشرية، ولا تفاضل بينهم بحسب الخلق، أو العنصر، أو السلالة، أو اللون، وإنما هم يتفاضلون بكفايتهم وأخلاقهم وأعمالهم.

وقد عمل الرسول ﷺ بقوله وفعله طوال حياته على تطبيق هذا المبدأ الإسلامي العظيم، باعتباره أصلًا من أصول الإسلام، وأساسًا من الأسس التي يقوم عليها مجتمع المسلمين. وقد غضب غضبًا لم يُرَ مثله على وجهه عندما سمع أبا ذر الغفاري يحتد على بلال ويعيِّره بلونه قائلا: "يا ابن السوداء"، فزجره الرسول ﷺ ورده بقوله: "يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٥.

(٢) سورة النساء، آية ١.

امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".(١) فاستجاب أبو ذر لأمر الرسول ﷺ، ووضع خده على الأرض، وأقسم أن يطأه بلال برجله توبة وتكفيراً عما صدر عنه من أخلاق الجاهلية. وإن أفضلية الإسلام وريادته في هذا المجال تظهر في أنه لا يقر المبادئ الضالة التي عرفتها الإنسانية قبله.

وقد شجب الإسلام تلك الامتيازات التي قامت في مجتمع الهنود والرومان واليونان، من تمييز الناس بعضهم على بعض، بحسب العنصر أو الجنس، أو التكوين؛ ولذلك حرم التفاضل الذي ميز الشعوب عن بعضها، والأوصاف التي أطلقتها على نفسها "كالشعب المختار" و"شعب الله"، ومن "شعوب ناقصة"، وأخرى "كاملة الإنسانية" بحسب نشأتها وطبيعتها الأولى، وبالتالي ذلك التمييز الذي قام بين الناس تبعًا لتلك الأوصاف، فهذا كله حرمه الإسلام وألغاه، واعتبره جاهلية وانحطاطًا للإنسانية عن مكانتها الرفيعة التي وضعها الله فيها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾.(٢)

وتطبيقًا لهذا المبدأ وعملًا به؛ لا يقر الإسلام هذه الدعاوى الجاهلية التي عادت إلى الظهور، وانتشرت اليوم، من التمييز بين الشعوب حسب ألوانها، واعتبار الرجل الأبيض سيد العالم، وتمييزه في المعاملة وسائر الحقوق عن الرجل الأسود: في التعليم، والوظائف، كما يحصل الآن في بعض الدول الإفريقية، وبعض مدن أمريكا مثلًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٥٤٥) واللفظ له، ومسلم في صحيحه حديث رقم (١٦٦١).

(٢) سورة النساء، آية ١.

فقد شمل تطبيق الإسلام وتقريره لمبدأ المساواة جميع مظاهر حياة الإنسان، سواء فيما يتعلق بتقدير القيمة الإنسانية المشتركة، أو فيما يتعلق بالحقوق، والمسؤولية، والجزاء، أو فيما يرتبط بشؤون الاقتصاد تحقيقًا لخير الناس واستقرارهم وسعادتهم، وأحاطه بسياج من الرعاية والحماية من كل انحراف أو عبث أو زيغ، حتى كان مظهرًا من مظاهر سمو الدين الإسلامي، وسمو تعاليمه التي حققت للإنسانية وللناس الأمن والطمأنينة والاستقرار. فالمساواة تكون في القيمة الإنسانية المشتركة؛ ويعني ذلك أن الناس جميعًا متساوون في طبيعتهم البشرية؛ إذ إنهم من أصل واحد، وطبيعة واحدة: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ (١). وأنه ليس هناك فرد أو جماعة تتميز عن غيرها بحسب عنصرها وخلقها الأول، إنما التفاضل يكون بأمور خارجة عن طبيعتهم وعنصرهم وسلالتهم؛ أي على أساس التقوى والعمل الصالح.

والمساواة تكون في الحقوق والمسؤولية والجزاء؛ وتقوم هذه المساواة على أساس أن العدل الإسلامي له ميزان واحد، وتطبيق واحد على جميع الناس في جميع شؤون الحياة، حقوقًا، ومسؤولية، وجزاء، انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾(٢)، ويؤكد هذا المعنى رسول الله ﷺ بقوله: "إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".(٣)وهو ما ذهب إليه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في رسالة القضاء إلى أبي موسى الأشعري قائلًا: "آس بين الناس في وجهك ومجلسك، وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من

(١) سورة طه، آية ٥٥.
(٢) سورة المائدة، آية ٨.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (١٦٨٨).

عدلك". [1]

وكذلك سوى الإسلام بين الناس في حق العمل، وجعله حقًّا مشاعًا بين الناس، وحث عليه، ورغب فيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[2]، ودعاهم أن يمارسوا أعمالهم، ويعودوا إليها إثر الفراغ من صلاة الجمعة كما أكد ذلك القرآن الكريم:﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [3].وقد عمل النبي في الرعي وفي التجارة لزوجه خديجة قبل أن ينبأ ويرسل إلى الناس، وحبب العمل إلى صحابته ليكسبوا ولا يكونوا عالة على غيرهم، ولم تقتصر التسوية بين أفراد المجتمع الإسلامي على المسلمين؛ بل شملت التسوية بين المسلمين وغير المسلمين فللذميين ما لنا من الحقوق، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين مثلهم، وعلى الدولة أن تقاتل عنهم كما تقاتل عن رعاياها من المسلمين؛ بل إن المسلمين –وخاصة حكامهم– مطالبون بأكثر من ذلك في مقابل أهل الذمة بحسن المعاملة والحماية.

---

(١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، رقم الحديث (٢٦١٩) المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المترجم: بدون الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع١٣٩٩هـ.

(٢) سورة الملك، آية ١٥.

(٣) سورة الجمعة، آية ١٠.

المبحث الثاني

حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد

ترسم حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد من خلال الوقوف على شكل العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، واتجاهاتها، والمستهدف منها، وهو الفرد وما يحمله من روح وجسد، ويقصد بالحد: "الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر، أو لئلا يتعدى على الآخر، وجمعه حدود. وفصل بين الشيئين: حد بينهما، ومنتهى كل شيء حده" .(١)ومن خلال النظر إلى ما تفرضه العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من حفظ لمصلحة ودفع لضرر عنه وقيامه بمسؤوليته تجاه نفسه قال الله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾.(٣)

وتحدد العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد من كون أن حريته الشخصية هي حرية انتهاج أسلوب حياة خاص بالفرد، يريده ويختاره، بعيدًا عن أي شخص آخر، ويمارسه كما يريد دون أن يتعدى الحدود الموضوعة مع تمتع الشخص مالك هذه الحرية بجميع الحقوق التابعة لحياته الخاصة من الحفاظ على سريتها، وعدم نشرها للعامة(٤) ، وعرفت

(١) لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني، ص٧٩٩-٨٠٠، مادة حدد، طباعة دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

(٢) سورة الإسراء، آية ١٥.

(٣) سورة النجم، آية ٣٨-٤٠.

(٤) انظر الحرية الجنائية لأسرار الأفراد في مواجهة النشر، طارق أحمد سرور، ص٢٣، دار النهضة

الحياة الخاصة أيضًا على أساس المساس بها بأنها: "الانتهاك الجدي لحق شخص آخر، ودون وجه حق، بصورة تجعله عرضة لأنظار الآخرين، وبهذا يكون المعتدي مسؤولًا أمام المعتدى عليه". (١)

وكون أن الإنسان نفسه "هو البدن والروح معًا، وقد يطلق اسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة"(٢)، ومن خلال ما ذُكر فيكون للحرية الشخصية المرتبطة بالفرد حدان رئيسان، الحد الأول يتعلق بجوانب الروح، وهو الحد المعنوي للحرية الشخصية. والثاني يتعلق بجانب الجسد، وهو الحد المادي للحرية الشخصية.

الأول: الحدود المعنوية للحرية الشخصية:

قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠** ﴾(٣). فالله -سبحانه وتعالى- أقسم بالنفس ومَن سوّاها، وركّب فيها قواها الباطنة والظاهرة، ثم بيّن بعد ذلك أثر هذه التسوية؛ فقال: (فألهمها فجورها وتقواها) أي فألهم كل نفس الفجور والتقوى، وعرّفها حالها بحيث تميز الرشد من الغي، ويبين لها الهدى من الضلال. "فالتوحيد والإيمان أعظم ما تتزكى به النفس، وكان الشرك أعظم ما يدنسها، وتتزكى بالأعمال الصالحة والصدقة، وهذا كله مما ذكره السلف في التزكي. قالوا في

١٩٩١م، القاهرة.

(١) حرمة الحياة الخاصة في ظل التطور العلمي الحديث، عبدالعظيم محمد محمد، ص٤١٣، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، ١٩٨٨م.

(٢) كتاب الروح، الإمام ابن قيم الجوزية، ص٥١٩، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، الجزء الأول، دار عالم الفوائد للنشر.

(٣) سورة الشمس، آية ٧-١٠.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ من تطهر من الشرك ومن المعصية بالتوبة. فالآية تتناول كل ما يزكى به الإنسان من التوحيد والأعمال الصالحة".(١)

والحماية الشخصية يقصد بها حماية نفس الفرد من أي اعتداء نفسي أو جسدي، فلا يمكن لأي فرد بداعي الكرامة الإنسانية أن يعتدي على فرد آخر؛ أو أن يسمح بأن تُمس شخصية الفرد نفسيًّا؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾(٢)"مهين: أي خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة في الخير؛ بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة، والهماز: أي كثير العيب للناس، والطعن فيهم بالغيبة، والاستهزاء، وغير ذلك، مشاء بنميم: أي يمشي بين الناس بالنميمة، وهي نقل كلام بعض الناس لبعض بقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء".(٣)

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾(٤). وقال نبينا محمد ﷺ في بيان الغيبة: "أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ. قيلَ: أفَرَأَيْتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقُولُ؟ قالَ: إنْ كانَ فيه ما

---

(١) تزكية النفس، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٤٩-٥٠، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(٢) سورة القلم، آية ١٠-١١.

(٣) تفسير القرآن الكريم، الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ، ص٨٧٩، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة. الرياض.

(٤) سورة الحجرات، آية ١٢.

تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ"(١). وقال ﷺ: "إيَّاكُمْ والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَباغَضُوا، وكُونُوا إخْوانًا، ولا يَخْطُبُ الرَّجُلُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ حتَّى يَنْكِحَ أوْ يَتْرُكَ"(٢). وقد تحدث العلماء في مصلحة حفظ النفس عند حديثهم عن المقاصد العامة للنفس لِمَا يمثله ذلك من حفظ: "الوجود الحسي الواعي المتكامل الشامل للروح والجسد المتلازمين اللذين لا ينفصل أحدهما عن الآخر" .(٣)

وكل هذه السلوكيات التي شملها النهي في الآيات الكريمة السابقة هي لحفظ نفس الفرد وروحه، ورعايتهما من كل ما قد يضر بها (٤).

وحفظ النفس يكون من خلال الاطلاع على: "الغايات والوسائل التي وضعها الشارع الحكيم، وأنزلها على محمد ﷺ، والتي تهدف أصالة إلى حماية الذات البشرية من كل ما يخل بها من جانب الإيجاد، والوجود، والعدم"(٥). والنفس البشرية يتعلق بها حقان: حق الله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، حديث رقم (٢٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٥١٤٣).

(٣) الأصول العامة، وهبة الزحيلي، ص١٣٠، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، المكتبة العباسية، دمشق.

(٤) فالروح "هي جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف؛ بقي ذلك الجسم اللطيف متشابكًا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية. وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح — المصدر "كتاب الروح، ابن القيم، ص٥٢١.

(٥) مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، د. محمد أحمد المبيض، ص١٢١، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

وحق العبد "وجناية الإنسان على أعضاء نفسه بتفاوت إثمها بتفاوت منافع ما جنى عليه.. وليس لأحد أن يتلف ذلك من نفسه؛ لأن الحق في ذلك كله مشترك بينه وبين ربه".(١)

وسُميت النفس نفسًا "إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج. فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سُميت نفسًا. ومنه النفس -بالتحريك-، فإن العبد كلما نام خرجت منه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كليًّا، فإذا دُفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بُعث رجعت إليه. فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات، لا فرق بالذات".(٢)

فالنفس البشرية ارتبط صلاحها بحفظها للفطرة السوية التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- عليها فقد خلق الله الإنسان، ومنحه فطرة سوية يعرف بها الخير، وينكر بها الشر، والنفس الزاكية هي التي تستجيب لنداء فطرتها، وسوي خلقتها، فتُقبل على الخير، وتتعرف على المعروف فتهفو إليه، وتجفل من الشر، وتتنكر للمنكر، وتلوم عليه، كل ذلك في بصيرة واعية، وإدراك يقظ، ومراقبة كاملة، ومتابعة دقيقة؛ لأنه يؤمن أنها مجزية عن الخير خيرًا، وعن السوء سوءًا.

ومن ثم حتم على كل ذي عقل آمن بالله واليوم الآخر أن يدرك مسؤوليته تجاه ذاته، فلا يغفل عن مراقبة ربه، وإيقاظ ضميره، ومحاسبة نفسه، ومناقشتها في كل ما تأتي وما تذر، ففي ذلك طهرها وفلاحها. ومراعاة نفوس الخلق، ورعايتها، والعناية بها لِمَا لها من أثر من تأليف القلوب؛ قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، ص١٣٠، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، دار الجليل، بيروت.

(٢) كتاب الروح، الإمام ابن القيم، ص ٦١٦.

حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1].

الثاني: الحدود المادية للحرية الشخصية:

حفظ الإنسان في بدنه، وماله، وعرضه، ومنع الاعتداء عليه من المبادئ التي قامت عليها الحرية الشخصية في الإسلام؛ لرعاية الكرامة الإنسانية للمسلم وغير المسلم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[3] "والعدوان هنا بمعنى ولا أن تتجاوزوا ما حدَّ الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم"[4]. وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[5] "أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم، والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل (لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)؛ أي:

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية ٢.

(٤) جامع البيان، الامام محمد بن جرير الطبري، الجزء التاسع، ص٤٩٠، بدون تاريخ طبع، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٥) سورة المائدة، آية ٦٢.

لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتداء اعتدائهم".[(١)]

وقال النبيُّ ﷺ بمِنًى في تحريم الاعتداء على الناس: "أَتَدْرُونَ أيُّ يَومٍ هذا؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ هذا يَوْمٌ حَرَامٌ، أفَتَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هذا؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: بَلَدٌ حَرَامٌ، أتَدْرُونَ أيُّ شَهْرٍ هذا؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهْرٌ حَرَامٌ قالَ: فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُم دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا".[(٢)]

فالاعتداء ليس مقصورًا على الاعتداء على البدن، وإنما يشمل الاعتداء على العرض، والاعتداء على المال، فكل ما هو مرتبط بالإنسان فهو محل حفظ ورعاية، فقد "عنيت الشريعة الإسلامية عناية فائقة بكل ما يكفل إيجاد نفس بشرية سوية، وهذا يلحظ من خلال تشريعاتها وضوابطها المتعددة التي تكفل تحقيق هذه الغاية السامية، ويتضح ذلك من خلال بيان الخطوط العامة لهذه التشريعات التي تضبط طريقة الإنجاب وطبيعته، والوسائل الكفيلة بإيجاده، والحض عليه، ومحاربة موانعه، واعتبر الشارع الحكيم أن النكاح هو الوسيلة الوحيدة الكفيلة بإيجاد نفس بشرية سوية.

ولئن كان وجود النسل ممكنًا بطرق غير الزواج؛ وذلك من خلال التقاء الذكر بالأنثى بعيدًا عن ضوابط الزواج، إلا أن هذا النسل بدون الزواج لا يمكن أن تتهيأ له الظروف الاجتماعية والنفسية التي تكفل له الحياة الرشيدة السليمة، بعيدًا عن الانحراف الخُلُقي، والشذوذ، وشيوع الجريمة، وما ينتج عن ذلك من ضياع للنشء، وخروجه للمجتمع كما تخرج

(١) تفسير القرآن العظيم، الامام إساعيل ابن كثير، الجزء الثالث، ص١٤٤، تحقيق سامي السلامة،الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث ٦٠٤٣.

السائمات بلا ضوابط؛ مما يخرج المجتمع الإنساني عن إنسانيته إلى طور الحيوانية"[١]. "والنكاح هو الصورة الوحيدة التي اعتبرها الإسلام لحفظ النسل والنوع الإنساني من الزوال والانقراض، بالإنجاب والتوالد، وإقامة الأسرة التي يتم من خلالها تربية النشء تربية إيجابية بعيدة عن الانحراف والسلبية، والاضطرابات النفسية والاجتماعية"[٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[٣]، و"النكاح يعتبر الوسيلة الوحيدة الأضمن لحفظ النسب الراجع إلى صدق انتساب النسل إلى أصله، وحفظ النسب له أثره الجِبِلّي المباشر في دفع النسل إلى البر بأصله، والأصل إلى الحنو والرأفة، والعناية بنسله" .[٤]

والحدود التي تتعلق بالمال "يراد بالمال ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة، والمالية تثبت بتمول كافة الناس أو بعضهم، والتقوم يثبت بها، وبإباحة الانتفاع به شرعًا، فما يباح بلا تمول لا يكون مالًا؛ كحبة حنطة، وما يتمول بلا إباحة انتفاع به شرعًا لا يكون متقومًا كالخمر، وإذا عدم الأمران لم يثبت واحد منهم كالدم"[٥]. "ولا يقع اسم المال إلا على ما له قيمة يباع بها، ويلزم متلفه وإن قلت، وما لا يطرحه الناس مثل الفلس وما أشبه ذلك"[٦]. و"لقد جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ نظام الأمة وتقويتها، ولا يكون ذلك إلا

---

(١) مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، ص١٦٣-١٦٤.

(٢) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص١٥٧.

(٣) سورة النساء، آية ١.

(٤) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص١٦٢.

(٥) حاشية ابن عابدين، تحقيق أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، الجزء السابع، ص٧.

(٦) الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، ص١٩٧، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب

بضبط وتنظيم الأموال التي عنيت الشريعة الإسلامية بها، وأولتها القدر الكبير من الاعتبار والاهتمام، وباستقراء أدلة الشريعة من القرآن والسنَّة نجد العديد من الآيات والأحاديث الدالة على أن المال هو قوام الأمة، وبه تقضى حاجات أفرادها، وتيسر أحوالهم ومعايشهم.

ولا أدل على ذلك من اعتبار الإسلام للزكاة ركنًا ثالثًا من أركان الإسلام؛ بل وجعلها شعارًا يفرق بين المسلم والكافر، وقرينة للصلاة في كثير من الآيات؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[١]. كما دلت آيات أخرى على أهمية المال في القيام بمصالح الأمة اكتسابًا وإنفاقًا؛ قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[٢]. ويقول تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ ﴿٢٠﴾ ﴾[٣]"[٤]. "والمقصود الشرعي في الأموال كلها خمسة أمور هي: الرواج، والوضوح، والحفظ، والثبات، والعدل فيها"[٥]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا

العلمية،بيروت.

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٦٧.

(٣) سورة المزمل، آية ٢٠.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال وتنميته، محمد بن سعد المقرن، رسالة دكتوراه غير منشورة، ١٤٢٠هـ، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، الجزء الثاني، ص٤٠٠.

تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

(١) سورة النساء، آية ٢٩.

المبحث الثالث

حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع

تعتبر حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع إحدى القضايا التي تفاعلت بشأنها مختلف الاتجاهات النظرية، فحدود العلاقة المجتمعية هي ذات طبيعة فردية بالأساس، وانطلاقًا من الحدود الفردية تتشكل الحدود المجتمعية؛ والعكس صحيح أيضًا، فالحدود المجتمعية هي المسؤولة عن تشكيل الحدود الفردية. وتتشكل الحدود في الإسلام في كون الفرد الصالح هو أساس المجتمع الصالح؛ وبصلاح الفرد يصلح المجتمع؛ ولذلك عُني الإسلام برسم الحدود، وتحديد الضوابط للحرية الشخصية حتى تُحفظ من خلالها الكرامة الإنسانية.

والإسلام وضع للإنسانية نظامًا محكمًا، ومنهجًا كاملًا لانتظام الحياة، وتدبير أمور الناس ليقوموا بالقسط، وليحيوا حياة دنيوية مستقيمة آمنة، بلاغًا للحياة الآخرة، وصراطًا لها، مصداقًا للهدي القرآني الكريم: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ (١). و"وجه الإسلام الناس لبناء مجتمع إنساني جديد يقوم على جملة من الأسس، يشترك فيها جميع البشر، ووضع نظامًا صالحًا لكل زمان ومكان، فهو مجتمع يوحده الإيمان بالله، مجتمع ملتزم بما أمر الله تعالى، وبما جاء به النبي ﷺ، إنه مجتمع قائم على العدل؛ ذلك أنه يؤمن بأن الله ودين الله هو العدل، فالعدل أساس من أسس قيامه، والعدل جوهر جميع شؤونه، مجتمع يقوم على المساواة، والتفاضل فيه يكون بالتقوى؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٦٤.

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2] "[1].

والله سبحانه وتعالى عندما خاطب المسلمين في القرآن الكريم خاطبهم ببيان أعظم ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم من الخيرية؛ قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

وتتشكل حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع في الإسلام، أو كما يمكن أن تسمى بالحياة العامة، والتي يقصد بها "الحياة التي يحياها الشخص في المجتمع مع أقرانه، أو هي الحياة الخارجية للفرد"[4]، بمبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد جاء بيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[5]؛ وقال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ

(١) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٢) انظر المسؤولية الاجتماعية تجاه الأمن، سليمان بن عبدالله العقيل. بحث علمي محكم في مجلة التربية العدد(١١١)، سنة ٢٠٢م، كلية التربية، جامعة الأزهر.

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٤) الحماية القانونية للحياة الخاصة، عبدالوهاب الأزرق، ص١١٩، مجلة إدارة قضايا الحكومة، الأردن، ١٩٥٩م.

(٥) سورة آل عمران، آية ١١٠.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم صلاح حياة البشر؛ "فكل بشر على وجه الأرض: لا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يؤمر ويُنهى؛ حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها: إما بمعروف وإما بمنكر، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[2]، فإن الأمر: هو طلب الفعل وإرادته، والنهي: طلب الترك وإرادته، ولا بد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه، ويقتضى بها فعل نفسه ويقتضى بها فعل غيره، إذا أمكن ذلك. فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته. وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض.

وإذا اجتمع اثنان فصاعدًا، فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر، وتناهٍ عن منكر"[3]. و"المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر ما ينكر قبحه بالبصر أو البصيرة، وهو كل فعل يحكم العقل الصحيح بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة"[4]. و"المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس. وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات

---

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

(٢) سورة يوسف، آية ٥٣.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد السيد الجليند، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٤هـ.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٤٥، تحقيق صفوان داووي، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ ، دار القلم، دمشق.

والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة؛ أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمنكر هو ضد المعروف"(١). "فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي ﷺ والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

وهذا واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره، والقدرة هي السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب هو القدرة، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته (٣).

وقد وجد الباحث أن حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع تتمثل في مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام تتشكل حدودها في ثلاثة موضوعات رئيسة وفقًا للكتابات المعاصرة في قضايا المجتمع الأول: الأول الذوق العام، والثاني العلاقات العامة، والثالث خدمة المجتمع.

أولاً: العلاقات الاجتماعية:

الالتزام المبني على القيم الأخلاقية في العلاقات الاجتماعية في الإسلام يعتبر أصل في بناء العلاقات بين أفراد المجتمع، سواءٍ كان هذا الالتزام قائم على قيم أخلاقية أو عهود أو

---

(١) النهاية في غريب الحديث، محمد الجزري ابن الأثير، ص ٦٦، تحقيق علي بن حسن الحلبي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، الرياض.

(٢) سورة التوبة، آية ٧١.

(٣) انظر الحِسْبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١١، دار الكتب العلمية، بيروت.

مواثيق، والعلاقات الاجتماعية تندرج تحت معنى العلاقات العامة "فالعلاقات العامة إطار عام يشمل في طياته العلاقات الإنسانية التي تعتبر جزءًا لا يتجزأ عن العلاقات العامة".(١)

و لأن العلاقات العامة تعتمد على جانب الممارسة لذا فهي تقوم على حسن المعاملة والصدق و الإخلاص في التعامل مع الآخرين وكل هذه القيم الأخلاقية وغيرها لا تكون إلا من خلال حفظ الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية للفرد والمجتمع، وتعتبر العلاقات العامة في الإسلام أساس المجال التطبيقي لعلم الأخلاق والسلوك والدعوة في ميدان التفاعل مع الآخرين، ومن ذلك العلاقات العامة، ويظهر ذلك جليًّا في أسلوب الدعوة الإسلامية، وما أثمرت من انتشار الدين الإسلامي في مناطق شاسعة من العالم من خلال الدعوة الإسلامية، و ذلك أيضًا من خلال الاهتمام بالرأي العام، ومن خلال إقرار مبدأ الشورى(٢) .قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(٣).

وقال نبينا محمد ﷺ: "ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم"(٤). ومن أهم مظاهر الكرامة البشرية أن الإسلام لم يفرق في حق الحياة بين أبيض وأسود، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين حر وعبد، ولا بين رجل وامرأة، ولا بين كبير وصغير، لأنّ هذا التكريم تكريم إلهي، وليس بسبب توافر خصائل مادية، وتضافر عناصر مكسوبة؛

---

(١) أسس العلاقات العامة وتطبيقاتها، حمود عبدالعزيز البدر، ص٩٦، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الرياض.

(٢) انظر مدخل إلى العلاقات العامة الإنسانية، د. علي فايز الجحني، ص٤٠، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث (٥٤).

وقال الرسول ﷺ: « يا أيُّها النَّاسُ، ألَا إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألَا لا فَضْلَ لِعَربيٍّ على أعجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ إلَّا بالتَّقْوى » .(١)

ثانياً: خدمة المجتمع:

من الحقوق الأساسية التي شرعها الإسلام، وقررها للناس، وأوجب تطبيقها والعمل بها؛ حق المساواة الذي يعتبر في شريعة الإسلام أساسًا لعلاقات الناس فيما بينهم، ومظهرًا من مظاهر العدالة الاجتماعية، وركيزة لكرامة الشخص، واعتبار قيمته الإنسانية. "والمجتمع في الاصطلاح هو جماعة من الناس تربطها روابط ومصالح مشتركة، وعادات وتقاليد وقوانيين واحدة، فيقال: مجتمع المدينة–مجتمع اشتراكي–محافظ–عصري–بشري–على هامش المجتمع–مجتمع راقٍ–علية القوم–وجوه المجتمع: سادته وأعيانه".(٢) فالمجتمع يجب أن يحافظ أفراده على سلامته، واستمرار وجوده نقيًّا متعاونًا متآلفًا متحابًّا في ظلال حكومة ترعاه، وأنظمة تسوده، ومفتاح العمل بهذه الخدمة قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾.(٣)

وخدمة المجتمع هي عمل تطوعي يتم من خلاله تقديم المساعدة والرعاية والدعم

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٩) باختلاف يسير، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١٠٠/٣) مختصراً، ومسدد كما في ((إتحاف الخيرة المهرة)) للبوصيري (٢٢٦/٣) واللفظ له من حديث أبي نضرة رضي الله عنه.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، الجزء الأول، ص٣٩٦، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

(٣) سورة المائدة، آية ٢.

للآخرين، سواء أكانوا أفرادًا أم مؤسسات حسب احتياجاتهم في المجالات المختلفة. "فخدمة المجتمع مهنة نبيلة تشمل نطاقًا واسعًا من الخدمات الاجتماعية، والبرامج الهادفة إلى حماية عقيدة المجتمع، وإلى تنمية المجتمع، وإصلاح شؤونه النفسية والصحية والاجتماعية وغيرها"(١). "وأن خدمة المجتمع في الإسلام هي نفع الآخرين ابتغاء وجه الله -تعالى-، والسعي في غوث الملهوف، ومساندة الضعيف، وجبر الخواطر، وإكرام كبير السن، ورحمة الصغار، ورعاية السجناء، وذوي الاحتياجات الخاصة، والأرامل واليتامى، أو الفقراء والغارمين، وإعادة تأهيل المدمنين، وتقديم الاستشارات الأسرية، والاقتصادية والقانونية، والاهتمام بالبيئة، وغيرها من وجوه النفع".(٢)

وهي خدمة المجتمع في الإسلام تنطلق من قيمة الإحسان " فالإحسان فضيلة مستحبة، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره"(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٥) وقال النبي ﷺ:" إن الله

---

(١) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المجلد العاشر، مادة خ، ص٢٤، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م-١٤١٩هـ.

(٢) خدمة المجتمع وأهميتها في ضوء نصوص السنة النبوية، د. عبدالواسع بن يحيى المغربي، ص٨٥، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد ٦، ١٧/٢٠٢٠، أم درمان، السودان.

(٣) تفسير السعدي، ص٤٤٧.

(٤) سورة البقرة، آية١٩٥.

(٥) سورة المائدة، آية ٩٣.

كتب الإحسان في كل شيء"[١]، " أي إلى كل شيء، والمراد منه العموم الشامل للإنسان حياً و ميتاً".[٢] و "الاحسان ضد الإساءة ومصدر أحسن أي جاء بفعل حسن"[٣].و" الإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجد في القيام بحقوق الله على وجه النصح و التكميل لها. وإحسان في حقوق الخلق، وهو بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك."[٤]

ثالثاً: الذوق العام:

من عظمة الله سبحانه وتعالى وإبداعه في الخلق؛ وحدة الجنس، واختلاف النوع، فالواحد من الناس، من الجنس البشري، يتفرد بصفات وسمات وخصائص و لا تتكرر ولا تتطابق تطابقًا كاملًا مع غيره من البشر.

لكن هذا لا يعني أن اختلاف الأذواق بين الناس يتكاثر ويتنوع بعدد سكان الأرض من البشر، فيكون التصادم والتضارب والصعوبة، وربما استحالة الاختيار والتعامل؛ لأنه مع انفراد كل إنسان بذوقه أو مذاقاته الخاصة هناك الذوق العام للجماعة، أو المجتمع، أو الأمة. وهذا الذوق العام يخضع لعوامل ومؤثرات كثيرة ترتبط بالأسرة والبيئة والثقافة والتقاليد والأعراق، والبواعث النفسية والعقائدية والاجتماعية.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٥٥)، و أبو داوود في سننه ، حديث رقم (٢٨١٥).
(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ص ٦٦٤-٦٦٥، الجزء الرابع.
(٣) الفروق اللغوية، للعسكري، الجزء الأول، ص ١٩٣.
(٤) بهجة قلوب الأبرار، السعدي، ص٢٠٤-٢٠٦.

لكنه -أي الذوق العام- يصنع شيئان الضبط، والانسجام والتوافق إلى حد ما، فقبول ومطلوب، حتى يتآلف الناس في مجتمع معين وتسودهم السكينة والرضى. إنه شيء مضاف، أو متمم للآداب، ومزين للحياة.

و الذوق العام للمجتمع الذي تعيش فيه وتتعامل معه لا يقبل من الرجل أو الفتى أن يرتدي ملابس المرأة أو الفتاة، والعكس بالعكس. أو هو مجتمع يحترم العقيدة الإلهية وشرائعها، فيلزمك أن تستر بملابسك (رجلًا أو امرأة) ما أمر الله أن يُستر، فتفعل. وعند هذا الحد يكون قد تم المطلوب جوازًا أو قبولًا، وشرعًا جوازًا لإرضاء المجتمع، وقبولًا لإرضاء نفسك أو ذوقك الخاص، وشرعًا ينفذ مطلب الدين والعقيدة.(1)

والإسلام له حدود فيما يتعلق بسلوك المجتمع، فقد نهى عن الإسراف؛ قال تعالى: ﴿ ۞يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾(2). وقال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾(3). ،وقال تعالى: ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾(4). "وأمر بالمعروف وانه عن المنكر -وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه، والأمر

---

(1) انظر: بتصرف، الإسلام والذوق العام، فؤاد شاكر، ص٩-١٠، طباعة أوراق شرقية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، بيروت.

(2) سورة الأعراف، آية ٣١.

(3) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(4) سورة لقمان، آية ١٧-١٩.

بما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لينهى عنه، والأمر بما لا يتم الأمر به وهو الصبر، وقوله تعالى: (وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ)؛ أي: بطرًا، وفخرًا بالنعم، ناسيًا المنعم، معجبًا بنفسك، وقوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ) في نفسه وهيئته وتعاظمه (فَخُورٍ) بقوله. وقوله تعالى: (وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ) أي: أمش متواضعًا مستكينًا، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت. وقوله تعالى: (وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ) أدبًا مع الناس ومع الله: (إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ)؛ أي: أفظعها وأبشعها (لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ)، فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة لما اختص بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته".[1]

(١) تفسير السعدي، ص٦٤٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله؛ محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومَن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد ،،،

فقد خرجت هذه الدراسة بنتائج التالية:

النتائج:

١ -للحرية الشخصية والكرامة الإنسانية خصائص مميزة لها عن بقية القيم التي قدمها القرآن الكريم، والتي يجب أن نتوقف عندها طويلًا لكشف أسبارها من فوائد وأبعاد وتطبيقات.

٢ - مفهوم الإسلام للحرية الشخصية والكرامة الإنسانية أبعد من أن يرتبط بنسب، أو حسب، أو جاهٍ، أو منصب، أو مال؛ بل حصره وحدده في أمر واحد هو التقوى، فالأكثر تقوى هو الأكرم على الله، وعلى خلق الله، باعتبار وحدة أصل الإنسان.

٣ - المقياس والميزان في كرامة الناس في الإسلام هو العمل الصالح لخير الإنسان، وخير مجتمعه، وما ينفع الفرد والجماعة، والاهتداء إلى الحق، والتمسك به، والتزامه.

٤ -يتجه مفهوم الحرية الشخصية إلى عدة اتجاهات رئيسة منها: اتجاه يتناولها من منظور إسلامي، واتجاه آخر يتناولها من خلال الأطروحات الحديثة للمفكرين عن الحرية الشخصية التي تنطلق في أغلبها من منطلقات غربية، واتجاه آخر يتناولها من جانب قانوني.

٥ - تتبين مكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام من أمور رئيسة؛ الأمر الأول منها هو حسن خلق الله -سبحانه وتعالى- للإنسان، وخلافة الإنسان على الأرض، وتكليفه بعمارتها، وهبة الله -سبحانه وتعالى- العقل للإنسان، وما تحمله هذه الهبة من حسن للإدراك والتصرف، وتسخير الكون له، والأمر الآخر هو أن جعل الله -سبحانه

وتعالى- الإيمان به خيارًا للإنسان؛ فهو يختار مصيرة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أو إلى النار وبئس المصير.

٦ - العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية تقوم على ثلاث ركائز رئيسة هي: المصلحة، وتكون من خلال رعاية الحرية الشخصية لمصلحة الإنسان، وحفظ كرامته، ثم الضرر، ويكون هذا بدفع الضرر الذي قد يحدثه تجاوز الحرية الشخصية إلى التعدي على الكرامة الإنسانية. والركيزة الثالثة هي المسؤولية، ويقصد بها أن الفرد مسؤول عن تصرفاته من خلال حفظه لكرامته، وكرامة غيره.

٧ - تنقسم حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من وجهة نظر الباحث إلى قسمين رئيسين: الأول حدود ترتبط بالفرد، والثاني حدود ترتبط بالمجتمع.

٨ -حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد تتعلق بجانبين: الجانب الأول يتناول الحدود المعنوية من ألفاظ أو سلوكيات تتبين منها مشاعر تؤثر في الفرد. والجانب الثاني الحدود الحسية، وهي ممارسات وتصرفات قد تنال من كرامة الفرد، وتتعدى على حريته.

٩ -حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع تتعلق بثلاثة جوانب رئيسة: الجانب الأول منها هو ما يتعلق بالذوق العام للمجتمع، وأهمية مراعاته والعناية به. والجانب الثاني يتعلق بالعلاقات العامة ورعايتها. والجانب الثالث خدمة المجتمع، ويكون من خلال تفعيل قيم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام إلى ممارسات بناءة تخدم المجتمعات الإنسانية.

١٠ -يتحقق المفهوم السامي للحرية الشخصية والكرامة في الإسلام عند توفر عنصر الاحترام للآخر من خلال عدم انتهاك حريته وخصوصيته، وكل ما يتعلق به، ويُعدّ ذلك واجبًا على

كل إنسان بالحفاظ على الكرامة الإنسانية، وصونها، وعدم انتهاكها، ويشار إلى أنّها مبدأ ثابت لا يمكن التنازل عنه يومًا ما، كما أنّها هدف ومبدأ عالمي تحرص الشعوب والأمم على صونه. والحرية الشخصية تقترن بالكرامة الإنسانية؛ فكلتاهما تكمل الأخرى؛ الحرية الشخصية الموافقة لمبادئ وقيم الإسلام هي التي تصون وترعى الكرامة الإنسانية.

التوصيات:

١ -الرجوع عند الكتابة في الحرية الشخصية من قبل الباحثين المسلمين إلى قيم الإسلام ومبادئه، مع الاستفادة مما عند الآخرين مما لا يتنافى مع مبادئ الإسلام و أحكامة .

٢ -النظرة الشمولية لأبعاد الحرية الشخصية من حيث ارتباطها بالمجتمع وتأثيرها على الفرد وعدم البناء على الجوانب المادية فقط للحرية الشخصية.

٣ -البعد عن الطرح العاطفي القائم على الانطباع الآني والذي لا يستوعب البعد التاريخي والثقافي لحدود الحرية الشخصية وارتباطها بالكرامة الإنسانية.

٤ -القيم والمبادئ لا يمكن أن تتجزأ، فلا يجب أن تتناول قيمة الحرية الشخصية كقضية بشكل مستقل دون ارتباطها بقيم أخرى عند البحث والكتابة.

٥ -القيام بالمزيد من الدراسات والبحوث التي تتناول جانب الحدود الرابطة والضابطة للقيم والمبادئ، والرجوع في مثل هذه الدراسات إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

هذا والله أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

قائمة المصادر والمراجع

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي ، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الأحكام في أصول الأحكام، الإمام علي الآمدي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، دمشق.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المترجم: بدون الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع١٣٩٩هـ.
- أسس العلاقات العامة وتطبيقاتها، حمود عبدالعزيز البدر، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الرياض.
- الإسلام والحرية الشخصية-رؤية مقارنة، عبدالله يسري عبدالغني، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد السبعون، ٢٠٠٧م.
- الإسلام والذوق العام، فؤاد شاكر، طباعة أوراق شرقية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، بيروت.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أصول السرخسي، للإمام أحمد أابي سهيل السرخسي، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٤هـ.

- الأصول العامة، وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، المكتبة العباسية، دمشق، ١٩٧٢م.
- اعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق مشهور أبو عبيدة، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد السيد الجليند، دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ.
- البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، مكتبة العبيكان، الطبعة السادسة، ١٤٣٣هـ.
- بهجة قلوب الأبرار، الشيخ عبدالرحمن السعدي،تحقيق عبدالرحمن الدريبي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ
- تزكية النفس، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- تفسير القرآن العظيم، الامام إساعيل ابن كثير، تحقيق سامي السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن الكريم، الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ، الطبعة الأولى مراجعة وتصحيح عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة،. الرياض. ١٤٢٠هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف المناوي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، عالم الكتب ، القاهرة.
- جامع البيان، الإمام محمد بن جرير الطبري، بدون تاريخ طبع، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
- حاشية ابن عابدين، تحقيق أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

- حدود وضوابط الحرية في الإسلام-دراسة مقارنة مع المفاهيم المعاصرة، إبراهيم الأمين يوسف، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- حرمة الحياة الخاصة في ظل التطور العلمي الحديث، عبدالعظيم محمد محمد، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، ١٩٨٨م.
- الحرية الجنائية لأسرار الأفراد في مواجهة النشر، طارق أحمد سرور، دار النهضة ١٩٩١م، القاهرة.
- الحرية الشخصية في إطار الحريات العامة، د. بشير عبد العالي شمام، مجلة التنوير المعرفي، مجلة علمية مُحكَّمة، العدد السابع، الخرطوم السودان. ٢٠٠٩م.
- الحرية في الإسلام، محمد الخضر حسين، الطبعة الاولى، مؤسسة هنداوي، لندن، بريطانيا. ٢٠٢١ م.
- الحِسْبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت. بدون سنة طبع.
- حق الحرية في العالم، وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت ١٤٢١هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الحماية القانونية للحياة الخاصة، عبدالوهاب الأزرق، مجلة إدارة قضايا الحكومة، الأردن، ١٩٥٩م.
- خدمة المجتمع وأهميتها في ضوء نصوص السنة النبوية، د. عبدالواسع بن يحيى المغربي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الجزء ٦،العدد ١٧، أم درمان، السودان. ٢٠٢٠م .

- خصائص التشريع الإسلامي، الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ.
- دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، تحقيق عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت . الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. بدون سنة طبع.
- السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبدالوهاب خلاف، دار القلم، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام، سلطان بن عبدالرحمن العميري، الطبعة الثانية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة. ٢٠١٣م.
- قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، الطبعة لأولى، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤١٤هـ.
- كتاب الروح، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر.
- الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، عبدالعزيز التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة إيسيسكو، الطبعة الثانية. العدد الثامن والعشرون، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- كفالة الحريات في الإسلام، فالح بن عبدالرحمن بن فالح الصغير، رسالة دكتوراه غير منشورة: قسم السياسة الشرعية، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦م.

- لسان العرب، محمد ابن منظور الأنصاري، الطبعة الثامنة، دار صادر ،بيروت. ١٤١٤هـ.
- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون سنة طبع.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، الطبعة الأولى دار القلم، دمشق. ١٩٨٣م.
- مدخل إلى العلاقات العامة الإنسانية، د. علي فايز الجحني، الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- المدخل إلى مناهج البحث العلمي، د. محمد محمد قاسم، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. ١٩٩٩م.
- مسألة الحرية في مدونة ابن عاشور، جمال الدين دراول، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.بدون سنة طبع.
- المسؤولية الاجتماعية تجاه الأمن، سليمان بن عبدالله العقيل. بحث علمي محكم في مجلة التربية العدد(١١١)، كلية التربية، جامعة الأزهر. ٢٠٠٢م.
- المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الشافعي، الطبعة الأولى، مكتبة المطبوعات،

القاهرة. ١٩٨٦م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، العلمية، بيروت. بدون سنة طبع
- مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، د. محمد أحمد المبيض، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجيي-حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داووي، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ ، دار القلم، دمشق.
- مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال وتنميته، محمد بن سعد المقرن، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. ١٤٢٠هـ.
- مقاصد الشريعة، الإمام الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر المساوي، الطبعة الأولى، دار النفائس ، الأردن. ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
- مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية-رؤية في الموازنة بين الحريات الشخصية والمصالح العامة، د. بشير عبدالعالي شمام، بحث علمي محكم منشور، مجلة الشريعة والقانون، جامعة إفريقيا العالمية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية العدد الثاني عشر، ٢٠٠٨م.
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن القيم الجوزية، تحقيق، حلمي محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، ،دار ابن خلدون، الأردن. ١٩٩٦م.
- مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

- الموافقات في أصول الشريعة، الإمام الشاطبي، تحقيق مشهور أبوعبيدة، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، الرياض. ١٤١٧هـ.
- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م-١٤١٩هـ.
- روضة الناظر، الامام عبدالله ابن قدامة، تحقيق د.شعبان محمد اسماعيل، الطبعة الأولى، المكتبة التدمرية، الرياض. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- النهاية في غريب الحديث، محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق علي بن حسن الحلبي، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض. ١٤٢١هـ.
- اتفاقية الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة ١٩٦٦م، موقع الأمم المتحدة.
https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights.

List of Sources and References

- Ittihad al-Khaira al-Mahra with the additions of the ten Musnads, author: Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad bin Abi Bakr bin Ismail bin Salim bin Qaymaz bin Othman al-Busairi al-Kinani al-Shafi'i, presented by: His Eminence Sheikh Dr. Bin Ibrahim, Publishing House: Dar Al-Watan Publishing, Riyadh, First Edition, 1420 AH - 1999 AD.
- Al-Ahkam fi Usul Al-Ahkam, Imam Ali Al-Amadi, second edition, 1402 AH, Islamic Office, Damascus.
- Irwa' al-Ghalil fi Takhrij Hadiths of Manar al-Sabil, Author / Supervisor: Muhammad Nasir al-Din al-Albani Translator: Without Publisher: The Islamic Office - Beirut Edition: The first year of printing 1399 AH.
- Foundations of Public Relations and Their Applications, Hammoud Abdulaziz Al-Badr, Dar Al-Ulum for Printing and Publishing, 1412 AH-1992 AD, Riyadh.
- Islam and Personal Freedom - A Comparative View, Abdullah Yousry Abdul Ghani, The Cultural Journal, University of Jordan, Issue 70, 2007.
- Islam and Common Taste, Fouad Shaker, Oriental Papers, first edition, 1421 AH, 2000 AD, Beirut.
- Similarities and isotopes, Jalal al-Din al-Suyuti, first edition, 1403 AH, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
- The Origins of Al-Sarkhasi, by Imam Ahmed Abi Suhail Al-Sarkhasi, investigation: Abu Al-Wafa Al-Afghani, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya. Beirut. 1414 AH.
- General Principles, Wahba Al-Zuhayli, first edition, Abbasid Library, Damascus, 1972 AD.
- Flags of the Signatories, Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, investigation by Mashhour Abu Ubaidah, first edition, Dar

Ibn al-Jawzi, Riyadh, 1423 AH.

- Enjoining good and forbidding evil, Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, edited by Dr. Muhammad Al-Sayyid Al-Jalind, Dar Al-Muqama’at for Publishing and Distribution, 1406 AH.
- Scientific research: its reality, sources, materials, and methods, Dr. Abdulaziz bin Abdulrahman Al-Rabiah, Obeikan Library, sixth edition, 1433 AH.
- The Joy of the Hearts of the Righteous, Sheikh Abd al-Rahman al-Saadi, edited by Abd al-Rahman al-Duraibi, first edition, Al-Rushd Library, 1422 AH
- Self-purification, Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, investigation: Muhammad bin Saeed Al-Qahtani, Dar Al-Muslim for Publishing and Distribution, Riyadh, first edition, 1415 AH-1994 AD.
- Interpretation of the Great Qur'an, Imam Ismael Ibn Katheer, investigated by Sami Al-Salamah, second edition, Dar Taibah for Publishing and Distribution, Riyadh. 1420 AH.
- Interpretation of the Noble Qur’an, Sheikh Abd al-Rahman bin Saadi, first edition, revised and corrected by Abd al-Rahman al-Luwayhaq, Al-Risala Foundation,. Riyadh. 1420 AH.
- Al-Tawqif on the missions of definitions, Abdul Rauf Al-Manawi, first edition, 1410 AH, World of Books, Cairo.
- Al-Bayan Mosque, Imam Muhammad bin Jarir Al-Tabari, without a printed date, Dar Al-Tarbih and Al-Turath, Makkah Al-Mukarramah.
- Footnote to Ibn Abidin, edited by Ahmed Abdel Mawjoud, Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1415 AH.
- Limits and controls of freedom in Islam - a comparative study with contemporary concepts, Ibrahim Al-Amin Youssef,

unpublished doctoral dissertation, University of the Holy Qur’an and Islamic Sciences, Sudan, 1431 AH, 2010 AD.

- The Sanctity of Private Life in Light of Modern Scientific Development, Abdel-Azim Muhammad Muhammad, doctoral dissertation, Cairo University, Faculty of Law, 1988 AD.
- Criminal Freedom of Individual Secrets in the Face of Publication, Tariq Ahmed Sorour, Dar Al-Nahda 1991, Cairo.
- Personal freedom within the framework of public freedoms, Dr. Bashir Abdel-Aali Shamam, Al-Tanwir Al-Ma’rifa magazine, a peer-reviewed scientific journal, issue seven, Khartoum, Sudan. 2009 AD.
- Freedom in Islam, Muhammad Al-Khader Hussein, first edition, Hindawi Foundation, London, Britain. 2021 AD.
- Hisba in Islam, Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut. Without year of publication.
- The Right to Freedom in the World, Wahba Al-Zuhayli, Dar Al-Fikr, first edition, Damascus, Beirut 1421 AH.
- The Ornament of the Saints and the Classes of the Pure, Author: Abu Naeem Ahmed bin Abdullah bin Ahmed bin Ishaq bin Musa bin Mahran Al-Asbahani, Publisher: Al-Saada - next to the Governorate of Egypt, 1394 AH - 1974 AD.
- Legal Protection of Private Life, Abdul Wahab Al-Azraq, Government Issues Management Journal, Jordan, 1959 AD.
- Community service and its importance in light of the texts of the Prophet’s Sunnah, Dr. Abdul-Wasi bin Yahya Al-Maghribi, Journal of the University of the Holy Qur’an and Islamic Sciences, Part 6, Issue 17, Omdurman, Sudan. 2020 AD.
- Characteristics of Islamic Legislation, Al-Darini, Al-Resala Foundation, Beirut, second edition 1434 AH.
- The Constitution of Morals in the Qur’an, Muhammad

Abdullah Daraz, edited by Abdul Sabour Shaheen, Al-Resala Foundation, Beirut. First edition, 1346 AH.

- Zad al-Ma’ad fi Huda Khair al-Ibad, Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Al-Risala Foundation, Beirut, twenty-seventh edition, 1415 AH.
- Sunan Ibn Majah, author: Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad bin Yazid al-Qazwini, edited by: Muhammad Fouad Abdul Baqi, publisher: Dar Ihya al-Kutub al-Arabi - Faisal Issa al-Babi al-Halabi. Without a year of printing.
- Sharia Policy in Constitutional, Foreign and Financial Affairs, Abdul Wahab Khallaf, Dar Al-Qalam, 1408 AH - 1988 AD.
- Sahih Al-Bukhari, author: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi, editor: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, publisher: Dar Touq Al-Najat, edition: first, 1422 AH.
- Spaces of Freedom: Research into the Concept of Freedom in Islam, Sultan bin Abdul Rahman Al-Amiri, second edition, Arab Center for Human Studies, Cairo. 2013 AD.
- Rules of Rulings, Al-Izz bin Abdul Salam, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut. 1414 AH.
- The Book of the Spirit, Imam Ibn Qayyim al-Jawziyyah, edited by: Muhammad Ajmal Ayoub al-Islahi, Alam al-Fawa’id Publishing House.
- Human Dignity in Light of Islamic Principles, Abdulaziz Al-Tuwaijri, publications of the Islamic Educational and Cultural Organization (ISESCO), second edition. Issue twenty-eight, 1419 AH, 1999 AD.
- Ensuring Freedoms in Islam, Faleh bin Abdul Rahman bin Faleh Al-Sagheer, unpublished doctoral dissertation: Department of Sharia Politics, Higher Institute of Judiciary, Al-Imam University, ١٤٠٥ AH-١٤٠٦ AD.

- Lisan al-Arab, Muhammad Ibn Manzur al-Ansari, eighth edition, Dar Sader, Beirut. ١٤١٤ AH.
- The Human Society in the Shadow of Islam, Muhammad Abu Zahra, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, without a year of printing.
- Total Fatwas of Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, compiled by Abdul Rahman bin Muhammad bin Qasim, printed by the King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an.
- General Jurisprudential Introduction, Mustafa Ahmad Al-Zarqa, first edition, Dar Al-Qalam, Damascus. ١٩٨٣ AD.
- Introduction to Humanitarian Public Relations, Dr. Ali Fayez Al-Juhani, first edition, Center for Studies and Research, Naif Arab University for Security Sciences. ١٤٢٧ AH-٢٠٠٦ AD.
- Introduction to Scientific Research Methods, Dr. Muhammad Muhammad Qasim, first edition, Dar Al Nahda Al Arabiya, Beirut, Lebanon. ١٩٩٩ AD.
- The Question of Freedom in Ibn Ashour's Blog, Jamal Al-Din Darawul, Dar Al-Hadi for Printing, Publishing and Distribution, first edition ١٤٢٧ AH, ٢٠٠٦ AD.
- Musnad Imam Ahmed bin Hanbal, author: Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad Al-Shaibani, investigator: Shuaib Al-Arnaout - Adel Murshid, and others, supervision: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, publisher: Al-Risala Foundation, Edition: The first, ١٤٢١ AH - ٢٠٠١ AD.
- Al-Musnad Al-Sahih Al-Musnad, which is summarized by transferring justice from justice to the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him. .
- Social Responsibility towards Security, Suleiman bin Abdullah Al-Aqeel. Peer-reviewed scientific research in Education Magazine, Issue (١١١), Faculty of Education, Al-Azhar University. ٢٠٠٢ AD.
- Responsibility and Penalty in the Holy Qur'an, Muhammad Ibrahim al-Shafi'i, first edition, Publications Library, Cairo. ١٩٨٦ AD.

- Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir, Ahmed bin Muhammad Al-Fayoumi, Scientific, Beirut. Without year of publication
- The interest of self-preservation in Islamic law, Dr. Muhammad Ahmed Al-Mubayed, first edition, Al-Mukhtar Publishing and Distribution Foundation, Cairo, Egypt. ١٤٢٥ AH-٢٠٠٥ AD.
- Dictionary of the Contemporary Arabic Language, Dr. Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar, World of Books, first edition, ١٤٢٩ AH-٢٠٠٨ AD.
- Lexicon of the Language of Jurists, by Muhammad Rawas Qalajii-Hamid Sadiq Quneibi, Dar Al-Nafais for Printing, Publishing and Distribution, second edition, ١٤٠٨ AH, ١٩٨٨ AD.
- Vocabulary of the Qur'an, Al-Raghib Al-Isfahani, investigation by Safwan Dawi, fourth edition, ١٤٣٠ AH, Dar Al-Qalam, Damascus.
- The purposes of Islamic law in preserving and developing money, Muhammad bin Saad Al-Muqrin, an unpublished doctoral dissertation, Umm Al-Qura University, College of Sharia and Islamic Studies. ١٤٢٠ AH.
- Objectives of Sharia, Imam Al-Tahir bin Ashour, edited by Muhammad Al-Tahir Al-Masawy, first edition, Dar Al-Nafais, Jordan. ١٤٢١ AH - ٢٠٠١ AD.
- The purpose of freedom in Islamic law - a vision for balancing personal freedoms and public interests, Dr. Bashir Abdel-Ali Shamam, published peer-reviewed scientific research, Journal of Sharia and Law, International University of Africa, Faculty of Sharia, Law and Islamic Studies, Issue ١٢, ٢٠٠٨ AD.
- The Virtues of the Commander of the Faithful, Omar ibn al-Khattab, Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, edited by Hilmi Muhammad Ismail, first edition, Dar Ibn Khaldun, Jordan. ١٩٩٦ AD.
- Scientific Research Methods, Abdul Rahman Badawi, Publications Agency, Kuwait, ١٩٧٧ AD.
- Al-Muwafaqat fi Usul al-Sharia, Imam al-Shatibi, edited by Mashhour Abu Ubaidah, first edition, Dar Ibn Affan, Riyadh. ١٤١٧ AH.

- Encyclopedia Business Foundation for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, second edition, ١٩٩٩ AD-١٤١٩ AH.
- Rawdat Al-Nazir, Imam Abdullah Ibn Qudamah, edited by Dr. Shaaban Muhammad Ismail, first edition, Tadmuriya Library, Riyadh. ١٤١٩ AH - ١٩٩٨ AD.
- Al-Nihayah fi Gharib al-Hadith, Muhammad al-Jazari Ibn al-Atheer, edited by Ali bin Hassan al-Halabi, first edition, Dar Ibn al-Jawzi, Riyadh. ١٤٢١ AH.
- Convention on Civil and Political Rights and Economic, Social and Cultural Rights of 1966 AD, United Nations website. https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights.